

المجلد الثاني من تفسير البحر المحيط لابي حيان

ق ٤٣٣

المجلد الثاني من البحر المحيط

حرمين شريفين مفتشي شيخ زاده احمد افندي وا عيلدندر

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلا اكرمه الله تعالى
بالزلف والحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات سورة يونس القدم قال الليث وابو الهيثم القدم السابقة قال ذو الرمة
وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة لهم قدم معروفة ومفاخر • وقال ابو عبيدة والكسائي كل سابق
في خير او شر فهو قدم وقال الاخفش سابقة اخلاص كما في قول حسان لنا القدم العليا اليك
وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع • وقال احمد بن يحيى كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري
العمل الذي تتقدم فيه ولا يقع فيه تاخير ولا ابطا المر وزنه مرة الشي والعبور عليه تقول
مررت بزيد مرا وزنه والمرة الكرة ومنه ذو مرة ومر الحبل قواه ومنه نخل الصدقة لغني
ولا لذي مرة سوى العاصف الشديد يقال عصفت الريح قال الشاعر

حتى اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل • واعصفت الريح قال الشاعر
ولهت عليه كل معصفة هوجا ليس للبهار بر • وقال ابو تمام • ان الرياح اذا ما اعصفت
قصفت عيدان نجد ولا يعبان بالرتم • الموج ما ارتفع من الماء عند هبوب الهوا سمي
موجا لاضطرابه بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك ايات الكتاب الحكيم**
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين هذه السورة مكية الا ثلاث ايات
فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك الى اخرهن قاله ابن عباس وقال الكلبي الا قوله
ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به فانها نزلت في اليهود بالمدينة وقال قوم نزل
من اولها نحو من اربعين اية بمكة ونزل باقيها بالمدينة وقال الحسن وعطا وجابر هي مكية
وسبب نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الا يتيم ابي طالب فنزلت وقال ابن
جريج عجبت قريش ان بعث رجل منهم فنزلت وقيل لما اخبرهم عن البعث والمعاد والنشور
تعجبوا ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما انزل واذا ما انزلت سورة وذكر تكذيب المنافقين
ثم قال لقد جاكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك بذكر الكتاب الذي انزل والنبي
الذي ارسل وان ديدن الضالين واحد متابعهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبمن

جا

جا بها ولما كان ذكر القران مقدما على ذكر الرسول في اخر السورة جا في اول هذه السورة
كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول ونقدم ما قاله المفسرون في اوايل هذه السورة
المفتتحة بحروف المعجم وذكروا هنا اقوالا عن المفسرين منها انا الله ارى ومنها انا الله الرحمن
ومنها انه يتركب منها ومن حم ومن نون الرحمن فالر بعض حروف الرحمن مفرقة ومنها انا
الرب وغير ذلك والظاهر ان تلك باقية على موضوعها من استعمالها لبعد المشار اليه
فقال مجاهد وقتادة اشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور فيكون
الايات القصص التي وصفت في تلك الكتب وقال الزجاج اشارة الى ايات القران التي جرى
ذكرها وقيل اشارة الى الكتاب الحكيم الذي هو مخزون مكتوب عند الله ومنه نسخ كل كتاب كما قال
بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال انه في ام الكتاب وقيل اشارة الى الر واخوتها من حروف
المعجم اي تلك الحروف المفتتح بها السور وان قربت الفاظها فمعانيها بعيدة المنال وهي ايات
الكتاب كتاب الكتاب بها يتلى والفاظه اليها ترجع ذكره ابن الانباري وقيل استعمل تلك بمعنى
هذه والمشار اليه حاضر قريب قاله ابن عباس واختاره ابو عبيدة فقيل ايات القران وقيل
ايات السور التي تقدم ذكرها في قوله واذا ما انزلت سورة وقيل المشار اليه هو الراء بها كنوز
القران وبها العلوم التي استاثر الله بها وقيل اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب
السورة والحكيم الحاكم او ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او المحكم والمحكوم به او المحكم اقوال والهمزة
في اكان للاستفهام على سبيل الانكار لوقوع العجب من الايحا الى بشر منهم بالانذار والتبشير اي
لا عجب في ذلك فهي عادة الله في الامم السالفة اوحى الى رسلهم الكتب بالتبشير والانذار على ايدي
من اصطفاه منهم واسم كان ان اوحينا وعجبا الخبر وللناس قيل هو في موضع الحال من عجب
لانه لو تاخر لكان صفة فلما تقدم كان حالا وقيل يتعلق بقوله عجبا وليس مصدرا بل هو
بمعنى معجب والمصدر اذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول وقيل هو تبيين
اي اعني للناس وقيل يتعلق بكان وان كانت ناقصة وهذا لا يتم الا اذا قدرت دالة على الحدث
فانها ان تمحضت للدلالة على الزمان لم يصح تعلق بها وقرا عبد الله عجب فقيل عجب اسم كان
وان اوحينا هو الخبر فيكون نظير يكون مزاجها عسل وما • وهذا محمول على الشذوذ وهذا
تخريج الزمخشري وابن عطية وقيل كان تامة وعجب فاعل بها والمعنى احدث للناس عجب لان اوحينا
وهذا التوجيه حسن ومعنى للناس عجبا انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما
لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وقرا روبة الى رجل بسكون الجيم وهي لغة تميمية
يسكنون فعلا نحو سبع وعضد في سبع وعضد ولما كان الانذار عاما كان متعلقه وهو الناس
عاما والبشارة خاصة فكان متعلقها خاصا وهو الذين امنوا وان انذر ان تفسيرية او مصدرية
مخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس قالهما الزمخشري
ويجوز ان تكون ان المصدرية الثنائية الوضع لا المخففة من الثقيلة لانها توصل بالماضي
والمضارع والامر فوصلت هنا بالامر وينسبك منها معه مصدر تقديره بانذار الناس
وهذا الوجه اولى من التفسيرية لان الكوفيين لا يثبتون لان ان تكون تفسيرية ومن
المصدرية المخففة من الثقيلة لتقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجتمع فيها
حذف الاسم والخبر ولان التاصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف وبشر الذين امنوا ان
لهم وحذفت البا وقدم صدق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع بن انس
وابن زيد هي الاعمال الصالحة من العبادات وقال الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى
الله عليه وسلم وقال زيد بن اسلم وغيره هي المصيبة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن
عباس وغيره هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ وقال مقاتل سابقة خير عند
الله قدموها والى هذا المعنى اشار وضاح اليمن في قوله • مالك وضاح دايم الغزل الست تخشى
تقارب الاجل • صل لذي العرش واتخذ قدما ينجيك يوم العثار والزلل • وقال قتادة ايضا
سلف صدق وقال عطا مقام صدق وقال يمان ايمان صدق وقال الحسن ايضا ولد صالح
قدموه وقيل تقديم الله في البعث لهذه الامة وفي ادخالهم الجنة كما قال نحن الاخرون السابقون
يوم القيامة وقيل تقدم شرف ومنه قول العجاج • ذل بنو العوام من ال الحكم وتركوا الملك

لملك ذي قدم وقال الزجاج درجة عالية وعنه منزلة رفيعة ومنه قول ذي الرمة
لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر • وقال الزمخشري قدم صدق
عند ربهم سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة
الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع
بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق
العظيمة وقال ابن عطية والصدق في هذه الاية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق •
وعن الاوزاعي قدم بكسر القاف تسمية بالمصدر قال الكافرون ذهب الطبري الى ان
في الكلام حذفا يدل الظاهر عليه تقديره فلما انذر وبشر قال الكافرون كذا وكذا قال
ابن عطية قال الكافرون يحتمل ان يكون تفسيرا لقوله اكان للناس وحينا الى بشر
عجبا قال الكافرون عنه كذا وكذا وقرا الجمهور والعربيان ونافع لسحر اشارة الى الوحي
وباقي السبعة وابن مسعود وابو رزين ومسروق وابن جبير ومجاهد وابن وثاب
وطلحة والاعمش وابن محيصن وابن كثير وعيسى بن عمر بخلاف عنهما لساحر اشارة الى
الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مصحف ابي ما هذا الا سحر وقرا الاعمش ايضا ما هذا الا ساحر
قال ابن عطية وقولهم في الانذار والبشارة سحر انما هو بسبب انه فرق كلمتهم وحال
بين القريب وقريبه فاشبه ذلك ما يفعله الساحر وظنوه من ذلك الباب وقال
الزمخشري وهذا دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وكما كان
قولهم فيما لا يمكن ان يكون سحرا ظاهر الفساد لم يحتج قولهم الى جواب لانهم يعلمون نشاته
بينهم بمكة وخلطتهم له وما كانت قبله علم ثم اتى بهذا الوحي المتضمن ما لم يتضمنه كتاب
الهي من قصص الاولين والاخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والاخرة
مع الفصاحة والبراعة التي اعجزتهم الى غير ذلك من المعاني التي تضمنها تقضي بفساد
مقالتهم وقولهم ذلك هو ديدن الكفرة مع انبيائهم اذا اتوهم بالمعجزات كما قال فرعون
وقومه في موسى عليه السلام ان هذا لساحر عليم قالوا ساحران تظاهرا وقوم عيسى ان
هذا الا سحر مبين ودعوى السحر انما هي على سبيل العناد والجحد ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة الاعراف
وجاء تاعقيب ذكر القران والتنبيه على المعاد ففي الاعراف ولقد جيناهم بكتاب فصلناه وقوله
يوم ياتي تاويله وهنا تلك ايات الكتاب وذكر الانذار والتبشير وثمرتهما لا تظهر الا في المعاد
ومناسبة هذه لما قبلها ان من كان قادرا على ايجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين
وهو ربكم الناظر في مصالحكم فلا يتعجب ان يبعث الى خلقه من يحذرهم مخالفته ويبشرهم
على طاعته اذ ليس خلقهم عبثا بل على ما اقتضته حكمته وسبقت به ارادته القادر
على العظيم قادر على ما دونه يطرق الاولى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه
قال مجاهد يقضيه وحده والتدبير تنزيل الامور في مراتبها والنظر في ادبارها
وعواقبها والامر امر الخلق كله علويه وسفليه وقيل يبعث بالامر ملكه فجبريل
للوحي وميكائيل للقطر وعزرائيل للقبض واسرافيل للصور وهذه الجملة بيان لعظم
شانه وملكه لما ذكر الايجاد ذكر ما يكون فيه من الامور وانه المنفرد به ايجادا وتدبيرا لا يشركه
احد في ذلك وانه لا يتجرى احد على الشفاعة عنده الا باذنه اذ هو تعالى اعلم بموضع الحكمة
والصواب وفي هذه دليل على عظم عزته وكبريائه كما قال يوم يقوم الروح الاية ولما كان الخطاب
عاما وكان الكفار يقولون عن اصنامهم هولاء شفعاونا عند الله رد ذلك تعالى عليهم وناسب
ذكر الشفاعة التي تكون في القيامة بعد ذكر المبدا ليجمع بين الطرفين الابتدا والانتها
وقال ابو مسلم الاصبهاني الشفيع هنا من الشفع الذي يخالف الوتر لمعنى الاية انه
اوجد العالم وحده لا شريك يعينه ولم يحدث شي في الوجود الا من بعد ان قال له كن وقال
ابو البقاء يدبر الامر يجوز ان يكون مستانفا وخبرا ثانيا وحالا ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي
المتصف بالايجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة اذ لا
يصلح لان يعبد الا هو تعالى فلا تشركوا به بعض خلقه افلا تذكرون تحض على التذكير والتفكر

في الدلايل

في الدلايل الدالة على ربوبيته واخلاص العبادة له اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدا
الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذكر ما يقتضي التذكر وهو كون مرجع الجميع اليه واكد
هذا الاخبار بانه وعد الله الذي لا شك في صدقه ثم استانف الاخبار وفيه معنى التعليل
بابتداء الخلق واعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على اعمالهم وانتصب وعد
الله وحقا على انهما مصدران موكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف
الناصب اضاف المصدر الى الفاعل وذلك كقوله صبغة الله وصنع الله والتقدير في حقا
حق ذلك حقا وقيل انتصب حقا بوعد على تقدير في اي وعد الله في حق وقال العجلي بن سليمان
التقدير وقت حق والتشبيه احقا عباد الله ان لست خارجا ولا والجا الا علي رقيب • وقرا
عبد الله وابو جعفر والاعمش وسهل بن شعيب انه يبدا بفتح الهمزة قال الزمخشري
هو منصوب بالفعل اي وعد الله تعالى بدا الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه
ووعد الله على لفظ الفعل ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدا الخلق كقوله •
احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب • انتهى وقال ابن عطية وموضعها النصب
على تقدير احق انه وقال الفرا موضعها رفع على تقدير لحق انه قال ابن عطية ويجوز عندي
ان يكون انه بدلا من قوله وعد الله قال ابو الفتح ان شئت قدرت لانه يبدا فهي في قدرة
هذا انه وعن اخاه في الوعد وان شئت قدرت وعد الله حقا انه يبدا ولا يعمل فيه المصدر
الذي هو وعد الله لانه قد وصف ذلك بتمامه وقطع عمله وقرا ابن ابي عبلة حق بالرفع فهذا
ابتدا وخبره انه انتهى وكون حق خبر مبتدا وانه هو المبتدا هو الوجه في الاعراب كما تقول صحيح
انك تخرج لان ان معرفة والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة والظاهر ان بدا الخلق هو
النشاة الاولى واعادته هو البعث من القبور وليجزي متعلق بيعيده اي ليقع الجزاء على
الاعمال وقيل البدء من التراب ثم يعيده الى التراب ثم يعيده الى البعث وقيل البدء نشاته
من الماء ثم يعيده من حال الى حال وقيل يبدوه من العدم ثم يعيده اليه ثم يوجده وقيل
يبدوه في زمرة الاشقيا ثم يعيده عند الموت الى زمرة الاوليا وبعكس ذلك وقرا طلحة
يبدي من ابدا رباعيا وبدا وابدا بمعنى وبالقسط معناه بالعدل وهو متعلق بقوله
ليجزي اي ليثيب المومنين بالعدل والانصاف في جزائهم فيوصل كلا الى جزائه وثوابه على حسب
تفاضلهم في الاعمال فينصف بينهم ويعدل اذ ليسوا كلهم متساوين في مقادير الثواب
وعلى هذا يكون بالقسط معتمد قال الزمخشري او بقسطهم بما قسطوا وعدلوا ولم
يظلموا حين امنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة
ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون انتهى يجعل القسط من فعل الذين
امنوا وهو على طريقة الاعتزال والظاهر ان والذين كفروا مبتدا ويحتمل ان يكون معطوفا
على قوله الذين امنوا فيكون الجزاء بالعدل قد تم للفريقين ولما كان الحديث مع الكفار
وفي مفتتح السورة معهم ذكر شيا من انواع عذابهم فقال لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون وتقدم شرح هذا في سورة الانعام هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون
لما ذكر تعالى الدلايل على ربوبيته من ايجاد هذا العالم العلوي والسفلي ذكر ما اودع في العالم
العلوي من هاذين الجوهرين النيرين المشرقين فجعل الشمس ضيا اي ذات ضيا او مضيه
او نفس الضيا مبالغة وجعل يحتمل ان يكون بمعنى صير فيكون ضيا مفعولا ثانيا ويحتمل ان يكون
بمعنى خلق فيكون حالا والقمر نورا اي ذا نور او منورا او نفس النور مبالغة او هما مصدران
وقيل يجوز ان يكون ضيا جمع ضو كحوض وحياض وهذا فيه بعد ولما كانت الشمس اعظم
جرما خصت بالضيا لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اعظم من النور قال ارباب
علم الهيئة الشمس قدر الارض مائة واربعا وستين مرة والقمر ليس كذلك فخص الاعظم بالاعظم
وقد تقدم الفرق بين الضيا والنور في قوله فلما اضات ما حوله ذهب الله بنورهم وقوله
تعالى الله نور السماوات والارض تقتضي ان يكون النور اعظم وابلغ في الشروق والا فلم عدل

الى الاقل الذي هو النور فقال ابن عطية لفظة النور احكم وابلغ وذلك انه شبه هداه
ولطفه الذي يصيبه لقوم يهتدون واخرين يضلون معه بالنور الذي هو ابدا
موجود في الليل واثنا الظلام ولو شبهه بالضيا لوجب ان لا يضل احد اذ كان
الهدى يكون كالشمس التي لا تبقى معها ظلمة فمعنى الاية انه تعالى جعل هداه في الكفر
كالنور في الظلام فيهتدي قوم ويضل قوم اخرون ولو جعله كالضيا لوجب انه لا يضل
احد وبقي الضيا على هذا ابلغ في النور وقد كما قنفشت هذه الاية وقرا قنبل ضيا
هنا وفي الانبيا والقصص بهمزة قبل الالف بدل اليا ووجهت على انه من المقلوب
جعلت لامه عينا فكانت همزة وتطرفت الواو التي كانت عينا بعد الف زائدة
فانقلبت همزة وضعف ذلك بان القياس الفرار من اجتماع همزتين الى تخفيف
احدهما فكيف يتخيل الى تقديم وتاخير يودي الى اجتماعهما ولم يكونا في الاصل
والظاهر عود الضمير على القمر اي مسيره منازل او قدر ذا منازل وقدر له منازل
فحذف واوصل الفعل فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف او الحال والمفعول
كقوله والقمر قدرناه منازل وعاد الضمير عليه وحده لانه هو المراعى في معرفة
عدد السنين والحساب عند العرب وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بهما معا بحسب
انهما مصرفان في معرفة عدد السنين والحساب لكنه اجتزى بذكر احدهما كما قال
والله ورسوله احق ان يرضوه وكما قال الشاعر • وماني بامر كنت منه ووالدي بريا
ومن اجل الطوي رماني • والمنازل هي البروج وكانت العرب تنسب اليها الانواء
وهي ثمانية وعشرون منزلة الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة
والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا
والسماك والغفر والزبانات والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد
الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر
والرشا وهو الحوت واللام متعلقة بقوله وقدره منازل قال الاصمعي سيل ابو
عمرو عن الحساب اتنصبه او تجره فقال ومن يدرك ما عدد الحساب انتهى يريد ان
الجر انما يكون مقتضيا ان الحساب يكون يعلم عدده والحساب لا يمكن ان يعلم منتهى
عدده والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي مما ينتفع به في المعاش والاجال
وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ وقيل اكتفى بذكر عدد السنين عن عدد
الشهور وكني بالحساب عن المعاملات والاشارة بذلك الى مخلوقه وذلك يشار بها الى
الواحد وقد يشار بها الى الجمع ومعنى بالحق ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم
يخلقه عبثا كما جاربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وقال ابن جرير
الحق هنا هو الله تعالى والمعنى ما خلق الله ذلك الا بالله وحده لا شريك معه انتهى
وما قاله تركيب قلق اذ يصير ما ضرب زيد عمرا الا بزيد وقيل البا بمعنى اللام اي للحق
وهو اظهار صنعته وبيان قدرته ودلالة على وحدانيته وقرا ابن مصرف والحساب
بفتح الحا ورواه ابو توبة عن العرب وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص يفصل باليا
جريا على لفظة الله وباقي السبعة بالنون على سبيل الالتفات والاخبار بنون
العظمة وخص من يعلم بتفصيل الايات لانهم الذين ينتفعون بتفصيل الايات
ويتدبرون بها في الاستدلال والنظر الصحيح والايات العلامات الدالة وايات
القران ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون
الاختلاف تعاقب الليل والنهار وكون احدهما يخلف الاخر وما خلق الله في السموات
من الاجرام النيرة التي فيها والملايكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى والارض
من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب
فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا
بها والذين هم عن اياتنا غافلون اوليك ماواهم النار بما كانوا يكسبون الظاهر ان الرجا

هو التاميل والطمع اي لا يومّلون لقا ثوابنا وعقابنا وقيل معناه لا يخافون قال ابن زيد وهذه
الاية في الكفار والمعنى ان المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الاخرة ولا يحسن ظنا بانه يلقى
الله وفي الكلام محذوف اي ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة كقوله ارضيتم بالحياة
الدنيا من الاخرة والمعنى ان منتهى غرضهم وقصارى امالهم انما هو مقصور على ما يصلون
اليه في الدنيا واطمانوا بها اي سكنوا اليها وقنعوا بها ورفضوا ما سواها والظاهر ان
قوله والذين هم هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك التكرير الموصول فيدل
على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان وتكون اوليك اشارة الى صنفي الكفار ذي الدنيا
المتوسع فيها الناظر في الايات فلم يوثر عنده رجا لقا الله بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه
بالبعث والجزا والعادم التوسع الغافل عن ايات الله الدالة على الهداية ويحتمل ان تكون
من عطف الصفات فيكون الذين هم عن اياتنا غافلون هم الذين لا يرجون لقا الله والظا
ان واطمانوا بها عطف على الصلة ويحتمل ان يكون واو الحال اي وقد اطمانوا بها والايات
قيل ايات القران وقيل العلامات الدالة على الوحدانية والقدرة وقال ابن زيد
ما انزلناه من حلال وحرام وفرض من حدود وشرايع احكام وبما كانوا يكسبون اشعار
بان الاعمال السابقة تكون عنها العذاب وفي ذلك رد على الجبرية ونص على تعلق العقاب
بالكسب ومجيه بالمضارع دليل على انهم لم يزالوا مستمرين على ذلك ماضي زمانهم ومستقبله
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات
النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين اي يزيد في هداهم بسبب ايمانهم السابق ويثبتهم فاما الذين امنوا فزادتهم
او يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم كما قال يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم قال
مجاهد تكون لهم ايمانهم نورا يمشون به وفي الحديث اذا قام من قبره يمثل له رجل جميل
الوجه طيب الرايحة فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس
هذا في الكافر وقال ابن الانباري ايمانهم يهديهم الى خصايص المعرفة ومزايا في الالطاف
تسفر بها قلوبهم وتزول بها الشكوك والشبهات عنهم كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى وهذه الزوايد والفوايد يجوز حصولها في الدنيا قبل الموت ويجوز حصولها بعد
الموت قال القفال واذا حملنا الاية على هذا كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من
تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وقيل معناه تقدمهم الى الثواب من قول العرب القدم
تهدي الساق وقال الحسن يرحمهم وقال الكلبي يدعوهم والظاهر ان تجري مستانف فيكون
قد اخبر عنهم بخبرين عظيمين احدهما هداية الله لهم وذلك في الدنيا والاخر جريان الانهار
وذلك في الاخرة كما تضمنت الاية في الكفار شيين احدهما انتفا رجا لقا الله وما عطف
عليه والثاني مقرهم وما واهم وذلك النار فصار تقسيما للفريقين في المعنى وتقدم قول
القفال ان تكون تجري معطوفا فحذف منه الحرف وان تكون حالا ومعنى من تحتهم اي من تحت
منازلهم وقيل من بين ايديهم وليس التحت الذي هو بالمسافة بل تكون الى ناحية من
الانسان ومنه قد جعل ربك تحتك سريا وقالوا هذه الانهار تجري من تحتي قال الزمخشري
فان قلت دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والنور يوم القيامة هو الايمان المقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي
لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف
اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان
والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح
لا شبهة فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وجوزوا في جنات النعيم ان تتعلق بتجري
وان تكون حالا من الانهار وان تكون خبرا بعد خبر لان ومعنى دعواهم دعاوهم ونداوهم
لان اللهم ندا الله والمعنى اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعا القنوت اللهم اياك
نعبد ولك نصلي ونسجد وقيل عبادتهم كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ولا
تكليف في الجنة فيكون ذلك على سبيل الابتهاج والالتذاذ واطلق عليها العبادة مجازا

وقال ابو مسلم لعلهم واقرارهم وقال القاضي طريقتهم في تقديسهم الله وتحميده وتحيتهم
اي ما يحيي به بعضهم بعضا فيكون مصدرا مضافا للمجموع لا على سبيل العمل بل يكون كقوله
وكنا لحكمهم شاهدين وقيل يكون مضافا الى المفعول والفاعل الله تعالى او الملائكة اي تحية
الله اياهم او تحية الملائكة اياهم واخر دعواهم اي خاتمة دعائهم وذكرهم قال الزجاج اعلم
تعالى انهم يبتدئون بتنزيهه وتعظيمه ويختمون بشكره والثناء عليه وقال ابن كيسان
يفتتحون بالتوحيد ويختمون بالتحميد وعن الحسن البصري يعزوه الى الرسول ان
اهل الجنة يلهمون التحميد والتسبيح وان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان لازم
الحذف والجملة بعدها خبر ان وان وصلتها خبر قوله واخر وقرا عكرمة ومجاهد وقتادة
وابن يعمر وبلال بن ابي بردة وابو مجلز وابو حيوة وابن محيصن ويعقوب ان الحمد
بالتشديد ونصب الحمد قال ابن جني ودلت على ان قراءة الجمهور بالتخفيف ورفع الحمد
هي على ان انها المخففة كقول الاعشى • في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل
من يحفى وينتعل • يريد انه هالك انتهى اذا خففت لم تعمل في غير ضمير امر محذوف واجاز المبرد
اعمالها كحالها مشددة وزعم صاحب النظم ان ان ههنا زائدة والحمد لله خبر واخر دعواهم
وهو مخالف لنص سيبويه والنحويين وليس هنا موضع زيادتها ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون قال
مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله او ولده ونحو هذا فاخبر تعالى لو فعل مع
الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في اجابته الى الخير لاهلكهم ثم حذف
بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها فلا يفعل ذلك ولكن نذر الذين
لا يرجون فاقتضب القول ووصل الى هذا المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا مثل
هذا التقدير تجده مستحسنا قاله ابن عطية وقيل نزلت في قولهم ائتنا بما تعدنا وما
جرى مجراه وقال الزمخشري والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة يعني ولو عجلنا لهم
الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لاماتوا واهلكوا فان قلت كيف اتصل
به فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى
نفي التعجيل كانه قال ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم ونمهلهم
ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر تعجب الناس من ايحاء الله الى رجل منهم وكان فيما اوحي اليه الانذار والتبشير
وكانوا يستهزئون بذلك ولا يحققونه ونحلول ما انذروه بهم فقالوا امطر علينا حجارة
وقال اخبارا عنهم ويستعجلونك بالعذاب وقالوا فاتنا بما تعدنا ثم استطرد من ذلك
الى وحدانيته تعالى وذكر ايجاده العالم ثم الى تقسيم الناس الى مؤمن وكافر وذكر منازل
الفريقين ثم رجع الى ان ذلك المنذر به الذي طلبوا وقوعه عجلا لو وقع لهلكوا فلم يكن
في هلاكهم رجاء ايمان بعضهم واخراج مؤمن من صلبهم بل اقتضت حكمته ان لا يعجل لهم
ما طلبوه لما ترتب على ذلك وانتصب استعجالهم على انه مصدر مشبه به فقال الزمخشري
اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجاله لهم بالخير موضع تعجيله
لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم وقال
الحوفي وابن عطية التقدير مثل استعجالهم وكذا قدره ابو البقاء وهو لو يعجل غير مدلول
استعجل لان عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذاك واقع من الله وهذا
مضاف اليهم فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري فيحتمل وجهين احدهما ان يكون التقدير
تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لان طلبهم للخير ووقوع تعجيله مقدم
عندهم على كل شيء والثاني ان يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس
الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لانهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم
كما كانوا يستعجلون بالخير وقرا ابن عامر لقضى مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب والاعمش لقضينا
وباقي السبعة مبنيا للمفعول واجلهم بالرفع وقضى اكمل والفاء في فنذر جواب ما اخبر به عنهم
في طريق الاستئناف تقديره فنحن نذر قاله الحوفي وقال ابو البقاء فنذر معطوف على فعل

محذوف

محذوف تقديره ولكن نمهلهم فنذر واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما
فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما استدعوا حلول الشر بهم وانه تعالى لا يفعل ذلك لطلبهم
بل يترك من لا يرجو لقاءه يعمه في طغيانه بين شدة افتقار الناس اليه واضطرارهم
الى استمطار احسانه مسيئهم ومحسنهم وان من لا يرجو لقاءه مضطر اليه حالة مس الضر له
فكل يلجا اليه حينئذ ويفرده بانه القادر على كشف الضر والظاهر انه لا يراد
بالانسان هنا شخص معين كما قيل انه ابو حذيفة هاشم بن المغيرة بن عبد الله
المخزومي قاله ابن عباس ومقاتل وقيل عتبة بن ربيعة وقيل الوليد بن المغيرة
وقيل هما قاله عطا وقيل النضر بن الحارث وانه لا يراد به الكافر بل المراد الانسان
من حيث هو سواء كان كافرا ام عاصيا بغير الكفر واحتملت هذه الاحوال الثلاث ان
تكون لشخص واحد واحتملت ان تكون لاشخاص اذ الانسان جنس والمعنى ان الذي
اصابه الضر لا يزال داعيا ملتجيا راغبا الى الله في جميع حالاته كلها وابتدا بالحالة
الشاقة وهي اضطجاعه وعجزه عن النهوض وهي اعظم في الدعا واكد ثم بما يليها
وهي حالة القعود وهي حالة العجز عن القيام ثم بما يليها وهي حالة القيام وهي
حالة العجز عن المشي فتراه يضطرب ولا ينهض للمشي كحالة الشيخ الهم ولجنبه حال
اي مضطجعا ولذلك عطف عليه الحالان واللام على بابها عند البصريين والتقدير
ملقيا لجنبه لا بمعنى على خلافا لزاعمه وذو الحال الضمير في دعانا والعامل فيه
دعانا اي دعانا ملتبسا باحد هذه الاحوال وقال ابن عطية ويجوز ان تكون حالا
من الانسان والعامل فيه مس ويجوز ان يكون حالا من الفاعل في دعانا والعامل
فيه دعا وهما معنيان متباينان والضر لفظ عام لجميع الامراض والرزايا في النفس
والمال والاحبة هذا قول اللغويين وقيل هو مختص برزايا البدن الهزال والمرض
انتهى والقول الاول قول الزجاج وضعف ابو البقاء ان يكون لجنبه وما بعده احوالا
من الانسان والعامل فيها مس قال لامرين احدهما ان الحال على هذا واقع بعد
جواب اذا وليس بالوجه والثاني ان المعنى كثرة دعائه في كل احواله لا على الضر يصيبه
في كل احواله وعليه ايات كثيرة في القران انتهى وهذا الثاني يلزم فيه من مسه الضر
في هذه الاحوال دعاؤه في هذه الاحوال لانه جواب ما ذكرت فيه هذه الاحوال فالقيد
في حيز الشرط قيد في الجواب كما تقول اذا جاءنا زيد فقيرا احسنا اليه فالمعنى احسنا اليه في
حال فقره فالقيد في الشرط قيد في الجزاء ومعنى كشف الضر رفعه وازالته كانه كان غطاء
على الانسان ساترا له وقال صاحب النظم واذا مس الانسان وصفه للمستقبل وفلما كشفنا
للماضي فهذا النظم يدل على ان معنى الاية انه هكذا كان فيما مضى وهكذا يكون في المستقبل
فدل ما في الاية من الفعل المستقبل على ما فيه من المعنى المستقبل وما فيه من الفعل
الماضي على ما فيه من المعنى الماضي انتهى ومر هنا مجاز عن المضي على طريقته الاولى
من غير ذكر لما كان عليه من البلاء والضر وقال مقاتل اعرض عن الدعا وقيل مر عن
موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به وهذا قريب من القول الذي
قبله والجملة من قوله كان لم يدعنا في موضع الحال اي الى كشف ضر مسه قال
ابن عطية وقوله مر يقتضي ان نزولها في الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها
من كافر وعاص يعني الاية مر في اشراكه بالله وقلة توكله عليه انتهى والكاف من كذلك
في موضع نصب اي مثل ذلك وذلك اشارة الى تزيين الاعراض عن الابتهال الى الله تعالى
عند كشف الضر وعدم شكره وذكره على ذلك وزين مبني للمفعول فاحتمل ان يكون الفاعل
الله اما على سبيل خلق ذلك واختراعه في قلوبهم كما تقول اهل السنة واما بتخليته وخذلانه
كما تقول المعتزلة او الشيطان بوسوسته ومخادعته قيل او النفس وفسر المسرفون
بالكافرين والكافر مسرف لتضييعه السعادة الابدية بالشهوة الخسيسة المنقضية كما
يضيع المنفق ماله متجاوزا فيه الحد بما كانوا يعملون من الاعراض عن جناب الله ومن اتباع الشهوات

ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك
نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون هذا
اخبار لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب لهم باهلاك من سلف قبلهم من الامم
بسبب ظلمهم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد
لهم وضرب الامثال فكما فعل بهؤلاء يفعل بكم ولفظة لما مشعرة بالعلية وهي حرف تعليق في
الماضي ومن ذهب الى انها ظرف معمول لاهلكنا كالزمخشري متبعا لغيره فانما يدل اذ ذاك
على وقوع الفعل في حين الظلم فلا يكون لها اشعار اذ ذاك بالعلية لو قلت جئت حين قام
زيد لم يكن مجيئك متسببا عن قيام زيد وانت ترى من حيث ما جاءت لما كان جوابها او ما قام مقامه
متسببا عما بعدها فدل على صحة مذهب سيبويه من انها حرف وجوب لوجوب وجاءتهم ظاهره
انه معطوف على ظلموا اي لما حصل هذان الامران مجيء الرسل بالبينات وظلمهم اهلكوا وقال
الزمخشري والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات انتهى وقال مقاتل البينات مخوفات العذاب والظاهر ان الضمير
في قوله وما كانوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله ظلموا وجوز الزمخشري ان
يكون اعتراضا لا معطوفا قال واللام لتاكيد النفي بمعنى وما كانوا يؤمنون حقا تاكيد لنفي
ايمانهم وان الله تعالى قد علم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى
ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة
ببعثة الرسل انتهى وقال مقاتل الضمير في قوله وما كانوا عائد على اهل مكة فعلى قوله
يكون التفاتا لانه خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ويكون مستفاما مع قوله واذا
تتلى عليهم والكاف في كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزي
القوم المجرمين فهذا وعيد شديد لمن اجرم يدخل فيه اهل مكة وغيرهم وقرات
فرقة يجزي بالياء اي يجزي الله وهو التفات والخطاب في جعلناكم لمن بعث اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب لمشركي مكة والمعنى استخلفناكم في الارض بعد القرون
المهلكة لننظر اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب عملكم ومعنى لننظر لنتبين في الوجود
ما علمناه اولا فالنظر مجاز عن هذا قال الزمخشري فان قلت كيف جاز النظر
على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو علم بالشيء
موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في حقيقته انتهى وفيه دسيسة الاعتزال
وانه يلزم من النظر المقابلة وفيه انكار وصفه تعالى بالبصير ورده الى معنى العلم
وقيل لننظر هو على حذف مضاف اي لينظر رسلنا واولياؤنا واسند النظر الى
الله مجازا وهو لغيره وقرا يحيى بن الحارث الذماري لنظر بنون واحدة وتشديد
الظاء وقال هكذا رايته في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ويعني انه راها
بنون واحدة لان النقط والشكل بالحركات والتشديدات انما حدث بعد عثمان
ولا يدل كتبه بنون واحدة على حذف النون من اللفظ ولا على ادغامها في الظاء لان
ادغام النون في الظاء لا يجوز ومسوغ حذفها انه لا اثر لها في الانف فينبغي ان تحمل
قراءة يحيى على انه بالغ في اخفاء الغنة فتوهم السامع ادغاما فنسب ذلك اليه
وكيف معمول لتعملون والجملة في موضع نصب لننظر لانها معلقة وجاز التعليق في
نظر وان لم يكن من افعال القلوب لانها وصلة فعل القلب الذي هو العلم واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم قال ابن عباس والكلبي نزلت في المستهزئين بالقران من اهل مكة
قالوا يا محمد ائت بقران غير هذا فيه ما نسالك وقال مجاهد وقتادة نزلت في جماعة
من مشركي مكة وقال مقاتل في خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة
ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن وائل وقيل
الخمسة الوليد والعاصي والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن حنظلة

وروي هذا عن ابن عباس قال الزمخشري غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان
والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك وقال
ابن عطية نزلت في قريش لان بعض كفار قريش قال هذه المقالة على معنى ساهلنا يا محمد
واجعل هذا الكلام الذي من قبلك هو باختيارنا واحل ما حرمته وحرم ما احللته ليكون
امرنا حينئذ واحدا وكلمتنا متصلة انتهى ونبه تعالى على الوصف الحامل لهم هذه
المقالة وهو كونهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء على ما اقترفوه والمعنى واذا تسرد عليهم
ايات القران واضحات نيرات لا لبس فيها قالوا كيت وكيت واضيفت الايات اليه تعالى
لانها كلامه جل وعز والتبديل يكون في الذات بان يجعل بدل ذات ذات اخرى ويكون
في الصفة والتبديل هنا هو في الصفة وهو ان يزال بعض نظمه بان يجعل مكان اية
العذاب اية الرحمة ولا يراد بالتبديل هنا ان يكون في الذات لانه يلزم جعل الشيء المتقضي
للتغاير هو الشيء بعينه لان التبديل في الذات هو الاتيان بقران غير هذا ولما كان
الاتيان بقران غير هذا ممتنعا ودلالة لسان لم يجبهم اي نفيه ونفي ما هو مقدور
له لسان وان كان مستحيلا ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي ان
ابدله من تلقاء نفسي وانتفا الكون هنا هو كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي يستحيل
ذلك ويحتمل ان يكون التبديل في الذات على ان ملحظ في قوله ائت بقران غير هذا ابقاء هذا
القران وبوتي بقران غيره فيكون او بدله بمعنى ازله بالكلية وائت ببدله فيكون المطلوب
احد امرين اما ازالته بالكلية وهو التبديل في الذات او الاتيان بغيره مع بقائه فيحصل
التغاير بين المطلوبين وتلقاء مصدر كالتبيان ولم يجيء مصدر على تفعال غيرهما
ويستعمل ظرفا للمقابلة تقول زيد تلقاءك وقرئ بفتح التاء وهو قياس المصادر التي
للمبالغة كالتطواف والتجوال والترداد والمعنى من قبل نفسي ان اتبع فيما امركم به وما
انهاكم عنه من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل الا ما يجيئني خبره من السماء واستدل
بقوله ان اتبع الا ما يوحى الي على نفي الحكم بالاجتهاد وعلى نفي القياس وانما قالوا ائت
بقران غير هذا او بدله لانهم كانوا لا يعترفون بان القران معجز وان كانوا عاجزين
عن الاتيان بمثله الا ترى الى قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقولهم افترى على الله كذبا
ولا يمكن ان يريد وائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي لقوله اني اخاف قال
الزمخشري فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح
قلت المكر والكيد اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر
على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار الحال
وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا
التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى انتهى وان عصيت بالتبديل من تلقاء
نفسي وتقدم اتباع الوحي وترك العمل به وهو شرط حذف جوابه دل عليه ما قبله واليوم
العظيم هو يوم القيامة ووصف بالعظم لطوله او لكثرة شدائده او للمجموع والنظر الى
حسن هذا الجواب لما كان احد المطلوبين التبديل بدا به في الجواب ثم اتبع بامر عام
يشمل انتفاء التبديل وغيره ثم اتى بالسبب الحامل على ذلك وهو الخوف وعلقه بمطلق
العصيان فبادي عصيان ترتب الخوف قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون هذه مبالغة في التبري مما طلبوا منه اي ان تلاوة
عليهم هذا القران انما هو بمشيئة الله تعالى واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو
ان يخرج رجلا اميا لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلدة
فيها علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا بهر كلام كل فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها
الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من
اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس اليه والصقهم به ومفعول
شاء محذوف اي قل لو شاء الله ان لا اتلوه وجاء جواب لو على الفصيح من عدم اتيان اللام لكونه منفيا

بما ويقال دريت به وادريت زيدا به والمعنى ولا اعلمكم به على لساني وقرا قنبل والبزي من
طريق النقاش عن ابي ربيعة ولادراكم به بلام دخلت على فعل مثبت معطوف على منفي والمعنى
ولا علمكم به من غير طريقي وعلى لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه
الكرامة وراني لها اهلا دون الناس وقراءة الجمهور ولا ادراكم به بلا مؤكدة وموضحة
ان الفعل منفي لكونه معطوفا على منفي وليست لا هي التي تنفي الفعل بها لانه لا يصح
نفي الفعل بلا اذا وقع جوابا والمعطوف على الجواب جواب وانت لا تقول لو كان كذا
لا كان كذا انما يكون ما كان كذا وقرا ابن عباس وابن سيرين والحسن وابو رجا ولا
ادراتكم به بهمزة ساكنة وخرجت هذه القراءة على وجهين احدهما ان الاصل
ادريتكم بالياء فقلبها همزة على لغة من قال لبات بالحج ورثات زوجي بابيات يريد
لبيت ورثيت وجاز هذا البدل لان الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا حركت
الالف انقلبت همزة كما قالوا في العالم العألم وفي المشتاق المشتأق والوجه الثاني ان
الهمزة اصل وهو من الدرء وهو الدفع يقال درأته دفعته كما قال ويدرأ عنها العذاب
وادرأته جعلته داريا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني
وزعم ابو الفتح انما هي ادريتكم فقلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها وهي لغة لعقيل
حكاها قطرب يقولون في اعطيتك اعطاتك وقال ابو حاتم قلب الحسن الياء الفا كما في لغة
بني الحارث بن كعب السلام علاك قيل ثم همز على لغة من قال في العالم العألم وقرا
شهر بن حوشب والاعمش ولا انذرتكم به بالنون والذال من الانذار وكذا هي في حرف
ابن مسعود ونبه على ان ذلك وحي من الله تعالى باقامته فيهم عمرا وهو اربعون
سنة من قبل ظهور القرآن على لساني يافعا وكهلا لم تجربوني في كذب ولا تعاطيت شيئا من
هذا ولا عانيت اشتغالا افكيف اتهم باختلاقه افلا تعقلون ان من كان بهذه الطريقة
مدة الازمان الطويلة من غير تعلم ولا تلمذ ولا مطالعة كتاب ولا مراس جدال ثم اتى
بما ليس يمكن ان ياتي به احد لا يكون الا محقا فيما اتى به مبلغا عن ربه ما اوحي اليه وما
اختصه به كما جاء في حديث هرقل هل جربتم عليه كذبا فقال لا فقال لم يكن ليدع الكذب
ويكذب على الله وادغم تاء لبثت ابو عمرو واظهرها باقي السبعة وقرا الاعمش عمرا باسكان
الميم والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن واجاز الكرماني ان يعود على التلاوة و
على النزول وعلى الوقت يعني وقت نزوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته انه لا يفلح المجرمون تقدم تفسير مثل هذا الكلام ومساقه هنا باعتبارين احدهما
انه لما قالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله كان في ضمنه انهم ينسبونه اليه انه ليس من عند الله
وانما هو اختلاق فبولغ في ظلم من افترى على الله كذبا كما قال فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وقد قام الدليل
القاطع على ان هذا القرآن هو من عند الله وقد كذبتم باياته فلا احد اظلم منكم والاعتبار
الثاني ان ذلك توطئة لما ياتي بعده من عبادة الاوثان اي لا احد اظلم منكم في افترائكم
على الله انه له شريك وان له ولدا وفيما تنسبون اليه من التحليل والتحريم ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون الضمير في ويعبدون عائد على كفار
قريش الذين تقدمت محاورتهم وما لا يضرهم ولا ينفعهم هو الاصنام جماد لا يقدر على نفع
ولا ضر قيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون
مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى
ومناة واسافا ونائلة وهبل والاخبار بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير
لهم ولمعبوداتهم والتنبيه على انهم عبدوا من لا يستحق العبادة وفي قوله من دون الله
دلالة على انهم كانوا يعبدون الاصنام ولا يعبدون الله قال ابن عباس يعنون في الاخرة
وقال النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت في اللات والعزى وقال الحسن شفعاؤنا
في اصلاح معايشنا في الدنيا لانهم لا يقرون بالبعث واتنبئون استفهام على سبيل التهكم بما ادعوه

من

من المحال الذي هو شفاعة الاصنام والاعلام بان الذي انبؤا به باطل غير منطو تحت
الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه وما موصولة بمعنى الذي قال الزمخشري
بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن معلوما له وهو العالم
الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس
لم يخبر عنه انتهى فيكون ما واقعة على الشفاعة والفاعل يعلم هو الله والمفعول
الضمير المحذوف العائد على ما وقوله في السموات والارض تاكيد لنفيه لان ما لم
يوجد فيهما فهو منتف معدوم قاله الزمخشري وفي التحرير ما سوى معناه التهكم والتقريع
والتوبيخ والانكار والمعنى على هذا اتخبرون الله بما يعلم خلافه في السموات والارض
فان صفات الذات لا يجري فيها النفي وقيل اتخبرون الله بما لا يعلمه موجودا في السموات
والارض فكيف يصح وجود ما لا يعلمه الله وهو كما يقال للرجل قد قلت كذا فيقول ما علم
الله هذا مني اي ما كان هذا قط اذ لو كان لعلمه الله انتهى والذي يظهر ان ما موصولة
يراد بها الاصنام لا الشفاعة التي ادعوها والفاعل يعلم ضمير يعود على ما لا على الله
وذلك على حذف مضاف والمعنى قل اتعلمون الله بشفاعة الاصنام التي تنتفي علمها
في السموات والارض اي ليست متصفة بعلم البتة فيكون ذلك ردا عليهم في دعواهم
انها تشفع عند الله لان من كان منتفيا عنه العلم فكيف يشفع وهو لا يعلم من يشفع
فيه وما لا يشفع فيه ولا من يشفع عنده كما رد عليهم في العبادة بقوله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم فانتفاء الضر والنفع قادح في العبادة وانتفاء العلم قادح في الشفاعة
فتبطل العبادة ودعوى الشفاعة ويكون قوله في السموات والارض على هذا تنبيها
على محال المعبودات المدعى شفاعتهم اذ من المعبودات السماوية الكواكب كالشمس
والشعرى وقرئ اتنبئون بالتخفيف من انبا ولما ذكر تعالى عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع وكان
ذلك اشراكا استانف تنزيها بقوله سبحانه وتعالى وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي ومصدرية
اي عن شركائهم الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وقرا العربيان والحرميان وعاصم يشركون
بالياء على الغيبة هنا وفي حرفي النحل وحرف في الروم وذكر ابو حاتم انه قراها كذلك الحسن
والاعرج وابن القعقاع وشيبة وحميد وطلحة والاعمش وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
في النمل فقط بالياء على الخطاب وعاصم وابو عمرو بالياء على الغيبة وقرا حمزة والكسائي
الخمسة بالتاء على الخطاب واتى بالمضارع ولم ياتي عما اشركوا للدلالة على استمرار
حالهم كما جاؤا يعبدون وانهم على الشرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي وما كان الناس
الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون لما ذكر
تعالى الدلالة على فساد عبادة الاصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف في الحادث بين
الناس والظاهر عموم الناس ويتصور في ادم وبنيه الى ان وقع الاختلاف بعد قتل
احد ابنيه الاخر وقاله ابي بن كعب وقال الضحاك المراد اصحاب سفينة نوح اتفقوا
على الحنيفية وهي دين الاسلام وعن ابن عباس من كان ولد ادم الى زمان ابرهيم ورد
بانه عبد في زمان نوح الاصنام كود وسواع وحكى ابن القشيري ان الناس قوم ابرهيم
الى ان غير الدين عمرو بن لحي وقال ابن زيد هم الذين اخذ عليهم الميثاق يوم الست
بربكم لم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم وقال الاصم هم الاطفال المولودون كانوا
على الفطرة فاختلفوا بعد البلوغ وابعد من ذهب الى ان المراد بالناس هنا ادم
وحده وهو مروي عن مجاهد والسدي وعبر عنه بالامة لانه جامع لانواع الخير وهذه
الاقوال هي على ان المراد بامة واحدة في الاسلام والايمان وقيل في الشرك واريد قوم ابرهيم
كانوا مجتمعين على الكفر فامن بعضهم واستمر بعضهم على الكفر ومن كان قبل البعث
من العرب واهل الكتاب كانوا على الكفر والتبديل والتحريف حتى بعث الرسول فامن
بعضهم او العرب خاصة اقوال ثالثها للزجاج والظاهر ان المراد بقوله امة واحدة في الاسلام
لان هذا الكلام جاء عقيب ابطال عبادة الاصنام فلا يناسب ان يقول عباد الاصنام فان
الناس كانوا على ملة الكفر انما المناسب ان يقال انهم كانوا على الاسلام حتى تحصل الثمرة لمن ابتاع

ربع

غير ما كان الناس عليه وايضا فقوله ولولا كلمة هو وعيد لصرفه الى اقرب مذكور وهو
الاختلاف هو الوجه والاختلاف بسبب الكفر هو المقتضي للوعيد لا الاختلاف الذي هو
بسبب الايمان لانه لا يصلح ان يكون سببا للوعيد وقد تقدم الكلام على نحو هذا في البقرة
في قوله كان الناس امة واحدة ولكن اعدنا الكلام فيه لبعده والكلمة هنا هو القضا والتقدير
لبني ادم بالاجال الموقتة قال ابن عطية ويحتمل ان يريد الكلمة في امر القيامة وان العقاب
والثواب انما يكون حينئذ وقال الزمخشري هو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي
بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتمييز المحق من المبطل وسبقت كلمة الله بالتاخير لحكمة
اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقال الكلبي الكلمة
ان الله اخر هذه الامة لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا الى يوم القيامة فلولا هذا التاخير
لقضي بينهم بنزول العذاب او باقامة الساعة وقيل الكلمة السابقة ان لا ياخذ احدا
الا بحجة وهو ارسال الرسل وقيل الكلمة قوله سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك ما اخر
العصاة الى التوبة ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا
اني معكم من المنتظرين هذا من اقتراحهم قال الزمخشري وكانوا لا يعتدون بما انزل
عليه من الايات العظام المتكاثرة التي لم تنزل على احد من الانبيا مثلها وكفى بالقران
وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات
وجعلوا نزولها كلا نزول فكانه لم ينزل عليه قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة
من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله
اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال
الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو سبحانه فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم
من المنتظرين بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الايات وقال ابن عطية اية من ربه
اية تضطر الناس الى الايمان وهذا النوع من الايات لم يات بها نبي قط ولا من المعجزات
اضطرارية وانما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل اخرون فقل انما الغيب لله ان
شا فعل وان شا لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك احد وقوله فانتظروا وعيد وقد
صدقه الله تعالى بنصرته محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الاية التي اقترحوا ان ينزلها هو
ما تضمنه قوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا الاية وقيل اية كاية موسى وعيسى
كالعصا واليد البيضا واحيا الموتى طلبوا ذلك على سبيل التعنت واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضرا مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
لما ذكر تعالى قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون الاية ثم ذكر قولهم
وقالوا لولا انزل عليه اية وذلك على سبيل التعنت اخبر انهم هولا انما يصيرون لهذه المقالة
عندما يكونون في رفاهية العيش وخلو بال وان احسان الله تعالى قابلوه بما لا يجوز من
ابتغا المكر لاياته وكان تخليقا بهم ان يكونوا اول من صدق باياته واعراضهم عن
الايات نظير قوله فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وسبب نزولها انه
لما دعا على اهل مكة الرسول بالجدب قحطوا سبع سنين فاتاه ابو سفيان فقال ادع
لنا بالخصب فان اخصبنا صدقناك فسال الله لهم فسقوا ولم يومنوا وهذه وان كانت
في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يودي شكر الله عند زوال المكروه عنه
ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير تجد الانسان ليعقد عند مسه
الضر التوبة والتنصل من ساير المعاصي فاذا زال عنه رجع الى اقبح عادته والرحمة
هنا الغيث بعد القحط والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر
وما اشبه ذلك ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسو اثرها فيهم ومعنى مكر في اياتنا التكذيب
بالقران والشك فيه قاله جماعة وقال مجاهد ومقاتل الاستهزا والتكذيب وقال ابو
عبيدة الرد والجحود وحكى الماوردي النفاق لانه اظهار الايمان وابطان الكفر وهو
شبيه بما قال الزمخشري ان المكر اخفا الكيد وقال ابن عطية والمكر الاستهزا والطعن عليهم
من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة انتهى والاذاقة والمس هنا مجازان وفي هذه

الجملة

الجملة دليل على سرعة تقلب ابن ادم من حالة الخير الى حالة الشر وذلك بلفظ اذقنا
كانه قبل اول ذوقه الرحمة قبل ان يداوم استطعامها مكر وبلفظ من المشعرة بابتدا
الغاية منتهى المكر اثر كشف الضر لا يمهل ذلك وبلفظ اذا الفجائية الواقعة جوابا لاذا
الشرطية اي في وقت اذاقة الرحمة فاجوا بالمكر ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن
سرعة المكر منهم قيل قل الله اسرع مكرا اسرع افعل التفضيل ومعنى وصف المكر بالاسرعية انه
تعالى قبل ان يدبروا مكايدهم قضى بعقابكم وهو موقعه بكم واستدرجكم بامهاله قال
ابن عطية اسرع من سرع ولا يكون من اسرع يسرع حكى ذلك ابو علي ولو كان من اسرع
لكان شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم لهي اسود من القار
وما حفظ من النبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ انتهى وقيل اسرع هنا ليست للتفضيل
وحكاية ذلك عن ابي علي هو مذهب وفي بنا التعجب وافعل التفضيل من افعل ثلاثة
مذاهب المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ والجواز مطلقا والتفصيل بين ان يكون
الهمزة فيه للنقل فيمتنع او لغير النقل فيجوز نحو اشكل الامر واظلم الليل وتقرير الصحيح
من ذلك هو في علم النحو واما تنظيره اسود من القار باسرع ففاسد لان اسود وليس فعله
على وزن افعل وانما هو على وزن فعل نحو سود فهو اسود ولم يمتنع التعجب لا بنا افعل
التفضيل عند البصريين من نحو سود وحمر وادم الا لكونه لونا وقد اجاز ذلك بعض
الكوفيين في الالوان مطلقا وبعضهم في السواد والبياض فقط والرسل هنا الحفظة بلا خلاف
والمعنى ان ما تظنونه خافيا مطويا عن الله لا يخفى عليه وهو منتقم منكم وقرا الحسن
وابن ابي اسحق وابو عمرو رسلنا بالتخفيف وقرا الحسن وقتادة ومجاهد والاعرج
وروبت عن نافع يمكرون على الغيبة جريا على ما سبق وقرا ابو رجا وشيبة وابو جعفر
وابن ابي اسحق وعيسى وطلحة والاعمش والجحدري وايوب بن المتوكل وابن محيصن وشبل
واهل مكة والسبعة بالتا على الخطاب مبالغة لهم في الاعلام بحال مكرهم والتفاتا لقوله
قل اسرع قيل لهم فناسب الخطاب وفي قوله ان رسلنا التفات ايضا اذ لم يات ان رسله لم
وقال ايوب بن المتوكل في مصحف ابي يا ايها الناس ان الله اسرع مكرا وان رسله لديكم يكتبون
ما تمكرون وينبغي ان يحمل هذا على انه تفسير لا انه مخالف لما جمع عليه المسلمون من سواد المصحف
والمحفوظ عن ائمة القراة والاقرا بسواد المصحف هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاتها ريح عاصف وجاهم الموج من كل مكان
وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما ذكر تعالى ان الناس اذا اصابهم الضر لجيوا الى الله
تعالى فاذا اذاقهم الرحمة عادوا الى عادتهم من اهمال جانب الله والمكر في اياته وكان
قبل ذلك قد ذكر نحوا من هذا في قوله واذا مس الانسان الضر الاية وكان المذكور في
الايتين امرا كليا اوضح تعالى ذلك الامر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى
الكلي ينقطع فيه رجا الانسان عن كل متعلق به الا الله تعالى فيخلص له الدعا وحده
في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها الا هو تعالى ويتبين بطلان عبادته ما لا يضر
ولا ينفع ودعواه انه شفيع عند الله ثم بعد كشف هذه النازلة عاد الى عادته من
بغيه في الارض فانجاوه تعالى اياهم هو مثال من اذاقة الرحمة وما كانوا فيه قبل
من اشرافهم على الهلاك هو مثال من الضر الذي مسهم وقرا زيد بن ثابت والحسن
وابو العالية وزيد بن علي وابو جعفر وعبد الله بن جبير وابو عبد الرحمن وشيبة وابن
عامر ينشركم من النشر والبث وقرا الحسن ايضا ينشركم من الانشار وهو الاحيا وهي
قراءة عبد الله وقرا بعض الشاميين ينشركم بالتشديد للتكثير من النشر الذي
هو مطاوعه الانتشار وقرا باقي السبعة والجمهور يسيركم من التسيير قال ابو علي هو
تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول
الهذلي • فلا تجزعن من سنة انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها • قال ابن عطية
وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا وهو ان يكون الضمير كالظرف كما يقول

سرت الطريق انتهى وما ذكره ابو علي لا يتعين بل الظاهر ان التضعيف فيه للتعدية
لان سار الرجل لازما اكثر من سرت الرجل متعديا فجعله ناشيا عن الاكثر احسن من
جعله ناشيا عن الاقل واما جعل ابن عطية الضمير كالظرف قال كما يقول سرت الطريق
فهذا لا يجوز عند الجمهور لان الطريق عندهم ظرف مختص كالدار والمسجد فلا
يصل اليه الفعل غير دخلت عند س وانطلقت وذهبت عند الفرا الا بوساطة
في الا في ضرورة واذا كان كذلك فضميره احرى ان لا يتعدى اليه الفعل واذا
كان ضمير الظرف الذي يصل اليه الفعل بنفسه يصل اليه بوساطة في الا ان اتسع
فيه فلان يكون الضمير الذي يصل الفعل الى ظاهره بفي اولى ان يصل اليه الفعل
بوساطة في وزعم ابن الطراوة ان الطريق ظرف غير مختص فيصل اليه الفعل
بغير وساطة في وهو زعم مردود في النحو ومعنى يسيركم يجعلكم تسيرون والسير
معروف وفي قوله والبحر دلالة على جواز ركوب البحر ولما كان الخوف في البحر
اغلب على الانسان منه في البر وقع المثال به لذلك المعنى المحكي به من التجا
العبد لربه تعالى في حالة الشدة والاهمال لجانبه حالة الرخا قال الزمخشري فان
قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر والتسيير في البحر
انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية التسيير ولكن مضمون
الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في خبرها كانه قال يسيركم حتى اذا وقعت
هذه الحادثة فكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن
للهلاك والدعا بالانجا انتهى وهو حسن وقرا ابو الدردا وام الدردا في الفلكي
بزيادة يا النسب وخرج ذلك على زيادتها كما زادوها في الصفة في نحو احمري وذواري
وفي العلم كقول الصلتان • انا الصلتاني الذي قد علمتم • وعلى ارادة النسب مرادا
به اللج كانه قيل في البحر الفلكي وهو الما الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير
في وجرين عايد على الفلك على معنى الجمع اذ الفلك كما تقدم في سورة البقرة
يكون مفردا وجمعا والضمير في بهم عايد على الكاينين في الفلك وهو التفات
اذ هو خروج من خطاب الى غيبة وفايدة صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة قال
الزمخشري المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار
والتقبيح انتهى والذي يظهر والله اعلم ان حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي
يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والمسيرون
في البر والبحر مومنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح
الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في اخرها الى
ان الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المومنون
يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي اخرها البغي وقال ابن عطية بهم خروج من الحضور
الى الغيبة وحسن ذلك لان قوله كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى اذا حصل بعضكم
في السفن انتهى فكانه قدر مفردا غايبا يعاد الضمير عليه فيصير كقوله تعالى او كظلمات
في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات فعاد الضمير غايبا على اسم غايب فلا يكون ذلك من
باب الالتفات والبا في بهم وبريح قال العكبري يتعلق البا ان بجرين انتهى والذي
يظهر ان البا في بهم متعلقة بجرين تعلقها بالمفعول نحو مررت بزيد وان البا في
بريح يجوز ان تكون للسبب فاختلف المدلول في البايين فجاز ان يتعلقا بفعل واحد
ويجوز ان يكون البا للحال اي وجرين بهم ملتبسة بريح طيبة فيتعلق بمحذوف
كما يقول جا زيد بثيابه اي ملتبسا بها وفرحوا بها يحتمل ان يكون معطوفا على قوله
وجرين بهم ويحتمل ان يكون حالا اي وقد فرحوا بها كما احتمل قوله وجرين ان يكون
معطوفا على كنتم وان يكون حالا والظاهر ان قوله جاءتها ريح عاصف هو جواب اذا
والظاهر عود الضمير في جاءتها على الفلك لانه هو المحدث عنه في قوله وجرين بهم وقاله
مقاتل وجوزوا ان يعود على الريح الطيبة وقاله الفرا وبدا به الزمخشري ومعنى طيب الريح

لين

لين هبوبها وكونها موافقة وقرا ابن ابي عبلة جاءهم ومعنى من كل مكان من امكنة الموج
والظن هنا على بابه الاصلي من ترجيح احد الجايزين وقيل معناها التيقن ومعنى
احيط بهم اي للهلاك كما يحيط العدو بمن يريد اهلاكه وهي كناية عن استيلا اسباب
الهلاك وقرا زيد بن علي حيط بهم ثلاثيا والجملة من قوله دعوا الله قال ابو البقا هي
جواب ما اشتمل عليه المعنى من معنى الشرط تقديره لما ظنوا انهم احيط بهم دعوا الله
انتهى وهو كلام لا يتحصل منه شي وقال الطبري هو جواب حتى اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح
عاصف وجواب قوله وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله انتهى وهو مخالف للظاهر لان قوله
وظنوا الظاهر انه معطوف على جواب اذا لا انه معطوف على كنتم لكنه محتمل كما تقول
اذا زارك فلان فاكرمه وجاءك خالد فاحسن اليه وكان اداة الشرط مذكورة وقال
الزمخشري مذكورة وقال الزمخشري هي بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم الهلاك
فهو ملتبس به انتهى وكان استاذنا ابو جعفر بن الزبير يخرج هذه الاية على غير
ما ذكروا ويقول هو جواب سوال مقدر كانه قيل فما كان حالهم اذ ذاك فقيل دعوا
الله مخلصين له الدين انتهى ومعنى الاخلاص افراده بالدعا من غير اشراك اصنام ولا
غيرها قال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الحسن مخلصين لا اخلاص ايمان لكن لاجل
العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري
انتهى والاعتراف بالله مركوز في طبايع العالم وهم مجبولون على انه المتصرف
في الاشيا ولذلك اذا حقت الحقايق رجعوا كلهم اليه مومنهم وكافرهم لين
انجيتنا ثم قسم محذوف وذلك القسم وما بعده محكي بقول اي قايلين او اجري
دعوا مجرى قالوا لانه نوع من القول والاشارة بهذه الى الشدايد التي هم فيها وقال
الكلبي الى الريح العاصف فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها
الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبيكم بما كنتم تعملون
قال ابن عباس يبغون بالدعا الى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد وقال
الزمخشري فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو
استيلا المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة انتهى وكانه قد شرح قوله يبغون
بانهم يفسدون ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من بغى الجرح اذا ترقى
للفساد انتهى قال الزجاج البغي الترقي في الفساد وقال الاصمعي بغى الجرح ترقى
الى الفساد وبغت المراة فجرت انتهى ولا يصح ان يقال في المسلمين انهم باغون على
الكفرة الا ان ذكر ان اصل البغي هو الطلب مطلقا ولا يتضمن الفساد فحينيذ
ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق ولما حمل ابن عطية البغي هنا على الفساد قال
اكد ذلك بقوله بغير الحق وجواب لما اذا الفجايية وما بعدها وفي مجي اذا وما بعدها جوابا
لها دليل على انها حرف يترتب ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعد لما
وانها تفيد الترتيب والتعليق في المضي وانها كما قال س حرف ومذهب غيره انها
ظرف وقد اوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو والجواب باذا الفجايية دليل على
انه لم يتاخر بغيهم عن انجايهم بل بنفس ما وقع الانجا وقع البغي والخطاب بيا ايها
الناس قال الجمهور لاهل مكة والذي يظهر انه خطاب لاوليك الذين انجاهم الله
وبغوا ويحتمل كما قالوا العموم فيندرج اوليك فيهم وهذا ذم للبغي في اوجز لفظ
ومعنى على انفسكم وبال البغي عليكم ولا يجني ثمرته الا انتم فقوله على انفسكم خبر
للمبتدا الذي هو بغيكم فيتعلق بمحذوف وعلى هذا التوجيه انتصب متاع في قراءة
زيد بن علي وحفص وابن ابي اسحق وهارون عن ابن كثير على انه مصدر في موضع
الحال اي متمتعين او باقيا على المصدرية اي يتمتعون به متاع او نصبا على الظرف
نحو مقدم الحاج اي وقت متاع الحياة الدنيا وكل هذه التوجيهات منقولة والعامل
في متاع اذا كان حالا او ظرفا ما تعلق به خبر بغيكم اي كاين على انفسكم ولا ينتصب بت

بغيكم لانه مصدر قد فصل بينه وبين معموله بالخبر وهو غير جايز وارتفع متاع في
قراة الجمهور على انه خبر مبتدا محذوف واجاز النحاس وتبعه الزمخشري ان يكون على
انفسكم متعلق بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغى عليهم ويكون الخبر متاع اذا رفعته ومعنى
على انفسكم على امثالكم والذين جنسكم جنسهم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة
الدنيا وقرا ابن ابي اسحق ايضا متاعا الحياة الدنيا بنصب متاع وتنوينه ونصب
الحياة وقال سفيان بن عيينة في هذه الجملة تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وقرات
فرقة فينبيكم بالياء على الغايب والمراد الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم
تغن بالامس مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما قال يايها الناس انما بغيكم
على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب مثلا عجيبا غريبا للحياة الدنيا تذكر من يبغي
فيها على سرعة زوالها وانقضايها وانها بحال ما تعز وتسر تضمحل ويوول امرها الى الفنا
قال الزمخشري هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض
نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف
وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه انتهى وانما هنا ليست للحصر لا وضعا ولا
استعمالا لانه تعالى ضرب للحياة الدنيا امثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل ان يراد به الصفة
وان يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالاول والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا
بما فيها يكون به ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع وقيل شبهت الحياة الدنيا
بالنبات على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ما فحذف المضاف وقيل شبهت
الحياة بحياة مقدرة على هذه الاوصاف فيكون التقدير كحياة قوم بما انزلناه من
السما فيهلك ويقوي هذا قوله وظن اهلها انهم قادرون عليها والسما اما ان يراد من السحاب
واما ان يراد من جهة السما والظاهر ان النبات اختلط بالما ومعنى الاختلاط تشربه ونفعه
اياه وقبوله له لانه يجري له مجرى الغذا فتكون البا للمصاحبة وكل مختلطين يصح في كل منهما
ان يقال اختلط بصاحبه فلذلك فسره بعضهم بقوله خالطه الما وداخله فغذا كل جز
منه وقال الكرماني فاختلط به اختلاط مجاورة لان الاختلاط تداخل الاشيا بعضها
في بعض انتهى ولا يمتنع اختلاط النبات بالما على سبيل التداخل فلا نقول انه اختلاط
مجاورة وقيل اختلط اختلف وتنوع بالما وينبو لفظ اختلط عن هذا التفسير وقيل
معنى اختلط تركب وقيل امتد وطال وقال الزمخشري فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا وقال ابن عطية وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط اي اختلط النبات بعضه
ببعض بسبب الما انتهى وعلى هذه الاقوال البا في به للسببية وابعد من ذهب
الى ان الفاعل في قوله فاختلط هو ضمير يعود على الما اي فاختلط الما بالارض ويقف
هذا الذاهب على قوله فاختلط ويستانف به نبات الارض على الابتدا والخبر المقدم
قال ابن عطية يحتمل على هذا ان يعود الضمير في به على الما وعلى الاختلاط الذي
تضمنه الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط يجوز وخاصة في القران لانه
تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيح اللفظ وذهاب الى اللغز والتعقيد
والمعنى الضعيف الا ترى انه لو صرح باظهار الاسم الذي الضمير في به كناية عنه
فقيل بالاختلاط نبات الارض او بالما نبات الارض لم يكد ينعقد كلاما من مبتدا
وخبر لضعف هذا الاسناد وقربه من عدم الافادة ولولا ان ابن عطية ذكره
وخرجه على ما ذكرناه عنه لم نذكره في كتابنا ولما كان النبات ينقسم الى ماكول وغيره
بين ان المراد احد القسمين من فقال مما ياكل الناس كالحبوب والثمار والبقول والانعام
كالحشيش وساير ما يرعى قال الحوفي من متعلقة باختلط وقال ابو البقا مما ياكل
حال من النبات فاقتضى قول ابي البقا ان تكون العامل في الحال محذوفا لان المجرور
والظرف اذا وقعا حالين كان العامل محذوفا وقول ابي البقا هو الظاهر وتقديره

كاينا مما ياكل وحتى غاية فيحتاج ان تكون الفعل الذي قبلها متطاولا حتى تصح الغاية
فاما ان تقدر قبلها محذوفا اي فما زال ينمو حتى اذا او يتجوز في فاختلط ويكون معناه
فدام اختلاط النبات بالما حتى اذا وقوله اخذت الارض زخرفها وازينت جملة بديعة
اللفظ جعلت الارض اخذة زخرفها متزينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس
اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتسبت وتزينت بانواع الحلى فاستعير
الاخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الارض على بهجة ونضارة والوان مختلفة
واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب لما
كان من الاشيا البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت اي بنباتها وما اودع فيه من
الحبوب والثمار والازهار ويحتمل ان تكون قوله وازينت تاكيدا لقوله اخذت الارض زخرفها
واحتمل ان لا يكون تاكيدا اذ قد يكون اخذ الزخرف لا لقصد التزيين فقيل وازينت ليفيد
انها قصدت التزيين ونسبة الاخذ الى الارض والتزيين من بديع الاستعارة وقرا الجمهور
وازينت واصله وتزينت فادغمت التا في الزاي فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين
الزاي عند الادغام وقرا ابي وعبد الله وزيد بن علي والاعمش وتزينت على وزن تفعلت
وقرا سعد بن ابي وقاص وابو عبد الرحمن وابن يعمر والحسن والشعبي وابو العالية
وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفي وازينت على وزن افعلت كاحصد
الزرع اي حضرت زينتها وحانت وصحت اليا فيه على جهة الندور كاعيلت المراة والقياس
وازانت كقولك واباتت وقرا ابو عثمان النهدي بهمزة مفتوحة بوزن افعالت قال عنه
صاحب اللوامح فال كانه كانت في الوزن بوزن احمارت لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين
فحركت الالف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب ابن عطية هذه القراة لفرقة فقال
وقرات فرقة وازيانت وهي لغة منها قال الشاعر • اذا ما الهوادي بالعبيط احمارت •
وقرا اشياخ عوف بن ابي جميلة وازيانت بنون مشددة والف ساكنة قبلها قال
ابن عطية وهي قراة ابي عثمان النهدي وقرات فرقة وازاينت والاصل وتزاينت فادغم
والظن هنا على بابه من ترجيح احد الجايزين وقيل بمعنى ايقنوا وليس بسديد ومعنى
القدرة عليها التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها
من العاهات والضمير في اهلها عايد على الارض وهو على حذف مضاف اي اهل نباتها وقيل
الضمير عايد على الغلة وقيل على الزينة وهو ضعيف وجواب اذا قوله اتاها امرنا كالريح والبرد
والسموم وغير ذلك من الافات كالفار والجراد وقيل اتاها امرنا باهلاكها وابهم في قوله ليلا او
نهارا وقد علم تعالى متى ياتيها امره او يكون للتنويع لان بعض الارض ياتيها امره تعالى
ليلا وبعضها نهارا ولا يخرج كاين عن ذلك وتنوعه فيهما والحصيد فعيل بمعنى مفعول اي المحصود
ولم يونث كما لم يونث امراة جريح وقال ابو عبيدة الحصيد المستاصل انتهى وعبر بحصيد
عن التالف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالافة قبل اوانه حصيدا لعلاقة ما بينهما من
الطرح على الارض وقيل يجوز ان تكون تشبيها بغير اداة والتقدير فجعلناها كالحصيد
وقوله كان لم تغن بالامس مبالغة في التلف والهلاك حتى كانها لم توجد قبل ولم يقم بالارض
بهجة خضرة نضرة تسر اهلها وقرا الحسن وقتادة كان لم يغن بالياء على التذكير فقيل عايد
على المضاف المحذوف الذي هو الزرع حذف وقامت ها التانيث مقامه في قوله عليها وفي قوله
اتاها فجعلناها وقيل عايد على الزخرف والاولى عوده على الحصيد اي كان لم يغن الحصيد وكان
مروان بن الحكم يقرا على المنبر كان لم تغن بالامس وما اهلكناها الا بذنوب اهلها وقال الاعشى طويل الثواء طويل
التغني وهو من غني بكذا اقام به قال الزمخشري والامس مثل في الوقت كانه قيل كان لم تغن
انفا انتهى وليس الامس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف لقوله انفا لان انفا معناه الساعة
والمعنى كان لم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان ولو ان قايلا قال في غير القران كان لم يكن بها
وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة فكيف يشبه وهي لا وجود لها حقيقة
بما لا وجود لها حقيقة انما تشبه ما انتفى وجوده الان بما قدر انتفا وجوده في الزمان الماضي لسرعة
انتقاله من حالة الوجود الى حالة العدم فكان حالة الوجود ما سبقت له وفي مصحف ابي كان لم

تغن بالامس وما كنا لنهلكها الا بذنوب اهلها كذلك نفصل الايات رواها عن ابن عباس
وقيل في مصحفه وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وفي التحرير وكان ابو سلمة بن عبد الرحمن
يقرا في قراءة ابي كان لم تغن بالامس وما اهلكناها الا بذنوب اهلها ولا يحسن ان يقرا احد
بهذه القراءة لانها مخالفة لخط المصحف الذي اجمع عليه الصحابة والتابعون انتهى
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون اي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل
في المستقبل وقرا ابو الدردا لقوم يتذكرون بالذال بدل الفا والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشا الى صراط مستقيم لما ذكر مثل الحياة الدنيا وما يوول اليه من الفنا والاضمحلال
وما تضمنه من الافات والعاهات ذكر تعالى انه داع الى دار السلامة والصحة والامن وهي
الجنة اذ اهلها سالمون من كل مكروه ويجوز ان تكون تعالى اضافها الى اسمه الشريف على
سبيل التعظيم لها والتشريف كما قيل بيت الله وناقة الله ويجوز ان تكون مضافة الى
السلام بمعنى التسليم لفشو ذلك بينهم ولتسليم الملائكة عليهم كما قال لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما قال الحسن ان السلام لا ينقطع عن اهل الجنة وهو
تحيتهم كما قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقد وردت في دعوة الله عباده احاديث وقال
قتادة ذكر لنا ان في التوراة مكتوبا يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر انته ولما كانت الدعوة
عاما لم يتقيد بالمشية ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشية فقال ويهدي من يشا
وقال الزمخشري ويهدي يوفق من يشا وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته
تابعة لحكمته رهقه غشيه وقيل لحقه ومنه ولا ترهقني من امري عسرا ورجل مرهق يغشاه
الاضياف وقال الازهري الرهق اسم من الارهاق وهو ان يحمل الانسان على نفسه ما لا يطيق
يقال ارهقته ان يصلي اذا عجلته عن الصلاة وقيل اصل الرهق المقاربة يقال غلام
مراهق اي قارب الحلم وفي الحديث ارهقوا القبلة اي ادنوا منها ويقال رهقت الكلاب
الصيد اذا لحقته وارهقنا الصلاة اخرناها حتى تدنو من الاخرى القتر والقترة
الغبار الذي معه سواد وقال ابن عرفة الغبار وقال الفرزدق • متوج برد الملك
يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا • اي غبار العسكر وقال ابن بحر اصل القتر
دخان النار ومنه قتار القدر انتهى ويقال القتر بسكون التا الشان الامر وجمعه شوون
واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده عزب يعزب ويعزب
بكسر الزاي وضمها غاب حتى خفي ومنه الروض العازب وقال ابو تمام وقلقل نابي من خراسان
جاشها فقلت اطميني انضر الروض عازبه فنقطعون انه لم يطالع تلك الكتب ولا غيرها ولا هي
في بلده ولا قومه لا يتصديق الاشراط لانهم لم يشاهدوا اشياءها وتفصيل الكتاب تبيين ما
فرض وكتب فيه من الاحكام والشرايع وقرا الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب فخرجه
الكساي والفرا ومحمد بن سعدان والزجاج على انه خبر كان مضمرة اي ولكن كان تصديق
اي مصدقا ومفصلا وقيل انتصب مفعولا من اجله والعامل محذوف والتقدير ولكن انزل
للتصديق وقيل انتصب على المصدر والعامل فيه فعل محذوف وقرا عيسى بن عمر
تصديق وتفصيل بالرفع وفي يوسف خبر مبتدا محذوف اي ولكن هو تصديق كما
قال الشاعر ولست الشاعر السفساف فيهم ولكن مدره الحرب العوالي اي ولكن انا وزعم
الفرا ومن تابعه ان العرب اذا قالت ولكن بالواو اثرت تشديد النون واذا لم تكن
الواو اثرت التخفيف وقد جا في السبعة مع الواو التشديد والتخفيف ولا ريب
فيه داخل في حيز الاستدراك كانه قيل ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كاينا من رب العالمين قال الزمخشري ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب
العالمين وتفصيله منه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم انتهى فقوله فيكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل انما يعني من جهة المعنى واما من جهة الاعراب
فلا يكون الا متعلقا باحدهما ويكون من باب الاعمال وانتفا الريب عنه على ما بين في البقرة
في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه وجمع بينه وبين قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا ام

يقولون

يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
لما نفى تعالى ان يكون القران مفترى بل جا مصدقا لما بين يديه من الكتب وبيانا لما فيها ذكر
اعظم دليل على انه من عند الله وهو الاعجاز الذي اشتمل عليه فابطل بذلك دعواهم افتراه
وتقدم الكلام على ذلك مشبعا في البقرة في قوله وان كنتم في ريب الاية وام متضمنة
معنى بل والهمزة على مذهب س اي بل ايقولون اختلقه والهمزة تقرير لالتزام الحجة
عليهم او انكار لقولهم واستبعاد وقالت فرقة ام هذه بمنزلة همزة الاستفهام وقال
ابو عبيدة ام بمعنى الواو ومجازه ويقولون افتراه وقيل الميم صلة والتقدير القولون
وقيل ام هي المعادلة للهمزة وحذفت الجملة قبلها والتقدير ايقرون به ام يقولون
افتراه وجعل الزمخشري قل فاتوا جملة شرط محذوفة فقال قل ان كان الامر كما تزعمون
فاتوا انتم على وجه الافترا بسورة مثله فانتم مثله في العربية والفصاحة والالمعية
فاتوا بسورة مثله شبيهة به في البلاغة وحسن النظم انتهى والضمير في مثله عايد على
القران اي بسورة مماثلة للقران وتقدم الكلام لنا فيما وقع به الاعجاز وقرا عمرو بن فايد
بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب او كلام مثله اي مثل القران وقال صاحب اللوامح
هذا مما حذف الموصوف منه واقيمت الصفة مقامه اي بسورة بشر مثله فالهاء في ذلك
واقعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي العامة الى القران وادعوا من استطعتم ان تدعوه من
خلق الله الى الاستعانة على الاتيان بمثله من دون الله اي من غير الله لانه لا يقدر على
ان ياتي بمثله احد الا الله فلا تستعينوه وحده واستعينوا بكل من دونه ان كنتم
صادقين في انه افتراه وقد تمسك المعتزلة بهذه الاية على خلق القران قالوا لانه
تحدى به وطلب الاتيان بمثله وعجزوا ولا يمكن هذا الا اذا كان الاتيان بمثله صحيح
الوجود في الجملة ولو كان قديما لكان الاتيان بمثل القديم محالا في نفس الامر فوجب
ان لا يصح التحدي به وقال ابو عبد الله الرازي مراتب التحدي بالقران ست تحد بكل
القران في قل لئن اجتمعت الاية وتحد بعشر سور وتحد بسورة واحدة وتحد بحديث مثله
في قوله فلياتوا بحديث مثله وفي هذه الاربع طلب ان يعارض رجل يساوي الرسول في عدم
التتلمذ والتعليم وتحد طلب منهم معارضة سورة واحدة من اي انسان كان تعلم العلوم
ولم يتعلمها وفي هذه المراتب الخمس تحدى كل واحد من الخلق وتحد طلب من المجموع والاستعانة
بعض ببعض انتهى ملخصا بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب
الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين قال الزمخشري بل كذبوا بل سارعوا
الى التكذيب بالقران وفاجوه ببديهة السماع قبل ان يفهموه ويعلموا كنه امره وقبل
ان يتدبروه ويفقهوا تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم
وشرادهم عن مفارقة دين ابايهم وقال ابن عطية هذا اللفظ يحتمل معنيين احدهما
ان يريد بما الوعيد الذي توعدهم الله على الكفر وتاويله على هذا يريد به ما يوول
اليه امره كما هو في قوله هل ينظرون الا تاويله والاية تحملها على هذا التاويل تتضمن
وعيدا والمعنى الثاني انه اراد بل كذبوا بهذا القران العظيم المبني بالغيوب الذي
لم يتقدم لهم به معرفة ولا احاطوا بمعرفة غيوبه وحسن نظمه ولا جاءهم تفسير
ذلك وبيانه وقال ابو عبد الله الرازي يحتمل وجوها الاول كلما سمعوا شيا من
القصص وقيل للغايب عن اهله عازب حتى قالوه لمن لا زوجة له للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
احسنوا قال ابن عباس ذكروا كلمة لا اله الا الله وقال الاصم احسنوا في كل ما تعبدوا
به اي اتوا بالمامور به كما ينبغي واجتنبوا المنهي وقيل احسنوا معاملة الناس وروي
النسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا العمل في الدنيا وفي الصحيح ما الاحسان
قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن عيسى عليه السلام ليس
الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة ولكن الاحسان ان تحسن الى من اسا
اليك والحسنى قال الاكثرون هي الجنة وروي ذلك عن الرسول ولو صح وجب المصير اليه

وقال الطبري الحسنى عام في كل حسن فهو يعم جميع ما قيل ووعد الله في جميعها بالزيادة
ويؤيد ذلك ايضا قوله اولئك اصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول
تكرير في المعنى وقال عبد الرحمن بن سابط هي النضرة وقال ابن زيد الجزاء في الآخرة
وقيل الامنية ذكره ابن الانباري وقال الزمخشري المثوبة الحسنى وزيادة وما
يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن
علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر
امثالها وعن الحسن عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة
فيقول ما تريدون ان امطركم فلا تريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة
والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث موضوع اذا دخل اهل
الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشفون الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله تعالى شيئا هو احب اليهم منه انتهى اما تفسيره اولا ونقله عمن ذكر تفسير
الزيادة فهو نص الجبائي ونقله واما قوله وجاءت بحديث موضوع فليس بموضوع
بل خرجه مسلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم
وخرجه ابن المبارك في دقائقه موقوفا على ابي موسى وقال بان الزيادة هي النظر
الى الله تعالى ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب في رواية وحذيفة وعبادة
بن الصامت وكعب بن عجرة وابو موسى وصهيب وابن عباس في رواية وهو
قول جماعة من التابعين ومسالة الرؤية يبحث فيها في اصول الدين قال
مجاهد ارادوا ولا يلحقها خزي والخزي يتغير به الوجه ويسود قال ابن عباس
والذلة الكآبة وقال غيره الهوان وقيل الخيبة نفى عن المحسنين ما اثبت للكفار
من قوله وترهقهم ذلة وقوله عليها غبرة ترهقها قترة وكنى بالوجه عن الجملة
لكونه اشرفها ولظهور اثر السرور والحزن فيه وقرا الحسن وابو رجاء وعيسى
بن عمر والاعمش قتر بسكون التاء وهي لغة كالقدر والقدر وجعلوا اصحاب
الجنة لتصرفهم فيها كما يتصرف الملاك على حسب اختيارهم والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من
الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لما ذكر ما اعد للذين احسنوا وحالهم
يوم القيامة وما لهم في الجنة ذكر ما اعد لاضدادهم وحالهم وما لهم وجاءت صلة المؤمنين
احسنوا وصلة الكافرين كسبوا السيئات تنبيها على ان المؤمن لما خلق على الفطرة
واصلها بالاحسان وعلى ان الكافر لما خلق على الفطرة انتقل عنها وكسب السيئات
فجعل ذلك محسنا وهذا كاسبا للسيئات ليدل على ان المؤمن سلك ما ينبغي وهذا
سلك ما لا ينبغي والظاهر ان والذين مبتدا وجوزوا في الخبر وجوها احدها انه
الجملة التي بعده وهي جزاء سيئة بمثلها وجزاء مبتدا فقيل خبره محذوف وهو بمثلها
واختلفوا في الباء فقيل زائدة قاله ابن كيسان اي جزاء سيئة مثلها كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها كما زيدت في الخبر في قوله • فمنعكها بشيء يستطاع • اي شيء
يستطاع وقيل ليست بزائدة والتقدير مقدر بمثلها او مستقر بمثلها وقيل محذوف
فقدره الحوفي لهم جزاء سيئة قال ودل على تقدير لهم قوله للذين احسنوا الحسنى
حتى تتشاكل هذه بهذه وقدره ابو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع والباء في قوليهما متعلقة
بقوله جزاء والعائد من هذه الجملة الواقعة خبرا عن الذين محذوف تقديره جزاء
سيئة منهم كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم وعلى تقدير
الحوفي لهم جزاء يكون الرابط لهم الثاني ان الخبر قوله ما لهم من الله من عاصم ويكون
قد فصل بين المبتدا والخبر بجملتين على سبيل الاعتراض ولا يجوز ذلك عند ابي علي
الفارسي والصحيح جوازه الثالث ان يكون الخبر كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما الرابع ان يكون الخبر اولئك وما بعده فيكون في هذا القول فصل بين المبتدا ام

والخبر

والخبر باربع جمل معترضة وفي القول الثالث بثلاث جمل والصحيح منع الاعتراض
بثلاث الجمل وباربع الجمل واجاز ابن عطية ان يكون الذين في موضع جر عطفا على
قوله للذين احسنوا ويكون جزاء مبتدا خبره قوله والذين على اسقاط حرف الجر اي
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فيتعادل التقسيم كما تقول في الدار زيد والقصر
عمرو اي وفي القصر عمرو وهذا التركيب مسموع من لسان العرب فخرجه الاخفش
على انه من العطف على عاملين وخرجه الجمهور على انه مما حذف منه حرف الجر وجره
بذلك الحرف المحذوف لا بالعطف على المجرور وهي مسالة تذكر في الخلاف وتفصيل يتكلم فيها
في علم النحو والظاهر ان السيئات هنا هي سيئات الكفر ويدل عليه ذكر اوصافهم بعد وقيل
السيئات المعاصي فيندرج فيها الكفر وغيره ولهذا قال ابن عطية وتعم السيئات
ههنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ومثل سيئات المعاصي مصروف
الى مشيئة الله تعالى ومعنى بمثلها اي لا يزاد عليها قال الزمخشري وفي هذا دليل على ان
المراد بالزيادة التفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل باثبات
الزيادة على المثوبة على فضله انتهى وقيل معنى بمثلها اي بما يليق بها من العقوبات
فالعقوبات تترتب على قدر السيئات ولهذا كانت جهنم دركات وكان المنافقون
في الدرك الاسفل لقبح معصيتهم وقرئ ويرهقهم بالياء لان تانيث الذلة مجازي وفي
وصف المؤمنين نفى القتر والذلة عن وجوههم وهنا غشيتهم الذلة وبولغ فيما
يقابل القتر فقيل كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وهذه مبالغة في سواد
الوجوه وقد جاء مصرحا في قوله وتسود وجوه من الداعي من سخطه وعذابه ورحمته
تعالى وسيعيذه من يعصمهم كما يكون للمؤمنين واغشيت كسيت ومنه الغشاء وكون
وجوههم مسودة هي حقيقة لا مجاز فيكون الوانهم مسودة قال ابو عبد الله
الرازي واعلم ان حكماء الاسلام قالوا المراد من هذا السواد ههنا سواد الجهل وظلمة
الضلال فان الجهل طبعه طبع الظلمة فقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
المراد نور العلم وروحه وبشره وبشارته ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة هم
المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلالة انتهى وكثيرا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الاسلام
في التفسير وينقل كلامهم تارة منسوبا اليهم وتارة مستهدا اليه ويعني بحكماء الفلاسفة
الذين خلقوا في مدة الملة الاسلامية وهم احق بان يسموا سفهاء جهلاء من ان يسموا حكماء
اذ هم اعداء الانبياء والمحرفون للشريعة الاسلامية وهم اضر على المسلمين من اليهود
والنصارى واذا كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتابا
الاهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة احق وقد غلبت في هذا الزمان وقبله بقليل
الاشتغال بجهالات الفلاسفة على اكثر الناس ويسمونها الحكمة ويستجهلون من عري عنها
ويعتقدون انهم الكملة من الناس ويعكفون على دراستها ولا نكاد نلقى احدا منهم يحفظ قرآنا
ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد غضضت مرة من ابن سينا ونسبته للجهل
فقال لي بعضهم واظهر التعجب من كون احد يغض من ابن سينا كيف يكون اعلم الناس بالله ينسب
للجهل ولما ظهر من قاضي الجماعة ابي الوليد محمد بن ابي القاسم احمد بن ابي الوليد بن رشد
الاعتناء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم اغرى به علماء الاسلام بالاندلس المنصور منصور
الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي ملك المغرب والاندلس حتى اوقع به
ما هو مشهور من ضربه ولعنه واهانته واهانة جماعة منهم على رؤوس الاشهاد وكان مما
خوطب به المنصور في حقهم قول بعض العلماء الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيرا • عن الاسلام والسعي الكريم •
نحوت جهادا جاهدت فيه • الجان فزدت بالفتح العظيم •
وصيرت الانام بحسن هدى • على نهج الصراط المستقيم •
فجاهد في اناس قد اضلوا • طريق الشرع بالعلم القديم •
وحرق كتبهم شرقا وغربا • ففيها كامنا شر العلوم •

سفسطة

يدب الى المتقايد من اذا ما • سموم والعقايد كالجسوم
وفي امثالها اذ لا دواء • يكون السيف ترياق السموم • وقال اخر
يا وحشة الاسلام من فرقة • شاغلة انفسها بالسفه • قد نبذت دين الهدى
خلفها وادعت الحكمة والفلسفه • قد ظهرت في عصرنا فرقة • ظهورها شوم على العصر
لا تقتدي في الدين الا بما • سن ابن سينا او ابو نصر • ولما حللت بديار مصر ورايت كثيرا
من اهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير ان ينكر ذلك احد تعجبت من ذلك
اذ كنا نشانا في جزيرة الاندلس على التبري من ذلك والانكار له وانه اذا بيع كتاب
في المنطق انما يباع خفية وانه لا يتجاسر ان ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه المفعل حتى
ان صاحبنا وزير الملك ابن الاحمر ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم
كتب الينا كتابا من الاندلس يسالني ان اشتري او استنسخ كتابا لبعض شيوخنا في
المنطق فلم يتجاسر ان ينطق بالمنطق وهو زبر فسماه في كتابه بالمفعل ولما البست
وجوههم السواد قال كانما اغشيت وجوههم ولما كانت ظلمة الليل تمامة في السواد شبه
سواد وجوههم بقطع من الليل حال اشتداد ظلمته وقرا ابن كثير والكسائي قطعا بسكون
الطا وهو مفرد اسم للشي المقطوع وقال الاخفش في قوله بقطع من الليل بسواد من
الليل واهل اللغة يقولون القطع ظلمة اخر الليل وقال بعضهم طائفة من الليل
وعلى هذه القراة يكون قوله مظلما صفة لقوله قطعا كما جا ذلك في قراة ابي انما غشي
وجوههم قطع من الليل مظلم وقرا ابن ابي عبلة كذلك الا انه فتح الطا وقيل قطع جمع
قطعة نحو سدر وسدرة فيجوز اذ ذاك ان يوصف بالمذكر نحو نخل منقعر وبالمونث
نحو نخل خاوية ويجوز على هذا ان يكون مظلما حالا من الليل كما اعربوه في قراة باقي السبعة
كانما اغشيت وجوههم قطعا بتحريك الطا بالفتح من الليل مظلما بالنصب قال الزمخشري
فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون
اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاوه الى الموصوف كافضائه
الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل انتهى اما الوجه الاول فهو بعيد لان
الاصل ان تكون العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في الليل هو مستقر
الواصل اليه بمن واغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا
فلذلك كان الوجه الاخير اولى اي قطعا مستقرة من الليل او كائنة من الليل في
حال اظلامه وقيل مظلما حال من قوله قطعا او صفة وذكر في هاذين التوجيهين
لان قطعا في معنى كثير فلوحظ فيه الافراد والتذكير وجوزوا ايضا في قراة من سكن
الطا ان تكون مظلما حالا من قطع وحالا من الضمير في من الليل قال ابن عطية فاذا كان
نعتا يعني مظلما نعتا لقطع فكان حقه ان يكون قبل الجملة ولكن قد يجي بعد هذا
وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك
انتهى ولا يتعين تقدير العامل في المجرور بالفعل فيكون جملة بل الظاهر ان يقدر
باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا من الليل مظلما
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاوهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم
لغافلين الضمير في نحشرهم عايد على من تقدم ذكرهم من الذين احسنوا والذين كسبوا
السيات وقرا الحسن وشيبة والقرا السبعة نحشرهم بالنون وقرات فرقة بالياء وقيل يعود
الضمير على الذين كسبوا السيات ومنهم عابد غير الله ومن لا يعبده شيئا وانتصب يوم على
فعل محذوف واى ذكرهم او خوفهم ونحوه وجميعا حال والشركا الشياطين والملائكة او
الاصنام او من عبد من دون الله كائنا من كان اربعة اقوال ومن قال الاصنام قال
ينفخ فيها الروح فينطقها الله بذلك مكان الشفاعة التي علقوا بها اطماعهم وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكفار اذا راوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قيل لهم
اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون والله لا اياكم كنا نعبد فتقول الالهة فكفى بالله شهيدا

الاية

الاية قال ابن عطية فظاهر هذه الايات انها محاورة انما هي مع الاصنام دون الملائكة
وعيسى بن مريم بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد
من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وهولاء لم يغفلوا قط عن عبادة من
عبدهم ومكانكم عده النحويون في اسما الافعال وقد ربما ثبتوا كما قال • وقولي كلما جشات
وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي • اي اثبتي ولكونها بمعنى اثبتي جزم تحمدي وتحملت
ضميرا فاكد وعطف عليه في قوله انتم وشركاؤكم والحركة التي في مكانك ودونك اهي حركة
اعراب او حركة بنا تبتني على الخلاف الذي بين النحويين في اسما الافعال الها موضع من
الاعراب ام لا فمن قال هي في موضع نصب جعل الحركة اعرابا ومن قال لا موضع لها من الاعراب
جعلها حركة بنا وعلى الاول عول الزمخشري فقال مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا
ما يفعل بكم واختلفوا في انتم فالظاهر ما ذكرناه من انه تاكيد للضمير المستكن في مكانكم
وشركاؤكم عطف على ذلك الضمير المستكن وهو قول الزمخشري قال وانتم اكد به الضمير
في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى يعني عطفا على الضمير هو
المستكن وتقديره الزموا وان مكانكم قام مقامه فيحمل الضمير الذي في الزموا ليس بجيد
اذ لو كان كذلك لكان مكانك الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا الا ترى
ان اسم الفعل اذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما واذا كان متعديا كان متعديا
مثال ذلك عليك زيدا لما ناب مناب الزم تعدى واليك لما ناب مناب تنح لم يتعد ولكون
مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبت واثبت لا يتعدى قال الحوفي مكانكم نصب باضمار
فعل اي الزموا مكانكم او اثبتوا وقال ابو البقا مكانكم ظرف مبني لوقوعه موقع الامر اي الزموا
انتهى وقد بينا ان تقدير الزموا ليس بجيد اذ لم تقل العرب مكانك زيدا فتعديه
كما تعدي الزم وقال ابن عطية انتم رفع بالابتدا والخبر مخزيون او مهانون ونحوه انتهى
فيكون مكانكم قد تم ثم اخبر انهم كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال بعض
اجزايه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله فزيلنا بينهم اذ يدل على
انهم ثبتوا هم وشركاؤهم في مكان واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق ولقراة
من قرا انتم وشركاكم بالنصب على انه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان انتم
مبتدا او قد حذف خبره لما جاز ان ياتي بعده مفعول معه تقول كل رجل وضيعته بالرفع
ولا يجوز فيه النصب وقال ابن عطية ايضا ويجوز ان تكون انتم تاكيدا للضمير الذي
في الفعل المقدر الذي هو قفوا ونحوه انتهى وهذا ليس بجيد اذ لو كان تاكيدا لذلك
الضمير المتصل بالفعل لجاز تقدمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا
القول فيلزم تاخره عنه وهو غير جائز لا تقول انت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والاصح
انه لا يجوز حذف المؤكد في التاكيد المعنوي فكذلك هذا لان التاكيد ينافي الحذف وليس
من كلامهم انت زيدا لمن رايته قد شهر سيفا وانت تريد اضرب انت زيدا انما كلام العرب
زيدا تريد اضرب زيدا يقال زلت الشي عن مكانه ازيله قال الفرا يقول العرب زلت
الضان من المعز فلم تزل وقال الواحدي التزييل والتزيل والمزايلة التمييز والتفريق
انتهى وزيل مضاعف للتكثير وهو لمفارقة الجثث من ذوات اليا بخلاف زال يزول
فمادتهما مختلفة وزعم ابن قتيبة ان زيلنا من مادة زال يزول وتبعه ابو البقا وقال
ابو البقا فزيلنا عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت يا لان وزن الكلمة فيعل
اي زيولنا مثل بيطر وبيقر فلما اجتمعت الواو والياء على الشرط المعروف قلبت يا انتهى
وليس بجيد لان فعل اكثر من فيعل ولان مصدره تزييل ولو كان فيعل لكان مصدره
فيعلة فكان يكون زيلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل ولقولهم في قريب من معناه زايل
ولم يقولوا زاول بمعنى فارق انما قالوه بمعنى حاول وخالط وشرح فزيلنا ففرقنا بينهم
وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم
في الموقف وبين شركايهم كقوله تعالى اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا
وقرات فرقة فزايلنا حكاه الفرا قال الزمخشري كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته

انتهى يعني ان فاعل بمعنى فعل وزايل في لسان العرب بمعنى فارق قال وقال الفزاري
اما انت عمنا وكانت الشباب كالخليط يزايله • وقال اخر لعمري لموت لا عقوبة بعده لذي
البث اشفى من هوى لا يزايله • والظاهر ان التزييل والمزايلة هو بمفارقة الاجسام وتباعدها
وقيل فرقنا بينهم في الحجة والمذهب قال ابن عطية وفزيلنا وقال هنا ماضيان لفظا والمعنى
فنزيل بينهم ويقول لانهما معطوفان على مستقبل ونفي الشركا عبادة المشركين هو رد
لقولهم لهم اياكم كنا نعبد والمعنى انكم كنتم تعبدون من امركم ان يتخذ والله تعالى اندادا
فاطعتموهم ولما انهم زعموا استشهد الشركا بالله تعالى وانتصب شهيدا على الحال
والاصح على التمييز لقبوله من وتقدم الكلام في كفى وفي الباء وان هي الخفيفة من الثقيلة
وعند الفرا هي النافية واللام بمعنى الا وقد تقدم الكلام في ذلك واكتفوا هم لشهادة
الله هو على انتفا انهم عبدوهم ثم استانفوا جملة خبرية انهم كانوا غافلين عن عبادتهم
اي لا شعور لنا بذلك وهذا ترجح ان الشركا هي الاصنام كما قال ابن عطية لانه لو كانت
الشركا ممن يعقل من انسي او جني او ملك لكان له شعور بعبادتهم ولا شي اعظم سببا للغفلة
من الجمادية اذ لا تحس ولا تشعر بشي البتة هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى
الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون هنالك ظرف مكان اي في ذلك الموقف والمقام
المقتضي للحيرة والدهش وقيل هو اشارة الى الوقت استعير ظرف المكان للزمان اي
في ذلك الوقت وقرا الاخوان وزيد بن علي تتلو بتاءين اي تتبع وتطلب ما اسلفت من
اعمالها قاله السدي ومنه قول الشاعر • ان المريب يتبع المريبا • كما رايت الذيب يتلو الذيبا •
ويصح ان يكون من التلاوة وهي القراءة اي تقرا كتبها التي تدفع اليها وقرا باقي السبعة
تبلو بالتاء والباء اي تختبر ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار
امقبول ام مردود كما يتعرف الرجل الشي باختباره وروي عن عاصم نبلو بالنون وبالباء اي نختبر
وباي نختبر وكل نفس بالنصب وما اسلفت بدل من كل نفس او منصوب على اسقاط
الخافض اي بما اسلفت او يكون نبلو من البلاء وهو العذاب اي نصيب كل نفس عاصية بالبلاء
بسبب ما اسلفت من العمل السيء وعن الحسن تبلو بتسلم وعن الكلبي تعلم وقيل تذوق وقرا
يحيى بن وثاب وردوا بكسر الرا لما سكن للادغام نقل حركة الدال الى حركة الرا بعد حذف
حركتها ومعنى الى الله الى عقابه وقيل الى موضع جزائه مولاهم الحق لا ما زعموه من اصنامهم اذ
هو المتولي حسابهم فهو مولاهم في الملك والاحاطة لا في النصر والرحمة وقرئ الحق بالنصب
على المدح نحو الحمد لله اهل الحمد وقال الزمخشري كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل على
تاكيد قوله ردوا الى الله انتهى وقال ابو عبد الله الرازي وردوا الى الله جعلوا ملجئين الى
الاقرار بالالهية بعد ان كانوا في الدنيا يعبدون غير الله ولذلك قال مولاهم الحق وضل
عنهم اي بطل وذهب ما كانوا يفترون من الكذب او من دعواهم ان اصنامهم شركا لله شافعون
لهم عنده قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون لما بين فضائح
عبدة الاوثان اتبعها بذكر الدلايل على فساد مذهبهم بما يوبخهم ويحجهم بما لا يمكن
الا الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة فبدا
بما فيه قوام حياتهم وهو الرزق الذي لا بد لهم منه فمن السما بالمطر ومن الارض بالنبات
فمن لابتدا الغاية وهي الرزق بالعالم العلوي والعالم السفلي معا لم يقتصر على جهة
واحدة تعالى توسعة منه واحسانا ومن ذهب الى ان التقدير من اهل السما والارض
فيكون من للتبعيض او للبيان ثم ذكر ملكه لهاتين الحاستين الشريفتين السمع الذي
هو سبب مدارك الاشيا والبصر الذي يرى ملكوت السموات والارض ومعنى ملكهما انه
يتصرف فيهما بما يشا تعالى من ابقا وحفظ واذهاب وقال الزمخشري من يملك السمع والابصار
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او يحميهما
ويعصمهما من الافات مع كثرتهما في المدد الطوال وهما لطيفان يوذيهما ادنى شي بكلاته وحفظه
انتهى ولا يظهر هذان الوجهان اللذان ذكرهما من لفظ امن يملك السمع والابصار وعن علي

كرم

كرم الله وجهه سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم وام هنا تقتضي تقدير بل
دون همزة الاستفهام لقوله تعالى اما ذا كنتم تعملون فلا تقدر ببل والهمزة لانها دخلت
على اسم الاستفهام وليس اضراب ابطال بل هو لانتقال من شي الى شي ونبه تعالى بالسمع والبصر
على الحواس لانهما اشرفها ولما ذكر تعالى سبب ادامة الحياة وسبب انتفاع الحي بالحواس ذكر انشاه
تعالى واختراعه للحي من الميت والميت من الحي وذلك من باهر قدرته وهو اخراج الضد من ضده و
تقدم تفسير ذلك ومن يدبر الامر شامل لما تقدم من الاشيا الاربعة المذكورة ولغيرهما
والامور التي يدبرها تعالى لا نهاية لها فلذلك جا بالامر الكلي بعد تفصيل بعض الامور
واعترافهم بان الرازق والمالك والمخرج والمدبر هو الله اي لا يمكنهم انكاره ولا المناهضة
فيه ومعنى افلا تتقون افلا تخافون عقوبة الله في افترائكم وجعلكم الاصنام الهة وقيل
افلا تتعظون فتنتهون عما حذرت عنه تلك الموعظة فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يومنون
فذلكم اشارة الى من اختص بهذه الاوصاف السابقة الحق الثابت الربوبية المستوجبة للعبادة
واعتقاد اختصاصه بالالوهية لا لاصنامكم المربوبة الباطلة وماذا استفهام معناه النفي
ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير والتوبيخ كانه قيل ما بعد الحق الا الضلال فالحق
والضلال لا واسطة بينهما اذ هما نقيضان فمن يخطي الحق وقع في الضلال وماذا مبتدا
كلمة مع ما فصار المجموع استفهاما كانه قيل اي شي والخبر بعد الحق ويجوز ان يكون ذا
موصولة ويكون خبر ما كانه قيل ما الذي بعد الحق وبعد صلة كذا ولما ذكر تعالى تلك
الصفات وانكارا الى ان المتصف بها هو الله وانه مالكهم وانه هو الحق ثم وبخهم على اتباع
الضلال بعد وضوح الحق قال تعالى فانى تصرفون اي كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق
وقيام حجته عن عبادة من يستحق العبادة وكيف يشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شي
من تلك الاوصاف واستنباط كون الشطرنج مثله لاجل قوله فماذا بعد الحق الا الضلال
لا يكاد يظهر لان الاية انما سيقت فيما في الكفر والايمان وعبادة الاصنام وعبادة الله وليس
مساقها في الامور الفرعية التي تختلف فيها الشرايع وتختلف فيها اقوال علما ملتنا
وقد تعلق الجبائي بهذه الاية في الرد على المجبرة اذ يقولون انه تعالى يصرف الكفار عن
الايمان قال لو كان كذلك لما قال انى تصرفون كما لو اعمى بصر احدهم لا يقول انى عميت كذلك
الكاف للتشبيه في موضع نصب والاشارة بذلك قيل الى المصدر المفهوم من تصرفون
مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله فسيقولون الله حق العذاب عليهم اي جزاؤهم
مثل ما حق لهم وقيل اشارة الى الحق قال الزمخشري كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك
اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت
كلمة ربك وقال ابن عطية كذلك اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته واجبة كما تقرر
وانصراف هولا كما قدر عليهم واكتسبوا كذلك حقت ومعنى فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا
الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يومنون بدل من كلمة ربك اي حق عليهم انتفا الايمان ويجوز
ان يراد بالكلمة عدة العذاب ويكون انهم لا يومنون تعليلا اي لانهم لا يومنون ويوضح
هذا الوجه قراءة ابن ابي عبلة انهم لا يومنون بالكسر وهذا اخبار منه تعالى ان في الكفار
من حتم الله بكفره وقضى بتخليده وقرا ابو جعفر وشيبة والصاحبان كلمات على الجمع
هنا وفي اخر السورة وقرا باقي السبعة على الافراد قل هل من شركايكم من يبدا الخلق
ثم يعيده قل الله يبدا الخلق ثم يعيده فانى توفكون لما استفهمهم عن اشيا من صفات
الله تعالى واعترفوا بها ثم انكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله استفهم عن شي
هو سبب العبادة وهو ابدا الخلق وهم لا يسلمون ذلك ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ثم اعادة الخلق وهم منكرون ذلك لكنه عطفه على ما يسلمونه ليعلم
انهما سوا بالنسبة الى قدرة الله وان ذلك لوضوحه وقيام برهانه قرن بما يسلمونه
اذ لا يدفعه الا مكابر اذ هو من الواضحات التي لا يختلف في امكانها العقل وجا الشرع بوجوبه
فوجب اعتقاده ولما كانوا لمكابرتهم لا يقرون بذلك امر تعالى نبيه ان يجيب فقال

قل الله يبدا الخلق ثم يعيده وابرز الجواب في جملة مبتداة مصرح بجزئيها معاد الخبر
فيها مطابقا لخبر اسم الاستفهام وذلك تاكيد وتثبيت ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة
لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة بحذف وفا منها احد جزئيها في قوله فسيقولون الله ولم يحتج
الى التاكيد بتصريح خبرها ومعنى تؤفكون تصرفون وتعلمون عن اتباع الحق قل هل من شركائكم
من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا
ان يهدى فما لكم كيف تحكمون لما بين تعالى عجز اصنامهم عن الابدا والاعادة اللذين هما
من اقوى اسباب القدرة واعظم دلايل الالوهية بين عجزهم عن هذا النوع من صفات الاله
وهو الهداية الى الحق والى مناهج الصواب وقد اعقب الخلق بالهداية في القران في مواضع
قال تعالى حكاية عن الكليم قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال
الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود
الصانع ومما حالان للجسد والروح ولما كانت العقول تلحقها الاضطراب والغلط بين تعالى
انه لا يهدي بها الا هو وبخله في اصنامهم ومعبوداتهم فانها كانت منها لا روح فيه جماد لا تاثير
له وما فيه روح فليس قادرا على الهداية بل الله تعالى هو الذي يهديه وهدى تتعدى
بنفسها الى اثنين والى الثاني بالى وباللام ويهدي الى الحق حذف مفعوله الاول
ولا يصح ان يكون لازما بمعنى يهتدي لانه مقابله انما هو متعد وهو قوله قل الله يهدي
للحق اي يهدي من يشا الى الحق وقد انكر المبرد ما قاله الكساي والفرا وتبعهما الزمخشري
من ان تكون هدى بمعنى اهتدى وقال لا نعرف هدى واحق ليست افعل تفضيل بل
المعنى حقيق بان يتبع ولما كانوا معتقدين ان شركاهم تهدي الى الحق ولا يسلمون
حصر الهداية لله تعالى امر نبيه ان يبادر بالجواب فقال قل الله يهدي للحق ثم عادل
في السوال بالهمزة وام بين من هو حقيق بالاتباع ومن هو غير حقيق وجا على
الافصح الاكثر من فصل ام مما عطفت عليه بالخبر كقوله ادلك خير ام جنة الخلد بخلاف
قوله اقريب ام بعيد ما توعدون وسياتي القول في ترجيح الوصل هنا في موضعه ان شا
الله وقرا اهل المدينة الا ورشا امن لا يهدي بفتح اليا وسكون الها وتشديد الدال
فجمعوا بين ساكنين قال النحاس لا يقدر احد ان ينطق به وقال المبرد من رام
هذا لا بد ان يحرك حركة خفيفة وسيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة وقرا ابو عمرو وقالون
في رواية كذلك الا انه اختلس الحركة وقرا ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن
كذلك الا انهم فتحوا الها واصله يهتدي فقلبت حركة التا الى الها وادغمت التا في الدال
وقرا حفص ويعقوب والاعمش عن ابي بكر كذلك الا انهم كسروا الها لما اضطروا الى الحركة
حركوه بالكسر قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر وقرا ابو بكر في رواية يحيى بن ادم كذلك
الا انه كسر اليا ونقل عن سيبويه انه لا يجيز يهدي ويجيز تهدي ونهدي واهدي قال لان
الكسرة في اليا تثقل وقرا حمزة والكساي وخلف ويحيى بن وثاب والاعمش يهدي
مضارع هدى قال الزمخشري هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا
يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه
الاهتدا الا بنقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه انتهى
وتقدم انكار المبرد ما قاله الكساي والفرا وتبعهما الزمخشري من ان هدى بمعنى
اهتدى وقال ابو علي الفارسي وصف الاصنام بانها لا تهتدي الا ان تهدى ونحن
نجدها لا تهتدى وان هديت فوجه ذلك انه عامل في العبادة عنها معاملتهم في وصفها
باوصاف من يعقل وذلك مجاز وموجود في كثير من القران وقال ابن عطية والذي
اقول ان قراة حمزة والكساي يحتمل ان تكون المعنى ام من لا يهدي احدا الا ان يهدى
ذلك الاحد بهداية من عند الله واما على غيرها من القرات التي مقتضاها ام من لا
يهتدي الا ان يهدى فيتجه المعنى على ما تقدم لابي علي الفارسي وفيه تجوز كثير ويحتمل
ان يكون ما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتدا وما وقيل تم الكلام عند قوله ام

من

من لا يهدي كما تقول فلان لا يسمع غيره الا ان يسمع اي لكنه يحتاج الى ان يسمع وقيل
ام من لا يهدي في الرؤسا المضلين انتهى ويكون استثنا منقطعا لانه اذ ذاك تكون فيهم هو
قابلية الهداية بخلاف الاصنام فما لكم استفهام معناه التعجب والانكار اي اي شي
لكم في اتخاذ هولا الشركا اذ كانوا عاجزين عن هداية انفسهم فكيف يمكن ان يهدوا غيرهم
كيف تحكمون استفهام اخرى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله اندادا وشركا وهاتان
جملتان انكر في الاولى وتعجب من اتباعهم من لا يهدي ولا يهتدي وانكر في الثانية حكمهم
بالباطل وتسوية الاصنام برب العالمين وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق
شيا ان الله عليم بما يفعلون الظاهر ان اكثرهم على بابه لان منهم من تبصر في الاصنام
ورفضها كما قال ارب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب وقيل
المراد باكثرهم جميعهم والمعنى ما يتبع اكثرهم في اعتقادهم في الله وفي صفاته الا ظنا
ليسوا مستبصرين ولا مستندين الى برهان انما ذلك شي تلقفوه من ابايهم والظن في
معرفة الله لا يغني من الحق شيا اي من ادراك الحق ومعرفته على ما هو عليه لانه تجويز
لا قطع وقيل وما يتبع اكثرهم في جعلهم الاصنام الهة واعتقادهم انها تشفع عند الله
وتقرب اليه وقرا عبد الله تفعلون بالتا على الخطاب التفاتا والجملة تضمنت التهديد
والوعيد على اتباع الظن وتقليد الابا وقيل نزلت في رؤسا اليهود وقريش وما كان
هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين لما تقدم قولهم ايت بقران غير هذا او بدله وكان من قولهم
انه افتراه قال تعالى وما كان هذا القران ان يفترى اي ما صح ولا استقام ان يكون هذا
القران المعجز مفترى والاشارة بهذا فيها تفخيم المشار اليه وتعظيمه وكونه جامعا
للاوصاف التي يستحيل وجودها فيه ان يكون مفترى والظاهر ان ان يفترى هو خبر
كان اي افتراء اي ذا افترا او مفترى ويزعم بعض النحويين ان ان هذه هي المضمرة
بعد لام الجحود في قولك ما كان زيد ليفعل وانه لما حذفت اللام ظهرت ان وان اللام
وان يتعاقبان فحيث جي باللام لم تات ان بل تقدر وحيث حذفت اللام ظهرت
ان والصحيح انهما لا يتعاقبان وانه لا يجوز حذف اللام واظهار ان اذ لم يقم دليل
على ذلك وعلى زعم هذا الزاعم لا يكون ان يفترى خبرا لكان بل الخبر محذوف
وان يفترى معمول لذلك الخبر بعد اسقاط اللام ووقعت لكن هنا احسن موقع
اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق والذي بين
يديه الكتب الالهية المتقدمة قاله ابن عباس كما جا مصدقا لما معكم وعن الزجاج
الذي بين يديه اشراط الساعة ولا يقوم البرهان على قريش الا بتصديق القران
ما في التوراة والانجيل مع ان الاتي به قالوا اساطير الاولين ولم يعرفوا ان المقصود
منها ليس نفس الحكاية بل قدرته تعالى على التصرف في هذا العالم ونقله اهله
من عز الى ذل ومن ذل الى عز وبفنا الدنيا فيعتبر بذلك وان ذلك القصص بوحي
من الله اذ اعلم بذلك على لسان رسوله من غير تحريف مع كونه لم يتعلم ولم يتتلمذ
الثاني كلما سمعوا حروف التهجي ولم يفهموا منها شيا ساء ظنهم وقد اجاب الله بقوله
منه ايات بينات الاية الثالث ظهور القران شيا فشيا فساء ظنهم وقالوا لولا نزل عليه
القران جملة واحدة وقد اجاب تعالى وشرح في مكانه الرابع القران مملو من الحشر
وكانوا الفوا المحسوسات فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فبين الله صحة المعاد
بالدلايل الكثيرة الخامس انه مملو من الامر بالعبادات وكانوا يقولون اله العالم
غني عن طاعتنا وهو اجل ان يامرنا بما لا فايدة له فيه واجاب تعالى بقوله ان احسنتم
الاية وبالجملة فشبه الكفار كثيرة فلما راوا القران مشتملا على امور ما عرفوا حقيقتها
ولا اطلعوا على وجه الحكمة فيها كذبوا بالقران فقوله بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى
عدم علمهم بهذه الاشيا وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى عدم جدهم واجتهادهم
في طلب اسرار ما تضمنه القران انتهى ملخصا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى التوقع

في قوله تعالى ولما ياتهم تاويله ثلث معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل
التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآبا وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم
بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجا بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا بعد علو
شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن
مثله فكذبوا به بغيا وحسدا انتهى ويحتاج كلامه هذا الى نظر وقال ايضا ويجوز ان
يكون المعنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي
عاقبته حتى يتبين لهم اكذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز
نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا
في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه
انتهى وبغيت جملة الاحاطة بلم وجملة اتيان التاويل بلما ويحتاج في ذلك الى فرق
والكاف في موضع نصب اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر
في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآبا وعاندوا
قال ابن عطية قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان لا يجوز ان يعمل فيه
انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف
في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد ولكيف تصرفات غير هذا
تحل محل المصدر الذي هو كيفية وينخلع معنى الاستفهام ويحتمل هذا الموضع ان
يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري كيف كان بدو الوحي
فانه لم يستفهم انتهى وقول الزجاج لا يجوز ان تعمل فيه انظر وتعليله يريد لا يجوز ان
تعمل فيه انظر لفظا لكن الجملة في موضع نصب لانظر لان انظر معلقة وهو من نظر
القلب وقول ابن عطية هذا قانون النحويين الى اخر تعليله ليس كما ذكر بل لكيف
معنيان احدهما الاستفهام المحض وهو سوالها عن الهيبة الا ان تعلق عنها العامل هو
لمعناها معنى الاسما التي يستفهم بها اذا علق عنها العامل والثاني الشرط لقول العرب
كيف تكون اكون وقوله ولكيف تصرفات الى اخره ليس كيف يحل محل المصدر ولا لفظ
كيفيه هو مصدر وانما ذلك نسبة الى كيف وقوله ويحتمل ان تكون هذا الموضع منها ومن
تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل ان يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذي ذكر
من كون كيف بمعنى كيفية وادعا مصدر كيفيه واما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى
كيفيه وانما هي شرطية وهو المعنى الثاني الذي لها وجوابها محذوف التقدير كيف
شئت فكن كما تقول قم متى شئت فمتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف
تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان اسا
اليك التقدير ان اسا اليك فاضربه وحذف فاضربه لدلالة اضرب المتقدم عليه
واما قول البخاري كيف كان بدو الوحي فاجاب بالحديث الذي فيه كيفيه ذلك الى الظالمين
الظاهر انه اريد به الذين من قبلهم ويحتمل ان يراد به من عاد عليه ضمير بل كذبوا
ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وربك اعلم بالمفسدين الظاهر انه اخبار بان من
كفار قريش من سيومن به وهو من سبقت له السعادة ومنهم من لا يومن به فيوافي على
الكفر وقيل هو تقسيم في الكفار الباقين على كفرهم فمنهم من يومن به باطنا ويعلم انه حق
ولاكنه كذب عنادا ومنهم من لا يومن به لا باطنا ولا ظاهرا اما لسرعة تكذيبه وكونه لم
يتدبره واما لكونه نظر فيه فعارضته الشبهات وليس عنده من الفهم ما يدفعها وفيه تفريق
كلمة الكفار وانهم ليسوا مستوين في اعتقاداتهم بل هم مضطربون وان شملهم التكذيب
والكفر وقيل الضمير في ومنهم عايد على اهل الكتاب والظاهر عوده على من عاد عليه ضمير
ام يقولون وتعلق العلم بالمفسدين وحدهم تهديد عظيم لهم وان كذبوك فقل لي عملي
ولكم عملكم انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون اي وان تمادوا على تكذيبك فتبرا منهم قد
اعذرت وبلغت كقوله فان عصوك فقل اني بري مما تعملون ومعنى لي عملي اي جزا عملي ولكم
جزا عملكم ومعنى عملي اي الصالح المشتمل على الايمان والطاعة ولكم عملكم المشتمل على الشرك والعصيا

والظاهر انها اثر ما بدا ذلهم وموادعة وضمنها الوعيد كقوله قل يا ايها الكافرون السورة
وقيل المقصود بذلك استمالتهم وتاليف قلوبهم وقال قوم منهم ابن زيد هي منسوخة
بالقتال لانها مكية وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل قال المحققون ليست بمنسوخة
ومدلولها اختصاص كل واحد بافعاله وثمراتها من الثواب والعقاب ولم ترفع اية
السيف شيا من هذا وبدا في المامور بقوله لي عملي لانه آكد في الانتفا منهم وفي البراة
بقوله انتم بريون مما اعمل لان هذه الجملة جات كالتوكيد والتتميم لما قبلها فناسب
ان تلي قوله ولكم عملكم ولمراعاة الفواصل اذ لو تقدم ذكر برآته كما تقدم ذكر لي عملي
لم تقع الجملة فاصلة اذ كان يكون التركيب وانتم بريون مما اعمل ومنهم من يستمعون
اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي
العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون
قال ابن عباس نزلت الايتان في النضر بن الحارث وغيره من المستهزئين وقال
ابن الانباري في قوم من اليهود انتهى وهذه الاية فيها تقسيم من لا يومن من الكفار
الى هذين القسمين بعد تقسيم المكذبين الى من يومن ومن لا يومن والضمير
في يستمعون عايد على معنى من والعود على المعنى دون العود على اللفظ في الكثرة
وهو كقوله ومن الشياطين من يغوصون له والمعنى من يستمعون اليك اذا قرات
القران وعلمت الشرايع ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله افانت تسمع الصم اي
هم وان استمعوا اليك صم عن ادراك ما تلقيه عليهم ليس لهم وعي ولا قبول ولا سيما
قد انضاف الى الصمم انتفا العقل فحري بمن عدم السمع والعقل ان لا يكون له ادراك
لشي البتة بخلاف ان لو كان الاصم عاقلا فانه يتعقل ويهتدي الى اشيا واعاد في قوله
ومنهم من ينظر اليك الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الاكثر في لسان العرب
والمعنى انهم عمي فلا تقدر على هدايتهم لان السبب الذي يهتدى به الى روية الدلايل
قد فقد وهو هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة اذ من كان اعمى فانه يهتدي بـ
نور بصيرته الى اشيا بالحدس وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه
مبالغة عظيمة في انتفا قبول ما يلقى اليهم الا انهم جمعوا بين الصمم وانتفا العقل
وبين العمى وفقد البصيرة وقوله افانت تسمع تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وانه لا يكترث بعدم قبولهم فان الهداية انما هي لله قال ابن عطية جا ينظر على
لفظ من واذا جا الفعل على لفظها فجايز ان يعطف عليه اخر على المعنى واذا جا اولا
على معناها فلا يجوز ان يعطف باخر على اللفظ لان الكلام يلتبس حينيذ انتهى
وليس كما قال بل يجوز ان تراعي المعنى اولا فتعيد الضمير على حسب ما تريد من المعنى
من تانيث وتثنية وجمع ثم تراعي اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفي ذلك
تفصيل ذكر في علم النحو والمقصود من الايتين اعلامه عليه السلام بان هولا
الكفار قد انتهوا في النفرة والعداوة والبغض الشديد في رتبة من لا ينفع فيه
علاج البتة لان من كان اصم احمق واعمى فاقد البصيرة لا يمكن ذلك ان يقف
على محاسن الكلام وما انطوى عليه من الاعجاز ولا يمكن هذا ان يرى ما اجرى الله على
يدي رسوله من الخوارق فقد ايس من هداية هولا وقال الشاعر • واذا خفيت
على المعنى فعاذر ان لا تراني مقلة عميا • ولما ذكر تعالى هولا الاشقيا ذكر تعالى
انه لا يظلمهم شيا اذ قد ازاح عللهم ببعثة الرسل وتحذيرهم من عقابه ولكن هم
ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب واحتمل هذا النفي للظلم ان تكون في الدنيا
اي لا يظلمهم شيا من مصالحهم واحتمل ان تكون في الاخرة وان ما يلحقهم من العقاب
هو عدل منه لانهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدر تعالى عليهم لا
يسال عما يفعل وتقدم خلاف القرا في ولكن الناس من تشديد النون ونصب
الناس وتخفيفها والرفع ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقا الله وما كانوا مهتدين قرا الاعمش وحفص

يحشرهم بالياء راجعا الضمير غائبا عائدا على الله ان تقدم ان الله لا يظلم الناس
شيئا ولما ذكر اوليك لا يستغيبا اتبعه بالوعيد ووصف حالهم يوم القيامة والمعنى
كان لم يلبثوا في الدنيا او في القبور يعني تقليل لبثهم وذلك لهول ما يعاينون من
شدائد القيامة او لطول يوم القيامة ووقوفهم للحساب قال ابن عباس راوا ان
طول اعمارهم في مقابلة الخلود كساعة قال ابن عطية ويوم ظرف ونصبه يصح بفعل
مضمر تقديره واذكر ويصح ان ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار ويصح نصبه بيتعارفون والكاف من قوله كان يصح ان تكون في موضع
الصفة لليوم ويصح ان يكون في موضع نعت للمصدر كانه قال ويوم يحشرهم حشرا
كان لم يلبثوا ويصح ان يكون قوله كان لم يلبثوا في موضع الحال من الضمير في يحشرهم
انتهى اما قوله ويصح ان ينتصب بالفعل الذي يتضمنه كان لم يلبثوا فانه كلام
مجمل لم يبين الفعل الذي يتضمن كان لم يلبثوا ولعله اراد ما قاله الحوفي من ان الكاف
في موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى فيكون التقدير ويوم
يحشرهم يسرعون كان لم يلبثوا واما قوله والكاف من قوله كان يصح ان تكون
في موضع الصفة لليوم فلا يصح لان يوم يحشرهم معرفة والجمل نكرات ولا ينعت
المعرفة بالنكرة لا يقال ان الجمل التي يضاف اليها اسما الزمان نكرة على الاطلاق
لانها ان كانت في التقدير تنحل الى معرفة فان ما اضيف اليها يتعرف وان
كانت تنحل الى نكرة كان ما اضيف اليها نكرة تقول مررت في يوم قدم زيد الماضي
فتصف يوم بالمعرفة وجيت ليلة قدم زيد المباركة علينا وايضا فكان لم يلبثوا
لا يمكن ان تكون صفة لليوم من جهة المعنى لان ذلك من وصف المحشورين لا من
وصف يوم حشرهم وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف يربط تقديره كان لم يلبثوا
قبله فحذف قبله اي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز فالظاهر انها
جملة حالية من مفعول يحشرهم كما قاله ابن عطية اخرا وكذا اعربه الزمخشري
وابو البقا قال الزمخشري فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف
موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف يعني فتكون حالا واما ان يكون مبينة لقوله
كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا انتهى
وقال الحوفي يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا وهو
العامل كانه قال متعارفين المعنى اجتمعوا متعارفين وجوز ان تكون حالا من الهاء
والميم في يحشرهم وهو العامل انتهى واما قول ابن عطية ويصح ان يكون في موضع نصب
للمصدر كانه قال ويوم يحشرهم حشرا كان لم يلبثوا فقد حكاه ابو البقا فقال
وقيل هو نعت لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله انتهى وقد ذكرنا ان حذف
مثل هذا الرابط لا يجوز وجوزوا في يتعارفون ان تكون حالا على ما تقدم ذكره
من الخلاف في ذي الحال والعامل فيها وان يكون جملة مستانفة اخبر تعالى انه
يقع التعارف بينهم وقال الكلبي يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا اذا خرجوا
من قبورهم وهو تعارف توبيخ وافتضاح يقول بعضهم لبعض انت اضللتني
واغويتني وليس تعارف شفقة وعطف ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا اهوال القيامة
كما قال تعالى ولا يسال حميم حميما وقيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من
الخطا والكفر وقال الضحاك تعارف تعاطف المومنين والكافرون لا انساب
بينهم وقيل القيامة مواطن ففي موطن يتعارفون وفي موطن لا يتعارفون والظاهر
ان قوله قد خسر الذين الى اخره جملة مستانفة فيه اخبر تعالى بخسران المكذبين
بلقائه قال الزمخشري هو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وقال ايضا
وابتداء قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك قال ابن عطية
وقيل انه اخبار المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم انتهى وهذا يحتمل ان يكون تقول

الزمخشري يتعارفون بينهم قائلين ذلك وان تكون كقول غيره يحشرهم قائلين قد
خسر فاحتمل هذا المقدر ان تكون معمولا ليتعارفون وان يكون معمولا ليحشرهم
وينبه على العلة الموجبة للخسران وهو التكذيب بلقاء الله وما كانوا مهتدين الظاهر
انه معطوف على قوله قد خسر فيكون من كلام المحشورين اذا قلنا ان قوله قد
خسر من كلامهم اخبروا عن انفسهم بخسرانهم في الاخرة وبانتفاء هدايتهم في الدنيا
ويحتمل ان يكون معطوفا على صلة الذين اي كذبوا بلقاء الله وانتفت هدايتهم في الدنيا
ويكون الجملة كالتوكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله هو غير مهتد وقيل وما
كانوا مهتدين الى الغاية في مصالح التجارة وقيل للايمان وقيل في علم الله بل هم ممن حتم
ضلاله فيهم وقضى به واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون اما هي ان الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولاجلها
جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز انتهى يعني ان دخول النون
للتاكيد انما يكون مع زيادة ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام س
قال ان حرف [illegible] اجاز س الاتيان بما وان لا يوتى بها والاتيان بالنون مع ما وان
لا يوتى بها والاراة هنا بصرية ولذلك تعدى الفعل الى اثنين والكاف خطاب
للرسول وبعض الذي نعدهم يعني من العذاب في الدنيا وقد اراه الله انواعا من
عذاب الكفار في الدنيا قتلا واسرا ونهبا للاموال وسبيا للذراري وضرب جزية ه
وتشتيت شمل بالجلا الى غير بلادهم وما يحصل لهم في الاخرة اعظم لانه العذاب
الدايم الذي لا ينقطع والظاهر ان جواب الشرط هو قوله فالينا مرجعهم وكذا قاله
الحوفي وابن عطية قال ابن عطية ومعنى هذه الاية الوعيد بالرجوع الى الله
تبارك وتعالى اي ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى
الحساب والعذاب ثم مع ذلك الله شهيد من اول تكليفهم على جميع اعمالهم فثم
هاهنا لترتيب الاخبار لا لترتيب القصص في انفسها وقال الزمخشري فالينا مرجعهم
جواب نتوفينك وجواب ان نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم
فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريك في الاخرة انتهى فجعل الزمخشري
الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى تقدير جواب محذوف لان قوله فالينا مرجعهم
صالح ان يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وايضا فقول الزمخشري فذاك هو اسم
مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي ان ياتي بجملة يتضح منها جواب
الشرط اذ لا يفهم من قوله فذاك الجز الذي حذف المتحصل به فايدة الاسناد
وقرا ابن ابي عبلة ثم الله بفتح الثا اي هنالك ومعنى شهادة الله على ما يفعلون
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقبهم والا فهو تعالى شهيد
على افعالهم في الدنيا والاخرة ويجوز ان تكون المعنى انه تعالى مود شهادته على
افعالهم يوم القيامة حتى تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة
عليهم ولكل امة رسول فاذا جا رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لما
بين حال الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه بين حال الانبيا عليهم السلام مع اقوامهم
تسلية له وتطمينا لقلبه ودلت الاية على انه تعالى ما اهمل امة بل بعث اليها رسولا
كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله فاذا جا رسولهم اما ان تكون اخبارا
عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى انه بعث الى كل امة رسولا
يدعوهم الى دين الله وينبههم على توحيده فلما جاءهم بالبينات كذبوه فقضى بينهم
اي بين الرسول وامته فانجى الرسول وعذب المكذبون واما ان يكون على حالة مستقبلة
اي فاذا جا رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضي بينهم اي بين الامة بالعدل
فصار قوم الى الجنة وقوم الى النار فهذا هو القضا بينهم قاله مجاهد وغيره ويكون
كقوله تعالى وجي بالنبيين والشهدا وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين الضمير في ويقولون عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر

استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد وعلى سبيل الاستخفاف ولذلك
قالوا ان كنتم صادقين اي لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شي منه وقوله هذا
ليشهد للقول الاول في الاية قبلها وانما حكاية حال ماضية وان معنى ذلك فاذا جاء هم
الرسول وكذبوه قضي بينهم في الدنيا وان كل رسول وعد امته بالعذاب في الدنيا انتهى
كذبت قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شا الله لكل امة اجل اذا جا اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لما التمسوا تعجيل العذاب او تعجيل الساعة امره
عليه السلام ان يقول لهم ليس ذلك الي بل ذلك الى الله تعالى واذ كنت لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا فكيف املكه لغيري او كيف اطلع على ما لم يطلعني عليه الله ولكن لكل امة اجل
انفرد بعلمه تعالى وتقدم الكلام على نظير قوله لكل امة اجل الى اخر الاية في الاعراف
وقرا ابن سيرين اجالهم على الجمع والا ما شا الله ظاهره انه استثنا متصل الا ما شا الله
ان املكه واقدر عليه وقال الزمخشري هو استثنا منقطع اي ولكن ما شا الله من ذلك
كاين فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ولكل امة اجل اي ان عذابكم له اجل مضروب
عند الله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا
ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون تقدم الكلام في ارايتم في سورة الانعام
وقررنا هنالك ان العرب تضمن ارايت معنى اخبرني وانها تتعدى اذ ذاك الى مفعولين
وان المفعول الثاني اكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدا وخبر
كقول العرب ارايت زيدا ما صنع المعنى اخبرني عن زيد ما صنع وقبل دخول ارايت
كان الكلام زيد ما صنع واذا تقرر هذا فارايتم هنا المفعول الاول لها محذوف
والمسالة من باب الاعمال تنازع ارايت وان اتاكم على قوله عذابه فاعمل الثاني اذ هو المختار
على مذهب البصريين وهو الذي ورد به السماع اكثر من اعمال الاول فلما اعمل الثاني حذف
من الاول ولم يضمر لان اضماره مختص بالشعر وقليل في الكلام على اختلاف النحويين
في ذلك والمعنى قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب الله ان اتاكم اي شي يستعجلون منه وليس
شي من العذاب يستعجله عاقل اذ العذاب كله مر المذاق موجب لنفار الطبع منه فتكون
جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبيه لهم ان العذاب لا ينبغي ان يستعجلوه
ويجوز ان تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب اي اي شي شديد يستعجلون
منه اي ما اشد واهول ما يستعجلون من العذاب وقال الحوفي الروية من روية القلب
التي بمعنى العلم لانها داخلة على الجملة من الاستفهام ومعناها التقرير وجواب الشرط
محذوف وتقدير الكلام ارايتم ما يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه انتهى
نقلا من كلام الحوفي ان ارايتم باقية على موضوعها الاول لم تضمن معنى اخبروني وانها
بمعنى اعلمتم وان جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين وانه استفهام معناه التقرير
ولم يبين الحوفي ما يقدر جواب الشرط المحذوف وقال الزمخشري فان قلت
بم يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني
ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا
الخطا فيه انتهى وما قدره الزمخشري غير سايغ لانه لا يقدر الجواب الا مما تقدمه لفظا
او تقديرا تقول انت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك وانا ان شا
الله لمهتدون التقدير ان شا الله نهتد فالذي يسوغ ان يقدر ان اتاكم عذابه
فاخبروني ماذا يستعجل وقال الزمخشري ويجوز ان تكون ماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان انتهى اما
تجويزه ان يكون ماذا جوابا للشرط فلا يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد
فيه من الفا تقول ان زارنا فلان فاي رجل هو وان زارنا فلان فاي يد له بذلك ولا
يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة والمثال الذي ذكره وهو ان اتيتك ما تطعمني هو من
تمثيله لا من كلام العرب واما قوله ثم يتعلق الجملة بارايتم ان عنى بالجملة ماذا يستعجل
فلا يصح ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو

ارايتم بمعنى اخبرني واخبرني تطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول
اخبرني واما تجويزه ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه
المجرمون اعتراضا فلا يصح ايضا لما ذكرناه من ان جملة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط الا
ومعها الفا الجواب وايضا فثم هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة التي بعدها على ما قبلها
فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح ان تقع جواب شرط وايضا فا
رايتم بمعنى اخبرني تحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه وتقدم الكلام في قوله
بياتا في الاعراف مدلولا واعرابا والمعنى ان اتاكم عذابه وانتم ساهون غافلون اما بنوم
واما باشتغال بالمعاش والكسب وهو نظير قوله لعلهم ان العذاب اذا فاجا من غير
شعور به كان اشد واصعب بخلاف ان يكون قد استعد له وتهيا لحلوله وهذا
كقوله تعالى بياتا وهم نايمون ضحى وهم يلعبون ويجوز في ماذا ان يكون ما مبتدا
وذا خبره وهو بمعنى الذي ويستعجل صلته وحذف الضمير العايد على الموصول
التقدير اي شي يستعجله من العذاب المجرمون ويجوز فيما ذا ان تكون كلها مفعولا كانه
قيل اي شي يستعجل من العذاب المجرمون وقد جوز بعضهم ان يكون ماذا كله مبتدا
وخبره الجملة بعده وضعفه ابو علي لخلو الجملة من ضمير يعود على المبتدا والظاهر
عود الضمير في منه على العذاب وبه يحصل الربط لجملة الاستفهام بمفعول ارايتم المحذوف
الذي هو مبتدا في الاصل وقيل يعود على الله تعالى والمجرمون هم المخاطبون في قوله
ارايتم ان اتاكم ونبه على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق
المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا فكيف يستعجله
وثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفا في افلم
يسيروا اولم يسيروا وتقدم الكلام على ذلك وخلاف الزمخشري للجماعة في
دعواه ان بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت عليها الجملة التي
بعد حرف العطف وقال الطبري في قوله اثم بضم الثا ان معناه اهنالك قال وليست
ثم هذه التي تاتي بمعنى العطف انتهى وما قاله الطبري من ان ثم هنا ليست للعطف
دعوى واما قوله ان المعنى هنالك فالذي ينبغي ان يكون تفسير معنى لا ان ثم المضموم
الثا معناها معنى هنالك وقرا طلحة بن مصرف اثم بفتح الثا وهذا يناسب تفسير
الطبري اهنالك وقرا الجمهور الان على الاستفهام بالمد وكذا الان وقد عصيت وقرا
طلحة والاعرج بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على اضمار القول اي قيل لهم اذ امنوا
بعد وقوع العذاب الان امنتم به فالناصب لقوله الان هو امنتم به وهو محذوف
قيل تقول لهم ذلك الملايكة وقيل الله والاستفهام على طريق التوبيخ وفي كتاب
اللوامح عيسى البصرة وطلحة امنتم به الان بوصل الهمزة من غير استفهام بل على
الخبر فيكون نصبه على الظرف من امنتم به المذكور واما في العامة فنصبه بفعل مضمر
يدل عليه امنتم به المذكور لان الاستفهام قد اخذ صدر الكلام فيمنع ما قبله ان
يعمل فيما بعده انتهى وقد كنتم جملة حالية قال الزمخشري وقد كنتم به تستعجلون
يعني يكذبون لان استعجالكم كان على جهة التكذيب والانكار وقال ابن عطيه
تستعجلون مكذبين به ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا ما كنتم
تكسبون اي تقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر لا ظلم المعصية لان
من دخل النار من عصاة المومنين لا يخلد فيها وثم قيل عطف على المضمر قبل الان ومن قرا
بوصل الالف لان فهو استيناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة وهل تجزون توبيخ
لهم وتوضيح ان الجزا هو على كسب العبد ويستنبونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما
انتم بمعجزين اي يستخبرونك واحق هو الضمير عايد على العذاب وقيل على الشرع والقران
وقيل على الوعيد وقيل على امر الساعة والجملة في موضع نصب قال الزمخشري
يقولون احق هو تهكم يستنبونك يتعدى الى واحد وقال ابن عطيه معناه يستخبرونك
وهي على هذا تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والاخر في الابتدا والخبر فعلى ما قال

تكون يستنبؤنك معلقة واصل استنبا ان يتعدى الى مفعولين احدهما بعن تقول
استنبات زيدا عن عمرو اي طلبت منه ان ينبئني عن عمرو والظاهر انها معلقة عن المفعول
الثاني قال ابن عطية وقيل هي بمعنى يستعلمونك قال فهي على هذا تحتاج الى مفعولين
ثلاثة احدها الكاف والابتدا والخبر سد مسد المفعولين انتهى وليس كما ذكر
لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قايما
فيكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك
ان يتعدى الى ثلاثة لان استعلم لا يتعدى الى ثلاثة كما ذكرنا وارتفع هو على انه مبتدا وحق
خبره واجاز الحوفي وابو البقاء ان يكون حق مبتدا وهو فاعل به سد مسد الخبر وحق ليس
اسم فاعل ولا مفعول وانما هو مصدر في الاصل ولا يبعد ان يرفع لانه بمعنى ثابت وهذا
الاستفهام منهم على جهة الاستهزا والانكار وقرا الاعمش الحق قال الزمخشري وهو ادخل
في الاستهزا لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق
لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق انتهى وامر تعالى نبيه ان يقول مجيبا لهم قل اي وربي
اي نعم وربي واي تستعمل في القسم خاصة كما تستعمل هل بمعنى قد فيه خاصة قال معناه
الزمخشري قال وسمعتهم يقولون في التصديق اي و فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون
به وحده انتهى ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجية في كلام من لفسد كلام
العرب اذ ذاك وقبله بازمان كثيرة وقال ابن عطية هي لفظة تتقدم القسم وهي
بمعنى نعم ويجي بعدها حرف القسم وقد لا يجي تقول اي وربي واي ربي انتهى وقد كان
يكتفى في الجواب بقوله اي وربي الا انه اكد باظهار الجملة التي كانت تضمر بعد قوله
اي وربي منسوقة موكدة بان واللام مبالغة في التوكيد في الجواب ولما تضمن قولهم
احق هو السوال عن العذاب وكان سوالهم عن العذاب اللاحق بهم لا عن مطلق عذاب يقع
بمن يقع قيل وما انتم بمعجزين اي فايتين العذاب المسول عنه بل هو لاحق بكم واحتملت
هذه الجملة ان تكون داخلة في جواب القسم فتكون معطوفة على الجواب قبلها واحتمل
ان تكون اخبارا معطوفا على الجملة المقولة لا على جواب القسم والمعجز الهمزة فيه للتعدية
كما قال ولن نعجزه هربا لكنه كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب اعجز فلان اذا ذهب
في الارض فلم يقدر عليه وقال الزجاج اي ما انتم ممن يعجز من يعذبكم ولو ان لكل نفس ظلمت
ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا
يظلمون ولما ذكر العذاب واقسم على حقيته وانهم لا يفلتون منه ذكر بعض احوال
الظالمين في الاخرة وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدى ياتي مطاوعا
لفدا فلا يتعدى تقول فديته فافتدى وبمعنى فدا فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما
في الارض اي ما كان لها في الدنيا من الخزاين والاموال والمنافع واسروا من الاضداد
ياتي بمعنى اظهر قال الفرزدق ولما راى الحجاج جرد سيفه اسر الحروري الذي كان اضمرا
وقال اخر ° فاسررت الندامة يوم نادى بردجمال غاضرة المنادي ° وياتي بمعنى اخفى وهو
المشهور فيها كقوله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويحتمل هنا الوجهين اما الاظهار فانه ليس
بيوم تصبر ولا تجلد ولا يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله ولان حاله روية العذاب
يتحسر الانسان على ما فرط واقترف ما اوجبه ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص
من العذاب وقد قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا واما اخفا الندامة فقيل اخفى روساوهم
الندامة من سفلتهم حيا منهم وخوفا من توبيخهم وهذا فيه بعد لان من عاين العذاب
هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحيا وفي التوبيخ الوارد من السفلة وايضا
واسروا عايد على كل نفس ظلمت على المعنى وهو عام في الروسا والسفلة وقيل اخفا الندامة
هو من كونهم بهتوا لرويتهم ما لم يحتسبوه ولا خطر ببالهم ومعاينتهم ما اوهى قواهم فلم يطيقوا
عنده ذلك بكا ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما يعرض
لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكلمة ويبقى مبهوتا جامدا واما من قال ان معنى قوله واسروا
اخلصوا الله في تلك الندامة او بدت بالندامة اسرة وجوههم اي تكاسير جباههم ففيه بعد

عن

عن سياق الاية والظاهر ان قوله وقضي بينهم بالقسط جملة اخبار مستانفة وليست
معطوفة على ما في حيز لما وان الضمير في بينهم عايد على كل نفس ظلمت وقال الزمخشري
بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم انتهى وقيل يعود على المومن والكافر
وقيل على الروسا والاتباع الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن
اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون قيل تعلق هذه الاية بما قبلها
من جهة انه فرض ان للنفس الظالمة لو كان لها ما في الارض لافتدت به وهي لا شي
لها البتة لان جميع الاشيا انما هي باسرها ملك لله تعالى وهو المتصرف فيها اذ له الملك
والملك ويظهر ان مناسبتها لما قبلها انه لما سالوا عما وعدوا به من العذاب احق هو
واجيبوا بانه حق لا محالة وكان ذلك جوابا كافيا لمن وفقه الله تعالى للايمان
كما كان جوابا للاعرابي حين سال الرسول صلى الله عليه وسلم الله ارسلك قوله عليه
السلام تقنع منه باخباره صلى الله عليه وسلم اذ علم انه لا يقول الا الحق
والصدق كما قال هرقل لم يكن ليدع الكذب ويكذب على الله انتقل من هذا
الجواب الى ذكر البرهان القاطع على صحته وتقريره بان القول بالنبوة والمعاد
يتفرعان على اثبات الاله القادر الحكيم وان ما سواه فهو ملكه وملكه فعبر عن
هذا بهذه الاية وكان قد استقصى الدلايل على ذلك في هذه السورة في قوله
ان في اختلاف الليل والنهار الاية وقوله هو الذي جعل الشمس ضيا فاكتفى
هنا عن ذكرها واذا كان جميع ما في العالم ملكه وملكه كان قادرا على كل الممكنات
عالما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن النقايص والافات وبكونه
قادرا على الممكنات كان قادرا على انزال العذاب على الكفار في الدنيا والاخرة وقادرا
على تاييد رسوله بالدلايل واعلا دينه فبطل الاستهزا والتعجيز وبتنزهه عن
النقايص كان منزها عن الخلف والكذب فثبت ان قوله الا ان لله ما في السموات والارض
مقدمة توجب الجزم بصحة قوله الا ان وعد الله حق والكلمة تنبيه دخلت على الجملتين
تنبيها للغافل اذ كانوا مشغولين بالنظر الى الاسباب الظاهرة من نسبة اشيا الى انها
مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف ولذلك قال تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
يعني لغفلتهم عن هذه الدلايل ثم اتبع ذلك بذكر قدرته على الاحيا والاماتة
فيجب ان يكون قادرا على احيايه مرة ثانية ولذلك قال واليه ترجعون فيجزيكم بما وعد
به وقرا الحسن بخلاف عنه وعيسى بن عمر يرجعون بالياء على الغيبة وقرا الجمهور
بالتاء على الخطاب يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور وهدى
ورحمة للمومنين قيل نزلت في قريش الذين سالوا الرسول احق هو فالناس هم كفار
قريش وقال ابن عطية هو خطاب لجميع العالم ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما
ذكر الادلة على الالوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدليل الدال على صحة النبوة
والطريق المودي اليها وهو القران والمتصف بهذه الاوصاف الشريفة هو القران
قال الزمخشري اي قد جاكم كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظة وتنبيه على التوحيد
وهو شفا اي دوا لما في صدوركم من العقايد الفاسدة ودعا الى الحق ورحمة لمن امن به
منكم انتهى ومن ربكم يحتمل ان يتعلق بجاتكم فمن لابتدا الغاية ويحتمل ان يكون في موضع
الصفة اي من مواعظ ربكم فيتعلق بمحذوف فمن للتبعيض وفي قوله من ربكم تنبيه على
انه من عند الله ليس من عند احد قال ابن عطية وجعله موعظة بحسب الناس اجمع
وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين وهذا تقسيم صحيح المعنى اذا تؤول بان وتحرر
انتهى وذكر ابو عبد الله الرازي هنا كلاما كثيرا مما جاريا بما يسمونه حكمة نعلم قطعا
ان العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من الفاظ القران وطول في ذلك وضرب امثلة حسية
يوقف عليها من تفسيره ثم قال اخر كلامه فالحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفا اشارة الى تطهير الارواح عن
العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق

في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى كونهما بالغة في الكمال والاشراق
الى حيث يصير مكمل الناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية
مدلول عليها بهذه الالفاظ القرانية لا يمكن تاخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تاخر ذكره
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال الزمخشري عن ابي
بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب
الله والاسلام فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه انتهى ولو صح هذا الحديث لم يمكن
خلافه قال ابن عباس والحسن وقتادة وهلال بن يساف فضل الله الاسلام والرحمة
القران وقال الضحاك وزيد بن اسلم عكس هذا وقال ابو سعيد الخدري الفضل
القران والرحمة ان جعلهم من اهله وقال ابن عباس فيما روى الضحاك عنه الفضل
العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر الفضل الاسلام والرحمة تزيينه
في القلوب وقال مجاهد الفضل والرحمة القران واختاره الزجاج وقال خالد بن
معدان الفضل القران والرحمة السنة وعنه ايضا ان الفضل الاسلام والرحمة الستر
وقال عمرو بن عثمان فضل الله كشف الغطا ورحمته الرؤية واللقا وقال الحسين
بن فضل الفضل الايمان والرحمة الجنة وقيل الفضل التوفيق والرحمة العصمة
وقيل الفضل نعمه الظاهرة والرحمة نعمه الباطنة وقال الصادق الفضل المغفرة
والرحمة التوفيق وقال ذو النون الفضل الجنان ورحمته النجاة من النيران وهذه
تخصيصات يحتاج الى دليل وينبغي ان يعتقد انها تمثيلات لان الفضل والرحمة اريد
بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه وقال ابن عطية وانما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه
ان الفضل هو هداية الله الى دينه والتوفيق الى اتباع الشرع والرحمة هي عفوه وسكنى
جنته التي جعلها جزا على اتباع الاسلام والايمان ومعنى الاية قل يا محمد لجميع الناس
بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم لا بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فالمومنون
يقال لهم فليفرحوا وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه ومحصلون لفضل الله منتظرون
لرحمته والكافرون يقال لهم بفضل الله وبرحمته فليفرحوا على معنى ان لو اتفق لكم او لو
سعدتم بالهدى ايضا الى تحصيل ذلك انتهى والظاهر ان قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا ثم عطفت الجملة الثانية على الاولى على سبيل التوكيد قال الزمخشري والتكرير
للتقرير والتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة لمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاتكم موعظة
بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا انتهى اما اضمار فليعتنوا فلا دليل
عليه واما تعليقه بقوله قد جاتكم فينبغي ان يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون
متعلقا بجاتكم الاولى للفصل بينهما بقل وقال الحوفي البا متعلقة بما دل عليه المعنى
اي قد جاتكم الموعظة بفضل الله وقيل الفا الاولى زايدة ويكون بذلك بدلا مما
قبله واشير به الى الاثنين الفضل والرحمة وقيل كررت الفا الثانية للتوكيد فعلى
هذا لا تكون الاولى زايدة ويكون اصل التركيب فبذلك ليفرحوا وفي القول قبله
يكون اصل التركيب فبذلك ليفرحوا وفي القول قبله يكون اصل التركيب بذلك
فليفرحوا ولا تنافي بين الامر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين لاختلاف المتعلق فالمامور به هنا الفرح بفضل الله وبرحمته والمنهي هناك
الفرح بجمع الاموال لرياسة الدنيا وارادة العلو بها والفساد والاشر ولذلك جا بعده
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وقبله ان قارون كان
من قوم موسى فبغى عليهم وقوله لفرح فخور جا ذلك على سبيل الذم لفرحه باذاقة النعما
بعد الضرا وياسه وكفرانه للنعما اذا نزعت منه وهذه صفة مذمومة وليس
ذلك من افعال الاخرة وقول من قال انه اذا اطلق الفرح كان مذموما واذا قيد

لم يكن مذموما كما قال فرحين بما اتاهم الله من فضله ليس بظاهر اذ جا مقيدا في الذم
في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وانما يمدح الفرح ويذم بحسب متعلقه
فاذا كان بسبيل ثواب الاخرة واعمال البركات كان محمودا واذا كان بسبيل لذات الدنيا وحطامها
كان مذموما وقرا عثمان بن عفان وابي وانس والحسن وابو رجا وابن هرمز وابن سيرين
وابو جعفر المدني والسلمي وقتادة والجحدري وهلال بن يساف والاعمش وعمرو بن
فايد والعباس بن الفضل الانصاري فلتفرحوا بالتا على الخطاب ورويت عن النبي صلى
الله عليه وسلم قاله صاحب اللوامح وقال وقد جا عن يعقوب كذلك انتهى وقال ابن
عطية وقرا ابي وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن
النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتا فيهما على المخاطبة وهي قراة جماعة
من السلف كثيرة وعن اكثرهم خلاف انتهى والجمهور باليا على امر الغايب وما نقله ابن
عطية ان ابن عامر قرا فليفرحوا بالتا ليس هو المشهور عنه انما قراته في مشهور السبعة
باليا امر الغايب لكنه قرا تجمعون بالتا على الخطاب وباقي السبعة بالتا على الخطاب
وفي مصحف ابي فبذلك فافرحوا وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في امر المخاطب واما
فليفرحوا بالتا فهي لغة قليلة وفي الحديث لتاخذوا مصافكم وقرا ابو التياح والحسن
فليفرحوا بكسر اللام ويدل على ان ذلك اشير به الى واحد عود الضمير عليه موحدا في قوله
هو خير مما تجمعون فالذي ينبغي ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته على انهما شي واحد
عبر عنه باسمين على سبيل التاكيد ولذلك اشير اليه بذلك وعاد الضمير عليه مفردا
وقوله مما تجمعون يعني من حطام الدنيا ومتاعها قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون مناسبة هذه الاية لما قبلها هي انه لما ذكر
تعالى قل يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل
على التحليل والتحريم بين فساد شرايعهم واحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في
ذلك الى وحي وارايتم هنا بمعنى اخبروني وجوزوا في ما انزل ان تكون ما موصولة مفعولا اول
لارايتم والعايد عليها محذوف والمفعول الثاني قوله الله اذن لكم والعايد على المبتدا من
الخبر محذوف تقديره الله اذن لكم فيه وكرر قل قبل الخبر على سبيل التوكيد وان تكون
ما استفهامية منصوبة بانزل قاله الحوفي والزمخشري وقيل ما استفهامية مبتداة والضمير
من الخبر محذوف تقديره الله اذن لكم فيه اوبه وهذا ضعيف لحذف هذا العايد وجعل
ما موصولة هو الوجه لان فيه ابقا ارايت على بابها من كونها تتعدى الى الاول فتوثر فيه
بخلاف جعلها استفهامية فان ارايت اذ ذاك تكون معلقة وتكون ما قد سدت مسد المفعولين
والظاهر ان ام متصلة والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون
ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ثم نبه بتوقيفهم على احد القسمين وهم
لا يمكنهم ادعا اذن الله في ذلك فثبت افتراوهم وقال الزمخشري ويجوز ان تكون الهمزة للانكار
وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافترا انتهى وانزل هنا قيل معناه خلق
كقوله وانزلنا الحديد وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل انزل على بابها وهو على
حذف مضاف اي من سبب رزق وهو المطر وقال ابن عطية انزل لفظة فيها تجوز وانزاله الرزق
اما ان تكون في ضمن انزال المطر بالمال ونزول الامر به الذي هو ظهور الاثر في المخلوق منه المخترع
والمجعول حراما وحلالا قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة
والحام وقال الضحاك هو اشارة الى قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم
لا يشكرون ما استفهامية مبتداة خبرها ظن والمعنى اي شي ظن المفترين يوم القيامة
ابهم الامر على سبيل التهديد به والايعاد يوم يكون الجزا بالاحسان والاساة ويوم منصوب
بظن ومعمول الظن قيل تقديره ما ظنهم ان الله فاعل بهم اينجيهم ام يعذبهم وقرا عيسى
بن عمر وما ظن جعله فعلا ماضيا اي اي ظن ظن الذين يفترون فما في موضع نصب على
المصدر وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر تقول ما تضرب زيدا تريد اي ضرب تضرب

زيدا او قال الشاعر • ماذا يخبر ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بوسى لمن رقدا
وجي بلفظ ماضيا لانه كاين لا محالة فكانه قد كان والاولى ان تكون ظن في معنى يظن لكونه
عاملا في يوم القيامة وهو ظرف مستقبل وفضله تعالى على الناس حيث انعم عليهم ورحمهم
فارسل اليهم الرسل وفصل لهم الحلال والحرام واكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان
وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر جملة من احوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم
ومحاورة الرسول لهم وذكر فضله تعالى على الناس وان اكثرهم لا يشكرونه على فضله ذكر
تعالى اطلاعه على احوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم وتلاوة القران عليهم وانه تعالى
عالم بجميع اعمالهم وبحال الرسول معهم في مجاهدته لهم واستطرد من ذلك الى ذكر اوليا
الله تعالى ليظهر التفاوت بين الفريقين فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب في
قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلو للرسول صلى الله عليه وسلم وهو عام لجميع شوونه
عليه السلام وما تتلو مندرج تحت عموم شان

بياض

واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شان وما في الجملتين نافية والضمير في منه عايد
على شان ومن قران تفسير للضمير وخص من العموم لان القران هو اعظم شوونه عليه السلام
وقيل يعود على التنزيل وفسر بالقران لان كل جزء منه قران واضمر قبل الذكر على سبيل
التفخيم له وقيل يعود على الله تعالى اي وما تتلو من عند الله من قران والخطاب في قوله
ولا تعملون عام وكذا الا كنا عليكم شهودا وولي الا هنا الفعل غير مصحوب بقد لانه قد
تقدم الا فعل والجملة بعد الا حال وشهودا رقبا تحصي عليكم واذ معمولة لقوله
شهودا ولما كانت الافعال السابقة المراد بها الحالة الدايمة وتنسحب على الافعال
الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت في شان وما تلوت من قران ولا
عملتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ افضتم فيه واذ تخلص المضارع لمعنى الماضي ولما
كان قوله الا كنا عليكم شهودا فيه تحذير وتنبيه عدل عن خطابه صلى الله عليه وسلم
الى خطاب امته بقوله ولا تعملون من عمل وان كان الله شهيدا على اعمال الخلق كلهم
وتفيضون تخوضون او تنشرون او تدفعون او تنهضون او تاخذون او تنقلون
او تتكلمون او تسعون اقوال متقاربة كقوله الا من ظلم الا الذين ظلموا منهم انتهى
وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع الا موضع الواو وتقدم الكلام
على قوله الا الذين ظلموا منهم وسياتي على قوله الا من ظلم ان شا الله تعالى الا ان اوليا
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اوليا الله هم الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا
يتقون وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن اوليا الله فقال
هم الذين يذكرون الله برويتهم يعني السمت والهيبة وعن ابن عباس الاخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله قال ابن عطية وهذه الاية يعطي ظاهرها ان
من امن واتقى فهو داخل في اوليا الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وانما
نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى وانما
قال حذرا من مذهب الصوفية لان بعضهم نقل عنه ان الولي افضل من النبي وهذا
لا يكاد يخطر في قلب مسلم ولابن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره نعوذ بالله
منه وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا
ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله ومن
هم قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون والذين يحتمل
ان يكون منصوبا على الصفة قاله الزمخشري او على البدل قاله ابن عطية او باضمار

امدح

امدح ومرفوعا على اضمارهم او على الابتدا والخبر لهم البشرى واجاز الكوفيون رفعه
على موضع اوليا نعتا او بدلا واجيز فيه الخبر بدلا من ضمير عليهم وفي قوله وكانوا يتقون
اشعار بمصاحبتهم للتقوى مدة حياتهم فحالهم في المستقبل كحالهم في الماضي وبشراهم في
الحياة الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرويا الصالحة يراها
المومن او ترى له فسرها بذلك وقد سيل وعنه في صحيح مسلم لم يبق من المبشرات الا الرويا
الصالحة وقال قتادة والضحاك هي ما يبشر به المومن عند موته وهو حي عند المعاينة
وقيل هي محبة الناس والذكر الحسن وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعمل
العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المومن وعن عطا لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملايكة بالرحمة قال تعالى تتنزل عليهم الملايكة الاية قال ابن عطية ويصح ان
تكون بشرى الدنيا في القران من الايات المبشرات ويقوي ذلك قوله في هذه الاية لا تبديل
لكلمات الله وان كان ذلك كله يعارضه قول النبي صلى الله عليه وسلم هي الرويا الا ان قلنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم اعطى مثالا من البشرى وهي تعم جميع البشر وبشراهم في الاخرة
تلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالنور والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
واعطا الصحف بايمانهم وما يقروون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات
الله اي لا تغيير لاقواله ولا خلف في مواعيده كقوله ما يبدل القول لدي والظاهر ان
ذلك اشارة الى التبشير والبشرى في معناه قال الزمخشري وذلك اشارة الى كونهم
مبشرين في الدارين وقال ابن عطية اشارة الى النعيم الذي وقعت به البشرى ولا
يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في
الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن وان هم الا
يخرصون اما ان يكون قولهم اريد به بعض افراده وهو التكذيب والتهديد به وما
يتشاورون به في امر الرسول فيكون من اطلاق العام واريد به الخاص واما ان تكون
كما حذفت منه الصفة المخصصة اي قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استانف
بقوله ان العزة لله جميعا اي لا عزة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون لك على شي ولا يوذونك
ان الغلبة والقهر لله وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعارضه شي ولا يغالبه وكان
قايلا قال لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن فقيل ان العزة لله جميعا ليس لهم
منها شي وقرا ابو حيوة ان العزة بفتح الهمزة وليس معمولا لقولهم لان ذلك لا يحزن
الرسول اذ هو قول حق وخرجت هذه القراة على التعليل اي لا يقع منك حزن لما يقولون
لاجل ان العزة لله جميعا ووجهت ايضا على ان تكون ان العزة بدلا من قولهم ولا
يظهر هذا التوجيه قال الزمخشري ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو
تخريجه لا ما انكره من القراة وقال القاضي فتحها شاذ يقارب الكفر واذا كسرت
كان استينافا وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح ان في
هذا الموضع وهو كفر وغلو وانما قال القاضي وابن قتيبة ذلك بنا منهما على ان
ان معمولة لقولهم وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح هو السميع
لما يقولون العليم لما يدبرون وفي هذه الاية تامين للرسول من اضرار الكفار و
ان الله تعالى يديله عليهم وينصره كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا
وقال الاصم كانوا يتعززون بكثرة خدمهم واموالهم فاخبر انه قادر على ان يسلب
منهم ملك الاشيا وان ينصرك وينقل اليك اموالهم وديارهم انتهى ولا تنافي بين
قوله ان العزة لله جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين لان عزتهم انما هي
بالله فهي كلها لله الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون المناسبة ظاهرة في هذه الاية
لما ذكر ان العزة له تعالى وهي القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات
ملكا له تعالى ومن للاعمل وفيما ان تكون للعقلا وهنا هي شاملة لهم ولغيرهم على
حكم التغليب وحيث جي بما كان تغليبا للكثرة اذ اكثر المخلوقات لا تعقل وقال الزمخشري

دونو

يعني العقلاء المميزين وهم الملايكة والثقلان وانما خصهم ليوذن انهم اذا كانوا
له في ملكه فهم عبيد كلهم لا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما دونهم
مما لا يعقل احق ان لا يكون ندا او شريكا ويدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي
فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر والظاهر
ان ما نافية وشركا مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره الهة او شركا
واي ان الذين جعلوهم الهة واشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركا حقيقة اذ الشركة
في الالوهية مستحيلة وان كانوا قد اطلقوا عليهم اسم الشركا وجوزوا ان تكون ما استفهاما
في موضع نصب بيتبع وشركا منصوب بيدعون اي واي شي يتبع على تحقير المتبع كانه قيل
من يدعو شريكا لله لا يتبع شيا واجاز الزمخشري ان تكون ما موصولة عطفا على من والعايد
محذوف اي والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركا اي وله شركا وهم واجاز غيره
ان تكون ما موصولة في موضع رفع على الابتدا والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون
باطل وقرا السلمي تدعون بالتا على الخطاب قال ابن عطية وهي قراة غير متجهة وقال
الزمخشري وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتا ووجهه ان يحمل وما يتبع على
الاستفهام اي واي شي يتبع الذين تدعونهم شركا من الملايكة والنبيين يعني انهم
يتبعون الله تعالى ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى اولئك الذين
تدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة انتهى وان نافية اي ما يتبعون الا ظنهم انهم شركا
ويخرصون يقدرون ومن قرا تدعون بالتا كان قوله ان يتبعون التفاتا اذ هو خروج
من خطاب الى غيبة هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده فهو المستحق
لان يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه ما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره
بالنهار واضاف الابصار الى النهار مجازا لان الابصار يقع فيه كما قال • ونمت وما ليل المطي
بنايم • اي يبصرون فيه مطالب معايشهم وقال قطرب يقال اظلم الليل صار ذا ظلمة
واضا النهار وابصر اي صار ذا ضيا وبصر انتهى وذكر علة خلق الليل وهي قوله لتسكنوا
فيه وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوف يدل
على مقابله والتقدير جعل الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم
وما يحتاجون اليه بالحركة ومعنى يسمعون سماع معتبر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو
الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا
تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون الضمير في قالوا عايد على من نسب
الى الله الولد ممن قال الملايكة بنات الله او عزير ابن الله او المسيح ابن الله وسبحانه
تنزيه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك هو الغني علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد
انما تكون للحاجة اليه والله تعالى غير محتاج الى شي فالولد منتف عنه وكل ما في السموات
والارض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد وان نافية والسلطان الحجة اي ما عندكم من حجة
بهذا القول قال الحوفي وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي تعلق به الظرف
وتبعه الزمخشري فقال الباحفها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا
للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان وقال
ابو البقا وبهذا متعلق بسلطان او نعت له واتقولون استفهام انكار وتوبيخ لمن اتبع
ما لا يعلم ويحتج بذلك في ابطال التقليد في اصول الدين واستدل بها نفاة القياس
واخبار الاحاد ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقايله فذلك جهل وليس بعلم والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل من
نسب الى الله الولد ومن قال في الله وفي صفاته قولا بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفا
الافلاح ولما نفى تعالى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من افلاحهم في الدنيا لحظوظ فيها من
مال وجاه وغير ذلك قيل متاع قليل جواب على تقدير سوال كان قايله قال كيف لا يفلحون

وهم في الدنيا مفلحون بانواع مما يتلذذون به فقيل ذلك متاع في الدنيا ولهم متاع
في الدنيا زايل لا بقا له ثم يلقون الشقا المويد في الاخرة لغت عنقز لواما وصرفهما وقال
الازهري لغت الشي وتلده لواه وهذا من المقلوب انتهى ومطاوع لغت التفت وقيل التفت
واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى
الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون
لما ذكر تعالى الدلايل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار ذكر قصصا
من قصص الانبيا وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم وليتاسى بمن قبله من الانبيا فيخف عليه ما يلقى منهم من التكذيب وقلة الاتباع
وليعلم المتلو عليهم هذا القصص عاقبة من كذب الانبيا وما منح الله نبيه من العلم بهذا
القصص وهو لم يطالع كتابا ولا صحب عالما وانها طبق ما اخبر به فدل ذلك على ان
الله اوحاه اليه واعلمه به وانه نبي لا شك فيه والضمير في عليهم عايد على اهل مكة الذين
تقدم ذكرهم وكبر معناه عظم مقامي اي طول مقامي فيكم او قيامي للوعظ كما يحكى عن
عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قايما وهم قعود وكقيام الخطيب ليسمع
الناس وليروه او لنسب ذلك الى المقام والمراد نفسه كما يقول فعلته لمكان فلان
وفلان ثقيل الظل تريد لاجل فلان وفلان ثقيل قاله ابن عطية ولم يقراها بضم الميم
انتهى وليس كما ذكر بل قرا مقامي بضم الميم ابو مجلز وابو رجا وابو الجوزا والمقام الاقامة بالمكان
والمقام مكان القيام والتذكير وعظه اياهم وزجرهم عن المعاصي وجواب الشرط محذوف
تقديره فافعلوا ما شيتم وقيل الجواب فعلى الله توكلت وفاجمعوا معطوف على الجواب
وهو لا يظهر لانه متوكل على الله دايما وقال الاكثرون الجواب فاجمعوا وفعلى الله توكلت
جملة اعتراض بين الشرط وجزايه كقوله • اما تريني قد نحلت ومن يكن غرضا لاطراف
الاسنة ينحل • فلرب ابلج مثل ثقلك بادن ضخم على ظهر الجواد مهبل • وقرا الجمهور
فاجمعوا من اجمع الرجل الشي عزم عليه ونواه قال الشاعر
اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضا • وقال اخر • يا ليت شعري والمنى لا تنفع
هل اغدون يوما وامري مجمع • وقال ابو فيد السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه
وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا قال وتفرقته انه يقول مرة
افعل كذا ومرة افعل كذا فاذا عزم على امر واحد قد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل
في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والاصل
اجمعت الامر انتهى وعلى هذه القراة تكون وشركاكم عطفا على امركم على حذف مضاف اي وامر
شركايكم او على امركم من غير مراعاة محذوف لانه يقال ايضا اجمعت شركاي او منصوبا باضمار
فعل اي وادعوا شركاكم وذلك بنا على انه لا يقال اجمعت شركاي يعني في الاكثر فيكون نظير
قوله • علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها • في احد المذهبين اي وسقيتها
ماء باردا وكذا هي في مصحف ابي وادعوا شركاكم وقال ابو علي وقد ينتصب الشركا بواو مع
كما قالوا جاء البرد والطيالسة ولم يذكر الزمخشري في نصب وشركاكم غير قول ابي علي انه
منصوب بواو مع وينبغي ان يكون هذا التخريج على انه مفعول معه من الفاعل وهو
الضمير في فاجمعوا لا من المفعول الذي هو امركم وذلك على اشهر الاستعمالين لانه يقال
اجمع الشركا ولا يقال جمع الشركا امرهم قليلا ولا اجمعت الشركا الا قليلا وفي اشتراط صحة
جواز العطف فيما يكون مفعولا معه خلاف فاذا جعلناه من الفاعل كان اولى وقرا الزهري
والاعمش والجحدري وابو رجا والاعرج والاصمعي عن نافع ويعقوب بخلاف عنه فاجمعوا بوصل
الالف وفتح الميم من جمع وشركاكم عطف على امركم لانه يقال جمعت شركاي او على انه مفعول
معه او على حذف مضاف اي ذوي الامر منكم فجرى على المضاف اليه ما جرى على المضاف
لو ثبت قاله ابو علي وفي كتاب اللوامح اجمعت الامر اي جعلته جميعا وجمعت الاموال جميعا
فكان الاجماع في الاحداث والجمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الاخر وفي التنزيل فجمع
كيده انتهى وقرا ابو عبد الرحمن والحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب

فبما روي عنه وشركاوكم بالرفع ووجه بانه عطف على الضمير في فاجمعوا وقد وقع الفصل
بالمفعول فحسن وعلى انه مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه اي وشركاوكم فليجمعوا
امرهم وقرات فرقة وشركايكم بالخفض عطفا على الضمير في امركم اي وامر شركايكم فحذف
كقول الاخر • اكل امرء تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا • اي وكل نار فحذف كلا لدلالة
ما قبله عليه والمراد بالشركا الانداد من دون الله اضافهم اليهم لانهم يجعلونهم شركا بزعمهم
واسند الاجماع الى الشركا على وجه التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاكم ثم كيدون او يراد بالشركا
من كان على دينهم وطريقتهم قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم
فالتقدير لا تتركوا من امركم شيا الا احضرتموه انتهى وامره اياهم باجماع امرهم دليل
على عدم مبالاته بهم بما وعده ربه من كلاته وعصمته ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي حالكم
معي وصحبتكم لي غما وهما اي ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة
والغم والغمة كالكرب والكربة قال ابو الهيثم هو من قولهم غم علينا الهلال اي غم فهو مغموم
اذا التمس فلم ير وقال طرفة • لعمرك ما امري على بغمة نهاري ولا ليلي على بسرمد •
وقال الليث يقال انه لفي غمة من امره اذا لم يتبين له وقال الزجاج امركم ظاهرا منكشفا
وحسنه الزمخشري فقال وقد ذكر القول الاول الذي يراد بالامر فقال والثاني ان
يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم ولا غمة في فرايض الله تعالى اي لا تستتر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي
مستورا عليكم بل مكشوفا مشهورا تجاهرون به انتهى ومعنى اقضوا الي انفذوا الي واقضوا كم
بحوي ومفعول اقضوا محذوف اي اقضوا الي ذلك الامر وامضوا ما في انفسكم واقطعوا
ما بيني وبينكم وقرا السري بن ينعم ثم افضوا بالفا وقطع الالف اي انتهوا الي بشركم من
افضى اليك انتهى اليه وقيل معناه اسرعوا وقيل من افضى اذا خرج الى الفضا اي فاصحروا
براي ولا برزوه ومنه قول الشاعر • ابي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى ه
والسيوف معاقله • ولا تنظرون اي لا توخرون والنظرة التاخير فان توليتم فما سالتكم
من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك
وجعلناهم خلايف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي
فان دام توليكم عما جيت به اليكم من توحيد الله ورفض الهتكم فلست ابالي بكم لانكم لم
لا يفرق في حاطبي ولا قطع عني صلة منكم اذ ما دعوتكم اليه وذكرتكم به ووعظتكم لم
اسالكم عليه اجرا انما يثيبني عليه الله تعالى اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من
اعراض الدنيا ثم اخبر انه امر ان يكون من المسلمين من المنقادين لامر الله الطايعين
لم تكذبوه فتمرو على تكذيبه وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وفي الفلك متعلق
بالاستقرار الذي تعلق به معه او بنجيناه وجعلناهم جمع ضمير المفعول على معنى من
وخلايف يخلفون الغارقين المهلكين ثم امر بالنظر في عاقبة المنذرين بالعذاب والى
ما صار اليه حالهم وفي هذا الاخبار توعد للكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب مثال
لهم في انهم بحال من لامة التكذيب فسيكون حالهم كحالهم في التعذيب والخطاب في فانظر
للسامع لهذه القصة وفي ذلك تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذره الرسول وتسلية
له ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل
كذلك نطبع على قلوب المعتدين من بعده اي من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا و
وصالحا ولوطا وابرهيم وشعيبا والبينات المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاوا به
وجا النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع والضمير
في كذبوا عايد على من عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل والمعنى انهم كانوا قبل بعثة
الرسل اهل جاهلية وتكذيب للحق فتنشا وتخالنهم قبل البعثة وبعدها كانوا لم يبعث
اليهم احد ومن قبل متعلق بكذبوا اي من قبل بعثة الرسل وقيل المعنى بادروا رسلهم
بالتكذيب كلما جا رسول ثم لجوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليومنوا بما سبق به تكذيبهم من
قبل لجهم في الكفر وتماديهم وقال يحيى بن سلام من قبل معناه من قبل العذاب وهذا القول

فيه

فيه بعد وقيل الضمير في كذبوا عايد على قوم نوح اي فما كان قوم الرسل ليومنوا بما كذب
به قوم نوح يعني ان شنشنتهم واحدة في التكذيب قال ابن عطيه ويحتمل اللفظ عندي
معنى اخر وهو ان تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا
ليومنوا بتكذيبهم من قبل اي من سببه ومن جراه ويويدها هذا البنا ولهذا كذلك نطبع
انتهى والظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت
مصدرية بقي الضمير غير عايد على مذكور فيحتاج ان يتكلف ما يعود عليه الضمير
وقرا الجمهور نطبع بالنون والعباس بن الفضل بالياء والكاف للتشبيه اي مثل ذلك
الطبع المحكم الذي يمتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين المجاوزين طورهم والمبالغين
في الكفر ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين فلما جاهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون
للحق لما جاكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون اي من بعد اوليك الرسل باياتنا وهي المعجزات
التي ظهرت على يديه ولا يخص قوله وملايه بالاشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم
ومشروفهم فاستكبروا وتعاظموا عن قبولها واعظم الكبر ان تتعاظم العبيد عن قبول
رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها وباجرامهم الاثام العظيمة استكبروا واجترموا
على ردها والحق هو العصا واليد قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون
ان الحق ابعد شي من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا ولم يقولوا ان هذا لسحر مبين
الا عند معاينة العصا وانقلابها واليد وخروجها بيضا ولم يتعاطوا الا تقاوية العصا
وهي معجزة موسى الذي وقع فيها عجز المعارض وقرا مجاهد وابن جبير والاعمش لساحر
مبين جعل خبرا اسم فاعل لا مصدرا كقراة الجماعة ولما كابروا موسى فيما جا به من الحق
اخبروا على جهة الجزم بان ما جا به سحر مبين فقال لهم موسى اتقولون منكرا عليهم جهة
الانكار والتوبيخ حيث جعلوا الحق سحرا اسحر هذا اي مثل هذا الحق لا يدعي انه سحر ولخبر
انه لا يفلح من كان ساحرا لقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى والظاهر ان معمول اتقولون
محذوف تقديره ما تقدم ذكره وهو ان هذا السحر ويجوز ان يحذف معمول القول للدلالة
عليه نحو قول الشاعر • لنحن الالي قلتم فانى ملئتم برويتنا قبل اهتمام بكم رعبا • ومسالة
الكتاب متى رايت او قلت زيدا منطلقا وقيل معمول اتقولون هو اسحر هذا الى اخره كانهم
قالوا اجيتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جيتم
به السحر ان الله سيبطله والذين قالوا بان الجملة وان الاستفهام هي محكية لتقول اختلفوا
فقال بعضهم قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي راوه بزعمهم كما يقول لفرس
تراه يجيد الجري افرس هذا على سبيل التعجب والاستغراب وانت قد علمت انه فرس
فهو استفهام معناه التعجب والتعظيم وقال بعضهم قال ذلك منهم كل جاهل بالامر
فهو يسال عنه المرسل لقول بعضهم ان هذا السحر واجاز الزمخشري ان يكون معنى قوله
اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه فكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه قال
من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوه ونحو
القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن
عليه قالوا اجيتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبريا في الارض وما نحن
لكما بمومنين وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم فلما جا السحرة قال لهم موسى القوا ما
انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جيتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل
المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون اجيتنا خطاب لموسى وحده لانه هو الذي
ظهرت على يديه معجزة العصا واليد لتلفتنا وتلوينا عن ما وجدنا عليه اباءنا من
عبادة غير الله واتخاذ اله دونه والكبريا مصدر قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
واكثر المتاولين المراد به هنا الملك اذ الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك
الجبار ووصف بالصيد والشوس وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير •
ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبريا • يعني ما عليه الملوك من ذلك وقال

ابن الرقاع • سوود غير فاحش له بداتيه بجبارة وله كبريا وقال الاعمش الكبريا العظمة
وقال ابن زيد العلو وقال الضحاك ايضا الطاعة والارض هنا ارض مصر وقرا ابن مسعود
واسماعيل والحسن فيما زعم خارجة وابو عمرو وعاصم بخلاف عنهما وتكون بالتا لتانيث الكبريا والجمهور باليا لمراعاة اللفظ والمعنى انهم قالوا مقصودك في مجيئك
الينا بما جيت هو ان ينتقل من دين ابابنا الى ما تامر به ونطيعك ويكون لكما العلو
والملك علينا بطاعتنا لك تغيير اتباعا لك لنا ركين دين ابابنا وهذا مقصود لا نراه
فلا نصدق قولك فيما جيت به اذ غرضك انما هو موافقتك على ما انت عليه واستتباعك
علينا فالسبب الاول هو التقليد والثاني الجد في الرياسة خشي ان تكونوا تبعا وانتفى
هذان السببان اللذان توهموهما مقصودا فالتصريح بانتفا الايمان الذي هو
سبب لحصول السببين وتجوزان يقصد والذم بانهما ان ملكا ارض مصر تكبرا وتجبرا
كما قال القبطي ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض ولما ادعوا ان ما جا به موسى هو
سحر اخذوا في معارضته بانواع من السحر ليظهر لسائر الناس ان ما اتى به موسى
من باب السحر والمخاطب بقوله ايتو خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه وقرا
ابن مصرف وابن وثاب وعيسى وحمزة والكساي بكل سحار على المبالغة وفي
قوله القوا ما انتم ملقون استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي ابهام ما انتم ملقونه
تخسيس له وتقليل واعلام انه لا شي يلتفت اليه قال ابو عبد الله لا يجوز كيف امرهم
فالكفر والسحر والامر بالكفر كفر قلنا انه عليه السلام امرهم بالقا الحبال والعصي
ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق انه عليه السلام امرهم بالسحر
انتهى وقرا ابو عمرو ومجاهد واصحابه وابن القعقاع بهمزة الاستفهام في قوله السحر
ممدودة وباقي السبعة والجمهور بهمزة الوصل فعلى الاستفهام قالوا يجوزان تكون
ما استفهامية مبتدا والسحر بدل منها وان تكون منصوبة بمضمر تفسره جيتم به
والسحر خبر مبتدا محذوف ويجوز عندي في هذا الوجه ان تكون ما موصولة مبتداه وجملة
الاستفهام خبرا ذا التقدير اهو السحر او السحر هو فهو الرابط كما تقول الذي جاك ازيد
هو وعلى همزة الوصل جاز ان تكون ما موصولة مبتداة والخبر السحر ويدل عليه قراة
عبد الله والاعمش سحر وقراة ابي ما اتيتم به سحر ويجوز عندي ان تكون في هذا الوجه
استفهامية في موضع رفع بالابتدا او في موضع نصب على الاشتغال وهو استفهام على
سبيل التحقير والتقليل لما جاوا به والسحر خبر مبتدا محذوف اي هو السحر قال ابن عطية
والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجا هنا بلام
العهد كما تقال اول الرسالة سلام عليك وفي اخرها والسلام عليك انتهى وهذا اخذه من
الفرا قال الفرا وانما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بالالف
واللام ولو قال لرجل لم يقع في وهمه انه يساله عن الرجل الذي ذكره له انتهى وما
ذكره هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم اخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا
ان تكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدم ولا تكون غيره كما قال تعالى كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فاكرمت الرجل ولما كان اياه
جاز ان ياتي بالضمير بدله فتقول فاكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في قولهم
ان هذا لسحر لان الذي اخبروا عنه بانه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة العصا
والسحر الذي في قول موسى انما هو سحرهم الذي جاوا به فقد اختلف المدلولان اذ قالوا هم
عن معجزة موسى وقال موسى عما جاوا به ولذلك لا يجوزان ياتي هنا بالضمير بدل السحر
فيكون عايدا على قولهم لسحر والظاهر ان الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام مرجو
وسيبطله بمحقه بحيث يذهب او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة وقيل هذه الجمل
من كلام الله تعالى ومعنى بكلماته بقضاياه السابقة في وعده وقال ابن سلام بكلماته بقوله
لا تخف انك انت الاعلى وقيل بكلماته بحججه وبراهينه وقرى بكلمته على التوحيد اي بامره
ومشيئته فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون

لعال

لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين الظاهر في الفا انه حيث ان مدلولها التعقيب ان هذا الايمان
الصادر من الذرية لم يتاخر عن قصة الالقا والظاهر ان الضمير في قومه عايد على
موسى وانه لا يعود على فرعون لان موسى هو المحدث عنه في هذه الاية وهو اقرب
مذكور ولانه لو كان عايدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب
على خوف منه ومن ملايهم ان يفتنهم وهذا الايمان من الذرية كان اول مبعثه
اذ قد امن به بنو اسرايل قومه كلهم كان اوله دعا الابا فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طايفة من ابنايهم مع الخوف وقال مجاهد والاعمش معنى الا ذرية قوما
ادركهم موسى ولم يومنوا وانما امن ذراريهم بعد هلاكهم لطول الزمن قال
ابن عطية وهذا القول غير صحيح اذا امن قوم بعد موت ابايهم فلا معنى لتخصيصهم
باسم الذرية وايضا لما روي من اخبار بني اسرايل لا يعطي هذا ويتفيه قوله فما
امن لانه يعطي تقليل المومنين به لانه نفى الايمان ثم اوجبه لبعضهم ولو كان
الاكثر مومنا لاوجب الايمان اولا ثم نفاه عن الاقل وعلى هذا الوجه يخرج قول
ابن عباس في الذرية انه القليل لا انه اراد ان لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظن
مكي وغيره وقالت فرقة انما سماهم ذرية لان امهاتهم كانت من بني اسرايل واباؤ
من القبط رواه عكرمة عن ابن عباس فكان يقال لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن
الابنا وهم الفرس المتنقلون مع وهرز لسعاية سيف بن ذي يزن وممن ذهب
الى ان الضمير في قومه يعود على موسى ابن عباس قال وكانوا ستماية الف وذلك ان
يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين نفسا فتوالدوا بمصر حتى
صاروا ستماية الف وقيل الضمير في قومه يعود على فرعون روي انه امنت زوجة
فرعون وخازنه وامراة خازنه وشباب من قومه قاله ابن عباس ايضا والسحرة ايضا
فانهم معدودون في قوم فرعون وقال السدي كانوا سبعين اهل بيت من قوم فرعون
قال ابن عطية ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ان المعروف من
اخبار بني اسرايل انهم كانوا قوما قد فشت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل
مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام اصفقوا
عليه وتابعوه ولم يحفظ قط ان طايفة من بني اسرايل كفرت به فكيف تعطي هذه الاية
ان الاقل منهم كان الذي امن فالذي يترجح بحسب هذا ان الضمير عايد على فرعون ويويد
ذلك ايضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر
الله ذلك عنهم ثم قال فما امن لموسى الا ذرية من قوم فرعون الذي هذه اقوالهم ويكون
القصص على هذا التاويل بعد ظهور الاية والتعجيز بالعصا ويكون الفا مرتبة للمعاني
التي عطفت انتهى ويمكن ان يكون معنى فما امن اي ما اظهر ايمانه واعلن به الا ذرية من قوم
موسى فلا يدل ذلك على ان طايفة من بني اسرايل كفرت به والظاهر عود الضمير في قوله
وملايهم على الذرية وقال الاخفش واختاره الطبري اي على خوف بني اسرايل الذرية وهم
اشراف بني اسرايل ان كان الضمير في قومه عايدا على موسى لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا
من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان يفتنهم اي يعذبهم وقال ابن عباس
اي يقتلهم وقيل يعود على قومه مبا في وملاه قوم موسى او قوم فرعون وقيل يعود على
المضاف المحذوف تقديره على خوف من ال فرعون قاله الفرا كما حذف في واسال القرية ورد
عليه بان الخوف يمكن من فرعون ولا يمكن سوال القرية فلا يحذف الا ما دل عليه الدليل
وقد يقال ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير في وملايهم وقيل معطوف محذوف
يدل عليه كون الملك لا يكون وحده بل له حاشية واجناد وكانه قيل على خوف من فرعون
وقومه وملايهم اي ملا فرعون وقومه وقاله الفرا ايضا وقيل لما كان ملكا جبارا
اخبر عنه بفعل الجميع وقيل سميت الجماعة بفرعون مثل عود وان يفتنهم بدل من فرعون

بدل اشتمال اي فتنته فتكون في موضع جر ويجوز ان تكون في موضع نصب بخوف واما على
التعليل واما على انه في موضع المفعول به اي على خوف لاجل فتنته او على خوف فتنته وقرا
الحسن وجراح ونبيح يفتنهم بضم اليا من افتن ولعال متجبرا وباغ ظالم او متعال او قاهر
كما قال • فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان • اي لما تقهر وقوله
متقاربة واسرافه كونه كثير القتل والتعذيب وقيل كونه من اخس العبيد فادعى
الالهية وهذا الاخبار مبين سبب خوف اوليك المومنين منه وفي الاية مسلاة للرسول
بقلة من امن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر ولم يومن له الا ذرية
من قومه وخطاب موسى عليه السلام لمن امن بقوله يا قوم دليل على ان المومنين الذرية
كانوا من قومه وخاطبهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون من قتل
الابا وذبح الذرية وقيل قال لهم ذلك حين قالوا انا لمدركون وقيل حين قالوا
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا قيل والاول هو الصواب لان جواب كل من
القولين مذكور بعده وهو كلا ان معي ربي سيهدين وقوله عسى ربكم ان يهلك الاية
وعلق توكلهم على شرطين متقدم ومتاخر ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود
فالشرط الثاني شرط في الاول فمن حيث هو شرط فيه يجب ان يكون متقدما عليه فالاسلام
هو الانقياد للتكاليف الصادرة من الله واظهار الخضوع وترك التمرد والايمان عرفان
القلب بالله تعالى ووحدانيته وساير صفاته وان ما سواه محدث تحت قهره وتدبيره
وان احصل هذان الشرطان فوض العبد جميع اموره الى الله تعالى واعتمد عليه في كل
الاحوال وادخل ان على فعل الشرط وان كانت في الاغلب انما تدخل على غير المحقق مع علمه
بايمانهم على وجه اقامة الحجة وتنبيه الانفس واثارة الانفة كما تقول ان كنت رجلا
فقاتل تخاطب بذلك رجلا تريد اقامة البينة وطول ابن عطية هنا في مسئلة التوكل
بما يوقف عليه في كتابه واجابوا موسى عليه السلام بما امرهم به من التوكل على الله
لانهم كانوا مخلصين في ايمانهم واسلامهم ثم سالوا الله تعالى شيئين احدهما ان لا يجعلهم
فتنة للقوم الظالمين قال الزمخشري اي موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او
يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بها ويقولون لو كان هولا على الحق لما اصيبوا
وقال مجاهد وابو مجلز وابو الضحى وغيرهم معنى القول الاخر قال المعنى لا تنزل بنا
هلاكنا بايديهم او بغير ذلك مدة محاربتنا فيفتتنون ويعتقدون ان هلاكنا انما
هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وانهم اهل الحق وقالت فرقة المعنى لا تفتنهم
وتبتليهم بقتلنا واذايتنا فنعذبهم على ذلك في الاخرة قال ابن عطية وفي هذا
التاويل قلق وقال ابن الكلبي لا تجعلنا فتنة بتقتير الرزق علينا وبسطه لهم والاخر
نجهم من الكافرين اي من تسخيرهم واستعبادهم والذي يظهر انهم سالوا الله
تعالى ان لا يفتنوا عن دينهم وان يخلصوا من الكفار فقدموا ما كان عندهم اهم وهو
سلامة دينهم لهم واخروا سلامة انفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين اكد من الاهتمام بمصالح
الابدان واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا
الصلاة وبشر المومنين لم يصرح باسم اخيه لانه قد تقدم اولا في قوله ثم بعثنا من بعدهم
موسى وهارون وتبوا اتخذ مباءة اي مرجعا للعبادة والصلاة كما تقول توطن اتخذ موطنا
والظاهر اتخاذ البيوت بمصر قال الضحاك وهي مصر المحروسة ومصر من البحر الى اسوان
والاسكندرية من ارض مصر وقال مجاهد هي الاسكندرية وكان فرعون قد استولى على
بني اسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم ومنعهم من الصلوات وكلفهم الاعمال
الشاقة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة ليلا
يظهروا عليهم فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون على ذلك في اول الاسلام
وقرا حفص في رواية هبيرة تبويا بالياء وهذا التسهيل غير قياسي ولو جرى على القياس
لكان بين الهمزة والالف والظاهر ان المامور بان يجعل قبلة هي المامور بتبويها ومعنى
قبلة مساجد امروا بان يتخذوا بيوتهم مساجد قاله النخعي وابن زيد وروى عن ابن

عباس وعن ابن عباس ايضا واجعلوا بيوتكم قبل القبلة وعنه ايضا قبل مكة وقال
مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء وابان اجعلوها مستقبلة الكعبة وعن ابن عباس ايضا
وابن جبير قبلة يقابل بعضها بعضا واقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة لانها لم
تنزل الا بعد اجازة البحر وبشر المومنين يعني بالنصر في الدنيا وبالجنة في الاخرة وهو
امر لموسى عليه السلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم خوطب موسى وهارون ان تبوا لقومهما
بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبيا ثم سيق الخطاب عاما لهما
ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى
عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به وقال موسى ربنا انك
اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت
دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون لما بالغ موسى عليه السلام
في اظهار المعجزات وهم مصرون على العناد واشتد اذاهم عليه وعلى من امن معه وهم
لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلم بالتجربة وطول
الصحبة انه لا يجي منهم الا الغي والضلال او علم ذلك بوحي من الله تعالى دعا الله تعالى
عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما يقول لعن الله ابليس واخزى الكفرة كما دعا نوح على
قومه حين اوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقدم بين يدي الدعا ما اتاه
الله من النعمة في الدنيا وكان ذلك سببا للايمان به ولشكر نعمه فجعلوا ذلك
سببا لجحوده ولكفر نعمه والزينة عبارة عما يتزين به ويتحسن من الملبوس
والمركوب والاثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق قال المورخون
والمفسرون كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب
والفضة والزبرجد والياقوت وفي تكرار ربنا توكيد للدعا والاستغاثة واللام
في ليضلوا الظاهر انها لام كي على معنى اتيتهم ما اتيتهم على سبيل الاستدراج فكانت
الاتيان لكي يضلوا ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله فالتقطه ال
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر • وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجد
الناس عمرانا • وقال الحسن هو دعا عليهم وبهذا ابدا الزمخشري قال كانه قال ليثبتوا
على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يومنوا
ويبعد ان يكون دعا قراءة من قرا ليضلوا بضم اليا اذ يبعد ان يدعو بان يكونوا
مضلين غيرهم وهي قراءة الكوفيين وقتادة والاعمش وعيسى والحسن والاعرج
بخلاف عنهما وقرا الحرميان والعربيان ومجاهد وابو رجا والاعرج وشيبة وابو جعفر
واهل مكة بفتحها وقرا الشعبي بكسرها والى بين الكسرات الثلاث وقيل لا محذوفة
التقدير لئلا يضلوا عن سبيلك قاله ابو علي الجبائي وقرا الفضل الرقاشي االنك اتيت
على الاستفهام ولما تقدم ذكر الاموال وهي اعز ما ادخر دعا بالطموس عليها وهي التعفية
والتغيير او الاهلاك كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب صارت دراهمهم حجارة منقوشة
صحاحا واثلاثا وانصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعد
وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها
حتى لا ترى وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شي لهم حجارة قال
محمد بن كعب سالني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له فدعا بخريطة اصيبت بمصر
فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة وقال قتادة والضحاك
وابو صالح والقرطبي جعل سكرهم حجارة وقال السدي مسخ الله الثمار والنخل
والاطعمة حجارة وقال شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف بابن
النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتحبير في هذا الكتاب اخبرني جماعة من الصالحين
كان شغلهم السياحة انهم عاينوا بجبال مصر وبراريها حجارة على هيئة الدنانير والدراهم
وفيها اثار النقش وعلى هيئة الفلوس وعلى هيئة البطيخ العبدلاوي وهيئة البطيخ الاخضر

وعلى هيئة الحبار وعلى هيئة القثا وبجادة مطولة رقيقة معوجة على هيئة النقوش هو
وربما راوا على صورة الشجر واشدد على قلوبهم قال ابن عباس ومقاتل والفرا
والزجاج اطبع عليها وامنعها من الايمان وقال ابن عباس ايضا والضحاك اهلكهم كفارا
وقال مجاهد اشدد عليها بالضلالة وقال ابن قتيبة قس قلوبهم وقال ابن بحر
اشدد عليها بالموت وقال الكرماني اي اجهد واسلوا عن اموالهم ولا صبرا على ذهابها
وقرا الشعبي وفرقة اطمس بضم الميم وهي لغة مشهورة فلا يومنوا مجزوم على انه دعا
عند الكسائي والفرا كما قال الاعشى فلا تنبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني الا
وانفك راغم • ومنصوب على انه جواب اشدد بدا به الزمخشري ومعطوف على ليضلوا
على انه منصوب قاله الاخفش وغيره وما بينهما اعتراض وعلى انه مجزوم على قول من قال
انه لام ليضلوا لام الدعا وكان روية العذاب غاية ونهاية لان الايمان اذ ذاك
لا ينفع ولا تخرج من الكفر وكان العذاب الاليم غرقهم وقال ابن عباس قال
محمد بن كعب كان موسى يدعو وهرون يومن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن ان نكونا
دعوا ويبعد قول من قال كنى عن الواحد بلفظ التثنية لان الاية تضمنت بعد
مخاطبتهما في غير شي وروى عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك ان الدعوة لم
تظهر اجابتها الا بعد اربعين سنة واعلما ان دعاءهما صادف مقدورا وهذا
معنى اجابة الدعا وقيل لهما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي في ان تستعجلا
قضائي فان وعدي لا خلف له وقرا السلمي والضحاك دعواتكما على الجمع وقرا ابن
السميقع قد اجبت دعوتكما خبرا عن الله تعالى ونصب دعوة والربيع دعوتيكما
وهذا يوكد قول من قال ان هرون دعا مع موسى وقراة دعوتيكما تدل على انه قرا
قد اجيبت على انه فعل وفاعل ثم امرا بالاستقامة والمعنى الديمومة عليها وعلى ما امرتما
به من الدعوة الى الله تعالى والزام حجة الله وقرا الجمهور ولا تتبعان بشد التا والنون
وابن عباس وابن ذكوان بتخفيف التا وشد النون وابن ذكوان ايضا بتشديد
التا وتخفيف النون وفرقة بتخفيف التا وسكون النون وروى ذلك الاخفش
الدمشقي عن اصحابه عن ابن عامر فاما شد النون فعلى انها نون التوكيد الشديدة
لحقت فعل النهي المتصل بضمير الاثنين واما تخفيفها مكسورة فقيل هي نون التوكيد
الخفيفة وكسرت كما كسرت المشددة وقد حكى النحويون كسر النون الخفيفة في مثل
هذا عن العرب ومذهب س والكسائي انها لا تدخل هنا الخفيفة ويونس والفرا يريان
ذلك وقيل النون المكسورة الخفيفة هي علامة الرفع والفعل منفي والمراد منه النهي
او هو خبر في موضع الحال اي غير متبعين قاله الفارسي والذين لا يعلمون فرعون وقومه
قاله ابن عباس او الذين يستعجلون القضا قبل مجيئه ذكره ابو سليمان وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن
اياتنا لغافلون قرا الحسن وجوزنا بتشديد الواو وتقدم الكلام في البا في ببني اسرائيل
وكم كان الذين جازوا مع موسى في سورة الاعراف وقرا الحسن وقتادة فاتبعهم هو
بتشديد التا وقرا الجمهور وجاوزنا فاتبعهم رباعيا قال الزمخشري وليس من
جوز الذي في بيت الاعشى • واذا تجوزها حبال قبيلة • لانه لو كان منه لكان حقه ان
يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال • كما جوز السكي في الباب فيتق • انتهى
وقال الحوفي تبع واتبع بمعنى واحد وقال الزمخشري فاتبعهم لحقهم يقال تبعه
حتى اتبعه وفي اللوامح تبعه اذا مشى خلفه واتبعه كذلك الا انه حاذاه في المشي
واتبعه لحقه ومنه العامة يعني ومنه القراة العامة فاتبعهم وجنود فرعون قيل
الف الف وستماية الف وقيل غير ذلك وقرا الحسن وعدوا على وزن علو وتقدمت
في الانعام وعدوا وعدوا من العدوان واتباع فرعون لهم في مجاوزة البحر روي ان

فرعون

فرعون لما انتهى الى البحر فوجده قد انفرق ومضى فيه بنو اسرائيل قال لقومه انما انفلق
بامري وكان على فرس ذكر فبعث الله اليه جبريل على فرس انثى وديق فدخل بها البحر
ولج فرس فرعون وراه وجنب الجيوش خلفه فلما راى ان الانفراق ثبت له استمر وبعث
الله ميكائيل يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم وقرا الجمهور انه بفتح
الهمزة على حذف البا وقرا الكسائي وحمزة بكسرها على الاستيناف ابتدا الكلام او بدلا من
امنت او على اضمار القول اي قايلا انه ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات
اما على سبيل التلعثم اذ ذلك مقام تحار فيه القلوب او حرصا على القبول ولم يقبل الله
منه اذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقا التكليف والتوبة بعد المعاينة لا تنفع
الا ترى الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
وتقدم الخلاف في قراة الان في قوله الان وقد كنتم والمعنى اتومن الساعة في حال الاضطرار
حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق وقيل بعد
ان غرق في نفسه قال الزمخشري والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال البحر
فدسه في فيه للغضب لله تعالى على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما
ما يضم اليه من قولهم خشيت ان تدركه رحمة الله تعالى فمن زيادات الباهتين لله تعالى ولملائكته
وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى
ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر والظاهر ان قوله
الان الى اخره من كلام الله له على لسان ملك فقيل هو جبريل وقيل ميكائيل وقيل غيرهما والخطاب
فاليوم ننجيك وقيل من قول فرعون في نفسه وافساده اضلاله الناس ودعواه الربوبية
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاليوم ننجيك الظاهر انه خبر وقيل هو استفهام فيه تهديد اي فاليوم ننجيك فهلا
كان الايمان قبل الاشراف على الهلاك وهذا بعيد لحذف همزة الاستفهام ولقوله لتكون
لمن خلفك اية لان التعليل لا يناسب هنا الاستفهام قال ابن عباس ننجيك نلقيك بنجوة
من الارض وهي المكان المرتفع وببدنك بدرعك وكان من لولو منظوم لا مثال له وقيل من ذهب
وقيل من حديد وفيها سلاسل من ذهب والبدن بدن الانسان والبدن الدرع القصيرة
قال • ترى الابدان فيها مسبغات على الابطال واليلب الحصينا • يعني الدروع وقال
عمرو بن معدي كرب • اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد • وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقيل نلقيك ببدنك عريانا ليس عليك ثياب ولا سلاح وذلك
ابلغ في اهانته وقيل نخرجك صحيحا لم ياكلك شي من الدواب وقيل بدنا بلا روح قاله مجاهد
وقيل نخرجك من ملكك وحيدا فريدا وقيل نلقيك في البحر من النجا وهو ما سلخته عن
الشاة او القيته عن نفسك من ثياب او سلاح وقيل نتركك حتى تغرق والنجا الترك وقيل
نجعلك علامة والنجا العلامة وقيل نغرقك من قولهم نجى البحر اقواما اذا اغرقهم وقال
الكرماني يحتمل ان يكون من النجاة وهو الاسراع اي نسرع بهلاكك وقيل معنى ببدنك بصورتك
التي تعرف بها وكان قصيرا اشقر ازرق قريب اللحية من القامة ولم يكن في بني اسرائيل شبيه
له يعرفونه بصورته وببدنك اذا عني به الجثة تاكيد كما تقول قال فلان بلسانه وجاء بنفسه
وقرا يعقوب ننجيك مخففا مضارع انجى وقرا ابي وابن السميقع ويزيد البربري ننحيك بالحا
المهملة من التنحية ورويت عن ابن مسعود اي نلقيك بناحية مما يلي البحر قال كعب رماه
البحر الى الساحل كانه ثور وقرا ابو حنيفة باندائك اي بدروعك او جعل كل جز من البدن بدنا
كقولهم شابت مفارقه وقرا ابن مسعود وابن السميقع بندائك مكان ببدنك اي بدعايك
اي بقولك امنت الى اخره لنجعلك اية مع ندائك الذي لا ينفع او بما ناديت به في قومك ونادى
فرعون في قومه فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى ويا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري ولما
كذبت بنو اسرائيل بغرق فرعون رمى به البحر على ساحله حتى راوه قصيرا احمر كانه ثور
لمن خلفك لمن وراك علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من
ان يغرق وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن ياتي بعدك من القرون

وقيل لمن بقي من قبط مصر وغيرهم وقرئ لمن خلفك بفتح اللام اي من الجبابرة والفراعنة
ليتعظوا بذلك ويحذروا ان يصيبهم ما اصابك اذا فعلوا فعلك ومعنى كونه اية ان يظهر للناس
عبوديته ومهانته وليكون عبرة تعتبر بها الامم وقرئت لمن خلقك من الخلق وهو الله
تعالى اي ليجعلك الله اية له في عباده وقيل المعنى ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك
من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق
ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وان كثيرا من الناس ظاهره الناس كافة قاله
الحسن وقال مقاتل من اهل مكة عن اياتنا اي العلامات الدالة على الوحدانية وغيرها من
صفات العلى لغافلون لا يتدبرونه وهذا خبر في ضمنه توعد ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون لما ذكر تعالى ما جرى لفرعون واتباعه من الهلاك ذكر ما احسن به لبني
اسرائيل وما امتن به عليهم اذ كان بنو اسرائيل قد اخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون
ذكر تعالى انه اختار لهم من الاماكن احسنها والظاهر ان بني اسرائيل هم الذين كانوا
امنوا بموسى ونجوا من الغرق وسياق الايات يشهد لهم وقيل هم الذين كانوا بحضرة النبي
صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل قريظة والنضير وبني قينقاع وانتصب مبوأ صدق على
انه مفعول ثان لبوأنا كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وقيل يجوز ان يكون مصدرا ومعنى
صدق اي فضل وكرامة ومنه في مقعد صدق وقيل مكان صدق الوعد وكان وعدهم
فصدقهم وعده وقيل صدق تصدق به عليهم لان الصدقة والبر من الصدق وقيل صدق
فيه ظن قاصده وساكنه وقيل منزلا صالحا مرضيا وعن ابن عباس هو الاردن وفلسطين
وقال الضحاك وابن زيد وقتادة الشام وبيت المقدس وقال مقاتل بيت المقدس
وعن الضحاك ايضا مصر وعنه ايضا مصر والشام قال ابن عطية والاصح انه الشام وبيت
المقدس بحسب ما حفظ من انهم لم يعودوا الى مصر على ان في القران كذلك واورثناها بني
اسرائيل يعني ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك وقد يحتمل ان يكون واورثناها
معناه الحالة من النعمة وان لم تكن في قطر واحد انتهى وقيل ما بين المدينة والشام من ارض
يثرب ذكره علي بن احمد النيسابوري وهذا على قول من قال ان بني اسرائيل هم الذين
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ذكر انه بوأهم مبوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم
من الطيبات وهي المآكل المستلذات او الحلال فما اختلفوا اي كانوا على ملة واحدة وطريقة
واحدة مع موسى عليه السلام في اول حاله حتى جاءهم العلم اي علم التوراة فاختلفوا وهذا ذم
لهم اي ان سبب الاتفاق هو العلم فصار عندهم سبب الاختلاف فتشعبوا شعبا بعدما
قرؤوا التوراة وقيل العلم بمعنى المعلوم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لان رسالته كانت
معلومة عندهم مكتوبة في التوراة وكانوا يستفتحون به اي يستنصرون وكانوا قبل
مجيئه الى المدينة مجمعين على نبوته مستنصرون به في الحروب يقولون اللهم بحرمة النبي المبعوث
في اخر الزمان انصرنا فينصرون فلما جاء قالوا النبي الموعود به من ولد يعقوب وهذا من ولد
اسماعيل فليس هو ذاك فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقيل العلم القران
واختلافهم فيه قول بعضهم هو من كلام محمد وقول بعضهم من كلام الله وليس لنا انما هو للعرب
وصدق به قوم فامنوا وهذا الاختلاف لا يمكن زواله في الدنيا وانه تعالى يقضي فيه في الاخرة
فيميز المحق من المبطل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من
قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات
الله فتكون من الخاسرين الظاهر ان ان شرطية وروي عن الحسن والحسين بن الفضل ان ان نافية
قال الزمخشري اي ما كنت في شك فاسأل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد
يقينا كما ازداد ابرهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى انتهى واذا كانت ان شرطية فذكروا انها
انما تدخل على الممكن وجوده او المحقق وجوده المبهم زمان وقوعه كقوله تعالى افان مت
فهم الخالدون والذي اقوله ان ان الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ولا تستلزم تحتم وقوعه
ولا امكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين

ومستحيل

ومستحيل ان يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل ان يكون في شك وفي المستحيل عادة كقوله
تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم باية اي فافعل لكن وقوع
ان للتعليق على المستحيل قليل وهذه الاية من ذلك ولما خفي هذا الوجه على اكثر الناس اختلفوا
في تخريج هذه الاية فقال ابن عطية الصواب انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه
من كل من يمكن ان يشك او يعارض انتهى ولذلك جاء قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني
وقال قوم الكلام بمنزلة قولك ان كنت ابني فبرني وليس هذا المثال بجيد وانما مثال هذه قوله
تعالى لعيسى انت قلت للناس انتهى وهذا القول هو عن الفراء قال الكرماني واختاره
جماعة وضعف بانه يصير تقديره انت في شك اذ ليس في الاية ما يدل على نفي
الشك وقيل كنى هنا بالشك عن الضيق اي فان كنت في ضيق من اختلافهم فيما انزل
اليك وتعنتهم عليك وقيل كنى بالشك عن العجب اي فان كنت في تعجب من عناد فرعون
ومناسبة المجاز ان التعجب فيه تردد كما ان الشك تردد بين امرين وقال الكسائي معناه
ان كنت في شك ان هذا عادتهم مع الانبياء فسلهم كيف كان صبر موسى حين اختلفوا
عليه وقال الزمخشري فان كنت في شك بمعنى العرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك
شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى
ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ويبالغ في ذلك فقال تعالى فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته
شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما
بمقاولة العلماء المنبهين على الحق انتهى وقيل اقوال غير هذه وقرأ يحيى وابرهيم يقرؤون
الكتب على الجمع والحق هنا الاسلام او القران او النبوة او الايات والبراهين القاطعة
[illegible] انتفاء المرية والتكذيب والخطاب للسامع غير الرسول
وكثيرا ما في الخطاب يخص والمراد غيره وروي انه عليه السلام قال لا اشك
ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم
والامتراء التوقف في الشيء والشك فيه وامره اسهل من امر المكذب فبدئ به اولا فنهي
عنه واتبع بذكر المكذب ونهى ان يكون منهم ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ذكر تعالى ان عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا
يتغيرون والكلمة التي حقت عليهم قال قتادة هي اللعنة والغضب وقيل وعيده انهم
يصيرون الى العذاب وقال الزمخشري قول الله تعالى الذي كتب في اللوح واخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد
تعالى الله عن ذلك انتهى وكلامه اخيرا على طريقة الاعتزال وقال ابو عبد الله
الرازي المراد من هذه الكلمة حكم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في العبد مجموع القدرة
والداعية وهو موجب لحصول ذلك الامر وقال ابن عطية المعنى ان الله اوجب لهم سخطه
من الازل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل بيان وكل وضوح الا في الوقت الذي لا ينفعهم
فيه الايمان كما صنع فرعون واشباهه وذلك وقت المعاينة وفي ضمن الالفاظ التحذير
من هذه الحال وبعث كل على المبادرة الى الايمان والفرار من سخط الله ويجوز ان يكون
العذاب الاليم عند انقطاع اسبابهم يوم القيامة وتقدم الخلاف في قراءة كلمة بالافراد وبالجمع
فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين لولا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت في القران
للتحضيض فهي بمعنى هلا وقرأ ابي وعبد الله فهلا وكذا هو في مصحفيهما والتحضيض اي يريد
الانسان فعل الشيء الذي يحض عليه واذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم الحض على ذلك الشيء
كقول الشاعر • تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا • لم يقصد
حضهم على عقر الكمي المقنع وهنا وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا امن اهل قرية وهم على

مهمل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال وقوم منصوب على الاستثنا
المنقطع وهو قول سيبويه والكسائي والفرا والاخفش اذ ليسوا مندرجين تحت لفظ قرية
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى
الهالكة الا قوم يونس وقال ابن عطية هو بحسب اللفظ استثنا منقطع وكذلك رسمه النحويون
وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما امن اهل قرية الا قوم يونس والنصب هو الوجه
ولذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه الا النصب وذلك مع انقطاع الاستثنا وقالت
فرقة يجوز فيه الرفع وهذا مع اتصال الاستثنا وقال المهدوي والرفع على البدل من
قرية وقال الزمخشري وقرى بالرفع على البدل عن الجرمي والكسائي وتقدم الخلاف
في قراة يونس بضم النون وكسرها وذكر جواز فتحها وقوم يونس هم اهل نينوى من بلاد
الموصل كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس فاقاموا على تكذيبه سبع سنين
وتوعدهم العذاب بعد ثلاثة ايام وقيل بعد اربعين يوما وذكر المفسرون قصة قوم يونس
وتفاصيل فيها وفي كيفية عذابهم الله اعلم بصحة ذلك ويوقف على ذلك في كتبهم وقال
الطبري وذكره عن جماعة ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان يتاب عليهم بعد معاينة
العذاب وقال الزجاج هو لا دنا منهم العذاب ولم يباشرهم كما باشر فرعون فكانوا كالمريض
الذي يخاف الموت ويرجوا العافية فاما الذي يباشره العذاب فلا توبة له وقال ابن الانباري
علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم من الهالكين قال السدي الى حين الى وقت انقضا
اجالهم وقيل الى يوم القيامة وروي عن ابن عباس ولعله لا يصح فعلى هذا يكونون باقين
احيا وسترهم الله عن الناس ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون قيل انزلت في ابي طالب لانه صلى الله عليه وسلم اسف بموته على ملة عبد المطلب
وكان حريصا على ايمانه ولما كان احرص الناس على هدايتهم راغبا في وصول الخير اليهم والفوز
بالايمان منهم واكثر اجتهادا في نجاة العالمين من العذاب اخبره تعالى انه خلق اهلا للسعادة
واهلا للشقاوة وانه لو اراد ايمانهم كلهم لفعل وانه لا قدرة لاحد على التفرد في احد
والمقصود بيان ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا لله تعالى وتقديم الاسم
في الاستفهام على الفعل يدل على امكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم فالله تعالى
ان يكره الناس على الايمان لو شا وليس ذلك لغيره وقال الزمخشري ولو شا ربك مشيئة
القسر والالجا لامن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على
الايمان مطيعين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله تعالى افانت تكره الناس يعني انما
يقدر على اكراههم واضطرارهم على الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام
بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك
فيه لانه تعالى هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك
غير مستطاع للبشر انتهى وقوله بمشية القسر والالجا هو مذهب المعتزلة وقال ابن عطية
المعنى ان هذا الذي تقدم ذكره انما كان جميعه بقضا الله عليهم ومشيته فيهم ولو شا الله
لكان الجميع مومنا فلا تتاسف انت يا محمد على كفر من لم يومن بك وادع ولا عليك فالامر
محتوم اتريد انت ان تكره الناس بادخال الايمان في قلوبهم وتضطرهم الى ذلك والله عز
وجل قد شا غيره فهذا التاويل الاية عليه محكمة اي ادع وقاتل من خالفك وايمان من
امن مصروف الى المشية وقالت فرقة المعنى افانت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الايمان
وزعمت ان هذه الاية في صدر الاسلام وانها منسوخة باية السيف والاية على كلا التاويلين
رادة على المعتزلة انتهى ولذلك ذهب الزمخشري الى تفسير المشية بمشية القسر والالجا وهو
تفسير الجبائي والقاضي ومعنى الا باذن الله اي بارادته وتقديره لذلك والتمكين منه وقال
الزمخشري بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون
وهم المصرون على الكفر وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه انتهى وهو على طريق
الاعتزال وقال ابن عباس الرجس السخط وعنه الاثم والعدوان وقال مجاهد ما لا خير فيه وقال

الحسن

الحسن وابو عبيدة والزجاج العذاب وقال الفرا العذاب والغضب وقال الحسن
ايضا الكفر وقال قتادة الشيطان وقد تقدم تفسيره ولكن نقلنا ما قال العلما
هنا وقرا ابو بكر وزيد بن علي ونجعل بالنون وقرا الاعمش ويجعل الله الرجز بالزاي
قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من
المنتظرين امر تعالى بالفكر فيما اودعه تعالى في السموات والارض اذ السبيل الى
معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته ففي العالم العلوي في حركات الافلاك
ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع والفوايد وفي
العالم السفلي في احوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال
الانسان وكثيرا ما ذكر الله تعالى في كتابه الحض على الفكر في مخلوقاته تعالى وقال
ما ذا في السموات والارض تنبيها على القاعدة الكلية والعاقل تنبيه لتفاصيلها
واقسامها ثم لما امر بالنظر اخبر انه من لا يومن لا تغنيه الايات والنذر جمع نذير
اما مصدر فمعناه الانذارات واما بمعنى منذر فمعناه المنذرون وهم الرسل وما
الظاهر انها للنفي ويجوز ان تكون استفهاما اي واي شي تغني الايات وهي الدلايل
وهو استفهام على جهة التقرير وفي الاية توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المشركين وقرا الحرميان والعربيان والكسائي قل انظروا بضم اللام
وقرى وما تغني بالتا وهي قراة الجمهور وباليا وماذا يحتمل ان يكون استفهاما في
موضع رفع بالابتدا والخبر في السموات ويحتمل ان تكون الخبر ذا بمعنى الذي وصلته
في السموات وانظروا معلقة فالجملة الابتدائية في موضع نصب ويبعد ان
يكون ماذا كله موصولا بمعنى الذي ويكون مفعولا لقوله انظروا لانه ان كانت
بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفي وقال ابن عطية ويحتمل
ان تكون ما في قوله وما تغني مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا
اي تاملوا قدر غنا الايات والنذر عن الكفار ان قبلوا ذلك كفعل قوم يونس
فانه يرفع العذاب في الدنيا والاخرة وينجي من المهلكات والاية على هذا
تحريض على الايمان وتجوز اللفظ على هذا التاويل انما هو في قوله لا يومنون انتهى وهذا
احتمال فيه ضعف وفي قوله مفعولة معطوفة على قوله ماذا تجوز يعني ان الجملة الاستفهامية
التي هي ماذا في السموات والارض في موضع المفعول لان ان ماذا منصوب وحده بانظروا
فتكون ماذا موصولة وانظروا بصرية لما تقدم والايام هنا وقايع الله فيهم كما يقال ايام
وتوعد وحض على الايمان والمعنى اذا لجوا في الكفر حل بهم العذاب واذا امنوا نجوا هذه
سنة الله في الامم الخالية قل فانتظروا امر تهديد اي انتظروا ما يحل بكم كما حل بمن قبلكم
من مكذبي الرسل ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المومنين لما تقدم قوله
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية
المكذبة ومصرحا بهلاكهم في غير ما اية اخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم ننجي رسلنا
والمعنى ان الذين خلوا اهلكناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمومنين ولذلك قال
الزمخشري ثم ننجي معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه
قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية والظاهر ان كذلك في موضع نصب
تقديره مثل ذلك الانجا الذي نجينا الرسل ومومنيهم ننجي من امن بك يا محمد ويكون حقا على
تقديره حق ذلك حقا وقال ابو البقا يجوز ان يكون حقا بدلا من المحذوف النايب عنه الكاف
تقديره انجا مثل ذلك حقا واجاز ان يكون كذلك وحقا منصوبين بننجي التي بعدهما
وان تكون كذلك منصوبا بننجي الاولى وحقا بننجي الثانية واجاز هو تبعا لابن عطية ان يكون
الكاف في موضع رفع وقدره الامر كذلك وحقا منصوب بما بعدهما وقال الزمخشري مثل ذلك
الانجا ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقال القاضي
حقا علينا المراد به الوجوب لان تخليص الرسول والمومنين من العذاب الى الثواب واجب ولولاه لما حسن

من الله ان يلزمهم الانفعال الشاقة واذا ثبت لهذا السبب جرى مجرى قضا الدين للمسبب
المتقدم واجيب بانه حق بحسب الوعد والحلم لا بحسب الاستحقاق لما ثبت ان العبد لا يستحق
على خالقه شيا وقرا الكسائي وحفص ننجي المومنين بالتخفيف مضارع انجى وخط المصحف
نج بغير يا قل يايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المومنين وان اقم وجهك للدين
حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت
فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله يصيب به من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم خطاب لاهل
مكة يقولون ان كنتم لا تعرفون ما انا عليه فانا ابينه لكم فبدا اولا بالانتفا من عبادة
ما تعبدون من الاصنام لتشفعها لا دايهم واثبت ثانيا من الذي يعبده وهو الله الذي
يتوفاكم وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي دلالة على المبدا وهو الخالق
وعلى الاعادة فكانه اشار الى انه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيرا ما
صرح في القران بهذه الاطوار الثلثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من
التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم الى الله بعده فهو الجدير بان يخاف
ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها وامرت ان اكون من المومنين لما ذكر انه يعبد
الله وكانت العبادة اغلب ما عليها عمل الجوارح اخبر انه امر بان يكون من المصدقين
بالله الموحدين له المفرد به بالعبادة وانتقل من عمل الجوارح الى نور المعرفة وطابق
الباطن الظاهر قال الزمخشري يعني ان الله تعالى امرني بما ركب في من العقل وبما اوحى
الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت ام اتركه واوافقكم
فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون لحذف الجار وهذا الحذف
يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان
يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تومر انتهى يعني
بالحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير انه حذف حرف الجر من المفعول الثاني
الا في افعال محصورة سماعا لا قياسا وهي اختار واستغفر وامر وسمى وكنى ودعا بمعنى
سمى وزوج وصدق وخلافا لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث يعني
الحرف وموضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب وجواب
ان كنتم في شك قوله فلا اعبد والتقدير فانا لا اعبد لان الفعل المنفي بلا اذا وقع
جوابا انجزم فاذا دخلت عليه الفاء علم انه على اضمار المبتدا وكذلك لو ارتفع دون
لا كقوله ومن عاد فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه وتضمن قوله فلا اعبد
معنى فانا مخالفكم وان اقم يحتمل ان تكون معمولة لقوله وامرت مراعا فيها المعنى لان
معنى قوله ان اكون كن من المومنين فيكون ان مصدرية صلتها الامر وقد اجاز ذلك
النحويون فلم يلتزموا في صلتها ما التزم في صلات الاسما الموصولة من كونها لا يكون الا
خبرية بشروطها المذكورة في النحو ويحتمل ان يكون على اضمار فعل اي واوحي الي ان اقم
فاحتمل ان يكون مصدرية واحتمل ان يكون حرف تفسير لان الجملة المقدرة فيها معنى
القول واضمار الفعل اولى ليزول قلق العطف لوجود الكاف اذ لو كان وان اقم عطفا
على ان اكون لكان التركيب وجهي بيا المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف واضمار الفعل
اكثر من مراعاة العطف على المعنى والوجه هنا المنحى والمقصد اي استقم للدين ولا تحد
عنه وكني بذلك عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وحنيفا حال من الضمير في اقم
او من المفعول واجاز الزمخشري ان يكون حالا من الدين ولا تدع يحتمل ان يكون
استيناف نهي ويحتمل ان يكون معطوفا على اقم فيكون في حيز ان على قسميها من كونها
مصدرية وكونها حرف تفسير واذا كان دعا الاصنام منهيا عنه فاحرى ان ينهى عن عبادتها

فان

فان فعلت كنى بالفعل عن الدعا مجازا اي فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك وجواب
الشرط فانك وخبرها وتوسطت اذا بين اسم ان والخبر ورتبتها بعد الخبر لكن روعي
في ذلك الفاصلة قال الحوفي الفا جواب الشرط واذا متوسطة لا عمل لها يراد بها في هذا
اذا كان ذلك هذا تفسير المعنى لا يجي على معنى الجواب انتهى وقال الزمخشري اذا جواب
الشرط وجواب لجواب مقدر كان سايلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من
الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم انتهى وكلامه في اذا يحتاج الى
تامل وقد تقدم لنا الكلام فيها مشبعا في سورة البقرة ولما وقع النهي عن دعا الاصنام
وهي لا تضر ولا تنفع ذكر ان الحول والقوة والنفع والضر ليس ذلك الا لله وانه
تعالى هو المنفرد بذلك واتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة وطابق
بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر
فجات لفظة الضر الطف واخص من لفظة الشر وجات لفظة الخير اتم من لفظة النفع
ولفظة المس اوجز من لفظ الارادة وانص على الاصابة وانسب لقوله فلا كاشف له
الا هو ولفظ الارادة ادل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وانسب للفظ الخير وان كان
المس والارادة معناهما الاصابة وجا جواب وان يمسسك بنفي عام وايجابه وجا جواب
وان يردك بنفي عام لان ما اراده لا يرده راد لا هو ولا غيره لان ارادته قديمة لا تتغير
فلذلك لم يجي التركيب فلا راد له الا هو والمس من حيث هو فعل موصفة فعل يرفعه
ويرفعه بخلاف الارادة فانها صفة ذات وجا فلا راد لفضله سمى الخير فضلا اشعارا
بان الخير من الله تعالى هي صادرة على سبيل الفضل والاحسان والتفضل ثم اتسع في
الاخبار عن الفضل والخير فقال يصيب به من يشا من عباده ثم اخبر بالصفتين الدالتين
على عدم المواخذة وهما الغفور الذي يستر ويصفح عن الذنوب والرحيم الذي رحمته
سبقت غضبه ولما تقدم قوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فاخر الضر
ناسب ان تكون البداة بجملة الشرط المتعلقة بالضر وايضا فانه لما كان الكفار يتوقع
منهم الضر للمومنين والنفع لا يرجى منهم كان تقديم جملة الضر اكد في الاخبار فبدي بها
وقال الزمخشري فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت
كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه
لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة
في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة في الخير
في قوله يصيب به من يشا من عباده والمراد بالمشية المصلحة قل يايها الناس قد جاكم
الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل
واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين الحق القران او الرسول او دين
الاسلام ثلثة اقوال والمعنى فانما ثواب هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية
والضلال واقعان بارادة الله من العبد هذا مذهب اهل السنة وان من حكم له في الازل
بالاهتدا فسيقع ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في ذلك وقال القاضي
انه تعالى بين انه اكمل الشريعة وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل فلا يجب علي من السعي في ايصالكم
الى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الاليم ازيد مما فعلت وقال الزمخشري لم يبق
لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن
اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ازاحة
العلل وابانة الحق وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل
بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير انتهى وكلامه تذييل كلام القاضي
وهو جار على مذهب المعتزلة وامر تعالى نبيه باتباع ما يوحى اليه امرا بالديمومة وبالصبر على
ما يناله في الله من اذى الكفار واعراضهم وغيا الامر بالصبر بقوله حتى يحكم الله وهو وعد
منه تعالى باعلا كلمته ونصره على اعدايه كما وقع وذهب ابن عباس وجماعة الى ان قوله وما

انا علیکم بوکیل واصبر منسوخ بآیة السیف وذهب جماعة الی انه محکم وحملوا وما انا علیکم توکیل
علی انه لیس بحفیظ علی اعمالهم لیجازیهم علیها بل ذلك لله وقوله واصبر علی الصبر علی طاعة
الله وحمل اثقال النبوة واداء الرسالة وعلی هذا لا تعارض بین هاتین الایتین وبین ایة السیف
والجهاد قال المحققون وروی انها لما نزلت واصبر جمع رسول الله صلی الله علیه وسلم الانصار
فقال انکم ستجدون بعدی اثرة فاصبروا حتی تلقونی قال الزمخشری یعنی آنی امرت فی هذه
الایة بالصبر علی ما سامنی الکفرة فصبرت واصبروا انتم علی ما سومکم الامرا الجورة قال انس
فلم نصبر ثم ذکر حکایة تجری بین ابی قتادة ومعاویة رضی الله عنهما موقفه علیها من کتابه
ثنی الشی ثنیا طواه یقال ثنی عطفه وثنی صدره وطوی کشحه • الخب جماعة من الناس
یجتهدون لنهابه فیتعصبون فیه • رذل الرجل رذالة فهو رذل اذا کان سفلة لا خلاف له
ولا ابیاله بما یقول وما یفعل • الاخبات التواضع والتذلل ماخوذ من الخبت وهو المطمئن
من الارض وقیل البراح القفر المستوی ویقال اخبت دخل فی الخبت کانجد دخل نجدا واتهم
دخل تهامة ثم توسع فیه فقیل لمن ذکره حمد ویتعدی اخبت بالی وباللام ویقال للشی
الدنی الخبیث قال الشاعر • ینفع الطیب الخبیث من الرزق ولا ینفع الکثیر الخبیث
لزم الشی والطب علیه بفارقه ومنه اللزام زری تزری کحفی وازری علیه عابه وازدری
افتعل من زری ای احتقر التنور مستوقد النار ووزنه فعول عند ابی علی وهو اعجمی
ولیس بمشتق وقال ثعلب وزنه تفعول من النور واصله تنوور فهمزت الواو ثم خففت
وشدد الحرف الذی قبله کما قال رایت عرابة اللواسی یسمو الی الغایات منقطع القرین •
یرید عرابة الاوسی وللمفسر بن اقوال فی التنور ستاتی فیه ان شاء الله تعالی •

بسم الله الرحمن الرحیم الر کتاب احکمت

ایاته ثم فصلت من لدن حکیم خبیر الا تعبدوا الا الله اننی لکم منه نذیر وبشیر وان استغفروا
ربکم ثم توبوا الیه یمتعکم متاعا حسنا الی اجل مسمی ویوت کل ذی فضل فضله وان تولوا فانی
اخاف علیکم عذاب یوم کبیر الی الله مرجعکم وهو علی کل شی قدیر قال ابن عباس والحسن و
وعکرمة ومجاهد وقتادة وجابر بن زید هذه السورة مکیة کلها وعن ابن عباس مکیة کلها
الا قوله فلعلك تارك بعض ما یوحی الیك الایة وقال مقاتل مکیة الا قوله فلعلك تارك
الایة وقوله اولیك یومنون به نزلت فی ابن سلام واصحابه وقوله ان الحسنات یذهبن
السیات نزلت فی نبهان التمار وکتاب خبر مبتدا محذوف یدل علیه ظهوره بعد هذه الحروف
المقطعة کقوله الم ذلك الکتاب واحکمت صفة له ومعنی الاحکام نظمه نظما رصینا لا نقص فیه
ولا خلل کالبناء المحکم المؤتلف فی الترصیف وعلی هذا فالهمزة فی احکمت لیست للنقل
ویجوز ان تکون للنقل من حکم بضم الکاف اذا صار حکیما فالمعنی جعلت حکیمة کقوله تلك
ایات الکتاب الحکیم علی احد التاویلین فی قوله الکتاب الحکیم وقیل من احکمت الدابة اذا
منعتها من الجماح بوضع الحکمة علیها فالمعنی منعت من الفساد کما قال جریر • ابنی حنیفة
احکموا سفهاءکم انی اخاف علیکم ان اغضبا • وعن قتادة احکمت من الباطل وقال ابن قتیبة احکمت
اتقنت شبه بما یحکم من الامور المتقنة الکاملة وبهذه الصفة کان القران فی الاول ثم فصل
بتقطیعه وتبیین احکامه واوامره علی محمد صلی الله علیه وسلم ثم علی بابها وهذه طریقة
الاحکام والتفصیل اذ الاحکام صفة ذاتیة والتفصیل انما هو بحسب من یفصل له والکتاب
اجمعه محکم مفصل والاحکام الذی هو ضد النسخ والتفصیل الذی هو خلاف الاجمال
انما یتناولان مع ما ذکرناه باشتراك وحکی الطبری عن بعض المتاولین احکمت بالامر والنهی
وفصلت بالثواب والعقاب وعن بعضهم احکمت من الباطل وفصلت بالحلال والحرام
ونحو هذا من التخصیص الذی هو صحیح المعنی ولکن لا تقتضیه اللفظ وقیل فصلت معناه
فسرت وقال الزمخشری ثم فصلت کما تفصل القلاید بالدلایل من دلایل التوحید والاحکام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وایة ایة او فرقت فی التنزیل ولم تنزل
جملة واحدة او فصل فیها ما یحتاج الیه العباد ای بین ولخص وقرا عکرمة والضحاك والجحدری
وزید بن علی وابن کثیر فی روایة ثم فصلت بفتحتین خفیفة علی لزوم الفعل للایات قال

صاحب

صاحب اللوامح یعنی انفصلت وصدرت وقال ابن عطیة فصلت بین المحق والمبطل من الناس
او نزلت الی الناس کما تقول فصل فلان لبسفره قال الزمخشری وقری احکمت ایاته ثم فصلت
ای احکمتها انا ثم فصلتها کانت قلت ــــ ما معنی ثم قلت لیس معناها التراخی فی الوقت
ولکن فی الحال کما تقول هی محکمة احسن الاحکام ثم مفصلة احسن التفصیل وفلان کریم
الاصل ثم کریم الفعل انتهی یعنی ان ثم جات لترتیب الاخبار لا لترتیب الوقوع فی الزمان واحتمل
من لدن ان یکون فی موضع الصفة ومن اجاز تعداد الاخبار اذا لم تکن فی معنی خبر واحد
اجاز ان یکون خبرا بعد خبر قال الزمخشری وان تکون صلة احکمت وفصلت ای من عنده
احکامها وتفصیلها وفیه طباق حسن لان المعنی احکمها حکیم وفصلها ای بینها وشرحها خبیر
بکیفیات الامور انتهی ولا یرید ان من لدن متعلق بالفعلین معا من حیث صناعة الاعراب
بل یرید ان ذلك من باب الاعمال فهی متعلقة بهما من حیث المعنی وان لا تعبدوا ویحتمل
ان تکون ان حرف تفسیر لان فی تفصیل الایات معنی القول وهذا اظهر لانه لا یحتاج الی اضمار
وقیل التقدیر لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فیکون مفعولا من اجله ووصلت ان بالنهی
وقیل ان نصبت تعبدوا فالفعل خبر منفی وقیل ان هی المخففة من الثقیلة وجملة
النهی فی موضع الخبر وفی هذه الاقوال العامل فصلت واما من اعربه انه بدل من لفظ ایات
او من موضعها او التقدیر من النظر ان لا تعبدوا الا الله او فی الکتاب ان لا تعبدوا
او هی ان لا تعبدوا او تفصیله ان لا تعبدوا فهو بمعزل عن علم
الاعراب والظاهر عود الضمیر فی منه الی الله ای اننی لکم نذیر من جهته وبشیر فیکون
فی موضع الصفة فتتعلق بمحذوف ای کاین من جهته او تتعلق بنذیر ای انذرکم من عذابه
ان کفرتم وبشیر بثوابه ان امنتم وقیل یعود علی الکتاب ای نذیر لکم من مخالفته وبشیر
منه لمن امن وعمل به وقدم النذیر لان التخویف هو الاهم وان استغفروا معطوف
علی ان لا تعبدوا ونفی او نهی ای یعبد الا الله وامر بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة
وهما معنیان متباینان لان الاستغفار طلب المغفرة وهی الستر والمعنی انه لا یبقی لها تبعة
والتوبة الانسلاخ من المعاصی والندم علی ما سلف منها والعزم علی عدم العود الیها
ومن قال الاستغفار توبة جعل قوله ثم توبوا بمعنی اخلصوا التوبة واستقیموا علیها
قال ابن عطیة وثم مرتبة لان الکافر اول ما ینیب فانه فی طلب مغفرة ربه فاذا تاب وتجرد
من الکفر تم ایمانه وقال الزمخشری فان قلت ــــ ما معنی ثم فی قوله ثم توبوا الیه قلت
معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا الیه بالطاعة وقرا الحسن وابن هرمز وزید بن
علی وابن محیصن یمتعکم بالتخفیف من امتع وانتصب متاعا علی انه مصدر جار علی غیر
الفعل او علی انه مفعول به لانك تقول متعت زیدا ثوبا والمتاع الحسن الرضی بالمیسور والصبر
علی المقدور وحسن العمل وقطع الامل او النعمة الکافیة مع الصحة والعافیة او الحلال الذی
لا طلب فیه ولا تعب او لزوم القناعة وتوفیق الطاعة اقوال وقال الزمخشری یطول نفعکم
فی الدنیا بمنافع حسنة مرضیة من عیشة واسعة ونعمة متتابعة قال ابن عطیة وقیل
هو فواید الدنیا وزینتها وهذا ضعیف لان الکفار یشارکون فی ذلك اعظم مشارکة وربما
زادوا علی المسلمین فی ذلك قال ووصف المتاع بالحسن انما هو لطیب عیش المومن برجایه
فی الله عز وجل وفی ثوابه وفرحه بالتقرب الیه بمفترضاته والسرور بمواعیده والکافر
لیس فی شی من هذا والاجل المسمی هو اجل الموت قاله ابن عباس والحسن وقال ابن جبیر
یوم القیامة والضمیر فی فضله یحتمل ان یعود علی الله تعالی ای یعطی فی الاخرة کل من کان
له فضل فی عمل الخیر وزیادة ما تفضل به تعالی وزاده ویحتمل ان یعود علی کل ای جزا ذلك
الفضل الذی عمله فی الدنیا لا یبخس منه شی کما قال نوف الیهم اعمالهم ای جزاها والدرجات
تتفاضل فی الجنة بتفاضل الطاعات وتقدم امران بینهما تراخ وترتب علیهما جوابان بینهما تراخ
ترتب علی الاستغفار التمتیع المتاع الحسن فی الدنیا کما قال فقلت استغفروا ربکم انه کان غفارا
یرسل السماء علیکم مدرارا الایة وترتب علی التوبة ایتاء الفضل فی الاخرة وناسب کل جواب
لما وقع جوابا له لان الاستغفار من الذنب اول حال الراجع الی الله فناسب ان یرتب علیه حال

الدنيا والنوبة هي المجية من النار والتي تدخل الجنة فناسب ان يرتب عليهما حال
الاخرة والظاهر ان تولوا مضارع حذف منه التا اي وان تتولوا وقيل هو ماض
للغائبين والتقدير قيل لهم اني اخاف عليكم وقرا اليماني وعيسى بن عمر وان
تولوا بضم التا واللام وفتح الواو مضارع ولي والاولى مضارع تولى وفي كتاب
اللوامح اليماني وعيسى البصرة وان تولوا بثلاث ضمات مرتبا للمفعول به وهو
ضد التبري وقرا الاعرج تولوا بضم التا واللام وسكون الواو مضارع اولى
ووصف يوم بكبير وهو يوم القيمة لما يقع فيه من الاهوال وقيل هو يوم
بدر وغيره من الايام التي رموا فيها بالخذلان والقتل والسبي والنهب وابعد
من ذهب الى ان كبير صفة لعذاب وخفض على الجوار وبالجملة تضمنت
تهديدا عظيما وصرحت بالبعث وذكران قدرته عامة لجميع ما يشا ومن ذلك
البعث فهو لا يعجزه ما شا من عذابهم الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
نزلت في الاخنس بن شريق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف
انه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس وعنه ايضا في ناس كانوا يستحيون
ان يفضوا الى السما في الخلا ومجامعة النسا وقيل في بعض المنافقين كان
اذا مر بالرسول ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله
عبد الله بن شداد وقيل في طايفة قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم بنا ذكره الزجاج
وقيل فعلوا ذلك ليبعد عليهم صوت الرسول ولا يدخل اسماعهم القران ذكره ابن
الانباري ويثنون مضارع ثنى قراة الجمهور وقرا سعيد بن جبير يثنون
بضم اليا مضارع اثنى صدورهم بالنصب قال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثنا
في هذا الباب الا ان يراد به وجدتها مثنية مثل احمدته وامجدته ولعله فتح
النون وهذا مما فعل بهم فيكون نصب صدورهم بنزع الجار ويجوز على ذلك
ان يكون صدورهم رفعا على البدل بدل البعض من الكل وقال ابو البقا ماضيه
اثنى ولا يعرف في اللغة الا ان يقال معناه عرضوها للاثنا كما يقال ابعت الفرس
اذا عرضته للبيع وقرا ابن عباس وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد وابنه
جعفر ومجاهد وابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن ابزى والجحدري
وابن ابي اسحق وابو الاسود الدولي وابو رزين والضحاك تثنوني بالتا مضارع
اثنونى على وزن افعوعل نحو اعشوشب المكان صدورهم بالرفع بمعنى تنطوي
صدورهم وقرا ايضا ابن عباس ومجاهد وابن يعمر وابن ابي اسحق يثنوني باليا
صدورهم بالرفع ذكر على معنى الجمع دون الجماعة وقرا ابن عباس ايضا وعروة
وابن ابي ابزى والاعشى تثنون ووزنه تفعوعل من الثن بنى منه افعوعل وهو
ما هش وضعف من الكلا واصله تثنونن يريد مطاوعة نفوسهم للشي كما ينثني الهش
من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع وقرا عروة
ومجاهد ايضا كذلك الا انه همز فقرا يثنئن مثل يطمئن وصدورهم رفع وهذه
مما استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل اشاح وقد قيل ان يثنئن يفعئل من الثن
المتقدم مثل تحمار وتصفار فحركت الالف لالتقائهما بالكسر فانقلبت همزة وقرا
الاعشى يثنوون مثل يفعلون مهموز اللام صدورهم بالنصب قال صاحب اللوامح
ولا اعرف وجهه لانه يقال ثنيت ولم اسمع ثنات ويجوز انه قلب اليا الفا على لغة
من يقول اعطات في اعطيت ثم همز على لغة من يقول ولا الضالين وقرا ابن عباس
يثنوي بتقديم الثا على النون وبغير نون بعد الواو على وزن ترعوي قال
ابو حاتم وهذه القراة غلط لا تتجه انتهى وانما قال ذلك لانه لا حظ للواو في هذا
الفعل لا يقال ثنوته فانثوى كما يقال رعوته اي كففته فارعوى فانكف ووزنه

افعل

افعل وقرا نصر بن عاصم وابن يعمر وابن ابي اسحق ينثون بتقديم النون على الثا
فهذه عشر قراات في هذه الكلمة والضمير في انهم عايد على بعض من بحضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم من الكفار اي يطوون صدورهم على عداوته قال الزمخشري يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشي استقبله بصدره
ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمومنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون
لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه
فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفا حين يستغشون
ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم
واستغشوا ثيابهم انتهى فالضمير في منه على قوله عايد على الله قال ابن عطية
وهذا هو الافصح الاجزل في المعنى انتهى ويظهر من بعض اسباب النزول انه عايد على
الرسول كما قال ابن عطية قال قيل ان هذه الاية نزلت في الكفار الذين كانوا اذا
لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر وردوا اليه
ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقايه وهم يظنون ان
ذلك يخفى عليه او عن الله تعالى فنزلت الاية انتهى فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقا
بقوله يثنون وكذا قال الحوفي وقيل هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون
عليه كما تقول فلان يطوي كشحه على عداوته ويثني صدره عليها فمعنى الاية انهم
يسرون العداوة ويتكتمون لها لتخفى في ظنهم عن الله عز وجل وهو تعالى حين تغشيهم
بثيابهم وابلاغهم في التستر يعلم ما يسرون انتهى فعلى هذا تكون حين معمولا لقوله
يعلم وكذا قاله الحوفي لا للمضمر الذي قدره الزمخشري وهو قوله ويريدون الاستخفا
حين يستغشون ثيابهم وقال ابو البقا الا حين العامل في الظرف محذوف اي الا حين
يستغشون ثيابهم يستخفون ويجوز ان يكون ظرفا ليعلم وقيل كان بعضهم ينحني على
بعض ليساره في الطعن على المسلمين وبلغ من جهلهم ان ذلك يخفى على الله تعالى قال
قتادة اخفى ما يكون ابن ادم اذا حنى ظهره واستغشى ثوبه واضمر في نفسه همه وقال مجاهد
يطوونها على الكفر وقال ابن عباس يخفون ما في صدورهم من الشحنا وقال قتادة
يخفون ليسمعوا كلام الله وقال ابن زيد يكتمونها اذا ناجى بعضهم بعضا في امر الرسول
وقيل يثنونها حيا من الله تعالى ومعنى يستغشون يجعلونها اغشية ومنه قول الخنساء
ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري • وقيل المراد بالثياب الليل واستعير
لها لما بينهما من العلاقة بالستر لان الليل يستر كما تستر الثياب ومنه قولهم الليل اخفى
للويل وقرا ابن عباس على حين يستغشون قال ابن عطية ومن هذا الاستعمال قول النابغة
على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع • انتهى وقال ابن عباس ما يسرون
بقلوبهم وما يعلنون بافواههم وقيل ما يسرون بالليل وما يعلنون بالنهار وقال ابن
الانباري معناه انه يعلم سرايرهم كما يعلم مظهراتهم وقال الزمخشري يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفا والله مطلع
على ثنيهم صدورهم واستغشايهم بثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده وقال صاحب التحرير
الذي تقتضيه سياق الاية انه اراد بما يسرون ما انطوت عليه صدورهم من الشرك والنفاق
والغل والحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان ذلك كله من اعمال القلوب
واعمال القلوب خفية جدا واراد بما يعلنون ما يظهرونه من استدبارهم النبي صلى الله
عليه وسلم وتغشيتهم ثيابهم وسد اذانهم وهذه كلها اعمال ظاهرة لا تخفى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين الدابة هنا
عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن
تعالى ان يتفضل به عليهم ابرزه في حيز الوجوب قال ابن عباس مستقرها حيث تاوي
اليه من الارض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن وعنه ايضا مستقرها في الرحم

ومستودعها في الصلب وقال الربيع بن انس مستقرها ايام حياتها ومستودعها حين تموت
وحين تبعث وقيل مستقرها في الجنة او في النار ومستودعها في القبر ويدل عليه حسنت مستقرا
وساءت مستقرا وقيل ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما تصير اليه وقيل المستقر ما حصل موجودا
من الحيوان والمستودع ما سيوجد بعد المستقر وقال الزمخشري المستقر مكانه من الارض
ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة انتهى ومستقر
ومستودع يحتمل ان يكونا مصدرين ويحتمل ان يكونا اسمي مكان ويحتمل مستودع ان يكون
اسم مفعول لتعدي الفعل منه ولا يحتمله مستقر للزوم فعله كل اي كل من الرزق والمستقر
والمستودع في اللوح يعني وذكرها مكتوب فيه مبين وقيل الكتاب هنا مجاز وهو اشارة
الى علم الله وحمله على الظاهر اولى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه
الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون لما ذكر تعالى ما يدل
على كونه تعالى عالما ذكر ما يدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الاولى في سورة
يونس والظاهر ان قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل خلق السموات والارض وفي
هذا دليل على ان الماء والعرش كانا مخلوقين قبل قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء فنظر
اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وروي
عن ابن عباس انه وقد قيل له على اي شيء كان الماء قال كان على متن الريح والظاهر تعلق
ليبلوكم بخلق قال الزمخشري اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده
وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع
اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل
بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى
قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما يقول انظر ايهم
احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم انتهى وفي قوله
ومن كفر وعصى عاقبه دسيسة الاعتزال واما قوله واستمع ايهم احسن صوتا فلا اعلم
احدا ذكر ان اسمع تعلق وانما ذكروا من غير افعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق
راى البصرية خلاف وقيل ليبلوكم متعلق بفعل محذوف تقديره اعلم بذلك ليبلوكم
ومقصد هذا التاويل ان هذه المخلوقات لم تكن بسبب البشر وقيل تقدير الفعل
خلقكم ليبلوكم وقيل في الكلام جمل محذوفة التقدير وكان خلقه لهما لمنافع يعود
عليكم نفعها في الدنيا دون الاخرة وفعل ذلك ليبلوكم ومعنى ايكم احسن عملا اهذا
احسن ام هذا قال ابن عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع
من محارم الله واسرع في طاعة الله ولو صح هذا التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يعدل عنه وقال الحسن ازهد في الله وقال مقاتل اتقى لله وقال الضحاك اكثركم شكرا
قال الزمخشري فان قلت فكيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت
الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله
من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه
وليكون ذلك تيقظا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم انتهى ولئن قلت
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرا عيسى الثقفي ولئن قلت بضم التاء اخبارا
عنه تعالى والمعنى ولئن قلت مستدلا على البعث من بعد الموت اذ في قوله
تعالى وهو الذي خلق دلالة على القدرة العظيمة فمتى اخبر بوقوع ممكن وقع لا
محالة وقد اخبر بالبعث فوجب قبوله وتيقن وقوعه وقرئ انكم بفتح الهمزة قال
الزمخشري ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما بمعنى علك اي ولئن
قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لا تبتوا القول بانكاره لقالوا

ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت انتهى يعني فتفتح الهمزة لانها في موضع مفعول ذكرت
والظاهر الاشارة بهذا الى القول اي ان قولك انكم مبعوثون الا سحر اي بطلان هذا
القول كبطلان السحر ويحتمل ان يكون اشارة الى ما دلت عليه الجملة من البعث اي ان البعث وقيل
اشاروا بهذا الى القران وهو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار
ما فيه من البعث وغيره قال ابن عطية كذبوا وقالوا هذا سحر فهذا تناقض منهم ان كان مطلق
بغريبات الله كفاطر السموات والارض فهو من جملة المقرب بهذا او هم مع ذلك ينكرون
ما هو ايسر منه بكثير وهو البعث من القبور اذ البداءة اعسر من الاعادة وان خلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس انتهى وقرا الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة وفرقة من
السبعة سحر وقرات فرقة ساحر يريدون به الساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا حكى تعالى
نوعا اخر من اباطيلهم واستهزائهم والعذاب هنا عذاب القيامة وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين والظاهر العذاب الموعود به والامة هنا المدة
من الزمان قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور ومعناه الى حين ووقت معلوم
ما يحبسه استفهام قالوه وهو على سبيل التكذيب والاستهزاء قال الطبري سميت المدة
امة لانها تنقضي فيها امة من الناس وتحدث اخرى فهي على هذا المدة الطويلة ثم استفتح
الاخبار بانه يوم لا يرده شيء ولا يصرفه والظاهر ان يوم منصوب بقوله مصروفا فهو
معمول لخبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليها قالوا لان تقدم
المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه اكثر البصريين وذهب
الكوفيون والمبرد الى انه لا يجوز ذلك وقالوا لا يدل جواز تقدم المعمول على جواز
تقدم العامل وايضا فان الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما ويقعان
حيث لا يقع العامل فيهما نحو ان اليوم زيدا مسافر وقد تتبعت جملة من دواوين العرب
فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية وقول الشاعر
فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم وتقدم تفسير جملة وحاق بهم
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة واجر كبير لما ذكر تعالى عذاب الكفار وان تاخر لا بد ان يحيق بهم
ذكر ما يدل على كفرهم وكونهم مستحقين العذاب لما جبلوا عليه من كفر نعماء الله وما يترتب
على احسانه تعالى اليهم مما لا يليق بهم من فخرهم على عباد الله والظاهر ان الانسان هنا
هو جنس والمعنى ان هذا الخلق في سجايا الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع
والايمان الى الصبر والعمل الصالح ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله الا الذين صبروا واحتمله
وقيل المراد هنا بالانسان الكافر وقيل المراد به انسان معين فقال ابن عباس هو الوليد
بن المغيرة وفيه نزلت وقيل عبد الله بن امية المخزومي وذكره الواحدي وعلى هذين القولين
يكون استثناء منقطعا ومعنى رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها اي سلبناها
منه ويؤوس كفور صفتا مبالغة والمعنى انه شديد الياس كثيره بياس ان يعود اليه
مثل تلك النعمة المسلوبة ويقطع من فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور
كثير الكفران لما سلف لله عليه من نعمه ذكرها لنا لانسان اذا بدي بالنعمة ولم يسبقه
الضر ثم ذكر حاله اذا جاءته النعمة بعد الضر ومعنى ذهب السيئات اي المصائب التي تسوئني
وقوله هذا يقتضي نظرا وجهلا لان ذلك بانعام من الله وهو يعتقد ان ذلك اتفاق
او بسعد وهو اعتقاد فاسد اشر لفرح اشر بطر وهذا الفرح مطلق فلذلك ذم المتصف
به ولم يات في القران للمدح الا مقيدا بما فيه خير كقوله فرحين بما اتاهم الله من فضله
وقرا الجمهور لفرح بكسر الراء وهي قياس اسم الفاعل من فعل اللازم وقرات فرقة لفرح
بضم الراء وهي قياس كما يقول ندس ونطس ونحوه وهو تعاظمه على الناس بما اصابه من
النعماء واستثنى تعالى الصابرين يعني على الضراء وعاملي الصالحات ومنها الشكر على النعماء اولئك
لهم مغفرة لذنوبهم تقتضي زوال العقاب والخلاص منه واجر كبير هو الجنة فيقتضي

الفوز بالثواب ووصف الاجر بقوله كبير لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف
والامن من العذاب ورضى الله عنهم والنظر الى وجهه الكريم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله
على كل شيء وكيل قال الزمخشري كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم
لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا يتهاونون بالقران ويتهاونون به وبغيره
مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا
يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم
واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه
اياهم مخافة ردهم وتهاونهم به وضايق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم
ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم
بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله
على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك
اليه وقال ابن عطية سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت
سب الهتنا وتسفيه ابائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا ائت بقران غير هذا او بدله ونحو
هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة
وتقرير بما توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى انه عليه السلام هم بشيء من
ذلك ثم خرج عنه فانه لم يرد قط ترك شيء مما اوحي اليه ولا ضاق صدره به وانما كان
يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان ولعلك ها هنا بمعنى التوقيف
والتقرير وما يوحى اليه هو القران والشريعة والدعاء الى الله كان في ذلك سب
الهتهم وتسفيه ابائهم وغيره ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقى
من الشدة فمال الى ان يكون من الله اذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا
من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت ايات الموادعة وعبر بضايق دون ضيق
للمناسبة في اللفظ مع تارك وان كان ضيق اكثر استعمالا لانه وصف لازم وضايق وصف عارض
وقال الزمخشري فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضايق قلت ليدل على انه ضيق عارض
غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك سيد وجواد
تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سايد وجايد
انتهى وليس هذا الحكم مختصا بهذه الالفاظ بل كل ما بني من الثلاثي للثبوت والاستقرار
على غير وزن فاعل رد اليه ان اريد معنى الحدوث فتقول حاسن من حسن وثاقل من ثقل
وفارح من فرح وسامن من سمن وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها والظاهر عود الضمير في به على بعض
وقيل على ما وقيل على التبليغ وقيل على التكذيب قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل
والمعنى هل انت تارك ما فيه تسفيه احلامهم وسب الهتهم كما سالوك واقدروا
كراهة ان يقولوا ولئلا يقولوا وبان يقولوا ثلاثة اقوال والكنز المال الكثير وقالوا
انزل ولم يقولوا اعطي لان مرادهم التعجيز وانهم التمسوا ان ينزل عليه من السماء
كنز على خلاف العادة فان الكنوز انما تكون في الارض وطلبهم اية تضطرهم الى الايمان
والله عز وجل لم يبعث الانبياء بايات اضطرار انما بعثهم بايات النظر والاستدلال
ولم يجعل اية الاضطرار الا للامة التي اراد تعذيبها لكفرها بعد اية الاستدلال كالناقة
لثمود ونبه تعالى بقوله انما انت نذير اي الذي فوض اليك هو النذارة لا تحصيل هدايتهم
فان ذلك انما هو لله تعالى وقال مقاتل وقيل كافل بالمصالح قادر عليها وقال ابن عطية
المحصي لايمان من امن وكفر من كفر قيل وهذه الاية منسوخة وقيل محكمة ام يقولون
افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم

صادقين

صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون
الظاهر ان ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة اي ايقولون افتراه وقال ابن القشيري
ام استفهام توسط الكلام على معنى ايكتفون بما اوحيت اليك من القران ام يقولون انه ليس
من عند الله فان قالوا انه ليس من عند الله فليأتوا بمثله وجعلها متصلة والظاهر الانقطاع
كما قلنا والضمير في افتراه عايد على قوله ما يوحى اليك وهو القران ومناسبة هذه
الاية لما قبلها انه لما تتعلق اطماعهم بان يترك بعض ما يوحى اليه لا ادعوا انه ليس من
عند الله وانه هو الذي افتراه وانما تحداهم اولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة
اذ كانت هذه السورة مكية والبقرة مدنية وسورة يونس ايضا مكية ويقتضي
التحدي بعشر ان تكون قبل طلب المعارضة بسورة فلما لم يستو الى الافترا طلب منهم ان
ياتوا بعشر سور مثله مفتريات ارخاء لعنادهم وكانه يقول هبوا اني اختلقته ولم يوح الي
فاتوا انتم بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل
ما اقدر عليه من الكلام وانما عين بقوله مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى
وشان من يريد تعجيز شخص ان يطالبه اولا بان يفعل امثالا مما فعل هو ثم اذا تبين
عجزه قال له افعل مثلا واحدا ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع كما قال
تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وتجوز المطابقة في التثنية والجمع كقوله ثم لا يكونوا امثالكم
وحور عين كامثال اللولو المكنون واذا افرد وهو تابع لمثنى او مجموع فهو بتقدير
المثنى والمجموع اي مثلين وامثال والمعنى هنا بعشر سور امثاله ذهابا الى مماثلة كل
سورة منها له وقال ابن عطية وقع التحدي في هذه الاية بعشر لانه قيدها بالافترا
توسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام اذ قد عجزهم في غير هذه الاية بسورة
مثله دون تقييد فهي مماثلة تامة في غيوب القران ونظمه ووعده ووعيده وعجزوا
في هذه الاية بان قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر امثاله في التقدير والفرض
ولحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم الا نظمه فهذه غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا
عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجيء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا يبالي
عن تقديم نزول هذه على هذه ويؤيد هذا النظر ان التكليف في اية البقرة
انما هو بسبب الريب ولا يزيل الريب الا العلم بانهم لا يقدرون على المماثلة التامة
وفي هذه الاية انما التكليف بسبب قولهم افتراه وكلفوا نحو ما قالوا ولا يطرد
هذا في اية يونس وقال بعض الناس هذه مقدمة في النزول على تلك ولا يصح ان
تكون السورة الواحدة المفتراة واية سورة يونس في تكليف سورة مرتبة
على قولهم افتراه وكذلك اية البقرة انما رميتم بان القران مفترى وقائل هذا القول
لم يلحظ الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة ووقوفها على النظم مرة انتهى والظاهر
ان قوله مثله لا يراد به المثلية في كون المعارض عشر سور بل مثله يدل على مماثلة
في مقدار من القران وروي عن ابن عباس ان السور التي وقع بها طلب المعارضة
لها هي معينة البقرة وال عمران والنساء والمايدة والانعام والاعراف والانفال
والتوبة ويونس وهود فقوله مثله اي مثل هذه عشر السور وهذه السور
اكثرها مدني فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد ولعل هذا لا يصح عن ابن
عباس والضمير في فان لم يستجيبوا عايد على من طلب منهم المعارضة وكم الضمير جمع
يشمل الرسول والمومنين وجوز ان يكون خطابا للرسول على سبيل التعظيم كما جاء فان لم
يستجيبوا لك قاله مجاهد وقيل ضمير يستجيبوا عايد على المدعوين وكم خطاب للمامورين
بدعاء من استطاعوا قاله الضحاك اي فان لم تستجب من تدعونه الى المعارضة فاذعنوا
حينيذ واعلموا انه من عند الله وانه انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار
بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك انه لا اله الا هو وان توحيده واجب فهل انتم
مسلمون اي تابعون للاسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة وعلى ان الخطاب للمومنين
معنى فاعلموا اي دوموا على العلم وازدادوا يقينا وثبات قدم انه من عند الله ومعنى فهل

انتم مسلمون اي مخلصو الاسلام وقال مقاتل بعلم الله باذن الله وقال الكلبي بامره
وقال القتبي من عند الله والذي يظهر ان الضمير في فان لم يستجيبوا عايد على من استطعتم
وفي لكم عايد على الكفار لعود الضمير على اقرب مذكور ولكون الخطاب يكون لواحد
ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الامر بالعلم ولا يتحرر بانزاله فعد وهو
في العلم ود وهو على العلم بانه لا اله الا هو ولان يكون قوله فهل انتم مسلمون تحريضا
على تحصيل الاسلام لا انه يراد به الاخلاص ولما طولبوا بالمعارضة وامروا بان يدعو
من يساعدهم على تحصيل المعارضة ولا استجاب اصنامهم ولا الهتهم لهم امروا بان يعلموا
انه من عند الله وليس مفترى فتمكن معارضته وانه تعالى هو المختص بالالوهية لا
يشركه في شي منها الهتهم واصنامهم فلا يمكن ان يجيبوا لظهور عجزهم وانهم لا تنفع ولا
تضر في شي من المطالب وقرا زيد بن علي انما نزل بفتح النون والزاي وتشديدها
واحتمل ان تكون ما مصدرية اي ان التنزيل واحتمل ان يكون بمعنى الذي اي ان
الذي نزل وحذف الضمير المنصوب لوجود شرط جواز الحذف من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اوليك الذين ليس
لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون مناسبة هذه
الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر شيا من احوال الكفار المناقضين في القران ذكر شيا من
احوالهم الدنيوية وما يوولون اليه في الاخرة وظاهر من العموم في كل من يريد زينة
الحياة الدنيا والجزا مقرون بمشيته تعالى كما بين ذلك في قوله من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد الاية وقال مجاهد هي في الكفرة وفي اهل الريا من المومنين
والى هذا ذهب معوية حين حدث بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرايين
فتلى هذه الاية وقال السدي في اليهود والنصارى قال ابن عطية ومعنى هذا الا انهم
مخلون في هذه الاية لا انها ليست في غيرهم وقيل في المنافقين الذين جاهدوا مع
الرسول فاسهم لهم ومعنى يريد الحياة الدنيا اي يقصد باعماله التي يظهر انها صالحة
الدنيا فقط ولا يعتقد اخره فان الله يجازيه على حسن اعماله كما جا واما الكافر
فيطعمه في الدنيا بحسناته وان اندرج في العموم المراوون من اهل القبلة كما ترى احدهم
اذا صلى اماما يتنغم بالفاظ القران ويرتله احسن ترتيل ويطيل ركوعه وسجوده
ويتباكى في قراته واذا صلى وحده يختلسها اختلاسا واذا تصدق اظهر صدقته امام
من يثني عليه ودفعها لمن لا يستحقها حتى يثني عليه الناس واهل الرباط المتصدق
عليهم واين هذا من رجل يتصدق خفية وعلى من لا يعرفه كما جا في السبعة الذين
يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله
ما انفقت يمينه وهذه مبالغة في اخفا الصدقة جدا واذا تعلم علما رايى به وتبجح
وطلب بعظمه يسير حطام من عرض الدنيا وقد فشا الريا في هذه الامة فشوا كثيرا
حتى لا يكاد ترى مخلصا لله في قول ولا فعل فهولاء اول من تسعر بهم النار يوم
القيامة وقرا الجمهور نوف بنون العظمة وطلحة بن ميمون يوف بالياء على الغيبة
وقرا زيد بن علي يوف بالياء مخففا مضارع اوفى وقرئ توف بالتاء مبنيا للمفعول
واعمالهم بالرفع وهو على هذه القراات مجزوم جواب الشرط كما انجزم في قوله من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه وحكي عن الفرا ان كان زايدة ولهذا انجزم الجواب
ولعله لا يصح اذ لو كانت زايدة لكان فعل الشرط يريد وكان يكون مجزوما وهذا
التركيب من مجي فعل الشرط ماضيا والجواب مضارعا ليس مخصوصا بكان بل هو
جايز في غيرها كما روي في بيت زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام ان يرقى السما
بسلم وقرا الحسن نوفي بالتخفيف واثبات اليا فاحتمل ان يكون مجزوما بحذف الحركة
المقدرة على لغة من قال الم ياتيك وهي لغة لبعض العرب واحتمل ان يكون مرفوعا كما ارتفع
في قول الشاعر ان يسل زيعان الجميع مخافة يقول جهارا ويلكم لا تنفروا والحصر في كينونة
النار لهم ظاهر في ان الاية في الكفار فان اندرج اهل الريا فيها فيكون المعنى في حقهم ليس يجب

لهم

لهم او لا يحق لهم الا النار كقوله فجزاوه جهنم وجايز ان يتغمدهم الله برحمته وهو ظاهر
قول ابن عباس وابن جبير والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر انه عايد على الاخرة
والمجرور متعلق بحبط والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الاخرة ويجوز ان تتعلق بقوله
صنعوا فيكون عايدا على الحياة الدنيا كما عاد عليها في فيها قبل وما في ما صنعوا بمعنى
الذي او مصدرية وباطل وما بعده توكيد لقوله وحبط ما صنعوا وباطل خبر مقدم
ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدا وان كان خبرا بعد خبر ارتفع ما بباطل
على الفاعلية وقرا زيد بن علي وبطل جعله فعلا ماضيا وقرا ابي وابن مسعود وباطلا
بالنصب وخرجه صاحب اللوامح على انه مفعول ليعملون فهو معمول خبر كان متقدما
وما زايدة اي وكانوا يعملون باطلا وفي جواز هذا التركيب خلاف بين النحويين
وهو ان يتقدم معمول الخبر على الجملة باسرها من كان واسمها وخبرها ويشهد للجواز
قوله تعالى اهولا اياكم كانوا يعبدون ومن منع تاول واجاز الزمخشري ان ينتصب
باطلا على معنى المصدر على بطل بطلانا ما كانوا يعملون فتكون ما فاعله وتكون
من اعمال المصدر الذي هو بدل من الفعل في غير الاستفهام والامر وحقا انه يبطل
اعمالهم لانها لم تعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اوليك يومنون به ومن يكفر
به من النار فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون
لما ذكر حال من يريد الحياة الدنيا ذكر حال من يريد وجه الله تعالى باعماله الصالحة
وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير اكمن يريد الحياة الدنيا وكثيرا ما
ما حذف في القران كقوله افمن زين له سو عمله فراه حسنا وقوله امن هو قانت وهذا استفهام معناه
التقرير قال الزمخشري اي لا تعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين
تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان
على بينة من ربه اي على برهان من الله تعالى وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القران منه من
الله او شاهد من القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو
ذلك ايضا من قبل القران كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقرا القران شاهد منه
ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه ومن قبل التوراة اماما
كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه انتهى وقيل في من كان المومنون بالرسول وقيل
محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وقال علي بن ابي طالب وابن عباس وقتادة ومجاهد
والضحاك محمد والمومنون جميعا والبينة القران او الرسول والها للمبالغة والشاهد قال
ابن عباس والنخعي ومجاهد والضحاك وابو صالح وعكرمة هو جبريل وقال الحسين بن علي
هو الرسول وقال ايضا مجاهد هو ملك وكله الله بحفظ القران قال ابن عطية ويحتمل ان
يريد بهذه الالفاظ جبريل وقيل هو علي بن ابي طالب وروى المنهال عن عباد
بن عبد الله قال علي كرم الله وجهه ما في قريش احد الا وقد نزلت فيه اية قيل فما نزل
فيك قال ويتلوه شاهد منه وبه قال محمد بن علي وزيد بن علي وقيل هو الانجيل قاله
الفرا وقيل هو القران وقيل هو اعجاز القران قاله الحسين بن الفضل وقيل صورة الرسول
صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان كل عاقل نظر اليه علم انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه والضمير في منه يعود الى الدين او الى الرسول
او الى القران ويتلوه بمعنى يتبعه او يقروه والضمير المرفوع في يتلوه والمنصوب والمجرور
في منه يترتب على ما يناسب كل قول من هذه وقرا محمد بن السايب الكلبي وغيره كتاب
موسى بالنصب عطفا على مفعول يتلوه او باضمار فعل واذا لم يعن بالشاهد الانجيل
فانما خص التوراة بالذكر لان الملتين مجتمعتين على انها من عند الله والانجيل يخالف فيه اليهود

نكات الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الغير نفيًا او لي وهذا يجري مع قول الجن انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ومع قول النجاشي ان هذا والذي جا به موسى ليخرج
من مشكاة واحدة وانتصب اماما على الحال والذي يظهر في تفسير هذه الاية انه تعالى
لما ذكر الكفار وانهم ليس لهم الا النار اعقب بضدهم وهم المومنون وهم الذين
على بينة من ربهم والشاهد القران ومنه عايد على ربه ويدل على ان الشاهد
القران ذكر قوله ومن قبله اي ومن قبل القران كتاب موسى فمعناه انه تظافر على
هدايته شيا يكونه على امر واضح من برهان العقل وكونه يوافق ذلك البرهان
هذان الكتابين الالهيين القران والتوراة فاجتمع له العقل والنقل والاشارة
باوليك الى من كان على بينة داعي معنى مع الجمع والضمير في به يعود الى التوراة او الى القران
او الى الرسول ثلثة اقوال والاحزاب جميع الملل قاله ابن جبير او اليهود والنصارى قاله
قتادة او قريش قاله السدي او بنو امية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وال ابي
طلحة بن عبيد الله قاله مقاتل وقال الزمخشري يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فالنار موعده اي مكان وعده الذي يصيرون
اليه وقال حسان • اوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والموت لاقيها • والضمير
في منه عايد على القران وقيل على الخبر بان الكفار موعدهم النار وقرا الجمهور في مرية
بكسر الميم وهي لغة الحجاز وقرا السلمي وابو رجا وابو الخطاب السدوسي والحسن بضمها
وهي لغة اسد وتميم والناس اهل مكة قاله ابن عباس او جميع الكفار من شاك وجاهل
ومعاند قاله صاحب الغنيان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوليك يعرضون على ربهم
ويقول الاشهاد هولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اوليك لم يكونوا معجزين
في الارض وما كان لهم من دون الله من اوليا يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون اوليك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم
انهم في الاخرة هم الاخسرون لما سبق قولهم ام يقولون افتراه ذكر انه لا احد اظلم ممن
افترى على الله كذبا وهم المفترون الذين نسبوا الى الله الولد واتخذوا معه الهة وحرموا
وحللوا من غير شرع الله وعرضهم على الله بمعنى التشهير لخزيهم والاشادة بكذبهم
والا فالطايع والعاصي يعرضون على الله وعرضوا على ربك صفا والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف والاشهاد الملايكة الذين يحفظون
عليهم اعمالهم في الدنيا او الانبيا او هما والمومنون او ما يشهد عليهم من اعضايهم
اقوال وفي قوله هولا اشارة الى تحقيرهم واصغارهم بسوء مرتكبهم وفي قوله على ربهم اي على
من يحسن اليهم ويملك نواصيهم وكانوا جديرين ان لا يكذبوا عليه وهذا كما يقول
اذا رايت مجرما هذا الذي فعل كذا وكذا وتقدم تفسير الجملة بعد هذا وهم تاكيد
لقوله وهم وقوله معجزين اي كانوا لا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم
وما كان لهم من ينصرهم ويمنعهم من العقاب ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى
هذا اليوم قال الزمخشري وهو كلام الاشهاد يعني ان كلامهم من قولهم هولا الى اخر
هذه الجملة التي هي وما كان لهم من دون الله من اوليا وقد يظهر ان قوله تعالى الا لعنة
الله على الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية ويدل لقول الزمخشري قوله
فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الاية فكما انه من كلام المخلوقين في تلك الاية
فكذلك هنا يضاعف لهم العذاب لشدة وكثرة وهذا استيناف اخبار عن حالهم في الاخرة
لانهم جمعوا الى الكفر بالبعث الكذب على الله وصد عباده عن سبيل الله وبغي العوج لها
وهي الطريقة المستقيمة ما كانوا يستطيعون السمع اخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة
يعني السمع للقران ولما جا به الرسول وما كانوا يبصرون اي ينظرون اليه لبغضهم فيه الا
ترى الى حشو الطفيل بن عمرو اذنه من الكرسف واباية قريش ان يسمعوا ما نقل اليهم
من كلام الرسول حتى نزدهم عن ذلك مشيختهم او اخبار عن حالهم اذا ضعف لهم العذاب

اي انه تعالى حتم عليهم بذلك فهم لا يسمعون لذلك سماعا ينتفعون به ولا يبصرون
لذلك وقيل الضمير في كانوا عايد على اوليا وهم الهتهم اي فما كان لهم في الحقيقة
من اوليا وان كانوا يعتقدون انهم اوليا ويعني انه من لا يستطيع ان يسمع ولا يبصر
فكيف يصلح للولاية ويكون يضاعف لهم العذاب اعتراضا وما على هذه الاقوال
نفي وقيل ما مصدرية اي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وابصارهم
والمعنى ان العذاب وتضعيفه دايم لهم متماد واجاز الفرا ان يكون ما مصدرية وحذف
حرف الجر منها كما يحذف مع ان وان اختيها وهذا فيه بعد في اللفظ وفي المعنى وقال
الزمخشري اراد انهم لفرط تصامهم عن اتباع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون
السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه
لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام لا استطيع اسمعه وهذا مما يمجه
سمعي انتهى يعني انه يمكن ان يستدل به على ان العبد لا قدرة له لان الله تعالى قد
نفى عنه استطاعة السمع واذا انتفت الاستطاعة مشرا انتفت قدرته والزمخشري
على عادته في السفه على اهل السنة وخسرانهم انفسهم كونهم اشتروا عبادة الالهة
بعبادة الله تعالى فخسروا في تجارتهم خسرانا لا خسران اعظم منه وهو على حذف مضاف
اي راحة وسعادة انفسهم والا فانفسهم باقية معذبة وبطل عنهم ما افتروه من
عبادة الالهة وكونهم يعتقدون شفاعتهم اذ را وا انها لا تشفع ولا تنفع لا جرم
مذهب الخليل وسيبويه انهما ركبا من لا وجرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على
الفاعلية وقال الحوفي جرم منفي بلا بمعنى حق وهو مبني مع لا في موضع رفع بالابتدا
وانهم في موضع رفع على خبر جرم وقال قوم ان جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك
لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة وقال الكسايي معناها لا صد ولا منع فتكون اسم لا وهي
مبنية على الفتح كالقول الذي قبله ويكون جرم هنا من معنى القطع يقول جرمت اي
قطعت وقال الزجاج لا تركيب بينهما ولا رد عليهم ولما تقدم من كل ما قبلها مما قالوا ان
الاصنام تنفعهم وجرم فعل ماض معناه كسب والفاعل مضمر اي كسب هو اي فعلهم وان
وما بعدها في موضع نصب على المفعولية به وجرم القوم كاسبهم وقال الشاعر
نصبنا راسه في جذع نخل بما جرمت يداه وما اعتدينا • وقال اخر • جريمة ناهض في راس
نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا • ويقال لا جرم بالكسر ولا جر بحذف الميم قال النحاس
وزعم الكسايي ان فيها اربع لغات لا جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم قال وناس من
فزارة يقولون لا جرم وحكى الفرا فيه لغتين اخريين قال بنو عامر يقولون لا ذا جرم
وناس من العرب يقولون لا جرم بضم الميم وقال الحباي في نوادره حكى عن فزارة لا جر
والله لا افعل ذلك قال ويقال لا ذا جرم ولا ذو جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا
ان جرم ولا عن جرم ولا ذا جر والله بغير ميم لا افعل ذلك وحكي بعضهم بغير لا جرم
انك انت فعلت ذلك وعن ابي عمرو لا جرم ان لهم النار على وزن لا كرم ولا جر حذفوه
لكثرة الاستعمال كما قالوا سوترى يريدون سوف ترى ولما كانت خسرات النفس اعظم
الخسران حكم عليهم بانهم هم الزايدون في الخسران على كل خاسر من سواهم اذ كان خسران
من سواهم من العصاة ماله الى الراحة والى انقطاع خسرانه بخلاف هولا فان خسرانهم
لا انقطاع له ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اوليك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلا افلا تذكرون لما ذكر ما يؤول اليه الكفار من النار ذكر ما يؤول اليه المومنون
من الجنة والفريقان هنا الكافر والمومن ولما كان تقدم ذكر الكفار واعقب بذكر المومنين
جا التمثيل هنا مبتدا بالكافر فقال كالاعمى والاصم ويمكن ان يكون من باب تشبيه اثنين باثنين
فقوبل الاعمى بالبصير وهو طباق وقوبل الاصم بالسميع وهو طباق وايضا والعمى والصمم
افتان تمنعان من البصر والسمع وليسا بضدين لانه لا تعاقب بينهما ويحتمل ان يكون
من تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه فيكون من عطف الصفات كما قال

الى الملك الغرب وابن الهمام وليث الكريهة في المزدحم ● ولم يجي التركيب كالاعمى والبصير
والاصم والسميع فيكون مقابلة في لفظ الاعمى وضده وفي لفظ الاصم وضده لانه تعالى
لما ذكر انسداد العين اتبعه بانسداد السمع ولما ذكر انفتاح البصر اتبعه بانفتاح السمع
وذلك هو الاسلوب في المقابلة والاتم في الاعجاز ويأتي ان شا الله تعالى نظير هذه المقابلة
في قوله في طه ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى واحتمل ان تكون
الكاف نفسها هي خبر المبتدا فيكون معناها معنى المثل فكانه قيل مثل الفريقين
مثل الاعمى واحتمل ان يراد بالمثل الصفة وبالكاف مثل فيكون على حذف مضاف اي كمثل
الاعمى وهذا التشبيه تشبيه معقول بمحسوس فاعمى البصيرة اصمها شبه باعمى البصر اصم
السمع ذلك في ظلمات الضلالات متردد تائه وهذا في الطرقات متحير لا يهتدي اليها وجا افلا
يذكرون لينبه على انه يمكن زوال هذا العمى وهذا الصمم المعقول فيجب على العاقل ان يتذكر
ما هو فيه ويسعى في هدايته لنفسه وانتصب مثلا على التمييز قال ابن عطية ويجوز ان
يكون حالا انتهى وفيه بعد والظاهر التمييز وانه منقول من الفاعل اصله هل يستوي
مثلهما ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
هذه السورة في قصصها شبيهة بسورة الاعراف بدي فيها بنوح ثم بهود ثم بصالح
ثم بلوط وتقدم عليه ابرهيم لسبب قوم لوط ثم شعيب ثم بموسى وهارون صلى الله على
نبينا وعليهم اجمعين وذكروا وجوه حكم وفوايد لتكرار هذه القصص في القران وقرا
النحويان وابن كثير اني بفتح الهمزة اي باني وباقي السبعة بكسرها على اضمار القول
وقال ابو علي في قراءة الفتح خروج من الغيبة الى المخاطبة قال ابن عطية وفي هذا
نظر وانما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو
كان الكلام ان انذرهم او نحوه لصح ذلك انتهى وان لا تعبدوا الا الله ظاهر في انهم
كانوا يعبدون الاوثان كما جا مصرحا في غير هذه السورة وان بدل من اني لكم في قراءة
من فتح ويحتمل ان تكون ان المفسرة واما في قراءة من كسر فيحتمل ان تكون المفسرة
والمتعلقة بها اما ارسلنا واما نذير مبين ويحتمل ان تكون معمولة لارسلنا اي بان لا
تعبدوا الا الله واسناد الالم الى اليوم مجاز لوقوع الالم فيه لا منه قال الزمخشري فان
قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب
ونظيرهما قولك نهاره صايم انتهى وهذا على ان يكون اليم صفة مبالغة من الم وهو من كثر
المه فان كان اليم بمعنى مولم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب حقيقة لما انذرهم عذاب
الله وامرهم بافراده بالعبادة واخبر انه رسول من عند الله ذكروا انه مماثل لهم في البشرية
واستبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر فكانهم ذهبوا الى مذهب البراهمة الذين
ينكرون نبوة البشر على الاطلاق ثم عيروه بانه لم يتبعه الا الاراذل اي فنحن
لا نساويهم ثم نفوا ان يكون له عليهم فضل اي انت مساوينا في البشرية ولا فضل
لك علينا فكيف امتزت بانك رسول الله وفي قوله الا الذين هم اراذلنا مبالغة في الاخبار
وكانه موذن بتاكيد حصر من اتبعه وانهم هم الاراذل لم يشركهم شريف في ذلك وفي الحديث
انهم كانوا حاكة وحجامين وقال النحاس هم الفقرا والذين لا حسب لهم والخسيسوا
الصناعات وفي حديث هرقل اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاوهم فقال بل ضعفاوهم
فقال هم اتباع الرسل قيل وانما كان كذلك لاستيلا الرياسة على الاشراف وصعوبة
الانفكاك عنها والانفة من الانقياد لغيرهم والفقير خلي عن تلك الموانع فهو سريع الى
الاجابة والانقياد ونراك يحتمل ان يكون بصرية وان تكون علمية قال وارذل جمع الجمع
قيل جمع ارذل ككلب واكلب واكالب وقيل جمع ارذال وقياسه اراذيل والظاهر انه جمع ارذل
التي هي افعل التفضيل وجا مجموعا كما جا اكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا وقال الزمخشري
ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من

البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق
منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل واراد وانه كان ينبغي ان يكون ملكا
لا بشرا والظاهر ما قاله الزمخشري من الاية وقرا ابو عمرو وعيسى الثقفي بادي الراي من بدا
يبدا ومعناه اول الراي وقرا باقي السبعة بادي بالياء من بدا يبدو ومعناه ظاهر الراي
وقيل بادي بالياء معناه بادي بالهمز فسهلت الهمزة بابدالها يا لكسرة ما قبلها وذكروا
انه منصوب على الظرف والعامل فيه نراك او اتبعك او اراذلنا اي وما نراك فيما يظهر
لنا من الراي او في اول راينا او وما نراك اتبعك اول رايهم او ظاهر رايهم واحتمل هذا
الوجه معنيين احدهما ان يريد اتبعك في ظاهر امرهم وعسى ان تكون بواطنهم ليست
معك والمعنى الثاني ان يريد اتبعوك باول نظر وبالراي البادي دون تعقب ولو
تثبتوا لم يتبعوك وفي هذا الوجه ذم الراي غير المروي وقال الزمخشري اتبعوك اول
الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول امرهم او وقت
حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه اراد وان اتباعهم لك انما
هو شي عن لهم بديهة من غير روية ونظر انتهى وكونه منصوبا على الظرف هو قول ابي
علي في الحجة وانما حمله على الظرف وليس بزمان ولا مكان لان في مقدرة فيه اي في ظاهر
الامر او في اول الامر وعلى هذين التقديرين اعني ان يكون العامل فيه نراك او اتبعك
يقتضي ان لا يجوز ذلك لان ما بعد الا لا يكون معمولا لما قبلها الا ان كان مستثنى
منه نحو قام الا زيدا القوم او مستثنى نحو جا القوم الا زيدا او تابعا للمستثنى منه
نحو ما جاني احد الا زيد اخير من عمرو وبادي الراي ليس واحدا من هذه الثلاثة واجيب
بانه ظرف او كالظرف مثل جهد راي انك ذاهب اي انك ذاهب في جهد راي والظرف
يتسع فيها واذا كان العامل اراذلنا فمعناه الذين هم اراذلنا باول نظر فيهم وببادي
الراي يعلم ذلك منهم وقيل بادي الراي نعت لقوله بشرا وقيل انتصب حالا من ضمير
نوح في نتبعك اي وانت مكشوف الراي لا حصافة لك وقيل انتصب على النداء لنوح
اي يا بادي الراي اي ما في نفسك من الراي ظاهر لكل احد قالوا ذلك تعجيزا له وقيل
انتصب على المصدر وجا الظرف والمصدر على فاعل وليس بالقياس فالراي هنا اما
من روية العين واما من الفكر قال الزمخشري وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم
في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا
فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال انتهى وظاهر الخطاب في لكم شامل لنوح ومن اتبعه
والمعنى ليس لكم علينا زيادة في مال ولا نسب ولا دين وقال ابن عباس في الخلق والخلق
وقيل بكثرة الملك والملك وقيل بما بعثتم نوحا وبمخالفتكم لنا وقيل من شرف يوهلكم للنبوة
وقال الكلبي نظنكم نتيقنكم وقال مقاتل نحسبكم اي في دعوى نوح وتصديقكم وقال
صاحب الغنيان بل نظنكم كاذبين تتوسلا الى الرياسة والشهرة قال يا قوم ارايتم ان
كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
لما حكى شبههم في انكار نبوة نوح عليه السلام وهي قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا ذكر ان
المساواة في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق
الدال على امكانه على جهة التعليق والامكان وهو متيقن انه على بينة من معرفة الله
وتوحيده وما يجب له وما يمتنع ولكنه ابرزه في طريق الشرط والجزا على سبيل العرض
لهم والاستدراج للاقرار بالحق وقيام الحجة على الخصم ولو قال اني على حق من ربي لقالوا
لكذبت كقوله اتقتلون رجلا الاية فقال فيها وان يك كاذبا فعليه كذبه والبينة البرهان
والشاهد بصحة دعواه ابن عباس الرحمة النبوة مقاتل الهداية غيرهما التوفيق
والنبوة والحكمة والظاهر ان البينة غير الرحمة فيجوز ان يراد بالبينة المعجزة
وبالرحمة النبوة ويجوز ان تكون البينة هي الرحمة ومن عنده تاكيد وفايدته رفع
الاشتراك ولو بالاستعارة فعميت عليكم الظاهر ان الضمير عايد على البينة وبذلك
يحصل الذم لهم من انه اتى بالمعجزة الجلية الواضحة وانها على وضوحها واستنارتها

خفيت عليهم وذلك بانه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها فان كانت الرحمة هي البينة
فعود الضمير ظاهر وان كانت غيرها كما اخترناه فقوله واتاني رحمة من عنده اعتراض
بين المتعاطفين قال الزمخشري حقه ان يقال فعميتا قلت الوجدان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذف للاقتصار على ذكره فتلخص ان الضمير يعود اما على البينة
او على الرحمة او عليهما باعتبار انهما واحد ويقال للسحاب العما لانه يخفي ما فيه كما يقال
له الغمام لانه يغمه وقيل هذا من المقلوب فعميتم انتم عنها كما تقول العرب ادخلت
القلنسوة في راسي ومنه قول الشاعر • ترى الثور فيها مدخل الظل راسه • قال
ابو علي وهذا مما يقلب اذ ليس فيه اشكال وفي القران فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله انتهى والقلب عند اصحابنا مطلقا لا يجوز الا في الضرورة واما قول الشاعر فليس
من باب القلب بل من باب الاتساع في الظرف واما الاية فاخلف يتعدى الى مفعولين
ولك ان تضيف الى ايهما شئت فليس من باب القلب ولو كان فعميت عليكم من باب
القلب لكان التعدي بعن دون على الا ترى انك تقول عميت عن كذا ولا تقول عميت
على كذا وقرا الاخوان وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم مبنيا للمفعول اي ابهمت
عليكم واخفيت وباقي السبعة فعميت بفتح العين وتخفيف الميم مبنيا للفاعل وقرا
ابي وعلي والسلمي والحسن والاعمش فعماها عليكم وروي الاعمش عن ابن وثاب وعميت
بالواو خفيفة قال الزمخشري فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت
بصيرة ومبصرة جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم
البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية
منه والدليل عليه انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على
الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين انتهى وتوجيه قراءة ابي
هو على طريقة المعتزلة وتقدم في سورة الانعام الكلام على ارايتم مشبعا وذكرنا ان
العرب تعديها الى مفعولين احدهما منصوب والثاني اغلب ما يكون جملة استفهامية
تقول ارايتك زيدا ما صنع وليس استفهاما حقيقيا عن الجملة وان العرب ضمنت هذه
الجملة معنى اخبرني وقررنا هنالك ان قوله ارايتكم ان اتاكم عذاب الله من باب الاعمال
تنازع عذاب الله ارايتكم يطلبه منصوبا وفعل الشرط يطلبه مرفوعا فاعمل الثاني وهذا
البحث يتقرر هنا ايضا فمفعول ارايتكم محذوف والتقدير ارايتكم البينة من ربي ان
كنت عليها انلزمكموها فهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله ارايتم
وجواب الشرط محذوف يدل عليه ارايتم وجي بالضميرين متصلين في انلزمكموها لتقدم
ضمير الخطاب على ضمير الغيبة ولو انعكس لانفصل ضمير الخطاب خلافا لمن اجاز الاتصال
قال الزمخشري ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم
ويجوز فسيكفيك اياهم وهذا الذي قاله الزمخشري من جواز انفصال الضمير في نحو
انلزمكموها هو نحو قول ابن مالك في التسهيل قال ومختار اتصال نحوها اعطيتكه وقال
ابن ابي الربيع اذا قدمت ما له الرتبة انفصل لا غير تقول اعطيتكه قال تعالى انلزمكموها
وفي كتاب س ما يشهد له قال س فاذا كان المفعولان اللذان تعدى اليهما فعل الفاعل
مخاطبا وغائبا فبدات بالمخاطب قبل الغائب فان علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها
اياه وذلك قولك اعطيتكه وقد اعطاكه قال الله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون
فهذا كهذا اذا بدات بالمخاطب قبل الغائب انتهى فهذا نص من س على ما قاله ابن ابي
الربيع خلافا للزمخشري وابن مالك ومن سبقهما الى القول بذلك وقال الزمخشري
وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي
سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وس وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية
لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر انتهى واخذه الزمخشري من الزجاج قال الزجاج اجمع
النحويون البصريون على انه لا يجوز اسكان حركة الاعراب الا في ضرورة الشعر فاما ما روي عن

ابي

ابي عمرو فلم يضبطه عنه الفرا وروي عنه س انه كان يخف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق
وانما يجوز الاسكان في الشعر نحو قول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب والزمخشري
على عادته في تجهيل القراء وهم اجل من ان يلتبس عليهم الاختلاس بالسكون وقد حكى الكسائي
والفرا انلزمكموها باسكان الميم الاولى تخفيفا قال النحاس ويجوز على قول يونس انلزمكمها
كما تقول انلزمكم ذلك ويريد الالزام جبر بالقتل ونحوه واما الالزام بالايجاب فهو حاصل وقال
النحاس الوجي عليكم وقوله في ذلك خطا قال ابن عطية وفي قراءة ابي بن كعب انلزمكموها من
شطر انفسنا ومعناه من تلقاء انفسنا وروي عن ابن عباس انه قرا ذلك من شطر قلوبنا
انتهى ومعنى شطر نحو وهذا على جهة التفسير لا على انه قرآن لمخالفته سواد المصحف
ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا
ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون
ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري
اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به
الله ان شا وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون تلطف نوح عليه السلام بندايه بقوله ويا قوم
استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف ابرهيم عليه السلام بقوله يا ابت يا ابت
وكما تلطف من ال فرعون بقوله يا قوم يا قوم والضمير في عليه عايد الى الانذار وافراد
الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقيل
على الدين وقيل على الدعا الى التوحيد وقيل على تبليغ الرسالة وكلها اقوال
متقاربة والمعنى انكم وهولا الذين اتبعونا سوا في ان ادعوكم الى الله واني لا ابتغي
عما القيه اليكم من شرايع الله مالا فلا تتفاوت حالكم وحالهم وايضا فلعلهم ظنوا انه
يريد الاستئثار منهم فنفاه بقوله لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله فلا تحرموا
انفسكم السعادة الابدية بتوهم فاسد ثم ذكر انه قام بهولا وصف يجب العكوف
عليهم به والا ينفروا منهم وهو الايمان فلا يمكن طردهم وكانوا سالوا منه طرد هولا
المومنين رفعا لانفسهم من مساواة اوليك الفقرا ونظير هذا ما اقترحت قريش على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طرد اتباعه الذين لم يكونوا من قريش وقرى بطارد بالتنوين
قال الزمخشري على الاصل يعني ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال والاستقبال اصله
ان يعمل ولا يضاف وهذا ظاهر كلام س ويمكن ان يقال ان الاصل الاضافة لا العمل
لانه قد اعتوره شبهان احدهما شبهه بالمضارع وهو شبهه بغير جنسه والاخر
شبهه بالاسما اذا كانت فيها الاضافة فكان الحاقه بجنسه اولى من الحاقه بغير جنسه
انهم ملاقوا ربهم ظاهره التعليل لانتفا طردهم اي انهم يلاقون الله اي جزاه فيوصلهم الى
حقهم عندي ان ظلمتهم بالطرد وقال الزمخشري معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم
او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره
منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بنا ايمانهم على بادي الراي من غير نظر
ولا تفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف ذلك منهم حتى اطردهم ونحوه ولا تطرد
الذين يدعون الاية اوهم مصدقون بلقا ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة
انتهى ووصفهم بالجهل لكونهم بنوا امرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر
او لانهم يتساولون على المومنين ويدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا •
او يجهلون لقا ربكم او يجهلون انهم خير منكم او وصفهم بالجهل في هذا الاقتراح وهو طرد
المومنين ونحوه من ينصرني استفهام معناه لا ناصر لي من عقاب الله ان طردتهم عن الخير
الذي قد قبلوه ولاجل ايمانهم قاله الفرا وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به
انفة منهم ان يكونوا معهم على سواء ثم وقفهم بقوله افلا تذكرون على النظر المودي
الى صحة هذا الاحتجاج وتقدم تفسير الجمل الثلاث في الانعام وتزدري تفتعل من

والدال بدل من التا قال
ترى الرجل النحيف فتزدريه • وفي اثوابه اسد هصور • وانشد الفرا •
يباعده الصديق وتزدريه • حليلته وينهره الصغير • والعايد على الموصول
محذوف اي تزدريهم اي تستحقرهم اعينكم ولن يؤتيهم معمول لقوله ولا اقول
وللذين معناه لاجل الذين ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس لن يؤتيكم بكاف
الخطاب اي ليس احتقاركم اياهم ينقص ثوابهم عند الله ولا يبطل اجورهم الله اعلم
بما في انفسهم تسليم لله اي لست احكم عليهم بشي من هذا وانما الحكم بذلك لله تعالى
الذي يعلم ما في انفسهم فيجازيهم عليه وقيل هو رد على قولهم اتبعك اراذلنا اي لست
احكم عليهم بان لا يكون لهم خير لظنكم بهم ان بواطنهم ليست كظواهرهم الله عز وجل اعلم
بما في نفوسهم اني لو فعلت ذلك لمن الظالمين وهم الذين يضعون الشي في غير مواضعه
قد جادلتنا الظاهر المبالغة في الخصومة والمناظرة وقال الكلبي دعوتنا وقيل
وعظتنا وقيل اتيت بانواع الجدال وفنونه فما صح دعواك وقرا ابن عباس فاكثرت
جدلنا كقوله وكان الانسان اكثر شي جدلا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل وما
بمعنى الذي والعايد محذوف اي بما تعدناه او مصدرية وانما كثرت مجادلته لهم
لانه اقام فيهم ما اخبر الله به الف سنة الا خمسين عاما وهو كل وقت يدعوهم الى
الله وهم يحبون بعبادة اصنامهم قال انما ياتيكم به الله اي ليس ذلك الي انما
هو لله الذي يعاقبكم على عصيانكم ان شا اي ان اقتضت حكمته ان يعجل عذابكم
وانتم في قبضته لا يمكن ان يفتنوا منه ولا ان تمتنعوا ولما قالوا قد جادلتنا وطلبوا تعجيل
العذاب وكان مجادلته لهم انما هو على سبيل النصح والانقاذ من عذاب الله قال
ولا ينفعكم نصحي وقرا عيسى بن عمر الثقفي نصحي بفتح النون وهو مصدر وقراة
الجماعة بضمها فاحتمل ان يكون مصدرا كالشكر واحتمل ان يكون اسما وهذا الشرطان
اعتقب الاول منهما قوله ولا ينفعكم نصحي وهو دليل على جواب الشرط تقديره ان
اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي والشرط الثاني اعتقب الشرط الاول وجوابه ايضا
ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ينفعكم
نصحي وصار الشرط الثاني شرطا في الاول وصار المتقدم متاخرا والمتاخر متقدما وكان
التركيب ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ينفعكم نصحي وهو من
حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفا نحو ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ينفعكم نصحي وهو
من حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفا نحو ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح
لكم فلا ينفعكم نصحي ونظيره وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان
يستنكحها وقال الزمخشري قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاوه ما دل عليه قوله
لا ينفعكم نصحي وهذا الدليل في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط في
قوله ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني وقال ابن عطية وليس نصحي لكم بنافع ولا ارادتي
الخير لكم مغنية اذا كان الله تعالى قد اراد بكم الاغوا والاضلال والاهلاك والشرط
الثاني اعتراض بين الكلام وفيه بلاغة من اقتران الارادتين وان ارادة البشر غير
مغنية وتعلق هذا الشرط هو بنصحي وتعلق الاخر هو بلا ينفع انتهى وكذا قال
ابو الفرج بن الجوزي قال جواب الاول النصح وجواب الثاني النفع والظاهر ان معنى
يغويكم يضلكم من قولهم غوى الرجل يغوي وهو الضلال وفيه اسناد الاغوا الى الله فهو
حجة على المعتزلة اذ يقولون ان الضلال هو من العبد وقال الزمخشري اذا عرف
الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجيه سمي ذلك اغوا واضلالا كما انه اذا عرف
منه ان يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية انتهى وهو على طريقة الاعتزال.
ونصوا على انه لا يوصف الله بانه عارف فلا ينبغي ان يقال اذا عرف الله كما قال الزمخشري
وللمعتزلي ان يقول لا يتعين ان تكون ان شرطية بل هي نافية والمعنى ما كان الله يريد
ان يغويكم فنفي ذلك دليل على نفي الاضلال عن الله تعالى ويكون قوله ولا ينفعكم نصحي

ان

ان اردت ان انصح اخبار منه لهم وتعريض لتقصيرهم لما راى من اصرارهم وتماديهم
على الكفر وقيل معنى يغويكم يهلككم والغوى المرض والهلاك وفي لغة طي اصبح فلان
غاويا اي مريضا والغوى بشم الفصيل وقاله يعقوب في الاصلاح وقيل فقده اللبن
حتى يموت جوعا قاله الفرا وحكاه الطبري يقال منه غوي يغوي وحكى الزهراوي انه
الذي قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك ولما يهلك بعد قال ابن الانباري وكون معنى
يغويكم يهلككم قول مرغوب عنه وانكر مكي ان يكون الغوى بمعنى الهلاك موجودا في
لسان العرب وهو محجوج بنقل الفرا وغيره واذا كان معنى يغويكم يهلككم فلا حجة
فيه لا لمعتزلي ولا لسني بل الحجة من غير هذا ومعناه انكم اذ كنتم من التصميم على
الكفر فالمنزلة التي لا ينفعكم نصايح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي
وفي قوله هو ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق وانه هو الناظر في مصالحكم ان شا ان يغويكم
وان شا ان يهديكم وفي قوله واليه ترجعون وعيد وتخويف ام يقولون افتراه قل
ان افتريته فعلي اجرامي وانا بري مما تجرمون قيل هذه الاية اعترضت في قصة نوح والاخبار
فيها عن قريش يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي افترى القران
وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه ولو صح ذلك باسناد صحيح لوقف عنده ولكن
الظاهر ان الضمير في يقولون عايد على قوم نوح اي بل يقولون افترى ما اخبرهم به
من دين الله وعقاب من اعرض عنه فقال عليه السلام قل ان افتريته فعلي اثم اجرامي
والاجرام مصدر اجرم ويقال اجرم وهو الكثير وجرم بمعنى ومنه قول الشاعر
طريد عشيرة ورهين ذنب • بما جرمت يدي وجنى لساني • وقرئ اجرامي بفتح الهمزة
جمع جرم ذكره النحاس وفسر باثامي ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا الي وقيل
مما تجرمون من الكفر والتكذيب واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون قرا الجمهور واوحي مبنيا للمفعول انه بفتح الهمزة وقرا ابو البرهشم واوحى
مبنيا للفاعل انه بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين وعلى اجرا اوحي مجرى
قال على مذهب الكوفيين ايا سه الله من ايمانهم وانه صار كالمستحيل عقلا باخباره
تعالى عنهم ومعنى الا من قد امن اي من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه ونهاه تعالى عن
ابتئاسه بما كانوا يفعلون وهو حزنه عليهم في استكانة وابتاس افتعل من البوس ويقال
ابتاس الرجل اذا بلغه شي يكرهه وقال الشاعر • وكم من خليل او حميم رزيته • فلم
نبتئس والرزء فيه جليل • وقال اخر • ما يقسم الله اقبل غير مبتئس • منه واقعد كريما
ناعم البال • وقال اخر • فارس الخيل اذا ما ولولت • ربة الخدر بصوت مبتئس • وقال
اخر • في ماتم كنعاج صارة يبتئسن بما لقينا • صارة موضع بما كانوا يفعلون من تكذيبك
وايذايك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم واصنع عطف على فلا تبتئس
باعيننا بمراي وكلاة وحفظ فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها ولا يحول بين العمل
وبينه احد والجمع هنا كالمفرد في قوله ولتصنع على عيني وجمعت هنا لتكثير الكلاة
والحفظ وديمومتها وقرا طلحة بن مصرف باعينا مدغمة ووحينا نوحي اليك ونلهمك
كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل
جوجو الطاير قيل ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على مواضع
حفظك ومعونتك فيكون اللفظ هنا للجمع حقيقة وقول من قال معنى ووحينا
بامرنا لك او بعلمنا ضعيف لان قوله واصنع الفلك مغن عن ذلك وفي الحديث كان
زان سفينة نوح جبريل والزان القيم يعمل السفينة والذين ظلموا قوم نوح تقدم الى
نوح ان لا يستشفع فيهم فيطلب امهالهم وعلل منع مخاطبته بانه حكم عليهم بالغرق ونهاه
عن سواله لهم جاب اليه كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب
غير مردود وقيل الذين ظلموا واعلة زوجته وكنعان ابنه ويصنع الفلك وكلما مر عليه
ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من

بانيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ومن امن وما امن معه الا قليل
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية والفلك السفينة ولما امره تعالى بان يصنع الفلك
قال يا رب ما انا بنجار قال بلى ذلك بعيني فاخذ القدوم وجعلت يده لا تخطي فكانوا
يمرون به ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا وقيل كانت الملايكة تعلمه
واستاجر اجرا كانوا ينحتون معه واوحى الله اليه ان عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي
على من عصاني وكان سام وحام ويافث ينحتون معه والخشب من الساج قاله قتادة
وعكرمة والكلبي قيل وغرسه عشرين سنه وقيل ثلث مائة سنة يغرس ويقطع وييبس
وقال عمرو بن الحارث لم يغرسها بل قطعها من جبل لبنان وقال ابن عباس من خشب الشمشار
وهو البقص قطعه من جبل لبنان واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول وفي مقدار
مدة عملها وفي المكان الذي عملت فيه ومقدار طولها وعرضها على اقوال متعارضة لم
يصح منها شي وسخر بتهم منه لكونه راوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت
قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا يمشي على الما فتعجبوا من قوله وسخروا منه قاله مقاتل وقيل
لكونه يبني في قرية لا قرب لها من البحر فكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا وكلما ظرف العامل فيه سخروا منه وقال مستانف على تقدير سوال
سايل وجوزوا ان يكون العامل قال وسخروا صفة لملا او بدل من مر ويبعد البدل
لان سخر ليس في معنى مر لا يراد ذاته ولا نوعا منه قال ابن عطية وسخروا منه استجهلوه
فان كان الامر كما روي انهم لم يكونوا راوا سفينة قط ولا كانت فوجه الاستجهال واضح
وبذلك تظاهرت التفاسير وان كانت السفن حينيذ معروفة فانما استجهلوه في ان صنعها
في قرية لا قرب لها من البحر انتهى فانا نسخر منكم في المستقبل كما تسخرون منا الان اي مثل
سخريتكم اذا غرقتم في الدنيا واحرقتم في الاخرة او ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم
فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا قال
قريبا من معناه الزجاج او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون
الا عن جهل بحقيقة الامر وبنا على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقايق
وقال ابن جريج ان تسخروا منا في الدنيا فانا نسخر منكم في الاخرة والسخرية استجهال
مع استهزا وفي قوله فسوف تعلمون تهديد بالغ والعذاب المخزي الغرق والعذاب المقيم
عذاب الاخرة لانه دايم عليهم سرمد ومن ياتيه مفعول بتعلمون وما موصوله وتعدى
تعلمون الى واحد استعمالا لها استعمال عرف في التعدية الى واحد وقال ابن عطية وجايز
ان تكون التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد انتهى ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا
لان اصله خبر مبتدا ولا اختصارا هاهنا لانه لا دليل على حذفه وتعينهم بقوله
من ياتيه وقيل من استفهام في موضع رفع على الابتدا وياتيه الخبر والجملة في موضع
نصب وتعلمون معلق وسدت الجملة مسد المفعولين وحكى الزهراوي انه قرى ويحل
بضم الحا ويحل بكسرها بمعنى ويجب قال الزمخشري حلول الدين والحق اللازم الذي لا
انفكاك له عنه ومعنى يخزيه يفضحه او يهلكه او يذله وهو الغرق اقوال
متقاربة حتى اذا جا امرنا تقدم الكلام على دخول حتى على اذا في اوايل سورة
الانعام وهي هنا غاية لقوله ويصنع الفلك ويصنع كما قلنا حكاية حال اي
وكان يصنع الفلك الى ان جا وقت الوعد الموعود والجملة من قوله وكلما مر عليه حال
كانه قيل ويصنعها والحال انه كلما مر وامرنا واحد الامور ومصدر اي امرنا بالفوران
او للسحاب بالارسال وللملايكة بالتصرف في ذلك ونحو هذا مما يقدر في النازلة وفار
معناه انبعث بقوة والتنور وجه الارض والعرب تسميه تنورا قاله ابن عباس
وعكرمة والزهري وابن عيينه او التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وكان لحوا
حتى صار لنوح قاله الحسن ومجاهد وروي ايضا عن ابن عباس وقيل كان لادم
وقيل كان تنور نوح او اعلى الارض والمواضع المرتفعة قاله قتادة او العين التي

بالجزيرة

بالجزيرة عين الوردة رواه عكرمة او من اقصى دار نوح قاله مقاتل او موضع اجتماع الما في السفينة
روي عن الحسن او طلوع الشمس وروي عن علي او نور الصبح من قولهم نور الفجر تنويرا قاله
علي ومجاهد او هو مجاز والمراد غلبة الما وظهور العذاب كما قال صلى الله عليه وسلم لشدة
الحرب حمي الوطيس والوطيس ايضا مستوقد النار فلا فرق بين حمي وفار اذ يستعملان
في النار قال تعالى سمعوا لها شهيقا وهي تفور ولا فرق بين الوطيس والتنور والظاهر
من هذه الاقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار ويحتمل ان يكون ال فيه للعهد
لتنور مخصوص ويحتمل ان يكون للجنس ففار الما من التنانير وكان ذلك من اعجب الاشيا
ان يفور الما من مستوقد النيران ولا تنافي بين هذا وبين قوله وفجرنا الارض عيونا اذ
يمكن ان يراد بالارض اماكن التنانير والتفجير غير الفوران فحصل الفوران للتنور
والتفجير للارض والضمير في فيها عايد على الفلك وهو مذكر انث على معنى السفينة وكذلك
قوله وقال اركبوا فيها وقرا حفص من كل زوجين بالتنوين كل اي من كل حيوان وزوجين
مفعول واثنين نعت توكيد وباقي السبعة بالاضافة واثنين مفعول احمل وزوجين بمعنى
العموم اي من كل ما له ازدواج هذا معنى من كل زوجين قاله ابو علي وغيره قال ابن عطية
ولو كان المعنى احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب ان يحمل من كل نوع اربعة والزوج
في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان وهذا هو
المهيع في القران في قوله تعالى ثمانية ازواج ثم فسرها وفي قوله وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
وقال الاخفش وقد يقال في كلام العرب للاثنين زوج وهكذا تاخذه العدديون والزوج
ايضا في كلام العرب النوع كقوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وقال تعالى سبحان
الذي خلق الازواج كلها انتهى ولما جعل المطر ينزل كافواه القرب جعلت الوحوش تطلب
وسط الارض هربا من الما حتى اجتمعت عند السفينة فامره الله ان يحمل من الزوجين اثنين يعني
ذكرا وانثى ليبقى اصل النسل بعد الطوفان وروي انه كان ياتيه انواع الحيوان فيضع يمينه
على الذكر ويساره على الانثى وكانت السفينة ثلث طبقات السفلى للوحوش والوسطى للطعام
والشراب والعليا له ولمن امن واهلك معطوف على زوجين ان نون كل وعلى اثنين ان اضيف
واستثنى من اهله من سبق عليه القول بالهلاك وانه من اهل النار قال الزمخشري سبق
عليه القول انه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى غير ذلك انتهى وهي طريقة
الاعتزال والذي سبق عليه القول امراته واعلة بالعين المهملة وابنه كنعان ومن امن عطف
على واهلك قيل كانوا ثمانين رجلا وثمانين امراة وقيل كانوا ثلثة وثمانين وقال ابن
عباس امن معه ثمانون رجلا وعنه ثمانون انسانا ثلثة من بنيه سام وحام ويافث وثلث
كناين له ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل
وقيل كانوا اثنين وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نسا وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى
نسايهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة ناس ممن كان امن به وازواجهم جميعا وعن ابن
اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا تسعة نوح وثمانية ابنا له وزوجة
وقيل كانوا ثمانية نوح وزوجته غير التي عوقبت وبنوه الثلثة وزوجاتهم وهو قول
قتادة والحكم بن عيينه وابن جريج ومحمد بن كعب وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلث
كناين وثلثة بنين وهذه اقوال متعارضة والذي اخبر الله تعالى به انه ما امن معه الا قليل
ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي ابهم الله عددهم الا بنص عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ● ورسا الشي يرسو ثبت واستقر قال ● فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو
اذا نفس الجبان تطلع ● البلع معروف والفعل منه بلع بكسر اللام وبفتحها لغتان حكاهما الكسائي
والفرا بلع يبلع بلعا والبالوعة الموضع الذي يشرب الما الاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت
الحمى اي امسكت عن المحموم وقيل اقلع عن الشي تركه وهو قريب من الامساك ● غاض الما نقص في نفسه
وغضته نقصته جا لازما ومتعديا ● الجودي علم لجبل بالموصل ومن قال بالجزيرة او بامد
فلانهما قريبتان من الموصل وقيل الجودي اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل ● سبحانه
ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد ● اعتراه بكذا اصابه به وقيل افتعل من عراه يعروه

الناصيه منبت الشعر في مقدم الراس ويسمي الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته ونصوت
الرحل انصوه نصوا مد دت ناصيته • الجبار المتكبر • العنيد الطاغي الذي لا نقبل الحق ولا يصغي
اليه من عند يعند حاعن الحق الي جانب قيل ومنه عندي كذا اي في جانبي وقال ابو عبيدة العنيد
والعنود والمعاند والعاند المعارض بالخلاف ومنه قيل للعراق والذي ينفجر بالدم عاند
وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى
نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من
الما قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الضمير
في وقال عايد على نوح اي وقال نوح حين امر بالحمل في السفينة لمن امن معه ومن امر بحمله اركبوا
فيها وقيل الضمير عايد على الله والتقدير وقال الله لنوح ومن معه ويبعد ذلك قوله ان ربي
لغفور رحيم قيل وغلب من يعقل في قوله اركبوا وان كانوا قليله بالنسبة لما لا يعقل ممن حمل
فيها والظاهر ان خطاب لمن يعقل خاصة لانه لا يليق بما لا يعقل وعدي اركبوا بفي لتضمينه
معنى صيروا فيها او معنى ادخلوا فيها وقيل التقدير اركبوا الما فيها وقيل في زايدة للتوكيد
اي اركبوها والبا في بسم الله في موضع الحال اي متبركين باسم الله ومجراها ومرساها منصوبان
على انهما ظرفا زمان او مكان لانهما يجيان لذلك وظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من جيتك
مقدم الحاج اي وقت قدوم الحاج فيكون مجراها ومرساها مصدران في الاصل حذف منهما المضاف
وانتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل ويجوز ان تكون باسم الله حالا من ضمير فيها ومجراها ومرساها
مصدران مرفوعان على الفاعلية اي اركبوا فيها ملتبسا باسم الله اجراوها وارساوها اي ببركة اسم
الله او يكون مجراها ومرساها مرفوعين على الابتدا وباسم الله الخبر والجملة حال من الضمير في
فيها وعلى هذه التوجيهات الثلثه فالكلام جملة واحدة والحال مقدرة ولا يجوز مع رفع مجراها
ومرساها على الفاعلية او الابتدا ان تكون حالا من ضمير اركبوا لانه لا عايد عليه فيها وقع حالا
ويجوز ان يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدا وخبر لا تعلق لها بالجملة الاولى
من حيث الاعراب امرهم اولا بالركوب ثم اخبران مجراها ومرساها بذكر الله او بامره وقدرتم
فالجملتان كلامان محكيان بقال كما ان الجملة الثانيه محكية ايضا بقال وقال الضحاك اذا اراد
جري السفينه قال بسم الله مجراها فتجري واذا اراد وقوفها قال بسم الله مرساها فتقف
وقرا مجاهد والحسن وابو رجا والاعرج وشيبة والجمهور من السبعة الحرميان والعربيان وابو
بكر مجراها بضم الميم وقرا الاخوان وحفص بفتحها وكلهم ضم ميم مرساها وقرا ابن مسعود وعيسى
الثقفي وزيد بن علي والاعمش مجراها ومرساها بفتح الميمين ظرفي زمان او مكان او مصدرين
على التقادير السابقه وقرا الضحاك والنخعي وابن وثاب وابو رجا ومجاهد وابن جندب والكلبي
والجحدري مجريها ومرسيها اسمي فاعل من اجري وارسي على البدل من اسم الله فهما في موضع خبر
ولا يكونان صفتين لكونهما نكرتين وقال ابن عطيه وهما على هذه القراة صفتان عايدتان
على ذكره في قولهم بسم الله انتهى ولا يكونان صفتين الا على تقدير ان يكونا معرفتين وقد ذهب
الخليل الى ان ما كانت اضافته غير محضه قد يصح ان تجعل محضه فتتعرف الا ما كان من الصفه
المشبهه فلا يتمحض اضافتها فلا تتعرف ان ربي لغفور ستور عليكم ذنوبكم بتوبتكم وايمانكم
رحيم لكم اذ انجاكم من الغرق وروي في الحديث ان نوحا ركب في السفينه اول يوم من رجب وصام
الشهر اجمع وعن عكرمة لعشر خلون من رجب وهي تجري بهم اخبار من الله تعالى بما جرى للسفينه
وهم حال اي ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم فيها في موج كالجبال اي في موج الطوفان شبه كل
موجة منه بجبل في تراكمها وارتفاعها وروي ان السما امطرت جميعها حتى لم يكن في الهواجانب
الا مطر وتفجرت الارض كلها بالنبع وهذا معنى التقا الما وروي ان الما علا على الجبال واعالي
الارض اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر وكون السفينة تجري في موج دليل على انه كان في الما موج
وانه لم يطبق الما ما بين السما والارض وان السفينه لم تكن تجري في جوف الما والما اعلاها واسفلها
فكانت تسبح في الما كما تسبح السمكة كما اشار اليه الزجاج والزمخشري وغيرهما وقد استبعد
ابن عطية هذا قال واين كان الموج كالجبال على هذا ثم كيف استقامت حياة من في السفينه
واجاب الزمخشري بان الجريان في الموج كان قبل التطبيق وقيل ان يعم الما الجبال الا ترى الى قوله

ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الما ونادى نوح ابنه الواو لا ترتب وهذا النداكان قبل
جري السفينه في قوله وهي تجري بهم في موج وفي اضافته اليه هنا وفي قوله ان ابني من اهلي ونداية
دليل على انه ابنه لصلبه وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة والضحاك وابن جبير وميمون
بن مهران والجمهور واسمه كنعان وقيل يام وقيل كان ابن قريب له ودعاه بالبنوة حنانا منه
وتلطفا وقرا الجمهور بكسر تنوين نوح وقرا وكيع بن الجراح بضمه اتبع حركته الاعراب
في الحا قال ابو حاتم هي لغة سوا لا نعرف وقرا الجمهور بوصل ها الكناية بواو وقرا ابن عباس
انه بسكون الها قال ابن عطية وابو الفضل الرازي وهذا على لغة لازد السراة يسكنون ها الكناية
من المذكر ومنه قول الشاعر • ونضواي مشتاقان له ارقان • وذكر غيره انها لغة لبني كلاب
وعقيل ومن النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة وينشد وتواشرب الما مابي نحو عطش
الا لان عيونه سيل واديها • وقرا السدي ابناه بالالف وها السكت قال ابو الفتح ذلك على الندا
وذهبت فرقة الى انه على الندبة والرثا وقرا علي وعروة وعلي بن الحسين وابنه ابو جعفر وابنه
جعفر ابنه بفتح الها من غير الف اي ابنها مضافا لضمير امراته فاكتفى بالفتحة عن الالف قال
ابن عطيه وهي لغة ومنه قول الشاعر اما تقود بها شاة فتاكلها اوان تبيعه في بعض الاراكيب
وانشد ابن الاعرابي على هذا فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني انتهى يريد تبيعها
وتلهفا وخطا النحاس ابا حاتم في حذف هذه الالف قال ابن عطية وليس كما قال انتهى وهذا
اعني مثل تلهف بحذف الالف عند اصحابنا ضرورة ولذلك لا يجيز ون ياغلام بحذف الالف
والاجتزا بالفتحة عنها كما اجتزوا بالكسرة في ياغلام عن اليا واجاز ذلك الاخفش وقرا ايضا
علي وعروة ابنها بفتح الها والف اي ابن امراته وكونه ليس ابنه لصلبه وانما كان ابن امراته قول
علي والحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وكان الحسن يحلف انه ليس ابنه لصلبه قال قتادة
فقلت له ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب يختلفون في انه
كان ابنه فقال ومن ماخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني فعلى هذا
يكون ربيبا وكان عكرمة والضحاك يحلفان على انه ابنه ولا يتوهم انه كان لغير رشدة لان
ذلك غضاضة عصمت منه الانبيا عليهم السلام وروي ذلك عن الحسن وابن جريج
ولعله لا يصح عنهما وقال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط والذي يدل على ظاهر الاية
انه ابنه واما قراة من قرا ابنه او ابنها فشاذه ويمكن ان نسب الى امه واضيف اليها ولم يضف
الى ابيه لانه كان كافرا مثلها يلحظ فيه هذا المعنى ولم يضف اليه استبعادا له ورعيا
ان لا يضاف اليه كافر وانما ناداه ظنا منه انه مومن ولولا ذلك ما احب نجاته وظنا منه انه
يومن ان كان كافرا لما شاهد من الاهوال العظيمة وانه يقبل الايمان ويكون قوله اركب
معنا كالدلالة على انه طلب منه الايمان وتاكد بقوله ولا تكن مع الكافرين اي اركب مع
المومنين اذ لا يركب معهم الا مومن لقوله ومن امن وفي معزل اي في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل في معزل عن دين ابيه وتداوه بالتصغير خطاب
تحنن ورافة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتهلك وقرا عاصم
يا بني بفتح اليا ووجه على انه اجتزا بالفتحة عن الالف واصله يا بنيا كقولك يا غلاما
كما اجتزا باقي السبعة بالكسرة عن اليا في قراتهم يا بني بكسر اليا وان الالف انحذفت
لالتقائها مع را اركب وظن ابن نوح ان ذلك المطر والتفجر على العادة فلذلك قال
ساوي الى جبل يعصمني من وصول الما الي فلا اغرق وهذا يدل على عادته في الكفر
وعدم وثوقه بابيه فيما اخبر به قيل والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه والظاهر
ابقا عاصم على حقيقته وانه نفى كل عاصم من امر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع على
المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير الموصول محذوف ويكون الاستثنا منقطعا
اي لكن من رحمه الله معصوم وجوزوا ان يكون من الله تعالى اي لا عاصم الا الراحم وان يكون
عاصم بمعنى ذي عصمة كما قالوا لابن اي ذو لبن وذو عصمة تطلق على عاصم وعلى معصوم والمراد
به هنا المعصوم او فاعل بمعنى مفعول فيكون عاصم بمعنى معصوم كما دافق بمعنى مدفوق وقال
الشاعر • بطي القيام رخيم الكلام امسى فوادي به فاتنا • اي مفتونا ومن المعصوم اي لا ذا عصمة

او لا معصوم الا المرحوم وعلى هذين التجويزين يكون استثناء متصلا وجعله الزمخشري
متصلا بطريقة اخرى وهو حذف مضاف وقدره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني في السفينة انتهى والظاهر
ان خبر لا عاصم محذوف لانه اذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنو تميم وكثر حذفه
عند اهل الحجاز لما تقدم قوله ساوي الى جبل يعصمني من الما قال له نوح لا عاصم اي لا عاصم
موجود ويكون اليوم منصوبا على اضمار فعل يدل عليه عاصم اي لا عاصم يعصم اليوم
من امر الله ومن امر متعلق بذلك الفعل المحذوف ولا يجوز ان يكون اليوم منصوبا بقوله
لا عاصم ولا ان يكون من امر الله متعلقا به لانه اسم لا اذ ذاك كان يكون مطولا واذا كان
مطولا لزم تنوينه واعرابه ولا يبنى وهو مبني فبطل ذلك واجاز الحوفي وابن عطية
ان يكون اليوم خبرا لقوله لا عاصم قال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم خبرا ويتعلق بمعنى
الاستقرار ويكون من متعلقة بما تعلق به اليوم وقال ابن عطية واليوم ظرف
وهو متعلق بقوله من امر الله او بالخبر الذي تقديره كاين اليوم انتهى ورد ذلك ابو
البقا فقال فاما خبر لا فلا يجوز ان يكون اليوم لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة
بل الخبر من امر الله واليوم معمول من امر الله وقال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم نعتا لعاصم
ومن الخبر انتهى فيرد بما رد به ابو البقا من ان ظرف الزمان لا يكون نعتا للجثة كما لا يكون
خبرا وقرى الا من رحم بضم الرا مبنيا للمفعول وهذا يدل على ان الا بمعنى في قراة الجمهور
الذين فتحوا الرا من المرحوم لا الراحم وحال بينهما اي بين نوح وابنه قيل كانا يتراجعان
الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر واعجب
بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح فغرق وقال الفرا بينهما اي بين ابن
نوح والجبل الذي ظن انه يعصمه وقيل يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر
واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من
اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا
تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس
لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال الزمخشري ندا الارض والسما بما ينادى
به الانسان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخلوقات
وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماك واقلعي
من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة
لتكوينه فيها ما يشا غير ممتنعة عليه كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله
وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم
يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول عن مشيئته على الفور من غير
ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا بطء وبسط الزمخشري وذيل في
هذا الكلام الحسن قال الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام والحق تعالى مستول عليها متصرف
فيها كيف شا واراد فصار ذلك سببا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو
قدرته وهيبته انتهى وبنا الفعل في وقيل وما بعدها للمفعول ابلغ في التعظيم والجبروت
واخصر قال الزمخشري ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا
وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر ومكون مكون قاهر وان فاعل
هذه الافعال فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض
ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهايل غيره ولا ان تستوي السفينة
على الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح
علما البيان هذه الاية ورقصوا لها رووسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك
وان كان الكلام لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور انتهى واكثر مخاطبة وهذا الندا والخطاب بالامر هو استعارة مجازية
وعلى هذا جمهور الحذاق وقيل ان الله تعالى احدث فيهما ادراكا وفهما لمعاني الخطاب وروي ان

اعرابيا

اعرابيا سمع هذه الاية فقال هذا كلام القادرين وعارض ابن المقفع القران فلما
وصل الى هذه الاية امسك عن المعارضة وقال هذا كلام لا يستطيع احد من البشر
ان ياتي بمثله وقال ابن عباس في قوله وقضي الامر غرق من غرق ونجا من نجا وقال مجاهد قضي
الامر بهلاكهم وقال ابن قتيبة قضي الامر فرغ منه وقال ابن الانباري احكمت هلكة قوم
نوح وقال الزمخشري انجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت استقرت السفينة
على الجودي واستقرارها يوم عاشورا من المحرم قاله ابن عباس والضحاك وقيل يوم الجمعة وقيل
في ذي الحجة واقامت على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وذكروا ان الجبال تطاولت وتخاشع
الجودي وحدثت بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتيا بخبر زوال الغرق الله اعلم
بما كان من ذلك وقرا الاعمش وابن ابي عبلة على الجودي بسكون اليا مخففة قال ابن عطية
وهما لغتان وقال صاحب اللوامح تخفيف يا النسب وهذا التخفيف من باب الشعر لشذوذه
والظاهر ان قوله وقيل بعدا من قول الله تعالى كالافعال السابقة وبني الجميع للمفعول
للعلم بالفاعل وقيل من قول نوح والمومنين قيل ويحتمل ان يكون من قول الملايكة
قيل ويحتمل ان يكون ذلك عبارة عن بلوغ الامر ذلك المبلغ وان لم يكن ثم قول محسوس
ومعنى بعدا هلاكا يقال بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك واللام في للقوم من صلة
المصدر وقيل يتعلق بقوله وقيل التقدير وقيل لاجل الظالمين اذ لا يمكن ان يخاطب
الهالك الا على سبيل المجاز ومعنى ونادى نوح ربه اي اراد ان يناديه ولذلك ادخل الفا
اذ لو كان اراد حقيقة الندا والاخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفا في فقال ولسقطت كما لم
تدخل في قوله اذ نادى ربه ندا خفيا قال رب والواو في هذه الجملة لا ترتب ايضا
وذلك ان هذه القصة كانت اول ما ركب نوح السفينة ويظهر من كلام الطبري ان ذلك
من بعد غرق الابن وفي قوله ان ابني من اهلي اي لم ولده لصلبه ومعنى من اهلي اي
الذي امرت ان احملهم في السفينة لقوله احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك ولم
يظن انه داخل فيمن استثناه الله بقوله الا من سبق عليه القول لظنه انه مومن وعموم
قوله ومن امن يشمل من امن من اهله ومن غير اهله وحسن الخطاب بقوله وان وعدك
الحق اي الوعد الثابت الذي لا شك في انجازه والوفا به وقد وعدتني ان تنجي اهلي وانت
اعلم الحكام واعدلهم قال الزمخشري ويجوز ان يكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما يقال
دارع من الدرع وحايض وطالق على مذهب الخليل انتهى ومعنى ليس من اهلك على قول من
قال انه ابنه لصلبه اي الناجين او الذين عمهم الوعد ومن زعم انه ربيبه فهو ليس من
اهله حقيقة اذ لا نسبة بينه وبينه بولادة فعلى هذا انتفى ما قدر انه داخل في قوله
واهلك ثم علل انتفا كونه ليس من اهله بانه عمل غير صالح والظاهر ان الضمير في انه عايد
على ابن نوح لا على الندا المفهوم من قوله ونادى المتضمن سوال ربه وجعله نفس العمل
مبالغة في ذمه كما قال فانما هي اقبال وادبار هذا على قراة جمهور السبعة وقرا
الكسائي عمل غير صالح جعله فعلا ناصبا غير صالح وهي قراة علي وانس وابن عباس
وعايشة ورويها عايشة وام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يرجح ان الضمير
يعود على ابن نوح فعمل ويرجح كون الضمير في انه عايدا على ندا نوح المتضمن السوال
ان في مصحف ابن مسعود انه عمل غير صالح ان تسالني ما ليس لك به علم وقيل يعود
الضمير في هذه القراة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سوال نوح المعنى ان كونه
مع الكافرين وتركه الركوب مع المومنين عمل غير صالح وكون الضمير في انه عايدا على
غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقران قال الزمخشري فان
قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه من اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي
التي تستبقي معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما نجى من نجى من اهله بصلاحهم
لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك وقرا
الصاحبان تسالن بتشديد النون مكسورة وقرا ابو جعفر وشيبة وزيد
بن علي كذلك الا انهم اثبتوا اليا بعد النون وابن كثير بتشديدها مفتوحة

وهي قراءة ابن عباس وقرا الحسن وابن ابي مليكة تسالني من غير همز من سال يسال
وهما يتساولان وهي لغة سايرة وقرا باقي السبعة بالهمز واسكان اللام وكسر النون
وتخفيفها واثبت الياء في الوصل ورش وابو عمرو وحذفها الباقون قال الزمخشري
فلا تلتمس ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر
المسالة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه
سوالا ولا سوال فيه قلت قد تضمن دعاوه معنى السوال وان لم يصرح به لانه اذا
ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة الغرق فقد استنجز وجعل سوال ما لا يعرف
كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت
قد وعد الله ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق
تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل
القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وجعل
سواله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه
القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب العذاب لكونه غير
صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه
من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه
وقال ابن عطية ومعنى قوله فلا تسالني ما ليس لك به علم اي اذ وعدتك فاعلم يقينا
انه لا خلف في الوعد فاذا رايت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان
ذلك لحق واجب عند الله ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة البنوة وسجية البشر
على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء تلطف
وترجي في قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلا تسالني ما ليس لك به علم
اي لا تطلب مني امرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا الى هذا ابو علي الفارسي وقال ان به
يجوز ان يتعلق بلفظ علم كما قال الشاعر كان جزائي بالعصا ان اجلدا ويجوز ان تكون
به بمنزلة فيه فيتعلق الباء بالمستقر واختلاف هاذين الوجهين انما هو لفظي والمعنى
في الاية واحد وذكر الطبري عن ابن زيد تاويله في قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لا
يناسب النبوة فتركناه ويوقف عليه في تفسير ابن عطية وقيل سال نوح ربه حين صار عنه
ابنه بمعزل وقيل قبل ان عرف هلاكه وقيل بعد ان عرف هلاكه سال الله له المغفرة اني
اسالك من ان اطلب في المستقبل ما لا علم لي بصحته تاديبا بادبك واتعاظا بموعظتك وهذه
انابة من نوح عليه السلام وتسليم لامر الله قال ابن عطية والسوال الذي وقع النهي
عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سوال العزم الذي معه محاجة وطلبه ملحة فيما
قد حجب وجه الحكمة فيه واما السوال في الامور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل
في هذا وظاهر قوله فلا تسالني ما ليس لك به علم يعم النحوين من السوال ولذلك
نبهت على ان المراد احدهما دون الاخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير
انتهى ونسب نوح النقص والذنب الى نفسه تادبا مع ربه فقال والا تغفر لي
اي ما فرط من سوالي وترحمني بفضلك وهذا كما قال ادم عليه السلام قيل يا نوح
اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر
ان العاقبة للمتقين بني الفعل للمفعول فقيل القايل هو الله تعالى وقيل الملايكة
تبليغا عن الله والظاهر الاول لقوله منا وسنمتعهم امر عند نزوله بالهبوط من
السفينة ومن الجبل مع اصحابه للانتشار في الارض والباء للحال اي مصحوبا بسلامة
وامن وبركات وهي الخيرات النامية في كل الجهات ويجوز ان تكون اللام بمعنى التسليم
اي اهبط مسلما عليك مكرما وقرئ اهبط بضم الباء وحكى عبد العزيز بن يحيى وبركة
على التوحيد عن الكسائي وبشر بالسلامة ايذانا له بمغفرة ربه له ورحمته اياه وباقامته
في الارض امنا من الافات الدنيوية اذ كانت الارض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان

فكان

فكان ذلك تبشيرا له بعود الارض الى احسن حالها ولذلك قال وبركات عليك اي دايمة باقية
عليك والظاهر ان من لابتداء الغاية اي ناشية من الذين معك وهم الامم المومنون الى اخر الدهر
قال الزمخشري ويحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا
جماعات وقيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم انتهى وهذا فيه بعد تكلف اذ يصير التقدير وعلى
امم هم من معك ولو اريد هذا المعنى لاغنى عنه وعلى من معك او على من معك فكان يكون اخصر
واقرب الى الفهم وابعد عن اللبس وارتفع امم على الابتدا قال الزمخشري وسنمتعهم صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه
والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشون ممن معك وامم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار انتهى ويجوز ان تكون امم مبتدا بمحذوف الصفة وهي
المسوغة لجواز الابتدا بالنكرة والتقدير وامم منهم اي ممن معك اي ناشية ممن معك
وسنمتعهم هو الخبر كما قالوا السمن منوان بدرهم اي منوان منه فحذف منه وهو صفة
لمنوان ولذلك جاز الابتدا بمنوان وهو نكرة ويجوز ان يكون مبتدا ولا يقدر
صفة والخبر سنمتعهم ومسوغ الابتدا كون المكان مكان تفصيل فكان مثل قول الشاعر
اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول . وقال القرطبي ارتفعت وامم
على معنى ويكون امم انتهى فان كان اراد تفسير معنى فحسن وان اراد الاعراب ليس بجيد
لان هذا ليس من مواضع اضمار يكون وقال الاخفش هذا كما يقول كلمت زيدا وعمرو
جالس انتهى فاحتمل ان يكون من باب عطف الجمل واحتمل ان تكون الواو للحال وتكون
حالا مقدرة لانه وقت الامر بالهبوط لم تكن تلك الامم موجودة وقال ابو البقا وامم
معطوف على الضمير في اهبط تقديره اهبط انت وامم وكان الفصل بينهما مغنيا عن التاكيد
وسنمتعهم نعت لامم انتهى وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان لان الذين كانوا مع نوح
في السفينة انما كانوا مومنين لقوله ومن امن ولم يكونوا قسمين كفارا ومومنين فتكون
الكفار مامورين بالهبوط مع نوح الا ان قدر ان من اولئك المومنين من يكفر بعد
الهبوط واخبر عنهم بالحالة التي يولون اليها فيمكن على بعد والذي ينبغي ان يفهم
من الاية ان من معه ينشا منهم مومنون وكافرون ونبه على الايمان بان المتصفين
به من الله عليهم سلام وبركة وعلى الكفر بان المتصفين به يمتعون في الدنيا ثم يعذبون
في الاخرة وذلك من باب الكناية كقولهم فلان طويل النجاد كثير الرماد وظاهر قوله
ممن معك يدل على ان المومنين والكافرين نشوا ممن معه والذين كانوا معه في السفينة
ان كانوا اولاده الثلاثة فقط او معهم نساوه فانتظم قول المفسرين ان نوحا عليه
السلام هو ابو الخلق كلهم وسمي ادم الاصغر لذلك وان كانوا اولاده وغيرهم
على الاختلاف في العدد فان كان غير اولاده مات ولم ينسل صح انه ابو البشر بعد
ادم ولم يصح انه نشا ممن معه مومن وكافر الا ان اريد بالذين معه اولاده
فيكون من اطلاق العام ويراد به الخاص وان كانوا نسلوا كما عليه اكثر المفسرين
فلا ينتظم انه ابو البشر بعد ادم بل الخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه
في السفينة والامم الممتعة ليسوا معينين بل هم عبارة عن الكفار وقيل هم قوم
هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام تلك اشارة الى قصة نوح وتقدمت
اعاريب في مثل هذا التركيب في قوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك في ال
عمران وتلك اشارة للبعيد لان بين هذه القصة والرسول مددا لا تحصى وقيل
الاشارة بتلك الى ايات القران ومن انباء الغيب وهو الذي تقادم عهده ولم يبق
علمه الا عند الله ونوحيها اليك لتكون لك هداية واسوة فيما لقيه غيرك من الانبيا
ولم يكن علمها عندك ولا عند قومك واعلمناهم بها لتكون مثالا لهم وتحذيرا ان يصيبهم
اذا كذبوك ما اصاب اولئك ولملاحظة هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله فاصبر اي فاصبر
على اذاهم مجتهدا في التبليغ عن الله فالعاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة ومعنى
ما كنت تعلمها اي مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان كان معلوما عندنا لعالم

على سبيل الاجمال والمجوس الان ينكرونه والجملة من قوله ماكنت في موضع الحال من مفعول
نوحيها او من مجرور اليك وقدرها الزمخشري تقدير معنى ثقفا اي مجهولة عندك
وعند قومك ويحتمل ان تكون خبرا بعد خبر والاشارة بقوله من قبل هذا الى الوقت
او الى الايحا او الى العلم الذي اكتسبته بالوحي احتمالات وفي مصحف ابن مسعود من قبل
هذا القران وقال الزمخشري ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم
ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما يقول
لمن يعرف هذا اعبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين والى عاد اخاهم معطوف على قوله ارسلنا نوحا
الى قومه عطف الواو المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب كما تعطف المرفوع والمنصوب
على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا وليس من باب الفصل بالجار والمجرور
بين حرف العطف والمعطوف نحو ضربت زيدا وفي البيت عمرا فيجيء منه الخلاف الذي بين
النحويين هل يجوز في الكلام او يختص بالشعر وتقدير الكلام في هود وعاد واخوته
منهم في الاعراف وقراءة الكسائي غيره بالخفض وقيل ثم فعل محذوف اي وارسلنا الى عاد
اخاهم فيكون اذ ذاك من عطف الجمل والاول من عطف المفردات وهذا اقرب لطول الفصل
بالجمل الكثيرة بين المتعاطفين وهودا بدل او عطف بيان وقرا ابن محيصن يا قوم بضم
الميم كقراءة حفص قل رب احكم بالحق بالضم وهي لغة في المنادى المضاف حكاها سيبويه وغيره
وان انتم الا مفترون في جعلكم الالوهية لغير الله تعالى وقال الزمخشري باتخاذكم الاوثان
له شركا والضمير في عليه عائد على الدعاء الى الله ونبه بقوله الذي فطرني على الرد عليهم في عبادتهم
الاصنام واعتقادهم انها تفعل ولكونه تعالى هو الفاطر للموجودات يستحق افراده
بالعبادة وافلا تعقلون توقيف على استحالة الالوهية لغير الفاطر ويحتمل ان يكون
افلا تعقلون راجعا الى انه لا اطلب عرضا منكم وانما اريد نفعكم فيجب انتفاؤكم
لما فيه نجاتكم كانه قيل افلا تعقلون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى
وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك وتقدم الكلام في استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اول هذه السورة قصد هود استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء
الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من هذه القوة والبطش والباس مهيبين في كل ناحية
وقيل اراد القوة في المال وقيل في النكاح وقيل وحبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت ارحام
نسائهم وقد انتزع الحسن بن علي رضي الله عنه من هذا ومن قوله ويمددكم باموال وبنين
ان كثرة الاستغفار قد يجعله الله سببا لكثرة الولد واجاب من ساله واخبره انه ذو مال
ولا يولد له بالاستغفار فاكثر من ذلك فولد له عشر بنين وروى ابو صالح عن ابن عباس
في قوله ويزدكم قوة انها الولد وولد الولد وقال مجاهد وابن زيد في الجسم والباس
وقال الضحاك خصبا الى خصبكم وقيل نعمة الى نعمة الاولى عليكم وقيل قوة في ايمانكم الى
قوة في ابدانكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ببينة
او بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قريش في قولهم
لولا انزل عليه اية من ربه وقد جاءهم بايات كثيرة ولعماهم عن الحق وعدم نظرهم في الايات
اعتقدوا ان ما هو اية ليس باية فقالوا ما جئتنا ببينة تلجئنا الى الايمان والا فهود وغيره
من الانبياء لهم معجزات وان لم يعين لنا بعضها الا ترى الى قوله رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وعن في عن قولك حال من الضمير
في تاركي الهتنا كانه قيل صادرين عن قولك قاله الزمخشري وقيل عن للتعليل كقوله تعالى الا
عن موعدة وعدها اياه فيتعلق بتاركي كانه قيل لقولك وقد اشار الى التعليل والسبب
فيها ابن عطية فقال اي لا يكون قولك سببا لتركنا اذ هو مجرد عن اية والجملة بعدها تاكيد
وتقنيط له من دخولهم في دينه ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم الى الله وافراده بالالوهية
الى الخبل والجنون وان ذلك مما اعتراه به بعض الهتهم لكونه سبها وحرض على تركها ودعا
الى ترك عبادتها فجعلته يتكلم مكافاة بما يتكلم به المجانين كما قالت قريش معلم مجنون
ام يقولون به جنة واعتراك جملة محكية بنقول فهي في موضع المفعول ودلت على بله شديد
وجهل مفرط حيث اعتقدوا في حجارة انها ينتصر وينتقم وقول هود لهم في جواب ذلك
اني اشهد الله الى اخره حيث تبرا من الهتهم وحرضهم كلهم مع انفراده وحده على كيده
بما يشاؤوا وعدم تاخره من اعظم الايات على صدقه ولثقته بموعود ربه من النصر له والتاييد
والعصمة من ان ينالوه بمكروه هذا وهم حريصون على قتله يرمونه عن قوس واحدة
ومثله قول نوح لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون واكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها
بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم الامر بشهادة الله وشهادة العباد قال الزمخشري
فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من
الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم
ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء
به على لفظ الامر بالشهادة انتهى وان بريء تنازع فيه اشهد واشهدوا وقد يتنازع
المختلفان في التعدي الاسم الذي يكون صالحا لان يعملا فيه تقول اعطيت زيدا ووهبت
لعمرو دينارا كما يتنازع اللازم والمتعدي نحو قام وضربت زيدا وما في مما تشركون موصولة
اما مصدرية واما بمعنى الذي اي بريء من اشراككم الهة من دونه او من الذي تشركون
وجميعا حال من ضمير كيدوني الفاعل والخطاب انما هو لقومه وقال الزمخشري انتم والهتكم
انتهى قيل ومجاهرة هود عليه السلام لهم بالبراءة من اديانهم وحضه اياهم على كيده هم واصنامهم
معجزة لهود او حرض جماعتهم عليه مع انفراده وقوتهم وكثرتهم فلم يقدروا على نيله بسوء
ثم ذكر توكله على الله معلما انه ربه وربهم ومنبها على انه من حيث هو ربكم يجب عليكم ان لا تعبدوا
الا اياه وتفويضا امره اليه تعالى ثقة بحفظه وانجاز موعوده ثم وصف قدرة الله تعالى وعظيم
ملكه من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه فانتم من جملة اولئك المقهورين
وقوله اخذ بناصيتها تمثيل اذ كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الاسير
والفرس بناصيته حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز
ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته قال ابن جريج وخص
الناصية لان العرب اذا وصفت انسانا بالذلة والخضوع قالت ما ناصية فلان الا بيد فلان
اي انه مطيع له يصرفه كيف يشاء ثم اخبر ان افعاله تعالى في غاية الاحكام وعلى طريق الحق
والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده من توكل عليه قوله الصدق ووعده الحق
وقرا الجمهور فان تولوا اي تتولوا مضارع تولى وقرا الاعرج وعيسى الثقفي تولوا بضم التاء
واللام مضارع ولي وقيل تولوا ماض ويحتاج في الجواب الى اضمار قول اي فقل لهم قد ابلغتكم
ولا حاجة تدعو الى جعله ماضيا واضمار القول وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون تولوا فعلا
ماضيا ويجيء في الكلام رجوع من غيبة الى خطاب اي فقد ابلغتكم انتهى فلا يحتاج الى اضمار
والظاهر ان الضمير في تولوا عائد على قوم هود وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبل
وقال التبريزي هو عائد على كفار قريش وهو من تلوين الخطاب انتقل من خطاب قوم هود
الى الاخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانه قيل اخبرهم عن قصة قوم هود وادعهم
الى الايمان بالله لئلا يصيبهم كما اصاب قوم هود فان تولوا فقل لهم قد ابلغتكم وجواب
الشرط هو قوله فقد ابلغتكم وصح ان يكون جوابا لان في ابلاغه اليهم رسالته تضمن ما يحل بهم
من العذاب المستاصل فكانه قيل فان تتولوا استوصلتم بالعذاب ويدل على ذلك الجملة الخبرية

مهم

من

ومن قوله ويستخلف ربي قوما غيركم وقال الزمخشري فان قلت الابلاغ كان قبل التولي
فكيف وقع جزا للشرط قلت معناه فان تولوا لم اعاقب على تفريط في الابلاغ فان ما ارسلت
به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول وقال ابن عطية المعنى
انه ما علي كبير هم منكم ان توليتم فقد بريت ساحتي بالتبليغ وانتم اصحاب الذنب في الاعراض
عن الايمان وقرا الجمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستانف اي يهلككم ويجي بقوم
اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم وقرا حفص في رواية هبيرة بجزمها عطفا على موضع
الجزا وقرا عبد الله كذلك وبجزم ولا تضروه وقرا الجمهور ولا تضرونه شيا من الضرر بتوليكم
لانه تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع قال ابن عطية يحتمل من المعنى وجهين احدهما ولا
تضرونه بذهابكم وهلاككم شيا اي لا ينتقص ملكه ولا يختل امره وعلى هذا المعنى قرا عبد الله
بن مسعود ولا تنقصونه شيا والمعنى الاخر ولا تضرونه اي ولا تقدرون اذا اهلككم على
اضراره بشي ولا على انتصار منه ولا تقابلون فعله بشي يضره انتهى وهذا فعل
منفي وهو لو لنكرة فينتفي جميع وجوه الضرر ولا يتعين واحد منها ومعنى حفيظ
رقيب محيط بالاشيا علما لا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم وهو يحفظني مما
تكيدونني به ولما جا امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من
عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد
قوم هود الامر واحد الامور فيكون كناية عن العذاب او عن القضا بهلاكهم
او تصديرا مرا اي امرنا للريح او للخزنة بها والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة
الاف وقيل ثلثة الاف والظاهر تعلق برحمة منا بقوله نجينا اي نجيناهم بمجرد
رحمة من الله لحقتهم لا باعمالهم الصالحة او كني بالرحمة عن اعمالهم الصالحة اذ توفيقهم
لها انما هو بسبب رحمته تعالى اياهم ويحتمل ان يكون متعلقا بامنوا اي ان ايمانهم
بالله وبتصديق رسوله انما هو برحمة الله تعالى اياهم اذ وفقهم لذلك وتكررت
التنجية على سبيل التوكيد ولقلق من لو لا صفت منا فاعيدت التنجية وهي الاولى
او يكون هذه التنجية هي من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه فاعيد لاجل
اختلاف متعلقيهما وقال الزمخشري فان قلت فما معنى تكرير التنجية قلت
ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى
وكانت التنجية من عذاب غليظ قال وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم
فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم وتقطعهم عضوا عضوا انتهى وهذا قال
الزجاج وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد وكانت النجاة المتقدمة من عذاب
غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديد النعمة ومشهور عذابهم
الريح انها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الظعينة كما هي ونحو
هذا وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا
اليها واعتبروا ثم استانف الاخبار عنهم فقال جحدوا بايات ربهم اي انكروها
واضاف الايات الى ربهم تنبيها على انه مالكهم ومربيهم فانكروا اياته والواجب
اقرارهم بها واصل جحد ان يتعدى بنفسه لكنه اجري مجرى كفر فعدي بالبا
كما عدي كفر بنفسه في قوله الا ان عادا كفروا ربهم اجرا له مجرى جحد وقيل كفر
كشكر يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر وعصوا رسله قيل عصوا هودا والرسل
الذين كانوا من قبله وقيل ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل لانهم
كلهم مجمعون على الايمان بالله والاقرار بربوبيته كقوله لا نفرق بين احد من رسله
واتبعوا اي اتبع سقاطهم امر روسايهم وكبرايهم والمعنى انهم اطاعوهم فيما امروهم به
قال الكلبي الجبار هو الذي يقتل على الغضب ويعاقب على المعصية وقال الزجاج هو
الذي يجبر الناس على ما يريد وذكر ابن الانباري انه العظيم في نفسه المتكبر على العباد
والظاهر ان قوله واتبعوا عام في جميع عاد وقال الزمخشري لما كانوا تابعين له دون الرسل

جعلت

جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله انتهى وظاهر
كلامه يدل على ان اللعنة مختصة بالتابعين للروسا ونبه على علة اتباع اللعنة
لهم في الدارين بانهم كفروا ربهم فالكفر هو الموجب للعنة ثم كرر التنبيه بقوله الا ان
الدعا عليهم تهويلا لامرهم وتفظيعا له وبعثا على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم
وفايدة قوله قوم هود مزيد التاكيد للمبالغة في التنصيص او تعيين عاد هذه
من عاد ارم لان عادا اثنان ولذلك قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فتحقق
ان الدعا على عاد هذه ولم يلتبس بغيرها الصيحة فعلة للمرة الواحدة من الصياح
يقال صاح يصيح اذا صوت بقوة حنذت الشاة احنذها حنذا شويتها وجعلت فوقها
حجارة لتنضجها فهي حنيذ وحنذت الفرس احضرته شوطا او شوطين ثم ظاهرت عليه
الجلال في الشمس ليعرق وجس الرجل قال الاخفش خامر قلبه وقال الفرا استشعر
وقيل احس والوجيس ما يعتري النفس عند اوايل الفزع ووجس في نفسه كذا اخطر
بها يجس وجسا ووجوسا وتوجس تسمع وتحسس قال وصادقتا سمع التوجس
للسرى لحس خفي او لصوت مند د الضحك معروف وكان ينبغي ان يذكر في سورة التوبة
في قوله فليضحكوا قليلا ويقال ضحك بفتح الحا والضحكة الكثير الضحك والضحكة المضحوك منه
ويقال ضحكت الارنب اي حاضت وانكر ابو عبيدة والفرا وابو عبيدة ضحك بمعنى حاض
وعرف ذلك غيرهم وقال الشاعر انشده اللغويون وضحك الارانب فوق الصفا كمثل
دم الجوف يوم اللقا وقال اخر وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان
يحلما اي حايضا في لبانة واللبانة والعلانة والشوذر واحد ومنه ضحكت الكافورة
اذا انشقت وضحكت الشجرة سال منها صمغها وهو شبه الدم وضحك الحوض امتلا وفاض
الشيخ معروف والفعل شاخ يشيخ وقد يقال للانثى شيخة قال وتضحك مني شيخة
عبشمية ويجمع على اشياخ وشيوخ وشيخان ومن اسما الجموع مشيخة ومشيوخا المجيد
قال ابن الاعرابي الرفيع يقال مجد يمجد مجدا ومجادة ومجد لغتان اي كرم وشرف واصله
من قولهم مجدت الابل تمجد مجدا شبعت وقال الاصمعي امجدت الدابة اكثرت علفها وقال
ابو حية النميري تزيد على صواحبها وليست بماجدة الطعام ولا الشراب اي ليست بكثيرة
الطعام ولا الشراب وقال الليث امجد فلان عطاه ومجده اذا كثره ومن امثالهم في كل شجر نار
واستمجد المرخ والعفار اي استكثر من النار وقال ابن عطية مجد الشي اذا حسنت
اوصافه الروع الفزع وقال الشاعر
اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب مقدام على الهول اروعا والفعل راع يروع قال
ما راعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم وقال النابغة فارتاع من صوت
كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صرد والروع بضم الرا النفس لانها موضع
الروع الذرع مصدر ذرع البعير بيديه في سيره اذا سار على قدر خطوه ماخوذ
من الذراع ثم وضع موضع الطاقة فقيل ضاق به ذرعا وقد يجعلون الذراع موضع
الذرع قال اليك اليك ضاق بها ذراعا وقيل كني بذلك عن ضيق الصدر
العصيب والعصبصب والمعصوصب الشديد اللازم الشر الملتف بعضه ببعض قال
وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب قال ابو عبيدة سمي عصيبا
لانه يعصب الناس بالشر والعصبة والعصابة الجماعة المجتمعة كلمتهم او المجتمعون
في النسب وتعصبت لفلان وفلان معصوب اي مجتمع الخلق الاهراع قال شمر مشي بين
الهرولة والجمز وقال الهروي هرع الرجل واهرع استحث الضيف مصدر واذا اخبر به
او وصف لم يطابق في تثنية ولا جمع هذا المشهور وسمع فيه ضيوف واضياف وضيفان
الركن معروف وهو الناحية من البيت او الجبل ويقال ركن بضم الكاف ويجمع على اركان
واركن وركنت الى فلان انضويت اليه سرى واسرى بمعنى واحد قاله ابو عبيدة والازهري
وعن الليث اسرى سار اول الليل وسرى سار اخره ولا يقال في النهار الا سار السجيل
والسجين الشديد من الحجر قاله ابو عبيدة وقال الفراطين طبخ حتى صار بمنزلة الاجر وقيل

هو كارسي ويسك الحي وكل الطين نعرب نفيل سجين المنفود المجعول بعضه فوق بعض
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قرأ
ابن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحي والجمهور على منع الصرف ذهابا
الى القبيلة انشأكم اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ادم اصلهم فكان انشا الاصل انشا
للفرع وقيل من الارض باعتبار الاصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذا المتولد منه
المني ودم الطمث المتولد منهما الانسان وقيل من بمعنى في واستعمركم جعلكم عمارا
وقيل استعمركم من العمر اي استبقاكم فيها قاله الضحاك اي اطال اعماركم وقيل من العمرى
قاله مجاهد فيكون استعمر في بمعنى اعمر كاستهلكه في معنى اهلكه والمعنى اعمركم فيها دياركم
ثم هو وارثها منكم او بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان من ورث داره من بعده
فانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره وقال زيد بن اسلم استعمركم امركم
بعمارة ما تحتاجون اليه من بنا مساكن وغرس اشجار وقيل الهمكم عمارتها من الحرث
والغرس وحفر الانهار وغيرها ان ربي قريب اي داني الرحمة مجيب لمن دعاه قد كنت
فينا مرجوا قال كعب كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم لانه كان ذا حسب وثروة وعن
ابن عباس فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا وقال مقاتل كانوا يرجون رجوعه الى دينهم
اذ كان يبغض اصنامهم ويعدل عن دينهم فلما اظهر انذارهم انقطع رجاهم منه
وذكر الماوردي يرجون خيره فلما انذرهم انقطع رجاوه خيره ولبسط الزمخشري
هذا القول فقال فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد
فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور مسترشدا في التدابير فلما نطقت
بهذا القول انقطع رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك انتهى وقيل لما كان قوي الخاطر
وكان من قبيلتهم قوي رجاهم في ان ينصر دينهم ويقوي مذهبهم وقال ابن عطية
والظاهر الذي حكاه الجمهور ان قوله مرجوا معناه لا مؤمل فيك ان تكون سيدا سادا
مسد الاكابر ثم قرروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم انتهانا وحكى النقاش عن
بعضهم انه قال معناه حقيرا فاما ان يكون لفظ مرجو بمعنى حقير فليس ذلك في كلام
العرب وانما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى وذلك ان القصد بقولهم مرجوا يقولوا
لقد كنت فينا سهلا مرامك قريبا رد امرك ممن لا يظن ان يستفحل من امره مثل هذا فمعنى
مرجوا اي مرجو اطراحه وغلبته ونحو هذا فيكون ذلك على جهة الاحتقار ولذلك
فسر بحقير ثم يجي قولهم اتنهانا على جهة التوعد والاستبشاع لهذه المقالة منه انتهى
وما يعبد اباونا حكاية حال ماضية واننا وانا لغتان لقريش قال الفرا من قال اننا اخرج
الحرف على اصله لان كناية المتكلمين نا فاجتمعت ثلاث نونات ومن قال انا استثقل اجتماعها
فاسقط الثالثة وابقى الاوليين انتهى والذي اختاره ان نا ضمير المتكلمين لا تكون
المحذوفة لان في حذفها حذف بعض اسم وبقي منه حرف ساكن وانما المحذوف
النون الثانية من ان فحذفت لاجتماع الامثال وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة
وهذا اولى من حذف ما بقي منه حرف وايضا فقد عهد حذف هذه النون مع غير
ضمير المتكلمين ولم يعهد حذف نون نا فكان حذفها من ان اولى ومريب اسم فاعل من
متعدا راب او من اراب اللازم ووقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة وارب الرجل
اذا كان ذا ريبة واسند ذلك الى الشك اسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود
التصميم على الكفر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني
من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسو فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب تقدم الكلام في ارايتم في قصة نوح والمفعول الثاني هنا لارايتم
محذوف يدل عليه قوله فمن ينصرني من الله ان عصيته والتقدير اعصيه في ترك ما انا

عليه من البينة وقال ابن عطية ارايتم هو من روية القلب والشرط الذي بعده وجوابه
يسد مسد مفعولين علمت واخواتها وادخال اداة الشرط التي هي ان على جملة محققة وهي
كان بينة من ربه لكنه خاطب الجاحدين للبينة فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي وانظروا
ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذابه قال ابن عطية وفي الكلام محذوف
تقديره ايضرني شككم او يمكنني طاعتكم ونحو هذا مما يليق بمعنى الاية انتهى وهذا التقدير
الذي قدره استشعار منه بالمفعول الثاني الذي تقتضيه ارايتم وان الشرط وجوابه
لا يقعان ولا يسدان مسد مفعول ارايتم والذي قدرناه نحن هو الظاهر لدلالة قوله
فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير قال الزمخشري غير ان اخسركم
اي انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون انتهى فيفعل هنا للنسبة كفسقته وفجرته
اي نسبته الى الفسق والفجور وقال ابن عباس معناه ما تزيدونني بعبادتكم الا بصارة
في خسرانكم انتهى فهو على حذف مضاف اي غير بصارة تخسيركم وقال مجاهد ما تزدادون
انتم باحتجاجكم بعبادة ابايكم الا خسارا واضاف الزيادة الى نفسه لانهم اعطوه ذلك
وكان سالهم الايمان وقال ابن عطية فما تعطوني فيما اقتضيته منكم من الايمان غير
تخسير لانفسكم وهو من الخسارة وليس التخسير الا لهم وفي حيزهم واضاف الزيادة
اليه من حيث هو مقتض لاقوالهم موكل بايمانهم كما يقول لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت
تريد بي سوا وكان الوجه البين ان يقول وانت تريد شرا لكن من حيث كنت مزيد خير
ومقتضى ذلك حسن ان تضيف الزيادة الى نفسك انتهى وقيل التقدير فما تحملونني
عليه غير اني اخسركم اي ارى منكم الخسران وقيل التقدير تخسرون اعمالكم وتبطلونها
قيل وهذا اقرب لان قوله فمن ينصرني من الله ان عصيته كالدلالة على انه اراد ان
اتبعتكم فيما انتم عليه وتدعونني اليه لم ازدد الا خسرانا في الدين فاصير من الهالكين
الخاسرين وانتصب اية على الحال والخلاف في الناصب في نحو هذا زيد منطلقا هو حرف
التنبيه او اسم الاشارة او فعل محذوف وفي حال في نصب اية ولكم في موضع الحال لانه لو تاخر
لكان نعتا لاية فلما تقدم على النكرة كان حالا والعامل فيه محذوف وقال الزمخشري
فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بانه حال منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة
لها فلما تقدمت انتصبت على الحال انتهى وهذا متناقض لانه من حيث تعلق لكم باية كانت
لكم معمولة لاية واذا كان معمولا لها امتنع ان يكون حالا منها لان الحال متعلق بمحذوف
تناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هي العاملة ومن حيث كونه
حالا منها كان العامل غيرها وتقدم الكلام على الجمل التي بعد اية وقرات فرقة تاكل
بالرفع على الاستيناف او على الحال وقريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسو الا يسيرا
وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم وهذا الاخبار بوحي من الله تعالى وعقر وها نسب
الى جميعهم وان كان العاقر واحدا لانه كان برضى منهم وتمالى ومعنى تمتعوا استمتعوا
بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانها يدار فيها اي يتصرف يقال ديار
بكر لبلادهم قاله الزمخشري وقال ابن عطية في داركم جمع دارة كساحة وساح
وسوح ومنه قول امية بن ابي الصلت • له داع بمكة مشمعل واخر فوق دارته ينادي
ويمكن ان يسمى جميع مسكن الحي دارا انتهى ذلك اي الوعد بالعذاب غير مكذوب اي صدق
حق والاصل غير مكذوب فيه فاتسع فحذف الحرف واجري الضمير مجرى المفعول
به او جعل غير مكذوب لانه وفي به فقد صدق او على ان المكذوب هنا مصدر وعند
من يثبت ان المصدر يجي على زنة مفعول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه
برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود
والكلام في جا امرنا كالكلام السابق في قصة قوم هود فتحمل الواو زايدة في ومن اي
من خزي يومئذ فيتعلق من بنجينا وهذا لا يجوز عند البصريين لان الواو لا تزاد عندهم
بل تتعلق من بمحذوف اي ونجيناهم من خزي اي وكانت التنجية من خزي يومئذ وقرا طلحة

وابان بن تغلب ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي وقرا الجمهور
بالاضافة وفتح الميم نافع والكسائي وهي فتحة بنا لاضافته الى اذ وهو غير متمكن وقرا
باقي السبعة بكسر الميم وهي حركة اعراب والتنوين في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة
المتقدمة الذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جا الامر وحل بهم وقال الزمخشري ويجوز ان
يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة انتهى وهذا ليس
بجيد لان التنوين في اذ تنوين العوض ولم يتقدم الا قوله فلما جا امرنا ولم تتقدم جملة
فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضا من الجملة التي تكون
في يوم القيامة وناسب مجي الامر وصفه تعالى بالقوي العزيز فانهما من صفات الغلبة
والقهر والانتقام والجملة التي بعد هذا تقدم الكلام عليها في الاعراف الا ان ثمود منع حمزة
وحفص صرفه وصرفه الباقون لثمود صرفه الكسائي ومنعه باقي السبعة ولقد جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جا بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه
نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي
شيخا ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
انه حميد مجيد • تقدم ان ترتيب قصص هذه السورة كترتيب قصص الاعراف
وانما ادرج شيا من اخبار ابرهيم عليه السلام بين قصة صالح ولوط لان له مدخلا في قصة
لوط وكان ابرهيم ابن خالة لوط والرسل هنا الملائكة بشرت ابرهيم بثلاث بشاير بالولد
وبالخلة وبانجا لوط ومن امن معه قيل كانوا اثني عشر ملكا روى ذلك عن ابن عباس وقال
السدي احد عشر وحكى صاحب الغنيان عشرة منهم جبريل وقال الضحاك تسعة وقال محمد
بن كعب ثمانية وحكى الماوردي اربعة وقال ابن عباس وابن جبير ثلاثة جبريل وميكائيل
واسرافيل وقال مقاتل جبريل وميكاييل وملك الموت وروي ان جبريل كان مختصا
باهلاك قوم لوط وميكاييل ببشرى ابرهيم باسحق واسرافيل بانجا لوط ومن امن معه
قيل وكانت الملائكة جردا مردا على غاية من الحسن والجمال والبهجة ولهذا يضرب بهم المثل
في الحسن كما قال تعالى حكاية عما قيل في يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال
العزي قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا • وانتصب سلاما على
اضمار الفعل اي سلمنا عليك سلاما فسلاما قطعا معمول للفعل المضمر المحكي بقالوا قال ابن عطية
ويصح ان يكون سلاما حكاية لمعنى ما قالوا لا حكاية للفظهم قاله مجاهد والسدي ولذلك
عمل فيه القول كما تقول الرجل قال لا اله الا الله قلت حقا واخلاصا ولو حكيت لفظهم لم يصح
ان يعمل فيه القول انتهى ويعني لم يصح ان يعمل في لفظهم القول يعني في اللفظ وان كان ما لفظوا
به في موضع المفعول للقول وسلام خبر مبتدا محذوف اي امري او امركم سلام او مبتدا محذوف
الخبر اي عليكم سلام والجملة محكية وان كان حذف منها احد جزئيها كما قال اذا ذقت فاها
قلت طعم مدامة اي طعمه طعم مدامة وقرا الاخوان قال سلم والسلم السلام كحرم وحرام ومنه
قول الشاعر • مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح • اكتل اتخذ اكليله
قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالسلم ضد الحرب تقول نحن سلم لكم انتهى ونصب سلاما يدل
على التجدد ورفع سلام يدل على الثبوت والاستقرار ولهذا قرب في الاعراب فما لبث ان تكون
ما نافية ولبث معناه تاخر وابطا وان جا فاعل بلبث التقدير فما تاخر مجيه قاله الفرا
وجوزوا ان تكون في لبث مضمرا ابرهيم فهو فاعل وان جا على اسقاط الحرف فقدر بان
وبعن وبفي وجعل بعضهم ان بمعنى حتى حكاه ابن العربي وان يكون ما مصدرية وذلك
المصدر في موضع رفع بالابتدا وان تكون بمعنى الذي اي فلبثه او الذي لبثه والخبر ان
جا على حذف اي قدر مجيه وهذا من ادب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال ابرهيم البقر
فقدم احسن ما فيه وهو العجل قال مجاهد حنيذ مطبوخ وقال الحسن نضيج مشوي سمين
يقطر ودكا وقال السدي سمين وقيل سميط لا تصل اليه اي الى العجل والمعنى لا يمدون ايديهم
الى الاكل ثم ينفي الوصول الناشي عن المد بل جعل عدم الوصول استعادة عن امتناعهم من الاكل نكرهم

اي

اي انكرهم قال الشاعر • وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا •
وقيل نكر فيما يرى وانكر فيما لا يرى من المعاني فكان الشاعر قال وانكرت مودتي ثم جاءت
بنكر الشيب والصلع مما يرى بالبصر ومنه قول ابي ذويب • فنكرنه فنفرت وامترست به
هوجاء هادية وهاد جرشع • وروي انهم كانوا ينكثون بقداح كانت بايديهم في اللحم
ولا تصل ايديهم اليه وينبغي ان ينظر من الضيف هل ياكل اولا ويكون بتلفت ومسارقة
لا بتحديد النظر لان ذلك مما يجعل الضيف مقصرا في الاكل قيل كان ابرهيم ينزل في طرف
من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم اذا مس من يطرقهم طعامهم
امنوا والا خافوه قال الزمخشري والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون
نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما ارسلوا قال مقاتل فاوجس وقع في قلبه وقال
الحسن حدث به نفسه قيل واصل الوجوس الدخول فكان الخوف دخل عليه والظاهر
انه لم يعرف انهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر وكان مشغوفا باكرام الاضياف فلذلك
جاوا في صورهم ولمسارعته الى احضار الطعام اليهم ولان امتناع الملائكة من الاكل لا يدل
على حصول الشر وانما عرف انهم ملائكة بقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فنهوه
عن شي وقع في نفسه وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم
كقوله تعالى يعلمون ما تفعلون وفي الحديث الصحيح قالت الملائكة رب عبدك هذا يريد
ان يعمل سيئة الحديث او بما يلوح في صفحات وجه الخائف وامراته قائمة جملة حال ابتدا وخبر
قال الحوفي وابو البقا في موضع الحال قال ابو البقا من ضمير الفاعل في ارسلنا يعني
المفعول الذي لم يسم فاعله والزمخشري يسميه فاعله لقيامه مقام الفاعل وقال الحوفي
والتقدير ارسلنا الى قوم لوط في حال قيام امراته يعني امراة ابرهيم والظاهر انه حال من ضمير
قالوا اي قالوا لابرهيم لا تخف في حال قيام امراته وهي سارة بنت هاران بن ناحور وهي
ابنة عمه قائمة اي لخدمة الاضياف وكانت نساوهم لا تحتجب كعادة الاعراب ونازلة البوادي
والصحرا ولم يكن التبرج مكروها وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الاخلاق
قاله مجاهد وجا في شرعنا مثل هذا من حديث ابي اسيد الساعدي وكانت امراته
عروسا فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه من اصحابه وقال وهب كانت قائمة وراء
الستر تسمع محاورتهم وقال ابن اسحق قائمة تصلي وقال المبرد قائمة عن الولد قال
الزمخشري وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد وقال ابن عطية وفي قراءة ابن
مسعود وهي قائمة وهو جالس ولم يتقدم ذكر امراة ابرهيم فيضمر لكنه يفسره سياق
الكلام قال مجاهد وعكرمة فضحكت حاضت وقال الجمهور هو الضحك المعروف فقيل
هو مجاز يعبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة اخيها وهلاك قومه يقال اتيت على
روضة تضحك اي مشرقة وقيل هو حقيقة فقال مقاتل وروي عن ابن عباس ضحكت من
شدة خوف ابرهيم وهو في اهله وغلمانه والذين جاوه ثلاثة وهي تعهدهم يغلب
الاربعين وقيل المائة وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم
وقال السدي ضحكت من امساك الاضياف عن الاكل وقالت عجبا لاضيافنا نخدم
بانفسنا وهم لا ياكلون طعامنا وقال وهب بن منبه وروي عن ابن عباس ضحكت من
البشارة باسحق وقال هذا مقدم بمعنى التاخير وذكر ابن المبارك ان ضحكها كان سرورا
بصدق ظنها لانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا وكان اخاها فانه سينزل
العذاب بقومه وقيل ضحكت لما رات من المعجز وهو ان الملائكة مسحت العجل الحنيذ فقام
حيا يطفر والذي يظهر والله اعلم انهم لما لم ياكلوا واوجس في نفسه خيفة بعدما نكرهم لحقها
لحق المراة من ذلك اعظم ما لحق الرجل فلما قالوا لا تخف وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف
وسر فلحقها هي من السرور ان ضحكت اذ النسا في باب الفرح والسرور اطرب من الرجال وغالب
عليهن ذلك وقد اشار الزمخشري الى طرف من هذا فقال فضحكت سرورا بزوال الخيفة
وذكر محمد بن قيس سببا لضحكها تركنا ذكره لفظاعته يوقف عليه في تفسير ابن عطية وقرا

محمد بن زياد الاعرابي رجل من قرامكة فضحكت بفتح الحاء قال المهدوي وفتح الحاء غير معروف
فبشرناها هذا اوفق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى والمعنى فبشرناها على
لسان رسلنا بشرتها الملائكة باسحاق وبان اسحاق سيلد يعقوب قال ابن عطية اضاف
فعل الملائكة الى ضمير اسم الله تعالى اذ كان ذلك بامره ووحيه وقال غيره لما ولد لابرهيم
اسمعيل عليهما السلام من هاجر تمنت سارة ان يكون لها ابن وايست لكبر سنها فبشرت
بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان هذا بشارة لها بان ترى ولد ولدها وانما بشروها دونه
لان المراة اعجل فرحا بالولد ولان ابرهيم قد بشروه وامنوه من خوفه فاتبعوا بشارته
ببشارتها وقيل خصت بالبشارة حيث لم يكن لها ولد وكان لابرهيم ولده اسمعيل
والظاهر ان وراء هنا ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول من عليه كانه قيل ومن بعد
اسحق او من خلف اسحق وبمعنى بعد روي عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة
وعن ابن عباس ايضا ان الوراء ولد الولد وبه قال الشعبي واختاره ابو عبيدة وتسميته
وراء قريبة من معنى وراء الظرف اذ هو ما يكون خلف الشي وبعده فان قيل كيف
يكون ليعقوب وراء لاسحاق وهو ولده لصلبه وانما الوراء ولد الولد فقد اجاب عنه
ابن الانباري فقال المعنى ومن الوراء المنسوب الى اسحاق يعقوب لانه قد كان الوراء
لابرهيم من جهة اسحاق فلو قال ومن الوراء يعقوب لم يعلم احد الوراء منسوب الى
اسحق ام الى اسمعيل فاضيف الى اسحق لينكشف المعنى ويزول اللبس انتهى وبشرت من بين
اولاد اسحق بيعقوب لانها راته ولم تر غيره وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع
وتسعين سنة وابرهيم ابن مائة سنة وقيل كان بينهما غير ذلك وهي اقوال متعارضة فتهذه
وهذه الاية تدل على ان اسماعيل هو الذبيح لان سارة حين اخذها الملك الجبار هاجرا م
اسمعيل كانت شابة جميلة فاتخذ ابرهيم هاجر سرية فغارت منها سارة فخرج بها وبابنها
اسمعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة وانصرف الى الشام من يومه ثم كانت البشارة
باسحق وسارة عجوز محالة وسياتي الدليل على ذلك ايضا من سورة والصافات ويجوز
ان يكون الله سماها حالة البشارة بهذين الاسمين ويجوز ان يكون الاسمان حدثا لها
وقت الولادة ويكون البشارة بولد ذكر بعده ولد ذكر وحالة الاخبار عن البشارة ذكر
باسميهما كما يقول المخبر اذا بشر في النوم بولد ذكر فولد له ولد ذكر فسماه عبد الله
بشرت بعبد الله وقرا الحرميان والنحويان وابو بكر يعقوب بالرفع على الابتداء ومن وراء
الخبر كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب كائن وقدره الزمخشري مولود او موجود قال
النحاس والجملة حال داخلة في البشارة اي فبشرناها باسحق متصلا به يعقوب
واجاز ابو علي ان يرتفع بالجار والمجرور كما اجازه الاخفش اي واستقر لها من وراء
اسحق يعقوب قال ابن عطية وعلى هذا لا يدخل في البشارة وقرا ابن عامر وحمزة
وحفص وزيد بن علي يعقوب بالنصب قال الزمخشري كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن
وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب انتهى يعني انه عطف
على التوهم والعطف على التوهم لا ينقاس والاظهر ان ينتصب يعقوب باضمار فعل تقديره
ومن وراء اسحق وهبنا يعقوب ودل عليه قوله فبشرناها لان البشارة في معنى الهبة ورجح
هذا الوجه ابو علي ومن ذهب الى انه مجرور معطوف على لفظ باسحق او على موضعه فقوله
ضعيف لانه لا يجوز الفصل بالظرف او المجرور بين حرف العطف ومعطوفه المجرور
لا يجوز مررت بزيد اليوم وامس عمرو فان جاء ففي شعر فان كان المعطوف منصوبا
او مرفوعا ففي جواز ذلك خلاف نحو قام زيد واليوم عمرو وضربت زيدا واليوم
عمرا والظاهر ان الالف في يا ويلتا بدل من ياء الاضافة نحو يا لهفا ويا عجبا وامال
الالف من يا ويلتى عاصم وابو عمرو والاعشى اذ هي بدل من الياء وقرا الحسن يا ويلتي
بالياء على الاصل وقيل الالف الف الندبة ويوقف عليها بالهاء واصل الدعاء بالويل
ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس ويا ويلتى
كلمة تخف على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يعجبن منه واستفهمت بقولها االد استفهام

انكار

انكار وتعجب وانا عجوز وما بعده جملتا حال والنصب شيخا على الحال عند البصريين وخبر
التقريب عند الكوفيين ولا يستغني عن هذه الحال اذا كان الخبر معروفا عند المخاطب
لان الفائدة انما تقع بهذه الحال اما اذا كان مجهولا عنده فاردت ان تفيد المخاطب ما كان
جهله فتجي الحال على بابها مستغنى عنها وقرا ابن مسعود وهو في مصحفه والاعمش
شيخ بالرفع وجوزوا فيه وفي بعلي ان يكونا خبرين كقولهم هذا حلو حامض وان
يكون بعلي الخبر وشيخ خبر مبتدا محذوف او بدل من بعلي وان يكون بعلي بدلا او
عطف بيان وشيخ الخبر والاشارة بهذا الى الولادة او البشارة بها تعجبت من حدوث
ولد بين شيخين هرمين واستغربت ذلك من حيث العادة لا انكارا لقدرة الله تعالى
قالوا اي الملائكة اتعجبين استفهام انكار لتعجبها قال الزمخشري لانها كانت في بيت الايات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزد
هي سائر النساء في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك
اشارت الملائكة في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اراد وان هذه وامثالها
مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر
الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار
التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله
عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم
من ولد ابرهيم انتهى وقيل رحمته تحيته وبركاته فواضل خيره بالخلة والامامة وروي
ان سارة قالت لجبريل ما اية ذلك فاخذ عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر
فسكن روعها وزال تعجبها وهذه الجملة المستانفة يحتمل ان تكون خبرا وهو الاظهر
لانه يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم ويحتمل ان يكون دعاء وهو مرجوح لان الدعاء
انما يقتضي انه امر يترجى ولم يتحصل بعد واهل منصوب على النداء او على الاختصاص
وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعلهما سيبويه في بابين وهو
ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوصفه المدح كما ان المنصوب على الذم يتضمن بوصفه
الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الا لمدح او ذم لكن لفظه لا يتضمن بوصفه المدح
ولا الذم كقوله • بنا تميما يكشف الضباب • وقوله • ولا الحجاج عيني بنت ماء • وخطاب
الملائكة اياها بقولهم اهل البيت دليل على اندراج الزوجة في اهل البيت وقد دل على
ذلك ايضا في سورة الاحزاب خلافا للشيعة اذ لا يعدون الزوجة من اهل بيت زوجها
والبيت يراد به بيت السكنى انه حميد قال ابو الهيثم تحمد افعاله وهو بمعنى المحمود
وقال الزمخشري فاعل ما يستوجب من عباده • مجيد كريم كثير الاحسان اليهم فلما
ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب
يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود الروع الخيفة
التي كان اوجسها في نفسه حين نكر اضيافه والمعنى اطمان قلبه بعلمه انهم ملائكة والبشرى
تبشيره بالولد او بان المراد بمجيئهم غيره وجواب لما محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا
به وتقديره اجترا على الخطاب اذ فطن للمجادلة او قال كيت وكيت ودل على ذلك الجملة
المستانفة وهي يجادلنا قال معناه الزمخشري وقيل الجواب يجادلنا وضع المضارع موضع
الماضي اي جادلنا وذلك لوضوح المعنى وهذا اقرب الاقوال وقيل يجادلنا حال من
ابرهيم وجاءته حال ايضا او من ضمير في جاءته وجواب لما محذوف تقديره قلنا يا ابرهيم اعرض
عن هذا واختار هذا التوجيه ابو علي وقيل الجواب محذوف تقديره ظل او اخذ يجادلنا
فحذف اختصارا لدلالة ظاهر الكلام عليه والمجادلة قيل هي سواله العذاب واقع بهم لا محالة
ام على سبيل الاخافة ليرجعوا الى الطاعة وقيل تكلم على سبيل الشفاعة والمعنى يجادل رسلنا
وعن حذيفة انهم لما قالوا له انا مهلكو اهل هذه القرية قال ارايتم ان كان فيها خمسون
من المسلمين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فعشرون
قالوا لا قال فان كان فيهم عشرة او خمسة شك الراوي قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل

واحد من المسلمين اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله وكان ذلك من ابرهيم حرصا على ايمان قوم لوط ونجاتهم وكان في القرية
اربعة الاف الف انسان وتقدم تفسير حليم واواه ومنيب يا ابرهيم اي قالت الملائكة
والاشارة بهذا الى الجدال والمحاورة في شي مفروغ منه والامر ما قضاه وحكم به من
عذابه الواقع بهم لا محالة ولا مرد له بجدال ولا دعا ولا غير ذلك وقرا عمرو بن هرم واتيهم
اتاهم بلفظ الماضي وعذاب فاعل به عبر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه لقوله
اتى امر الله ولما جات رسلنا لوطا سي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيات قال يا قوم هولاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا
الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك
لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد خرجت الملائكة من قرية
ابرهيم الى قرية لوط وبينهما قيل ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ فاتوها عشا وقيل
نصف النهار ووجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم
وهي اكبر حواضر قوم لوط فسالوها الدلالة على من يضيفهم ورات هيئتهم فخافت
عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا انا
نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم اوما سمعتم بعمل هولا القوم فقالوا وما عملهم
فقال اشهد بالله انهم شر قوم في الارض وقد كان الله قال للملائكة لا تعذبوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل هذه واحدة وتردد
القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة اربع مرات ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سي بهم اي لحقه
سوء بسببهم وضاق ذرعه بهم وقال هذا يوم عصيب اي شديد لما كان يتخوفه من تعدي
قومه على اضيافه وجاءه قومه يهرعون اليه لما جا لوط بضيفه لم يعلم بذلك احد الا اهل
بيته فخرجت امراته حتى اتت مجالس قومها فقالت ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما رئي
مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاوا يهرعون اي يسرعون كانما يدفعون دفعا فعل الطامع
الخايف فوت ما يطلبه وقرا الجمهور يهرعون مبنيا للمفعول من اهرع اي يهرعهم الطمع
وقرات فرقة يهرعون بفتح اليا من هرع وقال مهلهل فجاوا يهرعون وهم اسارى
يقودهم على رغم الانوف ومن قبل كانوا يعملون السيات اي كان ذلك ديدنهم وعادتهم
اصروا على ذلك ومرنوا عليه فليس ذلك باول المشاهدة المعصية فجاوا يهرعون لا يكفهم
حيا ولضراوتهم عليها والتقدير فيه ومن قبل اي من قبل مجيئهم الى هولا الاضياف
وطلبهم اياهم وقيل ومن قبل بعث لوط رسولا اليهم وجمعت السيات وان كان المراد
بها معصية اتيان الذكور اما باعتبار فاعليها او باعتبار تكررها وقيل كانت سيات كثيرة
باختلاف انواعها منها اتيان الذكور واتيان النسا في غير المأتى وحذف الحصى والحبق
في المجالس والاسواق والمكا والصفير واللعب بالحمام والقمار والاستهزا بالناس في
الطرقات ووضع درهم على الارض وهم بعيد ومن مد لمن اخذه صاحوا عليه وخجلوه
وان اخذه صبي تابعوه وراودوه هولا بناتي هن اطهر ان تكون الاضافة مجازية اي
نسا قومي اي البنات اطهر لكم لان النبي ينزل منزلة الاب لقومه وفي قراءة ابن مسعود النبي
اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم ويدل عليه انه فيما قيل لم يكن
له الا بنتان وهذا بلفظ الجمع وايضا فلا يمكن ان يزوج ابنته من جميع قومه وقيل اشار
الى بنات نفسه وندبهم الى النكاح اذ كان من سنتهم تزويج المومنة بالكافر وعلى ان في ضمن
كلامه ان يومنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه زغوثا وزيثا
وقيل لكن لله تا وسعني اطهر انظف فعلا وقيل احل واطهر بينا ليس افعل التفضيل اذ لا
طهارة في اتيان الذكور وقرا الجمهور اطهر بالرفع والاحسن في الاعراب ان يكون جملتان
كل منهما مبتدا وخبر وجوز في بناتي ان يكون بدلا او عطف بيان وهن فصل واطهر الخبر
وقرا الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدي اطهر
بالنصب وقال س هو لحن وقال ابو عمرو بن العلا احتبى فيه ابن مروان في لحنه يعني تربع ه

وروبت هذه القراة عن مروان ابن الحكم وخرجت هذه القراة على ان نصب اطهر
على الحال فقيل هولا مبتدا وبناتي هن مبتدا وخبر في موضع خبر هولا وروي هذا
عن المبرد وقيل هولا بناتي مبتدا وخبر وهن مبتدا ولكم خبره وقيل والعامل قيل المضمر
وقيل لكم بما فيه من معنى الاستقرار وقيل هولا بناتي مبتدا وخبر وهن فصل واطهر
حال ورد بان الفصل لا يقع الا بين جزءي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد اجاز
ذلك بعضهم وادعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل ثم امرهم بتقوى الله في ان يوثروا
البنات على الاضياف ولا تخزون يحتمل ان يكون من الخزي وهو الفضيحة ومن الخزاية
وهو الاستحيا لانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي هو وذلك من عراقة
الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن
السو وفي ذلك توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رشيد البتة قال ابن عباس رشيد
مومن وقال ابو مالك ناه عن المنكر ورشيد ذو رشد او مرشد كالحكيم بمعنى المحكم
والظاهر ان معنى من حق من نصيب ولا من غرض ولا شهوة قالوا ذلك على وجه الخلاعة
وقيل من حق لانك لا ترى منا كحتنا لانهم كانوا خطبوا ابناته فردهم وكانت سنتهم ان من
رد في خطبة امراة لم تحل له ابدا وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا كان عندهم
انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل وقيل لانه عادتهم كانت ان لا يتزوج الرجل منهم
الا واحدة وكانوا كلهم متزوجين وانك لتعلم ما نريد يعني من اتيان الذكور وما لهم
فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف
كما حذف في ولو ان قرانا سيرت به الجبال وتقديره لفعلت بكم وصنعت والمعنى في الى
ركن شديد من يستند اليه ويمتنع به من عشيرته شبه الذي يمتنع به بالركن من الجبل
في شدته ومنعته وكانه امتنع عليه ان ينتصر ويمتنع بنفسه او بغيره مما يمكن ان
يستند اليه وقال الحوفي وابو البقا او اوي عطف على المعنى تقديره او اني اوي والظاهر
ان او عطف جملة فعلية على جملة فعلية ان قدرت ان في موضع رفع على الفاعلية على ما ذهب
اليه المبرد اي لو ثبت ان لي بكم قوة او اوي ويكون المضارع المقدر واوي هنا وقعا موقع الماضي
ولو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره نقلت المضارع الى الماضي وان قدرت ان وما
بعدها جملة اسمية على مذهب س فهي عطف عليها من حيث ان لو تاتي بعدها الجملة المقدرة
اسمية اذا كان الذي ينسبك اليها ان ومعمولاها وقال ابو البقا ويجوز ان تكون او اوي
مستانفا انتهى ويجوز على راي الكوفيين ان تكون او بمعنى بل ويكون قد اضرب عن الجملة
السابقة وقال بل اوي في حالي معكم الى ركن شديد وكنى به عن جناب الله تعالى وقرا شيبة
وابو جعفر او اوي بنصب اليا باضمار ان بعد او فتتقدر بالمصدر عطفا على قوله قوة
ونظيره من النصب باضمار ان بعد او قول الشاعر

ولولا رجال من رزام اعزة • وال سبيع او اسوك علقما •

قالوا يا لوط انا
رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك
انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جا امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد
روي ان لوطا عليه السلام غلبوه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الرسل تنح عن الباب
فتنحى وانفتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم
يقولون النجا النجا فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا فحينئذ قالوا له انا رسل ربك
وروي ان جبريل نقب من خصاص الباب ورمى في اعينهم فعموا وقيل اخذ قبضة من تراب
واذراها في وجوههم فاوصل الى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمست اعينهم فلم
يعرفوا طريقا ولم يهتدوا الى بيوتهم وقيل كسروا الباب وتهجموا عليه فعمل بهم جبريل ما فعل
والجملة من قوله لن يصلوا اليك موضحة للذي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه
ولم يقدروا على ضرره ثم امروه بان يسري باهله وقرا الحرميان فاسر بوصل الالف
من سرى وباقي السبعة بقطعها واهله ابنتاه وطايفة يسيرة من المومنين بقطع من الليل قال

ابن عباس بطا بغتر من الليل وقال الضحاك بدبقية من اخره وقال قتادة بعد مضى صدر
منه وقال ابن الاعرابي اي ساعة من الليل وقيل بظلمة وقيل انه نصف وقيل انه نصف الليل
ماخوذ من قطعه نصفين وقال الشاعر • ونائحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة الصعيد •
وقال محمد بن زياد التسحر لقوله نجيناهم بسحر قال ابن عطية ويحتمل انه اسرى باهله من اول
الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته بسحر فيجتمع هذه الاية مع قوله الا ال لوط نجيناهم
بسحر انتهى وقال ابن الانباري القطع بمعنى القطعة مختص بالليل ولا يقال عندي قطع
من الثوب وقرا ابن كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع والباقي السبعة بالنصب فوجه النصب
على انه استثنا من قوله باهلك اذ قبله امر والامر عندهم كالواجب ويتعين النصب على الاستثنا
من اهلك في قراءة عبد الله اذ سقط في قراءته وفي مصحفه ولا يلتفت منكم احد وجوزوا
ان تكون منصوبا على الاستثنا من احد وان كان قبله نهي والنهي كالنفي على اصل الاستثنا كقراءة
ابن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب وان كان قبله نفي ووجه الرفع على انه بدل من
احد وهو استثنا متصل وقال ابو عبيد لو كان الكلام ولا يلتفت برفع الفعل ولكنه نهي فاذا
استثنيت المراة من احد وجب ان تكون المراة ابيح لها الالتفات فتفسد معنى الاية يعني
ان التقدير يصير الا امراتك فانها لم تنه عن الالتفات قال ابن عطية وهذا الاعتراض
حسن يلزم ان الاستثنا من احد رفعت التا او نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام حكى عن
المبرد وهو ان النهي انما قصد به لوط وحده والالتفات منفي عنهم فالمعنى اي لا تدع احدا
منهم يلتفت وهذا كما تقول لرجل لا يقم من هولا احد واوليك لم يسمعوك فالمعنى لا تدع
من هولا يقوم والقيام في المعنى منفي عن المشار اليهم وقال الزمخشري وفي اخراجها مع اهله
روايتان روي انه اخرجها معهم وامران لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها وان
هواها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراتين لاختلاف الروايتين انتهى وهذا وهم فاحش
اذ بنى القراتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها او انه لم يسر بها وهذا تكاذب
في الاخبار يستحيل ان تكون القراتان وهما من كلام الله يترتبان على التكاذب وقيل في الاستثنا
من الاهل اشكال من جهة المعنى اذ يلزم ان لا يكون سرى بها ولما التفتت كانت من الاهل
قد سرت معهم قطعا وزوال هذا الاشكال ان تكون لم يسر بها ولكنها لما تبعتهم التفتت
وقيل الذي يظهر ان الاستثنا على كلتا القراتين منقطع لم يقصد به اخراجها من المامور
بالاسرا بهم ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استونف الاخبار عنها فالمعنى لكن امراتك
يجري لها كذا وكذا ويؤيد هذا المعنى ان مثل هذه الاية جات في سورة الحجر وليس فيها
استثنا البتة قال تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا
حيث تؤمرون فلم تقع العناية في ذلك الا بذكر انجاهم الله تعالى فجا شرح حال امراته في سورة
هود تبعا لا مقصودا بالاخراج مما تقدم واذا اتضح هذا المعنى علم ان القراتين وردتا على
ما تقتضيه العربية في الاستثنا المنقطع ففيه النصب والرفع فالنصب لغة اهل الحجاز
وعليه الاكثر والرفع لبني تميم وعليه اثنان من القرا انتهى وهذا الذي طول به لا تحقيق
فيه فانه اذا لم يقصد اخراجها من المامور بالاسرا بهم ولا من المنهيين عن الالتفات وجعل
استثنا منقطعا كان من الاستثنا المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل بحال وهذا النوع
من الاستثنا المنقطع يجب فيه النصب باجماع من العرب وليس فيه النصب والرفع باعتبار
اللغتين انما هذا في الاستثنا المنقطع وهو الذي يمكن توجه العامل عليه وفي كلا النوعين
يكون ما بعد الا من غير الجنس المستثنى منه فكونه جاز فيه اللغتان دليل على انه مما يمكن
ان يتوجه عليه العامل وهو قد فرض انه لم يقصد بالاستثنا اخراجها من المامور
بالاسرا بهم ولا من المنهيين عن الالتفات فكان يجب فيه اذ ذاك النصب قولا واحدا والظاهر
ان قوله ولا يلتفت من التفات البصر وقالت فرقة من لفت الشي يلفته اذا ثناه ولواه
فمعناه ولا يتثبط وفي كتاب الزهراوي ان المعنى ولا يلتفت احد الى ما خلف بل يخرج مسرعا
والضمير في انه ضمير الشان ومصيبها مبتدا وما اصابهم الخبر ويجوز على مذهب الكوفيين ان يكون

مصيبها خبر ان وما اصابهم فاعل به لانهم يخبرون انه قايم اخواك ومذهب البصريين ان ضمير
الشان لا يكون خبره الا جملة مصرحا بجزئيها فلا يجوز هذا الاعراب عندهم وقرا عيسى بن عمر
الصبح بضم الباء قيل وهي لغة فلا يكون ذلك اتباعا وهو على حذف مضاف اي ان موعد هلاكهم
الصبح ويروى ان لوطا عليه السلام قال اريد اسرع من ذلك فقالت له الملايكة اليس الصبح
بقريب وجعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه ادع والراحة فيه اجمع ويروي ان
لوطا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وطوى الله له الارض في وقته حتى نجا
ووصل الى ابرهيم والضمير في عاليها عايد على مداين قوم لوط جعل جبريل جناحه في اسفلها
ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا
الحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات سبع مداين وقيل خمس عدها المفسرون وفي ضبطها اشكال
فاهملت ذكرها وسدوم هي القرية العظمى وامطرنا عليها اي على اهلها وروي ان الحجارة اصابت
منهم من كان خارج مدنهم حتى قتلتهم اجمعين وان رجلا كان في الحرم فبقي الحجر معلقا في الهوا
حتى خرج من الحرم فقتله الحجر قال ابو العالية وابن زيد السجيل اسم لسما الدنيا وهذا
ضعيف لوصفه بمنضود وتقدم شرحه في المفردات وقيل من اسجله اذا ارسله وقيل مما كتب
الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان ومعنى هذه اللفظة ما طين هذا قول ابن عباس
ومجاهد وابن جبير وعكرمة والسدي وغيرهم وذهبوا الى ان الحجارة التي رموا بها كانت
كالاجر المطبوخ وقيل حجر مخلوط بطين اي حجر وطين ويمكن ان يعود هذا الى الاول
وقال ابو عبيدة الشديد من الحجارة الصلب مسومة عليها سيما تعلم بها انها ليست
من حجارة الارض قاله ابن جريج وقال عكرمة وقتادة انه كان فيها بياض وقيل مكتوب على
كل حجر اسم من رمي به قاله الربيع وعن ابن عباس والحسن بياض في حمرة وعن ابن عباس ايضا
الحجر ابيض فيه نقطة سودا واسود فيه نقطة بيضا وعن عكرمة وقتادة ايضا فيها خطوط
حمر على هيئة الجزع وقيل كانت مثل رؤوس الابل ومثل مبارك الابل وقيل قبضة الرجل
قال ابن عباس ومقاتل معنى من عند ربك جات من عند ربك وقيل معدة عند ربك قاله
ابو بكر الهذلي وقال ابن الانباري المعنى لزم هذا التسويم الحجارة عند الله ايذانا بنفاذ
قدرته وشدة عذابه والظاهر ان ضمير هي عايد على القرى التي جعل الله عاليها سافلها
والمعنى ان ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام يمر عليها قريش في مسيرهم فالنظر
اليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ وقيل هي عايدة على الحجارة وهي اقرب مذكور وقال ابن عباس
وما عقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد والظاهر عموم الظالمين وقيل عني به قريش وفي الحديث
انه سيكون في امتي خسف ومسخ وقذف بالحجارة وقيل مشركوا العرب وقيل قوم لوط اي لم
تكن الحجارة تخطيهم وفي الحديث سيكون في اخر امتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنسا بالنسا
فاذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلى وما هي من
الظالمين ببعيد واذا كان الضمير في قوله وما هي عايدا على الحجارة فيحتمل ان يراد بشي بعيد
ويحتمل ان يراد بمكان بعيد لانها وان كانت في السما وهي مكان بعيد الا انها اذا هويت منها
فهي اسرع شي لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه الرهط قال ابن عطية جماعة الرجل وقيل
الرهط والراهط اسم لما دون العشرة من الرجال ولا يقع الرهط والعصبة والنفر الا على
الرجال وقال الزمخشري من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ويجمع على ارهط ويجمع ارهط
على اراهط فهو جمع جمع قال الرماني واصل الرهط الشد ومنه الرهيط شدة الاكل والراهط
اسم لجحر اليربوع لانه يتوثق به ويخبا فيه ولده الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم
الما والورد الابل الواردة انتهى فيكون مصدرا بمعنى الورود واسم مفعول في المعنى كالطحن
بمعنى المطحون رفد الرجل يرفده رفدا ورفدا اعطاه واعانه من رفد الحايط دعمه وعن الاصمعي
الرفد بالفتح القدح والرفد بالكسر ما في القدح من الشراب وقال الليث اصل الرفد العطا والمعونة
ومنه رفادة قريش يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بكسر الرا وفتحها ويقال بالكسر الاسم وبالفتح
المصدر التتبيب التخسير تب خسر وتببه خسره وقال لبيد ولقد بليت وكل صاحب جدة لبلى
يعود وذاكم التتبيب الزفير والشهيق زعم اهل اللغة من الكوفيين والبصريين ان الزفير بمنزلة

ابدا صوت الحمار والشهيق بمنزلة اخر نهيقه وقال روبة
حشرج في الصدر صهيلا وشهق • حتى يقال ناهق وما نهق • وقال ابن فارس الشهيق
ضد الزفير لان الشهيق رد النفس والزفير اخراج النفس من شدة الجري ماخوذ من الزفر وهو
الحمل على الظهر لشدته وقال الشماخ • بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق
محشرج والشهيق النفس الطويل الممتد ماخوذ من قولهم جبل شاهق اي طويل وقال الليث
الزفير ان يملا الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق ان يخرج
ذلك النفس بشدة ويقال انه عظيم الزفرة الشقا نكد العيش وسوءه يقال منه شقي يشقى
شقا وشقوة وشقاوة والسعادة ضده يقال منه سعد يسعد ويعديان بالهمزة فيقال
اشقاه الله واسعده الله وقد قرئ شقوا وسعدوا بضم الشين والسين تدل على انهما قد
يتعديان ومنه قولهم مسعود وذكر ان الفرا حكى ان هذيلا يقول سعده الله بمعنى اسعده
وقال الجوهري سعد بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود وقال ابو نصر
عبد الرحيم القشيري ورد سعده الله فهو مسعود واسعده الله فهو مسعد الجذ القطع بالمعجمة
والمهملة قال ابن قتيبة جذذت وجددت وهو بالذال اكثر قال النابغة تجذ السلوقي المضاعف
نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ كان قوم شعيب عبدة اوثان فدعاهم
الى عبادة الله وحده وبالكفر استوجبوا العذاب ولم يعذب الله امة عذاب استيصال الا
بالكفر وان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة قال ابن عباس بخير اي في رخص الاسعار
وعذاب اليم المحيط هو حلول الغلا المهلك وينظر هذا التاويل الى قول النبي صلى الله عليه
وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ارتفع عنهم الرزق ونبه بقوله بخير على العلة المقتضية
للوفا لا للنقص وقال غيره بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او بنعم من الله حقها
ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه ومحيط اي مهلك
من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو وهو العذاب الذي يحل بهم في اخر ووصف
اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما ان احاط بنعيمه ونهوا عن القبيح
الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال والميزان وفي التصريح بالنهي نعي على المنهي وتعيير
له وامروا ثانيا بايفائهما مصرحا بلفظهما ترغيبا في الايفا وبعثا عليه وجيء بالقسط ليكون
الايفا على جهة العدل والتسوية وهو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه
ونهوا ثالثا عن نقص الناس اشياءهم وهو عام في الناس وفيما بايديهم من الاشيا كانت
مما تكال وتوزن او غير ذلك ونهوا رابعا عن الفساد في الارض وهو اعم من ان يكون نقصا
او غيره فبداهم اولا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الامر بعبادة الله ثم ارتقى
الى عام ثم الى اعم منه وذلك مبالغة النصح لهم ولطف في استدراجهم الى طاعة الله وتفسير
معاني هذه الجمل سبق في الاعراف بقية الله قال ابن عباس ما ابقى الله لكم من الحلال بعد
الايفا خير من البخس وعنه رزق الله وقال مجاهد والزجاج طاعة الله وقال قتادة حظكم
من الله وقال ابن زيد رحمة الله وقال الربيع وصية الله وقال مقاتل ثواب الله في الاخرة
وذكر الفرا مراقبة الله وقال قتادة ذخيرة الله وقال الحسن فرايض الله وقيل ما ابقاه
الله حلالا لكم ولم يحرمه عليكم قال ابن عطية وهذا كله لا يعطيه لفظ الاية وانما المعنى
عندي ابقاء الله عليكم ان اطعتم وقوله ان كنتم مومنين شرط في ان تكون البقية خيرا لهم
واما مع الكفر فلا خير لهم في شي من الاعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ المراقب الذي
يحفظ احوال من يرقب والمعنى انما انا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالاعمال انتهى
وليس جواب الشرط متقدما كما ذكر وانما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور
البصريين وقال الزمخشري وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كثرة بشرط

الايمان

الايمان ويجوز ان يريد ما ينبغي لهم عند الله من الطاعات كقوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما
الحرام فلا يجوز ان يضاف الى الله ولا يسمى رزقا انتهى على طريق المعتزلة في الرزق وقرا
اسمعيل بن جعفر عن اهل المدينة بقيه بتخفيف اليا قال ابن عطية هي لغة انتهى وذلك
ان قياس فعل اللازم ان تكون على وزن فعلة نحو سجيت المراة فهي سجية فاذا شددت
اليا كانت على وزن فعيل للمبالغة وقرا الحسن تقية بالتا وهي تقواه ومراقبته الصارفة
عن المعاصي قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا
ما نشا انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود ولما امرهم شعيب بعبادة الله وترك عبادة اوثانهم
وبايفا المكيال والميزان ردوا عليه على سبيل الاستهزا والهزء بقولهم اصلواتك وكان
كثير الصلوات وكان اذا صلى تغامزوا وتضاحكوا ان نترك ما يعبد اباونا مقابل لقوله
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشا مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال
والميزان وكون الصلاة امرة هو على وجه المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة
تنهى عن الفحشا والمنكر او يقال انها تامر بالجميل والمعروف اي تدعو اليه وتبعث
عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة امرة على سبيل التهكم بصلاته
والمعنى تامرك بتكليفنا ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يومر بفعل غيره
والظاهر انه اريد بالصلوات الصلاة المعهودة في تلك الشريعة وقال الحسن لم
يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل اريد قراءتك وقيل مساجدك
وقيل دعواتك وقرا ابن وثاب والاخوان وحفص اصلاتك بالتوحيد وقرا
الجمهور او ان نفعل في اموالنا ما نشا بالنون فيهما وقرا الضحاك بن قيس وابن ابي
عبلة وزيد بن علي بالتا فيهما على الخطاب ورويت عن ابي عبد الرحمن وقرا ابو
عبد الرحمن وطلحة نفعل بالنون ما تشا بالتا على الخطاب ورويت عن ابن عباس
فمن قرا بالنون فيهما فقوله او ان نفعل معطوف على قوله ما يعبد اي ان نترك ما يعبد
اباونا وفعلنا في اموالنا ما نشا ومن قرا بالتا فيهما او بالنون فيهما فمعطوف على ان
نترك اي تامرك بترك ما يعبد اباونا وفعلك في اموالنا ما تشا او وفعلنا في اموالنا ما تشا
واو للتنويع اي تامرك مرة بهذا ومرة بهذا وقيل بمعنى الواو والظاهر ان الذي
كانوا يفعلونه في اموالهم هو بخس الكيل والوزن المتقدم ذكره وقال محمد بن كعب
قرضهم الدينار والدرهم واجرا ذلك مع الصحيح على جهة التدليس وعن ابن المسيب
قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض وقيل تبديل السكك التي تقصد بها اكل
اموال الناس ومن قرا بالتا فيهما او في نشا فالظاهر انه ايفا المكيال والميزان وقال سفيان
الثوري كان يامرهم بالزكاة وقوله انك لانت الحليم الرشيد ظاهره انه اخبار منهم عنه
بهذين الوصفين الجميلين فيحتمل ان يريد وابذلك الحقيقة اي انك للمتصف بهذين
الوصفين فكيف وقعت في هذا الامر من مخالفة دين ابائنا وما كانوا عليه ومثلك من
يمنعه حلمه ورشده عن ذلك او يحتمل ان يريد وابذلك انك لانت الحليم الرشيد بزعمك
اذ تامرنا بما تامر به او يحتمل انهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزا والتهكم قاله قتادة والمراد
نسبته الى الطيش والغي كما تقول للشحيح لو راك حاتم لسجد لك وقالوا للحبشي ابو البيضا
قال يا قوم ارايتم هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعا رفيق ولذلك قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك خطيب الانبيا وهذا النوع يسمى استدراج
المخاطب عند ارباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المغزى يتوصل به الى بلوغ الغرض
وقد ورد منه في قصة ابرهيم عليه السلام مع ابيه وفي قصة نوح وهود وصالح وفي قصة

موسى الى فرعون مع قومه قال الزمخشري فان قلت اين جواب ارايتم وماله
لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته
في القصتين وبعينه من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك
عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسمية
هذا جوابا لارايتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع
المفعول الثاني لارايتم لان ارايتم اذا ضمنت معنى اخبرني تعدت الى مفعولين
والغالب في الثاني ان يكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول الاول
في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب ارايتك زيدا ما صنع وقال الحوفي وجواب
الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير فاعدل عما انا عليه من عبادة
على هذه الحال وقال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي
محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه
المحاجة انتهى وليس قوله اضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن ان يكون جوابا
لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول
الثاني لارايتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه الجملة السابقة مع متعلقيها والظاهر
في قوله رزقا حسنا انه الحلال الطيب من غير بخس ولا تطفيف اذ خلتموه اموالكم قال
ابن عباس الحلال وكان شعيب عليه السلام كثير المال وقيل النبوة وقيل العلم وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه المعنى لست اريد ان افعل الشيء الذي نهيتكم عنه من
نقص الكيل والوزن واستاثر بالمال قاله ابن عطية وقال قتادة لم اكن لانهاكم
عن امر ثم ارتكبه وقال صاحب الغنيان ما اريد ان اخالفكم في السر الى ما انهاكم عنه
في العلانية ويقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتساله عن صاحبه
فتقول خالفني الى الما تريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا والمعنى
ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم فعلى هذا الظاهر ان قوله
ان اخالفكم في موضع المفعول لاريد اي وما اريد مخالفتكم ويكون خالف بمعنى خلف
نحو جاوز وجاز اي وما اريد ان اخلفكم اي اكون خلفا منكم ويتعلق الى باخالفكم او بمحذوف
اي مائلا الى ما انهاكم عنه ولذلك قال بعضهم فيه حذف يقتضيه الى تقديره
واميل الى او يبقى ان اخالفكم على ظاهره ما يفهم من المخالفة ويكون في موضع المفعول
به باريد وتقدر مائلا الى او يكون ان اخالفكم مفعولا من اجله ويتعلق الى بقوله
وما اريد بمعنى وما اقصد اي وما اقصد لاجل مخالفتكم الى ما انهاكم عنه ولذلك
قال الزجاج وما اقصد بخلافكم الى ارتكاب ما انهاكم عنه والظاهر ان ما مصدرية
ظرفية اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا واجاز
الزمخشري فيما وجوها احدها ان يكون بدلا من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته
او على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح ما استطعت فهذان وجهان في البدل
والثالث ان يكون مفعولا كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح
ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وهذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرف
بال لا يجوز اعماله في المفعول به عند الكوفيين واما البصريون فاعماله عندهم
فيه قليل وما توفيقي اي لدعائكم الى عبادة الله وحده وترك ما نهاكم عنه الا بمعونة
الله او وما توفيقي لان تكون افعالي مسددة موافقة لرضى الله الا بمعونته عليه توكلت
اي لا على غيره واليه انيب ارجع في جميع اقوالي وافعالي وفي هذا طلب التاييد من الله
تعالى وتهديد للكفار وحسم لاطماعهم ان ينالوه بشر ومعنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم
شقاقي اي خلافي وعداوتي قال السدي كانه في شق وهم في شق وقال الحسن
ضراري جعله من المشقة وقيل فراقي وقرا ابن وثاب والاعمش بضم اليا من اجرم ونسبها
الزمخشري الى ابن كثير وجرم في التعدية مثل كسب يتعدى الى واحد جرم فلان الذنب

وكسب

وكسب زيد المال ويتعدى الى اثنين جرمت زيدا الذنب وكسبت زيدا المال وبالالف
يتعدى الى اثنين ايضا اجرم زيد عمرا الذنب واكسبت زيدا المال وتقدم الكلام في جرم
في العقود وقرا مجاهد والجحدري وابن ابي اسحق ورويت عن نافع مثل بفتح اللام
وخرج على وجهين احدهما ان تكون الفتحة فتحة بناء وهو فاعل كحاله حين كان
مرفوعا ولما اضيف الى غير متمكن جاز فيه البنا كقراءة من قرا انه لحق مثل ما انكم تنطقون
والثاني ان تكون الفتحة فتحة اعراب وانتصب على انه نعت لمصدر محذوف اي
اصابة مثل اصابة قوم نوح والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام اي ان يصيبكم
هو اي العذاب وما قوم لوط منكم ببعيد اما في الزمان لقرب عهد هلاكهم من عهدكم
اذ هم اقرب الهالكين واما في الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك واجرى بعيدا على
قوم اما باعتبار الزمان والمكان اي بزمان بعيد او بمكان بعيد او باعتبار موصوف
غيرهما اي بشيء بعيد او باعتبار مضاف الى قوم اي وما اهلاك قوم لوط ويجوز ان يسوى
في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع وبين المذكر والمؤنث كما قالوا هو صديق
وهم صديق وهي صديق وهن صديق وودود بناء مبالغة من ود الشي احبه واثره
وهو على فعل وسمع الكسائي وددت بفتح العين والمصدر ود وودادة ووداد وقال
بعض اهل اللغة يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول وقال المفسرون ودود
متحبب الى عباده بالاحسان اليهم وقيل محبوب المومنين ورحمته لعباده ومحبته
لهم سبب في استغفارهم وتوبتهم ولولا ذلك ما وفقهم الى استغفاره والرجوع
اليه فهو يفعل بهم فعل الواد بمن يوده من الاحسان اليه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو
كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه
برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا
فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود كانوا لا يلقون اليه اذهانهم لا يصغون لكلامه
رغبة عنه وكراهة له كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه
ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا
لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء ثم الذي يحاورهم به من الكلام
وخاطبهم به هو من افصح الكلام واجله وادله على معانيه بحيث يفقهه من كان بعيد
الفهم فضلا عن الاذكياء العقلاء ولكن الله تعالى اراد خذلانهم ومعنى ضعيفا لا قوة لك
ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردناك بمكروه وعن الحسن ضعيفا
مهينا وقيل كان ناحل البدن زمنه لا يقع في القلب منه هيبة ولا في العين منه امتلاء والعرب
تعظم بكبر الاجسام وتذم بدمامتها وقال الباقر مهجور المجالس ولا تعاشر وقال مقاتل
ضعيفا اي لم يؤمن بك رهطك وقال السدي وحيدا في مذهبك واعتقادك وقال
ابن جبير وشريك القاضي ضعيفا ضرير البصر اعمى وحكى الزهراوي والزمخشري ان حمير تسمي
الاعمى ضعيفا ويبعد تفسيره هنا باعمى او بناحل البدن او بضعيف البصر كما قاله الثوري
وزعم ابو روق ان الله لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة والظاهر ان ضعفه بالانفراد
والقدرة ولولا رهطك احترموه لرهطه اذ كانوا اكفارا مثلهم او كانوا في عزة ومنعة منهم
لرجمناك ظاهره القتل بالحجارة وهي من شر القتلات وبه قال ابن زيد وقال الطبري رجمناك
بالسب وهذا ايضا تستعمله العرب ومنه لارجمنك واهجرني مليا وقيل لابعدناك واخرجناك
من ارضنا وما انت علينا بعزيز اي لا تعز ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن
الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا وقيل بعزيز بذي منعة
وعزة ومنزلة في نفوسنا وقيل بذي غلبة وقيل بملك وكانوا يسمون الملك عزيزا قال

الزمخشري وقد دل ايلاءه ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه
قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز
عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع
فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت
تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز
عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله انتهى والظاهر
في قوله واتخذتموه ان الضمير عايد على الله تعالى اي ونسيتموه وجعلتموه كالشي
المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري بكسر الظا منسوب الى الظهر من تغييرات النسب
ونظيره قولهم في المنسب الى الامس امسي بكسر الهمزة ولما خاطبوه خطاب الاهانة والجفا
جريا على عادة الكفار مع انبيائهم خاطبهم خطاب الاستعطاف والتلطف جريا على عادته
في الانة القول لهم والمعنى اعز عليكم من الله حتى جعلتم مراعاتي من اجلهم ولم تنسبوها
الى الله وانا اولى واحق ان اراعى من اجله فالمراعاة مراعاتي من اجلهم ولم تنسبوها الى
الله وانا اولى واحق ان اراعى من اجله فالمراعاة لاجل الخالق اعظم من المراعاة لاجل
المخلوق والظهري المنسي المتروك الذي جعل كانه خلف الظهر وقيل الضمير في واتخذتموه
عايد على الشرع الذي جاء به شعيب وقيل الظهري العون وما يتقوى به قال المبرد
فالمعنى واتخذتم العصيان عدة لدفعي انتهى فيكون على حذف مضاف اي واتخذتموه
اي عصيانه قال ابن عطية وقالت فرقة واتخذتموه اي وانتم تتخذون الله سند ظهوركم
وعماد امالكم فقول الجمهور على ان كان كفر قوم شعيب جحدا بالله وجهلا به وهذا
القول الثاني على انهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الاصنام وسايط
ووسايل ومن اللفظة الاستظهار بالبينة وقال ابن زيد الظهري الفضل مثل الجمال
يخرج معه بابل ظهارية يعدها ان احتاج اليها والا فهي فضلة محيط احاط باعمالكم
فلا يخفى عليه شي منها وفي ضمنه توعد وتهديد وتقدم تفسير نظير قوله ويا قوم
اعملوا على مكانتكم وخلاف القراء في مكانتكم وجوز الفرا والزمخشري في من ياتيه ان
تكون موصولة مفعولة بقوله تعلمون اي تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه
والذي هو كاذب واستفهامية في موضع رفع على الابتدا وتعلمون معلق كانه قيل
اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب قال ابن عطيه والاول احسن يعني كونها
مفعولة قال لانها موصولة ولا يوصل في الاستفهام ويقضي فضلها ان المعطوف
عليها موصولة لا محالة انتهى وقوله ويقضي فضلها الى اخره لا يقضي بصلتها اذ لا
تتعين ان تكون موصولة لا محالة كما قال بل تكون استفهامية اذا قدرتها معطوفة
على من الاستفهامية كما قدرناه واينا هو كاذب قال الزمخشري فان قلت
اي فرق بين ادخال الفا ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفا وصل ظاهر
بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب
لسوال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون فوصل تارة بالفا وتارة بالاستيناف كما هو عادة البلغا من العرب
واقوى الواصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان يتكاثر محاسنه
قال الزمخشري فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه
ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيهم ومن
هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى
النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي الفاظ هذا الرجل
سوء ادب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو
داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يات التركيب اعملوا على مكانتكم واعمل
على مكانتي ولا سوف تعلمون واعلم وانما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله

قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سوالا فاسدا لان المترتب على
ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الاية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل
التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم تهديدا بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جا هنا
وارتقبوا انتظروا العاقبة وما اقول لكم والرقيب بمعنى الراقب فعيل للمبالغة او بمعنى
المراقب كالعشير والجليس او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
ويحسن هذا المقابلة فارتقبوا وقال الزمخشري فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد
وقصة مدين جاتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفا قلت قد وقعت
الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب
فجي بالفا التي هي للتسبيب كما تقول وعدته فلما جا الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان
فلم تقعا بتلك المنزلة وانما وقعتا مبتداتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف الجمع على
ما قبلهما كما يعطف قصة على قصة انتهى وتقدم تفسير مثل ولما جا امرنا الى قوله
كان لم يغنوا فيها وقرا السلمي وابو حيوة كما بعدت بضم العين من البعد الذي هو
ضد القرب والجمهور بكسرها ارادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك
وبين غيره فغيروا البنا وقراة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير
تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى القرب وقيل معناه بعدا لهم من رحمة
الله كما بعدت ثمود منها وقال ابن قتيبة بعد يبعد اذا كان بعده هلكة وبعد
يبعد اذا نأى وقال النحاس المعروف في اللغة بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك
وقال المهدوي بعد يستعمل في الخير والشر وبعد في الشر خاصة وقال ابن الانباري
من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب فيقول فيهما بعد
يبعد وبعد يبعد انتهى وقال مالك بن الريب في بعد بمعنى هلك يقولون لا
تبعد وهم يدفنونني واين مكان البعد الا مكانيا وبعدا لفلان دعا عليه ولا
يدعى به الا على مبغض كقولك سحقا للكافرين وقال اهل علم البيان لم يرد في القران
استطراد الا هذا الموضع والاستطراد قالوا هو ان تمدح شيئا او تذمه ثم تاتي
في اخر الكلام بشي هو غرضك في اوله قال حسان • ان كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام • ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا براس
طمرة ولجام • ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاتبعوا
امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبيس
الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بيس الرفد المرفود الايات
المعجزات التسع العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص
من الاموال والانفس والثمرات ومنهم من ابدل النقص باظلال الجبل وقيل الايات
التوراة ورد هذا ليس بسديد لانه قال الى فرعون وملايه والتوراة انما نزلت بعد
هلاك فرعون وملايه والسلطان المبين هو الحجج الواضحة ويحتمل ان يريد بقوله
وسلطان مبين فيها اي في الايات وهي دالة على صدق موسى عليه السلام ويحتمل
ان يريد بها العصا لانها ابهر تلك الايات فنص عليها كما نص على جبريل وميكايل
بعد ذكر الملايكة على سبيل التشريف بالذكر والظاهر ان يراد بقوله امر فرعون
امره اياهم بالكفر وجحد معجزات موسى ويحتمل ان يريد الطريق والشان وما امر
فرعون برشيد نفي عنه الرشد وذلك تجهيل لمتبعه حيث شايعوه على امره وهو ضلال
مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر
مثلهم وعاينوا الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد
والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في اتباعه رشد ويحتمل ان يكون رشيد
بمعنى راشد ويكون رشيد بمعنى مرشد اي بمرشد الى خير وكان فرعون دهريا نافيا
للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على اهل كل بلد ان يشتغلوا [illegible]

بطاعة سلطانهم فلست لك كان امره خاليا عن الرشد بالكلية والرشد يستعمل في كل
ما يحمد ويرتضى والغي ضده ويقال قدم زيد القوم يقدم قدما وقدوما تقدمهم ه
والمعنى انه يقدم قومه المغرقين الي النار وكما كانت قدوة في الضلال متبعا كذلك
يتقدمهم الي النار وهم يتبعونه ويحتمل ان يكون قوله برشيد بحميد العاقبة
ويكون قوله تقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه
عاقبته وعدل عن فيوردهم الي فاوردهم لتحقق وقوعه لا محالة فكانه قد وقع
ولما في ذلك من الارهاب والتخويف او هو ماض حقيقة اي فاوردهم في الدنيا النار
اي موجبه وهو الكفر ويبعد هذا التاويل الفا والورود في هذه الاية ورود
الخلود وليس بورود الاشراف على الشي والاشفا كقوله ولما ورد ما مدين ويحتمل
ان تكون النار نصب على اعمال الثاني لانه تنازعه يقدم اي الى النار وفاوردهم
فاعمل الثاني وحذف معمول الاول والهمزة في فاوردهم للتعدية وورد يتعدى
الي واحد فلما دخلت الهمزة تعدى الى اثنين فتضمن واردا وموردا ويطلق الورد
على الوارد فالورد لا يكون المورود فاحتيج الى حذف ليطابق فاعل بيس المخصوص
بالذم فالتقدير وبيس مكان الورد المورود ويعني به النار فالورد فاعل
بيس والمخصوص بالذم المورود وهي النار وجوز في اعراب المورود ما جوز في زيد
من قولك بيس الرجل زيد وجوز ابن عطية وابو البقا ان يكون المورود صفة
للورد اي بيس مكان الورد المورود النار ويكون المخصوص محذوفا لفهم المعنى
كما حذف في قوله فبيس المهاد وهذا التخريج يبتني على جواز وصف فاعل نعم وبيس
وفيه خلاف ذهب ابن السراج والفارسي الى ان ذلك لا يجوز وقال الزمخشري والورد
المورود الذي وردوه شبهه بالفارط الذي يتقدم الوارد الى الما وشبه اتباعه
بالواردة ثم قيل بيس الورد الذي يرد ونه النار لان الورد انما يورد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار ضده انتهى وقوله والورد المورود اطلاق الورد
على المورد مجازا اذ تقلوا انه يكون مصدرا بمعنى الورود وبمعنى الواردة من
الابل وتقديره بيس الورد الذي يرد ونه النار يدل على ان المورود صفة للورد
وان المخصوص بالذم محذوف ولذلك قدره النار وقد ذكرنا ان ذلك يبتني على
جواز وصف فاعل بيس ونعم وقيل التقدير بيس القوم المورود بهم هم فيكون
الورد عنى به الجمع الوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم الضمير المحذوف
وهو هم فيكون ذلك ذما للواردين لا ذما لموضع الورود والاشارة بقوله
في هذه الى الدنيا وقد جا مصرحا بها في قصة هود ودل عليها قوله ويوم القيامة
لان الاخرى فيوم معطوف على موضع في هذه والمعنى انهم الحقوا لعنة في الدنيا
وفي الاخرة قال الكلبي في هذه لعنة من المومنين او بالغرق ويوم القيامة
من الملايكة او بالنار قال مجاهد فلهم لعنتان وذهب قوم الى ان التقسيم هو
ان لهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة برفدون به فهي لعنة واحدة اولا وقبح
ارفادا اخرا انتهى وهذا لا يصح لان هذا التاويل يدل على ان يوم القيامة معمول
لبيس وبيس لا يتصرف فلا يتقدم معمولها عليها فلو تاخر يوم القيامة صح كما
قال الشاعر • ولنعم حشو الدرع انت اذا دعيت نزال ولج في الذعر • وقال
الزمخشري بيس الرفد المرفود فدمهم اي بيس العون المعان وذلك ان اللعنة في
الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بيس العطا
المعطى انتهى ويظهر من كلامه ان المرفود صفة للرفد وان المخصوص بالذم محذوف
تقديره رفدهم وما ذكر من تفسيره اي بيس العون المعان هو قول ابي عبيدة وسمي
العذاب رفدا على تحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وقال الكلبي الرفد الرفادة اي
بيس ما يرفد ون به بعد الغرق النار ذلك من انبا القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي

لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب الاشارة بذلك الى ما تقدم من ذكر الانبيا وقومهم
وما حل بهم من العقوبات اى ذلك النبا بعض انبا القرى ويحتمل ان يعني بالقرى قرى اوليك
المهلكين المتقدم ذكرهم وان يعني القرى عموما اي هذا النبا المقصوص عليك هو
ديدن المدن اذا كفرت فتدخل المدن المعاصرة والضمير في منها عايد على القرى قال ابن
عباس قايم وحصيد عامر وداثر وهذا على تاويل عموم القرى وقال قتادة وابن جريج
قايم الجدران ومتهدم وهذا على تاويل خصوص القرى وانها قرى اوليك الامم المهلكين
وقال الزمخشري بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القايم على ساقه والذي حصد انتهى
وهذا معنى قول قتادة قال قتادة قايم الاثر ودارس جعل حصيد الزرع كناية عن الفنا
قال الشاعر • والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قايم وحصيد • وقال الضحاك
قايم لم يخسف وحصيد قد خسف وقال ابن اسحق قايم لم يهلك بعد وحصيد قد اهلك
وقيل قايم اي باق نسله وحصيد اي منقطع نسله وهذا يتمشى على ان يكون التقدير من ذلك
من انبا اهل القرى وقد قيل نحو عليه حذف مضاف اي من انبا اهل القرى ويويده قوله
وما ظلمناهم فعاد الضمير على ذلك المحذوف وقال الاخفش حصيد اي محصود وجمعه حصد
وحصاد مثل مرضى ومراضى وباب فعلى جمعا لفعيل بمعنى مفعول ان يكون فيمن يعقل نحو
قتيل وقتلى وقال الزمخشري فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستانفة لا محل
لها انتهى وقال ابو البقا منها قايم ابتدا وخبر في موضع الحال من الها في نقصه وحصيد مبتدا
خبره محذوف اي ومنها حصيد انتهى وما ذكره يجوز اي نقصه عليك وحال القرى ذلك والحال
ابلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين اي نقص عليك بعض انبا القرى وهي على هذه
الحال يشاهدونه فعل الله بها وما ظلمناهم اي باهلاكنا اياهم بل وضعنا عليهم من العذاب
ما يستحقونه ولكن ظلموا انفسهم بوضع الكفر موضع الايمان وارتكاب ما به اهلكوا والظاهر
ان قوله فما اغنت نفي اي لم تدفع عنهم من باس الله شيا ولا جدت يدعون حكاية حال
اي التي كانوا يدعون اي يعبدون او يدعونها اللات والعزى وهبل قال الزمخشري
ولما منصوب بما اغنت انتهى وهذا بنا على ان لما ظرف وهو خلاف مذهب س لان مذهب
انها حرف وجوب لوجوب وامر ربك هو عذابه ونقمته وما زادوهم عومل معاملة العقلا
في الاسناد الى واو الضمير الذي هو لمن يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلا في اعتقادهم
انها تنفع وعبادتهم اياها والتتبيب التخسير قال ابن زيد الشر وقال قتادة الخسران
والهلاك وقال مجاهد التخسير وقيل التدمير وهذه كلها اقوال متقاربة قال ابن عطية
وصورة زيادة الاصنام التتبيب انها هو بتصور بان تاميلها والثقة بها والتعب في عبادتها
شغلت نفوسهم عن النظر في الشرع وعاقبته فلحق عن ذلك عقب وخسران واما بان
عذابهم على الكفر يزاد به عذاب على مجرد عبادة الاوثان وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له
الناس وذلك يوم مشهود وما نوخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه
فمنهم شقي وسعيد اي ومثل ذلك الاخذ اخذ الله الامم السابقة اخذ ربك والقرى
عام في القرى الظالمة والظلم يشمل ظلم الكفر وغيره وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة
واما الظلمة في الغالب فمعاجلون وفي الحديث ان الله يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم
قرا وكذلك اخذ ربك الاية وقرا ابو رجا والجحدري وكذلك اخذ ربك اذ اخذ على ان اخذ
ربك فعل وفاعل واذ ظرف لما مضى وهو اخبار عما جرت به عادة الله في اهلاك من تقدم
من الامم وقرا طلحة بن مصرف وكذلك اخذ ربك اذا اخذ قال ابن عطية وهي قراة
متمكنة المعنى ولكن قراة الجماعة تعطي الوعيد واستمراره في الزمان وهو الباب في وضع
المستقبل موضع الماضي والقرى مفعول باخذ على الاعمال اذ تنازعه المصدر وهو اخذ
ربك واخذ فاعمل الثاني وهي ظالمة جملة حالية ان اخذه اليم موجع صعب على الماخوذ
والاخذ هنا اخذ الاهلاك ان في ذلك اي فيما قص الله من اخبار الامم الماضية واهلاكهم
لاية لعلامة لمن خاف عذاب الاخرة اى انهم اذا عذبوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبيا واشراكهم

بالله وهي دار العمل فلان نعذبوا على ذلك في الاخره التي هي دار الجزا اولى وذلك
ان الانبيا اخبروا باستيصال من كذبهم واشركوا بالله ووقع ما اخبروا به ونفى اخبارهم
فدل على ان ما اخبروا به من البعث والجزا صدق لا شك فيه قال الزمخشري لايه لمن
خاف لعبره لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم
في الاخرة فاذا راى عظمته وشده تراعتبر به من عظيم العذاب الموعود فيكون له عظه
وعبره ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبره لمن يخشى ذلك
اشارة الى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب الاخره والناس مفعول لم يسم فاعله
رافعه مجموع واجاز ابن عطية ان يكون الناس مبتدا ومجموع خبر مقدم وهو بعيد
لافراد الضمير في مجموع وقياسه على اعرابه مجموعون ومجموع له الناس عبارة عن الحشر
ومشهود عام يشهده الاولون والاخرون من الانس والجن والملايكة والحيوان
في قول الجمهور وقال الزمخشري فان قلت اي فايده في ايثار اسم المفعول على
فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه لابد ان يكون
ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه هو الموصوف بذلك صفة لازمه وهو اثبت ايضا
لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه وفيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس
في الفعل ومعنى مشهود مشهود فيه فاتسع في الجار والمجرور ووصل الفعل الى الضمير
اجراله مجرى المفعول به على السعة كقوله • ويوما شهدناه سليما وعامرا • والمعنى
يشهد فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود
وطعام محضور وانما لم يجعل اليوم مشهودا في نفسه كما قال فمن شهد منكم الشهر
لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وغيره من بين الايام وكونه مشهودا
في نفسه لا يميزه اذ هو موافق لساير الايام في كونها مشهوده وما نوخره اي ذلك اليوم
وقيل يعود على الجزا قاله الحوفي الا لاجل معدود اي القضا السابق قد نفذ فيه باجل
محدود لا يتقدم عليه ولا يتاخر عنه وقرا الاعمش وما يوخره بالياء وقرا النحويان
ونافع ياتي باثبات اليا وصلا وحذفها وقفا وابن كثير باثباتها وصلا ووقفا وهي
ثابتة في مصحف ابي وقرا باقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا وسقطت في مصحف
امام عثمان وقرا الاعمش ياتون وكذا في مصحف عبد الله واثباتها وصلا ووقفا هو
الوجه ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل ووقف ووصله التخفيف كما قالوا لا
ادر ولا ابال وذكر الزمخشري ان الاجتزا بالكسرة عن اليا كثير في لغة هذيل
وانشد الطبري كفاك كف ما يليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما والظاهر
ان الفاعل بياتي ضمير يعود على ما عاد عليه الضمير في نوخره وهو قوله ذلك يوم والناس
له لا يتكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم ياتي ذلك اليوم الا باذن الله وذلك من عظم
المهابة والهول في ذلك اليوم وهو نظير لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهو مناسب
كقوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا والمراد باتيان اليوم اتيان اهواله وشدايده
اذ اليوم لا يكون وقتا لاتيان اليوم واجاز الزمخشري ان يكون فاعل ياتي ضميرا
عايدا على الله قال كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجا ربك
ويعضده قراة وما يوخره باليا وقوله باذنه واجاز ايضا ان ينتصب يوم ياتي
باذكر او بالانتها المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي
واجاز الحوفي ان يكون لا تكلم حالا من ضمير اليوم المتقدم في مشهودا ونعتا لانه
نكرة والتقدير لا تكلم نفس فيه يوم ياتي الا باذنه وقال ابن عطية لا تكلم
نفس يصح ان يكون جمله في موضع الحال من الضمير الذي في ياتي وهو العايد على
قوله ذلك يوم ويكون على هذا عايد محذوف تقديره لا تكلم نفس فيه الا باذنه
ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس صفة لقوله يوم ياتي ويوم ياتي يراد به الحين
والوقت لا النهار بعينه وما ورد في القران من ذكر كلام اهل الموقف في التلاوم
والتساول والتجادل فاما ان يكون باذن الله واما ان يكون هذه مختصة

في تكلم

في تكلم شفاعة او اقامة حجة انتهى وكلامه في اعراب لا تكلم كانه منقول من كلام الحوفي
وقيل يوم القيامة يوم طويل له مواقف ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها
يكفون عن الكلام فلا يوذن لهم وفي بعضها يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على
افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم والضمير في فمنهم عايد على الناس في قوله مجموع
له الناس وقال الزمخشري الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس وقال ابن عطيه
فمنهم عايد على الجميع الذي تضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجميع انتهى
قال ابن عباس الشقي من كتبت عليه الشقاوة والسعيد الذي كتبت له السعادة وقيل
معذب ومنعم وقيل محروم ومرزوق وقيل الضمير في فمنهم عايد على امة محمد صلى الله
عليه وسلم ذكره ابن الانباري فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك عطا غير مجذوذ قال
الضحاك ومقاتل والفرا الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره وروي عن ابن عباس
وقال ابو العالية والربيع بن انس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وروي عن ابن
عباس ايضا وقال ابن السايب الزفير زفير الحمار والشهيق شهيق البغال وانتصاب
خالدين على انها حال مقدره وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام السموات والارض والمراد
بهذا التوقيت التابيد كقول العرب ما اقام ثبير وما لاح كوكب وضعت العرب ذلك
للتابيد من غير نظر لفنا ثبير والكوكب او عدم فنايهما وقيل المراد سماوات الاخرة وارضها
وهي دايمة لا بديد لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا
الارض نتبوا من الجنة حيث نشا ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها
الله او يظلهم العرش وكلما اظلك فهو سما وعن ابن عباس ان السموات والارض
في الاخره يردان الى النور الذي اخذ تا منه فهما دايمتان ابدا في نور العرش والظاهر
ان قوله الا ما شا ربك استثنا من الزمان الدال عليه قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض والمعنى الا الزمان الذي شاه الله تعالى فلا يكون في النار ولا في الجنة ويمكن
ان يكون هذا الزمان المستثنى هو الزمان الذي يفصل الله فيه بين الخلق يوم القيامة
اذا كان الاستثنا من الكون في النار والجنة لانه زمان يخلو فيه الشقي والسعيد من
دخول النار والجنة واما ان كان الاستثنا من الخلود فيمكن ذلك بالنسبة الى اهل النار
ويكون الزمان المستثنى هو الزمان الذي فات اهل النار العصاة من المومنين الذين
يخرجون من النار ويدخلون الجنة فليسوا خالدين في النار اذ قد اخرجوا منها وصاروا
في الجنة وهذا روي معناه عن قتادة والضحاك وغيرهما ويكون الذين شقوا شاملا
للكفار وعصاة المسلمين واما بالنسبة الى اهل الجنة فلا يتاتى منهم ما تاتى في اهل النار
اذ ليس منهم من يدخل الجنة ثم لا يخلد فيها لكن يمكن ذلك باعتبار ان يكون اريد
الزمان الذي فات اهل النار العصاه من المومنين او الذي فات اصحاب الاعراف
فانهم بفوات تلك المدة التي دخل المومنون فيها الجنة وخلدوا فيها صدق على العصاه
المومنين واصحاب الاعراف انهم ما خلدوا في الجنة تخليد من دخلها اول وهلة ويجوز
ان يكون استثنا من الضمير المستكن في الجار والمجرور او في خالدين ويكون ما واقعة على
نوع من يعقل كما وقعت في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا او يكون واقعة على من يعقل
على مذهب من يرى وقوعها على من يعقل مطلقا ويكون المستثنى في قصة النار عصاة
المومنين وفي قصة الجنة هم او اصحاب الاعراف لانهم لم يدخلوا الجنة اول وهلة ولا خلدوا
فيها خلود من دخلها اول وقال الزمخشري فان قلت ما معنى الاستثنا في قوله الا ما شا
ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثنا قلت هو استثنا من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم اهل الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون
في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب

النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوه لهم واهانته اياهم وهكذا
اهل الجنة لهم مع ثواب الجنة ما هو اكثر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله تعالى
كما قال وعد الله الى ان قال قوله ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم
سوى ثواب الجنة ما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثنا والدليل عليه قوله عطا
غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من
العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه
بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة المراد بالاستثنا خروج اهل الكباير من النار بالشفا
فان الاستثنا الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترايهم وما ظنك بقوم نبذوا
كتاب الله لما روي لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها
احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا
يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية
الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاصي
فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها
انتهى وهو على طريق الاعتزال في تخليد اهل الكباير غير التايبين من المومنين
في النار واما ما ذكره من الاستثنا في اهل النار من كونهم لا يخلدون في عذاب النار
اذ ينتقلون الى الزمهرير فلا يصدق عليهم انهم خالدون في عذاب النار فقد
يتمشى واما ما ذكره من الاستثنا في اهل الجنة من قوله خالدين فلا يتمشى لانهم
مع ما اعطاهم الله من رضوانه وما تفضل عليهم به من سوى ثواب الجنة لا يخرجهم
ذلك عن كونهم خالدين في الجنة فلا يصح الاستثنا على هذا بخلاف اهل النار فانه
لخروجهم من عذابها الى الزمهرير يصح الاستثنا وقال ابن عطية واما قوله الا ما شا
ربك فقيل فيه ان ذلك على طريق الاستثنا الذي ندب الشرع الى استعماله في كل
كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين استثنا في واجب وهذا
الاستثنا هو في حكم الشرط كانه قال ان شا الله فليس يحتاج ان يوصف بمتصل ولا
منقطع وقيل هو استثنا من طول المدة وذلك على ما روي ان جهنم تخرب ويعدم
اهلها وتخفق ابوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير امرهم الى هذا وهذا قول
محيل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره انما تخلو من النار انما هو الدرك الا
على المختص بعصاة المومنين وهو الذي يسمى جهنم وسمي الكل به تجوزا وقيل الا
بمعنى الواو ومعنى الاية وما شا الله زايدا على ذلك وقيل الا في هذه الاية بمعنى سوى
والاستثنا منقطع كما تقول لي عندك الف درهم الا الالف التي كنت اسلفتك بمعنى
سوى تلك الالف فكانه قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شا
الله زايدا على ذلك ويويد هذا التاويل قوله تعالى بعد هذا عطا غير مجذوذ و
هذا قول الفرا وقيل سوى ما اعد لهم من انواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير
وقيل استثنا من مدة السماوات والارض التي فرطت لهم في الحياة الدنيا وقيل في
البرزخ بين الدنيا والاخرة وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم
انما هو زمرا بعد زمر وقيل الاستثنا من قوله ففي النار كانه قال الا ما شا ربك من
تاخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه ابو نضرة عن جابر وعن ابي سعيد الخدري
ثم اخبر منبها على قدرة الله تعالى فقال ان ربك فعال لما يريد انتهى وقال
ابو مجلز الا ما شا ربك ان يتجاوز عنهم بعذاب يكون جزاوه الخلود في النار فلا
يدخله النار وقيل معنى الا ما شا ربك كما شا ربك قيل كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم
من النسا الا ما قد سلف اي كما قد سلف وقرا الحسن شقوا بضم الشين والجمهور بفتحها
وقرا ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص سعدوا
بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي

سعدوا مع علمه بالعربية ولا يتعجب من ذلك اذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن
ذكرنا معه وقد احتج الكسائي بقولهم مسعود قيل ولا حجة فيه لانه يقال مكان مسعود
فيه ثم حذف فيه وسمي به وقال المهدوي من قرا سعدوا فهو محمول على مسعود وهو شاذ
قليل لانه لا يقال سعده الله انما يقال اسعده الله وقال الثعلبي سعد واسعد بمعنى
واحد وانتصب عطا على المصدر اي اعطوا عطا بمعنى اعطا كقوله والله انبتكم من الارض
نباتا اي انباتا ومعنى غير مجذوذ غير مقطوع بل هو ممتد الى غير نهاية الزلفة قال
الليث طايفة من اول الليل والجمع الزلف وقال ثعلب الزلف اول ساعات الليل واحدها
زلفة وقال ابو عبيدة والاخفش وابن قتيبة الزلف ساعات الليل واناوه وكل
ساعة زلفة وقال العجاج • ناج طواه الاين مما وجفا • طي الليالي زلفا فزلفا •
سماوة الهلال حتى احقوقفا • واصل الكلمة من الزلفى وهي القربة ويقال ازلفه فازدلف
اي قربه فاقترب وازلفني ادناني • الترف النعمة صبي مترف منعم البدن ومترف باطر
النعمة وسعة العيش وقال الفرا اترف عود الترفة وهي النعمة فلا تك في مرية
مما يعبد هولا ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير
منقوص لما ذكر تعالى قصص عبدة الاوثان من الامم السالفة واتبع ذلك بذكر احوال
الاشقيا والسعدا شرح للرسول احوال الكفار من قومه وانهم متبعوا ابايهم كحال من
تقدم من الامم في اتباع ابايهم في الضلال وهولا اشارة الى مشركي العرب باتفاق وان
ديدنهم كديدن الامم الماضية في التقليد والعما عن النظر في الدلايل والحجج وهذه
تسلية للرسول عليه السلام وعدة بالانتقام منهم اذ حالهم في ذلك حال الامم السالفة
والامم السالفة قد قصصنا عليك ما جرى لهم من سو العاقبة والتشبيه في قوله كما
يعبد معناه ان حالهم في الشرك مثل حال ابايهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل بابايهم
فسينزل بهم مثله وما يعبد استينا خرج مخرج التعليل للنهي عن المرية وما في مما وفي
كما يحتمل ان تكون مصدرية وبمعنى الذي وقرا الجمهور لموفوهم مشددا من وفى وابن محيصن
مخففا من اوفى والنصيب هنا قال ابن عباس ما قدر لهم من خير ومن شر وقال ابو العالية
من الرزق وقال ابن زيد من العذاب وكذا قال الزمخشري قال كما وفينا اباهم انصباهم
وغير منقوص حال من نصيبهم وهو عنده حال موكدة لان التوفية تقتضي التكميل
وقال الزمخشري فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت
يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه
وحقه كاملا وناقصا انتهى وهذه مغلطة اذا قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت
في الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى اعطيته الشطر والثلث كاملا لم انقصه منه شيا
واما قوله وحقه كاملا وناقصا اما كاملا فصحيح وهي حال موكدة لان التوفية تقتضي
الاكمال واما وناقصا فلا يقال لمنافاته التوفية والخطاب في فلا تك متوجه الى من داخله
الشك لا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله اعلم قل يا محمد لكل من شك لا تك
في مرية مما يعبد هولا فان الله لم يامرهم بذلك وانما اتبعوا في ذلك اباهم تقليدا لهم
واعراضا عن حجج العقول ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب لما بين تعالى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد
ونبوة الرسول والقران الذي اخبر به بين ان الكفار من الامم السابقة كانوا على هذه
السيرة الفاجرة مع انبيايهم فليس ذلك ببدع ممن عاصر الرسول وضرب لذلك
مثلا وهو انزال التوراة على موسى فاختلفوا فيها والكتاب هنا التوراة فقبله
بعض وانكره بعض كما اختلف هولا في القران والظاهر عود الضمير في فيه على
الكتاب لقربه ويجوز ان يعود على موسى ويلزم من الاختلاف في احدهما الاختلاف
في الاخر وجوز ان تكون في بمعنى على اي فاختلف عليه وكان بنو اسرايل اشد تعنتا
على موسى واكثر اختلافا عليه وقد تقدم شرح ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى اذ هم المختلفون فيه او في الكتاب وقيل

يعود على المختلفين في الرسول من معاصريه قال ابن عطية وان يعمهم اللفظ لحسن عندي
وهذه الجملة من جملة تسليته ايضا وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير الظاهر
عموم كل وشموله للمومن والكافر وقال الزمخشري التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان
كلهم وان جميع المختلفين فيه وقال مقاتل يعني به كفار هذه الامة وقرا الحرميان وابو بكر
وان كلا بتخفيف النون ساكنة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد هنا وفي
يس والطارق واجمعت السبعة على نصب كلا فتتصور في قراءتهم اربع قراءات احدها
تخفيف ان ولما وهي قراءة الحرميين والثانية تشديدهما وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص
والثالثة تخفيف ان وتشديد لما وهي قراءة ابي بكر والرابعة تشديد ان وتخفيف لما وهي قراءة
الكسائي وابي عمرو وقرا ابي والحسن بخلاف عنه وابان بن تغلب وان بالتخفيف كل بالرفع
لما مشددا وقرا الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها ولم يتعرضوا
لتخفيف ان ولا تشديدها وقال ابو حاتم الذي في مصحف ابي وان من كل الا ليوفينهم
وقرا الاعمش وان كل الا وهو حرف ابن مسعود فهذه اربعة وجوه في الشاذ فاما القراءة
الاولى فاعمال ان مخففة كاعمالها مشددة وهذه المسالة فيها خلاف ذهب الكوفيون
الى ان تخفيف ان يبطل عملها ولا يجوز ان تعمل وذهب البصريون الى ان اعمالها جائز لكنه
قليل الا مع المضمر فلا يجوز الا ان ورد في شعر وهذا هو الصحيح لثبوت ذلك في لسان
العرب حكى س ان الثقة اخبره انه سمع بعض العرب ان عمرا لمنطلق ولثبوت هذه القراءة
المتواترة وقد تاولها الكوفيون واما لما فقال الفرا فاللام فيها هي اللام الداخلة على خبر ان
وما موصولة بمعنى الذي كما جا فانكحوا ما طاب لكم والجملة من القسم المحذوف وجوابه الذي
هو ليوفينهم صلة لما نحو قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وهذا وجه حسن ومن ايقاع
ما على من يعقل قولهم لا سيما زيد بالرفع اي لا سي الذي هو زيد وقيل ما نكرة موصوفة وهي
لمن يعقل والجملة القسمية وجوابها قامت مقام الصفة لان المعنى وان كلا لخلق موفى عمله
ورجح الطبري هذا القول واختاره وقال ابو علي العرف ان تدخل لام الابتدا على الخبر
والخبر هنا هو القسم وفيه لام تدخل على جوابه فلما اجتمع اللامان والقسم محذوف
واتفقا في اللفظ وفي تلقي القسم فصل بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام انتهى ويظهر من
كلامه ان اللام في لما هي اللام التي تدخل في الخبر ونص الحوفي على انها لام ان الا ان المنقول
عن ابي علي ان الخبر هو ليوفينهم وتحريره ما ذكرنا وهو القسم وجوابه وقيل اللام في
لما موطية للقسم وما مزيدة والخبر الجملة القسمية وجوابها والى هذا القول في التحقيق
يؤول قول ابي علي واما القراءة الثانية فتشديد ان واعمالها في كل واضح واما تشديد لما
فقال المبرد هذا لحن لا يقول العرب ان زيدا لما خارج وهذه جسارة من المبرد على عادته
وكيف تكون قراءة متواترة لحنا وليس تركيب الاية كتركيب المثال الذي قال وهو ان
زيدا لما خارج هذا المثال لحن واما في الاية فليس لحنا ولو سكت وقال كما قال الكسائي
ما ادري ما وجه هذه القراءة لكان قد وفق واما غيرهما ذين من النحويين فاختلفوا في تخريجها
فقال ابو عبيد اصله لما منونا وقد قرئ كذلك ثم بني منه فعلى فصار كتترى نون ان جعلت
الفه للالحاق كارطى ومنع الصرف اذ جعلت الف تانيث وهو ماخوذ من لممته اي جمعته
والتقدير وان كلا جميعا ليوفينهم ويكون جميعا فيه معنى التوكيد ككل ولا يقال لما هذه
هي لما المنونة وقف عليها بالالف لانها بدل من التنوين واجرى الوصل مجرى الوقف
لان ذلك انما يكون في الشعر وما قاله ابو عبيد بعيد اذ لا يعرف بنا فعلى من اللمم ولما
يلزم لمن امال فعلى ان يميلها ولم يملها احد بالاجماع ومن كتابتها بالياء ولم تكتب بها وقيل لما المشددة
هي لما المخففة وشددها في الوقف كقولك رايت فرجا تريد فرجا واجرى الوصل مجرى الوقف
وهذا بعيد جدا وروي عن المازني وقال ابن جني وغيره يقع الا زايدة فلا يبعد ان تقع
لما بمعنا ما زايدة انتهى وهذا وجه ضعيف مبني على وجه ضعيف في الا وقال المازني ان هي
المخففة ثقلت وهي نافية بمعنى ما كما خففت ان ومعناها المثقلة ولما بمعنى الا وهذا باطل لانه
لم يعهد تثقيل ان النافية ولنصب كل وان النافية لا ينصب وقيل لما بمعنى الا كقولك نشدتك بالله

لما فعلت تريد الا فعلت وقاله الحوفي وضعفه ابو علي قال لان لما هذه لا تفارق القسم انتهى
وليس كما ذكر قد تفارق القسم وانما يبطل هذا الوجه لانه ليس موضع دخول الا لو قلت
ان زيدا الا ضربته لم يكن تركيبا عربيا وقيل لما اصلها لمن ما ومن هي الموصولة وما بعدها
زايدة واللام في لما هي الداخلة في خبر ان والصلة الجملة القسمية فلما ادغمت ميم من
في ما الزايدة اجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون فاجتمع
المثلان فادغمت ميم من في ميم ما فصار لما وقاله المهدوي وقال الفرا وتبعه جماعة
منهم نصر الشيرازي اصل لما لمن ما دخلت من الجارة على ما كما في قول الشاعر
واني لمن ما يضرب الكبش ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم • فعمل بهما ما عمل في الوجه الذي
قبله وهذان الوجهان ضعيفان جدا لم يعهد حذف نون من ولا حذف نون من الا
في الشعر اذا لقيت لام التعريف او شبهها غير المدغمة نحو قولهم ملمال يريدون من
المال وهذه كلها تخريجات ضعيفة جدا ينزه القران عنها وكنت قد ظهر لي فيها وجه
جار على قواعد العربية وهو ان لما هذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى
عليه كما حذفوه في قولهم قاربت المدينة ولما تريد ولما ادخلها وكذلك هنا
التقدير وان كلا لما ينقص من جزا عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم
لما اخبر بانتفا نقص جزا اعمالهم اكده بالقسم فقال ليوفينهم ربك اعمالهم وكنت اعتقدت
اني سبقت الى هذا التخريج السايغ العاري من التكلف وذكرت ذلك لبعض من يقرا
علي فقال قد ذكر ذلك ابو عمرو بن الحاجب ولترك النظر في كلام هذا الرجل لم اقف عليه
ثم رايت في كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال لما هذه هي الجازمة
حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم خرجت ولما وسافرت
ولما ونحوه وهو سايغ فصيح فيكون التقدير لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من
تفصيل المجموعين في قوله فمنهم شقي وسعيد ثم ذكر الاشقيا والسعدا ومجازاتهم ثم بين
ذلك بقوله ليوفينهم ربك اعمالهم قال وما اعرف وجها اشبه من هذا وان كانت النفوس تستبعده
من جهة ان مثله لم يقع في القران واما القراة الثالثة والرابعة فتخريجهما مفهوم من تخريج القراءتين
قبلهما واما قراءة ابي ومن ذكر معه فان نافية ولما بمعنى الا والتقدير ما كل الا والله ليوفينهم
وكل مبتدا والخبر الجملة القسمية وجوابها التي بعد لما كقراءة من قرا وان كل لما جميع ان كل نفس
لما عليها حافظ ولا التفات الى قول ابي عبيد والفرا من انكارهما ان لما تكون بمعنى الا قال ابو
عبيد لم نجد هذا في كلام العرب ومن قال هذا لزمه ان يقول رايت القوم لما اخاك يريد
الا اخاك وهذا غير موجود وقال الفرا اما من جعل لما بمعنى الا فانه وجه لا نعرفه وقد
قالت العرب مع اليمين بالله لما قمت عنا والا قمت عنا فاما في الاستثنا فلم نقله في شعر الا
ترى ان ذلك لو جاز لسمع في الكلام ذهب الناس لما زيدا او القراة المتواترة في قوله وان كل
نفس لما عليها حجة عليهما وكون لما بمعنى الا نقله الخليل وس والكسائي وكون العرب خصصت
مجيه ببعض التراكيب لا يقدح ولا يلزم اطرادها في باب الاستثنا فكم من شي خص بتركيب دون
ما اشبهه واما قراءة الزهري وابن ارقم لما بالتنوين والتشديد فلما مصدر من قولهم لممت
الشي جمعته وخرج نصبه على وجهين احدهما ان يكون صفة لكل وصف بالمصدر وقدر كل
مضافا الى نكرة حتى يصح الوصف بالنكرة كما وصف به في قوله اكلا لما وهذا تخريج ابي علي
والوجه الثاني ان يكون منصوبا بقوله ليوفينهم على حد قولهم قياما لاقومن وقعودا
لاقعدن فالتقدير توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم وهذا تخريج ابن جني وخبر ان
على هذين الوجهين هو جملة القسم وجوابه واما ما في مصحف ابي فان نافية ومن زايدة
واما قراءة الاعمش فواضحة والمعنى جميع ما لهم تقيل وهذه الجملة تضمنت توكيدات
بان وبكل وباللام في الخبر وبالقسم وبما اذا كانت زايدة وبنون التوكيد وباللام قبلها
وذلك مبالغة في وعد الطايع ووعيد العاصي واردف ذلك بالجملة المؤكدة وهي انه بما
يعملون خبير وهذا الوصف يقتضي علم ما خفي وقرا ابن هرمز بما تعملون على الخطاب
فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير قال ابن عيينة وجماعة

معناه استقم على القرآن وقال الضحاك استقم بالجهاد وقال مقاتل امض على التوحيد
وقال جماعة استقم على امر ربك بالدعاء اليه وقال جعفر الصادق استقم في الاخبار عن الله
بصحة العزم وقال الزمخشري فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة
الحق غير عادل عنها وقال ابن عطية امر بالاستقامة وهو عليها وهو امر بالدوام والثبوت
والخطاب للرسول واصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الامة فالمعنى وامرت مخاطبة
تعظيم انتهى وقيل استفعل هنا للطلب اي اطلب الاقامة على الدين كما تقول استغفر
اي اطلب الغفران ومن تاب معطوف على الضمير المستكن في فاستقم واغنى الفاصل عن
التوكيد ولا تطغوا قال ابن عباس في القرآن فتحلوا وتحرموا ما لم امركم به وقال ابن زيد
لا تعصوا ربكم وقال مقاتل لا تخلطوا التوحيد بالشك وقال الزمخشري لا تخرجوا عن
حدود الله وقرأ الحسن والاعمش بما يعملون بالياء على الغيبة ورويت عن عيسى الثقفي بصير
مطلع على اعمالكم يراها ويجازي عليها ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم
من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون قال ابن عباس معنى الركون الميل وقال السدي وابن زيد
لا تداهنوا الظلمة وقال قتادة لا تلحقوا بهم وقال سفيان لا تدنوا الى الذين ظلموا وقال
ابو العالية لا ترضوا اعمالهم وقيل لا تجالسوهم وقال جعفر الصادق الى الذين ظلموا الى انفسكم
فانها ظالمة وهذا شبيه بتفسير الباطنية وقيل لا تتشبهوا بهم وقرأ الجمهور تركنوا بفتح
الكاف والماضي ركن بكسرها وهي لغة قريش وقال الازهري هي اللغة الفصحى وعن ابي
عمرو بكسر التاء على لغة تميم في مضارع علم غير الياء وقرأ قتادة وطلحة والاشهب ورويت
عن ابي عمرو تركنوا بضم الكاف ماضي ركن بفتحها وهي لغة قيس وتميم وقال الكسائي
واهل نجد وشذ يركن بفتح الكاف مضارع ركن بفتحها وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا
مبنيا للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم
ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي
بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان
الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى
الظالمين قاله الزمخشري وقال ابن عطية ومعناه السكون الى الشيء والرضى به قال ابو العالية
الركون الرضى وقال ابن زيد الركون الادهان والركون يقع في قليل هذا وكثيره والنهي هنا
يترتب من معنى الركون عن الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغيير عليهم
مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة وهو النص للمتاولين ويدخل بالمعنى اهل المعاصي
انتهى وقال سفيان الثوري في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وسئل سفيان
عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت
وفي الحديث من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وكتب الى الزهري حين خالط
السلاطين اخ له في الدين كتابا طويلا قرعه فيه اشد التقريع يوقف عليه في تفسير الزمخشري
وقرأ ابن وثاب وعلقمة والاعمش وابن مصرف وحمزة فيما روي عنه فتمسكم بكسر التاء على
لغة تميم والمس كناية عن الاصابة وانتصب الفعل في جواب النهي والجملة بعدها حال ومعنى
من اولياء من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ثم لا تنصرون قال الزمخشري ثم لا ينصركم هو
لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت ما معنى ثم قلت معناها
الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب وقضاء حكمته له انتهى وهي
الفاظ المعتزلة وقرأ زيد بن علي ثم لا تنصروا بحذف النون والفعل منصوب عطفا على قوله
فتمسكم والجملة حال او اعتراض بين المتعاطفين واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
سبب نزولها ما في صحيح مسلم من حديث الرجل الذي عالج امرأة اجنبية منه فاصاب منها ما سوى
اتيانها فنزلت وقيل نزلت قبل ذلك واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في قصة
هذا الرجل فقال رجل الخاصة قال لا بل للناس عامة وانظر الى الامر والنهي
في هذه الايات حيث جاء الخطاب في الامر فاستقم كما امرت واقم الصلاة موحدا في الظاهر

وان كان المامور به من حيث المعنى عاما وجاء الخطاب في النهي ولا تطغوا ولا تركنوا موجها
الى غير الرسول مخاطبا به امته فحيث كان بافعال الخير توجه الخطاب اليه وحيث كان النهي
عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من امته وهذا من جليل الفصاحة ولا خلاف ان المامور
باقامتها هي الصلوات المكتوبة واقامتها دوامها وقيل اداؤها على تمامها وقيل فعلها في افضل اوقاتها
وهي ثلاثة الاقوال التي في قوله تعالى ويقيمون الصلاة وانتصب طرفي النهار على الظرف وطرف
الشيء يقتضي ان يكون من الشيء فالذي يظهر انهما الصبح والعصر لانهما طرفا النهار ولذلك وقع
الاجماع الا من شذ على ان من اكل او جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه يوم فطر وعليه
القضاء والكفارة وما بعد طلوع الفجر من النهار وقد ادعى الطبري والماوردي الاجماع على
ان احد الطرفين الصبح والخلاف في ذلك على ما نذكره وممن قال انهما الصبح والعصر الحسن
وقتادة والضحاك وقال الزلف المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الاية على هذا القول
بل هي في غيرها وقال مجاهد ومحمد بن كعب الطرف الاول الصبح والثاني الظهر والعصر
والزلف المغرب والعشاء وليست الصبح في هذه الاية وقال ابن عباس والحسن ايضا هما
الصبح والمغرب والزلف العشاء وليست الظهر والعصر في الاية وقيل هما الظهر والعصر والزلف
المغرب والعشاء والصبح وكان هذا القائل راعى الجهر بالقراءة والاخفاء واختار ابن عطية قول
مجاهد وجعل الظهر من الطرف الثاني ليس بواضح انما الظهر نصف النهار والنصف لا يسمى
طرفا الا بمجاز بعيد ورجح الطبري قول ابن عباس وهو ان الطرفين هما الصبح والمغرب
ولا يجعل المغرب طرفا للنهار الا بمجاز انما هو طرف لليل وقال الزمخشري غدوة وعشية
قال وصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي
وصلاة الزلف المغرب والعشاء انتهى ولا يلزم من اطلاق العشي على ما بعد الزوال ان يكون
الظهر طرفا للنهار لانه الامر انما جاء بالاقامة للصلاة في طرفي النهار لا في الغداة والعشي
وقرأ الجمهور وزلفا بفتح اللام وطلحة وعيسى البصرة وابن ابي اسحق وابو جعفر بضمها
كانه اسم مفرد وقرأ ابن محيصن ومجاهد باسكانها وروي عنهما وزلفى على وزن فعلى
صفة الواحد من المونث لما كانت بمعنى المنزلة واما القراءات الاخر من الجموع لمنزلة بعد
منزلة فزلف جمع كظلم وزلف كبسر في بسر وزلف كبسر في بسرة فهما اسم جنس وزلفى
بمنزلة الزلفة والظاهر عطف وزلفا من الليل على طرفي النهار عطف طرفا على طرف وقال
الزمخشري وقد ذكر هذه القراءات وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل زلفا من الليل
وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلاة طرفي النهار
واقم زلفا من الليل على معنى صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل والظاهر عموم
الحسنات من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وما اشبهها من فرائض الاسلام وخصوص
السيئات وهي الصغائر ويدل عليه الحديث الصحيح ما اجتنبت الكبائر وذهب جمهور المتاولين
من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس واليه ذهب عثمان عند وضوءه
على المقاعد وهو تاويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وينبغي ان يحمل هذا كله على جهة
المثال في الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي اعظم الاعمال والصغائر التي تذهب هي
بشرط التوبة منها وعدم الاصرار عليها وهذا نص حذاق الاصوليين ومعنى اذهابها تكفير
الصغائر والصغائر قد وجدت واذهبت الحسنات ما كان يترتب عليها لا انها تذهب حقائقها
اذ هي قد وجدت وقيل المعنى ان فعل الحسنات يكون لطفا في ترك السيئات لا انها واقعة لقوله
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والظاهر ان الاشارة بقوله ذلك الى اقرب مذكور وهو قوله
اقم الصلاة اي اقامتها في هذه الاوقات ذكرى اي سبب عظة وتذكرة للذاكرين اي المتعظين
وقيل اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات فتكون في هذه الذكرى حضا على
فعل الحسنات وقيل اشارة الى ما تقدم من الوصية بالاستقامة واقامة الصلاة والنهي
عن الطغيان والركون الى الظالمين وهو قول الزمخشري وقال الطبري اشارة الى الاوامر
والنواهي في هذه السورة وقيل اشارة الى القرآن وقيل ذكرى معناه توبة ثم امر تعالى بالصبر

على التبليغ والمكاره في ذات الله بعد ما تقدم من الاوامر والنواهي ومنبها على محل الصبر
اذ لا يتم شي مما وقع الامر به والنهي عنه الا به واتى بعام وهو قوله اجر المحسنين ليندرج
فيه كل من احسن بسائر خصال الاحسان مما يحتاج الى الصبر فيه وما قد لا يحتاج كطبع من
خلق كريما فلا يتكلف الاحسان اذ هو مركوز في طبعه وقال ابن عباس المحسنون هنا المصلون
كانه نظر الى سياق الكلام وقال مقاتل هم المخلصون وقال ابو سليمان المحسنون في اعمالهم
فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا
منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين لولا هنا للتحضيض صحبها معنى التفجيع
والتاسف الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم الذين لم يهتدوا وهذا نحو قوله يا حسرة
على العباد والقرون قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره والبقية هنا يراد بها الخير والنظر
والحزم في الدين وسمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار
مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة
ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وانما قيل بقيه
لان الشرايع والدول ونحوها قوتها في اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف
فهو بقية الصدر الاول وبقيه فعيلة اسم فاعل للمبالغة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون البقيه
بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فلا كان منهم ذووا بقاء على انفسهم وصيانة لها من
سخط الله وعقابه وقرات فرقة بقيه بتخفيف الياء اسم فاعل من بقي نحو شجيت فهو شجيه
وقرا ابو جعفر وشيبة بقيه بضم الباء وسكون القاف وزن فعلة وقرى بقية على وزن
فعله للمرة من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية
من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لشفاقهم والفساد هنا الكفر وما اقترن به
من المعاصي وفي ذلك تنبيه لهذه الامة وحض لها على تغيير المنكر الا قليلا استثنا منقطع
اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم ولا يصح
ان يكون استثنا متصلا مع بقا التحضيض على ظاهره لفساد المعنى وصيرورته الى
ان الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب
وغيره يراه منفيا من حيث معناه انه لم يكن فيهم اولو بقيه ولهذا قال الزمخشري بعد
ان منع ان يكون متصلا فان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم
فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقيه الا قليلا كان استثنا متصلا ومعنى صحيحا وكان
انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الافصح ان يرجع على البدل انتهى وقرا زيد بن علي الا قليل
بالرفع لحظ ان التحضيض تضمن النفي فابدل كما يبدل في صريح النفي وقال الفرا المعنى
فلم يكن لان في الاستفهام ضربا من الجحد وابى الاخفش كون الاستثنا منقطعا والظاهر
ان الذين ظلموا هم تاركوا النهي عن الفساد وما اترفوا فيه اي ما نعموا فيه من حب الرياسة
والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما فيه صلاح دينهم واتبع استيناف اخبار
عن حال هولا الذين ظلموا واخبار عنهم انهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا مجرمين
اي ذوي جرايم غير ذلك وقال الزمخشري ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا
شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزا الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا
القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاهم وقال وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام انتهى فجعل ما في قوله ما اترفوا فيه مصدرية
ولهذا قدره اتبعوا الاتراف والظاهر انها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها واجاز ايضا
ان يكون معطوفا على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك قال ويجوز
ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح
النحو لانه اخر اية فليس بين شيئين يحتاج احدهما الى الاخر وقرا جعفر بن محمد والعلا
بن سيابة كذا في كتاب اللوامح وابو عمرو في رواية الجعفي واتبعوا ساكنة التاء مبنيه
للمفعول على حذف مضاف لانه مما يتعدى الى مفعولين اي جزا ما اترفوا فيه وقال الزمخشري

ويجوز

ويجوز ان يكون المعنى في القراة المشهورة انهم اتبعوا جزا اترافهم وهذا معنى قوي
لتقدم الانجا كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون تقدم تفسير شبيه هذه الاية في الانعام الا ان هنا ليهلك
وهي اكد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زيدت اللام في خبر كان على سبيل التوكيد وعلى
مذهب البصريين توجه النفي الى الخبر المحذوف المتعلق به اللام وهنا واهلها مصلحون
قال الطبري بشرك منهم وهم مصلحون اي مصلحون فيما بينهم وسيرهم وعدل بعضهم في
بعض اي انه لا بد من معصية تقترن بكفرهم قاله الطبري ناقلا قال ابن عطية وهذا ضعيف
وانما ذهب قايله الى نحو ما قال ان الله يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور
ولو عكس لكان ذلك متجها اي ما كان الله ليعذب امة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون
في الايمان والذي رجح ابن عطية ان يكون التاويل بظلم منه تعالى عن ذلك وقال
الزمخشري واهلها مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين
من الظلم انتهى وهو مصادم للحديث انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث
والاية واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين قال الزمخشري يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة واحدة وهي
ملة الاسلام كقوله وان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه
لم يقهرهم على الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف
فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو على طريقه
الاعتزال وقال ابن عباس وقتادة امة واحدة مومنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه تعالى
لم يشا ذلك وقال الضحاك لو شا لجعلهم على هدي او ضلالة والظاهر ان قوله ولا يزالون
مختلفين هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق وان المعنى في الحق والباطل قاله ابن
عباس وقال مجاهد في الاديان وقال الحسن في الارزاق والاحوال من تسخير بعضهم
لبعض وقال عكرمة في الاهوا وقال ابن بحر المراد ان بعضهم يخلف بعضا فيكون
الاتي خلفا للماضي قال ومنه قولهم ما اختلف الجديدان اي خلف احدهما صاحبه
والا من رحم استثنا متصل من قوله ولا يزالون مختلفين ولا ضرورة تدعو الى انه
بمعنى لكن فيكون استثنا منقطعا كما ذهب اليه الحوفي والاشارة بقوله ولذلك خلقهم
الى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال اذا نهي السفيه جرى اليه فعاد الضمير
على المصدر المفهوم من اسم الفاعل كانه قيل وللاختلاف خلقهم ويكون على حذف
مضاف اي لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم ودل على هذا الحذف
انه قد تقرر من قاعدة الشريعة ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم
يسر كلا لما خلق له وهذا نص في الحديث الصحيح وهذه اللام في التحقيق هي لام الصيرورة
في ذلك المحذوف او تكون لام الصيرورة بغير ذلك المحذوف اي خلقهم ليصير امرهم الى
الاختلاف ولا يتعارض هذا مع قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان
معنى هذا الامر بالعبادة قال مجاهد وقتادة ذلك اشارة الى الرحمة التي
تضمنها قوله الا من رحم ربك والضمير في خلقهم عايد على المرحومين وقال ابن عباس
واختاره الطبري الاشارة بذلك الى الاختلاف والرحمة معا فيكون على هذا اشير
بالمفرد الى اثنين كقوله عوان بين ذلك اي بين الفارض والبكر والضمير في خلقهم عايد
على الصنفين المستثنى والمستثنى منه وليس في هذه الجملة ما يمكن ان يعود عليه الضمير
الا الاختلاف كما قال الحسن وعطا او الرحمة كما قاله مجاهد وقتادة او كلاهما كما قال
ابن عباس وعطا او الرحمة كما قال مجاهد وقتادة او كلاهما كما قال
ابن عباس وقرا بعض المتاولين في تقدير هذه الثلاث فزعم ان الاشارة الى ما بعده
وفيه تقديم وتاخير اي وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ولذلك

خلقهم اي تملئ جهنم منهم وهذا بعيد جدا من تراكيب كلام العرب وقيل اشارة
لما عليه الكلام اولا من التمكين والاختيار الذي عنه الاختلاف خلقهم ليثيب
مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهو على
طريقة الاعتزال ولولا ان هذه الاقوال سطرت في كتب التفسير لضربت عن
ذكرها صفحا وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق امره واللام في لاملان هي
التي يتلقى بها القسم والجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد قال ابن عطية
والهاء فيه للمبالغة وان كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه انتهى فيكون
مما يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء لقول بعض العرب كمء للواحد وكمأة
للجمع وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين الظاهر ان كلا مفعول به والعامل فيه نقص والتنوين عوض من
المحذوف والتقدير وكل نبإ نقص عليك ومن انباء الرسل في موضع الصفة لقوله
وكلا اذ هي مضافة في التقدير الى نكرة وما صلة كما هي في قوله قليلا ما تذكرون
قيل او بدل خبر مبتدأ محذوف اي هو ما نثبت فتكون ما بمعنى الذي او مصدرية
واجازوا ان ينتصب كلا على المصدر وما نثبت مفعول به بقولك نقص كانه
قيل ونقص عليك الشيء الذي نثبت به فؤادك كل قص واجازوا ان
يكون كلا نكرة بمعنى جميعا وينتصب على الحال من المفعول الذي هو
ما او من المجرور الذي هو الضمير في به على مذهب من يجوز تقديم حال
المجرور بالحرف عليه والتقدير ونقص عليك من انباء الرسل الاشياء التي
نثبت بها فؤادك جميعا اي المثبتة فؤادك جميعا قال ابن عباس نثبت
نسكن وقال الضحاك نشد وقال ابن جريج نقوي وتثبيت الفؤاد هو
بما جرى للانبياء عليهم السلام ولاتباعهم المؤمنين وما لقوا من
مكذبيهم من الاذى ففي هذا كله اسوة بهم اذ المشاركة في الامور
الصعبة تهون ما يلقى الانسان من الاذى ثم الاعلام بما جرى على مكذبيهم
من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف
وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس بان يصيب الله من كذب الرسول بالعذاب
كما جرى لمكذبي الرسل وانباؤه عليه السلام بحسن العاقبة له ولاتباعه كما
اتفق من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة
وخسف وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس بانه يصيب الله من كذب به الرسول
بالعذاب كما جرى لمكذبي الرسل وانباؤه عليه السلام بحسن العاقبة له ولاتباعه
كما اتفق من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف
وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس بان يصيب الله من كذب الرسول بالعذاب
كما جرى لمكذبي الرسل وانباؤه عليه السلام بحسن العاقبة له ولاتباعه كما اتفق
من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف وغير
ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس بان يصيب الله من كذب الرسول بالعذاب كما جرى
لمكذبي الرسل وانباؤه عليه السلام بحسن العاقبة له ولاتباعه كما اتفق من العقوبات
للرسل واتباعهم والاشارة بقوله في هذه الى انباء الرسل التي قصها الله تعالى
عليه اي النبأ الصدق الحق الذي هو مطابق لما جرى ليس فيه تغيير ولا
تحريف كما ينقل شيئا من ذلك المؤرخون وموعظة اي اتعاظ وازدجار لسامعه
وذكرى لمن آمن اذ الموعظة والذكرى لا ينتفع بها الا المؤمن كقوله وذكر
فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى وقال
ابن عباس الاشارة الى السورة والآيات التي فيها تذكر قصص الامم وهذا
قول الجمهور ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بالحق والقرآن كله

حق

حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر اي جاءك في هذه السورة الحق
الذي اصاب الامم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق يأتي في غير
شديدة وغير ما وجه ولا تستعمل في ذلك جاء الحق وقال الحسن وقتادة الاشارة الى
دار الدنيا قال قتادة والحق النبوة وقيل اشارة الى السورة مع نظائرها وقل
للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون اعملوا صيغة
امر ومعناه التهديد والوعيد والخطاب لاهل مكة وغيرها على مكانتكم اي جهتكم
وحالكم التي انتم عليها وقيل اعملوا في هلاكي على امكانكم وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ويشبه ان تكونا آيتا موادعة
فلذلك قيل انهما منسوختان وقيل محكمتان وهما للتهديد والوعيد والحرب قائمة ولله
غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما
تعملون لا يخفى عليه شيء من اعمالكم ولا حظ لمخلوق في علم الغيب وقرأ نافع وحفص
يرجع مبنيا للمفعول الامر كله امرهم وامرك فينتقم لك منهم وقال ابو علي الفارسي
علم ما غاب في السماوات والارض اضاف الغيب اليهما توسعا انتهى والجملة الاولى
دلت على ان علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئيها حاضرها وغائبها لانه اذا
احاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط اذ علمه تعالى لا يتفاوت والجملة الامر بافراد
من هذه صفاته بالعبادة الجسدية والقلبية والعبادة اولى الرتب التي يتحلى
بها العبد والجملة الرابعة دلت على الامر بالتوكل وهي آخرة الرتب لانه بنور العبادة
يبصر ان جميع الكائنات معذوقة بالله تعالى وانه هو المتصرف وحده في جميعها
لا يشركه في شيء منها احد من خلقه فوكل نفسه اليه تعالى ورفض سائر ما يتوهم
انه سبب في شيء منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلا يضيع طاعة مطيع
ولا يهمل حال متمرد وقرأ الصاحبان وحفص وقتادة والاعرج وشيبة وابو
جعفر والجحدري تعملون بتاء الخطاب لانه قبله اعملوا على مكانتكم وقرأ باقي
السبعة بالياء على الغيبة واختلف عن الحسن وعيسى بن عمر •
الطرح للشيء رميه والقاؤه وطرح عليه الثوب القاه وطرحت الشيء ابعدته
ومنه قول عروة بن الورد •
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح • والنوى
المطروح البعيد والجب الركية التي لم تطو فاذا طويت فهي بئر قال الاعشى
لئن كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت اسباب السماء بسلم • ويجمع على جبب وجباب
واجباب وسمي جبا لانه قطع في الارض من جببت اي قطعت الالتقاط تناول
الشيء من الطريق يقال لقطه والتقطه وقال • ومنهل لقطته التقاطا • ومنه
اللقطة واللقيط ارتعى افتعل من الرعي بمعنى المراعاة وهي الحفظ للشيء او من
الرعي وهو اكل الحشيش والنبات يقال رعت الماشية الكلأ ترعاه رعيا اكلته والرعي
بالكسر الكلأ ومثله ارتعى قال الاعشى •
ترتعي السفح فالكثيب فذا قا • ر فروض القطا فذات الرئال •
ربع اقام في خصب ونعم ومنه قول الغضبان بن القبعثرى القيد والرتعة
وقلة الرتعة وقول الشاعر • اكفرا بعد رد الغضبان بن القبعثرى
القيد والرتعة وقلة الرتعة وقول الشاعر •
اكفرا بعد رد الموت عني • وبعد عطائك المائة الرتاعا •
الذئب سبع معروف وليس في مغربنا الاندلسي ويجمع على اذؤب وذئاب
وذؤبان قال • وازور يمطو في بلاد بعيدة تعاوى به ذؤبانه وثعالبه
وارض مذأبة كثيرة الذئاب وتذاءبت الريح جاءت من هنا ومن هنا فعل
الذئب ومنه الذؤابة من الشعر لكونها تنوس الى هنا والى هنا • الكدب
بالدال المهملة الكدر وقيل الطري سول من السول ومعناه سهل وقيل زين

ادلي الدلو ارسلها ليملاها ودلاها ايدلوها جذبها واخرجها من البير قال
لا بعلوها واد لواها دلوا • والدهر معروف ومن مونثه فتصغر على دليه
ويجمع علي ادل ودلا ودلي • البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعته
اذا قطعته ومنه المبضع المرا ودة الطلب برفق ولين القول والرود
التاني يقال ارودني امهلني والريادة طلب النكاح ومشي رويدا اي برفق
اغلق الباب واصفده واقفله بمعني وقال الفرزدق •
مازلت اغلق ابوابها ابوابا وافتحها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار •
هيت اسم فعل بمعنى اسرع • قد الثوب شقه •
مازلت اغلق ابوابها ابوابا وافتحها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار •
هيت اسم فعل بمعني اسرع • قد الثوب شقه • السيد فيعل
من ساد يسود يطلق على المالك وعلى رييس القوم • وفيعل
بنا مختص بالمعتل وشذ بيس وصيقل اسم امراة السجن الحبس

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون • هذه السورة مكية كلها وقال
ابن عباس وقتادة الا ثلاث ايات من اولها وسبب نزولها ان كفار مكة امرهم اليهود ان يسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف وقيل سالت اليهود الرسول ان يحدثهم
امر يعقوب وولده وشان يوسف وقال سعد بن ابي وقاص انزل القران فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول
الله لو قصصت علينا فنزلت ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها ان في اخر السورة التي قبلها
وكلا نقص عليك من انبآء الرسل ما نثبت به فؤادك وكان في تلك الانبآء المقصوصة فيها ما لاقي الانبيا
من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف وما لاقاه من اخوته وما آلت اليه حاله من حسن العاقبة ليحصل
للرسول التسلية الجامعة لما يلاقيه من اذى البعيد والقريب وجات هذه القصة مطولة مستوفاة
فلذلك لم تتكرر في القران الا ما اخبر به مومن من آل فرعون في سورة غافر والاشارة بتلك ايات الى الر
وساير حروف المعجم التي تركبت منها ايات القران او الى التوراة والانجيل او الايات التي ذكرت في
سورة هود او الى ايات السورة والكتاب المبين السورة التي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه
السورة اقوال والظاهر ان المراد بالكتاب القران والمبين اما البين في نفسه الظاهر امره في اعجاز
العرب وتبكيتهم واما المبين الحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج اليه في امر الدين قاله ابن
عباس ومجاهد او المبين الهدى والرشد والبركة قاله قتادة او المبين ما سالت عنه اليهود او ما امرت
ان يسال من حال انتقال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف او المبين من جهة بيان اللسان
العربي وجودته اذ فيه ستة احرف لم تجتمع في لسان روي هذا عن معاذ بن جبل وهي الطا والظاء
والضاد والصاد والغين والخا انتهي والضمير في انزلناه عايد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف وقيل
على القران وقيل على نبا يوسف قاله الزجاج وابن الانباري وقيل هو ضمير الانزال وقرانا هو المفعول به
وهذان ضعيفان وانتصب قرانا على البدل من الضمير وقيل على الحال الموطية وسمي بعض القران قرانا لانه
اسم جنس يقع على القليل والكثير وعربيا منسوب الى العرب والعرب جمع عربي كروم ورومي وعربة
ناحية دار اسماعيل بن ابراهيم السلم قال الشاعر وعربة ارض ما يحل حرامها من الناس الا اللوذعي
الحلاحل ويعني النبي صلى الله عليه وسلم احلت له مكة وسكن را عربة الشاعر ضرورة قيل وان شيت نسبت
القران اليها ابتداء اي على لغة اهل هذه الناحية لعلكم تعقلون ما تضمن من المعاني واحتوى عليه
من البلاغة والاعجاز فتؤمنون اذ لو كان بغير العربية لقيل لولا فصلت اياته ن نحن نقص عليك احسن
القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك

قوله عز وجل
نحن نقص عليك

فيكيدوا

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم
نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم القصص مصدر قص
واسم مفعول اما التسمية بالمصدر واما لكون الفعل يكون للمفعول كالقبض والنفض والقصص هنا
يحتمل الاوجه الثلاثة فان كان المصدر فالمراد بكونه احسن انه اقتص على ابدع طريقة واحسن
اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران فان كان المفعول فكان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم
والنكت والعجايب التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقص في بابه كما يقال للرجل هو اعلم الناس
وافضلهم يراد في فنه وقيل كانت هذه السورة احسن القصص لانفرادها عن سايرها بما فيها من ذكر
الانبيا والصالحين والملايكة والشياطين والانس والجن والانعام والطير وساير الملوك والمماليك
والتجار والعلما والرجال والصالحين والنسا وكيدهن ومكرهن مع ما فيها من ذكر التوحيد والفقه
والسير والسياسة وحسن الملكة والعفو عند القدرة وحسن المعاشرة والحيل وتدبير المعاش
والمعاد وحسن العاقبة في العفة والجهاد والخلاص من المرهوب الى المرغوب وذكر الحبيب والمحبوب
ومرأى السنين وتعبير الرؤيا والعجايب التي تصلح للدين والدنيا وقيل كانت احسن القصص لان
كل من ذكر فيها كان مآله الى السعادة انظر الى يوسف وابيه واخوته وامراة العزيز والملك اسلم
بيوسف وحسن اسلامه ومعبر الرؤيا الساقي والشاهد فيما يقال وقيل احسن هنا ليست افعل
التفضيل بل هي بمعنى حسن كانه قيل حسن القصص من باب اضافة الصفة الى الموصوف اي القصص
الحسن وما في بما اوحينا مصدرية اي بايحاينا واذا كان القصص مصدرا فمفعول نقص من حيث المعنى
هو هذا القران الا انه من باب الاعمال اذ تنازعه نقص واوحينا فاعمل الثاني على الاكثر والضمير
في من قبله يعود على الايحا وتقدمت مذاهب النحاة في ان المخففة الجائي اللام في ثاني الجزئين
ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك علم فيها ولا طرق سمعك طرف
منها والعامل في اذ قال الزمخشري وابن عطية اذكر واجاز الزمخشري ان يكون بدلا من احسن
القصص قال وهو بدل اشتمال لان الوقت يشمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد
قص وقال ابن عطية ويجوز ان يعمل فيه نقص فكان المعنى نقص عليك الحال اذ وهذه التقادير
لا تتجه حتى يخلع اذ من دلالتها على الوقت الماضي ويجرد للوقت المطلق الصالح للازمان كلها
على جهة البدلية وحكى مكي ان العامل في اذ الغافلين والذي يظهر ان العامل فيه قال يا بني
كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وتبقى اذ على وضعها الاصلي من كونها ظرفا لما مضى ويوسف اسم
عبراني وتقدمت ست لغات فيه ومنعه الصرف دليل على بطلان قول من ذهب الى انه عربي مشتق
من الاسف وان كان في بعض لغاته يكون فيه الوزن الغالب لامتناع ان يكون اعجميا غير عجمي وقرا
طلحة بن مصرف بالهمز وفتح السين وقرا ابن عامر وابو جعفر والاعرج يا ابت بفتح التاء
وباقي السبعة والجمهور بكسرها ووقفا لابنان عليها بالهاء وهذه التاء عوض من ياء الاضافة
فلا يجتمعان وتجامع الالف التي هي بدل من التاء قال يا ابتا علك او عساك ووجه الاقتصار على التا
مفتوحة انه اجتزاء بالفتحة عن الالف اورخم بحذف التاء ثم اقحمت قاله ابو علي او الالف في ابتاه
للندبة لحذفها قاله الفرا وابو عبيد وابو حاتم وقطرب ورد بانه ليس موضع ندبة او الاصل يا ابة
بالتنوين فحذف والندا باب حذف قاله قطرب ورد بان التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب
نحو يا ضاربا رجلا وفتح ابو تاء اني وقرا الحسن وابو جعفر وطلحة بن سليمان احد عشر بسكون العين
لتوالي الحركات وليظهر جعل الاسمين اسما واحدا ورايت هي حلومية لدلالة متعلقها على انه منام
والظاهر انه راى في منامه كواكب والشمس والقمر وقيل راى اخوته وابويه فعبر عنهم بذلك وعبر
بالشمس عن امه وقيل عن خالته راحيل لانه امه كانت ماتت ومن حديث جابر بن عبد الله ان يهوديا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسما الكواكب التي راها يوسف فسكت
عنه ونزل جبريل فاخبره باسمايها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل انت
مومن ان اخبرتك بذلك فقال نعم قال خرتان والطارق والذيال وذا الكتفين وقابس ووثاب
وعمودان والفليق والمصبح والضروح وذا الفرع والضيا والنور فقال اليهودي اي والله
انها لاسمايها وذكر السهيلي مسند الى الحرث بن ابي اسامة فذكر الحديث وفيه بعض اختلاف

وذكر النطع عوضا عن المصبح وعن وهب ان يوسف راي وهو ابن سبع سنين ان احدي عشرة عصي طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتي اقتلعتها وغلبتها فوصف
ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راي وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها علي ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوايل وكان بين رويا يوسف
ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون وروي ان رويا يوسف كانت ليلة القدر ليلة الجمعة
والظاهر ان الشمس والقمر ليسا مندرجين في الاحد عشر كوكبا ولذلك حين عدها الرسول لليهودي
ذكر الاحد عشر كوكبا غير الشمس والقمر ويظهر من كلام الزمخشري انهما مندرجان في الاحد عشر قال
الزمخشري **فان قلت** لم اخر الشمس والقمر **قلت** اخرهما ليعطفهما علي الكواكب علي
طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية علي غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكال
عن الملايكة ثم عطفهما عليهما لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعني مع اي رايت الكواكب مع الشمس
والقمر انتهي والذي يظهر ان التاخر انما هو من باب الترقي من الادني الي الاعلي ولم يبلغ الترقي
في الشمس والقمر جريا علي ما استقر في القران من انه اذا اجتمعا قدمت عليه قال تعالي الشمس والقمر
بحسبان وقال وجمع الشمس والقمر هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وسخر الشمس والقمر
وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها واستمداده منها وعلو مكانها والظاهر
ان رايتهم كرر علي سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل كما كرر انكم في قوله انكم مخرجون لطول الفصل بالظرف
وما تعلق به وقال الزمخشري **فان قلت** ما معني تكرار رايتهم **قلت** ليس
بتكرار انما هو كلام مستانف علي تقدير سوال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رايتها سايلا عن حال رويتها فقال رايتهم لي ساجدين
انتهي وجمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل وهذا سايغ في كلام العرب
وهو ان يعطي الشي حكم الشي للاشتراك في وصفهما وان كان ذلك الوصف اصله ان يختص احدهما والسجود
سجود كرامة كما سجدت الملايكة لادم وقيل كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض ولما خاطب
يوسف اباه بقوله يا ابت وفيها اظهار الطواعية والبر والتنبيه علي محل الشفقة بطبع الابوة
خاطبه ابوه بقوله يا بني تصغير التحبيب والتقريب والشفقة **وقرا** حفص هنا
وفي لقمان يا بني لا تشرك وفي يا بني اقم باسكانها وباقي السبعة بالكسر **وقرا** زيد بن علي لا
تقص مدغما وهو لغة تميم والجمهور بالفك وهي لغة الحجاز والرويا مصدر كالبقيا وقال الزمخشري
الرويا بمعني الروية الا انها مختصة بما كان في النوم دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما
قيل في القربة والقربي انتهي **وقرا** الجمهور رويا والرويا حيث وقعت بالهمز من غير امالة
وقرا الكساي بالامالة وبغير همز وهي لغة اهل الحجاز واخوة يوسف هم كاذ • ويهوذا • ويامين •
ويهوذا ونقتالي • وزبولون • وشمعون • وروبين • ويقال بالام جبريل وجرين وبياخا •
ولاوي • وذان • وياشير • فيكيدوا لك منصوب باضمار ان علي جواب النهي وعدي فيكيدوا باللام
وفي فكيدوني بنفسه فاحتمل ان يكون من باب شكرت زيدا وشكرت لزيد واحتمل ان يكون من باب
التضمين ضمن فكيدوا معني ما يتعدي باللام فكانه قال فيحتالوا لك بالكيد والتضمين ابلغ لدلالته
علي معني الفعلين وللمبالغة اكد بالمصدر ونبه يعقوب علي سبب الكيد وهو ما يزينه الشيطان
للانسان ويسوله له وذلك للعداوة التي بينهما فهو يجتهد دايما ان يوقعه في المعاصي ويدخله
فيها ويحضه عليها وكان يعقوب دلته رويا يوسف السلم علي ان الله تعالي سيبلغه مبلغا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابايه فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه
عن ان يقص روياه لهم وفي خطاب يعقوب ليوسف بنهيه عن ان يقص علي اخوته مخافة كيدهم
دلالة علي تحذير المسلم اخاه المسلم ممن يخافه عليه والتنبيه علي بعض ما لا يليق ولا يكون
ذلك داخلا في باب الغيبة وكذلك يجتبيك ربك اي مثل ذلك الاجتباء وهو ما اراه من
تلك الرويا التي دلت علي جليل قدره وشريف منصبه ومآله الي النبوة والرسالة والملك
ويجتبيك يختارك ربك للنبوة والملك قال الحسن للنبوة وقال مقاتل للسجود لك وقال
الزمخشري لامور عظام ويعلمك من تاويل الاحاديث كلام مستانف ليس داخلا في التشبيه كانه
قال وهو يعلمك قال مجاهد والسدي تاويل الاحاديث عبارة الرويا وقال الحسن عواقب الامور

وقيل

وقيل عامة لذلك ولغيره من المغيبات وقال مقاتل غرايب الرويا وقال ابن زيد العلم والحكمة وقال
الزمخشري الاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها
فكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وساير
الانبيا وما غمض واشتبه علي الناس في اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم
علي مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول
كذا وكذا الا تري الي قوله فباي حديث بعده يومنون الله نزل احسن الحديث كتابا وهي اسم
جمع للحديث وليس بجمع احدوثة انتهي وليس باسم جمع كما ذكر بل هو جمع تكسير لحديث علي غير قياس
كما قالوا باطل واباطيل ولم يات اسم جمع علي هذا الوزن واذا كانوا يقولون في عباديد وشناذير
انهما جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد فكيف لا يكون احاديث واباطيل جمعي تكسير ويتم نعمته عليك
واتمامها بانه تعالي وصل لهم نعمة الدنيا بان جعلهم انبياء وملوكا بنعمة الاخرة بان نقلهم الي اعلي
الدرجات في الجنة وقال مقاتل باعلاء كلمتك وتحقيق رويك وقال الحسن هذا شي اعلمه الله
يعقوب من انه سيعطي يوسف النبوة وقيل بان يحوج اخوتك اليك فيقابل الذنب بالغفران
والاساءة بالاحسان وقيل بانجايك من كل مكروه وال يعقوب الظاهر انهم اولاده ونسلهم اي
اي يجعل النبوة فيهم وقال الزمخشري هم نسله وغيرهم وقيل اهل دينه واتباعهم كما جا في الحديث
من ال ك فقال كل تقي وقيل امراته واولاده الاحد عشر وقيل المراد يعقوب نفسه خاصة واتمام
النعمة علي ابراهيم بالخلة والانجاء من النار واهلاك عدوه نمرود وعلي اسحق باخراج يعقوب
والاسباط من صلبه وسمي الجد وابا الجد ابوين لانهما في عامود النسب كما قال واله ابايك ولهذا
يقولون ابن فلان وان كان بينهما عدة في عمود النسب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم
يضع الاشيا مواضعها وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب يوسف
في قوله وكذلك يجتبيك ربك قيل وعلم يعقوب ذلك من دعوة اسحق حين تشبه بعيصو
لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الي ابينا منا
ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين ايات علامات ودليل علي قدرة الله وحكمته في كل شي للسايلين لمن سال
عنهم وعرف قصتهم وقيل ايات علي نبوة النبي صلي الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب والذي يظهر ان الايات الدلالات
علي صدق الرسول وعلي ما اظهره الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه وصدق روياه
وصحة تاويله وضبط نفسه وقهرها حتي قام بحق الامانة وحدوث السرور بعد الياس وقيل
المعني لمن سال ولمن لم يسال لقوله سوا للسايلين اي سوا لمن سال ولمن لم يسال وحسن الحذف
لدلالة قوة الكلام عليه كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقال ابن عطية وقوله للسايلين يقتضي
تحضيضا للناس علي تعلم هذه الانبا لانه انما المراد ايات للناس فوصفهم بالسوال اذ كل واحد
ينبغي ان يسال عن مثل هذه القصص اذ هي مقر العبر والاتعاظ وتقدم لنا ذكر اسما اخوة يوسف
منقوله من خط الحسين بن احمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ونقلها من خط الشريف
النقيب النسابة ابي البركات محمد بن اسعد الحسيني الجواني محررة بالنقط وتوجد في كتب التفسير
محرفة وكان روبيل اكبرهم وهو ويهوذا وشمعون ولاوي وزبولون ويساخا • شقايق امهم ليا بنت
ليان بن تاهر بن ازر وهي بنت خال يعقوب وذان ونفتالي وكاذ وياشير اربعة من سريتين كانتا
لليا واختها راحيل فوهبتاهما ليعقوب فجمع بينهما ولم يحل الجمع بين الاختين لاحد بعده واسما
السريتين فيما قيل ليا وتلتا وتوفيت ام السبعة فتزوج يعقوب بعدها اختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين وماتت من نفاسه **وقرا** مجاهد وشبل واهل مكة وابن كثير
اية علي الافراد والجمهور ايات وفي مصحف ابي عبرة للسايلين مكان اية والضمير في قالوا عايد علي
اخوة يوسف واخوه هو بنيامين ولما كانا شقيقين اضافوه الي يوسف واللام في ليوسف لام
الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة اي كثرة حبه لهما ثابت لا شبهة فيه واحب افعل
تفضيل وهو مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالي لانه اذا كان ما يتعلق به فاعلا
من حيث المعني عدي اليه بالي واذا كان مفعولا عدي اليه بفي تقول زيد احب الي عمرو من خالد

قوله عزوجل لقد كان في يوسف

فالضمير في احب مفعول من حيث المعني وعمرو هو المحب واذا قلت زيد احب في عمرو من خالد كان
الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الاول محبوب وفي الثاني فاعل ولم يثن احب
لتقديمه من وكان بنيامين اصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت امهما
وحب الصغير والشفقة عليه مركوز في فطرة البشر وقيل لابنة الحسن اي بنيك احب اليك
قالت الصغير حتي يكبر والغايب حتي يقدم والمريض حتي يفيق وقد نظم الشعرا في محبة الولد
الصغير قديما وحديثا ومن ذلك ما قاله الوزير ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري في قصيدة
التي بعث بها الي اولاده وهو في السجن

• وصغيركم عبد العزيز فانني اطوي لفرقته جوي لم يصغر •
• ذاك المقدم في الفواد وان غدا كفواكم في المنتمي والعنصر •
• ان البنان الخمس اكفا معا والحلي دون جميعها للخنصر •
• واذا الفتي فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحب الاصغر •

ونحن عصبة جملة حالية اي نفضلهما علينا في المحبة وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن
جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما وروي النزال بن سبرة
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ونحن عصبة وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة فيكون الخبر محذوفا
وهو عامل في عصبة وانتصب عصبة علي الحال وهذا كقول العرب حكمك مسمطا حذف الخبر
قال المبرد قال الفرزدق • يا لهذم حكمك مسمطا • اراد لك حكمك مسمطا واستعمل
هذا فكثر حتي حذف استخفافا لعلم السامع ما يريد القايل كقولك الهلال والله اي هذا الهلال
والمسمط المرسل غير المردود وقال ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته انتهي
وليس مثله لان عصبة ليس مصدرا ولا هيية فالاجود ان يكون من باب حكمك مسمطا وقدر
بعضهم حكمك ثبت مسمطا وعن ابن عباس العصبة ما زاد علي العشرة وعن مجاهد من عشرة الي
خمسة عشر وعن مقاتل عشرة وعن ابن جبير ستة او سبعة وقيل ما بين الواحد الي العشرة وقيل
الي خمسة عشر وعن الفرا عشرة فما زاد وعن ابن زيد والزجاج وابن قتيبة العصبة الجماعة
ولا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط وفي الزهراوي ثلاثة نفر فاذا زادوا فهم رهط الي
التسعة فاذا زادوا فهم عصبة ولا يقال لاقل من عشرة عصبة والضلال هنا هو الهوي قاله
ابن عباس او الخطا من الراي قاله ابن زيد او الجور في الفعل قاله ابن كامل او الغلط في
امر الدنيا روي انه بعد اخباره لابيه بالرويا كان يضمه كل ساعة الي صدره وكان قلبه
ايقن بالفراق فلا يكاد يصبر عنه والظاهر ان اقتلوا يوسف من جملة قولهم وقيل هو من
قول قوم استشارهم اخوة يوسف فيما يفعلونه فقالوا ذلك والظاهر ان او اطرحوه هو
من قولهم ان يفعلوا به احد الامرين ويجوز ان تكون او للتنويع اي قال بعض اقتلوا يوسف
وبعض اطرحوه وانتصب ارضا علي اسقاط حرف الجر قاله الحوفي وابن عطية اي في ارض
بعيدة من الارض التي هو فيها قريب من ارض يعقوب وقيل مفعول ثان علي تضمين اطرحوه
معني انزلوه كما تقول انزلت زيدا الدار وقالت فرقة ظرف واختاره الزمخشري وتبعه
ابو البقا قال الزمخشري ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معني تنكيرها واخلايها
من الناس ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة وقال ابن
عطية وذلك خطا يعني كونها منصوبة علي الظرف قال لان الظرف ينبغي ان يكون مبهما
وهذه ليست كذلك بل هي ارض مقيدة بانها بعيدة او قاصية او نحو ذلك فزال بذلك
ابهامها ومعلوم ان يوسف لم يخل من الكون في ارض فتبين انهم ارادوا ارضا بعيدة
غير التي هو فيها قريب من ابيه انتهي وهذا الرد صحيح لو قلت جلست دارا
بعيدة او قعدت مكانا بعيدا لم يصح الا بواسطة في ولا يجوز حذفها الا في ضرورة شعر
او مع دخلت علي الخلاف في دخلت اهي لازمة او متعدية والوجه هنا قيل الذات
اي يخل لكم ابيكم وقيل هو استعارة عن شغله بهم وصرف مودته اليهم لان من اقبل عليك
صرف وجهه اليك وهذا كقول نعامة حين احبته امه لما قتل اخوته وكانت قبل لا تحبه
قال الثكل ارامها اي عطفها والضمير في بعده عايد علي يوسف او قتله او طرحه وصلاحهم

اما صلاح حالهم عند ابيهم وهو قول مقاتل او صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل وهذا
اظهر وهو قول الجمهور منهم الكلبي واحتمل تكونوا ان تكون مجزوما عطفا علي مجزوم او منصوبا
علي اضمار ان والقايل لا تقتلوا يوسف روبيل قاله قتادة وابن اسحق او شمعون قاله مجاهد
او يهوذا وكان احلمهم واحسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم قاله
السدي او دان اربعة اقوال وهذا عطف منهم علي اخيهم لما اراد الله من انفاذ قضايه وابقاء
علي نفسه وسبب لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة وهو اتلاف النفس بالقتل قاله الهروي
الغيابة في الجب شبه لحف او طاق في البير فويق الما يغيب ما فيه عن العيون وقال الكلبي الغيابة
تكون في قعر الجب لان اسفله واسع وراسه ضيق فلا يكاد الناظر يري ما في جوانبه وقال
الزمخشري غوره وهو ما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله انتهي ومنه قيل للقبر غيابة

قال المنخل السعدي

• فان انا يوما غيبتني غيابتي • فسيروا بسيري في العشيرة والاهل

وقرا الجمهور غيابة علي الافراد ونافع غيابات علي الجمع جعل كل جز مما يغيب فيه غيابة
وقرا ابن هرمز غيابات بالتشديد والجمع والذي يظهر انه سمي باسم الفاعل الذي
للمبالغة فهو وصف في الاصل والحقه ابو علي بالاسم الجاري علي فعال نحو ما ذكر من الفياد
ووجدت من ذلك المنار المرح والفخار الخزف وقال صاحب اللوامح يجوز ان يكون علي فعالات
كحمامات ويجوز ان يكون علي فيعالات كشيطانات في جمع شيطانة وكل للمبالغة وقرا
الحسن في غيبة فاحتمل ان تكون في الاصل مصدرا كالغلبة واحتمل ان يكون جمع غايب كصانع
وصنعة في حرف ابي في غيبة بسكون اليا وهي ظلمة الركية وقال قتادة في جماعة الجب بير بيت
المقدس وقال وهب بارض الاردن وقال مقاتل علي ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وقيل بين مدين
ومصر وقرا الحسن ومجاهد وقتادة وابو رجا تلتقطه بالتا انث علي المعني كما قال

• اذا بعض السنين تعرقتنا • كفي الايتام فقد ابي اليتيم

والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الارض والظاهر ان الجب كان فيه ما ولذلك قالوا يلتقطه
بعض السيارة وقيل كان فيه ما كثير يغرق يوسف فنشز حجر من اسفل الجب حتي ثبت يوسف عليه
وقيل لم يكن فيه ما فاخرجه الله فيه حتي قصده الناس وروي انهم رموه بحبل في الجب فتماسك
بيديه حتي ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينيذ وهموا بعد برضخه بالحجارة فمنعهم اخوهم
المشير بطرحه من ذلك ومفعول فاعلين محذوف اي فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه
وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا علي يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له
لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون قالوا لين اكله
الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون لما تقرر في اذهانهم التفريق بين يوسف وابيه اعملوا الحيلة علي
يعقوب وتلطفوا في اخراجه معهم وذكروا نصحهم له وما في ارساله معهم من انشراح صدره بالارتقاع
واللعب هو ما يشرح الصبيان وذكروا حفظهم له مما يسوءه وفي قولهم ما لك لا تامنا دليل علي انهم
تقدم منهم سوال في ان يخرج معهم وذكروا سبب الامن وهو النصح اي لم لا تامنا عليه وحالتنا هذه
والنصح دليل علي الامانة ولهذا قرنا في قوله ناصح امين وكان قد احس منهم قبل ما اوجب ان لا يامنهم
عليه ولا تامنا جملة حالية وهذا الاستفهام صحبه معني التعجب وقرا زيد بن علي وابو
جعفر والزهري وعمرو بن عبيد بادغام نون تامن في نون الضمير من غير اشمام وبعد مالك والمعني
ارشد الي نبي لا نهي وليس كقولهم ما احسننا في التعجب لانه لو ادغم لالتبس بالنفي وقرا
الجمهور بالادغام والاشمام للضم وعنهم اخفا الحركة فلا يكون ادغاما محضا وقرا ابن هرمز
بضم الميم فتكون الضمة منقولة الي الميم من النون الاولي بعد سلب الميم حركتها وادغام النون
في النون وقرا ابي والحسن وطلحة بن مصرف والاعمش لا تامننا بالاظهار وضم النون
علي الاصل وخط المصحف بنون واحدة وقرا ابن وثاب وابو رزين لا تيمنا علي لغة تميم وسهل
الهمزة بعد الكسرة ابن وثاب وفي لفظة ارسله دليل علي انه كان يمسكه ويصحبه دايما وانتصب غدا
علي الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق علي اليوم الذي يلي يومك وعلي الزمن المستقبل من غير تقييد
باليوم الذي يلي يومك واصله غدو فحذفت لامه وقد جاء تاما وقرا الجمهور نرتع ونلعب

قوله عز وجل قالوا يا ابانا

بالياء والجزم والابنان وابو عمرو بالنون والجزم وكسر العين الحرميان واختلف عن قنبل في اثبات اليا وحذفها
وروي عن ابن كثير ويلعب بالياء وهي قراة جعفر بن محمد وقراء العلاء بن سيابة يرتع بالياء
وكسر العين مجزوما محذوف اللام ويلعب بالياء وضم الباء خبر مبتدا محذوف اي وهو يلعب
وقراء مجاهد وقتادة وابن محيصن نرتع بنون مضمومة من ارتعنا ونلعب بالنون وكذلك
ابو رجاء الا انه بالياء فيهما يرتع ويلعب والقراتان على حذف المفعول اي نرتع المواشي او غيرها
وقراء النخعي نرتع بنون ويلعب بيا باسناد اللعب الى يوسف وحده لصباه وجاء كذلك
عن ابن ابي اسحاق ويعقوب وكل هذه القراءات الفعلان فيها مبنيان للفاعل وقرا زيد بن علي
يرتع ويلعب بضم اليائين مبنيا للمفعول وتخريجها على انه اضمر المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ضمير
غد وكان اصله يرتع فيه ويلعب فيه ثم حذف واتسع فعدي الفعل للضمير فكان التقدير يرتعه
ويلعبه ثم بناه للمفعول فاستكن الضمير الذي كان منصوبا لكونه ناب عن الفاعل واللعب هنا
هو الاستباق والانتضال يتدربون بذلك لقتال العدو وسموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يكن
ذلك للهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان لعب لهو ما اقرهم عليه يعقوب ومن كسر العين
من يرتع فهو نفتعل قال مجاهد هي من المراعاة اي يراعي بعضنا بعضا ويحرسه وقال ابن زيد من
رعي الابل اي نتدرب في الرعي وحفظ المال او من رعي النبات والكلاء اي نرتع على حذف مضاف
اي مواشينا ومن اثبت اليا فقال ابن عطية هي قراة ضعيفة لا تجوز الا في الشعر كقول
الشاعر

الم ياتيك والانباء تنمي ❊ بما لاقت لبون بني زياد ❊ انتهى ❊

وقيل تقدير حذف الحركة في اليا لغة فعلى هذا لا تكون ضرورة ومن قرا بسكون العين فالمعنى
نقم في خصب وسعة ويعنون من الاكل والشرب وانا له لحافظون جملة حالية والعامل فيها الامر
او الجواب ولا يكون ذلك من باب الاعمال لان الحال لا تضمر وباب الاعمال لابد فيه من الاضمار
اذا اعمل الاول ثم اعتذر لهم يعقوب بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن
لمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذيب ان غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او بقلة
اهتمامهم بحفظه وعنايتهم فيا كله ويحزن عليه الحزن المؤبد وخص الذيب لانه كان السبع الغالب
على قطره او لصغر يوسف فخاف عليه هذا السبع الحقير وكان تنبيها على خوفه عليه ما هو اعظم
افتراسا ولحقارة الذيب خصه الربيع بن ضبع الفزاري في كونه يخشاه لما بلغ من السن في قوله

❊ والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا ❊

وكان يعقوب بقوله واخاف ان ياكله الذيب لقنهم ما يقولون من العذر اذا جاوا وليس معهم
يوسف فلقنوا ذلك وجعلوه عدة للجواب وتقدم خلاف القرا في يحزن وقرا زيد بن
علي وابن هرمز وابن محيصن ليحزني بتشديد النون والجمهور بالفك وليحزنني مضارع مستقبل
لا حال لان المضارع اذا اسند الى متوقع يخلص للاستقبال لان ذلك المتوقع مستقبل وهو السبب
لاثره فمحال ان يتقدم الاثر عليه فالذهاب لم يقع فالحزن لم يقع كما قال الشاعر

❊ يهولك ان تموت وانت ملغ ❊ لما فيه النجاة من العذاب ❊

وقراء زيد بن علي تذهبوا به من اذهب رباعيا ويخرج على زيادة البا فيه كما خرج بعضهم تنبت
بالدهن في قراة من ضم التا وكسر البا اي تنبت الدهن ويذهبوه وقراء الجمهور الذيب
بالهمز وهي لغة الحجاز وقراء الكسائي وورش وحمزة اذا وقف بغير همز وقال نصر سمعت
ابا عمرو لا يهمز وعدل اخوة يوسف عن احد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن
وابهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب وعدلوا الى قصة الذيب وهو السبب الاقوى في منعه
ان يذهبوا به فحلفوا له لين كان ما خافه من خطفه الذيب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة
رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا
وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانهم لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون بان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل
ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرنا وروي ان يعقوب راى في منامه
كانه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي فاذا عشرة من الذياب قد احتوشته يريدن اكله
فدراعته واحد ثم انشقت الارض فتوارى يوسف فيها ثلثة ايام ❊ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه

قوله عز وجل فلما ذهبوا به

في

في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين
وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما
يعملون ❊ حكي انهم قالوا ليوسف اطلب من ابيك ان يبعثك معنا فاقبل على يوسف فقال اتحب ذلك
قال نعم قال يعقوب اذا كان غدا اذنت لك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وخرج
مع اخوته فشيعهم يعقوب وقال يا بني اوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف ثم اقبل على يوسف وضمه
الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف فحملوا يوسف على اكتافهم
ما دام يعقوب يراهم ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعدو معهم اضرارا به وذكر المفسرون اشيا كثيرة
تتضمن كيفية القايه في غيابة الجب ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون الا قساوة
ولم يتعرض القران ولا الحديث الصحيح لشي منها فيوقف عليها في كتب التفسير وبين هذه الجملة
والجمل التي قبلها محذوف يدل عليه المعنى تقديره فاجابهم الى ما سالوه وارسل معهم يوسف
فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا واتفقوا على القائه في الجب وان يجعلوه مفعول اجمعوا يقال
اجمع الامر وازمعه بمعنى العزم عليه واحتمل ان يكون الجعل هنا بمعنى الالقاء وبمعنى التصيير
واختلفوا في جواب لما اهو مثبت او محذوف فمن قال مثبت قال هو قولهم قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي لما كان كيت وكيت قالوا وهو تخريج حسن وقيل هو اوحينا والواو زايدة وهذا على
مذهب الكوفيين يزاد بعدهم بعد لما وحتى واذا وعلى ذلك خرجوا قوله فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه اي ناديناه وقوله حتى اذا جاوها وفتحت اي فتحت وقول امري القيس

❊ فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ❊ اي انتحى ❊

ومن قال هو محذوف وهو راي البصريين فقدره الزمخشري فعلوا به ما فعلوا من الاذى وحكي الحكاية
الطويلة فيما فعلوا به وما حاوروه وحاورهم به وقدره بعضهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب عظمت فتنتهم وقدره بعضهم جعلوه فيها وهذا اولى اذ يدل عليه قوله واجمعوا
ان يجعلوه والظاهر ان الضمير في واوحينا اليه عايد على يوسف وهو وحي الهام قاله مجاهد
وروي عن ابن عباس او منام وقال الضحاك وقتادة نزل عليه جبريل في البير وقال
الحسن اعطاه الله النبوة في الجب وكان صغيرا كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وهو ظاهر اوحينا
ويدل على ان الضمير عايد على يوسف قوله لهم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
وقيل الضمير في اليه عايد على يعقوب وانما اوحي اليه ليانس في الظلمة والوحدة ولتبشير بما يؤول
يؤول اليه امره ومعناه لتتخلص مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
جملة حالية من قوله لتنبئنهم اي غير عالمين انك يوسف وقت التنبيه قاله ابن جريج وذلك لعلو
شانك وعظمة سلطانك وبعد حالك عن اذهانهم ولطول المبدل للهيئات والاشكال وذكر انهم
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضع على يده ثم نقره فطن فقال
انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم
به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبيع بثمن بخس ويجوز ان تكون وهم لا يشعرون
حالا من قوله واوحينا اي وهم لا يشعرون قاله قتادة اي بايحاينا اليك وما اخبرناك به من نجاتك
وطول عمرك الى ان تنبيهم بما فعلوا بك وقراء الجمهور لتنبئنهم بتاء الخطاب وابن عمر بيا الغيبة
وكذا في بعض مصاحف البصرة وقراء سلام بالنون والذي يظهر من سياق الاخبار والقصص
ان يوسف كان صغيرا فقيل كان عمره اذ ذاك سبع سنين وقيل ست قاله الضحاك وابعد من ذهب
الى انه اثنتا عشرة سنة او ثمان عشرة سنة وكلاهما عن الحسن او سبع عشرة سنة قاله ابن السايب
ويدل على انه كان صغيرا بحيث لا يدفع عن نفسه قوله واخاف ان ياكله الذيب ويرتع ويلعب وانا
له لحافظون واخذ السيارة له وقول الوارد هذا غلام وقول العزيز عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وما حكي من حملهم اياه واحد ابعد واحد من كلامه لاخيه يهوذا ارحم ضعفي وعجزي وحداثة سني
وارحم قلب ابيك يعقوب ومن هو ابن ثمان عشرة او سبع عشرة سنة لا يخاف عليه من الذيب ولاسيما
ان كان في رفقة ولا يقال فيه وانا له لحافظون لانه اذ ذاك قادر على التحيل في نجاة نفسه ولا يسمى

غلاما الا المجاز ولا ينادد فيه او نتخذه ولدا وعشا نصب على الظرف او من العشوة والعشوة الظلام
فجمع على فعال مثل راع ورعاء ويكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن عشا على وزن دجى جمع
عاش حذفت منه الهاء كما حذفت في مالك واصله مالكة وعن الحسن عشيا على التصغير قيل وانما
جاؤا عشيا ليكونوا اقدر على الاعتذار في الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء
في العينين ولا تعتذر في النهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار وفي الكلام حذف تقديره
وجاؤا اباهم دون يوسف عشاء يبكون فقال اين يوسف قالوا انا ذهبنا نستبق وروي
ان يعقوب لما سمع بكاءهم قال ما بالكم اجرى في الغنم شي قالوا لا قال فاين يوسف قالوا انا
ذهبنا نستبق فاكله الذئب فبكا وصاح وخر مغشيا عليه فافاضوا عليه الماء فلم يتحرك
ونادوه فلم يجب ووضع يهوذا يده على مخارج نفسه فلم يحس بنفس ولا تحرك له عرق فقال
ويل لنا من ديان يوم الدين ضيعنا اخانا وقتلنا ابانا فلم يفق الا ببرد السحر قال الاعمش
لا يصدق باك بعد اخوة يوسف ونستبق اي نترامى بالسهام او نتجارى على الاقدام اينا اشد
عدوا او نستبق في اعمال نتوزعها من سقي ورعي واحتطاب او ننتضل ارسعة اقوال
عند متاعنا اي عند ثيابنا وما تجردنا له حالة الاستباق وهذا ايضا يدل على صغر يوسف
اذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة او سبع عشرة لكان يستبق معهم فاكله الذئب قد ذكرنا انهم
تلقنوا هذا الجواب من قول ابيهم واخاف ان ياكله الذئب لان اكل الذيب اياه كان اغلب
ما كان خاف عليه وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا على كل حال حتى في حالة الصدق لما
غلب عليك من تهمتنا وكراهتنا في يوسف وانا نرتاد له الغوايل ونكيد له المكايد واوهموا
بقولهم ولو كنا صادقين انهم صادقون في اكل الذيب يوسف فيكون صدقهم مقيدا بهذه
النازلة او من اهل الصدق والثقة عند يعقوب قبل هذه النازلة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيي الظن بنا في هذه النازلة غير واثق بقولنا فيه روي انهم اخذوا جديا
او سخلة فذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قميص يوسف فاخذه
ولطخ به وجهه وبكى ثم تامله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل بذلك على خلاف ما زعموا
وقال لهم متى كان الذيب حليما ياكل يوسف ولا يخرق قميصه قيل كان في قميص يوسف
ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على ان يوسف لم ياكله الذيب والقاه على وجهه فارتد
بصيرا ودليلا على براة يوسف حين قد من دبر قال الزمخشري **فان قلت** على قميصه
ما محله **قلت** محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول
جاء على جماله باحمال **فان قلت** هل يجوز ان يكون حالا متقدمة **قلت**
لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساعد المعنى على نصب على على الظرف بمعنى فوق
لان العامل فيه اذ ذاك جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وقال الحوفي
على متعلق بجاؤا ولا يصح ايضا واما المثال الذي ذكره الزمخشري وهو جاء على جماله باحمال
فيمكن ان يكون ظرفا للجاي لانه يمكن الظرفية فيه باعتبار تبدله من جمل على جمل ويكون باحمال
في موضع الحال اي مصحوبا باحمال وقال ابو البقاء على قميصه في موضع نصب حالا من الدم
لان التقدير جاؤا بدم كذب على قميصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزايد
في جوازه خلاف ومن اجاز استدل على ذلك بانه موجود في لسان العرب وانشد واعلى ذلك
شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ما قاله ابو البقاء **وقرا** الجمهور
كذب وصف لدم على سبيل المبالغة او على حذف مضاف اي ذي كذب لما كان دالا على الكذب
وصف به وان كان الكذب صادرا من غيره **وقرا** زيد بن علي كذبا بالنصب فاحتمل
ان يكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا من اجله **وقرات** عايشة والحسن
كدب بالدال غير معجمة وفسر بالكدر وقيل الطري وقيل اليابس وقال صاحب اللوامح ومعنا
ذي كدب اي اثر لان الكدب هو بياض يخرج في اظافير الشبان ويوثر فيها فهو كالنقش ويسمى
ذلك البياض الفوف فيكون هذا استعارة لتاثيره في القميص كتاثير ذلك في الاظافير
قال بل سولت هنا محذوف تقديره لم ياكله الذيب بل سولت قال ابن عباس امرتكم امرا وقال قتادة

زينت وقيل رضيت امرا اي صنيعا قبيحا وقيل سهلت فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل امثل **وقرا** ابي والاشهب وعيسى بن عمر فصبرا جميلا بنصبهما وكذا هي في مصحف
ابي ومصحف انس بن مالك وروي كذلك عن الكساي ونصبه على المصدر الخبري اي فاصبر
صبرا جميلا قيل وهي قراة ضعيفة عند س ولا يصلح النصب في مثل هذا الا مع الامر
ولذلك يحسن النصب في قوله ٥ شكى الي جملي طول السرى ٥ صبرا جميلا فكلانا مبتلى ٥
ويروي صبر جميل في البيت وانما تصح قراة النصب على ان يقدر ان يعقوب رجع الى مخاطبة
نفسه فكانه قال فصبري يا نفس صبرا جميلا وفي الحديث ان الصبر الجميل انه الذي لا شكوى
فيه اي الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقيل الجميل ان صبري
فلا اعاشركم على كابة الوجه وعبوس الجبين بل على ما كنت عليه معكم وقال الثوري من
الصبر ان لا تحدث بما يوجعك ولا بمصيبتك ولا تبكي نفسك والله المستعان اي المطلوب
منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية وجاءت سيارة
قيل كانوا من مدين قاصدين الى مصر وقيل في الكلام حذف تقديره واقام يوسف
في الجب ثلاثة ايام وكان اخوه يهوذا ياتيه بالطعام خفية من اخوته وقيل جاءت السيارة
في اليوم الثاني من طرحه في الجب وقيل كان التسبيح غذاءه في الجب وقيل كانت السيارة
تايهة تسير من ارض الى ارض وقيل سيارة في الطريق اخطؤه فنزلوا قريبا من الجب وكان
في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وفيهم مالك بن ذعر الخزاعي فارسلوه ليطلب
لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم واضافة الوارد للضمير كاضافته في قوله
الفيت كاسبهم ليست اضافته الى المفعول بل المعنى الذي يرد لهم والذي يكسب لهم والظاهر
ان الوارد واحد وقال ابن عطية والوارد هنا يمكن ان يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى
وحمل على معنى السيارة في قوله فارسلوا ولو حمل على اللفظ لكان التركيب فارسلت
واردها فادلى دلوه اي ارسلها ليستقي الماء قال يا بشراي في الكلام حذف تقديره
فتعلق يوسف بحبل الدلو فلما بصر به المدلي قال يا بشراي وتعلقه بالحبل يدل على صغره
اذ لو كان ابن ثمانية عشر او سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظه غلام يرجح ذلك اذ يطلق
عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد يطلق على الرجل الكامل لقول ليلى الاخيلية
في الحجاج بن يوسف غلام اذا هز القناة سقاها وقوله يا بشراي هو على سبيل السرور
والفرح بيوسف اذ راى احسن ما خلق وابعد السدي في زعمه ان بشرى اسم رجل واضاف
البشرى الى نفسه كانه قال تعالى فهذا من اوانك وقرا يا بشرى بغير اضافة الكوفيون
وروى ورش عن نافع يا بشراي بسكون ياء الاضافة وهو جمع بين ساكنين على غير حده
وتقدم تقرير مثله في ومحياي **وقرا** ابو الطفيل والحسن وابن ابي اسحق والجحدري يا بشري
بقلب الالف ياء وادغامها في ياء الاضافة وهي لغة لهذيل ولناس غيرهم تقدم الكلام عليها
في البقرة في فمن تبع هداي قيل ذهب به الوارد فلما دنا من اصحابه صاح بذلك فبشرهم
به واسروه الظاهر ان الضمير للسيارة التي الوارد منهم اي اخفوه من الرفقة او كتموا امره
من وجدانهم له في الجب وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقال ابن عباس
الضمير في واسروه وشروه لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام قد ابق لنا فاشتروه
منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وذلك انه روي ان بعضهم رجعوا الى الجب ليتحققوا
امر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده فلما علموا ان الوارد قد اخذوه جاؤهم
وقالوا تلك المقالة وانتصب بضاعة على الحال اي متجرا لهم ومكسبا والله عليم بما
يعملون اي لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استضعفوا ما لبس لهم او والله
عليم بعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وفي ذلك اعظم تذكار لما فعلوا بيوسف
قيل اوحى الله اليه في الجب ان لا يطلع اباه ولا غيره على حاله لحكمة اراد امضاءها وظهر بعد
ذلك ما جرى له من جعله على خزاين الارض واحواج اخوته اليه ورفع ابويه على العرش وما
جرى مجرى ذلك مما كان مكنونا في القدر وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك

قوله عز وجل وشروه بثمن بخس

مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب علي امره ولكن اكثر الناس لايعلمون
ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ٭ شري بمعني باع وبمعني اشتري قال
يزيد بن مفرغ الحميري وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه اي بعت بردا وبرد اغلامه وقال
الاخر
ولو ان هذا الموت يقبل فدية ٭ شريت ابازيد بما ملكت يدي ٭
اي اشتريت ابازيد والظاهر ان الضمير في وشروه عايد علي السيارة اي وباعوا يوسف ومن قال
ان الضمير في واسروه عايد علي اخوة يوسف جعله هنا عايدا عليهم اي وباعوا اخاهم يوسف
بثمن بخس وبخس مصدر وصف به بمعني منخوس قال مقاتل زيف ناقص العيار وقال عكرمة
والشعبي قليل وهو معني قول الزمخشري ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا وقال ابن قتيبة البخس
الخسيس الذي بخس به البايع وقال ابن قتيبة بخس ظلم لانهم ظلموه في بيعه وقال ابن عباس ٭
والضحاك وقتادة ايضا في اخرين بخس حرام وقال ابن عطاء انما جعله بخسا لانه عوض نفس
شريفة لا تقابل بعوض وان جل انتهي وذلك ان الذين باعوه ان كانوا الواردة فانهم لم يعطوا
به ثمنا فما اخذوا به ربح كله وان كانوا اخوته فالمقصود خلو وجه ابيهم منه لا ثمنه ودراهم
بدل من ثمن فلم يبيعوه بدنانير ومعدودة اشارة الي القلة وكانت عادتهم انهم لايزنون
الا ما بلغ اوقية وهي اربعون درهما لان الكثرة يعسر فيها العد بخلاف القليلة قال عكرمة
في رواية عن ابن عباس وابن اسحاق اربعون درهما وقيل ثلاثون درهما ونعلان وحلة وقال
السدي كانت اثنين وعشرين درهما كذا نقله الزمخشري عنه ونقله ابن عطية عن مجاهد اخذها
اخوة يوسف درهمين درهمين وصاحب التحرير عنه وعن ابن عباس وقال ابن مسعود وابن
عباس في رواية وعكرمة في رواية ونوف الشامي ووهب والشعبي وعطية والسدي ومقاتل
في اخرين عشرون درهما وعن ابن عباس ايضا عشرون وحلة ونعلان وقيل ثمانية عشر درهما
اشتروا بها اخفافا ونعالا وقيل عشرة دراهم والظاهر عود الضمير في فيه الي يوسف
اي لم يعلموا مكانه من الله قاله الضحاك وابن جريج وقيل يعود علي الثمن وزهدهم فيه لرداءة
الثمن او لقصد ابعاد يوسف لا الثمن وهذا اذا كان الضمير في وشروه وكانوا عايدا علي اخوة
يوسف فاما اذا كان عايدا علي السيارة فزهدهم فيه لكونهم ارتابوا فيه او لوصف اخوته
له بالخيانة والاباق او لعلمهم انه حر وقال الزمخشري من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به لايبالي بما باعه ولانه يخاف
ان يعرض له مستحق فينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معني
وشروه اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا فيه انه آبق
فخافوا ان يخاطروا بما لهم فيه وروي ان اخوته اتبعوه يقولون استوثقوا منه لاياْبق انتهي
وفيه تقدم نظيره في اني لكما لمن الناصحين وانه خرج تعلق الجار اما باعني مضمرة او بمحذوف
يدل عليه من الزاهدين اي وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين او بالزاهدين لانه يتسامح
في الجار والظرف فيجوز فيهما ما لايجوز في غيرهما وقال الذي اشتراه من مصر ذكروا اقوالا
متعارضة فيمن اشتراه وفي الثمن الذي اشتراه به ولا يتوقف تفسير كتاب الله علي تلك
الاقوال المتعارضة فقيل اشتراه رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حيوة يوسف
قيل وهو اذ ذاك الملك بمصر واسمه الريان بن الوليد بن بزوان بن اراشة بن فاران بن
ابن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح فملك بعده قابوس بن مصعب بن نمر بن السلواس
ابن فاران بن عمرو والمذكور في نسب الريان فدعاه يوسف الي الايمان فابي فاشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة
والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن ماية وعشرين سنة وقيل كان الملك
في ايامه فرعون موسي عاش اربعماية سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل
فرعون موسي من اولاد فرعون يوسف وقيل عرض في السوق وكان اجمل الناس فوقعت فيه
مزايدة حتي بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه وهو كان صاحب
الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة واسم
العزيز قطفير قاله ابن عباس وقيل قنطور واسم امراته راعيل وقيل زليخا قال ابن عطية

وظاهر

وظاهر امر العزيز انه كان كافرا ويدل علي ذلك كون الصنم في بيته حسبما يذكر وقال مجاهد كان مسلما
واسم امراة العزيز راعيل بنت رعايل وقال السدي العزيز هو الملك واسم امراته زليخا
بنت تمليخا ومثواه مكان اقامته وهو كناية عن الاحسان اليه في ماكل ومشرب وملبس ولام لامراته
متعلق بقال فهي للتبليغ نحو قلت لك لا باشتراه عسي ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور ٭
وعرف مجاريها نستعين به علي بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفايته او نتبناه ونقيمه مقام
الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك وكذلك اي مثل ذلك التمكين
من قلب العزيز حتي عطف عليه وامر امراته باكرام مثواه مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر
يتصرف فيها بامره ونهيه اي حكمناه فيها ولام ولنعلمه متعلقة بمحذوف اما قبله اي لنملكه ولنعلمه
واما بعده اي ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين او الواو مقحمة اي مكنا
ليوسف في الارض لنعلمه وكل مقول والاحاديث الروي قاله مجاهد وقيل احاديث الانبيا والامم
و في الضمير في علي امره الظاهر عوده علي الله قاله ابن جبير لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد
ويقضي او علي يوسف قاله الطبري اي يدبره ولا يكله الي غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراده الله ودبره واكثر الناس المنفي عنهم العلم هم الكفار قاله ابن عطية وقال
الزمخشري لايعلمون ان الامر بيد الله وقيل المراد بالاكثر الجميع اي لا يطلعون علي غيبه وقيل
المراد باكثر الناس اهل مصر وقيل اهل مكة والاشد عند س جمع واحده شدة كنعمة
وانعم وقال الكساي شد واشد نحو صك واصك وقال الشاعر
٭ عهدي به شد النهار كانما ٭ خضب البنان وراسه بالعظلم ٭
وزعم ابو عبيدة انه لا واحد له من لفظه عند العرب والاشد بلوغ الحلم قاله الشعبي وربيعة وزيد
ابن اسلم او سبعة عشر عاما الي نحو الاربعين قاله الزجاج او ثمانية عشر قاله عكرمة ورواه ابو
صالح عن ابن عباس او عشرون قاله الضحاك او احدي وعشرون سنة او ثلاثون او ثلاثة وثلاثون
قاله مجاهد وقتادة ورواه ابن جبير عن ابن عباس او ثمان وثلاثون حكاه ابن قتيبة او اربعون
قاله الحسن وسيل القاضي النحوي مهذب الدين محمد بن علي بن علي بن ابي طالب الخيمي عن الاشد
فقال هو خمسة وثلثون وتمامه اربعون وقيل اوصاه اثنان وستون والحكم الحكمة والعلم النبوة
وقيل الحكم بين الناس والعلم الفقه في الدين وهذا اشبه لمجي قصة المراودة بعد هذه القصة
وكذلك اي مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضي بالمقادير نجزي المحسنين وفيه تنبيه علي ان يوسف
عليه السلام كان محسنا في عنفوان شبابه فاتاه الله الحكم والعلم جزاء علي احسانه وعن الحسن
من احسن عبادة الله في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله وقال ابن عباس المحسنين المهتدين
وقال الضحاك الصابرين علي النوايب ٭ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به
وهم بها لولا ان راي برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
المراودة المطالبة برفق من راد يرود اذا ذهب وجاء وهي مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وكني
عن طلب النكاح والمخادعة لاجله كان المعني وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التي
هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامراة العزيز سترا علي الحرم والعرب تضيف البيوت الي النسا
فتقول ربة البيت وصاحبة البيت قال الشاعر ٭ يا ربة البيت قومي غير صاغرة ٭
وغلقت الابواب هو تضعيف تكثير بالنسبة الي وقوع الفعل بكل باب قيل وكانت سبعة ابواب
هيت اسم فعل بمعني اسرع ولك للتبيين اي لك اقول امرته بان يسرع اليها وزعم الكساي والفرا
انها لغة حورانية وقعت الي اهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وقاله عكرمة وقال ابو زيد
هي عبرانية هيتلج اي تعال فاعربه القران وقال ابن عباس والحسن بالسريانية وقال السدي بالقبطية
هلم لك وقال مجاهد وغيره عربية تدعوه بها الي نفسها وهي كلمة حث واقبال انتهي ولا يبعد
اتفاق اللغات في لفظ فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم وقال الجوهري هوت
وهيت به صاح به فدعاه ولا يبعد ان يكون مشتقا من اسم الفعل كما اشتقوا من الجمل نحو سبح وحمدل
ولما كان اسم فعل لم يبرز فيه الضمير بل يدل علي رتبة الضمير بما يتصل باللام من الخطاب نحو
هيت لك وهيت لكما وهيت لكم وهيت لكن وقرا نافع وابن ذكوان والاعرج وشيبة

قوله عز وجل وراودته

وابو جعفر هيت بكسر الهاء بعدها يا ساكنة وفتح التاء والحلواني عن هشام كذلك الا انه همز وعلي وابو وايل وابو رجاء ويحيي وعكرمة ومجاهد وقتادة وطلحة والمقري وابن عباس وابن عامر في رواية عنهما وابو عمرو في رواية وهشام في رواية كذلك الا انهم ضموا التاء وزيد بن علي وابن ابي اسحق كذلك الا انهما سهلا الهمزة وذكر النحاس انه قري بكسر الهاء بعدها يا ساكنة وكسر التاء **وقرا** ابن كثير واهل مكة بفتح الهاء وسكون اليا وضم التا وباقي السبعة ابو عمرو والكوفيون وابن مسعود والحسن والبصريون كذلك الا انهم فتحوا التا وابن عباس وابو الاسود وابن ابي اسحاق وابن محيصن وعيسي البصرة كذلك الا انهم كسروا التاء وعن ابن عباس هييت مثل حييت فهذه تسع قرات هي فيها اسم فعل الا قراة ابن عباس الاخيرة فانها فعل مبني للمفعول مسهل الهمزة من هيات الشي والامن ضم التا وكسر الهاء سواء همز ام لم يهمز فانه يحتمل ان يكون اسم فعل كحالها عند فتح التا اوكسرها ويحتمل ان يكون فعلا رافعا ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيي اذا احسن هييته علي مثال جا يجي او بمعني تهياءت يقال هيت وتهيات بمعني واحد فاذا كان فعلا تعلقت اللام به وفي هذه الكلمة لغات اخر وانتصب معاذ الله علي المصدر علي المصدر اي عيا ذا بالله من فعل السوء والضمير في انه الاصح ان يعود علي الله اي ان الله ربي احسن مثواي اذ نجاني من الجب واقامني في احسن مقام واما ان يكون ضمير الشان وعني بربه سيده العزيز فلا يصلح لي ان اخونه وقد اكرم مثواي وايتمني قاله مجاهد والسدي وابن اسحق ويبعد جدا اذ لا يطلق نبي كريم علي مخلوق انه ربه ولا بمعني السيد لانه لم يكن في الحقيقة مملوكا له انه لا يفلح الظالمون اي المجازون الاحسان بالسوء وقيل الزناة وقيل الخاينون **وقرا** ابو الطفيل والجحدري مثوي كما قرا بشري وما احسن هذا التنصل من الوقوع في السوء استعاذ اولا بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شي ثم نبه علي ان احسان الله او احسان العزيز الذي سبق منه لا يناسب ان يجازي بالاساه ثم نفي الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية فلا يناسب ان اكون ظالما اضع الشي غير موضعه واتعدي ما حده الله لي ولقد همت به وهم بها لولا ان راي برهان ربه طول المفسرون في هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته لاحاد الفساق والذي اختاره ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود روية البرهان كما تقول لقد قارفت لولا ان عصمك الله ولا تقول ان جواب لولا متقدم عليها وان كان لا يقوم دليل علي امتناع ذلك بل صريح ادوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم اجوبتها عليها وقد ذهب الي ذلك الكوفيون ومن اعلام البصريين ابو زيد الانصاري وابو العباس المبرد بل نقول ان جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه كما تقول جمهور البصريين في قول العرب انت ظالم ان فعلت كذا فيقدرونه ان فعلت فانت ظالم ولا يدل قوله انت ظالم علي ثبوت الظلم بل هو مثبت علي تقدير وجود الفعل وكذلك هنا التقدير لولا ان راي برهان ربه لهم بها فكان موجدا علي تقدير انتفا روية البرهان لكنه وجد روية البرهان فانتفي الهم ولا التفات الي قول الزجاج ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا فكيف مع سقوط اللام لانه يوهم ان قوله وهم بها هو جواب لولا ونحن لم نقل بذلك وانما هو دليل الجواب وعلي تقدير ان يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة بجواز ان ياتي جواب لولا اذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام تقول لولا زيد لاكرمتك ولولا زيد اكرمتك فمن ذهب الي ان قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد ولا التفات لقول ابن عطية ان قول من قال ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم بها وان المعني لولا ان راي البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال وهذا قول يرده لسان العرب واقوال السلف انتهي اما قوله يرده لسان العرب فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الي جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله ان كانت لتبدي به لولا ان ربطنا علي قلبها لتكون من المومنين فقوله ان كادت لتبدي به اما ان

تفسير

يتخرج

يتخرج علي انه الجواب علي ما ذهب اليه ذلك القايل واما ان يتخرج علي ما ذهبنا اليه من انه دليل الجواب والتقدير لولا ان ربطنا علي قلبها لكادت تبدي به واما اقوال السلف فنعتقد انه لا يصح عن احد منهم شي من ذلك لانها اقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذي رووا عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب لانهم قدروا جواب لولا محذوفا ولا يدل عليه دليل لانهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الا علي ان يكون المحذوف من معني ما قبل الشرط لان ما قبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشي لغير دليل عليه وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره واقتصرنا علي ما دل عليه لسان العرب ومساق الايات التي في هذه السورة مما يدل علي العصمة وبراة يوسف عليه السلام من كل ما يشين ومن اراد ان يقف علي ما نقل عن المفسرين في هذه الاية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري وابن عطية وغيرهما والبرهان الذي راه يوسف هو ما اتاه الله من العلم الدال علي تحريم ما حرمه الله وانه لا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع فيه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا قال الزمخشري الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك وقال ابن عطية والكاف من قوله كذلك متعلقة بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف في موضع رفع بتقدير عصمته كذلك لنصرف وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره همت به وهم بها كذلك ثم قال لولا ان راي برهان ربه لنصرف عنه ما هم به انتهي وقال الحوفي كذلك الكاف للتشبيه في موضع نصب اي اريناه البراهين كذلك وقيل في موضع رفع اي امر البراهين كذلك والنصب اجود لمطابقة حروف الجر الافعال او معانيها وقال ابو البقاء كذلك في موضع رفع اي الامر كذلك وقيل في موضع نصب اي نراعيه كذلك انتهي واقول ان التقدير مثل تلك الروية او مثل ذلك الراي نري براهيننا لنصرف عنه فتجعل الاشارة الي الراي والروية والناصب للكاف مما دل عليه قوله لولا ان راي برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف ومصدر راي روية ورای **قال الراجز**

• ورای عيني الفتي اباكا • يعطي الجزيل فعليك ذاكا •

وقرا الاعمش ليصرف بياء الغيبة عائدا علي ربه **وقرا** العربيان وابن كثير المخلصين اذا كان فيه ال حيث وقع بكسر اللام وباقي السبعة بفتحها وفي صرف السوء والفحشا عنه وكونه من المخلصين دليل علي عصمته واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزا من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راي قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين اي واستبق يوسف وامراة العزيز الي الباب هذا للخروج والهروب منها وهذا للمنع ومراودته واصل استبق ان يتعدي بالي فحذف اتساعا وتقدم ان الابواب سبعة فكان يفتح له الابواب بابا بابا من غير مفتاح علي ما نقل عن كعب ان فراش القفل كان يتناثر ويسقط حتي خرج من الابواب ويحتمل ان تكون الابواب المغلقة ليست علي الترتيب بابا فبابا بل تكون في جهات مختلفة كلها منافذ للمكان الذي كانا فيه فاستبقا الي باب يخرج منه ولا يكون السابع علي الترتيب وقدت يحتمل ان يكون معطوفا علي واستبقا ويحتمل ان يكون حالا اي وقد قدت جذبته من خلفه باعلي القميص من طوقه فانخرق الي اسفله والقد القطع والشق واكثر استعماله فيما كان طولا **قال الشاعر**

• تقد السليقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب •

والقط يستعمل فيما كان عرضا وقال المفضل بن حرب رايت في مصحف قط من دبر اي شق قال يعقوب الشق في الجلد الصحيح والثوب الصحيح وقال ابن عطية **وقرات فرقة** قط والفيا سيدها اي وجدا وصادفا زوجها وهو قطفير والمراة تقول لبعلها سيدي ولم

قوله عز وجل واستبقا الباب

يضف اليها لان قطفير ليس سيد يوسف على الحقيقة ويقال الفاه ووارطه وصادفه
ووالظه ولاظه كله بمعنى واحد وقيل الفياه يريدان يدخل وقيل مع ابن عم المراة وفي الكلام
حذف تقديره فرابه امرهما وقال ما لكما فلما سال وقد خافت لومه او سبق يوسف
بالقول بادرت ان جاءت بحيلة جمعت فيها بين تبرئة ساحتها من الريبة وغضبها على
يوسف وتخويفه طمعا في موافقتها خيفة من مكرها كرها لما ايست ان يوافقها طوعا
الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن ولم تصرح باسم يوسف بل اتت
بلفظ عام وهو قولها ما جزاء من اراد وهو ابلغ في التخويف وما الظاهر انها نافية
ويجوز ان تكون استفهامية اي اي شيء جزاؤه الا السجن وبداءت بالسجن ابقاء على
محبوبها ثم ترقت الى العذاب الاليم قيل وهو الضرب بالسوط وقولها ما جزاء اي ان
الذنب ثابت متقرر في حقه واتت بلفظ بسوء اي بما يسوءه وليس نصا في معصية كبرى
اذ يحتمل خطابه لها بما يسوءها او ضربه اباها وقولها الا ان يسجن او عذاب يدل على عظم موقع
السجن من ذوي الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم • وقراء زيد بن علي او عذابا
اليما وقدره الكسائي او يعذب عذابا اليما ولما اغرت بيوسف واظهرت تهمته احتاج
الى ازالة التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولم يسبق الى القول اولا سترا عليها
فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الظاهر قال هي واتى بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه
الحياء ان يشير اليها ويعينها بالاشارة فيقول هذه راودتني او تلك راودتني لان في
المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه
اناءة ونصفة طلب الشاهد من كل منهما فشهد شاهد من اهلها فقال ابو هريرة
وابن عباس والحسن وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك كان ابن خالتها طفلا في المهد
انطقه الله ليكون ادل على الحجة وروي في الحديث انه من الصغار الذين تكلموا في
المهد واسنده الطبري وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة
عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن السوداء وقيل كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى
الباب ولا ينافي هذا قول قتادة كان رجلا حليما من اهلها ذا راي ياخذ الملك
برايه ويستشيره وقيل كان حكما حكمه زوجها فحكم بينهما وكان الشاهد من اهلها ليكون
اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة ويحتمل ان يكون معهما في الدار
بحيث لا يشعر به فبصر بما جرى بينهما فاغضبه الله ليوسف وشهد بالحق ويبعد قول
مجاهد وابن حبيب ان الشاهد هو القميص المقدود لقوله شاهد من اهلها ولا يوصف
القميص بكونه شاهدا من اهل المراة وسمي الرجل شاهدا من حيث دل على الشاهد وهو
تخريق القميص وقال الزمخشري سمي قوله شهادة لانه ادى تاديتها في ان
ثبت قول يوسف وبطل قولها وان كان قميصه محكي اما بقال مضمرة على مذهب
البصريين واما بشهد لان الشهادة قول من لا يقول المعلي بمذهب الكوفيين وكان هنا
دخلت عليها اداة الشرط وتقدم خلاف المبرد والجمهور فيها اهل هي باقية على مضيها
ولم تقلبها اداة الشرط او المعنى ان يتبين كونه فاداة الشرط في الحقيقة انما دخلت
على هذا المقدر وجواب الشرط فصدقت وكذبت وهو على اضمار قد اي فقد صدقت
وفقد كذبت ولو كان فعلا جامدا او دعا لم يحتج الى تقدير قد وقراء الجمهور
من قبل ومن دبر بضم الباء فيهما والتنوين وقراء الحسن وابو عمرو في رواية
بتسكينها وبالتنوين وهي لغة الحجاز واسد وقرا ابن يعمر وابن ابي اسحاق والعطارد
وابو الزياد ونوح القاري والجارود بن ابي سبرة بخلاف عنه من قبل ومن دبر بثلاث
ضمات وقراء ابن يعمر وابن ابي اسحق والجارود ايضا في رواية عنهم باسكان الباء
مع بنائهما على الضم جعلوهما غاية نحو من قبل ومعنى الغاية ان يصير المضاف غاية نفسه
بعد ما كان المضاف اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين
وقال ابو حاتم وهذا ردي في العربية وانما يقع هذا البناء في الظرف وقال
الزمخشري والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها

قبل

قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما
علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقال ايضا فان قلت ان دل قد
قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين
دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا
كان تابعها وهي دافعته عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع
خلفها ليلحقها فيتعثر في قدام قميصه فيشقه انتهى وقوله وهو من الكاذبين وهو من
الصادقين جملتان موكدتان لان من قوله فصدقت يعلم كذبه ومن قوله فكذبت يعلم صدقه
وفي بناء قد للمفعول ستر على من قده ولما كان الشاهد من اهلها راعى جهة المراة فبدا بتعليق
صدقها على تبين كون القميص قد من قبل ولما كانت جملة مستقلة بنفسها ابرز اسم كان
بلفظ المظهر ولم يضمر ليدل على الاستقلال ولكون التصريح به اوضح وهو نظير قوله
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فلما راى العزيز وقيل
الشاهد قميصه قد من دبر قال انه اي ان قولك ما جزاء الى اخره قاله الزجاج او ان هذا
الامر وهو طمعها في يوسف ذكره الماوردي والزمخشري او الى تمزيق القميص قاله مقاتل
والخطاب في من كيدكن لها ولجواريها اولها وللنساء ووصف كيد النساء بالعظم وان كان
قد يوجد في الرجال لانهن الطف كيدا بما جبلن عليه وبما تفرغن له واكتسب بعضهن من بعض
وهن انفذ حيلة وقال تعالى ومن شر النفاثات في العقد واما اللواتي في القصور
فمعهن من ذلك ما لا يوجد لغيرهن لكونهن اكثر تفرغا من غيرهن واكثر تانسا بامثالهن
يوسف اعرض عن هذا اي عن هذا الامر واكتمه ولا تتحدث به وفي ندائه باسمه تقريب
له وتلطيف ثم اقبل عليها وقال استغفري لذنبك والظاهر ان المتكلم بهذا هو العزيز
وقال ابن عباس قاله الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزيز وقال استغفري
اي لزوجك وسيدك انتهى ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله لذنبك ثم اكد ذلك
بقوله انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين اعم لانه ينطلق على
الذكور والاناث بالتغليب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا قاله الزمخشري وما كان العزيز
الا حليما روي انه كان قليل الغيرة انتهى وتربة اقليم الطفر اقتضت هذا واين هذا مما
جرى لبعض ملوكنا انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس انس وجارية تغنيهم
من وراء ستر فاستعاد بعض خلصائه بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فما لبث ان
جيء براس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الراس
فسقط في يد ذلك المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك النسوة بكسر النون فعلة
وهو جمع تكسير للقلة لا واحد له من لفظه وزعم ابن السراج انه اسم جمع وقال الزمخشري
النسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي ولذا لم يلحق فعله تاء التانيث انتهى وعلى
انه جمع تكسير لا يلحق التاء لانه يجوز قامت الهنود وقام الهنود وقد تضم نونه فيكون
اذ ذاك اسم جمع وتكسيره للكثرة على نسوان والنساء جمع تكسير للكثرة ايضا ولا واحد له من
لفظه شغف خرق الشغاف وهو حجاب القلب وقيل سويداؤه وقيل داء يصل الى
القلب فينفذ الى القلب وكسر العين لغة تميم وقيل الشغاف جلدة رقيقة يقال لها لسان
القلب شغف وصلت الحدة الى القلب فكاد يحترق من شغف البعير اذا هناه فاحرقه
بالقطران والمشغوف الذي احرق الحب قلبه ومنه قول الاعشى

• يعصي الوشاة وكان الحب آونة • مما يزين للمشغوف ما صنعا •

وقد تكسر عينه المتكا الوسادة والنمرقة المتك الاترج والواحد متكة قال الشاعر
فاهدت متكة لبني ابيها • اي اترجة وقيل اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين كالاترج
وغيره من الفواكه قال الراجز

• يشرب الاثم بالصواع جهارا • وترى المتك بيننا مستعارا •

وهو من متك بمعنى بتك الشيء اي قطعه وقال صاحب اللوامح المتك بالضم عند الخليل
العسل وعند الاصمعي الاترج وقال ابو عمرو هو الشراب الخالص وقال ابو عمرو فيه ثلاث

المفردات

لغات المثلث بالحركات الثلاث وقيل بالكسر الخلال وقيل بل المسك وقال الكسائي ايضا فيه اللغات
الثلاث وقد يكون بالفتح المجمر عند قضاعة وقال ايضا فيه اللغات الثلاث الفالوذ ه
المعقد وقال المفضل في اللغات الثلاث هو الزماورد وكل ملفوف بلحم ورقاق وقال
ايضا المتك بالضم المايدة او الخمر في لغة كندة **السكين** تذكر وتؤنث قاله الفراء
والكسائي ولم يعرف الاصمعي فيه الا التذكير **حاشي** قال الفراء من العرب من يتمها وفي
الحجاز حاشا لك وبعض العرب حشي زيد كانه اراد حشي لزيد وهي في اهل الحجاز انتهى وقال
الزمخشري حاشي كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشي زيد وقد
قال الشاعر حاشي ابي ثوبان ان لنا ضنا ° عن الملحاة والشتم °
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراة فمعنى حاش الله براة الله وتنزيه الله
انتهى وما ذكر انها تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لا فرق
بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشي زيد ولما مثل بقوله اساء القوم حاشي زيد فهم
من هذا التمثيل براة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها في كل موضع واما ما انشده
من قوله حاشي ابي ثوبان فكذا ينشده ابن عطية واكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت
على عجز اخر وهما من بيتين وهما ° حاشي ابي ثوبان ان ابا ثوبان ليس ببكمة فدم °
عمرو بن عبد الله ان به ضنا عن الملحاة والشتم ° **عصر** العنب وغيره
اخرج ما فيه من المايع بقوة **الخبز** معروف جمعه اخباز وصانعه خباز **البضع** ما بين الثلث
الى التسع قاله قتادة وقال مجاهد من الثلاثة الى السبعة وقال ابو عبيدة البضع
لا يبلغ العقد ولا نصف العقد وانما هو من الواحد الى العشرة وقال الفراء ولا يذكر البضع
الا مع العشرات ولا يذكر مع ماية ولا الف **السمن** معروف وهو مصدر سمن يسمن واسم
الفاعل سمين والمصدر واسم الفاعل على غير قياس **العجفاء** المهزولة جدا **قال الشاعر**
ورجال مكة مسنتون عجاف ° **الضغث** اقل من الحزمة واكثر من القبضة من النبات
والعشب من جنس واحد او من اخلاط النبات والعشب فمن جنس واحد ما روي في قوله
وخذ بيدك ضغثا انه اخذ عثكالا من النخل وروي ان الرسول عليه السلام فعل نحو هذا
في اقامة حد على رجل **وقال ابن مقبل**
خود كأن فراشها وضعت به ∴ اضغاث ريحان غداة شمال ∴
ومن الاخلاط قول العرب في امثالها ضغث على ابالة وقال نسوة في المدينة امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ° لم يلحق تاء التانيث
لانه جمع تكسير المؤنث ويجوز فيه الوجهان ونسوة كما ذكرنا جمع قلة وكن على ما نقل خمسا
امراة خبازه وامراة ساقيه وامراة بوابه وامراة سجانه وامراة صاحب دوابه في المدينة
هي مصر ومعنى في المدينة انهم اشاعوا هذا الامر من حب امراة العزيز ليوسف وصرحوا
باضافتها الى العزيز مبالغة في التشنيع لان النفوس اقبل لسماع ذوي الاخطار وما يجري
لهم وعبر بتراود وهو المضارع الدال على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دايما عن نفسه
كما تقول زيد يعطي ويمنع ولم يقلن راودت فتاها ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهي
كونه قد شغفها حبا اي بلغ حبه شغاف قلبها وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل
كقوله ملأت الاناء ماء اصله ملأ الماء الاناء واصل هذا شغفها حبه والفتى الغلام وعرفه
في المملوك وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وقد قيل في غير
المملوك واصل الفتى في اللغة الشاب ولكنه لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى
وقرأ ثابت البناني شغفها بكسر الغين المعجمة والجمهور بالفتح **وقرأ** علي بن ابي
طالب وعلي بن الحسين وابنه محمد بن علي وابنه جعفر بن محمد والشعبي وعوف الاعرابي بفتح
العين المهملة وكذلك قتادة وابن هرمز ومجاهد وحميد والزهري بخلاف عنهم
وروي عن ثابت البناني وابن رجاء كسر العين المهملة قال ابن زيد الشغف في الحب والشعف
في البغض وقال الشعبي الشغف والمشغوف بالغين منقوطة في الحب والشعف
الجنون والمشعوف المجنون وادغم النحويان وحمزة وهشام وابن محيصن دال قد في شين شغفها

قوله عز وجل وقال نسوة

ثم

قوله عز وجل فلما سمعت

ثم نقص عليها ذلك فقلن انا لنراها في ضلال مبين اي تحير واضح للناس فلما سمعت بمكرهن
ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ° روي ان تلك
المقالة الصادرة عن النسوة انما قصدن بها المكر بامراة العزيز ليغضبنها حتى تعرض عليهن
يوسف ليبدي عذرها او يحق لومها ومكرهن هو اغتيابهن اياها وسوء مقالتهن فيها انها
عشقت يوسف وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن ليحضرن قيل دعت اربعين امراة منهن
الخمس المذكورات والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القايلة ما قلن عنها واعتدت
لهن متكا اي يسرت وهيات لهن ما يتكين عليه من النمارق والمخاد والوسايد ونحو ذلك مما
يكون في مجلس اعد للكرامة ومن المعلوم ان هذا النوع من الاكرام لا يخلو من طعام وشراب
وهنا محذوف تقديره فجين واتكين وثمة اما يراد به الجنس واما ان يكون المراد واعتدت
لكل واحدة منهن متكا كما جاء واتت كل واحدة منهن سكينا قال ابن عباس متكا مجلسا ذكره
الزهراوي ويكون متكا ظرف مكان اي مكانا يتكين فيه وعلى ما تقدم تكون الالات التي
يتكا عليها وقال مجاهد المتكا الطعام يحز حزا قال القتبي يقال اتكانا عند فلان
اي اكلنا ويكون هذا من المجاز عبر بالهيئة التي يكون عليها الآكل المترف بالمتكا وهي عادة
المترفين الا ترى الى قوله عليه السلام اما انا فلا اكل متكيا واذا كان المتكا
ليس معبرا به عن ما يوكل فمعلوم ان مثل هذا المجلس لا بد فيه من طعام وشراب فيكون في جملة
الطعام ما يقطع بالسكاكين فقيل كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما كانوا ياكلونه حزا
بالسكاكين وقيل كان اترجا وقيل كان بزماورد وهو شبيه بالاترج موجود في تلك البلاد
وقيل هو مصنوع من سكر ولوز واخلاط ومضمونه انه يحتاج الى ان يقطع بالسكين وعادة من
يقطع شيئا ان يعتمد عليه فيكون متكيا عليه قيل وكان قصدها في بروزهن على هذه الهيات
متكيات في ايديهن سكاكين يحززن بها شيئين احدهما دهشتهن عند رويته وشغلهن بانفسهن
فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتهن ويكون ذلك مكرا بهن اذ دهشن عزما اصابتهن
من تقطيع ايديهن وما احسسن به مع الالام الشديد لفرط ما غلب عليهن من استحسان يوسف
وسلبه عقولهن والثاني التهويل على يوسف بمكرها اذا خرج على نساء مجتمعات في ايديهن
الخناجر توهمه انهن يثبن عليه فيكون يحذر مكرها دايما ولعله يجيبها الى مرادها على
زعمها ذلك ويوسف قد عصمه الله من كل ما تريده به من السوء **وقرأ** الزهري وابو
جعفر وشيبة متكى مشددة التاء من غير همز وزنه متقي فاحتمل ذلك وجهين احدهما ان يكون
من الاتكاء وفيه تخفيف الهمز كما قالوا في توضات وترضيت والثاني ان يكون مفتعلا من
اوكيت السقاء اذا شددته اي اعتدت شيئا يشتددن عليه اما بالاتكاء واما بالقطع بالسكين **وقرأ**
الاعرج متكا مفعلا من تكا يتكا اذا اتكا **وقرأ** الحسن وابن هرمز متكاء بالمد والهمز
وهو مفتعل من الاتكاء الا انه اشبع الفتحة فتولدت منها الالف كما قالوا منتزاح الرجال
منتزاح وقالوا اعوذ بالله من العقراب الشايلات عقد الاذناب **وقرأ** ابن عباس
وابن عمر ومجاهد وقتادة والضحاك والجحدري والكلبي وابان بن تغلب متكا بضم الميم
وسكون التاء وتنوين الكاف وجاء كذلك عن ابن هرمز **وقرأ** عبد الله ومعاذ كذلك
الا انهما فتحا الميم وتقدم تفسير متك ومتك في المفردات وقالت اخرج عليهن هذا الخطاب
ليوسف وخروجه يدل على طواعيتها فيما لا يعصي الله فيه وفي الكلام حذف تقديره فخرج عليهن
ومعنى اكبرنه اعظمنه ودهشن برويته ذلك الجمال الفايق الرايع قيل كان فضل يوسف على
الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجم السماء وفي حديث الاسراء ان الرسول صلى
الله عليه وسلم لما اخبر بلقيته يوسف قيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر °
وقيل كان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس
وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقال عبد الصمد بن
علي الهاشمي عن ابيه عن جده معناه حضن وانشد بعض الناس حجة لهذا التاويل

• ياتي النساء علي اطهارهنّ • ولا ياتي النسآء اذا اكبرن اكبارا •
قال ابن عطية وهذا قول ضعيف والبيت مصنوع مختلق كذلك قال الطبري وغيره من المحققين
وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله وقال الزمخشري وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت
يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته من الكبر لانها بالحيض تخرج عن حد الصغر الي حد
الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت
حاضت في الخدور العواتق • انتهي واجماع القراء علي ضم الهاء في الوصل دليل علي انها ليست
هاء السكت اذ لو كانت هاء السكت وكان من اجراء الوصل مجري الوقف لم تضم الهاء ه
والظاهر ان الضمير يعود في اكبرنه علي يوسف ان ثبت ان اكبر بمعني حاض فتكون الهاء عايدة
علي المصدر اي اكبرن الاكبار وقطعن ايديهن اي جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت
يدي والتضعيف للتكثير اما بالنسبة لكثرة القاطعات واما بالنسبة لتكثير الحز في يد كل
واحدة منهن فالجرح كانه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت بما راعها
من جمال يوسف فكانها غابت عن حسها والظاهر ان الايدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم
وقال عكرمة الايدي هنا الاكمام ولما فعلن هذا الفعل الصعب من جرح ايديهن وغلب
عليهن ما راين من يوسف وحسنه قلن حاش لله وقراء الجمهور حاش لله بغير الف بعد الشين
ولله بلام الجر وقرا ابو عمرو حاشي لله بالف ولام الجر وقرات فرقة منهم الاعمش
حشي علي وزن رمي لله بلام الجر وقرا الحسن حاش بسكون الشين وصلا ووقفا لله بلام الجر
وقرا ابي وعبد الله حاشي الله بالاضافة وعنهما كقراة ابي عمرو قاله صاحب اللوامح ه
وقرا الحسن حاشي الاله قال ابن عطية محذوفا من حاشي وقال صاحب اللوامح بحذف الالف
وهذه تدل علي كونه حرف جر يجر ما بعده فاما الاله فانه فكه عن الادغام وهو مصدر اقيم
مقام المفعول ومعناه المالوه بمعني المعبود قال وحذفت الالف من حاش للتخفيف انتهي
وهذا الذي قاله ابن عطية وصاحب اللوامح من ان الالف في حاشي في قراة الحسن محذوفة
لا تتعين الا ان نقل عنه انه يقف في هذه القراة بسكون الشين فان لم ينقل عنه في ذلك شي ه
فاحتمل ان تكون الالف حذفت لالتقاء الساكنين اذ الاصل حاشا الالاه ثم نقل فحذف الهمزة
وحرك اللام بحركتها ولم يعتد بهذا التحريك لانه عارض كما تحذف في يخشي الاله ولو اعتد
بالحركة لم تحذف الالف وقرا ابو السماك حاشا لله بالتنوين كرعيا لله فاما القراات
لله بلام الجر في غير قراة ابي السماك فلا يجوز ان يكون ما قبلها من حاشي او حاش او حشي او حاش حرف
جر لان حرف الجر لا يدخل علي حرف الجر ولانه تصرف فيها بالحذف واصل التصرف بالحذف انلا
يكون في الحروف وزعم المبرد وغيره كابن عطية انه يتعين فعليتها ويكون الفاعل ضمير يوسف
اي حاشي يوسف ان يقارف ما رمته به ومعني لله لطاعة الله او لمكانه من الله او لترفيع الله ان
برمي بما رميته به او يدعن الي مثله لان تلك افعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك وعلي هذا
تكون اللام في لله للتعليل اي جانب يوسف المعصية لاجل طاعة الله او لما ذهب قبل وذهب غير
المبرد الي انها اسم وانتصابها انتصاب المصدر الواقع بدلا من اللفظ بالفعل كانه قال تنزيها
لله ويدل علي اسميتها قراة ابي السماك حاشا منونا وعلي هذا القول يتعلق لله بمحذوف
علي البيان كلك بعد سقيا ولم ينون في القراات المشهورة مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو
الحرف الا تراهم قالوا عن من يمينه فجعلوا عن اسما ولم يعربوه وقالوا من عليه فلم يثبتوا الفه
مع المضمر بل ابقوا عن علي بنايه وقلبوا الف علي مع المضمر مراعاة لاصلها واما قراة الحسن
وقراة ابي بالاضافة فهو مصدر مضاف الي الله كما قالوا سبحان الله وهذا اختيار الزمخشري
وقال ابن عطية واما قراة ابي بن كعب وابن مسعود فقال ابو علي ان حاشي حرف استثنا
كما قال الشاعر حاشي ابي ثوبان ه انتهي واما قراة الحسن حاش بالتسكين ففيها جمع
بين ساكنين وقد ضعفوا ذلك قال الزمخشري والمعني تنزيه الله من صفات العجز والتعجب
من قدرته علي خلق جميل مثله ما هذا بشرا ما كان غريب هذا الجمال فاتت الحسن عن ما عليه
حسن صور الانسان نفين عنه البشرية واثبتن له الملكية لما كان مركوزا في الطباع حسن الملك
وان كان لا يري وقد نطق بذلك شعر العرب والمحدثون قال بعض العرب • ه

فلست

• فلست لانسي ولكن لملاك • تنزل من جو السماء يصوب •
وقال بعض المحدثين • ترك اذا قوبلوا كانوا ملايكة حسنا • وان قوتلوا كانوا عفاريتا • وانتصب
بشرا علي لغة الحجاز وكذا جاء ما هن امهاتهم وفما منكم من احد عنه حاجزين ولغة تميم الرفع قال ابن
عطية ولم يقرا به وقال الزمخشري ومن قرا علي سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراة
ابن مسعود انتهي وقرا الحسن وابو الحويرث الحنفي ما هذا بشري قال صاحب اللوامح فيحتمل ان
يكون معناه مشبع او عشري اي ليس هذا مما يشتري ويباع ويجوز ان يكون ليس بثمن كانه قال
هو ارفع من ان يجري عليه شي من هذه الاشياء فالشري هو مصدر اقيم مقام المفعول به ه
وتابعهما عبد الوارث عن ابي عمرو علي ذلك وزاد عليهما الا ملك بكسر اللام واحد الملوك
فهم نفوا عنه بذلك ذل المماليك وجعلوه في حيز الملوك والله اعلم انتهي ونسب ابن عطية
كسر اللام للحسن وابي الحويرث اللذين قرا بشرا ان هذا لا يصلح ان يكون ملكا كريما وقال
الزمخشري وقري ما هذا بشري اي بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا
بشري اي حاصل بشري بمعني هذا مشتري وتقول هذا لك بشري ام بكري وقالوا اعمال ما
عمل ليس هي في اللغة القدمي الحجازية وبها ورد القران انتهي وانما قال القدمي لان الكثير
في لغة الحجاز انما هو جر الخبر بالبا فتقول ما زيد بقايم وعليه اكثر ما جاء في القران واما نصب
الخبر فمن لغة الحجاز القديمة حتي ان النحويين لم يجدوا شاهدا علي نصب الخبر في اشعار الحجازيين
غير قول الشاعر وانا النذير بحرة مسودة • تصل الجيوش اليكم اقوادها •
• ابناوها متكنفون اباهم • حنقوا الصدور وما هم اولادها •
وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد اهل الحجاز ينطقون الا بالبا فلما غلب علي اهل
الحجاز النطق بالبا قال الزمخشري للغة القدمي الحجازية فالقران جاء باللغتين القدمي
وغيرها ه قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما
امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني
كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتي حين • ذا اسم الاشارة واللام لبعد المشار وكن خطاب
لتلك النسوة واحتمل ان يكون لما راي دهشتهن وتقطيع ايديهن بالسكاكين وقولهن ما هذا بشرا
بعد عنهن انتفاء عليهن في ان لا تزداد فتنتهن وفي ان يرجعن الي حسهن فاشارت اليه باسم
الاشارة الذي للبعد ويحتمل ان تكون اشارت اليه وهو قريب بلفظ البعيد رفعا لمنزلته في
الحسن واستبعادا لمحله فيه وانه لغرابته بعيد ان يوجد مثله واسم الاشارة تضمن الاوصاف
السابقة فيه كانه قيل الذي قطعتن ايديكن بسببه واكبرتنه وقلتن فيه ما قلتن من نفي البشرية
عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتنني فيه اي في محبته وشغفي فيه قال الزمخشري
ويجوز ان تكون اشارة الي المعني بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هذا ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن
لعذرتنني في الافتتان به انتهي والضمير في فيه عايد علي يوسف وقال ابن عطية ويجوز ان تكون
الاشارة الي حب يوسف والضمير عايد علي الحب فيكون ذلك اشارة الي غايب علي بابه انتهي
ثم اقرت امراة العزيز للنسوة بالمراودة واستنامت اليهن في ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها
فاستعصم قال ابن عطية معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني وقال الزمخشري الاستعصام
بنا مبالغة يدل علي الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها ونحوه استمسك واستوسع واستجمع الراي واستعجل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف
عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شي انور منه علي انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو
مما فسروا به الهم والبرهان انتهي والذي ذكر التصريفيون في استعصم انه موافق لاعتصم
فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا اجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم يدل علي
وجود اعتصامه وطلب العصمة لا يدل علي حصولها واما انه بنا مبالغة يدل علي الاجتهاد
في الاستزادة من العصمة فلم يذكر التصريفيون هذا المعني لاستفعل واما استمسك واستوسع
واستجمع الراي فاستفعل فيه موافقة لافتعل والمعني امتسك واتسع واجتمع الراي واما

قوله عز وجل قالت فذلكن الذي

استفحل الخطب فاستفحل فيه موافقة لتفعل اي تفحل الخطب نحو استكبر وتكبر ثم جعلت تتوعده مقتسمة علي ذلك وهو يسمع قولها بقولها ولئن لم يفعل ما آمره عايد علي الموصول اي ما آمره به فحذف الجار كما حذف في امرتك الخير ومفعول امر الاول محذوف وكان التقدير ما آمره به وان جعلت ما مصدرية جاز فيعود الضمير علي يوسف اي امري اياه ومعناه موجب امري **وقرات فرقة** وليكونن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالالف مراعاة لقراة الجمهور بالنون الخفيفة ويوقف عليها بالالف **كقول الاعشي** ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا ومن الصاغرين من الاذلا ولم تذكرهنا العذاب الاليم الذي ذكرته في ما جزاء من اراد باهلك سوءا لانها اذ ذاك كانت في طراوة غيظها ومتنصلة من انها هي التي راودته فناسب هناك التغليظ بالعقوبة واما هنا فانها في طماعية ورجاء واقامة عذرها عند النسوة فرقت عليه فتوعدته بالسجن وقال له النسوة اطع وافعل ما امرتك به فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فاسند الفعل اليهن لما ينصحن له وزين له مطاوعتها ونهينه عن القاء نفسه في السجن والصغار فالتجاء الي الله والتقدير دخول السجن **وقراة** عثمن ومولاه طارق وزيد بن علي والزهري وابن ابي اسحق وابن هرمز ويعقوب السجن بفتح السين وهو مصدر سجن اي حبسهم اياي في السجن احب الي واحب هنا ليست علي بابها من التفضيل لانه لم يحب ما يدعونه اليه قط وانما هذان شران فآثر احد الشرين علي الآخر وان كان في احدهما مشقة وفي الاخر لذة لكن لما يترتب علي تلك اللذة من معصية الله وسوء العاقبة لم يخطر بباله ولما في الاخرى من احتمال المشقة في ذات الله والصبر علي النوايب وانتظار الفرج والحضور مع الله في كل وقت داعيا له في تخليصه اثره بما ناط العصمة بالله واستسلم لله كعادة الانبياء والصالحين وانه تعالي لا يصرف السوء الا هو فقال وان لا تصرف عني كيدهن اصب اليهن اي امل الي ما يدعونني اليه وجعل جواب الشرط قوله اصب وهي كلمة مشعرة بالميل فقط لا بمباشرة المعصية **وقري** اصب اليهن من صبت صبابة فانا صب والصبابة افراط الشوق كانه ينصب فيما يهوى وقراة الجمهور اصب من صبا الي اللهو يصبو صبا وصبوا ويقال صبي يصبا صبا والصبا بالكسر اللهو واللعب واكن من الجاهلين من الذين لا يعلمون بما يعلمون لان من لا جدوي لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفها لان الوقوع في موافقة النسا والميل اليهن سفاهة **قال الشاعر**

احب بلي وما هام الفواد بها ٭ الا السفاه وا لا ذكرة حلما ٭

وذكر استجابة الله له ولم يتقدم لفظ دعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معني طلب الصرف والدعاء وكانه قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن اي حال بينه وبين المعصية انه هو السميع لدعاء الملتجيين اليه العليم باحوالهم وما انطوت عليه نياتهم ثم بدا لهم اي ظهر لهم والفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعني اي بدا لهم هو اي راي اوبدا كما قال الشاعر ٭ بدا لك من تلك القلوص بداء ٭ هكذا قاله النحاس والمفسرون الا من اجاز ان تكون الجملة فاعلة فانه زعم ان قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا اي سجنه حتي حين والرد علي هذا المذهب مذكور في علم النحو والذي اذهب اليه ان الفاعل ضمير يعود علي السجن المفهوم من قوله ليسجنن او من قوله السجن علي قراة الجمهور او علي السجن علي قراة من فتح السين والضمير في لهم للعزيز واهله والايات هي الشواهد الدالة علي براة يوسف قال مجاهد وغيره قد القميص فان كان الشاهد طفلا فهي اية عظيمة وان كان رجلا فيكون استدلالا بالعادة والذي يظهر ان الاية انما يعبر بها عن الواضح الجلي وجمعها يدل علي ظهور امور واضحة دلت علي براته وقد تكون الايات التي راوها لم ينص علي جميعها في القران بل راوا قول الشاهد وقد القميص وغير ذلك مما لم يذكر واما ما ذكر عكرمة ان من الايات خمش وجهها والسدي من حز ايديهن فليس في ذلك دلالة علي البراة فلا يكون اية وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم معمول لقول محذوف قايلين **وقراة** الحسن لتسجننه بالتاء علي خطاب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده علي وجه التعظيم **وقراة** ابن مسعود عتي بابدال حاء حتي عينا وهي لغة هذيل واقرا بذلك فكتب اليه عمران تقري بلغة قريش حتي لا بلغة هذيل والمعني الي زمان والحين يدل علي مطلق الوقت ومن عين له هنا زمانا فانما كان

ذلك

ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لا انه موضوع في اللغة لذلك وكانها اقترحت زمانا حتي يتبصر ما يكون منه وفي سجنهم ليوسف دليل علي مكيدة النساء واستنزال المراة لزوجها ومطاوعته لها وعشقه لها وجعله زمام امره بيدها هذا مع ظهور خناها وبراة يوسف روي انه لما امتنع يوسف من المعصية ويئست منه امراة العزيز قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني بين الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لي فخرجت الي الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا محبوسة فحبسه بعد لهم سجنه قال ابن عباس فامر به فحمل علي حمار وضرب بالطبل ونودي عليه في اسواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فهذا جزاوه ان يسجن قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكي

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين. في الكلام حذف تقديره فسجنوه فدخل معه السجن غلامان روي انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه والاخر ساقيه وروي ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه ووافقه علي ذلك الساقي فسجنهما قاله السدي ومع تدل علي الصحبة واستحداثها تدل علي انهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسال لفقيرهم ويندبهم الي الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن في اي البيوت شيت فقال له يوسف لا تحبني يرحمك الله فلقد ادخلت علي المحبة مضرات احبتني عمتي فامتحنت بمحبتها واحبني ابي فامتحنت بمحبته واحبتني امراة العزيز فامتحنت بمحبتها بما تري وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن اني اعبر الرويا واجيد وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما الله ان لا تحباني وذكر ما تقدم وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاوهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا ان لهذا لاخرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتي قال يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك وهذه الرويا التي للفتيين **قال** مجاهد راياذلك حقيقة فاراد سواله وقال ابن مسعود والشعبي استعماها ليجرباه والذي راي عصر الخمر اسمه بنو قال رايت حبلة من كرم لها ثلاثة اغصان حسان فيها عناقيد عنب حسان فكنت اعصرها واسقي الملك والذي راي الخبز اسمه ملحب قال كنت اري اني اخرج من مطبخة الملك وعلي راسي ثلاث سلال فيها خبز والطير تاكل من اعلاه وراي الحلمية جرت مجري افعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعني فاراني فيه ضمير الفاعل المستكن وقد تعدي الفعل الي الضمير المتصل وهو رافع للضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يجوز ان تقول اضربني ولا اكرمني وسمي العنب خمرا باعتبار ما يوول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب وقيل في لغة ازدعمان **وقال** المعتمر ابن سليمان لقيت اعرابيا يحمل عنبا في وعاء فقلت ما تحمل قال خمرا اراد العنب **وقراة** ابي وعبد الله اعصر عنبا وينبغي ان يحمل ذلك علي التفسير لمخالفته سواد المصحف وللثابت عنهما بالتواتر قراتهما اعصر خمرا قال ابن عطية ويجوز ان يكون وصف الخمر بانها معصورة اذ العصر لها ومن اجلها وفي مصحف عبد الله فوق راسي ثريدا تاكل الطير منه وهو ايضا تفسير لا قراة والضمير في تاويله عايد الي ما قصا عليه اجري مجري اسم الاشارة كانه قيل بتاويل ذلك وقال الجمهور من المحسنين اي في العلم لانهما راياه منه ما علما به انه عالم وقال الضحاك وقتادة من المحسنين في حديثه مع اهل السجن واجماله معهم وقال ابن اسحق اراد اخبارهما انهما يريان له احسانا عليهما ويدا اذ تاولهما رؤياه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون. قال الزمخشري لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبيهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن

قوله عز وجل ودخل معه

قوله عز وجل قال لا ياتيكما

قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما
ويجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك
بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان
يقدم الارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى
فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو
بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم تكن من باب التزكية بتاويله ببيان
ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معانيه انتهى وهذا الذي
قاله الزمخشري يدل على ان اتيان الطعام يكون في اليقظة وهو قول ابن جريج قال اراد
يوسف لا ياتيكما طعام في اليقظة ترزقانه الا نبأتكما منه بعلم وبما يؤول اليه امركما قبل ان ياتيكما
فعلى هذا اراد ان يعلمهم انه يعلم مغيبات لا تتعلق بالرؤيا وهذا على ما روي انه نبئ في السجن
وقال السدي وابن اسحق لما علم من تعبير منامه راى الخباز ان نوذن بقتله اخذ في غير ذلك
الحديث تنسية لهما امر المنام وطماعية في ايمانهما لياخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم
له آخرته فقال لهما معلنا بعظيم علمه للتعبير انه لا يجيئكما طعام في نومكما تريان انكما رزقتماه
الا اعلمتكما بتاويل ذلك الطعام اي بما يؤول اليه امره في اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل
الذي اعلمكما به فروي انهما قالا له ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست بكاهن ولا منجم
فقال لهما ذلك مما علمني ربي والظاهر ان قوله لا ياتيكما الى آخره انه في اليقظة وان قوله
مما علمني ربي دليل على انه اذ ذاك كان نبيا يوحى اليه والظاهر ان قوله اني تركت استئناف
اخبار بما هو عليه اذ كانا قد احباه وكلفا بحبه وبحسن اخلاقه ليعلمهما ما هو عليه من مخالفة
قومهما فيتبعاه وفي الحديث لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وعبر
بتركت مع انه لم يتشبث بتلك الملة قط اجراء للترك مجرى التجنب من اول حالة واستجلابا
لهما لان يتركا تلك الملة التي كانا فيها ويجوز ان يكون اني تركت تعليلا لما قبله اي علمني
ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء وهي الملة الحنيفية وهؤلاء
الذين لا يؤمنون هم اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم ونبه على اصلين عظيمين وهما الايمان
بالله والايمان بدار الجزاء وكررهم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل وقال الزمخشري
وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم
بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء
انتهى وليست عندنا هم تدل على الخصوص وباقي الفاظه الفاظ المعتزلة ولما ذكر انه رفض
ملة اولئك ذكر اتباعه ملة آبائه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما بانه نبي بما ذكر
من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله وقرأ الاشهب العقيلي
والكوفيون آبائي باسكان الياء وهي مروية عن ابي عمرو ما كان لنا ما صح وما استقام لنا معشر
الانبياء ان نشرك بالله من شيء عموم في الملك والجني والانسي فكيف بالصنم الذي لا يسمع ولا
يبصر فشيء يراد به المشرك ويجوز ان يراد به المصدر اي من شيء من الاشراك فيعم الاشراك ويلزم
عموم متعلقاته ومن زائدة لانها في حيز النفي اذ المعنى ما نشرك بالله شيئا والاشارة بذلك
الى شرعهم وملتهم اي ذلك الدين والشرع الحنيف الذي انتفى فيه الاشراك بالله من فضل الله علينا
اي على الرسل اذ خصوا بان كانوا وسائط بين الله وعباده وعلى الناس اي على المرسل اليهم اذ
يساقون به الى النجاة حيث ارشدوهم اليه وقوله لا يشكرون اي لا يشكرون فضل الله فيشركون
ولا ينتبهون وقيل ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ينظر فيها ويستدل بها
وقد نصب مثل ذلك لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يشكرون
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما ذكر ما هو
عليه من الدين الحنيفي تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتيين من عبادة الاصنام
فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتتمحض فيه النصيحة واحتمل

قوله عز وجل ياصاحبي السجن

قوله يا صاحبي السجن ان يكون من باب الاضافة الى الظرف والمعنى يا صاحبي في السجن واحتمل
ان يكون من اضافته الى شبه المفعول كانه قيل يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب
الجنة ثم اورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله ءارباب فابرز ذلك في صورة الاستفهام
حتى لا تنفر طباعهما من المفاجاة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه في محاجة الجهلة
ان يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة اخرى فوقها
ثم كذلك حتى يصل الى الاذعان بالحق وقابل بتفرق اربابهم بالواحد وجاء بصفة القهار
تنبيها على انه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما بعرو
اصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي ان يعبد الا المتصف به وهم عالمون بان تلك
الاصنام جماد والمعنى اعبادة ارباب متكاثرة في العدد خير ام عبادة واحد قهار وهو الله
فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادة الله ثم استطرد بعد الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة
ما يعبدون والخطاب بقوله ما تعبدون لهما ولقومهما من اهل مصر ومعنى الا اسماء اي الفاظا
احدثتموها انتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الاعراف
ان الحكم الا لله اي ليس لكم ولا لاصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به
تعالى فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين لا يعلمون
بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب
فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين لما القى اليهما ما كان اهم وهو
امر الدين رجاء في ايمانهما ناداهما ثانيا لتجتمع انفسهما لسماع الجواب فروي انه قال ابنوا اما
انت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده
واما القضبان الثلثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال
للخباز اما انت فما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فروي انهما قالا ما راينا شيئا
وانما تحالمنا لنجربك وروي انه لم يقل ذلك الا الذي حدثه بالصلب وروي انهما راياه ثم انكرا
وقرأ الجمهور فيسقي ربه من سقى وفرقة فيسقي من اسقى وهما لغتان بمعنى واحد وقرئ
في السبعة نسقيكم ونسقيكم وقال صاحب اللوامح سقى واسقى بمعنى واحد في اللغة والمعروف ان
سقاه ناوله ليشرب واسقاه جعل له سقيا ونسب ضم الياء لعكرمة وللجحدري ومعنى ربه سيده
وقال ابن عطية وقرأ عكرمة والجحدري فيسقي ربه خمرا بضم الياء وفتح القاف
اي ما يرويه وقال الزمخشري وقرأ عكرمة فيسقى ربه فيسقى ما يروى به على البناء
للمفعول ثم اخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل الله ان الامر قد قضي ووافق القدر
وذلك وسواء كان ذلك منكما حلم ام تحالم واوقد الامر وان كان امر هذا غير امر هذا الا ان المقصود
انما هو عاقبة امرهما الذي ادخلا به السجن وهو اتهام الملك اياهما بسمه فرايا ما رايا او
تحالما بذلك فقضيت وامضيت تلك العاقبة من نجاة احدهما وهلاك الآخر وقال اي يوسف للذي
ظن اي ايقن هو اي يوسف انه ناج وهو الساقي اي لما اخبره يوسف بما اخبره ترجح عنده انه
ينجو ويبعد ان يكون الظن على بابه ويكون مسندا الى يوسف على ما ذهب اليه قتادة والزمخشري
قال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن وقال الزمخشري الظان هو يوسف عليه
السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد يبعد لان قوله قضي الامر يحتم ما جرى به القضا
وامضاه فيظهر ان ذلك بطريق الوحي الا ان حمل قضي الامر على قضي كلامي وقلت ما عندي
فيجوز ان يعود على يوسف والمعنى ان يوسف قال لساقي الملك حين علم انه سيعود الى حالته
الاولى مع الملك اذكرني عند ربك الملك اي بعلمي ومكانتي وما انا عليه مما آتاني الله او
بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق وهذا من يوسف عليه السلام على سبيل الاستعانة والتعاون
في تفريج كربه وجعله باذن الله وتقديره سببا للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام من انصاري
الى الله وكما كان الرسول يطلب من يحرسه والذي اختاره ان يوسف عليه السلام انما قال
لساقي الملك اذكرني عند ربك ليتوصل الى هدايته وايمانه بالله كما توصل الى ايضاح الحق
للساقي ورفيقه والضمير في انساه عائد على الساقي ومعنى ذكر ربه ذكر يوسف لربه والاضا

قوله عز وجل ياصاحبي السجن

تكون بادني ملابسة وانساء الشيطان له بما يوسوس اليه من اشتغاله حتى يذهل عن ما قال له
يوسف لما اراد الله بيوسف من اجر الى اجره بطول مقامه في السجن وبضع سنين مجمل فقيل سبع
وقيل اثنا عشر والظاهر ان قوله فلبث في السجن اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن
الى ان اخرج وقيل هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتيين وذلك سبع وقيل سنتان وقيل الضمير
في انساه عايد على يوسف عليه السلام ورتبوا على ذلك اخبارا لا يليق نسبتها الى الانبياء عليهم
السلام وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما
نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة
هالته فراى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف
السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت
وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها
ارى يعني في منامه ودل على ذلك افتوني في رؤياي وارى حكاية حال فلذلك جاء بالمضارع
دون رايت وسمان صفة لقوله بقرات ميز العدد بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو نصب صفة لسبع لكان التمييز بالجنس لا بالنوع ويلزم من وصف البقرات بالسمن وصف
السبع به ولا يلزم من وصف السبع به وصف الجنس به لانه يصير المعنى سبعا من البقرات
سمانا وفرق بين قولك عندي ثلاثة رجال كرام وثلاثة رجال كراما لان المعنى في الاول ثلاثة
من الرجال الكرام فيلزم كرم الثلاثة لانهم بعض من الرجال الكرام والمعنى في الثاني
ثلاثة من الرجال كرام فلا يدل على وصف الرجال بالكرم ولم يضف سبع الى عجاف لان
اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا في الشعر انما تتبعه الصفة وثلاثة فرسان وخمسة اصحاب
من الصفات التي اجريت مجرى الاسماء ودل قوله سبع بقرات على ان السبع العجاف بقرات
كانه قيل سبع بقرات عجاف او بقرات سبع عجاف وجاء جمع عجفاء على عجاف وقياسه عجف
كخضراء وخضر حملا على سمان لانه نقيضه وقد يحمل النقيض على النقيض كما يحمل النظير على النظير
والتقسيم في البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات فيكون قد حذف اسم العدد من قوله
واخر يابسات لدلالة قسيمه وما قبله عليه فيكون التقدير سبعا اخر يابسات ولا يصح ان يكون
واخر مجرورا عطفا على سنبلات خضر لانه من حيث العطف عليه كان من جملة مميز سبع ومن
جهة كونه اخر كان مباينا لسبع فتدافعا بخلاف ان لو كان التركيب سبع سنبلات خضر
ويابسات فانه كان يصح العطف ويكون من توزيع السنبلات الى خضر ويابسات والملأ
اشراف دولته واعيانهم الذين يحضرون عند الملك **وقرأ** ابو جعفر بالادغام في الرؤيا
وبابه بعد قلب الهمزة واوا ثم قلبها ياء لاجتماع الواو والياء وقد سبقت احداهما بالسكون
ونصوا على شذوذه لان الواو هي بدل غير لازم واللام في الرؤيا مقوية لدخول الفعل الى
مفعوله اذ انتقدم عليه فلو تاخر لم يحسن ذلك بخلاف اسم الفاعل فانه لضعفه قد يتقوى
بها فتقول زيد ضارب لعمرو فصيحا والظاهر ان خبر كنتم هو قوله تعبرون واجاز الزمخشري
فيه وجوها متكلفة **احدها** ان يكون للرؤيا للبيان قال كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
فيتعلق بمحذوف تقديره اعني فيه وكذلك تقدير هذا ان كنتم اعني للرؤيا تعبرون ويكون
مفعول تعبرون محذوفا تقديره تعبرونها **والثاني** ان يكون للرؤيا خبر كان قال كما
تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حالا **والثالث**
ان تضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وعبارة
الرؤيا ماخوذة من عبر النهر اذا جازه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا ينتهي الى اخر
تاويلها وعبر الرؤيا بتخفيف الباء ثلاثيا وهو المشهور وانكر التشديد بعضهم وانشد
المبرد في الكامل **قول الشاعر** رايت رؤيا ثم عبرتها ٭ وكنت للاحلام عبارا ٭
واضغاث جمع ضغث اي تخاليط احلام وهي ما يكون من حديث النفس او وسوسة الشيطان
او مزاج الانسان واصله اخلاط النبات استعير للاحلام وجمعوا الاحلام وان كانت رؤياه
واحدة اما باعتبار متعلقاتها اذ هي اشياء واما باعتبار ذلك جواز كما تقول فلان يركب الخيل

قوله عز وجل وقال الملك

وان لم

وان لم يركب الا فرسا واحدا تغليبا بالجنس واما بكونه قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها والاحلام
جمع حلم واضغاث خبر مبتدا محذوف اي هي اضغاث احلام والظاهر انهم نفوا عن انفسهم
العلم بتاويل الاحلام اي لسنا من اهل تعبير الرؤيا ويجوز ان تكون الاحلام المنفي علمها ارادوا
بها الموصوفة بالتخليط والاباطيل اي وما نحن بتاويل الاحلام التي هي اضغاث بعالمين اي
لا يتعلق علم لنا بتاويل تلك لانه لا تاويل لها انما التاويل للمنام الصحيح فلا يكون في ذلك
نفي للعلم بتاويل المنام الصحيح ولا قصور علمهم والباء في بتاويل متعلقة بقوله بعالمين
امة بامه امها وامها نسي **يغاث** يحتمل ان يكون من الغوث وهو الفرج يقال
اغاثهم الله فرج عنهم ويحتمل ان يكون من الغيث تقول غيثت البلاد اذا امطرت ومنه قول
الاعرابية غثنا ما شينا **الخطب** الشان والامر الذي فيه خطر ويجمع على خطوب
قال الشاعر وما المرء ما دامت حشاشة نفسه ٭ بمدرك اطراف الخطوب ولا آل ٭
حصحص تبين بعد الخفاء قاله الخليل وهو ماخوذ من الحصة حصحص الحق بانت حصته
من حصة الباطل وقيل ثبت واستقر ويكون متعديا من حصحص البعير ثفناته للاناخة
قال الشاعر حصحص في صم الصفا ثفناته **الجهاز** ما يحتاج اليه المسافر من زاد
ومتاع وكل ما يحمل وجهاز العروس ما يكون معها من الاثاث والشورة وجهاز الميت ما
يحتاج اليه في دفنه **الرحل** ما على ظهر المركوب من متاع الراكب او غيره وجمعه رحال
في الكثرة وارحل في القلة **مار** يمير واماد يميرا اذا جلب الخير وهي الميرة **قال الشاعر**
٭ بعثتك مايرا فمكثت حولا ٭ متى ياتي غياثك من تغيث ٭
البعير في الاشهر الجمل مقابل الناقة وقد يطلق على الناقة كما يطلق على الجمل تقول على
هذا نعم البعير الجمل لعمومه ويمتنع على الاشهر لترادفه وفي لغة تكسر باؤه ويجمع في القلة
على ابعرة وفي الكثرة على بعران وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبيكم بتاويله فارسلون
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه
في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا
مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون لما استفتى الملك
في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي من القتل وهو ساقي الملك يوسف وتاويل
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وادكر اي تذكر ما سبق له مع يوسف بعد
امة اي مدة طويلة والجملة من قوله وادكر حالية واصله واذتكر ابدلت التاء دالا وابدلت
الذال دالا وادغمت فيها فصار ادكر وهي قراءة الجمهور **وقرأ** الحسن واذكر بابدال التاء ذالا
وادغام الدال فيها **وقرأ** الاشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة اي بعد نعمة انعم عليه
بالنجاة من القتل وقال ابن عطية بعد نعمة انعم الله بها على يوسف في تقريب اطلاقه والامة
النعمة **قال الشاعر** الا لا ارى ذا امة اصبحت به ٭ فتتركه الايام وهي كما هيا ٭
قال الاعلم الامة النعمة والحال الحسنة **وقرأ** ابن عباس وزيد بن علي والضحاك وقتادة وابو رجاء
وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعة بن عمرو بعد امه بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء وكذلك
قرا ابن عمر ومجاهد وعكرمة واختلف عنهم **وقرأ** عكرمة وايضا مجاهد وشبيل بن عزرة
بعد امه بسكون الميم مصدر امه على غير قياس **وقال** الزمخشري ومن قرا بسكون الميم
فقد خلط انتهى وهذا على عادته في نسبة الخطا الى القراء انا انبيكم بتاويله اي اخبركم به عن من
عنده علمه لا من جهتي **وقرأ** الحسن انا اتيكم مضارع اتى من الاتيان وكذا في الامام وفي مصحف
ابي فارسلون اي ابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره استاذن في المضي الى يوسف فقال
ابن عباس كان في السجن في غير مدينة الملك وقيل كان فيها ورسم الناس اليوم سجن يوسف في
موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية اميال وفي الكلام حذف التقدير فارسلوه الى
يوسف فاتاه فقال والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير وكان قد صحبه زمانا وجرب
صدقه في غير ما شي كتاويل رؤياه ورؤيا صاحبه وقوله لعلي ارجع الى الناس اي بتفسير هذه
الرؤيا واحترز بلفظة لعلي لانه ليس على يقين من الرجوع اليهم اذ من الجائز ان يخترم دون

قوله عز وجل وقال الذي

بلوعنه اليهم وقوله لعلهم يعلمون كالتعليل لرجوعه اليهم بتاويل الرويا وقيل لعلهم يعلمون فضلك
ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من محنتك فيكون لعل كالتعليل لقوله افتنا قال
تزرعون الي آخره تضمن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة انواع من القول احدها
تعبير بالمعني لا باللفظ والثاني عرض راي وامر به وهو قوله فذروه في سنبله والثالث
الاعلام بالغيب في امر العام الثامن قاله قتادة قال ابن عطية ويحتمل هذا ان لا يكون غيبا بل
علم العبارة اعطي انقطاع الخوف بعد سبع ومعلوم انه الاخصب انتهي والظاهر ان قوله
تزرعون سبع سنين دابا خبر اخبر انهم تتوالي لهم هذه السنون السبع لا ينقطع فيها زرعهم
للري الذي يوجد وقال الزمخشري تزرعون خبر في معني الامر كقوله تومنون بالله ورسوله
وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب انجاز الماموربه فيجعل كانه وجد
فهو يخبر عنه والدليل علي كونه في معني الامر قوله فذروه في سنبله انتهي ولا يدل الامر بتركه
في سنبله علي ان تزرعون في معني ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب بما يكون منهم من توالي الزرع
سبع سنين واما قوله فذروه فهو امر اشارة بما ينبغي ان يفعلوه ومعني دابا ملازمة لعادتكم
في الزراعة وقرا حفص دابا بفتح الهمزة والجمهور باسكانها وهما مصدران لداب وانتصابه
بفعل محذوف من لفظه اي تدابون دابا فهو منصوب علي المصدر وعند المبرد تزرعون
بمعني تدابون وهي عنده مثل قعد القرفصاء وقيل مصدر في موضع الحال اي دابين او ذوي
داب حالا من ضمير تزرعون وما في قوله فما حصدتم شرطية او موصولة فذروه في سنبله اشارة
براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقي عامين بوجه الا بحيلة ابقائها في السنبل
فاذا ابقيت فيها انحفظت والمعني اتركوا الزرع في السنبل الا ما لا غني عنه للاكل فيجتمع الطعا
ويتركب ويوكل الاقدم فالاقدم فاذا جاءت السنون الجدبة تقوت الاقدم فالاقدم من ذلك
المدخر وقرا السلمي مما ياكلون بالياء علي الغيبة اي ياكل الناس وحذف المميز في قوله
وسبع شداد اي سبع سنين شداد لدلالة قوله سبع سنين عليه واسند الاكل اليهن في قوله ياكلن
علي سبيل المجاز من حيث انه يوكل فيهن كما قال والنهار مبصرا ومعني تحصنون تحرزون وتخبؤون
ماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجا وقال ابن عباس ومجاهد والجمهور يغاث من الغيث وقيل من
الغوث وهو الفرج ففي الاول بني من ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث
واغاثنا من الغوث وقرا الاخوان تعصرون بالتاء علي الخطاب وباقي السبعة بالياء
علي الغيبة والجمهور علي انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسمسم والنجل
وجميع ما يعصر ومصر بلد عصير لاشياء كثيرة والحلب منه لانه عصر للضروع وروي انهم
لم يعصروا اشياء مدة الجدب وقال ابو عبيدة وغيره ماخوذ من العصرة والعصر وهو المنجي
ومنه قول ابي زبيد في عثمان رضي الله عنه * صاديا يستغيث غير مغاث * ولقد كان عصرة المنجود
فالمعني ينجون بالعصرة وقرا جعفر بن محمد والاعرج وعيسي البصرة يعصرون بضم الياء
وفتح الصاد مبنيا للمفعول وعن عيسي ايضا تعصرون بالتاء علي الخطاب مبنيا للمفعول
ومعناه ينجون من عصره اذا انجاه وهو مناسب لقوله يغاث الناس وقال ابن المستنير معناه
يمطرون من اعصرت السحابة ماءها عليهم فجعلوا معصرين مجازا باسناد ذلك اليهم وهو
للماء الذي يمطرون به وحكي النقاش انه قرئ يعصرون بضم الياء وكسر الصاد وشدها
من عصر مشددا للتكثير وقرا زيد بن علي وفيه تعصرون بكسر التاء والعين والصاد
وشدها واصله يعتصرون فادغم التاء في الصاد ونقل حركتها الي العين واتبع حركة التاء لحركة
العين واحتمل ان يكون من اعتصر العنب ونحوه ومن اعتصر بمعني نجا قال الشاعر
* لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري *
اي نجاتي تاول يوسف عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرويا بمجي العام الثامن مباركا خصيبا
كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة والذي من جهة
الوحي هو التفصيل الحاصل العام بانه فيه يغاث الناس وفيه يعصرون والا فمعلوم ان بانتهاء
السبع الشداد يجي الخصب وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الي ربك فاسئله ما بال

قوله عز وجل وقال الملك

النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين * في الكلام حذف تقديره فحفظ الرسول ما اول به يوسف الرويا وجاء الي الملك
ومن ارسله واخبرهم بذلك وقال الملك وقال ابن عطية في تضاعيف هذه الايات محذوفات
يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها والمعني فرجع الرسول الي الملك ومن مع الملك فقص
عليهم مقالة يوسف فراي الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الراي وتضمن الغيب في امر
العام الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنام المتقدم فعظم يوسف في نفس
الملك وقال ايتوني به فلما وصل الرسول في اخراجه اليه وقال ان الملك قد امر بان تخرج اليه
قال له ارجع الي ربك اي الي الملك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام انما كان
وقل له يستقصي عن ذنبي وينظر في امري هل سجنت بحق ام بظلم وكان هذا الفعل من يوسف
عليه السلام اناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك انه فيما روي خشي ان يخرج وينال
من الملك مرتبة ويسكت عن ذنبه صفحا فيراه الناس بتلك العين ابدا ويقولون هذا الذي
راود امراة مولاه فاراد يوسف عليه السلام ان يبين براته ويحقق منزلته من العفة والخير
وحينئذ يخرج للاحظاء والمنزلة وقال الزمخشري انما تاني وتثبت في اجابة الملك وقدم سوال
النسوة لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسلق فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الي تقبيح امره
عنده ويجعلوه سلما الي حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر
عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويكشف سره وفيه دليل علي ان الاجتهاد في نفي التهم
واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر
فلا يقفن مواقف التهم انتهي ولاجل هذا كان الزمخشري وكان مقطوع الرجل قد اثبت علي
القضاة ان رجله لم تقطع في خيانة ولا فساد وكان يظهر ذلك المكتوب في كل بلد دخله خوفا
من تهمة السوء وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عنهن لان السوال
مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السوال ليجري التفتيش
عن حقيقة القصة وقص الحديث حتي يتبين له براته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل
ومن كرم يوسف عليه السلام انه لم يذكر زوج العزيز مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن
والعذاب واقتصر علي ما ذكر المقطعات الايدي وقرا ابو حيوة وابو بكر عن عاصم في رواية
النسوة بضم النون وقرات فرقة اللاي بالياء وكلاهما جمع التي ان ربي اي ان الله بكيدهن
عليم لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله علي انهن كدنه وانه بري مما قذف به او اراد
الوعيد لهن او هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالرب العزيز
مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع له وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يسوغ والضمير في
بكيدهن عائد علي النسوة المذكورات لا للجنس لانها حالة توقيف علي ذنب قال ما خطبكن
في الكلام حذف تقديره فرجع الرسول واخبره بما قال يوسف فجمع الملك النسوة وامراة العزيز
وقال لهن ما خطبكن وهذا استدعاء منه ان يعلمنه بالقصة ونزه جانب يوسف بقوله اذ راودتن
يوسف عن نفسه ومراودتهن له قولهن ليوسف اطع مولاتك قال الزمخشري هل وجدتن
منه ميلا لكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شي من الريبة ومن نزاهته عنها
وقال ابن عطية اجاب النساء بجواب جيد يظهر منه براءة انفسهن جملة واعطين يوسف بعد
براءة وذلك ان الملك لما قررهن انهن راودنه قلن جوابا عن ذلك حاش لله ويحتمل ان يكون
قوله حاش لله في جهة يوسف عليه السلام وقولهن ما علمنا عليه من سوء ليس بابراء تام وانما
كان الابراء التام وصف القصة علي وجهها حتي يتقرر الخطا في جهتهن فلما سمعت امراة
العزيز مقالتهن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت الان حصحص الحق وقرئ
حصحص علي البناء للمفعول اقرت علي نفسها بالمراودة والتزمت الذنب وابرات يوسف
البراءة التامة ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم الظاهر ان هذا من كلام
امراة العزيز وهو داخل تحت قوله قالت والمعني ذلك الاقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف

قوله عز وجل ذلك ليعلم

اني لم اخنه في غيبته والكذب عليه وارميه بذنب هو منه بري ثم اعتذرت عن ما وقعت فيه مما يقع فيه البشر
من الشهوات بقولها وما ابري نفسي والنفوس مايلة الي الشهوات امارة بالسوء وقال الزمخشري وما
وما ابري نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزا من اراد باهلك سوا
الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار لما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا
رحمها الله بالعصمة ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت ومن ذهب الي ان
قوله ذلك ليعلم الي اخره من كلام يوسف يحتاج الي تكلف ربط بينه وبين ما قبله ولا دليل
يدل علي انه من كلام يوسف فقال ابن جريج في الكلام تقديم وتاخير وهذا الكلام متصل بقول يوسف
ان ربي بكيدهن عليم وعلي هذا فالاشارة بقوله ذلك الي التثبت في السجن والتماسه البراة اي هذا
ليعلم سيدي اني لم اخنه وقال بعضهم انما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امراة العزيز
كلامها الي قولها وانه لمن الصادقين فالاشارة علي هذا الي قولها وصنع الله فيه وهذا يضعف
لانه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك فكيف يقول الملك بعد ذلك ايتوني به وفسر الزمخشري
الاية اولا علي انها من كلام يوسف فقال اي ذلك التثبت والتشمر لظهور المراة ليعلم العزيز
اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته وان الله لا يهدي كيد الخاينين لا ينفذه ولا يسدده وكانه
تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانة امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات
علي حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدي الله كيده ولا سدده ثم اراد
ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا ولحالها في الامانة معجبا كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله
ولطفه وعصمته فقال وما ابري نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراة الكلية ولا ازكيها ان النفس
لامارة بالسوء اراد الجنس اي هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل علي ما فيه من الشهوات انتهي وفيه تكثير
وتحميل للفظ ما ليس فيه وبزيد علي عادته في خطابته ولما احس الزمخشري باشكال قول من قال
انه من كلام يوسف قال فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل علي ذلك قلت
كفي بالمعني دليلا قايدا الي ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهي
وهذا ليس كما ذكر اذ لا يتعين في هذا التركيب ان يكون من كلام فرعون بل هو من كلام الملا تقدمهم
فرعون الي هذه المقالة فقالوا ذلك بعضا لبعض فيكون في قول فرعون يريد ان يخرجكم خطابا للملا
من فرعون ويكون في هذا التركيب خطابا من بعضهم لبعض ولا ينتفي اجتماع المقالتين وبالغيب
يحتمل ان يكون حالا من الفاعل اي غايبا عنه او من المفعول اي غايبا عني او ظرفا اي بمكان الغيب
والظاهر ان الا ما رحم ربي استثناء من قوله متصل لامارة بالسوء لانه اراد الجنس بقوله ان النفس
فكانه قال الا النفس التي رحمها ربي فلا تامر بالسوء فيكون استثناء من الضمير المستكن في امارة
ويجوز ان يكون مستثني من مفعول امارة المحذوف اذ التقدير لامارة بالسوء صاحبها الا الذي
رحمه ربي فلا تامره بالسوء وجوزوا ان يكون مستثني من ظرف الزمان المفهوم عمومه من ما قبل
الاستثناء وما ظرفية اذ التقدير لامارة بالسوء مدة بقايها الا وقت رحمة الله العبد وذهابه
بها عن اشتهاء المعاصي وجوزوا ان يكون استثناء منقطعا وما مصدرية وذكر ابن عطية انه
قول الجمهور اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساة وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي فلما
كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني علي خزاين الارض اني حفيظ عليم وكذلك
مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم بالاخبار
في الواقعات وكتب علي باب السجن هذه منازل البلوي وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل علي الملك قال اللهم اني اسالك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا
اللسان فقال لسان ابائي وكان الملك يعرف بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب
منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رو باي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن

قوله عز وجل وقال الملك

وما كان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها علي الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال
له من حفظك ان يجعل الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من
الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك كان يوسف قصد اولا بتثبته في السجن ان يرتقي الي اعلي المنازل
فكان استدعاء الملك اياه اولا بسبب علم الرويا فلذلك قال ايتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل
فظهرت امانته وصبره وهمته وجودة نظره وتانيه في عدم التسرع اليه باول طلب عظمت
منزلته عنده فطلبه ثانيا ومقصوده لنفسه ومعني استخلصه اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي
وسمي الله فرعون مصر ملكا اذ هي حكاية اسم مضي حكمه وتقدم ومنه فلو كان حيا لكان حكما له
اذا قيل لكافر ملك او امير ولهذا كتب النبي صلى الله عليه وسلم الي هرقل عظيم الروم ولم
يقل ملكا ولا اميرا لان ذلك حكم والحق ان يسلم ويسلموا واما كونه عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه
كيف ما تقلب وفي الكلام حذف التقدير فسمع الملك كلام النسوة وبراة يوسف مما رمي
به فاراد رويته وقال ايتوني به فاتاه فلما كلمه والظاهر ان الفاعل بكلمه هو ضمير الملك
اي فلما كلمه الملك وراي حسن جوابه ومحاورته ويحتمل ان يكون الفاعل ضمير يوسف
فلما كلم يوسف الملك وراي الملك حسن منطقه بما صدق به الخبر الخبر والمرء مخبو تحت
لسانه قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة ومنزلة امين موتمن علي كل شي وقيل
امين امن والوصف بالامام هو الابلغ في الاكرام وبالامن تحفظ من اكرام يوسف ولما وصفه
الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين فقال اجعلني
علي خزاين الارض اي ولني خزاين ارضك اني حفيظ احفظ ما يستحفظه عليم بوجوه التصرف
وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما مقصود الملك ممن يولونه اذ هما يعمان وجوه التثقيف
والحياطة ولا خلل معهما لعامل وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن وقيل حفيظ لما استودعني
عليم بسني الجوع وهذا التخصيص لا وجه له ودل اثناء يوسف علي نفسه علي انه يجوز
للانسان ان يثني علي نفسه بالحق اذا جهل امره ولا يكون ذلك التزكية المنهي عنها وعلي
جواز عمل الرجل الصالح للرجل الفاجر بما يقتضيه الشرع والعدل لا بما يختاره ويشتهيه
مما لا يسيغه الشرع وانما طلب يوسف هذه الولاية ليتوصل الي امضاء حكم الله واقامة الحق
وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الي العباد ولعلمه ان غيره لا يقوم مقامه
في ذلك فان كان الملك قد اسلم كما روي مجاهد فلا كلام وان كان كافرا ولا سبيل الي الحكم
بامر الله ودفع الظلم الا بتمكينه فللمتولي ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن راي
يوسف ولا يعترض عليه في كل ما راي فكان في حكم التابع وما زال قضاة الاسلام يتولون
القضاء من جهة من ليس بصالح ولولا ذلك لبطلت احكام الشرع فهم مثابون علي ذلك
اذا عدلوا وكذلك اي مثل ذلك التمكين في نفس الملك مكنا ليوسف في الارض مصر
يتبوا منها حيث يشا اي يتخذ منها مباءة ومنزلا كل مكان اراد فاستولي علي جميعها
ودخلت تحت سلطانه وروي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فجلس علي السرير ودانت له الملوك
وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها
قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء لان العزيز كان لا ياتي النساء فولدت له
ولدين افراثيم ومنشا واقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء واسلم علي يده الملك
وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة
الاولي حتي لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم ثم استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه
فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما تري قال الراي رايك قال فاني
اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع
احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام
نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين وقرا الحسن
وابن كثير بخلاف عنهم ابو جعفر وشيبة ونافع حيث نشاء بالنون والجمهور بالياء والظاهر

ان قرآة اليا، تكون فاعل نشا، ضميرًا يعود علي يوسف ومشيئته معذ وقة بمشيئة الله اذ هو نبيته
ورسوله واما ان يكون الضمير عايد اعلي الله اي حيث يشاء الله فيكون التفاتا نصيب برحمتنا
اي بنعمتنا من الملك والغني وغيرهما ولا نضيع في الدنيا اجر من احسن ثم ذكران اجر الاخرة
خير لانه الدايم الذي لا يفني وقال سفين بن عيينة المومن يثاب علي حسناته في الدنيا
والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفي الحديث
مايوافق ما قال سفين وفي الاية اشارة الي ان حال يوسف عليه السلام في الاخرة خير من حالته
العظيمة في الدنيا وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الي اهلهم لعلهم يرجعون اي جاء وامن القريات من ارض
فلسطين بغور الشام وقيل من الاولاج من ناحية الشعب الي مصر ليمتاروا سنها فتوصلوا الي يوسف
للميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراي زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت
معمورة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وروي انهم انتسبوا في الاستيذان عليه فعرفهم
وامر بانزالهم ولذلك قال الحسن ماعرفهم حتي تعرفوا له وانكارهم اياه قال الزمخشري لطول
العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة
ذكرهم فيه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في البير
مشتريًا بدراهم معدودة حتي لو تخيل لهم لكذبوا انفسهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس
صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر منه المعروف وقيل راوه علي زي فرعون عليه ثياب الحرير
جالسا علي سرير في عنقه طوق من ذهب وعلي راسه تاج فما خطر لهم انه هو وقيل ما راوه الا
من بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوايج ولما جهزهم
بجهازهم وكان الجهاز الذي لهم هو الطعام الذي امتاروه وفي الكلام حذف تقديره وقد كان
استوضح منهم انه لهم اخ فقد ابيهم روي انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بان
قال لهم ترجمان اظنكم جواسيس فاحتاجوا الي التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابنا رجل صديق
وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجينا نحن للميرة وسقنا بعير الباقي
منا وكانوا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم قالوا للمحبة ابينا
فيه قال فاتوني بهذا الاخ حتي اعلم حقيقة قولكم واري لم احبه ابوكم اكثر منكم ان كنتم صادقين
واورد الزمخشري هذا القصص بالفاظ اخر متقاربة تقارب هذه في المعني وفي اخره
قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذين تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد
يشهد قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتي
اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان
قد احسن انزالهم وضيافتهم وقيل لم يرتهن احدا وروي غير هذا في طلب الاخ من ابيهم فقيل كان
يوسف ملثما ابدا ستر الجماله وكان يغتر في الصواع فيفهم من طنينه صدق ما يحدث او كذبه
فسيلوا عن اخبارهم فكلما صدقهم قال لهم صدقتم فلما قالوا وكان لنا اخ اكله الذيب طن
يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس وكلفهم سوق الاخ الباقي ليظهر صدقهم
وقري بجهازهم بكسر الجيم وتنكيراخ ولم يقل باخيكم وان كان قد عرفه وعرفهم مبالغة
في كونه لا يريد ان يتعرف لهم ولا انه يدري من هو لانا نعري فرقا بين مررت بغلامك
ومررت بغلام لك انك في التعريف تكون عارفا بالغلام وفي التنكير انت جاهل به فالتعريف
يفيد نوع عهد في الغلام بينك وبين المخاطب والتنكير لا عهد فيه البتة وجايز ان يخبر عن من
يعرفه اخبارا لنكرة فتقول قال رجل كذا وانت تعرفه لصدق اطلاق النكرة علي المعرفة ثم
ذكر ما يحضهم به علي الاتيان باخيهم بقوله الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين اي المضيفين
يعني في قطره وفي زمانه يونسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم ياتوا به اليه لحرمانهم من
الميرة في المستقبل واحتمل قوله ولا تقربون ان يكون نهيا وان يكون نفيا مستقبلا ومعناه
النهي وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في فبم تبشرون وان يكون نفيا داخلا في الجزاء

قوله عز وجل
وجاء اخوة يوسف

معطوفا

معطوفا علي محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزومًا والمعني انهم لا يقربون له بلدًا ولا طاعة وظاهر
كل ما فعله يوسف عليه السلام معهم انه بوحي والا فانه كان يقتضي البر ان يبادر الي ابيه
ويستدعيه لكن الله تعالي اراد تكميل اجر يعقوب ومحنته ولتتفسر الرويا الاولي قالوا سنراود
عنه اباه اي سنخادعه ونستميله في رفق الي ان يتركه ياتي معنا اليك ثم اكدوا ذلك الوعد بانهم
فاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتواني وقرا الاخوان وحفص لفتيانه وباقي السبعة
لفتيته بالكثرة علي مراعاة المامورين والقلة علي مراعاة المتناولين فهم الخدمة الكايلون
امرهم بجعل المال الذي اشتروا به الطعام في رحالهم مبالغة في استمالتهم لعلهم يعرفونها اي
يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين فيرغبون فينا اذا انقلبوا الي اهلهم وفرغوا
ظروفهم ولعلهم يعرفونها تعلق بالجعل ولعلهم يرجعون تعليق بترجي معرفة البضاعة للرجوع
الي يوسف قيل وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل يرجعون متعد فالمعني لعلهم يردون
البضاعة وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل علم ان ديانتهم تحملهم
علي رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل جعلها توطية لجعل السقاية
في رحل اخيه بعد ذلك ليتبين انه لم يسرق لمن يتامل القصة قال ابن عطية ويظهر ان
ما فعل يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه اذ هو ملك عادل وهم اهل ايمان
ونبوة فلما رجعوا الي ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم علي اخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين اي رجعوا
من مصر ممتارين بادروا بما كان اهم الاشياء عندهم من التوطية لارسال اخيهم معهم وذلك
قبل فتح متاعهم وعلمهم باحسان العزيز اليهم من رد بضاعتهم واخبروا بما جري لهم مع العزيز
الذي علي اهرا مصر وانهم استدعي منهم العزيز ان ياتوا باخيهم حتي يتبين صدقهم انهم ليسوا
جواسيس وقولهم منع منا الكيل اشارة الي قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ويكون
منع يراد به في المستانف والا فقد كيل لهم وجاءوا ابام بالميرة لكن لما انذروا بمنع الكيل قالوا
منع وقيل اشاروا الي بعير بنيامين الذي منع من الميرة وهذا اولي بحمل منع علي الماضي حقيقة
ولقولهم فارسل معنا اخانا نكتل ويقويه قراة يكتل بالياء اي يكتل اخونا فانما منع كيل بعيره
لغيبته او يكون سببا للاكتيال فان امتناعه في المستقبل بسببه وهي قرآة الاخوين وقرا باقي
السبعة بالنون اي نرفع المانع من الكيل او نكتل من الطعام ما يحتاج اليه وضمنوا له حفظه
وحياطته قال هل امنكم هذا توقيف وتقرير تالم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من حمله
لما راي في ذلك من المصلحة وشبه هذا الايتمان في ابنه هذا بايتمانه اياهم في حق يوسف
قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب
لم يخف عليه كما خاف علي يوسف واستسلم لله وقال فالله خير حفظا وقرا الاخوان وحفص
حافظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا علي التمييز والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ
الذي من جهة الله واجاز الزمخشري ان يكون حافظا حالا وليس بجيد لان فيه تقييد خير بهذه
الحال وقرا الاعمش خير حافظ علي الاضافة فالله تعالي متصف بالحفظ وزيادته علي كل
حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين كذا نقل الزمخشري وقال ابن عطية وقرا ابن مسعود
فالله خير حافظا وهو خير الحافظين وينبغي ان يجعل هذه الجملة تفسيرا لقوله فالله خير حفظا
لا انها قران وهو ارحم الراحمين اعتراف بان الله هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه حفظه وان لا
يجمع عليه مصيبته ومصيبة اخيه ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا
ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن
ارسله معكم حتي تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله علي
ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم
من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما
علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قرأة علقمة ويحيي بن وثاب والاعمش ردت بكسر الراء نقل
حركة الدال المدغمة الي الراء بعد توهم خلوها من الضمة وهي لغة لبني ضبة كما تنقل العرب في قيل

قوله عز وجل
فلما رجعوا الي ابيهم

قوله عز وجل
ولما فتحوا متاعهم

وبيع وحكي قطرب النقل في الحرف الصحيح غير المدغم نحو ضرب زيد سموا المردود المسدود المربوط
بجملته شاعًا فلذلك حسن الفتح فيه وما نبغي ما فيه استفهامية اي اي شي نبغي ونطلب من الكرامة
هذه اموالنا ردت الينا قاله قتادة وكانوا قالوا لابيهم قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقال الزجاج يحتمل ان تكون نافية
من البغي اي ما افترينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة مردودة
وهذا معني قول الزمخشري ما نبغي في القول ما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك
والكرامة وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقرا عبد الله وابو حيوة ما تبغي بالتاء
على خطاب يعقوب ورويتها عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ما في هذه القراءة الاستفهام
والنفي كقراءة النون وقرات عايشة وابو عبد الرحمن السلمي ونمير بضم النون والجملة
من قولهم هذه بضاعتنا ردت الينا موضحة من قولهم ما نبغي والجمل عليها معطوفة عليها
على تقدير فنستظهر بها ونستعين بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه
شي مما تخافه واذا كان ما نبغي بمعنى ما نتزيد وما نكذب جاز ان يكون ونمير معطوفا على ما نبغي
اي ما نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت وجاز ان يكون كلاما مبتدا وكرر
واحفظ الاخ مبالغة في الحفظ على ارساله ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير على اوساق
بعرنا لانه انما كان حمل لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه والظاهر ان البعير
هو من الابل وقال مجاهد كيل حمار قال وبعض العرب تقول للحمار بعير وهذا شاذ
والظاهر ان قوله ذلك كيل يسير من كلامهم لا من كلام يعقوب والاشارة بذلك الظاهر انها
الى كيل بعير اي يسير بمعنى قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او يسير بمعنى سهل عليه
متيسر لا يتعاظمه وقيل يسير عليه ان يعطيه وقال الحسن وقد كان يوسف عليه السلام وعدهم
ان يزيدهم حمل بعير بغير ثمن قال الزمخشري اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم
فازدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون من كلام يعقوب اي حمل بعير واحد شي يسير
لا يخاطر لمثله بالولد لقوله ذلك ليعلم انتهي ويعني ان ظاهر الكلام انه من كلامهم وهو من
كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام امراة العزيز وهو من كلام يوسف
وهذا كله تحميل للفظ القران ما يبعد تحميله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب
غير مختار لارسال ابنه والحوا عليه في ذلك علق ارساله باخذ الموثق عليهم وهذا الحلف بالله
اذ به تؤكد العهود وتشدد ولتاتنني به جواب للحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا
لي لتاتنني به وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى تعمكم الغلبة
من جميع الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه تخلص وقال مجاهد الا ان تهلكوا
وعنه ايضا الا ان لا تطيقوا ذلك وهذا الاستثنا من المفعول من اجله مراعي في قوله لتاتنني به
وان كان مثبتا معنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشي من الاشيا الا لان يحاط بكم
ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم انشدك الله الا فعلت اي ما انشدك
الا الفعل ولا يجوز ان يكون مستثني من الاحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا وان كان صريح
المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير لتاتنني به على كل حال الا احاطة بكم لانهم نصوا على ان
ان الناصبة للفعل لا تقع حالا وان كانت مقدرة بالمصدر الذي قد يقع بنفسه حالا فان
جعلت ان والفعل واقعة موقع المصدر الواقع ظرف زمان ويكون التقدير لتاتنني به في
كل وقت الا وقت احاطة بكم اي الا وقت احاطة بكم قلت منع ذلك ابن الانباري فقال
ما معناه يجوز خرجنا صياح الديك اي وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا ان يصيح الديك
ولا ما يصيح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما تقع ظرفا المصدر المصرح بلفظه
واجاز ابن جني ان تقع ان ظرفا كما تقع صريح المصدر فاجاز في قول تابط شرا

وقالوا لها لا تنكحيه فانه • لاول نصل ان يلاقي مجمعا •

وقول ابي ذويب الهذلي

وتالله ما ان شهلة ام واحد • باوجد مني ان يهان صغيرها •

ان يكون ان تلاقي تقديره وقت لقائه وان يكون ان يهان تقديره وقت اهانة صغيرها فعلي

ما اجازه

ما اجازه ابن جني يجوز ان تخرج الاية ويبقى لتاتنني به على ظاهره من الاتيان ولا يقدر فيه معنى النفي
وفي الكلام حذف تقديره فاجابوه الى ما طلب فلما اتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع ونهيه اياهم ان يدخلوا من باب واحد هو خشية
العين وكانوا احد عشر لرجل واحد اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم
والعين حق وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي التعوذ ومن كل
عين لامة وخطب الزمخشري فقال لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم
اهل مصر بالقربة عند الملك والكرامة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح
الابصار اليهم من الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هولاء اضياف الملك انظروا
اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم
على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في
الصدور ويصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
مغمورين بين الناس ويظهر ان خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب ان محبوبه
فيهم وهو بنيامين الذي كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم في الكرة الاولى
فاهمل امرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف وقيل نهاهم خشية ان يستراب بهم
لقول يوسف انتم جواسيس وقيل طمع بافتراقهم ان يتسمعوا خبر يوسف ثم نفى عن نفسه
ان يغني عنهم شيا يعني بوصاته ان الحكم الا لله اي هو الذي يحكم وحده وينفذ ما يريد
فعليه وحده توكلت ومن حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة روي انهم لما ودعوا
اباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر
صنيعك معنا وفي كتاب ابي منصور المهراني انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى وجواب
لما قوله ما كان يغني عنهم من الله من شي وفيه حجة لمن زعم ان لما حرف وجوب لوجوب
لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كان ظرف زمان ما جاز ان يكون معمولا لما بعد ما النافية
لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو ويجوز لما قام زيد ما قام عمرو فدل ذلك على ان لما
حرف يترتب جوابه على ما بعده وقال ابن عطية ويجوز ان يكون جواب لما محذوفا مقدرا
ثم يخبر عن دخولهم انه ما كان يغني ومعنى الجملة لم يكن في دخولهم متفرقين دفع قدر الله
الذي قضاه عليهم من تشريفهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله
وتزايد مصيبته على ابيهم بل كان اربا ليعقوب قضاه وتطييبا لنفسه وقيل معنى ما كان يغني
عنهم من الله من شي ما يرد عنهم قدرا لانه لو قضي ان تصيبهم عين لاصابتهم مفترقين او
مجتمعين وانما طمع يعقوب ان تصادف وصيته قدر السلامة فوصى وقضى بذلك حاجة
نفسه في ان يتنعم برجايه ان يصادف وصيته القدر في سلامتهم وانه لذو علم يعني
لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه بان القدر لا يدفعه الحذر وهذا ثناء من الله على
يعقوب عليه السلام وقال قتاده لعامل لما علمناه وقال سفين من لا يعمل لا يكون عالما
ولفظة ذو علم لا تساعد على هذا التفسير وان كان صحيحا في نفسه وقرا الاعمش
مما علمناه العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي
قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وغيد والعير مونث وقالوا في الجمع عيرات فشذوا في جمعه بالالف
والتاء وفي فتح يائه وقال الشاعر

• عشيت ديار الحي بالبكرات • فعارمة فبرقة العيرات •

المفردات

قال الاعلم العيرات هنا مواضع الاعيار وهي الحمير الصواع الصاع وفيه لغات تاتي
في القراءات ويونث ويذكر الوعاء الظرف الذي يحفظ فيه الشي وتضم واوه ويجوز
ان تبدل واوه همزة فتي من اخوات كان الناقصة قال اوس بن حجر

• فما فتئت حتى كان غبارها • سرادق يوم ذي رياح يرفع •

وقال ايضا فما فتئت خيلا تثوب وتدعي • ويلحق منها لاحق وتقطع •

ويقال فيها فتي على وزن ضرب وافتا على وزن اكرم وزعم ابن مالك انها تكون بمعنى سكن

واطفاء فتكون تامة وورد ناعليه ذلك في شرح التسهيل وبينا ان ذلك تصحيف منه صحف الثا
بثلث بالتاء بنقطتين من فوق وشرحها باسكن واطفا الحرض المشفي على الهلاك يقال
حرض فهو حرض بكسر الرا حرضا بفتحها وهو المصدر ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث والمفرد
والجمع واحرضه المرض فهو محرض قال الشاعر
اري المرء كالاذواد يصبح محرضا ، كاحراض بكر في الديار مريض وقال
اخر ، اني امرؤ لج بي حب فاحرضني ، حتي بليت وحتي شفني السقم ،
وقالوا رجل حرض بضمتين كجنب وشلل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك
فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها
العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل
بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما
جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ، روي
انهم قالوا له هذا اخونا قد جيناك به فقال احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم
واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مايدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي
يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مايدته وقا جعل يواكلهم
وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه
ويشم رايحته حتي اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماهم من اسم اخ لي هلك
فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا
يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن
عباس تعرف اليه انه اخوه وهو الظاهر وهو قول ابن اسحق وغيره اعلمه انه اخوه حقيقة واستكتمه
وقال له لا تبالي بكل ما تراه من المكروه في تحيلي في اخذك منهم قال ابن عطية وعلى هذا التاويل
يحتمل ان يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية ونحو ذلك
انتهي ولا يحتمل ذلك لانه لو كان التركيب بما يعملون بغير كان لامكن على بعده لان الكلام انما هو
مع اخوة يوسف واما ذكر فتيانه فبعد جدا لانه لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله وقال لفتيانه
وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا لا ينبغي ان يعدل على ان الضمير عايد
اليهم وان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قديما من الاذي اذ قد امن بذلك باجتماعه
باخيه يوسف وقال وهب انما اخبر انه اخوه في الود مقام اخيه الذاهب ولم يكشف الكتبه
الامر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر اخوته والظاهر ان الذي جعل السقاية في رحل اخيه هو
يوسف ويظهر من حيث كونه ملكا انه لم يباشر ذلك بنفسه بل جعل غيره من فتيانه او غيرهم
ان يجعلها وتقدم قول وهب انه لم يكشف له انه اخوه وانه تركه تجوز عليه الحيلة وروي
انه قال ليوسف انا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا تحتمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك
انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل وقرا عبد الله
فيما نقل الزمخشري وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن وفي نقل ابن عطية
وجعل السقاية بزيادة واو في جعل دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله في رحل
اخيه فاحتمل ان تكون الواو زايدة على مذهب الكوفيين واحتمل ان يكون جواب لما محذوفا
تقديره فقدها حافظها كما قيل انما اوحي الى يوسف ان يجعل السقاية فقط ثم ان حافظها
فقدها فنادي برايه على ما ظهر له ورجحه الطبري وتفتيش الاوعية يرد هذا القول
والذي يظهر ان تاذين المؤذن كان عن امر يوسف وقال السدي كان هذا الجعل بغير علم من
بنيامين وما تقدم يدل على انه كان بعلم منه وقال الجمهور وابن عمر وابن عباس والحسن ومجاهد
والضحاك وابن زيد السقاية اناء يشرب به الملك وبه كان يكال الطعام للناس وقيل كانت
الدواب تسقى بها ويكال بها وقال ابن جبير الصواع هو مثل المكوك الفارسي وكان اناء يوسف
الذي يشرب فيه وكان الى الطول ما هو قال وحدثني ابن عباس انه كان للعباس مثله يشرب به

قوله عز وجل ولما دخلوا

في الجاهلية وقال ابن جبير ايضا الصواع المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم
والسقاية من فضة او ذهب او فضة مموهة بالذهب او نحاس او مسك او كانت مرصعة بالجواهر
اقوال اولها للجمهور ولعزة الطعام في تلك الاعوام قصر كيله على ذلك الاناء ثم اذن موذن اي
نادي مناد اذن اعلم واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وثم تقتضي مهلة بين
جعل السقاية والتاذين فروي انه لما فصلت العير باوقارها وخرجوا من مصر ادركوا وقيل
لهم ذلك وقيل قبل الخروج من مصر امر بهم فحبسوا واذن موذن والظاهر وقول الجمهور ان العير
الابل وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ومناداة العير والمراد اصحابها كقوله يا خيل الله اركبي
ولذلك جاء الخطاب انكم لسارقون فروعي المحذوف ولم يراع العير كما روعي في اركبي وفي قوله
والعير التي اقبلنا فيها ويجوز ان يطلق العير على القافلة او الرفقة فلا يكون من مجاز الحذف
والذي يظهر ان هذا القول ورمي ابرياء بالسرقة وادخال الهم على يعقوب عليه السلام
بوحي من الله لما علم تعالى في ذلك من الصلاح ولما اراد من محنتهم بذلك ويقويه قوله كذلك
كدنا ليوسف وقيل لما كان ناعوا يوسف استجيز ان يقال لهم هذا ونسبة السرقة اليهم جميعا
وان كان الصواع انما وجد في رحل واحد منهم كما نقول بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
منهم قالوا اي اخوة يوسف واقبلوا جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم على طالبي السقاية او على
المؤذن ان كان اريد بجمع كانه جعل موذنين ينادون وساءهم ان يرموا بهذه المثلبة وقالوا ماذا
تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براتهم ولم يلوذوا بالانكار من اول بل سالوا كمال الدعوى
رجاء ان يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام واحتمل ان تكون ماذا استفهاما في موضع
نصب بتفقدون واحتمل ان تكون ما وحدها استفهاما مبتداء وذا موصولة بمعنى الذي
خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعايد محذوف اي تفقدونه وقرا السلمي تفقدون
بضم التاء من افقدته اذا وجدته فقيدا نحو احمدته اذا وجدته محمودا وضعف هذه القراءة
ابو حاتم ووجهها ما ذكرناه وصواع الملك هو المكيال وهو السقاية سماه اولا باحدي جهتيه
وآخرا بالثانية وقرا الجمهور صواع بضم الصاد بعدها واو مفتوحة بعدها الف بعدها
عين مهملة وقرا ابو حيوة والحسن وابن جبير فيما نقل ابن عطية كذلك الا انه كسر الصاد
وقرا ابو هريرة ومجاهد صاع بغير واو على وزن فعل فالالف فيها بدل من الواو
المفتوحة وقرا ابو رجاء صوع على وزن قوس وقرا عبد الله بن عون بن
ابي ارطبان صوع بضم الصاد وكلها لغات في الصاع وقرا الحسن وابن جبير فيما نقل
عنهما صاحب اللوامح صواغ بالغين معجمة على وزن غراب وقرا يحيى بن يعمر كذلك
الا انه بحذف الالف ويسكن الواو وقرا زيد بن علي صوغ مصدر صاغ وصواغ وصوغ
مشتقان من الصوغ مصدر صاغ يصوغ اقيما مقام المفعول بمعنى مصوغ الملك ولمن جاء به
اي لمن دل على سارقه وفضحه وهذا جعل وانا به زعيم من كلام المؤذن اي وانا بحمل البعير كفيل
اوديه الى من جاء به واراد به وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله اقسموا بالتاء
من حروف القسم لانها يكون فيها التعجب غالبا كانهم عجبوا من رميهم بهذا الامر وروي
انهم ردوا البضاعة التي وجدوها في الطعام وتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن وكانوا قد
اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا يجعلون الاكمة في افواه ابلهم لئلا تنال زروع الناس
فاقسموا على اثبات شيء قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم ان مجيئنا لم يكن لفساد ثم استانفوا
الاخبار عن نفي صفة السرقة عنهم وان ذلك لم يوجد منهم قط ويحتمل ان تكون في حيز جواب
القسم فيكون معطوفا على قوله لقد علمتم قال ابن عطية والتاء في تالله بدل من واو كما ابدلت
في تراث وفي التوراة والتخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في المكتوبة من بين اسماء الله تعالى وغير
ذلك لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم انتهي اما قوله والتاء في تالله بدل من واو فهو قول اكثر النحويين
وخالفهم السهيلي فزعم انها اصل بنفسها وليست بدلا من واو وهو الصحيح على ما قررناه في النحو
واما قوله وفي التوراة فعلى مذهب البصريين اذ زعموا ان الاصل وورية من وري الزند
ومن النحويين من زعم ان التاء زايدة وذلك مذكور في النحو واما قوله ولا تدخل الى اخره
فقد حكي عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك

والخطاب في لقد علمتم لطالبي الصواع والضمير في جزاؤه عائد على السارق اي فما جزاء السارق ان كنتم
كاذبين في قولكم وما كنا سارقين قاله ابن عطية وقال الزمخشري فما جزاؤه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه انتهى وقوله هو الظاهر لاتحاد
الضماير في قوله قالوا جزاؤه من وجد في رحله اذ التقدير اذ ذاك قالوا جزاء الصاع اي سرقته
من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله كلام من لم يشك انهم برآء مما رموا به ولاعتقاد
البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته وكانهم يقولون لا يمكن ان نسرق الا يمكن ان يوجد
الصاع في رحالنا وكان في دين يعقوب استعباد السارق قال الزمخشري سنة وكان في دين مصر
ان يضرب ويضعف عليه الغرم ولذلك اجابوا على شريعتهم وجوزوا في اعراب هذا الكلام وجوها
احدها ان يكون جزاؤه مبتدا ومن شرطية او موصولة مبتدا ثان وفهو جزاؤه جواب الشرط او
خبر من الموصولة والجملة من قوله من وجد الى اخره خبر المبتدا الاول والضمير في قالوا جزاؤه
للسارق قاله ابن عطية وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط الثاني ان المعنى قالوا
جزاؤه سرقته ويكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام
المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من
اخو زيد فتقول اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم
تقول فهو اخوه مقيما المظهر مقام المضمر قاله الزمخشري ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو
فصيح في مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه وقال
س لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام وكان ههنا ضعيفا ولم يكن كقولك ما زيد منطلقا
هو لانك قد استغنيت عن اظهاره وانما ينبغي لك ان تضمره الثالث ان يكون جزاؤه خبر مبتدا
محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في
جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قاله الزمخشري
وهو متكلف اذ تصير الجملة من قوله المسؤول عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة
اذ قد علم من قوله فما جزاؤه ان الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته فاي فائدة في نطقهم بذلك وكذلك
القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي الرابع ان يكون جزاؤه مبتدا اي جزاء سرقة الصاع
والخبر من وجد في رحله اي اخذ من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير لحكم اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك جزاؤه او فهو حقه لتقرر
ما ذكرته من استحقاقه قاله الزمخشري وقال معناه ابن عطية الا انه جعل القول الواحد قولين
قال ويصح ان تكون من خبرا على ان المعنى جزاء السارق من وجد في رحله والضمير في رحله عائد على من
ويكون قوله فهو جزاؤه زيادة بيان وتاكيد ثم قال ويحتمل ان يكون التقدير جزاؤه استرقاق من وجد
في رحله ثم يؤكد بقوله فهو جزاؤه وهذا القول هو الذي قبله غير انه ابرز المضاف المحذوف في
قوله استرقاق من وجد في رحله وفيما قبله لا بد من تقديره لان الذات لا تكون خبرا عن المصدر
فالتقدير في القول قبله جزاؤه اخذ من وجد في رحله اذ استرقاق هذا لا بد منه على هذا الاعراب
وهذا الوجه هو احسن الوجوه وابعدها من التكلف كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق
نجزي الظالمين اي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في اهل السرقة فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم
استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون ۞ قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف
بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين الحيلة وابقاء ظهورها
حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن من وعاء بضم الواو وجاء كذلك عن نافع وقرا
ابن جبير من اعاء بابدال الواو المكسورة همزة كما قالوا اشاح واسادة في وشاح ووسادة وذلك مطرد
في لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة اولا همزة وانث في قوله ثم استخرجها على معنى
السقاية او لكون الصواع يذكر ويؤنث وقال ابو عبيدة يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر
من حيث هو صواع وكان ابا عبيد لم يحفظ تانيث الصواع وقيل الضمير في قوله ثم استخرجها عائد

قوله عز وجل
فبدا باوعيتهم

على السرقة

على السرقة كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه وقال
الضحاك والسدي كدنا صنعنا قال ابن عطية واضاف الله تعالى الكيد الى ضميره لما اخرج القدر الذي
اباح ليوسف اخذ اخيه مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد وفسر ابن عباس في دين الملك بسلطانه
وفسره قتادة بالقضاء والحكم انتهى وقال الزمخشري ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد
وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم
ويستعبد الا ان يشاء الله الا بمشيئته واذنه وقال ابن عطية والاستثناء حكاية حال التقدير
الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة انتهى والذي يظهر انه استثناء منقطع اي لكن بمشيئة الله
اخذه في دين غير الملك وهو دين آل يعقوب ان الاسترقاق جزاء السارق وقرا الكوفيون
وابن محيصن نرفع بنون درجات منونا من نشاء بالنون وباقي السبعة كذلك الا انهم اضافوا درجات
وقرا يعقوب بالياء في نرفع ويشاء اي يرفع الله درجات من يشاء رفع درجاته وقرا
عيسى البصرة نرفع بالنون درجات منونا من يشاء بالياء قال صاحب اللوامح وهذه قراءة مرغوب
عنها تلاوة وجملة وان لم يمكن انكارها وقال ابن عطية وقرا الجمهور نرفع على ضمير المعظم
وكذلك نشاء وقرا الحسن وعيسى ويعقوب بالياء اي الله تعالى انتهى ومعناه في العلم كما رفعنا
درجة يوسف فيه وعليم صفة مبالغة وقوله ذي علم اي عالم فالمعنى ان فوقه ارفع منه درجة
في علمه وهذا معنى قول الحسن وقتادة وابن عباس وعنه ان العليم هو الله عز وجل قيل روي عنه
انه حدث بحديث عجيب فتعجب منه رجل ممن حضر وقال الحمد لله وفوق كل ذي علم عليم فقال له
ابن عباس بئس ما قلت انما العليم الله وهو فوق كل ذي علم وقرا عبد الله وفوق كل ذي عالم
فخرجت على زيادة ذي او على ان قوله عالم مصدر بمعنى علم كالباطل او على ان التقدير وفوق كل ذي
شخص عالم وروي ان اخوة يوسف لما راوا اخراج الصواع من رحل اخيهم بنيامين قالوا يا بنيامين
ابن راحيل قبحك الله ولدت امك اخوين لصين كيف سرقت هذه السقاية فرفع يديه الى السماء
فقال والله ما فعلت فقالوا فمن وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالكم وقال
الزمخشري ما معناه رموا بالسرقة تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وان كنتم كاذبين
فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح بالتسريق لكان
له وجه لانهم قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب والكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل
بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله وخذ بيدك ضغثا فيتخلص من جلدها ولا يحنث وقول
ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وعلم الله في هذه الحيلة التي لقنها ليوسف عليه السلام مصالح
عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة انتهى وقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل لا يدل على الجزم بانه سرق بل اخرجوا ذلك مخرج الشرط اي ان كانت وقعت منه سرقة فتاسي
بمن سرق قبله فقد سرق اخ له من قبل والتعليق على الشرط على ان السرقة في حق بنيامين واخيه
ليست مجزوما بها كانهم قالوا ان كان هذا رمي به بنيامين حقا فالذي رمي به يوسف من قبل
حق لكنه قوي الظن عندهم في حق يوسف بما ظهر لهم انه جرى من بنيامين ولذلك قالوا ان ابنك
سرق وقيل حققوا السرقة في جانب بنيامين واخيه بحسب ظاهر الامر فكانهم قالوا ان كان قد
سرق فغير بدع من ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء
على يوسف وبنيامين وقيل التقدير فقد قيل عن يوسف انه سرق وقولهم هذا هو بحسب
الظاهر والاخبار بامر جرى لتزول المعرة عنهم وتختص بالشقيقين وتنكير اخ في قوله فقد
سرق اخ له من قبل لان الحاضرين لا علم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه والجمهور على ان السرقة
التي نسبت هي ان عمته ربته وشب واراد يعقوب اخذه فاشفقت من فراقه فاخذت منطقة
اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت فقدت المنطقة
ففتشت فوجدت عند يوسف فاسترقته حسبما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند
ابيه وقال قتادة وابن جبير امرته امه ان يسرق صنما وفي كتاب الزجاج من ذهب لابيها فسرقه
وكسره وكان ذلك منها تغييرا للمنكر وقال ابن ادريس عن ابيه انما اكل بنو يعقوب طعاما
فاخذ يوسف عرقا فخباه وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقرا
احمد بن جبير الانطاكي وابن ابي شريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب وغيرهم فقد سرق

بالتشديد مبنيا للمفعول بمعني نسب الي السرقة بمعني جعل سارقا ولم يكن لذلك حقيقة
والضمير في قوله فاسرها يفسره سياق الكلام اي الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم كما
فسر في **قول حاتم**

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتي • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وقيل اسر المجازاة وقيل الحجة وقال الزمخشري اضمار علي شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا
وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة علي تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل
فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله **وقرا** عبد الله وابن ابي عبلة فاسره بضمير تذكير قال
الزمخشري يريد القول او الكلام انتهي والظاهر من قوله انتم شر مكانا خطابهم بهذا القول
في الوجه فكانه اسر كراهية مقالتهم ثم وبخهم بقوله انتم شر مكانا وفيه اشارة الي تكذيبهم
وتقويه انهم تركوا ان يشفعوا بانفسهم وعدلوا الي الشفاعة بابيه الشيخ يعقوب عليه السلام
وقال قوم لم يقل يوسف هذا الكلام لهم مواجهة انما قاله في نفسه وهو تفسير قوله الذي اسر
في نفسه وهو قول الزمخشري المتقدم ومعني شر مكانا اي منزلة في السرق لانكم سارقون
بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم ومعني اعلم بما تصفون يعني هو اعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق
الامور وكيف كانت سرقة اخيه التي احلتم سرقته عليه وروي ان روبيل غضب ووقف شعره
حتي خرج من ثيابه فامر يوسف بعض بنيه يمسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني احد من
ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا اهل قوة لا يدانون في ذلك فلما احس
يوسف بذلك قام الي روبيل فلقفه وصرعه فراوا من قوته ما استعظموه وعند ذلك قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون استعطفوا يوسف اذ كان قد اخذ عليهم الميثاق ومعني
كبيرا في السن او القدر وكانوا قد اعلموا يوسف بانه كان له ابن قد هلك وهذا شقيقه يستانس به
وخاطبوه بالعزيز اذ كان في تلك الخطة بعزل قطفير او موته علي ما سبق ومعني مكانه اي بدله
علي جهة الاسترهان او الاستعباد قاله الزمخشري وقال ابن عطية يحتمل قولهم ان يكون
مجازا وهم يعلمون انه لا يصح اخذ حر بسارق بدل من قد احكمت السنة رقه وانما هذا كما تقول
لمن تكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وانت لا تريد ان يقتلك ولكنك تبالغ في استنزاله
وعلي هذا يتجه قول يوسف معاذ الله لانه تعوذ من غير جائز ويحتمل ان يكون قولهم حقيقة وبعيد
عليهم وهم انبياء ان يريدوا استرقاق حر فلم يبق الا ان يريدوا بذلك الحمالة اي خذ احدنا حتي
ينصرف اليك صاحبك ومقصدهم بذلك ان يصل بنيامين الي ابيه ويعرف يعقوب جلية الامر
وقوله من المحسنين وصفوه بما شاهدوه من احسانه لهم ولغيرهم او من المحسنين الينا في هذه اليد
ان اسديتها الينا وهذا تاويل ابن اسحق ومعاذ الله تقدم الكلام في قوله معاذ الله انه ربي
والمعني وجب علي قضية فتواكم اخذ من وجد المتاع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان
ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحي الي باخذ
بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير ما امرني باخذه كنت ظالما
وعاملا علي خلاف الوحي وان ناخذ تقديره من ان ناخذ واذن جواب وجزاء اي ان اخذنا بدله
ظلمنا وروي انه قال لما ايأسهم من جملة من معهم اذا اتيتم اباكم فاقروا عليه السلام وقولوا له
ان ملك مصر يدعو لك ان لا تموت حتي تري ولدك يوسف ليعلم ان في ارض مصر صديقين مثله
فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتي يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
ارجعوا الي ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم
امرا فصبر جميل عسي الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم استفعل هنا بمعني المجرد يئس
واستيأس بمعني واحد نحو سخر واستسخر وعجب واستعجب وزعم الزمخشري ان زيادة السين والتاء
في المبالغة قال نحو ما مر في استعصم انتهي **وقرا** ابن كثير استايسوا استفعلوا من ايس
مقلوبا من يئس ودليل القلب كون ياء ايس لم تنقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ومعني

قوله عز وجل قالوا يآيها العزيز

قوله عز وجل فلما استيئسوا

خلصوا

خلصوا نجيا انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضا والنجي فعيل بمعني مفاعل كالخليط والعشير وبمعني
المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوي بمعني التناجي وهو لفظ يوصف به من له نجوي واحدا
كان او جماعة مونثا او مذكرا فهو كعدي ويجمع علي انجية **قال لبيد**

وشهدت انجية الخلافة عاليا • كعبي وارداف الملوك شهود

وقال آخر اني اذا ما القوم كانوا انجية • ويقول قوم نجي وهم نجوي تنزيلا للمصدر منزلة
الاوصاف ويجوز ان يكون هم نجي من باب هم صديق لانه بزنة المصادر تمحضوا للتناجي ينظرون
ماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم لهذا الذي دهمهم من الخطب فيه فاحتاجوا الي التشاور وكبيرهم
اي رايا او تدبيرا وعلما وهو شمعون قاله مجاهد او كبيرهم في السن وهو روبيل قاله قتادة وقيل
في العقل والراي وهو يهوذا ذكرهم الميثاق في قول يعقوب لتأتنني به الا ان يحاط بكم وما
زائدة اي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ومن قبل متعلق بفرطتم وقد جوزوا في اعرابه وجوها
احدها ان تكون ما مصدرية اي ومن قبل تفريطكم قال الزمخشري علي ان محل المصدر الرفع علي
الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف وقال ابن عطية
ولا يجوز ان يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم وانما تكون علي هذا مصدرية والتقدير من قبل
تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا القدر يتعلق قوله من قبل انتهي وهذا وقول الزمخشري
راجع الي معني واحد وهو ان ما فرطتم بتقدير بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا
عن قاعدة عربية وحق لهما ان يذهلا وهو ان هذه الظروف التي هي غايات اذا بنيت لا تقع
اخبارا للمبتدا جرت او لم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمرو
زيد خلفه ولا يقال عمرو زيد خلف وعلي ما ذكراه يكون تفريطكم مبتدا ومن قبل خبر وهو مبني وذلك
لا يجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب ابو علي الي ان المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف
هو الخبر اي كائن ومستقر في يوسف والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لا انه في موضع
خبر واجاز الزمخشري وابن عطية ان تكون ما مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا من قبل وتفريطكم في يوسف وقدره الزمخشري وتفريطكم من قبل
في يوسف وهذا الذي ذهبا اليه ليس بجيد لان فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف
الذي هو علي حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير ضربت زيدا وبسيف عمرا وقد زعم ابو علي
الفارسي انه لا يجوز ذلك الا في ضرورة الشعر واما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف
فلا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدري والفعل عليه وهو لا يجوز واجاز
ايضا ان تكون موصولة بمعني الذي قال الزمخشري ومحله الرفع او النصب علي الوجهين انتهي يعني
بالرفع ان يرتفع علي الابتداء ومن قبل الخبر وقد ذكرنا ان ذلك لا يجوز ويعني بالنصب ان يكون
عطفا علي المصدر المنسبك من قوله ان اباكم قد اخذ وفيه الفصل بين حرف العطف الذي هو
الواو وبين المعطوف واحسن هذه الاوجه ما بدا به من كون ما زائدة وبرح التامة تكون بمعني
ذهب وبمعني ظهر ومنه برح الخفاء اي ظهر وذهب لا ينتصب الظرف المكاني المختص بها انما
انتصل اليه بواسطة في فاحتيج الي اعتقاد تضمين برح معني فارق فانتصب الارض علي انه مفعول
به ولا يجوز ان تكون ناقصة لانه لا ينعقد من اسمها والارض المنصوب علي الظرف مبتدا وخبر
لانه لا يصل الا بحرف في لو قلت زيد الارض لم يجز وعني بالارض ارض مصر التي فيها الواقعة
ثم غيي ذلك بغايتين احداهما خاصة وهي قوله حتي يأذن لي ابي يعني في الانصراف اليه والثانية
عامة وهي قوله او يحكم الله لي لان اذن الله لي له هو من حكم الله له في مفارقة ارض مصر وكانه
لم علق الامر بالغاية الخاصة رجع الي نفسه فاتي بغاية عامة تفويضا لحكم الله تعالي ورجوعا
الي من له الحكم حقيقة ومقصوده التضييق علي نفسه كانه سجنها في القطر الذي اداه الي سخط ابيه
ابلاغا لعذره وحكم الله له بجميع انواع العذر كالموت وخلاص اخيه او انتصافه من اخذ اخيه
وقال ابو صالح او يحكم الله لي بالسيف او غير ذلك والظاهر ان او يحكم معطوف علي يأذن ويجوز
ان تكون منصوبا باضمار ان بعد او في جواب النفي وهو فلن ابرح اي الا ان يحكم الله لي كقولك
لالزمنك او تقضيني حقي اي الا ان تقضيني ومعناها ومعني الغاية متقاربان روي انهم لما وصلوا
الي يعقوب اخبروه بالقصة فبكي وقال يا بني ما تذهبون عني مرة الا نقصتم ذهبتم فنقصتم شمعون

حيث ارتهن ثم ذهبتم فنقصتم يامين وروبيل والظاهران الامر بالرجوع هو قول كبيرهم وقيل
من قول يوسف لهم وقرا الجمهور سرق ثلاثيا مبنيا للفاعل اخبارا بظاهر الحال وقرا
ابن عباس وابورزين والكسائي في رواية سُرِّق بتشديد الرآء مبنيا للمفعول لم يقطعوا عليه
بالسرقة بل ذكروا انه نسب الى السرقة ويكون معني وما شهدنا الابما علمنا من التسريق وما
كنا للغيب اي للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر وقرا
الضحاك سارق اسم فاعل وعلي قرآة سرق وسارق اختلف التاويل في قوله الابما علمنا قال الزمخشري
بما علمنا من سرقته وتيقنا لان الصواع اخرج من وعائه ولا شي ابين من هذا وقال ابن عطية
اي وقولنا لك ان ابنك سرق انما هي بشهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جري والعلم في الغيب
الي الله ليس ذلك في حفظنا هذا قول ابن اسحق وقال ابن زيد ارادوا وما شهدنا به عند يوسف
ان السارق يسترق في شرعك الابما علمنا من ذلك وما كنا للغيب حافظين ان السرقة تخرج
من رحل احدنا بل حسبنا ان ذلك لا يكون البتة فشهدنا عنده حين سالنا بعلمنا ويحتمل قوله
وما كنا للغيب حافظين اي حين واثقناك انما قصدنا ان لا يقع منا نحن في جهته شي تكرهه
ولم نعلم الغيب في انه سياتي هو بما يوجب رقه وقال الزمخشري وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا انه يسترق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب كما اصبت بيوسف ومن غريب التفسير
معني قولهم للغيب لليل والغيب الليل بلغة حمير وكانهم قالوا وما شهدنا الا بما علمنا من ظاهر حاله
وما كنا بالليل حافظين لما يقع من سرقته هو او التدليس عليه وفي الكلام حذف تقديره فرجعوا
الي ابيهم واخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا ثم استشهد واهل القرية التي كانوا فيها
وهي مصر قاله ابن عباس اي ارسل الي القرية وسل عن كنه القصة والعير كانوا قوما من كنعان
من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء والظاهر ان ذلك علي اضمار اهل كانه قيل وسل اهل
القرية واهل العير الا ان اريد بالعير القافلة فلا اضمار في قوله والعير واحالوا في توضيح القصة
علي ناس حاضرين الحال فيشهدون بما سمعوا وعلي ناس غيب يرسل اليهم فيسالون وقالت فرقة
بل احالوه علي سوال الجمادات والبهايم حقيقة من حيث هو نبي فلا يبعد ان تخبره بالحقيقة وحذف
المضاف هو قول الجمهور قال ابن عطية وهذا مجاز وحكي ابو المعالي عن بعض المتكلمين
انه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال وانما المجاز لفظة استعيرت لغير ما هي له قال
وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب س وغيره وحكي انه قول الجمهور ان نحو هذا
انتهي وفي المحصول لابي عبد الله محمد الرازي وفي مختصراته ان الاضمار والمجاز متباينان ليس
احدهما قسما من الاخر وبل للاضراب فتقتضي كلاما محذوفا قبلها حتي يصح الاضراب فيها وتقديره
ليس الامر حقيقة كما اخبرتم بل سولت قال ابن عطية والظاهر ان قوله بل سولت لكم انفسكم امرا
انما هو ظن سوء بهم كما كان في قصة يوسف قبل فاتفق ان صدق ظنه هناك ولم يتحقق هنا وقال
الزمخشري بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يوخذ بسرقته
لولا فتواكم وتعليمكم وتقدم شرح سولت واعراب فصبر جميل ثم ترجي من الله ان يجمعهم عليه
وهم يوسف ويامين وكبيرهم علي الخلاف الذي فيه وترجي يعقوب للرويا التي راها يوسف
فكان ينتظرها ويحسن ظنه بالله في كل حال ولما اخبره عن ملك مصر انه يدعو له برويته ابنه
ووصفه الله بهاتين الصفتين لا يليق بما يوجده تعالي من لقاء بنيه وتسليم لحكمة الله فيما جري
عليه وتولي عنهم وقال يا اسفي علي يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتو
تذكر يوسف حتي تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الي الله واعلم
من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا ييئس
من روح الله الا القوم الكافرون وتولي عنهم اي اعرض عنهم كراهة لما جاءوا به وانه ساء ظنه بهم
ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتاسف قال الحسن خصت هذه الامة بالاسترجاع الا تري
الي قول يعقوب يا اسفي ونادي الاسف علي سبيل المجاز علي معني هذا زمانك فاحضر والظاهر انه
مضاف الي ياء المتكلم قلبت الفا كما قالوا في يا غلامي يا غلاما وقيل هو علي الندبة وحذف الهاء
التي للسكت قال الزمخشري والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل
فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الي الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون

قوله عز وجل وتولي عنهم

صنفا

صنفا من سباء بنباء ويسمي هذا التجنيس التصريف وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الاخري بحرف
وذكر يعقوب ما دهاه من امر بنيامين والقائل لن ابرح الارض فقد انه يوسف فتاسف عليه وحده
ولم يتاسف عليهما لانه هو الذي لا يعلم احي هو ام ميت بخلاف اخوته ولانه كان اصل الرزايا عنده
اذ ترتبت عليه وكان احب اولاده اليه وكان دايما يذكره ولا ينساه وابيضاض عينيه من توالي العبرة
فينقلب سواد العين الي بياض كدر والظاهر انه كان عمي لقوله فارتد بصيرا وقال وما يستوي
الاعمي والبصير فقابل البصير بالاعمي وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وعلل الابيضاض بالحزن
وانما هو من البكاء المتوالي وهو ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشا منه البكاء وهو الحزن
وقراء ابن عباس ومجاهد من الحزن بفتح الحاء والزاي وقتادة بضمهما وقراء الجمهور
بضم الحاء واسكان الزاي والكظم اما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب اي شديد الكظم
كما قال والكاظمين الغيظ ولم يشك يعقوب الي احد وانما كان يكتمه في نفسه ويمسك همه في صدره
فكان يكظمه اي يرده الي قلبه ولا يرسله بالشكوي والغضب والضجر واما ان يكون فعيلا بمعني
مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال في يونس اذ نادي وهو مكظوم قال ابن عطية
وانما يتجه علي تقدير انه ملي بحزنه فكانه كظم حزنه في صدره وفسر ناس الكظيم بالمكروب والمكمود
وروي انه ما جفت عيناه فراق يوسف الي لقائه ثمانين عاما وان وجده عليه وجد سبعين ثكلي
واجره اجر ماية شهيد وقال الزمخشري فهو كظيم مملوء من الغيظ علي اولاده ولا يظهر ما يسوءهم
انتهي وقد ذكرنا ان فعيلا بمعني مفعول لا ينقاس وجواب القسم تفتو حذفت منه لا وحذفها
جايز والمعني لا تزال وقال مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين والحرض الذي
قد دنا موته قال مجاهد ما دون الموت وقال قتادة البالي الهرم وقال نحوه الضحاك والحسن
وقال ابن اسحق الفاسد الذي لا عقل له وكانهم قالوا له ذلك علي جهة تفنيد الراي اي لا تزال
تذكر يوسف الي حال القرب من الهلاك او الي ان تهلك فقال هو انما اشكو بثي وحزني الي الله
اي لا اشكو الي احد منكم ولا غيركم وقال ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته
لا يطيق حمله فيبثه اي ينشره وقراء الحسن وعيسي وحزني بفتحتين وقراء قتادة بضمتين
واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتي بالفرج من حيث
لا احتسب قاله الزمخشري وقال ابن عطية ويحتمل انه اشار الي الرويا المنتظرة او الي ما وقع في
نفسه من قول ملك مصر انا ادعو له برويته ابنه قبل الموت وقيل راي ملك الموت في منامه فسالهم
هل قبضت روح يوسف فقال لا هو حي فاطلبه اذ هبوا امرهم بالذهاب الي الارض التي جاءوا منها
وتركوا بها اخويهم بنيامين والمقيم بها وامرهم بالتحسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس ويستعمل
في الخير والشر وقري بالجيم كالذي في الحجرات ولا تجسسوا والمعني فتحسسوا نباء من امر يوسف
واخيه وانما خصهما لان الذي اقام وقال فلن ابرح الارض انما اقام مختارا وقراء الجمهور
تياسوا وفرقة تايسوا وقراء الاعرج تيئسوا بكسر التاء وروح الله رحمته وفرجه وتنفيسه
وقرا عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة من روح الله بضم الرآء قال ابن عطية وكان معني هذه
القراة لا تياسوا من حي معه روح الله الذي وهبه فان من بقي روحه يرجي ومن هذا قول
الشاعر وفي غير من قد وارت الارض فاطمع ومن هذا قول عبيد بن الابرص

• وكل ذي غيبة يووب • وغايب الموت لا يووب •

وقال الزمخشري من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد انتهي وقراء ابي من رحمة الله
وعبد الله من فضل الله وكلاهما تفسير لا قران وكان الياس من رحمة الله من صفات الكافر اذ فيه
التكذيب بالربوبية او الجهل بصفات الله المزجاة المدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب وقال حاتم الطائي

• لبيك علي ملحان ضيف مدفع • وارملة تزجي مع الليل ارملا •

الايثار لفظ يعم جميع التفضيل وانواع العطايا التثريب التانيب والعتب وعبر بعضهم عنه
بالتقبيح ومنه اذا زنت امة احدكم فليجلدها ولا تثرب اي لا تعير واصله من الثرب وهو الشحم الذي
هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا
ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتثريب الذي يمزق الاعراض ويذهب بها الوجه

المفردات

قوله عز وجل فلما دخلوا عليه

الفند الفساد قال الشاعر ❊ الا سليمان اذ قال الاله له ❊ قم في البرية فاحددها عن الفند ❊

وفندت الرجل افندت رايه ورددته قال الشاعر ❊

❊ يا عاذليّ دعا لومي وتفنيدي ❊ فليس ما قلت من امر بمردود ❊

وافند الدهر فلانا افسده قال ابن مقبل ❊

❊ دع الدهر يفعل ما اراد فانه ❊ اذا كلف الافناد بالناس افندا ❊

القديم الذي مرت عليه اعصار وهو امر يبس البدو البادية وهي خلاف الحاضرة فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون في الكلام حذف تقديره فذهبوا من الشام الى مصر ودخلوها فلما دخلوا عليه والضمير في عليه عائد على يوسف وكان اكد ما حدثوه فيه شكوى ما اصابهم من الجهد قيل ما وما هم به من تحسيس بناء يوسف واخيه والضر الهزال من الشدة والجوع والبضاعة كانت زيوفا قاله ابن عباس وقال الحسن قليلة وقال ابن جبير ناقصة وقيل كانت عروضا قيل كانت صوفا وسمنا وقيل صنوبر وحبة الخضراء وهي الفستق قاله ابو صالح وزيد بن اسلم وقيل سويق المقل والاقط وقيل قديد وحش وقيل حبالا واعدالا واقتابا ثم التمسوا منه ايفاء الكيل وقد استدل بهذا ان الكيل على البايع ولا دليل فيه وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة قيل لان الصدقات محرمة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال المر تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم قال الزمخشري والظاهر انهم تمسكوا له وطلبوا ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزايه انتهى وقيل كانت الصدقة محرمة ولكن قالوها تجوزا استعطافا منهم له في المبايعة كما تقول لمن ساومته في سلعة هبني من ثمنها كذا فلم تقصد ان يهبك واغا حسنت معه الافعال حتى يرجع معك الى سومك وقال ابن جريج انما خصوا بقولهم وتصدق علينا امر اخيهم يامين اي اوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا برد اخينا على ابيه وقال النقاش في قوله ان الله يجزي المتصدقين هو من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب وذلك انهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا على غير دينهم ولو قالوا ان الله يجزيك بصدقتك في ظنهم كذبوا فقالوا له لفظا يوهم انهم ارادوه وهم يصح لهم اخراجه منه بالتاويل وروي انهم لما قالوا له مسنا واهلنا الضر واستعطفوه رق لهم ورحمهم قال ابن اسحق وارفض دمعه باكيا فشرع في كشف امره اليهم فيروى انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي من التفريق بينهما في الصغر واذاية يامين بعد تغيب يوسف وكانوا يذلونه ويشتمونه قال ابن عطية ونسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل الشباب وقلة الحنكة وقال الزمخشري اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التايب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحا لهم في الدين وايثارا لحق الله على حق نفسه وذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويشتفي المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسمحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها انتهى وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما فعلوا ما لا يقتضيه العلم ويقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وفي التحرير ما مختصره وهو ان قول الجمهور هل علمتم استفهام معناه التقرير والتوبيخ ومراده تعظيم الواقعة اي ما اعظم ما ارتكبتم من يوسف كما يقال هل تدري من عصيت وقيل هل بمعنى قد لانهم كانوا عالمين وفعلتم بيوسف افراده من ابيهم وقولهم بان الذيب اكله والقاوه في الجب وبيعه بثمن بخس وان كانوا هم الذين باعوه وقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل والذي فعلوا باخيه اذاهم له وجفاؤهم له واتهامه بسرقة الصاع وتصريحهم بانه سرق ولم يذكرهم ما اذوا به اباهم تعظيما لقدره وتفخيما لشانه ان يذكره مع نفسه واخيه قال ابن عباس والحسن جاهلون صبيان وقال مقاتل مذنبون وقيل جاهلون بما يجب به من بر الاب وصلة الرحم وترك الهوى وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف وقيل جاهلون

قوله عز وجل قالوا أإنك

بالفكر في العاقبة وعدم النظر في المصلحة وقال المفسرون وغرض يوسف توبيخ اخوته وتانيسهم على ما فعلوا في حق ابيهم وفي حق اخويهم قالوا والصحيح انه قال ذلك تانيسا لقلوبهم وبسط عذر كانه قال انما اقدمكم على ذلك الفعل القبيح جهالة الصبا او الغرور وكانه لقنهم الحجة كقوله ما غرك بربك الكريم وما حكاه ابن الهيصم في قصته من انه صلبهم والثعلبي في حكايته انه غضب عليهم فامر بقتلهم فبكوا وجزعوا فرق لهم وقال هل علمتم الاية لا تصح البتة وكان يوسف من ارق خلق الله واشفقهم على الاجانب فكيف مع اخوته ولما اعترفوا بالخطا قال لا تثريب عليكم الاية قالوا أإنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين لما خاطبهم بقوله هل علمتم ادركوا انه لا يستفهم ملك لم ينشا عندهم ولا يتبع احوالهم وليس منهم فيما يظهر الا وعنده علم بحالهم فقيل انه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ما حوله من نور تبسمه اورا وا لمعة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها لابيه وجده وسارة فتوسموا انه يوسف واستفهموه استفهام استخبار وقيل استفهام تقرير لانهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها قال الزمخشري فان قلت كيف عرفوه قلت راوا في روائه وشمايله حين كلمهم بذلك شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقرا الجمهور أإنك على الاستفهام والخلاف في تحقيق الهمزتين او تليين الثانية وادخال الالف في التليين او التحقيق مذكور في القراءات السبع وقرا قتادة وابن محيصن وابن كثير إنك بغير همزة استفهام والظاهر انها مرادة ويبعد حمله على الخبر المحض وقد قاله بعضهم لتعارض الاستفهام والخبر ان اتحدا لقائلون في القول وهو الظاهر فان قدر ان بعضا استفهم وبعضا اخبر ونسب في كل من القراءتين الى المجموع قول بعضهم امكن وهو مع ذلك بعيد وقرا ابي أإنك أو انت يوسف وخرجه ابن جني على حذف خبران وقدره إنك لغير يوسف او انت يوسف وقدره الزمخشري إنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات انتهى وحكى ابو عمرو الداني في قراءة ابي بن كعب قالوا او انت يوسف وفي قراءة الجمهور إنك لانت يجوز ان تكون اللام دخلت على انت وهو فصل وخبر ان يوسف كما تقول ان كان زيد لهو الفاضل ويجوز ان تكون دخلت على انت وهو مبتدا ويوسف خبره والجملة في موضع خبر ان ولا يجوز ان تكون انت توكيدا للضمير الذي هو اسم ان لحيلولة اللام بينهما ولما استفهموه اجابهم فقال انا يوسف كاشفا لهم امره وزادهم في الجواب قوله وهذا اخي لانه سبق له قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان في ذكر اخيه بيان لما سالوا عنه وان كان معلوما عندهم وتوطية لما ذكر بعد من قوله قد من الله علينا اي بالاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان سبب من الله هو بالتقوى والصبر والاحسن ان لا يخص التقوى بحالة ولا الصبر وقال مجاهد من يتقي في تركه المعصية ويصبر في السجن وقال النخعي من يتقي الزنا ويصبر على العزوبة وقيل من يتقي الله ويصبر على المصايب وقال الزمخشري من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وقيل من يتقي معاصي الله ويصبر على اذى الناس وهذه كلها تخصيصات بحسب حالة يوسف ونوازله وقرا قنبل من يتقي فقيل هو مجزوم بحذف اليا التي هي لام الكلمة وهذه اليا اشباع وقيل جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول لم يرمي زيد وقد حكوا ذلك لغة وقيل هو مرفوع ومن موصول بمعنى الذي وعطف عليه مجزوم وهو ويصبر وذلك على التوهم كانه توهم ان من شرطية ويتقي مجزوم وقيل ويصبر مرفوع عطفا على مرفوع وسكنت الراء لا للجزم بل لتوالي الحركات وان كان ذلك من كلمتين كما سكنت في يامركم ويشعركم وبعولتهن او سكنا للوقف واجرى الوصل مجرى الوقف والاحسن من هذه الاقوال ان تكون يتقي مجزوما على لغة وان كانت قليلة ولا يرجع الى قول ابي علي قال وهذا مما لا يحمل عليه لانه انما يجيء في الشعر لا في الكلام لان غيره من رؤساء النحويين قد نقلوا انه لغة والمحسنين عام يندرج فيه من تقدم او وضع موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين كانه قيل لا يضيع اجرهم واثرك فضلك بالملك والصبر والعلم قاله ابن عباس

او بالحلم والصفح ذكره ابو سليمن الدمشقي او بحسن الخلق والخلق والعلم والحلم والاحسان والملك والسلطا
وبصبرك علي اذانا قاله صاحب الغنيان او بالتقوي والصبر وسيرة المحسنين قاله الزمخشري وهو مناسب
لقوله انه من يتق الاية وخطابهم اياه بذلك استنزال لاحسانه واعتراف بما صدر منهم في حقه وخاطين
من خطي اذا تعمد واما اخطا فمقصد الثواب ولم يوفق له ولا تثريب لا لوم ولا عقوبة وتثريب اسم
لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم وقال الزمخشري
فان قلت بم يتعلق اليوم قلت بالتثريب لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب
فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك علي لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم علي خطيتهم انتهي اما قوله
ان اليوم يتعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لان التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم
وعليكم اما ان يكون خبرا او صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لان معمول المصدر من تمامه وايضا
لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناوه وكان يكون من قبل المشبه بالمضاف وهو الذي يسمي
المطول ويسمي الممطول فكان يكون معربا منونا واما تقديره الثاني فتقدير حسن ولذلك وقف
علي قوله اليوم اكثر القراء وابتدوا يغفر الله لكم علي جهة الدعاء وهو تاويل ابن اسحق والطبري واما تقديره
الثالث وهو ان يكون اليوم متعلقا بيغفر فمقول وقد وقف بعض القراء علي عليكم وابتدا اليوم يغفر
الله لكم قال ابن عطية والوقف علي اليوم ارجح في المعني لان الاخر فيه حكم علي مغفرة الله اللهم
الا ان يكون ذلك بوحي فاما قوله فبشارة الي الاخر فعلي طريق المعتزلة فان الغفران لا يكون الا من تاب
وقال ابن الانباري انما اشار الي ذلك اليوم لانه اول اوقات العفو وسبيل العاني في مثله ان لا يراجع
عقوبة واجاز الحوفي ان يكون عليكم في موضع الصفة لتثريب ويكون الخبر اليوم وهو وجه حسن وقيل
عليكم بيان كلك في قوله سقيا لك فيتعلق بمحذوف ونصوا علي انه لا يجوز ان يتعلق عليكم بتثريب لانه
كان يعرب فيكون منونا لانه يصير من باب المشبه بالمضاف ولو قيل ان الخبر محذوف وعليكم متعلق بمحذو
يدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل في اليوم وتقديره لا تثريب يثرب عليكم اليوم كما قدروا في
لا عاصم اليوم من امر الله اي يعصم اليوم لكان وجها قويا لان خبر لا اذا علم اكثر حذفه عند اهل الحجاز
ولم يلفظ به بنو تميم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله بالصفة التي هي سبب الغفران وهو انه تعالي ارحم
الرحماء فهو يرجو منه قبول دعايه لهم بالمغفرة والبا في بقميصي الظاهر انها للحال اي مصحوبين او
ملتبسين به وقيل للتعدية اي اذهبوا قميصي اي احملوا قميصي قيل هو القميص الذي توارثه يوسف
وكان في عنقه وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع علي مبتلي ولا سقيم الا عوفي
وقيل كان لابراهيم كساه الله اياه من الجنة حين خرج من النار ثم لاسحق ثم ليعقوب ثم ليوسف وقيل هو
القميص الذي قد من دبر ارسله ليعلم يعقوب انه عصم من الفاحشة والظاهر انه قميص من ملبوس يوسف
بمنزلة قميص كل احد قال ابن عطية وهكذا تبين الغرابة في ان وجد يعقوب ريحه من بعد ولو كان من
قمص الجنة ما كان في ذلك غرابة ولوجده كل احد وقوله فالقوه علي وجه ابي يات بصيرا يدل علي انه
علم انه عمي من الحزن اما باعلامهم واما بوحي وقوله يات بصيرا يظهر انه بوحي واهلوه الذين امر باتيانهم
يوسف قيل هم سبعون او ثمانون او ثلاثة وتسعون او ستة وتسعون اقوال اولها للكلبي وثالثها لمسروق
وفي واحد من هذا العدد دخلوا مصر وتوالدوا حتي خرج من ذريتهم مع موسي عليه السلام ستماية الف
ومعني يات ياتيني وانتصب بصيرا علي الحال ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا
ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه علي وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطيين قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم فصل من البلد ينفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل
الشي فصلا فرق وهو متعد ومعني فصلت العير انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب
وكان قريبا من بيت المقدس وقيل بالجزيرة وبيت المقدس هو الصحيح لان اثارهم وقبورهم هناك
الي الان وقرا ابن عباس ولما انفصل العير قال ابن عباس وجد ريحه من مسيرة ثمانية ايام
هاجت ريح فحملت عرفه وقال الحسن وابن جريج من ثمانين فرسخا وكانت مدة فراقه منه سبعا
وسبعين سنة وعن الحسن ايضا وجده من مسيرة ثلاثين يوما وعنه مسيرة عشر ليال وعن ابي ايوب

قوله عز وجل ولما فصلت

الهروي

الهروي ان الريح استاذنت في ايصال عرف يوسف الي يعقوب فاذن لها في ذلك وقال مجاهد صفقت
الريح القميص فراحت روايح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الدنيا
من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص ومعني لاجد لاشم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر
وانى لاستشفي بكل غمامة يهب بها من نحو ارضك ريح
ومعني تفندون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تسفهون وعن ابن عباس ايضا تجهلون وعنه ايضا تضعفون
وقال عطا وابن جبير تكذبون وقال الحسن تهرمون وقال ابن زيد والضحاك ومجاهد ايضا تقولون ذهب
عقلك وخرفت وقال ابو عمرو تقبحون وقال الكسائي تعجزون وقال ابو عبيد تضللون وقيل تخطيون
وهذه كلها متقاربة في المعني وهي راجعة لاعتقاد فساد راي المفند اما لجهله او لهوي غالب عليه او لكذبه
او لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه وقال منذر بن سعيد البلوطي يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا
يقال عجوز مفندة لان المراة لم يكن لها راي قط اصيل فيدخله التفنيد وقال معناه الزمخشري قال
التفنيد النسبة الي الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة
لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها ولولا هنا حرف امتناع لوجود وجوابها محذوف
قال الزمخشري المعني لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني انتهي وقد يقال تقديره لولا ان تفندون لاخبرتكم
بكونه حيا لم يمت لاني وجدت ريحه دال علي حياته والمخاطب بقوله تفندون الظاهر من تناسق
الضماير انه عايد علي من كان بقي عنده من اولاده غير الذين راحوا يمتارون اذ كان اولاده جماعة وقيل
المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضد الهدي والرشاد قال
ابن عباس المعني انك لفي خطيك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة يامين ولذلك يقال له ذو الحزنين
وقال مقاتل الشقاء والعناء وقال ابن جبير الجنون ويعني والله اعلم عليه المحبة وقيل الهلاك والذهاب
من قولهم ضل الماء في اللبن اي ذهب فيه وعدم وقيل الحب ويطلق الضلال علي المحبة وقال ابن عطية
ذلك من الجفاء الذي لا يسوغ لهم مواجهتهم به وقد تاوله بعض الناس علي ذلك ولهذا قال قتادة
قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم ان يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله صلى الله عليه وسلم
وقال الزمخشري لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجايك لقاه
وكان عندهم انه قد مات روي عن ابن عباس ان البشير كان يهوذا لانه كان جا بقميص الدم وقال
ابو الفضل الجوهري قال يهوذا لاخوته قد علمتم اني ذهبت اليه بقميص الترحة فدعوني اذهب اليه
بقميص الفرحة فتركوه وقال هذا المعني السدي وان تطرد زيادتها بعد لما والضمير المستكن في القاه
عايد علي البشير وهو الظاهر لقوله فالقوه وقيل يعود علي يعقوب والظاهر انه اريد الوجه كله كما
جرت العادة انه متي وجد الانسان شيا يعتقد فيه البركة مسح به وجهه وقيل عبر بالوجه عن العينين
لانهما فيه وقيل عبر بالكل عن البعض وارتد عده بعضهم في اخوات كان والصحيح انها ليست من اخواتها
فانتصب بصيرا علي الحال والمعني انه رجع عن حالته الاولي من سلامة البصر قيل وفي الكلام ما يشعر
ان بصره عاد اقوي مما كان عليه واحسن لان فعيلا من صيغ المبالغة وما عدل من مفعل الي فعيل الا
لهذا المعني انتهي وليس كذلك لان فعيلا هنا ليس للمبالغة اذ فعيل الذي للمبالغة هو معدول عن فاعل
لهذا المعني واما بصير هنا فهو اسم فاعل من بصر بالشي فهو جار علي قياس فعل نحو ظرف فهو ظريف
ولو كان كما زعم بمعني مبصر لم يكن للمبالغة ايضا لان فعيلا بمعني مفعل ليس للمبالغة نحو اليم وسميع
بمعني مولم ومسمع وروي ان يعقوب سال البشير كيف يوسف قال ملك مصر قال ما اصنع بالملك علي
اي دين تركته قال علي الاسلام قال الان تمت النعمة وقال الحسن لم يجد البشير عند يعقوب شيا يثيبه
به فقال والله ما خبزنا شيا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت وقال الضحاك رجع اليه
بصره بعد العمي والقوة بعد الضعف والشباب بعد الهرم والسرور بعد الكرب والظاهر ان قوله
اني اعلم محكي بالقول ويريد به انما اشكو بثي وحزني الي الله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل ما لا تعلمون
من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وقيل من صحة رويا يوسف وقيل من بلوي الانبياء بالحزن ونزول
الفرج وقيل من اخبار ملك الموت اياي وكان اخبره انه لم يقبض روحه قال ابن عطية ما لا تعلمون
هو انتظاره لتاويل الرويا ويحتمل ان يشير الي حسن ظنه بالله تعالي فقط وقال الزمخشري الم اقل لكم
يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه
القول انتهي وهو خلاف الظاهر الذي قدمناه ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالمسير الي ابنه يوسف

وفزرهم علي قوله الم اقل لكم طلب لهم ان يستغفر لهم الله ذنوبهم واعترفوا بالخطاء السابق منهم وسوف
استغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهي ابلغ في التنفيس من السين نعن ابن عباس انه اخر الاستغفار
لهم الي السحر وعن ابن عباس الي ليلة الجمعة وعنه الي سحرها قال السدي ومقاتل والزجاج اخر لاجابة
الدعاء لا ضنة عليهم بالاستغفار وقالت فرقة سوفهم الي قيام الليل وقال ابن جبير وفرقة الي الليالي
البيض فان الدعاء فيها يستجاب وقال الشعبي اخره حتي يسال يوسف فان عفا عنهم استغفر لهم وقيل
اخر ليعلم حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام علي الاستغفار لهم ولما وعدهم بالاستغفار
رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا علي يوسف اوي اليه ابويه وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه علي العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل روياي من قبل
قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من
تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
في الكلام حذف تقديره فرحل يوسف باهله اجمعين وساروا حتي بلغوا يوسف قيل وجهز يوسف الي
ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف قيل والملك في اربعة الاف من
الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي يتوكا علي يهوذا فنظر الي
الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر فقال لا هذا ولدك فلما لقيه يعقوب قال السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت حتي ذهب بصرك الم تعلم
ان القيامة تجمعنا قال بلي ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك اوي اليه ابويه اي ضمهما
اليه وعانقهما والظاهر انهما ابوه وامه راحيل فقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحياة وقيل كانت
ماتت من نفاس بنيامين واحياها الله ليصدق روياه في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين حكي
هذا عن الحسن وابن اسحق ايضا وقيل ابوه وخالته وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل والخالة ام
روي عن ابن عباس وكانت ربت يوسف والرابة تدعي اما وقال بعضهم ابوه وجدته ام امه حكاه الزهراوي
وفي مصحف عبد الله اوي اليه ابويه واخوته وظاهر قوله ادخلوا مصر انه امر بانشاء دخول مصر
قال السدي قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهي فيبقي قوله فلما دخلوا علي يوسف كانه
ضرب له مضرب وابيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه وقيل دخلوا عليه في مصر ومعني ادخلوا
مصر اي تمكنوا منها واستقروا فيها والظاهر تعلق الدخول علي مشيئة الله لما امرهم بالدخول علق ذلك
علي مشيئة الله لان جميع الكاينات انما تكون بمشيئة الله وما لا يشاء لا يكون وقال الزمخشري التقدير
ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ان شاء الله دخلتم امنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة
الجزاء بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعه
بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب انتهي والعرش سرير الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس
في مجلسه علي سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما معه علي السرير ويحتمل ان يكون الرفع والخرور
قبل دخول مصر بعد قوله ادخلوا مصر فكان يكون في قبة من قباب الملوك التي تحمل علي البغال او الابل
فحين دخلوا عليه اوي اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ورفع ابويه وخروا له والضمير في وخروا عائد علي
ابويه وعلي اخوته وقيل الضمير في وخروا عائد علي اخوته وساير من كان يدخل عليه لاجل هيبته ولم يدخل
في الضمير ابواه بل رفعهما علي سرير ملكه تعظيما لهما وظاهر قوله وخروا له سجدا انه السجود المعهود
وان الضمير في له عائد علي يوسف لمطابقة الرويا في قوله اني رايت احد عشر كوكبا الاية وكان السجود
اذ ذاك جائزا من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم
والتوقير وقال قتادة كانت تحية الملوك عندهم واعطي الله هذه الامة السلام تحية اهل الجنة
وقيل هذا السجود كان ايماء بالراس فقط وقيل كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة علي الارض
ولفظة وخروا تابي هذين التفسيرين قال الحسن الضمير في له عائد علي الله اي خروا لله سجدا شكرا
بما اوزعهم من هذه النعمة وقد تاول قوله رايتهم لي ساجدين علي ان معناه رايتهم لاجلي ساجدين
وان كان الضمير ليوسف فقال المفسرون كان السجود تحية لا عبادة وقال ابو عبد الله الداراني
لا يكون السجود الا لله لا ليوسف ويبعد من عقله ودينه ان يرضي بان يسجد له ابوه مع سابقته من
صون اولاه والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة وقيل الضمير وان عاد علي يوسف فالسجود

قوله عز وجل فلما دخلوا علي يوسف

كان

كان لله تعالي وجعلوا يوسف قبلة كما تقول صليت للكعبة وصليت الي الكعبة وقال حسان

ما كنت اعرف ان الدهر منصرف • عن هاشم ثم عنها عن ابي حسن
اليس اول من صلي لقبلتكم • واعرف الناس بالاثار والسنن

وقيل السجود هنا التواضع والخرور بمعني المرور لا السقوط علي الارض لقوله والذين اذا ذكروا بايات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا عليها وقال ثابت هذا تاويل روياي من قبل اي سجودكم
هذا تاويل اي عاقبة روياي ان تلك الكواكب والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ومن قبل متعلق
بروياي والمحذوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكواين والحوادث التي جرت بعد روياي ومن
تاول ان ابويه لم يسجدا له زعم ان تعبير الرويا لا يلزم ان يكون مطابقا للرويا من كل الوجوه فسجود
الكواكب والشمس والقمر يعبر بتعظيم الاكابر من الناس ولا اشكال ان ذهاب يعقوب عليه السلام
مع ولده من كنعان الي مصر لاجل يوسف نهاية في التعظيم له فكفي هذا القدر في صحة الرويا وعن ابن
عباس انه لما راي سجود ابويه واخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب هذا تاويل روياي
من قبل ثم ابتدا يوسف عليه السلام بتعديد نعم الله عليه فقال قد جعلها ربي حقا اي صادقة رايت
ما يقع لي في المنام يقظة لا باطل فيها ولا لغو وفي المدة التي كانت بين روياه وسجودهم خلاف متناقض
قيل ثمانون سنة وقيل ثمانية عشر عاما وقيل غير ذلك من رتب العدد وكذا المدة التي اقام يعقوب فيها
بمصر عند ابنه يوسف خلاف متناقض واحسن اصله ان يتعدي بالي قال واحسن كما احسن الله اليك
وقد يتعدي بالباء قال تعالي وبالوالدين احسانا كما يقال اساء اليه وبه قال الشاعر

اسي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقد يكون ضمن احسن معني لطف فعداه بالباء وذكر اخراجه من السجن وعدل عن اخراجه من الجب صفحا عن
ذكر ما تعلق بقول اخوته وتناسيا للجرم منهم اذ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتنبيها علي
طهارة نفسه وبراءتها مما نسب اليه من المراودة وعلي ما تنقل اليه من الرياسة في الدنيا بعد خروجه من
السجن بخلاف ما تنقل اليه بالخروج من الجب الي ان بيع مع العبيد وجاء بكم من البدو من البادية وكان
ينزل يعقوب عليه السلام باطراف الشام ببادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وبادية وقال الزمخشري
كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع قيل كان تحول الي بادية وسكنها فان الله لم
يبعث نبيا من اهل البادية وقيل كان خرج الي بدا وهو موضع واياه عني جميل بقوله

وانت التي حببت شغبا الي بدا • الي واوطاني بلاد سواهما

وليعقوب عليه السلام بهذا الموضع مسجد تحت جبل يقال بدا القوم بدا اذا اتوا بدا كما يقال غار واغوروا
اذا اتوا الغور والمعني وجاء بكم من مكان بدا ذكره القشيري وحكاه الماوردي عن الضحاك وعن ابن عباس
وقابل يوسف عليه السلام نعمة اخراجه من السجن بمجيئهم من البدو والاشارة بذلك الي الاجتماع بابيه واخوته
وزوال الحزن عن ابيه ففي الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الي الحاضرة من بعد ان نزغ اي افسد
وتقدم الكلام علي نزغ واسند النزغ الي الشيطان لانه الموسوس كما قال فازلهما الشيطان عنها وذكر هذا
القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر شدة وبلاء كانت احسن موقعا ان ربي لطيف اي لطيف
التدبير لما يشاء من الامور رفيق ومن في قوله من الملك وفي من تاويل للتبعيض لانه لم يؤته الا بعض ملك
الدنيا ولا علمه الا بعض التاويل ويبعد قول من جعلها زايدة او جعلها لبيان الجنس والظاهر ان
الملك هنا ملك مصر وقيل ملك نفسه من انفاذ شهوته وقال عطا ملك حساده بالطاعة ونيل الاماني
من الملك وقرا عبد الله وعمرو بن ذر اتيتن وعلمتن بحذف الياء منهما اكتفاء بالكسرة عنهما مع كونهما
ثابتتين خطا وحكي ابن عطية عن ابن ذر انه قرا رب اتيتني بغير قد وانتصب فاطر علي الصفة او علي النداء
وانت وليي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي وذكر كثير من المفسرين انه لما
عد نعم الله عنده تشوق الي لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه وراي ان الدنيا كلها فانية فتمني الموت وقال
ابن عباس لم يتمن الموت حي غير يوسف والذي يظهر انه ليس في الاية تمني الموت وانما عدد نعمه عليه ثم دعا
ان يتم عليه النعم في باقي امره اي توفني اذا حان اجلي علي الاسلام واجعل لحاقي بالصالحين وانما تمني الوفاة
علي الاسلام لا الموت والصالحين اهل الجنة او الانبياء او اباؤه ابراهيم واسحق ويعقوب وعلماء التاريخ
يزعمون ان يوسف عليه السلام عاش مائة عام وسبعة اعوام وله من الولد افراييم ومنشا ورحمة زوجة
ايوب عليه السلام قال الذهبي وولد لافراييم نون ولنون يوشع وهو فتي موسي وولد لمنشا موسي

قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب

وهو قبل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه صاحب الخضر وكان ابن عباس ينكر ذلك وثبت في الصحيح ان صاحب الخضر هو موسى بن عمران وتوارثت الفراعنة ملك مصر ولم تزل بنو اسرآئيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف عليه السلام الى ان بعث الله موسى عليه السلام ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الاية وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قال ابن الانباري سالت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحا وافيا وامل ان يكون ذلك سببا لاسلامهم فخالفوا تاسيله فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت الايات وقيل في المنافقين وقيل الثنوية وقيل في النصارى وقال ابن عباس في تلبية المشركين وقيل في اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا ببعض فجمعوا بين الايمان والشرك والاشارة بذلك الى ما قصه الله من قصة يوسف واخوته وما كنت لديهم اي عند بني يعقوب حين اجمعوا امرهم على ان يجعلوه في الجب ولا حين القوه فيه ولا حين التقطته السيارة ولا حين بيع وهم يمكرون اي يبغون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيما يفعلون به او يمكرون بيعقوب حين اتوا بالقميص ملطخا بالدم وفي هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع من علم البيان يسمى بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وهو ان يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظيره ذلك في ال عمران وفي هود وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لا يخفى على احد انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانما هو من جهة الوحي فاذا انكروا تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فقوله وما كنت هناك تهكم بهم لانه قد علم كل احد ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم واجمعوا امرهم اي عزموا على القاء يوسف في الجب وهم يمكرون جملة حالية والمكر ان يدبر على الانسان تدبيرا يضره ويؤذيه والناس الظاهر العموم لقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس انهم اهل مكة ولو حرصت ولو بالغت في طلب ايمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف اي ولو حرصت لم يؤمنوا انما يؤمن من يشاء الله ايمانه والضمير في عليه عائد على دين الله اي ما تبتغي عليه اجرا على دين الله وقيل على القران وقيل على التبليغ وقيل على الانباء بمعنى القول وفيه توبيخ للكفرة واقامة الحجة عليهم او وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الحديث والاخبار ان هو الا موعظة وذكر من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا بشر بن عبيد وما نسالهم بالنون ثم اخبر تعالى انهم لفرط كفرهم يمرون على الايات التي تكون سببا للايمان ولا تؤثر فيهم وان تلك الايات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراة ابن كثير وكاين قال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان يكون كاين ومعناها معنى كم في التكثير انتهى وهذا شي يروى عن يونس وهو قول مرجوح في النحو والمشهور عندهم انه مركب من كاف التشبيه ومن اي وتلاعبت العرب به فجاءت به لغات وذكر صاحب اللوامح ان الحسن قرا وكي بيا مكسورة من غير همز ولا الف ولا تشديد وجاء كذلك عن ابن محيصن فهي لغة انتهى من اية علامة على توحيد الله وصفاته وصدق ما جي به عنه وقرا عكرمة وعمرو بن فايد والارض بالرفع على الابتدا وما بعده خبر ومعنى يمرون عليها فيشاهدون ما فيها من الايات وقرا السدي والارض بالنصب وهو من باب الاشتغال اي ويطوون الارض يمرون عليها على اياتها وما اودع فيها من الدلالات والضماير في عليها وعنها في هاتين القراتين يعود على الارض وفي قراة الجمهور وهي بجر الارض يعود الضمير على اية اي يمرون على تلك الايات ويشاهدون تلك الدلالات ومع ذلك لا يعتبرون وقرا عبد الله والارض برفع الضاد ومكان يمرون يمشون والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وهم مشركون جملة حالية اي ايمانهم ملتبس بالشرك وقال ابن عباس هم اهل الكتاب اشركوا بالله من حيث كفروا بانبيائه او من حيث ما قالوا في عزير والمسيح وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هم كفار العرب اقروا بالخالق الرازق المحيي المميت وكفروا بعبادة الاوثان والاصنام وقال ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه

وقيل

قوله عز وجل قل هذه سبيلي

وقيل هم اهل مكة قالوا الله ربنا لا شريك له والملايكة بناته فاشركوا ولم يوحدوا وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد هم كفار العرب اقروا بالخالق الرازق المحيي المميت وكفروا بعبادة الاوثان والاصنام وقال ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه وقيل هم اهل مكة قالوا الله ربنا لا شريك له والملايكة بناته فاشركوا ولم يوحدوا وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة ايضا ذلك في تلبيتهم يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا تزد الا شريك هو لك وقيل هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة وقال عطا هذا في الدعا ينسى الكفار ربهم في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا وقيل هم المنافقون جهروا بالايمان واخفوا الكفر وقيل على بعض اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح والمجوس عبدوا النار وعبدة الهياكل عبدوا الاصنام والصابية عبدوا الكواكب وقيل قريش لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا انا مؤمنون ثم عادوا الى الشرك بعد كشفه وقيل جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم فالكفار تقدم شركهم والمؤمنون فيهم الشرك الخفي واقربهم الى الكفر المشبهة وكذلك قال ابن عباس امنوا مجملا وكفروا مفصلا وثانيهما من يطيع الخلق بمعصية الخالق وثالثها من يقول نفعني فلان وضرني فلان افامنوا استفهام انكار فيه توبيخ وتهديد بغاشية نقمة تغشاهم اي تغطيهم لقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع انتهى واتيان الغاشية يعني في الدنيا وذلك لمقابلته بقوله او تاتيهم الساعة اي يوم القيامة بغتة اي فجاة في الزمان من حيث لا يتوقع وهم لا يشعرون تاكيد لقوله بغتة قال الكرماني لا يشعرون باتيانها اي وهم غير مستعدين لها قال ابن عباس تاخذهم الصيحة على اسواقهم ومواضعهم وقرا ابو حفص وبشر بن عبيد او ياتيهم الساعة قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا يعقلون حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لما تقدم من قول يوسف عليه السلام توفني مسلما وكان قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين دالا على انه حارص على ايمانهم مجتهد في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكر وما تسالهم عليه من اجر اشار الى ما فيهم من ذلك وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله فقال قل يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريقي التي سلكتها وانا عليها ثم فسر تلك السبيل فقال ادعوا الى الله يعني لا الى غيره من ملك او انسان او كوكب او صنم انما دعاي الى الله وحده قال ابن عباس سبيلي اي دعوتي وقال عكرمة صلاتي وقال ابن زيد سنتي وقال مقاتل والجمهور ديني وقرا عبد الله قل هذا سبيلي على التذكير والسبيل يذكر ويؤنث ومفعول ادعوا هو محذوف تقديره ادعوا الناس والظاهر تعلق على بصيرة بادعوا وانا توكيد للضمير المستكن في ادعوا ومن معطوف على ذلك الضمير والمعنى ادعوا انا اليها من اتبعني ويجوز ان يكون على بصيرة خبرا مقدما وانا مبتدا ومن معطوف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ضمير ادعوا فيتعلق بمحذوف ويكون انا فاعلا بالجار والمجرور النايب عن ذلك المحذوف ومن اتبعني معطوف على انا واجاز ابو البقا ان يكون ومن اتبعني مبتدا خبره محذوف تقديره كذلك اي داع الى الله على بصيرة ومعنى بصيرة حجة واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءكم بصاير من ربكم وسبحان الله داخل تحت قوله قل اي قل وتبريه من الله من الشركاء اي براة الله من ان يكون له شريك ولما امر بان يخبر عن نفسه انه يدعو هو ومن اتبعه الى الله وامر ان يخبر انه يبريه الله عن الشركاء امر ايضا ان يخبر انه في خاصة نفسه منتف عن الشرك وانه ليس ممن اشرك وهو نفي عام في الازمان لم يكن منهم ولا في وقت من الاوقات الا رجالا حصر في الرسل ودعاه الى الله فلا يكون ملكا وهذا رد على من قال لو شاء ربك لانزل ملايكة وكذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقال ابن عباس يعني رجالا لا نساء فالرسول لا يكون امراة وهل كان في النساء نبية فيه خلاف والنبي اعم من الرسول لانه منطلق على من ياتيه الوحي سواء ارسل او لم يرسل قال الشاعر في سجاح المتنبية

امست نبيتنا انثى نطيف بها ... ولم تزل انبياء الله ذكرانا

فلعنة الله والاقوام كلهم ... على سجاح ومن بالافك اغرانا

اعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ... اصداوه ماء مزن اينما كانا

وقرأ ابو عبد الرحمن وطلحة وحفص نوحي بالنون وكسر الحا آمنوا فقال لقوله وما ارسلنا وقرأ الجمهور باليا وفتح الحا مبنيا للمفعول والقري المدن قال ابن زيد اهل القري اعلم واحلم من اهل البادية فانهم قليل نبلهم ولم يبعث الله قط منهم رسولا وقال الحسن لم يبعث الله رسولا من اهل البادية ولا من النسا ولا من الجن والتبدي مكروه الا في الفتن ففي الحديث من بدا جفا ثم استفهم استفهام توبيخ وتقريع والضمير في يسيروا عايد من انكر ارسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول وانكر رسالته كفر اي هل لا يسيرون في الارض فيعلمون بالتواتر اخبار الرسل السابقة ويرون مصارع الامم المكذبة فيعتبرون بذلك ولدار الاخرة خير هذا حض على العمل لدار الاخرة والاستعداد لها واتقا المهلكات ثم في هذه الاضافة تخريجان احدهما انها من اضافة الموصوف الي صفته واصله والدار الاخرة والثاني ان يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه واصله ولدار المدة الاخرة او النشاة الاخرة والاول تخريج كوفي والثاني تخريج صري وقرأ الجمهور افلا يعقلون باليا رعيا لقوله افلم يسيروا وقرأ الحسن وعلقمة والاعرج وعاصم وابن عامر ونافع بالتا على خطاب هذه الامة تحذيرا لهم مما وقع فيه فيصيبهم ما اصابهم قال الكرماني افلا يعقلون انها خير فيتوسلوا اليها بالايمان انتهي والاستياس من النصر او من ايمان قومهم قولان وحتي غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية فاحتيج الي تقدير فقدره الزمخشري وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخي نصرهم حتي اذا استيسوا عن النصر وقال ابن عطية ويتضمن قوله افلم يسيروا الي ما قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من اهل القري دعوهم فلم يومنوا بهم حتي نزلت بهم المثلات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن ان يدخل حتي في قوله احتي اذا استيئس الرسل انتهي ولم يتحصل لنا من كلامه شي يكون ما بعد حتي غاية له لانه علق الغاية بما ادعي انه فهم ذلك من قوله افلم يسيروا الاية وقال ابو الفرج ابن الجوزي المعني متعلق بالاية الاولي فتقديره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يدعو قومهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاهم وتكذيب قومهم حتي اذا استياس الرسل وقال القرطبي في تفسيره المعني وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا ثم لم نعاقب امتهم بالعقاب حتي اذا استياس الرسل وقرأ ابي وعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والاعمش والكوفيون كذبوا بتخفيف الذال وباقي السبعة والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وابو رجا وابن ابي مليكه والاعرج وعايشة بخلاف عنها بتشديدها وهما مبنيان للمفعول فالضماير على قراة التشديد عايدة كلها علي الرسل والمعني ان الرسل ايقنوا انهم كذبهم قومهم المشركون قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الظن علي بابه يعني من ترجيح احد الجايزين قال والضمير للرسل والمكذبون مومنون ارسل اليه اي لما طالت المواعيد حسبت الرسل ان المومنين اولا قد كذبوهم وارتابوا بقولهم وعلي قراة التخفيف فالضمير في وظنوا عايد علي المرسل اليهم لتقدمهم في الذكر في قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولان الرسل تستدعي مرسلا اليهم وفي انهم وفي قد كذبوا عايد علي الرسل والمعني وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبهم من ادعوا انه جاهم بالوحي عن الله وبنصرهم اذ لم يومنوا به ويجوز في هذه القراة ان تكون الضماير الثلاثة عايدة علي المرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم انهم قد كذبهم الرسل فيما ادعوه من النبوة وفيما يوعدون به من لم يومن بهم من العقاب وهذا مشهور قول ابن عباس وتاوله عبد الله وابن جبير ومجاهد ولا يجوز ان تكون الضماير في هذه القراة عايدة علي الرسل لانهم معصومون فلا يمكن ان يظن احدهم انه قد كذبه من جاءه بالوحي عن الله وقال الزمخشري في هذه القراة حتي اذا استياس سوا من النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم انهم ينصرون او رجاهم كقولهم رجا صادق ورجا كاذب والمعني ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتامليه قد تطاولت عليهم وتمادت حتي استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاهم نصرنا فجاة من غير احتساب انتهي فجعل الضماير كلها للرسل وجعل الفاعل الذي صرف من قوله قد كذبوا اما انفسهم واما رجاوهم وفي قوله اخراج الظن عن معني الترجيح وعن معني اليقين الي معني التوهم حتي تجري الضماير كلها في القراتين علي سنن واحد وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن جبير ان الضمير في وظنوا وفي قد كذبوا عايد علي الرسل والمعني كذبهم من اخبرهم عن الله والظن علي بابه قالوا والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم وردت عايشة وجماعة من اهل العلم هذا التاويل واعظموا ان يوصف الرسل بهذا قال

الزمخشري ان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس علي ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين علي الاخر فغير جايز علي رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح انتهي واخره مذهب الاعتزال فقال ابو علي ان ذهب ذاهب الي ان المعني ظن الرسل ان الذي وعد الله امهم علي لسانهم قد كذبوا فيه فقد اتي عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الي الانبيا ولا الي صالحي عباد الله قال وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الي ان الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته وقرأ ابن عباس ومجاهد والضحاك قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيا للفاعل اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن علي بابه وجواب اذ جاهم نصرنا والظاهر ان الضمير في جاهم عايد علي الرسل وقيل عايد عليهم وعلي من امن بهم وقرأ عاصم وابن عامر فنجي بنون واحدة وشد الجيم وفتح اليا مبنيا للمفعول وقرا مجاهد والحسن والجحدري وطلحة وابن هرمز كذلك الا انهم سكنوا اليا وخرج علي انه مضارع ادغمت فيه النون في الجيم وهذا ليس بشي لانه لا تدغم النون في الجيم وتخريجه علي انه ماض كالقراة التي قبلها سكنت اليا فيه علي لغة من يستثقل الحركه صلة علي اليا كقراة من قرا ما تطعمون اهاليكم بسكون اليا وروبت هذه القراة عن الكساي ونافع وقراهما في المشهور وباقي فننجي بالنونين مضارع انجي وقرات فرقة كذلك الا انهم فتحوا اليا قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهي وليست غلطا ولها وجه في العربية وهو ان الشرطية والجزا يجوز ان ياتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار ان بعد الفاء كقراة من قرا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين ان تكون اداة الشرط جازمة او غير جازمة وقرأ نصر بن عاصم والحسن وابو حيوه وابن السميفع ومجاهد وعيسي وابن محيصن فنجي جعلوه فعلا ماضيا مخفف الجيم وقال ابو عمرو الداني وقرات لابن محيصن فنجا بشد الجيم فعلا ماضيا علي معني فنجي النصر وذكر الداني ان المصاحف متفقة علي كتبها بنون واحدة وفي التحبير ان الحسن قرا فننجي بنونين الثانية مفتوحة والجيم مشددة والياء ساكنة وقرأ ابو حيوه من يشا باليا اي فنجي من يشا الله نجاته ومن يشا هم المومنون لقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين والباس هنا الهلاك وقرأ الحسن باسه بضمير الغايب الي باس الله وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري الرسول صلي الله عليه وسلم لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وهدي ورحمة لقوم يومنون ش الضمير في قصصهم عايد علي الرسل او علي يوسف وابويه واخوته او عليهم وعلي الرسل ثلاثة اقوال الاول اختاره الزمخشري قال ويعضده قراة من قرا قصصهم بكسر القاف انتهي ولا يعضده اذ قصص يوسف وابيه واخوته مشتمل علي قصص كثيرة وانبا مختلفه والذي قرا بكسر القاف هو احمد بن جبير الانطاكي عن الكساي والقصبي عن عبد الوارث عن ابي عمرو جمع قصه واختار ابن عطية الثالث بل لم يذكره غيره والعبرة الدلالة التي يعبر بها عن العلم واذا عاد الضمير علي يوسف عليه السلام وابويه واخوته فالاعتبار بقصصهم من وجوه اعزاز يوسف عليه السلام بعد القايه في الجب واعلاوه بعد حبسه في السجن وتملكه مصر بعد استعباره واجتماعه مع والديه واخوته علي ما احب بعد الفرقة الطويلة والاخبار بهذا القصص اخبار عن الغيب والاعلام بالله تعالي من العلم والقدرة والتصرف في الاشيا علي ما لا يخطر علي بال ولا يجول في فكر وانما خص اولوا الالباب لانهم هم الذين ينتفعون بالعبر ومن له لب واجاد النظر وراي ما فيها من امتحان ولطف واحسان علم انه امر من الله تعالي ومن عنده تعالي والظاهر ان اسم كان مضمر يعود علي القصص اي ما كان القصص حديثا مختلقا بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرا الكتب ولا تتلمذ لاحد ولا خالط العلما فمحال ان يفتري هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت وقيل يعود علي القران اي ما كان القران الذي تضمن قصص يوسف وغيره حديثا يختلق ولكن كان تصديق الكتب المتقدمة الالهية وتفصيل كل شي واقع ليوسف مع ابويه واخوته ان كان الضمير عايدا علي قصص يوسف او كل شي مما يحتاج الي تفصيله في الشريعة ان عاد علي القران وقرأ حمران بن اعين وعيسي الكوفي

قوله عز وجل لقد كان في قصصهم

فيما ذكر صاحب اللوامح وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية تصديق وتفصيل وهدي ورحمة برفع الاربعة
اي ولكن هو تصديق والجمهور بالنصب على اضمار كان اي ولكن تصديق اي كان هو اي الحديث ذا
تصديق الذي بين يديه وينشد قول ذي الرمه ٥

وما كان مالي من تراث ورثته ۰ ولا دية كانت ولا كسب ماثم ۰
ولكن عطا الله من كل رحلة ۰ الى كل محجوب السرادق خضرم ۰

بالرفع في عطا ونصبه اي ولكن هو عطاء الله او ولكن كان عطا الله ومثله قول لوط بن عبيد الطائي اللص

واني بحمد الله لا مال مسلم ۰ اخذت ولا معطي اليمين محالف ۰
ولكن عطا الله من مال فاجر ۰ قصي المحل معور للمقارف ۰

وهدى اي سبب هداية في الدنيا ورحمة اي سبب حصول الرحمة في الاخرة وخص المومنون بذلك لانهم
هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى هدى للمتقين وتقدم اول السورة قوله تعالى انا انزلناه قرانا
عربيا وقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وفي اخرها ما كان حديثا يفترى فلذلك احتمل ان
يعود الضمير على القران وان يعود على القصص العمد اسم جمع ومن اطلق عليه جمعا فلكونه ينفهم
منه ما يفهم من الجمع وهو الاساطين قال وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
والمفرد عماد وعمد كاهاب واهب وقيل عمود وعمد كاديم وادم وقضيم وقضم والعماد والعمود
ما يعمد به يقال عمدت الحايط اعمده عمدا اذا ادعمته فاعتمد الحايط على العماد اي امتسك به ويقال
فلان عمدة قومه اذا كانوا يعتمدونه فيما يحزبهم ويجمع عماد على عمد بضمتين كشهاب وشهب وعمود
على عمد ايضا كرسول ورسل وزبور وزبر هذا في الكثرة ويجمعان في القلة على اعمد الصنو الفرع يجمعه
واخر اصل واحد واصله المثل ومنه قيل للعم صنو وجمعه في لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان
وبضمها في لغة تميم وقيس كذيب وذوبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه
ليس من ابنيته الجديد ضد الخلق والبالي ويقال ثوب جديد اي كما فرغ من عمله وهو فعيل بمعنى
مفعول كانه كما قطع من النسج المثلة العقوبة وتجمع بالالف والتا كسمرة وسمرات ولغة الحجاز
مثلة بفتح الميم وسكون الثا ولغة تميم بضم الميم وسكون الثاء سميت العقوبة بذلك لما بين العقاب
والمعاقب من المماثلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او لانها من المثال بمعنى القصاص يقال امثلت
الرجل من صاحبه واقصصته او لانها لعظم نكالها يضرب بها المثل السارب اسم فاعل من سرب اي
يصرف كيف شاء قال الشاعر اني سربت وكنت غير سروب ٥ وتقرب الاحلام غير قريب
وقال الاخر وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ٥ ونحن خلعنا قيده فهو سارب ٥ اي فهو منصرف كيف
شاء لا يدفع عن جهة يفتخر بعزة قومه المحال القوة والاهلاك قال الاعشى
فرع نبل يهتز في غصن المجد عظيم الندا شديد المحال وقال عبد المطلب ٥
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ٥ ويقال محل الرجل بالرجل مكر به واخذه بسعاية شديده
والمماكلة المكايدة والمماكرة ومنه تمحل لكذا اي تكلف استعمال الحيلة وتكلف فيه وقال ابو زيد
المحال النقمة وقال ابن عرفه المحال الجدال ماحل عن امره اي جادل وقال القتبي اي شديد الكيد
واصله من الحيلة جعل ميمه كميم مكان واصله من الكون ثم يقال تمكنت وغلطه الازهري في
زيادة الميم قال ولو كان مفعلا لظهر من الواو مثل مرود ومحول ومحور وانما هو فعال كمهاد ومراس
الكف عضو معروف وجمعه في القلة اكف كصك واصك وفي الكثرة كفوف كصكوك واصله مصدر
كف ظل الشي ما يظهر من حيائه في النور ويميله الفيء الزبد قال ابو الحجاج الاعلم هو ما يطرحه
الوادي اذا جاش ماؤه واضطربت امواجه وقال ابن عطية هو ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما
يرمي به ضفتيه من الحباب الملتبك وقال ابن عيسى الزبد وضر الغليان وخبثه وقال الشاعر

فما الفرات اذا هب الرياح له ۰ ترمي غواربه العبرين بالزبد ۰

الجفاء اسم لما يجفاه السيل اي يرمي به يقال جفات القدر بزبدها وجفا السيل بزبده واجفا
واجفل وقال ابن الانباري جفاء اي متفرقا من جفات الريح الغيم اذا قطعته وجفات الرجل
صرعته ويقال جفا الوادي واجفا اذا نشف بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد

المر تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر

المفردات

يفصل

يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ٥ هذه السورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير وعن
عطاء الا قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وعن غيره الا قوله هو الذي يريكم البرق الا قوله له دعوة
الحق ومدنية في قول الكلبي ومقاتل وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ولو ان
قرانا سيرت به الجبال الى اخرهما وعن ابن عباس الا قوله ولا يزال الذين كفروا الى اخر الاية وعن قتادة
مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الاية حكاه المهدوي وقيل السورة مدنية حكاه منذر بن سعيد
البلوطي وعلي بن ابي طالب قال الزمخشري تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة
اي تلك ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها وقال ابن عطية من قال الحروف اوائل السور مثال
لحروف المعجم قال الاشارة هنا بتلك هي الى حروف المعجم ويصح على هذا ان يكون الكتاب يراد به القران
ويصح ان يراد به التوراة والانجيل والمر على هذا ابتدا وتلك ابتدا ثان وايات خبر الثاني والجملة خبر
الاول انتهى ويكون الرابط اسم الاشارة وهو تلك وقيل الاشارة بتلك الى ما قص عليه من انباء الرسل
المشار اليها بقوله تلك من انباء الغيب والذي قال ويصح ان يراد به التوراة والانجيل هو قريب من
قول مجاهد وقتادة قالا اشار ربتلك الى جميع كتب الله المنزلة ويكون المعنى تلك الايات التي قصصت
عليك خبرها هي ايات الكتاب الذي انزلته قبل هذا الكتاب الذي انزلته اليك والظاهر ان قوله
والذي مبتدا والحق خبره ومن ربك متعلق بانزل واجاز الحوفي ان يكون من ربك الخبر والحق خبر مبتدا محذوف
او هو خبر بعد خبر او كلاهما خبر واحد انتهى وهو اعراب متكلف واجاز الحوفي ايضا ان يكون والذي
في موضع رفع عطفا على ايات واجاز هو وابن عطية ان يكون والذي في موضع خفض وعلى هذين
الاعرابين يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ويكون والذي مما عطف فيه الوصف على الوصف
وهما لشي واحد كما تقول جاء في الظريف والعاقل وانت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام ۰ وليث الكتيبة في المزدحم ۰

واجاز الحوفي ان يكون الحق صفة للذي يعني اذا جعلت والذي معطوفا على ايات واكثر الناس قيل
كفار مكة لا يصدقون ان القران منزل من عند الله وقيل المراد به اليهود والنصارى والاولى انه
عام ولما ذكر انتفاء الايمان عن اكثر الناس ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجذبهم الى
الايمان مما يفكر فيه العاقل وبنا هذه من عظيم القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدا والذي هو الخبر
بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان تكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر
وينصره ما تقدمه من ذكر الايات قاله الزمخشري وقرا الجمهور عمد بفتحتين وقرا ابو حياة
ويحيى بن وثاب بضمتين وبغير عمد في موضع الحال اي خالية عن عمد والضمير في ترونها عايد على
السموات اي تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتمل هذا الوجه ان يكون ترونها كلاما مستانفا
واحتمل ان يكون جملة حالية اي رفعها مرية لكم بغير عمد وهي حال مقدرة لانه حين رفعها لم يكن مخلوقين
وقيل ضمير النصب في ترونها عايد على عمد اي بغير عمد مرية فترونها صفة للعمد ويدل على كونه
صفة لعمد قراءة ابي ترونه فعاد الضمير مذكرا على لفظ عمد اذ هو اسم جمع قال ابن عطية اسم جمع عمود
والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسل انتهى وهذا وهم وصوابه بضم الحرفين
لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع وهذا التخريج يحتمل وجهين احدهما
انها لها عمد ولا ترى تلك العمد وهذا ذهب اليه مجاهد وقتادة وقال ابن عباس وما يدريك انها
بعمد لا ترى وحكى بعضهم ان العمد جبل قاف المحيط بالارض والسما عليه كالقبة والوجه الثاني
ان يكون نفي العمد والمقصود نفي الروية عن العمد فلا عمد ولا روية اي لا عمد لها فترى والجمهور على ان
السموات لا عمد لها البتة ولو كان لها عمد لاحتاجت تلك العمد الى عمد فيتسلسل الامر فالظاهر انها
ممسكة بالقدرة الالهية الا ترى الى قوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ونحو
هذا من الايات وقال ابو عبد الله الرازي العماد ما يعتمد عليه وهذه الاجسام واقفة في الحيز العالي
بقدرة الله فعمدها قدرة الله فلها عماد في الحقيقة الا ان تلك العمد امساك الله وحفظه وتدبيره
وابقاؤه اياها في الحيز العالي وانتم لا ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك الامساك انتهى وعن
ابن عباس ليست من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها وابعد من ذهب الى ان ترونها
خبر في اللفظ ومعناه الامر اي روها وانظروا هل لها من عمد لها وتقدم تفسير ثم استوى على العرش
قال ابن عطية ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستوا على العرش قبل رفع السموات وفي الصحيح

عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شي قبله وكان عرشه علي الماء ثم خلق السموات
والارض انتهي وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لما يريد منهما وقيل لمنافع العباد وعبر بالجريان عن
السير الذي فيه سرعة وكل مضافة في التقدير والظاهر ان المحذوف هو ضمير الشمس والقمر اي
كلهما يجري الي اجل مسمي وقال ابن عطية والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك
قال كل يجري الي اجل مسمي اي كل ما هو في معني الشمس والقمر من المسخر وكل لفظة يقتضي الاضافة
ظاهرة او مقدرة انتهي وشرح كل يجري بقوله اي كل ما هو في معني الشمس والقمر ما خرج الشمس
والقمر من ذكر جريانهما الي اجل مسمي وتحريره ان تقول علي زعمه ان الكواكب في ضمن ذكرهما اي
كل منهما ومما هو في معناهما الي اجل مسمي قال ابن عباس منازل الشمس والقمر وهي الحدود التي
لا يتعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا الي جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطوء وقيل الاجل
المسمي هو يوم القيمة فعند مجيه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال اذا الشمس كورت وقال
وجمع الشمس والقمر ومعني تدبير الامر انفاذه وابرامه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام اذ التدبير
انما هو النظر في ادبار الامور وعواقبها وذلك من صفات البشر والامر امر ملكوته وربوبيته
وهو عام في جميع الامور من ايجاد واعدام واحياء واماتة وانزال وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك
وقال مجاهد يدبر الامر يقضيه وحده ويفصل الايات جعلها فصولا مبينة مميزا بعضها من بعض
والايات هنا دلالاته وعلاماته في سمواته علي وحدانيته او ايات الكتب المنزلة او ايات القران
اقوال وقرأ النخعي وابو رزين وابان بن تغلب عن قتادة ندبر الامر نفصل بالنون
فيهما وكذا قال ابو عمرو الداني عن الحسن فيهما واتفق في نفصل بالنون الخفاف وعبد الوهاب عن ابي
عمرو وهبيرة عن حفص وقال صاحب اللوامح جاء عن الحسن والاعمش نفصل بالنون فقط وقال
المهدوي لم يختلف في يدبر وليس كما قال اذ قد تقدمت قراءة ابان ونقل الداني عن الحسن والذي
تقتضيه الفصاحة ان هاتين الجملتين استيناف اخبار عن الله تعالي وقيل يدبر حال من الضمير في وسخر
ويفصل حال من الضمير في يدبر والخطاب في لعلكم للكفرة وتوقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل
لا بد لكم من الرجوع اليه وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لما قرر الدلايل السماوية اردفها
بتقرير الدلايل الارضية ومد الارض بسطها طولا وعرضا ليمكن التصرف فيها والاستقرار عليها
قيل مدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقيل كانت مجتمعة عند بيت المقدس
فقال اذهبي كذا وكذا قال ابن عطية وقوله مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر
الشريعة قال ابو عبد الله الرازي ثبت بالدليل ان الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله مد الارض
وذلك ان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح
والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله الا تري انه قال والجبال اوتادا مع ان العالم
والناس يستقرون عليها فكذلك هنا وايضا انما ذكر مد الارض ليستدل به علي وجود الصانع
وكونها مجتمعة تحت البيت امر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به علي وجود الصانع
فتاويل مد الارض انه جعلها بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص امر جايز ممكن في نفسه
فالاختصاص بذلك المقدار المعين لا بد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وبهذا يحصل
الاستدلال علي وجود الصانع انتهي ملخصا وقال ابو بكر الاصم المد البسط الي ما لا يري منتهاه
فالمعني جعل حجم الارض لا بسيرا لا يقع البصر علي منتهاه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هي الان
عليه لما كمل الانتفاع به انتهي وهذا الذي ذكره من انها لو كانت اصغر الي اخره غير مسلم لان
المنتفع به من الارض هو المعمور والمعمور اقل من غير المعمور بكثير فلو اراد تعالي ان يجعلها مقدار
المعمور المنتفع به لم يكن ذلك ممتنعا ويحصل في قوله مد الارض ثلاثة تاويلات بسطها بعد
ان كانت مجتمعة واختصاصها بمقدار معين وجعل حجمها كبيرا لا يري منتهاه والرواسي الثوابت
ومنه قول الشاعر
به خالدات ما يرمن وهامد • واشعث ارسته الوليدة بالفهر
والمعني جبالا رواسي وفواعل الوصف لا تطرد الا في الاناث الا ان جمع التكسير من المذكر الذي
لا يعقل يجري مجري جمع الاناث وايضا فقد غلب علي الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة
تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحايط وحوايط وكاهل وكواهل وقيل رواسي جمع راسية والهاء

قوله عز وجل وهو الذي

لهامو

للمبالغة وهو وصف الجبل كانت الارض مضطربة فثقلها الله بالجبال في احيازها فزال اضطرابها والاستدلال
بوجود الجبال في احيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال علي وجود الصانع القادر الحكيم
قيل من جهة ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون بعض لا بد ان يكون بتخليق قادر
حكيم ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرها كالنفط والكبريت يكون الجبل
واحدا في الطبع وتاثير الشمس واحد دليل علي ان ذلك بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات
ومن جهة تولد الانهار منها قيل وذلك لان الجبل جسم صلب وتتصاعد الابخرة من قعر الارض اليه وتحتبس
هناك فلا تزال تتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيرة فلقوتها تشق وتخرج وتسيل علي وجه الارض ولهذا
في اكثر الامر اذا ذكر الله الجبال ذكر الانهار كهذه الاية وكقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم
ماء فراتا والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا والانهار قال المفسرون المياه الجارية في الارض
وقال الكرماني مسيل الماء وتقدم الكلام في الانهار في اوايل البقرة والظاهر ان قوله من كل الثمرات
متعلق بجعل ولما ذكر الانهار ذكر ما ينشا عنها وهو الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي
هو نقيض الاثنين يعني انه حين مد الارض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود
والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة وقال ابن عطية وهذه
الاية تقتضي ان كل ثمرة موجود فيها نوعان فان اتفق ان يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار في معني
الاية وقال الكرماني الزوج واحد والزوج اثنان ولهذا قيد ليعلم ان المراد بالزوج هنا الفرد
لا التثنية فيكون اربعا وخص اثنين بالذكر وان كان من اجناس الثمار ما يزيد علي ذلك لانه اقل اذ لا
نوع ينقص اصنافه عن اثنين انتهي وقال ان في كل ثمرة ذكرا وانثي واشار الي ذلك الفراء وقال ابو عبد الله
الرازي لما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين
لم يعلم ان المراد النوع او الشخص فلما قال اثنين علمنا انه اول ما خلق من كل زوجين اثنين لا اقل ولا ازيد
فالشجر والزرع كبني آدم حصل منهم كثرة وابتداوهم من زوجين اثنين بالشخص وهما ادم وحوا والاستدلال
بخلق الثمرات علي ما ذكر تعالي من جهة ربو الحبة في الارض وشق اعلاها واسفلها فمن الشق الاعلي الشجرة
الصاعدة ومن الاسفل العروق الغايصة وطبيعة تلك الحبة واحدة وتاثيرات الطبايع والافلاك
والكواكب فيها واحد ثم يخرج من الاعلي ما يذهب صعدا في الهواء ومن الاسفل ما يغوص في الثري
ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك بتقدير قادر حكيم ثم
تلك الشجرة تكون بعضها خشبا وبعضها نورا وبعضها ثمرا ثم تلك الثمرة يحصل فيها اجسام مختلفة الطبايع
وذلك بتقدير القادر الحكيم انتهي وفيه تلخيص وقيل تم الكلام عند قوله ومن كل الثمرات فيكون معطوفا
علي ما قبله من عطف المفردات ويتعلق بقوله وجعل فيها رواسي فالمعني انه جعل في الارض من كل ذكر
وانثي اثنين وقيل الزوجان الشمس والقمر وقيل الليل والنهار يغشي الليل النهار تقدم تفسير هذه الجملة
وقراتها في الاعراف وخص المتفكرين لان ما احتوت عليه هذه الايات من الصنع العجيب لا يدرك الا بالتفكر
وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقي بماء واحد ونفضل
بعضها علي بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قطع جمع قطعة وهي الجزء ومتجاورات متلاصقة
متدانية قريب بعضها من بعض قال ابن عباس ومجاهد وابو العالية والضحاك ارض طيبة وارض سبخة
تنبت هذه وهذه الي جنبها لا تنبت وقال ابن قتيبة وقتادة يعني القري المتجاورة وقيل متجاورة في المكان
مختلفة في الصفة صلبة الي رخوة وسبخاء الي مرداء ومخصبة الي مجدبة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها
مع الانتظام جميعا في الارضية وقيل في الكلام حذف معطوف اي وغير متجاورات والمتجاورات المدن
وما كان عامرا وغير المتجاورات الصحاري وما كان غير عامر قال ابن عطية والذي يظهر من وصفه
لها بالتجاور انما هو من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في هذا ابين لانها مع اتفاقها في التربة
والماء تتفضل القدرة والارادة بعض اكلها علي بعض كما قال النبي صلي الله عليه وسلم حين سيل عن هذه الاية
فقال الدقل والفارسي والحلو والحامض وقال ابن عطية ايضا وقيد منها في هذا المثال ما جاور وقرب
بعضه من بعض لان اختلاف ذلك في الاكل اغرب وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات بالنصب علي
جعل وقرا الجمهور وجنات بالرفع وقرا الحسن بالنصب باضمار فعل وقيل عطفا علي رواسي
وقال الزمخشري بالعطف علي زوجين اثنين او بالجر علي كل الثمرات انتهي والاولي اضمار فعل لبعد ما
بين المتعاطفين في هذه التخاريج والفصل بينهما بجمل كثيرة وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص وزرع

قوله عز وجل وفي الارض قطع

وتخيل صنوانٌ وغير صنوان بالرفع في الجميع على مراعات قطع وقال ابن عطية عطفا على قطع وليست عبارة محررة
لان فيها ما ليس بعطف وهو قوله صنوان **وقراء** باقي السبعة بخفض الاربعة على مراعاة من اعناب
وقال ابن عطية عطفا على اعناب وليست عبارة محررة ايضا لان فيها ما ليس بعطف قوله صنوان قال وجعل
الجنة من الاعناب من رفع الزرع والجنة حقيقة انما هي الارض التي فيها الاعناب وفي ذلك تجوز ومنه
قول **الشاعر** • كان عيني في غربي مقبلة • من النواضح تسقي جنة سحقا ٥

اي نخيل جنة اذ لا يوصف بالسحق الا النخل ومن خفض الزرع فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده
لانه لا يقال للمزرعة جنة الا اذا خالطها شجرات **وقرا** الجمهور صنوان بكسر الصاد فيهما وابن مصرف
والسلمي وزيد بن علي بضمها والحسن وقتادة بفتحها وبالفتح هو اسم للجمع كالسعدان **وقرا** عاصم وابن عامر
وزيد بن علي يسقى بالياء اي يسقى ما ذكر وباقي السبعة بالتاء وهي قراءة الحسن وابي جعفر واهل مكة انثوا
لعود الضمير على لفظ مكة ما تقدم ولقوله ونفضل بعضها فانث واما لـ فتحة القاف حمزة والكسائي
وقراء الجمهور ونفضل بالنون وحمزة والكسائي بالياء وابن محيصن بالياء في يسقى وفي يفضل **وقرا**
يحيى بن يعمر وابو حيوة والحلبي عن عبد الوارث ويفضل بالياء وفتح الضاد بعضها بالرفع قال ابو حاتم
وجدته كذلك في مصحف يحيى بن يعمر وهو اول من نقط المصاحف وتقدم في البقرة خلاف القرا في ضم كاف
الاكل وسكونها والاكل بضم الهمزة المأكول كالنقض بمعنى المنقوض وبفتحها المصدر والظاهر من تفسير
اكثر المفسرين للصنوان ان يكون قوله صنوان صفة لقوله ونخيل ومن فسره منهم بالمثل جعله وصفا لجميع
ما تقدم اي اشكال او غير اشكال قيل ونظير هذه الكلمة قنو وقنوان ولا يوجد لهما ثالث ونص على الصنوان
لانها بمثابة التجاور في القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الاكل ومعنى بماء واحد ماء مطر او ماء بحر او ماء
نهر او ماء عين او ماء نبع لا يسيل على وجه الارض وخص التفضيل في الاكل وان كانت متفاضلة في غيره ٥
لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات الا ترى الى تقاربها في الاشكال والالوان والروايح والمنافع
وما يجري مجرى ذلك قيل نبه تعالى في هذه الاية على قدرته وحكمته وانه المدبر الاشياء كلها وذلك ان
الشجر تخرج اغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتاخر عنه ولا تتقدم ثم يتصعد الماء في ذلك الوقت
علوا علوا وليس من طبعه الا السفل ثم تتفرق ذلك الماء في الورق والاغصان والثمر كل بقسطه وبقدر
ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره واحكمه
لا يشبه المخلوقات **وقال بعض الرجازه**

• والارض فيها عبرة للمعتبر • تخبر عن صنع مليك مقتدر •
• تسقى بماء واحد اشجارها • وبقعة واحدة قرارها •
• والشمس والهواء ليس يختلف • واكلها مختلف لا ياتلف •
• لو ان ذا من عمل الطبايع • او انه صنعة غير صانع •
• لم يختلف وكان شيا واحدا • هل يشبه الاولاد الا الوالدا •
• الشمس والهواء يا معاند • والماء والتراب شي واحد •
• فما الذي اوجب ذا التفاضلا • الا حكيم لم يرده باطلا •

وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة فسطحها فصارت قطعا متجاورة
فنزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه ثمرة وزهرة وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك الناس
خلقوا من بني ادم فنزلت عليهم من السماء مذكرة فرقت قلوب وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت
قلوب وقال الحسن ما جالس احد القران الا قام عنه بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية ان في ذلك قال ابن عباس
في اختلاف الالوان والروايح والطعوم لايات لحججا ودلالات لقوم يعقلون الادلة فيستدلون بها على
وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الاية باشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور
القطع والجنات وسقيها وتفضلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الاية التي قبلها فان الاستدلال
بها يحتاج الى تامل ومزيد تفكر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا
لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
وان ربك لشديد العقاب لما اقام الدلايل على عظيم قدرته بما اودعه من الغرايب في ملكوته التي لا يقدر

قوله عز وجل وان تعجب

عليها

٩

عليها سواه عجب الرسول من انكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فترك
وان تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا عليك انك من الصادقين
فهذا اعجب وقيل وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد ما عرفوا الدلايل
الدالة على التوحيد فهذا اعجب وقال الزمخشري وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم
عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن
كانت الاعادة اهون شي عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب انتهى وليس مدلول
اللفظ ما ذكر لانه جعل متعلق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث وجواب الشرط
هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزاء والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار
البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من
قولهم ائذا متنا الاية وكان المعنى الذي ينبغي ان يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو
المخترع للاشيا ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الصرف كان قادرا على الاعادة كما قال
تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي هين عليه وقال ابن عطية هذه
الاية توبيخ للكفرة اي ان تعجب يا محمد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم اهل لذلك وعجيب
غريب ان تنكر قلوبهم العود وبعد كوننا ترابا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا اخر اي ان كنت
تريد عجبا فهلم فان من اعجب العجب قولهم انتهى **واختلف** القراء في الاستفهامين اذا اجتمعا
في احد عشر موضعا هنا موضع وكذا في المومنين وفي العنكبوت وفي النمل وفي السجدة وفي الواقعة
وفي والنازعات وفي بني اسرائيل موضعان وكذا في والصافات فقرا نافع والكسائي بجعل الاول
استفهاما والثاني خبرا الا في العنكبوت والنمل بعكس نافع وجمع الكسائي بين الاستفهامين
في العنكبوت واما في النمل فعلى اصله الا انه زاد نونا فقرا اننا لمخرجون **وقرا** ابن عامر بجعل
الاول خبرا والثاني استفهاما الا في النمل والنازعات فعكس وزاد في النمل نونا كالكسائي والا
في الواقعة فقراهما باستفهامين وهي قراة باقي السبعة في هذا الباب الا ابن كثير وحفصا
قرا في العنكبوت بالخبر في الاول وبالاستفهام في الثاني وهم على اصولهم في اجتماع الهمزتين من
تخفيف وتحقيق وفصل بين الهمزتين وتركه وقوله فعجب هو خبر مقدم ولا بد فيه من تقدير صفة
لانه لا يتمكن المعنى بمطلق فلا بد من قيد وتقديره والله اعلم فعجب اي عجب او فعجب غريب واذا
قدرناه موصوفا فاجاز ان يعرب مبتدا لانه نكرة فيها مسوغ الابتداء وهو الوصف وقد وقعت
موقع الابتدا ولا يضر كون الخبر معرفة وذلك كما اجاز **س** ذلك في كم مالك لمسوغ الابتداء فيه
وهو الاستفهام وفي نحو اقصد رجلا خير منه ابوه لمسوغ الابتداء ايضا وهو كونه عاملا فيما بعده وقال
ابو البقاء وقيل عجب بمعنى معجب قال فعلى هذا يجوز ان يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذي اجازه
لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشي بمعنى الشي ان يكون حكمه في العمل كحكمه فعجب يعمل وعجب لا
يعمل الا ترى ان فعلا كذبح وفعلا كقبض وفعله كغرفه وهي بمعني مفعول ولا يعمل عمله فلا
تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرفة ماوه بمعنى مذبوح كبشه ومقبو
ماله ومغروف ماوه وقد نصوا على ان هذه تنوب في الدلالة لا العمل عن المفعول وقد حصر
النحويون ما يرفع الفاعل وليس منها المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل والظاهر ان ائذا معمو
لقولهم محكي به وقال الزمخشري ائذا متنا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من
قولهم انتهى وهذا اعراب متكلف وعدول عن الظاهر واذا متمحضة للظرف وليس فيها
معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل عليه الجملة الثانية وتقديره انبعث او نحشر
اولئك اشارة الى قايل تلك المقالة وهي تقرير مصمم على انكار البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر
اذ عجزوا قدرته عن اعادة ما انشاه واخترع ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر في الدنيا ذكر ما يوولون
اليه في الاخرة على سبيل الوعيد وابرز ذلك في جملة مستقلة مشارا اليهم والظاهر ان الاغلال
تكون حقيقة في اعناقهم في الاخرة كما قال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل وقيل يحتمل ان يكون
مجازا اي مغلولون عن الايمان تجري اذا مجرى الطبع والختم على القلوب كما قال تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وكما **قال الشاعر** لهم عن الرشد اغلال واقياد ٥ •
وقيل الاغلال هنا عبارة عن اعمالهم الفاسدة في اعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه في

ض

الاخرة وابرز ذلك في جملة مستقلة مستأنفًا اليهم زيادة عليهم ما انكروه من البعث اذ لا يكون اصحاب
النار الا بعد الحشر ولما كانوا متوعدين بالعذاب ان اصروا علي الكفر وكانوا مكذبين بما انذروا
به من العذاب سالوا واستعجلوا في الطلب ان ياتيهم العذاب وذلك علي سبيل الاستهزاء كما قالوا
فامطر علينا حجارة وقالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس السيئة العذاب
والحسنة العافية وقال قتادة بالشر قبل الاخير وقيل بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية
وهذه اقوال متقاربة وقد خلت من قبلهم المثلات اي يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم
من مكذبي الرسل في الامم السالفة وهذا يدل علي سخف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة
هذه فلو انه لم يسبق تعذيب امثالهم لكانوا ربما يكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزءون
قال ابن عباس المثلات العقوبات المستاصلات كمثلة قطع الانف والاذن ونحوهما وقال
السدي النقمات وقال قتادة وقايع الله الفاضحة كالقردة والخنازير وقال مجاهد الامثال
المضروبة **وقراءة** الجمهور بفتح الميم وضم الثاء ومجاهد والاعمش بفتحهما **وقرا**
عيسي بن عمرو وفي رواية الاعمش وابو بكر بضمهما وابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء وابن
مصرف بفتح الميم وسكون الثاء ولذو مغفرة للناس علي ظلمهم توجيه للغفران وعلي ظلمهم
في موضع الحال والمعني انه يغفر لهم مع ظلمهم انفسهم باكتساب الذنوب اي ظالمين انفسهم
قال ابن عباس ليس في القران اية ارجي من هذه وقال الطبري ليغفر لهم في الاخرة وقال القسم
ابن يحيي وقوم ليغفر لهم الظلم السالف بتوبتهم في الانف وقيل ليغفر السيات المكفرة لمجتنب
الكباير وقيل ليغفر لهم بستره وامهاله فلا تعجل لهم العذاب مع تعجيلهم بالمعصية قال
ابن عطية والظاهر من معني المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وامهاله للكفرة الا تري التيسير في
لفظ مغفرة وانها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة كما في قوله واني لغفار لمن تاب وعظ الاية
يعطي هذا الا تري حكمه عليهم بالنار ثم قال ويستعجلونك فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس
السامع تعذيبهم فاخبر بسيرته في الامم وانه يمهل مع ظلم الكفر انتهي ولشديد العقاب تخويف
وارهاب بعد ترجيه وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما هنا احدا عيش ولولا عقابه لاتكل كل احد وفي حديث اخرات
العبد لو علم قدر عفو الله لما امسك عن ذنب ولو علم قدر عقوبته لقمع نفسه في عبادة الله
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد عن ابن عباس لما نزلت

قوله عز وجل ويقول الذين

وضع رسول الله صلي الله عليه وسلم يده علي صدره فقال انا المنذر واوما بيده الي منكب علي
وقال انت الهادي يا علي بك يهتدي من بعدي وقال القشيري نزلت في النبي صلي الله عليه وسلم
وعلي بن ابي طالب والذين كفروا مشركوا العرب ومن انكر نبوته من مشركيهم والكفار ولم
يعتدوا بالايات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر وانقياد الشجر وانقلاب العصا سيفا ونبع
الماء من بين الاصابع وامثال هذه فاقترحوا عنادا ايات كالمذكورة في سبحان وفي الفرقان
كالتفجير للينبوع والرقي للسماء والملك والكنز فقال تعالي لنبيه انما انت منذر تخوفهم
من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل وليس لك الاتيان بما اقترحوا اذ قد اتي بايات عدد الحصي
والايات كلها متماثلة في صحة الدعوي لا تفاوت فيها فالاقتراح انما هو عناد ولم يجر الله
العادة باظهار الايات المقترحة الا للامة التي حتم بعذابها واستيصالها وهاد يحتمل ان يكون
قد عطف علي منذر وفصل بينهما بقوله لكل لاجل جعله فاصلة فيكون من صفات الرسول
فالتقدير منذر وهاد لكل قوم وبه قال عكرمة وابو الضحي فان اخذت ولكل قوم هاد علي العموم فمعناه
داع الي الهدي كما قال بعثت الي الاحمر والاسود وان اخذت هاد علي حقيقته فلكل قوم مخصوص
اي ولكل قوم قابلين للهداية هاد وقيل ولكل امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم فليس امرك
ببدع ولا منكر وبه قال مجاهد وابن زيد والزجاج قال نبي يدعوهم بما يعطي من الايات لا بما
يتحكمون فيه من الاقتراحات وتبعهم الزمخشري فقال هاد من الانبياء يهديهم الي الدين ويدعوهم
الي الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الاشياء شرعا واحدا في ايات مخصوصة
وقالت فرقة الهادي في هذه الاية هو الله تعالي روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن
جبير وهاد علي هذا مخترع للارشاد قال ابن عطية والالفاظ تتعلق بهذا المعني ونعرف

ان الله

ان الله تعالي هو الهادي من غير هذا الموضع وقال الزمخشري في هذا القول وجه اخر وهو ان
يكون المعني انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر
فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان بالالجاء والذي يثبته بالالجاء هو الله تعالي انتهي
وذلك كلامه اخيرا علي الاعتزال وقال في معني القول الذي تبع فيه مجاهدا وابن زيد ما نصه
ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقديره الاشياء وعلي قفنا بالحكمة ان اعطا كل منذر
ايات امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الي مقترحهم خيرا او
مصلحة لاجابهم اليه وقال الزمخشري ايضا في معني ان الهادي هو الله اي بالالجاء علي زعمه
ما نصه واما علي الوجه الثاني فقد دل به علي ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده
علي هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الي ذلك لغيره انتهي وقالت فرقة الهادي
علي بن ابي طالب وان صح ما روي عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الاية فانما جعل الرسول
علي بن ابي طالب مثالا من علماء الامة وهداتها الي الدين فكانه قال انت يا علي هذا وصفك
ليدخل في ذلك ابو بكر وعمر وعثمن وساير علماء الصحابة ثم كذلك علماء كل عصر فيكون
المعني علي هذا انما انت يا محمد منذر ولكل قوم في القديم والحديث دعاة هداة الي الخير
وقال ابو العالية الهادي العمل وقال علي بن عيسي ولكل قوم سابق سبقهم الي الهدي وهذا
يرجع الي ان الهادي هو النبي الذي لاولئك القوم قال في الخير وهدوا الي الطيب من القول
وهدوا الي صراط الحميد وقال في الشر فاهدوهم الي صراط الجحيم قاله ابو صالح ووقف ابن
كثير علي هاد وواق حيث وقعا وعلي وال هنا وباق في النحل باثبات الياء وباقي السبعة
بحذفها وفي الاقناع لابي جعفر بن الباذش عن ابن مجاهد الوقف علي جميع الباب لابن كثير
بالياء وهذا لا يعرفه المكيون وفيه عن ابي يعقوب الازرق عن ورش انه خيره في الوقف
في جميع الباب بين ان يقف بالياء وبين ان يقف بحذفها والباب هو كل منقوص منون
غير منصرف الله يعلم ما تحمل كل انثي وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شي عنده بمقدار

قوله عز وجل الله يعلم

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سوا منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله
لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه
من وال ه مناسبة هذه الاية لما قبلها هو ما نبه عليه الزمخشري من انه تعالي لما طلب
الكفار ان تنزل علي الرسول اية وكم اية نزلت اردف ذلك بذكر ايات علمه الباهر وقدرته
النافذة وحكمته البليغة وان ما انزله عليه من الايات كافية لمن تبصر فلا يقترح اية غيرها
وان نزول الايات انما هو علي ما يقدره تعالي وقيل مناسبة ذلك انه لما تقدم انكارهم البعث
لتفرق الاجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيا الامتياز بينها نبه علي احاطة علمه
وان من كان عالما بجميع المعلومات هو قادر علي اعادة ما انشا وقيل مناسبة ذلك انهم
لما استعجلوا بالسيئة نبه علي علمه بجميع المعلومات وانه انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم
كونه مصلحة قال ابن عطية نص في هذه المثل المنبهة علي قدرة الله القاضية بتجويز البعث
فمن ذلك الواحدة من الجنس التي هي مفاتيح الغيب يعني التي لا يعلمها الا هو وهي ما تحمل
به الاناث من الاجنة من كل نوع من الحيوان وهذه البداة وبين انه لا يتعذر علي القادر
عليها الاعادة والله يعلم كلام مستانف مبتدا وخبر ومن فسر الهادي بالله جاز ان يكون
الخبر الله خبر مبتدا محذوف اي هو الله ثم ابتدا اخبارا عنه فقال يعلم ويعلم هنا متعدية
الي واحد لانه لا يراد هنا النسبة انما المراد تعلق العلم بالمفردات وما جوزوا ان يكون
بمعني الذي والعايد عليها في صلاتها محذوف ويكون تغيض متعديا وان تكون مصدرية
فيكون تغيض وتزداد لازمان وسماع تعديهما ولزومهما ثابت من كلام العرب وان تكون
استفهاما مبتدا وتحمل خبره ويعلم معلقة والجملة في موضع المفعول وتحمل هنا من حمل البطن
لا من الحمل علي الظهر وفي مصحف ابي ما تحمل كل انثي وما تضع وتحمل علي التفسير لانها زيادة
لم تثبت في سواد المصحف قال ابن عباس تغيض تنقص من الخلقة وتزداد تتم وقال مجاهد
غيض الرحم ان يهريق دما علي الحمل فيضعف الولد في البطن ويشحب فاذا بقي الولد في بطنها

بعد تسعة اشهر مدة كمل فيها من جسمه وصحته ما نقص لهراقه الدم انتهي كلام ابن عباس وقال
عكرمة تغيض بظهور الحيض في الحبل وتزداد بدم النفاس بعد الوضع وقال قتادة الغيض
السقط والزيادة البقا فوق تسعة اشهر وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط المراة الولد
والزيادة ان تضعه لمدة كاملة تامة وعن الضحاك ايضا الغيض النقص من تسعة اشهر والازدياد
الي سنتين وقيل من عدد الاولاد فقد تحمل واحدًا وقد تحمل اكثر وقال الجمهور غيض الرحم الدم
علي الحمل قال الزمخشري ان كانت موصوله يعني ما فالمعني انه يعلم ما تحمل من الولد علي اي
حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال
الحاضرة والمترقبه ويعلم ما تغيضه الارحام تنقصه وما تزداد اي تاخذه زايدًا تقول
اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه وازدادوا تسعًا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد
وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل علي واحد وقد تشتمل علي اثنين وثلاثة
واربعة ويروي ان شريكًا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تامًا ومخدجًا
ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر فما زاد عليها الي سنتين عند ابي حنيفة
والي اربع عند الشافعي والي خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد الي سنتين وهرم بن حيان
بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرمًا ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية
فالمعني انه يعلم حمل كل انثي ويعلم غيض الارحام وازديادها فلا يخفي عليه شي من ذلك من
اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الي الارحام وهو
لما فيها علي ان الفعل غير متعد ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تقع لثمانية اشهر او اقل
من ذلك والازدياد ان يزيد علي تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطًا لغير تمام والازدياد
ما ولد لتمام انتهي وهو جمع ما قاله المفسرون مفرقًا وبمقدار بقدر ويطلق المقدار علي القدر
وعلي ما يقدر به الشي والظاهر عموم قوله وكل شي عنده بمقدار اي بحد لا يتجاوزه ولا ينقص
عنه وقال ابن عباس وكل شي من الثواب والعقاب عنده بمقدار اي بقدر الطاعة والمعصية
وقال الضحاك من الغيض والازدياد وقال قتادة من الرزق والاجل وقيل صحة الجنين ومرضه
وموته وحياته ورزقه واجله والاحسن حمل هذه الاقوال علي التمثيل لا علي التخصيص لانه لا
دليل عليه والمراد من العندية العلم اي هو عالم تعالي بكمية كل شي وكيفيته علي الوجه
المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات وقيل المراد بالعندية انه تعالي خصص
كل حادث بوقت بعينه وحالة معينة بمشيئته الازلية وارادته السرمدية ولما ذكر انه عالم
باشيا خفية لا يعلمها الا هو وكانت اشياء جزئية من خفايا علمه ذكر ان علمه محيط بجميع
الاشيا فعلمه تعالي متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم وقيل الغايب المعدوم
والشاهد الموجود وقيل ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر للحس وقرا زيد بن علي عالم
الغيب بالنصب الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعال المستعلي علي كل شي بقدرته
او الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالي عنها واثبت ابن كثير وابو عمرو في رواية ياء المتعال
وقفا ووصلا وهو الكثير في لسان العرب وحذفها الباقون وصلا ووقفا لانها كذلك
رسمت في الخط واستشهد س بحذفها في الفواصل وفي القوافي واجاز غيره حذفها مطلقًا
ووجه حذفها مع انها تحذف مع التنوين والتعاقب التنوين تحذفت مع المعاقب اجراء
له مجري المعاقب ولما ذكر تعالي انه عالم الغيب والشهادة علي العموم ذكر تعالي تعلق علمه
بشي خاص من احوال المكلفين فقال سوا منكم الاية والمعني سواء في علمه المسر القول والجاهر
به لا يخفي عليه شي من اقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعني مستو وهو لا
يثني في اشهر اللغات وحكي ابو زيد تثنيته فيقول هما سواان وقيل هو علي حذف اي سوا
منكم ستر من اسر القول وجهر من جهر به واعربوا سوا خبر مبتدا ومن اسر والمعطوف عليه
مبتدا ويجوز ان يكون سواء مبتدًا لانه موصوف بقوله منكم ومن المعطوف الخبر وكذا
اعرب س قول العرب سواء عليه الخير والشر وقول ابن عطية ان س ضعف ذلك
بانه ابتداء بنكرة لا يصح وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر وقال مجاهد مستخف
بالمعاصي وتفسير الاخفش وقطرب المستخفي هنا بالظاهر وان كان موجودًا في اللغة

ينبو

ينبو عنه اقترانه بالليل واقتران السارب بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ومن هو مستخف
اذ قابل من اسر القول وفي قوله وسارب بالنهار اذ قابل ومن جهر به والمعني والله اعلم
انه تعالي محيط علمه باقوال المكلفين وافعالهم لا يعزب عنه شي من ذلك وظاهر التقسيم
يقتضي تكرار من لكنه حذف للعلم به اذ قد تقدم قوله من اسر القول ومن جهر به لكن
ذلك لا يجوز علي مذهب البصريين واجازه الكوفيون ويجوز ان يكون وسارب معطوفا
علي من لا علي مستخف فيصح التقسيم كانه قيل سوا شخص هو مستخف بالليل وشخص سارب
بالنهار ويجوز ان يكون معطوفا علي مستخف واريد بمن اثنان وحمل علي المعني في تقسيم
خبر المبتدا الذي هو هو وعلي لفظ من في افراده هو والمعني سواء اللذان هما مستخف بالليل
والسارب بالنهار وهو رجل واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار ليري تصرفه في الناس
قال ابن عطية فهذا قسم واحد جعل الله نهاره راحته والمعني هذا والذي امره كله واحد
بري من الريب سواء في اطلاع الله علي الكل ويؤيد هذا التاويل عطف السارب دون تكرار
من ولا ياتي حذفها الا في الشعر ويحتمل الاية ان تتضمن ثلاثة اصناف فالذي يسر طرف
والذي يجهر طرف مضاد للاول والثالث متوسط متكون بعصي بالليل مستخفيا ويظهر
البراءة بالنهار انتهي وقيل من هو مستخف بالليل بظلمته يريد اخفي عمله فيه كما قال
ازورهم وسواد الليل يشفع لي ٥ وقال وكم لظلام الليل عندك من يد ٥ والظاهر
عود الضمير في له علي من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفي ومن سرب معقبات وقال
ابن عباس هو عايد علي من في قوله ومن هو مستخف وكذلك باقي الضماير التي في الاية قال ابن
عطية والمعقبات علي هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قالوا والاية علي هذا في
الرؤسا الكافرين واختار هذا القول الطبري وهو قول عكرمة وجماعة وقال الضحاك هو
السلطان المحترس من امر الله المشرك وذكر الماوردي ان الكلام علي هذا التاويل نفي تقديره
لا يحفظونه من امر الله انتهي وحذف لا في جواب قسم بعيد قال المهدوي ومن جعل المعقبات
الحرس فالمعني يحفظونه من امر الله علي ظنه وزعمه وقيل الضمير في له عايد علي الله تعالي اي
لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات علي هذا الملائكة الحفظة
علي العباد واعمالهم والحفظة لهم ايضا وروي فيه حديث عن عثمن عن النبي صلي الله عليه
وسلم وهو قول مجاهد والنخعي وقيل الضمير في له عايد علي الرسول وان لم يجر له ذكر قريب
وقد جري ذكره في قوله ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه والمعني ان الله جعل للنبيه
حفظة من متمردي الجن والانس قال ابن زيد الاية في النبي صلي الله عليه وسلم ونزلت في
حفظ الله له من اربد بن قيس وعامر بن الطفيل في القصة التي سنشير اليه بعد في ذكر الصوا
والقول الاول في عود الضمير هو الاولي والذي ينبغي ان يحمل عليه وعليه يفسر ونقول لما
تقدم ان من اسر القول ومن جهر به ومن استخفي بالليل وسرب بالنهار مستو في علم الله لا
يخفي عليه من احوالهم شي ذكر ايضًا ان لذلك المذكور معقبات وهم جماعات من الملايكة ٥
تعقب في حفظه وكلاءته ومعقب وزنه مفعل من عقب الرجل اذا جاء علي عقب الاخر لان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه وقال الزمخشري والاصل
معتقبات فادغمت التا في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات
بكسر العين ولم يقرا به انتهي وهذا وهم فاحش لا تدغم التا في القاف ولا القاف في التا لا من
كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون علي ان القاف والكاف كل منهما تدغم في الاخر ولا يدغما
في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما واما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين ان يكون اصله
المعتذرون وقد تقدم في براة توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه واما قوله ويجوز معقبات
بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناه علي ان اصله معتقبات فادغمت التاء في القاف وقد
ذكرنا ان ذلك وهم فاحش والمعقبات جمع معقبة وقيل الهاء في معقبه للمبالغة فتكون كرجل
نسابة وقيل جمع معقبة وهي الجماعة التي تاتي بعد الاخري جمعت باعتبار كثرة الجماعات ومعقبة
ليست جمع معقب كما ذكر الطبري وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات وليس الامر كما ذكر لان
ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات انما هما كضاربة وضاربات قاله ابن عطية وينبغي

ان يتاول كلام الطبري على انه اراد بقوله جمع معقب انما طلق من حيث الاستعمال على جمع معقب
وان كان اصله ان يطلق على موٴنث معقب فصار مثل الواردة للجماعة الذين يردون وان كان
اصله ان يطلق على موٴنث وارد من حيث ان جمع جموع التكسير للعاقل يجوز ان يعامل معاملة المفردة
الموٴنثة في الاخبار وفي عود الضمير لقوله العلماء قائلة كذا وقولهم الرجال واعضادها وتشبيه
الطبري ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا من حيث صناعة النحويين فبين ان معقبة
من حيث اريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع وان معقبات من حيث استعمل جمعا لمعقبة المستعمل
للجمع كرجالات الذي هو جمع رجال وقرا عبيد الله بن زياد على المنبر له المعاقيب وهي
قراءة ابي وابراهيم وقال الزمخشري وقرئ له معاقيب قال ابو الفتح هو تكسير معقب بسكون
العين وكسر القاف كمطعم ومطاعيم ومقدم ومقاديم فكان معقبات جمع على معاقبة ثم جعلت
الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة وقال الزمخشري جمع معقب او معقبة
والياء عوض من حذف احد القافين في التكسير وقرئ له معقبات من اعيقب وقراءة
ابي من بين يديه ورقيب من خلفه وقرا ابن عباس ورقباء من خلفه وذكر عنه ابو حاتم
انه قرا له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير
لا انها قران لمخالفتها سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون والظاهر ان قوله من امر الله
متعلق بقوله يحفظونه فقيل من للسبب كقولك كسوته من عري ويكون معناها ومعنى الباء
سواء كانه قيل يحفظونه بامر الله وباذنه فحفظهم اياه متسبب عن امر الله لهم بذلك قال ابن جريج
يحفظون عليه عمله فحذف المضاف وقال قتادة يكتبون اقواله وافعاله وقراءة علي وابن
عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد يحفظونه بامر الله يوٴيد تاويل السببية في من
وفي هذا التاويل قال الزمخشري يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه
وقال ابن عطية وقال قتادة معنى من امر الله بامر الله اي يحفظونه بما امر الله وهذا الحكم في
التاويل انتهى وليس بتحكم وورود من للسبب ثابت من لسان العرب وقيل يحفظونه من
باس الله ونقمته كقولك حرست زيدا من الاسد ومعنى ذلك اذا اذن اذن الله لهم في دعائهم
ان يمهله رجاء ان يتوب عليه وينيب كقوله قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن ويصير
معنى الكلام الى التضمين اي يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته ومن جعل المعقبات
الحرس وجعلها في روٴساء الكفار فيحفظونه معناه في زعمه وتوهمه من قدر الله ويدفعون
قضاءه في ظنه وذلك لجهالته بالله تعالى او يكون ذلك على معنى التهكم به وحقيقة التهكم
هو ان يخبر بشيء ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف وفي الحقيقة هو منتف ولذلك حمل بعضهم
يحفظونه على انه مراد به لا يحفظونه فحذف لا وعلى هذا التاويل في من تكون متعلقة كما ذكرنا
بيحفظونه وهي في موضع نصب وقال الفراء وجماعة في الكلام تقديم وتاخير اي له معقبات
من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وروي هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريج
فيكون من امر الله في موضع رفع لانه صفة لمرفوع ويتعلق اذ ذاك بمحذوف اي كائنة من امر الله
ولا يحتاج في هذا المعنى الى تقدير تقديم وتاخير بل وصفت المعقبات بثلاث صفات
في الظاهر احدها من بين يديه ومن خلفه اي كائنة من بين يديه والثانية يحفظونه اي
حافظات له والثالثة كونها من امر الله وان جعلنا من بين يديه ومن خلفه يتعلق بقوله
يحفظونه فيكون اذ ذاك معقبات وصفت بصفتين احداهما يحفظونه من بين يديه
ومن خلفه والثانية قوله من امر الله اي كائنة من امر الله غاية ما في ذلك انه بدئ بالوصف
في الجملة قبل وصف بالجار والمجرور وذلك سائغ جيد فصيح وكان الوصف بالجملة الدالة
على الديمومة في الحفظ اكد فلذلك قدم الوصف بها وذكر ابو عبد الله الرازي في الملائكة
الموكلة علينا وفي الكتبة منهم اقوالا عن المنجمين واصحاب الطلسمات وتاسياهم حكماء
الاسلام توقف على ذلك من تفسيره ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الاشياء وجلاياها
وان الملائكة تتعقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وكان الصادر منهم خيرا وشرا ذكر
تعالى ان ما خولهم فيه من النعم واسبغ عليهم من الاحسان لا يزيله عنهم الى الانتقام منهم
الا بكفر تلك النعم واهمال امره بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكان في ذكر ذلك تنبيه على

لزوم الطاعة وتحذير لوبال المعصية والظاهر انه لا يقع تغيير النعم بقوم حتى يقع تغيير
منهم بالمعاصي قال ابن عطية وهذا الموضع ما اول لانه . الخبر ما قررت الشريعة
من اخذ العامة بذنوب الخاصة ومنه واتقوا فتنة الاية وسوالهم للرسول انهلك وفينا
الصالحون قال نعم اذا اكثر الخبث في اشياء كثيرة فمعنى الاية حتى يقع تغيير اما منهم واما
من الناظر لهم او ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير الرماة ما
بانفسهم الى غير هذا من امثلة الشريعة فليس معنى الاية انه ليس ينزل باحد عقوبة الا بان
يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وثم ايضا مصائب يريد الله بها اجر المصاب
فتلك ليست تغييرا انتهى وفي الحديث اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه يوشك ان يعمهم
الله بعقاب وقيل هذا يرجع الى قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة فبين تعالى انه لا ينزل
بهم عذاب الاستيصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر والمعاصي الا ان علم تعالى ان
فيهم من يوٴمن او في عقبه من يوٴمن فانه تعالى لا ينزل بهم عذاب الاستيصال وما موصولة
صلتها بقوم وكذا ما بانفسهم وفي ما ابهام لا يتعين المراد منها الا بسياق الكلام واعتقاد
محذوف يتبين به المعنى والتقدير لا يغير ما بقوم من نعمة وخير الى ضد ذلك حتى يغيروا
ما بانفسهم من طاعته الى توالي معصيته والسوء يجمع على كل ما يسوء من مرض وفقر وعذاب
وغير ذلك من البلاء ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة اقتصر على قوله سوءا ولا
فالسوء والخير اذا اراد الله تعالى شيئا منها فلا مرد له فذكر السوء مبالغة في التخويف وقال
السدي من وال من ملجا وقال الزمخشري ممن يلي امرهم ويدفع عنهم وقيل من ناصر يمنع من
عذابه هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له
دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه
وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال • لما خوف تعالى العباد بقوله واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له اتبعه بما يشتمل على امور دالة على قدرة الله وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم
من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد والصواعق والسحاب في البقرة قال ابن عباس والحسن
خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال قتادة خوفا للمسافر من اذى المطر وطمعا للمقيم
في نفعه وقريب منه ما ذكره الزجاج وهو خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر له وطمعا لمن
يرجو الانتفاع به وذكر الماوردي خوفا من العقاب وطمعا في الثواب وعن ابن عباس وغيره
انه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر غالبا وذلك من باب اطلاق الشيء مجازا على ما يقارنه
غالبا قال الحوفي خوفا وطمعا مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب وجوزه الزمخشري
اي خائفين وطامعين قال ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق
ويطمع في الغيث قال ابو الطيب • فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منه ويخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف
ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر انتهى وقوله الاول في تفسير الخوف والطمع هو
قول ابن عباس والحسن الذي تقدم وقوله كاهل مصر ليس كما ذكر بل ينتفعون بالمطر في كثير
من اوقات نمو الزرع وانه به ينمو ويجود بل يمر على الزرع اوقات يتضرر وينقص نموه بامتناع
المطر واجاز الزمخشري ان يكونا منصوبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع
او على ذا خوف وطمع وقال ابو البقاء خوفا وطمعا مفعول من اجله وقال الزمخشري لا يصح ان
يكون مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي
ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا انتهى وانما لم يكونا على ظاهرهما بفعل لفاعل
الفعل المعلل لان الارادة فعل الله والخوف والطمع فعل للمخاطبين فلم يتحد الفاعل في
الفعل والمصدر وهذا الذي ذكره الزمخشري من شرط اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعا عليه
بل من النحويين من لا يشترط ذلك وهو مذهب ابن خروف والسحاب اسم جنس يذكر ويوٴنث
ويفرد ويجمع كما قال والنخل باسقات ولذلك جمع في قوله الثقال ويعني بالماء وهو جمع ثقيلة
قال مجاهد وقتادة معناه تحمل الماء والعرب تصفها بذلك قال قيس بن الخطيم

قوله عز وجل هو الذي

فما روضة من رياض القطا • كان المصابيح حوذانها •
باحسن منها ولا مزنة • دلوح تكشف ادجانها •

والدلوح المثقلة والظاهر اسناد التسبيح الي الرعد فان كان مما يصح منه التسبيح فهو اسناد حقيقي وان كان مما لا يصح منه فهو اسناد مجازي وتنكيره في قوله فيه ظلمات ورعد وبرق ينفي ان يكون علما لملك وقال ابن الانباري الاخبار بالصوت عن التسبيح مجاز كما يقول القايل قد غمني كلامك وقال الزمخشري ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وفي الحديث سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملايكة والبرق زفرات افيدتهم والمطر بكاوهم انتهي وقال ابن عطية وقيل في الرعد انه ريح تخنق بين السحاب روي ذلك عن ابن عباس وهذا عندي لا يصح لان هذا نزغات الطبيعيين وغيرهم من الملحدة وقال ابو عبد الله الرازي اعلم ان المحققين من الحكماء يذكرون ان هذه الاثار العلوية انما تتم بقوي روحانية فلكية وللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي ساير الاثار العلوية وهذا عين ما قلناه ان الرعد اسم لملك من الملايكة يسبح الله تعالي فهذا الذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء فكيف يليق بالعاقل الانكار انتهي وهذا الرجل غرضه جريان ما تخيله الفلاسفة علي مناهج الشريعة ولن يكون ذلك ابدا وقد تقدمت اقوال المفسرين في الرعد في البقرة فلم يجمعوا علي ان الرعد اسم لملك وعلي تقدير ان يكون اسما لملك لا يلزم ان يكون ذلك الملك يدبر السحاب ولا غيره اذ لا يستفاد مثل هذا الا من النبي المشهود له بالعصمة لا من الفلاسفة الضلال والظاهر عود الضمير في قوله من خيفته علي الله تعالي كما عاد عليه في قوله بحمده ومعني من خيفته من هيبته واجلاله وقيل يعود علي الرعد والملايكة اعوانه جعل الله له ذلك فهم خايفون خاضعون طايعون له والرعد وان كان مندرجا تحت لفظ الملايكة فهو تعميم بعد تخصيص انتهي وهو قول ضعيف ومن مفعول فيصيب وهو من باب الاعمال اعمل فيه الثاني اذ يرسل تطلب من ويصيب تطلبه ولو اعمل الاول لكان التركيب ويرسل الصواعق فيصيبه بها علي من يشاء لكن جاء علي الكثير في لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال الثاني ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته وفي الخبر ان الرسول بعث الي جبار من العرب ليسلم فقال اخبروني عن اله محمد امن لولو هو ام من ذهب فنزلت عليه صاعقة فنزلت الاية فيه وقال مجاهد ناظر يهودي الرسول فبينما هو كذلك نزلت صاعقة فاخذت قحف راسه فنزلت الاية فيه وقال ابن جريج سبب نزولها قصة اربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل وذكر قصتهما المشهورة ومضمونها ان عامرا توعد الرسول اذ لم يجبه الي ما طلب وانه واربد راما الفتك به فعصمه الله واصاب عامرا بغدة فمات غريبا بصاعقة فقتلته ولاخيه لبيد فيه عدة مراث منها **قوله**

• اخشي علي اربد الحتوف ولا • ارهب نوء السماك والاسد •
• فجعني البرق والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد •

وهذه الصلاة الاربع التي وصلت بها الذي تدل علي القدرة الباهرة والتصرف التام في العالم العلوي والسفلي فالمتصف بها ينبغي ان لا يجادل فيه وان يعتقد ما هو عليه من الصفات العلية والضمير في وهم عايد علي الكفار والمكذبين الرسول المنكرين الايات يجادلون في قدرة الله علي البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم وفي وحدانيته باتخاذ الشركاء والانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملايكة بنات الله والمعني انه تعالي متصف بهذه الاوصاف ومع ذلك رتبوا عليها غير مقتضاها من المجادلة فيه وفي اوصافه تعالي وكان مقتضاها التسليم لما جاءت به الانبياء وقيل وهم يجادلون حال من مفعول يشاء اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم كما جري لليهودي ولذلك الجبار ولاربد وهو شديد المحال جملة حالية من الجلالة **وقرا** الجمهور المحال بكسر الميم فعن ابن عباس المحال العداوة

وعنه

وعنه الحقد وعن علي الاخذ وعن مجاهد القوة وعن وهب الغضب وعن الحسن الهلاك بالمحل وهو القحط **وقرا** الضحاك والاعرج المحال بفتح الميم فعن ابن عباس الحول وعن عبيدة الحيلة يقال المحال والمحالة وهي الحيلة ومنه قول العرب في مثل المرء يعجز لا المحالة قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعني شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد غايته كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا تري الي قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه والضمير في له عايد علي الله تعالي ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا اله الا الله وما كان من الشريعة في معناها وقال علي بن ابي طالب دعوة الحق التوحيد وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف فانه لا يدعي فيه الا هو كما قال ضل من تدعون الا اياه قال الماوردي وهو اشبه بسياق الاية وقيل دعوة الطلب الحق اي مرجو الاجابة ودعاء غير الله لا يجاب وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الي الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة علي ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعني ان الله سبحانه يدعي فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سوله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوي والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الي الحق الذي هو الله عز وعلا علي معني دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهي وهذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا يظهر لان ماله الي تقدير لله دعوة الحق كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لا يصح والذي يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الي الصفة كقوله ولدار الاخرة علي احد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعني ان الله تعالي الدعوة له هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالي جدال الكفار في الله تعالي وكان جدالهم في اثبات الهة معه ذكر تعالي ان له الدعوة الحق اي من يدعوه فدعوته هي الحق بخلاف اصنامهم التي جادلوا في الله لاجلها فان دعاها باطل لا يحصل منه شي فقال والذين تدعون قال الزمخشري والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشي من طلباتهم الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر علي نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوي دعايهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه انتهي فالضمير في يدعون عايد علي الكفار والعايد علي الذين محذوف اي تدعونهم ويؤيده قراءة من قرا بالتاء في تدعون وهي قراءة اليزيدي عن ابي عمرو وقيل والذين اي الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون محذوف اي يدعون الاصنام والعايد علي الذين الواو في يدعون والواو في لا يستجيبون عايد في هذا القول علي مفعول يدعون المحذوف وعلي القول الاول علي الذين قال ابن عباس كالناظر في خياله الي الماء يريد تناوله فكذا المحتاج يخيل اليه في المحتاج اليه خيال الاحتياج اليه وقال الضحاك كمن بسط يديه الي الماء اليه بلا اغتراف وقال ابو عبيدة اي كالقابض علي الماء ليس علي شي قال والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بالقابض علي الماء **وانشد** فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود • مثل القابض الماء باليد • **وقال اخر** واني واياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه انامله • وقيل شبه الكفار في دعايهم لاصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشان لا يقدر علي الماء جلس علي شفير بير يدعو الماء ليبل غلته فلا هو يبلغ قعر البير الي الماء ولا الماء يرتفع اليه لانه جماد لا يحس بعطشه ودعايه كذلك ما يدعوا الكفار من الاوثان جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر علي نفعهم انتهي والكاف في موضع نصب اي مثل استجابة واستجابة مضافة في التقدير الي باسط وهي اضافة المصدر الي المفعول وفاعل المصدر محذوف تقديره كاجابة الماء من يبسط كفيه الي الماء فلما حذف اظهر في قوله الي الماء

ولوكان ملفوظا به لعاد الضمير اليه فكان يكون التركيب كفيه اليه هذا الذي تقرر من كلام الزمخشري
في هذا التشبيه وتبعه ابو البقاء وقال ابن عطية ومعنى الكلام الذين يدعونهم الكفار الى حوائجهم
ومنافعهم لا يجيبون بشيء ثم مثل تعالى مثالا لاجابتهم بالذي يبسط كفيه الى الماء ويشير اليه بالاقبال
فهو لا يبلغ فمه ابدا فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع انتهى وفاعل ليبلغ ضمير الماء
وليبلغ متعلق بباسط وما هو اي وما الماء ببالغه اي ببالغ الفم ويجوز ان تكون هو ضمير الفم
والهاء في بالغه للماء اي وما الفم ببالغ الماء لان كلا منهما لا يبلغ الاخر على هذه الحال
وقرئ كباسط كفيه بتنوين باسط وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في حيرة او في اضمحلال
لانه لا يجدي شيئا ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعوون قال تعالى اينما كنتم
تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا قال الزمخشري الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله
لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم وقال ابن عباس اصوات الكافرين محجوبة عن الله ۵
فلا يسمع دعاءهم ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار • ان كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد
فمن على عمومها تنقاد كلهم الى ما اراده تعالى بهم شاؤوا او ابوا وتنقاد له تعالى ظلالهم حيث هي
على مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة
وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاما مخصوصا اذ يخرج منه من لا يسجد
ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود من ضمه السيف الى الاسلام
كما قال قتادة فيسجد كرها واما نفاقا او يكون الكره اول حاله فيستمر عليه الصفة وان صح
ايمانه بعد وقيل طوعا لا يثقل عليه السجود وكرها يثقل عليه لان التزام التكاليف مشقة وقيل
من طالت مدة اسلامه فالف السجود وكرها من بدأ بالاسلام الى ان يالف السجود قاله ابن الانباري
وقيل هو عام على تقدير كون السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وذلك بان يكون صيغته صيغة
الخبر ومدلوله امرا ويكون معناه يجب ان يسجد له كل من في السموات والارض وعبر عن الوجوب
بالوقوع والذي يظهر ان مساق هذه الاية انما هو ان العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما اراد
منه مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين تعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون
تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريكا لظلال في السجود والظلال ليست اشخاصا يتصور
منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما اراد اذ هي
من العالم فالعالم جواهره واعراضه داخلة تحت ارادته كما قال تعالى اولم يروا الى ما خلق الله
من شيء تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكون الظلال يراد بها الاشخاص كما قال
بعضهم ضعيف واضعف منه قول ابن الانباري انه تعالى جعل للظلال عقولا تسجد بها وتخشع
بها كما قال للجبال افهاما حتى خاطبت وخوطبت لان الجبل يمكن ان يكون له عقل بشرط تقدير
الحياة واما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به وانما معنى سجود الظلال ميلها من جانب
الى جانب كما اراد تعالى وقال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي
يظهر للجرم وطوله بحسب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله في طوله
وقصره وميله من جانب الى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لان الظلال انما تعظم
وتكثر فيهما وتقدم شرح الغدو والاصال في اخر الاعراف روي ان الكافر اذا سجد لصنم
كان ظله يسجد لله حينئذ وقرأ ابو مجلز والايصال قال ابن جني هو مصدر اصل اي
دخل في الاصيل كما تقول اصبح اي دخل في الاصباح ولما كان السؤال عن امر واضح لا يمكن
ان يدفع منه احد كان جوابه من السائل فكان السبق اليه انصح في الاحتجاج عليهم واسرع
في قطعهم من انتظار الجواب منهم اذ لا جواب الا هذا الذي وقعت المبادرة اليه كما قال
تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله ويبعد ما قال مكي من انهم جهلوا الجواب
فطلبوه من جهة السائل فاعلمهم به السائل لانه قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فاذا كانوا مقرين بان منشئ السموات والارض ومخترعها هو الله

فكيف

قوله عز وجل ولله يسجد

فكيف يقال بانهم جهلوا الجواب فطلبوه من السائل وقال الزمخشري قل الله حكاية لاعترافهم
وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله
كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر
لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا عليه واستيثاقا
منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كفوا عن
الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه وقال الكرماني قل يا محمد للكفار
من رب السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق بانهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله
اي هو كما قلتم وقيل فان اجابوك والا فقل الله اذ لا جواب غير هذا انتهى وهو تلخيص القولين
اللذين قالهما الزمخشري وقال البغوي روي انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا
اجب انت فامره الله فقال قل الله انتهى واستفهم بقوله قل افاتخذتم على سبيل التوبيخ والانكار
اي بعد ان علمتم انه تعالى هو رب السموات والارض تتخذون من دونه اولياء وتتركونه فجعلتم
ما كان يجب ان يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سببا للاشراك ثم وصف تلك الاولياء
بصفة العجز وهي كونها لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ومن هو بهذه المثابة فكيف تملك لهم نفعا
او ضرا ثم مثل ذلك حالة الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والايمان وابرز ذلك في صورة الاستفهام
الذي يبادر المخاطب الى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير
ثم انتقل الى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات وبالمؤمن وهو النور ۵
وتقدم الكلام في جمع الظلمات وافراد النور في سورة البقرة وقرأ الاخوان وابو بكر
ام هل يستوي بالياء والجمهور بالتاء وام في قوله ام هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار
والتقدير بل اهل تستوي وهل وان نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها
في قول الشاعر ۵ اهل رأونا بوادي القف ذي الاكم ۵ واذا جامعتها مع التصريح بها فلان
تجامعها مع ام المتضمنة لها اولى وهل بعد ام المنقطعة يجوز ان يؤتى بها لشبهها بالادوات
الاسمية التي للاستفهام في عدم الاصالة فيه كقوله ام من يملك السمع والابصار ويجوز ان لا
يؤتى بها بعد ام المنقطعة لان ام تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين ام والهمزة لذلك وقال
الشاعر في عدم الاتيان • بهل بعد ام والاتيان بها • هل ما علمت وما استودعت مكتوم
ام حبلها اذ نأتك اليوم مصروم • ام هل كبير بكى لم يقض عبرته • اثر الاحبة يوم البين مشكوم
ثم انتقل من خطابهم الى الاخبار عنهم غائبا اعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعل شركاء لله
وتعجيبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التهكم بهم لانه معلوم بالضرورة ان هذه
الاصنام وما اتخذوا من دون الله اولياء وجعلوهم شركاء لا تقدر على خلق ذرة ولا اتخاذ شيء البتة
والمعنى ان هؤلاء الشركاء هم خالقون شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلهم شركاء لله اي جعلوا
لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله فتشابه ذلك عليهم فيعبدونهم ومعلوم انهم لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون فكيف يشركون في العبادة افمن يخلق كمن لا يخلق ثم امره تعالى فقال
قل الله خالق كل شيء اي موجد الاشياء كلها معبودات وغيرها وهم ايضا مقرون بذلك ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واحتمل ان يكون قوله وهو الواحد القهار داخلا
تحت الامر بقل فيكون قد امر ان يخبر بانه تعالى الواحد المتفرد بالالوهية القهار الذي
جميع الاشياء تحت قدرته وقهره واحتمل ان يكون استئناف اخبار منه تعالى بهذين الوصفين
الوحدانية والقهر فهو تعالى لا يغالب وما سواه مقهور مربوب له تعالى انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية
او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما
ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب
ومأواهم جهنم وبئس المهاد • قال الزمخشري هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه
كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزل
من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به

قوله عز وجل انزل من السماء

في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاءً ظاهرًا يبيت الماء في منافعه وتبقى اثاره في
العيون والابار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكثر وكذلك الجواهر تبقى ازمنة
متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل
الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب وقال ابن عطية صدر هذه الاية
تنبيه على قدرة الله واقامة الحجة على الكفرة به فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثلا للحق والباطل والايمان
والكفر والشك في الشرع واليقين به انتهى وقيل هذا مثل ضربه الله للقران والقلوب والحق
والباطل فالماء مثل القران لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والاودية مثل
للقلوب ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه فتدبر
فيه فظهرت ثمرته وادرك تاويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزبد
مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله ودفعهم اياه والماء الصافي المنتفع به مثل
الحق انتهى وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التاويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما
بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت منها طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت
الكلا والعشب الكثير وكانت منها طايفة اجادب فامسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا وزرعوا
وكانت منها قيعانا لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل ما جيت به من العلم والهدى ومثل من لم
يقبل هدى الله الذي ارسلت به وقال ابن عطية وروي عن ابن عباس انه قال قوله تعالى انزل
من السماء ماء يريد به الشرع والدين فسالت اودية يريد القلوب اي اخذ النبيل بحظه والبليد
بحظه وهذا قول لا يصح والله اعلم عن ابن عباس لانه ينحو الى اقوال اصحاب الرموز وقد تمسك
به الغزالي واهل ذلك الطريق ولا توجيه لاخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو
الى ذلك والله الموفق للصواب وان صح هذا القول عن ابن عباس فانما قصد ان قوله تعالى كذلك
يضرب الله الحق والباطل معناه الحق الذي يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها ايضا
انتهى والماء المطر ونكر اودية لان المطر انما يدل على طريق المناوبة فتسيل بعض الاودية دون
بعض ومعنى بقدرها اي على قدر صغرها وكبرها او بما قدر لها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم
لا ضررهم الا ترى الى قوله فاما ما ينفع الناس فالمطر مثل للحق فهو نافع خال من الضرر وقرا
الجمهور بقدرها بفتح الدال وقرا الاشهب العقيلي وزيد بن علي وابو عمرو في رواية
بسكونها وقال الحوفي بقدرها متعلق بسالت وقال ابو البقاء بقدرها صفة لاودية وعرف
السيل لانه عني به ما فهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو نكرة فاذا اعاد عليه
الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك يضمر اذا عاد على ما دل عليه الفعل من
المصدر نحو من كذب كان شرا له اي كان الكذب ولو جاء هنا مضمرا لكان جايزا عايدا على المصدر
المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ورابيا منتفخا
عاليا على وجه السيل ومنه الربوة ومما توقدون اي ومن الاشياء التي توقدون عليها وهي
الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد
وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى واهل الكوفة يوقدون
بالياء على الغيبة اي يوقد الناس وقراءة باقي السبعة والحسن وابو جعفر والاعرج
وشيبة بالتاء على الخطاب وعليه متعلق بتوقدون وفي النار قال ابو علي والحوفي متعلق
بتوقدون وقال ابو علي قد يوقد على كل شي وليس في النار كقوله تعالى فاوقد لي يا هامان
على الطين فذلك البناء الذي امر به يوقد عليه وليس في النار لكن يصيبه لهبها وقال مكي
وغيره في النار متعلق بمحذوف تقديره كاينا او ثابتا ومنعوا تعلقه بقوله توقدون لانهم
زعموا انه لا يوقد على شي الا وهو في النار وتعليق حرف الجر بتوقدون يتضمن تخصيص حال
من حال اخرى انتهى ولو قلنا انه لا يوقد على شي الا وهو في النار لجاز ان يكون متعلقا
بتوقدون ويكون ذلك على سبيل التوكيد كما قالوا في قوله يطير بجناحيه وانتصب ابتغاء
على انه مفعول من اجله وشروط المفعول من اجله موجودة فيه وقال الحوفي
هو مصدر في موضع الحال اي مبتغين حلية وفي ذكر متعلق ابتغاء تنبيه على منفعة ما توقدون

عليه

عليه والحلية ما يعمل للنساء مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس
وما اشبههما من الالات التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي والات الحرث وقطاعات
الاشجار والسكك وغير ذلك وزبد مرفوع بالابتداء وخبره في قوله ومما توقدون ومن الظاهر
انها للتبعيض لان ذلك الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن واجاز الزمخشري
ان يكون لابتداء الغاية اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان من
الاوساخ والاكدار والحق والباطل على حذف مضاف اي مثل الحق والباطل شبه الحق بما
يتخلص من جوهر هذه المعادن من الاقذار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل بالزبد
المجتمع من الخبث والاقذار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به ومن الزبد
فبدا بالزبد اذ هو المتاخر في قوله زبدا رابيا وفي قوله زبد مثله ولكون الباطل كناية عنه وهو متاخر
وهي طريقة فصيحة يبدا في التقسيم بما ذكر اخرا كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم والبداءة بالسابق فصيحة مثل قوله فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا وكانه
والله اعلم يبدا في التفصيل بما هو اهم في الذكر وانتصب جفاء على الحال اي مضمحلا متلاشيا
لا منفعة فيه ولا بقاء له والزبد يراد به ما سبق من ما احتمله السيل وما خرج من خبث المعادن
وافرد الزبد ولم يثن وان تقدم زبدان لاشتراكهما في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك
وقرا رؤبة جفالا باللام بدل الهمزة من قولهم جفلت الريح السحاب اذا احملته وفرقته
وعن ابي حاتم لا يقرا بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار يعني انه كان اعرابيا جافيا وعن ابي حاتم
ايضا لا يعتبر قراءة الاعراب في القران واما ما ينفع الناس اي من الماء الخالص من الغثاء ومن
الجوهر المعدني الخالص من الخبث فيمكث في الارض لانتفاع الناس به والكاف في موضع نصب
اي مثل ذلك الضرب لمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه لما ضرب هذا المثل للحق
والباطل استقل اليهما لاهل الحق من الثواب واهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا لربهم
الحسنى اي للذين دعاهم الله على لسان رسوله فاجابوه الى ما دعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنى
وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمة الله ودخول الجنة في الاخرة فالحسنى مبتدا وخبره
في قوله والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره ما بعده وغاير بين جملتي الابتداء لما يدل عليه تقديم
الجار والمجرور من الاعتناء والاهتمام وعلى راي الزمخشري من الاختصاص اي لهولاء الحسنى لا
لغيرهم وكان قراءة شيوخنا يقفون على قوله الامثال ويبتدئون للذين وعلى هذا المفهوم اعرب
الحوفي الحسنى مبتدا والذين خبره وفسر ابن عطية وهم التلف قال ابن عباس جزاء الحسنى وهي لا اله
الا الله وقال مجاهد الحياة الحسنى وهي الطيبة وقيل الجنة لانها في نهاية الحسن وقيل المكافاة
اضعافا وعلق الزمخشري للذين بقوله يضرب فقال للذين استجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب
الله الامثال للمومنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى
صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا ذكر ما اعد لغير المستجيبين
انتهى والتفسير الاول اولى لان فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب امثالا
كثيرة في هذين وفي غيرهما ولانه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر لغير
المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولان تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد
الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقا انما مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفى
الاستجابة مطلقا ولانه على قوله يكون قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا كلاما مفلتا مما قبله
او كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين وللكافرين لو ان لهم ما في الارض
فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وايضا فيوهم الاشتراك في الضمير
وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما وايضا فقد جاء هذا التركيب وتقدم تفسير مثل قوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وسوء الحساب قال ابن عباس ان لا تقبل حسناتهم
ولا تغفر سياتهم وقال النخعي وشهر وفرقد ان يحاسب على ذنوبه كلها ويواخذ بها من غير ان يغفر
له شي وقال ابو الجوزاء المناقشة وقيل التوبيخ عند الحساب والتقريع وتقدم تفسير مثل وماواهم
جهنم وبيس المهاد القارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها اي تضربه بشدة كالقتل والاسر
والنهب وكشف الحريم وقال الشاعر فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانه ان تكسرا

قوله عزوجل افمن يعلم

اي ضربنا بقوة وقال الزجاج القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل بامر عظيم المحو الازالة محوت
الخط اذا ذهبت اثره ومحا المطر رسم الدار اذا ذهبه وازاله ويقال في مضارعه يمحو ويمحا لان عينه حرف
حلق والاثبات ضد المحو افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم
ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اوليك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح
من اباءهم وازواجهم وذرياتهم والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار قال ابن عباس نزلت افمن يعلم في حمزة وابي جهل وقيل في عمر بن الخطاب وابي جهل وقيل في عمار
ابن ياسر وابي جهل وقراء زيد بن علي اومن بالواو مكان الفاء انما انزل مبنيا للفاعل ولما ذكر
تعالى مثل المومن والكافر وذكر ما للمومن من الثواب وما للكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما
سوا وانكر ذلك فقال افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى اي ليسا مشتبهين لان
العالم بالشيء بصير به والجاهل به كالاعمى والمراد عمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم والهمزة للاستفهام
المراد به انكار ان يقع شبهه بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق
فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
ثم ذكر انه لا يتذكر بالموعظة وضرب الامثال الا اصحاب العقول والفاء للعطف وقدمت
همزة الاستفهام لان لها صدر الكلام والتقدير فامن يعلم ويبعدها ان يكون فعل محذوف بين الهمزة
والفاء والفاء عاطفة ما بعدها على ذلك الفعل كما قدره الزمخشري في قوله افلم يسيروا وقوله
افلا يعقلون وجوزوا في الذين ان يكون بدلا من اولو وصفة له وصفة لمن من قوله افمن يعلم وانما
يتذكر اعتراض ومبتدا خبره اوليك لهم عقبى الدار لقوله والذين ينقضون ثم قال اوليك لهم اللعنة
والظاهر عموم العهد وقيل هو خاص فقال السدي ما عهد اليهم في القران وقال قتادة في
الازل وهي قوله الست بربكم قالوا بلى وقال القفال ما في جبلتهم وعقولهم من دلايل التوحيد
والنبوات وقيل في الكتب المتقدمة والقران وقيل المأخوذ على السنة الرسل وقيل الايمان بالله
وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والظاهر اضافة العهد الى الفاعل اي بما عهد الله والظاهر
ان قوله ولا ينقضون الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لان العهد هو الميثاق ويلزم
من ايفاء العهد انتفاء نقضه وقال الزمخشري وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كلما وثقوه على انفسهم
وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى
فاضاف العهد الى المفعول وغاير بين الجملتين بكون الثانية تعميما بعد تخصيص اذ احد الميثاق
عاما بينهم وبين الله وبين العباد وقال ابن عطية بعهد الله اسم الجنس اي بجميع عهود الله وهي اوامر
ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في هذه الالفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي
وقوله ولا ينقضون الميثاق اي اذا اعتقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة وتقدم الله
الى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين اية ويحتمل ان يشير الى ميثاق معين وهو الذي
اخذه تعالى على ظهر ابيهم ادم عليه السلام انتهى وقال ابن العربي من اعظم المواثيق في الذكر ان لا
يسال سواه وذكر قصة ابي حمزة الخراساني ووقوعه في البير ومرور الناس عليه وتغطيتهم البير وهو
لا يسالهم ان يخرجوه الى ان جاء من اخرجه من غير سوال ولم ير من اخرجه وهتف به هاتف كيف رايت
ثمرة التوكل قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام فاقتدوا به وقد انكر ابو
الفرج بن الجوزي فعل ابي حمزة هذا وبين خطاه وان التوكل لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال
وذكر ان سفين الثوري وغيره قالوا ان انسانا جاع فلم يسال حتى مات دخل النار ولا ننكر ان يكون
الله لطف بابي حمزة الجاهل وما امر الله ان يوصل ظاهره العموم في كل ما امر به في كتابه وعلى لسان
نبيه وقال الحسن المراد به صلة الرسول عليه السلام بالايمان به وقال نحوه ابن جبير وقال قتادة الرحم
وقيل صلة الايمان بالعمل وقيل صلة قرابة الاسلام بافشاء السلام وعيادة المرضى وشهود الجنائز
ومراعاة حق الجيران والرفقاء والاصحاب والخدم وقيل نصرة المومنين وامر يتعدى الى اثنين بحرف
جر وهو به والاول محذوف تقديره ما امرهم الله به وان يوصل في موضع جر بدل من الضمير اي يوصل

ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون سوء الحساب اي استقصاه فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
وقيل يخشون ربهم يعظمونه وقيل في قطع الرحم وقيل في جميع المعاصي وقيل فيما امرهم بوصله
وصبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس والاموال ومشاق التكليف وجات
الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون
وما عطف عليهما على سبيل التفنن في الفصاحة لان المبتدا هنا في معنى اسم الشرط بالماضي كالمضارع
في اسما الشرط فكذلك في ما اشبهه ولذلك قال النحويون اذا وقع الماضي صلة او صفة لنكرة عامة
احتمل ان يراد به المضي وان يراد به الاستقبال فمن المراد به المضي في الصلة الذين قال لهم الناس
ومن المراد به الاستقبال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ويظهر ايضا ان اختصاص هذه
الصلة بالماضي وتينك بالمضارع ان تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دايما وهذه
الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لان حصول تلك الصلاة انما هي
مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها ولذلك لم يات صلة في القران الا بصيغة الماضي اذ هو
شرط في حصول التكاليف وايقاعها والله اعلم وانتصب ابتغاء قيل على انه مصدر في موضع الحال
والاولى ان يكون مفعولا لاجله اي ان صبرهم هو لابتغاء وجه الله خالصا لا لرجاء ان يقال ما اصبره
ولا لمخافة ان يعاب بالجزع او يشمت به الاعداء كما قال الشاعر

• وتجلدي للشامتين اريهم • اني لريب الدهر لا اتضعضع •

ولا لان الجزع لا طائل تحته او يعلم انه لا مرد لما فات ولا لما وقع والظاهر في معنى الوجه هنا
جهة الله اي الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات ليقع عليها المثوبة كما تقول خرج زيد لوجه
كذا ونبه على هاتين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية اذ هما عمودا الدين والصبر
عليهما اعظم صبر لتكرر الصلاة ولتعلق النفوس بتحصيل المال ونبه على حالتي الانفاق فالسر
افضل حالات انفاق التطوع كما جاء في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل
تصدق بصدقة فاخفاها والعلانية افضل حالات انفاق الفروض لان الاظهار فيها افضل
وقال الزمخشري مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله انتهى
وهذا على طريقة المعتزلة وللتكلف هنا في الضرائب اقوال متقاربة قال ابن عباس صبروا على امر الله
وقال ابو عمران الجوني صبروا على امر دينهم وقال عطاء صبروا على الرزايا والمصايب وقال
ابن زيد صبروا على الطاعة وعن المعصية ويدرون يدفعون قال ابن زيد الشر بالخير وقال قتادة
ردوا عليهم معروفا كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال الحسن اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وقال القتبي اذا سفه عليهم حلموا وقال ابن جبير يدفعون
المنكر بالمعروف وقال ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا واذا هربوا تابوا ليدفعوا عن انفسهم بالتوبة
معرة الذنب وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الضحاك عنه وقيل يدفعون بلا اله الا الله
شركهم وقيل بالسلام غوائل الناس وقيل من راوا منه مكروها بالتي هي احسن وقيل بالصالح
من العمل السيء من العمل ويؤيده ما روي في الحديث ان معاذا قال اوصني يا رسول الله فقال
اذا عملت سيئة فاعمل الى جنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وقيل العذاب
بالصدقة وقيل اذا هموا بالسيئة تكروا ورجعوا واستغفروا وهذه الاقوال كلها على سبيل
المجاز وبالجملة لا يكافون الشر بالشر كما قال الشاعر

• يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة • ومن اساءة اهل السوء احسانا •

وهذا بخلاف خلق الجاهلية كما قال الشاعر

• جريء متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم •

وروي ان هذه الاية نزلت في الانصار ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات
وعقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ويحتمل ان يراد
عقبى دار الاخرة لدار الدنيا اي العقبى الحسنة في الدار الاخرة هي لهم ويحتمل ان يكون جنات
خبر ابتداء محذوف وقراء الجمهور جنات والنخعي جنة بالافراد وروي عن ابن كثير وابي عمرو
يدخلونها مبنيا للمفعول وقراء ابن ابي عبلة ومن صلح بضم اللام والجمهور بفتحها
وهو افصح وقراء عيسى الثقفي وذريتهم بالتوحيد والجمهور بالجمع وقراء ابن يعمر

نَعِمَ بفتح النون وكسر العين وهي الاصل كما قال ـــــ نعم الساعون في اليوم الشطر وقـرا ابن
وثاب نَعْمَ بفتح النون وسكون العين وتخفيف نعل لغة تميمية والجمهور نعم بكسر النون
وسكون العين وهي اكثر استعمالا قال مجاهد وغيره ومن صلح اي عمل صالحا وامن انتهي وهذا يدل علي
ان يجزد النسب من الصالح لا ينفع انما ينفع الاعمال الصالحة وقيل يحتمل قوله ومن صلح اي لذلك
بقدر الله تعالي وسابق علمه وقال ابن عباس هذا الصلاح هو الايمان بالله وبالرسول وهذه بشارة
بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة والظاهر ان ومن معطوف علي الضمير في يدخلونها وقد
فصل بينهما بالمفعول وقيل يجوز ان يكون مفعولا معه اي يدخلونها من صلح ويشمل قوله من اباءهم
ابوي كل واحد والده ووالدته وغلب الذكور علي الاناث فكانه قيل ومن صلح من اباءهم وامهاتهم
والملايكة يدخلون عليهم من كل باب اي بالتحف والهدايا من الله تكرمة لهم قال ابو بكر الوراق
هذه ثمانية اعمال تشير الي ثمانية ابواب الجنة من عملها دخلها من اي باب شاء وقال الاصم
نحو هذا قال من كل باب باب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر ولابي عبد الله الرازي كلام عجيب
في الملايكة ذكر ان الملايكة طوايف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا راض نفسه بانواع
الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ولكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي
يخص تلك الصفة مزيد اختصاص فعند الموت اذا اشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من
كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملايكة الصبر كمالات
مخصوصة نفسانية لا تظهر الا في مقام الصبر ومن ملايكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلي الا في مقام
الشكر وهذا القول في جميع المراتب انتهي وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الانبيا
فهو كلام مطرح لا يلتفت اليه المسلمون قال ابن عطية وحكي الطبري في صفة دخول الملايكة احاديث
له يطول بها لضعف اسانيدها انتهي وارتفع سلام علي الابتداء وعليكم الخبر والجلة محكية بقول
محذوف اي يقولون سلام عليكم والظاهر ان قولهم سلام عليكم تحية الملايكة لهم ويكون بما صبرتم
خبر مبتدا محذوف اي هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا علي المشاق او تكون التا بمعني بدل
اي بدل صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر هذه الملاذ والنعم وقيل سلام جمع سلامة اي انما
سلمكم الله من اهوال يوم القيمة بصبركم في الدنيا وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم
عليكم ويكرمكم بصبركم والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم عقبي الدار الجنة من جهنم والدار
تحتمل الدنيا وتحتمل الاخرة وقالت فرقة المعني ان عقبوا الدار من جهنم قال ابن عطية وهذا
التاويل مبني علي حديث ورد وهو ان كل رجل في الجنة قد كان له مقعد معروف في النار فصرفه
الله عنه في النعيم فيعرض عليه ويقال له هذا مكان مقعدك فبدلك الله منه الجنة بايمانك
وطاعتك وصبرك انتهي ولما كان الصبر هو الذي تنشا عنه تلك الطاعات السابقة ذكرت
الملايكة ان النعيم السرمدي انما هو حاصل بسبب الصبر ولم يات التركيب بالايفاء بالعهد ولا
بغير ذلك والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار • الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة
الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع • قال مقاتل نزلت والذين ينقضون في اهل الكتاب
وقال ابن عباس نزلت الله يبسط في مشركي مكة ولما ذكر تعالي حال السعداء وما ترتب لهم من الامور
السنية الشريفة ذكر حال الاشقياء وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض في اوايل
البقرة وترتب للسعداء هناك التصريح بعقبي الدار وهي الجنة واكرام الملايكة لهم بالسلام
وذلك غاية القرب والتانيس وهنا ترتب للاشقياء الابعاد من رحمة الله وسوء الدار اي الدار
السوء وهي النار وسوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم
نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالي انه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والكفر والايمان
لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر علي المومن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد اثامه
ويقدر مقابل يبسط وهو التضييق من قوله ومن قدر عليه رزقه وعليه يحمل فظن ان لن
نقدر عليه وقول ذلك الذي احرق وذري في البحر لئن قدر الله علي اي لئن ضيق وقيل يقدر
يعطي بقدر الكفاية وقـرا زيد بن علي ويقدر بضم الدال حيث وقع والضمير في وفرحوا

عايد

قوله عز وجل والذين ينقضون

عايد علي الذين ينقضون وهو استيناف اخبار عن جهلهم بما اوتوا من بسطة الدنيا عليهم وفرحهم فرح
بطر وتسليط لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتي يستوجبوا نعيم الاخرة
بفضل الله به واستجهلهم بهذا الفرح اذ هو فرح بما يزول عن قريب وينقضي ويبعد قول من ذهب
الي انه معطوف علي صلات والذين ينقضون اي ويفسدون في الارض وفرحوا بالحياة الدنيا وان
في الكلام تقديما وتاخيرا ومتاع معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفني كما قـال الشاعر

• تمتع يا مشعث ان شيا • سبقت به الممات هو المتاع •

وقـال اخر • انت نعم المتاع لو كنت تبقي • غير ان لا بقاء للانسان •

وقـال اخر • تمتع من الدنيا فانك فان • من النشوات والنسا الحسان •

قال الزمخشري خفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيا نذرا كالشي نزرا
يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك انتهي وهذا معني
قول الحسن قال الحسن اعلم الله نبيه ان الحيوة الدنيا في جنب ما اعد الله لاوليايه في الاخرة نزر
يسير يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او غير ذلك وقال ابن عباس
زاد كزاد الراعي وقال مجاهد قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا بد له من زوال ـــــ
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب
الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبي لهم وحسن ماب • نزلت ويقول الذين كفروا في مشركي مكة طلبوا مثل ايات الانبيا والملتمس
ذلك هو عبد الله بن ابي امية واصحابه رد تعالي علي مقترحي الايات من كفار قريش كسقوط السماء
عليهم كسفا وقولهم سير علينا الاخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا كالاردن واحي لنا
قصيا واسلافنا ولم تجر عادة الله في الاتيان بالايات المقترحة الا اذا اراد هلاك مقترحها فرد
تعالي عليهم بان نزول الاية لا تقتضي ضرورة ايمانكم وهداكم لان الامر بيد الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقال الزمخشري فان قلت كيف يطابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله
يضل من يشاء قلت ـــــ هو كلام يجري مجري التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة
المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يوتها نبي قبله وكفي بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها
ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم
ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم علي كفركم ان الله يضل من يشاء فمن كان علي صفتكم من التصميم
وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الي اهتدايهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان علي خلاف
صفتكم وقال ابو علي الجبائي يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له علي كفره ويهدي اليه من اناب
اي الي جنته من اناب من تاب والهدي تعلقه بالمومن هو الثواب لانه يستحقه علي ايمانه وذلك
يدل علي انه انما يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين بالكفر علي ما ذهب اليه من خالفنا انتهي
وهو علي طريقة الاعتزال والضمير في اليه قالوا عايد علي القران او علي الرسول والظاهر انه
عايد علي الله علي حذف مضاف اي الي دينه وشرعه واناب اقبل الي الحق وحقيقته دخل في نوبة
الخير والذين امنوا بدل من اناب واطمينان القلوب سكونها بعدا لاضطراب من خشيته وذكر
الله ذكر رحمته ومغفرته او ذكر دلايله علي وحدانيته المزيلة لقلق الشبه او تطمين بالقران
لانه اعظم المعجزات يسكن القلب وينبته ثم ذكر الحض علي ذكر الله وانما به تحصل الطمانينة
ترغيبا في الايمان والمعني انه بذكره تعالي تطمين القلوب لا بالايات المقترحة بل ربما كفر
بعضهم بعدها فنزل العذاب كما سلف في بعض الامم وجوزوا في الذين ان يكون بدلا من الذين
وبدلا من القلوب علي حذف مضاف اي قلوب الذين وان يكون خبر مبتدا محذوف اي هم
الذين وان يكون مبتدا خبره ما بعده وطوبي فعلي من الطيب قلبت الياء واوا للضمة ما قبلها
كما قلبت في موسر واختلفوا في مدلولها فقال ابو الحسن الهناي هي جمع طيبة كما قالوا في جمع
كيسة كوسي وصيقه صوقي وفعلي ليست من الفاظ الجموع فلعله يعني انها اسم جمع وقال
الجمهور هي مفرد مصدر كبشري وسقيا ورجعا وعقبي واختلف القايلون بهذا في معناها فقال
الضحاك المعني غبطة لهم وعنه ايضا اصبت خيرا وقال عكرمة نعمي لهم وقال ابن عباس فرح وقرة
عين وقال قتادة حسني لهم وقال النخعي خير لهم وعنه ايضا كرامة لهم وعن سميط بن عجلان دوام

قوله عز وجل ويقول الذين

الخبر وهذه اقوال متقاربة والمعني العيش الطيب لهم وعن ابن عباس وابن جبير طوبي اسم الجنة بالحبشية
وقيل بلغة الهند وقال ابو هريرة وابن عباس ايضا ومغيث بن سمي وعبيد بن عمير ووهب بن منبه
هي شجرة في الجنة وروي مرفوعا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبيد السلمي
انه قال وقد ساله اعرابي يا رسول الله افي الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعي طوبي وذكر
الحديث قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع حديث عتبة وهو صحيح علي ما ذكره
السهيلي وذكره ابو عمر في التمهيد والثعلبي وطوبي مبتدا وخبره لهم فان كانت علما لشجرة
في الجنة فلا كلام في جواز الابتدا بها وان كانت نكرة فمسوغ الابتدا بها ما ذهب اليه س
من انه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم سلام عليك الا انه التزم فيه الرفع علي الابتدا فلا
يدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك ويرده انه قري وحسن ماب بالنصب قراه كذلك
عيسي الثقفي وخرج ذلك ثعلب علي انه معطوف علي طوبي وانها في موضع نصب وحسن ماب
معطوف عليها قال ثعلب وطوبي علي هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح علي النداء
قال بتقدير يا طوبي لهم ويا حسن ماب فحسن معطوف علي المنادي المضاف في هذه القراة فهذا
نداء للتحنن والتشويق كما كان يا اسفي علي الفوت والندابة انتهي ويعني بقوله معطوف علي
المنادي المضاف ان طوبي مضاف للضمير واللام مقحمة كما اقحمت في قوله يا بوس للجهل ضرارا
لاقوام ه وفي قوله يا بوس للحرب التي ولذلك سقط التنوين من بوس وكانه قيل يا طوباهم
وحسن ماب اي ما اطيبهم واحسن مابهم كما تقول يا طيبها ليلة اي ما اطيبها ليلة **وقرا**
بكوزه الاعرابي طيبي بكسر الطاء لتسلم الياء من القلب وان كان وزنها فعلي كما كسروا في بيض
لتسلم الياء وان كان وزنها فعلا بالضم وقال الزمخشري اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب
او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراة في قوله وحسن ماب بالرفع
والنصب يدلك علي محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك **وقري** وحسن ماب
بفتح النون ورفع ماب فحسن فعل ماض اصله حسن نقلت ضمة سينه الي الحاء وهذا جائز
في فعل اذا كان للمدح او الذم كما قالوا حسن ذا ادبا كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب. قال قتادة وابن جريج ومقاتل لما راوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب علي

قوله عز وجل كذلك ارسلناك

بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فنزلت وهو بعيد عن اليمن
فنزلت ذكره هذا علي بن احمد النيسابوري وعن ابن عباس لما قيل لكفار قريش اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن فنزلت قال الزمخشري مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالا له شان وفضل علي
سائر الارسالات انتهي ولم يتقدم ارسال يشار اليه بذلك الا ان كان يفهم من المعني فيمكن ذلك
وقال الحسن كما ارسلنا الرسل ارسلناك فذلك اشارة الي ارساله الرسل وقيل الكاف متعلقة بالمعني
الذي في قوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب كما انفذ الله هذا كذلك ارسلناك وقال
ابن عطية والذي يظهر لي ان المعني كما اجرينا العادة بان الله يضل ويهدي لا الايات المقترحة
فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء انتهي وقال الحوفي الكاف للتشبيه في موضع نصب اي كفعلنا
الهداية والاضلال والاشارة بذلك الي ما وصف به نفسه من انه يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وقال ابو البقاء كذلك التقدير الامر كذلك قد خلت من قبلها امم اي تقدمتها امم كثيرة والمعني
ارسلت فيهم رسل فمثل ذلك الارسال ارسلناك ودل هذا المحذوف الذي يقتضيه المعني علي ان
الاشارة بذلك الي ارساله تعالي الرسل كما قال الحسن ولتتلو اي لتقرا عليهم الكتاب المنزل عليك
وعلة الارسال هي الابلاغ للدين الذي اتي به الرسول وهم يكفرون بالرحمن جملة حالية اي ارسلناك
في امة رحمة لها مني وهم يكفرون بي اي وحال هولاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر
ان الضمير من قوله وهم عايد علي امة المرسل اليهم الرسول اعاد علي المعني اذ لو اعاد علي اللفظ
لكان التراكيب وهي تكفر والمعني ارسلناك اليهم وهم يدينون دين الكفر فهدي الله بك من اراد هداه
وقيل يعود علي الذين قالوا لولا انزل عليه اية من ربه وقيل يعود علي امة وعلي امم والمعني والاخبار
بان الامم السابقة ارسل اليهم والامة التي ارسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون
دين الكفر فيكون في ذلك تسلية للرسول اذ امته مثل الامم السابقة ونبه علي الوصف الموجب لارسال

الرسول

قوله عز وجل ولو ان قرانا

الرسول وهو الرحمة الموجبة لشكر الله علي انعامه عليهم ببعثة الرسول والايمان به قل هو اي
الرحمن الذي كفروا به هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وجميع اموري
واليه مرجعي فيثيبني علي مجاهدتكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتي بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدي الناس جميعا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتي ياتي وعد الله ان الله لا يخلف
الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب
قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان الكفار قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم سير جبلي مكة
فقد ضيقا علينا واجعل لنا ارضا قطعا غراسة واحي لنا اباءنا واجدادنا وفلانا وفلانا
فنزلت معلمة انهم لا يومنون ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالي علة ارساله وهي تلاوة
ما اوحاه اليه ذكر تعظيم هذا الموحي وانه لو كان قران تسير به الجبال عن مقارها او تقطع
به الارض حتي تزايل قطعا قطعا او تكلم به الموتي فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه
غاية في التذكير ونهاية في الايجاز نذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران علي جبل الاية
فجواب لو محذوف وهو ما قدرناه وحذف جواب لو لدلالة المعني عليه جائز نحو قوله تعالي
ولو يري الذين ظلموا اذ يرون العذاب ولو تري اذ وقفوا علي النار **وقال الشاعر**

وجدك لو شي اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد عنك مدفعا •

وقيل تقديره لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم الاية
قاله الزجاج وقال الفراء هو متعلق بما قبله والمعني وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت
به الجبال وما بينهما اعتراض وعلي قول الفراء يترتب جواب لو الا ان يكون لما امنوا لان قوله وهم
يكفرون بالرحمن ليس جوابا وانما هو دليل علي الجواب وقيل معني قطعت به الارض شققت
فجعلت انهارا وعيونا ويترتب علي ان يكون الجواب المحذوف لما امنوا قوله بل لله الامر جميعا
اي الايمان والكفر انما يخلقهما الله ويريدهما واما علي تقدير لكان هذا القران فيحتاج الي
ضميمة وهو ان يقدر لكان هذا القران الذي اوحينا اليك المطلوب فيه ايمانهم وما تضمنه
من التكاليف ثم قال بل لله الامر جميعا اي الايمان والكفر بيد الله يخلقهما فيمن يشاء وقال
الزمخشري بل لله الامر جميعا علي معنيين احدهما بل لله القدرة علي كل شي وهو قادر علي
الايات التي اقترحوها الا ان علمه باظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله اي يلجيهم الي الايمان
وهو قادر علي الالجاء لولا انه بني امر التكليف علي الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين
امنوا ان لو يشاء مشية الالجاء والقسر لهدي الناس جميعا انتهي وهو علي طريقة الاعتزال واليأس
القنوط من الشي وهو هنا في قول الاكثرين بمعني العلم كانه قيل افلم يعلم الذين امنوا قال
القسم بن معن هي لغة هوازن وقال ابن الكلبي هي لغة حي من النخع وانشدوا علي ذلك لسحيم بن
وثيل الرياحي • اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم • تيأسوا اني ابن فارس زهدم •
وقال رباح بن عدي • الم ييأس الاقوام اني انا ابنه • وان كنت عن ارض العشيرة نائيا •
وقال اخر • حتي اذا ييس الرماة وارسلوا غضفا • دواجن قافلا اعصامها •
اي حتي اذا علموا ان ليس وجه الا الذي وارا وانكر الفرا ان يكون ييأس بمعني علم وزعم انه لم يسمع
احدا من العرب يقول يئست بمعني علمت انتهي وقد حفظ ذلك غيره هذا القسم بن معن من
ثقات الكوفيين واجلائهم نقل انها لغة هوازن وابن الكلبي نقل انها لغة حي من النخع
ومن حفظ حجة علي من لم يحفظ وقيل انما استعمل اليأس بمعني العلم لتضمنه معناه لان اليأس
من الشي عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معني الخوف والنسيان في معني الترك وحمل
جماعة هنا اليأس علي المعروف فيه في اللغة وهو القنوط من الشي وتاولوا ذلك فقال الكسائي
المعني افلم ييأس الذين امنوا من ايمان الكفار من قريش المعاندين لله ورسوله وذلك انهم
لما سالوا هذه الايات اشرابت المومنون اليها واحبوا نزولها ليومن هولاء الذين علم الله
تعالي منهم انهم لا يومنون فقال افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم **وقال** الفراء اوقع
الله للمومنين ان لو يشاء هدي الناس جميعا فقال افلم ييأسوا علما تقول اياسهم العلم مضمر
كما تقول في الكلام يئست منك ان لا تفلح كانه قال علمه علما قال فيئست بمعني علمت وان لم يكن

قد سُمع فانه يتوجه الي ذلك بالتاويل وقال ابو العباس افلم ييئسوا بعلمهما ان لاهداية الا بالمشيئة ه
وايضاح هذا المعني يتنقح حفظ الاعراب ان لا يكون ان لو يشاء الله متعلقا بامنوا اي افلم يقنط عن
ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدي الناس جميعا ولهداهم الي الايمان او الجنة
وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الياس في هذه الاية علي بابه وذلك انه لما ابعد ايمانهم في قوله
ولو ان قرانا الاية علي التاويل في المحذوف المقدر قال في هذه افلم ييأس المومنون من ايمان
هؤلاء الكفرة علما منهم ان لو يشاء الله لهدي الناس جميعا انتهي وهذا قول الفراء الذي ذكرناه
وقال الزمخشري ويجوز ان تتعلق ان لو يشاء بامنوا علي اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين
امنوا بان لو يشاء الله لهدي الناس جميعا ولهداهم انتهي وهذا قول ابي العباس ويحتمل عندي وجه
اخر غير ما ذكروه وهو ان الكلام تام عند قوله افلم ييأس الذين امنوا وهو تقرير اي قد ييأس المومنون
من ايمان هؤلاء المعاندين وان لو يشاء جواب قسم محذوف اي واقسم لو يشاء الله لهدي الناس جميعا
ويدل علي اضمار هذا القسم وجود ان مع لو كقول الشاعر

اما والله لو كنت حرا • وما بالحر انت ولا العتيق •

وقول الاخر فاقسم ان لو التقينا وانتم • لكان لنا يوما من الشر مظلم • وقد ذكر سيبويه
ان ان تاتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة المقسم عليها واما علي تاويل الجمهور
فان عندهم هي المخففة من الثقيلة اي انه لو يشاء الله وقرا علي وابن عباس قال الزمخشري وجماعة
من الصحابة والتابعين وقال غيره وعكرمة وابن ابي مليكة والجحدري وعلي بن الحسين وابنه زيد بن محمد
وابو يزيد المدني وعلي بن بذيمة وعبد الله بن يزيد افلم يتبين من تبينت كذا اذا عرفته وتدل هذه
القراءة علي ان معني افلم ييأس هنا معني افلم يعلم كما تظافرت النقول انها لغة لبعض العرب
وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله افلم ييأس كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري بل هي قراءة
مسندة الي الرسول وليست مخالفة للسواد اذ كتبوا ييأس بغير صورة الهمزة وهذه كقراءة فتثبتوا
وفتبينوا وكلتاهما في السبعة واما قول من قال انما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوي اسنان السين
فقول زنديق ملحد وقال الزمخشري وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفي مثل هذا حتي يبقي ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا
في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه
خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية
انتهي وقال الفراء لا تبلي الاكما ات افلم ييأس انتهي والكفار عام في جميع الكفار وهذا الامر مستمر
فيهم الي يوم القيامة قاله الحسن وابن السايب وهو ظاهر اللفظ وقال ابن عطية كفار قريش
والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلي الله عليه وسلم وغزواته وقال مقاتل والزمخشري
كفار مكة قال الزمخشري تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم
فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدي اليهم شرورها حتي ياتي وعد الله وهو موتهم
او القيامة انتهي وقال الحسن حال الكفرة هكذا هو ابدا ووعد الله قيام الساعة والظاهر ان الضمير
في تحل عايد علي قارعة قاله الحسن وقالت فرقة التاء للخطاب والضمير للرسول اي وتحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية وعزاه الطبري الي ابن عباس ومجاهد وقتادة وقاله عكرمة
ويكون وعد الله فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك وقاله ابن عباس ومقاتل وقرا مجاهد
وابن جبير او يحل بالياء علي الغيبة واحتمل ان يكون عايدا علي معني القارعة راعي فيه التذكير لانها
بمعني البلاء او تكون الهاء في قارعة للمبالغة فذكر واحتمل ان يكون عايدا علي الرسول اي او يحل
الرسول قريبا وقرا ايضا من ديارهم علي الجمع وقال ابن عباس القارعة العذاب من السماء
وقال عكرمة السرايا والطلايع وفي قوله ولقد استهزي الاية تسلية للرسول وان حالك حال من
تقدمك من الرسل وان المستهزئين يملي لهم اي يمهلون ثم يوخذون وتنبيه علي ان حال من استهزا
بك وان امهل حال اولئك في اخذهم ووعيد لهم وفي قوله فكيف كان عقاب استفهام معناه التعجب
مما حل بهم وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول من الكفار افمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت
وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين

قوله عز وجل افمن هو قايم

كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد • لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق
وما لهم من الله من واق • من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدا والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
من شركايهم التي لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه
تقديره كالقاسي قلبه الذي هو من ظلمه ودل عليه قوله وجعلوا لله شركاء كما دل علي القاسي قوله
فويل للقاسية ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدا يكون مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا
كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق افمن يعلم ثم قال كمن هو اعمي والظاهر ان قوله وجعلوا لله شركاء
استيناف استخبار عن سوء صنيعهم وكونهم اشركوا مع الله ما لا يصلح للالوهية نعي عليهم هذا الفعل
القبيح هذا والباري تعالي هو المحيط باحوال النفوس جليها وخفيها ونبه علي بعضها لانها هي الكسب
ليتفكر الانسان فيما يكسب من خير وشر وما يترتب علي الكسب من الجزاء وعبر بقايم عن الاحاطة والمراقبة
التي لا يغفل عنها وقال الزمخشري ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء انتهي وفي
هذا التوجيه اقامة الظاهر مقام المضمر في قوله وجعلوا لله اي وجعلوا له وفيه حذف الخبر عن
المقابل واكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا وفي تفسير ابي عبد الله الرازي قال الشديد صاحب العقد
الواو في قوله وجعلوا واو الحال والتقدير افمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت موجود والحال انهم
جعلوا له شركاء ثم اقيم الظاهر وهو لله مقام المضمر تقريرا للالهية وتصريحا بها كما تقول معطي
الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي انتهي وقال ابن عطية افمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت احق
بالعبادة ام الجمادات التي لا تضر ولا تنفع هذا تاويل ويظهر ان القول مرتبط بقوله وجعلوا لله
شركاء كان المعني افمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك اهل ان ينتقم ويعاقب ام لا انتهي
وابعد من ذهب الي ان قوله افمن هو قايم المراد به الملايكة الموكلون ببني ادم حكاه القرطبي
عن الضحاك والخبر ايضا محذوف تقديره كغيره من المخلوقين وابعد ايضا من ذهب الي ان قوله وجعلوا
معطوف علي استهزي اي استهزوا وجعلوا ثم امره تعالي ان يقول لهم سموهم اي اذكروهم باسمايهم
والمعني انهم ليسوا ممن يذكر ولا يسمي انما يذكر ويسمي من هو ينفع ويضر وهذا مثل ان يذكر لك ان شخصا
يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك فتقول لذاكره سمه حتي ابين لك زيفه وانه ليس كما يذكر
وقريب من هذا قول من قال في قوله قل سموهم انما يقال ذلك في الشي المستحقر الذي يبلغ
في الحقارة الي ان لا يذكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال سمه ان شيت اي هو اخس من ان يذكر
ويسمي ولكن ان شيت ان تضع له اسما فافعل فكانه قال سموهم بالالهة علي جهة التهديد والمعني
سواء سميتموهم بهذا الاسم ام لم تسموهم به فانهم في الحقارة بحيث لا تستحق ان يلتفت العاقل اليها
وقيل سموهم بما خلقوا وصنعوا وامواتا او احياء لتصح الشركة وقيل طالبوهم بحجة علي انها الهة
وقيل صفوهم وانظروا هل يستحقون الالهية الالوهية وقال الزمخشري جعلتم له شركاء فسموهم
له من هم ونبيوه باسمايهم وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده علي شرب الخمر سمه لم بعد هذا
وام في قوله ام تنبيونه منقطعة وهو استفهام توبيخ قال الزمخشري بل اتنبيونه بشركاء لا يعلمهم
في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشي يتعلق به العلم
والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض انتهي
فجعل الفاعل في قوله بما لا يعلم عايدا علي الله والعايد علي ما محذوف اي بما لا يعلمه الله وكنا
قد خرجنا تلك الاية علي ان الفاعل في قوله بما لا يعلم عايد علي ما وقررنا ذلك هناك وهو يتقرر
هنا ايضا اي اتنبيون الله بشركة الاصنام التي لا تتصف بعلم البتة وذكر نفي العلم في الارض
اذ الارض هي مقر تلك الاصنام فاذا انتفي علمها في المقر التي هي فيه فانتفاؤه في السموات احري
وقرا الحسن تنبيونه من انبا وقيل المراد بل تقدرون علي ان تعلموه بامر تعلمونه انتم وهو لا
يعلمه وخص الارض بنفي الشريك وان لم يكن له شريك البتة لانهم ادعوا ان لله شركاء في الارض
لا في غيرها والظاهر في ام في قوله ام بظاهر انها منقطعة ايضا اي بل اتسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة اي انكم تنطقون بتلك الاسماء وتسمونها الهة ولا حقيقة
لها اذ انتم تعلمون انها لا تتصف بشي من اوصاف الالاه كقوله ما تعبدون من دونه الا
اسماء وقال مجاهد ام بظاهر من القول لغير بطن من القول وقال ابو علي ام بظاهر من القول

يحتجون وقال الضحاك بكذب من القول وقال قتادة بباطل من القول لا باطن له من الحقيقة ومنه
قول الشاعر اعيرتنا البانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر اي باطل وقيل ام منقطعة
والتقدير ام تنبئونه بظاهر من القول لا حقيقة له ذلك قولهم بافواههم ثم قال بعد هذه الحجاج
على وجه التحقير لما هم عليه بل زين للذين كفروا مكرهم وقال الواحدي لما ذكر الدلايل على فساد
قولهم قال دع ذلك الدليل لانهم لا ينتفعون به لانه زين لهم مكرهم وقرا مجاهد بل زين
على البناء للفاعل مكرهم بالنصب والجمهور زين على البناء للمفعول مكرهم بالرفع اي كيدهم
للاسلام بشركهم وما قصدوا باقوالهم وافعالهم من مناقضة الشرع وقرا الكوفيون
وصدوا هنا وفي المومن صُدَّ بضم الصاد مبنيا للمفعول فالفعل متعد وقرا باقي السبعة
بفتحها فاحتمل التعدي واللزوم اي صدوا انفسهم او غيرهم وقرا ابن وثاب وصِدّوا بكسر
الصاد وهي كقراءة رِدّت الينا بكسر الراء وفي اللوامح الكسائي لابن يعمر وصِدوا بالكسر لغة في
الضم اجراه مجرى الحوف نحو قيل فاما في المومن فبالكسر لابن وثاب انتهى وقرا ابن ابي
اسحق وصدٌّ بالتنوين عطفا على مكرهم قال الزمخشري ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا
يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته انتهى وهو على طريقة الاعتزال والعذاب
في الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والاسر والنهب والذلة والجدوب والبلايا
في اجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به الكافر وكان عذاب الاخرة اشق على النفوس لانه احراق بالنار
دايما كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم
ولما ذكر ما اعد للكفار في الاخرة ذكر ما اعد للمومنين فقال مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة
المثل وارتفع مثل على الابتداء في مذهب س والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة
وتجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل وتقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم وليس
هنا ضرب مثل لها فهو كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وانكر ابو علي ان يكون مثل بمعنى
صفة قال وانما معناه الشبه وقال الفراء اي صفتها انها تجري من تحتها الانهار ونحو هذا موجود
في كلام العرب انتهى ولا يمكن حذف انها وانما فسر المعنى ولم يذكر الاعراب وتاول قوم على الفراء
اي مثل معهم وان التقدير الجنة التي وعد المتقون تجري وان تجام الاسماء لا يجوز وحكوا عن الفراء
ان العرب تقحم كثيرا المثل والمثل وخرج على ذلك ليس كمثله شيء اي كهو شيء وقال غيرهما الخبر تجري
كما تقول صفة زيد اسمر وهذا ايضا لا يصح ان يكون تجري خبرا عن الصفة وانما يتاول وتجري
على اسقاط ان ورفع الفعل والتقدير ان تجري جريان الانهار وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة
تجري على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهده انتهى وقال ابو علي لا يصح ما قال الزجاج
لا على معنى الصفة ولا على معنى الشبه لان الجنة التي قدرها جثة ولا تكون الصفة ولان الشبه
عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة جثة فلا تكون المماثلة وقرا علي
وابن مسعود امثال الجنة على الجمع اي صفاتها وفي اللوامح عن السلمي امثال الجنة جمع ومعناه صفات
الجنة وذلك لانها صفات مختلفة فلذلك جمع نحو الحلوم والاشتغال والاكل ما يوكل فيها ومعنى
دوامه انه لا ينقطع ابدا كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ابراهيم التيمي ان لذته دايمة
لا ترد لجوع ولا تمل من شبع وظلها اي دايم البقاء والراحة لا تنسخه شمس ولا يميل لبرد كما في
الدنيا تلك اي تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك ه والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب ه وكذلك انزلناه
حكما عربيا ولين اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ه نزلت في مومني
اهل الكتابين ذكره الماوردي واختاره الزمخشري فقال من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض
الحبشة ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر
بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني بما هو ثابت في كتبهم غير
محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما
حرفوه وبدلوه انتهى وعن ابن عباس وابن زيد في مومني اليهود كعبد الله بن سلام واصحابه وعن

٤

اي كم

قوله عز وجل والذين اتيناهم

قتادة

قتادة في اصحاب الرسول مدحهم تعالى بانهم يسرون بما انزل اليك من امر الدين وعن مجاهد والحسن
وقتادة ان المراد باهل الكتاب جميعهم يفرحون بما انزل من القران اذ فيه تصديق كتبهم وثناء على
انبيائهم واحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى الحق وضعف هذا القول بان همتهم
به اكثر من فرحهم فلا تعتد بفرحهم وايضا فان اليهود والنصارى ينكرون بعضه وقد فرق تعالى
بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين اتيناهم الكتاب والاحزاب قال مجاهد هم اليهود والنصارى
والمجوس وقالت فرقة هم احزاب الجاهلية من العرب وقال مقاتل الاحزاب بنو امية وبنو المغيرة
وال ابي طلحة ولما كان ما انزل اليه يتضمن عبادة الله ونفي الشريك امر بجواب المنكرين فقيل له
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم لبعض القران الذي انزل انكار لعبادة الله وتوحيده
وانتم تدعون وجوب العبادة ونفي الشريك اليه ادعوا الى شرعه ودينه واليه مرجعي عند
البعث يوم القيامة او اليه مرجعي في جميع احوالي في الدنيا والاخرة وقرا ابو خليد
عن نافع ولا اشرك بالرفع على القطع اي وانا لا اشرك به وجوز ان يكون حالا اي اعبد الله غير مشرك
به وكذلك اي مثل انزالنا الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين اتيناهم الكتاب يتضمن
انزاله تعالى الكتاب وهذا الذي انزلناه هو بلسان العرب كما الكتب السابقة بلسان من
نزلت عليه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم واراد بالحكم انه يفصل بين الحق
والباطل ويحكم وقال ابن عطية وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا هولاء للفرح وهولاء لانكار البعض
كذلك انزلناه حكما عربيا انتهى وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب في انزلناه والضمير
عايد على القران والحكم ما تضمنه القران من المعاني ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب
نسبه اليها ولين اتبعت الخطاب لغير الرسول لان الرسول معصوم من اتباع اهوايهم وقال
الزمخشري وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب
فيه وان لا يزل ذلك عند الشبه بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة
بمكان ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ه قال الكلبي عيرت اليهود الرسول
وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة
عن النساء فنزلت هذه الاية قيل وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فرد الله عليهم
بان الرسل قبله كانوا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم ولا ياتون
بما يقترح عليهم والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب
فيه على العباد اي يفرض عليهم ما يريده تعالى وقوله لكل اجل كتاب لفظ عام في الاشياء التي
لها اجال لانه ليس منها شيء الا وله اجل في بداته وفي خاتمته وذلك الاجل مكتوب محصور
وقال الضحاك والفراء المعنى لكل كتاب اجل ولا يجوز ادعاء القلب الا في ضرورة الشعر
واما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه
اذ ثم اشياء كتبها الله ازلية كالجنة ونعيم اهلها لا اجل له والظاهر ان المحو عبارة عن ما
نسخ من الشرايع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها اي يمحو ما يشاء محوه
ويثبت ما يشاء اثباته وقيل هذا عام في الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ونسب هذا
الى عمر وابن مسعود وابي وايل والضحاك وابن جريج وكعب الاحبار والكلبي وروي عن عمر و
ابن مسعود وابي وايل في دعايهم ما معناه ان كنت كتبتني في السعداء فاثبتني فيهم او في الاشقيا
فامحني منهم وان صح هذا عنهم فينبغي ان يتاول على ان المعنى ان كنت اشقيتنا بالمعصية ه
فامحها عنا بالمغفرة ومعلوم ان الشقاوة والسعادة والرزق والخلق والاجل لا يتغير شيء
منها وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء من امور عباده الا السعادة والشقاوة والاجال فانه
لا محو فيها وقال الحسن وفرقة هي اجال بني ادم تكتب في ليلة القدر وقيل في ليلة نصف
شعبان اجال الموتى فيمحى ناس من ديوان الاحياء ويثبتون في ديوان الموتى وقال قيس
ابن عباد في العاشر من رجب يمحو الله ما يشاء ويثبت وقال ابن عباس والضحاك يمحو من
ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت
بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها وقال الزمخشري يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يري المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ والكلام
في نحو هذا واسع المجال انتهي وهو قول قتادة وابن جبير وابن زيد قالوا يمحو الله ما يشاء من
الشرايع والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وقال مجاهد يحكم الله امر السنة
في رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء الا الحيوة والموت والشقاء والسعادة وقال الكلبي يمحو
من الرزق ويزيد فيه وقال ابن جبير ايضا يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشاء فلا يغفره
وقال عكرمة يمحو يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالي الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يمحو الحفظة من الذنوب
ولا يمحو وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من جاء اجله ويثبت من لم يات اجله وقال السدي
يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه فمحونا اية الليل الاية وقال ابن عباس ايضا ان الله لوحا محفوظا
وذكر وصفه في كتاب التحبير ثم قال لله فيه في كل يوم ثلثماية وستون نظرة يثبت ما يشاء ويمحو
ما يشاء وقال الربيع هذا في الارواح حالة النوم يقبضها عند النوم اذا اراد موته فجاءة
امسكه ومن اراد بقاءه انتبه ورده الي صاحبه بيانه قوله الله يتوفي الانفس حين موتها الاية
وقول علي بن ابي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون لقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
ويثبت ما يشاء منها لقوله ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقال
ابن عباس يمحو يميت الرجل علي ضلالة وقد عمل بالطاعة الزمن الطويل لختمه بالمعصية ويثبت
عكسه وقيل يمحو الدنيا ويثبت الاخرة وفي الحديث عن ابي الدرداء انه تعالي يفتح الذكر في
ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر ما في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء
ويثبت ما يشاء وقال الغزنوي ما في اللوح خرج عن الغيب لاحاطة بعض الملايكة فيحتمل
التبديل واحاطة الخلق بجميع علم الله محال وما في علمه من تقدير الاشياء لا يبدل انتهي وقيل غير
ذلك مما يطول نقله وقد استدلت الرافضة بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت علي ان البداء جايز
علي الله تعالي وهو انه يعتقد شيا ثم يظهر له ان الامر خلاف ما اعتقده وهذا باطل لان علمه
من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا واما الاية
فقد احتملت تلك التاويلات المتقدمة فليست نصا فيما ادعوه ولو كانت نصا وجب تاويله
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت مخففا من اثبت وباقي السبعة مثقلا من ثبت
واما قوله ام الكتاب فقال ابن عباس ام الكتاب الذكر وقال ايضا هو وكعب هو علم الله ما
هو خالق وما خلقه عاملون وقالت فرقة الحلال والحرام وهو قول الحسن وقال الزمخشري
اصل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه انتهي وما جري مجري الاصل للشي
تسميه العرب اما كقولهم ام الراس للدماغ وام القري مكة وقال ابن عطية واصوب ما يفسر
به ام الكتاب انه ديوان الامور المحدثة التي قد سبق في القضاء ان يبدل ويمحي او يثبت وقال
نحوه قتادة وتقدم الكلام علي قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك في سورة يونس
وادغام الزمخشري ان جواب الشرط الاول محذوف وكلام ابن عطية في ما ونون التاكيد وقال
الزمخشري واما نرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او نتوفينك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم انتهي قال الحوفي وغيره فانما عليك البلاغ جواب الشرط والذي تقدم شرطان لان
المعطوف علي الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر لانه لا يترتب عليه
اذ يصير المعني واما نرينك بعض ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ واما كونه جوابا
للشرط الثاني وهو او نتوفينك فكذلك لانه يصير التقدير ان ما نتوفينك فانما عليك البلاغ
ولا يترتب وجوب التبليغ عليه علي وفاته عليه السلام لان التكليف ينقطع بعد الوفاة ٥
فيحتاج الي تاويل وهو ان يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب ان يكون جزاء مترتبا عليه وذلك
ان يكون التقدير والله اعلم وان ما نرينك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذلك شافيك
من اعدايك ودليل علي صدقك اذ اخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم فاحتمل ان

يقع

قوله عز وجل اولم يروا انا

يقع ذلك في حياتك واحتمل ان يقع بهم بعد وفاتك او نتوفينك اي وان نتوفينك قبل حلوله بهم
فلا لوم عليك ولا عتب اذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به علي لسانك من عذابهم فانما عليك البلاغ
لا حلول العذاب بهم اذ ذاك راجع الينا وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم اياك وكفرهم فيما جيت به
اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد
مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب • الضمير في اولم يروا
عايد علي الذين وعدوا وفي ذلك اتعاظ لمن اتعظ بنهوا علي ان ينظر وا بعض الارض من اطرافها نحوه
وناتي يعني بالامر والقدرة كقوله فاتي الله بنيانهم والارض ارض الكفار المذكورين ويعني ننقصها
من اطرافها للمسلمين من جوانبها كان المسلمون يغزون من حوالي ارض الكفار مما يلي المدينة
ويغلبون علي جوانب ارض مكة والاطراف الجوانب وقيل الطرف من كل شي خياره ومنه قول علي بن
ابي طالب العلوم اودية في اي واد اخذت منها حسرت فخذوا من كل شي طرفا يعني خيارا قال ابن
عطية والذي يظهر ان معني طرفا جانبا وبعضا كانه اشار الي ان الانسان يكون مشاركا في اطراف
من العلوم لانه لا يمكنه استيعاب جميعها ولم يشر الي انه يستغرق زمانه في علم واحد وقال
ابن عباس والضحاك ناتي ارض هولاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبايل
والبلاد المجاورة لهم فما يومنهم ان يمكنه منهم وهذا التفسير لا يتاتي الا ان قدر نزول هذه
الاية بالمدينة وقيل الارض اسم جنس والانتقاص من الاطراف بتخريب العمران الذي يحله الله
بالكفرة وروي هذا عن ابن عباس ايضا ومجاهد وعنهما ايضا الانتقاص هو بموت البشر وهلاك
الثمرات ونقص البركة وعن ابن عباس ايضا موت اشرافها وكرائها وذهاب الصلحا والاخيار
فعلي هذا الاطراف هنا الاشراف وقال ابن الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم وعن عطاء
ابن ابي رباح ذهاب فقهائها وخيار اهلها وعن مجاهد موت الفقهاء والعلماء وقال عكرمة
والشعبي هو نقص الانفس وقيل هلاك من اهلك من الامم قبل قريش وهلاك ارضهم بعدهم
والمناسب من هذه الاقوال هو الاول ولم يذكر الزمخشري الا ما هو قريب منه قال ناتي الارض
ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما يفتح علي المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار
الاسلام وذلك من ايات الغلبة والنصرة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعني عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء
ذلك فنحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما يعلم من المصالح
التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ويتجه قول من قال
النقص بموت الاشراف والعلماء والخيار وتقريره اولم يروا انا نحدث في الدنيا من الاختلافات
خرابا بعد عمارة وموتا بعد حيوة وذلا بعد عز ونقصا بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس
فما الذي يومنهم ان يقلب الله الامر عليهم ويصيرون ذليلين بعد ان كانوا قاهرين وقرا
الضحاك ننقصها مثقلا من نقص عداه بالتضعيف من نقص اللازم والمعقب الذي يكر علي
الشي فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب ٥
قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم • والمعني انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال
وعلي الكفر بالادبار والانتكاس وقيل يتعقب احكامه اي ينظر في اعقابها امصيبة هي ام لا
والجملة من قوله لا معقب لحكمه في موضع الحال اي نافذا حكمه وهو سريع الحساب تقدم الكلام
علي مثل هذه الجملة ثم اخبر تعالي ان الامم السابقة كان يصدر منهم المكر بانبيائهم كما فعلت
قريش وان ذلك عادة المكذبين للرسل مكر بابراهيم نمرود وبموسي فرعون وبعيسي اليهود وجعل
تعالي مكرهم كلا مكر اذ اضاف المكر كله له تعالي ومعني مكره تعالي عقوبته اياهم سماها مكرا
اذ كانت ناشية عن المكر وذلك علي سبيل المقابلة كقوله الله يستهزي بهم ثم فسر قوله فلله
المكر بقوله يعلم ما تكسب كل نفس والمعني يجازي كل نفس بما كسبت ثم هدد الكافر بقوله
وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار اذ ياتيه العذاب من حيث هو في غفلة عنه فحينئذ يعلم لمن
هي العاقبة المحمودة وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر مبنيا للمفعول من اعلم اي
وسيخبر وقرا الحرميان وابو عمرو الكافر علي الافراد والمراد به الجنس وباقي السبعة

الكفار جمع تكسير وابن مسعود الكافرون جمع سلامة وابي الذين كفروا وفسر ابن عطاء الكافر
بالمستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون وقال ابن عباس يريد بالكافر
ابي جهل وينبغي ان يحمل تفسيره وتفسير عطاء على التمثيل لان الاخبار بعلم الكافر لمن عقبى الدار
معنى يعم جميع الكفار ولما قال الكفار لست مرسلا اي انما انت مدع ما ليس لك امره تعالى
ان يكتفي بشهادة الله بينه وبينهم اذ قد اظهر على يديه من الادلة على رسالته ما في بعضها كفاية
لمن وفق ثم اردف شهادة الله بشهادة من عنده علم من الكتاب والكتاب هنا القرآن والمعنى
ان من عرف ما الف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لعدد البشر يشهد بذلك وقيل
الكتاب التوراة والانجيل والذي عنده علم الكتاب من اسلم من علمائهم لانهم يشهدون نعته
عليه السلام في كتبهم قال قتادة كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي وقال مجاهد
يريد عبد الله بن سلام خاصة وهذان القولان لا يستقيمان الا على ان تكون الاية مدنية والجمهور
على انها مكية وقال محمد بن الحنفية والباقر هو علي بن ابي طالب وقيل جبريل والكتاب اللوح
المحفوظ وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله
والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم قال
ابن عطية ويعترض هذا القول بان فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما تعطف
الصفات بعضها على بعض انتهى وليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا
يوصف بها ولا لشيء من الموصولات الا بالذي والتي وفروعهما وذو وذوات الطائيتين وقوله
وانما تعطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له شرط وهو ان يختلف مدلولاتها
ويعني ابن عطية لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف العالم على الاسم وهو علم لم يلحظ منه
معنى صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر وقوله
الله الذي يستحق العبادة حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة
على الاسم ومن في قراءة الجمهور في موضع خفض عطفا على لفظ الله او في موضع رفع عطفا
على موضع الله اذ هو في مذهب من جعل الباء فاعل بكفى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون
في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره اعدل وامضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه
لفظه شهيدا ويراد بذلك الله تعالى وقرئ ومن بدخول الباء على من عطفا على بالله وقرأ
علي وابي وابن عباس وعكرمة وابن جبير وعبد الرحمن بن ابي بكرة والضحاك وسالم بن عبد الله بن
عمرو وابن ابي اسحق ومجاهد والحكم والاعمش ومن عنده علم الكتاب بجعل من حرف جر وجر ما
بعده به وارتفاع علم بالابتداء والجار والمجرور في موضع الخبر وقرأ علي ايضا وابن
السميفع والحسن بخلاف عنه ومن عنده بجعل من حرف جر علم الكتاب بجعل علم فعلا مبنيا
للمفعول والكتاب رفع به وقرئ ومن عنده من حرف جر علم الكتاب مشددا مبنيا للمفعول
والضمير في عنده في هذه القراءات الثلاث عائد على الله تعالى وقال الزمخشري في القراءة التي
وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة
او على شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار
اخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري
ليس على وجه التحتم لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعا صلتين او حالين او خبرين اما في الاصل
واما في النواسخ او تقدمهما اداة نفي او استفهام جاز فيما بعدهما من الاسم الظاهر ان يرتفع
على الفاعل وهو الاجود وجاز ان يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف او الجار والمجرور
في موضع خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة او صفة او حال او خبر وهذا مبني على اسم الفاعل
فكما جاز ذلك في اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله في الاسم الظاهر فكذلك يجوز فيما ناب
عنه من ظرف او مجرور وقد نص س على اجازة ذلك في نحو مررت برجل حسن وجهه على رفع
حسن على انه خبر مقدم وهكذا تلقفنا هذه المسالة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض المتنشئة في النحو
ان اسم الفاعل اذا اعتمد على شيء مما ذكرناه يتحتم اعماله في الظاهر وليس كذلك وقد اعرب
الحوفي عنده علم الكتاب مبتدأ وخبرا في صلة من وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون خبرا يعني
عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى ومن قرأ ومن عنده على انه حرف جر فالكتاب في قراءته
هو القرآن والمعنى انه تعالى من جهة فضله واحسانه علم الكتاب او علم الكتاب على

القرآنين

القرآنين اي علمت معانيه وكونه اعظم المعجزات الباقي على مر الاعصار فتشريف العبد بعلوم القرآن
اثناء ذلك من احسان الله تعالى اليه وتوفيقه على كونه معجزا وتوفيقه لادراك ذلك

سورة ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد • الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من
عذاب شديد • الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك
في ضلال بعيد • هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الا من قوله الم
تر الى الذين بدلوا الى قوله الى النار وارتباط اول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جدا لانه ذكر فيها
ولو ان قرآنا ثم وكذلك انزلناه حكما عربيا ثم ومن عنده علم الكتاب فناسب هذا قوله الر كتاب انزلناه
اليك وايضا فانهم لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا انزل عليه آية من ربه وقيل له قل ان الله يضل من يشاء
ويهدي اليه من اناب انزل الر كتاب انزلناه اليك كانه قيل او لم يكفهم من الايات كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال الى النور وهو الهدى وجوزوا في اعراب الر ان يكون في
موضع رفع بالابتداء وكتاب الخبر او في موضع رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره اي هذه الر وفي
موضع نصب على تقدير الزم او اقرأ الر كتاب انزلناه اليك جملة مفسرة في هذين الاعرابين وكتاب
مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه موصوفا في التقدير اي كتاب اي عظيم انزلناه اليك وجوزوا
ان يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا كتاب وانزلناه جملة في موضع الصفة وفي قوله
انزلناه واسناد الاسناد الى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله اليك واسناد الاخراج اليه عليه السلام
تنويه عظيم وتشريف له عليه السلام من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بانزاله تعالى وباخراجه
عليه السلام اذ هو الداعي والمنذر وان كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى والناس عام اذ هو
مبعوث الى الخلق كلهم والظلمات والنور مستعاران للكفر والنور والايمان ولما ذكر علة انزال
الكتاب وهي قوله لتخرج قال باذن ربهم اي ذلك الاخراج بتسهيله لكونهم الناظر في مصالحهم اذ هم
عبيده فناسب ذكر الرب هنا تنبيها على منة المالك وكونه ناظرا في حال عبيده وباذن ظاهره التعلق
بقوله لتخرج وجوز ابو البقاء ان يكون باذن ربهم في موضع الحال قال اي ماذونا لك وقال الزمخشري
باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف
والتوفيق انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر ان قوله الى صراط بدل من قوله الى النور ولا
يضر هذا الفصل بين المبدل منه والبدل لان باذن معمول للعامل في المبدل منه وهو لتخرج واجاز
الزمخشري ان يكون الى صراط على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز
الحميد وقرئ ليخرج مضارع خرج بالياء بنقطتين من تحتها والناس رفع به ولما كان قوله الى النور
فيه ابهام ما اوضحه بقوله الى صراط ولما تقدم شيئان احدهما اسناد انزال هذا الكتاب اليه
والثاني اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة
المتضمنة للقدرة والغلبة وذلك من حيث انزال الكتاب وصفة الحمد المتضمنة استحقاقه الحمد
من حيث الاخراج من الظلمات الى النور اذ الهداية الى الايمان هي النعمة التي يجب على العبد
الحمد عليها والشكر وتقدمت صفة العزيز لتقدم ما دل عليها وتليها صفة الحميد لتلو ما دل عليها
وقرأ نافع وابن عامر الله بالرفع فقيل مبتدأ محذوف اي هو الله وهذا الاعراب امكن
لظهور تعلقه بما قبله وتفلته على التقدير الاول وقرأ باقي السبعة والاصمعي عن نافع الله بالجر
على البدل في قول ابن عطية والحوفي وابي البقاء وعلى عطف البيان في قول الزمخشري قال لانه
جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم على الثريا
انتهى وهذا التعليل لا يتم الا على تقدير ان يكون اصله الاله ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت
الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمنا الاقوال
في هذا اللفظ في البسملة اول الحمد وقال الاستاذ ابي الحسن بن عصفور لا تقدم صفة على موصوف
الا حيث سمع وذلك قليل والمعرب فيما وجد من ذلك وجهان احدهما ان تقدم الصفة وتبقيها على
ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان احدهما اعرابه نعتا مقدما والثاني ان يجعل ما بعد
الصفة بدلا والوجه الثاني ان تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى هذا الذي

ذكره ابن عصفور يجوز ان يكون العزيز الحميد يعرب بان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا
متاخرا ومما جاء فيه تقديم ما لو تاخر لكان صفة وتاخر ما لو تقدم لكان موصوفا **قول الشاعر**

• والمومن العائذات الطير يمسحها • ركبان مكة بين الغيل والسعد •

فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمومن الطير العائذات وارتفع ويل على الابتداء وللكافرين خبره
لما تقدم ذكر الظلمات دعا بالهلكة على من لم يخرج منها ومن عذاب شديد في موضع الصفة لويل
ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري انه ليس
في موضع الصفة قال **فان قلت** ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل **قلت**
لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك
ثبورا انتهى وظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هنا العذاب ان يكون
واقعا بهم في الدنيا او واقعا بهم في الاخرة والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال
من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر
ويجوز ان يكون استفعل بمعنى افعل كاستجاب واجاب ولما ضمن معنى الايثار عدي بعلى وجوزوا
في اعراب الذين ان يكون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد وان يكون مخفوضا على الذم اما
خبر مبتدا محذوف اي هم الذين واما منصوبا باضمار فعل تقديره اذم وان يكون بدلا وان
يكون صفة للكافرين ونص على هذا الوجه الاخير الحوفي والزمخشري وابو البقاء وهو لا يجوز
لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد سواء كان من
عذاب شديد في موضع الصفة لويل ام متعلقا بفعل محذوف اي يضجون ويولولون من
عذاب شديد ونظيره اذا كان صفة ان تقول الدار لزيد الحسنة القرشي فهذا التركيب لا يجوز
لانك فصلت بين زيد وصفته باجنبي منهما وهو صفة الدار والتركيب الفصيح ان تقول
الدار الحسنة لزيد القرشي او الدار لزيد القرشي الحسنة **وقرا** الحسن ويصدون مضارع
اصد الداخل عليه همزة النقل من صد اللازم صدودا وتقدم الكلام على قوله ويبغونها
عوجا في آل عمران وعلى وصف الضلال بالبعد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم • ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور •
سبب نزولها ان قريشا قالوا ما لك ابال الكتب كلها اعجمية وهذا عربي فنزلت وساق قصة
موسى انه تعالى ارسله الى قومه بلسان ان اخرج قومك من الظلمات الى النور والظاهر
ان قوله وما ارسلنا من رسول العموم فيندرج فيه الرسول عليه السلام فان كانت الدعوة
عامة للناس كلهم او اندرج في اتباع ذلك للرسول من ليس من قومه كان من لم تكن لغته
لغة ذلك النبي موقوفا على تعلم تلك اللغة حتى يفهمها الى او ان يرجع في تفسيرها الى من يعلمها
وقيل في الكلام حذف فتقديره وما ارسلنا من رسول قبلك الا بلسان قومه وانت ارسلناك
للناس كافة بلسان قومك وقومك يترجمون لغيرهم بالسنتهم ومعنى بلسان قومه بلغة
قومه **وقرا** ابو السماك وابو الجوزاء وابو عمران الجوني بلسن باسكان السين قالوا هو
كالريش والرياش وقال صاحب اللوامح واللسن خاص باللغة قد يقع على العضو وعلى
الكلام وقال ابن عطية مثل ذلك قال اللسان في هذه الاية يراد به اللغة ويقال لسن ولسان
في اللغة فاما العضو فلا يقال فيه لسن **وقرا** ابو رجاء وابو المتوكل والجحدري
بلسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان كعماد وعمد وقرئ ايضا بضم اللام وسكون
السين خفف كرسل ورسل والضمير في قومه عائد على رسول اي قوم ذلك الرسول وقال
الضحاك والضمير في قومه عائد على محمد صلى الله عليه وسلم قال والكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه قال الزمخشري وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضميرا للقوم
وهم العرب فيودي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى
فاسد انتهى وقال الكلبي جميع الكتب تاتي الى جبريل بالعربية وامره تعالى ان ياتي رسول
كل قوم بلغتهم واورد الزمخشري هنا سؤالا وابن عطية اخرها في كتابيهما ونقول قامت
الحجة على البشر باذعان الفصحاء الذين تظن بهم القدرة على المعارضة واقرارهم بالعجز كما
قامت باذعان السحرة لموسى والاطباء لعيسى عليهما السلام ويبين تعالى العلة في كون من

ارسل

قوله عزوجل وما ارسلنا

ارسل من الرسل بلغة قومه وهي التبيين لهم ثم ذكر انه تعالى يضل من يشاء اضلاله ويهدي من
يشاء هدايته فليس على ذلك الرسول غير التبليغ والتبيين ولم يكلف ان يهدي بل ذلك بيد
الله على ما سبق به قضاؤه وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم الواضع الاشياء على ما اقتضته
ارادته وحكمته وقال الزمخشري والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية
التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم
فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف انتهى وهو على طريقة الاعتزال والجمهور على
تفسير قوله باياتنا انها تسع الايات التي اجراها الله على يد موسى عليه السلام وقيل يجوز ان يراد
بها ايات التوراة والتقدير كما ارسلناك يا محمد بالقران بلسان عربي وهو اياتنا كذلك ارسلنا
موسى بالتوراة بلسان قومه وان اخرج يحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون مصدرية ويضعف زعم
من زعم انها زائدة وفي قوله قومك خصوص لرسالته الى قومه بخلاف لتخرج الناس والظاهر
قومه هم بنو اسرائيل وقيل القبط فان كانوا القبط فالظلمات هنا الكفر والنور الايمان
وان كانوا بني اسرائيل وقلنا انهم كلهم كانوا مومنين فالظلمات ذل العبودية والنور العزة
بالدين وظهور امر الله وان كانوا اشياعا متفرقين في الدين قوم مع القبط في عبادة فرعون
وقوم على غير شيء فالظلمات الكفر والنور الايمان قيل وكان موسى مبعوثا الى القبط وبني اسرائيل
وقيل الى القبط بالاعتراف بوحدانية الله وان لا يشرك به والايمان بموسى وانه نبي من عند الله
والى بني اسرائيل بالتكليف وبفروع شريعته اذ كانوا مومنين ويحتمل وذكرهم ان يكون امرا
مستانفا وان يكون معطوفا على ان اخرج فيكون في خبر ان وايام الله قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة نعم الله عليهم ورواه ابي مرفوعا ومنه **قول الشاعر** •

• وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا •

وعن ابن عباس ايضا ومقاتل وابن زيد وقايعه ونقماته في الامم الماضية ويقال فلان عالم بايام
العرب اي وقايعها وحروبها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم فضة وغيرها وروي نحوه عن
مالك قال بلاوه **وقال الشاعر** وايامنا مشهورة في عدونا • اي وقايعنا وعن ابن عباس
ايضا نعماوه وبلاوه واختاره الطبري فنعماوه بتظليله عليهم الغمام وانزال المن والسلوى
وفلق البحر وبلاوه باستعباد فرعون لهم وتذبيح ابنائهم واهلاك القرون قبلهم وفي حديث
ابي في قصة موسى والخضر بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بايام الله وايام الله بلاوه
ونعماوه واختار الطبري هذا القول الاخير ولفظة الايام تعم المعنيين لان التذكير يقع
بالوجهين جميعا وفي هذه اللفظة تعظيم الكوائن المذكر بها وعبر عنها بالظرف الذي وقعت
فيه وكثيرا ما يقع الاسناد الى الظروف وفي الحقيقة الاسناد لغيرها كقوله بل مكر الليل والنهار
ومن ذلك قولهم يوم عبوس ويوم عصيب ويوم بسام والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة او سرور
والاشارة بقوله ان في ذلك الى التذكير بايام الله وصبار وشكور صفتا مبالغة وهما مشعرتان
بان ايام الله المراد بهما بلاوه ونعماوه اي صبار على بلائه شكور لنعمائه فاذا سمع بما انزل الله
من البلاء على الامم او بما افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر اذا اصابه بلاء ومن
الشكر اذا اصابته نعماء وخص الصبار والشكور لانهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه
ويتعظان به وقيل اراد لكل مومن ناظر لنفسه لان الصبر والشكر من سجايا اهل الايمان ٥
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • واذ تاذن ربكم لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد • وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان
الله لغني حميد • لما تقدم امره تعالى لموسى بالتذكير بايام الله ذكرهم بما انعم تعالى عليهم من
نجاتهم من آل فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب اذ في
نحو هذا التركيب في قوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء وتفسير نظير هذه الاية
الا ان هنا ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون فحيث لم يوت بالواو
جعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث اتي بها دل على المغايرة وان سوم سوء العذاب
كان بالتذبيح وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح ولغيره من انواع
القتل **وقرا** ابن محيصن ويذبحون مضارع ذبح ثلاثيا **وقرا** زيد بن علي كذلك

قوله عزوجل واذ قال موسى

الا انه حذف الواو وتقدم شرح تاذن وتلقيه بالقسم في قوله في الاعراف واذ تاذن ربك ليبعثن
واحتمل اذ يكون منصوبًا باذكروا وان يكون معطوفا على اذ انجاكم لان هذا الاعلام بالمزيد على الشكر
من نعمه تعالى والظاهر ان متعلق الشكر هو الانعام اي لين شكرتم انعامي وقاله الحسن والربيع
قال الحسن لازيدنكم من طاعتي وقال الربيع لازيدنكم من فضلي وقال ابن عباس اي لين وحدتم
واطعتم لازيدنكم في الثواب وكانه راعي ظاهر المقابلة في قوله ولين كفرتم ان عذابي لشديد
وظاهر الكفر المراد به الشرك فلذلك فسر الشكر بالتوحيد والطاعة وغيره قال ولين كفرتم
نعمتي فلم تشكروها رتب العذاب الشديد على كفران نعمه تعالى ولم يبين محل الزيادة
فاحتمل ان يكون في الدنيا او في الاخرة او فيهما وجا التركيب على ما عهد في القران من انه
اذا ذكر الخير اسند اليه تعالى واذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته اليه فقال لازيدنكم
فنسب الزيادة اليه وقال ان عذابي لشديد ولم يات التركيب لاعذبنكم وخرج في لازيدنكم
بالمفعول وهنا لم يذكر وان كان المعنى عليه اي ان عذابي لكم لشديد **وقرا** عبد الله
واذ قال ربكم كانه فسر قوله تاذن لانه بمعنى اذن اي اعلم واعلم يكون بالقول ثم نبه موسى
عليه السلام قومه على ان البارى تعالى وان اوعد بالعذاب الشديد على الكفر فهو غير مفتقر
الى شكركم لانه تعالى هو الغني عن شكركم الحميد المستوجب الحمد على ما اسبغ من نعمه وان لم يحمده
الحامدون فثمرة شكركم انما هي عايدة اليكم وانتم خطاب لقومه وقال ومن في الارض يعني الناس
كلهم لان من كان في العالم العلوي وهم الملايكة لا يد خلون في من في الارض وجواب ان تكفروا
محذوف لدلالة المعنى التقدير فانما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغنى المطلق
والحمد سوا كفروا ام شكروا وفي خطابه لهم تحقير لشانهم وتعظيم لله تعالى وكذلك في ذكر
هاتين الصفتين الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب
قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويوخركم الى اجل
مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا فاتونا بسلطان
مبين • الظاهر ان هذا من خطاب موسى لقومه وقيل ابتدا خطاب من الله لهذه الامة
وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه الله في كتابه وتقدم في الاعراف وهود والهمزة في الم
للتقرير والتوبيخ والظاهر ان والذين في موضع خفض عطفا على ما قبله اما على الذين واما
على قوم نوح وعاد وثمود قال الزمخشري والجملة في قوله من لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله انتهي وليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض
تكون بين جزءين يطلب احدهما الاخر وقال ابو البقا تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من
بعدهم فان عني من الضمير المجرور في بعدهم فلا يجوز لانه حال مما جر بالاضافة وليس
له محل اعراب من رفع او نصب وان عني من الضمير المستقر في الجار والمجرور النايب عن العامل
امكن وقال ابو البقا ايضا ويجوز ان تكون مستانفا وكذلك جاتهم واجاز الزمخشري وتبعه
ابو البقا ان تكون والذين مبتدا وخبره لا يعلمهم الا الله وقال الزمخشري والجملة من المبتدا
والخبر وقعت اعتراضا انتهي وليست باعتراض لانها لم تقع بين جزءين احدهما يطلب الاخر
والضمير في جاتهم عايد على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبا والظاهر ان الايدي هي
الجوارح وان الضمير في ايديهم وفي افواههم عايد على ان الذين جاتهم الرسل قال ابن مسعود
وابن زيد اي جعلوا الايدي انفسهم في افواه انفسهم ليعضوها غيظا مما جاءت به الرسل
وقرا ابن زيد عضوا عليكم الانامل من الغيظ والعض بسبب مشهور من البشر
وقال الشاعر قد افني انامله ازمه • واضحى يعض علي الوظيفا **وقال اخر**

• لو ان سلمي ابصرت تخددي • ودقة في عظم ساقي ويدي •
• وبعد اهلي وجفاء عودي • عضت من الوجد باطراف اليد •

وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال ابو صالح لما قال لهم
رسول الله انا رسول الله اليكم اشاروا باصابعهم الى افواههم ان اسكت تكذيبا له وردا لقوله
واستبشاعا لما جاءه به وقيل ردوا ايديهم في افواههم ضحكا واستهزا كمن غلبه الضحك فوضع يده
على فيه وقيل اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به

قوله عز وجل الم ياتكم

جاتهم رسلهم بالبينات

اي هذا جواب لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وقيل الضميران عايدان على الرسل قاله
مقاتل قال اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على افواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم وقال
الحسن وغيره جعلوا ايدي انفسهم في افواه الرسل ردا لقولهم وهذا اشنع في الرد واذهب في الاستطالة
على الرسل والنيل منهم فعلى هذا الضمير في ايديهم عايد على الكفار وفي افواههم عايد على الرسل
وقيل المراد بالايدي هنا النعم جمع يد المراد بها النعمة اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم
من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والايات في افواه الانبياء لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل
وقيل الضمير في افواههم على هذا القول عايد على الكفار وفي بمعنى البا اي بافواههم
والمعنى كذبوهم بافواههم وفي بمعنى البا يقال جلست في البيت وبالبيت **وقال** الفراء
قد وجدنا من العرب من يجعل في موضع البا فيقول ادخلك الله الجنة وفي الجنة **وانشد**

• وارغب فيها من لقيط ورهطه • ولكنني عن سنبس لست ارغب •

يريد ارغب بها وقال ابو عبيدة هذا ضرب مثل اي انهم لم يومنوا ولم يجيبوا والعرب تقول
للرجل اذا سكت عن الجواب وامسك رد يده في فيه وقاله الاخفش ايضا وقال القتبي لم نسمع احدا
من العرب يقول رد يده في يده اذا ترك ما امر به انتهي ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا ابو
عبيدة والاخفش نقلا ذلك عن العرب فعلى ما قاله ابو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل كان
الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه وقد رد الطبري قول ابي عبيدة وقال انهم قد
اجابوا بالتكذيب لانهم قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به ولا يرد على ما قاله الطبري لانه يريد ابو عبيدة
انهم امسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجي الرسل بالبينات وهو الاعتراف
بالايمان والتصديق للرسل قال ابن عطية ويحتمل ان يتجوز في لفظة الايدي اي انهم ردوا قوتهم
ومدافعتهم ومكافحتهم فيما قالوا بافواههم من التكذيب فكان المعنى ردوا جميع مدافعتهم
في افواههم اي في اقوالهم وعبر عن جميع المدافعة بالايدي اذ الايدي موضع اشد المدافعة
والمرادة انتهي بادروا اولا الى الكفر وهو التكذيب المحض ثم اخبروا بانهم في شك وهو التردد
كانهم نظروا بعض نظر اقتضى ان انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد او هما قولان من طايفتين
طايفة بادرت بالتكذيب والكفر وطايفة شكت والشك في مثل ما جاءت به الرسل كفر **وقرا**
طلحة مما تدعونا بادغام نون الرفع في الضمير كما تدغم في نون الوقاية في مثل اتحاجوني والمعنى
مما تدعوننا اليه من الايمان بالله ومريب صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام الذي
معناه الانكار على الظرف الذي هو خبر عن المبتدا لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك
فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه وقدر مضاف فقيل الاهية الله وقيل
في وحدانيته ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشي
العالم وموجده فقال فاطر السموات والارض وفاطر صفة لله ولا يضر الوصف بين الموصوف
وصفته بمثل هذا المبتدا فيجوز ان تقول في الدار الفصل زيد الحسنة وان كان اصل التركيب
في الدار الحسنة زيد **وقرا** زيد بن علي فاطر نصبا على المدح ولما ذكر انه موجد العالم
ونبه على الوصف الذي لا يناسب ان يكون معه فيه شك ذكر ما هو عليه من اللطف بهم والاحسان
اليهم فقال يدعوكم ليغفر اي يدعوكم الى الايمان كما قال اذ تدعون الى الايمان او يدعوكم
لاجل المغفرة نحو دعوته لينصرني **وقال الشاعر**

• دعوت لما نابني مسورا • فلبي فلبي يدي مسور •

ومن ذنوبكم ذهب ابو عبيدة والاخفش الى زيادة من اي ليغفر لكم ذنوبكم وجمهور البصريين
لا يجيز زيادتها في الواجب ولا اذا جرت المعرفة والتبعيض يصح فيها اذ المغفور هو ما
بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وبطريق اخر يصح التبعيض وهو
ان الاسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستانف بعد الايمان من الذنوب مسكوتا عنه موقوفا على
المشية والوعد انما هو بغفران ما تقدم لا بغفران ما يستانف وقال الزمخشري ما معناه
ان الاستقرا في الكافرين ان ياتي من ذنوبكم وفي المومنين ذنوبكم وكان ذلك للتفرقة بين
الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين انتهي ويقال لما فايدة الفرق في الخطاب والمعنى
مشترك اذ الكافر اذا امن والمومن اذا تاب مشتركا في الغفران وما تخيلت فيه مغفرة بعض

الذنوب في الكافر الذي آمن هو موجود في المومن الذي تاب وقال ابو عبد الله الرازي اما قول صاحب الكشاف المراد تمييز خطاب المومن من خطاب الكافر فهو من باب التبعيض لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الي ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدًا وقال الي اجل مسمى الي وقت قد بيناه وبين مقداره ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت انتهي وهذا ابنا علي القول بالاجلين وهذا مذهب المعتزلة وتقدم الكلام في طرف من هذا في سورة الاعراف في قوله ولكل امة اجل وقيل هنا ويوخركم الي اجل مسمى قبل الموت فلا يعاجلكم بالعذاب ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا قال الزمخشري ولو ارسل الله الي البشر رسلًا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملايكة انتهي وهذا علي مذهب المعتزلة في تفضيل الملايكة علي من سواهم وقال ابن عطية في قولهم استبعاد بعثة البشر وقال بعض الناس بل ارادوا احالته وذهبوا مذهب البراهمة ومن يتولد من الفلاسفة ان الاجناس لا يقع فيها هذا القياس فظاهر كلامهم لا يقتضي انهم اغمضوا هذا الاغماض ويدل علي ما ذكرت انهم طلبوا منهم حجة ويحتمل ان طلبهم منهم السلطان انما هو علي جهة التعجيز اي بعثتكم محال والا فاتوا بسلطان مبين اي انكم لا تفعلون ذلك ابدًا فيقوي بهذا الاحتمال منحاهم الي مذهب الفلاسفة انتهي والذي يظهر ان طلبهم السلطان المبين وقد اتتهم الرسل بالبينات انما هو علي سبيل التعنت والاقتراح والا فما اتوا به من الدلايل والايات كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا اباهم فيما كانوا عليه من الضلال الا تري الي انهم لما ذكروا انهم مماثلوهم قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا اي ليس مقصودكم الا ان يكون لكم تبعًا ونترك ما نشانا عليه من دين اباينا **وقرا** طلحة ان تصدونا بتشديد النون جعل ان هي المخففة من الثقيلة وقدر فصلًا بينها وبين الفعل وكان الاصل انه تصدوننا فادغم نون الرفع في الضمير والاولي ان تكون ان الثنائية التي تنصب المضارع لكنه هنا لم يعملها بل الغاها كما الغاها من قرا لمن اراد ان يتم الرضاعة برفع يتم حملا علي ما المصدرية اختها قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن علي من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلي الله فليتوكل المومنون وما لنا الا نتوكل علي الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن علي ما اذيتمونا وعلي الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورايه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورايه عذاب غليظ سلموا لهم في انهم بما ثلوهم في البشرية وحدها واما سوي ذلك من الاوصاف التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعًا منهم ونسبة ذلك الي الله ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن ابرزوا ذلك في عموم من يشا من عباده والمعني يمن بالنبوة علي من يشاء تنبيه ومعني باذن الله بتسويغه وارادته اي الاية التي اقترحتموها ليس لنا الاتيان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وانما ذلك امر متعلق بالمشيئة وفليتوكل امر منهم للمومنين بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدًا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل علي الله في الصبر علي معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا تري الي قولهم وما لنا الا نتوكل علي الله ومعناه واي عذر لنا في الا نتوكل علي الله وقد هدانا وفعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين والامر الاول وهو قوله فليتوكل المومنون لاستحداث التوكل والثاني للثبات علي ما استحدثوا من توكلهم ولنصبرن جواب قسم ويدل علي سبق ما يجب فيه الصبر وهو الاذي وما مصدرية وجوزوا ان تكون بمعني الذي والضمير محذوف اي ما اذيتمونا وكان اصله به فهل حذف به او الباء فوصل الفعل الي الضمير قولان **وقرا** الحسن بكسر لام الامر في ليتوكل وهو الاصل واو لاحد الامرين اقسموا علي انه لا بد من اخراجهم او عودهم في ملتهم كانهم قالوا ليكونن احد هذين وتقدير او هنا بمعني حتي او بمعني الا ان قول من لم ينعم النظر في ما بعدها لانه لا يصح تركيب حتي ولا تركيب الا ان مع قوله لتعودن بخلاف لالزمنك او تقضيني حتي والعود هنا بمعني الصيرورة او يكون خطابًا للرسل ومن آمنوا بهم وغلب حكم من آمنوا بهم

قوله عز وجل قالت لهم رسلهم

لانهم

لانهم كانوا قبل ذلك في ملتهم فيصح ابقا لتعودن علي المفهوم منها اولا اذ سبق كونهم كانوا في ملتهم واما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط او يكون المعني في عودهم الي ملتهم سكوتهم عنهم وكونهم اغفالا عنهم لا يطالبونهم بالايمان بالله وما جاءت به الرسل **وقرا** ابو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بياء الغايب اعتبارًا بقوله فاوحي اليهم ربهم اذ لفظه لفظ الغايب وحكي ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفًا بالخطاب ولم يات بضمير الغيبة كما في قوله فاوحي اليهم ربهم ولما اقسموا بهم علي اخراج الرسل والعودة في ملتهم اقسم تعالي علي اهلاكهم واي اخراج اعظم من الاهلاك بحيث لا تكون لهم عودة اليها ابدًا وعلي اسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم ارض اوليك المقسمين علي اخراج الرسل قال ابن عطية وخص الظالمين من الذين كفروا اذ جايز ان يومن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس وانما توعد لاهلاك من خلص للظلم وقال غيره اراد بالظالمين المشركين قال تعالي ان الشرك لظلم عظيم والاشارة بذلك الي توريث الارض الانبياء ومن آمن بهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالي والعاقبة للمتقين ومقامي يحتمل المصدر والمكان فقال الفراء مقامي مصدر اضيف الي الفاعل اي قيامي عليه بالحفظ لاعماله ومراقبتي اياه لقوله افمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت وقال الزجاج مكان وقوفه بين يدي للحساب وهو موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة كقوله ولمن خاف مقام ربه او علي اقحام المقام اي لمن خافني والظاهر ان الضمير في واستفتحوا عايد علي الانبياء اي استنصروا الله علي اعدايهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويجوز ان يكون من الفتاحة وهي الحكومة اي استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم واستنصار الرسل في القران كثير كقول نوح فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني وقول لوط رب نجني واهلي مما يعملون وقول شعيب ربنا افتح بيننا وقول موسي ربنا انك اتيت الاية وقول ابن زيد الضمير عايد علي الكفار اي واستفتح الكفار علي نحو ما قالت قريش عجل لنا قطنا وقول ابي جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة وكانهم لما قوي تكذيبهم واذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة ظنوا ان ما جاوا به باطل فاستفتحوا علي سبيل التهكم والاستهزاء كقول قوم نوح فاتنا بما تعدنا وقوم شعيب فاسقط علينا كسفًا وعاد وما نحن بمعذبين وبعض قريش فامطر علينا حجارة وقيل الضمير عايد علي الفريقين الانبيا ومكذبيهم لانهم كانوا كلهم سالوا ان ينصر الحق ويبطل المبطل ويقوي عود الضمير علي الرسل خاصة **قراة** ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا بكسر التاء امرًا للرسل معطوفًا علي ليهلكن اي اوحي اليهم ربهم وقال لهم ليهلكن وقال لهم استفتحوا اي اطلبوا النصر وسلوه من ربكم وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقي في جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد النار اهل واستفتحوا علي هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم انتهي وخاب معطوف علي محذوف تقديره فنصروا وظفروا وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعني المخالط علي قول من جعل الضمير عايدًا علي الكفار كان وخاب عطفًا علي واستفتحوا ومن ورايه قال ابو عبيدة وابن الانباري اي بعده **وقال الشاعر**

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة • وليس وراء الله للمرء مذهب •

وقال ابو عبيدة ايضا وقطرب والطبري وجماعة من ورايه اي ومن امامه وهو معني قول الزمخشري من بين يديه **وانشد**

عسي الكرب الذي امسيت فيه • يكون وراءه فرج قريب •

وهذا وصف حاله في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو علي شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف **وقال الشاعر**

• ايرجو ابو مروان سمعي وطاعتي • وقوم تميم والفلاة ورايا •

• اليس ورايي ان تراخت منيتي لزوم • العصا تحني عليها الاصابع •

ووراء من الاضداد قاله ابو عبيدة والازهري وقيل ليس من الاضداد وقال ثعلب اسم لما توارى عنك سواء كان امامك ام خلفك وقيل بمعني من خلفه اي في طلبه كما تقول الامر من ورايك اي سوف ياتيك ويسقي معطوف علي محذوف تقديره يلقي فيها ويسقي او معطوف علي العامل في من ورايه وهو واقع موقع الصفة وارتفاع جهنم علي الفاعلية والظاهر ارادة حقيقة الماء وصديد

قال ابن عطية هو نعت لماء كما تقول هذا خاتم حديد وليس بماء لكنه لما كان بدل الماء في العرف عندنا يعني اطلق عليه ماء وقيل هو نعت على اسقاط اداة التشبيه كما تقول مررت برجل اسد التقدير مثل صديد فعلى قول ابن عطية هو نفس الصديد وليس بماء حقيقة وعلى هذا القول لا يكون صديدا ولكنه ماء شبه بالصديد وقال الزمخشري صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات واجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فاعرب زيتونة عطف بيان لشجرة مباركة فعلى راي البصريين لا يجوز ان يكون قوله صديد عطف بيان وقال الحوفي صديد نعت لماء قال مجاهد وقتادة والضحاك هو ما يسيل من اجساد اهل النار قال محمد بن كعب والربيع هل هو غسالة اهل النار في النار وهو ما يسيل من فروج الزناة والزواني وقيل صديد بمعنى مصد ودعنه اي لكراهته يصد عنه فيكون ماخوذا من الصد وذكر ابن المبارك من حديث ابي امامة عن الرسول قال في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوي وجهه ووقعت فروة راسه واذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد اي ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة والظاهر هنا انتفاء مقاربة اساغته اياه واذا انتفت انتفت الاساغة فيكون كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رويتها فكيف يراها والحديث جاء انه يشربه فان صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل ان يشربه ثم شربه كما جاء فذبحوها وما كادوا يفعلون قبل الذبح ويتجرع تفعل ويحتمل هنا وجوها ان يكون للمطاوعة اي جرعه فتجرع كقولك علمته فتعلم وان يكون للتكلف نحو تحلم وان يكون لمواصلة العمل في مهلة نحو تفهم اي ياخذه شيئا فشيئا وان يكون موافقا للمجرد اي يجرعه كما تقول عدا الشيء وتعداه ويتجرعه صفة لما قبله او حال من ضمير ويسقى او استيناف ويأتيه الموت اي اسبابه والظاهر ان قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك لتفظيع ما يصيبه من الالام وقال ابراهيم التيمي من كل مكان من جسده حتى من اطراف شعره وقيل حتى من ابهام رجليه والظاهر ان هذا في الاخرة وقال الاخفش اراد البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا سماها موتا وهذا بعيد لان سياق الكلام يدل على ان هذا من احوال الكافر في جهنم وقوله وما هو بميت لتطاول شدايد الموت وامتداد سكراته ومن ورائه الخلاف في ورائه كالخلاف في من ورائه جهنم وقال الزمخشري ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد انتهى وقيل الضمير في ورائه هو يعود على العذاب المتقدم لا على كل جبار

المفردات

الرماد معروف وقال ابن عيسى هو جسم يسحقه الاحراق سحق الغبار ويجمع على رمد في الكثرة وارمدة في القلة وشذ جمعه على افعلاء قالوا ارمداء ورماد رمدد اذا صار هباء ارق ما يكون الجزع عدم احتمال الشدة وهو نقيض الصبر قال الشاعر

• جزعت ولم اجزع من البين مجزعا • وعزيت قلبا بالكواعب مولعا •

المصرخ المغيث قال الشاعر ولا تجزعوا اني لكم غير مصرخ • وليس لكم مني غناء ولا نصر

والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخا وصراخا وصرخة قال سلامة بن جندل

• كنا اذا ما اتانا صارخ فزع • كان الصراخ له قرع الظنابيب •

واصطرخ بمعنى صرخ ويصرخ تكلف الصراخ واستصرخ استغاث فقال استصرخني فاصرخته والتصريخ مصدر كالترجيح ويوصف به المغيث والمستغيث من الاضداد الفرع الغصن من الشجرة ويطلق على ما يولد من الشيء والفرع الشعر يقال رجل افرع وامراة فرعاء لمن كثر شعره وقال الشاعر وفرع يغشي المتن اسود فاحم • اجتث الشيء اقتلعه وجث الشيء قلعه والجثة شخص الانسان قاعدا وقائما وقال لقيط الاياري هو الجلاء الذي يجتث اصلكم فمن راى مثل ذا ات ومن سمعا البوار الهلاك قال الشاعر

• فلم ار مثلهم ابطال حرب • غداة الحرب اذ خيف البوار •

قوله عز وجل مثل الذين كفروا

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد • ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند س فيما يتلى عليكم او يقص والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة واعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سوال كانه قيل كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول

وقال ابن عطية ومذهب الكسائي والفراء انه على الغاء مثل وان المعنى الذين كفروا اعمالهم كرماد وقال الحوفي مثل رفع بالابتداء واعمالهم بدل من مثل بدل اشتمال كما قال الشاعر

• ما للجمال مشيها وئيدا • اجندلا يحملن ام حديدا •

وكرماد الخبر وقال الزمخشري او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقال ابن عطية وقيل هو ابتداء واعمالهم ابتداء ثان وكرماد خبر للثاني والجملة خبر الاول وهذا عندي ارجح الاقوال وكانك قلت المتحصل مثلا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي اعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى له اثر ولا يجتمع منه شيء انتهى وهذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لا يجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدا الاول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدا في المعنى فلا تحتاج الى رابط واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف وقرا نافع وابو جعفر الرياح على الجمع والجمهور على الافراد ووصف اليوم بقوله عاصف وان كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ماطر وليل نايم وقال الهروي التقدير في يوم عاصف الريح فحذف لتقدم ذكرها كما قال الشاعر اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف يريد كاسف الشمس وقيل عاصف من صفة الريح الا انه لما جاء بعد اليوم اتبع اعرابه كما قيل جحر ضب خرب يعني انه خفض على الجوار وقرا ابن ابي اسحق وابراهيم بن ابي بكر عن الحسن في يوم عاصف على اضافة اليوم لعاصف وهو على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره في يوم ريح عاصف وتقدم تفسير العصوف في يونس في قوله جاءتها ريح عاصف وعلى قول من اجاز اضافة الموصوف الى صفته يجوز ان يكون هذه القراءة منه لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير بالريح على شيء وقيل لا يقدرون من ثواب ما كسبوا فهو على حذف مضاف وفي الصحيح عن عايشة قالت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين هل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وفي الصحيح ايضا ان الكافر ليطعم بحسناته في الدنيا ما عمل لله منها وذلك اشارة الى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرور والبعيد الذي يعمق فيه صاحبه وابعد عن طريق النجاة او البعيد عن الحق او الثواب وفي البقرة لا يقدرون على شيء مما كسبوا على شيء من البيتين في الفصاحة والمغايرة في التقديم والتاخير والمعنى واحد

قوله عز وجل الم تر ان الله خلق السموات والارض

ري

الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قرا السلمي الم تر بسكون الراء ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف وتوجيه اخر وهو ان ترى حذفت العرب الفها في قولهم قام القوم ولو تر ما زيد كما حذفت ياء لا ابالي في لا ابال فلما دخل الجازم تخيل ان الراء هي اخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا لا ابالي لم ابل تخيلوا اللام اخر الكلمة والروية هنا بمعنى العلم بمعنى من روية القلب وقرا الاخوان خالق اسم فاعل والارض بالخفض وقرا باقي السبعة خلق فعلا ماضيا والارض بالنصب ومعنى بالحق قال الزمخشري بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقال ابن عطية بالحق اي بما يحق من جهة مصالح عباده وانفاذ سابق قضائه وليدل عليه وعلى قدرته وقيل بقوله وكلامه وقيل بالحق حال اي محقا والظاهر ان قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار ويات بخلق جديد يحتمل ان يكون المعنى ان يشا يعدمكم ايها الناس ويات بناس اخرين من جنسكم ادميين ويحتمل من غير جنسكم والاول قول جمهور المفسرين وتقدم تجويز هذين الاحتمالين للمفسرين في قوله في النساء ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وبينا ذلك انه لا يحتمل الا الوجه الاول وما ذلك اي وما اذهابكم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى لانه تعالى هو القادر على ما يشاء وقال الزمخشري لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا

دعا اليه داع ولم يعترض من دونه صارف انتهي وفيه دسيسة الاعتزال لقوله القادر لانهم يثبتون
القادرية وينفون القدرة ولتشبيه فعله تعالي بفعل العبد في قوله كتحريك اصبعك وعندنا
ان تحريك اصبعنا ليس الا بقدرة الله وانما نسب الينا من القدرة ليس موثرا في ايجاد شي وقال
الزمخشري ايضا وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطبهم في الكفر بالله لوضوح آياته
الشاهدة له الدالة علي قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجي ثوابه في دار الجزاء انتهي وبرزوا اي ظهروا من قبورهم الي جزا الله وحسابه وقال
الزمخشري ومعني بروزهم لله والله تعالي لا يتواري عنه شي حتي يبرز انهم كانوا يستترون من
العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف علي الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفي عليه خافية وقال ابن عطية وبرزوا معناه صاروا بالبراز
وهي الارض المتسعة فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة وقال ابو عبد الله الرازي تاويل الحكماء ان
النفس اذا فارقت الجسد فكانه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها
وذلك هو البروز لله تعالي انتهي وهذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون
لاهل الشرايع في تفسير كلام الله تعالي المنزل بلغة العرب والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم
اهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والاحاجي ويسميهم هذا الرجل حكما وهم من اجهل الكفرة
بالله تعالي وبانبيائه والضمير في وبرزوا عايد علي الخلق المحاسبين وعبر بلفظ الماضي لصدق
المخبر به فكانه قد وقع وقرا زيد بن علي وبرزوا مبنيا للمفعول وبتشديد الراء والضعفا
الاتباع والعوام وكتب بواو في المصحف قبل الهمزة علي لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الي الواو ومثله علموا بني اسرايل والذين استكبروا هم روساهم وقادتهم استغووا الضعفا
واستتبعوهم واستكبروا وتكبروا واظهروا تعظيم انفسهم او استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة
الله وتبعا يحتمل ان يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وغايب وغيب ويحتمل ان يكون مصدرا
كقوله عدل ورضي وهل انتم مغنون استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا
انهم لن يغنوا والمعني انا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما امرتمونا وما اغنيتم عنا شيئا
ولذلك جاء جوابهم لو هدانا الله لهديناكم اجابوا بذلك علي سبيل الاعتذار والخجل ورد الهداية
الي الله تعالي وهو كلام حق في نفسه وقال الزمخشري من الاولي للتبيين والثانية للتبعيض
كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا
بمعني هل انتم مغنون عنا بعض شي هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله انتهي وهذان
التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري في من في المكانين يقتضي اولهما التقديم في قوله
من شي علي قوله من عذاب الله لانه جعل من شي هو المبين بقوله من عذاب الله ومن التبيينية
يتقدم عليها ما تبينه ولا يتاخر والتوجيه الثاني وهو بعض شي هو بعض العذاب يقتضي
ان تكون بدلا فيكون بدل عام من خاص لان من شي اعم من قوله من عذاب الله وان عني بشي شيا
من العذاب فيؤول المعني الي ما قدره وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لان بعضية الشي
مطلقة فلا يكون لها بعض ونقل الحوفي وابو البقا علي ان من في قوله من شي زايدة قال الحوفي
من عذاب الله متعلق بمغنون ومن في شي لاستغراق الجنس زايدة للتوكيد وقال ابو البقا
ومن زايدة اي شيا كاينا من عذاب الله ويكون محمولا علي المعني تقديره هل تمنعون عنا شيا
ويجوز ان تكون شي واقعا موقع المصدر اي غنا فيكون من عذاب الله متعلقا بمغنون انتهي
ومسوغ الزيادة كون الخبر في سياق الاستفهام فكان الاستفهام دخل عليه وباشره وصارت الزيادة
هنا كالزيادة في تركيب فهل تغنون وقال الزمخشري اجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم
بان الله لو هداهم الي الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم
علي الله كما حكي الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شي يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم علي شي انتهي وحكي ابو عبد الله
الرازي عن الزمخشري انهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالي حكاية
عن المنافقين يوم يبعثهم الله قال ابو عبد الله واعلم ان المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب
علي اهل القيمة فكان هذا القول منه مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه وقال الزمخشري

ايضا ويجوز ان يكون المعني لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الي الايمان
قال ابو عبد الله الرازي وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه بان قال لا يجوز حمل هذا علي اللطف
لان ذلك قد فعله الله وقيل لو خلصنا الله من العذاب وهدانا الي طريق الجنة لهديناكم وقال
الزمخشري في بسط هذا القول لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا
عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة انتهي وقيل ويدل علي ان المراد بالهدي
الهدي الي طريق الجنة انه هو الذي التمسوه وطلبوه فوجب ان يكون المراد وقال ابن عباس لو
ارشدنا الله لارشدناكم والظاهر ان قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الي اخره داخل تحت قول
المستكبرين وجاءت جملة بلا واو عطف كان كل جملة انشيت مستقلة غير معطوفة وان كانت
مرتبطة بعضها ببعض من جهة المعني لان سوالهم هل انتم مغنون عنا انما كان لجزعهم مما هم فيه
فقالوا لهم ذلك سووا بينهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين
فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر او لما قالوا لو هدانا
الله اتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجي ومهرب جزعنا ام صبرنا
وقيل سواء علينا من كلام الضعفا والذين استكبروا والتقدير قالوا جميعا سواء علينا يخبرون
عن حالهم وتقدم الكلام في مثل هذه التسوية في اول البقرة والظاهر ان هذه المحاورة بين
الضعفاء والروساء هي في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله وعن محمد بن كعب وابن زيد
ان قولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا بعد صبرهم في النار خمس ماية عام وبعد جزعهم مثلها
وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم • مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه ذكر محاورة الاتباع لروسايهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان واتباعه من الانس وذلك لاشتراك
الروساء والشياطين في التلبس بالاضلال والشيطان هنا ابليس وهو راس الشياطين وفي حديث
الشفاعة من حديث عقبة بن عامر ان الكافرين يقولون وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع
لنا فيقولون ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المومنون من يشفع
لهم فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمه احد ويقول عند ذلك
ان الله وعدكم وعن الحسن يقف ابليس خطيبا في جهنم علي منبر من نار يسمعه الخلايق جميعا فيقول
ان الله وعدكم وعد الحق يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي فصدقكم
وعده ووعدتكم ان لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فاخلفتكم قضي الامر تعين قوم
للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف وعليه يدل حديث الشفاعة او بعد حصول اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار ويدل عليه ما ذكرناه عن الحسن وهو تاويل الطبري وقيل قضي
الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين الي مقريهما ووعد الحق يحتمل ان يكون
من اضافة الموصوف الي صفته اي الوعد الحق وان يكون الحق صفة لله اي وعده وان يكون الحق
الشي الثابت وهو البعث والجزا علي الاعمال اي فوفي لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم
والا ان دعوتكم الظاهر انه استثناء منقطع لان دعاءه اياهم الي الضلالة ووسوسته ليس
من جنس السلطان وهو الحجة البينة وقيل ويحتمل انه يريد بالسلطان الغلبة والتسليط
والقدرة اي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة مني بل عرضت عليكم شيئا فاتي رايكم عليه وقيل
هو استثناء متصل لان القدرة علي حمل الانسان علي الشي تارة يكون بالقهر من الحامل وتارة يكون
بتقوية الداعية في قلبه وذلك بالقاء الوسواس اليه فهذا نوع من انواع التسليط قيل وظاهر
هذا الكلام يدل علي ان الشيطان لا قدرة له علي صرع الانسان وتعويج اعضايه وجوارحه وازالة
عقله فلا تلوموني وقري فلا يلوموني بالياء علي الغيبة وهو التفات يريد فيما اتيتموه
من الضلال ولوموا انفسكم في سوء نظركم واستجابتكم لدعاي من غير تثبت ولا حجة وقال الزمخشري
ولوموا انفسكم حيث اغتررتم واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل علي
ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله

قوله عز وجل وقال الشيطان

الشيطان

قد قضي عليكم الكفر واخبركم عليه انتهي وهو علي طريق الاعتزال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس بنافعكم وقال ابن جبير بمنقذكم وقال الربيع بمنجيكم وقال مجاهد بمغيثكم وكلها اقوال متقاربة وقرأ
يحيي بن وثاب والاعمش وحمزة بمصرخيّ بكسر اليآء وطعن كثير من النحاة في هذه القرآة قال الفرآء
لعلها من وهم القرآء فانه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان اليآء في بمصرخي خافضة للفظ
كله والبآء للمتكلم خارجة من ذلك وقال ابو عبيد نراهم غلطوا ظنوا ان اليآء تكسر لما بعدها وقال
الاخفش ما سمعت هذا من احد من العرب ولا من احد من النحويين وقال الزجاج هذه القرآة عند
جميع النحويين ردية مرذولة ولا وجه لها الا وجيه ضعيف وقال النحاس صار هذا اجماعا ولا يجوز
ان يحمل كتاب الله علي الشذوذ وقال الزمخشري هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول
قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر يآء الاضافة ساكنة وقبلها يآء ساكنة
فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان يآء الاضافة لا تكون الا مفتوحة
حيث قبلها الف نحو عصاي فما بالها وقبلها يآء فان قلت جرت اليآء الاولي مجري
الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يآء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر علي الاصل
قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل
اليه القياسات انتهي اما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول قد ذكر غيره انه للاغلب العجلي وهي
لغة باقية في افواه كثير من الناس الي اليوم يقول القايل ما في افعل كذا بكسر اليآء واما التقدير
الذي قال فهو توجيه الفرآء ذكره عنه الزجاج واما قوله في غضون كلامه حيث قبلها الف فلا
اعلم حيث يضاف الي الجملة المصدرة بالظرف نحو قعد زيد حيث امام عمرو من بكر فيحتاج هذا التركيب
الي سماع واما قوله لان يآء الاضافة الي اخره فقد روي سكون اليآء بعد الالف وقرا بذلك القرآء
نحو محياي وما ذهب اليه من ذكرنا من النحاة لا ينبغي ان يلتفت اليه واقتفي اثارهم فيها الخلف
فلا يجوز ان يقال فيها انها خطا او قبيحة او ردية وقد نقل جماعة من اهل اللغة انها لغة لكنه
قل استعمالها ونص قطرب علي انها لغة في بني يربوع وقال القسم بن معن وهو من روساء النحويين
الكوفيين هي صواب وسال ابو حسين الجعفي اباعمرو بن العلاء وذكر تلحين اهل النحو فقال هي جايزة
وقال ايضا لا تبالي الي اسفل حركتها او الي فوق وعنه انه قال هي بالخفض حسنة وعنه ايضا انه قال
هي جايزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات الي انكار ابي حاتم علي ابي عمرو وتحسينها فابو
عمرو امام لغة وامام نحو وامام قرآة وعربي صريح وقد اجازها وحسنها وقد رووا بيت النابغة

على لعمرو نعمة بعد نعمة ۝ لوالده ليست بذات عقارب ۝

بخفض اليآء من علي وما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقال
ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقيل موصولة بمعني الذي والتقدير كفرت بالصنم الذي اشركتمونيه
فحذف العايد وقيل من قبل متعلق بكفرت وما بمعني الذي اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا ادخلت همزة النقل قلت اشركت زيدا
عمروا اي جعلته له شريكا الا ان في هذا القول اطلاق ما علي الله تعالي وما الاصح فيها انها لا
تطلق علي احاد من يعلم وقال الزمخشري ونحو ما هذه يعني في اطلاقها علي الله ما في قولهم
سبحان ما سخركن لنا انتهي ومن منع ذلك جعل سبحان علما علي معني التسبيح كما جعل برة علما للمبرة وما
مصدرية ظرفية وقيل ويكون ذلك من ابليس اقرارا علي نفسه بكفره الاقدم اي خطيتي قبل خطيتكم
فلا اصراخ عندي ان الظالمين لهم عذاب اليم الظاهر انه من تمام كلام ابليس حكي الله عنه ما سيقوله
في ذلك الوقت ليكون تنبيها للسامعين علي النظر في عاقبتهم والاستعداد بما لا بد منه وان يتصوروا
في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم
وقيل هو من كلام الخزنة يومئذ وقيل من كلام الله تعالي ولابي عبد الله الرازي كلام هنا في
الشيطان والملايكة يوقف عليه من تفسيره وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ۝ لما جمع الفريقين في قوله وبرزوا لله
جميعا وذكر شياً من احوال الكفار ذكر ما آل اليه امر المومنين من ادخالهم الجنة وقرأ الجمهور
وادخل ماضيا مبنيا للمفعول وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وادخل بهمزة المتكلم مضارع ادخل اي

قوله عز وجل وادخل الذين

وادخل

وادخل انا وعلي قراة الجمهور يحتمل ان يكون الفاعل الملايكة والظاهر تعلق باذن ربهم بادخل وقال
الزمخشري فان قلت فبم تتعلق يعني باذن ربهم في القرآة الاخري وقولك وادخلهم انا
باذن ربهم كلام غير ملتيم قلت الوجه في هذه القرآة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده
اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم انتهي فظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله تحيتهم ولذلك
قال يعني ان الملايكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف
مصدري والفعل عليه وهو غير جايز وقال ابو الفضل عبد الرحمن بن احمد الرازي الحسن ادخل
برفع اللام علي الاستقبال باخبار الله تعالي عن نفسه فيصير بذلك باذن ربهم الطف لهم واحني عليهم
ونقدم تفسير تحيتهم فيها سلام في اوايل سورة يونس الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون ۝ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ۝ يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ۝ تقدم
الكلام في ضرب مع المثل في اوايل البقرة فكان يغني ذلك عن الكلام فيه هنا الا ان المفسرين ابدوا هنا
تقديرات فاعرب الحوفي والمهدوي وابو البقآء مثلا مفعولا بضرب وكلمة بدل من مثل واعرابهم
هذا تفريع علي ان ضرب مع المثل لا يتعدي الا الي مفعول واحد وقال ابن عطية واجازه الزمخشري
مثلا مفعول بضرب وكلمة مفعول اول تفريعا علي انها مع المثل تتعدي الي اثنين لانها بمعني جعل
وعلي هذا تكون كشجرة خبر مبتدا محذوف اي جعل كلمة طيبة مثلا هي اي الكلمة كشجرة طيبة وعلي
البدل تكون كشجرة نعتا للكلمة واجاز الزمخشري زيادة ان تكون كلمة نصبا بمضمر اي جعل كلمة
طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله علي
فرس انتهي وفيه تكلف اضمار لا ضرورة تدعو اليه وقري شاذا مثلا كلمة طيبة بالرفع قال ابو البقا
علي الابتداء وكشجرة خبره انتهي ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير هو اي المثل كلمة طيبة
كشجرة وكشجرة نعت لكلمة والكلمة الطيبة هي لا اله الا الله قاله ابن عباس او الايمان قاله مجاهد وابن
جريج او المومن نفسه قاله عطية العوفي والربيع او جميع طاعاته او القران قاله الاصم او دعوة
الاسلام قاله ابن بحر او الثنآء علي الله او التسبيح والتنزيه والشجرة الطيبة المومن قاله ابن عباس
او جوزة الهند قاله علي وابن عباس او شجرة في الجنة قاله ابن عباس ايضا او النخلة وعليه اكثر المتاولين
وهو قول ابن مسعود وابن عباس وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد وجاء ذلك نصا من
حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه قال قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر الاية فقال
اتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة الحديث وقال ابو العالية اتيت انس بن مالك بجني بطبق
عليه رطب فقال انس كل يا ابا العالية فانها الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال
اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه الاية وفي الترمذي من حديث انس نحو
هذا وقال الزمخشري كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة الطيب التين والعنب والرمان
وغير ذلك انتهي وقد شبه الرسول المومن الذي يقرا القران بالاترجة فلا يبعد ان يشبه ايضا
بشجرتها اصلها ثابت اي في الارض ضارب بعروقه فيها وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة
ثابت اصلها اجريت الصفة علي الشجرة لفظا وان كانت في الحقيقة للسببي وقراه الجماعة
فيها اسناد الثبوت الي السببي لفظا ومعني وفيها حسن التقسيم اذ جاء اصلها ثابت وفرعها في السما
يريد بالفرع اعلاها وراسها وان كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس
ومعني في السماء جهة العلو والصعود لا المظلة وفي الحديث خلق الله ادم طوله في السماء ستون
ذراعا ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة اصلها ثابت في قلوب اهل الايمان
وما يصدر عنها من الافعال الزكية والاعمال الصالحة هو فرعها يصعد الي السما الي الله تعالي
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وما يترتب علي ذلك العمل وهو ثواب الله هو جنا
ووصف هذه الشجرة باربعة اوصاف الاول قوله طيبة اي كريمة المنبت والاصل في الشجرة له لذة
في المطعم قال الشاعر طيبو البآءة سهل ولهم ۝ سبل ان شيت في وحش وعر ۝ اي ساحتهم
طيبة سهلة الثاني رسوخ اصلها وذلك يدل علي تمكنها وان الرياح لا تقصفها فهي بطية الفنآء وما
كان كذلك حصل الفرح بوجدانه والثالث علو فرعها وذلك يدل علي تمكن الشجرة ورسوخ عروقها

قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله

ها

وعلى بعدها عن عفونات الارض وعلى صفاتها من الشوايب الرابع ديمومة وجود ثمرتها وحضورها
في كل الاوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر
• تناذرها الراقون من سوء سمها • تطلقه حينا وحينا تراجع •
والمعنى تعطي جناها كل وقت وقته الله له وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحكم وحماد وجماعة من
الفقهاء من حلف ان لا يفعل شيئا حينا فانه لا يفعله سنة واستشهدوا بهذه الاية وقيل ثمانية
اشهر قاله علي ومجاهد ستة اشهر وهي مدة بقاء الثمر عليها وقال ابن المسيب الحين شهران لان النخلة
تدوم مثمرة شهرين وقيل لا تتعطل من ثمر تحمل في كل شهر وهي شجرة جوز الهند وقال ابن عباس ايضا
والضحاك والربيع كل حين اي كل غدوة وعشية ومتى اريد جناها وتخرج على انها شجرة في الجنة
والتذكر المرجو بضرب المثل هو التفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل فمتى ابرزت مشبهة بالمحسوس
لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم والوصول الى المطلق
والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر على قول الجمهور وقال مسروق الكذب وقال ان تجرد دعوة الكفر وما
يعزى اليها الكافر وقيل كل كلام لا يرضاه الله تعالى وقراءة ابي وضرب الله مثلا كلمة
خبيثة وقرئ ومثل كلمة بنصب مثل عطفا على كلمة طيبة والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل قاله الاكثرون
ابن عباس ومجاهد وانس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج وفرقة شجرة الثوم
وقيل شجرة الكشوت وهي شجرة لا ورق لها ولا اصل قال وهي كشوت فلا اصل ولا ثمر وقال ابن عطية
ويرد على هذه الاقوال ان هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى انما مثل بالشجرة فلا تسمى
هذه شجرة الا بتجوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثوم والبصل من اكل من هذه الشجرة
وقيل الطحلبة وهي الكماة وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر وعن ابن عباس هي الكافر وعنه ايضا شجرة
لم تخلق على الارض وقال ابن عطية والظاهر عندي ان التشبيه وقع بشجرة غير معينة اذا وجدت
منها هذه الاوصاف هو ان يكون كالعضاة او شجرة السموم ونحوها اذا اجتثت اي اقتلعت
جثتها بنزع الاصول وبقيت في غاية الوهي والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شيئا
وهو لا يستقر ولا يغني عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل انها شي نافع وهي خبيثة الجنا
غير نافعة انتهى واجتثت من فوق الارض مقابل لقوله اصلها ثابت اي لم يتمكن لها اصل ولا عرق في
الارض وانما هي نابتة على وجه الارض ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا ثبت ثباتا شبه
بهذه الشجرة القول الذي لم يعضد بحجة فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه والقول الثابت
هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا
كونهم لو فتنوا عن دينهم في الدنيا لثبتوا عليه وما زلوا كما جرى لاصحاب الاخدود والذين نشروا
بالمناشير وكشطت لحومهم بامشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمعون وبلال حتى كان يعذب بالرمضاء
وهو يقول احد احد وتثبيتهم في الاخرة كونهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ولم يتلعثموا
ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر والذين امنوا عام من لدن آدم الى يوم القيامة وقال طاوس
وقتادة وجمهور من العلماء ان تثبيتهم في الدنيا هو مدة حيوة الانسان وفي الاخرة هو وقت
سؤاله في قبره ورجح هذا القول الطبري وقال البراء بن عازب وجماعة في الحيوة الدنيا هي وقت
سؤاله في قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاخرة هو يوم القيامة عند العرض
وقيل معنى تثبيته في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هو حياته على الايمان وحشره عليه وقيل التثبيت
في الدنيا الفتح والنصر وفي الاخرة الجنة والثواب وما صح عن الرسول في حديث البراء من
تلاوته عند ايعاد المومن في قبره وسيل وشهد شهادة الاخلاص قوله تعالى يثبت الله الاية
لا يظهر منه يعني ان الحيوة الدنيا هي حيوة الانسان وان الاخرة في القبر ولا ان الحيوة الدنيا هي في
القبر وان الاخرة هي يوم القيامة بل اللفظ محتمل ومعنى يثبت يديمهم عليه ويمنعهم من الزلل
ومنه قول عبد الله بن رواحة • فثبت ما اتاك الله من حسن • تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
والظاهر ان القول الثابت متعلق بقوله يثبت وقيل متعلق بامنوا وسوال العبد في قبره معتقد
اهل السنة ويضل الله الظالمين اي الكافرين لمقابلتهم المومنين واضلالهم في الدنيا كونهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم وهي الحيرة التي تلحقهم اذ ليسوا متمسكين بحجة وفي
الاخرة هو اضطرابهم في جوابهم ولما تقدم تشبيه الكلمة الطيبة على تشبيه الكلمة الخبيثة تقدم

١١

في هذا الكلام من نسبت اليه الكلمة الطيبة وتلاه من نسبت اليه الكلمة الخبيثة ولما ذكر تعالى
ما تفعل بكل واحد من القسمين ذكر انه لا يمكن اعتراض فيما خص به كل واحد منهما اذ ذاك راجع الى
مشيئته تعالى ان الله يفعل ما يشاء لا يسال عما يفعل وقال الزمخشري ويفعل الله ما يشاء اي
توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم
وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم انتهى وفيه
دسيسة الاعتزال الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار • لما ذكر حال
المومنين وهداهم وحال الكافرين واضلالهم ذكر السبب في اضلالهم والذين بدلوا ظاهره انه
عام في جميع المشركين قاله الحسن بدلوا بنعمة الايمان الكفر وقال مجاهد هم اهل مكة انعم الله تعالى عليهم
ببعثه رسولا منهم يعلمهم امر دينه وشرفهم به واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته فوضعوا مكان شكره
هذه النعمة كفرا وسال ابن عباس عمر عنهم فقال هما الافجران من قريش اخوالي اي بني مخزوم
واستوصلوا ببدر واعمامك اي بني امية ومتعوا الى حين وعن علي نحو من ذلك وقال قتادة هم قادة
المشركين يوم بدر وعن علي هم قريش الذين تحزبوا يوم بدر وعن علي انهم قريش جماعة من الصحابة والتابعين
وعن علي ايضا هم منافقوا قريش انعم عليهم باظهار علم الاسلام بان صان دماءهم واموالهم وذراريهم
ثم عادوا الى الكفر وعن ابن عباس في جبلة بن الايهم ولا يريد انها نزلت فيه لان نزول الاية قبل قصته
وقصته كانت في خلافة عمر وانما يريد ابن عباس انها تخص من فعل فعل جبلة الى يوم القيمة ونعمة
الله على حذف مضاف اي بدلوا شكر نعمة الله كقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم
كانه وجب عليهم الشكر فوضعوا مكانه كفرا وجعلوا مكان شكرهم التكذيب قال الزمخشري ووجه
اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه
وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما الزمهم من الشكر العظيم
او اصابهم الله بالنعمة والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم الله بالقحط سبع سنين
فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم انتهى ونعمة الله هو المفعول الثاني لانه
هو الذي يدخل عليه حرف الجر اي بنعمة الله وكفرا هو المفعول الاول كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات اي بسيئاتهم حسنات فالمنصوب هو الحاصل والمجرور بالباء او المنصوب على اسقاطها
هو الذاهب على هذا لسان العرب وهو خلاف ما يفهمه العوام وكثير ممن ينتمي الى العلم وقد اوضحنا
هذه المسالة في قوله في البقرة ومن يتبدل الكفر بالايمان واذا قدرت مضافا محذوفا وهو شكر
نعمة الله فهو الذي دخلت عليه الباء ثم حذفت واذا لم يقدر مضاف محذوف فالباء دخلت
على نعمة ثم حذفت واحلوا قومهم اي من تابعهم على الكفر وزعم الحوفي وابو البقاء ان كفرا هو مفعول
ثان لبدلوا وليس بصحيح لان بدل من اخوات اختار فالذي يباشره حرف الجر هو المفعول الثاني
والذي يصل اليه الفعل بنفسه لا بوساطة حرف الجر هو المفعول الاول واعرب الحوفي وابو البقاء
جهنم بدلا من دار البوار والزمخشري عطف بيان فعلى هذا يكون الاحلال في الاخرة ودار البوار
هي جهنم وقاله ابن زيد وقيل عن علي يوم بدر وعن عطا بن يسار نزلت في قتلى بدر فيكون دار البوار
اي الهلاك في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع التي قتلوا فيها وعلى هذا اعرب ابن عطية وابو
البقاء جهنم منصوبا على الاشتغال اي يصلون جهنم يصلونها ويؤيد هذا التاويل قراءة
ابن ابي عبلة جهنم بالرفع على انه يحتمل ان يكون جهنم مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف وهذا التاويل
اولى لان النصب على الاشتغال مرجوح من حيث انه لم يتقدم ما يرجحه ولا يكون مساويا وجمهور القراء
على النصب ولم يكونوا ليقروا بغير الراجح او المساوي اذ زيد ضربته افصح من زيدا ضربته فلذلك كان
ارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف في قراءة ابن ابي عبلة راجحا وعلى تاويل الاشتغال يكون يصلونها
لا موضع له من الاعراب وعلى التاويل الاول جوزوا ان يكون حالا من جهنم او حالا من دار البوار او حالا
من قومهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي اي جهنم وجعلوا لله اندادا اي زادوا
الى كفر نعمته اي صيروا له اندادا وهي الاصنام التي اتخذوا الهة من دون الله وقراءة ابن كثير
وابو عمرو ليضلوا هنا وليضل في الحج ولقمن والزمر بفتح الياء وباقي السبعة بضمها والظاهرات
اللام لام الضيرورة والمآل لما كانت نتيجة جعل الانداد الهة الضلال او الاضلال جرى مجرى لام

قوله عز وجل الم تر الى الذين

العلة في قولك جيتك لتكرمني على طريقة التشبيه وقيل قراة الفتح لا يحتمل ان تكون اللام لام العاقبة واما بالضم فيحتمل العاقبة والعلة والامر بالتمتع امر تهديد ووعيد على حد قوله اعملوا ما شيتم قال الزمخشري تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعني ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الي النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار انتهي ومصيركم مصدر صار التامة بمعني رجع وخبر ان هو قوله الي النار ولا يقال هنا صار بمعني انتقل ولذلك تعدت بالي اي فان انتقالكم الي النار لانه تبقي ان بلا خبر ولا ينبغي ان يدعي حذفه فيكون التقدير فان مصيركم الي النار واقع لا محالة او كاين لان حذف الخبر في مثل هذا التركيب قليل واكثر ما يحذف اذا كان اسم ان نكرة والخبر جار ومجرور وقد اجاز الحوفي ان يكون الي النار متعلقا بمصيركم فعلي هذا يكون الخبر محذوفا قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ٥ لما ذكر تعالي حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم له اندادا وتهددهم امر المومنين بلزوم الطاعة والتيقظ لانفسهم والزام عمودي الاسلام الصلوة والزكوة قبل مجي يوم القيمة ومعمول قل محذوف تقديره اقيموا الصلوة يقيموا ويقيموا مجزوم على جواب الامر وهذا قول الاخفش والمازني ورد بانه لا يلزم من القول ان يقيموا ورد هذا الرد بانه امر المومنين بالاقامة لا الكافرين والمومنون متي امرهم الرسول بشي فعلوه لا محالة قال ابن عطية ويحتمل ان يكون يقيموا جواب الامر الذي يعطينا معناه قوله قل وذلك ان يجعل قل في هذه الاية بمعني بلغ وادي الشريعة يقيموا الصلوة انتهي وهذا قريب مما قبله الا ان في ما قبله معمول القول اقيموا وفي هذا الشريعة على تقدير بلغ الشريعة وذهب الكساي والزجاج وجماعة الي ان معمول قل هو قوله يقيموا وهو امر مجزوم بلام الامر محذوفة على حد **قول الشاعر** محمد تفد نفسك كل نفس ٥ انشده **س** الا انه قال ان هذا لا يجوز الا في الشعر وقال الزمخشري في هذا القول وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز انتهي وذهب المبرد الي ان التقدير قل لهم اقيموا يقيموا فيقيموا المصرح به جواب اقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين احدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما في الفعل او الفاعل او فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطا كقولك قم يقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة وهو خطا اذا كان الفاعل واحدا وقيل التقدير ان تقل لهم اقيموا يقيموا قاله **س** فيما حكاه ابن عطية وقال الفرا جواب الامر معه شرط مقدر تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه يدخلك الجنة ومخالفة هذا القول للقول قبله ان الشرط في هذا مقدر بعد فعل الامر وفي الامر الذي قبله الامر مضمن معني الشرط وقيل هو مضارع بلفظ الخبر صرف عن لفظ الامر والمعني اقيموا قاله ابو علي وفرقة ورد بانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر ومعناه الامر لبقي على اعرابه بالنون كقوله هل ادلكم ثم قال تومنون والمعني امنوا واعتل ابو علي لذلك بانه لما كان بمعني الامر بني يعني على حذف النون لان المراد اقيموا وهذا كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا زيد يعني على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهي ومتعلق القول الملفوظ به او المقدر في هذه التخاريج هو الامر بالاقامة والانفاق الا في قول ابن عطية فمتعلقه الشريعة ونوا عم اذ قدر قل بمعني بلغ وادي الشريعة قال ابن عطية ويظهر ان القول هو الاية التي بعد اعني قوله الله الذي خلق السموات والارض انتهي وهذا الذي ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالي الله الذي الاية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله او يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب ان يكون جوابا لان قوله الله الذي خلق السموات والارض لا يستدعي اقامة الصلاة والانفاق الا بتقدير بعيد جدا واحتمل الصلوة ان يراد بها العموم اي كل صلاة فرض وتطوع وان يراد بها الجنس وبذلك

فرها

قوله عز وجل قل لعبادي

فسرها ابن عباس وفسر الانفاق بزكاة الاموال وتقدم اعراب سرا وعلانية وشرحها في اواخر البقرة وقال ابو عبيدة البيع هنا البذل والخلال المخالة وهو مصدر من خاللت خلالا ومخالة وهي المصاحبة انتهي ويعني بالبذل مقابلة شي **وقال امرؤ القيس**

صرفت الهوي عنهن من خشية الردي ٥ ولست بمقلي الخلال ولا قال ٥

وقال الاخفش الخلال جمع خلة وتقدم الخلاف في قراة لا بيع فيه ولا خلال بالفتح او بالرفع في البقرة والمراد بهذا اليوم يوم القيمة قال الزمخشري **فان قلت** كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال **قلت** من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه الاعلي فلا يفعله الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله انتهي ولما اطال تعالي الكلام في وصف احوال السعداء والاشقياء وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته فقال الله الذي خلق السموات والارض وذكر عشرة انواع من الدلايل تذكرا والابداع والانشاء السموات والارض ثم اعقب بباقي الدلايل وابرزها في جمل مستقلة ليدل وينبه على ان كل جملة منها مستقلة في الدلايل ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذي خبره قال ابن عطية ومن اخبر بهذه الجملة وتقررت في نفسه امن وصلي وانفق انتهي يشير الي ما تقدم من قوله ان معمول قل هو قوله تعالي الله الذي خلق السموات والارض الاية فكانه يقول يقيموا الصلاة جواب لقوله قل لعبادي الله الذي خلق السموات والارض والظاهر ان مفعول اخرج هو رزقا لكم ومن للتبعيض ولما تقدم على النكرة كان في موضع الحال ويكون المعني ان الرزق هو بعض جني الاشجار ويخرج منها ما ليس برزق كالمجرد للمضرات ويجوز ان تكون من لبيان الجنس قاله ابن عطية والزمخشري وكانه قال فاخرج به رزقا لكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لان من التي لبيان الجنس انما تاتي بعد المبهم التي تبينه وقال الزمخشري ويجوز ان تكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معني رزق وقيل من زايدة وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش والفلك هنا جمع فلك ولذلك قال لتجري وبعني بامره راجع الي الامر القايم بالذات وقال الزمخشري لقوله كن وانطوي في تسخير الفلك تسخير البحار وتسخير الرياح واما تسخير الانهار فبجريانها وتفجيرها للانتفاع بها وانتصب دائبين على الحال والمعني تدابان في سيرهما وانارتهما واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات عن مقاتل بن حيان يرفعه الي ابن عباس انه قال معناه دائبين في طاعة الله قال ابن عطية وهذا قول ان كان يراد به ان الطاعة انقياد منهما في التسخير فذلك موجود في قوله سخر وان كان يراد انها طاعة مقصودة كطاعة العبادة من البشر فهذا جيد والله اعلم انتهي وتسخير الليل والنهار كونهما يتعاقبان خلفة للمنام والمعاش وقال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض لا تسخر ولما ذكر تعالي تلك النعم العظيمة ذكر انه لم يقتصر عليها فقال واتاكم من كل ما سالتموه والخطاب للجنس من البشر اي ان الانسان قد اوتي من كل ما شانه ان يسال وينتفع به ولا يطرد هذا في كل واحد واحد من الناس وانما تفرقت هذه النعم في البشر فيقال بحسب هذا للجميع اوتيتم كذا على جهة التقدير للنعمة **وقرا** ابن عباس والضحاك والحسن ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن فايد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع في رواية من كل بالتنوين اي من كل هذه المخلوقات المذكورات وما موصولة مفعول ثان اي ما شانه ان يسال بمعني يطلب الانتفاع به وقيل ما نافية والمفعول الثاني هو من كل كقوله واوتيت من كل شي اي عرضا يليه اخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسالوه من النعم ولم يعرض لما سالوه والجملة المنفية في موضع نصب على الحال وهذا القول بدا به الزمخشري وثني به ابن عطية وقال انه تفسير الضحاك وهذا التفسير يظهر انه مناف لقراة الجمهور من كل ما سالتموه بالاضافة لان في تلك القراة على ذلك التخريج تكون

ما نافية فيكونون لم يسالوه وفي هذه القراءة يكونون قد سالوه وما بمعني الذي واجيز ان يكون مصدرية
ويكون المصدر بمعني المفعول ولما احتمل الزمخشري بظهور التنافي بين هذه القراءة وبين تلك علي تقدير
ان ما نافية قال ويجوز ان تكون ما موصولة علي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يصلح احوالكم
ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال فتاول سالتموه بقوله ما احتجتم اليه
والضمير في سالتموه ان كانت ما مصدرية عايد علي الله تعالي ويكون المصدر يراد به المسئول وان كانت
موصولة بمعني الذي عاد عليها والتقدير من كل الذي سالتموه اياه ولا يجوز ان يكون عايدا علي الله
والرابط للصلة بالموصول محذوف لانك ان قدرته متصلا فيكون التقدير ما سالتموه فلا يجوز
او منفصلا فيكون التقدير ما سالتموه اياه فالمنفصل لا يجوز حذفه والنعمة هنا قال الواحدي اسم
اقيم مقام المصدر يقال انعم انعاما ونعمة اقيم الاسم مقام الانعام كقولك انفقت انفاقا ونفقة
ولذلك لم يجمع لانه في معني المصدر انتهي والذي يظهر ان النعمة هو المنعم به وانه هو اسم جنس
لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كانه قيل وان تعدوا نعمة الله ومعني لا تحصوها لا تحصروها
ولا تطيقوا عدها هذا اذا ارادوا ان يعدوها علي الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه
الا الله وقال ابو الدرداء من لم ير نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه
والمراد بالانسان هنا الجنس اي توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر يظلم النعمة باغفال شكرها
ويكفرها بجحدها وقيل ظلوم في الشدة يجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وفي النحل وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والفرق بين الختمين انه هنا تقدم قوله الم تر الي الذين بدلوا
نعمة الله كفرا وبعده وجعلوا لله اندادا فكان ذلك نصا علي ما فعلوا من القبايح من كفران النعمة
والظلم الذي هو الشرك بجعل الانداد ناسب ان يختم بذم من وقع ذلك منه فجا ان الانسان لظلوم
كفار واما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات واطنب فيها وقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي من اوجد
هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر علي الخلق ولا علي شي منه ذكر من تفضلاته اتصافه
بالعذاب والرحمة تحريضا علي الرجوع اليه وان هاتين الصفتين هو متصف بهما كما هو متصف
بالخلق ففي ذلك اطماع لمن آمن به وانتقل من عبادة المخلوق الي عبادة الخالق انه يغفر زلله السابق
ويرحمه وايضا فانه لما ذكر انه تعالي هو المتفضل بالنعم علي الانسان ذكر ما حصل من المنعم ومن
جنس المنعم عليه فحصل من المنعم ما يناسبه حالة عطايه وهو الغفران والرحمة اذ لولاهما لما
انعم عليه وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسبه حالة الانعام عليه وهو الظلم والكفران فكانه
قيل ان صدر من الانسان ظلم فالله غفور او كفران نعمة فالله رحيم لعلمه بعجز الانسان وقصوره
ودعوي ان هذه الاية منسوخة باية النحل لا يلتفت اليها ونقل ذلك السخاوي عن عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم ٥ جنب مخففا واجنب رباعيا لغة نجد وجنب مشددا لغة الحجاز والمعني منع ٥
واصله من الجانب الهوي الهبوط بسرعة قال الشاعر،

• واذا رميت به الفجاج رايته • يهوي مخارمها هوي الاجدل • تحض البصر احد النظر ولم
يستقر في مكانه • المهطع المسرع في مشيه قال الشاعر،

• بمهطع سرح كان عنانه • في راس جذع من اراك مشذب •

وقال عمران بن حطان اذا دعانا فاهطعنا لدعوته • داع سميع فلبونا وساقونا •
وقال ابو عبيدة قد يكون الاهطاع الاسراع وادامة النظر ٥ المقنع هو الرافع راسه المقبل
ببصره علي ما بين يديه قاله ابن عرفة والقتبي وقال الشاعر،

• يباكرن العضاه بمقنعات • نواجذهن كالحداء الوقيع •

يصف الابل بالاقناع عند رعيها اعالي الشجر ويقال اقنع راسه نكسه وطاطاه فهو من الاضداد قال
المبرد وكونه بمعني رفع اعرف في اللغة انتهي وقيل منه قنع الرجل اذا رضي كانه رفع راسه عن السؤال
وفم مقنع معطوفة اسنانه الي داخل ورجل مقنع بالتشديد عليه بيضة الراس معروفة ويجمع في القلة
علي اروس الطرف العين قال الشاعر واغضض طرفي ما بدت لي جارتي • حتي يواري جارتي ماواها
ويقال لطرف الرجل طبق جفنه علي الاخر وسمي الجفن طرفا لانه يكون فيه ذلك الهوا ما بين السما
والارض وهو الخلا الذي لم يشغله الاجرام الكثيفة واستعير للجبان فقيل قلب فلان هوا،
وقال الشاعر كان الرحل منها فوق صعل • من الظلمان جوجوه هوا، •

المفردات

المقترن

115

المقترن المشدد وفي القرن وهو الحبل الصفد الغل والقيد يقال صفده صفدا قيده والاسم الصفد وفي
التكثير صفده مشددا قال الشاعر وابقا بالملوك مصفدينا ٥ واصفدته اعطيته وقيل صفد
واصفد معا في القيد والاعطا قال الشاعر فلم اعرض ابيت اللعن بالصفد•
اي بالعطا وسمي العطاء صفدا لانه يقيد ويعبد السربال القميص يقال سربلته فتسربل القطران
ما يحلب من شجر الابهل فيطبخ وتهنا به الابل الجربي فتحرق الجرب بحره وحدته وهو اقبل الاشيا ٥
اشتعالا ويقال فيه قطران بوزن سكران وقطران بوزن سرحان واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم• مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالي لما ذكر التعجيب من الذين
بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا لله اندادا وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين اتخذوا الهة من دون
الله وكان من نعمة الله عليهم اسكانه اياهم حرمه اردف ذلك بذكر اصلهم ابراهيم وانه صلوات الله
عليه ودعا الله تعالي بجعل مكة امنا ودعا ان يجنب بنيه عبادة الاصنام وانه اسكنه ذريته ليعبده
وحده بالعبادة التي هي اشرف العبادات وهي الصلاة لينظروا في دين ابيهم وانه مخالف لما
ارتكبوه من عبادة الاصنام فيزدجروا ويبعدوا عنها وتقدم الكلام علي قوله هنا هذا البلد
معرفا وفي البقرة هذا بلدا امنا منكرا وقال الزمخشري هنا سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد
التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الي ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا انتهي ودعا ابراهيم اولا بما هو مهين علي
طاعة الله وهو كون محل العابد امنا لا يخاف فيه اذ يتمكن فيه من عبادة الله ثم دعا ثانيا
بان يجنب هو وبنوه من عبادة الاصنام ومعني واجنبني وبني ادمني واياهم علي اجتناب
عبادة الاصنام واراد بقوله وبني اولاده من صلبه الاقربا واجابه الله تعالي فجعل الحرم
امنا ولم يعبد احد من بنيه الاقربا لصلبه صنما قال سفين بن عيينة وقد سيل كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسماعيل صنما وكانوا ثمانية انما كانت لهم
حجارة ينصبونها ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمعني البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار انتهي قال ابن عطية وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام
يقتضي افراط خوفه علي نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه
الاية ينبغي ان يقتدي بها في الخوف وطلب الخاتمة وكرر النداء استعطافا لربه وذكر سبب
طلبه ان يجنب هو وبنوه عبادة الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس اذ قد شاهد
اباه وقومه يعبدون الاصنام ومعني اضللن كن سببا للاضلال كثيرا من الناس والمعني
انهم ضلوا بعبادتها كما تقول فتنتهم الدنيا اي افتتنوا بها واغتروا بسببها وقرا
الجحدري وعيسي الثقفي واجنبني من اجنب وانث الاصنام لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه اخبار
المونث كما تقول الاجذاع انكسرن والاخبار عنهم اخبار جمع العاقل المذكر قالوا ومجاز نحو
قوله وقد اضلوا كثيرا فمن تبعني اي علي ديني وما انا عليه فانه مني جعله بعضه لفرط الاختصاص
به وملابسته له كقوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المومنين تنبيها علي تعظيم الغش
بحيث هو يسلب الغاش الايمان والمعني ان الغش ليس من اوصاف اهل الايمان ومن عصاني
هذا فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة وقوله فانك غفور رحيم قال مقاتل ومن عصاني
فيما دون الشرك وقال الزمخشري تغفر لي ما سلف من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث
الطاعة لي وقال ابن عطية ومن عصاني ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعني فانه مني واذا
كان كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه حتي يومنوا لانه اراد ان الله يغفر لكل كافر لكنه
حمله علي هذه العبارة ما كان ياخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب
صلي الله عليه وكذلك قال نبي الله عيسي وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ربنا اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افيدة من الناس
تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون• كرر النداء رغبة في الاجابة واظهارا للتذلل
والالتجاء الي الله تعالي واتي بضمير جماعة المتكلمين لانه تقدم ذكره وذكر بنيه في قوله واجنبني
وبني ومن ذريتي هو اسماعيل ومن ولد منه وذلك ان هاجر لما ولدت اسماعيل غارت منها سارة

قوله عز وجل وإذ قال ابراهيم

قوله عز وجل ربنا اني اسكنت

فروي انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد من الشام الى بطن مكة فنزل وترك
ابنه وامه هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحي من الله تعالى فلما ولي
دعا بضمن هذه الاية واما كيفية بقاء هاجر وماجرى لها ولاسماعيل هنالك ففي كتاب البخاري
والسير وغيره ومن للتبعيض لان اسحق كان بالشام والوادي ما بين الجبلين وليس من شرطه ان يكون
فيه ماء وانما قال غير ذي زرع لانه كان علم ان الله لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي
وانه يرزقها الماء وانما نظر النظر البعيد فقال غير ذي زرع ولو لم يعلم ذلك من الله لقال
غير ذي ماء على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك قاله ابن عطية وقد يقال ان انتفاء كونه
ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء اذ لا يمكن ان يوجد زرع الا حيث الماء فنفى ما يتسبب عن الماء وهو
الزرع لانتفاء سببه وهو الماء وقال الزمخشري بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه
شي من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا استقامة
لا غير انتهى واستعمل قط وهي ظرف لا يستعمل الا مع الماضي معمولا للقول لا يكون وليس هو ماضيا
وهو مكان ابدا الذي يستعمل مع غير الماضي من المستقبلات والظاهر ان قوله عند بيتك المحرم
يقتضي وجود البيت حالة الدعا وسبقه قبله وتقدم الكلام في البيت ومتى وضع في البقرة
وفي العمران ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي بعتيق لانه اعتق منه
فلم يستول عليه او لكونه لم يزل عزيزا ممتنعا من الجبابرة او لكونه محترما لا يحل انتهاكه وليقيموا
متعلق باسكنت وربنا دعا معترض والمعنى انه لا يخلو هذا البيت المعظم من العبادة وقيل
هي لام الامر دعالهم باقامة الصلوة وقال ابو الفرج بن الجوزي اللام متعلقة بقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلوة انتهى وهذا بعيد جدا وخص الصلوة دون ساير العبادات
لانها افضلها او لانها سبب لكل خير وقوله ليقيموا بضمير الجمع دلالة على ان الله اعلمه بان
هذا الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل وافيدة جمع فواد وهي القلوب سمي القلب
فوادا لانتقاده ماخوذ من فاد ومنه المفتاد وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم وقال
مورج الافيدة القطع من الناس بلغة قريش واليه ذهب ابن بحر قال مجاهد لو قال ابراهيم
افيدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم وقال ابن جبير لحجته اليهود والنصارى
والظاهر ان من للتبعيض اذ التقدير افيدة من افيدة الناس قال الزمخشري ويجوز
ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكانه قيل افيدة ناس وانما نكرت
المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكر افيدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافيدة انتهى ولا
يظهر كونها لابتدا الغاية لانه ليس لنا فعل يبتدا فيه لغاية ينتهي اليها اذ لا يصح ابتداء
جعل الافيدة من الناس وانما الظاهر في من التبعيض وقرا هشام افيدة بياء بعد
الهمزة نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الاشباع ولما كان الاشباع لا يكون الا في ضرورة الشعر
حمل بعض العلماء هذه القراءة على ان هشاما قرا بتسهيل الهمزة كالياء فعبر الراوي عنها
بالياء فظن من اخطاء فهمه انها بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوضا من الهمزة قال فيكون هذا
التحريف من جنس التحريف المنسوب الى من روى عن ابي عمرو بارئكم ويامركم ونحوه باسكان
حركة الاعراب وانما كان ذلك اختلاسا قال ابو عمرو الداني الحافظ ما ذكره صاحب هذا القول
لا يعتمد عليه لان النقلة عن هشام وابو عبد وكانوا من اعلم الناس بالقراءة ووجوهها وليس يفضي
بهم الجهل الى ان يعتقد فيهم مثل هذا وقرى آفدة على وزن فاعلة فاحتمل ان يكون
اسم فاعل للحذف من افد اي دنا وقرب وعجل اي جماعة آفدة او جماعات آفدة وان يكون ذلك جمع فواد
ويكون من باب القلب وصار بالقلب اأفدة فابدلت الهمزة الساكنة الفا كما قالوا في ارآم آرام
فوزنه اعفلة وقرى افدة على وزن فعلة فاحتمل ان يكون جمع فواد وذلك بحذف
الهمز ونقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الفاء وان كان تسهيلها بين بين هو الوجه وان
يكون اسم فاعل من افد كما تقول فرح فهو فرح وقرات ام الهيثم افودة بالواو المكسورة
بدل الهمز قال صاحب اللوامح وهو جمع وفد والقراءة حسنة لكني لا اعرف هذه المراة بل
ذكرها ابو حاتم انتهى ابدلت الهمزة في فواد بعد الضمة كما ابدلت في جون ثم جمع فاقرها
في الجمع اقرارها في المفرد او هو جمع وفد كما قال صاحب اللوامح وقلب اذ الاصل اوفده وجمع

فعل على افعلة شاذ نحو نجد وانجدة ووهي واوهية وام الهيثم امراة نقل عنها شي من لغات العرب
وقرا زيد بن علي افادة على وزن امارة ويظهر ان الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا اشاح
في وشاح فالوزن فعالة اي فاجعل ذوي وفادة ويجوز ان مصدر افاد افادة اي ذوي افادة وهم
الناس الذين يفيدون وينتفع بهم وقرا الجمهور تهوي اليهم اي تسرع اليهم وتطير
نحوهم شوقا ونزاعا ولما ضمن تهوي معنى تميل عداه بالى واصله ان يتعدى باللام قال الشاعر

• حتى اذا ما هوت كف الوليد لها • طارت وفي كفه من ريشها بتك •

ومثال ما في الاية قول الشاعر •

• تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مومن الجن كانجاسها • وقرا مسلمة بن
عبد الله تهوى بضم التاء مبنيا للمفعول من اهوى المنقولة بهمزة التعدية من هوي اللازمة
كانه قيل يسرع بها اليهم وقرا علي بن ابي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد
تهوى مضارع هوي بمعنى احب ولما ضمن معنى النزوع والميل عدي بالى وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان يجلب اليهم من البلاد كقوله يجبى اليه ثمرات كل شي وروي
عن مسلم بن محمد الطايفي انه لما دعى عليه السلام بان يرزق سكان مكة الثمرات بعث الله جبريل
فاقتلع بجناحه قطعة من فلسطين وقيل من الاردن فجاء بها وطاف حول البيت بها سبعا
ووضعها قريب مكة فهي الطايف وبهذه القصة سميت وهي موضع ثقيف وبها اشجار وثمار
وروي نحو منه عن ابن عباس لعلهم يشكرون قال الزمخشري النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات
حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوة ابراهيم
فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه
على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة
التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن
وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمومنين يوم يقوم الحساب • كرر النداء للتضرع والالتجاء ولا يظهر تفاوت بين اضافة
رب الى ياء المتكلم وبين اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام فيما يخفونه وما يعلنونه
وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من
كابة الافتراق وما نعلن مما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا
قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت لا نخشى تركتنا الى كاف والظاهر
ان قوله وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء من كلام ابراهيم لاكتناف ما قبله
وما بعده بكلام ابراهيم لما ذكر انه تعالى علم ما يخفى هو ومن كنا عنه عمم جميع الاشياء وانها غير
خافية عنه تعالى وقيل وما يخفى الاية من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام
كقوله وكذلك يفعلون والظاهر ان هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم لم تقع منه في زمان وانما
حكى الله عنه تعالى مما وقع منه في ازمان مختلفة يدل على ذلك ان اسحق لم يكن موجودا حالة
دعايه اذ ترك هاجر والطفل بمكة فالظاهر ان حمده الله تعالى على هبة ولديه له بعد وجود
اسحاق وعلى الكبر يدل على مطلق الكبر ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولداه
وروي انه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن ماية وثنتي
عشرة سنة وقيل اسماعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن ابن جبير لم يولد له الا بعد ماية وسبع
عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة فيها بهبة الولد اعظم من حيث ان الكبر مظنة الياس
من الولد ومجي الشي بعد الياس احلى في النفس وابهج لها وعلى الكبر في موضع الحال
كانه قال وانا كبير وعلى على بابها من الاستعلاء لكنه مجاز اذ الكبر معنى لا جرم يتكون وكانه
لما اسن وكبر صار مستعليا على الكبر وقال الزمخشري على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله ٥

• اني على ما ترين من كبري • اعلم من حيث يوكل الكتف •

وكني بسميع الدعاء عن الاجابة والتقبل وكان قد دعا الله ان يهبه ولدا بقوله رب هب لي من

قوله عز وجل ربنا انك تعلم

الصالحين فحمد الله علي ما وهبه من الولد واكرمه به من اجابة دعائه والظاهر اضافة سميع الي
المفعول وهو من اضافة المثال الذي علي وزن فعيل الي المفعول فيكون اضافة من نصب ويكون
ذلك حجة علي اعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول علي ما ذهب اليه س وقد خالف في ذلك
جمهور البصريين وخالف الكوفيين فيه وفي اعمال باقي الخمسة الامثلة فعول وفعال ومفعال
وفعل وهذا مذكور في علم النحو ويمكن ان يقال في هذا ليس ذلك اضافة من نصب فيلزم جواز
اعماله بل هو اضافة كاضافة اسم الفاعل في نحو هذا ضارب زيد امس وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الي فاعله ويجعل دعاء الله سميعا علي الاسناد المجازي والمراد
سامع الله انتهي وهو بعيد لاستلزامه ان يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية
ولا يجوز ذلك الا عند ابي علي الفارسي حيث لا يكون لبس واما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر انه
من اضافة المثال للمفعول لا من اضافته الي الفاعل وانما اجاز ذلك الفارسي في مثل زيد
ظالم العبيد اذ علم ان له عبيدا ظالمين ودعاوه بان يجعله مقيم الصلوة وهو مقيمها اما يريد
بذلك الديمومة ومن ذريتي من للتبعيض لانه اعلم ان من ذريته من يكون كافرا او من يهمل
اقامتها وان كان مومنا وقراء طلحة والاعمش دعاء ربنا بغير ياء وقراء ابن كثير
وابو عمرو بياء ساكنة في الوصل واثبتها بعضهم في الوقف وروي ورش عن نافع اثباتها في
الوصل والظاهر ان ابراهيم سال المغفرة لابويه القريبين وكانت امه مومنة وكان والده
لم ييأس من ايمانه ولم تتبين له عداوة الله وهذا يتمشي اذا قلنا ان هذه الادعية كانت في
اوقات مختلفة فجمع هنا اشياء مما كان دعا بها وقيل اراد امه ونوحا عليه السلام وقيل آدم وحواء
والاظهر القول الاول وقد جاء نصا دعاؤه لابيه بالمغفرة في قوله واغفر لابي انه كان من الضالين
قال الزمخشري فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت
هو من مجوزات العقل لا يمتنع امتناع جوازه الا بالتوقيف انتهي وهو في ذلك موافق لاهل السنة
مخالف لمذهب الاعتزال وقراء الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي الجبر وابن يعمر
والزهري والنخعي ولولدي بغير الف وبفتح اللام يعني اسمعيل واسحق وانكر عاصم الجحدري
هذه القراءة وقال ان في مصحف ابي بن كعب ولابوي وعن يحيي بن يعمر ولولدي بضم الواو
وسكون اللام فاحتمل ان يكون جمع ولد كاسد في اسد ويكون قد دعا لذريته وان يكون لغة
في الولد وقال الشاعر فليت زيادا كان في بطن امه • وليت زيادا كان ولد حمار •
كما قالوا العدم والعدم وقراء ابن جبير ولوالدي باسكان الياء علي الافراد كقوله
واغفر لابي وقيام الحساب مجاز عن وقوعه وثبوته كما يقال قامت الحرب علي ساق او علي حذف
مضاف اي اهل الحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ۝ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم
طرفهم وافئدتهم هواء الخطاب بقوله ولا تحسبن للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا
لجهله بصفات الله لا للرسول عليه السلام فانه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه الاية
وعيد عظيم للظالمين وتسلية للمظلومين وقراء طلحة ولا تحسب بغير نون التوكيد
وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل
الظالمون لا يخفي عليه منه شي وانه معاقبهم علي قليله وكثيره علي سبيل الوعيد والتهديد
كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ولا يجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الفاجر عن قبايح يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب علي النقير والقطمير وقرا
السلمي والحسن والاعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهرون العتكي ويونس بن حبيب
عن ابي عمرو نؤخرهم بنون العظمة والجمهور بالياء اي يؤخرهم الله مهطعين مسرعين قاله
ابن جبير وقتادة وذلك بذله واستكانة كاسراع الاسير والخائف وقال ابن عباس وابو الضحي
شديد النظر من غير ان يطرفوا وقال ابن زيد غير رافعي رؤسهم وقال مجاهد مديمي النظر
وقال الاخفش مقبلين للاصغاء وانشد بدجلة دارهم ولقد اراهم بدجلة مهطعين الي السماع
وقال الحسن تقنعي رؤسهم وجوه الناس يومئذ الي السماء لا ينظر احد الي احد انتهي وقال
ابن جريج هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وقال ابن عباس

ومجاهد

قوله عز وجل ولا تحسبن الله

١١٢

ومجاهد وابن زيد خربة خاوية ليس فيها خير ولا عقل وقال سفين خالية الا من فزع ذلك اليوم
كقوله واصبح فؤاد ام موسي فارغا اي الا من هم موسي وهواء تشبيه محض لانها ليست بهواء
حقيقة ويحتمل ان يكون التشبيه في فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة فهي منحرقة مشبهة
الهواء في تفرغه من الاشياء وانخراقه وان يكون في اضطراب افيدتهم وجيشانها في الصدور
وانها تجيء وتذهب وتبلغ علي ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو ابدا في اضطراب
وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قيل عند المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله يوم يقوم
الحساب وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وقيل عند ذهاب السعداء الي الجنة والاشقياء
الي النار وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الي اجل قريب
نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال • هذا الخطاب للرسول ويوم منصوب
علي انه مفعول ثان لانذر ولا يصح ان يكون ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان للانذار وهذا اليوم
هو يوم القيامة والمعني وانذر الناس الظالمين ويبين ذلك قوله فيقول الذين ظلموا لان المومنين
يبشرون ولا ينذرون وقيل اليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة
السكرات ولقاء الملائكة بلا بشري كقوله لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق ومعني التاخير الي
اجل قريب الرد الي الدنيا قاله الضحاك اذ الامهال الي امد وحد من الزمان قريب قاله السدي
اي ليتداركوا ما فرطوا من اجابة الدعوة واتباع الرسل اولم تكونوا هو علي اضمار القول والظاهر
ان التقدير فيقال لهم والقائل الملائكة او القائل تعالي يوبخون بذلك ويذكرون مقالتهم
في انكار البعث واقسامهم علي ذلك كما قال تعالي واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت ومعني ما لكم من زوال من الارض بعد الموت اي لا نبعث من القبور وقال محمد بن كعب
ان هذا القول يكون منهم وهم في النار ويرد عليهم اولم تكونوا ومعناه التوبيخ والتقريع وقال
الزمخشري اولم تكونوا اقسمتم علي ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما
استولي عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا
وما كان لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لقيل
ما لنا من زوال والمعني اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون
الي دار اخري انتهي فجعل الزمخشري اولم تكونوا محكيا بقولهم وهو مخالف لما قدمناه من انه
يقال لهم ذلك وقوله لا يزولون بالموت والفناء ليس بجيد لانهم مقرون بالموت والفناء وقوله
وقيل هو قول مجاهد وسكنتم ان كان من السكون فالمعني انهم قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس
سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الظالمون قبلهم وان كان من
السكني فان التسكني من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كما يقال اقام في الدار
وقر فيها ولكنه لما اطلق علي سكون خاص بصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبواها وتبين لكم
بالخبر وبالمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام وقراء الجمهور وتبين فعلا ماضيا
وفاعله مضمر يدل عليه الكلام اي وتبين لكم هو اي حالهم ولا يجوز ان يكون الفاعل كيف لان كيف
انما تاتي اما استفهاما او شرطا وكلاهما لا يعمل فيه ما قبله الا ما روي شاذا من دخول علي علي كيف
في قولهم علي كيف تبيع الاحمرين والي في قولهم انظر الي كيف تصنع وانما كيف هنا سؤال عن حال
في موضع نصب بفعلنا وقراء السلمي فيما حكي عنه ابو عمرو الداني ونبين بضم النون ورفع
النون الاخيرة مضارع بين وحكاها صاحب اللوامح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك علي اضمار
ونحن نبين والجملة حالية وقال المهدوي عن السلمي انه قرا كذلك الا انه جزم النون عطفا علي
اولم تكونوا اي ولم نبين فهو مشارك في التقرير وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل
بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام • يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار • وتري المجرمين يومئذ مقرنين
في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشي وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان
الله سريع الحساب • هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

قوله عز وجل وانذر الناس

قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم

الظاهر ان الضمير في مكروا عائد على المخاطبين في قوله اولم تكونوا اقسمتم اي مكروا بالشرك بالله وتكذيب
الرسل وقيل الضمير عائد على قوم الرسول كقوله وانذر الناس اي وقد مكر قومك يا محمد وهو الذي
في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ومعنى مكرهم اي المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
والظاهر ان هذا اخبار من الله لنبيه بما صدر منهم في الدنيا وانه ليس تلو لا في الاخرة وقال ابن عطية
ويحتمل ان يكون مما يقال يوم القيامة للظلمة الذين سكن في منازلهم وعند الله مكرهم اي علم مكرهم
فهو مطلع عليه فلا ينفذ لهم فيه قصدا ولا يبلغهم فيه املا او جزاء مكرهم وهو عذابه لهم والظاهر
اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف في الاول اليه كانه قيل وعند الله ما مكروا
اي مكرهم وقال الزمخشري او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به
وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى وهذا لا يصح الا
ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو اذ قدر مكرهم به والمحفوظ ان مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه
قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وتقول زيد ممكور به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا
وقرا الجمهور وان كان بالنون وقرا عمر وعلي وعبد الله وابي وابو سلمة بن عبد
الرحمن وابو اسحق السبيعي وزيد بن علي وان كاد بدال مكان النون لتزول بفتح اللام الاولى
ورفع الثانية وروي كذلك عن ابن عباس وقرا ابن عباس ومجاهد وابن وثاب والكسائي
كذلك الا انهم قرءوا وان كان بالنون فعلى هاتين القراءتين تكون ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وذلك على مذهب البصريين واما على مذهب الكوفيين فان نافية
واللام بمعنى الا فمن قرا كاد بالدال فالمعنى انه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال
وعلى قراءة كان بالنون يكون زوال الجبال قد وقع ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدته اي
هو بحيث يزول منه الجبال وتنقطع عن اماكنها ويحتمل ان يكون معنى لتزول لتقرب زوالها
فيصير المعنى كمعنى قراءة كاد ويؤيد هذا التاويل ما ذكره ابو حاتم من ان في قراءة ابي ولولا
كلمة الله لزال من مكرهم الجبال وينبغي ان تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف
المجمع عليه وقرا الجمهور وباقي السبعة وان كان بالنون مكرهم لتزول بكسر اللام ونصب
الاخيرة ورويت هذه القراءة عن علي واختلف في تخريجها فعن الحسن وجماعة ان ان نافية وكان
تامة والمعنى وتحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات واقدار الله التي هي
كالجبال في ثبوتها وقوتها ويؤيد هذا التاويل ما روي عن ابن مسعود انه وما كان بما
النافية لكن هذا التاويل وما روي عن ابن مسعود من قراءة وما بالنفي يعارض ما تقدم من القراءة
لان فيها تعظيم مكرهم وفي هذا تحقيره ويحتمل على تقدير انها نافية ان تكون كان ناقصة
واللام لام الجحود وخبر كان على الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين اهو محذوف او هو الفعل
الذي دخلت عليه اللام وعلى ان ان نافيه وكان ناقصة عنها جبالها واكامها وشجرها وجميع ما
فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها
وانشقاقها وخسوف قمرها وقال ابن عباس تبدل الارض بارض كالفضة نقية لم يسفك فيها دم
ولم يعمل فيها خطيئة وقال علي تبدل الارض من فضة والجنة من ذهب وقال محمد بن كعب وابن جبير
هي ارض من خبز ياكل منها المومنون من تحت اقدامهم وجاء هذا مرفوعا وقيل تصير نارا او الجنة
من ورائها ترى اكوابها وكواعبها وقال ابي تصير السموات جنانا وقيل تبديلها من طيها وقيل مرة
كالمهل ومرة وردة كالدهان قاله ابن الانباري وقيل بانشقاقها فلا تظل وفي الحديث ان الله
يبدل هذه الارض عفراء بيضاء كانها قرصة نقي وفي كتاب الزمخشري وعن علي تبدل ارضا
من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وعن ابن عباس هي
تلك الارض وانما تغير وانشد

• وما الناس بالناس الذين عهدتهم • ولا الدار بالدار التي كنت تعلم •

قال ابن عطية وسمعت من ابي رضي الله عنه روي ان التبديل يقع في الارض ولكن تبدل لكل فريق
بما يقتضيه حاله فالمومن يكون على خبز ياكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكونون على فضة ان صح السند
بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا وكله واقع تحت قدرة الله وفي الحديث المومنون وقت
التبديل في ظل العرش وفيه انهم ذلك الوقت على الصراط وقال ابو عبد الله الرازي المراد من تبديل

الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان
كتاب الابرار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين انتهى وكلامه هذا يدل على ان الجنة والنار
غير مخلوقتين وظاهر القران والحديث انهما قد خلقتا وصح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلع عليهما ولا يمكن ان يطلع عليهما حقيقة الا بعد خلقهما وبرزوا اي ظهروا لابوابهم بناء ولا حصن
وانتصاب يوم على انه بدل من يوم ياتيهم قاله الزمخشري او معمولا لمخلف وعده وان ما بعدها
اعتراض قاله الحوفي وقال ابو البقاء لا يجوز ان تكون ظرفا لمخلف ولا لوعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما
بعدها ولكن جوزان يلحق من معنى الكلام ما يعمل في الظرف اي لا يخلف وعده يوم تبدل انتهى واذا
كان وما بعدها اعتراضا لم يبال انه فصل بين العامل والمعمول او معمولا لانتقام قاله الزمخشري
والحوفي وابو البقاء او لاذكر قاله ابو البقاء وقرئ نبدل بالنون الارض بالنصب والسموات
معطوف على الارض وثم محذوف اي غير السموات حذف لدلالة ما قبله عليه والظاهر استيناف وبرزوا
وقال ابو البقاء يجوز ان يكون حالا من الارض وقد معه مرادة ومعنى لله لحكم الله او لموعوده من
الجنة والنار وقرا زيد بن علي وبرزوا بضم الباء وكسر الراء مشددة جعله مبنيا للمفعول
على سبيل التكثير بالنسبة الى العالم وكثرتهم لا بالنسبة الى تكرير الفعل وجي بهذين الوصفين
وهما الواحد وهو الواحد الذي لا يشركه احد في الوهيته ونبه به على ان الهتهم في ذلك اليوم
لا تنفع والقهار وهو الغالب لكل شيء وهذا نظير قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وترى المجرمين يومئذ يوما تبدل وبرزوا مقرنين مشدودين في القرن اي مقرون بعضهم مع
بعض في القيود والاغلال او مع شياطينهم كل كافر مع شيطانه في غل او تقرن ايديهم الى ارجلهم
مغللين والظاهر تعلق في الاصفاد بقوله مقرنين اي يقرنون في الاصفاد ويجوز ان تكون في
موضع الصفة لمقرنين وفي موضع الحال فيتعلق بمحذوف كانه قيل مستقرين في الاصفاد وقال
الحسن ما في جهنم واد ولا مغارة ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبه عليه مكتوب وقرا علي
وابو هريرة وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المحبق
وزيد بن علي وقتادة وابو صالح والكلبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فايد وعمرو بن عبيد بن قطر
بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء اسم فاعل من اني صفة لقطر قيل وهو القصدير وقيل النحاس
وعن عمر رضي الله عنه انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يصير بلونه والآني الذائب الحار
الذي قد تناهى حره قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره وقال ابن عباس اي
آن يعذبوا به يعني حان تعذيبهم به وقال الزمخشري ومن شانه اي القطران ان يسرع فيه اشتعال
النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربعة لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما
وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما يشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما
عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا
من عذابه انتهى وقرا عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب من قطران بفتح القاف واسكان
الطاء وهي في شعر ابي النجم قال • لبسنه القطران والمسوحا •
وقرا الجمهور وتغشى وجوههم بالنصب وقرئ بالرفع فالاول على نحو قوله والليل
اذا يغشى مبني على حقيقة الغشيان والثانية على التجوز جعل ورود الوجوه على النار غشيانا لها
وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى وخص الوجوه هنا وفي قوله افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب ويوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه
كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وليجزي متعلق بمحذوف تقديره يفعل بالمجرمين
ما يفعل ليجزي كل نفس اي مجرمة بما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين
لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قاله الزمخشري ويظهر انها تتعلق بقوله وبرزوا
اي الخلق كلهم وتكون كل نفس عامة اي مطيعة ومجرمة والجملة من قوله وترى معترضة وقال
ابن عطية اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعل هذا او انفذ هذا العقاب على المجرمين ليجزي
في ذلك المسيء على اساءته انتهى والاشارة بهذا الى ما ذكره تعالى من قوله ولا تحسبن الله غافلا

الي قوله سريع الحساب وقيل الاشارة الي القران وقيل الي السورة ومعني بلاغ كفاية في الوعظ والتذكير
ولينذروا قال الماوردي الواو زايدة وعن المبرد هو عطف مفرد علي مفرد اي هذا بلاغ وانذار انتهي
وهو تفسير معني لا تفسير اعراب وقيل هو محمول علي المعني اي ليبلغوا ولينذروا وقيل اللام لام الامر
وقال بعضهم وهو حسن لولا قوله وليذكر فانه منصوب لا غير انتهي ولا يخدش ذلك اذ يكون وليذكر ليس
معطوفا علي الامر بل يضمر له فعل يتعلق به وقال ابن عطية المعني هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به
انتهي فجعله في موضع رفع خبرا لهو المحذوف وقال الزمخشري ولينذروا معطوف علي محذوف اي لينصحوا
ولينذروا به بهذا البلاغ انتهي **وقرا** مجاهد وحميد بتاء مضمومة وكسر الذال كان البلاغ
للعموم والانذار للمخاطبين **وقرا** يحيي بن عمارة الذارع عن ابيه واحمد بن يزيد بن اسيد
السلمي ولينذروا بفتح الياء والذال مضارع نذر بالشي اذا علم به فاستعد له قالوا ولم يعرف لهذا
الفعل مصدر فهو مثل عسي وغيره مما استعمل من الافعال ولم يعرف له اصل وليعلموا لانهم اذا خافوا
ما انذروا به دعاهم ذلك الي النظر فيتوصلون الي توحيد الله وافراده بالعبادة اذ الخشية اصل الخير
وليذكر اي يتيقظ ويراجع نفسه بما سمع من المواعظ واسند التذكر والاتعاظ الي من له لب لانهم
هم الذين يجدي فيهم التذكر وقيل هي في ابي بكر الصديق وناسب مختتم هذه السورة مفتتحها
وكثيرا ما جاء هذا في سورة القران حتي ان بعضهم زعم ان قوله ولينذروا به معطوف علي قوله لتخرج الناس

المفردات من اول الحجر

رب حرف جر لا اسم خلافا للكوفيين والاخفش في احد قوليه وابن الطراوة ومعناها في المشهور التقليل
لا التكثير خلافا لزاعمه وناسبه الي **س** ولمن قال لا يفيد تقليلا ولا تكثيرا بل هي حرف اثبات ودعوي
ابي عبد الله الرازي الاتفاق علي انها موضوعة للتقليل باطلة **وقول** الزجاج ان رب للكثرة
ضد ما يعرفه اهل اللغة ليس بصحيح وفيها لغات واحكامها كثيرة ذكرت في النحو ولم يقع في القران
الا في هذه السورة علي كثرة وقوعها في لسان العرب ذرا امرا استغني عنا لتباعد ماضيه بتركه في الحديث
ذروا الحبشة ما وذرتكم لوما حرف تخصيص فيليها الفعل ظاهرا او مضمرا وحرف امتناع لوجود فيليها
الاسم مبتدا علي مذهب البصريين ومنه **قول الشاعر**

• لوما الحياء ولوما الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري •

وقال بعضهم الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولي علي الشي واستوما وخالته وخالمته
فهو خلي وخلمي اي صديقي وقال الزمخشري لو ركبت مع لا ومع ما لمعنيين واما هل فلم تركب الا مع
لا وحدها للتحضيض انتهي والذي اختاره البساطة فيهما لا التركيب وازما لبست بدلا من الا سلك
الخيط في الابرة واسلكها ادخله فيها ونظمه **قال الشاعر**

• حتي اذا اسلكوهم في قتايدة • شلا كما تطرد الجمالة الشردا •

وقال اخر وكنت لزاز خصمك لم اعرد • وقد سلكوك في يوم عصيب •

الشهاب شعلة النار ويطلق علي الكوكب لبريقه شبهه بالنار **وقال ابو التمام**

• والعلم في شهب الارماح لامعة • بين الخميسين لا في السبعة الشهب •

اللواقح الظاهر انها جمع لاقح اي ذوات لقاح كلابن وتامر وذلك ان الريح تمر علي الماء ثم تمر
علي السحاب والشجر فيكون فيها اللقاح قاله الفراء وقال الازهري حوامل تحمل السحاب وتصرفه وناقة
لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها **وقال زهير**

• اذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس • تهر الناس انيابها عصل •

وقال ابو عبيدة اي ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بالقاء الماء **وقال**
ومختبط مما يطيح الطوايح • اي المطايح جمع مطيحة الصلصال قال ابو عبيدة الطين اذا خلط
بالرمل وجف وقال ابو الهيثم الصلصال صوت اللجام وما اشبهه وهو مثل القعقعة في الثوب
وقيل التراب المدقق وصلصل الرمل صوت وصلصال بمعني مصلصل كالقضقاض اي المقضقض
وهو فيه كثير ويكون هذا النوع من المضعف مصدرا فتقول زلزل زلزالا بالفتح وزلزالا بالكسر
ووزنه عند البصريين فعلال وهكذا جميع المضاعف حروفه كلها اصول لا تتقع خلافا للفراء
وكثير من النحويين ولا فعفل خلافا لبعض البصريين وبعض الكوفيين ولا ان اصله فعل بتشديد

العين ابدل من الثاني حرف من جنس الحرف الاول خلافا لبعض الكوفيين ويبني علي هذه الاقوال وزن
صلصال الحما طين اسود منتن واحده حماة بتحريك الميم قاله الليث ووهم في ذلك وقالوا لا نعرف
في كلام العرب الحماة الا ساكنة الميم قاله ابو عبيدة والاكثرون كما قال ابو الاسود

• يجيك عليها طورا وطورا • يجي بحماة وقليل ماء •

وعلي هذا لا يكون حما بينه وبين مفرده تاء التانيث لاختلاف الوزن السموم افراط الحر يدخل في المسام
حتي يقتل من نار او شمس او ريح وقيل السموم بالليل والحر بالنهار **سورة الحجر**

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين • ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين •
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون • وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم •
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون • هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه تعالي لما
ذكر في اخر السورة قبلها اشياء من احوال القيمة من تبديل السموات والارض واحوال الكفار في ذلك اليوم
وان ما اتي به هو علي حسب التبليغ والانذار ابتدا في هذه السورة بذكر القران الذي هو بلاغ للناس
واحوال الكفرة وودادتهم لو كانوا مسلمين قال مجاهد وقتادة الكتاب هنا ما نزل من الكتب قبل القران
فعلي قولهما تكون تلك اشارة الي ايات الكتب قال ابن عطية ويحتمل ان يراد بالكتاب القران وعطفت
الصفة عليه ولم يذكر الزمخشري الا ان تلك اشارة الي ما تضمنته السورة من الايات قال والكتاب
والقران المبين السورة وتنكير القران للتفخيم والمعني تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي
قران مبين كانه قيل والكتاب الجامع للكمال والغرابة في الشان والظاهر انهما في ربما مهيئة وذلك
انها من حيث هي حرف جر لا يليها الا الاسما فجي بما مهيئة لمجي الفعل بعدها وجوزوا في ما ان تكون
نكرة موصوفة ورب جارة لها والعايد من جملة الصفة محذوف تقديره رب شي يوده الذين كفروا ولو
كانوا مسلمين بدل من ما علي ان لو مصدرية وعلي القول الاول تكون في موضع نصب علي المفعول ليود
ومن لا يري ان لو تاتي مصدرية جعل مفعول يود محذوفا ولو كانوا مسلمين حرف لما كان سيقع لوقوع
غيره وجواب لو محذوف اي ربما يود الذين كفروا الاسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وخلصوا من
العذاب ولما كانت رب عند الاكثرين لا تدخل علي مستقبل تاولوا يود في معني ود لما كان المستقبل
في اخبار الله لتحقق وقوعه كالماضي فكانه قيل ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل علي المستقبل لكنه
قليل بالنسبة الي دخولها علي الماضي ومما وردت فيه للمستقبل **قول سليم القشيري**

• ومعتصم بالجبن من خشية الردي • سيردي وغاز مشفق سيؤب •

وقول هند ام معاوية يا رب قايلة غدا • يا لهف ام معاوية • **وقول جحدر**

• فان اهلك فرب فتي سيبكي • علي مهذب رخص البنان •

في عدة ابيات وقول ابي عبد الله الرازي انهم اتفقوا علي ان كلمة رب مختصة بالدخول علي الماضي
لا يصح فعلي هذا لا يكون يود محتاجا الي تاويل واما من تاول ذلك علي اضمار كان اي ربما كان يود فقوله
ضعيف وليس هذا من مواضع اضمار كان ولما كان عند الزمخشري وغيره ان رب للتقليل احتاجوا الي
تاويل مجي رب هنا وطول الزمخشري في تاويل ذلك ومن قال انها للتكثير فالتكثير فيها هنا ظاهر لان
ودادتهم ذلك كثيرة ومن قال ان التقليل والتكثير انما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب قال
دل سياق الكلام علي الكثرة وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة
في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل **وقرا** عاصم ونافع ربما بتخفيف الباء وباقي
السبعة بتشديدها وعن ابي عمرو الوجهان **وقرا** طلحة بن مصرف وزيد بن علي ربتما بزيادة تاء
ومتي يودون ذلك قيل في الدنيا فقال الضحاك عند معاينة الموت وقال ابن مسعود هم كفار قريش
ودوا ذلك يوم بدر حين راوا الغلبة للمسلمين وقيل حين حل بهم ما حل من تملك المسلمين ارضهم واموالهم
ونساءهم وودوا ذلك قبل ان يحل بهم ما حل وقيل ودوا ذلك في الاخرة اذا اخرج عصاة المسلمين من
النار قاله ابن عباس وانس بن ملك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم ورواه ابو موسي عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم **وقرا** الرسول هذه الاية وقيل حين يشفع الرسول ويشفع
حتي يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة رواه مجاهد عن ابن عباس وقيل اذا عاينوا القيامة
ذكره الزجاج وقيل عند كل حالة يعذب فيها الكافر ويسلم المومن ذكره ابن الانباري ثم امر تعالي
نبيه بان يذرهم وهو امر وعيد لهم وتهديد اي ليسوا ممن يرعوي عن ما هو فيه من الكفر والتكذيب

ولا ممن ينفعه النصيحة والتذكير فهم انما حظهم حظ البهايم من الاكل والتمتع بالحيوة الدنيا والامل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن الايمان بالله ورسوله وفي قوله ياكلوا ويتمتعوا اشارة الي ان التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتاهب له ليس من اخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله في الاخرة وعن بعض العلماء التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين وقال الحسن ما اطال عبد الامل الا اساء العمل والجزم ياكلوا وما عطف عليه جوابا للامر ويظهر انه امر بترك قتالهم وتخلية سبيلهم ومهادنتهم وموادعتهم ولذلك ترتب ذلك ان يكون جوابا لانه لو شغلهم بالقتال ومصالتة السيوف وايقاع الحرب ما هنا هم اكل ولا تمتع ويدل علي ذلك ان السورة مكية واذا جعلت ذرهم امرا بترك نصيحتهم وشغل باله بهم فلا يترتب عليه الجواب لانهم ياكلون ويتمتعون سوا ترك نصيحتهم ام لم يتركها فسوف يعلمون تهديد ووعيد اي فسوف يعلمون عاقبة امرهم وما يؤلون اليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي وفي الاخرة من العذاب السرمدي ولما توعدهم بما يحل بهم اردف ذلك بما يشعر بهلاكهم وانه لا يستبطا فان له اجلا لا يتعداه والمعني من اهل قرية كافرين والظاهر ان المراد بالهلاك هلاك الاستيصال لمكذبي الرسل وهو ابلغ في الزجر وقيل المراد الاهلاك بالموت والواو في قوله ولها واو الحال وقال بعضهم مقحمة اي زايدة وليس بشي وقرا ابن ابي عبلة باسقاطها وقال الزمخشري الجملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالي وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاني زيد عليه ثوب وجاني وعليه ثوب انتهي ووافقه علي ذلك ابو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا الا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة في قوله وعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم انتهي وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه ابو البقاء فلا نعلم احدا قاله من النحويين وهو مبني علي ان ما بعد الا يجوز ان تكون صفة وقد منعوا ذلك قال الاخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالا ثم قال ما جاني رجل الا راكب تقديره الا رجل راكب وفيه قبح بجعلك الصفة كالاسم وقال ابو علي الفارسي تقول ما مررت باحد الا قايما حال من احد ولا يجوز الا قايم لان الا لا تعترض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر ما ذهب اليه الزمخشري من قوله في نحو مررت باحد الا زيد خير منه ان الجملة بعد الا صفة لاحد انه مذهب لم يعرف لبصري ولا كوفي فلا يلتفت اليه وابطل ابن مالك قول الزمخشري ان الواو توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وقال منذر بن سعيد هذه الواو هي التي تعطي ان الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو ومنه قوله تعالي حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها انتهي والظاهر ان الكتاب المعلوم هو الاجل الذي كتب في اللوح وبين ويدل علي ذلك ما بعده وقيل مكتوب فيه اعمالهم واعمارهم واجال هلاكهم وذكر الماوردي كتاب معلوم اي فرض محتوم ومن زايدة تفيد استغراق الجنس اي ما تسبق امة وانث اجلها علي لفظ امة وجمع وذكر في وما يستاخرون حملا علي المعني وحذف عنه لدلالة الكلام عليه وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملايكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملايكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال مقاتل نزلت في عبد الله بن امية والنضر بن الحرث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة وقرا زيد بن علي نزل عليه الذكر ماضيا مخففا مبنيا للفاعل وقرا يا ايها الذي القي عليه الذكر وينبغي ان تجعل هذه القراة تفسيرا لانها مخالفة لسواد المصحف وهذا الوصف بانه الذي نزل عليه الذكر قالوه علي جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لا يقرون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه الي الجنون اذ لو كان مومنا برسالة موسي ما اخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه ان ياتيهم بالملايكة شاهدين لصدقك وبصحة دعواك وانذارك كما قال لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او معاقبين علي تكذيبك كما كانت تاتي الامم المكذبة وقرا الحرميان والعربيان ما ننزل مضارع نزل اي ما تتنزل الملايكة بالرفع وقرا ابو بكر ويحيي بن وثاب ما تنزل بضم التاء وفتح النون والزاي الملايكة بالرفع وقرا الاخوان وحفص وابن مصرف ما ننزل بضم النون الاولي وفتح الثانية وكسر الزاي الملايكة بالنصب وقرا زيد بن علي ما نزل ماضيا مخففا مبنيا للفاعل الملايكة بالرفع والحق هنا العذاب قاله الحسن او الرسالة قاله مجاهد او قبض الارواح عند الموت قاله ابن السايب او القران ذكره الماوردي وقال الزمخشري الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة

قوله عز وجل وقالوا يا ايها الذي

والمصلحة

والمصلحة ولاحكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلي الله عليه وسلم لانكم حينيذ مصدقون عن اضطرار وقال ابن عطية والظاهر ان معناها كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي ارادها الله لعباده لا علي اقتراح كافر ولا باختيار معترض ثم ذكر عادة الله في الامم بانه لم ياتهم باية اقتراح الا ومعها العذاب في اثرها ان لم يومنوا فكان الكلام ما تنزل الملايكة بحق واجب لا باقتراحكم وايضا فلو نزلت لم تنظروا بعد ذلك بالعذاب اي تؤخروا والمعني وهذا لا يكون اذ كان في علم الله ان منهم من يومن او يلد من يومن وقال الزمخشري واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء بالشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملايكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ولما قالوا علي سبيل الاستهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر رد عليهم بانه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا قبل احد بل هو تعالي الذي بعث به جبريل الي رسوله واكد ذلك بقوله انا نحن بدخول ان وبلفظ نحن ونحن مبتدا او تاكيد لاسم ان ثم قال وانا له لحافظون اي حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالي بحفظه فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالي لم يتكفل حفظها بل قال تعالي ان الربانيين والاحبار استحفظوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل علي انه من عنده تعالي اذ لو كان من قول البشر لتطرق اليه ما تطرق لكلام البشر وقال الحسن حفظه بابقاء شريعته الي يوم القيامة وقيل يحفظه في قلوب من اراد بهم خيرا حتي لو غير احد نقطة لقال له الصبيان كذبت وصوابه كذا ولم يتفق هذا لشي من الكتب سواه وعلي هذا فالظاهر ان الضمير في له عايد علي الذكر لانه المصرح به في الاية وهو قول الاكثر مجاهد وقتادة وغيرهما وقالت فرقة الضمير في له عايد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اي يحفظه من اذاكم ويحوطه من مكركم كما قال تعالي والله يعصمك من الناس وفي ضمن هذه الاية التبشير بحياة رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي يظهر الله به الدين ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون لما ذكر تعالي استهزاء الكفار به ونسبته الي الجنون واقتراح نزول الملايكة سلاه تعالي بان من ارسل من قبلك كان ديدن الرسل اليهم مثل ديدن هولاء معك وتقدم تفسير الشيع في اخر الانعام ومفعول ارسلنا محذوف اي رسلا من قبلك وقال الفراء في شيع الاولين هو من اضافة الشي الي صفته كقوله حق اليقين وبجانب الغربي اي الشيع الموصوف اي في شيع الامم الاولين والاولون هم الاقدمون وقال الزمخشري وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل علي مضارع الا وهو في موضع الحال ولا علي ماض الا وهو قريب من الحال انتهي وهذا الذي ذكره هو قول الاكثر من ان ما تخلص المضارع للحال وتعينه له وذهب غيره الي ان ما يكثر دخولها علي المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال وانشد علي ذلك قول ابي ذويب

اودي بني واودعوني حسرة ❊ عند الرقاد وعبرة ما تقلع

وقول الاعشي يمدح الرسول عليه السلام

له نافلات ما يغب نوالها ❊ وليس عطا اليوم مانعه غدا

وقال تعالي ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحي الي والضمير في نسلكه عايد علي الذكر قاله الزمخشري قال والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين علي ان معني انه نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كما لو انزلت بلييم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللييام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يومنون النصب علي الحال اي غير مومن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه انتهي وما ذهب اليه من ان الضمير عايد علي الذكر ذكره الغزنوي عن الحسن قال الحسن معناه نسلك الذكر الزاما للحجة وقال ابن عطية الضمير في نسلكه عايد علي الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد ويكون الضمير في به يعود ايضا علي ذلك نفسه وتكون باء السبب اي لا يومنون بسبب شركهم واستهزايهم ويكون قوله لا يومنون به في موضع الحال ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه عايدا علي الذكر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القران اي مكذبا به مردودا مستهزا به يدخله في قلوب المجرمين ويكون الضمير في به عايدا عليه ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه عايدا علي الاستهزاء والشرك والضمير في به يعود علي القران فيختلف علي هذا عود الضمير انتهي وروي ابن جريج عن مجاهد نسلكه التكذيب فعلي هذا تكون الباء في به للسبب والذي يظهر عوده

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

على الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزءون والباء في به للسبب والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم
الرسول الى الايمان ولا يومنون ان كان اخبارا مستانفا فهو من العام المراد به الخصوص فيمن ختم عليه
اذ تقدم من عالم ممن كذب الرسول وتدخلت سنة الاولين في تكذيبهم رسلهم او في اهلاكهم حين كذبوا بهم
واستهزؤا بهم وهو تهديد لمشركي قريش والضمير في عليهم عايد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم
عن الايمان حتى ينكروا ما هو محسوس مشاهد بالاعين مماس بالاجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب
المبالغة التامة في انكار الحق والظاهر ان الضمير في فظلوا عايد عليه في قوله عليهم اي لو فتح لهم
باب من السماء وجعل لهم معراج لما لو يصعدون فيه لقالوا هو شيء نتخيله لا حقيقة له وقد سحرنا
بذلك وجاء لفظ فظلوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا على ان ظل ياتي
بمعنى صار ايضا وعن ابن عباس ان الضمير في فظلوا يعود على الملايكة لقولهم لولا تاتينا بالملايكة
اي ولو راوا الملايكة تصعد وتتصرف في باب مفتوح في السماء لما امنوا **وقرا** الاعمش وابو حيوة
يعرجون بكسر الراء وهي لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود وجاء لفظ انما مشعرا بالحصر كانه قال
ليس ذلك الا تسكيرا للابصار **وقرا** الحسن ومجاهد وابن كثير سكرت بتخفيف الكاف مبنيا
للمفعول **وقرا** باقي السبعة بشدها مبنيا للمفعول **وقرا** الزهري بفتح السين وكسر الكاف
مخففة مبنيا للفاعل شبهوا روية ابصارهم بروية السكران لقلة تصوره ما يراه فاما قراة التشديد
فعن ابن عباس وقتادة سدت عن روية الحقيقة من السكر بكسر السين وهو الشد والحبس وعن الضحاك
شدت وعن جوهر خدعت وعن مجاهد حبست وعن الكلبي عميت وعن ابي عمرو غطيت وعن قتادة
ايضا اخذت وعن ابي عبيد غشيت واما قراة التخفيف فقيل بالتشديد الا انه للتكثير والتخفيف
يؤدي عن معناه وقيل معنى التشديد اخذت ومعنى التخفيف سحرت والمشهور ان سكر لا يتعدى قال
ابو علي ويجوز ان يكون سمع متعديا في البصر وحكى ابو عبيد عن ابي عبيدة انه يقال سكرت ابصاره اذا
غشيها سماد حتى لا يبصر وقيل التشديد من سكر الماء والتخفيف من سكر الشراب وتقول العرب
سكرت الريح تسكر سكرا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولا وسكر الرجل من الشراب سكرا اذا
تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما كان للانسان ان ينفذ فيه ومن هذا المعنى سكران لا يبت اي لا
يقطع امرا وتقول العرب سكرت في مجاري الماء اذا طمست وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه فان كان
من سكر الشراب او من سكر الريح فالتضعيف للتعدية او من سكر مجاري الماء فللتكثير لان مخففه
متعد واما سكرت بالتخفيف فان كان من سكر الماء ففعله متعد او من سكر الشراب او الريح فيكون
من باب وجع زيد ووجعه غيره فتقول سكر الرجل وسكره غيره وسكرت الريح وسكرها غيرها كما جاء سعد
زيد وسعده غيره ولحظ الزمخشري في هذا فقال وسكرت حيرت او حبست من السكر او السكر **وقري**
بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر عن الجري انتهى **وقرا** ابان بن تغلب سحرت ابصارنا ويجي
قوله بل نحن قوم مسحورون انتقالا الى درجة عظمى من سحر العقل وينبغي ان تجعل هذه القراة تفسيرا
معنى لا تلاوة لمخالفتها سواد المصحف وجاء جواب ولو قوله لقالوا اي انهم يشاهدون ما يشاهدون
ولا يشكون في روية المحسوس ولكنهم يقولون ما لا يعتقدون مواطاة على العناد ودفع الحجة ومكابرة
وايثارا للغلبة كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ولقد جعلنا في

قوله عزوجل ولقد جعلنا

السماء بروجا وزيناها للناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم • الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبين • لما ذكر تعالى حال منكري النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلايله السماوية وبدا بها ثم
اتبعها بالدلايل الارضية وقال ابن عطية لما ذكر تعالى انهم لو راوا الاية المذكورة في السماء لعاندوا فيها عقب
ذلك بهذه الاية كانه قال وان في السماء لعبرا منصوبة غير هذه المذكورة وكفرهم بها واعراضهم
عنها اصرار منهم وعتو انتهى والظاهر ان جعلنا بمعنى خلقنا وفي السماء متعلق بجعلنا ويحتمل ان تكون
بمعنى صيرنا وفي السماء المفعول الثاني فيتعلق بمحذوف والبروج جمع برج وتقدم شرحه لغة قال
الحسن وقتادة هي النجوم وقال ابو صالح الكواكب السيارة وقال علي بن عيسى اثنا عشر برجا الحمل والثور
والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي
منازل الشمس والقمر وقال عطية قصور في السماء فيها الحرس وهي المذكورة في قوله ملئت حرسا
شديدا وشهبا وقيل الفلك اثنا عشر برجا كل برج ميلان ونصف والظاهر ان الضمير في وزيناها
عايد على البروج لانها المحدث عنها والاقرب في اللفظ وقيل على السماء وهو قول الجمهور وخص

بالناظرين

بالناظرين لانها من المحسوسات التي لا تدرك الا بنظر العين ويجوز ان تكون من نظر القلب لما
فيها من الزينة المعنوية وهو ما فيها من حسن الحكم وبدايع الصنع وغرايب القدرة والضمير في وحفظناها
عايد على السماء ولذلك قال الجمهور ان الضمير في وزيناها عايد على السماء حتى لا تختلف الضماير
وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشياطين تقرب من السماء افواجا فينفرد المارد منها فيستمع فيرمى بالشهاب فيقول
لاصحابه وهو يلتهب انه الامر كذا وكذا فتزيد الشياطين في ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون
على الكلمة مايه كلمة ونحو هذا الحديث وقال ابن عباس ان الشهب تجرح وتوذي ولا تقتل وقال
الحسن تقتل وفي الاحاديث ما يدل على ان الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الاسلام
وحفظت السماء حفظا تاما وعن ابن عباس كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من
ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها والظاهر ان قوله الا من استرق
استثناء متصل والمعنى فانها لم تحفظ منه ذكره الزهراوي وغيره والمعنى انه سمع من خبرها شيا
والقاه الى الشياطين وقيل هو استثناء منقطع والمعنى انها حفظت منه وعلى كلا التقديرين
فمن في موضع نصب وقال الحوفي من بدل من كل شيطان وكذا قال ابو البقاء جر على البدل اي الا
ممن استرق السمع وهذا الاعراب غير سايغ لان ما قبله موجب فلا يمكن التفريغ فلا يكون بدلا
لكنه يجوز الا من استرق نعتا على خلاف في ذلك وقال ابو البقاء ويجوز ان تكون من في موضع رفع
على الابتداء وفاتبعه الخبر وجاز دخول الفاء من اجل ان من بمعنى الذي او شرط انتهى والاستراق
افتعال من السرقة وهي اخذ الشي بخفية وهو ان يخطف الكلام خطفة يسيرة والسمع المسموع
ومعنى مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون

قوله عزوجل والارض مددناها

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين • وان من شيء الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر
معلوم • وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين • وانا
لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون • ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين • وان
ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم • مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها قال الحسن
اخذ الله طينة فقال لها انبسطي فانبسطت وقيل بسطت من تحت الكعبة ولما كانت هذه
الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب
والارض والرواسي الجبال وفي الحديث ان الارض كانت تتكفا باهلها كما تتكفا السفينة فثبتها
الله بالجبال ومن في من كل للتبعيض وعند الاخفش هي زايدة اي كل شي والظاهر ان الضمير في
فيها عايد على الارض الممدودة وقيل يعود على الجبال وقيل عليها وعلى الارض معا قال ابن عباس وابن
جبير موزون مقدر بقدر وقال الزمخشري وقريبا منه قال وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار ان
يقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان وقال ابن عطية قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد
وارادة فالوزن على هذا استعارة وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة وغير
ذلك مما يوزن وقال قتادة موزون مقسوم وقال مجاهد معدود وقال الزمخشري او له وزن
وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وبسطه غيره فقال ما له منزلة كما تقول ليس له وزن اي قدر
ومنزلة ويقال هذا كلام موزون اي منظوم غير منتثر فعلى هذا اي انبتنا فيها ما يوزن من الجواهر
والمعادن والحيوان وقال تعالى وانبتها نباتا حسنا والمقصود بالانبات الانشاء والايجاد **وقرا**
الاعرج وخارجة عن نافع معايش بالهمز قال ابن عطية والوجه ترك الهمز وعلل ذلك بما هو معروف
في النحو وقال الزمخشري معايش بياء صريحة بخلاف الشمايل والخبايث فان تصريح الياء فيها
خطا والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وتقدم تفسير المعايش اول الاعراف والظاهر ان
من لمن يعقل واريد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطيون فان الله
هو الرزاق يرزقهم واياهم وقال معناه الفراء ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالانعام
والدواب وما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون وقال معناه الزجاج
وقال مجاهد الدواب والانعام والبهايم وقيل الوحوش والسباع والطير فعلى هذين القولين
تكون من لما لا يعقل والظاهر ان من في موضع جر عطفا على الضمير المجرور في لكم وهو مذهب
الكوفيين ويونس والاخفش وقد استدل للفاعل صحة هذا المذهب في البقرة في قوله وكفر به والمسجد

الحرام وقال الزجاج من منصوب بفعل محذوف تقديره واعشنا من لستم اي اماغيركم لان المعني اعشناكم
وقيل عطفا علي معايش اي وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والصناع قيل والحيوان وقيل عطفا
علي محل لكم وقيل من مبتدا الخبره محذوف لدلالة المعني عليه اي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها
معايش وهذا لاباس به فقد اجازوا ضربت زيدا وعمرو بالرفع علي الابتداء اي وعمرو ضربته فحذف الخبر
لدلالة ما قبله عليه وتقدم شرح الخزاين وان نافية ومن زايدة والظاهر ان المعني وما من شي ينتفع
به العباد الا ونحن قادرون علي ايجاده وتكوينه والانعام به فتكون الخزاين وهي ما يحفظ فيه الاشياء
مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم الي المعقول وقال قوم المراد الخزاين حقيقة وهي التي يحفظ فيها
الاشياء وان للريح مكانا وللمطر مكانا ولكل مكان ملك وحفظة فاذا اراد الله باخراج شي منه اخرجته
الحفظة وقيل المراد بالشي هنا المطر قاله ابن جريج وقرا الاعمش وما نرسله مكان وما ننزله
والارسال اعم وهي قراة تفسير معني لانها لفظ قران لمخالفتها سواد المصحف وعن ابن عباس والحكم
ابن عتيبة انه ليس عام اكثر مطرا من عام ولكن الله تعالي يتزله من مواضع دون مواضع ولواقح جمع لاقح
يقال ريح لاقح جايبات بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير بل بشر ريح عقيم اوملاقح
اي حاملات للمطر وفي صحيح البخاري لواقح ملاقح ملقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة تقم الارض
قما ثم المثيرة فتثير السحاب ثم المؤلفة فتولفه ثم يبعث اللقوح فتلقح الشجر ومن قرا بافراد الريح
فعلي تاويل الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض وسقي واسقي قد يكونان
بمعني واحد وقال ابو عبيد من سقي الشفه سقي فقط او الارض والثمار اسقي وللداعي لارض وغيرها ه
بالسقيا اسقي فقط وقال الازهري العرب تقول لكل ما كان من بطون الانعام ومن السماء او نهر
يجري اسقيته اي جعلته شربا له وجعلت له منه سقيا فاذا كان للشفه قالوا سقي ولم يقولوا اسقي
وقال ابو علي سقيته حتي روي واسقيته نهرا جعلته شربا له وجاء الضمير هنا متصلا بعد ضمير متصل
كما تقدم في قوله انلزمكموها وتقدم ان مذهب س فيه وجوب الاتصال وما انتم له بخازنين
اي بقادرين علي ايجاده تنبيها علي عظيم قدرته واظهارا لعجزهم اي لستم بقادرين عليه حين احتياجكم
اليه وقال سفين بخازنين اي بمانعين المطر نحيي نخرجه من العدم الصرف الي الحيوة ونميت نزيل
حياته ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق والمستقدمين قال ابن عباس والضحاك الاموات
والمستاخرين الاحياء وقال قتادة وعكرمة وغيرهما المستقدمين في الخلق والمستاخرين الذين لم يخلقوا
بعد وقال مجاهد المستقدمين من الامم والمستاخرين امة محمد صلي الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة ايضا
في الطاعة والخير والمستاخرين بالمعصية والشر وقال ابن جبير في صفوف الحرب والمستاخرين فيها وقيل من
قتل في الجهاد والمستاخرين من لم يقتل وقيل في صفوف الصلوة والمستاخرين بسبب النساء لينظروا اليهن
وقال قتادة ايضا السابقين الي الاسلام والمتقاعسين عنه والاولي حمل هذه الاقوال علي التمثيل لا علي
الحصر والمعني انه تعالي محيط علمه بمن تقدم وبمن تاخر وباحوالهم ثم اعلم تعالي انه يحشرهم وقرا
الاعمش يحشرهم بكسر الشين وقال ابن عباس ومروان بن الحكم وابو الجوزاء كانت تصلي وراء الرسول امراة
جميلة فبعض يتقدم لئلا تفتنه وبعض يتاخر ليسرق النظر في الصلوة فنزلت الاية فيهم وفصل هذه الاية
بهاتين الصفتين من الحكمة والعلم في غاية المناسبة ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون
والجان خلقناه من قبل من نار السموم • واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من صلصال من حما
مسنون • فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فسجد الملايكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين • قال لم اكن لاسجد
لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الي
يوم الدين • قال رب فانظرني الي يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم •
قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال هذا
صراط علي مستقيم • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • وان جهنم لموعدهم
اجمعين • لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • لما نبه تعالي علي منتهي الخلق وهو الحشر يوم
القيمة الي ما يستقرون فيه نبههم علي مبدا اصلهم ادم وما جري لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالي
وتقدم شي من هذه القصة في اوايل البقرة عقب ذكر الاماتة والاحياء والرجوع اليه تعالي وفي الاعراف
بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما اعد من

قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان

الجنة

الجنة والنار لخلقه فحيث ذكر منتهي هذا الخلق ذكر مبداهم وقصته مع عدوه ابليس ليحذرهم من كيده
ولينظروا ما جري له معه حتي اخرجه من الجنة مقر السعادة والراحة الي الارض مقر التكليف والبعث
فيتحرزوا من كيده ومن حما قال الحوفي بدل من صلصال باعادة الجار وقال ابو البقا من حما في موضع
جر صفة لصلصال وقال ابن عباس المسنون الطين ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب
فكني عن المصبوب بوصفه لانه موضوع له وقال مجاهد وقتادة ومعمر المنتن وقال الزمخشري من
سننت الحجر علي الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا وقال غيره من اسن الما
اذا تغير ولا يصح لاختلاف المادتين وقيل مصبوب من سننت التراب والما اذا اصببته شيا بعد شي
فكان المعني افرغ صورة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها قال الزمخشري
وحق مسنون بمعني مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتي اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الي جوهر اخر انتهي وقيل المسنون المصور من سنة الوجه
وهي صورته قال الشاعر تريك سنة وجه غير مقرفة ه وقيل المسنون المنسوب اي ينسب
اليه ذريته والجان هو ابو الجن قاله ابن عباس قال الزمخشري والجان للجن كادم للناس وقال
الحسن وقتادة هو ابليس خلق قبل ادم وقال ابن بحر هو اسم لجنس الجن والانسان المراد به ادم ومن قبل
اي من قبل خلق الانسان وقرا الحسن وعمرو بن عبيد والجان بالهمز والسموم قال ابن عباس
الريح الحارة التي تقتل وعنه نار لا دخان لها منها تكون الصواعق وقال الحسن نار دونها حجاب وعن
ابن عباس نفس النار وعنه لهب النار وقيل نار اللهب السموم وقيل اضاف الموصوف الي صفته اي
النار السموم وسويته اكملت خلقته والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل اجزايه مستوية فيما خلقت
ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحيوة فيه ولا نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيي به فيه واضاف الروح اليه تعالي علي سبيل التشريف نحو بيت الله وناقة الله او الملك اذ هو
المتصرف في الانشاء للروح والمودعها حيث يشا وقعوا له اي اسقطوا علي الارض وحرف الجر محذوف
من ان اي ما لك في ان لا تكون واي داع دعاك الي اباية السجود ولا اسجد اللام الجحود والمعني لا يناسب
حالي السجود له وفي البقرة نبه علي العلة المانعة له وهي الاستكبار اي راي نفسه اكبر من ان يسجد
وفي الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهي ادعاء الخيرية والافضلية بادعاء المادة المخلوق منها
كل منهما وهنا نبه علي مادة ادم وحده وهنا فاخرج منها وفي الاعراف فاهبط منها وتقدم ذكر
الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها وقد تقدمت مباحث وشرح في سورة البقرة والاعراف اعادها
المفسرون هنا ونحن نحيل علي ما تقدم الا ما له خصوصية بهذه السورة فنحن نذكره فنقول وضرب
يوم الدين غاية للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم واما ان يراد انك مذموم مدعو
عليك باللعنة في السموات والارض الي يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما
ينسي اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وهو وقت النفخة الاولي
حتي تموت الخلايق ووصف بالمعلوم اما لانفراد الله بعلمه كما قال قل انما علمها عند ربي ان الله عنده
علم الساعة واما لانه معلوم فنا العالم فيه فيكون قد عبر بيوم الدين ويوم يبعثون بما كان قريبا
من ذلك اليوم قال الزمخشري ومعني اغوايه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام
فافضي ذلك الي غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن
ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالي بري من غيه ومن ارادته والرضي به انتهي وهو علي
طريقة المعتزلة والضمير في لهم عايد علي غير مذكور بل علي ما يفهم من الكلام وهو ذرية ادم ولذلك قال
في الاية الاخري لين اخرتن الي يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا والتزيين تحسين المعاصي
لهم ووسوسته حتي يقعوا فيها في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالي اخلد الي
الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر علي الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السما
فانا علي التزيين لاولاده اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولارفعن رتبتي فيها
اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتي يستحبوها علي الاخرة ويطمينوا
اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي قاله الزمخشري والا عبادك استثنا القليل من الكثير
اذ المخلصون بالنسبة الي الغاوين قليل واستثناهم ابليس لانه علم ان تزيينه لا يؤثر فيهم وفيه
دليل علي جلالة هذا الوصف وانه افضل ما اتصف به الطايع وقرا الكوفيون ونافع والحسن

٤

والاعرج بفتح اللام ومعناه الامن اخلصته للطاعة انت فلا يوثر فيه تزييني **وقرا** باقي السبعة والجمهور بكسرها اي الا من اخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا راآي به والفاعل لقال الله اي قال الله والاشارة بهذا الي ما تضمنته المخلصين من المصدر اي الاخلاص الذي يكون في عبادي هو صراط مستقيم لا يسلكه احد فيضل او يزل لان من اصطفيته او اخلص لي العمل لا سبيل لك عليه وقيل لما قسم ابليس ذرية ادم الي غاو ومخلص قال تعالي هذا امر مصيره الي ووصفه بالاستقامة اي هو حق وصيرورة الي هذين القسمين لبيت لك والعرب تقول طريقك في هذا الامر علي فلان اي اليه يصير النظر في امرك وقال الزمخشري هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان علي عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته انتهي فجعل هذا اشارة الي انتفاء تزيينه واغوايه وكونه ليس له عليهم سلطان فكانه احدا لاشارة الي ما استثناه ابليس والي ما قرره تعالي بقوله ان عبادي وتضمن كلامه مذهب المعتزلة وقال صاحب اللوامح اي هذا صراط عهدة استقامته علي وفي حفظه اي حفظه علي وهو مستقيم غير معوج وقال الحسن معني علي الي وقيل علي كانه من مر عليه مر علي اي علي رضواني وكرامتي **وقرا** الضحاك وابراهيم وابو رجاء وابن سيرين ومجاهد وقتادة وقيس بن عباد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن ابي حفصة وابو شرف مولي كندة ويعقوب علي مستقيم اي عال لارتفاع شانه وهذه القراءة تؤكد ان الاشارة الي الاخلاص وهو اقرب اليه والاضافة في قوله ان عبادي اضافة تشريف اي ان المختصين بعبادتي وعلي هذا لا يكون قوله الا من اتبعك استثناء متصلا لان من اتبعه لم يندرج في قوله ان عبادي وان كان اريد بعبادي عموم الخلق فيكون الا من اتبعك استثناء ويكون فيه دلالة علي استثناء الاكثر وبقاء المستثني منه اقل وهي مسئلة اختلف فيها النحاة فاجاز ذلك الكوفيون وتبعهم من اصحابنا الاستاذ ابو الحسن بن خروف ودلايل ذلك مسطورة في كتب النحو والذي يظهر ان ابليس لما استثني العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله ان عبادي اي عبادي المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ومن في من الغاوين لبيان الجنس اي الذين هم الغاوون وقال الجبائي هذه الاية تدل علي بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وازالة عقولهم كما تقوله العامة وربما نسبوا ذلك الي السحرة قال وذلك خلاف ما نص الله تعالي عليه والموعد هم مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين وقال ابن عطية واجمعين تاكيد وفيه معني الحال انتهي وهذا جنوح لمذهب من يزعم ان اجمعين يدل علي اتحاد الوقت والصحيح ان مدلوله مدلول كلهم والظاهر ان جهنم هي واحدة ولها سبعة ابواب وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصاري والرابع للصابين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين **وقرا** ابن القعقاع جز بتشديد الزاي من غير همز ووجهه انه حذف الهمزة والقي حركتها علي الزاي ثم وقف بالتشديد نحو هذا فرخ ثم اجري الوصل مجري الوقف واختلف عن الزهري ففي كتاب ابن عطية **وقرا** ابن شهاب بضم الزاي ولعله تصحيف من الناسخ لاني وجدت في التحرير **وقرا** ابن وثاب بضمها مهموزا فيهما **وقراء** الزهري بتشديد الزاي دون همز وهي قراءة ابن القعقاع وان فرقة قرات بالتشديد منهم ابن القعقاع وفي كتاب الزمخشري وكتاب اللوامح انه قراء بالتشديد وفي اللوامح هو وابو جعفر السرر جمع سرير وكلب وبعض تميم تفتح الراء وكذا كل مضاعفة فعيل النصب التعب القنوط اتم الياس فقال قنط يقنط بفتحها وقنط بفتح النون يقنط بكسرها وبضمها الفضح والفضيحة مصدران لفضح يفضح اذا اتي من امر الانسان ما يلزمه به العار ويقال فضحك الصبح اذا تبين للناس **قال الشاعر**

• ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا • مثل القلامة قد قصت من الظفر •

التوسم تفعل من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها علي مطلوب غيرها يقال توسم فيه الخير اذا راي ميسم ذلك وقال عبد الله بن رواحة في رسول الله صلي الله عليه وسلم

• اني توسمت فيك الخير اعرفه • والله يعلم اني ثابت البصر • **وقال الشاعر**

• توسمته لما ان رايت مهابة • عليه وقلت المرء من ال هاشم •

واتسم الرجل جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلاء الوسمي وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من فرقك الي قدمك واصل التوسم التثبت والتفكر ماخوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة في جلد البعير وغيره الايكة الشجرة الملتفة واحده ايك **قال الشاعر**

• تجلو بقادمتي حمامة ايكة • بردا اسف لثاته بالاثمد •

المفردات

قوله عز وجل ان المتقين

الخفض يقابل الرفع وهو كناية عن الا لانة والرفق عضين جمع عضة واصلها الواو والهاء يقال عضيت الشي تعضية فاصله عضوة وقيل العضة في لغة قريش السحر يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة **قال الشاعر** اعوذ بربي من النافثات • في عقد العاضه المعضه • وفي الحديث لعن العاضهة والمستعضهة وفسر بالساحر والمستسحرة فاصله الهاء وقيل من العضه يقال عضهه عضها وعضيهة رماه بالبهتان قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون وذهب الفراء الي ان عضين من العضاة وهي شجرة تؤذي تخرج كالشوك ومن العرب من يلزم الياء ويجعل الاعراب في النون فيقول عضينك كما قالوا سنينك وهي كثيرة في تميم واسد الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فانصدع اي شققته فانشق وقال مورج اصدع افصل وقال ابن الاعرابي اوصد ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين • ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا علي سرر متقابلين • لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين • نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم • وان عذابي هو العذاب الاليم • لما ذكر تعالي ما اعد لاهل النار ذكر ما اعد لاهل الجنة ليظهر تباين ما بين الفريقين ولما كان حال المومنين معتني به اخبر انهم في جنات وعيون جعل ما يستقرون فيه في الاخرة كانهم مستقرون فيه في الدنيا ولذلك جاء ادخلوها علي قراءة الامر لان من استقر في الشي لا ينتقل له ادخل فيه وجاء حال الغاوين موعودا به في قوله لموعدهم لانهم لم يدخلوها والعيون جميعهن **وقراء** نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين وباقي السبعة بكسرها **وقراء** الحسن ادخلوها ماضيا مبنيا للمفعول من الادخال **وقرا** يعقوب في رواية رويس كذلك وبضم التنوين وعنه فتحه وما بعده امر علي تقدير ادخلوها اياهم من الادخال امر الملايكة بادخال المتقين الجنة وبسقط الهمزة في القراتين **وقراء** الجمهور ادخلوها امر من الدخول فعلي قراتي الامر ثم محذوف اي يقال لهم او يقال للملايكة وبسلام في موضع نصب علي الحال واحتمل ان يكون المعني مصحوبين بالسلامة وان يكون المعني مسلما عليكم اي محيون كما حكي عن الملايكة انهم يدخلون علي اهل الجنة يقولون سلام عليكم ونزعنا ما في صدورهم من غل تقدم شرحه في الاعراف قيل وانتصب اخوانا علي الحال وهي حال من الضمير والحال من المضاف اليه اذا لم يكن معمولا لما اضيف علي سبيل الرفع او النصب تندر ولذلك قال بعضهم انه اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه كهذا لان القصد وبعض ما اضيفت اليه وكالجزء كقوله واتبع ملة ابراهيم حنيفا جاءت الحال من المضاف وقد قررنا ان ذلك لا يجوز وما استدلوا به له تاويل غير ما ذكروا فتاويله هنا انه منصوب علي المدح والتقدير امدح اخوانا لما لم يمكن ان تكون نعتا للضمير قطع من اعرابه نصبا علي المدح وقد ذكر ابو البقاء انه حال من الضمير في الظرف في قوله في جنات وان يكون حالا من الفاعل في ادخلوها او من الضمير في امنين ومعني اخوانا ذوو تواصل ووداد علي سرر متقابلين حالان والقعود علي السرير دليل علي الرفعة والكرامة التامة كما قال يركبون ثبج هذا البحر ملوكا علي الاسرة او مثل الملوك علي الاسرة وعن ابن عباس علي سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر وقال قتادة متقابلين متساوين في التواصل والتوازر وعن مجاهد لا ينظر بعضهم الي قفا بعض تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين انتهي ولما كانت الدنيا محل تعب بما يقاسي فيها من طلب المعيشة ومعاناة التكاليف الضرورية لحيوة الدنيا وحيوة الاخرة ومعاشرة الاضداد وعروض الافات والاسقام ومحل انتقال منها الي دار اخري مخوف امرها عند المومن لا محل اقامة اخبر تعالي بانتفاء ذلك في الجنة بقوله لا يمسهم فيها نصب واذا انتفي المس انتفت الديمومة وكذا انتفاء الاخراج بقوله وما هم منها بمخرجين وقيل للثواب اربع شرايط ان تكون منافع واليه الاشارة بقوله في جنات وعيون مقرونة بالتعظيم واليه الاشارة بقوله ادخلوها بسلام امنين خالصة عن مضار الشوايب الروحانية كالحقد والحسد والغل والجسمانية كالاعيا والنصب واليه الاشارة بقوله ونزعنا الي لا يمسهم فيها نصب دايمة واليه الاشارة بقوله وما هم منها بمخرجين وعن علي بن الحسن ان قوله ونزعنا الاية نزلت في ابي بكر وعمر والغل غل الجاهلية وقيل كانت بين بني تيم وعدي وهاشم اضغان فلما اسلموا تحابوا ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة اكد تعالي تنبيه الناس وتقرير ذلك وعكسه في النشر بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين وتقديما لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصف بهما نفسه وجاء قوله

قوله عزوجل ونبئهم

وان عذابي في غاية اللطف اذ لم يتمل على وجه المقابلة وانى المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو
والرحمة وسدت ان مسد مفعولي نبئ ان قلنا انها تعدت الى ثلاثة ومسد واحد ان قلنا تعدت
الى اثنين وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي قوله نبئ الاية ترجيح جهة الخير
من جهة امره تعالى رسوله بهذا التبليغ فكانه اشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة
وكونه اضاف العباد اليه فهو تشريف لهم وتاكيد اسمان بقوله انا وادخال ال على هاتين الصفتين
وكونهما جاءتا بصيغة المبالغة والبداءة بالصفة السارة اولا وهي الغفران واتباعها بالصفة التي
نشا عنها الغفران وهي الرحمة وروي في الحديث لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام
ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه وفي الحديث عن ابن المبارك باسناده ان الرسول طلع من الباب
الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال الا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع
الينا القهقرى فقال جاء جبريل فقال يقول الله لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم • وان عذابي هو العذاب الاليم • ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا منكم وجلون • قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم • قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم
تبشرون • قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين • قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون •
ولما ذكر تعالى ما اعد للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذكر العرب باحوال من يعرفونه
ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الاخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا بما
حل بغيرهم فبدا بذكر جدهم الاعلى ابراهيم عليه السلام وما جرى لقوم ابن اخيه لوط ثم تبعه بذكر
اصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم باصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقرا ابو حيوة ونبيهم
بابدال الهمزة ياء وضيف ابراهيم هم الملايكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط واضيفوا الى
ابراهيم وان لم يكونوا اضيافا لانهم في صورة من كان ينزل به من الاضياف اذ كان لا ينزل به احد الا
ضافه وكان يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب من كل جهة باب لئلا يفوته احد والضيف
اصله المصدر والافصح ان لا يثنى ولا يجمع للمثنى والمجموع ولا حاجة الى تكلف اضمار كما قاله
النحاس وغيره من تقدير اصحاب ضيف وسلاما مقتطع من جملة محكية بقالوا فليس منصوبا به
والتقدير سلمت سلاما من السلامة او سلمنا سلاما من التحية وقيل سلاما نعت لمصدر محذوف
تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه هنا بانه وجل منهم كان بعد تقريبه اليهم ما اضافهم به
وهو العجل الحنيذ وامتناعهم من الاكل وفي هود انه اوجس في نفسه خيفة فيمكن ان هذا التصريح
كان بعد ايجاس الخيفة ويحتمل ان يكون القول مجازا بانه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرح
به القائل وقرا الجمهور لا توجل مبنيا للفاعل وقرا الحسن بضم التاء مبنيا
للمفعول من الايجال وقرئ لا تاجل بابدال الواو الفا كما قالوا تابة في توبة وقرئ
لا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك
بمثابة الامن المبشر فلا توجل والمبشر به هو اسحق وذلك بعد ان ولد له اسماعيل وشب بشروه
بامرين احدهما انه ذكر والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة فقيل النبوة كقوله تعالى
وبشرناه باسحق وقيل عليم بالدين وقرا الاعرج بشرتموني بغير همزة الاستفهام وعلى ان
مسني الكبر في موضع الحال وقرا ابن محيصن الكبر بضم الكاف وسكون الباء واستنكر ابراهيم
عليه السلام ان يولد له مع الكبر وفبم تبشرون تاكيد استبعاد وتعجب وكانه لم يعلم انهم ملايكة
رسل الله اليه فلذلك استفهم واستنكر ان يولد له ولو علم انهم رسل الله ما تعجب ولا استنكر
ولاسيما وقد راى من ايات الله عيانا كيف احيي الموتى قال الزمخشري كانه قال فباي اعجوبة تبشروني
او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة
بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا تكون صلة لبشر وتكون سوالا عن الوجه
والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة انتهى وكانه
قال اعلى وصفي بالكبر ام على اني ارد الى الشباب وقيل لما استطاب البشارة اعاد السوال
ويضعف هذا قولهم له بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين وقرا الحسن تبشروني
بنون مشددة وياء المتكلم ادغم نون الرفع في نون الوقاية وابن كثير بشدها مكسورة دون ياء
ونافع بكسرها مخففة وغلطه ابو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطرارا وخرجت على انه حذف

نون

قوله عزوجل قال فما خطبكم

نون الوقاية وكسر نون الرفع للياء ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها وقالوا هو مثل قوله ٭
يسوء الفاليات اذا فليني وقول الاخر لا اباك تخوفيني • وقرا باقي السبعة ٭
بفتح النون وهي علامة الرفع قال الحسن فبم تبشرون على وجه الاحتقار وقلة المبالاة بالمبشرات
لمضي العمر واستيلاء الكبر وقال مجاهد عجب من كبره وكبر امراته وتقدم ذكر سنه وقت البشارة
وبالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بالطريقة التي هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على
ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف بشيخ فان وعجوز عاقر وقرا ابن وثاب وطلحة والاعمش
ورويت عن ابي عمرو من القنطين من قنط يقنط وقرا النحويان والاعمش ومن يقنط وفي
الروم والزمر بكسر النون وباقي السبعة بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وهو استفهام في ضمنه
النفي ولذلك دخلت الا في قوله الا الضالون وقولهم له فلا تكن من القانطين نهي والنهي عن الشي
لا يدل على تلبس المنهي عنه به ولا مقاربته وقوله ومن يقنط رد عليهم وان المحاورة في البشارة لا تدل
على القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى ان هبة الولد على
الكبر من رحمة الله اذ يشد عضد والده به ويوازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه قال فما
خطبكم ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين • الا امراته
قدرنا انها لمن الغابرين • فلما جاء ال لوط المرسلون • قال انكم قوم منكرون • قالوا بل جيناك
بما كانوا فيه يمترون • واتيناك بالحق وانا لصادقون • فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت
منكم احد وامضوا حيث تؤمرون • وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين •
لما بشروه بالولد راجعوه في ذلك علم انهم ملايكة الله ورسله فاستفهم بقوله فما خطبكم والخطب
لا يكاد يقال الا في الامر الشديد فاضافه اليهم من حيث انهم هو حاملوه الى اولئك القوم المعذبين
ونكر قوما ووصفهم تقليلا لهم واستهانة بهم وهم قوم لوط اهل مدينة سدوم والمعنى ارسلنا
بالهلاك والا ال لوط يحتمل ان يكون استثناء من الضمير المستكن في مجرمين التقدير اجرموا كلهم
الا ال لوط فيكون استثناء متصلا والمعنى الا ال لوط فانهم لم يجرموا ويكون قوله انا لمنجوهم
اجمعين استيناف اخبار عن نجاتهم وذلك لكونهم لم يجرموا ويكون حكم الارسال منسحبا على قوم مجرمين
وعلى ال لوط لاهلاك هؤلاء وانجاء هؤلاء والظاهر انه استثناء منقطع لان ال لوط لم يندرج في
قوله قوم مجرمين لا على عموم البدل لان الموصوف بالاجرام منتف عن ال لوط وعلى عموم الشمول لتنكير
قوم مجرمين ولانتفاء وصف الاجرام عن ال لوط واذا كان استثناء منقطعا فهو مما يجب فيه النصب
لانه من الاستثناء الذي لا يمكن توجه العامل على المستثنى فيه لانهم لم يرسلوا اليهم اصلا وانما ارسلوا
الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوهم جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بال لوط لان المعنى
لكن ال لوط منجون وقد زعم بعض النحويين في الاستثناء المنقطع المقدر بلكن اذا لم يكن بعده ما يصح
ان يكون خبرا ان الخبر محذوف وانه في موضع رفع لجريانها لا وتقديرها بلاكن قال الزمخشري
فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت
استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما
يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا ال لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق
انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة دراهم الا درهما فاما
في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم
فاني يكون استثناء من استثناء انتهى ولما استسلف الزمخشري ان الا امراته مستثنى من الضمير
المجرور في لمنجوهم لم يجز ان يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح
كلامه باحد وجهين احدهما انه لما كان الضمير في لمنجوهم عائدا على ال لوط وقد استثني منه المراة صار
كانه مستثنى من ال لوط لان المضمر هو الظاهر في المعنى والوجه الاخر ان قوله الا ال لوط لما حكم
عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوهم اجمعين تاكيدا لمعنى الاستثناء
اذ المعنى الا ال لوط فلم يرسل اليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب
فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم والا زيدا لم يقم فهذه الجملة تاكيد لما تضمنه الاستثناء
من الحكم على ما بعد الا فيعد الحكم السابق على المستثنى منه فالا امراته على هذا التقرير الذي قررناه
استثناء من ال لوط لان الاستثناء مما جيء به للتاسيس اولى من الاستثناء مما جيء به للتاكيد وقرا

الاحوان لمجوهم بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد **وقرا** ابو بكر قدرنا بالتخفيف وباقي السبعة
بالتشديد وكسرت انها اجراء لفعل التقدير مجري العلم اما لكونه بمعناه واما لترتبه عليه واسندوا
التقدير اليهم ولم يقولوا قدر الله لانهم هم المامورون باهلاكهم كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو
منصرف باوامره امرنا بكذا والامر هو الملك وقال الزمخشري لما لهم من القرب والاختصاص بالله
الذي ليس لاحد غيرهم انتهي فادرج مذهب الاعتزال في تفضيل الملايكة في غضون كلامه ووصف
قوم منكرون لان نكرتهم نفسه ونفرت منهم وخاف ان يطرقوه بشر وبل اضراب عن قول محذوف
اي ماجيناك بشي تخافه بل جيناك بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه اي يشكون في وقوعه
او يجادلونك فيه تكذيبا لك بما وعدتهم عن الله ويحتمل ان يكون نكرهم لكونهم ليسوا بمعروفين في هذا
القطر فخاف الهجوم منهم عليه او ان يتعرض اليهم احد من قومه اذ كانوا في صورة شباب حسان
مرد واتيناك بالحق اي باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بحلوله بهم وتقدم الخلاف في
القراة في فاسر وروي صاحب الاقليد فسر من السير وحكاها ابن عطية وصاحب اللوامح عن اليماني
وحكي منذر بن سعيد ان فرقة قرات بقطع بفتح الطا وتقدم الكلام في القطع وفي الالتفات في سورة
هود وخطب الزمخشري هنا فقال **فان قلت** ما معني امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك علي قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن
بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه
وليكون مطلعا عليهم وعلي احوالهم فلم يفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات
في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه وليكون مسرع سير الهارب
الذي يقدم سربه ويفوت به وحيث تومرون قال ابن عباس الشام وقيل زغر وقيل موضع نجاة غير
معروف وقيل مصر وقيل الي ارض الخليل بمكان يقال له اليقين وحيث علي بابها من انها ظرف مكان
وادعاه انها قد تكون هنا ظرف زمان من حيث انه ليس في الاية امر الا قوله فاسر باهلك بقطع من
الليل ثم قيل له حيث تومر ضعيف ولفظ تومر يدل علي خلاف ذلك اذ كان يكون الترتيب من حيث امرتم
وحيث من الظروف المكانية المبهمة ولذلك يتعدي اليها الفعل وهو امضوا بنفسه تقول قعدت
حيث قعد زيد وجاء في الشعر دخول في عليها **قال الشاعر**

• فاصبح في حيث التقينا شريدهم • طليق ومكتوف اليدين ومزعف •

ولما ضمن قضينا معني اوحينا تعدت تعديتها بالي اي واوحينا الي لوط مقضيا مبتوتا والاشارة بذلك
اليها وعده تعالي من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع نصب علي البدل من
ذلك قاله الاخفش او علي اسقاط الباء اي بان دابر قاله الفرا وجوزهما الحوفي وان دابر هولاء مقطوع
كناية عن الاستيصال وتقدم تفسير مثله في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا ومصبحين داخلين في
الصباح وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع علي المعني ولذلك جمعه وقدره الفرا وابو عبيد
اذا كانوا مصبحين كما تقول انت راكبا احسن منك ماشيا فان كان تفسير معني فصحيح وان اراد الاعراب
فلا ضرورة تدعو الي هذا التقدير **وقرا** الاعمش وزيد بن علي ان دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا
معني اوحينا فكان المعني اعلمنا علق الفعل فكسر ان او لما كان القضا بمعني الايحا معناه القول كسر
ان ويويده قراة عبد الله وقلنا ان دابر وهي قراءة تفسير لا قران لمخالفتها السواد والمدينة سدوم
وهي التي ضرب بقاضيها المثل في الجور وجاء اهل المدينة يستبشرون • قال ان هولاء ضيفي فلا تفضحون •
واتقوا الله ولا تخزون • قالوا اولم ننهك عن العالمين • قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين • لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون • فاخذتهم الصيحة مشرقين • فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل •
ان في ذلك لايات للمتوسمين • وانها لبسبيل مقيم • ان في ذلك لاية للمومنين • استبشارهم فرحهم بالاضياف
الذين وردوا علي لوط عليه السلام والظاهر ان هذا المجي ومجاورة مع قومه في حق اضيافه وعرضه بناته
عليهم وعلمه بانهم رسل الله ولذلك سماهم ضيفا ان خاف الفضيحة لاجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل
القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا في هود والواو لا ترتب قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المجي والمجاورة
بعد علمه بهلاكهم وجاور تلك المجاورة علي جهة التكتم عنهم والاملا لهم والتربص بهم انتهي ونهاهم
عن فضحهم اياه لان من اسا الي ضيفه او جاره فقد اسا اليه ولا تخزون الخزي وهو الاذلال او من الخزاية
وهو الاستحيا في قولهم اولم ننهك دليل علي تقدم نهيهم اياه عن ان يضيف او يجير احدا او يدفع عنه

قوله عز وجل وجاء اهل المدينة

اويمنع

او يمنع بينهم وبينه فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان هو صلي الله علي نبينا وعليه يقوم بالنهي عن المنكر
والحجز بينه وبين من يعرض له فاوعدوه بانه ان لم ينته اخرجوه وتقدم الكلام في قوله بناتي ومعني الاضافة
في هود وان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم وهي اللام في لعمرك لام الابتداء والكاف خطاب
للوط عليه السلام والتقدير قالت الملايكة للوط لعمرك وكني عن الضلالة والغفلة بالسكرة اي تحيرهم
في غفلتهم وضلالتهم منعتهم عن ادراك الصواب الذي تشير به من ترك البنين الي البنات وقيل الخطاب
للرسول عليه السلام وهو قول الجمهور ابن عباس وابو الجوزاء وغيرهما اقسم بحياته تكريما له والعمر بفتح العين
وضمها البقاء والزموا الفتح القسم ويجوز حذف اللام وبذلك قرا ابن عباس وعمرك وقال ابو الهيثم
لعمرك لدينك الذي يعمر **وانشد** ايها المنكح الثريا سهيلا • عمرك الله كيف يلتقيان •
اي عبادتك الله وقال ابن الاعرابي عمرت ربي اي عبدته وفلان عامر لربه اي عابد قال ويقال تركت فلانا
يعمر ربه اي يعبده فعلي هذا لعمرك لعبادتك وقال الزجاج الزموا الفتح القسم لانه اخف عليهم وهم يكثرون
القسم بلعمري ولعمرك فلزموا الاخف وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف اي ما اقسم به وقال بعض اصحاب
المعاني لا يجوز ان يضاف الي الله لانه لا يقال لله تعالي عمر وانما يقال هو ازلي وكانه يوهم ان العمر
لا يقال الا لما له انقطاع وليس كذلك العمر والعمر البقاء **قال الشاعر** •

• اذا رضيت علي بنو قشير • لعمر الله اعجبني رضاها • **وقال الاعشي**

ولعمر من جعل الشهور علامة • فتبين منها نقصها وكمالها • وكره النخعي ان يقال لعمري لانه حلف بحياة المقسم
وقال النابغة لعمري وما عمري علي بهين • والضمير في سكرتهم عايد علي قوم لوط وقال
الطبري لقريش وهذا مروي عن ابن عباس قال ما خلق الله نفسا اكرم علي الله من محمد قال له وحياتك انهم
اي قومك من قريش لفي سكرتهم اي في ضلالهم وجهلهم يعمهون يترددون قال ابن عطية وهذا بعيد لانقطاعه
مما قبله وما بعده **وقرا** الاشهب سكرتهم بضم السين وابن ابي عبلة سكراتهم بالجمع والاعمش سكرهم
بغير تا وابو عمرو في رواية الجهضمي انهم بفتح همزة انهم والصيحة صيحة الهلاك وقيل صوت جبريل وقال
ابن عطية هي صيحة الوحشة وليست كصيحة ثمود مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس وقيل اول العذاب
كان عند الصبح وامتد الي شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والضمير في عاليها سافلها عايد علي
المدينة المتقدمة الذكر وقال الزمخشري لقري قوم لوط ولم يتقدم لفظ القري وقال مقاتل وابن زيد
للمتوسمين للمتفكرين وقال الضحاك للناظرين **قال الشاعر**

• او كلما وردت عكاظ قبيلة • بعثوا الي عريفهم يتوسم •

وقال ابو عبيدة للمتبصرين وقال قتادة للمعتبرين وروي نهشل عن ابن عباس للمتوسمين قال لاهل الصلاح
والخير والضمير في وانها عايد علي المدينة المهلكة اي انها لبطريق ظاهر بين للمعتبر قاله مجاهد وقتادة وابن
زيد وقيل ويحتمل ان يعود علي الايات ويحتمل ان يعود علي الحجارة وقوله لبسبيل اي ممر ثابت وهي بحيث يراها الناس
ويعتبرون بها لم تندرس وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقيل عايد علي الصيحة
اي وان الصيحة لبمرصد لمن يعمل عملهم لقوله وما هي من الظالمين ببعيد وقيل مقيم معلوم وقيل معد دايم السلوك
وقال ابن عباس هلاك دايم ان في ذلك اي في صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلا لمن امن بالله وان كان اصحاب
الايكة لظالمين • فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين • هم قوم شعيب والايكة التي اضيفوا اليها كانت شجر الدوم
وقيل السدر وقيل الايكة اسم الناحية فيكون علما ويقويه قراة من قرا في الشعرا وص ليكة ممنوع الصرف
كفروا فسلط الله عليهم الحر واهلكوا بعذاب الظلة وياتي ذلك مستوفي في سورة الشعرا وان عند البصريين
هي المخففة من الثقيلة وعند الفرا نافية واللام بمعني الا وتقدم نظير ذلك وان كانت لكبيرة في البقرة والظاهر
قول الجمهور من ان الضمير في وانهما عايد علي قريتي قوم لوط وقوم شعيب اي انهما علي ممر السابلة وقيل يعود علي
لوط وشعيب اي وانهما لبامام مبين اي بطريق من الحق واضح والامام الطريق وقيل وانهما اي الخبر بهلاك
قوم لوط واصحاب الايكة ومدين لانه مرسل اليهما فذلك ذكر احدهما علي الاخر فعاد الضمير اليهما ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين • واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين • وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين • فاخذتهم
الصيحة مصبحين • فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون • اصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام والحجر ارض بين الحجاز
والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما
كذبهم جميعا قال الزمخشري او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر

قوله عز وجل وان كان

قوله عز وجل ولقد كذب

قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان
تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى
خلفها وفي بعض طرقه ثم قال هولاء قوم صالح اهلكهم الله الا رجلا كان في حرم الله منعه الله حرم الله
من عذاب الله قيل من هو يا رسول الله قال ابو رغال واليه تنسب ثقيف وآتيناهم اياتنا قيل نزل
اليهم ايات من كتاب الله وقيل يراد نصب الادلة فاعرضوا عنها وقيل كان في الناقة ايات خمس خروجها
من الصخرة ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها حتى لم يشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعا
وقيل كانت لهم ايات غير الناقة **وقرا** الجمهور تنحتون بكسر الحاء **وقرا** الحسن وابو حيوة
بفتحها ووصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها
في الحجارة وامنين قيل من الانهدام وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول الاعمار
وقيل من نصب اللصوص ومن الاعداء وقيل من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه قال ابن عطية
واصح ما يظهر في ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الاخرة فكانوا لا يعملون بحسبها بل كانوا يعملون بحسب
الامن منها ومصبحين داخلين في الصباح والظاهر ان ما في قوله فما اغنى نافية ويحتمل الاستفهام المراد
منه التعجب وما في ما كانوا يحتمل ان تكون مصدرية والظاهر انها بمعنى الذي والضمير محذوف
اي يكسبونه من البيوت الوثيقة والاموال والعدد بل خروا جاثمين هلكى • وما خلقنا السموات

قوله عز وجل وما خلقنا

والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم • ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم • لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك
للمومنين • وقل اني انا النذير المبين • كما انزلنا على المقتسمين • الذين جعلوا القران عضين • فوربك لنسالنهم
اجمعين عما كانوا يعملون • فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين • انا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون
مع الله الها اخر فسوف يعلمون • ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون • فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين • الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا بل ليطيع
من اطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشاة الاخرة بهذه النشاة الاولى ولذلك نبه من يتنبه
بقوله وان الساعة لآتية فيجازي من اطاع ومن عصى ثم امر نبيه بالصفح وذلك يقتضي المهادنة وهي منسوخة
باية السيف قاله قتادة او ظاهرا اعنهم ولا تعاقبهم ولما ذكر خلق السموات والارض وما بينهما قال
ان ربك هو الخلاق اي بصيغة المبالغة لكثرة ما خلق او الخلاق من شاء لما شاء من سعادة او شقاوة **وقال**
الزمخشري الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم او ان ربك
هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح **وقرا**
زيد بن علي والجحدري والاعمش ومالك بن دينار هو الخالق وكذا في مصحف ابي وعثمان من المثاني والمثاني
جمع مثناة والمثنى كل شيء يثنى اي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء ثنيا اي عطفته وضممت اليه اخر ومنه
يقال لركبتي الدابة ومرفقيه مثاني لانه يثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه فتقول سبعا
من المثاني مفهوم سبعة اشياء من جنس الاشياء التي تثنى وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل
قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد وابن جبير السبع هنا هي السبع الطول البقرة وال عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وسميت
الطول مثاني لان الحدود والفرائض والامثال ثنيت فيها قاله ابن عباس وعلى قوله من لبيان الجنس وقيل
السابعة سورة يونس قاله ابن جبير وقيل براءة وحدها قاله ابو مالك والمثاني على قول هولاء وابن عباس
في قوله المتقدم القران كما قال تعالى كتابا متشابها مثاني وسمي بذلك لان القصص والاخبار تثنى فيه
ويردد وقيل السبع الحميم او سبع صحائف وهي الاسباع وقيل السبع هي المعاني التي نزلت في القران امر ونهي
وبشارة وانذار وضرب امثال وتعداد النعم واخبار الامم قاله زياد بن ابي مريم وقال عمر وعلي وابن مسعود
وابن عباس ايضا والحسن وابو العالية وابن ابي مليكة وعبيد بن عمير وجماعة السبع هنا هي ايات الحمد قال
ابن عباس هي سبع بسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره هي سبع دون البسملة وقال ابو العالية لقد نزلت
هذه السورة وما نزل من السبع الطول شيء ولا ينبغي ان يعدل عن هذا القول بل لا يجوز العدول عنه لما
في حديث ابي بن كعب هي السبع المثاني وحديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انها السبع المثاني
وام القران وفاتحة الكتاب وسميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها يثنى بها على الله تعالى
جوزه الزجاج قال ابن عطية وفي هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى ولا نظر في ذلك لانها جمع

مثني

مثني بضم الميم منقول من اثني رباعيا اي مقترن ثناء على الله تعالى اي فيها ثناء على الله تعالى **وقال** ابن
عباس لان الله استثناها لهذه الامة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن ابي مليكة وعلى هذا التفسير الوارد
في الحديث تكون من لبيان الجنس كانه قيل التي هي المثاني وكذا في قول من جعلها اسباع القران او سبع
المعاني واما من جعلها السبع الطول او ال حميم فمن للتبعيض وكذا في قول من جعل سبعا الفاتحة والمثاني
القران قال الزمخشري يجوز ان تكون كتب الله كلها مثاني لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة
ويكون القران بعضها **وقرا** الجمهور والقران العظيم بالنصب فان عني بالسبع الفاتحة او السبع
الطول لكان ذلك من عطف العام على الخاص وصار الخاص مذكورا مرتين احداهما بجهة الخصوص والثانية
بجهة العموم او لان ما دون الفاتحة او السبع الطول ينطلق عليه لفظ القران اذ هو اسم يقع على بعض الشيء
كما يقع على كله وان عني الاسباع فهو من باب عطف الشيء على نفسه من حيث ان المعنى ولقد اتيناك ما
يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم
وقرات فرقة والقران العظيم بالخفض عطفا على المثاني وابعد من ذهب الى ان الواو مقحمة والتقدير
سبعا من المثاني القران العظيم ولما ذكر تعالى ما انعم على رسوله من ايتائه ما اتاه نهاه وقد قلنا ان
النهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه الى شيء من متاع الدنيا وهذا وان كان خطابا للرسول
فالمعنى نهي امته عن ذلك لان من اوتي القران شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال
بزهرة الدنيا ومد العين للشيء انما هو لاستحسانه وايثاره قال ابن عباس اي لا يتمن ما فضلنا به احدا من
متاع الدنيا ازواجا منهم اي رجالا مع نسائهم او امثالا في النعم او اصنافا من اليهود والنصارى والمشركين
اقوال ونهاه تعالى عن الحزن عليهم ان لم يومنوا وكان كثير الشفقة على من بعث اليه وادا ان يومن بالله
كلهم فكان يلحقه الحزن عليهم فنهاه تعالى عن الحزن على من لم يومن وامره بخفض جناحه لمن امن وهي كناية
عن التلطف والرفق واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه والجناحان
من ابن ادم جانباه ثم امره ان يبلغ انه هو النذير الكاشف لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تومنوا
وانزال نقم الله المخوفة بكم والكاف **قال** الزمخشري فيه وجهان احدهما ان تتعلق بقوله ولقد اتيناك
اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا
بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل
وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي ويجوز
ان يراد بالقران ما يقروءنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت
ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب
نحو فعلهم والثاني يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب
على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز
لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
الذين يجزؤن القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر
وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط
الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علقت
قوله كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما **قلت** لما كان ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية عن الالتفات
الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان تقبل بجامعه على المومنين انتهى اما الوجه الاول وهو تعلق
كما باتيناك فذكره ابو البقاء على تقدير وهو ان يكون في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره اتيناك
سبعا من المثاني ايتاء كما انزلنا او انزالا كما انزلنا لان اتيناك بمعنى انزلنا عليك واما قوله ان المقتسمين
هم اهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس واما قوله اقتسموا القران فهو قول
ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير واما قوله اقتسموه فقال بعضهم سورة البقرة لي الى اخره فقاله
عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصي والحرث بن قيس

ذكروا القران فمن قايل البعوض لي ومن قايل النمل لي وقايل الذباب لي وقايل العنكبوت لي استهزاء
فاهلك الله جميعهم واما قوله ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبًا بالنذير اي انذر المعضين
فلا يجوز ان يكون منصوبًا بالنذير كما ذكر لانه موصوف بالمبين ولا يجوز ان يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول
على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليم شجاع علم النحو فيفصل بين عليم وعليم بقوله شجاع واجاز ذلك
الكوفيون وهي مسئلة خلافية تذكر دلايلها في علم النحو واما قوله الذين يجزون القران الى سحر وشعر
واساطير فمروي عن قتادة الا انه قال بدل شعر كهانة واما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو قول
ابن السايب وفيه ابن الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غاو
وهم حنظلة بن ابي سفين وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وابو جهل والعاصي بن هشام
وابو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكهة وزهير بن امية وهلال بن عبد الاسود والسايب بن صيفي والنضر
ابن الحرث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الحجاج وامية بن خلف واوس بن المغيرة تقاسموا على تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهلكوا جميعًا واما قوله انهم هم الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
فقول عبد الله بن زيد وقال ابن عطية والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل اني
انا النذير عذابا كالذي انزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي
غير صحيح لان كما ليس مما يقوله محمد عليه السلام بل هو من قول الله تعالى فينفصل الكلام وانما يترتب
هذا القول بان تقدر ان الله تعالى قال له انذر عذابا كما والذي اقول في هذا المعنى وقل انا النذير
المبين كما قال قبلك رسلنا وانزلنا عليهم كما انزلنا عليك ويحتمل ان يكون المعنى وقل اني انا النذير المبين
كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرًا وهذا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى اما قوله وهو عندي
غير صحيح الى اخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره
انا النذير بعذاب مثل ما انزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الملك
هو الامر واما قوله والذي اقول في هذا المعنى الى اخره فكلام مثبج ولعله من الناسخ ولعله ان يكون
وانزلنا عليك كما انزلنا عليهم وقال ابو البقاء وقيل التقدير متعناهم تمتيعا كما انزلنا والمعنى نعمنا
بعضهم كما عذبنا بعضهم وقيل التقدير انذارا مثل ما انزلنا فيكون وصفا لمصدر وقيل هو وصف لمفعول
تقديره لننزلن عليهم عذابا مثل ما انزلنا انتهى وقيل الكاف زايدة التقدير انا النذير المبين ما انزلناه على
المقتسمين وهذه اقوال وتوجيهات متكلفة والذي يظهر لي انه تعالى لما امره بان لا يحزن على من لم يومن
وامره بخفض جناحه للمومنين امره ان يعلم المومنين وغيرهم انه هو النذير المبين لئلا يظن المومنون
انهم لما امر عليه السلام بخفض جناحه لهم خرجوا من عهدة النذارة فامره تعالى بان يقول لهم اني انا النذير
المبين لكم ولغيركم كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها وتكون الكاف نعتا لمصدر محذوف تقديره
وقل قولا مثل ما انزلنا على المقتسمين انك نذير لهم فالقول للمومنين في النذارة كالقول للكفار المقتسمين
لئلا يظن انذارك للكفار مخالف لانذار المومنين بل انت في وصف النذارة لهم بمنزلة واحدة تنذر المومن
كما تنذر الكافر كما قال تعالى انك بشيرا ونذيرا لقوم يومنون والظاهر ان الذين صفة للمقتسمين وجوزوا
ان يكون خبر مبتداء محذوف ويجوز ان ينتصب على الذم وتقدم تجويز الزمخشري له ان يكون مفعولا بالنذير
فوربك اقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافا الى رسوله على جهة التشريف والضمير في لنسالنهم يظهر
عوده على المقتسمين وهو وعيد من سوال التقريع ويقال انه يعود على الجميع من كافر ومومن اذ قد
تقدم ذكرهما والسوال عام للخلق ويجوز ان يكون المسول كناية عن الجزاء وعن ما كانوا يعملون عام في
جميع الاعمال وقال ابو العالية يسال العباد عن خلتين عن ما كانوا يعبدون وما اجابوا المرسلين
وقال ابن عباس يقال لهم لم عملتم كذا قال انس وابن عمر ومجاهد السوال عن لا اله الا الله وذكر الزهراوي
عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فتكون المعنى عن الوفاء بلا اله الا الله والصدق لمقالها
كما قال الحسن ليس الايمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال وقال
ابن عباس فاصدع بما تومر امض به وقال الكلبي اجهر به واظهره من الصديع وهو الفجر قال الشاعر
كان بياض غرته صديع وقال السدي تكلم بما تومر وقال ابن زيد اعلم بالتبليغ وقال ابن جريج اجهر
القول في الدعاء الى الايمان وقال ابو عبيدة عن روبة ما في القران اغلب من قوله فاصدع بما تومر
وما في بما بمعنى الذي والمفعول الثاني محذوف تقديره بما تومره وكان اصله تومر به من الشرايع
فحذف الحرف فتعدى الفعل اليه وقال الاخفش ما موصوله والتقدير فاصدع بما تومر بصدعه فحذف

المضاف ثم الجار ثم الضمير وقال الزمخشري ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول
انتهى وهذا ينبني على مذهب من يجوز ان يكون المصدر يراد به ان والفعل المبني للمفعول والصحيح ان
ذلك لا يجوز واعرض عن المشركين من ايات المهادنات التي نسختها اية السيف قاله ابن عباس ثم اخبره تعالى
انه كفاه المستهزئين بمصايب اصابتهم لم يسع فيها الرسول ولا تكلف لها مشقة قال عروة وابن جبير
هم خمسة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وايل والاسود بن المطلب ابو زمعة والاسود بن عبد يغوث ومن بني
خزاعة الحرث بن الطلاطلة قال ابو بكر الهذلي قلت للزهري ان ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين
فقال ابن جبير هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس فقال الزهري صدقا انه عيطلة وابوه
قيس وذكر الشعبي في المستهزئين هبار بن الاسود وذلك وهم لان هبارا اسلم يوم الفتح ورحل الى المدينة
وعن ابن عباس ان المستهزئين كانوا ثمانية وفي رواية مكان الحرث بن قيس عدي بن قيس وقال الشعبي
وابن ابي بزة كانوا سبعة فذكر الوليد والحرث بن عدي والاسودين والاثرم وبعككا ابني الحرث بن السباق
وكذا قال مقاتل الا انه قال مكان الحرث بن عدي الحرث بن قيس السهمي وذكر المفسرون والمورخون
ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر
بنبال فتعلق بثوبه سهم فمنعه الكبر ان يطامن لنزعه فاصاب عرقا في عقبه قال قتادة وابن مقسم وهو
الاكحل فقطعه فمات واوما الى اخمص العاصي فدخلت فيه شوكة وقيل ضربته حية فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واوما الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واهلك واشار الى انف الحرث بن
قيس فامتخط قيحًا فمات وقيل اصابته سموم فاسود حتى صار كانه حبشي فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب
في وجهه فصار يطوف في شعاب مكة حتى مات وفي بعض ما اصاب هولاء اختلاف والله اعلم وقال مقاتل
اصاب الاثرم وبعككا الزبيلة والاخرى ذات الجنب فماتا فسوف يعلمون وعيد لهم بالمجازاة على استهزايهم وجعلهم
الها مع الله في الاخرة كما جوزوا في الدنيا وكنى بالصدر عن القلب لانه محله وجعل سبب الضيق ما يقولون
وهو ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به ثم امره تعالى بتنزيهه عن ما نسبوا اليه من اتخاذ الشريك
معه مصحوبا بحمده والثناء على ما اسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا في المعتقد
والفعل القلبي وامره بكونه من الساجدين والمراد والله اعلم من المصلين فكني بالسجود عن الصلوة وهي اشرف
افعال الجسد واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادا وهو فعل القلب
وقولا وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة امر تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله ومن
السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم امره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع انواع ما يتقرب
بها اليه تعالى وهذه الاوامر معناها دم على كذا لانه صلى الله عليه ما زال متلبسا بها اي دم على التسبيح
والسجود والعبادة والجمهور على ان المراد باليقين الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وهو تفسير ابن عمر
ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد ومنه قوله عليه السلام في عثمن بن مظعون عند موته اما هو فقد راى
اليقين وليس اليقين من اسماء الموت وانما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل فسمي يقينا تجوزا اي ياتيك الامر
اليقين علمه ووقوعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى حتى ياتيك اليقين في النصر الذي وعدته انتهى
وقاله ابن بحر قال اليقين النصر على الكافرين انتهى وحكمة التغيية باليقين وهو الموت انه يقتضي ديمومة العبادة
ما دام حيا بخلاف الاقتصار على الامر بالعبادة غير مغيي لانه يكون مطلقا فيكون مطيعا بالمرة الواحدة
والمقصود ان لا يفارق العبادة حتى يموت

مفردات اوايل سورة النحل

النطفة القطرة من الماء نطف راسه ماء اي قطر الدف اسم لما يدفا به اي يسخن وتقول العرب دفي يومنا ويومنا دفي اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد ودفي الرجل
دفاء ودفا وجمع الدف ادفاء ورجل دفان وامراة دفاي والمدفية الابل الكثيرة الاوبار لادفاء بعضها
بعضا بانفاسها وقد يشدد وعن الاصمعي المدفية الكثيرة الاوبار والشحوم وقال الجوهري الدف نتاج الابل
والبانها وما ينتفع به منها البغل معروف ولعمرو بن بحر الجاحظ كتاب البغال الحمار معروف يجمع في القلة
على احمرة وفي الكثرة على حمر وهو القياس وعلى حمير الطري فعيل من طرو يطرو طراوة مثل سرو يسرو سراوة وقال
الفرا طري يطرا طراء وطراوة مثل شقي يشقى شقاء صوت جري الفلك بالرياح وقيل الصوت الذي يكون من
هبوب الريح اذا اشتدت وقد يكون من السفينة ونحوها ما دار وتحرك ودار السقف معروف ويجمع على سقوف
وهو القياس وعلى سقف وسقف وفعل وفعل محفوظان في فعل ولسا منقيسين فيه

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون

٥ • ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون • خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع ومنها تاكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون • وعلى الله
قصد السبيل • ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين • قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر هي كلها مكية وقال
ابن عباس الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله
باحسن ما كانوا يعملون وقيل الا ثلث ايات وان عاقبتم الاية نزلت في المدينة في شان التمثيل بحمزة وقتلى احد
وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا وقيل من اولها الى قوله يشركون مكي
وما سواه مدني وعن قتادة عكس هذا ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما قال فوربك لنسالنهم اجمعين
كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيمة وسؤالهم عما اجرموه في دار الدنيا فقيل اتى امر الله وهو يوم القيمة
على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالامر نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار وقال
الزمخشري كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد انتهى وهذا الثاني قاله ابن جريج قال الامر هنا ما وعد الله نبيه من النصر وظفره باعدائه وانتقامه
منهم بالقتل والسبي ونهب الاموال والاستيلاء على منازلهم وديارهم وقال الضحاك الامر هنا مصدر امر والمراد
به هنا فرايضه واحكامه قيل وهذا فيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل فرايض من قبل ان تفرض
عليهم وقال الحسن وابن جريج ايضا الامر عقاب الله لمن اقام على الشرك وتكذيب الرسول واستعجال العذاب
منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم وقريب من هذا القول قول الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة
على كفرهم وقيل الامر بعض اشراط الساعة واتى قيل باق على معناه من المضي والمعنى اتى امر الله وعدا فلا
تستعجلوه وقوعا وقيل اتى امر الله اتت مباديه وامارته وقيل عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه
وتحققه وفي ذلك وعيد للكفار وقرا الجمهور تستعجلوه بالتاء على الخطاب وهو خطاب للمومنين او خطاب
للكفار على معنى قل لهم فلا تستعجلوه وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها وقرا ابن جبير بالياء
نهيا للكفار والظاهر عود الضمير في فلا تستعجلوه على الامر لانه هو المحدث عنه وقيل يعود على الله اي فلا
تستعجلوا الله بالعذاب او باتيان يوم القيامة كقوله ويستعجلونك بالعذاب وقرا حمزة والكسائي
تشركون بتاء الخطاب وباقي السبعة والاعرج وابو جعفر وابو وضاح [?] وابو رجاء والحسن وقرا عيسى
الاولى بالتاء من فوق والثانية بالياء وبالتاء من فوق معا الاعمش وابو العالية وطلحة وابو عبد الرحمن
وابن وثاب والجحدري وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي ومصدرية وافضل قراءة عن ما يشركون باستعجالهم
لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل مخففا وباقي
السبعة مشددا وزيد بن علي والاعمش وابو بكر تنزل مشددا مبنيا للمفعول الملائكة بالرفع والجحدري كذلك
الا انه خفف والحسن وابو العالية والاعرج والمفضل عن عاصم ويعقوب بفتح التاء مشددا مبنيا للفاعل
وقرا ابن ابي عبلة ما ننزل بنون العظمة والتشديد وقتادة بالنون والتخفيف قال ابن عطية وفيهما
شذوذ كثير انتهى وشذوذهما ان ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه انه التفات والملائكة هنا جبريل
وحده قاله الجمهور او الملائكة المشار اليهم بقوله والنازعات غرقا وقال ابن عباس الروح الوحي ينزل
به الملائكة على الانبياء ونظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وقال الربيع بن انس هو القران
ومنه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال مجاهد المراد بالروح ارواح الخلق لا ينزل ملك الا ومعه
روح وقال الحسن وقتادة الروح الرحمة وقال الزجاج ما معناه الروح الهداية لانها تحيي بها القلوب
كما تحيي الابدان بالارواح وقيل الروح جبريل ويدل عليه نزل به الروح الامين وتكون الباء للحال
اي ملتبسة بالروح وقيل بمعنى مع وقيل الروح حفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما الملائكة
حفظة علينا لا نراهم وقال مجاهد ايضا الروح اسم ملك ومنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا وعن
ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله كصور ابن ادم لا ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وقال
نحوه ابن جريج قال ابن عطية وهذا قول ضعيف لم يات به سند وقال الزمخشري بالروح من امره بما
يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد انتهى ومن للتبعيض
او لبيان الجنس ومن يشاء هم الانبياء عليهم السلام وان مصدرية وهي التي من شانها ان تنصب المضارع
وصلت بالامر كما وصلت في قولهم كتبت اليه بان قم وهو بدل من الروح او على اسقاط الخافض بان
انذروا فتجري الخلاف فيه اهو في موضع نصب او في موضع خفض وقال الزمخشري وان انذروا بدلا

من الروح اي ننزلهم بان انذروا وتقديره انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا انه لا اله الا انا انتهى فجعلها
المخففة من الثقيلة واضمر اسمها وهو ضمير الشان وقدر اضمار القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهي اقول
ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة كونها الثنائية التي من شانها نصب المضارع وجوز ابن عطية وابو البقاء
وصاحب الغنيان [?] ان تكون المفسرة فلا موضع لها من الاعراب وذلك لما في التنزيل بالوحي من معنى القول اي
اعلموا الناس من نذرت بكذا اذا اعلمته قال الزمخشري والمعنى تقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون
انتهى ولما جعل ان هي المخففة التي حذف منها ضمير الشان قدر هذا التقدير وهو تقول لهم اعلموا وقرى
لينذروا انه وحسنت النذارة هنا وان لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان المنذرون كافرين بالوهيته
ففي ضمن امرهم مكان خوف وفي ضمن الاخبار بالوحدانية نهي عما كانوا عليه ووعيد وتحذير من عبادة الاوثان
ومعنى فاتقون اي اتقوا عقابي باتخاذكم الها غيري وجاءت الحكاية على المعنى في قوله الا انا ولو جاءت على اللفظ
لكان لا اله الا الله وكلاهما سائغ وحكاية المعنى هنا ابلغ اذ فيها نسبة الحكم الى ضمير المتكلم المنزل الملائكة
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهم مقرون بانه
تعالى هو منشئهما [?] وبالحق اي بالواجب اللائق وذلك انها تدل على صفات يحق لمن كانت له ان يخلق ويخترع
وهي الحياة والعلم والقدرة بخلاف شركائهم التي لا يحق لها شيء من ذلك وقرا الاعمش فتعالى بزيادة
فاء وجاءت هذه الجملة منبهة على تنزيه الله موجد هذا العالم العلوي والعالم السفلي عن ان يتخذ معه
شريك في العبادة ولما ذكر ما دل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والارض وهو استدلال بالخارج ذكر
الاستدلال من نفس الانسان فذكر انشاءه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وكان حقه والواجب عليه ان يطيع
وينقاد لامر الله والخصيم من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم او بمعنى مخاصم كالخليط والجليس والمبين
الظاهر الخصومة او المظهرها والظاهر ان سياق هذين الوصفين سياق ذم لما تقدم من قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون وقوله ان انذروا الاية ولتكرير تعالى عما يشركون ولقوله في يس اولم ير الانسان الاية وقال بل هم
قوم خصمون وعني بهم مخاصمتهم لانبياء الله واوليائه بالحجج الداحضة واكثر ما ذكر الانسان في القران في معرض
الذم او مردفا بالذم وقيل المراد بالانسان هنا ابي بن خلف الجمحي وقال قوم سياق الوصفين سياق المدح لانه
تعالى قواه على منازعة الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجمادية وهي كونه نطفة
الى الحالة العالية الشريفة وهي حالة النطق والابانة واذا هنا للمفاجاة وبعد خلقه من النطفة لم تقع
المفاجاة بالمخاطبة الا بعد احوال انطوت فيها فتلك الاحوال محذوفة وتقع المفاجاة بعدها وقال
ابو عبد الله الرازي اعلم ان اشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان وانه مركب من بدن ونفس
في كلام كثير يوقف عليه في تفسيره ولا نسلم ما ذكره من ان الافلاك والكواكب اشرف من الانسان ولما ذكر
خلق الانسان ذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته فذكر اولا اكثرها منافع والزمها لما انزل القران بلغتهم
وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام في الانعام والاظهر ان يكون لكم فيها دفء استيناف لذكر ما ينتفع
به من جهتها ودفء مبتدا وخبره لكم ويتعلق فيها بما في لكم من معنى الاستقرار وجوز ابو البقاء ان يكون
فيها حالا من دفء اذ لو تاخر لكان صفة وجوز ايضا ان يكون لكم حالا من دفء وفيها الخبر وهذا لا يجوز لان
الحال اذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة باسرها لا يجوز قائما في الدار زيد فان تاخرت
الحال عن الجملة جازت بلا خلاف او توسطت فاجاز ذلك الاخفش ومنعه الجمهور واجاز ايضا ان يرتفع دفء
بلكم او بفيها والجملة كلها حال من الضمير المنصوب انتهى ولا تسمى جملة لان التقدير خلقها لكم فيها دفء
او خلقها لكم كائنا فيها دفء وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة وجوزوا ان يكون لكم متعلقا بخلقها
وفيها دفء استيناف لذكر منافع الانعام ويؤيد كون لكم فيها دفء يظهر فيه الاستيناف مقابلته بقوله
ولكم فيها جمال فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية وقال ابن عباس الدفء نسل كل شيء
وذكره الاموي عن لغة بعض العرب والظاهر ان نصب والانعام على الاشتغال وحسن النصب كون جملة
فعلية تقدمت ويؤيد ذلك قراءته في الشاذ برفع الانعام وقال الزمخشري وابن عطية يجوز ان يكون قد
عطف على البيان وعلى هذا يكون لكم استيناف او متعلق بخلقها وقرا الزهري وابو جعفر
دف بضم الفاء وشدها ووجهه انه نقل الحركة من الهمزة الى الفاء بعد حذفها ثم شدد الفاء اجرا للوصل
مجرى الوقف اذ يجوز تشديدها في الوقف وقرا زيد بن علي دف بنقل الحركة وحذف الهمزة دون
تشديد الفاء وقال صاحب اللوامح الزهري دف بضم الفاء من غير همز والباء محركة بحركة الهمزة
المحذوفة ومنهم من يعوض من هذه الهمزة فيشدد الفاء وهو احد وجهي حمزة بن حبيب وقفا وقال مجاهد

ومنافع الركوب والحمل والالبان والسمن والنضح عليها وغير ذلك وافرد منفعة الاكل بالذكر كما افرد منفعة الدف
لانهما من اعظم المنافع وقال الزمخشري **فان قلت** تقدم الظرف في قوله ومنها تاكلون موذن بالاختصاص
وقد يوكل من غيرها **قلت** الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من
الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه وما قاله مبناه على ان تقديم الظرف
او المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في قوله اياك نعبد والظاهر ان من للتبعيض كقولك
اذا اكلت من الرغيف وقال الزمخشري ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي
تاكلونها منها وتكتسبون باكرا الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها انتهى فعلى هذا يكون التبعيض
مجازا او تكون من للتسبب الجمال مصدر جمل بضم والرجل جميل والمراة جميلة وجملاء عن الكسائي وانشد
فهي جملاء كبدر طالع ، بزت الخلق جميعا بالجمال ، ويطلق الجمال ويراد به التجمل كانه مصدر على اسقاط الزوائد
والجمال يكون في الصورة بحسن التركيب يدركه البصر ويلقيه في القلب فتتعلق به النفس من غير معرفة وفي
الاخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة كالعلم والعفة والحلم وفي الافعال بوجودها ملايمة لمصالح
الخلق وجلب المنفعة اليهم وصرف الشر عنهم والجمال الذي لنا في الانعام هو خارج عن هذه الانواع الثلاثة
والمعنى انه لنا فيها تجمل وعظمة عند الناس باقتنايها ودلالتها على سعادة الانسان في الدنيا وكونه فيها
من اهل السعة فمن تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع الضروري لان التجمل بها من اغراض اصحاب المواشي
ومفاخر اهلها والعرب تفتخر بذلك الا ترى الى **قول الشاعر**

، لعمري لقوم قد ترى امس فيهم ، مرابط للامهار والعكر الدثر ،

، احب الينا من اناس بقنة ، يروح على اثار شايهم النمر ،

والعكرة من الابل ما بين الستين الى السبعين والجمع عكر والدثر الكثير ويقال اراح الماشية ردها بالعشي من
المرعي وسرحها يسرحها سرحا وسروحا اخرجها غدوة الى المرعى وسرحت هي تكون متعديا ولازما واكثر ما
يكون ذلك ايام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلاء وخرجوا للنجعة وقدم الاراحة على السرح لان الجمال فيها
اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير بخلاف وقت سرحها وان كانت في
الوقتين تزين الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء فتانس اهلها وتفرح اربابها وتجلبهم اعين الناظرين
اليها وتكسبهم الجاه والحرمة لقوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات
ثم قال تعالى والانعام والحرث **وقراء** عكرمة والضحاك والجحدري حينا فيهما بالتنوين وفك الاضافة
وجعلوا الجملتين صفتين حذف منهما العايد كقوله واتقوا يوما لا تجزي ويكون العامل في حينا على هذا اما المبتدا
لانه في معنى التجمل واما خبره بما فيه من معنى الاستقرار والاثقال الامتعة واحدها ثقل وقيل الاجسام
لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي اجساد بني ادم وقوله الى بلد لا يراد به معين اي الى بلد بعيد
توجهتم اليه لاغراضكم وقيل المراد به معين وهو مكة قاله ابن عباس وعكرمة والربيع بن انس وقيل مدينة
الرسول وقيل مصر وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على المراد اذ المنة لا تختص بالحمل اليها ولم تكونوا
بالغيه صفة للبلد ويحتمل ان يكون التقدير بها وذلك تنبيه على بعد البلد وانه مع الاستعانة بها تحمل
الاثقال لا يصلون اليه الا بالمشقة او يكون التقدير لم تكونوا بالغيه بانفسكم دونها الا بالمشقة عن ان
تحملوا على ظهوركم اثقالكم **وقراء** الجمهور بشق بكسر الشين **وقراء** مجاهد والاعرج وابو جعفر
وعمرو بن ميمون وابن ارقم بفتحها ورويت عن نافع وابي عمرو وهما مصدران معناهما المشقة وقيل الشق
بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويعني به المشقة **وقال الشاعر في الكسر**

، وذي ابل يسعى ويحسبها له ، اخي نصب من شقها ودووب ،

اي من مشقتها وشق الشي نصفه وعلى هذا حمله الفراء هنا اي يذهاب نصف الانفس كانها قد ذابت تعبا
ونصبا كما تقول لا تقدر على كذا الا بذهاب جل نفسك وبقطعة من كبدك ونحو هذا من المجاز ويقال اخذت
نصف الشاة شق اي نصفها والشق الجانب والاخ الشقيق وشق اسم كاهن ونا سب الامتنان بهذه النعمة
من حملها الاثقال الختم بصفة الرافة والرحمة لان من رافته تيسير هذه المصالح وتسخير الانعام لكم
ولما ذكر تعالى منته بالانعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التي ليست بضرورية
وقراء الجمهور والخيل وما عطف عليه بالنصب عطفا على والانعام **وقرا** ابن ابي عبلة
بالرفع ولما كان الركوب اعظم منافعها اقتصر عليه ولا يدل ذلك على انه لا يجوز اكل الخيل خلافا لمن استدل
بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل الى الركوب بوساطة الحرف وكلاهما مفعول من اجله

لان التقدير خلقها والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل فعدي باللام والزينة
من وصف الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل اليه بنفسه وقال ابن عطية وزينة نصب باضمار فعل تقديره
وجعلناها زينة وروي قتادة عن ابن عباس لتركبوها زينة بغير واو قال صاحب اللوامح والزينة مصدر اقيم
مقام الاسم وانتصابه على الحال من الضمير في خلقها او من لتركبوها وقال الزمخشري اي وخلقها زينة لتركبوها
اي يجعل زينة حالا منها وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال وقال ابن عطية والنصب حينئذ على الحال من
الهاء في تركبوها والظاهر نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى فقال الجمهور المعنى ما لا تعلمون من الادميين
والحيوانات والجمادات التي خلقها كلها لمنافعكم فاخبرنا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به لتزداد دلالة على
قدرته بالاخبار وان طوي عنا علمه لحكمة له في طيه وما خلق تعالى من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمه بشر وقال
قتادة ما لا تعلمون اصل حدوثه كالسوس في النبات والدود في الفواكه وقال ابن بحر لا تعلمون كيف يخلقه
وقال مقاتل هو ما اعد الله لاوليايه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الطبري
وزاد بعد في الجنة وفي النار لاهلها والباقي بالمعنى ورويت تفاسير فيما لا تعلمون في الحديث وعن ابن عباس
ووهب بن منبه والشعبي الله اعلم بصحتها ويقال لما ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاعا ضروريا وغير ضروري
اعقب بذكر الحيوان الذي لا ينتفع به غالبا على سبيل الاجمال اذ تفاصيله خارج عن الاحصاء والعد
والقصد مصدر ويوصف به يقال سبيل قصد وقاصد اذا كان مستقيما كانه يقصد الوجه الذي يومه
السالك لا يعدل عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ فقيل مفرد المدلول والالف واللام للعهد وهي سبيل الشرع
وليست للجنس اذ لو كانت له لم يكن منها جاير والمعنى وعلى الله تبيين طريق الهدى وذلك بنصب الادلة
وبعثة الرسل وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك الطريق القاصد فعلى الله ورحمته ونعيمه
طريقه والى ذلك مصيره وعلى ان ال للعهد يكون الضمير في قوله ومنها جاير عايدا على السبيل التي يتضمنها
معنى الاية كانه قيل ومن السبيل جاير فاعاد عليها وان لم يجر لها ذكر لان مقابلها يدل عليها قال
ابن عطية ويحتمل ان يعود منها على سبيل الشرع وتكون من للتبعيض والمراد فرق الضلالة من امة محمد عليه
السلام كانه قال ومن بنيات الطريق في هذه السبيل ومن شعبها وقيل ال في السبيل للجنس وانقسمت
الى مصدر وهو طريق الحق والى جاير وهو طريق الباطل والجاير العادل عن الاستقامة والهداية كما قال
يجوز بها الملاح طورا ويهتدي ، وكما **قال الاخر** ومن الطريقة جاير وهدي قصد السبيل ومنه
ذو دخل ، فسم الطريق الى جاير والى هدي والى ذي دخل وهو الفساد وقال الزمخشري ومعنى قوله
وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه لقوله ان علينا للهدى **فان قلت**
لم غير اسلوب الكلام **قلت** ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان كما
تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه الجاير **وقراء** عبد الله ومنكم جاير
يعني ومنكم جاير عن القصد بسوء اختياره والله بري منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء انتهى وهو تفسير
على طريقة الاعتزال وقيل الضمير في ومنها يعود على الخلايق اي ومن الخلايق جاير عن الحق ويؤيده قراءة
عيسى ومنكم جاير وكذا هي في مصحف عبد الله وقراءة علي فمنكم جاير بالفاء قال ابن عباس هم اهل الملل المختلفة
وقيل اليهود والنصارى والمجوس ولهداكم لخلق فيكم الهداية فلم يضل احد منكم وهي مشيئة الاختيار وقال
الزجاج لفرض عليكم اية تضطركم الى الاهتداء والايمان قال ابن عطية وهذا قول سوء لاهل البدع الذين يرون
ان الله لا يخلق افعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى ولم يعرف ابن عطية
ان الزجاج معتزلي فلذلك تاول عليه انه لم يحصل وانه وقع فيه من غير قصد وقال ابو علي لو شاء لهداكم الى
الثواب او الى الجنة بغير استحقاق وقال ابن زيد لو شاء لهداكم المحض قصد السبيل دون الجاير ومفعول شاء محذوف
لدلالة لهداكم اي ولو شاء هدايتكم هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ، وما ذرا لكم في الارض
مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ، مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما امتن بايجادهم بعد العدم
وايجاد ما ينتفعون به من الانعام وغيرها من الركوب ذكر ما امتن به عليهم من انزال الماء الذي هو قيام حياتهم
وحياة الحيوان وما يتولد عنه من اقواتهم واقوات انعامهم من الزرع وما عطف عليه فذكر منها الاغلب ثم عمم بقوله
ومن كل الثمرات ثم اتبع ذلك بخلق الليل الذي هو سكن لهم والنهار الذي هو معاش ثم بالنيرين اللذين جعلهما
تعالى موثرين بارادته في اصلاح ما يحتاجون اليه ثم بما ذرا في الارض والظاهر ان لكم في موضع الصفة لماء

قوله عز وجل هو الذي انزل

فتتعلق بمحذوف ويرتفع شراب به اي ماء كاينا لكم منه شراب ويجوز ان تتعلق بانزل ويجوز ان يكون استينافا
وشراب مبتدا، لما ذكر انزال الماء اخذ في تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعيض في منه واما في منه شجر
فمجاز لما كان الشجر انباته على سقي الماء جعل الشجر من الماء كما **قال** اسنمة الآبال في ربابه
اي في سحاب المطر وقال ابن الانباري هو على حذف المضاف اما قبل الضمير اي ومن جهته او سقيه شجر واما
قبل شجر اي شرب شجر كقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حبه والشجر هنا كل ما تنبته الارض قاله الزجاج
وقال نطعمها اللحم اذا عز الشجر فسمي الكلأ شجرا وقال ابن قتيبة الشجر هنا الكلأ وفي
حديث عكرمة لا تاكلوا الشجر فانه سحت يعني الكلأ ويقال اسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت
بنفسها فهي سايمة وسوام رعت حيث شاءت قال الزجاج من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض
علامات **وقرا** زيد بن علي تسيمون بفتح التاء فان سمع متعديا كان هو واسام بمعنى واحد وان
كان لازما فتاويله على حذف مضاف تسيمون اي تسيم مواشيكم لما ذكر ومنه شجر اخذ في ذكر غالب ما ينتفع به
من الشجر ان كان المراد من قوله ومنه شجر العموم وان كان المراد الكلأ فهو استيناف اخبار منافع الماء
ويقال نبت الشيء وانبته الله فهو منبوت وهذا قياسه منبت ويقال انبت الشجر لازما
وانشد الفراء رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا بها حتى اذا انبت البقل •
اي نبت وكان الاصمعي يابى انبت بمعنى نبت **وقرا** ابو بكر ننبت بنون العظمة **وقرا**
الزهري ننبت بالتشديد قيل للتكثير والتكرير والذي يظهر انه تضعيف التعدية **وقرا** ابي
ينبت من نبت وارجعه للمنافع وبدا بالزرع لانه قوت اكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح
بدهنه وهي ضرورية مع منفعة اكله والايتدام به وبدهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من
اطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم بالاعناب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات اتى بلفظ
من التي للتبعيض لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ولما
ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل اعقبه بقوله ويخلق ما لا تعلمون كذلك هنا ذكر الانواع المنتفع
بها من النبات ثم قال ومن كل الثمرات تنبيها على ان تفصيل القول في اجناسها وانواعها وصفاتها
ومنافعها مما لا يكاد يحصر كما ان تفصيل ما خلق من باقي الحيوان لا يكاد يحصر وختم ذلك تعالى بقوله
لاية لقوم يتفكرون لان النظر الى ذلك يحتاج الى فضل تامل واستعمال فكر الا ترى ان الحبة الواحدة
اذا وضعت في الارض ومر عليها مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الارض ما تنتفخ به فينشق اعلاها
فيصعد منه شجرة الى الهواء واسفلها تغوص منه في عمق الارض شجرة اخرى وهي العروق ثم ينمو الاعلى
ويقوى ويخرج الاوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الطبايع والطعوم
والالوان والروايح والاشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى **وقرا** الجمهور
والشمس وما بعده منصوبا وانتصب مسخرات على انها حال موكدة ان كان مسخرات اسم مفعول وهو
اعراب الجمهور وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى التسخير
من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره انتهى **وقرا**
ابن عامر والشمس وما بعده بالرفع على الابتداء والخبر وحفص والنجوم مسخرات برفعهما وهاتان القراءتان
يبعدان قول الزمخشري ان مسخرات بمعنى تسخيرات **وقرا** ابن مسعود والاعمش وابن مصرف
والرياح مسخرات في موضع والنجوم وهي مخالفة لسواد المصحف والظاهر في قراءة نصب الجميع ان النجوم
معطوف على ما قبله وقال الاخفش والنجوم منصوب على اضمار فعل تقديره وجعل النجوم مسخرات فاضمر الفعل
وعلى هذا الاعراب لا تكون مسخرات حالا موكدة بل مفعولا ثانيا لجعل ان كان جعل المقدرة بمعنى صير وحالا
مبينة ان كان بمعنى خلق وتقدم شرح تسخير هذه النيرات في الاعراف وجمع الايات هنا وذكر العقل وافرد
فيما قبل وذكر التفكر لان فيما قبل استدلالا بانبات الماء وهو واحد وان كثرت انواع النبات والاستدلال
هنا متعدد ولان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا
معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه من البياض
والسواد وغير ذلك وقيل مختلفا الوانه اصنافه كما تقول هذه الوان من التمر ومن الطعام وقيل المراد
به المعادن ان في ذلك اي فيما ذرا على هذه الحال من اختلاف الالوان اما ان في ذلك اي اختلاف الالوان
وختم هذا بقوله يذكرون ومعناه الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سابق طرا عليه النسيان
فقيل يذكرون اي يتذكرون ما نسوا من تسخير هذه المكونات في الارض وهو الذي سخر البحر لتاكلوا
منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

قوله عز وجل وهو الذي سخر البحر

والتي

والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون
لما ذكر تعالى الاستدلال بما ذرا في الارض ذكر ما امتن به من تسخير البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس
من الانتفاع به للركوب في المصالح وللغوص في استخراج ما فيه وللاصطياد لما فيه والبحر جنس يشمل
الملح والعذب وبدا اولا من منافعه بما هو الاكل وهو الاهم ومنه على حذف مضاف اي لتاكلوا من حيوانه
طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو اللبس وفيه
منافع غير اللبس فاللحم الطري من الملح والعذب والحلية من الملح وقيل ان العذب يخرج منه لؤلؤ
لا يلبس الا قليلا وانما يتداوى به ويقال ان في الزمرد بحريا فاما لتاكلوا فعام في النساء والرجال
واما تلبسونها فخاص بالنساء والمعنى يلبسها نساؤكم واسند اللبس الى الذكور لان النساء انما يتزين بالحلية
من اجل رجالهن فكانها زينتهم ولباسهم ولما ذكر تعالى نعمة الاكل منه والاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف
الفلك فيه ماخرة اي شاقة فيه او ذات صوت لشق الماء لحمل الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها واسند الرؤية
الى المخاطب المفرد فقال وترى وجعلها جملة معترضة بين التعليلين تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء
فلذلك عدل عن جمع المخاطب والظاهر عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما اشرنا اليه واجاز ابن الانباري
ان يكون معطوفا على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا وان يكون على اضمار فعل اي وفعل ذلك
لتبتغوا والفضل هنا حصول الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة وفي هذا دليل على جواز ركوب
البحر ولعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملايكة ما هي
بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملايكة مم خلقت وعطف وانهارا على رواسي
ومعنى القى جعل الا **ترى** الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وقوله وجعل فيها رواسي من
فوقها وقال والقيت عليك محبة مني اي جعلت وقال ابن عطية قال المتاولون القى بمعنى خلق وجعل وهي
عندي اخص من خلق وجعل وذلك ان القى يقتضي ان الله اوجد الجبال ليس من الارض لكن من قدرته واختراعه
ويؤيد هذا النظر ما روي في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تعالى لما خلق الارض جعلت
تمور الى اخر الكلام السابق وهو ايضا مروي عن وهب بن منبه وقال ابن عطية ايضا وقوله وانهارا منصوب
بفعل مضمر تقديره وجعل او خلق انهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص من القى ولو كانت
القى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى واي اجماع في هذا وقد حكي عن المتاولين ان القى بمعنى خلق
وجعل وقال الزمخشري وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا **ترى** الى قوله الم
نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وقال ابو البقاء اي وشق انهارا وعلامات اي وضع علامات ويجوز ان يعطف
على رواسي وقال ابو عبد الله الرازي ثبت في العلوم العقلية ان اكثر الانهار انما تتفجر منابعها في الجبال
فلهذا السبب اتبع ذكرها بتفجير الانهار وسبلا طرقا الى مقاصدكم لعلكم تهتدون بالسبل الى مقاصدكم
هذا هو الظاهر ويدل عليه ما بعده **وقال** تعالى وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون وقيل تهتدون
اي بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانعها وتوضن الهداية الى الحق ودين الله وعلامات هي معالم الطرق
وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك قاله الزمخشري وهو معنى قول ابن عباس **وقال**
ابو عبد الله الرازي ورايت جماعة يتعرفون الطرقات بشم التراب وقال ابن عيسى العلامة صورة يعلم بها
ما يراد من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقال ابن عطية وعلامات اي عبرة واعلاما في كل سلوك فقد يهتدى
بالجبال وبالانهار وبالسبل انتهى وقال ابن الكلبي العلامات الجبال وقال النخعي ومجاهد النجوم واغرب
ما فسرت به العلامات انها حيتان طوال رقاق كالحيات في الوانها وحركاتها تسمى بالعلامات وذلك في
بحر الهند الذي يسار اليه من اليمن فاذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند وامارة للنجاة **وقرا**
الجمهور وبالنجم على انه اسم جنس **ويؤيد** ذلك **قراءة** ابن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم **وقرا**
الحسن بضم النون وفي اللوامح الحسن النجم بضمتين وابن وثاب بضمة واحدة وجاء كذلك عن ابي هشام
الرفاعي ولا شك في انه يذكره عن اصحاب عاصم انتهى وذلك جمع كسقف وسقف ورهن ورهن وجعله
مما جمع على فعل اولى من جعله على انه اراد النجوم فحذف الواو الا ان ابن عصفور ذكر ان قولهم النجم من ضرورة
الشعر **وانشد** ان الذي قضى بذا قاض حكم • ان يرد الماء اذا غاب النجم •
قال يريد النجوم مثل قوله • حتى اذا ابتلت حلاقيم الحلق • يريد الحلوق والتسكين قيل تخفيف وقيل لغة
وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقال الفراء المراد الجدي والفرقدان انتهى
قيل والجدي هو التابع من بنات نعش الصغرى والفرقدان الاولان منها وليس بالجدي الذي هو المنزلة

وبعضهم يصغره فيقول جُدَي وفي الحديث عن ابن عباس انه سال الرسول عليه السلام عن قوله وبالنجم فقال
هو الجدي ولو صح هذا لم يعدل احد عنه وقال ابن عباس عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم وقيل هو القطب
الذي لا يجري وقيل هو الثريا وقال الشاعر

اذا طلب الجوزاء والنجم طالع • فكل مخاضات الفرات معابر •

وقال اخر حتى اذا ما استقل النجم في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود •

اي منه ملوي ومنه محصود وذلك انما يكون عند طلوع الثريا وهم ضمير غيبة خرج من الخطاب الى الغيبة
كان الضمير للعنى به الى قريش اذ كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم
فكان الشكر وجب عليهم والاعتبار الزم لهم وقدم المجرور على ما يتعلق به اعتناء ولاجل الفاصلة والزمخشري
على عادته قال كانه قيل وبالنجم خصوصا هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون • وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم • والله يعلم ما تسرون وما تعلنون • والذين تدعون من دون
الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون • اموات غير احياء وما يشعرون • ايان يبعثون • الهكم اله واحد فالذين
لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون • لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين
ذكر التباين بين من يخلق وهو الله تعالى وبين من لا يخلق وهي الاصنام ومن عبد ممن يعقل نجد بان يفرد
بالعبادة من له الانشاء دون غيره وجيء بمن للثاني لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل
او لاعتقاد الكفار ان لها تاثيرا وافعالا فعوملت معاملة اولي العلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او
لتخصيصه بمن يعلم فاذا وقعت البينونة بين الخالق وبين غير الخالق من اولي العلم فكيف بمن لا يعلم البتة
كقوله الهم ارجل يمشون بها ان الهتهم منحطة عن حال من له ارجل لان من له هذه حي وتلكم اموات فكيف
يصح ان يعبد لا ان من له رجل يصح ان يعبد قال الزمخشري **فان قلت** هو الزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن
يخلق **قلت** حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا
الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق ثم وبخهم بقوله افلا تذكرون
اي مثل هذا لا ينبغي ان يقع فيه الغفلة والنعمة يراد بها النعم لا نعمة واحدة يدل على ذلك وان تعدوا ولا تحصوها
اذ ينبغي العد والاحصاء في الواحدة والمعنى لا تحصوا عدها لانها لكثرتها خرجت عن احصائكم لها وانتفاء احصائها
يقتضي انتفاء القيام بحقها من الشكر ولما ذكر نعما سابقة اخبر ان جميع نعمه لا يطيقون عدها واتبع ذلك
بقوله ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعم ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها ولما كان الانسان غير قادر على اداء شكر النعم وان له حالة يعرض فيها منه كفرانها
قال في عقب الاية التي في ابراهيم ان الانسان لظلوم كفار اي لظلوم بترك الشكر كفار للنعمة وفي هذه
الاية ذكر الغفران والرحمة لطفا به وايذانا في التجاوز عنه واخبر تعالى انه يعلم ما يسرون وضمنه الوعيد
لهم والاخبار بعلمه تعالى وفي التنبيه على نفي هذه الصفة الشريفة عن الهتهم **وقرا** الجمهور بالتاء
من فوق في تسرون وتعلنون وتدعون وهي قراءة مجاهد والاعرج وشيبة وابي جعفر وهبيرة عن عاصم على
معنى قل لهم **وقرا** عاصم في مشهوره يدعون بالياء من تحت وبالتاء في السابقتين **وقرا** الاعمش
واصحاب عبد الله يعلم الذي تبدون وما تكتمون وتدعون بالتاء من فوق في الثلاثة **وقرا** طلحة ما
يخفون وما يعلنون ويدعون بالتاء من فوق وهاتان القراءتان مخالفتان لسواد المصحف والمشهور ما روي
عن الاعمش وغيره فوجب حملها على التفسير لا على انها قران ولما اظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على
ان الهتهم لا تخلق وعلى انها مخلوقة واخبر انهم اموات واكد ذلك بقوله غير احياء ثم نفى عنهم الشعور الذي
يكون للبهائم فضلا عن العلم الذي يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعاقل عومل غيره معاملته لكونها
عبدت واعتقد فيها الالوهية **وقرا** محمد اليماني يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول
والظاهر ان قوله وهم يخلقون اي الله انشاهم واخترعهم وقال الزمخشري ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان
الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم اعجز من عبدتهم انتهى واموات خبر مبتدا
محذوف ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر والظاهر ان هذه كلها انما حدث به عن الاصنام ويكون بعثهم اعادتها
بعد فنائها الا ترى الى قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل معنى بعثها اثارتها كما
تقول بعثت النائم من نومه اذا انبهته كانه وصفهم بغاية الجمود اي وان طلبتهم بالتحريك او حركتهم
لم يشعروا بذلك ونفى عنهم الحيوة لان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا

قوله عز وجل افمن يخلق

واجساد

واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الاصنام من الحجارة والخشب فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك
اعرق في موتها وقيل والذين تدعون هم الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم واموات اي لا بد لهم من
الموت وغير احياء اي غير باق حياتهم وما يشعرون اي لا علم لهم بوقت بعثهم وجوزوا في قراءة والذين يدعون
بالياء من تحت ان يكون قوله اموات يراد به الكفار الذين ضميرهم في يدعون شبههم بالاموات غير الاحياء
من حيث هم ضلال غير مهتدين وما بعده عائد عليهم والبعث الحشر من قبورهم وقيل في هذا التقدير وعيد
اي ايان يبعثون الى التعذيب وقيل الضمير في وما يشعرون للاصنام وفي يبعثون لعبدتها اي لا تشعر الاصنام
متى تبعث عبدتها وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء
على عبادتهم وتلخص من هذه الاقوال ان تكون الاخبار بتلك الجمل كلها عن المدعوين الهة اما الاصنام واما
الملائكة او يكون اموات من قوله اموات الى اخره اخبارا عن الكفار او يكون وما يشعرون ايان يبعثون فقط
اخبارا عن الكفار او يكون وما يشعرون اخبارا عن المدعوين ويبعثون اخبارا عن الداعين العابدين
وقرا ابو عبد الرحمن ايان بكسر الهمزة وهي لغة قومه سليم والظاهر ان قوله ايان معمول ليبعثون
والجملة في موضع نصب بيشعرون لانه معلق اذ معناه العلم والمعنى انه نفى عنهم علم ما انفرد بعلمه الحي القيوم
وهو وقت البعث اذا اريد بالبعث الحشر الى الاخرة وقيل تم الكلام عند قوله وما يشعرون وايان يبعثون
ظرف لقوله الهكم اله واحد اخبر عن يوم القيمة انا لا اله فيه واحد انتهى ولا يصح هذا القول لان ايان
اذ ذاك يخرج عما استقر فيها من كونها ظرفا اما استفهاما واما شرطا وفي هذا التقدير يكون ظرفا
بمعنى وقت مضافا للجملة بعدها معمولا لقوله واحد كقولك يوم يقوم زيد قائم وفي قوله ايان يبعثون
دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ولما ذكر تعالى ما اتصف به الهتهم مما ينافي الالوهية
اخبر تعالى ان اله العالم هو واحد لا يتعدد ولا يتجزا وان الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان ان تكون
الالهية لغيره بل له وحده هم مستمرون على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الاقرار بها لاعتقادهم
الالهية اصنامهم وتكبرها في الوجود ووصفهم بانهم لا يؤمنون بالاخرة مبالغة في نسبة الكفر اليهم اذ عدم
التصديق بالجزاء في الاخرة يتضمن التكذيب بالله وبالبعث اذ من امن بالبعث يستحيل ان يكذب الله وقيل
مستكبرون عن الايمان برسول الله واتباعه وقال العلماء كل ذنب يمكن التستر به واخفاؤه الا التكبر فانه
فسق يلزمه الاعلان وفي الحديث الصحيح ان المستكبرين يجيئون امثال الذر يوم القيمة يطؤهم الناس باقدامهم
او كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام في لا جرم في هود **وقرا** عيسى الثقفي انه بكسر الهمزة على
الاستيناف والقطع مما قبله وقال بعض اصحابنا وقد يغني لا جرم عن لفظ القسم تقول لا جرم لاتينك فعلى هذا
يكون قوله ان الله بكسر الهمزة تعلق بما جرم ولا يكون استئنافا وقد قال بعض الاعراب لمرداس الخارجي
لا جرم والله لا فارقتك ابدا اتى كلامه تعليقا بالقسم وفي قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد
وتنبيه على المجازاة وقال يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا بما يسرون تشاورهم في دار الندوة في قتل النبي
عليه السلام انتهى ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين ياخذ كل واحد منهم بقسطه ۝
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين • ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون • قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من حيث لا يشعرون • ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم • قال الذين
اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين • الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون • فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
قيل سبب نزول واذا قيل لهم الاية ان النضر بن الحرث سافر عن مكة الى الحيرة وكان قد اتخذ كتب التواريخ
والامثال ككليلة ودمنة واخبار اسفنديار ورستم فجاء الى مكة فكان يقول انما يحدث محمد باساطير الاولين
وحديثي اجمل من حديثه وماذا كله استفهام مفعول بانزل او ما مبتدا وخبره ذا بمعنى الذي وعائده في انزل
محذوف اي اي شيء الذي انزله ربكم وهذا لا يجوز عند البصريين الا في ضرورة الشعر والضمير في لهم عائد
على كفار قريش وماذا انزل ليس معمولا لقيل على مذهب البصريين لانه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول
الذي لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل وقرئ شاذا اساطير بالنصب على معنى ذكرتم اساطير او انزل
اساطير على سبيل التهكم والسخرية لان التصديق بالانزال ينافي اساطير وهم يعتقدون انه ما انزل شيء ولا
ان ثم منزل وبني قيل للمفعول فاحتمل ان يكون القائل بعضهم لبعض واحتمل ان يكون المؤمنون قالوا
لهم ذلك على سبيل الامتحان وقيل قائل ذلك الذين تقاسموا مداخل مكة ينفرون عن الرسول اذا سالهم

مهم

قوله عز وجل واذا قيل لهم

وفود الحاج ماذا انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين وقرا الجمهور برفع اساطير فاحتمل
ان يكون التقدير المذكور اساطير او المنزل اساطير جعلوه منزلا على سبيل الاستهزاء وان كانوا لا يؤمنون
بذلك واللام في ليحملوا لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم او لام التعليل من غير ان يكون
غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر وهي التي يعبر عنها بلام العاقبة لانهم لم يقصدوا بقولهم
اساطير الاولين ان يحملوا الاوزار ولما قال ابن عطية انه يحتمل ان تكون لام العاقبة قال ويحتمل ان تكون
صريح لام كي على معنى قدر هذا لكذا وهي لام التعليل لكنه لم يعلقها بقوله قالوا بل اضمر فعلا اخر وهو
قدر هذا او كاملة حال اي لا ينقص منها شي ومن للتبعيض فالمعنى انه يحمل من وزر كل من اضل اي بعض
وزر من اضل يضلالهم وهذا وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه
على اضلاله فيتحاملان الوزر وقال الاخفش من زائدة اي واوزار الذين يضلونهم والمعنى ومثل اوزار
الذين يضلونهم كقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى
ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدى
به في ذلك وقال الواحدي ليست من للتبعيض لانه يستلزم تخفيفا لاوزار عن الاتباع وذلك غير جائز
لقوله عليه السلام من غير ان ينقص من اوزارهم شيا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع
انتهى ولا يتقدر من التي لبيان الجنس هذا التقدير الذي قدره الواحدي وانما تقدر لاوزار التي
هي اوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلفا في التقدير وبغير علم
قال الزمخشري حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وقال غيره حال من الفاعل وهو
اولى اذ هو المحدث عنه المسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على هذا الاضلال
جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم اخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للاخرة
وتقدم الكلام في اعراب مثل ساء ما يزرون فاتى الله اي امره وعذابه والبنيان قيل حقيقة قال ابن
عباس وغيره الذين من قبلهم نمرود بنى صرحا ليصعد بزعمه الى السماء وافرط في علوه وطوله الى السما
فرسخين على ما حكى النقاش وقاله كعب الاحبار وقال ابن عباس ووهب طوله في السماء خمسماية ذراع
خمسة الاف ذراع وعرضه ثلاثة الاف ذراع فبعث الله عليه ريحا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى
اتباعه وقيل هدمه جبريل بجناحه والقى اعلاه في البحر وانجعف من اسفله وقال ابن الكلبي المراد
المقتسمون المذكورون في سورة الحجر وقيل الذين من قبلهم بخت نصر واصحابه وقالت فرقة المراد
قوم لوط وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة من الله
ويكون فاتى الله بنيانهم الى اخره تمثيلا والمعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله
هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان
تضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ومن في القواعد لابتداء
الغاية اي اتاهم امر الله من جهة القواعد وقالت فرقة المراد بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم
جاءهم العذاب من قبل السماء التي هي فوقهم وقاله ابن عباس وقيل المعنى حبط الله اعمالهم فكانوا
بمنزلة من سقط بنيانه قال ابن عطية وهذا ينحو الى اللغز ومعنى قوله من فوقهم رفع الاحتمال في قوله
فخر عليهم السقف فانك تقول انهدم على فلان بناؤه وهو ليس تحته كما تقول انفسد عليه
وقوله من فوقهم الزم انهم كانوا تحته انتهى وهذا الذي قاله ابن الاعرابي قال ليعلمك انهم كانوا حالين
تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن
وقع عليه فجاء بقوله ليخرج هذا الذي في كلام العرب فقال من فوقهم اي عليهم وقع وكانوا تحته
فهلكوا فاتاهم العذاب قال ابن عباس يعني البعوضة التي اهلك بها نمرود وقيل من حيث لا يشعرون
من حيث ظنوا انهم في امان وقرا الجمهور بنيانهم وقرات فرقة بنيتهم وقرا
جعفر بيتهم والضحاك بيوتهم وقرا الجمهور السقف مفردا والاعرج السقف بضمتين وزيد
ابن علي ومجاهد بضم السين فقط وتقدم توجيه مثل هاتين القراتين في والنجم وقرات
فرقة السقف بفتح السين وضم القاف وهي لغة في السقف ولعل السقف مخفف منه ولكنه كثر
استعماله كما قالوا رجل ورجل وهي لغة تميمية ولما ذكر تعالى ما حل بهم في دار الدنيا ذكر ما يحل
بهم في الاخرة ويخزيهم يعم جميع المكاره التي تحل بهم ويقتضي ذلك ادخالهم النار كقوله ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته كل الاهانة وجمع بين الاهانة بالفعل والاهانة

بالقول

بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله يخزيهم ويقول اين شركاءي اضاف تعالى الشركاء اليه والاضافة
تكون بادنى ملابسة والمعنى شركاءي في زعمكم اذ اضاف على الاستهزاء وقرا الجمهور شركاءي
ممدودا مهموزا مفتوح الياء وفرقة كذلك مسكنها فتسقط في الدرج لالتقاء الساكنين والبزي
عن ابن كثير بخلاف عنه مقصورا وفتح الياء هنا خاصة وروي عنه ترك الهمز في القصص والعمل على
الهمز فيه وقصر الممدود ذكروا انه من ضرورة الشعر ولا ينبغي ذلك لثبوته في هذه القراءة فيجوز
قليلا في الكلام والمشاقة المعاداة والمخاصمة للمؤمنين وقرا الجمهور تشاقون بفتح النون
ونافع بكسرها وروي عن الحسن ولا يلتفت الى تضعيف ابي حاتم هذه القراءة وقرات فرقة
بتشديدها ادغم نون الرفع في نون الوقاية والذين اوتوا العلم عام يعني اولي العلم من الانبياء وعلماء
اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم وينكرون عليهم وقيل هم الملائكة
وقاله ابن عباس وقال مقاتل الحفظة من الملائكة وقيل من حضر الموقف من ملك وانسي وغير ذلك
وقال يحيى بن سلام هم المؤمنون انتهى ويقول اهل العلم ذلك شماتة بالكفار وتسميعا لهم وفي
ذلك اعظام للعلم اذ لا يقول ذلك الا اهله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم تقدم تفسيره في سورة
النساء والظاهر ان الذين صفة للكافرين فيكون ذلك داخلا في المقول فان كان القول يوم القيامة
فيكون تتوفاهم حكاية حال ماضية وان كان القول في الدنيا اي لما اخبر تعالى انه يخزيهم يوم القيامة
ويقول لهم ما يقول قال اهل العلم اذا اخبر الله بذلك ان الخزي اليوم الذي اخبر الله انه يخزيهم فيه فيكون
تتوفاهم على بابها ويشمل من حيث المعنى من توفته ومن تتوفاه ويجوز ان يكون الذين خبر مبتدا محذوف
وان يكون منصوبا على الذم فاحتمل ان يكون مقولا لاهل العلم واحتمل ان يكون غير مقول بل من اخبار الله
تعالى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الذين مرتفعا بالابتداء منقطعا مما قبله وخبره في قوله فالقوا
السلم فزيدت الفاء في الخبر وقد يجي مثل هذا انتهى وهذا لا يجوز الا على مذهب الاخفش فانه يجيز زيد
فقائم اي قائم ولا يتوهم ان الفاء هي الداخلة في خبر المبتدا اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا
يجوز دخولها في مثل هذا الفعل مع صريح اداة الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه وقرا حمزة والاعمش
يتوفاهم بالياء من اسفل في الموضعين وقرئ بادغام تاء المضارعة في التاء بعدها وفي مصحف عبد الله
بتاء واحدة في الموضعين والسلم هنا الاستسلام قاله الاخفش او الخضوع قاله مقاتل اي انقادوا
حين عاينوا الموت قد نزل بهم وقيل في القيامة انقادوا واجابوا بما كانوا على خلافه في الدنيا من الشقاق
والكبر والظاهر عطف فالقوا على تتوفاهم واجاز ابو البقاء ان يكون معطوفا على قوله الذين وان يكون
مستانفا وقيل تم الكلام عند قوله ظالمي انفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة
فعلى هذا يكون قوله فالقوا جملة اعتراضية بين الاخبار باحوال الكفار ما كنا نعمل من سوء هو على اضمار
القول اي ونعتهم بعمل السوء اما ان يكون صريح كذب كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقال
تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واما ان يكون المعنى عند انفسنا اي لو كان الكفر عند انفسنا سوءا ما عملنا
ويرجح الوجه الاول الرد عليهم ببلى اذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب بلى على انه يصح على
الوجه الثاني ان يرد عليهم ببلى والمعنى انكم كذبتم في اعتقادكم انه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون انه سوء
لانكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا والظاهر ان هذا السياق كله هو مع اهل العلم والكفار وان اهل العلم هم الذين
ردوا عليهم اخبارهم بنفي عمل السوء ويجوز ان يكون الرد من الملائكة وهم الامرون بالدخول في
النار يسوقونهم اليها وقيل الخزنة والظاهر الابواب حقيقة وقيل المراد الدركات وقيل الاصناف
كما يقال فلان ينظر في باب من العلم اي صنف وابعد من قال المراد بذلك عذاب القبر مستدلا بما
جاء القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولما اكذبوهم في دعواهم اخبروا انه هو العالم
باعمالهم فهو المجازي عليها ثم امروهم بالدخول واللام في فلبئس لانه تاكيد ولا تدخل على الماضي
المنصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الافعال وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف اي فلبئس
مثوى المتكبرين هي اي جهنم ووصف التكبير دليل على استحقاق صاحبه النار وذلك اشارة الى قوله
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٥ خسف المكان يخسف خسوفا ذهب وخسفه الله به يريد اذهبه
في الارض به دخر يدخر دخورا صغر وذل ما يومر شاء او ابي وقال ابن عطية تواضع قال ذو الرمة
فلم يبق الا داخر في مخيس ومنجحر في غير ارضك في جحر

قوله عز وجل وقيل للذين

وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝
تقدم اعراب ماذا انزل الا انه اذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السؤال لكون ماذا مبتدأ وخبرا والجواب نصب وهو جائز ولكن المطابقة في الاعراب احسن **وقرا** الجمهور خيرا بالنصب اي انزل خيرا قال الزمخشري **فان قلت** لم نصب هذا ورفع الاول **قلت** فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولاء لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شي انتهي **وقرا** زيد بن علي خير بالرفع اي المنزل خير فتطابق هذه القراة نا ولمن جعل ذا موصولة ولا تطابق من جعل ماذا منصوبة لاختلافهما في الاعراب وان كان الاختلاف جائزا كما ذكرنا وروي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوفد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم يلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الي قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا والظاهر ان قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي انزل الله في الوحي ان من احسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الاخرة بدخول الجنة وقال الزمخشري للذين احسنوا وما بعده بدل من خير حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه انتهي وقالت فرقة هو ابتدا كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله وهو بالمعنى وعد متصل بذكر احسان المتقين في مقالتهم ومعنى حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها ولما ذكر حال الكفار في الدنيا والاخرة ذكر حال المومنين في الدارين والظاهر ان المخصوص بالمدح هو جنات عدن وقال الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف انتهي وقاله ابن عطية وقبلهما الزجاج وابن الانباري وجوزوا ان تكون جنات عدن مبتدا والخبر يدخلونها **وقرا** زيد بن ثابت وابو عبد الرحمن جنات عدن بالنصب على الاشتغال اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذه القراة تقوي اعراب جنات عدن بالرفع انه مبتدا ويدخلونها الخبر **وقرا** زيد بن علي ولنعمت دار بتاء مضمومة ودار مخفوض بالاضافة فتكون نعمت مبتدا وجنات الخبر **وقرا** السلمي تدخلونها بتاء الخطاب **وقرا** اسمعيل بن جعفر عن نافع يدخلونها بالياء على الغيبة والفعل مبني للمفعول ورويت عن ابي جعفر وشيبة يجري قال ابن عطية في موضع الحال وقال الحوفي في موضع نعت لجنات انتهي وكان ابن عطية لحظ كون جنات عدن معرفة والحوفي لحظ كونها نكرة وذلك على الخلاف في عدن هل هي علم او نكرة بمعنى اقامة والكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف اي جزا مثل جزا الذين احسنوا يجزي المتقين وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى انهم صالحو الاحوال مستعدون للموت والطيب الذي لا خبث فيه ومنه طبتم فادخلوها خالدين وقال ابو معاذ طيبين طاهرين من الشرك بالكلمة الطيبة وقيل طيبين سهلا وفاتهم لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما يقبض روح الكافر والمخلط وقيل طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى وقيل زاكية افعالهم واقوالهم وقيل صالحين وقال الزمخشري طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم ويقولون نصب على الحال من الملائكة وتسليم الملائكة عليهم بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى احاديث صحاح وتوفيهم هذا للمتقين هو وقت قبض ارواحهم قاله ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد والاكثرون جعلوا التبشير بالجنة دخولا مجازا وقال مقاتل والحسن عند دخول الجنة وهو قول خزنة الجنة لهم في الاخرة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فعلى هذا القول يكون يقولون حالا مقدرة ولا يكون القول وقت التوفي وعلى هذا يحتمل ان يكون الذين مبتدا والخبر يقولون والمعنى يقولون لهم سلام عليكم ويدل لهذا القول قولهم ادخلوا الجنة ووقت الموت لا يقال لهم ادخلوا الجنة فالتوفي هنا توفي الملائكة لهم وقت الحشر وقوله بما كنتم تعملون ظاهر في دخول الجنة بالعمل الصالح ۝

قوله عز وجل هل ينظرون

هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ فاصابهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ وقال

الذين

١٣

الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي ۝ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول الا البلاغ المبين ۝ ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر طعن الكفار في القران بقولهم اساطير الاولين ثم اتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم توعد من وصف القران بالخيرية بين اولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم الا ان تاتيهم الملائكة بالتهديد او امر الله بعذاب الاستيصال **وقرا** حمزة والكسائي ياتيهم بالياء وهي قراة ابن وثاب وطلحة والاعمش وباقي السبعة بالتاء على تانيث الجمع واتيان الملائكة لقبض الارواح وهم ظالموا انفسهم وامر ربك العذاب المستاصل او القيمة والكاف في موضع نصب اي مثل فعلهم في انتظار الملائكة او امر الله فعل الكفار الذين تقدموهم وقيل مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه فعل متقدموهم من الكفار وقيل فعل هنا كناية عن اغترارهم كانه قيل مثل اغترارهم باسباط العذاب اغتر الذين من قبلهم والظاهر القول الاول لدلالة هل ينظرون عليه وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الذي اوجب لهم العذاب في الدنيا والاخرة وقوله فاصابهم معطوف على فعل وما ظلمهم اعتراض وسيات عقوبات كفرهم وحاق بهم احاط بهم جزا استهزايهم وقال الذين اشركوا تقدم تفسير مثل هذه الاية في اخر الانعام فاغنى عن الكلام في هذا وقال الزمخشري هنا يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسايبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شا الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوا على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشا الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراة الله من افعال العباد فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه انتهي وهو على طريقة الاعتزال وهذا القول صادر ممن اقر بوجود الباري تعالى وهم الاكثرون او ممن لا يقول بوجوده فعلى تقدير ان الرب الذي يعبده محمد ويصفه بالعلم والقدرة يعلم حالنا وهذا احد الصنفين اي الصنفين كان ليس فيه استهزا وقال الزجاج قالوا ذلك على سبيل الهزء من المطابقة التي انكرت الاله اقامت الحجة بمن خصمها مستهزية في ذلك ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝ ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ۝ قال الزمخشري ولقد امد ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله واجتناب الشر الذي هو الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا تبقى لكم شبهة واني لا اقدر الشر ولا اشاوه حيث افعل ما افعل بالاشرار انتهي وهو على طريقة الاعتزال ولما قال فهل على الرسل الا البلاغ المبين بين ذلك هنا بانه بعث الرسل بعبادته وتجنب عبادة غيره فمنهم من اعتبر فهداه الله ومنهم من اعرض وكفر ثم احالهم في معرفة ذلك على السير في الارض واستقرا الامم والوقوف على عذاب الكافرين المكذبين ثم خاطب نبيه واعلمه ان من حتم عليه تعالى بالضلالة لا يجدي فيه الحرص على هدايته **وقرا** النخعي وان بزيادة واو وهو والحسن وابو حيوة تحرص بفتح الرا مضارع حرص بكسرها وهي لغة **وقرا** الجمهور بالكسر مضارع حرص بالفتح وهي لغة الحجاز **وقرا** الحرميان والعربيان والحسن والاعرج ومجاهد وشيبة وشبل ومزاحم الخراساني والعطاردي وابن سيرين لا يهدي مبنيا للمفعول ومن مفعول لم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله والعايد على من محذوف تقديره من يضله الله **وقرا** الكوفيون وابن مسعود وابن المسيب وجماعة يهدي مبنيا للفاعل والظاهر ان في يهدي ضميرا يعود على الله ومن مفعول وعلى ما حكى الفرا ان هدي ياتي بمعنى اهتدى يكون لازما والفاعل من اي لا يهتدي من يضله الله **وقرات** فرقة منهم عبد الله لا يهدي بفتح اليا وكسر الها والدال كذا قال ابن عطية ويعني وتشديد الدال واصله يهتدي فادغم كقولك في يختصم يخصم **وقرات** فرقة يهدي بضم اليا وكسر الدال قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهي واذا ثبت ان هدي لازم بمعنى اهتدي لم تكن ضعيفة لانه ادخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لا يجعل مهتديا من اضله وفي

قوله عز وجل ولقد بعثنا

٤

مصحف ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن ضل وقري يَضل بفتح اليا، وقال ايضا حرص رسول
الله صلي الله عليه وسلم علي ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل
اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالي متعال عن العبث لانه من قبيل القبايح التي لا تجوز
عليه انتهي وهو علي طريقة الاعتزال والضمير في لهم عايد علي من بمعني من والضمير في واقسموا عايد
علي كفار قريش وعن ابي العالية نزلت في رجل من المسلمين تقاضي دينا علي رجل من المشركين
فكان فيما تكلم به المسلم الذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت
واقسم بالله لا يبعث الله من يموت بلي رد عليه ما نفاه واكده بالقسم والتقدير بلي يبعثه وانتصب
وعدا وحقا علي انهما مصدران موكدان لما دل عليه بلي من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه
وقال الحوفي حقا نعت لوعدا وقرا الضحاك بلي وعد وحق والتقدير بعثهم وعد عليه
حق وحق صفة لوعد وقال الزمخشري واقسموا بالله معطوف علي وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما
كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم علي مشيئة الله وانكارهم
البعث مقسمين عليه وبين ان الوفا بهذا الموعد حق واجب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون او انه وعد واجب علي الله لانهم يقولون لا يجب علي الله شي لا ثواب عامل ولا غيره
من مواجب الحكمة انتهي وهو علي طريقة الاعتزال واكثر الناس هم الكفار المكذبون بالبعث
واما قول الشيعة ان الاشارة بهذه الاية انما هي لعلي بن ابي طالب وان الله سيبعثه في الدنيا
فسخافة من القول والقول بالرجعة باطل وافترا علي الله علي عادتهم رده ابن عباس وغيره واللام
في ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلي اي نبعثهم ليبين لهم كما تقول الرجل ما ضربت احدا فتقول
بلي زيدا اي ضربت زيدا ويعود الضمير في يبعثهم المقدر وفي لهم علي معني من في قوله من يموت
وهو شامل للمومنين والكفار والذي اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا
من جعل الهة مع الله وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما امروا به وبين لهم انه دين الله
فكذبوا به وكذبوا في نسبة اشياء الي الله تعالي وقال الزمخشري انهم كذبوا في قولهم لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شي وفي قولهم لا يبعث الله من يموت انتهي وفي قولهم دسيسة الاعتزال
وقيل تتعلق ليبين بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي ليظهر لهم اختلافهم وان الكفار كانوا
علي ضلالة من قبل بعث ذلك الرسول كاذبين في رد ما يجي به الرسل انما قولنا لشي اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون • والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوينهم في الدنيا حسنة ولاجر
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون • الذين صبروا وعلي ربهم يتوكلون • لما تقدم انكارهم البعث واكدوا
ذلك بالحلف بالله الذي اوجدهم ورد عليهم تعالي بقوله بلي وذكر حقية وعده بذلك وضح انه
تعالي متي تعلقت ارادته بوجود شي اوجده وقد اقروا بانه تعالي خالق هذا العالم سماواته وارضه
وان ايجاده ذلك لم يتوقف علي سبق مادة ولا آلة فكما قدر علي الايجاد ابتداء وجب ان يكون قادرا
علي الاعادة وتقدم تفسير قوله تعالي كن فيكون في البقرة فاغني عن اعادته والظاهر ان اللام في لشي
وفي له للتبليغ كقولك قلت لزيد قم وقال الزجاج هي لام السبب اي لاجل ايجاد شي وكذلك
له اي لاجله قال ابن عطية وما في الفاظ هذه الاية من معني الاستقبال والاستيناف انما هو راجع
الي المراد لا الي الارادة وذلك ان الاشيا المكونة في وجودها استيناف واستقبال لا في ارادة ذلك
ولا في الامر به لان ذينك قديمان فمن اجل المراد عبر باذا وبنقول واما قوله لشي فيحتمل وجهين
احدهما انه لما كان وجوده حتما جاز ان يسمي شيا وهو في حالة عدم والثاني ان قوله لشي تنبيه
علي الامثلة التي ينظر فيها وان ما كان منها موجودا كان مرادا وقيل له كن فكان فصار مثالا لما يتاخر
من الامور بما تقدم وفي هذا مخلص من تسمية المعدوم شيا انتهي وفيه بعض تلخيص وقال اذا ان
اردناه منزل منزلة مراد ولكنه اتي بهذه الالفاظ المستانفة بحسب ان الموجودات تجي وتظهر
شيا بعد شي فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلي هذا الوجه يخرج قوله فسيري الله عملكم وقوله
ليعلم الله الذين امنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم ما رآه الله تعالي في الازل وعلمه وقوله ان نقول
ينزل منزلة المصدر كانه قال قولنا ولكن ان مع الفعل تعطي استينافا ليس في المصدر في اغلب
امرها وقد تجي في مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الاية وكقوله تعالي ومن اياته ان تقوم السما
والارض بامره وغير ذلك انتهي وقوله ولكن ان مع الفعل يعني المضارع وقوله في اغلب امرها
ليس بجيد بل تدل علي المستقبل في جميع موارده واما قوله وقد تجي الي اخره فلم يفهم ذلك من دلالة
ان وانما فهم ذلك من نسبة قيام السماء والارض بامر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في

قوله عزوجل انما قولنا لشي

حقه

حقه تعالي ونظيره ان الله كان علي كل شي قديرا فكان تدل علي اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي وهو
تعالي متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل علي نفيه عن
ذلك الزمن والذين هاجروا قال قتادة نزلت في مهاجري اصحاب الرسول وقال داود بن ابي هند
في ابي جندل بن سهيل بن عمرو وعن ابن عباس في صهيب وبلال وخباب بن الارت واضرابهم عذبهم
المشركون بمكة فبواهم الله المدينة وعلي هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد بقوله والذين
هاجروا قال ابن عطية لما ذكر الله كفار مكة الذين اقسموا بان الله لا يبعث من يموت ورد علي قولهم
ذكر مومني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا الي ارض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح
في سبب الاية لان هجرة المدينة لا تبعد وقت نزول الاية انتهي والذين هاجروا عموم في المهاجرين
كاينا ما كانوا فيشمل اولهم واخرهم وقرا الجمهور لنبوينهم والظاهر انتصاب حسنة علي
انه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل اي تبوية حسنة وقيل انتصاب حسنة علي المصدر علي
غير الصدر لان معني لنبوينهم في الدنيا لنحسنن اليهم وقيل انتصاب حسنة علي المصدر فحسنة
في معني احسانا وقال ابو البقاء حسنة مفعول ثان لنبوينهم لان معناه لنعطينهم ويجوز ان يكون
صفة لمحذوف اي دارا حسنة انتهي وقال الحسن والشعبي وقتادة دارا حسنة وهي المدينة
وقيل التقدير منزلة حسنة وهي الغلبة علي اهل مكة الذين ظلموا وعلي العرب قاطبة وعلي اهل
المشرق والمغرب وقال مجاهد الرزق الحسن وقال الضحاك النصر علي عدوهم وقيل ما استولوا عليه
من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات وقيل ما بقي لهم فيها من الثناء وما صار فيها
لاولادهم من الشرف وقيل الحسن كل شي مستحسن ناله المهاجرون وقرا علي وعبد الله ونعيم
ابن ميسرة والربيع بن خثيم لنثوينهم بالثاء المثلثة مضارع اثوي المنقول بهمزة التعدية من ثوي
بالمكان اقام فيه وانتصب حسنة علي تقدير اثواة حسنة او علي نزع الخافض اي في حسنة اي دار
حسنة او منزلة حسنة ودل هذا الاخبار الموكد بالقسم علي عظيم محل الهجرة لانه بسببها ظهرت
قوة الاسلام كما ان بنصرة الانصار قويت شوكته وفي الله دليل علي اخلاص العمل لله ومن هاجر لغير الله
هجرته لما هاجر اليه وفي الاخبار عن الذين بجملة القسم المحذوف الدالة عليها الجملة المقسم عليها
دليل علي صحة وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا خلافا لثعلب واجاز ابو البقاء ان يكون الذين
منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنبوينهم وهو لا يجوز لانه لا يفسر الا ما يجوز له ان يعمل ولا يجوز
زيدا لاضربن فلا يجوز زيدا لاضربنه وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطي رجلا من المهاجرين
عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر ولاجر الاخرة
اي ولاجر الدار الاخرة اكبر اي اكبر ان يعلمه احد قبل مشاهدته كما قال واذا رايت ثم رايت نعيما
وملكا كبيرا والضمير في يعلمون عايد علي الكفار اي لو كانوا يعلمون ان الله يجمع لهولاء المستضعفين
في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم وقيل يعود علي المومنين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا علي تقديرهم الذين او اعني الذين صبروا علي العذاب وعلي
مفارقة الوطن لا سيما حرم الله المحبوب لكل قلب مومن فكيف لمن كان مسقط راسه وعلي بذل
الروح في ذات الله واحتمال الغربة في دار لم ينشا بها وناس لم يالفهم اجانب حتي في النسب
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون • افامن الذين مكروا السيات
ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • او ياخذهم في تقلبهم فما هم
بمعجزين او ياخذهم علي تخوف فان ربكم لرءوف رحيم • نزلت الي ما يمكرون في مشركي مكة انكروا نبوة
الرسول وقالوا الله اعظم ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة
في اخر يوسف والمعني يوحي اليهم علي السنة الملايكة وقرا الجمهور يوحي بالياء وفتح الحاء
وقرات فرقة بالياء وكسرها وعبد الله والسلمي وطلحة وحفص بالنون وكسرها واهل الذكر
اليهود والنصاري قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وعن مجاهد ايضا اليهود والذكر التوراة لقوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وعنه عبد الله بن سلام وسلمان وقال الاعمش وابن عيينة من
اسلم من اليهود والنصاري وقال الزجاج عام فيمن يعزي الي علم وقال ابو جعفر وابن زيد اهل
القران ويضعف هذا القول وقول من قال من اسلم من الفريقين لانه لا حجة علي الكفار في
اخبار المومنين لانهم مكذبون لهم قال ابن عطية والاظهر انهم اليهود والنصاري الذين لم يسلموا
وهم في هذه الاية النازلة انما يخبرون بان الرسل من البشر واخبارهم حجة علي هولاء فانهم لم يزالوا

قوله عزوجل وما ارسلنا

مصدقين لهم ولا يتهمون بشهادة لنا لانهم مدافعون في صدر ملة محمد عليه السلام وهذا هو
كسر حجتهم ومذهبهم لا انا افتقرنا الي شهادة هؤلاء بل الحق واضح في نفسه وقد ارسلت قريش
الي يهود يثرب يسالونهم ويسندون اليهم انتهي والاجود ان يتعلق قوله بالبينات بمضمر يدل عليه
ما قبله كانه قيل بما ارسلوا قال ارسلناهم بالبينات والزبر فيكون علي كلامين وقاله الزمخشري
وابن عطية وغيرهما وقد يتعلق بقوله وما ارسلنا وهذا فيه وجهان احدهما ان النية فيه التقديم
قبل اداة الاستثناء والتقدير وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا حتي لا يكون ما بعد
الا معمولين متاخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها وهذا حكاه ابن عطية عن فرقة
والوجه الثاني ان لا ينوي به التقديم بل هو تعا بعد الا في نية الحصر وهذا قاله الحوفي والزمخشري
وبدا به قال يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط انتهي وقال ابو البقاء وفيه
ضعف لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام علي الا وما يليها الا انه قد جاء في الشعر
قال الشاعر نبيهم عذبوا بالنار جارتهم • ولا يعذب الا الله بالنار •
انتهي وهذا الذي اجازه الحوفي والزمخشري لا يجوز علي مذهب جمهور البصريين لانهم لا يجيزون
ان يقع بعد الا الا مستثني او مستثني منه او تابعا وما ظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل الا قدر
له عامل واجاز الكسائي ان يقع معمولا لما قبلها منصوب نحو ما ضرب الا زيد عمروا ومخفوض
نحو ما مر الا زيد بعمرو ومرفوع نحو ما ضرب الا زيدا عمرو ووافقه ابن الانباري في المرفوع
والاخفش في الظرف والجار والحال فالقول الذي قاله الحوفي والزمخشري يتمشي علي مذهب
الكسائي والاخفش ودلايل هذه المذاهب مذكورة في علم النحو واجاز الزمخشري ان تكون صفة
لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات فيتعلق بمحذوف وهذا وجه سايغ لانه في موضع صفة
لما بعد الا فوصف رجالا بيوحي اليهم وبذلك العامل في بالبينات كما تقول ما اكرمت الا رجلا مسلما
متلبسا بالخير واجاز ايضا ان تتعلق بيوحي اليهم وان تتعلق بلا يعلمون قال علي ان الشرط في معني
التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض
علي الوجوه المتقدمة يعني من التي ذكر غير الوجه الاخير وانزلنا اليك الذكر هو القران وقيل له
ذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين وقيل الذكر العلم ما نزل اليهم من المشكل والمتشابه لان النص
والظاهر لا يحتاجان الي بيان وقال الزمخشري مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا وقال
ابن عطية لتبين بسردك بنص القران ما نزل اليهم ويحتمل ان يريد لتبين بتفسيرك المجمل وشرحك
ما اشكل فيدخل في هذا ما تبينه السنة من امر الشريعة وهذا قول مجاهد انتهي ولعلهم يتفكرون
اي وارادة ان يصغوا الي تنبيهاته فينتبهوا ويتاملوا والسيات نعت لمصدر محذوف اي
المكرات السيات قاله الزمخشري او مفعول بمكروا علي تضمين مكروا معني فعلوا وعملوا والسيات
علي هذا معاصي الكفر وغيره قاله قتادة او مفعول ثان ويعني به العقوبات التي تسوءهم ذكرها
ابن عطية وعلي هذا الاخير يكون ان يخسف بدلا من السيات وعلي القولين قبله مفعول ثان
والذين مكروا في قول الاكثرين هم اهل مكة مكروا بالرسول وقال مجاهد هو نمرود والخسف بلع
الارض المخسوف به وقعودها به الي اسفل وذكر النقاش انه وقع الخسف في هذه الامة بهم الارض
كما فعل بقارون وذكر لنا ان اخلاطا من بلاد الروم خسف بها وحين احتل اهلها بذلك فر اكثرهم
وان بعض التجار ممن كان يرد اليها راي ذلك من بعيد فرجع بتجارته من حيث لا يشعرون من
الجهة التي لا شعور لهم بمجي العذاب منها كما فعل بقوم لوط في تقلبهم في اسفارهم قاله قتادة او في
منامهم روي هذا او ما قبله عن ابن عباس وقال الضحاك وابن جريج ومقاتل في ليلهم ونهارهم اي حالة
ذهابهم ومجيهم فيهما وقيل في تقلبهم في مكرهم وحيلهم فياخذهم قبل تمام ذلك وقال الزجاج جميع ما
يتقلبون فيه فما هم بسابقين الله ولا فايتيه والاخذ هنا الاهلاك كقوله فكلا اخذنا بذنبه وعلي
تخوف علي تنقص قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال ابن قتيبة يقال تخوفته وتخوفته اذا تنقصته
واخذت من ماله وجسمه وقال الهيثم بن عدي هو التنقص بلغة ازد شنوءة وفي حديث لعمر انه سال
عن التخوف فاجابه شيخ بانه التنقص في لغة هذيل وانشد قول ابن كثير الهذلي
• تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن •
وهذا التخوف بمعني التنقص قليل من اعماله وقيل ياخذ واحدا بعد واحد وروي عن ابن عباس وقاله
الزجاج بنقص ثمارهم واموالهم حتي يهلكهم وقيل علي تخوف علي خوف ان يعاقبهم او يتجاوز عنهم

قاله

قاله قتادة وقال الزمخشري علي تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم
بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون انتهي وقال الضحاك
ياخذ قرية فتخاف القرية الاخري وقال ابن بحر علي تخوف ضد البغتة اي علي حدوث حالات
يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله ان ربكم لرءوف رحيم لان في ذلك
مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافي وقال الليث بن سعد علي تخوف علي عجل وقيل علي تقريع
بما قدموه وهذا مروي عن ابن عباس ولما كان تعالي قادرا علي هذه الامور ولم يعاجلهم بها
ناسب وصفه بالرافة والرحمة اولم يروا الي ما خلق الله من شي يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل
سجدا لله وهم داخرون • ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملايكة وهم لا
يستكبرون • يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون • لما ذكر تعالي قدرته علي تعذيب
الماكرين واهلاكهم بانواع من الاخذ ذكر تعالي طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين
لينبههم علي انه ينبغي بل يجب عليهم ان يكونوا طايعين منقادين لامره وقرا السلمي والاعرج
والاخوان اولم تروا بالتا الخطاب اما علي العموم للخلق استونف به الاخبار واما علي معني قل لهم
اذ كان خطابا خاصا وقرا باقي السبعة بالياء علي الغيبة واحتمل ايضا ان يعود الضمير
علي الذين مكروا واحتمل ان يكون اخبارا عن المكلفين والاول اظهر لتقدم ذكرهم وقرا ابو عمرو
وعيسي ويعقوب تتفيؤا بالتا علي التانيث وباقي السبعة بالياء وقرا الجمهور ظلاله جمع
ظل وقرا عيسي ظللة جمع ظلة كحلة وحلل والروية هنا روية القلب التي يقع بها الاعتبار
ولكنها بوساطة روية العين قيل والاستفهام هنا معناه التوبيخ وقيل ويجوز ان يكون معناه
التعجب والتقدير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شريكا وقد راوا هذه المصنوعات التي اظهرت عجايب
قدرته وغرايب صنعه مع علمهم بان الهتهم التي اتخذوها شركاء لا تقدر علي شي البتة والجملة من قوله
تتفيؤا في موضع الصفة قاله الحوفي وهو ظاهر قول ابن عطية والزمخشري قال ابن عطية من شي
لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله يتفيؤا ظلاله لان ذلك الصفة لما عرض للعبرة في جميع
الاشخاص التي لها ظل وقال الزمخشري وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شي يتفيؤا ظلاله
وقال غيره هؤلاء المعني من شي له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قايم وقوله يتفيؤا ظلاله اخبار عن
قوله من شي يوصف له وهذا الاخبار يدل علي ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل وتتفيؤا
تتفعل من الفي وهو الرجوع يقال فاء الظل يفي فيا رجع وعاد بعدما نسخه ضياء الشمس وفاء
اذا عدي فبالهمزة كقوله ما افاء الله علي رسوله او بالتضعيف نحو فيا الله الظل فتفيا وتفيا
من باب المطاوعة وهو لازم وقد استعمله ابو تمام متعديا قال
• طلبت ربيع ربيعة المهمي لها • وتفيات ظلاله ممدودا •
ويحتاج ذلك الي نقله من كلام العرب متعديا قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف
النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم
تنله وقال الشاعر فلا الظل من برد الضحي تستطيعه • ولا الفي من برد العشي تذوق
وقال امرؤ القيس
• تيممت العين التي عند ضارج • يفي عليها الظل عرمضها طام •
وعن روبة ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو في وظل وما لم تكن عليه فهو ظل وذلك ان الشمس
من طلوعها الي وقت الزوال تنسخ الظل فاذا زالت رجع ولا يزال ينمو الي ان يغيب والمشهور
ان الفي لا يكون الا بعد الزوال والاعتبار في هذه الاية من اول النهار الي اخره فمعني تتفيؤا تنتقل
وقيل واضاف الظلال وهي جمع الي ضمير مفرد لانه ضمير ما وهو جمع من حيث المعني لقوله لتستووا
علي ظهوره وقال صاحب اللوامح في قراة عيسي ظلله والظلة الغيم وهو جسم وبالكسر الفي وهو
عرض في العامة فراي عيسي ان التفيؤ الذي هو الرجوع بالاجسام اولي واما في العامة فعلي الاتساع
انتهي قالوا في قوله عن اليمين والشمايل بحثان احدهما ما المراد بذلك والثاني ما الحكمة في
اليمين ما الحكمة في افراد اليمين وجمع الشمايل اما الاول فقالوا يمين الفلك وهو المشرق وشماله
هو المغرب وخص هذا ان الايمان بهذين الجانبين لان اقوي جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة
الفلكية اليومية آخذة من المشرق الي المغرب لا جرم كان المشرق يمين الفلك والغرب شماله فعلي
هذا ان قول الشمس عند طلوعها الي وقت انتهايها الي وسط الفلك يقع الظلال الي الجانب
الغربي فاذا انحدرت من وسط الفلك عن الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي فهذا

قوله عز وجل اولم يروا

المراد من تفيؤ الظلال من اليمين الى الشمال وقيل البلدة التي عرضها اقل من مقدار الميل تكون
الشمس في الصيف عن يمين البلدة فيقع الظلال على يمينهم وقال الزمخشري المعنى اولم
يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمايلها عن جانبي كل واحد
منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى
جانب انتهى وقال ابن عطية والمقصود للعبرة في هذه الاية هو كل جرم له ظل كالجبال والشجر
وغير ذلك والذي يترتب فيه ايمان وشمايل انما هو البشر فقط لكن ذكر الايمان والشمايل هنا
على حسب الاستعارة لغير البشر تقدره ذا يمين وشمال وتقدره يستقبل اي جهة شئت ثم تنظر
ظله فتراه يميل اما الى جهة اليمين واما الى جهة الشمال وذلك في كل اقطار الدنيا فهذا يعم
الفاظ الاية وفيه تجوز واتساع ومن ذهب ان اليمين من غدوة الى الزوال ويكون من الزوال
الى المغيب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جريج فانما يترتب فيما قدره مستقبل الجنوب
انتهى واما الثاني فقال الزمخشري واليمين بمعنى الايمان فجعله وهو مفرد بمعنى الجمع فطابق
الشمايل من حيث المعنى كما قال ويولون الدبر يريد الادبار وقال الفراء كانه اذا وحد ذهب
الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها لان قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد
ومعناه الجمع فعبر عن احدهما بلفظ الواحد لقوله وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وقيل اذا فسرنا اليمين بالمشرق وكانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة
بعينها فكانت اليمين واحدة واما الشمايل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال
بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع وقال الكرماني يحتمل ان
يراد بالشمايل الشمال والقدام والخلف لان الظل يفيء من الجهات كلها فبدئ باليمين لان
ابتداء التفيؤ منها او تيمنا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين والشمال
من التضاد وينزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف وقيل
وحد اليمين وجمع الشمايل لان الابتداء عن اليمين ثم ينقبض شيئا فشيئا حالا بعد حال فهو بمعنى
الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات وقال ابن عطية وما
قال الناس من ان اليمين اول وقعة للظل بعد الزوال ثم الاخر الى الغروب هي عن الشمايل
وافرد اليمين فتخليط من القول ومبطل من الجهات وقال ابن عباس اذا صليت الفجر كان
ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا فقبض اليه الظل
فعلى هذا تاول دوران الشمس بالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدا الانحراف فهو عن
الشمايل لانه حركات كثيرة وظلال منقطعة فهي شمايل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلا
واحدا عاما لكل شيء انتهى وقال شيخنا الاستاذ ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف
بابن الضايع افرد وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير
فكانه في جهة واحدة وهو بالعشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في
الاية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجدا جمع فطابقه جمع الشمايل
لاتصاله به فحصل في الاية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا وتلك الغاية في الاعجاز
انتهى والظاهر حمل الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام اكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت
الشمس وانت متوجه الى القبلة كان الظل قدامك فاذا ارتفعت كان على يمينك فاذا كان
بعد ذلك كان خلفك فاذا دنت للغروب كان عن يسارك وقالت فرقة الظلال هنا الاشخاص
وهي المرادة نفسها والعرب تخبر احيانا عن الاشخاص بالظلال ومنه قول عبدة بن الطبيب

* اذا نزلنا نصبنا ظل اخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل *

وانما تنصب الاخبية ومنه قول الشاعر تتبع افياء الظلال عشية * اي افياء الاشخاص
قال ابن عطية وهذا كله محتمل غير صريح وان كان ابو علي قرره انتهى والظاهر ان السجود هنا عبارة
عن الانقياد وجريانها على ما اراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها كما يقال للمشير براسه
الى الارض على جهة الخضوع ساجد قال الزمخشري سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من
الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وما خلق الله من شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من
اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى ان الظلال منقادة لله غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله
فيها لا تمتنع انتهى فغاير الزمخشري بين الحالين جعل سجدا حالا من الظلال وهم داخرون

حالا

حالا من الضمير في ظلاله واجاز ابو البقاء ان يكون وهم داخرون حالا من الضمير في سجدا وان يكون
حالا ثانية من الظلال كما تقول جاء زيد راكبا وهو ضاحك فيجوز ان يكون وهو ضاحك حالا
من الضمير في راكبا ويجوز ان يكون حالا من زيد وهذا الثاني عندي اظهر والعامل في الحالين
هو تتفيؤ وعن متعلقة به وقاله الحوفي وقيل في موضع الحال وقاله ابو البقاء وقيل عن اسم
اي جانب اليمين فيكون اذ ذاك منصوبا على الظرف واما ما اجازه الزمخشري من ان قوله وهم داخرون
حالا من الضمير في ظلاله فعلى مذهب الجمهور لا يجوز وهي مسالة جاءني غلام هند ضاحكة ومن
ذهب الى انه اذا كان المضاف جزءا او كالجزء جاز قد تخير هنا وتقول الظلال وان لم يكن جزءا من
الاجرام فهي كالجزء لان وجودها ناشئ عن وجودها وذهبت فرقة الى ان السجود هنا حقيقة
قال الضحاك اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من نبت وشجر ولذلك كان الصالحون يستحبون
الصلوة في ذلك الوقت وقال مجاهد انما تسجد الظلال دون الاشخاص وعنه ايضا اذا زالت
الشمس سجد كل شيء وقال الحسن اما ظلك فيسجد لله واما انت فلا تسجد له وقيل لما كانت الظلال
ملصقة بالارض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود وكون السجود يراد به الحقيقة
وهو الوقوع على الارض على سبيل العبادة وقصدها يبعد اذ يستدعي ذلك الحيوة والعلم والقصد
بالعبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع التغير والتغير يقتضي مغيرا غيره ومدبرا له ولما كان سجود
الظلال في غاية الظهور بدا به ثم انتقل الى سجود ما في السموات والارض ومن دابة يجوز
ان يكون بيانا لما في الطرفين ويكون من في السموات خلق يدبون ويجوز ان يكون بيانا لما في الارض
ولهذا قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض وعطف والملايكة على ما في السموات وما في الارض
وهم مندرجون في عموم ما تشريفا لهم وتكريما ويجوز ان يراد بهم الحفظة التي في الارض وبما في
السموات ملايكتهن فلم يدخلوا في العموم وقيل بين تعالى في اية الظلال ان الجمادات باسرها
منقادة لله وبين ان اشرف الموجودات وهم الملايكة واخسها وهي الدواب منقادة له تعالى
ودل ذلك على ان الجميع منقادة لله تعالى وقيل الدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب
فلما ميز الله الملايكة عن الدابة علمنا انها ليست مما يدب بل هي ارواح مختصة بحركة انتهى
وهو قول فلسفي ولما كان بين المكلفين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو الانقياد لارادة الله
جمع بينهما فيه وان اختلفا في كيفية السجود وقال الزمخشري فان قلت
فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن
فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم
انتهى وظاهر السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب
تخصيص من بالعقلاء وان الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب لانه اورد
السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى ان من يغلب بها والجواب لا
يغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب والظاهر ان الضمير في قوله يخافون عايد على المنسوب
اليهم السجود في ولله يسجد وقاله ابو سليمان الدمشقي وقال ابن السايب ومقاتل يخافون من
صفة الملايكة خاصة فيعود الضمير عليهم وقال الكرماني والملايكة موصوفون بالخوف لانهم
قادرون على العصيان وان كانوا لا يعصون والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة اليه تعالى
فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف اي يخافون عذابه كائنا من فوقهم لان العذاب انما
ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا منه اي يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر
فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفي نسبة الخوف لمن نسب اليه السجود او الملايكة خاصة
دليل على تكليف الملايكة كساير المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء مدارون على الوعد والوعيد
كما قال تعالى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
وقيل الخوف خوف جلالة ومهابة والجملة من يخافون يجوز ان تكون حالا من الضمير في لا يستكبرون
ويجوز ان تكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته وقوله
ويفعلون ما يومرون اما المومنون فبحسب الشرع والطاعة واما غيرهم من الحيوان فبالتسخير
والقدر الذي يسوقهم اليه ما ينفذ من امر الله تعالى

المفردات

وصب الشيء دام
قال ابو الاسود الدؤلي لا اشتري الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر اجمع واصبا
وقال حسان غيرته الريح تسفي به * وهزيم رعده واصب
والعليل وصيب لكون المرض لازما له وقيل الوصب التعب وصب الشيء شق ومفازة واصبة بعيدة

لاغاية لها الجؤار رفع الصوت بالدعا **وقال الاعشي يصف راهبا**

• يداوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوءارا •

ويروي بباوح دس الشي في الشي اخفاه فيه الفرث كثيف ما يبقي من الماكول في الكرش او المعي النحل حيوان معروف الحفدة الاعوان والخدم ومن يبادر في الطاعة حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه واليك نسعي ونحفد اي نسرع في الطاعة **وقال الشاعر**

• حفد الولايد حولهن • واسلمت باكفهن ازمة الاجمال • **وقال الاعشي**

• كلفت موجودها نوقا يمانية • اذا الحداة علي اكسابها حفدوا •

ويتعدي فيقال حفدني فهو حافد **قال الشاعر**

• يحفدون الضيف في ابياتهم • كرما ذلك منهم غير ذل •

قال ابو عبيد وفيه لغة اخري احفد احفادا وقال الحفد العمل والخدمة وقال الخليل الحفدة عند العرب الخدم وقال الازهري الحفدة اولاد الاولاد وقيل الاختان **وانشد**

• فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت • لها حفد مما يعد كثير •

• ولكنها نفس علي ابية • عيوف لاصهار اللئام قذور •

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون • وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون • ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون • ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون • لما ذكر انقياد ما في السموات وما في الارض لما يريده تعالي منها فكان هو المتفرد بذلك نهي ان يشرك به ودل النهي عن اتخاذ الهين علي النهي عن اتخاذ آلهة ولما كان الاسم الموضوع للافراد والتثنية قد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان **وقول الشاعر**

• فان النار بالعودين تذكي • وان الحرب اولها الكلام •

اكد الموضوع لهما بالوصف فقيل الهين اثنين وقيل اله واحد وقال الزمخشري الاسم الحامل لمعني الافراد والتثنية دال علي شيئين علي الجنسية والعدد المخصوص فاذا اردت الدلالة علي ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يوكده فدل به علي القصد اليه والعناية به الاتري انك اذا قلت انما هو اله ولم توكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية انتهي والظاهر ان لا تتخذوا تتعدي الي واحد واثنين كما تقدم تاكيد وقيل هو متعد الي مفعولين فقيل تقدم الثاني علي الاول وهذا جايز والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين وقيل حذف الثاني للدلالة تقديره معبودا واثنين علي هذا القول تاكيد وتقرير منافاة الاثنينية للالهية من وجوه ذكرت في علم اصول الدين ولما نهي عن اتخاذ الهين واستلزم النهي عن اتخاذ آلهة اخبر تعالي انه اله واحد كما قال والهكم اله واحد باداة الحصر والتاكيد بالوحدة ثم امرهم بان يرهبوه والتفت من الغيبة الي الحضور لانه ابلغ في الرهبة وانتصب اياي بفعل محذوف مقدر التاخر عنه يدل عليه فارهبون وتقديره واياي ارهبوا وقول ابن عطية فاياي منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا اياي فارهبون ذهول عن القاعدة في النحو انه اذا كان المعمول ضميرا منفصلا والفعل متعد الي واحد هو الضمير وجب تاخير الفعل كقوله اياك نعبد ولا يجوز ان يتقدم الا في ضرورة نحو قوله اليك حتي بلغت اياكا ثم التفت من التكلم الي ضمير الغيبة فاخبر تعالي ان له ما في السموات والارض لانه لما كان هو الاله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجودا بايجاده وخلقه واخبر ان له الدين واصبا قال مجاهد الدين الاخلاص وقال ابن جبير العبادة وقال عكرمة شهادة ان لا اله الا الله واقامة الحدود والفرايض وقال الزمخشري وابن عطية الطاعة زاد ابن عطية والملك **وانشد**

في دين عمرو وحالت بيننا فدك • اي في طاعته وملكه وقال الزمخشري او وله الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وقال ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد والثوري واصبا دايما قال الزمخشري والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه بالطاعة واجبة له علي كل منعم عليه وذكر ابن الانباري انه من الوصب وهو التعب وهو علي معني النسب اي ذا وصب كما **قال الشاعر** اضحي فوادي به فاتنا • اي ذا فتون قال الزمخشري او وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا انتهي وقال الزجاج يجوز ان يكون المعني وله الدين والطاعة رضي العبد بما يومر به وسهل عليه ام لا يسهل فله الدين وان كان فيه الوصب والوصب شدة التعب وقال الربيع بن انس واصبا خالصا قال ابن عطية والواو في وله ما في السموات والارض عاطفة علي

قوله

قوله عزوجل وقال الله

قوله اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء انتهي ولا يقال واو ابتداء الا لواو الحال ولا يظهر هنا الحال وانما هي عاطفة اما علي الخبر كما ذكرا ولا تكون الجملة في تقدير المفرد لانها معطوفة علي الخبر واما علي الجملة باسرها التي هي انما هو اله واحد فيكون من عطف الجمل وانتصب واصبا علي الحال والعامل فيها هو ما يتعلق به المجرور افغير الله استفهام تضمن التوبيخ والتعجب اي بعد ما عرفتم وحدانيته وان ما سواه له ومحتاج اليه كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضر يقدر عليه ثم اخبر تعالي بان جميع النعم المكتسبة بناء انما هي من ايجاده واختراعه ففيه اشارة الي وجوب الشكر علي ما اسدي من النعم الدينية والدنيوية ونعمه تعالي لا تحصي كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما موصولة وصلتها بكم والعامل فعل الاستقرار اي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر فمن الله اي فهي من قبل الله وتقدير الفعل العامل في بكم خاصا كحل او نزل ليس بجيد واجاز الفراء والحوفي ان تكون ما شرطية وحذف فعل الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم من نعمة وهذا ضعيف جدا لانه لا يجوز حذفه الا بعد ان وحدها في باب الاشتغال او متلوة بما النافية مدلولا عليه بما قبله نحو قوله فطلقها فلست لها بكفو • وان لا يعل مفرقك الحسام • اي وان لا تطلقها حذف تطلقها لدلالة طلقها عليه وحذفها بعد ان غير متلوة بلا مختص بالضرورة نحو قوله قالت بنات العم يا سلمي وان كان عييا معدما قالت وان اي وان كان عييا معدما واما غيران من ادوات الشرط فلا يجوز حذفه الا مدلولا عليه في باب الاشتغال مخصوصا بالضرورة نحو قوله ابنما الريح تميلها تمل • التقدير ابنما تميلها الريح تميلها تمل ولما ذكر تعالي ان جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهي حالة الضر والضر يشمل كلما يتضرر به من مرض او فقر او حبس او نهب مال وغير ذلك **وقرا** الزهري تجرون بحذف الهمزة والقاء حركتها علي الجيم **وقراء** كاشف وقاعل هنا بمعني فعل واذا الثانية للمفاجاة وفي ذلك دليل علي ان اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لانه لا يعمل ما بعد اذا الفجايية فيما قبلها ومنكم خطاب للذين خوطبوا بقوله وما بكم من نعمة اذ بكم خطاب عام والفريق هنا هم المشركون المعتقدون نحالة الرجاء ان الهتهم تنفع وتضر وتشفي وعن ابن عباس المنافقون وعن ابن السايب الكفار ومنكم في موضع الصفة ومن للتبعيض واجاز الزمخشري تكون من للبيان لا للتبعيض قال كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم قال ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد انتهي واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعني ان اشراكهم بالله سببه كفرهم به اي جحودهم او كفران نعمته وبما اتيناهم من النعم او من كشف الضر او من القران المنزل اليهم وان كانت للصيرورة فالمعني صار امرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بافعالهم تلك ان يكفروا بل لامر ذلك الجؤار والرغبة الي الكفر بما انعم عليهم او الي الكفر الذي هو جحوده والشرك به وان كانت للامر فمعناه التهديد والوعيد **وقال** الزمخشري ليكفروا فتمتعوا يجوز ان يكون من الامر الوارد في معني الخذلان والتخلية واللام لام الامر انتهي ولم يخل كلامه من الفاظ المعتزلة وهي قوله في معني الخذلان والتخلية **وقراء** ابو العالية فيتمتعوا بالتاء من تحتها مضمومة مبنيا للمفعول ساكن الميم وهو مضارع متع مخففا وهو معطوف علي ليكفروا وحذف النون اما للنصب عطفا ان كان يكفروا منصوبا واما للجزم ان كان مجزوما ان كان عطفا واما للنصب ان كان جواب الامر وعنه فسوف يعلمون بالياء علي الغيبة **وقد** رواها مكحول الشامي عن ابي رافع مولي النبي عن النبي صلي الله عليه وسلم والتمتع هنا هو الحيوة الدنيا ومالها الي الزوال • ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسالن عما كنتم تفترون • ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون • واذا بشر احدهم بالانثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارا من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه علي هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون • للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلي وهو العزيز الحكيم • الضمير في ويجعلون عايد علي الكفار والظاهر انه في يعلمون عايد عليهم وما هي الاصنام اي الاصنام التي لا يعلم الكفار انها تضر وتنفع او لا يعلمون في اتخاذها الهة حجة ولا برهانا وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تشفع فهم جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للاصنام اي للاصنام التي لا تعلم شيا ولا تشعر به اذ هي جماد لم يقم بها علم البتة فالنصيب هو ما جعلوه لها من الحرث والانعام قبح تعالي فعلهم ذلك وهو ان يفردوا نصيبا مما انعم به تعالي عليهم لجمادات لا تضر ولا تنفع ولا تشفع

قوله عزوجل ويجعلون لما لا يعلمون

هي بجعل ذلك النصيب لها ثم اقسم تعالى عليهم جمادات لا تضر ولا تنفع علي انه يسالهم عن افترائهم
واختلاقهم في اشراكهم مع الله الهة وانها اهل للتقرب اليها بجعل النصيب لها والسؤال في الاخرة
او عند عذاب القبر او عند القرب من الموت اقوال ولما ذكر تعالي انه يسالهم عن افترائهم ذكر
انهم مع اتخاذهم الهة نسبوا الي الله تعالي التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك اليه فيما لم يرتضوه
وتربد وجوههم من نسبته اليهم ويكرهونه اشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له تعالي عن نسبة الولد اليه ولهم ما يشتهون وهم الذكور وهذه الجملة
مبتدا وخبر وقال الزمخشري ويجوز فيما يشتهون الرفع علي الابتداء والنصب علي ان يكون معطوفا
علي البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور انتهي وهذا الذي اجازه من النصب
تبع فيه الفراء والحوفي وقال ابو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هولاء عن قاعدة في النحو
وهو ان الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل لا يتعدي الي ضميره المتصل المنصوب فلا يجوز زيد
ضربه تريد ضرب نفسه الا في باب ظن واخواتها من الافعال القلبية وفقد وعدم فيجوز زيد
ظنه قايما وزيد فقده وزيد عدمه والضمير المجرور بالحرف كالمنصوب المتصل فلا يجوز زيد غضب
عليه تريد غضب علي نفسه فعلي هذا الذي تقرر لا يجوز النصب اذ يكون التقدير ويجعلون
لهم ما يشتهون قالوا وضمير مرفوع ولهم مجرور باللام وهو نظير زيد غضب عليه واذا بشر
المشهور ان البشارة اول خبر يسر وهنا قد يراد به مطلق الاخبار او تغير البشرة وهو القدر المشترك
بين الخبر السار او المحزن وفي هذا تقبيح لنسبتهم الي الله المنزه عن الولد البنات واحدهم
اكره الناس فيهن وانفرهم طبعا عنهن وظل تكون بمعني صار وبمعني اقام نهارا علي الصفة
التي تسند الي اسمها تحتمل الوجهين والاظهر ان تكون بمعني صار لان التبشير قد يكون في
ليل ونهار وقد تلحظ الحالة الغالبة وان اكثر الولادات تكون بالليل وتتاخر اخبار المولود
له الي النهار وخصوصا بالانثي فيكون ظلوله علي ذلك الوصف طول النهار واسوداد الوجه
كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقته بولادة الانثي قيل اذا قوي الفرح انبسط
روح القلب من داخله ووصل الي الاطراف ولا سيما الي الوجه لما بين القلب والدماغ من
التعلق الشديد فتري الوجه مشرقا متلالئا واذا قوي الغم انحصر الروح الي باطن القلب
ولم يبق له اثر قوي في ظاهر الوجه فتربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه اثر الارضية
فمن لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده فلذلك
كني عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد وهو كظيم اي ممتلئ القلب حزنا وغما اخر مما يظهر
في وجهه وعن ما يجنه في قلبه وكظيم يحتمل ان يكون للمبالغة ويحتمل ان يكون بمعني مفعول
لقوله وهو مكظوم ويبالغ مكظوم اي مملوء مشدود الفم وروي الاصمعي ان امراة ولدت
بنتا اسمتها الذلفاء فهجرها زوجها **فقالت**

ما لابي الذلفاء لا ياتينا • يظل في البيت الذي يلينا •
يحرد ان لا نلد البنينا • وانما ناخذ ما يعطينا •

يتواري يختفي من الناس ومن سوء للتعليل اي الحامل له علي التواري هو سوء ما اخبر به وقد
كان بعضهم في الجاهلية يتواري حالة الطلق فان اخبر بذكر ابتهج او انثي حزن وتواري
اياما يدبر فيها ما يصنع ايمسكه قبله حال محذوفة دل عليها المعني والتقدير منكرا او مدبرا
ايمسكه وذكر الضمير ملاحظة للفظ ما في قوله من سوء ما بشر به **وقرا** الجحدري
ايمسكها علي هوان ام يدسها بالتانيث عودا علي قوله بالانثي او علي معني ما بشر به ووافقه
عيسي علي قراءة هوان علي وزن فعال **وقرات فرقة** ايمسكه بضمير التذكير ام يدسها
بضمير التانيث **وقرات فرقة** علي هون بفتح الهاء **وقرا** الاعمش علي سوء وهي
عندي تفسير لا قراءة لمخالفتها السواد المجمع عليه ومعني الامساك حبسه وتربيته والهون
الهوان كما قال عذاب الهون والهون بالفتح الرفق والذين يمشون علي الارض هونا وفي
قوله علي هون قولان احدهما انه حال من الفاعل وهو مروي عن ابن عباس قال ابن عباس
انه صفة للاب والمعني ايمسكها مع رضاه بهوان نفسه وعلي رغم انفه وقيل حال من المفعول
اي ايمسكها مهانة ذليلة والظاهر من قوله ام يدسه في التراب انه يئدها وهو دفنها
حية حتي تموت وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتي لا تعرف كالمدسوس في التراب
والظاهر من قوله الا ساء ما يحكمون رجوعه الي قوله ويجعلون لله البنات الاية اي ساء ما

يحكمون

ما يحكمون في نسبتهم الي الله ما هو مستكره عندهم نافر عنهن طبعهم بحيث لا يحتملون نسبتهن
اليهم ويئدونهن استنكافا منهن وينسبون اليهم الذكر كما قال الكم الذكر وله الانثي وقال
ابن عطية ومعني الاية يدبر ايمسك هذه الانثي علي هوان يتجلد له ام يئدها فيدفنها حية
فهو الدس في التراب ثم استقبح الله سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع
علي الله انتهي تعلق الا ساء ما يحكمون بصنعهم في بناتهم مثل السوء قيل مثل بمعني صفة
اي صفة السوء وهي الحاجة الي الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق
واقرارهم علي انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلي اي الصفة العليا وهي الغني عن العالمين
والنزاهة عن سمات المحدثين وقيل مثل السوء هو وصفهم الله تعالي بان له البنات
وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد الي الله وخصوصا علي طريق الانوثة التي هم يستنكفون
منها وقال ابن عباس مثل السوء النار وقال ابن عطية قالت فرقة مثل بمعني صفة اي
لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف الاعلي وهذا لا اضطر اليه لانه خروج عن اللفظ بل قوله
مثل علي بابه وذلك انهم اذا قالوا ان البنات لله فقد جعلوا لله مثلا فالبنات من البشر
وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو المثل السوء والذي اخبر الله تعالي انه لهم وليس في
البنات فقط بل لما جعلوه هم البنات جعله هو لهم علي الاطلاق في كل سوء ولا غاية ابعد
من عذاب النار وقوله ولله المثل الاعلي علي الاطلاق اي الكمال المستغني وقال قتادة المثل
الاعلي لا اله الا الله انتهي وقول قتادة مروي عن ابن عباس ولما تقدم قوله ويجعلون لله
البنات الاية تقدم ما نسبوا الي الله واتي ثانيا ما كان نسبوا لانفسهم بدا هنا بقوله للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء واتي بعد ذلك بما يقابل قوله سبحانه من التنزيه وهو قوله
ولله المثل الاعلي وهو الوصف المنزه عن سمات الحدوث والتوالد وهو الوصف الاعلي
الذي ليس يشركه فيه غيره وناسب الختم بالعزيز وهو الذي لا يوجد نظيره الحكيم الذي
يضع الاشياء مواضعها ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم
الي اجل مسمي فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسني لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون • تالله لقد ارسلنا
الي امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم • وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة لقوم يؤمنون • والله انزل
من السماء ماء فاحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون • لما حكي تعالي
عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالد له بين انه تعالي يمهلهم ولا يعاجلهم
بالعقوبة اظهارا لفضله ورحمته ويؤاخذ مضارع واخذ والظاهر انه بمعني المجرد الذي
هو اخذ وقال ابن عطية كان المؤاخذين ياخذ من الاخر اما بمعصية كما هي في حق الله
تعالي او باذاية في جهة المخلوقين فياخذ الاخر من الاول بالمعاقبة والجزاء انتهي والظاهر
عموم الناس وقيل اهل مكة والباء في بظلمهم للسبب وظلمهم كفرهم ومعاصيهم والضمير في
عليها عايد علي غير مذكور ودل علي انه الارض قوله من دابة لان الدبيب من الناس لا يكون
الا في الارض وهو كقوله فاثرن به نقعا اي بالمكان لان والعاديات معلوم انها لا تعدو
الا في مكان وكذلك الاثارة والنقع والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح بالطالح وكان
يهلك جميع ما يدب علي الارض حتي الجعلان في جحرها قاله ابن مسعود قال قتادة وقد فعل تعالي
ذلك في زمن نوح عليه السلام وقال السدي ومقاتل اذا قحط المطر لم تبق دابة الا هلكت
وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلي والله حتي ان الحباري لتموت
في وكرها بظلم الظالم وهذا انظر واتفقا فتنة الاية والحديث انهلك وفينا الصالحون وقال
ابن السايب واختاره الزجاج من دابة من الانس والجن وقال ابن جريج من الناس خاصة وقالت
فرقة منهم ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم الي اجل الاية تقدم تفسير
ما يشبهه في الاعراف وما في ما يكرهون لمن يعقل واريد بها النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم
ومعني ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به وقال الزمخشري ما يكرهون لانفسهم من البنات
ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل
اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسني عند الله كقوله ولين رجعت
الي ربي ان لي عنده للحسني انتهي وقال مجاهد الحسني قول قريش لنا البنون يعني قالوا لله البنات

قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

ولنا البنون وقيل الحسنى الجنة وقوله لا جرم ان لهم النار والمعنى على هذا يجعلون لله المكروه
ويدعون مع ذلك انهم يدخلون الجنة كما تقول انت تعصي الله وتقول مع ذلك انك تنجو اي هذا
بعيد مع هذا وهذا القول لا يتاتى الا ممن يقول بالبعث وكان فيهم من يقول به او على تقدير
ان كان ما يقول من البعث صحيحا وان لهم الحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف اي بان
لهم **وقرا** الحسن ومجاهد بخلاف السنتهم باسكان التاء وهي لغة تميم جمع لسانا المذكر
نحو حمار واحمرة وفي التاء يؤنث السن كذراع واذرع **وقرا** معاذ بن جبل وبعض اهل الشام
الكذب بضم الكاف والذال والباء صفة للالسنة جمع كذوب كصبور وصبر وهو مقيس او جمع
كاذب كشارف وشرف ولا ينقاس وعلى هذه القراءة ان لهم مفعول تصف وتقدم الكلام
في لا جرم ان **وقرا** الحسن وعيسى بن عمر ان لهم بكسر الهمزة وان جواب قسم اغنت عنه لا جرم
وقرا ابن عباس وابن مسعود وابو رجاء وشيبة ونافع واكثر اهل المدينة مفرطون من افرط
اي يتجاوزون الحد في معاصي الله وباقي السبعة والحسن والاعرج واصحاب ابن عباس ونافع في رواية
بفتح الراء من افرطته الى كذا اقدمته معدى بالهمزة من فرط الى كذا تقدم اليه **قال القطامي**

• واستعجلونا وكانوا من صحابتنا • كما تعجل فراط لوراد •

ومنه انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم وقال ابن جبير ومجاهد وابن ابي هند مفرطون مخلفون
متروكون في النار من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته قال ابو البقاء تقول العرب
افرطت منهم ناسا اي خلفتهم ونسيتهم **وقرا** ابو جعفر مفرطون مشددا من فرط اي يقصرون
مضيعون وعنه ايضا فتح الراء وشدها اي مقدمون من فرطته المعدى بالتضعيف من فرط بمعنى
تقدم ثم اخبر تعالى بارسال الرسل الى امم من قبل امتك مقسما على ذلك وهو كذا بالقسم وبقد
التي تقتضي تحقيق الامر على سبيل التسلية للرسول لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبته
الى ما لا يجوز فزين لهم الشيطان اعمالهم من تماديهم على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال
ماضية اي لا ناصر لهم في حياتهم الا هو او عبر باليوم عن وقت الارسال ومجاورة الرسل لهم وحكاية
حال آتية وهي يوم القيامة وال في اليوم للعهد وهو اليوم المشهود فهو وليهم في ذلك اليوم
اي قرينهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى امم **وقال** الزمخشري ويجوز ان
يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز
ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير
ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف واللام في لتبين لام التعليل والكتاب القران والذي
اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدرة واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدون
من الاحكام كتحريم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الاحكام وهدى ورحمة في موضع نصب
على انهما مفعول من اجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما لان المنزل هو الله وهو الهادي
والراحم ودخلت اللام على لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله والتبيين مسند للمخاطب
وهو الرسول وقول الزمخشري معطوفان على محل لتبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف
منصوب عليه **الا ترى** انه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل • والله انزل من السماء ماء
قال ابو عبد الله الرازي المقصود من القران اربعة الالهيات والنبوات والمعاد والقدر
والاعظم منها الالهيات فابتدأ بذكر دلائلها بالاجرام الفلكية ثم بالانسان ثم بالحيوان ثم
بالنبات ثم باحوال البحر والارض ثم عاد الى تقرير دلائل الالهيات فبدأ بذكر الفلكيات انتهى
ملخصا وقال ابن عطية لما امره بتبيين ما اختلفوا فيه نص العبر المودية الى بيان امر الربوبية
فبدأ بنعمة المطر التي هي ابين العبر وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور لا يختلف فيها عاقل
انتهى ونقول لما ذكر انزال الكتاب للتبيين كان القران حياة للارواح وشفاء لما في الصدور من
علل العقائد ولذلك ختم بقوله لقوم يؤمنون اي يصدقون والتصديق محله القلب ذكر
انزال المطر الذي هو حياة الاجسام وسبب لبقائها ثم اشار باحياء الارض بعد موتها الى
احياء القلوب بالقران كما قال او من كان ميتا فاحييناه فكما تصير الارض خضرة بالنبات نضرة
بعد همودها كذلك القلب يحيى بالقران بعد ان كان ميتا بالجهل ولذلك ختم بقوله يسمعون
اي يسمعون هذا التشبيه المشار اليه والمعنى سماع انصاف وتدبر ولملاحظة هذا المعنى
والله اعلم لم يختم بلقوم يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر ويشاهد **وقال**
ابن عطية وقوله يسمعون يدل على ظهور هذا المعتبر فيه وبيانه لانه لا يحتاج الى نظر ولا تفكر

وانما

قوله عز وجل وان لكم في الانعام

وانما يحتاج المنبه الى ان يسمع القول فقط وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين • ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون • واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون • لما ذكر تعالى احيا الارض
بعد موتها ذكر ما ينشأ عن ما ينشأ عن المطر وهو حياة العلم التي هي مالوف العرب بما بيننا وله
من النبات الناشئ عن المطر ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم
وقرا ابن مسعود بخلاف والحسن وزيد بن علي وابن عامر وابو بكر ونافع واهل المدينة
نسقيكم هنا وفي قد افلح بفتح النون مضارع سقى وباقي السبعة بضمها مضارع اسقى وتقدم الكلام
في سقى واسقى في قوله فاسقيناكموه **وقرا** ابو رجاء يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عائد
على الله اي يسقيكم الله قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون مسندا الى النعم وذكر
لان النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه وان لكم في الانعام نعما يسقيكم اي يجعل لكم سقيا انتهى
وقرات فرقة بالتاء مفتوحة منهم ابو جعفر قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى
وضعفها عنده والله اعلم من حيث انث في تسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك
من هذه الجهة لان التانيث والتذكير باعتبار وجهين واعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس
لانه اذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو احسن
الفتيان وانبله لانه يصح هو احسن فتى وان كان هذا لا ينقاس عند **س** انما يقتصر فيه
على ما قالته العرب وقيل جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع فيعود
الضمير عليه مفردا **كقوله** مثل الفراخ نتقت حواصله وقيل افرد على تقدير المذكور
كما تفرد اسم الاشارة بعد الجمع كما **قال**

• فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •

فقال كانه وقدر بكان المذكور قال الكسائي اي في بطون ما ذكرنا قال المبرد وهذا شائع في القران
قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وقال فلما رأى الشمس بازغة قال
هذا ربي اي هذا الشيء الطالع ولا يكون هذا الا في التانيث المجازي لا يجوز جاريتك ذهب
وقالت فرقة الضمير عائد على البعض اذ الذكور لا البان لها فكان العبرة انما هي في
بعض الانعام وقال الزمخشري ذكر **س** الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة على
افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين
فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في
جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في **قوله**

• في كل عام نعم تحوونه • يلحقه قوم وتنتجونه •

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع انتهى واما ما ذكر عن ففي كتابه
في هذا في باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل ما نصه واما اجمال وفلوس فانها تنصرف وما
اشبهها لانها ضارعت الواحد الا ترى انك تقول اقوال واقاويل واعراب واعاريب
وايد واياد فهذه الاحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج الواحد اذا كسر للجمع واما
مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فتخرج الجمع الى بناء غير هذا لان هذا البناء هو الغاية فلما ضارعت
الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جميعا لاخرجته
الى فعائل كما تقول جدود وجدائد وركوب وركائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز
هذا البناء ويقوي ذلك ان بعض العرب يقول اتي للواحد فيضم الالف واما افعال فقد
تقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال الله تعالى نسقيكم مما في بطونه **وقال**
ابو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوب اكياش انتهى والذي ذكره **س** هو الفرق
بين مفاعل ومفاعيل لا تجمعان وافعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبه مفاعل او مفاعيل
لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد
من حيث انه يمكن جمعهما بان بعض العرب قال في اتي اتي بضم الهمزة يعني انه قد جاء نادرا

فعول من غير المصدر للمفرد وبان بعض العرب قد يوقع افعالاً للواحد من حيث افرد الضمير فتقول
هو الانعام وانما يعني ان ذلك علي سبيل المجاز لان الانعام في معني النعم كما قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المفدي ۝ وقلنا للنساء بها اقيمي ۝

ولذلك قال سي واما افعال فقد يقع للواحد دليل علي انه ليس لذلك بالوضع فقول الزمخشري
انما ذكره في الاسماء المفردة علي افعال تحريف في اللفظ ونهم عن سي ما لم يرده ويدل علي ما
قلناه ان سي حين ابنية الاسماء المفردة نص علي ان افعالا ليس من ابنيتها قال سي في باب
ما لحقته الزوايد من بنات الثلثة وليس في الكلام افعيل ولا افعول ولا افعال ولا افعل ولا افعال
الا ان تكسر عليه اسماً للجميع انتهي وهذا نص منه علي ان افعالا لا يكون في الابنية المفردة ونسقيكم
مما في بطونه تبيين للعبرة وقال الزمخشري وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ
من قدرة الله لا تبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله انتهي قال
ابن عباس اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا يبقي فيها واعلاه دما يجري في العروق
واوسطه لبنا يجري في الضرع وقال ابن جبير الفرث في اوسط المصارين والدم في اعلاها
واللبن بينهما والكبد يقسم الفرث الي الكرش والدم الي العروق واللبن الي الضروع وقال
ابو عبد الله الرازي قال المفسرون المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد
في موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم في اعلاه واللبن في الوسط وقد دللنا علي
ان هذا القول علي خلاف الحس والتجربة وكان الرازي قد قدم ان الحيوان يذبح ولا يري في كرشه
دم ولا لبن بل الحق ان الغذا اذا تناوله الحيوان وصل الي الكرش وانطبخ وحصل الهضم الاول فيه
فما كان منه كثيفا نزل الي الامعاء وصافيا انحدر الي الكبد فينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم
الثاني مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فتذهب الصفراء الي المرارة والسوداء الي الطحال
والماء الي الكلية وخالص الدم يذهب الي الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد فيحصل الهضم
الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة ينصب الدم من تلك العروق الي الضرع وهو لحم
رخو ابيض فينقلب من صورة الدم الي صورة اللبن فهذا هو الصحيح في تولد كيفية اللبن انتهي ملخصا
وقال ايضا واما نحن فنقول المراد من الاية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد
من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء الماكولة الحاصلة في الكرش فاللبن متولد مما كان
حاصلا فيما بين الفرث اولا ثم مما كان حاصلا فيما بين الدم ثانيا انتهي ملخصا ايضا والذي يظهر من
لفظ الاية ان اللبن يكون وسطا بين الفرث والدم والبينية يحتمل ان يكون باعتبار المكانية حقيقة
كما قاله المفسرون وادعي الرازي انه علي خلاف الحس والمشاهدة ويحتمل ان تكون البينية مجازية
باعتبار تولده مما حصل في الفرث اولا وتولده من الدم الناشي من لطيف ما كان في الفرث ثانيا
كما قرره الرازي ومن الاولي للتبعيض متعلقة بنسقيكم والثانية لابتداء الغاية متعلقة
بنسقيكم وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلاف مدلوليهما ويجوز ان تكون من بين في موضع الحال
فتتعلق بمحذوف لانه لو تاخر لكان صفة اي كاينا من بين فرث ودم ويجوز ان تكون من بين فرث
بدلا من ما في بطونه وقرات فرقة سيغا بتشديد اليا وعيسي بن عمر سيغا مخففا من سيغ
كهين المخفف من هين وليس بفعل لانه كان يكون سوغا والسايغ السهل في الحلق اللذيذ وروي
في الحديث ان اللبن لم يشرق به احد قط ولما ذكر تعالي ما من به من بعض منافع الحيوان ذكر ما من
به من بعض منافع النبات والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون وكررت من للتاكيد وكان
الضمير مفردا اعتبارا بالمحذوف اي ومن عصير ثمرات او علي معني الثمرات وهو الثمر او بتقدير من المذكور
وقيل تتعلق بنسقيكم فيكون معطوفا علي مما في بطونه او بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم
المتقدمة فيكون من عطف الجمل والذي قبله من عطف المفردات اذا اشتركا في العامل وقيل معطوف
علي الانعام اي ومن ثمرات النخيل والاعناب عبرة ثم بين العبرة بقوله تتخذون وقال
الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما وهو لا يجوز علي مذهب
البصريين وقال الزمخشري ويجوز ان تكون صفة موصوف محذوف كقوله ۝
بكفي كان من ارمي البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذونه انتهي وهذا الذي

اجازه قاله الحوفي قال اي وان من ثمرات وان شئت شي بالرفع علي الابتداء ومن ثمرات خبره انتهي
والسكر في اللغة الخمر قال الشاعر

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم ۝ اذا جري فيهم المزاء والسكر ۝

وقال الزمخشري سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال الشاعر

وجاونا بهم سكر علينا ۝ فاجلي اليوم والسكران صاحي ۝

وقاله ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وابن ابي ليلي
والكلبي وابن جبير وابو ثور والجمهور وهذه الاية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة
فهي منسوخة قال الحسن ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر وقال ابن عباس هو الخل بلغة
الحبشة وقيل العصير الحلو الحلال وسمي سكرا باعتبار ما له اذا ترك وقال ابو عبيدة السكر الطعم
يقال هذا سكر لك اي طعم واختاره الطبري قال والسكر في كلام العرب ما يطعم وانشد
ابو عبيدة جعلت اعراض الكرام سكرا ۝ اي تتنقل باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا انترك
في اعراض الناس فكانه يخمر بها قاله الزمخشري وتبع الزجاج قال يصف انه يخمر بعيوب الناس
وعلي هذه الاقوال لا نسخ وقال الزجاج قول ابي عبيدة لا يصح واهل التفسير علي خلافه وقيل
السكر ما لا يسكر من الانبذة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتي
يذهب ثلثاه ثم يترك حتي يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الي حد السكر انتهي واذا اريد
بالسكر الخمر فقد تقدم ان ذلك منسوخ واذا لم نقل بنسخ فقيل جمع بين العتاب والمنة يعني
بالعتاب علي اتخاذ ما يحرم وبالمنة علي اتخاذ ما يحل وهو الخل والرب والزبيب والتمر وقال
الزمخشري ويجوز ان تجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن انتهي
فيكون من عطف الصفات وظاهر العطف المغايرة ولما كان مفتتح الكلام وان لكم في الانعام
لعبرة ناسب الختم بقوله يعقلون لانه لا يعتبر الا ذووا العقول كما قال ان في ذلك لعبرة لاولي
الالباب وانظر الي الاخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج الي
معالجة من الناس اخبر عن نفسه تعالي بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن ولا امرما
عجزت العرب لعربا عن معارضته ولما ذكر تعالي المنة بالمشروب اللبن وغيره اتم النعمة
بذكر العسل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب في الناس اكثر من العسل قدم
اللبن وغيره عليه وقدم اللبن علي ما بعده لانه المحتاج اليه كثيرا وهو الدليل علي الفطرة
ولذلك اختاره الرسول حين اسري به وعرض عليه اللبن والخمر والعسل وجاء ترتيبها في
الجنة لهذه الاية قال تعالي وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفي ففي اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن من ثمرات النخل والاعناب
والعسل من النحل دلايل باهرة علي الالوهية والقدرة والاختيار والايحاء هنا الالهام والالقاء
في روعها وتعليمها علي وجه هو تعالي اعلم بكنهه لا سبيل الي الوقوف عليه والنحل جنس واحده
نحلة ويونث في لغة الحجاز ولذلك قال ان اتخذي وقرا ابن وثاب النحل بفتح الحاء
وان تفسيرية لانه تقدم معني القول وهو واوحي او مصدرية اي باتخاذ قال ابو عبد الله
الرازي ان هنا هي المفسرة لما في الوحي من معني القول هذا قول جمهور المفسرين وفيه نظر
لان الوحي هنا بالاجماع منهم هو الالهام وليس في الالهام معني القول وقال قدر تعالي في انفسها
الاعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر منها انها تبني البيوت المسدسة من اضلاع
متساوية بمجرد طباعها ولا يتم مثل ذلك للعقلاء الا بالات كالمسطرة والبركار ولم تبنها
باشكال غير ذلك فتضيق تلك البيوت عنها لبقاء فرج لا يسعها ولها امير اكبر جثة منها
نافذ الحكم يخدمونه واذا نفرت عن وكرها الي موضع اخر وارادوا اعودها الي وكرها ضربوا
الطبول والات الموسيقا وبواسطة تلك الالحان تعود الي وكرها فلما امتازت بهذه
الخواص العجيبة وليس الا علي سبيل الالهام وهي حالة تشبه الوحي لذلك قال واوحي ربك
الي النحل انتهي ملخصا ومن للتبعيض لانها لا تبني في كل جبل وشجر وكل ما يعرش ولا في
كل مكان منها والظاهر ان البيوت هنا عبارة عن الكوي التي تكون في الجبال وفي متجوف
الاشجار واما من ما يعرش ابن ادم فالخلايا التي يصنعها للنحل ابن ادم والكوي التي تكون في
الحيطان ولما كان النحل نوعين منه ما مقره في الجبال والغياض ولا يتعهده احد ومنه ما يكون

في بيوت الناس ويتعهد في الخلايا ونحوها شمل الامر باتخاذ البيوت النوعين وقال الزمخشري
مابدل على ان البيوت ليست الكوى وانما هي ما تبنيه هي فقال اريد معنى البعضية يعني
بعض وانها لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش وقال ابن زيد ومما يعرشون
الكروم وقال الطبري مما يبنون من السقوف قال ابن عطية وهذا منهما تفسير غير متقن
انتهى وقرأ السلمي وعبيد بن نضلة وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الراء وباقي السبعة
بكسرها وتقتضي ثم المهلة والتراخي بين الاتخاذ والاكل الذي تدخر منه العسل فلذلك
كان العطف بثم وهو معطوف على اتخذي وهو امر معطوف على امر وسياق الكلام على امر
غير المكلف في قوله يا ايها النمل ادخلوا ان شاء الله وكل الثمرات عام مخصوص اي لمعتادة
لاكلها قال الزمخشري اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها انتهى فدل قوله اي
ابني البيوت انه لا يريد بقوله بيوتا الكوى التي في الجبال ومتجوف الاشجار ولا الخلايا
وانما يراد البيوت المسدسة التي تبنيها هي وظاهر من في قوله من كل الثمرات انها للتبعيض
فتأكل من الاشجار الطيبة والاوراق العطرة اشياء يولد الله منها في اجوافها عسلا قال
ابن عطية انما تأكل النوار من الاشجار وقال ابو عبد الله الرازي ما ملخصه يحدث الله
تعالى في الهواء طلا كثيرا تجتمع منه اجزاء محسوسة مثل الترنجبين وهو محسوس وقليلا لطيف
الاجزاء صغيرها وهو الذي الهم الله تعالى النحل التقاطه من الازهار واوراق الاشجار
وتتغذى بها فاذا اشبعت التقطت بافواهها شيئا من تلك الاجزاء ووضعتها في بيوتها
كانها تحاول ان تدخر لنفسها غذاء فالمجتمع من ذلك هو العسل وعلى هذا القول
تكون من لابتداء الغاية لا للتبعيض انتهى وظاهر العطف بالفاء في فاسلكي انه بعقب الاكل
اي فاذا اكلت فاسلكي سبل ربك اي طرق ربك الى بيوتك راجعة والسبل اذ ذاك مسالكها في
الطيران وربما اخذت سكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الاول وقيل
سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت اي في سبل ربك
اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ مآكلك وعلى هذا
القول ينتصب سبل ربك على الظرف وعلى ما قبله ينتصب على المفعول به وقيل المراد بقوله
ثم كلي ثم اقصدي الاكل من الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك وهذا القول
والقول الاول اقرب في المجاز في سبل ربك من القولين اللذين بينهما الا ان كلي بمعنى اقصدي
لاكل مجازا واضاف السبل الى ربه النحل من حيث انه تعالى هو خالقها ومالكها والناظر
في تهيئة مصالحها ومعاشها وقال مجاهد ذللا لا يتوعر عليها سبيل تسلكه فعلى
هذا ذللا حال من سبل ربك كقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وقال قتادة
اي مطيعة منقادة وقال ابن زيد يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم فعلى هذا ذللا
حال من النحل لقوله وذللناها لهم ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيه على
المنة ثمرة هذا الاتخاذ والاكل والسلوك وهو قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل
وسماه شرابا لانه مما يشرب كما ذكر ثمرة الانعام وهو سقي اللبن وثمرة النخيل والاعناب
وهو اتخاذ السكر والرزق الحسن وذكر تعالى المقر الذي يخرج منه الشراب وهو بطونها
وهو مبدأ الغاية الاولى والجمهور على انه يخرج من افواهها وهذا مبدأ الغاية الاخيرة
ولذلك قال الحريري

• تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان ذممت تقل قيء الزنابير •

والمجاج والقيء لا يكونان الا من الفم وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال في تحقير الدنيا اشرف
لباس ابن آدم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة وعنه ايضا انما العسل ونيم ذباب
وظاهر هذا ان العسل يخرج من غير الفم وقد خفي مرأى المخرجين يخرج امن الفم امن اسفل
وحكي ان سليمان عليه السلام والاسكندر وارسطاطاليس صنعوا لها بيوتا من زجاج
لينظروا الى كيفية صنعها وهل يخرج العسل من فيها ام من اسفلها فلم تصنع من العسل
شيئا حتى لطخت باطن الزجاج بالطين بحيث يمنع المشاهدة وقال الحسن لباب البر بلعاب
النحل بخالص السمن ما عابه مسلم جعله لعابا كما ان الريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم وقيل
من بطونها من افواهها سمي الفم بطنا لانه في حكم البطن ولانه مما يبطن ولا يظهر واختلاف

الوانه بالبياض والصفرة والحمرة والسواد وذلك لاختلاف طباع النحل واختلاف المراعي وقد
يختلف طعمه لاختلاف المرعى كما في الحديث جرست نحله العرفط وقيل الابيض تلقيه شباب
النحل والاصفر كهولها والاحمر شيبها والظاهر عود الضمير فيه الى الشراب وهو العسل
لانه شفاء من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر
الاطباء فيه العسل والعسل موجود كثير في اكثر البلدان واما السكر فمختص به بعض البلاد
وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الازمان يجعل في الاشربة والادوية الا العسل وليس
المراد بالناس هنا العموم لان كثيرا من الامراض لا يدخل في دوائها العسل وانما المعنى
للناس الذي ينجع العسل في امراضهم ونكر شفاء اما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفاء
اي شفاء واما لدلالته على مطلق الشفاء اي فيه بعض الشفاء وروي عن ابن عباس والحسن
ومجاهد والضحاك والفراء وابن كيسان ان الضمير في فيه عائد على القران اي في القران شفاء
للناس قال النحاس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس
قال القاضي ابو بكر بن العربي اري هذا القول لا يصح نقله عن هؤلاء ولو صح نقلا لم يصح عقلا
فان سياق الكلام كله للعسل ليس للقران فيه ذكر ولما كان امر النحل عجيبا في بنائها تلك البيوت
المسدسة وفي اكلها من انواع الازهار والاوراق الحامض والمر والضار وفي طواعيتها لامرها
ولمن يملكها في النقلة معه وكان النظر في ذلك يحتاج الى تأمل وزيادة تدبر ختم بقوله تعالى
ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم
بعد علم شيئا ان الله عليم قدير • والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون • والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
هم يكفرون • ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون • لما ذكر تعالى تلك الآيات التي في الانعام والثمرات
والنحل ذكر ما نبهنا به على قدرته التامة في انشائنا من العدم واماتتنا وتنقلنا في حال الحيوة
من حالة العلم الى حالة الجهل وذلك كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم بقوله
عليم قدير وارذل العمر آخره الذي يفسد فيه الحواس ويختل النطق والفكر وخص بالرذيلة لانها
حالة لا رجاء بعدها لاصلاح ما فسد بخلاف حالة الطفولة فانها حالة تتقدم فيها الى القوة
وادراك الاشياء ولا يتقيد ارذل العمر بسن مخصوص كما روي عن علي انه خمس وسبعون سنة
وعن قتادة انه تسعون وانما ذلك بحسب انسان انسان فرب ابن خمسين انتهى الى ارذل العمر
ورب ابن مائة لم يرد اليه والظاهر ان من يرد الى ارذل العمر عام فيمن يلحقه الخرف والهرم وقيل
هذا في الكافر لان المسلم لا يزداد بطول عمره الا كرامة على الله ولذلك قال تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي لم يرد الى اسفل سافلين وقال
عكرمة من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر واللام في لكي قال الحوفي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد
وهي متعلقة بيرد انتهى والذي ذهب اليه محققو النحاة في مثل لكي ان كي حرف مصدري اذا
دخلت عليها اللام وهي الناصبة كان واللام جارة فينسبك من كي والمضارع بعدها مصدر
مجرور باللام مقدرا فاللام على هذا لم تدخل على كي للتوكيد لاختلاف معناهما واختلاف عملهما
لان اللام مشعرة بالتعليل وكي حرف مصدري واللام جارة وكي ناصبة وقال ابن عطية يشبه
ان تكون لام صيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيئا وهذه عبارة عن قلة
علمه لانه لا يعلم شيئا البتة وقال الزمخشري ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في
النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد
عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه انتهى وانتصب شيئا اما بالمصدر على
مذهب البصريين في اختيار اعمال الثاني للقرب او بيعلم على مذهب الكوفيين في اختيار اعمال
السابق للسبق ولما ذكر ما يعرض للهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم ذكر علمه
وقدرته اللذان لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث وليت صفة العلم ما جاورها

قوله عز وجل والله خلقكم

من انتفاء العلم وتقدم ايضا ذكر مناسبة للختم بهذين الوصفين ولما ذكر تعالى خلقنا ثم اماتتنا
وتفاوتنا في السن ذكر تفاوتنا في الرزق وان رزقنا افضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا وربما
كان المملوك خيرا من المولى في العقل والدين والتصرف وان الفاضل في الرزق لا يساهم مملوكه
فيما رزق فنساويه وكان ينبغي ان يرد فضل ما رزق عليه ويساويه في المطعم والملبس كما
يحكى عن ابي ذر انه رئي عبده وازاره مثل ازاره ورداؤه مثل ردائه من غير تفاوت عملا بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون وعن
ابن عباس وقتادة ان الاخبار بقوله فما الذين فضلوا على سبيل المثل اي ان المفضلين في الرزق لا يصح
منهم ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى تستوي احوالهم فاذا كان هذا في البشر فكيف تنسبون
انتم ايها الكفرة الى الله تعالى انه يشرك في الوهيته الاوثان والاصنام ومن عبد من الملائكة
وغيرهم والجميع عبيده وخلقه وعن ابن عباس ان الاية مشيرة الى عيسى بن مريم وقال المفسرون هذه
الاية كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا
فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما
ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وعلى هذا القول تكون فهم فيه سواء جملة اخبار عن تساوي الجميع
في ان الله تعالى هو رازقهم وعلى القولين الاخرين تكون الجملة في موضع جواب النفي كانه قيل فيستووا
وقيل هي جملة استفهامية حذف منها الهمزة التقدير افهم فيه سواء اي ليسوا مستوين في الرزق
بل التفضيل واقع لا محالة ثم استفهم عن جحودهم نعمة استفهام انكار واتى بالنعمة الشاملة للرزق
وغيره من النعم التي لا تحصى اي انه من تفضل عليكم بالنشاة اولا ثم مما فيه قوام حياتكم جدير بان
تشكر نعمه ولا تكفر **وقرا** ابوبكر عن عاصم وابو عبد الرحمن والاعرج بخلاف عنه تجحدون بالتاء
على الخطاب لقوله فضل تبكيتا لهم في جحد نعم الله ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق
المفضل فيه ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما يانس به ويستنصر به ويخدمه واحتمل من انفسكم
ان يكون المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل ان يكون ذلك باعتبار خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم فنسبت
ذلك الى بني آدم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر عطف حفدة على بنين فيفيد كون الجميع من الازواج
وانهم غير البنين فقال الحسن هم بنو ابنك وقال ابن عباس والازهري الحفدة اولاد الاولاد واختاره
ابن العربي وقال ابن عباس ايضا البنون صغار الاولاد والحفدة كبارهم وقال مقاتل بعكسه وقيل البنات
لانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة فهذا القول خص البنين بالذكران لانه جمع مذكر كما قال
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وانما الزينة في الذكور وعن ابن عباس هم اولاد الزوجة من غير الزوج
التي هي في عصمته وقيل وحفدة منصوب بجعل مضمرة وليسوا داخلين في كونهم من الازواج فقال
ابن عباس وعلقمة وابو الضحى وابراهيم بن جبير الاصهار وهم قرابة الزوجة كابيها واخيها وقال
مجاهد هم الانصار والاعوان والخدم وقالت فرقة الحفدة هم البنون اي جامعون بين البنوة والخدمة
فهو من عطف الصفات لموصوف واحد قال ابن عطية ما معناه وهذه الاقوال مبنية على ان كل احد
جعل له من زوجه بنين وحفدة وهذا انما هو في الغالب وعظم الناس ويحتمل عندي ان قوله من
ازواجكم انما هو على العموم والاشتراك اي من ازواج البشر جعل الله منهم البنين ومنهم جعل الخدمة وهكذا
رتبت الاية النعمة التي تشمل العالم ويستقيم لفظ الحفدة على مجراها في اللغة اذ البشر بجملتهم
لا يستغني احد منهم عن حفدة انتهى وفي قوله من انفسكم ازواجا دلالة على كذب العرب في اعتقادها
ان الادمي قد يتزوج من الجن ويباضعها حتى حكوا ذلك عن عمرو بن هند انه تزوج سعلاة ومن
في الطيبات للتبعيض لان كل الطيبات في الجنة والذي في الدنيا انموذج منها والظاهر ان
الطيبات هنا المستلذات لا الحلال لان المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ولما ذكر تعالى ما امتن
به من جعل الازواج وما ننتفع به من جهتهن ذكر منته بالرزق والطيبات عام في النبات والثمار
والحبوب والاشربة ومن الحيوان وقيل الطيبات الغنائم وقيل ما اتى من غير غصب وقال مقاتل
الباطل الشيطان ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي طاعة الشيطان في الحلال
والحرام وقيل ما يرجى من شفاعة الاصنام وبركتها قال الزمخشري افبالباطل يؤمنون وهو ما
يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل

ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة
فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل
ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم انتهى **وقرا**
الجمهور يؤمنون بالياء وهو توقيف للرسول عليه السلام على ايمانهم بالباطل ويندرج في التوقيف
المعطوف بعدها **وقرا** السلمي بالتاء ورويت عن عاصم وهو خطاب انكار وتقريع لهم والجملة
بعد ذلك مجرد اخبار عنهم فالظاهر انه لا يندرج في التقريع ويبعد ان تستانف اخبار عن حالهم
في عبادة الاصنام وفي ذلك تبيين لقوله افبالباطل يؤمنون نعى عليهم فساد نظرهم في عبادة ما لا
يمكن ان يقع منه ما يبتغي عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته فنفى اولا ان
يكون شيء من الرزق في ملكهم ونفى ثانيا قدرتها على ان تحاول ذلك وما لا يملك عام في جميع من عبد
من دون الله من ملك او ادمي او غير ذلك واجازوا في شيئا انتصابه بقوله رزقا اجاز ذلك ابو علي
وغيره ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق هو المرزوق كالرعي والطحن والمصدر هو الرزق بفتح الراء
كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة بان الرزق بالكسر يكون ايضا مصدرا وسمع ذلك فيه
فصح ان يعمل في المفعول به والمعنى ما لا يملك لهم ان يرزق من السموات والارض شيئا ومن السموات
متعلق اذ ذاك بالمصدر قال ابن عطية بعد ان ذكر اعمال المصدر منونا والمصدر يعمل مضافا باتفاق
لانه في تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الاسماء وبعد
عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الالف واللام في قول
الشاعر ضعيف النكاية اعداءه ◦ البيت **وقوله** لحقت فلم انكل عن الضرب مسمعا ◦ انتهى
اما قوله يعمل مضافا فبالاتفاق ان عني من البصريين فصحيح وان عني من النحويين فغير صحيح لان
بعض النحويين ذهب الى انه وان اضيف لا يعمل وان نصب ما بعده او رفعه انما هو على اضمار
الفعل المدلول عليه بالمصدر واما قوله لانه في تقدير الانفصال ليس كذلك لانه لو كان في
تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك ابو القسم بن برهان وابو الحسين بن
الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر المضاف وتوكيده بالمعرفة واما قوله ولا يعمل الى آخره
فقد ناقض في قوله اخيرا وقد جاء عاملا مع الالف واللام واما كونه لا يعمل مع الالف واللام
فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب **س** جواز اعماله قال **س** وتقول عجبت من الضرب
زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الالف واللام بمنزلة التنوين واذا كان رزقا يراد
به المرزوق فقالوا انتصب شيئا على انه بدل من رزقا كانه قيل ما لا يملك لهم من السموات والارض
شيئا وهو البدل ليس جاريا على جهة البيان لانه اعم من رزق ولا على جهة التوكيد لانه لعمومه
ليس مرادفا فينبغي ان لا يجوز اذ لا يخلو البدل من احد نوعيه هذين اما البيان واما التاكيد
واجازوا ايضا ان يكون مصدرا اي شيئا من الملك كقوله ولا تضرونه شيئا اي شيئا من الضرر
وعلى هذين الاعرابين يتعلق من السموات بقوله لا يملك او تكون في موضع صفة لرزق فتتعلق
بمحذوف ومن السموات رزقا يعني به المطر واطلق عليه رزق لانه عنه ينشا الرزق والارض
يعني الشجر والثمر والزرع والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها لانه يراد بها
الالهة بعد ما اعاد على اللفظ في قوله ما لا يملك فافرد وجاز ان يكون ذلك في صلتها وجاز ان لا
يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة اصلا لانهم موات واما قول الزمخشري انه يراد
بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة وقال
ابن عباس ولا يستطيعون ان يرزقوا انفسهم وجوز الزمخشري وابن عطية ان يعود الضمير على ما عاد
عليه في قوله ويعبدون وهم الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء يتصرفون اولوا
الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به قاله الزمخشري وقال ابن عطية لا يستطيعون
ذلك ببرهان يظهرونه وحجة يثبتونها انتهى ونهى تعالى عن ضرب الامثال لله وضرب الامثال
تمثيلها والمعنى هنا تمثيل الاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال
وقصة بقصة من قولهم هذا ضرب لهذا اي مثل والضرب النوع تقول الحيوان على ضروب اي انواع

المفردات

قوله عز وجل ضرب الله مثلا

وهذا من ضرب واحد اي من نوع واحد وقال ابن عباس معناه لا تشبهوه بخلقه انتهي وقال ان الله
يعلم اثبت العلم لنفسه والمعني انه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر بالجزاء
عن الجزاء بالعلم وانتم لا تعلمون كنه ما اقدمتم عليه ولا وبال عاقبته فعدم علمكم بذلك جركم
وجرأكم وهو كالتعليل للنهي عن الاشراك قال الزمخشري ويجوز ان يراد ان الله يعلم كيف نضرب
الامثال وانتم لا تعلمون انتهي وقال ابن السايب قال يعلم بضرب المثل وانتم لا تعلمون ذلك
وقال مقاتل يعلم انه ليس له شريك وانتم لا تعلمون ذلك وقيل يعلم خطاء ما تضربون من الامثال
وانتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه الكل الثقيل وقد يسمي اليتيم كلا لثقله علي من يكلفه
وقال الشاعر اكول لمال الكل قبل شبابه ۝ اذا كان عظم الكل غير شديد ۝
والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع كلول الكلح النظر بسرعة للحد لمحا
ولمحانا الجو مسافة ما بين السماء والارض وقيل هو ما يلي الارض في سمت العلو واللوح والسكاك
ابعد منه الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الي موضع والظعن الهودج ايضا
الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز قاله اهل اللغة في قوله ومن اصوافها الاية
الاثاث قال المفضل متاع البيت كالفرش والاكسية وقال الفراء لا واحد له من لفظه
كما ان المتاع لا واحد له من لفظه ولو جمعت لقلت آثثة في القليل واثث في الكثير وقال
ابو زيد واحده اثاثة وقال الخليل اصله من قولهم اثث النبات والشعر وتواثيث اذا كثر
قال امرؤ القيس وفرع يغشي المتن اسود فاحم ۝ اثيث كقنو النخلة المتعثكل ۝
الكن ما حفظ ومنع من الريح والمطر وغير ذلك ومن الجبال الغار استعتبت الرجل بمعني اعتبته
اي ازلت عنه ما يعتب عليه ويلام والاسم العتبي وجاءت استفعل بمعني افعل نحو استدنيته
وادنيته ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر علي شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه
سرا وجهرا هل يستوون ۝ الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر
علي شيء وهو كل علي مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو علي صراط
مستقيم ۝ ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله علي كل
شيء قدير ۝ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون ۝ الم يروا الي الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون ۝ مناسبة ضرب هذا المثل انه لما بين تعالي ضلالهم في اشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعا
ولا ضرا لنفسه ولا لعابده ضرب لهم مثلا قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف وحر غني متصرف
فيما اتاه الله فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف
تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من ادمي وغيره مع تباين الاوصاف وان موجد
الوجود لا يمكن ان يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل ان يشبه به غيره وقال مجاهد هذا مثل لله والاصنام
وقال قتادة للمومن والكافر فالكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الاخرة ومن رزقناه المومن
وقال ابن جبير مثل للبخيل والسخي انتهي ولما كان لفظ عبد قد يطلق علي الحر خصص بمملوك ولما كان
المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالماذون له والمكاتب خصص بقوله لا يقدر علي شيء والمعني علي
شيء من التصرف في المال لانه يقدر علي اشياء من حركاته كالقيام والقعود والاكل والشرب والنوم
غير ذلك والظاهر كون ومن موصوله اي والذي رزقناه ودلت الصلة وما عطف علي انه يراد به الحر
وقال ابو البقاء موصوفة قال الزمخشري الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا
ولا يمتنع ان تكون موصولة وقال الحوفي من بمعني الذي ولا يقتضي ضرب المثل لشخصين موصوفين
باوصاف متباينة تعيينهما بل ما روي في تعيينهما من انهما عثمن بن عفان وعبد له وانهما ابو بكر الصديق
وابو جهل لا يصح اسناده وجمع الضمير في يستوون ولم يثن لسبق اثنين لان من يحتمل ان يراد بها الجمع
فتغيرا اذ ذاك جمع الضمير لانتظام العبد المملوك والاغنياء في الجمع وكانه قيل عبدا مملوكا والملاك
المرزوقون المنفقون ويحتمل ان يراد بعبدا مملوكا الجنس فيصلح عود الضمير جمعا عليه وعلي جنس
الاغنياء ويحتمل ان يعود علي العبيد والاحرار وان لم يجر للجمعين ذكر لدلالة عبد مملوك ومن رزقناه

وفيه

عليهما قل الحمد لله الظاهر انه خطاب للرسول وقيل يحتمل انه يكون خطابا لمن رزقه الله امره ان يحمد
الله علي ان ميزه بهذه القدرة علي ذلك الضعيف وقال ابن عطية الحمد لله شكر علي بيان الامر
بهذا المثل وعلي اذعان الخصم له كما تقول لمن اذعن لك في حجة وسلم تبني انت عليه قولك
الله اكبر علي هذا تكون كذا وكذا فلما قال هنا هل يستوون فكان الخصم قال له لا فقال الحمد لله
ظهرت الحجة انتهي وقيل الحمد لله اي هو المستحق للحمد دون ما يعبد ونمن دونه اذ لا نعمة للاصنام
عليهم فتحمد عليها انما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق وقال ابن عباس الحمد لله علي ما فعل
باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد والظاهر نفي العلم عن اكثرهم لانهم لان منهم من بان له الحق ورجع
اليه او اكثر الخلق لان الاكثرهم المشركون وقيل المراد بها العموم اي بل هم لا يعلمون ومتعلق يعلمون
محذوف اما لان المعني نفي العلم عن الاكثر ولم يلحظ متعلقه واما لانه محذوف يترتب علي الاقوال
التي سببها قوله الحمد لله وضرب الله مثلا رجلين اي قصة رجلين قال الزمخشري وهذا مثل ثان
ضربه لنفسه ولما تفتض علي عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيا
والاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع والابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل علي
مولاه اي ثقل وعيال علي من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويرسله في مطلب
حاجته او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات
مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل وهو في نفسه علي صراط مستقيم علي سيرة صالحة ودين
قويم انتهي وقال ابن عباس احدهما ابكم مثل للكافر والذي يامر بالعدل المومن وقال قتادة
هذا مثل لله تعالي والاصنام فهي كالابكم الذي لا نطق له ولا يقدر علي شيء وهو عيال علي من والاه
من قريب او صديق كما الاصنام تحتاج ان تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا يات من جهتها خير البتة
وعن قتادة ايضا وغيره هذا مثل ضربه الله لنفسه وللوثن فالابكم الذي لا يقدر علي شيء هو الوثن
والذي يامر بالعدل هو الله تعالي وهذا ليس كذلك لانه قال مثلا رجلين فلا بد ان يكون عديل
الابكم الموصوف بتلك الصفات ومقابله رجل موصوف بما يقابل تلك الصفات من النطق والقدرة
والكفاية ولكنه حذف المقابل لدلالة مقابله عليه ثم قيل هل يستوي ذلك الابكم الموصوف
بتلك الصفات وهو الناطق فنفي ذكر استوائهما ايضا دليل علي حذف المقابل ولما كان الابكم
هو المبدا به من الاوصاف وعنه تكون الاوصاف التي بعده قابله في الاستواء بالنطق
وثمرته من الامر بالعدل وغيره وهو في نفسه علي طريقة مستقيمة بحيث ما توجه صدر منه الخير
والنفع وليس بكال علي احد وقد تقرر في بداية العقول ان الابكم العاجز لا يكون مساويا في
العقل والشرف للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية فلان يحكم بان الجماد لا يكون
مساويا بالرب العالمين في المعبودية احري واولي وكما قلنا في المثل السابق لا يحتاج الي تعيين
المضروب بهما المثل فكذلك هنا فتعيين الابكم بابي جهل والامر بالعدل بعمار وبابي بن خلف
وعثمن بن مظعون او بهاشم بن عمرو بن الحرث كان يعادي الرسول عليه السلام لا يصح اسناده
وقرا عبد الله وعلقمة وابن وثاب ومجاهد وطلحة يوجه بهاء واحدة ساكنة
مبنيا للفاعل ضمير يعود علي مولاه وضمير المفعول محذوف لدلالة المعني عليه ويجوز ان
يكون ضمير الفاعل عايدا علي الابكم ويكون الفعل لازما وجه بمعني توجه كان المعني اينما
يتوجه وعن عبد الله ايضا توجهه بها بتاء الخطاب والجمهور بالياء والهاءين وعن علقمة
وابن وثاب وطلحة يوجه بها واحدة ساكنة والفعل مبني للمفعول وعن علقمة وطلحة يوجه
بكسر الجيم وهاء واحدة مضمومة قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فان الهاء التي هي لام
الفعل محذوفة فرارا من التضعيف ولان اللفظ به صعب مع التضعيف او لم يرد به الشرط بل امر
هو بتقدير اينما هو يوجه وقد حذف منه ضمير المفعول به فيكون حذف الياء من لا يات بخير علي التخفيف
نحو يوم يات واذا يسر انتهي ولا يخرج ابن عن الشرط او الاستفهام وقال ابو حاتم هذه القراءة ضعيفة
لان الجزم لازم انتهي والذي يوجه عليه هذه القراءة ان صحت ان اينما شرط حملت علي اذا الجامع
ما اشتركا فيه من الشرطية ثم حذفت الياء من لا يات تخفيفا او جزمه علي توهم انه نطق باينما
المهملة معملة لقراءة من قرا انه من يتق ويصبر في احد الوجهين ويكون معني يوجه يتوجه
فهو فعل لازم لا متعد ثم ذكر تعالي انه له غيب السموات والارض وهو ما غاب عن العباد وخفي
فيما عنهم علمه والظاهر انه اخبر باستيثاره بعلم غيب السماوات والارض وانه تعالي لا يخفى عليه شيء بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اخبر باستيثاره بعلم غيب

السموات والارض بكمال قدرته على الاتيان بالساعة التي تنكرونها في لمحة البصر او اقرب والمعنى
بهذا الاخبار ان الالهة التي يعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للاله وهما العلم
المحيط بالمغيبات والقدرة البالغة التامة ومن ذكر ان قوله ومن يامر بالعدل هو الله تعالى
ذكر ارتباط هذه الجملة بما قبلها بان من يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم
والقدرة فبين ذلك بهذه الجملة قيل والغيب هنا ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل وقال
المفضل ما غاب عن الخلق هو في قبضته لا يعزب عنه وقيل هو ما في قوله ان الله عنده علم الساعة
وقال الزمخشري او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غايب عن اهل السموات
والارض لم يطلع عليه احد منهم قيل لما كانت الساعة آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر
وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها
اي يقول للشيء كن فيكون وقيل هذا تمثيل للقرب كما تقول ما السنة الا لحظة وقال الزمخشري
هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم
في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة
الاحياء واحياء الموتى الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب واوحاه ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات وقال
ابن عطية والمعنى على ما قال قتادة وغيره وما تكون الساعة واقامتها في قدرة الله تعالى
الا ان يقول لها كن فلو اتفق ان يقف على ذلك شخص من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك
هل هي كلمح البصر او هي اقرب من ذلك فاو على هذا على بابها في الشك وقيل هي للتخيير انتهى
والشك والتخيير بعيدان لان هذا اخبار من الله تعالى عن امر الساعة فالشك مستحيل عليه
ولان التخيير انما يكون في المحظورات كقولهم خذ من مالي دينارا او درهما او في التكليفات
كاية الكفارات والذين يظاهرون واو هنا للابهام على المخاطب كقوله وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون وقوله اتاها امرنا ليلا او نهارا وهو تعالى قد علم عددهم ومتى ياتيها
امره كما علم امر الساعة لكنه ابهم على المخاطب وكون او هنا للابهام هنا ذكره الزجاج هنا
وقال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال انه تعالى
ياتي بها في زمان يعني القاضي فيكون الابهام على المخاطب في ذلك الزمان وليس زمان
تكليف والذي نقوله ان الابهام وقع وقت الخطاب المتقدم على امر الساعة لا وقت
الاتيان بها وليس من شرط الابهام على المخاطب في الاخبار عن شيء اتحاد زمان الاخبار
وزمان وقوع ذلك الشيء الا ترى في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
كيف تاخر زمان الاخبار عن زمان وقوع ذلك الارسال ووجودهم مائة الف او يزيدون
وقال ابو عبد الله الرازي لمح البصر انتقال الجسم بالطرف من اعلى الحدقة وهي
مولفة من اجزاء وتلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه اللمح مركب من آنات متعاقبة
والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلذلك قال او هو اقرب
ولما كان اسرع الاحوال والحوادث في عقولنا هو لمح البصر ذكره ثم قال او هو اقرب
تنبيها على ما ذكرناه وليس المراد طريقة الشك والمراد بل هو اقرب انتهى وفيه بعض
تلخيص وما ذكره من ان او بمعنى بل هو قول الفراء ولا يصح لان الاضراب على قسمين
كلاهما لا يصح هنا اما احدهما فان يكون ابطالا للاسناد السابق وانه ليس هو المراد
وهذا مستحيل هنا لانه يؤول الى اسناد غير مطابق والثاني ان يكون انتقالا من شيء
الى شيء من غير ابطال لذلك الشيء السابق وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الاخبار
بكونه مثل لمح البصر في السرعة والاخبار بالاقربية فلا يمكن صدقهما معا وقال
صاحب العينان وهذا وان كان يعسر ادراكه حقيقة الا ان المقصود المبالغة على مذهب
العرب وارباب النظم وما احسن قول الابلة الشاعر في المعنى

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ما هما
انت تجري معنا قال ان نشطت اضحكتكما منكما
انا ارتد اذ الطرف تدفعه الى المدى سبقا فمن انتما

ولما ذكر تعالى امر الساعة وانها كائنة لا محالة فكان في ذلك دلالة على النشاة الاخرة وتقدم
وصفهم بانتفاء العلم ذكر تعالى النشاة الاولى وهي اخراجهم من بطون امهاتهم غير عالمين
شيئا تنبيها على وقوع النشاة الاخرة ثم ذكر تعالى امتنانه عليهم بجعل الحواس التي هي
سبب لادراك الاشياء والعلم ولما كانت النشاة الاولى وجعل ما يعلمون به لهم من اعظم
النعم عليهم قال لعلكم تشكرون وتقدم الكلام في امهات في النساء وقرا حمزة
بكسر الهمزة والميم هنا وفي النور والزمر والنجم والكسائي بكسر الهمزة فيهن والاعمش بحذف
الهمزة وكسر الميم وابن ابي ليلى بحذفها وفتح الميم قال ابو حاتم حذف الهمزة رديء ولكن
قراءة ابن ابي ليلى اصوب انتهى وانما كانت اصوب لان كسر الميم انما هو لاتباعها حركة
الهمزة فاذا كانت الهمزة محذوفة زال الاتباع بخلاف قراءة ابن ابي ليلى فانه اقر الميم
على حركتها ولا تعلمون جملة حالية اي غير عالمين وقالوا لا تعلمون شيئا مما اخذ عليكم
من الميثاق في اصلاب ابائكم او شيئا مما قضي عليكم من السعادة او الشقاوة او شيئا من
منافعكم والاولى عموم لفظ شيء ولا سيما في سياق النفي وقال وهب يولد المولود
خدرا الى سبعة ايام لا يدرك راحة ولا الما ويحتمل وجعل ان يكون معطوفا على اخرجكم فيكون
واحدا في حيز خبر المبتدا ويحتمل ان يكون استئنافا فاخبار معطوفا على الجملة الابتدائية
كاستئنافها والمراد بالسمع والابصار والافئدة احساسها وادراكها فعبر عن ذلك بالالة
وقال ابو عبد الله الرازي ما معناه انما جمع الفؤاد جمع قلة لانه انما خلق للمعارف
الحقيقية اليقينية واكثر الخلق مشغولون بالافعال البهيمية فكان فؤادهم ليس بفؤاد
فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة انتهى ملخصا وهو قول هذياني ولولا جلالة قائله ونسطره
في الكتب ما ذكرته وانما يقال في هذا ما قاله الزمخشري انه من جموع القلة التي جرت
مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرى
ذلك المجرى انتهى الا ان دعوى الزمخشري انه لم يجئ في جمع شسع الا شسوع لا غير ليس بصحيح
بل جاء فيه جمع القلة قالوا اشساع وقرا ابن عامر وحمزة وطلحة والاعمش
وابن هرمز الم تروا بتاء الخطاب وباقي السبعة بالياء قال ابن عطية واختلف عن الحسن وعيسى
الثقفي وعاصم وابي عمرو ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والنظر والعقل والاول
مدرك المحسوس والثالث مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه
اغرب لما يشاهد به من عظيم المخلوقات على بعدها المتفاوت كمشاهدته النيرات التي
في الافلاك وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطاير فان طيرانه في الهواء مع ثقل
جسمه مما يعجب منه ويعتبر به وتضمنت الاية ايضا ذكر مدرك العقل في كونه لا يسقط
اذ ليس تحته ما يدعمه ولا فوقه ما يتعلق به فيحكم بالعقل انه له ممسك قادر على امساكه
وهو الله تعالى كما قال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
فانتظم في الاية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات مذللات وبني للمفعول
دلالة على ان له مسخرا وقال ابو عبد الله الرازي هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته فانه
تعالى خلق الطاير خلقة معها يمكنه الطيران اعطاه جناحا يبسطه مرة ويكنه اخرى مثل
ما يعمل السابح في الماء وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران خلقه خلقة لطيفة يسهل بسببها
خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا انتهى وكلامه منتزع من كلام القاضي
قال انما اضاف الامساك الى نفسه لانه تعالى هو الذي اعطى الالات لاجل تمكن الطاير من تلك
الافعال فلما كان هو المسبب لذلك صحت هذه الاضافة انتهى والذي نقوله انه كان يمكنه
ان يطير ولو لم يخلق له جناح وانه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف وذلك بقدرة الله تعالى
وان الممسك له في جو السماء هو الله تعالى وقد قام الدليل على ان جميع الافعال كلها
مخلوقة لله تعالى وقام الدليل على انه تعالى هو الفاعل المختار ولا نقول انه لولا الجناح
ولطف الجو ما امكن الطيران ولولا الالات ما امكن وقال الزمخشري بما يوافق كلامهما
قال مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك ثم
احسن اخيرا في قوله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته انتهى لايات

قوله عز وجل والله جعل لكم

جمع ولم يفرد لما في ذلك من الايات تخفة الطاير التي جعلها الله فيه لان يرتفع بها وثقله الذي جعله الله فيه لان يترل والفضا الذي بين السماء والارض والامساك الذي لله تعالى او جمع باعتبار ما في هذه الاية والتي قبلها وقال لقوم يومنون فانهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار وتتضمن الاية ان المسخر والممسك لها هو الله فهو اخبار منه تعالى ما يصدق به الا المومن والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين • والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين • يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • لما ذكر تعالى ما من به عليهم من خلقهم وما خلق لهم من مدارك العلم ذكر ما امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم من الامور الخارجية عدد وابهم من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والاخشاب وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض **وانشد الفراء**

• جاء الشتاء ولم اتخذ سكنا • يا ويح نفسي من حفر القراميص •

وليس السكن مصدرا كما ذهب اليه ابن عطية وكانه تعالى ذكر اولا ما غالب البيوت عليه من كونها لا تنقل بل ينتقل الناس اليها ثم ذكر ثانيا ما من به علينا من المتخذ من جلود الانعام وهو ما ينقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الادم او ذكرا ولا البيوت على طريق العموم ثم ذكر بيوت الجلود خصوصا تنبيها على حال اكثر العرب فانهم لانتجاعهم انما بيوتهم من الجلود والظاهر انه لا يندرج في البيوت التي من جلود الانعام بيوت الشعر وبيوت الصوف والوبر وقال ابن سلام تندرج لانها ثابتة فيها فهي منها ومعنى تستخفونها تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها وقد يراد بالاستخفاف في وقتي السفر والحضر اي مدة النجعة والاقامة **وقرا** الحرميان وابو عمرو ظعنكم بفتح العين وباقي السبعة بسكونها وهما لغتان وليس السكون بتخفيف كما جاء في نحو الشعر والشعر لمكان حرف الحلق والظاهر ان اثاثا مفعول والتقدير وجعل من اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا وقيل اثاثا منصوب على الحال على ان المعنى جعل من اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا بيوتا فيكون ذلك معطوفا على من جلود الانعام كما تقول جعلت لك من الماء شرابا ومن اللبن وفي التقدير الاول يكون قد عطف مجرورا على مجرور ومنصوبا على منصوب كما تقول ضربت في الدار زيدا وفي القصر عمرا ولما لم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان وحرير اقتصر على هذه الثلثة هنا واندرجت في قوله سرابيل تقيكم الحر والمتاع ما يتمتع به اي ينتفع به وقال ابن عباس الزينة وقال المفضل المتجر والمعاش وقال الخليل الاثاث والمتاع واحد وجمع بينهما لاختلاف اللفظين **كقوله**

والفى قولها كذبا ومينا • وعنى تعالى بقوله الى حين فقال ابن عباس الى الموت وقال مقاتل الى بلى ذلك الشي وقيل الى انقضاء حاجتكم منه ولما ذكر تعالى ما من به عليهم مما سبق ذكره وكانت بلادهم غالبا عليها الحر ذكر امتنانه عليهم بما يقيهم الحر من خلق الاجرام التي لها ظل كالشجر وغيره مما يمنع من اذى الشمس وقال ابن عباس ومجاهد ظلال الغمام وقال ابن السايب ظلال البيوت وقال قتادة والزجاج ظلال الشجر وقال ابن قتيبة ظلال الشجر والجبال والاكنان من الجبال هي الغيران والكهوف والبيوت المنحوتة منها والسربال ما لبس على البدن من قميص وقرقل ومجول ودرع وجوشن ونحو ذلك من صوف وكتان وقطن وغيرها واقتصر على ذكر الحر لان ما يقي الحر يقي البرد قاله الزجاج او حذف البرد لدلالة ضده عليه قاله المبرد او لانه امس في تلك البلاد والبرد فيها معدوم في الاكثر واذا احتيج اليه توقي بالاثاث فتخلص السربال لتوقي الحر فقط قاله عطا الخراساني وهذا في بلاد الحجاز واما غيرها من بلاد العرب فيوجد فيها البرد الشديد كما **قال متمم**

اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا • **وقال الاخر** •

في ليلة

١٤٥

قوله عز وجل ويوم نبعث

• في ليلة من جمادي ذات اندية • والسرابيل التي تقي الناس هي الدروع •

وقال كعب بن زهير

• شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل •

والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره والباس في اصل اللغة الشدة وهنا الحرب وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى تقيكم اذى الحرب وهو ما يعرض فيها من الجراح الناشية من ضرب السيف والدبوس والرمح والسهم وغير ذلك مما يعد للحرب كذلك اي مثل ذلك الاتمام للنعمة فيما سبق يتم نعمته في المستقبل **وقرا** ابن عباس تتم بتاء مفتوحة نعمته بالرفع اسند التمام اليها اتساعا وعنه نعمه جمعا **وقرا** لعلكم تسلمون بفتح التاء واللام من السلامة والخلاص فكانه تعليل لوقاية السرابيل من اذى الحرب او تسلمون من الشرك واما تسلمون في قراة الجمهور فالمعنى تؤمنون او تنقادون لان النظر في نعم الله تعالى مفض الى الايمان والانقياد روي ان اعرابيا سمع قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الى اخر الايتين فقال عند كل نعمة اللهم نعم فلما سمع لعلكم تسلمون قال اللهم هذا فلا فنزلت فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا وحذفت التا ويكون جاريا على الخطاب السابق والماضي على الالتفات والفا وما بعدها جواب الشرط صورة والجواب حقيقة محذوف اي فانت معذور اذ اديت ما وجب عليك فاقيم سبب العذر وهو البلاغ مقام المسبب لدلالته عليه وقال ابن عطية المعنى ان اعرضوا فلست بقادر على خلق الايمان في قلوبهم فانما عليك ان تبين وتبلغ امر الله ونهيه انتهى ثم اخبر عنهم على سبيل التقريع والتوبيخ بانهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وعرفانهم للنعم التي عددت عليهم حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى وانكارهم لها حيث يعبدون غير الله وجعل ذلك انكارا على سبيل المجاز اذ لم يرتبوا على معرفة نعم الله تعالى مقتضاها من عبادته وافراده بالعبادة دون ما نسبوا اليه من الشركاء قال قريبا من هذا المعنى مجاهد وقال السدي النعمة هنا محمد عليه السلام والمعنى يعرفون بمعجزاته وايات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب ورجحه الطبري وعن مجاهد ايضا انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وعن ابن عون اضافتها الى الاسباب لا الى مسببها وحكى صاحب الغنيان يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء وقيل انكارهم هو بشفاعة الهتهم عند الله وقيل يعرفونها بتقلبهم فيها ثم ينكرونها بترك الشكر عليها وقيل يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بالسنتهم والظاهر ان المراد من واكثر موضوعه الاصل وقال الحسن وكلهم ما من احد يقوم بواجب حق الشكر فجعله من كفران النعمة والظاهر ان الكفر هنا هو مقابل الايمان وقيل اكثر اهل مكة لان منهم من ابى وقيل معنى الكافرون الجاحدون المعاندون لان فيهم من كان جاهلا لم يعرف فيعاند وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** الدلالة على ان انكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون • واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون • واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون • والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين • لما ذكر انكارهم لنعمة الله تعالى ذكر حال يوم القيمة حيث لا ينفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذكر قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية وابو البقاء وقال الزمخشري او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وقال الطبري هو معطوف على ظرف محذوف العامل فيه ثم ينكرونها اي ينكرونها اليوم ويوم نبعث اي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد والشهيد نبي تلك الامة يشهد عليهم بايمانهم وكفرهم ومتعلق الاذن محذوف فقيل في الرجوع الى دار الدنيا وقيل في الكلام والاعتذار كما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي بعد شهادة انبيايهم عليهم والا فقبل

هم

ذلك يجادل كل امة عن نفسها وجاء كلامهم في ذلك ولكنها مواطن يتكلمون في بعضها ولا
ينطقون في بعضها ولاهم يستعتبون اي يزال عنهم العتب وقال قوم معناه لا يسالون
ان يرجعوا عما كانوا عليه في الدنيا فهذا استعتاب لمعناه طلب عتباهم ونحوه قول
من قال ولاهم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل قاله
الزمخشري وقال الطبري معناه يعطون الرجوع الى الدنيا فيقع منهم توبة وعمل ه
قال الزمخشري **فان قلت** فما معنى ثم هذه **قلت** معناها انهم
يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منه وانهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء
معذرة ولا ادلاء بحجة انتهي ولما كانت حالة العذاب في الدنيا مخالفة لحال الاخرة اذ من
يلي العذاب في الدنيا رجاء ان يؤخر عنه وان وقع فيه ان يخفف عنه اخبر تعالى ان عذاب
الاخرة لا يكون فيه تخفيف ولا نظرة والظاهر ان جواب اذا قوله فلا يخفف وهو على اضمار
هو اي فهو لا يخفف لانه لولا تقدير الاضمار لم تدخل الفاء لان جواب اذا اذا كان مضارعا
لا يحتاج الى دخول الفاء سواء كان موجبا ام منفيا كما قال تعالى واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر وتقول اذا جاء زيد لا عمرو يجيء
قال الحوفي فلا يخفف جواب اذا وهو العامل في اذا وقد تقدم لنا انها تتقدم فالجواب
في غير انه الفعل فيما قبله وبينا ان العامل في اذا الفعل الذي يليها كسائر ادوات الشرط
وان كان ليس قول الجمهور وجعل الزمخشري جواب اذا محذوفا فقال وقد قدر العامل
في يوم نبعث محذوفا قال ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب
بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية
انتهي والظاهر ان قوله شركاءهم عام في كل من اتخذوه شريكا لله من صنم ووثن وشيطان
وملك فيكذبهم من له منهم عقل فيكون فالقوا عائدا على من له الكلام ويجوز ان يكون عاما
ينطق الله تعالى بقدرته الاوثان والاصنام واضافة الشركاء اليهم على هذا القول لكونهم
هم الذين جعلوهم شركاء لله وقال الحسن شركاءهم الشياطين شركوهم في الاموال
والاولاد كقوله تعالى وشاركهم وقيل شركاءهم في الكفر وعلى القول الاول شركاؤهم في ان
اتخذوهم الهة مع الله وعبدوهم او شركاؤهم في ان جعلوا لهم نصيبا من اموالهم وانعامهم
والظاهر ان القول منسوب اليهم حقيقة وقيل منسوب الى جوارحهم لانهم انكروا الاشراك
بقولهم الان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اصمت الله السنتهم وانطق جوارحهم ومعنى
ندعو نعبد قالوا ذلك رجاء ان يشركوا معهم في العذاب اذ يحصل التاسي او اعتذارا عن كونهم
اذ زين لهم الشيطان ذلك وحملوهم عليه ان كان الشركاء هم الشياطين وقال
ابو مسلم الاصبهاني قالوا ذلك احالة هذا الذنب على تلك الاصنام وظنا ان ذلك ينجيهم
من عذاب الله او ينقص من عذابهم فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام وقال القاضي هذا بعيد
لان الكفار يعلمون علما ضروريا في الاخرة ان العذاب سينزل بهم ولا نصرة ولا فدية ولا
شفاعة وتقدم الاخبار بانهم شركاء والاخبار انهم كانوا يدعونهم اي يعبدونهم فاحتمل
التكذيب ان يكون عائدا للاخبار الاول اي لسنا شركاء لله في العبادة ولا الهة تنزه الله
تعالى عن ان يكون شركاء له واحتمل ان يكون عائدا على الاخبار الثاني وهو العبادة لما لم يكونوا
راضين بالعبادة جعلوا عبادتهم كلا عبادة او لما لم يدعوهم الى العبادة الا ترى ان الاوثان
والاصنام لا تشعر بها بالعبادة فضلا عن ان يدعوا وان من عبد من صالحي المومنين والملايكة
لم يدع الى عبادته وان كان الشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في اخبارهم بكذب من
عندهم كما كذب ابليس في قوله اني كفرت بما اشركتموني من قبل والضمير في فالقوا الى الله
عائد على الذين اشركوا قاله الاكثرون والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله بعد الاباء
والاستكبار في الدنيا فلم يكن لهم اذ ذاك حيلة ولا دفع وروى يعقوب عن ابي عمرو السلم
باسكان اللام **وقرا** مجاهد بضم السين واللام وقيل الضمير عائد على الذين اشركوا
وشركائهم كلهم قال الكلبي استسلموا منقادين لحكمه والضمير في وضلوا عائد على الذين
اشركوا خاصة اي وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون

هم

لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم والظاهر ان الذين مبتدا وزدناهم الخبر وقال ابن عطية يحتمل ان
يكون قوله الذين بدلا من الضمير في يفترون وزدناهم فعل مستانف اخبار وصدوا عن سبيل
الله اي غيرهم زدناهم عذابا بسبب الصد فوق العذاب اي الذي ترتب لهم على الكفر ضاعف
كفرهم فضاعف الله عقابهم وهذا المزيد عن ابن مسعود عقارب كامثال النخل الطوال وعنه
حيات كامثال الفيلة وعقارب كامثال البغال وعن ابن عباس انها من صفر مذاب تسيل
من تحت العرش يعذبون بها وعن الزجاج يخرجون من حر النار الى الزمهرير فيبادرون من
شدة برده الى النار وعلل تلك الزيادة بكونهم مفسدين بغيرهم وحاملهم على الكفر وفي كل امة
فيها منها حذف في السابق من انفسهم واثبته هنا وحذف هناك في واثبته هنا والمعنى في
كلاهما انه يبعث انبياء الامم فيهم منهم والخطاب في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم والاشارة
بها ولا الى امته وقال ابن عطية ويجوز ان يبعث الله شهداء من الصالحين مع الرسل وقد قال
بعض الصحابة اذا رايت احدا على معصية فانهه فان اطاعك والا كنت عليه شهيدا يوم القيمة
انتهي وكان الشهيد من انفسهم لانه كان كذلك حين ارسل اليهم في الدنيا من انفسهم وقال الاصم
ابو بكر المراد بالشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من اجزاء الانسان حتى تشهد عليه لانه قال
في صفة الشهيد من انفسهم وهذا بعيد لمقابلته بقوله وجئنا بك شهيدا على هولاء فيقتضي
المقابلة ان الشهداء على الامم انبياؤهم كرسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنا استيناف
اخبار وليس داخلا مع ما قبله لاختلاف الزمانين لما ذكرها اشرفه الله به من الشهادة على
امته ذكر ما انزل عليه مما فيه بيان كل شي من امور الدين ليزيح بذلك عليهم فيما كلفوا فلا
حجة لهم ولا معذرة والظاهر ان تبيانا مصدر جاء على تفعال وان كانت باب المصادر ان
يجي على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف ونظير تبيان في كسر تايه تلقاء وقد جوز
الزجاج فتحه في غير القران وقال ابن عطية تبيانا اسم وليس بمصدر وهو قول اكثر النحاة
وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انه مصدر ولم يجي على تفعال من المصادر
الا ضربان تبيان وتلقاء قال الزمخشري **فان قلت** كيف كان القران تبيانا
لكل شي **قلت** المعني انه بين كل شي من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة
على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى
وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المومنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته اتباع اصحابه والاقتدا باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد
مستندة الى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شي وقوله وقد رضي رسول الله الى قوله
اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن حزم في رسالته في
ابطال الراي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه وهذا خبر مكذوب موضوع
باطل لم يصح قط وذكر اسناده الى البزار صاحب المسند قال سالتم عما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم مما في ايدي العامة ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما مثل
اصحابي كمثل النجوم او كالنجوم بايها اقتدوا اهتدوا وهذا الكلام لم يصح عن النبي صلى الله
عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن ابيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم وانما اتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم لان اهل العلم سكتوا
عن الرواية لحديثه والكلام ايضا منكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبي صلى
الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من اصحابه هذا نص كلام البزار وقال ابن معين عبد الرحيم
ابن زيد كذاب خبيث ليس بشي وقال البخاري هو متروك ورواه ايضا حمزة الجزري
وحمزة هذا ساقط متروك ونصبوا تبيانا على الحال ويجوز ان يكون مفعولا من اجله وللمسلمين
متعلق ببشرى ومن حيث المعنى هو متعلق بهدي ورحمة النقض ضد الابرام وفي الجمهرة
فك اجزايه بعضها من بعض التوكيد التثبيت ويقال توكيد وتاكيد وهما لغتان وزعم
الزجاج ان الهمزة بدل من الواو وليس بجيد لان التصريف جاء في التركيبين فدل على انهما

قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل

اصلا ان الغزل معروف وفعله غزل يغزل بكسر الزاي غزلا واطلق المصدر على المغزول نفذ الشي
ينفذ في الاعجم الذي لا يتكلم بالعربية ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون • واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا
تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون • ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من
امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون • عن ابن عباس في حديث
فيه طول ان عثمن بن مظعون كان جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتا فقال له
عثمن ما رايتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رايتني فعلت قال شخص بصرك الى السماء ثم وضعته
على يمينك فتحرفت عني اليه وتركتني فاخذت تنفض راسك كانك تستفقه شيئا يقال لك قال
او فطنت لذلك اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم انفا وانت جالس قال فماذا قال لك قال
قال لي ان الله يامر بالعدل الاية قال عثمن فذلك حين استقر الايمان في قلبي فاحببت محمدا عليه
السلام لما ذكر الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وصل به ما يقتضي لنكتا ليفهم
فرضا ونفلا واخلاقا واداب والعدل فعل كل مفروض من عقايد وشرايع وسير مع الناس في اداء
الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه قاله ابن عطية
وقال الزمخشري العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه
عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه
تفريط فيجبره الندب انتهى وفي قوله تحت طاقتهم نزعة الاعتزال وعن ابن عباس العدل لا اله الا الله
والاحسان اداء الفرايض وعنه ايضا ان العدل هو الحق وعن سفين بن عيينة انه استوا السريرة
والعلانية في العمل وذكر الماوردي انه القضا بالحق قال تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل وقال ابو سليمن العدل في لسان العرب الانصاف وقيل خلع الانداد وقيل العدل في الافعال
والاحسان في الاقوال وايتاء ذي القربى هو صلة الرحم وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه
عليه اهتماما به وحضا على الاحسان اليه والفحشاء الزنا او ما شنعته ظاهرة من المعاصي
وفاعلها ابدا استتر بها او القبيح من فعل او قول او البخل او موجب الحد في الدنيا والعذاب
في الاخرة او مجاوزة حدود الله اقوال اولها لابن عباس والمنكر الشرك عن مقاتل او ما وعد عليه
بالنار عن ابن السايب او مخالفة السريرة للعلانية عن ابن عيينة او ما لا يوجب الحد في الدنيا
لكن العذاب في الاخرة او ما تنكره العقول اقوال ويظهر انه اعم من الفحشاء لاشتماله على المعاصي
والرذايل والبغي التطاول بالظلم والسعاية فيه وهو داخل في المنكر ونبه عليه اهتماما باجتنابه
وجمع في المامور به والمنهي عنه بين ما يجب ويندب وما يحرم ويكره لاشتراك ذلك في قدر مشترك
وهو الطلب في الامر والترك في النهي وقال ابو عبد الله الرازي امر بثلثة ونهى عن ثلثة
فالعدل التوسط بين الافراط والتفريط وذلك في العقايد واعمال الرعاة فقال ابن عباس العدل
لا اله الا الله وهو اثبات الاله الواحد فليس تعطيلا محضا ولا اثبات اكثر من اله واثبات كونه
عالما قادرا واجب الصفات فليس نفيا للصفات ولا اثبات صفة حادثة متغيرة وكون فعل
العبد بواسطة قدرته تعالى والداعية التي جعلها فيه فليس جبرا محضا ولا استقلالا بالفعل وكونه
تعالى يخرج من النار من دخلها من اهل التوحيد فليس ارجاء ولا تخليدا بالمعصية واما اعمال
الرعاة فالتكاليف اللازمة لهم فليس قولا بانه لا تكليف ولا قولا بتعذيب النفس واجتناب
ما يميل الطبع اليه من اكل الطيب والتزوج ورمي نفسه من شاهق والقصاص او الدية او العفو
فليس تشديدا في تعيين القصاص كشريعة موسى عليه السلام ولا عفوا حتما كشريعة عيسى
عليه السلام وتجنب الحايض في اجتناب وطيها فقط فليس اجتنابا مطلقا كشريعة موسى
عليه السلام ولا حل وطيها حالة الحيض كشريعة عيسى عليه السلام والاختتان فليس ابقاء للقلفة
ولا قطعا للالة كما ذهب اليه المانوية وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا والذين اذا انفقوا
ولا يجعل الايتين ومن المشهور قولهم بالعدل قامت السموات والارض ومعناه ان مقادير العناصر
لو لم تكن متعادلة وكان بعضها ازيد لغلب الازدياد وانقلبت الطبايع فالشمس لو قربت
من العالم لعظمت السخونة واحترق ما فيه ولو زاد بعدها لاستوى الحر وكذا مقادير حركات

الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها والاحسان الزيادة على الواجب من الطاعات بحسب الكمية والكيفية
والدواعي والصوارف والاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية ومن الاحسان
الشفقة على الخلق واصلها صلة الرحم والمنهي عنه ثلاثة وذلك انه اودع في النفس البشرية
قوى اربعة الشهوانية وهي تحصيل اللذات والغضبية وهي ايصال الشر والوهمية وهي شيطانية
تسعى في الترفع والتراوس على الناس فالفحشاء ما نشا عن القوة الشهوانية الخارجة عن ادب
الشريعة والمنكر ما نشا عن الغضبية والبغي ما نشا عن الوهمية انتهى ما تلخص من كلامه عفا
الله عنه ولما امر تعالى بتلك الثلاث ونهى عن تلك الثلاث قال يعظكم به اي بما ذكر تعالى
من امر ونهي والمعنى بينهما احسن تنبيه لعلكم تذكرون اي تتنبهون لما امرتم به ونهيتم عنه
وعهد الله عام لما عقده الانسان والتزمه مما يوافق الشريعة وقال الزمخشري هي
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله انتهى
وكانه لحظ ما قيل انها نزلت في الذين بايعوا الرسول عليه السلام على الاسلام رواه عن بريدة وقال
قتادة ومجاهد فيما كان من تحالف الجاهلية في امر معروف او نهي عن منكر وقال ميمون بن مهران
الوفا لمن عاهدته مسلما كان او كافرا فانما العهد لله وقال الاصم الجهاد وما فرض في الاموال
من حق وقيل اليمين بالله ولا تنقضوا العهود الموثقة بالايمان نهى عن نقضها تهمما بها بعد
توكيدها اي توثيقها باسم الله وكفالة الله شهادته ومراقبته لان الكفيل مراع لحال المكفول
به ولا تكونوا اي في نقض العهد بعد توكيده بالله كالمراة الورهاء تبرم فتل غزلها ثم تنقضه
نكثا وهو ما يحل فتله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به وقال السدي وعبد الله بن كثير هي
امراة حمقاء كانت بمكة وعن الكلبي ومقاتل هي من قريش خرقاء اسمها ريطة بنت سعد بن تيم
تلقب بجعراء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن وعن مجاهد هذا فعل
نساء اهل نجد تنقض احداهن غزلها ثم تنفشه وتخلطه بالصوف فتغزله وقال ابن الانباري
ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجعراء من اهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين والظاهر
ان المراد بقوله من بعد قوة اي شدة حدثت من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة
القوي لم تكن تنتقض انكاثا والنكث في اللغة الحل اذا انتقضت قواه وقال مجاهد المعنى
من بعد امرار قوة والدخل الفساد والدغل جعلوا الايمان ذريعة الى الخدع والغدر وذلك ان
المحلوف له مطمين فيمكن الحالف ضره بما يريده قالوا نزلت في العرب كانوا اذا حالفوا قبيلة فجاء
اكثر منها عددا حالفوه وغدروا بالتي كانت اقل وقيل ان تكونوا انتم اربى خبرا فاسند الى امة
والمراد المخاطبون وقال ابن بحر الدخل الداخل في الشي لم يكن منه ودخلا مفعول ثان وقيل
مفعول من اجله وان تكون اي بسبب ان تكون وهي اربى مبتدا وخبر واجاز الكوفيون ان تكون
هي عمادا يعنون فصلا فتكون اربى في موضع نصب ولا يجوز ذلك عند البصريين لتنكير امة
والضمير في به عايد على المصدر المنسبك من ان تكون اي بسبب كون امة اربى من امة يختبركم
بذلك قال الزمخشري لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم
من ايمان البيعة للرسول ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم
وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام انتهى وقيل يعود على الوفاء بالعهد
وقاله ابن جبير وابن السايب ومقاتل يعود على الكثرة قال ابن الانباري لما كان تانيثها غير حقيقي
حمل على معنى التذكير كما حملت الصيحة على الصياح ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل

قوله عز وجل ولو شاء الله

من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون • ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ان تكون
امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون • فتزل قدم
بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم • ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون • ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • هذه المشية مشية اختيار على مذهب
اهل السنة ابتلى الناس بالامر والنهي ليذهب كل الى ما يسر له وذلك بحق الملك لا يسال عما يفعل
ولو شاء لكانوا كلهم على طريق واحدة اما هدى واما ضلالة ولكنه فرق فناس للسعادة وناس للشقاوة

فخلق الهدي والضلال وتوعد بالسؤال عن العمل وهو سوال توبيخ لا سوال تفهم وسوال التفهم هو المنفي
في ايات ومذهب المعتزلة ان هذه المشية مشية قسر قال العسكري المراد انه قادر علي ان يجمعكم
علي الاسلام قهرا انه لم يفعل ذلك وخلقكم ليعذب من يشاء علي معصيته ويثيب من يشاء علي
طاعته ولا يشاء شيا من ذلك الا ان يستحقه ويجوز ان يكون المعني انه لو شاء خلقكم في الجنة
ولكن لم يفعل ذلك ليثيب المطيعين منكم ويعذب العصاة ثم قال ولتسالن عما كنتم تعملون
يعني سوال المحاسبة والمجازاة وفيه دليل علي ان الاضلال في الاية العقاب ولو كان الاضلال
عن الدين لم يكن لسواله اياهم معني وقال الزمخشري امة واحدة حنيفة مسلمة علي طريق الالجا
والاضطرار وهو قادر علي ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه
يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بما علم الله انه يختار الايمان يعني
انه بني الامر علي الاختيار وعلي ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه
علي الاجبار الذي لا يستحق به شي من ذلك وحققه بقوله ولتسالن عما كنتم تعملون ولو كان
هذا المضطر الي الضلال والاهتدا لما اثبت لهم عملا يسالون عنه انتهي قال واكرر النهي عن اتخاذ
الايمان دخلا بينهما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين قال ابن
عطية وتردده في معاملات الناس وقال الزمخشري تاكيدا عليهم واظهارا لعظيم ما يرتكب
منه انتهي وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لان الاول نهي فيه عن الدخول في الحلف
ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق
فكانه قال دخلا بينكم لتتوصلوا بها الي قطع اموال الناس المسلمين واقول لم يتكرر النهي
عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبارا بانهم اتخذوا ايمانهم دخلا معللا بشي خاص وهو
ان يكون امة هي اربي من امة وجا النهي بقوله ولا تتخذوا استيناف انشا عن اتخاذ الايمان
دخلا علي العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير
ذلك وانتصب فتزل علي جواب النهي وهو استعارة لمن كان مستقيما ووقع في امر عظيم وسقط
لان القدم اذا زلت تقلب الانسان من خير حال الي حال شر وقال كثير •
فلما توافينا ثبت وزلت • قال الزمخشري فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد
ثبوتها عليه فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان
تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة انتهي ونقول الجمع
تارة تلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة تلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ
فيه المجموع كان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا لوحظ كل فرد فرد كان الاسناد مطابقا
للفظ الجمع كثيرا فتجمع ما اسند اليه ومطابقا لكل فرد فرد فيفرد كقوله واعتدت لهن
متكأ افرد متكأ لما كان لوحظ في قوله لهن معني لكل واحدة ولو جا مرادا به الجمعية او علي
الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكأ وعلي هذا المعني ينبغي ان يحمل قول الشاعر

• فاني وجدت الضامرين متاعهم • يموت ويفني فارضحي من وعائيا •

اي رايت كل ضامر ولذلك افرد الضمير في يموت ويفني ولما كان المعني هنا لا تتخذ كل واحد
منكم جا فتزل قدم مراعاة لهذا المعني ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع او للفظ الجمع
علي الوجه الكثير اذ قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فتكون الاية قد تعرضت للنهي عن اتخاذ
الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل علي ذلك بافراد قدم وبجمع الضمير
في وتذوقوا وما مصدرية في بما صددتم اي بصدودكم او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا الايمان
وارتدوا لاتخذ نقضها سنة لغيرهم فيستنون بها وذوق السوء في الدنيا ولكم عذاب عظيم
اي في الاخرة والسوء ما يسوءهم من قتل ونهب واسر وجلا وغير ذلك مما يسوء قال ابن عطية
وقوله صددتم عن سبيل الله يدل علي ان الاية فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلي هذا فسر الزمخشري قال لانهم قد نقضوا ايمان البيعة ولا يدل علي ذلك لخصوصه
بل نقض الايمان في البيعة مندرج في العموم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا هذا نهي عن نقض
ما يبن الله تعالي والعهد لاخذ حطام من عرض الدنيا قال الزمخشري كان قوم ممن اسلم بمكة
زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم

ولما

ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله
ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم
ومن ثواب الاخرة خير لكم وقال ابن عطية هذه اية نهي عن الرشا واخذ الاموال
علي ترك ما يجب علي الاخذ فعله او فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هي التي عهد الله الي
عباده فيها وبين تعالي الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرة بان هذه تنفد وتنقضي عن
الانسان وينقضي عنها والتي في الاخرة باقية دايمة ودل قوله وما عند الله باق علي ان
نعيم الجنة لا ينقطع وفي ذلك حجة علي جهم بن صفوان اذ زعم ان نعيم الجنة منقطع
وقرأ عاصم وابن كثير ولنجزين بالنون وباقي السبعة بالياء وصبروا اي جاهدوا
انفسهم علي ميثاق الاسلام واذي الكفار وترك المعاصي وكسب المال بالوجه الذي
لا يحل باحسن ما كانوا يعملون قيل من التنفل بالطاعات وكانت احسن لانها لم يحتم
فعلها فكانما الانسان ياتي بالتنفلات مختارا غير ملزوم بها وقيل ذكر الاحسن ترغيبا
في عمله وان كانت المجازاة علي الحسن والاحسن وقيل الاحسن هنا بمعني الحسن فليس
افعل التي للتفضيل والذي يظهر ان المراد بالاحسن هنا الصبر اي ولنجزين الذين
صبروا بصبرهم اي بجزاء صبرهم وجعل الصبر احسن الاعمال لاحتياج جميع التكاليف اليه
فالصبر هو راسها فكان الاحسن لذلك ومن صالحا للمفرد والمذكر وفروعهما لكن يتبادر
الي الذهن الي الافراد والتذكير فبين بالنوعين ليعم الوعد كلاهما وهو مؤمن جملة حالية
والايمان شرط في العمل الصالح مخصص لقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره او يراد بمثقال
ذرة من ايمان كما جا في من يخرج من النار من عصاة المؤمنين والظاهر من قوله تعالي
فلنحيينه حياة طيبة ان ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله ولنجزينهم
اجرهم يعني في الاخرة وقال الحسن ومجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد ذلك
في الجنة وقال شريك في القبر وقال علي ووهب بن منبه وابن عباس في رواية عنهما هي
القناعة وعن ابن عباس ايضا والضحاك الرزق الحلال وعنه ايضا السعادة وقال
عكرمة الطاعة وقال قتادة رزق يوم بيوم وقال اسمعيل بن ابي خالد الرزق الطيب
والعمل الصالح وقال ابو بكر الوراق حلاوة الطاعة وقيل العافية والكفاية وقيل
الرضا بالقضا ذكرهما الماوردي وقال الزمخشري المؤمن مع العمل الصالح ان كان
موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضي بقسمة
الله تعالي والفاجر ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان معسرا فالحرص لا يدعه
ان يتهنا بعيشه وقال ابن عطية طيب الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم ونبلها
وقوة رجايهم والرجا للنفس امر ملذ بانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم
فان انضاف الي هذا مال حلال وصحة وقناعة فذاك كمال والا فالطيب فيما ذكرنا
راتب وعاد الضمير في فلنحيينه علي لفظ من مفردا وفي ولنجزينهم علي معناها
من الجمع فجمع وروي عن نافع ولنجزينهم بالتاء بدل النون التفت من ضمير المتكلم
الي ضمير الغيبة وينبغي ان يكون علي تقدير قسم ثان لا معطوفا علي فلنحيينه فتكون
من عطف جملة قسمية علي جملة قسمية وكلتاهما محذوفتان ولا يكون من عطف
جواب علي جواب لتغاير الاسنادين وافضاء الثاني الي اخبار المتكلم عن نفسه باخبار
الغايب وذلك لا يجوز تقول هذا لا يجوز زيد قلت والله لاضربن هندا
ولينفينها يريد ولينفيها زيد فان جعلته علي اضمار قسم ثان جاز اي وقال زيد لينفينها
لان لك في هذا التركيب ان تحكي لفظه وان تحكي علي المعني فمن الاول وليحلفن ان اردنا
الا الحسني ومن الثاني يحلفون بالله ما قالوا بالله ولو جا علي اللفظ لكان ما قلنا
فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم • انه ليس له سلطان علي الذين
امنوا وعلي ربهم يتوكلون • انما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون
واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون • قل نزله

قوله عز وجل فاذا قرات

وروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدي وبشري للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين لما ذكر تعالي وانزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وذكر اشياء مما بين في الكتاب ثم ذكر قوله من عمل صالحا ذكر ما يصون
به القاري قراته من وسوسة الشيطان ونزغه فخاطب السامع بالاستعاذة منه اذا اخذ في
القراة فان كان الخطاب للرسول لفظا فالمراد امته اذ كانت قراة القران من اجل الاعمال
الصالحة كما ورد في الحديث ان ثواب قراة كل حرف عشر حسنات والظاهر بعقب الاستعاذة
وقد روي ذلك بعض الرواة عن حمزة وروي عن ابن سيرين انه قال كلما قرات الفاتحة حين
تقول امين فاستعذ وروي عن ابي هريرة ومالك وداود تعقبهما القراة كما روي عن حمزة
والجمهور علي ترك هذا الظاهر وتاويله بمعني فاذا اردت القراة قال الزمخشري لان
الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلي حسبه فكان بسبب قوي وملابسة
ظاهرة كقوله اذا قمتم الي الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولهم اذا اكلت فسم الله وقال
ابن عطية فاذا وصلة بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الاية فاذا اخذت
في قراة القران فاستعذ امر بالاستعاذة فالجمهور علي الندب وعن عطاء الوجوب والظاهر
طلب الاستعاذة عند القراة مطلقا والظاهر ان الشيطان المراد به ابليس واعوانه وقيل
عام في كل متمرد عات من جن وانس كما قال شياطين الانس والجن واختلف في كيفية
الاستعاذة والذي صار اليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
لما روي عبد الله بن مسعود وابو هريرة وجبير بن مطعم عن النبي صلي الله عليه وسلم انه
استعاذ عند القراة بهذا اللفظ بعينه ونفي تعالي سلطان الشيطان عن المومنين والسلطان
هنا التسليط والولاية والمعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع
خطواته كما قال تعالي ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكما اخبر تعالي عنه فقال في
قصة اوليايه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل المراد بالسلطان
الحجة وظاهر الاخبار انتفاء سلطنته علي المومنين مطلقا وقيل ليس له عليهم سلطان
لاستعاذتهم منه وقيل ليس له قدرة ان يحملهم علي ذنب والضمير في به عايد علي ربهم وقيل
علي الشيطان وهو الظاهر لاتفاق الضماير والمعني والذين هم باشراكهم ابليس مشركون بالله
او يكون البا للسببية والامر بالاستعاذة يقتضي انها تصرف كيد الشيطان كانها متضمنة
التوكل علي الله والانقطاع اليه ولما ذكر تعالي انزال الكتاب تبيانا لكل شي وامر بالاستعاذة
عند قراته ذكر تعالي نتيجة ولاية الشيطان لاوليايه المشركين وما يلقيه اليهم من الاباطيل
فالقي اليهم انكار النسخ لما راوا تبديل اية مكان اية وتقدم الكلام في النسخ في البقرة
والظاهر ان هذا التبديل رفع اية لفظا ومعني ويجوز ان يكون التبديل بالحكم المعني وابقا
اللفظ ووجد الكفار بذلك طعنا في الدين وما علموا ان المصالح تختلف بحسب الاوقات
والاشخاص وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة واخبر تعالي انه العالم بما نزل
لانهم وما ينزل مما يقره ويرفعه ثم رجع علم ذلك اليه وهو علي حسب الحوادث والمصالح
وهذه حكمة انزاله شيا فشيا وهذه الجملة اعتراض بين الشرط وجوابه قيل ويحتمل ان
يكون حالا وبالغوا في نسبة الافترا للرسول بلفظ انما وبمواجهة الخطاب وباسم الفاعل
الدال علي الثبوت وقال بل اكثرهم لان بعضهم يعلم ويكفر عنادا ومفعول لا يعلمون محذوف
لدلالة المعني عليه اي لا يعلمون ان الشرايع حكم ومصالح هذه الاية دلت علي وقوع نسخ
القران بالقران وروح القدس هنا هو جبريل بلا خلاف وتقدم لما سمي روح القدس واضاف
الرب الي كاف الخطاب تشريفا للرسول باختصاص الاضافة واعراضا عنهم اذ لم يضف
اليهم وبالحق حال اي ملتبسا بالحق سواء كان ناسخا او منسوخا فكله مصحوب بالحق لا يعتريه
شي من الباطل وليثبت معناه انهم لا يضطربون في شي منه لكونه نسخ بل النسخ مثبت لهم علي
ايمانهم لعلمهم انه جميعه من عند الله لصحة ايمانهم واطمينان قلوبهم يعلمون انه حكيم وان
افعاله كلها صادرة عن حكمة فهي صواب كلها وذلك اختصاص للتعليل بالمسلمين علي اتصاف
الكفار فضلا بهذه من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقايدهم وضلالهم وقري ليثبت

مخففا

مخففا من اثبت قال الزمخشري وهدي وبشري مفعول لهما معطوفا علي محل ليثبت انتهي
وتقدم الرد عليه في نحو هذا وهو قوله لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة في هذه
السورة ولا يمتنع عطفه علي المصدر المنسبك من ان والفعل لانه مجرور فيكون وهدي
وبشري مجرورين كما تقول جيت لاحسن الي زيد واكرام لخالد اذ التقدير لاحسان الي زيد
واجاز ابو البقاء ان يكون ارتفاع هدي وبشري علي اضمار مبتدا اي وهو هدي وبشري
ولما نسبوه عليه السلام للافترا وهو الكذب علي الله لم يكتفوا بذلك حتي جعلوا ذلك
الافترا الذي نسبوه هو من تعليم بشر اياه فليس هو المختلق بل المختلق غيره وهو ناقل عنه
وظاهر قولهم انما انت مفتر ان معناه مختلق الكذب وهو بنا في التعلم من البشر فيحتمل ان يكون
قوله مفتر في نسبة ذلك الي الله ويحتمل ان يكونوا فيه طايفتين طايفة ذهبت الي انه هو
المفتري وطايفة انه يتعلم من البشر ونعلم مضارع اللفظ ومعناه المضي اي ولقد علمنا
وجا اسناد التعليم الي مبهم لم يعين فقيل هو جبر غلام رومي وكان لعامر بن الحضرمي وقيل
عايش او يعيش وكان صاحب كتب مولي حويطب بن عبد العزي وكان قد اسلم فحسن اسلامه
قاله الفرا والزجاج وقيل ابو فكيهة اعجمي مولي لامراة بمكة قيل واسمه يسار وكان يهوديا
قاله مقاتل وابن جبير الا انه لم يقل كان يهوديا وقال ابن زيد كان رجلا حدادا نصرانيا اسمه
يحنس وقال حصين بن عبد الله بن مسلم كان لنا غلامان نصرانيان من اهل عين التمر يسار
وجبر كانا يقران كتبا لهما بلسانهم وكان صلي الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراتهما قيل وكانا
حدادين يصنعان السيوف فقال المشركون يتعلم منهما فقيل لاحدهما ذلك فقال بل هو يعلمني
وقال ابن عباس كان في مكة غلام اعجمي لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله صلي الله
عليه وسلم يعلمه الاسلام فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الاعاجم وقال الضحاك الاشارة
الي سلمان الفارسي وضعف هذا من جهة ان سلمان انما اسلم بعد الهجرة وهذه السورة مكية
الا ايات عليه انه مدني واللسان هنا اللغة وقرا الحسن اللسان الذي بتعريف
اللسان بال والذي صفته وقرا حمزة والكسائي يلحدون من لحد ثلاثيا وهي قراة عبد الله
ابن طلحة والسلمي والاعمش ومجاهد وقرا باقي السبعة وابن القعقاع بضم الياء وكسر الحاء
من الحد رباعيا وهما بمعني قال الزمخشري يقال الحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره
عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله
والحد في دينه لانه امال دينه عن الاديان كلها لم يمله من دين الي دين والمعني لسان الرجل
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم انتهي وظاهر قول الزمخشري ان اللسان
في الموضعين اللغة وقال ابن عطية وهذا اشارة الي القران والتقدير وهذا سرد لسان او نطق
لسان فهو علي حذف مضاف وهذا علي ان يجعل اللسان هنا الجارحة واللسان في كلام العرب
اللغة ويحتمل ان يراد في هذه الاية وقال الكرماني المعني انتم افصح وافهم واقدرهم علي الكلام
نظما ونثرا وقد عجزتم وعجز جميع العرب فكيف تنسبونه الي اعجمي الكن قال الزمخشري
فان قلت الجملة هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت
لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا
جاتهم اية قالوا لن نومن حتي نوتي مثل ما اوتي رسل الله انتهي ويجوز عندي ان تكون جملة
حالية فموضعها نصب وذلك ابلغ في الانكار عليهم اي يقولون ذلك والحالة هذه اي علمهم باعجمية
هذا البشر وابانة عربية هذا القران كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد
احسن اليك اي علمك باحسانه لك كان يقتضي منعك من شتمه وانما ذهب الزمخشري الي الاستيناف
ولم يذهب الي الحال لان من مذهبه ان مجي الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب
مرجوح جدا ويجي ذلك بغير واو ولا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفرا
والله اعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية من ضمير يعود علي ذي الحال لان ذا الحال هو
ضمير قالوا وفي هذه الاية ذو الحال الضمير يقولون والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير الفاعل
في يلحدون واذا عريت عن الواو ففيها ضمير ذي الحال ان الذين لا يومنون بايات الله لا يهديهم

قوله عز وجل ان الذين لا يومنو

الله ولهم عذاب اليم • انما يفتري الكذب الذين لايومنون بايات الله ولهم عذاب اليم • من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم • ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي
القوم الكافرين • اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئكهم الغافلون
لاجرم انهم في الاخرة هم الخاسرون • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم • لما ذكر تعالى نسبتهم الافترا الى الرسول وان ما اتى
به من عند الله انما يعلمه اياه بشر كان ذلك تسجيلا عليهم بانتفاء الايمان فاخبر تعالى عنهم انهم
لا يهديهم الله ابدا اذ كانوا جاحدين ايات الله وهو ما اتى به الرسول من المعجزات وخصوصا
القران فمن بالغ في جحد ايات الله سد الله عليه باب الهداية وذكر تعالى وعيده بالعذاب الاليم
لهم ومعنى لا يهديهم لا يخلق الايمان في قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا
بايات وقال الزمخشري لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب
في الاخرة لا من اهل اللطف والثواب انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال ابن عطية المفهوم
من الوجود ان الذين لا يهديهم الله لا يومنون باياته ولكنه قدم في هذا الترتيب واخرهما
تقبيحا لفعلهم وللتشنيع بخطيئتهم وذلك كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والمراد ما ذكرناه
فكانه قال ان الذين لم يومنوا لم يهدهم الله انتهى وقال القاضي اقوى ما قيل في ذلك
لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب اليم والمراد انهم لما تركوا الايمان بالله
لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار وقال العسكري يجوز ان يكون المعنى انهم لم يومنوا
بهذه الايات لم يهتدوا والمراد بقوله لا يهديهم الله اي لا يهتدون وانما يقال هدى الله فلانا
على الاطلاق اذا اهتدى هو واما من لم يقبل الهدى فانه يقال ان الله هداه فلم يهتد كما قال
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ثم رد تعالى قولهم انما انت مفتر بقوله انما
يفتري الكذب اي انما يليق افترا الكذب بمن لا يومن لانه لا يترقب عقابا عليه ولما كان في كلامهم
انما وهي تقتضي الحصر عند بعضهم جا الرد عليهم بانما ايضا وجا بلفظ يفتري التي تقتضي التجدد
ثم علق الحكم على الوصف المقتضي للافترا وهو انتفاء الايمان وختم بقوله واولئكهم الكاذبون
فاقتضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الاشارة والتاكيد بلفظ هم وادخال ال على الكاذبون
وبكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوام فجاء يفتري يقتضي التجدد وجا الكاذبون يقتضي الثبوت
والدوام وقال الزمخشري واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون هم الذين لا يومنون فهم الكاذبون
او الى الذين لا يومنون اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب
ايات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شي لا يحجبهم عنه
مروة ولا دين او اولئكهم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انتهى والوجه الذي بدا به بعيد
وهو ان واولئك اشارة الى قريش والظاهر ان من الشرطية في موضع رفع على الابتداء وهو استينا
اخبار لا تعلق له بما قبله من جهة الاعراب ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى
من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالايمان ورخص له في النطق بكلمة الكفر اذا كان
قلبه موءمنا وذلك مع الاكراه والمعنى الا من اكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعده عليه تقديره فالكافرون بعد الايمان غير المكرهين
فعليهم غضب ويصح ان يكون الاستثناء من ما تضمنه جواب الشرط المحذوف اي فعليهم غضب
الا من اكره فلا غضب عليه ولا عذاب ولكن من شرح وكذا قدره الزمخشري اعني الجواب قبل الاستثنا
في قول من جعل من شرطا وقال ابن عطية وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من
شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثنا الاول الاستدراك
بلكن وقوله فعليهم خبر عن من الاولى والثانية اذ هو واحد بالمعنى لان الاخبار في قوله من كفر
انما قصد به الصنف الشارح بالكفر انتهى وهذا وان كان كما ذكر فهما جملتان شرطيتان
وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلابد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه
فتقدير الحذف احرى على صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب ابي الحسن في ادعائه ان قوله فسلام
لك من اصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لاما ولان هذا وهما اداتا شرط احداهما تلي الاخرى

واولئكهم الكاذبون

وعلي

وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز ان تكون شرطية كما ذكرنا ويجوز ان تكون موصولة
وما بعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه كما ذكرنا في حذف جواب الشرط
الا ان من الثانية لا يجوز ان تكون شرطا حتى تقدر قبلها مبتدا لان من وليت لكن فتعين
اذ ذاك ان تكون من موصولة فان قدر مبتدا بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر
ذلك المبتدا المقدر كقوله • ولكن متى يسترفد القوم ارفد • اي ولكن انا متى يسترفد
القوم ارفد وكذلك تقدر هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا اي منهم واجاز الحوفي والزمخشري
ان تكون من بدلا من الذين لا يومنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الا ان يكون بدلا من
الكاذبين لانه راى الكلام الى اخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله واجاز الزمخشري
ان يكون بدلا من اولئك فاذا كان بدلا من الذين لا يومنون فيكون قوله واولئك هم الكاذبون
جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترا واذا كان بدلا من الكاذبون فالتقدير واولئك هم
من كفر بالله من بعد ايمانه واذا كان بدلا من اولئك فالتقدير ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون
وهذه الاوجه الثلاثة عندي ضعيفة لان الاول يقتضي انه لا يفتري الكذب الا من كفر بالله من
بعد ايمانه والوجود يقتضي ان من يفتري الكذب هو الذي لا يومن وسوا كان ممن كفر بعد الايمان
او كان ممن لا يومن قط بل لم يومن قط هم الاكثرون المفترون الكذب واما الثاني فيؤول
المعنى الى ذلك اذ التقدير واولئك اي الذين لا يومنون هم من كفر بالله من بعد ايمانه والذين
لا يومنون هم المفترون واما الثالث فكذلك اذ التقدير ان المشار اليه هم من كفر بالله
من بعد ايمانه مخبر عنهم بانهم الكاذبون وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب على الذم انتهى وهذا
ايضا بعيد والذي يقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الاعراب
بل من حيث المعنى والمناسبة وفي قوله الا من اكره دليل على ان فعل المكره لا يترتب عليه شي واذا
كان قد سومح لكلمة الكفر او فعل ما يودي اليه فالمسامحة بغيره من المعاصي اولى وقد تكلموا في
كيفية الاكراه المبيح لذلك وفي تفصيل الاشيا التي يقع الاكراه فيها وذلك كله مذكور في
كتب الفقه والمكرهون على الكفر المعذبون على الاسلام خباب وصهيب وبلال وعمار وابواه ياسر
وسمية وسالم وجبر عذبوا فاجابهم عمار وجبر باللفظ فخلي سبيلهما وتمادى الباقون على الاسلام
فقتل ياسر وسمية وهما اول قتيل في الاسلام وعذب بلال وهو يقول احد احد وعذب خباب بالنار
فما اطفاها الا ودك ظهره وجمع الضمير في فعليهم على معنى من وافرد في شرح على لفظها والظاهر
ان ذلك اشارة الى ما استحقوه من الغضب والعذاب اي كاين لهم بسبب استحبابهم الدنيا
على الاخرة وقال الزمخشري واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم انتهى وهي نزعة الاعتزال
والضمير في بانهم عايد على من في من شرح ولما فعلوا فعل من استحب الزموا ذلك وان كانوا غير مصدقين
باخرة لكن من حيث اعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره وقوله استحبوا هو تكسب منهم
علق به العقاب وان الله لا يهدي اشارة الى اختراع الله الكفر في قلوبهم فجمعت الاية بين الكسب
والاختراع وهذا عقيدة اهل السنة وقيل ذلك اشارة الى الارتداد والاقدام على الكفر لاجل انهم
رجحوا الدنيا على الاخرة ولانه تعالى ما هداهم الى الايمان وتقدم الكلام على الطبع على القلوب
والسمع والابصار والختم عليها واولئكهم الغافلون قال ابن عباس عما يراد منهم في الاخرة وقال
الزمخشري الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها ولما كان الانسان ليكتسب بالطاعات سعادة الاخرة فعل على عكس ذلك من المعاصي
الكفر وغيره عظم خسرانه فقيل فيهم هم الخاسرون لا غيرهم ومن اخسر ممن اتصف بتلك الاوصاف السابقة
من كينونة غضب الله عليهم والعذاب الاليم واستحباب الدنيا وانتفا هدايتهم والاخبار بالطبع
وتغفلهم ولما ذكر تعالى حال من كفر بعد الايمان وحال من اكره ذكر حال من هاجر بعد ما فتن
قال ابن عطية وهذه الاية مدنية ولا اعلم في ذلك خلافا وقال ابن عباس نزلت فكتب بها المسلمون
الى من كان اسلم بمكة ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا
وقتل من قتل فعلى هذا السبب يكون جهادهم مع الرسول على الاسلام وروي انهم لما خرجوا
واتبعوا وجاهدوا متبعيهم فقتل من قتل ونجا من نجا فنزلت حينئذ يعني بالجهاد جهادهم لمتبعيهم

وقال ابن اسحق نزلت في عمار وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد قال ابن عطية وذكر عمار في
هذا غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من باب من شرح بالكفر صدرا فتح الله
لهم باب التوبة في اخر الاية وقال عكرمة والحسن نزلت في شان عبد الله بن ابي سرح واشباهه
فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وقال الزمخشري ثم ان ربك دلالة على تباعد هؤلاء ولا
من حال اوليك وهم عمار واصحابه وللذين عند الزمخشري في موضع خبر ان قال ومعنى ان
ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل
لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور انتهي وقوله منفوعا اسم مفعول من نفع وهو قياسه
لانه متعد ثلاثي وزعم الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفوع
وقفت له عليه في شرحه موجز الرماني وقال ابو البقا خبر ان الاولى قوله ان ربك لغفور
وان الثانية واسمها تكرير للتوكيد انتهي واذا كانت ان الثانية واسمها تكريرا للتوكيد كما ذكر
فالذي تقتضيه صناعة العربية ان يكون خبر ان الاولى هو قوله لغفور ويكون للذين
متعلقا بقوله لغفور او رحيم على الاعمال لان ان ربك الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من
حيث الاعراب كما انك اذا قلت قام قام زيد فزيد انما هو مرفوع بقام الاولى لان الثانية
ذكرت على سبيل التوكيد للاولى وقيل لا خبر لان الاولى في اللفظ لان خبر الثانية اغني عنه
انتهي وهذا ليس بجيد لانه الغي حكم الاولى وجعل الحكم للثانية وهو عكس ما تقدم ولا يجوز
وقيل للذين متعلق بمحذوف على جهة البيان كانه قيل اعني للذين اي الغفران للذين **وقرا**
الجمهور فتنوا مبنيا للمفعول اي بالعذاب والاكراه على كلمة الكفر **وقرا** ابن عامر فتنوا
مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير عايد على الذين هاجروا فالمعنى فتنوا انفسهم بما اعطوا المشركين
من القول كما فعل عمار ولما كانوا صابرين على الاسلام وعذبوا بسبب ذلك صاروا كانهم هم
المعذبون انفسهم ويجوز ان يكون عايدا على المشركين اي من بعد ما عذبوا المومنين كالحضرمي
واشباهه والضمير في من بعدها عايد على المصادر المفهومة من الافعال السابقة اي من بعد الفتنة
والهجرة والجهاد والصبر وقال ابن عطية والضمير في بعدها عايد على الفتنة او الهجرة او التوبة
والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت
وهم لا يظلمون • وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون • ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون • فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه
تعبدون • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم • يوم منصوب على الظرف وناصبه رحيم او على المفعول به وناصبه اذكر والظاهر
عموم كل نفس فيجادل المومن والكافر وجدا له بالكذب والجحد فيشهد عليهم الرسل والجوارح فحينئذ
لا ينطقون وقالت فرقة الجدال قول كل احد من الانبيا وغيرهم نفسي نفسي **قال** ابن عطية
وهذا ليس بجدال ولا احتجاج انما هو مجرد رغبة واختار الزمخشري هذا القول وركب معه ما
قبله فقال كانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي
ومعنى المجادلة الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وقد يقال لعين
الشي وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها
وذاتها وقال ابن عطية اي كل ذي نفس ثم اجري الفعل على المضاف اليه المذكور فانث للعلامة
ونفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى البدن كما تقول نفس الشي وعينه اي ذاته
وقال العسكري الانسان يسمى نفسا تقول العرب ما جاءني الا نفس واحدة اي انسان واحد والنفس
في الحقيقة لا تاتي لانها هي الشي الذي يعيش به الانسان انتهي **فان قلت** لم لم يتعد
الفعل الى الضمير لا الى لفظ النفس **قلت** منع من ذلك ان الفعل اذا لم يكن من
باب ظن وفقد لا يتعدى فعل ظاهر فاعله ولا مضمره الى مضمره المتصل فلذلك لم يجي التركيب تجادل
عنها ولذلك لا يجوز ضربتها هند ولا هند ضربتها وانما تقول ضربت نفسها هند وضربت هند
نفسها ما عملت اي جزاء ما عملت من احسان او اساءة وانث الفعل في ياتي والضمير في تجادل
وفي عن نفسها وفي توفى وفي عملت حملا على معنى كل ولو روعي اللفظ لذكر

قوله عز وجل يوم تاتي كل نفس

وقال

وقال الشاعر جادت عليها كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم •
فانث على المعنى وما ذكر عن ابن عباس ان الجدال هنا هو جدال الجسد للروح والروح للجسد لا يظهر
قال يقول الجسد رب جاء الروح بامرك به نطق لساني وابصرت عيني ومشت رجلي فيقول الروح
انت كسبت وعصيت لا انا وانت كنت الحامل وانا المحمول فيقول الله عز وجل اضرب لكما
مثل اعمى حمل مقعدا الى بستان فاصابا من ثماره فالعذاب عليكما وعن ابن عباس ومجاهد وابن
زيد وقتادة ان القرية المضروب بها المثل مكة كانت لا تغزى ولا يغار عليها والارزاق
تجلب اليها وانعم الله عليها بالرسول فكفرت فاصابها السنون والخوف وسرايا الرسول
وغزواته ضربت مثلا لغيرها مما ياتي بعدها وهذا وان كانت الاية مدنية وان كانت مكية
فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب ويؤيد كونها مكة قوله ولقد جاءهم رسول
منهم فكذبوه ويجوز ان تكون قرية من قرى الاولين وعن حفصة انها المدينة وقال
ابن عطية يتوجه عندي انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير
لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة **وقال** الزمخشري يجوز ان يراد قرية
مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا
لمكة انذارا من مثل عاقبتها انتهي ولا يجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لا بد من
وجودها لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون كانت امنة
ابتدا بصفة الامن لانه لا نعيم لخايف والاطمينان زيادة في الامن فلا يزعجها خوف ياتيها
رزقها اقواتها واسعة من جميع جهاتها لا يتعذر منها جهة والانعم جمع نعمة كشدة واشد
وقال قطرب جمع نعم بمعنى النعيم يقال هذه ايام طعم ونعم انتهي فيكون كبؤس وابؤس
وقال الزمخشري جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع وقال العلماء ثلثة
ليس لها نهاية • الامن والصحة والكفاية • قال ابو عبد الله الرازي امنة اشارة الى الامن
مطمينة اشارة الى الصحة لان هواء ذلك المكان كان ملايما لامزجتهم واطمانوا اليه واستقروا
ياتيها رزقها السبب في ذلك دعوة ابرهيم فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات وقال الانعم جمع قلة ولم يات بنعم الله وذلك انه قصد التنبيه بالادنى على الاعلى
بمعنى ان كفران النعم القليلة اوجب العذاب فكفران الكثيرة اولى بايجابه قال ابن عطية لما
باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا **كقول الاعشى**

اذا ما الضجيع ثنى جيدها • تثنت عليه فصارت لباسا •

ونحو قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومنه **قول الشاعر**

وقد لبست بعد الزبير مجاشع • ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما •

كان العار لما باشرهم ولصق بهم جعلهم لبسوه وقوله فاذاقها نظير قوله ذق انك انت العزيز
الكريم ونظير **قول الشاعر** دونك ما جنيته فاحس وذق •
وقال الزمخشري الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة
موقعة على اللباس فما وجه صحة ايقاعها **قلت** اما الاذاقة فقد
جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق
فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم
المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما
ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان احدهما
ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه **قول كثير**

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر
الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه
الى المستعار **كقوله**

ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر •
لي الشطر الذي ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر •

اراد برد آيه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الي المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما تحكي
فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا ٥ انتهي
وهو كلام حسن ولما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق قابلهما بالجوع الناشي عن انقطاع الرزق وبالخوف
وقدم الجوع ليلي المتاخر وهو اتيان الرزق لقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم واما قوله فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار فقدم ما بدي به وهما طريقان
وقراء الجمهور والخوف بالجر عطفا علي الجوع وروي العباس عن ابي عمرو والخوف بالنصب
عطفا علي لباس قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون نصبه باضمار فعل وقال الزمخشري
يجوز ان يكون علي تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف.
وقراء عبد الله فاذاقها الله الخوف والجوع ولا يذكر لباسا والذي اقوله ان هذا تفسير
المعني لا قراءة لان المنقول عنه مستفيضا مثل ما في سواد المصحف وفي مصحف ابي بن كعب لباس الخوف
والجوع بدا بمقابل ما بدا به في قوله كانت امنة وهذا عندي انما كان في مصحفه قبل ان يجمعوا ما في
سواد المصحف الموجود الان شرقا وغربا وكذلك المستفيض عن ابي في القراءة انما هو كقراءة الجماعة
بما كانوا يصنعون من كفران نعم الله ومنها تكذيب الرسول الذي جاهم والضمير في بما كانوا يصنعون
عايد علي المحذوف في قوله وضرب الله مثلا قرية اي قصة اهل القرية اعاد الضمير او لا علي لفظ
قرية ثم علي المضاف المحذوف كقوله فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون والظاهر ان الضمير في ولقد
جاهم عايد علي ما عاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون وقال ابن عطية يحتمل ان يكون الضمير
في جاهم لاهل تلك المدينة يكون هذا مما جري فيها كمدينة شعيب وغيره ويحتمل ان يكون لاهل مكة
وقال ابو عبد الله الرازي لما ذكر المثل قال ولقد جاهم يعني اهل مكة رسول منهم يعني من
انفسهم يعرفونه باصله ونسبه ولما وعظ تعالي بضرب ذلك المثل وصل هذا الامر للمومنين الفاء
فامر المومنين باكل ما رزقهم وشكر نعمته ليباينوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله ولما تقدم فكفرت
بانعم الله جاء هنا واشكروا نعمة الله وفي البقرة جاء يا ايها الذين امنوا كلوا مما رزقناكم لم يذكر من
كفر نعمته فقال واشكروا الله ولما امرهم بالاكل مما رزقهم عدد عليهم محرمات تعالي ونهاهم عن تحريمهم
وتحليلهم باهوايهم دون اتباع ما شرع الله علي لسان انبيايه وكذا جا في البقرة ذكر ما حرم اثر قوله
كلوا مما رزقناكم وقوله انما حرم الاية تقدم تفسير مثلها في البقرة ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علي الله الكذب ان الذين يفترون علي الله الكذب لا يفلحون
متاع قليل ولهم عذاب اليم ٥ وعلي الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ٥ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان
ربك من بعدها لغفور رحيم ٥ لما بين تعالي ما حرم بالغ في تاكيد ذلك بالنهي عن الزيادة بما حرم
كالبحيرة والسايبة وفيما احل كالميتة والدم وذكر تعالي تحريم هاولاء الاربع في سورة الانعام وهذه
السورة وهما مكيتان باداة الحصر ثم كذلك في سورة البقرة والمايدة بقوله احلت لكم الاية واجمعوا
علي ان المراد مما يتلي عليكم هو قوله حرمت الاية وهما مدنيتان فكان هذا التحريم لهذه الاربع
مشروعا ثابتا في اول مكة واخرها واول المدينة واخرها فنهي تعالي ان يحرموا ويحللوا من عند انفسهم ويفتروا
بذلك علي الله حيث ينسبون ذلك اليه وقراء الجمهور الكذب بفتح الكاف والباء وكسر الذال
وجوزوا فيما في هذه القراءة ان تكون بمعني الذي والعايد محذوف تقديره للذي تصفه السنتكم
من البهايم بالحل والحرمة من غير استناد ذلك الوصف الي الوحي وهذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
او علي اضمار فعل اي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واجاز الحوفي وابو البقاء ان يكون انتصاب
الكذب علي انه بدل من الضمير المحذوف العايد علي ما كما تقول جاني الذي ضربت اخاك اي ضربته
اخاك واجاز ابو البقاء ان يكون منصوبا باضمار اعني وقال الكساي والزجاج ما مصدرية وانتصب
الكذب علي المفعول به اي لوصف السنتكم الكذب ومعمول ولا تقولوا الجملة من قوله هذا حلال
وهذا حرام والمعني ولا تحللوا ولا تحرموا الاجل قول تنطق به السنتكم كذبا لا لحجة ولا لبينة وهذا
معني بديع جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا انطقت به السنتهم فقد حلت الكذب
بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهه يصف الجمال وعينها تصف السحر وقراء الحسن
وابن يعمر وطلحة والاعرج وابن ابي اسحق وابن عبيد ونعيم بن ميسرة بكسر الباء وخرج علي ان يكون

بدلا

قوله عز وجل ولا تقولوا لما

بدلا من ما والمعني للذي تصف السنتكم الكذب واجاز الزمخشري وغيره ان يكون الكذب بالجر
صفة لما المصدرية قال الزمخشري كانه قيل لوصفها الكذب بمعني الكاذب كقوله تعالي
بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة انتهي وهذا عندي لا يجوز وذلك
انهم نصوا علي ان المصدرية لا ينعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل ولا يوجد من كلامهم
يعجبني ان قمت السريع يريد قيامك السريع ولا عجبت من ان تخرج السريع اي من خروجك السريع
وحكم باقي الحروف المصدرية حكم ان فلا يوجد من كلامهم وصف المصدر المنسبك من ان ولا من
ما ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز ان ينعت وليس لكل مقدر حكم المنطوق به وانما
يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب وقرا معاذ وابن ابي عبلة وبعض اهل الشام الكذب
بضم الثلثة صفة للالسنة جمع كذوب قال صاحب اللوامح او جمع كاذب او كذاب انتهي
فيكون كشارف وشرف او مثل كتاب وكتب ونسب هذه القراءة صاحب اللوامح لمسلمة بن محارب
وقال ابن عطية وقرا مسلمة بن محارب الكذب بفتح الباء علي انه جمع كذاب ككتب في
جمع كتاب وقال صاحب اللوامح وجاء عن يعقوب الكذب بضمتين والنصب فاما الضمتان
فلانه جمع كذاب وهو مصدر ومثله كتاب وكتب وقال الزمخشري بالنصب علي الشتم او بمعني
الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني انتهي والخطاب علي قول
الجمهور بقوله ولا تقولوا للكفار في شان ما احلوا وما حرموا من امور الجاهلية وعلي ذلك الزمخشري
وابن عطية وقال العسكري الخطاب للمكلفين كلهم اي لا تسموا ما لم ياتكم حظره ولا اباحته عن الله
ورسوله حلالا ولا حراما فتكونوا كاذبين علي الله في اخباركم بانه حلله وحرمه انتهي وهذا هو
الظاهر لانه خطاب معطوف علي خطاب وهو فكلوا انما حرم عليكم وهو شامل لجميع المكلفين
واللام في لتفتروا لام التعليل الذي لا يتضمن معني الغرض قاله الزمخشري وهي التي تسمي لام
العاقبة ولام الصيرورة قيل ذلك الافتراء ما كان غرضا لهم والظاهر انها لام التعليل وانهم
قصدوا الافتراء كما قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ولا يكون ذلك علي سبيل التوكيد
لما تقدم لتضمن الكذب لان هذا التعليل فيه التنبيه علي من افتروه عليه وهو الله تعالي
وقال الواحدي لتفتروا علي الله الكذب بدل من قوله لما تصف السنتكم الكذب لان وصفهم
الكذب هو افتراء علي الله ففسر وصفهم بالافتراء علي الله انتهي وهو علي تقدير ما مصدرية
واما اذا كانت بمعني الذي فاللام في لما ليست للتعليل فيبدل منها ما يقتضي التعليل بل
اللام متعلقة بلا تقولوا علي حد تعلقها في قولك لا تقولوا لما احل الله هذا حرام اي لا تسم الحلال
حراما وكما تقول لا تقل لزيد عمرو اي لا تطلق علي زيد هذا الاسم والظاهر انهم افتروا علي الله حقيقة
وهو ظاهر الافتراء الوارد في اي القران وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد انه كان شرعهم لاتباعهم سننا
لا يرضاها الله افتراء عليه لان من شرع امرا فكانه قال لتباعه هذا هو الحق وهذا امر الله ثم
اخبر تعالي عن الذين يفترون علي الله الكذب بانتفاء الفلاح والفلاح الظفر بما يومل فتارة يكون
في البقاء كما قال الشاعر والمسي والصبح لا فلاح معه ٥ وتارة في نجح المساعي
كما قال عبيد الابرص افلح بما شيت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب ٥
وارتفع متاع علي انه خبر مبتدا محذوف فقدره الزمخشري منفعتهم فيما هم عليه من افعال
الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وقال ابن عطية عيشهم في الدنيا وقال العسكري يجوز ان
يكون المتاع هنا ما احلوه لانفسهم مما حرمه الله تعالي وقال ابو البقاء بقاوهم متاع قليل وقال
الحوفي متاع قليل ابتدا وخبر انتهي ولا يصح الا بتقدير الاضافة اي متاعهم قليل ولما بين تعالي
ما يحل وما يحرم لاهل الاسلام اتبعه بما كان خص به اليهود مع الاعلي ما تقدم ذكره في سورة الانعام
وهذا يدل علي ان سورة الانعام نزلت قبل هذه السورة اذ لا يصح الحوالة الا بذلك ويتعلق من
قبل بقصصنا وهو الظاهر وقيل بحرمنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحريمنا علي
اهل ملتك والسوء هنا قال ابن عباس الشرك قيل المراد بالله انتهي والسوء ما يسوء صاحبه
من كفر ومعصية وغيره والكلام في للذين عملوا وما يتعلق به تقدم نظيره في قوله ثم ان ربك
للذين هاجروا فاغني عن اعادته وقال قوم بجهالة بتعمد وقال ابن عطية ليست هنا ضد العلم
بل تعدي الطور وركوب الراس ومنه او اجهل او يجهل علي وقول الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

والتي هي ضد العلم نصحب هذه كثيرا ولكن يخرج منها المتعمد وهو الاكثر وقل ما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي تواقع انتهي ملخصا وقال الزمخشري بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وقال سفين جهالته ان يلتذوا بهواه ولا يبالي بمعصية مولاه وقال الضحاك باغترار الحال عن المآل وقال العسكري ليس المعني انه يغفر لمن يعمل السوء بجهالة ولا يغفر لمن عمله بغير جهالة بل المراد ان جميع من تاب فهذا سبيله وانما خص من يعمل السوء بجهالة لان اكثر من ياتي الذنوب بالتهاون بها فذكر الاكثر علي عادة العرب في مثل ذلك والاشارة بذلك الي عمل السوء واصلحوا استمروا علي الاقلاع عن تلك المعصية وقيل اصلحوا امنوا واطاعوا والضمير في من بعدها عايد علي المصادر المفهومة من الافعال السابقة اي من بعد عمل السوء والتوبة والاصلاح وقيل يعود علي الجهالة وقيل علي السوء علي معني المعصية

ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الي صراط مستقيم • واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين • ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • انما جعل السبت علي الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • لما ابطل تعالي مذاهب المشركين في هذه السورة من اثبات الشركاء لله والطعن في نبوة رسول الله وتحليل ما حرم وتحريم ما احل وكانوا مفتخرين بجدهم ابراهيم صلوات الله علي نبينا وعليه مفتخرين بحسن طريقته ووجوب الاقتداء به ذكره في اخر السورة واوضح منهاجه وما كان عليه من توحيد الله تعالي ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم علي الاقتداء به وايضا فلما جري ذكر اليهود بين طريقة ابراهيم ليظهر الفرق بين حاله وحال اليهود وحال قريش وقال مجاهد سمي امة لانفراده بالايمان في وقته مدة ما وفي البخاري انه قال لسارة ليس علي الارض اليوم مؤمن غيري وغيرك والامة لفظ مشترك بين معان منها الجمع الكثير من الناس ثم يشبه به الرجل العالم او الملك المنفرد بطريقة وحده عن الناس فسمي امة وقاله ابن مسعود والفراء وابن قتيبة وقال ابن عباس كان عنده من الخير ما كان عند امة ومن هنا اخذ الحسن بن هاني قول الشاعر وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد •

وقال ابن مسعود انه معلم الخير واطلق هو وعمر ذلك علي معاذ فقالا كان امة قانتا وقال ابن الانباري هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بالتاء التناهي في المعني الموصوف به وقيل الامة الامام الذي يقتدي به من ام يؤم والمفعول قد يبني للكثرة علي فعلة وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدي الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الي الطعام فخيلوا انهم جذام فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله علي انه عافاني وابتلاكم واتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة حببه الله الي كل الخلق فكل اهل الاديان يتولونه اليهود والنصاري والمسلمون وخصوصا كفار قريش فانما فخرهم انما هو به وذلك باجابة دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقيل الحسنة قول المصلي منا كما صليت علي ابراهيم وقال ابن عباس الذكر الحسن وقال الحسن النبوة وقال مجاهد لسان صدق وقال قتادة القبول وعنه تنويه الله بذكره وقيل الاولاد الابرار علي الكبر وقيل المال يصرفه في الخير والبر وانه لمن الصالحين تقدم الكلام علي هذه الجملة في البقرة ولما وصف ابراهيم عليه السلام بتلك الاوصاف الشريفة امر نبيه ان يتبع ملته وهذا الامر من جملة الحسنة التي اتاها الله ابراهيم في الدنيا قال ابن فورك وامر الفاضل باتباع المفضول لما كان سابقا الي قول الصواب والعمل به وقال الزمخشري ثم اوحينا في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلي الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي ابراهيم خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلي الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت علي تباعد هذا النعت في المرتبة من بين ساير النعوت التي اثني الله عليه بها انتهي وان تفسيرية او في موضع المفعول واتباع ملته قال قتادة في الاسلام وعنه ايضا جميع ملته الا ما امر بتركه وعن عمرو بن العاصي مناسك الحج وقال القرطبي الصحيح عقايد الشرع دون

قوله عزوجل ان ابراهيم

الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل في التبري من الاوثان وقال قوم كان علي شريعة ابراهيم وليس له شرع ينفرد به وانما المقصود من بعثته احياء شرع ابراهيم قال ابو عبد الله الرازي وهذا القول ضعيف لان وصف ابراهيم في هذه الاية بانه ما كان من المشركين فلما قال اتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك **فان قيل** النبي صلي الله عليه وسلم انما نفي الشرك واثبت التوحيد بناء علي الدلايل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حمل قوله ان اتبع علي هذا المعني فوجب حمله علي الشرايع التي يصح حصول المتابعة فيها **قلت** يحتمل ان يكون المراد متابعته في كيفية الدعوة الي التوحيد وهي ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخري بانواع كثيرة علي ما هو الطريقة المالوفة في القران انتهي ولا يحتاج الي هذا لان المعتقد الذي تقتضيه دلايل العقول لا يمتنع ان يوحي ليتظافر المعقول والمنقول علي اعتقاده الاتري الي قوله تعالي قل انما يوحي الي انما الهكم اله واحد فليس اعتقاد الوحدانية بمجرد الوحي فقط وانما تظافر المنقول عن الله في ذلك مع دليل العقل وكذلك هنا اخبر تعالي ان ابراهيم لم يكن مشركا وامر الرسول باتباعه في ذلك وان كان انتفاء الشرك ليس مستنده مجرد الوحي بل الدليل العقلي والدليل الشرعي تظافرا علي ذلك وقال ابن عطية قال مكي ولا يكون يعني حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حروف الخفض اذا عملت في ذي الحال كقولك مررت بزيد قايما انتهي اما ما حكي عن مكي وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافا اليه فليس علي اطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف اليه في محل رفع او نصب جازت الحال منه نحو يعجبني قيام زيد مسرعا وشرب السويق ملتوتا وقال بعض النحاة ويجوز ايضا ذلك اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا او كالجزء منه كقوله ملة ابراهيم حنيفا وقد بينا الصحيح في ذلك فيما كتبناه علي التسهيل وعلي الالفية لابن مالك واما قول ابن عطية في رده علي مكي بقوله وليس كما قال لان الحال الي اخره فقول بعيد عن قول اهل الصنعة لان الباء في بزيد ليست هي العاملة في قايما وانما العامل في الحال مررت والباء وان عملت الخفض في زيد فان زيدا في موضع نصب بمررت وكذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذي كان مجرورا بالحرف ولما امر الله رسوله باتباع ملة ابراهيم وكان الرسول قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك علي انه كان في شرع ابراهيم بين ان يوم السبت لم يكن تعظيمه واتخاذه للعبادة من شرع ابراهيم ولا دينه والسبت مصدر وبه سمي اليوم وتقدم الكلام في هذا اللفظ في الاعراف قال الزمخشري سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعني انما جعل وبال السبت وهو المسخ علي الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه علي كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه والمعني في ذكر ذلك نحو المعني في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله علي العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته **فان قلت** فما معني الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين **قلت** معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخري ووجه اخر وهو ان موسي عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعني جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه انتهي وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله وقال الكرماني عدي جعل بعلي لان اليوم صار عليهم لا لهم لارتكابهم المعاصي فيه انتهي ولهذا قدره الزمخشري انما جعل وبال السبت وقال الحسن جعل السبت لعنة عليهم بان جعل منهم القردة وقال ابن عباس ان الله سبحانه قال ذروا الاعمال يوم الجمعة وتفرغوا فيه لعبادتي فقالوا نريد السبت لان الله تعالي فرغ فيه من خلق السموات والارض فهو اولي بالراحة وقرا ابو حيوة جعل بفتح الجيم والعين مبنيا للفاعل وعن ابن مسعود والاعمش انما قرا

قوله عزوجل ادع الي سبيل ربك

انما انزلنا السبت وهي تفسير معني لا قراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ولما استفاض عن الاعمش وابن مسعود انهما قرا كالجماعة ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين • واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون • ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • امر تعالي رسوله عليه السلام ان يدعو الي دين الله وشرعه بتلطف من القول وهو ان يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس اجمل موقع وعن ابن عباس ان الحكمة القران وعنه الفقه وقيل النبوة وقيل ما يمنع من الفساد من ايات ربك المرغبة والمرهبة والموعظة الحسنة مواعظ القران عن ابن عباس وعنه ايضا الادب الجميل الذي يعرفونه وقال ابن جرير هي العبر المعدودة في هذه السورة وقال ابن عيسي الحكمة المعروفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وقال الزمخشري الي سبيل ربك الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا تخفي عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقال ابن عطية الموعظة الحسنة التخويف والترجية والتلطف بالانسان بان تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضايل ونحو هذا وقالت فرقة هذه الاية منسوخة باية القتال وقالت فرقة هي محكمة وان عاقبتم اطبق اهل التفسير ان هذه الاية مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة وغيره في يوم احد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب النحاس الي انها مكية والمعني متصل بما قبلها اتصالا حسنا لانها تتدرج الرتب من الذي يدعي ويوعظ الي الذي يجادل الي الذي يجازي علي فعاله ولكن ما روي الجمهور اثبت انتهي وذهبت فرقة منهم ابن سيرين ومجاهد الي انها نزلت فيمن اصيب بظلامة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداها الي غيرها وسمي المجازاة علي الذنب معاقبة لاجل المقابلة والمعني قال لمن صنع بكم صنعت سوء بمثله وهو عكس ومكروا ومكر الله المجاز في الثاني وفي وان عاقبتم في الاول

وقرأ ابن سيرين وان عاقبتم فعقبوا بتشديد القافين اي وان تتبعتم بالانتصار فتتبعوا بمثل ما فعل بكم والظاهر عود الضمير الي المصدر الدال عليه الفعل مبتداء بالاضافة اليهم اي لصبركم **وللصابرين** اي لكم ايها المخاطبون فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بصبرهم علي الشدايد ويصبرهم علي المعاقبة وقيل يعود الي جنس الصبر ويراد بالصابرين جنسهم وكانه قيل والصبر خير للصابرين فيندرج صبر المخاطبين في الصبر ويندرجون هم في الصابرين ونحو فمن عفي واصلح وان تعفوا اقرب للتقوي والمخير المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم علي الرسول في الذي هو خير وهو الصبر فامر هو وحده بالصبر ومعني بالله بتوفيقه وتيسيره وارادته والضمير في عليهم يعود علي الكفار وكذلك في يمكرون كما قال فلا تاس علي القوم الكافرين وقيل يعود علي القتلي الممثل بهم حمزة ومن مثل به يوم احد **وقرأ** الجمهور في ضيق بفتح الضاد **وقرأ** ابن كثير بكسرها ورويت عن نافع ولا يصح عنه وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين وقال ابو عبيدة بفتح الضاد مخفف من ضيق اي ولا تك في امر ضيق كلين في لين وقال ابو علي الصواب ان يكون الضيق لغة في المصدر لانه ان كان مخففا من ضيق لزم ان تقام الصفة مقام الموصوف اذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك والصفة انما تقوم مقام الموصوف اذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رايت ضاحكا فانما تخصص الانسان ولو قلت رايت باردا لم يحسن وبابارد مثل سن وضيق لا يخصص الموصوف وقال ابن عباس وابن زيدان ما في هذه الايات من الامر بالصبر منسوخ ومعني المعية هنا بالنصرة والتاييد والاعانة **جاس** يجوس جوسا وجوسانا تردد في الغارة قاله الليث وقال ابو عبيدة جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل وقال الفراء قتلوا **وقال الشاعر**

ومنا الذي لاقي لسيف محمد • فجاس به الاعداء عرض العساكر

وقال قطرب نزلوا **قال حسان** فجسنا ديارهم عنوة • وابنا بسادتهم موثقينا • وقيل داسوا ومنه

اليك

مفردات اول سورة الاسراء

اليك جسنا الليل بالمطي • وقال ابو زيد الجوس والجوس والعوس والهوس الطواف بالليل فالجوس والحوس طلب الشي باستقصاء خطرت الشي منعته

سورة الاسرى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير • واتينا موسي الكتاب وجعلناه هدي لبني اسرايل ان لا تتخذوا من دوني وكيلا • ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا • سبب نزول سبحان الذي اسري بعبده ذكر رسول الله لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فانزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية قال صاحب الغينان باجماع وقيل الا ايتين وان كادوا ليفتنونك وان كادوا ليستفزونك وقيل الا اربع هاتان وقوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق وزاد مقاتل قوله تعالي ان الذين اوتوا العلم من قبله الاية وقال قتادة الا ثماني ايات انزلت بالمدينة وهي من قوله وان كادوا ليفتنونك الي اخرهن ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها انه تعالي لما امره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الي الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به اعقب تعالي ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام علي سبحان في البقرة وزعم الزمخشري انه علم للتسبيح كعثمان للرجل وقال ابن عطية ولم ينصرف لان في اخره زايدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا انتهي ويعنيان والله اعلم انه اذا لم يضف كقوله • سبحان من علقمة الفاجر • واما اذا اضيف فلو فرضنا انه علم لنوي تنكيره ثم يضاف وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية واسري بمعني سري وليست الهمزة فيه للتعدية وعديا بالباء ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل بل المعني جعله يسري لان السري يدل علي الانتقال كمشي وجري وهو مستحيل علي الله تعالي فهو كقوله لذهب بسمعهم اي لاذهب سمعهم فاسري وسري علي هذا كسقي واسقي اذا كانا بمعني واحد ولذلك قال المفسرون معناه سري بعبده وقال ابن عطية ويظهر ان اسري معداة بالهمزة الي مفعول محذوف تقديره اسري الملايكة بعبده لانه يقلق ان يسند اسري وهو بمعني سري الي الله تعالي اذ هو فعل يعطي النقلة كمشي واجري واحضر وانتقل فلا يحسن اسناد شي من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشي من هذا النحو كقوله في الحديث اتيته سعيا واتيته هرولة حمل ذلك بالتاويل علي الوجه المخلص من نفي الحوادث واسري في هذه الاية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا تحتاج الي تجوز قلق في مثل هذه اللفظة فانه الزم للنقلة من اتيته واني الله بنيانهم انتهي وانما احتاج ابن عطية الي هذه الدعوي اعتقاده انه اذا كان اسري بمعني سري لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شي ذهب اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه قيامك وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده باء التعدية بباء الحال فباء الحال يلزم فيه المشاركة اذ المعني قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة فقمت بزيد والباء للتعدية كقولك اقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك ان تقوم انت قال ابن عطية ويحتمل ان تكون اسري بمعني سري علي حذف مضاف كقوله تعالي ذهب الله بنورهم يعني ان يكون التقدير لسرت ملايكته بعبده فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا مبني علي اعتقاده انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وايضا فموارد القران في فاسر بقطع الهمزة ووصلها يقتضي انهما بمعني واحد الا تري ان قوله فاسر باهلك وان اسر بعبادي قرئ بالقطع والوصل ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف اذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح علي المحذوف والظاهر ان هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قص ذلك علي ام هاني قالت له لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك ولو كان مناما ما استنكر ذلك

وهذا قول جمهور اهل العلم وهذا الذي ينبغي ان يعتقد وحديث الاسراء مروي في المسانيد
عن الصحابة في كل اقطار الاسلام وذكر انه رواه عشرون من الصحابة قيل وما روي عن
عايشة ومعاوية انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن في ذلك حجة لانهما
لم يشاهدا ذلك لصغر عايشة وكفر معاوية اذ ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى الرسول
ولا حدثا به عنه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وقوله بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابو القاسم سليمان الانصاري لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية
والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله اليه يا محمد بم نشرفك قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية
فانزل فيه سبحان الذي اسرى بعبده الاية انتهى وعنه قالوا عبد الله ورسوله وعنه انما انا
عبد وهذه اضافة تشريف واختصاص **وقال الشاعر**

لا تدعني الا بيا عبده لانه اشرف اسمائي

وقال العلماء لو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة
وانتصب ليلا على الظرف ومعلوم ان السري لا يكون في اللغة الا بالليل ولكنه ذكر على سبيل
التوكيد وقيل يعني في جوف الليل فلم يكن ادلاجا ولا اذلاجا وقال الزمخشري اراد بقوله
ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة
اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله
وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به على الامر بالقيام في بعض الليل
انتهى والظاهر ان قوله من المسجد الحرام هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه وهو قول انس وقيل
من الحجر وقيل من بين زمزم والمقام وقيل من شعب ابي طالب وقيل من بيت ام هاني وقيل من
سقف بيته عليه السلام وعلى هذه الاقوال الثلثة يكون اطلق المسجد الحرام على مكة وقال
قتادة ومقاتل قبل الهجرة بعام وقالت عايشة بعام ونصف في رجب وقيل في سبع عشرة من ربيع
الاول والرسول ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين يوما وعن ابن شهاب
بعد المبعث بسبعة اعوام وعن الحزني ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة
والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة وقيل بيعة العقبة ووقع لشريك ابن ابي نمر في
الصحيح ان ذلك كان قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان ذلك وهم من شريك وحكى
الزمخشري عن انس والحسن انه كان قبل المبعث وقال ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الرعيني في
تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء قبل مبعثه بثمانية عشر شهرا وروي
انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على
ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه
فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل
فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين
مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي
بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من
ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر اليه ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر
وهذه والله العير قد اقدمت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا
سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا
ايضا بما راى في السماء من العجايب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى
وهذا على قول من قال ان هذه الليلة هي ليلة المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة وذهب
بعضهم الى ان ليلة المعراج هي غير ليلة الاسراء والمسجد الاقصى مسجد بيت المقدس وسمي
الاقصى لانه كان في ذلك الوقت اقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة قال ابن عطية
ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ويكون المقصد اظهار

العجب

العجب في الاسراء الى هذا البعد في ليلة انتهى ولفظة الى تقتضي انه انتهى الاسراء به الى حد
ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله والذي باركنا حوله صفة مدح لازالة اشتراك
عارض وبركته بما خص به من مجامع الدينية كالنبوة والشرايع والرسل الذين كانوا في ذلك
القطر ونواحيه وبواديه والدنياوية من كثرة الاشجار والانهار وطيب الارض وفي الحديث
انه تعالى بارك فيما بين العرش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس **وقراء** الجمهور
لنريه بالنون وهو التفات من ضمير الغايب الى ضمير المتكلم وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون
الالتفات في اياتنا وهذه رؤيا عين والايات التي اريها هي العجايب التي اخبر بها الناس واسراؤه
من مكة وعروجه الى السماء ووصفه الانبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح وقال
ابن عطية ويحتمل ان يريد ليري محمد للناس اية اي يكون النبي صلى الله عليه وسلم اية في ان
يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية قلب قال الزمخشري انه هو السميع
لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وقال
ابن عطية وعيد من الله للكفار على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم في امر الاسراء فهي اشارة
لطيفة بليغة الى ذلك اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم انتهى ولما ذكر تشريف
الرسول بالاسراء واراءته الايات ذكر تشريف موسى بايتايه التوراة واتيناه معطوف على الجملة
السابقة من تنزيه الله تعالى وبراته من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر او غيره
وقال ابن عطية عطف قوله واتيناه على ما في قوله اسرى بعبده من تقدير الخبر كانه قال اسرينا
بعبدنا واريناه اياتنا وقال العكبري واتينا معطوف على اسرى انتهى وفيه بعد والكتاب
هنا التوراة والظاهر عود الضمير من وجعلناه على الكتاب ويحتمل ان يعود على موسى ويجوز
ان تكون ان تفسيرية ولا نهي وان تكون مصدرية تعليلا اي لان لا يتخذوا ولا نفي ولا يجوز
ان تكون ان زايدة ويكون لا يتخذوا معمولا للقول محذ وفيه فالمجوز ذلك اذ ليس من مواضع
زيادة ان **وقراء** ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وابو رجاء وابو عمرو من السبعة
يتخذوا بالياء على الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب والوكيل فعيل من التوكل اي متوكلا عليه
وقال الزمخشري ربا تكلون اليه اموركم وقال ابن جرير حفيظا لكم سواي وقال ابو الفرج
ابن الجوزي قيل للرب وكيل لكفايته وقيامه بشؤون عباده لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل
وانحطاط امر الوكيل انتهى وانتصب ذرية على النداء اي يا ذرية او على البدل من وكيلا او على
المفعول الثاني ليتخذوا ووكيلا في معنى الجمع اي لا تتخذوا وكلاء ذرية او على اضمار اعني
وقرات فرقة ذرية بالرفع وخرج على ان يكون بدلا من الضمير في يتخذوا على قراءة من
قرا بياء الغيبة وقال ابن عطية ولا يجوز في القراءة بالتاء لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت
ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى وما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى
تفصيل وذلك انه ان كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان في بدل شي
من شي وهما لعين واحدة وان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم
وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح
لوجود ذلك في كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب شرح التسهيل وذكر من حملنا مع نوح
تنبيها على النعمة التي نجاهم بها من الغرق **وقراء** زيد بن ثابت وابان بن عثمن وزيد بن
علي ومجاهد في رواية بكسر ذال ذرية **وقراء** مجاهد ايضا بفتحها وعن زيد بن ثابت
ذرية بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعيلة كمطية والظاهر ان الضمير في
انه عايد على نوح قال سلمان الفارسي كان يحمد الله على طعامه وقال ابراهيم شكره اذا اكل قال بسم الله
فاذا فرغ قال الحمد لله وقال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله وقيل الضمير
في انه عايد الى موسى انتهى وبنعم الى الشكر لانه يستلزم التوحيد اذ النعم التي يجب الشكر عليها هي
من عنده تعالى فكانه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح التي انتم ذرية من حملنا
معه وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء
وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا
ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم

قوله عز وجل
وقضينا

لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة
وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
تقضي يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله فلما قضى موسى الاجل والمضمن هنا معنى الايحاء او الانفاذ
تعدى بالى اي واوحينا او انفذنا الى بني اسرائيل في القضاء المحتوم المكتوب وعن ابن عباس
معناه اعلمناهم وعنه ايضا فقضينا عليهم وعنه ايضا كتبنا واللام في لتفسدن جواب قسم
فاما ان يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بني اسرائيل بفسادهم في
الارض وعلوهم ثم اقسم على وقوع ذلك وانه كائن لا محالة فحذف متعلق قضينا وابقى منصب
القسم المحذوف ويجوز ان يكون قضينا اجري مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله
لاتومن وقرا ابو العالية وابن جبير في الكتب على الجمع والجمهور على الافراد فاحتمل ان يريد
به الجنس والظاهر انه يراد التوراة وقرا ابن عباس ونصر بن علي وجابر بن زيد لتفسدن بضم
التاء وفتح السين مبنيا للمفعول اي يفسدكم غيركم فقيل من الاضلال وقيل من الغلبة وقرا
عيسى لتفسدن بفتح التاء وضم السين اي فسدتم بانفسكم بارتكاب المعاصي مرتين اولاهما قتل
زكريا عليه السلام قاله السدي عن اشياخه وقاله ابن مسعود وابن عباس وذلك انه لما مات صدقيه
ملكهم تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا ولا يسمعون من زكريا فقال الله له قم في قومك
اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله عليه اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة
فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها
حتى قطعوه في وسطها وقيل سبب قتل زكريا انهم اتهموه بمريم قيل قالوا حين حملت مريم
ضيع بنت سيدنا حتى زنت فقطعوه بالمنشار في الشجرة وقيل شعيا قاله ابن اسحاق وان زكريا
مات موتا ولم يقتل وان الذي دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار في وسطها هو شعيا وكان
قبل زكريا وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم
اعلم الله بني اسرائيل في التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله في الرسل وفي الكتب وغير ذلك
وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتقتلهم وتذكرهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم
الى حالهم الاولى من الظهور فيقع منهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم
فيبعث الله عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا ودل الوجود بعد ذلك
على هذا الامر كله قيل وكان بين اخر الاولى والثانية مائتا سنة وعشر سنين ملكا مؤيدا ثابتا
وقيل سبعون سنة وقال الكلبي لتعصن في الارض المقدسة ولتعلن اي تطغون وتعظمون
وقراءة زيد بن علي عليا كبيرا في الموضعين بكسر العين واللام والياء المشددة وقراءة
الجمهور علوا والتصحيح في فعول المصدر اكثر كقوله وعتوا عتوا كبيرا بخلاف الجمع فان الاعلال
فيه هو المقيس وشذ التصحيح نحو بهو ونهو خلافا للفراء اذ جعل ذلك قياسا فاذا جاء وعد
اولاهما اي موعود اولاهما لان الوعد قد سبق بذلك والموعود هو العقاب وقال الزمخشري
معناه وعد عقاب اولاهما وقيل الوعد بمعنى الوعيد وقيل بمعنى الموعد الذي يراد به الوقت والضمير
في اولاهما عائد على المرتين وقراءة الجمهور عبادا وقراءة الحسن وزيد بن علي عبيدا قال ابن عباس
وقتادة غزاهم جالوت من اهل الجزيرة وقال ابن جبير وابن اسحق غزاهم سنحاريب وجنوده ملك
بابل وقيل بخت نصر وروي انه دخل قبل في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع
من جور بني اسرائيل على ما لم يعلمه الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك
الاعظم فلما كان بعد ايام جعله الملك رئيس جيش وبعثه وخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم
ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقيل هم
العمالقة وكانوا كفارا وقيل كان المبعوثون قوما مؤمنين بعثهم الله وامرهم بغزو بني اسرائيل
والبعث هنا الارسال والتسليط وقال الزمخشري معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم
نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد
خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم انتهى
وفي قولهم خلينا بينهم وبين ما فعلوا دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية بعثنا يحتمل ان يكون الله

ارسل الى ملك تلك الامة رسولا بامره بغزو بني اسرائيل فتكون البعثة بامر ويحتمل ان يكون عبر بالبعث
عن ما القي في نفس الملك الذي غزاهم انتهى اولي باس شديد اي قتال وحرب شديد لقوتهم
ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم وقراءة الجمهور فجاسوا بالجيم وقراءة ابو السمال
وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة وقرئ فجوسوا على وزن تكسروا بالجيم وقراءة الحسن
خلل الديار واحدا ويجمع على خلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون خلال مفردا كالخلل وهو وسط
الديار وما بينها والجمهور على انه في هذه البعثة الاولى خرب بيت المقدس ووقع القتل فيهم
والجلاء والاسر وعن ابن عباس ومجاهد انه حين غزوا جاسوا وتغازون خلال الديار ولم يكن قتل ولا قتال
في بني اسرائيل وانصرفت عنهم الجيوش والضمير في وكان عائد على وعد اولاهما قال الزمخشري
وكان وعدا العقاب ووعد الابدان يفعل انتهى وقيل يعود على الجيوش ثم رددنا لكم الكرة عليهم
هذا اخبار من الله لبني اسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع نرد اذ وقت اخبارهم لم يقع
الامر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة انه يقع عبر عن مستقبله بالماضي والكرة الدولة
والغلبة على الذين بعثوا عليهم حتى تابوا ورجعوا عن الفساد وملكوا بيت المقدس قبل الكرة
قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر في سبب ذلك
ان ملكا غزا اهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بني اسرائيل اربعين الفا ممن يقرا التوراة
وبقي بقيته عندهم ببابل في الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امراة من بني
اسرائيل فطلبت منه ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء
ورجعوا الى احسن ما كانوا وقيل الكرة هي تقوية طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود حين قتل
جالوت وقال قتادة كانوا اكثر شرا في زمان داود عليه السلام وانتصب نفيرا على التمييز فقيل
النفير والنافر واحد واصله من ينفر مع الرجل من عشيرته واهل بيته قاله ابو مسلم وقال
الزجاج يجوز ان يكون جمع نفر ككلب وكليب وعبد وعبيد وهم المجتمعون للمصير الى الاعداء وقيل
النفير المصدر اي اكثر خروجا الى الغزو كما في قول الشاعر

فاكرم بقحطان من والد وحمير اكرم بقوم نفيرا

ويريد بالجمير بين اكرم نفيرا والمفضل عليه محذوف قدره الزمخشري واكثر نفيرا مما كنتم
وقدره غيره واكثر نفيرا من الاعداء ان احسنتم اي اطعتم الله كان ثواب الطاعة لانفسكم وان اساتم
بمعصيته كان عقاب الاساءة لانفسكم لا يتعدى الاحسان والاساءة الى غيركم وجواب وان اساتم
قوله فلها على حذف مبتدا اي محذوف ولها خبره تقديره فالاساءة لها قال الكرماني جاء فلها باللام
ازدواجا انتهى يعني انه قابل قوله لانفسكم بقوله فلها وقال الطبري اللام بمعنى الى اي فاليها
ترجع الاساءة وقيل اللام بمعنى على اي فعليها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم فاذا جاء وعد
الاخرة اي المرة الاخرة في افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره
بعثناهم عليكم وافسادهم في ذلك بقتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وسبب قتله فيما روي عن ابن
عباس وغيره ان ملكا اراد ان يتزوج من لا يجوز له نكاحها فنهاه يحيى بن زكرياء وكان لتلك
المراة حاجة كل يوم عند الملك تقضيها فالقت امها اليها ان تساله عن ذبح يحيى بن زكرياء
بسبب ما كان منعه من تزوج ابنتها فسالته ذلك ودافعها فالحت عليه فدعا بطست فذبحه
فندرت قطرة على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بخت نصر فالقى في نفسه ان
يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين الفا وقال السهيلي لا يصح ان يكون
المبعوث في المرة الاخرة بخت نصر لان قتل يحيى بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بزمن
طويل وقيل المبعوث عليهم اسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلثمائة سنة ولكنه
ان اريد بالمرة الاخرى حين قتلوا اشعيا فكان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب
بيت المقدس واتبعهم الى مصر واخرجهم منها وروي عن عبد الله بن الزبير ان الذي غزاهم
اخرا ملكا اسمه خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكريا قائد له فسكن الدم وقيل
قتله ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له لاحب وقال الربيع بن انس كان يحيى قد اعطي
حسنا وجمالا فراودته امراة الملك عن نفسه فابى فقالت لابنتها سلي اباك راس يحيى فاعطاها
ما سالت وقرا الجمهور ليسوءوا بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على
المبعوثين وقراءة ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الافراد والفا

المضمر عايد على الله تعالى او على الوعد او على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة وقراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله وقرا ابي لنسوءن بلام الامر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخرا وعن علي ايضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم ودخلت لام الامر في قراءة ابي على المتكلم كقوله ولنحمل خطاياكم وجواب اذا هو الجملة الامرية على تقدير الفاء وفي مصحف ابي ليسيء بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف ليسوء وجهكم على الافراد والظاهر انه اريد بالوجوه الحقيقة لان الاثار الاعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ففي الفرح تظهر الاسفار والاشراق وفي الحزن تظهر الكلوح والغبرة ويحتمل ان يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساءوهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الاساءة للذوات كلها او عن سادتهم وكبرائهم بالوجوه ومنه قولهم في الخطاب باوجه العرب واللام في وليدخلوا لام كي معطوفا على ما قبلها من لام كي ومن قرا بلام الامر او بلام القسم جاز ان يكون وليدخلوا وما بعده لام امر وجاز ان تكون لام كي اي وبعثناهم ليدخلوا والمسجد مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه اول مرة اي بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب الى ان اولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب وتقدم الكلام في اول مرة في سورة التوبة وليتبروا ويهلكوا وقال قطرب يهدموا قال الشاعر

• فما الناس الا عاملان فعامل • يتبر ما يبني وآخر رافع •

والظاهر ان ما مفعولة بيتبروا اي يهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار ويحتمل ان تكون ما ظرفية اي مدة استيلائهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصي وهذه الترجية ليست لرجوع دولة وانما هي من باب ترحم المطيع منهم وكان من الطاعة ان يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما السلام فلم يفعلوا وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه في عذاب الى يوم القيامة انتهى ومعنى عدنا في الدنيا الى العقوبة وقال تعالى واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم ذكر ما اعد لهم في الاخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا والحصير السجن وقال لبيد ومقامه غلب الرجال كانهم جن • لدى باب الحصير قيام •

وقال الحسن يعني فراشا وعنه ايضا هو ماخوذ من الحصير والذي يظهر انها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر به اي ذات انفطار ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا • وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما • ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا • وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا • وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا • اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • لما ذكر تعالى من اختصه بالاسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتاه التوراة وهو موسى عليه السلام وانها هدى لبني اسرائيل وذكر ما قضى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم كان ذلك داعيا من عقل عن معاصي الله فذكر ما شرف الله به رسوله من القران الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الهي وانه يهدي للطريقة او الحالة التي هي اقوم وقال الضحاك والكلبي والفراء التي هي اقوم هي شهادة التوحيد وقال مقاتل للاوامر والنواهي واقوم هنا افعل التفضيل على قول الزجاج اذ قدر اقوم الحالات وقدره غيره اقوم مما عداها او من كل حال والذي يظهر من حيث المعنى ان اقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد اليها القران وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التي هي قيمة اي مستقيمة كما قال وذلك دين القيمة وفيها كتب قيمة اي مستقيمة الطريقة قائمة بما يحتاج اليه من امر الدين وقال الزمخشري

قوله عز وجل ان هذا القران

للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واشدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف لحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه انتهى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات قيد في الايمان الكامل اذ العمل هو كمال الايمان نبه على الحالة الكاملة ليتحلى بها المؤمن والمؤمن المفرط في عمله له نصيب بما نحط في اعمال الصالحات والاجر الكبير الجنة وقال الزمخشري فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك انتهى وهذه مكابرة بل قد وقع في زمان الرسول من بعض المؤمنين هفوات وسقطات بعضها مذكور في القران وبعضها مذكور في الحديث الصحيح الثابت وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على قوله ان لهم اجرا كبيرا بشروا بفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لاعدائهم الكفار اذ في علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما بشارتان وفيه وعيد للكفار وقال الزمخشري ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون انتهى فلا يكون اذ ذاك داخلا تحت البشارة وفي قوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة دليل على ان من امن بالاخرة لا يعد له عذاب اليم وانه ليس عمل الصالحات شرطا في نجاته من العذاب وقراءة الجمهور ويبشر مشددا مضارع بشر المشدد وقراءة عبد الله وطلحة وابن وثاب والاخوان ويبشر مضارع بشر المخفف ومعنى اعتدنا اعددنا وهيانا وهذه الاية جاءت عقب ذكر احوال اليهود وانهم جوانبهم لا يؤمن بالاخرة لان اكثرهم لا يقول بالثواب والعقاب الجسماني وبعضهم قال لن تمسنا النار الا اياما معدودة فلم يؤمنوا بالاخرة حقيقة الايمان بها ويدع الانسان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على اموالهم وابنائهم في اوقات الغضب والضجر ومناسبتها لما قبلها ان بعض من لا يؤمن بالاخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الاخرة كقول النضر فامطر علينا حجارة الاية وكتب ويدع بغير واو على حسب السمع والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى ان في طباع الانسان انه اذا ضجر وغضب دعا على نفسه واهله وماله بالشر ان يصيبه كما يدعو بالخير ان يصيبه ثم ذكر تعالى ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره وعن سلمان الفارسي وابن عباس اشار به الى ادم لما نفخ الروح في راسه عطس وابصر فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقه اعجبته نفسه فذهب يمشي مستعجلا فلم يقدر والمعنى ذو عجلة موروثة من ابيكم انتهى وهذا القول ينبو عنه الفاظ الاية وقالت فرقة هذه الاية ذم لقريش الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وكان الاولى ان يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا وقالت فرقة هي معاتبة للناس على انهم اذا نالهم شر وضر دعوا والحوا في الدعاء واستعجلوا الفرج مثل الدعاء الذي كان يجب ان يدعو في حالة الخير انتهى والباء في بالشر وبالخير على هذا بمعنى في والمدعو به ليس الشر ولا الخير ويراد على هذا ان تكون حالا له في الشر والخير متساويين في الدعاء والتضرع الى الله والرغبة والذكر وينبو عن هذا المعنى قوله دعاءه اذ هو مصدر تشبيهي يقتضي وجوده وفي هذا القول شبه دعاؤه في حالة الشر بدعاء مفقود كان ينبغي ان يوجد في حالة الخير وقيل المعنى ويدعو الانسان في طلب المحرم كما يدعو في طلب المباح وجعلنا الليل والنهار آيتين لما ذكر تعالى القران وانه هاد الى الطريقة المستقيمة ذكر ما انعم به مما لم يكمل الانتفاع الا به وما دل على توحيده من عجائب العالم العلوي وايضا لما ذكر عجلة الانسان وانتقاله من حال الى حال ذكر ان كل هذا العالم كذلك في الانتقال لا يثبت على حال فنور عقب ظلمة وبالعكس وازدياد نور وانتقاص والظاهر ان الليل والنهار مفعول اول لجعل بمعنى صير وآيتين ثاني المفعولين ويكونان في انفسهما آيتين لانهما علامتان للنظر والعبرة وتكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة وقيل هو على حذف مضاف فقدره بعضهم وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين وقدره بعضهم وجعلنا ذوي الليل والنهار اي صاحبي الليل والنهار وعلى كلا التقديرين يراد به الشمس والقمر ويظهر ان آيتين هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول الثاني اي وجعلنا في الليل والنهار آيتين وقال الكرماني ليس جعل هنا بمعنى صير لان ذلك يقتضي حالة تقدمت نقل الشيء عنها الى حالة اخرى ولا بمعنى سمى وحكم والاية فيهما اقبال كل واحد منهما وادباره من حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة الاخر وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا اية الليل اذا قلنا ان الليل والنهار هما

المجموع لان اثنين فمحو اية الليل عبارة عن السواد الذي فيه بل خلق اسود من اول حاله ولا تقتضي الفاء تعقيبا وهذا كما تقول بنيت داري فبدأت بالاس واذا قلنا ان الايتين هما الشمس والقمر فقيل محو القمر كونه لم يجعل له نورا وقيل محوه طلوعه صغيرا ثم ينمو ثم ينتقص حتي يستتر وقيل محوه نقصه عما كان خلق عليه من الاضاءة وانه جعل نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر حتي صار علي جزء واحد وجعل ما محي منه زايدا في نور الشمس وهذا مروي عن علي وابن عباس وقال ابن عيسي جعلنا هما لا تبصر المرئيات فيها كما لا تبصر ما محي من الكتاب قال وهذا من البلاغة الحسنة جدا وقال الزمخشري فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شي كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي يبصر فيه الاشياء وبستان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فتري به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شي انتهي ونسبة الابصار الي اية النهار علي سبيل المجاز كما تقول ليل قايم ونايم اي يقام فيه وينام فيه فالمعني يبصر فيها وقيل معني مبصرة مضية وقيل هو من باب الافعل المراد به غير من اسند الفعل اليه كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء واضعف اذا كان دوابه ضعافا فابصرت الاية اذا كان اصحابها بصراء

وقرأ قتادة وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر اقيم مقام الاسم وكثر مثل ذلك في صفة الامكنة كقولهم ارض مشبعة ومكان مضبة وعلل المحو والابصار بابتغا الفضل وعلم عدد السنين والحساب وولي التعليل بالابتغاء ما وليه من اية النهار وتاخر التعليل بالعلم عن اية الليل وجاء في قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله البداة بتعليل المتقدم ثم تعليل المتاخر والعلة المتاخرة وهما طريقان تقدم الكلام عليهما ومعني لتبتغوا لتتوصلوا الي استبانة اعمالكم وتصرفكم في معايشكم والحساب للشهور والايام والساعات ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة اية الليل لا من جهة اية النهار وكل شي مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه تمييزا غير ملتبس والظاهر انتصب وكل شي علي الاشتغال وكان ذلك ارجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية في قوله وجعلنا الليل والنهار وابعد من ذهب الي ان وكل شي معطوف علي قوله والحساب والطاير قال ابن عباس ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الاية بما تعرف اذ كان من عادتها التيمن والتشاوم بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتي فعلته بالظباء وحيوان الفلا وسمي ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقي الانسان من خير وشر فاخبرهم الله تعالي في اوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقي الانسان من خير وشر فقد سبق به القضاء والزم حظه وعمله ومكسبه في عنقه وعبر عن الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطاير قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب في التطير وقولهم في الامور علي الطاير الميمون وباسعد طاير ومنه ما طار في المحاصة والسهم ومنه فطار لنا من القادمين عثمان بن مظعون اي كان ذلك حظنا وعن ابن عباس طايره عمله وعن السدي كتابه الذي يطير اليه وعن ابي عبيدة الطاير عند العرب الحظ وهو الذي تسميه البخت وعن الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وخص العنق لانه محل الزينة والشين فان كان خيرا زانه كما يزين الطوق والحلي وان كان شرا شانه كالغل في الرقبة

وقرأ مجاهد والحسن وابو رجا طيره

وقرئ في عنقه بسكون النون

وقرأ الجمهور ومنهم ابو جعفر ونخرج بنون العظمة اخرج كتابا بالنصب وعن ابي جعفر ايضا ويخرج بالياء مبنيا للمفعول كتابا اي ونخرج الطاير كتابا وعنه ايضا كتاب بالرفع علي انه مفعول ما لم يسم فاعله

وقرأ الحسن وابن محيصن ومجاهد ويخرج بفتح الياء وضم الراء اي طايره كتابا الا الحسن فقرا كتاب علي انه فاعل يخرج

وقرأت فرقة ويخرج بضم الياء وكسر الراء اي ويخرج الله

وقرأ الجمهور يلقاه بفتح الياء وسكون اللام

وقرأ ابن عامر وابو جعفر والجحدري والحسن بخلاف عنه يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف منشورا غير مطوي ليمكنه قراته ويلقاه ومنشورا صفتان لكتاب ويجوز ان يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه اقرا كتابك معمول لقول محذوف اي يقال له اقرا كتابك وقال قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وقال الزمخشري وبنفسك فاعل كفي انتهي وهذا مذهب الجمهور والباء زايدة علي سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه

انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفي قال الشاعر

كفي الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وقال اخر

ويخبرني عن غايب المرء هديه . كفي الهدي عما غيب المرء مخبرا

وقيل فاعل كفي ضمير يعود علي الاكتفاء اي كفي هو اي الاكتفاء بنفسك وقيل كفي اسم فعل بمعني اكتف والفاعل مضمر يعود علي المخاطب وعلي هذين القولين لا تكون الباء زايدة واذا فرعنا علي قول الجمهور ان بنفسك هو فاعل كفي فكان القياس ان تدخل تاء التانيث لتانيث الفاعل وكان يكون التركيب كفت بنفسك كما يلحق مع زيادة من في الفاعل اذا كان مونثا كقوله تعالي ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها وقوله وما تاتيهم من اية ولا يحفظ جاء التانيث في كفي اذا كان الفاعل مونثا مجرورا بالباء والظاهر ان المراد بنفسك ذاتك اي كفي بك وقال مقاتل يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه اذا انكر وقال ابو عبيدة اي ما اشد كفاية ما علمت بما عملت واليوم منصوب بكفي وعليك متعلق بحسيبا ومعني حسيبا حاكما عليك بعملك قال الحسن قال يا ابن ادم لقد انصفك الله وجعلك حسيب نفسك وقال الكلبي محاسبا يعني فعيلا بمعني مفاعل كجليس وخليط وقيل حاسبا كضريب القداح اي ضاربها وصريم بمعني صارم يعني انه بناء مبالغة كرحيم وحفيظ وذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال وكانه قيل كفي بنفسك رجلا حسيبا وقال ابن الانباري وانما قال حسيبا والنفس مونثة لانه يعني بالنفس الشخص او لانه لا علامة للتانيث في لفظ النفس فشبهت بالسماء والارض قال تعالي السماء منفطر به وقال الشاعر ولا ارض ابقل ابقالها من اهتدي الاية قالت فرقة نزلت الاشارة في الهدي الي ابي سلمة بن عبد الاسود وفي الضلال الي الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في الوليد هذا قال يا اهل مكة اكفروا بمحمد واثمكم علي وتقدم تفسير ولا تزر وازرة وزر اخري في اخر الانعام وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا غيا انتفاء التعذيب ببعثة الرسول والمعني حتي يبعث رسولا فيكذب ولا يومن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب اعم من ان يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب او في الاخرة بالنار وهو يشملهما ويدل علي الشمول قوله في الهلاك في الدنيا بعد هذه الاية واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واي كثيرة نص فيها علي الهلاك في الدنيا بانواع من العذاب حين كذبت الرسل وقوله في عذاب الاخرة كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلي قد جاءنا نذير وكلما تدل علي عموم ازمان الالقاء فتعم الملقين وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وذهب الجمهور الي ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا من بعد الرسالة اليهم والانذار قال الزمخشري فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكونهم لذلك الاغفال الشرايع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه علي النظر والايقاظ من رقدة الغفلة ليلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا علي النظر في ادلة العقل انتهي وقال المعاني المعني وما كنا مستاصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الالهية حتي نبعث رسولا اقامة للحجة عليهم وقطعا للعذر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود والموتفكات وغيرها واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفي بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا . من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الاخرة وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا . لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا . لما ذكر تعالي انه لا يعذب احدا حتي يبعث رسولا اليه بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهي مخالفة امر الرسول والتمادي علي الفساد وقال الزمخشري واذا اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان اهلاكهم الا قليل انتهي فتاول اردنا علي معني دنا وقت اهلاكهم وذلك علي مذهب الاعتزال

وقرأ الجمهور امرنا وفي هذه القراءة قولان احدهما الاول وهو الظاهر انه من الامر الذي هو ضد النهي واختلف في متعلقه فذهب الاكثرون منهم

قوله عزوجل واذا اردنا

٤

ابن عباس وابن جبير الي ان التقدير امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا وذهب الزمخشري الي ان التقدير
امرناهم بالفسق ففسقوا ورد علي من قال ان التقدير امرناهم بالطاعة فقال اي امرناهم بالفسق
ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا
ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الي المعاصي واتباع الشهوات فكانهم
ماءمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من
الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم علي الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة علي
المعصية وآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليها القول وهي كلمة العذاب فدمرهم **فان قلت**
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت** لان حذف ما لا دليل عليه غير
جايز فكيف بحذف ما الدليل قايم علي نقيضه وذلك ان الماءمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه
وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان الماءمور به قيام او قراءة
ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل
امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر ماءمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتي
يجعل دالا علي الماءمور به فكان الماءمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم
بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره ماءمورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من
يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهي غير قاصد الي مفعول **فان قلت** هلا كان ثبوت العلم
بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا علي ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا **قلت**
لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف
الامر الي المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول
لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف
ما اظهرت وقلت فقد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة
فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشية لم تكن علي سداد انتهي اما ما ارتكبه
من المجاز وهو ان امرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة صبا فبعيد جدا واما قوله واقدرهم علي الخير والشر
الي آخره فمذهب الاعتزال وقوله لان حذف ما لا دليل عليه غير جايز تعليل لا يصح فيما نحن بسبيله بل
ثم ما يدل علي حذفه وقوله فكيف بحذف ما الدليل قايم علي نقيضه الي قوله علم الغيب فنقول حذف
الشي تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه ما مثل به في قوله امرته فقام وامرته فقرا وتارة يكون
لدلالة خلافه او ضده او نقيضه فمن ذلك قوله تعالي وله ما سكن في الليل والنهار قالوا تقديره ما سكن
وما تحرك وقوله تعالي سرابيل تقيكم الحر والبرد **وقول الشاعر**

وما ادري اذا يممت ارضا • اريد الخير ايهما يليني
الخير الذي انا ابتغيه • ام الشر الذي هو يبتغيني

تقديره اريد الخير واجتنب الشر وتقول امرته فلم يحسن فليس المعني امرته بعدم الاحسان فلم يحسن بل
المعني امرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الاية من هذا القبيل يستدل علي حذف النقيض باثبات نقيضه
ودلالة النقيض علي النقيض كدلالة النظير علي النظير وكذلك امرته فاساء الي ليس المعني امرته بالاساءة
فاساء الي انما يفهم منه امرته بالاحسان فاساء الي وقوله ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني نقول بل
يلزم وقوله لان ذلك مناف اي لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان الماءمور به غير مدلول
عليه ولا منوي لا يسلم بل هو مدلول عليه ومنوي لا دلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بينا واما
قوله لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره ماءمورا به لا يسلم هذا ايضا وقوله في جواب السوال
لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيا وانت تدعي اضمار خلافه قلنا نعم ندعي اضمار خلافه
ودل علي ذلك نقيضه وقوله ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف **قلت**
ليس نظيره لان مفعول امر لم يستفض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه بل لا يكاد يستعمل مثل شاء محذوفا
مفعوله لدلالة ما بعده عليه واكثر استعماله مثبت المفعول لا انتفاء الدلالة علي حذفه قال تعالي
قل ان الله لا يامر بالفحشاء امر ان لا تعبدوا الا اياه ام تامرهم احلامهم بهذا قل امر ربي بالقسط اسجد
لما تامرنا اي به ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة **وقال الشاعر** •
امرتك الخير فافعل ما امرت به • وقال ابو عبد الله الرازي ولقايل ان يقول كما ان قوله امرته

فعصاني

فعصاني يدل علي ان الماءمور به شي غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد الماءمور به
فكونه فسقا ينافي كونه ماءمورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها ماءمورا بها فوجب ان يدل
هذا اللفظ علي ان الماءمور به ليس بفسق هذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم اصر صاحب
الكشاف علي قوله مع ظهور فساده فثبت ان الحق ما ذكروه وهو ان المعني امرناهم بالاعمال الصالحة
وهي الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك عنادا واقدموا علي الفسق انتهي **القول الثاني**
ان معني امرنا كثرنا اي كثرنا مترفيها يقال امر الله القوم اي كثرهم حكاه ابو حاتم عن ابي زيد
وقال الواحدي العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم انتهي وقال ابو علي
الفارسي الجيد في امرنا ان يكون بمعني كثرنا واستدل ابو عبيدة علي صحة هذه اللغة بما جاء في الحديث
خير المال سكة مابورة ومهرة ماءمورة اي كثيرة النسل يقال امر الله المهرة اي كثر ولدها ومن انكر
امر الله القوم بمعني كثرهم لم يلتفت اليه لثبوت ذلك لغة ويكون من باب ما لزم وعدي
بالحركة المختلفة اذ يقال امر القوم كثروا وامرهم الله كثرهم وهو من باب المطاوعة امرهم الله
فامروا كقولك شتر الله عينه فشترت وجدع انفه فجدع وثلم سنه فثلمت **وقرا** الحسن
ويحيي بن يعمر وعكرمة امرنا بكسر الميم وحكاها النحاس وصاحب اللوامح عن ابن عباس ورد الفراء
هذه القراءة لا يلتفت اليه اذ نقل انها لغة كفتح الميم ومعناها كثرنا حكي ابو حاتم عن ابي
زيد يقال امر الله ماله وامره اي كثره بكسر الميم وفتحها **وقرا** علي بن ابي طالب وابن ابي
اسحق وابو رجاء وعيسي بن عمر وسلام وعبد الله بن ابي يزيد والكلبي آمرنا بالمد وجاء كذلك عن
ابن عباس والحسن وقتادة وابي العالية وابن هرمز وعاصم وابن كثير وابي عمرو ونافع وهو اختيار
يعقوب ومعناه كثرنا يقال امر الله القوم وآمرهم الله فيعدي بالهمزة **وقرا** ابن عباس
وابو عثمان النهدي والسدي وزيد بن علي وابو العالية امرنا بتشديد الميم وروي ذلك عن علي
والحسن والباقر وعاصم وابي عمرو وعدي امر بالتضعيف والمعني ايضا كثرنا وقد يكون امرنا
بالتشديد بمعني وليناهم وصيرناهم امراء واللازم من ذلك امر فلان اذا صار اميرا اي ولي الامر
وقال ابو علي الفارسي لا وجه لكون امرنا من الامارة لان رياستهم لا تكون الا لواحد بعد واحد والاهلاك
انما يكون في مدة واحدة منهم وما قاله ابو علي لا يلزم لانا لا نسلم ان الامير هو الملك بل كونه ممن يامر
ويوتمر به والعرب تسمي اميرا من يوتمر به وان لم يكن ملكا ولين سلمنا انه اريد به الملك فلا يلزم
ما قال لان القرية اذا ملك عليها مترف ثم فسق ثم آخر ففسق ثم كذلك كثر الفساد وتوالي الكفر
ونزل بهم علي الآخر من ملوكهم ورايت في النوم اني قرات وفي حضرتي واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها الاية بتشديد الميم فاقول في النوم ما افصح هذه القراءة والقول الذي حق
عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم وقيل القول لاملان وهو لاء في النار ولا ابالي والتدمير
الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء وكم في موضع نصب علي المفعول باهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعني بالاهلاك
هنا الاهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد لمشركي مكة وقال من بعد نوح ولم يقل من بعد آدم
لان نوحا اول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه اول من حلت بهم العقوبة العظمي وهي الاستيصال
بالطوفان وتقدم القول في من القرن ومن الاولي للتبيين والثانية لابتداء الغاية وتعلقا باهلكنا
لاختلاف معنييهما وقال الحوفي من بعد نوح من الثانية بدل من الاولي انتهي وهذا ليس بجيد وقال
ابن عطية هذه الباء يعني في وكفي بربك انما تجي في الاغلب في مدح او ذم انتهي وبذنوب عباده تنبيه
علي ان الذنوب هي اسباب الهلكة وخبيرا بصيرا تنبيه علي انه عالم بها فيعاقب عليها ويتعلق بذنوب
بخبيرا وبصيرا **وقال** الحوفي تتعلق بكفي انتهي وهذا وهم والعاجلة هي الدنيا ومعني ارادتها
ايثارها علي الآخرة ولا بد من تقدير حذف دل عليه المقابل في قوله ومن اراد الآخرة وسعي لها سعيها
وهو مومن فالتقدير من كان يريد العاجلة وسعي لها سعيها وهو كافر وقيل من كان يريد العاجلة بعمل
الآخرة كالمنافق والمرايي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام ومن كانت
هجرته الي دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الي ما هاجر اليه وقال عليه السلام من طلب الدنيا بعمل
الآخرة فما له في الآخرة من نصيب وقيل نزلت في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب
ومن شرط وجوابه عجلنا له فيها ما نشاء فقيد المعجل بمشيته اي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل

من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عايد على من الشرطية وهي في معني الجمع ولكن جاءت الضماير هنا على اللفظ لا على المعني فتقييد المعجل بارادته فليس من يريد العاجلة يحصل له ما يريده الا تري ان كثيرا من الناس يختارون الدنيا ولا يحصل لهم منها الا ما قسمه الله لهم وكثيرا منهم يتمنون النزر اليسير فلا يحصل لهم ويجمع لهم شقاوة الدنيا وشقاوة الاخرة **وقراءة** الجمهور ما نشا بالنون وروي عن نافع ما يشاء بالياء فقيل الضمير في يشاء يعود على الله وهو من باب الالتفات فقراءة النون والياء سواء وقيل يجوز ان يعود على من العايد عليها الضمير في له وليس ذلك عاما بل لا يكون له ما يشاء احاد اراد الله لهم ذلك والظاهر ان الضمير في لمن نريد بقدر مع تقديره مضاف محذوف يدل عليه ما قبله اي لمن نريد تعجيله له اي تعجيل ما نشاء وقال ابو اسحاق الفزاري المعني لمن نريد هلكته وما قاله لا يدل عليه لفظ في الاية وجعلنا بمعني صيرنا والمفعول الاول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدا وخبر فمفعول جهنم للكافرين كما قال هولاء للنار وهولاء للجنة ويصلاها حال من جهنم وقال ابو البقاء او من الضمير الذي في له وقال صاحب الغنيان مفعول جعلنا الثاني محذوف تقديره مصيرا او جزاء انتهي مذموما اشارة الي الاهانة مدحورا اشارة الي البعد والطرد من رحمة الله ومن اراد الاخرة اي ثواب الاخرة بان يوثرها على الدنيا ويعتقد ارادته بها وسعي فيما كلف من الاعمال والاقوال سعيها اي السعي المعد للنجاة فيها وهو مؤمن هو الشرط الاعظم في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشي عنه ارادة الاخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية فاوليك اشارة الي من اتصف بهذه الاوصاف والاتي بمعني من فلذلك كان بلفظ الجمع والله تعالي يشكرهم على طاعتهم وهو تعالي المشكور على ما اعطي من العقل وانزال الكتب وايضاح الدلايل وهو المستحق للشكر حقيقة ومعني شكره تعالي المطيع الثنا عليه وثوابه على طاعته وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشي والمعني كل واحد من الفريقين نمد كذا قاله الزمخشري واعربوا هولاء بدلا من كلا ولا يصح ان يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي ان يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر ان هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا وهو تاويل الحسن وقتادة اي ان الله يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الاخرة المومنين ويمد الجميع بالرزق وانما يقع التفاوت في الاخرة ويدل على هذا التاويل وما كان عطاء ربك محظورا اي ان رزقه لا يضيق عن مومن ولا كافر وعن ابن عباس ان معني من عطاء ربك من الطاعات لمريد الاخرة ولمريد المعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء عبارة عن ما قسم الله للعبد من خير او شر وينبو لفظ العطاء على الامداد بالمعاصي والظاهر ان انظر بصرية لان التفاوت في الدنيا مشاهد وكيف في موضع نصب بعد حذف حرف الجر لان نظر يتعدي به فانظر هنا معلقة ولما كان النظر مفضيا وسببا الي العلم جاز ان يعلق ويجوز ان يكون انظر من نظر الفكر فلا كلام في تعليقه اذ هو فعل قلبي والتفضيل هنا عبارة عن الطاعات المودية الي الجنة والمفضل عليهم الكفار كانه قيل انظر في تفضيل فريق على فريق وعلى التاويل الاول كانه قيل في تفضيل شخص على شخص من المومنين والكافرين والمفضول في قوله اكبر درجات واكبر تفضيلا محذوف تقديره من درجات الدنيا ومن تفضيل الدنيا وروي ان قوما من الاشراف ممن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفين فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الي الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولين حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر **وقرئ** اكثر بالثاء المثلثة وقال ابن عطية وقوله اكبر درجات ليس في اللفظ من اي شي لكنه في المعني ولابد اكبر درجات من كل ما يضاف بالوجود او بالفرض وراي بعض العلماء ان هذه الدرجات والتفضيل انما هو فيما بين المومنين واسند الطبري في ذلك حديثا نصه ان انزل اهل الجنة واسفلهم درجة كالنجم يري في مشارق الارض ومغاربها وقد ارضي الله الجميع فما يغبط احد احدا والخطاب في تجعل للسامع غير الرسول وقال الطبري وغيره الخطاب لمحمد عليه السلام والمراد لجميع الخلق فتقعد قال الزمخشري من قولهم شحذ الشفرة حتي قعدت كانها حربة بمعني صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له انتهي وما ذهب اليه من استعمال تقعد

المعني

بمعني فتصير لا يجوز عند اصحابنا وقعد عندهم بمعني صار مقصورة على المثل وذهب الفراء الي انه يطرد جعل قعد بمعني صار وجعل من ذلك **قول الراجز**

لا يقنع الجارية الخضاب • ولا الوشاحان ولا الجلباب •
من دون ان تلتقي الاركاب • ويقعد الاير له لعاب •

وحكي الكسائي تقعد لا يسال حاجة الا قضاها بمعني صار فالزمخشري اخذ في الاية بقول الفراء والقعود هنا عبارة عن المكث اي فيمكث في الناس مذموما مخذولا كما تقول لمن سال عن حال شخص هو قاعد في اسوا حال ومعناه ماكث ومقيم وسواء كان قايما او جالسا وقد يراد القعود حقيقة لان من شان المذموم المخذول ان يقعد حايرا متفكرا وعبر بغالب حاله وهي القعود وقيل معني فتقعد فتعجز والعرب تقول ما اقعدك عن المكارم والذم هنا لاحق من الله تعالي ومن ذوي العقول في ان يكون الانسان يجعل عودا او حجرا افضل من نفسه ويخصه بالكرامة وينسب اليه الالوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وانعم عليه والخذلان في هذا يكون باسلام الله ولا يكفل له بنصر والمخذول الذي لا ينصره من يحب ان ينصره وانتصب مذموما مخذولا على الحال وعند الفراء والزمخشري على انه خبر لتقعد كلا المذكرين مثني معني اتفاقا مفرد لفظا عند البصريين على وزن فعل كمعي فلامه الف منقلبة عن واو وعند الاكثرين مثني لفظا عند الكوفيين وتبعهم السهيلي فالفه للتثنية لا اصل ولامه لام محذوفة عند السهيلي ولا نص عن الكوفيين فيها ويحتمل ان تكون موضوعة على حرفين على اصل مذهبهم ولا تنفك عن الاضافة وان اضيف الي مظهر فالفه ثابتة مطلقا في مشهور اللغات وكنانة تجعله كمشهور المثني او الي مضمر فالمشهور قلب الفه ياء نصبا وجرا والذي يضاف اليه مثني او ما في معناه وجاء التفريق في الشعر مضافا الي ظاهر وحفظ الكوفيون كلاي وكلاك قاما ويستعمل تابعا توكيدا او مبتدا ومنصوبا ومجرورا ويخبر عنه اخبار المفرد فصيحا وربما وجب واخبار المثني قليلا وربما وجب **اف** اسم فعل بمعني انضجر ولم يات اسم فعل بمعني المضارع الا قليلا نحو اف واوه بمعني اتوجع وكان قياسه ان لا يبني لانه لم يقع موقع المبني وذكر الرماني في كتاب الحلل له ان في اف لغات تقارب الاربعين ونحن نسردها مضبوطة كما رايناها وهي اُفَّ اُفِّ اُفُّ اُفًّا اُفٍّ اُفٌّ اُفَ اُفِ اُفُ اُفْ اُفّي بغير امالة اُفّي بالامالة المحضة اُفّي بالامالة بين بين اُفّي اُفّو اُفّه اُفّهْ اُفّهْ فهذه اثنان وعشرون مع الهمزة المضمومة اَفّ اَفِّ اَفَّ اَفًّا اِفّ اِفّا اِفّي بالامالة فهذه احدي عشرة مع الهمزة المكسورة اَف اَف اِف آف آفّي اِفّي وذكر ابن عطية افّاه بهاء السكت وهي تمام الاربعين **النهر** الزجر بصياح واغلاظ قال العسكري واصله الظهور ومنه النهر والانتهار وانهر الدم اظهره واساله وانتهر الرجل اظهر له الاهانة بقبح الزجر والطرد وقال ابن عطية الانتهار اظهار الغضب في الصوت واللفظ وقال الزمخشري النهي والنهر والنهم اخوات **التبذير** الاسراف قال ابو عبيدة يعني في النفقة واصله التفريق ومنه سمي البذر بذرا لانه يفرق في المزرعة **وقال الشاعر**

• ترائب يستضيء الحلي فيها • كجمر النار بذر بالظلام •

ويروي بددا اي فرق **المحسور** قال الفراء تقول العرب بعير محسور اذا انقطع سيره وحسرت الدابة تركتها حتي انقطع سيرها ويقال حسير فعيل بمعني مفعول ويجمع على حسري **قال الشاعر**

بها جيف الحسري فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

القسطاس بضم القاف وبكسرها وبالسين الاولي والصاد قال مورج السدوسي هو الميزان بلغة الروم وتاتي اقوال المفسرين فيه **المرح** شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا **الطول** ضد القصر ومنه الطول خلاف العرض **الحجاب** ما ستر الشي عن الوصول اليه **الرفات** قال الفراء التراب وقيل الذي بولغ في دقه حتي تفتت ويقال رفت الشي كسره برفقه بالكسر والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شي مكسر وقال ابو البقاء هنا المعني كالحطام والفتات والرضاض والدقاق وقضي ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا • ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا • **وقراءة** الجمهور وقضي فعلا ماضيا من القضاء وقرا بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك مصدر قضي مرفوعا على الابتداء والخبر ان لا

المفردات

قوله عز وجل وقضي ربك

تعبدوا الخبر وفي مصحف ابن مسعود وابي ووصي ربك وهي قراءة ابن مسعود واصحابه وابن عباس وابن
جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية **وقراء** بعضهم واوصي من الايصاء وينبغي ان يحمل
ذلك علي التفسير لانها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو وقضي هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة
بمعني امر وقال ابن مسعود واصحابه بمعني وصي وقيل وجب والزم وحكم وقيل بمعني احكم وقال ابن عطية
واقول ان المعني وقضي ربك امره ان لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الالفاظ الامر بالاقتصار علي
عبادة الله فذلك هو المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الامر انتهي كانه رام ان يترك قضي علي مشهور
موضوعها بمعني قدر فجعل متعلقه الامر بالعبادة لا العبادة لانه لا يستقيم ان يقضي شيا بمعني ان
يقدر الا ويقع والذي فهم المفسرون غيره ان متعلق قضي هو ان لا تعبدوا وسواء كانت ان تفسيرية
ام مصدرية وقال ابو البقاء ويجوز ان تكون في موضع نصب اي الزم ربك عبادته ولا زائدة انتهي
وهذا وهم لدخول الا مفعول تعبدوا فلزم ان يكون منفيا او منهيا والخطاب بقوله لا تعبدوا
عام للخلق وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون قضي علي مشهورها في الكلام ويكون الضمير في تعبدوا
للمؤمنين من الناس الي يوم القيمة انتهي قال الحوفي الباء متعلقة بقضي ويجوز ان تكون متعلقة
بفعل محذوف تقديره واوصي بالوالدين احسانا واحسانا مصدر اي تحسنوا احسانا وقال ابن عطية
قوله وبالوالدين احسانا عطف علي ان الاولي اي امر الله ان لا تعبدوا الا اياه وان تحسنوا بالوالدين
احسانا وعلي هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون قوله وبالوالدين احسانا معطوفا من الاول كا ...
اخبرهم بقضاء الله ثم امرهم بالاحسان الي الوالدين وقال الزمخشري لا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين
بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقال الواحدي في البسيط الباء في قوله بالوالد
من صلة الاحسان وقدمت عليه كما تقول بزيد فامرر انتهي واحسن واساء يتعدي بالي وبالباء
قال تعالي وقد احسن بي **وقال الشاعر** اسيئي بنا او احسني لا ملومة وكانه تضمن احسن معني
لطف فعدي بالباء واحسانا ان كان مصدرا ينحل لان والفعل فلا يجوز تقديم متعلقه به وان كان بمعني
احسنوا فيكون بدلا من اللفظ بالفعل نحو ضربا زيدا فيجوز تقديم معموله عليه والذي يختاره ان تكون
ان حرف تفسير ولا تعبدوا نهي واحسانا مصدر بمعني الامر عطف ما معناه امر علي نهي كما عطف في
قوله يقولون لا تهلك اسي وتجمل وقد اعتني بالامر بالاحسان الي الوالدين حيث قرن بقوله لا تعبدوا
وبتقديمهما اعتناء بهما علي قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة من
حيث انه تعالي هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة في انشائه وهو تعالي المنعم بايجاده ورزقه
وهما ساعيان في مصالحه وقال الزمخشري اما هي الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك
دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما
اما تكرمنه انتهي وهذا الذي ذكر مخالف لمذهب **س** لان مذهبه انما يجوز ان يجمع بين اما
ونون التوكيد وان ياتي بان وحدها ونون التوكيد وان ياتي باما وحدها دون نون التوكيد وقال
س في هذه المسيلة وان شيت لم تقحم النون كما ان شيت لم تجي بما يعني مع النون وعدمها وعندك
ظرف معمول لسبلغن ومعني العندية هنا انهما يكونان عنده في بيته وفي كنفه لا كافل لهما غيره
لكبرهما وعجزهما وكونهما كلا عليه واحدهما فاعل يبلغن واو كلاهما معطوف علي احدهما **وقرا**
الجمهور يبلغن بنون التوكيد الشديدة والفعل مسند الي احدهما وروي عن ابن ذكوان بالنون
الخفيفة **وقراء** الاخوان اما يبلغان بالف التثنية ونون التوكيد المشددة وهي قراءة
السلمي وابن وثاب وطلحة والاعمش والجحدري فقيل الالف وعلامة تثنية لا ضمير علي لغة اكلوني
البراغيث واحدهما فاعل واو كلاهما عطف عليه وهذا لا يجوز لان شرط الفاعل في الفعل الذي لحقته
علامة التثنية ان يكون مسندا المثني او مفرق بالعطف بالواو نحو قاما اخواك او قاما زيد وعمرو
علي خلاف في هذا الاخير هل يجوز او لا يجوز والصحيح جوازه واحدهما ليس مثني ولا هو مفرق
بالعطف بالواو ومع مفرد وقيل الالف ضمير الوالدين واحدهما بدل من الضمير وكلاهما عطف
علي احدهما والمعطوف علي البدل بدل قال الزمخشري **فان قلت** لو قيل اما يبلغان
كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل **قلت** لانه معطوف علي ما لا
يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله **فان قلت**
ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد علي البدل **قلت**

لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان
بدلا مثل الاول وقال ابن عطية وعلي هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قوله احدهما
بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم **كقول الشاعر**

وكنت كذا رجلين رجل صحيحة … ورجل رمي فيها الزمان فشلت

انتهي ويلزم من قوله ان يكون كلاهما معطوفا علي احدهما وهو بدل والمعطوف علي البدل بدل
والبدل مشكل لانه يلزم منه ان يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت احدهما بدلا من الضمير
فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز ان يكون بدل بعض من كل لان كلاهما
مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز ان يكون بدل كل من كل لان
المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة علي المبدل منه واما
قول ابن عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر وكنت كذا رجلين البيت فليس من بدل التقسيم
لان شرط ذلك العطف بالواو وايضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل منه علي احد قسميه وكلاهما
يصدق عليه وهو المبدل منه فليس من المقسم ونقل عن ابي علي ان كلاهما توكيد وهذا لا يتم
الا بان يعرب احدهما بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع للضمير ويكون كلاهما توكيدا لذلك
الضمير والتقدير او يبلغا كلاهما وفيه حذف المؤكد وقد اجازه **س** والخليل قال مررت
بزيد واياي اخوك انفسهما بالرفع والنصب الرفع علي تقديرهما صاحباي انفسهما والنصب علي
تقدير اعنيهما انفسهما الا ان المنقول عن ابي علي وابن جني والاخفش قبلهما انه لا يجوز حذف المؤكد
واقامة المؤكد مقامه والذي نختاره ان يكون احدهما بدلا من الضمير وكلاهما مرفوع بفعل
محذوف تقديره او يبلغ كلاهما فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات وصار المعني ان يبلغ
احد الوالدين او يبلغ كلاهما عندك الكبر وجواب الشرط فلا تقل لهما اف وتقدم مدلول لفظ
اف في المفردات واللغات التي فيها واذا كان قد نهي ان يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة
علي الضجر والتبرم بهما فالنهي عما هو اشد كالشتم والضرب هو بجهة الاولي وليست دلالة
اف علي انواع الايذاء دلالة لفظية خلافا لمن ذهب الي ذلك وقال ابن عباس اف كلمة كراهة
بالغ تعالي في الوصية بالوالدين واستعمال وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتي لا يقول
لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها قال القرطبي قال علماؤنا واغا صار قول اف
للابوين اردي شي لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد وصية الله واف كلمة مقولة
لكل شي مرفوض ولذلك قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله اي رفض لكم
ولهذه الاصنام معكم انتهي **وقراء** الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة وعيسي ونافع
وحفص اف بالكسر والتشديد والتنوين **وقراء** ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
كذلك بغير تنوين **وقراء** ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين وحكي
هرون قراءة بالرفع والتنوين **وقراء** ابو السماك اف بضم الفاء من غير تنوين **وقرا**
زيد بن علي افا بالنصب والتشديد والتنوين **وقراء** ابن عباس اف خفيفة فهذه سبع
قراءات من اللغات التي حكيت في اف وقال مجاهد ان معناه اذا رايت منهما في حال الشيخ
الغائط والبول اللذين رايا منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول اف انتهي والاية اعم من
ذلك ولما نهاه تعالي ان يقول لهما ما يدل لوله التضجر منهما ارتقي الي النهي عما هو من حيث
الوضع اشد من اف وهو نهرهما وان كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول اف لانه
اذا نهي عن الادني كان ذلك نهيا عن الاعلي بجهة الاولي والمعني ولا تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول اف ونهرهما قولا كريما اي جامعا للمحاسن من البر وجودة
اللفظ قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ وقيل قولا كريما اي جميلا كما يقتضيه حسن
الادب وقال عمر ان تقول يا ابتاه يا اماه انتهي كما خاطب ابراهيم لابيه يا ابت مع كفره ولا تدعوهما
باسمائهما لانه من الجفاء وسوء الادب ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا
ولما نهاه تعالي عن القول المؤذي وكان لا يستلزم ذلك الامر بالقول الطيب امره تعالي
بان يقول لهما القول الطيب الشاق الحسن وان يكون قوله دالا علي التعظيم لهما والتبجيل
وقال عطاء تتكلم معهما بشرط ان لا ترفع اليهما بصرك ولا تشد اليهما نظرك لان ذلك ينافي

القول الكريم وقال الزجاج قولا سهلا لينا لا شراسة فيه ثم امره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله فاخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال القفال في تقريره وجهان احدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكانه قيل للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك الثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه وقال ابن عطية استعارة اي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك وبالغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وذلك بسبب عظم الحق انتهى وبسبب شرف المامور فانه لا يناسب نسبة الذل اليه وقال الزمخشري فان قلت ما معنى جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله او لذله جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقر زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى والمعنى انه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا المجاز بان امر بخفضه وحكي ان ابا تمام لما نظم قوله

لا تسقني ماء الملام فانني ❊ صب قد استعذبت ماء بكائي

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تاتيني بريشة من جناح الذل وجناحا الانسان جانباه فالمعنى واخفض لهما جانبيك ولا ترفعه فعل المتكبر عليهما وقال بعض المتاخرين فاحسن

اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى ❊ فلم استطع من ارضهم طيرانا

وقرا الجمهور من الذل بضم الذال وقرا ابن عباس وعروة وابن جبير والجحدري وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لان ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة كما ان الذل بالضم في ضد العز من الناس ومن الظاهر انها للتسبب اي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما اذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقرا اليهما حالة الصغر قال ابو البقاء من الرحمة اي من اجل رفقك بهما فمن متعلقة باخفض ويجوز ان تكون حالا من جناح وقال ابن عطية من الرحمة هنا لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى ثم امره تعالى بان يدعو الله لهما بان يرحمهما رحمته الباقية اذ رحمته عليهما لا بقاء لها ثم نبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما اذ هي تذكير لحالة احسانهما اليه وقت ان لا يقدر على الاحسان لنفسه وقال قتادة نسخ الله من هذه الاية هذا اللفظ يعني وقل رب ارحمهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل هي مخصوصة في حق المشركين وقيل لا نسخ ولا تخصيص لانه له ان يدعو الله لوالديه الكافرين بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان والظاهر ان الكاف في كما للتعليل اي رب ارحمهما لتربيتهما لي وجزاء على احسانهما الي حالة الصغر والافتقار وقال الحوفي الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل تربيتي صغيرا وقال ابو البقاء كما نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل رحمتهما وسرد الزمخشري وغيره احاديث واثارا كثيرة في بر الوالدين يوقف عليها في كتبهم ولما نهى تعالى عن عبادة غيره وامر بالاحسان الى الوالدين ولا سيما عند الكبر وكان الانسان ربما تظاهر بعبادة واحسان الى والديه دون عقد ضمير على ذلك رياء وسمعة اخبر تعالى انه اعلم بما انطوت عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين ثم قال ان تكونوا صالحين اي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في عبادة او بر والدين بالخير فانه غفور ولما قطع عن هيئاتكم والظاهر ان هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج فيه من جنى على ابويه ثم تاب من جنايته وقال ابن جبير هي في المبادرة يكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن

قوله عز وجل وآت ذا القربى

عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة قال الحسن نزلت في قرابة الرسول والظاهر انه خطاب لمن خوطب بقوله اما يبلغن عندك الكبر والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال نحوه ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم وقال علي بن الحسين فيها هم قرابة الرسول امر باعطائهم حقوقهم من بيت المال والظاهر ان الحق هنا مجمل وان ذا القربى عام في ذي القرابة فيرجع في تعيين الحق وفي تخصيص ذي القرابة الى السنة وعن ابي حنيفة ان القرابة اذا كانوا محارم فقراء عاجزين عن الكسب وهو موسر حقهم ان ينفق عليهم وعند الشافعي ينفق على الولد والوالدين فحسب على ما تقرر في كتب الفقه ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وما يقرب منه تعالى وعن ابن مسعود وابن عباس التبذير انفاق المال في غير حق وقال مجاهد لو انفق ماله كله في حق ما كان مبذرا وذكر الماوردي انه الاسراف المتلف للمال وقد احتج بهذه الاية على الحجر على المبذر فيجب على الامام منعه منه بالحجر والحيلولة بينه وبين ماله الا بمقدار نفقة مثله وابو حنيفة لا يرى الحجر للتبذير وان كان منهيا عنه وقال القرطبي يحجر عليه ان بذر ماله في الشهوات وخيف عليه النفاد فان انفق وحفظ الاصل فليس بمبذر واخوة الشياطين كونهم قرناءهم في الدنيا وفي النار في الاخرة ويدل هذه الاخوة على ان التبذير هو في معصية الله او كونهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف في الدنيا وقرا الحسن والضحاك اخوان الشيطان على الافراد وكذا ثبت في مصحف انس وذكر كفر الشيطان لربه ليحذر ولا يطاع لانه لا يدعو الى خير كما قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير واما تعرضن قيل نزلت في ناس من مزينة استحملوا الرسول فقال لا اجد ما احملكم عليه فبكوا وقيل في بلال وصهيب وسالم وخباب سالوه ما لا يجد فاعرض عنهم وروي انه عليه السلام كان بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقال ابن زيد الرحمة الاجر والثواب وانما نزلت الاية في قوم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ليعطيهم لانه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الاجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فامره تعالى ان يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والاصلاح انتهى من كلام ابن عطية وقال الزمخشري وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم وترفع حظا منهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه انتهى والذي يظهر انه تعالى لما امر بايتاء ذي القربى حقه ومن ذكر معه ونهاه عن التبذير قال وان يكن منك اعراض عنهم فالضمير عائد عليهم وعلل الاعراض بطلب الرحمة وهي كناية عن الرزق والتوسعة طلب ذلك ناشئ عن فقد ان ما يجود به ويؤتيه ما ساله فكان المعنى وان تعرض عنهم لاعسار لك فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو الاعسار واجاز الزمخشري ان يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به وقدم عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم انتهى وما اجازه لا يجوز لان ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله ولا يجوز في قولك ان يقم فاضرب خالدا ان تقول ان يقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء في مثل ان يقم يضرب خالدا فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول ان يقم خالدا يضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على ان يكون مرفوعا بيفعل هذه واجاز سيبويه ان يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كانك قلت ان يفعل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائي والفراء وقال ابن جبير الضمير في عنهم عائد على المشركين والمعنى واما تعرضن عنهم لتكذيبهم ابتغاء رحمة اي نصر لك عليهم او هداية من الله لهم وعلى هذا القول المبين المداراة لهم باللسان قاله ابو

سُليمن الدمشقي ويسر يكون لازمًا ومتعديًا فميسور من المتعدي تقول يسرت لك كذا اذا اعددته
قال الزمخشري يقال يُسِر الامر وعُسِر مثل سُعِد ونُحِس فهو مفعول انتهي ولمعني هذه الاية اشار
الشاعر في القصيدة التي تسمي باليتيمة في قوله • لئن لم يكن لديك لسائل فرج • ان لم يكن فليحسن الرد
وقال اخر • ان لم يكن ورق يومًا اجود به • للسائلين فاني لين العود •
• لا يعدم السائلون الخير من خلقي • اما نوالي واما حسن مردود •
ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك الاية قيل نزلت في اعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره
وبقي عريانا وقيل اعطي الاقرع مائة من الابل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم كملها مائة
فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك ان البخل معني قائم بالانسان يمنعه من
التصرف في ماله فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد الي العنق فامتنع من تصرف يده واجالتها حيث
تريد وذكر اليد لان بها الاخذ والاعطاء واستعير بسط اليد لاذهاب المال وذلك ان قبض اليد يحبس
ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وطابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعني لان جعل اليد
مغلولة هو قبضها وغلها ابلغ في القبض وقد طابق بينهما ابو تمام فقال في المعتصم
• تعود بسط الكف حتي لو انه • ثناها لقبض لم تجبه انامله •
وقال الزمخشري وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امرا بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والاقتار انتهي والظاهر انه مراد بالخطاب امة الرسول والاسوة صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا
لغد وكذلك من كان واثقا بالله حق الوثوق كابي بكر حين تصدق بجميع ماله وقال ابن جريج وغيره
المعني لا تمسك عن النفقة فيما امرتك به من الحق ولا تبسطها فيما نهيتك عنه وروي عن قالون كل البسط
بالصاد فتقعد جواب للهيئتين باعتبار الحالين فالملوم راجع لقوله ولا تجعل يدك كما قال الشاعر
• ان البخيل ملوم حيث كان • ولكن الجواد علي علاته هرم •
والمحسور راجع لقوله ولا تبسطها وكانه قيل فتلام وتحسر ثم سلاه تعالي عن ما كان يلحقه من الاضاقة
بان ذلك ليس بهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الرزق وتضييقه انما ذلك بمشيئته
وارادته لما يعلم في ذلك من المصلحة لعباده او يكون المعني ان القبض والبسط من مشيئة الله واما انتم فعليكم
الاقتصاد وختم ذلك بقوله خبيرا وهو العلم بخفيات الامور وبصيرا اي بمصالح عباده حيث يبسط
لقوم ويضيق علي قوم ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا •
لما بين تعالي انه هو المتكفل بارزاق العباد حيث قال ان ذلك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اتبعه
بالنهي عن قتل الاولاد وتقدم تفسير نظير هذه الاية والفرق بين خشية املاق ومن املاق وبين
قوله نرزقهم ونرزقكم وقرا الاعمش وابن وثاب ولا تقتّلوا بالتضعيف وقرئ
خشية بكسر الخاء وقراءة الجمهور خطئا بكسر الخاء وسكون الطاء وقرا ابن كثير بكسرها وفتح
الطاء والمد وهي قراءة طلحة وشبل والاعمش ويحيي بن خالد بن الياس وقتادة والحسن والاعرج بخلاف
عنهما وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال الفارسي هي مصدر
من خاطأ يخاطئ وان كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه فمنه قول الشاعر
• تخاطأت النبل احشاءه • واخر يومي فلم يعجل • وقال الاخر في كماة
• تخاطأه القناص حتي وجدته • وخرطومه في منقع الماء راسب •
فكان هؤلاء الذين يقتلون اولادهم يخاطئون الحق والعدل وقرا ابن ذكوان خطأ علي وزن نبأ
وقرا الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من اخطأ كالعطاء من اعطي قاله ابن جني
وقال ابو حاتم هو غلط غير جائز ولا يعرف هذا في اللغة وعنه ايضا خطى كهوى خففا الهمزة فانقلبت
الفا وذهبت لالتقائهما وقرا ابو رجاء والزهري كذلك الا انهما كسرا الخاء فصار مثل ربا
وكلاهما من خطئ في الدين واخطأ في الراي لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الاخر وجاء عن ابن عامر
خطأ بالفتح والقصر مع اسكان الطاء وهو مصدر ثالث من خطئ بالكسر ولا تقربوا الزنا انه
كان فاحشة وساء سبيلا • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتي يبلغ اشده
واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير
واحسن تاويلا • لما نهي تعالي عن قتل الولد نهي عن التسبب في ايجاده من الطريق غير المشروعة

قوله تعالي ولا تقتلوا اولادكم

قوله عز وجل ولا تقربوا

فنهي

فنهي عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا والزنا الاكثر فيه القصر ويمد لغة لا ضرورة هكذا
نقل اللغويون ومن المد قول الشاعر وهو الفرزدق
• ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه • ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا •
ويروي ابا خالد وقال اخر كانت فريضة ما تقول كما • كان الزناء فريضة الرجم
وكان يعني لم يزل اي لم يزل فاحشة اي معصية فاحشة اي قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا اي
وبئس طريقا طريقه لانها سبيل تؤدي الي النار وقال ابن عطية وسبيلا نصب علي التمييز التقدير
وساء سبيله انتهي واذا كان سبيلا نصبا علي التمييز فانما هو تمييز للضمير المستكن في ساء وهو من
المضمر الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله
سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله يراد به الجنس مفسرا بالتمييز وبقي التقدير ايضا عاريا عن المخصوص
بالذم وتقدم تفسير قوله تعالي ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في اواخر الانعام قال
الضحاك هذه اول ما نزل من القران في شان القتل انتهي ولما نهي عن قتل الاولاد وعن ايجادهم من
الطريق غير المشروعة نهي عن قتل النفس فانتقل من الخاص الي العام والظاهر ان هذه كلها منهيات
مستقلة ليست مندرجة تحت قوله وقضي ربك كان اندراج الا تعبدوا وانتصب مظلوما علي الحال
من الضمير المستكن في قتل والمعني انه قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو الطالب بدمه شرعا
وعند ابي حنيفة واصحابه انه راجع من يرث من الرجال والنساء والصبيان في الولي علي تقدير وارثهم
لان الولي عندهم هو الوارث هنا وقال ملك ليس للنساء شيء من القصاص وانما القصاص للرجال
وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم ليس الي النساء شيء من العفو من الدم وللسلطان التسلط
علي القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه قاله الزمخشري وقال ابن عطية والسلطان
الحجة والملك الذي يجعل اليه من التخيير في قبول الدم او العفو قاله ابن عباس والضحاك وقال
قتادة السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان القوة والولاية وقال ابن عباس البينة في طلب
القود وقال الحسن القود وقال مجاهد الحجة وقال ابن زيد الوالي اي والي ينصفه في حقه والظاهر
عود الضمير في فلا يسرف علي الولي والاسراف المنهي عنه ان يقتل غير القاتل قاله ابن عباس والحسن او يقتل
اثنين بواحد قاله ابن جبير او اشرف من الذي قتل قاله ابن زيد او يمثل قاله قتادة او يتولي هو قتل
القاتل دون السلطان ذكره الزجاج وقال ابو عبد الله الرازي السلطنة مجملة يفسرها
كتب عليكم القصاص الاية ويدل عليه انه يخير بين القصاص والدية وقوله عليه السلام يوم الفتح
من قتل قتيلا فاهله بين خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية فمعني فلا يسرف
في القتل لا يقدم علي استيفاء القتل ويكتفي باخذ الدية او يميل الي العفو ولفظة في محمولة
علي الباء اي فلا يصير مسرفا بسبب اقدامه علي القتل ويكون معناه الترغيب في العفو كما قال
وان تعفوا اقرب للتقوي انتهي ملخصا ولو سلم ان في بمعني الباء لم يكن صحيح المعني لان من قتل
بحق قاتل موليه لا يصير مسرفا بقتله وانما الظاهر والله اعلم النهي عما كانت الجاهلية تفعله
من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة ومكافاة الذي يقتل من قتله وقال المهلهل حين
قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وابعد من ذهب الي ان الضمير في فلا يسرف
ليس عائدا علي الولي وانما يعود علي القاتل الدال عليه ومن قتل اي لا يسرف في القتل تعديا
وظلما فيقتل من ليس له قتله وقرا الجمهور فلا يسرف بياء الغيبة وقرا
الاخوان وزيد بن علي وحذيفة وابن وثاب والاعمش ومجاهد بخلاف وجماعة وفي نسخة من
تفسير ابن عطية وابن عامر وهو وهم بتاء الخطاب والظاهر انه علي خطاب الولي فالضمير له
وقال الطبري الخطاب للرسول والائمة من بعده اي فلا تقتلوا غير القاتل انتهي وقال
قال ابن عطية وقرا ابو مسلم السراج صاحب الدعوة العباسية وقال
الزمخشري وقرا ابو مسلم صاحب الدولة وقال صاحب كتاب اللوامح ابو مسلم
العجلي مولي صاحب الدولة فلا يسرف بضم الفاء علي الخبر ومعناه النهي وقد ياتي الامر والنهي
بلفظ الخبر قال ابن عطية في الاحتجاج بابي مسلم في القراءة نظر وفي قراءة ابي فلا تسرفوا في القتل
ان ولي المقتول كان منصورا انتهي رده علي ولا تقتلوا والاولي حمل قوله ان ولي المقتول
علي التفسير لا علي القراءة لمخالفته السواد ولان المستفيض عنه انه كان منصورا كقراءة الجماعة والضمير

في انه عايد علي الولي لتناسق الضماير ونصره اياه بان اوجب له القصاص فلا يستزد علي ذلك او نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين علي استيفاء الحق وقيل يعود الضمير علي المقتول نصره النبي حيث اوجب القصاص بقتله في الدنيا ونصره بالثواب في الاخرة قال ابن عطية وهو ارجح لانه المظلوم ولفظة النصر تقارن ابدا الظلم كقوله عليه السلام ونصر المظلوم وابرار القسم وكقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما الي كثير من الامثلة وقيل علي القتل وقال ابو عبيد علي القاتل لانه اذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الاخرة فقد نصر وهذا ضعيف بعيد القصد وقال الزمخشري وانما يجب ان يكون الضمير في انه الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص علي المسرف انتهي وهذا بعيد جدا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتي يبلغ اشده لما نهي عن اتلاف النفوس نهي عن اخذ الاموال كما قال فان دماكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم ولما كان اليتيم ضعيفا عن ان يدفع عن ماله لصغره نص علي النهي عن قربان ماله وتقدم تفسير هذه الاية في اواخر الانعام واوفوا بالعهد عام فيما عقده الانسان بينه وبين ربه او بينه وبين ادمي في طاعة ان العهد كان مسؤلا ظاهره ان العهد هو المسؤل من المعاهد ان يفي به ولا يضيعه او يكون من باب التخييل كانه يقال للعهد لم نكثت فمثل كانه ذات من الذوات تسال لم نكثت دلالة علي المطالبة بنكثه والزام ما يترتب علي نكثه كما جاء واذا الموودة سئلت باي ذنب قتلت فيمن قراة بسكون اللام وكسر التاء التي للخطاب وقيل هو علي حذف مضاف اي ان ذا العهد كان مسؤلا ان لم يف به ثم امر تعالي بايفاء الكيل وبالوزن المستقيم وذلك مما يرجع الي المعاملة بالاموال
وفي قوله اوفوا الكيل دلالة علي ان الكيل هو علي البايع لانه لا يقال ذلك للمشتري وقال الحسن القسطاس القبان وهو القلسطون ويقال القرسطون وقال مجاهد القسطاس العدل لانه آلة **وقراءة** الاخوان وحفص بكسر القاف وباقي السبعة بضمها وهما لغتان **وقرأت فرقة** بالابدال من السين الاولي صادا قال ابن عطية واللفظة للمبالغة من القسط انتهي ولا يجوز ان يكون من القسط لاختلاف المادتين لان القسط مادته ق س ط وذلك مادته ق س ط س الا ان اعتقد زيادة السين اخرا كسين قدموس وضغبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة والتقييد بقوله اذا كلتم اي وقت كيلكم علي سبيل التاكيد وان لا يتاخر الايفاء بان يكيل به بنقصان ثم يوفيه بعد فلا يتاخر الايفاء عن وقت الكيل ذلك خير اي الايفاء والوزن لان فيه تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والايصال للحق واحسن تاويلا اي عاقبة اذ لا يبقي علي الموفي والوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الاخرة وهو من المال وهو المرجع كما قال خير مردا خير عقبا خير املا وانما كانت عاقبته احسن لانه اشتهر بالاحتراز عن التطفيف فتعول عليه في المعاملات ومالت القلوب اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا • ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • ذلك مما اوحي اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقي في جهنم ملوما مدحورا • لما امر تعالي بثلاثة اشيا الايفا بالعهد والايفا بالكيل والوزن بالقسطاس اتبع ذلك بثلاثة مناه ولا تقف ولا تمش ولا تجعل ومعني ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهي ان تقول ما لا تعلم وان تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لانه اتباع بما لا يعلم صحته وقال ابن عباس معناه لا ترم احدا بما لا تعلم
ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لانه اتباع بما لا يعلم صحته وقال ابن عباس معناه لا ترم احدا بما لا تعلم وقال قتادة لا تقل رايت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال محمد بن الحنفية لا تشهد بالزور وقال ابن عطية ولا تقل لكنها لفظة تستعمل في القذف والعضه انتهي وفي الحديث من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتي ياتي بالمخرج وقال في الحديث ايضا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا ومنه **قول النابغة الجعدي**

• ومثل الدمي شم العرانين • ساكن بهن الحيا لا • يتبعن التقافيا •

وقال الكميت فلا ارمي البري بغير ذنب • ولا اقفو الحواصن ان قفينا •

وحاصل هذا انه نهي عن اتباع ما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية تندرج تحتها انواع فكل من المتاولين حمل علي واحد من تلك الانواع قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به انتهي

وقرا

قوله عز وجل ولا تقف

وقراءة الجمهور ولا تقف بحذف الواو للجزم بمضارع قفا **وقراءة** زيد بن علي ولا تقفو باثبات الواو كما **قال**

هجوت زبان ثم جئت معتذرا • من هجو زبان لم تهجو ولم تدع •

واثبات الواو والياء والالف مع الجازم لغة لبعض العرب وضرورة لغيرهم **وقراءة** معاذ القاري ولا تقف مثل تقل من قاف يقوف تقول العرب قفت اثره وقفوت اثره وهما لغتان لوجود التصاريف فيهما كجبذ وجذب وقاع الجمل الناقة وقعاها اذا ركبها وليس قاف مقلوبا من قفا كما جوزه صاحب اللوامح **وقراءة** الجراح العقيلي والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح وهي لغة في الفواد وانكرها ابو حاتم وغيره وبه لا يتعلق بعلم لانه ولا يتقدم معموله عليه **وقال** الحوفي يتعلق بما تعلق به لك وهو الاستقرار وهو لا يظهر وفي قوله ان السمع والبصر والفواد دليل علي ان العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول وجا هذا علي الترتيب القراني في البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفواد واولئك اشارة الي السمع والبصر والفواد وهو اسم اشارة للجمع المذكر والمونث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية انه يختص بالعاقل فقال وعبر عن السمع والبصر والفواد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الاية مسولة فهي حالة من يعقل ولذلك عبر عنها باولئك وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالي رايتهم لي ساجدين انما قال رايتهم في نجوم لانه انما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكي الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعن ما لا يعقل باولئك **وانشد هو والطبري**

• ذم المنازل بعد منزلة اللوي • والعيش بعد اولئك الايام •

واما حكاية ابي اسحق عن اللغة فامر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الاقوام انتهي وليس ما تخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد اولئك الايام ولم يكونوا لينشدوا الا ما روي واطلاق اولاء واولئك واولئك واولالك علي ما لا يعقل لا يعلم خلافا فيه وكل مبتداه والجملة خبره واسم كان عايد علي كل وكذا الضمير في مسولا والضمير في عنه عايد علي من قوله ما ليس لك به علم فيكون المعني ان كل واحد من السمع والبصر والفواد يسال عن ما لا علم له به اي عن انتفاء ما لا علم له به وهذا الظاهر وقال الزجاج يستشهد بها كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال القرطبي في احكامه يسال الفواد عن ما اعتقده والسمع عن ما سمع والبصر عن ما راي وقال ابن عطية ان الله تعالي يسال السمع الانسان وبصره وفواده عن ما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي وقيل الضمير في كان وفي مسولا عايدان علي القايف ما ليس له به علم والضمير في عنه عايد علي كل فيكون ذلك من الالتفات اذ لو كان علي الخطاب لكان التركيب كل اولئك كان عنه مسولا **وقال** الزمخشري وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسولا عنه فمسول مسند الي الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت علي ما لم يحل لك العزم عليه انتهي وهذا الذي ذهب اليه من ان عنه في موضع الرفع بالفاعلية ويعني به انه مفعول لم يسم فاعله ولا يجوز لان الجار والمجرور وما يقام من مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطها جار مجري الفاعل فكما ان الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جري مجراه واقيم مقامه فاذا قلت غضب علي زيد فلا يجوز علي زيد غضب بخلاف غضبت علي زيد فيجوز علي زيد غضبت وقد حكي الاتفاق من النحويين علي انه لا يجوز تقديم الجار علي المجرور الذي يقام مقام الفاعل علي الفعل ابو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تاليفه فليس عنه مسولا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسولا وتاخيره في المغضوب عليهم وقول الزمخشري ولم نظرت ما لم يحل لك اسقط الي وهو لا يجوز الا ان جا في ضرورة شعر لان نظر يتعدي بالي فكان التركيب ولم نظرت الي ما لم يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالي وانتصب مرحا علي الحال اي مرحا كما تقول جا زيد ركضا اي راكضا او علي حذف مضاف اي ذا مرح واجاز بعضهم ان يكون مفعولا من اجله اي ولا تمش في الارض للمرح ولا يظهر ذلك وتقدم ان المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكانه ضمن معني الاختيال لان غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال ولذلك علل بقوله انك لن تخرق الارض **وقرأت فرقة** فيما حكي يعقوب مرحا بكسر الراء وهو حال اي لا تمش متكبرا مختالا قال مجاهد لن تخرق بمشيك علي عقبك كبرا وتنعما ولن تبلغ الجبال الا بالمشي علي صدور قدميك تفاخرا وطولا والتاء وبلاي ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة الي الاختيال وقال الزجاج لا تمش في الارض مختالا فخورا ونظيره وعباد

الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واقصد في مشيك ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
وقال الزمخشري لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطيك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك
وهو تهكم بالمختال **وقراءة** الجراح الاعرابي لن تخرق بضم الراء قال ابو حاتم لا تعرف هذه اللغة وقيل
اشير بذلك الى ان الانسان محصور بين جمادين ضعيف عن التاثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول ومن كان
بهذه المثابة لا يليق به التكبر **وقال الشاعر**

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ❊ فكم تحتها قوم هم منك ارفع ❊

والاجود انتصاب قوله طولا على التمييز اي لن تبلغ طولك الجبال وقال الحوفي طولا نصب على الحال والعامل
في الحال تبلغ ويجوز ان يكون العامل تخرق وطولا بمعنى متطاولا انتهى ولبس طول بمعنى متطاول وقال
ابو البقاء طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول ويجوز ان يكون تمييزا ومفعولا له ومصدرا
من معنى تبلغ انتهى **وقراءة** الحرميان وابو عمرو وابو جعفر والاعرج سيئة بالنصب والتانيث
وقراءة باقي السبعة والحسن ومسروق سيئه بضم الهمزة مضافا لها المذكر الغايب **وقراءة**
عبد الله سيئاته بالجمع مضافا للهاء وعنه ايضا سيئات بغير هاء وعنه ايضا كان خبيثه **فاما**
القراءة الاولى فالظاهر ان ذلك اشارة الى مصدري النهيين السابقين وهما قفو ما ليس له به علم والمشي
في الارض مرحا وقيل اشارة الى جميع المناهي المذكورة فيما تقدم في هذه السورة وسيئة خبر كان وانث
ثم قال مكروها فذكر قال الزمخشري السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا **الا ترى** انك تقول الزنا سيئة
كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث انتهى وهو تخريج حسن وقيل ذكر مكروها
على لفظ كل وجوزوا في مكروها ان يكون خبرا ثانيا لكان على مذهب من يجيز تعداد الاخبار لكان وان
يكون بدلا من سيئة والبدل بالمشتق ضعيف وان يكون حالا من الضمير المستكن في الظرف قبله والظرف
في موضع الصفة قيل ويجوز ان يكون نعتا لسيئة لما كان تانيثها مجازا جاز ان توصف بمذكر وضعف
هذا بان جواز ذلك انما هو في الاسناد الى المؤنث المجازي اذا تقدم اما اذا تاخر واسند الى ضميرها
فهو قبيح تقول ابقل الارض فصيحا والارض ابقل قبيح واما من قرا سيئه بالتذكير والاضافة فسيئه اسم
كان ومكروها الخبر ولما تقدم من الخصال ما هو سيئ وما هو حسن اشير بذلك الى المجموع واخبر سيئه
وهو المنهي عنه فالحكم بالكراهة من قوله لا تجعل الى اخر المنهيات واما قراءة عبد الله فتخرج على ان يكون
مما اخبر فيه عن الجمع اخبار الواحد المذكر وهو قليل نحو **قوله** فان الحوادث اودى بها
لصلاحية الحدثان مكان الحوادث وكذلك هذا ايضا كان ما ينوء مكان سيئاته ذلك اشارة الى جميع انواع
التكاليف من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى قوله ولا تمش في الارض مرحا وهي اربعة وعشرون نوعا
من التكاليف بعضها امر وبعضها نهي بداها بقوله لا تجعل واختتم الايات بقوله ولا تجعل وقال
مما اوحي لان ذلك بعض مما اوحي اليه اذ اوحي بتكاليف اخر ومما اوحي خبر عن ذلك ومن الحكمة
يجوز ان يكون متعلقا باوحي وان يكون بدلا من مما وان يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العايد
على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع الطاعات والاعراض
عن الدنيا والاقبال على الاخرة والعقول تدل على صحتها وهي شرايع في جميع الاديان لا تقبل النسخ وعن
ابن عباس ان هذه الايات كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال تعالى وكتبنا
له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكرر تعالى النهي عن الشرك ففي النهي الاول فتقعد مذموما
مخذولا وفي الثاني فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين مذموم وملوم ان كونه مذموما ان يذكر
ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر وكونه ملوما ان يقال له بعد الفعل وذمه لم فعلت كذا وما
حملك عليه وما استفدت منه الا الحاق الضرر بنفسك فاول الامر الذم وآخره اللوم والفرق بين مخذول
ومدحور ان المخذول هو المتروك اعانته ونصره والمفوض الى نفسه والمدحور المطرود المبعد على
سبيل الاهانة له والاستخفاف به فاول الامر الخذلان وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان
يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الاخرة ولذلك جاء فتلقى في جهنم والخطاب بالنهي
في هذه الايات للسامع غير الرسول وقال الزمخشري ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها
النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ
فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل
من النعم ❊ افاصفاكم ربكم بالبنات واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ❊ ولقد صرفنا

قوله عز وجل افاصفاكم ربكم

في هذا

في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ❊ قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا ❊ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ❊ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من
شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ❊ لما نبه تعالى على فساد من اثبت لله شريكا
ونظيرا اتبعه بفساد طريقة من اثبت لله ولدا والاستفهام معناه الانكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد
ان الملائكة بنات الله ومعنى افاصفاكم اثركم وخصكم وهذا كما قال الكم البنات ولكم البنون الكم الذكر
وله الانثى وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء واصفاها
من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات ومعنى عظيما مبالغا في المنكر والقبح حيث اضفتم اليه
الاولاد ثم حيث فضلتم عليه تعالى انفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبة الملائكة الذين هم من اشرف
ما خلق الى الانوثة ومعنى صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشيء
من جهة الى جهة ثم صار كناية عن التبيين **وقراءة** الجمهور صرفنا بتشديد الراء فقيل لم نجعله
نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وامرا ونهيا وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا مثل تصريف
الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال ومفعول صرفنا على هذا المعنى محذوف وهي هذه الاشياء
اي صرفنا الامثال والعبر والحكم والاحكام والاعلام وقيل المعنى وهي هذه الاشياء اي صرفنا لم ننزله
مرة واحدة بل نجوما ومعناه اكثرنا صرف جبريل اليك والمفعول محذوف اي صرفنا جبريل وقيل في زايدة
اي صرفنا هذا القران كما قال واصلح لي في ذريتي وهذا ضعيف لان في لا تزاد وقال الزمخشري يجوز
ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا
القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القران
الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم انتهى
فجعل التصريف خاصا بما دلت عليه الاية قبله وجعل مفعول صرفنا اما القول في هذا المعنى والمعنى
وهو الضمير الذي قدره في صرفناه وغيره جعل التصريف عاما في اشياء تعدد ما يشمل ما سبق له ما قبله
وغيره **وقراءة** الحسن بتخفيف الراء فقال صاحب اللوامح هو بمعنى العامة يعني بالعامة قراءة
الجمهور قال لان فعل وفعل ربما تعاقبا على معنى واحد وقال ابن عطية على معنى صرفنا فيه الناس الى
الهدى بالدعاء الى الله **وقراءة** الجمهور ليذكروا اي ليتذكروا من التذكر ادغمت التاء في الذال
وقراءة الاخوان وطلحة وابن وثاب والاعمش ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف من الذكر
او الذكرى ليتعظوا ويعتبروا وينظروا فيما يحتج به عليهم ويطمئنوا اليه وما يزيدهم اي التصريف الا
نفورا اي بعدا وفرارا عن الحق كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم
حمر مستنفرة والنفور من اوصاف الدواب الشديدة الشماس ولما ذكر تعالى نسبة الولد اليهم
ورد عليهم في ذلك ذكر قولهم انه تعالى معه الهة ورد عليهم **وقراءة** ابن كثير وحفص عما يقولون
بالياء من تحت والجمهور بالتاء ومعنى لابتغوا الى ذي العرش الى مغالبته وافساد ملكه لانهم شركاؤه
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض وقال هذا المعنى او مثله ابن جبير وابو علي الفارسي والنقاش
والمتكلمون ابو منصور وغيره وعلى هذا تكون الاية بيانا للتمانع كما في قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وياتي تفسيرها ان شاء الله تعالى وقال قتادة ما معناه لابتغوا الى التقرب الى ذي العرش
والزلفى لديه وكانوا يقولون ان الاصنام تقربهم الى الله فاذا علموا انها تحتاج الى الله فقد بطل
كونها الهة ويكون كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب والكاف
من كما في موضع نصب فقال الحوفي متعلقة بما تعلقت به مع وهو الاستقرار ومعه خبر كان وقال
ابو البقاء كونا لقولكم وقال الزمخشري واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة
المشركين وجزاء للو انتهى وعطف وتعالى على قوله سبحانه لانه اسم قام مقام المصدر الذي هو في
معنى الفعل اي براءة الله وقدر تنزه وتعالى يتعلق به عن على سبيل الاعمال اذ يصح لسبحان ان يتعلق
به عن كما في قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون والتعالي في حقه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان
وقراءة الاخوان عما تقولون بالتاء من فوق وباقي السبعة بالياء وانتصب علوا على انه
مصدر على غير الصدر اي تعاليا ووصف بكبيرا مبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه به
لان المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني والمحتاج منافاة
لا تقبل الزيادة ونسبة التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وانس وجن حمله بعضهم

على النطق بالتسبيح حقيقة وان ما لا حيوة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقا وهذا هو ظاهر اللفظ
ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال بعضهم ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة
وبه قال عكرمة قال الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وسئل الحسن عن الخوان ايسبح فقال
قد كان يسبح مرة يشير الى انه حين كان من الشجرة كان يسبح وحين صار خوانا مدهونا صار جمادا لا
يسبح وقيل التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز ومعناه انها تسبح بلسان الحال حيث تدل على
الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء
وغيرها ويكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم خطابا للمشركين وهم وان كانوا معترفين بالخالق
انه الله لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت
خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند
الى السموات والارض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرا مشتركا بين الجميع وان كان يصدر التسبيح حقيقة
من من فيهن من ملك وانس وجان ولا نحمل نسبته الى السموات والارض على المجاز ونسبته الى
الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعا بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد وقال ابن عطية
ثم اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح انتهى يعني
بالضمير في قوله ومن فيهن وكانه تخيل ان هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل
بل هن يكون ضمير الجمع المؤنث مطلقا وقرأ النحويان وحمزة وحفص تسبح بالتاء من
فوق وباقي السبعة بالياء وفي بعض المصاحف سبحت له السموات بلفظ الماضي وتاء التانيث
وهي قراءة عبد الله والاعمش وطلحة بن مصرف انه كان حليما حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم
غفورا ان رجعتم ووحدتم الله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا نزلت واذا قرأت القرآن
في ابي سفيان والنضر وابي جهل وام جميل امرأة ابي لهب كانوا يؤذون الرسول اذا قرأ القرآن فحجب
الله ابصارهم اذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي وعن ابن عباس نزلت في امرأة ابي لهب
دخلت منزل ابي بكر وبيدها فهر والرسول عنده وقالت هجاني صاحبك قال ما هو بشاعر قالت قال
في جيدها حبل من مسد وما يدريه ما في جيدي فقال لابي بكر سلها هل ترى غيرك قال ملكا لم يزل
يسترني عنها فسالها فقالت اتهزأ بي ما ارى غيرك فانصرفت ولم تر الرسول وقيل نزلت في قوم من
بني عبد الدار كانوا يؤذونه في الليل اذا صلى وجهر بالقراءة فحال الله بينهم وبين اذاه ولما
تقدم الكلام في تقرير الالهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شيء من احوال الكفرة في انكارها وانكار
المعاد والمعنى واذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى على انك اذا التبست
بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا
يقرأ القرآن والظاهر ان القرآن هنا هو ما تقرأ من القرآن اي شيء كان منه وقيل ثلث ايات منه
معينة وهي في النحل اولئك الذين طبع الى الغافلون وفي الكهف ومن اظلم الى اذا ابدا وفي الجاثية
افرايت من اتخذ الهه هواه الى افلا تذكرون وعن كعب ان الرسول كان يستتر بهذه الايات وعن
ابن سيرين انه عبثها له هاتف من جانب البيت وعن بعضهم انه اسر زمانا ثم اهتدى الى قراءتها
فخرج لا يبصره الكفار وهم يتطلبونه تمس ثيابهم ثيابه قال القرطبي ويزاد الى هذه الاي
اول يس الى فهم لا يبصرون ففي السيرة ان الرسول حين نام على فراشه خرج ينثر التراب على رؤس الكفار
فلا يرونه وهو يتلو هذه الايات من يس ولم يبق احد منهم الا وضع على راسه ترابا والظاهر ان
المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين ابصار الذين لا يؤمنون بالاخرة كما ورد في سبب النزول وقال
قتادة والزجاج وجماعة ما معناه جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجابا فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث
فالمعنى قريب من الاية بعدها والظاهر اقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول اي مستورا عن
اعين الكفار فلا يرونه او مستورا به الرسول عن رؤيتهم ونسب الستر اليه لما كان مستورا به قاله
المبرد ويؤول معناه الى انه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقالوا رجل مرطوب

قوله عز وجل واذا قرأت القرآن

اي ذو رطبة ولا يقال رطبته ومكان مهول اي ذو هول وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا
غنجت الجارية وقال الاخفش وجماعة مستورا ساترا واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما
قالوا مشؤم وميمون يريدون شائم ويامن وقيل مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر
ورد بان المبالغة انما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الاول وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا تقدم تفسيره في اوائل الانعام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده قيل دخل ملأ قريش على ابي طالب
يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا
لا اله الا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت هذه الاية والظاهر ان الاية
في حال الفارين عند وقت قراءة القرآن ومروره بتوحيد الله والمعنى اذا جاءت مواضع التوحيد
فر الكفار انكارا له واستبشاعا لرفض الهتهم واطراحها وقال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة
نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر
ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى وما ذهب اليه من ان وحده مصدر ساد مسد الحال
خلاف مذهب س ووحده عند س مصدر بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال
فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد وذهب يونس الى ان وحده منصوب
على الظرف وذهب قوم الى انه مصدر لا فعل له وقوم الى انه مصدر لاوحد على حذف الزيادة وقوم
الى انه مصدر لوحد كما ذهب اليه الزمخشري وحجج هذه الاقوال مذكورة في كتب النحو واذا ذكرت
وحده بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا وحده فمذهب س انه حال من الفاعل اي موحدا له بالضرب
ومذهب المبرد انه يجوز ان يكون حالا من المفعول فعلى مذهب س يكون التقدير واذا ذكرت
ربك موحدا له بالذكر وعلى مذهب ابي العباس يجوز ان يكون التقدير موحدا بالذكر ونفورا حال جمع
نافر كقاعد وقعود او مصدر على غير الصدر لان معنى ولوا نفروا والظاهر عود الضمير في ولوا على
الكفار المتقدم ذكرهم وقالت فرقة هو ضمير الشياطين لانهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى
وان لم يجر لهم ذكر وقال ابو الجوزاء اوس بن عبد الله ليس شيء اطرد للشيطان من القلب من لا اله الا الله
ثم تلا واذا ذكرت الاية وقال علي بن الحسين هو البسملة نحن اعلم بما يستمعون به اي بالاستخفاف الذي
يستمعون به والهزؤ بك وبالقرآن واللغو كان اذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبد الدار عن
يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما متعلق باعلم
وما كان في معنى العلم والجهل وان كان متعديا لمفعول بنفسه فانه اذا كان في باب افعل في
التعجب وفي افعل التفضيل تعدى بالباء تقول ما اعلم زيدا بكذا وما اجهله بكذا وهو اعلم بكذا واجهل
بكذا بخلاف سائر الافعال المتعدية لمفعول بنفسه فانه يتعدى في افعل التعجب وافعل التفضيل
باللام تقول ما اضرب زيدا لعمرو وزيد اضرب لعمرو من بكر وبه قال الزمخشري في موضع الحال كما
تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وبما به يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم انتهى وقال الحوفي لم يقل يستمعونه
ولا يستمعونك لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع فقط وكان مضمنا ان الاستماع ليس المراد به
تفهم المسموع دون هذا المقصد اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى فاذا الاولى تتعلق بيستمعون به وكذا
واذ هم نجوى لان المعنى نحن اعلم بالذي يستمعون به اليك والى قراءتك وكلامك انما يستمعون
لسقطك وتتبع عيبك والتماس ما يطعنون به عليك يعني في زعمهم ولهذا ذكر تعديته بالباء والى
انتهى وقال ابو البقاء يستمعون به قيل الباء بمعنى اللام واذ ظرف ليستمعون الاولى ونجوى
مصدر ويجوز ان يكون جمع نجي كقتيل وقتلى واذ بدل من اذ الاولى وقيل التقدير اذكر اذ يقول
وقال ابن عطية الضمير في به عائد على ما وهو بمعنى الذي والمراد الاستخفاف والاعراض فكانه قال
نحن اعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به اي هو ملازمهم ففضح الله بهذه الاية سرهم
والعامل في اذ الاولى وفي المعطوف يستمعون الاولى انتهى تناجوا فقال النضر ما افهم ما يقول
وقال ابو سفيان اري بعضه حقا وقال ابو جهل مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب شاعر وقال
بعضهم اساطير الاولين وبعضهم انما يعلمه بشر وروي ان تناجيهم كان عند عتبة دعا اشراف
قريش الى طعام فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا
يقولون ساحر مجنون والظاهر ان مسحورا من السحر اي خبل عقله السحر وقال مجاهد مخدوعا نحو

فاني تسحرون اي تخدعون وقال ابو عبيدة مسحورًا معناه ان له سحرًا اي رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس ملك وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل او شرب من آدمي وغيره مسحور قال الشاعر

• ارانا موضعين لامر غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب •

اي نغذي ونعلل ونسحر قال لبيد

• فان تسألينا فيما نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر •

قال ابن قتيبة لا ادري ما الذي حمل ابا عبيدة علي هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة وقال ابن عطية الآية الذي بعد هذا تقوي ان اللفظة من السحر بكسر السين لان في قولهم ضرب مثل واما علي انها من السحر الذي هو الرئة ومن التغذي فان تكون الاشارة الي انه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة لهم والامثال تقدم ما قالوه في تسليتهم وكانت ذلك منهم علي جهة التسلية والتلبيس ثم رأي الوليد بن المغيرة ان اقربها التخييل القاديت عليهم هو انه ساحر فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب فيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره فلا يستطيعون سبيلا الي الهدي والنظر المؤدي الي الايمان او سبيلا الي افساد امرك واطفاء نور الله بضربهم الامثال واتباعهم كل حيلة في جهتك وحكي الطبري انها نزلت في الوليد ابن المغيرة واصحابه وقالوا ائذا كنا هذا استفهام تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له الامثال وقالوا عنه انه مسحور ذكروا ما استدلوا به علي زعمهم علي انضافه بما نسبوا اليه واستبعدوا انه بعد ما يصير الانسان رفاتا يحييه الله ويعيده وقد رد عليهم ذلك بانه تعالي هو الذي فطرهم فبعدا لعدم الصرف علي ما يأتي شرحه في الآية بعد هذا ومن قرأ من القراء اذا وانا معا او احدهما علي صورة الخبر فلا يريد الخبر حقيقة لان ذلك كان يكون تصديقا بالبعث والنشأة الاخرة ولكنه حذف همزة الاستفهام لدلالة المعني وفي الكلام حذف تقديره ائذا كنا ترابا وعظاما نبعث او نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه وهذا المحذوف هو جواب الشرط عند س والذي تعلق به الاستفهام وانتصب عليه عند يونس وخلقا حال وهو في الاصل مصدر اطلق علي المفعول اي مخلوقا الحديد معروف نغضت سنه تحركت قال ونغضت من هرم اسنانها تنغض وتنغض نغضا ونغوضا وانغض راسه حركه برفع وخفض قال

لما رأتني انغضت لي الراسا وقال الاخر •

• انغض نحوي راسه واقنعا • كانه يطلب شيئا اطمعا •

وقال الفراء انغض راسه حركه الي فوق والي اسفل وقال ابو الهيثم اذا اخبر بشيء فحرك راسه انكارا له فقد انغض راسه وقال ذو الرمة

• ظعائن لم يسكن اكناف قرية • بسيف ولم ينغض بهن القناطر •

حنك الدابة واحتنكها جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به واحتنك الجراد الارض اكلت نباتها قال نشكو اليك سنة قد اجحفت • جهدا الي جهد بنا فاضعفت •

واحتنكت اموالنا وخيفت • ومنه ما ذكر س من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما استفز الرجل استخفه والفز الخفيف واصله القطع ومنه تفزز الثوب انقطع واستفزني فلان خدعني حتي وقعت في ارادته وقيل لولد البقرة فز لخفته قال الشاعر

• كما استغاث بشيء فز غيطلة • خاف العيون فلم ينظر به الحشك •

الجلبة الصياح قاله ابو عبيدة والفراء وقال ابو عبيدة جلب واجلب وقال الزجاج اجلب علي العدو جمع عليه الخيل وقال ابن السكيت جلب عليه اعان عليه وقال ابن الاعرابي اجلب علي الرجل اذا توعده الشر وجمع عليه الجمع الصوت معروف الحاصب الريح ترمي بالحصباء قاله الفراء والحصب الرمي بالحصباء وهي الحجارة الصغار وقال الفرزدق •

• مستقبلين شمال الشام تضربهم • بحاصب كنديف القطن منثور •

والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة تارة مرة وتجمع علي تير وتارات قال الشاعر

• وانسان عيني يحسر الماء تارة • فيبدو وتارات يجم فيغرق •

القاصف الذي يكسر كل ما يلقي ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره وقال ابو تمام

المفردات

قوله عز وجل قل كونوا حجارة

• ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولا يعبان بالرتم •

وقيل القاصف الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر ٥٥ •

قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ٥ فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متي هو قل عسي ان يكون قريبا • يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا • قال الزمخشري لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا علي قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر علي احيائكم والمعني انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الي حال الحيوة والي رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقته الذي يبني عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الي حالتها الاولي ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر وهو ان يكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا علي ان يردكم الي حال الحيوة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم علي الخالق احياؤه فانه يحييه وقال ابن عطية كونوا ان استطعتم هذه الاشياء الصعبة الممتنعة التاتي لا بد من بعثكم وقوله كونوا هو الذي تسميه المتكلمون التعجيز حيث يقتضي بالامر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالي فادرؤا عن انفسكم الموت ونحوه واما هذه الآية فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطركم كذلك هو يعيدكم انتهي وقال مجاهد المعني كونوا ما شئتم فستعادون وقال النحاس هذا قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة وانما المعني انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة انتهي او خلقا مما يكبر في صدوركم اي صلابته وزيادته علي قوة الحديد وصلابته ولم يعينه ترك ذلك الي افكارهم وجولانها فيما هو اصلب من الحديد فبدا اولا بالصلب ثم ذكر علي سبيل الترقي لاصلب منه ثم لاصلب من الحديد اي افرضوا ذواتكم شيئا من هذه فانه لا بد لكم من البعث علي اي حال كنتم وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو والحسن وابن جبير والضحاك الذي يكبر الموت اي لو كنتم الموت لاماتكم ثم احياكم وهذا التفسير لا يتم الا اذا اريد المبالغة لا نفس الامر لان البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضا ولو فرض انقلابه عرضا لم يكن ليقبل الحيوة لاجل الضدية وقال مجاهد الذي يكبر السموات والارض والجبال ولما ذكر انهم لو كانوا اصلب شيء وابعده من حلول الحيوة به كان خلق الحيوة فيه ممكنة قالوا من الذي هو قادر علي صيرورة الحيوة فينا واعادتنا فنبههم علي ما يقتضي الاعادة وهو ان الذي انشأكم واخترعكم اول مرة هو الذي يعيدكم والذي مبتدأ وخبره محذوف التقدير الذي فطركم اول مرة يعيدكم فيطابق الجواب السؤال ويجوز ان يكون فاعلا اي يعيدكم الذي فطركم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ اي معيدكم الذي فطركم واول مرة ظرف العامل فيه فطركم قاله الحوفي فسينغضون اي يحركونها علي سبيل التكذيب والاستبعاد ويقولون متي هو اي متي العود ولم يقولوا ذلك علي سبيل التسليم للعود ولكن حيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لان ما يثبت امكانه بالدليل العقلي لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن اجابهم علي سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لان ذلك مما استأثر تعالي بعلمه واحتمل ان يكون في عسي اضمار اي عسي هو اي العود واحتمل ان يكون مرفوعها ان يكون فتكون تامة وقريبا يحتمل ان يكون خبر كان علي انه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل ان يكون ظرفا اي زمانا قريبا وعلي هذا التقدير يوم يدعوكم بدلا من قريبا وقال ابو البقاء يوم يدعوكم ظرف ليكون ولا يجوز ان يكون ظرفا لاسم كان وان كان ضمير المصدر لان الضمير لا يعمل انتهي اما كونه ظرفا ليكون فهذا مبني علي جواز عمل كان الناقصة في الظرف وفيه خلاف واما قوله لان الضمير لا يعمل فهذا مذهب البصريين واما الكوفيون فيجيزون ان يعمل نحو مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح يعلقون بعمرو بلفظ هو اي ومروري بعمرو قبيح والظاهر ان الدعاء حقيقة اي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية ويقال ان اسرافيل عليه السلام ينادي ايتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت وروي في الحديث انه قال صلي الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم ومعني فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم

اليه وقال الزمخشري الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون انتهى والظاهر ان الخطاب للكفار اذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم
وبحمده حال منهم قال الزمخشري وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب
ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك
تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك انتهى وذلك لما ظهر لهم من قدرته وقيل معنى بحمده ان الرسول
قائل ذلك لا انهم يكونون بحمده حالا منهم فكانه قال عسى ان تكون الساعة قريبة يوم يدعوكم
فتقومون بخلاف ما تعتقدون الان وذلك بحمد الله على صدق خبري كما تقول لرجل خصمته وحاورته
في علم قد اخطات بحمد الله فبحمد الله ليس حالا من فاعل اخطات بل المعنى اخطات والحمد لله
وهذا معنى متكلف نحى اليه الطبري وكان بحمده يكون اعتراضا اذ معناه والحمد لله ونظيره
قول الشاعر فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع ⁂
اي فاني والحمد لله فهذا اعتراض بين اسم ان وخبرها كما ان بحمده اعتراض بين المتعاطفين ووقع
في لفظ ابن عطية حين قرر هذا المعنى قوله عسى ان الساعة قريبة وهو تركيب لا يجوز لا تقول
عسى ان زيدا قائم بخلاف عسى ان يقوم زيد وعلى ان تكون بحمده حالا من ضمير فتستجيبون
قال المفسرون حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال قتادة معناه بمعرفته وطاعته وتظنون
ان لبثتم الا قليلا قال ابن عباس بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في
ذلك الوقت ويدل عليه من بعثنا من مرقدنا هذا فهذا عائد الى لبثتم فيما بين النفختين وقال
الحسن تقريب وقت البعث فكانك بالدنيا ولم تكن وبالاخرة لم تزل فهذا يرجع الى استقلال
مدة اللبث في الدنيا وقال الزمخشري وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة
لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا
الاخرة انتهى وقيل استقلوا لبثهم في عرصة القيامة لانه لما كان عاقبة امرهم الدخول الى النار
استقصروا مدة لبثهم في برزخ القيامة وقيل تم الكلام عند قوله قل عسى ان يكون قريبا ويوم
يدعوكم خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لانهم يستجيبون لله بحمده يحمدونه على احسانه
اليهم فلا يليق هذا الا بهم وقيل بحمده المؤمن اختيارا والكافر اضطرارا وهذا ابدل على ان
الخطاب للكافر والمؤمن وهذا الذي يدل عليه ما روي عن ابن جبير واذا كان الخطاب للكفار
وهو الظاهر فيحتمل ان يكون الظن على بابه فيكون لما رجعوا الى حالة الحياة وقع لهم ظن انهم
لم ينفصلوا عن الدنيا الا في زمن قليل اذ كانوا في ظنهم نائمين ويحتمل ان يكون بمعنى اليقين
من حيث علموا ان ذلك منقض منصرم والظاهر ان وتظنون معطوف على تستجيبون وقاله
الحوفي وقال ابو البقاء اي وانتم تظنون والجملة حال انتهى وان هنا نافية وتظنون معلق عن
العمل فالجملة بعده في حالة نصب وقلما ذكر النحويون في ادوات التعليق ان النافية ويظهر
ان انتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي الا زمانا قليلا لقوله قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لبثا قليلا ودلالة الفعل على مصدره
دلالة قوية وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ⁂ ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا ⁂ وربك
اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا ⁂ قيل
سبب نزولها ان عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفرة فسبه عمر وهم بقتله فكاد يثير فتنة فنزلت
الاية وهي منسوخة باية السيف وارتباطها بما قبلها انه لما تقدم ما نسب الكفار لله تعالى
من الولد ونفورهم عن كتاب الله اذا سمعوه وايذاء الرسول ونسبته الى انه مسحور وانكار
البعث كان ذلك مدعاة لايذاء المؤمنين ومجلبة لبغض المؤمنين اياهم ومعاملتهم
بما عاملوهم فامر الله تعالى نبيه ان يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار والتلطف بهم في القول
وان لا يعاملوهم بمثل افعالهم واقوالهم فعلى هذا يكون المعنى قل لعبادي المؤمنين يقولوا
للمشركين الكلم التي هي احسن وقيل المعنى يقولوا اي يقول بعض المؤمنين لبعض الكلم التي
هي احسن اي يجل بعضهم بعضا ويعظمه ولا يصد منه الا الكلام الطيب والقول الجميل

قوله عز وجل وقل لعبادي

فيكونوا

فيكونوا مثل المشركين في معاملة بعضهم بعضا بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للاموال
والسبي للنساء والذراري وقيل عبادي هنا المشركون اذ المقصود الدعاء الى الاسلام فخوطبوا
بالخطاب الحسن ليكون ذلك سببا الى قبول الدين فكانه قيل قل للذين اقروا انهم عبادي يقولوا
التي هي احسن وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات فان ذلك من
نزغ الشيطان ووسوسته وتحسينه وقيل عبادي شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما ياتي
تفسير التي هي احسن والذي يظهر ان لفظة عبادي مضافة اليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين
في القران كقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فادخلي في عبادي عينا يشرب بها عباد الله
وقيل خطاب للرسول وهو امر ومعمول القول محذوف تقديره قولوا التي هي احسن وانجزم
يقولوا على انه جواب للامر الذي هو قل قاله الاخفش وهو صحيح المعنى على تقدير ان يكون عبادي
يراد به المؤمنون لانهم لمسارعتهم لامتثال امر الله تعالى بنفس ما يقول لهم ذلك قالوا التي
هي احسن وعن **س** انه انجزم على جواب لشرط محذوف اي ان يقل لهم يقولوا فيكون في قوله
حذف معمول القول وحذف الشرط الذي يقولوا جوابه وقال المبرد انجزم جوابا للامر الذي
هو معمول قل اي قولوا التي هي احسن يقولوا وقيل معمول قل مذكور لا محذوف وهو يقولوا
على تقدير لام الامر وهو مجزوم بها قاله الزجاج وقيل يقولوا وهو مبني وهو مضارع حل محل المبني
الذي هو فعل الامر فبني والمعنى قل لعبادي قولوا قاله المازني وهذه الاقوال جرت في قوله
قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وترجيح ما ينبغي ان يرجح مذكور في علم النحو والتي هي
احسن قالت فرقة منهم ابن عباس هي قول لا اله الا الله قال ابن عطية ويلزم على هذا ان
يكون قوله لعبادي يريد به جميع الخلق لان جميعهم مدعو الى لا اله الا الله ويجيء قوله بعد ذلك
ان الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب للمعنى الا على تكره بان يجعل بينهم بمعنى خلالهم واثناءهم
ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة والاضلال وقال الحسن يرحمك الله يغفر الله لك وعنه ايضا
الامر بامتثال الاوامر واجتناب المناهي وقيل القول للمؤمن يرحمك الله وللكافر هداك الله
وقال الجمهور هي المحاورة الحسنى بحسب معنى معنى وقال الزمخشري فسر التي هي احسن بقوله
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقول لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا
لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان
الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة
والمشاقة وقال ابو عبد الله الرازي ما ملخصه اذا اردتم الحجة على المخالف فاذكروها بالطريق
الاحسن وهو ان لا يخلط بالسب كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وخلط الحجة بالسب سبب للمقابلة بمثله
وتنفير عن حصول المقصود من اظهار الحجة وتاثيرها ثم نبه على هذا الطريق بقوله ان الشيطان
ينزغ بينهم جامعا للفريقين اي متى امتزجت الحجة بالايذاء كانت الفتنة انتهى **وقراءة**
طلحة ينزغ بكسر الزاي قال ابو حاتم لعلها لغة والقراءة بالفتح وقال صاحب اللوامح هي
لغة وقال الزمخشري هما لغتان نحو يعرشون ويعرشون انتهى ولو مثل بينطح وينطح كان
انسب وبين تعالى سبب النزغ وهي العداوة القديمة لابيهم ادم قبلهم وقوله ثم لاتينهم من بين
ايديهم الاية وغيرها من الايات الدالة على تسلطه على الانسان وابتغاء الغوائل المهلكة له
والخطاب بقوله ربكم ان كان للمؤمنين فالرحمة الانجاء من كفار مكة واذاهم والتعذيب تسليطهم
عليهم وما ارسلناك عليهم اي على الكفار حافظا وكفيلا فاشتغل انت بالدعوة وانما هدايتهم الى الله
وقيل يرحمكم بالهداية الى التوفيق والاعمال الصالحة وان شاء عذبكم بالخذلان وان كان الخطاب
للكفار فقال مقاتل يرحمكم الله بالهداية الى الايمان ويعذبكم يميتكم على الكفر وذكر ابو سليمان الدمشقي
لما نزل القحط بالمشركين قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقال الله ربكم اعلم بكم بالذي
يؤمن من الذي لا يؤمن فيكشف القحط عنكم او ان يشا يعذبكم فيتركه عليكم وقال ابن عطية هذه
الاية تقوي ان الاية التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك ان قوله ربكم
اعلم بكم مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا فكانه امر المؤمنين ان لا
يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم

قاله ابن جريج وغيره انتهي وتقدم من قول الزمخشري ان قوله ربكم اعلم بكم هي من قول المومنين للكفار
وانه تفسير لقوله التي هي احسن وقال ابن الانباري او دخلت هنا لسعة الامرين عند الله ولا
يرد عنهما فكانت ملحقة باو المبيحة في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين يعنون **قد وسعنا لك الامر**
وقال الكرماني او للاضراب ولهذا كرراته ولما ذكر تعالي انه اعلم بمن خاطبهم بقوله ربكم اعلم
بكم انتقل من الخصوص الي العموم فقال مخاطبا لرسوله وربك اعلم بمن في السموات والارض ليبين ان
علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في السموات والارض باحوالهم ومقاديرهم وما
يستاهل كل واحد منهم وبمن متعلق باعلم كما تعلق بكم قبله باعلم ولا يدل تعلقه به علي اختصاص اعلميته
تعالي بما تعلق به كقولك زيد اعلم بالنحو لا يدل هذا علي انه ليس اعلم بغير النحو من العلوم وقال
ابو علي الباء تتعلق بفعل تقديره علم بمن قال لانه لو علقها باعلم لاقتضي انه ليس باعلم بغير ذلك وهذا
لا يلزم وايضا فان علم لا يتعدي بالباء انما يتعدي لواحد بنفسه لا بوساطة حرف الجر ولا تبين علي
ما تقرر في علم النحو ولما كان الكفار قد استبعدوا ان تنبئه البشر اذ فيه تفضيل الانبياء علي غيرهم اخبر
تعالي بتفضيل بعض الانبياء علي بعض اشارة الي انه لا يستبعد تفضيل الانبياء علي غيرهم اذ قد وقع
التفضيل في هذا الجنس المفضل علي الناس والله تعالي اعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من شا
منهم علي من شاء اذ هو الحكيم فلا يصدر شيء عن حكمته وفيه اشارة الي انه لا يستنكر تفضيل محمد صلي الله
عليه وسلم علي سائر الانبياء وخص داود بالذكر هنا لانه ذكر تعالي في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امته
خير الامم وقال تعالي ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وهو محمد وامته وكانت قريش ترجع الي اليهود كثيرا فيما يخبرون به مما في كتبهم فنبه علي ان زبور
داود تضمن البشارة بمحمد صلي الله عليه وسلم وفي ذلك بشارة اشارة رد علي مكابري اليهود حيث قالوا
لا نبي بعد موسي ولا كتاب بعد التوراة ونص تعالي هنا علي ايتاء داود الزبور وان كان قد اتاه مع ذلك
الملك اشارة الي ان التفضيل المحض هو بالعلم الذي اتاه والكتاب الذي انزل عليه كما فضل محمدا
صلي الله عليه وسلم بما اتاه من العلم والقران الذي خصه به وتقدم تفسير واتينا داود زبورا ٥
في اواخر النساء وذكر الخلاف في ضم الزاي وفتحها وقال الزمخشري هنا **فان قلت**
هل لا عرف الزبور كما عرف في ولقد كتبنا في الزبور **قلت** يجوز ان يكون الزبور وزبور
كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبور وهي الكتب وان يريد ما ذكر
فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران
قرانا

قوله عز وجل قل ادعوا الذين

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون
يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب
مسطورا ٥ وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا
بها وما نرسل بالايات الا تخويفا ٥ قال ابن مسعود نزلت في عبدة الشياطين وبقوا يعبدونهم وقال
ابن عباس في عزير والمسيح وامه وعنه ايضا وعن ابن مسعود وابن زيد والحسن في عبدة الملائكة وعن
ابن عباس في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وامه انتهي ويكون الذين زعمتم
من دونه عاما غلب فيه من يعقل علي ما لا يعقل والمعني ادعوهم فلا يستطيعون ان يكشفوا عنكم
الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الي واحد الي اخر او يبدلوه **وقرا**
الجمهور يدعون بياء الغيبة وابن مسعود وقتادة بتاء الخطاب وزيد بن علي بياء الغيبة مبنيا للمفعول
والمعني يدعونهم الهة او يدعونهم لكشف ما حل بكم من الضر كما حذف من قوله قل ادعوا اي ادعوهم
لكشف الضر وفي قوله زعمتم ضمير محذوف عايد علي الذين وهو المفعول الاول والثاني محذوف
تقديره زعمتموهم الهة من دون الله واولئك مبتدا والذين صفته والخبر يبتغون والوسيلة القرب
الي الله تعالي والظاهر ان اولئك اشارة الي المعبودين والواو في يدعون للعابدين والعايد علي
الذين منصوب محذوف اي يدعونهم وقال ابن فورك الاشارة باولئك الي النبيين الذين تقدم ذكرهم
والضمير المرفوع في يدعون ويبتغون عايد عليهم والمعني يدعون الناس الي دين الله والمعني
علي هذا ان الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه
فهم احق بالاقتداء بهم فلا تعبدوا غير الله **وقرا** الجمهور الي ربهم بضم الجمع الغايب **وقرا**

وهم خزاعة اسلمت الشياطين

ابن مسعود الي ربك بالكاف خطابا للرسول واختلفوا في اعراب ايهم اقرب وتقديره فقال الحوفي
ايهم اقرب ابتداء وخبر والمعني ينظرون ايهم اقرب فيتوسلون به ويجوز ان يكون ايهم اقرب
بدلا من الواو في يبتغون انتهي ففي الوجه الاول اضمر فعل التعليق وايهم اقرب في موضع نصب
علي اسقاط حرف الجر لان نظر ان كان بمعني الفكر تعدي بفي وان كانت بصرية تعدت بالي
فالجملة المعلق عنها الفعل علي كلا التقديرين تكون في موضع نصب علي اسقاط حرف الجر كقوله
فلينظر ايها ازكي طعاما وفي اضمار الفعل المعلق نظر والوجه الثاني قاله الزمخشري
قال وتكون اي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الي الله فكيف بغير الاقرب
انتهي فعلي الوجه يكون اقرب خبر مبتدا محذوف واحتمل ايهم ان يكون معربا وهو الوجه وان
يكون مبنيا لوجود مسوغ البناء قال الزمخشري او ضمن يبتغون الوسيلة معني يحرصون فكانه
قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الي الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح فيكون قد ضمن
يبتغون معني فعل قلبي وهو يحرصون حتي يصح التعليق وتكون الجملة الابتدائية في موضع نصب
علي اسقاط حرف الجر لان حرص يتعدي بعلي كقوله ان تحرص علي هداهم وقال ابن عطية
وايهم ابتداء واقرب خبره والتقدير نظرهم وودكهم ايهم اقرب وهذا كما قال عمر بن الخطاب
فباتت الناس يدوكون ايهم يعطاها اي يتبادرون في طلب القرب فجعل المحذوف نظرهم وودكهم
وهذا مبتدا فان جعلت ايهم اقرب في موضع نصب بنظرهم المحذوف بقي المبتدا الذي هو نظرهم
بغير خبر يحتاج الي اضمار الخبر وان جعلت ايهم اقرب هو الخبر فلا يصح لان نظرهم ليس هو
ايهم اقرب وان جعلت التقدير نظرهم في ايهم اقرب اي كاين او حاصل فلا يصح ذلك لان كاينا
وحاصلا ليس مما يعلق وقال ابو البقاء ايهم مبتدا واقرب خبره وهو استفهام في موضع نصب
بيدعون ويجوز ان يكون ايهم بمعني الذي وهو بدل من الضمير في يدعون والتقدير الذي هو
اقرب انتهي ففي الوجه الاول علق يدعون وهو ليس فعلا قلبيا وفي الثاني فصل بين الصلة ومعمولها
بالجملة الحالية ولا يضر ذلك لانها معمولة للصلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من
عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا يحذره كل احد وان من قرية ان
نافية ومن زايدة في المبتدا تدل علي استغراق الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدا وقيل المراد
الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس انتهي والتي لبيان الجنس
علي قول من يثبت لها هذا المعني هو ان يتقدم قبل ذلك ما يفهم منه ابهاما ما فياتي من لبيان
ما اريد بذلك الذي فيه ابهام ما كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شي مبهم تكون
من فيه بيانا له ولعل قوله لبيان الجنس من الناسخ ويكون هو قد قال لاستغراق الجنس الا تري
انه قال بعد ذلك وقيل المراد الخصوص انتهي والظاهر ان جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة هلاكها
تخريبها وفناؤها ويتضمن تخريبها هلاك اهلها بالاستيصال او شيا فشيا او تعذب والمعني اهلها
بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة **وقال مقاتل**
وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها
بلدا بلدا ونحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه ان هلاك الاندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل
واختلاف الجيوش كان ذلك في الكتاب مسطورا اي في سابق القضاء او في اللوح المحفوظ اي مكتوبا
اسطارا وما منعنا ان نرسل بالايات عن ابن عباس ان اهل مكة سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي
عنهم الجبال فيزرعون فاقترحوا ذلك علي الرسول فاوحي الله اليه ان شيت ان افعل ذلك لهم فان تاخروا
عاجلتهم بالعقوبة وان شيت استانيت بهم عسي ان اجتبي منهم مومنين فقال بل تستاني بهم يا رب
فنزلت واستعير المنع للترك اي ما تركنا ارسال الايات المقترحة الا لتكذيب الاولين بها وتكذيب
الاولين ليس علة في ارسال الايات لقريش فالمعني الا اتباعهم طريقة تكذيب الاولين بها فتكذيب
الاولين فاعل علي حذف المضاف فاذا كذبوا بها كما كذب الاولون عاجلتهم بعذاب الاستيصال
وقد اقتضت الحكمة ان لا استاصلهم وقال الزمخشري فالمعني وما صرفنا عن ارسال ما تقترحونه
من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع علي قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل

وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعث اليهم الي يوم القيامه ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت اليهم فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب
قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم انتهي **وقرا** الجمهور ثمود ممنوع الصرف وقال
هارون اهل الكوفة ينونون ثمود في كل وجه وقال ابو حاتم لا ينون العامة والعلماء بالقران
ثمود في وجه من الوجوه وفي اربعة مواطن الف مكتوبة ونحن نقروها بغير الف انتهي وانتصب
مبصرة علي الحال وهي قراءة الجمهور **وقرا** زيد بن علي مبصرة بالرفع علي اضمار مبتدا اي
هي مبصرة واضاف الابصار اليها علي سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية مبصرة
وقرا قوم بفتح الصاد اسم مفعول اي يبصرها الناس ويشاهدونها **وقرا**
قتادة بفتح الميم والصاد مفعله من البصر اي محل ابصار **كقوله** والكفر مخبثة لنفس المنعم
اجراها مجري صفات الامكنة نحو ارض مسبعة ومكان مضبة وقالوا الولد مبخلة مجبنة فظلموا
بها اي بعقرها بعد قوله فذروها تاكل في ارض الله لا آية وقيل المعني انهم جحدوا كونها من عند الله
وقيل جعلوا التكذيب بها موضع التصديق وهو معني القول قبله والظاهر ان الايات الاخيرة
غير الايات الاولي لوحظ في ذلك وصف الاقتراح وفي هذه وصف غير المقترحة وهي آيات معها
امهال لا معاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة وقال الحسن والموت الذريع وفي حديث
الكسوف فافزعوا الي الصلوة قال ابن عطية وايات الله المعتبر بها ثلثة اقسام قسم عام في كل شي اذ حيث
ما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة
الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضي بانقضاء النبوة وانما يعتبر توهما لما سلف منه انتهي
وهذا القسم الاخير قال فيه وقد انقضي بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير
الانبياء ويسميه كرامة وقال الزمخشري ان اراد بالايات المقترحة فالمعني لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعني
وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة وقيل الايات
التي يجعلها الله تخويفا لعباده سماوية ككسوف الشمس وخسوف القمر والرعد والبرق والصواعق
والرجوم وما يجري مجري ذلك وارضية زلازل وخسف ومحول ونيران تظهر في بعض البلاد وغور
ماء العيون وزيادتها علي الحد حتي تغرق بعض الارضين ولا سماوية ولا ارضية الرياح العواصف
وما يحدث عنها من قلع الاشجار وتدمير الديار وما يتنوعه من السواقي والرياح السموم
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعو
نة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا • لما طلبوا الرسول بالايات المقترحة وبين الله
بالمصلحة في عدم المجي بها طعن الكفار فيه وقالوا لو كان رسولا حقا لاتي بالايات المقترحة غالبة
انه ينصره ويؤيده وانه احاط بالناس فقيل بعلمه فلا يخرج شي عن علمه وقيل بقدرته فقدرته غالبة
كل شي وقيل الاحاطة هنا الاهلاك كقوله واحيط بثمره والظاهر ان الناس عام وقيل اهل مكة بشر
تعالي انه يغلبهم ويظهر عليهم واحاط بمعني يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لانه واقع لا محالة والوقت
الذي وقعت فيه الاحاطة بهم قيل يوم بدر وقال العسكري هذا خبر غيب قدمه قبل وقته
ويجوز ان يكون ذلك في امر الخندق ومجي الاحزاب يطلبون ثارهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا
خيرا وقيل يوم بدر ويوم الفتح وقيل الاشبه انه يوم الفتح فانه اليوم الذي احاط امر الله باهلاك
اهل مكة فيه وامكن منهم وقال الطبري احاط بالناس في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك
فالاية اخبار له انه محفوظ من الكفرة آمن ان يقتل وينال بمكروه عظيم اي فلتبلغ رسالة ربك
ولا تتهيب احدا من المخلوقين قال ابن عطية وهذا تاويل بين جار مع اللفظ وقد روي نحوه
عن الحسن والسدي الا انه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل ان يجعل الكلام مناسبا
لما بعده توطية له **فاقول** اختلف الناس في الرؤيا فقال الجمهور هي رؤيا عين
ويقظة وهي ما راي في ليلة الاسراء من العجايب قال الكفار ان هذا العجب نخب الي بيت المقدس
شهرين اقبالا وادبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من
ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فعلي هذا
يحسن ان يكون معني قوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي في اضلالهم وهدايتهم وان كل

قوله عز وجل واذ قلنا لك

واحد

واحد ميسر لما خلق له اي فلا تهتم انت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك ان الله محيط بهم
مالك لامرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت الرؤية في هذا
التاويل رؤيا اذ هما مصدران من راي وقال النقاش جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد انها منامة
وان كانت الحقيقة غير ذلك انتهي وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم هو قصة الاسراء
والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه
كانه منام وعن ابن عباس ايضا هو رؤياه انه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية ورد فافتتن
الناس وهذا مناسب لصدر الاية فان الاحاطة بمكة اكثر ما كانت وعن سهل بن سعد
هي رؤياه بني امية ينزون علي منبره نزو القردة فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يوميذ
حتي مات فنزلت الاية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله فتنة
للناس ويجي قوله احاط بالناس اي باقداره وان كان ما قدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك
وقال الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الي
حين وقالت عايشة الرؤيا رؤيا منام قال ابن عطية وهذه الاية بقضي بفساده وذلك ان رؤيا
المنام لا فساد فيها وما كان احد لينكرها انتهي وليس كما قال ابن عطية فان رؤيا الانبياء حق
ويخبر النبي بوقوع ذلك لا محالة فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك وقال
صاحب التحرير سالت ابا العباس القرطبي عن هذه الاية فقال ذهب المفسرون فيها الي امر
غير ملايم في سياق الكلام اول الاية والصحيح انها رؤية عين يقظة لما اتاه بدرا اراه جبريل
مصارع القوم فاراها الناس وكانت فتنة لقريش فانهم لما سمعوا اخذوا في الهزء والسخرية
بالرسول والشجرة الملعونة هنا هي ابو جهل انتهي وقال الزمخشري ولعل الله تعالي اراه
مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الي مصارع القوم
وهو يومي الي الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الي رسول الله
من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون به استهزاء وقيل راي
في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة انتهي والظاهر انه اريد بالشجرة
حقيقتها فقال ابن عباس هي الكشوث المذكور في قوله كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار وعنه ايضا هي الشجرة التي تلتوي علي الشجرة فيفسدها قال والفتنة قولهم ما بال
الحشايش تذكر في القران وقال الجمهور هي شجرة الزقوم لما نزل امرها في الصافات وغيرها
قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل
الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا وقال
لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء قال الزمخشري وما انكروا ان يجعل
الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه
مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وتري
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق
في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعني ان الايات انما نرسل
بها تخويفا للعباد وهولاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك
منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة
الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا
كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات انتهي وقوله بعد الوحي اليك
هو قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قل للذين كفروا ستغلبون والظاهر اسناد اللعنة
الي الشجرة واللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول
العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون قال الزمخشري وسالت بعضهم فقال نعم الطعام
الملعون القشب الممحون وقال ابن عباس الملعونة يريد آكلها ومعناه الزمخشري فقال لعنت
حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتي تلعن علي الحقيقة وانما
وصفت بلعن اصحابها علي المجاز انتهي وقيل لما شبه طلعها برؤس الشياطين والشيطان ملعون

نسبت اللعنة اليها وقال قوم الشجرة هنا مجاز عن واحد وهو ابو جهل وقيل هو الشيطان وقيل مجاز
عن جماعة وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله تعالى وفتنتهم
انهم كانوا ينتظرون بعثة الرسول فلما بعثه الله كفروا به وقالوا ليس هو الذي كنا ننتظره
فثبطوا كثيرا من الناس بمقالتهم عن الاسلام وقيل بنو امية حتى ان من المفسرين من لا يعبر عنهم
الا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة واخذ الاموال من غير حلها
وتغيير قواعد الدين وتبديل الاحكام ولعنها في القرآن الا لعنة الله على الظالمين ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة **وقراءة** الجمهور والشجرة الملعونة
عطفا على الرؤيا فهي مندرجة في الحصر اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في
القرآن الا فتنة للناس **وقراءة** زيد بن علي برفع والشجرة الملعونة على الابتداء والخبر محذوف
تقديره كذلك اي فتنة والضمير في ونخوفهم لكفار مكة وقيل للملوك بني امية بعد الخلافة التي قال
النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون ثم تكون ملكا عضوضا والاول اصوب **وقراءة**
الاعمش ويخوفهم بياء الغيبة والجمهور بنون العظمة واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا • قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة
لاحتنكن ذريته الا قليلا • قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا • مناسبة
هذه الاية لما قبلها من وجهين احدهما انه لما نازعوا الرسول في النبوة واقترحوا عليه الايات
كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول على ما اتاه الله من النبوة والدرجة الرفيعة فناسب ذكر قصة
ادم عليه السلام وابليس حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود والثاني انه لما قال
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا بين ما سبب هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته الا قليلا
وانتصب طينا على الحال قاله الزجاج وتبعه الحوفي فقال من الهاء في خلقته المحذوفة والعامل
خلقت والزمخشري فقال طينا اما من الموصول والعامل فيه ااسجد على ااسجد له وهو طين اي
اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على ااسجد لمن كان في وقت خلقه طينا انتهى وهذا
تفسير معنى وقال ابو البقاء والعامل فيه خلقت يعني اذا كان حالا من العائد المحذوف واجاز
الحوفي ان يكون نصبا على حذف من التقدير من طين كما صرح به في قوله وخلقته من طين واجاز الزجاج
ايضا وتبعه ابن عطية ان يكون تمييزا ولا يظهر كونه تمييزا وقوله ااسجد استفهام انكار وتعجب وبين
قوله ااسجد وما قبله كلام محذوف وكان تقديره قال لم لم تسجد لادم قال ااسجد وبين قوله قال ارايتك
وقال ااسجد جمل قد ذكرت حيث طولت قصته والكاف في ارايتك للخطاب وتقدم الكلام عليها في
سورة الانعام ولا تلحق كاف الخطاب هذه الا اذا كانت بمعنى اخبرني وبهذا المعنى قدرها الحوفي
وتبعه الزمخشري وهو قول س فيها والزجاج قال الحوفي وارايتك بمعنى عرفني واخبرني وهذا
بارايتك والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين
وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه وقال الزمخشري الكاف للخطاب وهذا مفعول به
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف
ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتني وقال ابن عطية والكاف في ارايتك حرف خطاب ومبالغة
في التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زايدة ومعنى ارايت اتاملت ونحوه كان المخاطب بها
بنبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد وقال س هي بمعنى اخبرني ومثل بقوله ارايتك
زيدا ابو من هو وقاله الزجاج ولم يمثل وقول س صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله
واما في هذه الاية فهي كما قلت وليست التي ذكر س رحمه الله انتهى وما ذهب اليه الحوفي
والزمخشري في ارايتك هنا هو الصحيح ولذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته علي فقد انعقد من
قوله هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي جملة من مبتدا وخبر وصار مثل زيدا ابو من هو دخلت
عليه ارايتك فعملت في الاول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في ارايتك بمعنى اخبرني
ان تدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما فان صرح به فذلك واضح وان لا قدر وقد
اشبعنا الكلام في ذلك في الانعام وفي شرح التسهيل وقال الفراء هنا للكاف محل من الاعراب

وهو

قوله عز وجل واذ قلنا للملايكة

وهو النصب اي ارايت نفسك قال وهذا كما تقول اتدبرت اخرامرك فاني صانع فيه كذا ثم ابتدا هذا
الذي كرمت علي والرد عليه مذكور في علم النحو ولو ذهب ذاهب الى ان هذا مفعول اول لقوله
ارايتك بمعنى اخبرني والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدا وخبرا قبل دخول ارايتك
لذهب مذهبا حسنا اذ لا يكون في الكلام اضمار وتلخص من هذا كله ان الكاف اما في موضع نصب
وهذا مبتدا واما حرف خطاب وهذا مفعول باريت وهذا مفعول بارايت بمعنى محذوف
وهو الجملة الاستفهامية او مذكور وهو الجملة القسمية ومعنى لئن اخرتني اي اخرت مماتي وابقيتني
حيا وقال ابن عباس لاحتنكن لاستولين عليهم وقاله الفراء وقال ابن زيد لاضلنهم
وقال الطبري لاستاصلن وكفر ابليس بجهله صفة العدل من الله حين لحقته الانفة والكبر
وظهر ذلك من قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي اذ نص على انه لا ينبغي ان يكرم بالسجود مني من انا
خير منه واقسم ابليس على ان يحتنك ذرية ادم وعلم ذلك اما بسماعه من الملايكة وقد اخبرهم
الله به او استدل على ذلك بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او نظر اليه فتوسم
في مخايله انه ذو شهوة وعوارض كالغضب ونحوه وراي خلقته مجوفة مختلفة الاجزاء وقال
الحسن ظن ذلك لانه وسوس الى ادم فلم يجد له عزما فظن ذلك بذريته وهذا ليس بظاهر لان قول
ذلك كان قبل وسوسته لادم في اكل الشجرة واستثنى القليل لانه علم انه يكون في ذرية ادم من لا يتسلط
عليه كما قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والامر بالذهاب ليس على حقيقته من
نقيض المجي ولكن المعنى اذهب لشانك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزايه
وجزاء اتباعه جهنم ولما تقدم اسم غايب وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم ويجوز ان يكون
ضميرا من على سبيل الالتفات والموفور المكمل ووفر متعدد **كقوله**
• ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره • ومن لا يتق الشتم يشتم •
ولازم تقول وفر المال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر والعامل فيه جزاؤكم او تجازون مضمرة
او على الحال الموطئة وقيل تمييز ولا يتعقل واستفزز معطوف على فاذهب وعطف عليه ما بعده
من الامر وكلها بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ومن في من استطعت موصولة مفعولة
باستفزز وقال ابو البقاء من استطعت من استفهام في موضع نصب باستطعت وهذا ليس
بظاهر لان استفزز ومفعول استطعت محذوف تقديره من استطعت ان تفزه والصوت هنا
الدعاء الى معصية الله وقال مجاهد الغناء والمزامير واللهو وقال الضحاك صوت المزمار وذكر
الغزنوي ان ادم اسكن ولد هابيل اعلى الجبل وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر الشيطان
فلم يتمالكوا ان انحدروا واقترنوا وقيل الصوت هنا الوسوسة **وقراءة** الحسن واجلب عليهم
بوصل الالف وضم اللام من جلب ثلاثيا والظاهر ان ابليس له خيل ورجالة من الجن جنسه قاله
قتادة والخيل يطلق على الافراس حقيقة وعلى اصحابها وهم الفرسان مجازا ومنه يا خيل الله اركبي
والباء في بخيلك قيل زايدة وقيل من الادميين اضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم اعوانه
على غيرهم قاله مجاهد وقال ابن عطية وقوله بخيلك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة
بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك انتهى وقال ابو علي ليس للشيطان خيل ولا رجل ولا هو مامور
انما هذا زجر واستخفاف به كما تقول لمن تهدده اذهب فاصنع ما شئت واستعن بمن شئت وقال
الزمخشري **فان قلت** ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله
قلت هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار
اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب بجنده من
خياله ورجاله حتى استاصلهم انتهى **وقراءة** الجمهور ورجلك بفتح الراء وسكون الجيم
وهو اسم جمع واحده راجل كركب وراكب **وقراءة** الحسن وابو عمرو في رواية حفص
بكسر الجيم قال صاحب اللوامح بمعنى الرجال وقال ابن عطية هي صفة يقال فلان يمشي رجلا اي
غير راكب ومنه قول الشاعر رجلا الا باصحاب • وقال الزمخشري **وقرى** ورجلك على
ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل
حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما انتهى **وقراءة** قتادة وعكرمة ورجالك

وقرئ ورَجْلك بضم الراء وتشديد الجيم والمشاركة في الاموال قال الضحاك ما يذبحون لالهتهم وقتادة البحيرة والسائبة وقيل ما اصيب من مال الحرام وقيل ما جعلوا الاموالهم لغير الله وقيل ما صرف في الزنا والاولى ما اخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه والمشاركة في الاولاد قال ابن عباس تسميتهم عبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس وعبد الحارث وعنه ايضا ترغيبهم في الاديان الباطلة كاليهود والنصرانية وعنه ايضا اقدامهم على قتل الاولاد قال الحسن وقتادة ما مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوهم غير صبغة الاسلام وقال مجاهد عدم التسمية عند الجماع فالجان ينطوي اذ ذاك على احليله فيجامع معه وقيل ترغيبهم في القتال والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش والاولى انه كل تصرف في الولد يؤدي الى ارتكاب منكر وقبيح واما وعده فهو الوعد الكاذب كوعدهم ان لا بعث وهذه مشاركة في النفوس وقال الزمخشري وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل انتهى وهو جار على مذهب المعتزلة في انه لا تغفر الذنوب بدون التوبة وبانه لا شفاعة في الكبائر وبانه لا يخرج من النار ابدا من دخلها من فاسق مؤمن وانتصب غرورا وهو مصدر على انه وصف لمصدر محذوف اي وعدا غرورا على الوجوه التي في رجل صوم ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله اي وما يعدكم ويمنيكم ما لا يتم ولا يقع الا لان يغركم والاضافة اليه تعالى في ان عبادي اضافة تشريف والمعنى المختصين بكونهم عبادي لا يضافون الى غيري كما قال في مقابلهم اولياؤهم الطاغوت واولياء الشيطان وقيل ثم صفة محذوفة اي ان عبادي الصالحين ونفي السلطان وهو الحجة والاقتدار على اغوائهم عن الايمان ويدل على حذف الصفة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقال الجبائي عبادي عام في المكلفين ولذلك استثنى منه اي من يتبعه في قوله الا من اتبعك من الغاوين واستدلت بهذا على انه لا سبيل له ولا قدرة على تخليط العقل وانما قدرته على الوسوسة ولو كان له قدرة على ذلك لخبط العلماء ليكون ضرره اتم ومعنى وكيلا حافظا لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان او وكيلا يكلون امرهم اليه فهو حافظهم بتوكلهم عليه • ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما • واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا • افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا • ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا • لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم الهتهم وانها تضر وتنفع واتبع ذلك بقصة ابليس مع ادم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من افعاله على وحدانيته وانه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم برا وبحرا وانه تعالى متمكن بقدرته مما يريده وازجاء الفلك سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة والمجاديف وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب التجارة او الحج فيه او الغزو والضر في البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب عن اوهامكم من تدعونه الها فيشفع او ينفع او ضل من تعبدونه الا الله وحده فتفردونه اذ ذاك بالالتجاء اليه والاعتقاد انه لا يكشف الضر الا هو ولا يرجون لكشف الضر غيره ثم ذكر حالهم اذ كشف عنهم من اعراضهم عنه وكفرانهم نعمة انجائهم من الغرق وجاءت صفة كفورا دالة على المبالغة ثم لم يخاطبهم بذلك بل اسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل واحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله وقال الزجاج المراد بالانسان الكفار والظاهر ان الا اياه استثناء منقطع لانه لم يندرج في قوله من تدعون اذ المعنى ضلت الهتهم اي معبوداتهم وهم لا يعبدون الله وقيل هو استثناء متصل وهذا على معنى ضل من يلجؤون اليه وهم كانوا يلجؤون في بعض امورهم الى معبوداتهم وفي هذه الحالة لا يلجؤون الا الى الله والهمزة في افامنتم للانكار قال الزمخشري والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم انتهى وتقدم لنا الكلام معه في دعواه ان الفاء والواو في مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف وان مذهب الجماعة ان لا محذوف هناك وان الفاء والواو

قوله عز وجل ربكم الذي

للعطف على ما قبلها وانه اعتني بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التاخير وان التقدير فامنتم وقد رجع الزمخشري الى مذهب الجماعة والخطاب للسابق ذكرهم اي افامنتم ايها الناجون المعرضون عن صنع الله الذي نجاكم وانتصب جانب على المفعول به بيخسف كقوله فخسفنا به وبداره الارض والمعنى ان نغيره بكم فتهلكون بذلك وقال الزمخشري ان نقلبه وانتم عليه وقال الحوفي جانب البر منصوب على الظرف ولما كان الخسف تغييبا في التراب قال جانب البر وبكم حال اي يخسف جانب البر مصحوبا بكم وقيل الباء للسبب اي بسببكم ويكون المعنى جانب البر الذي انتم فيه فيحصل بخسفه اهلاككم والا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم اهلاكهم قال قتادة الحاصب الحجارة وقال السدي رامي يرميكم بحجارة من سجيل والمعنى ان قدرته تعالى بالغة فان كان نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تامنوا اهلاكه اياكم وانتم في البر اما بامر يكون من تحتكم وهو تغوير الارض بكم او من فوقكم بارسال حاصب عليكم وهذه الغاية في تمكن القدرة ثم لا تجدوا عند حلول احد هذين بكم من تكلون اموركم اليه فيتوكل في صرف ذلك عنكم وام في ام امنتم منقطعة تقدر ببل والهمزة اي بل امنتم والضمير فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف اي وقتا غير الوقت الاول والباء في بما كفرتم سببية وما مصدرية اي بسبب كفركم السابق منكم الوقت الاول الذي نجاكم فيه او بسبب كفركم الذي هو دابكم دائما والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم اذ هو اقرب مذكور وهو نتيجة الارسال وقيل عائد على الارسال وقيل عليهما فيكون كاسم الاشارة والمعنى بما وقع من الارسال والاغراق والتبيع قال ابن عباس النصير وقال الفراء طالب الثار وقال ابو عبيدة المطالب وقال الزجاج من يتبع بالانكار ما نزل بكم ونظيره قوله تعالى فسواها ولا يخاف عقباها وفي الحديث اذا اتبع احدكم على ملي فليتبع وقال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع ويقال فلان على فلان تبيع اي مسيطر بحقه مطالب به وانشد ابن عطية

• غدوا وغدت غزلانهم فكانها • ضوامن غرم لزهن تبيع •

اي مطالب بحقه وقرأ ابن كثير وابو عمرو نخسف او نرسل وان نعيدكم فنرسل فنغرقكم خمستها بالنون وباقي السبعة بياء الغيبة ومجاهد وابو جعفر فتغرقكم بتاء الخطاب مسندا الى الريح والحسن وابو رجاء بياء الغيبة وفتح الغين وشد الراء عداه بالتضعيف والمقرئ لابي جعفر كذلك الا انه بتاء الخطاب وحميد بالنون واسكان الغين وادغام القاف في الكاف ورويت عن ابي عمرو وابن محيصن وقرأ الجمهور من الريح بالافراد وابو جعفر من الرياح جمعا • ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا • يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا • ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا • لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق تمم ذكر المنة بذكر تكرمتهم ورزقهم وتفضيلهم اي لما هددهم بما هدد من الخسف والغرق وانهم كافروا نعمته ذكر ما انعم به عليهم ليتذكروا فيشكروا نعمه ويقلعوا عما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى وفي ذكر النعم وتعدادها هز لشكرها وكرمنا معدى بالتضعيف من كرم اي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة كما تقول ثوب كريم وفرس كريم اي جامع للمحاسن وليس من كرم المال وما جاء عن اهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم باشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس ان التفضيل بالعقل وعن الضحاك بالنطق وعن عطا بتعديل القامة وامتدادها وعن زيد بن اسلم بالمطاعم واللذات وعن يمان بحسن الصورة وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلوة والسلام منهم وعن ابن جرير بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له وقيل بالخط وقيل باللحية للرجل والذوائب للمراة وعن ابن عباس باكله بيده وغيره بفمه وقيل بتدبير المعاش والمعاد وقيل بخلق الله ادم بيده قال ابن عطية وقد ذكر ان من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن ادم كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك قالوا وانما التكريم والتفضيل بالعقل الذي به يملك الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه انتهى وحملناهم في البر والبحر وهذا ايضا من تكريمهم قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن وقال غيره على اكباد رطبة واعواد يابسة والطيبات كما تقدم الحلال او المستلذ ولا ينتفع غيره من الحيوان في الرزق اشاعة لانه يكسب المال

قوله عز وجل ولقد كرمنا

ويلبس الثياب ويأكل المركب من الاطعمة بخلاف الحيوان فانه لا يكتسب ولا يلبس ولا يأكل غالبا الا لحما
نيا وطعاما غير مركب والظاهر ان كثيرا باق على حقيقته فقالت طائفة فضلوا على الخلائق كلهم
غير جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم وهذا عن ابن عباس وعنه ان الانسان
ليس افضل من الملك وهو اختيار الزجاج وقال ابن عطية والحيوان والجن هو الكثير المفضول
والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول وقالت فرقة الاية تقتضي بفضل الملائكة على الانس
من حيث هم المستثنون وقد قال تعالى ولا الملائكة المقربون وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل
بين الانس والجن لم تعرض له الاية بل يحتمل ان الملائكة افضل ويحتمل التساوي وانما يصح تفضيل
الملائكة من مواضع اخر من الشرع انتهى وقال الزمخشري على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة
صلوات الله عليهم وحسب بني ادم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي
تفضيل الانسان على الملك ثم ذكر تشنيعا اقذع فيه يوقف عليه من كتابه وقيل وفضلناهم على كثيره
بالغلبة والاستيلاء وقيل بالثواب والجزاء يوم القيمة وعلى هذين القولين لم تتعرض الاية للتفضيل
المختلف فيه بين الانس والملائكة وقيل المراد بكثير مجازه وهو اطلاقه على الجميع والعرب تفعل ذلك
وهذا القول لا ينبغي ان يقال هنا لانك لو جعلت جميعا مكان كثير فقلت على جميع ممن خلقنا لكان
نابيا عن الفصاحة ولا يليق ان يحمل كلام الله الذي هو افصح الكلام عليه ولابي عبد الله الرازي كلام في
تكريم ابن ادم وتفضيله مستمد من كلام الذي يسميهم حكماء يوقف عليه في تفسيره اذ هو جار على غير
طريقة العرب في كلامها ولما ذكر تعالى انواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيئا من احوال الاخرة
فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم واختلفوا في العامل في يوم فقيل العامل فيه ما دل عليه قوله
متى هو وقيل فتستجيبون وقيل هو بدل من يوم يدعوكم وهذه اقوال في غاية الضعف ولولا انهم ذكروها
لضربت عن ذكرها صفحا وهو في هذه الاقوال ظرف وقال الحوفي وابن عطية انتصب على الظرف
والعامل فيه اذكر وعلى تقدير اذكر لا يكون ظرفا بل هو مفعول به وقال ابن عطية ايضا بعد قوله هو ظرف
والعامل فيه اذكر او فعل يدل عليه قوله ولا يظلمون وحكاه ابو البقاء وقدره ولا يظلمون يوم ندعو
وقال ابن عطية ايضا ويصح ان يعمل فيه وفضلناهم وذلك ان فضل البشر يوم القيمة على سائر الحيوان
بين لانهم المنعمون المكلفون المحاسبون الذين لهم العذاب الا ان هذا يرده ان الكفار يومئذ اخسر
من كل حيوان اذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابن عطية ايضا ويصح ان يكون يوما منصوبا على
البناء لما اضيف الى غير متمكن ويكون في موضع رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي اتى بعد في
قوله فمن اوتي كتابه الى قوله لما اليه غير متمكن ليس بجيد لان الذي يبنى اذا اضيف الى غير متمكن هو الاسم
الى الفعل وهذا اضيف الى فعل مضارع ومذهب البصريين انه اذا اضيف الى فعل مضارع معرب لا يجوز
بناؤه وهذا الوجه الذي ذكره هو على راي الكوفيين واما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار من رابط
لهذه الجملة التقسيمية بالابتداء الا ان قدر محذوف فقد يمكن اي فمن اوتي كتابه بيمينه وهو بعد ذلك
تخريج متكلف وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وهذا
القول قريب من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه قبل وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجد لك
وقال الفراء هو معمول لقوله نعيدكم مضمرة اي نعيدكم يوم ندعو والاقرب من هذه الاقوال ان
يكون منصوبا على المفعول به باذكر مضمرة وقرأ الجمهور ندعو بنون العظمة ومجاهد يدعو
بياء الغيبة اي يدعو الله والحسن فيما ذكر ابو عمرو الداني يدعى مبنيا للمفعول كل مرفوع به وفيما ذكر
غيره يدعو بالواو وخرج على ابدال الالف واوا على لغة من يقول افعو في الوقف على افعى واجراء
الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع به وعلى ان تكون الواو ضميرا مفعولا لم يسم فاعله واصله يدعون
فحذفت النون كما حذفت في قوله • ابيت اسري وتبيتي تدلكي • وجهك بالعنبر والمسك الذكي •
اي تبيتين تدلكين وكل بدل من واو الضمير واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والباء في بامامهم الظاهر
انها تتعلق بندعو اي باسم امامهم وقيل في باء الحال اي مصحوبين بامامهم والامام هنا قال ابن عباس
والحسن وابو العالية والربيع كتابهم الذي فيه اعمالهم وقال الضحاك وابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم
وقال مجاهد وقتادة نبيهم قال ابن عطية والامام يعم هذا كله لانه مما يؤتم به وقال الزمخشري
بامامهم من ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب

كذا

١٧

كذا وقيل بكتاب اعمالهم يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع
التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات
دون الاباء رعاية حق عيسى وشرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع
اصحة لفظه ام بهاء حكمته انتهى وايتاء الكتاب دليل على ما تقرر في الشريعة من الصحف التي
يؤتاها المؤمن والكافر وايتاؤه باليمين دليل على نجاة الطائع وخلاص الفاسق من النار ان دخلها
وبشارته انه لا يخلد فيها فاولئك جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل اللفظ اولا فافرد في قوله
اوتي كتابه بيمينه وقراءتهم كتبهم هو على سبيل التلذذ بالاطلاع على ما تضمنتها من البشارة والا
فقد علموا من حيث ايتاؤهم اياها باليمين انهم من اهل السعادة ومن فرحهم بذلك يقول الباري
لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولم يات هنا قسيم من اوتي كتابه بيمينه وهو من يؤتى كتابه بشماله
وان كان قد اتى في غير هذه الاية بل جاء قسيمه قوله ومن كان في هذه اعمى وذلك من حيث المعنى مقابله
لان من اوتي كتابه بيمينه هم اهل السعادة ومن كان في هذه اعمى هم اهل الشقاوة ولا يظلمون فتيلا
اي لا ينقصون ادنى شيء وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء والظاهر ان الاشارة بقوله في هذه الى الدنيا
وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات الله وعبره
والايمان بانبيائه فهو في الاخرة اعمى اما ان يكون على حذف مضاف اي في شان الاخرة واما ان يكون
فهو يوم القيامة اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه لصواب ولا يلوح له نجح وقال مجاهد هو
اعمى في الاخرة عن حججه وقال ابن عباس ايضا ومن كان في هذه النعم يشير الى نعم التكريم والتفضيل فهو
في الاخرة التي لم تر ولم تعاين اعمى وقيل من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا لانه
في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل وفي الدنيا يهتدي الى التخلص من الافات وفي الاخرة لا يهتدي
الى ذلك البتة وقيل فهو في الاخرة اعمى عن طريق الجنة وقيل اعمى البصيرة كما قال ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وقوله ونحشره يوم القيمة اعمى اي قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقيل
من كان في الدنيا اعمى عن ابصار الحق والاعتبار فهو في الاخرة اعمى عن الاعتذار وقال ابن عطية والظاهر
عندي ان الاشارة بهذه الى الدنيا اي من كان في دنياه هذه وقت ادراكه وفهمه اعمى عن النظر في
ايات الله فهو في يوم القيمة اشد حيرة واعمى لانه قد باشر الخيبة وراى مخايل العذاب وبهذا التاويل
تكون معادلة التي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه واذا جعلنا قوله في الاخرة بمعنى في شان
الاخرة لم تطرد المعادلة بين الايتين وقال الزمخشري والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد
حاسته لمن لا يهتدي الى طريق الجنة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء
اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل
التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله اعمالكم واما الاول فلم يتعلق
به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة انتهى وتعليله ترك امالة اعمى الثاني اخذه الزمخشري
من ابي علي قال ابو علي لان الامالة انما تحسن في الاواخر واعمى ليس كذلك لان تقديره اعمى من كذا فليس
يتم الا في قولنا من كذا فهو اذن ليس باخر ويقوي هذا التاويل عطف واضل سبيلا لان الانسان في الدنيا
يمكن ان يؤمن فينجو وهو في الاخرة لا يمكنه ذلك فهو اضل سبيلا واشد حيرة واقرب الى العذاب واعمى
هنا من عمى القلب لا من عمى البصيرة لان ذلك يقع فيه التفاضل لا هذا وان كادوا ليفتنونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا • اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا • وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا • سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسنتنا تحويلا • الضمير في وان كادوا قيل لقريش وقيل لثقيف وذكروا اسباب نزول مختلفة
وفي بعضها ما لا يصح نسبته الى الرسول ويوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير
وغير ذلك ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما عدد نعمه على بني ادم ثم ذكر حالهم في الاخرة
من ايتاء الكتاب باليمين لاهل السعادة ومن عمي اهل الشقاوة اتبع ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا
من المكر والخداع والتلبيس على سيد اهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك
وذلك في ظنهم لا انهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم عليه السلام ان يقاربوا فتنته عما اوحى الله اليه وتلك
المقاربة في زعمهم سببها رجاء وهم ان يفتري على الله غير ما اوحى الله اليه من تبديل الوعد وعيدا

قوله من رجل
وان كادوا

او الوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الي الله ما لم ينزله عليه وان هذه هي المخففة من الثقيلة
وليتها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من افعال المقاربة وانما تدخل علي مذهب البصريين من الافعال
علي النواسخ التي للاثبات علي ما تقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه
وان النافية واذا حرف جواب وجزاء وتقدر قسم هنا يكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله
اذا اي ان افتتنت وافتريت لاتخذوك ولاتخذوك في معني ليتخذنك كقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه
مصفرا لظلوا اي ليظلن لان اذا تقتضي الاستقبال لانها من حيث المعني جزاء فتقدر موضعها باداة
الشرط وقال الزمخشري واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا
وخرجت من ولايتي انتهي وهو تفسير معني لا ان لاتخذوك جواب لو محذوفة قال الزمخشري
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الي خدعهم ومكرهم
وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادني
ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين
فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب
الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار
والضعف يوصف به نحو قوله تعالي فاتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف
ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة
واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب
القبر وعذاب النار والمعني لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد
الموت انتهي وجواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الركون لم يقع منه
فضلا عن الركون والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله وقراء قتادة وابن ابي اسحق وابن
مصرف تركن بضم الكاف مضارع ركن بفتحها وانتصب شيئا علي المصدر وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك يريد ضعف عذاب القبر الحيوة وضعف عذاب الممات علي معني انما يستحقه من اذنب من
عقوبتنا في الدنيا والاخرة كنا نضعفه وذهب ابن الانباري الي ان المعني لقد كادوا ان يخبروا عنك انك
انك ركنت الي قولهم بسبب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك اي كاد الناس يقتلونك
بسبب ما فعلت وقال ابن عباس كان الرسول معصوما ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم
الي المشركين في شيء من احكام الله وشرائعه انتهي واللام في لاذقناك جواب قسم محذوف قيل اذا اي
والله ان حصل ركون ليكونن كذا او التقدير في لاذقناك كالقول في لاتخذوك من وقوع الماضي موقع
المضارع الداخل عليه اللام والنون ومتناقض علي ان اللام في لاتخذوك ولاذقناك هي لام القسم الموطي
وقال الزمخشري وفي ذكر الكيدودة وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين
دليل بين علي ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته انتهي ومن ذلك يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة الاية قال الزمخشري وفيه ان ادني مداهنة للغواة مضادة لله
وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله انتهي وروي انه لما نزلت قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اللهم لا تكلني الي نفسي طرفة عين قال الحضرمي الضمير في وان كادوا ليهود المدينة وناحيتها
كحيي بن اخطب وغيره وذلك انهم ذهبوا الي المكر برسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا ان هذه الارض ليست
بارض الانبياء وانما ارض الانبياء الشام ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك
كما حمي غيرك من الانبياء فنزلت واخبر تعالي انه لو خرج لم يلبثوا بعده الا قليلا وحكي النقاش انه
خرج بسبب قولهم وعسكر بذي الحليفة واقام ينتظر اصحابه فنزلت فرجع قال ابن عطية وهذا ضعيف
لم يقع في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة انتهي وقالت
فرقة الضمير لقريش قاله ابن عباس وقتادة واستفزازهم هو ما ذهبوا اليه من اخراجه من مكة كما
ذهبوا الي حصره في الشعب ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الاية وضيقوا عليه حتي خرج واتبعوه
الي الغار ونفذ عليهم الوعيد في ان لم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال الزجاج حاكيا
ان استفزازهم ما اجمعوا عليه في دار الندوة من قتله والارض علي هذا الدنيا وقال مجاهد ذهبت
قريش الي هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد تعالي استبقاء قريش وان لا يستاصلها اذن لرسوله

في الهجرة فخرج باذنه لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها ومن اعقابها من اسلم قال ولو اخرجته
قريش لعذبوا وذهب مجاهد الي ان الضمير في يلبثون لجميعهم وقال الحسن ليستفزونك ليفتنونك
عن رايك وقال ابن عيسي ليزعجونك ويستخفونك وانشد

• يطيع سفيه القوم اذ يستفزه • ويعصي حليما شيبته الهزاهز •

والظاهر ان الاية تدل علي مقاربة استفزازه لان يخرجوه فما وقع الاستفزاز ولا اخراجهم اياه المعلل
به الاستفزاز ثم جاء في القران وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك
اهلها وفي الحديث يا ليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال اومخرجي هم الحديث فدل ذلك علي
انهم اخرجوه لكن الاخراج الذي هو علة للاستفزاز لم يقع فلا تعارض بين الايتين والحديث وقال
ابو عبد الله الرازي ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بامر الله فزال التناقض انتهي ولا يلبثون
جواب قسم محذوف اي والله ان استفزوك فخرجت لا يلبثون ولذلك لم تعمل اذا لانها توسطت بين
قسم مقدر والفعل فلا يلبثون ليست منصبة عليه من جهة الاعراب ويحتمل ان تكون لا يلبثون خبر
لمبتدا محذوف يدل عليه المعني تقديره وهم اذا لا يلبثون فوقعت اذا بين المبتدا وخبره فالغيت
وقراء ابي واذا لا يلبثوا بحذف النون اعمل اذا فنصب بها علي قول الجمهور وبان مضمرة
بعدها علي قول بعضهم وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون قال الزمخشري فان قلت
ما وجه القراءتين قلت اما الشايعة فقد عطف فيها الفعل علي الفعل وهو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي واذا لا عطف علي جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك انتهي وقراء عطاء لا يلبثون بضم الياء وفتح اللام والباء مشددة
وقراء يعقوب كذلك الا انه كسر الباء وقراء الاخوان وابن عامر وحفص خلافك
وباقي السبعة خلفك والمعني واحد قال الشاعر

• عفت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا •

وهذا كقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله اي خلف رسول الله في احد التاويلات
وقراء عطاء بن ابي رباح بعدك مكان خلفك والاحسن ان يجعل تفسيرا لخلفك لا قراءة
لانها مخالفة لسواد المصحف فاراد ان يبين ان خلفك هنا ليست ظرف مكان وانما تجوز فيها فاستعملت
ظرف زمان بمعني بعدك وهذه الظروف التي قبل وبعد ونحوهما اطرد اضافتها الي اسماء الاعيان
علي حذف مضاف يدل عليه ما قبله في نحو خلفك اي خلف اخراجك وجاء زيد قبل عمرو اي قبل مجي
عمرو وضحك بكر بعد خالد اي بعد ضحك خالد وانتصب سنة علي المصدر المؤكد اي سن الله سنة
والمعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم بعد اخراجه ويستاصلهم ولا
يلبثون بعده الا قليلا وقال الفراء انتصب سنة علي اسقاط الخافض لان المعني كسنة فنصب
بعد حذف الكاف وعلي هذا لا تقف علي قوله الا قليلا وقال ابو البقاء سنة منصوب علي المصدر
اي سننا بك سنة من تقدم من الانبياء ويجوز ان يكون مفعولا به اي اتبع سنة من قد ارسلنا كما قال

المفردات

تعالي فبهداهم اقتده انتهي وهذا معني غير الاول والمفسرون علي الاول وهو المناسب لمعني الاية قبلها
ولن تجد لما اجرينا به العادة تحويلا منه الي غيره اذ كل حادث له وقت معين وصفة معينة ونفي
الوجدان هنا وفي ما اشبهه معناه نفي الوجود الدلوك الغروب قاله الفراء وابن قتيبة
واستدل الفراء بقول الشاعر هذا مقام قدمي رباح • غدوة حتي دلكت براح •
اي حتي غابت الشمس وبراح اسم الشمس وانشد ابن قتيبة لذي الرمة

• مصابيح ليست باللواتي تقودها • نجوم ولا بالافلات الدوالك •

وقيل الدلوك زوال الشمس نصف النهار قيل واشتقاقه من الدلك لان الانسان تدلك عينيه عند
النظر اليها وقيل الدلوك من وقت الزوال الي الغروب الغسق سواد الليل وظلمته قال
الكسائي غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين وقال النضر بن شميل غسق الليل دخوله
اوله قال الشاعر ان هذا الليل قد غسقا • واشتكيت الهم والارقا •
واصله من السيلان غسقت العين تغسق هملت بالماء والغاسق السائل وذلك ان الظلمة تنصب علي العالم
قال الشاعر ظلت تجود يداها وهي لاهية • حتي اذا جنح الاظلام والغسق •
وسال نافع بن الازرق ابن عباس ما الغسق قال الليل بظلمته ويقال غسقت العين امتلات دما

وحكي الفراء غسق الليل واغسق وظلم واظلم ودجي وادجي وعبش واغبش ابو عبيدة الهاجد النايم والمصلي وقال ابن الاعرابي هجد الرجل صلي من الليل وهجد نام بالليل وقال الليث تهجد استيقظ للصلاة وقال ابن برزخ هجدته ايقظته فعلي ما ذكروا يكون من الاضداد والمعروف في كلام العرب ان الهاجد النايم وقد هجد هجودا نام قال الشاعر

الا زارت واهل مني هجود • وليت خيالنا منا يعود •

وقال اخر الا طرقتنا والرفاق هجود وقال اخر وبرك هجود قد اثارت مخافتي

زهقت نفسه تزهق زهوقا ذهبت وزهق الباطل زال واضمحل ولم يثبت قال الشاعر

ولقد شفا نفسي وابرا سقمها • اقدامه مُزاله لم يزهق •

نآى ينوى نهض الشاكلة الطريقة والمذهب الذي جبل عليه قاله الفراء وهو ماخوذ من الشكل يقال لست علي شكلي ولا شاكلتي والشكل المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة يقال جارية حسنة الشكل

الينبوع مفعول من النبع وهو عين تفور بالماء الكسف القطع واحدها كسفة تقول العرب كسفت الثوب ونحوه قطعته وما زعم الزجاج من ان كسف بمعني غطي ليس بمعروف في دواوين اللغة

الرقي والرقي الصعود يقال رقيت في السلم ارقي قال الشاعر

• انت الذي كلفتني رقي الدرج • علي الكلال والمشيب والعرج •

خبت النار تخبو سكن لهبها وخدت سكن جمرها وضعف وهمدت طفيت جملة قال الشاعر

• امن زينب ذي النار قبيل الصبح ما تخبو • اذا ما اخمدت القي عليها المندل الرطب •

وقال اخر وسطه كاليراع او سرج المجدل • طورا يخبو وطورا ينير •

الثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورا اهلكه وقال ابن الزبعري

• اذ اجاري الشيطان في سنن الغي • ومن مال مثله مثبور •

اللفيف الجماعات من قبايل شتي مختلطة قد لف بعضها ببعض وقال بعض اللغويين هو من اسما الجموع لا واحد له من لفظه وقال الطبري هو بمعني المصدر كقولك القايل لففته لفا ولفيفا •

المكث التطاول في المدة يقال مكث ومكث اطال الاقامة الاذقان مجتمع اللحيين قال الشاعر فخروا لاذقان الوجوه تنوشهم • سباع من الطير العوادي وتنتف •

خافت بالكلام اسره بحيث لا يكاد يسمعه المتكلم وضرب به حتي خافت اي لا يسمع له حس اقم الصلوة لدلوك الشمس الي غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا • ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا • وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا • وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا • وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا • ومناسبة اقم الصلوة لما قبلها انه تعالي لما ذكر كيدهم للرسول وما كانوا يرومونه به امره تعالي ان يقبل علي شانه من عبادة ربه وان لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول في الالهيات والمعاد والنبوات فاردف ذلك بالامر باشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهي الصلوة وتقدم الكلام في اقامة الصلاة والمواجه بالامر الرسول عليه السلام واللام في لدلوك قالوا بمعني بعد اي بعد دلوك الشمس كما قالوا ذلك في قول متمم بن نويرة يرثي اخاه مالكا

• فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا •

اي بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلث خلون من شهر كذا وقال الواحدي اللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس فيجب علي المصلي اقامتها لاجل دلوك الشمس قال ابن عطية اقم الصلوة الاية هذه باجماع من المفسرين اشارة الي الصلوات المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وابو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والاشارة الي الظهر والعصر وغسق الليل اشارة الي المغرب والعشا وقران الفجر اريد به صلوة الصبح فالاية علي هذا تعم جميع الصلوات وروي ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر وروي جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا ابا بكر فهذا حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن اسلم دلوك الشمس غروبها والاشارة بذلك الي المغرب وغسق الليل ظلمته فالاشارة الي العتمة وقران الفجر صلوة الصبح ولم تقع اشارة علي هذا التاويل الي الظهر والعصر انتهي وعن علي انه الغروب وتتعلق اللام والي باقم فتكون الي غاية للاقامة

قوله عزوجل اتم الصلاة

واجاز ابو البقاء ان تكون حالا من الصلوة قال اي ممدودة ويعني بقران الفجر صلاة الصبح وخصت بالقران وهو القراءة لانه عظمها اذ قراتها طويلة مجهور بها وانتصب وقرانا عطفا علي الصلوة وقال الاخفش انتصب باضمار فعل تقديره واثر قران الفجر او وعليك قران الفجر انتهي وسميت صلوة الصبح ببعض ما يقع فيها وقال الزمخشري سميت صلوة الفجر قرانا وهي القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة قال ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن انتهي وقيل اذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر اذ غييا لاقامة بغسق الليل ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء ويكون المذكور ثلثة اوقات اول وقت الزوال واول وقت المغرب واول وقت الفجر انتهي والذي يدل عليه ظاهر اللفظ انه امر باقامة الصلوة اما من اول الزوال الي الغسق وبقران الفجر واما من الغروب الي الغسق وبقران الفجر فيكون الماموربه الصلاة في وقتين ولا توخذ اوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه وقال ابو عبدالله الرازي في قوله وقران الفجر دلالة علي ان الصلوة لا تتم الا بالقراءة لان الامر علي الوجوب ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة الا في الصلوة ومن قال معني وقران الفجر صلوة الفجر غلط لانه صرف الكلام عن حقيقته الي المجاز بغير دليل ولان في نسق التلاوة ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلوة الفجر ليلا والهاء في به كناية عن قران الفجر المذكور قبله فثبت ان المراد حقيقة القران لامكان التهجد بالقران المقروء في صلوة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلوة الفجر وعلي انه لو صح ان يكون المراد ما ذكر لكانت دلالته قايمة علي وجوب القراءة في الصلوة لانه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلوة الا وهي من اركانها انتهي وفيه بعض تلخيص والظاهر ندبية ايقاع صلوة الصبح في اول الوقت لانه مامور بايقاع قران الفجر فكان يقتضي الوجوب اول طلوع الصبح لكن الاجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية فاذا انتفي وجوبها بقي ندبها واعاد قران الفجر في قوله ولم يات مضمرا فيكون علي سبيل التعظيم والتنويه بقران الفجر ومعني مشهودا تشهده الملايكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث انهم يتعاقبون ويجتمعون في صلوة الصبح وصلوة العصر وهذا قول الجمهور وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة وقيل من حقه ان تشهده الجماعة الكثيرة قال الزمخشري ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا علي طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة انتهي ويعني بقوله حثا ان يكون التقدير وعليك قران الفجر او والزم وقال محمد بن سهل بن عسكر مشهودا يشهده الله وملايكته وذكر حديث ابي الدرداء انه تعالي ينزل في اخر الليل ولابي عبدالله الرازي كلام في قوله مشهودا علي عادته في تفسير كتاب الله علي ما لا يفهمه العرب والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسر به الرسول عليه السلام في قوله من فيه يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار فقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح ولما امر تعالي باقامة الصلوة للوقت المذكور ولم يدل امره تعالي اياه علي اختصاصه بذلك دون امته ذكر ما اختصه به تعالي واوجبه عليه من قيام الليل وهو في امته تطوع فقال ومن الليل فتهجد به اي بالقران في الصلوة نافلة زيادة مخصوصا بها انت وتهجد هنا تفعل بمعني الازالة والترك كقولهم تاثم وتحنث ترك التاثم والتحنث ومنه تحنث بغار حراء اي بترك التحنث وشرح بلازمه وهو التعبد ومن للتبعيض وقال الحوفي من متعلقة بفعل دل عليه معني الكلام تقديره واسهر من الليل بالقران قال ويجوز ان يكون التقدير وقم بعد نومة من الليل وقال ابن عطية ومن للتبعيض التقدير ووقتا من الليل اي وقم وقتا من الليل وقال الزمخشري ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود الي الصلوة انتهي فان كان تفسيره وعليك بعض الليل تفسير معني فيقرب وان كان اراد صناعة النحو والاعراب فلا يصح لان المغري به لا يكون حرفا وتقديره من ببعض فيه مسامحة لانه ليس بمرادفه البتة اذ لو كان مرادفه للزم ان يكون اسما ولا قايل بذلك الا تري اجماع النحويين علي ان واو مع حرف وان قدرت بمع والظاهر ان الضمير في به يعود علي القران لتقدمه في الذكر ولا تلحظ الاضافة فيه والتقدير فتهجد بالقران في الصلوة وقال ابن عطية والضمير في به عايد علي وقت المقدر في وقم وقتا من الليل انتهي فتكون الباء ظرفية اي فتهجد فيه وانتصب نافلة قال الحوفي علي المصدر اي نفلنا لك ذاك نافلة قال ويجوز ان ينتصب نافلة بتهجد اذا ذهبت بذلك الي معني صل به نافلة اي صل نافلة لك وقال

ابو البقاء فيه وجهان احدهما هو مصدر بمعني تهجد اي تتنفل نفلا وفاقلة هنا مصدر كالعافية
والثاني هو حال اي صلوة نافلة انتهي وهو حال من الضمير في به ويكون عائدا على القران لا على
وقت الذي قدره ابن عطية وقال الاسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الاسود والحجاج بن عمرو التهجد
بعد نومة وقال الحسن ما كان بعد العشاء الاخرة وقال ابن عباس نافلة زيادة لك في الفرض
وكان قيام الليل فرضا عليه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون على جهة الندب في التنفل والخطاب
له والمراد هو وامته كخطابه في اقم الصلوة وقال مجاهد والسدي انما هي نافلة له قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر عام الحديبية فانما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل وقربا اشرف من
نوافل امته لان هذه اعني نوافل امته اما ان يجبر بها فرايضهم واما ان يحط بها خطيئاتهم وضعف
الطبري قول مجاهد واستحسنه ابو عبد الله الرازي وقال مقاتل كرامة وعطاء لك وقيل كانت فرضا
ثم رخص في تركها ومن حديث زيد بن خالد الجهني رمق صلوته عليه السلام ليلة فصلى بالوتر ثلث عشرة
ركعة وعن عائشة انه كان ما يزيد في رمضان ولا في غيره على احدي عشرة ركعة وعسي مدلولها في المحبوبات
الترجي فقيل هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجاء من ان يبعثك وقيل هي بمعني كي وينبغي ان يكون
هذا تفسير معني والاجود ان هذه الترجية والاطماع بمعني الوجوب من الله تعالي وهو متعلق من حيث
المعني بقوله فتهجد وعسي هنا تامة وفاعلها ان يبعثك وربك فاعل بيبعثك ومقاما الظاهر انه معمول
ليبعثك هو مصدر من غير لفظ الفعل لان يبعثك بمعني يقيمك تقول اقيم من قبره وبعث من قبره وقال
ابن عطية منصوب على الظرف اي في مقام محمود وقيل منصوب على الحال اي ذا مقام وقيل هو مصدر
لفعل محذوف التقدير فيقوم مقاما ولا يجوز ان تكون عسي هنا ناقصة وتقدم الخبر على الاسم فيكون ربك
مرفوعا اسم عسي وان يبعثك الخبر في موضع نصب بها الا في هذا الاعراب الاخير واما في قبله فلا
يجوز لان مقاما منصوب بيبعثك وربك مرفوع بعسي فيلزم الفصل باجنبي بين ما هو موصول وبين
معموله وهو لا يجوز وفي تفسير المقام المحمود اقوال **احدها** انه في امر الشفاعة التي يتدافعها
الانبياء حتي تنتهي اليه عليه السلام والحديث في الصحيح وهذه عدة من الله تعالى له عليه السلام
وفي هذه الشفاعة يحمده اهل الجمع كلهم وفي دعائه المشهور وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واتفقوا
على ان المراد منه الشفاعة **الثاني** انه في امر شفاعته لامته في اخراجه لمذنبهم من النار وهذه
الشفاعة لا تكون الا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار وهذه لا يتدافعها الانبياء بل يشفعون
ويشفع العلماء وقد روي حديث هذه الشفاعة وفي اخره حتي لا يبقي في النار الا من حبسه القران
اي وجب عليه الخلود قال ثم تلا هذه الاية عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعن ابي هريرة انه
عليه السلام قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي فظاهر هذا الكلام تخصيص
شفاعته لامته وقد تاوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمي التي يحمده بسببها الخلق كلهم
على ان المراد لامته وغيرهم او يقال ان كل مقام منهما محمودا **الثالث** عن حذيفة يجمع الله
الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا منجاء ولا ملجاء الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا **الرابع** قال
الزمخشري معني المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل
ما يجلب الحمد من انواع الكرامات انتهي وهذا قول حسن ولذلك نكر مقاما محمودا فلم يتناول مقاما
مخصوصا بل كل مقام محمود صدق عليه اطلاق اللفظ **الخامس** ما قالت فرقة منها مجاهد وقد روي
ايضا عن ابن عباس ان المقام المحمود هو ان يجلسه الله معه على العرش وذكر الطبري في ذلك
حديثا وذكر النقاش عن ابي داود السجستاني انه قال من انكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال اهل
العلم يتحدثون بهذا قال ابن عطية يعني من انكر جوازه على تاويله وقال ابو عمر ومجاهد ان كان احد
الايمة بتاويل القران فان له قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا والثاني في تاويل
الي ربها ناظرة قال ينتظر الثواب وقد يؤول قوله معه على رفع محله وتشريفه على خلقه كقوله
ان الذين عند ربك وقوله ابن لي عندك بيتا وان الله لمع المحسنين كل ذلك كناية عن المكانة
لا عن المكان وقال الواحدي هذا القول مروي عن ابن عباس وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح
مثله عن ابن عباس ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه **الاول** ان البعث ضد الاجلاس بعثت

الباك

الباك وبعث الله الميت اقامه من قبره فتفسيره البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد **الثاني**
لو كان جالسا تعالى على العرش لكان محدودا متناهيا فكان يكون محدثا **الثالث** انه قال
مقاما ولم يقل مقعدا محمودا والمقام موضع القيام لا موضع القعود **الرابع** ان الحمقي والجهال
يقولون ان اهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسالهم عن احوالهم الدنياوية فلا مزية له باجلاسه
معه **الخامس** انه اذا قيل بعث السلطان فلانا لا يفهم منه اجلسه مع نفسه انتهي وفيه بعض
تلخيص ولما امره تعالى باقامة الصلوة بالتهجد ووعده بعثه مقاما محمودا وذلك في الاخرة امره بان
يدعوه بما يشمل امور الدنياوية والاخراوية فقال وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
والظاهر انه عام في جميع موارده ومصادره دنياوية واخراوية والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام
واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء وقال ابن عباس والحسن وقتادة
هو ادخال خاص وهو في المدينة واخراج خاص وهو من مكة فيكون المقدم في الذكر هو المؤخر في الوقوع
ومكان الواو هو الاهم فبدي به وقال مجاهد وابو صالح ما معناه ادخاله فيما حمله من اعباء النبوة
واداء الشرع واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقال الزمخشري ادخلني القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقي بالكرامة
امنا من السخط يدل عليه ذكره على ذكر البعث وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقال محمد بن المنكدر ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل الاخراج من المدينة والادخال
مكة بالفتح وقيل الادخال في الصلوة والاخراج منها وقيل الادخال في الجنة والاخراج من مكة وقيل الادخال
فيما امر به والاخراج مما نهاه عنه وقيل ادخلني في بحار دلايل التوحيد والتنزيه واخرجني من الاشتغال
بالدليل الي معرفة المدلول والتامل في اثار محدثاته الي الاستغراق في معرفة الاحد الفرد وقال
ابو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ادخال عز واخراج نصر
الي مكة والاحسن في هذه الاقوال ان يكون على سبيل التمثيل لا التعيين ويكون اللفظ كما ذكرناه
يتناول جميع الموارد والمصادر **وقراء** الجمهور مدخل ومخرج بضم ميميهما وهو جار قياسا على
افعل مصدر نحو اكرمته مكرما اي اكراما **وقراء** قتادة وابو حيوة وحميد وابراهيم بن ابي عبلة
بفتحهما وقال صاحب اللوامح وهما مصدران من دخل وخرج لكنه جاء من معني ادخلني واخرجني
المتقدمين دون لفظهما ومثلهما انبتكم من الارض نباتا ويجوز ان يكونا اسم المكان وانتصابهما على
الظرف وقال غيره منصوبان مصدرين على تقدير فعل اي ادخلني فادخل مدخل صدق واخرجني فاخرج
مخرج صدق والسلطان هنا قال الحسن التسليط على الكافرين بالسيف وعلى المنافقين باقامة
الحدود وقال قتادة ملكا عزيزا تنصرني به على كل من ناواني وقال مجاهد حجة بينة وقيل كتابا يحوي
الحدود والاحكام وقيل فتح مكة وقيل في كل عصر سلطانا ينصر دينك ونصيرا مبالغة في ناصر وقيل فعيل
بمعني مفعول اي منصورا وهذه الاقوال كلها محتملة لقوله سلطانا نصيرا وروي انه تعالى وعده
ذلك وانجزه له في حياته وتممه بعد وفاته قال قتادة والحق القران والباطل الشيطان وقال ابن جريج
الجهاد والباطل الشرك وقيل الايمان والكفر وقال مقاتل جاء عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان
وهذه الاية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه
الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بمخصره حسبما ذكر في السير وزهوقا صفة مبالغة في اضمحلاله وعدم
ثبوته في وقت ما ومن في من القران لابتداء الغاية وقيل للتبعيض قاله الحوفي وانكر ذلك لاستلزامه ان بعضه
لا شفاء فيه ورد هذا الانكار لان انزاله انما هو مبعض وقيل لبيان الجنس قاله الزمخشري وابن عطية
وابو البقاء وقد ذكرنا ان من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متاخرة عنه
وقراء الجمهور وننزل بالنون ومجاهد بالياء مخففة ورواها المروزي عن حفص **وقراء**
زيد بن علي شفاء ورحمة بنصبهما ويتخرج النصب على الحال وخبر هو قوله للمؤمنين والعامل فيه ما في
الجار والمجرور من الفعل ونظيره قراءة من قراء والسموات مطويات بيمينه بنصب مطويات **وقول الشاعر**
• رهط ابن كوز محقبي ادراعهم • فيهم ورهط ربيعة بن حذار •
وتقديم الحال على العامل فيه من الظرف او المجرور لا يجوز الا عند الاخفش ومن منع جعله منصوبا على اضمار
اعني وشفاؤه كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب بفهم المعجزات والامور الدالة على الله المقررة
لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام وقيل شفاء بالرقي والعوذ كما جاء في حديث

الذي رقي بالفاتحة من لسعة العقرب واختلفوا في النشرة وهو ان يكتب شي من اسماء الله تعالي او من القران ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض او يسقاه فاجاز ذلك ابن المسيب ولم يره مجاهد وعن عائشة كانت تقراء المعوذتين في اناء ثم تامران يصب علي المريض وقال ابو عبد الله المازري النشرة امر معروف عند اهل التعزيم سميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها الحسن والنخعي وروي ابو داود من حديث جابر ان الرسول قال وقد سئل عن النشرة هي من عمل الشيطان ويحمل ذلك علي ما اذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة الرسول والنشرة من جنس الطب في غسالة شي له فضل وقال مالك لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعالي علي اعناق المرضي علي وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل به شي من العين اما بعد نزول البلاء فيجوز رجاء الفرج والبرء والمرض كالرقي المباحة التي وردت السنة بها من العين وغيرها وقال ابن المسيب يجوز تعليق العوذة في قصبة او رقعة من كتاب الله ويضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص الباقر في العوذة تعلق علي الصبيان وكان ابن سيرين لا يري باسا بالشي من القران يعلقه الانسان وخسار الظالمين وهم الذين يضعون الشي في غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بالنظر فيه وتدبر معانيه ايمانا وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۞ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞ ولما ذكر تعالي تنويع ما انزل من القران شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسار للظالم عرض بما انعم به وما حواه من لطايف الشرايع علي الانسان ومع ذلك اعرض عنه وبعد بجانبه عنه اشمئزازا له وتكبرا عن قربه بمباعدته وتبديلا مكان شكر الانعام كفره وقراء الجمهور ونأي من النأي وهو البعد وقراء ابن عامر وناء وقيل هو مقلوب ناي فمعناه بعد وقيل معناه نهض بجانبه وقال الشاعر

۞ حتي اذا ما التامت مفاصله ۞ وناء في شق الشمال كاهله ۞

اي نهض متوكيا علي شماله ومعني يؤوسا قنوطا من ان ينعم الله عليه والظاهر ان المراد بالانسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس كقوله ان الانسان لربه لكنود ان الانسان خلق هلوعا الاية وهو راجع لمعني الكافر والاعراض يكون بالوجه والناي بالجانب يكون بتولية العطف او يراد بناي الجانب الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين والشاكلة قال ابن عباس ناحيته وقال مجاهد طبيعته وقال الضحاك حدته وقال قتادة والحسن نيته وقال ابن زيد دينه وقال مقاتل خلقته وهذه اقوال متقاربة وقال الزمخشري علي مذهب الذي يشاكل حاله في الهدي والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعبت منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدي سبيلا اي اشد مذهبا وطريقة وعن ابي بكر الصديق لم ار في القران اية ارجي من هذه لا يشاكل بالعبد الا العصيان ويشاكل بالرب الا الغفران وعن عمر لم ار اية ارجي من التي فيها غافر الذنب وقابل التوب قدم الغفران قبل قبول التوبة وعن عثمن لم ار اية ارجي من نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وعن علي لم ار اية ارجي من يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم الاية قالوا ذلك حين تذاكروا القران وعن القرطبي لم ار اية ارجي من الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الاية وقال ابو عبد الله الرازي الارواح والنفوس مختلفة بماهيتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القران نور علي نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها من القران ضلال ونكال انتهي وثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود انه قال اني مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكي علي عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقال سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسالوه فيستقبلكم بما تكرهون فاتاه نفر منهم فقالوا يا ابا القاسم ما تقول في الروح فسكت ثم ماج فامسكت بيدي علي جبهته فعرفت انه ينزل عليه فانزل عليه ويسالونك عن الروح الاية وروي ان يهوديا قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن فتية فقدوا في اول الزمان وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها فان اجاب في ذلك كله او لم يجب في شي فهو كذاب وان اجاب في بعض ذلك وسكت عن بعض فهو نبي فنزل في شان الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف ونزل في شان الذي بلغ الشرق والغرب ويسالونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسالونك والظاهر من حديث ابن مسعود ان الاية مدنية ومن سوال قريش انها مكية والروح علي قول الجمهور هنا الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر وقال قتادة هو جبريل قال وكان ابن عباس يكتمه وقيل

قوله عز وجل واذا انعمنا

عيسى ابن مريم وعن علي انه ملك وذكر من وصفه ما الله اعلم به ولا يصح عن علي وقيل الروح القران ويدل عليه الاية قبله والاية بعده وحكي قيل خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل الروح جند من جنود الله لهم ايد وارجل ياكلون الطعام ذكره الغزنوي وقال ابو صالح خلق كخلق بني آدم وليسوا ببني ادم لهم ايد وارجل ولا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم والصحيح من هذه الاقوال القول الاول والظاهر انهم سالوا عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه الا الله وقد رايت كتابا يترجم بكتاب النفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيه ان الجواب في قوله قل الروح من امر ربي انما هو للعوام واما الخواص فهم عنده يعرفون الروح واجمع علماء الاسلام الي انها ليست قديمة واختلاف الناس في الروح بلغ الي سبعين قولا وكذلك اختلفوا اهل الروح النفس ام شي غيرها ومعني من امر ربي اي فعل ربي كونها بامره وفي ذلك دلالة علي حدوثها والامر بمعني الفعل والارادة قال تعالي وما امر فرعون برشيد اي فعله ويحتمل ان يكون امر واحد الامور وهو اسم جنس لها اي من جملة امور الله التي استاثر بعلمها وقيل من وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر ويتخرج علي قول من قال ان الروح هنا القران وقيل من علم ربي والظاهر ان الخطاب في وما اوتيتم هو للذين سالوا عن الروح وهم طايفة من اليهود وقيل اليهود بجملتهم وقيل الناس كلهم قال ابن عطية وهذا هو الصحيح لان قوله قل الروح انما هو امر بالقول لجميع العالم اذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالي لا نهاية لها وقراء عبد الله بن مسعود والاعمش وما اوتوا بضمير الغيبة عائدا علي السائلين ولما ذكر تعالي ما انعم به من تنزيل القران علي رسوله شفاء ورحمة وقد رته علي ذلك ذكر قدرته علي انه لو شاء لذهب بما اوحي ولكنه تعالي لم يشا ذلك والمعني انا نحن قادرون علي ازالة ما منحناك قادرون علي اذهابه وقال ابو سهل هذا تهديد لغير الرسول باذهاب ما اوتوا ليصدهم عن سوال ما لم يوتوا كعلم الروح وعلم الساعة وروي لا تقوم الساعة حتي يرتفع القران الحديث وفي حديث ابن مسعود يسري به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وما في القلوب ثم قرا عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وقال صاحب التحرير ويحتمل عندي في تاويل الاية وجه غير ما ذكر وهو انه صلي الله عليه وسلم لما ابطا عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية فانزل الله تعالي تهديبا له هذه الاية ويكون التقدير ايعز عليك تاخر الوحي فانا لو شئنا ذهبنا بما اوحينا اليك جميعه فسكن النبي وطاب قلبه ولزم الادب انتهي والبا في لنذهبن بالذي للتعدية كالهمزة وتقدم الكلام علي ذلك في قوله لذهب بسمعهم في اول البقرة والكفيل هنا قيل من يحفظ ما اوحينا اليك وقيل كفيلا باعادة تعالي الصدور وقيل كفيلا يضمن لك ان ياتيك ما اخذ منك وقال الزمخشري والمعني ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف ولم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بهذا الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون علي الاستثناء المنقطع بمعني ولكن رحمة من ربك تتركه غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالي ببقاء القران محفوظا بعد المنة في تنزيله وتحفيظه انتهي وعلي الاستثناء المنقطع خرجه ابن الانباري وابن عطية قال ابن الانباري لكن رحمة من ربك تمنع من ان تسلب القران وقال في زاد المسير المعني لكن الله يرحمك فاثبت ذلك في قلبه وقال ابن عطية لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وتخريج الزمخشري الاول جعله استثناء متصلا جعل رحمته تعالي مندرجة تحت قوله وكيلا ۞ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۞ ولما نبه تعالي بانعامه بالنبوة علي نبيه وبانزال وحيه عليه وباهر قدرته بانه تعالي لو شاء لذهب بالقران

خلقها

قوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس

ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القران الذي عجز العالم على الاتيان بمثله وانه من اكبر النعم عليه والفضل الذي ابقى له ذكرا الى اخر الدهر ورفع له قدرا به في الدنيا والاخرة واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاوهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلان يكونوا اعجز عن ان ياتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا ياتون بمثله ولما كان الجن تفعل افعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان ادرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك ابلغ في العجز ويحتمل ان تكون الملايكة مندرجين تحت لفظ الجن لانه قد يطلق عليهم هذا الاسم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وان كان الاكثر استعماله في غير الملايكة من الاشكال الجنية المستترين عن ابصار الانس ويحتمل ان يكون ذكر الجن هنا لانه عليه السلام بعث الى الانس والجن فوقع التعجيز للثقلين معا لذلك وروي ان جماعة من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئنا باية غريبة غير هذا القران فانا نحن نقدر على المجي بمثل هذا فنزلت ولا ياتون جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطية في لين وهي الداخلة على الشرط كقوله لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم فالجواب في نحو هذا للقسم المحذوف لا للشرط ولذلك جاء مرفوعا فاما

قول الاعشي لين منيت بنا عن غب معركة • لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل •

فاللام في لين زايده وليست موطية لقسم قبلها فلذلك جزم في قوله لا تلفنا وقد احتج بهذا ونحوه الفراء في زعمه انه اذا اجتمع القسم والشرط وتقدم القسم ولم يسبقهما ذو خبر انه يجوز ان يكون الجواب للقسم وهو الاكثر وللشرط ومذهب البصريين تحتم الجواب للقسم خاصة وذكر ابن عطية هنا فصلا حسنا في ذكر الاعجاز نقلناه بقصته قال وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة وشاهده وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي صلى الله عليه وسلم واعماله ومشاهدة علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم اعجاز القران ارباب الفصاحة الذين لهم غرايب في ميز الكلام الا ترى الى فهم الفرزدق شعر جرير ذي الرمة في قول **الفرزدق**

علام تلفتين وانت تحتي ه وخير **قول جرير** تلفت انها تحت ابن قين •

والا ترى قول الاعرابي عز فحكم فقطع والا ترى الى استدلال الاخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال ان الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول ابي عمرو بن العلاء في شعر الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت ه ومنه قول الاعرابي للاصمعي من احوج الكريم الى ان يقسم فهم مع هذه الافهام قروا بالعجز وجاء التحاد منهم الى السيف ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة انتهى ما اقتصرنا عليه من كلامه وكان قد تقدم قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القران انما وقع في النظم وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها الا الله عز وجل والبشر مقصور ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وانواع النقص فاذا نظم كلمة خفي عنه العلل الذي ذكرنا وقال الزمخشري لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطية لجاز ان يكون جوابا للشرط **كقوله** يقول لا غايب مالي ولا حرم •

لان الشرط وقع ماضيا انتهى يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت وان اتاه خليل يوم مسالة فاتاه فعل ماض دخلت عليه اداة الشرط فخلصته للاستقبال وافهم كلام الزمخشري انه يقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط الذي هو وان اتاه وهذا الذي ذهب اليه هو مخالف لمذهب سيبويه ولمذهب الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو ان يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب الكوفيين والمبرد انه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه جواب الشرط وهو الذي قال به الزمخشري والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو

وقال

وقال الزمخشري والعجب من النواصب ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه والمحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقايق انتهى وتكرر لفظ مثل في قوله لا ياتون بمثله على سبيل التاكيد والتوضيح وان المراد منهم ان ياتوا بمثله اذ قد يراد بمثل الشي في موضع الشي نفسه فبين بتكرار بمثله ولم يكن التركيب لا ياتون به رفعا لهذا الاحتمال وان المطلوب منهم ان ياتوا بالمثل لا ان ياتوا بالقران ولما ذكر تعالى عجز الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران نبه على فضله تعالى بما ردد فيه وضرب من الامثال والعبر التي تدل على توحيده تعالى ونوع كثرة مارد من الامثلة واسبغ من النعم لم يكونوا الا كافرين به وبنعمه **وقراه** الجمهور صرفنا بتشديد الراء والحسن بتخفيفها والظاهر ان مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية وقال ابن عطية ويجوز ان تكون موكدة زايدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والاخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر ان المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الافاق والقران ملان من الامثال التي ضربها الله تعالى وقال الزمخشري من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقال ابو عبد الله الرازي من كل مثل اشارة الى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القران كالذي هنا وبسوره مثله وبكلام من سورة كقوله فلياتوا بحديث مثله ومع ظهور عجزهم ابوا الا كفورا انتهى ملخصا وقيل من كل مثل من الترغيب والترهيب وانباء الاولين والاخرين وذكر الجنة والنار واكثر الناس قيل من كان في عهد الرسول من المشركين واهل الكتاب وقيل اهل مكة وهو الظاهر بدليل ما اتى بعده من قوله وقالوا لن نومن لك وتقدم القول في دخول الا بعد ابي في سورة براة وروي في مقالتهم هذه اخبار مطولة هي في كتب الحديث والسير ملخصها ان صناديد قريش اجتمعوا وسيروا للنبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء اليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم وطلبه منهم ان يوحدوا ويعبدوا الله فارغبوه بالمال والرياسة والملك فابى فقال لست اطلب ذلك فاقترحوا عليه ست الايات التي ذكرها الله هنا ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما تحداهم بان ياتوا بمثل القران فتبين عجزهم عن ذلك واعجازه وانضمت اليه معجزات اخر وبينات واضحة فلزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح ايات فعل الحاير المبهوت المحجوج فقالوا ما حكاه الله عنهم **وقرله** الكوفيون تفجر من فجر مخففا وباقي السبعة من فجر مشددا والتضعيف للمبالغة لا للتعدية والاعمش وعبد الله بن مسلم بن يسار من انفجر رباعيا وهي لغة في فجر الارض هنا ارض مكة وهي الارض التي فيها تصرف العالمين ومعاشهم روي عنهم انهم قالوا له ازل جبال مكة وفجر لنا ينبوعا حتى يسهل علينا الحرث والزرع واحي لنا قصيا فانه كان صدوقا يخبرنا عن صدقك فاقترحوا لهم اتلا هذه الاية ثم اخترعوا له اخرى عليه السلام ان تكون له جنة من نخيل وعنب وهما كانا الغالب على بلادهم ومن اعظم ما يقتتون ومعنى خلالها اي وسط تلك الجنة وانتصاب هاتين ذلكما النخل وتلك الكروم وانتصب خلالها على الظرف **وقراه** الجمهور تسقط بتاء الخطاب مضارع اسقط السماء نصبا ومجاهد بياء الغيبة مضارع سقط السماء رفعا وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساي كسفا بسكون السين وباقي السبعة بفتحها وقولهم كما زعمت اشارة الى قوله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل وقيل هو ما في هذه السورة من قوله افامنتم ان نخسف بكم

جانب التراو رسل عليكم خاصيا قال ابو علي قبيلا معاينة كقوله لولا انزل علينا الملائكة
او نرى ربنا وقال غيره قبيلا كفيلا من تقبله بكذا اذا كفله والقبيل والزعيم والكفيل
بمعنى واحد وقال الزمخشري قبيلا كفيلا بما يقول شاهدا لصحته والمعنى او تاتي
بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقوله •
كنت منه ووالدي بريا • واني وقيارا بها لغريب •
اي متقابلا كالعشير بمعنى العاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وحالة
من الملائكة وقراءة الاعرج قبلا من المقابلة وقراءة الجمهور من زخرف وعبد الله
من ذهب ولا نحمل على انها قراءة لمخالفة السواد وانما هي تفسير وقال مجاهد كنا لا ندري
ما الزخرف حتى رايت في قراءة عبد الله من ذهب وقال الزجاج الزخرف الزينة
وتقدم شرح الزخرف وفي السماء على حذف مضاف اي في معارج السماء والظاهر
ان السماء هنا هي المظلة وقيل المراد الى مكان عال وكل ما علا وارتفع يسمى سماء
وقال الشاعر وقد يسمى سماء كل مرتفع • وانما الفضل حيث الشمس والقمر •
قيل وقائل هذه هو ابن ابي امية قال لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه
وانا ننظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
لك انك كما تقول ويحتمل ان يكون مجموع اولئك الصناديد قالوا ذلك وعلقوا
ايمانهم بحصول واحد من هذه المقترحات ويحتمل ان يكون كل واحد اقترح واحدا منها
ونسب ذلك للجميع لرضاهم به او تكون او فيها للتفصيل اي قال كل واحد منهم مقالة
مخصوصة منها ولم يكتفوا بالتعنية بالرقي في السماء حتى علقوا ذلك بان تنزل عليهم
كتابا يقرؤنه ولما تضمن اقتراحهم ما هو مستحيل في حق الله تعالى وهو اتيان الله
والملائكة قبيلا امره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به ومن ان يقترح عليه
ما ذكره فقال قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي من الله اليكم لا اقترح عليه
ما ذكرتم من الايات وقال الزمخشري ما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد
واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية الباقية التي هي
القران وسائر الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن ... انتهى وشق
القمر اعظم من شق الارض ونبع الماء من بين اصابعه اعظم من نبع الماء من الحجر وقرا
ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي على الخبر تعجب عليه السلام من اقتراحاتهم عليه وتنزه ربه
عما لا يجوز عليه من الاتيان والانتقال وذلك في حق الله مستحيل هل كنت الا بشرا مثلهم
رسولا والرسل لا تاتي الا بما يظهره الله عليهم من الايات وليس امرها اليهم انما ذلك الى الله
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا • قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا • ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد
لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم
كلما خبت زدناهم سعيرا • ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا • اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا • الظاهر
ان قوله وما منع الناس اخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان
اذ ظهر المعجز وهو استبعاد ان يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا
وبعد اظهار المعجز يجب الاقرار والاعتراف برسالته فقولهم لا بد ان يكون من الملائكة
تحكم فاسد ويظهر من كلام ابن عطية ان قوله وما منع الناس هو من قول الرسول قال
هذه الاية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي عليه السلام كانه يقول متعجبا منهم ما
شاء الله كان ما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي
لا يستند الى حجة وبعثة البشر رسلا غير بديع ولا غريب فيها يقع الافهام والتمكن من النظر

قوله عز وجل وما منع الناس

كما لو كان

في الارض ملائكة يسكنونها مطمئنين لكان الرسول اليهم من الملائكة ليقع الافهام واما البشر
فلو بعث اليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته ولم تحتمله ابصارهم ولا تجلدت له قلوبهم
وانما الله اجرى احوالهم على معتادها انتهى وان لم يؤمنوا في موضع نصب وان قالوا في
موضع رفع وانه طرف الفاعل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك المقالات السابقة
والهدى هو القران ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم الناشئ عن اعتقادهم
والهمزة في ابعث للانكار ورسولا ظاهره انه نعت ويجوز ان يكون رسولا مفعول بعث
وبشرا حال متقدمة عليه اي ابعث الله رسولا في حال كونه بشرا وكذلك يجوز في قوله
ملكا رسولا اي لنزلنا عليهم من السماء رسولا في حال كونه ملكا وقوله يمشون يتصرفون
فيها بالمشي وليس لهم صعود الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلمون ما يجب علمه بل هم مقيمون
في الارض يلزمهم ما يلزم المكلفين من عبادات مخصوصة واحكام لا يدرك تفصيلها بالعقل
لنزلنا عليهم من جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان
وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه امره تعالى ان يعلمهم بانه تعالى هو الشهيد
بينه وبينهم على تبليغه وما قام به من اعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه
من الايات على سبيل العناد واردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا
اسرارهم بصيرا مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم والظاهر ان قوله ومن يهد الله
اخبار من الله تعالى وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم ويحتمل ان يكون مندرجا لمجيء
ومن بالواو ويكون ونحشرهم اخبارا من الله تعالى وعلى القول الاول يكون التفاتا اذ خرج
من الغيبة الى التكلم ولما تقدم دعوة الرسول الى الايمان وتحديه بالمعجز الذي اتاه الله وجواني
كفرهم وعنادهم وان بعد فيهم ما جاء به من الهدى اخبر بان ذلك كله راجع الى مشيئته تعالى
وانه هو الهادي وهو المضل فسلاه تعالى بذلك واخبر تعالى على سبيل التهديد لهم والوعيد
الصدق بحالهم وقت حشرهم يوم القيامة وقال الزمخشري ومن يهد الله ومن يوفقه
ويلطف به فهو المهتدي لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذله
فلن تجد لهم اولياء انصارا انتهى وهو على طريقة الاعتزال ومن مفعول يهد ويضلل وحمل
على اللفظ في قوله فهو المهتدي فافرد ملاحظة لسبيل الهدى وهي واحدة فناسب التوحيد
التوحيد وحمل على المعنى في قوله فلن تجد لهم اولياء لا على اللفظ ملاحظة لسبيل الضلال
فانها متشعبة متعددة فناسب التشعيب والتعدد بالجمع وهذا من المواضع التي جاء فيها
الحمل على المعنى ابتداء من غير ان يتقدم الحمل على اللفظ وهي قليلة في القران والظاهر ان قوله
على وجوههم حقيقة كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم وفي هذا حديث قيل يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال ان الذي
امشاه في الدنيا على رجلين قادر ان يمشيه في الاخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا
وقيل على وجوههم مجاز كما يقال للمنصرف عن امر خائبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير
كانه يمشي على وجهه وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القوم
على وجوههم اذا اسرعوا والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما هو حقيقة وذلك عند قيامهم من
قبورهم ثم يرد الله اليهم ابصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون
بما حكى الله عنهم وقيل هي استعارات انما لانهم من الحيرة والذهول يشبهون اصحاب هذه الصفات
وانا من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة وقال الزمخشري كما كانوا
في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن سماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى انتهى وهذا قول ابن عباس والحسن قال المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم
بحجة صما عما ينفعهم وقيل عميا عن النظر الى ما جعل الله لاوليائه بكما عن مخاطبة الله صما
عما مدح الله به اولياءه وانتصب عميا وما بعده على الحال والعامل فيها نحشرهم وقيل يحصل
لهم ذلك حقيقة عند قوله قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون وعلى هذا ان تكون حالا مقدرة لان ذلك
لم يكن وقت الحشر كلما خبت قال ابن عباس كلما فرغت من احراقهم فيسكن اللهيب

القائم عليهم قدر ما يعادون ثم يثور فتلك زيادة التسعير فالزيادة في حيزهم واما جهنم فعلى
حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا انكون خبت مجازا عن سكون لهبها مقدار ما يكون اعادتهم
كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الفناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها
ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم ولانه ادخل في
في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم والاشارة بذلك الى ما تقدم من حشرهم
على تلك الحال وصيرورتهم الى جهنم والعذاب فيها والايات تعم القران والحجج التي جاء بها الرسول
ونص على انكار البعث اذ هو طعن في القدرة الالهية هذا مع اعترافهم بانه تعالى منشئ العالم
ومخترعه ثم انهم ينكرون الاعادة فصار ذلك تعجيزا لقدرته وتقدم الكلام على قوله وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا في هذه السورة فاغنى عن اعادته ولما
انكروا البعث نبههم تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته فقال اولم يروا وهو استفهام انكار وتوبيخ
لهم على ما كانوا يستبعدونه من الاعادة واحتجاج عليهم بانهم قد راوا قدرة الله على خلق هذه
الاجرام العظيمة التي بعض ما تحويه البشر فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم ثم ينكرون
اعادة بعض مما حله وذلك مما لا يحيله العقل بل هو مما يجوزه ثم اخبر الصادق بوقوعه
فوجب قبوله والرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم ومعنى مثلهم من الانس لانهم ليسوا اشد خلقا
منهن كما قال اانتم اشد خلقا ام السماء واذا كان قادرا على انشاء امثالهم من الانس من العدم
الصرف فهو قادر على ان يعيدهم كما قال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
وعطف قوله وجعل لهم على قوله اولم يروا لانه استفهام تضمن التقرير والمعنى قد
علموا بدليل العقل كيت وكيت وجعل لهم اي للعالمين ذلك اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيامة وليس هذا الجعل واحدا في الاستفهام المتضمن التقرير ان كان الاجل
القيامة لانهم منكروها واذا كان الاجل الموت فهو اسم جنس واقع موقع اجال فابى الظالمون
وهم الواضعون الشيء غير موضعه على سبيل الاعتداء الا كفورا جحودا لما اتى به الصادق
من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة للجزاء قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا • ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا • لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا •
فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا
الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا • مناسبة قوله قل لو انتم الاية ان المشركين
قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدهم
لتكثر اقواتهم وتتسع عليهم فبين تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم
ولما قدموا على ايصال النفع لاحد وعلى هذا فلا فائدة في اسعافهم بما طلبوا هذا ما قيل
في ارتباط هذه الاية وقاله العسكري والذي يظهر لي ان المناسب هو انه عليه السلام قد
منحه الله ما لا يمنحه لاحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو احرص الناس على ايصال
الخير وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه في دعايتهم الى الله ويعرض ذلك
على القبائل واحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهم اجرا وهؤلاء اقرباؤه لا يكاد يجيب منهم
احد الا الواحد بعد الواحد قد لجوا في عناده وبغضائه فلا يصل منهم اليه الا الاذى فنبه تعالى
بهذه الاية على سماحته عليه السلام وبذله ما اتاه الله وعلى امتناع هؤلاء ان يصل منهم
شيء من الخير اليه فقال لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شيء لما لوا بالبخل
من كل احد بما اوتوه من ذلك بحيث لا يصل منهم لاحد شيء من النفع اذ طبيعتهم الاقتار وهو الامساك
عن التوسع في النفقة هذا مع ما اوتوه من الخزائن وهذه الاية جاءت مبينة تباين ما بينه وبينهم
عليه السلام من حرصه على نفعهم وعدم ايصال شيء من الخير منهم اليه والمستقر في لو
التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ان يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله
لو نشاء لجعلناه حطاما او منفيا بلم او ان وهنا في قوله قل لو انتم تملكون وليها الاسم فاختلفوا
في تخريجه فذهب الحوفي والزمخشري وابن عطية وابو البقاء وغيرهم الى مرفوع بفعل محذوف

قوله عز وجل قل لو انتم

ينشره

يفسره الفعل بعده ولما حذف الفعل وهو تملك انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها التقدير وان لم يحمل فحذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن
في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار انتم وهذا التخريج
بناء على ان لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين
قال الاستاذ ابو الحسن بن عصفور لا تلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة
او في نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم لو ذات سوار لطمتني وقال شيخنا الاستاذ
ابو الحسن بن الضايع البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لاكرمته على الفصيح ويجيزونه
شاذا كقولهم لو ذات سوار لطمتني وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره وهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك ابو الحسن علي بن فضال المجاشعي
على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم انتم تملكون فظاهر هذا التخريج انه حذف كنتم برمته وبقي
انتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا الاستاذ ابو الحسن بن الضايع
الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل
انفصل المرفوع وهذا التخريج احسن لان حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب والرحمة هنا
الرزق وسائر نعمه على خلقه والكلام على اذا لامسكتم تقدم نظيره في قوله اذا لاذقناك وخشية
مفعول من اجله والظاهر ان الانفاق على مشهور مدلوله فيكون على حذف مضاف اي خشية عاقبة
الانفاق وهو النفاد وقال ابو عبيدة انفق واملق واعدم واصرف بمعنى واحد فتكون المعنى خشية
الافتقار والقتور الممسك البخيل والانسان هنا للجنس ولما حكى الله تعالى عن قريش ما حكى من
تعنتهم في اقتراحهم وعنادهم للرسول سلاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه
من قولهم ارنا الله جهرة اذ قالت قريش او تاتي وقالت او نرى ربنا وسكن قلبه ونبه على ان عاقبتهم
للدمار والهلاك كما جرى لفرعون اذ اهلكه الله ومن معه وتسع ايات قال ابن عباس وجماعة
من الصحابة هي اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه
سبع باتفاق واما الثنتان فعن ابن عباس لسانه كان به عقدة فحلها الله والبحر الذي فلق
له وعنه ايضا البحر والجبل الذي نتق عليهم وعنه ايضا السنون ونقص من الثمرات وقاله
مجاهد والشعبي وعكرمة وقتادة وقال الحسن السنون ونقص الثمرات اية واحدة وعن الحسن
ووهب البحر والموت ارسل عليهم وعن ابن جبير الحجر والبحر وعن محمد بن كعب البحر والسنون
وقيل تسع ايات هي من الكتاب وذلك ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي
فقال الاخر لا تقل انه نبي فانه لو سمع كلامك صارت له اربعة اعين فاتياه وسالاه عن تسع
ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى السلطان فيقتله
ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يهود ان لا تعتدوا في
السبت قال فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي فقال ما منعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا
تزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
وقرأ الجمهور فسئل بني اسرائيل وبنو اسرائيل معاصروه وفسل معمول لقول محذوف اي
فقلنا سل والظاهر انه خطاب للرسول محمد عليه السلام امره ان يسالهم عما اعلمه به من غيب
القصة ثم قال اذ جاءهم يريد اباءهم وادخلهم في الضمير اذ هم منهم وقال الزمخشري سلهم
عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش
وقيل فسال يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات
لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظافرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم
ولكن ليطمئن قلبي انتهى وهذا القول هو الاول وهو ما اعلمه به من غيب القصة ولما كان
متعلق السؤال محذوفا احتمل هذه التقديرات والظاهر ان الامر بالسؤال لبني اسرائيل موحشة
وقال ابن عطية ما معناه يحتمل ان يكون السؤال عبارة عن تطلب اخبارهم والنظر في احوالهم وما
في كتبهم نحو قوله وسل من ارسلنا قبلك من رسلنا جعل النظر والتطلب معبرا عنه بالسؤال ولذلك
قال الحسن سؤالك اياهم نظرك في القران والظاهر ان اذ معموله لاتينا اي اتيناه حين جاء اتاهم
وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول

فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم واما علي الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او
يخبرونك انتهي ولا يتاتي تعلقه باذكر ولا بيخبرونك لانه ظرف ماض وقراءة فسال مروية عن
ابن عباس وقال ابن عباس كلام محذوف تقديره فسال موسي فرعون بني اسرائيل اي طلبهم
ليبخيهم من العذاب انتهي وعلي قراءة فسل يكون التقدير فقلنا له سل بني اسرائيل اي سل فرعون
اطلاق بني اسرائيل وقال ابو عبد الله الرازي فسل بني اسرائيل اعتراض في الكلام والتقدير
ولقد اتينا موسي تسع ايات بينات اذ جاء بني اسرائيل فسلهم وليس المطلوب من سؤال بني
اسرائيل ان يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود ان يظهر لعامة اليهود صدق ما ذكره
الرسول فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد انتهي وعلي قراءة فسل ماضيا وتقديره فسال
فرعون بني اسرائيل يكون المفعول الاول لسال محذوفا والثاني هو بني اسرائيل وجاز ان
يكون من الاعمال لانه توارد علي فرعون سال وفقال فاعمل الثاني علي ما هو ارجح والظاهر ان
قوله مسحورا اسم مفعول اي قد سحرت بكلامك هذا المختل وما ياتي به غير مستقيم وهذا خطاب
تنقيص وقال الفراء والطبري مفعول بمعني فاعل اي ساحرا بهذه العجائب التي ياتي
بها من السحر وقالوا مفعول بمعني فاعل ومشؤوم وميمون وانما هو شائم ويامن وقراء
الجمهور لقد علمت بفتح التاء علي خطاب موسي لفرعون وتبكيته في قوله عنه انه مسحور اي لقد
علمت بفتح التاء ان ما جئت به ليس من باب السحر ولا اني خدعت في عقلي بل علمت انه ما انزلها
الا الله وما احسن ما جاء به من اسناد انزالها الي لفظ رب السموات والارض اذ هو
لما ساله فرعون في اول محاورته فقال له وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما
علي نفسه وانه لا تصرف له في الوجود فدعواه الربوبية دعوي استحالة فبكته واعلمه انه
يعلم ايات الله ومن انزلها ولكنه مكابر معاند كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وخاطبه بذلك علي سبيل التوبيخ اي انت بحال من يعلم هذا وهو من الوضوح
بحيث تعلمها وليس خطابه علي جهة اخباره عن علمه وقراء علي بن ابي طالب وزيد
ابن علي والكسائي علمت بضم التاء اخبر موسي عن نفسه انه ليس بمسحور كما وصفه فرعون
بل هو يعلم انما انزل هؤلاء الايات الا الله وروي عن علي انه قال ما علم عدو الله وانما
علم موسي وهذا القول عن علي لا يصح لانه رواه كلثوم المرادي وهو مجهول وكيف يصح هذا
القول وقراءة الجماعة بالفتح علي خطاب فرعون وما انزل جملة في موضع نصب علق عنها علمت
ومعني بصائر دلالات علي وحدانية الله وصدق رسوله والاشارة بهؤلاء الي الايات التسع
وانتصب بصائر علي الحال في قول ابن عطية والحوفي وابي البقاء وقالا حال من هؤلاء وهذا لا
يصح الا علي مذهب الكسائي والاخفش لانهما يجيزان ما ضرب هند الا زيد ضاحكة ومذهب
الجمهور انه لا يجوز فان ورد ما ظاهره ذلك اول علي اضمار فعل يدل عليه ما قبله التقدير
مر بها ضاحكة وكذلك يقدرون هنا انزلها بصائر وعند هؤلاء لا يعمل ما قبل الا فيما بعدها الا
ان يكون مستثني منه او تابعا له وقال موسي فانه يظن فرعون فقال له واني لاظنك يا فرعون مثبورا
وشتان ما بين الظنين ظن فرعون ظن باطل وظن موسي ظن صدق ولذلك آل امر فرعون الي الهلاك
كان اولا موسي عليه السلام يتوقع من فرعون اذي كما قال انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغي
فامرا ان يقولا له قولا لينا فلما قال له الله لا تخف وثق بحماية الله فصال علي فرعون صولة المحمي
المحمي وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك ومثبورا مهلكا في قول الحسن ومجاهد
وملعونا في قول ابن عباس وناقص العقل فيما روي ميمون بن مهران ومسحورا في قول الضحاك
قال رد عليه مثل ما قال فرعون مع اختلاف اللفظ وعن الفراء مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا علي قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقراء ابي وان اخالك
يا فرعون لمثبورا وهي ان الخفيفة واللام الفارقة واستفزازهم هو استخفافه لموسي
ولقومه بان يقلعهم من ارض مصر بقتل او جلاء فحاق به مكره واغرقه الله وقبطه اراد ان
تخلو ارض مصر منهم فاجلاه الله منه ومن قومه والضمير في من بعده عائد علي فرعون اي
من بعد اغراقه والارض المامور بسكناها ارض الشام والظاهر ان يكون الامر بذلك حقيقة
علي لسان موسي عليه السلام ووعد الآخرة قيام الساعة وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك

قوله عز وجل
وبالحق انزلناه

الا مبشرا ونذيرا • وقرآنا فرقناه لتقراه علي الناس علي مكث ونزلناه تنزيلا • قل آمنوا
به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلي عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا • ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا • وبالحق انزلناه هو مردود علي قوله لئن اجتمعت الانس الاية وهكذا طريقة
كلام العرب واسلوبها تاخذ في شيء وتستطرد منه الي شيء اخر ثم الي اخر ثم الي اخر
ثم تعود الي ما ذكرته اولا وابعد من ذهب الي ان الضمير في انزلناه عائد علي موسي
عليه السلام وجعل منزلا كما قال وانزلنا الحديد او عائد علي الايات التسع وذكر علي
المعني او عائدا علي الوعد المذكور قبله وقال ابو سليمان الدمشقي وبالحق انزلناه اي
بالتوحيد وبالحق نزل اي بالوعد والوعيد والامر والنهي وقال الزهراوي
بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس وبالحق نزل اي بالحق في اوامره ونواهيه
واخباره وقال الزمخشري وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا
ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله علي الهداية الي كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل علي الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
انتهي وقد يكون وبالحق توكيدا من حيث المعني لما كان يقال انزلته فنزل وانزلته
فلم ينزل اذ عرض له مانع من نزوله جاء وبالحق نزل مزيلا لهذا الاحتمال ومؤكدا حقيقة
وبالحق انزلناه والي معني التاكيد نحا الطبري وانتصب مبشرا ونذيرا علي الحال اي
مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار ليس لك شيء من اكراههم علي الدين وقراء
الجمهور فرقناه بتخفيف الراء اي بينا حلاله وحرامه قاله ابن عباس وعن الحسن
فرقنا فيه بين الحق والباطل وقال الفراء احكمناه وفصلناه كقوله فيها يفرق كل
امر حكيم وقراء ابي وعبد الله وعلي وابن عباس وابو رجاء وقتادة والشعبي وحميد
وعمرو بن قايد وزيد بن علي وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه بشد الراء اي انزلناه
نجما بعد نجم وفصلناه في النجوم وقال بعض من اختار ذلك لم ينزل في يوم ولا يومين ولا شهر
ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين قال ابن عباس كان بين اوله واخره عشرون سنة هكذا
قال الزمخشري عن ابن عباس وحكي عن ابن عباس في ثلاث وعشرين وقيل في خمس وعشرين
وهذا الاختلاف مبني علي الاختلاف في سنه عليه السلام وعن الحسن نزل في ثمانية عشر
سنة قال ابن عطية وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن وقيل معني فرقناه بالتشديد فرقنا
اياته بين امر ونهي وحكم واحكام ومواعظ وامثال وقصص واخبار مغيبات اتت وتاتي
وانتصب قرآنا علي اضمار فعل يفسره فرقناه اي وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب
الاشتغال وحسن النصب ورجحه علي الرفع كونه عطف علي جملة فعلية وهي قوله وما
ارسلناك ولا بد من تقدير صفة لقوله وقرآنا حتي يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه
نكرة لا مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا اي قرآن اي عظيما جليلا
وعلي انه منصوب باضمار فعل يفسره الظاهر بعده خرجه الحوفي والزمخشري وقال
ابن عطية هو مذهب سيبويه وقال الفراء هو منصوب بارسلناك اي ما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا وقرآنا كما تقول رحمة لان القران رحمة وهذا اعراب متكلف واكثر تكلفا منه
قول ابن عطية ويصح ان يكون معطوفا علي الكاف في ارسلناك من حيث كان ارسال هذا
وانزال هذا المعني واحد وقراء ابي وعبد الله فرقناه عليك بزيادة عليك ولتقراه
متعلق بفرقناه والظاهر تعلق علي مكث بقوله لتقراه ولا نبالي بكون الفعل يتعلق به
حرفا جر من جنس واحد لانه اختلف معني الحرفين في موضع المفعول به والثاني في موضع
الحال اي متمهلا مترسلا قاله ابن عباس ومجاهد وابن جريج علي مكث علي ترسل في التلاوة
وقيل علي مكث اي تطاولا في المدة شيئا بعد شيء وقال الحوفي علي مكث بدل من علي
الناس وهذا لا يصح لان قوله علي مكث هو من صفة الرسول وهو القاري او من صفات
المقروء في المعني وليس من صفات الناس فيكون بدلا منهم وقيل يتعلق علي مكث
بقوله فرقناه • ويقال مكث بضم الميم وفتحها وكسرها وقال ابن عطية واجمع القراء علي ضم

الميم من مكث وقال الحوفي المكث بالضم والفتح لغتان وقد قرئ بهما وفيه لغة اخرى كسر الميم ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث من الاقوال والافعال قل آمنوا به او لم تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم والازدراء بهم وعدم الاكتراث بهم وبايمانهم وبامتناعهم منه وانهم لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان اخرا منهم وافضلهم العلماء الذين قرؤا الكتاب وعلموا ما الوحي وما الشرايع قد آمنوا وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا او سجدوا لله تعظيما لوعده ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا وان الذين اوتوا العلم من قبله يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لم تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به من هو خير منكم وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل عن ايمان الجاهلية بايمان العلماء انتهى من كلام الزمخشري وفيه بعض تلخيص وقال غيره قل آمنوا الاية تحقير للكفار وفي ضمنه ضرب من التوعد والمعنى انكم لستم بحجة فسواء علينا آمنتم ام كفرتم وانما ضرر ذلك على انفسكم وانما الحجة اهل العلم انتهى والظاهر ان الضمير في قل آمنوا به عائد على القران والذين اوتوا العلم هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما فانهما كانا ممن اوتي العلم واطلعا على التوراة والانجيل ووجدا فيهما صفته عليه السلام وقيل هم جماعة من اهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا امر النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسجدوا لله وقالوا هذا وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام هذا الجنوح نزلت هذه الاية فيهم وقيل المراد بالذين اوتوا العلم من قبله هو محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الضمير في من قبله عائد على القران كما عاد عليه في قوله به ويدل عليه ما قبله وما بعده وقيل الضميران في به وفي من قبله عائدان على الرسول عليه السلام واستانف ذكر القران في قوله اذا يتلى عليهم والظاهر في قوله اذا يتلى عليهم ان الضمير في يتلى عائد على القران وقيل هو عائد على التوراة وما فيها من تصديق القران ومعرفة النبي عليه السلام والخرور هو السقوط بسرعة ومنه فخر عليهم السقف وانتصب سجدا على الحال والسجود وهو وضع الجبهة على الارض هو غاية الخرور ونهاية الخضوع واول ما يلتقي الارض حالة السجود الذقن او عبر عن الوجوه بالاذقان كما يعبر عن كل الشي ببعض ما يلاقيه وقال الشاعر

• فخروا لاذقان الوجوه تنوشهم • سباع من الطير العوادي وتنتف •

وقيل اريد حقيقة الاذقان لان ذلك غاية التواضع وكان سجودهم كذلك وقال ابن عباس المعنى للوجوه وقال الزمخشري **فان قلت** حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه قال الشاعر ... **قلت** معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص انتهى وقيل اللام بمعنى على وسبحان ربنا نزهوا الله عما نسبه اليه كفار قريش وغيرهم من انه لا يرسل البشر رسلا وانه لا يعيدهم للجزاء وان هنا المخففة من الثقيلة المعنى ان ما وعد به من ارسال محمد عليه السلام وانزال القران عليه قد فعله وانجزه وتكرر الخرور لاختلاف حالي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن الحالة الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد وذلك ان البكاء ناشئ عن التفكر فهم دائما في فكرة وتذكر فناسب ذكر الفعل اذ هو مشعر بالتجدد ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم ويزيدهم اي ما تلي عليهم خشوعا اي تواضعا وقال عبد الاعلى التيمي من اوتي من العلم ما لا يبكيه خليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لانه تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم الاية وقال ابن عطية ويتوجه في هذه الاية معنى اخر وهو ان يكون قوله قل آمنوا به او لم تؤمنوا مخلصا للوعيد

دون التحقير المعنى فستردون ما تجازون به ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من اهل الكتاب اي ان الناس لم يكونوا كما انتم في الكفر بل كان الذين اوتوا التوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة اذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى وقد تقدمت الاشارة الى طرف من هذا

قوله عز وجل قل ادعوا الله

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى • ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا • وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا • قال ابن عباس تهجد الرسول ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا وهو الان يدعو الهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت قاله في التحرير ونقل ابن عطية نحوا منه عن مكحول وقال عن ابن عباس سمعنا المشركون يدعو يا الله يا رحمن فقالوا لو كان يدعو الها واحدا وهو يدعو الهين فنزلت وقال ميمون ابن مهران كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم حتى نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها فقال مشركو العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن فنزلت وقال الضحاك قال اهل الكتاب للرسول انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت لما لجوا في انكار القران ان يكون الله نزله على رسوله وعجزوا عن معارضته وكان عليه السلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لالهتهم عدلوا الى رميه عليه السلام بان ما نهاهم عنه رجع هو اليه فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ادعوا الله الاية والظاهر من اسباب النزول ان الدعاء هنا قوله يا رحمن يا رحيم او يا الله يا رحمن فهو من الدعاء بمعنى النداء والمعنى ان دعوتم الله فهو اسمه وان دعوتم الرحمن فهو وصفه وقال الزمخشري والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا انتهى ودعوت هذه من الافعال التي تتعدى الى اثنين ثانيهما بحرف جر تقول دعوت ولدي بزيد ثم يتسع فتحذف الباء وقال الشاعر في دعا هذه

• دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن اخاها ولم ارضع لها بلبان •

وهي افعال تتعدى الى واحد بنفسها والى الاخر بحرف الجر تحفظ ويقتصر فيها على السماع وعلى ما قاله الزمخشري يكون الثاني لقوله ادعوا لفظ الجلالة ولفظ الرحمن وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف وكان التقدير ادعوا معبودكم بالله او ادعوه بالرحمن ولهذا قال الزمخشري المراد بهما الاسم المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا انتهى وكذا قال ابن عطية هما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذاك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذلك واي هنا شرطية والتنوين قيل عوض من المضاف وما زائدة مؤكدة ودخل شرط على شرط وقرا طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فاحتمل ان تكون زائدة على مذهب الكسائي اذ قد ادعي زيادتها في قوله يا شاة من قنص لمن حلت له • واحتمل ان يكون جمع بين اداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر في قول الشاعر فاصبحن لا يسالنني عن بما به • وذلك لاختلاف اللفظ والضمير في له عائد على مسمى الاسمين وهو واحد اي فلمسماهما الاسماء الحسنى وتقدم الكلام على قوله الاسماء الحسنى في الاعراف وقوله فله هو جواب الشرط قيل ومن وقف على ايا جعل معناه اي اللفظين دعوتموه به جاز ثم استانف فقال ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا لا يصح لان ما لا تطلق على احاد اولي العلم ولان الشرط يقتضي عموما ولا يصح هنا والصلوة هنا الدعاء قاله ابن عباس وعايشة وجماعة وعن ابن عباس ايضا هي قراءة القران في الصلوة فهو على حذف مضاف اي بقراءة الصلاة ولا يلبس تقدير هذا المضاف لانه معلوم ان الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار وكان عليه السلام يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فامر بان يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركين وان لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وتقدم الكلام على بين ذلك في قوله عوان بين ذلك وقال ابن عباس ايضا والحسن لا تحسن علانيتها وتسيء سريتها وعن عايشة الصلاة يراد بها هنا التشهد وقال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية في ذلك وكان ابو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك فقال ابو بكر انما اناجي ربي وهو يعلم حاجتي وقال عمر انا اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت قيل لابي بكر ارفع انت قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا وعن ابن عباس ايضا المعنى ولا تجهر بصلوة النهار ولا تخافت بصلوة الليل وقال ابن زيد معنى الاية عن ما يفعله اهل الانجيل واهل التوراة من رفع الصوت احيانا فيرفع الناس معه ويخفض احيانا فيسكت الناس خلفه انتهى كما يفعل اهل زماننا من رفع الصوت بالتلحين وطرايق النغم المتخذة للغناء

ولما ذكر تعالى انه واحد وان تعددت اسماؤه امر تعالى ان يحمده على ما انعم به عليه مما اتاه من شرف الرسالة
والاصطفاء ووصف نفسه بانه لم يتخذ ولدا فيعتقد فيه تكثر بالنوع وكان ذلك ردا على اليهود
والنصارى والعرب الذين عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا
انهم بنات الله ونفى اتخاذ الولد خصوصا ثم نفى الشريك في ملكه وهو اعم من ان ينسب اليه ولد فيشركه
في ملكه او غيره ولما نفى الولد ونفى الشريك نفى الولي وهو الناصر وهو اعم من ان يكون ولدا او شريكا
او غير شريك ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون
للتفضل والرحمة لمن والى من صالحي عباده كان النفي لمن ينتصر به من اجل المذلة اذ كان مورد الولاية
يحتمل هذين الوجهين نفى الجهة التي لاجل النقص بخلاف الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق
وجاء الوصف الاول بقوله الذي لم يتخذ ولدا والمعنى انه تعالى لم يسم ولم يعد احدا ولدا ولم ينفه
بجهة التوالد لاستحالة ذلك في بداية العقول فلا يتعرض لنفيه بالمنقول ولذلك جاء ما اتخذ الله
من ولد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وقال مجاهد في قوله ولم يكن له ولي من الذل المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى
نصر احد وقال الزمخشري ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل
مذلة به ليدفعها بموالاته انتهى وقيل لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس فيكون من
الذل صفة لولي انتهى اي ولي من اهل الذل فعلى هذا وما تقدم تكون من في معنى المفعول به او للسبب
او للتبعيض وقال الزمخشري **فان قلت** كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التوحيد
قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد والذي تقرر
ان النفي تسلط من حيث المعنى على الابتداء اي لا ذل يوجد في حقه فيكون له ولي ينتصر به منه فالذل
والولي الذي يكون اتخاذه بسببه منتفيان وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم
والاجلال واكدها بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه وابتدئت هذه السورة بتنزيه الله تعالى وختمت
به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وقل الحمد لله
الى اخرها **مفردات اول سورة الكهف** **بخع** يبخع بخعا وبخوعا اهلك من شدة الوجد واصله
الجهد قاله الاخفش والفراء وفي حديث عايشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها من
اموال الملوك وقال الكسائي بخع الارض بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وقال الليث
بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده وانشد قول الفرزدق الا ايهذا الباخع الوجد نفسه •
لشيء نحته عن يديه المقادر • اي نحته بشدة الحاء مخففة قال ابو عبيدة كان ذو الرمة ينشد الوجد بالرفع وقال الاصمعي
انما هو الوجد بالفتح انتهى فيكون نصبه على انه مفعول من اجله **جرزت** الارض تجرز جرزا
ذهب نباتها ولا شيء فيها وارضون اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز لا مطر فيها وجرز الارض الجراد
اكل ما فيها وامراة جروز اي اكول **قال الشاعر** ان العجوز خبة جروزا • تاكل كل ليلة قفيزا •
الكهف النقب المتسع في الجبل فان لم يك واسعا فهو غار وقال ابن الانباري حكى اللغويون انه بمنزلة الغار
في الجبل **الرقيم** فعيل من رقم اما بمعنى مفعول واما بمعنى فاعل ويأتي ان شاء الله الاختلاف عن المفسرين فاما
قول امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا • وصيدهم والقوم في الكهف همد • نعني به كلبهم **احصى**
الشيء حفظه وضبطه **الشطط** الجور وتعدي الحد والغلو وقال الفراء اشتط في السوم جاوز القدر وشط المنزل بعد
شطوطا وشط الرجل واشط جار وشططت الجارية شطاطا وشطاطة طالت **تزاور** تروغ وتميل وقال الاخفش تزور
تنقبض انتهى والزور الميل والازور المائل بعينه الى ناحية ويكون في غير العين **قال ابن ابي ربيعة**
وجنبي خيفة القوم ازور • **وقال عنترة** فازور من وقع القنا بلبانه • وشكى الي بعبرة وتحمحم • **وقال بشر
ابن ابي خازم** تؤم بها الحداة مياه نخل • وفيها عن ابانين ازورار • ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق
قرض الشيء قطعه تقول العرب قرضت موضع كذا اي قطعته **وقال ذو الرمة** الى ظعن يقرضن اجواز مشرف
شمالا وعن ايمانهن الفوارس • وقال الكوفيون قرضت موضع كذا حاذيته وحكوا عن العرب قرضته قبلا ودبرا **الفجوة**
المتسع من الفجا وهو تباعد ما بين الفخذين رجل افجى وامراة فجواء وجمع الفجوة فجاء **اليقظ** المنتبه وجمعه
ايقاظ كعضد واعضاد وبناء فعل كرجل ورجال ورجل يقظان وامراة يقظى **الرقاد** معروف وسمي به علما **الوصيد**
الفناء وقيل العتبة وقيل الباب **قال الشاعر** بارض فضاء لا يسد وصيدها • علي ومعروفي بها غير منكر •
الورق الفضة مضروبة وغير مضروبة **السرادق** قال ابو منصور الجواليقي هو فارسي معرب واصله سرا دار
وهو الدهليز وبيت مسردق اي ذو سرادق **المهل** ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت **شوى**
اللحم انضجه من غير مرق **السوار** ما جعل في الذراع من ذهب او فضة او نحاس ورصاص ويجمع على اسورة
في القلة كحمار واحمرة وعلى اساور في الكثرة كخمار وخمر **السندس** رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه
والاستبرق رومي عرب واصله استبره ابدلوا الهاء قافا قاله ابن قتيبة وقيل سمي بالفعل **الارائك**
السرير في حجله فان كان وحده فلا يسمى اريكة وقال الزجاج الارائك الفرش في الحجال

المفردات

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا هي مكية كلها في قول
الجمهور وعن ابن عباس وقتادة الى قوله واصبر نفسك الاية فمدنية وقال مقاتل الا من اولها الى
جرزا ومن قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الايتين فمدني وسبب نزولها ان قريشا
بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن
محمد وصفا لهما صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا
حتى اتيا المدينة فسالا الاحبار فقالوا سلوه فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل
متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم
حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن
الروح فاقبل النضر وعقبة الى مكة فسالوه فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله تعالى
فاستمسك الوحي خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه رئيه
التي كانت تاتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى الامد
جاءه الوحي بجواب الاسئلة وغيرها وروي في هذا السبب ان اليهود قالت ان اجابكم عن
الثلثة فليس بنبي وان اجابكم عن الاثنين وامسك عن الاخرى فهو نبي فانزل الله
سورة اهل الكهف وانزل بعد ذلك ويسالونك عن الروح ومناسبة اول السورة لاخر
ما قبلها انه لما قال وبالحق انزلناه وبالحق نزل وذكر المومنين به اهل العلم وانه يزيدهم
خشوعا وانه تعالى امر بالحمد له وانه لم يتخذ ولدا امره تعالى بحمده على انزال
الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المومنين بالاجر
الحسن ثم استطرد الى كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله وكبره تكبيرا الى الغيبة
في قوله على عبده لما في عبده من الاضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ التركيب انزل عليك
الكتاب والكتاب القران والعوج في المعاني كالعوج في الاشخاص ونكر عوجا ليعم جميع انواعه
لانها نكرة في سياق النفي والمعنى انه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه
ولا حوشية ولا عي في تراكيبه ومبانيه وقيما تاكيد لاثبات الاستقامة اذ كان مدلول قوله
مستقيما وهو قول ابن عباس والضحاك وقيل قيما بمصالح العباد وشرايع دينهم واحوال
معاشهم ومعادهم وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها واختلفوا في هذه الجملة المنفية
فزعم الزمخشري انها معطوفة على انزل فهي داخلة في الصلة ورتب على هذا ان الاحسن
في انتصاب قيما ان ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو
الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وقدره جعله قيما وقال ابن عطية قيما نصب على
الحال من الكتاب وهو بمعنى التقديم موخر في اللفظ اي انزل الكتاب قيما واعترض بين
الحال وذي الحال قوله ولم يجعل له عوجا ذكره الطبري عن ابن عباس ويجوز ان يكون
منصوبا بفعل مضمر تقديره انزله او جعله قيما انتهى اما اذا قلنا بالجملة المنفية اعتراض
وهو جايز ويفصل بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها وقال العسكري في الاية تقديم وتاخير
لانه قال احمد الله على انزال القران قيما لا عوج فيه ومن عادة البلغا ان يقدموا ما
الاهم وقال ابو عبد الله الرازي ولم يجعل له عوجا قيما يدل على كونه مكملا في ذاته
وقوله قيما يدل على كونه مكملا لغيره فثبت بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذي
ذكره وان ما ذكروه من التقديم والتاخير فاسد ويمتنع العقل من الذهاب اليه وقال
الكرماني اذا جعلته حالا وهو الاظهر فليس فيه تقديم ولا تاخير والصحيح انهما حالان
من الكتاب الاول جملة والثانية مفرد وهذا على مذهب من يجوز حالين من ذي
حال واحد بغير عطف وكثير من اصحابنا على منع ذلك انتهى واختاره الاصبهاني وقال

بما حالا ان متواليان والتقدير غير جاعل له عوجا قيما وقال صاحب حل العقد يمكن ان يكون
قوله قيما بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا قيما اي جعله مستقيما انتهى ويكون بدل مفرد
من جملة كما قالوا في عرفت زيدا ابو من انه بدل جملة من مفرد فيه خلاف وقيل قيما حال
من الها المجرورة في ولم يجعل له موكدة وقيل منقلبة منتقلة والظاهر ان الضمير في له
عايد على الكتاب وعليه التخاريج الاعرابية السابقة وزعم قوم ان الضمير في له عايد على
عبده وحمله قيما ولم يجعل له عوجا وقرا الجمهور قيما وقرا ابان ابن تغلب قيما وحفص بسكت
عن قوله عوجا سكتة ثم يقول قيما وفي بعض مصاحف الصحابة ولم يجعل له عوجا لكن جعل
له قيما ويحمل ذلك على تفسير المعنى لا انها قراءة وانذر يتعدى الى مفعولين قال انا
انذرناكم عذابا قريبا وحذف هنا المفعول الاول وصرح بالمنذر به لانه هو الغرض المسوق
اليه فاقتصر عليه ثم صرح بالمنذر في قوله حين كرر الانذار فقال وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا فحذف المنذر اولا لدلالة الثاني عليه وحذف المنذر به لدلالة الاول
عليه وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ولما لم تكرر البشارة اى بالمبشر والمبشر
به والظاهر ان لينذر متعلقة بانزل وقال الحوفي تتعلق بقيما ومفعول لينذر المحذوف
قدره ابن عطية لينذر العالم وابو البقا لينذر العباد او لينذركم والزمخشري قدره
خاصا واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بيس وقد بوس
الرجل باسا وباسه انتهى وكانه داعي في تعيين المحذوف مقابله وهو ويبشر المومنين
والباس الشديد عذاب الاخرة ويحتمل ان يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا ومعنى
من لدنه صادر من عنده وقرا ابو بكر بسكون الدال واسما بالضم وكسر النون
وتقدم الكلام عليها في اول هود وقرى ويبشر بالرفع والجمهور بالنصب عطفا على
لينذروا الاجر الحسن الجنة ولما كنى عن الجنة بالاجر الحسن اي بقوله اجرا حسنا ماكثين
فيه اي مقيمين فيه فجعله ظرفا لاقامتهم ولما كان المكث لا يقتضي التابيد قال ابدا
وهو ظرف دال على زمن غير متناه وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير
في لهم والذين انسبوا الولد الى الله تعالى بعض اليهود في عزير وبعض النصارى
في المسيح وبعض العرب في الملايكة والضمير في به عايد على الولد الذي ادعوه قال
المهدوي فتكون الجملة صفة للولد قال ابن عطية وهذا معترض لانه لا يصف الا
القايل وهم ليس قصدهم ان يصفوا والصواب عندي انهم نفي اخبر الله تعالى به
بجهلهم في ذلك ولا موضع للجملة من الاعراب ويحتمل ان يعود على الله تعالى وهذا التاويل
اذم لهم واقضى في الجهل التام عليهم وهو قول الطبري انتهى وقيل والمعنى ما لهم بالله
من علم فينزهونه عن ما لا يجوز عليه ويحتمل ان يعود على الحال المفهوم من قالوا
اى ما لهم بقولهم هذا من علم فالجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين من غير فكر ولا
روية ولا نظر في ما يجوز ويمتنع وقيل يعود على الاتخاذ المفهوم من اتخذ اى ما لهم
بحكمة الاتخاذ من علم اذ لا يتخذه الا من هو عاجز محتاج الى معين يشد به عضده
وهذا مستحيل على الله تعالى قال الزمخشري اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف
قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفا
العلم بالشي اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق
العلم به انتهى ولا لابايهم معطوف على لهم وهم من تقدم من اسلافهم الذين ذهبوا الى
هذه المقالة السخيفة بل من قال ذلك انما قاله عن جهل وتقليد وذكر الابا لان تلك المقالة
قد اخذوها عنهم وتلقفوها منهم وقرا الجمهور كلمة بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز
وفاعل كبرت مضمر يعود على المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدا وفي ذلك معنى
التعجب اي ما اكبرها كلمة والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق
بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوس به الشيطان في القلوب ويحدث به
النفس معنى واحدا لا يمكن ان يتفوه به بل تصرف عنه الكلمة فكيف بمثل هذا المنكر وسميت
كلمة كما تسمون القصيدة كلمة وقال ابن عطية وهذه المقالة هي قايمة في النفس

معنى واحد فيحسن ان تسمى كلمة وقال ايضا وقرا الجمهور بنصب الكلمة كقولك نعم رجلا
زيد وفسر في الكلمة ووصفها بالخروج من افواههم فقال بعضهم نصبها على التفسير على حد
نصب قوله تعالى وساءت مرتفقا وقالت فرقة نصبها على الحال اي كبرت فريتهم ونحو هذا
انتهى فعلى قوله كما تقول نعم رجلا زيد المخصوص بالذم محذوف لانه جعل تخرج صفة للكلمة والتقدير
كبرت كلمة خارجة من افواههم تلك التي فاهوا بها وهي مقالتهم اتخذ الله ولدا والضمير في كبرت
ليس عايدا على ما قبله بل هو مضمر يفسره ما بعده وهو التمييز على مذهب البصريين
ويجوز ان يكون المخصوص بالذم محذوفا وتخرج صفة له اي كبرت كلمة تخرج من افواههم وقال
ابو عبيدة نصب على التعجب اى اكبر بها كلمة اى من كلمة وقرا كبرت بسكون البا وهي في لغة تميم
وقال الحسن وابن يعمر وابن محيصن والعواس عن ابن كثير كلمة بالرفع على الفاعلية والنصب
ابلغ في المعنى واقوى وان نافية اى ما يقولون وكذبا نعت لمصدر محذوف اي قولا كذبا
فلعلك باخع لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور وقال العسكري هي هاهنا موضوعة
موضع النهي يعني ان المعنى لا تبخع نفسك وقيل وضعت موضع الاستفهام تقديره هل انت
باخع نفسك وقال ابن عطية تقدير وقال يوسف بمعنى الانكار عليه اي لا تكن كذلك وقال
الزمخشري شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما تداخله من الوجد والاسف
على اباهم وتبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم انتهى وكون لعل للاستفهام قول كوفي
والاظهر انها للاشفاق اشفق ان يبخع الرسول نفسه عليهم لكونهم لم يومنوا وقوله
على اثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبارا وتباعد عن الايمان واعراض عن الشرع
وكانهم من فرط ادبارهم يحثو عليهم ومعنى اثارهم من بعدهم او بعد يأسه من ايمانهم
او بعد موتهم على الكفر ويقال مات فلان على اثر فلان اى بعده وقرا باخع نفسك بالاضافة
وقرا الجمهور باخع بالتنوين بالنصب قال الزمخشري على الاصل يعني ان اسم الفاعل
اذا استوفى شروط العمل فالاصل ان يعمل وقد اشار الى ذلك س في كتابه وقال
الكسائي العمل والاضافة سوا وقد ذهبنا الى ان الاضافة احسن من العمل بما قررناه
في ما وضعنا في علم النحو وقرا ان لم يومنوا بكسر الهمزة وفتحها فمن كسر قال الزمخشري
فهو يعني اسم الفاعل للاستقبال ومن فتح فالمعنى يعني حالة الاضافة اى لان لم يومنوا
والاشارة بهذا الحديث الى القران قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
واسفا قال مجاهد جزعا وقال قتاده غضبا وعنه ايضا حزنا وقال السدي ندما وقال
الزجاج الاسف المبالغة في الحزن والغضب وقال منذر ابن سعيد الاسف هنا الحزن لانه
على من لا يملك ولا هو تحت يد الاسف ولو كان الاسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه
كان غضبا كقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا قال ابن عطية واذا تاملت
هذا في كلام العرب اطرد انتهى وانتصاب اسفا على انه مفعول من اجله وعلى انه مصدر
في موضع الحال وارتباط قوله انا جعلنا الاية بما قبلها هو على سبيل التنبيه للرسول
صلى الله عليه وسلم لانه تعالى اخبر انه خلق ما على الارض من الزينة للابتلا والاختبار
اي الناس احسن عملا فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل بل لابد ان
يكون فيهم من هو احسن عملا ومن هو اسوء عملا فلا تغتم وتحزن على من تثبت عليه بانه
يكون اسوء عملا ومع كونهم يكفرون ما لا اقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها وجعلنا
هنا بمعنى خلقنا والظاهر انما يراد بما غير العاقل وانه يراد به العموم فيما لا يعقل وزينة كل
شي بحسبه وقيل لا يدخل في ذلك ما كان فيه ايذا من حيوان وحجر ونبات لانه لا زينة فيه
ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعته واحكامه وقيل المراد بما هنا خصوص
ما لا يعقل فقيل الاشجار والانهار وقيل النبات لما فيه من الاختلاف والازهار وقيل الحيوان
المختلف الاشكال والمنافع والافعال وقيل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت
والزبرجد والجوهر والمرجان وما يجرى مجرى ذلك من نفايس الاحجار وقال الزمخشري
ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها
وقالت فرقة اراد النعيم والملابس والثمار والخضرة والمياه وقيل ما هنا لمن يعقل نعم مجاهد

هو الرجال وقاله ابن جبير عن ابن عباس وروى عكرمة ان الزينة الخلفا والعلما والامرا
وانتصب زينة على الحال او على المفعول من اجله ان كان جعلنا بمعنا خلقنا واوجدنا وان
كانت بمعنى صيرنا فانتصب على انه مفعول ثان واللام من لنبلوهم تتعلق بجعلنا والابتلا
الاختبار وهو مناول بالنسبة الى الله تعالى والضمير في لنبلوهم ان كانت ما لمن يعقل
فهو عايد عليها على المعنى وان لا يعود على ما يفهم من سياق الكلام وهو سكان الارض
المكلفون وايهم يحتمل ان يكون الضمة فيها اعرابا فيكون ايهم مبتدا واحسن خبره
والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق لنبلوهم اجرا لها مجرى العلم لان
الابتدا او الاختبار سبب للعلم كما علقوا اسل وانظر البصرية لانهما سببان تكون الضمة
فيها بنا على مذهب س لوجود شرطه جواز البنا في اي وهو كونها مضافة قد حذف
صدر صلتها واحسن خبر مبتدا محذوف تقديره هو احسن ويكون ايهم في موضع نصب
بدلا من الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره فمن ليس احسن عملا وقال
الثوري احسنهم عملا ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني انزل لها وقال الزمخشري
حسن العمل الزهد وترك الاغترار بها وقال ابو بكر غالب ابن عطية احسن العمل احد
من الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه وقال
الكلبي احسن طاعة وقال القاسم بن محمد ما عليها من الانبيا والعلما لنبلو المرسل اليهم
والمتقلدين للعلما ايهم احسن قبولا واجابة وقال سهل احسن توكلا علينا فيها وقيل
اصفى قلبا واحسن سمتا وقال بن اسحق ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وانا لجاعلون
اي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها او ما عليها مما هو اعم من الزينة وغيرها صعيدا
ترابا جرزا لانبات فيها وهذا اشارة الى الزهد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم عما تضمنته ايدي المترفين من زينتها اذ مال ذلك كله
الى الفنا والمحاق وقال الزمخشري ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا
يعني مثل ارض بيضا لانبات بها بعد ان كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة
حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو
ذلك انتهى قيل والصعيد ما يصاعد على وجه الارض وقال مجاهد الارض التي لانبات
بها وقال السدي الاملس المستوي وقيل الطريق وقيل الحديث اياكم والقعود
على الصعدات ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق
انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ام هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل
والهمزة قيل للاضراب عن الكلام الاول بمعنى الانتقال من كلام الى اخر لا بمعنى الابطال
والهمزة للاستفهام وزعم بعض النحويين ان ام هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر في ام
حسبت انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد لم ينهه عن التعجب وانما اراد
كلا ايا تنا كذلك وقال قتاده لا تتعجب منها قال عجايب في خلق السموات والارض قال
بن عباس سالوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك وساير ايات القران
ابلغ واعجب واول على صدقك وقال الطبري تقديره عليه الصلاة والسلام على حسابه
ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه ان لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك
السايلون من الكفرة فان ساير ايات الله اعظم من قصتهم قال وهو قول بن عباس
ومجاهد وقتاده وابن ابي اسحق وقال الزهراوي يحتمل معنى اخر وهو ان يكون استفهاما
له هل علم ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى اثبات انهم عجب ويكون فايدة تفسيره
جمع لنفسه للامر لان جوابه ان يقول لم حسبت ولا اعلمه فيقال له اوصفهم عند ذلك
والتجوز في هذا التاويل هو في لفظ حسب انتهى وقال غيره معناه اعلمت اي لم تعلمه
حتى اعلمتك وقال غيره معناه اعلمت وقال الزمخشري ذكر من الايات الكلية وبين

الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال
ام حسبت ان يعني ان ذلك اعظم من قصة اهل الكهف وابقا حياتهم مدة طويلة انتهى وقيل ام
علمت اي فاعلم انهم كانوا عجبا كما تقول اعلمت ان فلانا فعل كذا اي قد فعل فاعلمه وقيل مقام
العلم فلذلك حسبت بمعنى علمت تقدم تفسيره في المفردات وعن انس الكهف الجبل قال
القاضي وهذا غير مشهور في اللغة وقال مجاهد تفريج بين الجبلين والظاهر ان اصحاب
الكهف والرقيم هم الفية المذكورة هنا وعن بن المسيب انهم قوم كان حالهم كاصحاب
الكهف وقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيها طارفية احدى وعشرون نفسا اموات
كلهم نيام على هيئة اصحاب الكهف وقيل هم اصحاب الغار ففي الحديث عن النعمان بن بشير
انه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلثه عشر نفرا اصابتهم
السما فاووا الى الكهف وذكر الحديث وهو حديث المساحة والضعيف وبار الوالدين
وفيما اوردوه فيه زيادة اللفظ على ما في الصحيح ومن قال انهم طايفتان قال اخبر الله تعالى
عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشي ومن قال بانهم طايفة واحدة اختلفوا
في شرح الرقيم فعن ابن عباس انه لا يدري ما الرقيم اكتاب ام بنيان وعنه انه كتاب
كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام
وقيل من دين قبل عيسى عن ابن عباس ووهب انه اسم قريتهم وقيل لوح من ذهب تحت
الجدار اقامه الخضر عليه السلام وقيل كتب فيه اسماهم وقصتهم وسبب خروجهم
وقيل لوح من رصاص كتب فيه شان الفية ووضع في تابوت من نحاس في فم الكهف
وقيل صخرة كتب فيها اسماهم وجعلت في سور المدينة وقيل اسم كلبهم وتقدم بيت امية
قال انس والشعبي وابن جبير وعن الحسن الجبل الذي به الكهف وعن عكرمة اسم
الرواة بالرومية وقيل اسم للوادي الذي فيه الكهف وقيل رقم الناس حديثهم نقرا
في الجبل وعجبا نصب على انه صفة لمحذوف دل عليه ما قبلهم وتقديره انه عجبا وصفة بالمصدر
او على تقدير ذات عجب واما اسما فية الكهف فاعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط والسني في معرفتها
ولم يات في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القران الا ما قص تعالى علينا من قصصهم
ومن اراد تطلب ذلك فمن كتب التفسير وروي ان اسم الملك الكافر الذي خرجوا
في ايامه عن ملته اسمه دقيوس وروي انهم كانوا في الشام وقيل في الروم وان بالشام كهفا
فيه موتى ويزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وشي يسمى الرقيم ومعهم كلب
رمه وبالاندلس في جهة غرناطه بقرب قرية تسمى لوشه كهف فيه موتى ومعهم كلب
رمه واكثرهم قد انجرد لحمهم وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد
من علم شانهم ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف قال ابن عطية دخلت اليهم فرايتهم منذ
اربع وخمسماية وهم بهذا الحال وعليهم مسجد وقريب منهم بنا رومي يسمى الرقيم
كانه قصر مخلق قد بقي عليه بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وبا على حضره
غرناطه مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في اثارها غرايبا
من قبور ونحوها وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده لانه عجب يتخلد ذكره ما شا الله
تعالى انتهى وحين كنا بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون
في عدتهم اذا عدوهم وان معهم كلبا ورحل الناس الى لوشه لزيارتهم واما ما ذكر من مدينة
دقيوس التي بقبلي غرناطه فقد مررت عليها مرارا لا يحصى وشاهدت فيها حجارا كبارا ويترجح
كون اهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى انها هي بلاد مملكتهم العظمى ولان الاخبار
بما هو اقصى مكان من ارض الحجاز اغرب وابعد ان يعرفه احد الا بوحي من الله تعالى والعامل
في اذ قيل اذكر مضمرة وقيل عجبا ومعنى اوى جعلوه ماوى لهم وكان اعتصام ثم دعوا الله
تعالى ان يوتيهم رحمة من عنده وفسرها المفسرون بالرزق وقال الزمخشري هي
المغفرة والرزق والامن من الاعدا والفتية جمع فتى فهي تكسير وجمع قلة وكذلك كانوا
قليلين وعن بن السراج انه اسم جمع لا جمع تكسير ولفظ الفتية يشعر بانهم كانوا شبابا
وكذا روي انهم كانوا شبابا من ابنا الاشراف والعظما مطوقين مسورين بالذهب

ذرى دوايب ومم من الروم اتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واصحابنا الاندلسيون
مكثر في الفاظهم تسمية نصارى الاندلس بالروم في نثرهم ونظمهم ومخاطبة عامتهم
فيقولون غزونا بالروم جانا الروم وقيل دقل من ينطق بلفظ النصارى ولما دعوا باتنا
وهى تتضمن الرزق وغيره دعوا الله بان يهيى لهم من امرهم رشدا وهو الاهتدا
والديمومة عليه وقال الزمخشري واجعل امرنا رشدا كلمة كقوله رايت منك اسدا
وقال ابو جعفر والزهري وشيبة وهي ويهيى بيا بين من غير همز يعني انه ابدل
الهمزة الساكنة يا وفي كتاب ابن خالويه الاعشى عن ابي بكر عن عاصم وهي لنا ويهيى
لكم لا يهمز انتهى فاحتمل ان يكون ابدل الهمزة يا واحتمل ان يكون حذفها فالاول
ابدال قياسي والثاني مختلف ينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الامر والمضارع
اذا كان مجزوما وقرا ابو رجا رشدا بضم الرا وسكون الشين وقرا الجمهور رشدا
بفتحهما قال ابن عطية وهي ارجح لشبهها بفواصل الايات قبل وبعد وهذا الدعا منهم
كان في امر دنياهم والفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الاخرة ورحمتها
ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الاخرة انتهى وضربنا على اذانهم استعارة بديعة للاانامة
المستقلة التي لا تكاد تسمع معها وعبر بالضرب ليدل على قوة المباشرة واللصوق واللزوم
ومنه ضربت عليهم الذلة وضرب الجزية وضرب النعت وقال الفرزدق •

• ضربت عليك العنكبوت بنسجها • وقضى عليك به الكتاب المنزل •
• وقال الاسود بن يعفر • ومن الحوادث لا ابا لك انني •
• ضربت على الارض بالاسداد • وقال الاخرانا المروة والسماحة والندى •
• في قبة ضربت على ابن الحشرج • استعارة للديموم هذه الاوصاف لهذا الممدوح وذكر

الجارحة التي هي الاذن اذ هي التي يكون منها السمع لانه لا يستحكم نوم الامع تعطل السمع
وفي الحديث ذاك رجل بال الشيطان في اذنه اى استثقل نومه جدا حتى لا يقوم بالليل
ومفعول ضربنا محذوف اى حجابا ان يسمع كما يقال بنى على امراته ويدرون بنى عليها القبة
وانتصب سنين على الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا مصدر وصف به او منتصب بفعل
مضمر اى تعد عددا او بمعنى اسم المفعول فالنقص ووصف به سنين اى سنين معدوده
والظاهر في قوله عددا الدلالة على الكثرة لانه لا يحتاج ان يعد الاما كثر لاما قل
وقال الزمخشري ويحتمل ان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا
ساعة من نهار انتهى وهذا تحريف في التسمية لان لفظ الاية كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الاساعة من نهار فهذا نسبة لسرعة انقضا ما عاشوا في الدنيا اذا راوا العذاب
كما قال • كان الفتى لم يعد يوما اذا اكتسى • ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا •
ثم بعثناهم اى ايقظناهم من نومهم والبعث التحريك عن سكون اما في الشخص واما
في الامر المبعوث فيه وان كان المبعوث متحركا ولنعلم اى لنظهر لهم ما علمناه من امرهم
وتقدم الكلام في اول هذا في قوله لنعلم من يتبع الرسول وفي التحرير وقرا الجمهور
لنعلم بالنون وقال الزهري ليعلم باليا وفي كتاب ابن خالويه ليعلم اى الحزبين حكاه
الاخفش وفي الكشاف وقرا ليعلم وهو متعلق عنه لان ارتفاعه بالابتدا باسناد يعلم
اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول يعلم انتهى فاما قراة ليعلم فيظهر ان
ذلك التفات خرج من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة فيكون معناها ومعنى بالنون
سوا واما ليعلم فيظهر ان المفعول الاول محذوف لدلالة المعنى عليه والتقدير
ليعلم الله الناس اى الحزبين والجملة من المبتدا والخبر في موضع مفعول ليعلم الثاني
والثالث وليعلم معلق واما في الكشاف الذى لا يسمى فاعله وهو قايم مقام
الفاعل فكما ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا يقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم ما ناب
عنه والكوفيون مذهبان احدهما انه يجوز الاسناد الى الجملة مطلقا والثاني انه
لا يجوز الا ان ذلك الفعل مما يصح تعليقه والظاهر ان الحزبين هما منهم لقوله تعالى
وكذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم قال قايل الاية وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم

مطاول ويدل على ذلك انه تعالى بدا بقصتهم اولا مختصرة من قوله نحن نقص الى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا وقال ابن عطية والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هو الفتية
اي ظنوا لبثوا قليلا والحزب الثاني هم اهل المدينة الذين بعثوا الفتية على حدهم حين
كان عندهم التاريخ بامر الفتيه وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهى وقالت فرقة
هما حزبان كافران اختلفا في مدة اهل الكهف قال السدي من اليهود والنصارى
الذين علموا قريشا السوال عن اهل الكهف وعن الخضر وعن الروح وكانوا قد اختلفوا
في مدة اقامة اهل الكهف وقال مجاهد قوم اهل الكهف كان منهم مومنون وكافرون
واختلفوا في مدة اقامتهم وقيل حزبان من المومنين في زمن اصحاب الكهف اختلفوا في مدة
لبثهم قاله الفرا وقال ابن عباس الملوك الذين تداركوا ملك المدينة حزب اهل
الكهف وقال ابن بحر الحزبان الله والخلق كقوله تعالى انتم اعلم ام الله وهذه كلها
اقوال مضبوطة وقال قتادة لم يكن للفريقين علم بلبثهم لا لمومن ولا لكافر بدليل
قوله تعالى الله اعلم بما لبثوا وقال مقاتل كما بعثوا ذلك السل وعرفت حقيقة واحصى
جوز الحوفي وابو البقا ان يكون فعلا ماضيا وما مصدرية وامدا مفعول به وان يكون
افعل تفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية ان يكون فعلا ماضيا ورجحوا
هذا بان احصى اذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي وعندهم انما اعطا واولاه للمعروف
واعدى من الجرب شاذ ولا يقاس ويقول ابو اسحق انه كثير في الرباعي فيجوز وخلط ابن
عطية فاورد فيما بنى من الرباعي ما اعطاه للمال لنجيره وهي اسود من القار وماوه ابيض
من اللبن فهو لما سواها اضيع قال وهذه كلها افعل من الرباعي انتهى واسود وابيض
ليس بنا ومما من الرباعي وفي بنا افعل للتعجب والتفضيل ثلثة مذاهب تبنى منه مطلقا
وهو ظاهر كلام س وقد جات منه الفاظ فلا تبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ وقد التفضيل
من ان تكون لهمزة فلا يجوز او لغير النقل كاشكل الامر واظلم الليل فيجوز تقول ما اشكل هذه
المسيلة وما اظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من اصحابنا ودلايل هذه المذاهب
مذكورة في كتب النحو واذا قلنا بان احصى اسم للتفضيل جاز ان يكون اي الحزبين موصولا
لا مبنيا على مذهب س لوجود شرط جواز البنا فيه وهو كون اى مضافا قد حذف صدر صلتها
والتقدير ليعلم الفريق الذي هو احصى لما لبثوا امدا من الذين لم يحصوا واذا كان فعلا ماضيا
امتنع ذلك لانه اذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة بنفسه على تقدير جعل اي
موصولة ولا يجوز بناوها لانه فات تمام شرطها وهذا ان يكون حذف صدر صلتها وقال
الزمخشري فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناوه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من
ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان
ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه
باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على
نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا
ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى اما دعواه الشذوذ فهو مذهب ابي على
وقد ذكرنا ان ظاهر مذهب س جواز بنايه من افعل مطلقا وانه مذهب ابي اسحق وان
التفضيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة في احصى ليست للنقل واما قوله
فافعل لا يعمل ليس بصحيح فانه يعمل في التمييز وامدا تمييز وهكذا اعربه من زعم ان احصى
افعل للتفضيل كما تقول زيد اقطع الناس سيفا وزيد اقطع للهام سيفا ولم يعربه مفعولا
به واما قوله واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى اي لا يكون سديدا فقد ذهب
الطبري الى نصب امدا بلبثوا قال ابن عطية وهذا غير متجه انتهى وقد يتجه ذلك
ان الامد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث ان المدة غاية في امد المدة على
الحقيقة وما بمعنى الذي وامدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من امد اي
مدة ويصير من امد تفسير الما انبهم في لفظ ما لبثوا ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل

واما قوله فان زعمت الى اخره فنقول لا يحتاج الى هذا الزعم لانه لقائل ذلك ان يسلك مذهب الكوفيين في ان افعل التفضيل ينصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب باضرب نصب المفعول به وانما تاويله بضرب القوانس قول البصريين ولذلك ذهب بعض النحويين الى ان قوله اعلم من يضل من منصوب باعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود مثل وا ضرب منا بالسيوف القوانسا لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان افعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمن الا ترى ان المعنى تزيد ضربنا بالسيوف القوانس على ضرب غيرنا ولما ذكر قوله ليعلم مشعرا باختلاف في امرهم عقبه بانه تعالى هو الذي يقص شيا فشيا على رسوله صلى الله عليه وسلم خبرهم بالحق اي على وجه الصدق وجا الفظ نحن نقص مواز نا لقوله لنعلم ثم قال امنوا بربهم ففيه اضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده ولم يات التركيب امنوا بنا للاشعار بتلك الزينة وهو انهم مربوبون له مملوكون ثم قال وزدناهم ولثمرات التركيب وزادهم لما في لفظ نا من العظمة والجلال وزيادته تعالى لهم هدي هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع اليه ومباعدة الناس والزهد في الدنيا فهذه زيادة على الايمان الذي حصل لهم وفي التحرير وزدناهم ثمرات هدا او يقينا قولان وما حصلت به الزيادة امتثال المامور وترك المنهي او انطاق الكلب لهم بانه موعلى ما هم عليه من الايمان او انزال ملك عليهم بالتبشير والتثبيت واخبارهم لظهور نبي من العرب يكون الدين كله لله فامنوا به قبل بعثه اقوال ثلثه ملخصة من التحرير وربطنا على قلوبهم ثبتناها وقويناها على الصبر على هجر الوطن والنعم والفرار بالدين الى غار في مكان قفر لا انيس به ولا ما ولا طعام ولما كان الفزع وخوف النفس تشبه بالتناسب الاجلال حسن في شدة النفس وقوة التصبر ان شبه الربط ومنه فلان رابط الحواس اذا كانت نفسه لا تنفزع عند الفزع والخوف وقال تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها والعامل في اذ ربطنا اي ربطناحين قاموا ويحتمل القيام ان يكون مقامهم بين يدي الملك الكافر دقيانوس وانه مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخلعوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته ويحتمل ان تكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة الناس كما يقال قام فلان الى كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد وقال الكرماني قاموا على ارجلهم وقيل قاموا على ايمانهم وقال صاحب العباد اذ قاموا بين يدي الملك فتحركت هذه وقيل فاده ففزع هم دقيانوس فنظر بعضهم الى بعض فلن يتمالكوا ان قالوا ربنا رب السموات والارض وكان قومهم عباد اصنام وما احسن ما وجد واالله بان ربهم موجد السموات والارض المتصرف فيهما على ما يشا ثم اكد واهذا التوحيد بالبراة من الدعيره بلفظ النفي المستغرق بابتدا الزمان على قول واللام على قول لام توكيد وا داحرف جواب وجزا اي لقد قلنا ان دعونا من دونه الها قولا شططا اي ذا شطط وهو التعدي والجور فشططا نعت لمصدر لمحذوف اما على الحذف كما قدرناه واما على الوصف به على جهة المبالغة وقيل مفعولا به فنزلنا وقال قتادة شططا كذبا وقال ابن زيد خطا هولا قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ولما وجدوا الله تعالى ورفضوا ما دونه من الالهة اخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة لهم في عبادة غير الله ثم عظموا جرم من افترى على الله كذبا وهذه المقالة تحتمل ان قالوها في مقامهم بين يدي الملك تقبيحا لما هو وقومهم عليه وذلك ابلغ في التبري من عبادة الاصنام وان في عصد الملك اذا احتروا علنه بذم ما هو عليه ويحتمل ان قالوا ذلك عند قيامهم للامر الذي عزموا عليه وهو لا يسند وا وقومنا قال الحوفي خبر واتخذوا في موضع الحال وقال الزمخشري وتبعه ابو البقا قومنا عطف بيان واتخذوا في موضع الخبر والضمير في من دونه عايد على الله تعالى ولولا تحضيض صحبه الانكار اذ يستحيل وقوع سلطان بين على ذلك ولا يمكن فيه التحضيض

الصرف

الصرف تحضيضهم على ذلك على سبيل التعجيز لهم ومعنى عليهم على اتخاذهم الهة واتخذوا هنا يحتمل ان يكون بمعنى عملوا لانها اصنام هم نحتوها وان يكون بمعنى صيروا وقيتما ذكروه دليل على ان الدين لا يوخذ الا بالحجة والدعوي اذا لم يكن عليها دليل فاسدة ومن ظلم وافترى على الله وكذب بنسبة شركا لله واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة اوطان قومهم ومعتقداتهم وهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف على المفعول في اعتزلتموهم اي واعتزلتم معبودهم والا الله استثنا متصل ان كان قومهم يعبدون الله تعالى مع الهتهم لاندراج لفظ الجلالة في قوله وما يعبدون وذكر ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الالهة ولم يعتزلوا عبادة الله وقال ايضا هذا العز منقطع ان كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم وفي مصحف عبد الله وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها قال هارون انما اريد به تفسير المعنى وان هولا الفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله ذلك قرانا لمخالفتها سواد المصحف ولان المستفيض عن عبد الله بل هو متواتر ما ثبت في السواد وهو وما يعبدون الا الله وقيل وما يعبدون الا الله فعلى هذا ما نافيه والا الله استثنا مفرغ له العامل فاووا الى الكهف اجعلوه ماواكم تقيمون فيه وتاوون اليه وقولهم ينشر فيه ما كانوا عليه من الثقة بالله حيث اووا الى الكهف ورتبوا على ماواهم اليه نشر رحمة الله تعالى عليهم وتهيئة رفقه تعالى بهم لان من اخرجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان لا يضيعهم والمعنى انه تعالى يبسط علينا رحمته ويهي لنا ما يرتفق به في امر عيشتنا قال ابن عباس ويهيي لكم يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه وياتيكم باليسر والرفق واللطف وقال ابن الانباري المعنى ويهي لكم من امركم الصعب مرفقا قال الشاعر

فليس لنا من ماء زمزم شربة • مبردة باتت على طهيان •

اي بدلا من ماء زمزم وقال الزمخشري اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر وابو بكر في رواية الاعشى والبرجمي والجعفي عنه وابو عمرو في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفا ويقال انهما جميعا في الامر الذي يرتفق به وفي الجارحة حكاه الزجاج وثعلب وذكر مكي عن الفرا انه قال لا اعرف في الامر وفي اليد وفي كل شي الا كسر الميم وانكر الكسائي ان يكون المرفق من الجارحة الا بفتح الميم وكسر الفا وخالفه ابو حاتم وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وقال ابو زيد هو مصدر كالرفق جا على مفعل وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما من اليد فبكسر الميم وفتح الفا لا غير وعن الفرا اهل الحجاز يقولون مرفقا بفتح الميم وكسر الفا فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الانسان والعرب بعد يكسرون الميم منهما جميعا انتهى واجاز معاذ فتح الميم والفا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا مناسبة هذه الاية لما قبلها ما تقدم من قولهم فاووا الى الكهف فالقى الله تعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم وارفقهم في الكهف باشيا وقرا الحرميان وابو عمرو تزاور بادغام التا في الزاي وقرا الكوفيون والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وابن مناذر وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني واحمد ابن جبير الانطاكي بتخفيف الزاي اذ حذفوا التا وقرا ابن ابي اسحق وابن عامر وقتادة وحميد ويعقوب عن العمري تزور على وزن تحمر وقرا الجحدري وابو رجا والسختياني ايوب وابن ابي عبلة وجابر وورد عن ايوب تزاور على وزن تحامر وقرا ابن مسعود وابو المتوكل تزوير بهمزة قبل الرا على قولهم

لهام واسعاد بالهمزة قرا من التقا الساكنين والمعنى تزوغ وقيل تميل وذات اليمين
جهة يمين الكهف وحقيقته الجهة المسماة باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف او يمين
الفتية وتقرضهم لا تقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة اي متسع من الكهف قال
ابن عباس المعنى انهم كانوا لا يصيبهم الشمس وقرا الجمهور تقرضهم بالتا وقرات فرقة
باليا اي يقرضهم الكهف وقالت فرقة انها كانت الشمس تقتضي انهم كان لهم حاجب
من جهة الدبور وهم في رواية وقال عبد الله بن مسلم كان باب الكهف ينظر الى بنات
نعش وعلى هذا كان اعلى الكهف مستورا من المطر قال ابن قتيبة كان كهفهم مستقبل
بنات نعش لا تدخله الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب اختار الله لهم مضجعا متسعا
في مقتاد لا تدخل عليهم الشمس فتوذيهم وتندفع عنهم كربة الغار وغمومه وقال الزمخشري
المعنى انهم في ظل فيها وهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان
واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم انتهى وهو يبسط
قول الزجاج قال الزجاج فعل الشمس كان اية من ايات الله تعالى دون ان يكون
باب الكهف الى جهة توجب ذلك وقال ابو علي معنى تقرضهم تعطيهم من ضوءها
شيا ثم يزول سريعا كالقرض يسترد المعنى عنده ان الشمس تميل بالغداة عن كهفهم
وتصيبه بالعشي اصابة خفيفة انتهى ولو كان من العوض الذي يعطى ثم يسترد لكان
الفعل رباعيا وكان يكون تقرضهم بالتا مضمومة لكنه من القطع وانما التقدير تقرض لهم
اي تقطع لهم من ضوءها شيا قيل ولو كانت الشمس لا تصيبه اصلا لكان يفسد
هواه ويتعفن ما فيه فيهلكوا والمعنى انه تعالى دبر امرهم فاسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط
الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة دايمة فيعفن والاشارة للشمس بذلك الى
ما صنعه تعالى بهم من ازورار الشمس تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم
بالكرامة ومن قال انه كان مستقبل بنات نعش بحيث كان له حاجب من الشمس كانت
الاشارة الى ان حديثهم من ايات الله وهو هدايتهم لتوحيده واخراجهم من بين
عبدة الاوثان وايواهم الى ذلك الكهف وحمايتهم من عدوهم والقا الهيبة عليهم
وصرف الشمس عنهم يمينا وشمالا لئلا يفسد حالهم وامانتهم هذه المدة الطويلة
وصونهم من البلا وثيابهم من التمزق ويدل على انه اشارة الى الهداية قوله من
يهدي الله فهو المهتدي وهو لفظ عام يدل فيما سيق بسببهم وهم اهل الكهف
ومن يضلل عام ايضا مثل دقيانوس الكافر واصحابه والخطاب في وتحسبهم وفي ترى
الشمس لمن قدر له ان يطلع عليهم قيل كانوا مفتحة اعينهم وهم نيام فيحسبهم الناظر
منتبهين قال ابو محمد ابن عطية ويحتمل ان يحسب الراي تلك الشدة الحفظ الذي
كان عليهم وقلة التغير فيحسبه الراي يقظان وان كان مسدود العينين ولو صح فتح
اعينهم لسد بقطع العذر كان ابين في ان يحسب عليهم التيقظ انتهى والظاهر ان قوله
وتحسبهم ايقاظا اخبار مستانف وليس على تقدير وقيل في الكلام حذف تقديره
لو رايتهم لحسبتهم ايقاظا والظاهر ان قوله ونقلبهم خبر مستانف وقيل انما وقع الحساب
من جهة تقليبهم ولا سيما اذا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وفي
قراة الجمهور ونقلبهم بالنون يريد اعتنا الله تعالى بهم حيث استند التقليب اليه
تعالى وانه هو الفاعل ذلك وحكى الزمخشري انه قرا ويقلبهم باليا مشددا اي
يقلبهم الله وقرا الحسن فيما حكى الاهوازي في الاقناع ويقلبهم بيا مفتوحة وقاف ساكنة
مخففة اللام وقرا الحسن فيما حكى ابن جني وتقلبهم مصدر تقلب منصوبا وقال هذا
نصب بفعل مقدر كانه قال وترى او تشاهد تقلبهم وعنه ايضا انه قرا كذلك الا انه
ضم اليا فهو مصدر مرتفع بالابتدا قاله ابو حاتم وذكر هذه القراة ابن خالويه
عن اليماني وذكر ان عكرمة قرا وتقلبهم بالتا باثنين من فوق مضارع قلب مخففا قيل
والفايدة في تقليبهم في الجهتين لئلا تبلي الارض ثيابهم وتاكل لحومهم فيعتقدوا انهم
ماتوا وهذا فيه بعد فان الله الذي قدر على ان يبقيهم احيا تلك المدة الطويلة

هو

هو قادر على حفظ اجسامهم وثيابهم وعن ابن عباس لو مستهم الشمس لاحرقتهم ولولا
التقليب لاكلتهم الارض انتهى وذات بمعنى صاحبة اي جهة ذات اليمين ونقل المفسرين
الخلاف في اوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات عن ابن عباس وابي هريرة وقتاده
ومجاهد وابن عياض باقوال متقاربة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحا وكذلك لم
نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع او غيره لان مثل العدد والوصف والتسمية
لا تدرك بالعقل وانما تدرك بالسمع لا يكون في مثل هذا الا عن الانبيا والكتب
الالهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها والظاهر ان قوله وكلبهم اريد به الحيوان
المعروف وابعد من ذهب الى انه اسد وابعد من ذلك قول من ذهب الى انه رجل طباخ
لهم تبعهم او احد تبعه عند الباب طليعة لهم وحكى ابو عمرو الزاهد غلام ثعلب
انه قرا وكالبهم اسم فاعل من كلا اذا حفظ فينبغي ان يحمل انه الكلب لحفظه للانسان
قيل ويحتمل ان يكون يراد بالكالي الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق
بالارض مع رفع الوجه للتطلع على هيئة الوسه المتحمى بنفسه وقرا جعفر الصادق
وكالبهم بالبا بواحدة اي صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر اي صاحب لبن وتمر
وقال الزمخشري باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا
كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت
حكاية الحال الماضية انتهى وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي ليس
اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن اصحابنا ابو جعفر ابن مضا الى انه يجوز ان
يعمل وحجج الفريقين مذكورة في النحو والوصيد قال ابن عباس الباب وعنه وعن
مجاهد وابن جبير ايضا التراب والخطاب في لو اطلعت لمن هو له في قوله وترى
الشمس وتحسبهم ايقاظا وقرا ابن وثاب والاعمش لو اطلعت بضم الواو وصلا
والجمهور بكسرها وقد ذكر ضمها عن شيبه وابو جعفر ونافع وعليه الرعب لما
القى الله عليهم من الهيبة والجلال فمن رام الاطلاع عليهم ادركه تلك الهيبة
ومعنى لوليت اعرضت بوجهك عنهم واوليتهم كشحك وانتصب فرارا على المصدر
اما لفررت محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت واما مفعولا من اجله وانتصب
رعبا على انه مفعول ثان وابعد من ذهب الى انه تمييز منقول من المفعول
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا على مذهب من اجاز نقل التمييز من المفعول
لانك اذا سلطت عليه الفعل ما تعدي اليه المفعول به بخلاف وفجرنا الارض عيونا
وقيل سبب الرعب طول شعورهم واظفارهم وصفرة وجوههم وتغيير اطوارهم وقيل
لاظلام المكان وايحاشه وليس هذان القولان بشي لانهم لو كانوا بتلك الصفة انكروا
احوالهم ولم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم ولان الذي بعث الى المدينة لم ينكر
الا المعالم والبنا لا حاله في نفسه ولانهم بحالة حسنة بحيث لا يعرف الراي بينهم
وبين الايقاظ وهم في فجوة منخرقة الرياح والمكان الذي بهذه الصورة لا يكون
موحشا وقرا ابن عباس والحرميان وابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد اللام
وابدال الثاني الهمزة وقرا الزهري بتخفيف اللام والابدال وتقدم الخلاف
في رعبا في ال عمران وقرواهنا بضم العين ابو جعفر وعيسى وكذلك بعثناهم ليتسالوا
بينهم قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه
وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابدا الكاف للتشبيه والاشارة بذلك قيل الى المصدر المفهوم من فضربنا
على اذانهم اي مثل ما جعلنا انامتهم هذه المدة الطويلة اية جعلنا بعثهم اية وقاله
الزجاج وحسنه الزمخشري فقال وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم
اذ كانوا بالقدرة على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا

يقينا ويشكر واما انعم به عليهم وكرموا به انتهى وناسب هذا التشبيه قوله
تعالى حينا او رد قصتهم اولا مختصرة فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم
بعثناهم وقال ابن عطية الاشارة الى ذلك الامر الذى ذكره الله تعالى في جهتهم
والعبرة التى فعلها فيهم واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة لان بعثهم لم يكن
ليتيقن تساؤلهم انتهى القايل قيل كبيرهم مكسلمينا وقيل صاحب نفقتهم امليخا
وكم سوال عن العدد والمعنى كم يوما اقمتم نايمين والظاهر صدور الشك
من المسؤلين وقيلا وللتفصيل قال بعضهم لبثنا يوما وقال بعضهم بعض
يوم والتايل احسن في خاطره طول نومهم ولذلك سال قيل ناموا اول النهار
واستيقظوا اخر النهار وجوابهم هذا مبني على غلبة الظن والقول بالظن
الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك في الاخبار ردوا علم لبثهم الى الله تعالى
وقال الزمخشري قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم
وان الله تعالى اعلم بمدة مكثهم كان هولا قد علموا بالادلة وبالالهام من الله
تعالى ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله تعالى انتهى ولما
قاموا من نومهم اخذهم ما ياخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام واتصل
فابعثوا بحديث التساؤل كانهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى
الله تعالى والمبعوث قيل تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا فارين دراهم اسمهم
وكانت حاضرة عندهم فلذا اشاروا اليها بقولهم بهذه وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر
والحسن والاعمش واليزيدي ويعقوب في رواية وخلف وابو عبيدة وابن سعدان
بورقكم باسكان الراء وفوا بافي السبعة وزيد بن علي بكسرها وقرا ابو رجا بكسر
الواو واسكان الراء دون ادغام وقرا علي بن ابي طالب بوارقكم على وزن فاعل
جعله اسم جمع كباقر وجامل والمدينة هي مدينتهم التي خرجوا منها قيل وتسمى
الان طرطوس وكان اسمها عند خروجهم افسوس فلينظر يجوز ان يكون من نظر
العين ويجوز ان يكون من نظر القلب والجملة في موضع بفلينظر معلق عنها الفعل
فانها استفهام مبتدا وازكى خبره ويجوز ان يكون موصولا مبنيا مفعولا لينظر على
مذهب سيبويه وازكى خبر مبتدا محذوف وازكى قال ابن عباس طعاما احل ذبيحة
والمهر لان عامة بلدهم كانوا كفارا يذبحون للطواغيت وقال ابن جبير احل طعاما
قال الضحاك وكان اكثر اموالهم غصوبا وقال مجاهد قالوا له لا تبتع طعاما فيه
ظلم وقال عكرمة اكثر وقال قتادة اجود وقال ابن السايب ومقاتل اطيب وقال
يمان ابن رباب ارخص وقيل اكثر بركة وريعا وقيل هو الارز وقيل التمر وقيل الزبيب
وقيل في الكلام حذف اى اهلها ازكى طعاما فيكون ضمير المونث عايدا على المدينة واذا لم
يكن حذف فيكون عايده على ما يفهم قويا والكلام كانه قيل اي الماكل في قوله فابعثوا
احدكم بورقكم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله تعالى
دون المتوكلين على الانفاقات وعلى ما في اوعية الناس وقال بعض العلما ما لهذا هو
السفر يعني سفر الحج الا شيان شد الهميان والتوكل على الرحمن وليتلطف في اختفايه
وتحليه مدخلا ومخرجا وقال الزمخشري وليتلطف اللطف والسعي فيما يباشره من امر
المتابعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف انتهى والوجه الثاني هو الظاهر
وقرا الحسن وليتلطف بكسر لام الامر وعن قتيبة وليتلطف بضم اليا مبنيا
للمفعول فلا يشعرن اي لا يفعل ما يودي من غير قصد الى الشعور بنا سمي ذلك اشعارا
منه لهم لانه سبب فيه وقرا ابو صالح ويزيد ابن القعقاع وقتيبة ولا يشعرن بكم احد
بنا المفعول للفاعل ورفع احد والضمير في انهم عايد على ما دل عليه المعنى من كفار تلك
المدينة قيل ويجوز ان يعود على احد لان لفظه للعموم فيجوز ان يجمع الضمير كقوله فما منكم
من احد عنه حاجزين ففي حاجزين ضمير جمع عايد على احد وقال الزمخشري الضمير في انهم
راجع الى الاهل المقدر في ايها والظهور هنا الاطلاع عليهم والعلم بمكانهم وقيل العلو والغلبة

وقرا

وقرا زيد ابن علي يظهروا بضم اليا مبنيا للمفعول والظاهر الرجم بالحجارة وكان الملك
عازما على قتلهم لو ظفر بهم والرجم كان عادة فيما سلف لمن خالف من الناس اذ هي
اشفى لهم فيها مشاركة وقال الحجاج معناه بالقول ترديد السب وقاله ابن جريج او يعيدوكم
بدخولكم فيها مكرهين ولا يلزم من لفظ العود الى الشي التلبس به قبل اذ يطلق ويراد
به الصيرورة ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم واذا حرف جزا وجواب وقد تقدم
الكلام عليها وكثيرا ما يتضح تقدير شرط وجزا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله
حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم
بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشي
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدا قبل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا احدهم ونظر ايها ازكى
طعاما وتلطف ولم يشعروا بهم احدا فاطلع الله اهل المدينة حالهم وقصة ذهابه الى المدينة
وما جرى له مع اهلها وحمله الى الملك وادعائهم عليه انه اصاب كنزا من كنوز الاقدمين
وحمل الملك ومن ذهب معه اليهم مذكور في التفاسير ذلك باطول ما جرى والله تعالى اعلم
بتفاصيل ذلك يقال عثرت على الامر اذا اطلعت عليه واعثرني غيري اذا اطلعني عليه وتقدم
الكلام على هذه المادة في قوله فان عثر على انهما استحقا اثما ومفعول اعثرنا محذوف
تقديره اعثرنا عليهم اهل مدينتهم والكاف في وكذلك للتشبيه والتقدير وكذلك انمناهم
وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم والضمير في ليعلموا عايد على اعثرنا واليه ذهب
الطبري ووعد الله هو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال
من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها اى لا شك ولا ارتياب في قيامتها والمجازات فيها
وكان الذين اعثروا على اهل الكهف قد دخلتهم فتنة في امر الحشر وبعث الاجساد من
القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا تحشر الارواح فشق على
ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع
الى الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين للناس امرهم
سر الملك ورجع من كان يشك في بعث الاجساد الى اليقين به والى هذا وقعت الاشارة
بقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم فاذ معمولة لاعثرنا او ليعلموا وقيل يحتمل ان يعود الضمير
في وليعلموا على اصحاب الكهف اى جعل الله امرهم اية لهم دالة على بعث الاجساد من القبور
وقوله اذ يتنازعون على هذا القول ابتدا خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم
والتنازع اذ ذاك من امر البنا والمسجد لا في امر القيامة وقيل التنازع انما هو في ان اطلعوا
عليهم فقال بعضهم هم اموات وقال بعضهم احيا وروي ان الملك واهل المدينة
انطلقوا مع تمليخا الى اهل الكهف وابصروهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك
عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين الذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا والظاهر ان قوله ربهم اعلم بهم من كلام
المتنازعين داخلة تحت القول اي امروا بالبنا واحصروا بمضمون هذه الجملة كانهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك
قالوا ربهم اعلم بهم وقيل يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى رد القول الخايضين في حديثهم
من اوليك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب والذين غلبوا قال قتادة هم الولاة وروي ان طايفة ذهبت الى ان
يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين وقالت الطايفة الغالبة لنتخذن عليهم مسجدا
فاتخذوه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعت الى البنيان كانت كافرة ارادت بيعة
او مصنع لكفرهم فمانعهم المومنون وبنوا عليهم مسجدا وقرا الحسن وعيسى الثقفي

غلبوا بضم الغين وكسر اللام والمعنى ان الطايفة الذي ارادت المسجد كانت اولاهم
تريد ان لا يبني عليهم شي ولا تتعرض لموضعهم فروي ان طايفة اخرى مومنة ارادت ان لا
تطمس الكهف فلما غلبت الاولى على ان يكون بنيان ولا بد قالت يكون مسجدا فكان وعن
بن عمر رضي الله تعالى عنه ان الله عمى على الناس امرهم وحجبهم عنه فكذلك دعا الى
بنا البنيان ليكون معلما لهم وللظاهر ان الضمير في سيقولون عايد على من تقدم
ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم فاخبر تعالى نبيه بما كان من
اختلاف قومهم في عددهم وكون الضمير عايدا على ما قلنا ذكره الماوردي وقيل يعود
على نصارى نجران ناظروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في عددهم فقالت
الملكية الجملة الثانية الاولى واليعقوبية الجملة الثانية والنسطورية الجملة الثالثة
وهذا يروى عن ابن عباس وفي الكشاف ان السيد قال الجملة الاولى وكان يعقوبيا
والعاقب قال الثانية وكان نسطوريا والمسلمون قالوا الثالثة واصابوا وعرفوا
ذلك باخبار الرسول عن جبريل فيكون الضمير في سيقولون ويقولون عايد
بعضها على نصارى نجران وبعضها على المومنين وعن علي هم سبعة نفر اسماوهم
تمليخا ومكشلمينا ومشلمينا هولا اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش
ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هولا الستة في امره والسابع الراعي
الذي وافقهم مهربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير
انتهى وقال ابن عطية الضمير في قوله سيقولون يراد به اهل التوراة من
معاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا
الاختلاف المنصوص انتهى وقيل وجا سين الاستقبال لانه كانه في الكلام طي وادماج
والتقدير فاذا اجبتهم عن سوالهم وقصصت عليهم قصة اهل الكهف فسالهم عن
عدتهم عددهم فانهم اذا سالتهم سيقولون وقال ابن محيصن ثلثة بادغام التا
وحسن ذلك لقرب مخرجهما وكونهما مهموسين لان الساكن الذي قبل التا من حروف
اللين تحسن ذلك ويقولون لم تات بالسين فيه ولا ما في بعده لانه معطوف على المستقبل
فدخل في الاستقبال اولانه اريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له وقرا شبل
بن عباد عن ابن كثير بفتح ميم خمسة وهي لغة كعشرة وقرا ابن محيصن بكسر الخا
والميم وبادغام التا في السين وعنه ايضا ادغام التنوين في السين بغير غنة رجما
بالغيب رميا بالشي المغيب عنهم او ظنا استعير من الرجم كان الانسان يرمي
الموضع المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجم به غيبا ان يصيب ومنه الترجمان
وترجمة الكتاب وقول زهير • وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم
اي المظنون واتت هذه عقب ما تقدم ليدل على ان قايل تلك المقالتين لم يقولوا
ذلك من علم وانما قالوا ذلك على سبيل التخمين والحدس وجات المقالة الثالثة خالية
عن هذا القيد مشعرة انها هي المقالة الصادقة كما تقدم ذكر ذلك عن علي وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل وانتصب رجما على انه مصدر الفعل مضمر
اي يرجمون بذلك او لتضمين سيقولون ويقولون معنى ترجمون او لكونه مفعولا من
اجله اي قالوا ذلك لرميهم بالخبر الخفي او لظنهم ذلك اي الحامل لهم على هذا القول
هو الرجم بالغيب وثلثة خبر مبتدا محذوف والجملة بعده صفة اي هم ثلثة اشخاص
وانما قدرنا اشخاصا لان رابعهم اسم فاعل اضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم
اي جعلهم اربعة وصيرهم الى هذا العدد فلو قدر ثلثة رجال استحال ان يصير
ثلثة رجال جزما ثم اخبروا ثانيا ان ثامنهم كلبهم بخلاف القولين السابقين هو
فان كلا منهما جملة واحدة وصف المحدث عنه ولم يعطف الجملة عليه وذكر عن ابي
بكر ابن عياش وابن خالويه انها واو الثمانية وان قريشا اذا عدت تقول
ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية وكونهما جملتين معطوفة
احداهما على الاخرى موذن بالتثبت في الاخبار بخلاف ما تقدم فانهم اخبروا بشي

موصوف لشي لم يتحير متاخر عن الاخبار ولذلك جاء فيه رجما بالغيب ولم يجي في هاتين
الجملتين بشي يقدح فيهما وقوى وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم وزعم بعضهم انهم ثمانية
رجال واستدل بهذه القراة وارد كالبهم قوله وكلبهم على حذف مضاف اي وصاحب كلبهم
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله وثامنهم ليس داخلا تحت قولهم بل هو قولهم
هو قوله ويقولون سبعة ثم اخبر تعالى بهذا على سبيل الاستيناف واذا كان استينافا من
الله دل ذلك على انهم ثمانية بالكلب واما رابعهم كلبهم وسادسهم كلبهم فهو من قولهم
لان كلا من الجملتين صفة والى ان العدة ثمانية بالكلب ذهب الاكثرون من الصحابة
والتابعين وايمة التفسير وقال الزمخشري فان قلت ما هذه الواو والداخلة
على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولتين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاني رجل
ومعه اخر وبيده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وفايدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
مستقر وهي الواو التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات
علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كغيرهم انتهى وكون الواو تدخل على الجملة
الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاني رجل
دالة على لصوق الصفة بالموصوف على ثبوت اتصاله بها شي لا يعرفه النحويون
بل قرروا انه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة اخرى الا اذا اختلفت
المعاني حتى يكون العطف دالا على المغايرة واما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف
هذا في الاسما المفردة واما الجمل التي تقع صفة فهي ابعد من ان يجوز ذلك فيها وقد
ردوا على من ذهب الى ان قوله سـ واما ما جا بمعنى وليس باسم ولا فعل هو على ان
وليس من كلام لا تقوله العرب مررت برجل ويا طل على تقدير الصفة واما قوله تعالى
الا ولها فالجملة حالية ويكفي رد القول الزمخشري انا لا نعلم احدا من علما النحو
ذهب الى ذلك ولما اخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم في عددهم امره ان يقول
قل ربي اعلم بعدتهم اي لا يخبر بعددهم الا من يعلمهم حقيقة وهو الله تعالى ما يعلمهم
الا قليل والمثبت في حق الله تعالى هو الاعلمية وفي حق القليل العالمية فلا تعارض قيل
من الملايكة وقيل من العلما وعلم القليل لا يكون باعلام الله تعالى وقال ابن
عباس انا من القليل ثم نهاه تعالى عن الجدال فيهم اي في عدتهم والمرا وسمي مراجعته
لهم مرا على سبيل المقابلة لمماراة اهل الكتاب له في ذلك وقيده بقوله ظاهرا اي غير
متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحي اليك من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال وجادلهم
بالتي هي احسن وقال ابن زيد مرا ظاهرا هو قولك لهم ليس كما تقولون ليس كما
يعلمون وحكاه الماوردي الا بحجة ظاهرة وقال ابن الانباري الا جدال متيقن
عالم بحقيقة الخبر والله تعالى لقي اليك ما لم يسره باطل وقال ابن بحر ظاهرا يشهده
الناس وقال التبريزي ظاهرا ذاهبا بحجة الخصم وانشد وتلك شكاة ظاهر
عنك عارها اي ذاهب ثم نهاه ان يسال احدا من اهل الكتاب عن قصتهم لا سوال
معنت لانه خلاف ما امرت به عن الجدال بالتي هي احسن ولا سوال مسترشد لانه
تعالى قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ثم نهاه ان يخبر بانه يفعل في الزمن المستقبل
شيا الا ويقرنون ذلك بمشية الله تعالى وتقدم في سبب النزول انه عليه الصلاة
والسلام حين سالته قريش عن اهل الكهف والخضر والروح قال غدا اخبركم ولم يقل
ان شا الله فتاخر عنه الوحي قيل خمسة عشر يوما وقيل اربعين والا ان يشا الله استثنا
لا يمكن حمله على ظاهره لانه يكون داخلا تحت القول فيكون من المقول ولانه نهاه
الله تعالى ان يقول اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله لانه كلام صحيح في نفسه لا يمكن
ان ينهى عنه فاحتيج في تاويل هذا الظاهر الى تقدير فقال ابن عطية في الكلام
حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان يقول الا ان يشا الله

فالمعنى الا ان يذكر مشية الله فليس الا ان يشا الله من القول الذي نهي عنه
وقال الزمخشري الا ان يشا الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال
اني فاعل كذا الا ان يشا الله كان معناه الا ان يعترض مشية الله دون فعله وذلك
يدخل فيه النهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا
ان يشا الله ان يقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشا الله
وفيه وجه ثالث وهو ان يكون الا ان يشا الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل
ولا تقولنه ابدا ونحوه وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا لان عودتهم
في ملتهم مما ان يشا الله وهذا انتهى وقال ابن عطية وقالت فرقة هو استثنا
من قوله ولا تقولن وقال الطبري ورد عليه وهو من الفساد من حيث كان
الواجب ان لا يحكى انتهى وتقدم تخريج الزمخشري ذلك على ان يكون متعلقا
بالنهي وتكلم المفسرون في هذه الاية في الاستثنا في اليمين وليست الاية
في الايمان والظاهر امره تعالى بذكر الله اذا عرض له نسيان ومتعلق النسيان
غير متعلق الذكر فقيل التقدير واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل
واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل قتادة ذلك على اداه
الصلاة المنسية عند ذكرها وقيل واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
كلمة الاستثنا تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر مشية ربك
واذا فرط منك نسيان لذلك اي ان انسيت كلمة الاستثنا ثم تنبهت لها فتداركها
بالذكر قاله ابن جبير قال بعد يوم او شهر او سنة وقال ابن الانباري
بعده فقضى العبارة كما تقول اذكر لعبد الله اذا صلى صاحبك اي اقضي لصلاة
والاشارة بقوله لاقرب من هذا الى الشي الاخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا
وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها وقال
الزمخشري وهذا اشارة ومعناه لعل الله تعالى يؤتيني البينات والحجج على اني صادق ما هو
اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقيل فعل ذلك حيث اتاه من قصص
الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل انتهى وهذا انتقده ما اليه
الزجاج قال المعنى عسى ان يعطيني الله من الادلة على نبوتي اقرب من دليل اصحاب الكهف
وقال ابن الانباري عسى ان يعرفني جواب مسايلكم قبل الوقت الذي حددته لكم ويعجل
لي من جهتها الرشاد وقال محمد الكوفي المفسر بالفاظها مما اسر ان يقولها كل من لم
يستثن وانها كفارة الاستثنا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله
اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه
احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا الظاهر
ان قوله ولبثوا الاية اخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياما في الكهف الى ان اطلع الله عليهم
قال مجاهد وهو بيان لمجمل قوله تعالى فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ولما تحرز
هذا العدد باخبار الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول قل الله اعلم بما
لبثوا فخبره هذا هو الحق والصدق والذي لا يدخله ريب لانه عالم غيب السموات
والارض والظاهر ان قوله لما لبثوا اشارة الى المدة التي بعد الاطلاع عليهم الى مدة
الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل لما قال وازدادوا تسعا كانت التسعة مبهمة بين
الساعات والايام والشهور والاعوام فاختلفوا بنوا اسرايل بحسب ذلك فامره تعالى
برد العلم اليه يعني في التسع وهذا بعيد فانه اذا سبق عدد مفسر وعطف عليه ما لم
يفسر حمل تفسيره على السابق وحكى النقاش انها ثلث مائة شمسية ولما كان الخطاب
للعرب زيدت التسع اذ حساب العرب هو بالقمر لتفاق الحسابين وقال قتادة هو
وهطر الوراق ولبثوا اخبار من بني اسرايل واحتجوا بما في مصحف عبد الله وقالوا
لبثوا وعلى غير قراة عبد الله يكون معطوفا على المحكي بقوله سيقولون ثم امر
الله تعالى نبيه ان يرد العلم اليه بما لبثوا ردا عليهم وتفسيد المقالتهم فيل هو من

قول المتنازعين في امرهم وهو الصحيح على مقتضى سياق الاية ويويده قل الله اعلم
بما لبثوا احمل ذلك من العيوب التي هو تعالى مختص بها وقرا الجمهور ماية بالتنوين
قال ابن عطية على البدل او عطف بيان وقيل على التفسير والتمييز وقال الزمخشري
عطف بيان لثلثماية وحكى ابو البقا ان قوما اجازوا ان يكون بدلا من ماية لان ماية
في معنى ميات فلما عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين واما نصبه على التمييز
فالمحفوظ من لسان العرب المشهور ان ماية لا يفسر الا بمفرد مجرور وان قوله
وان قول اذا عاش الفتى ماتين عاما من الضرورات ولا سيما وقد انضاف الى ذلك
كونه سنين جمعا وقرا حمزة والكسائي وطلحة ويحيى والاعمش والحسن وابن ابي ليلى
وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي ماية بغير تنوين
مضافا الى سنين اوقع الجميع موقع المفرد وانحى ابو حاتم على هذه القراة ولا يجوز
له ذلك وقال ابو علي هذه تضاف في المشهور الى المفرد وقد تضاف الى الجمع وقرا
ابي تسعة وكذا في مصحف عبد الله وقرا الضحاك سنون بالواو وعلى اضمار هي
سنون وقرا الحسن وابو عمرو في رواية اللولوي عنه تسعا بفتح التا كما قالوا عشرا
ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها وجا بما دل
على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات الدالة على ان امره في الادراك خارج
عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها
كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما الظواهر والضمير في به عايد
على الله تعالى ومثل هو موضع نصب او رفع وهل اسمع وابصر امران حقيقة ام امران
لفظا معنا مما انشا التعجب من ذلك خلاف مقرر في النحو وقال ابن عطية ويحتمل
ان يكون المعنى ابصر به او بوحيه وارشاده انتهى قيل ويجوز انه يكون امرا اي انصر بدين
الله واسمع اي بصر بهدي الله وسمع فترجع الها اما على الهدي واما على الله ذكره
ابن الانباري وقرا عيسى اسمع به وابصر على الخبر فعلا ماضيا لا على التعجب اي ابصر
عباده بمعرفته واسمعهم والها كناية عن الله تعالى والضمير في قوله ما لهم قال
الزمخشري لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في قضايه
احدا منهم وقيل يحتمل ان يعود على اصحاب الكهف اذ هذه قدرته وحده ولم يوالهم غيره
يتلطف بهم ولا يشرك معه احدا في هذا الحكم ويحتمل ان يعود على معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم من الكفار ومشاهدة وتكون الاية اعتراضا تهديدا قاله ابن عطية
وقيل يحتمل ان يعود على مومني اهل السموات والارض اي لن يتخذوا من دونه وليا وقيل
يعود على المختلفين في مدة لبثهم اي ليس لهم من دون الله من يتولى تدبيرهم فليف يكون
اعلم منه او كيف يعلمون من غير اعلامه اياهم وقرا الجمهور ولا يشرك بالياء على النفي وقرا
مجاهد بالياء والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه وقرا ابن عامر والحسن وابو الرجا
وقتادة والجحدري وابو حيوة وزيد وحميد ابن الوزير عن يعقوب والجعفي واللولوي
عن ابي بكر وابو حيوة ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي ولما انزل عليه ما انزل من
قصة اهل الكهف امره ان يقص ويتلو على من عاصريه ما اوحي اليه من كتابه في قصة
اهل الكهف وفي غيرهم وان ما اوحاه اليه لا مبدل له ولا مبدل لعام ولكلماته عاما ايضا
فالتخصيص اما في لا مبدل اي لا مبدل له سواه الا ترى الى قوله واذا بدلنا اية
مكان اية واما في كلماته المتضمنة الخبر لان ما تضمن غير الخبر وقع النسخ في بعضه
وفي امره تعالى ان يتلو ما اوحي اليه واختاره انه لا مبدل لكلماته اشارة الى تبديل
المتنازعين في اهل الكهف وتحريف اخبارهم والملتحد الملتجا الذي يميل اليه ويعوده
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب وسات مرتفقا

قال كفار قريش لو ابعدت هولاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا
وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقرا وقالوا لو ان ريح جبابهم يوذينا فنزلت
واصبر نفسك الاية وعن سلمان ان قائل ذلك عيينة ابن حصين والاقرع وذويهم من
المولفة فنزلت الاية على هذا مدنية والاول اصح لان السورة مكية وفعل المولفة
فعل قريش فرد بالاية عليهم واصبر نفسك اي احبسها وثبتها قال ابو ذويب فصبرت
عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان
اي حبسه للترمي ومع تقتضي الصحبة والموافقة والامر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتنايها
بهولاء الذين امر ان يصبر نفسه معهم وهو ابلغ من التي في الانعام ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وقال ابن عمر ومجاهد وابراهيم بالغداة والعشي اشارة الى الصلوات
الخمس وقال قتادة الى صلاة الفجر وصلاة العصر وقد يقال ان ذلك يراد به العموم
اي يدعون ربهم دايما ويكون مثل ضرب زيد الظهر والبطن يراد جميع بدنه لا خصوص
المذكور بالوضع وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشي قراة واعرابا في الانعام
ولا تعد اي لا تصرف عيناك اي النظر عنهم الى ابنا الدنيا وعدا متعد تقول
عدا فلان طوره وجا القوم عدا زيد فلذلك قدرنا المفعول محذوفا لينتفي الفعل
على اصله من التعدية وقال الزمخشري وانما عدا بعن لتضمين عدا معنى نبا
وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته فان قلت اي شي غرض في هذا
التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه
اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى
قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها انتهى وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند
عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة اما اذا امكن اجرا اللفظ على مدلوله
الوضعي فانه يكون اولى وقرا الحسن ولا تعد من اعد وعن عيسى والاعمش ولا تعد
قال الزمخشري نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع
له لان معناه فعد همك عن ما ترى انتهى وكذا قال صاحب اللوامح قال وهذا مما
عديته بالتضعيف كما كان في الاول بالهمزة وما ذهبنا اليه ليس بجيد بل الهمزة
والتكثير في هذه الكلمة ليس للتعدية وانما ذلك لموافقة افعل وفعل للفعل المجرد
كابشر وبشر الموافقين لبشر المجرد وانما قلنا ذلك لانه اذا كان مجردا متعد
وقد قرا بذلك الزمخشري فانه قال يقال عداه اذا جاوزه ثم قال وانما عدي
بعن للتضمين والمستعمل في التضمين هو مجاز ولا يتسعون فيه اذا ضمنوه فيعدونه
بالهمزة او التضعيف ولو عدي بهما وهو متعد لتعدى الى اثنين وهو في هذه
القراة ناصب مفعولا واحدا فدل انه ليس متعدى بهما وقال الزمخشري يريد
زينة الحياة الدنيا في موضع الحال انتهى وصاحب الحال ان قدر عيناك فكان يريد
التركيب يريدان وان قدر الكاف فيجي الحال من المجرور بالاضافة ومثل هذا فيه
اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال وقد اجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف
جزا او كالجزء وحسن ذلك هنا ان المقصود نهيه هو عليه الصلاة والسلام عن الاعراض
عنهم والميل الى غيرهم وانما جي بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما تكون المراعاة
للشخص والتلفت له والمعنى ولا تعد انت عنهم النظر الى غيرهم وقال الزمخشري
من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه
كقولك اجبنته وابخلته وافحمته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي
لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم
المجبرة بقوله واتبع هواه انتهى وهذا على مذهب المعتزلة والتاويل الاخير
تاويل الرماني وكان معتزليا بانه لم يسمه بما نسم به قلوب المومنين بما
نبين به فلاحهم كما قال كتب في قلوبهم الايمان من قولهم بعير غفل لم يكن

عليه سمة وكتاب غفل لم يكن عليه اعجام واما اهل السنة فيقولون ان الله تعالى
اغفله حقيقة وهو خالق الضلال والغفلة وقال المفضل اخليناه عن الذكر
وهو القران وقال ابن جريج شغلنا قلبه بالكفر وغلبة الشقا والظاهر ان المراد
بمن اغفلنا كفار قريش وقال عيينة والاقرع والاول اولى لان الاية مكية وقرا
عمرو بن فايد وموسى الاسواري وعمرو وابن عبيد اغفلنا بفتح اللام الى القلب
قال ابن جني من ظننا غافلين عنه وقال الزمخشري حسبنا قلبه غافلين من اغفلته
اذا وجدته غافلا انتهى واتبع هواه في طلب الشهوات وكان امره فرطا قال قتادة
ومجاهد ضياعا وقال مقاتل ابن حيان سرفا وقال الفرا متروكا وقال الاخفش
مجاوزا للحد قيل وهو قول عيينة ان اسلمنا اسلم الناس وقال ابن بحر الفرط العاجل
السريع كما قال وكان الانسان عجولا وقيل ندما وقيل باطلا وقال ابن زيد مخالفا
للحق وقال ابن عطية الفرط يحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف اي امره وهواه
الذي هو سبيله انتهى والحق يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف فقدره ابن عطية هذا
القران وهذا الاعراض عنكم وبذل الطاعة لكم وصبر النفس مع المومنين وقال
الزمخشري الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جا الحق وزاحت العلل ولم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شيتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر
والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير ما شا من النجدين
انتهى وهو على طريق المعتزلة ويجوز ان يكون مبتدا وخبره من ربكم قال الضحاك
هو التوحيد وقال مقاتل هو القران وقال مكي اي الهدى والتوفيق والخذلان
من عند الله يهدي من يشا فيوفقه فيومن ويضل من يشا فيخذله فيكفر ليس
الي من ذلك شي وقال الكرماني اي الاسلام والقران وهذا الذي لفظه لفظ
الامر معناه التهديد والوعيد ولذلك عقبه بقوله انا اعتدنا للظالمين قال
معناه ابن عباس وقال السدي هو منسوخ بقوله وما تشاون الا ان يشا الله
وهذا قول ضعيف والظاهر ان الفاعل شا عايد على من وعن ابن عباس من شا
الله له بالايمان امن ومن لا فلا انتهى وحكى ابن عطية عن فرقة ان الضمير في شا عايد
على الله تعالى وكان لما كان الايمان والكفر انما يعين لمشية الله بما بصيغة الامر
حتى كانه محتم وقوعه مامور به مطلوب منه وقرا ابو السماك وقل الحق بفتح اللام
حيث وقع قال ابو حاتم وذلك ردي في العربية انتهى وعنه ضم اللام حيث وقع
كانه اتباع حركة القاف وقرا ايضا الحق بالنصب قال صاحب هو على صفة المصدر
المقدر لان الفعل يدل على مصدره وان لم يذكر فينصبه معرفة كنصبه اياه
نكرة وتقديره وقل القول الحق وتعلق من بمضمر على ذلك مثل هذا وجا والله
اعلم وقرا الحسن وعيسى الثقفي بكسر لام الامر ولما تقدم الايمان والكفر
اعقب بما اعد لهما فذكر ما اعد للكافرين تلي قوله فليكفر واتي بعد ذلك بما اعد
للمومنين ولما كان الكلام مع الكفار في سياق ما طلبوا من الرسول كانت البداة
بما اعد لهم اهم واكد وهما طريقان للعرب هذه الطريقة والاخرى انه يجعل الاول
في التقسيم الاول في الذكر والثاني للثاني والسرادق قال ابن عباس حايط من
نار يحيط بهم وحكى اقضى القضاة الماوردي انه البحر المحيط بالدنيا وحكى الكلبي انه
عنق يخرج من النار وشدة احراقها واشتداد عطشهم يغاثوا بما على سبيل المقابلة
والا فليست اغاثة وروي في الحديث انه كعكر الزيت اذا قرب منه سقطت فروة
وجهه فيه وقال ابن عباس ما غليظ مثل دردي الزيت وعن مجاهد انه القيح والدم
الاسود وعن ابن جبير كل شي ذاب قد انتهى حره وذكر ابن الانباري انه الصديد
وعن الحسن انه الرماد الذي ينفط اذا اخرج من التنور وقيل ضرب من القطران
ويشوي في موضع الصفة لما او في موضع الحال منه لانه قد وصف فحسن مجي الحال
منه وانما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرها من وجوههم وقيل عبر

بالوجوه عن جميع ابدانهم والمعنى انه يتضح به جميع جلودهم كقوله تعالى نضجت جلودهم
والمخصوص بالذم محذوف تقديره بيس الشراب هو اى الماء الذى يغاثون به والضمير
في ساءت عايد على النار والمرتفق قال ابن عباس المنزل وقال عطا المقر وقال القتيبي
المجلس وقال مجاهد المجتمع وانكر الطبري ان يعرف قول مجاهد معنى وليس كذلك
لان مجاهدا ذهب الى المعنى الرفاق ومنه الرفقة وقال ابو عبيدة المتكا وقال
الزجاج المتكا على المرفق واخذه الزمخشري فقال متكا من المرفق وهذا المشاكلة لقوله
حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا وقال ابن الانباري ساءت مطلبا
للترفق لان من طلب رفقا من جهنم عدمه وقال ابن عطية [illegible] قول ابن الانبارى
قال والاظهر عندي ان يكون المرتفق بمعنى الشي الذي يطلب رفقه باتكا وغيره وقال
ابو عبد الله الرازي والمعنى بيس الرفقا هو لا وبيس موضع الترافق النار ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكين فيها على الارايك نعم الثواب وحسنت مرتفقا لما ذكر تعالى حال اهل
الكفر وما اعد لهم في النار ذكر حال اهل الايمان وما اعد لهم في الجنة وخبران يكون
الجملة من قوله اوليك لهم وقوله انا لا نضيع الجملة اعتراض قال ابن عطية ونحوه
من الاعتراض قول الشاعر . ان الخليفة ان الله البسه . سربال ملك به ترجى الخواتيم .
انتهى ولا يتعين في قوله ان الله البسه ان يكون اعتراضا بين اسم ان وخبرها الذي هو
ترجى الخواتيم يجوز ان الله البسه ويحتمل ان يكون الخبر قوله انا لا نضيع والعايد
محذوف تقديره من احسن عملا منهم او هو قوله من احسن عملا على مذهب الاخفش
في ربطه الجملة بالاسم اذا كان هو المبتدي في المعنى لان من احسن عملا هم الذين
امنوا وعملوا الصالحات فكانه قال انا لا نضيع اجرهم ويحتمل ان يكون الجملتان
خبرين لان على مذهب من يقضي المبتدي خبرين فصاعدا من غير شرط ان يكونا
او يكن في معنى خبر واحدة ذا كان خبران قوله انا لا نضيع من مبهم الجزا وقرا عيسى
الثقفي لا نضيع من ضيع عداه بالتضعيف والجمهور من اضاع عداه بالهمزة
ولما ذكر مكان اهل الكفر وهو النار ذكر مكان اهل الايمان وهي جنات
عدن ولما ذكر هناك ما يغاثون به وهو الما كالمهل ذكر هنا ما خص به اهل الجنة
من كون الانهار تجري من تحتهم ثم ذكر ما انعم به عليهم من التحلية واللباس
الذين هما زينة ظاهرة وقال سعيد بن جبير يحلى كل واحد ثلثه اساور سوار
من ذهب وسوار من فضة وسوار من لولو ويواقيت قال الزمخشري ومن
الاولى للابتدا والثانية للتبيين والتذكير اساور لابهام امرها في الحسن انتهى
ويحتمل ان يكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين وقرا ابان عن عاصم
وابن ابي حماد عن ابي بكر ويلبسون بكسر البا وقرا ابن محيصن واستبرق
بوصل الالف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعال من
البريق ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول قر واستقر بفتح
القاف ذكره الاهوازي في الاقناع عن ابن محيصن قال وابن محيصن وحده
واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى فظاهره انه ليس فعلا ماضيا
بل هو اسم ممنوع الصرف وقال ابن خالويه جعله استفعل من البريق ابن محيصن
واستبرق بوصل الهمزة في جميع القران فيجوز انه حذف الهمزة تخفيفا على غير
قياس ويجوز انه جعله عربيه من برق يبرق بريقا وذلك اذا تلالا الثوب
لجدته ونضارته فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما سمى به عامله معاملة الفعل
في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الاسما في الصرف والتنوين واكثر التفاسير
على انه عربيه وليس بمستعرب دخل في كلامهم واعربوه انتهى ويمكن ان يكون
القولين دل يثبتين عند فتح القاف وقال هذا سهو او كالسهو انتهى وانما قال

ذلك

ذلك لانه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لانه غير علم وان امكن جعله فعلا ماضيا
فلا تكون هذه القراة سهوا قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج
وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وقدمت التحلية على اللباس لان التحلي
في النفس اعظم والى القلب احب وفي القيمة اغلا وفي العين احلا وبنا فعله للمفعول الذي لم
يسم فاعله اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بانفسهم كما قال .
غرايس في كن وصون ونعمة . يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا . واسند اللباس اليهم لان الانسان
يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة ووصف الثياب بالخضرة لانها احسن
الالوان والنفس تنبسط لها اكثر من غيرها وقد روي ذلك اثر انها في ضوء البصر وقال
بعض الادبا اربعة مذهبة لكل هم وحزن الما والخضرة واللباس والوجه الحسن وخص
الاتكا لانها هيية المتنعمين والملوك على اسرتهم وقرى ابن محيصن على الارايك بنقل
الهمزة الى لام التعريف وادغام لام على فيها فتحذف الف على لتوهم سكون لام التعريف
والنطق به علرايك ومثله قول الشاعر . فما اصبحت علرض نفس برية .
ولا غيرها الا سليمان نالها . يريد على الارض والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم الثواب
ما وعدوا به والضمير في حسنت عايد على الجنات المفردات حفه طاف به
من جوانبه قال يحفه جانب نيق وتتبعه . مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد .
وحففته جعلته مطافا به وحف به القوم صاروا في حفته وهي جوانبه كلتا اسم مفرد
اللفظ عند البصريين ومثنى المعنى لفظا عند البغداديين وتاوه عند البصريين غير
الجرمي من واو فاصله كلوى والالف فيه للتانيث وزايدة عند الجرمي والالف منقلبة
عن اصلها ووزنها فعيل المحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع البيد ودة
الهلاك يقال فيه باد يبيد بيودا وبيدودة قال الشاعر فلين باد اهله لبما كان
يوهل النطفة القليل من الما يقال ما في القربة من الما نطفة المعنى ليس فيها قليل
ولا كثير وسمي المنى نطفة لانه ينطف اى يقطر قطرة بعد قطرة وفي الحديث جاو راسه
ينطف ما اي يقطر الحسبان في اللغة الحساب وتاتي اقوال المفسرين فيه الزلق ما لا
يثبت فيه القدم من الارض واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيا وفجرنا خلالهما نهرا وكان
له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قايمة ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا قيل نزلت في اخوين من بني مخزوم الاسود بن عبد الاسود بن عبد ياليل وكان كافرا وابي
سلمة عبد الله ابن الاسود وكان مومنا وقيل اخوان من بني اسراييل فرطوس وهو الكافر
وقيل اسمه قطفير ويهودا وهو المومن في قول ابن عباس وقال مقاتل اسمه تمليخا وهو المذكور في سورة
والصافات في قوله تعالى اني كان لي قرين وعن ابن عباس انهما ابنا ملك من بني اسراييل
انفق احدهما ماله في سبيل الله وكفر الاخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله وعن مكي انهما
رجلان من بني اسراييل اشتركا في مال ستة الاف فاقتسماها وروي انهما كانا حدادين
كسبا مالا وروي انهما ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر ارضا بالف
وبنى دارا بالف وتزوج امراة بالف واشترى خدما ومتاعا بالف واشترى المومن ارضا
في الجنة بالف فتصدق به واشترى دارا في الجنة بالف فتصدق به وجعل الف صداقا للحور
فتصدق به واشترى الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه
على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله والضمير في لهم
عايد على المتجبرين الطالبين من الرسول طرد الضعفا المومنين بالرجل الكافر
بازا المتجبرين والرجل المومن بازا ضعفا المومنين وظهر بضرب هذا المثل الربط بين
هذه الاية والتي قبلها اذ كان من اشرك انما افتخر بماله وانصاره وهذا قد يزول
فيصير الغني فقيرا وانما المفاخرة بطاعة الله تعالى والتقدير واضرب لهم مثلا قصة
رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب ويجوز ان يكون موضعه نصبا

نعتا لرجلين وابهم في قوله جعلنا لاحدهما وتبين انه الكافر الشاك في البعث وابهم تعالى
مكان الجنتين اذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة وذكر ابراهيم ابن القاسم الكاتب في كتابه
في عجايب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لاخوين فباع احدهما
نصيبه من الاخر وانفقه في سبيل الله حتى عيره الاخر وجرت بينهما هذه المحاورة
قال فغرقهما الله تعالى في ليلة واياهما عنى بهذه الاية قال ابن عطية وتامل هذه
الهيئة التي ذكر الله فان المرء لا يكاد يتخيل اجمل منها في مكاسب الناس جنتا عنب احاط
بهما نخل بينهما فسحة هي مزروع بجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك من
النهر وقال الزمخشري جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار
المثمرة انتهى وقرا الجمهور كلتا الجنتين وفي مصحف عبد الله كلا الجنتين اتى بصيغة التذكير
لان تانيث الجنتين مجازي ثم قرا آتت لانه ضمير مونث فصار نظير قولهم طلع الشمس واشرقت
وقال الفراء في قراءة ابن مسعود كل الجنتين آتى اكله انتهى فاعاد الضمير على كل وقال
الزمخشري جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة
متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق
ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب
فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرا الجمهور وفجرنا
بتشديد الجيم وقال الفراء انما شدد وفجرنا وهو نهر واحد لان النهر يمتد فكان
التفجر فيه كله وهو من اعذار الشرب وقرا الاعمش وسلام ويعقوب وعيسى بن عمر
بتخفيف الجيم وكذا قرا الاعمش في سورة القمر والتشديد في سورة القمر اظهر
لقوله عيونا وقوله هنا نهرا وانتصب خلالهما على الظرف اي وسطهما كان النهر يجري
من داخل الجنتين وقرا الجمهور نهرا بفتح الهاء وقرا ابو السمال والفياض ابن غزوان
وطلحة بن سليمان بسكون الهاء وقرا ابن عباس ومجاهد وابن عامر وحمزة والكسائي
وابن كثير ونافع وجماعة قراء المدينة ثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار وقرا الاعمش
وابو رجاء وابو عمرو باسكان الميم فيهما تخفيفا او جمع ثمرة كبدنة وبدن وقرا ابو
جعفر والحسن وجابر ابن زيد وعاصم وابو حاتم ويعقوب عن رويس عنه بفتح الثاء
والميم فيهما وقرا رويس عن يعقوب ثمر بضمهما وبثمرة بفتحهما في من قرا بالضم
قال ابن عباس وقتادة الثمر جمع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك قال
النابغة مهلا فداء لك الاقوام كلهم • وما اثمر من مال ومن ولد • وقال مجاهد يراد
بها الذهب والفضة خاصة وقال ابن زيد هي الاصول فيها الثمر وقال ابن عمر
وابن العلاء الثمر المال فعلى هذا المعنى انه كانت له الى الجنتين اموال كثيرة من
الذهب والفضة وغيرهما فكان متمكنا من عمارة الجنتين واما من قرا بالفتح فلا اشكال
انه يعني به حمل الشجر وقرا ابو رجاء في رواية ثمر بفتح الثاء وسكون الميم وفي مصحف
ابي واتيناه ثمرا كثيرا وينبغي ان يحمل تفسيرا ويظهر من قوله فقال لصاحبه انه
ليس اخاه وهو يحاوره جملة حالية والظاهر ان ذا الحال هو القائل اي يراجعه
الكلام في انكاره وفي اشراكه بالله تعالى ويحتمل ان يكون حالا من صاحبه اي المسلم
كان يحاوره بالوعظ والدعاء الى الله تعالى والى الايمان بالبعث والظاهر
كون افعل للتفضيل وان صاحبه كان له مال ونفر ولم يكن سبروتا كما ذكر
اهل التاريخ وانه كان يستطيعه ويدل على ذلك كونه قابله بقوله تعالى ان ترني
انا اقل منك مالا وولدا وهذا على عادة الكفار بالافتخار بكثرة المال وعزة
العشيرة والتكبر والاغترار بما نالوه من حطام الدنيا وهذه المقالة لصاحبه
بازاء مقالة عيينة والاقرع للرسول صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب
واهل الوبر والمدر فنح عن سلمان وقرنائه وعني بالنفر انصاره وحشمه وقيل اولاده
واذكر الا انهم ينفرون معه دون الاناث واستدل بعلى انه لم يكن اخاه

بقوله

بقوله واعز نفرا اذ لو كان اخاه لكان نفره وعشيرته نفر اخيه وعشيرته التي هي مشتركة
بينهما فيرد وافرد الجنة في قوله ودخل جنته من حيث الوجود كذلك لانه لا يدخلهما
معا في وقت واحد وقال الزمخشري فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت
معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها اخبارا من الله تعالى بذلك الكافر جنته فلابد
ان قصد في الاخبار انه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن ان يدخلهما معا في وقت واحد والمعنى
ودخل جنته يري صاحبه ما هو عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه
جملة حالية اي وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاك في نفاد ما خوله وفي البعث الذي
جاوره فيه صاحبه والظاهر ان الاشارة بقوله هذه الى الجنة التي دخلها وعنى بالابد ا
بد حياته وذلك لطول امله وتمادي غفلته وبحسن قيامه عليها بما اوتي من المال
والخدم فهي باقية او يكون مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة والحسن يقتضي
ان احوال الدنيا باسرها غير باقية او يكون قائلا بقدم العالم وان ما حوته هذه الجنة
ان اشخاص اثمارها تخلفها اشخاص اخر وكذا ابدا ويعضد قول من قال يحتمل ان يشير
بهذه الى الهيئة من السموات والارض وانواع المخلوقات ودل كلامه على هذا على ان
المحاورة التي كانت بينهما هي في فناء هذا العالم الذي هذه الجنة جزء منه وفي البعث
الاخراوي وان صاحبه كان يقرر له هذين الامرين وهو يشك فيهما ثم اقسم على انه
ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وقياسا من الدنيا على الاخرى وكما يزعم صاحبه
ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله تعالى وادعاء لكرامته
عليه ومكانته عنده وانه ما اوتي الجنتين في الدنيا الا لاستحقاقه وان معه هذا
الاستحقاق اين توجه لقوله ان لي عنده للحسنى واما ما حكى الله تعالى عن ما قاله
العاص ابن وائل لاوتين مالا وولدا فليس على حد مقالة هذا الصاحب لان العاصي قصد
الاستحقاق وهو مصمم على التكذيب وهذا قال معناه ان كان ثم رجوع فسيكون حالي
كذا وكذا وقرا ابن الزبير وزيد بن علي وابو حيوة وابو جعفر وشيبة وابن محيصن
وحميد وابن مناذر ونافع وابن كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنتين
وكذا في مصاحف مكة والمدينة والشام وقرا الكوفيون وابو عمرو منها على التوحيد
وعود الضمير على الجنة المدخولة وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة ومعنى منقلبا مرجعا
وعاقبة الى منقلب الاخرة لبقائها خيرا من منقلب الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على
التمييز المنقول من المبتدا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترني انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتيني خيرا
من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن
تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها
ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا وهو يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه
المومن وقرا ابي وهو يخاصمه واكفرت استفهام وانكار وتوبيخ حيث اشرك مع الله تعالى
غيره وقرا ثابت البناني ويلك اكفرت وهو تفسير معنى التوبيخ والانكار لا قراءة ثابتة
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نبهه على اصل نشاته وايجاده بعد العدم وان ذلك
دليل على جواز البعث من القبور ثم ختم ذلك باخبار الصادقين وهم الرسل عليهم
السلام وقوله خلقك من تراب وهو ادم عليه السلام وخلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له واريد ان ماء الرجل يتولد من اغذية راجعة الى التراب فنبهه اولا
على ما تولد منه ماء ابيه ثم ثانيا على النطفة التي هي ماء ابيه واما ما نقل ان ملكا وكل
بالنطفة يلقي فيها قليلا من تراب قبل دخولها الى الرحم فيحتاج الى صحة نقل ثم نبهه
على تسويته رجلا وهو خلقه معتدلا صحيح الاعضاء ويقال للغلام الذي تم شبابه قد
استوى وقبل ذكره بنعمة الله تعالى عليه في كونه رجلا ولم يخلقه انثى نبهه بقوله ٥

الثقلات على كما اقدرنه وانه لا يعجزه شي قال الزمخشري سوالك عن ذلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث
كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا انتهى وانتصب رجلا على الحال
وقال الحوفي رجلا نصب بسوى اي جعلك رجلا فظاهره انه عدى سوى الى اثنين ٥
ولما لم يكن الاستفهام استفهام الاستعلام وانما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة
تقرير على كفره واخبار عنه لان معناه قد كفرت بالذي ثم استدرك هو مخبرا عن
نفسه فقال لكنا هو الله ربي اقرارا بتوحيد الله تعالى وانه لا يشرك به غيره وقرا
الكوفيون وابو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون لكن بتشديد النون
بغير الف في الوصل وبالف في الوقف واصله ولكن انا نقل حركة الهمزة الى نون لكن
وحذف الهمزة فالتقى مثلان فادغم احدهما في الاخر وقيل حذف الهمزة من انا على غير
قياس فالتقت نون لكن وهي ساكنة مع نون انا فادغمت فيها واما في الوقف فانه اثبت
الف انا وهو المشهور في الوقف على انا واما في الوصل فالمشهور حذفها وقد ابدلها
الفا في الوقف ابو عمرو في رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه وقال ابن عطية
وروى هارون عن ابي عمرو لكنه هو الله ربي بضمير الحق لكن وقرا ابن عامر ونافع
في رواية وكردم وورش في رواية وابو جعفر باثبات الالف وقفا ووصلا اما في الوقف
فظاهر واما في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام وغيرهم في الاضطرار فجا على
لغة بني تميم وعن ابي جعفر حذف الالف وصلا ووقفا وذلك من رواية الهاشمي ودل
اثباتها في الوصل ايضا على ان اصل ذلك لكن انا وقال الزمخشري وحسن ذلك يعني
اثبات الالف في الوصل وقوع الالف عوضا عن حذف الهمزة انتهى ويدل على ذلك
ايضا قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين وقال الزمخشري ايضا
ونحوه يعني ونحو ادغام نون لكن في نون انا اي بعد حذف الهمزة قول القايل •

• وترميني بالطرف اي انت مذنب • وتقلينني لكن اياك لا اقلي •

اي لكن انا لا اقليك انتهى ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز ان يكون التقدير لكنني
فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وانشدوا على ذلك قول
الشاعر • فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي • ولكن زنجي عظيم المشافر • اي ولكنك
زنجي واجاز ابو علي ان يكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الادغام
لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى وهو تاويل
بعيد وقال ابن عطية ويتوجه في لكنا ان تكون المشهورة من اخوات ان المعنى لكن
قولي هو الله ربي الا اني لا اعرف من يقرا بها وصلا ووقفا انتهى وذكر ابو القاسم
يوسف بن علي ابن جبارة الهذلي في كتاب الكامل في القران من تاليفه ما نصه
بحذفها في الحالين يعني الالف وفي الحالين يعني الوصل والوقف حمصي وابن عتبة
وقتيبة غير الثقفي ويونس عن ابي عمرو يعني بحمصي ابن ابي عبلة وابا حيوة ٥
وابا بحرية وقرا ابي والحسن لكن انا هو الله على الانفصال وفكه من الادغام
وتحقيق الهمز وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود وقرا عيسى الثقفي هو الله بغير
انا وحكاها ابن خالويه عن ابن مسعود وحكاها الاهوازي عن الحسن فاما من
اثبت هو فانه ضمير الامر والشان وثم قول محذوف اي لكن انا اقول هو الله ربي
ويجوز ان يعود على الذي خلقك من تراب اي انا اقول هو اي خالقك الله ربي وربي
نعت او عطف بيان او بدل ويجوز ان لا يقدر انا اقول محذوفة فيكون انا مبتدا وهو
ضمير الشان مبتدا ثان والله مبتدا ثالث وربي خبره والثالث وخبره خبر عن
الثاني والثاني وخبره خبر عن انا والعايد عليه هو الياء من ربي وصار التركيب
مثل هند هو زيد ضاربها وعلى رواية هارون يجوز ان يكون هو توكيد الضمير في لكنه
العايد على الذي خلقك ويجوز ان يكون فصلا لوقوعه بين معرفتين ولا يجوز ان
يكون ضمير شان لانه لا عايد على اسم لكن من الجملة الواقعة خبرا وفي قوله ولا اشرك

بربي

بربي احدا تعريض باشراك صاحبه وانه بخلافه في ذلك وقد صرح بذلك صاحبه
في قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا وقيل اراد بذلك انه لا يرى الغنى والفقر الا منه
تعالى يفقر من شا ويغني من شا وقيل لا اعجز قدرته على الاعادة فاسوي بينه وبين
غيره فيكون اشراكا كما فعلت انت ولما وبخ المومن الكافر اورد له ما ينصحه به فحضه
على ان كان يقول اذا دخل جنته ما شا الله لا قوة الا بالله اي الاشيا معلومة بمشية الله
ان شا افقر وان شا اغنى وان شا نصر وان شا خذل ويحتمل ان تكون شرطية منصوبة
بشا والجواب محذوف اي اي شي شا الله كان ويحتمل ان يكون موصولة بمعنى الذي
مرفوعة على الابتدا اي الذي شا الله كاين او على الخبر اي الامر ما شا الله ولولا تحضيضية
وفصل بين الفعل وبينها بالظرف وهو معمول لقوله قلت ثم نصحه من التبري
من القوة فيما يحاوله ويعانيه وان يجعل القوة لله تعالى وفي الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة الا ادلك على كلمات من كنز الجنة قال بلي
يا رسول الله قال لا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي
واستسلم ونحوه من حديث ابي موسى وفيه الا بالله العلي العظيم ثم اردف تلك النصيحة
بترجيه من الله وتوقعه اي يقلب ما به وما يصاحبه من الفقر والغنى فقال ان
ترني انا اقل منك مالا وولدا اي اتوقع من صنع الله واحسانه ان يمنحني خيرا من
جنتك لايماني به ويزيل عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك وقرا الجمهور اقل
بالنصب مفعولا ثانيا لترني وهي علمية لا بصرية لوقوع انا فصلا ويجوز ان تكون توكيدا
للضمير المنصوب في ترني ويجوز ان تكون بصرية وانا توكيد للضمير في ترني المنصوب
فيكون اقل حالا وقرا عيسى بن عمر واقل بالرفع على ان يكون انا مبتدا واقل خبره
والجملة في موضع مفعول ترني الثاني ان كانت علمية وفي موضع الحال ان كانت بصرية
ويدل قوله وولدا على ان قول صاحبه واعز نفرا عنى به الاولاد اذ قابل كثرة المال
بالقلة وعزة النفر بقلة الولد والحسبان قال ابن عباس وقتادة العذاب وقال
الضحاك البرد وقال الكلبي النار وقال ابن زيد القضا وقال الاخفش سهاما ترمى
في مجرى نقلها ما تخطي وقيل النبل الصغار وقيل الصواعق وقيل افة مجتاحة وقال
الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وهذا الترجي ان كان
ذلك ان يوتيه في الدنيا فهي انكى للكافر لانه اذ ذوي حاله من الغنى قد انتقلت الى
صاحبه وان كان ذلك ان يوتيه في الاخرة فهو اشرف واذهب مع الخير والصلاح فتصبح
صعيدا اي ارضا بيضا لا نبات فيها لا من كرم ولا نخل ولا زرع قد اصطلم جميع ذلك
فبقيت بيضا قفرا ايزلق عليها لاملساسها والزلق الذي لا يثبت فيه قدم ذهب غراسه
وبناوه وسلب المنافع حتى منفعة المشي فيه فهو زلق لا ينبت فيه ولا يثبت فيه قدم
وقال الحسن الزلق الطريق الذي لا نبات فيه وقيل الخراب وقال مجاهد رملا
هايلا وقيل الزلق الارض السبخة وترجي المومن لجنة هذا الكافر افة علوية من
السما او افة سفلية من الارض وهو غور مايها فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع ٥
وغورا مصدر عن اسم اصبح على سبيل المبالغة او يصبح معطوف على قوله ويرسل لان
غور الما لا يتسبب على الافة السماوية الا ان عني بالحسبان القضى فحينيذ يتسبب
عنه اصحاب الجنة صعيدا زلقا او اصباح ماوها غورا وقرا الجمهور غورا بفتح الغين
وقرا البرجمي غورا بضم الغين وقرات فرقة بضم الغين وهمز الواو يريدون وبواو
بعد الهمزة فيكون غورا كما في جا في مصدر غارت عينه غورا والضمير في له عايد على
الما اي لن تقدر على طلبه لكونه مفقودا ولا على رد ما غوره الله تعالى وحكى الماوردي
ان معناه لن تستطيع طلب غيره بدلا منه وبلغ الله المومن ما ترجاه من هلاك ما يبد
صاحبه الكافر وابادته على خلاف ما ظن في قوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا فاخبر
تعالى انه احيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك واصله من احاط به العدو وهو استدار به
به من جميع جوانبه ومتى احاط به ملكه واستولى عليه ثم استعملت في كل اهلاك ومنه

الا ان يحاط بكم وقال بن عطية الاحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد انتهى والظاهر
ان الاحاطة كانت ليلا لقوله فاصبح على انه يحتمل ان يكون معنى فاصبح فصار فلا يدل على
تقييد الخبر بالصباح ويقلب كفيه ظاهره انه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو ان يبدي
باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهي فعلة النادم المتحسر على شي قد فاته كما
يكنى بتقبض الكف والسقوط في اليد وقيل يصفق بيده على الاخرى ويقلب كفيه ظهرا
للبطن وقيل يضع باطن احدهما على ظهر الاخرى ولما كان الفعل كناية عن الندم عداه
تعدية فعل الندم فقال على ما انفق فيها كانه قال فاصبح نادما على ذهاب ما انفق
في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها تقدم الكلام على هذه الجملة في اواخر البقرة
وتمنية انتفا الشرك الظاهر انه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد
حلول المصيبة وفي ذلك زجر للكفرة من قريش وغيرهم لئلا يجي لهم حال يومنون
فيها بعد نفخ نخلهم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها فتذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من
جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا وقال بعض المفسرين هي حكاية عن قول
الكافر بهذه المقالة في الاخرة ولما افتخر بكثرة ما له وعزة نفره اخبر تعالى انه لم تكن
له فئة اى جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير في ينصرونه على المعنى
كما افرده على اللفظ في قوله فئة تقاتل في سبيل الله واحتمل النفي ان يكون منسحبا على القيد
فقط اى له فئة لكنه لا يقدر على نصره وان يكون منسحبا على المقيد والمراد انتفاؤه
لا انتقاما هو وصف له اي لا فئة له فلا نصر وما كان منتصرا بقوة عن انتقام الله
تعالى وقرا الاخوان ومجاهد وابن وثاب والاعمش وطلحة وايوب وخلف وابو
عبيدة بن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير ولم يكن بالياء لان تانيث الفئة
مجاز وقرا باقي السبعة والحسن وابو جعفر وشيبة بالتاء وقرا ابن ابي عبلة فئة تنصره
على اللفظ والحقيقة في هنالك ان تكون ظرف مكان للبعد فالظاهر انه اشير به لدار
الاخرة اى في تلك الدار الولاية كقوله لمن الملك اليوم قيل لما نفى عنه الفئة الناصرة
في الدنيا نفى عنه ان ينتصر في الاخرة فقال وما كان منتصرا وقال الزجاج اى وما
كان منتصرا وقال الزجاج وما كان منتصرا في تلك الحال والولاية لله على هذا مبتدا
وخبر وقيل هنالك الولاية لله مبتدا وخبر والوقوف على قوله منتصرا وقرا الاخوان
والاعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى
الاصبهاني وابن جرير الولاية بكسر الواو وهو بمعنى الرياسة والرعاية وقرا باقي
السبعة بفتحها بمعنى الموالاة والصلة وحكي عن ابن عمه والاصمعي ان كسر الواو هو
لحن هنا لان فعالة انما يجي فيما كان صنيعة او معنى متقلدا وليس هناك تولي امور
وقال الزمخشري الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد
قرئ بهما والمعنى هنالك اى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره
ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجيء
اليها فقالها جزعا من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك
الولاية لله ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من
اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتيني
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه انتهى وقرا النحويان وحميد والاعمش وابن ابي ليلى وابن مناذر
واليزيدي وابن عيسى الاصبهاني الحق برفع القاف صفة للولاية وتقديمها على قوله
وقرا ابو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد من افصح الناس وابن ابي عبلة وابو السمال
ويعقوب عن عصمة عن ابي عمرو لله الحق بنصب القاف قال الزمخشري على التاكيد
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد الله

من

من افصح الناس وانصحهم انتهى وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه انتهى
فترحم عليه وترضى عنه اذ هو من اوايل كبار شيوخه المعتزلة وكان على غاية من الزهد
والعبادة وله اخبار في ذلك الا ان اهل السنة يطعنون عليه وعلى اتباعه وفي ذلك يقول
ابو عمرو الداني في ارجوزته التي سماها المنبهة وابن عبيد شيخ الاعتزال
وشارع البدعة والضلال • وقرا الحسن والاعمش وعاصم وحمزة عقبا بسكون الكاف
والتنوين وعن عاصم عقبى بالف التانيث المقصورة على وزن رجعى والجمهور بضم
القاف والتنوين والثلاث بمعنى العاقبة المفردات الهشيم اليابس قاله
الفرا واحده هشيمة وقال الزجاج وابن قتيبة كل شي كان رطبا ويبس منه كهشيم المحتظر
وهشيم الثريد المتفتت من يابس العشب ذرا واذرا فرق قاله ابو عبيدة وقال
ابن كيسان تذروه الرياح تجي به وتذهب وقال الاخفش ترفعه غادر ترك من الغدر
ومنه ترك الوفا ومنه الغدير وهو ما تركه السيل الصف الشخص بازا الاخر اليها يتهم
وقوفا وجلوسا وعلى غيرها تبين الحالتين طولا وتحليقا يقال منه صف يصف والجمع
صفوف العضد العضو من الانسان وغيره معروف وفيه لغات فتح العين وضم الضاد
واسكانها وفتحها وضم العين والضاد واسكان الضاد ويستعمل في العون والنصير قال
الزجاج والاعتضاد التقوي وطلب المعونة يقال اعتضدت بفلان استعنت به الموبق
المهلك يقال وبق يوبق وبقا ووبق وبوقا اذا هلك فهو وابق واوبقته ذنوبه اهلكته
ادحض الحق ازهقه قال ثعلب واصله من ادحاض القدم وهو ازلاقها قال الشاعر
• وردت وهي السكوى حذاره • وحاد كما حاد البعير المدحض • والدحض الطين
بالذي يزلق فيه الوبيل قال الفرا المنجي يقال والت نفس فلان نجت وقال الاعشى
• وقد اخالس رب البيت غفلته • وقد يحاذر مني ثم ما يئل • اى ما ينجو وقال
ابن قتيبة الملجا يقال وال فلان الى كذا الجاء والا ود ولا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما
انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شي
مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير
املا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على
ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا لما بين تعالى المثل الاول
حال الكفر والمومن وما ال اليه ما افتخر به الكافر من الهلاك بين في هذا المثل حال
الحياة في الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه الى الهلاك وكما قدره بن
عطية خبر مبتدا محذوف اى هي اى الحياة الدنيا كما وقال الحوفي الكاف متعلقة بمعنى
المصدر اى صرف كما انزلناه واقول ان كما في موضع المفعول الثاني لقوله واضرب
اي وصير لهم مثل الحياة الدنيا اى صفتها شبه ما وتقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجمل
في قوله انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض مما ياكل
الناس والانعام في يونس فاصبح اى صار ولا يراد تقييد الخبر بالصباح فهو كقوله
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا وقيل هي دالة على التقييد بالصباح
لان الافات السماوية اكثر ما نطرق ليلا فهي كقوله فاصبح يقلب كفيه وقرا ابن
مسعود تذريه من اذرى رباعيا وقرا زيد بن علي والحسن والنخعي والاعمش
وطلحة وابن ابي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير الريح على الافراد
والجمهور تذروه الرياح ولما ذكر تعالى قدرته الباهرة في صيرورة ما كان في غاية
النضرة والبهجة الى حالة التفتت والتلاشي الى ان فرقته الرياح ولعبت به ذاهبة
وجائية اخبر تعالى عن اقتداره على كل شي من الانشاء والافناء وغيرهما مما يتعلق به
قدرته تعالى ولما حقر حال الدنيا بما ضربه من ذلك المثل ذكر ان ما افتخر به عيينة
واضرابه من المال والبنين انما ذلك زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة وان مصير ذلك

انما هو الى النفاد فينبغي ان لا يكترث به واخبر تعالى بزينة المال والبنين على تقدير
حذف مضاف اى مقر زينة او وضع المال والبنين منزلة المعنى والكثرة فالخبر عن ذلك
بقوله زينة ولما ذكر مال ما في الحياة الدنيا الى الفناء وكل ما كان زينة الحياة الدنيا فهو
سريع الانقضاء ومن بديهة العقل ان ما كان كذلك يقبح بالعاقل ان يفتخر به او يفرح
بسببه وهذا برهان على فساد اولئك المشركين الذين افتخروا وعلى فقراء المومنين
بكثرة الاموال والاولاد والباقيات الصالحات قال الجمهور هي الكلمات المأثور
فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات
وعن ابن عباس انه كل عمل صالح من قول او فعل يبقى للاخرة ورجحه الطبري وقول
الجمهور مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من طريق ابي هريرة وغيره وعن
قتادة ما اريد به وجه الله تعالى وعن الحسن وابن عطا انها النيات الصالحة فان
بها يتقبل الاعمال وترفع ومعنى خير عند ربك ثوابا انها دائمة باقية وخيرات الدنيا
متعرضة والدائم الباقي خير من المتعرض وخير املا اي وخير رجا لان صاحبها يومل
في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة دون ذوى المال والبنين العارى من الباقيات
الصالحات فانه لا يرجو ثوابا ولما ذكر تعالى ما يول اليه حال الدنيا من النفاد
اعقب ذلك باوايل احوال يوم القيامة فقال ويوم نسير الجبال كقوله يوم تمور السما
مورا وتسير الجبال سيرا وقال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وقال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا وقال تعالى واذا الجبال سيرت
والمعنى انه ينفك نظام هذا العالم الدنياوي ويوتى بالعالم الاخراوي وانتصب
ويوم على اضمار واذكر يوما او بالفعل المضمر عند قوله تعالى لقد جيتمونا فرادى
اي قلنا يوم كذا لقد وقرا نافع وحمزة والكساي والاعرج وشيبة وعاصم وابن
مصرف وابو عبد الرحمن نسير وقنبل وقتادة وعيسى والزهري وحميد وطلحة
واليزيدي عن رجاله عن يعقوب بضم التا وفتح اليا المشددة مبنيا للمفعول
الجبال بالرفع وترى الجبال بارزة اي منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب
والشجر والعمارة او ترى اهل الارض بارزين من اهلها وقرا عيسى وترى الارض
مبنيا للمفعول وحشرناهم اي اقمناهم من قبورهم لعرصة القيامة وقال
الزمخشري فان قلت لم جي بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة
على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظايم كانه
قيل وحشرناهم اى نرفع التسيير فيها لنحشرهم وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب
مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه وقرا الجمهور نغادر بنون العظمة
وقتاده تغادر على الاسناد الى القدرة او الارض وابان بن يزيد عن عاصم كذلك
او بفتح الدال مبنيا للمفعول واحد بالرفع وعصمة لذلك والضحاك يغادر بضم النون
واسكان الغين وكسر الدال وانتصب صفا على الحال وهو مفرد ينزل منزلة الجمع
اى صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا
جمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله وفي حديث اخر اهل الجنة يوم القيامة
مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا او انتصب على المصدر الموضوع موضع
الحال اى مصطفين وقيل المعنى صفا صفا وهو مراد وهذا التكرار مبني على الصفوف
استيفا الصفوف الى اخرها شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان مصطفين
ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا احد احدا لقد جيتمونا معمول لقول محذوف
اى وقلنا وكما خلقناكم نعت لمصدر محذوف اى مجيا مثل مجي خلقكم اى حفاة عراة غرلا
كما جا في الحديث وخالين من المال والولدان وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل
بينها وبين الفعل بحرف النفي وهو لن كما فصل في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه وبل للاضراب بمعنى الانتقال من حيز الى حيز ليس بمعنى الابطال والمعنى

ان لن نجعل لاعادتكم وحشركم موعدا اى مكان وعد او زمان وعد لانجاز ما انذرتم على
السنة الانبيا من البعث والنشور والخطاب ولقد جيتمونا للكفار المنكرين البعث على
سبيل تقريعهم وتوبيخهم ووضع الكتاب وقرا زيد بن علي ووضع مبنيا للفاعل الكتاب
بالنصب والكتاب اسم جنس وقرا زيد بن علي اى كتب اعمال الخلق ويجوز ان تكون
الصحايف كلها جعلت كتابا واحدا او وضعته الملايكة لمحاسبة الخلق واشفاقهم خوفهم من كشف
اعمالهم السيية وفضيحتهم وما يترتب على ذلك من العذاب السرمدي ويا ويلتنا اهليهم
اى هلكوا خاصة من بين الهلكات فقالوا يا ويلنا والمراد من بحضرتهم كانهم قالوا يا من
بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ما جا من ندا ما لا يعقل كقوله يا اسفي على يوسف
يا حسرتى يا ويلنا من بعثنا وقول الراجز • يا عجبا لهذه الفليقة • فيا عجبا
من رحلها المتحمل • انما يراد به تنبيه من يعقل بالتعجب مما حل بالمنادى ولا يغادر جملة
في موضع الحال وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن ابن جبير
القبلة والزنا وعن غيره التسهو والعمد وعن الفضيل نحوا والله من الصغاير قبل
الكباير وقدمت الصغيرة اهتماما بها واذا احصيت فالكبيرة احرى الا احصاها ضبطها
وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عشرا او جزاما عملوا ولا يظلم ربك احدا
فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه الذي يستحقه او يعذبه بغير جرم قال
الزمخشري كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين انتهى ولا يقال ان ذلك
ظلم منه تعالى كل مملوك له ان يتصرف في مملوكيته مما شا ولا يسال عما يفعل والصحيح
في اطفال المشركين انهم يكونون في الجنة خدما لاهلها نص عليه البخاري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين
بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم
يقول نادوا شركاي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا وراى
المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ذكروا في ارتباط هذه الاية
بما قبلها انه تعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بمجالسة الفقرا وكان اوليك المتكبرون
قد انفقوا عن مجالستهم وذكروا للرسول صلى الله عليه وسلم طردهم عنه وذلك لما جبلوا
عليه من التكبر والتكثر بالاموال وشرف الاصل والنسب وكان اوليك الفقرا بخلافهم
في ذلك ناسب ذكر قصة ابليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالاصل الذي
منه خلق وهذا الذى ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للايات السابقة قبل
ضرب المثلين واما انه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا والذى يظهر في ارتباط هذه
الاية بالاية التي قبلها هو انه تعالى لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المشركين
مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركا
مع الله تعالى ناسب ذكر ابليس والنهى عن اتخاذ ذريته اوليا من دون الله تبعيدا
عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به وتقدم الكلام في استثنا ابليس هو متصل او
منقطع وهل هو من الملايكة ام ليس منهم في اوايل سورة البقرة فاغنى عن اعادته
والظاهر من هذه الاية انه ليس من الملايكة وانما هو من الجن الذين كفرت بهم الملايكة
فاسره بعض الملايكة فذهب به الى السما وقال الحسن وغيره قال قتادة الجن من
الملايكة خلقوا من نار السموم وقال شهر بن حوشب هو من الجن وقال الحسن وغيره
هو اول الجن وبداتهم كادم في الانس وقالت فرقة كان ابليس وقبيله جنا لكن الشياطين
اليوم من ذريته فهو كنوح عليه السلام في الانس وقال الزمخشري كان من الجن
كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قايلا قال
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفا للتسبيب ايضا جعل
كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن
امر الله لان الملايكة معصومون البته لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال

تعالى لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض نعمة من الله تعالى
لصيانة الملايكة عن وقوع شبهه في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله تعالى وبين
قول من صاده فزعم انه كان ملكا ورييسا على الملايكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم رد
له على بن عباس انتهى والظاهر انه معنى ففسق عن امر ربه فخرج عن ما امره ربه به
من السجود قال رؤبة يهوين في نجد وغور غابرا • فواسقا عن قصدها جوابرا •
وقيل ففسق صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه اى بمشيته وقضايه لان المشية يطلق
عليها امر كما تقول فعلت ذلك عن امرك اي بحسبه مرادك والهمزة في افتتخذونه للتوبيخ
والانكار والتعجب اي ابعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته اوليا
من دوني بعد ثبوت عداوته لكم تتخذونه وليا وقرا عبيد الله بن زياد على المنبر وهو
يخطب افتتخذونه وذريته بفتح الذال والظاهر ان لابليس ذرية وقال بذلك
قوم منهم قتادة والشعبي وابن زيد والضحاك والاعمش قال قتادة ينكح وينسل كما ينسل
بنو ادم وقال الشعبي لاتكون ذرية الا من زوجة وقال بن زيد ان الله تعالى قال
لابليس اني لا اخلق لادم ذرية الا ذرات لك مثلها فليس يولد لولد ادم ولد الا ولد معه
شيطان يقولون به وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم الك شيطان قال نعم الا ان الله
اعانني عليه فاسلم وسمى الضحاك وغيره جماعة من ذرية ادم الله اعلم بصحة ذلك وكذلك
ذكروا كيفيات في وطئه واساله الله اعلم بذلك وذهب قوم الى انه ليس لابليس ولد
وان الشياطين هم الذين يعينونه على بلوغ مقاصده والمخصوص بالذم محذوف اي بيس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل
وجعلوا مكان ولايتهم الله عز وجل ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع الشي
في غير موضعه وقرا الجمهور ما اشهدتهم بتا المتكلم وقرا ابو جعفر والشيبة والسختياني
وعون العقيلي وابن مقسم ما اشهدناهم بنون العظمة والظاهر عود ضمير المفعول
في اشهدتهم على ابليس وذريته اى لم اشاورهم في خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم بل خلقتهم على ما اردت ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضدا وقال
الزمخشري يعني انكم اتخذتم شركا لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركا فيها لو كانوا
شركا في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات
والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله
تعالى ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذهم اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
بالاضلال فاذا لم يكونوا لي عضدا في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا في العبادة انتهى
وقيل يعود على الملايكة والمعنى انه تعالى ما اشهدهم ذلك ولا استعان بهم في خلقها بل
خلقتهم ليطيعوني ويعبدوني فكيف تعبدونهم وقيل يعود على الكفار وقيل على جميع
الخلق وقال بن عطية الضمير في اشهدتهم عايد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن
الاية الرد على طوايف المنجمين واهل الطبايع والمتحكمين وغيرهم من كل ما يتخرص
في هذه الاشيا وقاله عبد الحق العقيلي وتاول هذا التاويل في هذه الاية وانها رادة
على هذه الطرايف وذكر هذا بعض الاصوليين انتهى وقرا ابو جعفر والجحدري
والحسن وشيبة وما كنت بفتح التا خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم قال
الزمخشري والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم انتهى والذى
اقوله ان المعنى اخبار من الله تعالى عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفا كونه
متخذ عضد من المضلين بل هو منذ كان ووجد عليه الصلاة والسلام في غاية التبري
منهم والبعد عنهم ليعلم امته انه لم يزل محفوظا من اول نشاته لم يعتضد
بمضل ولا مال اليه صلى الله عليه وسلم وقرا علي بن ابي طالب متخذا المضلين اعمل
اسم الفاعل وقرا الحسن وعكرمة عضدا بسكون الضاد ونقل حركتها الى العين
وقرا عيسى عضدا بسكون الضاد خففه فعلا كما قالوا رجل وسبع في رجل وسبع وهي
لغة عن تميم وعنه ايضا بفتحتين وقرا شيبة وابو عمرو في رواية هارون وخارجة

والخفاف

والخفاف وابي زيد عضدا بضمتين وعن الحسن عضدا بفتحتين وعنه ايضا بضمتين وقرا
الضحاك عضدا بكسر العين وفتح الضاد وقرا الجمهور ويوم يقول ياليا اى الله وقرا
الاعمش وطلحة ويحيى وابن ابي ليلى وحمزة وبن مقسم نقول بنون العظمة اي للذين
اشركوا به في الدنيا نادوا شركاي وليس المعنى انه تعالى اخبر انهم شركاوه ولكن ذلك
على علمكم والاضافة تكون بادنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى
عليهما اذ التقدير زعمتموهم شركاي والندا بمعنى الاستعانة اى استعينوا بشركايكم
والمراد نادوهم لدفع العذاب عنكم او للشفاعة منكم والظاهر ان الضمير في بينهم هو
راجع على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركا وقيل يعود على اهل الهدى واهل
الضلالة والظاهر وقوع الدعا حقيقة وانتفا الاجابة وقيل يحتمل ان يكون استعارة
كان فكرة الكافر ونظره في ان تلك الجمادات لاتغني شيا ولا تنتفع هي بمنزلة الدعا وترك
الاجابة وقرا الجمهور شركاي ممدودا مضافا الى اليا وابن كثير واهل مكة مقصورا
مضافا اليها ايضا والظاهر انتصاب بينهم على الظرف وقال الفرا البين هنا الوصل اي
وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة فعلى هذا يكون مفعولا اول لجعلنا وعلى
الظرف يكون في موضع المفعول الثاني وقال بن عباس وقتادة والضحاك الموبق المهلك
وقال الزجاج جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم وقال عبد الله بن عمرو وانس ومجاهد
واد في جهنم يجري بدم وصديد وقال الحسن عداوة وقال الربيع ابن انس انه المجلس
وقال ابو عبيدة الموعد وراي المجرمون النار رمى رؤية عين اى عاينوها والظن هنا
قيل على موضوعه من كون ترجيح احد الجانبين وكونهم لم يجزموا بدخولها رجا وطمعا في رحمة
الله وقيل معنى فظنوا ايقنوا قاله اكثر الناس ومعنى مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
كقوله وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال بن عطية
اطلق الناس ان الظن هنا بمعنى اليقين ولو قال بدل ظنوا ايقنوا لكان الكلام متسقا
على مبالغة فيه ولكن العبارة بالظن لاتجي ابدا في موضع يقين تام قد ناله الحس
بل اعظم درجاته ان يجي في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع
ويحسن لايكاد يوجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتامل هذه الاية وتامل
قول دريد فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج انتهى وفي مصحف عبد الله ملاقوها مكان مواقعوها
وقراه كذلك الاعمش وابن غزوان عن طلحة والاولى جعله تفسيرا لمخالفته سواد
المصحف وعن علقمة انه قرا ملافوها بالفا مشددة من لففت وفي الحديث ان الكافر ليرى
جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة ومراعاه ومنه قول ابي كبير الهذلي
ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف واجاز ابو معاذ مصرفا
بفتح الرا وهي قراة زيد بن علي جعله مصدرا كالمضرب لان مضارعه يضرب على يفعل
يضرب ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا وما منع
الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم
العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مويلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا
تقدم تفسير نظير صدر هذه الاية وشي هنا مفرد معناه الجمع اى اكثر الاشيا التي ياتي منها
الجدال ان فصلتها واحدا بعد واحد لاخصومة ومماراة يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل
كل شي ونحوه فاذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز فقيل الانسان هنا النضر بن
الحارث وقيل ابن الزبعرى وقيل ابي بن خلف وكان جداله في البعث حين اتى بعظم قد رم فقال
ايقدر الله على اعادة هذا قاله السايب وقيل كل من يعقل من ملك وجن يجادل والانسان
اكثر هذه الاشيا جدلا انتهى وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد يلا الرسول

صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان الانسان اكثر شي جدلا حين عاتب عليا كرم الله
وجهه على النوم عن صلاة الليل فقال له علي رضي الله عنه انما نفسي بيد الله تعالى فاستعمل
الانسان على العموم وفي قوله وما منع الناس الاية تاسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم
لان هذا المنع لم يكن يقصد عنهم ان يمتنعوا ليجيئهم العذاب وانما امتنعوا مع اعتقادهم انهم
مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا فكان حالهم يقتضي التاسف عليهم والناس
يراد به كفار عصر الرسول عليه الصلاة والسلام الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها
قاله ابن عطية وقال الزمخشري ان الاولى رفع والثانية نصب وقبلهما مضاف
محذوف تقديره وما منع الناس الايمان الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك
وانتظار ان ياتيهم العذاب بمعنى عذاب الاخرة انتهى وهو مسروق من قول الزجاج
قال الزجاج تقديره وما منع من الايمان الا طلب ان ياتيهم سنة الاولين وقال
الواحدي المعنى ما منعهم الا اني قد قدرت عليهم العذاب وهذه الاية في من قتل ببدر
واحد من المشركين وهذا القول نحو من قول من قال التقدير وما منع الناس ان يومنوا
الا ما سبق في علمنا وقضاينا ان يجري عليهم سنة الاولين من عذاب الاستيصال من
المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك واراد بالاولين من اهلك من
الامم السالفة وقال صاحب الغنيان الا ارادة او انتظار ان تاتيهم سنتنا في الاولين
ومن قدر المضاف هذه او الطلب فانما ذلك لاعتقادهم عدم صدق الانبيا فيما وعدوا
به من العذاب كما قال حكاية عن بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل ما هنا
استفهامية لا نافية والتقدير واي شي منع الناس ان يومنوا والهدى الرسول
والقران قولان وقرا الحسن والاعرج والاعمش وابن ابي ليلى وخلف وايوب وابن
سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والبا فاحتمل ان يكون
بمعنى قبلا لان ابا عبيدة حكاها بمعنى واحد في المقابلة وان يكون جمع قبيل اي يجيهم العذاب
انواعا والوانا وقرا باقي السبعة ومجاهد وعيسى بن مريم قبلا بكسر القاف وفتح البا
ومعناه عيانا وقرا ابو رجا والحسن ايضا بضم القاف وسكون البا وهو تخفيف قبل على لغة
تميم وذكر ابن قتيبة انه قرا بفتحتين وحكاه الزمخشري وقال مستقبلا وقرا ابي
بن كعب وابن غزوان عن طلحة قبيلا بفتح القاف وبيا مكسورة بعدها يا على وزن
فعيل وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالنعيم المقيم لمن امن ومنذرين اي بالعذاب
الاليم لمن كفر لا ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات ليدحضوا ليزيلوا واتخذوا
اياتي بجميع ايات القران وعلامات الرسول قولا وفعلا وما انذروا من عذاب
الاخرة واحتمل ما ان تكون بمعنى الذي والعايد محذوف اي وما انذروا وان تكون
مصدرية اي وانذارهم فلا يحتاج الى عايد على الاصح هزوا اي سخرية واستخفافا
كقولهم اساطير الاولين لو نشا لقلنا مثل هذا وجدالهم للرسول قولهم ما انتم الا
بشر مثلنا ولو شا الله لانزل ملايكة وما اشبه ذلك والايات المضاف الى الرب
هو القران ولذلك عاد الضمير مفردا في قوله ان يفقهوه واعرض منها كونه
لا يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت من الكفر والمعاصي غير متفكر
فيها ولا ناظر في المحسن والمسي نحو بان ما عملا وتقدم تفسير نظير قوله انا جعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثم اخبر تعالى ان هولا لا يهتدون ابدا
وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة
على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفر وامنوا ويحتمل ان يكون ذلك حكما على الجميع
اي وان تدعهم الى الهدى جميعا فلن يهتدوا جميعا ابدا وحمل اولا على لفظ من فافرد
ثم ثانيا على المعنى في قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة فجمع وجعلوا دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم الى الهدى وهي التي تكون سببا لوجود الاهتدا سببا لانتفا
الهداية هدايتهم وهذا الشرط كانه جواب للرسول صلى الله عليه وسلم عن
تقدير قوله ما لي لا ادعوهم الى الهدى حرصا منه عليه الصلاة والسلام على حصول

ايمانهم فقيل وان تدعهم وتقييده بالابدية مبالغة في انتفا هدايتهم والغفور صفة مبالغة
وذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة اي الموصوف
بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لا يواخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم في الكفر
وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والموعد اجل الموت او عذاب الاخرة او يوم بدر
وايام النصر او العذاب اما في الدنيا واما في الاخرة اقوال والموئل قال مجاهد المحرز
وقال الضحاك المخلص والضمير في من دونه عايد على الموعد وقرا الزهري مويلا بتشديد
الوا من غير همز ولا يا وقرا ابو جعفر عن الحلواني مولا بكسر الوا وخفيفة من غير همز
ولا يا وقرا الجمهور بسكون الوا وبهمزة بعدها مكسورة واشار تعالى بقوله وتلك القرى
الى القرى المجاورة الى اهل مكة والعرب كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى
عليهم وليحذروا ان يحل بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدا والقرى صفة او عطف بيان
والخبر اهلكناهم ويجوز ان تكون القرى اهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف اي واصحاب
القرى ولذلك عاد الضمير في قوله اهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وهي
الظلم وبهذا استدل الاستاد ابو الحسن بن عصفور على حرفيه لما وانها ليست بمعنى حين
وان الظرف لا دلالة فيه على العلية وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك
وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل الموعد ان يكون مصدرا او زمانا وقرا
الجمهور بضم الميم وفتح اللام واحتمل ان يكون زمانا وقرا حفص وهارون عن ابي بكر
بفتحتين وهو زمان الهلاك وقرا حفص بفتح الميم وكسر اللام مصدر هلك يهلك
وهو مضاف للفاعل وقيل هلك يكون لازما ومتعديا فعلي تعديته يكون مضافا للمفعول
وانشد ابو علي في ذلك ومهمه هالك من تعرجا ولا يتعين ما قاله ابو علي في هذا البيت
بل قد ذهب بعض النحويين الى ان هالكا فيه لازم وانه من باب الصفة المشبهة امثله
هالك من تعرجا فمن فاعل ثم اضمر في هالك مضمر مهمه وانتصب من على التشبيه بالمفعول
ثم اضافه من نصب وقد اختلف في الموصول هل يكون من باب الصفة المشبهة والصحيح
جواز ذلك وقد ثبت في اشعار العرب قال الشاعر وهو عمر ابن ابي ربيعة
• اسيلات ابدان دقاق خصورها • وثيرات ما التفت عليه الملاحف •
• وقال الاخر • فعجتها قبل الاخيار منزلة • والطيبي كل ما التاثت به الازر •
المفردات **برح** زال مضارع يزول ومضارع يزال فيكون من اخوات كان الناقصة
الحقب السنون واحدها حقبة قال الشاعر • فان تنا عنها حقبة لا تلاقها •
فانك مما احدثت بالمجرب • وقال الفرا الحقب سنة وياتي قول اهل التفسير
فيه **السرب** المسلك في جوف الارض **النصب** التعب والمشقة **الصخرة** معروفة وهي
حجر كبير **السفينة** معروفة وتجمع على سفن وعلى سفاين وتحذف التا فيقال سفينة
وسفين وهو مما بينه وبين مفرده تا التانيث وهو كثير في المخلوق نادر في المصنوع نحو
عمامة وعمايم وقال الشاعر • متى تاتيه تاتي لج بحر • تقاذف في غواربه السفين •
الامر البشيع من الامور كالداهية والاد ونحوه **الجدار** معروف ويجمع على جدر
وجدران **انقض** سقط ومن ابيات معايات الاعراب مر كما انقض كوكب عفريت جن
في الدجى لا اجدل **غاب** الرجل ذكر وصفا فيه يذم به وعاب السفينة احدث فيها ما تنقص
به واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا
حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا عبدا من
عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان
شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه
ذكرا موسى المذكور في هذه الاية هو موسى بن عمران ولم يذكر الله تعالى في كتابه موسى

غيره ومن ذهب الى انه غيره ومو موسى ابن منشا بن يوسف او موسى بن يوسف فقوله لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح وفي التاريخ انه موسى بن عمران نبي بني اسرائيل والمرسل مو واخوه مارون الى فرعون وقتادة مو يوشع بن نون ابن افراييل بن يوسف بن يعقوب والفتى الشاب ولما كان الخدم اكثر ما يكون فتيانا قيل للخادم على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك ففي الحديث لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي وفتاتي وقال لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه كان ياخذ عنه العلم ويقال انه يوشع كان ابن اخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة ان موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله تعالى اليه ان يسير بطول البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا فقد الحوت فان ثم عبدا مو اعلم منك ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضا العزيمة لا ابرح اسير حتى لا ازال قال ابن عطية وانما قال هذه المقالة ومو سائر ومن هذا قول الفرزدق • فما برحوا حتى تهاوت نساهم • ببطحاء ذي قار عياب اللطايم • انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا ابرح وهي من اخوات كان ونص اصحابنا على ان حذف خبر كان واخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله • لهفي عليك للهفة من خايف • يبغي جوارك حين ليس مجير • اي حين ليس في الدنيا وقال الزمخشري فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت بمعنى لا ازال من برح المكان وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة يستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه ومو ضمير المتكلم فانقلب الفعل من ضمير الغايب الى لفظ المتكلم ومو وجه لطيف انتهى وهما وجهان خلطهما الزمخشري اما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره الزمخشري وحتى ابلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له والوجه الثاني جعل لا ابرح مسندا من حيث اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف وجعله لا ابرح مو حتى ابلغ فهو عمدة اذ اصله خبر للمبتدا الا انه خبر لا ابرح وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان انتهى يعني ان برح يكون بمعنى فارق فيتعدى اذ ذاك الى مفعول ويحتاج هذا الى صحة نقل وذكر الطبري عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر انزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بالاء الله تعالى عند بني اسرائيل ثم ذكر ما مو عليه من انه لا يعلم احدا اعلم منه قال ابن عطية وما نرى قط ان موسى عليه السلام انزل قومه بمصر الا في هذا الكلام وما اراه يصح بل المتظاهر ان موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين وهذا المروى عن ابن عباس ذكره الزمخشري فقال روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعم الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله حين لم يرد العلم الا الى الله فاوحى الله تعالى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين ومو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وذكر ايضا في اسئلة موسى انه قال ان كان في عبادك مو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر انتهى وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح من انه قيل له هل احد اعلم منك قال لا ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة مو مجمع بحر فارس وبحر الروم قال ابن عطية ومو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض فارس من وراء ادربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين شمال بر الشام مو مجمع البحرين هذا على القول وقالت

فرقة

فرقة منهم محمد بن كعب القرظي مو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا وعن ابي بن كعب بافريقية وقيل مو بحر الاندلس والقرية التي اتت ان تضيفهما هي الجزيرة الخضراء وقيل مجمع البحرين بحر ملح وبحر عذب فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت فرقة البحران كناية عن موسى والخضر عليهما السلام لانهما بحرا علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية والاحاديث يدل على انهما بحرا ماء وقال الزمخشري ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم انتهى وقيل بحر القلزم وقيل بحر الازرق وقرا الضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار مجمع بكسر الميم الثانية والنضر عن ابن مسلم في كلا الحرفين ومو شاذ وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور والظاهر ان مجمع البحرين مو اسم مكان مجمع البحرين وقيل مصدر قال ابن عباس الحقب الدهر وقال عبد الله بن عمرو وابو هريرة ثمانون سنة وقال الحسن سبعون سنة وقيل الحقب سنة بلغة قريش ذكره الفرا وقيل وقت غير محدود قاله ابو عبيدة والظاهر ان قوله او امضي معطوف على ابلغ فغيا باحد الامرين اما بلوغه المجمع واما بمضيه حقبا وقيل هي بمعنى الى لقوله لا ابرح كقولك لالزمنك او تقضيني حقي فالمعنى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى ان امضي زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين وقرا الضحاك حقبا باسكان القاف والجمهور بضمها فلما بلغا مجمع بينهما ثم جملة محذوفة التقدير فسارا فلما بلغا اي موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا حوتهما وكان من امر الحوت وقصته ان موسى عليه السلام حين اوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين مو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فنام موسى عليه السلام واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق وقيل وكان الحوت مملوحا وقيل مشويا وقيل طريا وقيل كجمع يوشع الحوت والخبز في مكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الما وبردت عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الما على الحوت فعاش ووقع في الما والظاهر نسبة النسيان الى موسى وفتاه وقيل كان النسيان من احدهما ومو فتى موسى نسي ان يعلم موسى امر الحوت اذ كان نايما وقد احس يوشع بخروجه من المكتل الى البحر وراه قد اتخذ السرب فاشفق ان يوقظ موسى وقال اوخر الى ان يستيقظ ثم نسي ان يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا وقد يسند الشي الى الجماعة وان كان الذي فعله واحد منهم وقيل مو على حذف مضاف اي نسي احدهما وقال الزمخشري اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشي انتهى وشبه بالسرب اتخاذ مسلك الحوت في الما حين لم ينطبق الما بعده بل بقي كالطاق هذا الذي ورد في الحديث وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغا وقال قتادة ماجامدا وعن ابن عباس حجرا صلدا وقال ابو زيد انما اتخذ سبيله سربا في البر حتى وصل الى البحر ثم عام على العادة كانه يعني بقوله سربا تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب اي مهمل يرعى حيث شاء ومنه قوله تعالى وسارب بالنهار اي متصرف وقال قوم اتخذ سربا في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجرا مثقوبا والظاهر ان السرب كان في الما ولا يفسر الا بما ورد في الحديث الصحيح ان الما صار عليه كالطاق ومو معجزة لموسى او الخضر ان قلنا انه نبي وان لا تكن كرامة وقيل عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا وان موسى مشى عليه تبعا للحوت حتى افضى به ذلك الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر فلما جاوزا اي مجمع البحرين وقال الزمخشري الموعد ومو الصخرة قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولم يجع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة وقرا الجمهور نصبا بفتحتين وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمتين قال صاحب اللوامح وهي

احدى اللغات الاربع التي فيها قال الزمخشري كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
امارة لهما على الطلبة التي من اجلها ولكونه معجزتين بينتين وهما حياة السمكة المملوحة
المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل
السرب ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد
حتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره
كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى
عليه السلام من العجائب واستأنس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام انتهى قال
ابو بكر غالب بن عطية والداني عبد الحق المفسر سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه
مشى موسى عليه السلام الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر
لحقه في بعض يوم وقال الزمخشري ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التئام هذا
الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب
موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق
يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت فحذف ذلك انتهى وكون ارايت بمعنى اخبرني ذكره سـ با رايت في هذا الموضع فقال
ابو الحسن الاخفش ان العرب اخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا ارايتك وارايتك
بحذف الهمزة اذا كانت بمعنى اخبرني واذا كانت بمعنى ابصرت لم تحذف همزتها وشذت
ايضا فالزمتها الخطاب على هذا المعنى ولا تقول فيها ابدا ارايني زيدا عمر ما صنع وتقول
هذا على معنى اعلم وشذت ايضا فاخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء الا ترى
في قوله ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فما دخلت الفاء الا وقد اخرجت
لمعنى اما او تنبه والمعنى اما اذ اوينا الى الصخرة فالامر كذا وقد اخرجها ايضا الى معنى
ايضا اخبرني كما قدمنا واذا كانت بمعنى اخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ويلزم
الجملة التي بعدها الاستفهام وقد يخرج لمعنى اما ويكون ابدا بعدها الشرط وظرف الزمان
فقوله فاني نسيت الحوت معناه اما اذ اوينا فاني نسيت الحوت او نبه اذ اوينا وليست الفاء الا
جوابا لا اواية لان اذ لا يصح ان يجازى بها الا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الاخفش وفيه
ان ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ويلزم الجملة التي
بعدها الاستفهام وهذان مفقودان في تقدير الزمخشري ارايت هنا بمعنى اخبرني ومعنى
نسيت الحوت نسيت ذكر ما جرى فيه لك وفي قوله وما انسانيه الا الشيطان حسن ادب
نسب النسيان الى المتسبب فيه بوسوسته وان اذكره بدل اشتمال من الضمير العائد
على الحوت والظاهر ان الضمير في واتخذ سبيله في البحر سربا عائد على الحوت كما عاد في قوله
واتخذ سبيله في البحر سربا وهو من كلام يوشع وقيل الضمير عائد على موسى اى اتخذ موسى
ومعنى عجبا اى تعجب من ذلك او اتخاذا عجبا وهو ان اثره بقي الى حيث سار وقدره الزمخشري
سبيله عجبا وهو كونه شبه السرب قال او قال عجبا في اخر كلام تعجبا من حاله في رؤية
تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا التعجب موسى وليس كذلك
انتهى وقال ابن عطية واتخذ سبيله في البحر عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى
اى اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر
اى استأنف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع العجب ان يكون حوت
قد مات واكل شقه ثم حيى بعد ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به
فاذا هو شقه حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي قال ابن عطية وانا رايته
والشق الذي فيه شي عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة ويحتمل ان يكون واتخذ
سبيله الاية اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل
الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس انتهى وقرأ حفص وما انسانيه بضم الهاء وفي الفتح
عليه الله وذلك في الوصل واماله الكسائي فتحت السين وفي مصحف عبد الله وقراءته

ان اذكر

ان اذكره الا الشيطان وقرا ابو حيوة واتخاذ سبيله عطف المصدر على ضمير المفعول
في اذكره والاشارة بقوله ذلك الى امر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر لانه امارة الظفر
من لقا ذلك العبد الصالح وما موصوله والعائد محذوف اى نبغيه وقرى نبغ بغير ياء في الوصل
واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو والكسائي ونافع واما الوقف فالاكثر فيه طرح اليا
اتباعا لرسم المصحف واثبتها في الحالين ابن كثير فارتدا رجعا على ادراجهما من حيث جا
اقصصا او انتصب على المصدرية باضمار يقصان او في موضع الحال اى مقتصين فينتصب
بقوله فارتدا فوجدا اى موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص
وجداه عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجي في ثوبه مستلقيا على الارض فقال
السلام عليك ثم قال من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرايل قال نعم قال
لم يكن لك في بني اسرايل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال بلى ولكن احببت لقاك
وان اتعلم منك قال له انى على علم من الله تعالى علمنيه لا يعلمه انت وانت على علم من
الله تعالى علمكه الله لا اعلمه انا والجمهور على انه الخضر وخالف من لا يعتد بخلافه
فزعم انه عالم اخر وقيل اليسع وقيل الياس وقيل خضرون بن قابيل بن ادم وقيل واسم
الخضر بليا بن ملكان والجمهور على ان الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن الاشيا قد
اوحيت اليه وعلم موسى الاحكام والفتيا بالظاهر وروي انه وجده قاعدا على ثبج البحر
وفي الحديث سمي خضرا لانه جلس على فروة بالية فاهتزت تحته خضرا وقيل كان اذا
صلى اخضر ما حوله وقيل جلس على فروة بيضا وهي الارض لم ترتفعة وقيل العشب
فاهتزت تحته خضرا وقيل كانت امه فارسية وابوه رومي وقيل كان ابن ملك من الملوك
اراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر
عليه والجمهور على انه مات وقال شرف الدين ابو عبد الله محمد بن ابي الفضل المرسي
اما خضر موسى بن عمران فليس بحي لانه لو كان حيا للزمه المجي الى النبي صلى الله عليه
وسلم والايمان به واتباعه وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان موسى
وعيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي انتهى كهذا ورد هذا الحديث ومذهب المسلمين
ان عيسى عليه السلام حي وانه سينزل من السما ولعل الحديث لو كان موسى حيا لم يسعه
الا اتباعي والرحمة التي اتاها الله اياه هي الوحي والنبوة وقيل الرزق وعلمناه من
لدنا علما اى من عندنا اى مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب وقرا ابو
زيد عن ابي عمرو من لدنا بتخفيف النون وهي لغة في لدن وهي الاصل وقد اولع كثير
ممن ينتمي الى الصلاح بادعا هذا العلم ويسمونه العلم اللدني وانه يلقى في روع الصالح
منهم شي خفي يخبر بان من كان من اصحابه هو من اهل الجنة على سبيل القطع وان بعضهم يرى
الخضر وكان قاضي القضاة ابو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق
العيد يخبر عن شيخ له انه راى الخضر وحدثه فقيل له من اعلمه انه الخضر ومن ابن عرف
ذلك فسكت وبعضهم يزعم ان الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر
وسمعنا الحديث على شيخ يقال له عبد الواحد العباسي الحنبلي وكان اصحابه الحنابلة يعتقدون
فيه انه يجتمع بالخضر قال له موسى في الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام
وهو الذي ورد في الحديث الصحيح قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل على التواضع
للعالم وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والا
ستنزال والادب في طلب العلم بقوله هل اتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس
فوايده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب رشدا على انه مفعول ثان لقوله
تعلمني او على انه مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك وقال الزمخشري
علما ذا رشد ارشد به في ديني قال فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده
انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم زمانه وامامهم
المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي قبله وانما
يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن

امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسي وان موسي هو موسي بن ميشا فقال كذب
عدو الله انتهى وقرا الحسن والزهري وابو بحريه وابن محيصن وابن سادر ويعقوب
وابو عبيد واليزيدي رشدا بفتحتين وهي قراة ابي عمرو من السبعة وقرا باقي السبعة
بضم الرا واسكان الشين ونفي الخضر استطاعة الصبر معه علي سبيل التاكيد كانها مما لا
يصح ولا يستقيم وعلمه ذلك بانه يتولي امورا هي في ظاهرها مما ينكرها الرجل الصالح فكيف النبي
فلا يتمالك ان يبشر لذلك ويبادر بالانكار وكيف تصبر اي ان صبرك علي ما لا اخبره لك به
مستبعد وفيه ابدا عذر له حيث لا يمكنه الصبر لما يري من منافاة ما هو عليه من شريعته
وانتصب خبرا علي التمييز اي مما لم تحط به لم تخبره وقرا الحسن وابن هرمز خبرا بضم
البا قال ستجدني ان شا الله صابرا وعده بجوابه صابرا وقرن ذلك بمشية الله علما
منه بشدة الامر وصعوبته اذ لا يصبر الا علي ما يتنافي ما هو عليه اذا راه ولا اعصي يحتمل
ان يكون معطوف علي ستجدني فلا محل له من الاعراب صابرا اي صابرا وغير عاص فيكون
في موضع نصب عطف الفعل علي الاسم اذ كان في معناه كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات
ويجوز ان يكون معطوفا علي ستجدني فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشية لفظا
وقال القشيري وعدي موسي من نفسه بشيئين وقرنه بالاستثنا بالمشية فصبر حين
وجد علي يد الخضر فيما كان منه من الفعل وبان لا يعصيه فاطلق ولم يقرنه بالاستثنا
فعصاه حيث قال له فلا تسالني فكان يساله فما وقع فيه الاستثنا لم يخالف فيه
وما اطلقه وقع فيه الخلف انتهى وهذا منه ان يكون علي تقدير ان يكون ولا اعصي معطوفا
علي ستجدني فلم يندرج تحت المشية قال فان اتبعتني اي اذا رايت مني شيا حتي عليك
وجه صحته فانكرته في نفسك فلا تفاتحني بالسوال حتي اكون انا الفاتح عليك وهذا
من ادب المتعلم مع العالم المتبوع وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني وعن ابي جعفر
بفتح السين واللام من غير همز مشددة النون وباقي السبعة بالهمز وسكون اللام
وتخفيف النون قال ابو علي كلهم بيا في الحالين انتهى وعن ابن عامر في حذف اليا خلاف
غريب قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد
جيت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد
جيت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شي بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شيت لتخذت عليه اجرا
قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فانطلقا اي موسي
والخضر وكان معهما يوشع ولم يضمر لانه في حكم التبع وقيل كان موسي قد صرفه ورده الى بني
اسرايل والالف واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة
وروي في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها اقوال والمعتمد ما رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما قالا فانطلقا يمشيان علي ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم فعرفوا
الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا
من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسي قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم
فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الاول من موسي نسيانا قال وجا عصفور فوقع علي حرف السفينة فنقر فقال له
الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر واللام
في لتغرق اهلها قيل لام العاقبة وقيل لام العلة وقرا زيد بن علي والاعمش وطلحة وابن
ابي ليلي وحمزة والكسائي وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسي الاصبهاني ليغرق
بفتح اليا والرا وسكون الغين اهلها بالرفع وقرا باقي السبعة بضم تا الخطاب
واسكان الغين وكسر الرا ونصب لام اهلها وقرا الحسن وابو رجا كذلك الا انهما فتحا
الغين وشددا الرا ثم ذكره الخضر بما سبق له من نفي استطاعته الصبر لما يري فقال

لاتواخذني

لا تواخذني بما نسيت والظاهر حمل النسيان علي وضعه وقد قال عليه الصلاة والسلام
كانت الاولي من موسي نسيانا والمعني انه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سواله حتى
يكون هو المخبر له وهذا قول الجمهور وعن ابي بن كعب انه ما نسي ولكن قوله هذا من
معاريض الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام الذي ينفي بها الكذب مع التوصل الي الغرض كقول
ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة انتهى وقد بين ابن عطية كلام ابي بكلام طويل يوقف عليه في كتابه ولا
يعتمد الا علي قول الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الاولي من موسي نسيانا ولا ترهقني اي لا
تعسفني وتكلفني من امري وهو اتباعيك عسرا اي شيا صعبا بل سهل علي في متابعتك بترك
المناقشة وقرا ابو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع قوله تعالى فانطلقا في الكلام حذف
تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق باهلها فانطلقا فبينما هما يمشيان علي الساحل
اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان وفي بعض الروايات فمر بغلام يلعبون فعمد
الخضر الي غلام حسن الهيية وضي الوجه فاقتلع راسه وقيل رضه بحجر وقيل ذبحه وقيل
فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط قيل وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم ولهذا قال اقتلت
نفسا زاكية وقيل كان بالغا شابا والعرب تبقي علي الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلي
الاخيلية في الحجاج شفاها من الدا الذي قد اصابها • غلام اذا هز القناة سقاها • وقال
اخر تلق ذباب السيف عني فانني • غلام اذا هوجيت لست بشاعر • وقيل اصله من
الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشباب الذين قد بلغوا الحلم ويتناول
الصبي الصغير تجوزا لتسمية للشي باسم ما يوول اليه واختلف في اسم هذا الغلام واسم
ابيه واسم امه ولم يرد شي من ذلك في الحديث وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد ويقسم
لابويه انه ما فعل فيقسمان علي قسمه ويحميانه ممن يطلبه وحكي القرطبي عن صاحب العرس
والعرايس ان موسي عليه الصلاة والسلام لما قال للخضر اقتلت نفسا زاكية غضب الخضر
واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه كافر لا يومن بالله ابدا وقال
الزمخشري فان قلت لم قيل خرقها بغير فا وفقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط
وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما
قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام انتهى ومعني
زاكية طاهرة من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لانه لم يرها اذنبت قيل ولانها صغيرة
لم تبلغ الحنث وقوله بغير نفس يرده ويدل علي كبر الغلام فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله
بنفس ولا بغير نفس وقرا ابن عباس والاعرج وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد
والزهري ونافع واليزيدي وابن مسلم وزيد وابن بكير عن يعقوب والتمار عن رويس
عنه وابو عبيد وابن جبير الانطاكي وابن كثير وابو عمرو زاكية بالالف وقرا زيد بن علي
والحسن والجحدري وابن عامر والكوفيون زكية بغير الف وبتشديد اليا وهي ابلغ من
زاكية لان فعيلا المحول من فاعل يدل علي المبالغة وقرا الجمهور نكرا باسكان الكاف
وقرا نافع وابو بكر وابن ذكوان وابو جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وابو حاتم برفع
الكاف حيث كان منصوبا والنكر قيل اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق
السفينة وقيل معناه شيا انكر من الاول لان الخرق يمكن سده والقتل لا سبيل الى تدارك
الحياة معه وفي قوله زجر واغلاظ ليس في الاول لان موافقة الشرط ثابتة بعد التقدم
الي ترك السوال واستعذر موسي بالنسيان اقطع في المخالفة لما كان اخذ علي نفسه من
الصبر وانتفا العصيان قال ان سالتك عن شي بعدها اي بعد هذه القصة او بعد هذه
المسالة فلا تصاحبني اي فاوقع الفراق بيني وبينك وقرا الجمهور فلا تصاحبني
من باب المفاعلة وقرا عيسي ويعقوب فلا تصحبني مضارع صحب وعيسي ايضا بضم
اليا وكسر الحا مضارع اصحب ورواها سهل عن ابي عمرو اي فلا تصحبني علمك وقدره بعضهم
اياك وبعضهم نفسك وقرا الاعرج بفتح التا والبا وشد النون ومعني قد بلغت من لدني

عذرا اي فقد اعذرت الي وبلغت الي العذر وقرا الجمهور من لدني بادغام نون لدن
في نون الوقاية التي اتصلت بيا المتكلم وقرا نافع وعاصم بتخفيف النون وهي نون لدن اتصلت
بيا المتكلم وهو القياس لان الاصل الاسما اذا اضيفت الي يا المتكلم لم تلحق نون الوقاية
نحو غلامي وفرسي واشم شعبة الضم في الدال وروي عن عاصم سكون الدال قال ابن مجاهد
وهو غلط يعني من جهة الرواية واما من حيث اللغة فليس بغلط لان من لغاتها لد بفتح اللام وسكون
الدال وقرا عيسى عذرا بضم الذال ورويت عن ابي عمرو وعن ابي بعض عليها من امرهما
واسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه
فقال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا والقرية التي اتيا اهلها انطاكية او الايلة او نحو سره
الاندلس وهي الجزيرة الخضرا او برقة او حوران بناحية اذربيجان او ناصرة من ارض
الروم او قرية بارمينية اقوال مضطربة بحسب اختلافهم في اي ناحية من الارض كانت
القصة والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اوليك
القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى وتكرر لفظ اهل على
سبيل التوكيد وقد يظهر له فايدة غير التوكيد وهو انهما حين اتيا اهل القرية لم ياتيا
جميع اهل القرية انما اتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل انهما لم يستطعما الا ذلك البعض
الذي اتياه فجي بلفظ اهلها ليعم جميعهم وانهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان
التركيب استطعامهم لكان عايدا على البعض الماتي وقرا الجمهور يضيفوهما بالتشديد
من ضيف وقرا ابن الزبير والحسن وابو رجا وابو رزين وابن محيصن وعاصم في رواية المفضل
وابان بكسر الضاد واسكان اليا من اضاف كما تقول ميل وامال واسناد الارادة الي الجدار
من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد في كلام العرب اسناد اشيا تكون من افعال
العقلا الي ما لا يعقل من الحيوان والي الجماد والمعنى لو كان الجماد والحيوان الذي لا يعقل مكان
العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل وقد اكثر الزمخشري وغيره من ايراد الشواهد
على ذلك ومن له ادنى مطالعة لكلام العرب لا يحتاج الي شاهد في ذلك قال الزمخشري
ولقد بلغني ان بعض المحترفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر عليه السلام
لان ما كان من افة الجهل وسقم الفهم اراه اعلا الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو
عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز ادخل في الاعجاز انتهى وما ذكره اهل الاصول
للفقه عن ابي بكر محمد بن داود الاصبهاني من انه ينكر المجاز في القران لعله لا يصح عنه وكيف
يكون ذلك وهو احد الادبا والشعرا الفحول المجيدين في النظم والنثر وقرا الجمهور ينقض
اي يسقط من انقضاض الطاير ووزنه انفعل نحو انجر قال صاحب اللوامح من القضة وهي الحصى
الصغير ومنه طعام قضض اذا كان فيه حصى فعلى هذا يريد ان ينقض اي يتفتت فيصير حصاة
انتهى وقيل وزنه افعل كاحمر وقرا ابي ينقض بضم اليا وفتح القاف والضاد مبنيا للمفعول
من نقضته وهي مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حرف عبد الله وقراه الاعمش
يريد لينقض كذلك الا انه منصوب بان المقدرة بعد اللام وقرا علي وعكرمة وابو شيخ خيوان
بن خالد الهناي وخليد ابن سعد ويحيى بن يعمر ينقاص بالصاد غير معجمة
مع الالف ووزنه ينفعل اللازم من قاص يقيص اذا كسرته تقول قصته فانقاص قال
ابن خالويه وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب
وقيل اذا انصدعت كيف كان ومنه قول ابي ذويب فراق كقيص السن فالصبر انه لكل اناس
عثرة وجبور وقرا الزهري ينقاض بالف وضاد معجمة وهو من قولهم قضته بضاد معجمة
فانقض اي هدمته فانهدم قال ابو علي والمشهور عن الزهري بضاد غير معجمة فاقامه
الظاهر انه لم يهدمه وبناه كما ذهب اليه بعضهم من انه هدمه وقعد يبنيه ووقع هذا
في مصحف عبد الله وايد بقوله لتخذت عليه اجرا لان بناه بعد هدمه يستحق عليه اجرا
وقال ابن جبير مسحه بيده واقامه فقام وقيل اقامه بعمود عمده به وقال مقاتل سواه
بالشيد اي لبسه به وهو الجبار وعن ابن عباس رفعه بيده فاستقام وهذا اليق بحال

الانبيا

الانبيا قال الزمخشري كانت الحال حال اضطرار وافتقار الي المطعم وقد لزتهما الحاجة الي
اخر كسب المرا وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام
لما راي من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شيت لتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك
جعلا حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة انتهى وقال ابن عطية وقوله لو شيت لتخذت عليه
اجرا وان لم يكن سوالا ففي ضمنه الانكار لفعله والقول بتصويب اخذ الاجر وفي ذلك تخطية
ترك الاجر انتهى وقرا عبد الله والحسن وقتادة وابو بحرية وابن محيصن وحميد واليزيدي
ويعقوب وابو حاتم ومن السبعة ابن كثير وابو عمرو لتخذت بتا مفتوحة وخا مكسورة يقال
تخذ واتخذ نحو تبع واتبع افتعل من تخذ وادغم التا في التا قال الشاعر وقد تخذت رجلي الي جنب
غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق والتا اصل عند البصريين وليس من الاخذ وانهم ظنوا
التا اصلية فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقي من اتقى والظاهر ان هذا اشارة الي قوله لو
شيت اي هذا الاعتراض سبب الفراق بيني وبينك على حسب ما سبق من ميعاده انه قال
ان سالتك وهذه الجملة وان لم تكن سوالا فانها تتضمنه اذ المعنى لم تكن تتخذ عليه اجرا لاحتياجنا
اليه وقال الزمخشري قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام
ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعلوه مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك
فلا يكون هذا اشارة الي غير الاخ انتهى وما قاله نظر وقرا ابن ابي عبلة فراق بيني بالتنوين
والجمهور على الاضافة والبين قال ابن عطية الصلاح الذي يكون بين المصطحبين ونحوهما
وذلك مستعار فيه من الظرفية ومستعمل استعمال الاسما وتكريره بيني وبينك وعدوله عن
بيننا لمعنى التاكيد سانبيك اي ساخبرك بتاويل ما رايت من خرق السفينة وقتل الغلام
واقامة الجدار اي بما ال اليه الامر فيما كان ظاهره ان لا يكون وقرا ابن وثاب سانبيك
باخلاص اليا من غير همز وعن ابن عباس كان قول موسى في السفينة وفي الغلام لله وكان قوله
في الجدار لنفسه بطلب شي من الدنيا فكان سبب الفراق وقال ارباب المعاني والاشارات
هذه الامثلة التي وقعت لموسى مع الخضر عليهما السلام واحواله وذلك انه لما انكر خرق السفينة
نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر اقامة الجدار
نودي اين هذا من رفعك الحجر تسقي بنات شعيب دون اجرة سانبيك في معاني هذا امثلك
ولا افارقك حتى اوضح لك ما استبهم عليك اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت
ان اعيبها وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اه
روي ان موسى لما عزم على فراق الخضر اخذ بثيابه وقال لا افارقك حتى تخبرني بما اباح لك
فعل ما فعلت فلما التمس ذلك منه اخذ في البيان والتفصيل فقال اما السفينة فبدا بقصة ما وقع
له اولا قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا اجرا نسبت
اليهم للاختصاص وقرا الجمهور مساكين جمع مسكين بتخفيف السين وقرا علي كرم الله وجهه
بتشديد السين جمع مساك جمع تصحيح فقيل المعنى ملاحين والمساك الذي يمسك رجل السفينة
وكل منهم يصلح لذلك وقيل المساكون دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والقراة الاولى
تدل على ان السفينة كانت لقوم ضعفا ينبغي ان يشفق عليهم واحتج بهذه الاية على ان المسكين
هو الذي له بلغة من العيش كالسفينة لهولا وانه اصلح حالا من الفقير وقوله تعالى فاردت
ان اعيبها فيه اسناد ارادة العيب له وفي قوله فاراد ربك ان يبلغا اشدهما كما كان في ذكر العيب
ما فيه لم يسنده الي الله تعالى ولما كان في ذلك من فعل الخير اسنده الي الله تعالى قال الزمخشري
فان قلت فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب
فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده
ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراة ابي وعبد الله كل سفينة
صالحة انتهى ومعنى ان اعيبها اخرقها وقرا الجمهور وراهم وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى

الامر ومعناه هنا امامهم وكذا قرا ابن عباس وابن جبير وكون وراءهم بمعنى امامهم قول
قتادة وابي عبيد وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند اهل اللغة ان وراء يجوز بمعنى قدام
وجا في التنزيل والشعر قال تعالى من ورائه جهنم وقال تعالى ومن ورائه عذاب غليظ وقال
ومن ورائهم برزخ قال لبيد اليس ورائي ان تراخت منيتي • لزوم العصا تحنى عليها الاصابع •
وقال سوار بن المضرب السعدي ايرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة
ورائيا وقال اخر اليس ورائي ان ادب على العصا فيشمت اعدائي ويساءمني اهلي وقال
ابن عطية وقوله تعالى وراءهم عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجي مراعى بها
الزمن والذي ياتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الراي وتامل
هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الاية معناها ان هولاء وعملهم
وسعيهم ياتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي انهم
كانوا يسيرون الى بلدة وقوله تعالى في التوراة والانجيل بين يدي القران مطرد على
ما قلناه في الزمن وقوله تعالى من ورائه جهنم مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن وقول
النبي صلى الله عليه وسلم امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة
في الزمن وتامل هذه المقالة فانها مريحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتب
الطبري وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهي بين
ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها
قاله الزجاج ويجوز ان كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة انتهى وهو
كلام فيه تكثير وكانه ينظر الى ما قال الفرا لا يجوز ان يقال للرجل بين يديك هو وراءك
انما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والايام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك
برد شديد جاز الوجهان لان البرد اذا لحقك صار من ورائك وكانك اذا بلغته صار
بين يديك وقال انما جاز هذا في اللغة لان ما بين يديك وما قدامك اذا توارى عنك فقد
صار وراءك وقال ابو علي انما جاز استعمال وراء بمعنى امام على الاتساع لانها جهة مقابلة
لجهة فكانت كل جهة من الجهتين وراء الاخرى اذا لم ترد معنى المواجهة ويجوز ذلك
في الاجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الاخر واكثر اهل
اللغة على ان وراء من الاضداد انتهى قيل واسم هذا الملك هدد ابن بدد وكان كافرا وقيل
اسمه الجلندي ملك غسان وقوله فكان ابواه مومنين في هذا حذف وهو ان المعنى وكان كافرا
وكذا وجد في مصحف ابي وقرا ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين ونص
في الحديث على انه كان كافرا مطبوعا على الكفر ويراد بابويه ابوه وامه ثنى تغليبا من باب
القمرين في القمر والشمس وهي تثنية لا تنقاس وقرا ابو سعيد الجحدري فكان
ابواه مومنان فخرجه الزمخشري وابن عطية وابو الفضل الرازي على ان في كان ضمير
الشان والجملة في موضع خبر لكان واجاز ابو الفضل الرازي ان يكون مومنان على لغة بني
الحارث بن كعب فيكون منصوبا واجاز ايضا ان يكون في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان
فخشينا اي خفنا ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شرا وبلا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان
وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره بقتله كاختر
امه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف
سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا
كقوله لاهب لك قاله الزمخشري وفي قوله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته هذا مذهب
المعتزلة في قولهم بالاجلين والظاهر اسناد فعل الخشية في فخشينا الى ضمير الخضر واصحابه
الصالحين الذين اهمهم الامر وتكلموا وقيل هو من جهة الله وعنه عبر الخضر وهو الذي
قال فيه الزمخشري ويجوز ان يكون الى اخر الكلام قاله الطبري ومعناه فكرهنا
قال ابن عطية والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة

اي على

اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للولدان وقرا
ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين الاستعارة في القران من جهة الله تعالى من لعل وعسى
فان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم ايها المخاطبون
ويرهقهما معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه وقرا نافع
وابو عمرو وابو جعفر وشيبة وحميد والاعمش وابن جرير ان يبدلهما بالتشديد
هنا وفي التحريم والقلم وقرا باقي السبعة والحسن وابن محيصن بالتخفيف والزكاة هنا
الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم
الرحمة والعطف مصدران كالكثر والكثرة وافعل هنا ليست للتفضيل لان ذلك الغلام
لا زكاة فيه ولا رحمة والظاهر ان قوله واقرب رحما اي رحمة والديه وقال ابن جريج برحمتهما
وقال روبة بن العجاج الراجز • يا منزل الرحم على ادريسا • ومنزل اللعن على ابليسا •
وقرا ابن عامر وابو جعفر في رواية ويعقوب وابو حاتم رحما بضم الحا وقرا ابن عباس
رحما بفتح الرا وكسر الحا وقيل الرحم من الرحم والقرابة اي اوصل للرحم قيل ولدت
غلاما مسلما وقيل جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم
وقيل ولدت سبعين نبيا روي ذلك عن ابن عباس قال ابن عطية وهذا بعيد ولا نعرف
كثرة الانبيا الا في بني اسرائيل ولم تكن هذه المراة منهم انتهى ووصف الغلامين باليتم
يدل على انهما كانا صغيرين وفي الحديث لا يتم بعد البلوغ اي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما
قيل واسمهما اصرم وصريم واسم ابيهما كاشح واسم امهما دهنا والظاهر في الكنز انه مال
مدفون جسيم ذهب وفضة قاله عكرمة وقتادة وكان ابن عباس وابن جبير كان علما في صحف
مدفونة وقيل لوح من ذهب فيه كلمات حكمة وذكر قد ذكرها المفسرون في كتبهم ولا نطول
بذكرها والظاهر ان اباهما هو الاقرب اليهما الذي ولدهما دنية وقيل السابع وقيل العاشر
وحفظ هذان الغلامان بصلاح ابيهما وفي الحديث ان الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته
وانتصب رحمة على المفعول له واجاز الزمخشري ان ينتصب على المصدر باراد قال لانه
في معنى رحمهما واجاز ابو البقا ان ينتصب على الحال وكلاهما متكلف وما فعلته اي وما
فعلت ما رايت في خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار عن اجتهاد وراي وانما فعلته
بامر الله وهذا يدل على انه نبي اوحي اليه وتسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل قال ابن
السكيت يقال ما اسطيع وما استطيع وما استطيع اربع لغات واصل اسطاع استطاع على
وزن استفعل فالمحذوف في استطاع تا الافتعال لوجود الطا التي هي اصل ولا حاجة
تدعو الى ان المحذوف هي الطا التي هي فا الفعل ثم ابدلوا من تا الافتعال طا واما استيع
ففيه انهم ابدلوا من الطا تا وينبغي ان يكون المحذوف تا الافتعال كما في تستطيع وفي كتاب
التحبير والتحرير ما نصه تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام
على ان الخضر افضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الاوليا افضل من احاد
الانبيا واستدلوا ايضا بقول ابي يزيد خضت بحرا وقف الانبيا على ساحله وهذا كله من
ثمرات الرعونة والظنة بالنفس انتهى وقد سمعنا من يحكي هذه المقالة عن بعض الصالحين
المضلين وهو ابن العربي الطائي الحاتمي صاحب الفتوح الملايكة المكية وكان ينبغي ان
يسمى بالفتوح المهلكية وانه كان يزعم ان الولي خير من النبي وقال لان الولي ياخذ عن الله
بغير واسطة والنبي ياخذ عن الله بواسطة ولان الولي قاعد في الحضرة الالهية والنبي
مرسل الى قوم ومن كان في الحضرة افضل ممن يرسله صاحب الحضرة الى اشيا من هذه الكفريات
والزندقة وقد كبر مطعمو هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة الزنادقة القايلة بالوجوه
او الجهال بحالهم نسال الله السلامة في ادياننا وابداننا **المفردات السد**
الحاجز والحايل بين الشيين ويقال بالضم وبالفتح **الردم** السد وقيل الردم اكثر من السد
لان الردم ما جعل بعضه على بعض يقال ثوب مردم اذا كان قد رفع رقعة فوق رقعة وقيل
سد الخلل قال عنترة هل غادر الشعرا من متردم اي خلل في المعاني فيسد ردما **الزبرة**
القطعة واصله الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع على كاهله من الشعر وزبرت الكتاب

جمعت حروفه الصدفان جانب الجبل اذا تحاذيا لتقاربهما وتلاقيهما قاله الازهري ويقال
صدف بضمتين وبفتحتين وبضم الصاد وسكون الدال وعكسه قال بعض اللغويين وفتحهما لغة
تميم وضمهما لغة حمير وقال ابو عبيدة الصدف كل بناء عظيم مرتفع **القطر** النحاس المذاب في قول
الاكثرين وقيل الحديد وقيل الرصاص المذاب **النقب** مصدر نقب اي حفر وقطع **العطا**
معروف وجمعه اعطية ومن عطى اذا ستر **الفردوس** قال الفراء البستان الذي فيه الكرم
وقال ثعلب كل بستان يحوط عليه فهو فردوس ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه
ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول
له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا الضمير في ويسالونك عائد على قريش او على اليهود والمشهور
ان السائلين قريش حين دسها اليهود على سواله عن الروح والرجل الطواف وفتية ذهبوا في الدهر
ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني ذكره ابن اسحاق وقال وهب
هو رومي وقيل نبي وقيل عبد صالح ليس بنبي قولان وقيل كان ملكا من الملائكة وهذا غريب
قيل ملك الدنيا مؤمنان سليمان عليه السلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر وكان
بعد نمرود وعن علي رضي الله تعالى عنه كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه
الايمن في طاعة الله تعالى ثم بعثه الله فضرب قرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالى
فسمي ذا القرنين وقيل طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي
ظفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي
الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه
ما يشبه القرنين قال الزمخشري ويجوز ان يسمى بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا
كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز من الروم ليس لها غيره انتهى وقيل غير ذلك في تسمية ذي
القرنين والمشهور انه الاسكندر وقال ابو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الاثار الباقية
عن القرون الخالية هو ابو كرب بن سمي بن عمير افريقس الحميري بلغ ملكه مشارق الارض
ومغاربها وهو الذي افتخر به احد الشعراء من حمير حيث قال قد كان ذو القرنين قبلي مسلما
ملكا على الارض غير معبد ° بلغ المشارق والمغارب يبتغي ° اسباب ملك من كريم سيد ° قال
ابو الريحان ويشبه ان يكون هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا يخلون
اساميهم من ذي كذي المنار وذي نواس انتهى والشعر الذي انشده نسبه ايضا الى تبع
الحميري وهو قد كان ذو القرنين جدي مسلما وعن علي وابن عباس ان اسمه عبد الله
بن الضحاك وعن محمد بن علي بن الحسين عياش وعن ابي خيثمة هو الصعب بن جابر بن القلمس
وقيل مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث وعن علي رضي الله تعالى عنه
من ملوك القرون الاول من ولد يافث بن نوح وعن الحسن كان بعد ثمود وكان عمره الف سنة
وستمائة وعن وهب بن منبه كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم والخطاب
في عليكم للسائلين اما اليهود واما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين وقوله ذكرا
يحتمل ان يريد قرانا او يريد حديثا وخبرا والتمكين له في الارض كونه ملك الدنيا
ودانت له الملوك كلها قال بعض المفسرين والدليل على انه الاسكندر ان القران دل على ان الرجل
المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى اقصى المغرب والى اقصى المشرق والى اقصى الشمال بدليل
ان ياجوج وماجوج قوم من الترك يسكنون في اقصى الشمال وهذا الذي بلغ ملكه هذا
التحمل هو نهاية المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف العادات
وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يكون مختفيا وذلك انه لما مات
ابوه جمع ملك الروم مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني
اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون
والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه واستولى

الاسكندر

الاسكندر على ممالك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان
وبنى المدن الكبار الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وورد في الحديث
الذين ملكوا الدنيا اربعة مؤمنان سليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين وقد
تقدم ذكر ذلك وثبت في علم التواريخ فيلقوس اليوناني وقيل تمكينه في الارض بالنبوة
واجراء المعجزات وقيل تمكينه بان سخر له السحاب وحمله عليها وبسط له النور فكان
الليل والنهار عليه سواء وقيل بكثرة اعوانه وجنوده وقيل بالهيبة والوقار وقذف
الرعب في قلوب اعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه مخارج الارض واستيلائه على برها
وبحرها واتيناه من كل شيء يحتاج اليه في الوصول الى اغراضه سببا اي طريقا موصلا
اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او الة واراد بلوغ المغرب فاتبع
سببا الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى المقصود وقال الحسن بلاغا
الى حيث اراد وقرا زيد بن علي والزهري والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى والكوفيون وابن
عامر فاتبع ثلاثتها بالتخفيف وقرا باقي السبعة بالتشديد والظاهر انهما بمعنى واحد وعن
يونس بن حبيب وابي زيد بقطع الهمزة عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبوصلها
انما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات وقرا عبد الله وعمرو ابن العاص وابن عمرو وعبد
الله بن عمر ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية بالياء اي
حارة وقرا ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن ابي ليلى ويعقوب وابو حاتم
وابن جبير الانطاكي بهمزة مفتوحة والزهري بفتحها يقال حميت البير تحما حما فهي حمية وحماها
نزعت حماتها واحميتها القيت فيها الحمة ولا تنافي بين الحامية والحمئة اذ تكون العين جامعة
للوصفين وقال ابو حاتم وقد يمكن ان تكون حاميه مهموزه بمعنى ذات حمأة فتكون القراءتان
بمعنى واحد يعني انه سهلت الهمزة بابدالها ياء بالكسرة ما قبلها وفي التورية تغرب في ماء وطين
وقال تبع فرأى مغيب الشمس عند ما بها في عين ذي خلب وثأط حرمد اي في عين ماء ذي
طين وحمأ اسود وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى الشمس عند
غروبها فقال اتدري اين تغرب يا ابا ذر فقلت لا فقال انها تغرب في عين حامية وهذا
الحديث وظاهر النص دليل على ان قوله في عين متعلق بقوله تغرب في عين اي فيما ترى
العين لان ذلك حقيقة كما نشاهدها في الارض الملساء كانها تدخل في الارض ويجوز ان
تكون هذه العين من البحر ويجوز ان تكون الشمس تغيب وراءها وزعم بعض البغداديين
ان في بمعنى عند اي تغرب عند عين ووجد عندها قوما اي عند تلك العين قال ابن
[illegible] مؤمنين وكافرين وقال غيره كفرة لباسهم جلود السباع وطعامهم ما احرقته الشمس
من الدواب وما لفظته العين من الحوت اذا غربت وقال وهب انطلق يوما المغرب الى ان
انتهى الى باسك فوجد جمعا لا يحصيهم الا الله فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان
واحد ثم دخل عليهم في النور ودعاهم الى عبادة الله تعالى فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه
وقال ابو زيد السهيلي هم اهل جابلوس ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من
نسل ثمود بقيتهم الذين امنوا بصالح عليه السلام وظاهر قوله قلنا انه اوحى الله تعالى اليه
على لسان ملك وقيل كلمه كفاحا من غير رسول كما كلم موسى عليه السلام وعلى هذين القولين
يكون نبيا وقال بعض المتاولين انه الهام والقاء في روعه لان مثل هذا التخيير
لا يكون الا بوحي اذ التكاليف وازهاق النفوس لا يتحقق بالالهام انما يتحقق بالاعلام فهو
وقال علي بن عيسى المعنى قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين ثم حذف القول لان ذا القرنين
لم يصح انه نبي فخاطبه الله تعالى وعلى هذا يكون الضمير الذي في قالوا الجند وفيه بعد
عليه جنده ومن معه وقوله اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم
حسنا اي بالحمل على الايمان والهدى والمعنى اما ان تكفر فتعذب واما ان تؤمن فتحسن نعتبر
بل التخيير بالمستحب عن السبب قال الطبري اتخاذ الحسن مواسرهم مع كفرهم يعني انه خير
مع كفرهم بين قتلهم وبين اسرهم وتفصيل ذي القرنين اما من ظلم واما من امن يدفع هذا
القول وما جرته تنافي بين تعذيبهم ودعائهم الى الاسلام اختار الدعوى والاجتهاد في استمالتهم

فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم وهو الكفر منا بلا خلاف فذلك هو المعذب
في الدارين واما من امن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى واتى بحرف التنفيس
في فسوف نعذبه لما يتخلل بين اظهاره كفره وبين تعذيبه من دعايته الى الايمان وتابيه
عنه فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يوعدهم ويخلفهم ويذكرهم فان رجعوا والا فالقتل وقوله
تعالى ثم يرد الى ربه اي يوم القيامة واتى بنون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم
نحن فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير لذى القرنين ليس من الله تعالى اذ لو
كان كذلك لكان التركيب ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد ان يكون التخيير من الله ويكون
تراجع ذو القرنين بذلك اتباعه ثم التفت مخاطبا لا اتباعه لا الى ربه تعالى وما احسن
مجي هذه الجمل ما يستحقه من ظلم بدا بما هو اقرب لهم وهو محسوس عندهم وهو قوله فسوف
نعذبه ثم اخبر بما يلحقه اخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله اياه العذاب النكر ولان
الترتيب الواقع هو كذا ولما ذكر ما يستحقه من امن وعمل صالحا ذكر جزاء الله له في الاخرة
وهو الحسنى اي الجنة لان طمع المومن في الاخرة ورجاه هو الذي حمله على ان امن لاجل
جزائه في الاخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان في الدنيا ثم اتبع ذلك باحسانه لله له
في الدنيا بقوله وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نقول له ما نتكلفه مما هو شاق عليه
اي قولا ذا يسر وسهولة كما قال تعالى قولا ميسورا ولما ذكر ما اعد الله له من الحسنى
جزاء لم يناسب ان يذكر جزاه بالفعل بل اقتصر على القول ادبا مع الله تعالى وان كان يعلم
انه يحسن اليه فعلا وقولا وقرا حمزة والكسائي وحفص وابو بحرية والاعمش
وطلحة وابن مناذر ويعقوب وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير
الانطاكي ومحمد بن جرير فله جزاء بالنصب والتنوين وانتصب جزاء انه مصدر في موضع
الحال اي مجازى كقولك في الدار قائما زيد وقال ابو عمرو قال ابو الحسن هذا لا تكاد
العرب تتكلم به متقدما الا في الشعر وانتصب على المصدر اي يجزي جزاء وقال الفراء
وهو منصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة وقرا باقي السبعة
جزاء الحسنى برفع جزاء مضافا الى الحسنى قال ابو علي جزاء الخلال الحسنة التي اتاها وعملها
او يراد بالحسنى الحسنة والجنة هي الجزاء واضاف كما قال دار الاخرة وجزاء مبتدا ام
وله خبره وقرا عبد الله بن ابي اسحق فله جزاء مرفوع وهو مبتدا وجزاء خبره والحسنى
بدل من جزاء وقرا ابن عباس ومسروق فله جزاء نصب بغير تنوين الحسنى بالاضافة
ويخرج على حذف المبتدا لدلالة المعنى عليه اي فله الجزاء جزاء الحسنى وخرجه المهدوي
على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وقرا ابو جعفر يسرا بضم السين حيث وقع ثم
اتبع سببا اي طريقا الى مقصده الذي يسره له وقرا الحسن وعيسى وابن محيصن مطلع
بفتح اللام وروايت عن ابن كثير واهل مكة وهو القياس وقرا الجمهور بكسرها وهو سماع
معدودة وقياس كسره ان يكون المضارع تطلع بكسر اللام وقال الكسائي يقول هذه
لغة ماتت في كثير من لغات العرب يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام
وبقي تطلع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس والقوم هنا الذي قال
قتادة هم اليهود وما وراهم والستر البنيان او الثياب او الشجر والجبال اقوال
والمعنى انهم لا شي لهم يسترهم من حر الشمس وقيل تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل
الى اجسامهم فقيل اذا طلعت نزلوا الما حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة وابن
جريج وقتادة وقيل يدخلون اسرابا وقال مجاهد السودان عند طلوع الشمس اكثر من
جميع اهل الارض قال ابن عطية والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس
منهم وفعلها بقدرة الله تعالى فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم اسراب لكان سترا كثيفا
انتهى وقال بعض الرجاز • بالزنج حر غير الاجساد • حتى كسي جلودها سوادا •
وذلك انما هو من قوة حر الشمس بلغ مطلعها وقيل اتبع سببا كما اتبع سببا وقيل كما وجد
اولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هولا عند مطلع الشمس وحكم فيهم
وقيل كذلك امرهم كما قصصنا عليكم وقيل يطلع طلوعها مثل غروبها وقيل لم نجعل لهم

من دونها سترا كذلك اي مثل ذلك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفره مثلهم وحكمهم
مثل حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والاحسان لمن امن وقال الزمخشري كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل
جنس والثياب من كل صنف وقال ابن عطية كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين
اهل المغرب واوجز لقوله كذلك ثم اخبر تعالى عن احاطته بجميع ما لدى ذي القرنين
وما تصرف فيه من افعاله ويحتمل ان يكون كذلك استينافا قول ولا يكون راجعا على
الطايفة الاولى فتامله والاول اصوب انتهى واذا كان هذا نفيا لا تعلق له بما قبله
فيحتاج الى تقدير يتم به كلاما ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه
قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله
دكا وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا سببا اي طريقا
او مسيرا موصلا الى الشمال فان السدين هنالك قال وهب السدان جبلان منيفان في السما من
وراهما ومن امامهما البلدان وهما بمنقطع ارض الترك مما يلي ارمينية واذربيجان وذكر الهروي
انهما جبلان من وراء بلاد الترك وقيل هما جبلان من جهة الشمال لينان املسان يزلق عليهما كل شي
وسمي الجبلان سدان لان كل واحد منهما سد فجاج الارض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها ياجوج
وماجوج وقرا مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وابو عمرو بين السدين بفتح السين وقرا
باقي السبعة بضمها قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد وقال الخليل وسيبويه بالضم الاسم وبالفتح
المصدر وقال عكرمة وابو عمرو بن العلا وابو عبيدة ما كان من خلق الله لم يشارك فيه احد
فهو بالضم وما كان من صنع البشر فبالفتح وقال ابن ابي اسحق ما راته عيناك فبالضم وما لا ترى
فبالفتح وانتصب بين على انه مفعول به لبلغ كما ارتفع في لقد تقطع بينكم والجر بالاضافة في هذا
فراق بيني وبينك من الظروف المتصرفة ما لو تركب مع اخرى مثلها نحو قولهم همزة بين بين من
دونهما من دون السدين قوما يعني من البشر وقال الزمخشري هم الترك انتهى وابعد من ذهب
الى انهم جان قال الزمخشري وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وهي مفازة هو
فقههم قولا وتضمن نفي فقههم وقال الزمخشري لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة انتهى كانه
فهم من نفي يكاد انه يقع منهم الفهم بعد عسر وهو قول لبعضهم ان نفيها اثبات واثباتها نفي
بالمختار وقرا الاعمش وابن ابي ليلى وخلف وابن عيسى الاصبهاني وحمزة والكساى بضم اليا وكسر
القاف اي يفهمون السامع ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة والضمير في قالوا عايد على هولا
القوم شكوا ما يلقون من ياجوج وماجوج من ولد ادم قبيلتان وقيل هما من ولد يافث بن نوح
وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وقال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم
خرجت بغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب وقال قتادة والسدي بني السد احد
وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف في عددهم وصفاتهم
ولم يصح في ذلك شي وهما ممنوعان من الصرف فمن زعم انهما اعجميان فللعجمة والعلمية ومن
ومن زعم انهما عربيان فللتانيث والعلمية لانهما اسما قبيلتين وقال الاخفش ان جعلنا الفا
اصلية فياجوج يفعول وماجوج مفعول كانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعلها زايدة فياجوج
من يججت وماجوج من مججت وقال قطرب في غير الهمز ماجوج فاعول من المج وياجوج فاعول من يج
وقال ابو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي احد شيوخنا الظاهر انه عربي واصله الهمز
وترك الهمز على التخفيف وهو اما من الاجة وهو الاختلاف كما قال تعالى وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض او من الاج وهو سرعة العدو وقال تعالى وهم من كل حدب ينسلون وقال الشاعر

يأجوج كأجاج الظليم المنفر اومن الاجة وهو شدة الحر اومن اج الما يأج اجوجا اذا كان
ملحا مرا انتهى وقرا عاصم والاعمش ويعقوب في رواية بالهمز في يأجوج ومأجوج وكذا في الانبيا
وهي لغة بني تميم ذكره الفرا قيل ولا وجه له الا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج انه كان يهمز
العالم والخاتم وقرا باقي السبعة بالف غير مهموزة وهي لغة كل العرب غير بني اسد وقرا العجاج
وابنه اجوج بهمزة بدل اليا ومفسدون الظاهر تحقق الافساد منهم لا توقعه لانها شكت من
ضرر نالها وقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني ادم وقيل هو الظلم والقتل ووجوه
الافساد المعلوم من البشر وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيا اخضر الا اكلوه ولا
يابسا الا احتملوه وروي انه لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح
فهل نجعل لك خرجا استدعا منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الادب
اذ سالوه ذلك كقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني وقرا الحسن والاعمش وطلحة
وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي ومن السبعة حمزة والكسائي
خراجا بالف هنا وفي حرفي قد افلح وسكن ابن عامر الرا فيها وقرا باقي السبعة خرجا فيهما بسكون
الرا فالخراج بالالف والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال والمعنى جعلا نخرجه
من اموالنا وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج وقيل الخرج المال
يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر عرضوا عليه ان يجمعوا له اموالا يقيم بها امر السد وابن
محيصن وحميد والزهري والاعمش وطلحة ويعقوب في رواية وابن عيسى الاصبهاني وابن
جرير وباقي السبعة بفتحها قال ما مكني فيه ربي خير اي ما بسط الله لي من القدرة والملك
خير من خرجكم فاعينوني بقوة اي بما اتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبنا قاله
مقاتل وبالالات قاله الكلبي ردما حاجزا حصينا موثقا وقرا ابن كثير وحميد ما مكنني
بنونين متحركتين وباقي السبعة بادغام نون مكن في نون الوقاية لمرشد الاعانة بالقوة
فقال اتوني زبر الحديد اي اعطوني قال ابن عطية انما هو استدعا مناولة لا استدعا
عطية وهبة لانه قد ارتبط من قوله انه لا ياخذ منهم الخراج فلم يبق الا استدعا المناولة
انتهى وقرا الجمهور اتوني وقرا ابو بكر عن عاصم ايتوني اي جيئوني وانتصب زبر بايتوني
على اسقاط حرف الجر اي جيئوني فامر برص بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى وقرا الجمهور
ساوى وقتادة سوى وابن ابي امية عن ابي بكر عن عاصم سوي مبنيا للمفعول وحكي في الكيفية
ان ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الاساس حتى بلغ الما ثم جعل حشوه الصخر
وطينه النحاس من المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون وفي الحديث ان رجلا اخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم به فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة
حمرا قال قد رايته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والزهري ومجاهد والحسن الصدفين
بضم الصاد والدال وباقي السبعة وابو جعفر وشيبة وحميد وابو بكر وابن محيصن وابو رجا وشيبة
وحميد وابو عبد الرحمن كذلك الا انه سكن الدال وباقي السبعة وابو جعفر وطلحة وابن ابي ليلى
وجماعة عن يعقوب وخلف في اختياره وابي عبيد وابن سعدان بفتحهما وابن جندب بالفتح واسكان
الدال ورويت عن قتادة وقرا الماجشون بالفتح وضم الدال وقراءة قتادة وابان عن عاصم
بضم الصاد وفتح الدال حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ في الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى
وقرا الجمهور قال اتوني اي اعطوني وقرا الاعمش وطلحة وحمزة وابو بكر بخلاف عنه قال ايتوني
اي جيئوني وقطرا منصوب بافرغ على اعمال الثاني ومفعول اتوني محذوف لدلالة الثاني
عليه فما اسطاعوا اي ياجوج وماجوج ان يظهروه اي يعلوا عليه لبعده وارتفاعه واملاسه
وان ينقبوه لصلابته وثخانته فلا سبيل الى مجاوزته الى غيرهم من الامم الا باحد هذين
اما ارتقا واما نقبا وقد سلب قدرتهم على ذلك وقرا الجمهور فما اسطاعوا بحذف التا تخفيفا
لقربها من الطا وقرا حمزة وطلحة بادغامها في الطا وهو ادغام على غير حده وقال ابو علي
هي غير جائزة وقرا الاعمش عن ابي بكر فما اصطاعوا بابدال السين صادا لاجل الطا
وقرا الاعمش فما استطاعوا بالتا من غير حذف قال هذا رحمة من ربي اي قال ذو القرنين

والاشارة بهذا قال ابن عطية الى الردم والقوة عليه والانتفاع به وقال الزمخشري
اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقتدار والتمكين من
تسويته قيل وفي الكلام حذف تقديره فلما كمل بنا السد واستوى واستحكم قال هذا رحمة
من ربي وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة من ربي بتانيث اسم الاشارة والوعد يحتمل ان يراد
به يوم القيامة وان يراد به وقت خروج ياجوج وماجوج وقال الزمخشري حادثا يجي يوم
القيامة وشارف اي ماتي جعل السد دكا اي مدكوكا منبسطا مستويا بالارض وكل ما انبسط
بعد الارتفاع فقد اندك انتهى وقرا الكوفيون دكا بالمد ممنوع الصرف وباقي السبعة دكا
منونه مصدر دككته والظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان وقال ابن عطية ويحتمل
ان يكون جعل بمعنى خلق وينتصب دكا على الحال انتهى وهذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك
موجود مخلوق لا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هياته الى هيئة اخرى ووعد بمعنى موعود
لا مصدر والمعنى فاذا جا موعود ربي لا يريد المصدر لان المصدر قد سبق وتركنا هذا الضمير
لله تعالى والاظهر ان الضمير في بعضهم عائد على ياجوج وماجوج والجملة المحذوفة بعد اذ
المعوض منها التنوين مقدرة باذ جا الوعد وخرجوا وانتشروا في الارض ومقدرة
باذ حجز السد بينهم وبين القوم الذين كانوا يفسدون عندهم وهم متعجبون من السد
فماج بعضهم في بعض وقيل الضمير في بعضهم يعود على الخلق اي يوم اذ جا وعد الله ويوم
القيامة ويقويه قوله ونفخ في الصور فيظهر ان ذلك هو يوم القيامة وكذلك ما جا بعده من
الجمع وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الانعام وجمعا مصدر للموعد
وعرضنا اي ابرزنا جهنم يوميذ اي يوم اذ جمعناهم وقيل اللام بمعنى على كقوله فخر صريعا
لليدين وللفم وابعد من ذهب الى انه مقلوب والتقدير وعرضنا الكافرين على جهنم
عرضا وتخصيصه بالكافرين بشارة للمومنين والذين كانت اعينهم صفة ذم في غطا استعار
الغطا لاعينهم والمراد انهم لا يبصرون اياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها ويذكر بالتعظيم وهذا
على حذف مضاف اي عن ايات ذكري وقيل عن ذكري عن القران وتامل معانيه ويكون المراد
بالاعين هنا البصائر لا الجوارح لانه لا نسبة بينها وبين الذكر وكانوا لا يستطيعون
سمعا مبالغة في انتفا السمع اذا اصيح به وكان هو لا صمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب
الذين كفروا هم من عبد الملائكة وعزيرا وعيسى واتخذوهم اوليا من دون الله وهم بعض العرب
واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ والمعنى انهم ليس لهم من ولاية
هولا الذين تولوهم شي ولا يجدون عندهم نفعا ويظهر ان في الكلام حذفا والتقدير ان يتخذوا
عبادي من دوني اوليا فيجدي ذلك وينتفعون بذلك الاتخاذ وقيل العباد هنا الشياطين
روي عن ابن عباس وقال مقاتل الاصنام لانها خلقه وملكه والاظهر تفسير العباد بما قلناه
لاضافتهم اليه والاكثر ان تكون الاضافة في مثل هذا اللفظ اضافة تشريف وحسب هنا بمعنى
ظن وبه قرا عبد الله انظن وقرا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وزيد بن علي بن الحسين
ويحيى بن يعمر ومجاهد وعكرمة وقتادة ونعيم بن ميسرة والضحاك وابن ابي ليلى وابن
كثير ويعقوب بخلاف عنهما وابن محيصن وابو حيوة والشافعي ومسعود بن صالح افحسب
باسكان السين وضم البا مضافا الى الذين اي افكافيهم ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى ان ذلك
لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وقال ابو الفضل الرازي قال سهل يعني ابا حاتم معناه
افحسبهم وحظهم الا ان افحسب ابلغ في الذم لانه جعله غاية مرادهم انتهى وارتفع حسب على
الابتدا والخبر ان يتخذوا وقال الزمخشري او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا
اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقايم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة انتهى
والذي يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير
شي بشي اي يجري عليه جميع احكامه وقد ذكر سيبويه اشيا من الصفات التي تجري مجرى الاسما
وان الوجه فيها الرفع ثم قال وذلك مررت برجل خير منه ابوه ومررت برجل سوا عليه الخير والشر
ومررت برجل اب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل ومررت برجل ايما رجل هو انتهى
ولا يبعد ان يرفع به الظاهر فقد اجازوا في مررت برجل ابي عشرة ابوه ارتفاع ابوه والترك

موضع النزول والنزل ايضا ما يقوم للضيف ويهيا له وللقادم من الطعام والنزل هنا
يحتمل التفسيرين وكونه موضع النزول قاله الزجاج هنا وما هيا من الطعام للنزيل قول
العتيبي وقيل جمع نازل ونصبه على الحال نحو شارف وشرف فان كان ما يقدم للضيف
والقادم فيكون كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع •
وقرا ابو حيوة وابو عمرو بخلاف عنه نزلا بسكون الزاي قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا •
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اوليك الذين كفروا بايات
ربهم ولقايه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاوهم جهنم بما كفروا واتخذوا
اياتي ورسلي هزوا اي قل يا محمد للكافرين هل نخبركم الاية فاذا طلبوا ذلك نقل لهم اوليك
الذين كفروا والاخسرون اعمالا عن علي رضي الله تعالى عنه هم الرهبان كقوله تعالى
عاملة ناصبة وعن مجاهد هم اهل الكتاب وقيل هم الصابيون وسال ابن الكوا عليا كرم الله
وجهه عنهم فقال منهم اهل حروراء وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر اذ الاخسرون
اعمالا هم من كل دان بدين غير الاسلام او راي بعمله او اقام على بدعة تؤول به الى الكفر والاخسر
من اتعب نفسه فادى تعبه به الى النار وانتصب اعمالا على التمييز وجمع لان اعمالهم
في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد والذين يصح رفعه على انه خبر مبتدا محذوف
اي هم الذين وكانه جواب عن سوال ويجوز نصبه على الذم وجره على الوصف او البدل
ضل سعيهم اي هلك وبطل وذهب ويحسبون من تجنيس التصحيف وهو ان يكون النقط فرق
بين الكلمتين ومنه قول ابي عبادة البحتري ولم يكن المعتز بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
ومنه غريب هذا النوع من التجنيس قول الشاعر • سقيتني ربي وعنيني بحت • يحيى حتى
بن الخرد • صحف بقوله سقيتني ربي وعسني يحيى حسن بن الجرد • وقرا ابن عباس وابو السمال
فحبطت بفتح البا والجمهور بكسرها وقرا الجمهور فلا نقيم بالنون وزنا بالنصب ومجاهد وعبيد
بن عمير فلا يقيم بالياء لتقدم قوله بايات ربهم وعن عبيد ايضا بفتح اليا لانه جعل قام متعديا
وعن مجاهد وابن محيصن ويعقوب بخلاف عنهم فلا يقوم مضارع قام وزن مرفوع به واحتمل
قوله فلا نقيم الاية انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار
واحتمل ان يريد المجاز كانه قال فلا قدر لهم عندنا يوميذ وفي الحديث يوتى بالاكول الشروب
الطويل يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ثم قرا فلا نقيم الاية وفي الحديث ايضا
يا تي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن
شيا ذلك جزاوهم مبتدا وخبر كما قال ابو البقا ذلك اي الامر ذلك وما بعده مبتدا
وجزاوهم مبتدا ثان وجهنم خبره والجملة خبر الاول والعايد محذوف اي جزاوه
انتهى ويحتاج هذا التوجيه الى نظر قال ويجوز ان يكون ذلك مبتدا وجزاوهم بدل
او عطف بيان وجهنم الخبر ويجوز ان يكون جهنم بدلا في جزاوهم وخبرا لابتدا محذوف اي هو
جهنم وبما كفروا خبر ذلك ولا يجوز ان تتعلق البا بجزاوهم للفصل بينهما واتخذوا يجوز
ان يكون معطوفا على كفروا وان يكون مستانفا انتهى والايات هي المعجزات الظاهرة على
ايدي الانبيا والصحف الالهية المنزلة عليهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله
واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لما ذكر تعالى
ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للمومنين وفي الصحيح جنات الفردوس اربع ثنتان من ذهب
حليتهما وانيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وانيتهما وما فيهما وفي حديث عبادة •
الفردوس اعلاها يعني اعلى الجنة قال قتادة وربوتها ومنها تتفجر انهار الجنة وقال ابو
هريرة جبل تتفجر منه الانهار الجنة وفي حديث ابي امامة الفردوس سرة الجنة وقال مجاهد
الفردوس البستان بالرومية وقال كعب والضحاك جنات الفردوس الاعناب وقال
عبيد الله بن الحارث ابن كعب انه جنات الكرم والاعناب خاصة من الثمار وقال
الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والاغلب عليه العنب وحكى الزجاج •

انه

انه الاودية التي تنبت ضروبا من النبت وقيل هو عربي او عجمي قولان واذا قلنا اعجمي
عرب فهل هو فارسي او رومي او سرياني اقوال وقال حسان ان ثواب الله كل موحد •
جنات من الفردوس فيها يخلد • قيل ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب الا في هذا البيت
بيت حسان وهذا لا يصح فقد قال امية ابن الصلت الثقفي كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة
فيها الفراديس ثم الفوم والبصل الفراديس جمع فردوس والظاهر ان معنى جنات
الفردوس بساتين حول الفردوس ولذلك اضاف الجنات اليه ويقال كرم مفردس
اي معرش ولذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها
في ارضها وفي دمشق باب الفراديس يخرج منه الى البساتين ونزلا يحتمل من التاويل
ما احتمل قوله نزلا المتقدم ومعنى حولا اي محولا الى غيرها قال ابن عيسى هو مصدر
كالعوج والصغر قال الزمخشري يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا
يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى جمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف
لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد
نفي التحول وتاكيد الخلود انتهى وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول قال مجاهد
متحولا وقال الشاعر • لكل دولة اجل • ثم يتاح لها حول • وكانه اسم جمع وكان واحده
حوالة وفي هذا نظر وقال الزجاج عن قوم هي بمعنى الحيلة في التنقل وهذا ضعيف
متكلف قل لو كان البحر قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم
كيف تزعم انك نبي الامم كلها ومبعوث اليها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت
مقصر قد سيلت عن الروح فلم تجب فيه فنزلت معلمة باتساع معلومات الله وانها
غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكر فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه
وهو قوله قل لو كان البحر وقيل حيى ابن اخطب في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ثم تقرون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة
من بحر كلمة الله تعالى قل لو كان البحر اي ما البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر
وما يمد به السراج من السليط ويقال السما مداد الارض لكلمات ربي اي معدا لكلمات
ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد لنفد البحر اي فني ماوه الذي هو المداد قبل ان تنفد
الكلمات لان كلماته تعالى لا يمكن نفادها لانها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة
وليس ببدع ان اجهل شيا من معلوماته وانما انا بشر مثلكم لا اعلم الا ما اوحي الي به واعلمت
وقرا الجمهور مدادا لكلمات ربي وقرا عبد الله وابن عباس والاعرج ومجاهد والاعمش
والحسن والمنقري عن ابي عمرو مددا لكلمات ربي وقرا الجمهور مدادا لكلمات ربي
تنفد بالتا من فوق وقرا حمزة والكساي وعمرو بن عبيد والاعمش وطلحة وابن
ابي ليلى باليا وقرا السلمي قبل ان تنفد بالتشديد بدعا تفعل على المضي وجا كذلك
عن عاصم وابي عمرو فهو مطاوع من نفد مشددا نحو كسرته فتكسر وفي قراة الجماعة
مطاوع انفد وجواب لو محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره لنفد وقرا الجمهور
بمثله مددا بفتح الميم والدال بغير الف والاعرج بكسر الميم وانتصب مددا على
التمييز عن مثل كقوله • فان الهوى يكفيكه مثله صبرا • وقرا ابن مسعود وابن عباس
ومجاهد والاعمش بخلاف والتيمي وابن محيصن وحميد والحسن في رواية وابو عمرو
في رواية وحفص في رواية بمثله مدادا بالف بين الدالين وكسر الميم قال ابو
الفضل الرازي ويجوز ان يكون نصبه على المصدر بمعنى ولو امددناه بمثله امدادا
ثم ناب المدد مناب الامداد مثل انبتكم نباتا وفي قوله بشر مثلكم اعلام بالبشرية
والمماثلة في ذلك لا ادعي اني ملك يوحي الي اي علي انما هو مستند الى وحي ربي ونبه على
الوحدانية لانهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على ما فيه النجاة ويرجو بمعنى
يطمع ولقا ربه على تقدير محذوف اي حسن لقا ربه وقيل يرجو اي يخاف سو لقا ربه
اي لقا جزا ربه وحمل الرجا على بابه اجود لبسط النفس الى احسان الله تعالى ونهي
عن الاشراك بعبادة الله تعالى وقال ابن جبير لا يراي في عمله فلا يبتغي الا وجه ربه

خالصًا لا يخلط به غيره قيل نزلت في جندب ابن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني اعمل العمل فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك
اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وقال معاوية بن ابي سفيان
هذه اخر اية نزلت من القران وقرا الجمهور ولا يشرك بيا الغايب كالامر في قوله فليعمل
وقرا ابو عمرو في رواية الجعفي عنه ولا تشرك بالتا خطابا للسامع والتفاتا من ضمير الغايب
الي ضمير المخاطب وهو المامور بالعمل الصالح ثم عاد الي الالتفات من الخطاب الي الغيبة
في قوله ربه ولم يات التركيب ربك ايذانا بان الضمير لمن لو واحد وهو من في قوله فمن كان
يرجوا لقا الله تعالى اعلم

المفردات من اول سورة مريم

اشتعال النار تفرقها في التهابها فصارت شعلا وقيل شعاع النار الشيب معروف شاب شعره ابيض
بعد ما كان بلون غيره المخاض اشتداد وجع الولادة والطلق الجذع ما بين الارض
التي فيها الشجرة ومنها وبين مشعب الاغصان القد ويقال سري يجمع على سراة بفتح السين
وسروي وهما فهنا وال فيه وقياسه افعلا والسرى النهر الصغير لان الما يسري فيه ولامه
يا كما ان لام ذلك واو وقال لبيد فتوسطا عرض السرى فصدعا • مسجورة متجاورا اقلامها •
اي حذ ولا الهز التحريك الرطب معروف واحدة رطبة وجمع شاذ على ارطاب كربع وارباع
وهو ما قطع قبل ان يشتد وييبس الجني ما طاب وصلح للاجتنا وقال ابو عمرو بن العلا لم يجف
ولم ييبس وقيل الجني ما نرطب من البسر وقال الفرا الجني والمجني واحد وعنه الجني المقطوع
قرة العين ماخوذة من القر يقال دمع الفرح بارد اللمس ودمع الحزن سخن اللمس
وقال ابو تمام • فاما عيون العاشقين فاسخنت • واما عيون الشامتين فقرت • •
وقريش تقول قررت به عينا وقررت بالمكان اقرا واهل نجد قررت به عينا بالكسر الفري
العظيم من الامر يستعمل في الخير والشر ومنه في وصف عمر فلم ار عبقريا يفري فريه والفري
القطع وفي المثل جا يفري الفري البديع اي يعمل عظيما من العمل قولا او فعلا وقال الزمخشري
الفري البديع وهو من فرى الجلد الاشارة معروفة تكون باليد والعين والثوب والراس
والفم والفه منقلبة عن يا يقال بشايرنا الهلال للمفاعلة وقال كثير نقلت وفي الاحشا دالخامر
الاجندا يا عزدال البشاير

سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمت
ربك عبده زكريا اذ نادى ربه ندا خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن
بدعايك رب شقيا واني خفت الموالي من وراي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني
ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو
علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة
واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها وقال مقاتل الا
اية السجدة فهي مدنية نزلت بعد هجرة المومنين الي الحبشة ومناسبتها لما قبلها انه
تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة اهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي
القرنين وقصة السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر
وولادة عيسى من غير اب فلما اجتمعا في هذا الشي المستغرب ناسب ذكر هذه السورة
بعد تلك وتقدم الكلام في اول البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما
يوقف عليه هناك وذكر خبر مبتدا محذوف اي هذا المتلو من القران ذكر وقيل ذكر خبر لقوله
كهيعص وهو مبتدا ذكره الفرا قيل وفيه بعد لان الخبر هو المبتدي في المعنى وليس في الحروف
المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وقيل ذكر مبتدا والخبر محذوف تقديره
فيما يتلى عليك وقرا الجمهور كاف باسكان الفا وروى عن الحسن ضمها واما لنافع ها ويا
بين اللفظين واظهر دال صاد عند ذال ذكر وقرا الحسن بفتح الها وعنه ايضا ضم اليا

وكسر الها وعن عاصم ضم اليا وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الها وكسر اليا قال ابو عمرو الداني
معنى الضم في الها واليا اشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب وقال ابو
الفضل عبد الرحمن بن احمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراات
خارجة عن الحسن كاف بضم الكاف ونصر ابن عاصم عنه بضم الها وهارون بن موسى العتكي
عن اسماعيل عنه بالضم وهذه الثلاث مترجم عنها بالضم وليست مضمومات المحال
في الحقيقة لانهن لو كن لوجب قلب ما بعدهن من الالفات واوات بل هذه الالفات
نحو الواو على لغة اهل الحجاز وهي التي تسمى الف التفخيم بضد الالف الممالة فاشبهت الفتحات
التي تولدت منهن الضمات وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المنوية من الكسر
بالكسرة لتقريب الالف بعدها من اليا انتهى وقرا ابو جعفر بتقطيع هذه الحروف
وتخليص بعضها من بعض فرقا بينها وبين ما ائتلف من الحروف فيصير اجزا الكلم فاقتضين
اسكان اخرهن واظهر الاكثرون دال ذكرا وادغمها ابو عمرو وقرا حفص عن عاصم وفرقة باظهار
النون من عين والجمهور على اخفايها وقرا الحسن وابن يعمر ذكر فعلا ماضيا رحمة بالنصب
حكاه ابو الفتح وذكره الزمخشري عن الحسن اي هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وذكر الداني
عن ابن يعمر ذكر فعل امر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحمة اي ذكر ان رحمة ربك
عبده وذكر صاحب اللوامح ان ذكر بالتشديد ماضيا عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر
ومعناه ان المتلو اي القران ذكر برحمة ربك فلما نزع البا انتصب ويجوز ان يكون معناه ان القران
ذكر الناس ان رحم الله عبده فيكون المصدر عاملا في عبده زكريا لانه ذكرهم ما نسوه من رحمة الله
فتجدد عليهم بالقران ونزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون ذكر على المضي حقيقا من الذكر
رحمة ربك بجر التا عبده بالرفع باسناد الفعل اليه وقال ابو حاتم لو قيل ذكر رحمة ربك عبده
يحيى ابن يعمر وذكر الامر عنه ايضا انتهى واذ ظرف العامل فيه قال الحوفي ذكر وقال ابو البقا
واذ ظرف لرحمة او لذكر انتهى ووصف ندا بالخفي قال ابن جريج لئلا يخالطه ريا مقاتل لئلا
يعاب بطلب الولد في الكبر قتادة لان السر والعلانية عنده سوا وقيل اسره من مواليه الذين
خافهم وقيل لانه امر دنياوي فاخفاه لانه ان اجيب فذاك بغيته وان لا فلا يعرف ذلك احد
وقيل لانه كان في جوف الليل وقيل لاخلاصه فيه فلا يعلمه الا الله وقيل لضعف صوته بسبب كبره
كما قيل الشيخ صوته خفات وسمعه تارات وقيل لان الاخفا سنة الانبيا والجهرية بعيدة من
الاعتدا وفي التنزيل ادعوا ربكم تضرعا وخفية لانه لا يحب المعتدين وفي الحديث انكم لا تدعون
اصم ولا غايبا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا هذه كيفية دعايه وتفسير
ندايه وقرا الجمهور وهن بفتح الها وقرا الاعمش بكسرها وقري بضمها لغات ثلاث ومعناه
ضعف واسند الوهن الى العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه فاذا وهن تداعى
ما وراه وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحد
العظم لانه يدل على الجنس وقصد الي ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب
منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصد اخر وهو انه لم يهن منه عظامه ولكن كلها وقال
قتادة اشتكى سقوط الاضراس قال الكرماني وكان له سبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة
وقيل خمس وثمانون وقيل ستون وقيل خمس وستون وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره
في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند
الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس
اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم صحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشري
والى هذا نظر ابن دريد فقال واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في الغضا وبعضهم
اعرب شيبا مصدرا قال لانه معنى واشتعل الراس شاب فهو مصدر من المعنى وقيل هو مصدر
في موضع نصب على الحال واشتعال الراس استعارة المحسوس للمحسوس اذ المستعار منه
النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار ولم اكن نفي فيما مضى اي
ما كنت بدعايك رب شقيا بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعاي فاسعد بذلك فعلى هذا
الكاف مفعول وقيل المعنى بدعايك الي الايمان شقيا بل كنت ممن اطاعك وعبدك مخلصا فالكاف

على هذا الفاعل والاظهر الاول شكر الله تعالى بما سلف اليه من انعامه عليه اى قد احسنت الي فيما
سلف وسعدت بدعاي اياك فالانعام يقتضي ان يجيبني اخرا كما اجبتني اولا وروى ان حاتما اتاه طالب
حاجة فقال انا الذى احسنت اليه وقت كذا فقال حاتم مرحبا بالذى توسل بنا الينا وقضى حاجته
واني خفت الموالى من وراي الموالى بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب قال الشاعر
مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا وقال لبيد ومولى قد دفعت
الضيم عنه وقد امسى بمنزلة المضيم وقال بن عباس ومجاهد وقتادة وابو صالح الموالى هنا
الكلالة خاف ان يرثوا ماله وان ترثه الكلالة وروى قتادة والحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه من يرث ماله وقال انما كان مواليه مهملين الدين
فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده وهذا لا يصح عنه اذ قال عليه
الصلاة والسلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا فهو صدقة والظاهر اللايق بزكريا
عليه السلام من حيث هو معصوم انه لا يطلب الولد لاجل ما يخلفه من حطام الدنيا وكذلك
قول من قال انما خاف ان تنقطع النبوة من ولده وترجع الى عصبته لان ذلك انما يضعها
الله حيث شا ولا يعترض على الله فيما شاه واصطفاه من عباده قال الزمخشرى لان مواليه
هم عصبته اخوته وبنو اعمه شرار بني اسرايل فخافهم على الدين ان يغيروه وان لا يحسنوا
الخلافة على امته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به في احيا الدين وقرا الجمهور خفت من
الخوف وقرا عثمان بن عفان وزيد ابن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاص وبن يعمر وبن
جبير وعلى بن الحسين وولداه محمد وزيد وسبيل بن عزوره والوليد بن مسلم لابن عامر خفت
بفتح الخا والفا مشددة وكسر التا التانيث الموالى بسكون اليا والمعنى انقطع موالي وماتوا
فانما طلب وليا يقوم بالدين وقرا الزهرى خفت من الخوف الموالي بسكون اليا وعلى قراة خفت
من الخوف يكون من وراي اى من بعدي بعد موتي وعلى قراة خفت يحتمل ان يتعلق من وراي
بخفت وهو الظاهر فالمعنى انهم خفوا قدامه اى درجوا فلم يبق منهم من له تقوى واعتضاده
وان يتعلق بالموالي اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين ورا بمعنى خلفي ومن بعدي فسال ربه
تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه وروى عن ابن كثير من وراي مقصور كعصاي وتقدم شرح
العاقر في ال عمران وقوله من لدنك تاكيد لكونه وليا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا
من عنده اوارادا اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة والظاهر انه طلب
من الله تعالى ان يهبه وليا ولم يصرح بان يكون ولدا لبعد ذلك عنده لكبره وكون امراته
عاقرا وقيل انما سال الولد وقرا الجمهور يرثني ويرث برفع الفعلين صفة للولي فان كان
طلب الولد فوصفه بان تكون الاجابة في حياته حتى يرثه لئلا تكون الاجابة في الولد بحرمة
فلا يحصل ما قصده وقرا النحويان والزهري والاعمش وطلحة واليزيدي وبن عيسى
الاصبهاني وبن محيصن وقتادة بجزمهما على جواب الامر وقرا علي وبن عباس والحسن وبن يعمر
والجحدري وقتادة وابو حرب بن ابي الاسود وجعفر بن محمد وابو نهيك يرثني بالرفع والياء
وارث جعلوه فعلا مضارعا من ورث قال صاحب اللوامح وفيه تقديم ومعناه فهب لي من لدنك
وليا من ال يعقوب يرثني ان مت قبله اى بنولي وارثه ان مات قبلي اى ماله وهذا معنى
قول الحسن وقرا علي وبن عباس والجحدري يرثني وارث من ال يعقوب قال ابو الفتح
هذا هو التجريد التقدير يرثني منه وارث وقال الزمخشري وارث اى يرثني به
وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث العلم لان الانبيا لا تورث
المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان
وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان ال يعقوب ليسوا كلهم انبيا ولا علما وقرا مجاهد ورث
من ال يعقوب على التصغير واصله وويرث فابدلت الواو همزة على اللزوم لاجتماع
الواوين وهو تصغير وارث اى غليم صغير وعن الجحدري وارث بكسر الواو ويعني به الامالة
المحضة لا الكسرة الخالص والظاهر ان يعقوب هو بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام
وقيل هو يعقوب ابن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من
نسل سليمان ابن داود وهو رضيا بمعنى مرضي يا زكريا اى قيل له باثر الدعا وقيل رزقه

بعد

بعد اربعين سنة من دعايه وقيل بعد ستين والمنادى والمبشر زكريا هم الملايكة بوحي
من الله تعالى قال قتادة الملايكة الاية والغلام الولد الذكر وقد يقال للانثى غلامة كما
قال فهان لها الغلامة والغلام والظاهر ان يحيى ليس عربيا لانهم لم تكن عادتهم ان
يسموا بالفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة وان كان عربيا فيكون
مسمى بالفعل كيعمر ويعيش وقد سموا بيموت وهو يموت بن المزرع ابن اخت الحافظ وعلى انه
عربي فقيل سمي بذلك لانه يحيي بالحكمة والعفة وقيل يحيى بهدايته وارشاده خلق كثير
وقيل لانه يستشهد والشهدا احيا وقيل لانه يعمر زمانا طويلا وقيل لانه حي بين شيخ كبير
وام عاقر وقيل لانه حيي به عقر امه وكانت لا تلد وقال بن عباس وقتادة والسدى وبن
اسلم لم يسم قبله احد يحيى قال الزمخشرى وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديدة بالاثرة
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه واثره على النفر حتى قال القايل
في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري
وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت انتهى وقيل للصلت بن عطا كيف
تقدمت عند البرامكة وعندهم من هو ادب منك فقال كنت غريب الدار غريب الاسم
خفيف الجرم سمحا بالاسلا فذكر مما قدمه كونه غريب الاسم اذ كان اسمه الصلت وقال
مجاهد وغيره سميا اى مثلا ونظيرا وكانه من المساماة والسمو قال ابن عطية وهذا فيه بعد
لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى وقال بن عباس ايضا لم تلد العواقر مثله قال الزمخشري
وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير
فكل واحد منهما سمي لصاحبه وقيل لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهتم بمعصية قط وانه
ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا انتهى وانى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها
في قوله رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر في ال عمران والمعنى المبالغة في الكبر ويبس العود
وقرا ابن كثير وبن ابي ليلى والاعمش وحمزة والكساي عتيا بكسر العين وباقي السبعة
بالضم وعبد الله بفتح العين وصاد صليا جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل وبالضم هما كذلك
الا انهما على فعول وعن عبد الله ومجاهد عسيا بضم العين وبالسين مكسورة وحكاها الداني
عن بن عباس وحكاها الزمخشري عن ابي ومجاهد يقال عتا العود وعسا يبس وحنا قال
كذلك اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك بالكاف رفع او نصب يقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع
مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اى الامر كما قلت
وهو علي ذلك يهون ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا
وقال محذوف في كلتا القراتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شيت
لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق قاله الزمخشري
وقال بن عطية وقوله قال كذلك قيل ان المعنى قال له الملك كذلك فليكن الوجود
كما قيل لك قال ربك خلق الغلام علي هين اى غير بدع وكما خلقتك قبل واخرجتك من
عدم الى وجود كذلك افعل الان وقال الطبري معنى قوله كذلك اي الامران اللذان ذكرت
من المراة العاقر والكبر هو كذلك ولكنه قال ربك والمعنى عندي قال الملك كذلك اى على هذه
الحالة قال ربك هو علي هين وقرا الحسن هو علي هين بكسر اليا وقد انشدوا قول النابغة
علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب بكسر يا المتكلم وكسرها شبيه
لقراة حمزة وما انتم بمصرخي بكسر اليا وقرا الجمهور وقد خلقتك بتا المتكلم وقرا الاعمش
وطلحة وابن وثاب وحمزة والكساي خلقناك بنون العظمة ولم تك شيا اى شيا موجودا وقال
الزمخشري شيا لان المعدوم ليس بشي او شيا يعتد به كقولهم عجبت من لا شي وان راى غير
شي ظنه رجلا قال اي زكريا رب اجعل لي اية اى علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به وطلب
ذلك ليزداد يقينه كما قال ابراهيم ولكن ليطمين قلبي لا لتوقف منه عن على صدق ما وعد
به ولا لتوهم ان ذلك من عند غير الله لعصمة الانبيا عن مثل ذلك وقال الزجاج وقعت
البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الاية ليعرف وقت الوقوع قال ايتك ردي عن

ابن زيد انه لما حملت زوجته بيحيى اصبح لا يستطيع ان يكلم احدا وهو مع ذلك يقري التورية
ويذكر الله فاذا اراد مناداة احد لم يطقه وسويا حال من ضمير لا تكلم اي في حال صحتك ليس
بك خرس ولا علة قاله الجمهور وعن ابن عباس سويا عايد على الليالي اي كاملات مستويات
فيكون صفة لثلاث ودل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر له
ثلاثة ايام بلياليهن وقرا ابن ابي عبلة وزيد بن علي ان لا تكلم برفع الميم جعلها ان المخففة
من الثقيلة التقدير انه لا تكلم وقرا الجمهور بنصبها جعلوا ان الناصبة للمضارع فخرج على
قومه من المحراب اي وهو تلك الصفة من كونه لا يستطيع ان يكلم الناس والمحراب موضع
مصلاه والمحراب تقدم الكلام عليه في ال عمران فاوحى اليهم اي اشار وقال قتادة وبن منبه
والكلبي والقرطبي اوحى اليهم اشار وذكر الزمخشري عن مجاهد قال ويشهد له الا رمزا
وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وقال ابن عطية قال مجاهد بل كتب لهم في التراب
وكلا الوجهين وحي انتهى وقال عكرمة كتب في ورقة والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول
ذي الرمة سوى الاربع الدهم اللاتي كانها • نقبة وحي في بطون الصحايف • وقال عنتره •
كوحي صحايف من عهد كسري • فاهداها لاعجمي طمطمي • وقال جرير • كانا اليهود تخط وحيا
بكاف في منازلها ولام والجمهور على ان معنى ان سبحوا صلوا وقيل امرهم بذكر الله تعالى والتسبيح
قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة وقال صاحب
التحرير والتحبير وعندي في هذا معنى لطيف وهو انه انما خص بالتسبيح لان العادة جارية
ان كل من راي امرا عجب منه او راي فيه بديع صنعة او غريب حكمة يقول سبحان الله الخالق
فلما راي حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وامر بالتسبيح انتهى وقال الزمخشري
وابن عطية وان مفسره وقال الحوفي ان سبحوا ان نصب باوحي وقال ابو البقا يجوز
ان تكون مصدرية وان تكون بمعني اي انتهى وقرا طلحة ان سبحوه بها الضمير عايد على الله
تعالى وروي ابن غزوان عن طلحة ان سبحن بنون مشددة من غير واو والحق فعل الامر نون
التوكيد الشديدة يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر
وبلغ السن الذي يومر فيه قال الله تعالى على لسان الملك وابعد التبريزي في قوله ان
المنادي له ابوه حين ترعرع ونشا والصحيح ما سبق لقوله واتيناه الحكم صبيا والكتاب هو
التورية قال ابن عطية بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا انتهى وليس
كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبيا بمثل ذلك قيل والكتاب هنا اسم
جنس اي اتل كتاب الله وقيل الكتاب صحف ابراهيم وقال الحسن وعلمه التورية والانجيل
وارسله الى بني اسرايل وكان يصوم ويصلي في حال طفوليته ويدعوا الى الله بقوة اي بجد واستظهار
وعمل بما فيه والحكم والنبوة او حكم الكتاب والحكمة او العلم بالاحكام او اللب وهو العقل
او اداب الخدمة او الفراسة الصادقة اقوال صبيا اوشابا ثم يبلغ سن الكهولة وقيل ابن
سنتين وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة
وقتادة والضحاك وابو عبيدة والفرا وانشد ابو عبيدة • تحنن على هداك المليك •
فان لكل مقام مقالا • قال واكثر ما يستعمل مثنى كما قال • حنانيك بعض الشر اهون من بعض •
وقال ابن الانباري المعنى وجعلناه حنانا لاهل زمانه وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه وعن
ابن جبير لينا وعن عكرمة وابن زيد محبة وعن عطا تعظيما وقوله وزكوة عن الضحاك وقتادة
عملا صالحا وعن ابن السايب صدقة تصدق بها على ابويه وعن الزجاج تطهيرا وعن ابن الانباري
زيادة في الخير وقيل ثنا كما يزكي الشهود وكان تقيا قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم
بامراة وقال ابن عباس جعله متقيا له لا يعدل به غيره وقال مجاهد كان طعامه العشب
المباح وكان للدمع في خديه مجاري بائنة وبرا بوالديه اي كثير البر والاكرام والتبجيل وقرا الحسن
وابو جعفر في رواية ابو نهيك وابو مجلز وبرا في الموضعين بكسر البا اي وذا بر ولم يكن جبارا
اي متكبرا عصيا اي عاصيا كثير العصيان واصله عصوي فعول للمبالغة ويحتمل ان يكون فعيلا
وهي من صيغ المبالغة وسلام عليه قال الطبري اي امان قال ابن عطية والاظهر انها التحية
المتعارفة وانما الشرف في ان سلم الله تعالى عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية

الضعف

الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله عز وجل وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى
ويحيى عليهما السلام التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع لي فانت خير مني فقال له
عيسى بل انت ادع لي فانت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي وقال ابو عبد الله الرازي
يوم ولد اي امان عليه من ان يناله الشيطان ويوم يموت اي امان من عذاب القبر ويوم
يبعث حيا من عذاب الله يوم القيامة وفي قوله ويوم يبعث حيا تنبيه على كونه من الشهدا
لقوله بل احيا عند ربهم يرزقون وهذا السلام يحتمل ان يكون من الله تعالى وان يكون من
الملايكة والاظهر انه من الله لانه في سياق واتيناه الحكم واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من
اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت
اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون
لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا
وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك
بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة
زكريا وطلبه الولد واجابة الله اياه فاجابه فولد له من شيخ فان وعجوز له عاقر وكان ذلك مما يتعجب
منه اردفه بما هو اعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر فدل ذلك على عظم
قدرة الله وحكمته وايضا فقص عليهم ما سالوه من قصة اهل الكهف واتبع ذلك بقصة موسى
والخضر ثم قص عليهم ما سالوه ايضا وهو قصة ذي القرنين فذكر في هذه السورة قصصا لم
يسالوه عنها وفيها غرابة ثم اتبع ذلك بقصة ابراهيم وموسى وهارون وهو موجزة ثم بقصة
اسماعيل وادريس ليستقر في اذهانهم انه تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ما سالوه وعلى
ما لم يسالوه وانه عليه الصلاة والسلام وجيه في ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته
من اني لم يقرا الكتب ولا رحل ولا خالط من له علم ولا عني بجمع سير والكتاب القران
ومريم هي ابنة عمران ام عيسى واذ قيل ظرف زمان منصوب باذكر ولا يمكن ذلك مع بقايه
على الظرفية لان الاستقبال لا يقع في الماضي وقال الزمخشري اذ بدل من مريم بدل
اشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع
هذه القصة العجيبة فيها انتهي ونصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف
في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالاولى ان يجعل
ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون العامل في اذ ويبقى على ظرفيتها وعدم تصرفها
وهو ان يقدر مريم وما جرى لها اذ انتبذت واستبعد ابو البقا نقل الزمخشري قال
لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى
واستبعاده ليس بشي لعدم الملازمة قال وقيل التقدير خبر مريم واذ منصوبة بخبر وقيل
حال من هذا المضاف المحذوف وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمك اذ لم
تكرمني قال ابو البقا فعلى هذا يصح بدل الاشتمال اي واذكر مريم انتباذها انتهى وانتبذت
افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت قال السدي انتبذت لتطهر من حيض
وقال غيره لتعبد الله تعالى وكان وقفا على سدانة المعبد وخدمته والعبادة فتنحت من
الناس لذلك وانتصب مكانا على الظرف اي في مكان ووصف بشرقي لانه كان مما يلي بيت
المقدس او من دارها وسبب كونه في الشرق انهم كانوا يعظمون جهة الشرق من حيث
تطلع الشمس وعن ابن عباس اتخذت النصارى الشرق قبلة لميلاد عيسى وقيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحايط او شي يسترها وكان موضعها المسجد فبينما
هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر سوي الخلق
لم ينتقص من الصورة الادمية شيا او حسن الصورة مستوي الخلق وقال قتادة شرقيا
قياسا بعيدا انتهى والحجاب الذي اتخذته لتستتر به عن الناس لعبادة ربها قال السدي كان من
جدران وقيل من ثياب وعن ابن عباس جعلت الجبال بينها وبين الناس حجابا وظاهر

الارسال من الله اليها ومجاوزة الملك يدل على انها بنيته وقيل لم تنبا وانما كلمها مثال
بشر ورؤيتها للملك كما روى جبريل عليه السلام في صفة دحية الكلبي وفي سواله عن الاسلام
والايمان والظاهر ان الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه روحه على المجاز محبة
له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقيل عيسى كما قال وروح منه وعلى هذا يكون
قوله فتمثل اي الملك وقرا ابو حيوة وسهل روحنا بفتح الرا لانه سبب لما فيه روح العباد و
واضافة الروح عبد الله الذي موعده المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا وذكر النقاش
انه قرى روحنا بتشديد النون اسم ملك من الملايكة وانتصب بشرا سويا على الحال كقوله
واحيانا يتمثل لي الملك رجلا قيل وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا
تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها
انها تعوذت به من تلك الصورة الجميلة الفايقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلا لها
وسترا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا
خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت
فجلست في المشرقة ورا الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف
من خدم بيت المقدس وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لانه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي
الا عند من يتقي الله اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني
عايذة به منك وجواب الشرط محذوف اي فاني اعوذ وقال الزجاج فتتعظ بتعويذي
بالله منك وقيل فاخرج عني وقيل فلا تتعرض لي وقول من قال تقيا اسم رجل صالح او رجل
فاسد ليس بشديد وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا بدخولك علي ونظرك الي وبلاذها بالله
ودعا زمانا به وقت التمثيل دليل على انه اول ما تمثل لها استعاذت من غير جري كلام بينهما قال
اي جبريل انما انا رسول ربك الناظر في مصلحتك والمالك لامرك وهو الذي استعذت به
وقوله لهاذ لك تطيين لها واني لست ممن يظن به ريبة ارسلني اليك ليهب وقرا شيبة ونافع
وابو الحسن وابو بحرية والزهري وابن قتادة ويعقوب واليزيدي وهم من السبعة وابو عمرو
ليهب اي ليهب ربك وقرا الجمهور وباقي السبعة لاهب بهمزة المتكلم واسند الهبة اليه
لما كان الاعلام بها من قبله وقال الزمخشري لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ
في الدرع وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك ويحتمل ان يكون محكيا بقول محذوف اي قال
لاهب والغلام اسم الصبي اول ما يولد الى ان يخرج الى سن الكهولة وفسرت الزكاة هنا بالصلاح
وبالنبوة وتعجبت مريم وعلمت بما القي في روعها انه من عند الله تعالى وتقدم الكلام على سوالها
عن الكيفية في ال عمران في قصتها وفي قولها ولم اك بغيا تخصيص بعد تعميم لان مسيس البشر
يكون بنكاح وبسفاح وقال الزمخشري جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه
لقوله تعالى من قبل ان تمسوهن او لمستم النسا والزنا ليس كذلك انما قال فجر بها وخبث
بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعي فيه الكنايات والاداب انتهى والبغي المجاهرة المشتهرة
في الزنا ووزنه فعول عند المبرد واجتمعت واو ويا وسبقت احداهما بالسكون فقلبت
الواو يا وادغمت في اليا وكسر ما قبلها لاجل اليا كما كسرت في عصي وقيل ولو كان فعيلا لحقتها ها
التانيث فيقال بغية وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل
فلان نهو عن المنكر انتهى قيل ولما كان اللفظ خاصا بالمونث لم يحتج الى علامة التانيث
فصار كحايض وطالق وانما يقال للرجل باغ وقيل بغي فعيل بمعنى مفعول كعين كحيل اي
مبغية يطلبها امثالها قال كذلك قال ربك هو علي هين الكلام عليه كالكلام السابق في قصة
زكريا ولنجعله يحتمل ان يكون معطوفا على الجمل تقديرها محذوف تقديره لنبين به قدرتنا
ولنجعله او محذوف متاخر اي فعلنا ذلك والضمير في ولنجعله عايد على الغلام وكذلك في قوله
وكان اي وكان وجوده امرا مفروغا منه وكونه رحمة من الله اي طريق هدى لعالم كثير
ينالون الرحمة بذلك وذكروا ان جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها او ذيله وفي كمها وقيل
دخل الروح المنفوخ من فمها والظاهر ان المسند اليه النفخ هو الله تعالى لقوله ونفخنا

ويحتمل

ويحتمل ماقالوا فحملته اي في بطنها والمعنى فحملت به قيل وكانت بنت اربع عشرة سنة وقيل
بنت خمس عشرة سنة وقيل عشر سنين قاله وهب ومجاهد وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وقيل
بنت اثنتي عشرة سنة وقيل عشر سنين قيل بعد ان حاضت حيضتين وحكى محمد بن الهيصم انها
لم تكن حاضت بعد وقيل لم تحض قط مريم وهي مطهرة من الحيض فلما احست وخافت ملامة الناس
ان يظن بها الشر فانتبذت به الي مكانا قصيا حياء وفرارا روي انها فرت الي بلاد مصر او نحوها قاله
وهب وقيل الي موضع يعرف ببيت لحم بينه وبين ايليا اربعة اميال وقيل بعيدا من ايليا
ورا الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا
خاف عليها قتل الملك هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه ان يقتلها فاتاه جبريل
فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها حملته في ساعة واحدة فكما حملته نبذته وقيل
كانت مدة الحمل ثلاث ساعات وقيل حمل في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة وقيل ستة
اشهر وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية
اشهر الا عيسى وهذه اقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي ان يضرب عنها صفحا لان المفسرين
ذكروا في كتبهم وسودوا بها الورق والباقي به لمحال اي مصحوبا اي اعتزلت وهو في بطنها كما قال
الشاعر تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ومعنى فاجاها اي
جاءها تارة تعدى جا بالبا وتارة بالهمزة قال الزمخشري الا ان استعماله قد تغير بعد النقل
الي معنى الالجا الا تراك لا تقول جيت المكان واجانيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطا ولم تقل اتيت المكان واتانيه فلان انتهى اما قوله وقول غيره
ان الاستعمال غيره الي معنى الالجا فيحتاج الى نقل ايمة اللغة المستقرين ذلك عن لسان العرب
والاجاه تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجا ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت اقمت
زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام واما قوله الا انك لا تقول
الي اخره فمن راي ان التعدية بالهمزة قياس اجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد
سمع ذلك في جاءيت قالوا جا فيجيز ذلك واما تنظيره ذلك باتى فهو تنظير غير صحيح لانه بناه على ان
الهمزة فيه للتعدية وان اصله اتى وليس كذلك بل اتى مما بني على افعل وليس منقولا من اتى
بمعنى جا اذ لو كان منقولا من اتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول والفاعل هو
الاول اذا عديته بالهمزة تقول اتى المال زيدا واتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب
بالتعدية لان زيدا عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ما ذكره
الزمخشري كان يكون العكس فدل على انه ليس ما قاله وايضا فاتى مرادف لاعطى فهو مخالف
من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم تقل اتيت المكان واتانيه هذا غير مسلم بل يقال اتيت
المكان كما تقول جيت المكان قال الشاعر اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن
نقلت عموا ظلاما ومن راي النقل بالهمزة قياسا قال اتانيه وقرا الجمهور فاجاها اي ساقها
وقال الشاعر وجارسا رمعتمد اليكم اجاته المخافة والرجا واما لفتحة الجيم الاعمش
وطلحة وقرا حماد بن سلمة عن عاصم قال ابن عطية وشبيل بن عزوة فاجاها من المفاجاة بوزن
فاعلها فابدلت همزتها بالف تخفيفا على غير قياس ويحتمل ان تكون همزة بين بين غير مقلوبة
وروي عن مجاهد كقراة حماد عن عاصم وقرا ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال
مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في بطنها والى تتعلق بفاجاها من المفاجات فتتعلق
بمحذوف اي مستنده اي في حال استنادها الي النخلة والمستفيض المشهور ان ميلاد عيسى كان ببيت
لحم وانها لما هربت وخافت عليه اسرعت به وجات به الي البيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت
الصخرة له وصارت كالمهد وهي الان موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد ايام توجهت
به الي بحر الاردن فغمرته فيه وهو اليوم الذي تتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم
الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في كل ما ومن زعم انها
ولدته بمصر قال بكورة اهناس قيل ونخلة مريم قايمة الي اليوم والظاهر ان النخلة كانت
موجودة قبل مجي مريم اليها وقيل ان الله انبت لها نخلة تعلقت بها وروى انها بلغت الي موضع
كان فيه جذع نخلة يابس بال اصله مذود لا راس له ولا ثمر ولا خضرة والالف واللام للتعريف الجنس

اوالداخلة علي الاسما الغالبة كان تلك الصحرا كان بها جذع نخلة معروف فاذا قيل جذع النخلة
فهم منه ذلك دون غيره وارشدها الله تعالي الي النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفسا
الموافقة لها ولظهور تلك الايات منها لها فتستقر نفسها وتقر عينها فاشتد بها الامر هنالك
واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسي عليه السلام فقالت عند ولادتها لما راته من الالام
والتغرب وانكار قومها وصعوبة الحال من غيرما وجه يا ليتني مت قبل هذا وتمنت مريم الموت
من جهة الدين اذا خافت ان يظن بها السوء في دينها وتعيير فيعيبها ذلك وهذا مباح وعلي هذا الحد
تمني عمر بن الخطاب وجماعة من الصالحين الموت واما النهي عن ذلك فانما هو لضر نزل بالبدن
وتقدم الخلاف بين القري في كسر الميم من مت وضمها في ال عمران والنسي الشي الحقير الذي من شانه
ان ينسي فلا يتالم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث وقرا الجمهور نسيا بكسر النون
وهو فعل بمعني مفعول كالذبح وهو ما من شانه ان يذبح وقرا ابن وثاب وطلحة والاعمش وابن ابي
ليلي وحمزة وحفص بفتح النون وقرا محمد بن كعب القرظي نسا بكسر النون والهمز مكان اليا وهي
قراة نوف الاعرابي وقرا بكر ابن حبيب السهمي ومحمد بن كعب ايضا نسا بفتح النون والهمز
وهو مصدر من نسات اللبن اذا صببت عليه ما فاستهلك اللبن فيه لقلته فكانها تمنت ان تكون
مثل ذلك اللبن الذي لا يري ولا يتميز من الما وقال ابن عطية وقرا بكر ابن حبيب نسا بفتح
النون والهمز وهو مصدر من نسات اللبن والسين من غير همز بناه علي فعل كالقبض والنقض قال
الفرا نسي ونسي لغتان كالوتر والوتر والفتح احب الي وقال ابو علي الفارسي الكسر اعلا اللغتين
وقال ابن الانباري من كسر فهو اسم لما ينسي كالنقض اسم لما ينقض ومن فتح فمصدر نايب عن الاسم
كما يقال دنف ودنف والمكسور هو الوصف الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف
ويمكن ان يكون لمعني كالوطر والوطر والاشارة بقوله هذا الي الحمل وقيل قبل هذا اليوم او قبل
هذا الامر الذي جري وقرا الاعمش وابو جعفر في رواية منسيا بكسر الميم اتباعا لحركة السين
كما قالوا منتن باتباع حركة الميم لحركة التا وقيل تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحيا علي حكم
العادة البشرية لا كراهة لحكم الله تعالي او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة بيراة
الساحة وبضد ما قرفت من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض لم تثبت
عليه الاقدام او لحزنها عن الناس ان تاثم الناس بلسبها وروي انها سمعت ندا اخرج يا من يعبد
من دون الله فحزنت وقالت يا ليتني مت وقال وهب انساها كرب الولادة وما سمعته من الناس
بيشارة الملايكة بعيسي وقرا زر وعلقمة فخاطبها مكان فناداها وينبغي ان يكون تفسيرا لا قراة
لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه والمنادي الظاهر انه عيسي عليه السلام اي فولدته
فانطقه الله تعالي وناداها اي حالة الوضع وقيل جبريل وكان في بقعة من الارض اخفض من
البقعة التي كانت عليها وقاله الحسن واقسم علي ذلك قيل وكان يقبل الولد كالقابلة وقرا ابن
عباس فناداها ملك من تحتها وقرا البرا ابن عازب وابن عباس وزيد بن علي والضحاك وعمرو
بن ميمون ونافع وحمزة والكسائي وحفص من حرف جر وقرا الابنان والابوان وعاصم وزر ومجاهد
والجحدري والحسن وابن عباس في رواية عنهما من بفتح الميم بمعني الذي وتحتها ظرف منصوب
صلة لمن وهو عيسي اي ناداها المولود قاله ابي والحسن وابن جبير ومجاهد وان حرف تفسير
اي لا تحزني والسري في قول الجمهور الجدول وقال الحسن وابن زيد وقتادة عظيما من الرجال
له شان وروي ان الحسن فسر الاية فقال اجل لقد جعله الله سريا كريما فقال حميد بن عبد
الرحمن يا ابا سعيد انما يعني بالسري الجدول وقال الحسن لهذه واشباهها احب قربك ولكن
علينا الامرا ثم امرها بهز الجذع اليابس لتري اية اخري في احيا موات الجذع وقالت فرقة
بل كانت النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا واجري تحته النهر بجنبه
والظاهر ان المكلم هو عيسي وان الجذع كان يابسا وعلي هذا ظهرت لها ايات تسكن اليها وحزنها
لم يكن لفقد الطعام والشراب حتي تسلي بالاكل والشرب ولكن لما ظهر في ذلك من خرق
العادة حتي يتبين لقومها ان ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شانها قال ابن عباس كان جذعا
نخرا فلما هزت اذا السعف قد طلع ثم نظرت الي الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار
بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع من بين يديها لا يتشرخ

منه شي والي حرف جر بلا خلاف وتعلق بقوله وهزي وهذا جا علي خلاف ما تقرر في علم
النحو من ان الفعل لا يتعدي الي الضمير المتصل وقد يقع الضمير المتصل وليس من باب ظن
ولا فقد ولا عدم وهما لمه لول واحد لا يقال ضربتك ولا زيد ضربه اي ضرب نفسه ولا ضربني
انما يوتي في مثل هذا التركيب بالنفس تقول ضربت نفسك وزيد ضرب نفسه وضربت نفسي
والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب فلا تقول هززت اليك ولا زيد هز اليه ولا هززت
الي ولهذا زعموا في قول الشاعر • فدع عنك نهبا صيح في حجراته • ولكن حديثا ما حديث الرواحل •
وفي قول الاخر • هون عليك فان الامور • بكف الاله مقاديرها • ان عن وعلي ليساحر
فين وانهما اسمان ظرفان وهذا ليس ببعيد لان عن وعلي قد ثبت كونهما اسمين في قوله من
عن يمين الحسانظرة قبل وفي قوله غدت من عليه بعد ما تم ظميوها وبعض النحويين زعم ان علي لا تكون
حرفا البتة وانها اسم في كل موارد ها ونسب الي س ولا يمكن ان يدعي ان الي تكون اسما لاجماع
النحاة علي حرفيتها كما قلنا ونظير قوله تعالي وهزي اليك قوله تعالي واضمم اليك جناحك وعلي
تقدير تلك القاعدة ينبغي تاويل هذين وتاويله علي ان يكون قوله اليك ليس متعلقا بهزي
ولا باضمم وانما ذلك علي سبيل البيان والتقدير اعني اليك فهو متعلق بمحذوف كما قالوا في قوله
تعالي اني لكما لمن الناصحين وما اشبه علي بعض التاويلات والبا في بجذع زايدة للتاكيد كقوله
تعالي ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة قال ابو علي كما تقول القي بيده اي القي يده وكقول الشاعر
• سود المحاجر لا يقران بالسور • اي لا يقران السور • وانشد الطبري • نواد يمان ينبت الشد صدره •
واسفله بالمرخ والشبهان • وقال الزمخشري او علي معني افعلي الهز كقوله يجرح من عراقيها
نصلي قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة ه
قاله محمد بن كعب وقيل ما للنفسا خير من الرطب وقيل اذا عسرت ولادتها لم يكن لها خير من
الرطب وقرا الجمهور تساقط بفتح التا والسين وشدها بعد الف وفتح القاف وقرا الاعمش
وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك الا انهم خففوا السين وقرا حفص تساقط مضارع
ساقطت وقرا ابو السمال تتساقط بتاين وقرا البرا ابن عازب والاعمش في رواية يساقط باليا
من تحت مضارع اساقط وعن ابي حيوة كذلك الا انه باليا من تحت وقال بعضهم في قراة ابي حيوة
هذه رطب وعنه تسقط بالتا من فوق مفتوحة وضم القاف وعنه كذلك الا انه باليا من تحت
وقال بعضهم في قراة ابي حيوة هذه انه قرا رطب حني بالرفع علي الفاعلية واما النصب فان قرا
بفعل متعد نصبه علي المفعول او بفعل لازم فنصبه علي التمييز ومن قرا باليا من تحت فالفعل
مسند الي الجذع ومن قرا بالتا فمسند الي النخلة ويجوز ان يكون مسندا الي الجذع علي حد تلتقطه
بعض السيارة في قراة من قرا تلتقطه بعض بالتا من فوق واجاز المبرد في قوله رطبا ان يكون
منصوبا بقوله وهزي اي وهزي اليك بجذع النخلة رطبا تساقط عليك فعلي هذا الذي اجازه
تكون المسالة من باب الاعمال فيكون قد حذف معمول تساقط فمن قراه باليا من تحت فظاهره
ومن قرا بالتا من فوق فان كان الفعل متعديا جاز ان يكون من باب الاعمال وان كان لازما فلا
الاختلاف متعلق هزي اذ ذاك والفعل اللازم وقرا طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم اتباعا
لحركة النون والرزق وان كان مفروغا منه فقد وكل ابن ادم الي سعي ما فيه وكذلك امرت مريم
بهز الجذع وعلي هذا جات الشريعة وليس ذلك منافيا للتوكل وعن ابن زيد قال عيسي
عليه السلام لها لا تحزني فقالت كيف لا احزن وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي شي عذري
عند الناس يا ليتني مت قبل هذا الاية فقال لها عيسي انا اكفيك الكلام فكلي واشربي وقري
عينا قال الزمخشري اي جمعنا لك في السري والرطب فايدتين احداهما الاكل والشرب
والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معني قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي
نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك انتهي ولما كانت العادة تقديم الاكل علي
الشرب تقدم في الاية لمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا ولما كان المحزون قد يا كل
ويشرب قال وقري عينا اي لا تحزني ثم القي اليها ما تقول ان رات احدا وقري بكسر
القاف وهي لغة نجدية وتقدم ذكرهما وقرا عمرو فيما روي عنه ابن الرومي ترين
بالابدال من اليا همزة وروي عنه لترون بالهمز ايضا بدل الواو وقال ابن خالويه

وهو عند اكثر النحويين لحن وقال الزمخشري وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات
السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال انتهى وقرا طلحة وابو جعفر
وشيبة ترين بسكون اليا وفتح النون خفيفة كما قال ابن جني وهي شاذة يعني لانه لم يوثر
الجازم فتحذف النون كما قال الافوه الاودي اما ترى راسي ازرى به ماس زمان ذي انتكاس مووس
والامر لها بالاكل والشرب وذلك القول الظاهر انه ولدها وقيل جبريل على الخلاف الذي سبق
والظاهر انه ابيح لها ان تقول ما امرت بقوله وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى فقولي
اي بالاشارة لا بالكلام والا فكان التناقض بين النفي في قولها انتهى ولا تناقض لان المعنى فلن
اكلم اليوم انسيا بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى اي فاما ترين
من البشر احدا وسالك او كاودك الكلام فقولي وقرا زيد بن علي صياما وفسر صوما بالامساك
عن الكلام وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقال السدي وابن زيد
كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام انتهى والصمت منهي عنه ولا يصح نذره
وفي الحديث مره فليتكلم وقد امر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق وامرت بنذر الصوم
لان عيسى بما يظهر الله على لسانه يكفيها امر الاحتجاج ومجادلة السفها وقوله انسيا لانها
كانت تكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت
هارون ما كان ابوك امرا سو وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا فاتت به قيل اتيانها كان من ذاتها قيل طهرت من النفاس بعد اربعين يوما وكان الله تعالى
قد اراها ايات واضحات وكلمها ابنها عيسى وحنت الى الوطن وعلمت ان عيسى سيكفيها من يكلمها
فعادت الى قومها وقيل ارسلوا اليها لتحضري الينا بولدك وكان الشيطان قد اخبر قومها بولادتها
وفي الكلام حذف اي فلما راها وابنها قالوا قال مجاهد والسدي الفري العظيم الشنيع وقرا
ابو حيوة فيما نقل ابن عطية فريا بسكون الرا وفيما نقل ابن خالويه فريا بالهمز وهارون
شقيقها او اخوها من امها وكان من امثل بني اسرايل او هارون اخو موسى اذ كانت من نسله او رجل
صالح من بني اسرايل شبهت به او رجل من الفساق وشبهوها به اقوال والاولى انه اخوها
الاقرب وفي حديث المغيرة حين خاصمه نصارى نجران في قوله تعالى يا اخت هارون والمدة
بينهما طويلة جدا فقال له الرسول الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون باسما انبيايهم والصالحين
قبلهم وانكروا عليها ما جات به وان ابويها كانا صالحين فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة
وفي هذا دليل على ان الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الاصول وينكر عليها اذا جات بضد
ذلك وتراجع ابن لجا التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريرا ما كان اباك امرا سو بجعل الخبر المعرفة
والاسم النكرة وحسن ذلك قليلا كونها فيها مسوغ جواز الابتدا وهو الاضافة ولما اتهموها
بما اتهموها نفروا عن ابويها السو لمناسبة الولادة ولم ينصوا على اثبات الصلاح وان كان نفي
السو يوجب الصلاح ونفي البغا يوجب العفة لانهما بالنسبة اليهما نقيضان روي انها لما
دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى
فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا
وروي انهم لما اشارت الى الطفل قالوا استخفافها بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا على جهة
الانكار والتهكم بها ان من كان في المهد يرى لا يكلم وانما اشارت اليه لما تقدم لها من وعده
انه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام وقيل بوحي من الله تعالى اليها وقال ابو عبيدة وكان
زايدة وقيل تامة وينتصب صبيا على الحال في هذين القولين والظاهر انها ناقصة فتكون
بمعنى صار او تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على
الانقطاع كما لم يدل في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وفي قوله ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة والمعنى كان وهو الان على ما كان ولذلك عبر بعض اصحابنا عن كان هذه بانها ترادف
لم يزل وما رد به ابن الانباري كونها زايدة من ان الزايدة لا خبر لها وهذه قد نصبت صبيا
خبرا لها ليس بشي لانه اذ ذاك ينتصب على الحال والعامل فيها الاستقرار وقال الزمخشري

كان

كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة والدال
عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل
عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انتهى والظاهر ان من
مفعول بنكلم وقيل عن الفرا والزجاج ان من شرطية وكان في معنى يكن وجواب الشرط محذوف
تقديره فكيف نكلمه وهو قول بعيد جدا وعن قتادة ان المهد حجر امه وقيل سريره وقيل المكان
الذي يستقر عليه وروي انه قام متكيا على يساره واشار اليهم بسبابته اليمنى وانطقه الله تعالى
اولا بقوله اني عبد الله ردا للوهم الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله والجمل
التي بعده تنبيه على برااة امه مما اتهمت به لانه تعالى لا يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال
الحميدة الا مبراة مصطفاة والكتاب الانجيل او التوراة او مجموعهما اقوال وظاهر قوله
وجعلني نبيا انه تعالى نباه حال طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا وقيل ان ذلك سبق
في قضايه وسابق حكمته ان يجعل لا انه لتحققه كان وجد وجعلني مباركا قال مجاهد نفاعا وقال
سفيان معلم خير وقيل امرا بالمعروف ناهيا عن منكر وعن الضحاك قضيا للحوايج واينما كنت
شرط وجوابه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه ولا يجوز ان يكون معمولا
لجعلني السابق فان اين لا يكون الا استفهاما او شرطا لا جايز ان يكون هنا استفهاما فتعينت
الشرطية واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله انما هو معمول للفعل الذي يليه والظاهر حمل الصلاة
والزكاة على ما شرع في البدن والمال وقيل الزكاة زكوة الرووس في الفطر وقيل الصلاة الدعا
والزكاة التطهير وما في ما دمت مصدرية ظرفية وقال ابن عطية وقرا دمت بضم الدال
عاصم وجماعة وقرا دمت بكسر الدال اهل المدينة وابن كثير وابو عمرو انتهى والذي في كتب
القراات ان القرا السبعة قروا دمت بضم الدال وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها
الا في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات
وسبق انه قري وبرا بكسر البا فاما على حذف مضاف اي وذا بر واما على المبالغة جعل ذاته من
فرط بره برا ويجوز ان يضمن فعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد
ومن قرا وبرا بفتح البا فقال الحوفي وابو البقا انه معطوف على مباركا وفيه بعد للفصل بين
المعطوف والمعطوف عليه بالجملة التي هي اوصاني ومتعلقها والاولى اضمار فعل وجعلني برا
وحكى الزهراوي وابو البقا انه قري وبر بكسر البا والرا عطفا على بالصلاة والزكاة وقوله
بوالدتي بيان لمحل البر وانه لا والد له وبهذا القول براها قومها والجبار كما تقدم المتعاظم
وكان عليه السلام في غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب حيث
جنه الليل وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي والالف واللام في والسلام
للجنس قال الزمخشري هذا التعريف تعريض بلعنة متهمي مريم عليها السلام واعدايها من
اليهود وحقيقته ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده
عليكم ونظيره والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام
مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض وقيل ال فيه لتعريف المنكر في قصة يحيى
في قوله وسلام نحو كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول اي وذلك السلام
الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة اتي وسبق القول في تخصيص هذه المواطن وقرا زيد
بن علي يوم ولدت اي يوم ولدتني جعله ماضيا لحقته تا التانيث ورجح وسلام على والسلام
لكونه من الله وهذا من قول عيسى وقيل سلام عيسى ارجح لانه تعالى اقامه في ذلك مقام نفسه
فسلم نائبا عن الله تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من
من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم
ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة
وهم لا يومنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون الاشارة بذلك الى المولود الذي
ولدته مريم المتصف بتلك الاوصاف الجميلة وذلك مبتدا وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى
او خبر بعد خبر او بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير اب فليس بابن الله كما

يزعم النصارى ولا لغير رشده كما يزعم اليهود وقرا زيد بن علي وابن عامر وعاصم وحمزة وابن ابي
اسحق والحسن ويعقوب قول الحق بنصب اللام وانتصابه على انه مصدر موكد لمضمون الجملة اي هذا
الاخبار عن عيسى انه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها اي انها ولدته من غير مس بشر
كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل اي اقول الحق واقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق
وهو من اضافة الموصوف الى صفته اي القول الحق كما قال وعد الصدق اي الوعد الصدق
وان عني به الله تعالى لان القول مرادا به الكلمة كما قالوا كلمة الله كان انتصابه على المدح
وعلى هذا يكون الذي صفة للقول وعلى الوجه الاول يكون الذي صفة للحق وقرا الجمهور
قول برفع اللام وقرا ابن مسعود والاعمش قال بالف ورفع اللام وقرا الحسن قول بضم
القاف ورفع اللام وهي مصادر كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف
اي هو اي نسبته الى امه فقط قول الحق فيتفق اذ ذاك قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى
وقال الزمخشري وارتفاعه على انه خبر او بدل انتهى وهذا الذي ذكر لا يكون الا على
المجاز في قول وهو ان يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون للذات وقراءة طلحة والاعمش
في رواية زائدة قال بالف جعله فعلا ماضيا الحق برفع القاف على الفاعلية والمعنى قال الحق
وهو الله ذلك الناطق الموصوف بتلك الاوصاف هو عيسى بن مريم والذي على هذا خبر
مبتدا محذوف اي هو الذي وقرا علي كرم الله وجهه والسلمي وداود بن ابي هند ونافع
في رواية والكسائي في رواية تمترون بتاء الخطاب والجمهور بياء الغيبة وامترى افتعل اما من
المرية وهي الشك واما من المراء وهي المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول به قالت اليهود ساحر
كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد
هذا تكذيب النصارى في دعواهم انه ابن الله واذا استحالة البنوة استحالة الالهية مستقلة
او بالتثليث ابلغ في الاستحالة وهذا التركيب معناه الانتفاء فتارة يدل من جهة المعنى على
الزجر ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وتارة على
التعجيب ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة على التنزيه كهذه الاية ولذلك اعقب هذا
النفي بقوله سبحانه اي تنزه عن الولد اذ هو مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول ولا يتعلق
به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شي اوجده فهو منزه عن
التوالد وتقدم الكلام على هذه الجملة من قوله اذا قضى امرا وقرا الجمهور وان بكسر الهمزة
على الاستيناف وقرا ابي بالكسر دون واو وقرا الحرميان وابو عمرو وان بالواو وفتح الهمزة
وخرجه ابن عطية على ان يكون معطوفا على قوله هذا هو الحق وان الله ربي كذلك وخرجه
الزمخشري على ان معناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا انتهى وهذا قول الخليل وس وفي حرف ابي ايضا وبان الله بالواو والباء اي بسببه ذلك
فاعبدوه واجاز الفراء في وان ان تكون في موضع خفض معطوفا على والزكاة اي واوصاني
بالصلاة والزكاة وبان الله ربي وربكم انتهى وهذا في غاية البعد للفصل الكثير واجاز الكسائي
ان تكون في موضع رفع بمعنى الامر ان الله ربي وربكم وحكى ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء ان
يكون المعنى وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله امرا من قوله اذا قضى امرا والمعنى
واذا قضى امرا وقضى ان الله انتهى وهذا تخبيط في الاعراب لانه اذا كان معطوفا على امرا
كان في حيز الشرط وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا بعيد ان يكون قاله ابو عمرو
بن العلاء فانه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل ان يوازيه احد مع كونه عربيا ولعل
ذلك من فهم ابي عبيدة فانه يضعف في النحو والخطاب في قوله وربكم قيل لمعاصري رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى امر الله تعالى ان يقول لهم ذلك عيسى بن
مريم اي قل لهم يا محمد هذا الكلام وقيل الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله اني عبد الله
الاية وان الله معطوف على الكتاب وقد قال وهب عهد عيسى اليهم ان الله ربي وربكم
ومن كسر الهمزة عطف على قوله اني عبد الله فيكون محكيا بقال وعلى هذا القول يكون
قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله وان الله جمل اعتراضية اخبر تعالى بها رسوله صلى الله عليه
وسلم والاشارة بقوله هذا اي القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة هو الطريق المستقيم

الذي يفضي بقائله ومعتقده الى النجاة فاختلف الاحزاب من بينهم هذا اخبار من الله للرسول
صلى الله عليه وسلم بتفرق بني اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم ان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا
هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسببه من غيرهم والاحزاب قال الكلبي اليهود والنصارى
وقال الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس
انتهى فالضمير في بينهم على هذا ليس عائدا على الاحزاب وقيل الاحزاب هنا المسلمون واليهود
والنصارى وقيل هم النصارى فقط وعن قتادة ان بني اسرائيل جمعوا اربعة من احبارهم
فقال احدهم عيسى هو الله تعالى نزل الى الارض واحيا من احيا وامات من امات فكذبه
الثلاثة واتبعه اليعقوبية ثم قال احد الثلاثة عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعه
النسطورية وقال احد الاثنين عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فاتبعه فرقة
من بني اسرائيل ثم اقتتل الاربعة فغلب المومنون وظهرت اليعقوبية على الجميع فروي ان
في ذلك نزلت ان الذين يكفرون بايات الله اية ال عمران والاربعة يعقوب ونسطور وميكال
واسرائيل وبين هنا اصله ظرف استعمل اسما بدخول من عليه وقيل من زائدة وقيل البين هنا
البعد اي اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور او من الشهادة
ويكون مصدرا او مكانا وزمانا فمن الشهود يجوز ان يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزا
في يوم القيامة وان يكون من مكان الشهود وهو الموقف وان يكون من وقت الشهود ومن
الشهادة يجوز ان يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم الملائكة والانبيا والسنتهم
وايديهم وارجلهم بالكفر وان يكون من مكان الشهادة او ان يكون من وقت الشهادة واليوم
العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة وعن قتادة هو يوم قتل المومنين حين اختلف
الاحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم اختلافهم وتقدم الكلام على التعجب
الوارد من الله في قوله تعالى فما اصبرهم على النار وانه لا يوصف بالتعجب قال الحسن وقتادة لئن
كانوا صما وبكما عن الحق فما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث
لا ينفعهم السمع ولا البصر وعن ابن عباس انهم اسمع شي وابصره وقال علي بن عيسى هو وعيد
وتهديد اي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم ويبصرون ما يسود وجوههم وعن ابي العالية انه امر
حقيقة للرسول اي اسمع الناس اليوم وابصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب
اذا اتوا محشورين مغلولين لكن الظالمون عموم يندرج فيه هولا الاحزاب الكفار وغيرهم
من الظالمين واليوم اي واليوم في دار الدنيا وقال الزمخشري اوقع الظاهر موقع المضمر
اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اعطوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم
والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع انتهى وانذرهم الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم والضمير لجميع الناس وقيل يعود على الظالمين ويوم الحسرة يوم ذبح الموت وفيه
حديث وعن ابن زيد يوم القيامة وقيل حين يصدر الفريقان الى الجنة والنار وعن ابن مسعود
حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مومنين وقال ابن عطية ويحتمل ان
يكون يوم الحسرة اسم جنس لان هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة ومنها يوم الموت
ومنها وقت اخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك انتهى واذ بدل من يوم الحسرة قال السدي
وابن جريج قضي الامر ذبح الموت وقال مقاتل قضي العذاب وقال ابن الانباري المعنى اذ قضي
الامر الذي فيه هلاككم وقال الضحاك يكون ذلك اذا برزت جهنم ورمت بالشرر وعن ابن
جريج ايضا اذا فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقيل اذا قال
اخسوا فيها ولا تكلمون وقيل اذ يقال امتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل اذا قضي سد باب
التوبة وذلك حين تطلع الشمس من مغربها وهم في غفلة قال الزمخشري متعلق بقوله
في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحالة
غافلين غير مومنين وقال ابن عطية وهم في غفلة يريد في الدنيا الان وهم لا يومنون
كذلك انتهى وعلى هذا يكون حالا والعامل فيه وانذرهم والمعنى انهم مشتغلون بامور دنياهم
معرضون عما يراد منهم والظاهر ان يكون المراد بقوله وقضي الامر امر يوم القيامة
انا نحن نرث الارض ومن عليها هو عود وعبارة عن فنا الخلق وبقا الخالق لكنها وارثة وقرا

الجمهور يرجون باليا من تحت مبنيا للمفعول والاعرج بالتا من فوق وقرا التملي وبن ابي اسحق وعيسى باليا من تحت مبنيا للفاعل وحكى عنهم الداني بالتا واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لين لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سا ستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد اتل عليهم نبا ابراهيم وذكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام واختلاف الاحزاب بينهما وعبادتهما من دون الله تعالى وكان من قبيل من قامت بها الحيوة ذكر الفريق الضال الذي عبد جمادا والفريقان وان اشتركا في الضلال فالفريق العابد الجماد اضل ثم قصة ابراهيم مع ابيه تذكيرا للعرب بما كان ابراهيم عليه من توحيد الله تعالى وتبيين انهم سالكوا غير طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به وان ذلك متلقى بالوحي والصديق من ابنية المبالغة وهو مبني من الثلاثي للمبالغة اي كثير الصدق والصدق عرفه في الكسائك ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال والخلق وفيما لا يعقل يقال صدقني الطعام كذا وكذا قفيزا وعود صدق للصلب الجيد فوصف ابراهيم عليه السلام بالصدق على العموم في اقواله وافعاله والصديقية مراتب الا ترى الى وصف المومنين بها في قوله من النبيين والصديقين ومن غريب النقل ما ذهب اليه بعض النحويين من ان فعيلا اذا كان من متعدد جاز ان يعمل فتقول هذا شريب مسكرا كما اعملوا عند البصريين فعولا وفعالا لا دفعا لارقال الزمخشري والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه لقوله تعالى بل جا بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله يعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا ان كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات انتهى فالتخريج الاول يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا انها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على ان كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسيلة خلاف والتخريج الثالث لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد اما ان ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا وجايز ان يكون معمولا لصديقا لانه قد نعت الا على راي الكوفيين ويحتمل ان يكون مفعولا لنبيا اي نبيا في وقت قوله لابيه ما قال وان التنبية كانت في ذلك الوقت وهو بعيد وقرا بو البرهشيم انه كان صادقا في قوله يا ابت تلطف واستدعا بالنسب وقرا ابن عامر والاعرج وابو جعفر يا ابت بفتح التا وقد لحن هارون هذه القراة وتقدم الكلام على يا ابت في سورة يوسف عليه السلام وفي مصحف عبد الله وا ابت بوا وبدل يا واستفهم ابراهيم عن السبب الحامل لابيه على عبادة الصنم وهو منتف عنه السمع والبصر والاغنا عنه شيا تنبيها على شنعة الراي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف وخطب الزمخشري فقال انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك نصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حضيرة القدس

وادنيه

وادنيه من جواري وسد الزمخشري بعد هذا كلاما كثيرا من نوع الخطابة تركناه وما لا يسمع الظاهر انها موصولة وجوز وا ان تكون نكرة موصوفة ومعمول يسمع ويبصر منسي ولا ينوى اي ما ليس به استماع ولا ابصار لان المقصود نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق وشيا اما مصدر او مفعول به ولما ساله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن ان يجد جوابا انتقل معه الى اخباره بانه قد جاه من العلم ما لم ياته ولم يصف اباه بالجهل اذ يغني عنه السوال السابق وقال من العلم على سبيل التبعيض اي شي من العلم ليس معك وهذه المحاورة على ان ذلك كان بعد ما ياتي اذ في لفظ جاني تجدد العلم والذي جاه الوحي الذي اتى به الملك او العلم بامور الاخرة وثوابها وعقابها او توحيد الله وافراده بالالوهية والعبادة اقوال ثلثة فاتبعني على توحيد الله بالعبادة ورفض الاصنام اهدك صراطا مستقيما وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وانتقل من امره لاتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه في عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين امره بالسجود لادم فابى فهو عدو لك ولابيك ادم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي ان يعبد ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ما طرده من هذه الرحمة وان من كان مختارا لنفسه عصيان ربه لا يختار لذريته من عصى لاجله الا ما اختار لنفسه من عصيانهم يا ابت اني اخاف قال الفرا والطبري اخاف اعلم كما قال فخشينا ان يرهقهما اي تيقنا والاولى حمل اخاف على موضوعه الاصلي لانه لم يكن ايسا من ايمانه بل كان راجيا له وخايفا ان لا يومن وان يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوفه ابراهيم سو العاقبة وتادب معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب بل اخرج ذلك مخرج الخايف واتى بلفظ المس الذي هو الطف من العاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب ما هو اكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال في مقابلة ذلك ورضوان من الله اكبر من النعيم السابق ذكره وصدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا وقيل الولاية هنا كونه مقرونا معه في الاخرة وان تباغضا وتبرا بعضهما من بعض وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير اني اخاف ان تكون وليا في الدنيا للشيطان فيمسك في الاخرة عذاب من الرحمن وقوله ان يمسك عذاب من الرحمن لا يتعين ان يكون العذاب في الاخرة بل يحتمل ان يحمل العذاب على الخذلان اي خذلان من الله فتصير مواليا للشيطان ويحتمل ان يكون العذاب في الدنيا بان يبتلى على كفره بعذاب في الدنيا فيكون العذاب سببا لتماديه على الكفر كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون وهذه النصايح تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة ابيه والطاعة في هدايته وقضا للحق الابوة وارشادا الى الهدى لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم قال اي ابوه اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشي تركه عمدا والهته اصنامه واغلظ له في هذا الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني قال الزمخشري وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قريش انتهى والمختار في اراغب انت ان يكون اعراب اراغب مبتدا لانه قد اعتمد على اداة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما اعرب به الزمخشري من كون اراغب خبرا وانت مبتدا من وجهين احدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تاخير اذ رتبة الخبر ان يتاخر عن المبتدا والثاني ان لا يكون فصل بين العامل الذي هو اراغب وبين معموله الذي هو عن الهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدا بخلاف كون انت فاعلا فانه معمول اراغب فلم يفصل بين اراغب وبين عن الهتي باجنبي انما فصل بمعمول له ولما انكر عليه رغبته عن الهته توعده مقسما على انفاذ ما توعده به ان لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل ان يكون عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني اليه وان يكون لين لم تنته عن الرغبة عن الهتي لارجمنك جواب القسم المحذوف قبل لين قال الحسن بالحجارة وقيل لاقتلنك وقال السدي والضحاك وبن جريج لاشتمنك قال الزمخشري فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف

يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع انتهى وانما احتاج
الى حذف ليتناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند س بل يجوز عطف
الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف على قوله لئن لم تنته لارجمنك
وكلاهما معمول للقول وانتصب مليا على الظرف اي ومنا طويلا قاله الجمهور والحسن ومجاهد
وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار والملاوة بتثليث حركة الميم الدهر الطويل
من قولهم امليت لفلان في الامر اذا اطلت له وقال الشاعر • فعشنا بها من الشباب ملاوة •
فانجح ايات الرسول المحبب • وقال س سير عليه ملي من الدهر اي زمان طويل وقال
ابن عباس وغيره مليا معناه سالما سويا فهو حال من فاعل واهجرني قال ابن عطية وتلخيص
هذا ان يكون بمعنى قوله مستبدا بحالك غنيا عني مليا بالاكتفاء وقال السدي معناه
ابدا ومنه قول مهلهل فتصدعت صم الجبال لموته • وبكت عليه المرملات مليا • قال ابن
جبير دهرا واصل الحرف المكث يقال تمليت حينا وقال الزمخشري او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا
له مضطلعا به انتهى قال سلام عليك قرأ ابو البرهسم سلاما بالنصب قال الجمهور
هذا بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية اي امنة مني وهؤلاء لا يرون ابتداء الكافر بالسلام
المشروع وهو مذهب سفيان بن عيينة مستدلا بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم الاية وبقوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الاية وقال
ابراهيم لابيه سلام عليك وما استدل به متأول ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم
لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر اي
اي سلمت سلاما دعا له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون
بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الاستغفار بالله وافراده بالعبادة وهذا
كما يرد الامر والنهي على الكافر ولا يصح الامتثال الا بشرط الايمان ومعنى ساستغفر
لك ربي ادعو الله في هدايتك فيغفر لك بالايمان ولا يتأول على ابراهيم عليه السلام
انه لم يعلم ان الله لا يغفر لكافر قال ابن عطية ويجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام
اول نبي اوحى الله تعالى اليه ان الله لا يغفر لكافر لان هذه الطريقة انما طريقها السمع
وكانت هذه المقالة منه لابيه قبل ان يوحى اليه وذلك انه انما تبين له في ابيه انه عدو
لله باحد وجهين اما بموته على الكفر كما روي واما ان يوحى اليه الحتم عليه وقال الزمخشري
ولقائل ان يقول الذي يمنع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية
فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية
العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان
شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجب فيه وقول من قال انما استغفر
له لانه وعده ان يؤمن مستدلا بقوله الا عن موعدة وعدها اياه يجعل الواعد ازر
والموعود ابراهيم ليس بجيد لاعتنائه في هذه الاية الوعد بالاستغفار بعد ذلك
القول الجافي من قوله لئن لم تنته الاية فكيف يكون وعده بالايمان ولان الواعد
هو ابراهيم ويدل عليه قراءة حماد الراوية وعدها اباه الحفي المكرم الكثير البر والالطاف
وتقدم شرحه لغة في قوله كانك حفي عنها وقال ابن عباس رحيما وقال الكلبي
حليما وقال القتيبي بارا وقال السدي حفيك من يهمه امرك ولما كان في قوله لارجمنك
فظاظة وقساوة قابله بالدعاء له بالسلام والامن ووعده بالاستغفار قضاء لحق الابوة
وان كان قد صدر منه اغلاظ ولما امره بهجره الزمان الطويل اخبره بانه يمتثل امره
ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام قيل او الى حران وكانوا بارض كوثى وفي هجرته
هذه تزوج سارة ولقي الجبار الذي اخدم سارة هاجر والاظهر ان قوله وادعو ربي
معناه واعبد ربي كما جاء في الحديث الدعاء العبادة لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء رب هب لي
حكما الى اخره وعرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا

مع

مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس وفي عسى تجوز في ضمنه خوف شديد ولما
فارق الكفار وارضهم ابدله منهم اولادا انبياء والارض المقدسة فكان فيها ويتردد الى مكة فولد
له اسحق وابنه يعقوب تسلية له وشدا لعضده واسحق اصغر من اسماعيل ولما حملت هاجر باسماعيل
غارت سارة ثم حملت باسحق وقوله من رحمتنا قال الحسن هي النبوة وقال الكلبي المال والولد
والاحسن ان يكون الخير الديني والدنياوي في العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الاخرة
ولسان الصدق الثناء الحسن الباقي عليهم اخر الابد قاله ابن عباس وعبر باللسان كما عبر باليد
عما يطلق باليد وهي العطية واللسان في كلام العرب الرسالة الرائعة كانت في خير او شر قال
الشاعر اني اتتني لسان لا اسر بها وقال اخر ندمت على لسان كان مني ولسان العرب
لغتهم وكلامهم استجاب الله تعالى دعوته صلى الله عليه وسلم واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره
قدوة حتى عظمه اهل الاديان كلهم وادعوه وقال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما
اعلى ذكره واثنى عليه **المفردات** **جثا** قعد على ركبتيه وهي قعدة الخائف الذليل تجثى
وتجثو اجثوا وجثاية **حتم** الاسر اوجبه **الندي** والنادي المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة
او مشورة وقيل مجلس اهل الندي وهو الكرم وقيل المجلس الذي فيه الجماعة وقال حاتم
• فدعيت في اولى الندي ولم • ينظر الي باعين خزر • **الري** مصدر رويت من الماء واسم
المفعول اي مروي قاله ابو علي الزي محاسن مجموعة من الزي وهو الجمع **كلا** حرف
ردع وزجر عند الخليل وس والاخفش والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي
ونصير بن يوسف وابن واصل وابن الانباري الى انها بمعنى حقا وذهب النضر بن شميل انها
حرف تصديق بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى ان
كلا رد لما قبلها فيجوز الوقف عليها وما بعدها استيناف وتكون ايضا صلة للكلام بمنزلة اي
والكلام على هذه المذاهب مذكور في النحو **الضد** العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم
وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك **الازو الهز والاستفزاز**
اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج ومنه ازيز المرجل وهو غليانه وحركته **وفد** يفد
وفدا ووفودا ووفادة نزل قدم على سبيل التكرمة **الاد** والاد بفتح الهمزة وكسرها العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة واد في الامر اثقلني وعظم علي ادا الهد قال الجوهري هد
البناء كسره وقال المبرد هذا سقوطا والهدة صوت وقع الحائط ونحوه يقال هد يهد بالكسر
هديدا وقال الليث الهد الهدم الشديد **الركز** الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم
قال الشاعر • فتوجست ركز الانيس فراعها • عن ظهر غيب والانيس سقامها •
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا
نبيا ورفعناه مكانا عليا اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع
نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا
وبكيا قرأ الكوفيون مخلصا بفتح اللام وهي قراءة ابي رزين ويحيى وقتادة اي اخلصه الله للعبادة
والنبوة كما قال تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسر
اللام اي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله تعالى ونداؤه
اياه هو تكليمه تعالى اياه والطور الجبل المشهور بالشام والظاهر ان الايمن صفة للجانب
لقوله في اية اخرى جانب الطور الايمن بنصب الايمن نعتا لجانب الطور والجبل نفسه
لا يمنة له ولا يسرة ولكن كان على يمين موسى عليه السلام بحسب وقوفه فيه وان كان من
اليمن احتمل ان يكون صفة للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك في الايتين واحتمل ان يكون
صفة للطور اذ معناه الاسعد المبارك قال ابن عطية في الكلام حذف وتقديره
وناديناه حين اقبل من مدين وراى النار من الشجرة وهو يريد من يهديه الى طريق مصر من
جانب الطور اي من ناحية الجبل وقربناه نجيا قال الجمهور تقريب التشريف والنبوة

والكلام وقال ابن عباس ادنى موسى من الملكوت ورفعت له الحجب حتى سمع صريف الاقلام
وقاله ابو العالية وميسرة وقال سعيد اردفه جبريل وقال الزمخشري شبهه بمن
قربه بعض العظما للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك انتهى ونجيا فعيل من المناجاة
بمعنى مناج كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة وهي المسارة بالقول وقال قتادة معناه نجاه
صدقه ومن في من رحمتنا للتسبب اي من اجل رحمتنا او للتبعيض اي بعض رحمتنا قال
الزمخشري واخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك
زيدا انتهى والذي يظهر ان اخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعضا فتبدل منها وكان
هارون اسن من موسى طلب من الله ان يشد ازره بنبوته ومعونته فاجابه واسماعيل هو ابن
ابراهيم ابو العرب يمنيها ومضريها وهو قول الجمهور وقيل انه اسمعيل بن حزقيل بعثه الله
فسلخوا جلده راسه فخيره الله فيما شا من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض امرهم اليه
في عفوه وعقوبته وصدق وعده انه كانت منه مواعيد الله وللناس فوفى بالجميع فلذلك خص
بصدق الوعد قال ابن جريج لم يعد ربه موعدة الا انجزها فمن مواعيده الصبر وتسليم
نفسه للذبح ووعد رجلا ان يقيم له بمكان فغاب عنه مدة قيل سنة وقيل اثني عشر يوما
فجاه فقال لو برحت من مكانك فقال لا والله ما كنت لاخلف موعدي وكان يامر اهله قال
الحسن قومه وامته وفي مصحف عبد الله وكان يامر قومه وقال الزمخشري كان يبدا باهله
في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراهم ولانهم اولى من ساير الناس وانذر
عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق
عليهم بالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم في القرابة وغيرهم لان امم النبيين
في عداد مما اليهم وفيه ان حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين
به وان يحظيهم بالفوايد الدينية ولا يفرط في ذلك انتهى وقال ايضا ذكر اسماعيل عليه
السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا تشريفا له واكراما كالتلقيب
نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله وقرا الجمهور مرضيا
وهو اسم مفعول اي مرضو وفاعل بقلب واوه يا لانها طرف بعد واو ساكنة والساكن
ليس بحاجز حصين فكانها وليت حركة ولو بنيت من ذوات الواو مفعلا لصار مفعلا لان
الواو لا تكون طرفا وقبلها متحرك في الاسما المتمكنة غير المتقدية بالاضافة الا ترى انهم
حين سموا بتغزوا الغاري من الضمير قالوا تغزي حين صار اسما وهذا الاعلال ارجح من التصحيح
ولانه اعتل في رضي وفي رضيان تثنية رضا وقرا ابن ابي عبلة مرضوا مصححا وقالت العرب
ارض مسنية ومسنوة وهي التي تسقى بالسواني وادريس هو جد ابي نوح عليهما السلام
وهو اخنوخ وهو اول من نظر في النجوم والحساب وجعله الله تعالى من معجزاته واول من خط
بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط وكان خياطا وكانوا قبل يلبسون الجلود واول مرسل بعد
ادم واول من اتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقال ابن مسعود هو
الياس بعث الى قومه بان يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاوا فابوا فاهلكوا وادريس اسم
اعجمي منع من الصرف للعلمية والعجمة ولا يجوز ان يكون فعيلا من الدرس كما قال بعضهم
لانه كان يجب صرفه اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية قال الزمخشري ويجوز ان
يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك اي من معنى الدرس فحسبه القايل مشتقا
من الدرس والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقد انزل الله تعالى
عليه ثلاثين صحيفة انتهى وقاله جماعة وهو رفع النبوة والتشريف والمنزلة وهو في السما
كساير الانبيا وقيل بل رفع الى السما قال ابن عباس كان ذلك بامر الله تعالى كما رفع عيسى كان
له خليل من الملايكة فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السما الرابعة فلقي هنالك ملك
الموت فقال له انه قيل لي اهبط الى السما الرابعة فاقبض فيها روح ادريس واني لاعجب
كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد هذا ادريس معي فقبض روحه روي ان هذا كله
كان في السما السادسة قاله ابن عباس وكذلك هي رتبته في حديث الاسرا في بعض الروايات
من حديث ابي هريرة وانس يقتضي انه في السما الرابعة وعن الحسن الى الجنة لانه لا شي

اعلا من الجنة وقال قتادة فتارة يعبد الله مع الملايكة في السما السابعة وتارة يرتع
في الجنة حيث شا وقال مقاتل هو ميت في السما اوليك اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة
من الانبيا ومن في من النبيين للبيان لان جميع الانبيا منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان
ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه
من ولد سام ابن نوح ومن ذرية ابراهيم اسحق اسماعيل ويعقوب عليهم السلام واسرايل
معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيى وموسى وهارون من ذرية اسرايل وكذلك عيسى لان
مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والظاهر ان الذين خبر
لاوليك واذا يتلى كلام مستانف ويجوز ان يكون الذين صفة لاوليك والجملة الشرطية
خبر وقرا الجمهور تتلى بتا التانيث وقرا عبد الله وابو جعفر وشيبة وشبل بن عباد وابو حيوة
وعبد الله بن احمد العجلي عن حمزة وقتيبة في رواية وورش في رواية النحاس وابن ذكوان
في رواية التغلبي باليا وانتصب سجدا على الحال المقدرة قاله الزجاج لانه حال خروره
لا يكون ساجدا والبكي جمع باك كشاهد وشهود ولا يحفظ فيه جمعه المقيس وهو فعلة كرام ورماة
والقياس يقتضيه وقرا الجمهور بكيا بضم البا وعبد الله ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي
بكسرها اتباعا لحركة الكاف كعصي ودلي والذي يظهر انه جمع لمناسبة الجمع قبله قيل ويجوز
ان يكون مصدرا لبكا بمعنى بكا واصله بكو كجلس جلوسا قال ابن عطية وبكيا بكسر البا وهو
مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى وقوله ليس بسديد لان اتباع حركة الكاف لا يعين المصدرية
الا ترى انهم قروا وجثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاوليك يدخلون
الجنة ولا يظلمون شيا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات
والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ترك قوله فخلف في اليهود عن
ابن عباس ومقاتل وفيهم وفي النصارى مع السدي وفي قوم من امة الرسول صلى الله عليه وسلم
ياتون عند ذهاب صالحيها يتبارزون بالزنا يزنون في الازقة بعضهم على بعض عن مجاهد
وقتادة وعطا ومحمد بن كعب القرظي وعن وهب هم شراب القهوة وتقدم الكلام على خلف
في الاعراف واضاعة الصلوات تاخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود والنخعي والقاسم بن
مخيمرة ومجاهد وابراهيم وعمر بن عبد العزيز وقال القرظي واختاره الزجاج اضاعتها
الاخلال بشروطها وقيل اقامتها في غير الجماعات وقيل عدم اعتقاد وجوبها وقيل تعطيل
المساجد والاشتغال بالصنايع والاسباب والشهوات عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة
وذكر الله وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وقرا عبد
الله والحسن وابو رزين العقيلي والضحاك وابن مقسم الصلوات جمعا والغي عند العرب
كل شر والرشاد كل خير قال الشاعر • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم
على الغي لايما • وقال الزجاج هو على حذف مضاف اي جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة
اثام وقال ابن زيد الغي الخسران والحصول في الورطات وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود
وكعب غي واد في جهنم وقال ابن زيد ضلال وقال الزمخشري او غيا عن طريق الجنة وحكى
الكرماني اباد في جهنم يسيل اليها الصديد والقيح وقيل هلاك وقيل شر وقوي فيما حكى عن الاخفش
يلقون بضم اليا وفتح اللام وشد القاف الا من تاب استثنا ظاهره الاتصال وقال الزجاج
منقطع وهذا يدل على ان الاضاعة اضاعة كفر وقرا الحسن يدخلون مبنيا للفاعل وكذا كل
ما في القران في يدخلون وقرا كذلك هنا الزهري وحميد وشيبة والاعمش وابن ابي ليلى وابن
مناذر وابن سعدان وقرا ابن غزوان عن طلحة سيدخلون بسين الاستقبال مبنيا للفاعل
وقرا الجمهور جنات نصبا جمعا بدلا من الجنة ولا يظلمون شيا اعتراض او حال وقرا ابو حيوة
والحسن وعيسى بن عمر والاعمش واحمد بن موسى عن ابي عمرو جنات رفعا جمعا اي تلك
جنات وقال الزمخشري الرفع على الابتدا انتهى يعني والخبر التي وقرا الحسن بن حي وعلي بن

صالح جنة عدن نصبًا مفردا و رويت عن الاعمش وهي كذلك في مصحف عبد الله وقرا
اليماني والحسن واسحق الازرق عن حمزة جنة رفعًا مفردا وعدن ان كان علمًا شخصيًا لان التي
نعتا لما اضيف الي عدن وان كان لمعنى اقامة لان التي بدلا وقال الزمخشري عدن
معرفة علم لمعني العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينه وسحر وامس في لم يصرفه اعلامًا لمعاني
الفينه والسحر والامس يجري العدن كذلك او هو علم لارض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما
ساغ الابدال لان النكرة لاتبدل من المعرفة الاموصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى وما ذكره
متعقب اما دعواه ان عدنا علم لمعني العدن فيحتاج الي توقيف وسماع من العرب وكذا دعوي
العلمية الشخصية فيه واما قوله ولولا ذلك الي قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان
مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شي قاله البغداديون
وهم محجوجون بالسماع علي ما بيناه في كتبنا في النحو فلازمته فاسدة واما قوله ولما ساغ وصفها
بالتي فلا يتعين كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا وبالغيب حال اي وعدها وهي غايبة
عنهم او هم غايبون عنها لا يشاهدونها ويحتمل ان تكون البا للسببب اي بتصديق الغيب والايمان
به وقال ابومسلم المراد الذين يكونون عبادا بالغيب اي الذين يعبدونه في السر والظاهر
ان وعده مصدر فقيل ماتيًا بمعني اتيا وقيل هو علي موضوعه من انه اسم المفعول وقال
الزمخشري ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك
اتا اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا والقول الثاني هو قوله والوجه ماخوذ من قول
بن جريج قال وعده هنا موعوده وهو الجنة وماتيا ياتيه اولياوه انتهى لا اسلامًا استثناءً
منقطع وهو قول الملايكة سلام عليكم بما صبرتم ثم قيل يسلم الله عليهم عند دخولها ومعني بكرة
وعشيا ياتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن وقال مجاهد لا بكرة ولا عشي
ولكن ياتون به علي ما كانوا يشتهون في الدنيا وقد ذكر نحوه قتادة ان تكون مخاطبة بما تعرف
العرب في رفاهية العيش وقال الحسن خوطبوا علي ما كانت العرب تعلم من افضل العيش
وذلك ان كثيرًا من العرب انما كان يجد الطعام المرة في اليوم وكان عيش اكثرهم من شجر
البرية ومن الحيوان وقال الزمخشري اللغو فضول الكلام وما لا طايل تحته وفيه تنبيه
ظاهر علي تجنب اللغو واتقايه حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله
واذا مروا باللغو مروا كرامًا واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الاية اي ان كان تسليم بعضهم
علي بعض او تسليم الملايكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله •
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب • او لا يسمعون فيها الا قولا
يسلمون فيه من العيب والنقيصة علي الاستثنا المنقطع او لان معني السلام هو الدعا
بالسلامة اغنيا فكان من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام وقال ايضًا
ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن علي التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غدا وعشاء وقيل
اراد دوام الرزق ووروده كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ولا يقصد
الوقتين المعلومين انتهى وقرا الجمهور نورث مضارع اورث والاعمش نورثها بابراز الضمير
العايد علي الموصول والحسن والاعرج وقتادة ورويس وحميد وابن ابي عبلي وابو حيوة
ومحبوب عن ابي عمرو بفتح الواو وتشديد الرا والتوريث استعارة اي تبقي عليه الجنة كما
يبقي علي الجنة ارث مال الموروث والاتقيا يلقون ربهم قد نقضت اعمالهم وثمرتها باقية
وهي الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفي وقيل اورثوا
من الجنة المساكين التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك ابطا جبريل عليه
السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم مرة فلما جا قال يا جبريل قد اشتقت اليك افلا تزورنا كما
اكثر مما تزورنا فنزلت وقال مجاهد والضحاك سببها ان جبريل تاخر في السوالات المتقدمة في سورة
الكهف وهي كالتي في الضحي ونتنزل تتفعل وهي للمطاوعة وهي احد معاني تفعل تقول نزلته فتنزل
فيكون هو اصله العمل في مهلات وقد يكون لا يلحظ فيه ذلك اذا كان بمعني المجرد لقولهم تعدي
الشي وعداه ولا يكون مطاوعا فيكون تنزل في معني نزل كما قال الشاعر • فلست لانسي ولكن لملاك
تنزل من جو السما يصوب وقال الزمخشري التنزل علي معنيين علي مهل ومعنى النزول

علي الاطلاق كقوله فلست لانسي البيت لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعني انزل او بمعني التدريج
واللايق بهذا الموضع هو النزول علي مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت انتهى
وقال بن عطية وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي عاطفة جملة كلام علي اخري واصلة
بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا وحكي النقاش عن قوم ان قوله وما نتنزل متصل بقوله
انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا وهذا قول ضعيف انتهى والذي يظهر في مناسبة هذه
الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة زكريا ومريم وذكر ابراهيم وموسي واسماعيل وادريس
ثم انه تعالي انعم عليهم وقال ومن ذرية ابراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذرية ابراهيم وذكر انه تعالي خلف بعدهم خلف وهم اليهود والنصاري اصحاب الكتب
لا غيرهم لا يقال فيهم اضاعوا الصلاة انما يقال ذلك في من كانت له شريعة فرض عليهم فيها الصلاة
بوحي من الله تعالي وكان اليهود هم سبب السوال قريش للنبي صلي الله عليه وسلم تلك المسايل
الثلاث وابطا الوحي عنه ففرحت بذلك قريش واليهود وكان ذلك من اتباع شهواتهم
هذا وهم عالمون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالي وما نتنزل تنبيها
علي قصة قريش واليهود وان اصل تلك القصة انما حدثت من اوليك الخلف الذين اضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات وختما لقصص اوليك المنعم عليهم بمخاطبة اشرفهم محمد صلى الله
عليه وسلم واستعدادا من جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام بان ذلك الابطا لم يكن منه
ولا نتنزل الا بامر الله تعالي ولما كان ابطا الوحي سببه قصة السوال وكونه صلى الله عليه
وسلم لم يقل ان شا الله وكان السوال منشا عن اتباع اليهود شهواتهم وخفيات
جهم اكتفي بذكر النتيجة المتاخرة عن ذكر ما اثرته شهواتهم الدنيويه وخبثهم قال ابو العالية
ما بين الايدي الدنيا باسرها اي النفخة الاولي وما خلف ذلك الاخرة من وقت البعث وما بين
ذلك ما بين النفختين قال بن عطية وقول ابي العالية انما يتصور في بني ادم وهذه المقالة
هي للملايكة فتامله وقال بن جريج ما بين الايدي هو ما مر من الزمان قبل الايجاد وما خلف
هو ما بعد موتهم الي استمرار الاخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة وفي كتاب التحرير والتحبير
ما بين ايدينا الاخرة وما خلفنا الدنيا رواه العوفي عن بن عباس وبه قال بن جبير وقتادة ومقاتل
وسفيان وقال مجاهد وعكرمة وابو العالية ما بين النفختين حين كوننا وقال صاحب الغنيان
ما بين ايدينا نزول الملايكة من السما وما خلفنا من الارض وما بين ذلك ما بين السما والارض
وقال بن القشيري مثل قول بن جريج ثم قال حصر الازمنة الثلاثة وهي ان الله منشيها
كلها ومدبر امرها علي ما يشا من تقديم انزال وتاخيره انتهى وفيه بعض تلخيص وتصرف
وقال بن عطية انما القصد الاشعار بملك الله تعالي لملايكته وان قليل تصرفهم وكثيره انما
هو بامره وانتقالهم من مكان الي مكان انما هو بحكمته اذ الامكنة له وهم له فلو ذهب بالاية
الي ان المراد بما بين ذلك هم انفسهم ومقاماتهم لكان وجها كانه قال نحن مقيدون بالقدرة
لا ننتقل ولا نتنزل الا بامر ربك انتهى وما قال فيه بن عطية الي اخره ذهب الي نحوه الزمخشري
قال له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة
الي جهة ومكان الي مكان الا بامر المليك ومشيته والمعني انه محيط بكل شي لا يخفي عليه خافية فكيف
تقدم علي فعل تحدثه الا صادرا عن ما توجبه حكمته ويامرنا ويأذن لنا فيه انتهى وقال
البغوي له علم ما بين ايدينا وقال ابو مسلم وابن بحر وما نتنزل الاية ليس من كلام الملايكة
وانما هو من كلام اهل الجنة بعضهم لبعض اذا دخلوها وهي متصلة بالاية الاولي الي قوله وما بين
ذلك اي ما نتنزل الجنة الا بامر ربك له ما بين ايدينا اي الجنة مستقبلا وما خلفنا مما كان
في الدنيا وما بينهما اي ما بين الوقتين وحكي الزمخشري هذا القول فقال وقيل هي حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما نتنزل الجنة الا باذن الله تعالي علينا بثواب
اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب ولاة الامور كلها السالفة والمترقب والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى تقديرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال
العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة علي ذي ملكوت السموات
والارض وما بينهما انتهى وقال القاضي هذا المخالف للظاهر من وجوه احدهما ان ظاهر التنزيل

نزول الملائكة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولقوله بامر ربك فظاهر الامر كالتكليف
اليتق وثانيها خطاب جماعة لواحد وذلك لايليق بمخاطبتهم بعضهم لبعض في الجنة وثالثها
ان ما في مسافة وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما لايليق كالتكليف لابوصف
به الرسول صلى الله عليه وسلم انتهى وقرا الجمهور وما نتنزل بالنون عني جبريل نفسه والملائكة
وقرا الاعرج بالياء على انه خبر من الله تعالى قيل والضمير في يتنزل عايد على جبريل قال ابن عطية ويرده
له ما بين ايدينا لانه لايطرد معه وانما يتجه ان يكون خبرا عن جبريل ان القران لايتنزل الا بامر
الله في الاوقات التي يقدرها وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي انتهى
ويحتمل ذلك القول على اضمار وما يتنزل جبريل الا بامر ربك قايلا له ما بين ايدينا اي يقول
ذلك على سبيل الاستعذار في البطء عنك بان ربك متصرف فينا ليس لنا ان نتصرف الا بمشيته
وانه انه تعالى ليس بناسيك وان تاخر عنك الوحي وارتفع رب السموات على البدل او على
خبر مبتدا محذوف وقرا الجمهور وهل تعلم باظهار اللام عند التا وقرا الاخوان وهشام وعلي
نصر وهارون كلاهما عن ابي عمرو والحسن والاعمش وعيسى وابن محيصن بالادغام فيهما قال
ابو عبيدة هما لغتان وعلى الادغام انشدوا ابيت مزاحم العقيلي فدر دا ولكن هل تعاين متيما •
على ضوء برق اخر الليل ناصب • وعدى فاصطبر باللام على سبيل التضمين اذ اثبت بالصبر لعبادة
لان العبادة تورد شدايد فاثبت لها واصله التعدية بعلى كقوله تعالى واصطبر عليها والسمي
من يوافق في الاسم تقول هذا اسميك اي اسمه مثل اسمك فالمعنى انه لم يسم بلفظ الله شي قط وكان
المشركون يسمون اصنامهم الهة والعزى اله واما لفظ الله فلم يطلقوه عن شي من اصنامهم وعن
ابن عباس لايسمي احد الرحمن غيره وقيل يحتمل ان يعود ذلك على قوله رب السموات والارض
وما بينهما اي مثل تعلم من يسمى او يوصف بهذا الوصف اي ليس احد من الامم يسمى شيا بهذا
الاسم سوى الله وقال مجاهد وابن جبير وقتادة سميا مثلا وشبيها وروى ذلك عن ابن عباس
ايضا قال ابن عطية وكان المسمى بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو وهذا قول حسن
ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى يعني لم نجعل له من قبل سميا وقال غيره يقال فلان سمي فلان اذا
شاركه في اللفظ وسميه اذا كان مماثلا له في صفاته الجميلة ومناقبه ومنه قول الشاعر •
• فانت سمي للزبير ولست • للزبير سميا اذ غدا ماله مثل • وقال الزجاج هل تعلم احدا يستحق
ان يقال له خالق وقادر الا هو وقال الضحاك ولدا ردا على من يقول ولد الله تعالى ويقول
الانسان ايذا مامت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيا فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا سبب النزول
ان رجلا من قريش هو ابي بن خلف جا بعظم رفات فنفخ فيه وقال للرسول صلى الله عليه وسلم ايبعث
هذا وكذب وسخر واسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم كقول الفرزدق فسيف بني عبس
وقد ضربوا به نبا بيدي ورقا عن راس خالد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله بايدي ورقا
وهو ورقا بن زهير بن جذيمة العبسي او الجنس الكافر المنكر للبعث او لمعنى ابي بن خلف او العاصي
بن وايل او ابي جهل او الوليد بن المغيرة اقوال وقرا الجمهور ايذا بهمزة الاستفهام وقرات
فرقة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه اذا بدون الاستفهام وقرا الجمهور لسوف باللام وقرا طلحة
بن مصرف ساخرج بغير لام وسين الاستقبال عوض سوف فعلى قراته يكون اذا معمولا لقوله
ساخرج لان حرف التنفيس لايمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله على ان فيه خلافا فاشاذا
وصاحبه محجوج بالسماع قال الشاعر فلما رأته امنا هان وجدها وقالت ابونا هكذا سوف يفعل
فهكذا منصوب بيفعل وهو بحرف الاستقبال وحكى الزمخشري ان طلحة ابن مصرف قرا لساخرج
واما على قراة الجمهور وما نقله الزمخشري من قراة طلحة فاللام لام الابتدا فلا يعمل ما بعدها
فيما قبلها فيقدر العامل محذوفا من معنى لسوف اخرج تقديره اذا مامت ابعث وقال الزمخشري
فان قلت لام الابتدا الداخلة على المضارع يعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال

قلت

قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف
انتهى وما ذكر ان اللام تعطي معنى الحال يخالف فيه فعلى مذهب من لايقول ذلك يسقط السوال
واما قوله كما اخلصت الهمزة الى اخره فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان الاصل فيه
اله وحذفت فا الكلام لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من
المحذوف لثبتت دايما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا
على ان قطع همزة الوصل في النداء شاذ وقال ابن عطية واللام في قوله لسوف مجاوبة عن الحكاية
لكلام تقدم بهذا المعنى كان قايلا قال للكافر اذا مت يا فلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام
على الكلام على جهة الاستبعاد وكرر الكلام حكاية للقول الاول انتهى ولا يحتاج
الى هذا التقدير ولا ان هذا حكاية لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد
والانكار ومن قرا اذا فاما ان تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه واما ان يكون اخبارا
على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك اذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى وقرا الجمهور
اخرج مبنيا للمفعول وقرا الحسن وابو حيوة مبنيا للفاعل وقال الزمخشري وايلاوه اي وايلا
الظرف حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جا انكارهم فهو
كقولك للمسي الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه وقرا ابو بحرية والحسن
وشيبة وابن ابي ليلى وابن مناذر وابو حاتم ومن السبعة عاصم وابن عامر ونافع اولا يذكر خفيفا
مضارع ذكر وقرا باقي السبعة بفتح الذال والكاف وتشديدهما اصله يتذكر ادغم التاء
في الذال وقرا ابي يتذكر على الاصل قال الزمخشري الواو عطفت لايذكر على يقول ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى وهذا رجوع منه الى مذهب الجماعة
من ان حرف العطف اذا تقدمته الهمزة انما عطفت ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لان
لها صدر الكلام وكان مذهبه ان يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح ان يعطف عليه ما بعد الواو
فيقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تاخير وقد رددنا عليه هذه المقالة انا خلقناه من
قبل اي انشاناه واخترعناه من العدم الصرف الى الوجود فكيف ينكر النشاة الثانية وهذه
الحجة في غاية الاختصار والالزام للخصم ويسمى هذا النوع الاحتجاج النظري وبعضهم
يسميه المذهب الكلامي وقد تكرر هذا الاحتجاج في القران ولم يك شيا اشارة الى العدم
الصرف وانتفا المشيئة عنه يدل على ان العدم لايسمى شيا وقال ابو علي الفارسي ولم يك
شيا موجودا وهي نزعة اعتزالية والمحذوف المضاف اليه قبل في التقدير قدره بعضهم من قبل
بعثه وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقايه انتهى ولما قام تعالى
الحجة الدامغة على حقيقة البعث اقسم على ذلك باسمه مضافا الى رسوله تشريفا له وتفخيما لقدره
وقد تكرر هذا القسم في القران تعظيما لحقه ورفعا منه كما رفع من شان السما والارض
بقوله فورب السما والارض انه لحق والواو في والشياطين للعطف او بمعنى مع يحشرون
مع قرنايهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل واحد مع شيطانه في سلسلة وهذا اذا
كان الضمير في لنحشرنهم للكفرة وهو قول ابن عطية وما جا بعد ذلك فهو من الاخبار عنهم
وبدا به الزمخشري والظاهر انه عام للخلق كلهم مومنهم وكافرهم ولم يفرق بين المومنين
والكافرين كما فرقوا في الجزا واحضروا جميعا واوردوا النار ليعاين المومنين الاحوال التي
نجوا منها فيسروا بذلك ويشمتوا باعدايهم الكفار واذا كان الضمير عاما فالمعنى انهم يتجاثون
موافاة عند شاطي جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع الموقف للحساب قبل الوصول
الى الثواب والعقاب وقال تعالى في حالة الموقف وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها
وجثيا حال مقدرة وعن ابن عباس قعودا وعنه جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب
والحجارة وقال مجاهد والحسن والزجاج على الركب وقال السدي قياما على الركب لضيق
المكان بهم وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد والجمهور
بضمها ثم لننزعن اي لنخرجن كقوله ونزع يده وقيل لنرمين من نزع القوس وهو الرمي
بالسهم والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب وقال ابو الاحوص يبدا بالاكابر فالاكابر جرما
وقال الزمخشري يمتاز من كل طايفة من طوايف الغي والفساد اعتاهم فاعتاهم

فاحصاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار علي الترتيب تقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم والضمير
في ايهم عايد علي المحشورين المحضرين وقرا الجمهور ايهم بالرفع وهي حكاية بنا علي مذهب س
فايهم مفعول بننزعن وهي موصولة واشد خبر مبتدا محذوف والجملة صلة لايهم وحركته
اعراب علي مذهب الخليل ويونس علي اختلاف في التخريج وايهم اشد مبتدا وخبر محكي علي مذهب
الخليل الذين يقال فيهم ايهم اشد وموضع نصب فيعلق عنه لننزعن علي مذهب يونس والترجيح
بين هذه المذاهب مذكور في علم النحو وقال الزمخشري ويجوز ان يكون النزع واقعا علي
من كل شيعة لقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فقال قايل منهم من هم
فقيل ايهم اشد عتيا انتهي فيكون ايهم موصولا خبر مبتدا محذوف وهذا تكلف وادعا اضمار
لاضرورة تدعوا اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة من جملتين وقرن الخليل تخريجه
بقول الشاعر ولقد ابيت من الفتاة بمنزل فابيت لاحرج ولامحروم اي فابيت يقال
في لاحرج ولامحروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس انه غلط س في هذه المسالة
قال س ويلزم علي هذا ان يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له قبل وليس بلازم
من حيث هذه اسما مفردة والاية جملة وتسلط الفعل علي المفرد اعظم منه علي الجملة
ومذهب الكسائي ان معني لننزعن لينادين فعومل معاملته فلم يعمل في اي انتهي ونقل هذا
عن الفرا قال المهدوي ونادي تعلق اذا كان بعده جملة نصبت فتعمل في المعني ولا تعمل
في اللفظ وقال المبرد ايهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعني من الذين تشايعوا ايهم
اشد كانهم يتبارون الي هذا ويلزمه ان يقدر مفعولا لننزعن محذوفا وقد نقل ايضا
في هذا المذهب من الذين تشايعوا ايهم اي من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد
قال النحاس وهذا قول حسن وقد حكي الكسائي ان التشايع هو التعاون وحكي ابو بكر
ابن شقير ان بعض الكوفيين يقول في ايهم معني الشرط تقول ضربت القوم ايهم غضب المعني
ان غضبوا ولم يغضبوا فعلي هذا يكون التقدير ان اشتد عتوهم او لم يشتد وقرا
طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم ايهم استاد الفرا وزايدة عن الاعمش ايهم بالنصب
مفعولا بننزعن وهاتان القراتان يدلان علي ان مذهب س انه لا يحتم فيه البنا والا
عراب قال ابو عمرو الجرمي خرجت من البصرة فلم اسمع منذ فارقت الخندق الي مكة
احدا يقول لاضربن ايهم قايم بالضم بل ينصبها انتهي وقال ابو جعفر النحاس وما علمت
احدا من النحويين يقول الا وقد خطا س وسمعت ابا اسحق يعني الزجاج يقول ما تبين
ان س غلط في كتابه الا في موضعين احدهما قال وقد اعرب س ايا وهي مفردة لانها تضاف
فكيف وهي ههنا مضافة وعلي الرحمن متعلق باشد وعتيا تمييز محول من المبتدا تقديره ايهم
هو عتوه اشد علي الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في اشد العذاب اي فيبدا بعذابه
ثم بمن دونه الي اخرهم عذابا وفي الحديث انه تبدو عنق من النار فتقول اني امرت بكل شي
جبار عنيد فتلقطهم وفي بعض الاثار يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم
الاكفر فالاكفر قال ابن عباس عتيا جراة وقال مجاهد فجرا وقيل افترا بلغة تميم وقيل عتيا
جمع عات فانتصابه علي الحال ثم لنحن اعلم اي نحن في ذلك النزع لا نضع شيا غير موضعه لانا
قد احطنا علما بكل احد فالاولي بصلي النار نعلمه قال ابن جريج اولي بالخلود وقال الكلبي
صليا دخولا وقيل لزوما وقيل جمع صال فانتصب علي الحال وبها متعلق باولي والواو في قوله
وان منكم الا واردها واو قسم يقتضيه ويفسره قول النبي صلي الله عليه وسلم من مات له
ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم انتهي وذهل عن قول النحويين انه لا يستغني عن
القسم بالجواب لدلالة المعني الا اذا كان الجواب باللام او بان والجواب هنا جا علي زعمه بان
النافية فلا يجوز حذف القسم علي ما نصوا وقوله والواو يقتضيه يدل علي انها عنده واو القسم
ولا يذهب نحوي الا مثل هذه الواو واو قسم لانه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقا الجار
ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر او نادر كلام بشرط ان تقوم صفة المحذوف مقامه كما اول
في قولهم نعم السير علي بيس العير اي علا عير بيس العير وقول الشاعر والله ما زيد
بنام صاحبه اي برجل نام صاحبه وهذه الاية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف القسم به

وقالت

وقالت صفته مقامه وقرا الجمهور منكم بكاف الخطاب والظاهر انه عام للخلق وانه ليس
الورود الدخول جهنم لجميعهم نص ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز علي الصراط لان
الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشي ولم يدخله كقوله تعالي ولما ورد ما مدين
ووردت القافلة البلد ولم تدخله ولكن قربت منه او وصلت اليه قال الشاعر
فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم وتقول العرب وردنا ماء بني تميم وبني
كلب اذا حضروهم ودخلوا بلادهم وليس يراد به الماء بعينه وقيل الخطاب للكفار اي قل لهم
يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول وعلي قول من قال الخطاب عام وان المومنين والكافرين
يدخلون النار ولكن لا تضر المومنين وذكروا كيفية دخول المومنين النار بما لا يعجبني نقله
في كتابي هذا الشناعة قولهم ان المومنين يدخلون النار وان لم تضرهم وقال الزمخشري
وقرا ابن عباس وعكرمة وان منهم بالها للغيبة علي ما تقدم من الضماير وقال الزمخشري ويجوز
ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعني بين واسم كان مضمر يعود
علي الورود اي كان ورودهم حتما اي واجبا قضي به وقرا الجمهور ثم بحرف العطف وهذا يدل
علي ان الورود عام وقرا عبد الله وابن عباس وابي وعلي والجحدري وابن ابي ليلي ومعوية بن
قرة ويعقوب ثم بفتح الثا اي هناك ووقف ابن ابي ليلي ثمه بها السكت وقرا الجمهور ننجي بفتح النون
وتشديد الجيم وقرا يحيي والاعمش والكسائي وابن محيصن باسكان النون وتخفيف
الجيم وقرات فرقة نجي بنون واحدة وجيم مشددة وقرا علي ننحي بحا مهملة مضارع نحي ومفعول
اتقوا محذوف اي الشرك والظلم هنا ظلم الكفرة واذا تتلي عليهم اياتنا بينات نزلت في النضر
ابن الحارث واصحابه كان فقرا الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون
يدهنون روسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير ومفاخر الملابس فقالوا للمومنين اي
الفريقين خير مقاما اي منزلا وسكنا واحسن نديا ولما قامت الحجة علي منكري البعث واتبعه
بما يكون يوم القيامة اخبر عنهم انهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا وذلك
عندهم يدل علي كرامتهم علي الله تعالي وقرا ابو حيوة والاعرج وابن محيصن يتلي بالياء والجمهور
بالتاء من فوق كان المومن يتلو علي الكافر القران ويدنوه بايات النبي صلي الله عليه وسلم فيقول
الكافر انما يحسن الله لاحب الخلق اليه وينعم علي اهل الحق ونحن قد انعم علينا دونكم فنحن اغنيا
وانتم فقرا ونحن احسن مجلسا واجمل شارة ومعني بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني
او ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين وبينات حال موكدة لان ايات الله تعالي لا تكون الا بهذا
الوصف دايما وقرا الجمهور مقاما بفتح الميم وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد والجعفي وابو
حاتم عن ابي عمرو بضم الميم فاحتمل الضم والفتح ان تكون مصدرا او موضع قيام او اقامة
وانتصابه علي التمييز ثم ذكر تعالي كثرة ما اهلك من القرون ممن كان احسن حالا منهم في الدنيا
تنبيها علي انه تعالي يهلكهم ويستاصل شافتهم كما فعل بغيرهم وان تعاظا لهم ان كانوا ممن يتعظ
ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من حسن الاثاث والذي ويعني املاك تكذيب لما جات به الرسل
ومن قرن تبيين لكم وكم مفعول باهلكنا وقال الزمخشري وهم احسن في محل النصب صفة
لكم الا تري انك لو تركتهم لم يكن لك بد من نصب احسن علي الوصفية انتهي وتابعه ابو البقا
علي انهم احسن صفة لكم ونص اصحابنا علي ان كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف
بها فعلي هذا يكون هم احسن في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن مشتمل علي افراد كثيرة فروعي
معناه ولو افرد الضمير علي اللفظ لكان عربيا كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون
وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد وتقدم تفسير الاثاث في سورة النحل
وقرا الجمهور وريا بالهمز من روية العين فعل بمعني مفعول كالطحن والسقي وقال ابن
عباس الري المنظر وقال الحسن معناه صورا وقال الزهري وابو جعفر وشيبة وطلحة
في رواية الهمداني وايوب وابن سعدان وابن ذكوان وقالون وريا بتشديد الياء من غير
همز فاحتمل ان يكون مهموزا الاصل من الروية والمنظر سهلت همزته بابدالها يا ثم ادغمت
اليا في اليا واحتمل ان تكون من الري ضد العطش لان الريان من الماله من الحسن والنضارة
ما يستحب ويستحسن كما له منظر حسن من وجه اخر مما يري ويقابل وقرا ابو بكر في رواية

الاعمش عن عاصم وحميد وريا بيا ساكنة بعدما همزة وهو على القلب ووزنه فعلا وكانه من ورا
قال الشاعر وكل خليل وال فهو قايل من اجلك اسل امامة اليوم اوعد • وترى وريا بيا بعدما
الف بعدها همزة حكاها اليزيدي واصله ورييا من المراة اى يرى بعضهم بعضا حسنه وقرا
ابن عباس فيما روي عنه طلحة وريا من غير همز ولا تشديد فتجاسر بعض الناس وقال هي
لحن وليس كذلك بل لها توجيه بان يكون من الورد وقلب فصار ووريا ثم نقلت حركة
الهمزة الى اليا وحذفت او بان يكون من الري وحذفت احدى اليايين تخفيفا كاحذفت في لا سيما
والمحذوفة الثانية لانها لام الكلمة لان الثقل انما حصل للكلمة بانضمامها اليها الاولى فهي اولى
بالحذف وقرا ابن عباس ايضا وابن جبير ويزيد البربري والاعمش المكي وزيا بالزاي مشدد
اليا وهي البزة الحسنة والالات المجتمعة المستحسنة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرايت
الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب
ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فليمدد يحتمل ان يكون على معناه من الطلب
ويكون دعا وكان المعنى الاضل منا ومنكم مده الله لما اي املى له حتى يوول الى عذابه وكان الدعا على
صيغة الطلب لانه الاصل ويحتمل ان يكون خبرا في المعنى وصورته صورة الامر كانه يقول من كان ضالا
من الامم فعادة الله انه يمد له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك الى عذابه في الاخرة وقال الزمخشري
اخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وكقوله تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والظاهر ان حتى غاية لقوله فليمدد والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم
فيها الى ان يعاينوا العذاب بنصرة الله المومنين او الساعة ومقدماتها وقال الزمخشري
في هذه الاية وجهان ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اى قالوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اى لا يبرحون يقولون هذا
القول ويتولعون به لا يتكافون عليه الا ان يشاهدوا الموعود راي العين اما العذاب
في الدنيا وهي غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله
على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينيذ يعلمون عند المعاينة
ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان
المومنين على خلاف صفاتهم انتهى هذا الوجه وهو في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قالوا اي
الفريقين وبين الغاية وبين الفصل بجملتي الاعتراض ولا يجيز ذلك ابو علي قال الزمخشري
والثاني ان تتصل بما يليها فذكر نحو ما قدمناه وقابل قولهم خير مكانا بقوله شر مكانا وقوله
واحسن نديا بقوله واضعف جندا لان الندى هو المجلس الجامع لوجوه القوم والاعوان
والانصار والجند هم الاعوان والانصار واما العذاب واما الساعة بدل من ما المفعولة
براوا ومن موصولة مفعوله بقوله فسيعلمون وتعدى الى واحد او استفهاميه والفعل قبلها
معلق والجملة في موضع نصب ولما ذكر امداد الضال في ضلالته وارتكابه في الافتخار بنعم الله
تعالى عقب ذلك بزيادة هدى للمهتدى وبذكر الباقيات هي بدل من تنعمهم في الدنيا الذي
يضمحل ولا يثبت وهو دامهمناه مرجعا وتقدم تفسير الباقيات الصالحات في الكهف وقال
الزمخشري يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
مدا ويمد له الرحمن ويزيد اى يزيد ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه
انتهى ولا يصح ان يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سوا كان دعا او خبرا بصورة الامر لانه
في موضع الخبر ان كانت من موصولة اي في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين
فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر
بالمبتدا او جملة الشرط بالجزا الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر
والمعطوف على الجملة الجزابية جزا واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان يكون في جملة

الجزا ضميره او ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوف عليها وقال الزمخشري هي خير ثوابا
من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد
وهل يرد بكاي زيدا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات
خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقه فاعتبوا بالصيلم وقوله فيجاجويها الذميل تلوكه
اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب
من التهكم الذي هو اغيظ للمهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير
كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتا اي ابلغ في حره
من الشتا في برده انتهى افرايت الذى كفر باياتنا نزلت في العاصي بن وايل عمل له خباب بن الارت
عملا قيما فلم يبني فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لا انصفك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك فقال العاصي او مبعوث انا بعد الموت
فقال خباب نعم قال فاذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد فعند ذلك اقضيك دينك وقال
الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض ولما كانت
روية الاشيا سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت بمعنى اخبر والفا للعطف
افادت التعقيب والدلالات على البعث وقرا الجمهور وولدا اربعتهن هنا وفي الزخرف بفتح اللام
والواو وباقي الخلاف في نوح وقرا الاعمش وطلحة وحمزة والكساي وابن ابي ليلى وابن عيسى
الاصبهاني بضم الواو واسكان اللام فعلى قراة الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظا فيه الافراد
وان كان مفرد اللفظ وعلى هذه القراة هل هو جمع كاسد واسد او احتج قايل ذلك بقول الشاعر
ولقد رايت معاشرا • قد ثمروا مالا وولدا • وقيل هو مرادف للولد بفتحتين واحتجوا بقوله •
فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار وقرا عبد الله ويحيى بن يعمر بكسر الواو و
سكون اللام والهمزة في اطلع للاستفهام ولذلك عادلتها ام وقرى بكسر الهمزة للابتداء
وحذفها في الوصل على تقدير حذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليها كقوله بسبع رمين الجمر
ام بثمان يريد ابسبع وجا التركيب في ارايت على الوضع الذى ذكره س من انها تتعدى لواحد
تنصبه ويكون الثاني استفهاما فاطلع وما بعده على خلاف هذا في الظاهر ينبغي ان يرد الى هذا
بالتاويل قال الزمخشري اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع
الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا وتقول مر مطلعا كذلك الامر اي عاليا له
والاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي
توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يوتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين
الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك والعهد قيل كلمة الشهادة
وقال قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله تعالى
اليه ان يوتيه ذلك وكلا ردع وتنبيه على الخطا اى هو مخطي فيما يصوره لنفسه ويتمادى
فليرتدع عنه وقرا ابو نهيك كلا بالتنوين فيهما هنا وهو مصدر من كل السيف اذا نبا عن
الضريبة وانتصابه على اضمار فعل من لفظه وتقديره كلوا كلا عن عبادة او عن الحق ونحو ذلك
وكنى بالكتابة عن ما يترتب عليها من الجزا فلذلك دخلت السين التي للاستقبال اى سنجازيه على
ما يقول وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما سيظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة
قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لييمة اى تبين وعلم بالانتساب انى لست ابن لييمة والثاني
ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان
واستاخر فجرد هنا لمعنى الوعيد انتهى وقرا الجمهور سنكتب بالنون والاعمش بيا مضمومة
والتا مفتوحة مبنيا للمفعول وذكرت عن عاصم ونمد اي نطول له من العذاب الذي
يعذب به المستهزون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد وقرا علي بن ابي طالب
ونمد له يقال مده وامده بمعنى ونرثه ما يقول اى نسلبه المال والولد فتكون كالوارث
له وقال الكلبي نجعل ما يتمنى من الجنة لغيره وقال ابو سهل نحرمه ما يتمناه من الولد والمال
ونجعله لغيره قال الزمخشري ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يوتيه الله في الدنيا مالا وولدا
وبلغت به اشعبيته ان تالى على الله تعالى في قوله تعالى لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتالى

على الله يكذبه نيقول الله عز وجل هنا انا اعطيناه ما اشتهاه اتا نرثه منه في العاقبة ومنه العلما
ورثة الانبيا اي حفظة ما قالوه انتهي وفردا يتضمن ذلته وعدم انصاره ويقول صلة ما
مضارع والمعنى على المضي اي ما قال والضمير في واتخذوا العبادة الاصنام وقد تقدم ما يعود
عليه وهم الظالمون في قوله وندرا الظالمين فكل ضمير جمع مما بعده عايد عليه ان كان مما يمكن عوده
عليه واللام في ليكونوا لام كي اي ليكونوا اي الالهة لهم عزا يتعززون بها في النصرة والمنفعة
والانقاذ من العذاب كلا قال الزمخشري كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالالهة وقرا ابو
نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف
والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد كلا والقايل ان يقول ان هذه الرواية
فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قوله قواريرا انتهي فقوله وقرا
ابو نهيك الذي ذكر بن خالوية وصاحب اللوامح وابن عطية ابو نهيك بالكنية وهو الذي
يحكي عنه القراة في الشواذ وانه قرا كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه ابو الفتح
وقال بن عطية وهو يعني كلا نعت للالهة قال وحكي عنه ابي عن ابي نهيك ابو عمرو
الداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون
او يتركون او يجحدون او نحوه واما قول الزمخشري وللقايل ان يقول الي اخره فليس بجيد لانه
قال انها التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب الفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد
لان قواريرا اسم رجع به الي اصله فالتنوين ليس بدلا من الف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع
مختلف فيه ايتحتم منع صرفه ام يجوز قولان ومنقول ايضا ان لغة للعرب ما لا ينصرف عند غيرهم
فهذا التنوين وما على قول من لا يري بالتحتم او على تلك اللغة وذكر الطبري عن ابي نهيك
انه قرا كل بضم الكاف ورفع اللام ورفعه على الابتدا والجملة بعده الخبر وتقدم ظاهر وهو الالهة
وتلاه ضمير في قوله ليكونوا في الاظهر ان الضمير في سيكفرون عايد على اقرب مذكور محدث عنه فالمعنى
ان الالهة سيجحدون عبادة هولا اياهم كما قال تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاهم وفي
اخرها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وتكون الهة هنا مخصوصا بمن يعقل او يجعل الله للالهة
غير العاقلة ادراكا تنكر به عبادة عابديه ويجوز ان يكون الضمير للمشركين ينكرون بسوء العاقبة
ان يكونوا كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لكن قوله ويكونون يرجح القول الاول لاتساق
الضماير لواحد وعلى القول الاخر مختلف الضماير اذ يكون في سيكفرون للمشركين وفي ويكونون
للالهة ومعنى ضدا اعوانا قاله بن عباس وقال الضحاك اعوانا قال بن زيد قرنا بلا وقال
بن عطية معناه يجيهم منهم خلاف ما كانوا املوه فيؤول بهم ذلك الي ذلة ضد ما املوه من العز فالضد هنا
مصدر وحذف به الجمع كما يوصف به الواحد وقال الزمخشري والضد العون وحد توحيد وهم
يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشي واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كونهم عونا
عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الي جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم
وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم
من احد او تسمع لهم ركزا ارسلنا معناه سلطنا اولم نخل بينهم وبينهم مثل قوله تعالى نقيض له شيطانا
وتعديته بعلى دليل على انه تسليط ويؤزهم يحوجهم الي الكفر وقال قتادة تزعجهم وقال بن زيد
تسليهم وقال الزمخشري تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا
بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شا لمنعهم والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات
التي ذكر فيها العتاة من الكفار واقاويلهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلت منه اي لا تعجل عليهم بان
يهلكوا فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة
تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون

لم

لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهي وقيل نعد اعمالهم فنجازيهم وقيل اجالهم اذا جا اجلنا العقوبة
لهم وقيل اياهم التي سبق فضنا وتنا ان نمهلهم اليها وقيل انفاسهم وانتصب يوم باذكر او احذر مضمرة
او على تقدير يكون ذلك جوابا لسوال مقدر تقديره متى يكون ذلك او فسيكفرون بعبادتهم
او بيكونون عليهم ضدا او معنى نعد ان يضمن العد والاحصا معنى المجازاة او بيوم نحشر
ونسوق نعقل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او بلا يملكون وكلها مقول في نصب يوم والاوجه
الاخير وعدي نحشر بالي الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صفة الرحمانية التي خصهم
بها كرامة اذ لفظ الحشر فيه جمع من اماكن متفرقة واقطار شاسعة على سبيل القهر فجات
لفظة الرحمن موذنة بانهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظ السوق فيه ازعاج وهوان عدي
بالي جهنم تقطيعا لهم وتبشيعا لحال مقرهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل
كما تفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عنده وعن علي كرم الله تعالي وجهه على
نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها ياقوت وعنه ايضا انهم يجيون ركبانا على النوق المحلاة
بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد وروي عمر بن قيس الملاي انهم يركبون على تماثيل
من اعمالهم الصالحة هي في غاية الحسن وروي انه يركب كل واحد منهم ما احب من ابل او خيل
او سفن تجي عايمة بهم والظاهر ان هذه الوفادة بعد انقضا الحساب وانها النهوض الي
الجنة كما قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر وشبهوا بالوفود لانهم سراة الناس واحسنهم
شكلا وليست وفادة حقيقية لانها تتضمن الانصراف من الوفود عليه وهولا مقيمون
ابدا في ثواب ربهم وهو الجنة والورد العطاش قاله بن عباس وابو هريرة والحسن
والورد مصدر وردا اي سارا الي الماء قال الراجز ردي وردي ورد قطاه صما كدرية اعجبها
برد الماء ولما كان من يرد الما لا يرده الا العطش اطلق الورد على العطاش تسمية للشي
بسببه وقرا الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق المجرمون مبنيا للمفعول والضمير
في لا يملكون عايد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذ هم منشاه والاستثنا متصل
وهو من بدل من ذلك الضمير او نصب على الاستثنا ولا يملكون استيناف اخبار وقيل موضعه
نصب على الحال من الضمير في لا يملكون ويكون عايدا على المجرمين والمعنى غير مالكين ان يشفع
لهم ويكون على هذا الاستثنا منقطعا وقيل الضمير في لا يملكون عايد على المتقين والمجرمين
والاستثنا متصل وقيل عايد على المتقين واتخاذ العهد هو العمل الصالح الذي يحصل به
في حيز من يشفع وتظافرت الاحاديث على ان اهل العلم والصلاح يشفعون فيشفعون وفي
الحديث ان في امتي رجلا يدخل الله تعالى بشفاعته الجنة اكثر من بني تميم وقال قتادة هو
كنا نحدث ان الشهيد يشفع في سبعين وقال بعض من جعل الضمير للمتقين المعنى لا يملك
المتقون الشفاعة الا لهذا الصنف فعلى هذا يكون من اتخذ للمشفوع فيهم وعلى التاويل
الاول يكون من اتخذ الشافعين فالتقدير على التاويل الثاني لا يملكون الشفاعة
لاحد الا من اتخذ فيكون في موضع نصب كما قال فلم يبح الاجفن سيف ومهزرا اي
لم يبح بشي الا جفن سيف وعلى هذا الاقوال الواو ضمير وقال الزمخشري ويجوز ان
يكون يعني الواو في لا يملكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ
لانه في معنى الجمع انتهي ولا ينبغي حمل القران على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو
ضميرا وذكر الاستاذ ابو الحسن بن عصفور انها لغة ضعيفة وايضا قالوا والالف والنون
التي تكون علامات لا ضماير لا يحفظ ما يجي بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية
او العطف اما ان ياتي بلفظ مفرد يطلق على جمع او على مثنى فيحتاج في اثبات ذلك الي
نقل واما عود الضماير مثناة ومجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع
فمسموع معروف في لسان العرب على انه يمكن قياس هذه العلامات على تلك
الضماير ولكن الاحوط ان لا يقال ذلك الا بسماع وقال الزمخشري ويجوز ان
ينتصب يعني من على تقدير حذف المضاف الا شفاعة من اتخذ والعهد هنا قال بن
عباس لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الحديث من قال لا اله الا الله محمد رسول
الله كان له عند الله عهد وقال السدي العهد الطاعة وقال بن جريج العمل الصالح

وقال الليث حفظ كتاب الله تعالى وقيل عهد الله اذنه لمن شا في الشفاعة من عهد الامير
الى فلان بكذا اى امره اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيه ويوبده ولا
تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن
يشا ويرضى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم اخبر انهم
لا يملكون الا العصاة المومنون فانهم سيشفع فيهم فيكون الاستثنا متصلا وفي الحديث
لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد لست لك
ولكنها لي انتهى وحمل المجرمون على الكفار والعصاة بعيد وقال ابن عطية ايضا ويحتمل ان
يراد بمن اتخذ محمدا عليه الصلاة والسلام وبالشفاعة الخاصة العامة للناس وقوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والضمير في لا يملكون لاهل الموقف انتهى وفيه بعض تلخيص
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير في قالوا عايد على بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله
وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملايكة
بنات الله تعالى لقد جيتم اي قل لهم يا محمد لقد جيتم او يكون التفاتا خرج من الغيبة
الى الخطاب زيادة ليستجيل عليهم بالجراة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم
ما قالوا وقرا الجمهور ادا بحذف المضاف واقيم المصدر مقامه وقرا نافع والكسايي يكاد
بالياء من تحت وكذا في الشوري وهي قراة ابي حيوة والاعمش وقرا باقي السبعة بالتاء
وقرا ينفطرن مضارع انفطر ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وابن عامر هنا وفي قراة ابي
عمرو والزهري وطلحة وحميد واليزيدي ويعقوب وابو عبيد وقرا باقي السبعة يتفطرن
مضارع تفطر والذي في الشوري قراه ابو عمرو وابو بكر عن عاصم بالياء والنون وباقي
السبعة بالياء والتاء والتشديد وقرا ابن مسعود يتصدعن وينبغي ان يجعل تفسيرا
لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه ولرواية الثقات عنه كقراة الجمهور وقال الاخفش
تكاد تريد وكذلك قوله اكاد اخفيها وانشد شاهدا على ذلك قول الشاعر •
• كادت وكدت وتلك خير ارادة • لو عاد من زمن الصبابة ما مضى • ولا حجة في هذا البيت المعروف
ان الكيد ودة مقاربة الشي وهذه الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة لبشاعة هذا
القول اي هذا حقه لو فهمت الجمادات قدره وهذا اسمع للعرب قال جرير لما اتى خبر الزبير
تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وقال الاخر فاصبح بطن مكة مقشعرا الحديث
صدعا في السما مبينا على ابن ليلى الحارث بن هشام فاصبح بطن مكة مقشعرا كان الارض ليس
بها هشام وقال الاخر بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه متضايل حادث الجولان
موضع وقال الزمخشري فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال
ومن اين تو ثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول
كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من كفره بها
لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض الاية والثاني
ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه
وان مثال ذلك في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر
منه وتنشق وتخر انتهى وقال ابن عباس ان هذا الكلام نزعت منه اهل السموات والارض
والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكدن ان يزلن منه تعظيما لله تعالى وقيل المعنى كادت
القيامة ان تقوم فان هذه الاشيا تكون حقيقة يوم القيامة وقيل تكاد السموات ينفطرن
اي تسقط عليهم وتنشق الارض اي تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تنطبق عليهم وقال
ابو مسلم تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وانتصب هدا عند النحاس
على المصدر قال لان معنى تخر تنهد انتهى وعلى هذا ان يكون هدا مصدرا لهد الحايط يهد
بالكسر هديدا وهدا وهو فعل لازم وقيل هدا في موضع الحال اي مهدودة وهذا على ان
يكون هدا مصدر هد الحايط اذا هدمه وهو فعل متعد واجاز الزمخشري الا يكون مفعولا
له اي لانها تنهد واجاز الزمخشري في ان دعوا ثلثة اوجه قال ان يكون مجرورا بدلا من
الها في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالما حاتم وهذا فيه

بعد لكثرة الفصل بين المبدل والبدل بجملتين قال ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضا
الفعل اي هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن وهذا فيه بعد لان الظاهر
ان هدا لا يكون مفعولا بل مصدر من معنى وتخر او في موضع الحال قال ومرفوعا بانه فاعل هدا اي
هدها دعا الولد للرحمن وهذا فيه بعد لان ظاهر هدا ان يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي
لا يعمل ولو فرضناه غير توكيد لم يعمل بقياس الا ان كان امرا او مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربا زيدا
على خلاف فيه واما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري اي هدها دعا الرحمن فلا ينقاس بل ما جا من
ذلك هو نادر كقوله وقوفا بها صحبي على مطيهم اي وقف صحبي وقال الحوفي وابو البقا ايضا هو
في موضع نصب مفعول له ولم يبينا العامل فيه وقال ابو البقا ايضا هو في موضع جر على تقدير اللام
قال وفي موضع رفع اي الموجب لذلك دعاوهم ومعنى دعوا سموا وهي تتعدى الى اثنين حذف الاول
منهما والتقدير سموا معبودهم ولدا للرحمن اي بولد لان دعا هذه تتعدى لاثنين ويجوز دخول
البا على الثاني تقول دعوت ولدي بزيد او دعوت ولدي زيدا وقال الشاعر •
• دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن • اخاها ولم ارضع لها بلبان • وقال اخر الا رب من يدعي نصيحا وان يغب
• تجده بغيب منك غير نصيح • وقال الزمخشري اقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم
والاحاطة بكل ما ادعي له ولدا وقال او من دعي بمعنى نسب الذي هو مطاوعه ما في قوله عليه
الصلاة والسلام من ادعي الى غير هو اليه وقول الشاعر • انا بني نهشل لا ندعي لاب • اي لا ننتسب
اليه انتهى وكون دعوا هنا بمعنى سموا هو قول الاكثرين وقيل دعوا بمعنى جعلوا وينبغي هو ع هـ
لغي بمعنى طلب اي وما يتاتي له من اتخاذ الولد لان التوالد مستحيل والتبني لا يكون الا فيما هو
من جنس المتبني وليس له تعالى جنس وينبغي ليس من الافعال التي لا تتصرف وهو غلط ومن
موصولة بمعنى الذي اي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لانها تاتي للجنس كقوله
تعالى والذي جا بالصدق ونحو كالذي حملتني احتمل وقال الزمخشري من موصوله لانها وقعت
بعد كل نكرة ووقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره انتهى والاولى جعلها موصولة
لان كونها موصوفة بالنسبة الى الموصول قليل وقرا عبد الله وابن الزبير وابو حيوة وطلحة وابو
بحريه وابن ابي عبلة ويعقوب الات بالتنوين الرحمن بالنصب والجمهور بالاضافة واتى خبر كل وانتصب
عبدا على الحال وتكرر لفظ الرحمن تنبيها على انه لا يستحق هذا الاسم غيره اذا اصول النعم وفروعها
منه ومن في السموات والارض يشمل من اتخذوه معبودا من الملايكة وعيسى وعزير تحكم ادعايهم
صحة التوالد او بحكم زعمهم ذلك فاشركوهم في العبادة اذ خدمة الانبيا خدمة الابا فاخبر تعالى
انه ما من معبود لهم في السموات او في الارض الا ياتي الرحمن عبدا منقادا لا يدعي لنفسه شيا
مما نسبوه اليه ثم ذكر تعالى انه احصاهم واحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته احد منهم وانتصب فردا
على الحال اي منفردا ليس معه احد ممن جعلوه شريكا له وخبر كلهم اتيه فردا وكلهم اذا اضيف
الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول انه يجوز ان يعود الضمير مفردا على لفظ كل
فتقول كلكم ذاهب ويجوز ان يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم بن اصبغ في كتاب
روس المسايل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جا لفظ الزمخشري في لفظة في تفسير
هذه الاية في الكشاف وكلهم يتقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وقد حدث في ذلك ابو زيد السهيلي
فقال كل اذا ابتديت وكانت مضافة لفظا يعني الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول
كلكم ذاهب اي كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسالة في القران والحديث والكلام الفصيح
فان قلت في قوله وكلهم اتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد قلنا بل هو اسم للجمع واسم الجمع
لا يخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان كان لفظ القوم كلفظ المفرد
وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى
ويحتاج في اثبات كلكم ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب اما ان حذف المضاف
المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان والسين في سيجعل للاستقبال فاحتمل ان يكون هذا الجعل
في الدنيا وجي باداة الاستقبال لان المومنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين
على الكفرة فوعدهم الله تعالى بذلك اذا ظهر الاسلام ونشا واحتمل ان يكون ذلك في الدنيا
على الاطلاق كما في الترمذي قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبوه

قال ينادي في السما ثم تنزل له المحبة في الارض قال الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الي اخر الحديث وقالوا هذا حديث صحيح قال بن عطية ويحتمل ان
تكون الاية متصلة بما قبلها في المعنى ان الله تعالى لما اخبر عن اتيان كل من في السموات والارض في حال
العبودية والانفراد انس المومنين بانه سيجعل لهم في ذلك اليوم ودا وهو ما يظهر عليهم من
كرامته لان محبة الله تعالى للعبد انما هي ما يظهر عليه من نعمه وامارات غفرانه انتهى وقال
الزمخشري واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الي خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان اعمالهم وقال ايضا والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير
تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة او صداقة
او اصطناع مبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتدا اختصاصا منه لاوليايه بكرامة خاصة
كما قذف في قلوب اعدايهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا انتهى وقيل في الكلام حذف
والتقدير سيدخلهم وذكر امنه ويجعل لهم ودا والسبب نزع الغل من صدورهم بخلاف الكفار
فانهم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وفي النار ايضا يتبرا بعضهم من
بعض وقرا الجمهور ودا بضم الواو وقرا ابو الحارث الحنفي بفتحها وقرا جناح بن حبيش
ودا بكسر الواو ونزلت هذه الاية في عبد الرحمن بن عوف كان اليهود والنصارى والمنافقون
يمقتونه وكان لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكا ذلك الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل نزلت في المهاجرين الي الحبشة مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم القى لهم ودا
في قلب النجاشي وذكر النقاش انها نزلت في علي بن ابي طالب وقال محمد بن الحنفية لا تجد مومنا
الا وهو يحب عليا كرم الله وجهه واهل بيته انتهى ومن غريب هذا ما انشدنا الامام اللغوي
رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي رحمه الله تعالى لزمنا ابن اسحق
النصراني الرسعني . عدي وتيم لا احاول ذكرهم . بسوء ولكني محب لهاشم . وما يعتريني في علي
ورهطه . اذا ذكروا في الله لومة لايم . يقولون ما بال النصارى تحبهم . واهل النهى من اعرب واعاجم .
فقلت لهم اني لاحسب حبهم . سرى في قلوب الخلق حتى البهايم . وذكر الفقيه الامام الوزير
ابو محمد بن حزم ان بغض علي من الكباير والضمير في يسرناه عايد على القران اي انزلناه عليك
ميسرا سهلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين لتبشر به المتقين اي تخبرهم بما
يسرهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم واللد جمع الد قال بن عباس لدا ظلمة وقال مجاهد
فجارا والحسن صما وابو صالح عوجا عن الحق وقتادة ذوي جدل بالباطل اخذين في كل لديد
بالمراء في كل جانب لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار بالاهلاك
بالعذاب والضمير في قوله قبلهم عايد على قوما لدا وهل تحس استفهام معناه النفي اي لا تحس
وقرا الجمهور تحس مضارع احس وقرا ابو حيوة وابو بحرية وبن ابي عبلة وابو جعفر المدني
تحس بفتح التا وضم الحا وقرى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات
وقرا حنظلة او تسمع مضارع اسمع مبنيا للمفعول قال بن عباس الركز الصوت الخفي وقال
بن زيد الحس وقال الحسن لما اتاهم عذابنا لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع وقيل
المعنى ماتوا ونسي ذكرهم فلا يخبر عنهم مخبر والله تعالى اعلم مفردات

سورة طه الثرى التراب الندي ويثنى ثريان ويقال ثريت القربة بللتها وتريث الارض
تثري ثريا فهي ثرية ابتل ترابها بعد الجدوبة واثرت فهي مثرية كثر ترابها وارض ثرى
ذات ثرى وقال بن الاعرابي يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط الذي يعد ولا يفي
ويقال اني لارى ثرى الغضب في وجه فلان اي اثره ويقال الثرى بيني وبين فلان اذا انقطع
ما بينهما وقال جرير فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى . فان الذي بيني وبينكم مثري .
انس وجد تقول العرب هل انست فلانا اي وجدته وهو قريب من وجد قال الحارث
ابن حلزة انست بناه وروعها القناص . عصرا وقد دنا الامسا . القبس جذوة من النار
تكون على راس عود او قصبة او نحوه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض يقال
قبست منه نارا اقبس فاقبسني اعطاني قبسا ومنه المقبسة لما يقتبس فيه من شعفة وغيرها
واقتبست منه نارا وعلما اي استفدته وقال المبرد اقتبست الرجل علما وقبسته نارا وقال

الكساي

الكساي اقبسته نارا وعلما وقبسته ايضا فيهما الخلع والنعل معروف وهو ما وقيت به القدم من الارض
وقبل النعل وهو وقاية للرجل من الارض كان من جلد او حديد او خشب او غيره طوى اسم موضع
السعي المشي بسرعة وقد تطلق على العمل ردي يردى ردى هلك ورداه اهلكه قال دريد بن
الصمة تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي توكا على الشي تحامل
عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكا توكات واتكات بمعنى وتقدمت هذه المادة في سورة
يوسف في قوله متكا وشرحت هنا لاختلاف الوزنين وان كان الاصل واحدا هش على الغنم
يهش بضم الها خبط اوراق الشجر لتسقط وهش الي الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب اذا نشط
واظهر الفرح به والاصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش الغنم معروف وهو اسم جنس
مونث المارب بضم الرا وفتحها وكسرها الحاجة ويجمع على مارب والاربة ايضا الحاجة
الحية الحنش يطلق على الذكر والانثى والصغير والكبير وتقدمت مادته وكررت هنا
لخصوصية المدلول وقولهم حوه للذى يصيد الحيات من قوة فالمادتان كسبط وسبطر الازر
الظهر قاله الخليل وابو عبيدة وازره قواه والازر ايضا القوة وقال الشاعر
بجينة قد ازرالضلال نبتها . مجر جيوش غانمين وخيب . القذف الرمي والالقا الساحل
شاطي البحر وهو جانبه الخالي من الما سمي بذلك لان الما يسحله اي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول
وقال ابو تمام الطاي . هو البحر من اي النواحي اتيته . فلجته المعروف والجود ساحله .

سورة طه بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات
العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى وهل اتاك حديث موسى
هذه السورة مكية بلا خلاف كان صلى الله عليه وسلم يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت
قاله علي رضي الله تعالى عنه وقال الضحاك صلى عليه السلام هو واصحابه فاطال القيام لما
انزل عليه القران فقالت قريش ما انزل عليه الا لشقى وقال مقاتل قال ابو جهل والنضر
والمطعم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت ومناسبة هذه السورة لاخر ما قبلها انه تعالى لما ذكر
تيسير القران بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم اي بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر
به المتقين وتنذر به قوما لدا اكد ذلك بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن
يخشى والتذكرة هي البشارة والنذارة وان ما ادعاه المشركون من انزاله للشقا ليس كذلك
بل انما نزل تذكرة والظاهر ان طه من الحروف المقطعة نحو يس والر وما اشبههما ومجاهد
وعطا وعكرمة معنى طه يا رجل فقيل بالنبطية وقيل الحبشية وقيل بالعبرانية وقيل لغة يمنية
في عك وفي عكل وقال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معنى طه
يا فلان وانشد الطبري في معنى يا رجل في لغة عك قول شاعرهم . دعوت بطه في القتال فلم يجب .
فخفت عليه ان يكون موايلا . وقول الاخر . ان السفاهة طه من خلايقكم . لا بارك الله في القوم الملاعين
وقيل هو اسم من اسما الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل من اسما الله تعالى وقال الزمخشري
ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فاختصروا على ها واثر الصنعة ظاهر
لا يخفى في البيت المستشهد به . ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين .
انتهى وكان قد قدم انه قال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخرص وتحزر على عك بما لا يقوله
نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب اليا التي للندا طا وكذلك
حذف اسم الاشارة في الندا واقرار ها التي للتنبيه وقيل طا فعل امر والهاء مفعول وقيل طا خففت
الهمزة بابدالها الفا وها مفعول وهو ضمير الارض اي طا الارض بقدميه ولا تراوح
اذ كان يراوح حتى تورمت قدماه وقرات فرقة منهم الحسن وعكرمة وابو حنيفة وورش
في اختياره طه قيل واصله طا فحذفت الهمزة بنا على ما قبلها في بطا على حد لا هناك
المرتع بني الامر عليه وادخلت ها السكت واجرى الوصل مجرى الوقف او اصله طا
وابدلت همزته ها فقيل طه وقرا الضحاك وعمرو بن فايد طاوي ما نزل عليك بنون
مضمومة وزاي مكسورة مشددة للمفعول القران بالرفع وقرا الجمهور ما انزلنا عليك

القران ومعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحرقك على ان يومنوا كقوله
تعالى لعلك باخع نفسك والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى
من رايض مهر قال الزمخشري اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا
لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل اريد رد ما قاله ابو جهل
وغيره مما تقدم ذكره في سبب النزول ولتشقى وتذكرة علة لقوله ما انزلنا وتعدى في لتشقى
باللام لاختلاف الفاعل اذ ضمير ما انزلنا هو الله وضمير لتشقى للرسول عليه الصلاة والسلام
ولما اتحد الفاعل في انزلنا وتذكرة اذ هو مصدر ذكر والمذكر هو الله وهو المنزل تعدي
اليه الفعل فنصب على ان في اشتراط اتحاد الفاعل خلافا والجمهور يشترطونه وقال
الزمخشري فان قلت اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله تعالى
ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة
في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين
لغيرها انتهى وليس كون ان تشقى اذا حذف الجار منصوبا متفقا عليه بل في ذلك خلاف
اهو منصوب تعدى اليه الفعل بعد اسقاط الحرف او مجرور باسقاط الجار وابقا عمله
وقال ابن عطية الا تذكرة يصح ان ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح ان ينصب باضمار
فعل تقديره لكن انزلناه تذكرة انتهى وقد رد الزمخشري تخريج ابن عطية الاول
فقال فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين
ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن انتهى ويعني باختلاف
الجنسين ان نصبة تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في لتشقى
بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي نقول انه ليس له محل البتة فيتوهم البدل
منه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحمل متاعب التبليغ
ومقاولة العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما
انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان تكون
تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يوول امره الى الخشية انتهى وهذا معنى متكلف بعيد
من اللفظ وكون الا تذكرة بدلا من محل لتشقى هو قول الزمخشري وقال النحاس هذا
وجه بعيد وانكره ابو علي من قبل ان التذكرة ليست بشقا وقال الحوفي ويجوز ان تكون
تذكرة بدلا من القران ويكون القران هو التذكرة واجاز هو وابو البقا ان يكون مصدرا
اي لكن ذكرنا به تذكرة قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون مفعولا له لانزلنا المذكور
لانه قد تعدى الى مفعول له وهو لتشقى ولا يتعدى الى اخر من جنسه انتهى والخشية باعثة
على الايمان والعمل الصالح وانتصب تنزيلا على انه مصدر لفعل محذوف اي نزل تنزيلا
ممن خلق الارض وقال الزمخشري في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل
حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا
لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى
مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين
انتهى والاحسن ما قدمناه اولا من انه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من
نصبه على غير ذلك متكلف اما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران
وجعل المصدر حالا لا ينقاس وايضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض
تذكرة فان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على
الاول لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها واما قوله لان معنى ما انزلناه الا تذكرة
انزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في قوله انزلناه تذكرة واما نصبه
على المدح فبعيد واما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لان يخشى راس اية وفاصلة فلا
يناسب ان يكون تنزيلا مفعولا بيخشى وقوله فيه وهو معنى حسن واعراب بين عجمة
وبعد عن ادراك الفصاحة وقرا ابن ابي عبلة تنزيل رفعا على اضمار هو وهذه القراة
تدل على عدم تعلق تنزيلا بيخشى وانه منقطع مما قبله فنصبه على اضمار نزل كما ذكرناه

ومن الظاهر انها متعلقة بتنزيل ويجوز ان تكون في موضع الصفة فتتعلق بمحذوف وفي قوله ممن
خلق تفخيم وتعظيم لشان القران اذ هو منسوب تنزيله الى من هذه افعاله وصفاته وتحقير لمعبوداتهم
وتحريض للنفوس على الفكر والنظر وكان في قوله ممن خلق التفات اذ فيها الخروج من ضمير المتكلم
وهو قوله انزلنا الى الغيبة وفيه عادة التفنن في الكلام وهو مما يحسن اذ لا يبقى على نظام واحد
وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم باسناد الانزال الى ضمير الواحد المعظم نفسه
ثم اسناده الى من اختص بصفات العظمة التي لم يشركه فيها احد فحصل التعظيم من الوجهين
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملايكة النازلين معه انتهى وهذا
تجويز بعيد بل الظاهر انه اخبار من الله تعالى عن نفسه والعلى جمع العليا ووصف السموات
بالعلى دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى والظاهر
رفع الرحمن على خبر مبتدا محذوف تقديره هو الرحمن وقال ابن عطية ويجوز ان يكون بدلا
من الضمير المستتر في خلق انتهى وارى ان مثل هذا لا يجوز لان البدل يحل محل المبدل منه فالرحمن
لا يمكن ان يحل محل الضمير لان الضمير عايد على من الموصولة وخلق صلته والرابط هو الضمير
فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط واجاز الزمخشري ان يكون رفع الرحمن على الابتدا قال يكون
مبتدا مشارا بلامه الى من خلق وروى جناح بن حبيش عن بعضهم انه قرا الرحمن بالكسر قال
الزمخشري صفة لمن خلق يعني لمن الموصولة ومذهب الكوفيين ان الاسما النواقص التي لا تتم
الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز ان يكون
الرحمن صفة لمن فالاحسن ان يكون الرحمن بدلا من من وقد جرى الرحمن في القران
مجرى العلم في ولايته العوامل وعلى قراة الجر ان كان بدلا كما ذهب اليه ابن عطية فكذلك او
مبتدا كما ذكره الزمخشري وفي موضع الخبر او خبر مبتدا كما هو الظاهر فيكون الرحمن والجملة
خبرين عن هو المضمرة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الاعراف وما روى عن ابن عباس
من الوقف على قوله على العرش ثم يبتدا استوى له ما في السموات على ان يكون فاعلا لاستوى
لا يصح ان شا الله ولما ذكر تعالى انه اخترع السموات والارض وانه استوى على العرش ذكر انه
تعالى له ملك جميع ما حوت السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى اي تحت الارض السابعة
قاله ابن عباس ومحمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل ما تحت
الثرى ما هو في باطن الارض فيكون ذلك توكيدا لقوله وما في الارض الا ان كان معنى الارض
ما هو عليها فلا يكون توكيدا او قيل المعنى ان علمه تعالى محيط بجميع ذلك لانه منشيه فعلى هذا
يكون التقدير له علم ما في السموات ولما ذكر تعالى اولا انشا السموات والارض وذكر ان جميع
ذلك وما فيها ملكه ذكر تعالى صفة العلم وان علمه تعالى لا يغيب عنه شي والخطاب بقوله
وان تجهر للرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد امته ولما كان الناس لا ياتي الا من جهة بالكلام
جا الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر اي اذا كان يعلم السر
فاحرى اي يعلم الجهر والسر مقابل للجهر كما قال تعالى يعلم سركم وجهركم والظاهر ان اخفى افعل
تفضيل اي واخفى من السر قال ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والاخفى ما تخفيه في نفسك
وقال الفرا وعن ابن عباس ايضا السر ما اسره في نفسه والاخفى ما خفي عليه مما هو فاعله
وهو لا يعلمه وعن قتادة قريب من هذا وقال مجاهد السر ما تخفيه من الناس واخفى منه الوسوسة
وقال ابن زيد السر سر الخلايق واخفى منه سره تعالى وانكر ذلك الطبري وقيل السر العزيمة
واخفى منه ما لم يخطر على القلب وذهب بعض السلف الى ان قوله تعالى واخفى هو فعل ماض لا افعل
تفضيل اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم ولا يحيطون
بشي من علمه ولا يحيطون به علما قال ابن عطية وهو ضعيف وقال الزمخشري وليس كذلك
قال فان قلت كيف طابق الجزا الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله تعالى من دعا وغيره فاعلم
انه غني عن جهرك فاما ان يكون جهرا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض
اخر انتهى والجلالة مبتدا ولا اله الا الله هو الخبر وله الاسما الحسنى خبر ثان ويجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف كانه قيل من الذي يعلم السر واخفى فقيل هو الله والحسنى تانيث الاحسن

ومنه المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة والاحسنية
كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية والافعال
التي لا يمكن صدورها الا منه تعالى وتقدس وذكروا ان هذه الاسماء التي قال فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وذكر
الترمذي مسنده وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من
لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها
على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا
تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك
من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى ولما ذكر سبحانه وتعالى تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله
صلى الله عليه وسلم اتبعه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد كما قال تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك
قال تعالى وهل اتاك حديث موسى وهذا استفهام تقرير يحث على الاصغاء لما يلقى اليه وقيل هل بمعنى
قد اي قد اتاك والظاهر خلاف هذا لان السورة مكية والظاهر انه لم يكن اعلمه على قصة موسى قبل هذا وقيل
انه استفهام معناه النفي اي ما اخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ونحن الان قاصون
قصته لتتسلى وتتاسى وكان من حديثه عليه السلام لما قضى اكمل الاجلين استاذن شعيبا عليه
السلام في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته واخته فاذن له وقد طالت مدة جنايته
بمصر ورجا خفاء امره فخرج باهله وماله وكان في فصل الشتاء واخذ على غير الطريق مخافة ملوك
الشام وامراته حامل فلا يدري اليلا تضع ام نهارا فسار في البرية لا يعرف طرقها فالجاها
المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد واخذ امراته الطلق
فقدح زنده فلم يور وقيل كان رجلا غيورا يصحب الرفقة ليلا ويفارقهم نهارا لئلا ترى امراته
فاضل الطريق قال وهب ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده راى نارا والظاهر ان اذ ظرف
للحديث لانه حدث واجاز الزمخشري ان تكون ظرفا لمضمر اي نارا كان كيت وكيت وان يكون
مفعولا لاذكر امكثوا اي اقيموا في مكانكم وخاطب امراته وولديه والخادم وقرا الاعمش
وطلحة وحمزة ونافع في رواية لاهله امكثوا وكذا في القصص والجمهور بكسرها اني آنست
اي احسست والنار على بعد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برايت والايناس اعم
من الرؤية لانك تقول آنست من فلان خيرا وقال الزمخشري الايناس الابصار البين
الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن
لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه
لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين
بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن
الوفاء به انتهى والظاهر انه راى نورا حقيقة وقال الماوردي كانت عند موسى نارا وهي
وكانت عند الله نورا قيل وقيل له انه نار قيل ولا يجوز هذا لان الاخبار بغير المطابق
لا يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولفظة على هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه ان
اهل النار يستعلون المكان القريب منها ولان المصطلين والمستمتعين اذا تكنفوها قياما
وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق وقال
ابن الانباري على بمعنى عند وبمعنى مع ومعنى الباء وذكر الزجاج انه ضل عن الماء فترجى ان يلقى
من يهديه الطريق او يدله على الماء وانتصب هدى على انه مفعول به على تقدير محذوف اي ذا هدى
او على تقدير حذف لانه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى هدى الطريق وقيل هدى الدين
قاله مجاهد وقتادة وهو بعيد وهو وان كان طلب من يهديه الطريق فقد وجد الهدى على
الاطلاق والضمير في اتاها عائد على النار فاذا هي مضطرمة في شجرة خضراء يانعة عناب قاله ابن

عباس وقيل سمرة قاله عبد الله وقيل عوسج قاله وهب وقيل عليقة من قتادة
ومقاتل والكلبي فكان كلما قرب منها تباعدت فاذا ادبر اتبعته فايقن ان هذا امر من
امور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة والقيت عليه
السكينة ونودي وهو تكليم الله اياه وقرا الجمهور اني بكسر الهمزة على اضمار القول
عند البصريين وعلى معاملة النداء معاملة القول لانه ضرب منه على مذهب الكوفيين
وانا مبتدا او فصل او توكيد لضمير النصب وفي هذه الاعاريب حصل التركيب لتحقيق
المعرفة واماطة الشبهة وقرا ابن كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة والظاهر ان التقدير
باني انا ربك وقال ابن عطية على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك ونودي قد يوصل
بحرف الجر وانشد ابو علي ناديت باسم ربيعة بن مكدم ان المنوه باسمه الموثوق انتهى
وعلم بان الله ناداه هو ان الله تعالى حصل له بالضرورة خلقا منه تعالى فيه او بالاستدلال
بالمعجزة وعن المعتزلة لا يكون ذلك الا بالمعجز فمنهم من عينه ومنهم من قال لا يلزم
ان يعرف ما ذلك المعجز قالوا ولا يجوز ان يكون ذلك بالعلم الضروري لانه ينافي التكليف
والظاهر ان امره تعالى اياه بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما يخلع عند الملوك
غاية في التواضع وقيل كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف
وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقول عكرمة وقتادة
والسدي ومقاتل والكلبي والضحاك وقيل كانت من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما ليباشر
بركة الوادي المقدس وتمس قدماه بركة تربته وروي انه خلع نعليه والقاهما من
وراء الوادي والمقدس المطهر وطوى اسم علم عليه فيكون بدلا او عطف بيان وقرا الحسن
والاعمش وابو حيوة وابن ابي اسحق وابو السمال وابن محيصن بكسر الطاء منونا
وقرا الكوفيون وابن عامر بضمها منونا وقرا الحرميان وابو عمرو بضمها غير منون وقرا
ابو زيد عن ابي عمرو بكسرها غير منون وقرا عيسى بن عمرو والضحاك طاوي ذهب فمن نون
فعلى تاويل المكان ومن لم ينون وضم الطاء فيحتمل ان يكون معدولا عن فعل نحو زفر وقثم او هو
اعجميا او على معنى البقعة ومن كسر ولم ينون فمنع الصرف باعتبار البقعة وقال الحسن
طوى بكسر الطاء والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين فهو بوزن الثنا
وبمعناه وذلك لان الثنا بالكسر والقصر الشيء يكرر وكذلك الطوى على هذه القراءة
وقال قطرب طوى من الليل اي ساعة من الليل لانه نودي بالليل فلحق الوادي تقديس
مجدد اي انك بالوادي المقدس ليلا وقرا السلمي وابن هرمز والاعمش في رواية وانا
بكسر الهمزة والالف بغير نون بلفظ الجمع دون معناه لانه من خطاب الملوك
اخترناك بالنون والالف عطفا على اني انا ربك لانهم كسروا ذلك ايضا والجمهور وانا
اخترتك بضمير المتكلم المفرد غير المعظم نفسه وقرا ابي واني بفتح الهمزة ويا
المتكلم اخترتك بتاء عطفا على اني انا ربك ومفعول اخترتك الثاني المتعدي اليه بمعنى
محذوف تقديره من قومك والظاهر ان لما يوحى من صلة استمع وما بمعنى الذي وقال
الزمخشري لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك انتهى ولا يجوز
التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فيجب او يختار اعادة الضمير مع الثاني فكان
يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من اعمال الثاني وقال ابو الفضل الجوهري لما قيل
لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع
يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف ليستمع وكان كل لباسه صوفا وقال
وهب ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم
على العمل وذلك هو الاستماع لما يحب الله وحذف الفاعل في يوحى للعلم به وتحسنه كونه
فاصلة فلو كان مبنيا للفاعل لم تكن فاصلة والموحى قوله انني انا الله الى آخره ومعناه وحدني
كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون جاء الى آخره جاء تبيينا وتفسيرا للاجمال
في قوله لما يوحى وقال المفسرون فاعبدوني ووحدني كقوله وما خلقت الجن والانس

الا ليعبدون معناه ليوحدوني والاولى ان يكون فاعبدني لفظ يتناول ما كلفه به من
العبادة ثم عطف عليه ما هو قد يدخل تحت ذلك المطلق فبدا بالصلاة اذ هي افضل الاعمال وانفعها
في الاخرة والذكر مصدر يحتمل ان يضاف الى الفاعل لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلي لي او
لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها ويحتمل ان يضاف
الى المفعول اي لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان صدق او لان تذكرني خاصة لا تشوبه
بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا تراي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا
غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال
تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله تعالى
ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا واللام على هذا القول مثلها في قوله اقم الصلاة
لدلوك الشمس وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله صلى الله عليه وسلم من نام
عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الزمخشري وكان حق العبارة ان يقال لذكرها
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد
ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل
في الحقيقة انتهى وفي الحديث بعد قوله فليصلها اذا ذكرها قال الزمخشري قوله لا كفارة
لها الا ذلك ثم قرا واقم الصلاة لذكري وقرا السلمي والنخعي وابو رجا للذكرى بلام التعريف
والف التانيث فالذكرى بمعنى التذكرة اي لتذكرتي اياك اي ذكرتك بعد نسيانك
اقامتها وقرات فرقة لذكري بالف التانيث بغير لام التعريف وقرات فرقة للذكر ولما ذكر
تعالى الامر بالعبادة واقامة الصلاة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد للجزا فقال ان
الساعة اتية وهي التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزا ذلك اما ثوابا واما عقابا وقرا
ابو الدردا وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح الهمزة ورويت عن ابن كثير وعاصم
بمعنى اظهرها اي انها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر لكن تاخرت الى الاجل المعلوم
وتقول العرب خفيت الشي اي اظهرته وقال الشاعر خفاهن من اتيانهن كانما • خفاهن ودق
من عشي مجلب وقال اخر • فان تدفنوا الدا لا نخفه • وان توقدوا الحرب لا نقعد •
واللام لتجزى على هذه القراة متعلقة باخفيها اي اظهرها لتجزى كل نفس وقرا الجمهور اخفيها
بضم الهمزة مضارع اخفى بمعنى ستر والهمزة هنا للازالة اي ازالة الخفا وهو الظهور
واذا ازالت الظهور صار للستر كقولك اعجمت الكتاب ازلت عنه العجمة وقال ابو علي هذا
من باب السلب ومعناه ازيل عنها خفاها وهو سترها واللام على قراة الجمهور قال صاحب اللوامح
متعلقة باتية كانه قال ان الساعة اتية لتجزى انتهى ولا يتم ذلك الا اذا قدرنا اكاد
اخفيها جملة اعتراضية فان جعلتها في موضع الصفة لاتية فلا يجوز ذلك على راي البصريين
لان اسم الفاعل لا يعمل اذا وصف قبل اخذ معموله وقيل اخفيها بضم الهمزة بمعنى اظهرها
فتتحد القراتان واخفى من الاضداد بمعنى الاظهار وبمعنى الستر قال ابو عبيدة خفيت
واخفيت بمعنى واحد وقد حكاه ابو الخطاب وهو رئيس من روسا اللغة لا شك في صدقه
والاكثر ان اكاد من افعال المقاربة لكنها مجازها هنا ولما كانت الاية عبارة عن شدة اخفا امر القيامة
ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اهيب على النفوس بالغ في ابهام وقتها فقال
اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن لا بد من ظهورها وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد فالمعنى اريد
اخفاها وقاله الاخفش وابن الانباري وابو مسلم قال ابو مسلم ومن امثالهم لا افعل ذلك
ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقالت فرقة خبر كاد محذوف تقديره اكاد اتي بها لقربها
وصحة وقوعها كما حذف في قول ضابي البرجمي هممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان
تبكي حلايله • اي وكدت افعل وتم الكلام ثم استانف الاخبار بانه يخفيها واختاره النحاس
وقالت فرقة معناه اكاد اخفيها من نفسي اشارة الى شدة غموضها على المخلوقين وهو
مروي عن ابن عباس ولما راى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي من تلقاي
ومن عندي وقالت فرقة اكاد زايدة لا دخول لها في المعنى بل الاخبار ان الساعة اتية وان
الله يخفي وقت اتيانها وروي هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة اكاد بقوله

تعالى

تعالى لم يكد يراها وبقول زيد الخيل سريع الى الهيجا شاك سلاحه • فما ان يكاد قرنه يتنفس
وقال الاخر وان لا الوم النفس مما اصابني • وان لا اكاد بالذي نلت انجح • ولا حجة في شي من
هذا وقال الزمخشري اكاد اخفيها فلا اقول هي اتية لفرط ارادتي اخفاها ولولا ما في الاخبار
باتيانها مع تعميه وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل
في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي
اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها انتهى ورويت
هذه الزيادة ايضا عن ابي ذكر ذلك ابن خالويه وفي مصحف عبد الله اكاد اخفيها من نفسي
فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القرات وكيف اظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة
العرب من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشي قال كدت اخفيه من نفسي والله عز وجل
لا يخفى عليه شي قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر • ايام تصحبني هند واخبرها •
ما كدت اكتمه عني من الخبر • وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة قوله عليه
الصلاة والسلام ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والضمير في اخفيها
عايد على الساعة والساعة يوم القيامة بلا خلاف والسعي هنا العمل والظاهر ان الضمير
في عنها وبها عايد على الساعة وقيل على الصلاة وقيل عنها عن الصلاة وبها اي بالساعة
وابعد جدا من ذهب الى ان الضمير في عنها يعود على ما تقدم من كلمة لا اله الا انا فاعبدني
والظاهر ان الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه الصلاة والسلام ولا يلزم من النهي عن
الشي امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي ان يكون لفظا له وللسامع غيره ممن
يتوقع ذلك منه وابعد من ذهب الى انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولامته معنى
وقال الزمخشري فان قلت العبارة النهي من لا يومن عن صد موسى عليه السلام والمقصود
نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن
التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا رينك
ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رويته اياه فكان ذكر المسبب
دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث
انه يطمع في صدك عما انت عليه وفتردى يجوز ان يكون منصوبا على جواب النهي وان يكون
مرفوعا اي فانت تردى وقرا يحيى فتردى بكسر التا وما تلك بيمينك يا موسى هو تقرير
مضمنه التنبيه وجمع النفس لما يورد عليها وقد علم تعالى في الازل ما هي وانما ساله
ليريه عظم ما يخترعه تعالى في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة ويتقرر في نفسه
المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتنبيه على قدرته الباهرة وما استفهام
مبتدا وتلك خبره وبيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل اسم الاشارة
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره
وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز ان يكون اسم الاشارة
موصولا حيث يتقدر بالموصول كانه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور
محذوفا كانه قيل وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السوال وما قبله من خطابه تعالى لموسى
استيناس عظيم وتشريف كريم قال هي عصاي وقرا ابن ابي اسحق والجحدري عصي بسكون
اليا اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف وهذه زيادة في الجواب كما جاوا لطهور
ماوه الحل ميتته في جواب من سال انتوضا بما البحر وكما جا في جواب الهداج قال نعم ولك
اجر وحكمة زيادة موسى رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى وازدياد لذاذته بذلك كما
قال • واملي عتاب يستطاب فليتني • اطلت ذنوبي كي يطول عتابه • وتعداد نعمه عليه
بما جعل له فيها من المنافع وتضمنت هذه الزيادة تفصيلا في قوله اتوكا عليها واهش بها
على غنمي واجمالا في قوله ولي فيها مارب اخرى وقيل انتوكا عليها جواب لسوال اخر وهو انه لما
قال هي عصاي قال له فما تصنع بها قال اتوكا عليها الاية وقيل ساله تعالى عن شي عن العصا
وهو قوله وما تلك وبقوله بيمينك عما يملكه فاجابه عن وما تلك بقوله هي عصاي وعن قوله

بيمينك بقوله اتوكا عليها واهش بها الي اخره انتهي والتحقيق ليس قوله بيمينك بسوال
وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله اتوكا عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله واهش
وقرا الجمهور واهش بضم الها والشين المعجمة والنخعي بكسرها كذا ذكر ابو الفضل
الرازي وبن عطية ومي بمعني المضمومة الها والمفعول محذوف وهو الرزق قال ابو الفضل
ويحتمل ذلك ان يكون من هش يهش هشاشة اذا مال اي اميل بها على غنمي بما اصلحها من
السوق وتكسير العلف ونحوهما يقال منه هش الرزق والكلا والنبات اذا جف ولان انتهي
وقرا الحسن وعكرمة واهس بالها والسين غير المعجمة والهس السوق ومنه ذلك الهش
والهشاش غير معجمة في الصفات ونقل بن خالويه عن النخعي انه قرا واهش بضم الهمزة من
اهش رباعيا وذكر صاحب اللوامح عن عكرمة ومجاهد واهش بضم الها وتخفيف
الشين قال ولا اعرف وجهه الا ان يكون بمعنى العامة لكن فر القراة من التضعيف لان
الشين فيه نفس فاستثقل الجمع بين التضعيف والنفسي فيكون كتخفيف ظلت ونحوه
وذكر الزمخشري عن النخعي انه قرا واهش بضم الهمزة والشين المعجمة من اهش
رباعيا قال وكلاهما من هش الخبز اذا كان متكسرا لهشاشة ذكر على التفصيل والاجمال
المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله
تعالي فقال ما هي الا عصا لا منافع نبات جنسها كما تنفع العيدان ليكون جوابه مطلقا
للغرض الذي فهمه من فحوي كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان تعدد المواثق الكثيرة
التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريد على عقب ذلك الاية العظيمة كانه
يقول اين انت عن هذه المنفعة العظمي والمارية الكبري المنسية عندها كل منفعة ومارية
كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا اسم العصى تبغد انتهي وقرات فرقة غنمي بسكون
النون وفرقة علي غنمي بايقاع الفعل علي العصا والمارب ذكر المفسرون انها كانت
ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار القى على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل واذا
قصر رشاوه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات
انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهي ثمرة ركزها فاورقت واثمرت
وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويركزها من بيت عصا الانبيا التي
كانت عند بيت شعيب حين اتفقا علي الرعية هبط بها ادم من الجنة وطولها عشرة
اذرع وقيل اثنتي عشرة بذراع موسى عليه السلام وعامل المارب وان كان جمعا معاملة الواحدة
المونثة فاتبعها صفتها في قوله اخري ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جايز في غير الفواصل
وكان اجود واحسن في الفواصل وقرا الزهري وشيبة مارب بغير همز كذا قال الاهوازي
في كتاب الاقناع في القراات وبعني والله اعلم بغير همز محقق وكانه يعني انها سهلاها
بين بين قال القها الظاهر ان القايل هو الله تعالي ويبعد قول من قال ويجوز ان
يكون الفاعل الملك باذن الله تعالي ومعنى القها اطرحها على الارض ومنه قول الشاعر
• فالقت عصاها واستقرت بها النوى • واذا هي التي للمفاجاة والحية تطلق على الصغير
والكبير والذكر والانثي والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا تنافي
بين تشبيهها بالجان في قوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان وبين كونها ثعبانا لان تشبيهها
بالجان هو في اول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا او شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة
حركتها واهتزازها مع عظم خلقها قيل كان لها عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا
لها فما وبين لحييها اربعون ذراعا وعن بن عباس انقلبت ثعبانا تبلع الصخر والشجر
والمحجن عنقا وعيناها تتقدان فلما راي هذا الامر العجيب الهايل لحقه ما يلحق البشر
عند رؤية الاهوال والمخاوف لاسيما هذا الامر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى
تنتقل وتمشي بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تانيسه بهذا المعجز الهايل حتى

يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت اذ قد جرت له بذلك عادة وتربية في تلقي
تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم امره تعالي بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان يخاف
منها وذلك حين ولي مدبرا ولم يعقب وقيل انما خافها لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما
قال الله تعالى له لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ
بلحييها وبيعة ما ذكروه مكي في تفسيره انه قيل له خذها مرة وثانية حتى قيل له خذها
ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولي فاخذها في الثالثة لان منصب النبوة لا يليق ان يامر
ربه تعالى وتقدس مرة وثانية فلا يمتثل ما امر به وحين اخذها بيده صارت عصا والسيرة
من السير كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الي معني
المذهب والطريقة وقيل سير الاولين قال الشاعر • فلا تغضبن من سيرة انت سرتها •
فاول راض سيرة من يسيرها • واختلفوا في اعراب سيرتها فقال الحوفي مفعول ثان لسنعيدها
على حذف الجار مثل واختار موسى قومه يعني الي سيرتها قال ويجوز ان يكون بدلا من مفعول
سنعيدها وقال هذا الثاني ابو البقا قال بدل اشتمال اي صفتها وطريقتها وقال
الزمخشري يجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولي اي في حال ما كانت
عصا انتهي وسيرتها وطريقتها انتهي ظرف مختص فلا يتعدى اليه الفعل على طريقة الظرفية
الا بوساطة في ولا يجوز الحذف الا في ضرورة او فيما شذت فيه العرب قال الزمخشري
ويجوز ان يكون مفعولا من عادة بمعني عادت اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عدا
فيتعدى الي مفعولين انتهي وهذا هو الوجه الاول الذي ذكره الحوفي قال ووجه
ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعني انها انشيت
اول ما انشيت عصى ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا
ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولي يعني سنعيدها سايرة سيرتها الاولي حيث
كنت تتوكا عليها ولك فيها المارب التي عرفتها انتهي والجناح حقيقة في الطاير والملك ثم
توسع فيه فاطلق على اليد وعلى العضد وعلى جنب الرجل وقيل لمجنبتي العسكر جناحان على
سبيل الاستعارة وسمي جناح الطاير لانه يجنح به عند الطيران ولما كان المرعوب من ظلمة
او غيرها اذا ضم يده الي جناحه فيه رعبه وربط جاشه امر تعالى ان يضم يده الي جناحه
ليقوى جاشه ولتظهر له هذه الاية العظيمة في اليد والمراد الي جنبك تحت العضد ولهذا
قال تخرج فلو لم يكن دخول لم يكن خروج كما قال في الاية الاخري وادخل يدك في جيبك تخرج
وفي الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير
واضمم يدك الي جناحك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الاول وابقى مقابله ومن الثاني وابقى
مقابله وهو اضمم لانه بمعني ادخل كما بين في الاية الاخري تخرج بيضا من غير سوء فلما خرجت
بيضا تشف وتضي كانها شمس وكان ادم اللون وانتصب بيضا على الحال والسوء الرداة
والقبح في كل شي فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكما كنوا عن حرمته وكان ابرص
بالابرص والبرص ابغض شي الي العرب وطباعهم تنفر عنه واسماعهم تمج ذكره فكني عنه وقوله
من غير سوء متعلق ببيضا كانه قال ابيضت من غير سوء وقال الحوفي من غير سوء في موضع
النعت لبيضا والعامل فيه الاستقرار انتهي ويقال له عند ارباب البيان الاحتراس لانه
لو اقتصر على قوله بيضا لاوهم ان ذلك من برص او بهق وانتصب اية على الحال وهذا على مذهب
من يجيز تعدد الحال لذي حال واحدة واجاز الزمخشري ان يكون منصوبا على اضمار
خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال فاما تقديره خذ فسايغ واما دونك
فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغرا فلا يجوز ان يحذف النايب والمنوب عنه ولذلك لم
يجز اجراوه في جميع احكامه واجاز الحوفي وابو البقا ان يكون اية بدلا من بيضا واجاز ابو
البقا ان تكون حالا من الضمير في بيضا اي مضيئة وقيل منصوب بمحذوف تقديره جعلناها
اية او اتيناك اية واللام في لنريك قال الحوفي متعلقة باضمم ويجوز ان تتعلق بتخرج وقال
ابو البقا تتعلق بهذا المحذوف بمعنى المقدر جعلناها او اتيناك ويجوز ان تتعلق بما دل
عليه اية اي دللنا بها لنريك وقال الزمخشري اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا

حية لنريك بها تين الايتين بعض اياتنا الكبري او لنريك بهما الكبري او لنريك من
اياتنا الكبري فعلنا ذلك ومعني انه اجاز ان يكون مفعولا لنريك الثاني الكبري او يكون
من اياتنا في موضع المفعول الثاني ويكون الكبري صفة لاياتنا على حد الاسما الحسني ومارب
اخري يجريان مثل هذا الجمع مجري الواحدة المونثة واجاز هذين الوجهين من الاعراب
الحوفي وبن عطية وابو البقا والذي نختاره ان تكون من اياتنا في موضع المفعول
الثاني والكبري صفة لاياتنا لانه يلزم من ذلك ان يكون تعالي اراه كلها وهي الكبري لان
ما كان بعض الايات الكبري صدق عليه انه الكبري واذا جعلت الكبري مفعولا لم تتصف
الايات بالكبري لانها هي المتصفة بافعل التفضيل وايضا اذا جعلت الكبري مفعولا فلا يمكن
ان يكون صفة للعصي واليد معا لانهما كان يلزم التثنية في وصفيهما فكان تكون التركيب
الكبريين ولا يمكن ان يخص احدهما لان كلا منهما فيهما معني التفضيل وبيعد ما قال الحسن
من ان اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك من اياتنا الكبري لانه
جعل الكبري مفعولا ثانيا لنريك من اياتنا الكبري وجعل ذلك راجعا الي الاية القريبة
وهي اخراج اليد البيضا من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس في اليد الا تغيير اللون
وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضا المختلفة وابتلاع الشجر والحجر
ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا فكانت اعظم من اليد ولما اراد الله تعالي
ها تين المعجزتين العظيمتين في نفسه وفيما بلابسه وهو العصا امره بالذهاب الي فرعون
رسولا من عنده تعالي وعلل حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغي وخص فرعون وان كان مبعوثا
اليهم كلهم لانه راس الكفرة ومدعي الالهية وقومه اتباعه قال بن وهب قال الله تعالي
له عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي ارعاك بعيني وسمعي وان معك
يدي ونصري والبسك جنة من سلطاني تستكمل بها العزة في امري ابعثك الي خلق ضعيف
من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتي جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا
الحجة والقدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي
وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الي عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا فان
ناصيته بيدي لا يطرق ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسي سبعة ايام
وقيل اكثر فجاءه ملك فقال انفذ ما امرك ربك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه
في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سولك يا موسي ولقد
مننا عليك مرة اخري اذ اوحينا الي امك ما يوحي ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه
اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع علي عيني اذ تمشي
اختك فتقول هل ادلكم علي من يكفله فرجعناك الي امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا
فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جيت علي قدر يا موسي واصطنعتك
لنفسي لما امره تعالي بالذهاب الي فرعون عرف انه كلف امرا عظيما يحتاج معه الي احتمال
ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فسال ربه ورغب في ان يشرح صدره ليحتمل ما يرد
عليه من الشدايد التي يضيق لها الصدر وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه
وما يصحبها من مزاولة جلايل الخطوب وقد علم ما عليه فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط
وقال بن جريج معناه وسع لي صدري لاعي منك ما تودعه من وحيك وقال الكرماني
وسع قلبي ولينه لفهم خطابك واداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من اعبايها والعقدة
استعارة لثقل كان في لسانه خلقة وقال مجاهد كانت من الجمرة التي ادخلها فاه وكانت
اسية قد القي الله محبته في قلبها ان لا تذبحه فبينما هي ترقصه يوما اخذه في حجره
فاخذ خصلة من لحيته وقيل لطمه وقيل ضربه بقضيب كان في يده فغضب فرعون
فدعا بالسياف فقالت انما هو صبي لا يفرق بين الياقوت والجمر فاحضرا واراد ان يمد
يده الي الياقوت فجعل جبريل يده الي الجمرة فاخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه
انتهي واحراق النار وتاثيرها في لسانه لا في يده دليل علي فساد قول القايلين بالطبيعة عن

بن عباس

بن عباس كانت في لسانه رثة وقيل حدثت العقدة بعد المناجاة حتي لا يكلم احدا بعدها
قال قطرب كانت فيه مسكة عن الكلام وقال بن عيسي العقدة كالتمتمة والفافاة وطلب
موسي من انحلال العقدة قدر ما يفقه قوله قيل وبقي بعضها بقوله واخي هارون هو افصح
مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين فقيل زالت لقوله قد اوتيت سولك يا موسي وهو قول
الحسن قيل وهو ضعيف لانه لم يقل احلل العقدة بل قال عقدة فاذا حل عقدة فقد اتاه
الله سوله وقيل في قوله ولا يكاد يبين ان معناه لا ياتي ببيان وحجة وانما قال ذلك
فرعون تمويها وقد خاطبه وقومه وكانوا يفهمون عنه فكيف يمكن نفي البيان اومقاربته
وقال الزمخشري فان قلت لي من قوله اشرح لي صدري ويسر لي ما جدواه والكلام
بدونه متسبب قلت قد ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم
مشروحا وميسورا ثم بين ورفع الابهام فذكرهما فكان اكدا لطلب الشرح
ولتستر الصدر وامره ان يقول اشرح صدري ويسر امري علي الايضاح الشارح انه
لا تكرير في المعني الواحد من طريق الاجمال والتفصيل وقال ايضا وقال ايضا في تنكير
العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها اذا راه ان يفهم عنه فهما
جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد
لساني انتهي ويظهر ان من لساني متعلق باحلل لان موضع الصفة لعقده وكذا قال
الحوفي واجاز ابو البقا الوجهين والوزير المعين القايم بوزر الامور اي بثقلها فوزير
الملك يتحمل عنه اوزاره ومونه وقيل من الوزر وهو الملجا يلتجي اليه الانسان قال
الشاعر • من السباع الضواري دونه وزر • والناس شرهم ما دونه وزر •
• كم معشر سلموا لم يوذهم سبع • وما تري بشرا لم يوذهم بشر • فالملك يعتصم
برايه ويلتجي اليه في اموره وقال الاصمعي هو من الموازرة وهي المعاونة والمساعدة
والقياس وكذا قال الزمخشري قال وكان القياس ازير فقلبت الهمزة الي الواو
ووجه قلبها ان فعيلا جا بمعني مفاعل مجيا صالحا كعشير وجليس وقعيد وخليل ونديم
وصديق فلما قلبت في اخيه قلب فيه وحمل الشي علي نظيره ليس بعزيز ونظرا الي موازر
واخوانه والي الموازرة انتهي ولا حاجة الي ادعا قلب الهمزة واوا لان لنا اشتقاقا واضحا
هو الوزر واما قبلها في الوازر فلاجل ضمة ما قبل الواو وهو ايضا ابدال غير لازم وجوزوا
ان يكون لي وزيرا مفعولين لاجعل وهارون بدلا او عطف بيان وان يكون وزيرا وهارون
مفعوليته وقدم الثاني اعتنا بامر الوزارة واخي بدل من هارون في هذين الوجهين
قال الزمخشري وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن انتهي ويبعد فيه عطف البيان
لان الاكثر في عطف البيان ان يكون الاول دونه في الشهرة والامر هنا بالعكس وجوزوا
ان يكون وزيرا من اهلي هما المفعولان ولي مثل قوله ولم يكن له كفوا احد يعنون انه به
يتم المعني وهارون علي ما تقدم وجوزوا ان ينتصب هارون بفعل محذوف اي اضمم
الي هارون وهذا لا حاجة اليه لان الكلام تام بدون هذا المحذوف وقرا الحسن وزيد
بن علي وبن عامر اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها فعلا مضارعا مجزوما علي جواب
الامر وعطف عليه واشركه في امري وقال صاحب اللوامح عن الحسن انه قرا اشدد
به مضارع شدد للتكثير والتكرير اي كلما حزبني امر شددت به ازري وقرا الجمهور اشدد
واشركه علي معني الدعا في شد الازر وتشريك هارون في النبوة وكان الامر في قراة
بن عامر لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته لانه ليس لموسي ان يشرك في
النبوة احدا وفي مصحف عبد الله اخي واشدد فقال الزمخشري ويجوز فيمن قرا علي
لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا علي الابتدا واشدد به خبره ويوقف علي هارون انتهي
وهو خلاف الظاهر فلا يصار لغير حاجة وكان هارون اكبر من موسي باربعة اعوام وجعل
موسي ما رغب فيه وطلبه من نعم سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد في امر الله والتظافر
علي العبادة والتعاون فيها مثير للرغبة والتزيد من الخير كي نسبحك ننزهك عما لا يليق
بك ونذكرك بالدعا والثنا عليك وقدم التسبيح لانه تنزيهه تعالي في ذاته وصفاته

وبراته عن النقايص ومحل ذلك القلب والذكر الثنا على الله بصفات الكمال ومحله
اللسان فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان وكثيرا نعت لمصدر محذوف
او منصوب على الحال اى نسبحك التسبيح في حال كثرتهم على ما ذهب اليه سيبويه وانك
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا والسول فعل بمعنى المسيول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والماكول والمعنى اعطيت طلبتك وما سالته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل
العقدة وجعل اخيك وزيرا وذلك من المنة عليك ثم ذكره تعالى بقديم منته عليه
على سبيل التوفيق ليعظم اجتهاده ويقوي بصيرته ومرة معناها منه واخرى تانيث
اخر بمعنى غير اي منة غير هذه المنة وليست اخرى هنا بمعنى اخرة فتكون مقابلة
للاولى وتخيل ذلك بعضهم فقال سماها اخرى وهي اولى لانها اخرى في الذكر الاخرى
لفظ مشترك يكون تانيث الاخر بفتح الخا وتانيث الاخر بمعنى الاخرة فهذه فيها
لفظ مشترك يكون تانيث الاخر بفتح الخا معنى التاخر والمعنى انى قد حفظتك
وانت طفل رضيع فكيف لا احفظك وقد اهدتك للرسالة وفي قوله مرة اخرى اجمال
يفسره قوله اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هو وحي الهام كقوله واوحى ربك الى
النحل وقيل وحي اعلام امّا برآه ذلك في منام واما يبعث ملكا اليها لا على جهة النبوة
كما بعث الى مريم وهذا هو الظاهر لقوله ياخذه عدو لي وله والظاهر من القصص انا
رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ويبعد ما صدر به الزمخشري من قوله في تردده
اما ان يكون على لسان نبي من وقتها كقوله تعالى واذ وحيت الى الحواريين
لانه لم ينقل انه كان في زمن فرعون نبي وكان في زمن الحواريين زكريا ويحيى وفي قوله
ما يوحي ابهام واجمال كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فغشيهم من اليم
ما غشيهم وفيه تهويل وقد فسره هنا بقوله ان اقذفيه في التابوت قال الزمخشري
وان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول وقال ابن عطية وان في قوله ان اقذفيه
بدل من ما يعني ان ان مصدرية فلذلك كان لها موضع من الاعراب والوجهان سايغان
والظاهر ان التابوت كان من خشب وقيل من بردي شجر هو من الفرعون سدت خروقه
وفرشت فيه نطعا وقيل قطنا محلوجا وسدت فمه وجصصته وقيرته والقته في اليم
ولم يعر فوا في النيل والظاهر ان الضمير في فاقذفيه في اليم عايد على موسى وكذلك الضمير
ان بعده اذ هو المحدث عنه لا التابوت وانما ذكر التابوت على سبيل الدعا والفضلة
وقال ابن عطية والضمير الاول في اقذفيه عايد على موسى وفي الثاني عايد على التابوت
ويجوز ان يعود على موسى وقال الزمخشري والضماير كلها راجعة الى موسى ورجوع
بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يودي اليه من تنافر النظم فان قلت
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى في الساحل قلت ما ضرك لو قلت
المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضماير فيتنافر عليك
النظم الذي هو ام اعجاز القران والتابوت الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم
ما على المفسر انتهى ولقايل يقول ان الضمير اذا كان صالحا لان يعود على الاقرب وعلى
الابعد كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على التابوت
في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان احدهما هو المحدث
عنه والاخر فضلة كان عوده على المحدث عنه راجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا
رددنا على ابي محمد ابن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عايد على خنزير لا على لحم
لكونه اقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده فان المحدث
عنه هو لحم الخنزير لا خنزير وقليلة امر معناه الخبر وجا بصيغة الامر مبالغة اذ الامر
اقطع الافعال واوجبها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصلي لكم اخرج
الخبر في صيغة الامر لنفسه مبالغة ومن حيث خرج الفعل مخرج الامر حسن جوابه
لذلك وهو قوله ياخذه وقال الزمخشري لما كانت مشية الله وارادته ان لا يخطي
جرية ما اليم الموصول به الى الساحل والقاه به سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل

اليم

اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل انتهى
وقال التبريزي انما ذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع المخبر به على ما اخبر به فكان
البحر مامورا ممتثلا للامر وقال الفرا فاقذفيه في اليم امر وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه
يلقه اليم والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه منه وروي ان فرعون كان يشرب
في موضع من النيل اذ راى التابوت جاني الما الى المشرعة التي كانت جواري امراة فرعون
يستقين منها الما فاخذت التابوت وجلبنه اليها فاخرجنه واعلمن فرعون به والعدو
الذي لله ولموسى هو فرعون واخبرت به ام موسى على طريق الابهام ولذلك قالت
لاخته قصيه وهي لا تدري اين استقر والقيت عليك محبة مني قيل محبة اسية وفرعون
وكان فرعون قد احبه حبا شديدا حتى لا يتمالك ان يصبر عنه قال ابن عباس احبه الله
وحببه الى خلقه وقال ابن عطية جعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من راه وقال
قتادة كان في عينيه ملاحة ما راه احد الا احبه وقال ابن عطية واقوى الاقوال
انه القبول وقال الزمخشري مني لا يخلو ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على احببتك
ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة خالصة
او واقعة مني قد ذكرتها انا فيها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من
ابصرك وقرا الجمهور ولتصنع بكسر لام كي وضم التا ونصب الفعل اي ولتربى ويحسن
اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به وقال قتادة
قريبا منه وقال النحاس يقال صنعت الفرس اذا احسنت اليه وهو معطوف على علة محذوفة
اي ليتلطف بك ولتصنع او متعلقة بفعل متاخر تقديره فعلت ذلك وقرا الحسن وابو
نهيك بفتح التا قال ثعلب معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني وقرا شيبة وابو
جعفر في رواية باسكان اللام والعين وضم التا فعل امر وعن ابي جعفر كذلك الا انه
كسر اللام اذ تمشي اختك قيل اسمها مريم سبب ذلك ان اسية عرضته للرضاع فلم يقبل
امراة فجعلت تنادي عليه في المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيابى وبقيت امه بعد
قذفه في اليم مغمومة فامرت اخته بالتفتيش في المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به
في طوافها فقالت انا ادلكم على من يكفله وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفي
هذا الصبي فقالت لا ولكن اعلم من اهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملك
والجد في خدمتها ورضاها فتركوها وسالوها الدلالة فجات بموسى فلما قربته شرب ثديها
فسرت اسية وقالت لها كوني معي في القصر فقالت ما كنت لادع بيتي وولدي ولكنه يكون
عندي فقالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرايل بهذا
الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه ارسلت اسية اليها ان جي بولدي ليوم كذا وامرت
خدمها ومن لها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال
واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فاعجبه وقربه فاخذ موسى
بلحية فرعون وتقدم ما جرى له عند ذكر العقدة والعامل في اذ قال ابن عطية فعل مضمر
تقديره ومننا اذ وقال الزمخشري العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون
بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما لا يصح
وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا
لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في اخرها انتهى وليس كما ذكر وان السنة
تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيه بخلاف هذين الطرفين فان كل واحد منهما ضيق ليس
بمتسع لتخصيصهما بما اضيفا اليه فلا يمكن ان يقع الثاني في الظرف الذي وقع فيه الاول
اذ الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الاخت فليس وقت وقوع الوحي
مشتمل على اجزا وقع في بعضها المشي بخلاف السنة وقال الحوفي اذ متعلقة بتصنع وذلكا ان
تنصب بفعل مضمر تقديره واذكر وقرا الجمهور كي تقر بفتح التا والقاف وقرات فرقة
بكسر القاف وتقدم انها لغتان في قوله وقري عينا وقرا جناح بن حبيش بضم التا وفتح
القاف مبنيا للمفعول وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاث عليه الاسرايلي قتله وهو

بن اثنتي عشرة سنة واغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون
فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون حين هاجر
به الى مدين والفتون مصدر جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتا كحجون وبدور
في حجرة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وما يشق على الانسان وعن
ابن عباس خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان والقته امه
في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة انتهى وهذه الفتون اختبره بها وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم لها او
والسنون التي لبثها في مدين عشر سنين وقال وهب ثمان وعشرون سنة منها مهر ابنته
وبين مصر ومدين ثماني مراحل وفي الكلام حذف والتقدير وفتوناك فتونا فخرجت
خايفا الى اهل مدين فلبث سنين وكان عمره حين ذهب الى مدين اثني عشر عاما وقام
عشرة اعوام في رعي غنم شعيب وولد فيها فكمل له اربعين سنة وهي المدة التي عادة
الله تعالى ارسال الانبيا على راسها ثم جيت الى المكان الذي ناجيتك فيه وكلمتك
واستنبأتك على قدر اي وقت معين قدرته لم تتقدمه ولم تتاخر عنه وقيل على مقدار
من الزمان يوحي الى الانبيا فيه وهو الاربعون وقال الشاعر •

• بال الخلافة او جات على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر • واصطنعتك لنفسي
اي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاكمال والاحسان واخلصتك بالالطاف واخترتك
لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع وهو الاحسان
الى الشخص حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان وقال الزمخشري هذا تمثيل لما
خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه الملوك بجوامع خصال
فيه وخصايص اهلا لان يكون منزلته اقربا اليه والطف محلا فيصطفيه بالكرامة والاثرة
ويستخلصه لنفسه انتهى ومعنى لنفسي اي لاوامري واقامة حججي وتبليغ رسالتي فحركاتك
وسكناتك لي لا لنفسك ولا لاحد غيرك **المفردة الثانية الونى** الفتور يقال ولى يني
وهو فعل لازم واذا عدي فبعن وبفي وزعم بعض البغداديين انه ياتي فعلا ناقصا من
من اخوات ما زال وبمعناها واختاره ابن ملك وانشد لابي الحب سيمة الحشر ما
دام فلا تحسبنه ذا ارعوا • وقالوا امره اناة اي فاتر عن النهوض ابدلوا من واوها
همزة على غير قياس قال الشاعر فما انا بالواني ولا الضرع الغمر **اشتت** الامر شتا
وشتاتا تفرق وامر شت اي متفرق وشت فعلي من الشت والفه للتانيث جمع شتيت
كمريض ومرضى ومعناه متفرقة وشتان اسم فعل **سحت** لغة الحجاز واسحت لغة تميم
ونجد واصله استقصى الحلق للشعر قال الفرزدق وهو تميمي وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال الا مسحتا او مجلف • ثم استعمل في الاهلاك والاذهاب الهيبة عدم الظفر بالمطلوب
الصف موضع المجمع قاله ابو عبيدة وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب
الفصحا ما استطعت ان اتي الصف اي المصلى وقد يكون مصدرا ويقال جاوا صفا اي مصطفين
التخييل ابدا امر لا حقيقة له ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم قال الشاعر
• ايا لقومي للخيال المشوق • وللدار تناي بالحبيب وتلتقي • اذهب انت واخوك باياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم قد جيناك باية من ربك والسلام على من اتبع
الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا
الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى امره تعالى بالذهاب الى فرعون فلما دعى ربه وطلب منه اشيا كان منها
ان يشرك اخاه هرون فذكر الله انه اتى سوله وكان منه اشراك اخيه فامره هنا
واخاه بالذهاب واخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب كما تقدم الكلام على نظيره
في قوله فاذهب انت وربك في سورة المايدة وقول بعض النحاة ان وربك مرفوع على اضمار

فعل اي وليذهب ربك وذلك البحث جا زهنا وروي ان الله تعالى اوحي الى هارون
وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقدمه وقيل الهم ذلك وظاهر ما يأتي الجمع فقيل هو
العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل اليد والعصا وقد يطلق الجمع وهما اثنان
تقدم ذكرهما وذلك لما قال ما ان ماية التي العصا ونزع اليد وقال فذانك برهانان
وقيل العصا مشتملة على ايات انقلابها حيوانا تمر في اول الامر كانت صغيرة ثم عظمت
حتى صارت ثعبانا ثم ادخل موسى يده في فيها فلا تضره وقيل ما اعطي من معجزة ووحي
ولا تنيا اي لا تضعفا ولا تقصرا وقيل لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكري حيث
ما تقلبتما ويجوز ان يراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على ساير العبادات
وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جدير ان يطلق عليه اسم الذكر وقرا ابن وثاب
ولا تنيا بكسر التا اتباعا لحركة النون وفي مصحف عبد الله ولا تهنا اي ولا تلينا
من قولهم هين لين ولما حذف من يذهب اليه في الامر قبله نص عليه في هذا الامر
الثاني فقيل اذهبا الى فرعون اي بالرسالة والبعد من ذهب الى انهما امرا بالذهاب
اولا الى الناس وثانيا الى فرعون فكرر الامر بالذهاب لاختلاف المتعلق والقول
اللين هو مثل ما في النازعات هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وهذا
من لطيف الكلام اذ ابرز ذلك في صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه
الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان
يبقى له لذة الطعام والشراب والنكاح الى حين موته وقيل لا تعنفاه بما يكره والطفا
به في القول لما له من حق تربية موسى وقيل كنياه وهو ذو الكنى الاربع ابو
مرة وابو مصعب وابو الوليد وابو العباس وقيل القول اللين لا اله الا الله وحده
لا شريك له ولينها خفتها على اللسان وقال الحسن هو قولهما ان لك ربا وان لك
معادا وان بين يديك جنة ونارا فامن بالله يدخلك الجنة ويكفيك عذاب النار
وقيل امرهما تعالى ان يقدما المواعيد على الوعيد كما قال اقدم بالوعد قبل الوعيد
انتهى القبايل جهالها وقيل حين عرض عليه موسى وهارون ما رضا شاور اسية فقالت
ما ينبغي لاحد ان يرد هذا فشاور هامان وكان لا يثبت امرا دون رايه فقال له
كنت اعتقد انك ذو راي وعقل تكون مالكا فتصير مملوكا فامتنع من قبول ما عرض
عليه موسى والترجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى اي اذهبا على
رجايكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجوا ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه
ففايدة ارسالهما مع علمه تعالى انه لا بد من اقامة الحجة عليه وازالة المعذرة كما
قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقيل القول اللين ما حكاه الله
هنا وهو فاتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى وقرا ابو
معاذ قولا لينا وقال الفرا لعل هنا بمعنى كي اي كي يتذكر او يخشى كما تقول اعمل
لعلك تاخذ اجرك اي كي تاخذ اجرك وقيل لعل هنا استفهام اي هل يتذكر او يخشى
والصحيح انها على بابها من الترجي وذلك بالنسبة الى البشر وفي قوله لعله يتذكر او
يخشى دلالة على انه لم يكن شاكا في الله وقيل يتذكر حاله حين احتبس النيل فسار الى
شاطيه وابعد وخر لله ساجدا راغبا ان لا يخجله ثم ركب فاخذ يتبع حافر فرسه
ترجي ان يتذكر حكم الله وكرمه وان يحذر من عذاب الله وقال الزمخشري
ان يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر
كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة
وفرس فرط السبق الخيل انتهى وقال الشاعر • واستعجلونا وكانوا من صحابتنا •
كما تقدم فراط الوارد • وفي الحديث الشريف وانا فرطكم على الحوض اي متقدمكم
وسابقكم والمعنى اننا نخاف ان تعجل علينا بالعقوبة وتبادرنا بها وقرا يحيى وابو نوفل
وابن محيصن في رواية ان يفرط مبنيا للمفعول اي تسبق في العقوبة قاما ان تحمله
حامل على العاجلة بالعذاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعايه الربوبية

او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملا من
قوم فرعون وقال الملا من قومه وقرات فرقة عن الزعفراني عن ابن محيصن يفرط بضم
اليا وكسر الرا من الافراط في الاذية او ان يطغى في التخطي الى ان يقول فيك ما ينبغي
ما لا ينبغي لجريته عليك وقسوة قلبه وفي المجي به هكذا على سبيل الاطلاق والمرنات
من حسن الادب ويخاف على التقوه بالعظمة والمعية منهما بالنصرة والعون اسمع وارى
الكما اري افعالكما وقال ابن عباس اسمع جوابه لكما وارى ما يفعل بكما وهما كناية عن
العلم فاتياه كررا الامر بالاتيان فقولا انا رسولا ربك وخاطباه بقولكما ربك تحقيرا له
واعلاما انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية وامرا بدعوته الى ان يبعث معهما
بني اسرايل ويخرجهم من ذل الخدمة اي القبط فانهم كانوا يعذبونهم بتكليف الاعمال
الشاقة من الحفر والبنا ونقل الاحجار والسخرة في كل شي مع قتل الولدان واستخدام
النسا وقد ذكر في غير هذه الاية دعاوه الى الايمان وارسال بني اسرايل ثم ذكر اما يدل
على صدقهما في ارسالهما اليه فقال قد جيناك باية من ربك وتكرر ايضا في قولهما
من ربك على سبيل التوكيد بانه مربوب مقهور والاية التي احالا عليهما هي العصا واليد
ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة المجي بالاية اليهما وان كانت صادرة من احدهما
وقال الزمخشري قد جيناك باية من ربك جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا
ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها التي هي المجي بالاية
وانما وحد باية ولم يثن ومعه اثنان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها
فكانه قال قد جيناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد
جيتكم ببينة من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين او لو جيتك بشي مبين انتهى وقيل
الاية اليد وقيل العصا والمعنى انه يشهد لنا بانا رسولا ربك والظاهر ان قوله والسلام
على من اتبع الهدى فصل للكلام بالسلام يعني التحية عنا بها عنه وجريا على العادة في التسليم
عند الفراغ من القول مسلما على متبع الهدى وفي هذا توبيخ له وفي هذا المعنى استعمل
الناس هذه الاية في مخاطباتهم ومحاوراتهم وقيل هو مدرج متصل بقوله انا قد اوحي الينا
فيكون اذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب وقيل على بمعنى اللام اي والسلامة
لمن اتبع الهدى وقال الزمخشري وسلام الملايكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين
وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى وهو تفسير غريب وقد يقال
السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله انا قد اوحي الينا ان العذاب على من
كذب وتولى وهي اوحي لما لم يسم فاعله ولم يذكروا الوحي لان فرعون كانت له نادرة فربما صدر
منه في حق الوحي ما لا يليق به والمعنى على من كذب الانبيا وتولى على الايمان وقال ابن
عباس هذه ارجى اية في القران لان المومن ما كذب ولا تولى فلا يناله شي من العذاب
وفي الكلام حذف تقديره فاتيا فرعون وقولا له ما امرهما الله تعالى ان يبلغاه قال فمن
ربكما يا موسى خاطبهما معا وافرد بالندا موسى قال ابن عطية اذ كان صاحب عظم الرسالة
وكرم الايات وقال الزمخشري لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل
ان يحمله خبثه ودعارته على استدعا كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هارون
والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
انتهى واستند موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسوال والندا معا ثم
اعلمه من صفات الله بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا نوجه مجاز قال الزمخشري
ولله دره هذا الجواب ما احصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف
وكان طالبا للحق انتهى والمعنى اعطى كل مخلوق خلقته وصورته على ما يناسبه من الاتقان لم
يجعل خلق الانسان في خلق البهايم ولا خلق البهايم في خلق الانسان ولكن خلق كل شي فقدره
تقديرا وقال الشاعر * وله في كل شي خلقه * وكذلك الله ما شا فعل * وهذا قول
مجاهد وعطية ومقاتل وقال الفحاك خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له ثم هدي
اي يسر كل شي لمنافعه ومرافقه فاعطى العين الهيية التي تطابق الابصار والاذن الشكل

الذي

الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منهما مطابق لما
علق به من المنفعة غير ناب عنه قال القشيري والخلق المخلوق لان البطش والمشي والروية
والنطق معان مخلوقة اودعها الله تعالى للاعضا وعلى هذا مفعول اعطى الاول كل شي والثاني
خلقه وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو ان المعنى اعطى كل شي مخلوقه من جنسه
اي كل حيوان ذكر نظيره انثى في الصورة فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه
ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس انه هداه الى العرو الاجتماع به والمناكحة وقال الحسن
وقتادة اعطى كل شي صلاحه ومداه لما يصلحه وقيل كل شي هو المفعول الثاني لاعطى وخلقه
المفعول اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وقرا عبد الله واياس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو نهيك وابن ابي اسحق والاعمش والحسن
ونصير عن الكساي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة
لكل شي او لكل شي ومفعول اعطى الثاني حذف اقتصارا اي كل شي خلقه الله لم يخله عن عطايه
وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه وقيل حذف اقتصارا لدلالة
المعنى عليه اي اعطى كل شي خلقه ما يحتاج اليه وقدره ابن عطية كماله ومصلحته قال فما بال
القرون الاولى لما اجابه موسى بجواب مسكت ولم يقدر فرعون على معارضته انتقل الى سوال
اخر وهو ما حال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان من الاعتراف بما قال موسى
وما اجابه والحيدة والمغالطة قبل ساله من اخبارها واحاديثها ليختبر انهما نبيان او هما
من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الامم السالفة ولم يكن عنده عليه الصلاة
والسلام علم اذ التورية انما انزلت بعد هلاك فرعون فقال علمها عند ربي وقيل مراده
من السوال عنها لم عبدت الاصنام ولم لم تعبد الله ان كان الحق ما وصفت وقيل مراده
ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال علمها عند ربي فاجابه بان هذا سوال عن
الغيب وقد استاثر الله تعالى به لا يعلمه الا هو وقال النقاش انما سال وعظ مومن
الى فرعون يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الاية فرد علم ذلك الى الله تعالى
لانه لم يكن نزلت عليه التورية وقيل لما قال انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ثم انهم ما عذبوا وقيل لما
قرر امر المبدا والدلالة القاطعة على اثبات الصانع قال فرعون ان كان ما ذكرت
في غاية الظهور فما بال القرون الاولى نسوه وتركوه فلو كانت الدلالة واضحة
وجب على القرون الماضية ان لا يكونوا غافلين عنها يعارض الحجة النقلية ويجوز ان
يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شي وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما يقال
في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزايهم
وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا
والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضيل اي لا يضل كما يضل انت
ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري والظاهر
عود الضمير في علمها الى القرون الاولى اي مكتوب عند ربي في اللوح المحفوظ لا يجوز
عليه ان يخطي شيا او ينساه يقال ضليت الشي اذا اخطات في مكانه وضللته لغتان
فلم تهتد له كقولك ضليت الطريق والمنزل ولا يقال اضللته الا اذا ضاع منك كالدابة
اذا انفلتت وشبهها قاله الفرا وقال الزجاج ضللته اضله اذا جعلته في مكان ولم تدر
اين هو واضللته والكتاب هنا اللوح المحفوظ وقيل في كتاب فيما كتبته الملايكة
من احوال البشر وقيل الضمير في علمها عايد على القيامة لانه ساله عن بعث الامم
وقال السدي لا يضل لا يغفل وقال ابن عيسى لا يضل لا يذهب عليه تقول العرب
ضل منزله بغير الف وفي الحيوان اضل بغيره بالالف وقيل التقدير لا يضل ربي الكتاب
ولا ينسى ما فيه قاله مقاتل وقال القفال لا يضل عن معرفة الاشيا فيحيط بكل هو
المعلومات ولا ينسى اشارة الى بقا ذلك العلم ابد الاباد على حالة لا تتغير وقال
الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وقال مجاهد معنى الجملتين واحد وهو اشارة

الى انه لا يعرض في علمه ما يغيره وقال ابن جرير لا يخطي في التدبير فيعتقد في غير
الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه وقال ابو عبد الله الرازي علم الله صفة قايمة
به ولا تكون حاصلة في الكتاب لان ذلك لا يعقل فالمعنى ان بقا تلك المعلومات في علمه
كبقا المكتوبات في الكتاب فالغرض التوكيد لان اسرارها معلومة له لا يزول
شي منها وبتوكدها بقوله لا يضل ربي ولا ينسى اذ المعنى انه اثبت تلك الاحكام
في كتاب عنده يظهر ما كتبه فيه للملايكة زيادة له في الاستدلال على انه عالم بكل
المعلومات منزه عن السهو والغفلة انتهى وفيه بعض تلخيص وقرا الحسن وقتادة
والجحدري وحماد بن سلمة وعيسى الثقفي لا يضل بضم اليا اي لا يضل الله ذلك الكتاب
فيضيع ولا ينسى ما اثبته فيه وقرا الحسن لا يضل ولا ينسى مبنيين للمفعول والظاهر
ان الجملتين استيناف واخبار عنه تعالى بانتفا هاتين الصفتين عنه وقيل هما
في موضع وصف لقوله في كتاب والضمير العايد على الموصوف محذوف اي لا يضله
ربي ولا ينساه والظاهر ان الضمير في ولا ينسى عايد على الله وقيل يحتمل ان يعود على
كتاب اي لا يدع شيا بالنسيان استعارة كما قال الا احصاها فاسند الاحصا اليه
من حيث الحصر فيه وعن ابن عباس لا يترك من كفره حتى ينتقم منه ولا يترك
من وقده حتى يجازيه الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما
ما فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي
النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب
وابى قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذين
لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم
ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى ولما ذكر موسى دلالته على ربوبية الله تعالى
وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى ما نبه به على قدرته تعالى ووحدانيته فاخبر عن نفسه
بانه تعالى هو الذي صنع كيت وكيت وانما ذهبا الى ان هذا هو من كلام الله تعالى بقوله تعالى
فاخرجنا وقوله كلوا وارعوا انعامكم وقوله ولقد اريناه فيكون قوله فاخرجنا واريناه التفاتا
من ضمير الغايب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قايلين وابعد
من ذهب الى ان الذي نعت لقوله ربي فيكون في موضع رفع او يكون في موضع نصب على المدح
فقالهما الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى فلايتاتى الالتفات في قوله
فاخرجنا ولقد اريناه وقال ابن عطية يحتمل ان يكون فاخرجنا من كلام موسى حكاية عن الله
تعالى على تقدير يقول عز وجل فاخرجنا ويحتمل ان يكون كلام موسى تم عند قوله وانزل من
السما ما ثم وصل اليه كلام موسى باخباره محمد عليه الصلاة والسلام والمراد بالخطاب
في لكم الخلق اجمعين نبههم على هذه الايات وقرا الاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وعاصم
وحمزة والكساي مهدا بفتح الميم واسكان الها وباقي السبعة مهادا وكذا في الزخرف
فقال المفضل مصدران مهد مهدا ومهادا وقال ابو عبيدة مهادا اسم ومهد الفعل فعلى
المصدر وقال اخر مهد امفرد ومهادا جمعه ومعنى ذلك انه تعالى جعلها لهم يتصرفون
عليها احوالهم ومنافعهم وبهج لكم فيها طرقا لمقاصدكم حتى لا تتعذر عليكم مصالحكم والضمير
في به عايد على الما اى بسببه ازواجا اصنافا وهذا الالتفات في اخرجنا كهو في قوله تعالى
الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا امن خلق السموات والارض وانزل من السما ما
فانبتنا وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شي وفي هذا الالتفات تخصيص
ايضا بانيا عن مقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدره احد والاجود يكون شتى في موضع
نصب نعتا لقوله ازواجا لانها المحدث عنها وقال الزمخشري يجوز ان يكون صفة
للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع

يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها
للبهايم فالوا من نعمته عز وجل ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها
مما يفضل من حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا وارعوا انعامكم امر اباحة معمول لحال محذوفة
اي فاخرجنا قايلين اي اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها عندي هنا
وارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا يقول رعت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا راحها
وسرحها قاله الزجاج واشار بقوله ان في ذلك للايات السابقة من جعل الارض مهادا وسلك
سبلها وانزال الما واخراج النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لانه ينهى
عن القبايح واجاز ابو علي ان يكون مصدرا كالهدى والضمير في منها عايد على الارض واراد
خلق اصلهم ادم وقيل ينطلق الملك الى المكان الذي يدفن فيه من يخلق فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب والنطفة معا قاله عطا الخراساني وقيل من الاغذية التي يتولد من
الارض ليكون ذلك تنبيها على ما تولدت منها الاخلاط المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز
المجاز وفيها اي نعيدكم بالدفن بها او بالتمزيق عليها ومنها نخرجكم اي بالبعث تارة اي مرة
اخرى يولف اجزايهم المتفرقة ويردهم كما كانوا احيا وقوله اخرى اي اخراجة اخرى
لان معنى قوله منها خلقناكم اخرجناكم ولقد اريناه اياتنا كلها هذا اخبار من الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله فاخرجنا انما هو خطاب له عليه الصلاة
والسلام واريناه اياتنا هي المنقولة من راي البصرية ولذلك تعدت الى اثنين بهمزة
النقل واياتنا ليس عاما اذ لم يره تعالى جميع فانما المعنى اياتنا التي راها فصارت الاضافة
تفيد ما يفيد الالف واللام من العهد وانما راى العصا واليد والطمسة وغير ذلك مما
داه التوكيد بالمشتة لهذه الايات المعهودة وقيل المعنى الايات بكمالها واضاف الايات اليه
على حسب التشريف كانه قال ايات لنا وقيل يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتي
غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به
فيكون بها جميعا وابى ان يقبل شيا منها انتهى قاله الزمخشري وفيه بعد لان الاخبار بالشي
لا يسمى روية له الا مجازا بعيدا وقيل اريناه هنا من روية القلب لا من روية العين
لانه كان اراه في ذلك الوقت الا العصا واليد البيضا اي ولقد اعلمناه اياتنا كلها وهي
الايات التسع وقيل يجوز ان يكون اراد بالايات ايات توحيده التي اظهرها لنا في ملكوت
السموات والارض فيكون من روية العين وقال ابن عطية وابى يقتضي كسب فرعون
وهذا الذي يتعلق به الثواب والعقاب ومتعلق التكذيب محذوف فالظاهر انها الايات
ويحتمل ان يكون التقدير فكذب موسى وابى ان يقبل ما القاه اليه من رسالته قيل ويجوز
ان يكون اراد وكذب انها من ايات الله تعالى وقال من سحر ولهذا قال اجيتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك ويبعد هذا القول قوله لقد علمت ما انزل هولا الارب السموات
والارض بصاير وقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فيظهر انه كذب لظلمه
لا انه التبس عليه انها ايات سحر وفي قوله اجيتنا لتخرجنا وهن ظهر منه كثير واضطراب
لما جابه موسى انه علم انه على الحق وانه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجي وهي اخراجهم
والقاها في مسامع قومه ليصيروا مبغضين له جدا اذ الاخراج من الموطن مما يشق
وجعله الله مساويا للقتل في قوله تعالى ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم وقوله
بسحرك تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه
على ملكه بالسحر واورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وان المعجزة انما تتميز
عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته فقال فلناتينك بسحر مثله ويدل على ان امر
موسى عليه السلام كان قد قوي وكبر منعته من بني اسرايل ووقع امره في نفوس الناس
اذ هي مقالة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع بامر نفسه وارضهم هي ارض مصر وخاطبه
بقوله بسحرك لان الكلام كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلناتينك جواب
لقسم محذوف اوهم الناس انما جابه موسى انما هو من باب السحر وان عنده من بقاومه
في ذلك يطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر ان موعدا هنا هو زمان اي بين لنا

وقت اجتماع ولذلك اجاب بقوله فان موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه اي لا نخلف
ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقدره بعضهم مكانا معلوما وسوا عند قوله موعدكم يوم
الزينة وقال القشيري الاظهر انه مصدر ولذلك قال لا نخلفه اي ذلك الوعد والاخلاف
ان تعد شيا ولا تنجزه وقال الزمخشري ان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم
الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا
وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوي لزمك ايضا ان تقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق
قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا لانه قرا يوم الزينة
بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت كيف طابقه قوله
موعدكم يوم الزينة ولا بد ان يجعله زمانا والسوال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت
هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه
مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها
مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا
يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب
مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما
على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز
على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه
لانه ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى وقوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز لانه
قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصوف والمصدر اذا وصف قبل العمل لم
يجز ان يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم هو
بعينه هو ان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من
يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرب بالاضافة ولو
قلت جيت يوم الجمعة بكرا لم يدع ان بكرا معرفة وان كنت تعلم انه من يوم بعينه
وقرا ابو جعفر وشيبة لا نخلفه بجزم الفاء على انه جواب الامر وقرا الجمهور برفعها صفة
لموعد وقال الحوفي موعدا مفعول اول لاجعل ومكانا مفعول ثان ومنع ان يكون مكانا معمولا
لقوله موعدا لانه قد وصف قال ابن عطية وهذه الاسما العاملة عمل الفعل اذا نعتت
او عطف عليها او اخبر عنها او صغرت او جمعت وتوغلت في الاسما كمثل هذا لم يعمل ولا يعلق
بها شي هو منها وقد يتوسع في الظروف فتعلق بعد ما ذكرت كقوله عز وجل ينادون لمقت
الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فقوله اذ متعلق بقوله لمقت وهو قد اخبر
عنه وانما جاز ذلك لانها مع الظروف خاصة ومنع قوم ان يكون مكانا نصبا على المفعول الثاني
لنخلفه وجوزه جماعة من النحاة ووجهه ان يتسع في ان نخلف الموعد انتهى وقوله
اذا نعتت هذا ليس مجمعا عليه في كل عامل عمل الفعل الا ترى اسم الفاعل العاري عن ال اذا
وصف قبل العمل في اعماله خلاف البصريون يمنعون والكوفيون يجوزون وكذلك ايضا
اذا صغر في اعماله خلاف واما اذا جمع فلا نعلم خلافا في جواز اعماله واما المصدر اذا جمع
ففي جواز اعماله خلاف واما استثناؤه من المعمولات الظروف فغيره يذهب الى منع ذلك
مطلقا في المصدر وينصب اذ بفعل مقدر تقديره اي مقتكم اذ تدعون ولا انت معطوف على
الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بقوله نحن وقرا ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب
والحسن وقتادة وطلحة والاعمش وابن ابي ليلي وابو حاتم وابن جرير سوى برفع السين
منونا في الوصل وقرا باقي السبعة بكسرها منونا في الوصل وقرا الحسن ايضا بضم السين
من غير تنوين في الحالين اجرى الوصل مجرى الوقف لانه منعه الصرف لان فعلا من
الصفات متصرف كحطم واحد وقرا عيسى بكسر السين من غير تنوين في الحالين اجرى
الوصل ايضا مجرى الوقف ومعنى سوى اي عدلا ونصفة قال ابو علي كانه قال
قربة منكم قربة منا وقال غيره انما اراد ان ظالفا فيه مستوية فيعم ذلك القرى وان

يكون المنازل فيه واحدة وقال غيره في تعاطي الحق لا يعترضكم فيه الرياسة وانما يقصد
الحجة وعن مجاهد وهو من الاستوا لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت
فيها وهذا معنى ما تقدم من قول ابي علي قربة منكم قربة منا وقال الاخفش سوى مقصور
ان كسرت سينه او ضممت وممدود ان فتحتها ثلاث لغات ويكون فيها جميعها بمعنى غير وبمعنى
عدل ووسط بين الفريقين وقال الشاعر وان ابانا كان حل ببلده سوى بين
قيس غيلان والمصرى قال وتقول مررت برجل سواك وسُواك وسَواك ويكون للجميع
واعلا هذه اللغات الكسر قاله النحاس وقالت فرقة معنى مكانا سوى مستويا من الارض
اي لا وعر فيه ولا جبل ولا اكمة ولا مطمين من الارض بحيث يستر احدا ناظرا حد فلا يرى
مكان موسى والسحرة وما يصدر عنهما قال ذلك واثقا من غلبة السحرة لموسى فاذا
شاهدوا عليهم اياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه وقالت فرقة معناه مكانا سوى
مكاننا هذا وهذا ليس بشي لان سوى اذا كان بمعنى غير لا تستعمل الا مضافة لفظا ولا
تقطع عن الاضافة وقرا الاعمش والحسن وعيسى وعاصم في رواية وابو حيوة
وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري وهبيرة والزعفراني يوم الزينة بنصب الميم
وتقدم تخريج هذه القراءة في كلام الزمخشري وروي ان يوم الزينة كان عيدا
لهم ويوما مشهورا وصادف يوم عاشورا وكان يوم سبت وقيل هو يوم كسر الخليج
الباقي الى اليوم وقيل يوم النيروز وكان راس سنتهم وقيل يوم السبت فانه يوم راحة
ودعة وقيل يوم سوق لهم وقيل يوم عاشورا وقرا ابن مسعود والجحدري
وابو عمران الجوني وابو نهيك وعمرو بن فايد وان تحشر بتا الخطاب اي يا فرعون
وروي عنهم بالياء على الغيبة والناس نصب في كلتا القراتين قال صاحب اللوامح
وان يحشر الحاشر الناس ضحى فحذف الفاعل للعلم به انتهى وحذف الفاعل في مثل هذا
لا يجوز عند البصريين وقال غيره وان يحشر اليوم قال ويجوز ان يكون فيه ضمير
فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم
بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ويجوز ان يكون يحشر في موضع رفع عطفا على
يوم الزينة وان يكون في موضع جر عطفا على يوم الزينة وانتصب ضحى على الظرف
وهو ارتفاع النهار ويونث ويذكر والضحا بفتح الضاد ممدود مذكر وهو عند ارتفاع
النهار الاعلى وانما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت
الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي الجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب
في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو
وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر والظاهر ان قوله قال موعدكم يوم الزينة
من كلام موسى عليه السلام لانه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا
ولان تعليق اليوم انما يليق بالمحق الذي يعرف ان الدولة له لا المبطل الذي يعرف
انه ليس معه الا التلبيس ولقوله موعدكم وهو خطاب للجميع وابعد من ذهب
الى انه من كلام فرعون فتولى فرعون اي معرضا عن قول الحق او تولى ذلك الامر بنفسه
او يرجع الى اهله لاستعداد مكايده او ادى على عادة المتواعدين ان تولى كل واحد
منهما صاحبه ظهره اذا افترقا اقوال فجمع كيده اي ذوي كيده وهم السحرة وكانوا
عصابة لم يخلق الله اسحر منها ثم اتى للموعد الذي كانوا تواعدوه واتى موسى ايضا
بمن معه من بني اسرايل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وتقدم تفسير
ويل في سورة البقرة خاطبهم خطاب محذر وندبهم الى قول الحق اذ راوه وانه لا يباهتوا
بكذب وعن وهب لما قال للسحرة ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر فيسحتكم يهلككم
ويستاصلكم وفيه دلالة على عظم الافترا وانه يترتب عليه هلاك الاستيصال
ثم ذكر انه لا يظفر بالبغية ولا ينجح طلب من افترى على الله الكذب ولما سمع السحرة
منه هذه المقالة فقال لهم ذلك ووقعت في قلوبهم مهابته فتنازعوا امرهم
بينهم اي تجادلوه والتنازع يقتضي الاختلاف وقرا حمزة والكسائي وحفص

والاعمش وطلحة وابن جرير فيسحتكم بضم اليا وكسر الحا من اسحت رباعيا وقرا باقي السبعة
ورويس وابن عباس بفتحهما من سحت ثلاثيا واسروا النجوى خيفة من فرعون ان يتبين
فيهم ضعفا لانهم لم يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان ظانا بعضهم وعن ابن عباس ان
نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله
امر وقال الزمخشري والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا
ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا
للناس عن اتباعهما انتهى وحكى ابن عطية قريبا من هذا القول عن فرقة قالوا انما كان
تناجيهم بالاية التي بعد هذا ان هذان لساحران والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كانت تناجيهم
ذلك لم يكن ثم تنازع وقرا ابو جعفر والحسن وشيبة والاعمش وطلحة وحميد وايوب
وخلف في اختياره وابو عبيد وابو حاتم وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير الانطاكي والاخوان
والصاحبان من السبعة ان بتشديد النون هذان بالالف ونون خفيفة لساحران
واختلف في تخريج هذه القراءة فقال القدماء من النحاة انه على حذف ضمير الشان والتقد
يره انه هذان لساحران وخبر ان الجملة من قوله هذان لساحران واللام في لساحران داخلة
على خبر المبتدا وضعف هذا القول بان حذف هذا الضمير لا يجي الا في الشعر وبان دخول
اللام في الخبر شاذ وقال الزجاج اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير لهما ساحران فدخلت
على المبتدا المحذوف واستحسن هذا القول شيخه ابو العباس المبرد والقاضي
اسماعيل بن اسحق بن حماد بن زيد وقيل ها ضمير القصة وليس محذوفا وكان يناسب على هذا
ان تكون متصلة في الخط فكانت كتابتها انها هذان لساحران وضعف ذلك من جهة مخالفته
خط المصحف وقيل ان بمعنى نعم وثبت ذلك في اللغة فتحمل الاية عليه وهذان لساحران
مبتدا وخبر واللام في لساحران على ذينك التقديرين في هذا التخريج والتخريج الذي
قبله والى هذا ذهب المبرد واسماعيل بن اسحق وابو الحسن الاخفش الصغير والذي
نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجرا المثنى بالالف دايما
وهي لغة لكنانة حكى ذلك ابو الخطاب ولبني الحرث بن كعب وخثعم وزبيد واهل تلك
الناحية حكى ذلك الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة وقال ابو زيد سمعت
من العرب من يقلب كل يا ينفتح ما قبلها الفا وقرا ابو بحرية وابو حيوة والزهري
وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير ان بتخفيف النون هذان بالالف وشدد
نون هذان ابن كثير وتخريج هذه القراءة واضح وهو على ان ان هي المخففة من الثقيلة
وهذان مبتدا ولساحران الخبر واللام للفرق بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة
على راي البصريين والكوفيون يزعمون ان ان نافية واللام بمعنى الا وقرات فرقة
ان ذان لساحران وتخريجها كتخريج القراءة قبلها وقرات عايشة والحسن والنخعي
والجحدري والاعمش وابن جبير وابن عبيد وابو عمرو ان هذين بتشديد نون ان
وباليا في هذين بدل الالف واعراب هذا واضح اذ جا على المهيع المعروف في التثنية
كقوله فذانك برهانان احدى ابنتي هاتين بالالف رفعا وباليا نصبا وجرا وقال
الزجاج لا اجيز قراة ابي عمرو لانها خلاف المصحف وقال ابو عبيد رايتها في الامام
مصحف عثمان هذن ليس فيها الالف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط
الالف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه باليا ولا يسقطونها وقالت جماعة منهم عايشة
وابو عمرو هذا مما لحن الكاتب فيه واقيم بالصواب وقرا عبد الله ان ذان الا ساحران
قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لابي وقال وابن مسعود ان هذان ساحران
بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى انتهى وقرات فرقة ما هذان الا ساحران وقولهم
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما تبعوا فيه ما قاله فرعون اجيتنا لتخرجنا من ارضنا
بسحرك ونسبوا السحر ايضا لهارون لما كان مشتركا معه في الرسالة وسلكا طريقته
وعلقوا الحكم على الارادة وهم لا اطلاع لهم عليها تعليقا للحكم على الظاهر عندهم
وارضكم هي ارض مصر ووصفوهما بالسحر تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وقد كان ظهر

لهما

لهما من امر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا انه ليس في قدرة الساحر ان ياتي بمثل
ذلك والظاهر ان الضمير في قالوا يعود على السحرة خاطب بعضهم بعضا وقيل خاطبوا فرعون
بمخاطبة التعظيم والطريقة السيرة والملة والحال التي هم عليها والمثلى تانيث الامثل
اي الفضلى الحسنى وقيل عبر عن السادة بالطريقة وانه يراد بها اهل الفضل والسن والحجى
وحكوا ان العرب تقول فلان طريقة قومه اي سيدهم وعن علي نحو ذلك قال ويصرفان
وجوه الناس اليهما وقيل هو على حذف مضاف اي ويذهبا باهل طريقتكم وهم بنو اسرايل
لقول موسى ارسل معنا بني اسرايل بالغوا في التنفير عنهما بنسبتهما الى السحر وبالطبع ينفر
عن السحر وعن روية الساحر ثم بارادة الاخراج من ارضهم ثم بتغيير حالهم من
المناصب والرتب المرغوب فيها وحكى تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله فجمع كيده
قولهم فاجمعوا كيدكم وقيل هو من كلام فرعون والظاهر انه من كلام السحرة بعضهم لبعض
وقرا الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم من اجمع رباعيا اي اعزموا واجعلوه
مجمعا عليه حتى لا يختلفوا ولا يتخلف واحد منكم كالمسالة المجمع عليها وقرا الزهري
وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب في رواية وابو حاتم بوصل الالف وفتح الميم من جمع وافقا
لقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده وتقدم الكلام في جمع واجمع في سورة يونس
في قصة نوح عليه السلام وتداعوا الى الاتيان صفا لانه اهيب في عيون الرايين واظهر
في النوبة وانتصب صفا على الحال اي مصطفين او مفعولا به اي ايتوا المكان الذي يجتمعون
فيه لعيدهم وصلواتهم وقرا شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر
الميم من ثم وابدال الهمزة باليا تخفيفا قال ابو علي وهذا غلط ولا وجه لكسر الميم من
ثم وقال صاحب اللوامح وذلك لالتقا الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك
وقد افلح اليوم اي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه واختلفوا في عدد
السحرة اختلافا مضطربا جدا فاقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل
ساحر عصي وحبال واكثر ما قيل تسع ماية الف قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه
خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا
كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نوثرك على ما جانا من
البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاوليك لهم الدرجات العلى جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا من تزكى في الكلام حذف تقديره فجاوا
مصطفين الى مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل وجا موسى واخوه ومعهما عصاه فوقفوا
امامه وقالوا يا موسى اما ان تلقي وذكروا الالقا لانهم علموا ان اية موسى بالقا العصى
قيل خيروه ثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون ان احدا لا يقاومهم في السحر وقال
الزمخشري وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه
على اعطايهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه الصلاة والسلام
اختيار القايهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر
ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل
فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية بينة للناظرين وعبرة للمعتبرين انتهى
وموكم وخطابه وان وما بعده بتقدير مصدر فاما ان يكون مرفوعا واما ان يكون منصوبا
والمعنى انك تختار احد الامرين وقال الزمخشري الرفع الامر القاوك او القاونا فيجعله
خبرا لمبتدا محذوف واختار ان يكون مبتدا والخبر محذوف تقديره القاوك اول ويدل
عليه قوله واما ان نكون اول من القى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وان كان من

حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة لانا قدرنا القاوك اول ومقابله كونهم يكونون اول
من يلقي لكنه يلزم من ذلك ان يكون القاوهم اول فهي مقابلة معنوية وفي تقدير الزمخشري
الامر القاوك لا مقابلة فيه وقدر الزمخشري النصب اخر احد الامرين وهذا تفسير
معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب اما نحن فان نلقي وتقدم نحو هذا التركيب
في الاعراف قال بل القوا لا يكون الامر بالالقا من باب تجويز السحر والامر به لان الغرض
في ذلك الفرق بين القائهم والمعجزة وتعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة او الامر
مقرون بشرطه اي القوا ان كنتم محقين كقوله تعالى فاتوا بسورة مثله ثم قال ان كنتم
صادقين وفي الكلام حذف تقديره فالقوا فاذا قال ابو البقا فاذا حبالهم الفا جواب
ما حذف وتقديره فالقوا فاذا في هذا ظرف مكان والعامل فيه القوا انتهى وقوله فاذا
الفا جواب ما حذف وتقديره فالقوا ليست هذه فا جواب لان فالقوا لا ايجاب وانما هي
للعطف عطفت جملة المفاجاة على ذلك المحذوف وقوله واذا في هذا ظرف مكان يعني ان
اذا التي للمفاجاة ظرف مكان وهو مذهب المبرد وظاهر كلام س وقوله والعامل فيه القوا
ليس بشي لان الفا تمنع من العمل ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر المبتدا الذي هو
حبالهم وعصيهم ان لم نجعلها هي في موضع الخبر لانه يجوز ان يكون الخبر تخيل ويجوز ان
يكون اذا ويحتمل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فاذا
رفعت رابضا كانت اذا معمولة له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض او في المكان واذا
نصبا كانت خبرا ولذلك يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد
وقال الزمخشري يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكاينة
بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون
ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجات والجملة ابتدائية لا غير فيقدر قوله تعالى
فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى
على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي انتهى فقوله والتحقيق فيها انها اذا
الكاينة بمعنى الوقت وهذا مذهب الرياشي ان اذا الفجائية ظرف زمان وهو قول
مرجوح وقول الكوفيين انها حرف قول مرجوح ايضا وقوله الطالبة ناصبا لها صحيح
وقوله وجملة تضاف اليها هذا عند اصحابنا ليس بصحيح لانها اما ان تكون هي خبر
المبتدا واما معمولة لخبر المبتدا واذا كان كذلك استحال ان تضاف الى الجملة لانها
اما ان تكون بعض الجملة او معمولة لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت في بعض
المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة قد بينا الناصب لها وقوله
والجملة ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نقل الاخفش في الاوسط على
ان الجملة المصحوبة بقد تليها وهي فعلية تقول خرجت فاذا قد ضرب زيد عمرا
وبنى على ذلك مسيلة الاشتغال خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه
واما قوله والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا بعكس ما قدر
بل المعنى على مفاجاة حبالهم وعصيهم اياه فاذا قلت خرجت فاذا السبع فالمعنى انه
فاجاني السبع وهجم ظهوره وقرا الحسن وعيسى عصيهم بضم العين حيث كان وهو
الاصل لان الكسر اتباع لحركة الصاد وحركة الصاد لاجل اليا وفي كتاب اللوامح
الحسن وعصيهم بضم العين واسكان الصاد وتخفيف اليا مع الرفع وهو ايضا جمع
كالعامة لكنه على فعل وقرا الزهري والحسن وعيسى وابو حيوة وقتادة والجحدري
وروح وابو هدان وابن ذكوان تخيل بالتا مبنيا للمفعول وفيه ضمير الحبال والعصي
وانها تسعى بدل اشتمال ايضا من ذلك الضمير لكنه فاعل من جهة المعنى وقال
ابن عطية انها مفعول من اجله وقال ابو القاسم العفري الاندلسي في كتاب الكامل
من تاليفه عن ابي السماك انه قرا تخيل بالتا من فوق المضمومة وكسر اليا والضمير
فيه فاعل وانها تسعى في موضع نصب على المفعول به ونسب ابن عطية هذه القراة
الى الحسن والثقفي يعني عيسى ومن بنى تخيل للمفعول فالمتخيل لهم ذلك هو المحنة

والابتلا

والابتلا وروى الحسن عن علي عن ابي حيوة نخيل بالنون وكسر اليا فالمتخيل لهم ذلك هو
الله تعالى والضمير في اليه الظاهر انه يعود على موسى لقوله قبل قالوا يا موسى وقوله بعد
فاوجس في نفسه خيفة موسى وقيل يعود على فرعون والظاهر من القصص ان الحبال
والعصي كانت تتحرك وتنتقل الانتقال الذي يشبه انتقال من قامت به الحياة
ولذلك ذكر السعي وهو وصف من يمشي من الحيوان فروي انهم حشوا في الحبال والعصي
زيبقا والقوها في الشمس فاصاب الزيبق حرارة الشمس فتحرك العصا والحبال ثمة
وقيل حفروا الارض وجعلوا تحتها نارا وكانت العصي والحبال مملوة بزيبق فلما اصابها
حرارة الارض تحركت وكان هذا من باب الدك وقيل انها لم تتحرك وكان ذلك من
سحر العيون فقد صرح تعالى بهذا فقال سحروا اعين الناس فكان الناظر يخيل اليه
انها تنتقل وتقدم شرح الرجس وقال الزمخشري كان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه
لا يكاد يمكن الخالي من مثله وهو قول الحسن وقيل كان خوفه على الناس ان يفتتنوا لهول
ما راى قبل ان يلقي عصاه وهو قول مقاتل والايجاس من الهاجس الذي يخطر بالبال
وليس بتمكن وخيفة اصله خوفة قلبت الواو يا بالكسرة ما قبلها وقال ابن عطية يحتمل ان
يكون خوفه بفتح الخا قلبت الواو يا ثم كسرت الخا للتناسب انك انت الاعلى تقدير
لعليته وقهره وتوكيد بالاستيناف والكلمة التوكيد وبتكرير الضمير وبلام التعريف
وبالاعلوية الدالة على التفضيل والق ما في يمينك لم يات بالتركيب والق عصاك لما
في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة قال الزمخشري وقوله ما في يمينك ولم يقل
عصاك جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد
الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها
وجاز ان يكون تعظيما لها اي لا تحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيا
اعظم منها كلها وهذا على كثرتها اقل شي وادره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها
انتهى وهو تكثير وخطابة لا طايل في ذلك وقوله تلقف حمل على معنى ما لا على لفظها اذ الحقت
ما على العصا والعصا مونثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء وقرا الجمهور تلقف بفتح
اللام وتشديد القاف والجزم على جواب الامر وقرا ابن عامر كذلك برفع الفا على
الاستيناف او على الحال من الملقي وقرا ابو جعفر وحفص وعصمة عن عاصم تلقف
باسكان اللام والقاف وتخفيف القاف وعن قنبل انه كان يشدد التا من تلقف يريد تتلقف
وقرا الجمهور كيد بالرفع على ان ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف ويحتمل
ان تكون ما مصدرية اي ان صنعهم كيد ومعنى صنعوا هنا زوروا وافتعلوا كقوله
تلقف ما يافكون وقرا مجاهد وحميد وزيد بن علي كيد سحر بالنصب مفعولا لصنعوا
وما مهيئة وقرا ابو بحرية والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وخلف في اختياره وابن
عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي وابن جرير وحمزة والكسائي سحر باسكان الحا وكسر
السين بمعنى ذي سحر وذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه ونحوه
علم فقه وعلم نحو وقرا الجمهور ساحر اسم فاعل من سحر وافرد ساحر من حيث ان فعل
الجميع نوع واحد من السحر وذلك الحبال والعصي فكانه صدر من ساحر واحد
لعدم اختلاف انواعه وقال الزمخشري لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية
لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى ان قوله ولا يفلح الساحر
يريد الجنس انتهى وعرف في قوله ولا يفلح الساحر لانه عاد على ساحر النكرة قبله
كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقال الزمخشري انما نكر
يعني اولا من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما
قد مدت وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد تنكير
الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وامر دنياوي واخروي انتهى وقول العجاج
في سعي دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تانيث الادنى ولا يستعمل تانيثه الا بالالف
واللام او الاضافة واما قول عمر فيحتمل ان يكون من تحريف الرواة ومعنى ولا يفلح

لا يظفر بعينه حيث اتى اي حيث توجه وسلك وقالت فرقة معناه ان الساحر يقتل حيث
ثقف وهذا اجزاء من عدم الفلاح وقرات فرقة اين اتى وبعد هذا جمل محذوفة والتقدير
فزال ايجاس الخيفة والقاها فتلقفت حبالهم وعصيهم ثم انقلبت عصا فقدوا الحبال
والعصي وعلموا ان ذلك معجز ليس في طوق البشر فالقي السحرة سجدا وجا التركيب
فالقي السحرة ولم يأت فسجدوا وكانه جاءهم وامر وازعهم واخذ بهم فصنع بهم ذلك وهو
عبارة عن سرعة ما تاثروا لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين
وقدم موسى في الاعراف واخر هارون لاجل الفواصل ولكون موسى هو المنسوب اليه
العصا التي ظهر منها ما ظهر من الاعجاز واخر هنا موسى لاجل الفواصل ايضا كقوله لكان
لزاما واجل مسمى وازواجا من نبات شتى اذ كان شتى صفة لقوله ازواجا ولا فرق
بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد اذ الواو لا تقتضي ترتيبا على انه يحتمل ان يكون
القولان من قائلين نطقت طايفة بقولهم رب موسى وهارون وطايفة بقولهم رب
هارون وموسى ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين الى الجميع وقيل قدم
هارون هنا لانه كان اكبر سنا من موسى وقيل لان فرعون كان ربى موسى فبدا
بهارون ليزول بموته فرعون انه ربى موسى فيقول انا ربيته وقالوا رب هارون
وموسى ولم يكتفوا بقولهم رب العالمين للنص على انهم امنوا برب هذين وكان فيما قيل
يزعم انه رب العالمين وتقدم الخلاف في قراءة امنتم وفي لاقطعن ولاصلبن في الاعراف
وتفسير نظير هذه الاية فيها وجاهنا له امنتم به وهناله وامن يوصل بالباء اذا كان بالله
وباللام لغيره في الاكثر نحو فامن له لوط لن نومن لك وما انت بمومن لنا فامن له لوط
واحتمل في به ان يعود على موسى وان يحتمل يعود على الرب واراد بالتقطيع والتصليب
في الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقر المصلوب فاشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف
عدى الفعل بفي التي للوعاء وقيل في بمعنى على وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله
فصار ظرفا لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا ومن تعديه بفي قول الشاعر ∘
∘ وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة ∘ فلا عطست شيبان الا باجدعا ∘ وفرعون اول
من صلب وانتم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وعلى فعل غيره وهو ولتعلمن اينا اي اي واي
من امنتم به وقيل اي واي موسى وقال ذلك على سبيل الاستهزا لان موسى لم يكن من اهل
التعذيب والى هذا القول ذهب الزمخشري قال بدليل قوله امنتم له واللام مع
الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يومن بالله ويومن للمومنين وفيه نفاجه باقتداره
وقهره وما الفه وجرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف مع الهزء به انتهى وهو قول الطبري قال يريد نفسه وموسى عليه السلام
والقول الاول اذهب مع مخرقة فرعون ولتعلمن هنا معلق واينا اشد جملة استفهامية
من مبتدا وخبر في موضع نصب لقوله ولتعلمن سدت مسد المفعولين او في موضع مفعول
واحد ان كان لتعلمن تعدية تعدي عرف ويجوز على هذا الوجه ان يكون اينا مفعول لتعلمن
وهو مبني على راي س واشد خبر مبتدا محذوف واينا موصولة والجملة بعدها صلة
والتقدير ولتعلمن من هو اشد عذابا وابقى قالوا لن نوثرك اي لن نختار اتباعك
وكوننا من حزبك وسلامتنا من عذابك على ما جانا من البينات وهي المعجزة التي
اتينا وعلمنا صحتها وفي قولهم هذا تنبيه له واستصغار لما هددهم به وعدم اكتراث
بقوله وفي نسبة المجي اليهم وان كانت البينات جات لهم ولغيرهم لانهم كانوا اعرف
بالسحر من غيرهم وقد علموا ان ما جا به موسى ليس بسحر فكانوا على جلية من العلم بالمعجز
وغيرهم يقلدهم في ذلك وايضا وكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها فكانت بينات
واضحة في حقهم والواو في والذي فطرنا واو عطف على ما جانا اي وعلى الذي
فطرنا لما لاحت لهم حجة الله في المعجزة بدوابها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة
وهو الله تعالى وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذي فطرنا تبيينا لعجز فرعون
وتكذيبه في ادعاء ربوبيته والالهية وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلا عن اختراعها

وقيل لو للقسم وجوابه محذوف ولا يكون لن نوثرك جوابا لانه لا يجاب في النفي بلن الا
في شاذ من الشعر وما موصولة بمعنى الذي وصلته انت قاض والعايد محذوف اي ما انت
قاضيه قيل ولا يجوز ان تكون ما مصدرية لان المصدرية توصل بالافعال وهذه موصولة
بابتدا وخبر انتهى وهذا ليس مجمعا عليه بل قد ذهب ذاهبون من النحاة الى ان ما المصدرية
توصل بالجملة الاسمية وانتصب هذه الحيوة على الظرف وما مهيية ويحتمل ان تكون مصدرية
اي ان قضاك كاين في هذه الحياة الدنيا لا في الاخرة بل في الاخرة لنا النعيم ولك العذاب
وقرا الجمهور تقضي مبنيا للفاعل خطابا لفرعون وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة تقضي
مبنيا للمفعول تقضى هذه الحياة بالرفع اتسع في الظرف فاجري مجرى المفعول به
ثم بني الفعل لذلك ورفع به كما تقول صام يوم الجمعة وولد له ستون عاما ولم يصرح
في القران انه انفذ فيهم وعيده ولا انه قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم بل الظاهر انه
تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقيل انفذ فيهم
وعده وصلبهم على الجذوع واكراهه اياهم على السحر قيل حملهم على معارضة موسى وقيل كان
ياخذ ولدان الناس وغيرهم على ذلك فاشارة السحرة الى ذلك قاله الحسن والله خير
وابقى وثواب الله وما اعده لمن امن به وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما
نفعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا
ان يعارضون ويظهر من قولهم ان لنا لاجرا عدم الاجرا انه من باب الي من تزكى قيل هو
حكاية قولهم عظة لفرعون وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية تنبيها على قبح ما فعل
فرعون وحسن ما فعل السحرة وموعظة وتحذيرا والمجرم هنا الكافر لذكر مقابله ومن
ياته مومنا ولقوله لا يموت فيها ولا يحيى اي يعذب عذابا ينتهي به الى الموت
ثم لا يجهز به الى الموت يستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه فهو ما يحيى حياة طيبة
بخلاف المومن والكافر وفي الحديث انهم يسالون اماته وهذا هو معنا ولانه لا موت
في الاخرة وتزكى تطهر من دنس الكفر وقيل قال لا اله الا الله ولقد اوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون
بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى يا بني اسرايل قد
انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى لما استنفا في اخبار عن موسى من امر موسى عليه الصلاة والسلام وبينه وبين
مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك ان
فرعون لما انقضى امر السحرة وغلب موسى وقوى امره وعده فرعون ان يرسل معه بني
اسرايل فاقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ومكث واعلمه انه لا يرسلهم معه فبعث
الله تعالى حينيذ الايات المذكورة في غير هذه الايات المحراة والفصل الى اخرها
كلما جات اية وعد فرعون ان يرسل بني اسرايل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث
حتى تاتي اخرى فلما كملت الايات اوحى الله الى موسى عليه السلام ان يخرج ببني اسرايل
في الليل سارا والسرى مسير الليل ويحتمل ان ان مفسرة وان يكون الناصب للمضارع هو
وبعبادي اضافة تشريف كقوله تعالى ونفخت فيه من روحي والظاهر ان الايحا اليه
بذلك وبان يضرب البحر كان متقدما بمضي على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده
وقيل كان الوحي بالضرب حين قارب فرعون لحاقه وقوي فزع بني اسرايل وروي
ان موسى عليه السلام نهض ببني اسرايل وهم ستماية الف انسان فسار بهم من مصر يريد
بحر القلزم واتصل الخبر لفرعون فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراه فاوحى الله تعالى الى
موسى ان يقصد البحر فخرج ببني اسرايل وراوا العدو من ورايهم والبحر من
امامهم وموسى يثق بصنع الله تعالى فلما راهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم
وكان مقصدهم الى موضع ينقطع فيه الخوض والطرق الواسعة وقيل كان في خيل فرعون
سبعون الف ادهم ونسبة ذلك من ساير الالوان وقيل اكثر من هذا فضرب موسى عليه

السلام البحر فانفرق اثني عشر فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الما واقفة ويدل عليه فصار
كل فرق كالطود العظيم وقيل بل هو طريق واحد لقوله فاضرب لهم طريقا انتهي وقد يراد
بقوله طريقا الجنس فدخل موسي عليه السلام بعد ان بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق
حتي يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الي المدخل وبنو اسرائيل كلهم في البحر فراي
الما علي تلك الحال فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما انفلق من هيبتي وتقدم
غرق فرعون وقومه في سورة يونس عليه السلام والظاهر ان لفظه اضرب هنا علي حقيقتها
من مس العصا البحر بقوة وتحامل علي العصا ويوضحه في اية اخري ان اضرب بعصاك البحر
فانفلق فالمعني ان اضرب بعصاك البحر لينفلق فيصير طريقا فتعدى الي الطريق بدخول هذا
الطريق المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كانه المضروب وقال الزمخشري
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله انتهي وفي الحديث
اضربوا لي معكم بسهم ولما لم يذكر المضروب حقيقة وهو البحر قال في البحر ولو كان صرح
بالمضروب حقيقة لكان التركيب طريقا فيه فكان يعود الضمير علي البحر المضروب
ويبسا مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كان حالة الضرب لم يتصف باليبس
بل مرت عليه الصبا فجففته كما روي ويقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ومن
كونه مصدرا وصف به المونث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرا الحسن
يبسا بسكون البا قال صاحب اللوامح قد يكون مصدرا كالعامة وقد يكون بالاسكان المصدر
وبالفتح الاسم كالنفض وقال الزمخشري لا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس
او صفة علي فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع انتهي وقرا ابو حيوة يابسا اسم فاعل وقرا الجمهور لا تخاف
وهي جملة في موضع الحال من ضمير فاضرب وقيل في موضع الصفة للطريق وحذف العايد
اي لا تخاف فيه وقرا الاعمش وحمزة وابن ابي ليلي لا تخف علي الجزم علي جواب الامر او علي
نهي مستانف قاله الزجاج وقرا ابو حيوة وطلحة والاعمش دركا بسكون الرا والجمهور
بفتحها والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك
ولا تخشي انت ولا قومك غرقا وعطفه علي قراة الجمهور لا تخاف ظاهر واما علي قراة الجزم
فخرج علي ان الالف جي بها لاجل اواخر الاي فاصلة نحو قوله فاضلونا السبيلا او علي انه اخبار
مستانف اي وانت لا تخشي او علي النهي مجزوم بحذف الحركة المقدرة علي لغة من قال الم
ياتيك وهي لغة قليلة وقال الشاعر • اذا العجوز غضبت فطلق •
• ولا ترضاها ولا تملق • وقرا الجمهور فاتبعهم بسكون التا واتبع قد يكون بمعنى تبع فيتعدي
الي واحد كقوله تعالي فاتبعه الشيطان وقد يتعدي الي اثنين كقوله واتبعناهم ذرياتهم
فتكون البا زايدة اي جنوده او تكون للحال والمفعول الثاني محذوف اي رؤساه وحشمه
وقرا ابو عمرو في رواية والحسن فاتبعهم بتشديد التا وكذا عن الحسن في جميع ما في
القران الا فاتبعه شهاب ثاقب والبا في بجنوده في موضع الحال كما تقول خرج زيد
بسلاحه او البا للتعدي لمفعول ثان بحرف جر اذ لا يتعدى اتبع بنفسه الا الي مفعول
واحد وقرا الجمهور فغشيهم من اليم ما غشيهم بتضعيف العين فالفاعل في القراة الاولي ما
وفي الثانية الفاعل الله اي فغشاهم الله او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم
وقال ما غشيهم من باب الاختصار وجوامع الكلم التي يستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي
غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالي وقال ابن عطية ما غشيهم ابهام اهول من النص
علي قدر ما وهو كقوله اذ يغشي السدرة ما يغشي والظاهر ان الضمير في غشيهم في الموضعين
عايد علي فرعون وقومه وقيل الثاني علي موسي وقومه وفي الكلام حذف علي هذا القول
تقديره فنجا موسي وقومه وغرق فرعون وقومه وقال الزجاج وقرئ وجنوده عطفا
علي فرعون واضل فرعون قومه اي من اول امره الي هذه النهاية ومعني الضلال في الدين
وقيل اضلهم في البحر لانهم غرقوا فيه واحتج به القاضي علي مذهبه فقال لو كان الضلال
عن خلق الله تعالي لما جاز ان يقال واضل فرعون بل وجب ان يقال الله اضلهم لان الله

تعالى

تعالي ذمه بذلك فكيف يكون مخالفا للكفر لان من ذم غيره بفعل شي لم يمكن لا بد ان يكون
المذموم فاعلا لذلك الفعل والا بطل استحقاق الزام الذم انتهي وهو علي طريق الاعتزال
وما هدي اي ما هداهم الي الدين او ما نجي من الغرق او ما اهتدى في نفسه لان هدى قد
ياتي بمعني اهتدي يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم ذكرهم تعالي بانواع نعمه
وبدا بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والخراج والذبح وهي اكد ان تكون مقدمة
علي المنفعة الدنياوية لان ازالة الضرر اعظم في النعمة من ايصال تلك المنفعة ثم
اعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله تعالي ووعدناكم جانب الطور الايمن
اذ انزل علي نبيهم موسي كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم بذكر المنفعة الدنياوية
وهو قوله ونزلنا عليكم المن والسلوي والظاهر ان الخطاب لمن نجا مع موسي بعد اغراق
فرعون وقيل لمعاصري الرسول اعتراضا في انتقاضة موسي توبيخا لهم اذ لم يصبر
سلفهم علي اداء شكر نعم الله تعالي فهو علي حذف مضاف اي انجينا اباكم من تعذيب ال
فرعون وخاطب الجميع بوعدناكم وان كان الموعود وهم السبعين الذين اختارهم موسي
لسماع كلام الله تعالي لان سماع اوليك السبعين تعود منفعته علي جميعهم اذ تطمين
قلوبهم وتسكن وتقدم الكلام في جانب الطور الايمن في سورة مريم وعلي وانزلنا عليكم
المن والسلوي في سورة البقرة وقرا حمزة والكسائي والاعمش وطلحة قد انجيتكم
وواعدتكم ما رزقتكم بتا الضمير وباقي السبعة بنون العظمة وحميد ونجيناكم بتشديد الجيم
من غير الف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف ابي عمرو في واعدنا في البقرة والطيبات
هنا الحلال اللذيذ لانه جمع الوصفين وقري الايمن قال الزمخشري بالجر علي الجوار
نحو جحر ضب خرب انتهي وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي ان لا يخرج القراة عليه
والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه علي يمين من يستقبل الجبل ونهاهم
عن الطغيان فيما رزقهم وهو ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو
والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي ويمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيها
وقرا زيد بن علي ولا تطغوا فيه بضم الغين وعن ابن عباس ولا تطغوا فيه لا يظلم بعضكم
بعضا فياخذه من صاحبه يعني من غير حق وعن الضحاك ومقاتل لا تجاوزوا حد الاباحة
وعن الكلبي لا تكفروا النعمة اي لا تستعينوا بنعمتي علي مخالفتي وقرا الجمهور فيحل بكسر
الحا ومن يحلل بكسر اللام اي فيجب ويلحق وقرا الكسائي بضم الحا ولام يحلل اي ينزل وهي
قراة قتادة وابي حيوة والاعمش وطلحة ووافق ابن عتيبة في يحلل وفي الاقناع لابي علي
الاهوازي ما نصه ابن غزوان عن طلحة لا يحلن عليكم غضبي بلام ونون مشددة وفتح اللام
وكسر الحا اي لا تتعرضوا في الطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من باب لا ارينك هنا وفي
كتاب اللوامح قتادة وعبد الله بن مسلم بن يسار وابن وثاب والاعمش فيحل بضم
اليا وكسر الحا من الاحلال فهو متعد من حل بنفسه والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته وتقديره
فيحل به طغيانكم غضبي عليكم ودل علي ذلك ولا تطغوا فيصير غضبي في موضع نصب مفعول
به ولا يجوز ان يسند الفعل الي غضبي فيصير في موضع رفع بفعله وقد يحذف فيه المفعول
للدليل عليه وهو العذاب او نحوه انتهي فقد هوي كني به عن الهلاك واصله ان يسقط
من جبل فيهلك يقال هوي الرجل اي سقط ويشبه الذي وقع في ورطة كذا وجدا ان كان
نحوه منها بالساقط او هوى في جهنم وفي سخط الله وغضبه وعقوبته ولذلك وصف بالنزول
ولما حذر تعالي الطغيان فيما رزق وحذر من حلول غضبه فتح باب الرجا للتايبين واتي
بصيغة المبالغة وهي قوله تعالي واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس من الشرك
وامن اي وحد الله وعمل صالحا ادي الفرايض ثم اهتدي لزم الهداية واداماها الي
الموافاة علي الاسلام وقيل معناه لم يشك في ايمانه وقيل ثم استقام قال ابن عطية والذي
يقوى في معني ثم اهتدي ان يكون ثم حفظ معتقداته من ان يخالف الحق في شي من
من الاشيا فان الاهتدا علي هذا الوجه غير الايمان وغير العمل وقال الزمخشري
الاهتدا هو الاستقامة والثبات علي الهدي المذكور وهو التوبة والايمان والعمل

الصالح ونحوه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين
دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة
لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منه وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري
وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه
غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم
واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا لما نهض موسى عليه السلام
ببني اسرائيل الى جانب الطور الايمن حيث كان الموعد ان يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل
والاجل وابي على وجه الاجتهاد ان تقدم وحده مبادرا الى امر الله وحرصا على القرب منه
وشوقا الى مناجاته واستخلف هارون على بني اسرائيل وقال لهم موسى تسيرون الى جانب
الطور فلما انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه زاده في الاجل عشرا وحينئذ وقفه على استعجاله
دون القوم ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا وما استفهام اي اي شيء
عجل بك عنهم قال الزمخشري وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم
تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظن ان ذلك اقرب الى رضى الله
فذهل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت
فالمراد بالقوم النقباء انتهى والظاهر ان قوله عن قومك يريد به جميع بني اسرائيل كما قد
بينا قبل لا السبعين وقال الزمخشري وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون
قد فاتهم قبل الميعاد وجه صحيح ما يأباه قوله هم اولاء على اثري انتهى وما اعجلك سؤال عن
سبب العجلة واجاب بقوله هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لان قوله وما اعجلك
تضمن تاخر قومه عنه فاجاب مشيرا اليهم لقربهم منه انهم على اثره جائين للموعد وذلك
على ما كان عهد اليهم ان يجيئوا للموعد ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو ما تضمنه
قوله وعجلت اليك رب لترضى من طلبه رضى الله تعالى عنه في السبق الى ما وعده ربه ومعنى اليك
الى مكان وعدك ولترضى اي ليدوم رضاك ويستمر لانه تعالى كان عنه راضيا وقال
الزمخشري فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب
ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى
غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها
والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر
وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به
في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد
راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى
ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق
المترتب على حدود الكلام انتهى وفيه سوء ادب على الانبياء عليهم السلام وقرا الحسن وابن
معاذ عن ابيه اولاي بياء مكسورة وابن وثاب وعيسى في رواية اولا بالقصر وقرات فرقة
اولاي بياء مفتوحة وقرا عيسى ويعقوب وعبد الوارث عن ابي عمرو وزيد بن علي
اثري بكسر الهمزة وسكون الثاء وحكى الكسائي اثري بضم الهمزة وسكون الثاء وتروى عن عيسى
وقرا الجمهور اولاء بالمد والهمز على اثري بفتح الهمزة والثاء وعلى اثري يحتمل ان يكون خبرا
بعد خبر وفي موضع نصب على الحال قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اي
اختبرناهم بما فعل السامري او القيناهم في فتنة اي ميل من الشهوات ووقوع في اختلاف
من بعدك اي من بعد فراقك لهم وقال الزمخشري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة
انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة
ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا

قد فتنا قومك من بعدك قلت اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة
على عادته وافترض السامري غيبته فعزم على المتركة اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير
ذلك فكان بدء الفتنة موجودا انتهى وقرا الجمهور واضلهم فعلا ماضيا وقرا ابو معاذ وفرقة
واضلهم برفع اللام مبتدا والسامري خبره وكان اشدهم ضلالا لانه ضال في نفسه مضل غيره
وفي القراءة المشهورة اسند الضلال الى السامري لانه كان السبب في ضلالهم واسند الفتنة
اليه تعالى لانه هو الذي خلقها في قلوبهم والسامري قيل اسمه موسى بن ظفر وقيل منجا وهو ابن
خالة موسى او ابن عمه او عظيم من بني اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة او علج من كرمان
او من باجرما او من اليهود او من القبط امن بموسى وخرج معه وكان جاره او من عباد البقر
وقع في مصر فدخل في بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه عبادة البقر قولان وتقدم في الاعراف
كيفية اتخاذ العجل وقيل ذلك في البقرة فاغنى عن اعادته هنا فرجع موسى الى قومه وذلك بعد
ما استوفى الاربعين وانتصب غضبان اسفا على الحال والاسف اشد الغضب وقيل الحزن
وغضبه من حيث له قدرة على تغيير منكرهم واسفه وهو حزنه من حيث علم انه موضع عقوبة لا يد له
بدفعها ولا بد منها قال ابن عطية والاسف في كلام العرب متى كان من ذي قدرة على من دونه فهو غضب
ومتى كان من الاقل على الاقوى فهو حزن وتامل ذلك فهو مطرد ثم اخذ موسى عليه السلام يوبخهم
على اضلالهم والوعد الحسن ما وعدهم من الوصول الى جانب الطور الايمن وما بعد ذلك من
الفتوح في الارض والمغفرة لمن تاب وامن وغير ذلك مما وعد الله اهل طاعته وقال الزمخشري
وعدهم الله بعد ما استوفى الاربعين ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن
من ذلك واجمل وقال الحسن الوعد الحسن الجنة وقيل ان يسمعهم كلامه والعهد الزمان
يريد مفارقته لهم يقال طال عهدي بكذا اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره
وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل انتهى وانتصب وعدا على المصدر
والمفعول الثاني ليعدكم محذوف او اطلق الوعد ويراد به الموعود فيكون هو المفعول
الثاني وفي قوله افطال الى اخره توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى يتبين
لهم خلف في الموعد وارادة حلول غضب الله وذلك كله لم يكن لكنهم عملوا عمل من لم يتدبر وسمى
العذاب غضبا من حيث هو ناشئ عن الغضب فان حمل بمعنى الارادة فصفة ذات او عن ظهور
النقمة والعذاب فصفة فعل وموعدي مصدر يحتمل ان يضاف الى الفاعل اي اوجدتموني
اخلفت ما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعد فلان اذا وجده وقع فيه الخلف قاله المفضل
وان يضاف الى المفعول وكانوا وعدوه ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام
ولا يخالفوا امر الله ابدا فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل وقرا الاخوان والحسن والاعمش وطلحة
وابن ابي ليلى وقعنب بملكنا بضم الميم وقرا زيد بن علي ونافع وعاصم وابو جعفر وشيبة وابن
سعدان بفتحها وباقي السبعة بكسرها وقرا عمر رضي الله عنه بملكنا بفتح الميم واللام وحقيقته
بسلطاننا فالملك بمنزلة النقض والنقض والظاهر انها لغات والمعنى واحد وفرق ابو علي
وغيره بين معانيها فمعنى الضم انه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما اخلفناه بنظر ادى
اليه ما فعل السامري فليس المعنى ان لهم ملكا وانما هذا كقول ذي الرمة لا يشتكى سقطة
منها وقد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حدب اي لا يكون منها سقطة فتشتكى وفتح الميم مصدر
من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بانا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا وكسر الميم
كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التي قبلها
والمصدر في هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر اي بملكنا الصواب وقال
الزمخشري اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورايينا لما اخلفناه ولكن
غلبنا من جهة السامري وكيده وقرا الاخوان وابو عمرو وابن محيصن بفتح الحاء والميم وابو رجاء
بضم الحاء وكسر الميم وقرا باقي السبعة وابو جعفر وشيبة وحميد ويعقوب غير روح كذلك
الا انهم شددوا الميم والاوزار الاثقال اطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم
التزين اوزارا لثقلها او لسبب انهم اثموا في ذلك فسميت اوزارا لما حصلت الاوزار التي
هي الاثام بسببها والقوم هنا القبط وقيل امرهم بالاستعارة موسى وقيل امر الله موسى

بذلك وقيل امر الله موسى بذلك وقيل هو ما القاه البحر مما كان على الذين غرقوا وقيل الاوزار
هنا الاثام من جهة انهم لم يبردوها الى اصحابها ومعنى انهم حملوا الاثام وقذفوها على ظهورهم
كما جاء وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل معنى فقذفناها اى الحلى على انفسنا واولادنا
وقيل فقذفناها في النار اي ذلك الحلي وكان اشار عليهم بذلك السامري فحفرت حفرة
وسجرت فيها النار وقذف كل من معه شئ ما عنده من ذلك في النار وقذف السامري
ما معه ومعنى فكذلك اي مثل قذفنا اياها القى السامري ما كان معه وظاهر هذه الالفاظ
ان العجل لم يصغه السامري وقال الزمخشري فكذلك القى السامري اراهم انه
يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل
اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري
من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار تخور كالخوار العجاجيل والمراد بقوله
انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على
الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى انتهى وقيل معنى جسدا شخصا
وقيل لا يتغذى وتقدم الكلام على قوله له خوار في الاعراف والضمير في فقالوا لبني اسرائيل
اي ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذا اشارة الى العجل وقيل الضمير في فقالوا عائد
على السامري اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لجرمه وقيل عليه وعلى تابعيه وقرا الاعمش
فنسي بسكون الياء والظاهر ان الضمير في فنسي عائد على السامري اى فنسي اسلامه وايمانه
قاله ابن عباس او فترك ما كان عليه من الدين قاله مكحول وهو كقول ابن عباس
او فنسي ان العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا او فنسي الاستدلال على
حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شئ ولا يحل فيه شئ وعلى هذه الاقوال يكون
فنسي اخبارا من الله عن السامري وقيل الضمير عائد على موسى عليه السلام اي فنسي موسى ان يذكر
لكم ان هذا الهكم او فنسي الطريق الى ربه وكلا هذين القولين عن ابن عباس او فنسي موسى
الهه عندكم وخالفه في طريق اخر قاله قتادة وعلى هذه الاقوال يكون من كلام السامري
ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بان الالوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال
افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول ابراهيم لابيه لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر والروية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها ان المخففة من الثقيلة
كما جاء الم يروا انه لا يكلمهم بان الثقيلة وبرفع يرجع قرا الجمهور وقرا ابو حيوة ان لا يرجع
بنصب العين قاله ابن عطية وخالويه في الكامل ووافقه على ذلك وعلى نصب ولا يملك
الزعفراني وابن صبيح وابان والشافعي محمد بن ادريس الامام المطلبي جعلوها ان
الناصبة للمضارع وتكون الروية من الابصار الحلية معروفة وتجمع على حلي بكسر اللام وضمها
نسف ينسف بكسر سين المضارع وضمها نسفا فرق وذرى وقال ابن الاعرابي قلع من
الاصل الزرقة لون معروف يقال زرقت عينه وازرقت وازراقت القاع قال ابن
الاعرابي الارض الملساء لا نبات فيها ولا بناء وقال الجوهري المستوي من الارض ومنه قول
ضرار بن الخطاب ليكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في اكف الاماء والجمع اقوع واقواع
وقيعان وحكى مكي ان القاع في اللغة المكان المنكشف وقال بعض اهل اللغة القاع مستنقع الماء
الصفصف المستوي الاملس وقيل الذى لا نبات فيه وهو مضاعف كالسبسب الامت التل
والعوج التعوج في الفجاج قاله ابن الاعرابي الهمس الصوت الخفي قاله ابو عبيدة وقيل
وطء الاقدام قال الشاعر وهن يمشين بنا هميسا ويقال للاسد الهموس لخفاء وطيه ويقال
همس الطعام مضغه عنا يعنو ذل وخضع واعناه غيره اذله وقال امية بن ابي الصلت
• مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد • الهضم النقص تقول العرب
هضمت لك حقي اي حططت منه ومنه هضيم الكشحين اي ضامرهما وفي الصحاح رجل هضيم
ومتهضم مظلوم وتهضمه واهتضمه ظلمه وقال المتوكل الليثي ان الاذلة واللئام لمعشر
مولاهم المتهضم المظلوم عري يعري لم يكن على جلده شئ يغطيه قال الشاعر •
• وان يعرين ان كسي الجواري فتنبو العين عن كرم عجاف ضحي يضحي برز للشمس

قال عمرو بن ابي ربيعة رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت فيضحي واما بالعشي فيخصر
الضنك الضيق والشدة ضنك عيشه يضنك ضنالة وضنكا وامراة ضناك كثيرة اللحم
صار جلدها به زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر ما يروق من النور وسراج ظاهر له بريق
والانجم الزهر المضيئة وازهر الشجر بدا زهره وهو النور ولقد قال لهم هارون من قبل
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري قال
يبنؤم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال
فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها
وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن
تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله
الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما اشفق هارون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة وبين
ان ما ذهبوا اليه من امر العجل انما هو فتنة اذ كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومن اخيه موسى عليه السلام اخلفني في قومي الاية ولا يمكنه ان يخالف امر
الله وامر اخيه وروي ان الله اوحى الى يوشع انى مهلك من قومك اربعين الفا فقال يا رب
فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي والمضاف اليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري
من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة
افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هارون عليه السلام بقوله انما
فتنتم به وان ربكم الرحمن وقال ابن عطية اخبر عز وجل ان هارون قد كان لهم في اول حال
العجل انما هي فتنة وبلاء وتمويه من السامري وانما ربكم الرحمن الذى له القدرة والعلم
والخلق والاختراع فاتبعوني الى الطور الذى واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امري فيما
ذكرته لكم انتهى والضمير في به عائد على العجل زجرهم اولا هارون عن الباطل وازالة الشبهة
بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على انهم متى تابوا
قبلهم وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم امرهم باتباعه تنبيها على انه نبي
يجب ان يتبع ويطاع امره وقرا الحسن وعيسى وابو عمرو في رواية وان ربكم بفتح الهمزة
والجمهور بكسرها والمصدر المنسبك منها في موضع خبر مبتدا محذوف تقديره والامر ان
ربكم الرحمن فهو من عطف جملة على جملة وقدره ابو حاتم ولان ربكم الرحمن وقرات فرقة
انما وان ربكم بفتح الهمزتين وتخريج هذه القراءة على لغة سليم حيث يفتحون ان بعد القول
مطلقا ولما وعظهم هارون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي فقالوا لن نبرح على
عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم
الى الاستدلال واخذ بتقليدهم السامري ودلالة على ان لن لا تقتضي التابيد خلافا
للزمخشري اذ لو كان من موضوعها التابيد لما جازت التغيية بحتى لان التغيية لا تكون
الا حيث يكون الشئ محتملا فيزيد ذلك الاحتمال بالتغيية وقيل قوله قال يا هارون وكان
ظهور العجل في سادس وثلاثين يوما وعبدوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين فعتب موسى
على عدم اتباعه لما راهم قد ضلوا ولا زائدة كهي في قوله ما منعك ان لا تسجد وقال علي بن عيسى
دخلت لا هنا لان المعنى ما دعاك الى ان لا تتبعني وما حملك على ان لا تتبعني بمن معك من
المومنين افعصيت امري يريد قوله اخلفني الاية وقال الزمخشري ما منعك ان تتبعني
في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم
تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني وفي ذلك تحميل للفظ ما لا
يحتمله وتكثير ولما كان قوله تتبعني لم يذكر متعلقه كان الظاهر ان لا تتبعني الى جبل الطور
ببني اسرائيل فيجيء اعتذار هارون بقوله انى خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
اذ كان لا يتبعه الا المومنون ويبقى عباد العجل عاكفين عليه كما قالوا لن نبرح عليه عاكفين
ويحتمل ان يكون المعنى تتبعني تسير بسيري في الاصلاح والتسديد فيجيء اعتذاره ان الامر
تفاقم فلو تقويت عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريقا بينهم وانما لايمت جهدي وقرا

عيسى بن سليمن الحجازي بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز وكان موسى عليه السلام شديدا لغضب لله ولدينه ولما راي قومه عبدوا عجلا من دون الله بعد ما شاهدوا من الايات العظام لم يتمالك ان اقبل على اخيه قابضا على شعر راسه وكان كثير الشعر وعلى شعر وجهه يجره اليه فابدى عذره فانه لو قاتل بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فانتظرتك لتكون المتدارك لهم وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به والعمل بموجبها وتقدم الكلام على ابن ام قراة واعرابا وغير ذلك وقرا ابو جعفر ولم ترقب بضم التا وكسر القاف مضارع ارقب ولما اعتذر له اخوه رجع الى مخاطبة الذي اوقعهم في الضلال وهو السامري وتقدم الكلام في الخطب في سورة يوسف وقال ابن عطية ما خطبك كما تقول ما شانك وما امرك لكن لفظة الخطب تقتضي انتهارا لان الخطب مستعمل في المكاره فكانه قال ما نحسك وما شومك وما هذا الخطب الذي جا من قبلك انتهي وهذا ليس كما ذكر الا ترى الى قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون وهو قول ابراهيم لملايكة الله فليس هذا يقتضي انتهارا ولا شيا مما ذكر وقال الزمخشري خطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيا ما خطبك فمعناه ما طلبك له انتهي ومنه خطبة النكاح وهو طلبه وقيل هو مشتق من الخطاب كانه قال له ما حملك على ان خاطبت بني اسرايل بما خاطبت وفعلت لهم ما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به قال ابو عبيدة علمت ما لم يعلموا وقال الزجاج بصر بالشي اذا علمه وابصر اذا نظر وقيل بصره وابصره بمعنى واحد وقرا الاعمش وابو السماك بصرت بكسر الصاد بما لم تبصروا بفتح الصاد وقرا عمرو بن عبيد بصرت بضم البا وكسر الصاد بما لم تبصروا بضم التا وفتح الصاد مبنيا للمفعول فيهما وقرا الجمهور بصرت بضم الصاد وحمزة والكساي وابو بحريه والاعمش وطلحة وابن ابي ليلي وابن مناذر وابن سعدان وقعنب تبصروا بتا الخطاب لموسى وبني اسرايل وباقي السبعة يبصروا بيا الغيبة وقرا الجمهور فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما اي اخذت بكفي مع الاصابع وقرا عبد الله وابي وابن الزبير والحسن وحميد بالصاد فيهما وهو الاخذ باطراف الاصابع وقرا الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بن عاصم بضم القاف والصاد المهملة وادغم ابن محيصن الضاد المنقولة في تاء المتكلم وابقي الاطباق مع تشديد التاء وقال المفسرون الرسول هنا جبريل السلم وتقديره من اثر فرس الرسول وكذا قراءة عبد الله والاثر التراب الذي تحت حافره فنبذتها اي القيتها على الحلى الذي تصور منه العجل فكان منها ما رايت وقال الاكثرون راى السامري جبريل يوم فلق البحر وعن علي راه حين ذهب موسى الى الطور وجاءه جبريل فابصره دون الناس وقال الزمخشري فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تربة موطيه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل انتهي وهو قول علي مع زيادة وقال ابو مسلم الاصبهاني ليس في القران تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون وهنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام واثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما اقبل على السامري باللوم والمسالة عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في العجل قال بصرت بما لم يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيا من دينك فنبذتها اي طرحتها فعند ذلك اعلم موسى بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما اراد لفظ الاخبار عن غايب كما تقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا وبماذا يامر الامير وتسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانهم لم يومنوا بالانزال قيل وما ذكره ابو مسلم اقرب الى التحقيق الا ان فيه مخالفة المفسرين قبل ويبعد ما قالوه ان جبريل ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم

ذكر حتى يكون اللام في الرسول لسابق في الذكر ولان ما قالوه لا بد من اضمار اي من اثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولان اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف ان حافر فرسه يوثر هذا الاثر الغريب العجيب من احياء الجماد وصيرورته لحما ودما وكيف عرف جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شانه فللقايل ان يقول لعل موسى اطلع على شي اخر يشبه هذا فلاجله اتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما اتوا به من الخوارق انتهي ما رجح به هذا القايل قول ابي مسلم الاصبهاني وكذلك سولت لي نفسي اي كما حدث ووقع قربت لي نفسي وجعلته لي سولا وارباحتي فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرايل الا في حد او وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بني اسرايل باجتنابه واجتناب قبيلته وان لا يواكلوا ولا يناكحوا وجعل له ان يقول مدة حيوته لا مساس اي لا مماسة ولا اذاية وقال الزمخشري عوقب في الدنيا بعقوبة لا شي اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليه ملاقاتهم ومكالمتهم ومبايعتهم ومواجهتهم وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم انتهي وكون الحمى تاخذ الماس والممسوس قول قتادة والامر بالذهاب حقيقة ودخلت الفا للتعقيب اثر المحاورة وطرده بلا مهلة زمانية وعبر بالمماسة عن المخالطة لانها ادنى اسباب المخالطة فنبه بالادنى على الاعلى والمعنى لا مخالطة بينك وبين الناس فنفر من الناس ولزم البرية وهجر البرية وبقي مع الوحوش الى ان استوحش وصار اذا راى احدا يقول لا مساس اي لا تمسني ولا امسك وقيل ابتلي بعذاب قيل له لا مساس بالوسواس وهو الذي عناه الشاعر بقوله فاصبح ذلك كالسامري اذ قال موسى له لا مساس ومنه قول روبة حتى يقول الازد لا مساسا وقيل اراد موسى قتله فمنعه الله من قتله لانه كان سخيا قال بعض شيوخنا وقد وقع مثل هذا في شرعنا في قصة الثلثة الذين خلفوا امر الرسول عليه السلام ان لا يكلموا ولا يخالطوا وان يعتزلوا نساءهم حتى تاب الله عليهم وقرا الجمهور لا مساس بفتح السين والميم مكسورة ومساس مصدر ماس كقتال من قاتل وهو منفي بلا التي لنفي الجنس وهو نفي اريد به النهي اي لا تمسني ولا امسك وقرا الحسن وابو حيوة وابن ابي عبلة وقعنب بفتح الميم وكسر السين فقال صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظار من اسماء الافعال بمعنى انزل وانظر فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف ولا تدخل عليها لا النافية التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره لا يكون منك مساس ولا اقول مساس ومعناه النهي اي لا تمسني انتهي وظاهر هذا ان مساس اسم فعل وقال الزمخشري لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء اذ وردن الما فلا عباب وان فقدنه فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب وقال ابن عطية لا مساس هو معدول عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي معدولات وفارقه في ان هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا قول الشاعر تميم كرهط السامري وقوله الا لا يريد السامري مساس انتهي كلام الزمخشري وابن عطية يدل على ان مساس معدول عن المصدر الذي هو المسة كفجار معدول عن الفجرة وان لك موعدا اي في القيامة وقرا الجمهور لن تخلفه بالتا المضمومة وفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف بل ينجزه لك الله في الاخرة على الشرك والفساد بعد ما عاقبك في الدنيا وقال الزمخشري وهذا من اخلفت الوعد اذا وجدته خلفا قال الاعشي اثوي وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا وقرا ابن كثير والاعمش وابو عمرو بضم التا وكسر اللام اي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة فتزول عن موعد العذاب وقرا ابو نهيك لن تخلفه بفتح التاء وضم اللام هكذا ابا التا منقوطة من

نوق عن ابي نهيك في نقل ابن خالويه وفي اللوامح ابو نهيك لن تخلفه بفتح الياء وضم اللام
وهو من خلفه يخلفه اذا جاء بعده اي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله فيما بعد
لا اساس بالفعل فهو مسند الي الموعد او الموعد لن يختلف ما قدر لك من العذاب في الاخرة
وقال سهل يعني ابا حاتم لا يعرف لقراءة ابي نهيك مذهبا انتهي وقرا ابن مسعود والحسن
بخلاف عنه تخلفه بالنون وكسر اللام اي لا تنقص مما وعدنا لك من الزمان شيا وقال
ابن جني لن يصادفه مخلفا وقال الزمخشري لن يخلفه الله حكي قوله عز وجل كما مر
في لاهب لك انتهي ثم وبخ موسي عليه السلام السامري بما اراد ان يفعل بالعجل الذي
اتخذه الها من الاستطالة عليه بتغيير هيئته فواجهه بقوله وانظر الي الهك وخاطبه
وحده اذ كان هو راس الضلال وهو منتظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين واقسم لنحرقنه
وهو اعظم فساد الصورة ثم لننسفنه في اليم حتي يتفرق اجزاوه فلا يجتمع ويظهر انه لما كان
قد اخذ السامري القبضة من اثر فرس جبريل وهو داخل البحر حالة تقدم فرعون وتبعه
فرعون في الدخول ناسب ان ينسف ذلك العجل الذي صاغه السامري من الحلي الذي
كان اصله للقبط والقي فيه القبضة في البحر ليكون ذلك تنبيها علي ان ما كان به قيام الحيوة
آل الي العدم والقي في محل ما قامت به الحيوة وان اموال القبط قذفها الله في البحر
لا ينتفع بها كما قذف الله اشخاص مالكيها في البحر وغرقهم فيها وقرا الجمهور ونصر بن
عاصم لابن يعمر ظلت بظاء مفتوحة ولام واحدة ساكنة وقرا ابن مسعود وقتادة والاعمش
بخلاف عنه وابو حيوة وابن ابي عبلة وابن يعمر بخلاف عنه كذلك الا انهم كسروا الظاء وعن
ابن يعمر ضمها وعن ابي والاعمش ظللت بلامين علي الاصل فاما حذف اللام فقد ذكره
س في الشذوذ يعني شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال مع مست واصله مسست
واحست واصله احسست وذكر ابن الانباري همت واصله هممت ولا يكون ذلك الا
اذا سكن اخر الفعل نحو ظلت اذ اصله ظللت وذكر بعض من عاصرناه ان ذلك منقاس في كل
مضاعف العين واللام في لغة بني سليم حيث تسكن اخر الفعل وقد امعنا الكلام علي هذه
المسالة في شرح التسهيل من تاليفنا فاما من كسر الظاء فلانه نقل حركة اللام الي الظاء بعد نزع
حركتها تقديرا ثم حذف اللام واما من ضمها فيكون علي انه جاء في بعض اللغات علي فعل بضم العين
فيهما ونقلت ضمة اللام الي الظاء كما نقلت في حالة الكسر علي ما تقرر وقرا الجمهور
لنحرقنه مشددا مضارع حرق مشددا وقرا الحسن وقتادة وابن جعفر وابو رجاء والكلبي
مخففا من احرق رباعيا وقرا علي وابن عباس وحميد وابو جعفر في رواية وعمرو بن فايد
بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء والظاهر ان حرق واحرق هو بالنار واما القراءة الثالثة
فمعناها لنبردنه بالمبرد يقال حرق يحرق ويحرق بضم راء المضارع وكسرها وذكر ابو علي ان
التشديد قد يكون مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وفي مصحف ابي وعبد الله لنذبحنه ثم لنحرقنه
ثم لننسفنه وتوافق هذه القراءة من روي انه صار لحما ودما ذا روح ويترتب الاحراق بالنار
علي هذا واما اذا كان جمادا مصوغا من الحلي فيترتب برده لا احراقه الا ان عني به اذابته
وقال السدي امر موسي بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وقيل
بردت عظامه بالمبرد حتي صارت بحيث يمكن نسفها وقرا الجمهور لننسفنه بكسر السين وقرات
فرقة منهم عيسي بضم السين وقرا ابن مقسم لننسفنه بضم النون الاولي وفتح الثانية وتشديد
السين والظاهر وقول الجمهور ان موسي تعجل وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسي وصنع بالعجل
ما صنع ثم خرج بعد ذلك بالسبعين علي معني الشفاعة في ذنب بني اسرايل وان يطلعهم ايضا
علي امر المناجاة فكان لموسي عليه السلام نهضتان واسند مكي خلاف هذا ان موسي كان مع السبعين
في المناجاة وحينيذ وقع امر العجل وان الله اعلم موسي بذلك فكتمه عنهم وجاء بهم حتي سمعوا
لغط بني اسرايل حول العجل فحينيذ اعلمهم موسي انتهي ولما فرغ من ابطال ما عمله السامري
عاد الي بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله وقرا الجمهور وسع فانتصب علما علي التمييز
المنقول من الفاعل وتقدم نظيره في الانعام وقرا مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشددة
قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الي مفعول واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه علي

التمييز وهو في المعني فاعل فلما ثقل نقل الي التعدية الي مفعولين فنصبهما معا علي المفعولية
لان المميز فاعل في المعني كما تقول خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا
مفعولا وقال ابن عطية وسع بمعني خلق الاشيا وكثرها بالاختراع فوسعها موجودات
كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم
القيامة وزرا خالدين فيه وسا لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين
يوميذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة
ان لبثتم الا يوما ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا تري
فيها عوجا ولا امتا يوميذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا يوميذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من
الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من
الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالي الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما ذلك اشارة الي نبا موسي وبني اسرايل وفرعون
اي كقصصنا هذا النبا الغريب نقص عليك من انبا الامم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة
وهي الاعلام باخبار الامم السالفة ليتسلي بذلك ويعلم ما صدر من الامم لرسلهم وما قاست
الرسل منهم والظاهر ان الذكر هنا القران امتن تعالي عليه بايتايه الذكر المشتمل علي القصص
والاخبار الدال ذلك علي معجزات اوتيها وقال مقاتل ذكرا بيانا وقال ابو سهل شرفا
وذكرا في الناس من اعرض عنه اي عن القران بكونه لم يومن به ولم يتبع ما فيه وقرا
الجمهور يحمل مضارع حمل مخففا مبنيا للفاعل وقرات فرقة منهم داود بن رفيع يحمل مشدد الميم
مبنيا للمفعول لانه يكلف ذلك لا انه يحمله طوعا ووزرا مفعول ثان والوزر الثقل الباهظ
يوده حمله وهو ثقل العذاب وقال مجاهد اثما وقال الثوري شركا والظاهر انه عبر
عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه اي في العذاب والعقوبة وجمع
خالدين والضمير في لهم حملا علي معني من بعد الحمل علي لفظها في اعرض وفي فانه يحمل والمخصوص
بالذم محذوف اي وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك لا متعلقة بساء وساء هنا هي التي جرت
مجري بيس لا التي بمعني احزن واهم لفساد المعني ويوم ينفخ بدل من يوم القيامة
وقرا الجمهور ينفخ مبنيا للمفعول ونحشر بالنون مبنيا للفاعل بنون العظمة وقرا ابو
عمرو وابن محيصن وحميد ننفخ بنون العظمة كنحشر اسند النفخ الي الامر به والنافخ هو اسرافيل
ولكرامته اسند ما يتولاه الي ذاته المقدسة والصور تقدم الكلام فيه في الانعام وقرا
ينفخ ويحشر باليا فيهما مبنيا للفاعل وقرا الحسن وابن عياض في جماعة في الصور علي وزن
درر والحسن يحشر باليا مبنيا للمفعول ويحشر مبنيا للفاعل وباليا اي ويحشر الله
والظاهر ان المراد بالزرق زرقة العين ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب
السبال ازرق العين وقال الشاعر وما كنت اخشي ان تكون وفاته بكفي سبنتا ازرق
العين مطرق وقد ذكر في اية اخري انهم يحشرون سود الوجوه فالمعني تشويه الصورة
من سواد الوجه وزرقة العين وايضا فالعرب تتشام بالزرقة قال الشاعر
لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر الا كل عبسي من اللوم ازرق وقيل المعني عميا لان
العين اذا ذهب نورها ازرق ناظرها وبهذا التاويل يقع الجمع بين قوله زرقا في هذه
الاية وعميا في الاية الاخري وقيل زرق الالوان اي ابدانهم وذلك غاية في التشويه اذ يجيو
كلون الرماد وفي كلام العرب يسمي هذا اللون ازرق ولا تزرق الجلود الا من مكايدة
الشدايد وجفوف رطوبتها وقيل زرقا عطاشا والعطش الشديد يرد سواد العين
الي البياض ومنه قولهم سنان ازرق وقوله فلما وردن الما زرقا جمامه اي ابيض وذكرت
الايتان لابن عباس فقال ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقا وحالة
يكونون فيها عميا يتخافتون يتسارون لهول المطلع وشدة ذهاب اذهانهم قد عزب
عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها ان لبثتم اي في دار الدنيا او في البرزخ او بين

النفختين في الصور ثلاثة اقوال ووصف ما لبثوا فيه بالقصر لانها لما يعاينون من الشدايد
كانت لهم في الدنيا ايام سرور وايام السرور قصار او لذهابها عنهم وتقضيها والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر
الدنيا ويقال لبث اهلها فيها بالقياس الي لبثهم في الاخرة واذ معمولة لاعلم وامثلهم
اعدلهم وطريقة منصوبة على التمييز الا يوما اشارة لقصر مدة لبثهم والا عشرا يحتمل
عشر ليال او عشرة ايام لان المذكر اذا حذف وابقي عدده قد لا ياتي بالتاء حكي الكسايي
عن ابي الجراح صمنا من الشهر خمسا ومنه ما جاء في الحديث ثم اتبعه بست من شوال
يريد ستة ايام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة راس اية ذكرا والانتهي اقل العدد
وهو العشر وذكر اعدلهم طريقة اقل العدد وهو اليوم الواحد والظاهر قوله الا يوما
على ان المراد بقولهم عشرا عشرة ايام وضمير الغايب في ويسالونك عايد على قوم يقول
منكري البعث او على المومنين سالوا عن ذلك او على رجل من ثقيف وجماعة من قومه
اقوال ثلاثة والكاف خطاب للرسول والظاهر وجود السوال ويبعد قول من قال
انه لم يكن سوال بل المعني ان سالوك عن الجبال فقل فضمن معنى الشرط فلذلك اجيب
بالفاء وروي ان الله يرسل على الجبال ريحا فيدكها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم
يتوالي عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها
على الجبال اي بعد النسف تبقي قاعا اي مستويا من الارض معتدلا وقيل
فيذر مقارها ومراكزها وقيل يعود على الارض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الجبال عليها
وقال ابن عباس عوجا ميلا ولا امتا اثرا مثل الشراك وعنه ايضا عوجا واديا ولا امتا
رابية وعنه ايضا الامت الارتفاع وقال قتادة عوجا صدعا ولا امتا اكمة وقيل الامت
الشقوق في الارض وقيل غلظ مكان في الفضا والجبل ويرق في مكان حكاه الصولي وقيل
كان الامت في الاية العوج في السما تجاه الهوا والعوج في الارض مختص بالعرض وقال
الزمخشري فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني
والعوج بالفتح في الاعيان والارض فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا
اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسة ونفي الاعوجاج عنها
على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الي قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على
عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت
راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على
عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفي الله عز
وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه
صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت
انتهي يوميذ اي يوم اذ ينسف الله الجبال يتبعون اي الخلايق الداعي داعي الله الي المحشر
نحو قوله مهطعين الي الداع وهو اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعوا الناس
فيقبلون من كل جهة يضع الصور في فيه ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة
واللحوم المتفرقة هلم الي العرض على الرحمن وقال محمد بن كعب يحشرون في ظلمة قد
طويت السما وانتثرت النجوم فينادي مناد فيموتون صوته وقال علي بن عيسى الداعي
هنا الرسول الذي كان يدعوهم الي الله فيعوجون على الصراط يمينا وشمالا ويميلون
عنه ميلا عظيما فيوميذ لا ينفعهم اتباعه والظاهر ان الضمير في له عايد على الداعي نفي
عنه العوج اي لا عوج لدعايه بل يسمع جميعهم فلا يميل الي ناس دون ناس وقيل هو على القلب
اي لا عوج لهم عنه بل ياتون مقبلين اليه متبعين لصوته من غير انحراف وقال
الزمخشري اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه انتهي وقيل لا عوج له في موضع وصف
لمنعوت محذوف اي اتباعا لا عوج له فيكون الضمير في له عايدا على ذلك المصدر
المحذوف وقال ابن عطية يحتمل ان يراد به الاخبار اي لا شك فيه ولا يخالف وجوده

خبره

خبره ويحتمل ان يريد لا محيد لاحد عن اتباعه والمشي نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع
وهو في الاصوات استعارة بمعني الخفا والاستسرار للترحمن اي لهيبة الرحمن وهول مطلع قدرته
وقيل هو على حذف مضاف اي وخشع اهل الاصوات والهمس الصوت الخفي الخافت ويحتمل ان
يريد بالهمس المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وان
اصوات النطق ساكنة وقال الزمخشري الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة
وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا يسمع الا خفق الاقدام ونقلها
الي المحشر انتهي وعن ابن عباس وعكرمة وابن جبير الهمس وطء الاقدام واختاره الفرا
والزجاج وابن عباس ايضا تحريك الشفاه بغير نطق وعن مجاهد الكلام الخفي ويويده قراءة
ابي فلا ينطقون الا همسا وعن ابي عبيدة الصوت الخفي يوميذ بدل من يوميذ يتبعون
او يكون التقدير يوم اذ يتبعون ويكون منصوبا بلا تنفع ومن مفعول بقوله لا تنفع وله
معناه لاجله وكذا في ورضي له اي لاجله ويكون من للمشفوع له او بدل من الشفاعة
على حذف مضاف اي الا شفاعة من اذن له او منصوب على الاستثنا على هذا التقدير
او استثنا منقطع فنصب على لغة الحجاز ورفع على لغة تميم ويكون من في هذه الاوجه
للشافع والقول المرضي عن ابن عباس لا اله الا الله والظاهر ان الضمير في ايديهم
وما خلفهم عايد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعي وقيل يعود على الملايكة
وقيل على الناس لا بقيد الحشر والاتباع وتقدم تفسير هذه الجملة في اية الكرسي
في البقرة والضمير في به عايد على ما اي ولا يحيطون بمعلوماته علما والظاهر عموم الوجوه
اي وجوه الخلايق وخص الوجوه لان اثار الذل انما تظهر اول في الوجوه وقال طلق بن
حبيب المراد سجود الناس على الوجوه والاراب السبعة فان كان روي ان هذا يكون يوم
القيامة فتكون الاية اخبارا عنه واستقام المعني وان كان اراد في الدنيا فليس ذلك بملايم
للايات التي قبلها وبعدها وقال الزمخشري المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا
عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاضعة
مثل وجوه العناة وهم الاساري ونحوه فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه
يوميذ باسرة والقوم تقدم الكلام عليه في البقرة وقد خاب اي لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه
والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم فخيبة المشرك
دايما وخيبة المومن العاصي مقيدة بوقت في العقوبة ان عوقب ولما خص الزمخشري
الوجوه بوجوه العصاة قال في قوله وقد خاب من حمل ظلما انه اعتراض كقولك خابوا
وخسروا حتى تكون الجملة دخلت بين العصاة وبين ومن يعمل من الصالحات فهذا عنده
تقسيم وعنت الوجوه واما ابن عطية فجعل قوله ومن يعمل الي هضما معادلا لقوله
وقد خاب من حمل ظلما لانه جعل وعنت الوجوه عامة في وجوه الخلايق ومن الصالحات
تيسير في الشرع لان من للتبعيض والظلم مجاوزة الحد في عظم سياته والهضم نقص
من حسناته قاله ابن عباس وقال قتادة الظلم ان يزاد من ذنب غيره وقال ابن
زيد الظلم ان لا يجزي بعمله وقيل الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان
يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين يسترجحون لانفسهم اذا اكتالوا
ويخسرون اذا كالوا انتهي والظلم والهضم متقاربان قال الماوردي والفرق ان
الظلم منع الحق كله والهضم منع بعضه وقرا الجمهور فلا يخاف على الخبر اي فهو لا يخاف
وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص
اي ومثل ذلك الانزال او كما انزلنا عليك هذه الايات المضمنة الوعيد انزلنا
القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك
المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر يطلق على الطاعة والعبادة وقيل كما قدرنا
هذه الامور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هولا امرها وانزلناه
قرانا عربيا وتوعدنا فيه بانواع من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم
يتقون الله ويخشون عقابه فيومنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من

اليم عقابه هذا تاويل فرقة في قوله او يحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه او يكسبهم
شرفا ويبقي عليهم ايمانهم ذكرا صالحا في الغابرين وقيل المعنى كما رغبنا اهل الايمان بالوعد
حذرنا اهل الشرك بالوعيد وصرفنا فيه من الوعيد كالطوفان والصيحة والرجفة
والمسخ ولم يذكر الوعد لان الاية سيقت مساق التهديد لعلهم يتقون اي ليكونوا على
رجاء من ان يوقع في قلوبهم الاتقاء ويتقون ان ينزل بهم ما نزل بمن تقدمهم اي يحدث
لهم ذكرا اي عظة وفكرا واعتبارا وقال قتادة ورعا وقيل انزل القرءان ليصيروا
محترزين عن ما لا ينبغي او يحدث لهم ذكرا يدعوهم الي الطاعة واسند ترجي التقوى
اليهم وترجي احداث الذكر للقرءان لان التقوي عبارة عن انتفاء فعل القبيح وذلك
استمرار على العدم الاصلي فلم يسند القرءان واسند احداث الذكر الي القرءان لانه
امر حدث بعد ان لم يكن والظاهر ان او هنا لاحد الشيئين قيل او كهي في جالس الحسن او ابن
سيرين اي لا تكن خاليا منهما وقرا الحسن او يحدث ساكنة الثاء وقرا عبد الله ومجاهد
وابن حيوة والحسن في رواية والجحدري وسلام او نحدث بالنون وجزم الثاء وذلك
حمل وصل على وقف وتسكين حرف الاعراب استثقالا لا لحركة نحو قول جرير او نهر تيرى
فلا تعرفكم العرب ولما كان فيما سبق تعظيم القرءان في قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا
وكذلك انزلناه قرانا عربيا ذكر عظمة منزله تعالى ثم ذكرها تين الصفتين وهي صفة
الملك التي تضمنت القهر والسلطنة والحق وهي الصفة الثانية له اذ كل من يدعي الها
دونه باطل لا سيما الاله الذي صاغوه من الحلي ومضمحل ملكه ومستعار وتقدم ايضا
صفة سلطانه يوم القيامة وعظم قدرته وذلة عبيده وحسن تلطفه بهم فناسب
تعاليه ووصفه بالصفتين المذكورتين ولما ذكر القرءان وانزاله قال على سبيل الاستطراد
طالبا منه التاني في حفظ القرءان ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه اي تانّ
حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته والقاءه كقوله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به ان علينا وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقيل
سبب الاية ان امراة شكت الي النبي صلى الله عليه وسلم ان زوجها لطمها فقال لها بينكما
القصاص ثم نزلت الرجال قوامون على النساء ونزلت هذه بمعنى الامر بالتثبت
في الحكم بالقرءان وقيل كان اذا نزل عليه الوحي امر بكتبه للحين فامر ان يتانى حتى يفسر
له المعاني وتتقرر عنده وقال الماوردي معناه ولا تسال قبل ان ياتيك الوحي
ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وقد ضربنا لك اجلا ثلثة ايام
فابطا الوحي عليه وفشت المقالة بين اليهود قد غلب محمد فنزلت ولا تعجل بالقرءان
اي بنزوله وقال ابو مسلم ولا تعجل بقراءته في نفسك او في تاديته الي غيرك او في اعتقاد
ظاهره او في تعريف غيرك ما يقتضيه ظاهره احتمالات من قبل ان يقضى اليك وحيه
اي تمامه او بيانه احتمالات فالمراد ان لا تعجل نفسه ولا غيره عليه حتى يتبين بالوحي
تمامه او بيانه او هما جميعا لانه يجب التوقف في المعنى لما يجوز ان يحصل عقبيه من
استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات وهذه العجلة لعله فعلها باجتهاده
عليه السلام انتهي وفيه بعض تلخيص وقرا الجمهور يقضى اليك مبنيا للمفعول
وحيه مرفوع به وقرا عبد الله والجحدري والحسن وابو حيوة ويعقوب وسلام
والزعفراني وابن مقسم نقضي بنون العظمة مفتوح اليا وحيه بالنصب وقرا
الاعمش كذلك الا انه سكن اليا من يقضي قال صاحب اللوامح وذلك على لغة من لا يرى
فتح اليا بحال اذا انكسر ما قبلها وحلت طرفا انتهي وقل رب زدني علما قال مقاتل اي
قرانا وقيل فهما وقيل حفظا وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم
من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي
فزدني علما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شي الا في طلب العلم ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا

تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب
الاخرة اشد وابقى تقدمت قصة ادم في البقرة والاعراف والحجر والكهف ثم ذكرها هنا
لما تقدم كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق كان من هذه الانباء قصة ادم ليتحفظ بنوه
من وسوسة الشيطان ويتنبهوا على غوايله ومن اطاع الشيطان منهم ذكر بما جرى لابيه ادم
معه وانه اوضحت له عداوته ومع ذلك نسي ما عهد اليه ربه وايضا لما امر بان يقول
رب زدني علما كان من ذلك ذكر قصة ادم وذكر شي من احواله فيها لم يتقدم ذكرها
فكان في ذلك مزيد علم له عليه السلام والعهد هنا الجمهور الوصية والظاهر ان المضاف
اليه المحذوف بعد قوله من قبل تقديره من قبل هولاء الذين صرف لهم من الوعيد
في القرءان لعلهم يتقون وهم الناقضو عهد الله والتاركوا الايمان وقال الحسن
من قبل الرسول والقران وقيل من قبل ان ياكل من الشجرة وقال الطبري المعنى
وان يعرض يا محمد هولاء الكفرة عن اياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل
ذلك ابوهم ادم قال ابن عطية وهذا ضعيف وذلك ان يكون ادم مثالا للكفار الجاحدين
بالله ليس بشي وادم عليه السلام انما عصى بتاويل ففي هذا اغضاضة عليه السلام
وانما الظاهر في هذه الاية اما ان يكون ابتدا قصص لا تعلق له بما قبله واما ان يجعل
تعلقه انما هو لما عهد الى محمد عليه السلام ان لا يعجل بالقرءان مثل له بنبي قبله عهد اليه
فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزمخشري يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الي فلان واوعز اليه
وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان تتوعدهم فخالف
الي ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول
ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه انتهى والظاهر ان النسيان هنا الترك
ان ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقال الزمخشري
يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان انتهى
وقاله غيره وقال ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه لا يتعلق بالناسي عقاب
انتهى وقرا اليماني والاعمش فنسي بضم النون وتشديد السين اي نساه الشيطان
والعزم التصميم والمضي قال الزمخشري اي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك
تصلبا يوس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما انتهى وقيل ولم نجد له
عزما على المعصية وهذا يتخرج على قول من قال انه فعل نسيانا وقيل حفظا لما امر به
وقيل صبرا عن اكل الشجرة وقيل عزما في الاحتياط في كيفية الاجتهاد وتقدم الكلام على
نظير قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى وابى جملة مستانفة مبينة
ان امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق ابى وانه
يقدر هنا ما صرح به في الاية الاخرى اي ان يكون مع الساجدين وقال الزمخشري
ابى جملة مستانفة كانه جواب قايل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط
انتهى وهذا اشارة الي ابليس وعدو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع وعرف تعالى

ادم عداوة ابليس له ولزوجه ليحذراه فلم يغن الحذر عن القدر وسبب العداوة فيما قيل ان ابليس كان محسودا فلما راى آثار نعم الله على ادم حسده وعاداه وقيل العداوة حصلت من تنافي اصلهما اذ ابليس من النار وادم من الماء والتراب فلا يخرجنكما النهي له والمراد غيره اي لا يقع منكما طاعة له في اغوايه فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة واسنده الاخراج اليه وان كان المخرج هو الله لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج فتشقى يحتمل ان يكون منصوبا باضمار ان في جواب النهي وان يكون مرفوعا على تقدير فانت تشقى واسند الشقا اليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه في الاخراج من حيث كان هو المخاطب اولا والمقصود بالكلام ولان في ضمن شقاء الرجل شقاء اهله وفي سعادته سعادتها فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة وقيل اراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك راجع الى الرجال وعن ابن جبير اهبط له ثور احمر يحرث عليه فيا كل بكد يمينه وعرق جبينه وقرا شيبة ونافع وحفص وابن سعدان وانك لا تظما بكسر همزة وانك وقرا الجمهور بفتحها فالكسر عطف على ان لك والفتح عطف على المصدر المنسبك من ان لا تجوع اي ان لك انتفاء جوعك وانتفاء ظميك وجاز عطف انك على ان لاشتراكهما في المصدر ولو باشرتها ان المكسورة لم يجز ذلك وان كان على تقديرها الا ترى انها معطوفة على اسم ان وهو ان لا تجوع لكنه يجوز في العطف ما لا يجوز في المباشرة ولما كان الشبع والري والكسوة والكن هي الامور التي هي ضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وفي الجنة ضروب من انواع النعيم والراحة ما هذه بالنسبة اليها كالعدم فمنها الامن من الموت الذي هو مكدر لكل لذة والنظر الى وجه الله سبحانه ورضاه تعالى عن اهلها وان لا سقم ولا الم ولا كبر ولا هرم ولا غل ولا هم ولا غضب ولا حدث ولا مقادير ولا تكليف ولا حزن ولا خوف ولا ملال وذكرت هذه الاربعة بلفظ النفي لاثبات اضدادها وهو الشبع والري والكسوة والكن وكانت نقايضها بلفظ النفي وهو الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها قال ابن عطية وكان عرف الكلام ان يكون الجوع مع الظما والعري مع الضحا لانها تتضاد اذ العري نفسه البرد فيوذي والحر يفعل ذلك بالضاحي وهذه الطريقة مهيع في كلام العرب ان يقرن النسب ومنه قول امرى القيس كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ولم اسبا الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال وقد ذهب بعض الادباء الى ان ما سى امرى القيس كافطانى للتنسب وان ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ يناسب تبطن الكاعب انتهى وقيل جاء هذا الجواب على قدر السوال لما امر الله ادم بسكنى الجنة قال الهي الى فيها ما اكل الى فيها ما البس الى فيها ما اشرب الى فيها ما استظل به وقيل هي مقابلة معنوية فالجوع خلو الباطن والتعري خلو الظاهر والظما احراق الباطن والضحو احراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق وقيل جمع امرو القيس في بيتيه بين ركوب الخيل للذة والنزهة وبين تبطن الكاعب للذة الحاصلة فيهما وجمع بين سباء الزق وبين قوله لخيله كري لما فيهما من الشجاعة ولما عيب على ابي الطيب قوله • وقفت وما في الموت شك لواقف كانك في جفن الردى انت نايم •

• تمر بك الابطال كلمى هزيمة • ووجهك وضاح وثغرك باسم •

فقال ان كنت اخطات فقد اخطا امرو القيس وتقدم الكلام في فوسوس والخلاف في كيفيتها في الاعراف وتعدي وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي بالى معناه انهى الوسوسة اليه والتعدي بلام الجر قيل معناه لاجله ولما وسوس اليه ناداه باسمه ليكون اقبل عليه وامكن للاستماع ثم عرض عليه ما يلقي بقوله هل ادلك على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويوثر قبول من يخاطبه كقول موسى هل لك الى ان تزكى وهو عرض فيه مناصحة وكان ادم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما الاية ورغبه ابليس في دوام الراحة بقوله

هلا

هل ادلك فجاءه ابليس من الجهة التي رغبه الله فيها وفي الاعراف ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية وهنا هل ادلك والجمع بينهما ان قوله هل ادلك يكون سابقا على قوله ما نهاكما لما راى اصغاءه وميله الى ما عرض عليه انتقل الى الاخبار والحصر ومعنى على شجرة الخلد اي الشجرة التي من اكل منها خلد وحصل له ملك لا يخلق ومنه ايدل لقراءة الحسن بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بكسر اللام فلما كلاهما فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم الكلام على نحو هذه الاية في الاعراف وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال الزمخشري عن ابن عباس لا شبهة في ان ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطا وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعتت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيات والصغاير فضلا ان تجسروا على التورط في الكباير وعن بعضهم فغوى فسم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث انتهى وقال القاضي ابو بكر بن العربي لا يجوز لاحدنا اليوم ان يخبر بذلك عليه السلام الا اذا ذكرناه في اثناء قوله تعالى او قول نبيه عليه السلام فاما ان يبتدي ذلك من قبل نفسه فليس بجايز لنا في ابايننا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله وتاب عليه وغفر له قال القرطبي واذا كان هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشي من ذلك الا في اثنا قراءة كتابه او سنة رسوله عليه السلام ولهذا قال الامام مالك بن انس من وصف شيا من ذات الله مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله سبحانه بنفسه ثم اجتباه اي اصطفاه وقربه وتاب عليه اي قبل توبته وهدى اي هداه النبوة او الى كيفية التوبة او هداه رشده حتى رجع الى الندم والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو امر لادم وحوا جعل هبوطهما عقوبتهما وجميعا حال منهما وقال ابن عطية ثم اخبرهما بقوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما واخبرهما ان العداوة بينهم وبين انسالهم الى يوم القيامة انتهى ولا يدل قوله جميعا على ان ابليس والحية يهبطان معهما لان جميعا حال من ضمير الاثنين اي مجتمعين والضمير في بعضكم لبعض ضمير جمع قيل يريد ابليس وبنيه وادم وبنيه وقيل اراد ادم وذريته فالعداوة واقعة بينهم والبغضا لاختلاف الاديان وتشتت الاراء وقيل ادم وابليس والحية وقال ابو مسلم الاصبهاني الخطاب لادم عليه السلام ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولاجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما ياتينكم مني هدى وقال الزمخشري لما كان ادم وحوا عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب انتهى وهدى شريعة الله وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقا في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه وعن ابن جبير من قرا القران واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب وقال ابو عبد الله الرازي وهذه

الاية تدل علي ان المراد بالهدي الذكر ذكره الله تعالي اتباع الادلة واتباعها الا ينكامل
الا بان يستدل بها وبان يعمل بها ومن هذه حاله فقد ضمن تعالى ان لا يضل ولا يشقي
في الاخرة لانه تعالي يهديه الي الجنة وقيل لا يضل ولا يشقي في الاخرة فان قيل المنعم
يهدى الله قد يلحقه الشقا في الدنيا قلنا المراد لا يضل في الدين ولا يشقي بسبب
الدين فان حصل بسبب اخر فلا باس انتهي ولما ذكر تعالي من اتبع الهدي اتبعه بوعيد
من اعرض عن ذكره والذكر يقع علي القران وعلى ساير الكتب الالهية وضنك مصدر
يوصف به المذكر والمونث والمفرد والمثني والمجموع والمعنى النكد الشاق من
العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها ومنه قول عنترة ان المنية لو تمثل مثلت •
مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل • وعن ابن عباس نزلت هذه الاية في الاسود بن عبد
الاسد المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه اضلاعه وقال الحسن وقتادة
والكلبي هو الضيق في الاخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم
والغسلين ولا يموتون فيها ولا يحيون وقال عطا المعيشة الضنك معيشة الكافر لانه
غير موقن بالثواب والعقاب وقال ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع وقال ابو سعيد
الخدري والسدي هو عذاب القبر ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال الجمهور المعيشة الضنك في الدنيا والمعنى ان الكافر وان كان متسع الحال
والمال فمعه من الحرص والامل والتعذب بامور الدنيا والرغبة وامتناعه من
صفاء العيش لذلك ما تصير معيشة ضنكا وقالت ضنكا باكل الحرام ويستدل علي ان
المعيشة الضنك قبل يوم القيامة ونحشره يوم القيامة اعمي وقوله ولعذاب
الاخرة اشد وابقي وحسن قول الجمهور الزمخشري فقال ومعنى ذلك ان مع الدين
التسليم والقناعة والتوكل علي الله وعلي قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح
وسهولة فيعيش عيشا طيبا كما قال تعالي فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين
مستود عليه الحرص الذي لا يزال يطيح به الا الازدياد من الدنيا مسلط عليه
الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة انتهى وقرا
الحسن ضنكي بالف التانيث ولا تنوين وبالامالة بناه صفة علي فعلي من الضنك
وقرا الجمهور ضنكا بالتنوين وفتحة الكاف فتحة اعراب وقرا الجمهور ونحشره
بالنون وفرقة منهم ابان بن ثعلب بسكون الرا فيجوز ان يكون تخفيفا ويجوز ان يكون
جزما بالعطف علي موضع فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وكانه قيل ومن اعرض
عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم
في قراة من سكن الرا ويذرهم وقرات فرقة ويحشره باليا وفرى ويحشره بسكون
الها علي لفظ الوقف قاله الزمخشري ونقل ابن خالويه هذه القراة عن ابان
بن ثعلب والاحسن تخرجه علي لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الها
وقري لربه لكنود والظاهر ان قوله اعمي المراد به عمي البصر كما قال ونحشرهم
يوم القيامة علي وجوههم عميا وقيل اعمى البصيرة قال ابن عطية ولو كان هذا لم
يحس الكافر بذلك لانه مات اعمى البصيرة ويحشر كذلك وقال مجاهد والضحاك
ومقاتل وابو صالح وروى عن ابن عباس اعمى عن حجته لا حجة له يهتدي بها وعن
ابن عباس يحشر بصيرا ثم اذا استوي الي المحشر اعمي وقيل اعمي عن الحيلة في دفع العذا
عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه وقيل اعمى عن كل شي الا عن جهنم
وقال الجباي المراد من حشره اعمى لا يهتدي الى شي وقال ابراهيم بن عرفة
كلما ذكره الله عز وجل في كتابه فذمه فانما يريد عمي القلب قال تعالي فانها لا تعمي
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال مجاهد معني لم حشرتني اعمي
اي لا حجة لي وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بها احاج عن نفسي في الدنيا انتهى سال
العبد ربه عن السبب الذى استحق به ان يحشر اعمى لانه جهله وظن انه لا ذنب
له فقال له جل ذكره كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي اي مثل ذلك

اتت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها
وعميت منها فكذلك اليوم نتركك علي عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري
والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعني الذهول ومعنى تنسي نتركك في العذاب وكذلك
نجزي اي مثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف اي من جاوز الحد في المعصية ثم اخبر تعالي
ان عذاب الاخرة اشد اي من عذاب الدنيا لانه اعظم منه وابقي اي منه لانه دايم
مستمر وعذاب الدنيا منقطع وقال الزمخشري والحشر علي العمي الذي لا يزول
ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقي من تركه
لاياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي
النهي ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر علي ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقي وامر
اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوي وقالوا لولا
ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولي ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزي قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قرا الجمهور
يهد بالياء وقرا فرقة منهم ابن عباس والسلمي بالنون ونحهم تعالي وذكرهم العبر بمن
تقدم من القرون ويعني بالاهلاك الاهلاك الناشي عن تكذيب الرسل وترك الايمان
بالله واتباع رسله والفاعل ليهد ضمير عايد علي الله تعالي ويويد هذا التخريج
قراة نهد بالنون ومعناه نبين وقاله الزجاج وقيل الفاعل مقدر تقديره الهدى والامر
او النظر والاعتبار وقال ابن عطية وهذا احسن ما يقدر به عندي انتهى وهو قول
المبرد وليس بجيد اذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال
الفاعل مضمر تقديره يهد هو اي الهدي وقال ابو البقاء الفاعل ما دل عليه اهلكنا
والجملة مفسرة له قال الحوفي كم اهلكنا قد دل علي هلاك القرون فالتقدير افلم
نبين لهم هلاك من اهلكنا من القرون ومحو اثارهم فيتعظوا بذلك وقال الزمخشري
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالي
وتركنا عليه في الاخرين سلام علي نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون
فيه ضمير الله او الرسول انتهى وكون الجملة فاعل هو مذهب كوفي واما تشبيهه
وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام علي نوح في العالمين فان تركنا عليه معناه
معني القول فحكيت به الجملة كانه قيل وقلنا عليه واطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى
بمعنى القول كما تحكى بلفظه واحسن التخاريج الاول وهو ان يكون الفاعل ضميرا عايدا علي
الله كانه قال افلم نبين الله ومفعول نبين محذوف اي العبر باهلاك القرون السابقة ثم قال
كم اهلكنا اي كثيرا اهلكنا فكم مفعولة باهلكنا والجملة كانها مفسرة للمفعول المحذوف
ليهد وقال الحوفي قال بعضهم هي في موضع رفع فاعله يهد وانكر هذا علي قايله لان كم
استفهام لا يعمل فيها ما قبلها انتهى وليست كم هنا استفهاما بل هي خبرية وقال ابو
البقا يهد لهم في فاعله وجهان احدهما ضمير اسم الله تعالي اي الم يبين الله لهم وعلق
يهد هنا اذ كانت بمعنى يعلم كما علقت في قوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم انتهى وكم هنا
خبرية والخبرية لا تتعلق العامل عنها وانما تعلق عن الاستفهامية وقرا ابن السميفع
يمشون بالتشديد مبنيا للمفعول لان المشي يخلق خطوة بخطوة وحركة بحركة وسكونا
بسكون فناسب البنا للمفعول والضمير في يمشون عايد علي ما عاد عليه لهم وهم الكفار
المونخون بريد قريشا والعرب يتقلبون في بلاد عاد وثمود والطوايف التي كانت
قريش تمر عليها الي الشام وغيره ويعاينون اثار هلاكهم ويمشون في مساكنهم جملة في موضع
الحال من ضمير لهم والعامل يهد اي الم نبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من اهلك
من الكفار وقيل حال من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم غارين امنين متصرفين في مساكنهم

لم يمنعهم عن التمتع والتصرف مانع من مرض ولا من غيره فجاءهم الاهلاك بغتة على حين غفلة
منهم به ان في ذلك اي في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لايات لاولي النهى اي
العقول السليمة ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة قال تعالى بل
الساعة موعدهم يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء
الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه الة اللزوم
ولفظ لزومه كما قالوا لزاز خصم وقال ابو عبد الله الرازي لا شبهة ان الكلمة اخبار
الله تعالى ملايكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوا فيوخرون
ولا يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستيصال انتهى والاجل اجل حياتهم او اجل اهلاكهم
في الدنيا او عذابهم يوم القيامة اقوال فعلى الاول يكون العذاب ما يلقي في قبره
وما بعده وعلى الثاني قتلهم بالسيف يوم بدر وعلى الثالث هو عذاب جهنم وفي صحيح البخاري
ان يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى والظاهر عطف واجل مسمى على كلمة واخر
المعطوف على المعطوف عليه وفصل بينهما بالجواب لولا مراعاة الفواصل ورؤوس الاي
واجاز الزمخشري ان يكون واجل معطوفا على الضمير المستكن في كان قال اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون
الاخذ العاجل انتهى ثم امره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش وهم الذين عاد
الضمير عليهم في افلم يهد لهم وكانوا يقولون اشياء قبيحة مما نص الله عنهم في كتابه فامره
تعالى بالصبر على اذاهم والاحتمال لما يصدر من سوء اخلاقهم وامره بالتسبيح والحمد لله
وبحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك والظاهر انه امر بالتسبيح مقرونا بالحمد
واما ان يراد اللفظ اي قل سبحان الله والحمد لله او اريد المعنى وهو التنزيه والتبرية
عن السوء والثنا الجميل عليه وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال
والمعنى اشتغل بتنزيه الله في هذه الاوقات قال ابو عبد الله الرازي وهذا القول
اقرب الى الظاهر والى ما تقدم ذكره لانه تعالى صبره اولا على ما يقولون من التكذيب
ومن اظهار الكفر والشرك والذي يليق بذلك ان يومر بتنزيهه عن قولهم حتى يكون
مظهرا لذلك وداعيا ولذلك ما جمع كل الاوقات او يراد المجاز فيكون المراد الصلوة
فقبل طلوع الشمس صلوة الصبح وقبل غروبها صلوة العصر ومن اناء الليل المغرب والعتمة
واطراف النهار الظهر وحده قال ابن عطية ويحتمل اللفظ ان يراد قول سبحان الله
وبحمده من بعد صلوة الصبح الى ركعتي الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال عليه السلام
من سبح عند غروب الشمس غربت بذنوبه انتهى وقال الزمخشري وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس
وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر
ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال تعالى ان ناشئة الليل
وقال امن هو قانت اناء الليل الايتين ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف
الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى
التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف
النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين انتهى وجاء هنا واطراف
النهار وفي هود اقم الصلوة طرفي النهار فقيل جاء على حد قوله وجوههما فقد صغت قلوبكما في ضمن تين
ظهراهما مثل ظهور الترسين جاءت التثنية على الاصل والجمع لامن اللبس اذ النهار
ليس له الا طرفان وقيل هو على حقيقة الجمع الفجر الطرف الاول والظهر والعصر
من الطرف الثاني والطرف الثالث المغرب والعشا وقيل النهار له اربعة اطراف
عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند زوال الشمس وعند وقوفها للزوال وقيل
الظهر في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الاخر فهي في طرفين منه والطرف

الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب وقيل يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر
بتكرره وقيل المراد بالاطراف الساعات لان الطرف اخر الشي وقرا الجمهور واطراف
بنصب الفا وهو معطوف على ومن اناء الليل وقيل معطوف على قبل طلوع وقرا الحسن
وعيسى بن عمر واطراف بخفض الفا عطفا على اناء لعلك ترضى اي تثاب على هذه الاعمال
بالثواب الذي ترضاه وابرز ذلك في صورة الرجا والطمع لا على القطع وقيل لعل من الله
واجبة وقرا ابو حيوة وطلحة والكسائي وابو بكر وابان وعصمة وابو عمارة عن حفص
وابو زيد عن المفضل وابو عبيد ومحمد ابن عيسى الاصبهاني ترضى بضم التاء اي
يرضيك ربك ولما امره تعالى بالصبر وبالتسبيح جاء النهي عن مد البصر الى ما متع
به الكفار ويقال مد نظره اليه اذا دام النظر اليه والفكرة في جملته وتفصيله قيل
والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد من ما متعناهم به من مال وبنين ومنازل ومراكب
وملابس ومطاعم فانما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام وانها عن ما قليل
تفنى وتزول والخطاب وان كان في الظاهر للرسول عليه السلام فالمراد امته وهو
كان صلى الله عليه وسلم ابعد شي عن النظر في زينة الدنيا واعلق بما عند الله من
كل احد وهو القايل الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما اريد به وجه الله وكان
شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر الى زخرفها ولا تمدن ابلغ من لا تنظر لان
مد البصر يقتضي الادامة والاستحسان بخلاف النظر فانه قد لا يكون ذلك معه
والعين لا تمد فهو على حذف مضاف اي لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدود
معفو عنه وذلك مثل من فاجا الشي ثم غض بصره والنظر الى الزخارف مركوز
في الطباع فمن راى منها شيا احب ادامة النظر اليه وقد شدد المتقون في غض البصر
عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لانهم انما اتخذوها لعيون
النظارة حتى يفتخروا بها فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها
وانتصب ازواجا على انه مفعول به والمعنى اصنافا من الكفرة وهم في موضع الصفة
لا زواجا اي اصنافا واقواما من الكفرة كما قال واخر من شكله ازواج واجاز الزمخشري
ان ينتصب ازواجا على الحال من ضمير به ومتعنا مفعولة منهم كانه قيل الى الذي متعنا
به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم وزهرة منصوب على الذم او مفعول ثان لمتعنا على
تضمينه معنى اعطينا او بدل من محل الجار والمجرور او بدل من ازواجا على تقدير
ذوي زهرة او جعلهم زهرة على المبالغة او منصوب بفعل محذوف يدل عليه متعنا اي
جعلنا لهم زهرة او حال من الهاء او ما على تقدير حذف التنوين من زهرة لالتقا الساكنين
وخبر الحيوة على البدل من ما وكل هذه الاعاريب منقول والاخير اختاره مكي ورد كونه
بدلا من محل ما لان فيه الفصل بالبدل بين الصلة وهي متعنا ومعمولها وهو لنفتنهم
فالبدل وهو زهرة وقرا الجمهور زهرة بسكون الهاء وقرا الحسن وابو البرهسم وابو
حيوة وطلحة وحميد وسلام ويعقوب وسهل وعيسى والزهري بفتحها وقرا الاصمعي عن
نافع لنفتنهم بضم النون من افتنه اذا جعل الفتنة واقعة فيه والزهرة والزهرة بمعنى
واحد كالجهرة والجهرة واجاز الزمخشري في زهرة المفتوح الهاء ان يكون جمع زاهر
نحو كافر وكفرة وصفهم بانهم زاهر وهذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون
وبهلل وجوههم وبهاتهم وشاراتهم بخلاف ما عليه المومنون والصلحا من شحوب الالوان
والتقشف في الثياب ومعنى لنفتنهم فيه اي لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او ليعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك خير وابقى اي ما ذخر لهم
من المواهب في الاخرة خير مما متع به هولاء في الدنيا وابقى اي ودوام وقيل ما رزقهم وان
كان قليلا خير مما رزقوا وان كان كثيرا لحليته ذلك وحرمة هذا وقيل ما رزقت من
النبوة والاسلام وقيل ما يفتح الله على المومنين من البلاد والغنايم وقيل القناعة
وقيل ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا ولما امره تعالى بالتسبيح في تلك الاوقات
المذكورة ونهاه عن مد بصره الى ما متع به الكفار امره تعالى بان يامر اهله بالصلوة

التي هي بعد الشهادة اكد اركان الاسلام وامره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وان لا يشتغل
عنك عنها واخبره تعالى انه لا يساله ان يرزق نفسه ولا اهله يسعي في تحصيل الرزق
ويثاب في ذلك بل امره بتفريغ باله لامر الاخرة ويدخل في خطابه عليه السلام امته وقرا
الجمهور نرزقك بضم القاف وقرات فرقة منهم ابن وثاب بادغام القاف في الكاف
وجاز ذلك عن يعقوب قال صاحب اللوامح وانما امتنع ابو عمرو من ادغام مثله بعد
ادغامه نرزقكم ونحوها لحلول الكاف منه طرف وهو حرف وقف فلو حرك وقفا لكان وقوفه
على حركة وكان خروجا عن كلامهم ولو اشار الى الفتح لكان الفتح اخف من ان يتبعض بل
خروج بعضه كخروج كله ولو سكن لاجحف بحرف ولعل من ادغم ذهب مذهب من يقول
جعفر وعامر ويفعل فيشدد وقفا وادغم على شرط ان لا يقف بحال فيصير الطرف
كالحشو انتهى والعاقبة اي الحميدة او حسن العاقبة لاهل التقوى وقالوا لولا ياتينا
باية من ربه هذه عادتهم في اقتراح الايات كانهم جعلوا ما ظهر من الايات ليس بايات
فاقترحوا هم ما يختارون على دينهم في التعنت فاجيبوا بقوله اولم تاتهم بينة ما في
الصحف الاولى اي القران الذي سبق التبشير به وبما جاء من الرسل به في الكتب
الالهية السابقة المنزلة على الرسل والقران اعظم الايات في الاعجاز وهي الاية
الباقية الى يوم القيامة وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم وقرا نافع وابو عمرو وحفص
تاتهم بالتا على لفظ بينة وقرا باقي السبعة وابو بكر وابن محيصن وطلحة وابن ابي ليلى
وابن مناذر وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى وابن جبير الانطاكي ياتهم باليا
لمجاز تانيث الاية والفصل وقرا الجمهور بالاضافة بينة الى ما وفرقة منهم ابو زيد
عن ابي عمرو بالتنوين وما بدل قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون ما نفيا واريد بذلك
ما في القران من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب وقرات فرقة بنصب
بينة والتنوين وما فاعل بتاتهم وبينة نصب على الحال فمن قرا ياتهم باليا فعلى
لفظ ما ومن قرا بالتا راعى المعنى لانها اشيا مختلفة وعلوم من مضى وما شا الله
وقرا الجمهور في الصحف بضم الحا وفرقة منهم ابن عباس باسكانها والضمير في من
قبله يعود على البينة لانها في معنى البرهان والدليل قاله الزمخشري والظاهر
عوده على الرسول لقوله لولا ارسلت الينا رسولا ولذلك قدره بعضهم قبل ارساله
محمدا اليهم والذل والخزي مقترنان بعذاب الاخرة وقيل نذل في الدنيا ونخزى
في الاخرة وقيل الذل الهوان والخزي الافتضاح وقرا الجمهور نذل ونخزى مبنيا
للفاعل وابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري
وداود والفزاري وابو حاتم ويعقوب مبنيا للمفعول قل كل متربص فتربصوا
اي منتظر منا ومنكم عاقبة امره وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وافرد الخبر وهو متربص
حملا على اللفظ كل قوله قل كل يعمل على شاكلته والتربص التاني والانتظار للفرج
ومن اصحاب مبتدا وخبر علق عنه فستعلمون واجاز الفرا ان تكون ما موصولة بمعنى
الذي فيكون مفعوله بفستعلمون واصحاب خبر مبتدا محذوف تقديره الذين هم
اصحاب وهذا جار على مذهب الكوفيين اذ يجيزون حذف مثل هذا الضمير مطلقا سوا
كان في الصلة طول ام لم يكن وسوا كان الموصول ايا ام غيره وقرا الجمهور السوي
على وزن فعيل اي المستوي وقرا ابو مجلز وعمران بن حدير السوا اي الوسط وقرا
الجحدري وابن يعمر السوءى على وزن فعلى انث لتانيث الصراط وهو مما يذكر
ويونث تانيث الاسوا من السواي على ضد الاهتدا وقوبل به ومن اهتدى على الضد
ومعناه فستعلمون ايها الكفار من على الضلال ومن على الهدى ويويد ذلك قراة ابن
عباس الصراط السوء وقد روي عنهما انهما قرا السوى على وزن فعلى فاحتمل ان يكون
اصله السوءى اذ روى ذلك عنهما فخفف الهمزة بابدالها واوا وادغم واحتمل ان يكون
فعلى من السوا ابدلت ياوه واوا وادغمت الواو في الواو وكان القياس انه لما بني فعلى
من السوا ابدلت ان يكون السويا فيجتمع واو ويا وسبقت احداهما بالسكون فيقلب الواو

ياو تدغم

ياو تدغم في اليا فكان يكون التركيب السيا وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وشد
اليا تصغير السوء قاله الزمخشري وليس بجيد اذ لو كان تصغير سوا لكان كما قالوا في عطا
عطي ومن قرا السواي او السوء كان في ذلك مقابلة لقوله ومن اهتدى وعلى قراة هو
الجمهور لم تراع المقابلة في الاستفهام م **القصم** كسر الشي لصلب حتى يبين تلاوم اجزايه
الركض ضرب الدابة بالرجل **خمدت** النار طفيت **دمغه** اصاب دماغه نحو كبده وراسه
اصاب كبده وراسه **رتق** الشي سده فانرتق ومنه الرتقا المنضمة الفرج **فتق** فصل ما بين
المتصلين **الفج** الطريق المتسع **السبح** العوم **كلاه** حفظه يكلوه كلاة ويقال اذهب
في كلاة الله واكتلات منه احترست وقال ابن هرمة ان سليمى والله يكلوها •
ضنت بشي ما كان يرزوها **النفحة** الخطوة ونفح له من عطاياه اجزاه نصيبا وقال
الشاعر اذا ريدة من حيث ما نفحت له اتاه برياها خليل يواصله **الخردل** حب
معروف

• سورة الانبيا •

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر
وانتم تبصرون قل ربي يعلم القول في السما والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام
بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم
يومنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشا
واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون هذه السورة مكية بلا
خلاف وعن عبد الله الكهف ومريم وطه والانبيا من العتاق الاول وهن من تلادي اي من
قديم ما حفظت وكسبت من القران كالمال التلاد ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما
ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا بالمعاد والجزا على الاعمال
وليس بصحيح وان صح ففيه بعد فانزل الله تعالى اقترب للناس حسابهم واقترب افتعل
بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب وقيل هو ابلغ من قرب للزيادة
التي في البنا والناس مشركو مكة وقيل عام في منكري البعث واقتراب الحساب اقتراب
وقته والحساب في اللغة اخراج الكمية من مبلغ العدة وقد يطلق على المحسوب وجعل
ذلك اقترابا لان كل ما هو ات وان طال وقت انتظاره قريب وانما البعيد هو الذي
انقرض او هو مقترب عند الله كقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
او باعتبار ما بقي من الدنيا فانه اقصر واقل مما مضى وفي الحديث بعثت والساعة
كهاتين قال الشاعر • فما زال من يهواه اقرب من غد وما زال من يخشاه ابعد من امس
وللناس متعلق باقترب وقال الزمخشري هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة
لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل
الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك
زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابالك لان اللام موكدة
لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول انتهى يعني بقوله صلة انها تتعلق
باقترب واما جعله اللام تاكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها
على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما تتعلق به ولا يمكن تعلقها
بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وايضا فالتوكيد يكون متاخرا
عن المؤكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيهه بما اورد سيبويه
فالفرق واضح لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متاخرة توكيدا وكذلك فيك
زيد راغب فيك تتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك
صحة تركيب حساب الناس وكذلك ازف رحيل الحي فاعتقد اذا انفك م الظاهر
مجرورا باللام واضيف المصدر للضمير انه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله

واما لا ابا لك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن ان يقال فيها ذلك لان اللام جاورت
الاضافة ولا يقاس علي مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الاقيسة وقد امعنا الكلام
عليها في شرح التسهيل والواو في وهم والحال واخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي
لان الغفلة عن الشي والاعراض عنه متنافيان لكن يجمع بينهما باختلاف حالين اخبر
عنهم اولا انهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يوول اليه امر المحسن والمسي
اعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك والذكر هنا ما ينزل من القران شيا بعد شي وقيل المراد
بالذكر اقوال النبي عليه السلام في امر الشريعة ووعظه وتذكيره ووصفه بالحدوث
اذ كان القران لنزوله وقتا بعد وقت وسيل بعض الصحابة عن هذه الاية فقال
محدث النزول محدث المقول وقال الحسن بن الفضل المراد بالذكر هنا النبي صلى
الله عليه وسلم في امر الشريعة ووعظه بدليل هل هذا الا بشر مثلكم وقال قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا وقد احتجت المعتزلة علي حدوث القران بقوله محدث
وهي مسئلة يبحث فيها في علم الكلام وقرا الجمهور محدث بالجر صفة لذكر علي
اللفظ وابن ابي عبلة بالرفع صفة لذكر علي الموضع وزيد بن علي بالنصب علي الحال
من ذكر اذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز ان يتعلق من ربهم بياتيهم واستمعوه جملة
حالية وذو الحال المفعول في ما ياتيهم وهم يلعبون جملة حالية من ضمير استمعوه
ولاهية حال من ضمير يلعبون او من ضمير استمعوه فيكون حالا بعد حال واللاهية
من قول العرب لهي عنه اذا ذهل وغفل يلهي لهيا ولهيانا اي وان فطنوا لا يجدي
ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم وقرا ابن ابي عبلة وعيسي
لاهية بالرفع علي انه خبر بعد خبر لقوله وهم والنجوي من التناجي ولا يكون الا
خفية فمعني واسروا بالغوا في اخفايها وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا
يعلم انهم متناجون وقال ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد يحتمل ان يكونوا
اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكون اظهروه ومنه قول الفرزدق •
• فلما راي الحجاج جرد سيفه • اسر الحروري الذي كان اضمرا • وقال
التبريزي لا يستعمل في الغالب الا في الاخفاء وانما اسروا الحديث لانه كان ذلك
علي طريق التشاور وعادة المتشاورين كتمان سرهم عن اعدايهم واسروها ليقولوا
للرسول وللمومنين اذ كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه وجوزوا في اعراب
الذين ظلموا وجوها الرفع والنصب والجر فالرفع علي البدل من ضمير واسروا
اشعارا انهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به قاله المبرد وعزاه
ابن عطية الي سيبويه او علي انه فاعل والواو في اسروا علامة للجمع علي لغة اكلوني
البراغيث قاله ابو عبيدة والاخفش وغيرهما قيل وهي لغة شاذة قيل والصحيح
انها لغة حسنة وهي من لغة ازد شنوءة وخرج عليه قوله ثم عموا وصموا كثير منهم
وقال شاعرهم يلومونني في اشتراء النخيل اهلي وكلهم الوم او علي ان الذين مبتدا
واسروا النجوي خبره قاله الكسايي فقدم عليه والمعني وهولاء اسروا النجوي
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا علي فعلهم انه ظلم او علي انه فاعل بفعل القول
وحذف اي يقول الذين ظلموا والقول كثيرا يضمر واختاره النحاس قال ويدل علي
صحة هذا ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقيل التقدير اسرها الذين ظلموا
وقيل الذين خبر مبتدا محذوف اي هم الذين والنصب علي الذم قاله الزجاج
او علي اضمار اعني قاله بعضهم والجر علي ان يكون نعتا للناس او بدلا في قوله
اقترب للناس قاله الفراء وهو ابعد الاقوال هل هذا الا بشر مثلكم استفهام
معناه التعجب اي كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية وانكارهم
وتعجبهم من حيث كانوا يرون ان الله لا يرسل الا ملكا وافتاتون السحر استفهام
معناه التوبيخ والسحر عنوا به ما ظهر علي يديه من المعجزات التي اعظمها القران
والذكر المتلو عليهم اي افتحضرون السحر وانتم تبصرون انه سحر وان من اتي به هو

بشر مثلكم فكيف تقبلون ما اتي به وهو سحر وكانوا يعتقدون ان الرسول من عند الله
لا يكون الا ملكا وان كل من ادعي الرسالة من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر
وهاتان الجملتان الاستفهاميتان الظاهر انهما متعلقتان بقوله واسروا النجوي وانهما
محكيتان بقول للنجوي لانه بمعني القول الخفي فهما في موضع نصب علي المفعول بالنجوي
وقال الزمخشري في محل النصب بدلا من النجوي اي واسروا هذا الحديث ويجوز
ان يتعلق بقالوا مضمرا انتهي وقرا حمزة والكسايي وحفص والاعمش وطلحة وابن
ابي ليلي وايوب وخلف وابن سعدان وابن جبير الانطاكي وابن جرير قال ربي علي معني
الخبر عن نبيه عليه السلام وقرا باقي السبعة قل علي الامر لنبيه عليه السلام يعلم اقوالكم
هذه وهو مجازيكم عليها والقول عام يشمل السر والجهر فكان في الاخبار بعلمه القول
علم السر وزيادة وكان اكد في الاطلاع علي نجواهم من ان يقول يعلم سرهم ثم بين
ذلك بقوله وهو السميع العليم لاقوالكم العليم بما انطوت عليه ضمايركم ولما ذكر تعالي
عنهم انهم قالوا ان ما اتي به سحر ذكر اضطرابهم في مقالاتهم فذكر انهم اضربوا
عن نسبة السحر اليه وقالوا انما ياتي به انما هو احلام وتقدم تفسيرها في سورة يوسف
ثم اضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه اي اختلقه وليس من عند الله ثم اضربوا عن
هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل لا يثبت علي قول بل يبقي متحيرا وهذه الاقوال
الظاهر انها صدرت من قايلين متفقين انتقلوا من قول الي قول او مختلفين قال كل
منهم مقالة قال الزمخشري ويجوز ان يكون تنزيلا من الله لاقوالهم في درج الفساد
وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع
من الثالث انتهي وقال ابن عطية ثم حكي قول من قال انه شاعر وهي مقالة فرقة
عامية لان نباة الشعر من العرب لم يخف عليهم بالبديهة ان مباني القران ليست
مباني شعر وقال ابو عبد الله الرازي حكي الله عنهم هذه الاقوال الخمسة وترتيب
كلامهم ان كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان هذا
القران معجز ثم اما ان يساعد علي ان فصاحة القران خارجة عن مقدار البشر قلنا هو
لم لا يجوز ان يكون ذلك سحرا وان لم يساعد عليه فان ادعينا كونه في نهاية الركاكة قلنا
انه اضغاث احلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افترا
وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة ساير الشعر وعلي جميع هذه
التقديرات لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقدير هذه الاحتمالات
قالوا فلياتنا باية كما ارسل الاولون اقترحوا من الايات ما لا امهال بعدها كالايات
في قوله لن نومن لك حتي تفجر لنا من الارض ينبوعا قال الزمخشري صحة التشبيه
في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معني كما اتي الاولون بالايات لان ارسال
الرسل متضمن للايات بالايات الا تري انه لا فرق بين تقول اتي محمد بالمعجزة
وان تقول ارسل محمد بالمعجزة انتهي والكاف في كما ارسل يجوز ان يكون في موضع النعت
لاية وما ارسل في تقدير المصدر والمعني باية مثل اية ارسال الاولين ويجوز ان
يكون في النعت لمصدر محذوف اي اتيانا مثل ارسال الاولين اي مثل اتيانهم بالايات
وهذه الايات التي طلبوها علي سبيل اقتراحهم ولم يات الله باية مقترحة الا اتي
بالعذاب بعدها واراد تعالي تاخير هولاء وفي قولهم كما ارسل الاولون دلالة
علي معرفتهم باتيان الرسل ثم اجاب تعالي عن قولهم فلياتنا باية بقوله ما امنت
قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون والمراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما
ومعني اهلكناها حكمنا باهلاكها بما اقترحوا من الايات افهم يومنون استبعاد وانكار
اي هولاء اعني من الذين اقترحوا علي انبيايهم الايات وعهدوا انهم يومنون
عندها فلما جاءتهم نكثوا فاهلكهم الله فلو اعطينا هولاء ما اقترحوا لكانوا انكث من
اوليك وكان يقع استيصالهم ولكن حكم الله تعالي بابقايهم ليومن من امن ويخرج منهم
مومنين ولما تقدم من قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وان الرسول لا يكون من عند الله

من جنس البشر قال تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا اي بشرا ولم يكونوا
ملايكة كما اعتقدوا ثم احالهم على اهل الذكر فانهم وان كانوا مشايعين للكفار ساعين
في اخماد نور الله لا يقدرون على انكار ارسال البشر وقوله ان كنتم لا تعلمون من
حيث ان قريشا لم يكن لها كتاب سابق ولا اثارة من علم والظاهر ان اهل الذكر
هم احبار اهل الكتاب يبين وشهادتهم تقوم بها الحجة في ارسال الله البشر هذا مع موافقة
قريش في ترك الايمان بالرسول فشهادتهم لا مطعن فيها وقال عبد الله بن سلام
انا من اهل الذكر وقيل هم اهل القران وقال علي انا من اهل الذكر وقال ابن
عطية لا يصلح ان يكون المسؤل اهل القران في ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم
انتهى وقيل اهل الذكر هم اهل التوراة وقيل اهل العلم بالسير وقصص الامم البايدة
والقرون السالفة فانهم كانوا يفحصون عن هذه الاشياء واذا كان اهل الذكر اريد
بهم اليهود والنصارى فانهم لما بلغ خبرهم حد التواتر جاز ان يسألوا ولا يقدح في ذلك
كونهم كفارا وقرا الجمهور نوحي مبنيا للمفعول وقرا طلحة وحفص نوحي بالنون وكسر
الحاء والجسد يقع على ما لا يتغذى من الجماد وقيل يقع على المتغذي وغيره فعلى القول
الاول يكون النفي قد وقع على الجسد وعلى الثاني يكون مثبتا والنفي انما وقع على
صفته ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم
ما لهذا الرسول ياكل الطعام وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين
قالوا هل هذا الا بشر مثلكم لان البشرية تقتضي الجسمية الحيوانية وهذه لا بد
لها من مادة يقوم بها وقد خرجوا بذلك في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون ولما اثبت انهم كانوا اجسادا ياكلون الطعام بين انهم مالهم
الى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي او البقاء المدة المتطاولة
اي هولاء الرسل بشر اجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي صاروا به
رسلا هو ظهور المعجزة على ايديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ثم
صدقناهم الوعد ذكر تعالى سيرته مع انبيايه فكذلك يصدق نبيه محمدا عليه السلام
واصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة فهذه عدة للمومنين ووعيد للكافرين
وصدقناهم الوعد من باب اختار وهو ما يتعدى الفعل فيه الى واحد والى الاخر
بحرف جر ويجوز حذف ذلك الحرف اي في الوعد وهو باب لا ينقاس عند الجمهور
وانما يحفظ من ذلك افعال قليلة ذكرت في النحو ونظير صدقناهم الوعد قولهم صدقوهم
القتال وصدقني سن بكرة وصدقت زيدا الحديث ومن نشاء هم المومنون والمسرفون
هم الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الايمان فهو مفرط مسرف وانجاوهم
من شر اعدايهم ومن العذاب الذي نزل باعدايهم ولما توعدهم في هذه الاية اعقب ذلك
بوعده بنعمته عليهم فقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم والكتاب هو القران
وعن ابن عباس ذكركم شرفكم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وعن الحسن ذكر
دينكم وعن مجاهد فيه حديثكم وعن سفين مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقيل تذكرة
لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق
الايات ان المعنى فيه ذكر مثالبكم ومثالبكم وما عاملتم به انبياء الله من التكذيب
والعناد فعلى هذا تكون الاية ذما لهم وليست من تعداد النعم عليهم ويكون الكلام
على سياقه ويكون معنى قوله مثل هذا افلا تعقلون انكارا عليهم اي اما لهم التدبر
والتفكر المودبين الى اقتضاء الغفلة وقال ابن عطية يحتمل ان يريد فيه شرفكم
وذكركم اخر الدهر كما تذكر عظام الامور وفي هذا تحريض ثم اكد التحريض بقوله
افلا تعقلون وحركهم بذلك الى النظر وقال الزمخشري نحوه قال ذكركم شرفكم
وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم
تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث
واداء الامانة والسخا وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها

قوما اخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه
ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه
من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل
مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون لما رد تعالى عليهم ما قالوه بالغ تعالى في زجرهم
بذكر ما اهلك من القرى فقال وكم قصمنا والمراد اهلها اذ لا توصف القرية بالظلم
كقوله من هذه القرية الظالم اهلها قال ابن عباس الانشا ايجاد الشي من غير سبب
انشاه فنشا وهو ناشي والجمع نشا كخدم والقصم اقطع الكسر عبارة عن الاهلاك
الشديد وكم يقتضي التكثير فالمعنى كثيرا من اهل القرى اهلكنا اهلاكا شديدا مبالغا
فيه وما روي عن ابن عباس انها حضور وقرية باليمن وعن ابن وهب عن بعض رجاله
انهما قريتان باليمن بطر اهلهما فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية
لان كم تقتضي التكثير ومن حديث اهل حضور ان الله بعث اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس بعث اليهم جيشا فهزموه
ثم بعث اخر فهزموه فخرج اليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما اخذ القتل فيهم ركضوا
هاربين فلما احسوا باسنا اي باشروه بالاحساس والضمير في احسوا عايد على اهل
المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود على قوله قوما اخرين لانه لم يذكر
لهم ذنب يركضون من اجله والضمير في منها عايد على القرية ويحتمل ان يعود على
باسنا لانه في معنى الشدة فانث على المعنى ومن على هذا للتسبب والظاهر انهم لما ادركتهم
مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين قيل ويجوز ان شبهوا
في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون الارض
بارجلهم كما قال اركض برجلك وجواب لما اذا الفجايية وما بعدها وهذا احد
الدلايل على ان لما في هذا التركيب حرف لا ظرف وقد تقدم لنا القول في ذلك
وقوله لا تركضوا قال ابن عطية يحتمل ان يكون من قول رجال بخت نصر على
الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا انهم خدعوهم واستهزوا بهم بان قالوا للهاربين
منهم لا تفروا وارجعوا الى منازلكم لعلكم تسئلون صلحا او جزية او امرا يتفق عليه فلما
انصرفوا امر بخت نصر ان ينادي فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن
اخرهم هذا كله مروي ويحتمل ان يكون قوله لا تركضوا الى اخر الاية من كلام ملايكة العذاب
وصف قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضور ولا غيرها فالمعنى على هذا ان اهل هذه
القرى كانوا باغترارهم يرون انهم من الله بمكان وانه لو جاءهم عذاب او امر لم ينزل بهم
حتى يتخاصموا ويسالوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم
في ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذي املوه وركضوا فارين نادتهم الملايكة
على وجه الهزء بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسالون كما كنتم تطمعون لسفه ارايكم
وقال الزمخشري يحتمل ان يكون بعض القايل بعض الملايكة او من ثم من المومنين
او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملايكته
لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش
الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسالون غدا عما
جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ
فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين
المخدمين او يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات
والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارايكم او يسالكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحايب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا

استحياء ينفقون اموالهم رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما اي تهكم وتوبيخا اي توبيخ انتهي ونداء الويل هو على سبيل المجاز كانهم قالوا ياويل هذا زمانك وتقدم تفسير الويل في البقرة والظلم هنا الاشراك وتكذيب الرسل وايقاع انفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم الاشارة وهو تلك وهو اشارة الي الجملة المقولة اي فما زالت تلك الدعوي دعواهم قال المفسرون فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا والدعوي مصدر دعا يقال دعا دعوي ودعوة كقوله واخر دعواهم لان المولول كانه يدعو الويل وقال الحوفي وتبعه الزمخشري وابو البقا تلك اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز ان يكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر انتهي وهذا الذي ذهب اليه هولا قاله الزجاج قبلهم واما اصحابنا المتاخرون فاسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول اذا البس ان يكون المتقدم الخبر والمتاخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان فاذا قلت كان موسي صديقي لم يكن في موسي الا ان يكون اسم كان وصديقي الخبر كقولك ضرب موسي عيسي فموسي الفاعل وعيسي المفعول ولم ينازع في هذا احد من متاخري اصحابنا الا ابو العباس احمد بن علي عرف بابن الحاج وهو من تلاميذ الاستاذ ابي علي الشلوبين ونبهاتهم فاجاز ان يكون المتقدم هو المفعول والمتاخر هو الفاعل وان الْبس فعلي ما قرره الجمهور والاصحاب يتعين ان يكون تلك اسم زالت ودعواهم الخبر وقوله حصيدا اي بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين اي موتي دون ارواح مشبهين بالنار اذا طفيت وحصيدا مفعول ثان قال الحوفي وخامدين نعت لحصيدا علي ان يكون حصيدا بمعني محصودين يعني وضع المفرد ويراد به الجمع قال ويجوز ان يجعل خامدين حالا من الهاء والميم وقال الزمخشري جعلناهم مثل الحصيد شبههم في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليهما جعل نصبهما جميعا علي المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معني قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معني ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود عطف علي المماثلة لا علي الحصيد انتهي ولما ذكر تعالي قصم تلك القري الظالمة اتبع ذلك بما يدل علي انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة علي ما فعلوا وانه انما انشا هذا العالم العلوي المحتوي علي عجايب من صنعه وغرايب من فعله وهذا العالم السفلي وما اودع فيه من عجايب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهوا والسحاب والرياح علي سبيل اللعب بل لفوايد دينية يقتضي بسعادة الابد اوشقاوته ودنياوية لا تعد ولا تحصي لقوله وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا وقوله ما خلقناهما الا بالحق قال الكرماني اللعب فعل يدعوا اليه الجهل يروق اوله ولا ثبات له وانما خلقناهما لنجازي المحسن والمسي وليستدل بهما علي الوحدانية والقدرة انتهي لو اردنا ان نتخذ لهوا اصل اللهو ما تسرع اليه الشهوة ويدعوا اليه الهوي وقد يكني به عن الجماع واما هنا فعن ابن عباس والسدي هو الولد وقال الزجاج هو الولد بلغة حضرموت وعن ابن عباس ان هذا رد علي من قال اتخذ الله ولدا وعنه ان اللهو هنا اللعب وقيل اللهو هنا المراة وقال قتادة هذا في لغة اهل اليمن وتكون ردا علي من ادعي ان لله زوجة ومعني من لدنا من عندنا بحيث لا يطلع عليه احد لانه نقص فستره اولي وقال السدي من السما لا من الارض وقيل من الحور العين وقيل من جهة قدرتنا وقيل من الملايكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير وقال الزمخشري بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفاوه عن افعالي ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر علي اتخاذه ان كنت فاعلا لاني علي كل شي قديرا انتهي ولا يجي هذا الا علي قول من قال ان اللهو هو اللعب واما من فسره بالولد والمراة فذلك مستحيل لا يتعلق به القدرة والظاهر ان ان هنا

شرطية وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب لو اي ان كنا فاعلين اتخذناه ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله وقال الحسن وقتادة وابن جريج ان نافية اي ما كنا فاعلين بل نقذف اي نرمي بسرعة بالحق وهو القران علي الباطل وهو الشيطان قاله مجاهد وقال كل ما في القران من الباطل فهو الشيطان وقيل بالحق بالحجة علي الباطل وهو شبههم ووصفهم الله بغير صفاته من الولد وغيره وقيل الحق عام في القران والرسالة والشرع والباطل ايضا عام كذلك وبل اضراب عن اتخاذ اللعب واللهو والمعني انه يدحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به علي جرم رخو اجوف فدمغه اي اصاب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل وقرا عيسي بن عمر فيدمغه بنصب الغين قال الزمخشري وهو في ضعف قوله ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقري فيدمغه بضم الميم انتهي ولكم الويل خطاب للكفار اي الخزي والهم مما تصفون اي تصفونه من ما لا يليق به تعالي من اتخاذ الصاحبة والولد ونسبة المستحيلات اليه وقيل ولكم خطاب لمن تمسك بتكذيب الرسل ونسب القران الي انه سحر واضغاث احلام وهو المعني بقوله مما تصفون وابعد من ذهب الي انه التفات من ضمير الغيبة في فما زالت دعواهم الي ضمير الخطاب ثم اخبر تعالي ان من في السموات والارض ملك له فاندرج فيه من سموه بالصاحبة والولد ومن عنده هم الملايكة واحتمل ان يكون معطوفا علي من فيكونون قد اندرجوا في الملايكة بطريق العموم لدخولهم في من وبطريق الخصوص بالنص علي انهم من عنده ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم او استينافا اخبارا واحتمل ان يكون ومن عنده مبتدا وخبره لا يستكبرون وعند هنا لا يراد بها ظرف المكان لانه تعالي منزه عن المكان بل المعني شرف المكانة وعلو المنزلة والظاهر ان قوله وله من في السموات والارض استيناف اخبار بان جميع العالم ملكه وقيل يحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون كانه يقسم الامر في نفسه اي للمختلقين هذه المقالة الويل ولله تعالي من في السموات والارض انتهي والمراد ان الملايكة مكرمون منزلون لكرامتهم علي الله منزلة المقربين عند الملوك علي طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم ويقال حسر البعير واستحسر كل وتعب وحسرته انا فهو متعد ولازم واحسرته ايضا وقال الشاعر بها جيف الحسري فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادني الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقا لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون انتهي يسبحون هم الملايكة باجماع الامة وصفهم بتسبيحهم دايم وعن كعب جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم دايما دون ان يلحقهم فيه سامة وفي الحديث اني لاسمع اطيط السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد او قايم ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين لما ذكر تعالي الدلايل علي وحدانيته وان من في السموات والارض كلهم ملك له وان الملايكة المكرمين هم في خدمته لا يفترون عن تسبيحه وعبادته عاد الي ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه احلامهم وام هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة ففيها اضراب وانتقال من خبر الي خبر واستفهام معناه التعجب والانكار اي اتخذوا الهة من الارض ينشرون

بالاحيا ويقدرون عليها وعلي الاماتة اي لم يتخذوا الهة بهذا الوصف بل اتخذوا الهة جمادا
لا يتصف بالقدرة علي شي فهي غير الهية لان من صفة الاله القدرة علي الاحيا والاماتة وقال
الزمخشري فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة ينشرون وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم
وهم ابعد شي عن هذه الدعوي لانهم مع اقرارهم بان الله خالق السموات والارض وبانه
قادر علي المقدورات كلها وعلي النشاة الاولي منكرين للبعث وكان عندهم من قبيل المحال
الخارج عن قدرة القادر فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة قلت الامر كما ذكرت
ولكنهم بادعائهم الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر
علي كل مقدور والانشا من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل
واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار
علي الابدا والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او
مدني ومعنى نسبتها الي الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة ارضية
وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك
فاشارت الي السما فقال انها مومنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي
هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله تعالي ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض لانها
اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة
في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر
علي الانشار الا هم وحدهم انتهي واتخذوا هنا يحتمل ان يكون المعنى فيها صنعوا وصوروا
ومن الارض متعلق باتخذوا ويحتمل ان يكون المعنى جعلوا الالهة اصناما من الارض كقوله
اتتخذ اصناما الهة وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفيه معنى الاصطفا والاختيار
وقرا الجمهور ينشرون مضارع انشر ومعناه يحيون وقال قطرب معناه يخلقون
كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وقرا الحسن ومجاهد ينشرون مضارع نشر وهما لغتان
نشر وانشر متعديان ونشر ياتي لازما تقول انشر الله الموتي فنشروا اي فحيوا
والضمير في فيهما عائد علي السما والارض ومما كناية عن العالم والا هنا صفة للالهة اي
الهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما انشده س رحمه
الله وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان قال الزمخشري فان قلت ما منعك
من الرفع علي البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ
الا في الكلام غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام
يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتي غير الواحد
الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة علي امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما
الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت
لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب
والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق
كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما
طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجادل وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الي تلك
الذات المتميزة بتلك الصفات حتي يثبت ويستقر وقال ابن عطية وذلك بانه
كان يبغي بعضهم علي بعض ويذهب بما خلق واقتضاب القول في هذا ان الالهين لو
فرضنا بينهما الاختلاف في تحريك جسم وتحريكه فمحال ان تتم الارادتان ومحال
ان لا يتم جميعا واذا تمت الواحدة كان صاحب الاخري عاجزا وهذا ليس باله وجواز
الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر اخر وذلك ان كل جزء يخرج من العدم
الي الوجود فمحال ان يتعلق به قدرتان فاذا كانت قدرة احدهما توجده ففي الاخر
فضلا لا معنى له في ذلك الجزء ثم يتمادي النظر هكذا جزءا جزءا وقال ابو
عبد الله الرازي لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلا بد ان يشتركا
في الوجود ولا بد ان يمتاز كل واحد منهما عن الاخر بمعينته وما به المشاركة غير ما به

الممايزة فيكون كل واحد مشاركا للاخر وكل مركب فهو مفتقر الي اخر ممكن لذاته فاذا
واجب الوجود ليس الا واحدا وكل ما عداه فهو محدث ويمكن جعل هذا تفسيرا
لهذه الاية لانا لما دللنا علي انه يلزم من فرض موجودين واجبين ان لا يكون شي منهما
واجبا واذا لم يوجد الواجب لم يوجد شي من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد
في كل العالم وقال ابو البقا لا يجوز ان يكون بدلا لان المعنى يصير الي قولك لو كان
فيهما الله لفسدتا الا تري انك لو قلت ما جاني قومك الا زيد علي البدل
لكان المعنى جاني زيد وحده وقيل يمتنع البدل لان ما قبله ايجاب ولا يجوز
النصب علي الاستثنا لوجهين احدهما انه فاسد في المعنى وذلك انك اذا قلت
جاني القوم الا زيدا فقتلتهم كان معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم فلو نصب
في الاية لكان المعنى ان فساد السموات والارض امتنع لوجود الله مع الالهة
وفي ذلك اثبات الاله مع الله واذا رفعت علي الوصف لا يلزم مثل ذلك لان المعنى لو
كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثاني ان الالهة هنا نكرة والجمع اذا كان
نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه
المستثني لولا الاستثنا انتهي واجاز ابو العباس المبرد في الا الله ان يكون بدلا
لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب احسن من الوصف وقد
امعنا الكلام علي هذه المسالة في شرح التسهيل وقال الاستاذ ابو علي الشلوبين
في مسيلة س لو كان معنى رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد
لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان وقال شيخنا الاستاذ ابو الحسن بن الضايع
لا يصح المعنى عندي الا ان يكون الا في معنى غير الذي يراد بها البدل اي لو كان فيهما
الهة عوض واحد اي بدل الواحد الذي هو الله لفسدتا وهذا المعنى اراد س
في المسالة التي جا بها توطية انتهي ولما اقام البرهان علي وحدانيته وانفراده بالالوهية
نزه نفسه عما وصفه به اهل الجهل بقوله فسبحان الله ثم وصف نفسه بانه مالك
هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم هو متضمنهم ثم وصف نفسه بكمال القدرة
ونهاية الحكم فقال لا يسال عما يفعل اذ له ان يفعل في ملكه ما يشا وفعله علي
اقصي درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقب عليه ولما كانت عادة الملوك انهم
لا يسالون عن ما يصدر من افعالهم مع امكان الخطا فيها كان ملك الملوك احق بان
لا يسال هذا مع علمنا انه لا يصدر عنه الا ما اقتضته الحكمة العارية عن الخلل
والتعقب وجاء عن ما يفعل لان الفعل جامع لصفات الافعال مندرج تحته كل ما يصدر
عنه من خلق ورزق ونفع وضر وغير ذلك والظاهر في قوله لا يسال العموم في الازمان
وقال الزجاج اي في القيمة لا يسال عن حكمه في عباده وهم يسالون عن اعمالهم وقال
ابن بحر لا يحاسب وهم يحاسبون وقيل لا يواخذ وهم يواخذون انتهي وهم يسالون
لانهم مملوكون مستعبدون واقع منهم الخطا كثيرا فهم جديرون ان يقال لهم لم فعلتم
كذا وقرا الحسن لا يسال ويسلون بفتح السين نقل حركة الهمزة الي السين
وحذف الهمزة ثم كرر تعالي عليهم الانكار والتوبيخ فقال ام اتخذوا من دونه الهة
استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ قوله من دونه فكانه
وبخهم علي قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الي الاتيان بالحجة علي ما اتخذوا
ولا حجة تقوم علي ان الله تعالي شريكا لا من جهة العقل ولا من جهة النقل بل كتب الله
السابقة شاهدة بتنزيهه تعالي عن الشركا والانداد كما في الوحي الذي جيتكم به
هذا ذكر من معي اي عظة للذين معي وهم امته وذكر للذين من قبلي وهم امم الانبيا
فالذكر هنا مراد به الكتب الالهية ويجوز ان يكون هذا اشارة الي القران والمعنى
فيه ذكر الاولين والاخرين فذكر الاخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم وذكر
الاولين بقص اخبارهم وذكر الغيوب في امورهم والمعنى علي هذا اعرض القران في
معرض البرهان اي هاتوا برهانكم فهذا برهاني في ذلك ظاهر وقرا الجمهور باضافة

ذكرا اي من فيهما على اضافة المصدر الي المفعول كقوله بسوال نعجتك وقرئ
بتنوين ذكر فيهما ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وقرى يحيى بن يعمر وطلحة بتنوين ذكر فيهما وكسر ميم من فيهما ومعنى معي هنا
عندي والمعنى هذا ذكر من عندي ومن قبلي اي اذكركم بهذا القرآن الذي عندي
كما ذكرت الانبياء من قبلي اممهم ودخول من على مع نادر ولكنه اسم يدل على الصحبة
والاجتماع اجري مجرى الظرف فدخلت عليه من كما دخلت على قبل وبعد وعند
وضعف ابو حاتم هذه القراءة لدخول من على مع ولم ير لها وجها وعن طلحة
ذكر منونا معي دون من وذكر منونا قبلي دون من وقرات فرقة وذكر من بالاضافة
وذكر منونا من قبلي بكسر ميم من وقرا الجمهور الحق بالنصب والظاهر نصبه
على المفعول به فلا يعلمون اي اصل شرهم وفسادهم هو الجهل وعدم التمييز بين
الحق والباطل ومن ثم جاء الاعراض عنه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون
المنصوب ايضا على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد
الله الحق لا الباطل فاكد نسبة انتفاء العلم عنهم والظاهر ان الاعراض متسبب
عن انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل اعرضوا عن الحق وقال
ابن عطية ثم حكم عليهم تعالى بان اكثرهم لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى
فهم معرضون لانهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق وقرا
الحسن وحميد وابن محيصن الحق بالرفع قال صاحب اللوامح ابتداء والخبر
مضمر او خبر والمبتدا قبله مضمر وقال ابن عطية هذا القول هو الحق والوقف
على هذه القراءة على لا يعلمون وقال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على توسيط
التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل
انتهى ولما ذكر انتفاء علمهم الحق واعراضهم اخبر انه ما ارسل من رسول الا جاء
مقررا لتوحيد الله وافراده بالالهية والامر بالعبادة ولما كان من رسول عاما
فكان لفظ ومعنى افرد على اللفظ في قوله الا يوحى اليه ثم جمع على المعنى في قوله
فاعبدون ولم يات التركيب فاعبدني ويحتمل ان يكون الا هو له والامته وهذه
العقيدة من توحيد الله لم يختلف فيها النبوات وانما وقع الاختلاف في اشيا من
الاحكام وقراءة الاخوان والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى والقطعي وابن غزوان
عن ايوب وخلف وابن سعدان وابن عيسى وابن جرير نوحي بالنون وباقي السبعة
بالياء وفتح الحاء واختلف عن عاصم ثم نزه تعالى نفسه عما نسبوا اليه من
الولد قيل ونزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة وعزيرا والمسيح ونظهر من كلام
الزمخشري انه مخصوص بالملايكة قال نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة
بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة
الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على ساير العباد لما هم عليه من احوال
وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت
عن ذلك علوا كبيرا انتهى وقرا عكرمة مكرمون بالتشديد والجمهور بالتخفيف
وقرا لا يسبقونه بكسر الباء وقرئ بضمها من سابقني فسبقته اسبقه والمعنى انهم
يتبعون قوله ولا يقولون شيا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وال في بالقول نابت
مناب الضمير على مذهب الكوفيين اي بقولهم وكذا قال الزمخشري والمراد
بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والضمير محذوف اي بالقول منهم وذلك على
مذهب البصريين وهم بامره يعملون فكما ان قولهم تابع لقوله كذلك فعلهم
مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يومروا به وهذه عبارة عن توغلهم في طاعته
والامتثال لامره ثم اخبر تعالى انه يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدم من افعالهم
واقوالهم والحوادث التي لها اليهم تسبب وما تاخر وعلمه بذلك يجري مجرى
السبب لطاعتهم لما علموه عالما بجميع المعلومات وظواهرهم وبواطنهم كان ذلك

داعيا

داعيا لهم الى نهاية الخضوع والدوب على العبادة قال ابن عباس يعلم ما قدموا وما
اخروا من اعمالهم وقال نحوه عمار بن ياسر قال ما عملوا وما لم يعملوا بعد وقيل ما بين ايديهم
الاخرة وما خلفهم الدنيا وقيل عكس ذلك وقيل يعلم ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد
خلقهم ولما كانوا مقهورين تحت امره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على ان يشفعوا
الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم ثم هم مع ذلك
من خشيته مشفقون متوقعون حذرون لا يامنون مكر الله وقال ابن عباس لمن
ارتضى هو من قال لا اله الا الله وشفاعتهم الاستغفار وقال مجاهد لمن ارتضاه الله
ان يشفع وقيل شفاعتهم في القيامة وفي الصحيح انهم يشفعون في الدنيا والاخرة ثم
وبعد ان وصف كرامتهم عليه واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية فاجا
بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من ادعى منهم انه اله وذلك على سبيل الفرض
والتمثيل مع علمه بانه لا يكون كقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك
تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد وقرا الجمهور نجزيه بفتح النون
وقرا ابو عبد الرحمن المقري بضمها اراد نجزئه بالهمز من اجزاني كذا كفاني ثم
خفف الهمزة فانقلبت ياء كذلك اي مثل هذا الجزاء نجزي الظالمين وهم الكافرون
الواضعون الشي في غير موضعه واداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله
لئن اشركت اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الما كل شي حي افلا يومنون وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا
سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون
هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله الهة ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما
تقدم من ادلة التوحيد ورد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه
المخلوقات المتصرف فيها التصرف العجيب كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته
الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع والروية هنا من روية القلب وقيل من روية البصر
وذلك على الاختلاف في الرتق والفتق وقرا ابن كثير وحميد وابن محيصن الم ير
بغير واو العطف والجمهور اولم بالواو وكانتا قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد
ولهذا قال كانتا رتقا لانه اراد السما والارض ومنه ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا جعل السموات نوعا والارضين نوعا فاخبر عن النوعين كما اخبر
عن اثنين كما تقول اصلحت بين القوم ومرت بنا غنمان اسودان لقطيعي غنم وقال
الحوفي قال كانتا رتقا والسموات جمع لانه اراد الصنفين ومنه قول الاسود
بن يعفر ● ان المنية والحتوف كلاهما ● في المحارم يرقبان سوادي ● لانه اراد النوعين
وقال ابو البقا الضمير يعود على الجنسين وقال الزمخشري وانما قيل كانتا دون كن
لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سودا وان اراد جماعتا
فعل في المضمر ما فعل في المظهر وقال ابن عطية وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه
قول عمرو بن شييم ● الم يحزنك ان جبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا ●
قال ابن عباس والحسن وعطا والضحاك وقتادة كانتا شيا واحدا ففصل الله
بينهما بالهوا وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا
بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا وقال مجاهد والسدي
وابو صالح كانت السموات والارض موتلفة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعا وقالت
فرقة السموات والارض رتق بالظلمة ففتقها الله بالضوء وقالت فرقة السما قبل
المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقهما بالمطر والنبات كما قال والسما ذات
الرجع والارض ذات الصدع قال ابن عطية وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد
النعمة والحجة للمحسوس بين ويناسب قوله وجعلنا من الما كل شي حي اي من الما الذي

اوجده الفتق انتهى وعلى هذين القولين تكون الرؤية من البصر وعلى ما قبلهما
من رؤية القلب وجاء تقديرهم بذلك لانه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه
فقام مقام المرئي المشاهد ولان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز في العقل
فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو الله سبحانه وقرا الجمهور رتقا
بسكون التا وهو مصدر يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى وقرا الحسن
وزيد بن علي وابو حيوة وعيسى رتقا بفتح التاء وهو اسم المرتوق كالقبض والنقض
فكان قياسه ان يثني ليطابق الخبر الاسم فقال الزمخشري هو على تقدير موصوف
اي كانتا شيا رتقا وقال ابو الفضل الرازي الاكثر في هذا الباب ان يكون
المتحرك منه اسما بمعنى المفعول والساكن مصدرا وقد يكونان مصدرا لكن
المتحرك اولى بان يكون في معنى المفعول لكن هنا الاولى ان يكونا مصدرين فاقيم
كل واحد منهما مقام المفعولين الا ترى انه قال كانتا رتقا فلو جعلت احدهما
اسما لوجب ان تثنيه فلما قال رتقا كان في الوجهين كرجل عدل ورجلين عدل
وقوم عدل انتهى وجعلنا ان تعدى لواحد كانت بمعنى وخلقنا من الما كل حيوان
اي مادة النطفة قاله قطرب وجماعة او لما كان قوامه الما المشروب وكان محتاجا
اليه لا يصبر عنه جعل مخلوقا منه كقوله خلق الانسان من عجل قاله الكلبي وغيره
ويكون الحيوة على هذا حقيقة ويكون كل شي عاما مخصوصا اذ خرج منه الملائكة
والجن وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للما وقال قتادة اي خلقنا كل نام
من الما فيدخل فيه النبات والمعدن وتكون الحيوة فيهما مجازا او عبر بالحيوة عن
القدر المشترك بينهما وبين الحيوان وهو النمو ويكون ايضا على هذا عاما
مخصوصا وان تعدت جعلنا لاثنين فالمعنى صيرنا كل شي حي بسبب من الما لا بد
له منه وقرا الجمهور حي بالخفض صفة لشي وقرا حميد حيا بالنصب مفعولا
ثانيا لجعلنا والجار والمجرور لغو اي ليس مفعولا ثانيا لجعلنا افلا يؤمنون
استفهام انكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى افلا يتدبرون
هذه الادلة ويعملوا بمقتضاها ويتركوا طريقة الشرك واطلق الايمان على
سببه وقد انتظمت هذه الاية دليلين من دلايل التوحيد وهي من الادلة السماوية
والارضية ثم ذكر دليلا اخر من الدلايل الارضية فقال وجعلنا في الارض رواسي
ان تميد بهم وتقدم شرح نظير هذه الجملة في سورة النحل وجعلنا فيها سبلا وهذا
دليل رابع من الدلايل الارضية والظاهر ان الضمير في فيها عايد على الارض وقيل
يعود على الرواسي وجا هنا تقديم فجاجا على قوله سبلا وفي سورة نوح لتسلكوا منها
سبلا فجاجا فقال الزمخشري وهي يعني فجاجا صفة ولكن جعلت حالا كقوله
لمية موحشا طلل يعني انها حال من سبل وهو نكرة فلو تاخر فجاجا لكان صفة كما في تلك
الاية ولكن تقدم فانتصب على الحال فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى
قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على
تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة انتهى يعني بالابهام ان الوصف لا يلزم ان يكون
الموصوف متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الاكثر قيامه به حالة الاخبار عنه
الا ترى انه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة فحالة المرور لم يكن قايما به قتل حمزة
واما الحال فهي هيئة ما تخبر عنه حالة الاخبار لعلهم يهتدون في مسالكهم وتصرفهم
وما دفع وسمك على شي فهو سقف قال قتادة حفظ من البلى والتغير على طول الدهر
وقيل حفظ من السقوط لامساكه من غير علاقة ولا عماد وقيل حفظ من الشرك
والمعاصي وقال الفرا حفظ من الشياطين بالرجوم وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السما سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري
السهم محفوظا من الشياطين واذا صح هذا الحديث كان نصا في معنى الاية وهم
عن اياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وساير

النيرات

النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وقرا الجمهور عن اياتها بالجمع وقرا مجاهد
وحميد عن ايتها بالافراد فيجوز انه جعل الجمال او السقف او الخلق او خلق السما اية
واحدة تحوي الايات كلها ويجوز انه اراد بها الجمع فجعلها اسم الجنس ودل على ذلك
كثرة ما في السما من الايات والمعنى وهم عن الاعتبار باياتها معرضون وقال
الزمخشري هم يتفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنياوية كالاستضاءة
بقمريها والاهتدا بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية
بينة على الخالق معرضون والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والفلك الجسم
الداير دورة اليوم والليلة وعن ابن عباس والسدي الفلك السما وقال اكثر
المفسرين الفلك موج مكفوف تحت السما يجري فيه الشمس والقمر وقال قتادة
الفلك استدارة بين السما والارض يدوم بالنجوم مع ثبوت السما وقيل الفلك
القطب الذي يدور عليه النجوم وهو قطب الشمال وقيل لكل واحد من السيارات
فلك وفلك الافلاك يحركها حركة واحدة من المشرق الى المغرب وقال الضحاك
الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والظاهر انه جسم وفيه الاختلاف
المذكور والظاهر ان كلا يسبح في فلك واحد وقيل ولكل واحد فلك يخصه فهو كقولهم
كساهم الامير حلة اي كسا كل واحد وجا يسبحون بواو الجمع العاقل فاما الجمع
فقيل ثم معطوف محذوف وهو والنجوم ولذلك عاد الضمير مجموعا ولو لم يكن
ثم معطوف محذوف لكان يسبحان مثنى وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر
والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو
السبب في جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد انتهى
وحسن ذلك كونه جا فاصلة راس اية واما كونه ضمير من يعقل ولم يكن التركيب
يسبحن فقال الفرا لما كانت السباحة من افعال الادميين جا ما اسند اليهما مجموعا
جمع من يعقل كقوله رايتهم لي ساجدين قال ابو عبد الله الرازي وعلى قول ابي
علي بن سينا سببه ذلك انها عنده تعقل انتهى وهذه الجملة يحتمل ان يكون استيناف
اخبار فلا محل لها او محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان الليل والنهار
لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كقولك رايت زيدا وهندا متبرجة والسباحة
العوم والذي يدل عليه الظاهر ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان في الفلك
وان الفلك لا يجري وما جعلنا الاية قيل ان بعض المسلمين قال ان محمدا لن يموت
وانما هو مخلد فانكر ذلك الرسول فنزلت وقيل طعن كفار مكة عليه بانه بشر
ياكل الطعام ويموت فكيف يصح ارساله وقال الزمخشري كانوا يقدرون
انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا
يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فان مت افتبقى هولا وفي معناه
قول الامام الشافعي رضي الله عنه • تمنى رجال ان اموت وان امت •
فتلك سبيل لست فيها باوحد • فقل للذي يبقي خلاف الذي مضى •
تزود لاخرى مثلها فكان قد • وقول الاخر • فقل للشامتين بنا افيقوا •
سيلقى الشامتون كما لقينا • والفا في افان مت للعطف قدمت عليها همزة
الاستفهام لان الاستفهام له صدر الكلام دخلت على ان الشرطية والجملة بعدها
جواب الشرط وليست مصب الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض
الشرط بينهما فحذف جوابه هذا مذهب س وزعم يونس ان تلك الجملة هي مصب
الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف قال ابن عطية والف الاستفهام
داخلة في المعنى على جواب الشرط انتهى وفي هذه الاية دليل لمذهب س
اذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب افاين مت هم الخالدون بغير فا
وللمذهبين تقرير في علم النحو كل نفس ذايقة الموت تقدم تفسير هذه الجملة

ونبلوكم نختبركم وقدم الشر لان الابتلاء به اكثر ولان العرب تقدم الاقل والاردأ
ومنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
وعن ابن عباس الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة
والمعصية والهدى والضلال قال ابن عطية هذان الاخيران ليسا داخلين
في هذا لان من هدي فليس هداه اختبارا ولا من اطاع بل قد تبين خيره والظاهر ان
المراد من الخير والشر هنا كل ما صح ان تكون فتنة وابتلاء انتهى وعن ابن عباس
ايضا بالشدة والرخاء تصبرون على الشدة وتشكرون على الرخاء ام لا وقال
الضحاك الفقر والمرض والغنى والصحة وقال ابن زيد المحبوب والمكروه وانتصب
فتنة على انه مفعول له او مصدر في موضع الحال او مصدر من معنى نبلوكم والينا
ترجعون فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء
وقرا الجمهور ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول وقرات فرقة بالتاء مفتوحة
مبنيا للفاعل وقرات فرقة بضم اليا للغيبة مبنيا للمفعول على سبيل الالتفات
واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر
الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون قال السدي ومقاتل مر الرسول عليه السلام بابي جهل
وابي سفيان فقال ابو جهل هذا نبي عبد مناف فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا
في بني عبد مناف فسمعهما الرسول فقال لابي جهل ما تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك
الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت ما قلته حمية فنزلت ولما كان الكفار
يغمهم ذكر الهتهم بسوء شرعوا في الاستهزاء وتنقيص من يذكرهم على سبيل المقابلة وان
نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب اذا هو ان يتخذونك وجواب اذا بان النافية لم
يرد منه في القران الا هذا وقوله في الفرقان واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا
ولم يحتج الى الفاء في الجواب كما لم يحتج اليها ما اذا وقعت جوابا لقوله واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف ادوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا
بما النافية فلا بد من الفاء نحو ان تزورنا فما نسيء اليك وفي الجواب لاذا بان وما
النافيتين دليل واضح على ان اذا ليست معمولة للجواب بل العامل فيها الفعل الذي
يليها وليست مضافة للجملة خلافا لاكثر النحاة وقد استدللنا على ذلك بغير هذا
من الادلة في شرح التسهيل وقيل جواب اذا محذوف وهو يقولون المحكي به قولهم اهذا
الذي يذكر الهتكم وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه
ويتخذونك يتعدى الى اثنين والثاني هزوا اي مهزوا به وهذا استفهام فيه
انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير وبالشر فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه
فان كان من صديق فالذكر ثناء او من غيره فذم ومنه سمعنا فتى يذكرهم اي بسوء وكذلك
هنا اهذا الذي يذكر الهتكم ثم نعى عليهم انكارهم عليه ذكر الهتهم بهذه الجملة الحالية
وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي ينكرون على من يعيب الهتهم والظاهر ان هذه الجملة
حال من الضمير في يقولون المحذوف وقال الزمخشري والجملة في موضع الحال
اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله انتهى فجعل
الجملة الحالية العامل فيها يتخذونك هزوا المحذوفة وكرر هم على سبيل التوكيد
وروي انها نزلت حين انكروا لفظة الرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا في اليمامة
والمراد بالرحمن هنا الله كانه قيل وهم بذكر الله ولما كانوا يستعجلون عذاب الله
واياته الملجئة الى الاقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم اولا ذم

الانسان

ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها والظاهر انه يراد بالانسان هنا
اسم الجنس وكونه خلق من عجل هو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيرا كما يقال
لمكثر اللعب انت من لعب وفي الحديث لست من دد ولا دد مني وقال الشاعر
وانا لمما يضرب الكبش ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم • لما كانوا اهل
ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وبهذا التاويل يتم معنى الاية
ويترتب عليه قوله ساريكم اياتي اي ايات الوعيد فلا تستعجلون في رؤيتكم العذاب
الذي تستعجلون به ومن يدعي القلب فيه وهو ابو عمرو وان التقدير خلق العجل من
الانسان وكذا قراه عبد الله على معنى انه جعل طبيعة من طبائعه وجزءا من اخلاقه
فليس قوله بجيد لان القلب الصحيح فيه انه لا يكون في كلام فصيح وان بابه الشعر
قبل فمما جاء في الكلام من ذلك قول العرب اذا طلعت الشعرى استوى العود على
الحرباء وقالوا عرضت الناقة على الحوض وفي الشعر قوله حسرت كفي عن السربال
اخذه وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والضحاك ومقاتل
والكلبي الانسان هنا ادم قال مجاهد لما دخل الروح راسه وعينيه راى الشمس
قاربت الغروب فقال يا رب عجل تمام خلقي قبل ان تغيب الشمس وقال سعيد
لما بلغت الروح ركبتيه كاد يقوم فقال الله خلق الانسان من عجل وقال ابن زيد
خلقه الله يوم الجمعة على عجلة في خلقه وقال الاخفش من عجل لان الله قال
له كن فكان وقال الحسن من عجل اي ضعيف يعني النطفة وقيل خلق بسرعة
وتعجيل على غير ترتيب الادميين من النطفة والعلقة والمضغة وهذا يرجع لقول
الاخفش وقيل من عجل من طين والعجل بلغة حمير الطين وانشد ابو عبيدة لبعض
الحميريين النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل منبته في الماء والعجل وقيل
الانسان هنا النضر بن الحرث والذي ينبغي ان تحمل الاية عليه هو القول الاول
وهو الذي يناسب اخرها والايات هنا قيل الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب
في الاخرة اي ياتيكم في وقته وقيل ادلة التوحيد وصدق الرسول وقيل اثار
القرون الماضية بالشام واليمن والقول الاول اليق اي سياتي ما يسوءكم اذا
دمتم على كفركم كانه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا وفي الاخرة وقال الزمخشري
فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان
عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه من الشهوة وامره ان
يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة انتهى وهو على
طريق الاعتزال وقرا مجاهد وحميد وابن مقسم خلق مبنيا للفاعل الانسان بالنصب
اي خلق الله الانسان وقوله متى هذا الوعد استفهام على جهة الهزء وكان المسلمون
يتوعدونهم على لسان الشرع ومتى في موضع الخبر لهذا فموضعه رفع ونقل عن بعض
الكوفيين ان موضع متى نصب على الظرف والعامل فيه فعل مقدر تقديره يكون او
يجيء وجواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه وحذفه ابلغ واهيب من النص عليه
فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه وقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال وقيل لعلموا صحة البعث وقيل لعلموا صحة الموعود
وقال الحوفي لسارعوا الى الايمان وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع
الساعة وحين يراد به وقت الساعة يدل على ذلك بل تاتيهم بغتة انتهى وحين
قال الزمخشري مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه
بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم قال ويجوز ان يكون يعلم متروكا فلا تعدية
بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر
اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا
الجهل العظيم اي لا يكفونها انتهى والذي يظهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة

ما قبله اي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سالوا عنه واستبطوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء ويجوز ان يكون من باب الاعمال على حذف مضاف واعمل الثاني والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجوه لانها اشرف ما في الانسان ومحل حواسه والانسان احرص على الدفاع عنه من غيره من اعضايه ثم عطف عليها الظهور والمراد عموم النار بجميع ابدانهم ولا احد يمنعهم من العذاب بل تاتيهم بغتة اي تفجوهم قال ابن عطية بل تاتيهم استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات لا تاتي بحسب اقتراحهم انتهى والظاهر ان الضمير في تاتيهم عايد على النار وقيل على الساعة التي تصيرهم الى العذاب وقيل على العقوبة وقال الزمخشري في عود الضمير الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة انتهى وقرا الاعمش بل ياتيهم بالياء بغتة بفتح الغين فيبهتهم بالياء والضمير عايد الى الوعد او الحين قاله الزمخشري وقال ابو الفضل الرازي لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكر ثم ردها الى ظاهر اللفظ ولا هم ينظرون اي يوخرون عن ما حل بهم ولما تقدم قوله اذا يتخذونك الا هزوا سلاه تعالى بان من تقدمه من الرسل وقع من اممهم الاستهزا بهم وان ثمرة استهزايهم جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والاخرة فكذلك حال هولاء المستهزيين وتقدم تفسير مثل هذه الاية في الانعام ثم امره تعالى ان يسالهم عن الذي يحفظكم في اوقاتكم بل باس الله اي لا احد يحفظكم منه وهو استفهام تقريع وتوبيخ وفي اخر الكلام تقدير محذوف كانه ليس لهم مانع ولا كالي وعلى هذا النفي تركيب بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون قاله ابن عطية وقال الزمخشري بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسوال عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلوهم انتهى وقرا ابو جعفر والزهري وشيبة يكلوكم بضمة خفيفة من غير همز وحكى الكسايي والفراء يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو ام لهم الهة ام بمعنى بل والهمزة كانه قيل بل الهم الهة فاضرب ثم استفهم تمنعهم من العذاب وقال الحوفي من دوننا متعلق بتمنعهم انتهى وقيل والمعنى الهم الهة تجعلهم في منعة وعز من ان ينالهم مكروه من جهتنا وقال ابن عباس في الكلام تقديم وتاخير تقديره ام لهم الهة من دوننا تمنعهم انتهى قيل والمعنى الهم الهة تمنعهم يقول منعت دونه كففت اذاه فمن دوننا هو من صلة الهة اي ام لهم الهة دوننا او من صلة تمنعهم اي ام لهم مانع من سوانا ثم استانف الاخبار عن الهتهم فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره وقال ابن عباس يصحبون يمنعون وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال الشاعر

ينادي باعلى صوته متعوذا ليصحب منا والرماح دوان

وقال مجاهد يحفظون وقال السدي لا يصحبهم من الملايكة من يدفع عنهم والظاهر عود الضمير في ولا هم على الاصنام وهو قول قتادة وقيل على الكفار وهو قول ابن عباس وفي التحرير مدار هذه الكلمة يعني يصحبون على معنيين احدهما انه من صحب يصحب والثاني من الاصحاب اصحب الرجل منعه من الافات بل متعنا هولاء واباهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم

بالغيب

بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون هولاء اشارة الى المخاطبين قبل وهم كفار قريش ومن اتخذ الهة من دون الله اخبر تعالى انه متع هولاء الكفار واباهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت اعمارهم في رخاء ونعمة وتدعسوا في الضلالة باهماله تعالى اياهم وتاخيرهم الى الوقت الذي ياخذهم فيه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها تقدم تفسير هذه الجملة في اخر الرعد واقتصر الزمخشري من تلك الاقوال على معنى انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام قال فان قلت اي فايدة في قوله ناتي الارض قلت الفايدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها انتهى وفي ذلك تبشير للمومنين بما فتح الله عليهم واكثر المفسرين على انها نزلت في كفار مكة وفي قوله افهم الغالبون دليل على ذلك اذ المعنى انهم هم الغالبون فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم ثم امره تعالى ان يقول انما انذركم بالوحي اي اعلمكم بما تخافون منه بوحي من الله لا من تلقا نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق الواقع لا محالة كما رايتم بالعيان من نقصان الارض من اطرافها ثم اخبر انهم مع انذارهم معرضون عما انذروا به فلا انذار لا يجدي فيهم اذ هم صم عن سماعه ولما كان الوحي من المسموعات كان ذكر الصمم مناسبا والصم هم المنذرون فال فيه للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لان فيه التصريح بتصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا ولم يكن الضمير ليفيد هذا المعنى ونفي السماع هنا نفي جدواه وقرا الجمهور يسمع بفتح اليا والميم الصم رفع به والدعا نصب وقرا ابن عامر وابن جبير عن ابي عمرو وابن الصلت عن حفص بالتا من فوق مضمومة وكسر الميم الصم الدعا بنصبهما والفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول وقرا كذلك الا انه باليا من تحت اي ولا يسمع الرسول وعنه ايضا ولا يسمع مبنيا للمفعول الصم رفع به ذكره ابن خالويه وقرا احمد بن جبير الانطاكي عن اليزيدي عن ابي عمرو يسمع بضم اليا وكسر الميم الصم نصبا الدعا رفعا بيسمع اسند الفعل الى الدعا اتساعا والمفعول الثاني محذوف كانه قيل ولا يسمع النداء الصم شيا ثم اخبر تعالى ان هولاء الذين صموا عن سماع ما انذروا به اذا نالهم شي مما انذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك واقروا بانهم كانوا ظالمين بهواء على العلة التي اوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا واذعنوا قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذي نزل بمكة وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح له من العطا نفحة اذا اعطاه نصيبا وفي قوله ولين مستهم نفحة ثلاث مبالغات لفظ المس وما في مدلول النفح من القلة اذ هو الريح اليسير او ما يرضخ من العطية وبنا المرة منه ولم يات نفح فالمعنى انه بادني اصابة من اقل العذاب اذعنوا وخضعوا واقروا بان سبب ذلك ظلمهم السابق ولما ذكر حالهم في الدنيا اذا اصيبوا بشي استطرد لما يكون في الاخرة التي هي مقر الثواب والعقاب فاخبر تعالى عن عدله واسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال ونضع الموازين وتقدم الكلام في الموازين في اول الاعراف واختلاف الناس في ذلك هل ثم ميزان حقيقة وهو قول الجمهور او ذلك على سبيل التمثيل عن المبالغة في العدل التام وهو قول الضحاك وقتادة قالا ليس ثم ميزان ولكنه العدل والقسط مصدر وصفت به الموازين مبالغة كانها جعلت في انفسها القسط او على حذف مضاف اي ذوات القسط ويجوز ان يكون مفعولا لاجله اي لاجل القسط وقرئ القسط بالصاد واللام في ليوم القيامة قال الزمخشري مثلها في قولك جيت لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع

انتهى وذهب الكوفيون الا ان اللام تكون بمعنى في ووافقهم ابن قتيبة من المتقدمين وابن مالك من اصحابنا المتاخرين وجعل من ذلك قوله القسط ليوم القيامة

اي في يوم وكذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي في وقتها واشد شاهدا على ذلك لمسكين الدارمي
• اوليك قومي قد مضوا لسبيلهم • كما قد مضى من قبل عاد وتبع • وقول الاخر •
• وكلاب وابن وابن عمرو امتا • مقيمين مفقود لوقت وفاقد • وقيل اللام هنا للتعليل
على حذف مضاف اي لحساب يوم القيامة وشيا مفعول ثان او مصدر وقرا الجمهور
مثقال بالنصب خبر كان اي وان كان الشي او وان كان العمل وكذا في لقمن وقرا زيد بن
علي وابو جعفر وشيبة ونافع مثقال بالرفع على الفاعلية وكان تامة وقرا الجمهور
اتينا من الاتيان اي جينا بها وكذا قرا ابي اعني جينا وكانه تفسير لاتينا وقرا ابن
عباس ومجاهد وابن جبير وابن ابي اسحق والعلا بن سيابة وجعفر ابن محمد وابن
شريح الاصبهاني آتينا بمدة على وزن فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافاة
فمعناه جازينا بها ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على افعلنا من الايتاء على ما توهمه
بعضهم لتعدى مطلقا دون جار قاله ابو الفضل الرازي وقال الزمخشري
مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزا
انتهى وقال ابن عطية على معنى واتينا من المواتاة ولو كان اتينا اعطينا لما تعدت
بحرف جر ويوهن هذه القراة ان بدل الواو المفتوحة همزة ليست بمعروف
وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة انتهى وقرا حميد اثبنا بها من الثواب
وانث الضمير في بها وهو عايد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مونث وكفى بنا
حاسبين فيه توعد وهو اشارة الى ضبط اعمالهم من الحساب وهو العد والاحصا
والمعنى انه لا يغيب عنا شي من اعمالهم وقيل هو كناية عن المجازاة والظاهر ان
حاسبين تمييز لقبوله من ويجوز ان يكون حالا ولما ذكر ما اتى به رسوله من الذكر
وحال مشركي العرب معه وقال قل انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادة الله في انبيايه
فذكر ما اتى موسى وهرون اشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما اوتوا من الفرقان
والضياء والذكر ثم نبه على ما اتى رسوله والفرقان التوراة وهو الضياء والذكر
اي كتابا هو فرقان وضياء وذكر ويدل على هذا المعنى قراة ابن عباس وعكرمة
والضحاك ضياء وذكرا بغير واو في ضياء وقالت فرقة الفرقان ما رزقه
الله من نصره وظهور حجته وغير ذلك مما فرق بين امره وامر فرعون والضياء
التوراة والذكر التذكرة والموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف
والعطف بالواو يوذن بالتغاير وعن ابن عباس الفرقان الفتح لقوله يوم الفرقان
وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات والذين صفة تابعة
او مقطوعة برفع او نصب او بدل ولما ذكر التقوى ذكر ما نتيجته وهو خشية الله
والاشفاق من عذاب يوم القيامة والساعة القيامة وبالغيب قال الجمهور يخافونه
ولم يروه وقال مقاتل يخافون عذابه ولم يروه وقال الزجاج يخافونه من حيث لا يراهم
احد ورجحه ابن عطية وقال ابو سليمان الدمشقي يخافونه اذا غابوا عن اعين الناس
والاشفاق شدة الخوف واحتمل ان يكون قوله وهم من الساعة مشفقون استيناف
اخبار عنهم وان يكون معطوفا على صلة الذين ويكون الصلة الاولى مشعرة بالتجدد
دايما كانها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدا وخبر عنه بالاسم
المشعر بثبوت الوصف كانها حالتهم فيما تتعلق بالاخرة ولما ذكر ما اتى موسى وهرون
عليهما السلام اشار الى ما اتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال وهذا اي القران
ذكر مبارك اي كثير منافعه وغزير خيره وجا هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جريا
على الاشهر وتقدم الكلام على قوله في الانعام وهذا كتاب انزلناه مبارك وبينا هناك
حكمة تقديم الجملة على الاسم افانتم له منكرون استفهام انكار وتوبيخ وهو خطاب
للمشركين والضمير في له عايد على ذكر وهو القران وفيه تسلية للرسول اذا انكر
ذلك المشركون كما انكر اسلاف اليهود ما انزل الله على موسى التماثيل الصورة المصنوعة
مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى مثلت الشي بالشي اذا شبهته به قال الشاعر

ديار

ديار بيوم قد لهوت وليلة بآنسة كانها خط تمثال — الجذ القطع قال الشاعر
بنو المهلب جذ الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف — النكس قلب الشي
بحيث يصير اعلاه اسفل ونكس راسه بالتشديد والتخفيف طاطاه حتى صار اعلاه
اسفل البرد مصدر برد يقال برد الما حرارة الجوف يبردها قال الشاعر
• وعطل قلوصي في الركاب فانها • ستبرد اكبادا وتبكي بواكيا • النفش رعي الماشية
بالليل بغير راع والهمل بالنهار بلا راع الغوص الدخول تحت الما لاستخراج ما فيه
قال الشاعر • او درة صدفية غواصها بهج • متى يرها يهل ويسجد • النون
الحوت ويجمع على نينان وروي النينان فلق الحمر الفرج يطلق على الحر والذكر
مقابل الحر وعلى الدبر قال الشاعر • وانت اذا استدبرته سد فرجه •
يضاف فويق الارض ليس باعزل — الحدب المسنم من الارض كالجبل والكدية والقبر
ونحوه النسلان مقاربة الخطو مع الاسراع قال الشاعر عسلان الذيب امسى قاربا
برد الليل عليه فنسل — الحصب الحطب بلغة الحبشة اذا رمي به في النار قبل وقبل ان
يرمي به لا يسمى حصبا وقيل الحصب ما يوقد به النار السجل الصحيفة ولقد اتينا
ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين قالوا
اجيتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا
على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون لما تقدم الكلام في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اتبع
ذلك بثلثة عشر نبيا غير مراعي في ذكرهم الترتيب الزماني وذكر بعد ما نال كثيرا
منهم من الابتلا كل ذلك تسلية للرسول وليتاسى بهم فيما جرى عليه من قومه
وقرا الجمهور رشده بضم الرا وسكون الشين وقرا عيسى الثقفي رشده بفتح الرا
والشين واضاف الرشد الى ابرهيم بمعنى انه رشد مثله وهو رشد الانبياء وله شان
اي شان والرشد النبوة او الاهتدا الى وجوه الصلاح في الدين والدنيا او هما داخلان
تحت الرشد او الصحف والحكمة او التوفيق للخير صغيرا اقوال خمسة والمضاف اليه
من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بني قبل اي من قبل موسى وهرون قاله الضحاك
لقوله في الانعام ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم واسحق ويعقوب وابعد
من ذهب الى ان التقدير من قبل بلوغه او من قبل نبوته يعني حين كان في صلب
ادم واخذ ميثاق الانبياء او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لان هما حذف وثم لا يدل
على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهرون لتقدم ذكرهما وقربه والضمير في به
الظاهر انه عايد على ابرهيم وقيل على الرشد وعلمه تعالى انه علم منه احوالا عجيبة واسرارا
بديعة فاهله لخلته كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وهذا من اعظم المدح
وابلغه اذ اخبر تعالى انه اتاه الرشد وانه عالم بما اتاه وبه عليه السلام ثم استطرد
من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعا الى توحيد الله ورفض ما عبد من دونه
واذ معمولة لاتينا او رشده او عالمين او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده
هذا الوقت وبدا اولا بذكر ابيه لانه الاهم عنده في النصيحة وانقاذه من
الضلال ثم عطف عليه قومه كقوله وانذر عشيرتك الاقربين وفي قوله ما هذه
التماثيل تحقير لها وتصغير لشانها وتجاهل بها وتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله
استهانة بهم وتوقيف على سو صنيعهم وعكف يتعدى بعلى كقوله يعكفون على اصنام
لهم فقيل لها هنا بمعنى عليها كما قيل في قوله وان اساتم فلها والظاهر ان اللام في لها
لام التعليل اي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة اي على عبادتها وقيل ضمن عاكفون
معنى عابدين فعداه باللام وقال الزمخشري لم ينو للعاكفين محذوفا واجراه
مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها انتهى ولما سالهم
اجابوه بالتقليد البحت وانه فعل ابايهم اقتدوا به من غير ذكر برهان وما اقبح هذا

التقليد الذي ادي بهم الي عبادة خشب وحجر ومعدن وبجاجهم في ذلك ونصره تقليدهم
وكان سالوه ايامم عن عبادة التماثيل وغايته انا يذكروا شبهة في ذلك فيبطلها فلما
اجابوه بما لا شبهة لهم فيه وبدا ضلالهم قال لقد كنتم انتم وآباوكم في ضلال مبين
اي في حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين والمقلدين وجعل
الضلال مستقرا لهم وانتم توكيد للضمير الذي هو اسم كان قال الزمخشري وانتم
من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض
الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه في اسكن انت وزوجك
لانه يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل قوله وزوجك مرتفع
على اضمار وليسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا مخالف لمذهب س ولما جري
هذا السوال وهذا الجواب تعجبوا من تضليله اياهم اذ كان قد نشا بينهم وجوزوا
ان ما قاله هو على سبيل المزاح لا الجد فاستفهموه امهذا جد منه ام لعب والضمير في قالوا
عايد على ابيه وقومه والحق متعلق بقولهم اجيتنا ولم يريدوا حقيقة المجي لانه لم
يكن عنهم غايبا فجاهم وهو نظير قال اولو جيتك بشي مبين والحق هنا ضد الباطل
وهو الجد ولذلك قابلوه باللعب وجات الجملة اسمية لكونها اثبت كانهم حكموا
عليه بانه لاعب هازل في مقالته لهم ولكونها فاصلة ثم اضرب عن قولهم واخبر
بالجد وان المالك لهم والمستحق العبادة هو ربهم ورب هذا العالم العلوي والعالم
السفلي المندرج فيه انتم ومعبوداتكم ونبه على الموجب للعبادة وهو منشي هذا العالم
ومخترعه من العدم الصرف والظاهر ان الضمير في فطرهن عايد على السموات
والارض ولما لم تكن السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جا الضمير ضمير
القلة وقيل في فطرهن عايد على التماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل ادخل
في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم انتهى وقال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كانها
تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من
يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التي يدل
على انها من قبيل من يعقل فان الله اخبر بقوله قالتا اتينا طايعين وقوله صلى الله عليه
وسلم اطت السما وحق لها ان تيط انتهي وكان ابن عطية وهذا القايل تخيلا ان هن من
الضماير التي تخص من يعقل من المونثات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين
من يعقل وما لا يعقل من المونث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم
والضمير عايد على الاربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الي ربوبيته تعالى ووصفه
بالاختراع لهذا العالم ومن للتبعيض اي الذين يشهدون بالربوبية كثيرون
وانا بعض منهم اي ما قلته امر مفروغ منه عليه شهود كثيرون فهو مقال مصحح
بالشهود وعلى ذلكم متعلق بمحذوف تقديره وانا شاهد على ذلكم من الشاهدين
او على جهة البيان اي اعني على ذلكم او باسم الفاعل وان كان في صلة ال لاتساعهم
في الظرف والمجرور اقوال تقدمت في اني لكما لمن الناصحين وبادرهم اولا بالقول
المنبه على دلالة العقل فلم ينتفعوا بالقول فانتقل الي القول الدال على الفعل الذي
ماله الي الدلالة التامة على عدم الفايدة في عبادة ما يتسلط عليه بالكسر والتقطيع
وهو لا يدفع ولا يضر ولا ينفع ولا يشعر بما ورد عليه من فك اجزايه فقال وتالله
لاكيدن اصنامكم وقرا الجمهور وتالله بالتا وقرا معاذ بن جبل واحمد بن حنبل
بالله بالبا بواحدة من اسفل قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين التا والبا
قلت ان البا هي الاصل والتا بدل من الوا والمبدلة منها وان التا فيها زيادة معني
وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا
منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن
نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصر دينه ولكن اذا الله
سني عقد شي تيسرا انتهى اما قوله البا هي الاصل انما كانت اصلا لانها اوسع حروف

القسم

القسم اذ تدخل على الظاهر والمضمر وتصرح بفعل القسم معها ويحذف واما ان التا بدل من
الوا والقسم الذي ابدل من يا القسم فشي قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل وقد
رد هذا القول السهيلي والذي يقتضيه النظر انه ليس شي منها اصلا لاخر واما قوله
ان التا فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التا يجوز ان يكون معها تعجب
ويجوز ان لا يكون واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم والكيد الاحتيال في وصول
الضرر الي المكيد والظاهر ان هذه الجملة خاطب بها اباه وقومه وانها مندرجة تحت
القول من قوله قال بل ربكم وقيل قال ذلك سرا من قومه وسمعه رجل واحد وقيل
سمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في اخر الناس يوم خرجوا الي العيد وكانت الاصنام
سبعين وقيل اثنين وسبعين وقرا الجمهور تولوا مضارع ولي وقرا عيسي بن عمر تولوا
بحذف احدي التاين وهي الثانية على مذهب البصريين والاولي على مذهب هشام وهو
مضارع تولي وهو موافق لقوله فتولوا عنه مدبرين ومتعلق تولوا محذوف اي الي
عيدكم وروي ان ازر خرج به في يوم عيد لهم فبدوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا
لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الي ان نرجع بركة الالهة على طعامنا فذهبوا
فلما كان في الطريق ثني عزمه عن المسير معهم فقعد وقال اني سقيم وقال الكلبي كان
ابراهيم من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الي عيدهم لم يتركوا الا مريضا
فلما هم ابراهيم بالذي هم فيه فنظر قبل يوم العيد الي السما وقال لاصحابه اني اشتكي
غدا واصبح معصوب الراس فخرجوا ولم يتخلف احد غيره وقال وتالله لاكيدن الي
اخره وسمعه رجل فحفظه ثم اخبر به فانتشر انتهي وفي الكلام حذف تقديره
فتولوا الي عيدهم فاتي ابراهيم الاصنام فجعلهم جذاذا قال ابن عباس حطاما وقال
الضحاك اخذ من كل عضوين عضوا قيل وكانت الاصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل
الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان فكسرها بفاس الا ذلك الصنم وعلق
الفاس في عنقه وقيل علقه في يده وقرا الجمهور جذاذا بضم الجيم والكساي وابن محيصن
وابن مقسم وابو حيوة وحميد والاعمش في رواية بكسرها وابن عباس وابو نهيك
وابو السمال بفتحها وهي لغات اجودها الضم كالحطام والرفات قاله ابو حاتم
وقال اليزيدي جذاذا بالضم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة وقيل بالكسر جمع جذيذ
ككريم وكرام وقيل الفتح مصدر كالحصاد بمعني المحصود فالمعني مجذوذين وقال
قطرب في لغاته الثلث هو مصدر لا يثني ولا يجمع وقرا يحيي بن وثاب جذذا بضمتين
جمع جذيذ كجديد وجدد وقرا جذذا بضم الجيم وفتح الذال مخففا من فعل كسرر
في سرر جمع سرير وهي لغة لكلب او جمع جذة كقبة وقبب واتي بضمير من يعقل
في قوله فجعلهم اذ كانت تعبد وقوله الا كبيرا لهم استثنا من الضمير في فجعلهم اي
فلم يكسره والضمير في لهم يحتمل ان يعود على الاصنام وان يعود على عبادة والكبر هنا
عظم الجثة او كبيرا في المنزلة عندهم لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه
جوهرتين تضيان بالليل والضمير في اليه عايد على ابراهيم اي فعل ذلك ترجيا منه ان
يعقب ذلك رجعهم اليه والي شرعه قال الزمخشري وانما استبقي الكبير لانه غلب
في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم
بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم وقال ابن عطية يحتمل ان يعود
على الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهي وهو الي قول
الكلبي قال الزمخشري ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الي العالم في حل
المشكلات فيقولون له ما لهولا مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا
بنا على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم
لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزا بهم واستجهالا وان قياس حال من
يسجد له ويوهل للعبادة ان يرجع في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الي الصنم
بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فايدة دينية في رجوعهم اليه

حتي يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا
يضر وظهر انهم في عبادته علي امر عظيم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا
سمعنا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فاتوا به علي اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا
انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون
فرجعوا الي انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا علي روسهم لقد علمت ما هولا
ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من
دون الله افلا تعقلون في الكلام محذوف تقديره فلما رجعوا من عندهم الي الهتهم وراوا
ما فعل بها استفهموا علي سبيل البحث والانكار فقالوا من فعل هذا اي التكسير والتحطيم
انه لظالم في اجترايه علي الالهة المستحقة للتعظيم والتوقير قالوا اي قال الذين سمعوا
قوله وتالله لاكيدن اصنامكم يذكرهم اي بسوء قال الزمخشري فان قلت ما حكم الفعلين
بعد سمعنا فتي واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتي الا ان الاول وهو يذكرهم
لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتي تذكر شيا مما يسمع واما
الثاني فليس كذلك انتهي اما قوله هما صفتان فلا يتعين ذلك لما ذكره اما سمع فاما
ان يدخل علي مسموع او غيره ان دخلت علي مسموع فلا خلاف انها تتعدي الي واحد
نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد وان دخلت علي غير مسموع فاختلف فيها فقيل انها
تتعدي الي اثنين وهو مذهب الفارسي ويكون الثاني مما يدل علي صوت فلا يقال
سمعت زيدا يركب ومذهب غيره ان سمع يتعدي الي واحد والفعل بعده ان كان
معرفة في موضع الحال منها او نكرة في موضع الصفة وكلا المذهبين يستدل لهما
في علم النحو فعلي هذا المذهب الاخر تمشي قول الزمخشري انه صفة لفتي واما علي
مذهب ابي علي فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع واما يقال له ابراهيم فيحتمل ان
يكون جوابا لسوال مقدر لما قالوا سمعنا فتي يذكرهم وانوا به منكرا قيل من يقال له
ابراهيم فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم علي انه مقدر الجملة محكي بيقال
اما علي النداء اي يقال له حين يدعي يا ابراهيم واما علي خبر مبتدا محذوف اي هو ابراهيم
او علي انه مفرد مفعول لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا لمدلوله اي يطلق
عليه هذا اللفظ وهذا الاخير اختيار الزمخشري وابن عطية وهو مختلف في اجازته
فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك الي تجويز نصب القول
للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ولا مفرد دال
معني الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له نحو قلت حقا بل لمجرد
اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين من منع ذلك وهو الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم
قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليث وانما وقع القول في كلام العرب لحكاية
الجمل وذهب الاعلم الي ان ابراهيم ارتفع بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يوثر
في لفظه اذ القول لا يوثر الا في المفرد المتضمن لمعني الجملة فبقي مهملا والمهمل اذا ضم
الي غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا لا في اللفظ ولا
في التقدير وعطفوا بعض اسما العدد علي بعض والكلام علي مذهب الاعلم وابطاله
مذكور في النحو قالوا فاتوا اي احضروه علي اعين الناس اي معاينا مراي منهم فعلي اعين
الناس في موضع الحال وعلي معناها الاستعلا المجازي كانه لتحديقهم اليه وارتفاع
ابصارهم لرويته مستعل علي ابصارهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما صدر منه
من تكسير اصنامهم او يشهدون ما يحل به من عذابنا او علينا له المودي الي عذابه
وقيل الناس هنا خواص الملك واولياوه وفي الكلام حذف تقديره فاتوا به علي
تلك الحالة من نظر الناس اليه قالوا انت فعلت هذا اي الكسر والتهشيم بالهتنا
وارتفاع انت المختار انه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير
ويجوز ان يكون مبتدا واذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب علي الفعل كان الفعل
مشكوكا فيه فاستفهم عنه اوقع او لم يقع والظاهر ان بل للاضراب عن جملة محذوفة

اي قال لم افعله انما الفاعل حقيقة هو الله بل فعله كبيرهم واسند الفعل الي كبيرهم
علي جهة المجاز لما كان شيا في كسر هذه الاصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه
من الاصنام كان كذلك حاملا علي تحطيمها وكسرها فاسند الفعل الي الكبير اذ كان تعظيمهم
له اكثر من تعظيم ما دونه وقال قريبا من هذا الزمخشري ويحتمل ان يكون فعل الكبير
متقيدا بالشرط فيكون قد علق علي ممتنع فلم يكن وقع اي ان كان هولا الاصنام ينطقون
ويخبرون من الذي صنع بهم ذلك فالكبير هو الذي صنع ذلك واشار الي نحو من هذا
ابن قتيبة وقال الزمخشري هذا من تعاريض الكلام ولطايف هذا النوع لا يتغلغل
فيها الا اذهان الراضة من علما المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله
عليه لم يكن الي ان ينسب الفعل الصادر عنه الي الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته
لها علي اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما قال لك صاحبك
وقد كتبت اليه كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي
لا يحسن الخط او لا يقدر الا علي خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك
بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش
لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزا واثبات للقادر ويجوز ان يكون
حكاية لما يعود الي تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من
حق ان يعبد ويدعي الها ان يقدر علي هذا واشد منه ويحكي انه قال فعله كبيرهم هذا
غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها انتهي ومن جعل الفاعل بفعله ضميرا
يعود علي قوله فتي او علي ابراهيم او قال اخبر بغير المطابق لمصلحة دينية واستدل
بما ورد في الحديث او وقف علي بل فعله اي فعله من فعله وجعل كبيرهم هذا مبتدا
وخبرا وهو الكسائي او اصله فعلة بمعني لعله وخفف اللام وهو الفرا مستدلا
بقراة ابن السميفع فعله مشددا للام فهو بعيدا عن طريق الفصاحة فرجعوا
الي انفسهم اي الي عقولهم حين ظهر لهم ما قاله ابراهيم من ان الاصنام التي اهلوها
للعبادة ينبغي ان يسال ويستفسر قيل ويحتمل ان يكون فرجعوا اي رجع بعضهم الي
بعض فقالوا انكم انتم الظالمون في سوالكم ابراهيم حين سالتموه ولم تسالوها ذكره
ابن جرير او حين عبدتم ما لا ينطق قاله ابن عباس او حين لم يحفظوا الهتكم قاله وهب
او في عبادة الاصاغر مع هذا الكبير قاله وهب ايضا او حين اتهمتم ابراهيم والفاس
في عنق الكبير قاله مقاتل وابن اسحق او الظالمون حقيقة حيث نسبتم ابراهيم الي
الظلم في قولكم انه لمن الظالمين اذ هذه الاصنام مستحقة لما فعل بها ثم نكسوا علي
روسهم اي ارتكبوا في ضلالهم وعلموا ان الاصنام لا تنطق فساءهم ذلك حين نبه علي
قيام الحجة عليهم وهي استعارة للذي يرتطم في غيه كانه منكوس علي راسه وهي اقبح
هيئة للانسان فكان عقله منكوس اي مقلوب لانقلاب شكله وجعل اعلاه اسفله فرجوعهم
الي انفسهم كناية عن استقامة فكرهم ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم ويحتمل ان
يكون نكسوا علي روسهم عن تطاطي روسهم وتنكيسها الي الارض علي سبيل الخجل والانكسار
مما بهتهم به ابراهيم من قول الحق ودمغهم به فلم يطيقوا جوابا ولقد علمت جواب قسم
محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال اي قايلين لقد علمت ما هولا ينطقون
فكيف تقول لنا فسلوهم انما قصدت بذلك توبيخا ويحتمل ان يكون النكس للكفرة فيما
يجيبون به وقال مجاهد نكسوا علي روسهم اي ردت السفلة علي الروسا وعلمت هو
معلقة والجملة المنفية في موضع مفعولي علمت ان تعدت الي اثنين او في موضع مفعول
واحد ان تعدت لواحد وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وابن مقسم وابن الجارود والبكراوي
كلاهما عن هشام بتشديد كاف نكسوا وقرا رضوان بن عبد المعبود نكسوا بتخفيف
الكاف مبنيا للفاعل اي نكسوا انفسهم ولما ظهرت الحجة عليهم اخذ يقرعهم ويوبخهم
بعبادة تماثيل ما لا ينفع ولا يضر ثم ابدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم
الخلاف في قراة اف واللغات فيها واللام في لكم لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف

ثم نبههم على ما به يدرك حقايق الاشياء وهو العقل فكان افلا تعقلون اي قبح ما انتم
عليه وهو استفهام توبيخ وانكار قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم واردوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة
يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين
ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله
من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا
فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح
عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين ومن الشياطين من
يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ولما نبههم على قبيح مرتكبهم
وغلبهم باقامة الحجة عليهم لاذوا بالايذاء والغضب لالهتهم واختاروا اشد العذاب
وهو الاحراق بالنار التي هي سبب للاعدام المحض والاتلاف بالكلية وكذا كل من اقيمت
عليه الحجة وكانت له قدرة يعدل الى المناصبة والاذاية كما كانت قريش تفعل مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة وعجزوا عن معارضة ما اتاهم
به عدلوا الى انتقال وايثارا لاغتيال فعصمه الله والظاهر ان قوله قالوا حرقوه
اي قال بعضهم لبعض وقيل اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم
قال الزمخشري يريد الاكراد وقال ابن عطية روي انه رجل من الاكراد من
اعراب فارس اي باديتها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة
وذكروا لهذا القايل اسما مختلفا فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطا
بالشكل والنقط وهكذا تقع اسما عجمية في التفاسير لا يمكن الوقوف منها على
حقيقة لفظ لعدم الشكل والنقط فينبغي اطراح نقلها وروي انهم حين هموا باحراقه
حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى واختلفوا في عدة حبسه وفي عرض الحظيرة وطولها
ومدة جمع الحطب ومدة الايقاد ومدة سنه اذ ذاك ومدة اقامته في النار وكيفية
ما صارت اماكن النار اختلافا متعارضا تركنا ذكره واتخذوا منجنيقا قيل بتعليم ابليس
اذ كان لم يصنع قبل فشدوا ابراهيم رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي به فوقع في النار وروي
ان جبريل جاءه وهو في الهوا فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذكر المفسرون اشيا
صدرت من الوزغ والبغل والخطاف والضفدع والعضرفوط الله اعلم بذلك وعن ابن
عباس انما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قيل واطلع نمرود من الصرح فاذا ابراهيم
في روضة ومعه جليس له من الملايكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وقد اكثر الناس
في حكاية ما جرى لابراهيم والذي صح هو ما ذكره تعالى من انه القي في النار فجعلها الله
عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما فكانت اعظم اية والظاهر ان القايل قلنا يا نار
هو الله تعالى وقيل جبريل بامر الله تعالى وعن ابن عباس لو لم يقل وسلاما لهلك ابراهيم
من البرد ولو لم يقل على ابراهيم لما احرقت نار بعدها ولا اتقدت انتهى ومعنى وسلاما
سلامة وابعد من ذهب الى انها هنا تحية من الله ولو كانت تحية لكان الرفع اولى به من
النصب والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام ولما كانت النار
تنفعل لما اراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والندا والامر قال
الزمخشري فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها
عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله
على كل شي قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس

ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم انتهى وروي انهم قالوا هي
نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق واردوا به كيدا قيل هو القاوه في النار
فجعلناهم الاخسرين اي المبالغين في الخسران وهو ابطال ما راموه جادلوا ابراهيم
فجدلهم وبكتهم واظهر لهم فرط عقولهم وتفقوا عليه بالاخذ والالقا فخلصه الله وقيل
سلط الله عليهم ما هو من احقر خلقه واضعفه وهو البعوض ياكل من لحومهم ويشرب من
دمايهم وسلط الله على نمرود بعوضة واختلف في كيفية اذايتها له وفي مدة اقامتها
توذيه الى ان مات منها والضمير في ونجيناه عايد على ابراهيم وضمن معنى اخرجناه بنجاتنا
الى الارض ولذلك تعدى نجيناه بالى ويحتمل ان يكون الى متعلقا بمحذوف اي منتهيا
الى الارض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في ونجيناه على هذا والارض التي خرج
منها هي كوثى من ارض العراق والارض التي صار اليها هي ارض الشام وبركتها ما فيها
من الخصب والاشجار والانهار وبعث اكثر الانبيا منها وقيل مكة قاله ابن عباس كما
قال ان اول بيت الاية وقيل ارض مصر وبركتها نيلها وزكوة زروعها وعمارة
مواضعها وروي ان ابراهيم خرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط وكان ابن اخيه فامنت
به سارة وهي ابنة عمه فاخرجها معه فارا بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي
رام اخذها منه فنزل حران ومكث بها زمانا وقيل سارة ابنة ملك حران تزوجها
ابراهيم وشرط عليه ابوها ان لا يغيرها والصحيح انها ابنة عمه هاران الاكبر ثم قدم مصر
ثم خرج منها الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة على مسيرة
يوم وليلة من السبع او اقرب فبعثه الله نبيا والنافلة العطية قاله مجاهد وعطا
او الزيادة كالمتطوع به اذ كان اسحق ثمرة دعايه رب هب لي من الصالحين وكان يعقوب
زيادة من غير دعا وقيل النافلة ولد الولد فعلى الاول يكون مصدرا كالعافية
والعاقبة وهو من غير لفظ وهبنا بل من معناه وعلى الاخير يراد به يعقوب فينتصب
على الحال وكلا يشمل من ذكر ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب يهدون بامرنا يرشدون
الناس الى الدين وايمة قدوة لغيرهم واوحينا اليهم اي خصصناهم بشرف النبوة
لان الايحا هو التنبية قال الزمخشري فعل الخيرات اصله ان يفعل الخيرات ثم
فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة انتهى كان الزمخشري لما راى ان
فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم
وغيرهم في ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى
الى ضمير الموحى اليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامهم الصلوة وايتاءهم الزكوة
ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز ان يكون مضافا من حيث المعنى
الى ظاهر محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم اي فعل المكلفين الخيرات ويجوز ان يكون ذلك
مضافا الى الموحى اليهم اي ان يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة واذا كانوا
هم قد اوحي اليهم ذلك فاتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد
بناء المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله مختلف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح
منعه فليس ما اختاره الزمخشري مختارا وقال ابن عطية والاقام مصدر وفي هذا
نظر انتهى واي نظر في هذا وقد نص سيبويه على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر
الاقامة بالتا وهو المقيس في مصدر افعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا انه قابل
وايتاء وهو بغير تاء فيقع الموازنة بين قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الزجاج
حذفت الهاء من اقامة لان الاضافة عوض عنها انتهى وهذا قول الفراء زعم ان تاء التانيث
قد تحذف للاضافة وهو مذهب مرجوح ولما ذكر تعالى ما انعم به على ابراهيم ذكر
ما انعم به على من هاجر معه فارا بدينه وهو لوط ابن اخيه وانتصب ولوطا على الاشتغال
والحكم الذي اوتيه النبوة وقيل حسن الفصل بين الخصوم في القضاء وقيل حفظ
صحف ابراهيم ولما ذكر الحكم ذكر ما يكون به وهو العلم والقرية سدوم وكانت قراهم
سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق اهلها على الفاحشة وكانت من كورة فلسطين الى حد الشراة

الي حد امن به اي وتجيناه من اهل القرية اي خلصناه منهم او من العذاب الذي حل بهم
ونسبت عمل الخبايث الي القرية مجازا وهو لاهلها وانتصب الخبايث علي معني تعمل الاعمال
او الفعلات الخبيثة وهي ما ذكره تعالي في غير هذه السورة مضافا الي كفرهم بالله
وتكذيبهم نبيه وقوله انهم يدل علي ان التقدير من اهل القرية وادخلناه في رحمتنا اي
في اهل رحمتنا او في الجنة سماها رحمة اذ كانت اثر الرحمة ولما ذكر تعالي قصة ابراهيم وهو
ابو العرب وتنجيته من اعدايه ذكر قصة ابي العالم الانسي كلهم وهو الاب الثاني لادم
لانه ليس احد الا من نسله من سام وحام ويافث وانتصب نوحا علي اضمار اذكر اي
واذكر نوحا اي قصته اذ نادي ومعني نادي دعا مجملا بقوله اني مغلوب فانتصر
مفصلا بقوله رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا والكرب اقصي الغم والاخذ
بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه باول احوال ما ياخذ الغريق وغرقت في بحر النيل
ووصلت الي قرار الارض ولحقني من الغم والكرب ما ادركت ان نفسي صارت اصغر
من البعوضة وهو اول احوال مجيء الموت ونصرناه من القوم عداه بمن لتضمنه معني
نجيناه بنصرنا من القوم او عصمناه ومعناه اي من مكروه القوم لقوله فمن ينصرنا من
باس الله ان جانا وقال الزمخشري هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا
يدعو علي سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه وهذا معني في نصر غير
المتبادر الي الذهن وقال ابو عبيدة من بمعني علي اي ونصرناه علي القوم فاغرقناهم
اي اهلكناهم بالغرق واجمعين توكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد باجمعين غير
تابع لكلهم في القران فكان ذلك حجة علي ابن مالك في زعمه ان التاكيد باجمعين قليل وان
الكثير استعماله تابعا لكلهم وداود وسليمان عطف علي ونوحا قال الزمخشري واذ بدل
منهما انتهي والاجود ان يكون التقدير واذكر داود وسليمان معطوفين علي قوله
اي قصتهما وحالهما اذ يحكمان وجعل ابن عطية وداود وسليمان معطوفين علي قوله
ونوحا ونوحا معطوفا علي ولوطا فيكون ذلك مشتركا في العامل الذي هو اتينا المقدرة
للناصبة للوط المفسرة باتيناه فالتقدير واتينا نوحا وداود وسليمان اي اتيناهم
حكما وعلما ولا يبعد ذلك وتقدير اذكر قاله جماعة وكان داود ملكا نبيا يحكم بين
الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان يجلس علي الباب الذي
يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الي داود من باب اخر فتخاصم اليه رجل له زرع وقيل كرم
والحرث يقال فيهما وهو في الزرع اكثر وابعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فافسدت
عليه فراى داود دفعها الي صاحب الحرث فعلي انه كرم راي ان الغنم تقاوم ما افسدت
من الغلة وعلي انه زرع راي انها تقاوم الحرث والغلة فخرجا علي سليمن فشكي صاحب
الغنم فجا سليمن فقال يا نبي الله اني اري ما هو ارفق بالجميع ان ياخذ صاحب الغنم
الحرث يقوم عليه ويصلحه حتي يعود كما كان وياخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة
ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الي حاله صرف كل مال لصاحبه
اليه فرجعت الغنم الي ربها والحرث الي ربه فقال داود وفقت يا بني وقضي بينهما
بذلك والظاهر ان كلا من داود وسليمن حكم بما ظهر له وهو متوجه عنده فحكمهما
باجتهاد وهو قول الجمهور واستدل بهذه الاية علي جواب الاجتهاد وقيل حكم كل واحد
منهما بوحي من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمن وان معني ففهمناها سليمن اي فهمناه
القضا الفاصل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازلة وقرا عكرمة فافهمناها
عدي بالهمزة كما عدي في قراة الجمهور بالتضعيف والضمير في ففهمناها للحكومة
او الفتوي والضمير في لحكمهم عايد علي الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما وليس المصدر
هنا مضافا لا الي فاعل ولا مفعول ولا هو عامل في التقدير فلا ينحل بحرف مصدري والفعل
بل هو مثل له ذكا ذكا الحكما وذهن ذهن الاذكيا وكان المعني وكنا للحكم الذي صدر
في هذه القضية شاهدين فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة وقرا
لحكمهما ابن عباس فالضمير لداود وسليمن ومعني شاهدين لا يخفي علينا منه شي ولا يعيب

قال

قال الزمخشري فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فهو
لان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الي المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جني
علي النفس يدفعه المولي بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه
ولعل قيمة الغنم كانت علي قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن
الغنم واوجب علي صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتي يزول الضرر والنقصان
فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون
فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سايق او قايد والشافعي يوجب الضمان
انتهي والظاهر ان كلا من الحكمين صواب لقوله وكلا اتينا حكما وعلما والظاهر ان يسبحن
جملة حالية من الجبال اي مسبحات وقيل استينا فكان قايلا كان كيف سخرهن فقال
يسبحن فقيل كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار والظاهر
وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصي في كف رسول الله صلي
الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وكان داود وحده يسمعه قاله يحيي بن سلام وقيل كل واحد
وقال قتادة يسبحن يصلين وقيل يسرن من السباحة وقال الزمخشري كما خلقه يعني
الكلام في الشجرة حين كلم موسي انتهي وهو قول المعتزلة ينفون صفة الكلام حقيقة
عن الله تعالي وقيل اسناد التسبيح اليهن مجاز لما كانت تسير بتسيير الله حملت من
راها علي التسبيح فاسند اليها والاكثرون علي ان تسبيحهن هو قول سبحان الله وانتصب
والطير عطفا علي الجبال ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح وقيل هو مفعول
معه اي يسبحن مع الطير وقري والطير مرفوعا علي الابتدا والخبر محذوف اي مسخر
لدلالة سخرنا عليه او علي الضمير المرفوع في يسبحن علي مذهب الكوفيين وهو توجيه
قراة شاذة وقال الزمخشري فان قلت لم قدمت الجبال علي الطير قلت لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل علي القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
انتهي وقوله ناطق ان عني به انه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حد الانسان انه حيوان
ناطق فيلزم ان يكون الطير انسانا وان عني انه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح
وانما عني به مصوت اي له صوت ووصف الطير بالنطق مجاز لانها في الحقيقة لا نطق
لها وقوله وكنا فاعلين اي فاعلين هذه الاعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن
والطير لمن يختصه وكرامتنا وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس الملبوس فعول بمعني
مفعول كالركوب بمعني المركوب وهو الدرع هنا واللبوس ما تلبس قال الشاعر
عليها اسود ضاربات لبوسهم ... سوابغ بيض لا يخرقها النبل
قال قتادة كانت
صفايح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وقيل اللبوس كل الة
السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجري مجري ذلك وداود اول من صنع الدروع
التي تسمي الزرد قيل نزل ملكان من السما فمرا بداود فقال احدهما الاخر نعم الرجل
الا انه ياكل من بيت المال فسال الله ان يرزقه من كسبه فالان له الحديد فصنع منه
الدروع امتن تعالي عليه بايتايه حكما وعلما وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة
اللبوس وفي ذلك فضل هذه الصنعة اذ اسند تعليمها اياه اليه تعالي ثم امتن علينا
بها بقوله ليحصنكم من باسكم اي ليكون وقاية لكم في حربكم وسبب نجاة من عدوكم وقري
لبوس بضم اللام والجمهور بفتحها وقرا الجمهور ليحصنكم بيا الغيبة اي الله فيكون
التفاتا اذ جا بعد ضمير متكلم في وعلمناه ويدل عليه قراة ابي بكر عن عاصم بالنون
وهي قراة ابي حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفي وهارون ويونس والمنقري
كلهم عن ابي عمرو ليحصنكم داود او اللبوس قيل او التعليم وقرا ابن عامر وحفص والحسن
وسلام وابو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتا اي لتحصنكم الصنعة او اللبوس
علي معني الدرع والدرع الحديد مونثة وكل هذه القراآت الثلث باسكان الحا والتخفيف
وقرا الفقيمي عن ابي عمرو وابن ابي حماد عن ابي بكر باليا من تحت وفتح الحا وتشديد

الصاد وابن وثاب والاعمش بالتا من فوق والتشديد واللام في لكم يجوز ان تكون للتعليل
فتتعلق بعلمناه اي لاجلكم ويكون ليحصنكم في موضع بدل اعيد معه لام الجر اذ الفعل منصوب
باضمار ان فتقدر بمصدر اي لكم لاحصانكم من باسكم ويجوز ان يكون لكم صفة للبوس
فتتعلق بمحذوف اي كاين لكم واحتمل ان يكون ليحصنكم تعليلا للتعليم فيتعلق بعلمناه
وان تكون تعليلا للكون المحذوف المتعلق به لكم فهل انتم شاكرون استفهام يتضمن
الامر اي اشكروا الله على ما انعم به عليكم كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا عن ما حرم
الله ولما ذكر تعالى ما اختص به نبيه داود ذكر ما اختص به ابنه سليمن فقال ولسليمن الريح
وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمن باللام وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ
مع فقال وسخرنا مع داود وكذا يا جبال اوبي معه وقال فسخرنا له الريح تجري بامره
وذلك انهما لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر مع الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة
لسليمن اضيفت اليه ثلثة ايام التمليك لانها في طاعته وتحت امره وقرا الجمهور الريح
مفردا بالنصب وقرا ابن هرمز وابو بكر في رواية بالرفع مفردا وقرا الحسن وابو رجاء
الرياح بالجمع والنصب وقرا بالجمع والرفع ابو حيوة فالنصب على اضمار سخرنا والرفع
على الابتدا وعاصفة حال العامل فيها سخرنا في قراة من نصب الريح وما يتعلق به
الجار في قراة من رفع ويقال عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ولغة اسد اعصفت فهي
معصف ومعصفة ووصفت هذه الريح بالعصف وبالرخاء والعصف الشدة في السير
والرخاء اللين فقيل كان ذلك بالنسبة الى الوقت الذي يريد فيه سليمن احد الوصفين
فلم يتحد الزمان وقيل الجمع بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها
تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وقيل الرخا في البداة والعصف
بعد ذلك في القفول على عادة البشر في الاسراع الى الوطن وهذا القول راجع الى اختلاف
الزمان وجريها بامره طاعتها له على حسب ما يريد ويامر والارض ارض الشام وكانت
مسكنه ومقر ملكه وقيل ارض فلسطين وقيل بيت المقدس قال الكلبي كان يركب عليها
من اصطخر الى الشام قيل ويحتمل ان تكون الارض التي يسير اليها سليمن كاينة ما كانت ووصفت
بالبركة لانه اذا حل ارضا اصلحها بقتل كفارها واثبات الايمان فيها وبث العدل ولا بركة
اعظم من هذا والظاهر ان التي باركنا صفة للارض وقال منذر بن سعيد الكلام تام عند
قوله الى الارض والتي باركنا فيها صفة للريح ففي الاية تقديم وتاخير يعني ان اصل التركيب
ولسليمن الريح التي باركنا فيها عاصفة تجري بامره الى الارض وعن وهب كان سليمن اذا
خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان لا يقعد
عن الغزو وفيما يحتسب فيمد والناس عليه والدواب والة الحرب ثم يامر العاصف
فتقله ثم يامر الرخا فتمر به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه وعن مقاتل نسجت له الشياطين
بساطا ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ ووضعت له في وسطه منبرا من ذهب يقعد عليه وحوله
كراسي من ذهب يقعد عليها الانبيا وكراسي من فضة يقعد عليها العلما وحولهم الناس وحول
الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من
الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وقد اكثر الاخباريون في ملك سليمن ولا ينبغي
ان يعتقد الا ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانت هذه
الاختصاصات في غاية الغرابة من المعهود اخبر تعالى ان علمه محيط بالاشيا يجريها على
ما سبق به علمه ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر
ذكر تسخير الشياطين له وهم اجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما ايضا سرعة الانتقال
الا ترى الى قوله قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك ومن في موضع
نصب اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون او في موضع رفع على الابتدا والخبر في الجار
والمجرور قبله والظاهر ان من موصولة وقال ابو البقا هي نكرة موصوفة وجمع الضمير
في يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله كما قال الشاعر •
وان من النسوان من هي روضة • يهيج الرياض قبلها وتصوح • لما تقدم لفظ النسوان

حل

حل على معنى من فانث ولم يقل من هي روضة والمعنى يغوصون له في البحار لاستخراج اللالي
ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص لاستخراجه وهو الجوهر فلذلك لم يذكروا وقال له
اي لسليمن لان الغايص قد يغوص لنفسه ولغيره فذكر ان الغوص ليس لانفسهم انما هو
لاجل سليمن وامتثالهم امره والاشارة بذلك الى الغوص اي دون الغوص من بناء المداين
والقصور كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وقيل الحمام والنورة
والطاحون والقوارير والقابون من استخراجهم وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا
عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه وقيل حافظين
ان يهيجوا احدا في زمان سليمن وقيل حافظين حتى لا يهربوا وقيل سخر الكفار دون المومنين
ويدل عليه اطلاق لفظ الشياطين وقوله حافظين والمومن اذا سخر في امر لا يحتاج
الى حفظ لانه لا يفسد ما عمل وسخر اكثف الاجسام لداود وهو الحجر اذ الطفه بالتسبيح
والحديد اذ جعل في اصابعه قوة النار حتى لان له الحديد وعمل منه الزرد وسخر الطف
الاجسام لسليمن وهو الريح والشياطين وهم من نار وكانوا يغوصون في الما والما يطفي
النار فلا يضرهم ودليل واضح على باهر قدرته واظهار الضد من الضد وامكان احيا العظم
الرميم وجعل التراب اليابس حيوانا فاذا اخبر به الصادق وجب قبوله واعتقاد وجوده
وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا
الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
طول الاخباريون في قصة ايوب وكان ايوب روميا من ولد اسحق بن يعقوب
استنباه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات
وله اصناف البهايم وخمس ماية فدان يتبعها خمس ماية عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل
فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه
ثماني عشرة سنة وقيل دون ذلك فقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلايي مدة رخايي فلما كشف الله عنه احيي ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان
امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا وذكروا كيفية في ذهاب ماله واهله وتسليط
ابليس عليه في ذلك الله اعلم بصحتها وقرا الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بن عمر
بكسرها اما على اضمار القول اي قايلا اني واما على اجرا نادى مجرى قال وكسر اني
بعدها وهذا الثاني مذهب الكوفيين والاول مذهب البصريين والضر بالفتح
الضرر في كل شي وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنايين لافتراق
المعنيين وقد الطف ايوب في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه
بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ولم يعين الضر الذي مسه واختلف المفسرون
في ذلك على سبعة عشر قولا اشبهها انه نهض ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر
اخبارا عن حاله لا شكوى لبلايه ورواه انس مرفوعا والالف واللام في الضر للجنس
تعم الضر في البدن والاهل والمال واتيناه اهله ظاهره ان ما كان له من اهل رده عليه
واحياهم له باعيانهم واتاه مثل اهله مع الاولاد والاتباع وذكروا انه جعل له مثلهم عدة
في الاخرة وانتصب رحمة على انه مفعول من اجله اي لرحمتنا اياه وذكرى منا بالاحسان
لمن عبدنا وذكرى منا لايوب اي موعظة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
حتى يثابوا كما اثيب وقال ابو موسى الاشعري ومجاهد كان ذو الكفل عبدا صالحا

ولم يكن نبيا وقال الاكثرون هو نبي فقيل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع والكفل النصيب والحظ اي ذو الحظ من الله المحمود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبيا في زمانه وضعف ثوابهم وقيل في تسميته ذا الكفل اقوال مضطربة لا تصح وانتصب مغاضبا على الحال فقيل معناه غضبان وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا نحو عاقبت اللص وسافرت وقيل مغاضبا لقومه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العذاب واغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فاوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الانبيا عند نزول العذاب قبل ان ياذن الله له في الخروج وقيل مغاضبا للملك حزقيا حين عينه لغزو ملك كان قد غاب في بني اسرائيل فقال له يونس الله امرك باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فها هنا غيري من الانبيا فالح عليه فخرج مغاضبا للملك وقول من قال مغاضبا لربه وحكى في المغاضبة لربه كيفيات يجب اطراحه اذ لا يناسب شيا منها منصب النبوة وينبغي ان يتاول لمن قال ذلك من العلما كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين وابن مسعود من الصحابة بان يكون معني قولهم مغاضبا لربه اي لاجل ربه ودينه واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به وقرا ابو شرف مغضبا اسم مفعول فظن ان لن نقدر عليه الابتلا وقرا الجمهور نقدر بنون العظمة مخففا وقرا ابن ابي ليلى وابو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب بضم اليا وفتح الدال مخففا وقرا ابن ابي ليلى وعيسى والحسن باليا مفتوحة وكسر الدال وعلي بن ابي طالب واليماني بضم اليا وفتح القاف والدال مشددة والزهري بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة فنادى في الظلمات في الكلام جمل محذوفة قد اوضحت في سورة والصافات وهناك تذكر قصته ان شا الله وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكانها ظلمة مع ظلمة وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اخر فصار في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر وروي ان يونس سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر وان في ان لا اله الا انت تفسيرية لانه سبق فنادى وهو في معنى القول ويجوز ان يكون التقدير بانه فتكون مخففة من الثقيلة حصر الالوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم اقر بما بعد ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا الا استجيب له والغم ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقايه في بطنه وقرا الجمهور ننجي مضارع انجي والجحدري مشددا مضارع نجي وقرا ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة ويا ساكنة وكذلك هي في المصحف الامام ومصاحف الامصار بنون واحدة واختارها ابو عبيد لموافقة المصاحف فقال الزجاج والفارسي هي لحن وقيل هي مضارع ادغمت النون في الجيم وردبانه لا يجوز ادغام النون في الجيم التي هي فا الفعل لاجتماع المثلين كما حذفت في قراة من قرا ونزل الملايكة يريد وننزل الملايكة وعلى هذا اخرجها ابو الفتح وقيل هو فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله وسكنت اليا كما سكنها من قرا وذروا ما بقي من الربا والمقام مقام الفاعل ضمير المصدر اي نجي هو اي النجا المومنين كقراة ابي جعفر ليجزي قوما اي وليجزى هو اي الجزا وقد اجاز اقامة غير المفعول به من مصدر او ظرف مكان او ظرف زمان او مجرور الاخفش والكوفيون وابو عبيد وذلك مع وجود المفعول به وجا السماع في اقامة المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله

اتيح لي من العدا نذيرا ✲ به وقيت الشر مستطيرا ✲ وقال الاخفش في المسايل ضرب الضرب الشديد زيدا وضرب اليومان زيدا وضرب مكانك زيدا واعطي اعطا حسن اخاك درهما مضروبا عبده زيدا وقيل ضمير المصدر اقيم مقام الفاعل وهو المومنين منصوب باضمار فعل اي وكذلك نجي هو اي النجا نجي المومنين والمشهور عن البصريين انه متى وجد المفعول به لم يقم غيره الا ان صاحب اللباب حكى الخلاف في ذلك عن البصريين وان بعضهم اجاز ذلك لا تذرني فردا اي وحيدا بلا وارث سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ثم رد امره الى الله فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فانت خير وارث واصلاح زوجه بحسن خلقها وكانت سيية الخلق قاله عطا ومحمد بن كعب وعون بن

عبد الله وقيل اصلاحها للولادة بعد ان كانت عاقرا قاله قتادة وقيل اصلاحها رد شبابها اليها والضمير في انهم عايد على الانبيا السابق ذكرهم اي انما استجبنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم الخير ولدعايهم لنا رغبا ورهبا اي وقت الرغبة ووقت الرهبة كما قال تعالى يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وقيل الضمير يعود على زكريا وزوجه وابنهما يحيى وقرات فرقة يدعونا حذفت نون الرفع وطلحة بنون مشددة ادغم نون الرفع في نا ضمير النصب وقرا ابن وثاب والاعمش ووهيب بن عمرو والنحوي وهارون وابو معمر والاصمعي واللولوي ويونس وابو زيد سبعتهم عن ابي عمرو رغبا ورهبا بالفتح والاسكان لهما والاشهر عن الاعمش بضمتين فيهما وقرات فرقة بضم الرايين وسكون الغين والها وانتصب رغبا ورهبا على انهما مصدران في موضع الحال او مفعول من اجله والتي احصنت فرجها هي مريم بنت عمران ام عيسى والظاهر ان الفرج هنا حيا المراة واحصنته اي منعته من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا وقيل الفرج هنا جيب قميصها منعته من جبريل لما قرب منها لينفخ حين لم يعرف والظاهر ان قوله فنفخنا فيها من روحنا كناية عن ايجاد عيسى حيا في بطنها ولا نفخ هناك حقيقة واضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف وقال هناك نفخ حقيقة وهو ان جبريل نفخ في جيب درعها واسند النفخ اليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بامره تعالى تشريفا وقيل الروح هنا جبريل كما قال فارسلنا اليها روحنا والمعنى فنفخنا فيها من جهة جبريل وكان جبريل قد نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها قال الزمخشري فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيايه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان تقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف اي نفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديته الى سماع وغير متعد استعمله هو في قوله اي نفخت في المزمار في بيته وافرد اية لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل وان كان في مريم ايات وفي عيسى ايات لكنه هنا لحظ امر الولادة من غير ذكر وذلك هو اية واحدة وقوله للعالمين اي لمن اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم ودل ذكر مريم مع الانبيا في هذه السورة على انها كانت نبية اذ قرنت معهم في الذكر ومن منع تنبي النسا قال ذكرت لاجل عيسى وناسب ذكرهما هنا قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة التي بينهم ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هولا الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون والظاهر ان قوله امتكم خطاب لمعاصري الرسول وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة ويحتمل ان تكون هذه اشارة الى الطريقة التي كان عليها الانبيا المذكورون من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في اصول العقايد بل ما جا به الانبيا من ذلك هو ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معنى امة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له فالمراد بالامة الناس كلهم وقيل الكلام يحتمل ان تكون متصلا بقصة مريم وابنها اي وجعلناها وابنها اية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه امتكم اي دعي الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم اخبر تعالى انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم وقرا الجمهور امتكم بالرفع خبر ان امة واحدة بالنصب على الحال وقيل بدل من هذه وقرا الحسن امتكم بالنصب بدل من هذه وقرا ايضا هو وابن اسحق والاشهب العقيلي وابو حيوة وابن ابي عبلة

ذ الجعفي دهارون عن ابي عمرو ذ الزعفراني امنكم امة واحدة برفع الثلثة علي ان امتكم
ذامة واحدة خبران او امة واحدة بدل من امتكم بدل نكرة من معرفة او خبر مبتدا
محذوف اي هي امة واحدة ذ الضمير في وتقطعوا عايد علي ضمير الخطاب علي سبيل الالتفات
اي وتقطعتم ولما كان هذا الفعل من اقبح المرتكبات عدل عن الخطاب الي لفظ الغيبة
كان هذا الفعل ما صدر من المخاطب لاناي الاخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما افسدوه
دكانه يخبر غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم وتقولوا لا ترى الي ما ارتكب هولاء في دين الله جعلوا
امره بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشي لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيل لاختلافهم ثم
توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الي جزايه وقيل كل من الثابت علي دينه الحق
ذ الزايغ عنه الي غيره وقرا الاعمش زبرا بفتح البا جمع زبرة ثم ذكر حال المحسن
وانه لا يكفر سعيه ذ الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه
اذا قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو ابلغ من قوله فلا يكفر سعيه والكتابة عبارة عن
اثبات عمله الصالح في صحيفة الاعمال ليثاب عليه ولا يضيع والكفران مصدر كالكفر
قال الشاعر • رايت اناسا لا تنام جدودهم • وجدي ولا كفران لله نايم •
وفي حرف عبد الله لا كفر ولسعيه متعلق بمحذوف اي نكفر لسعيه ولا يكون متعلقا
بكفران اذ لو كان متعلقا به لكان اسم لا مطولا فيلزم تنوينه وقرا الجمهور وحرام
وقرا حمزة والكساي وابو بكر وطلحة والاعمش وابو حنيفة وابو عمرو في رواية
وحرم بكسر الحا وسكون الرا وقرا قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن ابي عمرو بفتح
الحا وسكون الرا وقرا عكرمة وحرم بكسر الرا والتنوين وقرا ابن عباس وعكرمة
بخلاف عنهما وابو العالية وزيد بن علي بضم الرا وفتح الحا والميم علي المضي وقرا
ابن عباس ايضا بفتح الحا والرا والميم علي المضي وقرا اليماني وحرم بضم الحا
وكسر الرا مشددة وفتح الميم وقرا الجمهور اهلكناها بنون العظمة وقرا السلمي
وقتادة بتا المتكلم واستعير الحرام للممتنع وجوده ومنه ان الله حرمهما علي الكافرين
ومعني اهلكناها قدرنا اهلاكها علي ما هي عليه من الكفر والاهلاك هنا اهلاك عن
كفر ولا في لا يرجعون صلة وهو قول ابي عبيد لقوله ما منعك ان لا تسجد يرجعون
الي الايمان والمعني وممتنع علي اهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا
الي الايمان الي ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا وغيا بما قرب من مجي الساعة وهو فتح ياجوج وماجوج وقري انهم بالكسر
فيكون الكلام قد تم عند قوله اهلكناها ويقدر محذوف تصير به وحرام علي قرية اهلكناها
جملة اي ذاك ذنكون اشارة الي العمل الصالح المذكور في تقسيم هولا المهلكين والمعني وحرام
علي اهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم عمل صالح ينجون به من الاهلاك ثم اكد ذلك وعلله
بانهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك فالمحذوف مبتدا والخبر وحرام وقدره
بعضهم متقدما كانه قال والاقالة والتوبة حرام وقراة الجمهور بالفتح تصح علي
هذا المعني وتكون لا باقية علي بابها والتقدير لانهم لا يرجعون وقيل اهلكناها اي وقع
اهلاكنا اياهم ويكون رجوعهم الي الدنيا فيتوبون بل هم صايرون الي العذاب
وقيل الاهلاك هو بالطبع علي القلوب والرجوع هو الي التوبة والايمان وقال
الزجاج وحرام علي قرية اهلكناها حكمنا باهلاكها ان يتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون
اي لا يتوبون ودل علي هذا المعني قوله قبل فلا كفران لسعيه اي يتقبل عمله ثم ذكر
هذا عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله وقال ابو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم
لا يرجعون انتفا الرجوع الي الاخرة واذا امتنع الانتفا وجب الرجوع فالمعني انه
يجب رجوعهم الي الحيوة في الدار الاخرة ويكون الغرض ابطال قول من ينكر البعث
وتحقيق ما تقدم من انه لا كفران لسعي احد وانه يجزي علي ذلك يوم القيامة وقيل
الحرام يجي بمعني الواجب يدل عليه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا
وترك الشرك واجب وقالت الخنساء •

حرام

• حرام علي ان لا اري الدهر باكيا علي شجوه الا بكيت علي صخر • وايضا فمن الاستعمال
اطلاق الضمير علي ضده وعلي هذا فقال مجاهد والحسن لا يرجعون عن الشرك وقال قتادة
ومقاتل الي الدنيا قال ابن عطية ويتجه في الاية معني ضمنه وعيد بين وذلك انه ذكر من
عمل صالحا وهو مومن ثم عاد الي ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون
الي رب ولا يرجعون الي معاد فهم يظنون بذلك انه لا عقاب ينالهم فجاءت الاية مكذبة
لظن هولاء اي وممتنع علي الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الي عقاب الله
واليم عذابه فيكون لا علي بابها والحرام علي بابه وكذلك الحرم فتامله انتهي وحتي قال
ابو البقا متعلقة في المعني بحرام اي يستمر الامتناع الي هذا الوقت ولا عمل لها في اذا وقال
الحوفي حتي غاية والعامل فيها ما دل عليه المعني من تاسفهم علي ما فرطوا فيه من الطاعة حين
فاتهم الاستدراك وقال الزمخشري فان قلت بم تعلقت حتي واقعة غاية له واية الثلث
هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتي تقوم القيامة
وهي حتي التي تحكي الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزا اعني اذا وما في خبرها
انتهي وقال ابن عطية هي متعلقة بقوله فتقطعوا ويحتمل علي بعض التاويلات
المتقدمة ان تتعلق بيرجعون ويحتمل ان تكون حرف ابتدا وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي
جوابا هو المقصود ذكره انتهي وكون حتي متعلقة فيه بعد من حيث كثر الفصل لكنه من جهة
المعني جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين غير مجتمعين علي دين الحق الي قرب مجي الساعة فاذا
جات الساعة انقطع ذلك الاختلاف وعلي الجميع ان مولاهم الحق وان الدين المنجي هو كان
دين التوحيد وجواب اذا محذوف تقديره قالوا يا ويلنا قاله الزجاج وجماعة او
تقديره فحينئذ يبعثون فاذا هي شاخصة ومذكور وهو واقترب علي زيادة الواو
قاله بعضهم وهو مذهب الكوفيين يجيزون زيادة الواو والفا في فاذا هي قاله الحوفي
وقال الزمخشري واذا هي المفاجاة وهي تقع في المفاجاة سادة مسد الفا لقوله تعالي ﴿
اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفا معها تعاونتا علي وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي
شاخصة كان سديدا وقال ابن عطية والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة
وهذا هو المعني الذي قصد ذكره لانه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه
وتقدم الخلاف في فتحت في الانعام ووافق ابن عامر ابو جعفر وشيبة وكذا التي ﴿
في الانعام والقمر في تشديد التا والجمهور علي التخفيف فيهن وفتحت ياجوج علي حذف
مضاف اي سد ياجوج وماجوج وتقدم الخلاف في قراة ياجوج وماجوج والظاهر ان ضمير وهم
عايد علي ياجوج وماجوج اي يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الارض وقيل الضمير
للعالم ويدل عليه قراة عبد الله وابن عباس من كل جدث بالثا المثلثة وهو القبر وقري
بالفا الثا للحجاز والفا لتميم وهي بدل من الثا كما ابدلوا الثا منها قالوا المغثور واصله
مغفور وقرا الجمهور ينسلون بكسر السين وابن ابي اسحق وابو السمال بضمها واقترب
الوعد الحق اي الوعد بالبعث الحق الذي لا شك فيه واقترب قيل بلغ في القرب من
قرب وضمير هي للقصة كانه قيل فاذا القصة والحادثة ابصار الذين كفروا خاشعة
ويلزم ان تكون خاشعة الخبر وابصار مبتدا ولا يجوز ارتفاع ابصار بخاشعة لانه يلزم
ان تكون بعد ضمير الشان او القصة جملة تفسر الضمير مصرح بجزءيها ويجوز ذلك علي
مذهب الكوفيين وقال الزمخشري هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا واسروا انتهي ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول للفرا قال الفرا هي ضمير الابصار
تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما يفسرها وانشد علي ذلك قول الشاعر •
• فلا وابيها لا تقول خليلتي • الا فر عني مالك بن ابي كعب •
وذكر ايضا الفرا ان هي عماد يصلح في موضعها هو وانشد •
• بثوب ودينار وشاة ودرهم • فهل هو مرفوع بما ها هنا راس •
وهذا لا يتمشي الا علي احد قولي الكساي في اجازته تقديم الفصل مع الخبر علي المبتدا اجاز
هو القايم زيد علي ان زيد هو المبتدا والقايم خبره وهو عماد واصل المسالة زيد هو القايم

ويقول اصله زيد هذه فاذا ابصار الذين كفروا هي شاخصة فشاخصة خبر عن ابصار
وتقدم مع العماد ويجي على مذهب من يجيز العماد قبل خبره نكرة وذكر الثعلبي وجها اخر وهو ان
الكلام تم عند قوله فاذا هي اي بارزة واقعة يعني الساعة ثم ابتدا فقال شاخصة ابصار
الذين كفروا وهذا وجه متكلف متنافر التركيب وروى حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا
بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة يعني في مجي الساعة اثر خروجهم
يا ويلنا معمول لقول محذوف قال الزمخشري تقديره يقولون وهو في موضع الحال
من الذين كفروا وتقدم قول الزجاج ان هذا القول جواب اذا والشخوص احداد النظر
دون ان يطرف قد كنا في غفلة من هذا انتهى اي مما وجدناه الان وتبيننا من الحقايق ثم اضربوا
عن قولهم قد كنا في غفلة واخبروا بما قد كانوا تعمدوه من الكفر والاعراض عن الايمان
فقالوا بل كنا ظالمين والخطاب بقوله انكم وما تعبدون من دون الله للكفار المعاصرين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما اهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام وقرا الجمهور
حصب بالحاء والصاد المهملتين وهو ما يحصب به اي يرمي في نار جهنم وقيل ان يرمي
به لا يطلق عليه حصب الا مجازا وقرا ابن السميفع وابن ابي عبلة ومحبوب وابو حاتم
عن ابن كثير باسكان الصاد ورويت عن ابن عباس وهو مصدر يراد به المفعول اي المحصوب
وقرا ابن عباس ايضا بالضاد المعجمة المفتوحة وعنه اسكانها وبذلك قرا كثير عزة والحضب
ما يرمي به في النار والمحضب العود او الحديدة او غيرهما مما تحرك به النار و
قال الشاعر • فلا تك في حربنا محضبا فتجعل قومك شتى شعوبا • وقرا
ابي وعلي وعايشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطا وجمع الكفار مع معبوداتهم
في النار للزيادة في غمهم وحسرتهم برويتهم معهم فيها اذ عذبوا بسببهم وكانوا يرجون
الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولانهم صاروا لهم اعداء وروية العدو مما يزيد
في العذاب كما قال الشاعر •

• واحتمال الاذي ورويته جانيه • غذا تغتذي به الاجسام •

انتم لها واردون الورود هنا ورود دخول لو كان هولاء اي الاصنام التي
يعبدونها الهة ما وردوها اي ما دخلوها ودل على ان ورود دخول قوله انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم وقرا الجمهور الهة بالنصب على خبر كان وقرا طلحة بالرفع على ان
في كان ضمير الشان وكل فيها اي كل من العابدين ومعبوداتهم لهم فيها زفير وهو صوت نفس
المغموم يخرج من القلب والظاهر ان الزفير انما يكون ممن تقوم به الحيوة وهم العابدون
والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وكغلاة الاسماعيلية الذين كانوا ملوك
مصر من بني عبيد الله او لملوكهم ويجوز ان يجعل الله للاصنام التي عبدت حياة فيكون
لها زفير وقال الزمخشري اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها
زفير وان لم يكن الزافر الا هم دون الاصنام وهم فيها لا يسمعون روي عن ابن مسعود انهم يجعلون
في توابيت من نار فلا يسمعون وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما والسماع انما يروح فيمنع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون ما يسرهم من كلام
الزبانية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما
اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملايكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحي الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا
فقل اذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على
ما تصفون سبب نزول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قول ابن الزبعري حين سمع انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب
الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية وقيل لما اعترض ابن الزبعري قيل لهم الستم قوما عربا او
ما تعلمون ان من لمن يعقل وما لما لا يعقل فعلى القول الاول يكون ابن الزبعري قد فهم من قوله
وما تعبدون العموم فلذلك نزل قوله ان الذين سبقت لهم الاية تخصيصا لذلك العموم
وعلى هذا القول الثاني يكون ابن الزبعري رام مغالطة فاجيب بان من لمن يعقل وما لا
يعقل فبطل اعتراضه والحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة
واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة والظاهر من قوله مبعدون فما بعده ان من
سبقت له الحسنى لا يدخل النار وروي ان عليا كرم الله وجهه قرا هذه الاية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس من حركة
الاجرام وهذا الابعاد وانتفا سماع صوتها قبل هو قبل دخول الجنة وقيل بعد دخولهم واستقرارهم
فيها والشهوة طلب النفس اللذة وقال ابن عطية وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة
لان الحديث يقتضي انه في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه
والفزع الاكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع
الاكبر وان خصص بشي فيجب ان يقصد لاعظم هوله انتهي وقيل الفزع الاكبر وقوع
طبق جهنم عليها قاله الضحاك وقيل النفخة الاخرة وقيل الامر باهل النار الى النار
روي عن ابن جبير وابن جريج والحسن وقيل ذبح الموت وقيل اذا نودي اخسئوا فيها ولا تكلمون
وقيل يوم نطوي السما ذكره مكي وتتلقاهم الملايكة بالسلام عليهم وعن ابن عباس تتلقاهم
الملايكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قايلين لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون
بالكرامة والثواب والنعيم وقرا ابو جعفر لا يحزنهم مضارع احزن وهي لغة تميم وحزن
لغة قريش والعامل في يوم لا يحزنهم او تتلقاهم واجاز ابو البقا ان تكون بدلا من العايد
المحذوف في توعدون فالعامل فيه توعدون اي توعدونه او مفعولا باذكر او منصوبا
باعني واجاز الزمخشري ان يكون العامل فيه الفزع الاكبر وليس بجايز لان الفزع مصدر
وقد وصف قبل اخذ معموله فلا يجوز ما ذكر وقرا الجمهور نطوي بنون العظمة وفرقة
منهم شيبة بن نصاح يطوي بيا اي الله وابو جعفر وفرقة بالتا مضمومة وفتح الواو
والسما رفعا والجمهور السجل على وزن الطمر وابو هريرة وفرقة بالتا وصاحبه ابو
زرعة بن عمرو بن جرير بضمتين وشد اللام والاعمش وطلحة وابو السمال السجل
بفتح السين والحسن وعيسى بكسرهما والجيم في هاتين القراتين ساكنة واللام مخففة
وقال ابو عمرو وقراة اهل مكة مثل قراة الحسن وقال مجاهد السجل الصحيفة وقيل هو
مخصوص من المصحف بصحيفة العهد والمعنى طيا مثل طي السجل وطي مصدر مضاف الى
المفعول اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والاصل كطي الطاوي السجل
فحذف الفاعل وحذفه يجوز مع المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل وقدره الزمخشري
مبنيا للمفعول اي كما يطوي السجل وقال ابن عباس وجماعة السجل ملك يطوي كتب
بني ادم اذا رفعت اليه وقالت فرقة هو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابو الفضل الرازي الاصح انه
فارسي معرب انتهي وقيل اصله من المساجلة وهي من السجل وهو الدلو ملأى ماء وقالت
الزجاج هو رجل بلسان الحبش وقرا الجمهور للكتاب مفردا وحمزة والكسائي وحفص
للكتب جمعا وسكن التا الاعمش وقال الزمخشري اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره
نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابدا
في تناول القدرة لهما على السوا فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله
ايجاده من العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق
منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاني تريد اول الرجال ولكنه وحدته ونكرته ارادة
تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه

اخروهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعبد مثل الذي
بدانا نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول
الساقط من اللفظ الثابت في المعنى انتهى والظاهر ان الكاف ليست مكفوفة كما ذكر
بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل مصدر وهو في موضع جر بالكاف
واول خلق مفعول بدانا والمعنى نعيد اول خلق اعادة مثل بدانا له اي كما ابرزناه
من العدم الى الوجود نعيده من العدم الي الوجود وفي ما قدره الزمخشري تهيئة
بدانا لان ينصب اول خلق علي المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة يدعو الي ذلك
وارتكاب اضمار يعبد مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله واما قوله ووجه اخر
وهو ان الكاف اسم لا حرف وليس مذهب الجمهور انما ذهب الى ذلك الاخفش وكونها
اسما عند البصريين غيره مخصوص بالشعر وقال ابن عطية يحتمل معنيين احدهما
ان يكون خبرا عن البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا علي غير مثال كذلك ننشيهم تارة
اخري فنبعثهم القبور والثاني ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة علي
هيئته التي خرج بها الي الدنيا ويويده يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة
غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وقوله كما بدانا الكاف متعلقة بقوله نعيده انتهى
وانتصب وعدا علي انه مصدر موكد لمضمون الجملة الخبرية قبله انا كنا فاعلين
تاكيد لتحتم الخبر اي نحن قادرون علي ان نفعل والزبور الظاهر انه زبور داود وقاله
الشعبي ومعني هذه الاية موجود في زبور داود وقراناه فيه والذكر التوراة قاله
ابن عباس وقيل الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقيل الزبور
يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ والارض قاله ابن عباس ارض الجنة وقيل
الارض المقدسة يرثها امة محمد صلي الله عليه وسلم والاشارة في قوله ان في هذا الي
المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا
كفاية تبلغ بها الي الخير وقيل الاشارة الى القران جملة وكونه عليه السلام رحمة
لكونه جاهم بما يسعدهم وللعالمين قيل خاص بمن امن به وقيل عام وكونه رحمة للكافر
حيث اخر عقوبته ولم يستاصل الكفار بالعذاب قال معناه ابن عباس قال عوفي
مما اصاب غيرهم من الامم من مسخ وخسف وغرق وقذف واخر امره الي الاخرة قال
ابن عطية ويحتمل ان تكون معناه وما ارسلناك للعالمين الا رحمة اي هو رحمة في نفسه
وهدي بين اخذ به من اخذ واعرض عنه من اعرض انتهى ولا يجوز علي المشهور ان
يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الا ان كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد
وقال الزمخشري انما تقصر الحكم علي شي او لقصر الشي علي حكم كقولك انما زيد قايم
وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثلان في هذه الاية لان انما يوحي الي مع فاعله بمنزلة
انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة
علي ان الوحي الى رسول الله صلي الله عليه وسلم مقصور علي استيثار الله بالوحدانية
انتهى اما ما ذكره في انما انا القصر ما ذكر فهو مبني علي انما للحصر وقد قررنا انها لا تكون
للحصر وان ما مع ان كهي مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر
في الترجي فكذلك لا يفيده مع ان واما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدل
علي القصر فلا نعلم الخلاف الا في انما بالكسر واما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه
مع ما بعدها مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة علي
الحصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شي الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد اوحي
له اشياء غير التوحيد وفي الاية دليل علي تظافر المنقول للمعقول وان النقل احد
طريقي التوحيد ويجوز في ما من انما يوحي ان تكون موصولة فهل انتم مسلمون استفهام
يتضمن الامر باخلاص التوحيد والانقياد الي الله تعالي اذنتكم اعلمتكم وتتضمن
معنى التحذير والنذارة علي سوا لم اخص احدا دون احد وهذا الايذان هو
اعلام بما يحل بمن تولي من العقاب وغلبة الاسلام ولكني لا ادري متي يكون ذلك

وان نافيه وادرى معلقة والجملة الاستفهامية في موضع نصب بادري وتاخر المستفهم
عنه لكونه فاصلة اذ لو كان التركيب اقريب ما توعدون ام بعيد لم تكن فاصلة وكثيرا
ما يرجح الحكم في الشي لكونه فاصلة اخر اية وعن ابن عامر في رواية وان ادري بفتح اليا
في الايتين تشبيها بيا الاضافة لفظا وان كانت لام الفعل ولا تفتح الا بعامل وانكر ابن مجاهد
فتح هذه اليا والمعنى انه تعالي لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله هو العالم الذي
لا يخفي عليه شي وان ادري لعله فتنة اي لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف
تعملون او تمتع لكم الي حين ليكون ذلك حجة وليقع الموعد في وقت هو حكمة وادرى هنا
معلقة ايضا وجملة الترجي هي مصب الفعل والكوفيون يجيزون لعل مجرى هل فكما يقع
التعليق عن هل وكذلك عن لعل ولا اعلم احدا ذهب الي ان لعل من ادوات التعليق
وان كان ذلك ظاهرا فيها كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب وما يدريك لعله يزكى
وقيل الي حين الي يوم القيامة وقيل الي يوم بدر وقرا الجمهور قل رب امرا وبكسر البا
وقرا حفص قال وابو جعفر رب بالضم قال صاحب اللوامح علي انه منادى مفرد وحذف
حرف الندا فيما جاز ان يكون وصفا لاي بعيد بابه الشعر انتهى وليس هذا من ندا
النكرة المقبل عليها بل هذا من اللغات الجايزة في يا غلامي وهي ان تبنيه علي الضم وانت
تنوي الاضافة لما قطعته عن الاضافة وانت تريدها بنيته فمعنى رب يا ربي وقرا
الجمهور احكم علي الامر من حكم وقرا ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن ربي بالسكا
اليا احكم جعله افعل التفضيل فربي احكم مبتدا وخبر وقرات فرقة احكم فعلا ماضيا
وقرا الجمهور تصفون بتا الخطاب وروى ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا علي ابي علي
ما يصفون بيا الغيبة وروئت عن ابن عامر وعاصم ذهل عن الشي ذهولا اشتغل عنه

المفردات

قاله قطرب وقال غيره غفل لطرو شاغل من هم او وجع او غيره وقيل مع دهشة المضغة
اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ المخلقة المسواة الملسا لا نقص ولا عيب يقال خلق السواك
والعود سواه وملسه من قولهم صخرة خلقا اي ملسا الطفل يقال من وقت انفصال
الولد الي البلوغ ويقال لولد الوحشية طفل ويوصف به المفرد والمثني والمجموع والمذكر
والمونث بلفظ واحد ويقال ايضا طفل وطفلان واطفال واطفلت المراة صارت ذات
طفل والطفل بفتح الطا الناعم وجارته طفلة ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل اقبل ظلامه
والطفل بالتحريك بعد العصر اذ طفلت الشمس للغروب والطفل ايضا مطر وقال المبرد
هو اسم يستعمل مصدرا كالرضي والعدل يقع علي الواحد والجمع همدت الارض يبست
ودرست والثوب بلي وقال الاعشى •
قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا • وارى ثيابك باليات همدا •
البهيج الحسن السار للناظر يقال فلان ذو بهجة اي حسن وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة
فهو بهيج وابهجني اعجبني بحسنه العطف الجانب وعطفا الرجل يمينه وشماله واصله من
العطف وهو الليّ ويسمي الردا العطاف المجوس قوم يعبدون النار والشمس والقمر
وقيل يعبدون النار وقيل قوم اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل قوم اخذوا من
دين النصارى شيا ومن دين اليهود شيا وهم القايلون العالم اصلان نور وظلمة وقيل الميم
في المجوس بدل من النون لاستعمالهم النجاسات صهرت الشحم بالنار اذبته والصهارة
الالية المذابة وقيل ينضج قال الشاعر • تصهره الشمس ولا ينصهر •
المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب اللولو الجوهر وقيل صغاره وكباره الضامر
المهزول العميق البعيد واصله البعد سفلا يقال بير عميق اي بعيدة الغور والفعل
عمق وعمق قال الشاعر • اذا الخيل جات من فجاج عميقة يمد بها في السير اشعث شاحب •
ويقال غميق بالغين وقال الليث يقال عميق ومعيق لتميم واعمقت البير وامعقتها وقد
عمقت ومعقت عماقة ومعاقة وهي بعيدة العمق والمعق والامعاق والاعماق
اطراف المفازة قال وقاتم الاعماق خاوي المخترق التفث اصله الوسخ والقذر يقال
لمن يستقذر ما تفثك وعن قطرب تفث الرجل كثر وسخه في سفره وقال ابو محمد البصري

النفث من التفه وهو وسخ الاظفار وقلبت الفا ثا كمغثور السحيق البعيد وجب الشي
سقط ووجبت الشمس جبة قال اوس بن حجر •

• الم يكسف الشمس شمس النهار والبدر للجبل الواجب • القانع السايل قنع قنوعا
سال وقنع قناعة تعفف واستغنى ببلغته قال الشماخ •

• لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع • الوثن قال شمر كل تمثال من خشب
او حجارة او ذهب او فضة او نحاس ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها ويطلق على
الصليب قال الاعشى •

• يطوف العفاة بابوابه • كطوف النصارى بباب الوثن •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد راى في عنقه صليبا الق الوثن
عنك واشتقاقه من وثن الشي اقامه في مكانه وثبت والواثن المقيم الراكز في مكانه
وقال رؤبة على اخلاء الصفاء الوثن يعني المقيم على العهد البدن جمع بدنة كثمر جمع ثمرة
قاله الزجاج سميت بذلك لانها تبدن اي تسمن وقال الليث البدنة بالها يقع على الناقة
والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي والاضاحي ولا يقع على الشاة وسميت بدنة لعظمها
وقيل يختص بالابل وقيل ما اشعر من ناقة او بقرة قاله عطا وغيره وقيل البدن مفرد
اسم جنس يراد به العظيم السمين من الابل والبقر ويقال للسمين من الرجال بادن
المعتر المعترض من غير سوال وقال ابن قتيبة عره واعتره وعراه واعتراه اتاه
طالبا لمعروفه قال الشاعر •

• سلي الطارق المعتر يا ام مالك • اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري •

وقال الاخر لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا لنمنعه بالضايع المتهضم •

سورة الحج •

بسم الله الرحمن الرحيم يايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا
وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان
الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور هذه السورة مكية الا هذان خصمان الى تمام ثلاث ايات قاله ابن عباس
ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع ايات الى قوله عذاب الحريق وقال الضحاك هي
مدنية وقال قتادة الا من قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الى عذاب مقيم وقال
الجمهور منها مكي ومنها مدني ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه ذكر تعالى حال الاشقيا
والسعدا وذكر الفزع الاكبر وهو ما يقوم يوم القيامة وكان مشركو مكة قد انكروا المعاد
وكذبوه بسبب تاخر العذاب عنهم نزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه
من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما اعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطويرهم
في خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر ان قوله يايها الناس عام وقيل
المراد اهل مكة ونبه تعالى على سبب اتقايه وهو ما يوول اليه من اهوال الساعة وهو على
حذف اي اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهي عند النفخة الاولى وقيل
عند الثانية وقيل عند قول الله يا ادم ابعث بعث النار وقال الجمهور في الدنيا اخر
الزمان ويتبعها طلوع الشمس من مغربها وعن الحسن يوم القيامة وعن علقمة والشعبي
عند طلوع الشمس من مغربها واضيف الى الساعة لانها من اشراطها والمصدر مضاف
للمفعول والمحذوف المفعول وهو الارض يدل عليه اذا زلزلت الارض زلزالها او الناس
ونسبة الزلزلة الى الساعة مجاز ويكون ان يضاف الى المفعول به على طريقة الاتساع •

في الظرف

في الظرف فيكون الساعة مفعولا بها وعلى هذه التقادير يكون ثم زلزلة حقيقة وقال
الحسن اشد الزلازل ما تكون مع قيام الساعة وقيل الزلزلة استعارة والمراد شدة الساعة
واهوال يوم القيامة وشي هنا يدل على اطلاقه على المعدوم لان الزلزلة لم يقع بعد ومن
منع ايقاعه على المعدوم قال جعل الزلزلة شيا ليتيقن وقوعها وصيرورتها الى الوجود
وذكر تعالى اهول الصفات في قوله ترونها الاية لينظروا الى تلك الصفة ببصايرهم
ويتصوروها بعقولهم ليكون ذلك حاملا على تقواه تعالى اذ لا نجاة من تلك الشدايد
الا بالتقوى وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن
الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين باك ومفكر
والناصب ليوم تذهل والظاهر ان الضمير المنصوب في ترونها عايد على الزلزلة لانها المحدث
عنها ويدل على ذلك وجود ذهول المرضعة ووضع الحمل هذا اذا اريد الحقيقة وهي الاصل
ويكون ذلك في الدنيا وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في
بطنها لغير تمام وقالت فرقة الضمير يعود على الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة عن
شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا رضع هناك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء لفظ
مرضعة دون مرضع لانه اريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع وقال الشاعر •

• كمرضعة اولاد اخرى وضيعت بني بطنها هذا الضلال عن القصد •

والظاهر ان ما في قوله عما ارضعت بمعنى الذي والعايد محذوف اي ارضعته ويقويه
تعدي وتضع الى المفعول به في قوله حملها لا الى المصدر وقيل ما مصدرية اي عن ارضاعها
وقال الزمخشري المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي
شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك
الهول اذا فوجيت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة
وخص بعض نحاة الكوفة ام الصبي بمرضعة والمستاجرة بمرضع وهذا باطل بقول الشاعر
كمرضعة اولاد اخرى البيت فهذه مرضعة بالتا وليست اما للذي ترضع وقول الكوفيين ان الوصف
الذي يختص بالمونث لا يحتاج فيه الى التا لانها انما جي بها للفرق مردود بقول العرب مرضعة
وحايضة وطالقة وقرا الجمهور تذهل كل بفتح التا والها ورفع كل وابن ابي عبلة واليماني بضم التا
وكسر الها اي تذهل الزلزلة او الساعة كلا بالنصب والحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس
شجرة وقرا الجمهور وترى بالتا مفتوحة خطابا للمفرد وزيد بن علي بضم التا وكسر الرا اي وترى
الزلزلة او الساعة وقرا الزعفراني وعباس في اختياره بضم التا وفتح الرا ورفع الناس
وانث على تاويل الجماعة وقرا ابو هريرة وابو زرعة بن عمرو بن جرير وابو نهيك كذلك
الا انهم نصبوا الناس عدي ترى الى مفاعيل ثلثة احدها الضمير المستكن في ترى وهو ضمير
المخاطب مفعول لم يسم فاعله والثاني والثالث الناس سكارى اثبت انهم سكارى على طريق
التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل
وقرا الجمهور سكارى فيهما على وزن فعالى وتقدم ذكر الخلاف في فعالى بضم الفا اهو جمع او
اسم جمع وقرا ابو هريرة وابو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران
وقال ابو حاتم هي لغة تميم وقرا الاخوان وابن سعدان ومسعود بن صالح سكرى فيهما
ورويت عن الرسول رواها عمران بن حصين وابو سعيد الخدري وهي قراءة عبد
الله واصحابه وحذيفة وقال س وقوم يقولون سكرا جعلوه مثل مرضى لانهما شيان
يدخلان على الانسان ثم جعلوا روي مثل سكرى جعلوه مثل وهم المستثقلون نوما من
شرب الرايب قال ابو علي الفارسي ويصح ان يكون جمع سكر كزمنى وزمن وقد حكى س
رجل سكر بمعنى سكران فيجي سكرى حينيذ لتانيث الجمع وقرا الحسن والاعرج وابو
زرعة وابن جبير والاعمش سكرى بضم السين فيهما قال ابو الفتح هو اسم مفرد
كالبشرى وبهذا افتاني ابو علي انتهى وقال الزمخشري هو غريب وقال ابو الفضل الرازي
فعلى بضم الفا من صفة الواحدة من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة

احوبت الجماعة بمنزلة المونث الموحد انتهى وعن ابى زرعة ايضا سكرى بفتح السين
بسكرى بضمها وعن ابن جبير ايضا سكرى بالفتح السين من غير الف بسكارى بالضم والالف
وعن الحسن ايضا سكارى بسكرى وقاله اولا تروتها على خطاب الجمع جعلوا جميعًا رابين لها
ثم قال وترى على خطاب الواحد لان الروية معلقة تكون الناس على حال السكر فجعل كل واحد
رائيا لسايرهم غشيهم من خوف عذاب الله ما اذهب عقولهم وردهم فى حال من يذهب السكر
عقله وتمييزه وجاء هذا الاستدراك بالاخبار عن عذاب الله انه شديد لما تقدم ما هو
بالنسبة الى العذاب كالحالة اللينة الهينة وهو الذهول والوضع وروية الناس
اشباه السكارى وكانه قيل وهذه احوال هينة ولكن عذاب الله شديد وليس بهين
ولا لين لان لكن لابد ان يقع بين متنافيين بوجه ما وتقدم الكلام فيها ومن الناس
من يجادل فى الله اى فى قدرته وصفاته قيل نزلت فى ابى جهل وقيل فى ابى بن خلف والنضر
بن الحرث وقيل فى النضر وكان جدلا يقول يقول الملايكة بنات الله والقران
اساطير الاولين ولا يقدر الله على احيا من بلى وصار ترابا والاية عامة فى كل من تعاطى
الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا برهان
ولا نصفة والظاهر ان قوله كل شيطان مريد هو من الجن كقوله وان يدعون الا
شيطانا مريدا وقيل يحتمل ان يكون من الانس كقوله شياطين الانس والجن لما ذكر
تعالى اهوال يوم القيامة ذكر من غفل عن الجزا فى ذلك اليوم وكذب به وقرا
زيد بن على خفيفا والظاهر ان الضمير فى عليه عايد على من لانه المحدث عنه وفى انه
وتولاه وفى فانه عايد عليه ايضا والفاعل بتولى ضمير من وكذلك الها فى يضله ويجوز
ان تكون الها فى هذا الوجه انه ضمير الشان والمعنى ان هذا المجادل لكثرة جداله
بالباطل واتباعه الشيطان صار اماما فى الضلال لمن يتولاه فشانه ان يضل من يتولاه
وقيل الضمير فى عليه عايد على كل شيطان مريد قاله قتادة ولم يذكر الزمخشرى
غيره واورد ابن عطية القول الاول احتمالا وقال ابن عطية ويظهر لى ان الضمير
فى انه الاول للشياطين وفى الثانية لمن الذى هو للمتولى قال الزمخشرى والكتبة
عليه مثل اى كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله وقرا الجمهور
كتب مبنيا للمفعول وقرى كتب مبنيا للفاعل اى كتب الله وقرا الجمهور انه بفتح
الهمزة فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله فانه بفتحها ايضا والفا جواب من
الشرطية او الداخلة فى خبر من ان كانت موصولة والاية على تقدير فشانه انه يضله
اى اضلاله له او فله ان يضله وقال الزمخشرى فمن فتح فلان الاول فاعل كتب يعنى
به مفعولا لم يسم فاعله قال والثانى عطف عليه انتهى وهذا لا يجوز لانك اذا جعلت
فانه عطفا على انه بقيت انه بلا استيفا خبر لان من تولاه من فيه مبتداة فان قدرتها موصولة
فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لانه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على
انه ومثل قول الزمخشرى قال ابن عطية قال وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم
يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى موكدة مثلها وهذا خطا لما بيناه وقرا
الاعمش والجعفى عن ابى عمرو انه فانه بكسر الهمزتين وقال ابن عطية وقرا ابو
عمرو انه من تولاه فانه يضله بالكسر فيهما انتهى وليس مشهورا عن ابى عمرو والظاهر ان
ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا اى كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب
ان الله يامر بالعدل وقال الزمخشرى او على تقدير قيل او على المفعول الذى لم يسم
فاعله لكتب والجملة من انه من تولاه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لقيل
المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون
ذلك مفعولا لم يسم فاعله واما الثانى فلا يجوز ايضا على مذهب البصريين لانه لا تكسر
ان بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه ومعنى ويهديه ويسوقه وعبر بلفظ
الهداية على سبيل التهكم ولما ذكر تعالى من يجادل فى قدرة بغير علم وكان جدالهم فى الحشر
والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك احدهما فى نفس الانسان وابتدا خلقه وتصوره

فى مراتب سبع وهى التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا وبلوغ الاشد
والتوفى او الرد الى الهرم والثانى فى الارض التى تشاهدون تنقلها من حال الى حال
فاذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلا فاذا ورد خبر الشرع بوقوعه وجب
التصديق به وانه واقع لا محالة وقرا الحسن من البعث بفتح العين وهى لغة فيه كالجلب
والطرد فى الجلب والطرد والكوفيون اسكان العين عندهم تخفيف يقيسونه
فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون لا يقيسونه
وما ورد من ذلك هو عندهم مما جا فيه لغتان والمعنى ان ارتبتم فى البعث فزيل ريبكم
ان تنظروا فى بدء خلقكم من تراب اى اصلكم ادم وسلط الفعل عليهم من حيث هم من
ذريته او باعتبار وسايط التولد لان المنى ودم الطمث يتولدان من الاغذية والاغذية
حيوان ونبات والحيوان يعود الى النبات والنبات من الارض والما والنطفة
المنى وقيل نطفة ادم قاله النقاش والعلقة قطعة الدم الجامدة ومعنى وغير مخلقة
اى ليست كاملة ولا ملسا فالمضغ متفاوتة لذلك تفاوتوا طولا وقصرا وتماما ونقصانا
وقال مجاهد غير مخلقة هى التى تستسقط وقاله قتادة والشعبى وابو العالية ولما
كان الانسان فيه اعضا متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن تضعيف الفعل لان
فيه خلقا كثيرة وقرا ابن ابى عبلة مخلقة بالنصب وغير بالنصب ايضا نصبا على الحال
من النكرة المتقدمة وهو قليل وقاسه س قال الزمخشرى ولنبين لكم بهذا
التدريج قدرتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا
ولا تناسب بين التراب والما وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر
ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل فى القدرة
واهون فى القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين
بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الفكر ولا يحيط به الوصف انتهى ولنبين متعلق
بخلقناكم وقيل لنبين لكم امر البعث قال ابن عطية وهو اعتراض بين الكلامين وقال
الكرمانى يعنى رشدكم وضلالكم وقيل لنبين لكم ان التخليق هو اختيار من الفاعل المختار
ولولاه ما صار بعضه غير مخلق وقرا ابن ابى عبلة ليبين لكم ويقر باليا وقرا يعقوب
وعاصم فى رواية ونقر بالنصب عطفا على لنبين وهو عاصم ايضا ثم يخرجكم بنصب الجيم عطفا على
ونقر اذا نصب وعن يعقوب ونقر بنون وضم القاف والرا ابن قرا المناصبه وقرا ابو
زيد النحوى ويقر بفتح اليا والرا وكسر القاف وفى الكامل لابن حبارة لنبين ونقر ونخرجكم
بالنصب فيهن المفضل وباليا فيهما مع النصب ابو حاتم وباليا والرفع عمر بن شبة انتهى
قال الزمخشرى والقراة بالرفع اخبار بانه تعالى يقر فى الارحام ما يشا ان يقره من
ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع وما لم يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته والقرا
بالنصب تعليل معطوف على تعليل والمعنى خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما
ان نبين قدرتنا والثانى ان نقر فى الارحام من نقر حتى يولدوا وينشوا ويبلغوا حد
التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراة قوله ثم لتبلغوا اشدكم انتهى وقرا يحيى بن وثاب
ما نشا بكسر النون والاجل المسمى مختلف فيه بحسب جنين جنين فساقط وكامل امره
خارج حيا ووحد طفلا لانه مصدر فى الاصل قاله المبرد والطبرى او لان الغرض الدلالة على
الجنس او لان معنى يخرجكم كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف اى يشبع كل واحد وقال
الزمخشرى الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التى لم يستعمل
لها واحد كالاشدة والقيود وغير ذلك وكانها شدة فى غير شى واحد فبنيت لذلك
على لفظ الجمع انتهى وتقدم الكلام فى الاشد ومقداره من الزمان وان من الناس من قال
انه جمع شدة كانعم جمع نعمة واما القيود فعن ابى عمرو الشيبانى ان واحدة قيد ومنكم
من يتوفى وقرى يتوفى بفتح اليا اى يستوفى اجله والجمهور بالضم اى بعد الاشد وقيل
الهرم وهو ارذل العمر والخرف فيصير الى حالة الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل
ولا زمان لذلك محدودا بل ذلك بحسب ما يقع فى الناس وقد نرى من علت سنه وقارب المائة

او بلغها في غاية جودة الذهن والادراك مع قوة ونشاط ونرى من هو في سن الاكتهال
وقد ضعفت بنيته اوضح تعالى انه قادر على اعادته على حالة الخرف كما انه كان قادرا على
تدريجه الى حالة التمام فكذلك هو قادر على اعادة الاجساد التي درجها في هذه المنازل
وانشائها النشاة الثانية ولكيلا يتعلق بقوله يرد قال الكلبي لكيلا يعقل من بعد
عقله الاول شيا وقيل لكيلا يستفيد علما وينسى ما علمه وقال الزمخشري اي
ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شي لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسال
عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وروي
عن ابي عمرو ونافع تسكين ميم العمر وترى الارض هامدة هذا هو الدليل الثاني الذي
تضمنته والدليل الاول الاية ولما كان الدليل الاول بعض مراتب الخلقة فيه
غير مرتبين قال ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم فلم يحل في جميع رتبته على
الرؤية ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهدا للابصار احال ذلك على الرؤية فقال
وترى ايها السامع او المجادل الارض هامدة ولظهوره تكرر هذا الدليل في القران والماء
ماء المطر والاهتزاز العيون والسواني واهتزازها تخلخلها واضطراب بعض اجسامها
لاجل خروج النبات وربت اي زادت وانتفخت وقرا ابو جعفر وعبد الله بن جعفر
وخالد بن الياس وابو عمرو في رواية وربات بالهمز هنا وفي فصلت اي ارتفعت واشرقت
يقال فلان يربا بنفسه عن كذا اي يرتفع بها عنه قال ابن عطية ووجهها ان يكون
من ربات القوم اذا علوت شرفا من الارض طليعة فكان الارض بالماء تتطاول وتعلو
انتهى ويقال ربي وربيه وقال الشاعر

بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا ... كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي

ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم وتطورهم في تلك المراتب ومن احيا الارض حاصل بهذا
وهو حقيقته تعالى فهو الثابت الموجود القادر على احيا الموتى وعلى كل مقدور وقد وعد
بالبعث وهو قادر عليه فلا بد من كيانه وقوله وان الساعة الى اخره توكيد لقوله
وانه يحيي الموتى والظاهر ان قوله وان الساعة اتية ليس داخلا في سبب ما تقدم
ذكره فليس معطوفا على انه الذي يليه فيكون على تقدير والامر ان الساعة وذلك مبتدا
وبان الخبر وقيل ذلك منصوب بمضمر اي فعلنا ذلك ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد الظاهر ان المجادل في هذه الاية غير
المجادل في الاية قبلها فعن محمد بن كعب انها نزلت في الاخنس بن شريق وعن ابن عباس
في ابي جهل وقيل الاولى في المقلدين وهذه في المقلدين والجمهور على انها والتي قبلها في النضر
كررت مبالغة في الذم ولكون كل واحدة اشتملت على زيادة ليست في الاخرى وقد قيل
نزلت فيه بضع عشرة اية وقال ابن عطية وكررت هذه على جهة التوبيخ فكانه يقول
هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو
واو الحال والاية المتقدمة من الواو فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والاية
على معنى الاخبار وهي هاهنا مكررة للتوبيخ انتهى ولا يتخيل ان الواو في ومن الناس
من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم تتقدر باذ
فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لشيطان
مريد ومجادل ايضا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى اخره وعابد ربه على حرف والمراد

بالعلم

بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير
الوحي اي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة وانتصب عطفه على الحال من الضمير المستكن
في يجادل قال ابن عباس متكبرا ومجاهد لاوي عنقه بقبح والضحاك شامخا بانفه وابن جريج
معرضا عن الحق وقرا الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي تعطفه وترحمه وليضل متعلق
بيجادل وقرا مجاهد واهل مكة وابو عمرو في رواية ليضل بفتح اليا اي ليضل في نفسه
والجمهور بضمها اي ليضل غيره وهو مترتب على اضلاله كثرة العذاب اذ عليه وزر من عمل
به ولما كان مال جداله الى الضلال كان كانه علة له وكذلك لما كان معرضا عن الهدى مقبلا
على الجدال بالباطل كان كالخارج من الهدى الى الضلال والخزي في الدنيا ما لحقه يوم
بدر من الاسر والقتل والهزيمة وقد اسر النضر وقتل يوم بدر بالصفرا والحريق قيل
طبقة من طباق جهنم وقد يكون من اضافة الموصوف الى صفته اي العذاب الحريق اي المحرق
كالسميع بمعنى المسمع وقرا زيد بن علي فاذيقه بهمزة المتكلم ذلك اشارة الى الخزي
والاذاقة وجوزوا في اعراب ذلك هنا ما جوزوا في اعراب ذلك بان الله هو الحق
وتقدم المراد بما قدمت يداك اي باجترامك ويعدل الله فيك اذ عصيته ويحتمل
ان يكون وان الله منقطعا ليس ذلك في السبب والتقدير والامر ان الله قال ابن عطية
والعبيد هنا ذكروا في معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جات هذه الصيغة انتهى وهو
يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا عليه تفرقته في اواخر ال عمران في قوله وان الله
ليس بظلام للعبيد وشرحنا هناك قوله بظلام من يعبد الله نزلت في اعراب من اسلم وغطفان
تباطوا عن الاسلام وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من
يهود فلا يقرونا ولا يؤوونا وقيل في اعراب لا يقين لهم يسلم احدهم فيتفق تثمير ماله وولادة
ذكر وغير ذلك من الخير فيقول هذا دين جيد او ينعكس حاله فيتشام بالاسلام ويسال
الرسول الاقالة فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت وعن الحسن هو المنافق يعبده بلسانه
دون قلبه وقال ابن عيسى على ضعف يقين وقال ابو عبيد على حرف على شك وقال ابن
عطية حرف على انحراف منه عن العقيدة البيضا او على شفا منها معدا للتزهوق وقال
الزمخشري على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب
في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة
قر واطمان والا فر وطار على وجهه انتهى وخسرانه الدنيا اصابته فيها بما يسوءه من
ذهاب ماله وفقد احبابه فلم يسلم للقضا وخسران الاخرة حيث حرم ثواب من صبر
وارتد عن الاسلام وقرا مجاهد وحميد والاعرج وابن محيصن طريق الزعفراني وقعنب
والجحدري وابن مقسم خاسر الدنيا اسم فاعل نصبا على الحال وقري خاسر اسم فاعل
مرفوعا على تقدير هو خاسر وقال الزمخشري والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير وهو وجه حسن انتهى وقرا الجمهور خسر فعلا ماضيا وهو استيناف اخبار
ويجوز ان يكون في موضع الحال ولا يحتاج الى اضمار قد لانه كثر وقوع الماضي حالا في لسان
العرب بغير قد فساغ القياس عليه واجاز ابو الفضل الرازي ان يكون بدلا من قوله
انقلب على وجهه كما كان يضاعف بدلا من يلق وتقدم تفسير الضلال البعيد في قوله
ضلالا بعيدا ونفى هنا الضر والنفع واثبتهما في قوله لمن ضره اقرب من نفعه وذلك لاختلاف
المتعلق وذلك ان قوله ما لا ينفعه هو الاصنام والاوثان ولذلك اتى التعبير عنها بما
التي لا تكون لاحاد من يعقل وقوله يدعو لمن ضره هو من عبد باقتضا وطلب من عابديه
من المدعين الالهية كفرعون وغيره من ملوك بني عبيد الذين كانوا بالمغرب ثم ملكوا
مصر فانهم كانوا يدعون الالهية ويطاف بقصرهم في مصر وينادون بما ينادى به رب العالمين
من التسبيح والتقديس فهولا وان كان منهم نفع ما لعابديهم في دار الدنيا فضررهم
اعظم واقرب من نفعهم اذ هم في الدنيا مملوكون للكفار وعابدون لغير الله وفي الاخرة
معذبون العذاب الدايم ولهذا كان التعبير هنا بمن التي هي لمن يعقل وعلى هذا فيكون
الجملتان من اخبار الله تعالى عن من يدعو الها غير الله وقال الزمخشري فان قلت

الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا
نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلالته انه سينتفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا
الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا
يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير
وكرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره
بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبيس المولى انتهى فجعل الزمخشري
المدعو في الايتين الاصنام وازال التعارض باختلاف القايلين بالجملة الاولى من قول
الله تعالى اخبار عن حال الاصنام والجملة الثانية من كلام عبدة الاصنام يقولون
ذلك في الاخرة وحكى الله عنهم ذلك وانهم اثبتوا ضرا بكونهم عبدوه واثبتوا نفعا بكونهم
اعتقدوه شفيعا فالنافي هناك غير المثبت هنا فزال التعارض على زعمه والذي اقول
ان الصنم ليس له نفع البتة حتى يقال ضره اقرب من نفعه واجاب بعضهم عن زعم
من زعم ان ظاهر الايتين تقتضي التعارض بانها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها
سبب الضرر اليها كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اضاف الاضلال اليهم اذ كانوا
سبب الضلال فكذا هنا نفى الضر عنهم لكونها ليست فاعلة ثم اضافه اليها لكونها سبب
الضرر وقال اخرون من في الحقيقة لا تضر ولا تنفع بين ذلك في الاية الاولى ثم اثبت
لها الضر والنفع في الثانية على طريق التسليم اي ولو سلمنا كونها ضارة نافعة لكان ضرها
اكثر من نفعها وتكلف المعربون وجوها فقالوا يدعو اما ان يكون لها تعلق بقوله لمن ضره
اولا ان لم يكن لها تعلق فوجوه احدها ان يكون توكيدا لفظيا ليدعو الاولى فلا يكون
لها معمول الثاني ان تكون عاملة في ذلك من قوله ذلك هو الضلال وقدم المفعول
الذي هو ذلك وجعل موصولا بمعنى الذي قاله ابو علي الفارسي وهذا لا يصح الا على قول
الكوفيين اذ يجيزون في اسم الاشارة ان يكون موصولا والبصريون لا يجيزون ذلك
الا في ذا بشرط ان يتقدمها الاستفهام بما او من الثالث ان يكون يدعو في موضع الحال
وذلك مبتدا او هو فصل او مبتدا وحذف الضمير من يدعو اي يدعوه وقدروه مدعوا
وهذا ضعيف لان يدعوه لا يقدر مدعوا انما يقدر داعيا فلو كان يدعى مبنيا للمفعول
لكان تقديره مدعوا جاريا على القياس وقال نحوه الزجاج وان كان له تعلق بقوله
لمن ضره فوجوه احدها ما قاله الاخفش وهو ان يدعو بمعنى يقول ومن مبتدا موصول
صلته الجملة بعده وهي ضره اقرب من نفعه وخبر المبتدا محذوف تقديره اله والامي
والجملة في موضع نصب محكية بيدعو التي هي بمعنى يقول قيل هو فاسد المعنى لان الكافر
لم يعتقد قط ان الاوثان ضرها اقرب من نفعها وقيل في هذا القول يكون لبيس مستانفا
لانه لا يصح دخوله في الحكاية لان الكفار لا يقولون عن اصنامهم لبيس المولى الثاني ان يدعو
بمعنى يسمي والمحذوف اخرا هو المفعول الثاني ليسمي تقديره الها وهذا لا يتم الا بتقدير
زيادة اللام اي يدعو من ضره الثالث ان يدعو شبه بافعال القلوب لان الدعا لا يصدر
الا عن اعتقاد والاحسن ان يضمن معنى يزعم ويقدر لمن خبره والجملة في موضع نصب
ليدعو اشار الى هذا الوجه الفارسي الرابع ما قاله الفرا وهو ان اللام دخلت في غير
موضعها والتقدير يدعو من لضره اقرب من نفعه وهذا بعيد لان ما كان في صلة الموصول
لا يتقدم على الموصول الخامس ان تكون اللام زايدة للتوكيد ومن مفعول بيدعو وهو
ضعيف لانه ليس من مواضع زيادة اللام لكن يقويه قراة عبد الله يدعو من ضره باسقاط
اللام واقرب التوجيهات ان يكون يدعو توكيدا ليدعو الاول واللام في لمن لام الابتدا
والخبر الجملة التي هي قسم محذوف وجوابه لبيس المولى والظاهر ان يدعو يراد به النداء
والاستغاثة وقيل معناه يعبد والمولى هنا الناصر والعشير الصاحب المخالط ولما ذكر تعالى
حالة من يعبده على حرف وسفه رايه وتوعده بخسرانه في الاخرة عقبه بذكر حال مخالفيهم
من اهل الايمان وما وعدهم به من الوعد الحسن ثم اخذ في توبيخ اوليك الاولين كانه يقول

هؤلا

هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما
امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وليختنق وينظر هل يذهب
بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق
يقال ذلك للذي يريد من الامر ما لا يمكنه فعلى هذا تكون الهاء في ينصره للرسول عليه
السلام وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختار
الفرا والزجاج فالمعنى ان لن ينصر الله محمدا في الدنيا بالدعا باعلا كلمته واظهار دينه
وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه والرسول وان لم يجر له ذكر في الاية ففيها
ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله يدخل الذين امنوا وظان ذلك قوم من المسلمين
لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر واعراب استبطوا
ظهور الرسول فتباطوا عن الاسلام والظاهر ان الضمير في ينصره عايد على من لانه المذكور
وحق الضمير ان يعود على المذكور وهو قول مجاهد وحمل بعض قايلي هذا القول النصر هنا
على الرزق كما قالوا ارض منصورة اي ممطورة وقال الشاعر

وانك لا تعطي امرا فوق حقه • ولا تملك الشق الذي انت ناصره •

اي معطيه وقال وقف علينا سايل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله فالمعنى من كان يظن
ان لن يرزقه الله فيعدل عن دين محمد لهذا الظن كما وصف في قوله وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه فيبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يبلغه الا ما قدر له ولا يجعله مرزوقا
اكثر مما قسم له ويحتمل على هذا القول ان يكون النصر على بابه اي من كان يظن ان لن ينصره
الله في الدنيا والاخرة فيغتاظ لانتفاء نصره فليمدد ويدل على قوله فيغتاظ قوله هل
يذهبن كيده ما يغيظ ويكون معنى قوله فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فليتحيل باعظم الحيل
في نصرة الله اياه ثم ليقطع اي ليقطع الحبل فلينظر هل يذهبن كيده وتحيله في ايصال
النصر اليه الشي الذي يغيظه من انتفاء نصره تسلط اعدايه عليه وقال الزمخشري
هذا الكلام دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من
حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه
فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه
الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سما بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك
هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس
مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على
غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده
الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السما المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي
او ينزل عليه وهذا قول ابن زيد وقيل الضمير في ينصره عايد على الدين والاسلام قال
ابن عطية وابين وجوه هذه الاية ان يكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق
والسما الارتفاع في الهوا سقف او شجرة ونحوه فتامله وما في يغيظ بمعنى الذي والعايد
محذوف او مصدرية وكذلك اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات
اي لا تفاوت في انزال بعضه ولا انزال كله والها في انزلناه للقران اضمر للدلالة عليه كقوله
حتى توارت بالحجاب والتقدير والامر ان الله يهدي من يريد اي يخلق الهداية في قلب من يريد
هدايته لا خالق للهداية الا هو ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شي شهيد الم تر ان الله
يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا هذان
خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق روسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا
عذاب الحريق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون
فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى

صراط الحميد ان الذين لما ذكر قيل ان الله يهدي من يريد اعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه
لان ما قبله يقتضي ان من لا يريد هدايته لا يهديه بدل اثبات الهداية لمن يريد على نفيها
عن من لا يريد والذين اشركوا هم عبدة الاوثان والاصنام ومن عبد غير الله قال الزمخشري
وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله · سربال ملك به ترجى الخواتيم

والظاهر هذا انه شبه البيت بالاية وكذلك قرنه الزجاج بالاية ولا يتعين ان يكون البيت
كالاية لان البيت يحتمل ان يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله
سربال ملك جملة اعتراضية بين اسم ان وخبرها بخلاف الاية فانه يتعين قوله ان الله يفصل
وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا لطول الفصل بينهما بالمعاطيف والظاهر ان الفصل
بينهم يوم القيامة هو بتصيير المومنين الى الجنة والكافرين الى النار وناسب الختم بقوله
شهيد الفصل بين الفرق وقال الزمخشري الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل يفصل
بينهم يقضي بين المومنين والكافرين والظاهر ان السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر
تعالى والانقياد لما يريده تعالى وهذا معنى شمل من يعقل وما لا يعقل ومن يسجد سجود
التكليف ومن لا يسجده وعطف على من ما عبد من دون الله ففي السموات الملايكة كانت
تعبدها والشمس عبدتها حمير وعبد القمر كنانة قاله ابن عباس والدبران
تميم والشعرى لخم وقريش والثريا طي وعطارد اسد والمرزم ربيعة وفي الارض من عبد
من البشر والاصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر وما عبد من الحيوان وقرا
الزهري والدواب بتخفيف البا قال ابو الفضل الرازي ولا وجه لذلك الا ان يكون
فرارا من التضعيف مثل ظلت وقرن ولا تعارض بين قوله ومن في الارض لعمومه وبين
قوله وكثير من الناس لخصوصه لانه لا يتعين عطف وكثير على ما قبله من المفردات
المعطوفة الداخلة تحت يسجد اذ يجوز اضمار يسجد له كثير من الناس سجود عبادة ودل
عليه المعنى لا انه يفسره يسجد الاول لاختلاف الاستعمالين ومن يرى الجمع بين
المشتركين وبين الحقيقة والمجاز يجيز عطف وكثير من الناس على المفردات قبله وان اختلف
السجود عنده بنسبته لما لا يعقل ولمن يعقل ويجوز ان يرتفع على الابتدا والخبر محذوف
يدل عليه مقابلة الذي في الجملة بعده اى وكثير من الناس مثاب وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون
والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم
بحق عليهم العذاب كانه قال وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب انتهى وهذان التخريجان
ضعيفان وقرا جناح بن حبيش وكبير حق بالبا وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب
يحتمل ان يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثير حق عليه العذاب يسجد اى كراهية وعلى رغمه
اما بظله واما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك قاله مجاهد وقال سجوده بظله وقرئ وكثير
حقا اى حق عليهم العذاب حقا وقرئ حق بضم الحا ومن مفعول مقدم بيهن وقرا الجمهور
من مكرم اسم فاعل وقرا ابن ابي عبلة بفتح الرا على المصدر اي من اكرام قال الزمخشري
ومن اهانه الله كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره وفسقه فقد بقي مهانا لم
يجد له مكرما انه يفعل ما يشا من الاكرام والاهانة ولا يشا من ذلك الا ما يقتضيه
عمل العاملين واعتقاد المعتقدين انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ولما ذكر تعالى اهل
السعادة واهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه فقال هذان قال قيس
بن عباد وهلال بن يساف نزلت في المتبارزين يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث
برزوا لعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن علي انا اول من يجثو يوم
القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى واقسم ابو ذر على هذا ووقع في صحيح البخاري ان الاية
فيهم وقال ابن عباس الاشارة الى المومنين واهل الكتاب وقع بينهم تخاصم قالت اليهود
نحن اقدم دينا منكم فنزلت وقال مجاهد وعطا بن ابي رباح والحسن وعاصم والكلبي الاشارة

الي المومنين والكفار على العموم وخصم مصدر واريد به الفريق فلذلك جا اختصموا مراعاة
للمعنى اذ تحت كل خصم افراد وفي رواية عن الكسائي خصمان بكسر الخا ومعنى في ربهم في دين ربهم
وقرا ابن ابي عبلة اختصما راعي لفظ التثنية ثم ذكر تعالى ما اعد للكفار وقرا الزعفراني
في اختياره قطعت بتخفيف الطا كانه قال يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم
كما تقطع الثياب الملبوسة والظاهر ان هذا المقطع لهم يكون من النار وقال سعيد بن جبير
ثياب من نحاس مذاب وليس شي اذا حمي اشد حرارة منه فالتقدير من نحاس محمي بالنار
وقيل الثياب من النار استعارة من احاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه وقال وهب
يكسى اهل النار والعري خير لهم ويحيون والموت خير لهم ولما ذكر ما يصب على رووسهم اذ هو
يظهر في المعروف ان الثوب انما يغطى به الجسد دون الراس فذكر ما يصيب الراس
من العذاب وعن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ولما ذكر
ما يعذب به الجسد ظاهره وما يصب على الراس ذكر ما يصل الى باطن المعذب وهو الحميم
الذي يذيب ما في البطن من الحشا ويصل ذلك الذوب الى الظاهر وهو الجلد فيوثر في الظاهر
تاثيره في الباطن كما قال تعالى فقطع امعاءهم وقرا الحسن وفرقة يصهر بفتح الصاد وتشديد
الها وفي الحديث ان الحميم ليصب على رووسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في
جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والظاهر عطف والجلود على ما من قوله
يصهر به ما في بطونهم وان الجلود تذاب كما تذاب الاحشا وقيل التقدير وتحرق الجلود لان
الجلود لا تذاب وانما تجتمع على النار وتنكمش وهذا كقوله علفتها تبنا وماء باردا اى
وسقيتها ماء والظاهر ان الضمير في ولهم عايد على الكفار واللام للاستحقاق وقيل بمعنى على
اى وعليهم كقوله ولهم اللعنة اي وعليهم وقيل الضمير يعود على ما يفسره المعنى وهو الزبانية
وقال قوم منهم الضحاك المقامع المطارق وقيل سياط من نار وفي الحديث لو وضع مقمع منها في الارض
ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض ومن غم بدل منها بدل اشتمال اعيد معه الجار وحذف
الضمير لفهم المعنى اي من غمها ويحتمل ان تكون من للسبب اي لاجل الغم الذي يلحقهم والظاهر
تعليق الاعادة على الارادة للخروج فلا بد من محذوف يصح به المعنى اي من اماكنهم المعدة
لتعذيبهم اعيدوا فيها اي في تلك الاماكن وقيل اعيدوا فيها بضرب الزبانية اياهم بالمقامع
وذوقوا اي ويقال لهم ذوقوا ولما ذكر تعالى ما اعد لاحد الخصمين من العذاب ذكر ما اعد من
الثواب للخصم الاخر وقرا الجمهور يحلون بضم اليا وفتح الحا وتشديد اللام وقرئ بضم
اليا والتخفيف وهو بمعنى المشدد وقرا ابن عباس يحلون بفتح اليا واللام وسكون الحا من
قولهم حلي الرجل وحليت المراة اذا صارت ذات حلي والمراة حال وقال ابو الفضل الرازي
يجوز ان يكون من حلي بعيني يحلي اذا استحسنته قال فتكون من زايدة فيكون المعنى يستحسنون
فيها الاساورة الملبوسة انتهي وهذا ليس بجيد لانه جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم
بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي على هذا التقدير ان لا يجوز لانه
لا يحفظ لازما فان كان بهذا المعنى كانت من للسبب اي بلباس اساور الذهب يحلون بعين من
يراهم اى يحلى بعضهم بعين بعض قال ابو الفضل الرازي ويجوز ان يكون من حليت به اذا ظفرت
به فيكون المعنى يحلون فيها باساور فيكون من بدلا من اليا والحلية من ذلك فاما اذا اخذته
من حليت به فانه من الحلية وهو من اليا وان اخذته من حلي بعيني فانه من الحلاوة من الواو
انتهي ومن معنى الظفر قولهم لم يحل فلان بطايل اي لم يظفر والظاهر ان من في من اساور
لبيان الجنس ويحتمل ان تكون للتبعيض وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الكهف وقرا
ابن عباس من اسور بفتح الرا من غير الف ولا ها وكان قياسه ان يصرفه لانه نقص بناوه فصار
كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف وقرا عاصم ونافع والحسن والجحدري
والاعرج وابو جعفر وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب ولولوا هنا وفي فاطر بالنصب وحمله
ابو الفتح على اضمار فعل وقدره الزمخشري ويوتون لولوا ومن جعل من في من اساور
زايدة جاز ان يعطف ولولوا على موضع اساور وقيل يعطف على موضع من اساور لانه يقدر
ويحلون حليا من اساور وقرا باقي السبعة والحسن ايضا وطلحة وابن وثاب والاعمش

واهل مكة ولؤلؤ بالخفض عطفا على اساور او على ذهب لان السوار يكون من ذهب ولؤلؤ
يجمع بعضه الى بعض قال الجحدري الالف ثابتة بعد الواو في الامام وقال الاصمعي ليس
فيها الف وروى يحيى عن ابي بكر همز الاخير وابدال الاولى وروى المعلى بن منصور عنه
ضد ذلك وقرا الفياض ولوليا قلب الهمزتين واوا صارت الثانية واوا قبلها ضمة عمل
فيها ما عمل في ادل من قلب الواو ياء والضمة قبلها كسرة وقرا ابن عباس وليليا ابدلت
الهمزتين واوين ثم قلبهما يائين اتبع الاولى للثانية وقرا طلحة ولول مجرورا عطفا على
ما عطف عليه المهموز والطيب من القول ان كانت الهداية في الدنيا فهو قول لا اله الا الله
والاقوال الطيبة من الاذكار وغيرها ويكون الصراط طريق الاسلام وان كان اخبارا عما يقع
منهم في الاخرة فهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده وما اشبه ذلك من محاورة اهل الجنة
ويكون الصراط الطريق الى الجنة وعن ابن عباس هو لا اله الا الله والحمد لله زاد ابن
زيد والله اكبر وعن السدي القران وحكى الماوردي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وعن ابن عباس هو الحمد لله الذي صدقنا وعده والظاهر ان الحميد وصف لله تعالى
قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته في قوله
في قوله دار الاخرة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه
للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله
غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان
سحيق المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال فيدل اذ ذاك على الاستمرار
ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو
مضارع اريد به الماضي عطفا على كفروا وقيل هو على اضمار مبتدا اي وهم يصدون
وخبر ان محذوف قدره ابن عطية بعد والباد خسروا واهلكوا وقدره الزمخشري
بعد قوله والحرام نذيقهم من عذاب اليم ولا يصح تقديره بعده لان الذي صفة المسجد
الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد لكن مقدر الزمخشري احسن من مقدر ابن عطية
لانه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من
اذيق العذاب خسر وهلك وقيل الواو في ويصدون زائدة وهو خبر ان تقديره ان الذين
كفروا يصدون قال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى ولا يجيز البصريون
زيادة الواو وانما هو قول كوفي مرغوب عنه وهذه الاية نزلت عام الحديبية حين صد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم له صد قبل ذلك بجمع
الا ان يراد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والظاهر انه نفس المسجد
ومن صد عن الوصول اليه فقد صد عنه وقيل الحرم كله لانهم صدوه واهله عليه السلام
فنزلوا خارجا عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من الحرم وقرا الجمهور سواء بالرفع
على ان الجملة من مبتدا وخبر في موضع المفعول الثاني والاحسن ان يكون العاكف والبادي
هو المبتدا وسواء الخبر وقد اجيز العكس وقال ابن عطية والمعنى الذي جعلناه للناس
قبلة او متعبدا انتهى فلا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان اراد تفسير المعنى لا الاعراب
فيسوغ في ان الجملة في موضع المفعول الثاني فلا يحتاج الى هذا التقدير وقرا حفص
والاعمش سواء بالنصب فارتفع به العاكف لانه مصدر في معنى مستو اسم الفاعل ومن
كلامهم مررت برجل سواء هو والعدم فان كانت جعل تتعدى الى اثنين فسواء الثاني او الى
واحد فسواء حال من الهاء وقرات فرقة منهم الاعمش في رواية القطعي سواء بالنصب
العاكف فيه بالجر قال ابن عطية عطفا على الناس انتهى وكانه يريد عطف البيان والاولى

ان يكون بدل تفصيل وقرئ والباد وقفا ووصلا وبتركها فيهما وباثباتها وصلا وحذفها وقفا
والعاكف المقيم فيه والبادي الطارئ عليه واجمعوا على الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا
في مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة الى ان الامر كذلك في دور مكة وان القادم له
النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال به الثوري وكذلك كان
الامر في الصدر الاول قال ابن سابط وكانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة
فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله الحرام فقال انما اردت
حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وهذا الخلاف مترتب على الخلاف
في فتح مكة اكان عنوة او صلحا وهي مسالة يبحث فيها في الفقه والالحاد الميل عن القصد ومفعول
يرد قال ابو عبيدة هو بالحاد والباء زائدة في المفعول قال الاعشى ضمنت برزق عيالنا
ارماحنا اي رزق وكذا قراءة الحسن منصوبا اقرا ومن يرد الحاده بظلم اي الحادا فيه فتوسع
وقال ابن عطية يجوز ان يكون التقدير ومن يرد فيه الناس بالحاد وقال الزمخشري
بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وقيل الالحاد في الحرم منع الناس
عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله
انتهى والاولى ان تضمن يرد معنى يتلبس فيتعدى بالباء وعلق الجزاء وهو نذقه على الارادة
فلو نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بها الا في مكة وهذا قول ابن مسعود وجماعة وقال
ابن عباس وجماعة وقال ابن عباس الالحاد هنا الشرك وقال ايضا هو استحلال الحرام
وقال مجاهد هو العمل السيء فيه وقال ابن عمر لا والله وبلى والله من الالحاد وقال حبيب بن
ابي ثابت الحكرة بمكة من الالحاد بالظلم والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر
اذ الكلام يدل على العموم وقرات فرقة ومن يرد بفتح الياء من الورود وحكاها الكسائي والفراء ومعناه
ومن اتى فيه بالحاد ظالما ولما ذكر تعالى حال الكفار وصدهم عن المسجد الحرام وتوعد فيه من اراد
فيه بالحاد ذكرهم حال ابيهم ابرهيم وتوبيخهم على سلوكهم غير طريقه من كفرهم بالحاد الاصنام وامتنانا
عليهم بايفاد العالم اليهم واذ بوانا اي واذكر اذ بوانا اي جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة
اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقيل واللام زائدة اي بوانا ابراهيم مكان البيت اي جعلناه
يبوء اليه كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وقال الشاعر

كم صاحب لي صالح • بواته بيدي لحدا •

وقيل مفعول بوانا محذوف تقديره بوانا
الناس واللام في لابراهيم لام العلة اي لاجل ابراهيم كرامة له وعلى يديه والظاهر ان قوله
ان لا تشرك بي شيئا خطاب لابراهيم وكذا ما بعده من الامر وقيل هو خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وان مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والاصل ان يليها فعل تحقيق او ترجيح كحالها اذا
كانت مشددة او حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها ان يتقدمها جملة في معنى
القول وبوانا ليس فيه معنى القول والاولى عندي ان تكون ان الناصبة للمضارع اذ يليها
الفعل المتصرف من ماض ومضارع وامر والنهي كالامر قال الزمخشري فان قلت كيف يكون
النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل
العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان
والاقذار ان تطرح حوله وقرا عكرمة وابو نهيك ان لا يشرك بالياء على معنى ان يقول معنى
القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لان لا تشرك
والقائمون هم المصلون ذكر من اركانها اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وقرا الجمهور
واذن بالتشديد اي ناد روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وتقدم
قول من قال انه خطاب للرسول وقاله الحسن قال امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع وقرا
الحسن وابن محيصن وآذن بمدة وتخفيف الذال قال ابن عطية وتصحف هذا على ابن جني فانه
حكى عنهما واذن على فعل ماض واعرب على ذلك بان جعله عطفا على بوانا انتهى وليس بتصحيف
بل قد حكى ابو عبد الله الحسين بن خالويه في شواذ القراءات من جمعه وصاحب اللوامح ابو الفضل
الرازي ذلك عن الحسن وابن محيصن قال صاحب اللوامح وهو عطف على واذ بوانا فيصير

في الكلام تقديم وتأخير ويصير يأتوك جزمًا على جواب الأمر الذي هو وطهّر وقرأ ابن أبي إسحق
بالحج بكسر الحاء حيث وقع والجمهور بفتحها وقرأ الجمهور رجالا وابن أبي إسحق بضم الراء والتخفيف
وروي كذلك عن عكرمة والحسن وأبي مجلز وهو اسم جمع كظؤار وروي عنهم وعن ابن عباس
ومجاهد وجعفر بن محمد بضم الراء وتشديد الجيم ومن عكرمة أيضا رجالى على وزن النعامى بألف
التأنيث المقصورة وكذلك مع تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابن حدير ورجال جمع راجل
كتاجر وتجار وقرأ الجمهور يأتين فالظاهر عود الضمير على كل ضامر لأن الغالب أن البلاد الشاسعة
لا يتوصل منها إلى مكة إلا بالركوب وقد يجوز أن يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر على معنى الجماعات
والرفاق وقرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبي عبلة يأتون غلب العقلاء الذكور وفي البداءة
برجال تفضيل للمشاة إلى الحج وعن ابن عباس ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا والاستدلال
بقوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر على سقوط فرض الحج على من يركب البحر ولا طريق له سواه
لكونه لم يذكر في هذه الآية ضعيف لأن مكة ليست على بحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين
الحالتين مشي أو ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به إليها وقرأ ابن مسعود فج معيق قال
ابن عباس وغيره المنافع التجارة وقال الباقر الأجر وقال مجاهد وعطاء كلاهما واختاره ابن
العربي قال الزمخشري ونكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية
لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما
حج فضّل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله
لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا وذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي
فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه وقد حسّن الكلام تحسينا بيّنا أن جمع بين الأمرين قوله
ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قال لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام
لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة انتهى واستدل من قال إن المقصود بذكر اسم الله هو على
الذبح والنحر على أن الذبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله في أيام وهو مذهب مالك وأصحاب
الرأي وقيل الذكر هنا حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق ويؤيده قوله عليه السلام
إنها أيام أكل وشرب وذكر الله والأيام المعلومات أيام العشر قاله ابن عباس والحسن
وإبراهيم وقتادة وأبو حنيفة والمعدودات أيام التشريق الثلاثة وقالت فرقة منهم مالك
وأصحابه المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق الثلاثة فيوم
النحر معلوم لا معدود واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود لا معلوم ويوم
النحر ويومان بعده هي أيام النحر عند علي وابن عباس وابن عمر وأنس وأبي هريرة وسعيد
بن جبير وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة والثوري وعن الحسن وعطاء والشافعي ثلاثة أيام
بعد يوم النحر وعند النخعي النحر يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد وعن أبي سلمة
وسليمن بن يسار الأضحى إلى هلال المحرم فقال ابن عطية ويظهر أن يكون المعلومات
والمعدودات بمعنى أن تلك الأيام الفاضلة كلها ويبقى أمر الذبح وأمر الاستعجال لا يتعلق
بمعدود ولا معلوم ويكون فائدة قوله معلومات ومعدودات التحريض على هذه الأيام
وعلى اغتنام فضلها أي ليست كغيرها فكأنه قال هي مخصوصات فلتغتنم انتهى والبهيمة
مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبيّنت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز
وتقدم الخلاف في مدلول بهيمة الأنعام في أول المائدة والظاهر وجوب الأكل والإطعام
وقيل باستحبابهما وقيل باستحباب الأكل ووجوب الإطعام والبائس الذي أصابه بؤس أي شدة
والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه من إقامة
الخمس من الفطرة حسب الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه إذ لا يقضى التفث
إلا بعد ذلك وقال ابن عمر التفث ما عليهم من الحج وعنه المناسك كلها والنذر ودهنا ما ينذرونه
من أعمال البر في حجهم وقيل المراد الخروج عن ما وجب عليهم نذروا أو لم ينذروا وقرأ شعبة
عن عاصم وليوفوا مشددا والجمهور مخففا وليطوفوا هو طواف الإفاضة وهو طواف
الزيارة الذي هو من أركان الحج وبه تمام التحلل وقيل هو طواف الصدر وهو طواف الوداع
وقال الطبري لا خلاف بين المتأولين أنه طواف الإفاضة قال ابن عطية ويحتمل بحسب

الترتيب أن يكون طواف الوداع انتهى والعتيق القديم قاله الحسن وابن زيد أو المعتق من
الجبابرة قاله ابن الزبير وابن أبي نجيح وقتادة كم جبار سار إليه فأهلكه الله قصده تبع ليهدمه
فأصابه الفالج فأشار الأحبار عليه أن يكف عنه وقالوا له رب يمنعه فتركه وكساه وهو أول
من كساه وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصّن
به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه أو المحرر لم يملك موضعه قط قاله مجاهد أو المعتق من الطوفان
قاله مجاهد أيضا وابن جبير أو الجيد من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير أو الذي يعتق فيه رقاب
المذنبين من العذاب قاله ابن عطية وهذا يرده التصريف انتهى ولا يرده التصريف لأنه
فسره تفسير معنى وأما من حيث الإعراب فلأن العتيق فعيل بمعنى مفعل أي معتق رقاب
المذنبين ونسبة الإعتاق إليه مجاز إذ بزيارته والطواف به يحصل الإعتاق وينشأ عن كونه
معتقا أي يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين ذلك مبتدأ خبره محذوف قدره ابن عطية فرضكم
ذلك أو الواجب ذلك وقدره الزمخشري الأمر والشأن ذلك قال كما يقدم الكاتب جملة من
كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا انتهى وقيل مبتدأ
محذوف الخبر أي ذلك الأمر الذي ذكرته وقيل في موضع نصب تمثيله تقديره امتثلوا ذلك
ونظير هذه الإشارة البليغة قول زهير وقد تقدم له جمل في وصف هرم

هذا وليس كمن يعيا بخطبته • وسط الندي إذا ما ناطق نطقا •

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال هذا خلقه وليس كمن يعيا
بخطبته والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه والظاهر
عمومه في جميع التكاليف ويحتمل الخصوص فيما يتعلق بالحج وقاله الكلبي قال ما أمر به من المناسك
وعن ابن عباس هي جميع المناهي في الحج فسوق وجدال وجماع وصيد وعن ابن زيد هي خمس
المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وضمير فهو عائد
على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظيم خير له عند ربه أي قربة منه وزيادة
في طاعته يثيبه عليها والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل وأحلت لكم بهيمة الأنعام دفعا لما
كانت العرب عليه من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله إلا ما يتلى عليكم ما نص
في كتابه على تحريمه والمعنى ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر أن تعظيمها
خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء
عنه وصدق القول أعظم الحرمات وجمعا في قران واحد لأن الشرك من باب الزور
لأن المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي
رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ومن في من الأوثان لبيان الجنس ويقدر بالموصول
عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان ومن أنكر أن تكون من لبيان الجنس ويقدر بالموصول
جعل من لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عيّن لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة
الوثن جامعة لكل فساد ورجس وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الأرجاس من موضع
غير هذا قاله ابن عطية ومن قال إن من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده انتهى وقد يمكن التبعيض
فيها بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال فاجتنبوا
من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة ألا ترى أنه قد يتصور
استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكأن للوثن جهات منها عبادتها وهو المأمور
باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها فلما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بأن أفرد
بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه وفي الحديث عدلت شهادة الزور بالشرك ولما أمر باجتناب عبادة
الأوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية قال الزمخشري
يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال
من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء
فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح
البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله
بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به

في واد الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى وقرا نافع
فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء وقرا الحسن وابو رجاء
والاعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة وعن الحسن كذلك الا انه فتح الطاء مشددة وقرا
الاعمش ايضا تخطفه بغير تاء واسكان الخاء وفتح الطاء مخففة وقرا ابو جعفر والحسن وابو رجاء
الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى
البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله
واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله
عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم
وبشر المحسنين اعراب ذلك كاعراب ذلك المتقدم وتقدم تفسير شعائر الله في اول المائدة
واتاها فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هي البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال
بها والمغالات فيها وقال زيد بن اسلم الشعائر ست الصفا والمروة والبدن والجمار والمشعر
الحرام وعرفة والركن وتعظيمها اتمام ما يفعل فيها وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد
مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وهذا
نحو من قول زيد بن اسلم وقيل شرائع دينه وتعظيمها التزامها والمنافع الاجر ويكون الضمير في فيها
من قوله لكم فيها منافع الى اجل منقطع التكليف ثم محلها يشكل على هذا التاويل فقيل الايمان
والتوجه اليه بالصلوة وكذلك القصد في الحج والعمرة اي محل ما يختص منها بالاحرام البيت العتيق
الجنة لم تبعد والضمير في انها عايد على الشعائر على حذف مضاف اي فان تعظيمها او على التعظمة
واضاف التقوى الى القلوب كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره وعن عمر انه
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثماية دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها
ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى هو عليه السلام ماية بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدايها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان
يقام به ويسارع فيه وذكر القلوب لان المنافق يظهر التقوى وقلبه خال عنها فلا يكون مجدا في ادا
الطاعات والمخلص التقوى بالله في قلبه فيبالغ في ادايها على سبيل الاخلاص وقال الزمخشري
فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها
لانه لا بد من راجع الى الجزا الى من الا ترى ان قوله فان تعظيمها من افعال القلوب ليس
في شي منه ضمير يعود الى من يرتبط جملة الجزا بجملة الشرط الذي اداته من واصلاح ما قاله
ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها
في ساير الاعضاء انتهى وما قدره عار من راجع الى الجزا الى من الا ترى ان قوله فان تعظيمها من
افعال القلوب ليس في شي منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزا بجملة الشرط الذي اداته
من واصلاح ما قاله ان يكون التقدير فانه تعظيمها منه فيكون الضمير في منه عايدا على من فيرتبط
الجزا بالشرط وقرئ القلوب بالرفع على الفاعلية بالمصدر الذي هو تقوى والضمير في فيها
عايد على البدن على قول الجمهور والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها الى اجل مسمى
وهو ان يسميها ويوجبها هديا فليس له شي من منافعها قاله ابن عباس في رواية مقسم ومجاهد
وقتادة والضحاك وقال عطا منافع الهدايا بعد ايجابها وتسميتها هديا بان يركب ويشرب
لبنها عند الحاجة الى اجل مسمى اي الى ان تنحر وقيل الى ان تشعر فلا تركب الا عند الضرورة
وروى ابو رزين عن ابن عباس الاجل المسمى الخروج من مكة وعن ابن عباس الى اجل مسمى
اي الى الخروج والانتقال من هذه الشعائر الى غيرها وقيل الاجل يوم القيامة وقال
الزمخشري الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويوكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت
للتراخي في الافعال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله
بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع

وابعدها

270

وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت
كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت
ومثل هذا في الاتساع كقولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد
بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق بانها انتهي وقال القفال الهدي المتطوع به
اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه فاذا بلغ منى فهي محله وكل فجاج مكة وقال ابن عطية وتكرر
ثم لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هاتين الفريقين يعني من قال بقول
مجاهد ومن وافقه ومن قال بقول عطاء ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لانه اشرف الحرم
وهو المقصود بالهدي وغيره والاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت
على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا انتهى والمنسك مفعل من نسك واحتمل
ان يكون موضعا للنسك اي مكان نسك واحتمل ان يكون مصدرا واحتمل ان يكون به مكان
العبادة مطلقا او العبادة واحتمل ان يراد مكان نسك خاص او نسكا خاصا وهو موضع ذبح
او ذبح وحمله الزمخشري على الذبح يقال شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه
على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكروا اسمه تقدست اسماؤه على المناسك انتهي وقياس
بنا مفعل مما مضارعه يفعل بضم العين مفعل بفتحها في المصدر والزمان والمكان وبالفتح قرا
الجمهور وقرا بكسرها الاخوان وابن سعدان وابو حاتم عن ابي عمرو ويونس ومحبوب وعبد
الوارث الا القصبي عنه قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس
ويشبه ان يكون الكسائي سمعه من العرب وقال الازهري ومنسك لغتان وقال مجاهد المنسك
الذبح واراقة الدما يقال نسك اذا ذبح والذبيحة نسيكة وجمعها نسك وقال الفرا المنسك
في كلام العرب الموضع المعتاد في خير وبر وقال ابن عرفة منسكا اي مذهبا من طاعة الله
يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم وقال الفرا منسكا عيدا وقال قتادة حجا ليذكروا
اسم الله معناه امرناهم عند ذبايحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم رجع
الى الحاضرين فقال فالهكم اله واحد فله اسلموا اي انقادوا وكما ان الاله واحد يجب ان يخلص
له في الذبيحة ولا يشرك فيها لغيره وتقدم شرح الاخبات وقال عمرو بن اوس المخبتون
الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الجمهور والمقيمي الصلوة بالخفض على الاضافة
وحذفت النون لاجلها وقرا ابن ابي اسحق والحسن وابو عمرو في رواية الصلوة بالنصب
وحذفت النون للطول وقرا ابن مسعود والاعمش والمقيمين بالنون الصلوة بالنصب
وقرا الضحاك والمقيم الصلوة وناسب تبشير من اتصف بالاخبات هنا لان افعال الحج
من نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الراس والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة
والتلبس بافعال شاقة لا يعلم معناها الا الله تعالى موذن بالاستسلام المحض والتواضع
المفرط حيث يخرج الانسان عن مالوفه الى افعال غريبة ولذلك وصفهم بالاخبات
والوجل اذا ذكر الله تعالى والصبر على ما اصابهم من المشاق واقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها
الا المومنون المصطفون والانفاق مما رزقهم ومنها الهدايا التي يغالون فيها وقرا الجمهور
والبدن باسكان الدال وقرا الحسن وابن ابي اسحق وشيبة وعيسى بضمها وهي الاصل ورويت
عن ابي جعفر ونافع وقرا ابن ابي اسحق ايضا بضم البا والدال وتشديد النون فاحتمل
ان يكون اسما مفردا بني على فعل كعتل واحتمل ان يكون التشديد من التضعيف الجايز في الوقف
واجرى الوصل مجرى الوقف والجمهور على نصب والبدن على الاشتغال اي وجعلنا البدن
وقرئ بالرفع على الابتدا ولكم اي لاجلكم ومن شعائر في موضع المفعول الثاني ومعنى من
شعائر الله من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها لكم فيها
خير قال ابن عباس نفع في الدنيا واجر في الاخرة وقال السدي اجر وقال النخعي من
احتاج الى ظهرها ركب والى لبنها شرب عليها صواف اي على نحرها قال مجاهد معقولة
وقال ابن عمر قايمة قد صفت ايديها بالقيود وقال ابن عيسى مصطفة وذكر اسم الله
ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك وقرا ابو
موسى الاشعري والحسن ومجاهد وزيد بن اسلم وشقيق وسليمان التيمي والاعرج صوافي
جمع صافية ونون اليا عمرو بن عبيد قال الزمخشري التنوين عوض من حرف عند الوقف

انتهى والاولى ان تكون على لغة من صرف ما لا ينصرف ولا سيما الجمع المتناهي ولذلك قال
بعضهم والصرف في الجمع اي كثيرا حتى ادعى قوم به التخيير اي خوالص لوجه الله لا يشرك
فيها بشي كما كانت الجاهلية تشرك وقرا الحسن ايضا صوافي مثل عوادي على قول من قال
فسكوت عار لحمه يريد عاريا وقولهم اعط القوس باريها وقرا عبد الله وابن عمر
وابن عباس والباقر وقتادة ومجاهد وعطا والضحاك والكلبي والاعمش بخلاف عنه
صوافن بالنون والصافنة من البدن ما اعتمد على طرف رجل بعد تمكنها بثلث قوائم واكثر
ما يستعمل في الخيل فاذا وجبت جنوبها عبارة عن سقوطها الى الارض بعد نحرها قال محمد
بن كعب ومجاهد وابراهيم والحسن والكلبي القانع السائل والمعتر المعترض من غير سوال
وعكست فرقة هذا وحكى الطبري عن ابن عباس القانع المستغني بما اعطيه والمعتر المعترض
من غير سوال وحكي عنه القانع المتعفف والمعتر السائل وعن مجاهد القانع الجار وان كان
غنيا وقال قتادة القانع من القناعة والمعتر المعترض للسوال وقيل المعتر الصديق
الزائر وقرا ابو رجا القنع بغير الف اي القانع فحذف الالف كالحذر والحاذر وقرا الحسن
والمعتري اسم فاعل من اعترى وقرا عمرو واسمعيل والمعتر بكسر الراء دون يا هذا نقل
ابن خالويه وقال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح ابو رجا بخلاف عنه وابن عبيد
والمعتري على مفتعل وعن ابن عباس برواية المقري والمعتر اي المعتري لكنه حذف
اليا تخفيفا واستغناء بالكسرة عنها وجا كذلك عن ابي رجا قال ابن مسعود الهدي
اثلاث وقال جعفر بن محمد اطعم القانع والمعتر ثلثا والبائس الفقير ثلثا واهلي
ثلثا وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدي منه الا الربع وهذا كله على جهة الاستحسان
لا الفرض قاله ابن عطية كذلك سخرناها لكم اي مثل ذلك التسخير سخرناها لكم تاخذونها
منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها فتطعنون في لباتها من عليهم تعالى بذلك
ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل
قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة وقال ابن عطية كما امنا كم فيها بهذا كله
سخرناها لكم لن ينال الله لحومها ولا دماوها قال مجاهد اراد المسلمون ان يفعلوا فعل
المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح الكعبة حواليها بالدم تقربا
الى الله فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس قريب منه والمعنى لن يصيب رضى الله
اللحوم المتصدق بها ولا الدما المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدما والمعنى لن يرضى
المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتياط بشروط التقوى في حل
ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم
التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم قاله الزمخشري وهو تكثير في اللفظ وقرا مالك
بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهري واسحق الكوفي عن عاصم والزعفراني ويعقوب
قال ابن خالويه تنال التقوى بالتا يعني وابن يعمر والجحدري وقرا زيد بن علي لحومها
ولا دماءها بالنصب ولكن يناله بضم اليا وكرر ذكر النعمة بالتسخير قال الزمخشري
لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام
بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته انتهى وبشر المحسنين ظاهر في العموم قال
ابن عباس وهم الموحدون وروي انها نزلت في الخلفاء الاربعة **الهدم** معروف
وهو نقض ما بني قال الشاعر

وكل بيت وان طالت اقامته ... على دعايمه لابد مهدوم

الصومعة
موضع العبادة ووزنها فعولة وهي بنا مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد
القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابين قاله قتادة ثم استعمل
في مئذنة المسلمين **البيع** كنايس النصارى واحدها بيعة وقيل كنايس اليهود **البير** من
بارت اي خوت وهي مونثة على وزن فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب تعطيل الشي
ابطال منافعه **العقم** الامتناع من الولادة يقال امراة عقيم ورجل عقيم لا يولد له والجمع
عقم واصله من القطع ومنه الملك عقيم اي يقطع فيه الارحام بالقتل والعقيم التي قطعت
ولادتها وقال ابو عبيدة العقيم السد يقال امراة معقومة الرحم اي مسدودة الرحم

السطو القهر وقال ابن عيسى السطوة اظهار ما يهول للاخافة **الذباب** الحيوان المعروف
يجمع على ذبان بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب وذباب السيف طرفه
والعين انسانها واسنان الابل حدها سلبت الشي اختطفته بسرعة استنقذ استفعل بمعنى
افعل اي انقذ نحو ابل واستبل ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين
ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر
مشيد افلم يسيروا في الارض روي ان المومنين لما كثروا بمكة اذاهم الكفار وهاجر من هاجر
الى ارض الحبشة اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويحتال ويغدر فنزلت
الى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة وحض المومنين بالدفع عنهم والنصرة لهم
وعلل ذلك بانه لا يحب اعدا امرهم الخائنين الله والرسول الكافرين نعمه ومناسبة هذه الاية
لما قبلها انه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية واذوا من كان بمكة من المومنين انزل الله تعالى هذه الايات مبشرة
المومنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم واذنه لهم في القتال وتمكينهم في الارض بردهم
الى ديارهم وفتح مكة وان عاقبة الامور راجعة الى الله تعالى وقال تعالى والعاقبة للمتقين وقرا
الحسن وابو جعفر ونافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا
الكوفيون وابن عامر يدافع ولولا دفع وفاعل هنا بمعنى المجرد نحو جاوزت وجزت وقال الاخفش
دفع اكثر من دافع وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع كحسب حسابا وقال ابن عطية و
يحسن يدافع لانه قد عن للمومنين من يدفعهم ويوذيهم فيجي مقاومته ودفعه مدافعة عنهم
انتهى يعني فيكون فاعل لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى وقال
الزمخشري ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب
يجي اقوى وابلغ انتهى ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون افخم واعظم واعم ولما هاجر
المومنون الى المدينة اذن الله لهم في القتال وقرا نافع وعاصم وابو عمرو بضم همزة اذن
وفتح باقي السبعة وقرا نافع وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التا والباقون بكسرها والماذون
فيه محذوف اي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا ياتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم
خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وان الله على نصرهم لقدير وعد بالنصر
وكذلك الاخبار بكونه يدفع عنهم الذين اخرجوا في موضع جر نعت للذين او بدل او في موضع
نصب باعني او في موضع رفع على اضمارهم والا ان يقولوا استثنا منقطع فان يقولوا في موضع نصب
لانه منقطع فان يقدر لا يمكن توجه العامل عليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لانك لو قلت
الذين اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف ما في الدار احد الا حمار فانه
استثنا منقطع ويمكن ان يتوجه عليه العامل فتقول ما في الدار الا حمار فهذا يجوز فيه النصب
والرفع النصب للحجازيين والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب مجمعون على نصبه واجاز ابو
اسحق فيه الجر على البدل واتبعه الزمخشري فقال ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق
اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج
والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله انتهى وما اجازاه من البدل لا يجوز لان
البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي او نهي او استفهام في معنى النفي نحو ما قام احد الا زيد ولا يضرب
احد الا زيد وهل يضرب احد الا زيد واما اذا كان الكلام موجبا او امرا فلا يجوز البدل
لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل لا يكون

الا اذا سبقه نهي او نفي او استفهام في معنى النفي نحو ما قام احد الا زيد ولا يضرب احد الا زيد
وهل يضرب احد الا زيد واما اذا كان الكلام موجبا او امرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم
الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل لا يكون الا حيث يكون العامل
يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن اخرج
الناس من ديارهم الا ان يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا
في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري
فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه ان يكون البدل يلي غير فيصير التركيب بغير الا ان يقولوا
وهذا لا يصح ولو قدرت الا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت باحد الا زيد فتجعله بدلا
لم يصح لانه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله فيكون قد اضفت غير الى غير وهي
فصار بغير غير ويصح في ما مررت باحد الا زيد ان يقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري
حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى
ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل ويجوز ان يقول مررت بالقوم
الا زيد على الصفة لا على البدل ولولا دفع الله الناس الاية فيها تحريض على القتال المأذون
فيه قبل وانه تعالى اجرى العادة بذلك في الامم الماضية بان ينتظم به الامر وتقوم
الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم واهلها من القتل والشتات وكانه لما قال اذن
للذين يقاتلون قيل فليقاتل المؤمنون فلولا القتال لتغلب على الحق في كل امة وانظر الى
مجيء قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اثر قتال طالوت لجالوت
وقتل داود جالوت واخبر تعالى انه لولا ذلك الدفع لفسدت الارض فكذلك هنا وقال علي
بن ابي طالب ولولا دفع الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم واخذ الزمخشري
قول علي وحسنه وذيل عليه فقال دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليط المسلمين
منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم
وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات
ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين انتهى وقال مجاهد ولولا دفع الله ظلم قوم
بشهادة العدول ونحو هذا وقالت قوم دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة وقالت فرقة
دفع العذاب بدعاء الاخيار وقال قطرب بالقصاص عن النفوس وقيل بالنبيين عن المؤمنين
وقال الحسن لولا ان الاسلام لخربت متعبدات اهل الذمة ومعنى الدفع بالقتال
اليق بالاية وامكن في دفع الفساد وقرا الحرميان وايوب وقتادة وطلحة وزائدة عن
الاعمش والزعفراني لهدمت مخففا وباقي السبعة وجماعة مشددة لما كانت المواضع
كثيرة ناسب مجيء التضعيف لكثرة المواضع فتكرر الهدم لتكثيرها وقرا الجمهور وصلوات
جمع صلوة وقرا جعفر بن محمد وصلوات بضم الصاد واللام وحكى عنه ابن خالويه وصلوات
بسكون اللام وكسر الصاد وحكيت عن الجحدري والجحدري صلوات بضم الصاد وفتح اللام وحكيت
عن الكلبي وابو العالية بفتح الصاد وسكون اللام صلوات والحجاج بن يوسف والجحدري
ايضا وصلوت وهي مساجد النصارى بضمتين من غير الف وبثاء منقوطة بثلث وجا كذلك عن
ابي رجاء والجحدري وابي العالية ومجاهد كذلك الا انه بعد الثا الف وقرا عكرمة وصلويثا
بكسر الصاد واسكان اللام وواو مكسورة بعدها يا بعدها ثا منقوطة بثلث بعدها الف
والجحدري ايضا صلوات بضم الصاد وسكون اللام وواو مفتوحة بعدها الف بعدها ثاء
مثلثة النقط وحكى ابن مجاهد انه قرئ كذلك الا انه بكسر الصاد وحكى ابن خالويه
وابن عطية عن الحجاج والجحدري صلوب بالبا بواحدة على وزن كعوب جمع صليب كظريف
وظروف واسيه واسوس وهو جمع شاذ اعني جمع فعيل على فعول فهذه ثلث عشرة قراءة
واللتي بالثا المثلثة النقط قيل هي مساجد اليهود وهي بالسريانية مما دخل في كلام العرب
وقيل عبرانية وينبغي ان يكون قراءة الجمهور يراد بها الصلوات المعهودة في الملل واما
غيرها مما تلاعبت فيه العرب بتحريف وتغيير فينظر ما مدلوله في اللسان الذي نقل منه

فيفسر

فيفسر به وروى هارون عن ابي عمرو وصلوات كقراءة الجماعة الا انه لا ينون التا كانه جعله
اسم موضع كالمواضع التي قبله وكانه علم فمنعه الصرف للعلمية والعجمة وكملت القراءات
بهذه اربع عشرة قراءة والاظهر في بعداد هذه المواضع ان ذلك بحسب متعبدات الامم
فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين
وقاله خصيف قال ابن عطية والاظهر انه قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسما
يشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في عرف لغة ومعاني هذه الاسما
هي في الامم التي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك
لان هولا ليس لهم ما يوجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرائع انتهى والظاهر
عود الضمير في قوله يذكر فيها على المواضع كلها جميعها وقاله الكلبي ومقاتل فيكون فيذكر
في موضع الصفة لها وقيل يعود على قوله ومساجد فيكون يذكر صفة للمساجد واذا حملنا الصلوات
على الافعال التي يصليها اهل الشرائع كان ذلك اما على حذف مضاف اي ومواضع صلوات واما على
تضمين لهدمت معنى عطلت فصار التعطيل قدرا مشتركا بين المواضع والافعال وتاخير
المساجد اما لاجل قدم تلك وحدوث هذه واما للانتقال من شريف الى اشرف واقسم تعالى
لينصرن من ينصره اي ينصر دينه واولياءه ونصره تعالى هو ان يظفر اولياءه باعدائهم جلادا وجدالا
وفي ذلك حض على القتال ثم اخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر انه يجوز
في اعراب الذين ان مكناهم في الارض ما جاز في اعراب الذين اخرجوا وقال الزجاج هو منصوب
بدل من من ينصره والتمكين السلطنة ونفاذ الامر على الخلق والظاهر انه من وصف الماذون
لهم في القتال وهم المهاجرون وفيه اخبار بالغيب عما يكون عليه سيرتهم ان مكن لهم في الارض
وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثنا قبل
بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر
الخلفا الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم
من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقا وفي الاية اخذ العهد على من مكنه الله ان يفعل
ما رتبه على التمكين في الاية وقيل نزلت في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن وابي
العالية هم امته عليه السلام وعن عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وهو قريب مما قبله وقال
ابن ابي نجيح هم الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله من اتاه الملك وقال ابن عباس
المهاجرون والانصار والتابعون ولله عاقبة الامور توعد للمخالف ما ترتب على التمكين
وان يكذبوك الاية فيها تسلية للرسول بتكذيب من سبق من الامم المذكورة لانبيائهم ووعيد
لقريش اذ مثلهم بالامم المكذبة المعذبة واسند الفعل بعلامة التانيث من حيث اراد
الامة والقبيلة وبني الفعل للمفعول في وكذب موسى لان قومه لم يكذبوه انما كذبه القبط
فامليت للكافرين اي امهلت لهم واخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي قوله فامليت للكافرين
ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك قريش املى تعالى لهم ثم اخذهم في غزوة بدر وفتح مكة
وغيرهما والاخذ كناية عن عقاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى
فكيف كان انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك ومعمورهم بالخراب
وهذا استفهام يصحبه معنى التعجب كانه قيل ما اشد ما كان انكاري عليهم وفي الجملة ارهاب
لقريش فكاين للتكثير واحتمل ان يكون في موضع رفع على الابتدا وفي موضع نصب على الاشتغال
وقرا ابو عمرو وجماعة اهلكتها بتا المتكلم والجمهور بنون العظمة وهي ظالمة جملة حالية فهي
خاوية على عروشها تقدم تفسير هذه الجملة في البقرة في قوله او كالذي مر على قرية وقال
الزمخشري فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى
في محل نصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له
محل انتهى وهذا الذي قاله ليس بجيد لان فكاين الاجود في اعرابها ان تكون مبتداة والخبر
الجملة من قوله اهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية
في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو اعراب فكاين منصوبا باضمار
فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله اهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لا محل لهذه

الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لا محل له وقرا الجحدري والحسن وجماعة معطلة مخففا يقال
عطلت البير واعطلتها فعطلت هي بفتح الطا وعطلت المراة من الحلي بكسر الطا قال الزمخشري
ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بير عطلنا عن
سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه انتهى وبير وقصر معطوفات
على من قرية ومن قرية تمييز لكاين وكاين يقتضي التكثير فدل ذلك على انه لا يراد بقرية
وبير وقصر معين وان كان الاهلاك انما يقع في معين لكن من حيث الوقوع لا من حيث دلالة
اللفظ وينبغي ان يكون وبير وقصر من حيث عطفا على من قرية ان يكون التقدير اهلكتهما كما كان
اهلكتها مخبرا به عن كاين الذي هو القرية من حيث المعنى والمراد اهل القرية والبير والقصر
وجعل وبير معطلة وقصر مشيد معطوفين على عروشها جهل بالفصاحة ووصف القصر بمشيد
ولم يوصف بمشيد كما في قوله في بروج مشيدة لان ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد
وايضا مشيد فاصلة اية وقد عين بعض المفسرين هذه البير فعن ابن عباس انها كانت لاهل
عدن من اليمن وهي الرس وعن كعب الاحبار ان القصر بناه عاد الثاني وهو منذر بن عاد
بن ارم بن عاد وعن الضحاك وغيره ان البير بحضرموت من ارض الشحر والقصر مشرف على
قلة جبل لا يرتقى والبير في سفحه لا يقر الريح شيا يسقط فيها دون ان صالحا نزل عليها مع
اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وسميت بذلك لان صالحا
حين حضرها مات وثم بلدة عند البير اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جليس
بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا اصنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان
وقيل اسمه شريح بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فاهلكهم الله عن اخرهم وعطل بيرهم وخرب
قصرهم وعن الامام ابي القسم الانصاري انه قال رايت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها
عكا فكيف يكون بحضرموت افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون
بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها
والي المصير قل يايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اوليك اصحاب الجحيم لما ذكر تعالى من كذب
الرسل من الامم الخالية وكان عند العرب اشيا من احوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيرا
ما يمرون على كثير منها قال افلم يسيروا فاحتمل ان يكون حثا على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرا مبشر
بن عبيد فيكون بالياء والجمهور بالتاء فتكون منصوب على جواب الاستفهام قاله ابن عطية وعلى
جواب التقرير قاله الحوفي وقيل على جواب النفي ومذهب البصريين ان النصب باضمار ان وينسبك
منها ومن الفعل مصدر يعطف على مصدر متوهم ومذهب الكوفيين انه منصوب على الصرف
اذ معنى الكلام الخبر صرفوه عن الجزم على العطف على يسيروا وردوه الى اخي الجزم وهو النصب هذا
معنى الصرف عندهم ومذهب الجرمي ان النصب بالفا نفسها واسناد العقل الى القلب يدل على
انه محله ولا ينكر ان للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل اذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون
بها محذوف اي ما حل بالامم السابقة حين كذبوا انبياهم ويعقلون ما يجب من التوحيد وكذلك
مفعول يسمعون اي يسمعون اخبار تلك الامم او ما يجب سماعه من الوحي والضمير في فانها
ضمير القصة وحسن التانيث هنا ويحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التانيث وهي التا
في لا تعمى ويجوز في الكلام التذكير وقرا به عبد الله فانه لا تعمى وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه انتهى وما ذكره لا يجوز
لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منها وهو في باب رب وفي باب
نعم وبيس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدا والخبر على خلاف في هذه
الاربعة على ما قرر ذلك في ابوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير
الشان ويفسر بالجملة على خلاف فيه ايضا وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس واحدا

من هذه

من هذه الستة فوجب اطراحه والمعنى ان ابصارهم سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم
ومعلوم ان الابصار قد تعمى لكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وانما هو ثمرة البصر وهو
التادية الى الفكرة فيما شاهد البصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب ووصفت
القلوب بالتي في الصدور قال ابن عطية مبالغة كقوله يقولون بافواههم وكما تقول نظرت
اليه بعيني وقال الزمخشري الذي قد يعرف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر
وهو ان يصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات
ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا
التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول
ليس المضا للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته
للسانه وتثبيت لان محل المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته
للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انتهى وقوله ولكن تعمدت
به اياه فصل الضمير وليس من مواضع فصله ولكن تعمدت به كما تقول السيف ضربتك
به ولا تقول ضربت به اياك وفصله في مكان اتصاله عجمة وقال ابو عبد الله الرازي
وعندي فيه وجه اخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبير كقوله تعالى ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان
محل ذلك هو الصدر والضمير في ويستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم
نقمات الله ويوعدهم بذلك دنيا واخرة وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه
فكان استعجالهم على سبيل الاستهزا وان ما توعدتنا به لا يقع وانه لا بعث وفي قوله ولن
يخلف الله وعده اي ان ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه اجل لا يتعداه واضاف الوعد اليه
تعالى لان رسوله عليه السلام هو المخبر به عن الله تعالى وقال الزمخشري انكر استعجالهم
بالمتوعد به من العذاب العاجل والاجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد
وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل انتهى وفي قوله وانما يجوز
ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز دسيسة الاعتزال وقيل ولن يخلف الله
وعده في النظرة والامهال واختلفوا في هذا التشبيه فقيل في العدد اي اليوم عند
الله الف سنة من عددكم وفي الحديث يدخل فقرا المسلمين الجنة قبل الاغنيا بنصف
يوم وذلك خمسماية عام فالمعنى وان طال الامهال فانه في بعض يوم من ايام الله
وقيل التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة اي وان يوما من ايام عذاب الله لشدة العذاب
فيه وطوله كالف سنة من عددكم اذ ايام الترحة مستطالة وايام الفرحة مستقصرة وكان ذلك
اليوم الواحد كالف سنة من سني العذاب والمعنى انهم لو عرفوا حال الاخرة ما استعجلوه وهذا
القول قريب من قول ابي مسلم وقيل التشبيه بالنسبة الى علمه تعالى وقدرته وانفاذ ما يريد
كالف سنة واقتصر على الف سنة وان كان اليوم عنده كما لا نهاية له من العدد لكون الالف
منتهى العدد دون تكرار وهذا القول لا يناسب مورد الاية الا ان اريد انه القادر الذي لا يعجزه
شي فاذا لم يستبعد امهال يوم فلا يستبعد وايضا امهال الف سنة وقال ابن عباس يجمع
لهم عذاب الف سنة في يوم واحد ولاهل الجنة سرور الف سنة في يوم واحد وقال الفرا انتظمت
الاية عذاب الدنيا والاخرة واريد العذاب في الدنيا اي لن يخلف الله وعده في انزال العذاب
بكم في الدنيا وان يوما من ايام عذابكم في الاخرة كالف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب
وقال الزجاج تفضل تعالى عليهم بالامهال والمعنى ان اليوم عند الله والالف سوا في قدرته
بين ما استعجلوا به وبين تاخره وقرا الاخوان وابن كثير يعدون بيا الغيبة وباقي السبعة
بتا الخطاب وعطفت فكاين الاولى بالفا وهذه الثانية بالواو وقال الزمخشري الاولى وقعت
بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو
اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وتكرر التكثير بكاين
في القرى لافادة معنى غير ما جات له الاولى لانه ذكر فيها القرى التي اهلكها دون املا وتاخير

بل اعقب الامهال التذكير وهذه الاية لما كان تعالى قد امهل قريشا حتى استعجلت بالعذاب
جاء بالاهلاك بعد الامهال تنبيها على ان قريشا وان املى تعالى لهم وامهلهم فانه لا بد من
عذابهم فلا يفرحوا بتاخير العذاب عنهم ثم امر نبيه ان يقول لاهل مكة يا ايها الناس انما انا
لكم نذير من عذاب الله موضح لكم ما تحذرون او موضح النذارة لا تلجلج فيها وذكر النذارة
دون البشارة وان كان التقسيم بعد ذلك يقتضيهما لان الحديث مسوق للمشركين ويا ايها الناس
ندا لهم وهم المقول فيهم افلم يسيروا والمخبر عنهم باستعجال العذاب وانما ذكر المومنون هنا
وما اعد الله لهم من الثواب ليغاظ المشركون بذلك وليحرضهم على نيل هذه الرتبة الجليلة
التي فيها فوزهم وحصر النذارة لان المعنى ليس لي تعجيل عذابكم ولا تاخيره عنكم وانما انا منذر لكم
به وقال الكرماني التقدير بشير ونذير فحذف والتقسيم داخل في المقول والسعي الطلب
والاجتهاد في ذلك ويقال سعى فلان في امر فلان فيكون باصلاح وبافساد وقد يستعمل في الشر
يقال فيه سعى بفلان سعاية اي تحيل وكاد في ايصال الشر اليه وسعيهم بالفساد في ايات الله
حيث طعنوا فيها فسموها سحرا وشعرا واساطير الاولين وثبطوا الناس عن الايمان بها
وقرا ابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو السمال والزعفراني معجزين بالتشديد هنا
وفي حرفي سبا زاد الجحدري في جميع القران اي مثبطين وقرا باقي السبعة بالالف وقرا ابن
الزبير معجزين بسكون العين وتخفيف الزاي من اعجزني اذا سبقك ففاتك قال صاحب
اللوامح لكنه هنا بمعنى معاجزين اي ظانين انهم يعجزوننا وذلك لظنهم انهم لا يبعثون وقيل
في معاجزين معاندين واما معجزين بالتشديد فانه بمعنى مثبطين الناس عن الاسلام ويقال
مثبطين وقال الزمخشري عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به
فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه فالمعنى سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم انتهى وقال ابو علي الفارسي معجزين معناه ناسبين اصحاب النبي الى العجز
كما تقول فسقت فلانا اذا نسبته الى الفسق وتقدم شرح اخوى هاتين الجملتين الواردتين
تقسيما وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى
صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب
يوم عقيم الملك يوميذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك
ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو
الباطل وان الله هو العلي الكبير لما ذكر تعالى انه يدفع عن الذين امنوا وانه تعالى اذن للمومنين
في القتال وانهم كانوا اخرجوا من ديارهم وذكر مسلاة رسوله بتكذيب من تقدم من الامم لانبيايهم
وما ال اليه امرهم من الاهلاك اثر التكذيب وبعد الامهال وامره ان ينادي الناس ويخبرهم
انه نذير لهم بعد ان استعجلوا بالعذاب وانه ليس له تقديم العذاب ولا تاخيره ذكر له تعالى مسلاة
ثانية باعتبار من مضى من الرسل والانبيا وهو انهم كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك
مثابرين عليه وانه ما منهم احد الا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم
والقايه في نفوسهم كما انه صلى الله عليه وسلم كان من احرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين
كالنضر بن الحرث يلقون لقومه وللوافدين عليهم شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جا قبل
هذه الاية والذين سعوا في اياتنا معاجزين وسعيهم بالقا الشبه في قلوب من استمالوه ونسب
ذلك الى الشياطين لانه هو المغوي والمحرك شياطين الانس والضمير في امنيته عايد على
الشيطان اي في امنية نفسه اي بسبب امنية نفسه ومفعول القى محذوف لفهم المعنى وهو
الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول او النبي لان الشيطان ليس يلقي الخير ومعنى فينسخ الله

ما يلقي

ما يلقي الشيطان اي يزيل تلك الشبه شيا فشيا حتى يسلم الناس كما قال ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا ويحكم الله اياته اي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقي الشيطان
من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من اوتي العلم ان ما تمنى
الرسول والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الاية ليس فيها اسناد شي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبيا اذا تمنوا وذكر المفسرون
في كتبهم ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من احاد المومنين
منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه واطالوا في ذلك وفي تقريره سوالا وجوابا وهي قصة
سيل عنها الامام محمد بن اسحق جامع السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف
في ذلك كتابا وقال الامام الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة
من جهة النقل وقال ما معناه ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف
الحديثية شي مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه والعجب من نقل هذا
وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم الاية فالتثبيت واقع والمقاربة منفية وقال تعالى كذلك لنثبت به فوادك
وقال تعالى سنقريك فلا تنسى وهذه نصوص تشهد بعصمته واما من جهة المعقول فلا
يمكن ذلك لان تجويزه يطرق الى تجويزه في جميع الاحكام والشريعة فلا يومن فيها التبديل
والتغيير واستحالة ذلك معلومة ولنرجع الى تفسير بعض الفاظ الاية اذ قد قدرنا ما لاح لنا
فيها من المعنى فقوله من قبلك من فيه لابتدا الغاية ومن في من رسول زايدة تفيد استغراق
الجنس وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة وقد تقدم لنا الكلام على مدلوليهما
فاغنى عن اعادته هنا وجا بعد الا جملة ظاهرها الشرط وهو اذا تمنى القى الشيطان وقال
الحوفي ونصوا على انه يليها في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط فتقول ما زيد الا يفعل كذا وما
رايت زيدا الا يفعل كذا وماض بشرط ان يتقدمه فعل كقوله وما ياتيهم من رسول الا كانوا
ويكون الماضي مصحوبا بقد نحو ما زيد الا قد قام وما جا بعد الا في الاية جملة شرطية ولم يلها
ماض مصحوب بقد ولا عار منها فان صح ما نصوا عليه تؤول على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط
فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي هو القى وهو فصل جايز فيكون الا قد وليها ماض في التقدير
ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل الا وهو وما ارسلنا وعاد الضمير في تمنى مفردا وذكروا انه
اذا كان العطف بالواو عاد الضمير مطابقا للمتعاطفين وهذا عطف بالواو وما جا غير مطابق
اوله على الحذف فيكون تاويل هذا وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فحذف من الاول لدلالة الثاني عليه
وتمنى تفعل من المنية قال ابو مسلم التمني نهاية التقدير ومنه المنية القراءة واحتجوا
ببيت حسان وذلك راجع الى الاصل الذي ذكر فان التالي مقدر للحروف فذكروها شيا
فشيا انتهى وبيت حسان • تمنى كتاب الله اول ليله • واخره لاقى حمام المقادر •
وقال اخر • •
• تمنى كتاب الله اول ليلة • تمني داود الزبور على رسل • وحمل بعض المفسرين
قوله اذا تمنى على تلا وفي امنيته على تلاوته والجملة بعد الا في موضع الحال اي وما ارسلناه
الا وحاله هذه وقيل الجملة في موضع الصفة وهو قول الزمخشري في نحو ما مررت باحد الا زيد
خير منه والصحيح ان الجملة حالية لا صفة لقبولها واو الحال واللام في ليجعل متعلقة
بيحكم قاله الحوفي وقال ابن عطية بفينسخ وقال غيرهما بالقى والظاهر انها للتعليل وقيل هي
لام العاقبة وما في ما يلقي الظاهر انها بمعنى الذي وجوزوا ان تكون مصدرية والفتنة الابتلا
والاختبار والذين في قلوبهم مرض عامة الكفار وقال الزمخشري المنافقون والشاكون
والقاسية قلوبهم خواص من الكفار عتاة كابي جهل والنضر وعتبة وقال الزمخشري
المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هولا المنافقين والمشركين واصله وانهم
فوضع الظاهر موضع المضمر قضا عليهم بالظلم والشقاق المشاقة اي في شق غير شق الصلاح

ووصفه بالبعيد مبالغة في النهاية وانهم غير مرجو رجعتهم منه والضمير في انه قال ابن عطية
عايد على القران والذين اوتوا العلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من قولنا
في الاية ما يعود الضمير اليه فتخبت اي تتواضع وتتطامن بخلاف من في قلبه مرض وقسا
قلبه وقرا الجمهور لهادي الذين بالاضافة وابو حيوة وابن ابي عبلة بتنوين لهاد والمرية
الشك والضمير في منه قيل عايد على القران وقيل على الرسول وقيل ما القى الشيطان ولما ذكر
حال الكافرين اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين والظاهر ان الساعة يوم
القيامة قيل واليوم العقيم يوم بدر وقيل ساعة موتهم او قتلهم في الدنيا كيوم بدر واليوم
العقيم يوم القيامة وقال الزمخشري اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب
بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابنا الهم
ابنا الحرب فاذا اقتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال
ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملايكة فيه
وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة
ويوم عقيم يوم القيامة كانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع
الضمير انتهى وقال ابن عطية وسمي يوم القيامة او يوم الاستيصال عقيما لانه لا ليلة بعده
ولا يوم والايام كلها نتايج يجي واحد اثر واحد فكان اخر يوم قد عقم وهذه استعارة وهي
وجملة هذه الاية توعد انتهى وحتى غاية لاستمرار مريتهم فالمعنى حتى تاتيهم الساعة او عذاب
يوم عقيم فتزول مريتهم ويشاهدون الامر عيانا والتنوين في يوميذ تنوين العوض والجملة
المعوض عنها هذا التنوين هو الذي حذف بعد الغاية اي الملك يوم تزول مريتهم
وقدره الزمخشري اولا يوم يومنون وهو لازم لزوال المرية فانه اذا زالت المرية
امنوا وقدرنا ثانيا كما قدرنا وهو الاولى والظاهر ان هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث
انه لا ملك فيه لاحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم ويساعد هذا التقسيم
بعده ومن قال انه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضا الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي
حكمه فيمن اراد تعذيبه ويكون التقسيم اخبارا مترتبا على حالهم في ذلك اليوم العقيم
من الايمان والكفر والفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا يحتاج الى شرح وقابل النعيم
بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه والذين هاجروا الاية هذا ابتدا معنى اخر وذلك
انه لما مات عثمن بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين
افضل ممن مات حتف انفه فنزلت مسوية بينهم في ان الله يرزقهم رزقا حسنا وظاهر والذين
هاجروا العموم وقال مجاهد نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة
فتبعهم المشركون وقاتلوهم وروي ان طوايف من الصحابة قالوا يا نبي الله هولاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك
فانزل الله هاتين الايتين وقال الزمخشري لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم
في الموعد ان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات
العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه انتهى وفي
قوله ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال والتسوية في الوعد بالرزق لا يدل على
تفضيل في قدر المعطى ولا تسوية فان يكن تفضيل فمن دليل اخر وظاهر الشريعة ان المقتول
افضل وقيل المقتول والميت في سبيل الله شهيدان والرزق الحسن يحتمل ان يراد به
رزق الشهدا في البرزخ ويحتمل انه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها وقال
الكلبي هو الغنيمة وقال الاصم هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا
وضعف هذان القولان لانه تعالى جعل الرزق الحسن جزا على قتلهم في سبيل الله او موتهم
بعد هجرتهم وبعد ذلك لا يكون الرزق في الدنيا والظاهر ان خير الرازقين افعل تفضيل
والتفاوت انه تعالى مختص بان يرزق مما لا يقدر عليه غيره تعالى وبانه الاصل في الرزق
وغيره انما يرزق بما له من الرزق من جهة الله فلما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وهو الجنة يرضونه يختارونه اذ فيه رضاهم كما قال لا يبغون عنها حولا

وتقدم

225

وتقدم الخلاف في القراة بضم الميم او فتحها في النسا والاولى ان يكون يراد بالمدخل مكان الدخول
او مكان الادخال ويحتمل ان يكون مصدرا ذلك ومن عاقب الاية قيل نزلت في قوم من المومنين
لقيهم كفار في اشهر الحرم فابى المومنون من قتالهم وابى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جاهد
المومنون ونصرهم الله ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو انه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل او
مات في سبيل الله اخبر انه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم وقال ابن جريج الاية في المشركين
بغوا على رسول الله واخرجوه والتقدير الامر ذلك قال الزمخشري تسمية الابتدا بالجزا
لملابسته له من حيث انه سبب وذلك انه مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض
على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب
مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم
ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم
يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه
وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن
له النصر على الباغي فيعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين
او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار
والنهار في الليل وبسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على
ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانتصار وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
وتقدم في اوايل ال عمران شرح هذه الايلاج ذلك اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار
والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت الالهية وان كل
ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا وقرا الجمهور
وان ما بفتح الهمزة وقرا الحسن بكسرها وقرا الاخوان وابو عمرو وحفص يدعون بيا الغيبة
هنا وفي لقمن وقرا باقي السبعة بتا الخطاب وكلاهما الفعل فيه مبني للفاعل وقرا مجاهد
واليماني وموسى الاسواري يدعون باليا مبنيا للمفعول والواو عايدة على ما على معناها وما
الظاهر انها اصنامهم وقيل الشياطين والاولى العموم في كل مدعو دون الله تعالى الم تر ان الله
انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السما ان
تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان
الانسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى
هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه
تختلفون لما ذكر تعالى ما دل على قدرته الباهرة من ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل ومما
هو ان مشاهدان مجي الظلمة والنور ذكر ايضا ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي
وهو نزول المطر وانبات الارض وانزال المطر واخضرار الارض مرييان ونسبة الانزال الى الله
تعالى مدرك بالعقل وقال ابو عبد الله الرازي الما وان كان مرييا الا ان كون الله منزله
من السما غير مريي اذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لان المقصود من تلك الروية اذا لم
يقترن بها العلم كانت كانها لم تحصل وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل فاصبحت
ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما
تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع
فان قلت ما باله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض
لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك
الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت
مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير
اهله وقال ابن عطية وقوله فتصبح بمنزلة قوله فتضحي او تصير عبارة عن استعجالها اثر نزول

الما واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله فتصبح من حيث الاية خبرا والفا عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله الم تر فاسد المعنى انتهى ولم يبين هو ولا الزمخشري كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا وقال س وسالته يعني الخليل عن الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كانك قلت اتسمع انزل الله من السما ما فكان كذا وكذا قال ابن خروف وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد انهما ماضيان وفسر الكلام باتسمع ليريك انه لا ينتصب بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه ووقع في الشرقية عوض اتسمع انتبه انتهى ومعنى في الشرقية في النسخة الشرقية من كتاب س وقال بعض شراح الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب الا ترى ان المعنى ان الله انزل بالارض هذه حالها وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى ويقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه الاستفهام وان كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب الا ترى الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكذلك في الجواب بالفا اذا اجبت النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فاذا قلت ما تاتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ما ياتينا محدثا انما ياتي ولا يحدث ويجوز ان يكون المعنى انك لا تاتي فكيف تحدث فالحديث منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة وينتفي الجواب فيلزم من هذا الذي قررناه اثبات الروية وانتفا الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط من كتاب س وقال بعض شراح الكتاب وجزا فقوله الم تسال فتخبرك الرسوم ينعقد ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا ينعقد ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها ليس مترتبا على علمك او رويتك انما هو مترتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصوير الهيئة التي الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشي وكذا كقول محمد بن معونة العكلي يصف حاله مع اشد نازله في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف •

يسمو بناظرتين تحسب فيهما • لما اجالهما شعاع سراج •
لما نزلت بحصن ازبر مهصر • للقرن ارواح العدي محتاج •
فاكر احمل وهو يقفي باسته • فاذا يعود فراجع ادراجي •
وعلمت اني ان ابيت قتاله • اني من الحجاج لست بناجي •

وقوله فاكر فتصوير للحالة التي لابسها وقال اخر والظاهر تعقب اخضرار الارض انزال المطر وذلك موجود بمكة وتهامة فقط قاله عكرمة واخذ تصبح على حقيقتها اي تصبح من ليلة المطر وذهب الى ان الاخضرار في غير مكة وتهامة يتاخر وقال ابن عطية وقد شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرملة التي نسفتها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف انتهى واذا جعلنا فتصبح بمعنى فتصير لا يلزم ان يكون ذلك الاخضرار في وقت الاخضرار الصباح واذا كان الاخضرار متاخرا عن انزال المطر فثم جمل محذوفة التقدير فتهتز وتربو فتصبح بين ذلك قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت وقري مخضرة على وزن مفعلة ومسبعة اي ذات خضر وخص فتصبح دون ساير اوقات النهار لان رؤية الاشيا المحبوبة اول النهار ابهج واسر للرائي ان الله لطيف اي باستخراج النبات من الارض بالما الذي انزله خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وغيره وقيل خبير بلطيف التدبير خبير بالصنع الكثير وقيل خبير بمقادير مصالح عباده فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف بافعاله خبير باعمال خلقه وقال الزمخشري لطيف واصل علمه او فضله الى كل شي خبير بمصالح الخلق ومنافعهم وقال ابن عطية واللطيف المحكم للامور برفق ما في الارض يشمل الحيوان والمعادن والمرافق وقرا الجمهور والفلك بالنصب وضم اللام ابن مقسم والكسائي عن الحسن وانتصب عطفا على ما ونبه عليها وان كانت مندرجة في عموم ما تنبيها على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها وهذا هو الظاهر وجوزوا ان يكون معطوفا على الجلالة بتقدير وان الفلك وهو اعراب بعيد عن الفصاحة ونحوى حال على الاعراب الظاهر وفي موضع الخبر على الاعراب الثاني وقرا السلمي والاعرج وطلحة وابو حيوة والزعفراني بضم الكاف مبتدا وخبر

ومن اجاز العطف على موضع اسم ان اجازه هنا فيكون تجري حالا والظاهر ان ان يقع في موضع نصب بدل اشتمال اي ويمنع وقوع السما على الارض وقيل هو مفعول من اجله فقدره البصريون كراهة ان تقع والكوفيون لان لا تقع وقوله الا باذنه اي يوم القيامة كان طي السما بعض هذه الهيئة او وقوعها يجوز ان يكون ذلك وعيدا لهم في انه ان اذن في سقوطها كسفا عليكم سقطت كما في قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا والا باذنه متعلق بان تقع اي الا باذنه فتقع وقال ابن عطية ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكانه اراد الا باذنه فيه يمسكها انتهى ولو كان على ما قال ابن عطية لكان التركيب باذنه دون اداة الاستثنا اي يكون التقدير ويمسك السما باذنه وهو الذي احياكم اي بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة وهي الموتة الاولى المذكورة في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم والانسان قال ابن عباس هنا الكافر وقال ايضا هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل وابي بن خلف وهذا على طريق التمثيل لكفور لجحود لنعم الله يعبد غير من انعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها ولكل امة جعلنا منسكا روي انها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقا وبشير بن سفين هو الخزاعيين وغيرهما في الذبايح وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم وهو ما قتلكم ولا تاكلون ما قتل الله فنزلت بسبب هذه المنازعة وقال ابن عطية هم ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه انتهى ولا يتعين ما قال اذ قد يتسع في معمول اسم الفاعل كما يتسع في معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع ظرف المكان قوله

ومشرب اشربه وشيل لا اجن الطعم ولا وبيل

مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير ولان اصله اشرب فيه فاتسع فيه فتعدى الفعل الى ضميره ومن الاتساع سير بزيد فرسخان وقري فلا ينازعنك بالنون الخفيفة اي اثبت على دينك ثباتا لا يطمعون اي يجذبوك ومثله ولا يصدنك عن ايات الله وهذا النهي لهم عن المنازعة من باب لا ارينك هاهنا والمعنى فلا بد لهم بمنازعتك فينازعوك وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك من النزع بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك الى اديانهم من نزعته من كذا او الامر هنا الدين وما جيت به وعلى ما روي في سبب النزول يكون في الامر بمعنى في الذبح لعلى هدى اي ارشاد وجا ولكل امة بالواو وهنا لكل امة لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الاي الواردة في امر النسايك فعطفت على اخواتها واما هذه فوقعت مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا قاله الزمخشري وان جادلوك اية موادعة نسختها اية السيف اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزا وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمومنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبيكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبيس المصير لما تقدم ذكر الفصل بين الكفار والمومنين يوم القيامة اعقب تعالى انه عالم بجميع ما في السما والارض فلا تخفى عليه اعمالكم وان ذلك في كتاب قيل وهو ام الكتاب الذي كتبه الله قبل خلق السموات والارض كتب فيه ما هو كاين الى يوم القيامة وقيل الكتاب اللوح المحفوظ والاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير قيل الى الحكم السابق والظاهر انه اشارة الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته وقال الزمخشري ومعلوم عند العلما بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم انتهى وفي قوله لان العالم الذات دسيسة الاعتزال لان من مذهبهم نفي الصفات فهو عالم لذاته لا بعلم عندهم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا سماويا من جهة الوحي والسمع وما ليس لهم به علم اي دليل عقلي ضروري او غيره وما للظالمين اي المجاوزين

الحد في عبادة ما لا يمكن عبادته من نصير ينصرهم في ما ذهبوا اليه او اذا حل بهم العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا اي يتلوه الرسول او غيرهم اياتنا الواضحة في دفض لقنتهم ودعائهم الى توحيد الله وعبادته تعرف في وجوه الذين كفروا اي الذين ستروا الحق وغطوه وهو واضح بين والمنكر مصدر بمعنى الانكار ونبه على موجب المنكر وهو الكفر وناب الظاهر مناب المضمر كانه قيل تعرف فيهم لكنه نبه على العلة الموجبة لظهور المنكر في وجوههم والمنكر المساءة والتجهم والبسور والبطش لذلك ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة لان الوجوه تظهر فيها الترح والفرح اللذان محلهما القلب يكادون يسطون اي هم دهرهم بهذه الصفة فهم يقاربون ذلك طول زمانهم وان كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة في شاذ من الاوقات قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم وقال محمد بن كعب يقعون بهم وقال الضحاك يأخذ ونهم اخذا باليد والمعنى واحد وقرا عيسى بن عمر يعرف مبنيا للمفعول المنكر رفع قل افانبئكم بشر من ذلكم وعيد وتقريع والاشارة الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم او الى ما اصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما تلي عليهم وقرا الجمهور النار رفعا على اضمار مبتدا كانه قائلا يقول قال وما هو النار اي نار جهنم واجاز الزمخشري ان تكون النار مبتدا وبعدها الخبر وان يكون وعدها حالا على الاعراب الاول وان تكون جملة اخبار مستانفة واجيز ان يكون خبرا بعد خبر وذلك في الاعراب الاول وروي انهم قالوا محمد واصحابه شر خلق فقال الله قل لهم يا محمد افانبئكم بشر ممن ذكرتم على زعمكم اهل النار فهم انتم بشر خلق الله وقرا ابن ابي عبلة وابرهيم بن يوسف عن الاعشى وزيد بن علي النار بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص ومن اجاز في الرفع ان يكون النار مبتدا فقياسه ان يجيز في النصب ان يكون من باب الاشتغال وقرا ابن ابي اسحق وابرهيم بن نوح عن قتيبة النار بالجر على البدل من شر والظاهر ان الضمير في وعدها هو المفعول الاول على انه تعالى وعد النار بالكفار ان يطعمها اياهم الا ترى الى قولها هل من مزيد ويجوز ان يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو الاول كما قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير لما ذكر تعالى ان الكفار يعبدون ما لا دليل على عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركون عبادة من خلقهم ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق اقل الاشيا بل على رد ما اخذه ذلك الاقل منه وفي ذلك تجهيل عظيم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله ان الذين تدعون بالتاء الخطاب وقيل خطاب للمومنين اراد الله ان يبين لهم خطا الكافرين فيكون تدعون خطابا لغيرهم الكفار عابدي غير الله وقيل الخطاب عام يشمل من نظر في امر عبادة غير الله لانه يظهر له قبح ذلك وضرب مبني للمفعول والظاهر ان ضارب المثل هو الله تعالى مثلا لما يعبد من دونه اي بين شبها لكم وللمعبود كم وقيل ضارب المثل هم الكفار جعلوا مثلا لله تعالى اصنامهم واوثانهم اي فاسمعوا انتم ايها الناس لحال هذا المثل ونحوه ما قال الاخفش قال ليس ها هنا مثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا وقيل هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا وقال الزمخشري ان قلت الذي جا به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرايقة الملتقاة بالاستحسان والاستغراق مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى وقرا الجمهور تدعون بالتا وقرا الحسن ويعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن ابي عمرو بالياء وكلاهما مبني للفاعل وقرا اليماني وموسى الاسواري بالياء من اسفل مبنيا للمفعول وقال الزمخشري لن اخت لا في نفي المستقبل

الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا انتهى وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه ان لن للنفي على التابيد الا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي الا ترى الى قوله افمن يخلق كمن لا يخلق كيف جا النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو وبدا تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم المخلوقات من حيث ان الاختراع صفة له تعالى ثابتة مختصة به لا يشركه فيها احد وثنى بالامر الذي بلغ بهم غاية التعجيز وهو امر سلب الذباب وعدم استنقاذ شي مما يسلبهم ولان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورووسها بالعسل ويغلقون عليها فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وموضع ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه انتهى وتقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرر ان الواو فيه للعطف على حال محذوفة كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي ان يخلقوا الاجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الصنم والذباب اي ينبغي ان يكون الصنم طالبا لما سلب من طيبهم على معهود الالهة في الحيوان وقيل المطلوب الالهة والطالب الذباب فضعف الالهة ان لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه ما على الالهة وقال الضحاك العابد والمعبود فضعف العابد في طلبهم الخير من غير جهته وضعف المعبود في ايصال ذلك لعابده وقال الزمخشري وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب والظاهر انه اخبار بضعف الطالب والمطلوب وقيل معناه التعجب اي ما اضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ولم يوهلوا خالقهم للعبادة ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات الهتهم من القوة والغلبة الله يصطفي الاية نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة اانزل عليه الذكر من بيننا الاية وانكروا ان يكون الرسول من البشر فرد الله عليهم بان رسله ملايكة وبشر ثم ذكر انه عالم باحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شي واليه مرجع الامور كلها ولما ذكر تعالى انه اصطفى رسلا من البشر الى الخلق امرهم باقامة ما جات به الرسل من التكاليف وهو الصلوة قيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود واتفقوا على مشروعية السجود في اخر اية الم تر ان الله يسجد له واما في هذه الاية فمذهب مالك وابي حنيفة انه لا يسجد فيها ومذهب الشافعي واحمد انه يسجد فيها وبه قال عمر وابنه عبد الله وعثمن وابو الدردا وابو موسى وابن عباس واعبدوا ربكم اي افردوه بالعبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق ويظهر في هذا الترتيب انهم امروا اولا بالصلوة وهي نوع من العبادة وثانيا بالعبادة وهي نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو اعم من العبادة فبدا بخاص ثم بعام ثم باعم وجاهدوا في الله امر بالجهاد في دين الله واعزاز كلمته يشمل جهاد الكفار والمبتدعة وجهاد النفس وقيل امر بجهاد الكفار خاصة حق جهاده اي استفرغوا جهدكم وطاقتكم في ذلك واضاف الجهاد اليه تعالى لما كان مختصا بالله من حيث هو مفعول لوجهه ومن اجله فالاضافة تكون بادنى ملابسة قال الزمخشري ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا انتهى يعني بالظرف الجار والمجرور وكانه كان الاصل حق جهاد فيه فاتسع بان حذف حرف الجر واضيف جهاد الى الضمير وحق جهاده من باب هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وعالم جدا وعن مجاهد والكلبي انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم هو اجتباكم اي اختاركم لتحمل تكليفاته وفي قوله هو تفخيم واختصاص اي هو لا غيره من حرج من تضييق بل هي حنيفية سمحة ليس فيها تشديد بني اسرايل بل شرع فيها التوبة والكفارات والرخص وانتصب ملة ابيكم بفعل محذوف وقدره ابن عطية جعلها ملة وقال الزمخشري نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع

ربكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وعلي الاختصاص اي اعني بالدين
ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد وقال الحوفي وابو البقا اتبعوا ملة ابرهيم وقال الفرا
هو نصب علي تقدير حذف الكاف كانه قيل كملة ابيكم بالاضافة الي ابيه الرسول فامة الرسول
في حكم اولاده نصارا بالامة بهذه الوساطة وقيل لما كان اكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع
العرب غلب الاكثر فاضيف اليهم ويجا قوله ملة ابراهيم باعتبار عبادة الله وترك الاوثان وهو
المسوق له الايات المتقدمة فلا يدل ذلك علي الاتباع في تفاصيل الشرايع والظاهر ان الضمير في هو
سماكم عايد علي ابرهيم وهو اقرب مذكور ولكل نبي دعوة مستجابة ودعا ابرهيم فقال ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله له فجعلها امة عليه السلام وقاله ابن زيد
والحسن وقيل يعود هو الى الله وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وعن ابن عباس ان
الله سماكم المسلمين من قبل اي في كل الكتب وفي هذا اي القران ويدل علي ان الضمير لله قراة ابي الله
سماكم قال ابن عطية وهذه اللفظة يعني قوله وفي هذا تضعيف قول من قال الضمير لابرهيم ولا
يتوجه الا علي تقدير محذوف من الكلام مستانف انتهى فتقدير المحذوف وسميتم في هذا القران
المسلمين والمعنى انه فضلكم علي الامم وسماكم بهذا الاسم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد
بلغكم وتكونوا شهدا علي الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والاثرة
فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولي وناصر وعن قتادة
اعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبي قيل للنبي انت شهيد علي امتك وقيل له ليس عليك حرج
وقيل له سل تعط وقيل لهذه الامة وتكونوا شهدا علي الناس وقيل لهم ما جعل عليكم في الدين
من حرج وقيل لهم ادعوني استجب لكم واعتصموا قال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل
ما يكره وقال الحسن تمسكوا بدين الله **السلالة** فعالة من سللت الشي من الشي اذا استخرجته
منه وقال امية •

• خلق البرية من سلالة منتن • والى السلالة كلها ستعود • والولد سلالة ابيه
كانه انسل من ظهر ابيه قال الشاعر •

• فجات به عصب الاديم غضنفرا • سلالة فرج كان غير حصين • وهو بنا يدل علي
القلة كالقلامة والنحاتة **سينا وسينون** اسمان للبقعة وجمهور العرب علي فتح سين
سينا فالالف فيه للتانيث كصحرا فيمتنع الصرف للتانيث اللازم وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف
للتانيث اللازم ايضا عند الكوفيين لانهم يثبتون ان همزة فعلا تكون للتانيث وعند البصريين
يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة او العلمية والتانيث لان الالف فعلا عندهم لا تكون للتانيث
بل للالحاق كعلبا ودرحايا وهو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة **الدهن** عصارة الزيتون
واللوز وما اشبههما مما فيه دسم والدهن بفتح الدال مسح الشي بالدهن **هيهات** اسم فعل
يفيد الاستبعاد فمعناها بعد وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل ويأتي
منها ما قري به ان شا الله **الغثا** الزبد وما ارتفع علي السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله ابو
عبيدة وقال الاخفش الغثا والجفا واحد وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد وقال الزجاج
البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل خالط زبده انتهى وتشدد ثاوه وتخفف ويجمع علي اغثا
شذوذا ورووا بيت امري القيس من السيل والغثا بالتخفيف والتشديد والجمع **تترى**
واحدا بعد واحد قال الاصمعي وبينهما مهلة وقال غيره المواترة التتابع بغير مهلة وتاوه مبدله
من واو علي غير قياس اذ اصله الوتر كتاء تولج وتيقور الاصل وولج وويقور لانه من الولوج والوقار
وجمهور العرب علي عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتانيث اللازم وكنانة تنونه وينبغي ان تكون
الالف فيه للالحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء يدل علي ذلك ومن زعم ان التنوين فيه كصبرا
ونصرا فهو مخطي لانه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الاعراب في الرا فتقول تتر في الرفع وتترا
في الجر لكن الف الالحاق في المصدر نادر ولا يلزم وجود النظير وقيل تترى اسم جمع كاسرى وشتى
المعين الميم فيه زايدة ووزنه مفعول كمخيط وهو المشاهد جريه بالعين تقول عانه ادركه
بعينه كقولك كبده ضرب كبده وادخله الخليل في باب ع ي ن وقيل الميم اصلية من باب معن الشي
معانة كثر فوزنه فعيل واجاز الفرا الوجهين وقال جرير •

• ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك ما يزال معينا **الغمرة** الجهالة رجل غمر غافل
لم تجربه الامور واصله الستر ومنه الغمر للحقد لانه يغطي القلب والغمر للما الكثير لانه يغطي الارض
والغمرة الما الذي يغمر القامة والغمرات الشدايد ورجل غامر اذا كان يلقي نفسه في المهالك
ودخل في غمار الناس اي في زحمتهم **الجوار** مثل الخوار جار الثور يجار صاح وجار الرجل الي الله تضرع
بالدعا قاله الجوهري وقال الشاعر •

• يراوح من صلوات المليك • فطورا سجودا وطورا جوارا • وقيل الجوار الصراخ
باستغاثة قال جار ساعات النيام لربه **السامر** مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر
ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع علي الشجر من ضو القمر وكانوا يجلسون للحديث
في ضو القمر والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السمار ايضا ويقال لا افعله ما اسمر ابنا
سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار **نكب** عن الطريق ونكب بالتشديد اذا عدل عنه
اللجاج في الشي التمادي عليه

سورة المومنون

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون
الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاوليك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم علي صلواتهم يحافظون اوليك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك
لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون
الي عشر ايات ومناسبتها لاخر السورة قبلها ظاهرة لانه تعالي خاطب المومنين بقوله يا ايها
الذين امنوا اركعوا الاية وفيها لعلكم تفلحون وذلك علي سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد
افلح المومنون اخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح وقرا طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد قد
افلح المومنون بضم الهمزة وكسر اللام مبنيا للمفعول ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل ان يكون من
فلح لازما او يكون افلح ياتي متعديا ولازما وقرا طلحة ايضا قد افلحو بفتح الهمزة واللام وضم الحا
قال عيسى بن عمر سمعت طلحة بن مصرف يقرا قد افلحوا المومنون فقلت له اتلحن قال نعم كما لحن
اصحابي انتهى يعني ان مرجوعه في القراة الى ما روي وليس بلحن لانه علي لغة اكلوني البراغيث
وقال الزمخشري او علي الابهام والتفسير وقال ابن عطية وهي قراة مردودة وفي
كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحا وفي اللوامح وحذفت واو الجمع بعد الحا لالتقائهما
في الدرج وكانت الكتابة عليها محمولة علي الوصل نحو ويمح الله الباطل وقال الزمخشري
وعنه اي عن طلحة افلح بضمة بغير واو اجتزا بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي انتهى
وليس بجيد لان الواو في افلح حذفت لالتقا الساكنين وهنا حذفت للضرورة فليست مثلها
قال الزمخشري قد تقتضيه لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا
متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل علي ثبات
ما توقعوه انتهى والخشوع لغة الخضوع والتذلل وللمفسرين فيه هنا اقوال قال عمرو بن
دينار هو السكون وحسن الهيية وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح وقال مسلم بن يسار
وقتادة تنكيس الراس وقال الحسن الخوف وقال الضحاك وضع اليمين علي الشمال
وعن علي ترك الالتفات في الصلوة وعن ابي الدردا اعظام المقام واخلاص المقال واليقين
التام وجمع الاهتمام وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السما فلما نزلت
هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده ومن الخشوع ان تستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب
والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم
والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى وفي التحرير اختلف
في الخشوع هل هو من فرايض الصلوة او من فضايلها ومكملاتها علي قولين والصحيح الاول

ومحله القلب وهو اول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت وقال الزمخشري فان قلت لم
اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دايرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته
وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من
قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة اطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل
لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعهم الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين
على الانفس اللذين هما قاعدتا بنا التكليف انتهى واذا تقدم معمول اسم الفاعل جاز ان يقوى
تعديته باللام كالفعل وكذلك اذا تاخر لكنه مع التقديم اكثر فلذلك جا للزكوة باللام ولو جا
منصوبا لكان عربيا والزكوة اذا اريد بها التزكية صح نسبة الفعل اليها اذ كل ما يصدر يصح ان يقال
فيه فعل وان اريد بالزكوة قدر ما يخرج من المال للفقير فيكون على حذف اي لادا الزكوة فاعلون
اذ لا يصح فعل الاعيان من المزكي او يضمن فاعلون معنى موءدون وبه شرحه التبريزي وقيل الزكوة
العمل الصالح كقوله خيرا منه زكوة اي عملا صالحا قاله ابو مسلم وقيل الزكوة هنا النما والزيادة
واللام لام العلة ومعمول فاعلون محذوف التقدير والذين هم لاجل تحصيل النما والزيادة
فاعلون الخير وقيل المصروف لا يسمى زكوة حتى يحصل بيد الفقير وقبل لا يسمى العين المخرجة زكوة
فكان التعبير بالفعل عن اخراجه اولى منه بالادا وفيه رد على بعض زنادقة الاعاجم الاجانب
عن ذوق العربية في قوله الا قال موءدون قال في التحرير والتحبير وهذا كما قيل لا عقل ولا نقل
والكتاب العزيز نزل بافصح اللغات واصحها بلا خلاف وقد قال امية بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة ... والفاعلون للزكوات

ولم يرد عليه احد من فصحا العرب ولا طعن فيه علما العربية بل جميعهم يحتجون به ويستشهدون
انتهى فقال الزمخشري وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة يعني على ان الزكوة يراد بها
العين وهو على حذف مضاف اي لادا المزكوات وعلل ذلك بجمعها يعني انها اذا اريد بها العين صح
جمعها واذا اريد بها التزكية لم تجمع لان التزكية مصدر والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جا
منها مجموعا الفاظ كالعلوم والحلوم والاشغال واما اذا اختلفت فالاكثرون على جواز جمعها وهنا
اختلفت بحسب متعلقاتها فاخراج النقد غير اخراج الحيوان وغير اخراج النبات والزكوة في قول
امية مما جا مجموعا من المصادر فلا يتعدى حمله على المخرج لجمعه وحفظ لا يتعدى بعلى فقيل على
بمعنى من اي الا من ازواجهم كما استعملت من بمعنى على في قوله ونصرناه من القوم اي على القوم
قاله الفرا وتبعه ابن مالك وغيره والاولى ان يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون
او قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى كقوله امسك عليك زوجك وتكلف الزمخشري هنا وجوها
فقال على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان
على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة
تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل
يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او هو
يجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على فلان نفسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك
بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك انتهى يعني ان يكون حافظون منوى به صورة مثبت
ومعناه النفي اي ما طلبت منك وهذه التي ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة وقوله او ما
ملكت اريد بما النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم وقال الزمخشري اريد من جنس العقلا ما يجري
مجرى غير العقلا وهم الاناث انتهى وقوله وهم الاناث ليس بجيد لان لفظهم مختص بالذكور
فكان ينبغي ان يقول وهو الاناث على لفظ ما او وهن الاناث على معنى ما ومنه الاستثنا حد يجب
الوقوف عنده والتسري خاص بالرجال ولا يجوز للنسا باجماع فلو كانت المراة متزوجة بعبد
تملكته فاعتقته حالة الملك انفسخ النكاح عند فقها الامصار وقال النخعي والشعبي وعبيد
الله بن عبد الله بن عتبة يبقيان على نكاحهما وفي قوله او ما ملكت ايمانهم دلالة على تعميم وطي ما ملك
باليمين وهو مختص بالاناث باجماع فكانه قيل او ما ملكت ايمانهم من النسا وفي الجمع بين الاختين
من ملك اليمين وبين المملوكة وعمتها او خالتها خلاف وتخص ايضا في الاية بتحريم وطي الحايض
والامة اذا زوجت والمظاهر منها حتى يكفر ويشمل قوله وراء ذلك ونا هذا الحد الذي حد

من الازواج ومملوكات النسا وانتصاب على انه مفعول بابتغى اي خلاف ذلك وقيل لا يكون وراءها الا
على حذف تقديره ما وراء ذلك والجمهور على تحريم الاستمنا ويسمى الخضخضة وجلد عميرة يكون عن الذكر
بعميرة وكان احمد بن حنبل يجيز ذلك لانه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة
وسال حرملة بن عبد العزيز مالكا عن ذلك فتلا هذه الاية وكان جرى في ذلك كلام مع قاضي القضاة
ابي الفتح محمد بن علي مطيع القشيري ابن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل به مالك
من قوله فمن ابتغى وراء ذلك فقلت له ان ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا
والتفاخر بذلك في اشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا
ينكرون ذلك واما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيها ولا ذكره احد منهم في شعر فيما علمناه فليس
بمندرج في قوله وراء ذلك الا ترى ان محل ما ابيح لهم من نسائهم بنكاح او تسر فالذي وراء ذلك
هو من جنس ما احل لهم وهو النسا فلا يحل لهم شي منهن الا بنكاح او تسر والظاهر ان نكاح المتعة لا يندرج
تحت قوله فمن ابتغى وراء ذلك لانها ينطلق عليها اسم زوج وسال الزهري القاسم بن محمد عن المتعة
فقال هي محرمة في كتاب الله وتلا والذين هم لفروجهم حافظون الاية ولا يظهر التحريم من هذه
الاية وقرا ابن كثير وابو عمرو في رواية لاماناتهم بالافراد وباقي السبعة بالجمع والظاهر عموم
الامانات فيدخل فيها ما يوءتمن عليه العبد من قول وفعل واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الوا
من الافعال والمتروك وما يوءتمنه الانسان قيل ويحتمل الخصوص في امانات الناس والامانة
هي الشي المؤتمن عليه ومراعاتها القيام عليها لحفظها الى ان توءدى والامانة ايضا المصدر وهو
وقال تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها والموءدى هو العين المؤتمن عليه
او القول ان كان المؤتمن عليه لا المصدر وقرا الاخوان على صلاتهم بالتوحيد وباقي السبعة بالجمع
والخشوع والمحافظة متغايران بدي اولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالافعال
البدنية وثني بالمحافظة وهي تاديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه واداء اركانها
على احسن هياتها ويكون ذلك دابه في كل وقت قال الزمخشري وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس
الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر
والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقا والكسوف والخسوف
وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك اي الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقا ان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين
يرثون الفردوس فجا بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم
انتهى وتقدم الكلام في الفردوس في اخر الكهف ولقد خلقنا الانسان الاية لما ذكر تعالى ان المتصفين
بتلك الاوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخراوي ذكر النشاة الاولى ليستدل
بها على صحة النشاة الاخرة وقال ابن عطية هذا ابتدا كلام والواو في اوله عاطفة جملة كلام على جملة
وان تباينت في المعاني انتهى وفقه بينا المناسبة بينهما ولم يتباين في المعاني من جميع الجهات والانسان
هنا قال قتادة وغيره ورواه عن سلمان عن ابن عباس ادم لانه انسل من الطين ثم جعلناه عايد على
ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر فان المعنى لا يصلح الا له ونظيره حتى توارت بالحجاب او على
حذف مضاف اي ثم جعلنا نسله وعن ابن عباس ايضا ان الانسان ابن ادم وسلالة من طين صفوة
الما يعني المني وهو اسم جنس والطين يراد به ادم اذ كانت نشاته من الطين كما سمي عرق الثرى
او جعل من الطين لكونه سلالة من ابويه وهما متغذيان بما يكون من الطين وقال الزمخشري
خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى فجعل الانسان جنسا باعتبار
حاليته لا باعتبار كل مرد ودمن ومن الاولى لابتدا الغاية ومن الثانية قال الزمخشري
للبيان كقوله من الاوثان انتهى ولا تكون للبيان الا على تقدير ان تكون السلالة هي الطين
اما اذا قلنا انه ما انسل من الطين فيكون لابتدا الغاية والقرار مكان الاستقرار والمراد هنا
الرحم والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال او لتمكن
من يحل فيه فوصف بذلك على سبيل المجاز كقولهم طريق سائر لكونه يسار فيه وتقدم تفسير
النطفة والعلقة والمضغة وقرا الجمهور عظاما والعظام بالجمع فيهما وقرا ابن عامر وابو
بكر عن عاصم وابان والمفضل والحسن وقتادة وهرون والجعفي ويونس عن ابي عمرو وزيد بن علي

بالافراد فيهما وقرا السلمي وقتادة ايضا والاعرج والاعمش ومجاهد وابن محيصن بافراد
الاول وجمع الثاني وقرا ابو رجا وابرهيم بن ابي بكر ومجاهد ايضا بجمع الاول وافراد الثاني
فالافراد يراد به الجنس وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان
الانسان ذو عظام كثيرة انتهى وهذا لا يجوز عندنا واصحابنا الا في الضرورة وانشدوا كلوا
في بعض بطنكم تعفوا ومعلوم ان هذا لا يلبس لانهم كلهم ليس لهم بطن واحد ومع هذا خصوه
بمجيئه بالضرورة ثم انشاناه خلقا اخر قال ابن عباس والشعبي وابي العالية والضحاك
وابن زيد هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا خروجه الى الدنيا وقالت فرقة نبات شعره
وقال مجاهد كمال شبابه وقال ابن عباس تصرفه في امور الدنيا قال ابن عطية وهذا التخصيص
لا وجه له وانما هو عام في هذا وغيره من وجود النطق والادراك واول رتبة من كونه اخر
نفخ الروح واخره تحصيله المعقولات الى ان يموت انتهى ملخصا وهو قريب مما رواه العوفي عن ابن
عباس وبدل عليه قوله بعد ذلك ثم انكم بعد ذلك لميتون وقال الزمخشري ما ملخصه خلقا
اخر مباينا للخلق الاول باينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا ناطقا سميعا بصيرا واودع كل
عضو وكل جزء منه عجايب وغرايب لا تدرك بوصف ولا تبلغ بشرح وقد احتج ابو حنيفة بقوله
خلقا اخر على ان غاصب بيضة افرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ وقال انشاناه
جعل انشا الروح فيه واتمام خلقه انشا له قيل وفي هذا رد على النظام في زعمه ان الانسان
هو الروح فقط وقد بين تعالى انه مركب من هذه الاشيا ورد على الفلاسفة في زعمهم ان
الانسان شي لا ينقسم وتبارك فعل ماض لا ينصرف ومعناه تعالى وتقدس واحسن الخالقين
افعل التفضيل والخلاف فيها اذا اضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة ام لا وقيل خبر
مبتدا محذوف تقديره هو احسن الخالقين ومعنى الخالقين المقدرين وهو وصف يطلق
على غير الله تعالى كما قال زهير

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

قال الاعلم هذا مثل ضربه يعني زهيرا والخالق الذي يقدر الاديم ويهيئه لان يقطعه ويخرزه
والمفري المقطع والمعنى انك اذا تهيات لامر مضيت له وانفذته ولم يعجز عنه وقال ابن
عطية معناه الصانعين يقال لمن صنع شيا خلقه وانشد بيت زهير قال ولا ينفي هذه اللفظة
عن البشر في معنى الصنع انما هي منفية بمعنى الاختراع وقال ابن جريج قال الخالقين لانه
اذن لعيسى في ان يخلق وتمييزا فعل التفضيل محذوف لدلالة الخالقين عليه اي احسن الخالقين
خلقا اي المقدرين تقديرا وروي ان عمر لما سمع ولقد خلقنا الانسان الى اخره قال فتبارك
الله احسن الخالقين فنزلت وروي ان قايل ذلك معاذ وقيل عبد الله بن ابي سرح وكانت سبب
ارتداده ثم اسلم وحسن اسلامه وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون بالالف
يريد حدوث الصفة فيقال انت مايت عن قليل وميت ولا يقال مايت للذي قد مات قال الفرا
انما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال ابن مالك واذا قصد استقبال المصوغة من ثلاثي على غير
فاعل ردت اليه ما لم يقدر الوقوع يعني انه لا يقال لمن مات مايت وقال الزمخشري والفرق بين
الميت والمايت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد مايت الان
ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضايق في قوله وضايق به صدرك انتهى والاشارة بقوله
بعد ذلك الى هذا التطور والانشا خلقا اخر اي وانقضا مدة حياتكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون
ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع اولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد وذكره الموت والبعث لا يدل
على انتفا الحيوة في القبر لان المقصود ذكر الاجناس الثلثة الانشا والاماتة والاعادة والحيوة
في القبر من جنس الاعادة ومعنى تبعثون للجزا فان قلت الموت مقطوع به عند كل احد والبعث
قد انكرته طوايف واستبعدته وان كان مقطوعا به من جهة الدليل لامكانه في نفسه ومجي السمع
به فوجب القطع به فما بال جملة الموت جات موكدة بان وباللام ولم تؤكد جملة البعث بان فالجواب
انه بولغ في تاكيد ذلك تنبيها للانسان ان يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه
فان ماله اليه فكانه اكدت جملته ثلث مرات لهذا المعنى لان الانسان في الحيوة الدنيا يسعى
فيها غاية السعي ويكد ويجمع حتى كانه مخلد فيها فنبه بذكر الموت موكدا مبالغا فيه ليقصر ويعلم

280

ان اخره الي الفنا فيعمل لدار البقا ولم تؤكد جملة البعث الا بان لانه ابرز في صورة المقطوع به الذي
لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وانه حتم لا بد من كيانه فلم يحتج الى توكيد ثان وكنت سيلت لم دخلت
اللام في قوله لميتون ولم تدخل في تبعثون فاجبت بان اللام مخلصة المضارع للحال غالبا فلا تجامع
يوم القيامة لان اعماله تبعثون في الظرف المستقبل تخلصه للاستقبال فتنافي الحال وانما قلت
غالبا لانه قد جات قليلا مع الظرف المستقبل كقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
على انه يحتمل تاويل هذه الاية واقرار اللام مخلصة المضارع للحال بان يقدر عامل في يوم القيامة
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وما كنا عن الخلق غافلين وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض
وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون
وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون لما ذكر ابتدا خلق الانسان وانتها امره
ذكره بنعمته وسبع طرايق السموات قيل لها طرايق لتطارق بعضها فوق بعض طارق النعل جعله
على نعل وطارق بين ثوبين ليس احدهما على الاخر قاله الخليل والفرا والزجاج كقوله طباقا
وقيل لانها طرايق الملايكة في العروج وقيل لانها طرايق الكواكب في مسيرها وقيل لان كل سما طريقة
وهيية غير هيية الاخرى قال ابن عطية ويجوز ان يكون الطرايق بمعنى المبسوطات من طرقت
الشي وما كنا عن الخلق غافلين نفى تعالى عنه الغفلة عن خلقه وهو ما خلقه تعالى فهو حافظ السموات
من السقوط وحافظ عباده بما يصلحهم اي هم بمراى منا نذبرهم كما نشانا بقدر بتقدير منا معلوم
لا يزيد ولا ينقص بحسب حاجات الخلق ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلنا مقره في الارض
وعن ابن عباس انزل الله من الجنة خمسة انهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي
قوله فاسكناه في الارض دليل على ان مقر ما نزل الله من السما هو في الارض فمنه الانهار والعيون
والابار وكما انزله تعالى بقدرته هو قادر على ذهابه قال الزمخشري على ذهاب به من اوقع
النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه انتهى وذهاب
مصدر ذهب والبا في به للتعدية مرادفة للهمزة كقوله لذهب بسمعهم اي لاذهب سمعهم وفي ذلك
وعيد وتهديد اي في قدرتنا اذهابه فتهلكون بالعطش انتم ومواشيكم وهذا ابلغ في الايعاد من قوله
قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين وقال مجاهد ليس في الارض ما الا وهو من السما
قال ابن عطية ويمكن ان يقيد هذا بالعذب والا فالاجاج ثابت في الارض مع القحط والعذب
يقل مع القحط وايضا فالاحاديث تقتضي الما الذي كان قبل خلق السموات والارض ولا محالة ان
الله قد جعل في الارض ما وانزل من السما انتهى وقيل ما نزل من السما اصله من البحر رفعه تعالى
بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السما حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم انزله الى الارض لينتفع
ولو كان باقيا على حاله ما انتفع به من ملوحته ولما ذكر تعالى نعمة الما ذكر ما ينشا عنه فقال
فانشانا لكم به جنات وخص هذه الانواع الثلثة من النخل والعنب والزيتون لانها اكرم الشجر
واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله لكم فيها الى اخره لان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة
يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح
والاصطباغ جميعا ويحتمل ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن
صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون قاله الزمخشري وقال الطبري وذكر
النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز بالطايف والمدينة وغيرهما والضمير في ولكم فيها عايد على الجنات
ومواعم لساير الثمرات ويجوز ان يعود على النخيل والاعناب وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة
الزيتون وهي كثيرة بالشام وقال الجمهور سينا اسم الجبل كما تقول جبل احد من اضافة العام الى
الخاص وقال مجاهد معنى سينا مبارك وقال قتادة معناه الحسن والقولان عن ابن عباس
وقيل الحسن بالحبشية وقيل بالنبطية وقال معمر عن فرقة معناه ذو شجر وقيل سينا اسم حجارة
بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده قاله مجاهد ايضا وقرا الحرميان وابو عمرو والحسن
بكسر السين وهي لغة لبني كنانة وقرا عمر بن الخطاب وباقي السبعة بالفتح وهي لغة ساير
العرب وقرا سيني مقصورا وبفتح السين والاصح ان سينا اسم بقعة وانه ليس مشتقا من السنا

لاختلاف المادتين على تقدير ان يكون سينا عربي الوضع لان نون السنا عين الكلمة وعين سينا
ياء وقرا الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء والباء في بالدهن على هذا للحال اي تنبت مصحوبة بالدهن
اي ومعها الدهن وقرا ابن كثير وابو عمرو وسلام وسهل ورويس والجحدري بضم التاء وكسر الباء
فقيل بالدهن مفعول والباء زائدة التقدير تنبت الدهن وقيل المفعول محذوف اي ينبت جناها
والدهن في موضع الحال من المفعول المحذوف اي ينبت جناها ومعه الدهن وقيل انبت لازم
كنبت فيكون الباء للحال وكان الاصمعي ينكر ذلك ويتهم من روى في بيت زهير قطينا بها حتى اذا انبت
البقل بلفظ انبت وقرا الحسن والزهري وابن هرمز بضم التاء وفتح الباء مبنيا للمفعول وبالدهن
حال وقرا زر بن حبيش بضم التاء وكسر الباء الدهن بالنصب وقرا سليمان بن عبد الملك والاشهب
بالدهان بالالف وما رووا من قراءة عبد الله يخرج الدهن وقراءة ابي تثمر بالدهن محمول
على التفسير لمخالفته سواد المصحف المجمع عليه ولان الرواية الثابتة عنهما كقراءة الجمهور
والصبغ الغمس والايتدام وقال مقاتل الصبغ الزيتون والدهن الزيت جعل تعالى في هذه
الشجرة اداما ودهنا وقال الكرماني القياس ان يكون الصبغ غير الدهن لان المعطوف غير
المعطوف عليه وقرا الاعمش وصبغا بالنصب وقرا عامر بن عبد الله وصباغ بالالف فالنصب عطف
على موضع بالدهن كان في موضع الحال او في موضع المفعول والصباغ كالدبغ والدباغ وفي
كتاب ابن عطية وقرا عامر بن عبد قيس ومتاعا للآكلين كانه يريد تفسير الصبغ ذكر تعالى
شرف مقر هذه الشجرة وهو الجبل الذي كلم الله فيه نجيه موسى عليه السلام ثم ذكر ما فيها
من الدهن والصبغ ووصفها بالبركة في قوله من شجرة مباركة زيتونة قيل وهي اول شجرة
نبتت بعد الطوفان وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها تقدم تفسير نظير هذه
الجملة في النحل ولكم فيها منافع من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها واوبارها
ونبه على غزارة فوايدها والفها وهو الشرب والاكل وادرج باقي المنافع في قوله ولكم فيها
منافع كثيرة ثم ذكر ما تكاد تختص به بعض الانعام وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفاين
البر كما ان الفلك سفاين البحر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدح ناقته
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملا
الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملايكة
ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما
كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل
زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا
استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين لما ذكر تعالى بدء الانسان وتطوره
في تلك الاطوار وما امتن به عليه مما جعله تعالى سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر امثالا لكفار قريش
من الامم السابقة المنكرة لارسال الله رسلا المكذبة بما جاءتهم به الانبياء عن الله فابتدا بقصة نوح لانه
ابو البشر الثاني كما ذكر ولا ادم في قوله من سلالة من طين ولقصته ايضا مناسبة بما قبلها اذ هو
قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك اولا وانه كان سبب نجاة من امن وهلاك من لم
يكن فيه فالفلك من نعمة الله كل هذه القصص تحذر به قريشا نقم الله ويذكرهم نعمه ما لكم من اله
غيره جملة مستانفة منبهة على ان يفرد بالعبادة من كان مفردا بالالهية فكانها تعليل لقوله
اعبدوا الله افلا تتقون اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا اي كبرا الناس وعظماوهم
الذين هم اعصى الناس وابعدهم لقبول الخير ما هذا الا بشر مثلكم اي مساويكم في البشرية
فاني توفكون له اختصاص بالرسالة يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويراسكم
لقوله وتكون لكما الكبرياء في الارض ولو شاء الله لانزل ملايكة هذا يدل على انهم كانوا مقرين
بالملايكة وهذه شنشنة قريش وداءها في استبعاد ارسال الله البشر والاشارة في بهذا يحتمل
ان تكون لنوح وان تكون الى ما كلمهم به من الامر بعبادة الله ورفض اصنامهم وان تكون الى ما اتى به
من انه رسول الله وهو بشر والعجب بضلال هولاء استبعدوا رسالة البشر واعتقدوا الالهية
الحجر وقولهم ما سمعنا بهذا الظاهر انهم كانوا مباهتين والا فنبوة ادريس وادم لم تكن المدة

بينهما وبينهم متطاولة بحيث تنسى فدافعوا الحق بما امكنهم دفاعه ولهذا قالوا ان هو الا رجل به جنة
ومعلوم عندهم انه ليس بمجنون فتربصوا به اي انتظروا حالته حتى يجلي امره وعاقبة خبره فدعا ربه
تعالى بان ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه وقال الزمخشري بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك
اي بدل ذلك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انتهى وقرا ابو
جعفر وابن محيصن قال رب بضم الباء وتقدم توجيهه في قوله قل رب احكم بضم الباء وتقدم
الكلام على تفسير اكثر الفاظ هذه الاية في سورة هود ونهاه تعالى ان يخاطبه في قومه بدعاء
نجاة او غيره وبين علة النهي بانه تعالى قد حكم عليهم بالاغراق وامره تعالى بان يحمده على نجاته
وهلاكهم وكان الامر له وحده وان كان الشرط قد حمله ومن معه لانه نبيهم وامامهم وهم متبعوه
في ذلك اذ هو قدوتهم قال مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان
رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي انتهى ثم امره ان يدعوه بانه ينزله منزلا مباركا
قيل وقال ذلك عند الركوب في السفينة وقيل عند الخروج منها وقرا الجمهور منزلا بضم
الميم وفتح الزاي فجاز ان يكون مصدرا ومكانا اي انزالا او موضع انزال وقرا ابو بكر والمفضل
وابو حيوة وابن ابي عبلة وابان بفتح الميم وكسر الزاي اي مكان نزول ان في ذلك خطاب
للرسول عليه السلام اي ان فيما جرى على هذه الامة نوح لدلايل وعبرا وان كنا لمبتلين اي
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم اي لمختبرين بهذه الايات عبادنا ليعتبروا كقوله ولقد تركناها
اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا
لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له
بمومنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم الظالمين ذكر هذه القصة عقيب قصة نوح يظهر ان هولاء هم قوم هود والرسول
هو هود وهو قول الاكثرين وقال ابو سليمن الدمشقي والطبري هم ثمود والرسول صالح
هلكوا بالصيحة وقصة قوم هود جاءت في الاعراف وفي هود وفي الشعرا باثر قصة قوم نوح
وقال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح والاصل في ارسل ان يتعدى بالى كاخواته
وجه وانفذ وبعث وهنا عدي بفي جعلت الامة موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها
مصعبا ذا اقحام وجاء بعث كذلك في قوله ويوم نبعث في كل امة ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا
وان في ان اعبدوا يجوز ان تكون مفسرة وان تكون مصدرية وجاء هنا وقال الملا بالواو وفي
الاعراف وسورة هود في قصة بغير واو وقصد في الواو العطف على ما قاله اي اجتمع قوله الذي
هو حق وقولهم الذي هو باطل كانه اخبار بتباين الحالين وان اتى بغير واو وقصد به الاستيناف
وكانه جواب مقدر اي فما كان قولهم له قال قالوا كيت وكيت بلقاء الاخرة اي بلقاء الجزاء من الثواب
والعقاب فيها واترفناهم اي بسطنا لهم الاموال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة
ان تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعرا بغلبة التكذيب والكفر اي الحامل لهم
على ذلك كوننا نعمناهم واحسنا اليهم وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك وان يقابلوا نعمتنا
بالايمان وتصديق من ارسلته اليهم وان تكون جملة حالية اي وقد اترفناهم اي كذبوا في هذه
الحال ويوول هذا المعنى الى المعنى الاول اي كذبوا في حال الاحسان اليهم وكان ينبغي
ان لا يكفروا وان يشكروا النعمة بالايمان والتصديق لرسلي وقوله ياكل مما تاكلون منه تحقيق
للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم وان لا مزية له عليهم والظاهر ان ما موصولة في قوله مما
تشربون وان العايد محذوف وتقديره مما تشربون منه لوجود شرايط الحذف
وهو اتحاد المتعلق والمتعلق كقولك مررت بالذي مررت وحسن هذا الحذف ورجحه
كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه في قوله مما تاكلون منه وفي التحرير وزعم الفرا
ان معنى قوله ويشرب مما تشربون على حذف اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند

البصريين ولا يحتاج الي حذف البتة لانها اذا كانت مصدرية لم يحتج الي عايد فان جعلتها بمعني
الذي حذفت المفعول فلم يحتج الي اضمار من انتهي يعني انه يصير التقدير مما تشربونه فيكون
المحذوف ضميرا متصلا وشروط جواز الحذف فيه موجودة وهذا تخريج علي قاعدة البصريين
الا انه يفوت فصاحة معادلة التركيب الا تري انه قال مما تاكلون منه فعداه بمن التبعيضية
فالمعادلة تقتضي ان يكون التقدير مما تشربون منه فلو كان التركيب مما تاكلونه لكان تقدير
تشربونه هو الراجح وقال الزمخشري حذف الضمير والمعني من مشروبكم او حذف منه
لدلالة ما قبله عليه انتهي فقوله حذف الضمير معناه مما تشربونه وفسره بقوله مشروبكم
لان الذي تشربونه هو مشروبكم وقال الزمخشري اذن واقع في جزا الشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارايكم انتهي وليس اذن واقعا في جزا
الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزا للشرط بل ذلك جملة جواب القسم
المحذوف قبل ان الموطية ولو كانت انكم لم يكن ذلك التركيب جايزا الا عند الفرا والبصريون
لا يجيزونه وهو عندهم خطا واختلف المعربون في تخريج انكم الثانية والمنقول عن س ان انكم
بدل من الاولي وفيها معني التاكيد وخبر انكم الاولي محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره
انكم تبعثون اذا متم وهذا الخبر المحذوف هو العامل في اذا وذهب الفرا والجرمي والمبرد
الي ان انكم الثانية كررت للتاكيد لما طال الكلام حسن التكرار وعلي هذا يكون مخرجون
خبر انكم الاولي والعامل في اذا هو هذا الخبر وكان المبرد يابي البدل لكونه من غير مستقبل
اذ لم يذكر خبر ان الاولي وذهب الاخفش الي ان انكم مخرجون مقدر بمصدر مرفوع
بفعل محذوف تقديره يحدث اخراجكم فعلي هذا التقدير يجوز ان تكون الجملة الشرطية
خبرا لانكم ويكون جواب اذا ذلك الفعل المحذوف ويجوز ان يكون ذلك الفعل المحذوف هو
خبر انكم ويكون عاملا في اذا وذكر الزمخشري قول المبرد باديا به فقال ثني انكم للتوكيد
وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول
وهذا قول المبرد قال الزمخشري او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا علي معني اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم انتهي وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه قال او رفع انكم مخرجون
بفعل هو جزا الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم انتهي وهذا قول الاخفش الا انه
حتم ان تكون الجملة الشرطية خبرا عن انكم ونحن جوزنا في قول الاخفش هذا الوجه وان
يكون خبر انكم ذلك الفعل المحذوف وهو العامل في اذا وفي قراة عبد الله ايعدكم اذا متم
باسقاط انكم الاولي وقرا الجمهور هيهات هيهات بفتح التاين وهي لغة الحجاز وقراها رون
عن ابي عمرو بفتحهما منونتين ونسبها ابن عطية لخالد بن الياس وقرا ابو حيوة بضمهما
من غير تنوين وعنه وعن الاحمر بالضم والتنوين ووافقه ابو السمال في الاول وخالفه
في الثاني وقرا ابو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين وروي هذا عن عيسي وهي في تميم
واسد وعنه ايضا وعن خالد بن الياس بكسرهما والتنوين وقرا خارجة بن مصعب عن ابي
عمرو والاعرج وعيسي ايضا باسكانهما وهذه الكلمة تلاعبت بها العرب تلاعبا كثيرا بالحذف
والابدال والتنوين وغيره وقد ذكرنا في التكميل لشرح التسهيل ما ينيف علي اربعين لغة
فالذي اختاره انها اذا نونت وكسرت او كسرت ولم تنون لا تكون جمعا لهيهات ومذهب
س انها جمع لهيهات وكان حقها عنده ان يكون هيهات الا ان ضعفها لم يقتض اظهار التا
قال س هي مثل بيضات يعني في انها جمع فظن بعض النحات انه اراد في اتفاق المفرد
فقال واحد هيهات هيهة وتحرير هذا كله مذكور في علم النحو ولا تستعمل هذه الكلمة
غالبا الا مكررة وجات غير مكررة في قول جرير وهيهات خل بالعقيق نواصله وقول
روية هيهات من متخرق هيهاوه وهيهات اسم فعل لا يتعدي يرفع الفاعل ظاهرا او
مضمرا وهنا جا التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب ان يعتقد
اضماره وتقديره هو اي اخراجكم وجات اللام للبيان اي اعني لما توعدون كهي بعد سقيا لك
فتتعلق بمحذوف وليست المستبعد ما هو بعد اسم الفعل الدال علي البعد كما جات
في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج البعد لما توعدون او بعد لما توعدون وينبغي

ان يجعل كلامه تفسير معني لا تفسير اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات وقول
الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر وليس بواضح لانهم قد نونوا اسما الافعال
ولا تقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر وقال ابن عطية طورا تلي الفاعل دون
لام تقول هيهات مجي زيد اي بعد واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه
الاية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهي وهذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل
وفيه انه مصدر حذف وابقي معموله ولا يجيز البصريون شيا من هذا وقال ابن عطية
ايضا في قراة من ضم ونون انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم
كما تقول النجح لسعيك وقال صاحب اللوامح فاما من قال هيهات فرفع ونون احتمل
ان يكونا اسمين متمكنين مرتفعين بالابتدا وما بعدهما خبرهما من حروف الجر بمعني البعد
لما توعدون والتكرار للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبنا مثل حوب في زجر
الابل لكنه نون لكونه نكرة انتهي وقرا ابن ابي عبلة هيهات هيهات ما توعدون
بغير لام فتكون ما فاعلة بهيهات وهي قراة واضحة قالوا ان هي هذا الضمير يفسره سياق
الكلام لانهم قبل انكروا المعاد فقالوا ايعدكم انكم الاية فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف
واستهزا فتضمن ان لا حيوة الا حياتهم وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما
يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها
ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شات والمعني لا حيوة الا هذه
الحيوة الدنيا لان ان النافية دخلت علي هي التي في معني الحيوة الدالة علي الجنس فنفتها
فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيي اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن
وياتي قرن انتهي ثم اكدوا ما حصروه من ان لا حيوة الا حياتهم وجزموا بانتفا بعثهم من قبورهم
للجزا وهذا هو كفر الدهرية ثم نسبوه الي افترا الكذب علي الله في انه نباه وارسله الينا واخبره
انا نبعث وما نحن له بمومنين اي بمصدقين ولما ايس من ايمانهم وراي اصرارهم علي الكفر دعا عليهم
وطلب عقوبتهم علي تكذيبهم قال عما قليل اي عن ومن قليل وما توكيد للقلة وقليل صفة لزمن محذوف
وفي معناه قريب قيل اي بعد الموت تصيرون نادمين وقيل عما قليل اي وقت نزول العذاب
في الدنيا وظهور علاماته والندامة علي ترك قبول ما جاءهم به رسولهم حيث لا ينفع الرجوع ه
واللام في ليصبحن لام القسم وعما قليل متعلق بما بعد اللام اما بيصبحن واما بنادمين وجاز
ذلك لانه جار ومجرور ويتسامح في المجرورات والظروف ما لا يتسامح في غيرها الا تري انه لو كان
مفعولا به لم يجز تقديمه لو قلت ما ضربن زيدا لم يجز زيدا لاضربن وهذا الذي قررناه
من ان عما قليل يتعلق بما بعد لام القسم هو قول بعض اصحابنا وجمهورهم علي ان لام القسم
لا يتقدم شي من معمولات ما بعدها عليها سوا كان ظرفا او مجرورا ام غيرهما فعلي قولهم لا يكون
عما قليل يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره عن ما قليل تنصر لان قبله قال رب انصرني ه
وذهب الفرا وابو عبيدة الي جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقا وفي اللوامح عن
بعضهم لتصبحن بتاء علي المخاطبة فلو ذهب ذاهب الي ان يصير القول من الرسول الي الكفار بعد
ما اجيب دعاوه لكان جايزا والله اعلم انتهي فاخذتهم الصيحة قال الزمخشري صيحة جبريل صاح
عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعذاب من الله من قولك فلان
يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم بالغثا في دمارهم وهو حميل السيل مما بلي واسود
من الورق والعيدان انتهي وعن ابن عباس الصيحة الرجفة وقيل هي نفس العذاب والموت
وقيل العذاب المصطلم قال الشاعر

صاح الزمان بال زيد صيحة خروا لشدتها علي الاذقان

وقال المفضل بالحق بما لا
مدفع له كقوله وجات سكرة الموت بالحق وانتصب بعدا بفعل متروك اظهاره اي بعدوا بعدا
اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وقال الحوفي للقوم متعلق ببعدا وقال
الزمخشري وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون انتهي فلا
تتعلق ببعدا بل بمحذوف ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
ثم ارسلنا رسلنا تترا كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا للقوم

لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا
قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قرونا قال ابن عباس هم
بنو اسرائيل وقيل قصة لوط وشعيب وايوب ويونس صلوات الله عليهم ما تسبق الى اخر الاية
تقدم الكلام عليها في الحجر ثم ارسلنا رسلنا تترا اي لامم اخرين انشاناهم بعد اوليك وقرا ابن
كثير وابو عمرو وقتادة وابو جعفر وشيبة وابن محيصن والشافعي تترى منونا وباقي السبعة
بغير تنوين وانتصب على الحال اي متواترين واحدا بعد واحد واضاف الرسل اليه تعالى
واضاف رسولا الى ضمير الامة المرسل اليها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس
المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل والثاني كانت الاضافة الى الامة
حيث كذبته ولم ينجع فيهم ارساله اليهم فناسب الاضافة اليهم فاتبعنا بعضهم اي بعض القرون
او بعض الامم بعضا في الاهلاك الناشئ عن التكذيب واحاديث جمع حديث وهو جمع شاذ وجمع
احدوثة وهو جمع قياسي والظاهر ان المراد الثاني اي صاروا يتحدث بهم وبحالهم في الاهلاك
على سبيل التعجب والاعتبار وضرب المثل بهم وقال الاخفش لا يقال هذا الا في الشر ولا يقال
في الخير قيل ويجوز ان يكون جمع حديث والمعنى انه لم يبق منهم عين ولا اثر الا الحديث عنهم
وقال الزمخشري الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم انتهى وافاعيل ليس من ابنية اسم الجمع وانما ذكره اصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع
واقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بانه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرنا باياتنا قال ابن
عباس هي التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنون
ونقص من الثمرات وسلطان مبين قيل هي العصا واليد وهما اللتان اقترن بهما التحدي
ويدخل في عموم اللفظ سائر اياتهما كالبحر والمرسلات الست واما غير ذلك مما جرى بعد الخروج
من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني اسرائيل وقال الحسن باياتنا اي بديننا وسلطان
مبين هو المعجز ويجوز ان يراد بالايات نفس المعجزات وبسلطان مبين كيفية دلالتها لانها
وان شاركت ايات الانبياء فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام قيل ويجوز
ان يراد بالسلطان المبين العصا لانها كانت ام ايات موسى واولادها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بالضرب
بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعض الايات
لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله وجبريل وميكال ويجوز ان يراد
بسلطان مبين الايات انفسها اي هي ايات وحجة بينة فاستكبروا عن الايمان بموسى
واخيه انفة قوما عالين اي رفيعي الحال في الدنيا او متطاولين على الناس قاهرين
بالظلم او متكبرين كقوله ان فرعون علا في الارض اي وكان من شانهم التكبر والبشر يطلق على
المفرد والجمع كقوله فاما ترين من البشر ولما اطلق على الواحد جازت تثنيته فلذلك
جاء لبشرين ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولا يؤنث وقد يطابق
تثنية وجمعا وقومهما اي بنو اسرائيل لنا عابدون اي خاضعون متذللون او لانه كان يدعي
الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة وقال ابو عبيد العرب
تسمي كل من دان للملك عابدا ولما كان ذلك الاهلاك كالمعلول للتكذيب اعقبه بالفاء اي
فكانوا ممن حكم عليهم بالغرق اذ لم يحصل الغرق عقيب التكذيب موسى الكتاب اي قوم موسى
والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله لعلهم ولا يصح عود
هذا الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لان الكتاب لم يؤته موسى الا بعد هلاك فرعون
لقوله ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى لعلهم ترج بالنسبة
اليهم لعلهم يهتدون لشرائعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم وامه اي قصتهما وهي اية

عظمى

283

عظمى بمجموعها وهي ايات مع التفصيل ويحتمل ان يكون حذف من الاول اية لدلالة الثاني او
اي وجعلنا ابن مريم اية وامه اية والربوة هنا قال ابن عباس وابن المسيب الغوطة بدمشق
وصفتها انها ذات قرار ومعين على الكمال وقال ابو هريرة رملة فلسطين وقال قتادة وكعب
بيت المقدس وزعم ان في التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء وانه يزيد على
الارض ثمانية عشر ميلا وقال ابن زيد ووهب الربوة بارض مصر وسبب هذا الايواء ان ملك
ذلك الزمان عزم على قتل موسى ففرت به امه الى احد هذه الاماكن التي ذكرها المفسرون
وقرا الجمهور ربوة بضم الراء وهي لغة قريش والحسن وابو عبد الرحمن وعاصم وابن
عامر بفتحها وابو اسحق السبيعي بكسرها وابن ابي اسحق رباوة بضم الراء وبالالف
وزيد بن علي والاشهب العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالالف
وقرئ بكسرها وبالالف ذات قرار اي مستوية يمكن القرار فيها للحرث والغراسة
والمعنى انها من البقاع الطيبة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انها لاجل الثمار يستقر
فيها ساكنوها ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد وخطابه في زمانه اذ لم يجتمعوا
في زمان واحد فيناديهم ويخاطبهم فيه وانما اتى بصورة الجمع ليعتقد السامع
ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوجد به ويعمل عليه وقيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وجاء بلفظ الجمع تفخيما لمقام الرسل وقيل ليفهم بذلك ان هذه طريقة
كل رسول كما تقول تخاطب تاجرا يا تجار اتقوا الربا وقال الطبري الخطاب لعيسى وروي انه
كان ياكل من غزل امه والمشهور من بقل البرية قال الزمخشري ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند
ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما
ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا انتهى الذي اعلمنا بما ان الرسل كلهم ا
اقتدا بالرسل والطيبات الحلال لذيذا كان او غير لذيذ وقيل ما يستطاب ويستلذ من الماكل
والفواكه ويشهد له ذات قرار ومعين وقدم الاكل من الطيبات على العمل الصالح دلالة على
انه لا يكون صالحا الا مسبوقا باكل الحلال اني بما تعملون عليم تحذير في الظاهر والمراد اتباعهم
وان هذه امتكم الاية تقدم تفسير مثلها في اواخر الانبيا وقرا الكوفيون وان بكسر الهمزة والتشديد
على الاستئناف والحرميان وابو عمرو بالفتح والتشديد اي ولان وابن عامر بالفتح والتخفيف وهي
المخففة من الثقيلة ويدل على ان النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه قوله وان هذه امتكم
وقوله فتقطعوا وجاء هنا وانا ربكم فاتقون وهو ابلغ في التخويف والتحذير من قوله في الانبياء فاعبدون
لان هذه جاءت عقيب اهلاك طوائف كثيرين قوم نوح والامم الذين من بعدهم وفي الانبياء
وان تقدمت ايضا قصة نوح وما قبلها فانه جاء بعدها ما يدل على الاحسان واللطف التام
في قصة ايوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الامر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على نعمته
في ضلاله وانه هو الذي ينبغي ان يعتقد وكانه لا ريبة عنده في انه الحق ولما ذكر تعالى من
ذكر من الامم وما ال امرهم من الاهلاك حين كذبوا الرسل كان ذلك مثالا لقريش فخاطب
رسوله في شانهم بقوله فذرهم في غمرتهم حتى حين وهذا وعيد لهم حيث تقطعوا في امر رسول الله
فقائل هو شاعر وقائل ساحر وقائل به جنة كما تقطع من قبلهم من الامم كما قال اتواصوا به بل هم
قوم طاغون قال الكلبي في غمرتهم في جهالتهم وقال ابن بحر في حيرتهم وقال ابن سلام في غفلتهم
وقيل في ضلالتهم حتى حين حتى ينزل بهم الموت وقيل حتى ياتي ما وعدوا به من العذاب وقيل هو يوم
بدر وقيل هي منسوخة باية السيف وقرا الجمهور في غمرتهم وعلي ابن ابي طالب وابو حيوة
والسلمي في غمراتهم على الجمع لان لكل واحد غمرة وعلى قراءة الجمهور فغمرة تعم اذا اضيفت
الى عام وقال الزمخشري الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه
من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال الشاعر

كاني ضارب في غمرة لعب

سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخره انتهى
ثم وقفهم تعالى على خطا رايهم في ان نعمة الله عليهم بالمال ونحوه انما هي لرضاه عن حالهم وبين
تعالى ان ذلك انما هو املاء واستدراج الى المعاصي واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه

مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالاحسان وقرا ابن وثاب انما نمدهم بكسر الهمزة وقرا
ابن كثير في رواية يمدهم بالياء وما في انما اما بمعنى الذي او مصدرية او كافة مهيئة الا كانت بمعنى
الذي فصلتها ما بعدها وخبر ان هي الجملة من قوله نسارع لهم في الخيرات والرابط لهذه
الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى تقديره نسارع لهم به في الخيرات وحسن حذفه استطالة
الكلام مع امن اللبس وتقدم نظيره في قوله انما نمدهم به وقال هشام بن معوية الضمير الرابط
هو الظاهر وهو في الخيرات وكان المعنى نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات فلا حذف
على هذا التقدير وهذا يتمشى على مذهب الاخفش في اجازته نحو زيد قام ابو عبد الله اذا كان
ابو عبد الله كنية لزيد فالخيرات من حيث المعنى هي الذي مدوا به من المال والبنين وان
كانت ما مصدرية فالمسبوك منها ومما بعدها هو مصدر اسم ان وخبر ان هو نسارع على تقدير
مسارعة فيكون الاصل ان نسارع فحذفت ان وارتفع الفعل والتقدير ايحسبون ان امدادنا
لهم بالمال والبنين مسارعة لهم في الخيرات وان كانت ما كافة مهيئة فهو مذهب الكسائي
فيها هنا فلا تحتاج الى ضمير ولا حذف ويجوز الوقف على وبنين كما تقول حسبت انما يقوم زيد
وحسبت انك منطلق وجاز ذلك لان ما بعد حسبت قد انتظم مسندا ومسندا اليه من حيث
المعنى وان كان في ما يقدره مفردا لانه ينسبك من ان وما بعدها مصدر وقرا السلمي وعبد
الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء فان كان فاعل يسارع ضمير يعود على ما بمعنى الذي
او على المصدر المنسبك من ما نمد فيسارع خبر لان ولا ضمير ولا حذف اي يسارع هو اي الذي
يمد ويسارع هو اي امدادنا وعن ابن ابي بكرة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيا للمفعول
وقرا الحر النحوي نسرع بالنون مضارع اسرع بل لا يشعرون اضراب عن قوله ايحسبون
اي بل هم اشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويتفكروا اهو استدراج ام مسارعة
في الخير وفيه تهديد ووعيد ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم
يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق
بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا
اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت اياتي تتلى عليكم
فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم
عقب ذلك بذكر المومنين ووعدهم وذكرهم بابلغ صفاتهم والاشفاق ابلغ التوقع والخوف
ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي
ومقاتل ومن خشية متعلق بمشفقون قاله الحوفي وقال ابن عطية ومن في من خشية هي لبيان
جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله والايات تعم القران والعبر والمصنوعات
التي لله وغير ذلك مما فيه نظر وفي كل شي له اية ثم ذكر نفي الاشراك وهو عبادتهم الهتهم التي هي
الاصنام اذ الكفار قريش اذ تقول نحن نومن بايات ربنا ونصدق بانه المخترع الخالق وقيل ليس
المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشرك لله لان ذلك داخل في قوله والذين هم بايات ربهم
يومنون المراد نفي الشرك الخفي وهو ان يخلصوا في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله وطلب
رضوانه وقرا الجمهور يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوة والصدقات وقلوبهم
وجلة اي خايفة ان لا يتقبل منهم لتقصيرهم انهم اي وجلة لاجل رجوعهم الى الله اي خايفة لاجل
ما يتوقعون من لقا الجزا وقال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع اعمال البر كانه قال
والذين يفعلون من انفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم وقرات عايشة وابن عباس وقتادة
والاعمش والحسن والنخعي ياتون ما اتوا من الاتيان اي يفعلون ما فعلوا قالت عايشة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله
قال لا يا ابنة الصديق ولكنه هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل
قيل وجل العارف من طاعته اكثر من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب
التصحيح وقال الحسن المومن جمع احسانا وشفقة والمنافق جمع اساءة وامنا وقرا الاعمش
انهم بالكسر وقال ابو عبد الله الرازي ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الاولى دلت

حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله والثالثة على ترك
الرياء في الطاعة والرابعة على ان المستجمع لهذه الصفات الثلاثة ياتي بالطاعات
مع خوف من التقصير وهي نهاية مقامات الصديقين انتهى اولئك يسارعون جملة في موضع خبر
ان قال ابن زيد الخيرات المخافة والايمان والكف عن الشرك قال الزمخشري يسارعون
في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها
لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات
ما نفي عن الكفار للمومنين انتهى وقرا الحر النحوي يسرعون مضارع اسرع يقال اسرعت الى
الشي وسرعت اليه بمعنى واحد واما المسارعة فالمسابقة اي يسارعون غيرهم قال الزجاج
يسارعون ابلغ من يسرعون انتهى ووجهه المبالغة ان المفاعلة تكون من اثنين فتقتضي حث
النفس على السبق لان من عارضك في شي تشتهي ان تغلبه فيه وهم لها سابقون الظاهر ان الضمير
في لها عايد على الخيرات اي سابقون اليها تقول سبقت لكذا وسبقت الى كذا ومفعول سابقون
محذوف اي سابقون الناس وتكون الجملة تاكيدا للتي قبلها مقيده بجدد الفعل بقوله يسارعون
وثبوته بقوله سابقون وقيل اللام للتعليل اي لاجلها سابقون الناس الى رضى الله وقال الزمخشري
لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها انتهى وهذان القولان عندي
واحد قال ايضا او اياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا انتهى ولا يدل
لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشي الشي يدل على تقدم السابق على المسبوق
فكيف يقال وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح وقال ايضا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد
خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها وهذا مروي عن ابن عباس قال المعنى سبقت لهم
السعادة في الازل فهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة في المعنى انتهى والظاهر القول الاول
وباقيها متعسف وتحميل للفظ غير ظاهره وقيل الضمير في لها عايد على الجنة وقيل على الامم ولا نكلف
نفسا الا وسعها تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في اخر البقرة ولدينا كتاب ينطق بالحق اي
كتاب فيه احصا اعمال الخلق يشير الى الصحف التي يقرؤون فيها ما ثبت لهم في اللوح المحفوظ
وقيل القران بل قلوبهم اي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الما من هذا اي من هذا العمل
الذي وصف به المومنون او من الكتاب الذي لدينا او من القران والمعنى من اطراح هذا
وتركه او يشير الى الدين بجملته او الى محمد صلى الله عليه وسلم اقوال خمسة ولهم اعمال
من دون ذلك اي من دون الغمرة والضلال المحيط بهم فالمعنى انهم ضالون معرضون عن الحق
وهم مع ذلك لهم سعايات فساد فوصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وابو العالية
وعلى هذا التاويل الاخبار عن ما سلف من اعمالهم وعما هم فيه وقيل الاشارة بذلك الى قوله
من هذا فكانه قال لهم اعمال من دون الحق او القران ونحوه وقال الحسن ومجاهد انما اخبر
بقوله ولهم اعمال عما يستانف من اعمالهم وعما هم فيه وقيل الاشارة بذلك الى قوله من هذا
اي انهم لهم اعمال من الفساد وعن ابن عباس اعمال سيية دون الشرك وقال الزمخشري
ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المومنون هم لها معتادون وبها ضارون
لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام
الجملة الشرطية انتهى وقيل الضمير في قوله بل قلوبهم يعود الى المومنين المشفقين في غمرة
من هذا اوصفهم بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في اعمالهم اهي
مقبولة ام مردودة ولهم اعمال من دون ذلك اي من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه ويريد
بالاعمال الاول الفرايض وبالثاني النوافل حتى اذا اخذنا مترفيهم رجوع الى وصف الكفار
قاله ابو مسلم قال ابو عبد الله الرازي وهو اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما اتصل به
كان اولى من رده الى ما بعد خصوصا وقد يرغب المرء في الخير بان يذكر ان اعمالهم محفوظة
كما يحذر بذلك الى الشر وقد يوصف بشدة فكره في امر اخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه
قد استولى عليه الفكر في قبوله او رده وفي انه هل اداه كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله

من هذا قلنا اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك على قلوبهم انتهى وتقدم قول
الزمخشري في حتى انها التي يبتدا بعدها الكلام وانها غاية لما قبلها وتقدم ذلك انهم معتادون
لها حتى ياخذهم الله بالعذاب وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة اذا ظرف يضاف الى ما بعده
فيه معنى الشرط اذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والتقدير
جاروا فيكون جاروا العامل في اذا الاولى والعامل في الثانية اخذنا انتهى وهو كلام مخبط ليس
اهلا ان يرد وقال ابن عطية وحتى حرف ابتدا لا غير واذا والثانية التي هي جواب
يمنعان من ان تكون حتى غاية لعاملون انتهى وقال مكي اي لكفار قريش اعمال من الشر دون
اعمال اهل البر هم لها عاملون الى ان ياخذ الله اهل النعمة والنظر منهم بالعذاب اذا هم
يضجون ويستغيثون والمترفون المنعمون والروسا والعذاب القحط سبع سنين والجوع
حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة
والقد والاولاد وقيل العذاب قتلهم يوم بدر وقيل عذاب الاخرة والظاهر ان الضمير في اذا هم
عايد على مترفيهم اذ هم المحدث عنهم صاحوا حتى نزل بهم العذاب وقيل يعود على الباقين بعد
المعذبين قال ابن جريج المعذبون قتلى بدر وقيل العذاب والذين يجارون اهل مكة لانهم ناحوا
واستغاثوا لا تجاروا اليوم اى يقال لهم اما حقيقة تقول لهم الملايكة ذلك واما مجازا
اي بلسان الحال يقول ذلك هذا ان كان الذين يجارون هم المعذبون وقيل على قول ابن
جريج ليس القايل الملايكة وقال قتادة تجارون يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم وقال
الربيع بن انس تجارون تجزعون عبر بالصراخ بالجزع اذ الجزع سببه انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون
من عذابنا او لا يكون لكم نصر من جهتنا فالجوار غير نافع لكم ولا مجد قد كانت اياتي من ايات القران
تنكصون ترجعون استعارة للاعراض عن الحق وقرا علي ابن ابي طالب تنكصون بضم الكاف
والضمير في به عايد على المصدر الدال عليه تنكصون اي بالنكوص والتباعد عن سماع الايات
او على الايات لانها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي بالبا او تكون البا للسبب
اي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو والجمهور على ان الضمير في به عايد على الحرم والمسجد
وان لم يجر له ذكر وسوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم معجزة الا انهم
ولاته والقايمون به وذكر منذر بن سعيد ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسنه
ان في قوله تتلى عليكم دلالة على التالي وهو الرسول عليه السلام وهذه الاقوال تتعلق فيها
به بمستكبرين وقيل تتعلق بسامرا اى تسمرون بذكر القران والطعن فيه وكانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب من
اتى به وقرا الجمهور سامرا وابن مسعود وابن عباس وابو حيوة وابن محيصن وعكرمة والزعفراني
ومحبوب عن ابي عمرو سمرا بضم السين وشد الميم مفتوحة جمع سامر وابن عباس ايضا وزيد
بن علي وابو رجا وابو نهيك كذلك وبزيادة الف بين الميم والرا جمع سامر ايضا وهما جمعان
مقيسان في مثل سامر وقرا الجمهور تهجرون بضم التا وضم الجيم وروي ابن ابي عاصم بالياء على
سبيل الالتفات قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر وقال ابن
زيد وابو حاتم هو من هجر المريض اذا هذى اي يقولون اللغو من القول وقرا ابن عباس وابن
محيصن ونافع وحميد بضم التا وكسر الجيم مضارع اهجر اى يقولون الهجر بضم الها وهو الفحش
قال ابن عباس اشارة الى السب للصحابة وغيرهم وقرا ابن مسعود وابن عباس ايضا وزيد
بن علي وعكرمة وابو نهيك وابن محيصن ايضا وابو حيوة كذلك الا انهم فتحوا الها وشددوا
الجيم وهو تضعيف من هجر ماضي الهجر بالفتح بمعنى مقابل الوصل او الهذيان او ماضي الهجر وهو
الفحش وقال ابن جني لو قيل ان المعنى انكم مبالغون في المهاجرة حتى انكم ان كنتم سمرا بالليل
فكانكم تهجرون في المهاجرة على الافتضاح لكان وجها افلم يدبروا القول ام جاهم ما لم يات اباهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاهم بالحق واكثرهم للحق
كارهون ولو اتبع الحق اهواهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط

مستقيم

مستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا
في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القران
الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم اي افلم يتفكروا فيما جابه وتخبطهم ووقفهم على تدبره وانفهم
بمكابرتهم ونظرهم الفاسد قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وهو مواعظ الله لا بل الباقية على
غابر الدهر قرعهم اولا بترك الانتفاع بالقران ثم ثانيا بان ما جاهم جا اباهم الاولين اى ارسال
الرسل ليس بدعا ولا مستغربا بل جات الرسل الامم قبلهم وعرفوا ذلك بالتواتر ونجاة من امن
واستيصال من كذب واباوهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وروي لا تسبوا مضر ولا
ربيعة ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر ولا قسا وذكر انهم كانوا مسلمين
وان تبعا كان مسلما وكان على شريعة سليمن ابن داود وتخبطهم ثالثا بانهم يعرفون محمدا صلى
الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه
بانه خير فتيان قريش وكفى بخطبة ابي طالب حين تزوج خديجة وانها احتوت على صفات
له صلى الله عليه وسلم طرقت اذان قريش فلم تنكر منها شيا اي قد سبقت معرفتهم له جملة
وتفصيلا فلا يمكن انكار شي من اوصافه وتخبطهم رابعا بانهم نسبوه الى الجن وقد علموا انه ارجحهم
عقلا واثقبهم ذهنا فان الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جابه وبين كلام ذي الجنة
غير خاف على من له مسكة من عقل وهذه التوبيخات الاربع كانت تقتضي ما وبخوا به منها ان
يكون سببا لانقيادهم الى الحق لان التدبر لما جابه والنظر في سير الماضين وارسال الرسل اليهم
ومعرفة الرسول ذاتا واوصافا وبراته من الجنون هاد لمن وفقه الله للهداية ولكنه جاهم
بما حال بينهم وبين اهوايهم ولم يوافق ما نشوا عليه من اتباع الباطل ولما لم يجدوا له مدفعا
لانه الحق عاملوا بالبهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر بل جاهم
بالحق اي بالقران المشتمل على التوحيد وما به النجاة في الاخرة والسودد في الدنيا واكثرهم
للحق كارهون يدل على ان فيهم من لا يكره الحق وذلك من ترك الايمان انفة واستكبارا من توبيخ
قومه ان يقولوا صبا وترك دين ابايه ولو اتبع الحق اهواهم قرا ابن وثاب ولو اتبع بضم
الواو والظاهر انه الحق الذي ذكر قبل في قولهم بل جاهم بالحق اى لو كان ما جابه الرسول من
الاسلام والتوحيد متبعا اهواهم لانقلب شركا وجاه الله بالقيامة واهلك العالم ولم يوخر
قال معناه الزمخشري وبعضه بلفظه وقال ايضا دل بهذا على عظم شان الحق فلو اتبع اهواهم
لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام وقيل لو كان ما جابه الرسول
بحكم هوى من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك حقا لم يكن لله الصفات العلية ولو لم
يكن له لم تكن القدرة كما هي وكان ذلك فسادا للسموات والارض وقيل كانوا يرون الحق في اتخاذ
الالهة مع الله لكنه لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والارض على ما قرر في دليل التمانع
في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل كانت اراوهم متناقضة فلو اتبع الحق
اهواهم لوقع التناقض واختل النظام العالم وقال قتادة الحق هنا الله تعالى فقال الزمخشري
معناه ولو كان الله الها يتبع اهواهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولما قدر على ان
يمسك السموات والارض وقال ابن عطية ومن قال ان الحق في الاية هو الله تعالى وكان قد
حكاه عن ابن جريج وابي صالح تشعب له لفظ اتبع وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور
في الاية لان لفظة الاتباع انما هي استعارة بمعنى ان يكون اهواهم يقررها الحق فنحن نجد الله
تعالى قد قرر كفرهم واهواهم وليس في ذلك فساد سموات واما نفسه الذي هو الصواب
فلو كان طبق اهوايهم لفسد كل شي فتامله انتهى وقرا الجمهور بل اتيناهم بنون العظمة وابن ابي اسحق
وعيسى بن عمر ويونس عن ابي عمرو بتا المتكلم وابن ابي اسحق وعيسى ايضا وابو البرهسم
وابو حيوة والجحدري وابن قطيب وابو رجا بتا الخطاب للرسول عليه السلام وابو عمرو
في رواية اتيناهم بالمد اي اعطيناهم بذكراهم بالف التانيث وقتادة نذكرهم بالنون
مضارع ذكر ونسبة الاتيان الحقيقي الى الله لا يصح وانما هو مجاز اي بل اتاهم كتابنا او رسولنا
وقال الزمخشري بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر

الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ام تسالهم
خرجا هذا استفهام توبيخ ايضا المعنى بل اتسالهم ما لا تغلبوا الذلك واستثقلوك من اجله قاله
ابن عطية وخطب الزمخشري باحسن كلام فقال ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطا الخلق
والكثير من عطا الخالق خير فقد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي
ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبي مثله للرسالة من بين
ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوة العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الي
النيل من دنياهم واستعطا اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم
مع ابراز المكنون من ادوايهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الابا الضلال
من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات
والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر انتهى وتقدم الكلام في قوله
خرجا فخراج في قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا في الكهف قراءة ومن لولا وقرا الحسن وعيسى
خراجا فخراج فكملت بهذه القراءة اربع قراءات وفي الحرفين فخراج ربك اي ثوابه لانه
الباقي وما يوخذ من غيره فان وقال الكلبي فعطاوه لانه يعطي لا لحاجة وغيره يعطي لحاجة
وقيل فرزقه ويويده خير الرازقين قال الحبابي(?) خير الرازقين دل على انه لا يساويه احد
في الافضال على عباده ودل على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا انتهى وهذا من لو لخير الذي
هو افعل التفضيل ومن لولا الرازقين الذي هو جمع اضيف اليه افعل التفضيل ولما زيف
طريقة الكفار اتبع ذلك ببيان صحة ما جابه الرسول فقال وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم وهو دين الاسلام ثم اخبر ان من انكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لانه لا يسلكه الا
من كان راجيا للثواب خايفا من العقاب وهولا غير مصدقين بالجزا فهم مايلون عنه وابعد من
زعم ان الصراط الذي هم ناكبون عنه هو طريق الجنة في الاخرة ومن زعم ان الصراط هو
في الاخرة ناكبون عنه ياخذهم يمنة ويسرة الي النار وقال ابن عباس لناكبون لعادلون وقال
الحسن تاركون له وقال قتادة جايرون وقال الكلبي معرضون وهذه اقوال متقاربة المعنى
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قيل هو الجوع وقيل القتل والسبي وقيل عذاب الاخرة
اي بلغوا من التمرد والعناد انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لشدة لجاجهم فيما هم عليه من
البعد وهذا القول بعيد بل الظاهر ان هذا التعليق كان يكون في الدنيا ويدل على ذلك قوله
ولقد اخذناهم بالعذاب الي اخر الاية استشهد على شدة شكيمتهم في الكفر ولجاجهم على تقدير
رحمته لهم بانه اخذهم بالسيوف اولا وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما
وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر
والقتل فابلسوا وخضعت رقابهم فالظاهر من هذا ان الضر هو القحط والجوع الذي اصابهم
بدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس وابن جريج وسبب نزول الاية
دليل على ذلك روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة من اهل مكة
فاخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز فجا ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت
الابا بالسيف والابنا بالجوع فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال
والقحط الذي اصابهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول
الله والمومنين وافراطهم فيها وقيل المعنى ولو امتحناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم
استكانة ولا انقياد حتى اذا عذبوا بنار جهنم ابلسوا كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فعلى هذا القول يكون الفتح لباب العذاب الشديد في الاخرة
وعلى الاول كان في الدنيا ووزن استكان استفعل اي انتقل من كون الى كون كما تقول استحال
انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الالف اشباع ضعيف
لان الاشباع بابه الشعر كقوله

اعوذ بالله من العقراب ۰ الشايلات عند الاذناب

ولان الاشباع لا يكون في تصاريف الكلمة الا ترى انه من اشبع في قوله ومن ذم الزمان بمنتزاح

لايقول

لا يقول انتزاح ينتزح فهو منتزح وانت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان وجي
مصدره استكانة يدل على ان الفعل وزنه استفعل كاستقام استقامة وتخالف استكانوا ويتضرعون
في الصيغة فلم يكونا ماضيين ولا مضارعين قال الزمخشري لان المعنى محناهم فما وجدت
منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولا ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب
العذاب الشديد والمبلس الايس من الشر الذي ناله وقرا السلمي مبلسون بفتح اللام
الهمز النخس والدفع بيد وغيرها ومنه همزات الرايض وهمز الناس باللسان **البرزخ**
الحاجز بين المسافتين وقيل الحاجب بين الشيين يمنع احدهما ان يصل الي الاخر **النسب**
القرابة من جهة الولادة **اللفح** اصابة النار الشي بوهجها واحراقها وقال الزجاج
اللفح اشد من النفح تاثيرا **الكلوح** تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه كلوح الكلب والاسد
وقيل الكلوح بسور الوجه وهو تقطيبه وكلح الرجل كلوحا وكلاحا ودهر كالح وبرد كالح شديد
العبث اللعب الخالي عن فايدة وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافيدة قليلا
ما تشكرون وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار افلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اينا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون مناسبة وهو الذي
انشا لكم لما قبله انه لما بين اعراض الكفار عن سماع الادلة ورويه العبر والتامل في الحقايق خاطب
قيل المومنين والظاهر العالم باسرهم تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضا في ما خلقها الله تعالى
وتدبرها ادعم فيها من الدلايل على وحدانيته وباهر قدرته فهو كعادم هذه الاعضا وهو كما قال
تعالى فيهم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي ثم انشا هذه الحواس وانشات
هي له واحيي وامات ويصرف في اختلاف الليل والنهار موقظا دعلى البعث وخص هذه الاعضا بالذكر
لان يتعلق بها منافع الدين والدنيا عن اعمال السمع والبصر في ايات الله والاستدلال بفكر القلب
على وحدانية الله وصفاته ولما كان خلقها من اتم النعم على العبد قال قليلا ما تشكرون اي تشكرون
قليلا وما زايدة للتاكيد ومن شكر النعمة الاقرار بالمنعم بها ونفي الند والشريك له وذراكم خلقكم
وبثكم فيها والي البداي والى حكمه وقضايه وجزايه تحشرون يريد البعث والجمع في الاخرة بعد
التفرق في الدنيا والاضمحلال وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه وله القدرة
التي ذلك الاختلاف عنها والاختلاف هنا التعاقب اي يخلف هذا هذا افلا تعقلون من هذه
تصرفات قدرته واثار قهره فتوحدونه وتنفون عنه الشركا والانداد اذ هم ليسوا بقادرين
على شي من ذلك وقرا ابو عمرو في رواية يعقلون بيا الغيبة على الالتفات بل قالوا بل اضراب
اي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الايات بل قالوا والضمير لاهل مكة ومن جرى مجراهم في انكار
البعث مثل ما قال اباوهم عاد وثمود ومن رجعوا اليهم من الكفار ولما اتخذوا من دونه تعالى
الهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم يقرون بانه تعالى له الارض ومن فيها ملكا وانه
رب العالم العلوي وانه مالك كل شي وهو مع ذلك ينسبون له الولد ويتخذون له شركا وقرا
عبد الله والحسن والجحدري ونصر بن عاصم وابن وثاب وابو الاشهب وابو عمرو ومن السبعة
سيقولون الله الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والكوفة
والشام وقرا باقي السبعة لله فيهما بلام الجر فالقراءة الاولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية
جات على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الاول انه باللام
وقرا ابن محيصن العظيم برفع الميم نعتا للرب وتقول اجرت فلانا على فلان اذا منعته منه اي هو
يمنع من يشا ممن يشا ولا يمنع احد منه احدا ولا تعارض بين قوله ان كنتم تعلمون وبين ما حكي
عنهم من قولهم سيقولون الله لان قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الاحتجاج

على وجه التاكيد لعلمهم وختم كل سوال بما يناسبه فختم ملك الارض ومن فيها بتحقيق ان لا يشرك به
بعض خلقه ممن في الارض ملكا له الربوبية وختم ما بعدها بالتقوى وهي ابلغ من التذكر وفيها
وعيد شديد اي افلا تخافونه فلا تشركوا به وختم ما بعد هذه بقوله فانى تسحرون مبالغة في التوبيخ
بعد اقرارهم والتزامهم ما يقع غلبتهم به في الاحتجاج واني بمعنى كيف قررا انهم مسحورون وسالهم
عن الهيئة التي سحروا بها اي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والسحر هنا مستعار وهو تشبيه
لما يقع فيهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك
وقرئ بل اتيتهم بتا المتكلم وابن ابي اسحق بتا الخطاب وانهم لكاذبون فيما ينسبون الى الله
تعالى من اتخاذ الولد ومن الشركا وغير ذلك مما هم فيه كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهي نفي
استحالة ونفي الشريك بقوله وما كان معه من اله اي وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعه
ولا في غير ذلك مما يليق به من الصفات العلى فنفي الولد تنبيه على من قال الملايكة بنات الله
ونفي الشريك في الالوهية تنبيه على من قال الاصنام الهة ويحتمل ان يراد به ابطال قول
النصارى والثنوية ومن ولد ومن اله نفي عام يفيد استغراق الجنس وهذا جا اذا لذهب
كل اله ولم يات التركيب اذا لذهب الاله ومعنى لذهب اي لانفرد كل اله بخلقه الذي خلق
واستبد به وتميز ملك كل واحد عن ملك الاخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا واذا لم
يقع الانفراد والتغالب فاعلموا انه اله واحد واذن لم يتقدمها في اللفظ شرط ولا سوال
سايل ولا عدة قالوا فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله
وما كان معه من اله عليه وهذا قول الفرا زعم انه اذا جا بعدها اللام كانت لو وما دخلت عليه
محذوفة وقد قررنا تخريجها على غير هذا في قوله واذا لاتخذوك خليلا في سورة الاسرا
والظاهر ان ما في بما خلق بمعنى الذي وجوز ان تكون مصدرية سبحان الله عما يصفون
تنزيه عن الولد والشريك وقرئ عما تصفون بتا الخطاب وقرا الابنان وابو عمرو وحفص
عالم بالجر قال الزمخشري صفة لله وقال ابن عطية اتباع للمكتوبة وقرا باقي السبعة
وابن ابي عبلة وابو حيوة وابن محيصن بالرفع قال الاخفش الجر اجود ليكون الكلام من
وجه واحد قال ابو علي الرفع ان الكلام قد انقطع يعني انه خبر مبتدا محذوف اي هو عالم
وقال ابن عطية والابتدا عندي ابرع والفا في قوله تعالى عاطفة فالمعنى كانه قال عالم
الغيب والشهادة فتعالى كما تقول زيد شجاع فعظمت منزلته اي شجع فعظمت ويحتمل ان يكون
المعنى فاقول تعالى عما يشركون على اخبار مؤتنف والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما شاهدوه
انتهى قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها
كلمة هو قايلها ومن وراهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون لما ذكر ما كان عليه الكفار من ادعا الولد
والشريك له وكان تعالى قد اعلم نبيه انه ينتقم منهم فلم يبين اذ ذاك في حياته ام بعد موته
امره بان يدعو بهذا الدعا اي ان تريني ما تعدهم واقعا بهم في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني معهم
ومعلوم انه عليه السلام معصوم من ما يكون سببا لجعله معهم ولكنه امره ان يدعو بذلك اظهارا
للعبودية وتواضعا لله واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة
من هذا القبيل وقال ابو بكر وليتكم ولست بخيركم قال الحسن كان يعلم انه خيرهم ولكن المومن
يهضم نفسه وجا الدعا بلفظ الرب قبل الشرط وقبل الجزا مبالغة في الابتهال الى الله والتضرع
ولان الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد وقرا الضحاك وابو عمران الجوني ترئني بالهمز
بدل اليا وهذا كما قرئ فاما ترئن ولترؤن بالهمز وهو ابدال ضعيف ثم اخبر تعالى انه قادر
على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلبون ذلك وذلك في حياته عليه السلام ولكن تاخيره لاجل
يستوفونه والجمهور على ان العذاب في الدنيا فقيل يوم بدر وقيل فتح مكة وقيل هو عذاب
الاخرة ثم امره تعالى بحسن الاخلاق والتي هي احسن شهادة ان لا اله الا الله والسيئة

الشرك وقال الحسن الصفح والاغضا وقال عطا والضحاك السلام اذا افحشوا وحكى الماوردي
ادفع بالموعظة المنكر والاجود العموم في الخشني والتي ما يسو والتي هي احسن ابلغ من الحسنة
للمبالغة الدال عليها افعل التفضيل وجاء في صلة التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي
احسن قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف وقيل هي محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تود
الى ثلم دين وازرا بمروة نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها اية موادعة والمعنى بما يذكرون
ويصفونك به مما انت بخلافه ثم امره تعالى ان يستعيذ من نخسات الشيطان والهمز من الشيطان
عبارة عن حثه على العصيان والاغرا به كما يهمز الرايض الدابة لتسرع ثم امره ان يستعيذ هو
بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وقال ابن زيد همزات الشيطان الجنون والظاهر
انه امر بالاستعاذة من حضور الشياطين في كل وقت وعن ابن عباس عند تلاوة القران حتى هو
اذا جا احدهم الموت قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سو الذكر الى هذا الوقت
والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضا عنهم مستعينا بالله على الشيطان
ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون انتهى وقال ابن
عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتدا الا ان تكون غاية ويحتمل ان تكون غاية مجردة بتقدير كلام هو
محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره انتهى فتوهم ابن عطية ان حتى اذا
كانت حرف ابتدا لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتدا لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف
المقدر وقال ابو البقا حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة تكون حتى
غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا
جا احدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر فيا عجبا حتى كليب تسبني هو
اي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الاية دل ما قبلها عليها
وقال القشيري احتج تعالى عليهم وذكرهم قدرته ثم قال هم مصرون على الانكار حتى اذا حضر
احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملايكة ندم ولا ينفعه الندم انتهى وجمع الضمير في ارجعون
اما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيما كما اخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع وقال
الشاعر • فان شيت حرمت النسا سواكم • وقال اخر •
الا فارحموني يا اله محمد واما استغاث اولا بربه وخاطب ملايكة العذاب وقال ابن جريج
والظاهر ان الضمير في احدهم راجع الى الكفار ومساق الايات الى اخرها يدل على ذلك وقال
ابن عباس من لم يزك ولم يحج سال الرجعة فقيل له ذلك للكفار فقرا مستدلا لقوله وانفقوا
مما رزقناكم اية سورة المنافقين وقال الاوزاعي هو مانع الزكوة وجا الموت اي حضر وعاينه
الانسان فحينئذ يسال الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين المومن قالت له الملايكة
نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي اعمل
صالحا كما تقول لعلي ابني على اسي يريد اسس اسا وابني عليه وقيل في ما تركت من المال
على ما فسره ابن عباس كلا كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد فقيل هي من قول الله
لهم وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قايلها
لا يسكت عنها ولا ينزع لاستيلا الحسرة عليه او لا يجد لها جدوى ولا يجاب لما سال ولا يغاث
ومن وراهم اي الكفار برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي
ان لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الاخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان وبعثه
وقرا ابن عباس والحسن وابن عياض في الصور بفتح الواو جمع صورة وابو رزين بكسر الصاد
وفتح الواو وكذا فاحسن صوركم وجمع فعلة بضم الفا على فعل بكسر الفا شاذ فلا انساب نفي عام
فقال ابن عباس عند النفخة الاولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت
وهم اموات وهذا القول يزيل هول الحشر وقال ابن مسعود وغيره عند قيام الناس من
القبور فلهول المطلع اشتغل كل امرئ بنفسه فانقطعت الوسايل وارتفع التفاخر والتعاون
بالانساب وعن قتادة ليس احد ابغض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف
ان يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وقيل فلا انساب اي لا تواصل بينهم حين افتراقهم الى ما اعد لهم من ثواب وعقاب وانما

التواصل بالاعمال وقرا عبد الله ولا يساءلون بتشديد السين ادغم التا في السين اذ اصله يتساءلون
ولا تعارض بين انتفا التساول هنا وبين اثباته في قوله واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون
لان يوم القيامة مواطن ومواقف ويمكن ان يكون انتفا التساول عند النفخة الاولي واما
في الثانية فيقع التساول وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في اوايل الاعراف وقال
الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل
لها او خبر بعد خبر لاوليك او خبر مبتدا محذوف انتهي جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل
غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم اي استقروا في جهنم وكانه من
بدل الشي من الشي وهما لمسمي واحد علي سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر في جهنم واجاز
ابو البقا ان يكون الذين نعتا لاوليك وخبر اوليك في جهنم والظاهر ان يكون خبرا لاوليك
لا نعتا وخص الوجه باللفح لانه اشرف ما في الانسان والانسان احفظ له من الافات من غيره
من الاعضا فاذا لفح الاشرف فما دونه ملفوح ولما ذكر اصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص
ببعض اعضا الوجه وفي الترمذي تتقلص شفته العليا حتي تبلغ وسط راسه وتسترخي
شفته السفلي حتي تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح وقرا ابو حيوة وابو بحرية
وابن ابي عبلة كلحون بغير الف الم تكن اياتي تتلي عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتي انسوكم
ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفايزون قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالي الله الملك الحق لا اله الا هو رب
العرش الكريم ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين يقول الله لهم علي لسان من يشا من ملايكته الم تكن
اياتي تتلي وهي القران ولما سمعوا هذا التقدير اذعنوا واقروا علي انفسهم بقولهم غلبت علينا
شقوتنا من قولهم غلبني فلان علي كذا اذا اخذه مني وامتلكه والشقاوة سو العاقبة وقيل
الشقوة الهوي وقضا اللذات لان ذلك يودي الي الشقوة اطلق اسم المسبب علي السبب
قاله الجبايي وقيل ما كتب علينا في اللوح المحفوظ وسبق به علمك وقرا عبد الله والحسن وقتادة
وحمزة والكسايي والمفضل عن عاصم وابان والزعفراني وابن مقسم شقاوتنا بوزن السعادة
وهي لغة فاشية وقتادة ايضا والحسن في رواية خالد بن حوشب عنه كذلك الا انه بكسر الشين
وباقي السبعة والجمهور بكسر الشين وسكون القاف وهي لغة كثيرة في الحجاز قال الفرا انشدني
ابو ثروان وكان فصيحا • علق من عنايه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجته • وقرا
شبل في اختياره بفتح الشين وسكون القاف وكنا قوما ضالين اي عن الهدي ثم تدرجوا
من الاقرار الي الرغبة والتضرع وذلك انهم اقروا والاقرار بالذنب اعتذار فقالوا ربنا
اخرجنا منها اي من جهنم فان عدنا اي الي التكذيب واتخاذ الهة وعبادة غيرك فانا ظالمون اي
متجاوزوا الحد في العدوان حيث ظلمنا انفسنا اولا ثم سومحنا فظلمناها ثانيا وحكي الطبري
حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم جل وعز
واخرها قال اخسوا فيها ولا تكلمون قال وتنطبق عليهم جهنم ويقع الياس ويبقون ينبح بعضهم
في وجه بعض قال ابن عطية واختصرت ذلك الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح ومعني اخسوا
اي ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسات الكلب وخسا هو بنفسه
يكون متعديا ولازما ولا تكلمون اي في دفع العذاب او تخفيفه قيل هو اخر كلام يتكلمون به
ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين قرا ابي
وهرون العتكي انه بفتح الهمزة اي لانه والجمهور بكسرها والها ضمير الشان وهو محذوف
مع ان المفتوحة المخففة والفريق هنا هم المستضعفون من المومنين وهذه الاية مما يقال
للكفار علي جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرايهم ثم هي عامة

في من جري مجراهم قديما وبقية الدهر وقرا حمزة والكسايي ونافع سخريا بضم السين وباقي السبعة
بالكسر قال الزمخشري مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية
في الخصوص ومعناهما بمعني الهزو في قول الخليل وابي زيد الانصاري وس وقال ابو عبيدة والكسايي
والفرا ضم السين من السخرة والاستخدام والكسر من السخر وهو الاستهزا ومنه قول
الاعشي • اني اتاني حديث لا اسر به • من علو لا كذب فيه ولا سخر • وقال يونس اذا اريد
التخديم فضم السين لا غير واذا اريد الهزو فالضم والكسر قال ابن عطية وقرا اصحاب
عبد الله وابن ابي اسحق والاعرج بضم السين كل ما في القران وقرا الحسن وابو عمرو بالكسر الا
التي في الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس انتهي وكان قد قال عن ابي علي يعني الفارسي
ان قراة كسر السين اوجه لانه بمعني الاستهزا والكسر فيه اكثر وهو اليق بالاية الا تري الي
قوله وكنتم منهم تضحكون انتهي قول ابي علي ثم قال ابن عطية الا تري الي اجماع القرا علي ضم السين
في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتخديم انتهي وليس ما ذكره من اجماع القرا
علي ضم السين في الزخرف صحيحا لان ابن محيصن وابن مسلم كسروا في الزخرف ذكر ذلك ابو القسم
بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل فاتخذتموهم سخريا اي هزوة تهزون منهم حتي انسوكم ذكري
اي باشتغالكم بهم فتركتم ذكري اي ان تذكروني فتخافوني في اوليايي واسند النسيان الي فريق
المومنين من حيث كان سببه وقرا زيد بن علي وحمزة والكسايي وخارجة عن نافع انهم هم بكسر
الهمزة وباقي السبعة بالفتح ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره الجنة او رضواني وقال
الزمخشري في قراة من قرا انهم بالفتح هو المفعول الثاني اي جزيتهم فوزهم انتهي والظاهر انه تعليل
اي جزيتهم لانهم والكسر هو علي الاستيناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من
حيث المعني لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الي عامل والفايزون الناجون من هلكة
الي نعمة وقرا حمزة والكسايي وابن كثير قل كم والمخاطب ملك يسالهم او بعض اهل النار فاذا قال
عبر عن القوم وقرا باقي السبعة قال والقايل الله تعالي او المامور بسوالهم من الملايكة
وقال الزمخشري قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام
وقال ابن عطية وفي المصاحف قال فيهما الا في مصحف الكوفة فان فيه قل بغير الف وتقدم ادغام
باب لبثت في البقرة سالهم سوال توقيف علي المدة وقرا الجمهور عدد سنين علي الاضافة
في موضع نصب علي ظرف الزمان وتمييزها عدد وقرا الاعمش والمفضل عن عاصم عددا بالتنوين
فقال ابو الفضل الرازي صاحب كتاب اللوامح سنين نصب علي الظرف والعدد مصدر
اقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم علي المنعوت ويجوز ان يكون معني لبثتم عددتم فيكون نصب
عددا علي المصدر وسنين بدل منه انتهي وكون لبثتم بمعني عددتم بعيد ولما سيلوا عن المدة
التي اقاموا فيها في الارض ويعني في الحيوة الدنيا قاله الطبري وتبعه الزمخشري فنسوا
لفرط هول العذاب حتي قالوا يوما او بعض يوم اجابوا بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم ترددوا
فيما لبثوا قاله ابن عباس وقيل اريد بقوله في الارض في جوف التراب امواتا وهذا قول جمهور
المتاولين قال ابن عطية وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكانوا قولهم انهم لا يقومون
من التراب قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله اخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضي ما قلناه
انتهي فسيل العادين خطاب للذي سالهم قال مجاهد العادين الملايكة اي هم الذين يحفظون
اعمال بني ادم ويحصون عليهم ساعاتهم وقال قتادة اهل الحساب والظاهر انهم من يتصف
بهذه الصفة ملايكة او غيرهم لان النايم والميت لا يعد فيتقدر له الزمان وقال الزمخشري
والمعني لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه
من العذاب وما فينا ان نعدها فسيل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره انتهي
وقرا الحسن والكسايي في رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة فانهم يقولون كما يقول قال
ابن خالويه ولغة اخري العاديين يعني بيا مشددة جمع عادي يعني القدما وقال الزمخشري
وقري العاديين اي القدما المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وقرا الاخوان قل ان
لبثتم علي الامر وباقي السبعة قال وان نافية اي ما لبثتم الا قليلا اي قليل القدر في جنب ما تعذبون
فيه ابدا كان اللبث في الدنيا وان كان في القبور فقلته لان كل ات قريب ولكنكم كذبتم به اذ كنتم لا تعلمون

اي لم ترغبوا في العلم والهدي وانتصب عبثا علي الحال اى عابثين او علي انه مفعول من اجله والمعنى
في هذا ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة وقرا الاخوان لا ترجعون مبنيا للفاعل
وباقي السبعة مبنيا للمفعول والظاهر عطف وانكم علي انما فهو داخل في الحسبان وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون علي عبثا اي للعبث ولتركم غير مرجوعين انتهي فتعالى الله اى تعاظم وتنزه عن
الصاحبة والولد والشرك والعبث وجميع النقايص بل هو الملك الحق الثابت هو وصفاته العلي
والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه او للنسبة الي اكرم الاكرمين وقرا ابان بن تغلب وابن
محيصن وابو جعفر واسمعيل عن ابن كثير الكريم بالرفع صفة لرب العرش او العرش ويكون معطوفا
علي معني المدح ومن شرطية والجواب فانما ولا برهان له به صفة لازمة لا للاحتراز من ان تكون ثم
اخر يقوم عليه اخر برهان فهي موكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز ان يكون جملة اعتراض اذ فيها تشديد
وتاكيد فتكون لا موضع لها من الاعراب كقولك من احسن اليك لا احق بالاساءة منه فاسي اليه ومن ذهب
الي ان جواب الشرط هو لا برهان له به هروبا من دليل الخطاب من ان يكون ثم داع له برهان
فلا يصح لانه يلزم منه حذف الفا في جواب الشرط ولا يجوز الا في الشعر وقد خرجناه علي الصفة
اللازمة او علي الاعتراض وكلاهما تخريج صحيح وقرا الحسن وقتادة انه لا يفلح بفتح الهمزة اى هو
فوضع الكافرون موضع الضمير حملا علي معني من والجمهور بكسر الهمزة وخبر حسابه الظرف وانه
استيناف وقرا الحسن يفلح بفتح اليا واللام وافتتح السورة بقوله قد افلح المومنون واورده
في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم امر رسوله عليه السلام
بان يدعو بالغفران والرحمة وقرا ابن محيصن رب بالضم

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما ماية جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وليشهد
عذابهما طايفة من المومنين الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
وحرم ذلك علي المومنين والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واوليك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرا عنها العذاب ان
تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم هذه السورة مدنية بلا خلاف ولما ذكر تعالي مشركي
قريش ولهم اعمال من دون ذلك اى اعمال سيية هم لها عاملون واستطرد بعد ذلك الى احوالهم
واتخاذهم الولد والشريك والي ما لهم في النار وكان من اعمالهم السيية انه كان لهم جوار بغايا يستحسن
عليهن وياكلون من كسبهن من الزنا فانزل الله اول هذه السورة تغليظا في امر الزنا وكان فيما ذكر
وكانه لا يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن وقرا الجمهور سورة بالرفع فجوزوا ان يكون خبر مبتدا
محذوف اى هذه سورة او مبتدا محذوف الخبر اي فيما اوحينا اليك او فيما يتلي عليكم وقال ابن عطية
ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة
كذا وكذا اذ السورة عبارة عن ايات مسرودة لها بدء وختم الا ان كون المبتدا ليس بالبين انه
الخبر الا ان يقدر الخبر في السورة كلها وهذا بعيد في القياس وانزلناها في هذه الاعاريب
في موضع الصفة انتهي وقرا عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعيسي
بن عمر الهمداني الكوفي وابن ابي عبلة وابو حيوة ومحبوب عن ابي عمرو وام الدردا سورة بالنصب
فخرج علي اضمار فعل اي اتلوا سورة وانزلناها صفة قال الزمخشري او علي دونك سورة فنصب
علي الاغرا ولا يجوز حذف اداة الاغرا واجاز وا ان تكون من باب الاشتغال اي انزلنا سورة
انزلناها فانزلناها مفسر لانزلنا المضمرة فلا موضع له من الاعراب الا انه فيه الابتدا
بالنكرة من غير مسوغ الا ان اعتقد حذف وصف اي سورة معظمة او موضحة انزلناها فيجوز
ذلك وقال الفرا سورة حال من الها والالف والحال من المكني يجوز ان يتقدم عليه انتهي
فيكون الضمير المنصوب في انزلناها ليس عايدا علي سورة وكان المعني انزلنا الاحكام وفرضناها

سورة اى في حال كونها سورة من سور القران فليست هذه الاحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقران
والسنة وقرا الجمهور وفرضناها بتخفيف الرا اى فرضنا احكامها وجعلناها واجبة متطوعا بها
وقيل وفرضنا العمل بما فيها وقرا عبد الله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وابو عمرو وابن كثير
بتشديد الرا اما للمبالغة في الايجاب واما لان فيها فرايض شتي او لكثرة المفروض عليهم قبل
وكل امر ونهي في هذه السورة فهو فرض وانزلنا فيها ايات بينات امثالا ومواعظ واحكاما ليس
فيها مشكل يحتاج الي تاويل وقرا الجمهور الزانية والزاني بالرفع وعبد الله والزان بغير يا ومذهب
سيبويه انه مبتدا والخبر محذوف اي فيما يتلي عليكم حكم الزانية والزاني وقوله فاجلدوا بيان لذلك
الحكم وذهب الفرا والمبرد والزجاج الي ان الخبر فاجلدوا وجوزه الزمخشري وسبب الخلاف هو
انه عند سيبويه لا بد ان يكون المبتدا الذي دخل الفا في خبره موصولا بما يقبل اداة الشرط لفظا او
تقديرا واسم الفاعل واسم المفعول لا يجوز ان يدخل عليه اداة الشرط وغير سيبويه ممن ذكرنا
لم يشترط ذلك وتقرير المذهبين والترجيح مذكور في النحو وقرا عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر
وعمرو بن فايد وابو جعفر وشيبة وابو السمال ورويس الزانية والزاني بنصبهما علي الاشتغال
اي واجلدوا الزانية والزاني كقولك زيدا فاضربه ولدخول الفا تقرير ذكر في علم النحو والنصب
هنا احسن منه في سورة انزلناها لاجل الامر وتضمنت السورة احكاما كثيرة فيما يتعلق بالزنا
ونكاح الزواني وقذف المحصنات والتلاعن والحجاب وغير ذلك فبدي بالزنا لقبحه وما يحدث
عنه من المفاسد والعار وكان قد نشا في العرب وصار من اماء بهم اصحاب رايات وقدمت الزانية
علي الزاني لان داعيتها اقوي لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولكون زناها افحش واكثر عارا وللعلوق
بولد الزنا وحال النسا الحجبة والصيانة وقال الزمخشري فان قلت قدمت الزانية علي الزاني
اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما علي ما جنيا والمراة هي المادة التي منها
نشات الجناية فانها لو لم تطمع الرجل ولم تربض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا
واولا في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب
والخاطب ومنه يبدا الطلب انتهى ولا يتم هذا الجواب في الثانية الا اذا حمل النكاح علي العقد
لا علي الوطء وال في الزانية والزاني للعموم في جميع الزناة وقال ابن سلام وغيره هو مختص
بالبكرين والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول راسه وبطنه وظهره اى ضرب راسه وبطنه وظهره
وهذا مطرد في اسما الاعيان الثلاثية العضوية والظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن
في هذا العموم وهو لا يندرج فيه المجنون ولا الصبي باجماع وقال ابن سلام وغيره واتفق
فقها الامصار علي ان المحصن يرجم ولا يجلد وقال الحسن واسحق واحمد يجلد ثم يرجم وجلد علي رضي
الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها فقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
ولا حجة في كون مرجومة انيس والغامدية لم ينقل جلدهما لان ذلك معلوم من احكام القران
فلا ينقل الا ما كان زايدا علي القران وهو الرجم فلذلك ذكر الرجم ولم يذكر الجلد ومذهب ابي
حنيفة ان من شرط الاحصان الاسلام ومذهب الشافعي انه ليس بشرط واتفقوا علي ان
الامة تجلد خمسين وكذا العبد علي مذهب الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد ماية ومنهم من
قال تجلد الامة ماية الا اذا تزوجت فخمسين والظاهر اندراج المسلمين في الزانية والزاني
فيجلدان عند ابي حنيفة والشافعي واذا كانا محصنين يرجمان عند الشافعي وقال مالك
لا حد عليهما والظاهر انه ليس علي الزانية والزاني حد غير الجلد فقط وهو مذهب الخوارج وقد
ثبت الرجم بالسنة المستفيضة وعمل به بعد الرسول خلفا الاسلام ابو بكر وعمر وعلي ومن
الصحابة جابر وابو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد واختلفوا في التغريب بنفي البكر بعد
الجلد وقال الثوري والاوزاعي والحسن بن صالح والشافعي ينفي الزاني وقال الاوزاعي ومالك
ينفي الرجل ولا تنفي المراة قال مالك ولا ينفي العبد نصف سنة والظاهر ان هذا الجلد انما هو
علي من ثبت عليه الزنا فلو وجدوا في ثوب واحد فقال اسحق يضرب كل واحد منهما ماية جلدة
وروي كذلك عن عمر وعلي وقال عطا والثوري ومالك واحمد يودبان علي مذاهبهم في الادب
واما الاكراه فالمكرهة لا حد عليها وفي حد الرجل المكره خلاف وتفصيل بين ان يكرهه سلطان
فلا يحد او غيره فيحد وهو قول ابي حنيفة وقول ابي يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعي

لا يحد في الوجهين وقول زفر يحد فيهما جميعا والظاهر انه لا يندرج في الزنا من اتى امراة من
دبرها ولا ذكرا ولا بهيمة وقيل يندرج والمامور بالجلد ايمة المسلمين ونوابهم واختلفوا
في اقامة الخارجي المتغلب الحدود فقيل له ذلك وقيل لا وفي اقامة السيد على رقيقه فقال ابن
مسعود وابن عمر وعايشة وفاطمة والشافعي له ذلك وقال ابو حنيفة ومحمد وزفر لا وقال
مالك والليث له ذلك الا في القطع في السرقة فانما يقطعه الامام والجالد كما قلنا ضرب الجالد
ولم تتعرض الاية لهيئة الجالد ولا هيئة المجلود ولا لمحل الجلد ولا لصفة الالة المجلود بها
وذلك مذكور في كتب الفقه وقال الزمخشري فان قلت هذا حكم جميع الزناة والزواني ام
حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم فان قلت اللفظ يقتضي
تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول له
المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيفي
والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قايمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه
كما يفعل بالاسم المشترك انتهى وليست دلالة اللفظ على الجنسين كما ذكر دلالة مطلقة لان
دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم البدل وهو الاطلاق وليست لدلالة المشترك
لان دلالة العموم هي على كل فرد على سبيل الاستغراق ودلالة المشترك يدل على فرد فرد على الاستغراق
اعني في الاستعمال وان كان في ذلك خلاف في اصول الفقه لكن ما ذكرته هو الذي يصح في النظر
واستعمال كلام العرب وقرا علي بن ابي طالب والسلمي وابن مقسم وداود بن ابي هند عن مجاهد
ولا ياخذكم باليا لان تانيث الرافة مجاز وحسن ذلك الفصل وقرا الجمهور بالتا لتانيث
الرافة لفظا وقرا الجمهور رافة بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وابن جريج بالف بعد الهمزة
وروي عن هذا عاصم وابن كثير وكلها مصادر اشهرها الاول والرافة المنهي ان ياخذ المتولين
اقامة الحد قال ابو مجلز ومجاهد وعكرمة وعطا هي في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل
ابن عمر وابن جبير وغيرهما ومن مذهبهم ان الحد في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد وقال
قتادة وابن المسيب وغيرهما الرافة المنهي عنها هي في تخفيف الضرب على الزناة ومن رايهم
ان يخفف ضرب الفرية والخمر ويشتد ضرب الزنا وقال الزمخشري والمعنى ان الواجب على
المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفا
حدوده انتهى فهذا تخيير قول ابي مجلز ومن وافقه وقال الزهري يشتد في الزنا والفرية
ويخفف في حد الشرب وقال مجاهد والشعبي وابن زيد في الكلام حذف تقديره ولا تاخذكم بهما
رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها والنهي في الظاهر للرافة والمراد ما تدعوا اليه الرافة
وهو تعطيل الحدود او نقصها ومعنى في دين الله في الاخلال بدين الله اي بشرعه قيل ويحتمل
ان يكون الدين بمعنى الحكم ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر تثبيت وحض وتهييج للغضب لله
ولدينه كما تقول ان كنت رجلا فافعل وامر تعالى بحضور جلدهما طايفة اغلاظا على الزناة وتوبيخا
لهم بحضرة الناس وسمى الجلد عذابا اذ فيه ايلام وافتضاح وهو عقوبة على ذلك الفعل والطايفة
المامور بشهودها ذلك يدل الاشتقاق على ما يكون يطوف بالشي واقل ما يتصور ذلك فيه ثلثة
وهي صفة غالبة لجماعة الحافة بالشي وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها اربعة الى اربعين
وعن الحسن عشرة وعن قتادة والزهري ثلثة فصاعدا وعن عكرمة وعطا رجلان فصاعدا
وهو مشهور قول مالك وعن مجاهد الواحد فما فوقه واستعمال الضمير الذي للجمع عايدا على الطايفة
في كلام العرب دليل على انه يراد بها الجمع وذلك كثير في القران الزاني لا ينكح الا زانية او
مشركة الظاهر انه خبر قصد به تشنيع الزنا وامره ومعنى لا ينكح لا يطا وزاد المشركة في التقسيم
فالمعنى ان الزاني في وقت زناه لا يجامع الا زانية من المسلمين او اخس منها وهي المشركة والنكاح
بمعنى الجماع مروي عن ابن عباس هنا وقال الزمخشري وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس
بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القران لم يرد بها الا معنى العقد والثاني
فساد المعنى واداوه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان انتهى
وما ذكره من الامر الاول اخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج
وليس كما قال وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول انه بمعنى الوطء واما الامر الثاني

فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع امره وانه محرم على المومنين وقال الزمخشري واخذه
من الفتحاك وحسنه الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتحجب لا يرغب في نكاح الصوالح
من النسا اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة
الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحا من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها
من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته
فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم محظور لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور موقع التهمة والتسبب لسو القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخاطين
كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب واقدامه على ذلك
انتهى وعن ابن عمر وابن عباس واصحابه انها في قوم مخصوصين كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا
مشهورات فلما جا الاسلام واسلموا لم يمكنهم الزنا فارادوا لفقرهم زواج اوليك النسوة
اذ كن من عادتهن الانفاق على من ارتسم بزواجهن فنزلت الاية بسببهن والاشارة بالزاني
الى احد اوليك اطلق عليه اسم الزنا الذي كان في الجاهلية وقوله لا ينكح اي لا يتزوج وعلى هذا
التاويلين فيه معنى التفجع عليهم وفيه توبيخ كانه يقول الزاني لا يريد ان يتزوج الا زانية او
مشركة اي تنزع نفوسهم الى هذه الخسايس لقلة انضباطهم ويرد على هذا التاويلين الاجماع
على ان الزانية لا يجوز ان يتزوجها مشرك ثم قوله وحرم ذلك على المومنين اي نكاح اوليك
البغايا فيزعم اهل هذا التاويلين ان نكاحهن حرمه الله على امة محمد وقال الحسن المراد
الزاني المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان
يتزوج الا زانية وقد روي ان محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن ابي طالب نكاحهما وحرم
ذلك على المومنين يريد الزنا وروى الزهراي في هذا حديثا من طريق ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينكح الزاني المحدود الا مثله قال ابن عطية وهذا حديث لا يصح
وقول فيه نظر وادخال المشرك في الاية يرده والفاظ الاية تاباه وان قدرت المشركة
بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ المشرك انتهى وقال ابن المسيب هذا حكم كان في الزناة
عام ان لا يتزوج زان الا زانية ثم جات الرخصة ونسخ ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم وقوله
فانكحوا ما طاب لكم من النسا وروي ترتيب هذا النسخ عن مجاهد الا انه قال حرم نكاح
اوليك البغايا على اوليك النفر قال ابن عطية وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي
انتهى وعن الجبايي انها منسوخة بالاجماع وضعف بانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ
ولا ينسخ به وتلخص من هذه الاقوال ان النكاح اذا اريد به الوطء فالاية وردت مبالغة
في تشنيع الزنا وان اريد به التزويج فاما ان يراد به عموم الزناة ثم نسخ او عموم في الفساق
الخبيثين لا يرغبون الا فيمن هو شكل لهم والفواسق الخبايث لا يرغبن الا فيمن هو شكل
لهن ولا يجوز التزويج على ما قرره الزمخشري او يراد به خصوص في قوم كانوا في الجاهلية
زناة ببغايا فارادوا تزويجهن لفقرهم وايسارهن مع بقايهن على البغا فلا يتزوج عفيفة
ولو زنا رجل بامراة ثم اراد تزوجها فاجاز ذلك ابو بكر الصديق وابن عمر وابن عباس وجابر
وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد وعطا والحسن وعكرمة ومالك والثوري والشافعي
ومنعه ابن مسعود والبرا بن عازب وعايشة وقالا لا يزالان زانيين ما اجتمعا ومن غريب
النقل انه لو تزوج معروف بالزنا او بغيره من الفسوق ثبت الخيار في البقا معه او فراقه
وهو عيب من العيوب التي يترتب الخيار عليها وذهب قوم الى ان الاية محكمة وعندهم ان من
زنا من الزوجين فسد النكاح بينهما وقال قوم منهم لا ينفسخ ويومر بطلاقها اذا زنت فان
امسكها اثم قالوا ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني فان ظهرت التوبة جاز وقال
الزمخشري فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى
صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفتها بكونها
غير مرغوب فيها للاعفا ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهي والمرفوع فيه معنى النهي ولكن هو ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من
ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل

نفسه تحت هذه العادة ويتصونون عنها انتهى وقرأ ابو البرهسم وحرم مبنيا للفاعل اي الله
وزيد بن علي وحرم بضم التاء وفتح الحاء والجمهور وحرم مشددا مبنيا للمفعول والقذف الرمي
بالزنا وغيره والمراد به هنا الزنا لاعقابه اياه ولاشتراط اربعة شهداء وهو مما يخص القذف
بالزنا اذ في غيره يكفي شاهدان قال ابن جبير ونزلت بسبب قصة الافك وقيل بسبب
القذفة عاما واستعير الرمي للشتم لانه اذاية بالقول كما قال وجرح اللسان كجرح اليد
وقال رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني والمحصنات الظاهر ان
المراد النساء العفائف وخص النساء بذلك وان كان الرجال يشركونهن في الحكم لان القذف
فيهن اشنع وانكر للنفوس ومن حيث هن هوى الرجال ففيه ايذاء لهن ولازواجهن وقراباتهن
وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتي احصنت فرجها وقيل الانفس المحصنات
وقاله ابن حزم وحكاه الزهراوي فعلى هذين القولين يكون اللفظ شاملا للنساء وللرجال
ويدل على الثاني قوله والمحصنات من النساء وثم محذوف اي بالزنا وخرج بالمحصنات من
ثبت زناها او زناه واستلزم الوصف بالاحصان الاسلام والعقل والبلوغ والحرية
قال ابو بكر الرازي ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا المعنى والمراد بالمحصنات غير مزوجات
الرامين او لمن زوجه حكم يأتي بعد ذلك والرمي بالزنا الموجب للحد هو التصريح بان يقول
يا زانية او يا زاني او يا ابن الزاني او ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لهذه وما
اشبه ذلك من الصرائح فلو عرض كان يقول ما انا بزان ولا امي بزانية لم يحد في مذهب ابي
حنيفة وزفر وابي يوسف ومحمد وابن شبرمة والثوري والحسن بن صالح والشافعي
ويحد في مذهب مالك وثبت الحد فيه عن عمر بعد مشاورته الناس وقال احمد واسحق
هو قذف في حال الغضب دون الرضى فلو قذف كتابيا اذا كان للمقذوف ولد مسلم وقيل اذا
قذف الكتابية تحت المسلم حد واتفقوا على ان قاذف الصبي لا يحد وان كان مثله يجامع
واختلفوا في قاذف الصبية فقال مالك يحد اذا كان مثلها يجامع وقال مالك والليث يحد
قاذف المجنون وقال غيرهما لا يحد والذين يرمون ظاهره الذكور وحكم الراميات حكمهم
ولو قذف الصبي او المجنون زوجته او اجنبية فلا حد عليه او اخرس وله كناية معروفة او
اشارة مفهومة حد عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصح قذفه ولا لعانه ولما كانت معصية
الزنا كبيرة من امهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا ما يستتر بها فقلما يطلع احد عليها شدد الله تعالى
على القاذف حيث شرط فيها اربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم والمعنى ثم لم يأتوا
الحكام والجمهور على اضافة اربعة الى شهداء وقرأ ابو زرعة وعبد الله بن مسلم باربعة
بالتنوين وهي قراءة فصيحة لانه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع اجود من
الاضافة ولذلك رجح ابن جني هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث اخذ مطلق الصفة
وليس كذلك لان الصفة اذا جرت مجرى الاسماء وباشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره
مجرى الاسماء ومن ذلك شهيد الا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقوله
واستشهدوا شهيدين وكذلك عبد فثلاثة شهداء بالاضافة افصح من التنوين والاتباع
وكذلك ثلاثة اعبد وقال ابن عطية وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز
في الشعر انتهى وليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده اسم نحو ثلاثة رجال
واما في الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذي ذكرناه واذا نونت اربعة فشهداء بدل اذ هو وصف
جرى مجرى الاسماء او صفة لانه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال او تمييز وهذه الشهادة
تكون بالمعاينة البليغة كالمرود في المكحلة والظاهر انه لا يشترط شهادتهم ان يكون حالة اجتماعهم
بل لو اتى بهم متفرقين صحت شهادتهم وقال ابو حنيفة شرط ذلك ان يشهدوا مجتمعين فلو جاؤوا
متفرقين كانوا قذفة والظاهر انه يجوز ان يكون احد الشهود زوج المقذوفة لانه داخل في اربعة
شهداء ولقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولم يفرق بين كون الزوج فيهم وبين ان يكونوا اجنبيين
وبه قال ابو حنيفة واصحابه وتحد المرأة وروي ذلك عن الحسن والشعبي وقال مالك
والشافعي يلاعن الزوج ويحد الثلاثة وروي مثله عن الحسن ابن عباس فاجلدوهم امر للامام
ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف وبه قال ابن ابي ليلى وقال ابو حنيفة

واصحابه

واصحابه والاوزاعي والشافعي لا يحد الا بمطالبته وقال مالك كذلك الا ان يكون الامام سمعه
يقذفه فيحده اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر ان العبد القاذف
حرا اذا لم يأت باربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه في عموم والذين يرمون وبه قال عبد الله بن
مسعود والاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي والشافعي يجلد
اربعين وهو قول علي وفعل ابي بكر وعمر وعلي ومن بعدهم من الخلفاء قاله عبد الله بن ربيعة ولو
قذف واحد جماعة بلفظ واحد او افرد لكل واحد حد حدا واحدا او هو قول ابي حنيفة واصحابه
ومالك والثوري والليث وقال عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد وقال الشعبي وابن ابي
ليلى ان كان بلفظ واحد نحو يا زناة فحد واحد او قال لكل واحد يا زاني فلكل انسان حد والظاهر
من الاية انه لا يجلد الا القاذف ولم يأت جلد الشاهد اذا لم يستوف عدد الشهود وليس من جاء
للشهادة للقاذف بقاذف وقد اجراه عمر مجرى القاذف وجلد ابا بكرة واخاه نافعا وشبل بن معبد
البجلي لتوقف الرابع وهو زياد في الشهادة فلم يؤدها كاملة ولو اتى باربعة شهداء فساق فقال
زفر يدرأ الحد عن القاذف والشهود وعن ابي يوسف يحد القاذف ويدرأ عن الشهود وقال
مالك وعبيد الله بن الحسن يحد الشهود والقاذف ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا الظاهر انه
لا يقبل شهادته ابدا وان اكذب نفسه وتاب وهو نهي جاء بعد امر فكما ان حكمه الجلد كذلك حكمه
رد شهادته وبه قال شريح القاضي والنخعي وابن المسيب وابن جبير والحسن والثوري
وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف وان تاب وتقبل
شهادته في غير القذف اذا تاب وقال مالك تقبل في القذف بالزنا وغيره اذا تاب وبه قال
عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والقسم بن محمد وسالم والزهري وقال لا تقبل شهادة محدود
في الاسلام يعني مطلقا وتوبته بماذا تقبل باكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي وكذا
فعل عمر بنافع وشبل اكذبا انفسهما فقبل شهادتهما واصر ابو بكرة فلم يقبل شهادته حتى مات
واولئك هم الفاسقون الظاهر انه كلام مستأنف غير داخل في حيز الذين يرمون كانه اخبار بحال
الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة
ابدا الا الذين تابوا هذا استثناء يعقب جملا ثلاثة جملة الامر بالجلد وهو لو تاب واكذب نفسه
لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهي عن قبول شهادتهم ابدا وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم
اذا تابوا بناء على ان هذا الاستثناء راجع الى جملة النهي وجملة الحكم بالفسق او هو راجع الى الجملة
الاخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم والذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة
يصلح ان يتخصص كل واحد منها بالاستثناء ان يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسألة تكلم
عليها في اصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم ار من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذي وابن مالك
فاختار ابن مالك ان يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار المهاباذي ان يعود الى الجملة الاخيرة
وهو الذي نختاره وقد استدل للمانع بصحة ذلك في كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل
وقال الزمخشري وجعل يعني الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده
ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة النصب لانه عن موجب والذي
يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول
المضمن معنى الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه اي اجمعوا
له الحد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله غفور رحيم فينقلبون
غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين انتهى وليس يقتضي ظاهر الاية عود الاستثناء الى الجمل
الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والقول بانه
استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة ولما ذكر تعالى قذف
المحصنات وكان الظاهر انه يتناول الازواج وغيرهن ولذلك قال سعد بن عبادة يا رسول الله
ان وجدت مع امرأتي رجلا امهله حتى آتي باربعة شهداء والله لاضربنه بالسيف غير مصفح وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن امية حين رمى زوجه بشريك بن سحماء فنزلت
والذين يرمون ازواجهم فاتضح ان المراد بقوله والذين يرمون المحصنات غير الزوجات
والمشهور ان نازلة هلال قبل نازلة عويمر وقيل نازلة عويمر قبل والمعنى بالزنا ولم يكن لهم

شهدا ولم يقتيد بعدد اكتفاءً بالتقييد في قذف غير الزوجات والمعنى شهد اي صدق قولهم
وقرئ ولم تكن بالتاء وقرا الجمهور بالياء وهو الفصيح لانه اذا كان العامل مفرغا لما بعد الا وهو
مونث فالفصيح ان يقول ما قام الا هند واما ما قامت الا هند فاكثر اصحابنا يخصه بالضرورة وبعض
النحويين يجيزه في الكلام على قلة والزواجهم يعم سائر الازواج من المومنات والكافرات والاماء
فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من الحمل وقال ابو حنيفة واصحابه باحد معنيين احدهما ان
تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد وان كان اجنبيا نحو ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية
او قد وطئت وطيا حراما في غير ملك والثاني ان تكون احدهما ليس من اهل الشهادة بان يكون
محدودا في قذف او كافرا او عبدا فاما اذا كان اعمى او فاسقا فله ان يلاعن وقال الثوري والحسن
بن صالح لا لعان اذا كان احد الزوجين مملوكا او كافرا ويلاعن المحدود في القذف وقال الاوزاعي
لا لعان بين اهل الكتاب ولا بين المحدود في القذف وامراته وقال الليث يلاعن العبد امراته
الحرة والمحدود في القذف وعن مالك الامة المسلمة والحرة الكتابية تلاعن الحر المسلم
والعبد يلاعن زوجته الكتابية وعنه ليس بين المسلم والكافرة لعان الا ان يقول
رايتها تزني فيلاعن ظهر الحمل او لم يظهر ولا يلاعن المسلم الكافرة ولا زوجته الامة الا في نفي
الحمل ويتلاعن المملوكان المسلمان لا الكافران وقال الشافعي كل زوج جاز طلاقه ولزمه
الفرض يلاعن والظاهر العموم في الرامين وزوجاتهم المرميات بالزنا والظاهر اطلاق الرمي
بالزنا سواء قال عاينتها تزني ام قال زنيت وهو قول ابي حنيفة واصحابه وكان مالك لا يلاعن
الا ان يقول رايتك تزنين او ينفي حملا بها او ولدا منها والاعمى يلاعن وقال الليث لا يلاعن
الا ان يقول رايت عليها رجلا ويكون استبراها فيقول ليس هذا الحمل مني ولم تتعرض الاية في اللعان
الا لكيفيته من الزوجين وقد اطال المفسرون الزمخشري وابن عطية وغيرهما في ذكر كثير
من احكام اللعان مما لم تتعرض له الاية وينظر ذلك في كتب الفقه وقرا الجمهور اربع
شهادات بالنصب على المصدر وارتفع فشهادة خبرا على اضمار مبتدا اي فالحكم او الواجب
او مبتدا على اضمار الخبر متقدما اي فعليه ان يشهد او موخرا اي كافية او واجبة وبالله من صلة
شهادات ويجوز ان يكون من صلة فشهادة قاله ابن عطية وفرع الحوفي ذلك على الاعمال فعلى
راي البصريين واختيارهم يتعلق بشهادات وعلى اختيار الكوفيين يتعلق بقوله فشهادة وقرا
الاخوان وحفص والحسن وقتادة والزعفراني وابن مقسم وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو
بحرية وابان وابن سعدان اربع بالرفع خبرا للمبتدا وهو فشهادة وبالله من صلة شهادات
على هذه القراءة ولا يجوز ان يتعلق بفشهادة للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يجوز
ذلك وقرا الجمهور والخامسة بالرفع فيهما وقرا طلحة والسلمي والحسن والاعمش وخالد بن
اياس ويقال ابن الياس بالنصب فيهما وقرا حفص والزعفراني بنصب الثانية دون الاولى
فالرفع على الابتدا وما بعده الخبر ومن نصب الاولى فعطف على اربع في قراءة من نصب اربع وهو
وعلى اضمار فعل يدل عليه المعنى في قراءة من رفع اربع اي وتشهد الخامسة ومن نصب الثانية
فعطف على اربع من قوله اي يشهد اربع وعلى قراءة النصب في الخامسة يكون ان بعده على اسقاط
حرف الجر اي بان وجوز ان تكون ان وما بعده بدلا من الخامسة وقرا نافع ان لعنة بتخفيف
ان ورفع لعنة وان غضب بتخفيف ان وغضب فعل ماض والجلالة بعد مرفوعة وهي ان
المخففة من الثقيلة لما خففت حذف اسمها وهو ضمير الشان وقرا ابو رجا وقتادة وعيسى
وسلام وعمرو بن ميمون والاعرج ويعقوب بخلاف عنهما والحسن ان لعنة كقراءة نافع
وان غضب بتخفيف ان وغضب مصدر مرفوع وخبر ما بعده وهي ان المخففة من الثقيلة
وقرا باقي السبعة ان لعنة الله وان غضب الله بتشديد ان ونصب ما بعدهما اسما لهما وما
وخبر ما بعد قال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة نافع في قوله ان غضب قد وليها الفعل قال
ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله علم
ان سيكون وقوله افلا يرون الا يرجع واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فذلك
لعله يمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك على معنى الدعا فلم
يجر دخول الفواصل لئلا يفسد المعنى انتهى ولا فرق بين ان غضب الله وان بورك في كون

الفعل

292

الفعل بعد ان دعاء ولم يبين ذلك ابن عطية ولا الفارسي ويكون غضب دعاء مثل النحاة انه اذا
كان الفعل دعاء لا يفصل بينه وبين ان بشي ورد ابن عطية ان غضب في قراءة نافع هو رد
المستغرب ويدرا عنها العذاب اي يدفع والعذاب قال الجمهور الحد وقال اصحاب الراي لا حد
عليها ان لم يلاعن ولا يوجبه عليها قول الزوج وحكى الطبري عن اخرين ان العذاب هو الحبس
والظاهر الاكتفاء في اللعان بهذه الكيفية المذكورة في الاية وبه قال الليث ومكان ضمير الغايب
ضمير المتكلم في شهادته مطلقا وفي شهادتها في قوله عليها تقول علي وقال الثوري وابو حنيفة
ومحمد وابو يوسف يقول بعد من الصادقين فيما رماها به من الزنا وكذا بعد من الكاذبين وكذا
هي بعد من الكاذبين ومن الصادقين فان كان هناك ولد ينفيه زاد بعد قوله فيما رماها به من
الزنا في نفي هذا الولد وقال مالك يقول اشهد بالله اني رايتها تزني وهي اشهد بالله ما رايتني
ازني والخامسة تقول ذلك اربعا والخامسة لفظ الاية وقال الشافعي يقول اشهد
بالله اني لصادق فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة اربع مرات
ثم يعقده الامام ويذكره الله تعالى فان راه يريد ان يمضي امر من يضع يده على فيه ويقول ان
قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا فان قذفها باحد يسميه
بعينه واحدا او اثنين في كل شهادة وان نفى ولدها زاد وان هذا الولد لولد زنا ما هو مني والظاهر
انه اذا طلقها باينا فقذفها وولدت قبل انقضا العدة فنفى الولد انه يحد ويلحقه الولد لانه
لا ينطلق عليها زوجة الا مجازا وعن ابن عباس اذا طلقها تطليقة او تطليقتين ثم قذفها حد وعن
ابن عمر يلاعن وعن الليث والشافعي اذا انكر حملها بعد البينونة لاعن وعن مالك ان انكره بعد
الثلث لاعنها ولو قذفها ثم بانت منه بطلاق او غيره فقال الثوري وابو حنيفة واصحابه لا حد ولا
لعان وقال الاوزاعي والليث والشافعي يلاعن وهذا هو الظاهر لانها كانت زوجته حالة القذف
والظاهر من قوله فشهادة احدهم انه يلزم ذلك فان نكل حبس حتى يلاعن وكذلك هي وهذا مذهب
ابي حنيفة واصحابه وقال مالك والحسن بن صالح والليث والشافعي ايهما نكل حد هو للقذف
وهي للزنا وعن الحسن اذا لاعن وابت حبست وعن مكحول والضحاك والشعبي ترجم ومشروعية
اللعان دليل على ان الزنا والقذف ليسا بكفر من فاعلهما خلافا للخوارج في قولهم ان ذلك كفر من
الكاذب منهما لاستحقاق اللعن من الله والغضب قال الزمخشري فان قلت لم خصت الملاعنة
بان يخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه باطماعها ولذلك كانت
مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة والرجم اهون عليك من غضب
الله ولولا فضل الله الى اخره قال السدي فضله منته ورحمته نعمته وقال ابن سلام فضله
الاسلام ورحمته الكتمان ولما بين تعالى حكم الرامي المحصنات والازواج كان في فضله ورحمته
ان جعل اللعان سبيلا الى الستر والى درء الحد وجواب لولا محذوف قال التبريزي تقديره
لهلكتم او لفضحكم او لعاجلكم بالعقوبة او لتبين الكاذب وقال ابن عطية لكشف الزناة بايسر
من هذا او لاخذهم بعقاب من عنده ونحو هذا من المعاني التي توجب تقديرها ابهام الجواب
ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امري منهم ما اكتسب من
الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم
خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاوا عليه باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاوليك عند الله هم الكاذبون
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين
ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف
رحيم سبب نزول هذه الايات مشهور مذكور في الصحيح والافك الكذب والافترا وقيل هو
البهتان لا تشعر به حتى يفجاك والعصبة الجماعة وقد تقدم الكلام عليها في سورة يوسف
عليه السلام منكم اي من اهل ملتكم وممن ينتمي الى الاسلام ومنهم منافق ومنهم مسلم والظاهر ان
خبر ان هو عصبة منكم ومنكم في موضع الصفة وقاله الحوفي وابو البقا ولا تحسبوه مستانف

وقال ابن عطية عصبة رفع على البدل من الضمير في جاوا وخبر ان في قوله لا تحسبوه التقدير
ان فعل الذين وهذا انسق في المعنى واكثر فايدة من ان يكون عصبة خبر ان انتهى والعصبة عبد
الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم ممتنع لم يرد ذكر اسمه ولا تحسبوه خطاب لمن ساءه ذلك من المومنين وخصوصا اصحاب
القصة والضمير في لا تحسبوه الظاهر انه عايد على الافك وعلى اعراب ابن عطية يعود على ذلك
المحذوف الذي قدره اسم ان قيل ويجوز ان يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم من جاوا
وعلى ما نال المسلمين من الغم والمعنى لا تحسبوه ينزل بكم منه عار بل هو خير لكم لبراة الساحة
وثواب الصبر على ذلك الاذى وانكشاف كذب القاذفين وقيل الخطاب بلا تحسبوه للقاذفين
وكينونة ذلك خيرا لهم حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة وحيث تاب بعضهم
وهذا القول ضعيف لقوله بعد لكل امري منهم ما اكتسب من الاثم اي جزا ما اكتسب
وذلك بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم واكتسب مستعمل في الاثم
ونحوها لانها تدل على اعتمال وقصد فهو ابلغ في التذنيب وكسب مستعمل في الخير لان حصوله
مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب في الوجهين والذي تولى كبره المشهور
انه عبد الله بن ابي والعذاب العظيم عذاب يوم القيامة وقيل هو ما اصاب حسان من ذهاب
بصره وشل يده وكان ذلك من عبد الله بن ابي لامعانه في عداوة الرسول وانتهازه الفرص
وروي عنه كلام قبيح في ذلك نزهت كتابي عن ذكره وقلمي عن كتابته قبحه الله وقيل الذي
تولى كبره حسان والعذاب الاليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على راسه وقال له
توق ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر ولكنني احمي حماي واتقي من
الباهت الرامي البري الظواهر فانشد حسان ابياتا يثني فيها ويظهر براته مما نسب اليه

وهي • حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
• حليلة خير الناس دينا ومنصبا • نبي الهدى والمكرمات الفواضل •
• عقيلة حي من لوي بن غالب • كرام المساعي مجدها غير زايل •
• مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل شين وباطل •
• فان كان ما بلغت عني قلته • فلا رفعت سوطي الي اناملي •
• وكيف وودي ما حييت ونصرتي • الرسول الله زين المحافل •
• له رتب عال على الناس فضلها • تقاصر عنها سورة المتطاول •

والمشهور انه حد حسان ومسطح وحمنة قيل وعبد الله بن ابي وقد ذكر بعض شعرا ذلك
العصر في شعره وقيل لم يحد مسطح وقيل لم يحد عبد الله وقيل لم يحد احد في هذه القصة وهذا
مخالف للنص فاجلدوهم ثمانين جلدة وقابل ذلك يقول انما يقام الحد باقرار او بينة ولم يتقيد
باقامته بالاخبار كما لم يتقيد بقتل المنافقين وقد اخبر تعالى بكفرهم وقرا الجمهور كبره بكسر
الكاف وقرا الحسن وعمرة بنت عبد الرحمن والزهري وابو رجاء ومجاهد وابو البرهسيم
والاعمش وحميد وابن ابي عبلة وسفين الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب والزعفراني
وابن مقسم وسورة عن الكسائي ومحبوب عن ابي عمرو بضم الكاف والكبر والكبر مصدران
لكبر الشي عظم لكن استعمال العرب الضم ليس في السن هذا اكبر القوم اي كبيرهم سنا او مكانة
وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر وقيل كبره بالضم معظمه وبالكسر البداة
بالافك وقيل بالكسر الاثم لولا اذ سمعتموه هذا تحريض على ظن الخير وزجر وادب والظاهر ان
الخطاب للمومنين حاشى من تولى كبره قيل ويحتمل دخولهم في الخطاب وفيه عتاب اي كان الانكار
واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر فلم يجي التركيب ظننتم
بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة
على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه
على ان حق المومنين اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على ظن الخير وان يقول بنا على ظنه
هذا افك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراة اخيه كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال وهذا من الادب الحسن ومعنى بانفسهم اي كان يقيس فضلا المومنين والمومنات

هذا

هذا الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد عليهم قضوا بانه في حق من هو خير منهم ابعد وقيل معنى
بانفسهم بامهاتهم وقيل باخوانهم وقيل باهل دينهم وقال ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم اي لا يلمز
بعضكم بعضا وليسلم بعضكم على بعض لولا جاوا عليه باربعة شهدا اجعل الله فصلا بين الرمي
الصادق والرمي الكاذب ثبوت شهدا اربعة وانتفاوها فاذ لم ياتوا بهم في حكم الله وشريعته
كاذبون وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك ولم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم
بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل ولولا فضل
الله اي في الدنيا بالنعم التي منها الامهال للتوبة ورحمته عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة
لمسكم العذاب فيما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض
اذ تلقونه العامل في اذ لمسكم وقرا الجمهور تلقونه بفتح الثلثة وشد القاف وشد التا البزي
وادغم ذال اذ في التا النحويان وحمزة اي ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه
وتلقفه والاصل تتلقونه وهي قراة ابي وقرا ابن السميفع تلقونه بضم التا والقاف
وسكون اللام مضارع لقي وقرات عايشة وابن عباس وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح
التا وكسر اللام وضم القاف من قول العرب ولق الرجل كذب حكاه اهل اللغة وقال ابن سيده
جاوا بالتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه اراد يلقون فيه فحذف الحرف ووصل
الفعل للضمير وحكى الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذي هو الاسراع بالشي
بعد الشي كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اذا اسرع قال •
• جاءت به عنس من الشام تلق • وقرا زيد بن اسلم وابو جعفر
تالقونه بفتح التا وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الالق وهو الكذب وقرا يعقوب
في رواية المازني تيلقونه بتا مكسورة بعدها يا ولام مفتوحة كانه مضارع ولق بكسر اللام
كما قالوا تيجل مضارع وجلت وقال سفين سمعت امي تقرا اذ تثقفونه يعني مضارع ثقف
قال وكان ابوها يقرا بحرف ابن مسعود ومعنى بافواهكم وتديرونه فيها من غير علم لان الشي
المعلوم يكون في القلب ثم يعبر عنه اللسان وهذا الافك ليس محله الا الافواه كما قال يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا اي ذنبا صغيرا وهو عند الله من الكباير وعلق مس
العذاب بثلثة ايام بتلقي الافك والتكلم به واستصغاره ثم اخذ يوبخهم على التكلم به وكان
الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يفوهوا به وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا
وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشيا منزلة نفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها
فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها انتهى وما ذكره في ادوات التخصيص يوهم ان ذلك مختص
بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت
وقال الزمخشري فان قلت فاي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة بيان انه
كان الواجب عليهم ان يتقاذوا اول ما سمعوه بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب
التقديم فان قلت ما معنى يكون والكلام بدونه متلبب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ما ينبغي
ويصح انما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وسبحانك
تعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان تسبيح
الله عند روية العجب من صانعيه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون
حريمة نبيه صلى الله عليه وسلم كما قيل فيها انتهى يعظكم الله ان تعودوا اي في ان تعودوا تقول
وعظت فلانا في كذا فتركه ان كنتم مومنين حث لهم على الاتعاظ وتهييج لان من شرط المومن
الاحتراز مما يشينه من القبايح وقيل ان تعودوا مفعول من اجله اي كراهة ان تعودوا ويبين الله
لكم الايات اي الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب ويعظكم
من المواعظ الشافية ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة قال مجاهد وابن زيد الاشارة الى
عبد الله بن ابي ومن اشبهه في الذين امنوا لعداوتهم لهم والعذاب الاليم في الدنيا الحد وفي
الاخرة النار والظاهر في الذين يحبون ان تشيع الفاحشة العموم في كل قاذف منافقا كان
او مومنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على ان ارادة الفسق فسق والله يعلم اي البري
من المذنب وسراير الامور ووجه الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد وقال الحسن عني بهذا

الوعيد واللعن المنافقين وانهم قصدوا واحبوا اذاية الرسول وذلك كفر وملعون فاعله
وقال ابو مسلم المنافقون اوعدهم الله بالعذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة لقوله جاهدوا
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال الكرماني والله يعلم كذبهم وانتم لا تعلمون لانه غيب
وجواب لولا محذوف اي لعاقبكم وان الله لروف بالتبرية رحيم بقبول توبة من تاب ممن قذف
قال ابن عباس والخطاب لحسان ومسطح وحمنة والظاهر العموم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يوتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا
والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اوليك مبرون مما يقولون لهم مغفرة واجر كريم
تقدم الكلام على خطوات الشيطان تفسيرا وقراة في البقرة والضمير في فانه عايد على من
الشرطية اي فان متبع خطوات الشيطان يامر بالفحشا وهو ما افرط قبحه والمنكر وهو ما تنكره
العقول السليمة اي يصير راسا في الضلال بحيث يكون اصلا يطيعه اصحابه ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بالتوبة الممحصة ما طهر منكم احد وقرا الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف واما ل
حمزة والكسائي وابو حيوة والحسن والاعمش وابو جعفر في رواية وروح بتشديدها واما له
الاعمش وكتب زكى المخفف بالياء وهو من ذوات الواو على سبيل الشذوذ لانه قد يمال او على
قراة من شدد الكاف ولكن الله يزكي من يشا ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح امارة
على سبقها او من يشا بقبول التوبة النصوح والله سميع لاقوالهم عليم بضمايرهم ولا ياتل هو
مضارع ايتلى افتعل من الالية وهي الحلف وقيل معناه يقصر من ائتلى الوت قصرت ومنه لا يالونكم
وقول الشاعر وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا ال
وهذا قول ابي عبيدة واختاره ابو مسلم وسبب نزولها المشهور انه حلف ابي بكر على مسطح ان لا ينفق
عليه ولا ينفعه بنافعة وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المومنين منافعهم عن من قال
في الافك وقالوا لا نصل من تكلم فيه فنزلت في جميعهم والاية تتناول من هو بهذا الوصف
وقرا الجمهور ياتل وقرا عبد الله بن عباس بن ربيعة وابو جعفر مولاه وزيد بن اسلم والحسن
يتال مضارع تالى بمعنى حلف قال الشاعر

تالى ابن اوس حلفة ليردني • الى نسوة كانهن مفايد

والفضل والسعة يعني المال وكان مسطح ابن خالة ابي بكر وكان من المهاجرين وممن شهد بدرا
وكان ما نسب اليه داعيا ابا بكر ان لا يحسن اليه فامر هو ومن جرى مجراه بالعفو والصفح وحين
سمع ابو بكر الا تحبون ان يغفر الله لكم قال بلى احب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته
وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب وابو البرهسيم ان تونوا بالتاء على
الالتفات ويناسبه الا تحبون وان يوتوا نصب الفعل المنهي فان كان بمعنى الحلف فيكون
التقدير في ان يوتوا وعن ان يوتوا وقرا عبد الله والحسن وسفين بن الحسين واسما بنت
يزيد ولتعفوا ولتصفحوا بالتا امر خطاب للحاضرين ان الذين يرمون عام في الرامين
واندرج فيه الراميات تغليبا للمذكر على المونث والمحصنات ظاهره انه عام في الراميات النسا
العفايف وقال النحاس من احسن ما قيل فيه انه عام لجميع الناس من ذكر وانثى وان التقدير
يرمون الانفس المحصنات فيدخل فيه المونث والمذكر وقيل هو خاص بمن تكلم فيها في حديث
الافك وقيل خاص بامهات المومنين وكبراهن منزلة وجلالة تلك فعلى انه خاص بها جمعت
ارادة هي وبناتها من نسا الامة الموصوفات بتلك الصفات من الاحصان والعقل و
والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي يعني عبد الله بن الزبير واشياعه
والغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن
لم يجربن الامور ولا يفطن لما يفطن له المجربات كما قال الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها • تطلعني على اسرارها • وكذلك البله من
الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله لعنوا في الدنيا والاخرة في قذف المحصنات قبل هذا
الاستثنا بالتوبة وفي هذه لم يجي استثنا وعن ابن عباس ان من خاض في حديث الافك وتاب
لم تقبل توبته والصحيح ان الوعيد في هذه الاية مشروط بعدم التوبة ولا فرق بين الكفر
والفسق وان من تاب غفر له ويناسب ان تكون هذه الاية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت
المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قاله ابو حمزة اليماني
ويويده قوله يوم تشهد عليهم وعن ابن عباس انها نزلت في عبد الله ابن ابي كان يشك في الدين
فاذا كان يوم القيامة علم حيث لا ينفعه والناصب ليوم تشهد ما يتعلق به الجار والمجرور
وهو ولهم وقال الحوفي العامل فيه عذاب ولا يجوز لانه موصوف الا على راي الكوفيين
وقرا الاخوان والزعفراني وابن مقسم وابن سعدان يشهد بالياء من تحت لانه تانيث
مجازي ووقع الفصل وباقي السبعة بالتا ولما كان قلب الكافر لا يريد ما يشهد به انطق الله
الجوارح الالسنة والايدي والارجل بما عملوا في الدنيا وقدرها على ذلك وليست الحيوة
شرطا لوجود الكلام وقالت المعتزلة يخلق في هذه الجوارح الكلام وعندهم المتكلم فاعل
الكلام فيكون تلك الشهادة من الله في الحقيقة الا انه تعالى اضافها الى الجوارح توسعا
وقالوا ايضا انه تعالى ينشي هذا الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجيها ان تشهد على الانسان
وتخبر عنه باعماله قال القاضي وهذا اقرب الى الظاهر لان ذلك يفيد انها تفعل الشهادة
وانتصب يومئذ يوفيهم والتنوين في اذ عوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم اذ تشهد
وقرا زيد بن علي يوفيهم مخففا والدين هنا الجزا اي جزا اعمالهم وقال ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا ومنه كما تدين تدان وقرا الجمهور الحق بالنصب صفة لدينهم وقرا
عبد الله ومجاهد وابو روق وابو حيوة بالرفع صفة لله ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصوف
وصفته ويعلمون الى اخره يقوي قول من قال ان الاية في عبد الله بن ابي لان كل مومن يعلم ان الله
هو الحق المبين قال الزمخشري ولو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله
عز وجل قد غلظ في شي تغليظه في الافك وما انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد
والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل
فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث
لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة و
وان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا به وانه يوفيهم جزاهم الحق الذي هم
اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر
وجا بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة انتهى وهو كلام حسن
ثم قال بعد كلام فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عند
اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه انتهى وفي قوله لم تسقط
عنده اساءة مسي دسيسة الاعتزال والظاهر ان الخبيثات وصف للنسا وكذلك الطيبات
اي النسا الخبيثات للرجال الخبيثين ويوجه مقابلته بالذكور فالمعنى ان الخبيثات من النسا
ينزعن للخباث من الرجال فيكون قريبا من قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وكذلك الطيبات
من النسا للطيبين من الرجال ويدل على هذا التاويل قول عايشة حين ذكرت التسع التي
ما اعطيهن امراة غيرها وفي اخرها ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما وهذا التاويل نحا اليه ابن زيد فهو تفريق بين عبد الله واشباهه والرسول
واصحابه فلم يجعل الله له الا كل طيبة واوليك خبيثون فهم اهل النسا الخبايث وقال ابن عباس
والضحاك ومجاهد وقتادة هي الاقوال والافعال ثم اختلفوا فقال بعضهم الكلمات
والفعلات الخبيثة لا يقولها ولا يرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه
وقال بعضهم الكلمات والفعلات لا تليق وتلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف الا بالخبيثين
من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه اوليك اشارة للطيبين او اشارة لهم وللطيبات اذا عني

بهن النساء فهم مما يقولون اي يقول الخبيثون من خبيثات الكلم او القاذفون للرامون المحصنات وعد الطيبين المغفرة عند الحساب والرزق الكريم في الجنة **غض البصر** انطباق الجفن على الجفن بحيث يمتنع الرؤية قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا •

الخمر جمع خمار وهو المقنعة التي تلقي المرأة على رأسها وهو جمع كثرة مقيس فيه ويجمع في القلة على اخمرة وهو مقيس فيه ايضا قال الشاعر

وترى الشجراء في ريقه كرؤوس قطعت فيها الخمر •

الجيب فتح يكون في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد **والعورة** ما احترز من الاطلاع عليه ويغلب في سوءة الرجل **والمرأة الايم** قال النضر بن شميل كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وزنه فيعل كلين وتقادامت نيم وقال الشاعر

• كل امرئ ستئيم منه العرس او منها ييم • اي سينفرد فيصير ايما وقياس جمعه ايائم كسيايد في جمع سيد وجمعه على فعالي محفوظ لا مقيس **البغا** الزنا يقال بغت المرأة تبغي بغاء فهي بغي وهو مختص بزنا النساء **المشكوة** الكوة غير النافذة قال الكلبي حبشي معرب **الزجاجة** جوهر مصنوع معروف وضم الزاي لغة الحجاز وكسرها وفتحها لغة قيس **الزيت** الدهن المعتصر من حب شجر الزيتون قال الكرماني **السراب** بخار يرتفع من قعور القيعان فيكيف فاذا اتصل به ضوء الشمس اشبه الماء من بعيد فاذا دنا منه الانسان لم يره كما كان يراه بعيدا وقال الفراء السراب ما لصق بالارض وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند اشتداد الحر في البر يخيل للناظر انه الماء السارب اي الجاري قال الشاعر

• فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمع سراب في الفلا متالق • وقال امو الطول لمع السراب وقيل السراب ما يرقرق من الهواء في الهجير في فيافي الارض المنبسطة **اللجي** الكثير الماء ولجة البحر معظمه وكان لجيا منسوب الى اللجة **الودق** المطر شديده وضعيفه وقال الشاعر

• فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها • وقال ابو الاشهب العقيلي هو البرق ومنه قول الشاعر

• اثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب •

والودق مصدر ودق السحاب يدق ودقا ومنه استودقت الفرس **البرد** معروف وهو قطع متجمدة يذوب منه ما بالحرارة **السنا** مقصور من ذوات الواو وهو الضوء قال يحيي سناه او مصابيح راهب يقال سنا يسنو سنا والسنا ايضا نبت يتداوى به والسنا بالمد الرفعة والعلو قال وسن كسنيق سنا وسنما **اذعن** للشي انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة **الحيف** الميل في الحكم يقال حاف في قضيته اي جار **اللواذ** الروغان من شي الى شي في خفية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد فلا يزال يدخل علي رجل من اهلي فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا الاية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله ارايت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الاية ومناسبة هذه الاية لما قبلها هو ان اهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كانها طريق للتهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل المرء

بيت غيره الا بعد الاستيذان والسلم لان في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المفسدة ما لا خفا به والظاهر انه يجوز للانسان ان يدخل بيت نفسه من غير استيذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم ويروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال وعيا النهي عن الدخول بالاستيناس والسلم على تلك اهل البيوت والظاهر ان الاستيناس هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يوذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم وهذا من باب الكنايات والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقد روي عن ابن عباس انه قال تستانسوا معناه تستاذنوا ومن روى عن ابن عباس ان قوله تستانسوا خطا او وهم من الكاتب وانه قرا حتى تستاذنوا فهو طاعن في الاسلام ملحد في الدين وابن عباس بري من هذا القول وتستانسوا متمكنة في المعنى بنية الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة هو الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم وقيل هو من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة

• كان رحلي وقد زال النهار بنا • يوم الجليل على مستانس وحد •

ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يوذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاكمل وذهب الطبري الى ان تستانسوا الى انه بمعنى حتى تونسوا اهل البيت من انفسكم بالتنحنح والاستيذان ونحوه وتونسوا انفسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم قال ابن عطية وتصريف الفعل ياتي ان يكون من انس انتهى وقال عطا الاستيذان واجب على كل محتلم والظاهر مطلق الاستيذان فيكفي فيه المرة الواحدة وفي الحديث الاستيذان ثلث يعني كماله فان اذن له والا فليرجع ولا يزيد على ثلث الا ان يحقق ان من في البيت لم يسمع والظاهر تقديم الاستيذان على السلم وفي حديث ابي داود قل السلام عليكم ادخل والواو في وتسلموا لا تقتضي ترتيبا فشروع الندا بالسلم على الاذن لما في السلام من التفاول بالسلامة ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من تستانسوا وتسلموا اي ذلكم الاستيناس والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية لعلكم تذكرون اي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم من الستر وعدم الاطلاع على ما تكرهون الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اعتنا بمصالحكم فان لم تجدوا فيها احدا اي ياذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم حتى يوذن لكم اذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب ان يطلع عليه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا عايد الى من استاذن في دخول بيت غيره فلم يوذن له سوا كان فيه من ياذن ام لم يكن اي لا تلحوا في طلب الاذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين هو ازكى اي الرجوع اطهر لكم وانمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة ثم اخبر انه تعالى بما يعملون عليم اي بما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه وفي ذلك توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غيره والنظر لما لا يحل ليس عليكم جناح قال الزمخشري استثني من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايوا الرحال والسلع والشرا والبيع انتهى وما ذكره الزمخشري من انه استثنا من البيوت كما ذكر هو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثنا لان الاية الاولى في البيوت المسكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الاية الثانية هي في البيوت المباحة وقد مثل العلماء هذه

البيوت امثلة فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق المسافرين
قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة ياوي اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع
بمنفعتها ومثل عطا بالخربة التي يدخل للتبرز وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيسارية
والسوق قال ابن الحنفية ايضا هي دور مكة وهذا لا يسوغ الا على القول بان دور
مكة غير مملوكة وان الناس فيها شركا وان مكة فتحت عنوة والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون وعيد للذين يدخلون البيوت غير المسكونة من اهل الريب ومن في ابصارهم عند
الاخفش زايدة اي يغضوا ابصارهم عما يحرم وعند غيره للتبعيض وذلك ان اول
نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك ويويده قوله لعلي كرم الله وجهه
لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك وليست لك الثانية وقال ابن عطية يصح ان تكون
من لبيان الجنس ويصح ان تكون لابتدا الغاية انتهي ولم يتقدم مبهم فتكون من لبيان
الجنس على ان الصحيح انه ليس من موضوعاتها ان تكون لبيان الجنس ويحفظوا فروجهم
اي من الزنا ومن التكشف ودخلت من في قوله من ابصارهم دون الفروج دلالة على
ان امر النظر اوسع الا ترى ان الزوجة ينظر زوجها الي محاسنها من الشعر والصدر
والعضد والساق والقدم وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الاجنبية الي وجهها
وكفيها واما امر الفرج فضيق وعن ابي العالية وابن زيد كل ما في القران من حفظ
الفرج فهو من الزنا الا هذا فهو من الاستتار ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل
النوعين ذلك اي غض البصر وحفظ الفرج اطهر لهم ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر وانكشاف العورات فيجازي على ذلك وقدم غض البصر على حفظ الفرج
لان النظر بريد الزنا ورايد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز
منه وهو الباب الاكبر الي القلب واعمر طرق الحواس اليه ويكثر السقوط من جهته وقال
بعض الادبا • وما الحب الا نظرة اثر نظرة يزيد نموا ان تزده لحاحا •
ثم ذكر تعالي حكم المومنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الابصار وفي الحفظ للفروج
ثم قال ولا يبدين زينتهن واستثني ما ظهر من الزينة والزينة ما تتزين به المراة من حلي
او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدايه للاجانب
وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه
الا لمن استثني وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه
الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير من ولا وهي الساق والعضد والعنق
والراس والصدر والاذان فنهي عن ابدا الزين نفسها ليعلم ان النظر لا يحل اليها لملابستها
تلك المواقع بدليل النظر اليها غير ملابسة لها وسوح في الزينة الظاهرة لان سترها فيه
حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشيا بيدها ومن الحاجة الي كشف وجهها خصوصا
في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الي المشي في الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات
منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه
الظهور وسوح في الزينة الخفية اوليك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة
المضطرة الي مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة
عن مماسة القرايب وتحتاج المراة الي صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك
وقال ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب ونص على ذلك احمد قال الزينة الظاهرة
الثياب وقال تعالي خذوا زينتكم عند كل مسجد وفسرت الزينة بالثياب وقال ابن عباس
الكحل والخاتم والخضاب والسوار وقال الحسن ايضا الخاتم والسوار وقال ابن عباس
الكحل والخاتم فقط وقال المسور بن مخرمة هما السوار وقال الحسن ايضا الخاتم والسوار
وقال ابن بحر الزينة يقع على محاسن الخلق التي فعلها الله وعلي ما يتزين به من فضل
لباس فنهاهن الله عن ابدا ذلك لمن ليس بمحرم واستثني ما لا يمكن اخفاوه في بعض الاوقات
كالوجه والاطراف على غير التلذذ وانكر بعضهم اطلاق الزينة على الخلقة والاقرب
دخوله في الزينة واي زينة احسن من خلق العضو في غاية الاعتدال والحسن وفي قوله

وليضربن

296

وليضربن بخمرهن على جيوبهن دليل على ان الزينة ما يعم الخلقة وغيرها منعهن من اظهار محاسن
خلقهن فاوجب سترها بالخمار وقد يقال لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة في الصلوة
والحج حسن ان يكون الاستثنا راجعا اليهما وفي سنن لابي داود انه عليه السلم قال يا اسما ان المراة
اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار الي وجهه وكفيه وقال ابن خويزمنداد اذا
كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وكان النسا يغطين روسهن بالاخمرة
ويسدلنها من ورا الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر عليهن وضمن وليضربن معنى وليضعن
وليلقين فلذلك عداه بعلي كما تقول ضربت بيدي على الحايط اذا وضعتها عليه وقرا عباس
عن ابي عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهن بسكون الميم وابو عمرو ونافع وعاصم وهشام
جيوبهن بضم الجيم وباقي السبعة بكسر الجيم وبدا تعالى بالازواج لان اطلاعهم يقع على اعظم
من الزينة ثم ثني بالمحارم وسوى بينهم في ابدا الزينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب
ما في نفوس البشر فالاب والاخ ليس كابن الزوج فقد يبدي بالاب ما لا يبدي لابن الزوج
ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال وقال الحسن هما كسابر المحارم في جواز النظر قال لان الاية
لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في اباهن ولم يذكر
فيها البعولة وذكرهم هنا والاضافة في كتابية او مشركة نسايهن الي المومنات يقتضي تعميم
ما اضيف اليهن من النسا من مسلمة وكافرة كتابية او مشركة من اللواتي يكن في صحبة المومنات
وخدمتهن واكثر السلف على ان قوله او نسايهن مخصوص بمن كان على دينهن قال ابن عباس
ليس للمسلمة ان تتجرد بين نسا اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان
تكون امة لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الي ابي عبيدة ان امنع نسا اهل الذمة من دخول
الحمام مع المومنات والظاهر العموم في قوله او ما ملكت ايمانهن فيشمل الذكور والاناث
فيجوز للعبد ان ينظر من سيدته ما ينظر اوليك المستثنون وهو مذهب عايشة وام سلمة
وعن مجاهد كان امهات المومنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وروي ان عايشة كانت
تمتشط وعبدها ينظر اليها وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه وقال ابن مسعود
والحسن وابن المسيب وابن سيرين لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة وفي
الحديث لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق ثلث الا مع ذي محرم
والعبد ليس بذي محرم وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم اية النور فان المراد بها الاما قاله
الزمخشري وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن
ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو
خصي فقالت يا معاوية اترى المثلة تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان
واستخدامهم وبيعهم وشراوهم ولم ينقل احد من السلف امساكهم انتهي والاربة الحاجة الي
الوطء لانهم بله لا يعرفون شيا من امر النسا وهم لانهم يصيبون من فضل الطعام قال
ابن عطية ويدخل في هذه الصيغة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفاني والزمن الموقوذ
بزمانته وقرا ابن عامر وابو بكر بالنصب على الحال او الاستثنا وباقي السبعة بالجر على
النعت وعطف او الطفل على من الرجال قسم التابعين غير اولي الحاجة للوطء الي قسمين
رجال واطفال والمفرد المحلي بال يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع في قوله الذين لم
يظهروا ومن ذلك قول العرب اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد
الدنانير والدراهم فكانه قال او الاطفال والطفل ما لم يراهق الحلم وفي مصحف حفصة
او الاطفال جمعا وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده
انه يراد به الجمع ونحوه ويخرجكم طفلا انتهي ووضع المفرد موضع الجمع لا ينقاس عند س
وانما قوله الطفل من باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقوله ان الانسان لفي خسر
فلذلك صح الاستثنا منه والتلاوة ثم يخرجكم ثم لتبلغوا وقوله ونحوه ليس نحوه لان هذا
معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذي لا يقيسه س لانه يجوز
ان يكون المعني ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل في قوله تعالي واعتدت لهن متكا اي لكل واحدة
منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف اي يشبع كل واحد منهم وقوله لم يظهروا اما من قولهم

ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اى لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من
ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرن اخذه ومنه فاصبحوا ظاهرين اى غالبين قادرين
عليه فالمعنى لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرا الجمهور عورات بسكون الواو وهي لغة
اكثر العرب لا يحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع وروى عن ابن عامر تحريك الواو وعورات
بالفتح والمشهور في كتب النحو ان تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة
ونقل ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات ان ابن ابي اسحق والاعمش قرا عورات بالفتح
قال وسمعنا ابن مجاهد يقول هو لحن وانما جعله لحنا وخطاء من قبل الرواية والا فله مذهب
في العربية بنو تميم يقولون روضات وجوزات وعورات وسائر العرب بالاسكان وقال
الفراء العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتثقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء
والواو وانشد في بعضهم ابو بيضات رايح متاوب رفيق بمسح المنكبين سبوح ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم
انها ذات خلخال وقال ابن عباس هو قرع الخلخال بالاخر او تحريك الخلاخل عند الرجال
وزعم حضرمي ان امراة اتخذت خلخالا من فضة واتخذت جزعا فجعلته في ساقها فمرت على
القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوتت فنزلت هذه الاية وقال
الزجاج وسماع صوت هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها انتهى وقال ابن محمد بن حزم
ما معناه انه تعالى نهاهن عن ذلك لان المراة اذا مرت على الرجال قد لا يلتفت اليها ولا يشعر
بها وهي تكره ان لا ينظروا اليها فاذا فعلن ذلك نبهن على انفسهن وذلك بحبهن في تعلق الرجال
بهن وهذا من خفايا الاعلام بمحالهن وقال مكي ليس في كتاب الله اية اكثر ضمائر من هذه جمعت
خمسة وعشرين ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع وقال الزمخشري واذا نهي عن اظهار
صوت الحلي بعد ما نهي عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواقع الحلي ابلغ وتوبوا
الى الله جميعا ايه المؤمنون لما سبقت اوامره تعالى ومناه وكان الانسان لا يكاد يقدر
على مراعاتها دايما وان ضبط نفسه واجتهد فلا بد من تقصير امر بالتوبة ويترجى الفلاح
اذا تابوا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا
والاخرة وقرا ابن عامر ايه المؤمنون ويا ايه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء ووجهه انها
كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف بالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة
ما قبلها وضم ها التي للتنبيه بعد اي لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة ووقف بعضهم بسكون
الهاء لانها كتبت في المصحف بلا الف بعدها ووقف بعضهم بالالف وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامايكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين لما تقدمت اوامر ونواه في غض البصر وحفظ
الفرج واخفاء الزينة وغير ذلك وكان الموجب للطموح من الرجال الى النساء ومن النساء الى الرجال
هو عدم التزوج غالبا لان في تكاليف النكاح وما يجب لكل واحد من الزوجين ما يشغل امر تعالى
بانكاح الايامى وهم الذين لا ازواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت
الى غيره والظاهر ان الامر في قوله وانكحوا للوجوب وبه قال اهل الظاهر واكثر العلماء
على انه هنا للندب ولم يخل عصر من الاعصار من وجود الايامى ولم ينكر ذلك ولا امر الاولياء
بالانكاح وقال الزمخشري الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا انتهى وفي التحرير
قال ابو عمرو ايامى مقلوب ايايم وغيره من النحويين ذكروا ان ايما ويتيما جمعا على ايامى ويتامى
شذوذا ذكره الحفظ ووزنه فعالى وهو ظاهر كلام س قال س في اواخر هذا باب تكسير
ما كان من الصفات وقالوا وجى ووجيا كما قالوا زمن وزمنى فاجروه على المعنى كما قالوا يتيم
ويتامى وايم وايامى فاجروه مجرى رجاعى انتهى وتقدم في المفردات ان الايم من لا زوج
له من ذكر وانثى وفي شرح كتاب س لابي بكر الخفاف الايم التي لا زوج لها واصله في التي

متزوجة ففقدت زوجها برزء طرا عليها فهو من البلايا ثم قيل في البكر مجازا لانها لا زوج لها
انتهى منكم خطاب للمؤمنين امر تعالى بانكاح من تايم من الاحرار والحراير ومن فيه صلاح من
العبيد والاما واندرج المونث في المذكر في قوله والصالحين وخص الصالحين ليحصن لهم
دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين يشفق مواليهم عليهم
وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للاهتمام بشانهم وتقبل الوصية
فيهم والمفسدون منهم حالهم عند مواليهم على عكس ذلك وقيل معنى والصالحين اي للنكاح
والقيام بحقوقه وقرا مجاهد والحسن من عبيدكم بالياء مكان الالف وفتح العين واكثر
استعماله في المماليك ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله هذا مشروط بالمشية المذكورة
في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع اى ذو غنى وسعة
يبسط الله لمن يشاء عليم بحاجات الناس فيجرى عليهم ما قدر من الرزق وليستعفف اي
ليجتهد في العفة وصون النفس وهو استفعل بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها
وجا الفك على لغة الحجاز ولا نعلم احدا قراه وليستعف بالادغام الذين لا يجدون نكاحا
قيل النكاح هنا اسم ما يمهر وينفق في الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس ويويده
قوله حتى يغنيهم الله من فضله فالمامور بالاستعفاف هو من عدم المال الذى يتزوج به
ويقوم بمصالح الزوجية والظاهر انه امر ندب لقوله قبل ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله
ومعنى لا يجدون نكاحا اى لا يتمكنون من الوصول اليه فالمعنى انه امر بالاستعفاف كل من تعذر
عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ثم اغلب الموانع عن النكاح عدم المال وحتى يغنيهم ترجية
للمستعففين وتقدمة للموعيد بالتفضل عليهم فالمعنى ليكون انتظار ذلك وتامليه لطفا
في استعفافهم وربطا على قلوبهم وما احسن ما ترتيب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم عن
الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين
ويقع به الاستغنا بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه انتهى وهو من كلام الزمخشري
وهو حسن ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاما رغبهم في ان يكاتبوهم
اذا طلبوا ذلك ليصيروا احرارا يتصرفون في انفسهم والذين يبتغون الكتاب اي المكاتبة
كالعتاب والمعاتبة من ما ملكت يعم المماليك الذكور والاناث والذين يحتمل ان يكون مبتدا
وخبره الجملة والفا دخلت في الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط ويحتمل ان يكون
منصوبا لما تقول زيدا فاضربه لانه يجوز ان تقول زيدا فاضرب وزيدا اضرب فاذا دخلت
الفا كان التقدير بنية فاضرب زيدا فالفا في جواب امر محذوف وهذا يوضح في النحو باكثر من
هذا قال الازهرى وسمي هذا العقد مكاتبة لما يكتب للعبد على السيد من العتق اذا ادي
ما تراضيا عليه من المال وما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يوديها والظاهر وجوب
المكاتبة لقوله فكاتبوهم وهذا مذهب عطا وعمرو بن دينار والضحاك وابن سيرين وداود
وظاهر قول عمر لانه قال لانس حين سال سيرين الكتابة فتلكا انس كاتبه او لاضربنك بالدرة
وذهب مالك وجماعة الى انه امر ندب وصيغتها كاتبتك على كذا ويبين ما كاتبه عليه وظاهر
الامر يقتضي انه لا يشترط تنجيم ولا حلول بل يكون حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وهذا مذهب
ابي حنيفة وقال الشافعي لا يجوز على اقل من ثلثة انجم وقال اكثر العلماء يجوز على نجم واحد
وقال ابن خويز منداد اذا كاتب على مال معجل كان عتقا على مال ولم يكن كتابة واجاز بعض
المالكية الكتابة الحالة وسماها قطاعة والخير المال قاله ابن عباس ومجاهد او الدين قاله
الحسن او اقامة الصلوة قاله عبيدة السلماني او الصدق والوفاء والامانة قاله الحسن
وابرهيم او ارادة خير بالكتابة قاله سعيد بن جبير وقال الشافعي الامانة والقوة على الكسب
والذى يظهر من الاستعمال انه الدين يقول فلان فيه خير فلا يتبادر الى الذهن الا الصلاح
والامر بالكتابة مقيد بهذا الشرط فلو لم يعلم فيه خيرا لم تكن الكتابة مطلوبة بقوله
فكاتبوهم والظاهر في واتوهم انه امر للمكاتبين وكذا قال المفسرون وجمهور العلماء واختلفوا
هل هو على الوجوب او على الندب واستحسن ابن مسعود والحسن ان يكون ثلث الكتابة وعلي

ربهما وقتادة عشرها وقال عمر من اول نجومه مبادرة الي الخير وقال مالك من اخر نجم وقال
بريده والحسن والنخعي وعكرمة والكلبي والمقاتلان امر الناس جميعا علي مواساة المكاتب
واعانته وقال زيد بن اسلم الخطاب لولاة الامور ان يعطوا المكاتبين من مال الصدقة
حقهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب وقال صاحب النظم لو كان المراد بالايتا الحط لوجب
ان تكون العبارة العربية ضعوا عنهم او قاصوهم فلما قال واتوهم دل علي انه من الزكوة
اذ هي مناولة واعطا ويوكده انه امر باعطا وما اطلق عليه الاعطا كان سبيله الصدقة وقوله
من مال الله الذي اتاكم هو ما ثبت ملكه للمالك امر باخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين
صحيح لانه علي عبده والمولى لا يثبت له علي عبده دين صحيح وايضا ما اتاه الله هو الذي
يحصل في يده ويملكه وما يسقطه عقيب العقد لا يحصل له عليه ملك فلا يستحق الصفة بانه
من مال الله الذي اتاه ولا تكرهوا فتياتكم علي البغا في صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله
بن ابي يقال لها نسيكة واخري يقال لها اميمة كان يكرههما علي الزنا فشكيا ذلك الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل كانت له ست معاذة ونسيكة واميمة وعمرة واروي وقتيلة
جاته احداهن ذات يوم بدينار واخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل
ذلك وقد جانا الله بالاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا فنزلت
والفتاة المملوكة وهذا خطاب للجميع ويوكد ان يكون واتوهم خطابا للجميع والنهي عن الاكراه
علي الزنا مشروط بارادة التعفف منهن لانه لا يمكن الاكراه الا مع ارادة التحصين اما اذا
كانت مريدة للزنا فانه لا يتصور الاكراه وكلمة ان وايثارها علي اذا ايذان بان المسافحات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وانما وجد من معاذة ونسيكة من حيز الشاذ النادر
وقد ذهب هذا النظر علي كثير من المفسرين فقال بعضهم ان اردن راجع الي قوله وانكحوا الايامي
منكم وهذا فيه بعد ونصل كثير وايضا فالايامي يشمل الذكور والاناث فكان لو اريد هذا المعني
لكان التركيب اذا ارادوا تحصنا فيغلب المذكر علي المونث وقال بعضهم هذا الشرط ه
ملغي وقال الكرماني هذا شرط في الظاهر وليس بشرط كقوله ان علمتم فيهم خيرا ومع انه وان كان
لم يعلم خيرا صحت الكتابة وقال ابن عيسى جا بصيغة الشرط لتفحيش الاكراه علي ذلك وقال
لانها نزلت علي سبب فوقع النهي علي تلك الصفة انتهي وعرض الحيوة الدنيا هو ما يكسبنه
بالزنا وقوله فان الله جواب للشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط
فيه ضمير يعود علي من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل الزمخشري
وابن عطية وابو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان الله غفور رحيم لهن اي للمكرهات فعريت جملة
جواب الشرط من ضمير يعود علي اسم الشرط وقد ضعف ما قلناه ابو عبد الله الرازي
فقال فيه وجهان احدهما فان الله غفور رحيم لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من
المكره فيما فعل والثاني فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه علي
التفسير الاول لا حاجة لهذا الاضمار وعلي الثاني يحتاج اليه انتهي وكلامهم كلام من لم يمعن
في لسان العرب **فان قلت** قوله اكراههن مصدر اضيف الي المفعول والفاعل مع المصدر
محذوف والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا المحذوف
المقدر فلتجز المسئلة قلت لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف تقول هند عجبت من ضربها
زيدا فتجوز المسالة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيدا لم تجز ولما قدر الزمخشري في احد
تقديراته لهن اورد سوالا فقال **فان قلت** لا حاجة الي تعليق المغفرة بهن لان المكرهة
علي الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من
اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم
وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فيكون اثما انتهي وهذا السوال والجواب مبنيان علي
تقديره لهن وقرا مبينات بفتح اليا الحرميان وابو عمرو وابو بكر اي بين الله في هذه السورة
واوضح ايات تضمنت احكاما وحدودا وفرايض فتلك الايات هي المبينة ويجوز ان يكون
المراد مبينا فيها ثم اتسع فيكون المبين في الحقيقة غيرها وهي ظرف للمبين وقرا باقي السبعة
والحسن وطلحة والاعمش بكسر اليا فاما ان تكون متعدية اي مبينات غيرها من الاحكام والحدود

فاسد

فاسد ذلك مجازا واما ان تكون لا تتعدي اي بينات في نفسها لا تحتاج الي موضح بل هي واضحة
لقولهم في المثل قد بين الصبح لذي عينين اي قد ظهر ووضح وقوله ومثلا معطوف علي ايات فيحتمل ان
ان يكون المعنى ومثلا من امثال الذين من قبلكم اي قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف
ومريم في براتهما لبراة من رميت بحديث الافك لينظروا قدرة الله في خلقه وصنعه فيه فيعتبروا
وقال الضحاك والمراد بالمثل ما في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل في القران مثله
وقال مقاتل اي شبها من حالهم في تكذيب الرسل اي بينا لكم ما احللنا بهم من العذاب لتمردهم فجعلنا
ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وموعظة للمتقين
اي ما وعظ في الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا وخص المتقين لانهم المنتفعون بالموعظة الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نور علي نور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله
الله الامثال للناس والله بكل شي عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتا الزكوة يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير
حساب النور في كلام العرب الضو المدرك بالبصر فاسناده الي الله تعالي مجاز كما تقول
زيد كرم وجود واسناده علي اعتبارين اما علي انه بمعنى اسم الفاعل اي منور السموات والارض
ويويد هذا التاويل قراة علي بن ابي طالب وابي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت
بن ابي حفصة والقورصي ومسلمة بن عبد الملك وابي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عياش
بن ابي ربيعة نور فعلا ماضيا والارض بالنصب واما علي حذف اي ذو نور ويويده قوله
مثل نوره ويحتمل ان يجعل نورا علي سبيل المدح كما قال فلان شمس البلاد ونور القبايل وقمرها وهذا
مستفيض في كلام العرب واشعارها قال الشاعر

كانك شمس والملوك كواكب • وقال قمر القبايل خالد بن يزيد • وقال

اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها بدرها وجمالها ويروى نورها واضاف النور الي
السموات والارض للدلالة علي سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضي له السموات والارض
او يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به وقال ابن عباس نور السموات اي هادي
اهل السموات وقال مجاهد مدبر امور السموات وقال الحسن منور السموات وقال ابي الله
به نور السموات او منه نور السموات اوضياوها وقال ابو العالية مزين السموات بالشمس
والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلما وقيل المنزه من كل عيب امراة نوار بريئة من
الريبة والفحشا وقال الكرماني هو الذي يري ويري به مجاز وصف الله به لانه يري ويري ه
بسبب مخلوقاته لانه خلقها واوجدها والظاهر ان الضمير في مثل نوره عايد علي الله تعالي واختلفوا
في هذا القول ما المراد بالنور المضاف اليه تعالي فقيل الايات البينات في قوله ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات وقيل الايمان المقذوف في قلوب المومنين وقيل النور هنا هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل النور هنا المومن وقال كعب وابن جبير الضمير في نوره عايد علي محمد
صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد وقال ابي هو عايد علي المومنين وفي قراته مثل نور المومنين
وروي في قراته مثل نور المومن وروي ايضا فيها مثل نور من امن به وقال الحسن يعود
علي القران والايمان وهذه الاقوال الثلثة عاد فيها الضمير علي غير مذكور ونقلت المعني
المقصود بالاية بخلاف عوده علي الله تعالي ولذلك قال مكي يوقف علي والارض في تلك الاقوال
الثلثة واختلفوا في هذا التشبيه اهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها الي تشبيه جزء بجزء
ومقابلة شي بشي او مما قصد به ذلك اي مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق
وبراهينه الساطعة علي الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه انتم علي هذه الصفة
التي هي ابلغ صفات النور الذي بين ايدي الناس اي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي
هو منتهاكم ايها البشر وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزءا بجزء وقدره علي تلك الاقوال
الثلثة اي مثل نوره في محمد او في المومن او في القران والايمان كمشكوة فالمشكوة هو الرسول

اوصدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله اليه وشبه الفضل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي وعلى قول المومن فالمشكوة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القران وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات وعلى قول الايمان والقران اي مثل الايمان والقران في صدر المومن في قلبه كمشكوة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكوة ليست تقابل الايمان وقال الزمخشري او صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة اي كصفة مشكوة انتهى ويظهر لي ان قوله كمشكوة هو على حذف مضاف اي مثل نوره مثل نور مشكوة وتقدم في المفردات ان المشكوة هي الكوة غير النافذة وهو قول ابن جبير وسعيد بن عياض والجمهور وقال ابو موسى المشكوة الحديدة والرصاصة التي تكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة وقال مجاهد المشكوة العمود الذي يكون المصباح على راسه وقال ايضا الحدايد التي تعلق فيها القنديل فيها مصباح اي سراج ضخم والظاهر ان الزجاجة ظرف للمصباح لقوله المصباح في زجاجة وقدره الزمخشري في زجاج شامي وكانه عنده اصفى الزجاج هو الشامي ولم يقيد في الاية وقرا ابو رجا ونصر بن عاصم في زجاجة الزجاجة بكسر الزاي فيهما وابن ابي عبلة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد بفتحها كانها اي كان الزجاجة لصفا جوهرها وذاتها وهو ابلغ في الانارة او لما احتوت عليه من نور المصباح كوكب دري قال الضحاك هو الزهرة شبه الزجاجة في زهرتها باحد الدراري من الكواكب المشاهير وهي المشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحو ذلك وقرا الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير دري بضم الدال وتشديد الراء والياء والظاهر نسبة الكوكب الى الدر لبياضه وصفايه ويحتمل ان يكون اصله الهمز فابدل وادغم وقرا قتادة وزيد بن علي والضحاك كذلك الا انهما فتحا الدال ورويت ذلك عن نصر بن عاصم وابي رجا وابن المسيب وقرا الزهري كذلك الا انه كسر الدال وقرا حمزة كذلك الا انه همز من الدر بمعنى الدفع اي يدفع بعضها بعضا او يدفع ضوءها خفاءها ووزنه فعيل قيل ولا يوجد فعيل الا قولهم مريق للعصفر ودري في هذه القراة قيل وسرية اذا قيل انها مشتقة من السرور وابدل من احد المضعفات اليا فادغمت فيها يا فعيل وسمع ايضا مريخ للذي في داخل القرن اليابس بضم الميم وكسرها وقيل منه علية وقيل دري وزنه في الاصل فعول كسبوح فاستثقل الضم فرد الى الكسر وكذا قيل في سرية وذرية وقرا ابو عمرو والكسائي كذلك الا انه كسر الدال وهو بنا كثير في الاسما نحو سكين وفي الاوصاف سكير وقرا قتادة ايضا وابان بن عثمن وابن المسيب وابو رجا وعمرو بن فايد والاعمش ونصر بن عاصم كذلك الا انه بفتح الدال قال ابن جني وهذا عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح السين وشد الكاف انتهى وفي الابنية حكى الاخفش كوكب دري من درانه ودرية وعليك بالسكينة والوقار عن ابي زيد وحكى الفرا بكسر الشين وقرا الاخوان وابو بكر والحسن وزيد بن علي وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى والاعمش توقد بضم التا اي الزجاجة مضارع اوقدت مبنيا للمفعول ونافع وابن عامر وحفص كذلك الا انه باليا اي المصباح وابن كثير وابو عمرو توقد بفتح الاربعة فعلا ماضيا اي المصباح والحسن والسلمي وقتادة وابن محيصن وسلام ومجاهد وابن ابي اسحق والمفضل عن عاصم كذلك الا انه بضم الدال مضارع توقد واصله تتوقد اي الزجاجة وقرا عبد الله وقد بغيرتا وشدد القاف جعله فعلا ماضيا اي وقد المصباح وقرا السلمي وقتادة وسلام ايضا كذلك الا انه باليا من تحت وجا كذلك عن الحسن وابن محيصن واصله يتوقد اي المصباح الا ان حذف اليا في يتوقد مقيس لدلالة ما ابقي على ما حذف وفي يتوقد شاذ جدا لان اليا الباقية لاتدل على التا المحذوفة وله وجيه من القياس وهو حمله على بعد اذ حمل يعد وتعد واعد في حذف الواو فكذلك هذا لما حذفوا من تتوقد بالتاين حذفوا التا مع اليا وان لم يكن اجتماع التا واليا مستثقلا من شجرة اي من زيت شجرة وهي شجرة الزيتون مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا

منهم

منهم ابرهيم عليه السلام والزيتون من اعظم الشجر ثمرا ونما واطراد افنان وغضارة افنان وقال ابو طالب بورك الميت الغريب كما بورك نضر الرمان والزيتون لا شرقية ولا غربية قال ابن زيد هي من شجر الشام افضل الشجر وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم هي في منكشف من الارض يصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية وقال الحسن هذا مثل وليست من شجر الدنيا اذ لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وعن ابن عباس انها في دوحة احاطت بها فليست منكشفة لا من جهة الشرق ولا من جهة الغرب وهذا لا يصح عن ابن عباس لانها اذا كانت بهذه الصفة فسد جناها وقال ابن عطية انها في وسط الشجر لا تصيبها الشمس طالعة ولا غاربة بل تصيبها بالغداة والعشي وقال عكرمة هي من شجر الجنة وقال ابن عمر الشجرة مثل اي انها ملة ابرهيم ليست بيهودية ولا نصرانية وقيل ملة الاسلام ليست بشديدة ولا لينة وقيل لا مضحي ولا مفياة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها وزيتونة بدل من شجرة وجوز بعضهم فيه ان يكون عطف بيان ولا يجوز على مذهب البصريين لان عطف البيان عندهم لا يكون الا في المعارف فاجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي انه يكون في النكرات ولا شرقية ولا غربية على قراة الجمهور بالخفض صفة لزيتونة وقرا الضحاك بالرفع اي لا هي شرقية ولا غربية والجملة في موضع الصفة يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار مبالغة في صفا الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضي من غير نار والجملة من قوله ولو لم تمسسه نار حالية معطوفة على حال محذوفة اي يكاد زيتها يضي في كل حال ولو في هذه الحال التي يقتضي انه لا يضي لانتفا مس النار له وتقدم لنا ان هذا العطف انما ياتي مرتبا لما كان لا ينبغي ان يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصا حتى يدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو اعطوا السايل ولو جا على فرس ردوا السايل ولو بظلف محرق وقرا الجمهور تمسسه بالتا وابن عباس والحسن باليا من تحت وحسنه الفصل وان تانيث النار مجازي وهو مونث بغير علامة نور على نور اي متضاعف تعاون عليه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوى النور ويزيده اشراقا شي لان المصباح اذا كان في مكان ضيق كان اجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فانه ينتشر النور والقنديل اعون شي على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاوه وهنا تم المثال ثم قال يهدي الله لنوره من يشا اي لهداه والايمان من يشا هدايته ويصطفيه لها ومن فسر النور في مثل نوره بالنبوة قدر يهدي الله الى نبوته وقيل الى الاستدلال بالايات ثم ذكر تعالى انه يضرب الامثال للناس ليقع لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان ثم ذكر احاطة علمه بالاشيا فهو يضع هداه عند من يشا في بيوت متعلق بيوقد قاله الرماني او في موضع الصفة لقوله كمشكوة اي كمشكوة في بيوت قاله الحوفي وتبعه الزمخشري قال كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد قال مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت انتهى وقوله كانه الى اخره تفسير معنى لا تفسير اعراب او في موضع الصفة لمصباح اي مصباح في بيوت قاله بعضهم او في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم وعلى هذه الاقوال الاربعة لا يوقف على قوله عليم وقيل في بيوت مستانف والعامل فيه يسبح حكاه ابو حاتم وجوزه الزمخشري فقال وقد ذكر تعلقه بكمشكوة قال او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع ايات اي سبحوا في بيوت انتهى وعلى هذه الاقوال الثلثة يوقف على قوله عليم والذي اختاره ان يتعلق في بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو انه تعالى لما ذكر انه يهدي لنوره من يشا ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المومنون ثم ذكر اشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم الله عن النقايص واظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ثم ذكر ساير اوصافهم من التزم ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وخوفهم ما يكون في البعث ولذلك جا مقابل المومنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا فكانه لما ذكرت الهداية للنور جا مقابل المومنين في التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدي بالمومن وما تاثر به من انواع الهدي ثم ذكر الكافر والظاهر ان قوله في بيوت ايد به مدلوله من الجمعية وقال الحسن اريد به بيت المقدس وسمي بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض ويوثر ان عادة بني اسرايل في وقيده في غاية التهمم والزيت مختوم

علي ظروفه وقد صنع صنعة وتدس حتي لا يجري الوقيد بغيره فكان اضوا بيوت الارض
والظاهر ان في بيوت مطلق فيصدق علي المساجد والبيوت التي يقع فيها الصلوة والعلم وقال
مجاهد بيوت الرسول عليه السلم وقال ابن عباس والحسن ايضا ومجاهد هي المساجد التي من
عادتها ان تنور بذلك النوع من المصابيح وقيل الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول
عليه السلم ومسجد قبا وقيل بيوت الانبيا ويقوى انها المساجد قوله يسبح له فيها بالغدو
والاصال واذن تعالى امره بان ترفع اي يعظم قدرها قاله الحسن والضحاك وقال ابن
عباس ومجاهد تبني وتعلي من قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل وقيل ترفع
تطهر من الانجاس والمعاصي وقيل ترفع اي ترفع فيها الحوايج الى الله وقيل ترفع الاصوات
بذكر الله وتلاوة القران ويذكر فيها اسمه ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر عموم البدل
وعن ابن عباس توحيده وهو لا اله الا الله وعنه يتلي فيها كتابه وقيل اسماوه الحسنى وقيل
يصلي فيها وقرا الجمهور يسبح بكسر البا وباليا من تحت وابن وثاب وابو حيوة كذلك الا انه
بالتا من فوق وابن عامر وابو بكر والبحتري عن حفص ومحبوب عن ابي عمرو والمنهال عن
يعقوب والمفضل وابان بفتحها وباليا من تحت واحد المجرورات في موضع المفعول الذي لم
يسم فاعله والاولى الذي يلي الفعل لان طلب الفعل للمرفوع اقوى من طلبه للمنصوب
الفضلة وقرا ابو جعفر تسبح بالتا من فوق وفتح البا قال الزمخشري ووجهها ان تسند الي
اوقات الغدو والاصال علي زيادة البا ويجعل الاوقات مسبحة والمراد بهما كصيد عليه
يومان والمراد وحشهما انتهى ويجوز ان يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال
عليه تسبح اي تسبح له هي اي التسبيحة كما قالوا ليجزي قوما في قراة من بناه للمفعول اي
ليجزي هو اي الجزا وقرا ابو مجلز والايصال وتقدم نظيره وارتفع رجال علي هاتين القراتين
علي الفاعلية باضمار فعل اي يسبح او يسبح له رجال واختلف في اقتياس هذا فعلي اقتياسه
نحو ضربت هند زيد اي ضربها زيد ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي المسبح رجال وتقدم
الكلام في تفسير الغدو والاصال والمراد بهما ثم ذكر تعالي وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم
امر الله وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله واحتمل قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع وجهين احدهما
انهم لا تجارة لهم ولا بيع فيلهيهم عن ذكر كقوله علي لاحب لا يهتدي بمناره اي لا منار له فيهتدي به
والثاني انهم ذو تجارة وبيع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله وعن ما فرض عليهم والظاهر
مغايرة التجارة والبيع ولذلك عطف فاحتمل ان تكون تجارة من اطلاق العام ويراد به الخاص
فاراد بالتجارة الشرا ولذلك قابله بالبيع او يراد تجارة الجلب ويقال تجر فلان في كذا اذا جلبه
وبالبيع البيع بالاسواق ويحتمل ان يكون ولا بيع من ذكر خاص بعد عام لان التجارة هي البيع
والشرا طلبا للربح ونبه على هذا الخاص لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة
رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شي يتوقع فيه الربح لان هذا يقين
وذاك مظنون قال الزمخشري التا في اقامة عوض من العين المحذوفة والتا ساقطة للاعلال
والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا انتهى وهذا الذي ذكر من ان التا سقطت لاجل الاضافة هو مذهب
الفرا ومذهب البصريين ان التا من نحو هذا لا تسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام علي واقام
الصلوة في الانبيا وصدر البيت الذي انشد عجزه قوله ان الخليط اجدوا البين فانجردوا
وقد تاوله ابن كلثوم قوله عدا الامر علي انه جمع عدوة والعدوة الناحية كان الشاعر
اراد نواحي الامر وجوانبه يخافون يوما هو يوم القيامة والظاهر ان معني تتقلب تضطرب
من هول ذلك اليوم كما قال تعالي واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فتقلبها هو
قلقها واضطرابها فتتقلب من طمع في النجاة الي طمع ومن حذر هلاك الي اهلاك وهذا المعني
تستعمله العرب في الحروب كقوله بل كان قلبك في جناحي طاير وبعد قول من قال تتقلب
علي جمر جهنم لان ذلك ليس في يوم القيامة بل بعده وقول من قال ان تقلبها ظهور الحق لها
اي تتقلب عن معتقدات الضلال الي اعتقاد الحق علي وجهه فتفقه القلوب بعد ان
كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا والقول الاول ابلغ في التهويل

وقرا ابن محيصن تقلب بادغام التا في التا واللام في ليجزيهم متعلقة بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم
ويجوز ان يتعلق بيسبح وهو الظاهر وقال الزمخشري والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم انتهي
والظاهر ان قوله يخافون صفة لرجال كما ان لا يلهيهم كذلك احسن هو علي حذف مضاف اي ثواب
احسن ما عملوا واحسن جزا ما عملوا ويزيدهم من فضله على ما يقتضيه اعمالهم فاهل الجنة ابدا
في مزيد وقال الزمخشري يجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم علي الثواب تفضلا وكذلك معني
قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطا الله عز وجل اما تفضل
واما ثواب واما عوض والله يرزق من يشا ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حسنات
لكونه علي حسب الاستحقاق انتهى وفي قوله علي حسب الاستحقاق دسيسة اعتزال والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ما حتي اذا جاه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لما ذكر تعالي حالة
الايمان والمومنين وتنويره قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الاعمال الكاملة في الاخرة اعقب ذلك
بذكر مقابلتهم الكفرة واعمالهم فمثل لهم ولاعمالهم مثلين احدهما يقتضي بطلان اعمالهم في الاخرة
وانهم لا ينتفعون بها والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتكابها في الضلال والظلمة شبه اولا
اعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض ظنه العطشان ما فقصده واتبع
نفسه في الوصول اليه حتى اذا جاه اي جا موضعه الذي تخيله فيه لم يجده شيا اي فقده لانه مع
الدنو لا يري شيا كذلك الكافر يظن ان عمله في الدنيا نافعه حتى اذا افضي الى الاخرة لم ينفعه
عمله بل صار وبالا عليه وقرا مسلمة بن محارب بقيعات بتا ممطوطة جمع قيعة كديمات
وقيمات في ديمة وقيمة وعنه ايضا بتا شكل الها ويقف عليها بالها فاحتمل ان يكون جمع قيعة
ووقف بالها على لغة طي كما قالوا البناه والاخواه في الوقوف علي البنات والاخوات
قال صاحب اللوامح ويجوز ان يريد قيعة كالعامة اي كالقراة العامة لكنه اشبع الفتحة
فتولدت منها الالف مثل مخرنبق لينباع وقال الزمخشري وقد جعل بعضهم بقيعات بتا
ممدودة كرجل عزهاه وقال صاحب اللوامح ويجوز ان جعله مثل سعلة وسعلاة وليلة وليلاة
والقيعة مفرد مرادف للقاع او جمع قاع كنار ونيرة فيكون على هذا قراة قيعات جمع صحة
تناول جمع تكسير مثل رجالات قريش وجمالات صفر وقرا شيبة وابو جعفر ونافع بخلاف عنهما
الظمان بحذف الهمزة ونقل حركتها الي الميم والظاهر ان قوله يحسبه الظمان هو من صفات
السراب ولا يعني الا مطلق الظمان لا الكافر الظمان وقال الزمخشري شبه ما يعمله من لا يعتقد
الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه
يوم القيامة ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد
غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ما فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه
ويعتلونه ويسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة
بن امية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام انتهى فجعل
الظمان هو الكافر حتى تطرد الضماير في جاه ولم يجده ووجد وعنده وفوفاه لشخص واحد
وغيره غاير بين الضماير فالضمير في جاه ولم يجده للظمان وفي ووجد للكافر الذي ضرب له مثلا
بالظمان اي ووجد هذا الكافر وعد الله بالجزا على عمله بالمرصاد فوفاه حساب عمله الذي
جازاه عليه وهذا معنى قول ابي وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وافرد الضمير في ووجد
بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار وقال ابن عطية يحتمل ان يعود الضمير في جاه
علي السراب ثم في الكلام متروك كثير يدل عليه الظاهر تقديره وكذلك الكافر يوم القيامة
يظن عمله نافعا حتى اذا جاه لم يجده شيا ويحتمل الضمير ان يعود علي العمل الذي يدل عليه قوله
اعمالهم ويكون تمام المثل في قوله ما ويستغني الكلام عن متروك علي هذا التاويل لكن يكون
في المثل ايجاز واقتضاب لوضوح المعنى المراد به ووجد الله عنده اي بالمجازاة والضمير في عنده
عايد علي العمل انتهى والذي يظهر لي انه تعالي شبه اعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب

صفة كذا قال الضماير فيما بعد الظمان له والمعنى في ووجد الله عنده اي ووجد مقدور الله
عليه من هلاكه بالظمان عنده اي عند موضع السراب فوفاه ما كتب له من ذلك وهو المحسوب
له والله سريع حسابه لا يوخره عنه فيكون الكلام متناسقا اخذا بعضه بعنق بعض وذلك
باتصال الضماير لشي واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لاعمالهم من حيث انهم اعتقدوها
نافعة فلم تنفعهم وحصل لهم الهلاك باثر ما حوسبوا واما في قول الزمخشري فانه وان جعل
الضماير للظمان لكنه جعل الظمان هو الكافر وهو تشبيه الشي بنفسه كما قال وشبه الماء بعد
الجهد بالماء واما في قول غيره ففيه تفكيك الكلام اذ غاير بين الضماير وانقطع ترصيف الكلام
بجعل بعضه مفلتا من بعض او كظلمات هذا التشبيه الثاني لاعمالهم فالاول فيما يوول اليه
اعمالهم في الاخرة وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا وبدا بالتشبيه الاول لانه اكد
في الاخبار لما فيه من ذكر ما يوول اليه امرهم من العقاب الدايم والعذاب السرمدي ثم
اتبعه بهذا التمثيل الذي نبههم على ما هي اعمالهم عليه لعلهم يرجعون الى الايمان ويفكرون
في نور الله الذي جا به الرسول والظاهر انه تشبيه لاعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة
وقال ابو علي الفارسي التقدير او كذي ظلمات قال ودل على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده
فالكناية تعود الى المضاف المحذوف فالتشبيه وقع عند ابي علي للكافر لا للاعمال وهو
خلاف الظاهر ويتخيل في تقرير كلامه ان يكون التقدير او هم كذي ظلمات فيكون التشبيه الاول
لاعمالهم والثاني لهم في حال ضلالهم وقال ابو البقا في التقدير وجهان احدهما او كاعمال ذي
ظلمات فيقدر ذي ظلمات ليعود الضمير من قوله اذا اخرج يده اليه ويقدر اعمال ليصح تشبيه
اعمال الكفار باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمات والثاني لا حذف
فيه والمعنى انه شبه اعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين القلب وبين ما يهتدى اليه فاما
الضمير في قوله اذا اخرج يده فيعود الى مذكور حذف اعتمادا على المعنى تقديره اذا اخرج من
فيها يده وقال الجرجاني الاية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر
على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي
من الكفر الى الايمان فيكون التمثيل قد وقع لاعمالهم بكفر الكافر واعمالهم منها كفرهم
فيكون قد شبه اعمالهم بالظلمات والعطف باو هنا لانه قصد التنويع والتفصيل لا ان او
للشك وقال الكرماني او للتخيير على تقدير شبه اعمال الكفار بايهما شيت وقرا سفين بن حسين
وكظلمات بفتح الواو وجعلها واو عطف تقدمت عليها الهمزة التي للتقرير والتشبيه الخالي عن
محض الاستفهام والظاهر ان الضمير في يغشاه عايد على بحر لجي اي يغشى ذلك البحر اي يغطي
بعضه بعضا بمعنى انه يجي موجة تتبعها اخرى فهو متلاطم لا يسكن واخوف ما يكون اذا توالت
امواجه وفوق هذا الموج سحاب وهو اعظم للخوف لاخفايه النجوم التي يهتدى بها وللريح
والمطر الناشيين مع السحاب ومن قدر او كذي ظلمات اعاد الضمير في يغشاه على ذي المحذوف
اي يغشى صاحب الظلمات وقرا الجمهور سحاب بالتنوين ظلمات بالرفع على تقدير خبر لمبتدا
محذوف اي هذه او تلك ظلمات واجاز الحوفي ان يكون مبتدا ا وبعضها فوق بعض مبتدا
وخبره في موضع خبر ظلمات والظاهر انه لا يجوز لعدم المسوغ فيه للابتدا بالنكرة الا ان قدرت
صفة محذوفة اي ظلمات كثيرة او عظيمة بعضها فوق بعض وقرا البزي سحاب ظلمات
بالاضافة وقرا قنبل سحاب بالتنوين ظلمات بالجر بدلا من ظلمات وبعضها فوق بعض مبتدا
وخبر في موضع الصفة لظلمات قال الحوفي ويجوز على طرف رفع ظلمات ان يكون بعضها بدلا
منها وهو لا يجوز من جهة المعنى لان المراد والله اعلم الاخبار بانها ظلمات وان بعض تلك
الظلمات فوق بعض اي هي ظلمات متراكمة وتقدم الكلام في كاد اذا دخل عليها حرف
نفي مشبعا في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون فاغنى عن اعادته والمعنى هنا انتفا مقاربة
الروية ويلزم من ذلك انتفا الروية ضرورة وقول من اعتقد زيادة يكد وانه يراها
بعد عسر ليس بصحيح والزيادة قول ابن الانباري وانه لم يرها الا بعد الجهد قول
المبرد والفرا وقال ابن عطية ما معناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته
نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا دل على نفيه كاد زيد يقوم واذا تقدم النفي على كاد احتمل

ان يكون منفيا تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا تضمن نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد
يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد انتهى والظاهر ان هذا التشبيه الثاني هو تشبيه
اعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة في المعنى باجزايه لاجزا المشبه قال
الزمخشري وشبهها يعني اعماله في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات
متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومنهم من لاحظ التقابل فقال الظلمات الاعمال
الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه والموج الضلال والجهالة
التي قد غمرت قلبه والفكر المعوجة والسحاب شهوته في الفكر والاعراض عن الايمان وقال
الفرا هذا مثل لقلب الكافر اي انه لا يعقل ولا يبصر وقيل الظلمات اعمالهم والبحر هواه العقيم
القريب الغرق فيه الكبير الخطر والموج ما يغشى قلبه من جهل وغفلة والموج الثاني ما يغشاه
من شك وشبهة والسحاب ما يغشاه من شرك وحيرة فيمنعه الاهتدا على عكس ما في مثل
نور الدين انتهى والتفسير بمقابلة الاجزا شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام
العرب ولما شبه اعمال الكفار بالظلمات المتراكمة وذكر انه لا يكاد يرى اليد من شدة الظلمة
قال ومن لم يجعل الله له نورا اي من لم ينور قلبه بنور الايمان ويهده اليه فهو في ظلمة ولا نور
له ولا يهتدي ابدا وهذا النور هو في الدنيا وقيل هو في الاخرة اي من لم ينوره الله بعفوه
ويرحمه بعفوه ورحمته فلا رحمة له وكونه في الدنيا اليق بلفظ الاية وايضا فذلك متلازم
لان نور الاخرة هو لمن نور الله قلبه في الدنيا وقال الزمخشري ومن لم يوله نور توفيقه
وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف
انما تردف الايمان والعمل الصالح او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين انتهى وهو على طريقة الاعتزال الم تر ان الله يسبح
له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله
ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه
عن من يشا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع
يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط
مستقيم لما ذكر تعالى مثل المومن والكافر وان الايمان والضلال امرهما راجع اليه اعقب بذكر
الدلايل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن
في الارض بالمطيع بالله تعالى من الثقلين وقيل من عام لكل موجود غلب من يعقل على ما لا يعقل
فادرج ما لا يعقل فيه ويكون المراد بالتسبيح دلالة هذه الاشيا على كونه تعالى منزها عن
النقايص موصوفا بنعوت الكمال وقيل المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذي الدين بالنطق والصلوة
ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة فيكون ذلك قدرا مشتركا بينهما وهو التعظيم وقال
سفين تسبيح كل شي بطاعته وانقياده والطير صافات اي صفت اجنحتها في الهوا للطيران وانما
خص الطير بالذكر لانها تكون بين السما والارض اذا طارت فهي خارجة من جملة من في السموات
والارض حالة طيرانها وقرا الجمهور والطير رفعا عطفا على من وصافات نصب على الحال
وقرا الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه وقرا الحسن وخارجة عن نافع والطير
صافات برفعهما مبتدا وخبر وتقديره يسبحن قيل وتسبيح الطير حقيقي قاله الجمهور وقال
الزمخشري ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه كما الهمها ساير العلوم الدقيقة التي
لا يكاد العقلا يهتدون اليها وقال الحسن وغيره هو مجاز انما تسبيحه ظهور الحكمة فيه فهو
لذلك يدعو الى التسبيح كل اي كل من ذكر فيشمل الطير والظاهر ان الفاعل المستكن في علم
وفي صلاته وتسبيحه عايد على كل وقاله الحسن قال فهو مثابر عليهما يوديهما وقال الزجاج
الضمير في علم وفي صلوته وتسبيحه لكل وقيل الضمير في علم لكل وفي صلاته وتسبيحه لله اي
صلوة الله وتسبيحه اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وقال مجاهد
الصلوة للبشر والتسبيح لما عداهم وقرا الحسن وعيسى وسلام وهرون عن ابي عمرو تفعلون

بنا الخطاب وفيه وعيد وتخويف ولله ملك السموات والارض اخبار بان جميع المخلوقات تحت
ملكه يتصرف فيهم بما يشا تصرف القاهر الغالب والي المصير اي الي جزايه من ثواب وعقاب
وفي ذلك تذكير وتخويف ولما ذكر انقياد من في السموات والارض والطير اليه تعالي وذكر
ملكه لهذا العالم وصيرورتهم اليه اكد ذلك بشي عجيب من افعاله مشعر بانتقال من حال الي
حال ومعني يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم
جنس واحده سحابة والمعني يسوق سحابة الي سحابة ثم يولف بينه اي بين اجزايه لانه سحابة
تتصل بسحابة فيجعل ذلك ملتيما بتاليف بعضه الي بعض وقرا ورش يولف بالواو وباقي السبعة
بالهمز وهو الاصل فيجعله ركاما اي متكاثفا يحمل بعضه علي بعض والانعصار بذلك من خلاله اي فتوقه
ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار والخلال قيل مفرد وقيل جمع خلل كجبال وجبل وقرا ابن
ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري عن ابي عمرو والزعفراني من خلله بالافراد
والظاهر ان في السما جبالا من برد قاله مجاهد والكلبي واكثر المفسرين خلقها الله كما خلق في الارض
جبالا من حجر وقيل جبال مجاز عن الكثرة لا ان في السما جبالا كما تقول فلان يملك جبالا من ذهب
وعنده جبال من العلم يريد الكثرة قيل او هو علي حذف حرف التشبيه والسما السحاب اي من
السما التي هي جبال اي كجبال كقوله حتي اذا جعله نارا اي كنار قال الزجاج يجعل السما هو
السحاب المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وعلي القول الاول المراد بالسما الجسم الازرق
المخصوص وهو المتبادر للذهن ومن استعمال الجبال في الكثرة مجازا قول ابن مقبل •
• اذا مت عن ذكر القوافي فلن تري لها شاعرا مثلي اطب واشعرا • واكثر بيتا شاعرا
ضربت له بطون جبال الشعر حتي تيسرا • واتفقوا علي ان من الاولي لابتدا الغاية واما من
جبال فقال الحوفي هي بدل من السما ثم قال وهي للتبعيض وهذا خطا لان الاولي لابتدا
الغاية في ما دخلت عليه واذا كانت الثانية بدلا لزم ان يكون مثلها لابتدا الغاية لو قلت
خرجت من بغداد من الكرخ لزم ان يكونا معا لابتدا الغاية وقال الزمخشري وابن عطية
من للتبعيض فيكون علي قولهما في موضع المفعول لينزل قال الحوفي والزمخشري والثانية
للبيان انتهي فيكون التقدير وينزل من السما بعض جبال فيها التي هي البرد فالمنزل برد
لان بعض البرد برد فمفعول ينزل من جبال قال الزمخشري او الاولان للابتدا والاخرة
للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السما من جبال فيها انتهي فيكون من جبال بدلا من السما
وقيل من الثانية والثالثة زايدتان وقاله الاخفش وهما في موضع نصب عنده كانه
قال وينزل من السما جبالا فيها اي في السما بردا او بردا بدل اي برد جبال وقال الفرا هما
زايدتان اي جبالا فيها برد لا حصي فيها ولا حجر اي يجتمع البرد فيصير كالجبال علي التهويل
فبرد مبتدا وفيها خبره والضمير في فيها عايد علي الجبال او فاعل بالجار والمجرور لانه قد
اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال وقيل من الاولي والثانية لابتدا الغاية والثالثة
زايدة اي وينزل من السما من جبال السما بردا وقال الزجاج معناه وينزل من السما من
جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم حديد في يدي وانما جيت في هذا
وفي الاية بمن لما فرقت ولانك اذا قلت هذا خاتم من حديد كان المعني واحدا انتهي
فعلي هذا يكون من برد في موضع الصفة لجبال كما كان من في من حديد صفة لخاتم فيكون
في موضع جر ويكون مفعول ينزل هو من جبال واذا كانت الجبال من برد لزم ان يكون المنزل
بردا والظاهر اعادة الضمير في به علي البرد ويحتمل ان يكون اريد به الودق والبرد
وجري في ذلك مجري اسم الاشارة وكانه قال فيصيب بذلك والمطر هو اعم واغلب
في الاصابة والصرف ابلغ في المنفعة والامتنان وقرا الجمهور سنا مقصورا برقه مفردا
وقرا طلحة بن مصرف سنا ممدودا برقه بضم البا وفتح الرا جمع برقة بضم الرا وهي
المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وعنه بضم البا والرا اتبع حركة الرا لحركة البا كما اتبعت في ظلمات واصلها السكون والسنا بالمد ارتفاع الشان
كانه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهوا بغير المحسوس من الانسان فان ذلك
صيت لا يحس به بصر وقرا الجمهور يذهب بفتح اليا والها وابو جعفر يذهب بضم

اليا وكسر الها وذهب الاخفش وابو حاتم الي تخطية ابي جعفر في هذه القراة قالا لان البا
تعاقب الهمزة وليس بصواب لانه لم يكن ليقرا الا بما روي وقد اخذ القراة عن سادات
التابعين الاخذين عن جلة الصحابة ابي وغيره ولم ينفرد بها ابو جعفر بل قراها شيبة كذلك
وخرج ذلك علي زيادة البا اي يذهب الابصار وعلي ان البا بمعني من والمفعول محذوف
تقديره يذهب النور من الابصار كما قال شرب النزيف ببرد ماء الحشرج يريد من برد وتقليب
الليل والنهار ايتان احدهما بعد الاخر او زيادة هذا وعكسه او بغيرهما بظلمة السحاب
مرة وضوء الشمس اخري ويغير الليل باشتداد ظلمته مرة وضوء القمر اخري او باختلاف ما يقدر
فيهما من الخير والنفع والشدة والنعمة والاس ومقابلاتها ونحو ذلك ان في ذلك
اشارة الي ما تقدم من الدلايل الدالة علي وحدانيته من تسبيح من ذكر وتسخير السحاب
وما يحدث تعالي فيه من افعاله حتي ينزل المطر فيقسم رحمته بين خلقه واراتهم البرق
في السحاب الذي يكاد يخطف الابصار ويقلب الليل والنهار لعبرة اي لاتعاظا وخفيا ولو
الابصار بالاتعاظ لان البصر والبصيرة اذا استعملا وصلا الي ادراك الحق كقوله انما يتذكر
اولوا الالباب وقرا الجمهور خلق فعلا ماضيا كل بالنصب وقرا حمزة والكسايي وابن وثاب
والاعمش خالق اسم فاعل مضاف الي كل والدابة ما يحرك امامه قدما ويدخل فيه الطير
قال الشاعر دبيب قطا البطحا في كل منهل والحوت وفي الحديث دابة من البحر مثل الظرب
واندرج في كل دابة المميز وغيره فسهل التفصيل بمن التي لمن يعقل وما لا يعقل اذ كان مندرجا
في العام فحكم له بحكمه كان الدواب كلهم مميزون والظاهر ان من ما متعلق بخلق ومن لابتدا
الغاية اي ابتدا خلقها من الما فقيل لما كان غالب الحيوان مخلوقا من الما لتولده من النطفة او
لكونه لا يعيش الا بالما اطلق لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة العام فيخرج عن ما خلق من ما خلق
من نور وهم الملايكة ومن نار وهم الجن ومن تراب وهم ادم وخلق عيسي من الروح وكثير من
الحيوان ما يتولد من نطفة وقيل كل دابة علي العموم في هذه الاشيا كلها وان اصل جميع المخلوقات
الما فروي ان اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ما ثم خلق من ذلك
الما النار والهوي والنور ولما كان المقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة وكان الاصل
الاول هو الما قال خلق كل دابة من ما وقال القفال ليس من ما متعلقة بخلق وانما هو في موضع
الصفة لكل دابة فالمعني الاخبار انه تعالي خلق كل دابة متولدة من الما اي متولدة من الما مخلوقة
لله تعالي ونكر الما هنا وعرف في وجعلنا من الما كل شي حي لان المعني هنا خلق كل دابة من نوع
من الما مختص بهذه الدابة او من ما مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من
النطفة فمنها هوام ومنها بهايم وناس كما قال تسقي بما واحد ونفضل بعضها علي بعض في الاكل وهنا
قصد ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الما وذلك انه هو الاصل
وان تخللت بينها وبينه وسايط كما قيل ان اصل النور والنار والتراب الما وسمي الزحف
علي البطن مشيا لمشاكلة ما بعده من ذكر الماشيين او استعارة كما قالوا قد مشي هذا الامر
وما يتمشي لفلان امر كما استعاروا المشفر للشفة والشفة للجحفلة والماشي علي بطنه الحيات
والحوت ونحو ذلك من الدود وغيره وعلي رجلين الانسان والطير والاربع لساير الحيوان
الارض من البهايم وغيرها فان وجد من له اكثر من اربع فقيل اعتماده انما هو علي اربع ولا يفتقر
في مشيه الي جميعها وقدم ما هو اعرف في القدرة واعجب وهو الماشي بغير الة من له رجل وقوايم
ثم الماشي علي رجلين ثم الماشي علي اربع وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي علي اكثر فعم بهذه الزيادة
جميع الحيوان لكونه لم يثبت قرانا ولعله ما اورده مورد قران بل تنبيها علي ان الله خلق من
يمشي علي اكثر من اربع كالعنكبوت والعقرب والرتيلا وذي اربع واربعين رجلا وتسمي
الاذن وهذا النوع لندوره لم يذكر يخلق الله ما يشا اشارة الي انه تعالي ما تعلقت بارادة
خلقه انشاه واخترعه وفي ذلك تنبيه علي كثرة الحيوان وانها كما اختلفت بكيفية المشي اختلفت
بامور اخر ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما اوليك
بالمومنين واذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان لم يكن لهم الحق
ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اوليك هم

الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واوليك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاوليك هم الفايزون واقسموا
بالله جهد ايمانهم لين امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاوليك هم الفاسقون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار
ولبيس المصير نزلت الى قوله الا البلاغ المبين في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودي
في خصومة بينهما الى الرسول عليه السلام ودعاه هو الى كعب بن الاشرف فنزلت ولما ذكر تعالى
دلايل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم امنوا بالسنتهم دون عقايدهم ثم يتولى فريق منهم عن
الايمان بعد ذلك اي بعد قولهم امنا وما اوليك اشارة الى القايلين فينتفي عن جميعهم
الايمان او الى الفريق المتولي فيكون ما سبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء
باللسان من غير مواطاة بالقلب وافرد الضمير في ليحكم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله
لان حكم الرسول هو عن الله قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه ومنهل من الفلا في اوسطه غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا انتهى
اي قبل تقدم القطا اليه وقرا ابو جعفر ليحكم في الموضعين مبنيا للمفعول واذا الثانية
للمفاجاة جواب اذا الاولى الشرطية وهذا احد الدلايل على ان الجواب لا يعمل في اذا الشرطية
خلافا للاكثرين من النحاة لان اذا الفجايية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد احكم ذلك في علم
النحو والظاهر ان اليه متعلق بياتوا او الضمير في اليه عايد على الرسول واجاز الزمخشري
ان يتعلق اليه بمذعنين قال لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص انتهى وهذا على مذهبه في ان تقدم المعمول على عامله يدل على الاختصاص
وقد رددنا عليه ذلك في ما رجح تهيية العامل للعمل وقطعه عن العمل وهو مما يضعف والمعنى
انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم
الحق ليلا ينزعه منهم بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليك ولم
يرضوا الا بحكومتك افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ام هنا منقطعة والتقدير بل ارتابوا
بل يخافون وهو استفهام توقيف وتوبيخ ليقروا باحد هذه الوجوه التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم
وهذا التوقيف يستعمل في الامور الظاهرة مما يوبخ به ويذم او مما يمدح به وهو بليغ جدا فمن
المبالغة في الذم قول الشاعر •
• الست من القوم الذين تعاهدوا على اللوم والفحشا في سالف الدهر •
ومن المبالغة في المدح قول جرير •
• الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •
وقسم تعالى جهات صدودهم عن حكومته فقال افي قلوبهم مرض اي نفاق وعدم اخلاص ام
ارتابوا اي عرضت لهم الريبة والشك في نبوته بعد ان كانوا مخلصين ام يخافون اي يعرض
لهم الخوف من الحيف في الحكومة فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك بل انهم هم الظالمون
وقرا علي وابن ابي اسحق والحسن انما كان قول بالرفع والجمهور بالنصب قال الزمخشري
والنصب اقوى لان الاولى للاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل
لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المومنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله
ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا انتهى ونص سيبويه على ان اسم كان وخبرها اذا
كانا معرفتين فانت بالخيار في جعل ما شيت منهما الاسم والاخر الخبر من غير اعتبار شرط
في ذلك ولا اختيار وقرا ابو جعفر والجحدري وخالد بن الياس ليحكم بينهم مبنيا للمفعول
والمفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير المصدر اي ليحكم هو اي الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم
ومثله قولهم جمع بينهما والف بينهما ومثله قوله تعالى وحيل بينهم قال الزمخشري ومثله لقد

تقطع

تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم انتهى ولا يتعين ما قاله في الاية اذ يجوز
ان يكون الفاعل ضميرا يعود على شي قبله وتقدم الكلام في ذلك في موضعه ان يقولوا سمعنا اي قول
الرسول واطعنا اي امره وقرى ويتقه بالاشباع والاختلاس والاسكان وقرى ويتقه بسكون
القاف وكسر الهاء من غير اشباع اجرى خبر كان المنفصل مجرى المتصل فكما يسكن علم فيقال علم كذلك
سكن ويتقه لانه يقه كعلم وكما قال الشاعر قالت سليمي اشتر لنا سويقا يريد اشتر لنا ومن يطع الله
في فرايضه ورسوله في سنته ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض
الملوك انه سال عن اية كافية فتليت له هذه ولما بلغ المنافقين ما انزل تعالى فيهم اتوا الى
الرسول واقسموا الى اخره اي ليخرجن عن ديارهم واموالهم ونسايهم او لين امرتهم بالجهاد
ليخرجن اليه وتقدم الكلام في جهد ايمانهم في الانعام ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى انه
ليس حقا طاعة معروفة اي معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين المطابق
باطنهم لظاهرهم لا ايمان يقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بالقول
دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة قاله الزمخشري
وقال ابن عطية يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة رديية
فكانه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثاني لا تتكلفوا القسم طاعة معروفة متوسطة
على قدر الاستطاعة امثل واجدى عليكم وفي هذا الوجه ابقا عليهم والثالث لا تقتنعوا بالقسم
طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم والرابع لا تقتنعوا بانفسكم بارضائنا بالقسمة
طاعة الله معروفة وجهاد عدوه مهيع لايح انتهى وطاعة مبتدا ومعروفة صفة والخبر محذوف
اي امثل واولى او خبر مبتدا محذوف اي امرنا او المطلوب طاعة معروفة وقال ابو البقا ولو قرى
بالنصب لكان جايزا في العربية وذلك على المصدر اي اطيعوا طاعة انتهى وقد قراه بالنصب زيد
بن علي واليزيدي وتقدير بعضهم الرفع على اضمار ولتكن طاعة معروفة ضعيف لانه لا يحذف
الفعل ويبقى الفاعل الا اذا كان ثم مشعر به نحو رجال بعد يسبح مبنيا للمفعول اي يسبحه رجال
او يجاب به نفي نحو بلى زيد لمن قال ما جا احد او استفهام نحو قوله الا هل اتى ام الحويرث مرسل
بلى خالد ان لم تعقه العوايق اي اتاها خالد ان الله خبير بما تعملون اي مطلع على سرايركم ففاضحكم
والتفت من الغيبة الى الخطاب لانه ابلغ في تبكيتهم وخطابهم لانه مطلع على سرايرهم تلطف
بهم فامرهم بطاعة الله والرسول وهو امر عام للمنافقين وغيرهم فان تولوا اي فان يتولوا
فانما عليه اي على الرسول ما حمل وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة واعمال الجهد في انذارهم
وعليكم ما حملتم وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم على طاعته فلا يقع الا بطاعته
وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في المايدة روي ان بعض
الصحابة شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف وانهم لا يضعون اسلحتهم فنزل وعد الله
الذين امنوا منكم وروي انه عليه السلام لما قال بعضهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح
فقال صلى الله عليه وسلم لا [illegible] الا يسيرا يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه
حديدة قال ابن عباس وهذا الوعد وعده الله امة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل
والخطاب في منكم للرسول واتباعه ومن للبيان الذين هم انتم وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر
ويورثهم الارض ويجعلهم خلفا وقوله في الارض من البلاد التي تجاورهم وهي جزيرة العرب
ثم افتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزاينهم واستولوا على الدنيا
وفي الصحيح زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها قال بعض
العلما ولذلك اتسع نطاق الاسلام في المشرق والمغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال قلت
ولا سيما في عصرنا هذا باسلام معظم العالم في المشرق كقبايل الترك وفي المغرب كبلاد السودان
التكرور والحبشة وبلاد الهند كما استخلف الذين من قبلهم اي بني اسرايل حين اورثهم مصر والشام
بعد هلاك الجبابرة وقيل هو ما كان في زمان داود وسليمن عليهما السلام وكان الغالب على الارض
المومنون وقرى كما استخلف مبنيا للمفعول واللام في ليستخلفنهم جواب قسم محذوف اي واقسم
ليستخلفنهم او اجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب به القسم وعلى تقدير
حذف القسم يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم

المحذوف وقال الضحاك هذه الاية تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمن وعلي لانهم اهل الايمان وعمل الصالحات وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون ثم تنقلب انتهي
ويندرج من جري مجراهم في العدل من استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الامويين والمهتدين بالله في العباسيين وليمكنن لهم دينهم اي يثبته ويوطده باظهاره واعزاز اهله واذلال الشرك واهله والذي ارتضي لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الامة في تمكين هذا الدين الغاية القصوي مما اظهر الله علي ايديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن ادم الي زمان هذه الملة المحمدية وقرا الجمهور وليبدلنهم بالتشديد وابن كثير وابو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف قال ابو العالية لما اظهر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم علي جزيرة العرب وضعوا السلاح وامنوا ثم قبض الله نبيه عليه السلام فكانوا امنين كذلك في امارة ابي بكر وعمر وعثمن حتي وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فادخل الله عليهم الخوف فغيروا فغير الله ما بهم يعبدونني الظاهر انه مستانف فلا موضع له من الاعراب كانه قيل ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدونني قال الزمخشري وقال ابن عطية يعبدونني فعل مستانف اي هم يعبدونني ويعني بالاستيناف الجملة لانفس الفعل وحده وقال الحوفي قال ويجوز ان يكون مستانفا علي طريق الثنا عليهم اي هم يعبدونني قال الزمخشري وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب انتهي وقال الحوفي قبله وقال ابو البقا يعبدونني حال من ليستخلفنهم وليبدلنهم لا يشركون بدل من يعبدونني او حال من الفاعل في يعبدونني او يعبدونني موحدين انتهي والظاهر انه متي اطلق الكفر كان مقابل الاسلام والايمان وهو ظاهر قول حذيفة قال كان النفاق علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب ولم يبق الا الكفر بعد ايمان قال ابن عطية يحتمل ان يريد كفر هذه النعم اذا وقعت ويكون الفسق علي هذا غير مخرج عن الملة قيل وظهر ذلك في قتلة عثمن وقال الزمخشري ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة والظاهر ان قوله واقيموا التفات من الغيبة الي الخطاب وحسنه الخطاب في منكم وقال الزمخشري واقيموا الصلوة معطوف علي اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس يبعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيدا لوجوبها انتهي وقرا الجمهور لا تحسبن بتا الخطاب والتقدير لا تحسبن ايها المخاطب ولا يندرج فيه الرسول وقالوا هو خطاب للرسول وليس بجيد لان مثل هذا الحسبان لا يتصور وقوعه منه عليه السلام وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن باليا للغيبة والتقدير لا يحسبن حاسب والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا يكون ضمير الفاعل للرسول لتقدم ذكره في واطيعوا الرسول قاله ابو علي والزمخشري وليس بجيد لما ذكرناه في قراة التا وقال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطي قراة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم انتهي وقال الفرا هو ضعيف واجازه علي حذف المفعول الثاني وهو قول البصريين تقديره انفسهم معجزين المفعول الثاني وقال علي بن سليمن الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون المعني ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض وقال الكوفيون معجزين المفعول الاول وفي الارض الثاني قيل وهو خطا وذلك لان ظاهر في الارض تعلقه بمعجزين فلا يكون مفعولا ثانيا وخرج الزمخشري ذلك متبعا قول الكوفيين فقال معجزين في الارض هما المفعولان والمعني لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتي يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معني قوي جيد انتهي وقال ايضا يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشي الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهي وقد رددنا هذا التخريج في اواخر ال عمران في قوله لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا في قراة من قرا باليا الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه انه ليس هذا من الضماير التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا يحسبنهم اذ لا

يجوز ظن زيد قايما علي تقدير رفع زيد يظن وماواهم النار قال الزمخشري عطف علي لا تحسبن كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم انتهي وقال صاحب النظم لا يحتمل ان يكون وماواهم متصلا بقوله لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم النار انتهي واستبعد العطف من حيث ان لا يحسبن نهي وماواهم النار جملة خبرية فلم يناسب عنده ان يعطف الجملة الخبرية علي جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما احس الزمخشري بهذا قال كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله فتناول جملة النهي بجملة خبرية حتي تقع المناسبة والصحيح ان ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل علي اختلافها بعضا علي بعض وان لم تتحد في النوعية وهو مذهب سس
يايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم علي بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس علي الاعمي حرج ولا علي الاعرج حرج ولا علي المريض حرج ولا علي انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون روي ان عمر بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج وكان نايما فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شي فقال عمر وددت ان الله نهي ابناءنا ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الي الرسول فوجد هذه الاية قد نزلت فخر ساجدا وقيل نزلت في اسما بنت ابي مرثد قيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا حالا نكرهها ليستاذنكم امر والظاهر حمله علي الوجوب والجمهور علي الندب وقيل بنسخ ذلك اذ صار للبيوت ابواب روي ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر عموم الذين ملكت ايمانكم في العبيد والاما وهو قول الجمهور وقال ابن عمر واخرون العبيد دون الاما وقال السلمي الاما دون العبيد والذين لم يبلغوا الحلم منكم عام في الاطفال عبيدا كانوا او احرارا وقرا الحسن وابو عمرو في رواية وطلحة الحلم بسكون اللام وهي لغة تميم وقيل منكم اي من الاحرار ذكورا كانوا او اناثا والظاهر من قوله ثلث مرات ثلث استيذانات لانك اذا ضربت ثلث مرات لا يفهم منه الا ثلث ضربات ويويده قوله عليه السلام الاستيذان ثلث والذي عليه الجمهور ان معني ثلث مرات ثلثة اوقات وجعلوا ما بعده من ذكر تلك الاوقات تفسيرا لقوله ثلث مرات ولا يتعين ذلك بل تبقي ثلث مرات علي مدلولها من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النايم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة لانه وضع الثياب للقايلة لان النهار اذ ذاك يشتد حره في ذلك الوقت ومن في من الظهيرة قال ابو البقا لبيان الجنس اي حين ذلك الذي هو الظهيرة قال او بمعني من اجل حر الظهيرة وحين معطوف علي موضع من قبل ومن بعد صلوة العشا لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم سمي كل واحد منها عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين وقرا حمزة والكسايي ثلث بالنصب قالوا بدل من ثلث عورات وقدره الحوفي والزمخشري وابو البقا اوقات ثلث عورات لكم وقال ابن عطية انما يصح يعني البدل بتقدير اوقات عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرا باقي السبعة بالرفع اي هن ثلث عورات لكم وقرا الاعمش عورات بفتح الواو وتقدم انها لغة هذيل بن مدركة وبني تميم وعلي رفع ثلث قال الزمخشري يكون ليس عليكم الجملة

في محل رفع على الوصف والمعنى هو ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان وإذا نصبت لم يكن له
محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة بعدهن اي بعد استيذانهم
فيهن حذف الفاعل وحرف الجر بقي بعد استيذانهن ثم حذف المصدر وقيل ليس على العبيد والاما
ومن لم يبلغ الحلم في الدخول عليكم بغير استيذان جناح بعد هذه الاوقات الثلث طوافون عليكم يمضون
ويجيؤن وهو خبر مبتدا محذوف تقديره هم طوافون اي المماليك والصغار طوافون عليكم اي
يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا في تلك الاوقات وجوزوا في بعضكم على بعض
ان يكون مبتدا وخبرا لكن الجر قدروه طايف على بعض وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه فقال
الزمخشري وحذف لان طوافون يدل عليه وان يكون مرفوعا بفعل محذوف تقديره يطوف
بعضكم وقال ابن عطية بعضكم بدل من قوله طوافون ولا يصح لانه ان اريد بدلا من طوافون
نفسه فلا يجوز لانه يصير التقدير هم بعضكم على بعض وهذا المعنى لا يصح وان جعلته بدلا من
الضمير في طوافون فلا يصح ايضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير
التقدير هم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على انهم هم المطوف عليهم وانتم
طوافون يدل على انهم طايفون فتعارضا وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير
عليهم وقال الحسن اذا بات الرجل خادمه معه فلا استيذان عليه ولا في هذه الاوقات الثلثة
وإذا بلغ الاطفال اي من اولادكم واقربايكم فليستاذنوا اي في كل الاوقات فانهم قبل البلوغ كانوا
يستاذنون في ثلث الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم يعني البالغين وقيل الكبار من اولاد
الرجل واقربايه ودل ذلك على ان الابن والاخ البالغين كالاجنبي في ذلك وتكلموا هنا في ما به البلوغ
وهي مسئلة تذكر في الفقه كذلك الاشارة الى ما تقدم ذكره من استيذان المماليك وغير البالغ
ولما امر تعالى النسا بالتحفظ من الرجال ومن الاطفال غير البلغ في الاوقات التي هي مظنة كشف
عوراتهن استثنى القواعد من النسا اللاتي كبرن وقعدن عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال
والقواعد وهو جمع قاعد من صفات الاناث وقال ابن السكيت امراة قاعد قعدت عن الحيض
وقال ابن قتيبة سمين بذلك لانهن بعد الكبر يكثرن القعود وقال ربيعة القعود هن
عن الاستمتاع فاييسن ولم يبق لهن طمع في الازواج وقيل قعدن عن الحيض والحبل وثيابهن
الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والملا الذي فوق الثياب او الخمر او الرداء والخمار
اقوال ويقال للمراة اذا كبرت امراة واضع اي وضعت خمارها غير متبرجات بزينة اي غير
متظاهرات بالزينة لينظر اليهن وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاوه او غير قاصدات التبرج
بالوضع ورب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر بها جمال وان يستعففن عن وضع الثياب
ويسترن كالشواب افضل لهن والله سميع لما يقول كل قايل عليم بالمقاصد وفي ذكرها تين الصفتين
توعد وتحذير وعن ابن عباس لما نزل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة
الاعمى لانه لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام
والمريض لانه لا يستطيع استيفا الطعام فانزل الله هذه الاية وقيل وتحرجوا عن اكل طعام القرابا
فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة ان تلك انما هي في التعدي والقمار وما ياكله المومن من
مال من يكره اهله او بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
وابن المسيب كانوا اذا نهضوا الى الغزو وخلفوا اهل العذر في منازلهم واموالهم تحرجوا من اكل
مال الغايب فنزلت مبيحة لهم ما تمس اليه حاجتهم من مال الغايب اذا كان الغايب قد بنى على ذلك
وقال مجاهد كان الرجل اذا ذهب باهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيا ذهب بهم الى بيوت
قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت وقيل كانت العرب ومن بالمدينة قبل البعث تجتنب
الاكل مع اهل هذه الاعذار فبعضهم تقذرا لمكان جولان يد الاعمى ولانبساط الجلسة من
الاعرج ولرايحة المريض وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت واستبعد هذا لانه لو كان هذا السبب
لكان التركيب ليس عليكم حرج ان تاكلوا معهم ولم يكن ليس على الاعمى حرج واجاب بعضهم بان على
في معنى في اي في مواكلة الاعمى وهذا بعيد جدا وفي كتاب الزهراوي عن ابن عباس ان اهل
هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت وعلى هذه الاقوال كلها يكون نفي
الحرج عن اهل العذر ومن بعدهم في المطاعم وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد الحرج المنفي عن

اهل

اهل العذر هو في القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه والحرج المنفي عن من بعدهم في الا كل
مما ذكر وهو مقطوع مما قبله اذ متعلق الحرجين مختلف وان كانا قد اجتمعا في انتفا الحرج وهذا
القول هو الظاهر ولم يذكر بيوت الاولاد اكتفاء بذكر بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم
نفسه وبيته بيته وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى
من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم والولد اقرب من عدد من القرابات فاذا كان
سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى وقرا طلحة امهاتكم بكسر الهمزة او
ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس هو وكيل الرجل له ان يتناول من التمر ويشرب من اللبن وقال
قتادة العبد لان ماله لك وقال مجاهد والضحاك خزاين بيوتكم اذا ملكتم مفاتيحها وقيل ولي اليتيم
يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ومفاتحه بيده وقرا الجمهور
ملكتم بفتح الميم واللام خفيفة وقرا ابن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة والجمهور مفاتحه
جمع مفتح وابن جبير مفاتيحه جمع مفتاح وقتادة وهارون عن ابي عمرو مفتاحه مفردا او صديقكم
قري بكسر الصاد اتباعا لحركة الدال حكاه حميد الخزاز قرن الله الصديق بالقرابة المحضة
قيل لبعضهم من احب اليك اخوك ام صديقك فقال لا احب اخي الا اذا كان صديقي وقال معمر
قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب فقال انت لي صديق فما هذا الاستيذان وقال ابن عباس
الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
ولم يستغيثوا بالاباء والامهات ومعنى او صديقكم او بيوت اصدقايكم والصديق يكون للواحد
والجمع كالخليط والقطين وقد اكل جماعة من اصحاب الحسن من بيته وهو غايب فجا فسر بذلك
وقال هكذا وجدناهم يعني كبرا الصحابة وكان الرجل يدخل بيت صديقه فياخذ من كيسه فيعتق
جاريته التي مكنته من ذلك وعن جعفر الصادق من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من
الانس والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة النفس والاب والابن والاخ وقال
هشام بن عبد الملك نلت ما نلت حتى الخلافة واعوزني صديق لا احتشم منه وقال اهل العلم
اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وانتصب جميعا او اشتاتا على
الحال اي مجتمعين او متفرقين قال الضحاك وقتادة نزلت في حي من كنانة تحرجوا ان ياكل
الرجل وحده فربما قعد والطعام بين يديه لا يجد من يواكله حتى يمسي فيضطر الى الاكل وحده
وقال بعض الشعرا اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي
وقال عكرمة في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه وقيل في قوم تحرجوا ان ياكلوا
جميعا مخافة ان يزيد احدهم على الاخر في الاكل وقيل او صديقكم هو اذا دعاك الى وليمة فحسب وقيل
هذه الاية منسوخة بقوله عليه السلام الا ان دماءكم واموالكم عليكم حرام وبقوله عليه السلام من
حديث ابن عمر لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
الاية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ابن عباس والنخعي المساجد فسلموا على من فيها
فان لم يكن فيها احد قال السلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم يعني الملايكة ثم يقول
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال جابر وابن عباس وعطا البيوت المسكونة وقالوا ان دخل
فيها غير المسكونة فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عمر بيوتا خالية وقال
السدي على انفسكم على اهل دينكم وقال قتادة على اهاليكم في بيوت انفسكم وقيل بيوت الكفار
فسلموا على انفسكم وقال الزمخشري فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدوا على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم
والتحية طلب للسلامة وحياة للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجى بها من
الله زيادة الخير وطيب الرزق انتهى وقال مقاتل مباركة بالاجر وقيل بورك فيها بالثواب وقال
الضحاك في السلام عشر حسنات ومع الرحمة عشرون ومع البركات ثلثون وانتصب تحية بقوله
فسلموا لان معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا
معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شيت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب

اليم الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله
بكل شيء عليم لما افتتح السورة بقوله سورة انزلناها وذكر انواعا من الاوامر والحدود مما انزله على
الرسول عليه السلام اختتمها بما يجب عليه السلام على امته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة
الاسلام ومن طلب استيذانه ان عرض لاحد منهم عارض ومن توقيره في دعائهم اياه وقال الزمخشري
اراد عز وجل ان يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا
كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله صلى الله
عليه وسلم وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المومنين
مبتدا وخبره موصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث
اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله
وضمنه شيا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال الماضين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تراه
كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع
الذي يجمع له الناس فوصف بالجمع على المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو وتشاور في امر مهم او تضام
لارهاب مخالف او ما سح في حلف وغير ذلك والامر الذي يعم بضرره او بنفعه وفي قوله واذا كانوا
معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل هذه الحالة
مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق الامر في الاستيذان مع العذر
المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار
للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل
نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن لذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدمهم
في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن
مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه انتهى وهو تفسير حسن
ويجري مجرى امام الامرة اذا كان الناس معه مجتمعين لمراعاة مصلحة دينية فلا يذهب
احد منهم عن الجمع الا باذن منه او قد يكون له راي في حضور ذلك الذاهب وقال مكحول
والزهري الجمعة من الامر الجامع فاذا عرض للحاضر ما يمنعه الحضور من سبق رعاف فليستاذن
حتى يذهب عنه سوء الظن به وقال ابن سيرين كانوا يستاذنون الامام على المنبر فلما كثر ذلك
قال زياد من جعل يده على انفه فليخرج دون اذن وقد كان هذا بالمدينة حتى ان سهيل بن ابي
صالح رعف يوم الجمعة فاستاذن الامام وقال ابن سلام هو كل صلوة فيها خطبة كالجمعة والعيدين
والاستسقاء وقال ابن زيد في الجهاد وقال مجاهد الاجتماع في طاعة الله قيل في قوله فاذن لمن
شئت منهم اريد بذلك عمر بن الخطاب وقرا اليماني على امر جميع لا تجعلوا خطاب لمعاصري الرسول
عليه السلام لما كان التداعي بالاسماء على عادة البداوة امروا بتوقير رسول الله بان يدعوه باحسن
ما يدعى به نحو يا رسول الله يا نبي الله الا ترى الى بعض جفاة من اسلم كان يقول يا محمد وفي قوله
كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى جواز ذلك مع بعضهم لبعض اذ لم يومن بالتوقير والتعظيم في دعائه
عليه السلام لا من دعاه لا من دعا غيره وكانوا يقولون يا ابا القاسم يا محمد فنهوا عن ذلك
وقيل نهاهم عن الابطاء والتاخر اذا دعاهم واختاره المبرد والقفال ويدل عليه فليحذر الذين
يخالفون عن امره وهذا القول موافق لمساق الاية ونظمها وقال الزمخشري اذا احتاج الى
اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي انتهى وهو قريب مما قبله وقال ايضا ويحتمل لا تجعلوا دعاء
الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده وان
دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة انتهى وقال ابن عباس انما هو لا تحسبوا
دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض اي دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه قال ابن عطية ولفظ
الاية تدفع هذا المعنى انتهى وقرا الحسن ويعقوب في رواية نبيكم بنون مفتوحة وباء مكسورة
وياء مشددة بدل قوله بينكم ظرفا قراءة الجمهور وقال صاحب اللوامح وهو النبي عليه السلام على

البدل

306

البدل من الرسول فانما صار بدلا لاختلاف تعريفهما باللام مع الاضافة يعني ان الرسول
معرفة باللام ونبيكم معرفة بالاضافة الى الضمير وهو في رتبة العلم فهو اكثر تعريفا من ذي
اللام فلا يصح النعت به على المذهب المشهور لان النعت يكون دون المنعوت او مساويا له
في التعريف ثم قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون نعتا لكونهما معرفتين انتهى وكانه
مناقض لما قرر من اختياره البدل وينبغي ان يجوز النعت لان الرسول قد صار علما بالغلبة
كالبيت للكعبة اذا ما جاء في القران والسنة من لفظ الرسول انما يفهم منه انه محمد
صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك فقد تساويا في التعريف ومعنى يتسللون ينصرفون
قليلا قليلا عن الجماعة في خفية ولواذا بعضهم ببعض اي هذا يلوذ بهذا وهذا بذاك
بحيث يدور معه حيث دار استتارا من الرسول وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد وقيل
في حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير اذن ويستاذن المومنون اذا عرضت لهم حاجة
وقال مجاهد لواذا خلافا وقال ايضا يتسللون من الصف في القتال وقيل يتسللون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وعلى ذكره وانتصب لواذا على انه مصدر في موضع الحال
اي متلاوذين ولواذا مصدر لاوذ وصحت العين في الفعل فصحت في المصدر ولو كان مصدر
لاذ لكان لياذا كقام قياما وقرا يزيد بن قطيب لواذا بفتح اللام فاحتمل ان يكون مصدر
لاذ ولم يقلب لانه لا كسرة قبل الواو فهو كطاف طوافا واحتمل ان يكون مصدر لاوذ وكانت فتحة
اللام لاجل فتحة الواو وخالف يتعدى بنفسه تقول خالفت امر زيد وبالى تقول خالفت الى
كذا فقوله عن امره ضمن خالف معنى صد واعرض فعداه بعن وقال ابن عطية معناه يقع
خلافهم بعد امره كما تقول كان المطر عن ريح وهي عن لما عدا الشيء وقال ابو عبيدة والاخفش
عن زائدة اي امره والظاهر ان الامر بالحذر للوجوب وهو قول الجمهور وان الضمير في امره
عائد على الله وقيل على الرسول وقرئ يخلفون بالتشديد اي يخلفون انفسهم بعد امره
والفتنة القتل قاله ابن عباس ايضا او بلاء قاله مجاهد او كفر قاله السدي ومقاتل او اسباغ
النعم استدراجا قاله الجراح او قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر قاله الجنيد او
طبع على القلوب قاله بعضهم وهذه الاقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر وهي في الدنيا او
عذاب اليم قيل عذاب الاخرة وقيل هو القتل في الدنيا الا ان لله ما في السموات والارض هذا
كالدلالة على قدرته تعالى عليهما وعلى المكلف فيما يعامله به من المجازاة من ثواب وعقاب
قد يعلم ما انتم عليه اي من مخالفة امر الله وامر رسوله وفيه تهديد ووعيد والظاهر انه خطاب
للمنافقين وقال الزمخشري ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق
ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت
ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان يمس مهجور الفناء فربما ... اقام به بعد الوفود وفود

ومن نحو ذلك قول زهير

اخي ثقة لا يهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

انتهى وكون قد اذا دخلت
على المضارع افادت التكثير قول بعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من سياق
الكلام في المدح والصحيح في رب انها لتقليل الشيء او تقليل نظيره فان فهم تكثير فليس ذلك من رب
ولا قد انما هو من سياق الكلام وقد بين ذلك في علم النحو وقرا الجمهور يرجعون مبنيا للمفعول
وقرا ابن يعمر وابن ابي اسحق وابو عمرو مبنيا للفاعل والتفت من ضمير الخطاب في انتم الى
ضمير الغيبة في يرجعون ويجوز ان يكون ما انتم عليه خطابا عاما ويكون يرجعون للمنافقين
والظاهر عطف ويوم على ما انتم عليه فنصبه نصب المفعول قاله ابن عطية ويجوز ان يكون
التقدير والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف

المفردات

الهباء قال ابو عبيدة هو
والزجاج مثل الغبار يدخل الكوة مع ضوء الشمس وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب
الدقيق وقال الجوهري يقال منه اذا ارتفع هبا يهبو هبوا واهبيته انا اهباء وقيل هو الشرر
الطاير من النار اذا اضرمت **النثر** التفريق **العض** وقع الاسنان على المعضوض بقوة
وفعله على وزن فعل بكسر العين وحكى الكسائي عضضت بفتح عين الكلمة فلان كناية عن علم
من يعقل **الجملة** من الكلام هو المجتمع غير المفترق **الترتيل** سرد اللفظ بعد اللفظ

يتخيل بينهما زمن يسير من قولهم ثغر مرتل اي مفلج الاسنان **السبات** الراحة ومنه يوم السبت
لما جرت العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت قاله ابو
مسلم وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة **مرج** قال ابن
عرفة خلط ومرج الامر اختلط واضطرب وقيل مرج وامرج اجرى ومرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد
العذب الحلو والفرات البالغ في الحلاوة **الملح** المالح **والاجاج** البالغ في الملوحة وقيل المر
وقيل الحار **الصهر** قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار ولاهل بيت الرجل الا اختان
ومن العرب من يجعلهم اصهارا كلهم **السراج** الشمس **الهون** الرفق واللين **الغرفة** العلية
وكل بنا عال فهو غرفة **عبا** من العب وهو الثقل يقال عبات الجيش بالتخفيف والتثقيل
هياته للقتال ويقال ما عبات به اي ما اعتددت به كقولك ما اكترثت به

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شي فقدره تقديرا واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون
شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان
غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك
جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك
ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
كانت لهم جزا ومصيرا لهم فيها ما يشاون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا هذه السورة مكية
في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة الا ثلث ايات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله
الها اخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما وقال الضحاك مدنية الا من اولها الى ولا نشورا فهو مكي
ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها انه لما ذكر وجوب متابعة المومنين للرسول
وانهم اذا كانوا معه في امرهم توقف انفصال واحد منهم على اذنه وحذر من يخالف امره وذكر ان له
ملك السموات والارض وانه تعالى عالم بما هم عليه ويجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التحذير
والانذار ناسب ان يفتتح هذه السورة بانه تعالى منزه في صفاته عن النقايص كثير الخير
ومن خيره انه نزل الفرقان على رسوله منذرا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه
وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم يستعمل في غيره تعالى فلا يجي منه مضارع
ولا اسم فاعل ولا مصدر وقال الطرماح

تباركت لا معط لشي منعته • وليس لما اعطيت يا رب مانع •

قال ابن عباس لم يزل ولا يزول وقال الخليل تمجد وقال الضحاك تعظم وحكى الاصمعي تباركت
عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لاصحابه ذلك اي تعاليت وارتفعت ففي هذه الاقوال
تكون صفة ذات وقال ابن عباس ايضا والحسن والنخعي هو من البركة وهو التزايد في الخير
من قبله فالمعنى زاد خيره وعطاوه وكثر وعلى هذا يكون صفة فعل وجا الفعل مسندا الى الذي
وهم وان كانوا لا يقرون بانه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على اعجازه فصارت
الصلة معلومة بحسب الدليل وان كانوا منكرين لذلك وتقدم في ال عمران لم سمي القران
فرقانا وقرا الجمهور على عبده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقرا ابن الزبير على عباده
اي الرسول وامته كما قال لقد انزلنا اليكم وما انزل الينا ويبعد ان يراد بالقران الكتب
المنزلة ويعده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والضمير في ليكون قال ابن زيد عائد على عبده ويترجح بانه العمدة المسند اليه الفعل ومن هو

وصفه تعالى كقوله انا كنا منذرين والظاهر ان نذيرا بمعنى منذر وجوزان يكون مصدرا
بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر فللعالمين عام للانس والجن ممن
عاصره او جا بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الايات وقرا ابن الزبير للعالمين
للجن والانس وهو تفسير للعالمين ولما سبق في اواخر السورة الا ان لله ما في السموات والارض
وكان اخبارا بان ما فيهما ملك له اخبر هنا انه له ملكهما اي قهرهما وقهر ما فيهما فاجتمع له الملك
والملك لهما ولما فيهما والذي مقطوع للمدح رفعا او نصبا او نعت او بدل من الذي نزل وما بعد نزل
من تمام الصلة ومتعلق به فلا يعد فاصلا بين النعت او البدل ومتبوعه ولم يتخذ ولدا الظاهر
نفي الاتخاذ اي لم ينزل احدا منزلة الولد وقيل المعنى لم يكن له ولد بمعنى قوله لم يلد لان التولد
مستحيل عليه وفي رد على مشركي قريش وعلى النصارى واليهود الناسبين لله الولد ولم يكن
له شريك في الملك تاكيد لقوله له ملك السموات والارض ورد على من جعل لله شريكا وخلق كل
شي عام في خلق الذوات وافعالها قيل وفي الكلام حذف تقديره وخلق كل شي مما يصح خلقه لتخرج
عنه ذاته وصفاته القديمة انتهي ولا يحتاج الى هذا المحذوف لان من قال اكرمت كل رجل
لا يدخل هو في العموم فكذلك لم يدخل في عموم وخلق كل شي ذاته تعالى ولا صفاته القديمة فقدره
تقديرا ان كان الخلق بمعنى التقدير فكيف جا فقدره اذ يصير المعنى وقدر كل شي فقدره تقديرا
فقال الزمخشري المعنى انه احدث كل شي احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره
وهياه لما يصلح له او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيا لحكمته الا على وجه التقدير من غير
تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة احداث الله واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق
فكانه قيل واوجد كل شي فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه
فقدره للبقا الى امد معلوم وقال ابن عطية تقدير الاشيا موحدها بالامكنة والازمان والمقادير
والمصلحة والاتقان انتهي واتخذوا من دونه الهة الضمير في واتخذوا عايد على ما يفهم من
سياق الكلام لان في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك لم ينف الا وقد قيل به
وقال الكرماني الواو ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله للعالمين وقيل لفظ نذيرا ينبي عنهم
لانهم المنذرون ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص ذلك بعباد الاوثان
وعباد الكواكب وقال القاضي يبعد ان يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله الهة
على الجمع والاقرب ان المراد به عبدة الاصنام ويجوز ان يدخل فيه من عبد الملايكة لان لعبادها
كثرة انتهي ولا يلزم ما قال لان واتخذوا جمع والهة جمع واذا قوبل بالجمع يقابل الفرد بالفرد
ولا يلزم ان يقابل الجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ الهة ثم وصف الالهة باسفال انتفا جميع
شيا من الاشيا اشارة الى انتفا القدرة بالكلية ثم بانهم مخلوقون لله ذاتا ومصنوعون بالنحت والتصوير
على شكل مخصوص وهذا ابلغ في الخساسة ونسبة الخلق للبشر تجوز ومنه قول زهير •

• ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري • وقال الزمخشري
الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادته عبادة الهة لا عجز ابين
من عجزهم لا يقدرون على شي من افعال الله ولا افعال العباد حيث لا يفتعلون شيا وهم يفتعلون
لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها
وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع الذي يقدر عليه العباد
كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا قال
ابن عباس هو النضر بن الحرث واتباعه والافك اسوا الكذب واعانه عليه قوم اخرون
قال مجاهد قوم من اليهود القوا اخبار الامم اليه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى
ويسار مولى العلا بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرون التوراة اسلموا وكان
الرسول يتعلم منهم وقال ابن عباس اشاروا الى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس ابو فكيهة
مولى الحضرميين وجبر ويسار وعداس وغيرهم وقال الضحاك عنوا ابا فكيهة الرومي وقال
المبرد عنوا بقوم اخرين المومنين لان اخر لا يكون الا من جنس الاول انتهي وما قاله لا يلزم
للاشتراك في جنس الانسان ولا يلزم الاشتراك في الوصف الا ترى الى قوله فئة تقاتل في سبيل
الله واخرى كافرة فقد اشتركتا في مطلق الفئة واختلفتا في الوصف والظاهر ان الضمير في فقد

جاوا عايد على الذين كفروا والمعنى ان هولا الكفار وردوا ظلما كما تقول جيت المكان فيكون جا
متعديا بنفسه قاله الكسائي ويجوز ان يحذف الجار اي بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه وقال
الزجاج اذا جا يستعمل بهذين الاستعمالين وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما عربيا
اعجز بفصاحته جميع فصحا العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقيل الضمير
عايد على قوم اخرين وهو من كلام الكفار والضمير في وقالوا للكفار وتقدم الكلام على اساطير الاولين
اكتتبها اي جمعها من قولهم كتب الشي اذا جمعه او من الكتابة اي كتبها بيده فيكون ذلك من جملة
كذبهم عليه وهم يعلمون انه لا يكتب ويكون كاستكب الما واصطبه اي سكبه وصبه ويكون لفظ
افتعل مشعرا بالتكلف والاعتمال او بمعنى امر ان يكتب كقولهم احتجم وافتصد اذا امر بذلك
فهي تملى عليه اي تلقى عليه ليحفظها لان صورة الالقا على المتحفظ كصورة الاملا على الكاتب واساطير
خبر مبتدا محذوف اي هو او هذه اساطير واكتتبها خبر ثان ويجوز ان يكون اساطير مبتدا واكتتبها
الخبر وقرا الجمهور اكتتبها مبنيا للفاعل وقراه طلحة مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له
لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا
مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى
وهو من كلام الزمخشري ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل
فيه اكتتب لمفعولين احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام
ثم اتسع في الفعل بحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا الفعل للمفعول انما ينوب
عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون
التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جا السماع عن العرب في هذا النوع الذي
احد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والاخر مسرح لفظا لا تقديرا قال الشاعر •
وهو الفرزدق • ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع •
ولو جا على ما قرره الزمخشري لجا التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار يعدى الى
الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال والظاهر ان قوله اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة واصيلا من تمام قول الكفار وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم
ان لو فتحت الهمزة في اكتتبها للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله •
افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا • وحق للحسن ان يقف
على الاولين والظاهر تقييد الاملا بوقت انتشار الناس وحين الايوا الى مساكنهم وهما البكرة
والاصيل او يكونا عبارة عن الديمومة وقرا طلحة وعيسى فهي تتلى بالتا بدل الميم قل انزله الذي
يعلم السر اي كل سر خفي ورد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم لان هذا القران لم يكن ليصدر
الا من علام بكل المعلومات لما احتوى عليه من اعجاز التركيب الذي لا يمكن صدوره من احد
ولو استعان بالعالم كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى انواع العلوم واكتفى بعلم السر لان
ما سواه اولى ان يتعلق علمه به او يعلم ما يسرون من الكيد لرسوله مع علمكم ببطلان ما تقولون فهو
مجازيكم انه كان غفورا رحيما اطماع في انهم اذا تابوا غفر لهم ما فرط من كفرهم ورحمهم او غفورا رحيما
في كونه امهلكم ولم يعاجلكم على ما استوجبتموه من العقاب بسبب مكابرتكم او لما تقدم ما يدل على
العقاب اعقبه بما يدل على القدرة عليه لان المتصف بالغفران والرحمة قادر على ان يعاقب
وقالوا الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن اسحق في السير
فقال عتبة وغيره ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا او المال جمعنا لك فلما ابى عليهم اجتمعوا
عليه فقالوا ما لك وانت رسول من الله تاكل الطعام وتقف بالاسواق لالتماس الرزق سل ربك
ان ينزل معك ملكا ينذر معك او يلقي اليك كنزا تنفق منه او يرد لك جبال مكة ذهبا وتزال الجبال
ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه واشاعوا هذه المحاجة فنزلت الاية وكتب في المصحف لام
الجر مفصولة من هذا وهذا استفهام يصحبه استهزا اي ما لهذا الذي يزعم انه رسول انكروا
عليه ما هو عادة للرسل كما قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق اي حاله كحالنا اي كان يجب ان يكون مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم قالوا هب

انه بشر فهلا ارفد بملك ينذر معه او يلقى اليه كنز من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
ثم اسقطوا بان يكون له بستان ياكل منه ويرتزق كالمياسير وقرى فتكون بالرفع حكاه ابو معاذ عطف
على انزل لان انزل في موضع رفع وهو ماض وقع موقع المضارع اي هلا ينزل اليه ملك وهو جواب
التحضيض على اضمار هو اي فهو يكون وقراة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض وقوله او يلقى
او يكون عطف على انزل اي لولا ينزل فيكون المطلوب احد هذه الامور ومجموعها باعتبار اختلاف
القايلين ولا يجوز النصب في او يلقى ولا في او يكون عطفا على فيكون لانهما في حكم المطلوب بالتحضيض
لا في حكم الجواب لقوله لولا انزل وقرا قتادة والاعمش او يكون بالنون نحن وقرا ياكل بيا الغيبة
اي الرسول وزيد بن علي وحمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والاعمش بنون الجمع اي ياكلون
هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وقال الظالمون اي للمومنين قال
الزمخشري واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوه انتهى وتركيب واراد بالظالمين اياهم باعيانهم ليس تركيبا سايغا بل التركيب العربي
ان يقول واراد هم باعيانهم بالظالمين مسحورا غلب على عقله السحر وهذا الظاهر وذا سحر وهو الرية
او يسحر بالطعام وبالشراب اي يغذى او اصيب سحره كما تقول راسته اصبت راسه وقيل مسحورا
ساحرا عنوا به انه بشر مثلهم لا ملك وتقدم تفسيره في الاسرا وبهذين القولين مثل القايلون
ذلك النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة
مشتركة بين انسان وملك والقا كنز عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون
عليه اي فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا له وقيل ضربوا لك الامثال بالمسحور والكاهن والشاعر
وغيره فضلوا اخطوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال
وقيل فلا يستطيعون سبيلا الى حجة وبرهان على ما يقولون فمرة هو بليغ فصيح يتقول القران
من نفسه ويفتريه ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور وقال ابن عباس شبه لك هولاء
المشركون الاشباه بقولهم هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل فلا يجدون طريقا الى الحق
الذي بعثك به وقال مجاهد لا يجدون مخرجا يخرجهم عن الامثال التي ضربوا لك ومعناه انهم ضربوا
لك هذه ليتوصلوا بها الى تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ ما ارادوا وقال ابو عبد الله
الرازي انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا
القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح سبيلا اذ الطعن عليه انما يكون فيما يقدح في المعجزات
التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول وقال الفرا لا يستطيعون في امرك حيلة وقال السدي
سبيلا الى الطعن ولما قال المشركون ما قالوا قيل في ما يروى ان شيت ان نعطيك خزاين الدنيا
ومفاتيحها ولم يعط ذلك احد قبلك ولا يعطاه احد بعدك وليس ذلك بناقصك في الاخرة فنزل
تبارك الذي وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال عرض علي جبريل بطحا مكة ذهبا بل شبعة وثلث
جوعات وذلك اكثر لذكري ومسالتي قال الزمخشري في تبارك اي تكاثر خيرا الذي ان شا وهب
لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور
انتهى والاشارة بذلك الظاهر انه الى ما ذكره الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد
ويبعد تاويل ابن عباس انه اشارة الى اكله الطعام ومشيه في الاسواق والظاهر ان هذا الجعل
كان يكون في الدنيا لو شاه الله وقيل في الاخرة ودخلت ان على المشية تنبيها انه لا ينال ذلك
الا برحمته وانه معلق على محض مشيته ليس لاحد من العباد على الله حق لا في الدنيا ولا
في الاخرة والاول ابلغ في تبكيت الكفار والرد عليهم قال ابن عطية ويرده قوله بعد ذلك
بل كذبوا بالساعة انتهى ولا يرده لان المعنى به متمكن وهو عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب
من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة وقرا الجمهور ويجعل بالجزم قالوا عطفا على موضع جعل
لان التقدير ان يشا يجعل ويجوز ان يكون مرفوعا ادغمت لامه في لام لك لكن ذلك لا يعرف
الا من مذهب ابي عمرو والذي قرا بالجزم من السبعة نافع وحمزة والكسائي وابو عمرو
وليس من مذهب الثلثة ادغام المثلين اذا تحركا ولما انما هو من مذهب ابي عمرو كما ذكرنا
وقرا مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وابو بكر ومحبوب عن ابي عمرو بالرفع قال ابن عطية

والاستيناف ووجهه العطف على المعنى في قوله جعل لان جواب الشرط هو موضع استيناف الا
ترى ان الجمل من الابتدا والخبر قد يقع موقع جواب الشرط وقال الحوفي من رفع جعله مستانفا
منقطعا مما قبله انتهى وقال ابو البقا بالرفع على الاستيناف وقال الزمخشري وقرئ ويجعل
بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان اتاه خليل يوم مسألة ... يقول لا غايب مالي ولا حرم

انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع
ليس مذهب س اذ مذهب س ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به
التقديم ويكون الجواب محذوفا ولا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون
والمبرد الى انه هو الجواب وانه على حذف الفا ولا على التقديم ولما لم يظهر لاداة الشرط تاثير
في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم تعمل فيه وبقي مرفوعا وذهب
الجمهور الى ان هذا التركيب فصيح وانه جايز في الكلام وقال بعض اصحابنا هو ضرورة اذ لم
يجي الا في الشعر وهو على اضمار الفا والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو وقرا عبيد
الله بن موسى وطلحة بن سليمن ويجعل بالنصب على اضمار ان وقال ابو الفتح هي على جواب
الشرط بالواو وهي قراة ضعيفة انتهى ونظير هذه القراات الثلث قول النابغة

فان يهلك ابو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش ... اجب الظهر ليس له سنام

يروي بجزم نأخذ ورفعه ونصبه بل كذبوا بالساعة قال الكرماني المعنى ما منعهم من الايمان
اكلك الطعام ولا مشيك في السوق بل منعهم تكذيبهم بالساعة وقيل ليس ما تعلقوا به شبهة
بل الحامل على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها وقيل يجوز ان يكون متصلا
بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يومنون بالاخرة انتهى وبل لترك اللفظ المتقدم من غير ابطال
لمعناه واخذ في لفظ اخر واعتدنا جعلنا معدا سعيرا نارا كبيرة الايقاد وعن الحسن اسم من
اسما جهنم اذا راتهم قيل هو حقيقة وان لجهنم عينين وروي في ذلك اثر فان صح كان هو القول
الصحيح والا كان مجازا اي صارت منهم بقدر ما يرى الراي من البعد كقولهم دورهم تترائي
اي تتناظر وتتقابل ومنه لا تترائي ناراهما وقال قوم النار اسم لحيوان ناري يتكلم ويري
ويسمع ويتغيظ ويزفر حكاه الكرماني وقيل هو على حذف مضاف اي راتهم خزنتها من مكان
بعيد قيل مسيرة خمس ماية سنة وقيل ماية سنة وقيل سنة سمعوا لها صوت تغيظ لان التغيظ
لا يسمع وان كان على حذف المضاف كان المعنى تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة الانتقام
منهم وقيل سمعوا صوت لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل قول الشاعر

يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا

وهذا مخرج على تخريجين احدهما الحذف اي ومتقلدا رمحا والثاني تضمين ضمن متقلدا
معنى متسلحا فكذلك الاية اي سمعوا لها ورأوا تغيظا وزفيرا وعاد كل واحد الى ما يناسبه
او ضمن سمعوا معنى ادركوا فيشمل التغيظ والزفير وانتصب مكانا على الظرف اي في مكان
ضيق وعن ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد وقرا ابن كثير
وعبيد عن ابي عمرو ضيقا قال ابن عطية وقرا ابو شيبة صاحب معاذ بن جبل مقرنون
بالواو وهي قراة شاذة والوجه قراة الناس ونسبها ابن خالويه الى معاذ بن جبل
ووجهها ان يرتفع على البدل من ضمير القوا بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال والظاهر
دعا الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه اي يقال يا ثبور فهذا اوانك وقيل المدعو
محذوف تقديره دعوا من لا يجيبهم قايلين ثبرنا ثبورا فالثبور قال ابن عباس هو الويل
وقال الضحاك هو الهلاك ومنه قول ابن الزبعري

اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور

لا تدعوا اليوم يقال لهم لا تدعوا وهم احق ان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول

اي

اي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا احزانا كثيرة وكثرتها لديمومة العذاب فهو متجدد دايما
واما لانه انواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدته وفظاعته وقرا عمرو بن محمد ثبورا بفتح الثا وفعلا
وفعول بفتح الفا وفي المصادر قليل نحو القبول وحكى علي بن عيسى ما ثبرك عن هذا الامر اي ما صرفك
كانهم دعوا بما فعلوا اي قالوا واصرفاه عن طاعة الله كما تقول واندامتاه وروي ان اول من ينادي
بذلك ابليس يقول واثبوراه حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على جبينه ويسحبها من خلفه ثم يتبعه
في القول اتباعه فيقول لهم خزان جهنم لا تدعوا الاية وقيل نزلت في ابن خطل واصحابه والظاهر
ان الاشارة بذلك الى النار واحوال اهلها وقيل الى الجنة والكنز في قولهم وقيل الى الجنة والقصور
المجعولة في الدنيا على تقدير المشية وخير هنا ليست تدل على الافضلية بل هي على ما جرت عادة
العرب في بيان فضل الشي وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله فشركما لخيركما الفدا
وكقول العرب الشقا احب اليك ام السعادة وكقوله السجن احب الي مما يدعونني اليه وهذا
الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه
مجي لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخبر لان الموقف جايز له ان يوقف محاوره على ما شا ليري
هل يجيبه بالصواب او بالخطا وانما منع س وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة
واما اذا كان استفهاما فذلك سايغ انتهى وما ذكره يخالفه قوله فشركما لخيركما الفدا وقوله
السجن احب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل احلى من الخل لا ان تقييد الخبر بانه اذا كان
واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد ايهما افضل فانه يجوز وضمير التي محذوف
اي وعدها وضمير ما يشاون كذلك اي يشاونه وفي قوله ما يشاون دليل على ان حصول المرادات
باسرها لا يكون الا في الجنة وشمل قوله جزا ومصيرا الثواب ومحله كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا
وفي ضده بيس الشراب وسات مرتفقا لانه بطيب المكان يتضاعف النعيم كما انه برداته يتضاعف
العذاب وعدا اي موعودا مسولا سالته الملايكة في قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
قاله محمد بن كعب والناس في قولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة وقال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الفرا وعدا مسولا اي واجبا يقال
لاعطينك الفا وعدا مسولا اي واجبا وان لم يسال قيل وما قاله الفرا محال انتهى وليس بمحال
اذ يكون المعنى انه ينبغي ان يسال هذا الوعد الذي وعدته او يصدر ان يسال اي من حقه ان
يكون مسولا وعلى ربك اي بسبب الوعد صار لا بد منه وقال الزمخشري كان ذلك موعودا
واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزا واجر مستحق وهذا على مذهب المعتزلة
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول اانتم اضللتم عبادي هولا ام هم ضلوا السبيل
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ولكن متعتهم واباهم حتى نسوا الذكر
وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا
كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملايكة او
نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملايكة لا بشرى يوميذ للمجرمين
ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا
واحسن مقيلا قرا ابو جعفر والاعرج وابن كثير وحفص يحشرهم فيقول بالياء فيهما وقرا الحسن
وطلحة وابن عامر بالنون فيهما وقرا باقي السبعة في نحشرهم بالنون وفي فيقول بالياء وقرا الاعرج
نحشرهم بكسر الشين قال صاحب اللوامح في كل القران وهو القياس في الافعال المتعدية الثلاثية
لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي وقال ابن عطية وهي
قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي اقيس من يفعل بضم العين
انتهى وهذا ليس كما ذكرا بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمغالبة ولا حلقي
عين ولا لام فانه جا على يفعل ويفعل كثيرا فان شهر احد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض
اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعا وما يعبدون قال الضحاك وعكرمة الاصنام التي لا تعقل
يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب وقال الكلبي يحيي الله الاصنام يوميذ لتكذيب عابديها
وقال الجمهور من عبد ممن يعقل ممن لم يامر بعبادته كالملايكة وعيسى وعزير وهو الاظهر لقوله

انتم اضللتم وما بعده من المحاورة التي ظاهرها انها لاتصدر الا من العقلا وجا ما يشبه ذلك منصوصا
في قوله ثم تقول للملايكة اهولا اياكم كانوا يعبدون اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وسواله تعالى وهو عالم بالمسوول عنه ليجيبوا بما اجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم
فيزيد حسرتهم ويسر المومنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة اوليك وليكون حكاية ذلك في القران
لطفا للمكلفين وجا الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل ولم يات التركيب ااضللتم ولا اضلوا لان
كلام من الاضلال والضلال واقع والسوال انما هو عن فاعله وتقدم نظير هذا في اانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم وقال الزمخشري وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة
حيث يقول للمعبودين من دونه اانتم اضللتم ام ضلوا بانفسهم فيتبرون من ضلالهم ويستعيذون
به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هولا وابايهم يفضل جواد
كريم فجعلوا الرحمة التي حقها ان يكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك
سبب هلاكهم فاذا برات الملايكة والرسل انفسهم من نسبة الضلال الذي هو عمل الشياطين
اليهم واستعاذوا منهم فهم لربهم الغني العدل اشد تبرية وتنزيها منه ولقد نزهوه حين
اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى
الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشا ولو كان
هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم انتهي وهو على طريقة
المعتزلة والمعنى اانتم اوقعتم هولا ونسبتم لهم في اضلالهم عن الحق ام ضلوا بانفسهم عنه وضل
اصله ان يتعدى بعن كقوله من يضل عن سبيله ثم اتسع فحذف واضله عن السبيل كما ان هدى
يتعدى بالى ثم يحذف ويضل مطاوع اضل كما تقول اقعدته فقعد وسبحانك تنزيه لله تعالى ان
يشرك معه في العبادة احدا ويفرد بعبادة فانى لهم ان يقع منهم اضلال احد وهم المنزهون المقدسون
اويكون [illegible] وهو المنزه عن الند والنظير وقال الزمخشري سبحانك تعجب منهم مما
قيل لانهم ملايكة وانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه انتهى
مقدرا [illegible] ما ينبغي بسقوط كان وقراة الجمهور بثبوتها امكن في المعنى لانهم اخبروا عن حال
كانت في الدنيا ووقت الاخبار لا عمل فيه وقرا ابو عيسى الاسود القاري ينبغي لنا مبنيا للمفعول
وقال ابن خالويه زعم سيبويه ان ينبغي لغة وقرا الجمهور ان نتخذ مبنيا للفاعل ومن اوليا مفعول
على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على نتخذ لانه معمول لينبغي واذا انتفى الابتغا لزم
منه انتفا متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله ونظيره ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير اي خير والمعنى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون
ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك وقال ابو مسلم ما كان ينبغي
لنا ان نكون امثال الشياطين نريد الكفر فنتولى الكفار قال فالذين كفروا اوليا وهم الطاغوت
وقرا ابو الدردا وزيد بن ثابت وابو رجا ونصر بن علقمة وزيد بن علي واخوه الباقر
ومكحول والحسن وابو جعفر وحفص بن عبيد والنخعي والسلمي وشيبة وابو بشر والزعفراني
ان نتخذ مبنيا للمفعول واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله ام اتخذوا الهة من الارض وعليه
قراة الجمهور وتارة الى اثنين كقوله افرايت من اتخذ الهه هواه فقيل هذه القراة منه فالاول
الضمير في نتخذ والثاني من اوليا ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اوليا وهذا قول الزمخشري
وقال ابن عطية ويضعف هذه القراة دخول من في قوله من اوليا اعترض بذلك سعيد بن جبير
وغيره وقال ابو الفتح من اوليا في موضع الحال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول
ما اتخذت زيدا من وكيل وقيل من اوليا هو الثاني على زيادة من وهذا لا يجوز عند اكثر النحويين
انما يجوز دخولها زايدة على المفعول الاول بشرط وقرا الحجاج ان نتخذ من دونك اوليا
فبلغ عاصما فقال مقتت المخدج او ما علم ان فيها من ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا ان نتخذ
من دونك من اوليا انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صح ان يستدرك بلاكن
والمعنى لكن اكثرت عليهم وعلى ابايهم النعم واطلت اعمارهم وكان يجب عليهم شكرهم والايمان
بما جات به الرسل فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله قيل ولكن متعتهم كالترميز الى ما صرح
به موسى من قوله ان هي الا فتنتك اي انت الذي اعطيتهم مطالبهم من الدنيا حتى صاروا

غرقي

غرقي في بحر الشهوات فكان صارفا لهم عن التوجه الي طاعتك والاشتغال بخدمتك والذكر ما ذكر
به الناس على السنة الانبيا او الكتب المنزلة او القران والبور قيل مصدر يوصف به الواحد والجمع
وقيل جمع باير كعايذ وعوذ قيل معناه هلكى وقيل فسدى وهي لغة الازد يقولون امر باير اي فاسد
وبارت البضاعة فسدت وقال الحسن لا خير فيهم من قولهم ارض بور اي متعطلة لا نبات فيها وقيل
بورا عميا عن الحق فقد كذبوكم هذا من قول الله بلا خلاف وهي مفاجاة فالاحتجاج والالتزام
حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وهو على اضمار القول كقوله يا اهل الكتاب
الى قوله فقد جاكم اي فقلنا قد جاكم وقول الشاعر

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جينا خراسانا

اي فقلنا قد جينا وكذلك هذا اي فقلنا قد كذبوكم فان كان المجيب الاصنام فالخطاب للكفار
اي قد كذبتكم معبوداتكم من الاصنام بقولهم ما كان ينبغي لنا وان كان الخطاب للمعبودين من
العقلا عيسى والملايكة وعزير وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله اانتم اضللتم اي كذبكم المعبودون
بما تقولون اي بقولهم انكم اضللتموهم وزعمهم انكم اوليا دهم من دون الله ومن قرا بما تقولون
بتا الخطاب فالمعنى فيما يقولون اي سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا
وقيل الخطاب للكفار العابدين اي كذبكم المعبودون بما تقولون من الجواب سبحانك ما كان
ينبغي لنا او فيما تقولون انتم من الافترا عليهم خوطبوا على جهة التوبيخ والتقريع وقيل هو
خطاب للمومنين في الدنيا اي قد كذبكم ايها المومنون الكفار في الدنيا فيما تقولونه من التوحيد
والشرع وقرا الجمهور بما تقولون بالتا من فوق وابو حيوة وابن الصلت عن قنبل باليا من
تحت وقرا حفص وابو حيوة والاعمش وطلحة فما تستطيعون بتا الخطاب ويويد هذه القراة
ان الخطاب في كذبوكم للكفار العابدين وذكر عن ابن كثير وابي بكر انهما قرا بما يقولون فما
يستطيعون باليا فيهما اي هم صرفا اي صرف العذاب او توبة او حيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال هذا ان كان الخطاب في كذبوكم للكفار فالتا جارية على ذلك واليا التفات وان كان
للمعبودين فالتا التفات واليا جارية على ضمير كذبوكم المرفوع وان كان الخطاب للمومنين امة الرسول
في قوله فقد كذبوكم فالمعنى انهم شديد والشكيمة في التكذيب فما يستطيعون انتم صرفهم عما هم
عليه من ذلك وباليا فما يستطيعون صرفا لانفسهم عما هم عليه او ما يستطيعون صرفكم عن الحق
الذي انتم عليه ولا نصرا لانفسهم من البلا الذي استوجبوه بتكذيبهم ومن يظلم منكم الظاهر انه عام
وقيل خطاب للمومنين وقيل خطاب للكافرين والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس والحسن وابن جريج
ويحتمل دخول المعاصي غير الشرك في الظلم وقال الزمخشري العذاب الكبير لاحق لكل من ظلم
والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقري يذقه باليا الغيبة اي الله وهو الظاهر وقيل هو اي
الظلم وهو المصدر المفهوم من قوله يظلم اي يذقه الظلم ولما تقدم الطعن على الرسول
باكل الطعام والمشي في الاسواق اخبر تعالى انها عادة مستمرة في كل رسالة ومفعول ارسلنا عند
الزجاج والزمخشري ومن تبعهما محذوف تقديره احدا وقدره ابن عطية رجالا او رسلا
وعاد الضمير في انهم على ذلك المحذوف كقوله وما منا الا له مقام اي وما منا احد والجملة عنده
هو لا صفة اعني قوله الا انهم كانه قال الا اكلين وماشين وعند الفرا المفعول محذوف وهو
موصول مقدر بعد الا اي الا من انهم والضمير عايد على من على معناها فيكون استثنا مفرغا
وقيل انهم قبله قول محذوف اي الا قيل انهم وهذان القولان مرجوحان في العربية وقال ابن
الانباري التقدير الا وانهم يعني ان الجملة حالية وهذا هو المختار وقد رد على من قال ان ما بعد
الا قد يجي صفة واما حذف الموصول فضعيف وقد ذهب الى حكاية الحال ايضا ابو البقا
قال وقيل لو لم تكن اللام لكسرت لان الجملة حالية اذ المعنى الا وهم ياكلون وقري انهم بالفتح
على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الا انهم ياكلون اي ما جعلناهم رسلا الى الناس الا لكونهم
مثلهم وقرا الجمهور ويمشون مضارع مشي خفيفا وقرا علي وابن مسعود وعبد الرحمن
بن عبد الله يمشّون مشددا مبنيا للمفعول اي يمشيهم حوايجهم والناس قال الزمخشري
ولو قري يمشّون لكان اوجه لولا الرواية انتهى وقد قرا كذلك ابو عبد الرحمن السلمي مشددا

مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون قراءة الجمهور قال الشاعر

ومشى بأغصان المباءة وابتغى ... قلائص منها صعبة وركوب

وجعلنا بعضكم قال ابن عطية هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب انتهى وروي قريب من هذا عن ابن عباس والحسن قال ابن عطية والتوقيف بأتصبرون خاص للمؤمنين المحققين هو لأمة محمد عليه السلام كأنه جعل إمهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختبارا ثم وقفهم هل تصبرون أم لا ثم أعرب قوله وكان ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وقال الزمخشري فتنة أي محنة وبلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول جرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية وموقع الصبر بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وبغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فإن في صبرك عليهم سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل تصبرون وأنها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا وإنما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك منهم خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض انتهى وفيه تكثير وهذا القول الأخير قول الكلبي والفراء والزجاج والأولى أن قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يشمل معاني هذه الألفاظ كلها لأن بين الجميع قدرا مشتركا وقيل في قوله أتصبرون أنه استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا والظاهر حمل الرجاء على المشهور من استعماله والمعنى لا يأملون لقاءنا بالخير وثوابنا على الطاعة لتكذيبهم بالبعث لكفرهم بما جئت به وقال أبو عبيدة وقوم معناه لا يخافون وقال الفراء لا يرجون لا يخافون وهذه الكلمة تهامية وهي أيضا من لغة هذيل إذا كان مع الرجاء جحد ذهبوا به إلى معنى الخوف فيقول فلان لا يرجو ربه يريدون لا يخاف ربه ومن ذلك ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمة وإذا قالوا فلان يرجو ربه فهذا على معنى الرجاء لا على الخوف وقال الشاعر

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عوامل

وقال آخر

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا ... أسبعة لاقت معا أو واحدا

انتهى وهو لازم الرجاء للثواب الخوف من العقاب ومن كان مكذبا بالبعث لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ومن تأول لم يرج لسعها على معنى لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله فتأويله ممكن لكن الفراء وغيره نقلوا ذلك لغة هذيل في النفي والشاعر هذلي فينبغي أن لا يتكلف للتأويل وأن يحمل على لغته لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا أنك رسول حقا أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك قاله ابن جريج وغيره وهذا كما قالت اليهود لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقولهم أعني المشركين أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا كله على سبيل التعنت وإلا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا لقد استكبروا أي تكبروا في أنفسهم أي عظموا أنفسهم بسؤال رؤية الله وهم ليسوا بأهل لها والمعنى أن سؤال ذلك إنما هو لما أضمروا في أنفسهم من الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد الكامن في قلوبهم الظاهر عنه ما لا يقع لهم كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه واللام في لقد جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا الحد في الظلم ووصفه بكبير مبالغة في إفراطه أي لم يجسروا

على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو وجاء هنا عتوا على الأصل وفي مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل قال ابن عباس عتوا كفروا أشد الكفر وأفحشوا وقال عكرمة تجبروا وقال ابن سلام عصوا وقال ابن عيسى أسرفوا قال الزمخشري هذه الجملة في حسن استيفائها غاية في أسلوبها ونحوه قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها ... كليبا غلت ناب كليب بواؤها

في فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة يوم منصوب باذكر وهو أقرب أو بفعل يدل عليه لا بشرى أي يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا بشرى لأنه مصدر ولأنه منفي بلا التي لنفي الجنس لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وكذا التي دخلت على الأسماء عاملة عمل ليس ودخول لا على بشرى لانتفاء أنواع البشرى وهذا اليوم الظاهر أنه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا إلى ما عملوا وعن ابن عباس عند الموت والمعنى أن هؤلاء الذين اقترحوا نزول الملائكة لا يعرفون ما يكون لهم إذا رأوهم من الشر وانتفاء البشارة وحصول النذارة والمكروه واحتمل بشرى أن يكون مبنيا مع لا واحتمل أن يكون في نية التنوين منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتأنيث اللازم فإن كان مبنيا مع لا احتمل أن يكون الخبر يومئذ وللمجرمين خبر بعد خبر أو نعت لبشرى أو متعلق بما تعلق به الخبر وأن يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجيء خلاف س والأخفش هل الخبر لنفس لا أو الخبر للمبتدأ الذي هو مجموع لا وما بني معها وإن كان في نية التنوين وهو معرب جاز أن يكون يومئذ معمولا لبشرى وأن يكون صفة والخبر من الخبر وأجاز أن يكون يومئذ وللمجرمين خبرا وجاز أن يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر إذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس لا بإجماع وقال الزمخشري ويومئذ للتكرير وتبعه أبو البقاء ولا يجوز أن يكون تكريرا سواء أريد به التوكيد اللفظي أم أريد به البدل لأن يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر أو من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ما قبل لا والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء القائلون فيهم وقيل ويجوز أن يكون من وضع الظاهر موضع الضمير والظاهر أن الضمير في ويقولون عائد على القائلين لأن المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ثم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة وقال معناه مجاهد وابن جريج كانت العرب إذا كرهت شيئا قالوا حجرا وقال أبو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم أو في شهر حرام إذا لقيه وبينهما ترة انتهى ومنه قول المتلمس

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها ... حجر حرام ألا تلك الدهاريس

أي هذا الذي حننت إليه هو ممنوع وذكر س حجرا في المصادر المنصوبة غير المتصرفة وأنه واجب إضمار ناصبها قال س ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول حجرا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه لا يلحقه وقرأ أبو رجاء والحسن والضحاك حجرا بضم الحاء وقيل الضمير في ويقولون عائد على الملائكة أي يقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى ومحجورا صفة تؤكد معنى حجرا كما قالوا موت مائت وذيل ذائل والقدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وإنفاذه قيل أو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا وأسند ذلك إليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأن القادم على شيء مكروه لم يقرره ولا أمر به مغير له ومذهب فمثلت حاله وحال أعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد إلى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثرا وفي أمثالهم أقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وأنه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لأن الهباء تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب وقال الزمخشري أو جعله يعني منثورا مفعولا ثالثا لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر لقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء انتهى وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه أن يكون لكان خبران وأزيد وقياس قوله في جعل أن يمنع أن يكون لها خبر ثالث وقال ابن

عباس الهبا المنثور ما تسفي به الريح وتبثه وعنه ايضا الهبا الماء المهراق والمستقر مكان
الاستقرار في اكثر الاوقات والمقيل المكان الذي ياوون اليه في الاسترواح الى الازواج والتمتع
ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه اذ المكان المتخير للقيلولة
يكون اطيب المواضع وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة
الصور الى غير ذلك من التحاسين وخير قيل ليست على بابها من استعمالها دلالة على الافضلية
فيلزم من ذلك خير في مستقر اهل النار ويمكن ابقاوها على بابها ويكون التفضيل وقع بين المستقرين
والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه فالمعنى خير مستقرا في الاخرة من الكفار المترفين
في الدنيا واحسن مقيلا في الاخرة من اوليك في الدنيا وقيل خير مستقرا منهم لو كان لهم مستقر
فيكون التقدير وجود مستقر لهم فيه خير وعن ابن مسعود وابن عباس والنخعي وابن جبير
ومقاتل ان الحساب يكمل في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا ويقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا الملك يوميذ الحق للرحمن وكان يوما
على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك
هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك
ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى
جهنم اوليك شر مكانا واضل سبيلا قرا الحرميان وابن عامر تشقق بادغام التا من تشقق في الشين
هنا وفي ق وباقي السبعة بحذف تلك التا ويعني يوم القيامة كقوله السما منفطر به وقرا الجمهور
ونزل ماضيا مشددا مبنيا للمفعول وابن مسعود وابو رجا ونزل ماضيا مبنيا للفاعل وعنه
ايضا وانزل مبنيا للفاعل وجا مصدره تنزيلا وقياسه انزالا الا انه لما كان معنى انزل ونزل واحدا
جاز مجي مصدر احدهما للاخر كما قال الشاعر • حتى تطويت انطوا الخصب • كانه قال
حتى انطويت وقرا الاعمش وعبد الله في نقل ابن عطية وانزل ماضيا رباعيا مبنيا للمفعول
مضارعه ينزل وقرا جناح بن حبيش والخفاف عن ابي عمرو ونزل ثلاثيا مخففا مبنيا للفاعل
وهارون عن ابي عمرو وتنزل بالتا من فوق مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل وابو معاذ وخارجة
عن ابي عمرو ونزل الملايكة بضم النون وشد الزاي اسقط النون من وننزل وفي بعض المصاحف
وننزل بالنون مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده قال وهي
قراة اهل مكة ورويت عن ابي عمرو وعن ابي ايضا وتنزلت وقرا ابي ونزلت ماضيا مشددا
مبنيا للمفعول بتا التانيث وقال صاحب اللوامح عن الخفاف عن ابي عمرو ونزل مخففا مبنيا للمفعول
الملايكة رفعا فان صحت القراة فانه حذف منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتقديره
ونزل نزول الملايكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملايكة بمعنى نزل نازل الملايكة لان المصدر
يكون بمعنى الاسم وهذا مما يجي على مذهب س في ترتيب اللازم للمفعول به لان الفعل يدل على
مصدره انتهى وقال ابو الفتح وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى الى مفعول فيبنى هنا للملايكة
ووجهه ان يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا ازكمه الله واجنه وهذا باب سماع لا قياس
انتهى فهذه احدى عشرة قراة والظاهر ان الغمام هو السحاب المعهود وقيل هو الذي في قوله في ظلل
من الغمام وقال ابن جريج الغمام الذي ياتي الله فيه في الجنة زعموا وقال الحسن سترة بين
السما والارض تعرج الملايكة فيه ينسخ اعمال بني ادم ليحاسبوا وقيل غمام ابيض رقيق مثل
الضبابة ولم يكن لبني اسرايل في تيههم والظاهر ان السماء الظلمة لنا وقيل تتشقق سما سما
قاله مقاتل والبا بالحال اي متغيمة او بالسبب اي بسبب طلوع الغمام منه كانه الذي
يتشقق به السما كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السما منفطر به او
بمعنى عن اقوال ثلثة والفرق بين البا السببية وعن ان انشق عن كذا انفتح عنه وانشق بكذا
انه هو الشاق له ونزل الملايكة اي الى الارض لوقوع الجزا والحساب والحق صفة للملك اي
الثابت لان كل ملك يوميذ يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى وخبر الملك يوميذ والرحمن متعلق بالحق
او للبيان اعنى للرحمن وقيل الخبر للرحمن ويوميذ معمول للملك وقيل الخبر الحق وللرحمن متعلق

به او للبيان وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل
قوله على الكافرين على تيسيره على المومنين ففي الحديث انه يهون حتى يكون على المومن اخف عليه
من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والظالم عموم الظلمة واللام فيه للجنس قاله مجاهد وابو رجا
وقالا فلان هو كناية عن الشيطان وقال ابن عباس وجماعة الظالم هنا عقبة بن ابي معيط اذ كان
جنح الى الاسلام وابي بن خلف هو المكنى عنه بفلان وكان بينهما مخالة فنهاه عن الاسلام فقبل منه
وعن ابن عباس ايضا عكس هذا القول قيل وسبب نزولها هو عقبة وابي وقيل كان عقبة خليلا
لامية فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد لرضي امية فنزلت
قاله الشعبي وذكر من اساءة عقبة على الرسول ما كان سببا ان قال له الرسول عليه السلام
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا امر عليا فضرب عنقه
وقتل ابي بن خلف يوم احد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه
انه لم يكن اطاع خليله الذي كان يامره بالظلم وما من ظالم الا وله في الغالب خليل خاص به يعبر عنه
بفلان والظاهر ان الظالم يعض على يديه فعل النادم المتفجع وقال الضحاك ياكل يديه الى المرفق
ثم تنبت ولا يزال كذلك كلما اكلها تنبت وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع
ونقل ايمة اللغة ان المتاسف المتحزن المتندم يعض على ابهامه ندما وقال الشاعر •

• لطمت خدها بحمر لطاف نلن منها عذاب بيض عذاب •
• فتشكى العناب نور اقاح واشتكى الورد ناضر العناب •

وفي المثل ياكل يديه ندما ويسيل دمعه دما وقال الزمخشري عض الانامل واليدين والسقوط
في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها
فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده
في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه انتهى وقال الشاعر
في حرق الناب •

• ابى الضيم والنعمان يحرق نابه • عليه فافضى والسيوف معا قله •

يقول في موضع الحال اي قايلا يا ليتني فان كانت اللام للعهد فالمعنى انه تمنى عقبة ان لو صحب
النبي صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الحق وان كانت اللام للجنس فالمعنى انه تمنى سلوك طريق الرسول
وهو الايمان ويكون الرسول للجنس لان كل ظالم قد كلف اتباع ما جاء به رسول من الله الى ان جات الملة
المحمدية فنسخت جميع الملل فلا يقبل بعد مجيه دين غير الذي جا به ثم ينادي بالويل والحسرة يقول
يا ويلتي اي يا هلكاه كقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وقرا الحسن وابن قطيب يا ويلتي بكسر
التا واليا بالاضافة وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك
وقرات فرقة يا ويلتي بالامالة قال ابو علي وترك الامالة احسن لان هذه اللفظة اليا فيها بدل من
الكسرة فتحة والا الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الى الذي عنه فر اولا وفلان كناية عن
العلم وهو منصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يا رجل وهو مختص بالندا وفلة بمعنى يا امراة
كذلك ولام فل يا او واو وليس مرخما من فلان خلافا للفرا ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب
البسيط في قولهم فل كناية عن العلم كفلان وفي كتاب س ما قلناه بالنقل عن العرب والذكر ذكر الله
او القران او الموعظة والظاهر حمل الشيطان على ظاهره لانه هو الذي وسوس اليه في مخالة من
اضله سماه شيطانا لانه يضل كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة وتحتمل هذه الجملة
ان تكون من تمام كلام الظالم ويحتمل ان تكون اخبارا من كلام الله على جهة الدلالة على وجه ضلالهم
والتحذير من الشياطين الذي بلغهم ذلك المبلغ وفي الحديث الصحيح تمثيل الجليس الصالح بالمسك
والجليس السوء بنافخ الكير والظاهر ان دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه واخباره بهجر قومه
قريش القران هو مما جرى له في الدنيا بدليل اتباعه عليه مسليا ومونسا بقوله وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من المجرمين وانه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر وهذا القول من الرسول
وشكايته فيه تخويف لقومه وقالت فرقة منهم ابو مسلم انه قوله عليه السلام في الاخرة كقوله فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا والظاهر ان مهجورا بمعنى متروكا من الايمان
به مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الها وقاله مجاهد والنخعي واتباعه وقيل من الهجر والتقدير

مهجورا فيه بمعنى انه باطل واساطير الاولين او انهم اذا سمعوه هجروا فيه كقوله وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه قال الزمخشري ويجوز ان يكون المهجور بمعنى
الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا انتهى
وانتصب هاديا ونصيرا على الحال او على التمييز وقال الذين كفروا على سبيل الاقتراح منهم
والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق قال الزمخشري نزل هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر
بمعنى اخبر وان لا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى انزل لان نزل عنده اصلها ان
تكون للتفريق فلو اقره على اصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة
واحدة وقد قررنا ان نزل لا تقتضي التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة
وقد بيننا ذلك في اول آل عمران وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل
جملة واحدة وطولبوا بمعارضته مثل ما نزل لكانوا اعجز منهم حين طولبوا بمعارضة سورة
منه فعجزوا والمشار اليه غير مذكور فقيل هو من كلام الكفار واشاروا الى التوراة والانجيل
اي تنزيلا مثل تنزيل تلك الكتب الالهية جملة واحدة ويبقى لنثبت فؤادك تعليلا لم
لمحذوف اي فرقناه في اوقات لنثبت به فؤادك وقيل هو مستانف من كلام الله تعالى لا من كلامهم
ولما تضمن كلامهم معنى لم انزل مفرقا اشير بقوله كذلك الى التفريق اي كذلك انزل مفرقا
قال الزمخشري والحكمة فيه ان يقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن
انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة
لكان يعيا في حفظه والرسول عليه السلام فارقت حاله حال داود وموسى وعيسى حيث
كان اميا لا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه
منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجواب السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا
انتهى واللام في لنثبت به لام العلة وقال ابو حاتم هي لام القسم والتقدير والله ليثبتن
فحذفت النون وكسرت اللام انتهى وهذا قول في غاية الضعف وكانه ينحو الى مذهب الاخفش
ان جواب القسم يتلقى بلام كي وجعل منه ولتصغى اليه افئدة وهو مذهب مرجوح وقرا عبد
الله ليثبت بالياء اي ليثبت الله ورتلناه اي فصلناه وقيل بيناه وقيل فسرناه ولا ياتونك
بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل الا جا القران بالحق
في ذلك ثم هو اوضح بيانا وتفصيلا وقال الزمخشري ولا ياتونك بمثل بسؤال عجيب من
سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو
احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع
موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا او ولا ياتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز
او يكون لك جنة او ينزل عليك القران جملة الا اعطيناك نحن من الحق ما لك في حكمتنا ومشيئتنا ان
تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته انتهى وقيل ولا ياتونك بشبهة في ابطال
امرك الا جيناك بالحق الذي يدحض شبهة اهل الجهل ويبطل كلام اهل الزيغ والمفضل عليه محذوف
اي واحسن تفسيرا من مثلهم ومثلهم قولهم لولا نزل عليه القران جملة واحدة الذين يحشرون
قال الكرماني متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ الاية وقيل ويجوز ان يكون متصلا بقوله وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين انتهى والذي يظهر انهم لما اعترضوا في حديث القران وانزاله
مفرقا لا في ضمن كلامهم انهم ذوو رشد وخير وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا
فاخبر تعالى بحالهم وما يؤول اليه امرهم في الاخرة بكونهم شر مكانا واضل سبيلا والظاهر
انه يحشر الكافر على وجهه بان يسحب على وجهه وفي الحديث ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر
ان يمشيهم على وجوههم وهذا قول الجمهور وقيل هو مجاز للذلة المفرطة والهوان والخزي
وقيل هو من قول العرب مر فلان على وجهه اذا لم يدر اين ذهب ويقال مضى على وجهه
اذا اسرع متوجها لقصده وشر واضل ليسا على بابهما من الدلالة على التفضيل وقوله
شر مكانا اي مستقرا او هو مقابل لقوله خير مستقرا ويحتمل ان يراد بالمكان المكانة والشرف

لا المستقر واعربوا الذين مبتدا والجملة من اولئك في موضع الخبر ويجوز عندي ان يكون الذين
خبر مبتدا محذوف لما تقدم ذكر الكافرين وما قالوا قال ابعادا لهم وتشنيعا بما يؤول اليه حالهم
هم الذين يحشرون ثم استانف اخبارا اخبر عنهم فقال اولئك شر مكانا ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح
لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمودا واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي امطرت
مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي
بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان
هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لما تقدم تكذيب قريش والكفار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
تعالى ما فيه تسلية للرسول وارهاب للمكذبين وتذكير لهم ان يصيبهم ما اصاب الامم السابقة من
هلاك الاستيصال لما كذبوا رسلهم فناسب ان ذكر اولا من نزل عليه الفرقان دفعة فكذبوا وكفروا
كما كذب قوم موسى والكتاب هنا التوراة وهارون بدل او عطف بيان واحتمل ان يكون معه المفعول
الثاني لجعلنا وان يكون وزيرا والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في الزمان الواحد انبياء يوازر
بعضهم بعضا والمذهوب اليهم القبط وفرعون وفي الكلام حذف اي فذهبا واديا الرسالة فكذبوهما
فدمرناهم والتدمير اشد الاهلاك واصله كسر الشيء على وجه لا يمكن اصلاحه وقصة موسى ومن ارسل
اليه ذكرت مسهبة في غير ما موضع وهنا اختصرت فاوجز بذكر اولها واخرها لانه بذلك يلزم الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقرا علي والحسن ومسلمة بن محارب فدمرناهم على الامر
لموسى وهارون وعن علي ايضا كذلك الا انه مؤكد بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا امرا لهما بهم
بباء الجر ومعنى الامر كونا سبب تدميرهم وانتصب وقوم نوح على الاشتغال وكان النصب ارجح لتقدم
الجمل الفعلية قبل ذلك ويكون لما في هذا الاعراب ظرفا على مذهب الفارسي واما ان كانت حرف
وجوب لوجوب فالظاهر ان اغرقناهم جواب لما فلا يفسر ناصبا لقوم فيكون معطوفا على المفعول
في فدمرناهم او منصوبا على مضمر تقديره اذكر وقد جوزوا الوجوه الثلاثة الحوفي لما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله او جعل تكذيبهم لنوح تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة والظاهر
عطف وعادا على قوم وقال ابو اسحق يكون معطوفا على الهاء والميم في وجعلناهم للناس اية قال ويجوز
ان يكون معطوفا على الظالمين لان التاويل وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وثمودا وقرا
عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى وثمود غير مصروف واصحاب الرس قال ابن عباس
هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لان العطف يقتضي التغاير وقال قتادة اهل قرية من اليمامة
يقال لها الرس والفلج قيل قتلوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيه وقال وهب والكلبي اصحاب
الرس واصحاب الايكة قومان ارسل اليهما شعيب ارسل الى اصحاب الرس وكانوا قوما من عبدة
الاصنام واصحاب ابار ومواش فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينما هم حول
الرس وهي البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبدارهم وقال علي فيما نقله الثعلبي
قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت دسوا نبيهم في بئر حفروه له في حديث طويل وقيل
هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد
فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس
هو الاخدود وقال ابن عباس الرس بئر اذربيجان وقيل الرس ما بين نجران الى اليمن الى حضر
موت وقيل قوم بعث الله اليهم انبياء فقتلوهم ورسوا عظامهم في بئر وقيل قوم ارسل اليهم نبي فاكلوه
وقيل قوم نساؤهم سواحق وقيل الرس ماء ونخل لبني اسد وقيل الرس نهر من بلاد المشرق
بعث الله اليهم نبيا من اولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكا الى الله منهم فحفروا
له بئرا وارسلوه فيها وقالوا نرجو ان يرضى عنا الهنا فكانوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم
فدعا بتعجيل قبض روحه فمات واظلتهم سحابة سوداء قد امن به يجي بطعام الى تلك البئر فيعينه
الله على تلك الصخرة فيقلعها فيعطيه ما يغذيه به ثم يرد الصخرة الى ان ضرب الله يوما على

اذن ذلك الاسود بالنوم اربع عشرة سنة فاخرج اهل القرية نبيهم فامنوا به في حديث طويل قال الطبري فيمكن انهم قد كفروا بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الاية وكثر الاختلاف في اصحاب الرس فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه وملخص هذه الاقوال انهم قوم اهلكهم الله بتكذيب من ارسل اليهم وقرونا بين ذلك هذا ابهام لا يعلم حقيقته ذلك الا الله وذلك اشارة الى اولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول بين عليه من غير ان يعطف عليه شي كانه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر اشيا مختلفة ثم يشير اليها وانتصب كلا الاول على الاشتغال اي وانذرنا كلا او حذرنا كلا والثاني على انه مفعول بتبرنا لانه لم ياخذ مفعولا وهذا من واضح الاعراب ومعنى ضرب الامثال اي بين لهم القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما ادى اليه تكذيبهم بانبيائهم من عذاب الله وتدميره اياهم يهتدوا بضرب الامثال فلم يهتدوا وابعد من جعل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمعنى وكلا الامثال ضربنا للرسول وعلى هذا وكلا منصوب بضربنا والامثال بدل من كلا والضمير في ولقد اتوا لقريش كانوا يمرون على سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم الى الشام وكانت قرى خمسا اهلك الله منها اربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن اهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس ومطر السوء الحجارة التي امطرت عليهم من السما فهلكوا وكان ابراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لكم يا سدوم يوم لكم من الله عز وجل انهاكم ان تتعرضوا للعقوبة من الله ومعنى اتوا مروا فلذلك عداه بعلى وافرد لفظ القرية وان كانت قرى لان سدوم هي ام تلك القرى واعظمها وقال مكي الضمير في اتوا عايد على الذين اتخذوا القران مهجورا انتهى وهم قريش وانتصب مطر على انه مفعول ثان لامطرت على معنى اوليت او على انه مصدر محذوف الزوايد اي امطار السوء افلم يكونوا يرونها اي ينظرون الى ما فيها من العبرة والاثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقال وانهما لبامام مبين وهو استفهام معناه التعجب ومعنى لكن فلم يعتبروا برويتها ان يحل بهم في الدنيا ما حل باوليك بل كانوا كفرة لا يومنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الاخرة وضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يامله المومنون لطمعهم الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر تعدى قال الشاعر • كمن بوادبه بعد المحل ممطور • وقرا ابو السمال مطر السوء بضم السين واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا لم يقتصر المشركون على انكار نبوة الرسول وترك الايمان به بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاستحقار حتى يقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا وان نافية جواب اذا وانفردت اذا بانه اذا كان جوابها منفيا بما او بلا لا يدخله الفا بخلاف ادوات الشرط غيرها فلا بد من الفا مع النافية ومعنى هزوا موضع هزو او مهزو به اهذا قبله قول محذوف اي يقولون وقال جواب اذا ما اضمر من القول اي واذا راوك قالوا اهذا الذي بعث الله رسولا وان يتخذونك جملة اعتراضية بين اذا وجوابها قيل نزلت في ابي جهل كان اذا راى الرسول عليه السلام قال اهذا الذي بعث الله رسولا والخبر بلفظ الجمع تعظيما لقبح صنعه او لكون جماعة معه قالوا ذلك والظاهر ان قايل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام هو استصغار واحتقار منهم اخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزا ولو لم يستهزوا لقالوا اهذا زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق قاله الزمخشري وقال ابو عبد الله الرازي الاستهزا اما بالصورة فكان احسن منهم خلقة او بالصفة فلا يمكن لان الصفة التي تميز بها عنهم ظهور المعجز عليه دونهم وما قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم ثم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزوا بالرسول انتهى قيل وتدل الاية على انهم صاروا في ظهور حجته عليه السلام عليهم بالجانين استهزوا

به او لا ثم انهم وصفوه بانه كاد يضلنا عن مذهبنا لولا انا قابلناه بالجمود والاصرار فهذا يدل على انهم سلموا له قوة الحجة وكمال العقل فكونهم جمعوا بين الاستهزا به وبين هذه الكيد ودة دل على انهم كانوا كالمتحيرين في امره تارة يستهزوون منه وتارة يصفونه بما لا يليق الا بالعالم الكامل وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال فلا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير ولما قالوا ان كاد ليضلنا جا قوله من اضل سبيلا اي سيظهر لهم من المضل ومن الضال بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه والظاهر ان من استفهامية واضل خبره والجملة في موضع مفعول يعلمون ان كانت متعدية الى واحد او في موضع مفعولين ان كانت تعدت الى اثنين ويجوز ان تكون من موصولة مفعولة بيعلمون واضل خبر مبتدا محذوف اي هو اضل وصار حذف المضمر للاستطالة التي حصلت في قول العرب ما انا بالذي قايل لك سوا ارايت من اتخذ الهه هواه هذا اياس عن ايمانهم واشارة الى النبي عليه السلام ان لا يتاسف عليهم واعلام انهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهايم ثم ذكر انهم اضل سبيلا من الانعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والانعام لا سبيل لهم الى فهم المصالح وارايت استفهام تعجب من جهل من هذه حاله والهه المفعول الاول لاتخذ وهواه الثاني اي اقام مقام الالهة الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى انه لم يتخذ الها الا هواه وادعا القلب ليس بجيد اذ يقدره من اتخذ هواه الهه والبيت من ضراير الشعر ونادر الكلام فينزه كلام الله عنه كان الرجل يعبد الصنم فاذا راى احسن منه رماه واخذ الاحسن قيل نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان اذا هوى شيا عبده والهوى ميل القلب الى الشي افانت تجبره على ترك هواه او انت تحفظه من عظيم جهله وقرا بعض المدنيين من اتخذ الهة منونة على الجمع وفيه تقديم جعل هواه انواعا اسما لاجناس مختلفة فجعل كل جنس من هواه الها اخر وقرا ابن هرمز الاهة على وزن فعالة وفيه ايضا تقديم اي هواه الاهة بمعنى معبودة لانها بمعنى المالوهة فالها فيها للمبالغة فلذلك صرفت وقيل بل الالاهة الشمس ويقال لها الالاهة بضم الهمزة وهي غير مصروفة للعلمية والتانيث لكنها لما كانت مما يدخلها لام المعرفة في بعض اللغات صارت بمنزلة ما كان فيه اللام ثم نزعت فلذلك صرفت وصارت بمنزلة النعوت فتنكرت قاله صاحب اللوامح ومفعول ارايت الاول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم الكلام في ارايت في وابل الانعام ومعنى وكيلا اي هل تستطيع ان تدعوه الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وام منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المذهب الصحيح كانه قال بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومتشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفى ذلك عن اكثرهم لان فيهم من سبقت له السعادة فاسلم وجعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها وتعرف من يحسن اليها ممن يسي اليها وتطلب منفعتها وتجتنب مضرتها وتهتدي الى مراعيها ومشاربها وهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم ولا يرغبون في الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق

الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السما ما طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا

لما بين تعالى جهل المعترضين على دلايل الصانع

وضمان طريقتهم ذكر انواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرون ويؤمنون بمن هذه قدرته وتصرفه في عالمه فبدا بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وان ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على الم تر في البقرة في قصة الذي حاج ابرهيم والمعنى الم تر الى صنع ربك وقدرته وكيف سؤال عن حال في موضع نصب بمد والجملة في موضع متعلق الم تر لان تر متعلقة والجملة الاستفهامية التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى الم تر الى مد ربك الظل وقال الجمهور الظل هنا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل ظل الجنة ظل ممدود لا شمس فيه ولا ظلمة واعترض بانه في غبر النهار بل في بقايا الليل ولا يسمى ظلا وقيل الظل الليل لان ظل الارض وهو يغمر الدنيا كلها وقيل من غيبوبة الشمس الى طلوعها وهذا هو القول الذي قبله ولكن اورده كذا وقيل ظلال الاشيا كلها كقوله اولم يروا الى ما خلق الله من شي تتفيؤ ظلاله وقال ابو عبيدة الظل بالغداة والفي بالعشي وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس وقيل ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه فزالت في ولو شا لجعله ساكنا قال ابن عباس وقتادة وابن زيد يعني كظل الجنة الذي لا شمس تذهبه وقال مجاهد لا تصيبه الشمس ولا تزول وقال الحسن لو شا لتركه ظلا كما هو وقيل لا دامه ابدا بمنع طلوع الشمس بعد غيبوبتها فلما طلعت الشمس دلت على زوال الظل وبدا فيه النقصان فبطلوع الشمس يبدو النقصان في الظل وبغروبها تبدو الزيادة في الظل فبالشمس استدل اهل الارض على الظل وزيادته ونقصه وكلما علت الشمس نقص الظل وكلما دنت للغروب زاد وهو قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعني في وقت علو الشمس بالنهار ينقص الظل نقصانا يسيرا بعد يسير وكذلك زيادته بعد نصف النهار يزيد يسيرا بعد يسير حتى يعم الارض كلها فاما زوال الظل كله فانما يكون في البلدان المتوسطة في وقت وقال الزمخشري ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شا لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغنايهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بظل الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم من الثاني تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه بنى الظل حين بنى السما كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض لعدم النير ولو شا لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه وجعلها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي يلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير انتهى وقوله سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه لم يسمه الله ذلك انما قال كيف مد الظل وقوله ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة فهذا يبعد احتماله لانه انما ذكر آثار صنعته وقدرته لتشاهد ثم قال مد الظل وعطف عليه ماضيا مثله فيبعد ان يكون التقدير ثم قبضه عند قيام الساعة مع ظهور كونه ماضيا مستدا امثاله وقال ابن عطية ولو شا لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه بطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شي اذ الاشيا انما تعرف باضدادها وقال ابن عباس يسيرا معجلا وقال مجاهد لطيفا اي شيا بعد شي ويحتمل ان يريد سهلا قريب التناول وقال ابو عبد الله الرازي اكثر الناس في تاويل هذه الاية ويرفع

الكلام فيها الى وجهين الاول ان الظل لا ضوء خالص ولا ظلمة خالصة وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك الكيفيات الحاصلة داخل السقف وابنية الجدرات وهي اطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الخالص يحير الحس البصري ويحدث السخونة القوية وهي موذية ولهذا قيل في الجنة وظل ممدود والناظر الى الجسم الملون كانه يشاهد بالظل شيا سوى الجسم وسوى اللون والظل ليس امرا ثالثا ولا معرفة به الا انه اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم ثم زال عرف للظل وجود وماهية ولولاها ما عرف لان الاشيا تدرك باضدادها فظهر للعقل ان الظل كيفية زايدة عن الجسم واللون ولذلك قال ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي جعلنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجود الظل ثم قبضناه اي ازلناه لا دفعة بل يسيرا يسيرا كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل من جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا كان زوال الاظلال كذلك والثاني انه لما خلق السما والارض وقع ظل السما على الارض فجعل الشمس دليلا لانه بحسب حركات الاضوا يتحرك الاظلال فهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينقص الاخر فكما ان المهتدي يقتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الاظلال ملازمة للاضوا ولذلك جعل الشمس دليلا عليه انتهى ملخصا وهو ماخوذ من كلام الزمخشري وحسن بعض تحسين والاية في غاية الظهور ولا يحتاج الى هذا التكثير وقال ايضا الظل ليس عدما محضا بل هو اضوا مخلوطة بظلام فهو امر وجودي وفي تحقيقه دقيق يرجع فيه الى الكتب العقلية انتهى والاية في غاية الوضوح ولا يحتاج الى هذا التكثير وقد تركت اشيا من كلام المفسرين مما لا تمس اليه الحاجة جعل الليل لباسا شبهها بالثوب الذي يغطي البدن ويستره من حيث الليل يستر الاشيا والسبات ضرب من الاغما يعتري اليقظان مرضا فشبه النوم به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكونا ما والنشور هنا الاحيا شبه اليقظة به ليتطابق الاحيا مع الاماتة الذين يتضمنهما النوم والسبات انتهى من كلام ابن عطية وقال غيره السبات الراحة جعل النوم سباتا اي سبب راحة وقال الزمخشري السبات الموت وهو كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته ياباه انتهى ولا ياباه الا لو تعين تفسير النشور بالحيوة وقال ابو مسلم نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعاش وابتغا فضل الله والنهار نشورا وما قبله من باب ليل نايم ونهار صايم وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس فوايد دينية ودنيوية وقال الشاعر

وكم لظلام الليل عندي من يد ... يخبر ان المانوية تكذب

والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اى عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمن انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ فكذلك تموت فتنشر وتقدم الخلاف في قراة الريح بالافراد والجمع في البقرة قال ابن عطية وقراة الجمع اوجه لان عرف الريح متى وردت في القران مفردة فانما هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب وتتذاب وتتفرق وتاتي لينة من هاهنا وهاهنا وشيا اثر شي وريح العذاب خرجت لا تتذاب وانما تاتي جسدا واحدا الا ترى انها تحطم ما تجد وتهدمه قال الرماني جمعت رياح الرحمة لانها ثلثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وافردت ريح العذاب لانها واحدة لا تلقح وهي الدبور قال اي ابن عطية يرد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا انتهى ولا يسوغ ان يقال هذه القراة اوجه لان كلا من القراتين متواتر والالف واللام في الريح للجنس فتعم وما ذكر من ان قول الرماني يرده الحديث فلا يظهر لانه يجوز ان يريد بقوله عليه السلم رياحا الثلثة اللواقح وبقوله ولا تجعلها ريحا الدبور فيكون ما قاله الرماني مطابقا للحديث على هذا المفهوم وتقدم الخلاف في قراة نشرا وفي مدلوله في الاعراف بين يدي رحمته استعارة حسنة اى قدام المطر لانه يجي معلما به والطهور فعول اما للمبالغة كنؤوم فهو معدول عن طاهر واما ان يكون اسما لما يتطهر به كالسحور والفطور واما مصدر للتطهر جاء على غير المصدر

حكاه ش والظاهر في قوله ماء طهورا ان يكون للمبالغة في طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه
شي بخلاف ما نبع من الارض ونحوه فانه تشوبه اجزاء ارضية من مقره او ممره او مما يطرح فيه
ويجوز ان يوصف بالاسم وبالمصدر وقال ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان
ما قاله شرحا لمبالغته في الطهارة كان سديدا او يعضده ويُنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
والا ففعول لايكون بمعنى مفعل ومن استعمال الطهور للمبالغة قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا
طهورا وقال الشاعر •
• الى رجح الاكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور • وقرا عيسى وابو
جعفر ميتا بالتشديد بلدة وصف بلدة بصفة المذكر لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى
بلد ميت ورجح الجمهور التخفيف لانه يماثل فعلا من المصادر فكما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر
فكذلك بما اشبهه بخلاف المشدد فانه يماثل فاعلا من حيث قبوله للتاء الا فيما خص المؤنث
نحو طامث وقرا عبد الله وابو حيوة وابن ابي عبلة والاعمش وعاصم وابو عمرو في رواية
عنهما ونسقيه بفتح النون وروي عن عمر بن الخطاب وقرا يحيى بن الحرث الذماري واناسي
بتخفيف الياء وروي عن الكسائي واناسي جمع انسان في مذهب س وجمع انسي في مذهب
الفراء والمبرد والزجاج والقياس اناسية كما قالوا في مهلبي مهالبة وحكي اناسين في جمع
انسان كسرحان وسراحين ووصف الماء بالطهارة وعلل انزاله بالاحياء والسقي لانه لما كان
الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصف بالطهور اكراما له وتتميما للنعمة عليه والتعليل يقتضي
ان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير علي فرس جواد لاصيد عليه الوحش
وقدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياتهم بحياة ارضهم وحيوة انعامهم
فقدم ما هو السبب في ذلك ولانهم اذا وجدوا ما يسقي ارضهم ومواشيهم وجدوا سقياهم ونكر
الانعام والاناسي ووصفا بالكثرة لان كثيرا منهم لا يعيشهم الا ما انزل الله من المطر وكذلك
ليحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتباعدين من مظان الماء بخلاف سكان المدن فانهم
قريبون من الاودية والانهار والعيون فهم غنيون غالبا عن سقي ماء المطر وخص الانعام
من بين ما خلق من الحيوان الشارب لان الطيور والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم
كالانعام بسقيهم والضمير في صرفناه عايد على الماء المنزل من السماء اي جعلنا انزال الماء تذكرة بان
يصرفه عن بعض المواضع الى بعض وهو كل عام بمقدار واحد قاله الجمهور منهم ابن مسعود وابن
عباس ومجاهد فعلى هذا التاويل الا كفورا هو قولهم بالانواء والكواكب قاله عكرمة وقيل كفورا
على الاطلاق لما تركوا التذكر وقال ابن عباس ايضا عايد على القران وان لم يتقدم له ذكر لوضوح الامر
ويعضده وجاهدهم به لتوافق الضماير على انه المطر يكون به للقران وقال ابو مسلم راجع الى المطر
والرياح والسحاب وساير ما ذكر فيه من الادلة وقال الزمخشري صرفنا هذا القول بين الناس
في القران وفي ساير الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر
ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها
وقلة الاكتراث بها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات
المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا امطرنا بنوء كذا
ولا يذكروا رحمته وصنعته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده
على ما يشاء وتلا هذه الاية ويروى ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف
ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ها هنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال
لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثيرا انتهى وقرا
عكرمة صرفناه بتخفيف الراء ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا المعنى تعالى ما كان الرسول من
اذى قومه اعلمه انه تعالى لو اراد لبعث في كل قرية نذيرا فيخفف عنك الامر ولكنه اعظم اجرك
واجلك اذ جعل انذارك عاما للناس كلهم وخصك بذلك ليكثر ثوابك لانه على كثرة المجاهدة يكون
الثواب وليجمع لك حسنات من امن بك اذ انت موسسها فلا تطع الكافرين يعني كفار قريش فانهم
كانوا استمعوا اليه ورغبوا ان يرجع الى دين ابائهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيما نهاه

تعالى

تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم انه لا رغبة له في شي من ذلك لكن رغبته في الدعاء الى الله والايمان به
وجاهدهم به اي بالقران او بالاسلام او بالسيف او بترك طاعتهم وجهادا مصدر وصف بكبير لانه يلزمه
عليه السلم مجاهدة جميع العالم فهو جهاد كبير ومرج خلط بينهما او افاض احدهما في الاخر واجراهما
اقوال والظاهر انه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح وقيل بحران معينان فقيل
بحر فارس وبحر الروم وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام قاله ابن عباس قال ومجاهد
مياه الانهار الواقعة في البحر الاجاج وهذا قريب من القول الاول قال ابن عطية والقصد بالاية
التنبيه على قدرة الله واتقان خلقه للاشيا في ان بث في الارض مياها عذبة كثيرة من الانهار والعيون
والابار وجعلها خلال الاجاج وجعل الاجاج خلالها فترى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه وتلقى
الماء البحر في الجزاير ونحوها قد اكتنفه الماء الاجاج والبرزخ والحجر ما حجز بينهما من الارض واليبس
قاله الحسن ويمشي هذا على قول من قال ان مرج بمعنى اجرى وقيل البرزخ البلاد والقفار فلا
يختلطان الا يوم القيامة وقال الاكثرون الحاجز مانع من قدرة الله تعالى قال
الزجاج فهما مختلفان في مراي العين منفصلان بقدرة الله وسواد البصرة يجد البصرة الماء
العذب منه في دجلة نحو البحر وياتي المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فالبحر الى الخضرة الشديدة
وماء دجلة الى الحمرة فالمستقي يغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شي ونيل مصر في قبضه يشق البحر
المالح شقا بحيث يبقى نهرا جاريا احمر في وسط المالح ليستقي الناس منه وترى المياه قطعا في وسط البحر
المالح فيقولون هذا ماء نيل فيستقون منه من وسط البحر وقرا طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح الميم
وكسر اللام وكذا في فاطر قال ابو حاتم وهذا منكر في القراءة وقال ابو الفتح اراد مالحا وحذف الالف كما حذفت
من برد اي بارد وقال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح هي لغة شاذة قليلة وقيل اراد مالح فقصره
بحذف الالف فالمالح جايز في صفة الماء لان الماء يوجد في الصفيات بان يكون مملوحا من جهة غيره ومالحا لغيره
وان كان من صفته ان يقال ماء ملح موصوف بالمصدر اي ماء ذو ملح فالوصف بذلك مثل حلف ونقوم من الصفات
قال الزمخشري فان قلت حجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها
وهي ها هنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال
لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ها هنا جعل كل واحد منهما في صورة
الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة انتهى والظاهر
ان وحجرا محجورا معطوفا على برزخا عطف المفعول على المفعول وكذا اعربه الحوفي وعلى ما ذكره الزمخشري
يكون ذلك على اضمار القول المجازي اي ويقولان اي كل واحد منهما لصاحبه حجرا محجورا والظاهر
عموم البشر وهم بنو ادم والبشر يطلق على الواحد والجمع وقيل المراد بالبشر ادم وبالصهر حوا
وقيل النسب البنون والصهر البنات ومن الماء اما النطفة واما انه اصل خلقة كل حي والنسب والصهر
يعمان كل قربى بين ادميين فالنسب ان يجتمع مع اخر في اب وام قرب ذلك او بعد والصهر هو تواشج
المناكحة وقال علي بن ابي طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر قرابة الرضاع وعن طاوس الرضاعة
من الصهر وعنه عليه الصهر ما يحل نكاحه والنسب ما لا يحل نكاحه وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع
وقال ابن سيرين نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي لانه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية
فاجتماعهما وكاده حرمة الى يوم القيامة وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا
نوعين ذكرا وانثى ولما ذكر دلايل قدرته وما امتن به على عباده من غرايب مصنوعاته نبه بذلك
انه المستحق للعبادة لنفعه وضره بين فساد عقول المشركين حيث يعبدون الاصنام والظاهر ان
الكافر اسم جنس فيعم وقيل هو ابو جهل والاية نزلت فيه وقال عكرمة الكافر هنا ابليس والظهير
والمظاهر كالمعين والمعاون قاله مجاهد والحسن وابن زيد وقيل بمعنى مفاعل كثير والمعنى ان الكافر
يعاون الشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة
ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به لذا خلفته خلف ظهرك لا يلتفت اليه وهذا
نحو قوله اوليك لا خلاق لهم الاية قاله الطبري وقيل على ربه اي معينا على اولياء الله وقيل معينا
للمشركين على ان لا يوحد الله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا سلى نبيه بذلك اي لا تهتم بهم ولا
تذهب نفسك عليهم حسرات وانما انت رسول تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار ولست
بمطلوب بايمانهم اجمعين ثم امره تعالى ان يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله قل ما اسالكم عليه من

اجراي لا الطلب مالا ولا نفعا يختص بي والضمير في عليه عايد على التبشير والانذار وعلي القران
او على البلاغ الرسالة اقوال والظاهر في الا من شا انه استثنا منقطع وقاله الجمهور فعلي هذا
قيل بعباده لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وقيل لكن من انفق في سبيل الله ومجاهدة اعدا
فهو مسولي وقيل هو متصل على حذف مضاف تقديره الا اجر من اتخذ الى ربه سبيلا اي الا اجر من امن
اي الاجر الحاصل لي على دعايه الى الايمان وقبوله لانه تعالى ياجرني على ذلك وقيل الا اجر من امن يعني
بالاجر الانفاق في سبيل الله اي لا اسالكم اجرا الا الانفاق في سبيل الله فجعل الانفاق اجرا ولما اخبر
انه نفى نفسه عن سوالهم شيا امره تعالى تفويض امره اليه وثقته به واعتماده عليه فهو المتكفل
بنصره واظهار دينه ووصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل في قوله الحي الذي لا يموت
لان هذا المعنى يختص به تعالى دون كل حي كما قال كل شي هالك الا وجهه وقرا بعض السلف
هذه الاية فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم امره بتنزيهه وتمجيده مقرونا
بالثنا عليه لان التنزيه محله اعتقاد القلب والمدح محله اللسان الموافق للاعتقاد وفي الحديث
من قال سبحان الله وبحمده ماية مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وهي احدى الكلمتين
الخفيفتين على اللسان الثقيلتين في الميزان وكفى به بذنوب عباده خبيرا اذ انه ليس اليه من
امور عباده شي امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزا اعمالهم وفي هذه الجملة تسلية
للرسول ووعيد للكافر وفي بعض الاخبار كفي بك ظفرا ان يكون عدوك عاصيا وهي كلمة يراد
بها المبالغة تقول كفي بالعلم جمالا وكفي بالادب مالا اي حسبك لا يحتاج معه الي غيره لانه خبير
باحوالهم قادر على مكافاتهم ولما امره بالتوكل والتسبيح وذكر صفة الحيوة الدايمة ذكر ما دل
على القدرة التامة وهي ايجاد هذا العالم وتقدم الكلام في نظير هذا الكلام واحتمل الذي
ان يكون صفة للحي الذي لا يموت ويتعين على قراة زيد بن علي الرحمن بالجر واما على قراة الجمهور
الرحمن بالرفع فانه يحتمل ان يكون الذي صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف ويحتمل ان يكون
الذي مبتدا والرحمن خبره وان يكون الذي خبر مبتدا محذوف والرحمن صفة له او يكون الذي
منصوبا على اضمار اعني ويجوز على مذهب الاخفش ان يكون الرحمن مبتدا وفاسال خبره على حد
تخريجه وقول الشاعر

وقايلة خولان فانكح فتاتهم • وجوزوا ايضا في الرحمن ان يكون بدلا من الضمير المستكن
في استوي والظاهر تعلق به بقوله فاسال ويقال البا غير مضمنة معنى عن وخبيرا من صفات الله
كما تقول لقيت بزيد اسدا او لقيت بزيد البحر تريد انه هو الاسد شجاعة والبحر كرما والمعنى انه
تعالى اللطيف العلم الخبير والمعنى فاسال الله الخبير بالاشيا العالم بحقايقها وقال ابن عطية
وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السوال واما على الحال الموكدة كما قال وهو الحق مصدقا وليست
هذه الحال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير انتهي وبني هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت
فلانا للقيته به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فسل الله عن كل امر وكونه منصوبا على الحال
الموكدة على هذا التقدير لا يصح انما يصح ان يكون مفعولا به ويجوز ان يكون البا بمعني عن اي فسل
عنه خبيرا كما قال الشاعر

فان تسالوني بالنسا فانني بصير بادوا النسا طبيب •
وهو قول الاخفش والزجاج ويكون خبيرا ليس من صفات الله هنا كانه قيل اسال عن الرحمن
الخبراجبريل او العلما واهل الكتب المنزلة وان جعلت به متعلقا بخبيرا كان المعني فاسال عن الله
الخبرا به وقال الكلبي معناه فاسال خبيرا به وبه يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض
والاستوا على العرش وذلك الخبير هو الله لانه لا دليل في العقل علي كيفية خلق ذلك فلا يعلمها
الا الله وعن ابن عباس الخبير جبريل وقدم لروس الاي وقال الزمخشري البا في به صلة سل
كقوله سال سايل بعذاب كما يكون عن صلته في نحو ثم لتسالن يوميذ عن النعيم او صلة خبيرا
فيجعل خبيرا مفعولا اي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته
او فسل بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي رايت برويته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا
بجعله حالا عن به تريد فسل عنه عالما بكل شي وقيل الرحمن اسم من اسما الله مذكور في الكتب
المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من

سينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي في اليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن
اليمامة انتهي واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن لما ذكر الرحمن وكانت قريش لا تعرف هذا في اسما الله
غالطت قريش بذلك فقالت ان محمدا يامرنا بعبادة رحمن اليمامة نزلت واذا قيل لهم وما سوال عن
المجهول فيجوز ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ويجوز ان يكون سوالا
عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما يستعمل الرحيم والرحوم والتراحم او لانهم انكروا اطلاقه على
الله قاله الزمخشري والذي يظهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية
للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها اظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم
ووقاحة فقالوا وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون وما رب العالمين
حين قال له موسي اني رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال له
موسي اني رسول من رب العالمين لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض بصاير فكذلك
كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به فعلي قول من قال يكونوا يعرفون
الرحمن الا مسيلمة وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن الا مسيلمة فالمعنى انسجد لمسيلمة
وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن بالكلية فالمعنى انسجد لما تامرنا من غير علم ببيانه والقايل
اسجدوا الرسول او الله على لسان رسوله وقرا ابن مسعود والاسود بن يزيد وحمزة والكسائي
يامر بالبا من تحت اي يامرنا محمد والكناية عنه او المسمى الرحمن ولا نعرفه وقرا باقي السبعة
بالتا خطابا للرسول ومفعول يامرنا الثاني محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره يامرنا سجوده
نحو قولهم امرتك الخير وزادهم اي هذا القول وهو الامر بالسجود للرحمن زادهم نفورا لا يختص
به مع ضلالهم السابق وكان حقه ان يكون باعثا على فعل السجود والقبول وقال الضحاك سجد
ابو بكر وعمر وعثمن وعلي وعثمن بن مظعون وعمرو بن عنبسة فراهم المشركون فاخذوا في ناحية المسجد
يستهزون فهذا المراد بقوله وزادهم نفورا ومعنى نفورا اقرا تبارك الذي جعل في السما بروجا
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها سات مستقرا
ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله
الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف
له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل الله
سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين
لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما
اوليك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاوكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما جعلت قريش سوالها عن اسمه
الذي هو الرحمن سوالا عن مجهول نزلت هذه الاية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب
الاقرار بالوهيته ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر انه خلق السموات والارض وما بينهما
ووصف نفسه بالرحمن وسالوا عنه فيه من ما وضع في السما من النيرات وما صرف من حال الليل
والنهار البادروا بالسجود والعبادة للرحمن ثم نبههم على ما لهم به اعتنا تام من رصد الكواكب
واحوالها ووضع اسمايها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وهي منازل
الكواكب السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت وسميت بذلك لتشبيهها بما شبهت به وسميت بالبروج
التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج
لظهوره وقيل البروج هنا القصور في الجنة قال الاعمش وكان اصحاب عبد الله يقرونها في السما
قصورا وقال ابو صالح البروج هنا الكواكب العظام قال ابن عطية والقول بانها قصور
في الجنة يحط من غرض الاية في التنبيه على اشيا مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله او جاهل
والضمير في فيها الظاهر انه عايد على السما وقيل على البروج فالمعنى وجعل في جملتها سراجا وقمرا

الجمهور سراجا على الافراد وهو الشمس وقرا عبد الله وعلقمة والاعمش والاخوان سرجا
بالجمع مضموم الرا وهو يجمع الانوار فيكون حصر القمر بالذكر تشريفا وقرا الاعمش ايضا والنخعي
وابن وثاب كذلك بسكون الرا وقرا الحسن والاعمش والنخعي وعصمة عن عاصم وقمرا بضم
القاف وسكون الميم فالظاهر انه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وقيل جمع قمراء
اي ليلة قمرا كانه قال وذا قمر منيرا لان الليلة تكون قمرا بالقمر فاضاف اليها ونظيره في بقا حكم
المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد ما بردى فمنيرا وصف لذلك المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ولو لم يراع المضاف
لقال تصفق بالتا وقال منيرا اي مضيا ولم يجعله سراجا كالشمس لانه لا توقد له وانتصب
خلفة على الحال فقيل هو مصدر خلف خلفة وقيل هو اسم هيئة كالركبة ووقع حالا اسم الهيئة
في قولهم مررت بما قعدة رجل وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار
يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ومن هذا المعنى قول زهير

• بها العين والارام يمشين خلفة • وقول الاخر •
• يصف امراة تنتقل من منزل في الشتا الى منزل في الصيف دايبا •
• ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا •
• في بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا •

وقيل خلفة في الزيادة والنقصان وقال مجاهد وقتادة والكسائي هذا اسود وهذا ابيض وهذا
طويل وهذا قصير لمن اراد ان يذكر قال عمر وابن عباس والحسن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من
الخير والصلوة ونحوه في احدهما فيستدركه في الذي يليه وقال مجاهد وغيره اي يعتبر بالمصنوعات
ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم وقال الزمخشري وعن ابي بن كعب يتذكر
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير
ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما
قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اوليكونا وقتين
للمتذكر والشاكر من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وقرا النخعي وابن وثاب
وزيد بن علي وطلحة وحمزة تذكر مضارع ذكر خفيفا ولما تقدم ذكر الكفار وذمهم وحالهم لمن اراد ان
يذكر او اراد شكورا ذكر احوال المومنين المتذكرين الشاكرين فقال وعباد الرحمن وهذه
اضافة تشريف وتفضيل وهو جمع عبد وقال ابن بحر جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار
وتفضل وهو جمع عبد وراجل ورجال اي الذين يعبدونه حق عبادته والظاهر ان وعباد مبتدا
والذين يمشون الخبر وقيل اولئك الخبر والذين صفة وقوم من عبد القيس يسمون العباد
لان كسرى ملكهم دون العرب وقيل لانهم تالهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عبادا لله وقرا
اليماني وعباد جمع عابد كضارب وضراب وقرا الحسن وعبد بضم العين والبا وقرا السلمي
واليماني يمشون مبنيا للمفعول مشددا والهون الرفق واللين وانتصب هونا على انه نعت
لمصدر محذوف اي مشيا هونا او على الحال اي يمشون هينين في تودة وسكينة وحسن سمت
لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون نعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلما الركوب
في الاسواق وقال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع وقال
الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال ابن عطية هونا عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم
فذكر من ذلك العظم لا سيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال
هونا بمعنى امره كله هين اي ليس بخشن وذهبت فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون
على الارض اي ان المشي هو الهون ويشبه ان يتاول هذا على ان يكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة
لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لان رب ماش
هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفا في مشيه كانما يمشي
في صبب وهو عليه السلم الصدر في هذه الامة وقوله عليه السلم من مشى منكم في طمع فليمش رويدا

اراد

اراد في عمر نفسه ولم يرد المشي وحده الا ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي
فقط حتى قال فيهم الشاعر كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيد وقال الزهري سرعة المشي
تذهب ببهاء الوجه يريد الاسراع الخفيف لانه يخل بالوقار والخير في التوسط وقال زيد
بن اسلم انه راى في النوم من فسر له يمشون على الارض هونا بانهم الذين لا يريدون ان يفسدوا
في الارض وقال عياض بن موسى كان عليه السلم يرفع في مشيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب
وكان عمر يسرع جبلة لا تكلفا واذا خاطبهم الجاهلون اي بما لا يسوغ الخطاب به قالوا سلاما اي سلام
توديع لا تحية كقول ابرهيم عليه السلم لابيه سلام عليك قاله الاصم وقال مجاهد قولا سديدا
فهو منصوب بقالوا وقيل هو على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاما فهو جزء من متعلق الجملة المحكية
قال ابن عطية والذي اقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لان المعنى قالوا هذا اللفظ وقال
الزمخشري تسلما منكم فاقيم السلم مقام التسليم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من
الاذى والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله •

• الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا • انتهى وقال الكلبي وابو العالية
نسختها اية القتال وقال ابن عطية وهذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة
وبقي حكمها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه في هذه الاية في كتابه وما تكلم على نسخ سواه
ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالسلم على الكفرة والاية مكية
فنسختها اية السيف وفي التاريخ ما معناه ان ابرهيم بن المهدي كان منحرفا عن علي بن ابي طالب
فراه في النوم قد تقدمه الى عبور قنطرة فقال له انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن احق به
منك وكان حكى ذلك للمامون قال فما رايت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المامون
فما اجابك به قال كان يقول لي سلاما سلاما فنبهه المامون على هذه الاية وقال يا عم قد اجابك
به قال كان بابلغ جواب فخزي ابرهيم واستحيى وكان ابرهيم لم يحفظ الاية او ذهب عنه حالة
الحكاية والبيتوتة هو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وهو خلاف الظلول وبجيلة وازد السراة
يقولون بيات وسائر العرب يقولون يبيت ولما ذكر حالهم بالنهار بانهم يتصرفون احسن
تصرف ذكر حالهم بالليل والظاهر انه يعني احيا الليل بالصلوة او اكثره وقيل من قرا شيا من
القران بالليل في صلوة فقد بات ساجدا وقايما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد
العشا وقيل من شفع واوتر بعد ان صلى العشا فقد دخل في هذه الاية وفي الاية حض على قيام
الليل في الصلوة وقدم السجود وان كان متاخرا في الفعل لاجل الفواصل ولفضل السجود فانها حالة
اقرب ما يكون العبد فيها الى الله وقرا ابو البرهسم سجودا على وزن قعودا ومدحهم تعالى بدعا
ان يصرف عنهم عذاب جهنم وفيه تحقيق ايمانهم بالبعث والجزا قال ابن عباس غراما فظيعا
وجيعا وقال الحذري لازما ملحا دايما قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وقال
السدي شديدا وانشدوا على ان غراما لازما قال الشاعر •

• وهو بشر بن ابي حاتم ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما •

وقال • الاعشى •

• ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي •

وصفهم باحيا الليل ساجدين ثم عقبه بذكر دعايهم هذا ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون يبتهلون
الى الله في صرف العذاب عنهم وساءت احتمل ان يكون بمعنى بيست والمخصوص بالذم محذوف
وفي ساءت ضمير مبهم ويتبين ان يكون مستقرا او مقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة على
الواقعة خبرا لان ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت فيكون المفعول محذوفا اي ساءتهم والفاعل
ضمير جهنم وجاز في مستقرا ومقاما ان يكونا تمييزين وان يكونا حالين قد عطف احدهما على الاخر
والظاهر ان التعليلين غير مترادفين ذكرا ولا لزوم عذابها وثانيا مساءة مكانها وهما متغايران
وان كان يلزم من لزوم العذاب في مكان ذم ذلك المكان وقيل هما مترادفان والظاهر انه من كلام
الداعين وحكاية لقولهم وقيل هو من كلام الله ويظهر ان قوله ومقاما معطوف على سبيل التوكيد
لان الاستقرار والاقامة كانهما مترادفان وقيل المستقر للعصاة من اهل الايمان فانهم

يستقرون فيها ولا يقيمون والاقامة للكفار وقرات فرقة ومقاما بفتح الميم اي مكان قيام
والجمهور بالضم اي مكان اقامة لم يسرفوا ولم يقتروا قال ابو عبد الرحمن الحبلي الانفاق في غير
طاعة اسراف والامساك عن طاعة اقتار وقال معناه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وسمع رجل رجلا
يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عون بن عبد الله بن عتيبة الاسراف ان
تنفق مال غيرك وقال النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف
وقال يزيد بن ابي حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا ياكلون طعاما للذة وقال
عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك قال له عمر الحسنة
بين السيئتين ثم تلا الاية والاسراف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التضييق الذي هو نقيض
الاسراف وعن انس في سنن ابن ماجة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف
ان تاكل ما اشتهيته وقال الشاعر

• ولا تغل في شي من الامر واقتصد • كلا طرفي قصد الامور ذميم •

وقال اخر

• اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت • ولم ينهها تاقت الى كل باطل •
• وساقت اليه الاثم والعار بالذي • دعته اليه من حلاوة عاجل •

وقال حاتم

• اذا انت قد اعطيت بطنك سوله • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا •

وقرا الحسن وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وعاصم يقتروا بفتح اليا وضم التا ومجاهد وابن
كثير وابو عمرو بفتح اليا وكسر التا ونافع وابن عامر بضم اليا وكسر التا وقرا العلا بن سيابة
واليزيدي بضم اليا وفتح القاف وكسر التا مشددة وكلها لغات في التضييق وانكر ابو حاتم
لغة اقتر رباعيا هنا وقال اقتر اذا افتقر ومنه وعلى المقتر قدره وغاب عنه ما حكاه الاصمعي
وغيره من اقتر بمعنى ضيق والقوام الاعتدال بين الحالتين وقرا حسان بن عبد الرحمن
قواما بالكسر فقيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل بالكسر ما يقام به الشي يقال انت قوامنا
بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وقيل قواما بالكسر اي مبلغا وسدادا وملاك
حال وبين ذلك وقواما يصح ان يكونا خبرين عند من يجيز تعدد خبر كان وان يكون بين هو
الخبر وقواما حال موكدة وان يكون قواما خبرا وبين ذلك اما معمول لكان على مذهب من يرى
ان كان الناقصة تعمل في الظرف وان يكون حالا من قواما لانه لو تاخر لكان صفة واجاز الفرا
ان يكون بين ذلك اسم كان وهو من الاضافة الى مبني كقوله ومن خزي يوميذ في قراة من فتح الميم
وقواما الخبر قال الزمخشري وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين
الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة انتهى وصفهم
تعالى بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله خوطب الرسول عليه السلام بقوله
ولا تجعل يدك مغلولة الاية والذين لا يدعون الاية سال ابن مسعود رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الذنب اعظم فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك ثم قال اي قال ان تقتل ولدك
مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين
لا يدعون الاية وقيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركون قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه لحسن او يخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت الى غفورا رحيما
وقيل سبب نزولها قصة وحشي في اسلامه في حديث طويل قال الزمخشري نفي هذه التقبيحات
العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض لما كان عليه اعدا المومنين
من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه وقال ابن عطية اخراج
لعباده المومنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بواد البنات وغير
ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا انتهى وتقدم
تفسير نظير ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق في سورة الانعام وقري يلق بضم
اليا وفتح اللام والقاف مشددة وقرا ابن مسعود وابو رجا يلقى بالف كانه نوي حذف الضمة
المقدرة على الالف فاقرت الالف والاثام في اللغة العقاب وهو جزا الاثم قال

الشاعر

الشاعر • جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام •

اي جزا وعقوبة وبه فسره قتادة وابن زيد وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة وابن جبير
اثام واد في جهنم هذا اسمه جعله الله عقابا للكفرة وقال ابو مسلم الاثام الاثم ومعناه يلق
جزا اثام فاطلق اسم الشي على جزايه وقال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وقيل بير فيها وقيل
جبل وقرا ابن مسعود يلق اياما جمع يوم يعني شدايد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب وذلك
في قوله ومن يفعل ذلك يظهر انه اشارة الى المجموع من دعا اله اخر وقتل النفس بغير حق والزنا
فيكون التضعيف مرتبا على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها ولا شك
ان عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرايمهم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف له
العذاب مبنيا للمفعول وبالف ويخلد مبنيا للفاعل والحسن وابو جعفر وابن كثير كذلك الا انهم
شددوا العين وطرحوا الالف وقرا ابو جعفر ايضا وشيبة وطلحة بن سليمن نضعف بالنون مضمومة
وكسر العين مشددة العذاب نصب وطلحة بن مصرف يضاعف باليا مبنيا للفاعل العذاب نصبا
وقرا طلحة بن سليمن وتخلد بتا الخطاب على الالتفات مرفوعا اي وتخلد ايها الكافر وقرا ابو
حيوة ويخلد مبنيا للمفعول مشدد اللام مجزوما وروي عن ابي عمرو وعنه كذلك مخففا وقرا ابو
بكر عن عاصم يضاعف ويخلد بالرفع عنهما وكذا ابن عامر والمفضل عن عاصم يضاعف ويخلد مبنيا
للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم اليا مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم اليا مبنيا
للمفعول مشددا مرفوعا فالرفع على الاستيناف او الحال والجزم على البدل من يلق كما قال

الشاعر • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

والضمير في فيه عايد على العذاب والظاهر ان توبة المسلم القاتل النفس بغير حق مقبولة خلافا
لابن عباس وتقدم ذلك في النسا وتبديل سيئاتهم حسنات هو جعل اعمالهم بدل معاصيهم الاول
طاعة ويكون ذلك سبب رحمة الله اياهم قاله ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد
وردوا على من قال هو في يوم القيامة وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة
تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط عمله ويثبت عليه السيات وتاول ابن المسيب
ومكحول ان ذلك يوم القيامة وهو معنى كرم العفو وفي كتاب مسلم ان الله يبدل يوم القيامة لمن يريد
المغفرة له من الموحدين بدل سيات حسنات وقال لا تمحى السيية ويثبت بدلها حسنة وقال
القفال والقاضي يبدل العقاب بالثواب فذكرهما واراد ما يستحق بهما وقالوا الا من تاب استثنا
متصل من الجنس ولا يظهر لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزمه من انتفا التضعيف انتفا العذاب
غير المضعف فالاولى عندي ان يكون استثنا منقطعا اي لكن من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاوليك
يبدل الله سياتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة وسياتهم هو المفعول الثاني
وهو اصله ان يكون مقيدا بحرف الجر اي فسياتهم وحسنات هو المفعول الاول وهو المسرح كما
قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقال الشاعر

• تضحك مني اخت ذات النحيين • ابدلك الله بلون لونين •
• سواد وجه وبياض عينين •

الظاهر ان ومن تاب اي من انشا التوبة فانه يتوب
الى الله اي يرجع الى ثوابه واحسانه قال ابن عطية ومن تاب فانه قد تمسك بامر وثيق كما تقول
لمن يستحسن قوله في امر لقد قلت يا فلان قولا فكذلك الاية معناها مدح المتاب كانه قال فانه يجد
الفرج والمغفرة عظيما وقال الزمخشري ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح
فانه بذلك تايب الى الله الذي يعرف حق التايبين ويفعل بهم ما يستوجبون والله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها ويتوجه بها الى الله وقيل
من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيات وقيل ومن تاب
استقام على التوبة فانه يتوب الى الله اي فهو التايب حقا عند الله والذين لا يشهدون الزور
عاد الى ذكر اوصاف عباد الرحمن والظاهر ان المعنى لا يشهدون بالزور وشهادة الزور قال علي
والباقر فهو من الشهادة وقيل المعنى لا يحضرون من الشهادة والزور الشرك والصنم او الكذب
او الة الغنا او اعياد النصارى او لعبة كانت في الجاهلية او النوح او مجالس يعاب فيها الصالحون

اقوال فالشرك قاله الضحاك وابن زيد والغنا قاله مجاهد والكذب قاله ابن جريج وفي الكشاف
عن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغنا وعن مجاهد اعياد المشركين واللغو كل
ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن
التوقف عليهم والخوض معهم لقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه انتهى بايات ربهم هي القران
لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متوجه الى القيد الذي هو صم وعميان لا للخرور الداخل
عليه وهذا الاكثر في لسان العرب ان النفي يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا
عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكور بها باذان واعية واعين راعية بخلاف غيرهم من
المنافقين واشباههم فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكرهم بها في ظاهر الامر
وكانوا صما وعميانا حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها قال ابن عطية بل يكون خرورهم سجدا
وبكيا كما تقول لم يخرج زيد من الحرب جزعا اي انما خرج جريئا مقدما وكان المستمع للذكر قائم
القناة قويم الامر فاذا اعرض كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان
قد شبه الذي يخر ساجدا لكن اصله انه على غير ترتيب انتهى وقال السدي لم يخروا صما
وعميانا هي صفة للكفار وهي عبارة عن اعراضهم وجهدهم في ذلك وقرن ذلك بقولك قعد فلان
يتمنى وقام فلان يبكي وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطئات في الكلام
والعبارة قرة اعين كناية عن السرور والفرح وهو ماخوذ من القر وهو البرد يقال
دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقال
ابو تمام • فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون الشامتين فقرت •
وقيل هو ماخوذ من القرار اي يقر النظر به ولا ينظر الى غيره وقال ابو عمرو وقرة العين النوم
اي امنا لان الامن لا ياتي مع الخوف حكاه القفال وقرة العين فيمن ذكروا رؤيتهم مطيعين لله
قاله ابن عباس والحسن وحضرمي كانوا في اول الاسلام يهتدي الاب والابن كافر والزوج
والزوجة كافرة وكانت قرة عيونهم في ايمان احبابهم وقال ابن عباس قرة عين الولد ان تراه
يكتب الفقه والظاهر انهم دعوا بذلك يجابوا في الدنيا فيسروا بهم وقيل سالوا ان يلحق الله
بهم اولئك في الجنة ليتم لهم سرورهم انتهى ويتضمن هذا القول الاول الذي هو في الدنيا
لان ذلك نتيجة في الدنيا بما هم في الدنيا ومن الظاهرانها لابتدا الغاية اي هب لنا من جهتهم
ما تقربه عيوننا من طاعة وصلاح وجوز ان تكون للبيان قاله الزمخشري قال كانه قيل هب لنا
قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة
اعين من قولك رايت منك اسدا اي انت اسد انتهى وتقدم لنا ان من التي لبيان الجنس لا بد ان
يتقدم المبين ثم ياتي بمن البيانية وهذا على مذهب من اثبت انها تكون لبيان الجنس والصحيح
ان هذا المعنى ليس بثابت لمن وقرا ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا على الجمع وباقي
السبعة وطلحة على الافراد وقرا عبد الله وابو الدرداء وابو هريرة قرات على الجمع والجمهور
على الافراد ونكرة القرة لتنكير الاعين كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وجا اعين بصيغة
جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لانه اريد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة
الى عيون غيرهم قاله الزمخشري وليس بجيد لان اعين تنطلق على العشرة فما دونها من
الجمع والمتقون ليست اعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة
الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد وافرد اماما اما اكتفا بالواحد عن الجمع
وحسنه كونه فاصلة وهو يدل على الجنس ولا لبس واما لان المعني واجعل كل واحد اماما واما
ان يكون جمع امر كحال وحلال واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا واجعلنا اماما واحدا دعوا
الله ان يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرياسة قاله النخعي وقيل في الاية ما يدل على ان
الرياسة في الدين يجب ان تطلب ونزلت في العشرة المبشرين بالجنة اولئك اشارة
الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة والغرفة اسم معرف بال فيعم اي الغرف كما
جاء وهم في الغرفات امنون وهي العلالي قال ابن عباس وهي بيوت من زبرجد ودر وياقوت
وقيل الغرفة من اسما الجنة وقيل السما السابعة غرفة وقيل هي اعلى منازل الجنة وقيل
المراد العلو في الدرجات والبا في بما صبروا للتسبب وقيل للبدل اي ببدل صبرهم كما قال فليت لي

بهم قوما اذا ركبوا اي فليت لي بدلهم قوما ولم يذكر متعلق الصبر مختصا ليعم جميع متعلقاته
وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر والحرميان وابو عمرو وابو بكر ويلقون بضم اليا وفتح اللام والقاف
مشددة وقرا طلحة ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح اليا وسكون اللام وتخفيف القاف
والتحية دعا بالتعمير والسلام دعا بالسلامة اي تحييهم الملائكة اي يحيي بعضهم بعضا وقيل يحيون
بالتحف جمع لهم بين المنافع والتعظيم حسنت مستقرا ومقاما معادل لقوله في جهنم ساءت مستقرا
ومقاما ولما وصف عباده العباد وعدد ما لهم من صالح الاعمال امر رسوله عليه السلام ان يصرح
للناس بان الاكتثار لهم عند ربهم انما هو للعبادة والدعا في قوله لولا دعاؤكم هو العبادة هو
والظاهر ان ما نفي اي ليس يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم ويجوز ان تكون استفهامية فيها معنى النفي
اي اي عبء يعبا بكم ودعاؤكم مصدر اضيف الى الفاعل اي لولا عبادتكم اياه اي لولا دعاؤكم
وتضرعكم اليه او ما يعبو بعبادتكم لولا دعاؤكم الاصنام الهة وقيل اضيف الى المفعول اي لولا
دعاؤه اياكم على طاعته والذي يظهر ان قوله قل ما يعبو بكم خطاب لكفار قريش القائلين انسجد
لما تامرنا اي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم اليه واستغاثتكم اياه في الشدائد فقد كذبتم بما جاء به
الرسول فتستحقون العقاب فسوف يكون العقاب وهو نتيجة تكذيبكم وفسرهم في حلوله
بلفظة فسوف يكون لزاما لهم لا تنفكون منه وقرا عبد الله وابن عباس وابن الزبير فقد كذب
الكافرون وهو محمول على انه تفسير لا قران والاكثرون على ان اللزام هنا يوم بدر وهو قول
ابن مسعود وابي وقيل عذاب الاخرة وقيل الموت ولا يحمل على الموت المعتاد بل القتل ببدر
وقيل التقدير فسوف يكون هو اي العذاب وقد صرح به من قرا فسوف يكون العذاب لزاما
والوجه ان يترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا
يكتنهه الوصف وعن ابن عباس فسوف يكون هو اي التكذيب لزاما اي لازما لكم لا تعطون توبة
ذكره الزهراوي قال الزمخشري والخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مومنون عابدون
ومكذبون عاصمون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فقد كذبتم يقول اذ اعلمتكم
ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا بعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى
يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن عصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني
ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقرا ابن جريج فسوف تكون
بتا التانيث اي فسوف تكون العاقبة وقرا الجمهور لزاما بكسر اللام وقرا المنهال وابان بن
ثعلب وابو السماك بفتحها مصدر بقول لزم لزوما ولزاما مثل ثبت ثبوتا وثباتا وانشد ابو
عبيدة على كسر اللام لصخر الغي فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقي حتوفهما لزاما ونقل ابن خالويه
عن ابي السماك انه قرا لزام على وزن حذام جعله مصدرا معدولا عن اللزمة كفجار معدول عن
الفجرة الشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شي بقيته الخسيسة وانشد ابو
عبيدة في شراذم النعال وقال اخر •
• جا الشتا وقميصي اخلاق • شراذم يضحك منه •
وقال الجوهري الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من الشي وثوب شراذم اي قطع انتهى
وقيل السفلة من الناس كبكبة قلب بعضه على بعض وحروفها كلها اصول عند جمهور البصريين
وقال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وقال
ابن عطية كبكب مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لان معناهما واحد والتضعيف
في الفعل بين نحو صر وصرصر انتهى وقول الزمخشري وابن عطية هو قول الزجاج وهو انه يزعم
ان نحو كبكبة فيما يفهم المعنى بسقوط ثالثه هو مما ضوعف فيه الفا وذهب الكوفيون الى ان الثالث
بدل من مثل الثاني فكان اصله كبب فابدل من البا الثانية كاف الحميم الولي القريب وحامة
الرجل خاصته وقال الزمخشري الحميم من الاهتمام وهو الذي يهمه ما اهمك
او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص **سورة الشعرا**
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك
ايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت
اعناقهم لها خاضعين وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم

انباما كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى ان ايت القوم الظالمين
قوم فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل
الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا
فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور الا اربع ايات من الشعرا الى اخر
السورة وقاله ابن عباس وعطا وقتادة وقال مقاتل اولم يكن لهم اية الاية مدنية ومناسبة
اولها لاخر ما قبلها انه قال تعالى فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ذكر تلهف رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي كونهم لم يومنوا وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم ولما اوعدهم في اخر السورة بقوله
فسوف يكون لزاما اوعدهم في اول هذه فقال فقد كذبوا فسياتيهم فسوف ياتيهم انباما كانوا
به يستهزءون وتلك اشارة الى ايات السورة او ايات القران واما ل فتحة الطا حمزة والكساى
وابوبكر وباقي السبعة بالفتح وحمزة باظهار نون سين وباقي السبعة بادغامها وعيسى بكسر
الميم من طسم هنا وفي القصص وجا كذلك عن نافع وفي مصحف عبد الله طس م مقطوع وهي
قراة ابي جعفر وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغز والاحاجي فتركت نقله اذ لا دليل على
شي مما قالوه والكتاب المبين هو القران هو بين في نفسه ومبين غيره من الاحكام والشرايع
وساير ما اشتمل عليه او مبين اعجازه وصحة انه من عند الله وتقدم تفسير باخع نفسك في اول
الكهف الا يكونوا اي بيلا يومنوا او خيفة ان لا يومنوا وقرا قتادة وزيد بن علي باخع نفسك
على الاضافة ان نشا ننزل دخلت ان علي نشا وان للممكن او المحقق المنبهم زمانه قال ابن عطية
ما في الشرط من الابهام هو في هذه الاية في حيزنا واما الله تعالى فقد علم انه لا ينزل عليهم اية اضطرار
وانما جعل الله ايات الانبيا والاية الدالة عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه
هداه ويضل من سبق ضلاله وليكون للنظرة كسب به يتعلق الثواب والعقاب واية الاضطرار
تدفع جميع هذا ان لو كانت انتهى ومعنى اية اي ملجية الى الايمان يقهر عليه وقرا ابو عمرو
في رواية هرون عنه ان يشا ينزل على الغيبة اي ان يشا الله ينزل وفي بعض المصاحف
لو شينا لانزلنا وقرا الجمهور فظلت ماضيا بمعنى المستقبل لانه معطوف على ينزل وقرا
طلحة فتظلل واعناقهم قال الزمخشري فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت
اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخشوع وترك الكلام على
اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور انتهى وقال مجاهد وابن زيد والاخفش
جماعاتهم يقال جاني عنق من الناس اي جماعة ومنه قول الشاعر

ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا

وقيل اريد الجارحة فقال ابن عيسى هو على حذف مضاف اي اصحاب الاعناق وروعي هذا المحذوف
في قوله خاضعين حيث جا جمعا للمذكر العاقل او لا حذف ولكنه اكتسى من اضافته للمذكر العاقل
وصفه فاخبر عنه اخباره كما يكتسي المذكر التانيث من اضافته الى المونث في نحو كما شرقت
صدر القناة من الدم او لا حذف ولكنه لما وضعت بفعل لا يكون الا مقصودا للعاقل وهو
الخضوع جمعت جمعه كما جا اتينا طايعين وقرا عيسى وابن ابي عبلة خاضعة وعن ابن عباس
نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية ستكون لنا عليهم الدولة فتذل اعناقهم بعد معوية ويلحقهم
هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث تقدم تفسيره في الانبيا الا كانوا
جملة حالية اي الا يكون عنها وكان يدل على ان ذلك ديدنهم وعادتهم الاعراض عن ذكر الله
قال الزمخشري فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض قلت
كان قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عليهم قدره وصار
عرضة الاستهزاء بالسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن
به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له انتهى فسياتيهم وعيد بعذاب الدنيا
كيوم بدر وعذاب الاخرة ولما كان اعراضهم عن النظر في صانع الوجود وتكذيب ما جاتهم
به رسله من اعظم الكفر وكانوا يجعلون الاصنام الهة نبه تعالى على قدرته وانه الخالق

المنشي

المنشي الذي يستحق العبادة بقوله اولم يروا الى الارض والزوج النوع وقيل الشي وشكله وقيل
ابيض واسود واحمر واصفر وحلو وحامض وقال الفرا الزوج اللون والكريم الحسن قاله مجاهد
وقتادة وقيل ما ياكله الناس والبهايم وقيل الكثير المنفعة وقيل الكريم صفة لكل ما يرضي ويحمد
وجه كريم مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال حتى يشق الصفوف
من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه ويراد الاشيا التي بها قوام الامور والاغذية
والنباتات ويدخل في ذلك الحيوان لانه عن اشيا قال تعالى والله انبتكم من الارض نباتا
قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فبضد ذلك قال
الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل انبتنا فيها من كل زوج كريم قلت قد دل على
الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط منكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى
الجمع وبه نبه على كمال قدرته انتهى وافرد لانه وان كان قد سبق ما دل على الكثرة في الازواج هو
وكم وعلى الاحاطة بالعموم في الازواج لان المشار اليه واحد وهو الانبات وان اختلفت متعلقاته
او اريد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وما كان اكثرهم مومنين مستحيل على اكثرهم بالكفر وان
ربك لهو العزيز الرحيم اي الغالب القاهر ولما كان الموضع موضع بيان القدرة تقدم صفة العزة
على صفة الرحمة فالرحمة اذا كانت عن قدرة كانت اعظم وقعا والمعنى انه عزيز في نقمته من الكفار
ورحيم بمومني كل امة ولما ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق واعراضهم عنه ذكر قصة موسى عليه
السلم وما قاسى مع فرعون وقومه ليكون ذلك مسلاة لما كان يلقاه عليه السلم من كفار قريش وان
كانت قريش قد اتخذت الهة من دون الله وكان قوم فرعون قد اتخذوه الها وكان اتباع ملتزم موسى
عليه السلم هم المهاجرون من امن بالرسول عليه السلم بدا بقصة موسى ثم ذكر بعد ذلك ما ياتي
ذكره من القصص والعامل في اذ قال الزجاج اتل مضمرة اي اتل هذه القصة فيما يتلو
اذ نادى ودليل ذلك واتل عليهم نبا ابراهيم اذ وقيل العامل اذكر وهو مثل واتل ومعنى نادى
دعا وقيل امر وان يجوز ان يكون مصدرية وان تكون تفسيرية وسجل عليهم بالظلم لظلمهم انفسهم
بالكفر وظلم بني اسرايل بالاستعباد وذبح الاولاد وقوم فرعون قيل بدل من القوم الظالمين
والاجود ان يكون عطف بيان لانهما عبارتان تعتقبان على مدلول كل واحد اذ كل واحد عطف البيان
وسوغه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك اتى عطف البيان بازالته
اذ هو اشهر وقرا الجمهور الا يتقون بالياء على الغيبة وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار وشقيق
بن سلمة وحماد بن سلمة وابو قلابة بتا الخطاب على طريقة الالتفات اليهم انكارا وغضبا عليهم
وان لم يكونوا حاضرين لانه مبلغهم ذلك ومكافحهم قال ابن عطية معناه قل لهم فجمع في هذه العبارة
من المعاني نفي التقوى عنهم وامرهم بالتقوى وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون
قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى
عليه السلم من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام
الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
همزة الانكار على الحال انتهى وهذا الاحتمال الذي اورده خطا فاحش لانه جعله حالا من الضمير
في الظالمين وقد اعرب هو قوم فرعون عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي
بينهما لان قوم فرعون معمول لقوله ايت والذي زعم انه حال معمول لقوله الظالمين وذلك
لا يجوز ايضا لعلم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون لم يجز ان تكون الجملة حالا لان ما بعد الهمزة يمتنع
ان يكون معمولا لما قبلها وقولك جيت امسرعا على ان يكون امسرعا حالا من الضمير في جيت لا يجوز
فلو اضمرت عاملا بعد الهمزة جاز وقري بفتح النون وكسرها التقدير افلا يتقونني فحذفت نون
الرفع لالتقا الساكنين ويا المتكلم اكتفا بالكسرة وقال الزمخشري في لا يتقون بالياء وكسر
النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا سجدوا انتهى يعني وحذف الف
يا خطا ونطقا لالتقا الساكنين وهذا تخريج بعيد والظاهر ان الا للعرض المضمن الحض على التقوى
وقول من قال انها للتنبيه لا يصح وكذلك قول الزمخشري انها للنفي دخلت عليها همزة الانكار
ولما كان فرعون عظيم النخوة حتى ادعى الالهية كثير المهابة قد اشربت القلوب الخوف منه
خصوصا من كان من بني اسرايل قال موسى عليه السلم اني اخاف ان يكذبون وقرا الجمهور ويضيق

ولا ينطلق بالرفع فيهما عطفا على اخاف فالمعنى انه يفيد ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر
وامتناع انطلاق اللسان وقرا الاعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وابو حيوة وزايدة عن
الاعمش ويعقوب بالنصب فيهما عطفا على يكذبون فيكون التكذيب وما بعده يتعلق بالخوف
وحكى ابو عمرو الداني عن الاعرج انه قرا بنصب ويضيق ورفع ولا ينطلق وعدم انطلاق اللسان
هو بما يحصل من الخوف وضيق الصدر لان اللسان اذ ذاك يتلجلج ولا يكاد يبين عن مقصود الانسان
وقال ابن عطية وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها الفاظ
محررة فاذا كان هذا في وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان فارسل الى هارون معناه يعينني ويوازرني
وكان هارون عليه السلم فصيحا واسع الصدر فحذف بعض المراد من القول اذ باقيه دال عليه انتهى
وقال الزمخشري ومعنى فارسل الى هارون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به
عضدي وهذا كلام مختصر وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجا بما يتضمن معنى
الاستنبا وقوله انى اخاف الى اخره بعد ان امره الله بان ياتي القوم الظالمين ليس توقفا فيما امره
تعالى به ولكنه طلب من الله ان يعضده باخيه حتى يتما وتابعا انفاذ امره تعالى وتبليغ رسالته
فمهد قبل طلب ذلك عذره ثم طلب وطلب العون دليل على القبول لا على التوقف والتعلل ومفعول
ارسل محذوف فقيل جبريل كما تقدم ذكره وفي الخبر ان الله ارسل موسى الى هرون وكان هرون
بمصر حين بعث الله موسى نبيا بالشام قال السدي سار باهله الى مصر فالتقى بهرون وهو
لا يعرفه فقال انا موسى فتعارفا وامرهما ان ينطلقا الى فرعون لادا الرسالة فصاحت امهما
لخوفها عليهما فذهبا اليه ولهم علي ذنب اي قبلي قود ذنب او عقوبة وهو قتله القبطي الكافر
خباز فرعون بالوكزة التي وكزها او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزا السيئة سيئة وليس قول
موسى ذلك تلكؤا في ادا الرسالة ويدل على ذلك قوله كلا وهي كلمة الردع ثم وعده تعالى بالكلاءة
والدفع وكلا رد لقوله اني اخاف اى لا تخف ذلك فاني قضيت بنصرك وظهورك وقوله فاذهبا
امرهما بخطاب لموسى فقط لان هرون ليس بمتكلم باجماع ولكنه قال لموسى اذهب انت واخوك
قال الزمخشري جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اى اذهب انت والذي طلبته
هرون فان قلت علام عطف قوله اذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى
عن ما تظن فاذهب انت وهرون باياتنا يم جميع ما بعثهما الله به وعظم ذلك العصا وبها وقع العجز
قال ابن عطية ولا خلاف ان موسى هو الذي حمله الله امر النبوة وكلفها وان هرون كان نبيا رسولا
معينا له ووزيرا انتهى ومعكم قيل من وضع الجمع موضع المثنى اي معكما وقيل هو على ظاهره من الجمع
والمراد موسى وهرون ومن ارسلا اليه وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يرجح ان يكون
اريد بصورة الجمع والخطاب موسى وهرون فقط قال لان لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه
لا يقال الله معه وعلى انه اريد بالجمع التثنية حمله س رحمه الله وكانهما لشرفهما عند الله عاملهما
في الخطاب معاملة الجمع اذ كان ذلك جايزا ان يعامل به الواحد لشرفه وعظمته قال ابن
عطية مستمعون اهتبالا ليس في صيغة سامعون والا فليس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع
وانما القصد اظهار التهمم ليعظم انس موسى او يكون الملايكة بامر الله اياها تستمع وقال
الزمخشري معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر
واستمع ما يجرى بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما واكسر شوكته عنكما وانكسه انتهى ويجوز ان يكون
معكم متعلقا بمستمعون وان يكون خبرا ومستمعون خبر ثان والمعية هنا مجاز وكذلك الاستماع
لانه بمعنى الاصغاء ولا يلزم من الاستماع السماع تقول استمع اليه فما سمع واستمع اليه فسمع
كما قال استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا وافرد رسول هنا ولم يثن كما في قوله انا رسولا
ربك اما لانه مصدر بمعنى الرسالة فجاز ان يقع مفردا خبرا لمفرد فما فوقه واما لكونهما
ذوي شريعة واحدة فكانهما رسول واحد او اريد بقوله انا او كل واحد منا رسول
ورسول رب العالمين فيه رد عليه وانه مربوب لله تعالى باداه بنقض ما كان ابرمه من ادعاء
الالوهية ولذلك انكر فقال وما رب العالمين والمعنى اليك وان ارسل يجوز ان تكون تفسيرية
لما في رسول من معنى القول وان تكون مصدرية وارسل بمعنى اطلق وسرح كما تقول ارسلت

الحجر

الحجر من يدي وارسلت الصقر وكان موسى مبعوثا الى فرعون في امرين ارسال بني اسرايل
ليزول عنهم العبودية والايمان بالله وبعث بالعبادات والشرع الى بني اسرايل وارسالهم
معهما كان الى فلسطين وكانت مسكن موسى وهرون قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من
عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرايل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابايكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين قال اولو جيتك بشي مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون ولم يوذن لهما سنة
حتى قال البواب ان هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال له ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا
عليه المعنى تقديره فاتيا فرعون فقولا له ذلك ولما ادى موسى بانه رسول رب العالمين وامره
بارسال بني اسرايل معه اخذ يستحقره ويضرب عن المرسل وعن ما جاء به من عنده ويذكره بحالة
الصغر والمن عليه بالتربية والوليد الصبي وهو فعيل بمعنى مفعول اطلق ذلك عليه لقربه
من الولادة وقرا ابو عمرو في رواية من عمرك باسكان الميم وتقدم ذكر الخلاف في كمية هذه
السنين في طه وقرا الجمهور فعلتك بفتح الفا اذ كانت وكزة واحدة والشعبي بكسر الفا يريد
الهيئة لان الوكزة نوع من القتل عدد عليه نعمة التربية ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث
كان يقتل نظراه من بني اسرايل وذكره ما جرى على يده من قتل القبطي وعظم ذلك بقوله وفعلت
فعلتك التي فعلت لان هذا الابهام بكونه لم يصرح انها القتل تهويل للواقعة وتعظيم شان وانت
من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت اذ ذاك من الكافرين فافترى فرعون بنسبة
هذه الحالة اليه اذ ذاك والانبيا عليهم السلم معصومون ويجوز ان يكون اخبارا مستانفا من
فرعون حكم عليه بانه من الكافرين بالنعمة التي لي عليك من التربية والاحسان قاله ابن زيد
او من الكافرين بي في اني الملك قاله الحسن او من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا هذا
الذي تعيبه الان قاله السدي قال فعلتها اذا اجابه موسى عن كلامه الاخير المتضمن للقتل اذ
كان الاعتذار فيه اهم من الجواب في ذكر النعمة بالتربية لانه فيه ازهاق النفس قال ابن
عطية اذن صلة في الكلام وكانها بمعنى حينيذ ينبغي ان يجعل قوله تفسير معنى اذ لا يذهب احد
الى ان اذن ترادف من حيث الاعراب حينيذ وقال الزمخشري فان قلت اذا جواب وجزا
معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزا قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك
جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده
جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزا انتهى وهذا الذي ذكره من ان اذن جواب وجزا معا هو قول
س لكن الشراح فهموا انها قد تكون جوابا وجزا معا وقد تكون جوابا فقط دون جزاء فالمعنى اللازم
لها هو الجواب وقد تكون مع ذلك جزا وحملوا قوله فعلتها اذن من المواضع التي جات فيها جوابا
لا جزا على ان بعض ايمتنا تكلف هنا كونها جزا وجوابا وهذا كله محرر فيما كتبناه في اذن في شرح
التسهيل وانما اردنا ان نذكر ان ما قاله الزمخشري ليس هو الصحيح ولا قول الاكثرين وانا من
الضالين قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزتي اياه تاتي على نفسه وقال ابو عبيدة من
الناسين ونزع لقوله ان تضل احداهما وفي قراة عبد الله وابن عباس فانا من الجاهلين ويظهر
انه تفسير للضالين لا قراة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري من الفاعلين
فعل اولي الجهل كما قال يوسف لاخوته اذ انتم جاهلون او المخطيين كمن يقتل خطا من غير تعمد
للقتل او الذاهبين عن تلك الصفة انتهى وقيل من الضالين يعني عن النبوة ولم ياتني عن الله
فيه شي فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ ومن غريب ما شرح به ان معنى وانا من الضالين
اي من المحبين لله وما قتلت القبطي الا غيرة لله قيل والضلال يطلق ويراد به المحبة كما في قوله
انك لفي ضلالك القديم اى في محبتك القديمة وجمع ضمير الخطاب في منكم وخفتكم بان كان قد
افرد في تمنها وعبدت لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده وانما منه ومن ملايه المذكورين

قبل ان ارايت القوم الظالمين قوم فرعون وهم كانوا يأتمرون بقتله الا ترى الي قوله ان الملا
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وقرا الجمهور لما حرف وجوب لوجوب على قول س وظرفا بمعني حين
على مذهب الفارسي وقرا حمزة في رواية لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لخوفكم وقرا عيسي
حكما بضم الكاف والجمهور باسكانها والحكم النبوة وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب
نبي ليس برسول وقيل الحكم العلم والفهم وتلك نعمة تمنها علي وتلك اشارة الي المصدر
المفهوم من قوله الم نربك فينا وليدا او ذكر بهذا اخرا على مابدا به فرعون في قوله الم نربك
والظاهر ان هذا الكلام اقرار من موسي عليه السلم بالنعمة كانه يقول وتربيتك لي نعمة علي من
حيث عبدت غيري وتركتني واتخذتني ولدا ولكن لا يدفع ذلك رسالتي والي هذا التاويل
ذهب السدي والطبري وقال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه ان يكون نعمة كانه يقول او
يصح لك ان تعتد علي بنعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرايل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان
الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك وقرا الضحاك
وتلك نعمة ما لك ان تمنها وهذه قراة تويد هذا التاويل وهذا التاويل فيه مخالفة لفرعون
ونقض كلامه كله والقول الاول فيه انصاف واعتراف وقال الاخفش والفرا قيل اول الواو
همزة استفهام يراد به الانكار وحذفت لدلالة المعني عليها ورده النحاس بانها لا تحذف لانها
حرف يحدث معها معني الا ان كان في الكلام ام لا خلاف في ذلك الا شيا قاله الفرا من انه
يجوز حذفها مع افعال الشك وحكي ترى زيدا منطلقا بمعنى أترى وكان الاخفش الاصغر يقول
اخذه من الفاظ العامة وقال الضحاك الكلام اذا خرج مخرج التبكيت يكون باستفهام
وبغير استفهام والمعنى لو لم يقتل بني اسرايل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي بما لا
يجب ان تمن به وقيل اتخاذك بني اسرايل عبيدا احبط نعمتك التي تمن بها وقال الزمخشري
وابى يعني موسي عليه السلم ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني اسرايل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنايهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد
قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا
اتخذته عبدا قال الشاعر

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاوا وعبدان

فان قلت وتلك اشارة الي ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الي
خصلة شنعا مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان الملك ونظيره
قوله تعالي وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرايل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج يجوز ان يكون في موضع نصب المعنى انها صارت نعمة علي لان عبدت
بني اسرايل اي لو لم تفعل لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم انتهي وقال الحوفي ان عبدت في موضع نصب
مفعول من اجله وقال ابو البقا بدل ولما اخبر موسي فرعون بانه رسول رب العالمين لم يسال
اذ ذاك فيقول وما رب العالمين بل اخذ في المدلها وتذكارا للتربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي
فلما اجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية والقتل وكان في قوله رسول رب العالمين دعا الي
الاقرار بربوبية الله والى طاعة رب العالم فاخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسي انه رسول
من عنده والظاهر ان سواله انما كان علي سبيل المباهتة والمكاثرة والمرادة وكان عالما بالله
ويدل عليه لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض بصاير ولكنه تعامي عن ذلك طلبا
للرياسة ودعوى الالهية واستفهم بما استفهاما عن مجهول من الاشيا قال مكي كما يستفهم عن الاجناس
وقد ورد له استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن انتهي والموضع الاخر قوله فمن ربكما
يا موسي ولما ساله فرعون وكان السوال بما التي هي سوال عن الماهية ولم يمكن الجواب بالماهية
اجاب بالصفات التي يبين للسامع انه مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض
وما بينهما وقال الزمخشري وهذا السوال لا يخلو ان يريد به اي شي من الاشيا التي شوهدت
وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس مما شوهد وعرف من
الاجرام والاعراض وانه شي مخالف لجميع الاشيا ليس كمثله شي واما ان يراد انه شي علي الاطلاق
تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي فاجاب بان الذي سالت عنه ليس اليه سبيل وهو الكافي في معرفته

معرفته

معرفته بيانه بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة علي ذلك واما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي
هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسايل عنه متعنت غير طالب للحق والذي
يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سواله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعايه
الالهية انتهي ولا يظهر ان فرعون كان سواله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه الا ترى
انه يعلم حدوثه بعد القدم وانه محل للحوادث ويعلم انه لم يدع الالهية الا في محل ملكه مصر وانه
لم يكن ملك الارض بل كان فيها ملوك غيره وانبيا في ذلك الزمان يدعون الي الله كشعيب
عليه السلم وانه كان مقرا بالله تعالي في باطن امره وجا قوله وما بينهما على التثنية والعايد
عليه الضمير مجموع اعتبارا للجنسين جنس السما وجنس الارض كما ثني المظهر في قوله بين
رماحي مالك ونهشل اعتبارا للجنسين وقال ابو عبد الله الرازي يحتمل ان يقال كان عالما بالله
ولكنه قال ما قال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر تعالي في كتابه ما يدل على انه كان عارفا بالله وهو
قوله لقد علمت الاية ويحتمل انه كان على مذهب الدهرية من ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها
وان حركاتها اسباب لحصول الحوادث لا بالفاعل المختار ثم اعتقد انه بمنزلة الاله لاهل اقليمه من حيث
استبعدهم وملك زمام امورهم ويحتمل ان يقال كان على مذهب الحلولية القايلين بان ذات الاله
تقترن بجسد انسان معين حتى يكون الاله سبحانه بمنزلة روح كل انسان بالنسبة الي جسده
وبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الها انتهى ومعني ان كنتم موقنين ان كان يرجى منكم الايقان
الذي يودي الي النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وان لا لم ينفعكم او ان كنتم موقنين بشي قط
فهذا اولي ما توقنون به لظهوره وانارة دليله وهذه المحاورة من فرعون يدل علي ان موسي عليه
السلم دعاه الي التوحيد قال لمن حوله هم اشراف قومه قيل كانوا خمس مائة رجل عليهم الاساور
وكانت للملوك خاصة الا تستمعون اي الا تصغون الي هذه المقالة اغرا به وتعجبا اذ كانت
عقيدتهم ان فرعون ربهم ومعبودهم قال ابن عطية والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها
في مصر وديارها الي اليوم بقية انتهي يشير الي ما ادركه في عصره من ملوك العبيديين الذين
اتباعهم تدعي فيهم الالهية واقاموا ملوكا بمصر من زمان المعز الي زمان العاضد الي ان محي
الله دولتهم بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي رضي الله عنه فلقد
كانت له ماثر في الاسلام منها فتح بيت المقدس وبلاد كثيرة من سواحل الشام كان النصارى
مستولين عليها فاستنقذها منهم قال ربكم ورب ابايكم الاولين نبههم على منشيهم ومنشي
ابايهم وكان في قوله الاولين دلالة على اماتتهم بعد ايجادهم وانتقل من الاستدلال بالعام الي
ما يخصهم ليكون اوضح لهم في بيان بطلان دعوى فرعون الالهية اذ كان اباوهم الاولون تقدموا
فرعون في الوجود فمحال ان يكون وهو في العدم الها لهم قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال ابو عبد الله الرازي التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا اعدل موسي عليه السلم من الكلام
الاول اليه اذ كان لا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه وفي ابايه كونهم واجبي الوجود لذواتهم
لان المشاهدة دلت علي وجودهم بعد عدمهم وعدمهم بعد وجودهم فعند ذلك قال فرعون
ما قال يعني ان المقصود من سوال ما طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه
الاثار الخارجية لا تفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال
فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسي عليه السلم رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون
فعدل الي طريق اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد
بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وهذا التقدير المستمر علي الوجه العجيب لا يتم
الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابرهيم عليه السلم مع نمروذ فانه استدل اولا بالاحيا
والاماتة وهو الذي ذكره موسي عليه السلم هنا بقوله ربكم ورب ابايكم الاولين فاجابه
نمروذ بقوله انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسي عليه السلم هنا بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من العقلا عرفتم انه لا جواب عن السوال الا ما ذكرت انتهي وفيه
بعض تلخيص وقال ابن عطية زاده موسي عليه السلم في بيان الصفات التي تظهر نقص فرعون
وتبين انه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولا يكن لفرعون الا

ملك مصر من البحر الي اسوان وارض الاسكندرية وقرا مجاهد وحميد والاعرج ارسل اليكم
على بنا الفاعل اي ارسله ربه اليكم وقرا عبد الله واصحابه والاعمش رب المشارق والمغارب
على الجمع فيهما ولما انقطع فرعون في باب الاحتجاج رجع الى الاستعلا والغلب وهذا ابين
علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين اعياه خطابه قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين وقال الزمخشري لما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث
نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم
فلما ثلث احتد واحتدم وقال لين اتخذت الها غيري فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين
واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راي شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى
عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك
اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤديا مؤداه فلا لان
معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه
في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل
انتهى ولما كان عند موسى عليه السلم من امر فرعون ما لا يروعه معه توعد فرعون قال له
على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جيتك بشي مبين اي يوضح لك صدقي افكنت تسجنني
قال الزمخشري اولو جيتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك
ولو جيتك بشي مبين انتهى وتقدم لنا الكلام على هذا الواو الداخلة على لو في مثل هذا السياق
في قوله او لو كان اباوهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فاغنى عن اعادته وقال الحوفي واو العطف
دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير والمعنى اتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسب ان اسجن
وانا ملتبس بها ولما سمع فرعون هذا من موسى طمع ان يجد موضع معارضة فقال له فات بها ان كنت
من الصادقين ان لك ربا بعثك رسولا الينا قال الزمخشري وفي قوله ان كنت من الصادقين دليل
على انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم
لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه مثل هذا وخفي على ناس من اهل القبلة
حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى وتقديره ان كنت من
الصادقين فات به حذف الجزا لان الامر بالاتيان يدل عليه وقدره الزمخشري ان كنت من الصادقين
في دعواك اتيت به جعل الجواب المحذوف فعلا ماضيا ولا يقدر الا من جنس الدليل بقولهم انت
ظالم ان فعلت تقديره انت ظالم ان فعلت فانت ظالم وقال الحوفي ان حرف شرط يجوز ان يكون ما يتقدم
جوابه وجاز تقديم الجواب لان حرف الشرط لم يعمل في اللفظ شيا ويجوز ان يكون الجواب محذوفا تقديره
فات به وقول الزمخشري حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات اشارة الى انكار الكرامات التي
ذهبت اهل السنة الى اثباتها والمعجز عندهم هو ما كان خارقا للعادة ولا يكون الا لنبي او في زمان نبي ان جرى
على يد غيره فتكون معجزة لذلك النبي او على سبيل الارهاص لنبي فالقا عصاه اي رماها من يده وتقدم
الكلام على عصى موسى عليه السلم والثعبان اعظم ما يكون من الحيات ومعنى مبين ظاهر الثعبانية ليست
من الاشيا التي تزور بالشعبذة والسحر ونزع يده من جيبه فاذا هي تتلالا كانها قطعة من الشمس
ومعنى للناظرين اي بياضها تجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا
روي انه لما ابصر امر العصا قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال يدك فادخلها في ابطه ثم
نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى
موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
اول المومنين قال ابن عطية والنصب حوله على الظرف وهو في موضع الحال اي كاينين حوله فالعامل فيه

محذوف والعامل فيه هو الحال حقيقة والناصب له قال لانه هو العامل في ذي الحال بوساطة لام
الجر نحو مررت بهند ضاحكة والكوفيون يجعلون الملا موصولا فكانه قيل قال للذي حوله فلا موضع للعامل
في الظرف لانه وقع صلة وقال الزمخشري فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب
في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وذلك استقروا حوله وهذا يقدر
في جميع الظروف والعامل في المحلي وهو النصب على الحال انتهى وهو تكثير وشقشقة كلام في امر واضح
من اوايل علم العربية ولما راى فرعون امر العصا واليد وما ظهر فيهما من الايات هاله ذلك ولم يكن
له فيه مدفع فنزع الى رميه بالسحر وطمع لغلبة علم السحر في ذلك الزمان او يكون ثم من يقاومه او كان علم
صحة المعجزة وغطى تلك الحجة على قومه برميه بالسحر وبانه يريد ان يخرجكم بسحره ليقوي تنفيرهم
عنه واستغاثهم الغوايل له وان لا يقبلوا قوله اذ من اصعب الاشيا على النفوس مفارقة الوطن
الذي نشاوا فيه ثم استامرهم بما يفعل معه ذلك لما حل به من التحير والدهش وانحطاطه عن مرتبة
الوهية الى ان صار يستشيرهم في امره فيامرونه بما يظهر لهم فيه فصار مامورا بعد ان كان امرا وتقدم
الكلام في ماذا تامرون وفي الالفاظ الذي وافقت ما في سورة الاعراف فاغنى عن اعادته ولما قال
ان هذا لساحر عليم عارضوا بقوله بكل سحار عليم فجاوا بكلمة الاستغراق والبنا الذي للمبالغة لينفسوا
عنه بعض ما لحقه من الكرب وقرا الاعمش وعاصم في رواية بكل ساحر واليوم المعلوم يوم الزينة
وتقدم الكلام عليه في سورة طه وقوله هل انتم مجتمعون استبطا لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم
كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل اليه ان
الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا • او عبد رب اخا عون بن مخراق

يراد بعثه الينا سريعا ولا تبطي به ونرجو اتباع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى
في دينه وسياق الكلام سياق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه السلم ودخلت اذن
هنا بين اسم ان وخبرها وهي جواب وجزا وبعزة فرعون الظاهر ان البا للقسم وفعل القسم الذي
تتعلق به البا محذوف وعدلوا عن الخطاب الى اسم الغيبة تعظيما كما يقال للملوك امر مولانا رضي الله عنهم
بكذا فيخبر عنه اخبار الغايب وهذا من نوع ايمان الجاهلية وقد سلك كثير من المسلمين في الايمان
ما هو اشنع من ايمان الجاهلية لا يرضون بالقسم بالله ولا يعتدون به حتى يحلف احدهم بنعمة السلطان
وبراس المحلف فحينيذ يستوثق منه وقال ابن عطية بعد ان ذكر انه قسم قال والاجرى ان يكون على
جهة التعظيم والتبرك باسمه اذ كانوا يعبدونه كما تقول اذا ابتدات بعمل شي بسم الله وعلى بركة
الله ونحو هذا وبين قوله قال لهم موسى وقوله لمن المقربين كلام محذوف وهو ما ثبت في الاعراف
من تخييرهم اياه في البداة من يلقي قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقا ما هو لو صرح به قلت
هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او بما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا
لان القوا بمعنى خروا وسقطوا انتهى وهذا القول الاخير ليس بشي لانه لا يمكن ان يبنى الفعل للمفعول
الذي لم يسم فاعله الا وقد حذف الفاعل فناب ذلك عنه اما انه لا يقدر فاعل فقول ذاهب عن
الصواب وقال ابن عطية قرا البزي وابن فليح عن ابن كثير بشد التا وفتح اللام وشد القاف
ويلزم على هذه القراة اذا ابتدا ان يجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الافعال
المضارعة كما لا تدخل على اسما الفاعلين انتهى كانه يخيل انه لا يمكن الابتدا بالكلمة الا باجتلاب
همزة الوصل وليس ذلك بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل
ومن له تمرن في القراات عرف ذلك قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا في وقوع ما وعدتنا به من قطع الايدي
والارجل والتصليب بل لنا فيه المنفعة التامة بالصبر عليه يقال ضاره يضيره ضيرا وضاره يضوره
ضورا انا الى ربنا اي الى عظيم ثوابه او لا ضير علينا اذ انقلابنا الى الله بسبب من اسباب الموت
والقتل اهون اسبابه وقال ابو عبد الله الرازي لما امنوا باجمعهم لم يامن فرعون ان يقول قومه
لم تومن السحرة على كثرتهم الا عن معرفة بصحة امر موسى فيومنون فبالغ في التنفير من جهة
قوله امنتم له قبل ان اذن لكم موهما ان مسارعتهم للايمان دليل على ميلهم اليه قبل وبقوله انه لكبيركم
صرح بما رمزه اولا من مواطاتهم وتقصيرهم ليظهر امر كبيرهم وبقوله فلسوف تعلمون حيث
اوعدهم وعيدا مطلقا وبتصريحه بما هددهم به من العذاب فاجابوا بان ذلك ان وقع لن يضير

وفي قولهم انا الى ربنا منقلبون نكتة شريفة وهو انهم لا رغبة ولا رهبة انما قصدوا محض
الوصول الى مرضات الله والاستغراق في انوار معرفته انتهى ملخصا ويدفع هذا الاخير قولهم
انا نطمع الى اخره ولا يكون ذلك الا من خوف تبعات الخطايا والظاهر بقاء الطمع على بابه كقوله
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وقيل يحتمل اليقين قيل كقول ابرهيم عليه السلم
والذي اطمع وقرا الجمهور ان كنا بفتح الهمزة وفيه الجزم بايمانهم وقرا ابان بن تغلب وابو
معاذ ان كنا بكسر الهمزة قال صاحب اللوامح على الشرط وجاز حذف الفاء من الجواب لانه متقدم
وتقديره ان كنا اول المومنين فانا نطمع وحسن الشرط لانهم لم يتحققوا ما لهم عند الله من
قبول الايمان انتهى وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وابي زيد والمبرد حيث يجيزون
تقديم جواب الشرط عليه ومذهب جمهور البصريين ان ذلك لا يجوز وجواب مثل هذا الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وقال الزمخشري هو من الشرط الذي يجي به المدل بامره
المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين ونظيره قول العامل لمن يوخر جعله
ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم
يخرجوا الا لذلك وقال ابن عطية معني ان طمعهم انما هو بهذا الشرط انتهى ويحتمل ان تكون
ان هي المخففة من الثقيلة وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على انهم مومنون فلا يحتمل النفي
والتقدير ان كنا لاول المومنين وفي الحديث ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل اي
ليحب وقال الشاعر

ونحن اباة الضيم من ال مالك ● وان مالك كانت كرام المعادن

اي وان مالك لكانت كرام المعادن واول يعني اول المومنين من القبط او اول المومنين من حاضري
ذلك المجمع وقال الزمخشري وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم وهذا لا يصح لان بني اسرايل
كانوا مومنين قبل ايمان السحرة واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون
في المداين حاشرين ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل فاتبعوهم مشرقين فلما ترى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم الخلاف في اسر وانه قري
بوصل الهمزة وبقطعها في سورة هود وقرا اليماني ان سر امرا من سار يسير امر الله موسى عليه
السلم ان يخرج من بني اسرايل ليلا من مصر الى تجاه البحر واخبره انهم سيتبعون فخرج سحرا عاجلا
طريق الشام على يساره وتوجه نحو البحر فيقال له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح
علم فرعون بسري موسى ببني اسرايل فخرج في اثرهم وبعث الى مداين مصر ليلحقه العساكر وذكر
اعدادا في اتباع فرعون وفي بني اسرايل الله اعلم بصحته ذلك ان هولا لشرذمة اي قال ان هولا
ووصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب قليلا جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على
انه اقلة وقلل والظاهر تقليل العدد قال الزمخشري ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماة ولا
يريد قلة العدد والمعني انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج
علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من
قهره وسلطانه انتهى قال ابو حاتم وقرا من لا يوخذ عنه لشرذمة قليلون وليست هذه موقوفة
انتهى يعني ان هذه القراءة ليست موقوفة على احد رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لغايظون اي بخلافهم واخذهم الاموال حين استعاروها فلم يردوها وخرجوا هاربين وقرا
الكوفيون وابن ذكوان وزيد بن علي حاذرون بالالف وهو الذي قد اخذ يحذر ويجدد حذره
وحذر متعد قال تعالى يحذر الاخرة وقال العباس بن مرداس

واني حاذر انمي سلاحي ● الى اوصال ذيال منيع

وقرا باقي السبعة بغير الف وهو المتيقظ وقال الزجاج مودون اي ذو اداوات وسلاح اي
متسلحين وقيل حذرون في الحال وحاذرون في المال وقال الفرا الحاذر الخايف ما يري والحذر

المخلوق

المخلوق حذرا وقال ابو عبيدة رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى واحد وذهب س الى ان حذرا يكون
للمبالغة وانه يعمل كما يعمل حاذر فينصب المفعول به وانشد

حذر امورا لا تضير وآمن ● ما ليس منجيه من الاقدار

وقد نوزع في ذلك بما هو مذكور في كتب النحو وعن الفرا ايضا والكسائي رجل حذر اذا كان الحذر
في خلقته فهو متيقظ منتبه وقرا سميط بن عجلان وابن ابي عمار وابن السميفع حادرون بالدال
المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة والحادر المتورم قال ابن عطية فالمعنى ممتليون غيظا
وانفة وقال ابن خالويه الحادر السمين القوي الشديد يقال غلام حدر بدر وقال صاحب
اللوامح حدر الرجل قوي باسه يقال منه رجل حدر بدر اذا كان شديد الباس في الحرب ويقال
رجل حدر بضم الدال للمبالغة مثل يقظ وقال الشاعر

احب الصبي السوء من اجل امه ● وابغضه من بغضها وهو حادر

اي سمين قوي وقيل مدججون في السلاح فاخرجناهم الضمير عايد على القبط من جنات وعيون بحافتي
النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والجمهور على انها عيون الماء وقال ابن جبير المراد
عيون الذهب وكنوز هي الاموال التي خزنوها قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم ينفق في طاعة الله
قط وقال الضحاك الكنوز الانهار قال صاحب التحبير وهذا فيه نظر لان العيون تشملها وقيل
هي كنوز المقطم ومطالبه قال ابن عطية هي باقية الى اليوم انتهى واهل مصر في زماننا في غاية
الطلب لهذه الكنوز التي زعموا انها مدفونة في المقطم فينفقون على حفر هذه المواضع في المقطم
الاموال الجزيلة ويبلغون في العمق الى اقصى غاية ولا يظهر لهم الا التراب او حجر الكدان الذي
المقطم مخلوق منه واي مغربي يرد عليهم سالوه عن علم المطالب فكثير منهم يضع في ذلك اوراقا
ليا كلوا اموال المصريين بالباطل ولا يزال الرجل منهم يذهب ماله في ذلك حتى يفتقر وهو
لا يزداد الا طلبا لذلك حتى يموت وقد اقمت بين ظهرانيهم الى حين كتابة هذه الاسطر نحوا من
خمسة وعشرين عاما فلم اعلم ان احدا منهم حصل على شي غير الفقر وكذلك رايهم في تغوير الماء
يزعمون ان ثم ابارا وانه يكتب اسما في شقفة فتلقي في البير فيغور الماء وينزل الى باب في البير يدخل
منه الى قاعة مملوة ذهبا وفضة وجوهرا وياقوتا فهم دايما يسالون من يرد من المغاربة عن من
يحفظ تلك الاسما التي تكتب في الشقفة فياخذ شياطين المغاربة منهم مالا جزيلا ويستاكلونهم
ولا يحصلون على شي غير ذهاب اموالهم ولهم اشيا من نحو هذه الخرافات يركنون اليها ويقولون
بها وانما اطلت في هذا على سبيل التحذير لمن يعقل وقوله تعالى ومقام كريم قال ابن لهيعة هو
الفيوم وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو المنابر للخطباء وقيل الاسرة في الكلل وقيل مجالس
الامرا والاشراف والحكام وقال النقاش المساكن الحسان وقيل مرابط الخيل حكاه الماوردي وقرا
قتادة والاعرج ومقام بضم الميم من اقام كذلك قال الزمخشري يحتمل ثلثة اوجه النصب على
اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي ومقام كريم مثل ذلك المقام
الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك انتهى فالوجه الاول لا يسوغ
لانه يوول الى تشبيه الشي بنفسه وكذلك الوجه الثاني لان المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم
ولا يشبه الشي بنفسه والظاهر ان قوله واورثناها بني اسرايل انهم ملكوا ديار مصر بعد غرق
فرعون وقومه لانه اعتقب قوله واورثناها قوله فاخرجناهم وقاله الحسن قال كما عبروا النهر
رجعوا وورثوا ديارهم واموالهم وقيل ذهبوا الى الشام وملكوا مصر زمن سليمن وقرا الجمهور
فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرا الحسن والذماري فاتبعوهم بوصل الالف وشد التا مشرقين
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح دخل في وقت الصباح
وامسى دخل في وقت المسا وقال ابو عبيدة فاتبعوهم نحو المشرق كانجد اذا قصد نحو نجد والظاهر
ان مشرقين حال من الفاعل وقيل مشرقين اي في ضياء وكان فرعون وقومه في ضباب وظلمة تحيروا
فيها حتى جاوز بنو اسرايل البحر فعلى هذا يكون مشرقين حالا من المفعول فلما ترى الجمعان
اي راى احدهما الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون اي ملحقون قالوا ذلك حين راوا العدو القوي
وراهم والبحر امامهم وساءت ظنونهم وقرا الاعمش وابن وثاب ترای الجمعان بغير همز على مذهب
التخفيف بين بين ولا يصح القلب لوقوع الهمزة بين الفين احدهما الف تفاعل الزايدة بعد الفاء

الثانية اللام المعتلة من الفعل فلو خففت بالقلب لاجتمع ثلث الفات متسقة وذلك مما لا
يكون ابدا قاله ابو الفضل الرازي وقال ابن عطية وقرى حمزة تراي بكسر الرا وبمد ثم بهمز
وروي مثله عن عاصم وروى عنه ايضا مفتوحا ممدودا والجمهور يقرونه مثل تراعي وهذا قول
الصواب لانه تفاعل وقال ابو حاتم وقراة حمزة هذا الحرف محال وحمل عليه قال وما روي عن
ابن وثاب والاعمش خطا انتهى وقال الاستاذ ابو جعفر احمد بن الاستاذ ابي الحسن علي بن احمد
بن خلف الانصاري هو ابن الباذش في كتاب الاقناع من تاليفه ترا اي الجمعان في الشعرا اذا
وقف عليها حمزة والكسائي اما لا الالف المنقلبة عن لام الفعل وحمزة يميل الف تفاعل وصلا
ووقفا لامالة الالف المنقلبة ففي قراته امالة لامالة وفي هذا الفعل وهي راى اذا استقبله
الف وصل لمن امال للامالة حذف السبب وابقا المسبب كما قالوا صعقي في النسب الى الصعق
وقرا الجمهور لمدركون باسكان الذال والاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر
الراء على وزن متفعلون وهو لازم بمعنى الفنا والاضمحلال يقال منه ادرك الشي بنفسه اذا
فني تتابعا ولذلك كسرت الراء على هذه القراة نص على كسرها ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح
والزمخشري في كشافه وغيرهما وقال ابو الفضل الرازي وقد يكون ادرك على افتعل بمعنى افعل
متعديا فلو كانت القراة من ذلك لوجب فتح الرا ولم يبلغني ذلك عنهما يعني عن الاعرج وعبيد
بن عمير قال الزمخشري المعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد ومنه بيت
الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحيوة ام من الموت اجزع قال كلا ان معي ربي سيهدين
زجرهم وردعهم بحرف الردع وهو كلا والمعنى لن يدركوكم لان الله وعدكم بالنصر والخلاص منهم
ان معي ربي سيهدين عن قريب الى طريق النجاة ويعرفنيه وقيل سيكفيني امرهم ولما انتهى موسى
الى البحر قال له مومن ال فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت وهذا البحر امامك وقد غشيك
ال فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع وروايت هذه المقالة عن يوشع قالها
لموسى عليه السلم فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فخاض يوشع الما وضرب موسى بعصاه
فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق اراد تعالى ان يجعل هذه الاية متصلة بموسى
ومتعلقة بفعل فعله ولكنه بقدرة الله اذ ضرب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته
ولو شا تعالى لفلقه دون ضربه بالعصا وتقدم الخلاف في مكان هذا البحر فانفلق ثم محذوف
تقديره فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور في مثل هذا التركيب ان المحذوف هو ضرب وفا انفلق
والفا في فانفلق هي فا فضرب فابقي من كل ما يدل على المحذوف ابقيت الفا من فضرب واتصلت
بانفلق ليدل على ضرب المحذوفة وابقي انفلق ليدل على الفا المحذوفة منه وهذا قول شبيه بقول
صاحب البرسام ويحتاج الى وحي يسفر عن هذا القول واذا انظرت القران وجدت جملا كثيرة
محذوفة وفيها الفا نحو قوله فارسلون يوسف ايها الصديق اي فارسلوه فقال يوسف ايها
الصديق والفرق الجزء المنفصل والطود الجبل العظيم المنطاد في السما وحكى يعقوب عن بعض
القراء انه قرا كل فلق باللام عوض الرا وازلفنا اي قربنا ثم اي هنالك وثم ظرف مكان للبعد
الاخرين اي قوم فرعون اي قربناهم ولم يذكر من قربوا منه فاحتمل ان يكون المعنى قربناهم
حيث انفلق البحر من بني اسرايل او قربنا بعضهم من بعض حتى لا ينجو احد او قربناهم من البحر
وقرا الحسن وابو حيوة وزلفنا بغير الف وقرا ابي وابن عباس وعبد الله بن الحرث وازلقنا
بالقاف عوض الفا اي ازللنا قال صاحب اللوامح قيل من قرا بالقاف صار الاخرين فرعون وقومه
ومن قوي بالعامة يعني بالقراة العامة والاخرون هم موسى واصحابه اي جمعنا شملهم وقربناهم
بالنجاة انتهى وفي الكلام حذف تقديره ودخل موسى وبنو اسرايل البحر وانجينا قيل دخلوا هو
البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا منها بعد مسافة وكان بين موضع الدخول وموضع
الخروج اوعار وجبال لا تنسلك ان في ذلك لاية اي لعلامة واضحة عاينها الناس وشاع امرها
قال الزمخشري وما كان اكثرهم مومنين اي ما تنبه اكثرهم عليها ولا امنوا وبنو اسرايل الذين
كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجا قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا
روية الله جهرة انتهى والذي يظهر ان قوله وما كان اكثرهم مومنين اي اكثر قوم فرعون
وهو القبط اذ قد امن السحرة وامنت اسية امراة فرعون ومومن ال فرعون وعجوز اسمها

مريم دلت موسى على قبر يوسف واستخرجوه وحملوه معهم حين خرجوا من مصر واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من
الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا
فيها هم والغاون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم لما كانت العرب لها خصوصية
بابرهيم عليه السلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه ولم يات
في قصة من قصص هذه السورة امره عليه السلم بتلاوة قصة الا في هذه واذ العامل فيه قال
الحوفي اتل ولا يتصور ما قال الا باخراجه عن الظرفية وجعله بدلا من نبا واعتقادا ان العامل في البدل
والمبدل منه واحد وقال ابو البقا العامل في اذ نبا والظاهر ان الضمير في وقومه عايد على ابرهيم
وقيل على ابيه اي وقوم ابيه كما قال اني اراك وقومك في ضلال مبين وما استفهام بمعنى التحقير
والتقدير وقد كان ابرهيم عليه السلم يعلم انهم عبدة اصنام ولكن سالهم ليريهم ان ما كانوا يعبدونه
ليس مستحقا للعبادة لما ترتب على جوابهم من اوصاف معبوداتهم التي هي منافية للعبادة ولما سالهم
عن الذي يعبدونه ولم يقتصروا على ذكره فقط بل اجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطف عليه من تمام
صفتهم مع معبودهم فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين على سبيل الابتهاج والافتخار فاتوا بقصتهم
معهم كاملة ولم يقتصروا على ان يجيبوا بقولهم اصناما كما جا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ويسالونك ماذا
ينفقون قل العفو ولذلك عطفوا على ذلك الفعل قولهم فنظل قال كما تقول لرييس ما يلبس فقال
البس مطرف الخز فاجز يوله بزيد الجواب وما له مع ملبوسه وقالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونهم
بالنهار دون الليل ولما اجابوا ابرهيم اخذ يوقفهم على قلة عقولهم باستفهامه عن اوصاف مسلوبة عنهم
لا يكون ثبوتها الا لله تعالى وقرا الجمهور يسمعونكم من سمع وسمع ان دخلت على مسموع تعدت الى
واحد نحو سمعت كلام زيد وان دخلت على غير مسموع فمذهب الفارسي انها تتعدى الى اثنين وشرط
الثاني منهما ان يكون مما يسمع نحو سمعت زيدا يقرا والصحيح انها تتعدى الى واحد وذلك الفعل
في موضع الحال والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو وهنا لم تدخل الا على واحد ولكنه ليس
بمسموع فتاولوه على حذف مضاف تقديره هل يسمعونكم تدعون وقيل هل يسمعونكم بمعنى يجيبونكم
وقرا قتادة ويحيى بن يعمر بضم اليا وكسر الميم من اسمع والمفعول الثاني محذوف تقديره الجواب
او الكلام واذ ظرف لما مضى فاما ان يتجاوز فيه فيكون بمعنى اذا واما ان يتجاوز في المضارع فيكون قد
وقع موقع الماضي فيكون التقدير هل سمعوكم اذ دعوتم وقد ذكر اصحابنا ان من قراين صرف المضارع
الى الماضي اضافة اذ الى جملة مصدرة بالمضارع ومثلوا بقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه اي
واذ قلت وقال الزمخشري وجا مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها وقولوا هل سمعوا او سمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت انتهى وقرئ باظهار ذال اذ وبادغامها
في تا تدعون قال ابن عطية ويجوز فيه قياس مذكر ولم يقرا به احد والقياس ان يكون اللفظ به اذ
دعون والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل بكثرت المتماثلات انتهى
وهذا الذي ذكروا انه يجوز فيه قياس مذكر لا يجوز لان ذلك الابدال وهو ابدال التا دالا لا يكون
الا في افتعل مما فاوه ذال او زاي او دال نحو اذدكر وازدجر وادهن اصله اذتكر وازتجر وادتهن
او جيم شذوذا قالوا اجدمع في اجتمع ومن تا الضمير بعد الزاي والدال ومثلوا بتا الضمير للمتكلم
فقالوا في فزت فزد وفي جلدت جلد ومن تا تولج شذوذا قالوا دولج وتا المضارعة ليس شيا مما ذكرنا
فلا تبدل تاوه دالا وقول ابن عطية والذي منع من هذا اللفظ الى اخره يدل على انه لولا ذلك لجاز ابدال
تا المضارعة دالا وادغام الذال فيها فكنت تقول اذ تخرج اد خرج وذلك لا يقوله احد بل اذا ادغم

مثل هذا ابدل من الذال تا وادغم في التا فتقول اتخرج او ينفعونكم بتقربكم اليهم ودعايكم اياهم
او يضرون بترك عبادتكم اياهم فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها قالوا بل وجدنا هذه
حيدة عن جواب الاستفهام لانهم لو قالوا يسمعوننا وينفعوننا ويضروننا لفضحوا انفسهم بالكذب
الذي لا يمترى فيه لو قالوا يسمعوننا ولا يضروننا اسجلوا على انفسهم بالخطا المحض فعدلوا
الى التقليد البحت لابايهم في عبادتها من غير برهان ولا حجة والكاف في موضع نصب بيفعلون اي
يفعلون في عبادتهم تلك الاصنام مثل ذلك الفعل الذي يفعله وهو عبادتهم والحيدة عن الجواب
من علامات انقطاع الحجة وبل هنا اضراب عن جوابه لما سال واخذ في شي اخر لم يسالهم عنه انقطاعا
واقرارا بالعجز واباوكم الاقدمون وصفهم بالاقدمين دلالة على تقادم عبادة الاصنام فيهم واذ
كانوا قد عبدوها في زمان نوح عليه السلم فزمان من بعده وعدو يكون للمفرد والجمع كما قال هم
العدو فاحذرهم قيل شبه بالمصدر كالقبول والولوع قال الزمخشري وانما قال عدو لي تصويرا
للمسالة في نفسه على معنى اي فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت
عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا
ويقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادنى لهم الى
القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب
من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغ التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل
الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشي فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الى ادب وسمع رجلا ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم انتهى وهو
كلام فيه تكثير على عادته وذهاب من ذهب الى ان قوله فانهم عدو لي من المقلوب والاصل فاني
عدو لهم لان الاصنام لا تعادي لكونها جمادا وانما هو عاداها ليس بشي ولا ضرورة تدعو الى ذلك
الا ترى الى قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فهذا معنى العداوة ولان المغري على
عداوتها عدو الانسان وهو الشيطان وقيل لانه تعالى يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يتبروا
من من عبدهم ويوبخوهم وقيل هو على حذف اي فان عبادهم عدو لي والظاهر اقرار الاستثنا
في موضعه من غير تقديم ولا تاخير وقال الجرجاني تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباوكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى انتهى فجعله مستثنى
مما بعد كنتم تعبدون ولا حاجة الى هذا التقدير لصحة ان يكون مستثنى من قوله فانهم عدو لي
وجعله جماعة منهم الفرا واتبعه الزمخشري استثنا منقطعا اي لكن رب العالمين لانهم فهموا
من قوله ما كنتم تعبدون انهم الاصنام واجاز الزجاج ان يكون استثنا متصلا على انهم كانوا يعبدون
الله ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم انه تبرا مما يعبدون الا الله واجازوا في الذي خلقني
النصب على الصفة لرب العالمين او باضمار اعني والرفع خبر مبتدا محذوف اي هو الذي وقال
الحوفي ويجوز ان يكون الذي خلقني رفعا بالابتدا فهو يهدين ابتدا وخبر في موضع الخبر عن الذي
ودخلت الفا لما في الكلام من معنى الشرط انتهى وليس الذي هنا فيه معنى اسم الشرط لانه
خاص ولا يتخيل فيه العموم فليس نظير الذي ياتيني فله درهم وايضا ليس الفعل الذي هو خلق
لا يمكن فيه تجدد بالنسبة الى ابرهيم وتابع ابو البقا الحوفي في اعرابه هذا لكنه لم يقل ودخلت
الفا لما في الكلام من معنى الشرط فان كان اراد ذلك فليس بجيد لما ذكرناه وان لم يرده فلا يجوز
ذلك الا على زيادة الفا على مذهب الاخفش في نحو زيد فاضربه الذي خلقني بقدرته فهو يهدين
الى طاعته وقيل الى جنته وقال الزمخشري فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح
عقب هدايته المتصلة التي لا ينقطع الى ما يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم
في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه
لكيفيته الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد انتهى والظاهر ان قوله يطعمني
ويسقين الطعام المعروف المعهود والسقي المعهود وفيه تعديد نعمة الرزق وقال ابو
بكر الوراق يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب كما جا اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني ولما كان
الخلق لا يمكن ان يدعيه احد لم يوكد فيه بهو فلم يكن التركيب الذي هو خلقني ولما كانت الهداية
قد يمكن ادعاوها والاطعام والسقي كذلك اكد بهو في قوله فهو يهدين والذي هو يطعمني

وذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما يدوم به الحيوة ويستمر به نظام الخلق وهو الغذا والشرب
ولما كان ذلك سببا لغلبة احدى الكيفيات على الاخرى بزيادة الغذا او نقصانه فيحدث بذلك
مرض ذكر نعمته باذا له ما حدث من السقم واضاف المرض الى نفسه ولم يات التركيب واذا امرضني
وان كان تعالى هو الفاعل لذلك وابرهيم عليه السلم عدد نعم الله تعالى عليه والشفا محبوب
والمرض مكروه ولما لم يكن المرض منها لم يضفه الى الله وعن الصادق جعفر ولعله لا يصح واذا
مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة وقال الزمخشري وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا
من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكما
لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم ولما كان الشفا قد يعزى الى الطبيب والى الدوا
على سبيل المجاز كما قال فيه شفا للناس اكد بقوله فهو يشفين اي الذي هو يهدين ويطعمني و
يسقين هو الله لا غيره ولما كانت الاماتة بعد البعث لا يمكن اسنادهما الا الى الله لم يحتج الى
توكيد ودعوى نمرود الاماتة والاحيا منه على سبيل المخرقة والقحة وكذلك لم يحتج الى تاكيد
في والذي اطمع واثبت ابن ابي اسحق يا المتكلم في يهدين وما بعده وهي رواية عن نافع
والطمع عبارة عن الرجا وابرهيم عليه السلم كان جازما بالمغفرة فقال الزمخشري لم يجزم القول
بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا بهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم انتهى ورده الرازي قال لان حاصله يرجع الى انه نطق بكلمة لا ذكرها وبعدها
على نفسه لاجل تعليم الامة وهو باطل قطعا وقال الجبائي اراد به ساير المومنين لانهم الذين يطمعون
ولا يقطعون ورده الرازي بان جعل كلام الواحد من كلام غيره مما يبطل نظم الكلام وقال
الحسن المراد بالطمع اليقين وقال الرازي لا يستقيم هذا الا على مذهبنا حيث قلنا انه
لا يجب على الله شي وانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله وقال ابن عطية اوقف
عليه السلم نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته وقرا الجمهور
خطيتي على الافراد والحسن خطاياي على الجمع وذهب الاكثرون الى انها قوله اني سقيم وبل
فعله كبيرهم وهي اختي في سارة وقالت فرقة اراد بالخطية اسم الجنس قدرها في كل امره
من غير تعيين قال ابن عطية وهذا اظهر عندي لان تلك الثلث قد خرجها كثير من العلما
على المعاريض وقال الزمخشري المراد ما يندر منه في بعض الصغاير لان الانبيا معصومون
مختارون على العالمين وهي قوله وذكر الثلاثة ثم قال وما هي الا معاريض كلام وتخيلات
للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغاير وهي تقع مكفرة
فما له اثبت لنفسه خطية او خطايا وطمع ان يغفر له قلت الجواب ما سبق ان استغفار الانبيا
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول انتهى ويوم الدين
ظرف والعامل فيه يغفر والغفران وان كان في الدنيا فاثره لا يتبين الا يوم الجزا وهو في الدنيا
لا يعلم الا باعلام الله تعالى وضعف ابو عبد الله الرازي حمل الخطية على تلك الثلث لان نسبة
ما لا يطابق الى ابراهيم غير جايز وحمله على سبيل التواضع قال لانه ان طابق في هذا الموضع زال
الاشكال وان لم يطابق رجع حاصل الجواب الى الحاق المعصية به لاجل تنزيهه عن المعصية قال
والجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولى وقد يسمى خطا فان من باع جوهرة تساوي الفا
بدينار قيل اخطا وترك الاولى على الانبيا جايز انتهى وفيه بعض تلخيص وتبديل الفاظ للادب
بما يناسب مقام النبوة وقدم ابرهيم عليه السلم الثنا على الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة
بين يدي طلبته ومسالته ثم ساله تعالى فقال رب هب لي حكما فدل على ان تقديم الثنا على المسالة
من المهمات والظاهر ان الحكم هو الفصل بين الناس بالحق وقيل الحكم الحكمة والنبوة لان
النبي ذو حكمة وذو حكم بين الناس وقال ابو عبد الله الرازي لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لانها
حاصلة فلو طلب النبوة لكانت مطلوبة اما عين الحاصلة او غيرها والاول محال لان تحصيل
الحاصل محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون الشخص الواحد نبيا مرتين بل المراد هو الحكم
ما هو كمال النبوة العملية وذلك بان يكون عالما بالخير لاجل العمل به انتهى وقال ابن عطية وقد
فسر الحكم بالحكمة والنبوة قال ودعاوه عليه السلم في مثل هذا هو في التثبت والدوام والحاقه
بالصالحين توفيقه لعمل ينتظم في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة وقد اجابه تعالى حيث

قال وانه في الآخرة لمن الصالحين قال ابو عبد الله الرازي وانما قدم قوله هب لي حكما على
قوله والحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية لانه يمكنه ان يعلم
الحق وان لم يعمل به وعكسه غير ممكن لان العلم صفة الروح والعمل صفة البدن وكما ان الروح
اشرف من البدن كذلك العلم افضل من الصلاح انتهى ولسان صدق قال ابن عطية هو الثنا
وتخليد المكانة باجماع من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته فكل ملة تتمسك به وتعظمه
وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معنى سواله ان يكون من ذريته
في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد عليه السلم وهذا معنى حسن الا ان
لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ انتهى ولما طلب سعادة الدنيا طلب سعادة الاخرة
وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يقسم في الدنيا شبه غنيمة الدنيا بغنيمة الاخرة
وقال تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ولما فرغ من مطالب الدنيا والاخرة
لنفسه طلب لاشد الناس التصاقا به وهو اصله الذي كان ناشيا عنه وهو ابوه فقال واغفر لابي
وطلبه المغفرة مشروط بالاسلام وطلب المشروط يتضمن طلب الشرط فحاصله انه دعا بالاسلام
وكان وعده ذلك يوضحه قوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين
له انه عدو لله تبرا منه وقيل كان قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمروذ ظاهرا تقية وخوفا
فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك قال في دعايه واغفر
لابي انه كان من الضالين فلو لا اعتقاده انه في الحال ليس بضال ما قال ذلك ولا تخزني اما من
الخزي وهو الهوان واما من الخزاية وهي الحيا والضمير في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او
ضمير الضالين ويكون من جملة الاستغفار لانه يكون المعنى يوم يبعث الضالون واني فيهم يوم
لا ينفع بدل من يوم يبعثون مال ولا بنون اي كما ينفع في الدنيا بفدية ماله ويذب عنه بنوه
وقيل المراد بالبنين جميع الاعوان وقيل المعنى يوم لا ينفع اعلاق الدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك
لذكر العظم والاكبر لان المال والبنين هي زينة الحيوة الدنيا والظاهر ان الاستثنا منقطع
اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه قال الزمخشري ولك ان تجعل الاستثناء
منقطعا ولا بد لك من ذلك من تقدير المضاف وهو الحال المراد بها السلامة وليست من جنس
المال والبنين حتى يوول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم
يقدر المضاف لم يتحصل للاستثنا معنى انتهى ولا ضرورة تدعوا الى حذف مضاف كما ذكر اذ قدرنا
لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك وقد جعله الزمخشري في اول توجيهه متصلا بتاويل
قال الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه
الا السيف ومثاله ان يقال هل لزيد مال وبنون فيقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال
والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل
في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه انتهى وجعله بعضهم استثناء مفرغا من مفعول
والتقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ماله المصروف
في وجوه البر وبنوه الصلحا اذ كان انفقه في طاعة الله وارشد بنيه الى الدين وعلمهم الشرايع وسلامة
القلب خلوصه من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة كالمال والبنين
قال سفين هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شي غيره وهذا يقتضي عموم اللفظ ولكن السليم من
الشرك هو الاعم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ وقال الزمخشري هو
من بدع التفاسير وصدق وازلفت الجنة قربت لينظروا اليها ويغتبطوا بحشرهم اليها وبرزت
الجحيم اظهرت وكشفت بحيث كانت بمراى منهم كقوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله وذلك على سبيل التوبيخ هل ينفعونكم بنصرهم اياكم
او ينتصرون هم فينفعون انفسهم بحمايتها اذ هم وانتم وقود النار وقرا الاعمش فبرزت
بالفاء جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنة بعقبه وذلك لان الواو للجمع فيمكن ان يكون
كل واحد منهما ظهوره قبل الاخر وهو من تقديم الرحمة على العذاب وهو حسن لولا ان رسم
المصحف بالواو وقرا مالك بن دينار وبرزت بالفتح والتخفيف الجحيم بالرفع باسناد الفعل

اليها اتساعا ولما وبخهم وقرعهم اخبر عن حال يوم القيامة وجي في ذلك كله بلفظ الماضي في اتي وازلفت
وبرزت وقيل وكبكبوا لتحقق وقوع ذلك وان كان لم يقع والضمير في فكبكبوا عايد على الاصنام اجريت
مجرى من يعقل قال الكرماني فكبكبوا اقذفوا فيها وقيل جمعوا وقيل هدهدوا وقيل نكسوا على رووسهم
يموج بعضهم في بعض وقيل القوا في جهنم ينكبون مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها والغاوون هم
الكفرة الذين شملتهم الغواية وقيل الضمير يعود على الكفار والغاوون الشياطين وجنود ابليس قبيله
وكل من يتبعه فهو جند له واعوان وقال السدي هم مشركوا العرب والغاوون ساير المشركين وقيل
هم القادة والسفلة قال اي عباد الاصنام والجملة بعد حال والمقول جملة القسم ومتعلقه والخطاب
في نسويكم للاصنام على جهة الاقرار والاعتراف بالحق قال ابن عطية اقسموا بالله ان كنا الا ضالين في ان
نعبدكم ونجعلكم سوا مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم انتهى وقوله ان كنا الا ضالين
ان اراد تفسير المعنى فهو صحيح وان اراد ان ان هنا نافية واللام في لفي بمعنى الا فليس مذهب البصريين
وانما هو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في مثل هذا ان ان هي المخففة من الثقيلة وان اللام
هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان التي هي لتاكيد مضمون الجملة وما اضلنا الا المجرمون
اي اصحاب الجرايم والمعاصي العظام والجراة وهم ساداتهم ذووا المكانة في الدنيا والاستتباع كقولهم
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقال السدي هم الاولون الذين اقتدوا بهم وقيل المجرمون
الشياطين وقيل من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقال ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل
لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي وحين راوا شفاعة الملايكة والانبيا والعلما نافعة في اهل
الايمان وشفاعة الصديق في صديقه خاصة قالوا على جهة التلهف والتاسف فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وقال ابن جريج شافعين من الملايكة وصديق من الناس ولفظة الشفيع تقتضي رفعة
مكانه عند المشفوع عنده ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الود من
ابنية المبالغة ونفي الشفعا والصديق يحتمل ان يكون نفيا لوجودهم اذ ذاك وهم موجودون
للمومنين ان يشفع الملايكة وتتصادق المومنون كما قال الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم انهم شفعا وهم عند الله وان لهم اصدقا من الانس
والشياطين بغيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم فصار المعنى فما لنا من
نفع من كنا نعتقد انهم شفعا واصدقا وجمع الشفعا لكثرتهم في العادة الا ترى انه يشفع فيمن وقع
في ورطة من لا يعرفه وافرد الصديق لقلته او اريد به الجمع اذ يقال هم صديق اي اصدقا كما يقال
هم عدو اي اعدا والظاهر ان لو هنا اشربت معنى التمني فيكون الجواب كانه قيل ياليت لنا كرة فنكون
وقيل هي الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره فيكون قوله فنكون معطوفا على كرة اي فكونا
من المومنين وجواب لو محذوف اي لكان لنا شفعا واصدقا او لخلصنا من العذاب والظاهر ان هذه
الجمل كلها متعلقة بقول ابرهيم اخبر بما اعلمه الله تعالى من احوال يوم القيامة وما يكون فيها من
حال قومه وقال ابن عطية من قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي منقطعة من كلام ابرهيم
عليه السلم وهي اخبار من الله عز وجل يتعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف ابرهيم عليه السلم عنده
في دعايه ان لا يخزى فيه انتهى وكان ابن عطية قد اعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى
هذا لا يتاتى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام ابرهيم وبعضه من كلام
الله لان العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل اخر من لفظ الاول او الاول وعلى كلا التقديرين
لا يصح ان يكون بين كلام الله اذ يصير التقدير ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون والاشارة بقوله
ان في ذلك الى قصة ابرهيم ومحاورته لقومه وما كان اكثرهم اي اكثر قوم ابرهيم بين تعالى ان اكثر
قومه لم يومنوا مع ظهور هذه الدلايل التي استدل بها ابرهيم عليه السلم وفي ذلك مسلاة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه اياه عليه السلم المشحون المملو بما ينبغي له من قدر ما يحمل
يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا الريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع قال
ذو الرمة

طراق الخوافي مشرف فوق ريعه ندى ليله في ريشه يترقرق

وقال ابو عبيدة الريع الطريق قال ابن المسيب بن علس يصف ظعنا

في الال يخفضها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل

الطلع الكفري وهو عنقود التمر قبل ان يخرج من الكم في اول نباته وقال الزمخشري الطلعة هي
التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
الفراهة جودة منظر الشي وقوته وكماله في نوعه قيل والكيس والنشاط القالي المبغض قلي يقلي
ويقلا ومجيئه على يفعل بفتح العين شاذ الجبلة الخلق المتجسد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر
والموت اعظم حادث مما يمر على الجبلة ويقال بسكون البا مثلث الجيم وقال الهروي
الجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس انتهي هام ذهب على وجهه قاله
الكسائي وقال ابو عبيدة حاد عن القصد كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون قالوا انومن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم
الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين قالوا لين لم تنته يا نوح
لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم القوم مونث مجازي التانيث ويصغر قويمة فلذلك جا كذبت قوم
نوح ولما كان مدلوله افراد اذكورا عقلا عاد الضمير عليه كما يعود على جمع المذكر العاقل وقيل
قوم مذكر وانث لانه في معنى الامة والجماعة ويقدم معنى تكذيب قوم نوح المرسلين وان كان
المرسل اليهم واحدا في الفرقان في قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم والاخوة نوح قيل
في النسب وقيل في المجانسة كقولك يا اخا تميم تريد يا واحدا منهم وقال الشاعر
لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا
ومتعلق التقوي محذوف فقيل الا تتقون عذاب الله وعقابه على شرككم وقيل الا تتقون مخالفة
امر الله فتتركوا عبادتكم للاصنام والامانة كونه مشهورا في قومه بذلك او موتمنا على اداء رسالة
الله ولما عرض عليهم برفق تقوي الله فقال الا تتقون انتقل من العرض الي الامر فقال فاتقوا
الله واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من توحيد الله وافراده بالعبادة وما اسالكم عليه اي
على دعاي الي الله والامر بتقواه وقيل الضمير في عليه يعود على النصح او على التبليغ والمعني لا اسالكم
عليه شيا من اموالكم وتقدم الامر بتقوي الله على الامر بطاعته لان تقوي الله سبب لطاعة نوح
عليه السلم ثم كرر الامر بالتقوي والطاعة ليوكدها عليهم ويقرر ذلك في نفوسهم وان اختلف
التعليل جعل الاول معلولا لامانته والثاني لانتفا اخذ الاجر ثم لم ينظروا في امر رسالته ولا تفكروا
فيما امرهم به لما جبلوا عليه ونشوا عن حب الرياسة وهي التي تطبع على قلوبهم فنزع اشرافهم
في تنقص متبعيه وان الحامل على انتفا ايمانهم له كونهم اتبعه الارذلون وقوله واتبعك الارذلون
جملة حالية اي كيف نومن وقد اتبعك ارذلنا فنتساوى معهم في اتباعك وكذا فعلت قريش
في شان عمار وصهيب والضعفا اكثر استجابة من الروسا لان اذهانهم ليست مملوة بزخارف الدنيا
فهم ادرك للحق واقبل له من الروسا وقرا الجمهور واتبعك فعلا ماضيا وقرا عبد الله وطلحة
ويعقوب واتباعك جمع تابع كصاحب واصحاب وقيل جمع تبيع كشريف واشراف وقيل جمع تبع كبرم
وابرام والواو في هذه القراة للحال وقيل للعطف على الضمير الذي في قوله انومن لك
وحسن ذلك للفصل بلك قاله ابو الفضل الرازي وابن عطية وابو البقا وعن اليماني
واتباعك بالجر عطفا على الضمير في لك وقيل قليل وقاسه الكوفيون والارذلون رفع باضمارهم
قيل والذين امنوا به بنوه ونساوه وكنانه وبنو بنيه فعلي هذا لا تكون الرذالة دنااة المكاسب
وتقدم الكلام في الرذالة في هود في قوله الا الذين هم اراذلنا واراد وا بذلك تنقيص نوح
عليه السلم اذ لم يعلموا ان ضعفا الناس هم اتباع الرسل كما ورد في حديث هرقل وهذا الذي
اجابوا به في غاية السخافة اذ هو مبعوث الي الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى
والاشرف المكاسب ودناتها وقال ابن عطية ويظهر من الاية ان مراد قوم نوح نسبة الرذالة
الي المومنين بتهجين افعالهم لا النظر صنايعهم يدل على ذلك قوم نوح وما علمي الاية لان معنى
كلامه ليس في نظري وعلمي باعمالهم ومعتقداتهم فايدة فانما اقنع بظاهرهم واجتزي به ثم
حسابهم على الله تعالى وهذا نحو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتي

يقولوا لا اله الا الله الحديث بجملته انتهي وقال الكرماني لا اطلب العلم بما عملوه انما علي ان
ادعوهم وقال الزمخشري وما علمي واي شي علمي والمراد انتفا علمه باخلاص اعمالهم والاطلاع على
سرايرهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا في استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة
وانما امنوا هوي وبديهة كما حكي الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتعالى
لهم نوح عليه السلم فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقايد
ولا يلتفت الي ما هو الرذالة عندهم ثم بني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر
دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم شي فالله محاسبهم ومجازيهم وما انا
الا نذير لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فيتساقون مع الجهل حيث سيركم وتقصد
بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمي المومن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان
الغني غنى الدين والنسب نسب التقوي انتهي وهو تكثير وقال الحوفي وما علمي ما نافيه والبا
متعلقة بعلمي انتهي وهذا التخريج يحتاج فيه الي اضمار خبر حتي تصير جملة ولما كانوا لا يصدقون
بالحساب ولا بالبعث اردفه بقوله لو تشعرون اي بان المعاد حق والحساب حق وقرا الجمهور
تشعرون بتا الخطاب وقرا الاعرج وابو زرعة وعيسى بن عمر الهمداني بيا الغيبة وما انا بطارد
المومنين هذا مشعر بانهم طلبوا منه ذلك فاجابهم بذلك كما طلب روسا قريش من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يطرد من امن من الضعفا فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية اي لا اطردهم
عني لاتباع شهواتهم والطمع في ايمانكم ان انا الا نذير مبين ما جيت به بالبرهان الصحيح الذي
يميز به الحق من الباطل ولما اعتلوا في ترك ايمانهم بايمان من سودنهم دل ذلك على انهم لم تنشرح
صدورهم للايمان اذ اتباع الحق لا يانف منه احد لوجود الشركة فيه اخذوا في التهديد
والوعيد قالوا لين لم تنته عن تقبيح ما نحن عليه وادعايك الرسالة من الله لتكونن من المرجومين
اي بالحجارة وقيل بالشتم وايس اذ ذاك من فلاحهم فنادى ربه وهو اعلم بحاله ان قومي كذبون
فدعاي ليس لاجل انهم اذوني ولكن لاجل دينك فافتح اي فاحكم ودعا لنفسه ولمن امن به بالنجاة
وفي ذلك اشعار بحلول العذاب بقومه اي ونجني مما يحل بهم وقيل ونجني من عملهم لانه سبب
العقوبة والفلك واحد وجمع وغالب استعماله جمعا لقوله وتري الفلك مواخر فيه والفلك
التي تجري في البحر فحيث اتي في غير فاصلة استعمل جمعا وحيث كان فاصلة استعمل مفردا لمراعاة
الفواصل هكذا الموضع والذي في سورة يس وتقدم الخلاف اذا كان مدلوله جمعا اهو جمع
تكسير ام اسم جمع والمشحون قال ابن عباس الموقر وقال عطا المثقل ثم اغرقنا بعد اي بعد نجاة
نوح والمومنين كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سوا
علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كان اخاهم من النسب
وكان تاجرا جميلا اشبه الخلق بادم عليه السلم عاش اربع ماية سنة واربعا وستين سنة ه
وبينه وبين ثمود ماية سنة وكانت منازل عاد ما بين عمان الي حضرموت امرع البلاد فجعلها الله
مفاوز وما الا امرهم اقلا بما امر به نوح قومه ثم بني عليهم من سو اعمالهم مع كفرهم فقال
اتبنون بكل ريع قال ابن عباس هو راس الزقاق وقال مجاهد فج بين جبلين وقال عطا
عيون فيها الما وقال ابن بحر جبل وقيل الثنية الصغيرة وقرا الجمهور ريع بكسر الرا
وابن ابي عبلة بفتحها قال ابن عباس اية علما وقال مجاهد ابراج الحمام وقال النقاش
وغيره القصور الطوال وقيل بيت عشار وقيل ناديا للتصلف وقيل اعلاما طوالا ليهتدوا بها
في اسفارهم عبثوا بها لانهم كانوا يهتدون بالنجوم وقيل علامة يجتمع اليها من يعبث بالمار
في الطريق وفي قوله انكار للبنا على صورة العبث كما يفعل المترفون في الدنيا والمصانع جمع
مصنعة قيل وهي البنا على الما وقيل القصور المشيدة المحكمة وقيل الحصون وقال قتادة
برك الما وقيل بروج الحمام وقيل المنازل والتخذ هنا بمعني عمل اي ويعملون مصانع اي تبنون

وقال لبيد ويبقى جبال بعدنا ومصانع لعلكم تخلدون الظاهر
ان لعل على بابها من الترجي وكانه تعليل للبنا والاتخاذ اي الحامل لكم على ذلك هو الرجا للخلود
ولا خلود وفي قراءة عبد الله كي تخلدون او يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد فلذلك بنيتم
واتخذتم وقال ابن زيد معناه الاستفهام على سبيل التوبيخ والهزء بهم اي هل انتم تخلدون
وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي وقال ابن عباس المعنى كانكم خالدون وفي حرف ابي كانكم
تخلدون وقرى كانكم خالدون وقرا الجمهور تخلدون مبنيا للفاعل وقتادة مبنيا للمفعول
ويقال خلد الشي واخلده غيره وقرا ابي وعلقمة وابو العالية مبنيا للمفعول مشددا
كما قال الشاعر

وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال

واذا بطشتم اي اردتم البطش وحمل على الارادة ليلا يتحد الشرط وجوابه كقوله
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة اي متى اردتم بعثها قال الحسن بادروا تعذيب الناس من
غير تثبت ولا فكر في العواقب وقيل المعنى انكم كفار الغضب لكم السطوات المفرطة والبوادر
فبنا الابنية العالية يدل على حب العلو واتخاذ المصانع رجا الخلود يدل على البقا والجبارية
تدل على التفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول للعبد ودل ذلك على
استيلا حب الدنيا عليهم بحيث خرجوا عن حد العبودية وحب الدنيا راس كل خطيئة ولما نبههم
ووبخهم على افعالهم القبيحة امرهم ثانيا بتقوى الله وطاعة نبيه ثم امرهم ثالثا بالتقوى تنبيها
لهم على احسانه تعالى اليهم وسبوغ نعمته عليهم وابرز صلة الذي متعلقة بعلمهم تنبيها لهم
وتحريضا على الطاعة والتقوى اذ شكر المحسن واجب وطاعته متعينة ومشيرا اليهم بان من
امد بالاحسان هو قادر على سلبه وعلى تعذيب من لم يتقه اذ هذا الامداد ليس من جهتكم
وانما هو من تفضله تعالى عليكم بحيث اتبعكم احسانه شيا بعد شي ولما اني بذكر ما امرهم به مجملا
محالا على علمهم اتى به مفصلا فبدا بالانعام وهي التي تحصل بها الرياسة في الدنيا والقوة
على من عاداهم والغنى هو السبب في حصول الذرية غالبا لوجده وبحصول القوة ايضا بالبنين
فتذلك فرنهم بالانعام ولانهم يستعينون في حفظها والقيام عليها واتبع ذلك بالبساتين والمياه
المطردة اذا الامداد بذلك من اتمام النعمة وبانعام ذهب بعض النحويين الى انه بدل من قوله
بما تعملون واعيد العامل كقوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم والاكثرون لا يجعلون
مثل هذا بدلا وانما هو عندهم من تكرار الجمل وان كان المعنى واحدا ويسمى التتبيع وانما يجوز
ان يعاد عندهم العامل اذا كان حرف جر دون ما يتعلق به نحو مررت بزيد باخيك ثم حذرهم
عذاب الله وابرز ذلك في صورة الخوف لا على سبيل الجزم اذ كان راجيا لايمانهم فكان من جوابهم ان قالوا
سوا علينا وعظك وعدمه وجعلوا قوله وعظا اذ لم يعتقدوا صحة ما جا به وانه كاذب فيما ادعاه
وتوهموا ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به وقرا الجمهور وعظت باظهار
الظا وروي عن ابي عمرو والكسائي وعاصم ادغام الظا في التا وبالادغام قرا ابن محيصن والاعمش
الا ان الاعمش زاد ضمير المفعول فقرا اوعظتنا وينبغي ان يكون اخفا لان الظا مجهورة
مطبقة والتا مهموسة منفتحة فالظا اقوى من التا والادغام انما يحسن في المتماثلين او في المتقاربين
اذا كان الاول انقص من الثاني واما ادغام الاقوى في الاضعف فلا يحسن على انه قد جا من ذلك
اشيا في القران بنقل الثقات فوجب قبولها وان كان غيرها هو افصح واقيس وعادل
اوعظت بقوله ام لم تكن من الواعظين وان كان قد يعادله ام لم تعظ كما قال سوا علينا
اجزعنا ام صبرنا لاجل الفاصلة كما عادلت في قوله سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
ولم يات التركيب ام صمتم وكثيرا ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه وقال الزمخشري
بينهما فرق يعني بين ما جا في الاية وهي ام لم تعظ قال لان المراد سوا علينا افعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من قولك ام لم تعظ ولما لم يبالوا بما امرهم به وبما ذكرهم من نعمة الله وتخويفه
الانتقام منهم اجابوه بان قالوا ان هذا الا خلق الاولين وقرا عبد الله وعلقمة والحسن
وابو جعفر وابو عمرو وابن كثير والكسائي خلق بفتح الخا وسكون اللام فهو يحتمل ان يكون المعنى

ان هذا الذي نقوله وندعيه الا اختلاق الاولين من الكذبة قبلك فانت على منهاجهم وروي
علقمة بن عبد الله ان هذا الا اختلاق الاولين ويحتمل ان يكون هذا المعنى ما هذه البنية
التي نحن عليها الا اولون حيوة وموت ولا بعث ولا تكذيب وقرا باقي السبعة خلق بضمتين
وابو قلابة والاصمعي عن نافع بضم الخا وسكون اللام وتحتمل هذه القراءة ذينك الاحتمالين
الذين في خلق كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله
واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما
انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فقال تمتعوا
فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا
بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة قاله
الزمخشري وقال ابن عطية تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان كفرتم في النعم على معاصيكم وقيل
ايتركون استفهام في معنى التوبيخ اي ايترككم ربكم فيما ههنا اي فيما انتم عليه في الدنيا امنين
لا تخافون بطشه انتهى وما موصولة وههنا اشارة الى المكان الحاضر القريب اي في الذي استقر
في مكانكم هذا من النعيم وفي جنات بدل من ما هنا اجمل ثم فصل كما اجمل هود عليه السلم في قوله
امدكم بما تعلمون ثم فصل في قوله امدكم بانعام وبنين وكانت ارض ثمود كثيرة البساتين والما
والنخل والهضيم قال ابن عباس اذا اينع وبلغ وقال الزهري الرخص اللطيف اول ما يخرج
وقال الزجاج الذي رطبه بغير نوى وقال الضحاك المنضد بعضه على بعض وقيل الرطب
المذنب وقيل النضيج من الرطب وقيل الرطب المتفتت وقيل الحامض الطلع وبقارب
قشريه من الجانبين من قولهم خصر هضيم وقيل العذق المتدلي وقيل الجمار الرخو وجا قوله
ونخل بعد قوله في جنات وان كانت الجنة تتناول النخل اول شي ويطلقون الجنة ولا يريدون
بها الا النخل كما قال الشاعر

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

اراد هنا النخل والسحق جمع سحوق وهي التي ذهبت بجردتها صعدا فطالت فافرد
ونخل بالذكر بعد اندراجه في لفظ جنات تنبيها على انفراده عن شجر الجنة بفضله او اراد
بجنات غير النخل من الشجر لان اللفظ صالح لهذه الارادة ثم عطف عليه ونخل ذكرهم تعالى
نعمه في ان وهب لهم اجود النخل واينعه لان الاناث ولادة التمر وطلعها فيه لطف والهضيم
اللطيف الضامر والبرني لطف من طلع اللون ويحتمل اللطف في الطلع ان يكون بسبب كثرة
الحمل فانه متى كثر لطف فكان هضيما واذا قل الحمل جا التمر فاخرا ولما كانت منابة النخل حدة
وكان المستقي لها كثيرا وسلمت من العاهة كبر الحمل بلطف الحب وقرا الجمهور وتنحتون بالتا
للخطاب وكسر الحا وابو حيوة وعيسى والحسن بفتحها وتقدم ذكره وعنه بالف بعد
الحا اشباعا وعن عبد الرحمن بن محمد عن ابيه بالياء من اسفل وكسر الحا وعن ابي حيوة والحسن
ايضا بالياء من اسفل وفتح الحا وقرا عبد الله وابن عباس وزيد بن علي والكوفيون وابن
عامر فارهين بالف وباقي السبعة بغير الف ومجاهد متفرهين اسم فاعل من تفره والمعنى
نشيطين مهتمين قاله ابن عباس وقال مجاهد شرهين وقال ابن زيد اقوياء وقال ابن
عباس ايضا وابو عمرو بن العلا اشرين بطرين وقال عبد الله بن شداد بمعنى مستفرهين
اي مبالغين في استجادة المغارات ليحفظوا اموالهم فيها وقال قتادة امنين وقال
الكلبي متجبرين وقال خصيف معجبين وقال عكرمة ناعمين وقال الضحاك كيسين وقال
ابو صالح حاذقين وقال ابن بكر قادرين وقال ابو عبيدة مرحين وظاهر هذه الايات ان
الغالب على قوم هود اللذات الخيالية من طلب الاستعلا والبقا والتفرد والتجبر وعلى
قوم صالح اللذات الحسية من الماكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة ولا تطيعوا

خطاب لجمهور قومه وهم المسرفون هم كبراؤهم واعلامهم في الكفر والاضلال وكانوا تسعة رهط يفسدون في الارض اي ارض ثمود وقيل في الارض كلها لان بمعاصيهم امتناع الغيث ولما كانوا يفسدون دلالته دلالة المطابقة اتي بقوله ولا يصلحون فنفي عنهم الصلاح وهو نفي لمطلق الصلاح فيلزم منه نفي الصلاح كاينا ما كان فلا يحصل منهم صلاح البتة والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل من التسحر وهو الرية اي انت بشر لا تصلح للرسالة ويضعف هذا القول قولهم بعد ما انت الا بشر مثلنا ان تكون هذه الجملة توكيدا لما قبلها والاصل التاسيس وهو مثلنا اي في الاكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر فلا اختصاص لك بالرسالة فات باية اي بعلامة على صحة دعواك وفي الكلام حذف تقديره فاتى بها قالوا ما هي قال هذه ناقة روي انهم اقترحوا عليه ناقة عشرا تخرج من هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وتقدم في الاعراف طرف من قصة ثمود والناقة والشرب النصيب المشروب من الماء نحو السقي وقرا ابن ابي عبلة شرب بضم الشين فيهما وظاهر هذا العذاب انه في الدنيا وكذا وقع ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه ووصفه به ابلغ من وصف العذاب به لان الوقت اذا عظم بسبب العذاب كان موقع العذاب من العظم اشد ونسبة العقر الى جميعهم لكونهم راضين بذلك حتى روي انهم استرضوا المراة في خدرها والصبيان فرضوا جميعا فاصبحوا نادمين لا ندم توبة بل ندم خوف ان يحل بهم العذاب عاجلا وذلك عند معاينة العذاب وذلك في غير وقت التوبة اصبحوا وقد تغيرت الوانهم حسبما كان اخبرهم به صالح عليه السلم وكان العذاب صيحة خمدت لها ابدانهم وانشقت قلوبهم وماتوا عن اخرهم وصبت عليهم حجارة خلاف ذلك وقيل كانت ندامتهم على ترك عقر الولد وهو قول بعيد وال في فاخذهم العذاب للعهد في العذاب السابق عذاب ذلك اليوم العظيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتاتون استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والذكران جمع ذكر مقابل الانثى والاتيان كناية عن وطي الرجال وقد سماه تعالى بالفاحشة فقال اتاتون الفاحشة من العالمين هو مخصوص بذكران بني ادم وقيل مخصوص بالغرباء وتذرون ما خلق ظاهر في كونهم لا ياتون النساء البتة واما غلبة ما خلق لكم ربكم يدل على الاباحة بشرطها من ازواجكم اي من الاناث ومن للتبيين كقوله ما خلق واما للتبعيض اي العضو المخلوق للوطء وهو الفرج وهو على حذف مضاف اي وتذرون اتيان فان كان ما خلق لا يراد به العضو فلا بد من تقدير مضاف اخرى وتذرون اتيان فروج ما خلق بل انتم قوم عادون اي متجاوزون الحد في الظلم وهو اضراب بمعنى الانتقال من شي الى شي لا انه ابطال لما سبق من الانكار عليهم وتقبيح افعالهم واعتداوهم اما في المعاصي التي هذه المعصية من جملتها او من حيث ارتكاب هذه الفعلة الشنيعة وجا تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيما لقبح فعلهم وتنبيها على انهم هم مختصون بذلك كما تقول انت فعلت كذا اي لا غيرك ولما نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعدوه بالاخراج وهو النفي من بلده الذي نشا فيه اي لئن لم تنته عن دعواك النبوة وعن الانكار علينا فيما ناتيه من الذكران لننفينك كما نفينا من نهانا قبلك ودل قوله من المخرجين على انه سبق من نهاهم عن ذلك فنفوه بسبب النهي او من المخرجين بسبب غير هذا السبب كانه من خالفهم في شي نفوه سوا كان الخلاف في هذا الفعل الخاص ام في غيره قال اني لعملكم اي للفاحشة التي انتم تعملونها ولعملكم يتعلق بالقالين وان كان فيه ال لانه يسوغ في المجرورات والظروف ما لا يسوغ في غيرها لاتساع العرب في تقديمها حيث لا تتقدم غيرها واما بمحذوف دل عليه القالين تقديره اني قال لعملكم واما ان تكون للتبيين اي لعملكم اعني من القالين وكونه بعض القالين يدل على انه يبغض هذا الفعل ناس غيره هو بعضهم ونبه ذلك

على

علي ان هذا الفعل موجب للبغض حتى يبغضه الناس ومن القالين ابلغ من قال لما ذكرناه من ان الناس يبغضونه لتضمنه انه معدود ممن يبغضه الا ترى ان قولك زيد من العلما ابلغ من زيد عالم لان في ذلك شهادة بانه معدود في زمرتهم وقال ابو عبد الله الرازي القلي البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد انتهى ولا يكون قلي بمعنى ابغض وقلا من الطبخ والشي من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلا من الشي من ذوات الواو وتقول قلوت اللحم فهو مقلو ومادة قلي من البغض من ذوات اليا قليت الرجل فهو مقلي قال الشاعر

ولست بمقلي الخلال ولا قال

ولما توعدوه بالاخراج اخبرهم ببغض عملهم ثم دعا ربه فقال رب نجني واهلي مما يعملون اي من عقوبة ما يعملون من المعاصي ويحتمل ان يكون دعاء لاهله على انهم كانوا مومنين ولما كانت زوجته مندرجة في الاهل وكان ظاهر دعايه دخولها في التنجية وكانت كافرة استثنيت في قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ودل قوله عجوزا على انها قد عسيت في الكفر ودامت فيه الى ان صارت عجوزا ومن الغابرين صفة اي من الباقين من لداتها واهل بيتها قاله ابو عبيدة وقال قتادة من الباقين في العذاب النازل بهم وتقدم القول في غبر وانه يستعمل بمعنى بقي وهو المشهور وبمعنى مضى ونجاته عليه السلم بامره تعالى بالرحلة ليلا وكانت امراته كافرة تميل عليه قومه فاصابها حجر فهلكت فيمن هلك قال قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السما فاهلكهم وقال قتادة اتبع الايتفاك مطرا من الحجارة وسا بمعنى بيس والمخصوص بالذم محذوف اي مطرهم وقال مقاتل خسف الله بقوم لوط وارسل الحجارة الى من كان خارجا من القرية ولم يكن فيها مومن الا بيت لوط كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قرا الحرميان وابن عامر ليكة هنا وفي ص بغير لام ممنوع الصرف وقرا باقي السبعة الايكة بلام التعريف فاما قراءة الفتح فقال ابو عبيد وجدنا في بعض التفسير ان ليكة اسم للقرية والايكة البلاد كلها كمكة وبكة ورايتها في الامام مصحف عثمن في الحجر وق الايكة وفي الشعرا وص ليكة واجتمعت مصاحف الامصار كلها بعد على ذلك ولم يختلف انتهي وقد طعن في هذه القراءة المبرد وابن قتيبة والزجاج وابو على الفارسي والنحاس وتبعهم الزمخشري ووهموا القراء وقالوا حملهم على ذلك كون الذي كتب في هذين الموضعين على اللفظ في من نقل حركة الهمزة الى اللام واسقط الهمزة فتوهم ان اللام من بنية الكلمة ففتح اليا وكان الصواب ان يجر ثم مادة ل ي ك لم يوجد منها تركيب فهي مادة مهملة كما اهملوا مادة خ ذ ج منقوطات وهذه نزعة اعتزالية يعتقدون ان بعض القراءة بالراي لا بالرواية وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله اما نافع فقرا على سبعين من التابعين وهم عرب فصحا ثم هي قراءة اهل المدينة قاطبة واما ابن كثير فقرا على سادة التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره وقد قرا عليه امام البصرة ابو عمرو بن العلا وسال بعض العلما اقرات على ابن كثير قال نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد وكان ابن كثير اعلم من مجاهد باللغة قال ابو عمرو ولم يكن بين القراتين كبير يعني خلافا واما ابن عامر فهو امام اهل الشام وهو عربي قح قد سبق اللحن اخذ عن عثمن وعن ابي الدردا وغيرهما فهذه امصار ثلثة اجتمعت على هذه القراءة الحرمان مكة والمدينة والشام واما كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب فان صح ذلك كانت الكلمة عجمية ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمة والتانيث وتقدم مدلول الايكة في الحجر وكان شعيب عليه السلم من اهل مدين فلذلك جا والى مدين اخاهم شعيبا ولم يكن من اهل الايكة فلذلك قال هنا اذ قال لهم شعيب ومن غريب النقل ما روي عن ابن عباس ان اصحاب الايكة هم اصحاب مدين وعن غيره ان اصحاب الايكة هم اهل البادية واصحاب مدين هم الحاضرة

ودوي في الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والي اصحاب الايكة امرهم بايفا الكيل وهو الواجب
ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف ولم يذكر الزيادة على الواجب لان النفوس قد تشح بذلك فمن
فعله فقد احسن ومن تركه فلا حرج وتقدم تفسير القسطاس في سورة الاسرا وقال الزمخشري
ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي انتهي ولو تكرر
مايماثل العين في النطق لم يكن عند البصريين الارباعيا وقال ابن عطية هو مبالغة من القسط
انتهي والظاهر ان قوله وزنوا هو امر بالوزن اذعادل قوله اوفوا الكيل فشمل ما يكال وما يوزن
مما هو معتاد فيه ذلك وقال ابن عباس ومجاهد معناه عدلوا اموركم كلها بميزان العدل الذي
جعله الله لعباده ولا تبخسوا الناس اشيائهم الجملة والتي تليها تقدم الكلام عليهما ولما تقدم
امره عليه السلم اياهم بتقوى الله امرهم ثانيا بتقوى من اوجدهم واوجد من قبلهم تنبيها على ان
من اوجدهم قادر على ان يعذبهم ويهلكهم وعطف عليهم والجبلة ايذانا بذلك فكانه قيل يصيركم
الى ما صار اليه اولكم فاتقوا الله الذي تصيرون اليه وقرا الجمهور والجبلة بكسر الجيم
والبا وشد اللام وقرا ابن حصين والاعمش والحسن بخلاف عنه بضمها والشد للام وقرا
السلمي والجبلة بكسر الجيم وسكون اللام وفي نسخة عنه فتح الجيم وسكون البا وهي من جبلوا على
كذا اي خلقوا قيل وتشديد اللام في القراتين في بناين للمبالغة وعن ابن عباس الجبلة
عشرة الاف وما اتت جاها بالواو وفي قصة هود ما انت بغير واو فقال الزمخشري اذا
دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول
لا يجوز ان يكون مسحرا ثم قرر بكونه بشرا انتهي وان نظنك لمن الكاذبين ان هي المخففة
من الثقيلة واللام في لمن هي الفارقة خلافا للكوفيين فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وتقدم
الخلاف في نحو ذلك في قوله وان كانت لكبيرة في البقرة ثم طلبوا منه اسقاط كسف من السما
عليهم وليس له ذلك فالمعنى ان كان صادقا فادع الذي ارسلك ان تسقط علينا كسفا اي قطعة
او قطعا على حسب التسكين والتحريك وقال الزمخشري وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وشذر
وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفة قطعة والسما السحاب
او المظلة وقد طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب ولما طلبوا منه ما طلبوا احال علم
ذلك الي الله تعالي وانه هو العالم باعمالكم وبما يستوجبون عليها من العقاب فهو يعاقبكم بما
شا فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو نحو مما اقترحوا ولم يذكر الله كيفية عذاب يوم الظلة
حتى ان ابن عباس قال من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب وذكر في حديثها تطويلات
فروي انه حبس عنهم الريح سبعا فابتلوا بحر عظيم ياخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ما فاضطروا
الى ان خرجوا الي البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحرقتهم وكرر ما كرر في اوايل هذه القصص تنبيها على ان طريقة الانبيا واحدة
لا اختلاف فيها وهي الدعا الي توحيد الله وعبادته ورفض ما سواه وانهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم مشتركون في ذلك وان ما جا به صلى الله عليه وسلم هو ما جات به الرسل
قبله وتلك عادة الانبيا واحدة بعينها اذ كان الايمان المدعو اليه معنى واحدا بعينه وقال
الزمخشري فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة
منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق الي ان يفتتح
بمثل ما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بذلك مما اختتمت به ولان التكرير تقرير للمعاني في النفوس
وتثبيت لها في الصدور ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فاوثرت بالوعظ والتذكير ورجعت بالترديد والتكرير وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر
الاولين اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم
ما كانوا به مومنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم
بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
ذكري وما كنا ظالمين الضمير في وانه عايد على القران اي انه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من

عند

عند الله وكانه عاد ايضا الي ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عن ما ياتيهم من الذكر ليتناسب
المفتتح والمختتم وقرا الحرميان وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين مرفوعان وباقي
السبعة بالتشديد ونصبهما والروح هنا جبريل وتقدم في سورة مريم لم اطلق عليه الروح وبه قال
ابن عطية في موضع الحال كقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به انتهي والظاهر تعلق على قلبك
ولتكون بنزل وخص القلب والمعنى عليك لانه محل الوعي والتثبيت وليعلم ان المنزل على قلبه عليه
السلم محفوظ لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير وليكون علة في التنزيل او النزول اقتصر عليها
لان ذلك ازجر للسامع وان كان القران نزل للانذار وللتبشير والظاهر تعلق بلسان بنزل
فكان يسمع من جبريل حروفا عربية قال ابن عطية وهو القول الصحيح وتكون صلصلة الجرس
صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده واغلاظه ويمكن ان يتعلق بقوله ليكون
وتمسك بهذا من راى النبي عليه السلم كان يسمع احيانا مثل صلصلة الجرس يتفهم له منه القران
وهذا مردود انتهي وقال الزمخشري بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى ليكون من
الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لانه لو نزله باللسان
الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان
تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك
ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها
وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن
قلبه الا الي معاني تلك الكلم يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك
اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه
لنزوله بلسان عربي مبين انتهي وفيه تطويل وانه اي القران لفي زبر الاولين اي مذكور في الكتب
المنزلة القديمة منبه عليه مشار اليه وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراة
بالفارسية في الصلوة على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين
لكون معانيه فيها وقيل الضمير عايد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ان ذكره ورسالته في الكتب
الالهية المتقدمة ويكون التفاتا اذ خرج من ضمير الخطاب في قوله على قلبك لتكون الي ضمير
الغيبة وكذلك قيل في ان يعلمه اي ان يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ويتناسق الضماير لشي واحد
اوضح وقرا الاعمش لفي زبر بسكون البا والاصل الضم ثم احتج عليهم بانهم كان ينبغي ان يصح
عندهم امره كون علما بني اسرايل يعلمونه اي اولم يكن لهم علامة على صحته علم بني اسرايل
به اذ كانت قريش ترجع في كثير من الامور النقلية الي بني اسرايل ويسالونهم عنها ويقولون هم
اصحاب الكتب الالهية وقد تهود كثير من العرب وتنصر كثير لاعتقادهم في صحة دينهم وذكر
الثعلبي عن ابن عباس ان اهل مكة بعثوا الي احبار يثرب يسالونهم عن النبي فقالوا هذا زمانه
ووصفوا نعته وخلطوا في امر محمد عليه السلم فنزلت الاية في ذلك ويويد هذا كون الاية
مكية وقال مقاتل هي مدنية وعلما بني اسرايل عبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس
ومجاهد وذلك ان جماعة منهم اسلموا ونصوا على مواضع من التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول
عليه السلم قال تعالي واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا الاية وقيل علماوهم من اسلم
منهم ومن لم يسلم وقيل انبياوهم حيث نبهوا عليه واخبروا بصفته وزمانه ومكانه وقرا الجمهور
اولم يكن باليا من تحت اية بالنصب وهي قراة واضحة الاعراب توسط خبر يكن وان يعلمه هو
الاسم وقرا ابن عامر والجحدري تكن بالتا من فوق اية بالرفع قال الزمخشري جعلت اية اسما
وان يعلمه خبرا وليست كالاولي لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر
ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا
ان يكون لهم اية جملة الشان وان يعلمه بدلا من اية انتهي وقرا ابن عباس تكن بالتا من فوق
اية بالنصب كقراة من قرا ثم لم تكن بتا التانيث فتنتهم بالنصب الا ان قالوا وكقول لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
وذلك اما على تانيث الاسم لتانيث الخبر واما لتاويل ان يعلمه بالمعرفة وتاويل الا ان قالوا بالمقالة

وتاويل الاقدام بالاقدامة وقرا الجحدري ان تعلمه بتا التانيث كما قال الشاعر

قالت بنو عامر خالو بني اسد يا بوس للجهل ضرارا لاقوام

وكتب في المصحف علموا بواو بين الميم والالف قيل على لغة من يميل الالف الى الواو كما كتبوا الصلوة والزكوة والربوا على تلك اللغة قال الزمخشري الاعجمي الذي لايفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة يا النسبة زيادة توكيد وقال ابن عطية الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله بن مطيع انه قال حين قرا هذه الاية وهو واقف بعرفة جملي هذا اعجم فلو انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس انتهى وفي التحرير الاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع سلامة قيل والمعنى ولو نزلناه بلغة العجم على رجل اعجمي فقراه على العرب لم يؤمنوا به حتى يفهموه واستنكفوا عن اتباعه وقيل ولو نزلنا القران على بعض العجم من الدواب فقراه عليهم لم يؤمنوا لعنادهم لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وجمع جمع السلامة لانه وصف بالانزال عليه والقراة وهو فعل العقلاء وقيل ولو نزل على بعض البهائم فقراه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم تؤمن البهائم كذلك هولا لانهم كالانعام بل هم اضل سبيلا انتهى ولما بين بما تقدم من ان هذا القران في كتب الاولين وان علما بني اسرائيل يعلمون ذلك وكان ذلك دليلين على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان هولا الكفار لا تجدي فيهم الدلايل الا ترى نزوله على رجل عربي بلسان عربي وسمعوه وفهموه وادركوا اعجازه وتصديقه كتب الله القديمة له ومع ذلك جحدوا وسموه تارة شعرا وتارة سحرا ولو نزل على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية لكفروا به وتمحلوا لجحوده وقال الفرا الاعجمين جمع اعجم او اعجمي على حذف يا النسب كما قالوا الاشعرين وواحدهم اشعري قال ابن الجهم قال الكميت

ولو جهزت قافية شرودا لقد دخلت بيوت الاشعرينا

انتهى وقرا الحسن وابن مقسم الاعجميين بيا النسب جمع اعجمي والضمير في سلكناه الظاهر انه عايد على ما عادت عليه الضماير قبل وهو القران وقاله الرماني والمعنى مثل ذلك السلك وهو الادخال والتمكين والتفهيم لمعانيه سلكناه ادخلناه ومكناه في قلوب المجرمين والمعنى ما ترتب على ذلك السلك من كونهم فهموه وادركوه ولم يزدهم ذلك الا عنادا وجحودا وكفرا به اي على مثل هذه الحالة وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له كما وضعناه فيها فكيف ما يرام ايمانهم به لم يتغيروا عن ما هم عليه من الانكار والجحود كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية وقال الكرماني ادخلناه فيها فعرفوا معانيه وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يؤمنوا به وقال يحيى بن سلام الضمير في سلكناه يعود على التكذيب فذلك الذي منعهم من الايمان انتهى ويقويه قوله فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال الحسن الضمير يعود على الكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين وقال الحسن الضمير يعود على الكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين انتهى وهو قريب من القول الذي قبله وقال عكرمة سلكناه اي القسوة واسند السلك تعالى اليه لانه هو موجد الاشيا حقيقة وهو الهادي وخالق الضلال وقال الزمخشري فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون انتهى وهو على طريقة الاعتزال والتشبيه بين السلكين يقتضي تغاير من حل به فالمعنى مثل ذلك السلك في قلوب قريش سلكناه في قلوب من اجرم لاشتراكهما في علة السلك وهو الاجرام قال ابن عطية اراد بهم مجرمي كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم انهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب فلا ينفعهم الايمان بعد تلبس العذاب بهم وهذا على جهة المثال لقريش اي هولا كذلك وكشف الغيب بما تضمنته الاية يوم بدر وقال الزمخشري فان قلت

ماموقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع بما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به انتهى ورويتهم العذاب قيل في الدنيا وقيل يوم القيامة وقرا الجمهور فياتيهم بيا اي العذاب وقرا الحسن وعيسى بتا التانيث انث على معنى العذاب لانه العقوبة اي فتاتيهم العقوبة كما قال اتته كتابي فلما سبيل قال اوليس بصحيفة وقال الزمخشري فتاتيهم بالتا يعني الساعة وقال ابو الفضل الرازي انث العذاب لاشتماله على الساعة فاكتسى منها التانيث وذلك لانهم كانوا يسالون عذاب القيمة تكذيبا بها فلذلك انث انتهى ولا يكتسي المذكر من المونث تانيثا الا اذا كان مضافا اليه نحو اجتمعت اهل اليمامة وقطعت بعض اصابعه وشرقت صدر القناة وليس كذلك وقرا الحسن بغتة بفتح الغين فتاتيهم بالتا من فوق يعني الساعة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فتاتيهم بغتة قلت ليس المعنى ترادف رويته العذاب ومفاجاته وسواله النظرة فيه الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى يكون رويتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسي وانه يحصل له بسبب الاساة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع هذا في هذا الاسلوب فيحل موقعه انتهى فيقولوا اي كل امة معذبة هل نحن منظرون اي موخرون وهذا على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا ينفع الرغبة ثم رجع لفظ الاية الى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله في طلبهم سقوط السما كسفا وغير ذلك وقولهم للرسول اين ما تعدنا به وقال الزمخشري افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكاره وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كاين ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزا واتكالا على الامل الطويل ثم قال وهب ان الامر كما تعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم انتهى وقيل اتبع قوله فتاتيهم بغتة بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فيقولوا هل نحن منظرون كما يستغيث اليه المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا لكنهم يقولون ذلك استرواحا وقيل يطلبون الرجعة حين تبغتهم عذاب الساعة فلا يجابون اليها افرايت ان متعناهم سنين خطاب للرسول باقامة الحجة عليهم في ان مدة الارجا والامهال والاملا لا تغني اذا نزل العذاب بعدها وقال عكرمة سنين عمر الدنيا انتهى وتقرر في علم العربية ان ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني تعدت الى مفعولين احدهما منصوب والاخر جملة استفهامية في الغالب تقول العرب ارايت زيدا ما صنع وما جا مما ظاهره خلاف ذلك اول وتقدم الكلام على ذلك مشبعا في اوايل سورة الانعام ونقول هنا مفعول ارايت محذوف لانه يتنازع عليه ما يوعدون افرايت وجاهم فاعمل الثاني فهو مرفوع بجاهم ويجوز ان يكون منصوبا بارايت على اعمال الاول واضمر الفاعل في جاهم والمفعول الثاني هو قوله ما اغنى عنهم تمتعهم حين حل اي الموعود به وهو العذاب وظاهر ما فسر به المفسرون ما اغنى ان تكون ما نافية والاستفهام قد ياتي متضمنا معنى النفي كقوله هل يهلك الا القوم الظالمون بعد قوله ارايتكم في سورة الانعام اي ما يهلك الا القوم الظالمون وجوزوا بو البقا في ما ان تكون استفهاما ونافية وقرى يمتعون باسكان الميم وتخفيف التا ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قرية من القرى الا وقد ارسل اليها من ينذرها عذاب الله ان هي عصت ولم تؤمن كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجمع منذرون لان من قرية عام في القرى الظالمة كانه قيل وما اهلكنا القرى الظالمة والجملة من قوله لها منذرون في موضع الحال من قرية والاعرب ان تكون لها في موضع الحال فارتفع منذرون بالمجرور الا كانتا لها منذرون فيكون من مجي الحال مفردا لا جملة ومجي الحال من المنفي كقولك ما مررت باحد الا

قايمًا فصيح وقال الزمخشري فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها
في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية
واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهي ولو قدرنا
لها منذرون جملة لم يجز ان تجي صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا يجي الصفة بعد الا معتمدة
علي اداة الاستثنا نحو ما جاني احد الا راكب واذا سمع مثل هذا اخرجوه علي البدل اي الا رجل
راكب ويدل علي صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد الا قايمًا ولا يحفظ من كلامها
ما مررت باحد الا قايم فلو كانت الجملة في موضع الصفة للنكرة لورود المعرفة بعد الا صفة لها
فان كانت الصفة غير معتمدة علي الاداة جات الصفة بعد الا نحو ما جاني احد الا زيد خير من عمرو
والتقدير ما جاني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة بالموصوف
فغير معهود في كلام النحويين لو قلت جاني رجل وعاقل علي ان يكون وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما
تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها علي بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد
الكريم والشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه في موضعه وذكري منصوب
علي الحال عند الكساي وعلي المصدر عند الزجاج فعلي الحال اما ان يقدر ذوي ذكري او مذكرين
وعلي المصدر فالعامل منذرون لانه في معني مذكرون ذكري اي تذكرة واجاز الزمخشري
في ذكري ان يكون مفعولا له قال علي معني انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة وان تكون
مرفوعة صفة بمعني منذرون ذوو ذكري او جعلوا ذكري لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها واجاز
هو وابن عطية ان تكون مرفوعة علي خبر مبتدا محذوف بمعني هذه ذكري والجملة اعتراضية
قال الزمخشري ووجه اخر وهو ان يكون ذكري متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعني وما
اهلكنا من قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم
فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول انتهي وهذا
لا معول عليه لان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثني او مستثني
منه او تابعًا له غير معتمد علي الاداة نحو ما مررت باحد الا زيد اخير من عمرو والمفعول له ليس واحدًا
من هذه الثلثة فلا يجوز ان يتعلق باهلكنا ويتخرج جواز ذلك علي مذهب الكساي والاخفش
وان كانا لم ينصا علي المفعول له بخصوصيته وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون
انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل علي العزيز
الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبيكم علي من
تنزل الشياطين تنزل علي كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعرا يتبعهم الغاوون
الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون كان مشركو قريش
يقولون ان لمحمد تابعًا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة فنزلت والضمير في به يعود علي القران
بل نزل به الروح الامين وقرا الحسن الشياطون وتقدمت في البقرة وقد ردها ابو حاتم والفراة
قال ابو حاتم هي غلط منه او عليه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي
هو غير جايز في العربية وقال الفرا غلط الشيخ ظن انها النون التي علي هجاين فقال النضر بن
شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورويه فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن
السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا بهما الا وقد سمعا فيه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا
يقول دخلت بساتين من وراء بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراة الحسن انتهي ووجهت
هذه القراة بانه لما كان اخره كاخر يبرين وبيرون وفلسطين وفلسطون اجري ذلك في الشياطين
تشبيها به فقالوا الشياطين والشياطون وقال ابو فيد مورج السدوسي ان كان اشتقاقه
من شاط اي احترق يشيط شوطة كان لقراتهما وجه قيل ووجهها ان بنا المبالغة منه شياط
وجمعه الشياطون فخففا اليا وقد روي عنهما التشديد وقرا به غيرهما انتهي وقرا الاعمش
الشياطون كما قراه الحسن وابن السميفع فهولا الثلثة من نقلة القران قراوا ذلك ولا يمكن
ان يقال غلطوا لانهم من العلم ونقل القران بمكان وما احسن ما ترتب نفي هذه الجمل نفي اولا

تنزيل

تنزيل الشياطين به والنفي في الغالب يكون في الممكن وان كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل
بالقران ثم نفي ابتغا ذلك والصلاحية اي ولو فرض الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفي قدرتهم علي
ذلك وانه مستحيل في حقهم التنزل به فارتقي من نفي الامكان الي نفي الصلاحية الي نفي القدرة
والاستطاعة وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به ثم علل انتفا ذلك عن استماع كلام اهل السما
مرجومون بالشهب ثم قال تعالي فلا تدع مع الله الها اخر ثم امره تعالي بانذار عشيرته والعشيرة
والخطاب في الحقيقة للسامع لانه تعالي قد علم ان ذلك لا يمكن ان يكون من الرسول عليه السلم
ولذلك قال المفسرون المعني قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله الها اخر ثم امره تعالي بانذار
عشيرته والعشيرة تحت الفخذ فوق الفصيلة ونبه علي العشيرة وان كان مامورًا بانذار الناس
كافة كما قال انا انذر الناس ونبه علي العشيرة وان كان مامورا لان في انذارهم وهم عشيرته
محاباة ولطف بهم وانهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والانذار فاذا كانت القرابة
قد خوفوا وانذروا مع ما يلحق الانسان في حقهم من الرافة كان غيرهم في ذلك اوكد وادخل او لان
البداة تكون بمن يليه ثم من بعده كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال عليه السلم
حين دخل مكة كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين فاول ما اضعه ربا العباس اذ هو
العشيرة مظنة الطواعية ويمكنه من الغلظة عليهم ما لا يمكنه مع غيرهم وهم له اشد احتمالا
وامتثل صلى الله عليه وسلم ما امره به ربه من انذار عشيرته فنادي الاقرب فالاقرب فخذا او روي
عنه في ذلك احاديث واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين تقدم الكلام علي هذه الجمل في اخر
الحجر وهو كناية عن التواضع قال بعض الشعرا

وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع والاجدل الصقر ومن المومنين عام في عشيرته وغيرهم ولما كان الانذار
يترتب عليه اما الطاعة واما العصيان جا التقسيم عليهما فكان المعني ان من اتبعك مومنا فتواضع له
فلذلك جا فسيه فان عصوك فتبرا منهم ومن اعمالهم وفي هذا موادعة نسختها اية السيف والظاهر عود
الضمير المرفوع في عصوك علي من امر بانذارهم وهم العشيرة والذي بري منه هو عبادتهم الاصنام
واتخاذهم الها اخر وقيل الضمير يعود علي من اتبعه من المومنين اي فان عصوك يا محمد في الاحكام وفروع
الاسلام بعد تصديقك والايمان بك فقل اني بري مما تعملون لا منكم اي اظهر عدم رضاك بعملهم
وانكارك عليهم ولو امره بالبراة منهم ما بقي بعد هذا شفيعًا للعصاة ثم امره تعالي بالتوكل وقرا نافع وابن
عامر وابن جعفر وشيبة فتوكل بالفا وباقي السبعة بالواو وناسب الوصف بالعزيز وهو الذي لا يغالب
وبالرحيم وهو الذي يرحمك وهاتان الصفتان هما اللتان جاتا وهو في اواخر قصص هذه السورة فالتوكل
علي من هو بهذين الوصفين كافيه شر من يعصيه من هولا وغيرهم فهو يقهر اعداك بعزته وينصرك
عليهم برحمته والتوكل هو تفويض الامر الي من يملك الامر ويقدر عليه ثم وصف بانه الذي انت
منه بمراي وذلك من رحمته بك ان اهلك لعبادته وما يفعله من تهجدك واكثر المفسرين منهم
ابن عباس علي ان المعني حين تقوم الي الصلوة وقرا الجمهور وتقلبك مصدر تقلب وعطف علي
الكاف في يراك وقرا جناح بن حبيش وتقلبك مضارع قلب مشددا عطفا علي يراك وقال مجاهد
وقتادة في الساجدين في المصلين وقال ابن عباس في اصلاب ادم ونوح وابرهيم حتي خرجت وقال
عكرمة يراك قايمًا وساجدًا وقيل معني تقوم تخلو بنفسك وعن مجاهد ايضا المراد تقلب بصره فيمن
يصلي خلفه كما قال اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلفي ولا في الوجيز لابن عطية
ظاهر الاية انه يريد قيام الصلوة ويحتمل ان يريد ساير التصرفات وهو تاويل مجاهد وقتادة وفي الساجدين
اي صلاتك مع المصلين قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال ابن عباس ايضا وقتادة اراد وهو
وتقلبك في المومنين فعبر عنهم بالساجدين وقال ابن جبير اراد الانبيا اي تقلبك كما تقلب غيرك
من الانبيا وقال الزمخشري ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح
احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرايرهم وكيف
يعملون لاخرتهم كما يحكي انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
لحرصه عليهم وعلي ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما
سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم

للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم لقيامه وركوعه وسجوده وقعوده
اذا اشهدوعن مقاتل انه سال اباحنيفة هل تجد الصلوة في الجماعة في القران فتلا هذه الاية
ويحتمل انه لا يخفى على حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انتهى انه هو السميع
لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وذهبت الرافضة الى ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين
واستدلوا بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين قالوا فاحتمل الوجوه التي ذكرت واحتمل ان يكون
المراد انه تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن فاذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل
الاية على الكل ضرورة لانه لا منافاة ولا رجحان وبقوله عليه السلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين
الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس فاما قوله
تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر فلفظ الاب قد يطلق على العم كما قالوا ابنا يعقوب له نعبد
الهك واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق سموا اسمعيل ابا مع انه كان عما له قل هل انبيكم اي قل
يا محمد هل اخبركم وهذا استفهام توقيف وتقرير وعلى من متعلق بتنزل والجملة المتضمنة
معنى الاستفهام في موضع نصب لانبيكم لانه معلق لانه بمعنى اعلمكم فان قدرتها متعدية لاثنين
كانت سدت مسد المفعول الثاني وان قدرتها متعدية لثلاثة كانت سدت مسد الاثنين والاستفهام
اذا علق عنه العامل لا يبقى على حقيقة الاستفهام وهو الاستعلام بل يوول معناه الى الخبر الا ترى
ان قولك علمت ازيد في الدار ام عمرو كان المعنى علمت احدهما في الدار فليس المعنى انه صدر منه علم
ثم استعمل المخاطب عن تعيين من في الدار من زيد وعمرو فالمعنى هنا هل اعلمكم من تنزل الشياطين
عليه لانه استعلم المخاطبين عن الشخص الذي ينزل الشياطين عليه ولما كان المعنى هذا جا الاخبار
بعده بقوله تنزل على كل افاك اثيم كانه لما قال هل اخبركم بكذا قيل له اخبر فقال تنزل على كل
افاك وهو الكبير الافك وهو الكذب اثيم كثير الاثم فافاك اثيم صفتا مبالغة والمراد الكهنة
والضمير في يلقون يحتمل ان يعود الى الشياطين اي ينصتون ويصغون باسماعهم ليسترقوا شيئا
مما يتكلم به الملايكة حتى ينزلوا بها الى الكهنة او يلقون السمع اي المسموع الى من يتنزلون
عليه واكثرهم اي واكثر الشياطين الملقين كاذبون فعلى معنى الانصات يكون استيناف اخبار
وعلى القا المسموع الى الكهنة احتمل الاستيناف واحتمل ان يكون حالا من الشياطين اي تنزل
على كل افاك اثيم ملقين ما سمعوا ويحتمل ان يعود الضمير في يلقون على كل افاك اثيم وجمع الضمير لان
كل افاك فيه عموم وتحته افراد واحتمل ان يكون المعنى يلقون سمعهم الى الشياطين ليتنقلوا عنهم
ما يلقونه في اسماعهم وان يكون يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم اي
اكثر الكهنة كاذبون كما جا انهم يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التي سمعت من السما فيخلطون
معها ماية كذبة فاذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالة لمن سمعها وعلى كون الضمير عايد على كل
افاك احتمل ان يكون يلقون استيناف اخبار عن الافاكين واحتمل ان يكون صفة لكل افاك ولا تعارض
بين قوله كل افاك وبين قوله واكثرهم كاذبون لان الافاك هو الذي يكثر الكذب ولا يدل ذلك
على انه لا ينطق الا بالافك فالمعنى ان الافاكين من صدق منهم فيما يحكى عن الجن فاكثرهم مفتر قال
الزمخشري فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبيكم على من تنزل
الشياطين لم فرق بينهن وبين اخوات قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معناهن ليرجع
الى المجي بهن ويطريه ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذى نزلن فيه من المعاني
التي اشتدت كراهة الله لها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشي منه وفضل
عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه انتهى ولما ذكر الكهنة بافكهم الكبير وحالهم
المقتضية نفي كلام القران اذ كان بعض الكفار قال في القران انه شعر كما قالوا في الرسول
انه كاهن وان ما اتى به هو من باب الكهانة كما قال تعالى وما هو بقول كاهن وقال وما هو بقول
شاعر فقال والشعرا يتبعهم الغاوون قيل هي في امية بن ابي الصلت وابي عزة ومسافع
الجمحي وهبيرة بن ابي وهب وابي سفين بن الحرث وابن الزبعري وقد اسلم ابن الزبعري
وابو سفين والشعرا عام يدخل فيه كل شاعر والمذموم من يهجو ويمدح شهوة محرمة ويقذف
المحصنات ويقول الزور وما لا يسوغ شرعا وقرا عيسى والشعرا نصبا على الاشتغال
والجمهور رفعا على الابتدا والخبر وقرا السلمي والحسن بخلاف عنه ونافع يتبعهم مخففا وباقي

السبعة

السبعة مخففا وسكن العين الحسن وعبد الوارث عن ابي عمرو وروى هارون نصبها عن بعضهم
وهو مشكل والغاوون قال ابن عباس الرواة وقال ايضا المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم
وقال عكرمة الرعاع الذين يتبعون الشاعر وقال مجاهد وقتادة الشياطين وقال عطية السفهاء
المشركون يتبعون شعراهم الم تر انهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول
واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس
على عنترة واشحهم على حاتم وتبهتوا البري ويفسقوا التقي وقال ابن عباس هو تقبيحهم الحسن
وتحسينهم القبيح وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك لغلوهم في افانين الكلام ولهجهم بالفصاحة
والمعاني اللطيفة قد ينسبون لانفسهم ما لا يقع منهم وقد درا الحد في الخمر عمر بن الخطاب عن
النعمن بن عدي في شعر قاله لزوجته حين احتج عليه بهذه الاية وكان قد ولاه بيسان فعزله
واراد ان يحده والفرزدق بن عبد الملك

فبتن كانهن مصرعات ... وبت افض اغلاق الختام

فقال له سليمن لقد وجب عليك الحد فقال لقد درا الله عني الحد بقوله وانهم ليقولون ما لا
يفعلون اخبر تعالى عن الشعرا بالاحوال التي تخالف حال النبوة اذ امرهم كما ذكر من اتباع الغواة
لهم وسلوكهم افانين الكلام من مدح الشي وذمه ونسبة ما لا يقع منهم اليهم وذلك بخلاف حال
النبوة فانها طريقة واحدة لا يتبعها الا الراشدون ودعوة الانبيا واحدة وهي الدعا الى
توحيد الله وعبادته والترغيب في الاخرة والصدق هذا مع ان ما جاوا به لا يمكن ان يجي به
غيرهم من ظهور المعجز ولما كان ما سبق ذما للشعرا واستثنى منهم من اتصف بالايمان والعمل الصالح
والاكثار من ذكر الله وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا نظموا شعرا كان في توحيد الله والثنا
عليه وعلى رسوله وصحبه والموعظة والزهد والاداب الحسنة وتسهيل علم وكل ما يسوغ القول
فيه شرعا فلا يتلطخون في قوله بذنب ولا منقصة والشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه
قبيح وقال رجل علوى لعمرو بن عبيد ان صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا باس
به وقيل المراد بالمستثنين حسان وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان
ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلم لكعب بن مالك اهجهم فوالذى نفسي بيده
لهو اشد عليهم من النبل وقال لحسان قل وروح القدس معك وهذا معنى قوله وانتصروا اي
بالقول فيمن ظلمهم وقال عطا بن يسار وغيره لما ذم الشعرا بقوله والشعرا الاية شق ذلك
على حسان وابن رواحة وكعب بن مالك وذكروا ذلك للرسول فنزلت اية الاستثنا بالمدينة
وخص ابن زيد قوله وذكروا الله كثيرا فقال اي في شعرهم وقال ابن عباس صار خلقا لهم
وعادة كما قال لبيد حين طلب منه شعره ان الله ابدلني بالشعر القران خيرا منه ولما ذكر
وانتصروا من بعد ما ظلموا توعد الظالمين هذا التوعد العظيم الهايل الصادع للاكباد وابهم
في قوله اي منقلب ينقلبون ولما عهد ابو بكر لعمر رضي الله عنهما تلا عليه وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون وكان السلف الصالح يتواعظون بها والمفهوم من الشريعة ان الذين
ظلموا هم الكفار وقال الزمخشري وتفسير الظلم بالكفر تعليل وكان ذكر قبل ان الذين ظلموا
مطلق وهذا منه على طريق الاعتزال وقرا ابن عباس وابن ارقم عن الحسن اي منفلت
ينفلتون بفا وتاين ومعناه ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة وسيعلم هنا معلقة واي منقلب استفهام
والناصب له ينقلبون وهو مصدر والجملة في موضع المفعول لسيعلم وقال ابو البقا اي منقلب
مصدر نعت لمصدر محذوف والعامل ينقلبون انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه يعلم لان
الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله انتهى وهذا تخليط لان ايا اذا وصف بها لم يكن استفهاما بل
اي الموصوف بها قسيم لاي المستفهم بها لا قسم فاي تكون شرطية واستفهامية وموصولة
ووصفا وعلى مذهب الاخفش موصوفة بنكرة نحو مررت باي معجب لك وتكون منادى ووصلة
لندا ما فيه الالف واللام نحو يا ايها الرجل والاخفش يزعم ان التي في الندا موصولة ومذهب
الجمهور انها قسم براسه والصفة تقع حالا من المعرفة فهذه اقسام اي فاذا قلت قد
علمت اي ضرب تضرب فهي استفهامية لا صفة لمصدر محذوف   اصله الكف والمنع

يقال وزعه يزعه ومنه قول عثمن رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران وقول
الحسن لابد للقاضي من وزعه وقول الشاعر

ومن لم يزعه لبه وحياوه فليس له من شيب فوديه وازع

جنس واحدة نملة ويقال بضم الميم فيهما وبضم النون مع ضم الميم وسمي بذلك لكثرة
تنمله وهو حركته الكثيرة قال النحاس ابتدا الضحك وتفعل فيه بمعني المجرد
وهو بسم قال الشاعر

وتبسم عن المي كان منورا تخلل حر الرمل دعص له ند

وقال اخر ابدي نواجده لغير تبسم

طلب ما فقدته وغاب عنك طاير معروف وتصغيره على القياس هديهد
وزعم بعضهم ان ياءه ابدلت الفا في التصغير فقيل هداهد قال الشاعر

كهداهد كسر الرماة جناحه كما قالوا دوابة وشوابة يريدون دويبة وشويبة
هو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو يصرف ولا يصرف اذا صار اسما للحي او القبيلة
او البقعة التي سميت باسم الرجل الشي المخبو من خبات الشي خباً
سترته وسمي المفعول بالمصدر ما سيق الى الانسان مما يتحف به على سبيل التكرمة
والعفر والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه
ومن الشياطين الخبيث المارد قال الشاعر

كانه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب

القصر او صحن الدار او ساحتها او البركة او البلاط المتخذ من القوارير اقوال تاتي
في التفسير معروف يجمع على اسوق في القلة وعلى سووق وسوق في الكثرة وهمزه لغة
الاملس ومنه الامرد وشجرة مرداء لا ورق عليها جمع قارورة وهي

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك
ايات القران وكتاب مبين هدي وبشرى للمومنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم
بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون اوليك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القران من لدن
حكيم عليم اذ قال موسي لاهله اني انست نارا ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
فلما جاها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسي انه انا الله العزيز
الحكيم والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولي مدبرا ولم يعقب يا موسي لا تخف اني لا يخاف لدي
المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا
من غير سوء في تسع ايات الي فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاتهم اياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة لانه قال وما
تنزلت به الشياطين وقبله وانه لتنزيل رب العالمين وقال هنا طس تلك ايات القران اي الذي
هو تنزيل رب العالمين واضاف الايات الى القران والكتاب المبين اما اللوح وابانته ان قد
خط فيه كل ما هو كاين فهو يبينه للناظرين واما السورة واما القران وابانتهما انهما يبينان
ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان اعجازهما ظاهر مكشوف ونكر وكتاب مبين ليبهم بالتنكير
فيكون افخم له كقوله في مقعد صدق واذا اريد به القران فعطفه من عطف احدى الصفتين
على الاخرى لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث ان مدلول القران الاجتماع ومدلول
كتاب الكتابة وقيل القران والكتاب اسمان علمان على المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
فحيث جا بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جا بوصف النكرة فهو الوصف وقيل هما يجريان مجرى
العباس وعباس فهو في الحالين اسم العلم انتهي وهذا خطا اذ لو كان حاله تنزع ال منه علما ما جاز
ان يوصف بالنكرة الا ترى الي قوله وكتاب مبين وقران مبين وانت لا تقول مررت بعباس
قايم تريد به الوصف وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين برفعهما التقدير وايات كتاب فحذف

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فاعرب باعرابه وهنا تقدم القران على الكتاب وفي الحجر عكسه
ولا يظهر فرق وهذا كالمتعاطفين في نحو ما جاء زيد وعمرو فتارة يظهر ترجيح كقوله شهد الله انه لا اله
الا هو والملايكة واولوا العلم وتارة لا يظهر كقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا قال
يحيى بن سلام هدي الي الجنة وبشرى بالثواب وقال الشعبي هدى من الضلال وبشرى
بالجنة وهدى وبشرى مصدران فاحتمل ان يكونا منصوبين على الحال اي هادية ومبشرة هو
قيل فالعامل في الحال ما في تلك من معني الاشارة واحتمل ان يكونا مصدرين واحتمل الرفع
على اضمار مبتدا اي هي هدي وبشرى او على البدل من ايات او على خبر بعد خبر اي جمعت بين
كونها ايات وهدى وبشرى ومعنى كونها هدى للمومنين زيادة هداهم قال تعالى فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقيل هدى لجميع الخلق ويكون الهدى بمعني الدلالة والارشاد
والتبيين لا بمعني تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال وبشرى للمومنين خاصة وقيل هدى
للمومنين وبشرى للمومنين وخصهم بالذكر لانتفاعهم به وهم بالاخرة هم يوقنون تحتمل هذه الجملة
ان تكون معطوفة على صلة الذين ولما كان يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة مما يتجدد ولا يستغرق
الازمان جات الصلة فعلا ولما كان الايمان بالاخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة
جات الجملة اسمية واكدت المسند اليه فيها بتكراره فقيل هم يوقنون وجا خبر المبتدا فعلا ليدل
على الديمومة واحتمل ان تكون الجملة استينافا اخبارا قال الزمخشري ويحتمل ان تتم الصلة عنده
اي عند قوله وهم قال ويكون الجملة اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين يومنون ويعملون الصالحات
من اقام الصلوة وايتا الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة
ابتدايية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولا
الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق انتهي وقوله
ويكون الجملة اعتراضية هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع الا
بين شيين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة وموصول وبين جزي اسناد وبين شرط وجزايه
وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه وهنا ليست واقعة بين شيين مما ذكر حتى صار معناها
الى اخره فيه دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية والزكوة هنا يحتمل ان تكون غير المفروضة
لان السورة مكية قديمة ويحتمل ان تكون المفروضة من غير تفسير وقيل الزكوة هنا بمعني الطهارة
من النقايص وملازمة مكارم الاخلاق انتهي ولما ذكر تعالي المومنين الموقنين بالبعث ذكر المنكرين
للبعث والاشارة الي قريش ومن جرى مجراهم في انكار البعث والاعمال اما ان يكون اعمال
الخير والتوحيد الذي كان الواجب عليهم ان يكون اعمالهم فعموا عنها وترددوا
وتحيروا ويبنسب هذا القول الي الحسن البصري او اعمال الكفر والضلال فيكون تعالى قد
حبب ذلك اليهم وزينه بان خلقه في نفوسهم فراوا تلك الاعمال القبيحة حسنة وقال
الزمخشري فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الي ذاته واسنده الي الشيطان في قوله زين لهم
الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الي الشيطان حقيقة واسناده
الي الله تعالي مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان تكون من المجاز الذي يسمي الاستعارة
والثاني ان تكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا
انعام الله عليهم بذلك واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الترفه ونفارهم
عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارة
الملايكة بقولهم بل متعتهم واباءهم حتي نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان
وتخليته حتي يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصحح بعض الملابسات
انتهي وهو تاويل على طريق الاعتزال اوليك اشارة الي منكري البعث وسوء العذاب الظاهر انه
ليس مقيدا بالدنيا بل لهم ذلك في الدنيا والاخرة وقيل المعني في الدنيا وفسر بما نالهم بيوم
بدر من القتل والاسر والنهب وقيل ما ينالونه عند الموت وما بعده من عذاب القبر وسوء العذاب
شدته وعظمه والظاهر ان الاخسرون افعل التفضيل وذلك ان الكافر خسر الدنيا والاخرة
كما اخبر تعالى عنه وهو في الاخرة اكثر خسرانا اذ ماله الي عقاب دايم واما في الدنيا فاذا اصابه
بلية فقد يزول عنه وينكشف فكثرة الخسران وزيادته انما ذلك له في الاخرة وقد تترتب الاكثرية

وان كان المسند اليه واحدا بالنسبة الى الزمان والمكان والهيئة او غير ذلك مما يقبل الزيادة
وقال الكرماني افعل هنا للمبالغة لا للشركة كانه يقول ليس للمومن خسران البتة حتى يشركه
فيه الكافر ويزيد عليه وقد بينا كيفية الاشتراك بالنسبة الى الدنيا والاخرة وقال ابن
عطية والاخسرون جمع اخسر لانه افعل صفة لا يجمع الا ان يضاف فيقوى رتبته في الاسماء وفي
هذا نظر انتهى ولا نظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك
اذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية فتقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن
الفضليات والفضل واما قوله لا يجمع الا ان يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا اضيف الى
نكرة فلا يجوز جمعه وان اضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد على ما تقرر ذلك في كتب النحو
ولما تقدم تلك آيات القرآن خاطب نبيه بقوله وانك اي هذا القرآن الذي تلقيته هو من عند
الله تعالى وهو الحكيم العليم لا كما ادعاه المشركون من انه افك واساطير وكهانة وشعر وغير ذلك
من تقولاتهم وبني الفعل للمفعول وحذف الفاعل وهو جبريل للدلالة عليه في قوله نزل به الروح
الامين ولقي يتعدى الى واحد والتضعيف فيه للتعدية فيتعدى به الى اثنين وكانه كان
غايبا عنه فلقيه فتلقاه قال ابن عطية ومعناه يعطى كما قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
وقال الحسن المعنى وانك لتعلم القرآن وقيل معناه تلقن والحكمة العلم بالامور العملية
والعلم اعم منه لانه يكون عمليا ونظريا وكمال العلم تعلقه بكل المعلومات وبقاوه مصونا عن كل التغيرات
ولا يكون ذلك الا لله تعالى وهذه الآية تمهيد لما يخبر به من المغيبات وبيان قصص الامم الخالية
مما يدل على تلقيه ذلك من جهة الله واعلامه بلطيف حكمته ودقيق علمه تعالى قيل وانتصب اذ باذكر
مضمرة او بعليم وليس انتصابه بعليم واضحا اذ يصير الوصف مقيدا بالمعمول وقد تقدم
طرف من قصة موسى عليه السلم في رحيله باهله من مدين في سورة طه وظاهر اهله انه جمع لقوله
ساتيكم ولعلكم تصطلون وروي انه لم يكن معه غير امراته وقيل كانت ولدت له وهو عند شعيب ولدا
فكان مع امه فان صح هذا النقل كان من باب خطاب ما ليس بجمع خطاب الجمع على سبيل الاكرام
والتعظيم وكان الطريق قد اشتبه عليه والوقت بارد والسير في ليل فتشوفت نفسه اذ راى
النار الى زوال ما لحق من اضلال الطريق وشدة البرد فقال ساتيكم منها بخبر اي من موقدها بخبر
يدل على الطريق او اتيكم بشهاب قبس اي ان لم يكن هناك من يخبر فاني استصحب ما تدفئون به
منها وهذا الترديد باو ظاهر لانه كان مطلوبه اولا ان يلقى على النار من يخبره بالطريق فانه مسافر
ليس بمقيم فان لم يكن احدا فهو مقيم فيحتاجون لدفع ضرر البرد وهو ان تاتيهم بما يصطلون فليس
محتاجا للشيئين معا بل لاحدهما الخبر ان وجد من يخبره فيرحل او الاصطلاء ان لم يجد واقام
مقصوده اما هداية الطريق واما اقتباس النار وهو معنى قوله لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على
النار هدى وجاء هنا ساتيكم منها بخبر وهو خبر وفي طه لعلي اتيكم منها بقبس وفي القصص لعلي اتيكم
منها بخبر وهو ترج ومعنى الترجي يخالف معنى الخبر ولكن الرجا اذا قوي جاز للراجي ان يخبر بذلك
وان كانت الخيبة يجوز ان يقع واتى بسين الاستقبال اما لان المسافة كانت بعيدة واما
لانه قد يمكن ان يبطي لما قدر انه قد يعرض له ما يبطيه والشهاب الشعلة والقبس النار
المقبوسة فعل بمعنى مفعول وهو القطعة من النار في عود او غيره وتقدم ذلك في طه وقرا
الكوفيون بشهاب منونا فقبس بدل او صفة لانه بمعنى المقبوس وقرا باقي السبعة بالاضافة
وهي قراءة الحسن قال الزمخشري اضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس واتبع
في ذلك ابا الحسن قال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في القراءة كما تقول دار اجر وسوار
ذهب والظاهر ان الضمير في جاءها عايد على النار وقيل على الشجرة وكان قد راها في شجرة سمر خضرا
وقيل عليق وهي لا تحرقها كلما قرب منها بعدت ونودي المفعول الذي لم يسم فاعله الظاهر انه
ضمير عايد على موسى عليه السلم وان على هذا يجوز ان تكون مفسرة لوجود شروط المفسرة فيها
ويجوز ان تكون مصدرية اما الثنائية التي تنصب المضارع وبورك صلة لها والاصل بحرف
الجر اي بان بورك وبورك خبر واما المخففة من الثقيلة واصلها الحرف الجر وقال الزمخشري
فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة
قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى ويجوز

ان تكون المخففة وبورك فعل دعاء كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يحتج دخول قد عليه
فيكون كقوله تعالى والخامسة ان غضب الله عليها في قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب
اما ان جزاك الله خيرا واما ان يغفر الله لك وكان الزمخشري بنى ذلك على ان بورك خبر لا دعاء فلذلك
لم يجز ان يكون مخففة من الثقيلة واجاز الزجاج ان يكون ان بورك في موضع المفعول الذي لم يسم
فاعله وهو على اسقاط الخافض اي نودي بان بورك كما تقول نودي بالرخص ويجوز ان تكون ان
الثنائية او المخففة من الثقيلة فيكون بورك دعاء وقيل المفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير النداء
اي نودي هو اي النداء ثم فسر بما بعده وبورك معناه قدس وطهر وزيد خيره ويقال باركك
الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك وقال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

وقال اخر

بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون

وقال عبد الله بن الزبير

فبورك في بنيك وفي بنيهم اذا ذكروا ونحن لك الفدا

ومن المشهور انها لمن يعلم فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم اراد تعالى بمن في النار ذاته
وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة الى الله تعالى واذا ثبت ذلك عن ابن عباس
ومن ذكر اول على حذف اي بورك من قدرته وسلطانه في النار وقيل لموسى عليه السلم اي بورك من في المكان
او الجهة التي لاح له فيها النار وقال السدي من الملايكة الموكلين بها وقيل من يقع ها على ما لا يعقل فقال
ابن عباس اراد النور وقيل الشجرة التي تتقد فيها النار وقيل والظاهر في ومن حولها انه لمن يعلم تفسير
بموسى وفسر بالملايكة ويدل عليه قراءة ابي فيما نقل ابو عمرو الداني وابن عباس ومجاهد وعكرمة ومن
حولها الله هو يعلم من الملايكة ويحمل هذه القراءة على التفسير لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه
وفسر ايضا بموسى عليه السلم والملايكة معا وقيل يكون لما لا يعقل وفسر بالامكنة التي حول النار
وجدير ان يبارك من فيها ومن حواليها اذ حدث امر عظيم وهو تكليم الله لموسى وتنبيه وبداه بالنداء
بالبركة تبشير لموسى وتانيس له ومقدمة لمناجاته والظاهر ان قوله وسبحان الله رب العالمين داخل
تحت قوله نودي لما نودي بالبركة من ذكر نودي ايضا بما يدل على التنزيه والبراءة من صفات المحدثين مما
عسى ان يخطر ببال ولا سيما ان حمل من في النار على تفسير ابن عباس ان من اريد به الله تعالى فان ذلك دال
على التحيز فاتى بما يقتضي التنزيه وقال السدي هو من كلام موسى لما سمع النداء قال وسبحان الله
رب العالمين خطاب لمحمد عليه الصلوة والسلم وهو اعتراض بين الكلامين والمقصود به التنزيه
ولما انسه تعالى ناداه واقبل عليه فقال يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والظاهر ان الضمير في انه
ضمير الشان وانا الله جملة في موضع الخبر والعزيز الحكيم صفتان واجاز الزمخشري ان يكون الضمير
في انه راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للبيان
انتهى واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل
عن بنايه له وعزم على ان لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير مقصودا
معتنى به وهذا النداء والاقبال والمخاطبة تمهيد لما اراد الله تعالى ان يظهره على يده من المعجز
اي انا القوي القادر على ما يبعد في الاوهام الفاعل ما افعله بالحكمة وقال الزمخشري فان قلت
على ما عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وقيل له الق عصاك
والدليل على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير
كما تقول كتبت اليه ان حج واعتمر وان حج وان اعتمر انتهى وقوله انه معطوف على بورك
مناف لتقديره وقيل له الق عصاك لان هذه جملة معطوفة على بورك وليس جزوها الذي هو معمول
وقيل معطوفا على بورك وانما احتاج الى تقدير وقيل له الق عصاك لتكون الجملة خبرية مناسبة
للجملة الخبرية التي عطفت عليها كانه يرى في العطف تناسب المتعاطفين والصحيح انه لا يشترط
ذلك بل قوله والق عصاك معطوف على قوله انه انا الله العزيز الحكيم عطف جملة الامر على جملة
الخبر وقد اجاز سيبويه جاء زيد ومن عمرو فلما راها تهتز ثم محذوف تقديره فالقاها من يده وقرا الحسن
والزهري وعمرو بن عبيد جان بهمزة مكان الالف كانه فر من التقاء الساكنين وقد تقدم الكلام

في نحو ذلك في قوله ولا الضالين بالهمز في قراءة عمرو بن عبيد وجا فاذا هي حية فاذا هي ثعبان مبين
وهذا اخبار من الله بانقلابها وتغييرها وصفاتها واعراضها وليس اعدامًا لذاتها وخلقها الحية وثعبان
بل ذلك من تغيير الصفات لا تغيير الذات وهنا شبهها حالة اهتزازها بالجان فقيل هو صغار الحيات
شبهها حالة اهتزازها في سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها ولما راى موسى هذا الامر الهايل
ولى مدبرا ولم يعقب قال مجاهد ولم يرجع وقال السدي لم يمكث وقال قتادة ولم يلتفت يقال
عقب الرجل توجه الى شي كان ولى عنه لانه انصرف على عقبيه ومنه عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار

قال الشاعر

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

ولحقه ما لحق طبع البشرية اذا راى الانسان امرا هايلا جدا وهو رويته انقلاب العصا حية
تسعى ولم يتقدمه في ذلك تطمين اليه عند رويتها قال الزمخشري وانما رغب لظنه ان في ذلك
لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون انتهى وقال ابن عطية وناداه الله تعالى مونسا
ومقويا على الامر يا موسى لا تخف فان رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري فاخذ موسى
الحية فرجعت عصا ثم صارت له عادة انتهى وقيل المعنى لا يخاف المرسلون في الموضع الذي يوحى اليهم
فيه وهم اخوف الناس من الله وقيل اذا امرتهم باظهار معجز فينبغي ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار
ذلك فالمرسل يخاف الله لا محالة انتهى والاظهر ان قوله الا من ظلم استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم
غيرهم قاله الفرا وجماعة اذ الانبيا معصومون من وقوع الظلم الواقع من غيرهم وعن الفرا انه
استثنا متصل من جملة محذوفة والتقدير وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس وقال
الاستثنا من محذوف محال لو جاز هذا الجاز لا اضرب القوم الا زيدا بمعنى وانما اضرب غيرهم
الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف معناه انتهى وقالت فرقة الا بمعنى الواو والتقدير
ولا من ظلم وهذا ليس بشي لان معنى الا مباين لمعنى الواو ومباينة كثيرة اذ الواو للادخال والا للاخراج
فلا يمكن وقوع احدهما موقع الاخر وروى عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك وما يقتضي انه استثنا
متصل قال ابن عطية واجمع العلما على ان الانبيا عليهم السلام معصومون من الكباير ومن الصغاير
التي هي رذايل واختلف فيما عداها فعسى ان يشير الحسن وابن جريج الى ما عدا ذلك انتهى وقال
الزمخشري والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن المرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة
فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منهم صغيرة مما لا يجوز على الانبيا كالذي فرط
من ادم ويونس وداود وسليمن واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض
بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي تلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي انتهى وقرا ابو جعفر وزيد بن اسلم الا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح
ومن شرطية والحسن حسن التوبة والسوء الظلم الذي ارتكبه وقرا الجمهور حسنا بضم الحاء
واسكان السين منونا وقرا محمد بن عيسى الاصبهاني كذلك الا انه لم ينون جعله فعلى فامتنع
الصرف وابن مقسم بضم الحاء والسين منونا ومجاهد وابو حيوة وابن ابي ليلى والاعمش وابو
عمرو في رواية الجعفي وابي زيد وعصمة وعبد الوارث وهرون وعياش بفتحهما منونا وادخل امر
بما يترتب عليه من ظهور المعجز العظيم لما اظهر له معجزا في غيره وهو العصا اظهر له معجزا في نفسه
وهو تلالو يده كانها قطعة نور اذا فعل ما امر به وجواب الامر الظاهر انه تخرج لان خروجها مترتب
على ادخالها وقيل في الكلام حذف تقديره وادخل يدك في جيبك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الاول
ما اثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مقابله في الاول قال قتادة في جيبك قميصك كانت
له مدرعة من صوف لا كمين لها وقال ابن عباس ومجاهد كان كمها الى بعض يده وقال السدي في جيبك
اي تحت ابطك والظاهر ان قوله في تسع ايات الى فرعون متعلق بمحذوف تقديره اذهب بهاتين
الايتين في تسع ايات الى فرعون ويدل عليه قوله بعد فلما جاتهم اياتنا مبصرة وهذا الحذف مثل قوله

اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

وقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما

التقدير هلموا الى الطعام وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك
في تسع ايات اي في جملة تسع ايات ولقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان منها اليد

والعصا

338

والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى فعلى الاول يكون العصا واليد داخلتين في التسع وعلى
الثاني تكون في بمعنى مع اي مع تسع ايات وقال ابن عطية في تسع ايات متصل بقوله الق وادخل
وفيه اقتضاب وحذف تقديره نمهد ذلك وتيسر لك في جملة تسع ايات وهي العصا واليد والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والحجر وفي هذين الاخيرين اختلاف والمعنى
يجي بهن الى فرعون وقومه وقال الزجاج في تسع ايات اي من تسع ايات كما تقول خذ لي عشرا من الابل
فيها فحلان اي منها الى فرعون اي موسلا الى فرعون انتهى وانتصب مبصرة على الحال اي بينة واضحة
ونسب الابصار اليها على سبيل المجاز لما كان يبصر بها جعلت مبصرة او لما كان معها الابصار او الوضوح
وقيل لجعلهم نظرا من قولك ابصرته المتعدية بهمزة النقل من بصر وقيل فاعل بمعنى مفعول كما في ماء دافق
وقرا قتادة وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر كما تقول الولد مجبنة واقيم
مقام الاسم وانتصب ايضا على الحال وكثر هذا الوزن في صفات الاماكن نحو ارض مسبعة ومكان
مضبة قال الزمخشري اي مكانا يكثر فيه التبصر انتهى والابلغ في واستيقنتها ان يكون الواو
واو الحال اي كفروا بها وانكروها في الظاهر وقد استيقنت انفسهم في الباطن انها ايات من عند
الله وكابروا وسموها سحرا وقال تعالى حكاية عن موسى في محاورته لفرعون قال لقد علمت ما انزل
هولاء الا رب السموات والارض بصاير بمجاوزة الحد وعلوا ارتفاعا وتكبرا عن الايمان وانتصبا على
انهما مصدران في موضع الحال اي ظالمين عالين او مفعولان من اجلهما اي لظلمهم وعلوهم اي الحامل لهم
على الانكار والجحود مع استيقان انها ايات من عند الله هو الظلم والعلو واستفعل هنا بمعنى تفعل
نحو استكبر في معنى تكبر وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وابان بن تغلب وعليا بقلب الواو
يا وكسر العين واللام واصله فعول لكنهم كسروا العين اتباعا وروي ضمها عن ابن وثاب
والاعمش وطلحة وتقدم الخلاف في كفر العناد هل يجوز ان يقع ام لا والعاقبة ما ال اليه قوم
فرعون من سوء المنقلب وما اعد لهم في الاخرة اشد وفي هذا تمثيل لكفار قريش اذ كانوا مفسدين
مستعلين وتحذير لهم ان يحل بهم مثل ما حل بمن كان قبلهم ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وورث سليمن داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم
يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده
وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين هذا ابتدا قصص واخبار هو
بمغيبات وعبر ونكر علما لانه طايفة من العلم وقال قتادة علما فهما وقال مقاتل علما بالقضا وقال
ابن عطا علما بالله تعالى وقال الزمخشري او علما سنيا غزيرا وقالا قال فان قلت اليس هذا
موضع الفا دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان
ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشي من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه
قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله والكثير
المفضل عليه من لم يوت علما او من لم يوت مثل علمهما وفي الاية دليل على شرف العلم انتهى والموروث
الملك والنبوة بمعنى صار ذلك اليه بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا كما قيل العلما ورثة
الانبيا وحقيقة الميراث في المال والانبيا لا تورث مالا وكان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا
فنبي سليمن من بينهم وملك وقيل ولاه على بني اسرايل في حياته من بين ساير اولاده فكانت
الولاية في معنى الوراثة وقال الحسن ورث المال لان النبوة عطية مبتداة لا تورث
وقيل الملك والسياسة وقيل النبوة فقط والاظهر القول الاول ويويده هذا الشرح للميراث
وقوله ان هذا لهو الفضل المبين يقوي ذلك ولا يناسب شي من هذا وراثة المال وقوله يا ايها
الناس تشهير لنعمة الله وتنويه بها واعتراف بمكانها ودعا الناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظايم الامور ومنطق الطير استعارة لما يسمع منها
من الاصوات وهو حقيقة في بني ادم لما كان سليمن يفهم منه ما يفهم من كلام بني ادم كما يفهم بعض
الطير من بعض اطلق عليه منطق وقيل كانت الطير تكلمه معجزة له كقصة الهدهد والظاهر

انه علم منطق الطير وعموم الطير وقيل علم منطق الحيوان قيل والنبات حتى كان يمر على الشجرة فتذكر
له منافعها ومضارها وانما نص على الطير لانه كان جندا من جنوده يحتاج اليه في التظليل من الشمس وفي
البعث في الامور وقال قتادة والشعبي وكذلك كانت هذه النملة القائلة ذات جناحين واورد
المفسرون مما ذكروا ان سليمن عليه السلم اخبر عن كثير من الطير بانواع من الكلام تقديس لله
تعالى وعظات وعبر ما الله اعلم بصحته واوتينا من كل شي ظاهره العموم والمراد الخصوص اي من كل
شي يصلح لنا ونتمناه واريد به كثرة ما اوتي فكانه مستغرق بجميع الاشيا كما تقول فلان يقصده
كل احد يريد كثرة قصاده وهذا كقوله تعالى في قصة بلقيس واوتيت من كل شي ونبي علمنا واوتينا
للمفعول وحذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى وكانا مسندين لنون العظمة لا لتا المتكلم لانه اما ان
اراد نفسه واياه او لما كان ملكا مطاعا خاطب اهل طاعته ومملكته بحاله التي هو عليها لا على سبيل
التعاظم والكبر ان هذا لهو الفضل المبين اقرارا بالنعمة وشكر لها ومحمدة روي ان معسكره كان
مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن ومثلها للانس ومثلها للطير ومثلها للوحش والف بيت من
قوارير على الخشب فيها ثلث مائة منكوحة وسبع مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ ومنبره في وسطه من ذهب فيصعد عليه وحوله ست مائة الف كرسي من
ذهب وفضة تقعد الانبيا على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر
وتفصيل هذه الاشيا يحتاج الى صحة نقل وكان ملكه عظيما ملا الارض وانقاد له اهل المعمور منها
وتقدم لنا انه ملك الارض باسرها اربعة مومنان سليمن وذو القرنين وكافران بخت نصر ونمرود
وحشر الجنود يقتضي سفرا دفسر الجنود انهم الجن والانس والطير وذكر المفسرون الوحش
رابعا فهم يوزعون تحشر اولهم على اخرهم اي يوقف متقدموا العسكر حتى ياتي اخرهم فيجتمعون
لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة او يكفون عن المسير حتى يجتمعوا وقيل يجتمعون من كل
جهة وقيل يساقون وقيل يدفعون وقيل يحبسون وكانت الجيوش تسير معه اذا سار وينزل اذا
نزل حتى اذا اتوا هذه غاية لشي مقدر اي وساروا حتى اذا اتوا وضمن يوزعون معنى فعل
يقتضي ان تكون حتى غاية له اي فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض وعدي اتوا بعلى
اما لان اتيانهم كان من فوق واما ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشي اذا
اتى على اخره وانفذه كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانه ما دامت الريح تحملهم
لا يخاف حطمهم قاله الزمخشري وقال ابن عطية والظاهر ان سليمن وجنوده كانوا مشاة
في الارض ولذلك تهيا حطم النمل بنزولهم في وادي النمل ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح
فاحست النمل بنزولهم في وادي النمل ووادي النمل قيل بالشام وقيل باقصى اليمن وهو معروف
عند العرب مذكور في اشعارها وقال كعب وادي السدير من الطايف والظاهر صدور القول
من النملة وفهم سليمن كلامها كما فهم منطق الطير قال مقاتل من ثلثة اميال وقال الضحاك
بلغته الريح كلامها وقال ابن بحر نطقت بالصوت معجزة لسليمن ككلام الضب والذراع
للرسول وقيل فهمه الهاما من الله كما فهمه جنس النمل لا انه سمع قولا وقال الكلبي اخبره ملك بذلك
وقال جرير

لو كنت اوتيت كلام الحكل علم سليمن كلام النمل

والحكل ما لا يسمع صوته وذكروا اختلافا في صغر النملة وكبرها وفي اسمها العلم ما لفظه وليت شعري
من الذي وضع لها لفظا يخصها ابنو ادم ام النمل وقالوا كانت نملة عرجا والحوف الثاني قالت لا يدل
على ان النملة مونث بل يصح ان يقال في المذكر قالت نملة لان نملة وان كان بالتا هو مما لا يتميز فيه
المذكر من المونث وما كان كذلك كالنملة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده من الحيوان تا
التانيث فانه يخبر عنه اخبار المونث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المونث على انه ذكر او انثى
لان التا دخلت فيه للفرق لا دالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس
وقال الزمخشري وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شيتم وكان
ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا او انثى فسالوه فافحم
فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة

ولو كان ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي انتهى وكان
قتادة بن دعامة السدوسي بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته باللسان اذ علم ان
النملة يخبر عنها اخبار المونث وان كانت تنطلق على الانثى والذكر اذ هو مما لا يتميز فيه احد
هاذين فتذكيره وتانيثه لا يعلم ذلك من الحاق العلامة للفعل فتوقف اذ لا يعلم ذلك الا بوحي
من الله واما استنباط تانيثه من كتاب الله من قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة
وكلام النحاة على خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار المونث سوا كان ذكرا ام انثى واما تشبيه
الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك وهو اطلاقهما على المذكر والمونث
وبينهما فرق وهو ان الحمامة والشاة يتميز فيهما المذكر من المونث فيمكن ان تقول حمامة ذكر وحمامة
انثى فتميز بالصفة واما تمييزه بهو وهي فانه لا يجوز لا تقول هو الحمامة ولا هو الشاة وانما النملة
والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المونث فلا يجوز فيه في الاخبار الا التانيث وحكمه حكم المونث
بالتا من الحيوان العاقل نحو المراة او غير العاقل كالدابة الا ان وقع فصل بين الفعل وبين ما اسند
اليه من ذلك فيجوز ان يلحق العلامة الفعل ويجوز ان لا يلحق على ما تقرر ذلك في باب الاخبار
عن المونث في علم العربية وقرا الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمن وابو سليمن التيمي نملة بضم
الميم كسمرة وكذلك النمل كالرجل والرجل لغتان وعن سليمن التيمي نمل ونمل بضم النون
والميم وجا الخطاب بالامر كخطاب من يعقل في قوله ادخلوا وما بعده لانها امرت النمل كامر من
يعقل وصدر من النمل الامتثال لامرها وقرا شهر بن حوشب مسكنكم على الافراد وعن ابي
ادخلن مساكنكن لا يحطمنكن مخففة النون التي قبل الكاف وقرا الحسن وابو رجا وقتادة
وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي ونوح القاضي بضم اليا وفتح الحا وشد الطا والنون مضارع
حطم مشددا وعن الحسن بفتح اليا واسكان الحا وشد الطا وعنه كذلك مع كسر الحا واصله
لا يحتطمنكم من الاحتطام وقرا ابن ابي اسحق وطلحة ويعقوب وابو عمرو في رواية كعبيد كقراة الجمهور
الا انهم سكنوا نون التوكيد وقرا الاعمش بحذف النون وجزم الميم والظاهر ان قوله لا يحطمنكم
بالنون خفيفة او شديدة نهي مستانف وهو من باب لا ارينك هاهنا نهت غير النمل والمراد النمل
اي لا تظهروا بارض الوادي فيحطمنكم ولا تكن هنا فاراك وقال الزمخشري فان قلت لا يحطمنكم ما هو
قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه لانه
في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك هاهنا ارادت لا يحطمنكم جنود سليمن فجات
بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها انتهي اما تخريجه على انه امر فلا يكون ذلك الا على
قراة الاعمش اذ هو مجزوم مع انه يحتمل ان يكون استيناف نهي واما مع وجود نون التوكيد فانه
لا يجوز ذلك الا اذا كان في الشعر واذا لم يجز ذلك في جواب الشرط الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز
في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع فيه على ما قرر في النحو ومثال مجي نون التوكيد
في جواب الشرط قول الشاعر

نبتم نبات الخيزرانة في الثرى حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا

وقول الاخر

فمهما تشا منه فزارة تعطه ومهما تشا منه فزارة تمنعا

قال س وذلك قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب انتهي وقد تنبه ابو
البقا لشي من هذا قال وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار
واما تخريجه على البدل فلا يجوز لان مدلول لا يحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا واما قوله لانه في معنى
لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم فهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب والبدل من صفة صيغة الالفاظ
نعم لو كان اللفظ القراني لا تكونوا حيث انتم لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول
المساكن نهي عن كونهم في ظاهر الارض واما قوله انه اراد لا يحطمنكم جنود سليمن الى اخره فيسوغ
زيادة الاسما وهو لا يجوز بل الظاهر اسناد الحطم اليه والى جنوده وهو على حذف مضاف
اي خيل سليمن وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره وهم لا يشعرون جملة حالية اي ان وقع
حطم فليس ذلك بتعمد منهم انما يقع وهم لا يعلمون بحطمنا كقوله فتصيبكم منهم معرة بغير علم

وهذا التفات حسن اي من عدل سليمن واتباعه ورحمته ورفقه ان لا يحطم نملة فما فوقها
الا بان لا يكون لهم شعور بذلك وما احسن ما اتت به هذه النملة في قوله واغربه وافصحه
واجمعه للمعاني ادركت نملة ملك سليمن فنادت وامرت وانذرت وذكروا انه جرى بينها وبين
سليمن محاورات واهدت له نبقة وانشد وا ابياتا في حقارة ما يهدي الى العظيم والاستعداد
من ذلك ودعا سليمن للنمل بالبركة والله اعلم بصحة ذلك او افتعاله والنمل حيوان قوي
الحس شمام جدا يدخر القوت ويشق الحبة بقطعتين لئلا تنبت والكزبرة باربع لانها اذا
قطعت قطعتين انبتت وتاكل في عامها بعض ما تجمع وتدخر الباقي عدة وفي الحديث النهي عن
قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه ابو داود عن ابن عباس
وروي من حديث ابي هريرة وتبسم سليمن عليه السلام اما للعجب بما دل عليه قولها وهم لا يشعرون
وهو ادراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره واما للسرور بما اتاه الله مما لم يوت احدا وهو
ادراكه قول ما همس به الذي هو مثل في الصغر ولذلك دعا ان يوزعه الله شكر ما انعم به عليه
وانتصب ضاحكا على الحال اي شارعا في الضحك ومتجاوزا حد التبسم الى الضحك ولما كان التبسم
يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزي وكان
الضحك انما يكون للسرور والفرح اتى بقوله ضاحكا وقرا ابن السميفع ضحكا جعله مصدرا
لان تبسم في معنى ضحك فانتصابه به على المصدرية او على انه مصدر في موضع الحال فيكون
كقراءة ضاحكا وقال رب اوزعني اي اجعلني ازع شكر نعمتك والفه وارتبطه حتى لا ينفلت عني
حتى لا انفك شاكرا لك وقال ابن عباس اوزعني اجعلني اشكر وقال ابن زيد حرضني وقال
ابو عبيدة اولعني وقال الزجاج امنعني عن الكفران وقيل الهمني الشكر وادرج ذكر نعمة الله
على والديه في ان يشكرهما كما يشكر نعمة الله على نفسه لما يجب للوالدين على الولد من الدعاء
لهما والبر بهما ولا سيما اذا كان الولد تقيا لله صالحا فان والديه ينتفعان بدعائه وبدعاء
المومنين لهما بسببه كقولهم رحم الله من خلفك رضي الله عنك وعن والديك ولما سال ربه
شيا خاصا وهو شكرا لنعمة سال شيئا عاما وهو ان يعمل عملا يرضاه الله تعالى فاندرج فيه
شكر النعمة فكانه سال ايزاع الشكر مرتين ثم دعا ان يلحق بالصالحين قال ابن زيد هم الانبيا
والمومنون وكذا عادة الانبيا ان يطلبوا جعلهم من الصالحين كما قال يوسف عليه السلام توفني
مسلما والحقني بالصالحين وقال تعالى عن ابرهيم عليه السلم وانه في الاخرة لمن الصالحين
قيل لان كمال الصلاح ان لا يعصي الله تعالى ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني
بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجيتك من سبا بنبإ يقين اني وجدت
امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي
يخرج الخبا في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا
يرجعون الظاهر انه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بامور الملك والاهتمام
بالرعايا قيل وكان ياتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد وقيل كانت الطير تظله من الشمس وكان
الهدهد يستر مكانه الايمن فمسته الشمس فنظر الى مكان الهدهد فلم يره وعن عبد الله بن
سلام ان سليمن نزل بمفازة لا ما فيها وكان الهدهد يرى ظاهر الارض وباطنها وكان يخبر سليمن بذلك
فكانت الجن تخرجه في ساعة تسلخ الارض كما تسلخ الشاة فسال عنه حين حلوا تلك المفازة لاحتياجهم
الى الما وفي قوله وتفقد الطير دلالة على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظة عليهم وقال
عمر رضي الله عنه لو ان سخلة على شاطي الفرات اخذها الذيب ليسيل عنها عمر وفي الكلام محذوف
اي ففقد الهدهد حين تفقد الطير قال ابن عطية وقوله ما لي لا ارى الهدهد مقصد الكلام
الهدهد غاب ولكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم
وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام انتهى
فظاهر هذا الكلام ان ام متصلة وان الاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف الاستفهام

فمعناه

فمعناه عنده اغاب عني الان فلم اره حالة التفقد ام كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته وقال
الزمخشري ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا ارى الهدهد على معنى
انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول
اهو غايب كانه سال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شا انتهى والصحيح ان ام في هذا هي المنقطعة
لان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام فلو تقدمها اداة الاستفهام غير الهمزة كانت ام منقطعة
وهنا تقدم ما فقدت شرط المتصلة وقيل يحتمل ان يكون من المقلوب وتقديره ما للهدهد لا اراه
ولا ضرورة الى ادعا القلب وفي الكشاف ان سليمن لما تم له بنا بيت المقدس تجهز للحج فوافى
الحرم واقام به ما شا ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سهيلا فوافى صنعا وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الما
وكان الهدهد ياتيه وكان يرى الما من تحت الارض وذكر انه كان الجن يسلخون الارض حتى يظهر
الما لاعذبنه عذابا شديدا ابهم العذاب الشديد وفي تعيينه اقوال متعارضة والاجود
ان يجعل امثلة فعن ابن عباس ومجاهد وابن جريج نتف ريشه فقال ابن جريج ريشه كله وقال
يزيد بن رومان جناحه وقال ابن وهب نصفه ويبقي نصفه وقيل يزاد مع نتفه تركه للشمس
وقيل يحبس في القفص وقيل يطلى بالقطران ويشمس وقيل ينتف ويلقى للنمل وقيل يجمع مع غير
جنسه وقيل يبعد من خدمة سليمن وقيل يفرق بينه وبين الفه وقيل يلزم خدمة امراته وكان
هذا القول من سليمن غضبا لله حيث حضرت الصلوة وطلب الما للوضوء فلم يجده واباح الله
له ذلك للمصلحة كما اباح ذبح البهايم والطيور للاكل وكما سخر له الطير فله ان يوديه اذا لم يات
ما سخر له وقرا الجمهور او لياتيني بنون مشددة بعدها يا المتكلم وابن كثير بنون مشددة
بعدها نون الوقاية بعد اليا وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة بعد يا والسلطان المبين
الحجة والعذر وفيه دليل على الاغلاظ على العاصين وعقابهم وبدا اولا باخف العقابين وهو
التعذيب ثم اتبعه بالاشد وهو اذهاب المهجة بالذبح واقسم على هذين لانهما من فعله واقسم
على الاتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلثة في الحكم باو وكانه قال ليكونن احد الثلثة
والمعنى ان اتى بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لا كان احدهما ولا يدل قسمه على الاتيان
على ادعا درايه على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه ياتيه بسلطان فيكون قوله
او لياتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان وقرا الجمهور فمكث بضم الكاف وعاصم وابو عمرو
في رواية الجعفي وسهل وروح بفتحها وفي قراءة ابي فيمكث ثم قال وفي قراءة عبد الله فيمكث فقال
وكلاهما في الحقيقة تفسير لا قراءة لمخالفتهما سواد المصحف وما روي عنهما بالنقل الثابت
والظاهر ان الضمير في فمكث عايد على الهدهد اي غير زمن بعيد اي عن قرب ووصف مكثه بقصر
المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من
المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله وقيل وقف مكانا غير بعيد من سليمن وكان فيما روي
حين نزل سليمن حلق الهدهد فراى هدهدا فانحط عليه ووصف له ملك سليمن وما سخر له من
كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وعظم منه وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وقيل
الضمير في فمكث لسليمن وقيل يحتمل ان يكون لسليمن وللهدهد وفي الكلام حذف فان كان غير
بعيد زمانا فالتقدير فجا سليمن فساله ما غيبك فقال احطت وان كان مكانا فالتقدير فجا فوقف
مكانا قريبا من سليمن فساله ما غيبك وكان فيما روي قد اعلم بما اقسم عليه سليمن فبادر الى
جوابه بما يسكن غيظه عليه وهو ان غيبته كانت لامر عظيم عرض له فقال احطت بما لم تحط به
وفي هذا جسارة من لديه علم لم يكن عند غيره وتبجحه بذلك وابهام حتى تتشوف النفس الى معرفة
ذلك المبهم ما هو ومعنى الاحاطة هنا انه علم علما ليس عند نبي الله سليمن قال الزمخشري
الهم الله الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم
الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلا له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من
احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويصغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب
الذي هو فتنة العلما واعظم بها فتنة والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه
معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه

اعلم منه انتهي ولما ابهم في قوله بما لم تحط انتقل الى ما هو اقل منه ابهاما وهو قوله وجئتك من
سبا بنبإٍ يقين اذ فيه اخبار بالمكان الذي جا منه وانه له علم بخبر مستيقن له وقرا الجمهور
من سبا مصروفا هنا وفي لقد كان لسبا وابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة غير مصروف فيهما وقنبل
من طريق النبال باسكانها فيهما فمن صرفه جعله اسما للحي او الموضع او للاب كما في حديث فروة
بن مسيك وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسم رجل ولد عشرة من الولد تيامن منهم
ستة وتشام اربعة والستة حمير وكندة والازد والاشعر وخثعم وبجيلة والاربعة لخم وجذام
وعاملة وغسان وكان سبا رجلا من قحطان اسمه عبد شمس وقيل عامر وسمي سبا لانه اول من سبا
ومن منعه الصرف جعله اسما للقبيلة او البقعة وانشد واعلى المصرف

• الواردون وتيم في ذرى سبإٍ • قد عض اعناقهم جلد الجواميس •

ومن سكن الهمزة فلتوالي الحركات فيمن منع الصرف واجرا للوصل مجرى الوقف وقال
مكي الاسكان في الوصل بعيد غير مختار ولا قوي انتهي وقرا الاعمش من سبا بكسر الهمزة من
غير تنوين حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية ويبعد توجيهها وقرا ابن كثير في رواية من
سبا بتنوين البا على وزن رحي جعله مقصورا مصروفا وذكر ابو معاذ انه قرا من سبْأَ بسكون
البا وهمزة مفتوحة غير منونة بناه على فَعْلَى فامتنع الصرف للتانيث اللازم وروي ابن حبيب
عن اليزيدي من سبا بالف ساكنة كقولهم تفرقوا ايدي سبا وقرات فرقة بنبا بالالف
عوض الهمزة وكانها قراءة من قرا لسبا بالالف لتتوازن الكلمتان كما توازنت في قراءة من
قراهما بالهمز المكسور والتنوين وقال في التحرير ان هذا النوع في علم البديع يسمي بالترديد
وفي كتاب التفريع بفنون البديع ان الترديد رد اعجاز البيوت على صدورها او رد كلمة
من النصف الاول في النصف الثاني ويسمي ايضا التصدير فمثال الاول قوله •

• سريع الى ابن العم يجبر كسره • وليس الى داعي الخنا بسريع •

ومثال الثاني قوله •

• والليالي اذا نايتم طوال • والليالي اذا دنوتم قصار •

وذكروا ان مثل من سبا بنبإٍ يسمي تجنيس التصريف قالوا وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين
عن الاخرى بحرف ومنه قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
وما ورد في الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير وقال الشاعر •

• لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر • وقال الزمخشري

وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق
باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او يصيغه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جا
هاهنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى لو وضع مكان بنبإٍ بخبر لكان المعنى
صحيحا وهو كما جا اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال انتهي والزيادة التي اشار
اليها هي ان النبا لا يكون الا الخبر الذي له شان ولفظ الخبر مطلق ينطلق على ما له شان وما ليس له
شان ولما ابهم الهدهد اولا ثم ابهم ثانيا دون ذلك الابهام صرح بما كان ابهمه فقال اني وجدت
امراة تملكهم ولا يدل قوله تملكهم على جواز ان تكون المراة ملكة لان ذلك كان من فعل قوم بلقيس
وهم كفار فلا حجة في ذلك وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا ابنة كسري قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ونقل عن محمد بن جرير
انه يجوز ان تكون المراة قاضية ولم يصح عنه ونقل عن ابي حنيفة انها تقضي فيما تشهد فيه لا على
الاطلاق ولا ان يكتب لها مسطور بان فلانة مقدمة على الحكم وانما ذلك على سبيل التحكيم والاستنابة
في القضية الواحدة ومعنى وجدت هنا اصبت والضمير في تملكهم عايد على سبا ان كان اريد القبيلة
وان اريد الموضع فهو على حذف اي وجئتك من اهل سبا والمراة بلقيس بنت شراحيل وكان
ابوها ملك اليمن كلها وقد ولد له اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت
هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس واختلف في اسم ابيها اختلافا كثيرا قيل وكانت امها جنية
تسمي ريحانة بنت السكن تزوجها ابوها اذ كان من عظمه لم ير ان يتزوج احدا من ملوك
زمانه فولدت له بلقيس وقد طولوا في قصصها بما لم يثبت في القران ولا الحديث الصحيح

وبدا الهدهد بالاخبار عن ملكها وانها اوتيت من كل شي وهذا على سبيل المبالغة والمعنى من كل
شي احتاجت اليه او من كل شي في ارضها وبين قول الهدهد ذلك وبين قول سليمن واوتينا من كل
شي فرق وذلك ان سليمن عطف على قوله علمنا منطق الطير وهو معجزة فيرجع اولا الى ما اوتي
من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطف الهدهد على الملك
فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها ولها عرش عظيم قال ابن زيد هو
مجلسها وقال سفين هو كرسيها وكان مرصعا بالجواهر وعليه سبعة ابواب وذكروا من وصف
عرشها اشيا الله هو العالم بحقيقة ذلك واستعظام الهدهد عرشها اما لاستصغاره حالها
ان يكون لها مثل هذا العرش واما لان سليمن لم يكن له مثله وان كان عظيم المملكة في كل شي لانه
قد يوجد لبعض امراء الاطراف شي لا يكون للملك الذي هم تحت طاعته ولما كان سليمن قد اتاه
الله من كل شي وكان له عرش عظيم اخبره بهذا النبا العظيم حيث كان في الدنيا من يشاركه
فيما يقرب من ذلك فلم يلتفت سليمن لذلك اذ كان معرضا عن امور الدنيا فانتقل الهدهد
الى الاخبار الى ما يتعلق بامور الدين وما احسن انتقالات هذه الاخبار بعد تهدد الهدهد
وعلمه بذلك اخبر اولا باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمن تحصنا من العقوبة بزينة العلم وهو
انه من سبا وانه امر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع الى سماع ذلك النبا ثم اخبر ثالثا
عن الملك الذي اوتيته امراة وكان سليمن قد سال الله ان يوتيه ملكا لا ينبغي من بعده ثم اخبر
رابعا ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المراة التي ليس من شانها ولا شان النسا ان تملك
فحول الرجال وهو قوله واوتيت من كل شي وقوله ولها عرش عظيم وكان سليمن له بساط قد صنع له
وكان عظيما ولما لم يتاثر سليمن للاخبار بهذا كله اذ هو امر دنياوي اخبره خامسا بما هزه لطلب
هذه الملكة ودعايها الى الايمان بالله وافراده بالعبادة فقال وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وقد تقدم القول انهم كانوا مجوسا يعبدون الانوار وهو قول الحسن
وقيل كانوا زنادقة وهذه الاخبارات من الهدهد كانت على سبيل الاعتذار عن غيبته عن
سليمن وعرف ان مقصد سليمن الدعا الى توحيد الله والايمان به فكان ذلك عذرا واضحا
ازال عنه العقوبة التي كان سليمن قد توعده بها وقام ذلك الاخبار مقام الاتيان بالسلطان
المبين اذ كان في غيبته مصلحة لاعلام سليمن بما كان خافيا عنه ومآله الى ايمان الملكة وقومها
وخفي ملك هذه المراة ومكانها على سليمن وان كانت المسافة بينهما قريبة كما خفي ملك يوسف
على يعقوب وذلك لامر اراده الله تعالى قال الزمخشري ومن نوكى القصاص من يقف على
قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها فر من استعظام الهدهد
عرشها فوقع في عظيمة وهي نسخ كتاب الله انتهي وقال ايضا فان قلت من اين للهدهد
التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار لسجودهم للشمس واضافته الى الشيطان
وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف
اللطيفة التي لا يكاد العقلا يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه بكتاب الحيوان
خصوصا في زمان نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له انتهي واسند التزيين
الى الشيطان اذ كان هو المتسبب في ذلك باقدار الله تعالى فصدهم عن السبيل اي الشيطان
او تزيينه عن السبيل وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة فهم لا يهتدون اي الى الحق
وقرا ابن عباس وابو جعفر والزهري والسلمي والحسن وحميد والكساي الا بتخفيف
لام الالف فعلى هذا له ان يقف على فهم لا يهتدون ويبتدي على الا يسجدوا وقال
الزمخشري وان شا وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا وباقي السبعة بتشديدها وعلى هذا يصل
قوله فهم لا يهتدون بقوله الا يسجدوا وقال الزمخشري وفي حرف عبد الله وهي قراة الاعمش
هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب
وفي قراة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخب من السماوات والارض ويعلم سركم وما تعلنون
انتهي وقال ابن عطية وقرا الاعمش هلا يسجدون وفي حرف عبد الله الا هل تسجدون بالتا
وفي قراة ابي الا تسجدون بالتا ايضا فاما قراة من اثبت النون في يسجدون وقرا بالتا او اليا
فتخريجها واضح واما قراة باقي السبعة فخرجت على ان قوله الا يسجدوا في موضع نصب على ان

يكون بدلا من قوله اعمالهم اي فزين لهم الشيطان ان لا يسجدوا وما بين المبدل منه والبدل
معترض او في موضع جر على ان يكون بدلا من السبيل اي فصدهم عن ان لا يسجدوا لله ويكون
فهم لا يهتدون معترضا بين المبدل منه والبدل او يكون التقدير لان لا يسجدوا ويتعلق
اللام اما بزين واما بفصدهم واللام الداخلة على ان داخلة على مفعول له اي علة تزيين الشيطان
لهم او صدهم عن السبيل هي انتفا سجودهم لله او لخوفه ان يسجدوا لله وقال الزمخشري
ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعني فهم لا يهتدون الي ان يسجدوا انتهي واما قراة ابن
عباس ومن وافقه فتخرجت على ان يكون الا حرف استفتاح ويا حرف ندا والمنادى محذوف
واسجدوا فعل امر وسقطت الف يا التي للندا والف الوصل في اسجدوا اذ رسم المصحف يسجدوا
بغير الفين لما سقطا لفظا سقطا خطا ومجي مثل هذا التركيب موجود في كلام العرب قال
الشاعر • الا يا اسلمي ذات الدمالج والعقد • وقال الا يا اسقياني قبل غارة سنجال •
وقال • الا يا اسلمي يا دارمي على البلي • وقال الا يا اسقياني قبل حبل ابي بكر •
وقال • فقالت الا يا اسمع اعظك بخطة • فقلت سمعنا فانطقي واصيبي • وقال
• الا يا اسلمي يا هند هند بني بكر • وان كان حيانا عدا اخر الدهر •
وسمع بعض العرب يقول الا يا ارحمونا الا يا تصدقوا علينا ووقف الكسائي في هذه القراة على
يا ثم يبتدي اسجدوا وهو وقف اختبار والذي اذهب اليه ان مثل هذا التركيب الوارد عن
العرب ليست يا فيه للندا وحذف المنادى لان المنادى عندي لا يجوز حذفه لانه قد حذف
الفعل العامل في الندا وانحذف فاعله لحذفه ولو حذفنا المنادي لكان في ذلك حذف جملة
الندا وحذف متعلقه وهو المنادي فكان ذلك اخلالا كثيرا واذا ابقينا المنادي ولم يحذفه
كان ذلك دليلا على العامل فيه وهو جملة الندا وليس حرف الندا حرف جواب كنعم ولا وبلي واجل
فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة ما سبق من السوال على الجمل المحذوفة فيا عندي في تلك
التراكيب حرف تنبيه اكد به الا التي للتنبيه وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة
في التوكيد واذا كان قد وجد التاكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ العاملين في قوله فاصبحن
لا يسالنني عن بما به والمتفقي اللفظ العاملين في قوله ولا للما بهم ابدا دوا وجاز ذلك وان
عد وه ضرورة او قليلا فاجتماع غير العاملين ومما مختلفا اللفظ يكون جايزا وليس يا في قوله
يا لعنة الله والاقوام كلهم حرف ندا عندي بل حرف تنبيه جا بعده المبتدا وليس مما حذف منه
المنادي لما ذكرناه وقال الزمخشري فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراتين جميعا او
في واحدة منهما قلت هي واجبة فيهما وان احدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك
وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه انتهي
والخب مصدر اطلق على المخبو بسكون البا والهمزة وقرا ابي وعيسى بنقل حركة الهمزة
الي البا وحذف الهمزة وقرا عكرمة بالف بدل الهمزة فلزم فتح ما قبلها وهي قراة عبد الله ومالك
بن دينار ويخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ومررت بالخبي ورايت الخبا واجري الوصل
مجرى الوقف واجاز الكوفيون ان تقول في المراة والكماة المراة والكماة فتبدل من الهمزة الفا
فينفتح ما قبلها فعلي قولهم هذا يجوز ان يكون الخبا منه قيل وهي لغة ضعيفة واجرا الوصل
مجرى الوقف ايضا نادر وقليل فيما دل التحريكات ونقل الحركة الي البا وحذف الهمزة حكاه س
عن قوم من بني تميم وبني اسد وقراة الخبا بالالف طعن فيها ابو حاتم وقال لا يجوز في العربية
قال لانه ان حذف الهمزة القي حركتها على البا فقال الخب وان حولها قال الخبي بسكون البا وبيا
بعدها قال المبرد كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلد تهم
لم يلق اعلم منه والظاهر ان في السموات متعلق بالخب اي المخبو في السموات وقال الفرا
في ومن يتعاقبان يقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم انتهي فعلي هذا يتعلق بيخرج
اي من السموات ولما كان الهدهد قد اوتي من معرفة الماء تحت الارض ما لم يوت غيره والهمه
الله تعالي ذلك كان وصفه ربه تعالي بهذا الوصف الذي هو قوله الذي يخرج الخب اذ كل
مختص بوصف من علم او صناعة يظهر عليه مخايل ذلك الوصف في رواية ومنطقه وشمايله
ولذلك ورد ما عمل عبد عملا الا القي الله عليه ردا عمله وقرا الحرميان الجمهور ما يخفون

وما يعلنون بيا الغيبة والضمير عايد على المراة وقومها وقرا الكسائي وحفص بتا الخطاب فاحتمل
ان يكون خطابا لسليمن عليه السلم والحاضرين معه اذ يبعد ان تكون محاورة الهدهد لسليمن
ومما ليس معهما احد وكما جاز له ان يخاطبه بقوله احطت بما لم تحط به جاز ان يخاطبه والحاضرين
معه بقوله ما يخفون وما تعلنون بل خاطبه بهذا ليس فيه ظهور تشوف بخلاف ذلك الخطاب
والظاهر ان قوله الا يسجدوا الي العظيم من كلام الهدهد وقيل من كلام الله تعالي خطابا
لامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية القراة بيا الغيبة تعطي ان الاية من كلام
الهدهد وبتا الخطاب تعطي انها من خطاب الله عز وجل لامة محمد عليه السلم وقال صاحب الغنيان
لما ذكر الهدهد عرش بلقيس ووصفه بالعظم رد الله عز وجل عليه وبين ان عرشه تعالي هو الموصوف
بهذه الصفة على الحقيقة اذ لا يستحق عرش دونه ان يوصف بالعظمة وقيل انه من تمام كلام الهدهد
كانه استدرك ورد العظمة من عرش بلقيس الي عرش الله وقال الزمخشري فان قلت كيف
سوي الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله بالوصف بالعظم قلت بين الوصفين فرق لان وصف
عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الا ابنا جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم
تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض انتهي وقرا ابن محيصن وجماعة
العظيم بالرفع فاحتمل ان تكون صفة للعرش وقطع على اضمار هو على سبيل المدح فتستوي قراته
وقراة الجمهور في المعني واحتمل ان تكون صفة للرب وخص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات
وما عداه في ضمنه ولما فرغ الهدهد من كلامه وابدى عذره في غيبته اخر سليمن امره الى ان تتبين
له صدقه من كذبه فقال سننظر اصدقت في اخبارك ام كذبت والنظر هنا التامل والتصفح
واصدقت جملة معلق عنها سننظر وهي في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لان نظر بمعني التامل
والتفكر انما يتعدى بحرف الجر الذي هو في وعادل بين الجملتين بام ولم يكن التركيب
ام كذبت لان قوله ام كنت من الكاذبين ابلغ في نسبة الكذب اليه لان كونه من الكاذبين
يدل على انه معروف بالكذب سابق له هذا الوصف قبل الاخبار بما اخبر به واذا كان قد
سبق له الوصف بالكذب كان متهما فيما اخبر به بخلاف من يظن ابتدا كذبه في ما اخبر به وفي
الكلام حذف تقديره فامر بكتابة كتاب اليهم وبذهاب الهدهد رسولا اليهم بالكتاب فقال
اذهب بكتابي هذا اي الحاضر المكتوب الان فالقه اليهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم الى مكان
قريب بحيث تسمع ما يصدر منهم وما يرجع به بعضهم الي بعض من القول وفي قوله اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم دليل على ارسال الكتب الي المشركين من الامام تبلغهم الدعوة ويدعوهم الي
الاسلام وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي كسرى وقيصر وغيرهما ملوك العرب بمعني
وكن قريبا بحيث تسمع مراجعاتهم وقال ابن زيد امره بالتولي بمعني الرجوع اليه اي القه
وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معني التقديم على قوله ثم تول عنهم انتهي وقاله
ابو علي ولا ضرورة تدعو الي التقديم والتاخير بل الظاهر ان النظر متعقب التولي عنهم
وقري في السبعة فالقه بكسر الها ويا بعدها وباختلاس الكسرة وبسكون الها وقرا مسلم
بن جندب بضم الها وواو بعدها وجمع في قوله اليهم الهدهد قال وجدتها وقومها وفي الكتاب
ايضا ضمير الجمع في قوله ان لا تعلوا علي والكتاب كان فيه الدعا الي الاسلام لبلقيس وقومها
ومعني فانظر ماذا يرجعون اي تامل واستحضره في ذهنك وقيل معناه فانتظر وماذا اذا كان في معني
فانظر معنى التامل بالفكر كان انظر معلقا وماذا اما كلمة استفهام في موضع نصب واما ان يكون
ما استفهاما وذا موصول بمعني الذي فعلي الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلي الثاني
يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة ذا وان كان معنى فانظر فانتظر فليس فعل قلب فيعلق بل يكون
ذا كله موصولا بمعنى الذي اي فانتظر الذي يرجعون والمعنى فانظر ماذا يرجعون حتي ترد الي
ما يرجعون من القول قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن
الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا
حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني
مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جا سليمن قال اتمدونني بمال فما اتاني الله

خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون في الكلام حذف تقديره فاخذ الهدهد الكتاب وذهب به الي بلقيس وقومها والقاه اليهم كما امره سليمن فقيل اخذه بمنقاره وقيل علقه في عنقه فجاءها حتى وقف علي راسها وحولها جنودها فرفرف بجناحيه والناس ينظرون اليه حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وقيل كانت في قصرها قد غلقت الابواب واستلقت علي فراشها نايمة فالقى الكتاب علي نحرها وقيل كانت في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجا الهدهد فسدها بجناحه فرات ذلك وقامت اليه فالقى الكتاب اليها وكانت قارئة عربية من قوم تبع وقيل القاه من كوة وتوارى فيها فاخذت الكتاب ونادت اشراف قومها قالت يا ايها الملا وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم وفي الحديث كرم الكتاب ختمه او لكونه من سليمن وكانت عالمة بملكه او لكون الرسول به الطير فظنته كتابا سماويا او لكونه تضمن لطفا ولينا لا سبا ولا ما يغير النفس او لبدايته باسم الله اقوال ثم اخبرتهم فقالت انه من سليمن كانها قيل لها ممن الكتاب وما هو فقالت انه من سليمن وانه كيت وكيت ابهمت اولا ثم فسرت وفي بنايها القي للمفعول دلالة علي جهلها بالملقي حيث قذفته او تحقيرا له حيث كان طايرا ان كانت شاهدته والظاهر ان بداة الكتاب من سليمن بسم الله الرحمن الرحيم الي اخر ما قص الله منه خاصة فاحتمل ان تكون من سليمن مقدما علي بسم الله وهو الظاهر وقدمه لاحتمال ان تبدر منها ما لا يليق اذ كانت كافرة فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى او كان عنوانا في ظاهر الكتاب وباطنه فيه بسم الله الي اخره واحتمل ان يكون موخرا في الكتاب بدا بسم الله وان ابتدا الكتاب بسم الله وحين قراته عليهم بعد قراتها له في نفسها قدمته في الحكاية وان لم يكن مقدما في الكتابة وقال ابو بكر بن العربي كانت رسل المتقدمين اذا كتبوا كتابا بدوا بانفسهم من فلان الي فلان وكذلك جاءت الاشارة وعن انس ما كان احد اعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا اليه كتابا بدوا بانفسهم وقال ابو الليث في كتاب البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجتمعت عليه وفعلوه وقرا الجمهور انه من سليمن وانه بكسر الهمزة فيهما وقرا عبد الله وانه من سليمن بزيادة واو عطفا علي اني القي وقرا عكرمة وابن ابي عبلة بفتحهما وخرج علي البدل من كتاب اي القي الي انه او علي ان يكون التقدير لانه كانها عللت كرم الكتاب لكونه من سليمن وتصديره ببسم الله وقرا ابي ان من سليمن وان بسم الله بفتح الهمزة ونون ساكنة فخرج علي ان ان هي المفسرة لانه قد تقدمت جملة فيها معنى القول وعلى انها ان المخففة من الثقيلة وحذفت الهاء وبسم الله الرحمن الرحيم استفتاح شريف بارع المعنى مبدو به في الكتب في كل لغة وكل شرع وان في قوله ان لا تعلوا قيل في موضع رفع علي البدل من كتاب وقيل في موضع نصب علي معنى بان لا تعلوا علي مفسرة فعلي هذا تكون لا في تعلوا للنهي وهو حسن لمشاكلة عطف الامر عليه وجوز ابو البقا ان يكون التقدير هو ان لا تعلوا فيكون خبر مبتدا محذوف ومعنى لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس في رواية وهب بن منبه والاشهب العقيلي ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا الحد وهو من الغلو والظاهر انه طلب منهم ان ياتوه وقد اسلموا وتركوا الكفر وعبادة الشمس وقيل معناه مذعنين مستسلمين من الانقياد والدخول في الطاعة وما كتبه سليمن في غاية الايجاز والبلاغة وكذلك كتب الانبيا والظاهر ان الكتاب هو ما نص الله عليه فقط واحتمل ان يكون مكتوبا بالعربي اذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة السن فكتب بالخط العربي واللفظ العربي لانها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري واحتمل ان يكون باللسان الذي كان سليمن يتكلم به وكان عندها من يترجم لها اذ هو كانت هي عارفة بذلك اللسان وروي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الي بلقيس ملكة سبا السلام علي من اتبع الهدي اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبيا جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه وروي انه لم يكتب احد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمن ولما قرات علي الملا الكتاب ورات ما فيه من الانتقال الي سليمن استشارتهم في امرها قال قتادة وكان اولوا مشورتها ثلثماية واثني عشر وعنه وثلثة عشر كل رجل منهم علي عشرة الاف وكانت بارض مارب من صنعا علي ثلثة ايام وذكر

عن

343

عن عسكرها ما هو اعظم واكثر من هذا والله اعلم بذلك وتقدم الكلام في الفتوى في سورة يوسف والمراد هنا اشيروا علي بما عندكم في ما حدث لها من الراي السديد والتدبير وقصدت باشارتهم واستطلاع ارايهم استعطافهم وتطييب انفسهم ليمالئوها ويقدموا ما كنت قاطعة امرا اي مبرمة وفاصلة امرا حتى تشهدون اي تحضروا عندي فلا استبد بامر بل يكونون حاضرين معي وفي قراة عبد الله ما كنت قاضية امرا اي لا ابت الا وانتم حاضرون معي وما كنت قاطعة امرا عام في كل امر اي اذا كانت عادتي هذه معكم فكيف لا استشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج من الملك والانسلاك في طاعة غيري والصيرورة تبعا فراجعها الملوا بما اقر عينها من قولهم انهم اولوا قوة اي قوة بالعدد والعدد واولوا باس شديد اي اصحاب شجاعة ونجدة اظهروا القوة العرضية ثم القوة الذاتية اي نحن متهيئون للحرب ودفع هذا الحادث ثم قالوا والامر اليك فانظري ماذا تامرين وذلك من حسن محاورتهم اذ وكلوا الامر اليها وهو دليل علي الطاعة المفرطة اي نحن ذكرنا ما نحن عليه ومع ذلك فالامر موكول اليك كانهم اشاروا اولا عليها بالحرب او ارادوا نحن ابنا الحرب لا ابنا الاستشارة وانت ذات الراي والتدبير الحسن فانظري ماذا تامرين به نرجع اليك ونتبع رايك وفانظري من التامل والتفكر وماذا هو المفعول الثاني لتامرين والمفعول الاول محذوف لفهم المعنى اي تامريننا والجملة معلق عنها انظري فهي في موضع مفعول لانظري بعد اسقاط الحرف من اسم الاستفهام ولما وصل اليها كتاب سليمن لا علي يد رجل بل علي طاير استعظمت ملك سليمن وعلمت ان من سخر له الطير حتى يرسله بامر خاص الي شخص خاص متغلق عليه الابواب غير ممتنع عليه تدويخ الارض وملوكها فاخبرت بحال الملوك ومالت الي المهاداة والصلح فقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اي تغلبوا عليها افسدوها اي خربوها بالهدم والحرق والقطع واذلوا اعزة اهلها بالقتل والنهب والاسر وقولها فيه تزييف لارايهم في الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك سليمن والظاهر ان وكذلك يفعلون هو من قولها اي عادة الملوك المستمرة تلك من الافساد والتذليل وكانت ناشئة في بيت الملك فرات ذلك وسمعت ذكرت ذلك تاكيدا لما ذكرت من حال الملوك وقيل هو من كلام الله اعلاما لرسوله وامته وتصديقا لاخبارها عن الملوك اذا تغلبوا ولما كانت عادة الملوك قبول الهدايا وان قبولها يدل علي الرضى والالفة قالت واني مرسلة اليهم اي الي سليمن ومن معه رسلا بهدية وجا لفظ الهدية مبهما وقد ذكروا في تعيينها اقوالا مضطربة متعارضة وذكروا من حالها ومن حال سليمن حين وصلت اليه الهدية وكلامه مع رسلها ما الله اعلم به وفناظرة معطوف علي مرسلة وبم متعلق بيرجع ووقع للحوفي انها متعلقة بناظرة وهو وهم فاحش والنظر هنا معلق ايضا والجملة في موضع مفعول به وفيه دلالة علي انها لم تثق بقبول الهدية بل جوزت الرد وارادت بذلك ان ينكشف لها غرض سليمن والهدية اسم لما يهدى كالعطية هي اسم لما يعطى وروي انها قالت لقومها ان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال وينبغي ان نتبعه علي دينه وفي الكلام حذف تقديره فارسلت الهدية فلما جا اي الرسول سليمن والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد وكذلك الضمير في ارجع والرسول تقع علي الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث وقرا عبد الله فلما جاوا وقرا ارجعوا جعله عايدا علي قوله المرسلون واتمدونني بمال استفهام انكار واستقلال وفي ذلك دلالة علي عزوفه عن الدنيا وعدم تعلق قلبه عليه السلم بها ثم ذكر نعمة الله عليه وان ما اتاه الله من النبوة وسعة الملك خير مما اتاكم بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون بحبكم الدنيا والهدية تصح اضافتها الي المهدي والى المهدى اليه وهي هنا مضافة للمهدى اليه وهذا هو الظاهر ويجوز ان تكون مضافة الي المهدي اي بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار علي الملوك بانكم قدرتم علي اهدا مثلها ويجوز ان تكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها وقرا جمهور السبعة اتمدونني بنونين واثبت بعض اليا وقرا حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية واثبات يا المتكلم وقرا المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان يقوله بالفا قلت اذا قلته بالواو

فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد
جعلته ممن خفيت عنه حالي وأنا أخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كأني أقول له أنكر
عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت
لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم
لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها انتهى ارجع
اليهم هو خطاب للرسول الذي جاء بالهدية وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد والمعنى ارجع اليهم بهديتهم
وتقدمت قراءة عبد الله ارجعوا اليهم والرجوع هنا لا يتعدى أي انقلبوا وانصرفوا اليهم وقيل
الخطاب بقوله ارجع للهدهد محملا كتابا آخر ثم أقسم سليمن فقال فلنأتينهم بجنود متوعدا لهم
وفيه حذف أي ان لم يأتوني مسلمين ودل هذا التوعد على أنهم كانوا كفارا باقين على الكفر
اذ ذاك والضمير في بها عائد على الجنود وهو جمع تكسير فيجوز أن يعود الضمير عليه كما يعود على
الواحدة كما قالت العرب الرجال وأعضادها وقرأ عبد الله بهم وقيل لا قبل لا طاقة وحقيقة
القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن تقابلوهم والضمير في منها عائد على سبأ وهي أرض
بلقيس وقومها وانتصب أذلة على الحال وهم صاغرون حال أخرى والذل ذهاب ما كانوا فيه
من العز والصغار وقوعهم في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا
وفي مجيء هاتين الحالتين دليل على جواز تعدي العامل الى ذي حال واحد وهي مسألة خلاف
ويمكن أن يقال ان الثانية هنا جاءت توكيدا لقوله أذلة فكأنهما حال واحدة قال يا أيها الملأ
أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني
عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه
مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر
فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل
أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون
الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال
انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين
في الكلام حذف تقديره فرجع المرسل اليها بالهدية وأخبرها بما أقسم عليه سليمن فتجهزت للمسير
اليه اذ علمت أنه نبي ولا طاقة لها بقتال نبي فروي أنها أمرت عند خروجها الى سليمن فجعل عرشها
في آخر سبعة أبيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من قصورها وغلقت الأبواب ووكلت به حراسا
يحفظونه وتوجهت الى سليمن في أقيالها وأتباعهم قال عبد الله بن شداد فلما كانت على فرسخ
من سليمن قال أيكم يأتيني بعرشها وقال ابن عباس كان سليمن مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو
الذي يسأل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس فقال ذلك واختلفوا
في قصد سليمن استدعاء عرشها فقال قتادة وابن جريج لما وصف له عظم عرشها وجودته أراد أخذه
قبل أن يعصمها وقومها الاسلام ويمنع أخذ أموالهم والاسلام على هذا الدين وهذا فيه بعد أن
يقع ذلك من نبي أوتي ملكا لم يؤته غيره وقال ابن عباس وابن زيد استدعاه ليريها القدرة
التي هي من عند الله وليغرب عليها سليمن والاسلام على هذا الاستسلام وأشار الزمخشري
القول فقال ولعله أوحي اليه عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها
بذلك بعض ما خصه به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى
ما يشهد لنبوة سليمن ويصدقها انتهى وقال الطبري أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله
ولها عرش عظيم وهذا فيه بعد لأنه قد ظهر صدقه في حمل الكتاب وما ترتب على حمله من مشورة
بلقيس قومها وبعثها بالهدية وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم تنظر أتثبته أم تنكره
اختبارا لعقلها والظاهر ترتيب هذه الاخبار على حسب ما وقعت في الوجود وهو قول الجمهور
وعن ابن عباس أنه قال أيكم يأتيني بعرشها حين ابتدأ النظر في صدق الهدهد من كذبه لما
قال ولها عرش عظيم ففي ترتيب القصص تقديم وتأخير وفي قوله أيكم يأتيني بعرشها دليل
على جواز الاستعانة ببعض الاتباع في مقاصد الملوك ودليل على أنه قد يخص بعض أتباع
الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم ودليل على مبادرة من طلب منه الملوك قضاء حاجة وبداءة الشياطين

في التسخير على الانس وقدرتهم باقدار الله على ما يبعد فعله من الانس وقرأ الجمهور عفريت
وأبو حيوة بفتح العين وقرأ أبو رجاء وأبو السمال وعيسى ورويت عن أبي بكر الصديق عفرية
بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التأنيث وقال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب

وقالت فرقة عفر بلا ياء ولا تاء وتقال في لغة طيء وتميم عفراة بالالف وتاء التأنيث وفيه لغة
سادسة عفارية ويوصف بها الرجل ولما كان قد يوصف به الانس خص بقوله من الجن وعن ابن
عباس اسمه صخر وقيل كوزي وقيل ذكوان وآتيك يحتمل أن يكون مضارعا واسم فاعل وقال قتادة
ومجاهد ووهب من مقامك أي من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى الظهر في كل يوم وقيل
قبل أن تستوي من جلوسك قائما واني عليه أي على الاتيان به لقوي على حمله أمين لا أختلس
منه شيئا قال الحسن كان كافرا لكنه كان مسخرا والعفريت لا يكون الا كافرا قال الذي عنده
علم من الكتاب قيل هو من الملائكة وهو جبريل قاله النخعي والكتاب اللوح المحفوظ أو كتاب
سليمن الى بلقيس وقيل ملك أيد الله به سليمن وقيل هو رجل من الانس واسمه آصف بن
برخيا كاتب سليمن وكان صديقا عالما قاله الجمهور أو اسطوم أو هود أو مليخا قاله قتادة أو هو
اسطورس أو الخضر عليه السلام قاله ابن لهيعة وقالت جماعة هو ضبه بن أد جد بني ضبة من
العرب وكان فاضلا يخدم سليمن كان على قطعة من خيله وهذه أقوال مضطربة وقد أبهم الله
اسمه فكان ينبغي أن لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي ومن أغرب الأقوال أنه سليمن عليه السلام كأنه
يقول لنفسه أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك استبطاء لما قال العفريت فقال له سليمن ذلك
على تحقير العفريت والكتاب هو المنزل من عند الله أو اللوح المحفوظ قولان والعلم الذي أوتيه
قيل اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا ذا الجلال والاكرام وقيل بالعبرانية آهيا شراهيا
وقال الحسن الله ثم الرحمن والظاهر أن ارتداد الطرف حقيقة وأنه أقصر في المدة من مدة
العفريت ولذلك روي أن سليمن قال أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت ولما كان الناظر
موصوفا بارسال البصر كما قال الشاعر

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد فالمعنى أنك ترسل طرفك فقبل أن ترده آتيك به
وصار بين يديك فروي أن آصف قال لسليمن عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد طرفه فنظر
نحو اليمن فدعا آصف فغاب العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله
قبل أن يرد طرفه وقال ابن جبير وقتادة قبل أن يصل اليك من يقع طرفك عليه في أبعد ما ترى
وقال مجاهد قبل أن تحتاج الى التغميض أي مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده
قال ابن عطية وهذان القولان يقابلان قول من قال ان القيام هو من مجلس الحكم ومن قال ان
القيام هو من الجلوس فيقول في ارتداد الطرف هو أن يطرف أي قبل أن تغمض عينيك وتفتحهما
وذلك أن الثاني يعطي الأقصر في المدة ولا بد انتهى وقيل طرفك مطروفك أي قبل أن يرجع اليك
طرفك من تنظر اليه من منتهى بصرك وهذا هو قول ابن جبير وقتادة المتقدم لأن من يقع طرفك
عليه هو مطروفك وقال الماوردي قبل أن ينقبض اليك طرفك بالموت فخبره أنه سيأتيه قبل موته
وهذا تأويل بعيد بل المعنى آتيك به سريعا وقيل ارتداد الطرف هنا مجاز وهو من باب مجاز
التمثيل والمراد استقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف
وفي طرفة عين تريد به السرعة أي آتيك به في مدة أسرع من مدة العفريت فلما رآه مستقرا
عنده في الكلام حذف تقديره فدعا الله فأتاه به فلما رآه أي عرش بلقيس قيل نزل على سليمن
من الهواء وقيل نبع من الأرض وقيل من تحت عرش سليمن وانتصب مستقرا على الحال وعنده معمول
له والظرف اذا وقع في موضع الحال كان العامل فيه واجب الحذف فقال ابن عطية وظهر
العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر أبدا في كل ظرف وقع في موضع الحال وقال
أبو البقاء ومستقرا أي ثابتا غير متقلقل وليس بمعنى الحضور المطلق اذ لو كان كذلك لم يذكر
انتهى فأخذ في مستقرا أمرا زائدا على الاستقرار المطلق وهو كونه غير متقلقل حتى يكون مدلوله
غير مدلول العندية وهو توجيه حسن لذكر العامل في الظرف الواقع حالا وقد ذكر العامل

في ما وقع خبرا من الجار والمجرور النام في قول الشاعر

لك العزان مولاك عزوان يهن فانت لدا بحبوحه الهون كاين

قال هذا من فضل ربي اي هذا الاتيان بعرشها وتحصيل ما اردت من ذلك هو فضل ربي علي واحسانه
ثم علل ذلك بقوله ليبلوني ااشكر ام اكفر قال ابن عباس المعنى ااشكر على السرير وسوقه ام
اكفر اذ رايت من هو دوني في الدنيا اعلم مني انتهي وتلقي سليمن النعمة وفضل الله بالشكر
اذ ذاك نعمة متجددة والشكر قيد للنعم وااشكر ام اكفر في موضع نصب ليبلوني وهو معلق
معلق لانه في معني التمييز والتمييز في معنى العلم وكثيرا لتعليق في هذا الفعل اجراه مجرى
العلم وان لم يكن مرادفا له لان مدلوله الحقيقي هو الاختبار ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي
ذلك الشكر عايد ثوابه اليه اذ كان قد صان نفسه عن كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه
من شكر نعمة الله عليه ومن كفر اي فضل الله ونعمته عليه فان ربي غني عن شكره لا يعود منفعتها
الي الله لانه هو الغني المطلق الكريم بالانعام علي من كفر نعمته والظاهر ان قوله فان ربي غني
كريم هو جواب الشرط ولذلك اضمر فا في قوله غني اي عن شكره ويجوز ان يكون الجواب محذوفا
دل عليه ما قبله من قسيمه اي ومن كفر فلنفسه اي ذلك الكفر عايد عقابه اليه ويجوز ان تكون
ما موصولة ودخلت الفا في الخبر لتضمنها معنى الشرط قال نكروا لها عرشها روي ان الجن احست
من سليمن او ظنت به انه ربما تزوج بلقيس فكرهوا ذلك ورموها عنده بانها غير عاقلة ولا مميزة
وان رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير العرش وامر حلها بالصرح لتكشف عن ساقيها عنده
وتنكير عرشها قال ابن عباس ومجاهد والضحاك بان زيد فيه ونقص منه وقيل بنزع ما عليه من
الفصوص والجواهر وقيل بجعل اسفله اعلاه ومقدمه موخره والتنكير جعله متنكرا متغيرا عن
اشكاله وهيته كما يتنكر الرجل للناس حتى لا يعرفوه وقرا الجمهور ننظر بالجزم علي جواب الامر
وقرا ابو حيوة بالرفع على الاستيناف امرا بالتنكير ثم استانف الاخبار عن نفسه بانه ينظر ومتعلق
اتهتدي محذوف والظاهر انه اتهتدي لمعرفة عرشها ولا يحمل تنكيره قادحا في معرفتها له فيظهر
بذلك فرط عقلها وانها لم يخف عليها حال عرشها وان كانوا قد راموا الاخفا او تهتدي للجواب
المصيب اذ سئلت عنه او تهتدي للايمان بنبوة سليمن اذا رات هذا المعجز من نقل عرشها
من المكان الذي تركته فيه وغلقت الابواب عليه وجعلت له حراسا فلما جات في الكلام حذف
اي فنكروا عرشها ونظروا ما جوابها اذا سئلت عنه فلما جات قيل اهكذا عرشك اي مثل هذا العرش
الذي انت رايته عرشك الذي تركته ببلادك ولم يات التركيب اهكذا عرشك جا باداة التشبيه
ليلا يكون ذلك تلقينا لها فلما راته علي هيئة لا تعرفها فيه وتميزت به اشيا من عرشها لم تجزم
بانه هو ولا نفته النفي البالغ بل ابرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت كانه هو وذلك من
جودة ذهنها حيث لم تجزم في الصورة المحتملة باحد الجايزين من كونه اياه او من كونه ليس
اياه وقابلت تشبيههم بتشبيهها والظاهر ان قوله واوتينا العلم الي قوله من قوم كافرين
ليس من كلام بلقيس وان متصلا بكلامها فقيل من كلام سليمن وقيل من كلام قوم سليمن واتباعه
فان كان من قول سليمن فقيل العلم هنا مخصوص اي واوتينا العلم باسلامها ومجيها طايعة من
قبلها اي من قبل مجيها وكنا مسلمين موحدين خاضعين وقال ابن عطية وفي الكلام حذف
تقديره كانه هو وقال سليمن عند ذلك واوتينا العلم من قبلها الاية قال ذلك علي جهة تعديد
نعم الله تعالي وانما قال ذلك بما علمت هي وفهمت ذكر هو نعمة الله عليه وعلي ابايه انتهي ملخصا
وقال الزمخشري واوتينا العلم من كلام سليمن وملايه فان قلت علي م عطف هذا الكلام
وبما اتصل قلت لما كان المقام الذي سيلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما احري
فيه سليمن وملاوه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت
في جوابها فطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة
بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا علي ذلك
قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن ما جا من عنده قبل علمها ولما نزل
نحن علي دين الاسلام شكروا الله علي فضلهم عليها وسبقهم الي العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن
التقدم الي الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس

موصولا

345

موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه
المعجزة او قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال
الله تعالي وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سوا السبيل وقيل وصدها الله او سليمن
عن ما كانت تعبد بتقدير حذف الجار واتصال الفعل انتهي اما قوله ويجوز ان يكون من كلام
بلقيس فهو قول قد تقدم اليه علي سبيل التعيين لا الجواز قيل والمعنى واوتينا العلم بصحة نبوته
بالايات المتقدمة من امر الهدهد والمرسل من قبل هذه المعجزة يعني احضار العرش وكنا مسلمين
مطيعين لامرك منقادين لك والظاهر ان الفاعل بصدها هو قوله ما كانت تعبد وكونه الله
او سليمن وما مفعول صدها علي اسقاط حرف الجر قاله الطبري وهو ضعيف لا يجوز الا في ضرورة
الشعر نحو قوله تمرون الديار ولم تعوجوا اي عن الديار وليس من مواضع حذف حرف الجر
واذا كان الفاعل هو ما كانت فالمصدود عنه الظاهر انه الاسلام وقال الرماني التقدير التفطن
للعرش لان المومن يقظ والكافر خبيث والظاهر ان قوله وصدها معطوف علي قوله واوتينا
اذا كان من كلام سليمن وان كان يحتمل ابتدا اخبار من الله تعالي لمحمد نبيه ولامته وان
كان واوتينا من كلام بلقيس فالظاهر انه يتعين كونه من قول الله تعالي وقول من قال انه
متصل بقوله اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون والواو في وصدها للحال وقد مضمرة مرغوب
عنه لطول الفصل بينهما ولان التقديم والتاخير لا يذهب اليه الا عند الضرورة وقرا
الجمهور انها بكسر الهمزة وسعيد بن جبير وابن ابي عبلة بفتحها فاما علي حذف الجر اي لانها
واما علي ان يكون بدلا من الفاعل الذي هو ما كانت تعبد قال محمد بن كعب القرظي وغيره لما
وصلت بلقيس امر سليمن الجن فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن من غير سقف وجعلته
مبنيا كالصهريج وملي ما وبث فيه السمك والضفادع وجعل لسليمن في وسطه كرسي فلما وصلته
بلقيس قيل لها ادخلي الي النبي عليه السلم فرات اللجة وفزعت ولم يكن لها بد من امتثال الامر
فكشفت عن ساقيها فراي سليمن ساقيها سليمتين مما قالت الجن فلما بلغت هذا الحد قال لها
سليمن انه صرح ممرد من قوارير وعند ذلك استسلمت بلقيس واذعنت واسلمت واقرت
علي نفسها بالظلم وفي هذه الحكاية زيادة وهو انه وضع سريره في صدره فجلس عليه وعكفت عليه
الطير والجن والانس قال الزمخشري وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته
وثباتا علي الدين انتهي والصرح كل بنا عال ومنه ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب وهو من التصريح
وهو الاعلان البالغ وقال مجاهد الصرح هنا البركة وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار
ساحتها وقيل الصرح هنا القصر من الزجاج وفي الكلام حذف اي فدخلته امتثالا للامر واللجة
الما الكثير وكشف ساقيها عادة من كان لابسا واراد ان يخوض الما الي مقصد له ولم يكن المقصود
من الصرح الا التهويل للامر وحصل كشف الساق علي سبيل التبع لا ان يجمع ما روي عن الجن
ان ساقيها ساق دابة بحافر فيمكن ان يكون استعلام ذلك مقصودا وقرا ابن كثير قيل في رواية
الاخريط وهب بن واضح عن ساقيها بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة وكذلك في قراءة قنبل يكشف
عن ساق واما همز السوق وعلي سوقه فلغة مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة حكي ابو علي
ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة وانشد احب الموقدين الي موسى والظاهر ان
الفاعل يقال هو سليمن ويحتمل ان يكون الفاعل هو الذي امرها بدخول الصرح وظلمها نفسها
قيل بالكفر وقيل بحسبانها ان سليمن اراد ان يغرقها وقال ابن عطية ومع ظرف بني علي الفتح
واما اذا سكنت العين فلا خلاف انه حرف جا لمعنى انتهي والصحيح انها ظرف فتحت العين او
سكنت وليس التسكين مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية
فيها مجاز وانما هو اسم يدل علي معنى الصحبة **الحديقة** البستان كان عليه جدار او لم يكن **الحاجز**
الفاصل بين الشيين **الفوج** الجماعة **الجمود** سكون الشي وعدم حركته **الاتقان**
الاتيان بالشي علي احسن حالاته من الكمال والاحكام في الخلق وهو مشتق من قول العرب
تقتوا ارضهم اذا ارسلوا فيها الما الخاثر بالتراب فيجود والتقن ما ردى به الما في الغدير وهو الذي
يجي به الما من الخثورة **كبكب** الرحل القيته لوجهه ولقد ارسلنا الي ثمود اخاهم صالحا ان
اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون

المفردات

الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طايركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة
تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه
ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرًا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون ثمود هي عاد الاولي وصالح اخوهم في النسب لما ذكر قصة موسي وداود وسليمن
وهم من بني اسرايل ذكر قصة من هو من العرب يذكر بها قريشا والعرب وينبههم ان من تقدم من
الانبيا من العرب كان يدعو الي افراد الله بالعبادة ليعلموا انهم في عبادة الاصنام علي ضلالة وان
شان الانبيا عربهم وعجمهم هو الدعا الي عبادة الله وان في ان اعبدوا يجوز ان تكون مفسرة لان
ارسلنا تتضمن معني القول ويجوز ان تكون مصدرية اي بان اعبدوا فحذف حرف الجر فعلي الاول
لا موضع لها من الاعراب وعلي الثاني ففي موضعها خلاف اهو في موضع نصب ام في موضع جر والظاهر
ان الضمير في فاذا هم عايد علي ثمود وان قومه انقسموا فريقين مومنا وكافرا وقد جا ذلك مفسرا
في سورة الاعراف في قوله الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم وقال الزمخشري
اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يومن منهم احد انتهي فجعل الفريق الواحد هو صالح والفريق
الاخر قومه واذا هنا هي الفجائية وعطف بالفا التي تقتضي التعقيب لا المهلة وكان المعني انهم
بادروا بالاختصام متعقبا دعا صالح اياهم الي عبادة الله وجا يختصمون علي المعني لان الفريقين جمع
فان كان الفريقان من امن ومن كفر فالجميعة حاصلة في كل فريق ويدل علي ان فريق المومن جمع قاله
انا بالذي امنتم به كافرون فقال امنتم وهو ضمير الجمع وان كان الفريق المومن هو صالح وحده فانه
قد انضم الي قومه والمجموع جمع واوثر يختصمون علي يختصمان وان كان من حيث لفظ التثنية
جايزا فصيحا لانه مقطع فصل واختصامهم دعوي كل فريق ان الحق معه وقد ذكر الله تخاصمهم في سورة
الاعراف ثم تلطف صالح بقومه ورفق بهم في الخطاب فقال مناديا لهم علي جهة التحنن عليهم لم
تستعجلون بالسيئة اي بوقوع ما يسوءكم قبل الحالة الحسنة وهي رحمة الله وكان قد قال لهم
في حديث الناقة ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم فقالوا له ايتنا بعذاب الله وقيل لم
تستعجلون بوقوع المعاصي منكم قبل الطاعة قال الزمخشري فان قلت ما معني استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخري قلت كانوا يقولون بجهلهم
ان العقوبة التي يعدنا صالح ان وقعت علي زعمه تبنا حينيذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة
في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن علي ما نحن عليه فخاطبهم صالح علي حسب قولهم واعتقادهم انتهي
ثم حضهم علي ما فيه رد السيئة عنهم وهو الايمان واستغفار الله مما سبق من الكفر وناط ذلك
بترجي الرحمة ولم يجزم بانه يترتب علي استغفارهم وكان في التحضيض تنبيه علي الخطا منهم
في استعجال العقوبة وتجهيل لهم في اعتقادهم ولما لاطفهم في الخطاب اغلظوا له وقالوا اطيرنا بك
وبمن معك اي تشاءمنا بك وبالذين امنوا معك ودل هذا العطف علي ان الفريقين كانوا مومنين
وكافرين لقوله وبمن معك وكانوا قد قحطوا وتقدم الكلام في معني التطير في سورة الاعراف
جعلوا سبب قحطهم هو ذات صالح ومن امن معه فرد عليهم بقوله طايركم عند الله اي حظكم في الحقيقة
من خير او شر هو عند الله وبقضايه ان شا رزقكم وان شا حرمكم وقال الزمخشري ويجوز ان
يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه طايركم معكم وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه وقري تطيرنا بك علي الاصل ومعني تطير به تشام به وتطير منه نفر
عنه انتهي ثم انتقل الي الاخبار عنهم بحالهم فقال بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون او تعذبون
او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة او تفتنون بشهواتكم اي تشغفون بها كما يقال فتن
فلان بفلانة وقال الشاعر

دا قديم في بني ادم فتنة انسان بانسان

وهذه اقوال يحتملها لفظ تفتنون وجا تفتنون بتا الخطاب علي مراعاة انتم وهو الكثير
في لسان العرب ويجوز يفتنون بيا الغيبة علي مراعاة لفظ قوم وهو قليل تقول العرب انت
رجل تامر بالمعروف بتا الخطاب وبيا الغيبة والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم وهي الحجر وذكر
المفسرون اسما التسعة وفي بعضها اختلاف وراسهم قدار بن سالف واسما وهم لا تنضبط بشكل

ولا تتعين فلذلك ضربنا صفحا عن ذكرها وكانوا عظما القرية فاغنيا هاد فساقها والرهط من
الثلثة الي العشرة والنفر من الثلثة الي التسعة واتفق المفسرون علي ان المعني تسعة رجال
وقال الزمخشري وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معني الجماعة فكانه تسعة انفس انتهي
وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولي لانه من حيث اضاف الي انفس كان ينبغي ان يقول تسع
انفس علي تانيث النفس اذ الفصيح فيها التانيث الا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر

ثلثة انفس وثلاث ذود •

فادخل التا في ثلثة وكان الفصيح ان تكون ثلث انفس وقال
ابو عبد الله الرازي الاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة
لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبايل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم واحوالهم
لا لاختلاف انتهي قيل فالرهط اسم الجماعة وكانهم كانوا روسا مع كل واحد منهم رهط وقال
الكرماني واصله من الترهيط وهو تعظيم اللقم وشدة الاكل انتهي ورهط اسم جمع واتفقوا علي
ان فصله بمن هو الفصيح كقوله تعالى فخذ اربعة من الطير واختلفوا في جواز اضافة العدد اليه
فذهب الاخفش الى انه لا ينقاس وما ورد من الاضافة اليه فهو علي سبيل الندور وقد صرح
من انه لا يقال ثلث غنم وذهب قوم الي انه يجوز ذلك وينقاس وهو مع ذلك قليل وفصل قوم
بين ان يكون اسم الجمع للقليل كرهط ونفر وذود فيجوز ان يضاف اليه او للكثير او يستعمل لهما
فلا يجوز اضافته اليه وهو قول المازني وقد اطلنا الكلام في هذه المسالة في شرح التسهيل ويفسدون
صفة لتسعة رهط والمعني انهم يفسدون الفساد العظيم الذي لا يخالطه شي من الاصلاح فلذلك
قال ولا يصلحون لان بعض من يقع منه افساد قد يقع منه اصلاح في بعض الاحيان وقرا الجمهور
تقاسموا وابن ابي ليلي تقسموا بغير الف وتشديد السين وكلاهما من القسم والتقاسم
والتقسم كالتظاهر والتظهر والظاهر ان قوله تقاسموا فعل امر محكي بالقول وهو قول الجمهور
اشار بعضهم علي بعض بالحلف علي تبييت صالح واجاز الزمخشري وابن عطية ان يكون تقاسموا
فعلا ماضيا في موضع الحال اي قالوا متقاسمين قال الزمخشري تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا
علي محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين انتهي اما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر هو احد
قسمي الكلام اذ هو منقسم الي الخبر والانشا وجميع معانيه اذا حققت راجعة الى هذين القسمين
وقال بعد ذلك وقري لتبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه
الوجهان يعني فيه اي في تقاسموا بالله الوجهان مما الامر والخبر عنده قال ومع اليا لا يصح
الا ان يكون خبرا انتهي والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام
التي هي الاسناد فاذا اطلق عليها الخبر كان ذلك علي تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان تستعمل
خبرا وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة انها خبرية هو مجاز والمعني انها لو لم تكن صلة
لجاز ان تستعمل خبرا وهذا شي فيه غموض ولا يحتاج الي الاضمار فقد كثر وقوع الماضي حالا
يعني قد كثره ينبغي القياس عليها وعلي هذا الاعراب احتمل ان يكون بالله متعلقا بتقاسموا
الذي هو حال فهو من صلته ليس داخلا تحت القول والمقول لنبيتنه وما بعده احتمل
ان يكون هو وما بعده هو المقول وقرا الجمهور لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فيهما
والحسن وحمزة والكسائي بتا خطاب الجمع ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش بيا الغيبة
في الاول مسندا للجمع اي ليبيتنه اي قوم منا وبالنون في الثاني اي جميعنا يقول لوليه
والبيات مباغتة العدو وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من الملوك استراق
الظفر وولية طالب ثاره اذا قتل وقرا الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام وابو بكر بفتحهما
فاما القراة الاولي فتحتمل المصدر والزمان والمكان اي ما شهدنا اهلاك اهله او زمان
اهلاكهم او مكان اهلاكهم ويلزم من هذين انهم اذا لم يشهدوا الزمان ولا المكان ان لا يشهدوا
الاهلاك واما القراة الثانية فالقياس يقتضي ان تكون للزمان والمكان اي ما شهدنا
زمان هلاكهم ولا مكانه والثالثة تقتضي القياس ان تكون مصدرا اي ما شهدنا هلاكه وقال
الزمخشري وقد ذكر القراات الثلث قال ويحتمل المصدر والزمان والمكان انتهي والظاهر
في الكلام حذف معطوف يدل عليه ما قبله والتقدير ما شهدنا مهلك اهله ومهلكه ودل عليه قولهم
لنبيتنه واهله وما روي انهم كانوا عزموا علي قتله وقتل اهله وحذف مثل هذا المعطوف جايز

في الفصيح كقوله سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقال الشاعر

فما كان بين الخير لو جا سالما ابو حجر الا ليال قلايل

اي بين الخير وبيني ويكون قولهم وانا لصادقون كذب في الاخبار اي هموا قومهم انهم اذا قتلوه واهله سرا ولم يشعر بهم احد وقالوا تلك المقالة انهم صادقون وهم كاذبون وقال الزمخشري فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين فانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في انفسهم حيلة يتقصون بها عن الكذب انتهى والعجب من هذا الرجل كيف يتحيل هذه الحيل في جعل اخبارهم وانا لصادقون اخبارا بالصدق وهو يعلم انهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من اعظم الايات واقدموا على قتل نبي واهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم على انبيائهم ونص الله ذلك وكذبهم لمن لا يخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حيث ينصر مذهبه في قوله ان الكذب قبيح عند الكفرة ويتحيل لهم هذا التحيل حتى يجعلهم صادقين في اخبارهم وهذا الرجل وان كان اوتي من علم القران اوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير اشيا منتقدة وكنت قريبا من تسطير هذه الاحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيا من محاسنه ثم نبهت على ما فيه من ما يجب تجنبه ورايت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا وينتبه على ما تضمنه من القبايح فقلت بعد ذكر ما مدحته

• ولكنه فيه مجال لناقد • وزلات سوء قد اخذن المخانقا •

• فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا • ويعزو الى المعصوم ما ليس لايقا •

• ويشتم اعلام الايمة ضلة • ولا سيما ان اولجوه المضايقا •

• ويسهب في المعنى الوجيز دلالة • بتكثير الفاظ تسمى الشقاشقا •

• يقول فيها الله ما ليس قايلا • وكان محبا في الخطابة وامقا •

• ويخطي في تركيبه لكلامه • فليس لما قد ركبوه موافقا •

• وينسب ابدا للمعاني لنفسه • ليوهم اغمارا وان كان سارقا •

• ويخطي في فهم القران لانه • يجوز اعرابا ابى ان يطابقا •

• وكم بين من يوتى البيان سليقة • واخر عاناه فما هو لاحقا •

• ويحتال للالفاظ حتى يديرها • لمذهب سوء فيه اصبح مارقا •

• فيا خسرة شيخا تخرق صيته • مغارب تخرق الصبا ومشارقا •

• لين لم تداركه من الله رحمة • لسوف يرى للكافرين مرافقا •

ومكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ومكرهم انهاهم انهم مسافرون واختفوا وهم في غار قيل او شعب وعزمهم على قتله وقتل اهله وحلفهم انهم ما حضروا ذلك ومكر الله بهم اطباق صخرة على فم الغار او الشعب واهلاكهم فيه او رمي الملايكة اياهم بالحجارة يرونها ولا يرون الرامي حين شهروا اسيافهم بالليل ليقتلوه قولان وقيل ان الله اخبر صالحا بمكرهم فيخرج عنه فذلك مكر الله في حقهم وروي ان صالحا بعد عقر الناقة اخبرهم بمجي العذاب بعد ثلثة ايام فاتفق هولا التسعة على قتل صالح واهله ليلا وقالوا ان كان كاذبا في وعيده كنا قد اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا واختلفوا في غار واهلكهم الله كما تقدم ذكره واهلك قومهم ولم يشعر كل فريق بهلاك الاخر والظاهر ان كيف خبر كان وعاقبة الاسم والجملة في موضع نصب بانظر وهي معلقة وقرا الجمهور انا بكسر الهمزة على الاستيناف وقرا الحسن وابن ابي اسحق والكوفيون بفتحها فانا بدل من عاقبة او خبر لكان وكيف في موضع الحال او خبر مبتدا محذوف اي هي اى العاقبة تدميرهم

او يكون التقدير لانا دمرناهم فحذف حرف الجر وعلى كلتا القراتين يجوز ان يكون كان تامة وعاقبة فاعل بها وان تكون زايدة وعاقبة مبتدا خبره كيف وقرا ابي ان دمرناهم وهي ان التي من شانها ان تنصب المضارع ويجوز فيها الاوجه الجايزة في انا بفتح الهمزة وحكى ابو البقا ان بعضهم اجاز في انا دمرناهم في قراة من فتح الهمزة ان يكون بدلا من كيف قال وقال اخرون لا يجوز لان البدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرفه كقوله كيف زيد اصحيح ام مريض ولما امر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في انفسهم بين ذلك بالاشارة الى منازلهم وكيف خلت منهم وخراب البيوت وخلوها من اهلها حتى لا يبقى منهم احد مما يعاقب به الظلمة اذ يدل ذلك على استيصالهم وفي التوراة ابن ادم لا تظلم يخرب بيتك وهو اشارة الى هلاك الظالم اذ خراب بيته متعقب هلاكه وهذه البيوت هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه تبوك لا تدخلوا على هولا المعذبين الا ان تكونوا باكين الحديث وقرا الجمهور خاوية بالنصب على الحال قال الزمخشري عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع قال الزمخشري على خبر المبتدا المحذوف وقاله ابن عطية اي هي خاوية قال او على الخبر عن تلك وبيوتهم بدل او على خبر ثان وخاوية خربة بسبب ظلمهم وهو الكفر وهو من خلو البطن وقال ابن عباس خاوية اي ساقط اعلاها على اسفلها ان في ذلك اي في فعلنا بثمود وهو استيصالنا لهم بالتدمير وخلو مساكنهم منهم وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينة والشام وانجينا الذين امنوا اي بصالح من العذاب الذي حل بالكفار وكان الذين امنوا به اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت وسميت حضرموت لان صالحا عليه السلم لما دخلها مات بها وبني المومنون بها مدينة يقال لها حاضورا فاما الهالكون فخرج بابدانهم خراج مثل الحمص احمر في اليوم الاول ثم اصفر في الثاني ثم اسود في الثالث وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلكوا يوم الاحد قال مقاتل تفتقت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم صيحة فخمدوا ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين ولوطا عطف على صالحا اى وارسلنا لوطا او على الذين امنوا اي وانجينا لوطا او باذكر مضمرة واذ بدل منه اقوال واتاتون استفهام انكار وتوبيخ وابهم اولا في قوله الفاحشة ثم عينها في قوله اينكم لتاتون الرجال وقوله وانتم تبصرون اي تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي احدثتموه وانه من اعظم الخطايا والعلم بقبح الشي مع اتيانه اعظم في الذنب او اثار العصاة قبلكم او ينظر بعضكم الى بعض لا يستتر ولا يتحاشى من اظهار ذلك لمجانة وعدم اكتراث بالمعصية الشنعا اقوال ثلثة وانتصب شهوة على انه مفعول من اجله وتجهلون غلب فيه الخطاب كما غلب في بل انتم قوم تفتنون ومعنى تجهلون اى عاقبة ما انتم عليه او تفعلون فعل السفها المجان او فعل من جهل انها معصية عظيمة مع العلم اقوال ولما انكر عليهم ونسبهم الى الجهل ولم تكن لهم حجة فيما ياتونه من ذلك عدلوا الى المغالبة والايذا وتقدم معنى يتطهرون في الاعراف وقرا الجمهور جواب بالنصب والحسن وابن ابي اسحق بالرفع والجمهور قدرناها بتشديد الدال وابو بكر بتخفيفها وباقي الاية تقدم تفسير نظيره في الاعراف وسا بمعنى بيس والمخصوص بالذم محذوف اي مطرهم قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفا الارض االه مع الله قليلا ما يذكرون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدو الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السما والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادرك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون لما فرغ من قصص هذه السورة امر رسوله عليه السلم بحمده تعالى والسلام على المصطفين واخذ في مباينة واجب الوجود الله تعالى ومباينة

الاصنام والاديان التي اشركوها مع الله وعبدوها وابتدا في هذا التقرير لقريش وغيرهم
بالحمد له وكانها صدر خطبة لما تلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة
وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيف كتبهم وخطبهم ووعظهم فافتتحوا بتحميد الله والصلوة
على محمد رسوله وتبعهم المترسلون في اوايل كتب الفتوح والتهاني والحوادث التي لها شان
وقيل هو متصل بما قبله وامر الرسول عليه السلام بتحميد الله والصلوة على محمد رسوله على هلاك
الهالكين من كفار الامم والسلام على الانبيا واتباعهم الناجين وقيل قل خطاب للوط عليه السلم
اي يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على عباده الذين اصطفي وعزا هذا القول ابن عطية
للفرا وقال هذه عجمة من الفرا وقرا ابوا السماك قل الحمد لله وكذا قل الحمد لله سيريكم
بفتح اللام وعباده المصطفون يعم الانبيا واتباعهم وقال ابن عباس العباد المسلم عليهم هم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاهم لنبيه وفي اختصاصهم بذلك توبيخ للمعاصرين من
الكفار وقال ابو عبد الله الرازي لما ذكر تعالي احوال الانبيا وان من كذبهم استوصل بالعذاب
وان ذلك مرتفع عن امة الرسول امره تعالى بحمده على ما خصه من هذه النعمة وتسليمه
على الانبيا الذين صبروا على مشاق الرسالة انتهى وفيه تلخيص وقوله الله خير اما يشركون
استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم بحالهم وتنبيه على موضع التباين بين الله تعالي وبين
الاوثان اذ معلوم عند من له عقل انه لا شركة في الخيرية بين الله تعالى وبينهم وكثيرا ما يجي هذا
النوع من افعل التفضيل حيث يعلم ويتحقق انه لا شركة فيها وانما يذكر على سبيل الزام الخصم وتنبيهه
على خطا مرتكبه والظاهر ان هذا الاستفهام هو عن خيرية الذوات فقيل جا على اعتقاد المشركين
حيث اعتقدوا في الهتهم خيرا بوجه ما وقيل في الكلام حذف في موضعين والتقدير اتوحيد الله خير
ام عبادة ما يشركون فما في اما بمعنى الذي وقيل ما مصدرية والحذف من الاول اي اتوحيد الله
خير ام شرككم وقيل خير ليست للتفضيل فهي كما تقول الصلوة خير يعني خيرا من الخيور وقيل
التقدير دون خير والظاهر ان خيرا افعل التفضيل وان الاستفهام في نحو هذا يجي لبيان فساد
ما عليه الخصم وتنبيهه على خطايه والزامه الاقرار بحصر التفضيل في جانب واحد وانتفايه عن
الاخر وقرا الجمهور تشركون بتا الخطاب والحسن وقتادة وعاصم وابو عمرو بيا الغيبة وام
في اما متصلة لان المعنى ايهما خير وفي امن خلق وما بعده منفصلة ولما ذكر الله خيرعدد سبحانه
الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في غير موضع من كتابه توقيفا لهم على
ما ابدع من المخلوقات وانهم لا يجدون بدا من الاقرار بذلك لله تعالي وقرا الجمهور امن خلق
وفي الاربعة بعدها بشد الميم وهي ميم ام ادغمت في ميم من وقرا الاعمش بتخفيفها جعلها
همزة الاستفهام ادخلت على من ومن في القراتين مبتدا وخبره قال ابن عطية تقديره
يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقدره الزمخشري خير اما يشركون فقدر ما اثبت
في الاستفهام باسم الذات ثم انتقل فيه الي الصفات وقال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح
له ولا بد من اضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق به لدلالة الفحوى عليه وتقدير
تلك الجملة امن خلق السموات كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذا الموضع ما اضمر
فيها لقوله تعالي افمن يخلق كمن لا يخلق انتهي وتسمية هذا المقدر جملة من الالفاظ فهو صحيح
وان اراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس كذلك بل هو مضمر من قبيل المفرد وبدا تعالى
بذكر انشا مقر العالم العلوي والسفلي وانزال ما به قوام العالم السفلي وقال لكم اي لاجلكم
على سبيل الامتنان وان ذلك من اجلكم ثم قال فانبتنا وهذا التفات من الغيبة الي التكلم
بنون العظمة دال على اختصاصه بذلك وانه لم ينبت تلك الحدايق المختلفة الاصناف
والالوان والطعوم والروايح بما واحد الا هو تعالي وقد شرح هذا الاختصاص بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ولما كان خلق السموات والارض وانزال الما من السما لا شبهة للعاقل
في ان ذلك لا يكون الا لله وكان الانبات مما قد يتسبب فيه الانسان بالبذر والسقي والتهيية
ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبب اليه بين تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات
وتاكيد ذلك بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الا ترى ان المتسبب لذلك قد لا ياتي على
وفق مراده والواتي فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها والبهجة الجمال

والنضرة والحسن لان الناظر فيها يبتهج اي يسر ويفرح وقرا الجمهور ذات بالافراد بهجة بسكون
الها وجمع التكسير يجري في الوصف مجري الواحدة كقوله ازواج مطهرة وعن على معنى جماعة وقرا
ابن ابي عبلة ذوات بالجمع بهجة بتحريك الها بالفتح ما كان لكم ان تنبتوا شجرها قد تقدم ان نفي مثل
هذه الكينونة قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه هكذا اولامتناع وقوعه شرعا او لنفي الاولوية
والمعني هنا ان انبات ذلكم منكم محال لانه ابراز شي من العدم الي الوجود وهذا ليس بمقدور
الا لله تعالي ولما ذكر منته عليهم خاطبهم بذلك لما ذكر ذمهم عدل من الخطاب الي الغيبة فقال بل
هم قوم يعدلون اما التفاتا واما اخبارا للرسول بحالهم اي يعدلون عن الحق او يعدلون به غيره اي
يجعلون له عديلا ومثيلا وقري االها بالنصب بمعنى اتدعون او تشركون وقري االه بتحقيق الهمزتين
وتليين الثانية والفصل بينهما بالف ولما ذكر تعالي انه منشي السموات والارض وذكر شيا مشتركا
بين السما والارض وهو انزال الما من السما وانبات الحدايق بالارض ذكر شيا مختصا بالارض وهو
جعلها قرارا اي مستقرا لكم بحيث يمكنكم الاقامة بها والاستقرار عليها ولا يديرها الفلك قيل
لانها مضمحلة في جنب الفلك كالنقطة في الرحي وجعل خلالها اي بين اماكنها في شعابها واوديتها
انهارا وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت حتى لا تتكفا بكم وتميد والبحران العذب والملح والحاجز
الفاصل من قدرته تعالي قاله الضحاك وقال مجاهد بحر السما والارض والحاجز ذلك من
الاصل من الهوا وقال الحسن بحر فارس والروم وقال السدي بحر العراق والشام والحاجز من
الارض قال ابن عطية مختارا لهذا القول في الحاجز هو ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها
على رقتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرته لبلع الملح العذب وكان ابن عطية قد دم ان
البحرين العذب بجملته والما الاجاج بجملته ولما كانت كل واحدة منه عظيمة مستقلة تكرر فيها
العامل في قوله وجعل فكانت من عطف الجمل المستقل كل واحدة منها بالامتنان ولم يشرك في عامل واحد
فيكون من عطف المفردات ولابي عبد الله الرازي في ذكر هذه الامتنانات الاربع كلام من علم الطبيعة
والحكما على زعمه خارج عن مذاهب العرب يوقف عليه في كتابه والمضطر اسم مفعول وهو الذي احوجه
مرض او فقر او حادث من حوادث الدهر الى اللجا الى الله والتضرع اليه فيدعوه لكشف ما اعتراه من
ذلك وازالته عنه وقال ابن عباس هو المجهود وقال السدي هو الذي لا حول ولا قوة له وقيل
هو المذنب اذا استغفر واجابته اياه مقرونة بمشيته تعالى فليس كل مضطر دعا يجيبه الله في كشف
ما به وقال الزمخشري الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن الدعا
الا شارطا فيه المصلحة انتهى وهو على طريق الاعتزال في مراعاة المصلحة من الله تعالي ويكشف السو
هو كل ما يسو وهو عام في كل ضر انتقل من حالة المضطر وهو خاص الي اعم وهو ما يسو سوا كان المكشوف
عنه في حالة الاضطرار او فيما دونها وخلفا اي الامم السالفة او في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
او خلفا النبي عليه السلم من بعده او خلفا الكفار في ارضهم او الملوك والتسلط اقوال وقرا
الحسن في رواية ويجعلكم بنون المتكلم كانه استيناف اخبار ووعد كما قال تعالي ليستخلفنهم في الارض
وقوله ويجعلكم خلفا الارض انتقال من حالة المضطر الي رتبة مغايرة لحالة الاضطرار وهي حالة
الخلافة فهما طرفان وكم راينا في الدنيا ممن بلغ حالة الاضطرار ثم صار ملكا متسلطا وقرا الجمهور
تذكرون بتا الخطاب والحسن والاعمش وابو عمرو بيا الغيبة والذال في القراتين مشددة
لادغام التا فيها وقرا ابو حيوة تتذكرون بتايين وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقة وتنطلق
مجازا على الجهل وعلى ابهام الامر فيقال اظلم على الامر وقال الشاعر •
• تجلت عمايات الرجال عن الصبا • اي جهالات الصبا وهداية البر تكون
بالعلامات وهداية البحر بالنجوم ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تقدم تفسير نظير هذه الجملة
وقري عما تشركون بتا الخطاب امن يبدو الخلق الظاهر ان الخلق هو المخلوق وبدوه اختراعه وانشاوه
ويظهر ان المقصود هو يعيده الله في الاخرة من الانس والجن والملك لا عموم المخلوق وقال ابن عطية
والمقصود بني ادم من حيث ذكر الاعادة والاعادة البعث من القبور ويحتمل ان يريد بالخلق مصدر
خلق ويكون يبدا ويعيد استعارة للاتقان والاحسان كما تقول فلان يبدي ويعيد في امر كذا اذا كان
يتقنه وقال الزمخشري فان قلت كيف قال لهم امن يبدو الخلق ثم يعيده وهم منكرون الاعادة
قلت قد انعم عليهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار انتهى ولما كان ايجاد

بني آدم انعامنا اليهم واحساننا ولا نتم النعمة الا بالرزق قال ومن يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون من امكان شي مما تقدم تقريره ان كنتم صادقين في ان الله الها اخر فاين دليلكم عليه وهذا راجع الى ما تقدم من جميع الاستفهام الذي جي به على سبيل التقرير وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه لما ذكر ايجاد العالم العلوي والسفلي وما امتن به من انزال المطر وانبات الحدائق اقتضى ذلك ان لا يعبد موجد العالم والممتن بما به قوام الحيوة فختم بقوله بل انتم قوم يعدلون اي عن عبادته او يعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع ولما ذكر جعل الارض مستقرا وتفجير الانهار وارساء الجبال وكان ذلك تنبيها على تعقل ذلك والفكر فيه ختم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون اذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك ولما ذكر اجابة دعاء المضطر وكشف السوء واستخلافهم في الارض ناسب ان يستحضر الانسان دائما هذه المنة فختم بقوله قليلا ما يذكرون اشارة الى توالي النسيان اذا صار في خير وزال اضطراره وكشف السوء عنه كما قال نسي ما كان يدعوا اليه من قبل ولما ذكر الهداية في الظلمات وارسال الرياح نشرا ومعبوداتهم لا تهتدي ولا ترسل وهم يشركون بها الله قال تعالى عما يشركون واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله االه مع الله على سبيل التوكيد والتقدير انه لا اله الا هو تعالى قيل سال الكفار عن وقت القيمة التي وعدهم الرسول والحوا عليه فنزل قل لا يعلم من في السموات والارض الاية والمتبادر من الذهن ان من فاعل يعلم والغيب مفعول والا الله استثناء منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ من وجاء مرفوعا على لغة تميم ودلت هذه الاية على انه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب وعن عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولا يقال انه مندرج في مدلول من فيكون من في السموات والارض ظرفا حقيقيا للمخلوقين فيهما ومجازيا بالنسبة اليه تعالى اي هو فيهما بعلمه لان في ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز واكثر العلماء ينكر ذلك وانكاره هو الصحيح ومن اجاز ذلك فيصح عنده ان يكون استثناء متصلا فارتفع على البدل او الصفة والرفع افصح من النصب على الاستثناء لانه استثناء من نفي متقدم والظاهر عموم الغيب وقيل المراد غيب الساعة وقال الزمخشري فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي يعني في كونه استثناء منقطعا اذ ليس مندرجا تحت من قلم اخترع الفرع على لغة تميم ولم يخترع النصب على لغة الحجاز قال قلت دعت الى ذلك نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت اذ كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس انتهى وكان الزمخشري قد تقدم قوله فان قلت لم رفع اسم الله والله سبحانه ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله •

• عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم •

• وقوله ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه انتهى وملخصه انه يقول لو نصب لكان مندرجا تحت المستثنى منه واذا رفع كان بدلا والمبدل منه في نية الطرح فصار العامل كانه مفرغ له لان البدل على نية تكرار العامل فكانه قيل قل لا يعلم الغيب الا الله ولو اعرب من مفعولا هو والغيب بدل منه والا الله هو الفاعل اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشيا الغايبة التي تحدث في العالم وهم لا يعلمون بحدوثها اي لا يسبق علمهم بذلك لكان وجها حسنا وكان الله تعالى هو المخصوص بسابق علمه فيما يحدث في العالم وايان تقدم الكلام فيها في اواخر الاعراف ومن هنا اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون ويشعرون معلق والجملة التي فيها استفهام في موضع نصب به وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة وهي لغة قبيلته بني سليم ولما نفي علم الغيب عنهم على العموم نفي عنهم هذا الغيب المخصوص وهو وقت الساعة والبعث فصار منتفيا مرتين اذ هو مندرج في عموم الغيب ومنصوص عليه لخصوصه وقرا الجمهور بل اداراك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال فسكنت فاجتلبت همزة الوصل وقرا ابي ام تدارك على الاصل وجعل ام بدل بل وقرا سليمن بن يسار وعطاء بن يسار اخوه بل ادرك بنقل حركة الهمزة

الى اللام وشد الدال بناء على ان وزنه افتعل فادغم الدال وهي فاء الكلمة في التاء بعد قلبها دالا فصار فيه قلب الثاني للاول لقولهم اثرد واصله اثترد من الثرد والهمزة المحذوفة المنقول حركتها الى اللام هي همزة الاستفهام ادخلت على الف الوصل فانحذفت الف الوصل ثم انحذفت هي والقيت حركتها على لام بل وقرا ابو رجاء والاعرج وشيبة وطلحة وتوبة العنبري كذلك الا انهم كسروا لام بل وروي ذلك عن ابن عباس وعاصم والاعمش وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر واهل مكة بل ادرك على وزن افعل بمعنى تفاعل ورويت عن ابي بكر عن عاصم وقرا عبد الله في رواية وابن عباس في رواية ابي حيوة وغيره عنه والحسن وقتادة وابن محيصن بل آدرك بمدة بعد همزة الاستفهام واصله أأدرك فقلبت الثانية الفا تخفيفا كراهة الجمع بين همزتين وانكر ابو عمرو بن العلا هذه الرواية وجهها وقال ابو حاتم لا يجوز الاستفهام بعد بل لان بل ايجاب والاستفهام في هذا الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم اي لم يشهدوا فلا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار انتهى وقد اجاز بعض المتاخرين الاستفهام بعد بل وشبهه بقول القايل اخبزا اكلت بل ماء اشربت على ترك الكلام الاول والاخذ في الثاني وقرا مجاهد ام ادرك جعل ام بدل بل وادرك على وزن افعل وقرا ابن عباس ايضا بلى ادارك بهمزة داخلة على ادارك فيسقط همزة الوصل المجتلبة لاجل الادغام والنطق بالساكن وقرا ابن مسعود ايضا بل ادرك بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة افعل وقرا الحسن ايضا والاعرج بل ادرك بهمزة وادغام فاء الكلمة وهي الدال في تاء افتعل بعد صيرورة التاء دالا وقرا ورش في رواية بل ادرك بحذف همزة ادرك ونقل حركتها الى اللام وقرا ابن عباس ايضا بل ادرك بحرف الايجاب الذي يوجب به المستفهم المنفي وقري بل اادرك بالف بين الهمزتين فاما قراءة من قرا بالاستفهام فقال ابن عباس هو للتقريع بمعنى لم يدرك علمهم على الانكار عليهم وقال الزمخشري هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك قراءة من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة انتهى وقال ابن عطية هو على معنى الهزء بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم اي اعلموا امر الاخرة وادركها علمهم واما قراءة من قرا على الخبر فقال ابن عباس المعنى بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا اي علموه في الاخرة بمعنى تكامل علمهم في الاخرة بان كل ما وعدوا به غيبا حق وهذا حقيقة اثبات العلم لهم لمشاهدتهم عيانا في الاخرة ما وعدوا به غيبا في الدنيا وكونه بمعنى المضي ومعناه الاستقبال لان الاخبار به صدق فكانه قد وقع وقال ابن عطية يحتمل معنيين احدهما انه تناهى علمهم كما يقول ادرك النبات وغيره اي تناهي وتتابع علمهم بالاخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيؤمنوا وانما لهم ظنون كاذبة او الى ان لا يعرفوا لها وقتا وتكون في بمعنى الباء متعلقة بعلمهم وقد تعدى العلم بالباء كما تقول علمي بزيد كذا ويسوغ حمل هذه القراءة على معنى التوقيف والاستفهام والانكار لانهم لم يدركوا شيا نافعا والثاني ان ادرك بمعنى يدرك اي علمهم في الاخرة يدرك وقت القيمة ويرون العذاب والحقايق التي كذبوا بها واما في الدنيا فلا وهذا تاويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج وفي على بابها من الظرفية متعلقة بتدارك انتهى وفيه بعض تلخيص وزيادة وقال الزمخشري هو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كاينة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم والوجه الثاني ان وصفهم باستحكامه وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي هو طريق الى علمه مشكوك ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسر الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك انتهى وقال الكرماني العلم هنا بمعنى الحكم والقول اي تتابع منهم القول والحكم في الاخرة وكثر منهم الخوض فيها فنفاها بعضهم وشك فيها بعضهم واستبعدها بعضهم وقال الفرا بل ادرك فيصير بمعنى الجحد وكذلك نظائره اي لم يعلموا حدوثها وكونها ودل على ذلك بل هم في شك منها فصارت في في الكلام بمعنى الباء اي لم يدرك علمهم بالاخرة وقال الفرا ويقوي هذا الوجه قراءة

من قرأ ادّرك بالاستفهام انتهى والثالثة قراءة من قرأ بلى حرف الجواب بدل بل فقال ابو حاتم ان كان
بلى جوابا الكلام تقدم جاز ان يستفهم به كان قوما انكروا ما تقدم من القدرة فقيل لهم بلى
ايجابا لما نفوا ثم استونف بعده الاستفهام وعودل بقوله تعالى بل هم في شك منها بمعنى ام هم
في شك منها لان حروف العطف قد تتناوب وكف عن الجملتين بقوله تعالى بل هم منها عمون
انتهى يعني ان المعنى ادرك علمهم بالاخرة ام شكوا قبل بمعنى ام وعودل بها الهمزة وهذا ضعيف
جدا وهو ان تكون بل بمعنى ام وتعادل همزة الاستفهام وقال الزمخشري فان قلت فمن
قرأ بلى ادرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور
بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم
بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى
ادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها
لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين تابع للعلم بكون الكاين فان قلت
هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون
وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة وقد جعل الاخرة مبتدا عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا
هو الذي جعلهم كالبهايم لا يتدبرون ولا يبصرون انتهى وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا واباونا
اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس
ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غايبة في السما و
الارض الا في كتاب مبين ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه
لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق
المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون لما تقدم انه تعالى منفرد بعلم الغيب ومن جملتها وقت
الساعة وانهم لا شعور لهم بوقتها وان الكفار في شك منها عمون ناسب ذكر مقالاتهم في استبعادها
وان ما وعدوا به من ذلك ليس بصحيح انما ذلك من اساطير الاولين من غير اخبار بذلك عن حقيقة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ايذا اينا بالجمع بين الاستفهامين وقلب الثانية يا وفصل بينهما
بالف ابو عمرو وقرأ ايضا عاصم وحمزة بهمزتين ونافع اذا بهمزة مكسورة اينا بهمزة الاستفهام
وقلب الثانية يا وبينهما مدة والباقون ايذا باستفهام ممدود وانا بنونين من غير استفهام
والعامل في اذا محذوف دل مضمون الجملة الثانية تقديره يخرج ويمتنع اعمال لمخرجون
فيه لان كلا من ان ولام الابتدا والاستفهام يمنع ان يعمل ما بعده فيما قبله الا اللام الواقعة
في خبر ان فانه يتقدم معمول الخبر عليها وعلى الخبر على ما قرر في علم النحو واباونا معطوف على اسم
كان وحسن ذلك الفصل بخبر كان والاخراج هنا من القبور احيا مردودا الارواح الى الاجساد
والجمع بين الاستفهام في اذا وفي اينا انكار على انكار ومبالغة في كون ذلك لا يكون والضمير
في اينا لهم ولابايهم لان صيرورتهم ترابا شامل للجميع ثم ذكروا انهم وعدوا ذلك هم واباوهم
فلم يقع شي من هذا الموعود ثم جزموا وحصروا ان ذلك من اكاذيب من تقدم وجاء هنا تقديم
الموعود به وهو هذا وتاخر في اية اخرى على حسب ما سيق الكلام لاجله فحيث تاكد الاخبار
عنهم بانكار البعث والاخرة عمدوا اليها بالتقديم على حسب الاعتنا وحيث لم يكن
ذلك عمدوا الى انكار ايجاد المبعوث فقدموه واخروا الموعود به ثم امر نبيه ان يامرهم
بالسير في الارض وتقدم الكلام في نظير هذه الاية في اوايل الانعام واراد بالمجرمين
الكافرين ثم سلى نبيه فقال ولا تحزن عليهم اي في كونهم لم يسلموا ولم يذعنوا الى
ما جيت به ولا تكن في ضيق اي في حرج وامر شاق عليك مما يمكرون فان مكرهم لاحق بهم
لانك والله يعصمك منهم وتقدمت قراة ضيق بكسر الضاد وفتحها ومما مصدرية ان

ذكره

وذكره ابو علي ان يكون المفتوح الضاد اصله ضيّق بتشديد اليا فخفف كليْن في ليّن لان ذلك يقتضي
حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وليست من الصفات التي تقوم مقام الموصوف باطراد واجاز
ذلك الزمخشري قال ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ولما استعجلت قريش بامر الساعة او
بالعذاب الموعود به هم وسالوا عن وقت الموعود به على سبيل الاستهزا قيل له قل عسى ان يكون
ردف لكم بعضكم اي تبعكم عن قرب وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به وهو كان عذاب يوم
بدر وقيل عذاب القبر وقرا الجمهور ردف بكسر الدال وقرا ابن هرمز بفتحها وهما لغتان
واصله التعدي بمعنى تبع ولحق فاحتمل ان يكون مضمنا معنى اللازم ولذلك فسره ابن عباس
وغيره بازف وقرب لما كان يجي بعد الشي قريبا منه ضمن معناه او مزيدا اللام في مفعوله لتاكيد
وصول الفعل اليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا بايديكم قاله الزمخشري وقد عدي بمن على
سبيل التضمين لما يتعدى بها قال الشاعر

فلما ردفنا من عمير وصحبه ... تولوا سراعا والمنية تعنق

اي دنونا من عمير وقيل ردفه وردف له لغتان وقيل الفعل محمول على المصدر اي الرادفة لكم وبعض
على تقدير رادفه بعض ما تستعجلون وهذا فيه تكلف ينزه القران عنه وقيل اللام في لكم داخلة على
المفعول من اجله والمفعول به محذوف تقديره ردف الخلق لاجلكم وهذا ضعيف وقيل الفاعل بردف
ضمير يعود على الوعد ثم قال لكم بعض ما تستعجلون على المبتدا والخبر وهذا فيه تفكيك للكلام
وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو الى ذلك لذو فضل اي افضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة
على معاصيهم وكفرهم ومتعلق يشكرون محذوف اي لا يشكرون نعمه عندهم او لا يشكرون بمعنى
لا يعرفون حق النعمة عبر عن انتفا معرفتهم بالنعمة بانتفا ما يترتب على معرفتها وهو الشكر ثم
اخبر تعالى بسعة علمه فبدا بما يختص بالانسان ثم عم كل غايبة وعبر بالصدور وهي محل القلوب
التي لها الفكر والعقل لتعقل كما قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وعن الحال فيها وهي
القلوب واسند الاعلان الى ذواتهم لان الاعلان من افعال الجوارح ولما كان المضمر في الصدور
هو الداعي لما يظهر على الجوارح والسبب في اظهاره قدم الاكنان على الاعلان وقرا الجمهور
ما تكن من اكن الشي اخفاه وقرا ابن محيصن وحميد وابن السميفع بفتح التا وضم الكاف
من كن الشي ستره والمعنى ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم والظاهر عموم
قوله من غايبة اي ما من شي في غاية الغيبوبة والخفا الا في كتاب عند الله ومكنون علمه وقيل ما غاب
عنهم من عذاب السما والارض وقيل هو يوم القيامة واهوالها قاله الحسن والكتاب اللوح المحفوظ
وقيل اعمال العباد اثبتت ليجازي عليها وقال صاحب الغنيان اي حادثة غايبة او نازلة واقعة
وقال ابن عباس اي ما من شي سر في السموات والارض وعلانية فاكتفى بذكر السر عن مقابله
وقال الزمخشري سمى الشي الذي يغيب ويخفى غايبة وخافية فكانت التا فيهما بمنزلتها
في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والذبيحة والرمية في انها اسما غير صفات ويجوز ان تكونا
صفتين وتاوهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شي
شديد الغيبوبة والخفا الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر لمن ينظر فيه
من الملايكة انتهى ولما ذكر تعالى المبدا والمعاد ذكر ما يتعلق بالنبوة فكان المعتمد الكبير في اثبات
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو القران ومن جملة اعجازه اخباره بما تضمن من القصص الموافق
لما في التوراة والانجيل مع العلم بانه امي لم يخالط العلما ولا اشتغل بالتعلم وبنو اسرايل هم
اليهود والنصارى قص فيه اكثر ما اختلفوا فيه على وجهه وبينه لهم ولو انصفوا اسلموا ومما اختلفوا
فيه امر المسيح تحزبوا فيه فمن قايل هو الله ومن قايل ابن الله ومن قايل ثالث ثلثة ومن قايل هو
نبي كغيره من الانبيا وقد عقدوا لهم اجتماعات وتباينوا في العقايد وتناكروا في اشيا حتى لعن
بعضهم بعضا والظاهر عموم المومنين وقيل لمن امن من بني اسرايل والقضا والحكم وان ظهر انهما
مترادفان فقيل المراد به هنا العدل اي يعدل له لانه لا يقضي الا بالعدل وقيل المراد بحكمته والحكم
قيل ويدل عليه قراة من قرا بحكمه بكسر الحا وفتح الكاف جمع حكمة وهو جناح بن حبيش ولما كان
القضا يقتضي تنفيذ ما يقضى به والعلم بما يحكم به جات هاتان الصفتان عقبه وهو العزة اي
الغلبة والقدرة والعلم ثم امره تعالى بالتوكل عليه واخبره انه على الحق الواضح الذي لا شك فيه

وهو كالتعليل للتوكل وفيه دليل على ان من كان على الحق يحق له ان يثق بالله فانه ينصره ولا
يخذله ولما كان القران وما قص الله فيه لا يكاد يجدي عندهم اخبر تعالى عنهم انهم موتى القلوب
او شبهوا بالموتى وان كانوا احيا صحاح الابصار لانهم اذا تلي عليهم لا تعيه اذانهم فكانت حالهم
لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى وقرا الجمهور ولا تسمع الصم هنا وفي الروم بضم التاء
وكسر الميم الصم بالرفع ولما كان الميت لا يمكن ان يسمع لم يذكر له متعلق بل نفي الاسماع
اي لا يقع منك اسماع لهم البتة لعدم القابلية واما الاصم فقد يكون في وقت يمكن اسماعه
وسماعه فاتى بمتعلق الفعل وهو الدعا واذا معمولة لتسمع وقيد نفي الاسماع او السماع
بهذا الظرف وما بعده على سبيل التاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي مدبرا
كان ابعد عن ادراك صوته شبههم اولا بالموتى ثم بالصم في حالة ثم بالعمي فقال وما انت
بهادي العمي حيث يضلون الطريق فلا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصرا الى الله
تعالى وقرا الجمهور بهادي العمي اسم فاعل مضاف ويحيى بن الحرث وابو حيوة بهاد منونا
العمي والاعمش وطلحة وابن وثاب وابن يعمر وحمزة تهدي مضارع هدى العمي بالنصب
وابن مسعود وما ان تهتدي بزيادة ان بعد ما ويهتدي مضارع اهتدى والعمي بالرفع
والمعنى ليس في وسعك ادخال الهدي في قلب من عمي عن الحق ولم ينظر اليه بعين قلبه ان
تسمع الا من يومن باياتنا وهم الذين علم الله انهم يصدقون باياته فهم مسلمون منقادون
للحق وقال الزمخشري مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله بمعني جعله سالما لله
خالصا انتهى واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول
الازلي من الله كقوله حقت كلمة العذاب فالمعنى اذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق
علمه فيهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم والقول
اما على حذف مضاف اى مضمون القول واما انه اطلق القول على المقول لما كان المقول مودي
بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب وقال ابن مسعود ووقع القول عليهم
يكون بموت العلما وذهاب العلم ورفع القران انتهى وروي ان خروجها حين ينقطع الخير ولا
يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تايب وفي الحديث ان الدابة وطلوع الشمس
من المغرب من اول الاشراط ولم يعين الاول وكذلك الدجال وظاهر الاحاديث ان طلوع
الشمس اخرها والظاهر ان الدابة التي تخرج هي واحدة وروي انه يخرج في كل بلد دابة مما هو
مبثوث نوعها في الارض وليست واحدة فيكون قوله دابة اسم جنس واختلفوا في ماهيتها وشكلها
ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منها وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به اختلافا مضطربا
معارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا فاطرحنا ذكره لان نقله تسويد للورق بما يصح وتضييع
لزمان نقله والظاهر ان قوله تكلمهم بالتشديد وهي قراءة الجمهور من الكلام ويويده قراءة ابي تنبيهم
وفي بعض القراءات تحدثهم وهي قراءة يحيى بن سلام وقراءة عبد الله بان الناس قال السدي
تكلمهم ببطلان ساير الاديان سوى الاسلام وقيل تخاطبهم فيقول للمومن هذا مومن وللكافر هذا كافر
وقيل معنى تكلمهم تجرحهم من الكلم والتشديد للتكثير ويويده قراءة ابن عباس ومجاهد وابن
جبير وابي زرعة والجحدري وابي حيوة وابن ابي عبلة تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف مخفف
اللام وقراءة من قرا تجرحهم مكان تكلمهم وسال ابو الحورا ابن عباس تكلم او تكلم فقال كل
ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر انتهى وروي انها تسم الكافر في جبهته وتدبره وتمسح على
وجه المومن فتبيضه وقرا الكوفيون وزيد بن علي ان الناس بفتح الهمزة وابن مسعود
بان وتقدم وباقي السبعة إن بكسر الهمزة فاحتمل الكسر ان يكون من كلام الله وهو الظاهر
لقوله باياتنا واحتمل ان يكون من كلام الدابة وروي هذا عن ابن عباس وكسرت ان على هذا
القول اما على اضمار القول او على اجرا تكلمهم اجرا تقول لهم ويكون قوله باياتنا على حذف مضاف
اي لاختصاصها بالله كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وعلى قراءة الفتح فالتقدير
بان كقراءة عبد الله والظاهر انه متعلق بتكلمهم اي تخاطبهم بهذا الكلام ويجوز ان تكون البا
المنطوق بها او المقدرة سببية اي تخاطبهم او تجرحهم بسبب انتفا ايقانهم باياتنا ويوم نحشر
من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما

اما ذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يومنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض الا من شا الله وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شي انه خبير بما يفعلون من جا بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يوميذ امنون
ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها وله كل شي وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك
بغافل عما تعملون اي اذكر يوم نحشر والحشر الجمع على عنف من كل امة اي من الامم ومن هي للتبعيض
فوجا اي جماعة كثيرة ممن يكذب باياتنا من للبيان اي الذين يكذبون والايات الانبيا او القران
او الدلايل اقوال فهم يوزعون تقدم تفسيره في اول قصة سليمن من هذه السورة وعن ابن مسعود
ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة ساير الامم
بين ايديهم الى النار حتى اذا جاوا اي الى الموقف قال اكذبتم باياتي استفهام توبيخ وتقريع واهانة
ولم تحيطوا بها علما الظاهر ان الواو للحال اي اوقع تكذيبكم بها غير متدبرين لها ولا محيطين
علما بكنهها ويجوز ان تكون الواو للعطف اي اجحدتموها ومع جحودها لم تلقوا اذهانكم لتحققها
وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه اليه ولا يدع مع ذلك ان
يقراه ويحيط بمعانيه علما وقيل ولم تحيطوا بها علما اي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير
مستدلين وام هنا منقطعة وينبغي ان يقدر ببل وحدها انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ
الى الاستفهام عن عملهم ايضا على جهة التوبيخ اي اي شي كنتم تعملون والمعنى ان كان لكم عمل او حجة
فهاتوا وليس لهم عمل ولا حجة فيما عملوه الا الكفر والتكذيب وماذا يحتمل ان يكون استفهاما
منصوبا بخبر كان وهو تعملون وان يكون ما هو الاستفهام وذا موصول بمعنى الذي فيكون مبتدا
وخبرا وكان صلة لذا والعايد محذوف اي تعملونه وقرا ابو حيوة اماذا بتخفيف الميم ادخل اداة
الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد ووقع القول اي العذاب الموعود به بسبب
ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون اي بحجة ولا عذر لما شغلهم من عذاب الله وقيل يختم
على افواههم فلا ينطقون وانتفا نطقهم يكون في موطن من مواطن القيامة او من فريق من الناس
لان القران يقتضي انهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن ولما ذكر اشيا من احوال يوم القيامة
ليرتدع بسماعها من اراد الله تعالى ارتداده نبههم على ما هو دليل على التوحيد والحشر والنبوة
بما هم يشاهدونه في حالة حياتهم وهو تقليب الليل والنهار من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى نور وفاعل
ذلك واحد وهو الله تعالى فيجب ان يفرد بالعبادة والالوهية وفي هذا التقليب دليل على القلب
من حيوة الى موت ومن موت الى حيوة اخرى وفيه دليل ايضا على النبوة لان هذا التقليب
هو لمنافع المكلفين ولهذا علل ذلك الجعل بقوله لتسكنوا فيه وبعثة الانبيا لتحصيل منافع الخلق
واضاف الابصار الى النهار على سبيل المجاز لما كان يقع فيه اضافه اليه كما تقول ليلك نايم وعلل جعل
الليل بقوله لتسكنوا فيه اي لان يقع سكونهم فيه من ما يلحقهم من التعب في النهار واستراحة
نفوسهم وقال بعض الرجاز

النوم راحة القوي الحسية • من حركات والقوي النفسية •

ولم يقع التقابل في جعل النهار بالنص على علة فيكون التركيب والنهار لتبصروا فيه بل اتى بقوله مبصرا
قيدا في جعل النهار لا علة للجعل فقال الزمخشري هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع
غير المتكلف لان معنى مبصرا لتبصروا فيه بل اتى بقوله مبصرا قيدا في جعل النهار لا علة للجعل طرق
التقلب في المكاسب انتهى والذي يظهر ان هذا من باب ما حذف من اوله ما اثبت في مقابله وحذف
من اخره ما اثبت في اوله فالتقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه
فالاظلام ينشا عنه السكون والابصار ينشا عنه التصرف في المصالح ويدل عليه قوله تعالى وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف علة لجعل النهار
مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذين مشبعا في البقرة في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق ان في ذلك اي في هذا الجعل لايات لقوم يومنون لما كان لا ينتفع بالفكر في هذه الايات

الا المومنون خصوا بالذكر وان كانت ايات لهم ولغيرهم ويوم ينفخ في الصور تقدم القول
في الصور في سورة الانعام وهذه النفخة هي نفخة الفزع وروى ابو هريرة ان الملك له في الصور
ثلث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حيوة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة
القيام من القبور وقيل هما نفختان جعلوا الفزع والصعق نفخة واحدة واستدلوا بقوله ثم نفخ فيه
اخرى وياتي الكلام في ذلك ان شا الله وقال صاحب الغنيان فيوم ينفخ في الصور للبعث من القبور
والحشر وعبر هنا بالماضي في قوله ففزع وان كان لم يقع اشعارا بصحة وقوعه وانه كاين لا محالة
وهذه فايدة وضع الماضي موضع المستقبل كقوله تعالى فاوردهم النار بعد قوله يقدم قومه
يوم القيامة الا من شا الله اي فلا ينالهم هذا الفزع لتثبيت الله قلبه فقال مقاتل هم جبريل
وميكاييل واسرافيل وملك الموت واذا كان الفزع الاكبر لا ينالهم فهم حريون الا ينالهم هذا
وقال الضحاك الحور العين وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق
مرة وقال ابو هريرة هم الشهدا ورواه ابو هريرة حديثا وهو انهم الشهدا عند ربهم يرزقون
وهو قول ابن جبير قال هم الشهدا متقلدوا السيوف حول العرش وقيل هم المومنون لقوله
وهم من فزع يوميذ امنون قال بعض العلما لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال
القرطبي خفي عليه حديث ابي هريرة وقد صححه القاضي ابو بكر بن العربي فيعول عليه في التعيين
وغيره اجتهاد وهذا النفخ هو حقيقة اما في القرن واما في الصور وهو قول الاكثرين وقيل يجوز
ان تكون تمثيلا لدعا الموتى فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش عند سماع الصوت فيكون
ذلك مجازا والاول قول الاكثرين وهو الصواب لكثرة ورود النفخ في الصور في القران
وفي الحديث الصحيح وقيل ففزع ليس من الفزع بمعنى الخوف وانما معناه اجاب واسرع الى
البقا وكل اتوه المضاف اليه كل محذوف تقديره وكلهم وقرا الجمهور اتوه اسم فاعل وعبد الله
وحمزة وحفص اتوه فعلا ماضيا وفي القرااتين روعي معناه كل من الجمع وقتادة اتاه فعلا ماضيا
مسند الضمير كل على لفظها وجمع داخرين على معناها وقرا الحسن والاعمش دخرين بغير الف
قيل ومعنى اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم
له وترى الجبال هو من روية العين تحسبها حال من فاعل ترى او من الجبال وجامدة من جمد
مكانه اذا لم يبرح منه وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور وهي اول احوال الجبال
تموج وتسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ثم تكون هباء منبثا في اخر الامر وهي تمر مر السحاب
جملة حالية اي تحسبها في راي العين ثابتة مقيمة في اماكنها وهي سايرة وتشبيه مرورها
بمر السحاب قيل في كونها تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة
العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة الجعدي في صفة جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

وقيل شبه مرورها بمر السحاب في كونها تسير سيرا وسطا كما قال الاعشى

كان مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

وحسبان الراي الجبال جامدة مع مرورها قيل لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت ذهن
في الفكر في ذلك حتى يتحقق كونها ليست بجامدة وقال ابو عبد الله الرازي الوجه في حسبانهم
انها جامدة ان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت ظن الناظر
اليها انها واقفة وهي تمر مرا حثيثا انتهى وقيل وصف تعالى الجبال بصفات مختلفة ترجع
الى تفريغ الارض منها وابراز ما كانت تواريه فاول الصفات ارتجاجها ثم صيرورتها
كالعهن المنفوش ثم كالهبا بان تتقطع بعد ان كانت كالعهن ثم نسفها وهي مع الاحوال
المتقدمة قارة في مواضعها والارض غير بارزة وبالنسف برزت ونسفها بارسال الريح
عليها ثم تطييرها بالريح في الهوا كانها غبار ثم كونها سرابا فاذا نظرت الى مواضعها لم تجد فيها
منها شيا كالسراب وقال مقاتل بل تقع على الارض فتستوي بها وانتصب صنع الله على انه
مصدر موكد لمضمون الجملة التي تليها فالعامل فيه مضمر من لفظه وقال الزمخشري
صنع الله من المصادر الموكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان موكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين

وعاقب

وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشيا
التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شي يعني ان مقابلته
الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشيا واتقانه لها واجرايه لها على قضايا
الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله
من جا بالحسنة فله الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانه
اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى
واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جا عقيب كلام جا كالشاهد لصحته والمنادي على سداده
وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة
الله بعد ما رسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شي ومن احسن
من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله انتهى وهذا الذي ذكره من تشقيقه
وتكثيره في الكلام واحتيال له في اداة الفاظ القران لما عليه من مذاهب المعتزلة والذي
يظهر ان صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة وهي جملة الحال اي صنع الله بها
ذلك وهو قلعها من الارض ومرها مرا مثل مر السحاب واما قوله الا ان موكده محذوف
وهو الناصب ليوم ينفخ الى قوله صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة فذلك لا يصح لان
المصدر الموكد لمضمون الجملة لا يجوز حذف جملته لانه منصوب بفعل من لفظه فيجتمع حذف
الفاعل الناصب وحذف الجملة التي اكد مضمونها بالمصدر وذلك حذف كثير مخل ومن تتبع
مساق هذه المصادر التي تؤكد مضمون الجملة وجد الجمل مصرحا بها لم يرد الحذف في شي منها
اذ الاصل ان لا يحذف الموكد اذ الحذف ينافي التوكيد لانه من حيث اكد معتنى به ومن حيث
حذف غير معتنى به وقيل انتصب صنع الله على الاغرا بمعنى انظروا صنع الله وقرا العربيان وابن
كثير يفعلون باليا والباقي السبعة بتا الخطاب ولما ذكر علامات القيامة ذكر احوال المكلفين بعد
قيام الساعة والحسنة الايمان وقال ابن عباس والنخعي وقتادة هي لا اله الا الله ورتب على مجي
المكلف شيين احدهما انه له خير منها ويظهر ان خيرا ليس افعل تفضيل ومن لابتدا الغاية اي له خير
من الخيور مبدوه ونشوه منها اي من جهة هذه الحسنة والخير هنا الثواب وهذا قول الحسن وابن
جريج وعكرمة قال عكرمة ليس شي خيرا من لا اله الا الله وانما المراد انها ليست افعل التفضيل وقيل افعل
التفضيل فقال الزمخشري فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل ينقضي والثواب يدوم
وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد انتهى وقوله وشتان ما بين العبد وفعل السيد تركيب مختلف
فيه بعض العلما منعه والصحيح جوازه وقال ابن عطية يحتمل ان يكون للتفضيل ويكون في قوله منها
حذف مضاف تقديره خير من قدرها واستحقاقها بمعنى ان الله تعالى يتفضل عليه فوق ما تستحق حسنته
قال ابن زيد يعطي بالواحدة عشرا والداعية الى هذا التقدير ان الحسنة لا يتصور بينها وبين
الثواب تفضيل انتهى وقيل ثواب المعرفة الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة
في الاخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم وقد دلت الدلايل على ان اشرف السعادات هي هذه اللذة
ولو لم تحمل الاية على ذلك لزم ان يكون الاكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى وذلك لا يكون
وقرا الكوفيون من فزع بالتنوين ويوميذ منصوب على الظرف معمول لقوله امنون او لفزع ويدل على
انه معمول له قراة من اضافه اليه او في موضع الصفة لفزع اي كاين في ذلك الوقت وقرا باقي السبعة
باضافة فزع الى يوميذ فكسر الميم العربيان وابن كثير واسمعيل بن جعفر عن نافع وفتحها بنا الاضافة
الى غير متمكن نافع في غير رواية اسمعيل والتنوين في يوميذ تنوين العوض حذفت الجملة وعوض
عنها والاولى ان تكون الجملة المحذوفة ما قرب من الظرف اي يوم اذ جا بالحسنة ويجوز ان يكون التقدير
يوم اذ ترى الجبال ويجوز ان يكون التقدير يوم اذ ينفخ في الصور ولا سيما اذا فسر بانه نفخ القيام
من القبور للحساب ويكون الفزع اذ ذاك واحدا وقال ابو علي ما معناه من فزع بالتنوين او بالاضافة
يجوز ان يراد به فزع واحد وان يراد به الكثرة لانه مصدر فان اريد الكثرة شمل كل فزع يكون
في القيامة وان اريد الواحد فهو الذي اشير اليه بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال الزمخشري
فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول ما لا يخلو منه احد عند الاحساس
بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به والثاني الخوف من

العذاب انتهي والسيئة الكفر والمعاصي فمن حتم الله عليه من اهل المشية بدخول النار
وخصت الوجوه اذ كانت اشرف الاعضا ويلزم من كبها في النار كب الجميع او عبر بالوجه
عن جملة الانسان كما يعبر عنها بالراس والرقبة كما قال فكبكبوا فيها فكانه قيل فكبوا في النار
والظاهر من كبت انهم يلقون في النار منكوسين قاله ابو العالية اعلاهم قبل اسفلهم ويجوز
ان يكون ذلك كناية عن طرحهم في النار قاله الضحاك هل تجزون خطاب لهم على اضمار القول
اي يقال لهم ذوقوا الكبت هل تجزون ثم امر تعالي نبيه ان يقول انما امرت والامر هو الله تعالي
على لسان جبريل او دليل العقل على وحدانية الله تعالي ان اعبد اي افرده بالعبادة ولا اتخذ
معه شريكا كما فعلت قريش وهذه اشارة تعظيم كقوله وهذا كتاب انزلناه هذا ذكر من معي من
حيث هي موطن نبيه ومهبط وحيه والبلدة مكة واسند التحريم اليه تشريفا لها واختصاصا
ولا تعارض بين قوله الذي حرمها وقوله عليه السلام ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة
لان اسناد ذلك الي الله من حيث بقضايه وسابق علمه واسناده الى ابرهيم من حيث كان ظهور
ذلك بدعايه ورغبته وتبليغه لامته وفي قوله حرمها تنبيه بنعمته على قريش اذ جعل بلدتهم
امنة من الغارات والفتن التى تكون في بلاد العرب واهلك من اراها بسوء وقرا
الجمهور الذي صفة للرب وقرا ابن مسعود وابن عباس التي حرمها صفة للبلدة ولما اخبرانه
مالك هذه البلدة اخبرانه يملك كل شي فقال وله كل شي اي جميع الاشيا داخلة في ربوبيته هو
فشرفت البلدة بذكرا ندراجها تحت ربوبيته على جهة الخصوص وعلى جهة العموم وامرت
ان اكون من المسلمين اي المستسلمين المنقادين لامر الله فاعبده كما امرني او من الحنفا الثابتين
على ملة الاسلام المشار اليهم في قوله هو سماكم المسلمين وان اتلوا القران اما من التلاوة هو
اي وان اتلوعليكم القران وهذا الظاهر اذ بعده التقسيم المناسب للتلاوة واما من المتلو
اي وان اتبع القران كقوله واتبع ما يوحي اليك وقرا الجمهور وان اتلو وقرا عبد الله وان
اتل بغير واو امرا من تلا فجاز ان تكون ان مصدرية وصلت بالامر وجاز ان تكون مفسرة
على اضمار وامرت ان اتل اي اتل وقرا ابى واتل هذا القران جعله امرا دون ان فمن اهتدي
به ووحد الله ونبه وامن بما جابه فثمرة هدايته مختصة به ومن ضل فوبال اضلاله مختص
به وحذف جواب من ضل لدلالة جواب مقابله عليه او يقدر في قوله فقل انما انا من المنذرين
ضمير حتى يربط الجزا بالشرط اذ اداة الشرط اسم وليس ظرفا فلا بد في جملة الجواب
من ذكر يعود عليه ملفوظ به او مقدر فتكون هذه الجملة هي جواب الشرط ويقدر الضمير
من المنذرين له ليس علي الا انذاره واما هدايته فالي الله وقل الحمد لله امر ان يقول ذلك
فيحمد ربه على ما خصه به من شرف النبوة والرسالة واختصه من رفيع المنزلة سيريكم
اياته تهديد لاعدايه بما يريهم الله من اياته التي تضطرهم الي معرفتها والاقرار انها ايات
الله قال الحسن وذلك في الاخرة حتى لا ينفعهم المعرفة وقال الكلبي في الدنيا وهي الدخان
وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله وقيل يوم بدر وقيل خروج الدابة ولو بعد حين
وقيل اياته في انفسكم وقيل في ساير ما خلق مثل قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وقيل
معجزات الرسول واضافها اليه لانه هو مجريها على يدي رسوله ومظهرها من جهته فتعرفونها
اي حقيقتها ولا يسعكم جحودها وقرا الجمهور عما يعملون بيا الغيبة التفاتا من ضمير
الخطاب الي ضمير الغيبة ونافع وابن عامر بتا الخطاب لقوله سيريكم ولما قسمهم الي مهتد وضال
اخبر تعالي انه محيط باعمالهم غير غافل عنها **الوكز** الضرب باليد مجموعا كعقد ثلثة
وسبعين وقيل بجمع كفه وقيل الوكز واللكز واللهز واللكز الدفع باطراف الاصابع وقيل
الوكز على القلب واللكز على اللحي وقيل الوكز باطراف الاصابع **ذاد** طرد ودفع وقال
الفرا حبس **جذوة** الشي جذوا قطعته والجذوة عود فيه نار بلا لهب قال ابن مقبل

باتت حواطب ليلي يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الذي يتقصف والدعر الذي فيه لهب وقال اخر

واقي على قبس من النار جذوة ... شديد عليها حميها والتهابها

وقيل الجذوة مثلث الجيم العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن وقال السلمي يصف المصطلي

المفردات

جي

353

حمي حب هذي النار حب خليلتي ... وحب الغواني فهو دون الحباحب
وبدلت بعد المسك والبان شقوة ... دخان الجذا في راس اشمط شاحب

التناجي والنشط خفة الوادي **الفصاحة** بسط اللسان في ايضاح المعنى المقصود ومقابله
اللكن **الردء** المعين الذي يبدبه في الامر فعل بمعني مفعول فهو اسم لما يعان به كما ان الدفء
اسم لما يدفا به قال سلامة بن جندل

وردي كل ابيض مشرفي ... شحيذ الحد عضب ذي فلول

ويقال ردات الحايط اردؤه اذا دعمته بخشبة لئلا يسقط وقال ابو عبيدة العون ويقال
ردانه على عدوه اعنته **المقبوح** المطرود وقال الشاعر

الا قبح الله البراجم كلها ... وجدع يربوعا وعفر دارما

ثوا يثوي ثوا اقام قال الشاعر

لقد كان في حول ثوا ثويته ... تقضي لبانات ويسام سايم

وقال العجاج فبات حيث يدخل الثوي اي الضيف المقيم **البطر** الطغيان **السرمد**
الدايم الذي لا ينقطع

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوعليك من نبا موسي وفرعون بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا
في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناهم ويستحيي نساهم انه كان من المفسدين
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون هذه السورة مكية كلها قاله الحسن وعطا وعكرمة
وقال مقاتل فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب من قبله الى قوله لا نبتغي الجاهلين وقيل نزلت
بين مكة والجحفة وقال ابن عباس بالجحفة في خروجه عليه السلم للهجرة وقال ابن سلام نزل ان الذي
فرض عليك القران لرادك الي معاد بالجحفة وقت الهجرة الي المدينة ومناسبة اول هذه السورة
لاخر السورة قبلها انه امره تعالي بحمده ثم قال سيريكم اياته وكان مما فسربه اياته تعالى معجزات
الرسول وانه اضافها تعالي اليه اذ كان هو المجري بها على قدمه فقال تلك ايات الكتاب اذ كان الكتاب
هو اعظم المعجزات واكبر الايات البينات والظاهر ان الكتاب هو القران وقيل اللوح المحفوظ هو
نتلو اي نقرا عليك بقراة جبريل او يقص ومفعول نتلو من نبا اي بعض نبا وبالحق متعلق بنتلو
اي محقين او في موضع الحال من نبا اي متلبسا بالحق وخص المومنين لانهم هم المنتفعون بالتلاوة
علا في الارض اي تجبر واستكبر حتى ادعي الربوبية والالهية والارض ارض مصر والشيع الفرق
ملك القبط واستعبد بني اسرايل ان يشيعونه على ما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته
او ناسا في بناء وناسا في حفر وغير ذلك من الحرف الممتهنة ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية
او اغري بعضهم ببعض ليكونوا له اطوع والطايفة المستضعفة بنو اسرايل والظاهر ان
يستضعف استيناف يبين حال بعض الشيع ويجوزان يكون حالا من ضمير وجعل وان تكون صفة
لشيعا ويذبح تبيين للاستضعاف وتفسيرا وفي موضع الحال من ضمير يستضعف او في موضع
الصفة لطايفة وقرا الجمهور يذبح مضعفا وابو حيوة وابن محيصن بفتح اليا وسكون الذال
انه كان من المفسدين علة لتجبره ولتذبيح الابنا اذ ليس في ذلك الا مجرد الفساد ونريد حكاية
حال ماضية والجملة معطوفة على قوله ان فرعون لان كليتهما تفسير للنبا ويضعف ان يكون حالا
من الضمير في يستضعف لاحتياجه الي اضمار مبتدا اي ونحن نريد وهو ضعيف واذا كانت حالا
فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله ولا يمكن الاقتران فقيل لما كانت المنة بخلاصهم
من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم وان نمن اي بخلاصهم
من فرعون واغراقه ونجعلهم ايمة اي مقتدي بهم في الدين والدنيا وقال مجاهد دعاة الي الخير
وقال قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا وقال الضحاك انبيا ونجعلهم الوارثين اي يرثون
فرعون وقومه ملكهم وما كان لهم وعن علي الوارثون هم يوسف عليه السلم وولده وعن قتادة
ايضا ورثوا ارض مصر والشام وقرا الجمهور ونمكن عطفا على نمن وقرا الاعمش ولنمكن
بلام كي اي واردنا ذلك لنمكن او ولنمكن فعلنا ذلك والتمكين التوطية في الارض هي ارض مصر

الشام بحيث ينفذ امرهم ويتسلطون على من سواهم وقرا الجمهور ونري مضارع اريناه ونصب
ما بعده وعبد الله وحمزة والكسائي ويري مضارع راى ورفع ما بعده وهامان وزير فرعون واحد رجاله
وذكر لنباهته في قومه ومحله من الكفر الا ترى الى قوله له يا هامان ابن لي صرحا ومحذورهم زوال
ملكهم واهلاكهم على يدي مولود من بني اسرائيل واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امراة فرعون قرة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ايحى الله الى ام موسى
الهام وقذف في القلب قاله ابن عباس وقتادة او منام قاله قوم او ارسال ملك قاله قطرب وقوم
وهذا هو الظاهر لقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين واجمعوا على انها لم تكن نبية فان كان
الوحي بارسال ملك كما هو الظاهر فهو كارساله للاقرع والابرص والاعمى وكما روي من تكليم الملائكة
للناس والظاهر ان هذا الايحاء هو بعد الولادة فيكون ثم جملة محذوفة اي ووضعت موسى امه
في زمن الذبح وخافت عليه واوحينا فان تفسيرية او مصدرية وقيل كان الوحي قبل الولادة
وقرا عمر بن عبد الواحد وعمر بن عبد العزيز ان ارضعيه بكسر النون بعد حذف الهمزة على
غير قياس لان القياس فيه نقل حركة الهمزة وهي الفتحة الى النون كقراءة ورش فاذا خفت عليه
من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الاولاد فالقيه في اليم قال الجنيد اذا
خفت حفظه بواسطة فسلميه الينا بالقائه في البحر واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك وزمان
رضاعه ثلاثة اشهر او اربعة او ثمانية اقوال واليم هنا نيل مصر ولا تخافي اي من غرقه
وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني لمفارقتك اياه انا رادوه اليك وعد صادق يسكن قلبها
ويبشرها بحياته وجعله رسولا وقد تقدم في سورة طه طرف من حديث التابوت ورميه في اليم
وكيفية التقاطه فاغنى عن اعادته واستفصح الاصمعي امراة من العرب انشدت شعرا فقالت
ابعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الاية فصاحة وقد جمع بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فالتقطه ال فرعون في الكلام حذف تقديره ففعلت ما امرت به من ارضاعه ومن
القائه في اليم واللام في ليكون للتعليل المجازي لما كان مال التقاطه وتربيته الى كونه عدوا
لهم وحزنا وان كانوا لم يلتقطوه الا للتبني وكونه يكون حبيبا لهم ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة
وبلام الصيرورة وقرا الجمهور وحزنا بفتح الحاء والزاي وهي لغة قريش وقرا ابن وثاب
وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن سعدان بضم الحاء واسكان الزاي والخاطي المتعمد
الخطا والمخطي الذي لا يتعمده واحتمل ان يكون في الكلام حذف وهو الظاهر اي فكان لهم عدوا
وحزنا اي لانهم كانوا خاطئين لم يرجعوا الى دينه وتعمدوا الجرائم والكفر بالله وقيل المبرد خاطئين
على نفسهم بالتقاطه وقيل بقتل اولاد بني اسرائيل وقيل في تربية عدوهم واضيف الجند هنا
في ما قبل الى فرعون وهامان وان كان هامان لا جنود له لان امر الجنود لا يستقيم الا بالملك
والوزير اذ بالوزير تحصل الاموال وبالملك وقهره يتوصل الى تحصيلها ولا يكون قوام الجند
الا بالاموال وقرئ خاطين بغير همز فاحتمل ان يكون اصله الهمز وحذفت وهو الظاهر وقيل
من خطا يخطو اي خاطين الصواب فلما التقطوه هموا بقتله وخافوا ان يكون المولود الذي
يحذرون زوال ملكهم على يديه فالقى الله محبته في قلب آسية امراة فرعون ونقلوا انها رات
نورا في التابوت وتسهل عليها فتحه بعد تعسر فتحه على يدي غيرها وان بنت فرعون احبته
ايضا لبرئها من دائها الذي كان بها وهو البرص باخبار من اخبر انه لا يبريها الا ريق انسان
يوجد في تابوت في البحر وقرة خبر مبتدا محذوف اي هو قرة ويبعد ان يكون مبتدا والخبر
لا تقتلوه وتقدم شرح قرة في اخر الفرقان وذكر انها لما قالت لفرعون قرة عين لي ولك قال
لك لا لي وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل وابتغت النهي عن
قتله برجائها ان ينفعهم لظهور مخايل الخير فيه من النور الذي راته ومن برء البرص او نتخذه
ولدا فانه اهل لذلك وهم لا يشعرون جملة حالية اي لا يشعرون انه الذي يفسد ملكهم
على يديه قاله قتادة او انه عدوهم قاله مجاهد او اني افعل ما اريد لا ما يريدون قاله
محمد بن اسحق والظاهر انه من كلام الله تعالى وقيل هو من كلام امراة فرعون اي قالت

ذلك لفرعون والذي اشاروا بقتله لا يشعرون بمقالتها واستعطاف قلبه عليه لئلا يغروه
بقتله وقال الزمخشري تقديره الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت
امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه
وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه موكدة لمعنى
خطئهم انتهى ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن واصبح فواد ام موسى فارغا
ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت
به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين واصبح اي صار فارغا
من العقل وذلك حين بلغها انه وقع في يد فرعون فدهمها امر مثله لا يبقى معه عقل لا سيما عقل
امراة خافت على ولدها حتى طرحته في اليم رجاء نجاته من الذبح هذا مع الوحي اليها ان الله يرده
اليها ويجعله رسولا ومع ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجاة الخطب العظيم
ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله وقرا احمد بن موسى عن ابي عمرو فوادا بالواو وقال ابن
عباس فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى وقال مالك هو ذهاب العقل وقالت فرقة فارغا من الصبر
وقال ابن زيد فارغا من وعد الله ووحيه اليها تناسته من الهم وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن
اذ لم يغرق وهذا فيه بعد وتبعده القراءات الشواذ التي في اللفظة وقرا فضالة بن عبيد
والحسن ويزيد بن قطيب وابو زرعة بن عمرو بن جرير فزعا بالزاي والعين المهملة من الفزع
وهو الخوف والقلق وابن عباس قرعا بالقاف وكسر الرا واسكانها من قرع راسه اذا انحسر شعره
كانه خلا من كل شيء الا من ذكر موسى وقيل فزعا بالسكون مصدر اي يفزع فزعا من القارعة
وهي الهم العظيم وقرا بعض الصحابة فزغا بالفا مكسورة وسكون الزاي والغين المنقوطة
ومعناه ذاهبا هدرا بالغا من الهم والحزن ومنه قول طليحة الاسدي في اخيه حبال

فان يك قتلى قد اصيبت نفوسهم فلن تذهبوا فزغا بقتل حبال

اي بقتل حبال فزغا اي هدرا لا يطلب له بثار ولا يوخذ وقرا الخليل بن احمد فرغا بضم الفا
والرا ان كادت لتبدي به هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا وهذا قول كوفي والابدا اظهار الشيء والظاهر ان الضمير في به عايد على موسى فقيل البا
زايدة اي لتظهره وقيل مفعول تبدي محذوف اي لتبدي القول به اي بسببه وانه ولدها وقيل
الضمير في به للوحي اي لتبدي بالوحي وقال ابن عباس كادت تصيح عند القائه في البحر وابناه وقيل
عند رؤيتها تلاطم الامواج به لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان وقال السدي بالعصمة
وقال الصادق باليقين وقال ابن عطاء بالوحي وليكون من المؤمنين فعلنا ذلك اي المصدقين
بوعد الله وانه كاين لا محالة والربط على القلب كناية عن قراره واطمينانه شبه بما يربط
مخافة الانفلات وقال الزمخشري ويجوز واصبح فوادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون
عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت
لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين
الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من تجويز كونه
فارغا من الهم الى اخره خلاف ما فهمه المفسرون من الاية وجواب لولا محذوف تقديره لكادت
تبدي به ودل عليه قوله ان كادت لتبدي به وهذا شبيه بقوله وهم بها لولا ان راى برهان
ربه وقالت لاخته طمعا منها في التعرف بحاله قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فروي انها
خرجت في سكك المدينة مختفية فراته عند قوم من حاشية امراة فرعون يتطلبون له امراة
ترضعه حين لم يقبل المراضع واسم اخته مريم وقيل كلثمة وقيل كلثوم وفي الكلام حذف
اي فقصت اثره فبصرت به اي ابصرته عن جنب اي عن بعد وهم لا يشعرون بتطلبها له
ولا بابصارها وقيل معنى عن جنب عن شوق اليه حكاه ابو عمرو بن العلا وقال هي لغة جذام
يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقال الكرماني جنب صفة لموصوف محذوف اي عن مكان
جنب يريد بعيد وقيل عن جانب لانها كانت تمشي على الشط وهم لا يشعرون انها تقص

وقيل لا يشعرون انها اخته وقيل لا يشعرون انها عدو لهم قاله مجاهد وقرا الجمهور
عن جنب بضمتين وقرا قتادة فبصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها وقرا قتادة والحسن
والاعرج وزيد بن علي عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وعن قتادة بفتحهما ايضا وعن
الحسن بضم الجيم واسكان النون وقرا النعمان بن سالم عن جانب والجنب والجانب
والجنابة والجناب بمعنى واحد وقال قتادة معنى عن جنب انها تنظر اليه كانها لا تريده
والتحريم هنا بمعنى المنع اي منعناه ان يرضع ثدي امراة والمراضع جمع مرضع وهي المراة
التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي اي الارضاع من قبل اي من اول امره
وقيل من قبل قصها اثره واتيانه على من هو عنده فقالت هل ادلكم اي ارشدكم الى اهل بيت
يكفلونه لكم وهم له ناصحون لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية وذلك قوله
وحرمنا عليه المراضع انه عرض عليه جملة من المرضعات والظاهر ان الضمير في له عايد على
موسى قيل ويحتمل ان يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر امره من جملته وقال ابن جريج
تاول القوم ان الضمير للطفل فقالوا لها انك قد عرفتيه فاخبرينا من هو فقالت ما اردت الا انهم
ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التاويل وفي الكلام حذف تقديره فمرت بهم الى امه فكلموها في ارضاعه
او فجات باته اليهم فكلموها في شانه فارضعته فالتقم ثديها ويروى ان فرعون قال لها ما سبب
قبول هذا الطفل ثديك وقد ابى كل ثدي فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى
بصبي الا قبلني فدفعه اليها وذهبت به الى بيته واجرى لها كل يوم دينارا وجاز لها اخذه لانه
مال حربي فهو مباح وليس ذلك اجرة رضاع فرددناه الى امه كما قال تعالى انا رادوه اليك

• ودمع الفرح بارد وعين المهموم حري سخنه وقال ابو تمام •

• فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون الشامتين فقرت •

ولما اخبرتعالى وعده في الرد ثبت عندها انه سيكون نبيا رسولا ولتعلم ان وعد الله حق
فعلنا ذلك ولا يعلمون اي ان وعد الله حق فهم مرتابون فيه ولا يعلمون ان الرد انما كان لعلمها
بصدق وعد الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون بان الرد كان لذلك وفي قوله ولتعلم ان وعد الله
حق دلالة على ضعف من ذهب الى ان الايحا اليها كان الهاما اومناما لان ذلك يبعد ان يقال
فيه وعد وقوله ولتعلم وقوع ذلك فهو علم مشاهدة اذ كانت عالمة ان ذلك سيكون واكثرهم
القبط ولا يعلمون سر القضا وقال الضحاك لا يعلمون مصالحهم وصلاح عواقبهم وقال
الضحاك ايضا ومقاتل لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها وتقدم تفسير ولما بلغ اشده الى المحسنين
في سورة يوسف عليه السلام ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة
خايفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان
اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجا رجل من اقصى المدينة
يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين
فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين المدينة قال ابن عباس هي
منف ركب فرعون يوما وسار اليها فعلم موسى بركوبه فلحق بتلك المدينة في وقت القايلة وعن
بين العشا والعتمة وقال ابن اسحق المدينة مصر بنفسها وكان موسى قد بدت منه
مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون فاختفى وخاف فدخلها متنكرا حذرا متغفلا للناس وقال
ابن زيد كان فرعون قد اخرجه من المدينة فغاب عنها سنين فنسي فجا والناس في غفلة بنسيانهم
له وبعد عهدهم به وقيل كان يوم عيد وهم مشغولون بلهوهم وقيل خرج من قصر فرعون ودخل
مصر وقيل المدينة عين شمس وقيل قرية على فرسخين من مصر يقال لها حابين وقيل الاسكندرية
وقرا ابو طالب القاري على حين بنصب نون حين ووجهه انه اجرى المصدر مجرى الفعل
كانه قال على حين غفل اهلها فبناه كما بناه حين اضيف الى الجملة المصدرة بفعل ماض

كقوله

كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبي وهذا توجيه شذوذ وقرا نعيم بن ميسرة
يقتلان بادغام التا في التا ونقل فتحتها الى القاف قيل كانا يقتتلان في الدين اذ احدهما اسرايلي
مومن والاخر قبطي وقيل يقتتلان في ان كلف القبطي حمل الحطب الى مطبخ فرعون على ظهر الاسرايلي
ويقتتلان صفة لرجلين وقال ابن عطية يقتتلان في موضع الحال انتهى والحال من النكرة
اجازه س من غير شرط هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم الاسرايليين قيل وهو
السامري وهذا من عدوه اي من القبط وقيل اسمه فاتون وهذا حكاية حال وقد كانا حاضرين
حاله وجدان موسى لهما وحكاية الحال عبر عن غايب ماض باسم الاشارة الذي هو موضوع
للحاضر وقال المبرد العرب تشير بهذا الى الغايب قال جرير

• هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شيت ساقكم الي قطينا •

وقرا الجمهور فاستغاثه اي طلب غوثه ونصره على القبطي وقرا سيبويه وابن مقسم
والزعفراني بالعين المهملة والنون بدل الثا اي طلب منه الاعانة على القبطي قال ابو
القسم يوسف بن علي بن جبارة والاختيار قراة ابن مقسم لان الاعانة اولى في هذا الباب
وقال ابن عطية ذكرها الاخفش وهي تصحيف لا قراة انتهى وليست تصحيفا فقد نقلها
ابن خالويه عن سيبويه وابن جبارة عن ابن مقسم والزعفراني وروي انه لما اشتد التناكر
بينهما قال القبطي لموسى لقد هممت ان احمله عليك يعني الحطب فاشتد غضب موسى وقد اوتي
قوة فوكزه فمات وقرا عبد الله فلكزه باللام وعنه فنكزه بالنون قال قتادة وكزه بعصاه
وغيره قال بجمع كفه والظاهر ان فاعل فقضى ضمير عايد على موسى وقيل يعود على الله اي
فقضى الله عليه بالموت ويحتمل ان يعود على المصدر المفهوم من وكزه اي فقضى الوكز عليه
وكان موسى لم يتعمد قتله ولكن وافقت وجزته الاجل فندم موسى وروي انه دفنه في الرمل
وقال هذا من عمل الشيطان وهو ما لحقه من الغضب حتى ادى الى الوكزة التي قضت على
القبطي وجعله من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه ادى الى قتل من لم
يوذن له في قتله وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يومر وقال كعب كان موسى
اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة وكان قتله خطا فان الوكزة في الغالب لا تقتل وقال
النقاش كان هذا قبل النبوة وقد احتج موسى عليه السلام بحج ادم عليه السلام اذ قال ظلمنا
انفسنا والبا في بما انعمت للقسم والتقدير اقسم بما انعمت به علي من المغفرة والجواب
محذوف اي لا توبن فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين وقيل فلن اكون دعا لا خبر ولن بمعنى
لا في الدعا والصحيح ان لن لا تكون في الدعا وقد استدل على ان لن تكون في الدعا بهذه
الاية وقال الشاعر

• لن تزالوا كذاكم ثم لا زلت لهم خالدا خلود الجبال •

والمظاهرة اما بصحبته لفرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما انه ادت المظاهرة الى القتل الذي جرى
على يده وقيل بما انعمت علي من النبوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليايك ولا ادع قبطيا
يغلب اسرايليا واحتج اهل العلم بهذه الاية على منع معونة اهل الظلم وخدمتهم نص
على ذلك عطا بن ابي رباح وغيره وقال رجل لعطا ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال
فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى
وتلا الاية فاصبح في المدينة خايفا من قتل القبطي ان يوخذ به يترقب وقوع المكروه به
او الاخبار هل وقفوا على ما كان منه وقيل خايفا من انه يترقب المغفرة وقيل خايفا
يترقب نصرة ربه او يترقب هداية قومه او ينتظر ان يسلم قومه فاذا الذي استنصره
بالامس اي الاسرايلي الذي كان قتل القبطي بسببه واذا هنا للمفاجاة وبالامس
يعني اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ وهو معرب بحركة سينه حركة اعراب
لانه دخلته ال بخلاف حاله اذا عري منها فالحجاز تبنيه اذا كان معرفة وتميم تمنعه
الصرف حالة الرفع فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا وقد بني مع ال على
سبيل الندور وقال الشاعر •

واني حبست اليوم والامس قبله ... الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب

يستصرخه يصيح به مستغيثا من قبطي اخر ومنه قول الشاعر

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

قال له موسى الظاهر ان الضمير في له عائد على الذي انك لغوي لكونك كنت سببا في قتل القبطي بالامس قال له ذلك على سبيل العتاب والتانيب وقيل الضمير في له والخطاب للقبطي ودل عليه قوله يستصرخه ولم يفهم الاسرائيلي ان الخطاب للقبطي فلما ان اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير في اراد ويبطش هو لموسى بالذي هو عدو لهما اي للمستصرخ وموسى وهو القبطي يوهم الاسرائيلي ان قوله انك لغوي مبين هو على سبيل ارادة السطو به وظن انه يسطو عليه قال اي الاسرائيلي يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس دفعا لما ظنه من سطو موسى عليه وكان تعيين القاتل للقبطي قد خفي على الناس فانتشر في المدينة ان قاتل القبطي هو موسى ونمى ذلك الى فرعون فامر بقتل موسى وقيل الضمير في اراد ويبطش للاسرائيلي عند ذلك من موسى وخاطبه بما يقبح وان بعد لما يطرد زيادتها وقيل لو اداة قسم كقوله

فاقسم ان لو التقينا وانتم ... لكان لنا يوم من الشر مظلم

وقرا الجمهور يبطش بكسر الطا والحسن وابو جعفر بضمها ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وشان الجبار ان يقتل بغير حق وقال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار يعني بغير حق ولما اثبت الجبروتية نفى عنه الصلاح وجاء رجل من اقصى المدينة قيل مومن ال فرعون وكان ابن عم ال فرعون قال الكلبي واسمه جبريل بن شمعون وقال الضحاك شمعون ابن اسحق وقيل هو غير مومن ال فرعون يسعى يشتد في مشيه ولما امر فرعون بقتله خرج الجلاوزة من الشارع الاعظم لطلبه فسلك هذا الرجل طريقا اقرب الى موسى ومن اقصى المدينة ويسعى صفتان ويجوز ان يكون يسعى حالا ولا يجوز ان يتعلق من اقصى بجاء قال الزمخشري واذا جعل يعني من اقصى حالا لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف انتهى يعني ان رجلا يكون نكرة لم يوصف فلا يجوز منها الحال وقد اجاز ذلك س في كتابه من غير وصف فان الملا وهم وجوه اهل دولة فرعون ياتمرون يتشاورون قال الشاعر وهو النمر بن تولب

ارى الناس قد احدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يوتمر

وقال ابن قتيبة يامر بعضهم بعضا بقوله من قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف فاخرج اني لك من الناصحين ولك متعلق اما بمحذوف اي ناصح لك من الناصحين او بمحذوف على جهة البيان اي لك اعني او بالناصحين وان كان في صلة ال لانه يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما وهي ثلثة اقوال للنحويين فيما اشبه هذا فامتثل موسى ما امره به ذلك الرجل وعلم صدقه ونصحه وخرج وفدا فلت طالبيه فلم يجدوه وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق فلم يصحب احدا فسلك مجهلا واثقا بالله تعالى داعيا راغبا الى ربه في تنجيته من الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون توجه رد وجهه وتلقا تقدم الكلام عليه في يونس اي ناحية وجهه واستعمل المصدر استعمال الظرف وكان هنالك ثلث طرق فاخذ موسى اوسطها واخذ طالبوه في الاخرين وقالوا المريب لا ياخذ في اعظم الطرق ولا يسلك الا بنياتها فبقي في الطريق ثماني ليال وهو حاف لا يطعم الا ورق الشجر والظاهر من قوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل انه كان

لايعرف

لا يعرف الطريق فسال ربه ان يهديه اقصد الطرق بحيث انه لا يضل اذ لو سلك ما لا يوصله الى المقصود لتاه وعن ابن عباس قصد مدين واخذ يمشي من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقيل هداه جبريل الى مدين وقيل ملك غيره وقيل اخذ طريقا يامن فيه فاتفق ذهابه الى مدين والظاهر ان سواء السبيل وسط الطريق الذي يسلكه الى مكان ما منه وقال مجاهد سواء السبيل طريق مدين وقال الحسن هو سبيل الهدى فمشى موسى عليه السلام الى ان وصل الى مدين ولم يكن في طاعة فرعون ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه والورود يكون بمعنى الوصول الى الشي وبمعنى الدخول فيه قيل وكان هذا الماء بيرا والامة الجمع الكثير ومعنى عليه اي على شفيره وحاشيته يسقون يعني مواشيهم ووجد من دونهم اي من الجهة التي وصل اليها قبل ان يصل الى الامة نهما من دونهم بالاضافة اليه قاله ابن عطية وقال الزمخشري في مكان اسفل من مكانهم تذودان قال ابن عباس وغيره تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقويا وقال قتادة تذودان الناس عن غنمهما قال الزجاج وكانهما تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط غنمهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما وقال الفرا تحبسانها عن ان تتفرق واسم الصغرى عبرا واسم الكبرى صبورا ولما راهما موسى واقفتين لا تتقدمان للسقي سالهما فقال ما خطبكما قال ابن عطية والسوال بالخطب انما هو في مصاب او في مضطهد او من يشفق عليه او ياتي بمنكر من الامر قال الزمخشري وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد سمي المخطوب خطبا كما سمي المشون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده انتهى وفي سواله عليه السلام دليل على جواز مكالمة الاجنبية فيما يعن ولم يكن لابيهما اجير فكانتا تستوقفان الغنم الى الماء ولم تكن لهما قوة الاستقا وكان الرعاة يستقون من البير فيسقون مواشيهم فاذا صدروا فان بقي في الحوض شي سقتا فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم وهما يمنعان غنمهما من الماء فوقف عليهما وقال ما خطبكما وقرا شمر بكسر الخا اي من زوجكما ولم لا يستقي هو وهذه قراءة شاذة نادرة قالتا لا نسقي وقرا ابن مصرف لا نسقي بضم النون وقرا ابو جعفر وشيبة والحسن وقتادة والعربيان يصدر بفتح اليا وضم الدال اي يصدرون باغنامهم وباقي السبعة والاعرج وطلحة والاعمش وابن ابي اسحق وعيسى بضم اليا وكسر الدال اي يصدرون اغنامهم وقرا الجمهور الرعا بكسر الرا جمع تكسير قال الزمخشري واما الرعا بالكسر فقياس كصيام وقيام انتهى وليس بقياس لانه جمع راع وقياس فاعل الصفة التي للعاقل ان تكسر على فعلة كقاض وقضاة وما سوى جمعه هذا فليس بقياس وقرى الرعا بضم الرا وهو اسم جمع كالرخال والثنا قال ابو الفضل الرازي وقرا عياش عن ابي عمرو الرعا بفتح الرا وهو مصدر اقيم مقام الصفة فاستوى لفظ الواحد والجماعة فيه وقد يجوز انه حذف منه المضاف وابونا شيخ كبير اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بانفسهما وتنبيه على ان اباهما لا يقدر على السقي لشيخوخته وكبره واستعطاف لموسى في اعانتهما فسقى لهما اي سقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا عدد من الرجال واضطرب النقل في العدد فاقل ما قالوا سبعة واكثره ماية فاقله وحده وقيل كانت لهم دلو لا ينزع بها الا اربعون فنزع بها وحده وروي انه زاحمهم على الماء حتى سقى لهما كل ذلك رغبة في الثواب على ما كان به من نصب السفر وكثرة الجوع حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه من البقل وقيل انه مشى حتى سقط اظله وهو باطن القدم ومع ذلك اغاثهما وكفاهما امر السقي وقد طابق جوابهما سواله سالهما عن سبب الذود فاجاباه بانا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال فنوخر السقي الى فراغهم ومباشرتهما ذلك ليس بمحظور وعادة العرب واهل البدو في ذلك غير عادة اهل الحضر والاعاجم لا سيما اذا دعت الى ذلك ضرورة ثم تولى الى الظل قال ابن مسعود ظل شجرة قيل كانت سمرة وقيل الى ظل جدار لا سقف له وقيل جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير قال المفسرون تعرض لما يطعمه لما ناله من الجوع ولم يصرح بالسوال وانزلت هنا بمعنى تنزل وقال الزمخشري وعدي باللام فقير لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون

في ملك ونورة قال ذلك رضي بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال الحسن سأل الزيادة في العلم والحكمة فجاءته احداهما تمشي على استحياء في الكلام حذف والتقدير فذهبتا الى ابيهما من غير ابطاء في السقي وقصتا عليه امر الذي سقى لهما فامر احداهما ان يدعوه له فجاءته احداهما وقرأ ابن محيصن فجاءته حداهما بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس مثل ويلمه في ويل امه ويا با فلان والقياس ان يجعل بين بين واحداهما قيل الكبرى وقيل كانتا توأمتين وولدت الاولى قبل الاخرى بنصف نهار وعلى استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة قال عمر بن الخطاب قد سترت وجهها بكم درعها والجمهور على ان الداعي اباهما هو شعيب عليه السلم وهما ابنتاه وقال الحسن هو ابن اخي شعيب واسمه مروان وقال ابو عبيدة هرون وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب وقيل كان عمهما صاحب الغنم وهو المزوج عبرت عنه بالاب اذ كان بمثابته ليجزيك اجر ما سقيت لنا في ذلك ما كان عليه شعيب من الاحسان والمكافاة لمن عمل له عملا صالحا وان لم يقصد العامل المكافاة فلما جاءه اي فذهب معهما الى ابيهما في هذا دليل على اعتماد اخبار المراة اذ ذهب معها موسى كما يعتمد على اخبارها في باب الرواية وقص عليه القصص اي ما جرى له من خروجه من مصر وسببه ذلك قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي قبل الله دعاك في قولك رب نجني من القوم الظالمين او اخبره بنجاته منهم انسه بقوله لا تخف وقرب اليه طعاما فقال له موسى انا اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال له شعيب ليس هذا عوض السقي ولكن عادتي وعادة ابائي قري الضيف واطعام الطعام فحينئذ اكل موسى عليه السلم قالت احداهما اي القايلة وهي الذاهبة والقايلة والمتزوجة يا ابت استأجره اي لرعي الغنم وسقيها ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البير وحده وانتزع بتلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء وبالامانة لانها حين قام يتبعها هبت الريح فلفت ثيابها فوصفتها فقال ارجعي خلفي ودليني على الطريق وقولها كلام حكيم جامع لانه اذا اجتمعت الكفاية والامانة في القايم بامر فقد تم المقصود وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقا للناس وكان ذلك تعليلا للاستيجار وكانها قالت استاجره لامانته وقوته وصار الوصفان منبهين عليه ونظير هذا التركيب قول الشاعر

• الا ان خير الناس حيا وهالكا • اسير ثقيف عندهم في السلاسل •

فعل خير من استاجرت الاسم اعتناء به وحكمت عليه بالقوة والامانة ولما وصفته بهذين الوصفين قال لها ابوها من اين عرفت هذا فذكرت اقلاله الحجر وحده وتحرجه من النظر اليها حين وصفتها الريح وقاله ابن العباس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقيل قال لها موسى ابتداء كوني وراي فاني رجل لا انظر الى ادبار النساء ودليني على الطريق يمينا او يسارا وقال ابن مسعود افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر وفي قوله استاجره دليل على مشروعية الاجارة عندهم وكذا كانت في كل ملة وهي من ضرورة الناس ومصلحة الخلطة خلافا لابن علية والاصم حيث كانا لا يجيزانها وهذا مما انعقد عليه الاجماع وخلافهما خرق قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين رغب شعيب في مصاهرته لما وصفته به ولما راي فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلقه بالله وفراره من الكفرة وقرا ورش واحمد بن موسى عن ابي عمرو انكحك حدي بحذف الهمزة وظاهر قوله اني انكحك ان الانكاح الى الولي لا حق للمراة فيه خلافا لابي حنيفة في بعض صوره بان تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها فانها تعقد على نفسها بحضر من الشهود وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزوج وقد فعل ذلك عمر ودليل على تزويج ابنته البكر من غير استيمار وبه قال مالك والشافعي وقال ابو حنيفة اذا بلغت البكر فلا تزوج الا برضاها قيل وفيه دليل على قول من قال لا ينعقد الا بلفظ التزويج او الانكاح وبه قال ربيعة والشافعي وابو ثور وابو عبيد وداود واحدى ابنتي منهم وهذا عرض لا عقد الا ترى الى قوله اني اريد وحين العقد يعين من شاءتا وكذلك لم يحد اول امد الاجارة والظاهر من الاية جواز النكاح بالاجارة وبه قال الشافعي واصحابه وابن حبيب وقال الزمخشري هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما انتهى ولا دليل في ذلك لانهما كانتا هما اللتين رآهما تذودان

وجاءته

وجاءته احداهما فاشار اليهما والاشارة اليهما لا تدل على ان له غيرهما على ان تاجرني في موضع الحال من ضمير انكحك اما الفاعل واما المفعول وتاجرني من اجرته كنت له اجيرا كقولك ابوته كنت له ابا ومفعول تاجرني الثاني محذوف تقديره نفسك وثماني حجج ظرف وقاله ابو البقا وقال الزمخشري وثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك اي هو تبرع وتفضل لا اشتراط وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين ولا في المعاشرة والمناقشة في مراعاة الاوقات وتكليف الرعاة اشيا من الخدم خارجة عن الشرط ستجدني ان شاء الله من الصالحين وعد صادق مقرون بالمشيئة من الصالحين في حسن المعاملة ووطاة الخلق او من الصالحين على العموم فيدخل تحته حسن المعاملة ولما فرغ شعيب مما حاوره موسى قال موسى ذلك بيني وبينك على جهة التقرير والتوثق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وذلك مبتدا خبره بيني وبينك اشارة الى ما عاهده عليه اي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني قايم بيننا جميعا لا نخرج عنه ثم قال ايما الاجلين اي الثماني او العشر فلا عدوان علي اي لا تعتدي علي في طلب الزيادة وانما شرط وما زايدة وقرا الحسن والعباس عن ابي عمرو ايما بحذف اليا الثانية كما قال الشاعر

• تنظرت نصرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره •

وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت بزيادة ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراتين قلت وقعت في المستفيضة موكدة الابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضا كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه وجردت عزيمتي له وقرا ابو حيوة وابن قطيب فلا عدوان بكسر العين قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في تمهما ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفا وقال الزمخشري تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت في الزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى ان رايي ان شيت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة انتهى وجوابه الاول فيه تكثير والله على ما نقول اي على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا وكيل اي شاهد وقال قتادة حفيظ وقال ابن شجرة رقيب والوكيل الذي وكل اليه الامر فلما ضمن معنى شاهد ونحوه عدي بعلي فلما قضى موسى الاجل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وفى اطول الاجلين وهو العشر وعن مجاهد وفى عشرا وعشرا بعدها وهذا ضعيف وسار باهله اي نحو مصر بلده وبلد قومه والخلاف في من تزوج الكبرى ام الصغرى وكذلك في اسمها وتقدم كيفية مسيره وايناسه النار في سورة طه وغيرها وقرا الجمهور جذوة بكسر الجيم والاعمش وطلحة وابو حيوة وحمزة بضمها وعاصم غير الجعفي بفتحها لعلكم تصطلون اي تسخنون بها اذ كانت ليلة باردة وقد اضلوا الطريق فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون من في من شاطئ لابتدا الغاية ومن الشجرة كذلك اذ هي بدل من الاولى اي من قبل الشجرة والايمن يحتمل ان يكون صفة للشاطئ وللوادي على معنى اليمن والبركة او الايمن يريد المعادل للعضو الايسر فيكون ذلك بالنسبة الى موسى لا للشاطئ ولا للوادي اي ايمن موسى في استقباله حتى يهبط الوادي او بعكس ذلك وكل هذه الاقوال في الايمن مقول وقرا الاشهب العقيلي ومسلمة

في البقعة بفتح البا قال ابو زيد سمعت من العرب هذه بقعة طيبة بفتح البا ووصفت البقعة
بالبركة لما خصت به من ايات الله وانواره وتكليمه لموسى عليه السلم او لما حوت من الارزاق
والثمار الطيبة ويتعلق في البقعة بنودي او تكون في موضع الحال من شاطي والشجرة عنابة
او عليق او سمرة او عوسج اقوال وان يحتمل ان يكون حرف تفسير وان تكون مخففة من
الثقيلة وقرات فرقة اني انا بفتح الهمزة وفي اعرابه اشكال لان ان اذ كانت تفسيرية
فينبغي كسر اني وان كانت مصدرية تتقدر بالمفرد والمفرد لا يكون خبرا لضمير الشان
فتخريج هذه القراة على ان يكون ان تفسيرية واني معمول لمضمر تقديره اني يا موسى اعلم
اني انا الله وجا في طه نودي يا موسى اني انا ربك وفي النمل نودي ان بورك من في النار وهنا
نودي من شاطي ولا منافاة اذ حكي في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك الندا والجمهور على
انه تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة وقال الحسن ناداه ندا الوحي لا ندا الكلام
وتقدم الكلام على نظير قوله وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب
ثم امره فقال اسلك يدك في جيبك وهو فتح الجبة من حيث يخرج الراس وكان كم الجبة
في غاية الضيق وتقدم الكلام على تخرج بيضا من غير سوء وفسر الجناح هنا باليد وبالعضد
وبالعطاف وبما اسفل العضد الى الرسغ وبجيب مدرعته والرهب الخوف وباقي القراات
فيه وقيل بفتح الرا والها الكم بلغة بني حنيفة وحمير وسمع الاصمعي قايلا يقول اعطني ما في
رهبك اي في كمك والظاهر حمل واضمم اليك جناحك من الرهب على الحقيقة قال الثوري
خاف موسى ان يكون حدث به سوء فامره تعالى ان يعيد يده الى جيبه لتعود على حالتها الاولى
فيعلم موسى انه لم يكن سوا بل اية من الله وقال مجاهد وابن زيد امره بضم عضده وذراعه
وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك في وقت فزعه
ان يقوى قلبه وقيل لما انقلبت العصا حية فزع موسى واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل
الخايف من الشي فقيل له ادخل يدك تحت عضدك مكان اتقايك بها ثم اخرجها بيضا لتظهر
معجزة اخرى وهذا القول بسطه الزمخشري لانه كالتكرار لقوله اسلك يدك في جيبك
وقد قال هو والجناح هنا اليد قال لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطاير واذا ادخل
يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه انتهى وقيل المعنى اذا هالك امر لما يغلب
من شعاعها فاضممها اليك تسكن وقالت فرقة هو مجاز امره بالعزم على ما امره به كما تقول
العرب اشدد حيازيمك واربط جاشك اي شمر في امرك ودع الرهب وذلك لما كثر تخوفه
وفزعه في غير موطن قاله ابو علي وكانه طيره الفزع والة الطيران الجناح فقيل له اسكن
ولا تخف وضم منشور جناحك من الخوف اليك وذكر هذا القول الزمخشري فقال والثاني
ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى
لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحه وارخاهما والا
فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا اصابك
الرهب عند روية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما
امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد
التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين
وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفا الرهب فان قلت قد جعل
الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك
جناحك واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد
اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح
ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني ما في رهبك وليت
شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات التى ترضى عربيتهم ثم ليت شعري
كيف موقعه في الاية وكيف يطبقه الفصل كساير كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله
عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها انتهى اما قوله وهل سمع
من الاثبات وهذا مروي عن الاصمعي وهو ثقة ثبت واما قوله كيف موقعه من الاية فقالوا

معناه

معناه اخرج يدك من كمك وكان قد اخذ العصا بالكم وقرا الحرميان وابو عمرو من الرهب
بفتح الرا والها وحفص بفتح الرا وسكون الها وباقي السبعة بضم الرا واسكان الها وقرا
قتادة والحسن وعيسى والجحدري بضمهما فذانك اشارة الى العصا واليد وهما مونثتان
ولكن ذكر التذكير لتانيث الخبر كقراة من قرا ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا بالياي في تكن
برهانان حجتان نيرتان وقرا ابن كثير وابو عمرو فذانك بتشديد النون وباقي السبعة
بتخفيفها وقرا ابن مسعود وعيسى وابو نوفل وابن هرمز وشبل فذانيك بيا بعد النون
المكسورة وهي لغة هذيل وقيل بل لغة تميم ورواها شبل عن ابن كثير وعنه ايضا فذانيك
بفتح النون قبل اليا على لغة من فتح نون التثنية نحو قوله على احوذيين استقلت عشية ما
وقرا ابن مسعود بتشديد النون مكسورة بعدها يا قيل وهي لغة هذيل وقال المهدوي
بل لغتهم تخفيفها والى فرعون يتعلق بمحذوف دل عليه المعنى تقديره اذهب الى فرعون
قال رب اني قتلت منهم نفسا هو القبطي الذي وكزه فمات فطلب من ربه ما يزداد به قوة
وذكر اخاه والعلة التى تكون له زيادة التبليغ وافصح يدل على ان فيه فصاحة ولكن اخوه
افصح فارسله معي ردا اي معينا يصدقني ليس المعنى انه يقول لي صدقت اذ يستوي في قول
هذا اللفظ العيي والفصيح وانما المعنى انه لزيادة فصاحته يبالغ في التبيان وفي الاجابة
عن الشبهات وفي جدال الكفار وقرا الجمهور ردا بالهمز وابو جعفر ونافع والمدنيان
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الدال والمشهور عن ابي جعفر بالنقل ولا همز ولا تنوين
ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف وقرا عاصم وحمزة يصدقني بضم القاف فاحتمل الصفة
لردا او الحال واحتمل الاستيناف وقرا باقي السبعة بالاسكان وقرا ابي وزيد بن علي
يصدقوني والضمير في لفرعون وقومه قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لانه لو كان رفعا
لقال يصدقونني انتهى والجزم على جواب الامر والمعنى في يصدقني ارجو تصديقهم اياي
فاجابه تعالى الى طلبته وقال سنشد عضدك باخيك وقرا زيد بن علي والحسن عضدك
بضمتين وعن الحسن بضم العين واسكان الضاد وعن بعضهم بفتح العين وكسر الضاد وفتحهما
وفتحهما قرا به عيسى ويقال فيه عضد بفتح العين وسكون وكسر الضاد ولا اعلم احدا قرا به
والعضد العضو المعروف وهي قوام اليد وبشدتها يشتد قال الشاعر

ابني لبيني لستما بيد ... الا يدا ليست لها عضد

والمعنى فيه سنقويك باخيك ويقال في الخير شد الله عضدك وفي الشر فت الله في عضدك
والسلطان الحجة والغلبة والتسليط فلا يصلون اليكما اي بسوء او الى اذايتكما ويحتمل باياتنا
ان يتعلق بقوله ويجعل او بيصلون او بالغالبون وان كان موصولا على مذهب من يجوز عنده ان يتقدم
الظرف والجار والمجرور على صلة ال وان كان عنده موصولا على سبيل الاتساع او بفعل محذوف
اي اذهبا باياتنا كما علق في تسع ايات باذهب او على البيان فالعامل محذوف وهذه اعاريب منقولة
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون قسما جوابه فلا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم انتهى
اما لانه قسم جوابه فلا يصلون فانه لا يستقيم على قول الجمهور لان جواب القسم لا يدخله الفا
واما قوله او من لغو القسم فكانه يريد والله اعلم انه لم يذكر له جواب بل حذف لدلالة ما قبله عليه
اي باياتنا لتغلبن فلما جاهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا
في ابايينا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار
انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على
الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ايمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصاير للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون باياتنا هي العصا واليد
بينات اي واضحات الدلالة على صدقه وانه امر خارق معجز كعوا عن مقاومته ومعارضته
فرجعوا الى البهت والكذب ونسبوه الى انه سحر لانهم يرون الشي على حالة ثم يرونه على حالة

اخرى ثم يعود الى الحالة الاولى فزعموا انه سحر يفتعله موسى ويفتريه على الله فليس
بمعجزة ثم مع دعواهم انهم سحر مفترى وكذبهم في ذلك زادوا في الكذب انهم ما سمعوا بهذا
في اباءهم اي في زمان اباءهم وايامهم وفي ابائنا حال اي بهذا اي بمثل هذا كائنا في ايام ابائنا
واذا انتفوا السماع لمثل هذا في الزمان السابق ثبت ان ما ادعاه موسى هو بدع لم يسبق
الى مثله فدل على انه مفترى على الله وقد كذبوا في ذلك وطرق سمعهم اخبار الرسل السابقين
موسى في الزمان الا ترى الى قول مومن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
فلما رأى موسى ما قابلوه به من كون ما اتى به سحرا وانتفاء سماع مثله في الزمان السابق
قال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده حيث اهله للرسالة وبعثه للهدى ووعده
حسن العقبى ويعنى بذلك نفسه ولو كان كما يزعمون لم يرسله ثم نبه على العلة الموجبة
لعدم الفلاح وهي الظلم وضع الشي غير موضعه حيث دعوا الى الايمان بالله واتوا بالمعجزات
فادعوا الالوهية ونسبوا ذلك المعجز الى السحر وعاقبة الدار وان كانت تصلح للمحمودة
والمذمومة فقد كثر استعمالها في المحمودة فاذا لم تقيد حملت عليها الا ترى الى قوله
اوليك لهم عقبى الدار جنات عدن وقال وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقرا ابن كثير
قال موسى بغير واو وباقي السبعة بالواو ومناسبة قراءة الجمهور انه لما جاءهم بالبينات
قالوا كيت وكيت وقال موسى كيت وكيت فيتميز الناظر فصل ما بين القولين وفساد احدهما
اذ قد تقابلا فيعلم يقينا ان قول موسى هو الحق والهدى ومناسبة قراءة ابن كثير انه موضع
جواب لما قالوا كيت وكيت قال موسى كيت وكيت ونفى فرعون علمه باله غيره للملا ويريد
بذلك نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري ويجوز ان يكون غير معلوم عنده اله لهم ولكنه مظنون
فيكون النفي على ظاهره ويدل على ذلك قوله واني لاظنه من الكاذبين وهو الكاذب في انتفاء
علمه باله غيره الا ترى الى قوله حالة غرقه آمنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل
واستمر فرعون في مخرقته ونادى وزيره هامان وامره ان يوقد النار على الطين قيل وهو
اول من عمل الاجر ولم يقل اطبخ الاجر لانه لم يتقدم لهامان علم بذلك ففرعون هو الذي
يعلمه ما يصنع فاجعل لي صرحا اي ابن لي لعلي اطلع الى اله موسى اوهم قومه ان اله موسى
يمكن الوصول اليه والقدرة عليه وهو عالم متيقن ان ذلك لا يمكن له وقومه لغباوتهم وجهلهم
وافراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم ونفس اقليم مصر يقتضي لاهله تصديقهم بالمستحيلات
وتاثرهم للموهمات والخيالات ولا يشك انه كان في قوم فرعون من يعتقد انه مبطل في دعواه
ولكن يوافقه مخافة سطوته واعتدائه كما رايناه يعرض لكثير من العقلاء اذا حدث رئيس
بحضرتهم بحديث مستحيل يوافقه على ذلك الحديث ولا بد لهذا الامر بينا الصرح على انه بني وقد
اختلف في ذلك فقال بناه وذكر من وصفه بما الله اعلم به وقيل بنى والطلع في معنى اطلع يقال
طلع الى الجبل واطلع بمعنى واحد اي صعد فافتعل فيه بمعنى الفعل المجرد وبغير الحق اذ ليس
لهم ذلك فهم مبطلون في استكبارهم حيث ادعى الالهية ووافقوه على ذلك والكبريا في الحقيقة
انما هي لله وقرا حمزة والكسائي ونافع لا يرجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول
والارض هنا ارض مصر اي صيرناهم ايمة قدوة للكفار يعتدون بهم في ضلالتهم كما ان للخير
فنبذناهم في اليم كناية عن ادخالهم في البحر حتى غرقوا شبهوا بحصيات قذفها الرامي من
يده وقول الشاعر

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا من نعالك باليا

وقوم فرعون وفرعون وان ساروا الى البحر باختيارهم في طلب بني اسرايل فان ما ضمهم من
القدر السابق واغراقهم في البحر هو نبذ الله اياهم وجعل هنا بمعنى صير اي صيرناهم
ايمة قدوة للكفار يعتدون بهم في ضلالتهم كما ان للخير ايمة يقتدى بهم اشتهروا بذلك
وبقي حديثهم وقال الزمخشري وجعلناهم دعوناهم ايمة دعاة الى النار وقلنا انهم ايمة
دعاة الى النار وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه فقال انه بخيل وفاسق ويقول
اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملايكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر انتهى

فانما

وانما فسر جعلناهم بمعنى دعوناهم لا بمعنى صيرناهم جريا على مذهبه من الاعتزال لان في تصييرهم
ايمة خلق ذلك لهم وعلى مذهب المعتزلة لا يجوزون ذلك من الله ولا ينسبونه اليه قال
ويجوز خذلناهم حتى كانوا ايمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انه لا ينفع
فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الايات والنذر انتهى وهو على طريقة الاعتزال
ايضا لعنة اي طردا وابعادا وعطف ويوم القيامة على في هذه الدنيا من المقبوحين
قال ابو عبيدة من الهالكين وقال ابن عباس من المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة
العيون وقيل من المبعدين ولما ذكر تعالى ما آل اليه فرعون وقومه من غضب الله عليهم واغراقه
ذكر ما امتن به على رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد اتينا موسى الكتاب وهو التوراة
وهو اول كتاب انزلت فيه الفرايض والاحكام من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح
وهود وصالح ولوط ويقال لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مسخ اهلها قردة
وانتصب بصاير على الحال اي طرايق هدى يستبصر بها وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن
رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين لما قص الله تعالى من انبا موسى
وغرايب ما جرى له من الحمل به في وقت ذبح الابناء ورميه في البحر في تابوت ورده الى امه
وتبني فرعون له وايتايه الحكم والعلم وقتله القبطي وخروجه من منشيه فارا وتصاهره
مع شعيب ورعيه لغنمه السنين الطويلة وعوده الى مصر واضلاله الطريق ومناجاة الله
له واظهار تلك المعجزتين العظيمتين على يديه وهي العصا واليد وامره بالذهاب
الى فرعون ومحاورته معه وتكذيب فرعون واهلاكه واهلاك قومه والامتنان على موسى
بايتايه التوراة واوحى تعالى بجميع ذلك الى محمد رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر بانعامه عليه
بذلك وبما خصه من الغيوب التي كان لا يعلمها هو ولا قومه فقال وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر والامر قيل النبوة والحكم الذي آتاه الله موسى وقيل الامر امر محمد
عليه السلام ان يكون من امته وهذا التاويل يلتيم معه ما بعده من قوله ولكنا انشانا قرونا
وقيل الامر هلاك فرعون بالماء ويحمل بجانب الغربي على اليم وبدا اولا بنفي شي خاص وهو انه لم
يحضر وقت قضاء الله لموسى الامر ثم ثنى بكونه لم يكن من الشاهدين والمعنى والله اعلم من
الشاهدين بجميع ما اعلمناك به فهو نفي لشهادته جميع ما جرى لموسى فكان عموما بعد خصوص
وبجانب الغربي من اضافة الموصوف الى صفته عند قوم ومن حذف الموصوف واقام الصفة
مقامه عند قوم فعلى القول الاول اصله بالجانب الغربي وعلى الثاني اصله بجانب المكان
الغربي والترجيح بين القولين مذكور في النحو والغربي قال قتادة غربي الجبل وقال الحسن
بعث الله موسى بالغرب وقال ابو عبيدة حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم وقيل هنالك
جبل غربي وقيل الغربي من الوادي وقيل من البحر قال ابن عطية المعنى لم تحضر يا محمد هذه
الغيوب التي تخبر بها ولكنها صارت اليك بوحينا اي فكان الواجب ان يسارع الى الايمان
بك ولكن تطاول الامر على القرون التي انشاناها زمنا فعزبت حلومهم واستحكمت
جهالتهم وضلالتهم وقال الزمخشري الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان
الذي وقع ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي
الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي
اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباوه
الذين اختارهم للميقات حتى يقف من جملة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته

وكتبه التوراة له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا
الكلام ومن اي جهة يكون استدراكا له قلت اتصاله وكونه استدراكا من حيث ان معناه
ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهو القرن الذي
انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك
وكسبناك العلم بقصص الانبيا وقصة موسى كانه قال وماكنت شاهدا لموسى وماجرى
عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب
على عادة الله في اختصاره فاذن هذا الاستدراك شبيه للاستدراكين بعده وما
كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين هم شعيب والمومنون تتلو عليهم اياتنا تقرا عليهم
تعلما منهم تريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها
اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة انتهى وقيل
فتطاول عليهم العمر وفترت النبوة ودرست الشرايع وحرف كثير منها وتمام الكلام مضمر
تقديره فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مميزا للحق بما اختلف فيه منها رحمة منا وقيل
يحتمل ان يكون المعنى وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان وكانت بينك وبين موسى
قرون تطاولت اعمارهم وانت تخبر الان عن تلك الاحوال اخبار مشاهدة وعيان بايحائنا
معجزة لك وقيل تتلو حال وقيل مستانف اي انت الان تتلو قصة شعيب ولكنا ارسلناك
رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار المنسية تتلوها عليهم ولولاه ما اخبرتهم
بما لم يشاهدوه وقال الفراء وما كنت ثاويا في اهل مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه
وما انت تتلو عليهم اياتنا اي على امتك فهو منقطع انتهى قيل واذا لم يكن حاضرا في ذلك المكان
فما معنى وما كنت من الشاهدين فقال ابن عباس التقدير لم يحضر ذلك الموضع ولو حضرت
فما شاهدت تلك الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقال مقاتل لم يشهد
اهل مدين فيقرى على اهل مكة خبرهم ولكنا ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا اليك هذه الاخبار
ولولا ذلك ما علمت وقال الضحاك يقول انك يا محمد لم تكن الرسول الى اهل مدين
تتلو عليهم ايات الكتاب وانما كان غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى
مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبيا انتهى وقال الطبري اذ نادينا بان
ساكتبها للذين يتقون الاية وعن ابي هريرة انه نودي من السماء حينئذ يا امة محمد
استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم قبل ان تسالوني فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم
اجعلني من امة محمد فالمعنى اذ نادينا بامرك واخبرنا بنبوتك وقرا الجمهور رحمة بالنصب
فقدر ولكن جعلناك رحمة وقدر اعلمناك ونباناك رحمة وقرا عيسى وابو حيوة بالرفع
وقدر ولكن هو رحمة او هو رحمة او انت رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير اي في زمن الفترة
بينك وبين عيسى وهو خمسماية وخمسون عاما ونحوه وجواب لولا محذوف والمعنى لولا
انهم قايلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك
علينا ما ارسلنا اليهم اي انما ارسلنا الرسل ازالة لهذا العذر كما قال لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل ان يقولوا ما جانا من بشير ولا نذير وتقدير الجواب ما ارسلنا اليهم الرسل
هو قول الزجاج وقال ابن عطية تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه والمصيبة العذاب
ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي عبر عن كل عمل باجتراح الايدي حتى عن اعمال القلوب
اتساعا في الكلام وتصييرا الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل والفا في فيقولوا للعطف
على تصيبهم ولولا الثانية للتحضيض وتنتبع الفا فيه جواب التحضيض وقال الزمخشري
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول
لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال
الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول فكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها
بالفا المعطية معنى السببية ويوول معناها الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة
لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهو انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد

عاينوا ما الجيوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم
هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية
على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انتهى والحق
هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جا بالكتاب المعجز الذي قطع معاذيرهم وقيل القران
مثل ما اوتي موسى من قبل اي من قبل الكتاب المنزل جملة واحدة وانقلاب العصا حية وفلق
البحر وغيرها من الايات اقترحوا ذلك على سبيل التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه
كنز وما اشبه ذلك من المقترحات لهم وهذه المقالة التي قالوها هي من تعليم اليهود
لقريش قالوا لهم الا تاتي باية باهرة كايات موسى فرد الله عليهم بانهم كفروا بايات موسى
وقد وقع منهم في ايات موسى ما وقع من هولاء في ايات الرسول فالضمير في اولم يكفروا لليهود
قاله ابن عطية وقيل قايل ذلك العرب بالتعليم كما قلنا وقيل قايل ذلك اليهود ويظهر عندي
انه عايد على قريش الذين قالوا لولا اوتي اي محمد ما اوتي موسى وذلك ان تكذيبهم لمحمد
صلى الله عليه وسلم تكذيب لموسى عليه السلام ونسبتهم السحر للرسول نسبة السحر لموسى
اذ الانبيا هم من واد واحد فمن نسب الى واحد من الانبيا ما لا يليق كان ناسبا ذلك الى جميع
الانبيا وتتناسق الضماير كلها في هذا وفي قوله قل فاتوا بكتاب من عند الله وان كان الظاهر
من القول انه النطق اللساني فقد ينطلق على الاعتقاد وهم من حيث انكار النبوات
معتقدون ان ما ظهر على ايدي الانبيا من الايات انما هو من باب السحر وقال الزمخشري
اولم يكفروا يعني ابنا جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى
بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباوهم
قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا انتهى ومن قبل يحتمل ان يتعلق بيكفروا
وباوتي وقرا الجمهور ساحران قال مجاهد موسى وهرون وقال الحسن موسى وعيسى
وقال ابن عباس موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقال الحسن ايضا عيسى ومحمد
عليهما السلام وقرا عبد الله وزيد بن علي والكوفيون سحران قال ابن عباس التوراة والقران
وقيل التوراة والانجيل او موسى وهرون جعلوا سحرين على سبيل المبالغة تظاهرا تعاونا
قرا الجمهور تظاهرا فعلا ماضيا على وزن تفاعل وقرا طلحة والاعمش اظاهرا بهمزة
الوصل وشد الظا وكذا هي في حرف عبد الله واصله تظاهرا فادغم التا في الظا فاجتلبت
همزة الوصل لاجل سكون التا المدغمة وقرا محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث الذماري
وابو حيوة وابن خلاد عن اليزيدي تظاهرا بالتا وتشديد الظا قال ابن خالويه وتشديده
لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع وقال صاحب اللوامح ولا اعرف وجهه وقال
صاحب الكامل في القراات ولا معنى له انتهى وله تخريج في اللسان وذلك انه مضارع حذفت
منه النون وقد جا حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر وساحران خبر مبتدا محذوف
تقديره انتما ساحران تظاهران ثم ادغمت التا في الظا وحذفت النون وروعي ضمير الخطاب
ولو قرا يظاهرا بالياء حملا على مراعاة ساحران لكان له وجه او على تقديرهما ساحران
تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون اي بكل من الساحرين او السحرين ثم امره تعالى ان يصدع
بهذه الاية وهي قوله قل فاتوا اي انتم ايها المكذبون بهذه الكتب التي تضمنت الامر
بالعبادات ومكارم الاخلاق ونهت عن الكفر والنقايص ووعد الله عليهما الثواب
الجزيل ان كان تكذيبكم لمعنى فاتوا بكتاب من عند الله يهدي اكثر من هدى هذه اتبعه
معكم والضمير في منهما عايد على ما انزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما وتعليق اتيانهم
بشرط الصدق امر متحقق متيقن انه لا يكون ولا يمكن صدقهم كما انه لا يمكن ان ياتوا
بكتاب من عند الله يكون اهدى من الكتابين ويجوز ان يراد بالشرط التهكم بهم وقرا
زيد بن علي اتبعه برفع العين على الاستيناف اي انا اتبعه فان لم يستجيبوا لك قال ابن
عباس يريد فان لم يومنوا بما جيت به من الحجج ولم يمكنهم ان ياتوا بكتاب هو افضل
والاستجابة تقتضي دعاء وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دايما الى الايمان اي فان لم
يستجيبوا لك بعد ما وضح لهم من المعجزات التي تضمنها كتابك الذي انزل اليك او

يكون قوله فانوا بكتاب هو الدعا اذ هو طلب منهم ودعا لهم بان ياتوا به ومعلوم انهم لا يستجيبون
لان ياتوا بكتاب من عند الله فاعلم انه ليس لهما الا اتباع هوى مجرد لا اتباع دليل واستجاب
بمعني اجاب ويعدي للداعي باللام ودونها كما قال فاستجاب له ربه فاستجبنا له ووهبنا له
يحيي فان لم يستجيبوا لكم وقال الشاعر •
• فلم يستجبه عند ذلك مجيب • فعداه بغير لام وقال الزمخشري
هذا الفعل يتعدى الي الدعا والي الداعي باللام ويحذف الدعا اذا عدي الي الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له فلا يكاد
يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعا على حذف المضاف انتهي ومن اضل
اي لا احد اضل وبغير هدي في موضع الحال وهذا الحال قيد في اتباع الهوي لانه قد يتبع
الانسان ما يهواه ويكون ذلك الذي يهواه فيه هدي من الله لان الاهوا كلها تنقسم الي ما يكون
فيها هدي وما لا يكون فيه هدي فلذلك قيد بهذه الحال وقال الزمخشري يعني مخذولا
ولا مخلا بينه وبين هواه انتهي وهو علي طريق الاعتزال ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلي عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا
كنا من قبله مسلمين اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم
ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدي
معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبي اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم
لا يعلمون قرا الجمهور وصلنا مشددا الصاد والحسن بتخفيفها والضمير في لهم لقريش وقال
رفاعة القرظي نزلت في عشرة من اليهود انا احدهم قال الجمهور وصلنا تابعنا القران موصولا
بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعا الي الاسلام وقال الحسن وفي ذكر الامم المهلكة
وقال مجاهد جعلناه اوصالا من حيث كان انواعا من القول في معان مختلفة وقال ابن زيد
وصلنا لهم خبر الاخرة بخبر الدنيا حتي كانهم عاينوا الاخرة وقال الاخفش اتممنا كوصلك الشي
بالشي واصل التوصل في الحبل يوصل بعضه ببعض وقال الشاعر • •
• فقل لبني مروان ما بال ذمتي • بحبل ضعيف لا يزال يوصل •
وهذه الاقوال معناها توصيل المعاني فيه بها اليهم وقالت فرقة التوصيل بالنسبة الي الالفا
اي وصلنا لهم قولا معجزا دالا علي نبوتك واهل الكتاب هنا جماعة من اليهود اسلمت وكانت
الكفار يوذونهم او بحيرا الراهب او النجاشي او سلمان الفارسي وابن سلام وابو رفاعة
وابنه في عشرة من اليهود اسلموا او اربعون من اهل الانجيل كانوا مومنين بالرسول قبل
بعثته اثنان وثلثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب وثمانية قدموا من الشام
بحيرا وابرهة واشرف واربد وتمام وادريس ونافع وزادا او ابن سلام وتميم الداري والجارود
العبدي وسلمان سبعة اقوال اخرها القتادة والظاهر انها امثلة لمن امن منهم والضمير في به
عايد علي القول وهو القران وقال الفرا عايد علي الرسول وقال ايضا ان عاد علي القران
كان صوابا لانهم قد قالوا انه الحق من ربنا انتهي انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان
كونه حقا من الله حقيق بان نومن به انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله امنا به اي ايماننا به
متقادم اذ كان الابا الاقدمون الي ابايناقروا ما في الكتب الاول واعلموا بذلك الابنا
نحن مسلمون من قبل نزوله وتلاوته علينا والاسلام صفة كل موحد مصدق بالوحي
واتيا الاجر مرتين لكونه امن بكتابه وبالقران وعلل ذلك بصبرهم اي علي تكاليف الشريعة
السابقة لهم وهذه الشريعة وما يلقون من الاذي وفي الحديث ثلثة يوتيهم الله اجرهم
مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي الحديث ويدرون يدفعون بالحسنة
بالطاعة السيئة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذي وذلك من مكارم الاخلاق وقال
ابن مسعود يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال ابن جبير بالمعروف المنكر
وقال ابن زيد بالخير الشر وقال ابن سلام بالعلم الجهل وبالكظم الغيظ وفي وصية الرسول
صلي الله عليه وسلم لمعاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن واللغو سقط
القول وقال مجاهد الاذي والسب وقال الضحاك الشرك وقال ابن زيد ما غيرته

اليهود

اليهود من وصف الرسول سمعه قوم منهم فكرهوا ذلك واعرضوا ولكم اعمالكم خطاب لقايل اللغو
المفهوم ذلك من قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه سلام عليكم قال الزجاج سلام متاركة
لا سلام تحية لا نبتغي الجاهلين اي لا نطلب مخالطتهم انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر علي
خلق الهداية فيه ولا تنافي بين هذا وبين قوله وانك لتهدي الي صراط مستقيم لان معني هذا
وانك لترشد وقد اجمع المسلمون علي انها نزلت في ابي طالب وحديثه مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم حاله ان مات مشهور وقال الزمخشري لا تقدر ان يدخل في الاسلام كل من احببت
لانك لا تعلم المطبوع علي قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشا وهو الذي علم
انه غير مطبوع علي قلبه وان الالطاف ينفع فيه فيقرب به الطافه حتي يدعوه الي القبول وهو
اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون انتهي وهو علي طريقة الاعتزال في امر
الالطاف وقالوا الضمير في وقالوا لقريش وقيل القايل الحرث بن عثمن بن نوفل بن عبد مناف
انك علي الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب فذلك وانما نحن اكلة راس اي قليلون
ان يتخطفونا من ارضنا وقولهم ان نتبع الهدي معك اي علي زعمك فقطع الله حجتهم اذ كانوا وهم
كفار بالله عباد اصنام قد امنوا في حرمهم والناس في غيره يتقاتلون وهم مقيمون في بلد غير
ذي زرع يجبي اليهم ما يحتاجون من الاقوات فكيف اذا امنوا واهتدوا فهو تعالي يمد لهم هو
الارض ويملكهم الارض كما وعدهم تعالي ووقع ما وعد به ووصف الحرم بالامن مجازا اذ الامنون
فيه هم ساكنوه وثمرة كل شي عام مخصوص يراد به الكثرة وقرا المنقري يتخطف برفع
الفا مثل قوله تعالي اينما تكونوا يدرككم برفع الكاف اي فيدرككم اي فهو يدرككم
وقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها اي فيتخطف والله يشكرها وهو تخريج شذوذ
وقرا نافع وجماعة عن يعقوب وابو حاتم عن عاصم تجبي بتاء التانيث والباقون بالياء
وقرا الجمهور ثمرات بفتحتين وابان بن تغلب بضمتين وبعضهم بفتح الثا واسكان الميم
وانتصب رزقا علي انه مصدر من المعني لان قوله تجبي اليه ثمرات اي برزق ثمرات او علي
انه مفعول له وفاعل الفعل المعلل محذوف اي نسوق اليه ثمرات كل شي وان كان الرزق
ليس مصدرا بل بمعني المرزوق جاز انتصابه علي الحال من ثمرات وحسن ذلك تخصيصا
بالاضافة واكثرهم لا يعلمون اي جهلة بان ذلك الرزق هو من عندنا وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك
القري حتي يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القري الا واهلها ظالمون وما
اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقي افلا يعقلون افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين هذا
تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن
وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم ومعيشتها
منصوب علي التمييز علي مذهب الكوفيين او مشبه بالمفعول علي مذهب بعضهم او مفعول به علي
تضمين بطرت معني فعل متعد اي خسرت معيشتها علي مذهب بعضهم اكثر البصريين او علي
اسقاط في اي في معيشتها علي مذهب الاخفش او علي الظرف علي تقدير ايام معيشتها كقولك
جيت خفوق النجم علي قول الزجاج فتلك مساكنهم اشار اليها اي ترونها خرابا تمرون عليها
كحجر ثمود هلكوا وفنوا وتقدم ذكر المساكن وتسكن فاحتمل ان يكون الاستثنا في قوله
الا قليلا من المساكن اي الا قليلا منها سكن واحتمل ان يكون من المصدر المفهوم من قوله
لم تسكن اي الا سكني قليلا اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق وكنا نحن الوارثين
اي لتلك المساكن وغيرها كقوله انا نحن نرث الارض خلت من ساكنيها فخربت تتخلف الاثار
عن اصحابنا حينا ويدركها الفنا فتسمع والظاهر ان القري عامة في القري التي هلكت
فالمعني انه تعالي لا يهلكها في كل وقت حيث يبعث في ام تلك القري اي كبيرتها التي ترجع
تلك القري اليها ومنها يمتارون وفيها عظيمهم الحاكم علي تلك القري حتي يبعث في امها
رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة ويحتمل ان يراد بالقري القري التي في عصر الرسول
فيكون ام القري مكة ويكون الرسول محمدا صلي الله عليه وسلم خاتم الانبيا وظلم اهلها هو

بالكفر والمعاصي وما اوتيتم من شي اي حسن يسركم وتفخرون به فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
تمتعون به اياما قلايل وما عند الله من النعيم الدايم الباقي المعد للمومنين خير من متاعكم
افلا تعقلون توبيخ لهم وقرا ابو عمرو يعقلون بالياء اعراض عن خطابهم وخطاب لغيرهم كانه قال
انظروا الي هولا وسخافة عقولهم وقرا الجمهور بالتاء فوق علي خطابهم وتوبيخهم في كونهم
اهملوا العقل في العاقبة ونسب هذه القراة ابو علي في الحجة الي ابي عمرو وحده وفي التحرير
والتخيير بين اليا والتا عن ابي عمرو وقري متاعا الحيوة الدنيا اي يمتعون متاعا في الحيوة
الدنيا فانتصب الحيوة الدنيا علي الظرف افمن وعدناه يذكر تفاوت ما بين الرجلين من وعد
وعدا حسنا وهو الثواب فلاقاه ومن متع في الحيوة الدنيا ثم احضر الي النار وظاهر الاية العموم
في المومن والكافر قيل ونزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في حمزة وابي جهل
وقيل في علي وابي جهل وقيل في عمار والوليد بن المغيرة وقيل نزلت في المومن والكافر وغلب لفظ
المحضر في المحضر الي النار كقوله لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون والفا في افمن للعطف
لما ذكر تفاوت ما بين ما اوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال افبعد
هذا التفاوت الظاهر يستوي بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا والفا في فهو لاقيه للتسبيب
لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وثم للتراخي حال الاحضار
عن حال التمتع بتراخي وقته عن وقته وقرا طلحة امن وعدناه بغير فاء ويوم يناديهم فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هولا الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا
يوميذ فهم لا يتسالون فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك
يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له
الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الي يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضيا افلا تسمعون قل ارايتم ان
جعل الله عليكم النهار سرمدا الي يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
لما ذكر المتمتعين في الدنيا يحضر الي النار ذكر شيا من احوال يوم القيامة اي واذكر حالهم يوم يناديهم
الله ونداوه اياهم يحتمل ان يكون بواسطة وبغير واسطة فيقول اين شركاي اي علي زعمكم وهذا
الاستفهام علي جهة التوبيخ والتقريع والشركا هم من عبدوه من دون الله من ملك او جن
او انس او كوكب او صنم او غير ذلك ومفعولا تزعمون محذوفان احدهما العايد علي الموصول
والتقدير تزعمونهم شركا ولما كان هذا السوال مسكتا لهم اذ تلك الشركا التي عبدوها
مفقودون هم او وجدوا هم في الاخرة جادوا عن الجواب الي كلام لا يجدي قال الذين حق عليهم
القول اي الشياطين وايمة الكفر وروسه وحق اي وجب عليهم القول اي مقتضاه وهو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهولا مبتدا والذين اغويناهم صفة واغويناهم
كما غوينا الخبر وهو غوينا صفة لمطاوع اغويناهم اي فغووا كما غوينا اي تسببنا لهم في الغي
فقبلوا منا وهذا الاعراب قاله الزمخشري وقال ابو علي ولا يجوز هذا الوجه لانه
ليس في الخبر زيادة علي ما في صفة المبتدا قال فان قلت قد وصلت بقوله كما غوينا وفيه
زيادة قبل الزيادة بالظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف صلات وقال هولا الذين
اغوينا هو الخبر واغويناهم مستانف وقال غير ابو علي لا يمتنع الوجه الاول لان الفضلات
في بعض المواضع يلزم كقولك زيد عمرو قايم في داره انتهى والمعنى هولا اتباعنا اثروا
الكفر علي الايمان كما اثرناه نحن ونحن كنا السبب في كفرهم فقبلوا منا وقرا ابان عن عاصم
وبعض الشاميين كما غوينا بكسر الواو وقال ابن خالويه وليس ذلك مختارا لان كلام العرب
غويت من الضلالة وغويت من البشم تبرانا اليك منهم ما كانوا يعبدوننا
انما عبدوا اغوينا واياناً مفعول يعبدون لما تقدم انفصل وانفصاله لكون يعبدون فاصلة

ولو اتصل ثم لم يكن فاصلة وقال الزمخشري كانوا يعبدون اهواهم ويطيعون شهواتهم
واخلا الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى انتهى وقيل ادعوا شركاكم لما
سيلوا اين شركاكم واجابوا بغير جواب سيلوا ثانيا فقيل ادعوا شركاكم واضاف الشركا
اليهم اي الذين جعلتموهم شركا لله وقوله ادعوا شركاكم علي سبيل التهكم بهم لانه يعلم انه لا فايدة
في دعايهم فدعوهم هذا لسخافة عقولهم في ذلك الموطن ايضا اذ لم يعلموا ان من كان موجودا منهم
في ذلك الموطن لا يجيبهم والضمير في راوا قال الضحاك ومقاتل هو للتابع والمتبوع وجواب
لو محذوف والظاهر ان يقدر مما يدل عليه ما يليه اي لو كانوا مومنين في الدنيا ما راوا العذاب
في الاخرة وقيل التقدير لو انهم كانوا مهتدين بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب
وقيل لعلموا ان العذاب حق وقيل لتحيروا عند رويته من فظاعته وان لم يعذبوا به وقيل
كانوا في الدنيا عابدين الاصنام وقال ابو عبد الله الرازي وعندي ان الجواب غير
محذوف وفي تقريره وجوه احدها ان الله اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاكم اشتد خوفهم ولحقهم
شي بحيث لا يبصرون شيا لا جرم ما راوا العذاب وثانيها لما ذكر الشركا وهي الاصنام وانهم
لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو كانوا من الاحيا المهتدين ولكنها
ليست كذلك ولا جرم ما رات العذاب والضمير في راوا وان كان للعقلا فقد قال ودعوهم
وهم للعقلا انتهى وفيه بعض تلخيص وقد اثنى علي هذا الذي اختاره وليس بشي لانه بناه
علي ان الضمير في راوا عايد علي المدعوين قال وهم الاصنام والظاهر انه عايد علي الداعين
كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب ولان حمل مهتدين علي الاحياء
في غاية البعد لان ما قدره هو جواب ولا يشعر به انه جواب اذ صار التقدير عنده لو كانوا
من الاحياء فلا تري العذاب الا تري الي قوله فلا جرم ما رات العذاب ويوم يناديهم هذا
الندا ايضا قد يكون بواسطة من الملايكة او بغير واسطة حكي اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم
له شركا ثم ما يقوله روسا الكفر عند توبيخهم ثم استغاثتهم بشركاهم وخذلانهم لهم
وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازالة العلل
وقرا الجمهور فعميت بفتح العين وتخفيف الميم وقرا الاعمش وجناح بن حبيش وابو زرعة
بن عمرو بن جرير بضم العين وتشديد الميم والمعنى اظلمت عليهم الامور فلم يستطيعوا ان يخبروا
بما فيه نجاة لهم واتي بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتسالون وقرا طلحة يتسالون
بادغام التا في السين اي لا يسال بعضهم بعضا فيما يحتجون به اذ ايقنوا انه لا حجة لهم
فهم في عمي وعجز عن الجواب والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله ولما ذكر
تعالى احوال الكفار يوم القيامة وما يكون منهم فيه اخبر بان من تاب من الشرك وامن
وعمل صالحا فانه مرجو له الفلاح والفوز في الاخرة وهذا ترغيب للكافر في الاسلام وضمان له
للفلاح ويقال ان عسي من الله واجبة وربك يخلق ما يشا ويختار نزلت بسبب ما تكلمت به قريش
من استغراب امر النبي صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم لولا نزل هذا القران علي رجل من القريتين
عظيم وقايل ذلك الوليد بن المغيرة قال القرطبي هذا متصل بذكر الشركا الذين دعوهم واختاروهم
للشفاعة اي الاختيار الي الله تعالى في الشفعا لا الي المشركين وقيل هو جواب لليهود اذ قالوا
لو كان الرسول الي محمد غير جبريل لامنا به ونص الزجاج وعلي بن سليمن والنحاس علي ان الوقف
علي قوله ويختار تام والظاهر ان ما نافية اي ليس لهم الخيرة انما هي لله تعالى كقوله ما كان
لهم الخيرة من امرهم وذهب الطبري الي ان ما موصولة منصوبة بيختار اي ويختار من الرسل
والشرايع ما كان خيرة للناس كما لا يختارون هم ما ليس اليهم ويفعلون ما لم يومروا به وانكر
ان تكون ما نافية ليلا يكون المعني انه لم تكن لهم الخيرة فيما مضي وهي لهم فيما يستقبل ولانه
لم يتقدم كلام بنفي وروي عن ابن عباس معني ما ذهب اليه الطبري وقد رد هذا القول
تقدم العايد علي الموصول واجيب بان التقدير ما كان لهم فيه الخيرة وحذف لدلالة
المعني قال الزمخشري كما حذف من قوله ان ذلك لمن عزم الامور يعني ان التقدير ان
ذلك فيه لمن عزم الامور وانشد القسم بن معن بيت عنترة
امن سمية دمع العين تذريف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

وقرن الاية بهذا البيت والرواية في البيت لو اذا ولكن على ما رواه المقسم يتجه
في بيت عنترة ان يكون في كان ضمير الشان فاما في الاية فقال ابن عطية تفسيرا لامر الشان
لا يكون بجمله فيها محذوف قال ابن عطية ويتجه عندي ان تكون ما مفعولة اذا قدرنا كان
تامة اي ان الله تعالى يختار كل كائن ولا يكون شي الا باذنه وقوله لهم الخيرة جملة مستانفة
معناها تعديد النعمة عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا انتهى يعني والله اعلم
خيرة الله لهم اي لمصلحتهم والخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعملان بمعنى المصدر
والجمل التي بعد هذا تقدم الكلام عليها والحمد في الاخرة قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله رب العالمين والتحميد هنالك على
سبيل اللذة لا التكليف وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وقرا ابن محيصن
ما تكن بفتح التاء وضم الكاف وله الحكم اي القضاء بين عباده والفصل وارايتم بمعنى اخبروني
وقد تسلط على الليل ارايتم وجعل اذ كل منهما يقتضيه فاعمل الثاني وجملة ارايتم الثانية
هي جملة الاستفهام والعائد على الليل محذوف تقديره من اله غير الله ياتيكم بضياء بعده ولا
يلزم في باب التنازع ان يستوى المتنازعان في جهة التعدي مطلقا بل قد يختلف الطلب
فيطلبه هذا على جهة الفاعلية وهذا على جهة المفعولية وهذا على جهة المفعول
وهذا على جهة الظرف وكذلك ارايتم ثاني مفعوليه جملة استفهامية غالبا وثاني جعل ان
كانت بمعنى صير لا يكون استفهاما وان كانت بمعنى خلق واحد وانتصب ما بعد مفعولها
كان ذلك المنتصب حالا وسرمدا قيل من السرد فيمه زايدة ووزنه فعمل ولا يزاد
وسطا ولا اخرا بقياس وانما هي الفاظ تحفظ مذكورة في علم التصريف واتى بضياء وهو
نور الشمس ولم يجي التركيب بنهار يتصرفون فيه كما جا بليل تسكنون فيه لان منافع الضياء
متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن
بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده
وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون
ونحوه قال الزمخشري ومن رحمته من هنا للتسبب اي وبسبب رحمته اياكم جعل لكم الليل
والنهار ثم علل جعل كل واحد منهما فبدا بعلة الاول وهو الليل وهو لتسكنوا فيه ثم
بعلة الثاني وهو ولتبتغوا من فضله ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو لعلكم
تشكرون اي هذه الرحمة والنعمة وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير وهو ان
تذكر اشيا ثم تفسرها بما يناسبها ومنه قول ابن حيوس •

• ومقرطق يغني النديم بوجهه • عن كاسه الملاي وعن ابريقه •
• فعل المدام ولونها ومذاقها • في مقلتيه ووجنتيه وريقه •

والضمير في فيه عايد على الليل وفي فضله يجوز ان يكون عايدا على الله والتقدير من فضله
اي من فضل الله فيه اي في النهار وحذف لدلالة المعنى ولدلالة لفظ فيه السابق عليه
ويحتمل ان يعود على النهار اي من فضل النهار ويكون اضافة الى ضمير النهار على سبيل المجاز
لما كان الفضل حاصلا فيه اضيف اليه كقوله بل مكر الليل والنهار ويوم يناديهم فيقول اين
شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق
لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله
اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا
يسال عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض
فما كان له من فية ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه

بالامس

بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا
لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تقدم الكلام على قوله ويوم يناديهم وكرر هنا على جهة الابلاغ
والتاكيد ونزعنا اي ميزنا واخرجنا بسرعة من كل امة من الامم شهيدا هو نبي تلك الامة لانه
هو الشهيد عليها كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا او قيل
عدولا وخيارا والشهيد على هذا اسم الجنس والشهيد يشهد على تلك الامة بما صدر منها
وما اجابت به لما دعيت الى التوحيد وانه قد بلغهم رسالة ربهم فقلنا اي الامم هاتوا برهانكم
اي حجتكم فيما كنتم عليه في الدنيا من الكفر ومخالفة هذا الشهيد فعلموا ان الحق لله لا الاصنام
وما عبدوا من دون الله وضل عنهم اي وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون
من الكذب والباطل وقارون اعجمي منع الصرف للعجمة والعلمية قيل ومعنى كان من قومه
اي ممن امن به قال ابن عطية وهو اسرايلي باجماع انتهى واختلف في قرابته من موسى
اختلافا مضطربا متكاذبا واولاها ما قاله ابن عباس انه ابن عمه وهو قارون بن يصهر بن قاهث
جد موسى لان النسابين ذكروا نسبه كذلك وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان احفظ بني اسرايل
للتوراة واقراهم فنافق كما نافق السامري فبغى عليهم ذكروا من انواع بغيه الكفر والكبر وحسده
لموسى على النبوة ولهرون على الذبح والقربان وظلمه لبني اسرايل حين ملكه فرعون عليهم ودسه
بغيا يكذب على موسى انه تعرض لها ويفضحه بذلك في ملا بني اسرايل ومن تكبره ان زاد في ثيابه
شبرا واتيناه من الكنوز قيل اظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلم وقيل سميت امواله كنوزا
اذ كان ممتنعا من ادا الزكوة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلم اول عداوته وما موصولة
صلتها ان ومعمولاها وقال النحاس سمعت علي بن سليمن يعني الاخفش الصغير يقول
ما اقبح ما يقوله الكوفيون في الصلاة انه لا يجوز ان تكون صلة الذي ان وما عملت فيه وفي القران
ما ان مفاتحه انتهى وتقدم الكلام في مفاتح في سورة الانعام وقالوا هنا مقاليد خزاينه وقال
السدي هي الخزاين نفسها وقال الضحاك ظروفه واوعيته وقرا الاعمش مفاتيحه
بيا جمع مفتاح وذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب او يقارب الكذب فلم اكتبه قال ابو زيد
نوت بالحمل اذا نهضت به قال الشاعر •

• اذا وجدنا خلقا بيس الخلق • عبدا اذا ما نا بالحمل وقف •
• وبقال ناء بنو اذا نهض بثقل قال الشاعر •
• تنوء باخراها فلايا قيامها • وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر •

وقال ابو عبيدة هو مقلوب واصله لتنوء بها العصبة اي تنهض والقلب عند اصحابنا
بابه الشعر والصحيح ان البا للتعدية اي لتنوء العصبة كما تقول ذهبت به واذهبته وجيت
به واجاته ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفرا واختاره النحاس وروي معناه عن ابن عباس
وابي صالح والسدي وتقول العرب نا الحمل بالبعير اذا اثقله قال ابن عطية ويمكن
ان يسند تنوء الى المفاتح لانها تنهض بتحامل اذا فعل ذلك الذي ينهض بها وذا مطرد في ناء
الحمل بالبعير ونحوه فتامله وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء وتذكيره راعى المضاف
المحذوف التقدير ما ان حمل مفاتحه او مقدارها او نحو ذلك وقال الزمخشري ووجهه
ان يفسر المفاتح بالخزاين وتعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتصال كقوله ذهبت
اهل اليمامة انتهى يعني انه اكتسبت المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون كما اكتسب اهل
التانيث من اضافته الى اليمامة فقيل فيه ذهبت وذكر ابو عمرو الداني ان بديل بن ميسرة
قرا ما ان مفاتحه على الافراد فلا يحتاج قراته لينوء بالياء الى تاويل وتقدم تفسير العصبة
في سورة يوسف عليه السلم وتقدم قبل تفسير المفاتح هي المقاليد او الخزاين نفسها او هي
الظروف والاوعية وعن ابي عباس والحسن ان المفاتح هي الاموال قال ابن عباس
كانت خزاينه يحملها اربعون الف قوي وكانت اربع مائة الف يحمل كل رجل عشرة الاف وقال
ابو مسلم المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب والمراد واتيناه
من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة اي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف
اصنافها يتعب حفظها القايمين على حفظها اذ قال له قومه لا تفرح نهوه عن الفرح المطغي

الذي هو انهماك وانحلال نفس واشر واعجاب وانما يفرح باقبال الدنيا عليه من اطمان
اليها وغفل عن امر الاخرة ومن جعل من باله انه مفارق زهرة الحيوة الدنيا عن قريب
فلا يفرح بها وقال ابو الطيب

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

قال الزمخشري ومحل اذ منصوب بتنوء انتهي وهذا ضعيف جدا لان اثقال المفاتح
العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له لا تفرح وقال ابن عطية متعلق بقوله
فبغي عليهم وهو ضعيف ايضا لان بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت وقال الحوفي
الناصب له محذوف تقديره اذكر وقال ابو البقا اذ قال له ظرف لاتيناه وهذا ضعيف ايضا
لان الايتاء لم يكن وقت ذلك القول وقال ايضا ويجوز ان يكون ظرفا لفعل محذوف
دل عليه الكلام انه بغي عليهم اذ قال له قومه لا تفرح وقال تعالي ولا تفرحوا بما اتاكم
والعرب تمدح بترك الفرح عند اقبال الخير وقال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتحول

وقال الاخر

ان يلاق منفسا لا يلفنا ... فرح الخير ولا نكبوا لضر

وقري الفارحين حكاه عيسي بن سليمن الحجازي ولا يجب صفة فعل لا صفة ذات بمعني
الارادة لان الفرح امر قد وقع فالمعني لا يظهر عليهم بركته ولا تبهم رحمته ولما نهوه عن
الفرح المطغي امروه بان يطلب فيما اتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب الدار
الاخرة بان يفعل فيه افعال البر وتجعله زادك الي الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
قال ابن عباس والجمهور معناه ولا تضيع عمرك في ان لا تعمل صالحا في دنياك اذ الاخرة
انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها وهذا التاويل فيه عظة
وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك
لعاقبة دنياك وفي هذا التاويل بعض رفق وقال الحسن معناه قدم الفضل وامسك
ما يبلغ به وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل ارادوا بنصيبه الكفن فهذا وعظ
متصل كانهم قالوا اترك جميع مالك لا يكون نصيبك منه الا الكفن كما قال الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداان تلوي فيهما وحنوط

وقال الزمخشري ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك وهذا قريب من قول الحسن واحسن
الي عباد الله او بشكرك وطاعتك لله كما احسن الله اليك بتلك النعم التي خولكها
والكاف للتشبيه وهو يكون في بعض الاوصاف لان مماثلة احسان العبد لاحسان الله
من جميع الصفات يمتنع ان تكون فالتشبيه وقع في مطلق الاحسان او تكون الكاف للتعليل
اي احسن لاجل احسان الله اليك ولا تبغ الفساد اي ما انت عليه من البغي والظلم علي علم
علم مصدر ويحتمل ان يكون مضافا الي الله فقال الجمهور ادعي ان عنده علما
استوجب به ان يكون صاحب تلك الكنوز فقيل علم التوراة او حفظها وكان احد السبعين
الذين اختارهم موسي للميقات وكانت هذه مغالطة وقال ابو سليمن الداراني اي
علم التجارة ووجوه المكاسب اي اوتيته بادراكي وسعيي وقال ابن المسيب علم الكيميا
قال ابن المسيب وكان موسي عليه السلم يعلم الكيميا ومن جعل الرصاص والنحاس ذهبا
وعن ابن عباس علي علم لصنعة الذهب ولعل ذلك لا يصح عنه ولا عن ابن المسيب وانكر
الزجاج علم الكيميا وقال باطل لا حقيقة له انتهي وكثيرا ما تولع اهل مصر بطلب اشياء
من المستحيلات والخرافات من ذلك تغوير الماء وخدمة الصور الممثلة في الجدد
خطوطا وادعائهم ان تلك الخطوط تتحرك اذا خدمت بانواع من الخدم لهم والكيميا
حتي ان مشايخ العلم عندهم الذين هم عندهم بصورة الولاية يتطلب ذلك من اجهل
وارد من المغاربة وقال ابن زيد وغيره اراد اوتيته علي علم من الله وتخصيص
من لدنه قصدني به اي فلا يلزمني فيه شي مما قلتم ثم جعل قوله عندي كما يقول في معتقدي
وعلي ما اراه وقال مقاتل علي علم اي علي خير علمه الله عندي والظاهر ان قوله اولم يعلم

تقرير لعلمه ذلك وتنبيه علي خطيه في اغتراره اي قد علم ان الله قد اهلك من القرون
قبله من هو اقوي منه واغني لانه قد قراه في التوراة واخبره موسي وسمعه في التواريخ
كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتي لا يغتر بكثرة ما له وقوته قال
الزمخشري ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته علي علم عندي فتنفج بالعلم
وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراي نفسه به مستوجبة لكل نعمة
ولم يعلم هذا العلم النافع حتي يقي نفسه مصارع الهالكين انتهي واكثر جمعا اما للمال
او جماعة يحوطونه ويخدمونه قال ابن عطية اولم يعلم يحتمل ان قارون تشبع بعلم نفسه
علي زعمه وقرا الجمهور ولا يسال مبنيا للمفعول والمجرمون رفع به وهو متصل بما قبله
قاله محمد بن كعب والضمير في ذنوبهم عايد علي من اهلك من القرون اي لا يسال غيرهم ممن اجرم
ولا ممن لم يجرم عن من اهلكه الله بل كل نفس بما كسبت رهينة وقيل اهلك من اهلك من
القرون عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الي مسالتهم عنها وقيل هو مستانف عن حال يوم القيامة
قال قتادة لا يسالون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها لانهم يدخلون النار بغير حساب
وقال قتادة ايضا ومجاهد لا تسالهم الملايكة عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم من
السواد والتشويه كقوله يعرف المجرمون بسيماهم وقيل لا يسالون سوال توبيخ وتقريع
وقرا ابو جعفر في رواية ولا تسال بالتاء والجزم المجرمين نصب وقرا ابن سيرين وابو
العالية كذلك في ولا تسال علي النهي للمخاطب وكان ابن ابي اسحق لا يجوز ذلك الا ان يكون
المجرمين بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه قال صاحب اللوامح فالظاهر ما قاله ولم يبلغني
في نصب المجرمين شي فان تركاه علي رفعه فله وجهان احدهما ان يكون الهاء والميم في عن
ذنوبهم راجعة الي ما تقدم من القرون وارتفاع المجرمين باضمار المبتدا وتقديره هم
المجرمون اوليك المجرمون ومثله التايبون العابدون في التوبة والثاني ان يكون بدلا
من اصل الهاء والميم في ذنوبهم لانها وان كانت في محل الجر بالاضافة اليها فان اصلها الرفع
لان الاضافة اليها بمنزلة اضافة المصدر الي اسم الفاعل فعلي ذلك المجرمون محمول
علي الاصل علي ما تقدم لنا من ان بعضهم قرا ان يضرب مثلا ما بعوضة بالجر علي انها بدل
من اصل المثل وما زايدة فيه وتقديره لا يستحي بضرب مثل بعوضة اي يضرب بعوضة نفي ذلك
فسرا ان مع الفصل بالمصدر وناصب الي المفعول به ثم ابدل منه البعوضة من غير ان اعرف
فيها اثر الحال فاما قوله في ذنوبهم فذنوب جمع فان كان جمع مصدر ففي اعماله خلاف واما
قوله علي ما تقدم لنا من ان بعضهم قرا فقد ذكر في البقرة انه سمع ذلك ولا يعرف فيها اثرا
فينبغي ان لا يجعلها قراة ولما ذكر تعالي قارون ونعمته وما اتاه من الكنوز وفرحه بذلك
فرح البطرين وادعاوه ان ما اوتي من ذلك انما اوتيته علي علم ذكر ما هو ناشي عن التكبر
والبطر وربما اوتي فقال فخرج علي قومه في زينته وكان يوم السبت اي اظهر ما يقدر عليه
من الملابس والمراكب وزينة الدنيا قال جابر ومجاهد في ثياب حمر وقال ابن زيد هو
وحشمه في ثياب معصفرة وقيل في ثياب الارجوان وقيل علي بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة الاف علي زيه وقيل عليهم وعلي خيولهم الديباج الاحمر وعلي
يمينه ثلث ماية غلام وعلي يساره ثلثماية جارية بيض عليهم الحلي والديباج وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم ريي فيه المعصفر قيل وغير ذلك من الكيفيات قال
الذين يريدون الحيوة الدنيا قيل كانوا مومنين قال قتادة تمنوه ليتقربوا به الي الله
وقيل رغبة في اليسار والثروة وقيل كانوا كفارا او تمنوا مثل ما اوتي قارون ولم يذكروا
زوال نعمته وهذا من الغبطة انه لذو حظ عظيم اي درجة عظيمة قاله الضحاك
وقيل نصيب كثير من الدنيا والحظ البخت والسعد يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ
وقال الذين اوتوا العلم منهم يوشع والعلم معرفة الثواب والعقاب او التوكل او الاخبار
اقوال ويلكم دعا بالشر ثواب الله وهو ما اعده في الاخرة للمومن خير مما اوتي قارون
ولا يلقاها اي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله وقيل الجنة ونعيمها وقيل هذه المقالة
وهي قولهم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ونحوهم مصدرا الا الصابرون علي الطاعات وعلي

قمع انفسهم عن الشهوات تقدم ظرف من خبر قارون وجسده لموسي ومن جسده انه جعل
لبغي جعلا علي ان ترمي موسى بطلبها وبزنا بها وانها تابت الي الله واقرت ان قارون هو الذي
جعل لها جعلا علي رمي موسى بذلك فامر الله الارض ان تطيعه فقال يا ارض خذيه واتباعه فخسف
بهم في حكاية طويلة الله اعلم بها ولما خسف بقارون ومن معه فقال بنوا اسرايل انما دعي موسي
علي قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره واموالـه ومن زايدة اي من
جماعة تفيد استغراق الفيات واذا انتفت الجملة ولم يقدر علي نصره فانتفا الواحد عن
نصرته ابلغ وما كان من المنتصرين اي لم يكن في نفسه ممن يمتنع من عذاب الله واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس بدل واصبح اذ احل علي ظاهره ان الخسف به وبداره كان ليلا وهو اقطع
العذاب اذ الليل مقرا للراحة والسكون والامس يحتمل ان يراد به الزمان الماضي ويحتمل
ان يراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني ويدل عليه العطف بالفا الذي تقتضي التعقيب
في قوله فخسفنا فيكون معه اعتقاب العذاب خروجه في زينته وفي ذلك تعجيل العذاب
ومكانه منزلته في الدنيا من الثروة والحشم والاتباع وي عند الخليل وسيبويه
اسم فعل مثل صه ومه ومعناها اعجب قال الخليل وذلك ان القوم ندموا فقالوا متندمين
علي ما سلف منهم وي وكل من ندم فاظهر ندامته قال وي وكان هي كاف التشبيه الداخلة
علي ان وكتبت متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال وانشد سيبويه

ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل وحكى الفرا ان امراة قالت لزوجها اين ابنك فقال
ويكانه وراء البيت وعلي هذا المذهب يكون الوقف علي وي وقال الاخفش هي ويك وينبغي
ان يكون الكاف حرف خطاب ولا موضع له من الاعراب والوقف عليه ويك ومنه قول عنترة

ولقد شفا نفسي وابرا سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم

وذهب الكسائي ويونس وابو حاتم وغيرهم الي ان اصله ويلك فحذفت اللام والكاف
في موضع جر بالاضافة فعلي المذهب الاول قيل تكون الكاف خالية من معنى التشبيه
كما قيل ليس كمثله شي وعلي المذهب الثاني فالمعنى اعجب لان الله وعلي المذهب الثالث تكون
ويلك كلمة تحزن والمعنى ايضا لان الله وقال ابو زيد وفرقة معه ويكان حرف واحد
بجملته وهو بمعنى الم تر وايمعنى الم تر قال ابن عباس والكسائي وابو عبيد وقال الفرا
ويك في كلام العرب كقول الرجل اما تري الي صنع الله وقال ابن قتيبة عن بعض اهل العلم
انه قال معنى ويك رحمك لك بلغة حمير ولما شاهدوا منهم تمني حال قارون وشاهدوا الخسف كان
ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا وداعيا الي الرضى بقدر الله فتنبهوا لخطئهم فقالوا وي ثم قالوا
كان الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق علي
من يشا لا لهوانه بل لحكمته وقضايه ابتلا وقرا الاعمش لولا من الله بحذف ان وهي مرادة
وروي عنه من الله برفع النون والاضافة وقرا الجمهور لخسف مبنيا للمفعول وحفص
وعصمة وابان عن عاصم وابن ابي حماد عن ابي بكر مبنيا للفاعل وابن مسعود وطلحة والاعمش
لانخسف بنا كقولك انقطع بنا كانه فعل مطاوع والمقام مقام الفاعل هو بنا ويجوز ان يكون
المصدر اي لانخسف الانخساف ومطاوع فعل لا يتعدي الي مفعول به فلذلك بني اما لبنا
واما للمصدر وعن ابن مسعود ايضا لتخسف بنا وشدد السين مبنيا للمفعول تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جا بالحسنة
فله خير منها ومن جا بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون ان الذي
فرض عليك القران لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جا بالهدي ومن هو في ضلال مبين وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن
ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الي ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع
الله الها اخر لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لما كان من قول اهل
العلم والايمان ثواب الله خير ذكر محل الثواب وهو الدار الاخرة والمعنى تلك التي سمعت
بذكرها وبلغك وصفها الدار الاخرة اي نعيم الدار الاخرة وهي الجنة والبقا فيها سرمدا

وعلق حصولها علي مجرد الارادة فكيف بمن باشر العلو والفساد ثم جا التركيب بلا في قوله
ولا فسادا فدل علي ان كل واحد من العلو والفساد مقصود لا مجموعهما قال الحسن العلو
العز والشرف ان جرا البغي الضحاك الظلم والفساد يعم انواع الشر وعن علي كرم الله وجهه
ان الرجل ليعجبه اذ يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل
انه قراها ثم قال ذهبت الاماني وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض فله خير منها
بسبب فعلها ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله فلا يجزي الذين عملوا السيات تهجينا لحالهم
وتبغيضا للسيئة الي قلوب السامعين ففيه بتكراره ما ليس فيه لو كان فلا يجزون بالمهر
وما كانوا علي حذف مثل اي الا مثل ما كانوا يعملون لان جزا السيئة سيئة مثلها والحسنة
بعشر امثالها ان الذي فرض عليك القران قال عطا العمل به ومجاهد اعطاكه ومقاتل انزله
عليك وكذا قال الفرا وابو عبيدة وقال الزمخشري اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف
والمعاد قال الجمهور في الاخرة اي باعثك بعد الموت ففيه اثبات الجزا والاعلام بوقوعه
وعن ابن عباس وابي سعيد الخدري المعاد الموت وقيل بيت المقدس وقيل الجنة
وكان دخلها ليلة المعراج وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة اراد رده اليها يوم
الفتح ونكره والمقصود التعظيم اي معاد اي له شان لغلبة الرسول عليها وقهره لاهلها
ولظهور عز الاسلام واهله فكان الله وعده وهو بمكة انه يهاجر منها ويعود اليها ظافرا ظاهرا
وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق اليها فقال له جبريل اتشتاق اليها قال
نعم فاوحاها اليه ومن منصوب باضمار فعل اي يعلم من جا بالهدي ومن اجاز ان ياتي افعل بمعنى
فاعل واجاز مع ذلك ان ينصب به اذ يؤوله بمعنى عالم ويعطيه حكمه من العمل ولما وعده
تعالي انه يرده الي معاد وانه تعالى فرض عليه القران امره ان يقول للمشركين ذلك اي هو
تعالي عالم بمن جا بالهدي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وبما يستحقه من الثواب في معاده وهذا
اذا عني بالمعاد ما بعد الموت ويعني بقوله ومن هو في ضلال مبين المشركين الذين امره
الله بان يبلغهم ذلك هو عالم بهم وبما يستحقونه من العقاب في معادهم وفي ذلك متاركة للكفار
وتوبيخ وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب هذا تذكير لنعمه تعالي علي رسوله وانه تعالي
رحمه رحمة لم يتعلق بها رجاوه وقيل بل هو معلق بقوله ان الذي فرض عليك القران وانت
بحال من لا يرجو ذلك وانتصب رحمة علي الاستثناء المنقطع اي لكن رحمة من ربك سبقت
فالقي اليك الكتاب وقال الزمخشري هذا كلام محمول علي المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب
الا رحمة من ربك انتهي فيكون استثناء متصلا اما من الاحوال واما من المفعول له وقرا
الجمهور يصدنك مضارع صد وشددوا النون ويعقوب كذلك الا انه خففها وقري يصدنك
مضارع اصد بمعنى صد حكاه ابو زيد عن رجل من كلب قال وهي لغة قومه وقال الشاعر

اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوايم

بعد اذ انزلت اليك اي بعد وقت انزالها واذ تضاف اليها اسما الزمان كقوله بعد اذ
هديتنا ويومئذ وحينئذ قال الضحاك وذلك حين دعوه الي دين ابايه اي لا يلتفت
الي هولا ولا تركن الي قولهم فيصدونك عن اتباع ايات الله وادع الي ربك اي دين ربك
وهذه المناهي كلها ظاهرها انها للرسول وهي في الحقيقة لاتباعه والهلاك يطلق بازا
العدم المحض فالمعنى ان الله يعدم كل شي سواه وبازا نفي الانتفاع به اما للاماتة او بتفرق
الاجزا وان كانت نافية يقال هلك الثوب لا يريدون فنا اجزايه ولكن خروجه عن الانتفا
به ومعني الا وجهه الا اياه قاله الزجاج وقال مجاهد والسدي هالك بالموت الا العلما
فان علمهم باق انتهي ويريدون الا ما قصد به وجهه من العلم فانه باق وقال الضحاك
الا الله عز وجل والعرش والجنة والنار وقيل ملكه ومنه لمن الملك اليوم وقال ابو عبيدة
المراد بالوجه جاهه الذي جعله في الناس وقال سفين الثوري الا وجهه ما عمل لذاته
ومن طاعته وتوجه به نحوه ومنه قول الشاعر

رب العباد اليه الوجه والعمل وقوله يريدون وجهه او الحكم

اي فصل القضا اليه ترجعون اي الي جزايه وقرا عيسي ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين امر حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا سا ما يحكمون من كان يرجو لقا الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولين جا نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون هذه السورة مكية قال جابر وعكرمة والحسن وقال ابن عباس وقتادة مدنية وقال يحيي بن سلام مكية الا من اولها الي وليعلمن المنافقين وقال ان الذين كفروا او نزل اوايلها في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة قاله السدي او في عمار ونظرايه ممن كان يعذب في الله قاله ابن عمر او في مسلمين كان كفار قريش يوذونهم قاله مجاهد وهو قريب مما قبله او في مهجع مولي عمر قتل ببدر فجزع ابواه وامراته عليه وقال فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعي الي باب الجنة او في عياش اخي ابي جهل غدر فارتدوا للناس فسر بمن نزلت فيه الاية وقال الحسن الناس هنا المنافقون اي ان يتركوا بمجرد قولهم امنا وحسب يطلب مفعولين فقال الحوفي وابن عطية وابو البقا سدت ان وما بعدها من معموله مسد المفعولين واجاز الحوفي وابو البقا ان يكون ان يقولوا بدلا من ان يتركوا وان يكون في موضع نصب بعد اسقاط الخافض وقدره بان يقولوا او لان يقولوا وقال ابن عطية وابو البقا واذا قدرت البا كان حالا قال ابن عطية والمعنى في البا واللام مختلف وذلك انه في البا كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام بمعني من اجل اي حسبوا ان ايمانهم علة للترك تفسير معني اذ تفسير الاعراب حسبانهم ان الترك لاجل تلفظهم بالايمان وقال الزمخشري فان قلت فاين الكلام الدال علي المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا بالترك اول حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة لان الترك لانه من الترك الذي هو بمعني التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا تري انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبرا مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخالفة الشر وضربه للتاديب وكان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا اي خبرا انتهي وهو كلام فيه اضطراب ذكرا ولا ان تقديره غير مفتونين بتمه يعني انه حال لان سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي هو من التصيير وهذا لا يصح لان مفعول صير الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح واما ما مثله به من البيت فانه يصح ان يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعني صير بخلاف ما قدر في الاية واما تقديره حاصل ومستقر قبل اللام حاصلة فلا يصح اذا كان تركهم بمعني تصييرهم كان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعني تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياج تركهم بمعني تصييرهم الي مفعول ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان واما قوله فان قلت ان يقولوا الي اخره فيحتاج

الي فضلة فهم وفي ذلك ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه لو كان علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كاين والخبر غير المبتدا ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الي خبر واما قوله كما تقول خروجه لمخالفة الشر فلمخالفة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كاين وهم لا يفتنون قال الشعبي الفتنة هنا ما كلفه المومنون من الهجرة التي لم يتركوا دونها وقال الكلبي هو مثال اوليلبسكم شيعا وقال مجاهد يبتلون في انفسهم واموالهم والذين من قبلهم المومنون اتباع الانبياء اصابهم من المحن ما فرق به المومن بالمنشار فرقتين وتمشط بامشاط الحديد ولا يرجع عن دينه فيعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه من علم المتعدية الي واحد فيهما ويستحيل حدوث العلم لله تعالي فالمعني وليتعلقن علمه به موجودا كما كان متعلق به حين كان معدوما فالمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب او عبر بالعلم عن الجزا اي وليثيبن الصادق وليعذبن الكاذب ومعنى صدقوا في ايمانهم يطابق قولهم واعتقادهم افعالهم والكاذبين ضد ذلك وقرا علي وجعفر بن محمد فليعلمن مضارعه المنقولة بهمزة التعدي من علم المتعدية الي واحد والثاني محذوف اي منازلهم في الاخرة من ثواب وعقاب او الاول محذوف اي فليعلمن الناس الذين صدقوا اي يشهرهم هولا في الخير وهولا في الشر وذلك في الدنيا والاخرة او من العلامة فيتعدي الي واحد اي يسمهم بعلامة يصلح لهم كقوله من اسر سريرة البسه الله ردا ها وقرا الزهري الاولي كقراة الجماعة والثانية كقراة علي ام حسب قال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكانه عز وجل قرر الفريقين قرر المومنين علي ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيات في تعذيب المومنين وغير ذلك علي ظنهم انهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه انتهي وليست ام هنا معادلة للالف في احسب كما ذكر لانها اذ ذاك تكون متصلة ولها شرطان احدهما ان يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا الشرط هنا موجود والثاني ان يكون بعدها مفرد او ما هو في تقدير المفرد مثال المفرد ازيد قايم ام عمرو ومثال ما هو في تقدير المفرد اقام زيد ام قعد وجوابها تعيين احد الشيين ان كان التعادل بين شيين او الاشيا ان كان بين اكثر من شيين وهنا بعد ام جملة ولا يمكن الجواب هنا باحد الشيين بل ام هنا منقطعة بمعني بل التي للاضراب بمعني الانتقال من قضية الي قضية لا بمعنى الابطال وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ والانكار فلا يقتضي جوابا لانه في معني كيف وقع حسبان ذلك والذين يعملون السيات قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة بن ابي سفين والعاصي بن وايل واتطارهم من صناديد قريش انتهي والاية وان نزلت علي سبب فهي تعم جميع من يعمل السيات من كافر ومسلم وقال مجاهد ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر علي الانتقام وقيل ان يعجلونا بحتوم القضا وقيل ان يهربوا منا ويفوتونا بانفسهم وقال الزمخشري ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الثواب ولم يحدثوا به انفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرتهم في العاقبة واصرارهم علي المعاصي في سورة من تقدم ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اي مفعول حسبت قلت اشتمال صلة ان علي مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقولهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان تضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعني الاضراب فيها ان هذا الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه انتهي اما قوله وهم لم يطمعوا في الثواب الي اخر قوله ويطمع فيه فليس ذكر بل هم معتقدون ان لا بعث ولا جزا ولا سيما السريه التي نص عليها ابن عباس وما ذكره هو الزمخشري هو علي اعتقاد من يعلم ان الله يجازيه ولكن طمع في عفو الله واما قوله اشتمال صلة الي اخره فقد كان ينبغي ان يقدر ذلك في قوله ان يتركوا فيجعل ذلك سد مسد

المفعولين فلم يتقدر وما لا يصح تقديره واما قوله ويجوز ان تتضمن حسب معنى قد رفيعني
اذ ان وما بعدها في موضع مفعول واحد والتضمين ليس بقياس ولا يصار اليه الا عند
الحاجة اليه وهنا لا حاجة اليه ساء ما يحكمون قال الزمخشري وابن عطية ما معناه ان ما اما
موصولة ويكون صلتها او يتميز بمعنى شي ويكون صفة والمخصوص بالذم محذوف في التقد
اي حكمهم انتهى وفي كون ما موصولة مرفوعة بساء او منصوبة على التمييز خلاف مذكور في النحو
وقال ابن كيسان ما مصدرية فتقديره بيس حكمهم وعلى هذا القول يكون التمييز محذوفا
اي ساء حكما حكمهم وساء هنا بمعنى بيس وتقدم حكم بيس اذا اتصل بها ما والفعل في قوله
بيسما اشتروا به انفسهم مشبعا في البقرة وجا بالمضارع وهو يحكمون قيل اشعارا بان حكمهم
مذموم حالا واستقبالا وقيل لاجل الفاصلة وقع المضارع موقع الماضي اتساعا والظاهر
ان يرجو على بابها ومعنى لقا الله الوصول الي عاقبة الامر من الموت والبعث والجزا مثلت
حاله بحالة عبد قدم على مولاه من سفر بعيد وقد اطلع مولاه على ما عمل في غيبته عنه فان كان
عمل خيرا تلقاه باحسان وشرا فبضد الاحسان فان اجل الله لات وهو ما اجله وجعل له
اجلا لاتيه لا محالة فليبادر بما يصدق رجاءه وقال ابو عبيدة يرجو يخاف ويظهر ان جواب
الشرط محذوف اي من كان يرجوا لقا الله فليبادر بالعمل الصالح الذي يحقق رجاءه فان
ما اجله الله تعالى من لقا جزايه لات والظاهر ان قوله ومن جاهد معناه ومن جاهد
نفسه بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعد له انما هي له لا لله والله
تعالى غني عنه وعن العالمين وانما كلفهم ما كلفهم احسانا اليهم لنكفر عنهم سيآتهم يشمل من
كان كافرا فامن وعمل صالحا فاسقط عنه عقاب ما كان قبل الايمان من كفر ومعصية ومن
نشأ مومنا عاملا للصالحات اساني بعض اعماله فكفر عنه ذلك وكانت سياته مغمورة بحسناته
ولنجزينهم احسن الذي اي احسن جزا اعمالهم وقال ابن عطية حذف مضاف تقديره ثواب
احسن الذي كانوا يعملون انتهى وهذا التقدير لا يسوغ لانه يقتضي ان اوليك يجزون
ثواب احسن اعمالهم واما ثواب حسنها فمسكوت عنه وهم يجزون ثواب الاحسن والحسن
الا ان اخرجت احسن عن بابها من التفضيل فيكون بمعنى حسن فانه يسوغ ذلك واما التقدير
الذي قبله فمعناه انه يجزي احسن جزا العمل فعمله يقتضي ان تكون الحسنة بمثلها ام
نجوزي احسن جزايها وهي ان جعلت بعشر امثالها في هذه الايات تحريك وهز لمن تخلف
عن الهجرة ان يبادر الي استدراك ما فرط فيه منها وثنا على المومنين الذين بادروا
الي الهجرة وتنويه بقدرتهم ووصينا الانسان في جامع الترمذي انها نزلت في سعد
بن ابي وقاص اكثت امه ان لا يطعم ولا يشرب حتى اموت او يكفر وقيل في عياش بن ابي ربيعة
اسلم وهاجر مع عمر وكانت امه شديدة الحب له وحلفت على مثل ذلك فتحيل عليه ابو جهل
واخوه الحرث فشداه وثاقا حين خرج معهما من المدينة الي امه قصدا لبرها وجلده كل
منهما ماية جلدة وردّاه الي امه فقالت لا يزال في عذاب حتى يكفر بمحمد في حديث طويل
ذكر في السير ووصينا الانسان بوالديه اي امرناه بتعهدهما ومراعاتهما وانتصب حسنا
على انه مصدر وصف به مصدر ووصينا اي ايصا حسنا اي ذا حسن او على سبيل المبالغة
اي هو في ذاته حسن قال ابن عطية يحتمل ان ينتصب على المفعول وفي ذلك تجوز
كونه عاما للمعان كما تقول وصيتك خيرا واوصيتك شرا وعبر بذلك عن جملة ما قلت
له ويحسن ذلك دون حرف الجر كون حرف الجر في قوله بوالديه لان المعنى ووصينا
الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر

> عجبت من دهماء اذ تشكونا ❊ ومن ابي دهماء اذ يوصينا

انتهى ومثله قول الحطيئة يوصي ابنته برة

> وصيت من برة قلبا حرا ❊ بالكلب خيرا والحماة شرا

وعلى هذا التقدير يكون الاصل بخير وهو المفعول الثاني والبا في بوالديه وفي بالحماة
وبالكلب ظرفية بمعنى في اي وصينا الانسان في امر والديه بخير قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون المفعول الثاني في قوله بوالديه وينتصب حسنا بفعل مضمر تقديره

نحسن

نحسن حسنا او ينتصب انتصاب المصدر وفي التحرير حسنا نصب عند البصريين على التكرير
اي وصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا اي بالخير
ويعني بالقطع عن حرف الجر فانتصب وقال اهل الكوفة ووصينا الانسان ان يفعل حسنا
فيقدر له فعل انتهى وفي هذا القول حذف ان وصلتها وابقا المعمول وهو لا يجوز عند البصريين
وقال الزمخشري ووصيناه بايتا والديه حسنا او نايلا والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو
في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا انتهى وهذا التقدير فيه اعمال المصدر
محذوفا وابقا معموله وهو لا يجوز عند البصريين قال الزمخشري ويجوز ان يجعل حسنا من باب
قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيا للضرب فتنصبه باضمار او لهما اذ انقلبهما لان
الوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له فكانه قال قلنا اولهما معروف وقرا عيسى والجحدري
حسنا بفتحتين والجمهور بضم الحا واسكان السين وهما كالبخل والبخل قال ابو الفضل الرازي
وانتصابه بفعل دون التوصية المتقدمة لانها قد اخذت مفعوليها مما مطلقا ومجرورا
فالحسن هنا صفة اقيم مقام الموصوف بمعنى امرا حسنا انتهى اي امرا حسنا حذف امرا واقيم
حسن مقامه وقوله مطلقا عنى به الانسان وفيه تسامح بل هو مفعول به والمطلق انما هو
المصدر لانه مفعول لم يتقيد من حيث التفسير باداة جر بخلاف ساير المفاعيل فانك تقول
مفعول به ومفعول فيه ومفعول معه ومفعول له وفي مصحف ابي احسانا وان جاهداك اي
وقلنا ان جاهداك ما ليس لك به علم اي بالالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي لتشرك
به شيا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما فيما جاهداك عليه من الاشراك الي مرجعكم
شامل للموصي والموصى والمجاهد والمجاهد فانبيكم فاجازيكم بما كنتم تعملون من بر وعقوق
وطاعة او عصيان وكرر تعالى ما رتب للمومنين من دخولهم في الصالحين ليحرك النفوس الي
نيل مراتبهم ومعنى في الصالحين في جملتهم ومرتبة الصلاح شريفة اخبر الله بها عن ابرهيم
وسالها سليمن عليهما السلم واخبر تعالى انه يجعل من اطاع الله ورسوله معهم ويجوز ان يكون
التقدير في ثواب الصالحين وهي الجنة ولما ذكر تعالى ما اعده للمومنين الخلص ذكر حال المنافقين
فانا امنوا بالسنتهم فاذا اذاهم الكفار جعلوا ذلك الاذى وهو فتنة الناس صارفا لهم عن الايمان
كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر وكونها نزلت في منافقين قول ابن زيد وقال الزجاج
جزع كما يجزع من عذاب الله وهذا معنى قول مجاهد والضحاك وقال قتادة فيمن هاجر فردهم
المشركون الي مكة وقيل في مومنين اخرجهم الي بدر المشركون فارتدوا وهم الذين قال فيهم
ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم ولين جا نصر من ربك اي للمومنين ليقولن اي القايلون
اوذينا في الله انا معكم اي متابعون لكم في دينكم او مثقلون معكم ناصرون لكم فاقسمونا فيما حصل
لكم من الغنايم وهذه الجملة المقتسم عليها مظهرة مغالطتهم اذ لو كان ايمانهم صحيحا لصبروا على
اذى الكفار وان كانت فيمن هاجر وكانوا يحتالون في امرهم وركبوا كل هول في هجرهم وقرئ
ليقولن بفتح اللام ذكره ابو معاذ النحوي والزمخشري واعلم افعل تفضيل اي من انفسهم
وبما في صدورهم اي بما تكن صدورهم من ايمان ونفاق وهذا استفهام معناه التقرير
اي قد علم ما انطوت عليه الضماير من خير وشر وليعلمن المنافقين ظاهر في ان ما قبل هذه
الجملة في المنافقين كما قال ابن زيد وعلمه بالمومن وعدله بالثواب وبالمنافق وعيد له
بالعقاب ولما ذكر حال المومنين والمنافقين ذكر مقالة الكافرين قولا واعتقادا وهم روسا
قريش قال مجاهد كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان كان عليكم شي
فهو علينا وقيل قايل ذلك ابو سفين بن حرب وامية بن خلف قال لعمر ان كان في الاقامة
على دين الاباء اثم فنحن نحمله عنك وقيل قايل ذلك الوليد بن المغيرة قال ابن عطية
وقوله ولنحمل اخبرا انهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثقل لكنهم اخرجوه في صيغة الامر
لانها اوجب واشد تاكدا في نفس السامع من المجازاة وهذا نوع قول الشاعر

> فقلت ادعي وادع فان اندى ❊ لصوت ان ينادي داعيان

ولكنه خبر احسن تكذيبهم فيه وقال الزمخشري امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم
التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فخمل الامر على الامر واراد والتجمع هذان

الامران في الحصول ان يتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع
وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان
ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم انتهى وقوله فان عسى كان تركيب اعجمي لا عربي لان ان الشرطية
لا يدخل على عسى لانه فعل جامد ولا يدخل ادوات الشرط على الفعل الجامد وايضا فان عسى
لا يليها كان واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر ولم تستعملها تامة وقرا الحسن وعيسى ونوح
القاري ولنحمل بكسر لام الامر ورويت عن علي وهي لغة الحسن في لام الامر والحمل هنا مجاز
شبه القيام بما يتحصل من عواقب الاثم بالحمل على الظهر والخطايا بالمحمول وقال مجاهد
الحمل هنا من الحمالة لا من الحمل وقرا الجمهور من خطاياهم وقرا داود بن ابي هند فيما
ذكر ابو الفضل الرازي من خطيئتهم على التوحيد قال ومعناه الجنس ودل على ذلك اتصافه
بضمير الجماعة وذكر ابن خالويه وابو عمرو الداني ان داود وهذا قرا من خطياتهم بجمع خطيئة
جمع السلامة بالالف والتاء وذكر ابن عطية عنه انه قرا من خطيهم بفتح الطاء وكسر الياء وينبغي
ان يحمل كسر الياء على انها همزة سهلت بين بين فاشبهت الياء لان قياس تسهيلها هو ذلك
قال الزمخشري فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون
على الوفاء به ومن ضمن شيئا لا يقدر على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه
في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذبين وهذا المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله
حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون
بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا
ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يصدقون الشيء وفي قلوبهم فيه الخلف انتهى
وتقدم من قول ابن عطية ان قوله ولنحمل خبر يعني امر امعناه الخبر وهذان الامران تنزلا
منزلة الشرط والجزاء اذ المعنى ان تتبعوا سبيلنا وحفكم في ذلك اثم على ما تزعمون فنحن
نحمل خطاياكم واذا كان المعنى على هذا كان اخبارا في الجزاء بما لا يطابق فكان كذبا وليحملن
اثقالا لهم اثقال انفسهم من كفرهم ومعاصيهم واثقالا اي اخرى هي اثقال الذين
اغووهم فكانوا سببا في كفرهم ولم يبين من الذين تحملوا اثقاله فامكن اندراج اثقال
المظلوم يحملها الظالم كما جاء في الحديث انه يقتص من الظالم للمظلوم بان يعطى من حسنات
ظالمه فان لم يبق للظالم حسنة اخذ من سيات المظلوم فطرح عليه وفي صحيح مسلم ما معناه
ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه اوزار من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص
ذلك من اوزارهم شيئا وليسئلن يوم القيامة اي سوال توبيخ وتقريع ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها اية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه
ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا
كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا
الخلق ثم الله ينشي النشاة الاخرة ان الله على كل شي قدير يعذب من يشا ويرحم من يشاء
واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
والذين كفروا بايات الله ولقايه اوليك ييسوا من رحمتي واوليك لهم عذاب اليم
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم
يومنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذكر هذه القصة
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من اذى الكفار فذكر ما لقي اول الرسل
وهو نوح من اذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه والواو في
ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة قال ابن عطية والقسم فيها بعيد يعني ان يكون
المقسم به قد حذف وبقي حرفه وجوابه وفيه حذف المجرور وابقا الحرف الجار وحرف الجر

لاتعلق

لا تعلق عن عمله بل لا بد له من ذكره والظاهر انه اقام في قومه هذه المدة المذكورة يدعوهم
الى الله وقال ابن عطية وقد يحتمل ان تكون المدة المذكورة مدة اقامته في قومه من لدن
مولده الى غرق قومه انتهى وليس عندي محتمل لان اللبث متعقب بالفاء الدالة على التعقيب
واختلف في مقدار عمره حين كان بعث وحين مات اختلافا مضطربا متكاذبا تركنا حكايته
في كتابنا وهو في كتب التفسير والاستثنا من الالف استدل على جواز الاستثنا من العدد وفي
كونه ثابتا من لسان العرب خلاف مذكور في النحو وقد عمل الفقها المسايل على جواز ذلك
وغاير بين تمييز المستثنى لان التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة الا اذا كان
لغرض من تفخيم او تهويل او تنويه وكان التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به لان ذكر
راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة
صبره ولازالة التوهم الذي يجي مع قوله تسع مايه وخمسون عاما بان ذلك على سبيل
المبالغة لا التام والاستثنا يرفع ذلك التوهم المجازي وتقدمت قصة نوح باكمل مما هنا
والخلاف في عدد من امن ودخل السفينة والضمير في وجعلناها يحتمل ان يعود على السفينة
وان يعود على الحادثة والقصة وافرد اية وجا بالفاصلة للعالمين لان انجا السفن امر
معهود فالاية انجاوه تعالى اصحاب السفينة وقت الحاجة ولانها بقيت اعواما حتى
مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لهم فناسب ذكر قوله للعالمين وانتصب ابرهيم
عطفا على نوحا قال ابن عطية او على الضمير في فانجيناه وقال هو والزمخشري
بتقدير اذكر وابدل منه اذ بدل اشتمال لان الاحيان يشتمل على ما فيها وقد تقدم لنا ان
اذ ظرف لا تتصرف فلا يكون مفعولا به وقد كثر تمثيل المعربين اذ في القران بان العامل
فيها اذكر واذا كانت ظرفا لما مضى فهو لو كان منصرفا لم يجز ان يكون معمولا لاذكر لان
المستقبل لا يقع في الماضي لا يجوز ثم امس فان كان خلع من الظرفية الماضية وتصرف
فيه جاز ان يكون مفعولا به ومعمولا لاذكر وقرا النخعي وابو جعفر وابو حنيفة وابرهيم
بالرفع اي ومن المرسلين ابرهيم وهذه القصة تمثيل لقريش وتذكير بحال ابرهيم
ابرهيم من رفض الاصنام والدعوى الى عبادة الله وكان نمروذ واهل مدينته عباد اصنام
وقرا الجمهور وتخلقون مضارع خلق افكا بكسر الهمزة وسكون الفا وقرا علي والسلمي
وعون العقيلي وعبادة وابن ابي ليلى وزيد بن علي بفتح التاء والخاء واللام مشددة قال
ابن مجاهد ورويت عن ابن الزبير اصله تتخلقون بتاين فحذفت احداهما على الخلاف
الذي في المحذوفة وقرا زيد بن علي ايضا فيما ذكر الاهوازي تخلقون من خلق المشدد
وقرا ابن الزبير وفضيل بن زرقان افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر مثل الكذب
قال ابن عباس وتخلقون افكا هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا من حيث
يفترون بها الافك في انها الهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر الاوثان وغير ذلك
وقال الزمخشري افكا فيه وجهان احدهما ان تكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك
مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان تكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك
وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركا لله او شفعا اليه وسمى الاصنام
افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك انتهى وهذا الترديد منه في وتخلقون افكا قولان لابن
عباس ومجاهد وقد تقدم لنا نقلهما عنهما وقفهم بقوله لا يملكون لكم رزقا على جهة الاحتجاج
بامر يفهمه عامتهم وخاصتهم فقرر ان الاصنام لا ترزق والرزق يحتمل ان يريد به
المصدر اي لا يملكون ان يرزقوكم شيئا من الرزق واحتمل ان يكون اسم المرزوق اي لا يملكون
لكم ايتاء رزق ولا تحصيله وخص الرزق لمكانته من الخلق ثم امرهم بابتغاء الرزق ممن هو
يملكه ويوتيه ونكر الرزق لان المقصود انهم لا يقدرون على شي منه وعرفه بعد الدلالة
على العموم لانه تعالى عنده الارزاق كلها واشكروا له على نعمه السابقة من الرزق وغيره
واليه ترجعون الى الى جزائه اخبر بالمعاد والحشر ثم قال وان تكذبوا اي ليس هذا منكرا
منكم وقد سبق ذلك من امم الرسل قبلي قوم شيث وادريس وغيرهم وروي ان ادريس
عاش في قومه الف سنة فامن به الف انسان على عدد سنينه وباقيهم على التكذيب

وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة وقرا حمزة والكساي
وابو بكر بخلاف عنه ترو اينا الخطاب وباقي السبعة باليا والجمهور يبدي مضارع ابدا والزبيري
وعيسى وابو عمرو بخلاف عنه يبدا مضارع بدا وقرا الزهري كيف بدا الخلق بتخفيف
الهمزة بابدالها الفا فذهبت في الوصل وهو تخفيف غير قياسي كما قال
فارعي فزارة لا هناك المرتع . وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين وتقريرهم
على روية بدء الخلق في قوله اولم يروا اي فانظروا كيف بدا الخلق انما هو لمشاهدتهم احيا الارض
بالنبات واخراج اشيا من العدم الى الوجود وقوله ثم يعيده معطوفا على يبدي وقوله ثم الله
ينشي ليس داخلا تحت الروية ولا تحت النظر فليس ثم يعيده معطوفا على يبدي ولا ثم
ينشي داخلا تحت كيفية النظر في البدء بل هما جملتان مستانفتان اخبارا من الله تعالى
بالاعادة بعد الموت وقدم ما قبلها تين الجملتين على سبيل الدلالة على امكان ذلك فاذا
امكن ذلك واخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا بعلمه لا شك فيه وقال قتادة اولم
يروا بالدلايل والنظر كيف يجوز ان يعيد الله الاجسام بعد الموت وقال الربيع بن
انس المعنى كيف يبدا الخلق الانسان ثم يعيده الى احوال اخر حتى الى التراب وقال
مقاتل الخلق هنا الليل والنهار وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة هنا وفي النجم والواقعة
على وزن فعالة وباقي السبعة النشاة على وزن فعلة وهما كالرافة والرافة وهما لغتان
والقصر اشهر وانتصابه على المصدر اما على غير الصدر قام مقام الانشا واما على اضمار
فعله اي فتنشئون النشاة وفي الاية الاولى صرح باسمه تعالى في قوله كيف يبدي الله
الخلق ثم اضمره في قوله ثم يعيده وهنا عكس اضمر في بدا ثم ابرزه في قوله ثم الله ينشي
حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه ودل ابرازه هنا على تفخيم النشاة الاخرة وتعظيم
امرها وتقرير وجودها اذ كان نزاع الكفار فيها فكانه قيل ثم ذلك الذي بدا الخلق هو
الذي ينشي النشاة الاخرة فكان التصريح باسمه افخم في اسناد النشاة البدء والاخرة
صفة للنشاة فهما نشاتان نشاة اختراع من العدم ونشاة اعادة ثم ذكر الصفة التي
النشاة هي بعض مقدوراتها ثم اخبر بانه يعذب من يشا اي تعذيبه ويرحم من يشا
رحمته وبدا بالعذاب لان الكلام هو مع الكفار مكذبي الرسل واليه تقلبون اي تردون
وقال الزمخشري ومتعلق المشيين مفسر مبين في مواضع من القران وهو يستوجبهما
من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتايب انتهى وهو على طريقة الاعتزال
وما انتم بمعجزين اي فايتين ما اراد الله بكم في الارض ولا في السما ان حمل السما على العلو
نجا بزا اي في البروج والقلاع الذاهبة في العلو ويكون تخصيصا بعد تعميم او على المظلة
فيحتاج الى تقدير اي لو صرتم فيها ونظيره قول الشاعر وهو الاعشى

ولو كنت في جب ثمانين قامة . ورقيت اسباب السماء بسلم
ليعتورنك القول حتى تهره . وتعلم اني لست فيك بمحرم

وقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض على تقدير لو كنتم فيها
والارض فانفذوا وقال ابن زيد والفرا التقدير ولا من في السما اي يعجز ان عفي
وقال الفرا وهذا من غوامض العربية وانشد قول حسان

فمن يهجو رسول الله منكم . ويمدحه وينصره سواء

اي ومن ينصره وهذا عند البصريين لا يكون الا في الشعر لان فيه حذف الموصول
وابقا صلته وابعد من هذا القول قول من زعم ان التقدير وما انتم بمعجزين من في الارض
من الانس والجن ولا من في السما من الملايكة فكيف تعجزون الله وقرا الجمهور ييسوا
بالهمز والذماري وابو جعفر بغير همز بل بيا بدل الهمزة وهو وعيد اي ياسون يوم
القيامة وقيل من جنتي وقيل من ديني فلا اهديهم وقيل هو وصف بحالهم لان المومن يكون
دايما راجيا خايفا والكافر لا يخطر بباله ذلك شبه حالهم في انتفا رحمته عنهم بحال من
ييس من الرحمة والظاهر ان قوله وان يكذبوا من كلام الله حكاية عن ابرهيم الى قوله
عذاب اليم وقيل هذه الايات اعتراض من كلام الله بين كلام ابرهيم والاخبار عن جواب

قومه

قومه اي وان يكذبوا محمدا او تقدير هذه الجمل اعتراضا يرد على ابي علي الفارسي حيث زعم ان
الاعتراض لا يكون جملتين فاكثر وفايدة هذا الاعتراض انه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث
كان قد ابتلي بمثل ما كان ابوه ابرهيم قد ابتلي من شرك قومه وعبادتهم الاوثان وتكذيبهم اياه ومحاولتهم
قتله وجات الايات بعد الجملة الشرطية مقررة لما جا به الرسول من توحيد الله ودلايله
وذكر اثار قدرته والمعاد فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار
ان في ذلك لايات لقوم يومنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين فامن له
لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه
اينكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل
وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جات رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جات رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا
تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين ولما ان جات رسلنا لوطا انا منزلون على
اهل هذه القرية رجزا من السما بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون
لما امرهم بعبادة الله وبين سفههم في عبادة الاوثان وظهرت حجته عليهم رجعوا الى الغلبة فجعلوا
القايم مقام جوابه فيما امرهم به قولهم اقتلوه او حرقوه والامرون بذلك اما بعضهم لبعض او
كبراوهم قالوا لاتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلا او حرقوه بالنار فاما ان يرجع الى دينكم
اذا امضته النار واما ان يموت بها ان اصر على قوله ودينه وفي الكلام حذف اي حرقوه
في النار فانجاه الله من النار وتقدمت قصته في تحريقه في سورة اقترب للناس حسابهم وجمع هنا
فقال لايات لان الانجا من النار وجعلها بردا وسلاما وان لا يحترق الحبل الذي كانوا اوثقوه به دون
الجسم وان صح ما نقل من ان مكانها كان الرمي صار بستانا انما هو مجموع ايات فناسب الجمع
خلاف الانجا من السفينة فانه اية واحدة وتقدم الكلام على ذلك وفي ذلك اشارة الى خلوصه
من النار بعد الغاية فيها قال كعب لم يحترق بالنار الا الحبل الذي اوثقوه به وجا هنا الترديد
بين قتله واحراقه فقد يكون ذلك من قايلين ناس اشاروا بالقتل وناس بالاحراق وفي اقترب
قالوا حرقوه اقتصروا على احد الشيين وهو الذي فعلوه رموه في النار ولم يقتلوه وقرا
الجمهور جواب بالنصب والحسن وسالم الافطس بالرفع اسما لكان وقرا الحسن وابو حيوة
وابن ابي عبلة وابو عمرو في رواية الاصمعي والاعشى عن ابي بكر مودة بالرفع بينكم بالنصب
فالرفع على خبر ان وما موصولة بمعنى الذي اي ان الاوثان التي اتخذتموها مودة او سبب
مودة او مصدرية اي ان اتخاذكم اوثانا مودة خبر ان وذلك على حذف مضاف اي ان سبب
اتخاذكم اوثانا مودة او على خبر مبتدا اي هي مودة بينكم وما اذ ذاك مهيية وروي عن عاصم
مودة بالرفع من غير تنوين وبينكم بفتح النون جعله مبنيا لاضافته الى مبني وهو موضع خفض
بالاضافة ولذلك سقط التنوين من مودة وقرا ابو عمرو والكساي وابن كثير كذلك الا انه
خفض نون بينكم وقرا ابن عامر وعاصم بنصب مودة منونا ونصب بينكم وحمزة كذلك الا
انه اضاف مودة الى بينكم وخفض كما في قراة من نصب مودة مهيية واتخذ يحتمل ان يكون
مما تعدى الى اثنين والثاني هو مودة اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على حذف المضاف
او اتخذتموها مودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله
او مما تعدت الى واحد وانتصب مودة على انه مفعول له اي ليتوادوا ويتواصلوا ويجتمعوا
على عبادتها كما يجتمع ناس على مذهب فيقع التحاب بينهم وذكروا عن ابن مسعود قراة
شاذة تخالف سواد المصحف مع انه قد روي عنه ما في سواد المصحف بالنقل الصحيح
المستفيض فلذلك لم اذكر تلك القراة ثم يوم القيامة يقع بينكم التلاعن اي يتلاعن
العبدة او يتلاعن العبدة والمعبودون الاصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا وبينكم وفي

الحيوة يجوز تعليقهما بلفظ مودة وعمل في ظرفين لاختلافهما اذ هما ظرفا مكان وزمان ويجوز
ان يتعلقا بمحذوف فيكونان في موضع الصفة اي كاينة بينكم كاينة في الحيوة ويجوز ان يكون
بينكم في موضع الصفة وفي الحيوة في موضع الحال من الضمير المستكن في بينكم المنتقل اليه
من العامل في بينكم واجاز ابو البقا ان تتعلق في الحيوة باتخذتم على جعل ما كافة ونصب مودة
لا على جعل ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية ورفع مودة ليلا يودي الى الفصل بين
الموصول وما في الصلة بالخبر واجاز قوم منهم ابن عطية ان تتعلق في الحيوة بمودة وان يكون
بينكم صفة لمودة وهو لا يجوز لان المصدر اذا وصف قبل اخذ متعلقاته لا يعمل وشبهتهم في هذا
انه يتسع في الظرف بخلاف المفعول به واجاز ابو البقا ان يتعلق بنفس بينكم قال لان
معناه اجتماعكم او وصلكم واجاز ايضا ان يجعله حالا من بينكم قال لتعرفه بالاضافة انتهى
وهما اعرابان لا يتعقلان فامن له لوط لم يومن بابرهيم احد من قومه الا لوط عليه السلم
حين راي النار فلم تحرقه وكان ابن اخيه وسارة وكانت بنت عمه والضمير في وقال عايد على
ابرهيم وهو الظاهر ليتناسق مع قوله ووهبنا له اسحق وهو قول قتادة والنخعي وقالت
فرقة يعود على لوط وهاجر ابرهيم ولوط عليهما السلم من قريتهما كوثى وهي في سواد العراق
من ارض بابل الى فلسطين من ارض الشام وكان ابرهيم ابن خمس وسبعين سنة وهو اول
من هاجر في الله وقال ابن جريج هاجر الى حران ثم الى الشام وفي هجرته هذه كانت
معه سارة والمهاجر التارك من الشي وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضي
الله وعرف بهذا الاسم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون قبل فتح مكة الى
ربي اي الى الجهة التي امرني ربي بالهجرة اليها وقيل الى حيث لا امنع عبادة ربي وقيل وقيل
مهاجر من خالفني من قومي متقربا الى ربي ونزل ابرهيم قرية من ارض فلسطين ونزل لوط
وهي الموتفكة على مسيرة يوم وليلة من قرية ابرهيم عليهما السلم انه هو العزيز الذي لا يذل
من عبده الحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها والضمير في ذريته عايد على ابرهيم النبوة
اسحق ويعقوب وانبيا بني اسرايل واسماعيل ومحمد خاتمهم صلى الله عليهم اجمعين والكتاب
اسم جنس يدخل فيه التوراة والزبور والانجيل والقران واتيناه اجره في الدنيا اي
في حياته قال مجاهد نجاته من النار ومن الملك الجبار والعمل الصالح والثنا الحسن بحيث
يتولاه كل امة وقال ابن جريج والولد الذي قرت به عينه قاله الحسن وقال السدي انه
اري مكانه من الجنة وقال ابن ابي بردة ما وفق له من عمل الاخرة وقال الماوردي بقا ضيافته
عند قبره وليس ذلك لنبي غيره وقيل النبوة والخلة وقيل الصلوة عليه الى اخر الدهر وانتصب
لوطا باضمار اذكر او بالعطف على ابرهيم او بالعطف على ما عطف عليه ابرهيم والجمهور على الاستفهام
في اينكم معا وقري انكم على الخبر والثاني على الاستفهام قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف
واحد بغير يا ورايت الثاني بحرفين اليا والنون ولم يات في قصة لوط انه دعا قومه
الى عبادة الله كما جا في قصة ابرهيم وقصة شعيب لان لوطا كان من قوم ابرهيم وفي زمانه
وسبقه ابرهيم الى الدعاء لعبادة الله وتوحيده واشتهر امره بذلك عند الخلق فذكر لوط
ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها واما ابرهيم وشعيب فجاءا بعد انقراض من كان
يعبد الله فلذلك دعوا الى عبادة الله قال الزمخشري ما سبقكم بها جملة مستانفة مقررة
لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها
اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم قالوا لم ينز ذكر
على ذكر قبل قوم لوط انتهى ويظهر ان ما سبقكم بها جملة حالية كانه قال اتاتون الفاحشة
مبتدعين لها غير مسبوقين بها والاستفهام اولا وثانيا استفهام انكار وتوبيخ وتقريع وبين
ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله اينكم لتاتون الفاحشة وان كانت معينة انها اتيان
الذكور في الادبار بقوله ما سبقكم بها فقال اينكم لتاتون الرجال يعني في الادبار وتقطعون
السبيل اي سبيل الولد بتعطيل الفروج ووطي ادبار الرجال او بامساك الغربا لذلك
الفعل حتى انقطعت الطرق او بالقتل واخذ المال او بقبح الاحدوثة حتى ينقطع سبيل
الناس في التجارات وتاتون في ناديكم اي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه وهو اسم جنس

اذ انديتهم في مدائنهم كثيرة ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يطلق عليه
ناد الا مجازا والمنكر ما تنكره العقول والشرايع والمروات حذف الناس بالحصبا والاستخفاف
بالغريب الخاطر روته ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم او اتيان الرجال في مجالسهم
يري بعضهم بعضا قاله منصور ومجاهد والقاسم بن محمد وقتادة وابن زيد او تضارطهم
وتصافعهم فيها قاله ابن عباس او لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا والصفير والحذف
ونبذ الحيا في جميع امورهم قاله مجاهد ايضا او الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح قاله ابن
عباس ايضا مع شركهم بالله كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة تظالم فيما بينهم وشناعة وتضارط
في مجالسهم وحذف ولعب بالنرد والشطرنج ولبس المصبغات ولباس النسا للرجال
ولبس الرجال للنساء والمكوس على كل عابر وهم اول من لاط ومن سحق ولما وقفهم لوط عليه
السلم على هذه القبايح اصروا على اللجاج في التكذيب فكان جوابهم له ان قالوا ايتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا به من نزول العذاب قالوا ذلك وهم مصممون
على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به وفي اية اخرى الا ان قالوا اخرجوا ال لوط والجمع بينهما
انهم اولا قالوا ايتنا بعذاب الله ثم انه كثر منه الانكار وتكرر ذلك منه نهيا ووعظا ووعيدا
قالوا اخرجوا ال لوط ولما كان انما يامرهم بترك الفواحش وما كانوا يصنعونه من قبيح
المعاصي ويعد على ذلك بالعذاب وكانوا يقولون ان الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه وهو يقول
ان الله حرمه ويعذب عليه قالوا ايتنا بعذاب الله فكانوا الطف في الجواب من قوم
ابرهيم اقتلوه او حرقوه لانه كان يذم من الهتهم وعمد الى اصنامهم فكسرها فكان فعله هذا معهم
اعظم من قول لوط لقومه فكان جوابهم له ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم استنصر لوط عليه السلم
به فبعث ملايكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب وافسادهم بحمل الناس على ما كانوا عليه من المعاصي
طوعا وكرها وخصوصا تلك المعصية المبتدعة بالبشرى هي بشارته بولده اسحق وبنافلته
يعقوب وبنصر لوط على قومه واهلاكهم والقرية سدوم وفيها قيل اجور من قاضي سدوم
كانوا ظالمين اي قد سبق منهم الظلم واستمر في الايام السالفة وهم مصرون وظلمهم كفرهم
وانواع معاصيهم ولما ذكروا لابرهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية اشفق على لوط فقال ان
فيها لوطا ولما عللوا الاهلاك بالظلم قال لهم فيها من هو بري من الظلم قالوا نحن اعلم بمن
فيها اي منك وانجينا له ثم اخبروه بانجايهم اياه واهله الا امراته وقرا حمزة والكساي
لننجينه مضارع انجي وباقي السبعة مضارع نجى والجمهور بشد النون وفرقة بتخفيفها
ولما ان جات رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة الا
انه هنا زيدت ان بعد لما وهو قياس مطرد وقال الزمخشري ان صلة اكدت وجود
الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء
واحد من الزمان كانه قيل لما احس بمجيهم فاجاته المساءة من غير وقت خيفة عليهم
من قومه انتهى وهذا الذي ذكره في الترتيب هو مذهب س ان مذهبه ان لما حرف لا ظرف
خلافا للفارسي وهذا مذكور في علم النحو وقرا العربيان ونافع وحفص منجوك
مشددا وباقي السبعة مخففا والكاف في مذهب س في موضع جر واهلك منصوب على اضمار فعل
اي وننجي اهلك ومن راعي هذا الموضع عطفه على موضع الكاف والكاف على مذهب الاخفش
وهشام في موضع نصب واهلك معطوف عليه لان هذه النون كالتنوين وهما على مذهبهما
يحذفان للطافة الضمير وشده طلبه الاتصال بما قبله وقرا الجمهور رجزا بكسر الرا
واسمها الضم نافع وابن عامر والكساي وقرا عيسى وطلحة سوء بضمها وهي لغة بني هذيل
وبني وبر يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع وقرى منزلون مخففا ومشددا وابن
محيصن رجزا بضم الرا وابو حيوة والاعمش بكسر سين يفسقون والظاهر ان الضمير
في منها عايد على القرية فقال ابن عباس منازلهم الخربة وحكي ابو سليمان الدمشقي
ان الاية في قريتهم الى الان ان اساسها اعلاها وسقوفها اسفلها الى الان وقال الفرا
المعنى تركناها اية يقول ان في السما لاية يريد انها اية انتهى وهذا لا يتجه الا على زيادة

من في الواجب نحو قوله امهوى منها حيثه وتيسا يريد امهوتها وكذلك ولقد تركناها اية وقيل
المعاني منها عايدة على الفعلة التي فعلت بهم فقيل الاية الحجارة التي ادركتها اوايل هذه الامة
قاله قتادة وقيل الما الاسود على وجه الارض قاله مجاهد وقيل البحر ما صنع بهم والقوم متعلق
بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا
تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا
وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا
من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو
كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية
للمومنين اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر
ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون والى مدين اي وارسلنا او بعثنا مما يتعدى
بالى امرهم بعبادة الله والايمان بالبعث واليوم الاخر والامر بالرجا امر بفعل ما يترتب الرجا
عليه اقام المسبب مقام السبب والمعنى وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله او يكون امرا
بالرجا على تقدير تحصيل شرطه وهو الايمان بالله وقال ابو عبيدة وارجوا وخافوا
جزا اليوم الاخر من انتقام الله منكم ان لم تعبدوه وتضمن الامر بالعبادة والرجا انه
ان لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب كذلك جا فكذبوه وجات ثمرة التكذيب وهي فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وتقدم تفسير مثل هذه الجمل وانتصب وعادا وثمودا
باضمار اهلكنا لدلالة فاخذتهم الرجفة عليه وقيل بالعطف على الضمير في فاخذتهم وابعد
الكسائي في عطفه على الذين من قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم وقرا وثمود بغير تنوين
حمزة وشيبة والحسن وحفص وباقي السبعة بالتنوين وقرا ابن وثاب وعاد وثمود
بالخفض فيهما والتنوين عطفا على مدين اي وارسلنا الى عاد وثمود وقد تبين لكم اي ذلك
اي ما وصف لكم من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل
مكة يمرون عليها في اسفارهم وقرا الاعمش مساكنهم بالرفع من غير من فيكون فاعلا
بتبين وزين لهم الشيطان اي بوسوسته واغوايه اعمالهم القبيحة فصدهم عن
السبيل وهي طريق الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين اي في كفرهم لهم به بصر
واعجاب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقيل عقلا يعلمون ان الرسالة
والايات حق ولكنهم كفروا عنادا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقارون معطوف
على ما قبله او منصوب باضمار اذكر فاستكبروا اي عن الاقرار بالصانع وعبادته في الارض
اشارة الى قلة عقولهم لان من في الارض يشعر بالضعف ومن في السما يشعر بالقوة
ومن في السما لا يستكبرون عن عبادة الله فكيف من في الارض وما كانوا سابقين الامم
الى الكفر اي تلك عادة الامم مع رسلهم والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصبا
وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح
وقومه وقال ابن عطية ويشبه ان يدخل قوم عاد في الحاصب لان تلك الريح لابد كانت
تحصبهم بامور موذية والحاصب هو العارض من ريح او سحاب اذا رمي بشي ومنه قول
الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربهم • بحاصب كنديف القطن منثور

ومنه قول الاخطل

ترمي العضاة بحاصب من يلحها • حتى تبيت على العضاة جفالا

العنكبوت حيوان معروف ووزنه فعللوت ويونث ويذكر فمن تذكره قول الشاعر

على هطالهم منهم بيوت • كان العنكبوت هو ابتناها

ويجمع

ويجمع عناكب ويصغر عنيكب شبه تعالى الكفار في عبادتهم الاصنام وبنا وهم امورهم عليها بالعنكبوت
التي تبني وتجتهد وامرها كله ضعيف متى مسته ادنى هامة اوهامة اذهبته فكذلك امر اوليك
وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد وقال الزمخشري الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا
في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت
الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى يعني بقوله
الا ترى الى مقطع التشبيه بما ذكرناه لا من الغرض تشبيه المتخذ من دون الله وليا بالعنكبوت
المتخذة بيتا بالبيت لا تشبيه المتخذ بالعنكبوت والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون
الله وليا بالعنكبوت المتخذة بيتا اي فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله كما ان العنكبوت
لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى بل لو دخلت فيه خرقته ثم بين حال بيتها وانه في غاية
الوهن بحيث لا ينتفع به كما ان تلك الاصنام لا تنفع ولا تجدي شيا البته وقوله لو كانوا
يعلمون ليس مرتبطا بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل احد يعلم ذلك فلا يقال
فيه لو كانوا يعلمون وانما المعنى لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ من الوهن
هذا الغاية لاقلعوا عنه وما اتخذوا الاصنام الهة وقال الزمخشري اذا صح تشبيه
ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان
دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
وكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقايل ان
يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت
تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وجص او نحته من صخر فكما ان اوهن البيوت
اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون انتهى وما ذكره من قوله ولقايل ان يقول الى اخره لا يدل عليه
لفظ الاية وانما هو تحميل للفظ ما لا يحتمله كعادته في كثير من تفسيره وقرا ابو عمرو وسلام
يعلم ما بالادغام والجمهور بالفك والجمهور تدعون بتا الخطاب وابو عمرو وعاصم بخلاف بيا
الغيبة وجوزوا في ما ان تكون مفعولا بيدعون اي يعلم الذين يدعون من دونه من جميع
الاشيا اي يعلم حالهم وانهم لا قدر لهم وان نافية اي لستم تدعون من دونه شيا له بال
ولا قدر فيصلح ان يسمى شيا وان يكون استفهاما كانه قرر على جهة التوبيخ على هذا المعبود
من جميع الاشيا وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم واعتراض بين يعلم وبين قوله
وهو العزيز الحكيم وجوز ابو علي ان تكون استفهاما منصوبا بيدعون ويعلم معلقة فالجملة
في موضع نصب بها والمعنى ان الله يعلم اوثانا تدعون من دونه ام غيرها لا يخفى عليه ذلك
والجملة تاكيد للمثل واذا كانت ما نافية كان في الجملة زيادة على المثل حيث لم يجعل تعالى
ما يدعونه شيا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشي لانه جماد ليس معه
مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيا الا لحكمة
وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفايدتها وكان جهلة قريش يقولون ان
رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا ان الامثال والتشبيهات
طرق الى المعاني المحتجبة فتبرزها وتصورها للفهم كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال
المشرك وحال الموحد والاشارة بقوله وتلك الامثال الى هذا المثل وما تقدم من الامثال
في السور وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق السموات والارض فيه تنبيه على صغر قدر الاوثان التي
عبدوها ومعنى بالحق بالواجب الثابت لا بالعبث واللعب اذ جعلها مساكن عباده وعبرة ودلايل
على عظم قدرته وباهر حكمته والظاهر ان الصلوة هي المعهودة والمعنى من شانها انها اذا هي
اديت على ما يجب من فروضها وسننها والخشوع فيها والتدبر لما يتلو فيها وتقدير المثول
بين يدي الله تعالى ان تنهى عن الفحشا والمنكر وقال ابن عباس والكلبي وابن جريج
وحماد بن ابي سليمن تنهى ما دام المصلي فيها وقال ابن عمر والكلبي وابن جريج الصلوة هنا
القران وقال ابن بحر الصلوة الدعا اي اقم الدعا الى امر الله واما من نراه من المصلين

يتعاطي المعاصي فان صلوته تلك لبيت بالوصف الذي تقدم دفي الحديث ان فتي من الانصار
كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيا من الفواحش والسرقة الا ركبه فقيل فلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ولا يدل اللفظ علي ان كل صلوة تنهي بل المعنى انه يوجد ذلك
فيها ولا يلون علي العموم كما تقول فلان يامر بالمعروف اي من شانه ذلك ولا يلزم منه ان كل
معروف يامر به والظاهر ان اكبر افعل تفضيل فقال عبد الله وسلمان وابو الدرداء وابن
عباس وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقال قتادة وابن زيد اكبر من
كل شي دقيل ولذكر الله في الصلوة اكبر منه خارج الصلوة اي اكبر ثوابا وقيل اكبر من ساير
اركان الصلوة وقيل ولذكر الله نهيه اكبر من نهي الصلوة وقيل اكبر من كل العبادات
وقال ابن عطية وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر علي الاطلاق اي هو الذي ينهي عن
الفحشاء والمنكر والجزء الذي منه في الصلوة ينهي كما ينهي في غير الصلوة لان الانتهاء
لا يكون الا من ذاكر لله مراقبه وثواب ذلك الذكران يذكره الله في ملاء خير من ملائه
والحركات التي في الصلوة لا تاثير لها في النهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب
وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبه اخري وقال الزمخشري يريد
والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الي ذكر الله وانما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله بما تصنعون
من الخير والشر فيجازيكم وفيه وعيد وحث علي المراقبة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به
ومن هولاء من يومن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وما يجحد باياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل انما الايات عند الله
وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري
لقوم يومنون قل كفي بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا
بالباطل وكفروا بالله اوليك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمي لجاءهم العذاب
وليا تينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون واهل الكتاب اليهود والنصاري
الا بالتي هي احسن من الملاطفة في الدعاء الي الله والتنبيه علي اياته الا الذين ظلموا امن
لم يؤد جزيه ونصب الحرب وصرح بان الله ولدا او شريكا او يده مغلولة فالاية منسوخة
في مهادنة من لم يحارب قاله مجاهد او مومنوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي بالموافقة
فيما حدثوكم به من اخبار اوايلهم الا الذين ظلموا من بقي منهم علي كفره وعدا لقريظة والنضير
قاله ابن زيد والاية علي هذا محكمة وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين الاية وقرا الجمهور الا حرف استثناء
وابن عباس الا حرف تنبيه واستفتاح وتقديره الا جادلوهم بالتي هي احسن وقولوا
امنا هذا من المجادلة بالاحسن بالذي انزل الينا وهو القران وانزل اليكم وهو التوراة
والزبور والانجيل وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة كان اهل الكتاب يقرون التوراة
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
اليكم وكذلك اي مثل ذلك الانزال الذي للكتب السابقة انزلنا اليك الكتاب اي القران
فالذين اتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن امن معه ومن هولاء اي من اهل مكة
وقيل فالذين اتيناهم الكتاب اي الذين تقدموا عهد الرسول يومنون به اي بالقران
اذ هو مذكور في كتبهم انه ينزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هولاء اي ممن في عهده
منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون اي من بني اسرايل

وغيرهم

وغيرهم قال مجاهد كان اهل الكتاب يقرون في كتبهم ان محمدا عليه السلام لا يخط ولا يقرا كتابا
فنزلت وما كنت تتلو من قبله اي من قبل نزوله عليك من كتاب اي كتابا ومن زايدة لانها في متعلق
النفي ولا تخطه اي لا تقرا ولا تكتب بيمينك وهي الجارحة التي تكتب بها وذكرها زيادة تصور
لما نفي عنه من الكتابة لما ذكر انزال الكتاب عليه متضمنا من البلاغة والفصاحة والاخبار
عن الامم السابقة والامور المغيبة ما اعجز البشر ان ياتوا بسورة مثله اخذ تحقق كونه
نازلا من عند الله بانه ظهر عن رجل امي لا يقرا ولا يكتب ولا يخالط اهل العلم وظهور هذا
القران المنزل عليه اعظم دليل علي صدقه واكثر المسلمين علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يكتب قط ولم يقرا بالنظر في كتاب وروي عن الشعبي انه قال ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتي كتب واسند النقاش حديثا الي ابي كبشة السلولي انه صلى الله
عليه وسلم انه قرا صحيفة لعيينة بن حصن واخبر بمعناها دفي صحيح مسلم ما ظاهره انه
كتب مباشرة وقد ذهب الي ذلك جماعة منهم ابو ذر عبد بن احمد الهروي والقاضي ابن الوليد
الباجي وغيرهما واشتد نكير كثير من علماء بلادنا علي ابي الوليد الباجي حتي كان بعضهم يسبه
ويطعن فيه علي المنبر وتاول اكثر العلماء ما ورد من انه كتب علي ان معناه امر بالكتابة كما
تقول كتب السلطان لفلان بكذا اي امر بالكتب اذا لارتاب المبطلون اي لو كان يقرا كتابا
قبل نزول القران عليه او يكتب لحصلت الريبة للمبطلين اذ كانوا يقولون حصل ذلك
الذي يتلوه مما قراه قبل وخطه واستحفظه فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهه
واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده والمبطلون اهل الكتاب قاله قتادة
او كفار قريش قاله مجاهد وسموا مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب ولما لم
يكن قاريا ولا كاتبا كان ارتيابهم لا وجه له بل هو اي القران ايات بينات واضحات الاعجاز
في صدور الذين اوتوا العلم اي مستقرة مومن بها محفوظة في صدورهم يتلوها اكثر الامة
ظاهرا بخلاف غيره من الكتب فليس بمعجز ولا يقرا الا من المصحف وجا في صفة هذه الامة
صدورهم اناجيلهم وكونه للقران يويده قراءة عبد الله بل هي ايات وقيل بل هو اي النبي
وامره ايات بينات قاله قتادة وقرا بل هو اية بينة علي التوحيد وقيل بل هو اي كونه
لا يقرا ولا يكتب ويقال جحدته وجحدت به وكفرته وكفرت به قيل والجحود الاول
متعلق بالوحدانية والثاني متعلق بالنبوة وختمت تلك بالكافر ولانه قسيم المومنين في قوله
يومنون به ومن هو لامن يومن وهذه بالظالمين لانه جحد بعد اقامة الدليل علي كون الرسول
صدرمنه القران منزلا عليه وهو امي لا يقري ولا يكتب فهم الظالمون بعد ظهور المعجزة
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه اي قريش وبعض اليهود كانوا يعلمون قريشا مثل هذا
الاقتراح يقولون له الا ياتيكم باية مثل اية موسي من العصا وغيرها وقرا العربيان
ونافع وحفص ايات علي الجمع وباقي السبعة علي التوحيد قل انما الايات عند الله ينزل ايتها
شاء لو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير بما اعطيت من الايات وذكر يحيي بن
جعدة ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكيف قد كتبوا فيها بعض
ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفر بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عن
ما جاء به نبيهم الي ما جاء به غير نبيهم فنزلت اولم يكفهم والذي يظهر انه رد علي الذين قالوا
لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكفهم اية مغنية عن ساير الايات ان كانوا طالبين للحق
غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا تزال معهم
اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد وجودها ويكون في مكان دون مكان
ان في هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة وقيل
اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم بتحقيق ما في ايديهم من
نعتك ونعت دينك وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد بانك
رسول الله فنزلت قل كفي بالله بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغت وانذرت وانكم جحدتم
وكذبتم وهو العالم ما في السموات والارض فيعلم امري وامركم والذين امنوا بالباطل
قال ابن عباس بغير الله وقال مقاتل بعبادة الشيطان وقيل بالصنم ويستعجلونك اي

كفار قريش في قولهم ايتنا بما تعدنا وقول النضر فامطر علينا حجارة وهو استعجال على جهة
التعجيز والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كان يتوعدهم به الرسول والاجل المسمى
ما سماه الله واثبته في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره وقال ابن جبير يوم
القيامة وقال ابن سلام اجل ما بين النفختين وقيل يوم بدر وليأتينهم بغتة اي فجاءة
وهو ما ظهر يوم بدر وفي السنين السبع ثم كرر فعلهم وقبحه واخبران وراهم جهنم
تحيط بهم وانتصب يوم يغشاهم بمحيطة وقرا الكوفيون ونافع ويقول اي الله وباقي
السبعة بالنون نون العظمة او نون جماعة الملائكة وابو البرهسيم بالتاء اي جهنم
كما نسب القول اليها في وتقول هل من مزيد وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة ويقال
مبنيا للمفعول يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة
الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى
به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه
الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما
اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من
حولهم افبالباطل يومنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين اكثر المفسرين ذهبوا الى ان قوله يا عبادي الاية نزلت فيمن
كان مقيما بمكة امروا بالهجرة عنها الى المدينة اي جانبوا اهل الشرك واطلبوا
اهل الايمان وقال ابو العالية سافروا والطلب اولياءه وقال ابن جبير وعطاء ومجاهد
ومالك بن انس الارض التي فيها الظلم والمنكر يترتب فيها هذه الاية ويلزم الهجرة عنها
الى بلد حق وقال مطرف بن الشخير ان ارضي واسعة عدة بسعة الرزق في جميع الارض
وقيل ارض الجنة واسعة اعطيكم وقال مجاهد سافروا الجهاد اعدائه فاياي فاعبدون من
باب الاشتغال اي فاياي اعبدوا فاعبدون وقال الزمخشري فان قلت ما معنى الفاء
في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة
فان لم تخلصوا العبادة في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه
تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص انتهى ويحتاج هذا
الجواب الى تامل فلما اخبر تعالى بسعة ارضه وكان ذلك اشارة الى الهجرة وامر بعبادته
فكان قد يتوهم متوهم انه اذا خرج من ارضه التي نشا فيها لاجل من ظلمها من اهل الكفر
الى دار الاسلام لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم له في ارضه فربما ادى ذلك الى هلاكه
اخبر ان كل نفس لها اجل تبلغه وتموت في اي مكان حل وان رجوع الجمع الى جزائه يوم القيامة
وقرا علي ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول بتاء الخطاب وروي عن عاصم
بياء الغيبة وقرا ابو حيوة ذائقة بالتنوين الموت بالنصب وقرا لنبوئنهم من المباءة وقرا
علي وعبد الله والربيع بن خثيم وابن وثاب وطلحة وزيد بن علي وحمزة والكسائي من
الثواء وبوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوئ المومنين مقاعد للقتال وقد جاء متعديا
باللام قال تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت والمعنى ليجعلن لهم مكان مباءة
اي مرجعا ياوون اليه غرفا اي علالي واما ثوى فمعناه اقام وهو فعل لازم قد دخلت عليه
همزة التعدية فصار يتعدى الى واحد وقد قرئ مشددا اعدي بالتضعيف فانتصب
غرفا اما على اسقاط حرف الجر اي في غرف ثم اتسع فحذف واما على تضمين الفعل معنى التبوئة
فتعدى الى اثنين او شبه الظرف المكاني المختص بالمبهم فوصل اليه الفعل وروي عن ابن

عامر غرفا بضم الراء وقرا ابن وثاب فنعم بالفاء والجمهور بغير فاء الذين صبروا اي على
مفارقة اوطانهم والهجرة وجميع المشاق من امتثال الاوامر واجتناب المناهي وعلى ربهم
يتوكلون هذان جماع الخير كله الصبر وتفويض الامور الى الله تعالى ولما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة خافوا الفقر فقالوا لو اغربنا في بلاد لا دار لنا فيه ولا
عقار ولا من يطعم فمثل لهم باكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروي في رزقها ولا تحمل
رزقها من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر في ادخارها قاله مجاهد وابو مجلز وعلي بن الاقمر والادخار
جاء في الحديث حديث كيف بك اذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبون رزق سنة
لضعف اليقين قيل ويجوز ان يكون من الحمالة اي لا يتكفل لنفسها ولا تروي وقال
الحسن لا يحمل رزقها لا تدخر انما تصبح فيرزقها الله وقال ابن عباس لا يدخر الا الادمي
والنمل والفارة والعقعق وقيل البلبل يحتكر في حضنيته ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها
وانتفاء حملها لرزقها اما لضعفها وعجزها عن ذلك واما لكونها خلقت لا عقل لها فيفكر بما
تخبؤه للمستقبل الله يرزقها اي على ضعفها واياكم اي على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيل
في تحصيل المعيشة ومع ذلك فرازقكم هو الله وهو السميع لقولكم نخشى الفقر العليم بما
انطوت عليه ضمائركم ثم اعقب تعالى ذلك باقرارهم بان مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله
واتبع ذلك ببسط الرزق وضيقه فقال الله يبسط الرزق لمن يشاء اي ان يبسطه ويقدر
لمن يشاء ان يقدره والضمير في له ظاهره العود على من يشاء فيكون ذلك لواحد يبسط له في وقت
ويقدر في وقت ويجوز ان يكون الضمير عايدا عليه في اللفظ والمراد لمن يشاء اخر فصار نظير
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره اي من عمر معمر اخر وقولهم عندي درهم ونصفه اي ونصف
درهم اخر فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق وقرا علقمة الحمصي ويقدر
بضم الياء وفتح القاف وشد الدال عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولما اخبر بانهم مقرون
بان موجد العالم ومسخر النيرين ومحيي الارض بعد موتها هو الله كان ذلك الاقرار ملزما
لهم ان رازق العباد انما الله هو المتكفل به وامر رسوله بالحمد له تعالى لان في اقرارهم
توحيد الله بالابداع ونفي الشركاء عنه في ذلك وكان ذلك حجة عليهم حيث اسند واذلك
الى الله وعبدوا الاصنام بل اكثرهم لا يعقلون حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي
ويعبدون غيره وما هذه الحيوة الدنيا الاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لامرها
وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة اي ما هي في سرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها
الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون والحيوان والحيوة بمعنى واحد وهو عند الخليل
وسيبويه مصدر حيي والمعنى لهي دار الحيوة اي المستمرة التي لا تنقطع قال مجاهد لا موت فيها
وقيل الحيوان الحي وكانه اطلق على الحي اسم المصدر وجعلت الدار الاخرة حيا على المبالغة
بالوصف بالحيوة وظهور الواو في الحيوان وفي حيوة علم لرجل استدل به من ذهب الى ان لام
الكلمة لامها ياء زعم ان ظهور الواو في حيوان وحيوة بدل من ياء شذوذا وجواب لو محذوف
اي لو كانوا يعلمون لم يرثوا دار الفناء عليها وجاء بناء مصدر حيي على فعلان لانه يدل على الحركة
والاضطراب كالغليان والنزوان واللهبان والجولان والطوفان والحي كثير الاضطراب
والحركة فهذا البناء فيه لكثرة الحركة ولما ذكر تعالى انهم مقرون بالله اذا سئلوا عن خلق
العالم ومن نزل من السماء ماء ذكر ايضا حالة اخرى ترجعون فيها الى الله ويقرون بانه هو
الفاعل لما يريد وذلك حين ركوب البحر واضطراب امواجه واختلاف رياحه وقال الزمخشري
فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من
امرهم معناه على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المومنين حيث لا يذكرون الا الله ولا هم
يدعون مع الله اخر وفي مخلصين ضرب من التهكم انتهى واذا هم يشركون جواب لما اي فاجاءه
التنجية اشراكهم بالله اي لم يتاخر عنها ولا وقتا والظاهر في ليكفروا انها لام كي وعطف عليه
وليتمتعوا في قراءة من كسر اللام وهم العربيان ونافع وعاصم والمعنى عادوا الى شركهم
ليكفروا اي الحامل لهم على الشرك هو كفرهم بما اعطاهم الله تعالى وتلذذهم بما متعوا به

من عرض الدنيا بخلاف المومنين فانهم اذا نجوا من مثل تلك الشدة كان ذلك جالب شكر لله تعالى وطاعة له مزدادة وقيل اللام في ليكفروا وليتمتعوا لام الامر ويويده قراة من سكن لام وليتمتعوا وهم ابن كثير والاعمش وحمزة والكسائي وهذا الامر على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية انتهى والتخلية والخذلان من الفاظ المعتزلة وقرا ابن مسعود فتمتعوا فسوف تعلمون بالتا فيهما اي قيل لهم تمتعوا فسوف تعلمون وكذا في مصحف ابي وقرا ابو العالية فيمتعوا باليا مبنيا للمفعول ومن قرا وليتمتعوا بسكون اللام وكان عنده اللام في ليكفروا لام كي قالوا وعاطفة كلاما على كلام لا عاطفة فعل على فعل وحكى ابن عطية عن ابن مسعود لسوف تعلمون باللام ثم ذكرهم تعالى بنعمه حيث اسكنهم بلدة امنوا فيها لا يغزوهم احد ولا يستلب منهم مع كونهم قليلي العدد قارين في مكان لا زرع فيه وهذه من اعظم النعم التي كفروها وهي نعمة لا يقدر عليها الا الله تعالى وقرا الجمهور يومنون ويكفرون باليا فيهما وقرا السلمي والحسن بتا الخطاب فيهما وافتراوهم الكذب زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بالحق كفرهم بالرسول والقران وفي قوله لما جاه اشعار بانهم لم يتوقفوا في تكذيبه وقت مجي الحق لهم بخلاف العاقل فانه اذا بلغه خبر نظر فيه وفكر حتى يبين له اصدق هو ام كذب والبيس تقرير لمقامهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر اي مثواهم والذين جاهدوا فينا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمتعلق ليتناول المجاهدة في النفس الامارة بالسو والشيطان واعدا الدين وما ورد من اقوال العلما فالمقصود بها المثال قال ابن عباس جاهدوا اهواهم في طاعة الله وشكر الايه والصبر على بلايه لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقال السدي جاهدوا فينا بالثبات على الايمان لنهدينهم سبلنا الى الجنة وقال ابو سليمن الداراني جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وقيل جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة وقال ابن عباس المحسنين الموحدين وقال غيره المجاهدون وقال عبد الله ابن المبارك من اعتاصت عليه مسالة فليسال اهل الثغور عنها كقوله تعالى لنهدينهم سبلنا والذين مبتدا خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لنهدينهم وبهذا ونظيره رد على ابي العباس ثعلب في منعه ان تقع جملة القسم والمقسم عليه خبرا للمبتدا ونظيره والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويوميذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاي ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساوا السواى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزون الله يبدو الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركايهم شفعا وكانوا بشركايهم كافرين ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقا الاخرة فاوليك في العذاب محضرون هذه السورة مكية قال ابن عطية وغيره بلا خلاف وقال الزمخشري الا قوله فسبحان الله وسبب نزولها ان كسرى بعث جيشا الى الروم وامر عليهم رجلا واختلف النقلة في اسمه فسار اليهم باهل فارس وظفر

وقتل

وقتل وخرب وقطع زيتونهم وكان التقاوهم باذرعات وبصرى وكان قد بعث قيصر رجلا اميرا على الروم وقال مجاهد التقت بالجزيرة وقال السدي بارض الاردن وفلسطين فشق ذلك على المسلمين لكونهم مع الروم اهل كتاب وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا باهل كتاب واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من مشركي قريش زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك فقال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فاتفقوا ان جعلوا بضع سنين ثلث قلايص واخبر ابو بكر رسول الله بذلك فقال هلا احتطت فارجع فزدهم في الاجل والرهان فجعلوا القلايص ماية والاجل تسعة اعوام فظهرت الروم على فارس في السنة السابعة وكان ممن راهن ابي بن خلف فلما اراد ابو بكر الهجرة طلب منه ابي كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ومات ابي من جرح جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجا به الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وسبب ظهور الروم ان كسرى بعث الى شهربراز وهو الذي ولاه على محاربة الروم ان اقتل اخاك فرخان لمقالة قالها وهي قوله لقد رايتني جالسا على سرير كسرى فلم يقتله فبعث الى فارس اني عزلت شهربراز ثلث صحايف من كسرى يامره بقتل فرخان قال وراجعته في امرك مرارا ثم تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم فتعاونا على كسرى فغلبت الروم فارس وجا الخبر ففرح المومنين وكان ذلك من الايات البينات الشاهدة بصحة النبوة وان القران من عند الله لانها انبا من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرا علي وابو سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر ومعاوية بن قرة والحسن غلبت الروم مبنيا للفاعل سيغلبون مبنيا للمفعول والجمهور مبنيا للمفعول سيغلبون مبنيا للفاعل وتاويل ذلك على ما فسره ابن عمر ان الروم غلبت على ادنى ريف الشام يعني بالريف السواد وجا كذلك عن عثمن وتاوله ابو حاتم على ان الروم غلبت يوم بدر فقرر ذلك على كفار قريش وسر المسلمون وبشر الله عباده بانهم سيغلبون في بضع سنين انتهى فيكون قد اخبر عن الروم بانهم قد غلبوا وبانهم سيغلبون فيكون عليهم مرتين قال ابن عطية والقراة بضم الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون بضم اليا وفي هذه القراة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات انتهى وقوله واجمعوا ليس كذلك الا ترى ان الذين قروا غلبت بضم الغين هم الذين قروا سيغلبون بضم اليا وفتح اللام وليست هذه مخصوصة بابن عمر وقرا الجمهور غلبهم بفتح الغين واللام وعلي وابن عمر ومعاوية بن قرة باسكانها والقياس على ابي عمر وغلابهم على وزن كتاب والروم طايفة من النصارى وادنى الارض اقربها فان كانت الوقعة في اذرعات فهي ادنى الارض بالنظر الى مكة وهي التي ذكرها امرو القيس في قوله • تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال • وان كانت بالجزيرة فهي ادنى بالنظر الى ارض كسرى فان كانت بالاردن فهي ادنى الى ارض الروم وقرا الكلبي في اداني الارض وتقدم الكلام في مدلول البضع في سورة يوسف عليه السلم والغلب والغلب والغلاب مصادر ويختلف ما اضيف اليه المصدر باعتبار القراتين ففي غلبت بضم الغين يكون مضافا للمفعول وبالفتح يكون مضافا للفاعل ويكون المعنى سيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضا هذه المدة التي هي اقصى مدلول البضع اخذ المسلمون في جهاد الروم وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يحكي عن ابي الحكم بن برجان انه استخرج من قوله تعالى الم غلبت الروم الى قوله في بضع سنين افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وان ابن برجان مات قبل الوقت الذي كان عينه للفتح وانه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه ابو الحكم وكان ابو جعفر يعتقد في ابي الحكم هذا انه كان يتطلع على اشيا من المغيبات يستخرجها من كتاب الله لله الامر اي انفاذ الاحكام وتصريفها على ما يريد وقرا الجمهور من قبل ومن بعد بضمهما اي من قبل غلبة الروم ومن بعدها ولما كانا مضافين

الى معرفة وحذفت بنيا على الضم والكلام على ذلك مذكور في علم النحو وقرا ابو السمال
والجحدري وعون العقيلي من قبل ومن بعد بالكسر والتنوين فيهما قال الزمخشري على
الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا انتهى وقال
ابن عطية ومن العرب من يقول من قبل ومن بعد بالخفض والتنوين قال الفرا ويجوز
ترك التنوين فيبقى كما هو في الاضافة وان حذف المضاف انتهى وانكر النحاس ما قال الفرا
ورده وقال للفرا في كتابه في القران اشيا كثيرة الغلط منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن بعد
وانما يجوز من قبل ومن بعد على انهما نكرتان والمعنى من متقدم ومن متاخر وحكى الكسائي
عن بعض بني اسد لله الامر من قبل ومن بعد الاول مخفوض منون والثاني مضموم بلا
تنوين والظاهر ان يومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة
اي ويوم اذ غلبت الروم فارس يفرح المومنون وعلى هذا المعنى فسره المفسرون وقيل
ويومئذ عطف على من قبل ومن بعد كانه حصر الازمنة الثلثة الماضي والمستقبل والحال
ثم ابتدا الاخبار يفرح المومنون بالنصر وبنصر الله اي الروم على فارس وبنصر الله اي
الروم على فارس والمسلمين على عدوهم او في ان صدق ما قاله الرسول من ان الروم
ستغلب فارس او في ان سلط بعض الظالمين على بعض حتى تفانوا وتناكصوا احتمالات
وفي الحديث فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعدها ابدا والروم ذات القرون
كلما ذهب قرن خلف قرن الى اخر الابد وقال ابن عباس يوم بدر كانت هزيمة عبدة
الاوثان وعبدة النيران وقال معناه ابو سعيد الخدري وقيل ورد الخبر يوم الحديبية
بوفاة كسرى ففرح المسلمون بحرب المشركين ولموت عدو لهم في الارض متمكن وهو العزيز
بانتقامه من اعدايه الرحيم لاوليايه وانتصب وعد الله على انه مصدر موكد لمضمون
الجملة التي تقدمت وهو قوله سيغلبون وقوله يفرح المومنون ولكن اكثر الناس هم
الكفار من قريش وغيرهم لا يعلمون نفى عنهم العلم النافع للاخرة وقد اثبت لهم باحوال
الدنيا قيل والمعنى لا يعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لا يخلفه وانما يورده
نبيه صلى الله عليه وسلم حق يعلمون ظاهرا اي نفيا اي ما ادته اليهم حواسهم فكان علومهم
انما هي علوم البهايم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه ما فيه الظهور والعلو
في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال والفلاحات ونحو هذا وقالت
فرقة معناه ذاهبا زايلا اي يعلمون امور الدنيا التي لا بقا لها ولا عاقبة وقال الهذلي

وعيرها الواشون اني احبها • وتلك شكاة ظاهر عنك عارها •

اي زايل وقال ابن جبير ظاهرا اي ما يعلمون من قبل الكهنة مما يسترقه الشياطين وقال
الرماني كل ما يعلم باوايل الروية فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن وقال
الزمخشري يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله
بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين
وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا
وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها
انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وهم الثانية توكيد
لهم الاولى او مبتدا وفي اظهارهم على اي الوجهين كانت تنبيه على غفلتهم التي صاروا ملتبسين
بها لا ينفكون عنها وفي انفسهم معمول ليتفكروا اما على تقدير مضاف اي في خلق انفسهم
ليخرجوا من الغفلة فيعلموا انهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فقط وليستدلوا بذلك
على الخالق المخترع ثم اخبر عقب هذا بان الحق هو السبب في خلق السموات والارض
واما على ان يكون في انفسهم ظرفا للفكرة في خلق السموات والارض فيكون في انفسهم
توكيدا لقوله يتفكروا كما تقول ابصر بعينيك واسمع باذنيك وقال الزمخشري
في هذا الوجه كانه قال اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من
الفكر والفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقد
في قلبك واضمره في نفسك وقال ايضا يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فكره

وما خلق الله متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل
معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه انتهى والدليل هو قوله اولم يتفكروا وقيل اولم يتفكروا
متصل بما بعده ومثله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ومثله وظنوا ما لهم من محيص فيكون
في معنى العلم كانه قال اولم يتفكروا ويعلموا بهم فيعلموا انتهى ويجوز ان تكون تتفكروا هنا
معلقة ومتعلقها الجملة من قوله ما خلق الى اخرها وفي انفسهم ظرف على سبيل التاكيد
لان الفكر لا يكون الا في النفس كما ان الكتابة لا يكون الا باليد وبالحق في موضع الحال
اي وهي ملتبسة بالحق مقترنة به وبتقدير اجل مسمى لا بد لها ان تنتهي اليه وهو قيام
الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والمراد بلقاء ربهم الاجل
المسمى وقال ابن عطية الا بالحق اي بسبب المنافع التي هي حق واجب يريد من الدلالة
عليه والعبادة له دون فتور والانتصاب للعبرة ومنافع الارزاق وغير ذلك واجل
عطف على الحق اي وباجل مسمى وهو يوم القيامة ففي الاية اشارة الى البعث والنشور
وفساد بنية هذا العالم ثم اخبر عن كثير من الناس انهم كفرة بذلك المعنى
فعبر عنها بلقاء الله لان لقاء الله هو عظم الامر وفيه النجاة والهلكة انتهى وقال ابو
عبد الله الرازي قدم هنا دلايل الانفس على دلايل الافاق وفي سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم دلايل الافاق على دلايل الانفس وحكمة ذلك ان المفيد يذكر الفايدة على وجه
يختارها فان فهمت والا انتقل الى الابين والمستفيد يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى الاخفى
وفي اولم يتفكروا بفعل مسند الى السامع فبدا بما يفهم اولا ثم بما يرتقي اليه ثانيا وفي
سنريهم اسند الى المفيد فذكر اولا الافاق فان لم يفهموا فالانفس اذ لا ذهول
للانسان عن دلايلها بخلاف دلايل الافاق فانه قد يذهل عنها وهذا مراعى في الذين يذكرون
الله قياما الاية بدا باحوال الانفس ثم بدلايل الافاق وقال ايضا هنا وان كثيرا
وقيل ولكن اكثر الناس وذلك انه هنا ذكر كثيرا بعد ذكر الدلايل الواضحة وهما اولم
يتفكروا في انفسهم وما خلق الله والايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبله فبعد ذكر
الدليل لا بد ان يومن ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الا كثير انتهى وفيه تلخيص ولا يتم كلامه
الاول الا اذا جعل في انفسهم محلا للتفكر وجعل ما خلق ايضا محلا ثانيا اولم يسيروا
في الارض هذا تقرير توبيخ اي قد ساروا ونظروا الى ما حل بمن كان قبلهم من مكذبي الرسل
ووصفهم لهم من الشدة واثارة الارض وعمارتها وانهم اقوى منهم في ذلك قال مجاهد
واثاروا الارض حرثوها وقال الفرا قلبوها للزراعة وقال غيره ما قلبوا وجه الارض
لاستنباط المياه واستخراج المعادن والقا البذر فيها للزراعة والاثارة تحريك الشي
حتى يرتفع ترابه وقرا ابو جعفر واثاروا الارض بمدة بعد الهمزة وقال ابن
مجاهد ليس بشي وخرجه ابو الفتح على الاشباع كقوله • • •

• ومن ذم الزمان بمنتزاح • وقال من ضرورة الشعر ولا يجي في القران وقرا
حيوة واثروا من الاثرة وهو الاستبداد بالشي وقرى واثروا الارض اي ابقوا منها اثارا
وعمروها من العمارة اي بقاوهم فيها اكثر من بقا هولا او من العمران اي سكنوا فيها
او من العمارة قال الزمخشري اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد
غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم
في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا
ضعاف القوى فما كان الله ليظلمهم قبله محذوف اي فكذبوهم فاهلكوا وقرا الحرميان
وابو عمرو ثم كان عاقبة بالرفع اسما لكان وخبرها السوى وهو تانيث الاسوا افعل من السو
وان كذبوا مفعول من اجله متعلق بالخبر لا باساوا لان فيه الفصل بين الصلة ومتعلقها بالخبر
وهو لا يجوز والمعنى ثم كان عاقبتهم فوضع المظهر موضع المضمر السواى اي العقوبة التي
هي اسوا العقوبات في الاخرة وفي جهنم ويجوز ان تكون السواى مصدرا على وزن فعلى
كالرجعى وتكون خبرا ايضا ويجوز ان تكون مفعولا لاساوا وبمعنى اقترحوا او صفة مصدر

محذوف اي الاساءة السوأى ويكون خبر كان ان كذبوا وقرا الاعمش والحسن السوي
بابدال الهمزة واوا وادغام الواو فيها كقراءة من قرا بالسو بالادغام في يوسف وقرا
ابن مسعود السوء بالتذكير وقرا الكوفيون وابن عامر عاقبة بالنصب خبر كان والاسم
السوأى او السوأى مفعول وان كذبوا الاسم وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ان
بمعنى اي تفسير الاساءة للتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب ووجه
اخر وهو ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايات وان
كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادوه الابهام انتهي وكون
ان هنا حرف تفسير متكلف جدا واما قوله الخطايات فهكذا هو في النسخة التي طالعناها
جمع جمع التكسير بالالف والتا وذلك لا ينقاس انما يقتصر فيه على مورد السماع ولا
يبعد ان يكون زيادة التا في الخطايات من الناسخ واما قوله وان كذبوا عطف بيان
لها اي للسوأى وخبر كان محذوف الى اخره فهذا فهم اعجمي لان الكلام مستقل في غاية
الحسن بلا حذف فيتكلف له محذوف لا يدل دليل عليه واصحابنا لا يجيزون حذف خبر
كان واخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا الا ان ورد منه شي فلا ينقاس عليه وقرا عبد
الله وطلحة يبدي بضم اليا وكسر الدال والجمهور بفتحهما وابو عمرو يرجعون بيا
الغيبة والجمهور بتا الخطاب اي الى ثوابه وعقابه والجمهور يبلس بكسر اللام وعلي
والسلمي بفتحها من ابلسه اذا اسكته والجمهور ولم يكن باليا وخارجة والادبس كلاهما
عن نافع وابن سنان عن ابي جعفر والانطاكي عن شيبة بتا التانيث من شركائهم من
الذين عبدوهم من دون الله وهي الاوثان واضيفوا اليهم لانهم اشركوهم في اموالهم
وقيل لانهم اتخذوها بزعمهم شركاء الله وقال مقاتل المراد بهم الملائكة شفعاء لله هو
كما زعموا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا امثاله ويكونون اي عند معاينتهم
امر الله وفناء حال الاصنام عبر بالماضي لتيقن الامر وصحة وقوعه وكتب السواى بالف
قبل اليا كما كتبوا علموا بني اسرائيل بوا وقبل الالف والتنوين في يومئذ تنوين عوض
من الجملة المحذوفة اي ويوم تقوم الساعة يوم اذ يبلس المجرمون والضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه قاله الزمخشري ويظهر انه عائد على ما قبله
اذ قبله الله يبدؤا الخلق ثم يعيده قال قتادة هي فرقة لا اجتماع بعدها في روضة
الروضة الارض ذات النبات والماء وفي المثل احسن من بيضة في روضة يريدون
بيض النعامة والروضة مما تعجب العرب وقد اكثروا من مدحها في اشعارهم يحبرون
يسرون حبره سره سرورا تهلل له وجهه وظهر له اثره يحبر بالضم حبرا وحبرة وحبورا
وفي المثل امتلأت بيوتهم حبرة فهم ينتظرون العبرة وحكى الكسائي حبرته اكرمته ونعمته
وقال علي بن سليمان مؤمن قولهم على اسنانه حبرة اي اثر اي ضر عليهم اثر النعمة وقيل من
التحبير وهو التحسين اي يحسنون ويقال فلان حسن الحبر والسبر بالفتح اذا كان جميلا حسن
الهيئة وما فسر به الحبور هو على سبيل التمثيل قال قتادة ينعمون وقال ابن عباس
والضحاك ومجاهد يكرمون وقال يحيى بن ابي كثير والاوزاعي ووكيع يسمعون الاغاني
وقال ابو بكر بن عياش يتوجون على رؤوسهم وقال ابن كيسان يحلون ومعنى محضرون مجموعون
له لا يغيب احد منه عنه لقوله وما هم بخارجين منها وجا في روضة منكرا وفي العذاب معرفا
قال الزمخشري والتنكير لابهام امرها وتفخيمه وجا يحبرون بالفعل المضارع لاستعماله
التجدد لانهم كل ساعة ياتيهم ما يسرون به من متجددات الملاذ وانواعها المختلفة وجاء
محضرون باسم الفاعل لاستعماله للثبوت فهم اذا دخلوا العذاب يبقون فيه محضرين
فهو وصف لازم لهم فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان
في ذلك لايات لقوم يتفكرون ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم

ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد
موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون لما بين تعالى عظيم قدرته في خلق السموات والارض
بالحق وهو حالة ابتدا العالم وفي مصيرهم الى الجنة والنار وهي حالة الانتهاء امر تعالى
بتنزيهه من كل سوء والظاهر انه امر عباده بتنزيهه في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من
النعم ويحتمل ان يكون كناية عن استغراق زمان العبد وهو ان يكون ذاكرا ربه واصفه بما
يجب له على كل حال وقال الزمخشري لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى
الوعد وينجي من الوعيد وقيل المراد هنا بالتسبيح الصلوة فعن ابن عباس وقتادة المغرب
والصبح والعصر والظهر واما العشا ففي قوله وزلفا من الليل وعن ابن عباس الخمس
وجعل حين تمسون شاملا للمغرب والعشا وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين
الوقتين ومعناه ان الحمد واجب على اهل السموات واهل الارض وكان الحسن يذهب الى
ان هذه الاية مدنية لانه كان يقول فرضت الخمس بالمدينة وقال الاكثرون بل
فرضت بمكة وفي التحرير اتفق المفسرون على ان الخمس داخلة في هذه الاية وعن ابن عباس
ما ذكرت الخمس الا فيها وقدم الامسا على الاصباح لان كلا منهما يعقب بما قابله فالعشي يعقبه
الامسا والاصباح يعقبه الاظهار ولما لم يتصرف من العشي فعل لا يقال اعشى كما يقال امسى
واصبح واظهر جاء التركيب وعشيا وقرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون بتنوين
حين فالجملة صفة حذف منها العايد تقديره تمسون فيه وتصبحون فيه ولما ذكر الابدا
والاعادة ناسب ذكره يخرج الحي من الميت وتقدم الكلام على هذه الاية في ال عمران وكذلك
اي مثل ذلك الاخراج والمعنى تساوي الابدا والاعادة في حقه تعالى وقرا الجمهور
تخرجون بالتا المضمومة مبنيا للمفعول وابن وثاب وطلحة والاعمش بفتح تا الخطاب
وضم الرا ثم ذكر تعالى اياته من بدء خلق الانسان اية اية الى حين بعثه من القبر فقال ومن
اياته ان خلقكم من تراب جعل خلقهم من تراب حيث كان خلق اباهم ادم من تراب وتنتشرون
تتصرفون في اغراضكم واسفاركم واذا للمفاجاة ولما كان بين الخلق وبين الانتشار دون
اخر كان العطف بثم المقتضية المهلة والتراخي ونبه تعالى على عظيم قدرته بخلق الانسان
من تراب وهو ابعد الاشيا عن درجة الاحياء لانه بارد يابس والحيوان بالحرارة والرطوبة
وكدر والروح نير وثقيل والروح خفيف وساكن والحيوان متحرك الى الجهات الست
فالتراب ابعد من قبول الحيوة من ساير الاجسام من انفسكم فيها قولا وخلق منها زوجها اما
كون حوا خلقت من ضلع ادم واما من جنسكم ونوعكم وعلل خلق الازواج بالسكون اليها
وهو الالف فمتى كان من الجنس كان بينهما تالف بخلاف الجنسين فانه يكون بينهما التنافر
وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني ادم ويقال سكن اليه مال ومنه السكن فعل
بمعنى مفعول مودة ورحمة اي بالازدواج بعد ان لم يكن سابقة تعارف توجب التواد
وقال مجاهد والحسن وعكرمة المودة النكاح والرحمة الولد كنى بذلك عنهما وقيل
مودة للشابة ورحمة للعجوز وقيل مودة للكبير ورحمة للصغير وقيل هما اشتباك الرحم
وقيل المودة من الله والبغض من الشيطان واختلاف السنتكم اي لغاتكم فمن اطلع على
لغات راى من اختلاف تراكيبها وقوانينها مع اتحاد المدلول عجايب وغرايب في المفردات
والمركبات وعن وهب ان الالسنة اثنان وسبعون لسانا في ولد حام سبعة عشر وفي ولد
سام تسعة عشر وفي ولد يافث ستة وثلثون وقيل المراد باللغات الاصوات والنغم
وقال الزمخشري الالسنة اللغات واجناس النطق واشكاله خالف عز وجل بين هذه
الاشيا حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله انتهى
والوانكم السواد والبياض وغيرهما او الانواع والضروب بتخطيط الصور ولولا ذلك
الاختلاف لوقع الالتباس وتعطلت مصالح كثيرة من المعاملات وغيرها وفيه اية بينة

حيث فرعوا من اصل واحد وتباينوا في الاشكال على كثرتهم وقرا الجمهور للعالمين بفتح
اللام لانها في نفسها اية منصوبة للعالم وقرا حفص وحماد بن شعيب عن ابي بكر وعصمه عن
عاصم ويونس عن ابي عمرو بكسر اللام لان المنتفع بها انما هم اهل العلم كقوله وما يعقلها الا
العالمون والظاهر ان بالليل والنهار متعلق بمنامكم فامتن تعالى بذلك لان النهار
قد يقام فيه وخصوصا من كان مشتغلا في حوايجه بالليل وابتغاوكم من فضله اي فيهما اي
في الليل والنهار معا لان بعض الناس قد يبتغي الفضل بالليل كالمسافرين والحراس بالليل
وغيرهم وقال الزمخشري هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاوكم بالليل
والنهار ولانه فصل بين القرينتين الاولتين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان
والواقع فيه كشي واحد مع اعانة اللف على ذلك ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاوكم
من فضله فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران
وقال ابن عطية وقال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتاخير وهذا ضعيف وانما
اراد ان ترتب النوم لليل والابتغاء للنهار ولفظ الاية لا يعطي ذلك ومن اياته يريكم البرق
خوفا اما ان يتعلق من اياته بيريكم فيكون في موضع نصب ومن لابتدا الغاية ويكون يريكم
على اضمار ان كما قال الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى برفع احضر والتقدير ان
احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل وليس هذا من المواضع التي يحذف منها ان قياسا او على
انزال الفعل منزلة المصدر من غير ما يسبك له كما قال الخليل في قوله اربد لا سيحيها
اي ارادني لا سيحيها فيكون التقدير في هذين الوجهين ومن اياته ارايته اياكم البرق
فمن اياته في موضع رفع على انه خبر المبتدا وقال الرماني يحتمل ان يكون التقدير ومن
اياته اية يريكم البرق بها وحذف لدلالة من عليها كما قال الشاعر •

• وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •

اي فمنهما تارة اموت ومن على هذه الاوجه الثلثة للتبعيض وانتصب خوفا وطمعا على
انهما مصدران في موضع الحال اي خايفين وطامعين وقيل مفعول من اجله وقاله
الزجاج واجازه الزمخشري على تقدير ارادة خوف وطمع فيتحد الفاعل في العامل
والمحذوف ولا يصح ان يكون العامل يريكم لاختلاف الفاعل في العامل والمصدر وقال
الزمخشري المفعولون فاعلون في المعنى لانهم راوون فكانه قيل يجعلكم رايين
البرق خوفا وطمعا انتهى وكونه فاعلا قبل همزة التعدية لا يثبت له حكمه بعدها على ان
المسئلة فيها خلاف مذهب الجمهور اشتراط اتحاد الفاعل ومن النحويين من لا
يشترط ذلك ولو قيل على مذهب من يشترطه ان التقدير يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا
فحذف العامل للدلالة لكان اعرابا سايغا واتحد فيهما الفاعل وقال الضحاك خوفا من
صواعقه وطمعا في مطره وقال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا ان يكون خلبا
وطمعا ان يكون ماطرا وقال الشاعر • •

• لا يكن برقك برقا خلبا ان خير البرق ما الغيث معه •

وقال ابن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحييه ومن اياته ان
تقوم ان يثبت وتتمسك مثل واذا اظلم عليهم قاموا اي ثبتوا بامره اي بارادته واذا الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة جواب الشرط والمعنى انه لا يتاخر طرفة عين خروجكم عن
دعاية كما يجيب الداعي المطيع مدعوه كما قال الشاعر • •

• دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت قرين الطود او هو اسرع •

قرين الطود الصدا او الحجر اذا انهدا والطود الجبل والدعوة البعث من القبور
ومن الارض يتعلق بدعاكم ودعوة اي مرة فلا يحتاج الى تكرير دعاء لسرعة الاجابة
وقيل من الارض صفة لدعوة وقال ابن عطية ومن عندي هنا لانتهاء الغاية كما تقول
دعوتك من الجبل اذا كان المدعو في الجبل انتهى وكون من لانتهاء الغاية قول مردود
عند اصحابنا وعن نافع ويعقوب انهما وقفا على دعوة وابتدا من الارض اذا انتم تخرجون
علقا من الارض بتخرجون وهذا لا يجوز لان فيه الفصل بين الشرط وجوابه بالوقف

على دعوة وفيه اعمال ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها وهو لا يجوز وقال الزمخشري وقوله
اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن
اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور
اخرجوا وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر
واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر انتهى وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التا وضم الرا وباقي السبعة
بضمها وفتح الرا وبدا اولا من الايات بالنشاة الاولى وهو خلق الانسان من التراب
ثم كونه بشرا منتشرا وهو خلق حي من جماد ثم اتبعه بان خلق له من نفسه زوجا وجعل بينهما
توادا وذلك خلق حي من عضو حي وقال لقوم يتفكرون لان ذلك لا يدرك الا بالفكر في تاليف
شيين لم يكن بينهما تعارف ثم اتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خلق السموات والارض
واختلاف اللغات والالوان والاختلاف دايم تدرا ثمر الانسان لا يفارق وقال للعالمين
لانها اية مكشوفة للعالم ثم اتبعه بالمنام والابتغاء وهما من الامور المفارقة في بعض
الاوقات بخلاف اختلاف الالسنة والالوان وقال لقوم يسمعون لانه لما كان من افعال
العباد قد يتوهم انه لا يحتاج الى مرشد فنبه على السماع وجعل البال من كلام المرشد ولما ذكر
عرضيات الانفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الافاق المفارقة من اراءة البرق
وانزال المطر وقدمهما على ما هو من الارض وهو الانبات والاحيا كما قدم السموات على
الارض وقدم البرق على الانزال لانه كالمبشر يجي بين يدي القادم والاعراب لا يعلمون
البلاد المعشبة اذ لم يكونوا قد راوا البروق اللايحة من جانب الى جانب وقال لقوم يعقلون
لان البرق والانزال يلبس امرا عاديا فيتوهم انه طبيعة اذ يقع ذلك ببلدة دون اخرى
ووقتا دون وقت وقويا وضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال
هو اية لمن عقل وان لم ينتفكر تفكرا تاما ثم ختم هذه الايات بقيام السموات والارض
وذلك من العوارض اللازمة فان كلا من السما والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من
وقوف الارض وعدم نزولها ومن علو السما وثباتها من غير عمد ثم اتبع ذلك بالنشاة الاخرة
وهي الخروج من الارض وذكر تعالى من كل باب امرين من الانفس خلقكم وخلق لكم
ومن الافاق السما والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الالسنة واختلاف الالوان
ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البرق والمطر ومن لوازمها قيام السما
وقيام الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم
مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم فانتم فيه سوا تخافونهم
كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم
فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين
اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا كل حزب بما لديهم فرحون من في السموات والارض عام في كونهم تحت ملكه وقهره
وقال الحسن قانتون قايمون بالشهادة على وحدانيته كما قال الشاعر •

• وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد •

وقال ابن عباس مطيعون اي في تصريفه لا يمتنع عليه شي يريد فعله بهم من حيوة وموت
وصحة ومرض فهي طاعة الارادة لا طاعة العبادة وقيل قايمون يوم القيامة يوم يقوم
الناس لرب العالمين واذا حمل القنوت على الاخلاص كما قال ابن جبير او على الاقرار
بالعبودية فقانتون من ملك وهو من كان كلاما مخصوصا وهو اهون عليه اي والعود
اهون عليه وليست اهون افعل تفضيل لانه لا تفاوت عند الله في النشاتين الابدا والاعادة
فلذلك تاوله ابن عباس والربيع بن خيثم على انه بمعني هين وكذا هو في مصحف عبد الله
والضمير في عليه عايد على الله وقيل اهون للتفضيل وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم

النظر في انشاهد من ان الاعادة في كثير من الاشيا اهون من البداة الاستغنا عن
الروية التي كانت في البداة وممدا اذا كان الاثنان عنده تعالى من التيسير في حيز
واحد وقيل الضمير في عليه عايد على الخلق اي والعود اهون على الخلق بمعنى اسرع
لان البداة فيها تدريج من طور الى طور الى ان يصير انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه
التدريجات في الاطوار انما يدعوه الله فيخرج فكانه قال وهو ايسر عليه اي اقصر مدة
واقل انتقالا وقيل المعنى وهو اهون على المخلوق اي ان نعيد شيا بعد انشايه فهذا عرف
المخلوقين فكيف تنكرون انتم الاعادة في جانب الخالق قال ابن عطية والاظهر عندي
عود الضمير على الله تعالى ويويده قوله تعالى وله المثل الاعلى لما جا بلفظ فيه استعارة
واستشهاد بالمخلوق على الخالق وتشبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة
بان جعل له المثل الاعلى الذي لا يتصل به تكييف ولا تمثال مع شي انتهى وقال الزمخشري
فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت
هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل وهو على هين وان كان مستصعبا عندك ان
يولد بين هم وعاقر من الابتدا فلو قدمت الصلة لتغير المعنى انتهى ومبني كلامه على
ان تقديم المعمول يوذن بالاختصاص وقد تكلمنا معه في ذلك وقد يستدل بقوله اياك
نعبد وله المثل الاعلى قيل هو متعلق بما قبله قاله الزجاج وهو قوله وهو اهون قد
ضربه لكم مثلا فيما يسهل ويصعب وقيل بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم
وقيل المثل الوصف الارفع الاعلى الذي ليس لغيره مثله وهو انه القادر الذي لا يعجز
عن شي من انشا واعادة وغيرهما وهو العزيز اي القاهر لكل شي الحكيم الذي افعاله
على مقتضى حكمته وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله والمعنى وله الوصف
بالوحدانية ويويده قوله ضرب لكم وقال ابن عباس وغيره بين تعالى امر الاصنام
وفساد معتقد من يشركها بالله بضرب به هذا المثل ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم
عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم في اموالكم ومهم اموركم ولا في شي على جهة استوا المنزلة
وليس من شانكم ان تخافوهم في ان يرثوا اموالكم او يقاسموكم اياها في حياتكم كما يفعل
بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركا في سلطانه
والوهيته وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم وجا هذا المعنى في معرض السوال
والتقرير وقال السدي كانوا يورثون الهتهم فنزلت وقيل لما نزلت قال اهل مكة
لا يكون ذلك ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجوزونه لي ومن في انفسكم
لابتدا الغاية كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهو انفسكم ولا يبعد ومن
في من ما ملكت للتبعيض ومن في من شركا زايدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
تقول ليس يرضى احد منكم ان يشركه عبده في ماله وزوجته وما يختص به حتى يكون هو
مثله فكيف ترضون بشريك لله وهو رب الارباب ومالك الاحرار والعبيد وقال
ابو عبد الله الرازي بين المثل والممثل بين مشابهة ومخالفة فالمشابهة معلومة
والمخالفة من وجوه قوله من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة الانفس ونقصها وعجزها
وقاس نفسه عليكم مع عظمتها وجلالتها وقدرتها وقوله ما ملكت ايمانكم اي عبيدكم والملك
طار قابل للنقل بالبيع وللزوال بالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فاذا لم
يجز ان يشرككم مملوككم وهو مثلكم اذا احد من جميع الوجوه وفي الادمية حالة
الرق فكيف يشرك الله مملوكه من جميع الوجوه المباين له بالكلية وقوله فيما رزقناكم
يعني انه ليس لكم في الحقيقة انما هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يشرككم فيما
هو لكم من حيث الاسم فكيف يكون له تعالى شريك فيما له من جهة الحقيقة انتهى وفيه بعض
تلخيص وشركا في موضع رفع بالابتدا وفيما رزقناكم متعلق به ولكم الخبر ومما ملكت في موضع
الحال لانه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب على الحال والعامل فيها العامل في الحال
والمجرور الواقع خبرا وهو مقدر بعد المبتدا وما في مما واقعة على النوع والتقدير
هل شركا فيما رزقناكم كاينون من النوع الذي ملكته ايمانكم كاينون لكم ويجوز ان يتعلق

لكم بشركا ويكون مما رزقناكم في موضع الخبر كما تقول الزيد في المدينة مبغض فلزيد متعلق
بمبغض الذي هو مبتدا وفي المدينة الخبر فانتم فيه سوا جملة في موضع الجواب للاستفهام
المضمن معنى النفي وفيه متعلق بسوا وتخافونهم خبر ثان لانتم والتقدير فانتم مستوون معهم
فيما رزقناكم خايفوهم كما يخاف بعضكم بعضا ايها السادة والمقصود نفي الشركة والاستوا
والخوف وليس النفي منسحبا على الجواب وما بعده فقط كاحد وجهي ما تاتينا فتحدثنا اي
ما تاتينا محدثا انما ياتي ولا تحدث بل هو على الوجه الاخر اي ما تاتينا فكيف تحدثنا اي ليس
منك اتيان فلا يكون حديث وكذلك هذا ليس لهم شركة فلا استوا ولا خوف وقرا
الجمهور انفسكم بالنصب اضيف المصدر الى الفاعل وابن ابي عبلة بالرفع اضيف المصدر
للمفعول وهما وجهان حسنان ولا قبح في اضافة المصدر الى المفعول مع وجود الفاعل كذلك
اي مثل ذلك التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة وقرا
الجمهور نفصل بالنون حملا على رزقناكم وعباس عن ابن عمرو بيا الغيبة رعيا لضرب اذ هو
مسند للغايب وذكر بعض العلما ان في هذه الاية دليلا على صحة اصل الشركة بين
المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض كانه يقول الممتنع والمستقبح شركة العبيد لساداتهم
اما شركة السادات بعضهم لبعض فلا يمتنع ولا يستقبح والاضراب ببل في قوله بل اتبع
جا على ما تضمنته الاية اذ المعنى ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من اشراكهم بالله
بل ذلك لمجرد هوى بغير علم لانه قد يكون هوى للانسان وهو يعلم والذين ظلموا هم المشركون
اتبعوا اهواهم جاهلين هايمين على وجههم لا يزغهم عن هواهم علم اذ هم خالون من العلم
الذي قد يردع متبع الهوى فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يهدي من اضله الله و
اي هو لا ممن اضلهم الله فلا هادي لهم وقال الزمخشري من اضل الله من خذله ولم
يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له ممن يقدر على هداية مثله وما لهم من ناصرين دليل
على ان المراد بالاضلال الخذلان انتهى وهو على طريقة الاعتزال فاقم وجهك للدين
فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته
واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي عقد عليه طرفه وقوم له وجهه مقبلا به عليه والدين
دين الاسلام وذكر الوجه لانه جامع حواس الانسان واشرفه وحنيفا حال من الضمير في اقم
او من الوجه او من الدين ومعناه مايلا عن الاديان المحرفة المنسوخة فطرة الله منصوب
على المصدر كقوله صبغة الله وقيل منصوب باضمار فعل تقديره التزم فطرة الله وقال
الزمخشري الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله
منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر
وقيل فاقم وجهك المراد به فاقيموا وجوهكم وليس مخصوصا بالرسول وحده وكانه خطاب
لمفرد اريد به الجمع اي فاقم ايها المخاطب ثم جمع على المعنى لانه لا يراد به مخاطب واحد
فاذا كان هذا فقوله منيبين واقيموا ولا تكونوا ملحوظ فيه معنى الجمع وقول الزمخشري
او عليكم فطرة الله لا يجوز لان فيه حذف كلمة الاغرا ولا يجوز حذفها لانه قد حذف الفعل
وعوض عليك منه فلو جاز حذفه لكان اجحافا اذ فيه حذف العوض والمعوض منه والفطرة
قيل دين الاسلام والناس مخصوصون بالمومنين وقيل العهد الذي اخذه الله على ذرية
ادم حين اخرجهم نسما من ظهره ورجح الحذاق انها القابلية التي في الطفل للنظر في مصنوعات
الله والاستدلال بها على موجده فيومن به ويتبع شرايعه لكن قد تعرض له عوارض تصرفه
عن ذلك كتهويد ابويه له وتنصيرهما واغوا شياطين الانس والجن لا تبديل لخلق الله
اي لا تبديل لهذه القابلية من جهة الخالق وقال مجاهد وابن جبير والضحاك والنخعي وابن
زيد لا تبديل لدين الله والمعنى لمعتقدات الاديان اذ هي متفقة في ذلك وقال الزمخشري
اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير وقال ابن عباس لا تبديل لقضا الله بسعادتهم
وشقاوتهم وقيل هو نفي معناه النهي اي لا تبدلوا ذلك الدين وقيل لا تبديل لخلق الله
بمعنى الوحدانية مترشحة فيه لا تغير لها حتى لو سالته من خلق السموات والارض

نقول الله ويستغرب ما روي عن ابن عباس ان معنى لا تبديل لخلق الله النهي عن خصا الفحول
من الحيوان وقول من ذهب الى ان المعنى في هذه الجملة الحا على الكفرة اعترض به اثنا الكلام
كانه يقول اقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هولاء الكفرة ومن خلق الله
لهم الكفر ولا تبديل لخلق الله اي انهم لا يفلحون ذلك الدين الذي امرت باقامة وجهك له هو
الدين المبالغ في الاستقامة والقيم بنا مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة ووزنه فيعل
اصله قيوم كسيد اجتمعت اليا والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت
اليا فيها وهو بنا مختص بالمعتل العين لم يجى منه في الصحيح سمس وصيقل علم لامراة منيبين
حال من الناس ولا سيما اذا اريد بالناس المومنون او من الضمير في الزموا فطرة الله
وهو تقديرا لزمخشري او من الضمير في فاقم اذ المقصود الرسول وامته وكانه
حذف معطوف اي فاقم وجهك وامتك وكذا زعم الزجاج في يا ايها النبي اذا طلقتم اي
يا ايها النبي والناس ودل على ذلك مجي الحال في منيبين جمعا وفي اذا طلقتم جا الخطاب
فيه وفي ما بعده جمعا او على خبر كان مضمرة اي كونوا منيبين اليه ويدل عليه قوله بعد
ولا يكونوا وهذه احتمالات منقولة كلها من المشركين من اليهود والنصارى قاله
قتادة وقال ابن زيد هم اليهود وعن ابي هريرة وعايشة انهم اهل القبلة ولفظة الاشراك
على هذا يجوز بانهم صاروا في دينهم فرقا والظاهر ان المشركين كل من اشرك فيدخل فيهم
اهل الكتاب وغيرهم ومن الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم اي دين الاسلام
وجعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوايهم وكانوا شيعا كل فرقة تشايع امامها الذي كان
سبب ضلالها كل حزب اي منهم فرح بمذهبه مفتون به والظاهر ان كل حزب مبتدا وفرحون
الخبر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين
دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم
نفسه انتهى قدروا ولا فرحين مجرورا صفة لحزب ثم قال ولكنه رفع على الوصف
لكل لانك اذا قلت من قومك كل رجل صالح جاز في صالح الخفض نعتا للرجل وهو الاكثر كقوله
جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم
وجاز الرفع نعتا لكل كقوله ولهت عليه كل معصفة هوجا ليس للبها دبر برفع هوجا صفة
لكل واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم
بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يومنون فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون
وجه الله واولئك هم المفلحون وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربوا عند
الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاوليك هم المضعفون الضر الشدة من فقر
او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من ذلك الضر دعوا ربهم افردوا بالتضرع
والدعا لينجوا من ذلك الضر وتركوا اصنامهم لعلمهم انه لا يكشف الضر الا هو تعالى
فلهم في ذلك الوقت انابة وخضوع واذا خلصهم من ذلك الضر اشرك فريق ممن خلص
وهذا الفريق هم عبدة الاصنام قال ابن عطية ويلحق من هذه الالفاظ شي للمومنين
ان جاهم فرج بعد شدة علقوا ذلك بمخلوقين او بحذق اراهم او بغير ذلك ففيه قلة شكر لله
ويسمى مجازا وقال ابو عبد الله الرازي يقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني
وبسبب الصنم الفلاني بل ينبغي ان لا يعتقد انه يخلص بسبب فلان اذا كان ظاهرا
فانه شرك خفي انتهى واذا فريق جواب اذا اذاقهم الاولى شرطية والثانية للمفاجاة
وتقدم نظيره وجا هنا فريق لان قوله واذا مس الناس عام للمومن والكافر فلا يشرك
الا الكافر وضر هنا مطلق وفي اخر العنكبوت اذا هم يشركون لانه في مخصوصين من المشركين
عباد الاصنام والضر هنا معين وهو ما يتخوف من ركوب البحر فجا اذا هم اي ركاب البحر
عبدة الاصنام ويدل على ذلك ما قبله وما بعده واللام في ليكفروا لام كي او لام الامر

للتهديد وتقدم نظيره في اخر العنكبوت وقرا الجمهور فتمتعوا فسوف تعلمون بالتا
فيهما وقرا ابو العالية فيمتعوا بالتا مبنيا للمفعول وهو معطوف على ليكفروا فسوف
يعلمون باليا على التهديد لهم وعن ابي العالية فيتمتعوا بيا قبل التا عطفا ايضا على
ليكفروا اي ليطول اعمارهم على الكفر وعنه وعن عبد الله فليتمتعوا وقال هرون
في مصحف عبد الله يمتعوا ام انزلنا ام بمعنى بل والهمزة بل للاضراب عن الكلام
السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ والسلطان البرهان
من كتاب او نحوه فهو يتكلم اي يظهر مذهبهم وينطق بشركهم والتكلم مجاز لقوله هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق فهو يتكلم جواب للاستفهام الذي تضمنته ام كانه قال
بل انزلنا عليهم سلطانا اي برهانا شاهدا لكم بالشرك فهو يشهد بصحة ذلك وان قدر
ذا سلطان اي ملكا ذا برهان كان التكلم حقيقة واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة
من مطر او سعة او صحة وان تصبهم سيئة اي بلا من حدث او ضيق او مرض بما قدمت
ايديهم من المعاصي ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ففي اصابة الرحمة
فرحوا وذهلوا عن شكر من اسداها اليهم وفي اصابة البلاء قنطوا ويسوا وذهلوا
عن الصبر ونسوا ما انعم به عليهم قبل اصابة البلا واذا هم جواب وان تصبهم يقوم
مقام الفا في الجملة الاسمية لو اقعة جوابا للشرط وحين ذكر اذاقة الرحمة لم يذكر
سببها وهو زيادة الاحسان والتفضل وحين ذكر اصابة السيئة ذكر سببها وهو
العصيان ليتحقق عدله ثم ذكر تعالى الامر الذي من اعتبره لم يياس من روح الله
وهو انه تعالى هو الباسط والقابض فينبغي ان لا يقنط وان يتلقى ما يرد من قبل الله
بالصبر في البلا والشكر في النعما وان يقلع عن المعصية التي اصابته السيئة
بسببها حتى تعود اليه رحمة ربه ومناسبة فات ذا القربى لما قبله انه لما ذكر انه تعالى
هو الباسط القابض وجعل في ذلك اية للمومن امر نبيه بالاحسان لمن به فاقة واحتياج
لان من الايمان الشفقة على خلق الله فخاطب من بسط له الرزق باداء حق الله من المال
وصرفه الى من يقرب منه في رحم والى غيره من مسكين وابن سبيل قال الحسن هذا خطاب
لكل سامع بصلة الرحم والمسكين وابن السبيل وقيل للرسول عليه السلام وذووا القربى
بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقوقهم من الغنيمة والفي وقال الحسن حق المسكين
وابن السبيل من الصدقة المسماة لهما واحتج ابو حنيفة بهذه الاية في وجوب
النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب اثبت تعالى لذي القربى حقا
وللمسكين وابن السبيل حقهما والسورة مكية فالظاهر ان الحق ليس الزكوة وانما يصير حقا
بجهة الاحسان والمساواة والاهتمام بذي القربى قدم على المسكين وابن السبيل لان برة
صدقة وصلة ذلك اي الايتا خير اي يضاعف لهم الاجر في الاخرة وينمو مالهم في الدنيا
وجه الله اي التقرب الى رضا الله لا لغيره ثم ذكر تعالى من يصرف في المال على غير الجهة
المرضية فقال وما اتيتم اكلة الربوا ليزيد ويزكو في المال فلا يزكو عند الله ولا يبارك
فيه كقوله يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قال السدي نزلت في ربوا ثقيف كانوا
يعملون بالربا ويعمله فيهم قريش وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وطاوس هذه
الاية نزلت في هبات للثواب وقال ابن عطية وما جرى مجراها مما يصنع للمجازاة كالسلام
وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله وقال ابن عباس ايضا
والنخعي نزلت في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضيل عليهم
وليزيدوا في اموالهم على جهة النفع لهم وقال الشعبي قريبا من هذا وهو ان ما خدمه
الانسان غيره انتفع به فذلك النفع لا يربو عند الله والظاهر القول الاول وهو
النهي عن الربوا وقرا الجمهور وما اوتيتم الاول بمد الهمزة اي وما اعطيتم وابن كثير
بقصرها اي وما جيتم وقرا الجمهور ليربو باليا واسناد الفعل الى الربوا وابن عباس
والحسن وقتادة وابو رجا والشعبي ونافع وابو حيوة بالتا مضمومة واسناد الفعل
اليهم وقرا ابو مالك لتربوها بضم المونث والمضعف ذو اضعاف في الاجر قال الفرا

هم اصحاب المضاعفة كما تقول هو مسمن اي صاحب ابل سمان ومعطش اي صاحب ابل عطشي
وقرا ابي المضعفون بفتح العين اسم مفعول وقال الزمخشري فاوليك هم المضعفون
التفات حسن كانه قال لملايكته وخواص خلقه فاوليك الذين يريدون وجه الله
بصدقاتهم هم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الي ما ووجه اخر
وهو ان يكون تقديره فموتوه اوليك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل
عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفايدة انتهى وانما احتاج الي تقدير ما قدر
لان اسم الشرط الذي ليس بظرف لا بد ان يكون في الجواب ضمير يعود عليه يتم به
الربط الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم من يفعل من ذلكم
من شي سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
يوميذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين كرر تعالى خطاب الكفار
في امر اوثانهم فذكر افعاله التي لا يمكن ان يدعى له فيها شريك وهي الخلق والرزق
والاماتة والاحيا ثم استفهم علي جهة التقرير لهم والتوبيخ ثم نزه نفسه عن مقالتهم
والله الذي خلقكم مبتدا وخبر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا
والخبر هل من شركايكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله
انتهي والذي ذكره النحويون ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا كان اشير به الي المبتدا
واما ذلكم هنا فليس اشارة الي المبتدا لكنه شبيه بما اجازه الفرا من الربط بالمعنى
وخالفه الناس وذلك في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن قال
التقدير يتربص ازواجهم فقدر المضمر بمضاف الي ضمير الذين فحصل به الربط كذلك
قدر الزمخشري من ذلكم من افعاله المضاف الي الضمير العايد علي المبتدا وقال
الزمخشري ايضا هل من شركايكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من
يفعل شيا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه فاستعمل قط في غير موضعها
لانها ظرف للماضي وهنا جعلها معمولة ليفعل وقال الزمخشري ايضا ومن الاولي والثانية
كل واحدة مستقلة تاكيد لتعجيز شركايهم وتجهيل عبدتهم انتهي ولا ادري ما اراد بهذا
الكلام ومن في من شركايكم للتبعيض والجار والمجرور خبر للمبتدا ومن يفعل هو المبتدا
ومن الثانية في موضع الحال من شي لانه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب علي الحال
ومن الثالثة زايدة لانسحاب الاستفهام الذي معناه النفي علي الكلام التقدير من
يفعل شيا من ذلكم اي من تلك الافعال وقرا الجمهور يشركون بيا الغيبة والاعمش
وابن وثاب بتا الخطاب والظاهر ان الظاهر البر والبحر وقاله الحسن وظهور الفساد
فيهما بارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد
في البر والبحر وقال ابن عباس الفساد في البحر انقطاع صيده وقال مجاهد في البر
يقتل احد ابني ادم لاخيه وفي البحر باخذ السفن غصبا وعنه ايضا البر البلاد البعيدة
من البحر والبحر السواحل والمدن التي على صفة البحر والانهار وقال قتادة البر
الفيافي ومواضع القبايل واهل الصحاري والعمود والبحر المدن جمع بحرة ومنه ولقد
اجمع اهل هذه البحيرة ليتوجوه يعني قول سعد بن عبادة في عبد الله بن ابي بن سلول ويويد
هذا قراة عكرمة والبحور بالجمع ورويت عن ابن عباس وكان قد ظهر الفساد برا
وبحرا وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الظلم عم الارض فاظهر الله به
الدين وازال الفساد واخمده صلى الله عليه وسلم وقال النحاس فيه قولان احدهما
ظهر الجدب في البر في البوادي وقراها والبحر اي في مدن البحر مثل واسيل القرية اي
ظهر قلة الغيث وغلا السعر والثاني ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا
هو الفساد علي الحقيقة والاول مجاز وقيل اذا قل المطر قل الغوص واخفق الصياد

وعميت

وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا مطرت تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من
السما فهو لولو بما كسبت ايدي الناس اي بسبب معاصيهم وذنوبهم لنذيقهم اي انه تعالي
افسد اسباب دنياهم ومحقها لنذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها جميعا
في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم فيه وقال ابن عطية بما كسبت جزا ما كسبت ويجوز ان
يتعلق البا بظهر اي بكسبهم المعاصي في البر والبحر وهو نفس الفساد الظاهر وقرا
السلمي والاعرج وابو حيوة وسلام وسهل وروح وابن حسان وقنبل من طريق ابن مجاهد
وابن الصباح وابي الفضل الواسطي عنه ومحبوب عن ابي عمرو لنذيقهم بالنون والجمهور باليا
ثم امرهم بالمسير في الارض فينظروا كيف اهلك الامم بسبب معاصيهم واشراكهم وذلك
تنبيه لقريش وامر لهم بالاعتبار بمن سلف من الامم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
كان اكثرهم مشركين اهلكهم كلهم قوم بسبب الشرك وقوم بسبب المعاصي لانه تعالي
يهلك بالمعاصي كما يهلك بالشرك كاصحاب السبت او اهلكهم المشرك والمومن كقوله
تعالي واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة او اهلكهم كلهم وهم كفار فاكثرهم
مشركون وبعضهم معطل وحين ذكر امتنانه قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم فذكر الوجود
ثم البقا بسبب الرزق وحين ذكر خذلانهم بالطغيان سبب البقا باظهار الفساد ثم سبب
الوجود بالاهلاك من قبل ان ياتي يوم القيامة وفيه تحذير يعم الناس لا مرد له من الله
المرد مصدر رد ومن الله يحتمل ان يتعلق بياتي او من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد
حتي لا ياتي لقوله فلا يستطيعون ردها ويحتمل ان يتعلق بمحذوف يدل عليه مرد اي
لا يرده هو بعد ان يجي به ولا راد له من جهته يوميذ اي يوم اذ ياتي ذلك اليوم يصدعون
يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه الصداع
لانه يفرق شعب الراس وقال الشاعر

وكنا كندماني جذيمة حقبة • من الدهر حتي قيل لن يتصدعا •

ثم ذكر حالة المتفرقين من كفر فعليه كفره اي جزا كفره وعبر عن حالة الكافر بعليه وهي
تدل علي الثقل والمشقة وعن حال المومن بقوله فلانفسهم باللام التي هي كلام الملك ويمهدون
يوطيون وهي استعارة من الفرش وعبارة عن كونهم يفعلون في الدنيا ما يلقون به ما تقر
به اعينهم وتسر به انفسهم في الجنة وقال مجاهد هو التمهيد للقبر وقال الزمخشري
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة علي ان ضرر الكفر لا يعود الا علي الكافر لا يتعداه
ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الي المومن لا يتجاوزه انتهي وهو علي طريقته في دعواه
ان تقديم المفعول وما جري مجراه يدل علي الاختصاص واما علي مذهبنا فيدل علي الاهتمام
واما ما يدعيه من الاختصاص فمفهوم من اي كثيرة في القران منها ولا تكسب كل نفس الا عليها
ولا تزر وازرة وزر اخري واللام في ليجزي قال الزمخشري متعلق بيمهدون تعليل
له وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الي الصريح لتقرير انه
لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير علي الطرد
والعكس وقال ابن عطية ليجزي متعلق بيصدعون ويجوز ان تكون متعلقة بمحذوف
تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الي ما تقرر من قوله تعالي من كفر ومن عمل صالحا
انتهي ويكون قسيم الذين امنوا وعملوا الصالحات علي هذين التقديرين الذين ذكرهما ابن
عطية محذوفا تقديره كانه قال والكافرين بعدله ودل علي حذف هذا القسيم قوله انه
لا يحب الكافرين ومعني نفي الحب هنا انه لا تظهر عليهم امارات رحمته ولا يرضي الكفر لهم دينا
وقال الزمخشري من فضله بما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا
يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من
عطايه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب ومن اياته ان
يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الي قومهم فجاوهم بالبينات فانتقمنا من الذين
اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما

كيف يشا ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشا من عباده اذا هم
يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله
كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير ولين ارسلنا ريحا فراوه
مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون لما
ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح والكريم لا يذكر لاحسانه
عوضا ويذكر لعقابه سببا لئلا يتوهم به الظلم فذكر من اعلام قدرته ارسال الرياح
مبشرات بالمطر لانها متقدمة منه والمبشرات رياح الرحمة الجنوب والشمال والصبا واما
الدبور فريح العذاب وليس تبشيرها مقتصرا به على المطر بل لها تبشيرات بسبب
السفن والمسير بها الى مقاصد اهلها وكانه بدا اولا بشي عام وهو التبشير وقرا الاعمش
الريح مفردا واراد معنى الجمع ولذلك قرا مبشرات ثم ذكر من اعظم تباشيرها اذاقة
الرحمة وهي نزول المطر ويتبعه حصول الخصب والروح الذي مع الهبوب وازالة
العفونة من الهوا وتذرية الحبوب وغير ذلك وليذيقكم عطف على معنى مبشرات والعامل
ان يرسل ويكون عطفا على التوهم كانه قيل ليبشركم والحال والصفة قد يجيبان وفيهما
معنى التعليل تقول اهن زيدا مسيئا واكرم زيدا العالم تريد لاسائته ولعلمه وقيل
ما يتعلق به اللام محذوف اي وكذا ارسلناها وقيل الواو في ولنذيقكم زائدة وبامره
اي بامر الله يعني ان جريانها لما كان مسندا اليها اخبر انه بامره تعالى من فضله مما ينشي
لكم من الربح في التجارات في البحر ومن غنايم اهل الشرك ثم انس رسوله بان ضرب له
مثل من ارسل من الانبيا وتوعد قريشا بان ضرب لهم مثل من اهلك من الامم الذين اجرموا
وكذبوا الانبيا ولما كان تعالى بين الاصلين المبدا والمعاد ببراهين ذكر الاصل الثالث
وهو النبوة وفي الكلام حذف تقديره فامن به بعض وكذب بعض فانتقمنا من الذين
اجرموا وفي قوله وكان حقا علينا نصر المومنين تبشير للرسول وامته بالنصر والظفر
اذ اخبر ان المومنين باولئك المومنين نصروا وفي لفظ حقا مبالغة في التحتم وتكريم للمومنين
واظهار لفضيلة سابقة الايمان حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر والظاهر ان
حقا خبر كان ونصر المومنين الاسم واخر لكون ما تعلق به فاصلة وللاهتمام اذ هو محض
الفايدة وقال ابن عطية ووقف بعض القرا على حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استانف
جملة من قوله علينا نصر المومنين وهذا قول ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم
الاية وقال الزمخشري وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم
يبتدا علينا نصر المومنين انتهى وفي الوقف وكان حقا بيان انه لم يكن الانتقام ظلما بل
عدلا لانه لم يكن الا بعد كون بقاهم غير مفيد الا زيادة الاثم وولادة الفاجر الكافر
فكان عدمهم خيرا من وجودهم الخبيث الله الذي يرسل الرياح هذا متعلق بقوله
ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات والجملة التي بينهما اعتراض جات تانيسا للرسول
وتسلية ووعدا بالنصر ووعيدا لاهل الكفر وفي ارسالها قدرة وحكمة اما القدرة
فان الهوا اللطيف الذي يسبقه البرق بحيث يقلع الشجر ويهدم البنا وهو ليس
بذاته يفعل ذلك بل بفاعل مختار واما الحكمة ففيما يفضي اليه نفس الهبوب من اثارة
السحب واخراج الما منه وانبات الزرع ودر الضرع واختصاصه بناس دون ناس
وهذه حكمة بالغة معدوقة بالمشية والاثارة تحريكها وتسييرها والبسط نشرها
في الافاق والكسف القطع وتقدم الكلام على قوله فترى الودق يخرج من خلاله
وذكر الخلاف في كسفا وحله من جهة القرا والضمير في من خلاله الظاهر انه عايد على
السحاب اذ هو المحدث عنه وذكر الضمير لان السحاب اسم جنس يجوز تذكيره
وتانيثه وقيل ويحتمل ان يعود على كسفا في قراءة من سكن السين والمراد بالسما سمت
السما كقوله وفرعها في السما فاذا اصاب به من يشا اي ارض من يشا اصابتها فاجاهم
الاستبشار ولم يتاخر سرورهم وقال الاخفش من قبله تاكيد لقوله من قبل ان ينزل

عليهم

عليهم قال ابن عطية افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار
وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام
ونحوه فجا قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال الزمخشري
ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم باسهم وتمادى
ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك انتهى وما ذكره ابن عطية والزمخشري
من فايدة التاكيد في قوله من قبله غير ظاهر وانما هو عندي ذكره لمجرد التوكيد ويفيد
رفع المجاز فقط وقال قطرب التقدير وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر انتهى
وصار من قبل انزال المطر من قبل المطر وهذا تركيب لا يسوغ في كلام فصيح فضلا عن القران
وقيل التقدير من قبل تنزيل الغيث من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج
بسبب المطر ودل على ذلك قوله فراوه مصفرا يعني الزرع انتهى وهذا لا يستقيم لان
من قبل ان ينزل عليهم متعلق بقوله لمبلسين ولا يمكن من قبل الزرع ان يتعلق بمبلسين
لان حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا ان كان بوساطة حرف العطف او على جهة البدل
وليس التركيب هنا ومن قبله بحرف العطف ولا يصح فيه البدل اذ انزال الغيث ليس هو
الزرع ولا الزرع بعضه وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال الانزال
على الزرع بمعنى ان الزرع يكون ناشيا عن الانزال فكان الانزال مشتملا عليه وهذا على
مذهب من يقول الاول يشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني السحاب لانهم لما راوا
السحاب كانوا راجين المطر ويريد من قبل روية السحاب ويحتاج ايضا الى حرف
عطف حتى يمكن تعلق الحرفين بمبلسين وقال علي بن عيسى من قبل الارسال وقال الكرماني
من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم بالاستبشار انتهى ويحتاج قوله وقول
ابن عيسى الى حرف العطف كان ادعى في قول من جعل الضمير في من قبله عايدا الى غير انزال الغيث
ان حرف العطف محذوف امكن لكن في حذف حرف العطف خلاف فينقاس ام لا ينقاس اما حذفه
مع الجمل فجايز واما وحده فهو الذي فيه الخلاف وقرا الحرميان وابو عمرو وابو بكر الى اثر
بالافراد وباقي السبعة بالجمع وسلام بكسر الهمزة واسكان الثا وقرا الجحدري وابن السميفع
وابو حيوة تحيي بتا التانيث والضمير عايد على الرحمة وقال صاحب اللوامح وانما انث الاثر
لاتصاله بالرحمة اضافة اليها فاكتسى التانيث منها ومثل ذلك لا يجوز الا اذا كان المضاف بمعنى
المضاف اليه او من سببه واما اذا كان اجنبيا فلا يجوز بحال انتهى وقرا زيد بن علي نحيي بنون
العظمة والجمهور يحيي بيا الغيبة والضمير لله ويدل عليه قراءة اثار بالجمع وقيل يعود على
اثر في قراءة من افرد وقال ابن جني كيف يحيي جملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى
كانه محييا وهذا فيه نظر ان ذلك اي القادر على احيا الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس
بعد موتهم وهذا الاخبار على جهة القياس في البعث والبعث من الاشيا التي هو قادر عليها
تعالى ولين ارسلنا ريحا اخبر تعالى عن حال تقلب ابن ادم في انه بعد الاستبشار بالمطر بعث الله
ريحا فاصفر بها النبات فظلوا يكفرون قلقا منهم والريح التي تصفر النبات حرور وحرجف وهما
مما يصبح به النبات هشيما والحرجف الشمال اذا عصفت والضمير في فراوه عايد على ما يفهم
من سياق الكلام وهو النبات وقيل الى الاثر لان اثر الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات
ومن قرا اثار بالجمع رجع الضمير الى اثار الرحمة وهو النبات واسم النبات يقع على القليل
والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت وقال ابن عيسى الضمير في فراوه عايد على السحاب
لان السحاب اذا اصفر لم يمطر وقيل على الريح وهذان قولان ضعيفان وقرا جناح بن
حبيش مصفارا بالف بعد الفا واللام في ولين موذنة بقسم محذوف وجوابه لظلوا وهو مما
وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعا تقديره ليظلن ونظيره قوله تعالى ولين
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون ذمهم تعالى في جميع
احوالهم كان عليهم ان يتوكلوا على فضل الله فقنطوا وان تشكروا نعمته فلم تزيدوا
على الفرح والاستبشار وان تصبروا على بلايه فكفروا والضمير في من بعده عايد على الاصفرار
اي من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمته وتقدم الكلام على قوله فانك لا تسمع الموتى الى قو

فهم مشلولون في الآخرة لتمل الا ان هنا الربط بالفا في قوله فانك الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولين جيتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لما ذكر من دلايل الافاق ذكر شيا من دلايل الانفس وجعل الخلق من ضعف لكثرة ضعف الانسان اول نشاته وطفولته كقوله خلق الانسان من عجل والقوة التي تلت الضعف هي غير عرمه ونماوه وقوته الى فصل الاكتهال والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين والترداد في هذه الهيات شاهد بقدرة الصانع وعلمه وقرا الجمهور بضم الضا في ضعف معا وعاصم وحمزة بفتحها فيهما وهي قراة عبد الله وابي رجاء وروي عن ابي عبد الرحمن والجحدري والضحاك الضم في الاول والفتح في الثاني وقرا عيسى بضمتين فيهما والظاهر ان الضعف والقوة هما بالنسبة الى ما عدي البدن من ذلك وان الضم والفتح بمعنى واحد في ضعف وقال كثير من اللغويين الضم في البدن والفتح في العقل ما لبثوا هي جواب وهو على المعنى اذ لو حكي قولهم كان يكون التركيب ما لبثنا غير ساعة اي ما اقاموا تحت التراب غير ساعة او ما لبثوا في الدنيا استقلوها لما عاينوا اما عاينوا من امر الاخرة او فيما بين فناء الدنيا الى البعث واخبارهم بذلك هو على جهة التسور او النقول بغير علم او على جهة النسيان او الكذب يوفكون اي يصرفون عن قول الحق والنطق بالصدق والذين اوتوا العلم هم الملايكة والانبيا والمومنون في كتاب الله فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الايمان وغيره ولكن نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم وقيل في كتاب الله اللوح المحفوظ وقيل في علمه وقيل في حكمه وقرا الحسن البعث بفتح العين فيهما وقرى بكسرها وهو اسم والمفتوح مصدر وقال قتادة هو على التقديم والتاخير تقديره اوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم قيل وعلى هذا تكون بمعنى الباء اي العلم بكتاب الله ولعل هذا القول لا يصح عند قتادة فان فيه تفكيكا للنظم لا يسوغ في كلام غير فصيح فكيف يسوغ في كتاب الله وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصدر عنه مثل هذا القول والفا في فهذا يوم البعث عاطفة لهذه الجملة المقولة على الجملة قبلها وهي لقد لبثتم اعتقبها في الذكر وقال الزمخشري فان قلت ما هذه الفا وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جينا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان اقصى ما يراد بنا فقد جينا خراسان وان اتانا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان قولكم انتهى والبيت قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا قلنا جينا خراسانا واذا امكن جعل الفا عاطفة لم يتكلف اضمار شرط وجعل الفا جوابا لذلك الشرط المحذوف لا تعلمون لتفريطكم في طلب الحق واتباعه وقيل لا تعلمون البعث ولا تعرفون به فصار مصيركم الى النار فتطلبون التاخير فيومئذ اي يوم اذ يقع ذلك من اقسام الكفار وقول اولي العلم لهم وقرا الكوفيون لا ينفع بالياهنا وفي الطول والفهم نافع في الطول وباقي السبعة بتا التانيث ولاهم يستعتبون قال الزمخشري من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كان جانيا عليه وحقيقته اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله

غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولاهم يستعتبون

فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعضها وغير معتبين في بعض الايات وقوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته وقال ابن عطية هذا اخبار عن هول القيامة وشدة احواله على الكفرة في انهم لا ينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبى وهي الرضى ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول يملك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشي وليس هذا منه لان المعنى كان يفسد اذ كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى انتهى فيكون استفعل في هذا بمعنى الفعل المجرد وهو عتب اي هم من الاهمال وعدم الالتفات اليهم بمنزلة من لا يوهل للعتب وقد قيل لا يسا تون على سياتهم بل يعاقبون وقيل لا يطلب لهم العتبى وقيل لا يلتمس منهم عمل ولا طاعة ولقد ضربنا اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وقال الزمخشري وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جيتهم باية من ايات القران قالوا جيتنا بزور وباطل انتهى وان انتم خطاب للرسول والمومنين اي مبطلون في دعواكم الحشر والجزا وقال ابو عبد الله الرازي وفي توحيد الخطاب بقوله ولين جيتهم والجمع في قوله ان انتم لطيفة وهي ان الله عز وجل قال ولين جيتهم بكل اية جات بها الرسل فيمكن ان يجاوبوه بقولهم انتم كلكم ايها المدعون الرسالة مبطلون كذلك يطبع الله اي مثل هذا الطبع يطبع اي يختم على قلوب الجهلة الذين قد ختم الله عليهم بالكفر في الازل واسند الطبع الى ذاته تعالى اذ هو فاعل ذلك ومقدره وقال الزمخشري ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدر حتى يقبل الحق ثم قال فكانه قال كذلك تصدا وتقسو قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرف خلق الله في تلك الصفة انتهى وهو على طريقة الاعتزال ثم امره تعالى بالصبر على عداوتهم وقواه بتحقيق الوعد انه لا بد من انجازه والوفا به ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم والتحرك فانهم لا يقين لهم ولا بصيرة وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك بحا مهملة وقاف من الاستحقاق والجمهور بخاء معجمة وفاء من الاستخفاف وسكن النون ابن ابي عبلة ويعقوب والمعنى لا يفتننك ويكونوا احق بك من المومنين لقمن اسم علم فان كان اعجميا فمنعه الصرف للعجمة والعلمية وان كان عربيا فمنعه للعلمية وزيادة الالف والنون ويكون مشتقا من اللقم مرتجلا اذ لا يعلم له وضع في النكرات تصعر مشدد العين لغة تميم قال شاعرهم

وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فيقوم

فيقوم امر بالاستقامة والقوافي مخفوضة اي فيقوم انت قاله ابو عبيدة وانشاد الطبري فتقوما فعلا ماضيا خطا وتصاعر لغة الحجاز ويقال يصعر قال الشاعر

اقمنا له من خده المتصعر

ويقال اصعر خده قال الفضل هو الميل وقال اليزيدي هو التشدق في الكلام وقال ابو عبيدة اصل هذا من الصعر دا ياخذ الابل في رووسها واعناقها فتلوى منه اعناقها القلم معروف الختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر وقال عمرو بن معدي كرب

وانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر

وقال الاعشي

بالابلق الفرد من تيما منزله حصن حصين وجار غير ختار

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اوليك على هدى من ربهم واوليك هم المفلحون ومن الناس من

يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب اليم
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون فلهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا
وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم و
وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذه السورة مكية قال ابن عباس
الا ثلث ايات اولهن ولو ان ما في الارض وقال قتادة الا ايتين اولهما ولو ان الى اخر
الايتين وسبب نزولها ان قريشا سالت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه فنزلت
وقيل نزلت بالمدينة الايات الثلث ولو انما في الارض الى اخرهن لما نزل وما اوتيتم من
العلم الا قليلا وقول اليهود ان الله انزل التوراة على موسى وخلفها فينا ومعنا فقال الرسول
التوراة وما فيها من الانبا قليل في علم الله فنزل ولو ان ما في الارض من شجرة ومناسبتها لما
قبلها انه قال تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فاشار الى ذلك بقوله
الم تلك ايات الكتاب الحكيم وكان في اخر تلك ولئن جئتهم باية وهنا واذا تتلى عليه اياتنا
ولى مستكبرا وتلك اشارة الى البعيد فاحتمل ان يكون ذلك لبعد غايته وعلو شانه وايات
الكتاب القران او اللوح المحفوظ ووصف الكتاب بالحكيم اما لتضمنه للحكمة قيل او فعيل
فيه بمعنى المحكم وهذا يقل اذ يكون فعيل بمعنى مفعل ومنه اعقدت العسل فهو قعيد اي معقد
ويجوز ان يكون حكيم بمعنى حاكم وقال الزمخشري الحكيم ذو الحكمة او وصف لصفة
الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة وقرا الجمهور
هدى ورحمة بالنصب على الحال من الايات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة قاله
الزمخشري وغيره ويحتاج الى نظر وقرا حمزة والاعمش والزعفراني وطلحة وقنبل
طريق ابي الفضل الواسطي وتطيف بالرفع خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر على مذهب
من يجيز ذلك للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس

الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا

حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد وخص المحسنون الا انهم هم الذين
انتفعوا به ونظروه بعين الحقيقة وقيل الذين يعملون بالحسن من الاعمال وخص منهم
القائمون بهذه الثلث لفضل الاعتداد بها ومن صفة الاحسان ما جاء في الحديث
من ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقيل المحسنون المومنون وقال ابن سلام هم
السعدا وقال ابن شجرة هم المنجحون وقيل الناجون وكرر الاشارة اليهم تنبيها على
عظم قدرهم ولما ذكر من صفات القران الحكمة وانه هدى ورحمة وان متبعه فائز
ذكر حال من بدل بطلب الحكمة اللهو وذكر مبالغته في ارتكابه حتى جعله مشتريا له وباذلا
فيه راس عقله وذكر علته وانها الاضلال عن طريق الله ونزلت هذه الاية في النضر بن
الحرث كان يتجر الى فارس ويشتري كتب الاعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار
ويقول انا احسن حديثا وقيل في ابن خطل اشترى جارية يعني بالسب وبهذا فسر لهو الحديث
ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال الحسن لهو
الحديث المعازف والغنا وفي الحديث من رواية ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال شرا المغنيات وبيعهن حرام وقرا هذه الاية وقال الضحاك لهو الحديث الشرك
وقال مجاهد وابن جريج الطبل وهذا ضرب من الة الغنا وقال عطا الترهات وقيل
السحر وقيل ما كان يشتغل به اهل الجاهلية من السامر وقال الحسن ايضا كل ما شغلك عن
عبادة الله وذكره من السمر والاضاحيك والخرافات والغنا وقال سهل الجدال في الدين
والخوض في الباطل والظاهر ان الشرا هنا مجاز عن اختيار الشيء وصرف عقله بكليته
اليه فان اريد به ما يقع عليه الشرا كالجواري المغنيات عند من لا يرى ذلك ولكتب الاعاجم

التي اشتراها النضر فالشرا حقيقة وتكون على حذف اي من يشتري ذات لهو الحديث واضافة
لهو الى الحديث هي بمعنى من لان اللهو قد يكون من حديث ومن غير حديث فهو كباب ساج والمراد
بالحديث الحديث المنكر وقال الزمخشري ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى التبعيضية
كانه قال ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه انتهى وقرا ابن كثير
وابو عمرو ليضل بفتح اليا وباقي السبعة بضمها قال الزمخشري فان قلت القراءة بالرفع
بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع
القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي
كان عليه ولا يصد عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين
وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة
فدل بالرديف على المردوف فان قلت قوله بغير علم ما معناه قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث
بالقران قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلالة بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين للتجارة وبصراء بها انتهى
وسبيل الله الاسلام او القران قولان قال ابن عطية والذي يترجح ان الاية نزلت
في لهو الحديث مضافا الى الكفر فلذلك اشتدت الفاظ الاية بقوله ليضل الى اخره وقرا
حمزة والكسائي وحفص ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل تشريكا في العلة وباقي السبعة
بالرفع عطفا على يشتري تشريكا في الصلة والظاهر عود الضمير في ويتخذها على السبيل
كقوله ويبغونها عوجا قيل ويحتمل ان يعود على ايات الكتاب وقال تعالى ولا تتخذوا ايات الله
هزوا قيل ويحتمل ان يعود على الاحاديث لان الحديث اسم جنس بمعنى الاحاديث وقال
صاحب التحرير يظهر لي انه اراد بلهو الحديث ما كانوا يظهرونه من الاحاديث في تقوية دينهم
والامر بالدوام عليه وتغيير صفة الرسول وان التوراة تدل على انه من ولد اسحق يقصدون
صد اتباعهم عن الايمان واطلق اسم الشرا لكونهم ياخذون على ذلك الرشا والجعائل من
ملوكهم ويؤيده ليضل عن سبيل الله اي دينه انتهى وفيه بعض حذف وتلخيص واذا تتلى
عليه بدا اولا بالحمل على اللفظ فافرد في قوله من يشتري وليضل ويتخذها ثم جمع على
المعنى في قوله اولئك لهم ثم حمل على اللفظ فافرد في قوله واذا تتلى الى اخره والضماير
ومن في يشتري موصولة ونظيره في من الشرطية قوله ومن يؤمن بالله ويعمل فافرد ثم
قال خالدين فجمع ثم قال قد احسن الله له رزقا فافرد ولا نعلم جاء في القران ما حمل على
اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين الايتين والنحويون يذكرون ومن يؤمن بالله
الاية فقط ويستدلون بها على ان هذا الحكم جار في من الموصولة ونظيرها مما لم يثن
ولم يجمع من الموصولات وتضمنت هذه الاية ذم المشتري من وجوه التولية عن الحكمة
ثم الاستكبار ثم عدم الالتفات الى سماعها كانه غافل عنها ثم الايغال في الاعراض
بكون اذنيه كان فيهما صمما يصده عن السماع وكان لم يسمعها حال من الضمير في مستكبرا
اي مشبها حال من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالا ولا يلتفت اليها وكان هي المخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان واجب الحذف وكان في اذنيه وقرا حال من لم يسمعها وقال الزمخشري
ويجوز ان يكونا استينافين انتهى يعني الجملتين التشبيهيتين ولما ذكر ما وعد به الكفار م
من العذاب الاليم ذكر ما وعد به المؤمنين وقرا زيد بن علي خالدون بالواو والجمهور بالياء
وانتصب وعد الله على انه مصدر مؤكد لنفسه وحقا على المصدر المؤكد لغيره لان قوله
لهم جنات النعيم والعامل فيهما متغاير فوعد الله منصوب بوعد الله وعده وحقا منصوب
باحق ذلك حقا خلق السموات الى وانبتنا فيها تقدم الكلام على ذلك ومعنى كريم مدحته
بكرم جوهره ونفاسته وحسن منظره وما تقضي له النفوس بانه افضل من غيره حتى يستحق
الكرم فيختص لفظ الازواج ما كان نفيسا مستحسنا او مدحته من جهة اتقان صنعته
وظهور حسن الرتبة والتحكم للصنع فيه فيعم جميع الازواج وهي الانواع هذا خلق الله
اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته ووبخ بذلك الكفار واظهر حجته والخلق بمعنى المخلوق كقولهم
درهم ضرب الامير اي مضروبه ثم سالهم على جهة التهكم بهم ان يوردوا ما خلقته الهتهم لما ذكر

مخلوقاته فكيف عبد وهامن دونه ويجوز في ماذا ان تكون كلها موصولة بمعنى الذي ويكون
مفعولا ثانيا لارونى واستعمال ماذا كلها موصولا قليل وقد ذكره س ويجوز ان تكون ما استفهاما
في موضع رفع على الابتدا وذا موصولة بمعنى الذي وهو خبر عن ما والجملة في موضع نصب
بارونى وارونى معلقة عن العمل لفظا لاجل الاستفهام ثم اضرب عن توبيخهم وتبكيتهم الى التسجيل
عليهم بانهم في حيرة واضحة لمن تدبر لان من عبد صنما وترك خالقه جدير بان يكون في حيرة
وتيه لا يقلع عنه ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن
كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك
الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلوة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصاعر
خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير اختلف في لقمن اكان حرا او عبدا فاذا قلنا كان حرا
فقيل هو ابن باعورا قال وهب ابن اخت ايوب عليه السلم وقال مقاتل ابن خالته وقيل
كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلم واخذ منه العلم وكان يفتي
قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وكان قاضيا
في بني اسرايل وزمانه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والاكثرون على انه لم يكن نبيا
وقال عكرمة والشعبي كان نبيا واذا قلنا كان عبدا اختلف في جنسه فقال ابن عباس
وابن المسيب ومجاهد كان نوبيا مشقق الرجلين ذا مشافر وقال الفرا وغيره كان حبشيا
مجدوع الانف ذا مشفر واختلف فيما كان يعانيه من الاشغال فقال خالد بن الربيع كان
نجارا وفي معاني الزجاج كان نجادا بالدال وقال ابن المسيب كان خياطا وقال ابن
عباس كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وهذا الاضطراب في كونه حرا او عبدا
وفي جنسه وفي ما كان يعانيه يوجب ان لا يكتب شي من ذلك ولا ينقل لكن المفسرون
مولعون بنقل المضطربات حشدا وتكثيرا والصواب تركه وحكمة لقمن ماثورة كثيرة
منها قيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا وقال له داود عليه السلم
يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وقال وهب
بن منبه قرات من حكم لقمن اكثر من عشرة الاف والحكمة المنطق الذي يتعظ به ويتنبه
به ويتناقله الناس لذلك ان اشكر قال الزمخشري ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى
القول وقد نبه سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله
والشكر له حيث فسر ايتا الحكمة بالبعث على الشكر وقال الزجاج المعنى ولقد اتينا لقمان
الحكمة لان يشكر الله فجعلها مصدرية لا تفسيرية وحكى س كتبت اليه بان قم فانما يشكر لنفسه
اي ثواب الشكر لا يحصل الا للشاكر اذ هو تعالى غني عن الشكر فشكر الشاكر لا ينفعه وكفر
من كفر لا يضره وحميد مستحق الحمد لذاته وصفاته واذ قال واذكر اذ وقيل يحتمل ان يكون التقدير
واتيناه الحكمة اذ قال واختصر لدلالة المتقدم عليه وابنه ثاران او انعم او اشكم او مشكم
او ماثان اقوال وهو يعظه جملة حالية قيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما
والظاهر ان قوله ان الشرك لظلم عظيم من كلام لقمن وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام
لقمن متصل به في تاكيد المعنى وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه من كلام لقمن وقرا البزي يا بني
بالسكون ويا بني انها بكسر اليا ويا بني اقم بفتحها وقنبل بالسكون في الاولى والثالثة والكسر
في الوسطى وحفص والمفضل عن عاصم بالفتح في الثلثة على تقدير يا بنيا والاجتزا بالفتحة
عن الالف وقرا باقي السبعة بالكسر في الثلثة ووصينا الانسان بوالديه لما بين لقمن
لابنه ان الشرك ظلم ونهاه عنه كان ذلك حثا على طاعة الله تعالى ثم بين ان الطاعة ايضا
تكون للابوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمن مما وصى به ابنه اخبر الله تعالى بذلك

وقيل

وقيل هو من كلام الله قاله للقمان اي قلنا له لا تشرك وقلنا له ووصينا فقيل هذه الاية اعتراض
بين اثناء وصية لقمن وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد والده وامتثال امره في طاعة الله تعالى
وقال القرطبي والصحيح ان هذه الاية واية العنكبوت نزلتا في سعد بن ابي وقاص وعليه جماعة
من المفسرين ولما خص الام بالمشقات من الحمل والنفاس والرضاع والتربية نبه على السبب
الموجب للايصا بها ولذلك جا في الحديث الامر ببر الام ثلث مرات ثم ذكر الاب فجعل له مرة
الربع من المبرة وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقال الضحاك
ضعفا بعد ضعف وقال قتادة جهدا على جهد يعني ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس
وانتصب على هذه الاقوال على الحال من امه وقيل وهنا على وهن نطفة ثم علقة الى اخر النشاة
فعلى هذا يكون حالا من الضمير المنصوب في حملته وهو الولد وقرا عيسى الثقفي وابو عمرو
في رواية وهنا على وهن بفتح الها فيهما فاحتمل ان يكون كالشعر والشعر واحتمل ان يكون
مصدر وهن بكسر الها يوهن وهنا بفتحها في المصدر قياسا وقراة الجمهور بسكون الها
فيهما وقروا وفصاله وقرا الحسن وابو رجا وقتادة والجحدري ويعقوب وفصله وهما بمعنى
الفطام اي في تمام عامين عبر عنه بنهايته واجمعوا على اعتبار العامين في مدة الرضاع في باب
الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن في الرضاع فخلاف مذكور في الفقه وان اشكر في موضع
نصب على قول الزجاج وقال النحاس الاجود ان تكون مفسرة لي على نعمة الايمان ولوالديك
على نعمة التربية الى المصير توعد اثنا الوصية وان جاهداك الى فلا تطعهما تقدم الكلام
عليه في العنكبوت الى ان هنا على وهناك لتشرك بلام العلة وانتصب معروفا على انه صفة لمصدر
محذوف اي مصاحبا او مصاحبا معروفا وهو عشرة جميلة وهو اطعامهما وكسوتهما وعدم جفايهما
وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضا ومواراتهما اذا ماتا واتبع سبيل من اناب الي اي رجع الى الله
وهو سبيل الرسول لا سبيلهما ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فاجازي كلا منكم بعمله ولما نهى
لقمان ابنه عن الشرك نبه على قدرة الله وانه لا يمكن ان يتاخر عن مقدوره شي فقال
يا بني انها ان تك والظاهر ان الضمير في انها ضمير القصة وقرا نافع مثقال بالرفع على ان تك
تامة وهي قراة الاعرج وابي جعفر واخبر عن مثقال وهو مذكر اخبار المونث لاضافته الى مونث
وكانه قال ان تك زنة حبة وباقي السبعة بالنصب على ان تك ناقصة واسمها ضمير يفهم من
سياق الكلام تقديره هي اي التي سالت عنها وكان فيما روي قد سال لقمن ابنه ارايت الحبة تقع
في مغاص البحر ايعلمها الله فيكون الضمير ضمير جوهر لا ضمير عرض ويويده قوله ان تك مثقال حبة
وقرا عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف وشد النون وفتحها وقراة محمد بن ابي فجة البعلبكي
فتكن بضم التا وفتح الكاف والنون مشددة وقرا قتادة فتكن بفتح التا وكسر الكاف وسكون
النون من وكن يكن ورويت هذه القراة عن عبد الكريم الجزري ايضا اي تستقر ويجوز ان
يكون الضمير ضمير عرض اي تك الفعلة من الطاعة او المعصية وعلى من قرا بنصب مثقال
يجوز ان يكون الضمير في انها ضمير الفعلة لا ضمير القصة قال الزمخشري فمن نصب لعنى مثقال
كان الضمير للهنة من الاساة والاحسان اي كانت مثلا في الصغر والقماة كحبة الخردل فكانت
مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت من العالم العلوي او السفلي
يات بها الله يوم القيامة فيحاسب عليها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم
بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها وبدا له بما يتعلقه اولا وهو كينونة الشي
في صخرة وهو ما صلب من الحجر وعسر اخراجه منها ثم اتبعه بالعالم العلوي وهو اغرب للسامع
ثم اتبعه بما يكون مقرا للاشيا للشاهد وهو الارض وعن ابن عباس والسدي ان هذه الصخرة
هي التي عليها الارض قال ابن عباس هي تحت الارضين السبع يكتب اعمال الفجار قال
ابن عطية قيل اراد الصخرة التي عليها الارض والحوت والما وهي على ظهر ملك وقيل هي صخرة
في الريح وهذا كله ضعيف لا يثبت سنده وانما معنى الكلام المبالغة والانتها في التفهيم
اي ان قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السما والارض انتهى قيل وخفا الشي
يظرف بصغره غاية وببعده عن الراي وبكونه في ظلمة وباحتجابه ففي صخرة اشارة الى الحجاب
وفي السموات اشارة الى البعد وفي الارض اشارة الى الظلمة فان جوف الارض اظلم الاماكن

وفي قوله يات الله بها دلالة علي العلم والقدرة كانه قال يحيط بها علمه وقدرته ولما نهاه اولا
عن الشرك واخبره ثانيا بعلمه تعالي وباهر قدرته امره بما يتوسل به الي الله من الطاعات
فبدا باشرفها وهو الصلوة حيث يتوجه اليه بها ثم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بالصبر
علي ما يصيبه من المحن جميعه او علي ما يصيبه بسبب الامر بالمعروف ممن يبعثه عليه والنهي
عن المنكر ممن ينكره عليه فكثيرا ما يوذي فاعل ذلك وهذا انما يريد به بعد ان يمتثل هو في نفسه
فياتي المعروف ويزدجر عن المنكرات ذلك اشارة الي ما تقدم مما نهاه عنه وامره به والعزم مصدر
فاحتمل ان يراد به المفعول اي من معزوم الامور واحتمل ان يراد به الفاعل اي عازم
الامور كقوله فاذا عزم الامر وقال ابن جريج مما عزمه الله وامر به وقيل من مكارم الاخلاق
وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاة والظاهر انه يريد من لازمات الامور الواجبة لان
الاشارة بذلك الي جميع ما امر به ونهي عنه وهذه الطاعات يدل ايضا لقمن علي انها كانت مامورا
بها في ساير الملل والعزم ضبط الامر ومراعاة اصلاحه وقال مورج العزم الحزم بلغة هذيل
والحزم والعزم اصلان وما قاله المبرد من ان العين قلبت حا ليس بشي لاطراد تصاريف
كل واحد من اللفظين فليس احد منهما اصلا للاخر ولا تصعر خدك للناس اي لا تولهم شق وجهك
كفعل المتكبر واقبل علي الناس بوجهك من غير كبر ولا اعجاب قاله ابن عباس والجماعة وقال ابن
حويز منداذ نهي ان يذل نفسه من غير حاجة واورد قريبا من هذا ابن عطية احتمالا فقال
ويحتمل ان يريد ولا سوالا ولا ضراعة بالفقر قال والاول يعني تاويل ابن عباس والجماعة
اظهر لدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده وقال مجاهد ولا يصعر اراد به الاعراض هجرة بسبب
اخيه وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم وزيد بن علي تصعر بفتح الصاد وشد العين وباقي
السبعة بالف والجحدري يصعر مضارع اصعر ولا تمش في الارض مرحا تقدم الكلام علي هذه
الجملة في سبحان ان الله لا يحب كل مختال فخور تقدم الكلام في النسا علي نظير هذه الجملة في قوله
ان الله لا يحب كل مختال فخور ولما وصي ابنه بالامر بالمعروف والنهي اذ صار هو في نفسه ممتثلا
بالمعروف مزدجرا عن المنكر امرا به غيره وناهيا عنه غيره نهاه عن التكبر علي الناس والاعجاب
والمشي مرحا واخبره انه تعالي لا يحب المختال وهو المتكبر ولا الفخور قال مجاهد وهو الذي
يعدد ما اعطي ولا يشكر الله ويدخل في الفخور الفخر بالانساب واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ولما نهاه عن الخلق الذميم امره بالخلق الكريم وهو القصد في المشي بحيث لا يبطي كما
يفعل المتناسمون والمتعاجبون يتباطون في نقل خطواتهم المتناسمين للرياء والمتعاجب
للترافع ولا يسرع كما يفعل الخرق المتهورون ونظر ابو جعفر المنصور الي ابي عمرو بن عبيد
فقال كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد وقال ابن مسعود كانوا ينهون
عن خبب اليهود ودبيب النصاري ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه اجعل بصرك
موضع قدمك وقري واقصد بهمزة القطع اي سدد في مشيك من اقصده الرامي اذا
سدد سهمه نحو الرمية ونسبها ابن خالويه للحجازي والغض من الصوت التنقيص من
رفعه وجهارته والغض رد طموح الشي كالصوت والنظر والزمام وكانت العرب تفخر بجهارة
الصوت وتمدح به في الجاهلية ومنه قول الشاعر

جهير الكلام جهير العطاس جهير الروا جهير النعم
ويخطو علي الاين خطو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم

والغض الصوت اوفر للمتكلم وابسط لنفس السامع وفهمه وانكر افعل من بني فعل المفعول
كقولهم اشغل من ذات النحيين وبناوه من ذلك شاذ والاصوات اصوات الحيوان كلها وانكر
جامعة للذام اللاحقة للاصوات والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة شبه الرافعين
اصواتهم بالحمير واصواتهم بالنهاق ولم يوت باداة التشبيه بل اخرج مخرج الاستعارة
وهذه اقصي مبالغة في الذم والتنفير عن رفع الصوت ولما كان صوت الحمير متماثلا في نفسه
لا يكاد يختلف في الفظاعة افرد ولانه في الاصل مصدر ولما اصوات الحيوان غيره
مختلفة جدا جمعت في قوله ان انكر الاصوات فالمعني انكر اصوات الحيوان المختلف
الجنس صوت هذا الجنس وقرا ابن ابي عبلة اصوات الحمير بالجمع بغير لام وقال

الحسن كان المشركون يتفاخرون برفع الاصوات فرد عليهم بانه لو كان خيرا فضل به الحمير والظاهر
ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير من كلام لقمن لابنه تنفيرا له عن رفع الصوت
ومماثلة الحمير في ذلك وقيل هو من كلام الله تعالي وفرغت وصية لقمن في قوله واغضض من
صوتك رد الله به علي المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ورفع الصوت
يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشا الذي هو داخل الاذن وقيل واقصد
في مشيك اشارة الي الافعال واغضض من صوتك اشارة الي الاقوال فنبه علي التوسط
في الافعال وعلي الاقلال من فضول الكلام الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما
في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا
كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان الشيطان
يدعوهم الي عذاب السعير ومن يسلم وجهه الي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي
والي الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم
بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الي عذاب غليظ ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو
الغني الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير سخر لكم
تنبيه علي الصنعة الدالة علي الصانع من تسخير ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم
والسحاب وما في الارض الحيوان والنبات والمعادن والبحار وغير ذلك وذلك لا يكون الا بمسخر
مالك متصرف كما يشا وقرا ابن عباس ويحيي بن عمارة واصبغ بالصاد وهي لغة لبني كلب
يبدلون من السين اذا جامعت الغين او الخا او القاف صادا وباقي القرا بالسين علي الاصل
وقرا الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو وحفص نعمه جمعا مضافا للضمير
وباقي السبعة وزيد بن علي نعمة علي الافراد والظاهر انه يراد بالنعمة في من قرا بالافراد
الجنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام
وقال مجاهد لا اله الا الله والباطنة الامداد من الملايكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء
والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وساير الجوارح والباطنة القلب
والعقل والفهم الذي ينبغي ان يقال ان الظاهرة هي ما يدرك بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم
الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم من نعمة في بدن الانسان لا يعلمها ولا يهتدي الي العلم بها وانتصب
ظاهرة علي الحال من نعمة الجمع وعلي الصفة من نعمة الافراد وتقدم الكلام علي ومن الناس
الي منير في الحج وعلي ما بعده الي اباءنا في نظيره في البقرة او لو كان تقديره ايتبعونهم في احوالهم
وفي هذه الحال التي لا ينبغي ان يتبع فيها الاباء لانها حال تلف وعذاب وقد تقدم لنا ان
مثل هذا التركيب الذي فيه ولو انما يكون في الشي الذي كان ينبغي ان لا يكون نحو اعطوا
السايل ولو جا علي فرس ردوا السايل ولو بظلف محرق وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين
وكذلك هذا ينبغي من دعا الي عذاب السعير ان لا يتبع وقرا الجمهور ومن يسلم مضارع
اسلم وعلي والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار بتشديد اللام مضارع سلم وتقدم الكلام علي
نظير هذه الجملة في البقرة والمراد التفويض الي الله فقد استمسك بالعروة الوثقي
تقدم الكلام عليه في البقرة وقال الزمخشري هو من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من
تدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه
انتهي ولما ذكر حال الكافر المجادل ذكر حال المسلم واخبر بان منتهي الامور صاير اليه وقال
ابن عطية والعروة الوثقي الامر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا اخلال والعروة
موضع التعليق فكان المومن متعلق بامر الله فشبه ذلك بالعروة وسلي رسوله بقوله ومن
كفر الي اخره وشبه الزام العذاب وارهاقهم اليه باضطرار من يضطر الي الشي الذي
لا يمكنه دفعه ولا الانفكاك منه والغلظ يكون في الاجرام فاستعير للمعني والمراد شدته
ليقولن الله اقام الحجة عليهم بانهم يقرون بان الله هو خالق العالم باسره ويدعون مع ذلك

الها غيره قل الحمد لله على ظهور الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب عن مقدر تقديره
ليس دعواهم بحق لا يعلمون ان ما ارتكبوه من ادعاء اله غير الله لا يصح ولا يذهب اليه ذو علم
ثم اخبر انه مالك للعالم كله وانه هو الغني فلا افتقار له لشيء من الموجودات الحميد المستحق
الحمد على ما انشا وانعم ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام تقدم في اول السورة سبب
نزول هذه الاية ولما ذكر تعالى ان ما في السموات والارض ملك له وكان ذلك متناهيا بين ان
في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال ولو ان ما في الارض وان بعد لو في موضع رفع على
الفاعلية اي لو وقع او ثبت على راي المبرد وفي موضع مبتدا المحذوف الخبر على راي غيره
وتقرر ذلك في علم النحو ومن شجرة تبيين لما وهو في التقدير في موضع الحال من الضمير
الذي في الجار والمجرور المنتقل من العامل فيه وتقديره ولو ان الذي استقر في الارض
كائنا من شجرة واقلام خبر لان وفيه دليل على بطلان دعوى الزمخشري وبعض العجم ممن ينصر
قوله ان خبر ان الجائية بعد لو لا تكون اسما جامدا ولا اسما مشتقا بل يجب ان يكون فعلا وهو
قول باطل ولسان العرب طافح بالزيادة عليه قال الشاعر

ولو انها عصفورة لحسبتها ... مسومة تدعو عبيدا وازنما

وقال اخر

ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر ... تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

وقال اخر

ولو ان حيا فائت الموت فاته ... اخو الحرب فوق القارح العدوان

وهو كثير في لسانهم والظاهر ان الواو في قوله والبحر في قراءة من رفع وهم الجمهور واو
الحال والبحر مبتدا ويمده الخبر اي في حال كون البحر ممدودا وقال الزمخشري عطفا على
محل ان ومعموليها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر انتهى وهذا
لا يتم الا على راي المبرد حيث زعم ان ان في موضع رفع على الفاعلية وقال بعض النحويين
هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتدا وهو لا يتم الا على راي من يقول ان ان بعد لو
في موضع رفع على الابتدا ولو لا يليها المبتدا اسما صريحا الا في ضرورة شعر قوله

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فاذا عطفت والبحر على ان ومعموليها وهما رفع بالابتداء لزم من ذلك ان لو يليها الاسم مبتدا
اذ يصير التقدير ولو البحر وذلك لا يجوز الا في الضرورة الا انه قد يقال انه يجوز في المعطوف
ما لا يجوز في المعطوف عليه نحو رب رجل واخيه يقولان ذلك وقرا عبد الله وبحر يمده بالتنكير
والرفع والواو للحال او للعطف على ما تقدم واذا كانت الواو واو الحال كان بحر وهو نكرة
مبتدا وذكروا في مسوغات الابتدا بالنكرة ان تكون واو الحال تقدمت نحو قوله

سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا ... محياك اخفى ضوؤه كل شارق

وقرا الجمهور يمده بالياء من مد وابن مسعود وابي بتاء التانيث من مد ايضا وعبد الله
ايضا والحسن وابن مصرف وابن هرمز بالياء من تحت من امد وجعفر بن محمد والبحر مداده اي
ما يكتب به من السواد وقال ابن عطية هو مصدر انتهى من بعده اي من بعد نفاده ما فيه سبعة
ابحر لا يراد به الاقتصار على هذا العدد بل جيء به للكثرة كقوله المؤمن ياكل في معي واحد والكافر
ياكل في سبعة امعاء لا يراد به العدد بل ذلك اشارة الى القلة والكثرة ولما كان لفظ سبعة ليس
موضوعا في الاصل للتكثير وان كان مرادا به هنا التكثير جاء مميزه بلفظ القلة وهو ابحر ولم يقل
بحور وان كان لا يراد به ايضا الا التكثير ليناسب بين اللفظين فكما تجوز في سبعة واستعمل
للتكثير كذلك تجوز في ابحر واستعمل للتكثير وفي الكلام جملة محذوفة يدل عليها المعنى وكتب
بها الكاتب كلمات الله ما نفدت والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة
ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت ونفدت الاقلام والمداد الذي
في البحر وفيما يمده كما قال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية وقال الزمخشري
فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي
الحال قلت هو قوله وقد اغتدي والطير في وكناتها ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير

للارض انتهى وهذا الذي جعله سوالا وجوابا من واضح النحو الذي لا يجهله المنتقد مسوب
فيه وهو ان الجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو لا يحتاج الى ضمير يربط والنفي بالواو وفيها واما
قوله وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف فليس بجيد لان الظرف اذا وقع
حالا ففي العامل فيه ضمير ينتقل الى الظرف والجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو فليس فيها
ضمير منتقل واما قوله ويجوز فلا يجوز الا على راي الكوفيين حيث يجعلون ال عوضا من الضمير
وقال الزمخشري فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت
اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت
اقلاما انتهى وهذا النوع هو مما وقع فيه المفرد موضع الجمع والنكرة موقع المعرفة ونظيره
ما ننسخ من اية ما يفتح الله للناس من رحمة ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
وكقول العرب هذا اول فارس وهذا افضل عالم يريد من الايات ومن الرحمات
ومن الدواب واول الفرسان اخبروا بالمفرد النكرة وارادوا به معنى الجمع المعرف
بال وهو مهيع في كلام العرب معروف وكذلك يتقدر هذا من الشجرات او من الاشجار وفي
هذا الكلام من المبالغة في تكثير الاقلام والمراد ما ينبغي ان يتامل وذلك ان الاشجار مشتمل
كل واحدة منها على الاغصان الكثيرة وتلك الاغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ
عدد الاقلام في التنامي الى ما لا يعلم به ولا يحيط الا الله تعالى وقرا الجمهور ما نفدت
كلمات الله بتاء التانيث في نفد وجمع كلمة بالالف والتاء وقرا زيد بن علي كلمة الله على التوحيد
والمراد الجنس وقرا الحسن ما نفد بغير تا كلام الله قال ابو علي المراد بالكلمات والله
اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وقالت فرقة المراد بكلمات الله معلوماته
وقال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم
الله قلت معناه ان كلماته لا يفي بكتبها البحار فكيف بكلمة انتهى وعلى تسليم ان كلمات جمع قلة فجموع
القلة اذا تعرفت بالالف واللام غير العهدية او اضيفت عمت وصارت لا تخص القليل والعام
مستغرق لجميع الافراد ان الله عزيز كامل القدرة فمقدوراته لا نهاية لها حكيم كامل العلم
فمعلوماته لا نهاية لها ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر الا كنفس
واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعثها ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونون فالقليل
والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت في قدرته وقال النقاش هذه الاية في ابي بن خلف
وابي الاسد وبنيه ومنبه ابني الحجاج قالوا يا محمد انا نرى الطفل يخلق بتدريج وانت تقول
الله يعيدنا دفعة واحدة فنزلت ان الله سميع يسمع كل صوت بصير يبصر كل مبصر في حالة واحدة
لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون
خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل
ختار كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده
علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير يولج الليل الجملتين شرحت في آل عمران وهنا الى
اجل ويدل على الانتهاء اي يبلغه وينتهي اليه وفي الزمر لاجل ويدل على الاختصاص بجعل الجري
مختصا بادراك اجل مسمى وجري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا
المعنيين مناسب لجريهما فلذلك عدي بهما وقرا عباس عن ابي عمرو بما يعملون بياء الغيبة
ذلك بان الله الاية تقدم شرحها في الحج وهنا وان ما تدعون من دونه الباطل وفي الحج من دونه
هو الباطل بزيادة هو ولما ذكر تعالى تسخير النيرين وامتنانه بذلك علينا ذكر ايضا من تسخير
الفلك من العالم الارضي بجامع ما اشتركا فيه من الجريان وقرا الجمهور بنعمة الله على
الافراد اللفظي وقرا الاعرج والاعمش وابن يعمر بنعمات الله بكسر النون وسكون العين

جمعًا بالالف والتاء وقرا ابن ابي عبلة بفتح العين وكسر النون وبالالف والتاء فالبا تحتمل
السببية اي تجري بسبب الريح وتسخير الله وتحتمل الحالية اي مصحوبة بنعمة الله وهي ما تحمله
السفن من الطعام والارزاق والتجارات وقال ابن عطية فالبا للالصاق انتهى وقرا
موسى بن الزبير الفلك بضم اللام وصبار شكور بنيتا مبالغة وفعال ابلغ لزيادة حروفه ولما
تقدم ذكر جري الفلك في البحر وكان في ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف وتقدم ذكر النعمة
ناسب الختم بالصبر على ما يحذر وبالشكر على ما انعم به تعالى وشبه الموج في ارتفاعه واسوداده
واضطرابه بالظلل وهو السحاب وقيل كالظلل كالجبال الطلق على الجبل ظلة وقرا محمد بن الحنفية
كالظلال وهما جمع ظلة نحو قلة وقلل وقلال وقوله واذا غشيهم فيه التفات خرج
من ضمير الخطاب في ليريكم الى ضمير الغيبة في غشيهم وموج اسم جنس بينه وبين مفرده
تا التانيث فهو يدل على الجمع ولذلك شبهه بالجمع فمنهم مقتصد قال الحسن اي مومن
يعرف حق الله في هذه النعم وقال مجاهد مقتصد على كفره اي يسلم لله ويفهم نحو هذا من
القدرة وان ضل في الاصنام من جهة انه يعظمها قيلا ومقتصد في الاخلاص الذي كان
عليه في البحر قال الزمخشري يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط
انتهى وكثيرا استعمال الزمخشري قط ظرفا والعامل فيه غير ماض وهو مخالف لكلام العرب
في ذلك وقيل حذف مقابل فمنهم مقتصد تقديره ومنهم جاحد ودل عليه قوله وما يجحد باياتنا
وعلى هذا القول يكون مقتصد معناه مومن مقتصد في اقواله وافعاله بين الخوف
والرجاء موف بما عاهد عليه الله في البحر وختم هنا ببيني مبالغة وهما ختار وكفور فالصبار
الشكور معترف بايات الله والختار الكفور يجحد بها وتوازنت هذه الكلمات لفظا ومعنى
اما لفظا فظاهر واما معنى فالختار هو الشديد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان
الصابر يفوض امره الى الله واما الغدار فيعهد ويغدر فلا يصبر على العهد واما الكفور فمقابله
معنى للشكور واضحه ولما ذكر تعالى الدلايل على الوحدانية والحشر من اول السورة امر
بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم العظيم لا يجزي لا تقضي ومنه قيل للمتقاضي
المتجازي وتقدم الكلام في ذلك في اوايل البقرة ولما كان الوالد اكثر شفقة على الولد من الولد
على ابيه بدا به اولا واتى في الاسناد الى الوالد بالفعل المقتضي للتجدد لان شفقته متجددة
على الولد في كل حال واتى في الاسناد الى الولد باسم الفاعل لانه يدل على الثبوت
والثبوت تصدق بالمرة الواحدة والجملة من لا تجزي صفة ليوم والضمير محذوف اي فيه فاما ان
يحذف برمته واما على التدريج حذف الجر فيتعدى الفعل الى الضمير وهو منصوب فحذف وقرا
الجمهور لا يجزي مضارع جزي وعكرمة بضم اليا وفتح الزاي مبنيا للمفعول وابو السمال وعامر
بن عبد الله وابو السوار لا يجزي بضم اليا وكسر الزاي مهموزا ومعناه لا يغني يقال اجزات عنك
مجزا فلان اي اغنيت ويجوز في ولا مولود وجهان احدهما ان يكون معطوفا على والد والجملة من
قوله هو جاز صفة لمولود والثاني ان يكون مبتدا وهو مبتدا ثان وجاز خبره والجملة خبر للاول
وجاز الابتدا به وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك وهو النفي ورد المهدوي فقال لا يكون مولود
مبتدا لانه نكرة وما بعده صفة له فيبقى بلا خبر وشيا منصوب بجاز وهو من باب الاعمال
لانه يطلبه لا يجزي ويطلبه جاز فجعلناه من اعمال الثاني لانه المختار وقرا ابن ابي اسحق وابن
ابي عبلة ويعقوب نغرنكم بالنون الخفيفة وقرا سماك بن حرب وابو حيوة الغرور بالضم وهو
مصدر والجمهور بالفتح وفسره ابن مجاهد والضحاك بالشيطان ويمكن حمل قراة الضم عليه
جعل الشيطان نفس الغرور مبالغة وقال الزمخشري فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن
والده شيا هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك
لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب
في مجيه هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم قبض اباوهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي
فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس ان ينفعوا اباهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان
يغنوا عنهم من الله شيا فلذلك جي به على الطريق الاوكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود
ان الواحد منهم لو شفع للوالد الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن

387

فوقه من الاجداد لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك
ان الله عنده علم الساعة يروى ان الحرث بن عمارة المحاربي قال يا رسول الله اخبرني عن الساعة
متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عنا السما متى تمطر واخبرني عن امراتي
فقد اشتملت على ما في بطنها اذكر ام انثى وعلمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته
فاين اموت فنزلت وفي الحديث في خمس لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الاية وعلم مصدر اضيف الى
الساعة والمعنى علم تعيين وقتها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير ما في الارحام من ذكر
او انثى تام او ناقص وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما عزمت
على احد مما فعلت ضده باي ارض تموت وربما اقامت بمكان ناوية ان لا تفارقه الى ان تدفن به
ثم تدفن في مكان لم يخطر لها ببال قط واسند العلم الى الله والدراية للنفس لما في الدراية من
معنى الختل والحيلة ولذا وصف الله بالعالم ولم يوصف بالداري فاما قوله لاهم لا ادري وانت
الداري فقول عربي جلف جاهل بما يطلق على الله من الصفات ما يجوز منها وما يمتنع وقرا
الجمهور باي ارض وقرا موسى الاسواري وابن ابي عبلة باية ارض بتا التانيث لاضافتها الى
المونث وهي لغة قليلة فيها كما ان كلا اذا اضيفت الى مونث قد تونث تقول كلتهن فعلن ذلك
وتدري معلقة في الموضعين فالجملة من قوله ماذا تكسب في موضع مفعول تدري ويجوز ان يكون
ماذا كلها موصولا منصوبا بتدري كانه قال وما تدري نفس الشي الذي تكسب غدا وباي متعلق
بتموت والباظرفية اي في اي ارض فالجملة في موضع نصب بتدري ووقع الاخبار بان الله استاثر
بعلم هذه الخمس لانها جواب لسايل سال وهو مستاثر بعلم اشيا لا يحصيها الا هو وهذه
الخمس

∴ سورة السجدة ∴

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك
عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة قليلا ما تشكرون وقالوا اذا ضللنا في الارض اينا لفي خلق جديد بل هم بلقا ربهم كافرون
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون هذه السورة مكية قيل الا
خمس ايات تتجافى الى تكذبون وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي الا ثلث ايات
نزلن بالمدينة افمن كان مومنا وقال كفار قريش لم يبعث الله محمدا الينا وانما الذي جاء
به اختلاق منه فنزلت ولما ذكر تعالى في ما قبلها دلايل التوحيد من بدء الخلق وهو الاصل الاول
ثم ذكر المعاد والحشر وهو الاصل الثاني وختم به السورة ذكر في بدء هذه السورة الاصل الثالث
وهو تبيين الرسالة والكتاب هو القران قال الحوفي تنزيل مبتدا فلا ريب خبره ويجوز ان تكون
تنزيل خبر مبتدا اي هو المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل ودل بدل على الحروف وقال ابو البقاء
الم مبتدا وتنزيل خبره بمعنى المنزل ولا ريب فيه حال من الكتاب والعامل فيه تنزيه ومن رب
العالمين متعلق بتنزيل ايضا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في فيه والعامل فيه الظرف
ويجوز ان يكون تنزيل مبتدا ولا ريب فيه الخبر ومن رب العالمين حال كما تقدم ولا يجوز على هذا
ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه ويجوز ان يكون الخبر من رب ولا ريب حال من الكتاب
وان يكون خبرا بعد خبر انتهى والذي اختاره ان يكون تنزيل مبتدا ولا ريب اعتراض ومن
رب العالمين الخبر وقال ابن عطية من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي الكلام تقديم
وتاخير ويجوز ان يتعلق بقوله لا ريب اي لا شك فيه من جهة الله تعالى وان وقع شك الكفرة
فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو في كل القران الا قوله ريب المنون انتهى واذا كان
تنزيل خبر مبتدا وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر الى غيره وبينه لم تقل فيه ان فيه تقديما

وتاخيرًا بل لو تاخر لم يكن اعتراضًا واما كونه متعلقا بلا ريب فليس بالجيد لان نفي الريب
عنه موجود فيه وهو الاعجاز فهو ابعد شي من الريب وقولهم افتراه كلام جاهل لم يمعن النظر
او كاحد مستيقن انه من عند الله فقال ذلك حسدا او حكما من الله عليه بالضلال وقال
الزمخشري والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا
من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفتري انكار لان يكون
من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه انه من تقرير انه من الله وهذا
اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب
عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة انكارًا
لقولهم وتعجبا منه لظهور امره في عجز بلغايهم عن مثل ثلث اياته ثم اضرب عن الانكار الى
اثبات انه الحق من ربك انتهى وهو كلام فيه تكثير وقال ابو عبيدة ام يكون معناه بل يقولون
فهو خروج من حديث الى حديث ومن ربك في موضع الحال اي كاينا من عند ربك وبه تتعلق
بلتنذر او بمحذوف تقديره انزله لتنذر والقوم هنا قريش والعرب وما نافية ومن نذير
من زايدة ونذير فاعل اتاهم اخبر تعالى انه لم يبعث اليهم رسولا بخصوصهم قبل محمد صلى
الله عليه وسلم لا لهم ولا لابايهم لكنهم كانوا متعبدين بملة ابرهيم واسمعيل وما زالوا على
ذلك الى ان غير ذلك بعض رؤسايهم وعبدوا الاصنام وعمر ذلك فهم مندرجون تحت قوله وان
من امة الا خلا فيها نذير اي شريعته ودينه والنذير ليس مخصوصا بمن باشر بل يكون نذيرًا
لمن باشره ولغير من باشره فالعرب ممن سبق لها نذير لم يباشرهم ولم يباشرهم نذير غير محمد
صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وقال الزمخشري ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباوهم وذلك
ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم ياتهم نذير
لم يقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما
قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان
انتهى والذي اذهب اليه غير ما ذهب اليه المفسرون وذلك انهم فهموا من قوله ما اتاهم
وما انذر اباوهم ان ما نافية وعندي ان ما موصولة والمعنى لتنذر قومًا العقاب الذي اتاهم
من نذير من قبلك ومن نذير متعلق باتاهم اي اتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك لتنذر قومًا
ما انذر اباوهم اي العقاب الذي انذره اباوهم فما مفعولة في الموضعين وانذر يتعدى الى
اثنين قال تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القران
قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير
ونذير وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
ولما حكى تعالى عنهم انهم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ورد عليهم اقتصر في ذكر ما جاء به
القران على الانذار وان كان قد جاء له وللتبشير ليكون ذلك ردعا لهم ولانه اذا ذكر الانذار
صار عند العاقل فكر فيما انذر به فلعل ذلك الفكر يكون سببا لهدايته ولعلهم يهتدون ترجية من
رسول الله كما كان في قوله لعله يتذكر او يخشى من موسى وهرون قال الزمخشري
او ان يستعار لفظ الترجي للارادة انتهى يعني انه عبر عن الارادة بلفظ الترجي ومعناه
ارادة اهتدايهم وهذه نزعة اعتزالية لانه عندهم ان يريد هداية العبد فلا يقع ما يريد
ويقع ما يريد العبد تعالى الله عن ذلك ولما بين تعالى امر الرسالة ذكر ما على الرسول
من الدعا الى التوحيد واقامة الدليل تذكر مبدا العالم وتقدم الكلام على في ستة ايام
في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي اذا جاوزتموه الى سواه فاتخذتموه ناصرًا
وشفيعا لم تجدوه لا ناصرًا ولا شفيعا افلا تتذكرون موجد هذا العالم فتعبدوه وترفضوا
ما سواه يدبر الامر الامر واحد الامور قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك
ينفذ الله قضاءه بجميع ما يشاوه ثم يعرج اليه اي يصعد خبر ذلك في يوم من ايام الدنيا
مقداره ان لو سير فيه السير المعروف من البشر الف سنة لان ما بين السما والارض خمسماية
وقال مجاهد ايضا الضمير في مقداره عايد على التدبير اي كان مقدار التدبير المنقضي

في يوم الف سنة لو دبره البشر وقال مجاهد ايضا يدبر ويلقي الى الملايكة امور الف سنة
من عندنا وهو اليوم عنده فاذا فرغت القى اليهم مثلها فالمعنى ان الامور ينفذ عنده لهذه
المدة وتصير اليه اخرًا لان عاقبة الامور اليه وقيل المعنى يدبره في الدنيا الى ان تقوم الساعة
ثم ينزل القضا والقدر ثم تعرج اليه يوم القيامة ومقداره ما ذكر ليحكم فيه في ذلك اليوم
حيث ينقطع امر الامراء واحكام الحكام وينفرد بالامر كل يوم من ايام الاخرة بالف سنة وهو
على الكفار قدر خمسين الف سنة حسبما في صورة سال سايل وياتي الاقوال فيه ان شا الله
وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الى الارض ثم يرجع الى ما كان من قبول الوحي او رده
مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط
والصعود لان ما بين السما والارض مسيرة خمسماية سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل
لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد قال الزمخشري وبداية الامر المامور به
من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرًا من السما الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد
اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص
من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على
اثره قليلا ما تشكرون انتهى وقيل يدبر امر الشمس في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب
ومدارها في العالم من السما الى الارض لانها على اهل الارض تطلع الى ان تغرب وترجع الى
موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة الف سنة والضمير في اليه قيل عايد الى السما
لانها تذكر وقيل الى الله وقال عبد الله بن سابط يدبر امر الدنيا اربعة جبريل للرياح
والجنود وميكاييل للقطر والما وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل لنزول الامر عليهم
وقيل العرش موضع التدبير وما دونه موضع التفصيل وما دون السموات موضع التصريف
وقال السدي الامر الوحي وقال مقاتل القضا وقال غيرهما امر الدنيا قال الزجاج هو
تقول عرجت في السلم اعرج وعرج الرجل يعرج اذا صار اعرج وقرا ابن ابي عبلة يعرج مبنيا
للمفعول والجمهور مبنيا للفاعل وقال ابو عبد الله الرازي وفي هذا لطيفة وهو ان الله ذكر
في الاية المتقدمة عالم الاجسام والخلق واشار الى عظمة الملك وذكر هنا عالم الارواح والامر
بقوله يدبر الامر والروح من عالم الامر كما قال قل الروح من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ
يوم الزمان والمراد دوام النفاذ كما يقال في العرف طال زمان فلان والزمان يمتد فيوجد
في ازمنة كثيرة فاشار الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه هنا بالزمان والمكان من خلقه
وملكه والزمان بحكمه وامره انتهى وهو كلام ليس جاريا على فهم العرب وقرا الجمهور مما
تعدون بتاء الخطاب وقرا السلمي وابن وثاب والاعمش والحسن بياء الغيبة هو
بخلاف عن الحسن وقرا جناح بن حبيش ثم يعرج الملايكة بزيادة الملايكة ولعله تفسير منه
لسقوطه في سواد المصحف ذلك اي ذلك الموصوف بالخلق والاستوا والتدبير عالم الغيب
والغيب الاخرة والشهادة الدنيا او الغيب ما غاب عن المخلوقين والشهادة ما شوهد من الاشيا
قولان وقرا زيد بن علي عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم بخفض الاوصاف الثلثة وابو زيد
النحوي بخفض العزيز الرحيم وقرا الجمهور برفع الثلثة على انها اخبار لذلك او الاول
خبر والاثنان وصفان ووجه الخفض ان يكون ذلك اشارة الى الامر وهو فاعل يعرج اي ثم تعرج
اليه ذلك اي الامر المدبر ويكون عالم وما بعده بدلا من الضمير في اليه وفي قراة ابي زيد يكون
ذلك عالم مبتدا وخبرا والعزيز الرحيم بالخفض بدل من الضمير في اليه وقرا الجمهور خلقه بفتح
اللام فعلا ماضيا صفة لكل او لشي وقرا العربيان وابن كثير بسكون اللام والظاهر انه بدل
اشتمال بانه فيه اضافة المصدر الى الفاعل وهو اكثر من اضافته الى المفعول وبانه
ابلغ في الامتنان لانه اذا قال احسن كل شي كان ابلغ من احسن خلق كل شي لانه قد يحسن الخلق
وهو المحاولة ولا يكون الشي في نفسه حسنا فاذا قال احسن كل شي اقتضى ان كل شي خلقه حسن
بمعنى انه وضع كل شي في موضعه انتهى وقيل في هذا الوجه وهو عود الضمير في خلقه على الله
يكون بدلا من كل شي بدل شي من شي وهما لعين واحدة ومعنى احسن حسن لانه ما من شي خلقه
الا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها حسنة وان تفاوتت في الحسن وحسنها

من جهة المقصد الذي اريد بها ولذا قال ابن عباس ليست القردة بحسنة ولكنها متقنة محكمة وعلى قراءة من سكن لام خلقه قال مجاهد اعطى كل جنس شكله والمعنى خلق كل شي على شكله الذي خصه به وقال الفراء الهم كل شي خلقه فيما يحتاجون اليه كانه اعلمهم ذلك فيكون كقوله اعطى كل شي خلقه وقرا الجمهور وبدا بالهمز والزهري بالالف بدلا من الهمزة وليس بقياس ان تقول في هدا هدا بابدال الهمزة الفا بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين على ان الاخفش حكى في قرات قريت ونظايره قيل وهي لغة والانصار تقول في بدا بدي بكسر عين الكلمة وياء بعدها ولغة لطي يقولون في فعل هذا نحو بقي بقا فاحتمل ان تكون قراءة الزهري على هذه اللغة اصله بدي ثم صار بدا وعلى لغة الانصار قال ابن رواحة

باسم الاله وبه بدينا ● ولو عبدنا غيره شقينا ●

وبدا خلق الانسان هو آدم عليه السلام ثم جعل نسله اي ذريته نسل من الشي انفصل منه ثم سواه قومه واضاف الروح الى ذاته دلالة على انه خلق عجيب لا يعلم حقيقته الا هو ومن اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق تعالى وجعل لكم التفات اذ هو خروج من مفرد غايب الى جمع مخاطب وتعديد للنعم وهي شاملة لآدم كما ان التسوية ونفخ الروح شامل له ولذريته والظاهر ان وقالوا الضمير لجمع وقيل القايل ابي بن خلف واسند الى الجمع لرضاهم به والناصب للظرف محذوف يدل عليه اينا وما بعدها تقديره انبعث اذا ضللنا ومن قرا اذا بغير استفهام فجواب اذا محذوف اى اذا ضللنا في الارض نبعث ويكون ذلك اخبارا منهم على طريق الاستهزاء وكذلك من قرا انا على الخبر اكد واذلك الاستهزاء باستهزاء اخر وقرا الجمهور بفتح اللام والمضارع يضل بكسر عين الكلمة وهي اللغة الشهيرة الفصيحة وهي لغة نجد قال مجاهد هلكنا وكل شي غلب عليه غيره حتى تلف وخفي فقد هلك واصله من ضل الما في اللبن اذا ذهب وقال قطرب ضللنا غبنا في الارض وانشد قول النابغة الذبياني

فآب مضلوه بعين جلية ● وغودر بالجولان حزم ونايل ●

وقرا يحيى بن يعمر وابن محيصن وابو رجا وطلحة وابن وثاب بكسر اللام والمضارع بفتحها وهي لغة اهل العالية وقرا ابو حيوة ضللنا بالضاد المنقوطة وضمها وكسر اللام مشددة وذكرت عن علي وقرا علي وابن عباس والحسن والاعمش وابان بن سعيد بن العاص صللنا بالصاد المهملة وفتح اللام ومعناه انتنا وعن الحسن صللنا بكسر اللام يقال صل يصل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وصل يصل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع واصل يصل بالهمزة على وزن افعل قال الشاعر

تلجلج مضغة فيها انيض ● اصلت فهي تحت الكشح داء ●

وقال الفرا معناه صللنا بين الصلة وهي الارض اليابسة الصلبة وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللنا ولكن يقال اصل اللحم وصل واخم وخم اذا انتن وحكاه غيره بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب عن معنى استفهامهم كانه قال ليسوا مستفهمين بل هم كافرون جاحدون بلقاء الله والصيرورة الى جزائه ثم امره تعالى ان يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة من قبض ارواحهم ثم عودهم الى جزاء ربهم بالبعث وملك الموت اسمه عزرايل ومعناه عبد الله وقرا الجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبني للفاعل ولو ترى الظاهر انه خطاب للرسول وقيل له ولامته اي ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرايت العجب وقال ابو العباس المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى راى ان الجملة معطوفة على يتوفاكم داخلة تحت قل فلذلك لم يجعله خطابا للرسول والظاهر ان لو هنا لم تشرب معنى التمني بل هي التي لما كان سيقع لوقوع غيره والجواب محذوف اي لرايت اسوا حال يرى ولو تعليق في الماضي واذ ظرف للماضي فلتحقق الاخبار ووقوعه قطعا اتي بهما تنزيلا منزلة الماضي وقال الزمخشري يجوز ان تكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان احدهما ان يراد به التمني كانه قيل وليتك ترى والتمني له كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي والغم ليشمت بهم

وان يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا يريد به مخاطبا بعينه وكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه انتهى والتمني بلو في هذا الموضع بعيد وتسميته لو الامتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة لو لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة س وقوله قد حذف جوابها وتقديره وليتك ترى مما يدل على انها اذا كانت للتمني لا جواب لها والصحيح انها اذا اشربت معنى التمني يكون لها جواب كجوابها اذا لم تشرب وقال الشاعر

فلو نبش المقابر عن كليب ● فيخبر بالذنايب اي زير ●

بيوم الشعثمين لقر عينا ● وكيف لقاء من تحت القبور ●

وقال الزمخشري وقد تجي لو في معنى التمني كقولك لو تاتيني فتحدثني كما تقول ليتك تاتيني فتحدثني فقال ابن مالك ان اراد به الحذف اي وددت لو تاتيني فصحيح وان اراد بها موضوعة للتمني فغير صحيح لانه لو كانت موضوعة له ما جاز ان يجمع بينها وبين فعل التمني لا يقال تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم ولذلك امتنع الجمع بين لعل والترجي وبين الا والاستثنا انتهى ناكسوا روسهم مطرقوها من الذل والحزن والهم والغم والندم وقرا زيد بن علي نكسوا رؤوسهم فعلا ماضيا ومفعولا والجمهور اسم فاعل مضاف عند ربهم اي عند مجازاته وهو مكان شدة الخجل لان المربوب اذا اساء ووقف بين يدي ربه كانه في غاية الخجل ربنا على اضمار يقولون وقدره الزمخشري يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكرا وابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا انا موقنون اي بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون بالذي قال الرسول قاله يحيى بن سلام وموقنون مشعر بالالتباس في الحال اي حين ابصروا وسمعوا وقيل موقنون زالت الان عنا الشكوك ولم نكن في الدنيا نتدبر وكنا كمن لا يبصر ولا يسمع وقيل لك الحجة ربنا فقد ابصرنا رسلك وعجايب في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا وهذا اعتراف منهم ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون لاتينا كل نفس هداها اي اخترعنا الايمان فيها كقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولجمعهم على الهدى ولجعل الناس امة واحدة وقال الزمخشري على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصرا الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك قاله ابن عباس وغيره اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة انتهى وقوله على طريق الالجاء والقسر هو قول المعتزلة وقالت الامامية يجوز ان يريد هداها الى طريق الجنة في الاخرة ولم يعاقب احدا لكن حق القول منه انه يملا جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل اليها قالوا بل الواجب هداية المعصومين فاما من له ذنب فجايز هدايته الى النار جزاء على افعاله وفي جواز ذلك منع لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان انتهى وهذا صفة ليومكم ومفعول فذوقوا محذوف او مفعول فذوقوا اي فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهو ما انتم فيه

من نكس الرؤوس والخزي والغم وذوقوا العذاب الخلد في جهنم وفي استيناف قوله انا
نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم انما يؤمن باياتنا اثنى تعالى على
المؤمنين ووصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم
بخلاف ما يصنع الكفرة من الاعراض عن التذكير وقول الهجر واظهار التكبر وهذه السجدة من
عزايم سجود القران وقال ابن عباس السجود هنا بمعنى الركوع وروي عن ابن جريج
ومجاهد انها نزلت بسبب قوم من المنافقين كانوا اذا اقيمت الصلوة خرجوا من المسجد فكان
الركوع يقصد من هذا ويلزم على هذا ان تكون الاية مدنية ومن مذهب ابن عباس ان القارئ
للسجدة يركع واستدل بقوله وخر راكعا واناب تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى يقال جفاء
الرجل الموضع تركه وتجافى الجنب عن الموضع تركه وقال عبد الله بن رواحه

• نبي تجافى جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع •

وقال الزجاج والرماني التجافي التنحي الى جهة فوق والمضاجع اماكن الاتكاء للنوم الواحد
مضجع اي هم منتبهون لا يعرفون نوما وقال الجمهور المراد بهذا التجافي صلوة النوافل بالليل
وهو قول الاوزاعي ومالك والحسن البصري وابي العالية وغيرهم وفي الحديث ذكر قيام
الليل ثم استشهد بالاية يعني الرسول وقرا الدرداء وقتادة والضحاك تجافي الجنب
هو ان يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وقال الحسن هو التهجد وقال ايضا هو وعطاء
هو العتمة وفي الترمذي عن انس نزلت في انتظار الصلوة التي تدعى العتمة وقال قتادة
وعكرمة التنفل ما بين المغرب والعشاء يدعون حال او مستانف خوفا وطمعا مفعول من اجله او
مصدران في موضع الحال والظاهر الدعاء لا ابتهال الى الله وقيل الصلوة وقرا الجمهور
ما اخفي لهم فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وحمزة والاعمش ويعقوب بسكون الياء فعلا مضارعا
للمتكلم وابن مسعود ما نخفي بنون العظمة والاعمش ايضا اخفيت وقرا محمد بن كعب
ما اخفى فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وقرا الجمهور من قرة على الافراد وقرا عبد الله وابو
الدرداء وابو هريرة وعوف العقيلي من قرات بالجمع بالالف والتاء وهي رواية عن ابي عمرو
وابي جعفر والاعمش وما اخفي يحتمل ان تكون موصولة وان تكون استفهامية فتكون تعلم
معلقة والجملة في موضع المفعول ان كانت تعلم متعدية لواحد وفي موضع المفعولين
ان كانت تتعدى لاثنين وتقدم تفسير قرة عين في طه وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه
وسلم اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن مسعود في التوراة
مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت الى اخره
ولا تعلم نفس نكرة في سياق النفي فيعم جميع الانفس فادخر الله تعالى لاوليك واخفاه
من جميع خلايقه مما تقر به اعينهم لا يعلمه الا هو وهذه عدة عظيمة لا تبلغ الافهام كنهها
بل ولا تفاصيلها وقال الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا
اذن سمعت جزاء بما كانوا يعملون وهو تعالى الموافق للعمل الصالح وقال الزمخشري
تحسم اطماع المتمنين انتهى ومن نزعة اعتزالية افمن كان مومنا كمن كان فاسقا قال
ابن عباس وعطاء نزلت في علي والوليد بن عقبة تلاحيا فقال له الوليد انا اذلق منك لسانا
واحد سنانا وارد للكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة
للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وقال الزجاج والنحاس نزلت في علي
وعقبة بن ابي معيط فعلى هذا تكون الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل بطريق
مكة منصرف بدر والجمع في لا يستوون والتقسيم بعده حمل على معنى من وقيل لا يستوون
لاثنين لا ثنين وهو المومن والفاسق والتثنية جمع وقاله الزجاج ونزول الاية في علي
والوليد ثم بين انتفاء الاستواء بمقر كل واحد منهما وهو ان المومن له الجنة والفاسق
له النار وقرا طلحة جنة الماوي بالافراد والجمهور جنات بالجمع وقيل سميت بذلك لما روي
عن ابن عباس قال تاوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرا الجمهور
نزلا بضم الزاي وابو حيوة باسكانها والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فيما يعد للضيف

وامّا

واما الذين فسقوا اي بالكفر فماويهم النار اي المكان الذي ياوون اليه وقال الزمخشري
ويجوز ان يراد فجنة ماواهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوي للمومنين كقوله فبشرهم
بعذاب اليم انتهى وهذا فيه بعد وانما يذهب الى مثل فبشرهم اذا كان مصرحا به فيقول قام
مقام التبشير العذاب وكذلك قام مقام التحية ضرب وجيع اما ان تضمر شيا الكلام مستغن
عنه جار على احسن وجوه الفصاحة حتى يحمل الكلام على اضمار فليس بجيد والعذاب الادنى
قال ابي وابن عباس والضحاك وابن زيد مصايب الدنيا في الانفس والاموال وقال
ابن مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف نحو يوم بدر وقال مجاهد القتل والجوع لقريش
وعنه انه عذاب القبر وقال النخعي ومقاتل هو السنون التي اجاعهم الله فيها وقال ابن عباس
ايضا هو الحدود وقال ابي ايضا هو البطشة واللزام والدخان والعذاب الاكبر قال
ابن عطية لا خلاف انه عذاب الاخرة وفي التحرير واكثرهم على ان العذاب الاكبر عذاب يوم
القيامة في النار وقيل هو القتل والسبي والاسر وعن جعفر بن محمد انه خروج المهدي
بالسيف لعلهم يرجعون قال ابن مسعود لعل من بقي منهم يتوب وقال ابو العالية لعلهم
يتوبون وقال مقاتل يرجعون قال ابن مسعود العل من بقي منهم عن الكفر الى الايمان وقيل
لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا
كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا انتهى ويقابل
الادنى الابعد والاكبر الاصغر لكن الادنى يتضمن الاصغر لانه منقض بموت المعذب والتخويف
انما يصلح بما هو قريب وهو العذاب العاجل والاكبر يتضمن الابعد لانه واقع في الاخرة والتخويف
بالبعيد انما يصلح بذكر عظمه وشدته فحصلت المقابلة من حيث التضمن وصرح في كل منهما
بما هو اكد في التخويف وقال الزمخشري فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة
ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو
كانت مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال
عباده فاذا اراد شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال
عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجايه فان ارادها
وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح
ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها
لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلم تكن فقده دالا على عجزك انتهى وهو على مذهب المعتزلة
وقد رد عليهم اهل السنة وذلك مقرر في علم الكلام ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بخلاف
المومنين اذا ذكروا بها خروا سجدا ثم اعرض عنها قال الزمخشري ثم للاستبعاد والمعنى
ان الاعراض عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة

• ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسه •
• لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها •

استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها انتهى من المجرمين
عام في كل من اجرم فيندرج فيه بجهة الاولوية من كان اظلم كهو والاجرام هنا هو الكفر قال
يزيد بن رفيع هي في اهل القدر وقرا انا من المجرمين الى قوله بقدر وفي الحديث ثلث من كن فيه فقد
اجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن
في مرية من لقايه وجعلناه هدى لبني اسرايل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم
كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون
متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون لما قرر الاصول الثلثة الرسالة وبدء الخلق والمعاد
عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة التي هي بدعا في الرسالة اذ قد سبق قبلك

رسل وذكر موسى عليه السلم لقرب زمانه والزاما لمن كان على دينه ولم يذكر عيسى لان معظم
شريعته مستفاد من التوراة ولان اتباع موسى لا يوافقون على نبوته واتباع عيسى متفقون
على نبوة موسى والكتاب التوراة وقرا الحسن في مرية بضم الميم والظاهر ان الضمير
في لقايه عايد على موسى مضافا اليه على طريق المفعول والفاعل محذوف ضمير الرسول
اي من لقايك موسى اي في ليلة الاسرا اي شاهدته حقيقة وهو النبي الذي اوتي التوراة
وقد وصفه الرسول فقال ادم طوال جعد كانه من رجال شنوءة حين راه ليلة الاسرا قاله
ابو العالية وقتادة وجماعة من السلف وقاله المبرد حين امتحن الزجاج بهذه المسالة
وقيل عايد على الكتاب فاما مضافا اليه على طريق الفاعل والمفعول محذوف اي من لقا الكتاب
موسى ووصوله اليه واما بالعكس اي من لقا موسى الكتاب وتلقيه وقيل يعود على الكتاب
على تقدير مضمر اي من لقا مثله اي انا اتيناك مثل ما اتينا موسى ولقيناك بمثل ما لقيه
من الوحي فلا تك في شك من انك لقيته مثله ولقيت نظيره ونحو من لقايه قوله وانك لتلقى
القران وقال الحسن يعود على ما تضمنه القول من الشدة والمحنة التي لقي موسى وذلك
ان اخباره بانه اتى موسى الكتاب كانه قال ولقد اتينا موسى هذا العبا الذي انت بسبيله
فلا تمتر انك تلقى ما لقي موسى من المحنة بالناس انتهى وهذا قول بعيد وابعد منه من جعل
الضمير عايدا على موسى وذلك يوم القيامة اي من لقايه في الاخرة وابعد من هذا من جعله
عايدا على ملك الموت الذي تقدم ذكره والجملة اعتراضية وقيل عايد على الرجوع الى
الاخرة وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير ثم الى ربكم ترجعون فلا تكن في مرية من لقايه اي
من لقا البعث وهذه اقوال كان ينبغي ان ننزه كتابنا عن نقلها ولكن نقلها المفسرون
فاتبعناهم والضمير في وجعلناه لموسى وهو قول قتادة وقيل للكتاب جعله هاديا من
الضلالة وخص بني اسرايل بالذكر لانه لم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل وجعلنا منهم اي من بني
اسرايل ايمة قادة يقتدى بهم وقرا الجمهور لما صبروا بفتح اللام وشد الميم وعبد الله وطلحة
والاعمش وحمزة والكساي ورويس بكسر اللام وتخفيف الميم وكانوا يحتمل ان يكون
معطوفا على صبروا فيكون داخلا في التعليق ويحتمل ان يكون عطفا على وجعلنا منهم وقرا
عبد الله ايضا بما صبروا بباء الجر والضمير في منهم ظاهره يعود على بني اسرايل والفصل
يوم القيامة يعم الخلق كلهم او لم يهد لهم تقدم الكلام على نحو هذه الاية اعرابا وقراة
وتفسيرا في طه الا ان هنا من قبلهم والقوم يسمعون وهناك قبلهم ولاولي النهى ويسمعون
والنهى من الفواصل اولم يروا انا نسوق الما اقام تعالى الحجة على الكفرة بالامم السالفة
الذين كفروا فاهلكوا ثم اقامها عليهم باظهار قدرته وتنبيههم على البعث وتقدم تفسير
الجرز في الكهف وكل ارض جرز داخلة في هذا فلا تخصيص لها بمكان معين وقال ابن عباس
هي ارض ابين من اليمن وهي ارض تشرب بسيول لا تمطر وقرى الجرز بسكون الراء
فنخرج به اي بالما وخص الزرع بالذكر وان كان يخرج الله به انواعا كثيرة من الفواكه والبقول
والعشب المنتفع به في الطب وغيره تشريفا للزرع ولانه اعظم ما يقصد من النبات
او اوقع الزرع موقع النبات وقدمت الانعام لان ما ينبت ياكله الانعام اول فاول من قبل
ان ياكل بنو ادم الحب الا ترى ان القصيل وهو شعير يزرع تاكله الانعام قبل ان يسبل والرسيم
والفصفصة وامثال ذلك تبادره الانعام بالاكل قبل ان ياكل بنو ادم حب الزرع اولانه غذا
الدواب والانسان قد يتغذى بغيره من حيوان وغيره او بدا بالادنى ثم ترقى الى الاشرف
وهم بنو ادم وقرا ابو حيوة وابو بكر في رواية ياكل بالياء من اسفل وقرا الجمهور يبصرون
بياء الغيبة وابن مسعود بتاء الخطاب وجات الفاصلة افلا يبصرون لان ما سبق مري
وفي الاية قبله مسموع فناسب افلا يسمعون ثم اخبر تعالى عن الكفرة باستعجال فصل القضا
بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم قاله الجمهور وهو الذي
يترتب عليه قوله قل يوم الفتح الى اخره ويضعف قول الحسن ومجاهد فتح مكة لعدم
مطابقته ما بعده لان من امن يوم فتح مكة ينفعه ايمانه وكذا قول من قال يوم بدر
ولا هم ينظرون اي لا يوخرون عن العذاب ولما عرف غرضهم في سوالهم على سبيل

الهزء

الهزء وقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكان قد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم
الايمان واستنظرتم في حلول العذاب فلم تنظروا ويوم منصوب بلا ينفع ثم امره بالاعراض
عنهم وانتظار النصر عليهم والظفر بهم انهم منتظر والغلبة عليكم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون
وقيل انهم منتظرون العذاب اي هذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون وقرا اليماني منتظرون
بفتح الظا اسم مفعول والجمهور بكسرها اسم فاعل اي منتظر هلاكهم فانهم احقا ان ينتظر
هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملايكة في السما ينتظرونه **الجوف**
معروف وجمعه اجواف **يثرب** مدينة الرسول عليه السلم وقيل ارض المدينة في ناحية منها
الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب
الاقطار النواحي واحدها قطر ويقال قتر بالتا لغة فيه **عوق** عن كذا ثبطه عنه **سلقه**
اجترا عليه وضربه ويقال صلقه بالصاد قال الشاعر

فصلقنا في مراد صلقة ... وصدا الحقتهم بالثلل

وقيل سلقه خاطبه مخاطبة بليغة ومنه خطيب سلاق ومسلاق ولسان سلاق ومسلاق
النحب النذر والشي الذي يلتزمه الانسان ويعتقد الوفا به قال الشاعر

عشية فر الحارثيون بعدما ... قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر

وقال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا ... عشية بسطام جرين على نحب

اي على امر عظيم التزم القيام به وقد يسمى الموت نحبا **الصياصي** الحصون واحدها صيصة وهي
كل ما يمتنع به ويقال لقرن الثور والظبي والشوكة الديك وهي مخلبه الذي في ساقه لانه يتحصن
به والصياصي ايضا شوك الحاكة وتتخذ من حديد ومنه قول دريد بن الصمة كوقع الصياصي
في النسيج الممدد **الاسوة** القدوة وتضم همزته وتكسر وتاسى بفلان يقتدي به والاسوة
من الايتسا كالقدوة من الاقتدا اسم وضع موضع المصدر **التبرج** قال الليث تبرجت
ابدت محاسنها من وجهها وجسدها ويرى مع ذلك من عينها حسن نظر وقال ابو عبيدة ان تخرج
محاسنها مما تستدعي به شهوة الرجال واصله من البرج في عينه وفي اسنانه برج اي سعة
الوطر قال ابو عبيدة كالارب وانشد للربيع بن ضبع

ودعنا قبل ان نودعه ... لما قضى من شبابنا وطرا

وقال المبرد الوطر الشهوة والمحبة يقال ما قضيت من لقايك وطرا اي ما استمتعت بك
حتى تنتهي نفسي وانشد وكيف ثواي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر الجلباب
ثواب اكبر من الخمار

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى
اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياكم
ابناكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لابايهم هو اقسط
عند الله فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم
به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان
تفعلوا الى اوليايكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما هذه السورة مدنية وتقدم ان نداه صلى الله
عليه وسلم بقوله يايها النبي يايها الرسول هو على سبيل التشريف والتكريم والتنويه
بمحله وفضيلته وجا نداء غيره باسمه كقوله يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا موسى يا داود يا عيسى
وحيث ذكره على سبيل الاخبار عنه بانه رسوله صرح باسمه فقال محمد رسول الله
وما محمد الا رسول اعلم انه رسوله ولقنهم ان يسموه بذلك وحيث لم يقصد الاعلام

بذلك كما اسمه كما جا في لقد جاكم رسول من انفسكم وقال لو سول بارى النبي
اولى بالمومنين وغير ذلك من الاي وامره بالتقوى للتلبس بها امرا بالديمومة عليها
والازدياد منها والظاهر انه امر للنبي وان كان هو مامورا بذلك فغيره اولى بالامر
وقيل هو خطاب له لفظا وهو لامته وروي انه لما قدم المدينة وكان يحب اسلام اليهود
فبايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح في طرق
المخادعة وخلقه وحرصه على ايتلافهم ربما كان يسمع منهم فنزلت تحذيرا له منهم
وتنبيها على عداوتهم وروي ايضا ان ابا سفين وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي
قدموا في الموادعة التي كانت بينهم وبينه وقام عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد
بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك
عليه وعلى المومنين وهموا بقتلهم فنزلت وناسب ان نهاه عن طاعة الكفار وهم المتظاهرون
به وعن طاعة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويبطلون الكفر فالنسيان حاويان
الطايفتين اي ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا
اليك وروي ان اهل مكة دعوه الى ان يرجع الى دينهم ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه
شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافق المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت
ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة وهو انه حكى انهم يستعجلون الفتح
وهو الفصل بينهم واخبر تعالى انه يوم الفتح لا ينفعهم ايمانهم فامره في اول هذه السورة
بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما ارادوا به ان الله كان عليما اي
عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة حكيما لا يضع الاشيا الا مواضعها
منوطة بالحكمة او عليما حيث امر بتقواه وانها تكون عن صميم القلب حكيما حيث نهى
عن طاعة الكفار والمنافقين وقيل هي تسلية للرسول اي عليما بمن يتقي حكيما
في هدى من شا واضلال من شا ثم امره باتباع ما اوحي اليه وهو القران والاقتصار
عليه وترك مراسيم الجاهلية وقرا ابو عمرو بما يعملون الاولى والثانية بيا الغيبة
وباقي السبعة بتا الخطاب فجاز في الاولى ان تكون من باب الالتفات وجاز ان يكون مناسبا
لقوله واتبع ثم امره بتفويض امره الى الله وتقدم الكلام في كفى بالله في اول ما وقع
في القران روي انه كان في بني فهر رجل فيهم يقال له ابو معمر جميل بن اسد وقيل جميل
بن معمر بن حبيب بن وهب بن حارثة بن جمح وفيه يقول الشاعر

وكيف ثواي بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر

يدعي ان له قلبين ويقال له ذو القلبين وكان يقول انا اذكى من محمد وافهم فلما بلغته هزيمة
بدر طاش لبه وحدث ابا سفين بن حرب بحديث كالمختال فنزلت وقال الحسن هم جماعة
يقول الواحد منهم نفس تامرني ونفس تنهاني وقيل ان بعض المنافقين قال ان محمدا
له قلبان لانه ربما كان في شي فنزع في غيره نزعة ثم عاد الى شانه فنفى الله ذلك عنه وعن
كل احد قيل وجه نظم هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما امر بالتقوى كان من حقها ان لا
يكون في القلب تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان يتقي باحدهما الله وبالاخر غيره
وهو لا يتقي غيره الا بصرف القلب عن جهة الله الى غيره ولا يليق ذلك بمن يتقي الله
حق تقاته انتهى ملخصا ولم يجعل الله للانسان قلبين لانه اما ان يفعل احدهما مثل
ما يفعل الاخر من افعال القلوب فلا حاجة الى احدهما او غيره فيودي الى اتصاف الانسان
بكونه مريدا كارها عالما ظانا شاكا موقنا في حالة واحدة وذكر الجوف وان كان من
المعلوم ان القلب لا يكون الا في الجوف زيادة للتصوير والتجلي للمدلول عليه كما قال
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فاذا سمع بذلك صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين
فيسرع الى انكار ذلك وما جعل ازواجكم لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها اما لان
الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش
وغيره كالمملوك وهما حالتان متنافيتان وقرا قالون وقنبل اللاي هنا وفي المجادلة
والطلاق بالهمز من غير يا وورش بيا مختلسة الكسرة والبزي وابو عمرو بيا ساكنة

بدلا من الهمزة وهو بدل مسموع لا مقيس وهي لغة قريش وباقي السبعة بالهمز ويا بعدها
وقرا عاصم تظاهرون بالتا للخطاب وفي المجادلة باليا للغيبة مضارع ظاهر وبشد الظا والها
الحرميان وابو عمرو وبشد الظا والف بعدها ابن عامر وبتخفيفها والالف حمزة والكسائي
ووافق ابن عامر الاخوان في المجادلة وباقي السبعة فيها بشد مما وقرا ابن وثاب فيما
نقل ابن عطية بضم اليا وسكون الظا وكسر الها مضارع اظهر وفيما حكى ابو الفضل الرازي
عنه بتخفيف الظا حذف تا المطاوعة وشد الها وقرا الحسن تظهرون بضم التا وتخفيف
الظا وشد الها مضارع ظهر مشدد الها وقرا هرون عن ابي عمرو تظهرون بفتح التا والها
وسكون الظا مضارع ظهر مخفف الها وفي مصحف ابي تتظهرون بتاين فتلك تسع قراات
والمعنى قال لها انت علي كظهر امي فتلك الافعال ماخوذة من هذا اللفظ كقوله لبى المحرم
اذا قال لبيك وافف اذا قال اف وعدي الفعل بمن لان الظهار كان طلاقا في الجاهلية فيجتنبون
المظاهر منها كما يجتنبون المطلقة فالمعنى انه تباعد منها بجهة الظهار ونظيره آلى من امراته
لما ضمن معنى التباعد عدي بمن وكنوا عن البطن بالظهر ابعادا لما يقارب الفرج ولكونهم
كانوا يقولون يحرم اتيان المراة وظهرها للسما واهل المدينة يقولون يجي الولد اذ
ذاك احول فبالغوا في التغليظ في تحريم الزوجة فشبهوها بالظهر ثم بالغ فجعلها كظهر امه
وروي ان زيد بن حارثة من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فوهبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجا ابوه وعمه بفدايه وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد
فنزل وما جعل ادعياكم ابناكم الاية وكانوا في الجاهلية وصدرا من الاسلام اذا تبنى الرجل
ولد غيره صار يرثه والادعيا جمع دعي فعيل بمعنى مفعول جا شاذا وقياسه فعلى كجريح
وجرحى وانما هذا الجمع قياس فعيل المعتل اللام بمعنى فاعل نحو تقي واتقيا شبهوا دعيا بتقي
فجمعوه جمعه شذوذا كما شذوا في جمع اسير وقتيل فقالوا اسرا وقتلا وقد سمع المقيس
فيهما فقالوا اسرى وقتلى والبنوة تقتضي التاصل في النسب والدعوة اللصاق عارض
بالتسمية فلا يجتمع في الشي الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل ذلكم اي دعاوهم ابنا مجرد قول
لا حقيقة لمدلوله اذ لا يواطي اللفظ الاعتقاد اذ يعلم حقيقة انه ليس ابنه والله يقول
الحق اي ما يوافق ظاهرا وباطنا وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لابايهم
او سبيل الشرع والايمان وقرا الجمهور يهدي مضارع هدى وقتادة بضم اليا وفتح الها
وشد الدال واسقط افعل التفضيل وتقدم الكلام فيه في اواخر البقرة ومعناه
اعدل ولما امر بان يدعى المتبنى لابيه ان علم قالوا زيد بن حارثة وهو اليكم ولذلك قالوا
سالم مولى ابي حذيفة وذكر الطبري ان ابا بكرة قرا هذه الاية ثم قال انا ممن لا يعرف
ابوه فانا اخوكم في الدين ومولاكم قال الرازي ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال
الحديث يقولون فيه نفيع بن الحرث وفي الحديث من ادعى الى غير ابيه متعمدا حرم الله
عليه الجنة فيما اخطاتم به قيل رفع الحرج عنهم فيما كان قبل النهي وهذا ضعيف لا يوصف
بالخطا ما كان قبل النهي وقيل فيما سبق اليه اللسان اما على سبيل الغلط اذ كان سبق ذلك اليهم
قبل النهي فجرى ذلك على السنتهم غلطا او على سبيل التحنن والشفقة اذ كثيرا ما يقول
الانسان للصغير يا بني كما يقول للكبير يا ابي على سبيل التوقير والتعظيم وما عطف على ما اخطاتم
اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم واجيز ان تكون ما في موضع رفع بالابتدا اي ولكن ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا للعامد اذا تاب رحيما حيث رفع الجناح عن المخطي وكونه
عليه السلم اولى بالمومنين من انفسهم اي اراف بهم واعطف عليهم اذ هو يدعوهم الى
النجاة وانفسهم تدعوهم الى الهلاك ومنه قوله عليه السلم انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم
تقتحمون فيها تقحم الفراش ومن حيث ينزل لهم منزلة الاب وكذلك في مصحف ابي وقراة
عبد الله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم يعني في الدين وقال مجاهد كل نبي ابو امته وقد قيل
في قول لوط عليه السلم هولا بناتي انه اراد المومنات اي بناته في الدين ولذلك جا
انما المومنون اخوة اي في الدين وعنه عليه السلم ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا و

والاخرة واقروا ان شيتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي قيل واطلق في قوله اولى بالمومنين اي
في كل شي ولم يقيد فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقوقه
اثر الى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه انتهى ولو اريد هذا المعنى لكان التركيب المومنون
اولى بالنبي منهم بانفسهم وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في التوقير والاحترام وفي
بعض الاحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك مما جرين فيه مجرى الاجانب وظاهر قوله وازواجه
كل من اطلق عليها انها زوجة له عليه السلام من طلقها ومن لم يطلقها وقيل لا يثبت هذا الحكم
لمطلقته وقيل من دخل بها ثبتت حرمتها قطعا وهم عمر برجم امراة فارقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونكحت بعده فقالت له ولم هذا وما ضرب علي حجابا ولا سميت للمسلمين اما فكف
عنها كان اول الامر بالمدينة توارث باخوة الاسلام وبالهجرة ثم حكم تعالى بان اولي الارحام
احق في التوارث من الاخ في الاسلام او بالهجرة في كتاب الله اي في اللوح المحفوظ او في القران
من المومنين والمهاجرين اي اولى من المومنين الذين كانوا يتوارثون بمجرد الايمان
ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة وهذا هو الظاهر فيكون من هنا كهي في زيد
افضل من عمرو وقال الزمخشري يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من
هولاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب انتهى والظاهر عموم قوله الى اوليايكم فيشمل
جميع اقسامه من قريب واجنبي مومن وكافر يحسن اليه ويصله في حياته ويوصي له عند الموت
قاله قتادة والحسن وعطاء وابن الحنيفية وقال مجاهد وابن زيد والرماني وغيره الى
اوليايكم مخصوص بالمومنين وسياق ما تقدم في المومنين يعضد هذا لكن ولاية النسب
لا تدفع في الكافر انما تدفع ان يلقي اليه بالمودة كولي الاسلام وهذا الاستثنا في قوله الا ان
تفعلوا هو مما يفهم من الكلام اي واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في النفع بميراث وغيره
وعدي بالى لان المعنى الا ان توصلوا الى اوليايكم كان ذلك اشارة الى ما في الايتين في الكتاب
اما اللوح واما القران على ما تقدم مسطورا اي مثبتا بالاسطار وهذه الجملة مستانفة
كالخاتمة لما ذكر من الاحكام ولما كان ما سبق احكاما عن الله تعالى وكان فيه اشيا مما كانت
في الجاهلية واشيا في الاسلام نسخت اتبعه بقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي في تبليغ
الشرايع والدعا الى الله فلست بدعا في تبليغك عن الله والعامل في اذ قال الحوفي وابن
عطية يجوز ان يكون مسطورا اي مسطورا في الكتاب وحين اخذنا وقيل العامل واذكر حين
اخذنا وهذا الميثاق هو في تبليغ رسالات الله والدعا الى الايمان ولا يمنعهم من ذلك
مانع لا من خوف ولا طمع قال الكلبي اخذ ميثاقهم بالتبليغ وقال قتادة بتصديق بعضهم بعضا
والاعلان بان محمدا رسول الله واعلان رسول الله ان لا نبي بعده وقال الزجاج وغيره
الذي اخذ عليهم وقت استخراج البشر من صلب ادم كالذر قالوا فاخذ الله حينيذ ميثاق
النبيين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضا وبجميع ما تضمنه النبوة وروي نحوه عن ابي بن
كعب وخص هولا الخمسة بالذكر بعد دخولهم في جملة النبيين قيل وهم اولوا العزم
لشرفهم وتفضلهم على غيرهم وقدم محمد صلى الله عليه وسلم فيهم لكونه افضلهم واكثرهم تابعا وقدم
نوح في اية الشورى في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لان ايراده على خلاف
الايراد هنا اورده على طريق وصف دين الاسلام بالاصالة فكانه قال شرع لكم الدين
الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبيا في العهد الحديث
وبعث عليه من توسط بينهما من الانبيا المشاهير والميثاق الثاني هو الاول وكرر لاجل
صفته والغلظ من صفة الاجسام واستعير للمعنى مبالغا في حرمته وعظمته وثقل فرط تحمله
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا واللام في ليسال قيل يحتمل ان تكون
لام الصيرورة اي اخذ الميثاق على الانبيا ليصير الامر الى كذا والظاهر انه لام كي اي
بعثنا الرسل واخذنا عليها المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين فرقة يسالها
عن صدقها على معنى اقامة الحجة فتجيب بانها قد صدقت الله في ايمانها وجميع افعالها فيثيبها
على ذلك وفرقة كفرت فينالها ما اعد لها من العذاب فالصادقون على هذا المسوولون

هم المومنون والها في صدقهم عايدة عليهم ومفعول صدقهم محذوف تقديره عن صدقهم
عهده او يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف اي عن تصديقهم الانبيا لان من
قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء الذي اجابتهم به اممهم
حكاه علي بن عيسى او ليسال الانبيا عن الوفا بالميثاق الذي اخذه عليهم حكاه ابن شجرة
او ليسال الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم قاله مجاهد وفي هذا تنبيه اي اذا كان
الانبيا يسالون فكيف بمن سواهم وقال مجاهد ايضا ليسال الصادقين اراد المودين
عن الرسل انتهى وسوال الرسل تبكيت للكافرين بهم كما قال تعالى اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقال تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
واعد معطوف على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبيا الدعا الى دينه لاجل اثابة
المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب
المومنين واعد للكافرين قاله الزمخشري ويجوز ان يكون حذف من الاول ما اثبت به
الصادقون وهم المومنون وذكرت العلة وحذف من الثاني العلة وذكر ما عوقبوا به وكان
التقدير ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم
كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا واعد لهم عذابا
اليما فحذف من الاول ما اثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مقابله في الاول
وهذه طريقة بليغة وقد تقدم لنا ذكر ذلك في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق وامعنا الكلام هنالك يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما يعملون بصيرا اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون
وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم
النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوا او اراد
بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين
لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة
على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن
انبايكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم في غزوة الخندق
وما اتصل بها من امر بني قريظة وقد استوفى ذلك اهل السير ونذكر من ذلك ما له تعلق بالايات
التي يفسرها واذ معمولة لنعمة اي انعامه عليكم وقت مجي الجنود والجنود كانوا عشرة الاف
قريش ومن تابعهم من الاحابيش في اربعة الاف يقودهم ابو سفيان وبنو اسد يقودهم طليحة
وغطفان يقودهم عيينة وبنو عامر يقودهم عامر بن الطفيل وسليم يقودهم ابو الاعور
واليهود النضير رؤساوهم حيي بن اخطب وابنا ابي الحقيق وبنو قريظة سيدهم كعب
بن اسد وكان بينه وبين الرسول عهد فنبذه بسعي حيي بن اخطب قيل فاجتمعوا خمسة
عشر الفا وهم الاحزاب ونزلوا المدينة فحفر الخندق باشارة سلمان وهو من عمل الفرس
وظهرت للرسول به تلك المعجزة العظيمة من كسره الصخرة التي اعوزت الصحابة
ثلث فرق ظهرت مع كل فرقة برقة اراه الله منها مداين كسرى وما حولها ومداين قيصر
وما حولها ومداين الحبشة وما حولها وبشر بفتح ذلك واقام الذراري والنسا بالاطام
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ثلاثة الاف فنزلوا بظهر سلع والخندق
بينهم وبين المشركين وكان ذلك في شوال سنة خمس قاله ابن اسحق وقال مالك سنة

الريح وقرا الحسن وجنودا بفتح الجيم والجمهور بالضم بعث الله الصبا لنصرة نبيه
فاضرت بهم هدمت بيوتهم واطفأت نيرانهم وقطعت حبالهم واكفأت قدورهم ولم يمكنهم
معها قرار وبعث الله مع الصبا ملايكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها وقرا ابو عمرو
في رواية وابو بكر في رواية لم يروها بياء الغيبة وباقي السبعة والجمهور بتاء الخطاب
من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي
من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا يكون جملة حتى نستاصل محمدا وقال مجاهد من
فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد مكة وساير تهامة وهو
قول قريب من الاول وقيل انما يريد ما يختص ببقعة المدينة اي نزلت طايفة في اعلى
المدينة وطايفة من اسفلها وهذا قريب من القول الاول وقد يكون ذلك على معنى المبالغة
اي جاوكم من جميع الجهات كانه قيل اذ جاوكم محيطين بكم كقوله يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم المعنى يغشاهم محيطا بجميع ابدانهم وزاغت الابصار مالت عن
مستوى نظرها فعل الواله الجزع وقال الفرا زاغت عن كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها
وبلوغ القلوب الحناجر مبالغة في اضطرابها ووجيبها دون ان تنتقل من مقرها الى الحنجرة
وقيل تجب القلوب من شدة الفزع فيتصل وجيبها بالحنجرة فكانها بلغتها وقيل تجد
خشونه وقلبه يصعد علوا لينفصل فالبلوغ ليس حقيقة وقيل القلب عند الغضب
يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقاص فيلتصق بالحنجرة وقيل يفضي الى ان يسد مخرج
النفس فلا يقدر المرء ان يتنفس ويموت خوفا ومثله اذ القلوب لدى الحناجر وقيل اذا
انتفخت الرية من شدة الفزع والغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب
بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره والظنون جمع لما اختلفت
متعلقاته جمع وان كان لا ينقاس عند س جمع المصدر اذا اختلفت متعلقاته وينقاس
عند غيره وقد جا الظنون جمعا في اشعارهم انشد ابو عمرو في كتاب الالحان

اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بال فاطمة الظنونا

ظن المومنون الخلص ان ما وعدهم الله من النصر حق وانهم سيظهرون وظن الضعيف
الايمان مضطرب وظن المنافقين ان الرسول والمومنين سيغلبون وكل هولا يشملهم
الضمير في وتظنون وقال الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين
يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقال ابن عطية اي يكادون يضطربون ويقولون
ما هذا الخلف للوعد وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمومنين لا يمكن البشر دفعها واما
المنافقون فجلحوا ونطقوا وقال الزمخشري ظن المومنون الثبت القلوب بالله انه
يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب الذين هم على حرف
والمنافقون ظنوا بالله ما حكي عنهم وكتب الظنونا والرسولا والسبيلا في المصحف بالالف
فحذفها حمزة وابو عمرو وقفا ووصلا وابن كثير والكساي وحفص يحذفها وصلا خاصة
وباقي السبعة باثباتها في الحالين واختار ابو عبيد والحذاق ان يوقف على هذه الكلمة
بالالف ولا يوصل فيحذف او يثبت لان حذفها مخالف لما اجتمعت عليه مصاحف الامصار
ولان اثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب نظمهم ونثرهم لا في اضطرار ولا غيره اما
اثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقة لبعض مذاهب العرب لانهم يثبتون هذه
الالف في قوافي اشعارهم ومصاريعها والفواصل في الكلام كالمصاريع وقال ابو علي
هي روس الاي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع وهنالك
ظرف مكان للبعيد هذا اصله فيحمل عليه اي في ذلك المكان الذي وقع فيه الحصار والقتال
ابتلي المومنون والعامل فيه ابتلي وقال ابن عطية هنالك ظرف زمان قال ومن قال
ان العامل فيه وتظنون فليس قوله بالقوي لان البداة ليست متمكنة وابتلاؤهم قال
الضحاك بالجوع وقال مجاهد بالحصار وقيل بالصبر على الايمان وزلزلوا قال ابن
سلام حركوا بالخوف وقيل اضطربوا في اليقين وقال الضحاك عن اماكنهم حتى لم يكن لهم
الا موضع الخندق وقيل زلزلوا فثبتوا وصبروا حتى نصروا وقيل حركوا الى الفتنة

نعصموا

فعصموا وقرا الجمهور زلزالا بضم الزاي وقرا احمد بن موسى اللولوي عن ابي عمرو بكسر
الزاي قاله ابن خالويه وقال الزمخشري وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا انتهى كانه
يعني اشمامها الكسر ووجه الكسر في هذه القراة الشاذة انه اتبع حركة الزاي الاولى لحركة
الثانية ولم يعتد بالساكن كما يعتد به من قال منتن بكسر الميم اتباعا لحركة التا وهو
اسم فاعل من انتن وقرا الجمهور زلزالا بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها وكذا اذا
زلزلت الارض زلزالها ومصدر فعلل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقل قلقالا
وقد يراد بالمفتوح معنى اسم الفاعل فصلصال بمعنى مصلصل فان كان غير مضاعف فما سمع منه
على فعلال مكسور الفا نحو سرهفه سرهافا واذ يقول المنافقون وهم المظهرون الايمان
المبطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض هم الذين هم ضعفا الايمان الذين لم يتمكن الايمان
من قلوبهم فهم على حرف والعطف دال على التغاير نبه عليهم على جهة الذم لما ضرب رسول
الله الصخرة وبرقت تلك البوارق وبشر بفتح فارس والروم واليمن والحبشة قال
معتب بن قشير يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الان لا يقدر واحدنا
ان يذهب الى الغايط ما يعدنا الا غرورا اي امرا يغرنا ويوقعنا بما لا طاقة لنا به وقال
غيره من المنافقين نحوا من ذلك وقولهم ما وعدنا الله ورسوله هو على سبيل الهزء اذ لو
اعتقدوا انه رسوله حقيقة ما قالوا هذه المقالة فالمعنى ورسوله على زعمكم وزعمه وفي معتب
ونظرايه نزلت هذه الاية واذ قالت طايفة منهم اي من المنافقين لا مقام لكم في حومة
القتال والممانعة فارجعوا الى بيوتكم ومنازلكم امروهم بالهرب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا الى دينكم الاول واسلموه الى اعدايه قال السدي
والقايل لذلك عبد الله بن ابي سلول واصحابه وقال مقاتل بنو سلمة وقال اوس بن رومان
اوس بن قيظي واصحابه وقال مقاتل بنو الكلبي بنو حارثة ويمكن صحة هذه الاقوال
فان فيهم من كان منافقا لا مقام قرا السلمي والاعرج واليماني وحفص بضم الميم فاحتمل
ان يكون مكانا اي لا مكان اقامة واحتمل ان يكون مصدرا اي لا اقامة وقرا ابو جعفر
وشيبة وابو رجا والحسن وقتادة والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقي السبعة
بفتحها واحتمل ايضا المكان اي لا مكان قيام واحتمل المصدر اي لا قيام لكم ويستاذن فريق
منهم النبي هو اوس بن قيظي استاذن في الدخول الى المدينة عن اتفاق من عشيرته
يقولون حال اي قايلين ان بيوتنا عورة اي منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق اعور
المنزل انكشف وقال الشاعر

له الشدة الاولى اذا القرن اعورا

وقال ابن عباس الفريق بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله لا يولون الادبار اعتذروا
بان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها
ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار وقرا ابن عباس
وابن يعمر وقتادة وابو رجا وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو طالوت وابن مقسم واسمعيل
بن سليمان عن ابن كثير عورة وبعورة بكسر الواو فيهما والجمهور باسكانها قال الزمخشري
ويجوز ان تكون تخفيف عورة وبالكسر هو اسم فاعل وقال ابن جني صحة الواو في هذا
شاذة لانها متحركة قبلها فتحة انتهى فيعني انها تنقلب الفا فيقال عارة كما تقول رجل
مال اي مول واذا كان عورة اسم فاعل فهو من عور الذي صحت عينه فاسم الفاعل
كذلك يصح عينه فلا تكون صحة العين على هذا شذوذا وقيل السكون على انه مصدر
وصف به والبيت المعور هو المنفرد المعرض لمن اراد بسوء وقال الزجاج عور
المكان يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة وقال الفرا اعور المنزل بدا منه عور
واعور الفارس كان فيه موضع خلل للضرب والطعن قال الشاعر

متى تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا الضيف مسحوذا ولا الجار مرسلا

وقال الكلبي عورة خالية من الرجال ضايعة وقال قتادة قاصية يخشى عليها العدو
وقال السدي قصيرة الحيطان يخاف عليها السراق وقال الليث العورة سوءة الانسان

وكل امر يستحيي منه فهو عورة ويقال عورة في التذكير والتانيث والجمع كالمصدر وقال
ابن عباس قالت اليهود لعبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على
قتل انفسكم بيد ابي سفين واصحابه فارجعوا الى المدينة فانتم امنون اي يريدون الافرار
اي من الدين وقيل من القتال قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا من غير اذن النبي صلى الله عليه
وسلم والضمير في دخلت الظاهر عوده على البيوت اذ هو اقرب مذكور وقيل وعلى المدينة اي
ولو دخلها الاحزاب التي يفرون خوفا منها وانثالت على اهاليهم واولادهم ثم سئلوا الفتنة
اي الردة والرجوع الى اظهار الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها اي لجاووا اليها وفعلوا وعلى
قراءة القصر وهي قراءة نافع وابن كثير وقرا باقي السبعة لآتوها بالمد اي لاعطوها وما
تلبثوا بها وما البثوا اعطاها الا يسيرا قدر ما يكون السوال والجواب من غير توقف او وما
لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم او يخرجهم بالمومنين قال ابن
عطية ولو دخلت المدينة من اقطارها واشتد الحرب الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب
لمحمد صلى الله عليه وسلم لطاروا اليها واتوها محبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها الا
يسيرا قيل قدر ما ياخذون سلاحهم انتهى وقرا الجمهور سئلوا وقرا الحسن سولوا بواو
ساكنة بعد السين المضمومة قالوا وهي من سال يسال لغة كخاف يخاف لغة في سال المهموز
العين وحكى ابو زيد هما يتساولان انتهى ويجوز ان يكون اصلها المهموز لانه يجوز ان يكون سولوا
على قول من يقول في ضرب ضرب ثم سهل الهمزة بابدالها واوا على قول من قال في بوس
بوس بابدال الهمزة واوا لضمة ما قبلها وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو والاعمش سيلوا
بكسر السين من غير همز نحو قيل وقرا مجاهد سويلوا بواو وبعد السين المضمومة
وياء مكسورة بدلا من الهمزة وقال الضحاك ثم سئلوا الفتنة اي القتال في العصبية
لاسرعوا اليه وقال الحسن الفتنة الشرك والظاهر عود الضمير بها على الفتنة وقيل
يعود على المدينة وعاهدوا اجري مجرى اليمين ولذلك يتلقى بقوله لا يولون الادبار
وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى ولو جاء كما لفظوا به لكان التركيب
لا نولي الادبار والذين عاهدوا ابنو حارثة وبنو سلمة وهما الطايفتان اللتان هما بالفشل
في يوم احد ثم تابوا وعاهدوا بمكة ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل
ناس غابوا عن وقعة بدر قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن من قبل اي من قبل هذه
الغزوة غزوة الخندق لا يولون الادبار كناية عن الفرار والانهزام مسوولا مطلوبا
مقتضى حتى يوفى به وفي ذلك تهديد ووعيد قل لن ينفعكم الفرار خطاب توبيخ واعلام
ان الفرار لا ينجي من القدر وانه تنقطع اعمارهم في يسير من المدة واليسير مدة الاجال
قاله الربيع بن خثيم وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان فررتم من الموت
او القتل لا ينفعكم الفرار لان مجيء الاجل لابد منه واذا هنا تقدمها حرف عطف فلا يتحتم
اعمالها بل يجوز ولذلك قرا بعضهم واذا لا يلبثوا خلفك في سورة الاسرا بحذف النون
ومعنى خلفك اي بعد فراقهم اياك وقليلا نعت لمصدر محذوف اي تمتيعا قليلا او لزمان محذوف
اي زمانا قليلا ومر بعض المروانية على حايط مايل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك
القليل نطلب وقرا الجمهور لا تمتعون بتاء الخطاب وقرى بياء الغيبة ومن ذا استفهام
ركبت ذا مع من وفيه معنى النفي اي لا احد يعصمكم من الله قال الزمخشري فان قلت
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني
على الاول لما في العصمة من معنى المنع انتهى اما الوجه الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة
تدعوا الى حذفها والثاني هو الوجه لاسيما اذا قدر مضاف محذوف اي يمنعكم من مراد
الله والقايلين لاخوانهم كانوا اي المنافقون يثبطون اخوانهم من ساكني المدينة من انصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم
ابو سفين واصحابه فخلوهم وقيل هم اليهود كانوا يقولون لاهل المدينة تعالوا الينا وكونوا
معنا وقال ابن زيد انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب

فوجد شقيقه عنده شواء ونبيذ فقال له انت هاهنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الرماح والصفوف فقال هلم الي فقد احيط بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقبلها هو
محمد ابدا فقال كذبت والذي تحلف به لاخبرنه بامرك وبصاحبك فذهب ليخبره فوجد جبريل
قد نزل بهذه الاية وقال ابن السايب هي في عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ومن رجع من
المنافقين من الخندق الى المدينة فاذا جاءهم المنافق قالوا له ويحك اجلس ولا تخرج ويكتبون
الى اخوانهم في العسكر ان ايتونا فانا ننتظركم وكانوا لا ياتون العسكر الا ان لا يجدوا بدا من
اتيانه فياتون ليرى الناس وجوههم فاذا اغفل عنهم عادوا الى المدينة فنزلت وتقدم الكلام
في هلم في اواخر الانعام وقال الزمخشري وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا قال وهو
صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب انتهى والذي عليه النحويون ان هلم ليس صوتا
وانما هو مركب مختلف في اصل تركيبه فقيل هو مركب من ها التي للتنبيه والميم وهو
مذهب البصريين وقيل من هل وام والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو واما قوله
سمي به فعل متعد ولذلك قدر هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا فالنحويون يقولون انه
متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداكم اي احضروا شهداكم واللازم كقوله هلم
الينا اي اقبلوا الينا ولا ياتون الباس اي القتال الا قليلا اي اتيانا قليلا يخرجون مع
المومنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يقاتلون الا شيا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله
ما قاتلوا الا قليلا وقلته اما لقصر زمانه واما لقلة غنائه وانه رياء وتلميع لا تحقيق اشحة
جمع شحيح وهو البخيل وهو جمع لا ينقاس وقياسه في الصفة المضعفة العين واللام افعلاء نحو خليل
واخلاء فالقياس اشحاء وهو مسموع ايضا ومتعلق الشح بانفسهم او باحوالهم او باموالهم
في النفقات في سبيل الله او بالغنيمة عند القسم اقوال والصواب ان يعم شحهم بكل ما فيه
منفعة للمومنين وقال الزمخشري اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما
يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما
ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير
وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجتروا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا
وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم انتهى
وهو تكثير وتحميل للفظ ما لا يحتمله كعادته وقرا الجمهور اشحة بالنصب قال الفراء على
الذم واجاز نصبه على الحال والعامل يعوقون اشحة وقال الطبري حال من هلم الينا وقال
الزجاج حال من ولا ياتون وقيل حال من المعوقين وقيل من القايلين ورد القولان بان
فيهما تفريقا بين الموصول وما هو من تمام صلته وقرا ابن ابي عبلة اشحة بالرفع على
اضمار مبتدا اي هم اشحة فاذا جاء الخوف من العدو وتوقع ان يستاصل اهل المدينة لاذ
هولاء المنافقون بك ينظرون نظر الهلوع المختلط النظر الذي يغشى عليه من الموت
وتدور في موضع الحال اي دايرة اعينهم كالذي في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر
مشبه اي دورانا كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوفان وهما دوران
وعين ويجوز ان يكون في موضع الصفة لمصدر من ينظرون اليك نظرا كنظر الذي يغشى
عليه وقيل اذا جاء الخوف من القتال وظهر المسلمون على اعدايهم رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم في رووسهم وتجول وتضطرب رجاء ان يلوح لهم مضرب لانهم يحضرون على
نية شر لا على نية خير والقول الاول هو الظاهر سلقوكم قال قتادة بسطوا السنتهم
فيكم قال يزيد بن رومان في اذى المومنين وسبهم وتنقص الشرع وقال قتادة في طلب العطاء
من الغنيمة والالحاف في المسالة وقيل السلق في مخادعة المومنين بما يرضيهم من القول
على جهة المصانعة والمخاتلة وقرا الجمهور سلقوكم بالسين وابن ابي عبلة بالصاد
وقرا ابن ابي عبلة اشحة بالرفع اي هم اشحة والجمهور بالنصب على الحال من سلقوكم
وعلى الخير يدل على عموم الشح في قوله اولا اشحة عليكم وقيل في هذا اشحة على مال الغنايم
وقيل على ما لهم الذي ينفقونه وقيل على الرسول بظفره اوليك لم يومنوا اشارة الى

هم

المنافقين اي لم يكن قط ايمان والاحباط عمل قبول اعمالهم فكانت كالمحبطة وقال الزمخشري
فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان
الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وانما يعمله المنافق من الاعمال تجدي عليه فبين
ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل انتهى وفي كلامه استعمال عسى صلة لمن وهو
لا يجوز وقال ابن زيد عن ابيه نزلت في رجل بدري منافق بعد ذلك وقع في هذه المعاني فاحبط
الله عمله في بدر وغيرها وكان ذلك اي الاحباط او حالهم من شحهم ونظرهم يسيرا لا يبالي به ولا
له اثر في دفع خير ولا جلب شر وقال الزمخشري كل شي عليه يسير معناه ان اعمالهم حقيقة
بالاحباط تدعوا اليه الدواعي ولا تصرف عنه صارف انتهى وهو الفاظ المعتزلة يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اي هم من الجزع بحيث هزم الله الاحزاب فرحلوا وهم يحسبون انهم لم
يرحلوا وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم بما منوا به هذه الكرة انهم مقيمون
بالبدو مع الاعراب وهم اهل العمود يرحلون من قطر الى قطر يسالون من قدم من المدينة
عن ما جرى عليكم من قتال الاحزاب يتعرفون احوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا
وغرضهم من البداوة ان يكونوا سالمين من القتال ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة ٭
وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا تعلة ورياء وسمعة قال ابن السايب رميا بالحجارة خاصة
دون ساير انواع القتال وقرا الجمهور بادون جمع سلامة لباد وقرا عبد الله وابن
عباس وابن يعمر وطلحة بدى على وزن فعل كغاز وغزى وليس بقياس في معتل اللام بل
شبه بضارب وقياسه فعلة كقاض وقضاة وعن ابن عباس بدوا فعلا ماضيا وفي رواية
صاحب الاقليد بدي بوزن عدي وقرا الجمهور يسالون مضارع سال وحكى ابن عطية
ان ابا عمرو وعاصما والاعمش قروا يسلون بغير همز نحو قوله سل بني اسرايل ولا يعرف
ذلك عن ابي عمرو وعاصم ولعل ذلك في شاذهما ونقلها صاحب اللوامح عن الحسن والاعمش
وقرا زيد بن علي وقتادة والجحدري والحسن ويعقوب بخلاف عنهما يتساءلون بتشديد بدل
السين والمد واصله يتساءلون فادغمت التاء في السين اي يسال بعضهم بعضا اي يقول
بعضهم لبعض ما ذا سمعت وما ذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول تراينا الهلال ثم سلى
الله نبيه عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم لو حضروا ما اغنوا وما قاتلوا الا قليلا قال البعلبكي
هو قليل من حيث هو رياء ولو كان لله كان كثيرا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المومنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون
وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها وكان الله على
كل شي قديرا الظاهر ان الخطاب في قوله لقد كان لكم للمومنين لقوله قبل ولو كانوا
فيكم وقوله بعد لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لكم فيه الاقتدا
فكما نصركم ووازركم حتى قاتل بنفسه عدوكم فكسرت رباعيته الكريمة وشج وجهه الكريم وقتل
عمه واوذي ضروبا من الاذى يجب عليكم ان تنصروه وتوازروه ولا ترغبوا بانفسكم عن
نفسه ولا عن مكان هو فيه وتبذلوا انفسكم دونه فما حصل لكم من الهداية للاسلام اعظم
من كل ما تفعلوه معه صلى الله عليه وسلم من النصرة والجهاد في سبيل الله ويبعد قول من قال
انه خطاب للمنافقين واليوم الاخر يوم القيامة وقيل يوم السياق واسوة اسم كان ولكم
الخبر ويتعلق في رسول الله بما يتعلق به لكم او يكون في موضع الحال لانه لو تاخر كان يكون
نعتا لاسوة او يتعلق بكان على مذهب من اجاز في كان واخواتها الناقصة ان تعمل في الظرف
والمجرور ويجوز ان يكون في رسول الله الخبر ولكم تبيين اي لكم اعني لمن كان يرجوا الله قال
الزمخشري بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم انتهى ولا يجوز على مذهب جمهور

البصريين ان يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر في بدل الشي من الشي
وهما العين واحدة واجاز ذلك الكوفيون والاخفش ويدل عليه قول الشاعر ٭
بكم قريش كفينا كل معضلة ٭ وام نهج الهدى من كان ضليلا ٭
وقرا الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها والرجا بمعنى الامل او الخوف وقرن الرجاء
بذكر الله والموتسي برسول الله هو الذي يكون راجيا ذاكرا ولما بين تعالى حال المنافقين
وقولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا بين حال المومنين وقولهم ضد ما قال المنافقون
وكان الله قد وعدهم ان يزلزلهم حتى يستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية
فلما جا الاحزاب ونهض بهم للقتال واضطربوا قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب
سايرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا ذلك وقيل الوعد هو ما جاء في الاية وما وعده عليه السلم حين امر بحفر الخندق فانه
اعلمهم بانهم يحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم انهم سينصرون بعد ذلك
فلما راوا الاحزاب قالوا ذلك فسلموا الاول الامر وانتظروا اخره وهذا اشارة الى الخطب
ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاقداره وما زادهم اي شهود ذلك الموعود الا ايمانا اي
بما وقع وبما اخبر به الرسول بما لم يقع كفتح مكة وفارس والروم فالزيادة في ما يومن
به لا في نفس الايمان وقرا ابن ابي عبلة وما زادوهم بالوا وضمير الجمع ويعود على
الاحزاب وتقول صدقت زيدا الحديث وصدقت زيدا في الحديث وقد عدت صدق
هذه فيما يتعدى بحرف الجر واصله ذلك ثم يتسع فيه فيحذف الحرف ويصل الفعل اليه
بنفسه ومنه قولهم في المثل صدقني سن بكره اي في سن بكره فما عاهدوا اما ان يكون على اسقاط
الحرف اي فيما عاهدوا والمفعول الاول محذوف والتقدير صدقوا الله واما ان يكون صدق
يتعدى الى واحد كما تقول صدقني اخوك اذا قال لك الصدق وكذلك كذبني اخوك اذا
قال لك الكذب فكان المعاهد عليه مصدوقا مجازا كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي لك
وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا وهو لا الرجال قال
مقاتل والكلبي هم اهل العقبة السبعون اهل البيعة وقال انس نزلت في قوم لم يشهدوا
بدرا فعاهدوا ان لا يتاخروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفوا وقال يزيد بن رومان
بنو حارثة فمنهم من قضى نحبه قال ابن عباس نحبه موته وقال الحسن مات على ما عهد وقيل
منهم انس بن النضر ومن استشهد في ذات الله تعالى ويقال لمن مات قضى نحبه وهذا تجوز
كان الموت امر لا بد ان يقع بالانسان فسمي نحبا لذلك وقال مجاهد قضى نحبه اي عهده وقال
ابو عبيد نذره وقال الزمخشري فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاه بنذره
من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة الموصوفون بقضا النحب جماعة
من الصحابة وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهدا منهم والعشرة الذين شهد لهم رسول
بالجنة منهم الى من حصل في هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذا القول قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد سيل من الذي قضى نحبه ومنهم من ينتظر اذا فسر قضا النحب
بالشهادة كان التقدير ومنهم من ينتظر الشهادة واذا فسر بالوفا لعهود الاسلام كان
التقدير ومنهم من ينتظر الحصول في اعلى مراتب الايمان والصلاح وقال مجاهد ٭
ينتظر يوما فيه جهاد فيقضي نحبه وما بدلوا الا المستشهد ولا من ينتظر وقد ثبت
طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض
لمن بدل من المنافقين حين ولوا الادبار وكانوا عاهدوا لا يولون الادبار ليجزي الله
الصادقين اي الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه بصدقهم اي بسبب صدقهم ويعذب
المنافقين ان شا وعذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشية وهو قد شاء تعذيبهم اذا هم
وافوا على النفاق فقال ابن عطية تعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق
الى موتهم والتوبة موازنة لتلك الاقامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان
اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة فذكر تعالى على جهة الايجاز

واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ورد ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على ان معنى قوله
ليعذب ليديم على النفاق قوله ان شاء ومعادلته بالتوبة وحرف او انتهى وكان ما ذكر يؤول الى ان
التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شاء فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب
التعذيب واثبت المسبب وهو التعذيب واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب
وهو الرحمة والغفران وهو من الايجاز الحسن وقال الزمخشري ويعذبهم ان شاء اذا لم
يتوبوا ويتوب عليهم اذا تابوا انتهى ولا يجوز تعليق عذابهم اذا لم يتوبوا بمشيته تعالى
لانه تعالى قد شاء ذلك واخبر انه يعذب المنافقين حتما لا محالة واللام في ليجزي قيل لام
الصيرورة وقيل لام التعليل ويتعلق بقوله وما بدلوا تبديلا قال الزمخشري جعل المنافقون
كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق
بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما
والسعي لتحصيلها وقال السدي المعنى ان شاء ان يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم بنقلهم من النفاق
الى الايمان وقيل يعذبهم في الدنيا ان شاء ويتوب عليهم ان شاء ان الله كان غفورا للحوبة
رحيما لقبول التوبة ورد الله الذين كفروا الاحزاب عن المدينة والمومنين الى بلادهم
بغيظهم اي مغيظين فهو حال والبا للمصاحبة ولم ينالوا حال ثانية او من الضمير في بغيظهم
فيكون حالا متداخلة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استينافا
انتهى ولا يظهر كونها بيانا للاولى ولا للاستيناف لانها تبقى كالمفلتة مما قبلها وكفى الله المومنين
القتال بارسال الريح والجنود وهم الملائكة فلم يكن قتال بين المومنين والكفار وقيل
المراد علي بن ابي طالب وقوم معه برزوا للقتال ودعوا اليه وقتل علي من الكفار عمرو بن
عبد ود مبارزة حين طلب عمرو المبارزة فخرج اليه علي فقال اني لا اوثر قتلك لصحبتي لابيك
فقال له علي فانا اوثر قتلك فقتله على مبارزة واقتحم نوفل بن الحرث من قريش الخندق بفرسه
فقتل فيه وقتل من الكفار ايضا منبه بن عثمن وعبيد بن السباق واستشهد من المسلمين
في غزوة الخندق سعيد بن معاذ وانس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل وابو عمرو
وهم من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن عنمة وهما من بني سلمة وكعب بن زيد
من بني دينار بن النجار اصابه سهم غرب فقتله ولم تغز قريش المسلمين بعد الخندق وكفى
الله مداومة القتال وعودته بان هزمهم وذلك بقوته وعزته وعن ابي سعيد الخدري
حبسنا يوم الخندق فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد هوي من
الليل كفينا وانزل الله تعالى وكفى الله المومنين القتال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلالا فاقام وصلى الظهر فاحسنها ثم كذلك كل صلوة باقامة وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا
قريشا ومن معهم من الاحزاب من اهل الكتاب هم يهود بني قريظة قول الجمهور وعن
الحسن بنو النضير وقذف الرعب سبب لانزالهم ولكنه قدم المسبب لما كان السرور بانزالهم
اكثر والاخبار به اهم قدم وقال رجل يا رسول الله مر بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء عليها
قطيفة ديباج فقال ذاك جبريل عليه السلم بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف
الرعب في قلوبهم ولما رجعت الاحزاب جا جبريل وقت الظهر فقال ان الله يامرك بالخروج
الى بني قريظة فنادى في الناس لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فخرجوا اليها فمصل في الطريق
وراى ان ذلك خرج مخرج التاكيد والاستعجال ومصل بعد العشا وكل مصيب فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة وقيل احدى وعشرين وقيل خمس عشرة فنزلوا على حكم سعيد بن
معاذ الاوسي لحلف كان بينهم رجوا ان حنوه عليهم فحكم ان يقتل المقاتلة ويسبي الذرية
والعيال والاموال وان يكون الارض والثمار للمهاجرين دون الانصار فقالت له الانصار
في ذلك فقال اردت ان يكون لهم اموال كما لكم اموال فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق لهم في سوق المدينة
وقدمهم فضرب اعناقهم وهم بين ثمان مائة الى تسع مائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبع مائة
اسير وجي بحيي بن اخطب النضيري وهو الذي كان ادخلهم في الغدر برسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل عندهم ووفا لهم فنزل فيمن نزل على حكم سعد فلما قرب وعليه حلتان

تفاخيتان

تفاخيتان مجموعة يداه الى عنقه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد والله
ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا باس بامر الله وقدره
وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم تقدم فضربت عنقه وقال فيه بعض بني ثعلبة

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لاجهد حتى ابلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وقيل من نسائهم امراة وهي لبابة امراة الحكم القرظي كانت قد طرحت الرحى على خلاد بن
سويد فقتلته ولم يستشهد في حصار بني قريظة غيره ومات في الحصار ابو سنان بن محصن
اخو عكاشة بن محصن وكان فتح قريظة في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وقرا
الجمهور وتاسرون بتا الخطاب وكسر السين وابو حيوة بضمها واليماني بيا الغيبة وابن
انس عن ابن ذكوان بيا الغيبة في تقتلون وتاسرون واورثكم فيه اشعار بانه انتقل اليهم
ذلك بعد موت اوليك المتقولين ومن نقلهم ارضهم وقدمت لكثرة المنفعة بها من النخل
والزرع ولانهم باستيلائهم عليها ثانيا واموالهم ليستعان بها في قوة المسلمين للجهاد ولانها
كانت في بيوتهم فوقع الاستيلا عليها ثالثا وارضا لم تطؤوها وعد صادق في فتح البلاد كالعراق
والشام واليمن ومكة وساير فتوح المسلمين وقال عكرمة اخبر تعالى انه قد قضى بذلك وقال
الحسن اراد الروم وفارس وقال قتادة كنا نتحدث انها مكة وقال مقاتل ويزيد بن رومان
وابن زيد هي خيبر وقيل اليمن ولا وجه لهذه التخصيصات ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم
وقرا الجمهور تطؤوها بهمزة مضمومة بعدها واو وقرا زيد بن علي لم تطوها بحذف الهمزة
ابدل همزة نطا الفا على حد قوله

ان السباع لتهدى في مرابضها والناس لا يهتدى من شرهم ابدا

فالتقت ساكنة مع الواو فحذفت كقولك لم تروها وختم تعالى هذه الاية بقدرته على كل شي
فلا يعجزه شي وكان في ذلك اشارة الى فتحه على المسلمين الفتوح الكثيرة وانه لا يستبعد
ذلك فكما ملككم هذه فكذلك هو قادر على ان يملككم غيرها من البلاد يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي
لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا
معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكوة
واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما
سبب نزولها ان ازواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن واردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت
ولما نصر الله نبيه وفرق عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه انه اختص
بنفايس اليهود وذخايرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي
والحلل والاماء والخول ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والم قلبه بمطالبتهن له
بتوسعة الحال وان يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابر ازواجهم فامره الله بان يتلو
عليهن ما نزل في امرهن وازواجه اذ ذاك تسع عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام
حبيبة بنت ابي سفين وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وهؤلاء من قريش ومن
غير قريش ميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية
بنت الحرث المصطلقية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية فاخترن الله ورسوله
الا الحميرية وروي انه قال لعايشة وبدا بها وكانت احبهن اليه اني ذاكر لك امرا ولا عليك

ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر ابوي
فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله
مبلغا ولم يبعثني متعنتا والظاهر انهن اذا اخترن الحيوة الدنيا وزينتها متعهن رسول الله
وطلقهن وانه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق دون ان يوقعه هو وقال الاكثرون
هي اية تخيير فاذا قال لها اختاري فاختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا وعن علي تكون واحدة
رجعية وان اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه وهو قول علي
وواحدة رجعية عند الشافعي وهو قول عمر وابن مسعود وثلث عند مالك واكثر الناس
ذهبوا الى ان الاية في التخيير والطلاق وقال بعضهم في الاية تخييرهن بين الدنيا والآخرة
لا تخيير في الطلاق وهو قول علي والحسن وقتادة قال هذا القايل واما امر الطلاق فمرجى
فان اخترن انفسهن نظر هو كيف يسرحهن وليس فيها تخيير في الطلاق لان التخيير يتضمن ثلث
تطليقات وهو قد قال واسرحكن سراحا جميلا وليس مع بت الطلاق سراح جميل انتهى
والذي يدل عليه ظاهر الاية هو ما ذكرناه ولا من انه علق على ارادتهن زينة الحيوة الدنيا
وقوع التمتيع والتسريح منه والمعنى في الاية ان كان عظيم همكن ومطلبكن التعمق في الدنيا
ونيل نعيمها وزينتها وتقدم الكلام في فتعالين في قوله فتعالوا ندع ابناءنا وابناءكم في آل عمران
امتعكن قيل المتعة واجبة في الطلاق وقيل مندوب اليها والامر في قوله ومتعوهن يقتضي
الوجوب في مذهب الفقهاء وتقدم الكلام في ذلك وفي تفصيل المذاهب في البقرة
والتسريح الجميل اما في دون البت او جميل الثناء والمعتقد وحسن العشرة ان كان تاما
وقرأ الجمهور امتعكن بالتشديد من متع وزيد بن علي بالتخفيف من امتع ومعنى اعد هيأ
ويسر ووقع الظاهر موقع المضمر تنبيها على الوصف الذي ترتب لهن الاجر العظيم وهو الاحسان
كانه قال اعد لكن لان من اراد الله ورسوله والدار الآخرة كان محسنا وقرأ حميد الخراز
امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف والجمهور بالجزم على جواب الامر وعلى جواب الشرط
ويكون فتعالين جملة اعتراض بين الشرط وجزائه ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض
ومثل ذلك قول الشاعر

واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كل ما قدرا

ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهن مما يخاطبن به اذ كان امرا يجعل له البال وقرأ زيد بن علي والجحدري
وعمرو بن فايد الاسواري ويعقوب عن تاتي بتاء التانيث حملا على معنى من والجمهور بالياء
حملا على لفظ من بفاحشة مبينة كبيرة من المعاصي ولا يتوهم انها الزنا لعصمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ولانه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به وينبغي ان
تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته ولما كان مكانهن مهبط الوحي من الاوامر
والنواهي لزمهن بسبب ذلك وكونهن تحت الرسول اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن
الاجر والعذاب وقرأ نافع وحمزة وعاصم والكسائي يضاعف بالف وفتح العين والحسن
وعيسى وابو عمرو بالشد وفتح العين والجحدري وابن كثير وابن عامر بالنون وشد
العين مكسورة وزيد بن علي وابن محيصن وخارجة عن ابي عمرو بالالف والنون والكسر
وفرقة بياء الغيبة والالف والكسر ومن فتح العين رفع العذاب ومن كسرها نصبه
ضعفين اي عذابين فيضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر وقال ابو عبيدة وابو عمرو
فيما حكى الطبري عنهما انه يضاف الى العذاب عذابان فتكون ثلثة وكون الاجر مرتين
بعد هذا القول لان العذاب في الفاحشة بازاء الاجر في الطاعة وكان ذلك اي تضعيف
العذاب عليهن على الله يسيرا اي سهلا وفيه اعلام بان كونهن نساءه مع مقارفة الذنب
لا يغني عنهن شيا وهو يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب ومن يقنت بياء المذكر حملا على
لفظ من وتعمل بالتاء حملا على المعنى نوتها بنون العظمة وقرأ الجحدري والاسواري ويعقوب
في رواية ومن يقنت بتاء التانيث حملا على المعنى وبها قرأ ابن عامر في رواية ورواها
ابو حاتم عن ابي جعفر وشيبة ونافع وقال ابن خالويه ما سمعت ان احدا قرأ ومن يقنت
الا بالتاء وقرأ السلمي وابن وثاب وحمزة والكسائي بياء من تحت في ثلاثتها وذكر ابو البقاء

ان بعضهم قرأ ومن يقنت بالياء حملا على المعنى ويعمل بالياء حملا على لفظ من قال فقال بعض
النحويين هذا ضعيف لان التذكير اصل لا يجعل تبعا للتانيث وما عللوه به قد جاء مثله في القرآن
وهو قوله تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا انتهى وتقدم الكلام على خالصة في الانعام
والرزق الكريم الجنة قال ابن عطية ويجوز ان يكون في ذلك وعد دنياوي اي ان رزقها في الدنيا
على الله وهو كريم من حيث هو حلال وقصد وبرضى من الله في نيله وقال بعض المفسرين
العذاب الذي توعد به ضعفين هو عذاب الدنيا ثم عذاب الآخرة وكذلك الاجر وهو ضعيف
انتهى وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضى رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة
والتوفر على عبادة الله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اي ليس كل واحدة منكن كشخص واحد
من النساء اي من نساء عصركن وليس النفي منصبا على التشبيه في كونهن نسوة تقول
ليس زيد كاحاد الناس لا تريد نفي التشبيه عن كونه انسانا بل في وصف اخص موجود فيه وهو
كونه عالما او عاملا او نسيبا فالمعنى انه يوجد فيكن من التميز ما لا يوجد في غيركن وهو كونكن
امهات المومنين وزوجات خير المرسلين ونزل القرآن فيكن فكما انه عليه السلام ليس كاحد من
الرجال كما قال عليه السلام لست كاحدكم كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به وقال
الزمخشري احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر
والمونث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت
امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة يساويكن في الفضل والسابقة ومنه
قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحد
تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين انتهى اما قوله احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد
فصحيح واما قوله ثم وضع الى قوله وما وراءه فليس بصحيح لان الذي يستعمل في النفي العام
مدلوله غير مدلول واحد لان واحدا ينطلق على كل شي اتصف بالوحدة واحد المستعمل في النفي
العام مخصوص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحاء ودال ومادة احد
بمعنى واحد اصله واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا واما قوله لستن كجماعة
واحدة فقد قلنا ان قوله لستن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة واحدة
ليس حكما على المجموع من حيث هو مجموع وقلنا ان معنى كاحد كشخص واحد فابقينا احدا
على موضوعه من التذكير ولم ناوله بجماعة واحدة واما ولم يفرقوا بين احد منهم
فاحتمل ان يكون الذي للنفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم وصلحت التثنية للعموم
واحتمل ان يكون احد بمعنى واحد ويكون قد حذف معطوف اي بين واحد وواحد من رسله
كما قال الشاعر

فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل

اي لستن مثلهن ان اتقيتن الله وذلك لما انضاف مع تقوى الله من صحبة الرسول
وعظيم المحل منه ونزول القرآن في بيتهن وفي حقهن وقال الزمخشري ان اتقيتن ان
اردتن التقوى وان كن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا
مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور انتهى فعلى
القول الاول يكون ان اتقيتن قيدا في كونهن لسن كاحد من النساء ويكون جواب الشرط
محذوفا وعلى ما قاله الزمخشري يكون ان اتقيتن ابتدا شرط وجوابه فلا تخضعن وكلا
القولين فيهما حمل على ان اتقيتن على تقوى الله تعالى وهو الظاهر الاستعمال وعندي
انه محمول على ان معناه ان استقبلتن احدا فلا تخضعن واتقى بمعنى استقبل معروف
في اللغة وقال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى
ولا علق نهيهن على الخضوع بها اذ هن متقيات لله في انفسهن والتعليق يقتضي ظاهره
انهن ليس متحليات بالتقوى قال ابن عباس لا ترخصن بالقول وقال الحسن لا تكلمن
بالرفث وقال الكلبي لا تكلمن بما يهوى المريب وقال ابن زيد الخضوع بالقول ما يدخل

في القلوب الغزل وقيل لا يلين للرجال القول امر تعالى ان يكون الكلام خيرا لا على وجه يظهر
في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال
برخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات فنهاهن عن ذلك وقال الشاعر

يتكلم لو تستطيع كلامه ... لدنت له اروى الهضاب الصخد
لو انها عرضت لاشمط راهب ... عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرويتها وحسن حديثها ... ولخالها رشدا وان لم يرشد

وقرا الجمهور فيطمع بفتح الميم ونصب العين جوابا للنهي وابان بن عثمن وابن
هرمز بالجزم فكسرت العين لالتقاء الساكنين نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض
القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وقراءة النصب ابلغ لانها تقتضي الخضوع
سبب الطمع وقال ابو عمرو الداني قرا الاعرج وعيسى فيطمع بفتح الياء وكسر الميم
ونقلها ابن خالويه عن ابي السمال قال وقد روي ذلك عن ابن محيصن وذكر ان الاعرج
وهو ابن هرمز قرا فيطمع بضم الياء وفتح العين وكسر الميم اي فيطمع هو اي الخضوع
بالقول والذي مفعول او الذي فاعل والمفعول محذوف اي فيطمع نفسه والمرض
قال قتادة النفاق وقال عكرمة الفسق والغزل وقلن قولا معروفا وهو الذي لا تنكره
الشريعة ولا العقول قال ابن عباس المراة تندب اذا خاطبت الاجانب والمحرم عليها
بالمصاهرة الى الغلظة في القول من غير رفع الصوت فانها مامورة بخفض الكلام وقال
الكلبي معروفا صحيحا بلا تمكر ولا تمريض وقال الضحاك عنيفا وقيل خشنا بالشاكلة وقيل معروفا
اي قولا اذن لكم فيه وقيل ذكر الله وما يحتاج اليه من الكلام وقرا الجمهور وقرن بكسر القاف
من وقر يقر اذا سكن واصله اوقرن مثل عدن من وعد وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والقريش
اجتمعوا فكونوا قارة فالمعنى اجمعن انفسكن في بيوتكن وقرن امر من قار كما تقول خفن من خاف
او من القرار تقول قررت بالمكان واصله واقررن حذفت الراء الثانية تخفيفا كما حذفوا
لام ظللت ثم نقلت حركتها الى القاف ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الراء بعدها انتهى
وهذا غاية في التمحل كعادته وقرا عاصم ونافع بفتح القاف وهي لغة للعرب يقولون قررت
بالمكان بكسر الراء اقر بفتح القاف حكاه ابو عبيد والزجاج وغيرهما وانكرها قوم منهم
المازني وقالوا بكسر الراء من قرة العين وبفتحها من القرار وقرا ابن ابي عبلة واقررن
بالف الوصل وكسر الراء الاولى وتقدم لنا الكلام على قررت وانه بالفتح والكسر من
القرار ومن القرة امرهن تعالى بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه تعالى
فعل الجاهلية الاولى وكانت عايشة اذا قرات هذه الاية بكت حتى تبل خمارها تتذكر
خروجها ايام الجمل تطلب بدم عثمن وقيل لسودة لم لا تحجين وتعتمرين كما يفعل اخواتك
فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي فما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت
جنازتها ولا تبرجن قال مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتغنج والتكسر وقال مقاتل
تلقي الخمار على وجهها ولا تشده وقال المبرد تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره والجاهلية
الاولى تدل على ان ثم جاهلية متقدمة واخرى متاخرة فقيل كان ابنان لادم سكن احدهما
الجبل فذكور اولاده صباح واناثهم قباح والاخر السهل واولاده على عكس ذلك فسوى
لهم ابليس عيدا يجتمع جميعهم فيه فمال ذكور الجبل الى اناث السهل وبالعكس فكثرت الفاحشة
فهو تبرج الجاهلية الاولى وقال عكرمة والحكم بن عتيبة ما بين ادم ونوح وهي ثمان مائة
سنة كان الرجال صباحا والنساء قباحا فكانت المراة تدعو الرجل الى نفسها وقال ابن
عباس وقال ايضا الجاهلية الاولى ما بين ادريس ونوح كانت الف سنة تجمع المراة
بين زوج وعشيق وقال الكلبي وغيره ما بين نوح وابرهيم قال مقاتل زمن نمرود بغايا
يلبسن ارق الدروع ويمشين في الطرق وقال الزمخشري والجاهلية الاولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس
الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقال ابو العالية

زمن داود وسليمن كان للمراة قميص من الدر غير مخيط الجانبين يظهر منه الاعكان والسوات
وقال المبرد كانت المراة تجمع بين زوجها وخلها للزوج نصفها الاسفل وللخل نصفها يتمتع
به في التقبيل والترشف وقيل ما بين موسى وعيسى وقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما
السلم وقال مقاتل الاولى زمن ابرهيم والثانية زمن محمد عليه السلم قبل ان يبعث
وقال الزجاج الاشبه قول الشعبي لانهم هم الجاهلية المعروفون كانوا يتخذون البغايا
وانما قيل الاولى لانه يقال لكل متقدم ومتقدمة اول واولى وتاويله انهم تقدموا على امة
محمد صلى الله عليه وسلم فهم اولى وهم اول من امة محمد عليه السلم وقال عمر لابن عباس
وهل كانت الجاهلية الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت الاولى الا ولها اخرة فقال
عمر لله درك يا ابن عباس وقال الزمخشري والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
عليهما السلم ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام
يتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر انتهى والمعروف
في الحديث انه عليه السلم انما قال انك امرؤ فيك جاهلية لابي الدرداء رضي الله عنه
وقال ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار الى الجاهلية التي لحقتها فامرن بالنقلة
عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفر لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النساء
دون حجبة وجعلها اولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى وقد مر
اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعراء وقال ابن عباس
في البخاري سمعت ابي في الجاهلية الى غير هذا انتهى واقمن الصلوة امرهن امرا خاصا بالصلوة
والزكوة اذ هما عمود الطاعة البدنية والمالية ثم جاء بها في عموم الامر بالطاعة ثم
بين ان نهيهن وامرهن ووعظهن انما هو لاذهاب الماثم عنهن وتصونهن بالتقوى واستعار
الرجس للذنوب والطهر للتقوى لان عرض المقترف للمعاصي يتدنس بها ويتلوث كما
يتلوث بدنه بالارجاس واما الطاعات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه
الاستعارة تنفير عن ما نهى الله عنه وترغيب فيما امر به والرجس يقع على الاثم وعلى
العذاب وعلى النجاسة وعلى النقايص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت وقال
الحسن الرجس هنا الشرك وقال السدي الاثم وقال ابن زيد الشيطان وقال الزجاج
الفسق وقيل المعاصي كلها ذكره الماوردي وقيل الشك وقيل البخل والطمع وقيل الاهواء والبدع
وانتصب اهل على النداء او على المدح او على الاختصاص وهو قليل في المخاطب ومنه بك الله
نرجو الفضل واكثر ما يكون في المتكلم وقوله نحن بنات طارق نمشي على النمارق ولما كان اهل
البيت يشمله واياهن غلب المذكر على المونث في الخطاب عنكم ويطهركم وقول عكرمة
ومقاتل وابن السايب ان اهل البيت في هذه الاية مختص بزوجاته عليه السلم بعيد اذ لو
كان كما قالوا لكان التركيب عنكن ويطهركن وان كان هذا القول مرويا عن ابن عباس
فلعله لا يصح عنه وقال ابو سعيد الخدري هو خاص برسول الله وعلي وفاطمة والحسن
والحسين وروي نحوه عن انس وعايشة وام سلمة وقال الضحاك هم اهله وازواجه
وقال زيد بن ارقم والثعلبي بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة ال العباس وال علي وال
عقيل وال جعفر ويظهر انهم زوجاته واهله فلا تخرج الزوجات عن اهل البيت بل يظهر
انهن احق بهذا الاسم لملازمتهن بيته عليه السلم وقال ابن عطية والذي يظهر ان زوجاته
لا يخرجن عن هذه البتة فاهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها وقال الزمخشري
وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن
ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق النبوة
لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم
ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته
او حيث جعل الكلام جامعا بين الغرضين انتهى والاتصال واذكرن بما قبله يدل على انهن

من البيوت ومن لم يدخلهن قال هي ابتداء مخاطبة واذكرن اما بمعنى احفظن وتذكرنه واما
اذكرنه لغيركن وارويه حتى يعلم ومن ايات الله هو القران والحكمة هي ما كان من حديثه
وسنته عليه السلام غير القران ويحتمل ان يكون وصفا للايات وفي قوله لطيفا تليين وفي خبيرا
تحذير ما وقرا زيد بن علي ما تتلى بالتانيث والجمهور بالياء وروي ان نساءه عليه السلام قلن
يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكرنا وقيل السائلة ام سلمة وقيل لما نزلت
في نسايه ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شي فنزلت ان المسلمين الاية وهذه الاوصاف
العشرة تقدم شرحها فبدا اولا بالانقياد الظاهر ثم بالتصديق ثم الاوصاف التي بعدهما
تندرج في الاسلام وهو الانقياد وفي الايمان وهو التصديق ثم ختمها بخلة المراقبة
وهي ذكر الله كثيرا ولم يذكر هذه الاوصاف متعلقا الا في قوله والحافظين فروجهم والذاكرين
الله نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلا ومركب الشهوة الغالبة وعلى متعلق الذكر
بالاسم الاعظم وهو لفظ الله اذ هو العلم المحتوي على جميع اوصافه ليتذكر المسلم من
يذكره وهو الله تعالى وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم والتقدير
والحافظاتها والذاكراته اعد الله لهم غلب الذكور فجمع الاناث معهم وادرجهم في الضمير
ولم يات التركيب لهم ولهن وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم
الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج
في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات
الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شي عليما يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وكان بالمومنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا قال الجمهور ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم خطب الرسول لزيد زينب بنت
جحش فابت وقالت لست بناكحته فقال بلى فانكحيه فقد رضيته لك فابت فنزلت وذكروا انها
واخاها عبد الله كرها ذلك فلما نزلت الاية رضيا وقال ابن زيد وهبت ام كلثوم بنت عقبة
بن ابي معيط وهي اول امراة هاجرت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها فقالت قد قبلتك وزوجتك
زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردناه فزوجنا عبده فنزلت والسبب الاول
اصح ومناسبة هذه الاية انه لما ذكر تلك الاوصاف السابقة من الاسلام فما بعده عقب
ذلك بما صدر من بعض المسلمين اذ اشار الرسول بامر ووقع منهم الاباء له فانكر عليهم اذ هو
طاعته عليه السلام من طاعة الله وامره من امره والخيرة مصدر من تخير على غير قياس كالطيرة
من تطير وقرى بسكون الياء ذكره عيسى بن سليمان وقرا الحرميان والعربيان وابو
جعفر وشيبة والاعرج وعيسى ان تكون بالتانيث والكوفيون والحسن والاعمش
والسلمي بالياء ولما كان قوله لمومن ولا مومنة يعم في سياق النفي جا الضمير مجموعا على المعنى
في قوله لهم مغلبا فيه المذكر على المونث وقال الزمخشري كان من حق الضمير ان يوحد
كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا انتهى وليس كما ذكر لان هذا
عطف بالواو فلا يجوز افراد الضمير الا على تاويل الحذف اي ما جاءني من رجل الا كان من
شانه كذا وتقول ما جا زيد ولا عمرو الا ضربا خالدا ولا يجوز الا ضرب الا على الحذف
كما قلنا واذ تقول الخطاب للرسول عليه السلام للذي انعم الله عليه بالاسلام وهو اجل
النعم وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول تبناه وانعمت عليه وهو عتقه وتقدم طرف
من قصته في اوايل السورة امسك عليك زوجك وهي زينب بنت جحش وتقدمت مرات

الرسول

الرسول كان خطبها له وقيل انعم الله بصحبتك ومودتك وانعمت عليه بتبنيه فجا زيد
فقال يا رسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي قال ارابك منها شي قال لا والله ولكنها تتعظم علي
لشرفها وتوذيني بلسانها فقال امسك عليك زوجك اي لا تطلقها وهو امر ندب واتق
الله اي في معاشرتها فطلقها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها
وعلل تزويجه اياها بقوله لكيلا يكون على المومنين حرج في ان يتزوجوا زوجات من كانوا
تبنوه اذا فارقوهن وان هولا الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله وحلايل
ابنايكم وقال علي بن الحسين كان قد اوحى الله اليه ان زيدا سيطلقها وانه يتزوجها
بتزويج الله اياها فلما شكا زيد خلقها وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له
امسك عليك زوجك واتق الله على طريق الادب والوصية وهو يعلم انه سيطلقها وهذا
هو الذي اخفى في نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيطلقها وخشي رسول الله
ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه
الله على هذا القدر في شي قد اباحه الله بان قال امسك مع علمه انه يطلق واعلمه ان الله
احق بالخشية اي في كل حال انتهى وهذا المروي عن علي بن الحسين هو الذي عليه
اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي ابو بكر
بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو ارجاف المنافقين في تزويج نساء
الابناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في حركاته وسكناته ولبعض المفسرين كلام
في الاية يقتضي النقض من منصب النبوة ضربنا عنه صفحا وقيل قوله واتق الله وتخفي
في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله عز وجل او من النبي صلى الله عليه وسلم لزيد فانه
اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون من نسايه
انتهى وللزمخشري في هذه الاية كلام طويل وبعضه لا يليق ذكره مما فيه غير صواب
مما جرى فيه على مذهب الاعتزال وغيره واخترت منه ما نصه قال كم من شي يتحفظ
منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال
فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات
يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم
الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقايق الاشيا ولبابها دون قشورها الا ترى انهم
كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستا
نسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم
والحيا يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا
لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض
مشتهياته من امراه او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق
الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه
ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل
عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شي حتى ان
الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر فاذا كان الامر مباحا من
جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد لو كان
مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة
والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المومنين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة
العامة في قوله لكي لا يكون الاية انتهى ما اخترناه من كلام الزمخشري وقوله امسك عليك
فيه وصول الفعل الرافع الضمير المتصل الى الضمير المجرور وهما لشخص واحد فهو كقوله
هون عليك ودع عنك نهبا صيح في حجراته وذكروا في مثل هذا التركيب ان على وعن
اسمان ولا يجوز ان يكونا حرفين لامتناع فكر فيك واعني بك بل هذا مما يكون فيه النفس
اي فكر في نفسك واعن بنفسك وقد تكلمنا على هذا في قوله وهزي اليك واضمم اليك جناحك

وقال الحوفي وتخفي في نفسك مستأنف وتخشى معطوف على وتخفي وقال الزمخشري واو الحال
اي يقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة
الناس او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشية الناس انتهى
ولا يكون وتخفي حالا الا على اضمار مبتدا اي وانت تخفي لانه مضارع مثبت فلا يدخله
عليه الواو الا على ذلك الاضمار وهو مع ذلك قليل نادر لا يبنى على مثله القواعد ومنه قولهم
قمت واصك عينه اي اصك عينه والله احق ان تخشاه تقدم اعراب نظيره في التوبة فلما
قضى زيد منها وطرا اي حاجة قيل وهو الجماع قاله ابن عباس وروى ابو عصمة نوح بن ابي
مريم باسناد رفعه الى زينب انها قالت ما كنت امتنع منه غير ان الله منعني منه وقيل انه
مذ تزوجها لم يتمكن من الاستمتاع بها وروي انه كان يتورم ذلك منه حين يريد ان يقربها
وقال قتادة الوطر هنا الطلاق وقرا الجمهور زوجناكها بنون العظمة وجعفر بن محمد
وابن الحنيفية واخواه الحسن والحسين وابوهم علي زوجتكها بتاء الضمير للمتكلم ونفى
تعالى الحرج عن المومنين في اجرا ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم
بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن وكان امر الله اي مقتضى امر الله او مضمن امره
قال ابن عطية والا فالامر قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل على بعد ان يكون الامر
واحد الامور اي التي شانها ان يفعل وقال الزمخشري وكان امر الله الذي يريد
ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ويجوز
ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن ولما نفى الحرج عن المومنين فيما ذكر واندرج
الرسول فيهم اذ هو سيد المومنين نفى عنه الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف
ونفى الحرج عنه مرتين احداهما بالاندراج في العموم والاخرى بالخصوص فيما فرض الله
له قال الحسن فيما خصه به من صحة النكاح بلا صداق وقال قتادة فيما احل له وقال
الضحاك في الزيادة على الاربع وكانت اليهود عابوه بكثرة النكاح وكثرة الازواج
فرد الله عليهم بقوله سنة الله اي في الانبياء بكثرة النساء حتى كان لسليمن عليه السلم
ثلثماية حرة وسبع ماية سرية وكان لداود ماية امراة وثلثماية سرية وقيل الاشارة
الى ان الرسول جمع بينه وبين زينب كما جمع بين داود وبين التي تزوجها بعد
قتل زوجها وانتصب سنة الله على انه اسم موضوع موضع المصدر قاله الزمخشري
او على المصدر او على اضمار فعل تقديره الزم او نحوه او على الاغرا كانه قال فعليه سنة الله
قاله ابن عطية وقوله او على الاغرا ليس بجيد لان عامل الاسم في الاغرا لا يجوز حذفه
وايضا فتقديره فعليه سنة الله بضمير الغايب لا يجوز ذلك في الاغرا اذ لا يغرى غايب وما جا
من قولهم عليه رجلا ليسني له تاويل ومع ذلك نادر والذين خلوا الانبيا بدليل وصفهم بعد
قوله الذين يبلغون رسالات الله وكان امر الله اي مامورات الله والكاينات عن امره فهي مقدورة
وقوله قدرا اي ذا قدر او عن قدر او قضا مقضيا وحكما مبتوتا والذين صفة للذين خلوا
او مرفوع او منصوب على اضمارهم او على امدح وقرا عبد الله الذين بلغوا جعله فعلا ماضيا
وقرا ابي رسالة الله على التوحيد والجمهور يبلغون ورسالات جمعا وكفى بالله حسيبا اي
محاسبا على جميع الاعمال والعقايد او محتسبا اي كافيا ثم نفى تعالى كون رسوله ابا احد من
رجالهم بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ما يثبت بين الاب وولده هذا مقصود
هذه الجملة وليس المقصود انه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في امر بنيه بانهم كانوا
ماتوا ولا في امر الحسن والحسين بانهما كانا طفلين واضافة رجالكم الى ضمير المخاطبين يخرج
من كان من بنيه لانهم رجاله لا رجال المخاطبين وقرا الجمهور ولكن رسول بتخفيف لكن ونصب
رسول على اضمار كان لدلالة كان المتقدم عليه قيل او على العطف على ابا احد وقرا عبد
الوارث عن ابي عمرو بالتشديد والنصب على انه خبر لكن والخبر محذوف تقديره
ولكن رسول الله وخاتم النبيين هو اي محمد صلى الله عليه وسلم وحذف خبر لكن واخواتها جايز
اذا دل عليه الدليل ومما جا في لكن قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجيا عظيم المشافر

اي

اي انت لا تعرف قرابتي وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة بالتخفيف ورفع رسول وخاتم اي ولكن
هو رسول الله كما قال الشاعر

ولست الشاعر السفساف فيهم ... ولكن مدره الحرب العوان

اي ولكن انا مدره وقرا الجمهور وخاتم بكسر التاء بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وروي عنه انه
قال انا خاتم الف نبي وعنه انا خاتم النبيين في حديث واللبنة وروي عنه عليه السلم الفاظ تقتضي
نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم والمعنى انه لا يتنبا احد بعده ولا يرد نزول عيسى اخر الزمان
لانه ممن نبي قبله وينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض
امته قال ابن عطية وما ذكره القاضي ابو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال
في الفاظ هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد
الحاد عندي وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة
فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته وقرا الحسن والشعبي وزيد بن علي والاعرج بخلاف
وعاصم بفتح التاء بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم ومن ذهب الى ان النبوة مكتسبة
لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله وقد ادعى النبوة ناس فقتلهم
المسلمون على ذلك وكان في عصرنا شخص من الفقرا ادعى النبوة بمدينة مالقة فقتله السلطان
ابن الاحمر ملك الاندلس بغرناطة وصلب الى ان تناثر لحمه وكان الله بكل شي عليما هذا عام
والقصد هنا علمه تعالى بما راه الاصلح لرسوله وبما قدره في الامر كله ثم امر المومنين بذكره
بالثنا عليه وتحميده وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق به والذكر الكثير قال ابن عباس ان لا ينساه
ابدا والتسبيح مندرج في الذكر لكنه خص لانه تنزيهه تعالى عما لا يليق به فهو افضل ومن
افضل الاذكار وعن قتادة قالوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب وبكرة واصيلا تقتضيهما
اذكروا وسبحوا والنصب بالثاني على طريق الاعمال والوقتان كناية عن جميع الزمان ذكر
الطرفان اشعارا بالاستغراق وقال ابن عباس اي صلوا صلوة الفجر والعشا وقال الاخفش
ما بين العصر الى العشا وقال قتادة الاشارة بهاذين الوقتين الى صلوة الغداة وصلوة العصر
ويجوز ان يكون الامر بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على الطاعات فان كل طاعة
وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها
لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشا لان اداهما اشق ولما امرهم بالذكر والتسبيح
ذكر احسانه تعالى بصلوته عليهم هو وملايكته قال الحسن يصلي عليكم يرحمكم وقال ابن جبير
يغفر لكم وقال ابو العالية يثني عليكم وقيل يترأف بكم وصلوة الملايكة الاستغفار كقوله
ويستغفرون للذين امنوا وقال مقاتل الدعا والمعنى هو الذي يترحم عليكم حيث يدعوكم
الى الخير ويامركم باكثار الذكر والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقال
ابن زيد من الضلالة الى الهدى وقال مقاتل من الكفر الى الايمان وقيل من النار الى الجنة حكاه
الماوردي وقيل من القبور الى البعث وملايكته معطوف على الضمير المرفوع المستكن في يصلي
واغنى الفصل بالجار والمجرور عن التاكيد وصلوة الله غير صلوات الانبيا والملايكة فكيف اشتركا
في قدر مشترك وهو ارادة وصول الخير اليهم فالله تعالى يريد برحمته اياهم ايصال الخير اليهم
وملايكته يريدون بالاستغفار ذلك وقال الزمخشري جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم
فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قولهم حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت
لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك
الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بان يصلي عليه وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد
بالصلوة الرحمة انتهى وما ذكره من قوله كانهم فاعلون فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز
وما ذكرناه من ان الصلاتين اشتركا في قدر مشترك اولى تحيتهم يوم يلقونه اي يوم القيامة
سلام اي تحيتهم الله يقول للمومنين السلم عليكم مرحبا بعبادي الذين ارضوني باتباع امري
قاله القراشي وقيل تحيتهم الملايكة بالسلامة من كل مكروه وقال البرا بن عازب معناه ان

ملك الموت لا يقبض روح المومن حتى يسلم عليه وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت
لقبض روح المومن قال ربك يقريك السلم قيل فعلى هذا الهاء في قوله يلقونه كناية عن غير
مذكور وقيل سلام الملايكة عند خروجهم من القبور وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي
بعضهم بعضا بالسلم اي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملايكة يوميذ وقيل هو سلام
ملك الموت والملايكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة والتحية مصدر في هذه الاقوال
اضيف الى المفعول لا في قول من قال بعضهم فانه مصدر مضاف للمحيي والمحيا لا على جهة
العمل لان الضمير الواحد لا يكون فاعلا مفعولا ولكنه كقوله وكنا لحكمهم شاهدين اي للحكم
الذي جرى بينهم وليبعث اليهم فكذلك هذا التحية الجارية بينهم هي سلام وفرق المبرد
بين التحية والسلم فقال التحية يكون ذلك دعاء والسلم مخصوص ومنه ويلقون فيها
تحية وسلاما والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي
مقبولا قولك عند الله وشاهدا بالتبليغ اليهم وبتبليغ الانبياء قبلك وانتصب شاهدا
على انه حال مقدرة اذ كان وقت الارسال لم يكن شاهدا عليهم وانما يكون شاهدا عند تحمل
الشهادة وعند اداها ولانه اقرب زمان البعثة وايمان من امن وتكذيب من كذب كان ذلك
وقع في زمان واحد وداعيا الى الله قال ابن عباس الى شهادة ان لا اله الا الله وقال ابن
عيسى الى الطاعة باذنه اي بتسهيله وتيسيره ولا يراد به حقيقة الاذن لانه قد فهم من
قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء ولما كان دعا المشرك الى التوحيد صعبا جدا
قيد باذنه اي بتسهيله تعالى وسراجا منيرا اجلى به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون
كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به اذا مد الله بنور نبوته نور البصاير كما يمد
بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضي اذا قل سليطه ودقت
فتيلته وقال الزجاج هو معطوف على شاهدا اي وذا سراج منير اي كتاب نير وقال الفرا
ان شيت كان نصبا على معنى وتاليا سراجا منيرا وقال الزمخشري ويجوز على هذا التفسير
ان يعطف على كاف ارسلناك انتهى ولا يتضح هذا الذي قاله اذ يصير المعنى ارسلنا ذا سراج
منير وهو القران ولا يوصف بالارسال القران انما يوصف بالانزال وكذلك ايضا اذا كان
التقدير وتاليا يصير المعنى ارسلناك تاليا سراجا منيرا ففيه عطف الصفة التي للذات
على الذات كقولك رايت زيدا والعالم اذا كان العالم صفة لزيد والعطف مشعر بالتغاير
ولا يحسن مثل هذا التخريج في كتاب الله وثم حمل على ما تقتضيه الفصاحة والبلاغة ولما
ذكر تعالى انه ارسل نبيه شاهدا الى اخره تضمن ذلك الامر بتلك الاحوال فكانه قال
فاشهد وبشر وانذر وادع وانر ثم قال وبشر المومنين فهذا متصل بما قبله من جهة المعنى
وان كان يظهر انه منقطع من الذي قبله والفضل الكبير الثواب من قولهم للعطايا فضول
وفواضل او المزيد على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب او ما فضلوا به
على ساير الامم وذلك من جهته تعالى او الجنة وما اوتوا فيها ويفسره والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون فيها عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ولا تطع
الكافرين والمنافقين نهي له عليه السلم عن السماع منهم في اشيا كانوا يطلبونها مما لا يجب
وفي اشيا ينتصحون بها وهي غش ودع اذاهم الظاهر اضافته الى المفعول لما نهى عن طاعتهم
امر بتركه اذايتهم وعقوبتهم ونسخ منه ما يخص الكافرين باية السيف وتوكل على الله فانه
ينصرك ويخذلهم ويجوز ان يكون مضافا للفاعل اي ودع اذايتهم اياك اي مجازاة الاذاية
من عقاب وغيره حتى يومر وهذا تاويل مجاهد يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن
سراحا جميلا يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك
وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا
رحيما ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك

ذلك

ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان
الله عليما حليما لا تحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن
الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شي رقيبا لما ذكر تعالى قصة زيد وزينب وتطليقه اياها
وكانت مدخولا بها واعتدت وخطبها الرسول عليه السلم بعد انقضا عدتها بين حال
من طلقت قبل المسيس وانها لا عدة عليها ومعنى نكحتم عقدتم عليهن وسمي العقد نكاحا
لانه سبب اليه كما سميت الخمر اثما لانها سبب له قالوا ولفظ النكاح في كتاب الله لم يرد
الا في العقد وهو من اداب القران كما كنى عن الوطء بالمماسة والملامسة والقربان
والتغشي والاتيان قيل الا في قوله حتى تنكح زوجا غيره فانه بمعنى الوطء وقد تقدم
الكلام عليه في البقرة والكتابيات وان شاركت المومنات في هذا الحكم فتخصيص المومنات
بالذكر تنبيه على ان المومن لا ينبغي ان يتخير لنطفته الا المومنة وفايدة المجي بثم
وان كان الحكم ثابتا لمن تزوجت وطلقت على الفور ولمن تاخر طلاقها قال الزمخشري نفي التوهم
عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها
بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها انتهى واستعمل صلة لمن عسى وهو
لا يجوز ولو لوحظ في ذلك الغالب فان من اقدم على العقد على امراة انما يكون ذلك لرغبة
فيبعد ان يطلقها على الفور لان الطلاق مشعر بعدم الرغبة فلا بد ان يتخلل بين العقد
والطلاق مهلة يظهر فيها للزوج نايه عن المراة وان المصلحة في ذلك له والظاهر
ان الطلاق لا يكون الا بعد العقد ولا يصح طلاق من لم يعقد عليها عينها او قبيلتها او البلد
وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وقالت طايفة كبيرة منهم مالك يصح ذلك
والظاهر ان المسيس هنا كناية عن الجماع وانه اذا خلا بها ثم طلقها لا يعتد وعند ابي حنيفة
واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المسيس والظاهر ان المطلقة رجعية اذا راجعها
زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها لا يتم عدتها من المطلقة الاولى ولا تستقبل
عدة لانها مطلقة قبل الدخول بها وبه قال داود وقال عطا وجماعة تمضي في عدتها عن
طلاقها الاول وهو احد قول الشافعي وقال مالك لا تبني على العدة من الطلاق الاول
وتستانف العدة من يوم طلقها الطلاق الثاني وهو قول جمهور فقها الامصار والظاهر ايضا
انها لو كانت باينا غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول لا الرجعية في قول
داود ليس عليها عدة لا بقية عدة الطلاق الاول ولا استيناف عدة الثاني ولها
نصف المهر وقال الحسن وعطا وعكرمة وابن شهاب ومالك والشافعي وعثمان البتي
وزفر لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الاولى وقال الثوري والاوزاعي لها في حكمهم
المدخول بها وابو حنيفة وابو يوسف لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها
في حكم المدخول بها لاعتدادها من مايه وقرا الجمهور تعتدونها بتشديد الدال
افتعل من العد اي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها اي استوفى عددها نحو قولك
كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وعن ابن كثير وغيره من اهل مكة بتخفيف الدال ونقلها عن ابن
كثير ابن خالويه وابو الفضل الرازي وقال ابن عطية وروى ابن ابي بزة عن ابن كثير
بتخفيف الدال من العدوان كانه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما لهن والقراة
الاولى اشهر عن ابن كثير وتخفيف الدال وهم من ابن ابي بزة انتهى وليس بوهم اذ قد نقلها
عن ابن كثير ابن خالويه وابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراات
ونقلها الرازي المذكور عن اهل مكة وقال هو من الاعتداد لا محالة لكنهم كرهوا التضعيف
فخففوه فان جعلت من الاعتدا الذي هو الظلم ضعف لان الاعتدا يتعدى بعلى انتهى
واذا كان يتعدى بعلى فيجوز ان يحذف على ويصل الفعل الى الضمير نحو قوله تحن فتبدي
ما بها من صبابة واخفي الذي لولا الاسى لقضاني اي لقضى علي وقال الزمخشري
وقري تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوما شهدناه والمراد بالاعتدا
ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انتهى ويعني انه اتصل بالفعل لما حذف حرف الجر
وصل الفعل الى ضمير العدة كقوله ويوما شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه واما على تقدير

علي فالمعنى تعتدونه عليهن فيها وقرأ الحسن باسكان العين كغيره وتشديد الدال
جمعا بين الساكنين وقوله فما لكم يدل على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كانت لا تسقط
باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى والظاهر ان من طلقت قبل المسيس لها المتعة مطلقا
سوا كانت ممهورة ام مفروضا لها وقيل يختص هذا الحكم بمن لا مسمى لها والظاهر ان الامر
في فمتعوهن للوجوب وقيل للندب وتقدم الكلام مشبعا في المتعة في البقرة والسراح
الجميل هو كلمة طيبة دون اذى ولا منع واجب وقيل ان لا يطالبها بما اتاها ولما بين تعالى
بعض احكام انكحة المومنين اتبعه بذكر طرف من نسا النبي صلى الله عليه وسلم والاجور
المهور لانه اجر على الاستمتاع بالبضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع وفي وصفهن باللاتي
اتيت اجورهن تنبيه على ان الله اختار لنبيه الافضل الاولى لان ايتا المهر اولى
وافضل من تاخيره ليقتضي الزوج عن عهدة الدين وشغل ذمته به ولان تاخيره يقتضي
انه يستمتع بها مجانا دون عوض تسلمته والتعجيل كان سنة السلف لا يعرف منهم غيره
الا ترى الى قوله عليه السلام لبعض الصحابة حين شكا حالة التزوج فاين درعك الحطمية
وكذلك تخصيص ما ملكت يمينه بقوله مما افا الله عليك لانها اذا كانت سبية هو
مالكها مما غنمه الله من اهل دار الحرب كانت احل واطيب مما يشتري من الجلب
فما سبي من دار الحرب قيل فيه سبي طيبة ومن له عهد قيل فيه سبي خبثة وفي الله لا يطلق
الا على الطيب دون الخبيث والظاهر ان قوله انا احللنا لك ازواجك مخصوص لفظة
ازواجك بمن كانت في عصمته كعايشة وحفصة ومن تزوجها بمهر وقال ابن زيد اي من
يتزوج بمهر ومن تزوجتها وجميع النسا حتى ذوات المحارم من ممهورة ورقيق وواهبة
مخصوصة به ثم قال بعد ترجي من تشا منهن اي من هذه الاصناف كلها ثم الضمير بعد ذلك
يعم الى قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فينقطع من الاول ويعود على ازواجه التسع
فقط وفي التاويل الاول تضييق وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتزوج اي الناس شا وكان ذلك يشق على نسايه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها الناس
الا من سمي سر نساوه بذلك وملك اليمين انما يعلقه في النادر وبنات العم ومن
ذكر معهن يسير ومن يمكن ان يتزوج منهن محصور عند نسايه ولا سيما وقد قرن
بشرط الهجرة والواهبة ايضا من النسا قليل فلذلك سر نساوه باختصار الامر ثم مجي ترجي
من تشا منهن اشارة الى ما تقدم ذكره ومجي ولا ان تبدل بهن من ازواج اشارة الى ان
ازواجه اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل فياتي الكلام متسقا مطردا اكثر من اطراده
على التاويل الاخر وبنات عماتك قالت ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم نزلت هذه الاية فحرمتني عليه لاني لم اهاجر معه
وانما كنت من الطلقا والتخصيص باللاتي هاجرن معك لان من هاجر معه من قراباته
غير المحارم افضل من غير المهاجرات وقيل شرط الهجرة في التحليل منسوخ وحكى الماوردي
في ذلك قولين احدهما ان الهجرة شرط في احلال الازواج على الاطلاق والثاني انه شرط
في احلال قراباته المذكورات في الاية دون الاجنبيات والمعية هنا الاشتراك
في الهجرة لا في الصحبة فيها يقال دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم
يقترنا في الزمان ولو قلت خرجنا معا اقتضى المعنيين الاشتراك في الفعل والاقتران
في الزمان وافرد العم والخال لانه اسم جنس والعمة والخالة ليست كذلك وهذا
عرف لغوي قاله ابو بكر بن العربي القاضي وامراة مومنة قاله ابن عباس وقتادة
هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك وقال
عروة والشعبي هي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار وقال عروة
ايضا هي خولة بنت حكيم بن الاوقص السلمية واختلف في ذلك فعن ابن عباس لم يكن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحرث ومن ذكر معها قبل وقرأ الجمهور وامراة بالنصب ان وهبت بكسر الهمزة
اي احللناها لك ان وهبت اذ اراد فهما شرطان والثاني في معنى الحال شرط في الاحلال

هبتها

هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح النبي كانه قال احللناها لك ان وهبت لك
نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم وهذان الشرطان
نظير الشرطين في قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
واذا اجتمع شرطان فالثاني شرط في الاول متاخر في اللفظ متقدم في الوقوع ما لم
يدل قرينة على الترتيب نحو ان تزوجتك او طلقتك فعبدي حر واجتماع الشرطين
مسالة فيها خلاف وتفصيل وقد استوفينا ذلك في شرح التسهيل في باب الجوازم وقرأ
ابو حيوة وامراة مومنة بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اي احللناها لك وقرأ ابي والحسن
والشعبي وعيسى وسلام ان بفتح الهمزة وتقديره لان وهبت وذلك حكم في امراة بعينها فهو
فعل ماض وقراءة الكسر استقبال في كل امراة كانت تهب نفسها دون واحدة بعينها وقرأ
زيد بن علي اذ وهبت اذ ظرف لما مضى فهو في امراة بعينها وعدل عن الخطاب الى الغيبة في النبي
ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به واوثر
مجيه على لفظ النبي لدلالته على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم
له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه والجمهور
على ان التزويج لا يجوز بلفظ الاجارة ولا بلفظ الهبة وقال ابو الحسن الكرخي يجوز بلفظ
الاجارة لقوله اللاتي اتيت اجورهن وحجة من منع ان عقد الاجارة موقت وعقد النكاح
موبد فتنافيا وذهب ابو حنيفة وصاحباه الى جواز عقد النكاح بلفظ الهبة اذا وهبت
فاشهد على نفسه بمهر لان رسول الله وامته سوا في الاحكام الا فيما خصه الدليل وحجة الجمهور
انه عليه السلام خص بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك
في اللفظ يحتاج الى دليل وقرأ الجمهور خالصة بالنصب وهو مصدر موكد وعد الله
وصبغة الله اي خلص لك احلالنا ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا ويجي المصدر على فاعل وعلى
فاعلة وقال الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد
والعاقبة والكاذبة انتهى وليس كما ذكر بل هما عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى قول
الفرزدق ولا خارجا من في زور كلام والقاعد الى احد التاويلين في قوله اقاعدا وقد سار
الركب والكاذب الى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد بينا ان هذه الالفاظ على انها
ليست مصادر وقرئ خالصة بالرفع فمن جعله مصدرا قدره ذلك خلوص لك وخصوص من
دون المومنين والظاهر ان قوله خالصة لك من صفة الواهبة نفسها لك فقراءة النصب
على الحال قاله الزجاج اي احللناها خالصة لك والرفع خبر مبتدا اي هي خالصة لك اي
هبة النسا انفسهن مختص بك لا يجوز ان تهب المراة نفسها لغيرك واجمعوا على ان ذلك
غير جايز لغيره عليه السلام ويظهر من كلام ابي بن كعب ان معنى قوله خالصة لك يراد به
جميع هذه الاباحة لان المومنين قصروا على مثنى وثلاث ورباع وقال الزمخشري والدليل
على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله على سبيل التوكيد لها قوله
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المومنين وهي جملة
اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المومنين في الازواج
الاما وعلى اي حد وصفه يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اختصه به يفعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق
في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا
لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه
هذه المراة خالصة لك من دونهم انتهى والظاهر ان لكيلا متعلق بقوله احللنا لك ازواجك
وقال ابن عطية لكيلا يكون اي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكي لا يكون عليك
حرج وتظن بك انك قد اثمت عند ربك ثم انس جميع المومنين بغفرانه ورحمته وقال
الزمخشري غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال وقيل قد علمنا ما فرضنا عليهم الاية معناه ان ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسايك
واما حكم امتك فعندنا علمه وتبيينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المومنين نفسه

علي ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان له في النكاح والتسري خصايص ليست لغيره وقال
مجاهد ما فرضنا عليهم سوا ان لا يجاوزوا اربعا وقال قتادة هو الولي والشهود والمهر وقيل
ما فرضنا من المهر والنفقة والكسوة وما ملكت ايمانهم قيل لا يثبت الملك الا اذا كانت
ممن يجوز سبيها وقيل ما ابحنا لهم من ملك اليمين مع الاربع الحراير من غير عدد محصور
والمعنى قد علمنا صلاح كل منك ومن امتك وما هو الاصلح لك ولهم فشرعنا في حقك وحقهم
على وفق ما علمنا روي ان ازواجه عليه السلم لما تغايرن وابتغين زيادة النفقة فهجرهن
شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك
ما شيت ونقدم الكلام في معنى ترجي في قوله واخرون مرجون لامر الله في سورة
براة والظاهر ان الضمير في منهن عايد على ازواجه عليه السلم والارجا والايوا قال ابن
عباس والحسن في طلاق ممن تشا ممن حصل في عصمتك وامساك من تشا وقالت فرقة
في تزوج من تشا من الواهبات وتاخير من تشا وقال مجاهد وقتادة والضحاك وتقرر من
شيت في القسمة لها وتوخر عنك من شيت وتقلل لمن شيت وتكثر لمن شيت لا حرج عليك
في ذلك فاذا علمن ان هذا حكم الله وقضاه زالت الانفة والغيرة عنهن ورضين وقررت
اعينهن وهذا مناسب لما روي في سبب هذه الاية المتقدم ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت
اي ومن طلبتها من المعزولات وهي المفردات فلا جناح عليك في ردها وايوايها اليك
ويجوز ان يكون ذلك توكيدا لما قبله اي ومن ابتغيت ممن عزلت ومن عزلت سوا لا جناح
عليك كما تقول من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر تريد من لقيك ومن لم يلقك وفي
هذا الوجه حذف المعطوف وغرابة في الدلالة على هذا المعنى بهذا التركيب والراجح
القول الاول وقال الحسن المعنى من مات من نسايك اللواتي عندك او خليت سبيلها
فلا جناح عليك في ان تستبدل عوضها من اللاتي احللت لك فلا تزداد على عدة نسايك اللاتي
عندك وقال الزمخشري بمعنى تترك مضاجعة من تشا منهن وتضاجع من تشا او تطلق
من تشا وتمسك من تشا او لا تقسم لاينهن شيت وتقسم لمن شيت او تترك تزوج من
تشا من امتك وتتزوج من شيت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة
لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق
واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي
المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام
حبيبة فكان يقسم لهن ما شا كما شا وكانت ممن اوى اليه عايشة وحفصة وام سلمة
وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة
فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك انتهي ذلك
التفويض من عند الله فحالة كل منهن كحالة الاخرى في ذلك وقرا الجمهور ان تقر
اعينهن مبنيا للفاعل من قرت العين وابن محيصن يقر من اقر اعينهن نصب وفاعل تقر
ضمير الخطاب اي انت وقري تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع وقرا الجمهور كلهن بالرفع
تاكيد لنون يرضين وابو اناس جوية بن عايذ بالنصب تاكيدا لضمير النصب في اتيتهن
والله يعلم ما في قلوبكم عام قال ابن عطية والاشارة بها هنا الى ما في قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من محبة شخص دون شخص ويدخل في المعنى المومنون وقال الزمخشري
وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسوله وبعث على تواطو قلوبهن
والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضى رسول الله وما فيه طيب نفسه انتهي وكان الله
عليما بما انطوت عليه القلوب حليما يصفح عما يغلب على القلب من الميول اذ هي مما لا يملك
غالبا واتفقت الروايات على انه عليه السلم كان يعدل بينهن بالقسمة حتى مات ولم يستعمل
شيا مما ابيح له ضبطا لنفسه واخذا بالفضل غير ما جرى لسودة مما ذكرناه لا تحل لك النسا من
بعد الظاهر انها محكمة وهو قول ابي بن كعب وجماعة منهم الحسن وابن سيرين واختاره الطبري
ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه فقال ابي وعكرمة والضحاك من بعد اللواتي احللنا لك
في قوله انا احللنا لك ازواجك فعلى هذا المعنى لا تحل لك النسا من بعد النسا اللاتي نص عليهن

انهن يحللن لك من الاصناف الاربعة لا اعرابية ولا عربية ولا كتابية ولا امة بنكاح وقال
ابن عباس وقتادة من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع
نصاب امته منهن قالا لما خيرن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله ان حظر عليه النسا
غيرهن وتبديلهن ونسخ بذلك ما اباحه له قبل من التوسعة في جميع النسا وقال مجاهد
وابن جبير وروي عن عكرمة من بعد اي من بعد اباحة النسا على العموم ولا تحل لك النسا
اي غير المسلمات من يهودية ولا نصرانية وكذلك ولا ان تبدل بهن من ازواج اي بالمسلمات
من ازواج يهوديات ونصرانيات وقيل في قوله ولا ان تبدل هو البدل الذي كان في الجاهلية
كان يقول الرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته للاخر
قال معناه ابن زيد وانه كان في الجاهلية وانكر هذا القول الطبري وغيره في معنى الاية
وما فعلت العرب قط هذا وما روي عن حديث عيينة بن حصن انه قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حين دخل عليه بغير استيذان وعنده عايشة من هذه الحميرا فقال عايشة فقال
عيينة يا رسول الله ان شيت نزلت لك عن سيدة نسا العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل
ولا اراد ذلك وانما احتقر عايشة لانها كانت صبية ومن في من ازواج زايدة لتاكيد النفي
وفايدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل الاية منسوخة واختلف في الناسخ فقيل
بالسنة فقالت عايشة ما مات حتى احل له النسا وروي ذلك عن ام سلمة وهو قول علي
وابن عباس والضحاك وقيل بالقران وهو قوله ترجي من تشا منهن الاية قاله هبة الله
الضرير في الناسخ والمنسوخ له وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا
قال ابن عطية وكلامه يضعف من جهات انتهي وقيل قوله انا احللنا لك ازواجك الاية فترتيب
النزول ليس على ترتيب كتابة المصحف وقد روي عن ابن عباس القولان انها محكمة وانها منسوخة
ولو اعجبك حسنهن قيل منهن اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والجملة قال
الزمخشري في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من
ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن من ازواج على كل حال ولو في هذه الحال
التي تقتضي التبدل وهي حالة الاعجاب بالحسن قال ابن عطية وفي هذا اللفظ اعجبك حسنهن
دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها انتهي وقد جا ذلك في السنة من حديث المغيرة
بن شعبة وحديث محمد بن مسلمة الا ما ملكت يمينك اي فانه يحل لك وما ان كانت موصولة واقعة
على الجنس فهو استثنا من الجنس مختار فيه الرفع على البدل من النسا ويجوز النصب على
الاستثنا وان كانت مصدرية ففي موضع نصب لانه استثنا من غير جنس الاول قاله ابن
عطية وليس بجيد لانه قال والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك فاذا كان بمعنى
مملوك صار من جملة النسا لانه لم يرد حقيقة المصدر فيكون الرفع هو الراجح ولانه قال
وهو في موضع نصب ولا يتحتم ان يكون في موضع نصب ولو فرضنا انه من غير الجنس حقيقة بل
الحجاز تنصب وتميم تبدل لانه مستثنى يمكن توجه العامل عليه وانما يكون النصب متحتما
حيث كان المستثنى لا يمكن توجه العامل عليه نحو ما زاد المال الا النقص فلا يمكن توجه
الزيادة على النقص ولانه قال استثنا من غير الجنس وقال ملك بمعنى مملوك فتناقض
وكان الله على كل شي رقيبا اي راقبا او مراقبا ومعناه حافظ وشاهد ومطلع وهو تحذير
عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سالتموهن
متاعا فاسالوهن من ورا حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان توذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيا او تخفوه فان
الله كان بكل شي عليما لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن
ولا ابنا اخواتهن ولا نسايهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شي شهيدا
ان الله وملايكته يصلون على النبي يايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يوذون

المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا في الصحيحين انه
صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاخذ
كانه يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام فقام من القوم من قام وقعد ثلثة فجا فدخل
فاذا القوم جلوس فرجع وانهم قاموا فانطلقوا وجيت فاخبرته انهم قد انطلقوا فجا حتى دخل
وذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه وانزل الله عليه هذه الاية وقال ابن عباس
كان ناس يتحينون طعامه عليه السلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون
ولا يخرجون وكان يتاذى بهم فنزلت واما سبب الحجاب فعمر قال يا رسول الله ان نسائك
يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت وقال مجاهد طعم معه بعض اصحابه
ومعهم عايشة فمست يد رجل منهم يد عايشة فكره ذلك عليه السلم فنزلت اية الحجاب
ولما كان نزول الاية في شي خاص دفع للصحابة لم يدل ذلك على انه لا يجوز دخول بيوت
النبي الا ان كان عن اذن الى طعام غير ناظرين اناه بل لا يجوز دخول بيوته عليه السلم
الا باذن سوا كان لطعام ام غيره وايضا فاذا كان النهي الا باذن الى طعام ومنوما تمست
الحاجة اليه بجهة الاولى وسوت جمع وان كانت الواقعة في بيت واحد خاص يعم جميع
بيوته والا ان يوذن قال الزمخشري الا ان يوذن في معنى الظرف تقديره وقت ان
يوذن لكم وغير ناظرين حال من لا يدخلوا وقع الاستثنا على الوقت فليس بصحيح وقد
نصوا على ان ان المصدرية لا يكون في معنى الظرف تقول اجيئك صياح الديك وقدوم
الحاج ولا يجوز اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج واما ان الاستثنا وقع على
الوقت والحال معا فلا يجوز على مذهب الجمهور لا يقع بعد الا في الاستثنا الا المستثنى
او المستثنى منه او صفة المستثنى منه واجاز الاخفش والكساي ذلك في الحال اجاز
اما ذهب الا يوم الجمعة راحلين عنا فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال واما قوله الا
اما ان يوذن لكم فلا يتعين ان يكون ظرفا لانه يكون التقدير الا بان يوذن لكم فتكون
البا للتسبب كقوله به من كل الثمرات او للحال اي مصحوبين بالاذن واما غير
ناظرين فحال والعامل فيه محذوف تقديره ادخلوا بالاذن غير ناظرين كما قدر في قوله
بالبينات والزبر ارسلناهم بالبينات والزبر دل عليه لا تدخلوا كما دل على ارسلناهم قوله
وما ارسلنا ومعنى غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته اي وقت استوايه وتهيئته وقرا
الجمهور غير بالنصب على الحال وابن ابي عبلة بالكسر صفة لطعام قال الزمخشري وليس
بالوجه لانه جرى على غير من هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين
اناه انتم لقوله هند زيد ضاربته هي انتهى وحذف هذا الضمير جايز عند الكوفيين اذا لم
يلبس وان الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل وقته اي غير
ناظرين ساعة اكله وقرا الجمهور اناه مفردا والاعمش اناه بمدة بعد النون ورتب
تعالى الدخول على ان يدعوا فلا يقدمون على الدخول حتى يدعوا ثم امر بالانتشار
اذا طعموا ولا مستانسين لحديث معطوف على ناظرين اناه فهو مجرور او معطوف على غير
فهو منصوب اي لا تدخلوها لا ناظرين ولا مستانسين وقيل ثم حال محذوفة اي لا تدخلوا
هاجمين ولا مستانسين فيعطف عليه واللام في لحديث اما لام العلة نهوا ان يطيلوا الجلوس
يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او اللام المقوية لطلب اسم الفاعل للمفعول
فنهوا ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوحشه ان ذلكم اي
انتظاركم واستيناسكم يوذي النبي فيستحي منكم اي من انهاضكم من البيوت او من اخراجكم
منها بدليل قوله والله لا يستحي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحي منه ولما كان
الحيا مما يمنع الحي من بعض الافعال قيل لا يستحي من الحق بمعنى لا يمتنع وجاز ذلك على سبيل
المقابلة لقوله فيستحي منكم وعن عايشة وابن عباس حسبك في الثقلا ان الله لم يحتملهم
وقريت هذه الاية بين يدي اسمعيل بن ابي حكيم فقال هذا ادب ادب الله به الثقلا
وقرات فرقة فيستحي بكسر الحا مضارع استحا وهي لغة بني تميم واختلفوا اما المحذوف عين
الكلمة ام لامها فان كان العين فوزنه يستفل وان كان اللام فوزنه يستفع والترجيح مذكور

في النحو

405

في النحو وقرا الجمهور بياي وسكون الحا والمتاع عام في ما يمكن ان يطلب على عرف السكنى
والمجاورة من المواعين وساير المرافق للدين والدنيا ذلكم اي السوال من ورا الحجاب
اطهر يريد من الخواطر التي تخطر للرجال في امر النسا والنسا في امر الرجال اذ الروية
سبب التعلق والفتنة الى ترى الى قول الشاعر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته ... لا مرحبا بانتفاع جاء بالضرر

وذكر ان بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا الا من ورا الحجاب لين مات محمد لاتزوجن
فلانة وقال ابن عباس بعض الصحابة وفلانة عايشة وحكى مكي عن معمر انه قال هو طلحة
بن عبيد الله قال ابن عطية وهذا عندي لا يصح على طلحة الله عصمه منه وفي التحرير ان طلحة
فنزل ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فتاب واعتق رقبة وحمل على عشرة ابعرة في سبيل
الله وحج ماشيا وروي ان بعض المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نسانا والله لو
قد مات لاجلنا السهام على نسايه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب
ثم رجعت تزوج عكرمة بن ابي جهل قتيلة بنت الاشعث بن قيس وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد تزوجها ولم يبن بها فصعب ذلك على ابي بكر وقلق فقال له عمر مهلا يا خليفة
رسول الله انها ليست من نسايه انه لم يخيرها ولا ارخى عليها حجابا وقد ابانتها منه ردتها مع
قومها فسكن ابو بكر وذهب عمر الى انه لا يشهد جنازة زينب الا ذو محرم عنها مراعاة
للحجاب فدلته اسما بنت عميس على سترها في النعش في القبة واعلمته انها رات ذلك في بلاد
الحبشة وصنعه عمر وروي انه صنع ذلك في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كان لكم ان توذوا رسول الله عام في كل ما يتاذى به ولا ان تنكحوا خاص بعد عام لان ذلك قد
يكون اعظم الاذى فحرم الله نكاح ازواجه بعد وفاته ان ذلكم اي اذايته ونكاح ازواجه
كان عند الله عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه
بذلك مما طيب به نفسه فان نحو هذا مما يحدث به المرء نفسه ومن الناس من تفرط غيرته
على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وخصوصا العرب فانهم اشد الناس غيرة
وحكى الزمخشري ان بعض الفتيان قتل جارية له كان يحبها في حكاية قال تصور الماسي
يتفق من بقايها بعده وحصولها تحت يد غيره انتهى فقال الماسي يحتمل عسى صلة للموصول
وقد كثر منه هذا وهو لا يجوز وعن بعض الفقها ان الزوج الثاني في هدم الثلث يجري مجرى
العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يلاحظ ذلك ان تبدوا شيا او تخفوه
وعيد لمن تقدم التعرض به في الاية ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر وممن اشير اليه وما كان
لكم ان توذوا فقيل ان تبدوا شيا على السنتكم او تخفوه في صدوركم مما يقع عليه العقاب
فالله يعلمه فيجازي عليه وقال شيا ليدخل فيه ما يوذيه عليه السلم من نكاحهن وغيره وهو
صالح لكل باد وخاف وروى انه لما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب او نحن
يا رسول الله ايضا نكلمهن من ورا الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن قال قتادة
في ترك الحجاب وقال مجاهد في وضع الجلباب وابدا الزينة وقال الشعبي لم يذكر العم والخال
وان كانا من المحارم لئلا يصفانها للابنا وليسوا من المحارم وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع
المراة خمارها عند عمها او خالها وقيل لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جات تسمية العم
ابا وذكر هنا بعض المحارم والجميع في سورة النور ودخل في ولا نسايهن الامهات والاخوات
وساير القرابات ومن يتصل بهن من المتصرفات لهن وقال ابن زيد وغيره اراد جميع
النسا المومنات وتخصيص الاضافة انما هي في الايمان وقال مجاهد من اهل دينهن وهو كقول
ابن زيد والظاهر من قوله او ما ملكت ايمانهن دخول العبيد والاما دون ما ملك غيرهن
وقيل مخصوص بالاما وقيل جميع العبيد ممن في ملكهن او ملك غيرهن وقال النخعي يباح لعبدها
النظر الى ما يواريه الدرع من ظاهر بدنها واذا كان عبد المكاتب ما يودي فقد امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضرب الحجاب دونه وفعلته ام سلمة مع مكاتبها نبهان واتقين الله

امر بالتقوى وخروج من الغيبة الى الخطاب اي واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب
وانزل الله فيه الوحي من الاستتار وكان في الكلام جملة حذفت تقديره اقتصرن على هذا
واتقين الله فيه ان تتعدينه الى غيره ثم توعد بقوله ان الله كان على كل شي من السر والعلن
وظاهر الحجاب وباطنه وغير ذلك شهيدا لا يتفاوت الاحوال في علمه وقرا الجمهور وملايكته
نصبا وابن عباس وعبد الوارث عن ابي عمرو رفعا فعند الكوفيين غير الفرا هو عطف على
موضع اسم ان والفرا يشترط خفا اعراب اسم ان وعند البصريين هو على حذف الخبر اي يصلي
على النبي وملايكته يصلون وتقدم الكلام على كيفية اجتماع الصلاتين في قوله هو الذي
يصلي عليكم وملايكته فالضمير في يصلون عايد على الله وملايكته وقيل في الكلام حذف
اي يصلي وملايكته يصلون فرارا من اشتراك الضمير والظاهر وجوب الصلوة والسلام عليه
وقيل سنة واذا كانت الصلوة واجبة فقيل كلما جرى ذكره وقيل في كل مجلس مرة وقد ورد
الحديث في الصلوة عليه فضايل كثيرة وروى انه لما نزلت هذه الاية قال قوم من الصحابة
هذا السلم عليك يا رسول الله عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم وارحم محمدا وال محمد كما رحمت وباركت على
ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد وفي بعض الروايات زيادة ونقص ان الذين يوذون
الله ورسوله قال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي زوجا
انتهى والطعن في تامير اسامة بن زيد اذاية له عليه السلم وايذا الله والرسول
فعل ما نهى الله ورسوله عنه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشرع وما يصيبون
به الرسول من انواع الاذى ولا يتصور الاذى حقيقة في حق الله فقيل هو على حذف
مضاف اي يوذون اوليا الله وقيل المراد يوذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملايكة
بنات الله والاصنام شركاوه وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يذوقون تكوين
خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر
رباعيته وشج وجهه يوم احد واطلق ايذا الله ورسوله وقيد ايذا المومنين بقوله
بغير ما اكتسبوا لان ايذاهما لا يكون الا بغير حق بخلاف ايذا المومن فقد يكون بحق
ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق اذى وقال مقاتل نزلت في ناس من المنافقين
يوذون عليا كرم الله وجهه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عايشة وقال الضحاك
والسدي والكلبي في زناة كانوا يتبعون النسا وهن كارهات وقيل في عمر راى من الريبة
على جارية من جواري الانصار ما كره فضربها فاذى اهلها عمر باللسان فنزلت قاله ابن
عباس وروى ان عمر قال يوما لابي قرات البارحة والذين يوذون المومنين والمومنات
ففزعت منها واني لاضربهم وانهرهم فقال له لست منهم انما انت معلم ومقوم يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا
يوذين وكان الله غفورا رحيما لين لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسالك الناس عن الساعة
قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم
سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيلا
ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما كان داب الجاهلية ان

تخرج الحرة والامة مكشوفتي الوجه في درع وخمار وكان الزناة يتعرضون اذا خرجن
بالليل لقضا حوايجهن في النخيل والغيطان للاما وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة
يقولون حسبتها امة فامرت ان يخالفن بزيهن عن زي الاما بلبس الاردية والملاحف
وستر الرووس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن وروي انه كان في المدينة
قوم يجلسون على الصعدات لروية النسا ومعارضتهن ومراودتهن فنزلت قيل والجلابيب
الاردية التي تستر من فوق الى اسفل وقال ابن جبير المقانع وقيل الملاحف وقيل الجلباب
كل ثوب تلبسه المراة فوق ثيابها وقيل كل ما تستتر به من كسا او غيره قال ابو زبيد
تجلببت من سواد الليل جلبابا وقيل الجلباب اكبر من الخمار وقال عكرمة تلقي جانب الجلباب
على نحرها ولا يرى وقال ابو عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداها فوق الحاجب
ثم تديره حتى تضعه على انفها وقال السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا
العين انتهى وكذا عادة بلادنا الاندلس لا يظهر من المراة الا عينها الواحدة وقال
الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادنا وقال ابن عباس
وقتادة وذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه
يستر الصدر ومعظم الوجه والظاهر ان قوله ونسا المومنين يشمل الحراير والاما والفتنة
بالاما اكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحراير فيحتاج اخراجهن من عموم النسا الى دليل
واضح ومن في من جلابيبهن للتبعيض وعليهن شامل لجميع اجسادهن او عليهن على وجوههن
لان الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى ان يعرفن
لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن لان المراة اذا كانت في غاية التستر
والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فانها مطموع فيها وكان الله غفورا رحيما تانيس
للنسا في ترك الاستتار قبل ان تومر بذلك ولما ذكر حال المشرك الذي يوذي الله ورسوله
والمجاهر الذي يوذي المومنين ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق
ولما كان الموذون ثلثة باعتبار اذايتهم لله وللرسول وللمومنين كان المسرون ثلثة
منافق ومن في قلبه مرض ومرجف فالمنافق يوذي سرا والثاني يوذي المومن باتباع نسايه
والثالث يرجف بالرسول يقول غلب سيخرج من المدينة سيوخذ هزمت سراياه
والظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى لين لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم
والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يولفون من اخبار السو ويشيعونه ويجوز ان يكون
التغاير بالوصف فيكون واحدا بالشخص ثلثة بالوصف كما جا ان المسلمين والمسلمات
فذكر اوصافا عشرة والموصوف بها واحد ونص على هذين الوصفين من المنافقين لشدة
ضررهما على المومنين قال عكرمة الذين في قلوبهم مرض هو الغزل وحب الزنا ومنه فيطمع
الذي في قلبه مرض وقال السدي المرض النفاق ومنه في قلوبهم مرض وقال ابن عباس
هم الذين اذوا عمر وقال الكلبي من اذى المسلمين وقال ابن عباس المرجفون ملتمسوا
الفتن وقال قتادة الذين يوذون قلوب المومنين بايهام القتل والهزيمة لنغرينك بهم
اي لنسلطنك عليهم قاله ابن عباس وقال قتادة لنحرشنك بهم ثم لا يجاورونك فيها اي
في المدينة وثم لا يجاورونك معطوف على لنغرينك ولم يكن العطف بالفا لانه لم يقصد
انه متسبب عن الاغرا بل كونه جوابا للقسم ابلغ وكان العطف بثم لان الجلا عن الوطن
كان اعظم عليهم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله الجلا عن حالة الاغرا الا قليلا
اي جوارا قليلا او زمانا قليلا او عددا قليلا وهذا الاخير استثنا من المنطوق وهو ضمير
الرفع في يجاورونك او ينتصب قليلا على الحال اي الا اذلا قليلين والاول استثنا
من المصدر الدال عليه يجاورونك والثاني من الزمان الدال عليه يجاورونك
والمعنى انهم يضطرون الى طلب الجلا عن المدينة خوف القتل وانتصب ملعونين
على الذم قاله الطبري واجاز ابن عطية ان يكون بدلا من قليلا قال وهو الاقلا
الذي قدرناه واجاز هو ايضا ان يكون حالا من الضمير في يجاورونك قال كانه قال
ينتفون ملعونين فلما يقدر لا يجاورونك فقد ينتفون حسن هذا انتهى وقال

الزمخشري والحوفي وتبعهما ابو البقا يجوز ان يكون حالا من الضمير في لايجاورونك
كما قال ابن عطية قال الزمخشري وهذا انتصب ملعونين نصب على انتم او الحال
اي لايجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثنا على الظرف والحال معا كما مر في قوله
الا ان يوذن لكم غير ناظرين اناه ولا يصح ان ينتصب بمن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها انتهى وتقدم الكلام معه في مجي الحال مما قبل الا مذكوره بعد
ما استثني بالا فيكون الاستثنا منصبا عليهما وان جمهور البصريين منعوا من ذلك واما
تجويز ابن عطية ان يكون بدلا فالبدل بالمشتق قليل واما قول الزمخشري لان ما بعد
كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها فليس هذا مجمعا عليه لان ما بعد كلمة الشرط شيان فعل
الشرط والجواب فاما فعل الشرط فاجاز الكسائي تقديم معموله على الكلمة
اجاز زيدا ان يضرب اضربه واما الجواب فقد اجاز ايضا تقديم معموله عليه نحو ان
يقم زيد عمرا يضرب وقد حكي عن بعض النحويين انه قال المعنى اينما ثقفوا
اخذوا ملعونين والصحيح ان ملعونين صفة لقليلا اي الا قليلين ملعونين ويكون
قليلا مستثني من الواو في لايجاورونك والجملة الشرطية صفة ايضا اي
مقهورين مغلوبا عليهم ومعنى ثقفوا حصروا وظفر بهم اخذوا اسروا والاخيذ الاسير
وقرا الجمهور وقتلوا بتشديد التا وفرقة بتخفيفها فيكون تقتيلا مصدرا على
غير المصدر والظاهر ان المنافقين انتهوا عما كانوا يوذون به الرسول والمومنين وتستر
جميعهم وكفوا خوفا من ان يقع بهم ما وقع القسم عليه وهو الاغرا والجلا والاخذ والقتل
وقيل لم يمتثلوا الا انتهاجملة ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا الا ترى الى اخراجهم من المسجد
ونهيه عن الصلوة عليهم وما نزل فيهم في سورة براءة وابعد من ذهب الى انه لم ينته
هولا الاصناف ولم ينفذ الله الوعيد عليهم ففيه دليل على بطلان القول بانفاذ الوعيد
في الاخرة ويكون هذا الوعيد معذوقا ومشروطا بالمشية سنة الله مصدر موكد اي
سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ظفر بهم وعن مقاتل كما قتل اهل
بدر واسروا فالذين خلوا يشمل اتباع الانبياء الذين نافقوا من قتل يوم بدر يسالك
الناس اي المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود على
سبيل الامتحان اذ كانت معمى وقتها في التوراة فنزلت الاية بان يرد العلم فيها الى الله
اذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا ولما ذكر لهم في الدنيا انهم ملعونون مهانون مقتولون
بين حالهم في الاخرة وما يدريك ما استفهام في موضع رفع بالابتدا اي واي شي يدريك
بها ومعناه النفي اي ما يدريك بها احد لعل الساعة تكون قريبا بين قرب الساعة وفي
ذلك تبكيت للمتمنين وتهديد للمستعجل وانتصب قريبا على الظرف اي في زمان قريب
اذ استعماله ظرفا كثير ويستعمل ايضا غير ظرف تقول ان قريبا منك زيد فجاز ان يكون
التقدير شيا قريبا وتكون الساعة بمعنى الوقت فذكر قريبا على المعنى او على ان يكون
التقدير لعل قيام الساعة فلوحظ الساعة في تكون فانث ولوحظ المضاف المحذوف
وهو قيام في قريبا فذكر يوم تقلب وجوههم في النار يجوز ان ينتصب يوم بقوله لايجدون
ويكون يقولون استيناف اخبار عنهم او تم الكلام عند قوله ولا نصيرا وينتصب يوم
بقوله يقولون او بمحذوف اي اذكر ويقولون حال وقرا الجمهور تقلب مبنيا للمفعول
والحسن وعيسى وابو جعفر الرواسي بفتح التاء اي تتقلب وحكاها ابن عطية عن ابي
حيوة وقال ابن خالويه عن ابي حيوة نقلب بالنون وجوههم بالنصب وحكاها ابن عطية عن
ابي حيوة ايضا وخارجة زاد صاحب اللوامح انها قراءة عيسى البصرة وقرا عيسى الكوفة
كذلك الا انه بدل النون تا وفاعل يقلب ضمير يعود على سعير او على جهنم اسند اليها اتساعا
وقرا ابن ابي عبلة تتقلب بتاين وتقلب الوجوه في النار تحركها في الجهات او تغييرها
عن هياتها او القاوها في النار منكوسين والظاهر هو الاول والوجه اشرف ما في الانسان
فاذا قلب في النار كان تقليب ما سواه اولى وعبر بالوجه عن الجملة وتمنيهم حيث لا ينفع
وتشكيهم من كبرائهم لا يجدي وقرا الجمهور سادتنا جمعا على وزن فعلة اذ اصله سودة وهو

شاذ

407

شاذ في جمع فيعل فان جعلت جمع سايد قرب من القياس وقرا الحسن وابو رجا وقتادة
والسلمي وابن عامر والعامة في الجامع بالبصرة ساداتنا على جمع الجمع بالالف والتا وهو لا ينقاس
كموتات ومن البانات بني هاشم وساداتهم رؤسا الكفرا الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم قال
قتادة سادتنا رؤساؤنا وقال طاوس اشرافنا وقال ابو سامة امراؤنا قال الشاعر
• سليل قروم سادة ثم ذادة يبذون اهل الجمع يوم المحصب •
ويقال ضل السبيل وضل عن السبيل فاذا دخلت همزة النقل تعدى لاثنين وتقدم الكلام
على اثبات الالف في الرسولا والسبيلا في قوله وتظنون بالله الظنونا ولما لم يجد تمنيهم الايمان
وطاعة الله ورسوله ولا قام لهم عذر في تشكيهم ممن اضلهم دعوا على ساداتهم ربنا اتهم
ضعفين من العذاب ضعفا على ضلالهم في انفسهم وضعفا على اضلال من اضلوا وقرا
الجمهور كثيرا بالثا المثلثة وقرا حذيفة بن اليماني وابن عامر وعاصم والاعرج بخلاف
عنه بالبا كالذين اذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس
وقيل المراد حديث الافك قال لما اوذي نبي مثل ما اوذيت وفي حديث الرجل الذي قال
لقسم قسمه رسول الله ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فغضب وقال رحم الله اخي
موسى لقد اوذي اكثر من هذا فصبر واذاية موسى قولهم انه ابرص وادر وانه حسد اخاه
هرون وقتله او حديث المومسة المستاجرة لان يقول ان موسى زنا بها او ما نسبوه اليه من السحر
والجنون اقوال مما قالوا اي من وصم ما قالوا وما موصولة او مصدرية وقرا الجمهور وكان عند
الله الظرف معمولا لوجيها اي ذا وجه ومنزلة عند الله تعالى تميط عنه الاذى وتدفع
التهم وقرا عبد الله والاعمش وابو حيوة عبدا من العبودية لله جرا بلام الجر وعبدا
خبر كان ووجيها صفة له قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته
يقرا وكان عبد الله على قراءة ابن مسعود وقال ابن زيد وجيها مقبولا وقال الحسن مستجاب
الدعوة ما سال شيا الا اعطي الا الروية في الدنيا وقال قطرب رفيع القدر وقيل وجاهته
انه كلمه ولقب كليم الله والتشديد تقدم شرحه في اوايل النسا وقال ابن عباس هنا صوابا
وقال مقاتل وقتادة سديدا في شان زيد وزينب والرسول وقال ابن عباس وعكرمة
ايضا لا اله الا الله وقيل ما يوافق ظاهره باطنه وقيل ما هو اصلاح من تسديد السهم
ليصيب الغرض وقيل السديد يعم الخيرات ورتب على القول السديد صلاح
الاعمال وغفران الذنوب قال الزمخشري وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك
على النهي عما يوذي به رسول الله وهذه على الامر باتقا الله في حفظ اللسان ليترادف
عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر
الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه انتهى وهو كلام حسن انا عرضنا
الامانة لما ارشد المومنين الى ما ارشد من ترك الاذى واتقا الله وسداد القول
ورتب على الطاعة ما رتب ان ما كلفه الانسان امر عظيم فقال انا عرضنا الامانة تعظيما
لامر التكليف والامانة الظاهر انها كل ما يوتمن عليه اي من امر ونهي وشان دين ودنيا فالشرع
كله امانة وهذا قول الجمهور ولذلك قال ابي بن كعب من الامانة ان اوتمنت المراة على
فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة والظاهر عرض الامانة على هذه المخلوقات
العظام وهي الاوامر والنواهي فتثاب ان احسنت وتعاقب ان اساءت فابت واشفقت
ويكون ذلك بادراك خلقه الله فيها وهذا غير مستحيل اذ قد سبح الحصى في كفه عليه السلم
وحن الجذع اليه وكلمته الذراع فيكون هذا العرض والابا حقيقة قال ابن عباس اعطيت
الجمادات فهما وتمييزا فخيرت في الحمل وذكر الجبال مع انها من الارض لزيادة قوتها
وصلابتها تعظيما للامر وقال ابن الانباري عرضت بمسمع من ادم عليه السلم واسمع من
الجمادات الابا ليتحقق العرض عليه فيتجاسر على الحمل غيره ويظهر فضله على الخلايق
حرصا على العبودة وتشريفا على البرية بعلو الهمة وقيل هو مجاز فقيل من مجاز الحذف
اي على من فيها من الملايكة وقيل من باب التمثيل قال الزمخشري ان ما كلفه الانسان
بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان

يتحمله ويستقل به فابي حمله والاستقلال به وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته
انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان
العرب وما جاء به القران الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قول العرب لو قيل للشحم اين
تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم لهن من امثال على السنة البهايم والجمادات
وتصور مقاوله الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف
مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به انس وله
اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفا
بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي احد اراك تقدم
رجلا وتوخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما
بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شي مستقيم
داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الاية فان عرض الامانة على الجماد وابائه
واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بها التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان
تشبه شيا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الاية وفي قولهم لو قيل للشحم اين يذهب
وفي نظايره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها انتهى وقال ايضا ان هذه الاجرام العظام قد انقادت لامر الله انقيادا مثلها وهو ما يتاتى
من الجمادات حيث لم يمتنع على مشيته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيات مختلفة واشكال
متنوعة كما قال قالتا اتينا طايعين واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الانقياد
لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها
ويليق بها من الانقياد والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة للوجود كما ان الامانة لازمة
الادا وعرضها على الجمادات وابا وها واشفاقها مجاز وحمل الامانة من قولك فلان حامل للامانة
ومحتمل لها يريد انه لا يوديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان
الامانة كانها راكبة للموتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فابين ان لا يودينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يوديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا
لادا الامانة وبالجهل لاخطايه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداوها انتهى وفيه بعض حذف
وقال قوم الاية من المجاز اي انا اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض
والجبال رايتها انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لابتها واشفقت منها فعبر عن هذا المعنى بقوله
انا عرضنا الامانة وهذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد بذلك قايست
قوته بثقل الحمل فرايتها تقصر عنه ونحوه قول ابن بحر معنى عرضنا عارضنا وقابلنا بها
فابين ان يحملنها اي قصرن ونقصن عنها كما تقول ابت الصنجة ان تحمل ما قابلها وحملها الانسان
قال ابن عباس وابن جبير التزم القيام بحقها الانسان ادم وهو في ذلك ظلوم لنفسه
جهول بقدر ما دخل فيه قال ابن عباس ما تم له يوم حتى اخرج من الجنة وقال الضحاك
وقال الحسن وحملها معناه خان فيها والانسان الكافر والمنافق والعاصي على قدره وقال
ابن مسعود وابن عباس ايضا ابن ادم قابيل الذي قتل اخاه هابيل وكان قد تحمل لابيه امانة
ان يحفظ الاهل بعده وكان ادم سافر عنهم الى مكة في حديث طويل ذكره الطبري وقال ابو
اسحق عرض الامانة وضع شواهد الوحدانية في المصنوعات والحمل الخيانة كما تقول
حمل حقي واحتمله اي ذهب به قال الشاعر •

• اذا انت لم تبرح تودي امانة • وتحمل اخرى افرحتك الودايع •

انتهى وليس وتحمل اخرى نصا في الذهاب بها بل يحتمل انك تتحمل اخرى تتودى واحدة
وتتحمل اخرى فلا تزال دايما ذا امانات فتخرج اذ ذاك واللام في ليعذب لام الصيرورة
لانه لم يحملها لان يعذب لكنه حملها فال الامر الى ان يعذب من نافق واشرك ويتوب على
من امن وقال الزمخشري لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة
كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب يعني بالرفع

بحمل

المفردات

بحمل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب ومعنى قراة العامة ليعذب الله حامل
الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانها اذا عطفت على الاول في كان ذلك نوعا من عذاب
الغادر انتهى وذكر صاحب اللوامح ان الحسن قرا ويتوب بالرفع **المزق** خرق الشي يقال
منه ثوب ممزوق ومزيق ومتمزق وممزق اذا صار قطعا بالبا ومنه قول الممزق
العبدي • فان كنت ماكولا فكن خير اكل والا فادركني ولما امزق •

السابغات الدروع واصله الوصف بالسبوغ وهو التمام والكمال وغلب على
الدروع فصار كالابطح وقال الشاعر •

• عليها اسود ضاريات لبوسهم سوابغ بيض لا يخرقها النبل •

السرد اتباع الشي بالشي من جنسه قال الشماخ •

• فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم كما تابعت سرد العنان الخوارز •

ويقال للدرع مسرودة لانه توبع فيها الحلق بالحلق قال الشاعر •

• وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع •

ويقال لصانع ذلك سراد وزراد تبدل من السين الزاي كما قالوا سراط وزراط ويقال
للاشفى مسرد ومسراد وسرد القرا اذا احد رفيه والكلام اذا تابعه مستعجلا فيه **اسال**
من سال الوادي والدمع جرى بسرعة ما فيه من الما والدمع **القطر** النحاس وقيل
الفلز النحاس والحديد وما جرى مجراه **الجفان** جمع جفنة وهي معروفة **الجوابي**
الحياض العظام واحدها جابية لانه يجبى فيها الما اي يجمع قال الشاعر •

• بجفان تعتري نادينا من سديف حين هاج الصنبر •

• كالجوابي لا تني مترعة لقرى الاضياف او للمحتضر •

وقال الاعشى •

• نفي الذم عن ال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي يفهق •

وقال الافوه الاودي •

• وقدور كالربا راسية وجفان كالجوابي مترعة •

القدر ما يطبخ فيه من فخار او غيره وهو على شكل مخصوص **المنساة** العصا تهمز ولا
تهمز ووزنها مفعلة من نسات اي اخرت وطردت ويقال منساة بالمد والهمز على وزن
مفعالة كما قالوا ميضاة وميضاة وقال الشاعر •

• ضربنا بمنساة وجهه فصار بذاك مهينا ذليلا •

وقال اخر •

• اذا دببت على المنساة من هرم فقد تباعد منك اللهو والغزل •

وقياس تخفيف همزتها ان يكون بين بين واما ابدالها الفا وحذفها فغير قياس •

العرم اما صفة للسيل اضيف فيه الموصوف الى صفته كقولهم مسجد الجامع واما اسم
لشي وياتي القول فيه في تفسير المركبات **الخمط** قال ابو عبيدة كل شجرة مرة ذات
شوك وقال ابن الاعرابي الخمط ثمرة شجرة على صورة الخشخاش لا ينتفع به وقال
القتبي يقال للحامضة خمطة اللبن اذا اخذ شيا من الريح فهو حامض وخميط وتخمط
الفحل هدر والرجل تغضب وتكبر والخمر اخذت ريح الادراك كريح التفاح ولم
تدرك بعد ويقال هي الحامضة قاله الجوهري **الاثل** شجر وهو ضرب من الطرفا
قاله ابو حنيفة اللغوي في كتاب النبات له وياتي ما قال فيه المفسرون **السدر**
قال الفرا هو السمر وقال الازهري السدر سدران سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه
للغسول وله ثمرة عفصة لا يوكل وهو الذي يسمى الضال وسدر ينبت على الما وثمرة
النبق وورقه غسول يشبه ورق شجر العناب **التناوش** تناول سهل لشي قريب يقال
ناشه ينوشه وتناوشه القوم وتناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا بالسلاح وقال
الراجز •

• فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا •

وانا بالهمز فقال الفرا من ناشت اي تاخرت قال الشاعر

تمنى نيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور

وقال اخر

وجيت نيشا بعد ما فاتك الخير • نيشا اخيرا

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلي وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معجزين اوليك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما ان في ذلك لاية لكل عبد منيب

هذه السورة قال في التحرير مكية باجماعهم وقال ابن عطية مكية الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم فقالت فرقة مدنية في من اسلم من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واشباهه انتهي وسبب نزولها ان ابا سفين قال لكفار مكة لما سمعوا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ان محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد ان يموت ويخوفنا بالبعث واللات والعزي لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله قل يا محمد بلي وربي لتبعثن قاله مقاتل وباقي السورة تهديد لهم وتخويف ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها الحمد لله مستغرق لجميع المحامد وله الحمد في الاخرة ظاهره الاستغراق ولما كانت نعمة الاخرة مخبرا بها غير مرئية لنا في الدنيا ذكرها ليقاس نعمها بنعم الدنيا قياس الغايب على الشاهد وان اختلفا في الفضيلة والديمومة وقيل الفيه للعهد والاشارة الى قوله واخر دعواهم ان الحمد لله والى قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال الزمخشري الفرق بين الحمدين وجوب الحمد في الدنيا لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب وحمد الاخرة ليس بواجب لانه على نعمة واجبة الاتصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المومنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به انتهي وفيه بعض تلخيص يعلم ما يلج في الارض من المياه وقال الكلبي من الاموات فاين وما يخرج منها من النبات وقال الكلبي من جواهر المعادن وما ينزل من السما من المطر والثلج والبرد والصواعق والرزق والملك وما يعرج فيها من اعمال الخلق وقال الكلبي وما ينزل وما يعرج من الملايكة وقيل من الاقضية والاحوال والادعية والاعمال وقيل من الانعام والعطا وقرا علي والكلبي والسلمي وما ينزل بضم اليا وفتح النون وشد الزاي اي الله تعالى وبلي جواب للنفي السابق من قولهم لا تاتينا الساعة اي بلي لتاتينكم وقرا الجمهور لتاتينكم بتا التانيث اي الساعة التي انكرتم مجيها وقرا طلق عن اشياخه بيا الغيبة اي لياتينكم البعث لانه مقصودهم من نفي الساعة انهم لا يبعثون وقال الزمخشري او على معنى الساعة اي اليوم او على اسناده الى الله على معنى لتاتينكم امر عالم الغيب كقوله او ياتي ربك اي امره ويبعد ان يكون ضميرا الساعة لانه مذهوب به مذهب التذكر لا يكون الا في الشعر نحو قوله ولا ارض ابقل ابقالها ثم اكد الجواب بالقسم على البعث واتبع القسم بقوله عالم الغيب وبما بعده ليعلم ان اتيانها من الغيب الذي تفرد به تعالى وجا القسم بقوله وربي مضافا الى الرسول ليدل على شدة القسم اذ لم يات به في الاسم المشترك

بينه وبين من انكر الساعة وهو لفظ الله وقرا نافع وابن عامر ورويس وسلام والجحدري وقعنب عالم بالرفع على اضمار هو وجوز الحوفي وابو البقا ان يكون مبتدا والخبر لا يعزب وقال الحوفي او خبره محذوف اي عالم الغيب هو وباقي السبعة عالم بالجر وقال ابن عطية وابو البقا وذلك على البدل واجاز ابو البقا ان تكون صفة ويعني ان عالم الغيب يجوز ان يتعرف وكذا كل ما اضيف الى معرفة مما كان لا يتعرف بذلك يجوز ان يتعرف الا اضافة الصفة المشبهة فلا تتعرف باضافة ذكر ذلك س في كتابه وقل من يعرفه وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة والكساي علام على المبالغة والخفض وتقدمت قراة يعزب في يونس وقرا الجمهور ولا اصغر من ذلك ولا اكبر برفع الرايين واحتمل ان يكون معطوفا على مثقال وان يكون مبتدا والخبر في قوله الا في كتاب وعلى الاحتمال الاول يكون الا في كتاب مبين توكيدا لما تضمن النفي في قوله لا يعزب وتقديره لكنه في كتاب مبين وهو كناية عن ضبط الشي والتحفظ به فكانه في كتاب وليس ثم كتاب حقيقة وعلى التخريج الاول يكون الكتاب هو اللوح وقرا الاعمش وقتادة بفتح الرايين قال ابن عطية عطفا على ذرة وقد رويت عن ابي عمرو وعزاها ايضا الى نافع ولا يتعين ما قال بل تكون لا لنفي الجنس وهو مبتدا اعني مجموع لا وما بني معها على مذهب س والخبر الا في كتاب مبين وهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات كما قال ابن عطية وقال الزمخشري جوابا لسوال من قال هلا جاز عطف ولا اصغر على مثقال وعطف ولا اصغر على ذرة قلت يابي ذلك حرف الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان يكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح انتهي ولا يحتاج الى هذا التاويل اذا جعلنا الكتاب المبين ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بخفض الرايين بالكسرة لانه نوى مضافا اليه محذوفا والتقدير ولا اصغره ولا اكبره ومن ذلك ليس متعلقا بافعل بل هو تبيين لانه لما حذف المضاف اليه ابهم لفظا فبينه بقوله من ذلك اي اعني من ذلك وقد جات من مع كون افعل التفضيل مضافا في قول الشاعر

نحن بغرس الودي اعلمنا • منا بركض الجياد في السدف

وخرج على انه اراد اعلم منا فاضاف ناويا اطراح المضاف اليه فاحتملت قراة زيد هذا التوجيه الاخر انه لما اضاف اصغر واكبر على اعرابهما حالة الاضافة وهذا كله توجيه شذوذ وناسب وصفه تعالى بعالم الغيب وانه لا يفوت علمه شي من الخفيات فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة وصار ذلك دليلا على صحة ما اقسم عليه لان من كان عالما بجميع الاشيا كليها وجزيها وكانت قدرته تامة كان قادرا على اعادة ما فني وجمع الارواح والاشباح قيل وقوله مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح ولا في الارض اشارة الى علمه بالاشباح وكما ابرزهما من العدم الى الوجود اولا فكذلك بعيدهما ثانيا وقال الزمخشري فان قلت كيف يكون بمعنى اليمين مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرايز وجوب الجزا وان المحسن لا بد له من ثواب والمسي لا بد له من عقاب انتهي وفي السوال بعض اختصار وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر ان قوله ليجزي متعلق بقوله لا يعزب وقيل بقوله لتاتينكم وقيل بالعامل في كتاب مبين اي الا مستقر في كتاب مبين ليجزي وقرا الجمهور معجزين مخففا وابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو السمال مثقلا وتقدم في الحج اي معجزين قدرة الله في زعمهم وقال ابن الزبير معناه مثبطين عن الايمان من اراده مدخلين عليه العجز في نشاطه وهذا هو سعيهم في الايات اي في شان الايات وقال قتادة مسابقين يحسبون انهم يفوتونا وقال عكرمة مراغمين وقال ابن زيد مجاهدين في ابطالها وقرا ابن كثير وحفص وابن ابي عبلة اليم هنا وفي الجاثية بالرفع صفة للعذاب وباقي السبعة بالجر صفة للرجز والرجز العذاب السيي والظاهر ان قوله والذين سعوا مبتدا والخبر في الجملة الثانية وهي اوليك وقيل هو منصوب عطفا على الذين امنوا اي ويجزي الذين

سعوا واحتمل ان تكون الجملتان المصدرتان باولئك مما نفسر الثواب والعقاب واحتمل
ان تكونا مستانفتين والثواب والعقاب غير ما تضمنتا وهما اعظم كرضى الله عنه او هو
دايما وسخطه على الكافر دايما والظاهر ان قوله ويرى استيناف اخبار عن من اوتي العلم
يعلمون القران المنزل عليك هو الحق وقيل ويرى منصوب عطفا على ليجزي وقاله الطبري
والثعلبي وتقدم الخلاف في الذين اوتوا العلم في ذكر المكان الذي نزلت فيه هذه السورة
وقال الزمخشري اي ويعلم اولو العلم عند مجي الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان
ويحتجوا به على الذين كفروا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يومن من الاحبار انه هو
الحق فيزداد حسرة وغما انتهى وانما قال عند مجي الساعة لانه علق ليجزي بقوله
لتاتينكم فبنى التخريج على ذلك وقرا الجمهور الحق بالنصب مفعولا ثانيا ليرى وهو فصل
وابن ابي عبلة بالرفع جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة في موضع المفعول الثاني
ليرى وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدا قاله ابو عمر الجرمي والظاهر ان
الفاعل بيهدي هو ضمير الذي انزل وهو القران وهو استيناف اخبار وقيل هو في موضع
الحال على اضمار وهو يهدي ويجوز ان يكون معطوفا على الحق عطف الفعل على الاسم
كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات كما عطف الاسم على الفعل في قوله

فالفيته يوما يبير عدوه ومجر عطا يستحق المعابرا

عطف ومجر على يبير وقيل الفاعل بيهدي ضمير عايد على الله وفيه بعد وقال الذين
كفروا هم قريش قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزا كما يقول الرجل لمن يريد
ان يعجبه هل ادلك على قصة غريبة نادرة لما كان البعث عندهم من المحال جعلوا من يخبر
عن وقوعه في حيز من يتعجب منه واتوا باسمه عليه السلم نكرة في قولهم هل ندلكم على رجل
وكان اسمه اشهر علم في قريش بل في الدنيا واخباره بالبعث اشهر خبر لانهم اخرجوا ذلك مخرج
الاستهزا والتحلي ببعض الاحاجي المعمولة للتلهي والتعمية فلذلك نكروا اسمه
وقرا الجمهور ينبيكم بالهمز وزيد بن علي بابدال الهمزة يا محضة وحكى عنه الزمخشري
ينبيكم بالهمز من انبا واذا جوابها محذوف تقديره تبعثون وحذف لدلالة ما بعده عليه
وهو العامل في اذا على قول الجمهور وقال الزجاج ذلك وقال ايضا هو والنحاس العامل
مزقتم قال ابن عطية وهو خطا وافساد للمعنى انتهى وليس بخطا ولا افساد للمعنى
واذا الشرطية مختلف في العامل فيها وقد بينا ما كتبناه في شرح التسهيل ان الصحيح ان
يعمل فيها فعل الشرط كسائر ادوات الشرط والجملة الشرطية يحتمل ان تكون معمولة لينبيكم
لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق تبعثون ثم اكد ذلك بقوله انكم لفي خلق جديد
ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق جديد معمولا لينبيكم وينبيكم معلق ولولا اللام في خبر ان لكانت
مفتوحة فالجملة سدت مسد المفعولين والجملة الشرطية على هذا التقدير
اعتراض وقد منع قوم التعليق في باب اعلم والصحيح جوازه قال الشاعر

حذار فقد نبيت انك للذي ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى

وممزق مصدر جاء على زنة اسم المفعول على القياس في اسم المصدر من كل فعل زايد على
الثلاثة كقوله الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا اي تسريحي القوافي ثم
واجاز الزمخشري ان تكون ظرف مكان اي اذا مزقتم في كل مكان من القبور وبطون الطير
والسباع وما ذهبت به السيول كل مذهب وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح انتهى
وجديد عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جاد وجديد وبمعنى مفعول عند الكوفيين
من جده اذا قطعه والظاهر ان قوله افترى من قولهم بعضهم لبعض اي هو مفتر على الله
كذبا فيما ينسب اليه من امر البعث ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه عادلوا
بين الافترا والجنون لان هذا القول عندهم انما يصدر عن احد هذين لانه ان كان
يعتقد خلاف ما اتى به فهو مفتر وان كان لا يعتقده فهو مجنون ويحتمل ان يكون من كلام
السامع المجيب لمن قال هل ندلكم ردد بين الشيين ولم يجزم باحدهما حيث جوز هذا
وجوز هذا ولم يجزم بانه افترا محض احترازا من ان ينسب الكذب لعاقل نسبة قطعية

اذ العاقل حتى الكافر لا يرضى بالكذب لا من نفسه ولا من غيره واضرب تعالى عن مقالتهم
والمعنى ليس للرسول كما نسبتم اليه بل انتم في عذاب النار وفي عذاب الدنيا بما تكابدونه
من ابطال الشرع وهو بحق واطفاء نور الله وهو متم ولما كان الكلام في البعث قال بل الذين
لا يومنون بالاخرة فرتب العذاب على انكار البعث وتقدم الكلام في وصف الضلال
بالبعد وهو من اوصاف المحال استعير للمعنى ومعنى بعده انه لا تنقضي حيرة المتلبس به
افلم يروا اي هولا الكفار الذين لا يومنون بالاخرة الى ما بين ايديهم اي حيث ما تصرفوا
فالسما والارض قد احاطتا بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما ولا يخرجوا عن ملكوت
الله فيهما وقال الزمخشري اعموا فلم ينظروا وجعل بين الفا والهمزة فعلا يصح العطف
عليه وهو خلاف ما ذهب اليه النحويون من انه لا محذوف بينهما وان الفا للعطف على
ما قبل همزة الاستفهام وان التقدير فالم تكن همزة الاستفهام لما كان لها الصدر قدمت
وقد رجع الزمخشري الى مذهب النحويين في ذلك وقد رددنا عليه هذا المذهب
فيما كتبناه في شرح التسهيل ووقفهم تعالى على قدرته الباهرة وحذرهم احاطتها بهم على سبيل
الاهلاك لهم وكان ثم حال محذوف اي افلا يرون الى ما يحيط بهم من سما وارض مقهورين تحت
قدرتنا نتصرف فيه كما نريد ان نشا نخسف بهم الارض كما فعلنا بقارون او نسقط عليهم
كسفا من السما كما فعلنا باصحاب الظلة او فلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم محيطا بهم وهم
مقهورون تحته ان نشا ان في ذلك النظر الى السما والارض والفكر فيهما وما يدل عليه
من قدرة الله لاية لعلامة ودلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له قال مجاهد
مخبت وقال الضحاك مستقيم وقال ابو روق مخلص في التوحيد وقال قتادة مقبل الى ربه
بقلبه لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شي من البعث ومن عقاب
من يكفر به وقرا الجمهور ان نشا نخسف نسقط بالنون في الثلاثة وحمزة والكسائي وابن
وثاب وعيسى والاعمش وابن مصرف باليا فيهن وادغم الكسائي الفا في البا في نخسف بهم
قال ابو علي وذلك لا يجوز لان البا اضعف في الصوت من الفا فلا تدغم فيها وان كانت
البا تدغم في الفا نحو اضرب فلانا وهذا ما تدغم البا في الميم كقولك اضرب مالكا ولا تدغم
الميم في البا كقولك اضمم بك لان البا انحطت عن الميم بفقد الغنة التي في الميم وقال
الزمخشري وقرا الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية انتهى والقراة سنة متبعة
ويوجد فيها الفصيح والافصح وكل ذلك من تيسيره تعالى القران للذكر فلا التفات لقول ابي
علي ولا الزمخشري ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوها
شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ومناسبة قصة داود وسليمن عليهما السلم لما قبلها هي ان
اوليك الكفار انكروا البعث لاستحالته عندهم فاخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا
يمكنهم انكاره اذ طفحت ببعضه اخبارهم وشعراوهم على ما ياتي ذكره ان شا الله في تاويب الجبال
والطير مع داود والانة الحديد وهو الجرم المستعصي وتسخير الريح لسليمن واسالة النحاس
له كما الان الحديد لابيه وتسخير الجن فيما شا الله من الاعمال الشاقة وقيل لما ذكر من ينيب
من عباده ذكر من جملتهم داود كما قال فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وبين ما اتاه الله
على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا وقيل ذكر نعمته على داود وسليمن عليهما السلم
احتجاجا على ما منح محمدا صلى الله عليه وسلم اي لا تستبعدوا هذا فقد تفضلنا على عبيدنا
قديما بكذا وكذا فلما فرغ التمثيل لمحمد عليه السلم رجع التمثيل لهم بسبا وما كان من
هلاكهم بالكفر والعتو انتهى والفضل الذي اوتي داود الزبور والعدل في القضا و
الثقة بالله او تسخير الجبال والطير وتلين الحديد اقوال يا جبال هو اضمار القول

اما مقصد راي قولنا يا جبال فيكون بدلا من فضلا واما فعلا اي قلنا فيكون بدلا من اتينا
واما علي الاستيناف اي قلنا يا جبال وجعل الجبال منزلة العقلا الذين اذا امرهم اطاعوا
واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت
الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع علي ارادته دلالة علي عزة الربوبية وكبريا الالهية
حيث نادي الجبال وامرها وقرا الجمهور اوبي مضاعف اب يووب ومعناه سبحي معه قاله
ابن عباس وقتادة وابن زيد وقال مورج وابو ميسرة اوبي سبحي بلغة الحبشة اي يسبح
هو وترجع هي معه التسبيح اي ترده بالذكر وضعف الفعل للمبالغة قاله ابن عطية ويظهر
ان التضعيف للتعدية فليس للمبالغة اذ اصله اب وهو لازم بمعني رجع اللازم فعدي
بالتضعيف اذ شرحوه بقولهم رجعي معه التسبيح قال الزمخشري ومعني تسبيح الجبال
ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود
وقيل كان ينوح علي ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده علي نوحه باصدايها والطير
باصواتها انتهي وقوله كما خلق الكلام في الشجرة يعني ان الذي سمع موسي هو من ما خلقه
الله في الشجرة من الكلام لا انه كلام الله حقيقة وهو مذهب المعتزلة واما قوله تسعده
اي الجبال علي نوحه باصدايها فليس بشي لان الصدي ليس بصوت الجبال حقيقة والله
تعالي نادي الجبال وامرها بان تاوب معه والصدي لا تومر الجبال بان تفعله اذ ليس
فعلا لها وانما هو من اثار صوت المتكلم علي ما يقوم عليه البرهان وقال الحسن معني اوبي معه
سيري معه اين سار والتاويب سير النهار كان الانسان يسير الليل ثم يرجع السير بالنهار
اي يردده وقال تميم بن مقبل

لحقنا بحي اوبوا السير بعد ما ۔ دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح

وقال اخر

يومان يوم مقامات واندية ۔ ويوم سير الي الاعدا تاويب

وقيل اوبي تصرفي معه علي ما يتصرف فيه فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال معه
واصغت اليه الطير فكانها فعلت كما فعل وقرا ابن عباس والحسن وقتادة وابن ابي اسحق
اوبي امرا من اوب اي ارجعي معه في التسبيح او في السير علي القولين وامر الجبال كامر
الواحدة المونثة لان جمع ما لا يعقل يجوز فيه ذلك ومنه يا خيل الله اركبي ومنه مارب اخري
وقد جا ذلك في جمع ما يعقل من المونث قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المفدي ۔ وقلنا للنسا بها اقيمي

لكن هذا قليل وقرا الجمهور والطير بالنصب عطفا علي موضع يا جبال قاله س وقال
ابو عمرو باضمار فعل تقديره وسخرنا له الطير وقال الكساي عطفا علي فضلا اي وتسبيح
الطير وقال الزجاج نصبه علي انه مفعول معه انتهي وهذا لا يجوز لان قبله معه ولا يقتضي
الفعل اثنين من المفعول معه الا علي البدل او العطف فكما لا يجوز جا زيد مع عمرو مع زينب
الا بالعطف كذلك هذا وقرا السلمي وابن هرمز وابو يحيي وابو نوفل ويعقوب وابن ابي
عبلة وجماعة من اهل المدينة وعاصم في رواية والطير بالرفع عطفا علي لفظ يا جبال
وقيل عطفا علي الضمير في اوبي وسوغ ذلك الفصل بالظرف وقيل رفعا بالابتدا والخبر محذوف
اي والطير تاوب والنا له الحديد قال ابن عباس وقتادة صار كالشمع وقال الحسن
كالعجين وكان يعمله من غير نار وقال السدي كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه
كيف يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل اعطي قوة يلين بها الحديد وقال مقاتل كان يفرغ
من الدرع في بعض يوم او في بعض ليل ثمنها الف درهم وكان داود يتنكر فيسال الناس
عن حاله فعرض له ملك في صورة انسان فساله فقال نعم العبد لولا خلة فيه فقال وما هي
قال يرتزق من بيت المال ولو اكل من عمل يده تمت فضايله فدعا الله ان يعلمه صنعة
ويسهلها عليه فعلمه صنعة الدروع والان له الحديد فاثري وكان ينفق ثلث المال
في مصالح المسلمين وان في ان اعمل مصدرية وهي علي اسقاط حرف الجر اي النا له لعمل سابغات
واجاز الحوفي وغيره ان يكون مفسرة ولا يصح لان من شرطها ان يتقدمها معني القول

والنا ليس فيه معني القول وقدر بعضهم قبلها فعلا محذوفا حتي يصح ان تكون مفسرة وتقديره
وامرناه ان اعمل اي اعمل ولا ضرورة تدعو الي هذا المحذوف وقري صابغات بالصاد بدلا من
السين وتقدم انها لغة في قوله واسبغ عليكم نعمه وقدر في السرد قال ابن زيد هو في قدر
الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوي الدرع علي الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها
وقال ابن عباس هو في المسمار لا يرق فيسلس ولا تغلظ فيقصم بالفا وبالقاف وروي قتادة
ان الدروع كانت قبل صفايح كانت ثقالا وهو اول من صنع الدرع حلقا والظاهر ان الامر في قوله
اعملوا لداود ولال داود وانه لم يجر لهم ذكر ويجوز ان يكون امرا لداود وشرفه الله بان خاطبه
خطاب الجمع ولسليمن الريح قال الحسن عقر سليمن الخيل اسفا علي ما فوتته من صلوة العصر
فابدله الله خيرا منها واسرع الريح تجري بامره وقرا الجمهور الريح بالنصب اي ولسليمن
سخرنا الريح وابو بكر بالرفع علي الابتدا والخبر في المجرور ويكون الريح علي حذف مضاف
اي تسخير الريح او علي اضمار الخبر اي الريح مسخرة وقرا الحسن وابو حيوة وخالد بن الياس
الرياح بالرفع جمعا قال قتادة كانت تقطع به في الغدو الي قرب الزوال مسيرة شهر وفي
الرواح من بعد الزوال الي الغروب مسيرة شهر وقال الحسن تخرج من مستقره بالشام
يريد تدمر التي بنتها الجن بالصفاح والعمد فيقيل في اصطخر ويروح منها فيبيت في كابل من
ارض خراسان والغدو ليس الشهر فهو علي حذف مضاف اي جري غدوها اي جريها في الغدو
مسيرة شهر وجري رواحها اي جريها في الرواح مسيرة شهر واخبر هنا عن الغدو وعن الرواح
بالزمان وهو شهر ويعني شهرا واحدا كاملا ونصب شهر جايز ولكنه لم يقرا به فيما اعلم وقرا
ابن ابي عبلة غدوتها وروحتها علي وزن فعلة وهي المرة الواحدة من غدا وراح وقال
وهب كان مستقر سليمن عليه السلم بتدمر وكانت الجن قد بنتها له بالصفاح والعمد والرخام
الابيض والاشقر وفيه يقول النابغة

الا سليمن اذ قال الاله له ۔ قم في البرية فاصددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم ۔ يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ووجدت ابياتا منقورة في صخرة بارض كشكر انشاهن بعض اصحاب سليمن عليه السلم
وهي

ونحن ولا حول سوي حول ربنا ۔ نروح من الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا ۔ مسيرة شهر والغدو لاخر
اناس اعز الله طوعا نفوسهم ۔ بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورفعة ۔ وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متي يركب الريح المطيعة اسرعت ۔ مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم ۔ متي زفرت من فوقهم لم تنفر

انتهي ما حكاه وهب واسلنا له عين القطر الظاهر انه جعله في معدنه عينا تسيل كعيون الما
دلالة علي نبوته قال قتادة يستعملها فيما يريد وعن ابن عباس ومجاهد والسدي اجريت
له ثلثة ايام بلياليهن وكانت بارض اليمن قال مجاهد سالت من صنعا ولم يذب النحاس
فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب وقالت فرقة المعني اذبنا له النحاس علي نحو ما كان الحديد
يلين لداود عليه السلم قالوا وكانت الاعمال تتاتي منه وهو بارد دون نار وهي بمعني الذات
وقالوا لم يلن ولا ذاب لاحد قبله وقال الزمخشري اراد بها معدن النحاس اساله كما الان الحديد
لداود فنبع كما ينبع الما من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني
اعصر خمرا انتهي ويحتمل من يعمل ان يكون في موضع نصب اي وسخرنا من الجن من يعمل وان يكون
في موضع رفع علي الابتدا وخبره في الجار والمجرور وقبله باذن ربه اي بامر ربه لقوله ومن يزغ
منهم عن امرنا وقرا الجمهور يزغ مضارع زاغ اي ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه
به من طاعة سليمن وقري يزغ بضم اليا من ازاغ اي ومن يمل ويصرف نفسه عن امرنا وعذاب
السعير عذاب الاخرة قاله ابن عباس وقال السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما
استعصي عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ولبعض الباطنية او من يشبههم تحريف في هذه
الجمل ان تسبيح الجبال هو من نوع قوله وان من شي الا يسبح بحمده وان تسخير الريح هو انه

راض الخيل وهي كالريح وان غدوها شهر يكون فرسخًا لان من يخرج للتفرج لايسير في غالب
الامر اكثر فرسخ والانه الحديد واسالة القطر هو استخراج ذوبهما بالنار واستعمال
الالات منها ومن الجن هم ناس من بني ادم اقويا شبهوا بهم في قواهم وهذا تاويل فاسد
وخروج بالجملة عن ما يقوله اهل التفسير في الاية وتعجيز للقدرة الالهية نعوذ بالله
من ذلك والمحاريب قال مجاهد المساجد سميت باسم بعضها تجوزا وقال عطية القصور
وقال قتادة كليهما وقال ابن زيد مساكن وقيل ما يصعد اليه بالدرج كالغرف والتماثيل
الصور وكانت لغير الحيوان وقال الضحاك كانت تماثيل حيوان وكان عملها جايزا في ذلك الشرع
وقال الزمخشري هي صور الملايكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد
من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وهذا مما يجوز ان يختلف
فيه الشرايع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ
الصور اذ ذاك محرما او تصور يحذف منه الرووس انتهى وفيه بعض حذف وقيل التماثيل
طلسمات فيعمل تمثالا للتمساح او للذباب او للبعوض ويامر ان لايتجاوز ذلك التمثال به
مادام ذلك التمثال والتصوير حرام في شريعتنا وقد ورد تشديد الوعيد على المصورين
ولبعض العلما استثنا في شي منها وفي حديث سهل بن حنيف لعن المصورين ولم يستثن
عليه السلم وحكى مكي في الهداية ان قوما اجازوا التصوير وحكاه النحاس عن قوم واحتجوا
بقوله وتماثيل قاله ابن عطية وما احفظ من ايمة العلم من يجوزه وقري كالجوابي بيا ي
وهو الاصل وحذفها اجتزا بالكسرة واجراء للالف واللام مجرى ما عاقبها وهو التنوين
وكما يحذف مع التنوين يحذف مع ما عاقبه وهو ال والراسيات الثابتات على الاثافي فلا تنقل
ولا تحمل لعظمها وقدمت المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الابنية وقدم الجفان
على القدور مع ان القدور الة الطبخ والجفان الة الاكل والطبخ قبل الاكل لما بين الابنية
الملكية واراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور واشار الى الجفان لانها يكون
فيها والقدور لا يكون فيها ولا يحضر هناك ولهذا قال راسيات ولما بين حال الجفان
سري الذهن الى عظمة ما يطبخ فيه فذكر القدور للمناسبة وذكر في حق داود اشتغاله
بالة الحرب لاحتياجه الى قتال الاعدا وفي حق سليمن المحاريب والتماثيل لانه كان ملكا
ابن ملك وقد اطد له ابوه الملك فكانت حاله حالة سلم اذ لم يكن احد يقدر على محاربته
وقال عقب ان اعمل سابغات واعملوا صالحا وعقب ما يعمله الجن اعملوا آل داود شكرا
اشارة الى ان الانسان لا يستغرق في الدنيا ولا يلتفت الى زخارفها وانه يجب ان يعمل صالحا
اعملوا آل داود وقيل لهم اعملوا ومفعول اعملوا محذوف اي اعملوا الطاعات وواظبوا عليها
شكرا لربكم على ما انعم به عليكم فقيل انتصب شكرا على الحال وقيل مفعول من اجله وقيل
مفعول به باعملوا اي اعملوا عملا هو الشكر كان الصلوة والصيام والعبادات كلها في انفسها
هي الشكر اذ سدت مسده وقيل على المصدر لتضمن اعملوا اشكروا بالعمل لله شكرا روي
ان مصلى آل داود لم يخل قط من قايم يصلي ليلا ونهارا وكانوا يتناوبونه وكان سليمن عليه السلم
ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكنان والمساكين الدرمك وما شبع قط وقيل له في ذلك فقال
اخاف ان شبعت ان انسى الجياع والشكور صفة مبالغة واريد به الجنس قال ابن
عباس الشكور من يشكر على احواله كلها وقال السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى
عجزه عن الشكر وهذه الجملة تحتمل ان يكون خطابا لال داود وهو الظاهر وان تكون
خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيها تنبيه وتحريض على الشكر فلما قضينا عليه الموت
اي انفذنا عليه ما قضينا عليه في الازل من الموت واخرجناه الى حيز الوجود وجواب
لما النفي الموجب وهذا يدل على ان لما حرف لا ظرف خلافا لمن زعم ذلك لانه لو كان ظرفا
لكان الجواب هو العامل وما دخلت عليه وهي نافية ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد مضى
لنا نظير هذا في يوسف في قوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله
من شي والضمير في دلهم عايد على الجن الذين كانوا يعملون له وكان سليمن قد امر الجن ببنا صرح
له فبنوه له ودخله مختليا ليصفو له يوم من الدهر من الكدر فدخل عليه شاب فقال

ه

له كيف دخلت علي فقال انما دخلت باذن فقال ومن اذن لك فقال رب هذا الصرح فعلم انه
ملك الموت اتى يقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفا فقال له
طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكا على عصاه فقبض روحه وبقيت الجن تعمل على عادتها وكان
سليمن قصد تعمية موته لانه كان بقي من تمام بنا المسجد عمل سنة فسال الله تمامها على يد
الانس والجن وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلثة فكانوا يقولون انه يتحنث وقيل ان ملك
الموت اعلمه انه بقي من حياته ساعة فدعا الشياطين فبنوا له الصرح وقام يصلي متكيا على
عصاه فقبض روحه وهو متكي عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر احد منهم
اليه في صلاته الا احترق فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا هو
قد خر ميتا وكان عمره ثلثا وخمسين سنة ملك بعد موت ابيه وهو ابن ثلث عشرة سنة
وكان ابوه قد اسس بنيان المسجد موضع بساط موسى فمات قبل ان يتمه ووصى به الى
ابنه فامر الشياطين باتمامه ومات قبل تمامه ودابة الارض هي سوسة الخشب وهي
الارضة وقيل ليست سوسة الخشب لان السوسة ليست من دواب الارض بل هذه حيوان
من الارض شانه ان ياكل الخشب وذلك موجود وقالت فرقة منها ابو حاتم الارض هنا مصدر
ارضت الابواب والخشب اكلتها الارضة فكانه قال دابة الاكل الذي هو تلك الصورة
واذا كانت الارض مصدرا كان فعله ارضت الدابة الخشب تارضه ارضا فارض بكسر الرا
نحو جدعت انفه فجدع ويقول انه مصدر لفعل المفتوح العين قراة ابن عباس بن الفضل
الارض بفتح الرا جمع ارضة وهو من اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارض
وقراة الجمهور بسكون الرا فالمتبادر انها الارض المعروفة وتقدم انه مصدر للارضة
الدابة الخشب وتاكل حال اي اكلة منساته وهي حال مصاحبة وتقدم ان المنساة هي
العصا وكانت فيما روا من خروب وذلك انه كان يتعبد في بيت المقدس فينبت له في محرابه
كل سنة شجرة تخبره بمنافعها فيامر فيقلع وتصرف في منافعها وتغرس ليتناسل فلما قرب
موته نبتت شجرة وسالها فقالت انا الخروب خرجت لخراب ملكك فعرف انه حضر اجله
فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن يتوهم انه يتغذى بالليل وروي ان
سليمن كان في قبة واوصى بعض اهله بكتمان موته عن الجن والانس سنة ليتم البنا الذي
بدي به في زمن داود فلما مضى لموته سنة خر عن العصا ونظر الى مقدار ما تاكله الارضة
يوما وقيس عليه فعلم انها اكلت العصا منذ سنة وقرا نافع وابو عمرو وجماعة منساته
بالف واصله منساته ابدلت الهمزة الفا بدلا غير قياسي وقال ابو عمرو وانا لا اهمزها لاني
لا اعرف لها اشتقاقا فان كانت مما لا تهمز فقد احتطت وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك
الهمز فيما يهمز وقرا ابن ذكوان وجماعة منهم بكار والوليد ان ابن عتبة وابن مسلم منساته
بهمزة ساكنة وهو من تسكين المتحرك تخفيفا وليس بقياس وضعف النحاة هذه القراة
لانه يلزم فيها ان يكون ما قبل تا التانيث ساكنا غير الف وقيل قياسها التخفيف بين بين والراوي
لم يضبط وانشد هرون بن موسى الاخفش الدمشقي شاهدا على سكون هذه القراة
قول الراجز

• صريع خمر قام من وكانه • كقومة الشيخ الى منساته •

وقرا باقي السبعة بالهمزة مفتوحة وقري بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
وعلى وزن مفعالة منساءة وقرات فرقة منهم عمرو بن ثابت عن ابن جبير من مفصولة
حرف جر سانه بجر التا قيل ومعناه من عصاة يقال لها ساة القوس وسيتها معا وهي يدها
العليا والسفلى سميت العصا ساة القوس على الاستعارة ولا سيما ان صح النقل انه
اتخذها من شجر الخروب قبيل موته فيكون حين اتكا عليه وهي كما قطعت من شجرة خضرا
قد اعوجت حتى صارت كالقوس الا ترى انك اذا اتكات على غصن اخضر كيف يعوج حتى تكاد
تلتقي طرفاه وفيها لغتان ساة وسية كما يقال قحة وقحة والمحذوف من ساة وسية فلما خر
اي سقط عن العصا ميتا والظاهر ان الضمير في خر عايد على سليمن وقيل انه لم يمت الا في سفر
مضطجعا ولكنه كان في بيت مبني عليه واكلت الارضة عتبة الباب حتى خر الباب

فعلم موته وقال ابن عباس مات في متعبده على فراشه وقد اغلق الباب على نفسه فاكلت الارضة
المنساة اي عتبة الباب فلما خر اي الباب انتهى وهذا فيه ضعف لانه لو كانت المنساة هي العتبة
وعاد الضمير عليها لكان التركيب فلما خرت بتا التانيث ولا يجي حذف مثل هذه التا الا في ضرورة
الشعر ولا يكون من يذكر المعنى على معنى العود لانه قليل وقرا الجمهور تبينت مبنيا للفاعل فاحتمل ان
تكون من تبين بمعنى بان اي ظهر فالجن فاعل وان وما بعدها بدل من الجن كما تقول بين زيد جهله
اي ظهر جهل زيد فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب وان ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح و
واحتمل ان تكون من تبين بمعنى علم وادرك والجن هنا خدم الجن وضعفتهم ان لو كانوا اي لو كان
رؤساؤهم وكبارهم يعلمون قاله قتادة وقال الزمخشري او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم
وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي
الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله كقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل
لذلك متبينا انتهى ومجي تبين بمعنى بان وظهر لازما وبمعنى علم متعديا موجود في كلام العرب
قال الشاعر

تبين لي ان القماءة ذلة ... وان اعزاء الرجال طيالها

وقال اخر

افاطم اني ميت فتبيني ... ولا تجزعي كل الانام يموت

اي فتبيني ذلك اي اعلميه وقال ابن عطية ذهب بس الى ان ان لا موضع لها من الاعراب انما هي
موذنة نحو ان ما يتنزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين لان هذه
الافعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فما لبثوا جواب القسم لا جواب
لو وعلى الاقوال الاول جواب لو وفي كتاب النحاس اشارة الى انه يقرا تبينت الجن بنصب
الجن اي تبينت الانس والجن والمعنى ان الجن لو كانت تعلم الغيب ما خفي عليها موت سليمن
وقد ظهر انه خفي عليها بدوامها في الخدمة والصنعة وهو ميت وقرا ابن عباس فيما ذكر ابن
خالويه ويعقوب بخلاف عنه تبينت مبنيا للمفعول وعن ابن عباس وابي وابن مسعود
وعلي بن الحسن والضحاك قراات في هذا الموضع مخالفة لسواد المصحف ولما روي عنهم ذكرها
المفسرون اضربت عن ذكرها صفحا على عادتنا في ترك نقل الشاذ الذي يخالف للسواد
مخالفة كثيرة لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا
له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط واثل وشي من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازي الا الكفور وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما
امنين فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين
وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل
شي حفيظ لما ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين
لانعمه بقصة سبا موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها على ما جرى لمن كفر انعم الله وتقدير
الكلام في سبا في النمل ولما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت
قصرها وراودوها على ان ترجع فابت فقالوا لترجعن او لنقتلنك فقالت لهم لا عقول
لكم ولا تطيعوني فقالوا نطيعك فرجعت الى واديهم وكانوا اذا مطروا اتاهم السيل من
مسيرة ثلثة ايام فامرت به فسد ما بين الجبلين بمسناه بالصخر والقار وحبست الما
ورا السد وجعلت له ابوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا
على عدة انهارهم وكان الما يخرج لهم بالسوية الى ان كان من شانها مع سليمن عليه السلم
ما سبق ذكره في سورة النمل وقيل الذي بنى لهم السد حمير ابو القبايل اليمنية وعن
الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قيل وكان لهم رئيس
يلقب بالحمار وكان في الفترة فمات ولده فرفع راسه الى السما فبزق وكفر فلذا يقال
في المثل اكفر من حمار ويقال تركه جوف حمار اي كوادي حمار لما سال بهم السيل وقرا الجمهور

في مساكنهم

في مساكنهم جمعا والنخعي وحمزة وحفص مفردا بفتح الكاف والكسائي مفردا بكسرها وهي
قراءة الاعمش وعلقمة قال ابو الحسن كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم
والفتح لغة الحجاز وهي اليوم قليلة وقال الفراء هي لغة يمانية فصيحة فمن قرا بالجمع
فظاهر لان كل احد له مسكن ومن افرد فينبغي ان يحمل على المصدر اي في سكناهم حتى لا يكون
مفردا يراد به الجمع لان سيبويه يرى ذلك ضرورة نحو كلوا في بعض بطنكم تعفوا يد
بطونكم وقوله قد عض اعناقهم جلد الجواميس اي جلود اية اي علامة دالة على الله وعلى
قدرته واحسانه ووجوب شكره وجعل قصتهما اية اذ اعرض اهلهما عن شكر
الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل عبرة لهم وجنتان خبر مبتدا محذوف
اي هي جنتان قاله الزجاج او بدل قال معناه الفرا قال رفع لانه تفسير للاية وقاله
مكي وغيره وضعفه ابن عطية ولم يذكر جهة تضعيفه وقال جنتان ابتدا وخبره في قوله
عن يمين وشمال انتهى ولا يظهر لانه نكرة لا مسوغ للابتدا بها الا ان اعتقد ان ثم
صفة محذوفة اي جنتان لهم او عظيمتان لهم عن يمين وشمال وعلى تقدير ذلك يبقى
الكلام تعلقا بما قبله وقرا ابن ابي عبلة جنتين بالنصب على ان اية اسم كان وجنتين
الخبر قيل ووجه كون الجنتين اية نباط الخمط والاثل والسدر مكان الاشجار المثمرة
قال قتادة كانت بساتينهم ذات اشجار وثمار تستر الناس بظلالها ولم يرد جنتين ثنتين
بل اراد من الجهتين يمنة ويسرة انتهى وقال الزمخشري وانما اراد جماعة من البساتين
عن يمين بلدتهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة
واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب انتهى قال ابن زيد لا يوجد فيها برغوث
ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابهم وكانت المراة تمشي تحت الاشجار وعلى
راسها المكتل فيمتلي ثمارا من غير ان تتناول بيدها شيا وروي نحو هذا عن عبد الرحمن
بن عوف وابن عباس كلوا من رزق ربكم قول الله لهم على السنة الانبيا المبعوثين اليهم
وروي ذلك مع الايمان بالله او قول لسان الحال لهم لما راوا نعما كثيرة وارزاقا مبسوطة
وفيه اشارة الى تكميل النعمة عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض واشكروا له
على ما انعم به عليكم بلدة طيبة اي كريمة التربة حسنة الهوا غدقة النعم سليمة من الهوام
والمضار ورب غفور لا عقاب على التمتع بنعمه في الدنيا ولا عذاب في الاخرة فهذه لذة كاملة
خالية عن المفاسد العاجلة والماليه وقرا رويس بنصب الاربعة قال احمد بن يحيي
اسكنوا بلدة طيبة واعبدوا ربا غفورا وقال الزمخشري منصوب على المدح ولما ذكر
تعالى ما كان من جانبه من الاحسان اليهم ذكر ما كان من جانبهم في مقابلته فقال فاعرضوا
اي عن ما جابه اليهم انبياوهم وكانوا ثلثة عشر نبيا دعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فبين كيفية الانتقام منهم كما قال ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون فسلط الله عليه الجرذ فارا اعمي
توالد فيه ويسمى الخلد وخرقه شيا بعد شي وارسل سيلا في ذلك الوادي فحمل ذلك السد
فروي انه كان من العظم وكثرة الما بحيث ملا ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيرا من
الناس ممن لم يمكنه الفرار وروي انه لما خرق السد كان ذلك سبب ييبس الجنات
فهلكت بهذا الوجه وقال المغيرة بن حكيم وابو ميسرة العرم في لغة اليمن جمع عرمة
وهي كل ما بني او سنم ليمسك الما ويقال لذلك البنا بلغة الحجاز المسناة كانها الجسور
والسدود ومن هذا المعنى قول الاعشى

وفي ذاك للموتسي اسوة ... مارب عفى عليه العرم
رخام بنته لهم حمير ... اذا جاش دفاعه لم يرم
فاروى الزروع واشجارها ... على سعة ماوه اذ قسم
فصاروا ايادي لا يقدرون ... منه على شرب طفل فطم

وقال الاخر

• من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيل العرم •
وقال ابن عباس وقتادة والضحاك العرم اسم وادي ذلك الماء بعينه الذي كان السد
بني له انتهى ويمكن ان سمي الوادي بذلك ايضا لمجاورته له فصار علما عليه وقال ابن عباس
ايضا العرم الشديد فاحتمل ان يكون صفة للسيل اضيف فيه الموصوف الى صفته والتقدير
السيل العرم او صفة لموصوف محذوف اي سيل المطر الشديد الذي كان عنه السيل
او سيل الجرد العرم فالعرم صفة للجرد وقيل العرم اسم الجرد واضيف السيل اليه لكونه
كان السبب في خراب السد الذي حمله السيل والاضافة تكون بادنى ملابسة وقرا
عزرة بن الورد فيما حكى ابن خالويه العرم باسكان الرا تخفيف العرم كقولهم في الكبد
الكبد ولما غرق من غرق منهم ونجا من نجا تفرقوا وتمزقوا حتى ضربت العرب بهم المثل فقالوا
تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا قيل الاوس والخزرج منهم وعن ابن عباس كان سيل ذلك
الوادي يصل الى مكة وينتفع به وكان سيل العرم في ملك ذي الاذعار بن حسان في الفترة
بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ودخلت البا في بجنتيهم على المتروك وهو
ما كان بدلا وهو قوله جنتين على المعهود في لسان العرب وان كان كثير ممن ينتمي للعلم يعكس
حتى قال بعضهم ولو ابدل ضادا بظا لم تصح صلوته وهو خطا ولسان العرب ولو ابدل ظا
بضاد وقد تكلمنا على ذلك في البقرة في قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وسمى هذا المعوض
جنتين على سبيل المقابلة لان ما كان فيه خمط واثل وسدر لا يسمى جنة لانها اشجار لا يكاد
ينتفع بها وجات تثنيه ذات على الاقصح في ردعينها في التثنية فقال ذواتا اكل كما جا
ذواتا افنان ويجوز ان لا ترد فتقول ذاتا كذا على لفظ ذات وتقدم ذكر الخلاف في ضم كاف
الاكل وسكونها وقرا الجمهور اكل منونا والاكل الثمر الماكول فخرجه الزمخشري على انه على حذف
مضاف اي اكل خمط قال او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذوات اكل بشع انتهى والوصف بالاسما
لا يطرد وان كان قد جاء منه شي نحو قولهم مررت بقاع عرفج كله وقال ابو علي البدل في هذا
لا يحسن لان الخمط ليس بالاكل نفسه انتهى وهو جايز على ما قاله الزمخشري لان البدل
حقيقة هو ذلك المحذوف فلما حذف اعرب ما قام مقامه باعرابه قال ابو علي والصفة
ايضا كذلك يريد لا يحسن لان الخمط اسم لا صفة واحسن ما فيه عطف البيان كانه بين
ان الاكل هذه الشجرة ومنها انتهى وهذا لا يجوز على مذهب البصريين اذ شرط عطف البيان
ان يكون معرفة وما قبله معرفة ولا يجوز ذلك في النكرة من النكرة الا الكوفيون فابو علي
اخذ بقولهم في هذه المسالة وقرا ابو عمرو واكل خمط بالاضافة اي ثمر خمط وقرى واثلا
وشيا بالنصب حكاه الفضل بن ابرهيم عطفا على جنتين وقيل صفة لسدر وقلله لانه كان
احسن اشجاره واكرم ما بدلوا قاله الحسن وذلك اشارة الى ما اجراه عليهم من تخريب بلادهم
واغراق اكثرهم وتمزيقهم في البلاد وابدالهم بالاشجار الكثيرة الفواكه الطيبة المستلذة
الخمط والاثل والسدر ثم ذكر سبب ذلك وهو كفرهم بالله وانكار نعمه وهل يجازى اي بذلك
العقاب الا الكفور اي المبالغ في الكفر يجازى بمثل فعله قدرا بقدر واما المومن فنجزاوه
بتفضل وتضعيف وقرا الجمهور بضم اليا وفتح الزاي الكفور رفعا وحمزة والكسائي
بالنون وكسر الزاي الكفور نصبا وقرا مسلم بن جندب يجزى مبنيا للمفعول الكفور رفعا
واكثر ما يستعمل الجزا في الخير والمجازاة في الشر لكن في تقييدهما قد يقع كل واحد منهما
موقع الاخر وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة جات هذه الجملة بعد
قوله وبدلناهم وذلك انه لما ذكر ما انعم به عليهم من جنتيهم وذكر تبديلهما بالخمط والاثل
والسدر ذكر ما كان انعم به عليهم من اتصال قراهم وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري وقوله
وجعلنا وصف تعالى حالهم قبل مجي السيل وهو انه مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة
الخاصة بهم كان قد اصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم اربابها وقدر السير بان
قرب القرى بعضها من بعض قال ابن عطية حتى كان المسافر من مارب الى الشام يبيت
في قرية ويقيل في اخرى ولا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن ويقال للجمع الصغير ايضا
قرية والقرى التي بورك فيها هي بلاد الشام باجماع من المفسرين والقرى الظاهرة

هي التي بين الشام ومارب وهي الصغار التي هي البوادي انتهى وما ذكره من ان القرى
التي بورك فيها هي قرى الشام باجماع ليس كما ذكر قال مجاهد هي السراويه وقال
وهب قرى صنعا وقال ابن جبير قرى مارب وقال ابن عباس قرى بيت المقدس وبركتها
كثرة اشجارها وثمارها ووصف قرى بظاهرة قال قتادة متصلة على الطريق يغدون
فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية قيل كان على كل ميل قرية بسوق وهو سبب
امن الطريق وقال المبرد ظاهرة مرتفعة اي في الاكام والظراب وهي اشرف القرى
وقيل ظاهرة اذا خرجت من هذه ظهرت تلك الاخرى وقيل ظاهرة معروفة يقال هذا
امر ظاهر اي معروف وقيل ظاهرة عامرة وقال ابن عطية والذي يظهر لي ان معنى ظاهرة
خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن كانه فصل بهذه
الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المدن وظواهر المدن ما خرج
عنها في الفيافي والخصوص ومنه قولهم نزلنا بظاهر فلانة اي خارجا عنها وقوله ظاهرة قطع
تسمية الناس اياها بالبادية والضاحية ومن هذا قول الشاعر •
• فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر •
يعني الخارجين من بطحا مكة في الحديث وجا اهل الضواحي يشكون الغرق وقدرنا فيها السير
قد ذكروا ان الغادي يقيل في قرية والرايح في اخرى الى ان يصل الى مقصوده امنا من عدو
وجوع وعطش وافات المسافر قال الضحاك مقادير المراحل كانت القرى على مقاديرها
وقال الكلبي مقادير المقيل والمبيت وقال القتيبي بين كل قرية وقرية مقدار واحد معلوم
وقيل بين كل قريتين نصف يوم وهذه اقوال المتقاربة والظاهر ان قوله سيروا امر حقيقة
على لسان انبيايهم وقال الزمخشري ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت له اسبابه
فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه انتهى ودخول الفا في قوله فكانهم لا يجوز والصواب
كانهم لانه خبر لكنهم وقال قتادة كانوا يسيرون مسيرة اربعة اشهر في امان ولو وجد الرجل
قاتل ابيه لم يهجه وكان المسافر لا ياخذ زادا ولا سقا مما بسط الله لهم من النعم وقال
الزمخشري سيروا فيها ان شيتم بالليل وان شيتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف
الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة اسفاركم فيها وامتدت اياما
وليالي او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا يلقون فيها الا الامن
انتهى وقدم الليالي لانها مظنة الخوف من مقتال دس عليهم بالامن حتى ساوى الليل النهار
في ذلك ولما طالت بهم مدة النعمة بطروا وملوا العافية وطلبوا استبدال الذي هو ادنى
بالذي هو خير كما فعلت بنوا اسرايل وقالوا لو كان جني ثمارنا ابعد كان اشهى واعلى قيمة فتمنوا
ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فقالوا
ربنا باعد بين اسفارنا وقرا الجمهور والسبعة ربنا بالنصب على النداء باعد طلب وابن كثير
وابو عمرو وهشام كذلك الا انهم شددوا العين وابن عباس وابن الحنفية وعمرو بن فايد
ربنا رفعا بعد فعلا ماضيا مشدد العين وابن عباس ايضا وابن الحنفية ايضا وابو رجا
والحسن ويعقوب وابو حاتم وزيد بن علي وابن يعمر ايضا وابو صالح وابن ابي ليلى والكلبي
ومحمد بن علي وسلام وابو حيوة كذلك الا انه بالف بين البا والعين وسعيد بن ابي الحسن
اخو الحسن وابن الحنفية ايضا وسفين بن حسين وابن السميفع ربنا بالنصب بعد بضم
العين فعلا ماضيا بين بالنصب الا سعيدا منهم فضم نون بين جعله فاعلا ومن نصب
فالفاعل ضمير يعود على السير اي بعد السير بين اسفارنا ومن نصب ربنا جعله ندا فان جا
بعده طلب كان ذلك اشرا منهم وبطرا وان جا بعد فعل ماض كان ذلك شكوى مما حل بهم
من بعد الاسفار التي طلبوها اولا ومن رفع ربنا فلا يكون الفعل الا ماضيا وهي جملة
خبرية فيها شكوى بعضهم الى بعض مما حل بهم من بعد الاسفار ومن قرا باعد او بعد بالالف
او التشديد فبين مفعول به لانهما فعلان متعديان وليس بين ظرفا الا ترى الى قراة
من رفعه كيف جعله اسما فكذلك اذا نصب وقرى بوعد مبنيا للمفعول وقرا ابن يعمر
بين سفرنا مفردا والجمهور بالجمع وظلموا انفسهم عطف على فقالوا وقال الكلبي

موكالـ اي وقد ظلموا انفسهم بتكذيب الرسل فجعلناهم احاديث اي عظات وعبرا
يتحدث بهم ويتمثل وقيل لم يبق منهم الا الحديث ولم يبق منهم طايفة لم يكونوا احاديث
ومزقناهم كل ممزق اي تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت
بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر وقال قتادة فرقناهم بالتباعد وقال ابن سلام
جعلناهم ترابا تذروه الرياح وقال الزمخشري لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام
بتهامة والازد بعمان وفي التحرير وقع منهم قضاعة بمكة واسد بالبحرين وخزاعة بتهامة
وفي الحديث ان سبا ابو عشرة قبايل فلما جا السيل على مارب وهو اسم بلدهم تيامن منها ستة
قبايل اي تبددت في بلاد اليمن كندة والازد واشعر ومدحج وانمار التي منها بجيلة وخثعم
وطايفة قيل لها حمير بقي عليها اسم الاب الاول وتشامت اربعة لخم وجذام وغسان
وخزاعة نزلت تهامة ومن هذه المتشامة اولاد قيله وهما الاوس والخزرج ومنها عامله
وغير ذلك ان في ذلك لايات اي في قصص هولاء لايات اي علامة لكل صبار عن المعاصي وعلى الطاعات
شكور للنعم والظاهر ان الضمير في عليهم عايد على من قبله من اهل سبا وقيل هو لبني ادم وقرا
ابن عباس وقتادة وطلحة والاعمش وزيد بن علي والكوفيون صدق بتشديد الدال
وانتصب ظنه على انه مفعول به بصدق والمعنى وجد ظنه صادقا اي ظن شيا فوقع ما ظن
وقرا باقي السبعة بالتخفيف فانتصب ظنه على المصدر اي يظن ظنا وعلى اسقاط الحرف
اي في ظنه او على المفعول به نحو قولهم اخطات ظني واصبت ظني وظنه هذا كان حين قال
لاضلنهم ولاغوينهم وهذا انما قاله ظنا منه فصدق هذا الظن وقرا زيد بن علي والزهري
وجعفر بن محمد وابو الجهجاه الاعرابي من فصحا العرب وبلال بن ابي بردة بنصب ابليس
ورفع ظنه اسند الفعل الى ظنه لانه ظن فصار ظنه في الناس صادقا كانه صدقه ظنه ولم يكذبه
وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو ابليس ظنه برفعهما فظنه بدل من ابليس بدل اشتمال
فاتبعوه اي في الكفر الا فريقا من المومنين ومن لبيان الجنس ولا يمكن ان تكون للتبعيض
لاقتضا ذلك ان فريقا من المومنين اتبعوا ابليس وفي قوله الا فريقا تقليل لان المومنين
بالاضافة الى الكفار قليل كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وما كان له اي لابليس عليهم من
سلطان اي من تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا ولا حجة الا لحكمة بينة وهي تمييز
المومن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم قاله الزمخشري
وقال ابن عطية الا لنعلم موجودا لان العلم متقدم اولا انتهى وقال معناه ابن قتيبة
قال لنعلم حادثا كما علمناه قبل حدوثه وقال قتادة ليعلم الله به المومن من الكافر علما ظاهرا
يستحق به العقاب والثواب وقيل ليعلم اولياونا وحزبنا وقال الحسن والله ما كان له سوط
ولا سيف ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه انتهى كما قال تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقرا الزهري الا ليعلم بضم اليا وفتح اللام مبنيا للمفعول
وقال ابن خالويه الا ليعلم من يومن باليا الزهري وربك على كل شي حفيظ اما للمبالغة
عدل اليها عن حافظ واما بمعنى محافظ كجليس وخليط والحفظ يتضمن العلم والقدرة لان
من جهل الشي وعجز لا يمكنه حفظه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من
يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسالون
عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم
قل اروني الذين الحقتم به شركا كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نومن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاكم بل كنتم مجرمين

وقال

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما بين حال الشاكرين وحال الكافرين وذكر قريشا
ومن لم يومن بمن مضى عاد الى خطابهم فقال قل يا محمد للمشركين الذين ضرب لهم المثل
بقصة سبا المعروفة عندهم بالنقل في اخبارهم واشعارهم ادعوا الذين زعمتم وهم
معبوداتهم من الملايكة والاصنام وهو امر تعجيز واقامة للحجة وروي ان ذلك
نزل عند الجوع الذي اصاب قريشا اي ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حل بكم او ليجيبوا اليكم
فيما يعن لكم وزعم من الافعال التي تتعدى الى اثنين اذا كانت اعتقادية والمفعول
الاول هو الضمير المحذوف العايد على الذين والثاني محذوف ايضا لدلالة المعنى
ونابت صفته منابه التقدير الذين زعمتموهم الهة من دونه وحسن حذف الثاني
قيام صفته مقامه ولولا ذلك ما حسن اذ في حذف احد مفعولي ظن واخواتها اختصارا
خلاف منع ذلك ابن ملكون واجازه الجمهور وهو مع ذلك قليل ولا يجوز ان يكون الثاني
من دونه لانه لا يستقل كلاما لو قلت هم من دونه لم يصح ولا الجملة من قوله لا يملكون
مثقال ذرة لانه لو كانت هذه النسبة مزعومة لهم لكانوا معترفين بالحق فابلس له
وكان ذلك توحيدا منهم وان الهتهم ومعبوداتهم لا يملكون شيا باعترافهم ثم اخبر عن الهتهم
انهم لا يملكون مثقال ذرة وهو احقر الاشيا واذا انتفى ملك الاحقر عنهم فملك الاعظم
اولى ثم ذكر مقر ذلك المثقال وهو السموات والارض ثم اخبر انهم ما لهم في السموات
ولا في الارض من شركة فنفى نوعي الملك الاستبداد والشركة ثم نفى الاعانة منهم
له تعالى في شي مما انشا بقوله وما له منهم من ظهير فبين عجز معبوداتهم من جميع الجهات
ولما كان من العرب من يعبد الملايكة لتشفع له نفى ان شفاعتهم تنفع والنفي منسحب
على الشفاعة اي لا شفاعة لهم فتنفع وليس المعنى انهم يشفعون ولا ينفع شفاعتهم
اذ لا يقع من معبوداتهم شفاعة اصلا لان عابديهم كفار فان كان المعبودون اصناما او كفارا
كفرعون فسلب الشفاعة عنهم ظاهر وان كانوا ملايكة او غيرهم ممن عبد كعيسى عليه
السلام فشفاعتهم اذا وجدت تكون لمومن والا لمن اذن له استثنا مفرغ فالمستثنى
منه محذوف تقديره ولا ينفع الشفاعة لاحد الا لمن اذن له واحتمل قوله لاحد ان يكون
مشفوعا له وهو الظاهر فيكون قوله الا لمن اذن له اي المشفوع اذن لاجله ان يشفع
فيه والشافع ليس بمذكور وانما دل عليه المعنى واحتمل ان يكون شافعا فيكون قوله الا لمن
اذن له بمعنى الا الشافع اذن له ان يشفع والمشفوع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى
وعلى هذا الاحتمال تكون اللام في اذن له لام التبليغ لا لام العلة وقال الزمخشري
يقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له
كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على
احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة
له او لا ينفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من المشفوعين اي لشفعته او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا
وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هولاء شفعاونا عند الله انتهى فجعل الا لمن
اذن له استثنا مفرغا من الاحوال ولذلك قدره الا كاينة وعلى ما قررناه استثنا من
الذوات وقال ابو عبد الله الرازي المذاهب المفضية الى الشرك اربعة قايل ان الله
خلق السموات وجعل الارض والارضيات في حكمها ونحن من جملة الارضيات فيعبد الكواكب
والملايكة السماوية وهم الالهة والله الههم فابطل بقوله لا يملكون في السموات كما اعترفتم
ولا في الارض خلاف ما زعمتم وقايل السموات من الله استبدادا والارضيات منه بوسطة
الكواكب فانه تعالى خلق العناصر والتركيبات التي فيها باتصالات وحركاتها وطوالع
فجعلوا مع الله شركا في الارض والاولون جعلوا الارض لغيره فابطل بقوله وما لهم فيهما
من شرك اي الارض كالسما لله لا لغيره ولا لغيره فيهما نصيب وقايل التركيبات والحوادث

من الله لكن فوض الي الكواكب وفعل الماذون ينسب الي الاذن ويسلب عن الماذون له
فيه جعلوا السموات معينة لله فابطل بقوله وما له منهم من ظهير وقايل يعبد الاصنام
التي هي صور الملايكة ليشفعوا لنا فابطل بقوله ولا تنفع الشفاعة وال في الشفاعة
الظاهر انها للعموم اي شفاعة جميع الخلق وقيل للعهد اي شفاعة الملايكة التي زعموها
شركا وشفعا انتهي وفيه بعض تلخيص وقال ابو البقا اللام في لمن اذن يجوز ان تتعلق
بالشفاعة لانك تقول اشفعت له وان تتعلق بتنفع انتهي وهذا فيه قلة لان المفعول
متاخر فدخول اللام عليه قليل وقرا ابو عمرو وحمزة والكسايي اذن بضم الهمزة وباقي السبعة
بفتحها اي اذن الله له والظاهر ان الضمير في قوله قلوبهم عايد علي ما عادت عليه الضماير التي
للغيبة في قوله لا يملكون وفي ما لهم وما له منهم وهم الملايكة الذين دعوهم الهة وشفعا ويكون
التقدير الا لمن اذن له منهم وحتي تدل علي الغاية وليس في الكلام ما يدل علي ان حتي غاية له
فقال ابن عطية في الكلام حذف يدل عليه الظاهر كانه قال ولا هم شفعا كما تحبون
انتم بل هم عبدة مسلمون ابدا يعني منقادون حتي اذا فزع عن قلوبهم قال وتظاهرت الاحاديث
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان قوله حتي اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملايكة اذا سمعت
الوحي الي جبريل وبالامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد علي الصفوان فتفزع عند ذلك
تعظيما وهيبة وقيل خوف ان تقوم الساعة فاذا فزع ذلك عن قلوبهم اي اطير الفزع عنها
وكشف يقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسول قال الحق وهو العلي
الكبير وبهذا المعني من ذكر الملايكة في صدر الايات تتسق هذه الاية علي الاولي ومن لم يشعر
ان الملايكة مشار اليهم من اول قوله الذين زعمتم لم يتصل له هذه الاية بما قبلها فلذلك
اضطرب المفسرون في تفسيرها حتي قال بعضهم في الكفار بعد حلول الموت ففزع عن قلوبهم
بفقد الحيوة فراوا الحقيقة وزال فزعهم من ما يقال لهم في حياتهم فيقال لهم حينيذ ماذا
قال ربكم فيقولون قال الحق يقرون حين لا ينفعهم الاقرار وقالت فرقة الاية في جميع
العالم وقوله حتي يريد في الاخرة والتاويل الاول في الملايكة هو الصحيح وهو الذي تظاهرت
به الاحاديث وهذان بعيدان انتهي واذا كان الضمير في عن قلوبهم لا يعود علي الذين زعمتم
كان عايدا اعلي من عاد عليه الضمير في قوله ولقد صدق عليهم ابليس ويكون الضمير في عليهم
عايدا علي جميع الكفار ويكون حتي غاية لقوله فاتبعوه ويكون التفريع حالة مفارقة الحيوة
او يجعل اتباعهم اياه مستصحبا لهم الي يوم القيامة مجازا والجملة بعد من قوله قل ادعوا
اعتراضية بين المغيا والغاية قال ابن زيد اقروا بالله حين لم ينفعهم الاقرار فالمعني فزع
الشيطان عن قلوبهم وفارقهم ما كان يضلهم به قالوا ماذا قال ربكم وقال الحسن وانما يقال
للمشركين ماذا قال ربكم اي علي لسان الانبيا فاقروا حين لا ينفع وقيل حتي غاية متعلقة
بقوله زعمتم اي زعمتم الكفر الي غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق انتهي فيكون
في الكلام التفات من خطاب في زعمتم الي غيبة في فزع عن قلوبهم وعن ابن عباس عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه قال فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة فعلي هذا يكون
التقدير الا لمن اذن له فاذا اذن فزع ودام فزعه حتي اذا ازيل التفزيع عن قلوبهم قال
بعض الشافعين من الملايكة لبعض الملايكة ماذا قال ربكم في قبول شفاعتنا فيجيب بعضهم
لبعض قال اي الله الحق اي القول الحق وهو قبول شفاعتهم اذ كان تعالى اذن لهم في ذلك
ولا ياذن الا وهو مريد لقبول الشفاعة وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله حتي اذا
فزع عن قلوبهم ولاي شي وقعت حتي غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظار للاذن
وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعا هل يوذن لهم او لا يوذن وانه
لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من
قايل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم الروح والملايكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا
فزعين وهلين حتي اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم
بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم

قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضي انتهي وتلخص من هذا
ان حتي غاية اما المنطوق وهو زعمتم ويكون الضمير في عن قلوبهم التفاتا وهو للكفار او هو فاتبعوه
وفيه تناسق الضماير للغايب والفصل بالاعتراض والضمير ايضا للكفار والضمير في قالوا
للملايكة وضمير الخطاب في ربكم والغايب في قالوا الثانية للكفار واما المحذوف فما قدره ابن
عطية لا يصح ان يغيا لان ما بعد الغاية مخالف لما قبلها وهم عبدة منقادون دايما لا ينفكون
عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع وحمل ذلك علي الملايكة حالة الوحي
لا يناسب الاية وكون النبي صلي الله عليه وسلم في قصة الوحي قال فاذا جاءهم جبريل فزع
عن قلوبهم لا يدل علي ان هذه الاية في الملايكة كانه تكلم الله بالوحي والحديث
رواه ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع اهل
السما صلصلة كجر السلسلة علي الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتي ياتيهم جبريل
عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال فيقول
الحق فينادون الحق وما قدره الزمخشري محتمل لا ان فيه تخصيص الذين زعمتم
من دونه بالملايكة والذين عبد وهم ملايكة وغيرهم وتخصيص من اذن له بالملايكة
ايضا والماذون لهم في الشفاعة الملايكة وغيرهم الا تري الي ما حكي رسول الله صلي الله
صلي الله عليه وسلم في الشفاعة في قوله عز وجل
وقرا الجمهور فزع مشددا من الفزع مبنيا للمفعول اي اطير الفزع عن
قلوبهم وفعل تاتي لمعان منها الازالة وهذا منه نحو قردت البعير ازلت القراد عنه
وقرا ابن مسعود وابن عباس وطلحة وابو المتوكل الناجي وابن السميفع وابن عامر فزع مبنيا
للفاعل من الفزع ايضا والضمير الفاعل في فزع ان كان الضمير في عن قلوبهم للملايكة فهو الله
وان كان للكفار فالضمير لمغويهم وقرا الحسن فزع من الفزع بتخفيف الزاي مبنيا للمفعول
وعن قلوبهم في موضع رفع به كقولك انطلق بزيد وقرا الحسن ايضا وابو المتوكل ايضا وقتادة
ومجاهد فرغ مشددا مبنيا للفاعل من الفراغ وقرا الحسن ايضا كذلك الا انه خفف الرا
وقرا عبد الله بن عمر والحسن ايضا وايوب السختياني وقتادة ايضا وابو مجلز فرغ من
الفراغ مشددا الرا مبنيا للمفعول وقرا ابن مسعود وعيسي افرنقع عن قلوبهم بمعني
انكشف عنها وقيل تفرق وقال الزمخشري والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع
زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الرا انتهي فان عني الزمخشري
ان العين من حروف الزيادة وكذلك الرا وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والرا
ليستا من حروف الزيادة وان عني ان الكلمة فيها حروف ما ذكر وزايد الي ذلك العين والرا
والمادة فرق وقمط فهو صحيح ولولا ايهام ما قاله الزمخشري في هذه الكلمة لم اذكر هذه القراة
لمخالفتها سواد المصحف وقالوا ايضا في قوله تعالي حتي اذا فزع اقوالا غير ما سبق قال كعب
اذا تكلم الله عز وجل بلا كيف ضربت الملايكة باجنحتها وخرت فزعا قالوا فيما بينهم ماذا قال
ربكم قالوا الحق اي مقوله الحق وقيل اذا دعاهم اسرافيل من قبورهم قالوا مجيبين ماذا
وهو من الفزع الذي هو الدعا والاستصراخ كما قال زهير
اذا فزعوا طاروا الي مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل
وقيل هو فزع ملايكة ادني السموات عند نزول المدبرات الي الارض وقيل لما كانت الفترة
بين عيسي ومحمد صلي الله عليهما وسلم وبعث الله محمدا انزل الله جبريل بالوحي فظنت الملايكة
انه قد نزل بشي من امر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سما ويكشف عنهم الفزع
ويخبرهم انه الوحي قاله قتادة ومقاتل وابن السايب وقيل الملايكة المعقبات الذين
يختلفون الي اهل الارض ويكتبون اعمالهم اذا ارسلهم الله فانحدروا وسمع لهم صوت شديد
فيحسب الذين هم اسفل منهم من الملايكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا يصعقون
رواه الضحاك عن ابن مسعود وهذه الاقوال والتي قبلها لا تكاد تلايم الفاظ القران
فالله اسال ان يرزقنا فهم كتابه والاقرب عندي ان يكون الضمير في قلوبهم عايدا علي من عاد
عليه اتبعوه وعليهم ويحتمل ومنها في شك وتكون الجملة بعد ذلك اعتراضا وقوله قالوا اي

الملائكة لاولئك المتبعين الشاكين يسالونهم سوال توبيخ ما ذا قال ربكم على لسان من بعث اليكم بعد ان كشف الغطاء عن قلوبهم فيقرون اذ ذاك ان الذي قاله وجاءت به الانبيا هو الحق لا الباطل الذي كنا فيه من اتباع ابليس وشكنا في البعث وماذا يحتمل ان تكون منصوبة بقال اي اي شي قال ربكم وان يكون في موضع رفع على ان ذا موصولة اي ما الذي قال ربكم وذا خبره ومعمول قال ضمير محذوف عائد على الموصول وقرا ابن ابي عبلة قالوا الحق برفع الحق خبر مبتدا اي مقوله الحق وهو العلي الكبير تنزيه منهم له تعالى وتمجيد ثم رجع الى خطاب الكفار فسالهم عن من يرزقهم محتجا عليهم بان رازقهم هو الله اذ لا يمكن ان يقولوا ان الهتهم ترزقهم وحسبنا لهم انهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وامره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله قل الله لانهم قد لا يجيبون حبا في العناد وايثارا للشرك ومعلوم انه لا جواب لهم ولا لاحد الا بان يقول هو الله وانا اي الموحدين الرازق العابدين له او اياكم المشركين العابدين الاصنام والجمادات لعلى هدى اي طريقة مستقيمة او في حيرة واضحة بينة والمعنى ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من الهدى والضلال اخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال ومعلوم ان من عبد الله وحده هو على الهدى وان من عبد غيره من جماد او غيره في ضلال وهذه الجملة تضمنت الانصاف والتلطف في الدعوة الى الله وقد علم من سمعها انها جملة انصاف والرد بالتورية والتعويض ابلغ من الرد بالتصريح ونحوه قول العرب اخزى الله الكاذب مني ومنك يقول ذلك من يتيقن ان صاحبه هو الكاذب ونظيره قول الشاعر

فايي ما واياك كان شرا فسيق الى المقادرة في هوان

وقال حسان

اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء

وهذا النوع يسمى في علم البيان استدراج المخاطب بذكر له امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بدا به بما يكره لم يصغ ولا يزال ينقله من حال الى حال حتى يتبين له الحق ويقبله وهنا لما سمعوا التردد بينه وبينهم ظهر لهم انه غير جازم ان الحق معه فقال لهم بطريق الاستدلال ان الهتكم لا يملك مثقال ذرة ولا تنفع ولا تضر لانها جماد وهم يعلمون ذلك فتحققوا ان الرازق لهم والنافع والضار هو الله سبحانه وقيل معنى الجملة استنقاص المشركين والاستهزا بهم وقد تبينوا ان الهتهم لا ترزقهم شيا ولا تنفع ولا تضر فاراد الله من نبيه وامره ان يوبخهم ويستنقصهم ويكذبهم بقول غير مكشوف اذ كان ذلك ابلغ في استنقاصهم كقولك ان احدنا لكاذب وقد علمت ان من خاطبت هو الكاذب ولكنك تحنت بلفظ غير مكشوف واو هنا على موضوعها لكونها لاحد الشيئين او الاشياء وخبر انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا يحتاج الى تقدير حذف اذ المعنى ان احدنا لفي احد هذين كقولك زيد او عمرو في القصر او في المسجد لا يحتاج هذا الى تقدير حذف اذ معناه احد هذين في احدهاذين وقيل الخبر محذوف فقيل خبر الاول والتقدير وانا لعلى هدى او في ضلال مبين فحذف لدلالة خبر ما بعده عليه فلعلى هدى او في ضلال مبين المثبت خبر عن او اياكم اذ هو على تقديران ولكنها لما حذفت انفصل الضمير وقيل خبر الثاني والتقدير او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وحذف لدلالة خبر الاول عليه وهو هذا المثبت لعلى هدى او في ضلال مبين ولا حاجة لهذا التقدير من الحذف لو كان ما بعدها وغيرا وغير معطوف بها نحو زيد او عمرو قايم كان يحتاج الى هذا التقدير واما مع ما يصلح ان يكون خبرا الا ان لان اسمها عطف عليه باو والخبر معطوف باو فلا يحتاج اليه وذهب ابو عبيدة الى ان او بمعنى الواو فيكون من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلى هدى واياكم في ضلال مبين فاخبر عن كل بما ناسبه ولا حاجة الى اخراج او عن موضوعها وجا في الهدى بعلى لان صاحبه ذو استعلاء وتمكن مما هو عليه يتصرف حيث شاء وجا في الضلال بفي لانه منغمس في حيرة مرتبك فيها لا يدري اين يتوجه قل لا تسالون عما اجرمنا هذا ادخل في الانصاف وابلغ من الاول واكثر تلطفا واستدراجا حيث

سمى فعله جرما كما يزعمون مع انه مثاب مشكور وسمى فعلهم عملا مع انه مزجور عنه محظور وقد يراد باجرمنا نسبة ذلك الى المومنين دون الرسول وذلك ما لا يكاد يخلو مومن منه من الصغاير والذي تعملون هو الكفر وما دونه من المعاصي الكباير قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف قل يجمع بيننا ربنا اي يوم القيامة ثم يفتح اي يحكم بالحق بالعدل فيدخل المومنين الجنة والكفار النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل العليم باعمال العباد والفتاح والعليم صفتا مبالغة ومذا فيه تهديد وتوبيخ تقول لمن نصحته وخوفته فلم يقبل ستري سوء عاقبة الامر وقرا عيسى الفاتح اسم فاعل والجمهور الفتاح قل اروني الذين الحقتم به شركا الظاهر ان اري هنا بمعنى اعلم فيتعدى الى ثلثة الضمير للمتكلم هو الاول والذين الثاني وشركا الثالث اي اروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة وهل يملكون مثقال ذرة او يرزقونكم وقيل هي روية بصر وشركا نصب على الحال من الضمير المحذوف في الحقتم اذ تقديره الحقتموهم به في حال توهمكم شركا له قاله ابن عطية وهذا ضعيف لان استدعا روية العين في هذه لاغنا له انتهى وقال الزمخشري فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركا بالله وان تقاس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وانهم لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركا من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد انتهى وقول ابن عطية لان استدعا روية العين في هذا لاغنا له اي لا يقع له ليس بجيد بل في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الامر بل المعنى ان الذين هم شركا الله على زعمكم هم ممن ان رايتموهم افتضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك من الجماد كما تقول للرجل الخسيس الاصل اذكر لي اباك الذي قايست به فلانا الشريف ولا تريد حقيقة الذكر انما اردت تبكيته وانه ان ذكر اباه افتضح وكافة اسم فاعل من كف وقيل مصدر كالعاقبة والعافية فيكون على حذف مضاف اي الا ذا كافة اي ذا كف للناس اي منع لهم من الكفر ومنع من ان تشذوا عن تبليغك واذا كان اسم فاعل فقال الزجاج وغيره هو حال من الكاف في ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والها فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية وقال الزمخشري الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطا الاول الا بالخطا الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطاتين انتهى اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عن ما نقلوا ولا يحفظ ايضا استعمالها صفة لموصوف محذوف واما قول الزجاج هو ان كافة بمعنى جامعا والها فيه للمبالغة فان اللغة لا تساعد على ذلك لان كف ليس بمحفوظ ان معناه جمع واما قول الزمخشري ومن جعله حالا الى اخره فذلك مختلف فيه ذهب الاكثرون ان ذلك لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ومن امثلة ابي علي زيد خير ما يكون خير منك التقدير زيد خير منك خير ما تكون فجعل خير ما تكون حالا من الكاف في منك وقدمها عليه وقال الشاعر

اذا المرء اعيته المروة ناشيا فمطلبها كهلا عليه شديد

اي فمطلبها عليه كهلا شديد وقال اخر

تسليت طرا عنكم بعد بينكم بذكراكم حتى كانكم عندي

اي تسليت عنكم طرا اي جميعا وقد جا تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما تتعلق به ومن ذلك قال الشاعر

مشغوفة بك قد شغفت وانما حتم الفراق فما اليك سبيل

وقال اخر

غافلا تعرض المنية للمرء فيدعي ولات حين اباء

اي شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا واذا جاز تقديمها على المجرور والعامل فتقديمها عليه دون العامل اجوز وعلى ان كافة حال من الناس حمله ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله اي الى العرب والعجم وساير الامم وتقديره الى الناس كافة انتهي وقول الزمخشري وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا الى اخر كلامه تشنيع لان قايل ذلك لا يحتاج الى ان يتناول اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى بالى ويتعدى باللام كقوله وارسلناك للناس رسولا ولو تاول اللام بمعنى الى لم يكن ذلك خطا لان اللام قد جات بمعنى الى والى قد جات بمعنى اللام وارسل مما جا متعديا بهما الى المجرور ثم حكي تعالى مقالتهم في الاستهزا بالبعث واستعجالهم على سبيل التكذيب ولم يجابوا بتعيين الزمان اذ ذاك مما انفرد تعالى بعلمه بل اجيبوا بان ما وعدوا به لابد من وقوعه وهو ميعاد يوم القيامة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ويجوز ان يكون سوالهم عن ما وعدوا به من العذاب في الدنيا واستعجالوا به استهزا منهم وقال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعني وقال الجمهور الوعد في الخير والوعيد في الشر والميعاد يقع لهذا ويقع لهذا والظاهر ان الميعاد اسم على وزن مفعال استعمل بمعني المصدر اي لكم وقوع وعد يوم ونجزه وقال الزمخشري الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا الزمان والدليل عليه قراة من قرا ميعاد ميعاد يوم فابدل منه اليوم انتهي ولا يتعين ما قال اذ يكون بدلا على تقدير محذوف اي لكم ميعاد ميعاد يوم فلما حذف فاعرب ما قام مقامه باعرابه وقرا الجمهور ميعاد يوم بالاضافة ولما جعل الزمخشري الميعاد ظرف زمان قال اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وقرا ابن ابي عبلة واليزيدي ميعاد يوما بتنوينهما قال الزمخشري وانما نصب اليوم فعلي التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا التعظيم انتهي لما جعل الميعاد ظرف زمان خرج النصب والرفع على ذلك ويجوز ان يكون انتصابه على الظرف على حذف مضاف اي انجاز وعد يوما من صفته كيت وكيت وقرا عيسي ميعاد منونا يوم بالنصب من غير تنوين مضافا الى الجملة فاحتمل تخريج الزمخشري على التعظيم واحتمل تخريجا على الظرف على حذف مضاف اي انجاز وعد يوم كذا وجا هذا الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجي السوال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصد بهم يوم يفاجيهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه والیوم يوم القيمة وهو السابق الى الذهن او يوم مجي اجلهم عند حضور منيتهم او يوم بدر اقوال ولن نومن بهذا القرآن يعني الذي تضمن التوحيد والرسالة والبعث المتقدم ذكرها فيه ولا بالذي بين يديه وهو ما نزل من كتب الله المبشرة برسول الله يروي ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم لا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران ما تقدمه من كتب الله في الكفر ويكون الذين كفروا مشركي قريش ومن جري مجراهم والمشهور ان الذي بين يديه التوراة والانجيل وما تقدم من الكتب وهو مروي عن ابن جريج وقالت فرقة الذي بين يديه هي القيامة قال ابن عطية وهذا خطا قايله لم يفهم امر بين اليد في اللغة وانه المتقدم في الزمان وقد بيناه فيما تقدم انتهي ولو ترى اذ الظالمون اخبر عن حالهم في صيغة التعجب منها وترى في معني رايت لاعمالها في الظرف الماضي ومفعول ترى محذوف اي حال الظالمين اذ هم موقوفون وجواب لو محذوف اي لرايت لهم حالا منكرة من ذلهم وتخاذلهم وتحاورهم حيث لا ينفعهم شي من ذلك ثم

فسر

فسر ذلك التراجع والجدل بان الاتباع وهم الذين استضعفوا قالوا لروسايهم على جهة التذنيب والتوبيخ ورد اللايمة عليهم لولا انتم لكنا مومنين اي انتم اغويتمونا وامرتمونا بالكفر واتي الضمير بعد لولا ضمير رفع على الافصح وحكي الايمة سيبويه والخليل وغيرهما مجيه بضمير الجر نحو لولاكم وانكار المبرد ذلك لا يلتفت اليه ولما كان مقاما استوي فيه المروس والرييس بدا الاتباع بتوبيخ مضليهم اذ زالت عنهم رياستهم ولم يمكنهم ان ينكروا انهم ما جاهم رسول بل هم مقرون الى ترى الى قول المتبوعين بعد اذ جاكم فالجميع مقرون بان الذكر قد جاهم فقال لهم روساوهم انحن صددناكم فاتوا بالاسم بعد اداة الاستفهام انكارا لان يكونوا هم الذين صدوهم بل صددتم من قبل انفسكم وباختياركم كانهم قالوا انحن اخبرناكم وحلنا بينكم وبين الذكر بعد ان صممتم على الدخول في الايمان بل انتم منعتم انفسكم وحظها واثرتم الضلال على الهدي فكنتم مجرمين كافرين باختياركم لا لقولنا وتسويلنا ولما انكر روساوهم انهم السبب في كفرهم واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان كفرهم هو من قبل انفسهم قابلوا اضرابا باضراب فقال الاتباع بل مكر الليل والنهار اي ما كان اجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دايما ومخادعتكم لنا ليلا ونهارا اذ تامروننا ونحن اتباع لا نقدر على مخالفتكم مطيعون لكم لاستيلايكم علينا بالكفر بالله واتخاذ الانداد واضيف المكر الى الليل والنهار لاتساع في الظرفين فهما في موضع نصب على المفعول به على السعة او في موضع رفع على الاسناد المجازي كما قالوا ليل نايم والاولي عندي ان يرتفع مكر على الفاعلية اي بل صدنا مكركم بالليل والنهار ونظيره قول القايل انا ضربت زيدا بل ضربه عمرو فيقول عمرو بل ضربه غلامك والاحسن في التقدير ان يكون المعني ضربه غلامك وقيل يجوز ان يكون مبتدا وخبرا اي سبب كفرنا مكركم او مكركم سبب كفرنا وقرا قتادة ويحيي بن يعمر بل مكر بالتنوين الليل والنهار نصب على الظرف وقرا سعيد بن جبير وجعفر بن محمد وابو رزين وابن يعمر ايضا بفتح الكاف وشد الرا مرفوعة مضافة ومعناه كرور الليل والنهار واختلافهما ومعناها الاحالة على طول الامل والاغترار بالايام مع امرهم لا الروسا بالكفر بالله وقرا ابن جبير ايضا وطلحة وراشد القاري وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بامر الحجاج كذلك الا انهم نصبوا الرا على الظرف وناصبه فعل مضمر اي صددتمونا مكر الليل والنهار اي في مكرهما ومعناه دايما وقال صاحب اللوامح يجوز ان ينتصب باذ تامروننا اي اذ تامروننا مكر الليل والنهار انتهي وهذا وهم لان ما بعد اذ لا يعمل فيما قبلها وقال الزمخشري بل تكون الاغوا مكرا دايبا لا يفترون عنه انتهي وجا قال الذين استكبروا بغير واو لانه جواب لكلام المستضعفين فاستونف وعطف وقال الذين استضعفوا على ما سبق من كلامهم والضمير في واسروا للجميع المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون الموقوفون وتقدم الكلام في واسروا الندامة لما راوا العذاب في سورة يونس والندامة من المعاني القلبية فلا تظهر انما يظهر ما يدل عليها وما يدل عليها غيرها وقيل هو من الاضداد وقال ابن عطية هنا يثبت قط في لغة ان اسر من الاضداد وندامة الذين استكبروا على ضلالهم في انفسهم واضلالهم غيرهم وندامة الذين استضعفوا على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا والظاهر عموم الذين كفروا فيدخل فيه المستكبرون والمستضعفون لان من الكفار من لا يكون له اتباع فيه تراجع القول في الاخرة ولا يكون ايضا تابعا لرييس له كافر كالغلام الذي قتله الخضر وقيل الذين كفروا هم الذين سبقت منهم المحاورة وجعل الاغلال اشارة الى كيفية العذاب قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا التندم هل تجزون معناه النفي ولذلك دخلت الا بعد النفي وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا اولادكم بالتي

تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم
في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان
يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما ارسلنا الاية هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مما مني به من قومه قريش من الكفر والافتخار بالاموال والاولاد وان ما ذكروا
من ذلك هو عادة المترفين مع انبيائهم فلا يهمنك امرهم ومن نذير عام اي ينذرهم
بعذاب الله ان لم يوحدوه وقال مترفوها جملة حالية ونص على المترفين لانهم اول
المكذبين للرسل لما شغلوا به من زخرفة الدنيا وما غلب على قلوبهم منها فقلوبهم
ابدا مشغولة منهمكة بخلاف الفقراء فانهم خالون من مستلذات الدنيا فقلوبهم
اقبل للخير ولذلك هم اتباع الانبيا كما جاء في حديث هرقل وبما متعلق بكافرون
وبه متعلق بارسلتم وما عامة في ما جات به النذر من طلب الايمان بالله وافراده
بالعبادة والاخبار بانهم رسله اليهم والبعث والجزاء على الاعمال والظاهر ان
الضمير في وقالوا عايد على المترفين وقيل عايد على قريش ويدل عليه ما بعده من
الخطاب في قوله قل لان من تقدم من المترفين الهالكين لا يخاطبون فلا يقول
الا الموحدون وقوله وما اموالكم ولا اولادكم واحتجوا على رضى الله عنهم باحسانه
تعالى اليهم فلو لم يكرم عليهم ما وسع علينا واما انتم فلهوانكم عليه حرمكم ايها
التابعون للرسل ثم نفوا ان يعذبوا نفيا عاما لان الانبيا قد ينذرون بعذاب عاجل
في الدنيا واجل في الاخرة فنفوا هم جميع ذلك فاما ان يكونوا منكرين للاخرة فقد
نفوا تعذيبهم فيهما لانها اذا لم تكن فلا يكون فيها عذاب واما ان يكونوا مقرين حقيقة
او على سبيل الفرض فيقولون كما انعم علينا في الدنيا ينعم علينا في الاخرة على حالة
الدنيا قياسا فاسدا فابطل الله ذلك بان الرزق فضل منه يقسمه كما يشاء لمن يشاء
فقد يوسع على العاصي ويضيق على الطايع وقد يوسع على الطايع ويضيق على العاصي
وقد يوسع عليهما وقد يضيق عليهما والوجود شاهد بذلك فلا تقاس التوسعة
في الاخرة على التوسعة في الدنيا لان ذلك في الاخرة انما هو على الاعمال الصالحة
وقرا الاعمش ويقدر في الموضعين مشددا والجمهور مخففا ومعناه ويضيق
مقابل يبسط ولكن اكثر الناس مثل هولا الكفرة لا يعلمون ان الرزق معدوق
بالمشية وليس دليلا على الرضى ثم اخبر تعالى ان اموالهم واولادهم التي افتخروا
بها ليست بمقربة من الله وانما يقرب الايمان والعمل الصالح وقرا الجمهور
بالتي وجمع التكسير من العقلا وغيرهم يجوز ان يعامل معاملة الواحدة المؤنثة وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها
اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب انتهى فجعل التي نعتا لموصوف
محذوف وهي التقوى انتهى ولا حاجة الى تقدير هذا الموصوف والظاهر ان التي
راجع الى الاموال والاولاد وقاله الفرا وقال ايضا هو والزجاج حذف من الاول
لدلالة الثاني عليه والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم التي
تقربكم عندنا زلفى انتهى ولا حاجة لتقدير هذا المحذوف اذ يصح ان يكون التي
لمجموع الاموال والاولاد وقري بالذي اي بالشي الذي وزلفى مصدر كالقربى
وانتصابه على المصدرية من المعنى اي تقربكم قربى وقرا الضحاك زلفا بفتح
اللام وتنوين الفا جمع زلفة وهي القربة الا من امن الظاهر انه استثناء منقطع

وهو

وهو منصوب على الاستثنا اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه
وقال الزجاج هو بدل من الكاف والميم في تقربكم وقال النحاس هو غلط لان الكاف
والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحق هذا هو
قول الفرا انتهى ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز ان يبدل من ضمير المخاطب
والمتكلم لكن البدل في الاية لا يصح الا ترى انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما
بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل الزجاج ان الصلة
وان كانت من حيث المعنى منفية انه يجوز البدل وليس بجائز الا فيما يصح
التفريغ له وقد اتبعه الزمخشري فقال الا من امن استثنا من كم في تقربكم
والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله
والاولاد لا يقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة
انتهى وهو لا يجوز كما ذكرنا لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب
الا عمرا ولا ما زيد بالذي يمر الا ببكر والتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله
لا يقرب احدا الا المومن غير موافق للقران ففي الذي ركبه يجوز ما قاله وفي لفظ
القران لا يجوز واجاز الفرا ان تكون من في موضع رفع وتقدير الكلام عنده ما هو
المقرب الا من امن انتهى وقوله كلام لا تحصل منه معنى كانه كان ناعسا حين قال
ذلك وقرا الجمهور جزاء الضعف على الاضافة اضيف فيه المصدر الى المفعول وقدره
الزمخشري مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله فقال ان يجازوا الضعف والمصدر
في كونه يبنى للمفعول الذي لم يسم فاعله فيه خلاف والصحيح المنع ويقدر هنا ان
يجازيهم الله الضعف اي يضاعف لهم حسناتهم الحسنة بعشر امثالها وباكثر الى
سبعماية لمن يشا وقرا قتادة جزاء الضعف برفعهما فالضعف بدل ويعقوب
في رواية بنصب جزاء ورفع الضعف وحكى هذه القراة الداني عن قتادة وانتصب
جزاء على الحال كقولك في الدار قايما زيد وقرا الجمهور في الغرفات جمعا مضموم الرا
والحسن وعاصم بخلاف عنه والاعمش ومحمد بن كعب باسكانها وبعض القرا بفتحها
وابن وثاب والاعمش وطلحة وحمزة وخلف في اختياره في الغرفة على التوحيد ساكنة
الرا وابن وثاب ايضا بضمها على التوحيد ولما ذكر جزاء من امن ذكر عقاب من كفر
ليظهر تباين الجزايين وتقدم تفسير نظير هذه الكلمة ولما كان افتخارهم بكثرة
الاموال والاولاد اخبروا ان ذلك على ما شاء الله كرر ذلك المعنى تاكيدا ان ذلك
جار على ما شا الله لان ذلك على حسب الاستحقاق ولا التكرمة ولا الهوان ومعنى
فهو يخلفه اي ياتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ من عباده مشعرة بالمومنين
وكذلك الخطاب في وما انفقتم يقصد هنا رزق المومنين فليس مساق قل ان ربي
يبسط مساق ما قبله للكفار بل مساق الوعظ والتزهيد في الدنيا والحض على النفقة
في طاعة الله واخلاف ما انفق اما منجزا في الدنيا واما موجلا في الاخرة وهو مشروط
بقصد وجه الله وقال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان
الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في
يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شي فهو يخلفه هذا في الاخرة
ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه وخير الرازقين جمعا وان كان الرازق حقيقة
هو الله وحده لانه يقال يرزق عياله والامير جنده والسيد عبده فالرازقون
جمع بهذا الاعتبار لكن اولئك يرزقون مما رزقهم الله وملكهم فيه التصرف
والله تعالى يرزق من خزاين لا تفنى ومن اخراج من عدم الى وجود ويوم نحشرهم جميعا
اي المكذبين من تقدم ومن تاخر وقرا الجمهور نحشرهم ثم نقول بالنون فيهما
وحفص باليا وتقدمت في الانعام وخطاب الملائكة تقريع للكفار وقد علم تعالى ان
الملائكة منزهون براء مما وجه عليهم من السوال وانما ذلك على طريق توقيف
الكفار على سوء ما ارتكبوه من عبادة غير الله وان من عبدوه متبري منهم وهولا مبتدا

وَخبره كانوا يعبدون واياكم مفعول يعبدون لما تقدم انفصل وانما قدم لانه ابلغ
في الخطاب ولكون يعبدون فاصلة فلو اتي بالضمير متصلا كان التركيب يعبدونكم
ولم تكن فاصلة واستدل بتقديم هذا المعمول علي جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان
جملة وهي مسالة خلاف اجاز ذلك ابن السراج ومنع ذلك قوم من النحويين وكذلك
منعوا توسطه اذا كان جملة وقال ابن السراج القياس جواز ذلك ولم يسمع
ووجه الدلالة من الاية ان تقديم المعمول موذن بتقديم العامل فكما جاز
تقديم اياكم جاز تقديم يعبدون وهذه القاعدة ليست مطردة والاولي منع ذلك
الي ان يدل علي جوازه سماع من العرب ولما اجابوا الله بدوا بتنزيهه وبراءته
من كل سوء كما قال عيسي عليه السلم سبحانك ثم انتسبوا الي موالاته دون اوليك
الكفرة اي انت ولينا اذ لا موالاة بيننا وبينهم وفي قولهم بل كانوا يعبدون
الجن لان افعالهم القبيحة من وسوسة الشياطين واغوائهم ومراداتهم لهم
عابدون لهم حقيقة اذ الشياطين راضون تلك الافعال وقيل صورت لهم الشياطين
صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف
الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقال ابن عطية لم تنف الملائكة عبادة
البشر اياها وانما قررت انها لم يكن لها في ذلك مشاركة وعبادة البشر الجن هي فيما
نعرفه بطاعتهم اياهم وسماعهم من وسوستهم واغوائهم فهذا نوع من العبادة
وقد يجوز ان يكون في الامم الكافرة من عبد الجن وفي القران ايات يظهر منها ان
الجن عبدت في سورة الانعام وغيرها انتهي واذا كانوا قد عبدوا الجن فما وجه
قولهم اكثرهم بهم مومنون ولم يقولوا جميعهم وقد اخبروا انهم كانوا يعبدون
الجن والجواب انهم لم يدعوا الاحاطة اذ قد يكون في الكفار من لم يطلع
الله الملايكة عليهم او انهم حكموا علي الاكثر بايمانهم بالجن لان الايمان من عمل القلب
فلم يذكروا الاطلاع علي جميع اعمال قلوبهم لان ذلك لله تعالي ومعني مومنون مصدقون
انهم معبودوهم وقيل مصدقون انهم بنات الله وانهم ملايكة وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا واما من قال بان الاكثر بمعني الجميع فلا يرد عليه شي لكنه ليس موضوع
اللغة فاليوم هو يوم القيامة والخطاب في بعضكم قيل للملايكة لانهم المخاطبون
في قوله اهولاء اياكم ويكون ذلك تبكيتا للكفار حيث بين لهم ان من عبدوه لا ينفع
ولا يضر ويويده ولا يشفعون الا لمن ارتضي ولان بعده ونقول للذين ظلموا ولو
كان الخطاب للكفار لكان التركيب فذوقوا وقيل الخطاب للكفار لان ذكر اليوم
يدل علي حضورهم ويكون قوله ونقول تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وقيل هو خطاب
من الله لمن عبد ومن عبد وقوله نفعا قيل بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب وقيل هنا
التي كنتم بها تكذبون وفي السجدة الذي كنتم به تكذبون مع انهم تكذبون بكل منهما
اي من العذاب ومن النار لانهم هنا لم يكونوا متلبسين بالعذاب بل ذلك اول ما راوا
النار اذ جا عقيب الحشر فوصفت لهم النار بانها هي التي كنتم تكذبون بها
واما الذي في السجدة فهم ملابسوا العذاب مترددون فيه لقوله كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها فوصف لهم العذاب الذي هم مباشروه وهو العذاب
المويد الذي انكروه والاشارة بقوله ما هذا الا رجل الي تالي الايات المفهوم من
قوله واذا تتلي وهو رسول الله صلي الله عليه وسلم وحكي تعالي مطاعنهم عند تلاوة
القران عليهم فبدوا اولا بالطعن في التالي بانه يقدح في معبودات الهتكم ثم ثانيا
فيما جا به الرسول من القران بانه كذب مختلق من عنده وليس من عند الله
وثالثا بان ما جا به سحر واضح لما اشتمل علي ما يوجب الاستمالة وتاثير النفوس له
واجابته وطعنوا في الرسول وفيما جا به وفي وصفه واحتمل ان يكون ذلك صدر
من مجموعهم واحتمل ان تكون كل جملة منها قالها قوم غير من قال الجملة الاخري
وفي قوله لما جاهم دليل علي انه حين جاهم لم يفكروا فيه بل بادهوه

بالانكار

بالانكار ونسبته الي السحر ولم يكتفوا بقولهم انه سحر حتي وصفوه بانه واضح لمن
يتامله وقيل انكار القران والمعجزة كان متفقا عليه من المشركين واهل الكتاب
فقال تعالي وقال الذين كفروا للحق علي وجه العموم وما اتيناهم من كتب يدرسونها
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثني وفرادي
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل
ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا علي الله وهو علي كل شي شهيد قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب قل جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما
اضل علي نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ولو تري اذ فزعوا فلا
فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا امنا به واني لهم التناوش من مكان بعيد وقد
كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما
فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب وما اتيناهم اهل مكة من كتب قال
السدي من عندنا فيعلموا بدراستها بطلان ما جيت به وقال ابن زيد فيتفقهوا ان
الشرك جايز وهو كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقال
قتادة ما انزل الله علي العرب كتابا قبل القران ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلي
الله عليه وسلم والمعني من اين كذبوا ولم ياتهم كتاب ولا نذير بذلك وقيل وصفهم
بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول
كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث
ولا شبهة متعلق كما تقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرايع
ومستندون الي رسل من رسل الله وقيل المعني انهم يقولون بارايهم في كتاب الله يقول
بعضهم سحر وبعضهم افترا ولا يستندون فيه الي اثارة من علم ولا الي خبر من يقبل
خبره فانا ما اتيناهم كتبا يدرسونها ولا ارسلنا اليهم نذيرا فيمكنهم ان يدعوا ان اقوالهم
يستند الي امره وقرا الجمهور يدرسونها مضارع درس مخففا وابو حيوة بفتح الدال
وشدها وكسر الرا مضارع ادرس افتعل من الدرس ومعناه يتدارسونها وعن ابي
حيوة ايضا يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب
مخففا ودرس الكتب مشددا التضعيف باعتبار الجمع ومعني قبلك قال ابن
عطية اي ما ارسلنا من نذير يشافههم بشي ولا يباشر اهل عصرهم ولا من قرب
من ابايهم وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود ودعوة
الله وتوحيده قايم لم تخل الارض من داع اليه وانما المعني من نذير يختص بها
ولاء الذين بعثتك اليهم وقد كان عند العرب كثير من نذارة اسماعيل والله تعالي
يقول انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ولكن لم يتجرد للنذارة وقاتل عليها
الا محمد صلي الله عليه وسلم انتهي وكذب الذين من قبلهم توعد لهم بمن تقدمهم
من الامم وما ال اليه امرهم وتسلية لرسوله بان عادتهم في التكذيب عادة الامم
السابقة وسيحل بهم ما حل باوليك والظاهر ان الضمير في بلغوا وفي ما اتيناهم عايدان
علي الذين من قبلهم ليتناسق قوله فكذبوا اي ما بلغوا في شكر النعمة وجزا المنة
معشار ما اتيناهم من النعم والاحسان اليهم وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد
الضمير في بلغوا لقريش وفي اتيناهم للامم الذين من قبلهم والمعني وما بلغ هولاء
بعض ما اتينا اوليك من طول الاعمار وقوة الاجسام وكثرة الاموال
وحين كذبوا رسلي جاهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم ما كانوا فيه
من القوة فكيف يكون حال هولاء اذا جاهم العذاب والهلاك وقيل الضمير في بلغوا
عايد علي الذين من قبلهم وفي اتيناهم علي قريش وما بلغ الامم المتقدمة معشار
ما اتينا قريشا من الايات والبينات والنور الذي جيتهم به واورد ابن عطية
هذه الاقوال احتمالات والزمخشري ذكر الثاني وابو عبد الله الرازي اختار

الثالث قال اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما اتينا قوم محمد من البرهان
وذلك لان كتاب محمد عليه السلام اكمل من سائر الكتب واوضح ومحمد عليه السلام افضل
من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى ويؤيد ما ذكرنا وما اتيناهم
من كتب يدرسونها يعني عن القران فكلما كان المؤتى في الاية الاولى هو الكتاب
حمل الايتا في الاية الثانية على ايتا الكتاب وكان اولى انتهى وعن ابن عباس
فليس امة اعلم من امته ولا كتاب ابين من كتابه والمعشار مفعال من العشر
ولم يبن على هذا الوزن من الفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما العشر
والربع وقال قوم المعشار عشر العشر قال ابن عطية وهذا ليس بشي انتهى
وقيل العشر في هذا القول عشر العشرات فيكون جزا من الف جزء قال
الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل وقال الزمخشري فان قلت
ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغني عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله
وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب
الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو
فيفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله انتهى وفكيف
تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفيه تهديد لقريش اي انهم معرضون لنكير
مثله والنكير مصدر كالانكار وهو من المصادر التي جاءت على وزن فعيل وزن
افعل كالنذير والعذير من اعذر وانذر وحذفت اليا من نكيري تخفيفا لانها اخر اية
قل انما اعظكم بواحدة قال مجاهد هي طاعة الله وتوحيده وقال السدي لا اله الا
الله وقال قتادة هي ان تقوموا قال ابو علي ان تقوموا في موضع خفض على البدل
من واحدة وقال الزمخشري بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله ان تقوموا
على انه عطف بيان لها انتهى وهذا لا يجوز لان بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة لتقدره
قيامكم لله وعطف البيان فيه مذهبان احدهما انه يشترط فيه ان يكون معرفة من
معرفة وهو مذهب البصريين والثاني انه يتبع ما قبله في التعريف والتنكير وهو
مذهب الكوفيين واما التخالف فلم يذهب اليه ذاهب انما هو وهم من قايله وقد رد
النحويون على الزمخشري في قوله ان مقام ابرهيم عطف بيان من قوله ايات بينات
وذلك لاجل التخالف فكذلك هذا والظاهر ان القيام هنا هو الانتصاب في الامر
والنهوض فيه بالهمة لا القيام الذي يراد به المثول على القدمين وبعد ابن عطية هذا
بما جوزه الزمخشري من القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم
عن مجتمعهم عنده والمعنى انما اعظكم بواحدة فيها اصابتكم الحق وخلاصكم وهي ان تقوموا
لوجه الله متفرقين اثنين اثنين وواحدا وواحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به
وانما قال مثنى وفرادى ثم لان الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع
من الفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذاهب وقلة الانصاف كما هو مشاهد في الوجود
التي يجتمع فيها الجماعة فلا يوقف فيها على تحقيق واما الاثنان اذا نظر نظر انصاف
وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له فلا يكاد الحق ان يعدوهما واما الواحد اذا
كان جيد الفكر صحيح النظر عاريا عن التعصب طالبا للحق فبعيد ان يعدوه وانتصب
مثنى وفرادى على الحال وقدم مثنى لان طلب الحقائق من متعاضدين في النظر
اجدى من فكرة واحد فاذا انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك
فيزيد بصيرة وقال الشاعر

اذا اجتمعوا جاءوا بكل غريبة فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

ثم تتفكروا عطف على ان تقوموا والفكرة هنا في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيما نسبوه اليه فان الفكرة تهدي غالبا الى الصواب اذ اعري صاحبها عن ما يشوش
النظر والوقف عند ابي حاتم عند قوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة نفي مستانف

قال ابن عطية وهو عندي جواب ما ينزل منزلة القسم لان تتفكر من الافعال التي
تعطي التمييز كتبين ويكون الفكرة على هذا في ايات الله والايمان به انتهى واحتمل ان يكون
تتفكروا معلقا والجملة المنفية في موضع نصب وهو محط التفكر اي ثم تتفكروا انتفاء
الجنة عن محمد صلى الله عليه وسلم فان اثبات ذلك لا يصح ان يتصف به من كان ارجح قريش
عقلا واثقبهم ذهنا واصدقهم قولا وانزههم نفسا ومن ظهر على يديه هذا القران المعجز
فيعلمون بالفكرة ان نسبته للجنون لا تمكن ولا تذهب الى ذلك عاقل وان من نسبه الى
ذلك فهو مفتر كاذب والظاهر ان ما للنفي كما شرحنا وقيل ما استفهام وهو استفهام
لا يراد به حقيقته بل يؤول معناه الى النفي التقدير اي شي بصاحبكم من الجنون اي
ليس به شي من ذلك ولما نفي تعالى عنه الجنة اثبت انه نذير بين يدي عذاب شديد
اي هو متقدم في الزمان على العذاب الذي توعد وايه وبين يدي يشعر بقرب العذاب
قل ما سالتكم من اجر الاية فيه التبري من طلب الدنيا وطلب الاجر على النور الذي
محمد ونفي تقديره اني به والتوكل على الله في الاجر واحتملت ما ان تكون موصولة مبتدا
والعايد من الصلة محذوف تقديره ما سالتكموه فهو لكم الخبر ودخلت الفا لتضمن
المبتدا معنى الشرط واحتملت ان تكون شرطية مفعولة بسالتكم وفهو لكم جملة هي جواب
الشرط وقوله ما سالتكم من اجر فهو لكم على معنيين احدهما نفي مسالته الاجر كما تقول الرجل
لصاحبه ان اعطيتني شيا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيا ولكنه اراد البت لتعليقه الاخذ
بما لم يكن ويؤيده ان اجري الا على الله والثاني ان يريد بالاجر ما في قوله قل ما اسالكم عليه من
اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة
قد انتظمته واياهم قاله الزمخشري وفيه بعض زيادة وقال ابن عباس الاجر المودة
في القربى وقال قتادة فهو لكم اي ثمرته وثوابه لاني سالتكم صلة الرحم وقال مقاتل
تركته لكم وهو على كل شي شهيد مطلع حافظ يعلم اني لا اطلب اجرا على نصحكم ودعايكم
اليه الا منه ولا اطمع منكم في شي والقذف الرمي بدفع واعتماد ويستعار لمعنى
الالقا كقوله ان اقذفيه في اليم وقذف في قلوبهم الرعب قال قتادة يقذف
بالوحي وعنه ايضا الحق القران وقيل يلقي الحق الى انبيايه وقيل يقذف بالحق يبين
الحجة ويظهرها وقال ابن القشيري يبين الحجة بحيث لا اعتراض عليها لانه علام
الغيوب فانا مستمسك بما يقذف الي من الحق واصل القذف الرمي بالسهم والحصى
والكلام وقال ابن عباس يقذف الباطل بالحق والظاهر ان بالحق هو المفعول فالحق
هو المقذوف به ويحتمل ان يكون المقذوف محذوفا اي يقذف اي يلقي ما يلقي الى انبيايه
من الوحي والشرع بالحق لا بالباطل فتكون البا اما للمصاحبة واما للسبب ويؤيد
هذا الاحتمال كون قذف متعديا بنفسه فاذا جعلت بالحق هو المفعول كانت البا زايدة في موضع
لا تطرد زيادتها وقرا الجمهور علام بالرفع فالظاهر انه خبر ثان وهو ظاهر قول الزجاج
قال هو رفع لان تاويله قل ربي علام الغيوب وقال الزمخشري رفع محمول على محل ان
واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف انتهى اما الحمل على محل ان واسمها
فهو غير مذهب س وليس بصحيح عند اصحابنا على ما قررناه في كتب النحو واما قوله على
المستكن في يقذف فلم يبين وجه حمله وكانه يريد انه بدل من ضمير يقذف وقال الكسائي
هو نعت لذلك الضمير لان من مذهبه جواز نعت المضمر الغايب وقرا عيسى وابن ابي اسحق
وزيد بن علي وابن ابي عبلة وابو حيوة وحرب عن طلحة علام بالنصب فقال الزمخشري
صفة لربي وقال ابو الفضل الرازي وابن عطية بدل وقال الحوفي بدل او صفة وقيل
نصب على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث اما الضم فجمع غيب واما الكسر
فكذلك استثقلوا ضمتين والواو فكسروا ليتناسب الكسر مع اليا والضمة التي على
اليا مع الواو واما الفتح ففعول للمبالغة كالصبور وهو الشي الذي غاب وخفي جدا
ولما ذكر انه تعالى انه يقذف بالحق بصيغة المضارع اخبر ان الحق قد جا وهو القران

والوحي وبطل ما سواه من الاديان فلم يبق لغير الاسلام ثبات لا في بدء ولا في عاقبة
فلا يخاف على الاسلام ما يبطله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال
قتادة الباطل الشيطان لا يخلق شيئا ولا يبعثه وقال الضحاك الاصنام لا يفعل
ذلك وقال ابو سليمان لا يبتدي الصنم من عبده كلاما فيجاب ولا يرد ما جاء من الحق
بحجة وقيل الباطل الذي يضاد الحق فالمعنى ذهب الباطل بمجي الحق فلم يبق منه بقية
وذلك ان الحي اذا هلك لم يبق له ابدا ولا اعادة فصار قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في
الهلاك ومنه قول الشاعر

• اقفر من اهله عبيد • فاليوم لا يبدي ولا يعيد •

والظاهران ما نفي وقيل استفهام وما له الي النفي كانه قيل اي شي يبدي الباطل اي
ابليس ويعيده قاله الزجاج وفرقة معه وعن الحسن لا يبدي اي ابليس لاهله خيرا
ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وقيل الحق السيف عن ابن مسعود
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها
بعود نبعة ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جا الحق وما يبدي
الباطل وما يعيد وقرا الجمهور قل ان ضللت بفتح اللام فانما اضل بكسر الضاد وقرا
الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقري بكسر اللام وفتح الضاد وهي لغة تميم
وكسر عبد الرحمن همزة اضل وقال الزمخشري لغتان نحو ظللت اظل وظللت
اظل وان اهتديت فبما يوحي اي فاهتدائي بما يوحي وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي
اي فبالذي يوحيه الي ربي وان تكون مصدرية اي فبوحي ربي والتقابل اللفظي وان
اهتديت فانما اهتدي لها كما قال ومن اساء فعليها وتقابل من عمل صالحا فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها مقابل فمن اهتدي فلنفسه او يقال فانما اضل بنفسي واما
في الاية فالتقابل معنوي لان النفس كل ما عليها فهو بها اي كل وبال عليها فهو بسببها
ان النفس لامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل
مكلف وامر رسوله ان يسنده الي نفسه لانه اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد
طريقته كان غيره اولي به انتهي وهو من كلام الزمخشري انه سميع قريب يدرك
قول كل ضال ومهتد وفعله والظاهران قوله ولو تري اذ فزعوا انه وقت البعث
وقيام الساعة وكثيرا جا ولو تري اذ وقفوا على النار ولو تري اذ المجرمون ناكسوا
روسهم وكله في يوم القيامة متوعد بفزعها واخذوا وقالوا وجي بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه بالخبر الصادق وقال ابن عباس والضحاك هذا في عذاب الدنيا
وقال الحسن في الكفار عند خروجهم من القبور وقال مجاهد يوم القيامة وقال
ابن زيد والسدي في اهل بدر حين ضربت اعناقهم فلم يستطيعوا فرارا من العذاب
ولا رجوعا الي التوبة وقال ابن جبير وابن ابي ابزي في جيش يغزو الكعبة
فيخسف بهم في بيدا من الارض ولا ينجو الا رجل من جهينة فيخبر الناس بما نال
الجيش قالوا وله قيل وعند جهينة الخبر اليقين وروي في هذا المعنى حديث
مطول عن حذيفة وذكر الطبري انه ضعيف السند مكذوب فيه على رواد بن الجراح
وقال الزمخشري وعن ابن عباس نزلت في خسف البيدا وذلك ان ثمانين الفا
يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيدا خسف بهم وذكر في حديث حذيفة
انه تكون فتنة بين اهل المشرق والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفياني
من الوادي اليابس في فوره ذلك حين ينزل دمشق فيبعث جيشا الي المدينة
فينتهبونها ثلثة ايام ثم يخرجون الي مكة فياتيهم جبريل عليه السلم فيضرب بها
اي الارض برجله ضربة فيخسف الله بهم الارض فذلك قوله فلا فوت ولا يفلت
منهم الا رجلان من جهينة ولذلك جرى المثل وعند جهينة الخبر اليقين اسم احدهما
بشير يبشر اهل مكة والاخر نذير ينقلب يخبر السفياني وقيل لا ينقلب الا رجل

واحد

422

واحد يسمى ناجية من جهينة ينقلب وجهه الي قفاه ومفعول تري محذوف اي ولو
تري الكفار اذ فزعوا فلا فوت اي لا يفوتون الله ولا مهرب لهم عن ما يريد بهم وقال
الحسن فلا فوت من صيحة النشور واخذ وا من بطن الارض الي ظهرها انتهي ومن
الموقف الي النار اذ بعثوا او من ظهر الارض الي بطنها اذا ماتوا او من صحرا بدر الي
القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم وهذه اقوال مبنية على تلك الاقوال
السابقة في عود الضمير في فزعوا ووصف المكان من حيث قدره الله عليهم
فحيث ما كانوا هو قريب وقرا الجمهور فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا
ماضيا والظاهر عطفه على فزعوا وقيل على فلا فوت لان معناه فلم يفوتوا
واخذوا وقرا عبد الرحمن مولى بني هاشم عن ابيه وطلحة فلا فوت واخذ مصدرين
منونين وقرا ابي فلا فوت مبنيا واخذ مصدر امنونا ومن رفع واخذ فخبر
مبتدا اي وحالهم اخذ او مبتدا اي وهناك اخذ وقال الزمخشري وقري واخذ وهو
معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ انتهي كانه يقول لا فوت
مجموع لا والمبني معها في موضع مبتدا وخبره هناك فكذلك واخذ مبتدا وخبره هناك
فهو من عطف الجمل وان كانت احداهما تضمنت النفي والاخرى تضمنت الايجاب
والضمير في به عايد على الله قاله مجاهد اي يقولون ذلك عند ما يرون العذاب
وقال الحسن على البعث وقال مقاتل على القران وقيل على العذاب وقال الزمخشري
وغيره على الرسول لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة واني لهم التناوش قال
ابن عباس التناوش الرجوع الي الدنيا وانشد ابن الانباري

• تمني ان توب الي مي • وليس الي تناوشها سبيل •

اي تتمني وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما ينفع المومنين ايمانهم في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول الشي من بعد
كما يتناوله الاخر من قرب وقرا الجمهور التناوش بالواو وقرا حمزة والكسائي
وابو عمرو وابو بكر بالهمز ويجوز ان يكونا مادتين احداهما النون والواو والشين
والاخرى النون والهمزة والشين وتقدم شرحهما في المفردات ويجوز ان تكون
اصل الهمزة الواو على ما قاله الزجاج وتبعه الزمخشري وابن عطية والحوفي
وابو البقا قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار ان شيت
همزتها وان شيت تركت همزتها تقول ثلث ادور بلا همز وادور بالهمز قال والمعنى
من اين لهم تناول ما طلبوه من التوبة بعد فوات وفيها لانها انما تقبل في الدنيا
وقد ذهبت الدنيا فصارت على بعد من الاخرة وذلك قوله تعالى من مكان بعيد هو
وقال الزمخشري همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور وقال ابن عطية
واما التناوش بالهمز فيحتمل ان يكون من التناوش وهمزة الواو لما كانت مضمومة
ضمة لازمة كما قالوا اقتت وقال الحوفي ومن همز احتمل وجهان احدهما ان يكون
من الناش وهو الحركة في ابطا ويجوز ان يكون من ناش ينوش همزت الواو لانضمامها
كما همزت اقتت وادور وقال ابو البقا ويقرا بالهمز من اجل ضمة الواو وقيل هي اصل
من ناشه انتهي وما ذكروه من ان الواو اذا كانت مضمومة ضمة لازمة يجوز ان تبدل
همزة ليس على اطلاقه بل لا يجوز ذلك في المتوسطة اذا كانت مدغما فيها نحو تعود
وتعوذ مصدرين ولا اذا صحت في الفعل نحو ترهوك تركوها وتعاون تعاونا ولم يسمع
همزتين من ذلك فلا يجوز في التناوش مثل التعاون فلا يجوز همزه لانه واو قد صحت
في الفعل اذ تقول تناوش وقد كفروا به الضمير في به عايد على ما عاد عليه امنا به على
الاقوال والجملة حالية ومن قبل اي من قبل نزول العذاب وقرا الجمهور ويقذفون
مبنيا للفاعل حكاية حال متقدمة قال الحسن قولهم لا جنة ولا نار وزاد قتادة
ولا بعث وقال ابن زيد طاعنين في القران بقولهم اساطير الاولين وقال مجاهد
في الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم شاعر وساحر وكاهن من مكان بعيد اي في جهة

بعيدة لان نسبته الي شي من ذلك من ابعد الاشيا قال الزمخشري وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شي مما جا به الشعر والسحر وابعد شي من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور انتهى وقيل هو مستانف اي يتلفظون بكلمة الايمان حين لا ينفع نفسا ايمانها فمثلت حالهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد كمن يقذف شيا من مكان بعيد لا مجال للنظر في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غايبا عنه بعيدا والغيب الشي الغايب وقرا مجاهد وابو حيوة ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول قال مجاهد ويرجمهم الوحي بما يكرهون من السما وقال ابو الفضل الرازي يرمون بالغيب من حيث لا يعلمون ومعناه يجازون بسوء اعمالهم ولا علم لهم بما تاه اما في حال تعذر التوبة عند معاينة الموت واما في الاخرة وقال الزمخشري اي ياتيهم به يعني بالغيب شياطينهم ويلقونهم اياه وقيل يرمون في النار وقيل هو مثل لان من ينادي من مكان بعيد لا يسمع اي هم لا يعقلون ولا يسمعون وحيل بينهم قال الحوفي قام الظرف مقام اسم ما لم يسم فاعله انتهى ولو كان على ما ذكر لكان مرفوعا بينهم كقراة من قرا لقد تقطع بينكم في احد المعنيين لا يقال لما اضيف الي مبني وهو الضمير بني فهو في موضع رفع وان كان مبنيا كما قال بعضهم في قوله وان ما مثلهم بشر انه في موضع رفع لاضافته الي الضمير وان كان مفتوحا لانه قول فاسد يجوز ان تقول مررت بغلامك وقام غلامك بالفتح وهذا لا يقوله احد وانما البنا لاجل الاضافة الي المبني ليس مطلقا بل له مواضع احكمت في النحو وانما يقول قايل ذلك في قول الشاعر •

• وقد حيل بين العير والنزوان فانه نصب بين وهي مضافة الي معرب وانما يخرج • ما ورد من نحو هذا علي ان القايم مقام الفاعل هو ضمير المصدر الدال عليه وحيل هو اي الحول ولكونه اضمر لم يكن مصدرا موكدا فجاز ان يقام مقام الفاعل وعلي ذلك يخرج قول الشاعر •

• وقالت متى يبخل عليك ويعتلل يسوك وان يكشف غرامك تدرب •

اي ويعتلل هو اي الاعتلال والذي يشتهون الرجوع الي الدنيا قاله ابن عباس او الاهل والمال والولد قاله مجاهد او الايمان قاله الحسن او طاعة الله هو قاله قتادة او التوبة قاله السدي او بين الجيش وتخريب الكعبة او بين المومنين او بين النجاة من العذاب او بين نعيم الدنيا ولذتها قاله مجاهد ايضا كما فعل باشياعهم اي باشباههم من كفرة الامم اي حيل بينهم وبين مشتهياتهم ومن قبل يصح ان يكون متعلقا باشياعهم اي من اتصف بصفتهم من قبل اي في الزمان الاول ويترجح بان ما يفعل بجميعهم انما هو في وقت واحد ويصح ان يكون متعلقا بفعل اذ كانت الحيلولة في الدنيا وقال الضحاك اشياعهم اصحاب الفيل يعني اشياع قريش وكانه اخرجه مخرج التمثيل واما التخصيص فلا دليل عليه انهم كانوا في شك مريب يعني في الدنيا ومريب اسم فاعل من اراب الرجل اتي بريبة ودخل فيها واربت الرجل اوقعته في ريبة ونسبة الارابة الي الشك مجاز قال الزمخشري الا ان بينهما فريقا هو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الي المعني ومن اللازم منقول من صاحب الشك الي الشك كما تقول شعر شاعر انتهى وفيه بعض تبيين قيل ويجوز ان يكون اردفه علي الشك وهما بمعني لتناسق اخر الاية بالتي قبلها من مكان قريب كما تقول عجب عجيب وشنا شانات وليلة ليلا وقال ابن عطية الشك المريب اقوي ما يكون من الشك واشده الظلام **القطمير** المشهور انه القشرة الرقيقة التي على نوى التمرة وياتي ما قاله المفسرون فيه **الجدد** جمع جدة وهي الطريقة تكون في الارض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا وقال الزمخشري والجدد الخطط والطرايق قال لبيد او مذهب جدد علي الواحه ويقال جدة

الحمار للخطة السودا علي ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه انتهى وقال الشاعر •

• كان سراته وجدة ظهره كنايس يجري بينهن دليص •

الجدة الخط الذي في وسط ظهره يصف حمار وحش **الغربيب** الشديد السواد لغب يلغب لغوبا اعيا •

• سورة فاطر •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثني وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشا ان الله علي كل شي قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض لا اله الا هو فاني توفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والي الله ترجع الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سو عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون هذه السورة مكية ولما ذكر تعالي في اخر السورة التي قبلها هلاك المشركين اعدا المومنين وانزالهم منازل العذاب تعين علي المومنين حمده تعالي وشكره لنعمايه ووصفه بعظيم الايه كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقرا الضحاك والزهري فطر جعله فعلا ماضيا ونصب ما بعده قال ابو الفضل الرازي فاما علي اضمار الذي فيكون نعتا لله عز وجل واما بتقدير قد فيما قبله فيكون بمعني الحال انتهى وحذف الموصول الاسمي لا يجوز عند البصريين واما الحال فيكون حالا محكية والاحسن عندي ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو فطر وتقدم شرح فاطر السموات والارض وان المعني خالقهما بعد ان لم تكن والسموات والارض عبارة عن العالم وقال ابو عبد الله الرازي الحمد يكون في غالب الامر علي النعمة ونعم الله عاجلة فالحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الي النعمة العاجلة ودليله هو الذي خلقكم من طين ثم قضي اجلا والحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب اشارة اليها ايضا وهي الابقا فان الابقا والصلاح بالشرع والكتاب والحمد في سورة سبا اشارة الي نعمة الايجاد والحشر ودليله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما من الارواح وما يعرج فيها منها وقوله وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة وهنا اشارة الي نعمة البقا في الاخرة ودليله وتتلقاهم الملايكة ففاطر السموات والارض شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض دليله جاعل الملايكة رسلا اي في ذلك اليوم فاول هذه السورة متصل باخر ما مضي لان كما فعل باشياعهم من قبل بيان لانقطا رجا من كان في شك مريب ولما ذكر حالهم ذكر حال المومن وبشره بارسال الملايكة اليهم مبشرين وانه يفتح لهم ابواب الرحمة وقرا الحسن جاعل بالرفع اي هو جاعل وعبد الوارث عن ابي عمرو وجاعل رفعا بغير تنوين الملايكة نصبا حذف التنوين لالتقا الساكنين وقرا ابن يعمر وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا الملايكة نصبا وذلك بعد قراته فاطر بالالف والجر كقراة من قرا فالق الاصباح وجعل الليل سكنا وقرا الحسن وحميد بن قيس رسلا باسكان السين وهي لغة تميم وقال الزمخشري وقري الذي فطر السموات والارض وجعل الملايكة فمن قرا فطر وجعل فينبغي ان تكون هذه الجمل اخبارا من العبد عما اسداه الينا من النعم كما تقول الفضل لزيد

احسن الينا بكذا اخولنا في كذا يكون ذلك جهة بيان لفعله الجميل كذلك يكون في قوله فاطر
جعل لان في ذلك نعما لا تحصى ومن قرا فاطر وجاعل واضاف جاعل فالاظهر انهما اسما فاعل
بمعني المضي فيكونان صفة لله ويجي الخلاف في نصب رسلا فمذهب السيرافي انه منصوب
باسم الفاعل وان كان ماضيا لما لم يكن اضافته الى اسمين نصب الثاني ومذهب ابو علي
انه منصوب باضمار فعل والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو واما من نصب
الملايكة فيتخرج على مذهب الكسائي وهشام في جواز اعمال الماضي النصب ويكون اذ
ذاك اعرابه بدلا وقيل هو مستقبل تقديره يجعل الملايكة رسلا ويكون ايضا اعرابه
بدلا ومعني رسلا بالوحي وغيره من اوامره ولا يريد جميع الملايكة لانهم ليسوا كلهم
رسلا فمن الرسل جبريل وميكايل واسرافيل وعزرائيل والملايكة المتعاقبون والملايكة
المسددون حكام العدل وغيرهم كالملك الذي ارسله الله الى الاعمى والابرص والاقرع
والاجنحة جمع جناح صيغة جمع القلة وقياس جمع الكثرة فيه جنح على وزن فعل
فان كان لم يسمع كان اجنحة مستعملا في القليل والكثير وتقدم الكلام على مثني
وثلث ورباع في اول النسا مشبعا ولكن المفسرين تعرضوا للكلام فيه هنا
فقال الزمخشري مثني وثلث ورباع صفات الاجنحة وانما لم تنصرف لتكرار العدل
فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر
وجذام عن جاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين
المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج
عليها انتهى فجعل المانع للصرف هو تكرار العدل فيها والمشهور انها امتنعت الصرف
للصفة والعدل واما قوله الا تراك فانه قاس الصفة في هذا المعدول على الصفة
في اربع وفي ثلثة وليس بصحيح لان مطلق الصفة لم يعدوه علة بل اشترطوا فيه فليس
الشرط موجودا في اربع لان شرطه ان لا يقبل تا التانيث وليس شرطه في ثلثة
موجودا لانه لم يجعل علة مع التانيث فقياس الزمخشري قياس فاسد اذ غفل عن
شرط كون الصفة علة وقال ابن عطية عدلت في حال التنكير فتعرفت بالعدل
فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة انتهى وهذا الثاني هو المشهور
والاول قول لبعض الكوفيين والظاهر ان الملك الواحد من صنف له جناحان واخر
ثلثة واخر اربعة واخر اكثر من ذلك لما روي ان لجبريل ستماية جناح منها اثنان يبلغ
بهما من المشرق الى المغرب قال قتادة واخذ الزمخشري يتكلم على كيفية هذه
الاجنحة وعلى صورة الثلثة بما لا يجدي قايلا يطالع ذلك في كتابه وقالت فرقة المعني
ان في كل جانب من الملك جناحان ولبعضهم ثلثة ولبعضهم اربعة والا فلو كانت ثلثة
لواحد لما اعتدلت في معتاد ما راينا نحن من الاجنحة وقيل بل هي ثلثة لواحد كما
يوجد لبعض الحوت والظاهر ان المراد من الاجنحة ما وضعت له في اللغة وقال
ابو عبد الله الرازي يذيل بحثه في قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ه
وهو الذي حكينا عنه ان قوله جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثني وثلث ورباع
اقل ما يكون لذي الجناح اشارة الى الجهة وبيانه ان الله ليس شي فوقه وكل شي تحت
قدرته ونعمته والملايكة لهم وجه الى الله ياخذون منه نعمه ويعطون من دونهم
مما اخذوه باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه
شديد القوي وقال تعالى في حقهم فالمدبرات امرا فهما جناحان وفيهم من يفعل
ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيهم من
له ثلث جهات ومنهم من له اربع جهات واكثر انتهى وبحثه في هذا وفي فاطر السموات
والارض بحث عجيب وليس على طريقة فهم العرب من مدلولات الالفاظ
التي حملها ما احتملت والظاهر ان مثني وما بعده من صفات الاجنحة وقيل اولي اجنحة
معترض ومثني حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا اي يرسلون مثني
وثلث ورباع قيل وانما جعلهم اولي اجنحة لانه لما جعلهم رسلا جعل لهم اجنحة

يكون

ليكون اسرع لنفاذ الامر وسرعة انفاذ القضا فان المسافة التي بين السما والارض
لا تقطع بالاقدام الا في سنين فجعلت لهم الاجنحة حتي ينالوا المكان البعيد في الوقت
القريب كالطير يزيد في الخلق ما يشا تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب
من خبر الملايكة اولي الاجنحة اي ليس هذا ببدع في قدرة الله فانه يزيد في خلقه
ما يشا والظاهر عموم الخلق وقال الفرا هذا في الاجنحة التي للملايكة اي
يزيد في خلق الملايكة في الاجنحة واليه ذهب الحسن وعن ابن عباس يزيد
في خلق الملايكة الاجنحة وقالوا في هذه الزيادة الخلق الحسن او حسن الصوت
او حسن الخط او الملاحة في العينين او الانف او خفة الروح او الحسن او جعودة
الشعر او العقل او العلم او الصنعة او العفة في الفقر او الحلاوة في الفم وهذه
الاقوال على سبيل التمثيل لا الحصر والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق وقد
شرحوا هذه الزيادة بالاشيا المستحسنة وما يشا عام لا يخص مستحسنا دون
غيره وختم الاية بالقدرة على كل شي يدل على ذلك والفتح والارسال استعارة
للاطلاق فلا مرسل له مكان لا فاتح له والمعني اي شي يطلق الله من رحمة اي من
نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمايه التي لا يحاط بعددها
وما روي عن المفسرين المتقدمين من تفسير رحمة بشي معين فليس على الحصر
منه انما هو مثال قال الزمخشري وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال
من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شي
يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه انتهي والعموم مفهوم من اسم الشرط
ومن رحمة لبيان ذلك العام من اي صنف هو وهو مما اجتزي فيه بالنكرة المفردة
عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات
ومن في موضع الحال اي كاينا من الرحمات ولا يكون في موضع الصفة لان اسم الشرط
لا يوصف والظاهر ان قوله وما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها لانه لم يذكر له
تبيين فهو باق على العموم في كل ما يمسك فان كان تفسيره من رحمة وحذفت لدلالة
الاول عليه فيكون تذكير الضمير في فلا مرسل له من بعده حملا على لفظ ما وانث
في فلا مرسل لها على معني ما لان معناها الرحمة وقري فلا مرسل لها بتانيث الضمير
وهو دليل على ان التفسير هو من رحمة وحذف لدلالة ما قبله عليه وعن ابن عباس
من رحمة من باب توبة فلا ممسك لها اي يتوبون ان شاوا وان ابوا وما يمسك من
باب توبة فلا مرسل له من بعده فهم لا يتوبون وعنه ايضا من رحمة من هداية
قال الزمخشري فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن
عباس قلت اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن
عباس ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شا ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم
يتب فمردود لان الله تعالى يشا التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاها انتهى
وهو على طريقة الاعتزال من بعده هو على حذف مضاف اي من بعد امساكه
كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله اياه لان قبله واضله الله
على علم كقوله من يضلل الله فلا هادي له وقدره الزمخشري من بعد هدايته الله
وهو تقدير فاسد لا يناسب الاية جري فيه على طريقة الاعتزال وهو العزيز
الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما اقتضته
حكمته يا ايها الناس خطاب لقريش وهو متجه لكل مومن وكافر ولا سيما من عبد غير
الله وذكرهم بنعمه في ايجادهم واذكروا ليس امرا بذكر اللسان ولكن به وبالقلب
وبحفظ النعمة من كفرانها وشكرها كقولك لمن انعمت عليه اذكر ايادي عندك
تريد حفظها وشكرها والجميع مغمورون في نعمة الله فالخطاب عام اللفظ وان كان
ترك ذلك بسبب قريش ثم استفهم على جهة التقرير هل من خالق غير الله اي فلا اله
الا الخالق ما لا تعبدون انتم من الاصنام وقرا ابن وثاب وشقيق وابو جعفر

وزيد بن علي وحمزة والكسائي غير بالخفض نعتا على اللفظ ومن خالق مبتدا او يرزقكم
جوزوا ان تكون خبرا للمبتدي وان يكون صفة وان يكون مستانفا والخبر على هذين
الوجهين محذوف تقديره لكم وقرا شيبة وعيسى والحسن وباقي السبعة غير بالرفع
وجوزوا ان تكون نعتا على الموضع كما كان الجر نعتا على اللفظ وهذا اظهر لتوافق
القراتين وان يكون خبرا للمبتدا او ان يكون فاعلا باسم الفاعل الذي هو خالق لانه
قد اعتمد على اداة الاستفهام فحسن اعماله كقولك اقايم زيد في احد وجهيه وفي هذا
نظر وهو ان اسم الفاعل او ما جرى مجراه اذا اعتمد على اداة الاستفهام واجري مجرى
الفعل فرفع ما بعده هل يجوز ان يدخل عليه من التي للاستغراق فتقول هل من قايم الزيدون
كما يقول هل قايم الزيدون والظاهر انه لا يجوز الا ترى انه اذا اجري مجرى الفعل
لا يكون فيه عموم خلافا اذا دخلت عليه من ولا احفظ مثله في لسان العرب وينبغي
ان لا يقدم على اجازة مثل هذا الا بسماع من كلام العرب وقرا الفضل بن
ابرهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء والخبر اما يرزقكم واما محذوف ويرزقكم
مستانف واذا كان يرزقكم مستانفا كان اولى لانتفا صدق خالق على غير الله بخلاف
كونه صفة فان الصفة تقيد فيكون ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق ومعنى من
السما بالمطر والارض بالنبات لا اله الا هو جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب
فاني تؤفكون اي كيف تصرفون عن التوحيد الى الشرك وان يكذبوك الى الامور
تقدم الكلام على ذلك ان وعد الله حق شامل لجميع ما وعد من ثواب وعقاب
وغير ذلك وقرا الجمهور الغرور بفتح الغين وفسره ابن عباس بالشيطان وقرا
ابو حيوة وابو السمال بضمها جمع غار ومصدرا كقوله فدلاهما بغرور وتقدم
الكلام على ذلك في اخر لقمن ان الشيطان لكم عدو عداوته سبقت لابينا ادم وانت
عداوة اعظم من ان يقول في نبيه لاغوينهم اجمعين ولاضلنهم فاتخذوه عدوا اي
اي بالمقاطعة والمخالفة باتباع الشرع ثم بين ان مقصوده في دعا حزبه انما هو
تعذيبهم في النار ليشتركوا معه في العذاب فهو حريص على ذلك اشد الحرص حتى
يبين صدق قوله فلاغوينهم ولاضلنهم لان الاشتراك فيما يسوء مما قد يتسلى
به بخلاف المنفرد بالعذاب ثم ذكر الفريقين وما اعد لهما من العقاب
والثواب وبدا بالكفار لمجاورته قوله انما يدعوا حزبه فاتبع خبر الكافر بحاله في الاخرة
قال ابن عطية واللام في ليكونوا لام الصيرورة لانه لم يدعهم الى السعير انما
اتفق ان صار امرهم عن دعايه الى ذلك انتهى ونقول هو مما عبر فيه عن التسبب
بما تسبب عنه دعاهم الى الكفر وتسبب عنه العذاب والذين كفروا والذين
امنوا مبتدان وجوز بعضهم في الذين كفروا ان يكون في موضع خفض بدلا من
اصحاب السعير او صفة وفي موضع نصب بدلا من حزبه وفي موضع رفع بدلا من
ضمير ليكونوا وهذا كله بمعزل عن فصاحة التقسيم وجزالة التركيب افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا اي فراي سوء عمله حسنا ومن مبتدا موصول
وخبره محذوف الذي يقتضيه النظم ان يكون التقدير كمن لم يزين له كقوله
افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى افمن كان ميتا فاحييناه ثم قال كمن مثله في الظلمات وقال
الكسائي تقديره تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب نفسك
وقيل التقدير فراه حسنا فاضله الله كمن هداه الله فحذف ذلك لدلالة فان الله
يضل من يشا وذكر هذين الوجهين الزجاج وشرح الزمخشري هنا يضل من
يشا على طريقته في غير موضع من كتابه من ان الاضلال هو خذلانه وتخليته
وشانه واتى بالفاظ كثيرة في هذا المعنى وقرا الجمهور افمن زين مبنيا للمفعول
سو رفع وقرا عبيد بن عمير زين له سوء مبنيا للفاعل ونصب سوء وعنه ايضا
اسواء على وزن افعل منصوبا واسوا عمله هو الشرك وقرا طلحة اسوا بغير فاء

قال

قال صاحب اللوامح فالهمزة للاستفهام بمعنى العامة للتقرير ويجوز ان يكون
بمعنى حرف الندا فحذف التمام كما حذف من المشهور الجواب انتهى ويعني بالجواب
خبر المبتدا وبالتمام ما نودي لاجله اي تفكروا وارجعوا الى الله فان الله يضل من يشا
ويهدي من يشا تسلية للرسول عن كفر قومه ووجوب التسليم لله في اضلال من يشا
وهداية من يشا وقرا الجمهور فلا تذهب نفسك مبنيا للفاعل من ذهب ونفسك
فاعل وقرا ابو جعفر وقتادة وعيسى والاشهب وشيبة وابو جعفر وحميد والاعمش
وابن محيصن يذهب من اذهب مسندا لضمير المخاطب نفسك نصب ورويت
عن نافع والحسرة هم النفس على فوات امر وانتصب حسرات على انه مفعول
من اجله اي فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه
حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات لانه مصدر
فلا يتقدم معموله عليه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت
حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

• مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا •

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

• فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام •

انتهى وما ذكر من ان كلاكلا وصدورا حال هو مذهب س وقال المبرد هو تمييز
منقول من الفاعل اي حتى ذهبت كلاكلها وصدورها ثم توعدهم بالعقاب على
سوء صنيعهم فقال ان الله عليم بما يصنعون اي فيجازيهم عليه والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله
ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبيك مثل
خبير لما ذكر اشيا من الامور السماوية وارسال الملايكة ذكر اشيا من الامور
الارضية الرياح وارسالها وفي هذا احتجاج على منكري البعث دلهم على المثال
الذي يعاينونه وهو احيا الموتى سيان وفي الحديث انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك
محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته
في خلقه قيل ارسل في معنى يرسل ولذلك عطف عليه فتثير وقيل جي بالمضارع
حكاية حال يقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الربانية ومنه فتصبح الارض مخضرة قال الزمخشري وكذا
يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير
ذلك كما قال تابط شرا

• باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان •

• فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران •

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول
لانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول
وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحيا الارض بالمطر

بعد موتها لما لانا من الدلايل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن
لفظ الغيبة الي ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه انتهي وقال ابو عبد الله الرازي
ما ملخصه اي ارسل بلفظ الماضي لما اسند الي الله وما يفعله تعالي بقوله كن لا تبقي زمانا
ولا جزء زمان فلم يأت بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه ولانه فرغ من كل شي
فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والي المواضع المعينة ولما اسند الاثارة
الي الريح وهي تولف في زمان قال فتثير واسند ارسل الي الغايب وفي فسقناه
فاحيينا الي المتكلم لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال
ثم لما عرف قال انا الذي عرفتني سقت السحاب فاحييت الارض ففي الاول تعريف
بالفعل العجيب وفي الثاني تذكير بالنعمة وفسقناه فاحيينا بصيغة الماضي يوكد
ما ذكرنا من الفرق بين فتثير وارسل انتهي وهذا الذي ذكر من الفرق بين ارسل
فتثير لا يظهر الا تري الي قوله تعالي في سورة الروم الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا وفي الاعراف وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته كيف جاء
في الارسال بالمضارع وانما هذا في التفنن في الكلام والتصرف في البلاغة واما
الخروج من ضمير الغايب الي ضمير المتكلم المعظم نفسه فهو من باب الالتفات
وكذلك ما في الاعراف فسقناه الي بلد ميت فانزلنا به الما فاخرجنا به من كل الثمرات
واما قوله وما يفعله تعالي الي اخره وكل فعل وان كان اسند الي غيره مجازا فهو فعله حقيقة
فلا فرق بين ما يسنده الي ذاته وبين ما يسند الي غيره لان جميع ذلك هو ايجاده وخلقه
والنشور مصدر نشر الميت اذا احيي قال الاعشي

حتي يقول الناس مما راوا ... يا عجبا للميت الناشر

والنشور مبتدا والجار والمجرور قبله في موضع الخبر والتشبيه وقع لجهات لما قبلت
الارض الميتة الحيوة اللايقة بها كذلك الاعضا تقبل الحيوة او كما ان الريح يجمع قطع
السحاب كذلك تجمع اجزا الاعضا وابعاض الاشيا او كما يسوق الرياح والسحاب
الي البلد الميت يسوق الروح والحيوة الي البدن من كان يريد العزة اي يحبها لنفسه
فلله العزة اي ليست لغيره ولا تتم الاية والمغالب مغلوب ونحا اليه مجاهد وقال
من كان يريد العزة بعبادة الاوثان وهذا تمثيل لقوله واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها علي وجهها
فلله العزة اي به وعن امره لا تنال عزته الا بطاعته وقال الفرا من كان يريد
علم العزة فلله العزة اي هو المتصف بها وقيل من كان يريد العزة اي لا يعقبها ذلة
فهي لله لان عزة يعقبها ذلة لتلك ذلة ويصاريها للذلة وقال الزمخشري كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال
الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان
العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليايه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين
انتهي ولا تنافي بين قوله فان العزة لله جميعا وان كان الظاهر انها له لا لغيره وبين
قوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين وان كان يقتضي الاشتراك لان العزة
في الحقيقة لله بالذات وللرسول بواسطة قربه من الله وللمومنين بواسطة الرسول
فالمحكوم عليه اولا غير المحكوم عليه ثانيا ومن اسم شرط وجملة الجواب لا بد ان يكون
فيها ضمير يعود علي اسم الشرط اذا لم يكن ظرفا والجواب محذوف تقديره علي حسب
تلك الاقوال السابقة فعلي قول مجاهد فهو مغلوب وعلي قول قتادة فيطلبها من الله
وعلي قول الفرا فلينسب ذلك الي الله وعلي القول الرابع فهو لا ينالها وحذف
الجواب استغناء عنه بقوله فلله العزة جميعا لدلالته عليه والظاهر من هذه الاقوال
قول قتادة اي فليطلبها ممن العزة له يتصرف فيها كما يريد كما قال تعالي وتعز من
تشا وانتصب جميعا علي الحال والمراد عزة الدنيا وعزة الاخرة

والكلم

والكلم الطيب التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك وقال ابن عباس شهادة ان لا
اله الا الله وقيل ثنا بالخير علي صالحي المومنين وقال كعب ان سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكر صاحبها وقرا الجمهور
يصعد مبنيا للفاعل من صعد الكلم الطيب مرفوعا والكلم جمع كلمة وقرا علي
وابن مسعود والسلمي وابرهيم يصعد من اصعد الكلام الطيب منصوبا وقال ابن
عطية وقرا الضحاك يصعد بضم اليا ولم يذكر مبنيا للفاعل ولا مبنيا للمفعول
ولا اعراب ما بعده وقال الزمخشري وقري اليه يصعد الكلم الطيب علي البنا
للمفعول انتهي وقرا زيد بن علي يصعد من صعد الكلام رفعا وصعود الكلم اليه
تعالي مجاز في الفاعل وفي المسمي اليه لانه تعالي ليس في جهة ولان الكلم الفاظ لا توصف
بالصعود لان الصعود من الاجرام يكون وانما ذلك كناية عن القبول ووصفه
بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شانه ومنه ترافعوا الي الحاكم ورفع الامر اليه
وليس هناك علو في الجهة وقرا الجمهور والعمل الصالح برفعهما فالعمل مبتدا ويرفعه
الخبر وفاعل يرفعه ضمير يعود علي العمل الصالح وضمير النصب يعود علي الكلم اي يرفع
الكلم الطيب قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك وقال الحسن
يعرض القول علي الفعل فان وافق القول الفعل قبل وان خالف رد وعن ابن عباس
نحوه قال اذا ذكر الله العبد وقال كلاما طيبا وادي فرايضه ارتفع قوله مع عمله
واذا قال ولم يود فرايضه رد قوله علي عمله وقيل عمله اولي به قال ابن عطية
وهذا قول يرده معتقد اهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان العاصي التارك للفرايض
اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل وله حسناته وعليه سيئاته
والله يتقبل من كل من اتقي الشرك وقال ابو صالح وشهر بن حوشب عكس هذا اي
القول ضمير الفاعل يعود علي الكلم وضمير النصب للعمل الصالح اي يرفعه الله اليه
اي يقبله وقال ابن عطية هذا ارجح الاقوال وعن ابن عباس والعمل الصالح
يرفع عامله ويشرفه فجعله علي حذف مضاف ويجوز عندي ان يكون والعمل معطوفا
علي الكلم الطيب اي يصعدان الي الله ويرفعه استينافا اخبارا اي يرفعهما الله
ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود والضمير قد يجري مجري اسم الاشارة فيكون
لفظه مفرد او المراد به التثنية فكانه قيل ليس صعودهما من ذاتهما بل ذلك
برفع الله اياهما وقرا عيسي وابن ابي عبلة والعمل الصالح بنصبهما علي الاشتغال
فالفاعل ضمير الكلم او ضمير الله ومكرهم لازم والسيات نعت لمصدر محذوف
اي المكرات السيات او لمضاف الي المصدر اي اصناف المكر السيات او ضمن يمكرون
معني يكتسبون فنصب السيات مفعولا به واذا كانت السيات نعتا لمصدر او لمضاف
المصدر فالظاهر انه عني به مكرات قريش في دار الندوة اذ تذاكروا احدي ثلث
مكرات وهي المذكورة في الانفال اثباته او قتله او اخراجه واوليك اشارة الي
الذين مكروا وتلك المكرات يبور اي يفسد ويكسد ويهلك دون مكر الله بهم اذ
اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم
قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيي الا باهله
وهو مبتدا ويبور خبره والجملة خبر عن قوله ومكر اوليك واجاز الحوفي وابو البقا
ان تكون هو فاصلة ويبور خبر ومكر اوليك والفاصلة لا يكون ما بعدها فعلا ولم
يذهب الي ذلك احد فيما علمناه الا عبد القاهر الجرجاني في شرح الايضاح له فانه
اجاز في كان زيد هو يقوم ان يكون هو فصلا ورد ذلك عليه والله خلقكم من تراب
من حيث خلق ابينا ادم ثم من نطفة اي بالتناسل ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا
ذكرانا واناثا كما قال او يزوجهم ذكرانا واناثا وقال قتادة قدر بينكم الزوجية
وزوج بعضكم بعضا ومن في من معمر زايدة وسماه بما يوول اليه وهو الطويل
العمر والظاهر ان الضمير في من عمره عايد علي معمر لفظا ومعني وقال ابن عباس

وغيره يعود على معمر الذي هو اسم جنس والمراد غير الذي يعمر فالقول تضمن شخصين يعمر احدهما مائة سنة وينقص من الاخر وقال ابن عباس ايضا وابن جبير وابو مالك المراد شخص واحد اي يحصي ما مضي منه اذا مر حول كتب ذلك ثم حول فهذا هو النقص وقال الشاعر

حياتك انفاس تعد فكلما مضي نفس منك انتقصت به جزاء

وقال كعب الاحبار معني ولا ينقص من عمره لا يخترم بسبب قدرة الله ولو شا لاخر ذلك السبب وروي عنه انه قال لما طعن عمر رضي الله عنه لو دعا الله لزاد في اجله فانكر عليه المسلمون ذلك وقالوا ان الله تعالي يقول فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فاحتج بهذه الاية قال ابن عطية وهو قول ضعيف مردود يقتضي القول بالاجلين وبنحوه تمسك المعتزلة وقرا الجمهور ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرا الحسن من عمره الا في كتاب قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقال الزمخشري يجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان انتهي وما يستوي البحران هذه اية اخري يستدل بها على كل عاقل انه مما لا مدخل لصنم فيه وتقدم شرح هذا عذب فرات وشرح وهذا ملح اجاج في سورة الفرقان وهنا بين القسمين صفة للعذب وبين قوله سايغ شرابه وقرا الجمهور سايغ اسم فاعل من ساغ وقرا عيسى سيغ على وزن فيعل كميت وجا كذلك عن ابي عمرو وعاصم وقرا عيسى ايضا سيغ مخففا من المشدد كميت مخفف ميت وقرا الجمهور ملح وابو نهيك وطلحة بفتح الميم وكسر اللام قال ابو الفضل الرازي وهي لغة شاذة ويجوز ان يكون مقصورا من مالح فحذف الالف تخفيفا وقد يقال ما ملح في الشذوذ وفي المستعمل مملوح وقال الزمخشري ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمومن والكافر ثم قال على صفة الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطايه ومن كل ثم شرح الزمخشري الفاظا من الاية تكررت في سورة النحل ثم قال ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللولو وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقه قوله تعالي ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الاية انتهي لتبتغوا من فضله يريد التجارات والحج والغزو وكل سفر له وجه شرعي يولج الليل تقدم شرح هذه الجمل ولما ذكر اشيا كثيرة تدل على قدرته الباهرة من ارسال الرياح والايجاد من تراب وما عطف عليه وايلاج الليل في النهار وتسخير الشمس والقمر اشار الي ان المتصف بهذه الافعال الغريبة هو الله فقال ذلكم الله ربكم له الملك وهي اخبار مترادفة والمبتدا ذلكم والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير قال الزمخشري ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعني يا باه انتهي اما كونه صفة فلا يجوز لان الله علم والعلم لا يوصف به وليس اسم جنس كالرجل فيتخيل فيه الصفة واما قوله لولا ان المعني يا باه فلا يظهر ان المعني يا باه لانه يكون قد اخبر بان المشار اليه بتلك الصفات والافعال المذكورة ربكم اي مالكم او مصلحكم وهذا معني لايق سايغ والذين تدعون من دونه هي الاوثان وقرا الجمهور تدعون بتا الخطاب وعيسى وسلام ويعقوب بيا الغيبة وقال صاحب الكامل ابو القسم بن جبارة يدعون باليا اللولوي عن ابي عمرو وسلام والنهاوندي عن قتيبة وابن الجلا عن نصير وابن حبيب وابن يونس عن الكساي وابو عمارة عن حفص والقطمير تقدم شرحه وقال جويبر عن رحالة والضحاك هو القمع الذي في راس التمرة وقال مجاهد لفافة النواة وقيل الذي بين قمع التمرة والنواة وقيل هو قشر الثوم

واياما كان فهو تمثيل للقليل وقال الشاعر

وابوك يخصف نعله متوركا ما يملك المسكين من قطمير

لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو سمعوا هذا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما يدعون لهم من الالهية ويتبرون منها وقيل ما نفعوكم واضاف المصدر في بشرككم اي باشراككم لهم مع الله في عبادتكم اياهم كقوله ما كنتم ايانا تعبدون فهي اضافة الي الفاعل وقوله يكفرون يحتمل ان يكون بكلام يقدر الله الاصنام عليه ويخلق لها ادراكا تقتضي ذلك ويحتمل ان يكون بما يظهر هنالك من جمودها وبطولها عند حركة كل ناطق وما فيه كل محتج فيجي هذا على طريق التجوز كقول ذي الرمة

وقفت على ربع لمية ناطق تخاطبني اثاره واخاطبه

واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

ولا ينبيك مثل خبير قال قتادة وغيره من المفسرين الخبير هنا اراد به تعالي نفسه فهو الخبير الصادق الخبر نبا بهذا فلا شك في وقوعه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون قوله ولا ينبيك مثل خبير من تمام ذكر الاصنام كانه قال فلا يخبرك مثل من يخبرك عن نفسه اي لا اصدق في تبرو بها من شرككم منها فيريد بالخبير على هذا المثل لها كانه قال ولا ينبيك مثل خبير عن نفسه وهي قد اخبرت عن انفسها بالكفر بهولاء وقال الزمخشري ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر هو الذي يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين به والمعني ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقال في التحرير يحتمل وجهين ان يكون ذلك خطابا للرسول لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وهو امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله عنه قال تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا هو كما قال لان المخبر عنه خبير والثاني ان يكون خطابا ليس مختصا باحد اي هذا الذي ذكر هو كما ذكر لا ينبيك ايها السامع كاينا من كنت مثل خبير يا ايها الناس انتم الفقرا الي الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخري وان تدع مثقلة الي حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربي انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكي فانما يتزكي لنفسه والي الله المصير وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير هذه اية موعظة وتذكير وان جميع الناس محتاجون الي احسان الله تعالي وانعامه في جميع احوالهم لا يستغني احد عنه طرفة عين وهو الغني عن العالم على الاطلاق وعرف الفقرا ليريهم شدة افتقارهم اليه اذ هم جنس الفقرا وان كان العالم باسره مفتقرا اليه فلضعفهم جعلوا كانهم جميع هذا الجنس ولو نكر لكان المعني انتم بعض الفقرا وقوبل الفقرا بالغني ووصف بالحميد دلالة على انه جواد منعم فهو محمود على ما يسدي من النعم مستحق للحمد ولما ذكر انه الغني على الاطلاق ذكر ما يدل على استغنايه عن العالم وانه ليس بمحتاج اليهم فقال ان يشا يذهبكم اي ان يشا اذهابكم يذهبكم وفي هذا وعيد باهلاككم وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد بعزيز اي بممتنع عليه اذ هو المتصف بالقدرة التامة فلا يمتنع عليه شي مما يريده ومعني بخلق جديد بدلكم لقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس بخلق بعدكم

من يعبده لا يشرك به شيا وقد جاء هذا المعني من ذكر الاذهاب بعد وصفه تعالي
بالغني في قوله وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشا
وجا ايضا تعليق الاذهاب محتوما اخر الاية بذكر القدرة الدالة علي ذلك
في قوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله علي ذلك قديرا روي
ان الوليد بن المغيرة قال لقوم من المومنين اكفروا بمحمد وعلي وزركم فنزلت
واخبر تعالي لا يحمله احد عن احد قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذه الاية في
الذنوب والجرايم ويقال وزر الشي حمله والوازرة صفة لمحذوف اي نفس وازرة
اي حاملة وذكرا الصفة ولم يذكر الموصوف مقتصرا عليه لان المعني ان كل نفس
لا تري الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فلا يوخذ نفس بذنب نفس كما ياخذ جبابرة
الدنيا الجار بالجار والصديق بالصديق والقريب بالقريب وقال ابن
عطية ومن تطرق من الحكام الي اخذ قريب بقريبه في جريمة كفعل زياد ونحوه
فانما ذلك لان الماخوذ ربما اعان المجرم بموازرة ومواصلة او اطلاع علي حاله
وتقريره لها فهو قد اخذ من الجرم بنصيب انتهي وكان ابن عطية تاول افعال زياد
علي ما ذكر وكانه ما اطلع علي سيرة زياد وما فعل في الاسلام وكانت سيرته قريبة
من سيرة الحجاج ولا منافاة بين هذه الاية والتي في العنكبوت لان تلك في الضالين
المضلين يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم فكل ذلك اثقالهم ما فيها من
ثقل غيرهم شي الا تري وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وان تدع مثقلة اي
نفس مثقلة بحملها الي حملها اي الي حمل حملها لا يحمل منه شي اي لا غياث يومئذ
لمن استغاث ولا اعانة حتي ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الي ان
يخفف بعض وزرها لم تجب وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد
او اخ فالاية قبلها في الدلالة علي عدل الله في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها
وهذه في نفي الاعانة والحمل ما كان علي الظهر في الاجرام فاستعير للمعاني كالذنوب
ونحوها فيجعل كل محمول متصلا بالظهر كقوله وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم
كما جعل كل اكتساب منسوبا الي السيد وقرا الجمهور لا يحمل بالياء مبنيا للمفعول
وابو السمال عن طلحة وابرهيم بن زادان عن الكسائي بفتح التاء من فوق
وكسر الميم وتقتضي هذه القراءة نصب شي كما اقتضت قراءة الجمهور رفعه
والفاعل بتحمل ضمير عايد علي مفعول تدع المحذوف اي وان تدع مثقلة نفسا
اخري الي حملها لم تحمل منه شيا واسم كان ضمير يعود علي المدعو المفهوم من
قوله وان تدع هذا معني قول الزمخشري قال وترك ذكر المدعو ليعم
ويشمل كل مدعو قال فان قلت فكيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام
ذا قربي للمثقلة قلت هو من العموم الكاين علي طريق البدل انتهي وقال
ابن عطية واسم كان مضمر تقديره لو كان الداعي انتهي اي لو كان الداعي ذا قربي
من المدعو فان المدعو لا يحمل منه شيا وذكر الضمير حملا علي المعني لان قوله
مثقلة لا يريد به مونث المعني فقط بل كل شخص فكانه قيل وان تدع شخص مثقل
وقري ولو كان ذو قربي علي ان كان تامة اي ولو حضر اذ ذاك ذو قربي ودعته
لم يحمل منه شيا وقالت العرب قد كان لبن اي حضر وحدث وقال الزمخشري
نظم الكلام احسن ملايمة للناقصة لان المعني علي ان المثقلة ان دعت احدا الي
حملها لا يحمل منه وان كان مدعوها ذا قربي وهو معني صحيح ملتيم ولو قلت ولو
وجد ذو قربي لتفكك وخرج من اتساقه والتيامه انتهي وهو متسق ملتيم علي
التقدير الذي ذكرناه وتفسيره كان وهو مبني للفاعل بوجد المبني للمفعول
تفسير معني وليس مرادفا فمرادفه حدث او حضر او وقع هكذا فسره النحاة
ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض اهوال القيامة كان ذلك انذارا فذكر ان
الانذار انما يجدي وينفع من يخشي الله بالغيب حال من الفاعل او المفعول

اي يخشون ربهم غافلين عن عذابه او يخشون عذابه غايبا عنهم وقيل بالغيب في السر
وقيل بالغيب اي وهو بحال غيبه عنهم انما هي رسالة وقرا الجمهور ومن تزكي فعلا ماضيا
فانما يتزكي فعلا مضارع تزكي اي ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي فانما ثمرة
ذلك عايدة عليه وهو انما زكوته لنفسه لا لغيره والتزكي شامل للخشية واقامة
الصلوة وقرا العباس عن ابي عمرو ومن يزكي فانما يزكي بالياء من تحت وشد الزاي
فيهما وهما مضارعان اصلهما ومن يتزكي فانما يتزكي ادغمت التا في الزاي كما ادغمت
في الذال في قوله يذكرون وقرا ابن مسعود وطلحة ومن ازكي بادغام التا في الزاي
واجتلاب همزة الوصل في الابتدا وطلحة ايضا فانما يزكي بادغام التا في الزاي والي
الله المصير وعد لمن تزكي بالثواب وما يستوي الاعمي والبصير الاية هي طعن علي
الكفرة وتمثيل فالاعمي الكافر والبصير المومن او الاعمي الصنم والبصير الله عز وعلا
اي لا يستوي معبودهم ومعبود المومنين والظلمات والنور والظل والحرور
تمثيل للحق والباطل وما يودي اليه من الثواب والعقاب والاحيا والاموات
تمثيل لمن دخل في الاسلام ومن لم يدخل فيه والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشري
والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل
انتهي وقال ابن عطية قال روبة الحرور بالليل والسموم بالنهار وليس كما قال
وانما الامر كما حكي الفرا وغيره ان السموم تختص بالنهار ويقال الحرور في حر الليل
وفي حر النهار انتهي ولا يرد علي روبة لانه منه توخذ اللغة فاخبر عن لغة قومه وقال
قوم الظل هنا الجنة والحرور جهنم ويستوي من الافعال التي لا يكتفي بفاعل واحد
فدخول لا في النفي لتاكيد معناه كقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقال ابن
عطية دخول لا انما هو علي نية التكرار كانه قال ولا الظلمات والنور ولا النور
والظلمات فاستغني بذكر الاوايل عن الثواني ودل مذكور الكلام علي متروكه انتهي
وما ذكر غير محتاج الي تقديره لانه اذا نفي استوا الظلمات والنور فاي فايدة في تقدير
نفي استوايهما ثانيا وادعا محذوفا وانت تقول ما قام زيد ولا عمرو فتوكد بلا معني
النفي فكذلك هذا وقرا زاذان عن الكسائي وما تستوي الاحيا بتا التانيث
والجمهور بالياء وترتيب هذه المنفي عنها الاستوا في غاية الفصاحة ذكر الاعمي
والبصير مثلا للمومن والكافر ثم البصير ولو كان حديد النظر لا يبصر الا في ضوء فذكر
ما هو فيه الكافر من ظلمة الكفر وما هو فيه المومن من نور الايمان ثم ذكر مالهما وهو
الظل وهو ان المومن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم ذكر مثلا اخر
في حق المومن والكافر فوق حال الاعمي والبصير اذ الاعمي قد يشارك البصير في ادراك
ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت ولذلك اعاد الفعل فقال وما
يستوي الاحيا ولا الاموات كانه جعله مقام سوال وكرر لا فيما كرر لتاكيد المنافاة
فالظلمات تنافي النور وتضاده والظل والحرور كذلك والاعمي والبصير ليس كذلك
لان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يعرض له العمي فلا منافاة الا من حيث الوصف
والمنافاة بين الظل والحرور دايمة لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت
المنافاة اتم اكد بالتكرار واما الاحيا والاموات من حيث ان الجسم الواحد يكون محلا
للحيوة فيصير محلا للموت فالمنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمي والبصير لان
هذين قد يشتركان في ادراك ما ولا كذلك الحي والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في
الوصف علي ما بين في الحكمة الالهية وقدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخر
في مثلين وهما البصير والنور ولا يقال لاجل السجع لان معجزة القران ليست في مجرد
اللفظ بل فيه وفي المعني والشاعر قد يقدم ويوخر لاجل السجع والقران المعني
صحيح واللفظ فصيح وكانوا قبل المبعث في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم الظلمة فلما
جا الرسول واهتدي به قوم صاروا بصيرين وطريقهم النور وقدم ما كان متقدما من
المتصف بالكفر وطريقه علي ما كان متاخرا من المتصف بالايمان وطريقه ثم لما ذكر المال

والمرجع تقدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب كما جا سبقت رحمتي غضبي فقدم
الظل على الحرور ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات
في عدم ادراك الحق فقال وما يستوي الاحيا الذين امنوا بما انزل الله ولا الاموات
الذين تليت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهو لاكانوا بعد ايمان من امن
واخرهم لوجود حيوة المومنين قبل ايمانهم فكما فوق افراد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس
بالجنس اذ قد يوجد في افراد العميان ما يساوي به بعض افراد البصرا كاعمى عنده
من الذكا ما يساوي به البصير البليد فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين
الافراد وجمعت الظلمات لان طرق الكفر متعددة وافرد النور لان التوحيد
والحق واحد والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد فقال
الظلمات لا تجد فيها ما يساوي هذا النور واما الاحيا والاموات
فالتفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيا فذكر ان الاحيا
لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس ام قابلت الفرد بالفرد انتهى من
كلام ابي عبد الله الرازي وفيه بعض تلخيص ثم سلى رسوله بقوله ان الله يسمع
من يشا اي اسماع هو لا منوط بمشيئته وكنى بالاسماع عن تكون عنه الاجابة
للايمان ولما ذكر انه ما يستوي الاحيا ولا الاموات قال وما انت بمسمع من في القبور
اي هولا من عدم اصغايهم الى سماع الحق بمنزلة من هم قد ماتوا فاقاموا في قبورهم
فكما ان من مات لا يمكن ان يقبل منك قول الحق فكذلك هولا لانهم اموات القلوب
وقرا الاشهب والحسن بمسمع من على الاضافة والجمهور بالتنوين ان انت الا
نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن اراد الله هدايته سمع
واهتدى وان كان ممن اراد الله ضلاله فما عليك لانه تعالى هو الذي يهدي
ويضل وبالحق حال من الفاعل اي محقا او من المفعول اي محقا او صفة لمصدر
محذوف اي ارسالا بالحق اي مصحوبا به قال الزمخشري او صلة لبشير ونذير
على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعد الحق انتهى ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشير
ونذير معا بل ينبغي ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا والتقدير بالوعد
الحق بشيرا وبالوعيد الحق نذيرا فحذف المقابل لدلالة مقابله عليه وان من امة
الا خلا فيها نذير الامة الجماعة الكثيرة والمعنى ان الدعا الى الله لم ينقطع عن كل
امة اما بمباشرة من انبيايهم واما بنقل الى وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
والايات التي تدل على ان قريشا ما جاءهم نذير معناه لم يباشرهم ولا ابا وهم
القريبين واما ان النذارة انقطعت فلا ولما شرعت اثار النذارة تندرس
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وما ذكره اهل علم الكلام من حال اهل الفترات
فان ذلك على حسب الفرض لانه واقع ولا توجد امة على وجه الارض الا وقد علمت
الدعوة الى الله وعبادته واكتفى بذكر نذير عن بشير لانها مشفوعة بها في قوله
بشيرا ونذيرا فدل ذلك على انه مراد وحذف لدلالة عليه وان يكذبوك مسلاة
للرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على نظير هذه الجمل في واخر ال عمران
وقوله فكيف كان نكير توعد لقريش بما جرى لمكذبي رسلهم الم تر ان الله انزل
من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك
انما يخشى الله من عباده العلما ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذي اوحينا اليك من الكتاب هو
الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب

ولولؤا

ولولؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
لما قرر تعالى وحدانيته بادلة قربها وامثال ضربها اتبعها بادلة سماوية وارضية
فقال الم تر وهذا استفهام تقرير ولا يكون الا في الشي الظاهر جدا والخطاب
للسامع وترمن رؤية القلب لان اسناد انزاله تعالى لا يستدل عليه الا بالعقل
الموافق للنقل وان كان انزال المطر مشاهدا بالعين لكن رؤية القلب قد تكون
مستندة لرؤية البصر وخرج من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم في قوله فاخرجنا
لما في ذلك من الفخامة اذ هو مسند للمعظم المتكلم ولان نعمة الاخراج اتم من
نعمة الانزال لفائدة الاخراج فاسند الاتم الى ذاته بضمير المتكلم وما دونه
بضمير الغايب والظاهر ان الالوان اريد بها ما يتبادر اليه الذهن من الحمرة
والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك كما يشاهد في الثمرات وقيل الالوان
الانواع كالتين والعنب والرمان والتفاح وغير ذلك والالوان بهذا المعنى
اوسع واكثر من الالوان بمعنى الاصباغ وقرا الجمهور مختلفا الوانها على حد
اختلف الوانها وقرا زيد بن علي مختلفة الوانها على حد اختلفت الوانها وجمع التكسير
يجوز فيه ان تلحق التا وان لا تلحق وقرا الجمهور جدد بضم الجيم وفتح الدال جمع
جدة قال ابن بحر قطع من قولك جددت الشي قطعته وقرا الزهري كقراءة
الجمهور قال صاحب اللوامح جمع جدة وهي ما تخالف من الطرايق في الجبال لون
ما يليها وعنه ايضا بضم الجيم والدال جمع جديدة يقال جديدة وجدد وجدايد
كما يقال في الاسم سفينة وسفن وسفاين قال ابو ذويب

جون السراة له جدايد اربع

وعنه ايضا جدد بفتح الجيم والدال ولم يجزه ابو حاتم في المعنى ولا صححه اثرا
وقال غيره هو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرايق والخطوط الواضحة
المنفصل بعضها من بعض وقال ابو عبيدة يقال جدد في جمع جديد ولا مدخل لمعنى الجديد
في هذه الاية وقال صاحب اللوامح جدد جمع جديد بمعنى اثار جديدة واضحة الالوان
انتهى وقال مختلف الوانها لان البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف فابيض
لا يشبه ابيض واحمر لا يشبه احمر وان اشتركا في القدر المشترك لكنه مشكك والظاهر
عطف وغرابيب على حمر عطف ذي لون على ذي لون وقال الزمخشري معطوف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد
وقال بعد ذلك ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى
ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه
كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني
ومنهم بعض مختلف الوانه وقرا ابن السميفع الوانها انتهى والظاهر انه لما ذكر الغرابيب
وهو الشديد السواد لم يذكر فيه مختلف الوانه لانه من حيث جعله شديد السواد
وهو المبالغ في غاية السواد لم يكن له الوان بل هذا لون واحد بخلاف البيض
والحمر فانها تختلف والظاهر ان قوله بيض وحمر ليسا مجموعين لجدة واحدة بل المعنى
جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب ويقال اسود حلكوك واسود غربيب
ومن حق التابع الموضح الغاية في ذلك اللون ان يكون تابعا فقال ابن عطية قدم
الوصف الابلغ وكان حقه ان يتاخر وكذلك هو في المعنى لكن كلام العرب الفصيح
ياتي كثيرا على هذا النحو وقال الزمخشري الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التوكيد
ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك ووجهه ان يضمر
المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة

والمومن العايذات الطير

وانما يفعل لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار

جميعًا انتهي وهذا لا يصح الا علي مذهب من يجيز حذف المؤكد ومن النحاة من منع
ذلك وهو اختيار ابن مالك وهو علي التقديم والتاخير اي سود غرابيب وقيل
سود بدل من غرابيب وهذا احسن ويحسنه كون غرابيب لم يلزم فيه ان يستعمل
تاكيدا ومنه ما جاء في الحديث ان الله يبغض الشيخ الغريب يعني الذي يخضب
بالسواد وقال الشاعر

العين طامحة واليد سابحة والرجل لايحة والوجه غربيب

وقال اخر

ومن تعاجيب خلق الله غالية البعض منها ملاحي وغربيب

وقرا الجمهور والدواب مشددة الباء والزهري بتخفيفها كراهية التضعيف
اذ فيه التقاء الساكنين كما همز بعضهم ولا الضالين فرارا من التقاء الساكنين
فحذف هنا اخر المضعفين وحرك هناك اول الساكنين ومختلف صفة لمحذوف
اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه
من تمام الكلام قبله والوقف عليه حسن قال ابن عطية ويحتمل ان يكون من الكلام
الثاني يخرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة في هذا كله انما يخشى الله من
عباده العلماء اي المحصلون لهذه العبر الناظرون فيها انتهي وهذا الاحتمال
لا يصح لان ما بعد ان لا يمكن ان يتعلق بهذا المجرور قبلها ولو خرج مخرج السبب
لكان التركيب كذلك يخشى الله من عباده اي لذلك الاعتبار والنظر في مخلوقات
الله واختلاف الوانها يخشى الله ولكن التركيب جا بانما وهي تقطع هذا المجرور عما
بعدها والعلماء الذين علموه بصفاته وتوحيده وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل
عليه فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه
خوفا ومن كان علمه به اقل كان امن وقد وردت احاديث واثار في الخشية وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتي عرفت فيه ومن ادعي ان انما للحصر
قال المعني ما يخشى الله الا العلماء فغيرهم لا يخشاه وهو قول الزمخشري وقال
ابن عطية وانما في هذه الاية تخصيص العلماء لا الحصر وهي لفظة تصلح للحصر
وتاتي ايضا دونه وانما يعلم ذلك بحسب المعني الذي جاءت فيه انتهي وجاءت هذه
الجملة بعد قوله الم تر اذ ظاهره خطاب للرسول حيث عدد اياته واعلام قدرته
واثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلي
صفاته فكانه قال انما يخشاه مثلك ومن علي صفتك ممن عرفه حق معرفته وقرا
الجمهور بنصب الجلالة ورفع العلماء وروي عن عمر بن عبد العزيز وابي حنيفة
عكس ذلك وتؤولت هذه القراة علي ان الخشية استعارة للتعظيم لان من خشي
وهاب اجل وعظم من خشيته وهابه ولعل ذلك لا يصح عنهما وقد راينا كتبا
في الشواذ ولم يذكروا هذه القراة وانما ذكرها الزمخشري وذكرها عن ابي
حيوة ابو القسم يوسف بن جبارة في كتابه الكامل ان الله عزيز غفور تعليل
للخشية اذ العزة تدل علي عقوبة العصاة وقهرهم والمغفرة علي اثابة الطايعين
والعفو عنهم ان الذين يتلون ظاهره يقرؤن كتاب الله اي يداومون تلاوته
وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه اية القراء او يتبعون كتاب الله
فيعملون بما فيه وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقال السدي هم اصحاب الرسول
صلي الله عليه وسلم ورضي عنهم وقال عطا هم المومنون ولما ذكر تعالي وصفهم بالخشية
وهي عمل القلب ذكر انهم يتلون كتاب الله وهو عمل اللسان ويقيمون الصلوة
وهو عمل الجوارح وينفقون وهو العمل المالي يرجون خبر ان وهذا اشارة الي الاخلاص
اي يفعلون تلك الافعال من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق يقصدون بذلك
وجه الله لا للريا والسمعة تجارة لن تبور لن تكسد ولا يتعذر الربح فيها بل تنفق
عند الله ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور

علي معني غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة انتهي واجورهم هي التي
رتب تعالي علي اعمالهم وزيادته من فضله قال ابو وايل بتشفيعهم فيمن احسن
اليهم وقال الضحاك بتفسيح القلوب وفي الحديث بتضعيف حسناتهم وقيل بالنظر
الي وجهه والكتاب هو القران ومن للتبيين او الجنس او التبعيض تخريجات
للزمخشري ومصدقا حال موكدة لما بين يديه من الكتب الالهية التوراة والانجيل
والزبور وغيره وفيه اشارة الي كونه وحيا لانه عليه السلام لم يكن قاريا كاتبا واتي
ببيان ما في كتب الله ولا يكون ذلك الا من الله تعالي ان الله بعباده لخبير بصير
عالم بدقايق الاشياء وبواطنها بصير لما ظهر منها وحيث اهلك لوحيه واختصك
برسالته وكتابه الله اعلم حيث يجعل رسالاته ثم اورثنا الكتاب وثم قيل
بمعني الواو وقيل للمهلة اما في الزمان واما في الاخبار علي ما ياتي بيانه والكتاب
فيه قولان احدهما ان المعني انزلنا الكتب الالهية فالكتاب علي هذا اسم جنس
والمصطفون الانبيا واتباعهم قاله الحسن وقال ابن عباس هم هذه الامة
اورثت امة محمد صلي الله عليه وسلم كل كتاب انزله الله وقال ابن جرير اورثهم
الايمان فالكتب تامر باتباع القران فهم مومنون بها عاملون بمقتضاها يدل
عليه والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم اتبعه بقوله ثم اورثنا الكتاب
فعلمنا انهم امة محمد صلي الله عليه وسلم اذ كان معني الميراث انتقال شي من قوم
الي قوم ولم تكن امة انتقل اليها كتاب من قوم كانوا قبلهم غير امته فاذا قلنا هم
الانبيا واتباعهم كان المعني اورثنا كل كتاب انزل علي نبي ذلك النبي واتباعه والقول
الثاني ان الكتاب هو القران والمصطفون امة الرسول ومعني اورثنا قال
مجاهد اعطينا لان الميراث عطا ثم قسم الوارثين الي هذه الاقسام الثلثة قال
مكي فقيل هم المذكورون في الواقعة فالسابق بالخيرات هو المقرب والمقتصد
اصحاب الميمنة والظالم لنفسه اصحاب المشيمة وهو قول يروي معناه عن عكرمة
والحسن وقتادة قالوا الضمير في منهم عايد علي العباد فالظالم لنفسه الكافر والمنافق
والمقتصد المومن العاصي والسابق التقي علي الاطلاق وقالوا هو نظير ما في الواقعة
والاكثرون علي ان هولاء الثلثة هم في امة الرسول ومن كان من اصحاب المشامة
مكذبا ضالا لم يورث الكتاب ولا اصطفاه الله وانما الذي في الواقعة اصناف
الخلق من الاولين والاخرين قال عثمان بن عفان سابقنا اهل جهاد ومقتصدنا
اهل حاضرنا وظالمنا اهل بدونا لا يشهد ون جماعة ولا جمعة وقال معاذ الظالم
لنفسه الذي مات علي كبيرة لم يتب منها والمقتصد من مات علي صغيرة ولم يصب
كبيرة لم يتب منها والسابق من مات تايبا من كبيرة او صغيرة او لم يصب ذلك
وقيل الظالم لنفسه العاصي المسرف والمقتصد متقي الكباير والسابق المتقي
علي الاطلاق وقال الحسن الظالم من خفت حسناته والمقتصد من استوت
والسابق من رجحت وقال الزمخشري قسمهم الي ظالم مجرم وهو المرجا لامر
الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيا وسابق من السابقين انتهي
وذكر في التحرير ثلثة واربعين قولا في هولا الاصناف الثلثة وقرا ابو عمران
الجوني وعمر بن ابي شجاع ويعقوب في رواية والقزاز عن ابي عمرو سباق والجمهور
سابق قيل وقدم الظالم لانه لا يتكل الا علي رحمة الله وقال الزمخشري للايذان
بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصد قليل بالاضافة اليهم والسابقون
اقل من القليل انتهي باذن الله بتيسيره وتمكينه اي ان سبقه ليس من جهة ذاته
بل ذلك منه تعالي والظاهر ان الاشارة بذلك الي ايراث الكتاب واصطفا هذه
الامة وجنات علي هذا ابتدا او يدخلونها الخبر وجنات قراة الجمهور جمعا بالرفع
ويكون ذلك اخبارا بمقر اوليك المصطفين وقال الزمخشري وابن عطية جنات
بدل من الفضل قال الزمخشري فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من

الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب
في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن انتهى
ويدل على انه مبتدا قراة الجحدري وهرون عن عاصم جنات منصوبا على الاشتغال
اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وقرا زر بن حبيش والزهري جنة على الافراد
بالرفع وقرا ابو عمرو ويُدخلونها مبنيا للمفعول وروي عن ابن كثير والجمهور
مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير المرفوع في يدخلونها عايد على الاصناف الثلثة
وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعثمن بن عفان وابو الدردا
وعقبة بن عامر وابي سعيد وعايشة ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق وابي اسحق
السبيعي وكعب الاحبار وقرا عمر هذه الاية ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ومن جعل ثلثة الاصناف
هي التي في الواقعة كان الضمير في يدخلونها عايدا عنده على المقتصد والسابق
وقال الزمخشري هو عايد على السابق فقط ولذلك جعل ذلك اشارة الى السبق
المفهوم من قوله سابق قال الزمخشري وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم
فذكر ثوابهم والسكوت عن الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد
وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله
ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة عسى الله
ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القران بذلك
في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع انتهى وهو
على طريقة المعتزلة وقرا الجمهور يحلون بضم اليا وفتح الحا وشد اللام مبنيا
للمفعول وقري بفتح اليا وسكون الحا وخف اللام من حليت المراة فهي حالي
اذا لبست الحلي ويقال جيد حال اذا كان فيه الحلي وتقدم في سورة الحج الكلام
على يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وقرا الجمهور
الحزن بفتحتين وقري بضم الحا وسكون الزاي ذكره جناح بن حبيش والحزن
يعم جميع الاحزان وقد خص المفسرون هنا واكثروا وينبغي ان يحمل ذلك على
التمثيل لا على التعيين فقال ابو الدردا حزن اهوال يوم القيامة وما يصيب
هنالك من ظلم نفسه من الغم والحزن وقال ابن عباس حزن جهنم وقال عطية
والضحاك حزن الموت يقولونها اذا ذبح الموت وقال سمرة بن جندب معيشة
الدنيا الخبز ونحوه وقال قتادة حزن الدنيا في الخوف ان لا يتقبل اعمالهم وقال
مقاتل حزن الانتقال يقولونها اذا استقروا فيها وقال الكلبي خوف الشيطان
وقال ابن زيد حزن تظالم الاخرة والوقوف عن قبول الطاعات وردها وطول
المكث على الصراط وقال القسم بن محمد حزن زوال النعم وتقلب القلب
وخوف العاقبة وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا الدار ومعناه انه يعم كل هم
حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا ان ربنا لغفور شكور لغفور فيه
اشارة الى دخول الظالم لنفسه الجنة وشكور فيه اشارة الى السابق وانه كثير
الحسنات والمقامة هي الاقامة اي الجنة لانها دار اقامة دايما لا يرحل
عنها من فضله من عطايه لا يمسنا فيها نصب اي تعب بدن ولا يمسنا فيها لغوب
اي تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن وقال قتادة اللغوب الوضع وقال
الزمخشري النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول
له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة
والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة انتهى فان
قلت اذا انتفى السبب انتفى مسببه فما حكمه نفي السبب ثم انتفا مسببه
وانت تقول ما شبعت ولا اكلت ولا يحسن ما اكلت ولا شبعت لانه يلزم من انتفا

الاكل انتفا الشبع ولا ينعكس فلو جا على هذا الاسلوب لكان التركيب لا يمسنا
فيها اعيا ولا مشقة فالجواب انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها
على قسمين موضع تمس فيه المشاق والمتاعب كالبراري والصحاري وموضع يمس
فيه الاعيا كالبيوت والمنازل التي فيها الاسفار فقال لا يمسنا فيها نصب لانها
مظان المتاعب كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا نخرج منها الى مواضع
نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا وقرا الجمهور لغوب بضم اللام وعلي بن
ابي طالب والسلمي بفتحها قال الفرا هو ما يلغب به كالفطور والسحور وجاز ان يكون
صفة للمصدر المحذوف كانه لغوب لغوب كقولهم موت مايت وقال صاحب اللوامح
يجوز ان يكون مصدرا كالقبول وان شيت جعلته صفة لمضمر اي امر لغوب واللغوب
ايضا في غير هذا الاحمق قال اعرابي ان فلانا لغوب جاته كتابي فاحتقرها اي
احمق فقيل له لم انثته فقال اليس صحيفة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون
فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا
يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
قل ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام
لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما
من احد من بعده انه كان حليما غفورا لما ذكر حال المومنين ومقرهم ذكر حال
الكافرين وهذا يدل على ان اوليك الثلثة هم في الجنة اذ الذين كفروا هم مقابلوهم
لا يقضى عليهم اي لا يجهز عليهم فيموتوا لانهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا
وقرا الجمهور فيموتوا بحذف النون منصوبا في جواب النفي وهو على احد معنيي
النصب فالمعنى انتفا القضا عليهم فانتفى مسببه اي لا يقضى عليهم ولا يموتون
كقولك ما تاتينا فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان فكيف يكون حديث انتفى
الاتيان فانتفى الحديث ولا يصح ان يكون على المعنى الثاني من معنيي النصب
لان المعنى ما تاتينا محدثا انما تاتي ولا تحدث وليس المعنى هنا لا يقضى عليهم ميتين
انما يقضى عليهم ولا يموتون وقرا عيسى والحسن فيموتون بالنون ووجهها ان
تكون معطوفة على لا يقضى قال ابن عطية وهي قراة ضعيفة انتهى وقال
ابو عثمان المازني هو عطف اي فلا يموتون كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون
اي فلا يعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يعارض هذا قوله كلما خبت زدناهم
سعيرا لان المعنى لا يخفف عنهم نوع عذابهم والنوع في نفسه يدخله ان يخبو
ويسعر قاله ابن عطية وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو ولا يخفف باسكان
الفا شبه المنفصل بالمتصل كقوله فاليوم اشرب غير مستحقب وقرا الجمهور
نجزي كل مبنيا للفاعل ونصب كل وابو عمرو وابو حاتم عن نافع باليا مبنيا
للمفعول كل بالرفع وهم يصطرخون بني من الصراخ يفتعل وابدلت من التا طا
واصله يصرخون والاصطراخ شدة الصياح قال الشاعر

كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها

واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته وقال الشاعر

وطول اصطراخ المرء في بعد قعرها وجهد شقي طال في النار ما عوي

ربنا اخرجنا اي قايلين ربنا اخرجنا منها اي من النار ردنا الى الدنيا نعمل صالحا
قال ابن عباس نقل لا اله الا الله غير الذي كنا نعمل اي من الشرك وتمثيل
امر الرسول فنومن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية وقال الزمخشري هلا

اكتفي بصالحا كما اكتفي به في فارجعنا نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل
على انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه قلت فايدته زيادة
التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل بظهور
حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال
الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نحسبه صالحا فنعمله انتهى وروي انهم يجابون بعد مقدار الدنيا اولم نعمركم
وهو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير وما مصدرية ظرفية اي مدة تذكر
وقرا الجمهور ما يتذكر فيه من تذكر وقرا الاعمش ما يذكر فيه من اذكر
بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذه المدة قال
الحسن البلوغ يريد انه اول حال التذكر وقيل سبع عشرة سنة وقال قتادة
ثمان عشرة سنة وقال عمر بن عبد العزيز عشرون وقال ابن عباس
اربعون وقيل خمسون وقال علي ستون وروي ذلك عن ابن عباس وجاءكم
معطوف على اولم نعمركم لان معناه قد عمرناكم كقوله الم نربك فينا وليدا
وقوله الم نشرح لك صدرك ثم قال ولبثت وقال ووضعنا لان المعنى قد
بيناك وشرحنا والنذير جنس وهم الانبيا كل نبي نذير امته وقري
النذر جمعا وقيل النذير الشيب قاله ابن عباس وعكرمة وسفين ووكيع والحسين
بن الفضل والفرا والطبري وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال العقل
فذوقوا اي عذاب جهنم وقرا جناح بن حبيش عالم مِنونا غيب نصبا والجمهور
على الاضافة ومجي هذه الجملة عقيب ما قبلها هو انه تعالى ذكر ان الكافر
يعذب دايما ومدة كفره كانت مدة يسيرة منقطعة فاخبر انه تعالى عالم
غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه الصدور من المضمرات
وكان يعلم من الكافر انه تمكن الكفر في قلبه بحيث لو دام الى الابد ما امن
بالله ولا عبده وخلايف جمع خليفة وخلفا جمع خليف ويقال للمستخلف
خليفة وخليف وهذا تنبيه على انه تعالى استخلفهم بدل من كان قبلهم فلم يتعظوا بحال
من تقدمهم من مكذبي الرسل وما حل بهم من الهلاك ولا اعتبروا من كفر ولم يتعظ
بمن تقدم فعليه كفره اي عقاب كفره والظاهر انه خطاب عام وقيل لاهل مكة والمقت
اشد الاحتقار والبغض والغضب والخسار خسار العمر كان العمر راس مال
فاذا انقضى في غير طاعة الله فقد خسره واستعاض به بدل الربح بما يفعل من
الطاعات سخط الله وغضبه بحيث صار الى النار قل ارايتم شركاءكم قال
الحوفي الف الاستفهام ذلك للتقرير وفي التحرير ارايتم المراد منه اخبروني لان
الاستفهام يستدعي ذلك يقول القايل ارايت ماذا فعل زيد فيقول السامع
باع او اشترى ولولا تضمنه معنى اخبروني لكان الجواب نعم او لا وقال ابن عطية
ارايتم ينزل عند سيبويه منزلة اخبروني ولذلك لا يحتاج الى مفعولين وقال
الزمخشري اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني
عن هولا الشركا وعن ما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء
الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم
كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاوه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب
او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم
كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الروسا بعضا وهم الاتباع الا غرورا
وهو قولهم هولا شفعاونا عند الله انتهى اما قوله اروني بدل من ارايتم فلا يصح
لانه اذا ابدل مما دخل عليه الاستفهام فلا بد من دخول الاداة على البدل وايضا
فابدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل
ولا يتاتى ذلك هنا لانه عامل في ارايتم فتخيل دخوله على اروني وقد تكلمنا في الانعام

على ارايتم كلاما شافيا والذي اذهب اليه هنا ان ارايتم بمعنى اخبروني وهي تطلب
مفعولين احدهما منصوب والاخر مشتمل على استفهام لقول العرب ارايت زيدا ما صنع
فالاول هنا هو شركاءكم والثاني ماذا خلقوا واروني جملة اعتراضية فيها تاكيد
للكلام وتسديد ويحتمل ان يكون ذلك ايضا من باب الاعمال لانه توارد على ماذا
خلقوا ارايتم واروني لان اروني قد تعلق عن مفعولها الثاني كما علقت راي
التي لم تدخل عليها همزة النقل عن مفعولها في قولهم اما ترى اي برق هاهنا ويكون
قد اعمل الثاني على المختار عند البصريين وقيل يحتمل ان يكون ارايتم استفهاما
حقيقيا واروني امر تعجيز للتبيين اي اعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه
من العجز او تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها او توهمتم
لها قدرة فاروني قدرتها في اي شي هي امي في الارض كما قال بعضهم ان الله اله
في السما وهولا آلهة في الارض قالوا وفيها من الكواكب والاصنام صورها ام هي
في السموات كما قال بعضهم ان السما خلقت باستعانة الملايكة فالملايكة شركاء
في خلقها وهذه الاصنام صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملايكة
ما خلقوا شيا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدهم لتشفع لنا فهل معهم من الله كتاب
فيه اذنه لهم بالشفاعة انتهى واضاف الشركا اليهم من حيث هم جعلوهم شركا الله اي
ليس للاصنام شركة بوجه الا بقولهم وجعلهم قيل ويحتمل شركاكم في النار لقوله انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والظاهر ان الضمير في اتيناهم عايد على
الشركا لتناسب الضماير اي بل مع ما جعلوه شركا الله كتاب من الله فيه ان له شفاعة
عنده فانه لا يشفع عنده الا باذنه وقيل عايد على المشركين ويكون التفاتا خرج من
ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة اعراضا عنهم وتنزيلا لهم منزلة الغايب الذي
لا يحصل للخطاب ومعناه ان عبادة هولا اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد ما لا يخلق
من الارض جزا من الاجزا ولا له شرك في السما واما بالنقل ولم نوت المشركين
كتابا فيه امر بعبادة هولا فهذه عبادة لا عقلية ولا نقلية انتهى وقرا ابن وثاب
والاعمش وحمزة وابو عمرو وابن كثير وحفص وابان عن عاصم على بينة بالافراد
وباقي السبعة بالجمع ولما بين تعالى فساد امر الاصنام ووقف على الحجة على بطلانها
عقب بذكر عظمته وقدرته لتبيين الشي بضده وتتاكد حقارة الاصنام بذكر عظمة
الله فقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والظاهر ان معناه ان تنتقلا
عن اماكنهما وتسقط السموات عن علوها وقيل معناه ان تزولا عن الدوران انتهى
ولا يصح لان الارض لا تدور ويظهر من قول ابن مسعود ان السما لا تدور وانما تجري
فيها الكواكب وقال كفى بها زوالا ان تدور ولو دارت لكانت قد زالت وان تزولا
في موضع المفعول له وقدر لئلا تزولا وكراهة ان تزولا وقال الزجاج يمسك يمنع
من ان تزولا فيكون مفعولا ثانيا على اسقاط حرف الجر ويجوز ان يكون بدلا اي يمنع
زوال السموات والارض بدل اشتمال ولئن زالتا ان يدخل على الممكن
فان قدرنا دخولها هنا على الممكن فيكون ذلك باعتبار يوم القيامة عند طي السماء
ونسف الجبال فان ذلك ممكن بل واقع بالخبر الصادق الصدوق اي ولئن جا وقت
زوالهما ويجوز ان يكون ذلك على سبيل الفرض اي ولئن جا فرضنا زوالهما فيكون مثل
لو في المعنى وقد قرا ابن ابي عبلة ولو زالتا وان نافية وامسكهما في معنى المضارع
جواب للقسم المقدر قبل لام التوطية في لئن وانما هو في معنى المضارع لدخول
ان الشرطية كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
اي ما يتبعون وكقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي ليظلن يقدر هذا
كله مضارعا لاجل ان الشرطية وجواب ان في هذه المواضع وما اشبهها محذوف
لدلالة جواب القسم عليه في ولئن زالتا سد مسد الجوابين انتهى يعني انه دال
على الجواب المحذوف وان اخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له

موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط ولا موضع له من الاعراب باعتبار جواب
القسم والشي الواحد لا يكون معمولا وغير معمول ومن في واحد لتاكيد الاستغراق
وفي من بعده لابتداء الغاية اي من بعد ترك امساكه وسال ابن عباس رجلا اقبل
من الشام من لقيت قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات
على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية وقال
ابن مسعود لجندب البجلي وكان رحل الى كعب الاحبار في كلام اخره ما تمكنت
اليهودية في قلب فكادت ان تفارقه وقالت طايفة اتصافه بالحلم والغفران
في هذه الاية انما هو اشارة الى ان السما كادت تزول والارض كذلك لاشراك
الكفرة فيمسكهما حلما منه عن المشركين وتربصا ليغفر لمن امن منهم كما قال
في اية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه الاية وقال الزمخشري حليما
غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم
كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم
لين جاهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاهم نذير ما زادهم الا نفورا
استكبارا في الارض ومكر السيي ولا يحيق المكر السيي الا باهله فهل ينظرون الا سنة
الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه
من شي في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى فاذا جا اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا الضمير في واقسموا لقريش ولما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم
للرسل قبل وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حيث كذبوا رسلهم وقالوا لين اتانا
رسول ليكونن من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه لين
جاهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظهم اذ لو كان للفظ لكان التركيب لين جانا نذير من
احدى الامم اي من واحدة مهتدية من الامم او من الامة التي يقال فيها احدى
الامم تفضيلا لها على غيرها كما قالوا هو احد الاحدين وهو احدى الاحد يريدون
التفضيل في الدها والعقل بحيث لا نظير له وقال الشاعر

• حتى استثاروا بي احدى الاحد • ليثا هزبرا ذا سلاح معتد •

فلما جاهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وهو الظاهر وقال مقاتل
هو انشقاق القمر ما زادهم اي ما زادهم هو او مجيه الا نفورا بعدا من الحق وهربا
منه واسناد الزيادة اليه مجاز لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا كقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم وصاروا اضل مما كانوا وجواب لما ما زادهم وفيه دليل
واضح على حرفية لما لا ظرفيتها اذ لو كانت ظرفا لم يجز ان يتقدم على عاملها المنفي بما
وقد ذكرنا ذلك في قوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم وفي قوله ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم والظاهر ان استكبارا مفعول من اجله اي سبب النفور
وهو الاستكبار ومكر السيي معطوف على استكبارا فهو مفعول من اجله ايضا اي الحامل
لهم على الابعاد من الحق هو الاستكبار والمكر السيي وهو الخداع الذي ترمونه
برسول الله والكيد له وقال قتادة المكر السيي هو الشرك وقيل استكبارا بدل
من نفورا وقاله الاخفش وقيل حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين ومكر السيي من اضافة الموصوف الى صفته ولذلك
جا على الاصل ولا يحيق المكر السيي وقيل يجوز ان يكون ومكر السيي معطوفا على
نفورا وقرا الجمهور ومكر السيي بكسر الهمزة والاعمش وحمزة باسكانها
فاما اجرا للوصل مجرى الوقف واما اسكانا لتوالي الحركات واجرا المنفصل مجرى
المتصل كقوله لنا ابلان وزعم الزجاج ان هذه القراة لحن قال ابو جعفر وانما
صار لحنا لانه حذف الاعراب منه وزعم محمد بن يزيد ان هذا لا يجوز في كلام ولا

شعر لان حركات الاعراب دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين
ان يكون الاعمش يقرا بهذا او قال انما كان يقف عليه فغلط من ادى عنه والدليل
على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن تمام الكلام اعربه والحركة في الثاني
اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقال الزجاج ايضا قراة حمزة ومكر
السيي موقوفا عند الحذاق بالنحو لحن لا يجوز وانما يجوز في الشعر للاضطرار واكثر
ابو علي في الحجة من الاستشهاد والاحتجاج للاسكان من اجل توالي الحركات
والاضطرار والوصل بنية الوقف قال فاذا ساغ ما ذكرناه في هذه القراة من التاويل
لم يسغ ان يقال لحن وقال ابن القشيري ما ثبت بالاستفاضة او التواتر انه
قري به فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال لحن وقال الزمخشري لعله اختلس
فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وروي عن ابن كثير ومكر
السايي بهمزة ساكنة بعد السين وياء بعدها مكسورة وهو مقلوب السيي المخفف
من السيي كما قال الشاعر

• ولا يجزون من حسن بسيء • ولا يجزون من غلظ بلين •

وقرا ابن مسعود ومكرا سييا عطف نكرة على نكرة ولا يحيق اي يحيط ويحل ولا يستعمل
الا في المكروه وقري يحيق بضم اليا المكر السيي بالنصب اي ولا يحيق الله الا باهله
اما في الدنيا فما قبة ذلك على اهله وقال ابو عبد الله الرازي فان قلت كثيرا
نرى الماكر يفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر والاية تدل على عدم ذلك فالجواب
من وجوه احدها ان المكر في الاية هو المكر بالرسول من العزم على القتل والاخراج
ولم يحق الا بهم حيث قتلوا ببدر وثانيها انه عام وهو الاصح فانه عليه السلام نهى عن
المكر وقال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فانه تعالى يقول ولا يحيق المكر السيي الا
باهله فعلى هذا يكون ذلك الممكور به اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الامور بعواقبها
ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفايز والماكر هو
الهالك انتهى وقال كعب لابن عباس في التوراة من حفر حفرة لاخيه وقع فيها
فقال له ابن عباس انا وجدت هذا في كتاب الله ولا يحيق المكر السيي الا باهله
انتهى وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وسنة الاولين انزال
العذاب على الذين كفروا برسلهم من الامم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له
منهم وسنة الاولين اضاف فيه المصدر الى المفعول وفي لسنة الله اضافه الى
الفاعل فاضيفت اولا اليهم لانها سنت بهم وثانيا اليه لانه هو الذي سنها وبين
تعالى ان الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها بغيرها ولا يحولها الى غير اهلها
وان ذلك كاين لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم
في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم وديارهم
كديار ثمود ونحوها وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في سورة الروم وهناك
كانوا اشد منهم قوة استيناف اخبار عن ما كانوا عليه وهنا وكانوا اي وقد كانوا فالجملة
حال فهما مقصدان وما كان الله ليعجزه اي ليفوته ويسبقه من شي اي شي ومن
لاستغراق الاشيا انه كان عليما قديرا فبعلمه يعلم جميع الاشيا فلا يغيب عن علمه
شي وبقدرته لا يتعذر عليه شي ثم ذكر تعالى حلمه تعالى عن عباده في تعجيل
العقوبة فقال ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا اي من الشرك وتكذيب
الرسل وهو المعنى في الاية التي في النحل وهو قوله بظلمهم وتقدم الكلام على نظير
هذه الاية في النحل وهناك عليها وهنا على ظهرها والضمير عايد على الارض
الا ان هناك يدل عليه سياق الكلام وهنا يمكن ان يعود على ملفوظ به وهو قوله
في السموات ولا في الارض ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظهر كالدابة الحاملة
للاثقال ولانه ايضا هو الظاهر بخلاف باطنها فان الله كان بعباده بصيرا اتوعد
للمكذبين اي فيجازيهم باعمالهم قمح البعير رفع راسه اثر شرب الما ويا تي الكلام

المفردات

فيه سنو في العرجون عود العذق من بين الشمراخ الي منبته من النخلة وقال
الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف الجدث القبر وسمع فيه جدف
بابدال الثا فا كما قالوا فم في ثم كما ابدلوا من الفا ثا قالوا في مغفور مغثور
وهو ضرب من الكماة المسخ تحويل من صورة الي صورة منكرة الرميم البالي
المفتت.

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين علي صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون لقد حق القول علي اكثرهم فهم لا يومنون
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الي الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسوا عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يومنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة
واجر كريم انا نحن نحيي الموتي ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شي احصيناه في امام
مبين هذه السورة مكية الا ان فرقة زعمت ان قوله ونكتب ما قدموا واثارهم
نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم ويتنقلوا الي جوار
مسجد الرسول وليس زعما صحيحا وقيل الا قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله الاية وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في اول البقرة قال ابن جبير هنا
انه اسم من اسما محمد صلي الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين وقال
السيد الحميري

يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة ... علي المودة الا ال ياسينا

وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية وعنه هو في لغة طي وذلك انهم يقولون
ايسان بمعني انسان ويجمعونه علي اياسين فهذا منه وقالت فرقة يا حرف ندا
والسين مقامة مقام انسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه وقال الزمخشري ان
صح يعني ان معناه يا انسان في لغة طي فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداية
علي السنتهم حتي اقتصروا علي شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله انتهي
والذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل علي ان اصله
انيسان لان التصغير يرد الاشيا الي اصولها ولا نعلمهم قالوا في تصغيره انيسين وعلي
تقدير انه بقية انيسين فلا يجوز ذلك الا ان يبني علي الضم ولا يبقي موقوفا لانه
منادي مقبل عليه مع ذلك فلا يجوز ذلك الا انه يبعد لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق
النبوة وقوله كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله هذا قول ومن النحويين من يقول
ان م حرف قسم وليس مبقي من ايمن وقري بفتح اليا وامالتها محضا وبين اللفظين
وقرا الجمهور بسكون النون مدغمة في الواو ومن السبعة الكسائي وابو بكر وورش
وابن عامر مظهرة عند باقي السبعة وقرا ابن ابي اسحق وعيسي بفتح النون وقال
قتادة يس قسم قال ابو حاتم فقياس هذا القول فتح النون كما تقول الله لافعلن
وقال الزجاج النصب كانه قال اتل يس وهذا علي مذهب س انه اسم للسورة وقرا
الكلبي بضم النون وقال هي بلغة طي يا انسان وقرا ابو السمال وابن ابي اسحق
ايضا بكسرها قيل والحركة لالتقا الساكنين فالفتح كاين طلبا للتخفيف والضم حيث
والكسر علي اصل التقاهما واذا قيل انه قسم فيجوز ان يكون معربا بالنصب علي ما قال
ابو حاتم والرفع علي الابتدا اخو امانة الله لافومن والجر علي اضمار حرف الجر وهو جايز
عند الكوفيين والحكيم اما فعيل بمعني مفعل كاعقدت العسل فهو عقيد اي معقد
واما للمبالغة من حاكم واما علي معني النسب اي ذي حكمة علي صراط خبر ثان او في موضع
الحال منه عليه السلام او من المرسلين او متعلق بالمرسلين والصراط المستقيم شريعة
الاسلام وقرا طلحة والاشهب وعيسي بخلاف عنهما وابن عامر وحمزة والكسائي تنزيل
بالنصب علي المصدر وباقي السبعة وابو بكر وابو جعفر وشيبة والحسن والاعرج

والاعمش بالرفع خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل وابو حيوة واليزيدي والقرظي
عن ابي جعفر وشيبة بالخفض اما علي البدل من القران واما علي الوصف بالمصدر
لتنذر متعلق بتنزيل او بارسلناك مضمرة ما انذر قال عكرمة بمعني الذي اي الشي
الذي انذره اباوهم من العذاب فما مفعول ثان كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
قال ابن عطية ويحتمل ان تكون ما مصدرية اي انذار اباهم والابا علي هذا هم
الاقدمون من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم وفهم علي هذا التاويل بمعني
فانهم دخلت الفا لقطع الجملة من الجملة الواقعة صلة فتتعلق بقوله انك لمن المرسلين
لتنذر كما تقول ارسلتك الي فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل وقال قتادة ما نافية
اي ان اباهم لم ينذروا فاباوهم علي هذا هم القريبون منهم وما انذر في موضع الصفة
اي غير منذر اباوهم وفهم غافلون متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون علي ان
عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وباعتبار الابا في القدم والقرب يزول التعارض
بين الانذار ونفيه لقد حق القول علي اكثرهم المشهور ان القول لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وقيل لقد سبق في علمه وجوب العذاب وقيل حق القول
الذي قاله الله علي لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان برهانه فاكثرهم لا يومنون
بعد ذلك والظاهر ان قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاية هو حقيقة لا استعارة
لما اخبر تعالي انهم لا يومنون اخبر عن شي من احوالهم في الاخرة اذا دخلوا النار قال
ابن عطية وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون يضعف هذا لان بصر الكافر يوم
القيامة انما هو حديد يري قبح حاله انتهي ولا يضعف هذا الا تري الي قوله ونحشرهم يوم
القيامة علي وجوههم عميا وقوله قال رب لم حشرتني اعمي فاما ان يكون ذلك
حالين واما ان يكون قوله فبصرك اليوم حديد كناية عن ادراكه ما يوول اليه حتي
كانه يبصره وقال الجمهور ذلك استعارة قال ابن عباس وابن اسحق استعارة لحال
الكفرة الذين ارادوا الرسول بسو جعل الله هذا لهم مثلا في كفه اياهم عنه ومنعهم
من اذاه حين بيتوه وقال الضحاك والفرا استعارة لمنعهم من النفقة في سبيل الله
كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك وقال عكرمة نزلت حين اراد ابو جهل
ضربه بالحجر العظيم وفي غير ذلك من المواطن فمنعه الله وهذا قريب من قول ابن
عباس فروي ان ابا جهل حمل حجرا ليدمغ به النبي صلي الله عليه وسلم وهو يصلي فاثبتت
يده الي عنقه حتي عاد الي اصحابه والحجر في يده قد لزق فما فكوه الا بجهد فاخذه
اخر فلما دنا من الرسول طمس الله بصره فلم يره فعاد الي اصحابه فلم يبصرهم
حتي نادوه فجعل الغل يكون استعارة عن منع ابي جهل وغيره في هذه القصة ولما كان
اصحاب ابي جهل راضين بما اراد ان يفعل نسب ذلك الي الجمع وقالت فرقة استعارة
لمنع الله اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه قال ابن عطية وهذا ارجح الاقوال
لانه تعالي لما ذكر انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل عقب ذلك بان جعل لهم من
المنع واحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلولين انتهي وقال الزمخشري مثل
تصميمهم علي الكفر وانه لا سبيل الي ارعوايهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين
في انهم لا يلتفتون الي الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون روسهم له
وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر
وانهم متعامون عن النظر في ايات الله انتهي وفيه دسيسة الاعتزال الا تري
الي قول اهل السنة استعارة لمنع الله اياهم من الايمان وقول الزمخشري مثل
تصميمهم ونسبة الافعال التي بعدها اليهم لا الي الله والغل ما احاط بالعنق
علي معني التثقيف والتضييق والتعذيب والاسر ومع العنق اليدان او اليد
الواحدة علي معني التغليل والظاهر عود الضمير في فهي الي الاغلال لانها هي
المذكورة والمحدث عنها قال ابن عطية هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن
مجتمع اللحيين فيضطر المغلول الي رفع وجهه نحو السما وذلك هو الاقماح وهو نحو

الاقتاح في الهيئة وقال الزمخشري الاغلال واصله الي الاذقان مكزوزة اليها
وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقي طرفيه تحت الذقن حلقة فيها
راس العمود نادرًا من الحلقة الي الذقن فلا تخليه يطاطي راسه ويوطي قذاله
فلا يزال مقمحًا انتهي وقال الفرا المقمح الذي يغض بصره بعد رفع راسه وقال
الزجاج نحوه قال يقال قمح البعير راسه عن ريّا وقمح هو وقال ابو عبيد قمح قموحًا
رفع راسه عن الحوض ولم يشرب والجمع قماح ومنه قول بشر يصف سفينة اخذهم
الميد فيها ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح وقال الليث هو
رفع البعير راسه اذا شرب الما الكريه ثم يعود وقال الزجاج قيل للكانونين
شهرا قماح لان الابل اذا وردت الما ترفع رؤوسها لشدة برده وانشد ابو زيد
بيت الهذلي •

• فتى ما ابن الاغر اذا شتونا • وحب الزاد في شهري قماح •

رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وهما لغتان وسميا شهري قماح لكراهة
كل ذي كبد شرب الما فيه وقال الحسن القامح الطامح ببصره الي موضع قدمه
وقال مجاهد الرافع الراس الواضع يده علي فيه وقال الطبري الضمير
في فهي عايد علي الايدي وان لم يتقدم لها ذكر لوضوح مكانها من المعني وذلك ان
الغل انما يكون في العنق مع اليدين ولذلك سمي الغل جامعة لجمعه اليد والعنق
واري علي كرم الله وجهه الناس الاقماح فجعل يديه تحت لحييه والصقهما
ورفع راسه وقال الزمخشري جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الي الاذقان ولو
كان الضمير للايدي لم يكن معني التسبب في الاقماح ظاهرًا علي ان هذا
الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعني الي نفسه الي
الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الي الباطل اللجلج انتهي وقرا عبد
الله وعكرمة والنخعي وابن وثاب وطلحة وحمزة والكسائي وابن كثير وحفص
سدًا بفتح السين فيهما والجمهور بالضم وتقدم شرح السد في الكهف وقرا
الجمهور فاغشيناهم بالغين منقوطة وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن يعمر
وعكرمة والنخعي وابن سيرين والحسن وابو رجاء وزيد بن علي ويزيد البربري
ويزيد بن المهلب وابو حنيفة وابن مقسم بالعين من العشا وهو ضعف
البصر غشي بصره واغشيته انا والقراة المشهورة اغشيناهم اي اغشيناهم
ابصارهم جعلنا عليها غشاوة وسوا عليهم الاية تقدم الكلام علي نظيرها تفسيرا
واعرابا في اول البقرة انما تنذر تقدم لتنذر قومًا لكنه لما كانوا محتومًا
عليهم انهم لا يومنوا حتي قال وسوا عليهم االذرتهم ام لم تنذرهم لم يجد الانذار
لانتفا منفعته فقال انما تنذر اي انذارًا ينفع من اتبع الذكر وهو القران
قاله قتادة او الوعظ وخشي الرحمن اي المتصف بالرحمة مع ان الرحمة قد يعود
الي الرجا لكنه مع علمه برحمته هو يخشاه خوفا من ان يسلبه ما انعم به عليه
بالغيب اي بالخلوة عند مغيب الانسان من عيون البشر ولما احدث فيه النذارة
بشره بمغفرة لما سلف واجر كريم علي ما اسلف من العمل الصالح وهو الجنة ولما
ذكر تعالي امر الرسالة وهي احد الاصول الثلثة التي بها يصير المكلف مومنًا ذكر
الحشر وهو احد الاصول الثلثة هو توحيد فقال انا نحن نحيي الموتي اي بعد
مماتهم وابعد الحسن والضحاك في قوله احيا وهم اخراجهم من الشرك الي الايمان
ونكتب ما قدموا كناية عن المجازاة اي ونحصر فعبر عن احاطة علمه باعمالهم
بالكتابة التي تضبط بها الاشيا وقرا زر ومسروق ويكتب ما قدموا واثارهم
باليا مبنيا للمفعول وما قدموا من الاعمال واثارهم خطاهم الي المساجد وقيل
السير الحسنة والسيئة وقيل ما قدموا من النيات واثارهم من الاعمال وقال
الزمخشري ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحات غيرها وما هلكوا عنه من اثر

حسن

حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او بنا بنوه من مسجد او رباط
او قنطرة او نحو ذلك او شي كوظيفة وظفها بعض الظلام علي المسلمين وسكة احدثها
فيها تخسيرهم وشي احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او
سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم
من اعماله واخر من اثاره انتهي وقرا الجمهور وكل شي بالنصب علي الاشتغال
وقرا ابو السماك بالرفع علي الابتدا والامام المبين اللوح المحفوظ قاله مجاهد
وقتادة وابن زيد وقالت فرقة اراد صحف الاعمال واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية اذ جاها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا
انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي ان انتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لين
لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طايركم معكم لين لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طايركم معكم اين ذكرتم بل انتم قوم مسرفون
وجا من اقصي المدينة رجل يسعي قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم
اجرًا وهم مهتدون وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون االتخذ من دونه
الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين اني امنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تقدم الكلام علي اضرب مع المثل في قوله ان يضرب
مثلا ما بعوضة والقرية انطاكية بلا خلاف اي قصة اصحاب القرية اذ جاها
المرسلون هم ثلثة جمعهم في المجي وان اختلفوا في زمان المجي اذ ارسلنا اليهم اثنين الظاهر
من ارسلنا انهم انبيا ارسلهم الله ويدل عليه قول المرسل اليهم ما انتم الا بشر مثلنا
وهذه المحاورة لا يكون الا مع من ارسله الله وهذا قول ابن عباس وكعب وقال
قتادة وغيره هم من الحواريين بعثهم عيسي عليه السلم حين رفع وصلب الذي القي
عليه الشبه فافترق الحواريون في الافاق فقص الله قصة الذين ذهبوا الي انطاكية
وكان اهلها عباد اصنام والاثنان صادق وصدوق قاله وهب وكعب الاحبار وحكي
النقاش سمعان ويحنا وقال مقاتل توماس وبولس فكذبوهما اي دعواهم الي الله واخبرا
بانهما رسولا الله فكذبوهما فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا قاله مجاهد وابن
قتيبة وقال يقال تعزز لحم الناقة اذا صلب وقال غيره يقال المطر يعزز الارض
اذا لبدها وشدها ويقال للارض الصلبة العزاز وهذا علي قراة تشديد الزاي
وهي قراة الجمهور وقرا الحسن وابو حيوة وابو بكر والمفضل وابان بالتخفيف
قال ابو علي فغلبنا انتهي وذلك من قولهم من عزبز وقوله تعالي وعزني في الخطاب
وقرا عبد الله بالثالث بالف ولام والثالث شمعون الصفا قاله ابن عباس
وقال كعب ووهب شلوم وقيل بولس وحذف مفعول فعززنا مشددًا اي قويناهما
بثالث مخففا فغلبناهم اي بحجة ثالث وما يلطف به من التوصل الي الدعا الي الله حتي
امن الملك علي ما ذكر في قصتهم وستاتي هي او نبذ منها ان شا الله وجا اولا مرسلون
بغير لام لانه ابتدا اخبار فلا يحتاج الي توكيد وبعد المحاورة لمرسلون بلام التاكيد
لانه جواب عن انكار وهو لا امة انكرت النبوات بقولها وما انزل الرحمن من شي
وراجعتهم الرسل بان ردوا العلم الي الله وقنعوا بعلمه واعلموهم انهما نما عليهم
البلاغ فقط وما عليهم من هداهم وضلالهم وفي هذا وعيد لهم ووصف البلاغ بالمبين
وهو الواضح بالايات الشاهدة بصحة الارسال كما روي في هذه القصة من المعجزات
الدالة علي صدق الرسل من ابرا الاكمه والابرص واحيا الميت قالوا انا تطيرنا
بكم اي تشاءمنا قال مقاتل احتبس عليهم المطر وقال اخر اسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم
الرسل قال ابن عطية والظاهر ان تطيرهم كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف
الكلمة وافتتان الناس وهذا علي نحو تطير قريش بمحمد صلي الله عليه وسلم وعلي

وعلى نحو ما خوطب به موسى عليه السلم وقال الزمخشري وذلك انهم كرهوا دينهم
ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شي مالوا اليه واشتهوه
واثروه وقبلته طباعهم ويتشاموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلا
قالوا بركة هذا وبشوم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
انتهى وعن قتادة ان اصابنا شي كان من اجلكم لنرجمنكم بالحجارة قاله قتادة هو
عذاب اليم هو الحريق قالوا طايركم معكم اي حظكم وما صار لكم من خير او شر معكم
اي من افعالكم ليس هو من اجلنا بل بكفركم وقرا الحسن وابن هرمز وعمرو بن
عبيد وزر بن حبيش طيركم بياء ساكنة بعد الطا وقرا الحسن فيما نقل اطيركم
مصدر اطير الذي اصله تطير فادغمت التا في الطاء فاجتلبت همزة الوصل
في الماضي والمصدر وقرا الجمهور طايركم على وزن فاعل وقرا الجمهور ان
ذكرتم بهمزتين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة ان الشرطية فخففها
الكوفيون وابن عامر وسهلها باقي السبعة وقرا زر بهمزتين مفتوحتين وهي
قراة ابي جعفر وطلحة الا انهما لينا الثانية بين بين وقال الشاعر في تحقيقهما

ان كنت داود بن احوى مرجلا • فلست براع لابن عمك محرما •

والماجشون وهو ابو سلمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن ابي سلمة المدني
بهمزة واحدة مفتوحة والحسن بها مكسورة وابو عمرو في رواية وزر ايضا
بمدة قبل الهمزة المفتوحة استثقل اجتماعهما ففصل بينهما بالف وقرا ابو جعفر
ايضا والحسن ايضا وقتادة وعيسى الهمداني والاعمش اين بهمزة مفتوحة
وياء ساكنة وفتح النون ظرف مكان وروى هذا عن عيسى الثقفي ايضا فالقراة
الاولى على معنى ان ذكرتم تتطيرون بجعل المحذوف مصب الاستفهام على
مذهب س وبجعله للشرط على مذهب يونس فان قدرته مضارعا كان مجزوما
والقراة الثانية على معنى الان ذكرتم تطيرتم فان مفعول من اجله وكذلك
الهمزة الواحدة المفتوحة والتي بمدة قبل الهمزة المفتوحة وقراة الهمزة
المكسورة وحدها فحرف شرط بمعنى الاخبار اي ان ذكرتم تطيرتم والقراة الاخيرة
اين فيها ظرف اداة شرط حذف جزاوه لدلالة ما قبله عليه وتقديره اين ذكرتم
صحبكم طايركم ويدل عليه قوله طايركم معكم ومن جوز تقديم الجزا على الشرط
وهم الكوفيون وابو زيد والمبرد يجوز ان يكون الجواب طايركم معكم وكان
اصله اين ذكرتم فطايركم معكم فلما قدم حذفت الفا وقرا الجمهور ذكرتم
بتشديد الكاف وابو جعفر وخالد بن الياس وطلحة والحسن وقتادة
وابو حيوة والاعمش من طريق زايدة والاصمعي عن نافع بتخفيفها بل انتم قوم
مسرفون مجاوزون الحد في ضلالكم فمن ثم اتاكم الشوم وجا من اقصى المدينة
رجل يسعى اسمه حبيب قاله ابن عباس وابو مجلز وكعب الاحبار ومجاهد ومقاتل
قيل وهو ابن اسرايل وكان قصارا وقيل اسكافا وقيل كان ينحت الاصنام ويمكن
ان يكون جامعا لهذه الصنايع ومن اقصى المدينة اي من ابعد مواضعها فقيل كان
في خارج المدينة يعاني زرعا له وقيل كان في غار يعبد ربه وقيل كان مجذوما فمنزله
اقصى باب من ابوابها عبد الاصنام سبعين سنة يدعوهم لكشف ضره فلما دعاه
الرسل الى عبادة الله قال هل من اية قالوا نعم ندعو ربنا القادر يفرج
عنك ما بك فقال ان هذا العجب لي سبعون سنة ادعو هذه الالهة فلم تستطع
يفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشا قدير وهذه لا تنفع شيا ولا
تضر فامن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فاقبل على التكسب
فاذا امسى تصدق بكسبه نصف لعياله ونصف يطعمه فلما هم قومه بقتل الرسل
جاهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين وحبيب هذا ممن امن برسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم وبينهما ستماية سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يومن بنبي غيره احد الا بعد ظهوره وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلثة لم
يكفروا قط طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومومن ال فرعون واورد هو
الزمخشري قول ابن ابي ليلى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم
قبل من حاله انه كان مجذوما وعبد الاصنام سبعين سنة فالله اعلم وهنا تقدم من
اقصى المدينة وفي القصص تاخر وهو من التفنن في البلاغة رجل يسعى يمشي
على قدميه قال يا قوم اتبعوا المرسلين الظاهر انه لا يقول ذلك الا بعد تقدم
ايمانه كما سبق في قصته وقيل جا يسعى وسمع قولهم وفهمه فلما فهمه روي انه تعقب
امرهم وسبره باذ قال لهم اتطلبون اجرا على دعوتكم هذه قالوا لا فدعا عند ذلك
قومه الى اتباعهم والايمان بهم واحتج عليهم بقوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم
مهتدون اي وهم على هدى من الله امرهم الا باتباع المرسلين اي هم رسل الله
اليكم فاتبعوهم ثم امرهم ثانيا بجملة جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقص منهم
من حطام دنياهم شي وفي كونهم يهتدون بهداهم فيشتملون على خير الدنيا وخير
الاخرة وقد اجاز بعض النحويين في من ان تكون بدلا من المرسلين ظهر فيه العامل
كما ظهر اذا كان حرف جر كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والجمهور
لا يعربون ما صرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلا بل يجعلون ذلك مخصوصا بحرف
الجر واذا كان الرافع والناصب سموا ذلك بالتتبيع لا بالبدل وفي قوله اتبعوا
من لا يسالكم اجرا دليل على نقص من ياخذ اجرا على شي من افعال الشرع التي هي
لازمة له كالصلوة ولما امرهم باتباع المرسلين اخذ يبدي الدليل في اتباعهم وعبادة
الله فابرزه في صورة نصحه لنفسه وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه
ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه فوضع قوله وما لي لا اعبد
الذي فطرني موضع وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ولذلك قال واليه ترجعون
ولولا انه قصد ذلك لقال واليه ارجع ثم اتبع الكلام كذلك مخاطبا لنفسه فقال
اتخذ من دونه الهة قاصرة عن كل شي لا تشفع ولا تضر ولا تنفع فان اردكم الله
بضر وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على انقاذكم فبدا اولا بانتفا الجاه
عن كون شفاعتهم لا تنفع ثم ثانيا بانتفاع القدرة فعبر بانتفا الانقاذ عنه اذ هو
نتيجته وفتح يا المتكلم في يردني طلحة السمان كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب ابن
خالويه طلحة بن مصرف وعيسى الهمداني وابو جعفر ورويت عن نافع وعاصم وابو
عمرو وقال الزمخشري وقرى ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي
يجعلني موردا للضر انتهى وهذا والله اعلم راى في كتب القراات يردني بفتح اليا
فتوهم انها يا المضارعة فجعل الفعل متعديا باليا المعديه كالهمزة فلذلك ادخل عليه
همزة التعدية ونصب به اثنين والذي في كتب القرا الشواذ انها يا الاضافة
المحذوفة خطا ونطقا لالتقا الساكنين قال في كتاب ابن خالويه بفتح اليا يا
الاضافة وقال في اللوامح ان يردن الرحمن بالفتح وهو اصل اليا عند البصرية
لكن هذه محذوفة يعني البصرية اي المثبتة بالخط التي ترى بالبصر لكونها متكونة
بخلاف المحذوفة خطا ولفظا فلا ترى بالبصر اني اذا اذ لم اعبد الذي فطرني واتخذ
الهة من دونه في حيرة واضحة لكل ذي عقل صحيح ثم صرح بايمانه وصدع بالحق
فقال مخاطبا لقومه اني امنت بربكم اي الذي كفرتم به فاسمعون اي اسمعوا
قولي واطيعون فقد نبهتكم على الحق وان العبادة لا تكون الا لمن منه نشاتكم هو
واليه مرجعكم والظاهر ان الخطاب بالكاف والميم وبالواو هو لقومه والامر على
جهة المبالغة والتنبيه قاله ابن عباس وكعب ووهب وقيل خاطب بقوله فاسمعون
الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للامر عندهم وقيل الخطاب في بربكم
وفي فاسمعون للرسل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل

فقال ذلك اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به قيل ادخل الجنة ظاهره انه امر حقيقي
وقيل معناه وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخولها ولا يكون الا بعد البعث
ولم يات في القران انه قتل فقال الحسن لما اراد قومه قتله رفعه الله الى السما
فهو في الجنة لا يموت الا بفنا السما وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة دخلها وقيل
لما قال ذلك رفعوه الى الملك فطول معهم الكلام ليشغلهم عن قتل الرسل الى ان
صرح لهم بايمانه فوثبوا عليه فقتلوه قيل وقتلوا الرسل اقوال قال ابن مسعود
قتلوه بوطي الارجل حتى خرج قصبه من دبره والقي في بير وهي الرس وقال
السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى مات وقال الكلبي رموه في حفرة
وردموا التراب عليه فمات وعن الحسن حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة وقبره
في سور انطاكية وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه وعن قتادة ادخله
الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون
فرحين وفي النسخة التي طالعنا من تفسير ابن عطية ما نصه وقرا الجمهور [illegible]
بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطا لا يجوز لانه امر فاما خذف النون وما ذكرها
على جهة الثنا انتهى يعني يا المتكلم والنون للوقاية وقوله وقرا الجمهور وهو
فاحش ولا يكون والله اعلم الا من الناسخ بل القرا مجمعون فيما اعلم على كسر
النون سبعتهم وشواذهم الا ما روى عصمة عن عاصم من فتح النون ذكره في الكامل
مولفه ابو القسم الهذلي ولعل ذلك وهم من عصمة وقال ابن عطية هنا محذوف
تواترت به الاحاديث والروايات وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة
وذلك والله اعلم بان عرض عليه مقعده منها وتحقق انه من ساكنيها برويه ما اقر
عينه فلما حصل ذلك تمنى ان يعلم قومه بذلك انتهى وقوله قيل ادخل الجنة كانه
جواب لسايل عن حاله عند لقا ربه بعد ذلك التصلب في دينه فقيل قيل
ادخل الجنة ولم يات التركيب قيل له لانه معلوم انه المخاطب وتمنيه علم قومه
بذلك هو مرتب على تقدير سوال عما وجد من قوله عند ذلك القول قيل واراد
بتمنيه ذلك اشفاقا ونصحا لهم اي لو علموا ذلك لامنوا بالله وفي الحديث
نصح قومه حيا وميتا وقيل تمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا في امره وهو على صواب
ليندموا ويحزنهم ذلك ويسر بذلك وهو موجود في طباع البشر اذ من اصاب خيرا
في غير موطنه ود ان يعلم بذلك جيرانه واترابه الذين نشا فيهم وبلغنا ان الوزير
فلك الدين المسيري وكان وزير الملك بمصر راح الى قريته التي كان منها وهي مسير
وهي من اصغر قرى مصر فقيل له في ذلك فقال اردت ان ترانى عجايز مسير
في هذه الحالة التي انا فيها وقال الشاعر

والعز مطلوب وملتمس • واحبه ما نيل في الوطن •

والظاهر ان ما في قوله بما غفر لي مصدرية وجوزوا ان يكون بمعنى الذي والعايد
محذوف تقديره بالذي غفره لي ربي من الذنوب وليس هذا بجيد اذ يوول الى تمني علمهم
بالذنوب المغفورة والذي يحسن تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين واجاز
الفرا ان تكون ما استفهاما وقال الكساي لو صح هذا يعني الاستفهام لقال بم
من غير الف وقال الفرا يجوز ان يقال بما بالالف وانشد فيه ابياتا وقال الزمخشري
ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شي غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم من
المصابرة لاعزاز دين الله حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي ربي بطرح الالف اجود
وان كان اثباتها جايزا فقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت انتهى والمشهور
ان اثبات الالف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر مختص بالضرورة
نحو قوله

على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد •

وحذفها هو المعروف في الكلام نحو قوله علي م تقول الرمح يثقل عاتقي اذا انا لم اطعن

اذا

اذا الخيل كرت وقرئ من المكرمين مشدد الراء مفتوحها مفتوح الكاف والجمهور
باسكان الكاف وتخفيف الراء وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما وما كنا
منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا
منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون
لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها
مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون واية لهم الليل نسلخ منه النهار
فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم
ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين اخبر تعالى باهلاك قوم حبيب بصيحة
واحدة صاح بهم جبريل وفي ذلك توعد لقريش ان يصيبهم ما اصابهم اذ هم المضروب
لهم المثل واخبر تعالى انه لم ينزل عليهم لاهلاكهم جندا من السما كالحجارة والريح وغير
ذلك وكانوا اهون عليه وقوله من بعده يدل على ابتدا الغاية اي لم نرسل اليهم رسولا
ولا عاتبهم بعد قتله بل عاجلهم بالهلاك والظاهر ان ما في قوله وما كنا منزلين نافية
فالمعنى قريب من معنى الجملة قبلها اي وما كان يصح في حكمنا ان ننزل في اهلاكهم جندا
من السما لانه تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض كما قال
فكلا اخذنا بذنبه الاية وقالت فرقة ما اسم معطوف على جند قال ابن عطية ه
اي من جند ومن الذي كنا منزلين على الامم مثلهم انتهى وهو تقدير لا يصح لان
من في من جند زايدة ومذهب البصريين غير الاخفش ان لزيادتها شرطين
احدهما ان يكون قبلها نفي او نهي او استفهام والثاني ان يكون بعدها نكرة واذا كان
كذلك فلا يجوز ان يكون المعطوف على النكرة معرفة لا يجوز ما ضربت من رجل ولا ه
زيد وانه لا يجوز ولا من زيد وهو قد قدر المعطوف بالذي وهو معرفة فلا يعطف على
النكرة المجرورة بمن الزايدة وقال ابو البقا ويجوز ان تكون ما زايدة اي وقد كنا
منزلين وقوله ليس بشي وقرا ان كانت الا صيحة بنصب الصيحة وكان ناقصة
واسمها مضمر اي ان كانت الاخذة او العقوبة وقرا ابو جعفر وشيبة ومعاذ ه
بن الحرث القاري صيحة بالرفع في الموضعين على ان كانت تامة اي ما حدثت
او وقعت الا صيحة وكان الاصل ان لا يلحق التا لانه اذا كان الفعل مسندا الى
ما بعد الا من المونث لم يلحق العلامة للتانيث فيقول ما قام الا هند ولا يجوز ما قامت
الا هند عند اصحابنا الا في الشعر وجوزه بعضهم في الكلام على قلة ومثله قراة
الحسن ومالك بن دينار وابي رجا والجحدري وقتادة وابي حيوة وابن ابي عبلة
وابي بحرية لا ترى الا مساكنهم بالتا والقراة المشهورة بالياء وقول ذي
الرمة

• وما بقيت الا الضلوع الجراشع •

وقول الاخر

ما برئت من ريبة وذم • في حربنا الا بنات العم •

وانكر ابو حاتم وكثير من النحويين هذه القراة بسبب لحوق التا التانيث فاذا هم خامدون
اي فاجاهم الخمود اثر الصيحة لم يتاخر وكني بالخمود عن سكونهم بعد حياتهم كنار
خمدت بعد توقدها ونداء الحسرة على معنى هذا وقت حضورك وظهورك هذا تقدير
نداء مثل هذا عند س وهو منادى منكور على قراة الجمهور وقرا ابي وابن عباس
وعلي بن الحسين والضحاك ومجاهد والحسن يا حسرة العباد على الاضافة فيجوز ان
تكون الحسرة منهم على ما فاتهم ويجوز ان تكون الحسرة من غيرهم عليهم لما فاتهم من اتباع

الرسل حين احضروا للعذاب ولطباع البشر تتاثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر
عليهم وقرا ابو الزياد عبد الله بن ذكوان المدني وابن هرمز وابن جندب يا حسرة
على العباد بسكون الهاء في الحالين حمل فيه الوصل على الوقف ووقفوا على الهاء مبالغة في
التحسر لما في الهاء من الساهة كالتاوه ثم وصلوا على تلك الحال قاله صاحب اللوامح
وقال ابن خالويه يا حسرة على العباد بغير تنوين ابن عباس انتهي ووجهه انه اجتزا
بالفتحة عن الالف التي هي بدل من يا المتكلم في النداء كما اجتزا بالكسرة عن اليا فيه
وقد قرى يا حسرتا بالالف اي يا حسرتي ويكون من الله على سبيل الاستعارة في معنى
تعظيم ما جنوه على انفسهم وفرط انكاره وتعجيبه منه وان الظاهر ان العباد هم مكذبو
الرسل تحسرت عليهم الملايكة وقاله الضحاك وقال الضحاك ايضا المعنى يا حسرة
الملايكة على عبادنا الرسل حين لم ينفعهم الايمان بهم وقال ابو العالية المراد
بالعباد الرسل الثلثة وكان هذا التحسر هو من الكفار حين راوا عذاب الله
تلهفوا على ما فاتهم قاله ابن عطية وقوله ما ياتيهم الاية تدفع هذا التاويل انتهي
قال الزجاج الحسرة امر يركب الانسان من كثرة الندم على ما لا نهاية له حتى يبقى
حسيرا وقيل المنادي محذوف وانتصب حسرة على المصدر اي يا هولاء تحسروا
حسرة وقيل يا حسرة على العباد من قول الرجل الذي جا من اقصى المدينة يسعى
لما وثب القوم لقتله وقيل هو من قول الرسل الثلثة قالوا ذلك حين قتلوا ذلك
الرجل وحل بهم العذاب قالوا يا حسرة على هولاء كانهم تمنوا ان يكونوا
قد امنوا انتهي فالالف واللام للعهد اذا قلنا ان العباد المراد بهم الرسل الثلثة
او من ارسلوا اليه وهم الهالكون بسبب كفرهم وتكذيبهم اياهم والظاهر انهما
لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين وتخصيص ان المتحسر الملايكة او الله تعالى
او المومنون او الرسل الثلثة او ذلك الرجل اقوال ما ياتيهم الى اخر الاية تمثيل لقريش
وهم الذين عاد عليهم الضمير في قوله الم يروا كم اهلكنا قال ابن عطية وكم هنا
خبرية وان بدل منها والرؤية رؤية البصر انتهي وهذا لا يصح لانها اذا كانت
خبرية فهي في موضع نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع
ان يكون انهم بدلا منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو تسلطت اهلكنا على انهم
لم يصح الا ترى انك لو قلت اهلكنا انتفا رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون
لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم ان يروا مفعوله كم فتوهم ان قولهم انهم لا يرجعون
بدل لانه يسوغ ان يتسلط عليه فتقول الم يروا انهم لا يرجعون وهذا وامثاله
دليل على ضعفه في علم العربية وقال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا
ان القرون التي اهلكناها انهم لا يرجعون لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى
انتهي وهذا الذي قاله الزجاج ليس بشي لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر
المعنى ولم يلحظ صنعة النحو وقال ابو البقا انهم اليهم لا يرجعون بدل من موضع
كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم انتهي وليس بشي لان كم ليس بمعمول
ليروا ونقل عن الفرا انه يعمل يروا في الجملتين من غير ابدال وتوهم في الجملتين
يجوز لان انهم وما بعده ليس بجملة ولم يبين كيفية هذا العمل وقال الزمخشري
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت
للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك
الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم تعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من
اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم
كونهم غير راجعين اليهم انتهي فجعل يروا بمعنى يعلموا وعلقها عن العمل في كم وقوله
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر وهذا ليس على اطلاقه لان العامل
اذا كان حرف جر او اسما مضافا فاجاز ان يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم رجل صحبت
وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله احسنت اليه وقوله او

بخبر

للخبر الخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار
واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون فيها ملكت كم غلام اي ملكت كثيرا من
الغلمان فكما يجوز ان يتقدم العامل على كثير كذلك يجوز ان يتقدم على كم لانها
بمعناها وقوله لانها اصلها الاستفهام ليس اصلها الاستفهام بل كل واحدة اصل
في بابها لكنها لفظ مشترك بين الاستفهام والخبر وقوله الا ان معناها نافذ في الجملة
يعني معنى يروا نافذ في الجملة لانه جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ
في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق فان زيد المنطلق معمول من حيث المعنى
ليروا ولو كان عاملا من حيث اللفظ لم تدخل اللام وكانت ان مفتوحة فان وفي خبرها
اللام من الادوات التي تعلق افعال القلوب وقوله وانهم اليهم لا يرجعون
الى اخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم
ان يروا معلقة فيكون كم استفهاما وهو معمول لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط
على انهم اليهم لا يرجعون وتقدم لنا ذلك واما على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال
تقديره اي على المعنى الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين
اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل ولا بعضا
من الاهلاك ولا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال
يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول
الم يروا انتفا رجوع كثرة اهلاكنا القرون اليهم وفي بدل الاشتمال نحو اعجبتني
الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب
زيد وتقدم لنا الكلام على اعراب مثل هذه الجملة في قوله الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن في سورة الانعام والذي تقتضيه صناعة العربية الاعراب
ان انهم معمول لمحذوف ودل عليه المعنى وتقديره قضينا او حكمنا انهم اليهم
لا يرجعون وقرا ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستيناف
وقطع الجملة عن ما بعدها من جهة الاعراب ليتفق القراتان ولا تختلفا والضمير
في انهم عايد على معنى كم وهي القرون واليهم عايد على من اسند اليه يروا وهم قريش
فالمعنى انهم لا يرجعون الى من في الدنيا وقيل الضمير في انهم عايد على من اسند اليه
يروا وفي اليهم عايد على المهلكين والمعنى ان الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب
ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم والاهلاك مع قطع النسل اتم واعم وقرا
عبد الله الم يروا من اهلكنا وانهم على هذا بدل اشتمال وفي قوله انهم اليهم لا يرجعون
رد على القايلين بالرجعة وقيل لابن عباس ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث
قبل يوم القيامة فقال بيس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرا
عاصم وحمزة وابن عامر بتثقيل لما وباقي السبعة بتخفيفها فمن ثقلها كانت عنده بمعنى
الا وان نافية اي ما كل اي كلهم الا جميع لدينا محضرون اي محشورون قاله قتادة
وقال ابن سلام معذبون وقيل التقدير لمن ما وليس بشي ومن خفف لما جعل ان
المخففة من الثقيلة وما زايدة اي ان كل لجميع وهذا على مذهب البصريين واما
الكوفيون فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وما زايدة ولما المشددة بمعنى الا هو
ثابت في لسان العرب بنقل الثقات فلا يلتفت الى زعم الكساي لانه لا يعرف ذلك
وقال ابو عبد الله الرازي في كون لما بمعنى الا معنى مناسب وهو ان لما كانها
حرفا نفي جميعا وهما لم وما فتاكد النفي والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما
مكان الاخر انتهي وهذا اخذه من قول الفرا في الا في الاستثنا انها مركبة من
ان ولا الا ان الفرا جعل ان المخففة من الثقيلة حرف نفي وهو قول مردود
عند النحاة ركيك وما تركب منه ازداد تحريفا ارك منه وكل بمعنى الاحاطة
وجميع فعيل بمعنى مفعول ويدل على الاجتماع وجمع محضرون هنا على المعنى كما
افرد منتصر على اللفظ وكلاهما بعد جميع مراعي فيه الفواصل وجات هذه الجملة

بعد ذكر الاهلاك تبيينا انه تعالى ليس من اهلكه يترك بعد اهلاكهم جمع وحساب
وثواب وعقاب ولذلك اعقب هذا بما يدل على الحشر من قوله واية لهم الارض الميتة
احييناها وما بعده من الايات وبدا بالارض لانها مستقرهم حركة وسكونا حيوة
وموتا وموت الارض جدبها واحياوها بالغيث والضمير في لهم عايد على كفار قريش
ومن يجري مجراهم في انكار الحشر واحييناها استيناف بيان لكون الارض الميتة
اية وكذلك نسلخ وقيل احييناها في موضع الحال والعامل فيها اية بما فيها من
معنى الاعلام ويكون اية خبرا مقدما والارض الميتة مبتدا فالنية باية التاخير
والتقدير والارض الميتة اية لهم محياة كقولك قايم زيد مسرعا اي زيد قايم
مسرعا ولهم متعلق باية لا صفة وقال الزمخشري ويجوز ان توصف الارض
والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا
معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللييم يسبني انتهي
وهذا هدم لما استقر عند ايمة النحو من ان النكرة لا تنعت الا بالنكرة
والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة ولا دليل لمن ذهب الى ذلك واما يسبني فحال
اي سابا لي وقد تبع الزمخشري ابن مالك على ذلك في التسهيل من تاليفه وفي هذه
الجمل تعداد نعم احياوها بحيث تصير مخضرة تبهج النفس والعين واخراج الحب
منها حيث صار ما يعيشون به في المكان الذي هم فيه مستقرون لا في السما ولا
في الهوا وجعل الجنات لانه اذا اكلوا من الحب ربما تاقت النفس الى التنقل فالارض
يوجد منها الحب والشجر يوجد منه الثمر وتفجير العيون يحصل به الاعتماد
على تحصيل الزرع والثمر ولو كان من السما لم يدر اين يغرس ولا اين يقع المطر
وقرا جناح بن حبيش وفجرنا بالتخفيف والجمهور بالتشديد ومن ثمره
بفتحتين وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي بضمتين والاعمش بضم الثاء
وسكون الميم والضمير في ثمره عايد على الماء لان العيون عليه او لكونه على
حذف مضاف اي من ما العيون وقيل على النخيل واكتفى به للعلم في اشتراك الاعناب
فيما علق به النخيل من اكل ثمره او يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما
قال الشاعر

• فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق •

فقيل له كيف قلت يعنون كانه والذي تقدم خطوط فقال اردت كان ذاك
وقيل عايد الى التفجير الدال عليه وفجرنا لانه اقرب مذكور وعني بثمره فوايده
كما تقول ثمرة التجارة الربح وقال الزمخشري واصله من ثمرنا كما قال
وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من المتكلم الى الغيبة على طريق الالتفات والمعنى
ليا كلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار
وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه واناه الاكل يعني ان الثمر في نفسه
فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم ويجوز ان يكون ما نافية على ان الثمر
خلق الله لم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون على خلقه وقرا الجمهور وما
عملته بالضمير فان كانت ما موصولة فالضمير عايد عليها وان كانت نافية فالضمير
عايد على الثمر وقرا طلحة وعيسى وحمزة والكسائي وابو بكر بغير ضمير مفعول
عملت على التقدير محذوف وجوز في هذه القراة ان تكون ما مصدرية
اي وعمل ايديهم وهو مصدر اريد به المعمول فيعود الى معنى الموصولة
ولما عدد تعالى هذه النعم حض على الشكر فقال افلا يشكرون تم نزه تعالى
نفسه عن كل ما يلحد به ملحد او يشرك به مشرك فذكر انشا الازواج وهي
الانواع من جميع الاشيا مما تنبت الارض من النخل والشجر والزرع والثمر
وغير ذلك وكل صنف زوج مختلف لونا وطعما وشكلا وصغرا وكبرا ومن انفسهم
ذكورا واناثا ومما لا يعلمون اي وانواعا مما لا يعلمون اعلموا بوجوده ولم

يعلموا

439

يعلموا ما هو اذ لا يتعلق بعلمهم بماهيته امر محتاج اليه في دين ولا دنيا وفي اعلامه
بكثرة مخلوقاته دليل على اتساع ملكه وعظيم قدرته ولما ذكر تعالى الاستدلال
باحوال الارض وهي المكان الكلي ذكر الاستدلال بالليل والنهار وهما الزمان
الكلي وبينهما مناسبة لان المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني
عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله ومن اياته الليل
والنهار والشمس والقمر ثم قال بعد ومن اياته انك ترى الارض خاشعة هامدة
الاية وبدا هناك بالزمان لان المقصود اثبات الوحدانية بدليل قوله لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر الاية ثم الحشر بقوله ان الذي احياها لمحيي الموتى وهنا
المقصود الحشر اولا لان ذكره فيها اكثر وذكر التوحيد في فصلت اكثر بدليل
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض انتهى وهو من كلام ابي عبد الله الرازي
وفيه بعض تلخيص ونسلخ معناه نكشط ونقشر وهو استعارة لازالة الضوء
وكشفه عن مكان الليل ومظلمون داخلون في الظلام كما تقول اعتمنا واسحرنا
دخلنا في العتمة وفي السحر واستدل قوم بهذا على ان الليل اصل والنهار فرع
طارئ عليه ومستقر الشمس بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها
كما جا في حديث ابي ذر ويقال لها اطلعي من حيث طلعت فاذا كان طلوعها من مغربها
يقال لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا وقال ابن عباس اذا غربت وانتهت الى الموضع الذي
لا تتجاوزه استوت تحت العرش الى ان تطلع وقال الحسن للشمس في السنة
ثلثماية وستون مطلعا تنزل في كل يوم مطلعا ثم لا تنزل الى الحول وهي تجري
في فلك المنازل او يوم القيامة او غيبوبتها لانها تجري كل وقت الى حد محدود
تغرب فيه او اخر مطالعها في المنقلبين لانهما نهايتا مطالعها فاذا استقر وصولها
كرت راجعة والا فهي لا تستقر عن حركتها طرفة عين ونحا الى هذا ابن قتيبة
او وقوفها عند الزوال كل يوم ودليل استقرارها وقوف الظلال حينيذ
وقال الزمخشري لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في اخر
السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب
لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها
ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مراي عيوننا وهو المغرب
وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر
السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقال
ابو عبد الله الرازي ما ملخصه في المستقر وجوه في الزمان وفي المكان ففي الزمان
الليل او السنة او يوم القيامة وفي المكان غاية ارتفاعها في الصيف وانخفاضها
في الشتا تجري الى ذلك الموضع فترجع او غاية مشارقها فلها في كل يوم مشرق الى ستة
اشهر ثم تعود على تلك المقنطرات وهذا هو ما تقدم في الارتفاع فان اختلاف
المشارق سبب اختلاف الارتفاع او وصولها الى بيتها في الاسد او الدايرة التي
عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس ويحتمل ان يقال
تجري مستقرها فان اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدير
فيدير الشمس فالشمس تجري بجري مستقرها انتهى وقرئ الى مستقر لها وقرا
عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطا بن ابي رباح وزين العابدين والباقر وابنه
الصادق وابن ابي عبلة لا مستقر لها نفيا مبنيا على الفتح فيقتضي انتفا كل
مستقر وذلك في الدنيا اي هي تجري دايما فيها لا تستقر الا ابن ابي عبلة فانه
قرا برفع مستقر وتنوينه على اعمالها اعمال ليس نحو قول الشاعر

• تعز فلا شي على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا •

الاشارة بذلك الى جري الشمس اي ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب

الدقيق تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم
وقرا الحرميان وابو عمرو وابو جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه والقمر
بالرفع على الابتدا وباقي السبعة بالنصب على الاشتغال وقدرناه على حذف مضاف
اي قدرنا سيره ومنازل ظرف اي في منازل وقيل قدرنا نوره في منازل فيزيد مقدار
النور كل يوم في المنازل الاجتماعية وتنقص في المنازل الاستقبالية وقيل
قدرناه جعلنا اقدارا جرا جريه منازل لعكس انوار الشمس ولا نحتاج الى حذف
حرف الصفة فان جرم القمر مظلم ينزل فيه النور لقبوله عكس ضيا الشمس
مثل المراة المجلوة اذا قوبل بها الشعاع وهذه المنازل معروفة عند العرب
وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا
يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت بيسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة
والعشرين ثم يصير ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم
التي نسبت اليها العرب الانوا المستمطرة وهي الشرطان • البطين • الثريا
الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة
العوا • السماك • الغفر • الزباني • الاكليل • القلب • الشولة • النعايم • البلدة • سعد
الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرع الدلو المقدم • فرع الدلو
المؤخر • بطن الحوت • ويقال له الرشا فاذا كان اخر منازله دق واستقوس واصفر
فشبه بالعرجون القديم من ثلثة الاوجه وقرا سليمن التيمي كالعرجون بكسر العين
وفتح الجيم والجمهور بضمهما وهما لغتان كالبريون والبريون والقديم ما مر عليه
زمان طويل وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم حول فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو
حر او كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول واكثر انتهى والقدم امر نسبي
فقد يطلق على ما دونه سنة وقد يطلق على ما ليس له سنة ولا سنتان فلا يقال
لمكان بنيت منذ سنة او سنتين قد يمت وقد لا يطلق على ما مرت له دهور فلا
يقال العالم قديم وانما تعتبر العادة في ذلك لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
ينبغي لها مستعملة فيما لا يمكن خلافه اي لم يجعل لها قدرة على ذلك وهذه الادراك
المنفي هو قال الزمخشري ان الله تعالى جعل لكل واحد من الليل والنهار وايتيهما
قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس
ان لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل
واحد من النيرين سلطان على حياله ان يدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد
وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني اية الليل اية
النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر
من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر فتطلع الشمس من مغربها
انتهى وقال ابن عباس والضحاك اذا طلعت لم يكن للقمر ضوء واذا طلع
لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة
لكل حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جا سلطان هذا ذهب هذا وقال ابن عباس
ايضا اذا اجتمعا في السما كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان فيها
وقال الحسن لا يجتمعان في السما ليلة الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى
يطلع القمر ولكن اذا غربت طلع وقال يحيى بن سلام لا يدركه ليلة البدر خاصة
لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها ولكن لا يمكنها ان تدركه في سرعته لان دايرة فلك
القمر داخلة في فلك عطارد وفلك عطارد داخل في فلك الزهرة وفلك الزهرة
داخل في فلك الشمس فاذا كان طريق الشمس ابعد قطع القمر جميع اجزا فلكه
اعني البروج الاثني عشر في زمان تقطع الشمس فيه برجا واحدا من فلكه و
وقال النحاس ما قيل فيه وابينه ان سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه
في السير انتهى وهو مختصر القول الذي قبله ولا الليل سابق النهار لا يعارض

قوله

قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا لان ظاهر قوله يطلبه حثيثا ان النهار سابق
فالليل يطلبه وظاهر قوله ولا الليل سابق النهار ان النهار سابق ايضا فيتوافق الظاهران
وفهم ابو عبد الله الرازي من قوله يطلبه حثيثا ان النهار يطلب الليل فالليل
سابقه وفهم من قوله ولا الليل سابق النهار ان الليل مسبوق لا سابق فاورده سوالا
وقال كيف يكون الليل سابقا مسبوقا واجاب بان المراد من الليل هنا سلطان الليل
وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل
هنالك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الاخر كانه طالبه انتهى وعرض له هذا
السوال لكونه جعل الضمير الفاعل في يطلبه عايدا على النهار وضمير المفعول عايدا
على الليل والظاهر ان ضمير الفاعل عايد على ما هو الفاعل في المعنى وهو الليل لانه
كان قبل دخول همزة النقل يغشى الليل النهار وضمير المفعول عايد على النهار لانه
المفعول قبل النقل وبعده وقرا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي
سابق بغير تنوين النهار بالنصب قال المبرد سمعته يقرا فقلت ما هذا قال
اردت سابق النهار فحذفته لانه اخف انتهى وحذف التنوين فيه لالتقا
الساكنين وتقدم شرح وكل في فلك يسبحون في سورة الانبيا والظاهر من
الذرية انه يراد به الابنا ومن تناسل منهم وقيل يطلق على الاباء وعلى الابنا قاله
ابو عثمن وقال ابن عطية هذا تخليط ولا يعرف هذا في اللغة انتهى وتقدم
الكلام في الذرية في ال عمران والظاهر ان الضمير في لهم وفي ذرياتهم عايد على شي
واحد فالمعنى انه تعالى حمل ذريات هولاء وهم اباوهم الاقدمون في سفينة نوح
عليه السلم قاله ابن عباس وجماعة ومن مثله للسفن الموجودة في جنس بني ادم
الى يوم القيمة او اريد بقوله ذرياتهم حذف مضاف اي ذريات جنسهم او اريد
بالذرية من لا يطيق المشي والركوب من الذرية والضعفا فالفلك اسم جنس
من عليهم بذلك وكون الفلك مرادا به الجنس قاله ابن عباس ايضا ومجاهد
والسدي ومن مثله الابل وساير ما يركب وقيل الضميران مختلفان اي ذرية القرون
الماضية قاله علي بن سليمن وكان اية لهولاء اذ هم نسل تلك الذرية وقيل الذرية
النطف والفلك المشحون بطون النسا ذكره الماوردي ونسب الى علي بن ابي طالب
وهذا لا يصح لانه من نوع تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة الذين يفسرون
كتاب الله على شي لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة يحرفون الكلم
عن مواضعه ويدل على انه اريد ظاهر الفلك قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
يعني الابل والخيل والبغال والحمير والمماثلة في انه مركوب مبلغ للاوطان فقط
هذا اذا كان الفلك جنسا واما ان اريد به سفينة نوح فالمماثلة تكون في كونها
سفنا مثلها وهي الموجودة في بني ادم ويبعد قول من قال الذرية في الفلك قوم
نوح في سفينته والمثل الابل وما يركب لانه يدفعه قوله وان نشا نغرقهم وقرا
نافع وابن عامر والاعمش وزيد بن علي وابان بن عثمن ذرياتهم بالجمع وكسر
زيد وابان الذال وباقي السبعة وطلحة وعيسى بالافراد وقال الزمخشري ذريتهم
اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النسا لانهن مزارعها وفي
الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النسا بمن مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله
ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر
ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل
اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون
من السفن انتهى وقال ابو عبد الله الرازي انما خص الذريات بالذكر
لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان
حملا لما في اصلابهم من المومنين وقال ايضا الضمير في واية لهم عايد على العباد

في قوله يا حسرة على العباد ثم قال بعد وآية لهم الارض الميتة احييناها وآية
لهم الليل وآية لهم انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون الضمير في الموضعين
لمعينين فهو كقوله لا تقتلوا انفسكم انما يريد لا يقتل بعضكم بعضا فكذلك هذا
وآية لهم اي اية كل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم
انتهى والظاهر في قوله وخلقنا انه اريد الانشا والاختراع فالمراد الابل ولما
يركب وتكون من للبيان وان كان مما يصنعه الانسان قد ينسب الى الله خلقا لكن
الاكثر ما ذكرنا واذا اريد به السفن تكون من للتبعيض وهم الظاهر عوده
على ما عاد عليه وآية لهم لانهم المحدث عنهم وجوز ان يعود على الذرية والظاهر
ان الضمير في مثله عايد على الفلك وقيل يعود على معلوم غير مذكور وتقديره
من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض كما قالوا في قوله من ثمره اي من ثمر ما ذكرنا وقرا الحسن نغرقهم
مشددا والجمهور مخففا والصريخ فعيل بمعنى صارخ اي مستغيث وبمعنى
مصرخ اي مغيث وهذا معناه هنا اي فلا مغيث لهم ولا معين وقال الزمخشري
او فلا اغاثة كانه جعله مصدرا من افعل ويحتاج الى نقل ان صريخا يكون مصدرا
بمعنى اصراخ والظاهر ان قوله فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهولاء الذين شاء الله
اغراقهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الموت بالغرق نفي اولا الصريخ وهو خاص
ثم نفي ثانيا انقاذهم بصريخ او غيرهم وقال ابن عطية وقوله فلا صريخ لهم هو
استيناف اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين فهم بهذه الحال
لا نجاة لهم الا برحمة الله وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين وقد يصح
ربطه به والاول احسن فتامله انتهى وليس بحسن ولا احسن والفا في فلا صريخ
لهم تعلق الجملة بما قبلها تعليقا واضحا وترتبط به ربطا لايحا والخلاص من
العذاب اما بدفعه من اصله فنفي بقوله فلا صريخ لهم واما بدفعه بعد وقوعه
فنفي بقوله ولا هم ينقذون وانتصب رحمة على الاستثنا المفرغ للمفعول من اجله
اي لرحمة منا وقاله الكسائي والزجاج الى حين اي الى حين الموت قاله قتادة
وقال الزمخشري اما لرحمة منا وليمتع بالحيوة الى حين الى اجل يموتون فيه
لا بد لهم بعد النجاة من موت الغرق انتهى وانما قال لا بد لهم من موت الغرق هو
لانه تعالى قال وان نشا اي اغراقهم نغرقهم فمن شا اغراقه لا بد ان يموت
بالغرق والظاهر ان رحمة ومتاعا الى حين يكون للذين ينقذون فلا يفيد الدوام
بل ينقذه الله رحمة له ويمتعه الى حين ثم يميته وقيل فيه تقسيم الا رحمة لمن علم
انه يومن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يومن يمتعه زمانا ويزداد اثما واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا
كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما
تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشا الله اطعمه ان انتم الا في ضلال
مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع
لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارايك متكئون
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الضمير في لهم لقريش وما بين ايديكم قال
قتادة ومقاتل عذاب الامم قبلكم وما خلفكم عذاب الاخرة وقال مجاهد عكسه
وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وما ياتي منها وقال مجاهد ايضا كقول

الحسن

الحسن ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر لعلكم ترحمون وجواب اذا محذوف يدل عليه
ما بعده اي اعرضوا وما تاتيهم من اية اي دابهم الاعراض عند كل اية تاتيهم واذا قيل
لهم انفقوا لما اسلم حواشي الكفار من اقربايهم ومواليهم من المستضعفين قطعوا
عنهم ما كانوا يواسونهم به وكان ذلك بمكة اولا قبل نزول ايات القتال فندبهم
المومنون الى صلة قراباتهم فقالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه وقيل شحت قريش
بسبب ازمة على المساكين من مومن وغيره فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم الى
النفقة عليهم فقالوا هذا القول وقيل قال فقرا المومنين اعطونا ما زعمتم من
اموالكم انها لله فحرموهم وقالوا ذلك على سبيل الاستهزا وقال ابن عباس كان بمكة
زنادقة اذا امروا بالصدقة قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا
يسمعون المومنين يعلقون الافعال بمشيئة الله لو شا الله لاغنى فلانا ولو
شا لاعز ولو شا لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمومنين وبما كانوا
يقولون وقال القشيري نزلت في قوم من الزنادقة لا يومنون بالصانع استهزاء
بالمسلمين بهذا القول وقال الحسن واذا قيل لهم اي لليهود امروا باطعام
الفقرا وجواب لو يشا قوله اطعمه وورود الموجب بغير لام فصيح ومنه ومنه
ان لو نشا اصبناهم لو نشا جعلناه اجاجا والاكثر مجيه باللام والتصريح
بالوصفين من الكفر والايمان دليل على ان المقول لهم هم الكافرون والقايل
لهم هم المومنون وان كل وصف حامل صاحبه على ما صدر منه اذ كل انا بالذي فيه
يرشح وامروا بالانفاق مما رزقكم الله وهو عام في الاطعام وغيره فاجابوا بغاية
المخالفة لان نفي اطعامهم يقتضي نفي الانفاق العام فكانهم قالوا لا ننفق ولا هو
اقل الاشيا التي كانوا يسمحون بها ويوثرون بها على انفسهم وهو الاطعام الذي
به يفتخرون وهذا على سبيل المبالغة كمن يقول لشخص اعط لزيد دينارا
فيقول لا اعطيه درهما فهذا ابلغ من لا اعطيه دينارا والظاهر ان قوله ان
انتم الا في ضلال مبين من تمام كلام الكفار يخاطبون المومنين اي حيث طلبتم ان
نطعم من لا يريد الله اطعامه اذ لو اراد اطعامه لاطعمه هو ويجوز ان يكون من
قول الله لهم استانف زجرهم به من قول المومنين لهم ثم حكى تعالى عنهم ما يقولون
على سبيل الاستهزا او التعجيل لما توعدون به اي متى يوم القيامة الذي انتم
توعدوننا به او متى هذا العذاب الذي تهددوننا به وهو سوال على سبيل الاستهزا
منهم لما امروا بالتقوى ولا يتقى الا بما يخاف وهم غير مومنين سالوا متى يقع هذا
الذي تخوفوننا به استهزا منهم ما ينظرون اي ما ينتظرون ولما كانت هذه الصيحة
لا بد من وقوعها جعلوا كانهم منتظروها وهذه هي النفخة الاولى تاخذهم
فيهلكون وهم يتخاصمون اي في معاملاتهم واشغالهم في اماكنهم من غير امهال
لتوصية ولا رجوع الى اهل وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا
ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل
يرفع اكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتى تقوم وقيل لا يرجعون الى اهليهم قولا
وقيل ولا الى اهلهم يرجعون ابدا وقرا ابي يختصمون على الاصل والحرميان
وابو عمرو والاعرج وشبل وابن قسطنطين بادغام التا في الصاد ونقل حركتها
الى الخا وابو عمرو ايضا وقالون بخلف بالاختلاس وتشديد الصاد وعنهما
اسكان الخا وتخفيف الصاد من خصم وباقي السبعة بكسر الخا وشد الصاد
وفرقة بكسر اليا اتباعا لكسرة الخا وشد الصاد وقرا ابن محيصن يرجعون
بضم اليا وفتح الجيم وقرا الاعرج في الصور بفتح الواو والجمهور باسكانها
وقرئ من الاجداف بالفا بدل الثا وقرا الجمهور بالثا وينسلون بكسر السين
وابن ابي اسحق وابو عمرو بخلاف عنه بضمها وهذه النفخة هي الثانية التي
يقوم الناس احيا عنها ولا تنافر بين ينسلون وبين فاذا هم قيام ينظرون لانه

لايحسل لاقايما اولان تفاوت الزمانين بجعله كانه زمان واحد وقرا ابن ابي
ليلي ياويلتنا بتا التانيث وعنه ايضا ياويلتي بالتا بعدها الف بدل من يا الاضافة
ومعني هذه القراة ان كل واحد منهم يقول ياويلتي والجمهور من بعثنا من استفهاما
وبعث فعل ماض وعلي وابن عباس والضحاك وابو نهيك من حرف جر بعثنا مجرور
بها والمرقد استعارة عن مضجع الميت واحتمل ان يكون مصدرا اي من رقادنا وهو
اجود ويكون مكانا فيكون المفرد فيه يراد به الجمع اي من مراقدنا وما روي
عن ابي بن كعب ومجاهد وقتادة من ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر
فقالوا هو غير صحيح الاسناد وقيل قالوا من مرقدنا لان عذاب القبر كان كالرقاد
في جنب ما صاروا اليه من عذاب جهنم والظاهر ان هذا ابتدا الكلام فقيل من الله
علي سبيل التوبيخ والتوقيف علي انكارهم وقال الفرا من قول الملايكة وقال
قتادة ومجاهد من قول المومنين للكفار علي سبيل التقريع وقال ابن زيد من
قول الكفرة لما راوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك
والاستفهام بمعني سوال عن الذي بعثهم وتضمن قوله هذا ما وعد الرحمن
ذكر الباعث اي الرحمن الذي وعدكموه وما يجوز ان تكون مصدرية علي تسمية
الموعود والمصدوق بالوعد والصدق وبمعني الذي اي هذا الذي وعده
الرحمن والذي صدقه المرسلون اي صدق فيه من قولهم صدقت زيد الحديث
اي صدقت فيه ومنه قولهم صدقني سن بكره اي في سن بكرة وقال الزجاج
ويجوز ان يكون هذا اشارة الي المرقد ثم استانف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر
حق ونحوه وتبعه الزمخشري فقال ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما
وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم انتهي وتقدمت قراة الاصحة بالرفع
وتوجيهها فاليوم هو يوم القيامة وانتصب علي الظرف والعامل فيه لا يظلم والظا
ان الخطاب لجميع العالم ويندرج فيه من تقدم ذكره قيل والصيحة قول
اسرافيل عليه السلام ايتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة والشعور المتمزقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهذا معني قوله تعالي يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم
وازواجهم في ظلال علي الارايك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا
من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم
بما كنتم تكفرون اليوم نختم علي افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون ولو نشا لطمسنا علي اعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبصرون ولو نشا
لمسخناهم علي مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق
افلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين لينذر من
كان حيا ويحق القول علي الكافرين لما ذكر تعالي اهوال يوم القيامة اعقب
ذلك بحال السعدا والاشقيا والظاهر انه اخبار لنا بما يكون فيه اذا صاروا
الي ما اعد لهم من الثواب والعقاب وقيل هو حكاية ما يقال في ذلك اليوم وفي
مثل هذه الحكاية زيادة تصور للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب
في الحرص عليه وفيما يثمره والظاهر ان الشغل هو النعيم الذي قد شغلهم
عن كل ما يخطر بالبال وقال قريبا منه مجاهد وبعضهم خص هذا الشغل
بافتضاض الابكار قاله ابن عباس وعنه ايضا سماع الاوتار وعن الحسن شغلوا
عن ما فيه اهل النار وعن الكلبي عن اهاليهم من اهل النار لا يذكرونهم لئلا
يتنغصوا وعن ابن كيسان الشغل التزاور وقيل ضيافة الله وافرد الشغل

بالتحوفا فيه النعيم وهو واحد من حيث هو نعيم وقرا الحرميان وابو عمرو بضم
الشين وسكون الغين وباقي السبعة بضمها ومجاهد وابو السمال وابن هبيرة
فيما نقل ابن خالويه عنه بفتحتين ويزيد النحوي وابن هبيرة فيما نقل ابو الفضل
الرازي بفتح الشين واسكان الغين وقرا الجمهور فاكهون بالالف والحسن
وابو جعفر وقتادة وابو حيوة ومجاهد وشيبة وابو رجا ويحيي بن صبيح
ونافع في رواية بغير الف وطلحة والاعمش فاكهين بالالف وبالياء نصبا
علي الحال وفي شغل هو الخبر فبالالف اصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وشاحم
ولاحم وبغير الف معناه فرحون طربون ماخوذ من الفكاهة قيل والفاكه والفكه
المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة
وقري فكهين بغير الف وبالياء وقري فكهون بضم الكاف يقال رجل فكه
وفكه نحو ندس وندس ويجوز في هم ان يكون مبتدا وخبره في ظلال ومتكئون
خبر ثان اوخبره متكئون وفي ظلال حال ومتكئون خبر ثان لان او يكون تاكيدا
لضمير المستكن في شغل المنتقل اليه من العامل فيه وعلي هذا الوجه والذي
قبله يكون الازواج قد شاركوهم في التفكه والشغل والاتكا علي الارايك
وذلك من جهة المنطوق وعلي الاول شاركوهم في الظلال والاتكا علي
الارايك من حيث المنطوق وهن قد شاركنهم في التفكه والشغل من حيث
المعني وقرا الجمهور في ظلال قال ابن عطية وهو جمع ظل اذ الجنة لا شمس
فيها وانما هواها سجسج كوقت الاسفار قبل طلوع الشمس انتهي وجمع فعل
علي فعال في الكثرة نحو ذيب وذياب واما ان وقت الجنة كوقت الاسفار
قبل طلوع الشمس فيحتاج الي نقل صحيح وكيف يكون ذلك وفي الحديث
ما يدل علي حورا من حور الجنة لو ظهرت لاضات منها الدنيا ونحو من هذا
قال ويحتمل ان يكون جمع ظلة قال ابو علي كبرمة وبرام وقال منذر
بن سعيد جمع ظلة وجمع فعلة علي فعل مقيس وهي عبارة عن الملابس والمراتب
من الحجال والستور ونحوها من الاشيا التي تظل وقرا عبد الله متكين نصب
علي الحال ويدعون مضارع ادعي وهو افتعل من دعا ومعناه ولهم ما يتمنون
قال ابو عبيدة العرب تقول ادع علي ما شيت بمعني تمن علي وتقول فلان
في خير ما تمني قال الزجاج وهو من الدعا اي ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم وقيل
يدعون فيه لانفسهم وقيل تتداعونه لقوله ارتموه وتراموه وقرا الجمهور
سلام بالرفع قيل وهو صفة لما اي مسلم لهم وخالص انتهي ولا يصح ان كانت
ما بمعني الذي لانها تكون اذ ذاك معرفة وسلام نكرة ولا تنعت المعرفة بالنكرة
فان كانت ما نكرة موصوفة جاز الا انه لا يكون فيه عموم كحالها بمعني الذي
وقيل سلام مبتدا ويكون خبره ذلك الفعل الناصب لقوله قولا اي سلام يقال
قولا من رب رحيم او يكون عليكم محذوفا اي سلام عليكم قولا من رب رحيم
وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو سلام وقال الزمخشري سلام بدل من ما
يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعني ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملايكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك
متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملايكة يدخلون عليهم
بالتحية من رب العالمين انتهي واذا كان سلام بدلا من ما يدعون كان ما يدعون
خصوصا والظاهر انه عموم في كل ما يدعون واذا كان عموما لم يكن سلام
بدلا منه وقيل سلام خبر لما يدعون وما يدعون مبتدا اي ولهم ما يدعون
سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر موكد كقوله ولهم ما يدعون سلام هو
اي عدة من رب رحيم قال الزمخشري والاوجه ان ينتصب علي الاختصا
ص وهو من مجازه انتهي ويكون لهم متعلقا علي هذا الاعراب بسلام وقرا محمد

محمد

بن كعب القرظي سِلم بكسر السين وسكون اللام ومعناه سلام وقال ابو الفضل الرازي
مسالم لهم اي ذلك مسالم وقرا ابي وعبد الله وعيسى والغنوي سلاما بالنصب
على المصدر وقال الزمخشري نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا
اليوم اي انفردوا عن المومنين لان المحشر جميع البر والفاجر فامر المجرمون
بان يكونوا على حده من المومنين والظاهر انه ثم قولا محذوفا لما ذكر تعالى ما يقال
للمومنين في قوله سلام قولا من رب رحيم قيل ويقال للمجرمين امتازوا ولما امتثلوا
ما امروا به قال لهم على جهة التوبيخ والتقريع الم اعهد اليكم ووقفهم على عهده
اليهم ومخالفتهم اياه وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا
يُرى فعلى هذا معناه ان بعضهم يمتاز من بعض وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير
والعهد الوصية عهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل
وانزل اليهم من ادلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يغويه ويزينه
وقرا الجمهور اعهد بفتح الهمزة والها وقرا طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي
بكسر الهمزة قاله صاحب اللوامح وقال لغة تميم وهذا الكسر في النون والتا
اكثر من بين حروف المضارعة يعني نعهد وتعهد وقال ابن خالويه الم اعهد
يحيى بن وثاب الم احد لغة تميم وقال ابن عطية وقرا الهذيل بن وثاب
الم اعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر اول المضارع
سوى اليا وروي عن ابن وثاب الم اعهد بكسر الها يقال عهد وعهد انتهى
وقوله بكسر الميم والهمزة يعني ان كسر الميم يدل على كسر الهمزة لان الحركة
التي في الميم انما هي حركة نقل الهمزة المكسورة وحذفت الهمزة حين نقلت
حركتها الى الساكن قبلها وهو الميم اعهد بالهمزة المقطوعة المكسورة لفظا لان
هذا لا يجوز وقال الزمخشري وقرى إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز
في حروف مضارعته الكسر الا في اليا واعهد بكسر الها وقد جوز الزجاج ان
يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحا واحد وهي لغة تميم
ومنه قولهم دحا محا انتهى وقوله الا في اليا لغة بعض كلب انهم يكسرون ايضا
الا في اليا يقولون هل يعلم وقوله دحا محا يريدون دعها معها ادغموا العين
في الحا والاشارة بهذا الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن
وقرا نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وهي قراة ابي حيوة
وسهل وابي جعفر وشيبة وابي رجا والحسن بخلاف عنه وقرا العربيان
والهذيل بن شرحبيل بضم الجيم واسكان البا وباقي السبعة بضمها وتخفيف اللام
والحسن وابن ابي اسحق والزهري وابن هرمز وعبد الله بن عبيد بن عمير
وحفص بن حميد بضمتين وتشديد اللام والاشهب العقيلي واليماني وحماد بن
سلمة عن عاصم بكسر الجيم وسكون البا والاعمش جبلا بكسرتين وتخفيف
اللام وقرى جبلا بكسر الجيم وفتح البا وتخفيف اللام جمع جبلة نحو فطرة
وفطر فهذه سبع لغات قرى بها وقرا علي بن ابي طالب وبعض الخراسانيين
جيلا بكسر الجيم بعدها يا اخر الحروف واحد الاجيال والجبل بالبا واحدة
من اسفل الامة العظيمة وقال الضحاك اقله عشرة الاف خاطب تعالى الكفار
بما فعل معهم الشيطان تقريعا لهم وقرا الجمهور افلم تكونوا بتا الخطاب
وطلحة وعيسى بيا الغيبة عايدا على جبل ويروى انهم يجحدون ويخاصمون
فيشهد عليهم جيرانهم وعشايرهم واهاليهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة
اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم تخلي بينه وبين الكلام فيقول لكن بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت
اناضل وقرى تختم مبنيا للمفعول وتكلم ايديهم بتاين وقري ولتكلمنا ايديهم

وتشهد

وتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يامر الاعضا بالكلام والشهادة وروى
عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن ابيه عن جده طلحة انه قرا ولتكلمنا ايديهم ولتشهد
بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على افواههم والظاهر ان الاعين هي الاعضا
المبصرة والمعنى لاعميناهم فلا يرون كيف يمشون قاله الحسن وقتادة ويؤيده
مناسبة المسخ فهم في قبضة القدرة وبممدوح العذاب ان شاء الله لهم وقال
ابن عباس اراد عين البصاير والمعنى ولو نشا لختمنا عليهم بالكفر فلا يهتدي
منهم احد ابدا والطمس اذهاب الشي واثره جملة حتى كانه لم يوجد فان اريد
بالاعين الحقيقة فالظاهر انه يطمس بمعنى يمسخ حقيقة ويجوز ان يكون الطمس
يراد به العمى من غير اذهاب العضو واثره وقرا الجمهور فاستبقوا فعلا ماضيا
معطوفا على لطمسنا وهو على الفرض والتقدير والصراط منصوب على تقدير
الى حذفت ووصف الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او مفعولا به على تضمين
استبقوا معنى تبادروا او جعله مسبوقا لا مسبوقا اليه قال الزمخشري او ينتصب
على الظرف انتهى وهذا لا يجوز لان الصراط هو الطريق وهو ظرف مكان
مختص لا يصل اليه الفعل الا بواسطة الا في شذوذ كما انشد سيبويه
• لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب •
ومذهب ابن الطراوة ان الصراط والطريق والمخرم وما اشبهها من الظروف
المكانية ليست مختصة فعلى مذهبه يسوغ ما قاله الزمخشري وقرا عيسى
فاستبقوا على الامر وهو على اضمار القول اي فيقال لهم استبقوا الصراط وهو
على سبيل التعجيز اذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الاعين فاني يبصرون اي كيف
يبصر من طمس على عينه والظاهر ان المسخ حقيقة وهو تبديل صورهم بصور شنيعة
قال ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير كما تقدم في بني اسرايل وقيل حجارة
وقال الحسن وقتادة وجماعة لاقعدناهم وازمناهم فلا يستطيعون تصرفا
والظاهر ان هذا لو كان كان يكون في الدنيا وقال ابن سلام هذا التوعد كله يوم
القيامة وقرا الجمهور على مكانتهم بالافراد وهي المكان كالمقامة والمقام وقرا
الحسن وابو بكر بالجمع والجمهور مضيا بضم الميم وابو حيوة واحمد بن جبير
الانطاكي عن الكسائي بكسرها اتباعا لحركة الضاد كالعتي والعتي ووزنه فعول
التقت واو ساكنة ويا فابدلت الواو يا وادغمت في اليا وكسر ما قبلها لتصح اليا
وقري مضيا بفتح الميم فيكون من المصادر التي جات على فعيل كالرسيم والوجيف
ولما ذكر تعالى الطمس والمسخ على تقدير المشية ذكر تعالى دليلا على باهر قدرته
في تنكيس المعمرين وان ذلك لا يفعله الا هو تعالى وتنكيسه قلبه وجعله على
عكس ما خلقه اولا وهو انه خلقه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعله
يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده وتستكمل قوته ويعقل
ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسه في الخلق فيتناقص حتى يرجع في حال شبيهة
بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من الفهم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه
اسفله وفي هذا كله دليل على ان من فعل هذه الافاعيل قادر على ان يطمس وان يمسخ
وان يفعل بهم ما اراد وقرا الجمهور ننكسه مشددا وعاصم وحمزة مخففا وقرا
نافع وابن ذكوان وابو عمرو في رواية عباس تعقلون بتا الخطاب وباقي السبعة
بيا الغيبة وما علمناه الشعر الضمير في علمناه للرسول صلى الله عليه وسلم كانوا
يقولون فيه شاعر وروي ان القايل عقبة بن ابي معيط فنفى الله ذلك عنه وتوهم
فيه شاعرا اما من كان في طبعه الشعر فقوله مكابرة وايهام للجاهل بالشعر واما
من ليس في طبعه فقوله جهل محض واين هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون
مقفى يدل على معنى بنتجيه الشعرا من كثرة التخييل وتزويق الكلام وغير ذلك مما
يتورع المتدين عن انشاده فضلا عن انشايه وكان عليه السلام لا يقول الشعر واذا

انشد بيتا احرز المعني دون وزنه كما انشد ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالاخبار وقيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول

الم تر اني كلما جيت طارقا وجدت بها وان لم تطيب طيبا

وانشد يوما

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة

وانشد يوما

كفي بالاسلام والشيب ناهيا

فقال ابو بكر وعمر نشهد انك لرسول الله انما قال الشاعر كفي الشيب والاسلام
وربما انشد البيت متزنا في النادر روي عنه انشد بيت ابن رواحة يبيت
يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ولا يدل اجراء البيت
علي لسانه متزنا انه يعلم الشعر وقد وقع في كلامه عليه السلم ما يدخل الوزن
كقوله يوم حنين انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وكذلك قوله هل انت الا
اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وهو كلام من جنس كلامه الذي كان يتكلم به
علي طبيعته من غير صنعة فيه ولا قصد لوزن ولا تكلف كما يوجد في القران شي
موزون ولا يعد شعرا كقوله تعالي لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون
وقوله فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وفي كثير من النثر الذي تنشيه الفصحاء
ولا يسمي ذلك شعرا ولا يخطر ببال المنشي ولا السامع انه شعر وما ينبغي له
اي ولا يمكن له ولا يصح ولا يناسب لانه عليه السلم في طريق جد محض والشعرا
كثرة في طريق هزل وتحسين لما ليس حسنا وتقبيح لما ليس قبيحا ومغالاة مفرطة
جعله تعالي لا يقرض الشعر كما جعله اميا لا يخط ليكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض وقيل في هذه الاية دلالة علي غضاضة الشعر وقد قال عليه السلم ما انا
بشاعر ولا ينبغي لي وذهب قوم الي انه لا غضاضة فيه وانما منعه الله نبيه عليه
السلم وان كان حلية جلية ليجي القران من قبله اغرب فانه لو كان له ادراك
الشعر لقيل في القران هذا من تلك القوة قال ابن عطية وليس الامر
عندي كذلك وقد كان عليه السلم من الفصاحة والبيان في النثر في الرتبة العليا
ولكن كلام الله تبين باعجازه وبندر وصفه وتخرجه احاطة علم الله من كل كلام وانما
منع الله نبيه من الشعر ترفيعا له عما في قول الشعر من التخييل والتزويق
للقول واما القران فهو ذكر بحقايق وبراهين فما هو بقول شاعر وهكذا كان اسلوب
كلامه عليه السلم قولا واحدا انتهي والضمير في له للرسول اي وما ينبغي الشعر
لرسول الله وابعد من ذهب الي انه عايد علي القران اي وما ينبغي الشعر للقران
ولم يجر له ذكر لكن له ان يقول بدل الكلام عليه وبينه عود الضمير عليه في قوله
ان هو الا ذكر وقران مبين اي كتاب سماوي يقرا في المحاريب وينال بتلاوته
والعمل به ما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي اكثره من همزات
الشياطين وقرا نافع وابن عامر لتنذر بتا الخطاب للرسول وباقي السبعة بالبا
للغيبة فاحتمل ان يعود علي الرسول واحتمل ان يعود علي القران وقرا اليماني
ليُنذَر باليا مبنيا للمفعول ونقلها ابن خالويه عن الجحدري وقال عن ابي السماك
واليماني انهما قرا لينذر بفتح اليا والذال مضارع نذر بكسر الذال اذا علم
بالشي فاستعد له من كان حيا اي عاقلا قاله الضحاك لان الغافل كالميت ويريد
به من حتم عليه بالايمان ولذلك قابله بقوله ويحق القول اي كلمة العذاب
علي الكافرين المحتوم لهم بالموافاة علي الكفر اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها
منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون

وما يعلنون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب
لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها
اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر علي ان يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق
العليم انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شي واليه ترجعون الاخبار وتنبيه الاستفهام لقريش واعراضها عن عبادة
الله وعكوفها علي عبادة الاصنام ولما كانت الاشيا المصنوعة لا يباشرها البشر
الا باليد عبر لهم بما يقرب من افهامهم بقوله مما عملت ايدينا اي مما تولينا عمله
ولا يمكن لغيرنا ان يعمله فبقدرتنا وارادتنا برزت هذه الاشيا لم يشركنا
فيها احد والباري تعالي منزه عن اليد التي هي الجارحة وعن كل ما اقتضي التشبيه
بالمحدثات وذكر الانعام لانها كانت جل اموالهم ونبه علي ما يجعل لهم من
منافعها فهم لها مالكون اي ملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك
مختصون بالانتفاع بها وما لكون ضابطون لها قاهرون لها من قوله اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم
الظاهرة فلولا تذليله تعالي اياها وتسخيره لم يقدر عليها الا تري الي ما ند منها
لا يكاد يقدر علي رده ولذلك امر بتسبيح الله راكبها وشكره علي هذه النعمة بقوله
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرا الجمهور ركوبهم وهو فعول
بمعني مفعول كالحصور والحلوب والقذوع وهو مما لا ينقاس وقرا ابي وعايشة
ركوبتهم بالتاوهي فعولة بمعني مفعولة وقال الزمخشري وقيل الركوبة جمع انتهي
ويعني اسم جمع لان فعوله بفتح الفا ليس بجمع تكسير وقد عدة بعض اصحابنا
ابنية اسما الجموع فلم يذكر فيها فعوله فينبغي ان يعتقد فيها انها اسم مفرد
لا جمع تكسير ولا اسم جمع اي مركوبتهم كالحلوبة بمعني المحلوبة وقرا الحسن
وابو البرهسيم والاعمش ركوبهم بضم الرا وبغير تا وهو مصدر علي حذف اي
ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم فيحذف ذوا ويحذف منافع قال ابن خالويه
العرب تقول ناقة ركوب حلوب وركوبة حلوبة وركباة حلباة وركوب حلبوب
وركبي حلبي وركبوتا حلبوتا كل ذلك محكي وانشد

ركبانة حلبانة زفوف تخلط بين وبر وصوف

واجمل المنافع هنا وفصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام الاية والمشارب
جمع مشرب وهو اما مصدر اي شرب او موضع الشرب ثم عنفهم واستجهلهم
في اتخاذهم الهة لطلب الاستنصار لا يستطيعون اي الالهة نصر متخذيهم وهذا
هو الظاهر لما اتخذوهم الهة للاستنصار بهم رد تعالي عليهم بانهم ليست
لهم قدرة علي نصرهم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الضمير في يستطيعون
للكفار وفي نصرهم للاصنام انتهي والظاهر ان الضمير في وهم عايد علي ما هو الظاهر
في ولا يستطيعون اي والالهة للكفار جند محضرون في الاخرة عند الحساب
علي جهة التوبيخ والنقمة وسماهم جندا اذ هم معدون للنقمة من عابديهم
وللتوبيخ او محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار وقيل ويجوز ان يكون
الضمير في وهم عايدا علي الكفار وفي لهم عايدا علي الاصنام اي وهم للاصنام جند
محضرون متعصبون لهم متحزبون يذبون عنهم يعني في الدنيا ومع ذلك لا يستطيعون
اي الكفار التناصر وهذا القول مركب علي ان الضمير في لا يستطيعون للكفار ثم
انس تعالي نبيه بقوله فلا يحزنك قولهم اي لا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم
وتوعد الكفار بقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم علي ذلك اولم
ير الانسان قبح تعالي انكار الكفرة البعث حيث قرر ان عنصره الذي خلقه منه
هو نطفة ما مهين خارج من مخرج النجاسة افضي به علي مهانة اصله الي ان يخاصم

البا ري تعالى ويقول من يحيي الميت بعد ما رم مع علمه انه منشاه من موات
وقايل ذلك العاصي بن وايل او امية بن خلف او ابي بن خلف اقوال اصحها انه ابي
بن خلف رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحق وغيره والقول انه امية قاله
مجاهد وقتادة ويحتمل ان كلا منهم وقع ذلك منه وقد كان لابي مع الرسول
مراجعات ومقامات جا بالعظم الرميم بمكة ففته في وجهه الكريم وقال من
يحيي هذا يا محمد فقال الله يحييه ويميتك ويحييك ويدخلك جهنم ثم نزلت
الاية وابي هذا قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد بالحربة
تخرج من عنقه ووهم من نسب الى ابن عباس ان الجاي بالعظم هو عبد الله
بن ابي سلول لان السورة والاية مكية باجماع ولان عبد الله بن ابي لم يجاهر
قط هذه المجاهرة وبين قوله فاذا هو خصيم مبين وبين خلقناه من نطفة
جمل محذوفة تبين اكثرها في قوله في سورة المومنين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين وانما اعتقب قوله فاذا هو خصيم مبين الوصف الذي آل اليه من
التمييز والادراك الذي يتاتى معه الخصام اي فاذا هو بعد ما كان نطفة
رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عن ما في نفسه وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه اي نشاته وسمي قوله من يحيي العظام وهي رميم لما دل عليه من
قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احيا الموتى او لما فيه من
التشبيه بخلقه في تعجيزه تعالى عن احيا الموتى كما هم عاجزون عن ذلك
وقال الزمخشري والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبرا للمونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول
انتهى واستدل بقوله قل يحييها على ان الحيوة تحلها وهو استدلال ظاهر ومن
قال ان الحيوة لا تحلها قال المراد باحيا العظام ردها الى ما كانت عليه
غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيفيات ما يخلق لا يتعاظمه
شي من المنشات والمعادات جنسا ونوعا دقة وجلالة الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا ذكر ما هو اغرب من خلق الانسان من النطفة وهو ابراز
الشي من ضده وذلك ابدع شي وهو اقتداح النار من الشي الاخضر الا ترى ان
الما يطفي النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الما والاعراب توري النار من
الشجر الاخضر واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شي نار واستمجد
المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما اخضران يقطر
منهما فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فيتقدح النار باذن الله عز
وجل وعن ابن عباس ليس شجر الا وفيه نار الا العناب وقرا الجمهور
الاخضر وقري الخضرا واهل الحجاز يونثون الجنس المميز واحده بالتا واهل
نجد يذكرونه الا الفاظا استثنيت في كتب النحو ثم ذكر ما هو ابدع واغرب
من خلق الانسان من نطفة ومن اعادة الموتى وهو انشا هذه المخلوقات
العظيمة الغريبة من صرف العدم الى الوجود فقال اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقرا الجمهور بقادر بالجر داخلة على
اسم الفاعل وقرا الجحدري وابن ابي اسحق والاعرج وسلام ويعقوب يقدر
فعلا مضارعا اي من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما كان على
خلق الاناسي قادرا والضمير في مثلهم عايد على الناس قاله الرماني وقال جماعة
من المفسرين عايد على السموات والارض وعاد الضمير عليهما كضمير من يعقل
من حيث كانت متضمنة من يعقل من الملايكة والثقلين وقال الزمخشري
مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات
والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به انتهى ويقول ان
المعاد هو عين المبتدا ولو كان مثله لم يسم ذلك اعادة بل يكون انشا مستانفا

وقري

وقرا الجمهور الخلاق بصفة المبالغة لكثرة مخلوقاته وقرا الحسن والجحدري
ومالك بن دينار وزيد بن علي الخالق اسم فاعل انما امره اذا اراد شيا ان يقول له
كن فيكون تقدم شرح مثل هذه الجملة والخلاف في يكون من حيث القراة نصبا
ورفعا فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي تنزيه عام له تعالى من جميع النقايص
وقرا الجمهور ملكوت وطلحة والاعمش ملكة على وزن شجرة ومعناه ضبط كل
شي والقدرة عليه وقري مملكة على وزن مفعلة وقري ملك والمعنى انه
متصرف فيه على ما اراد وقضى والجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي
مبنيا للفاعل

المفردات

الزجر الدفع عن الشي بتسليط وصياح والزجرة الصيحة
من قولك زجر الداعي الابل والغنم اذا صاح عليها فرجعت لصوته قال
الشاعر •

• زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان تختلطن بالغنم •

يريد تصويته بها الثاقب الشديد النفاذ اللازب اللازم ما جاوره واللاصق
به اللذيذ المستطاب يقال لذ الشي يلذ فهو لذيذ ولذ على وزن فعل كطب
قال الشاعر •

• تلذ لطعمه وتخال فيه اذا نبهتها بعد المنام •

وقال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد
النوم وقال تحدثك اللذ الذي لو كلمت اسدا لفلاه به اتين سراعا الغول
اسم عام في الاذى تقول غاله كذا وكذا اذا ضره في خفاء ومنه الغيلة في القتل والغيلة
في الرضاع وغاله الشي اهلكه وافسده ومنه الغول التي في اكاذيب العرب وفي
امثالهم الغضب غول الحلم وقال الشاعر •

• مضى اولونا ناعمين بعيشهم جميعا وغالتني بمكة غول •

اي عاقتني عوايق وقال وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالاول الاول
نزف الشارب الخمر وانزف هو ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف الثلاثي
متعد والرباعي لازم نحو كببت الرجل واكب هو وقشعت الريح السحاب
واقشع هو اي تخلل في الكتب والقشع وقال الشاعر وهو الاسود •

• لعمري لين انزفتم او صحوتم لبيس الندامى كنتم آل ابجرا •

ونزف الشارب بضم الزاي ويقال نزف المطعون ذهب دمه كله مبنيا للمفعول
ونزحت الركية حتى نزفتها لم يبق فيها ما ويقال انزف الرجل نفد شرابه
فانزف مشترك بين سكر ونفد البيض معروف وهو اسم جنس الواحد بيضة
وسمي بذلك لبياضه ويجمع على بيوض قال الشاعر •

• بيتها فقرو المطي كانها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها •

الزقوم شجرة مسمومة لها لبن ان مس جسم انسان تورم ومات عنه في اغلب الامر
تنبت في البلاد المجدبة المجاورة للصحراء والتزقم البلع على شدة وجهد شاب
الشي بالشي يشوبه شوبا خلطه به ومزجه راغ يروغ مال في خفية من روغة
الثعلب زف اسرع وازف دخل في الزفيف فهمزته ليست للتعدية وازفه
حمله على الزفيف قاله الاصمعي فالهمزة فيه للتعدية وقال الشاعر وهو
الفرزدق •

• نجا فربع الشول قبل افالها يزف وجات خلفه وهي زفف •

وقال الهذلي •

• وزفت الشول من برد العشي كما زف النعام الى حفانه الروح •

• سورة الصافات •

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات

والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب — هذه السورة مكية ومناسبتها
لآخر ياسين انه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على احيا الموتى وانه هو
منشيهم واذا تعلقت ارادته بشي كان ذكر تعالى هنا وحدانيته اذ لا يتم ما تعلقت
به الارادة وجودا او عدما الا بكون المريد واحدا وتقدم الكلام على ذلك
في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واقسم تعالى باشيا من مخلوقاته
والصافات قال ابن مسعود وقتادة ومسروق هم الملائكة تصف في السما في العبادة
والذكر صفوفا وقيل تصف اجنحتها في الهوا واقفة منتظرة لامر الله وقيل من
يصف من بني ادم في قتال في سبيل الله او في صلوة وطاعة وقيل الطير من قوله
والطير صافات والزاجرات قال مجاهد والسدي الملائكة تزجر السحاب
وغيرها من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة ايات القران لتضمنه النواهي
الشرعية وقيل كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات القاريات قال مجاهد
الملائكة يتلون ذكره وقال قتادة بنو آدم يتلون كلمة المنزل وتسبيحه وتكبيره
قال الزمخشري ويجوز ان يقسم بنفوس العلما العمال الصافات اقدامها
في التهجد وساير الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح
فالتاليات ايات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواة الغزاة في سبيل
الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها
عنه تلك الشواغل انتهى وقال ما معناه ان الفا العاطفة في الصفات اما ان
تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله بالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالايب اي الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه
كقولك خذ الافضل فالافضل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتيب موصوفاتها
في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فاما هنا فان وحدت الموصوف
كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملائكة فيكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وان ثلثت الموصوف
فترتب في الفضل فيكون الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا او على العكس انتهى ومعنى العكس في المكانين انك ترتقي من افضل
الى فاضل الى مفضول او تبدا بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل وادغم ابن
مسعود ومسروق والاعمش وابو عمرو وحمزة التاآت الثلث والجملة
المقسم عليها تضمنت وحدانيته تعالى اي هو واحد من جميع الجهات التي
ينظر فيها المتفكر ورب خبر بعد خبر على مذهب من يجيز تعداد الاخبار او خبر
مبتدا محذوف وهو امدح اي هو رب وذكر المشارق لانها مطالع الانوار
والابصار بها اكلف وذكرها يغني عن ذكر المغارب اذ ذاك مفهوم من المشارق
والمشارق ثلثماية وستون مشرقا وكذلك المغارب بشرق الشمس كل يوم
في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وثنى في رب
المشرقين ورب المغربين باعتبار مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
وقال ابن عطية اراد تعالى مشارق الشمس ومغاربها وهي ماية وثمانون
في السنة فيما يزعمون من اطول ايام السنة الى اقصرها ثم اخبر تعالى عن
قدرته بتزيين السما الكواكب وانتظم التزيين ان جعلها حفظا وحرزا من
الشياطين انتهى والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشي كالليقة
اسم لما تلاق به الدواة وقرا الجمهور بزينة الكواكب بالاضافة فاحتمل المصدر
مضافا للفاعل اي بان زانت السما الكواكب او مضافا للمفعول اي بان زين
الله الكواكب واحتمل ان يكون ما يزان به او هما زينت الكواكب من اضاتها وثبوتها

وقرا

وقرا ابن مسعود ومسروق بخلاف عنه وابو زرعة وابن وثاب وطلحة بزينة منونا
الكواكب بالخفض بدلا من زينة وقرا ابن وثاب ومسروق بخلاف عنهما والاعمش
وطلحة وابو بكر بزينة منونا الكواكب نصبا فاحتمل ان يكون زينة مصدرا والكواكب
مفعول به كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما واحتمل ان يكون الكواكب بدلا
من السما اي زينا كواكب السما وقرا زيد بن علي بتنوين زينة ورفع الكواكب
على خبر مبتدا اي هي الكواكب او على الفاعلية بالمصدر اي بان زينت الكواكب
ورفع الفاعل بالمصدر المنون زعم الفرا انه ليس بمسموع واجازه البصريون
ذلك على قلة وقال ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب قيل ويجوز ان يراد
اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزا وغير ذلك ومطالعها ومسايرها
وخص السما الدنيا بالذكر لانها التي تشاهد بالابصار والحفظ من الشياطين
انما هو فيها وحدها وانتصب وحفظا على المصدر اي وحفظناها حفظا او على المفعول
من اجله على زيادة الواو او على تاخير العامل اي ولحفظها زيناها بالكواكب او حملا على
معنى ما تقدم لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا وكل هذه الاقوال
منقولة والمارد تقدم شرحه في قوله شيطانا مريدا في النسا وهناك جا مريدا
وهنا ماردا مراعاة للفواصل لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام منقطع مبتدا اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يتسمعوا او يسمعوا
وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف الخطفة
واسترق استراقة فعندها تعاجله الملائكة باتباع الشهاب الثاقب ولا يجوز ان
يكون لا يسمعون صفة ولا استينافا جوابا لسائل سال لم تحفظ من الشياطين
لان الوصف بكونهم لا يسمعون نفي سماعهم وان كانوا يتسمعون لقوله انهم
عن السمع لمعزولون وعداه بالى لتضمنه معنى الاصغا وقرا ابن عباس بخلاف
عنه وابن وثاب وعبد الله بن مسلم وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وحفص
بشد السين والميم بمعنى لا يتسمعون ادغمت التا في السين وتقتضي نفي التسمع
وظاهر الاحاديث انهم يتسمعون حتى الان لكنهم لا يسمعون وان سمع احد
منهم لم تعلمه الشهاب قبل ان يلقي ذلك السمع الى الذي تحته لان السما ملئت
حرسا وشهبا من وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرجم في الجاهلية
اخف فلما كانت ثمرة التسمع هو السمع وقد انتفى السمع نفي التسمع في هذه القراة
لانتفا ثمرته وهو السمع والملا الاعلى هم الملائكة والانس والجن هم الملا
الاسفل لانهم سكان الارض وقال ابن عباس هم اشراف الملائكة وعنه كتابهم
ويقذفون يرمون ويرجمون من كل جانب اي من كل جهة يصعدون الى السما منها وهو
والرجوم هي التي يراها الناس تنقض وليست بالكواكب الجارية في السما لان
تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قاله مكي والنقاش
وقرا المحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للفاعل ودحورا مصدر في موضع الحال
قال مجاهد مطرودين او مفعول من اجله اي ويقذفون للطرد او مصدر ليقذفون
لانه متضمن معنى الطرد اي ويدحرون من كل جانب دحورا ويقذفون من كل جانب
قذفا فاما ان يكون التجوز في ويقذفون واما في دحورا وقرا علي والسلمي وابن
ابي عبلة والطبراني عن رجاله عن ابي جعفر دحورا بنصب الدال اي قذفا دحورا
ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع الا ان هذه الفاظ ذكر انها محصورة
والواصب الدائم قاله السدي وابو صالح وتقدم في سورة النحل ويقال وصب
الشي وصوبا دام وقال مجاهد الوجع ومنه الوصب كان المعنى انهم في الدنيا
مرجومون وفي الاخرة معذبون ويجوز ان يكون هذا العذاب الدائم لهم
في الدنيا وهو رجمهم دائما وعدم بلوغهم ما يقصد ومن استراق السمع الا من
خطف الخطفة من بدل من الضمير في لا يسمعون ويجوز ان يكون منصوبا على الاستثنا

اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف وقرا الجمهور خطف ثلاثيا
بكسر الطا وقرا الحسن وقتادة بكسر الخا والطا مشددة قال ابو حاتم ويقال هي
لغة بكر بن وايل وتميم بن مر وقري خطف بفتح الخا وكسر الطا مشددة ونسبها
ابن خالويه الي الحسن وقتادة وعيسي وعن الحسن ايضا التخفيف واصله
في هاتين القراتين اختطف ففي الاولي لما اسكنت التا للادغام والخا ساكنة
كسرت لالتقا الساكنين فذهبت الف الوصل وكسرت الطا اتباعا لحركة الخا
وعن ابن عباس خطف بكسر الخا والطا مخففة اتبع حركة الخا لحركة الطا كما
قالوا نعم وقري فاتبعه مخففا ومشددا الثاقب قال السدي وقتادة هو
النافذ بضوءه وشعاعه المنير فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم
من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون
وقالوا ان هذا الا سحر مبين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون او اباونا
الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا
ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون الاستفتا نوع
من السوال والهمزة وان خرجت الي معني التقرير فهي في الاصل لمعني الاستفهام
اي فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك
لشدة بطشه وقوته وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الاشدية بينهم
وبين من خلق من غيرهم من الامم والجن والملايكة والافلاك والارضين وفي
مصحف عبد الله ام من عددنا وهو تفسير لمن خلقنا اي ام من عددنا من
الصفات وما بعدها من المخلوقين وغلب العاقل علي غيره في قوله من خلقنا واقتصر
علي الفاعل في خلقنا ولم يذكر متعلق الخلق اكتفا ببيان ما تقدمه ولانه قال
ام من خلقنا من غرايب المصنوعات وعجايبها وقرا الاعمش امن بتخفيف
الميم دون ام جعله استفهاما ثانيا تقريرا ايضا فهما جملتان مستقلتان في التقرير
ومن مبتدا والخبر محذوف تقديره اشد فعلي ام من هو تقرير واحد ونظيره
انتم اشد خلقا ام السما وقال الزمخشري واشد خلقا يحتمل اقوي خلقا من
قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه علي معني الرد لانكارهم
البعث والنشاة الاخري وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم
يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة
او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ايذا كنا ترابا وهذا المعني ما يتلوه من
ذكر انكارهم البعث انتهي والذي يظهر الاحتمال الاول وقيل ام من خلقنا هو
من الامم الماضية كقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا وقوله وكانوا
اشد منكم قوة واضاف الخلق من الطين اليهم والمخلوق منه هو ابوهم ادم اذ كانوا نسله
قال الطبري خلق ابن ادم من تراب وما ونار وهوا وهذا كله اذا خلط صار طينا
لازبا يلزم ما جاوره وعبر ابن عباس عن اللازب بالحر اي الكريم الجيد وقرى الجمهور
بل عجبت بتا الخطاب اي من قدرة الله علي هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون
منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرة الله او عجبت من انكارهم البعث وهم
يسخرون من امر البعث او عجبت من اعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدي وان
يكونوا كافرين مع ما جيتهم به من عند الله وقرا حمزة والكساي وابن سعدان
وابن مقسم بتا المتكلم ورويت عن علي وعبد الله وابن عباس والنخعي وابن وثاب
وطلحة وشقيق والاعمش وانكر شريح القاضي هذه القراة وقال ان الله
لا يعجب فقال ابرهيم كان شريح معجبا بعلمه وعبد الله اعلم منه يعني عبد الله بن
مسعود والظاهر ان ضمير المتكلم هو الله تعالي والعجب لا يجوز علي الله تعالي

لانه روعة تعتري المتعجب من الشي وقد جا في الحديث اسناد العجب الي الله تعالي
وتؤول علي انه صفة فعل يظهرها الله تعالي في صفة المتعجب منه من تعظيم او تحقير
حتي يصير الناس متعجبين منه فالمعني بل عجبت من ضلالتهم وسوء نحلتهم
وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترن بها من شرعي وهدي متعجبا وقال الزمخشري
اي بلغ من عظيم اياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهولا لجهلهم
وعنادهم يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله
وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه قال ويجرد العجب لمعني الاستعظام
او يخيل العجب ويفرض وقيل هو ضمير الرسول اي قل بل عجبت قاله مكي وعلي بن
سليمان وهم يسخرون من نبوتك والحق الذي عندك واذا ذكروا وعظوا لا يذكرون
اي لا يتعظون وذكر جناح بن حبيش ذكروا بتخفيف اللام وروي ان ركانة رجلا
من المشركين من اهل مكة لقيه الرسول في جبل خال يرعي غنما له وكان من اقوي
الناس فقال له يا ركانة ارايت ان صرعتك اتومن بي قال نعم فصرعته ثلاثا ثم عرض
له ايات من دعا شجرة واقبالها فلم يومن وجا الي مكة فقال يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم
اهل الارض فنزلت فيه وفي نظرايه واذا راوا اية يستسخرون قال مجاهد
وقتادة يسخرون يكون استفعل بمعني المجرد وقيل فيه معني الطلب اي يطلبون
ان يكونوا ممن يسخر وقال الزمخشري يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها وقري يستحرون بالحا المهملة وهي عبارة عن ما قال
ركانة لا استسحر الرسول والاشارة بهذا الي ما ظهر علي يديه عليه السلام
من الخارق المعجز وتقدم الخلاف في كسر ميم متنا وضمها ومن قرا اذا بالاستفهام
فجواب اذا محذوف اي نبعث ويدل عليه انا لمبعوثون او يعري عن الشرط
ويكون ظرفا محضا ويقدر العامل انبعث اذا متنا وقرا الجمهور او اباونا
بفتح الواو وفي او وقرا ابو جعفر وشيبة وابن عامر ونافع في رواية قالون
بالسكون فهي حرف عطف ومن فتح فالواو حرف عطف دخلت عليه همزة الاستفهام
قال الزمخشري او اباونا معطوف علي محل ان واسمها او علي الضمير في مبعوثون
والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعني ايبعث ايضا
اباونا علي زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل انتهي
اما قوله معطوف علي محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه لان قولك ان زيدا قايم
وعمرو فيه مرفوع علي الابتدا وخبره محذوف واما قوله او علي الضمير في مبعوثون
الي اخره فلا يجوز عطفه علي الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا علي الجمل
لا علي المفرد لانه اذا عطف علي المفرد كان الفعل عاملا في المفرد بوساطة حرف
العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما بعدها ما قبلها فقوله او اباونا مبتدا
خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد او عمرو
فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكرنا واستفهامهم تضمن انكارا واستبعادا
فامر الله نبيه ان يجيبهم بنعم وانتم داخرون اي صاغرون وهي جملة حالية
العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون وزادهم في الجواب ان بعثهم وهم
ملتبسون بالصغار والذل وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم الخلاف
فيها في سورة الاعراف وهي كناية عن البعثة اي فانما بعثتهم زجرة اي صيحة
وهي النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشية عن الزجرة جعلت اياها مجازا
وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها انتهي وكثيرا ما يقول هو وابن مالك
ان الضمير يفسره الخبر وجعل من ذلك ابن مالك ان هي الا حياتنا الدنيا وتكلمنا
معه في ذلك في شرح التسهيل وقال الزمخشري فانما جواب شرط مقدر
تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة انتهي وكثيرا ما يضمر جملة الشرط
قبل فا اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعوا الي ذلك ولا يحذف الشرط ويبقي

جوابه الا اذا جزم الفعل الذي يطلق عليه انه جواب الشرط الامر والنهي وما
ذكر معهما علي قول بعضهم اما ابتدا فلا يجوز حذفه وينظرون من النظر اي فاذا هم
بصرا ينظرون او من الانتظار اي فاذا هم ينتظرون ما يفعل بهم وما يومرون به
والظاهر ان قوله وقالوا يا ويلنا من كلام بعض الكفار لبعض الي اخر الجملتين
اقروا بانه يوم الجزا وانه يوم الفصل وخاطب به بعضهم بعضا ووقف ابو حاتم
علي قوله يا ويلنا وجعل هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل ليس من
كلامهم وانما المعني يقال لهم هذا يوم الفصل ويوم الدين يوم الجزا والمعاوضة
ويوم الفصل يوم الفرق بين فرق الهدي وفرق الضلال والذي كنتم به تكذبون
توبيخ لهم وتقريع احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
فاهدوهم الي صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم
مستسلمون واقبل بعضهم علي بعض يتسالون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن
اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين
فحق علينا قول ربنا انا لذايقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يوميذ في العذاب
مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جا بالحق وصدق المرسلين انكم لذايقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون احشروا خطاب من الله للملايكة
او خطاب الملايكة بعضهم لبعض اي اجمعوا الظالمين ونسايهم الكافرات قاله ابن
عباس ورجحه الروماني او وانواعهم وضربايهم قاله عمر وابن عباس ايضا وقتادة
او واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة
او وقرناهم من الشياطين وقرا عيسي بن سليمن الحجازي وازواجهم مرفوعا عطفا
علي ضمير ظلموا اي وظلم ازواجهم فاهدوهم اي عرفوهم وقودوهم الي طريق النار
حتي تسلكوها والجحيم طبقة من طبقات جهنم وقفوهم كما قال ولو تري اذ وقفوا
علي النار وقوف توبيخ لهم انهم مسولون قرا عيسي انهم بفتح الهمزة قال عبد الله
يسالون عن شرب الماء البارد علي طريق الهزء بهم وعنه ايضا يسالون عن لا اله الا
الله وقال الجمهور عن اعمالهم ويوقفون علي قبحها وفي الحديث لا تزول
قدما عبد حتي يسال عن خمس شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله كيف
كسبه وفيما انفقه وعن ما عمل فيما علم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعني
علي نحو ما فسره بقوله ما لكم لا تناصرون اي انهم مسولون عن امتناعهم عن
التناصر فهذا علي سبيل التوبيخ في الامتناع وقال الزمخشري هذا تهكم بهم
وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا علي خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين
متناصرين وقال الثعلبي ما لكم لا تناصرون جواب ابي جهل حين قال في بدر نحن
جميع منتصر وقري لا تتناصرون بتاوين وبادغام احداهما في الاخري
بل هم اليوم مستسلمون اي قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكل واحد منهم
مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم علي بعض يتسالون قال قتادة هم جن وانس
وتسالهم عن معني التقريع والتلاوم والسخط قالوا اي قالت الانس للجن قاله
مجاهد وابن زيد او ضعفة الانس الكفرة لكبرايهم وقادتهم واليمين الجارحة
وليست مرادة هنا فقيل استعيرت لجهة الخير او القوة والشدة او لجهة الشهوات
او لجهة التمويه والاغوا واظهار انها رشد او الحلف ولكل من هذه الاستعارات
وجه فاما استعارتها لجهة الخير فلان الجارحة اشرف العضوين وايمنهما وكانوا
يتيمنون بها حتي في السانح ويصافحون ويماسحون ويناولون ويزاولون بها اكثر
الامور ويباشرون بها افاضل الاشيا وجعلت لكاتب الحسنات ولاخذ المومن
كتابه بها والشمال بخلاف ذلك واما استعارتها للقوة والشدة فانها يقع بها
البطش فالمعني انكم تغروننا بقوتكم وتحملوننا علي طريق الضلال واما استعارتها

جهة

لجهة الشهوات فلان جهة اليمين هي الجهة الثقيلة من الانسان وفيها كبده وجهة
شماله وفكره وهي اخف والمنهزم يرجع علي شقه الايسر اذ هو اخف شقيه واما استعارتها
لجهة التمويه والاغوا فكانهم شبهوا اقوال المغوين بالسوانح التي هي عندهم
محمودة كان التمويه في غواياتهم اظهر ما يحمدونه واما الحلف فانهم يحلفون لهم
وياتونهم اتيان المقسمين علي حسن ما يتبعونهم فيه قالوا اي المخاطبون اما الجن
واما قادة الكفرة بل لم تكونوا مومنين اي لم نقركم علي الكفر بل انتم من ذواتكم
ابيتم الايمان وقال الزمخشري واعرضتم مع تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما
عليه الكفر غير ملجيين وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم
قوما مختارين الطغيان انتهي ولفظة التمكن والاختيار الفاظ المعتزلة حريا
علي مذهبهم فحق علينا قول ربنا اي لزمنا قول ربنا اي وعيده لنا بالعذاب والظاهر
ان قوله انا لذايقون اخبار منهم انهم ذايقون العذاب جميعهم الروسا والاتباع
وقال الزمخشري فلزمنا قول ربنا انا لذايقون يعني وعيد الله بانا ذايقون
لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكي الوعيد كما هو لقال
انكم لذايقون ولكنه عدل به الي لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه
قول القايل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكي قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف
والتا لاقبال المحلف علي المحلف انتهي فاغويناكم دعوناكم الي الغي وكانت فيكم
قابلية له فغويتم انا كنا غاوين فاردنا ان تشاركونا في الغي فانهم يوميذ في العذاب
مشتركون اي يوم اذ تسالوا وتراجعوا في القول وهذا اخبار منه تعالي
كما اشتركوا في الغي اشتركوا فيما ترتب عليه من العذاب انا كذلك اي مثل هذا الفعل
بهولا نفعل بكل مجرم فيترتب علي اجرامه عذابه ثم اخبر عنهم باكبر اجرامهم
وهو الشرك بالله واستكبارهم عن توحيده وافراده بالالهية ثم ذكر عنهم ما قدحوا
به في الرسول وهو نسبته الي الشعر والجنون وانهم ليسوا بتاركي الهتهم له
وللجايه فجمعوا بين انكار الوحدانية وانكار الرسالة وقولهم لشاعر مجنون
تخليط في كلامهم وارتكاب في غيهم فان الشاعر هو عنده من الفهم والحذق وجودة
الادراك ما ينظم به المعاني الغريبة ويصوغها في قالب الالفاظ البديعة ومن
كان مجنونا لا يصل الي شي من ذلك ثم اضرب تعالي عن كلامهم واخبر بانه جا بالحق
وهو الثابت الذي لا يلحقه اضمحلال فليس ما جا به شعرا بل هو الحق الذي لا شك
فيه ثم اخبر انه صدق من تقدمه من المرسلين اذ هو وهم علي طريقة واحدة
في دعوي الامم الي التوحيد وترك عبادة غيره وقرا عبد الله وصدق بخف الدال
المرسلون بالواو رفعا اي وصدق المرسلون في التبشير به وفي انه ياتي اخرهم
وقرا الجمهور لذايقوا العذاب بحذف النون للاضافة وقرا ابو السمال وابان عن ثعلب
عن عاصم بحذفها لالتقا لام التعريف ونصب العذاب كما حذف بعضهم التنوين
لذلك في قراءة من قرا احد الله وقول الشاعر

فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

وقري لذايقون بالنون العذاب بالنصب وما دون الا جزا مثل عملكم اذ هو ثمرة
عملكم الا عباد الله المخلصين اولايك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم
علي سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين بيضا لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم
عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم علي
بعض يتسالون قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين ايذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سوا الجحيم
قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين
الا موتتنا الاولي وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العا

ملو

الاعباد الله استثنا منقطع لما ذكر شيا من احوال الكفار وعذابهم ذكر شيا من احوال
المومنين ونعيمهم والمخلصين صفة مدح لان كونهم عباد الله يلزم منه ان يكونوا
مخلصين ووصف رزق بمعلوم اي عندهم فقد قرت عيونهم بما يستدر عليهم من
الرزق وبان شهوا انهم تاتيهم بحسبها وقال الزمخشري معلوم بخصايص خلق
عليها من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات
ياباه انتهى فواكه بدل من رزق وهي مايتلذذ به ولايتقوت لحفظ الصحة
يعني ان رزقهم كله فواكه لاستغنايهم عن حفظ الصحة بالاقوات لانهم
اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ وقرا ابن مقسم
مكرمون بفتح الكاف مشدد الرا ذكر اولا الرزق وهو مايتلذذ به الاجسام
وثانيا الاكرام وهو مايتلذذ به النفوس ورزق باهانة تنكيد ثم ذكر المحل الذي
هم فيه وهو جنات النعيم ثم اشرف المحل وهو السرر ثم لذة التانس بان
بعضهم يقابل بعضا وهو اتم السرور وانسه ثم المشروب وانهم لايتناولون ذلك
بانفسهم بل يطاف عليهم بالكووس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء
المفاسد ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية وختم بها كما بدا باللذة الجسمانية من
الرزق وهي ابلغ الملاذ وهي التانس بالنسا وقرا الجمهور على سرر بضم الرا
وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض تميم وكلب يفتحون ماكان جمعا على فعل
من المضعف اذا كان اسما واختلف النحويون في الصفة فمنهم من قاسها على الاسم
ففتح فيقول ذلك بفتح اللام على تلك اللغة الثانية في الاسم ومنهم من خص
ذلك بالاسم وهو مورد السماع في تلك اللغة وقيل التقابل لاينظر بعضهم الى قفا
بعض وفي الحديث انه احيانا ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم الى بعض ولامحالة ان
اكثر احيانهم هم فيها في قصورهم ويطاف مبني للمفعول وحذف الفاعل وهو المثبت
في اية اخرى في قوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ويطوف عليهم غلمان لهم ولعلهم
من مات من اولاد المشركين قبل التكليف ففي صحيح البخاري انهم خدم اهل الجنة
والكاس ماكان من الزجاج فيه خمر اونحوه من الانبذة ولايسمى كاسا الا وفيه
ذلك وقد يسمى الخمر نفسها كاسا تسمية للشي بمحله قال وكاس شربت على
لذة واخرى تداويت منها بها وقال ابن عباس والضحاك والاخفش كل
كاس في القران فهو خمر وقيل الكاس هيئة مخصوصة في الاواني وهو كل ما اتسع
فمه ولم يكن له مقبض ولايراعي كونه لخمر او لا من معين من شراب معين او من
نهر معين وهو الجاري على وجه الارض كما يجري الما وبيضا صفة للكاس او
للخمر وقال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن وفي قراة عبد الله صفرا
كما قال بعض المولدين

صفرا لاتنزل الاحزان ساحتها لومسها حجر مسته سرا

ولذة صفة بالمصدر على سبيل المبالغة او على حذف اي ذات لذة او على تانيث
لذ بمعنى لذيذ لافيها غول قال ابن عباس وقتادة هو صداع في الراس وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد وابن زيد وجع في البطن انتهى والاسم يشمل انواع
الفساد الناشية عن شرب الخمر فينبغي جميعها من مغص وصداع وخمار وعربدة
ولغو وتاثيم ونحو ذلك ولما كان السكر اعظم مفاسدها افرده بالذكر فقال
ولاهم عنها ينزفون وقرا الحرميان والعربيان بضم اليا وفتح الزاي هنا وفي
الواقعة وبذهاب العقل فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وحمزة والكسائي
بكسرها فيهما وعاصم بفتحها هنا وكسرها في الواقعة وابن ابي اسحق بفتح اليا
وكسر الزاي وطلحة بفتح اليا وضم الزاي قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد
قاصرات الطرف قصرن الطرف على ازواجهن لايمتد طرفهن الى اجنبي كقوله

عربا وقال الشاعر

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

والعين جمع عينا وهي الواسعة العين في جمال كانهن بيض مكنون شبههن قال
الجمهور ببيض النعام المكنون في عشه وهو الادحية ولونها بياض به صفرة حسنة
وبه تشبه النسا فقال بيضات الخدر ومنه قول امري القيس

وبيضة خدر لايرام خباوها تمتعت من لهو بها غير معجل
كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الما غير المحلل

وقال السدي وابن جبير شبه الوانهن بلون قشر البيضة الداخل وهو غرقي
البيضة وهو المكنون في كن ورجحه الطبري وقال واما خارج قشر البيضة فليس
بمكنون وعن ابن عباس البيض المكنون الجوهر المصون واللفظ ينبو عن هذا
القول وقالت فرقة هو تشبيه عام لجملة المراة بجملة البيضة اراد ذلك تناسب
اجزا المراة وان كل جزء منها نسبته في الجودة الى نوعه نسبة الاخر من اجزايها الى
نوعه فنسبة شعرها الى عينها مستوية اذ هما غاية في نوعهما والبيضة اشد الاشيا
تناسب اجزا لانك من حيث جيتها فالنظر واحد كما قال بعض الادبا يتغزل

تناسبت الاعضا فيه فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر

وتسآلهم في الجنة تسآل راحة وتنعم يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا والايمان
وثمرته وفاقبل معطوف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب
كعادة الشرب في الدنيا قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

وجي به ماضيا لصدق الاخبار به فكانه قد وقع ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكي
يتذكر بذلك نعمة تعالى عليه حيث هداه الى الايمان واعتقاد وقوع البعث
والثواب والعقاب وهو مثال للتحفظ من قرنا السوء والبعد منهم قال ابن
عباس وغيره كان هذا القايل وقرينه من البشر وقالت فرقة هما اللذان في قوله
ياليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال مجاهد كانا انسيا وجنيا من الشياطين الكفرة
وقرا الجمهور من المصدقين بتخفيف الصاد من التصديق وفرقة بشدها
من التصدق قال فرات بن ثعلبة البهراني كانا شريكين بثمانية الاف
درهم بعبد الله احدهما ويقتصر من التجارة والنظر والاخر كافر مقبل على ماله
فانفصل من شريكه لتقصيره فكلما اشترى دارا او جارية او بستانا ونحوه
عرضه على المومن وفخر عليه فيتصدق المومن بنحو من ذلك ليشتري به في الجنة
فكان من امرهما في الاخرة ما قصه الله وقال الزمخشري نزلت في رجل تصدق
بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت
به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال اينك لمن المصدقين بيوم الدين
او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيا اينا لمدينون قال
ابن عباس وقتادة والسدي مجازون محاسبون وقيل لمسوسون مربوبون
يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه والظاهر ان الضمير في
قال هل انتم عايد على قايل في قوله قال قايل وقيل في الكلام حذف تقديره
فقال لهذا القايل حاضروه من الملايكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال
عند ذلك هل انتم مطلعون والخطاب في هل انتم يجوز ان يكون للملايكة وان
يكون لرفقايه في الجنة الذين كان هو واياهم يتساءلون او لخدمته وهذا هو
الظاهر لما كان قرينه ينكر البعث علم انه في النار فقال هل انتم مطلعون
الى النار لاريكم ذلك القرين وعلى هذا القول لايحتاج الكلام الى حذف ولا
لقول الملايكة ان قرينك في جهنم يعذب قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها
منها الى النار وقيل القايل هل انتم مطلعون الله تعالى وقيل بعض الملايكة يقول

لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرا
الجمهور مطلعون بتشديد الطا المفتوحة وفتح النون فاطلع بشد الطا فعلا ماضيا
وقرا ابو عمرو في رواية حسين الجعفي مطلعون باسكان الطا وفتح النون فاطلع بضم
الهمزة وسكون الطا وكسر اللام فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وهي قراءة ابن عباس
وابن محيصن وعمار بن ابي عمار وابي سراح وقرئ مطلعون مشددا فاطلع
مشددا مضارعا منصوبا على جواب الاستفهام وقرئ مطلعون بالتخفيف
فاطلع مخففا فعلا ماضيا وفاطلع مخففا مضارعا منصوبا وقرا ابو البرهسم وعمار
بن ابي عمار فيما ذكره خلف عن عمار مطلعون بخفة الطا وكسر النون فاطلع ماضيا مبنيا
للمفعول ورد هذه القراءة ابو حاتم وغيره لجمعها بين نون الجمع ويا المتكلم
والوجه مطلعي كما قال او مخرجي هم ووجهها ابو الفتح على تنزيل اسم الفاعل
منزلة المضارع وانشد الطبري على هذا قول الشاعر

وما ادري وظني كل ظن • امسلمني الى قومي شراح •

قال الفرا يريد شراحيل وقال الزمخشري اراد مطلعون اياي فوضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل
في ذلك بالمضارع لتاخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر
انتهى فالتخريج الثاني تخريج ابي الفتح وتخريجه الاول لا يجوز لانه ليس
من مواضع الضمير المنفصل فيكون المتصل وضع موضعه لا يجوز هند زيد ضارب
اياها ولا زيد ضارب اياي وكلام الزمخشري يدل على جوازه فالاولى تخريجه
ابي الفتح وقد جا منه امسلمني الى قومي شراح وقول الاخر

فهل فتى من سراة القوم يحملني • وليس حاملني الا ابن حمال •

وقول الاخر وليس بمعييني •

فهذه ابيات ثبتت التنوين فيها مع يا المتكلم فكذلك ثبتت نون الجمع معها اجرا
للنون مجرى التنوين لاجتماعهما في السقوط للاضافة ويقال طلع علينا فلان
واطلع واطلع بمعنى واحد ومن قرا فاطلع مبنيا للمفعول فضميره القايل الراي
هو المفعول الذي لم يسم فاعله وهو متعد بالهمزة اذ تقول طلع زيد واطلعه
غيره وقال صاحب اللوامح طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا اقبل وجاء
ومعنى ذلك هل انتم مقبلون فاقبل وانما اقيم المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير
فاطلع الاطلاع وحرف الجر المحذوف اي فاطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك
انتهى وقد ذكرنا ان اطلع عدي بالهمزة من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف
اي فاطلع به لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نايب عن الفاعل
فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك هذا لو قلت زيد ممرور او مغضوب
تريد به عليه لم يجز وسوا الجحيم وسطها تقول تعبت حتى انقطع سواي وقال
عيسى بن عمر لابي عبيدة كنت اكتب حتى ينقطع سواي قال ابن عباس سمي سوا
لاستواء المسافة منه الى الجوانب يعني سوا الجحيم قال خليد العصري راه قد
تبدلت حاله فلولا ما عرفه الله به لم يعرفه قال له عند ذلك بالله ان كدت
لتردين اي لتهلكني باغوايك وان مخففة من الثقيلة يلتقي بها القسم وتالله
قسم فيه التعجب من سلامته منه اذا كان قرينه قارب ان يرديه ولولا نعمة ربي
وهي توفيقه للايمان والبعد من قرين السو لكنت من المحضرين للعذاب كما
احضرته انت افما نحن بميتين قرا زيد بن علي بمايتين والظاهر انه من كلام القايل
يسمع قرينه على جهة التوبيخ له اي لسنا اهل الجنة بميتين لكن الموتة الاولى
كانت لنا في الدنيا بخلاف اهل النار فانهم في كل ساعة يتمنون فيها الموت
وما نحن بمعذبين كحال اهل النار بل نحن منعمون دايما ويكون في خطابه ذلك ه
منكلا له مقرعا محزنا له بما انعم الله به عليه من دخوله الجنة معلما له بتباين حاله

في الاخرة

في الاخرة كحاله كما كانتا تتباينان في الدنيا وان ما كان يقول فيها في الدنيا من انه
ليس بعد الموت جزا ظهر له خلافه يعذب بكفره بالله وانكار البعث ويجوز ان يكون
خطابا من القايل لرفقايه لما راى ما نزل بقرينه ووقفهم على نعمه تعالى عليهم في ديمومة
خلودهم في الجنة ونعيمهم فيها ويتصل قوله ان هذا الى قوله العاملون بهذا التاويل
ايضا الا وانهما خطابا لرفقايه ويجوز ان يكون تم كلامه عند قوله لتردين ويكون افما
نحن الى بمعذبين من كلامه وكلام رفقايه وكذلك ان هذا الى العاملون اي ان هذا
الامر الذي نحن فيه من النعيم والنجاة من النار وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا
لقولهم وتصديقا له وخطابا لرسول الله وامته ويقوي هذا قوله لمثل هذا فليعمل
العاملون والاخرة ليست بدار عمل ولا يناسب ذلك قول المومن في الاخرة الا على
تجوز كانه يقول لمثل هذا فليعمل العاملون وقال الزمخشري الذي عطف عليه
الفا محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا بمعذبين انتهى
وتقدم من مذهبه انه اذا تقدمت همزة الاستفهام وجا بعدها حرف العطف
يضمر ما يصح به اقرار الهمزة والحرف في محلهما الذي وقعا فيهما ومذهب الجماعة
ان حرف العطف هو المتقدم في التقدير والهمزة بعده ولكنه لما كانت الهمزة
لها صدر الكلام تقدمت فالتقدير عند الجماعة فاما وقد رجع الزمخشري
الى مذهب الجماعة وتقدم الكلام معه في ذلك اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رووس
الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ولقد
ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب
العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين لما انقضت
قصة المومن وقرينه وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شي الى شي عاد الى ذكر
الجنة والرزق الذي اعد الله فيها لاهلها فقال اذلك الرزق خير نزلا والنزل
ما يعد للاضياف وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم فاستوا الرزق
المعلوم يحصل به اللذة والسرور وشجرة الزقوم يحصل بها الالم والغم فلا
اشتراك بينهما في الخيرية والمراد تقرير قريش والكفار وتوقيفهم على شي
احدهما فاسق ولو كان الكلام استفهاما حقيقة لم يجز ذلا يتوهم احد ان في شجرة
الزقوم خيرا حتى يعادل بينها وبين رزق الجنة ولكن المومن لما اختار ما ادى
الى رزق الجنة والكافر اختار ما ادى الى شجرة الزقوم قيل ذلك توبيخا للكافرين
وتوقيفا على سو اختيارهم انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي
ابو جهل ونظراوه لما نزلت قال الكفار يخبر محمد عن النار انها تنبت الاشجار
وهي تاكلها وتذهبها ففتنوا بذلك انفسهم وجهلة اتباعهم وقال ابو جهل انما
الزقوم التمر بالزبد ونحن نتزقمه وقيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها واستعير الطلع وهو للنخلة لما تحمل هذه الشجرة وشبه طلعها بثمر
شجرة معروفة يقال لثمرها رووس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها
الاستن وذكرها النابغة في قوله •

تحيد من استن سود اسافله • مشي الاما الغوادي تحمل الحزما •

وهو شجر خشن منكر الصورة سميت ثمرة العرب بذلك تشبيها برووس الشياطين
ثم صار اصلا يشبه به وقيل هو شجر يقال له الصوم ذكره ساعدة بن جوية الهذلي
في قوله •

موكل الصوم يرقبها • من المعازب مخطوف الحشا زرم •

وقيل الشياطين صنف من الحيات ذوات اعراف ومنه
عجيز تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف
وقيل شبه بما اشتهر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها وان كانت
غير مرئية ولذلك يصورون الشيطان في اقبح الصور واذا راوا اشعث منتفش
الشعر قالوا كانه وجه شيطان وكان راسه راس شيطان وهذا بخلاف الملك
يشبهون به الصورة الحسنة وكما شبه امرؤ القيس المسنونة الزرق بانياب
الغول في قوله ومسنونة زرق كانياب اغوال وان كان لم يشاهد تلك الانياب
وهذا كله تشبيه تخييلي والضمير في منها يعود على الشجرة اي من طلعها وقرا
الجمهور لشوبا بفتح الشين وشيبان النحوي بضمها قال الزجاج الفتح للمصدر
والضم للاسم يعني انه فعل بمعنى مفعول اي مشوب كالنقض بمعنى المنقوض
وفسر بالخلط والحميم الما السخن جدا قيل وراد به هنا شرابهم الذي هو طينة
الخبال صديدهم وما يتماع منهم ولما ذكر انهم يملون بطونهم من شجرة الزقوم
للجوع الذي يلحقهم او لاكراههم على الاكل وملي البطون زيادة في عذابهم ذكر
ما يسقون لغلبة العطش وهو ما يمزج لهم من الحميم فلما كان الاكل يعتقبه ملي
البطن كان العطف بالفا في قوله فمالئون ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الاكل
اتي بلفظ ثم المقتضية المهلة ولما امتلات بطونهم من ثمر الشجرة وهو حار
احرق بطونهم وعطشهم فاخر سقيهم زمانا ليزدادوا بالعطش عذابا الي عذابهم
ثم سقوا ما هو احر والم واكره ثم ان مرجعهم لالي الجحيم لما ذهب بهم من منازلهم
التي اسكنوها في النار الي شجرة الزقوم للاكل والتملو منها والتسقي من الحميم
وتراخي رجوعهم الي منازلهم دخلت ثم للدلالة على ذلك والرجوع دليل على
الانتقال في وقت الاكل والشرب الي مكان غير مكانهما ثم ذكر تعالي حالهم
في تقليد ابائهم والضمير لقريش وان ذلك التقليد كان سببا لاستحقاقهم
تلك الشدايد اي وجدوا اباهم ضالين فاتبعوهم على ضلالتهم مسرعين في ذلك
لا يثبطهم شي ثم اخبر بضلال اكثر من تقدم من الامم هذا وما خلت ازمانهم
من ارسال الرسل وانذارهم عواقب التكذيب وفي قوله فانظر ما يقتضي
اهلاكهم وسوء عاقبتهم واستثنى المخلصين من عباده وهم الاقل المقابل لقوله
اكثر الاولين والمعني الا عباد الله فانهم نجوا ولما ذكر ضلال الاولين ذكر
اولهم شهرة وهم قوم نوح ونداوه عليه السلم تضمن اشيا منها الدعا على قومه وسواله
النجاة وطلب النصرة واجابه تعالي في كل ذلك اجابة بلغ بها مراده واللام في فلنعم
جواب قسم كقوله يمينا لنعم السيدان وجدتما والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
فلنعم المجيبون نحن وجا بصيغة الجمع للعظمة والكبريا لقوله فقدرنا فنعم القادرون
والكرب العظيم قال السدي الغرق ومنه تكذيب الكفرة وركوب الما وهوله
وهم فصل متميز للفصلية لا يحتمل غيره قال ابن عباس وقتادة اهل الارض كلهم
من ذرية نوح وفي الحديث انه عليه السلم قرا وجعلنا ذريته هم الباقين فقال
سام وحام ويافث وقال الطبري العرب من اولاد سام والسودان من اولاد
حام والترك والصقلب وغيرهم من اولاد يافث وقالت فرقة ابقي الله ذرية
نوح ومد في نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل في الامم من لا يرجع اليه
وتركنا عليه في الاخرين اي في الباقين غابر الدهر ومفعول تركنا محذوف تقديره
ثناء حسنا جميلا الي اخر الدهر قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
وسلام رفع بالابتدا مستانف سلم الله عليه ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره احد
من العالمين بسوء سلم تعالي عليه جزا على ما صبر طويلا من اقوال الكفرة واذاتهم
له وقال الزمخشري وتركنا عليه في الاخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح
في العالمين يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك

قرات

قرات سورة انزلناها انتهي وهذا قول الفرا وغيره من الكوفيين جعلوا سلام على
نوح في العالمين جملة في موضع نصب بتركنا وهذا هو المتروك عليه وكانه قال وتركنا
على نوح تسليما يسلم به عليه الي يوم القيامة انتهي وفي قراة عبد الله سلاما بالنصب
ومعنى في العالمين ثبوت هذه التحية مثبوتة فيهم جميعا مدامة عليه في الملايكة
والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم ثم علل هذه التحية عليه في العالمين بانه كان محسنا
ثم علل احسانه بكونه مومنا فدل على جلالة الايمان ومحله عند الله ثم اغرقنا الاخرين
انه كان مكذبا له من قومه لما ذكر نجاته ونجاة اهله اذ كانوا مومنين ذكر هلاك
غيرهم بالغرق وان من شيعته لابرهيم اذ جا ربه بقلب سليم اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر
نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الي الهتهم فجا بعجل
سمين فقربه اليهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين والظاهر عود
الضمير في من شيعته على نوح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اي
ممن شايعه في اصول الدين والتوحيد وان اختلفت شرايعهما واتفق اكثرهما
او ممن شايعه في التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابرهيم
الفا سنة وستماية واربعون سنة وبينهما من الانبيا هود وصالح عليهما السلم
وقال الفرا الضمير في من شيعته يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والاعرف
ان المتاخر في الزمان هو شيعة للمتقدم وجا عكس ذلك في قول الكميت
وما لي الا آل احمد شيعة وما لي الا مشعب الحق مشعب
جعلهم شيعة لنفسه وقال الزمخشري فان قلت بم يتعلق الظرف قلت بما في
الشيعة من معني المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جا ربه
بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر انتهي اما التخريج الاول فلا يجوز لان فيه
الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله لابرهيم لانه اجنبي من شيعته ومن
اذ وزاد المنع اذ قدره ممن شايعه حين جا لابرهيم لانه قدر ممن شايعه فجعل العامل
صلة لموصول وفصل بينه وبين اذ باجنبي وهو قوله لابرهيم وايضا فلام التوكيد
تمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا وتقديره ان
ضاربا زيدا القادم علينا لم يجز واما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين ومجيه
ربه بقلب سليم اخلاصه الدين لله وسلامة قلبه براته من الشك والنقايص
التي تعتري القلوب من الغل والحسد والخبث والمكر والكبر ونحوه قال عروة
بن الزبير لم يلعن شيا قط وقيل سليم من الشرك ولا معنى للتخصيص واجازوا
في نصب ايفكا وجوها احدها ان يكون مفعولا بتريدون والهة بدلا منه وهو
استفهام تقرير وقد لم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكره الزمخشري قال فسر
الافك بقوله الهة من دون الله افكا والهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم المفعول
له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم
وبدا بهذا الوجه الزمخشري وجعل المصدر حالا لا يطرد الا مع اما في نحو اما علما
فعالم فما ظنكم برب العالمين استفهام توبيخ وتحذير وتوعد اي اي شي ظنكم بمن هو
يستحق لان تعبدوه اذ هو رب العالمين حتي تركتم عبادته وعدلتم به الاصنام
او اي شي ظنكم بفعله معكم من عقابكم اذ قد عبدتم غيره كما تقول اسات الي فلان
فما ظنك به ان يوقع بك جزا ما اسات اليه ولما وبخهم على عبادة غير الله اراد ان يريهم
ان اصنامهم لا تنفع ولا تضر فعمد الي ما يجعله منفردا بها حتي يكسرها ويبين لهم حالها
وعجزها فنظر نظرة في النجوم والظاهر انه اراد علم الكواكب وما يعزى اليها من
التاثيرات التي جعلها الله لها والظاهر ان نظره كان فيها اي في علمها او في كتابها الذي

اشتمل علي احوالها واحكامها قيل وكانوا يعانون ذلك فاتاهم من الجهة التي يعانونها واوهمهم بانه استدل بامارة في علم النجوم انه سقيم اي مشارف للسقم قيل وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم اذ ذاك وخافوا العدوي وهربوا منه الي عيدهم ولذلك قال فتولوا عنه مدبرين قال معناه ابن عباس وتركوه في بيت الاصنام ففعل ما فعل وقيل كانوا اهل رعاية وفلاحة وكانوا يحتاجون الي علم النجوم وقيل ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاحضر معنا فنظر الي نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي وقيل معني فنظر نظرة في النجوم اي فيما نجم اليه من امور قومه وحاله معهم ومعني فتولوا عنه مدبرين اي لكفرهم به واحتقارهم له وقوله اني سقيم من المعاريض عرض انه يسقم في المال وفهموا منه انه ملتبس بالسقم وابن ادم لا بد ان يسقم والمثل كفي بالسلامة داء وقال لبيد

• فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء •

ومات رجل فجاة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فراغ الي الهتهم اي اصنامهم التي هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاي وعرض الاكل عليها واستفهامها عن النطق هو علي سبيل الهزء لكونها منحطة عن رتبة عابديها اذ هم ياكلون وينطقون وروي انهم كانوا يضعون عندها طعاما ويعتقدون انها تصيب منه شيئا وهو ياكله خدمتها فراغ عليهم ضربا باليمين اي اقبل عليهم مستخفيا ضاربا فهو مصدر في موضع الحال اي يضربهم ضربا فهو مصدر فعل محذوف او ضمن فراغ عليهم معني ضربهم وباليمين اي بيمين يديه قاله ابن عباس لانها اقوي يديه او بقوته لانه قيل كان يجمع يديه في الالة التي يضرب بها وهي الفاس وقيل بسبب الحلف الذي هو وتالله لاكيدن اصنامكم وقرا الجمهور يزفون بفتح اليا من زف اسرع او من زفاف العروس وهو التمهل في المشية اذ كانوا في طمانينة ان ينال اصنامهم شي لعزتهم وقرا حمزة ومجاهد وابن وثاب والاعمش بضم اليا من ازف دخل في الزفيف فالهمزة ليست للتعدي او حمل غيره علي الزفيف فهي للتعدي قاله الاصمعي وقرا مجاهد ايضا وعبد الله بن يزيد والضحاك ويحيي بن عبد الرحمن المقري وابن ابي عبلة يزفون مضارع وزف بمعني اسرع وقال الكساي والفرا لا نعرفها بمعني زف وقال مجاهد الوزيف النسلان وقري يزفون مبنيا للمفعول وقري يزفون بسكون الزاي من زفاه اذا حداه وكان بعضهم يزف بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فراغ عليهم ضربا باليمين وبين قوله فاقبلوا اليه يزفون جمل محذوفة هي مذكورة في سورة اقترب ولا تعارض بين قوله فاقبلوا اليه يزفون وبين سوالهم من فعل هذا بالهتنا واخبار من عرض بان ابرهيم كان يذكر اصنامهم لان هذا الاقبال كان قد تقضي تلك الجمل المحذوفة اي فاقبلوا اليه اي الي الانكار عليه في كسر اصنامهم وما نبه علي ذلك وليس هذا الاقبال من عندهم بل بعد مجيهم من عندهم جرت تلك المفاوضات المذكورة في سورة اقترب واستسلف الزمخشري في كلامه اشيا لم تتضمنها الايات صارت الايات عنده بها كالتناقض قال حيث ذكرهنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوي فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتي قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم استدلوا بذمه علي انه الكاسر انتهي ما ابدا من التناقض وليس في الايات ما يدل علي انهم ابصروه يكسرهم فيكون فيه كالتناقض ولما قرر انه كالتناقض قال قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرايهم فلما رجع الجمهور والغلبة من عندهم الي بيت الاصنام لياكلوا الطعام وضعوا عندها لتبرك عليه وراها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا لم ينم عليه اولايك النفر نميمة

ملجحر

صريحة ولكن علي سبيل التورية والتعريض بقوله سمعنا فتي يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم ثم سوالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فاتوا به علي اعين الناس انتهي وهذا الوجه الثاني الذي ذكره هو الصحيح قال اتعبدون ما تنحتون استفهام توبيخ وانكار عليهم كيف هم يعبدون صورة صوروها بايديهم وشكلوها علي ما يريدون من الاشكال والله خلقكم وما تعملون الظاهر ان ما موصولة بمعني الذي معطوفة علي الضمير في خلقكم اي انشاذواتكم وذوات ما تعملون من الاصنام والعمل هنا هو التصوير والتشكيل كما تقول عمل الصايغ الخلخال وعمل الحداد القفل والنجار الخزانة ويحمل ذلك علي ان ما بمعني الذي يتم الاحتجاج عليهم بان كلا من الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالي والعابد هو المصور ذلك المعبود فكيف تعبد مخلوقا مخلوقا وكلاهما خلق الله وهو المنفرد بانشاء ذواتهما والعابد مصور الصنم معبوده وما في وما تنحتون بمعني الذي فكذلك في وما تعملون لان نحتهم هو عملهم وقيل ما مصدرية اي خلقكم وعملكم وجعلوا ذلك قاعدة علي خلق الله افعال العباد وقد نكد الزمخشري بقايل هذه المقالة بما يوقف عليه في كتابه وقيل ما استفهام انكاري واي شي تعملون في عبادتكم اصناما تنحتونها اي لا عمل لكم تعتبر وقيل ما نافية اي وما انتم تعملون شيا في وقت خلقكم ولا تقدرون علي شي وكون ما مصدرية واستفهامية ونفيا اقوال متكلفة خارجة عن طريق البلاغة ولما غلبهم ابرهيم عليه السلام بالحجة مالوا الي الغلبة بقوة الشوكة والجمع فقالوا ابنوا له بنيانا اي في موضع ايقاد النار وقيل هو المنجنيق الذي رمي عنه واراد وابه كيدا فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وكذا عادة من غلب بالحجة رجع الي الكيد تل الرجل الرجل صرعه علي شقه وقيل وضعه بقوة وقال ساعدة بن جوية

• وظل تليلا للجبين وللفم •

والجبينان ما اكتنف الجبهة من هنا ومن هنا وشذ جمع الجبين علي اجبن وقياسه في القلة اجنة ككثيب واكثبة وفي الكثرة جنان وجبن ككثبان وكثب

الذبح اسم ما يذبح كالرعي اسم ما يرعي ابق هرب ساهم قارع المدحض المغلوب الحوت معروف الام اتي بما يلام عليه قال الشاعر

• وكم من مليم لم يصب بملامة ومتبع بالذنب ليس له ذنب •

العرا الارض الفيحا لا شجر فيها ولا معلم قال الشاعر

• رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالمتن العرا ثيابي •

اليقطين يفعيل لا يعصيد من قطن اقام بالمكان وهو ما كان من الشجر لا يقوم علي ساق من عود كشجر البطيخ والقرع والحنظل والقثا الساحة الفنا وجمعها سوح قال الشاعر

• فكان سيان ان لا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح •

وقال اني ذاهب الي ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك فانظر ماذا تري قال يا ابت افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلا المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام علي ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلي اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين لما سلمه الله منهم ومن النار التي القوه فيها عزم علي مفارقتهم وعبر بالذهاب الي ربه عن هجرته الي ارض الشام كما قال اني مهاجر الي ربي ليتمكن من عبادة ربه ويتفرغ له من غير ان يلقي من يشوش عليه

فهاجر من ارض بابل من مملكة نمرود الى الشام وقيل الى ارض مصر ويبعد قول من
قال يبشر المراد بذهابه الهجرة وانما مراده لقاء الله بعد الاحراق ظانا منه
انه سيموت في النار فقالها قبل ان يطرح في النار وسيهدين اي الى الجنة نحا الى
هذا قتادة لان قوله رب هب لي من الصالحين يدفع هذا القول والمعتقد انه
يموت في النار لا يدعو بان يهب الله له ولدا صالحا سيهدين يوفقني الى ما فيه
صلاحي من الصالحين اي ولدا يكون في عداد الصالحين ولفظ الهبة غلب في الولد
وان كان قد جاء في الاخ كقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا واشتملت
البشارة على ذكورية المولود وبلوغه سن الحلم ووصفه بالحلم واي حلم اعظم من
قوله وقد عرض عليه ابوه الذبح ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما بلغ معه
السعي بين هذه الجملة والتي قبلها محذوف تقديره فولد له وشب فلما بلغ اي
بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد
والسعي هنا العمل والعبادة والمعونة وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا
متمكنا ومعه قال الزمخشري لا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد
السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال
فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى
في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف عليه في الاستسعا
فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة
سنة انتهى قال يا بني نداء شفقة وترحم اني ارى في المنام اني اذبحك اي بامر من
الله ويدل عليه افعل ما تؤمر ورؤيا الانبيا وحي كاليقظة وذكر له الرؤيا
تجسيرا على احتمال تلك البلية العظيمة وشاوره بقوله فانظر ماذا ترى وان كان
حتما من الله ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم ويصبره ان جزع
ويوطن نفسه على ملاقاة هذا البلا وتسكن نفسه لما لا بد منه اذ مفاجاة البلا
قبل الشعور به اصعب على النفس وكان ما راه في المنام ولم يكن في اليقظة كرؤيا
يوسف عليه السلام ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام ليدل
على ان حالتي الانبيا يقظة ومناما سوا في الصدق متظاهرتان عليه قيل انه حين
بشرته الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له
اوف بنذرك وقيل راى ليلة التروية قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم فمن ثم
سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي
يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقرا الجمهور
ترى بفتح التا والرا وعبد الله والاسود بن يزيد وابن وثاب وطلحة والاعمش
ومجاهد وحمزة والكسائي بضم التا وكسر الرا والضحاك والاعمش ايضا بضم
التا وفتح الرا فالاول من الراي والثاني ماذا تريني وما تبديه لا نظر فيه
والثالث ما الذي يخيل اليك ويوقع في قلبك وانظر معلقة وماذا استفهام فان
كانت ذا موصولة بمعنى الذي فما مبتدا والفعل بعد ذا صلة وان كانت ماذا
مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها والجملة واسم الاستفهام الذي هو معمول
للفعل بعده في موضع نصب لانظر ولما كان خطاب الاب يا بني على سبيل الترحم
قال هو يا ابت على سبيل التعظيم والتوقير افعل ما تؤمر اي ما تؤمره حذف وهو
منصوب واصله ما تؤمر به فحذف الحرف واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه
لوجود شرائط الحذف فيه وقال الزمخشري او امرك على اضافة المصدر الى
المفعول الذي لم يسم فاعله وفي ذلك خلاف فهل يعتقد في المصدر العامل انه
يجوز ان يبنى للمفعول فيكون ما بعده مفعولا لم يسم فاعله ام لا يكون ذلك
ستجدني ان شاء الله من الصابرين كلام من اوتي الحلم والصبر والامتثال لامر

الله والرضا بما امر فلما اسلما لامر الله ويقال استسلم وسلم بمعناها وقرا الجمهور
اسلما وقرا عبد الله وعلي وابن عباس ومجاهد والضحاك وجعفر بن محمد والاعمش
والثوري سلما اي فوضا اليه في قضائه وقدره وقرئ استسلما ثلاث قراات
وقال قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه واسلم هذا نفسه فجعل اسلما متعديا وغيره
جعله لازما بمعنى انقاد لامر الله وخضع له وتله للجبين اوقعه على احد جبينيه
في الارض مباشرة الامر بصبر وجلد وذلك عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن
في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب
لما محذوف مقدر بعد وتله للجبين اي اجزلنا اجرهما قاله بعض البصريين او بعد
الرؤيا اي كان ما لا تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
وحمدهما الله على ما انعم به الى الفاظ كثيرة ذكرها الزمخشري على عادته في خطابته
او قبل وتله تقديره فلما اسلما اسلما وتله قال ابن عطية وهو قول الخليل
وس وهو عندهم كقول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي اجزنا
وانتحى وقال الكوفيون الجواب مثبت وهو وناديناه على زيادة الواو وقالت
فرقة هو وتله على زيادة الواو وذكر الزمخشري في قصة ابرهيم وابنه وما جرى
من الاقوال والافعال فهو لا الله اعلم بصحتها يوقف عليها في كتابه وان مفسرة
اي قد صدقت وقرا زيد بن علي وناديناه قد صدقت بحذف ان وقرئ صدقت
بالتخفيف وقرا فياض الرؤيا بكسر الرا والادغام وتصديق الرؤيا قال
الزمخشري بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله سبحانه جا بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل
ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت
الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور
به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شي كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل
بالكلام فيه وقال ابن عطية قد صدقت يحتمل ان يريد بقلبك على معنى كانت
عندك رؤياك صادقة حقا من الله فعملت بحسبها حين امنت بها واعتقدت
صدقها ويحتمل ان يريد صدقت بعملك ما حصل عن الرؤيا في نفسك كانه قال
قد وفيتها حقها من العمل انتهى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما
الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا اي ما امر به
ابرهيم من ذبح ابنه لهو البلا المبين اي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون
وغيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح قال
ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي
به اسمعيل وقال ايضا هو والحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وقال الجمهور
كبش ابيض اقرن اعين ووصف بالعظم قال مجاهد لانه متقبل يقينا وقال عمرو
بن عبيد لانه جرت السنة به وصار دينا باقيا اخر الدهر وقال الحسن بن الفضل
لانه كان من عند الله وقال ابو بكر الوراق لانه لم يكن عن نسل بل عن التكوين
وقال ابن عباس وابن جبير عظمه كونه من كباش الجنة رعى فيها اربعين خريفا
وفي قوله وفديناه بذبح عظيم دليل على ان ابرهيم لم يذبح ابنه وقد فدي وقالت
فرقة وقع الذبح وقام بعد ذلك قال ابن عطية وهذا كذب صراح وقالت فرقة
لم ير ابرهيم في منامه الا امرار الشفرة فقط فظن انه ذبح مجهز فنفذ لذلك فلما
وقع الذي راه وقع النسخ قال ولا اختلاف ان ابرهيم عليه السلام امر الشفرة
على حلق ابنه فلم تقطع انتهى والذي دل عليه القران انه تله للجبين فقط ولم
يات في حديث صحيح انه امر الشفرة على حلق ابنه وتركنا عليه الى المومنين تقدم
تفسير نظيره في اخر قصة نوح قبل قصة ابرهيم هنا وقال هنا كذلك دون انا
اكتفا بذكره قبل وبعد وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الظاهر ان هذه

بشارة غير تلك البشارة وان الغلام الحليم المبشر به ابرهيم هو اسمعيل وانه هو
الذبيح لا اسحق وهو قول ابن عباس وابن عمر ومعاوية بن ابي سفين ومحمد بن كعب
القرظي والشعبي والحسن ومجاهد وجماعة من التابعين واستدلوا بظاهر هذه
الايات وبقوله عليه السلم انا ابن الذبيحين وقول الاعرابي له يا ابن الذبيحين
فتبسم عليه السلم يعني اسمعيل واباه عبد الله وكان عبد المطلب نذر ذبح احد ولده
فخرج السهم علي عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل
ففداه بها وفيما اوحي الله لموسي في حديث طويل واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه
وسال عمر بن عبد العزيز يهوديا اسلم عن ذلك فقال ان يهود ليعلم انه اسمعيل
ولكنهم يحسدونكم معشر العرب وان قرني الكبش منوطين في الكعبة وسال الاصمعي
ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتي كان
اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بني البيت مع ابيه والمنحر بمكة
انتهي ولوصفه تعالي بالصبر في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره علي الذبح وبصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه
من نفسه الصبر علي الذبح فوفي به وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح
اسمعيل ويزعم اليهود انه اسحق وكذبت اليهود ومن اقوي ما يستدل به ان الله
تعالي بشر ابرهيم باسحق وولد اسحق بيعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان ذلك
الاخبار غير مطابق للواقع وهو محال في اخبار الله تعالي وذهبت جماعة الي ان
الذبيح هو اسحق منهم العباس بن عبد المطلب وابن مسعود وعلي وعطا وعكرمة
وكعب وعبيد بن عمير وابن عباس في رواية وكان امر ذبحه بالشام وقال
عطا ومقاتل ببيت المقدس وقيل بالحجاز جاء مع ابيه علي البراق وقال عبيد بن عمير
كان بالمقام وقال ابن عباس والبشارة في قوله وبشرناه باسحق هي بشارة بنبوته
وقالوا اخبر تعالي عن خليله ابرهيم حين هاجر الي الشام بانه استوهبه ولدا ثم
اتبع تلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل
عليه كتاب يعقوب الي يوسف عليهما السلم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح
الله بن ابرهيم خليل الله ومن جعل الذبيح اسحق جعل هذه البشارة لسارة بنبوته
كما ذكرنا عن ابن عباس وقالوا لا يجوز ان يبشره الله بولادته ونبوته معا لان
الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا ومن جعله اسمعيل جعلها بشارة
بولادة اسحق وانتصب نبيا علي الحال وهي حال مقدرة فان كان اسحق هو الذبيح
وكانت هذه البشارة بولادة اسحق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سوال قال
فان قلت فرق بين هذا وهذا قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول
موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معها فقدرت مقدرين الخلود فكان
مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر
به اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا يقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو
اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف
يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او
به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعني مقدرين
الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الي ان تكون موجودة او مقدرة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سوال دقيق السلك ضيق المسلك
والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه
بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة
وبذلك يرجع نظير قوله تعالي فادخلوها خالدين من الصالحين قال ثانية ورودها
علي سبيل الثنا والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين انتهي وباركنا
عليه وعلي اسحق افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وبان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من

صلبه

صلبه ومن ذريتهما محسن وظالم فيه وعيد لليهود ومن كان من ذريتهما لم يومن بمحمد
صلي الله عليه وسلم وفيه دليل علي ان البر قد يلد الفاجر ولا يلحقه من ذلك عتب ولا
منقصة ولقد مننا علي موسي وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم
وتركنا عليهما في الاخرين سلام علي موسي وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من
عبادنا المومنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا
وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون
الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام علي الياسين انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المومنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
افلا تعقلون الكرب العظيم تعبد القبط لهم ثم خوفهم من جيش فرعون ثم البحر
بعد ذلك والضمير في ونصرناهم عائد علي موسي وهرون وقومهما وقيل عائد علي موسي
وهرون فقط تعظيما لهما بكناية الجماعة وهم يجوز ان يكون فصلا وتوكيدا
او بدلا والكتاب المستبين التوراة كما قال تعالي انا انزلنا التوراة فيها هدي
ونور والصراط المستقيم هو الاسلام وشرع الله والياس قال ابن مسعود
وقتادة هو ادريس عليه السلم ونقلوا عن ابن مسعود وابن وثاب والاعمش
والمنهال بن عمرو والحكم بن عتيبة الكوفي انهم قروا وان ادريس لمن المرسلين
وهي محمولة عندي علي تفسيره لان المستفيض عن ابن مسعود انه قرا وان الياس
وايضا تفسيره الياس بانه ادريس لعله لا يصح عنه لان ادريس في التاريخ المنقول
كان قبل نوح وفي سورة الانعام ذكر الياس وانه من ذرية ابرهيم او من ذرية نوح
علي ما يحتمله قوله تعالي ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ومن ذريته داود
وذكر في جملة هذه الذرية الياس وقيل الياس من اولاد هرون قال الطبري
هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون وقرا الجمهور وان الياس
بهمزة قطع مكسورة وقرا عكرمة والحسن بخلاف عنهما والاعرج وابو رجا وابن
عامر وابن محيصن بوصل الالف فاحتمل ان يكون وصل بهمزة القطع واحتمل ان
يكون اسمه ياسا ودخلت عليه ال كما دخلت علي اليسع وفي حرف ابي ومصحفه وان
ايليس بهمزة مكسورة بعدها يا ساكنة بعدها لام مكسورة بعدها يا ساكنة
وسين مفتوحة وقري وان ادراس وادراس لغة في ادريس كابراهام في ابرهيم
اتدعون بعلا اي تعبدون بعلا وهو علم لصنم لهم قاله الضحاك والحسن
وابن زيد قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به
وعظموه حتي اخدموه اربع مائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل
في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس
وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقال عكرمة
وقتادة البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا ينشد ضالة فقال له
رجل انا بعلها فقال ابن عباس الله اكبر اتدعون بعلا ويقال من بعل هذه الدار
اي من ربها والمعني علي هذا اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله وقالت
فرقة ان بعلا اسم امراة اتتهم بضلالة فاتبعوها وقري اتدعون بعلاء بالمد
علي وزن حمراء ويونس هذه القراة قول من قال انه اسم امراة وقرا الكوفيون
وزيد بن علي الله ربكم ورب ابائكم بالنصب في الثلثة بدلا من احسن او عطف
بيان ان قلنا ان اضافته للتفضيل محضة وباقي السبعة بالرفع اي هو الله او يكون
استينافا مبتدا وربكم خبره وروي عن حمزة انه اذا وصل نصب واذا وقف
رفع فكذبوه اي كذبه قومه اما في قوله الله ربكم هذه النسب او فكذبوه فيما جاء به من
عند الله من الامر بالتوحيد وترك الصنم والايمان بما جاءت به الرسل ومحضرون

يحضرون للعذاب الا عباد الله المخلصين استثناء يدل على ان من قومه مخلصين لم يكذبوه
وهو استثناء متصل من ضمير فكذبوه ولا يجوز ان يكون استثناء من فانهم لمحضرون
لانهم كانوا يكونون مندرجين فيمن كذب ويكون عباد الله المخلصين وذلك لا يمكن
ولا يناسب ان يكون استثناء منقطعا اذ يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير
قومه لا يحضرون للعذاب ولا مساس لهولا المستثنين بالاية التي فيها قصة الياس
هذه وقرا زيد بن علي ونافع وابن عامر على الياسين وزعموا ان موصولة في المصحف
وياسين اسم لالياس وقيل اسم لابي الياس لانه الياس بن ياسين وال ياسين هو ابنه
الياس وقيل ياسين هو اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقرا باقي السبعة على الياسين
بهمزة مكسورة اي الياسيين جمع المنسوبين الى الياس معه فسلم عليهم وهذا يدل
على ان قومه من كان اتبعه على الدين فكل واحد ممن نسب اليه كانه الياسي فلما جمعت
خففت يا النسب بحذف احدا هما كراهة التضعيف فالتقى ساكنان النافية وحرف
العلة الذي للجمع فحذفت لالتقائهما كما قالوا الاشعرون والاعجمون والخبيبون
والمهلبون وحكى ابو عمرو ان مناديا نادى يوما لكلاب هلك اليزيدون وقال
الزمخشري لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وقرا ابو رجاء والحسن على الياسين
بوصل الالف على انه جمع يراد به الياس وقومه المومنون وحذفت يا النسب كما قالوا
الاشعرون والالف واللام دخلت على الجمع واسمه على هذا ياس وقرا ابن مسعود
ومن ذكر معه انه قرا ادريس سلام على ادراسين وعن قتادة وان ادريس وقرا
على ادريسين وقرا ابي على ايليس كقراته وان ايليس لمن المرسلين الا عجوزا
هي امراة لوط وكانت كافرة اما مستترة بكفرها واما معلنة وكان نكاح الوثنيات
جايزا عندهم مصبحين حال اي داخلين في الصباح والخطاب في وانكم لقريش وكانت
متاجرهم الى الشام على مداين قوم لوط افلا تعقلون فيعتبرون بما جرى على من
كذب الرسل وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون فنبذناه بالعرا وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد
الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون
ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين يونس بن متى من بني اسرائيل
وروي انه نبي وهو ابن ثمان وعشرين سنة بعثه الله الى قومه فدعاهم مدة
فخالفوه فوعدهم بالعذاب فاعلمه الله بيومه فحذرهم يونس لهم ثم ان قومه لما راوا
مخايل العذاب قبل ان يباشرهم تابوا وامنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم
وتقدم شرح قصته واعد ناطرفا منها لبعد ما بين الذكرين قيل ولحقت يونس غضبة
فابق الى ركوب السفينة فرارا من قومه وعبر عن الهرب بالاباق اذ هو عبد لله
خرج فارا من غير اذن من الله وروي عن ابن مسعود انه لما ابعدت السفينة في البحر
ويونس فيها ركدت فقال اهلها ان فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع
فاخذوا لكل سهما على ان من طفي سهمه فهو ومن غرق سهمه فليس اياه فطفا سهم يونس
ففعلوا ذلك ثلثا تقع القرعة فيها عليه فازمعوا على ان يطرحوه فجا الى ركن منها ليقع
منه فاذا بدابة من دواب البحر ترقبه وترصد له فانتقل الى الركن الاخر فوجدها
حتى استدار بالمركب وهي لا تفارقه فعلم ان ذلك من عند الله فترامى اليها فالتقمه
ففي قصته يونس عليه السلام هنا جمل محذوفة مقدرة قبل ذكر فراره الى الفلك كما في
قصته في سورة الانبيا في قوله اذ ذهب مغاضبا وما بعد هذا وفي قوله فنادى
في الظلمات جمل محذوفة ايضا وبمجموع القصص يتبين ما حذف في كل قصة منها
فساهم فكان من المدحضين من المغلوبين وحقيقته ان كان من المزلقين عن

مقام

455

مقاما لظفر في الاستهام وقري وهو مليم بفتح الميم وقياسه ملوم لانه من لمته
الومه لولا فهو من ذوات الواو ولكنه جي به على تيم كما قالوا مشيب ومدعي
في مشوب ومدعو بنا على شيب ودعي من المسبحين من الذاكرين الله تعالى بالتسبيح
والتقديس والظاهر انه يريد ما ذكر في قوله في سورة الانبيا فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فقال ابن جبير هو قوله سبحان
الله وقالت فرقة بتسبيحه صلوة التطوع فقال ابن عباس وقتادة وابو العالية
صلوته في وقت الرخا نفعته في وقت الشدة وقال الضحاك بن قيس على منبره
اذكروا الله في الرخا يذكركم في وقت الشدة ان يونس كان عبدا شاكرا فلما اصابته
الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون وقال الحسن تسبيحه صلوته في بطن الحوت وروي انه كان يرفع
لحم الحوت بيديه يقول لابنين لك مسجدا حيث لم يبنه احد قبلي وروي ان الحوت
مشى به البحار كلها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل وروي ان الحوت
سافر مع السفينة رافعا راسه يتنفس ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا والظاهر ان قوله للبث في بطنه
يريد حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة
وذكروا في مدة لبثه في بطن الحوت اقوالا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا وهو
سقيم روي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد قاله ابن عباس والسدي
وقال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة قيل وهي
كانت التي انبتها الله عليه وتجمع خصالا برد الظل والملمس وعظم الورق وان
الذباب لا يقربها قيل دما ورقه اذا رش به مكان لم يقربه ذباب وقال
امية بن ابي الصلت

• فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله الفي ضاحيا •

وقيل روي انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي شجرة الموز
تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها ومعنى انبتنا عليه شجرة
اي انبتناها مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وقوله شجرة والشجرة في كلام
العرب ما كان على ساق من عود فيحتمل ان يكون الله انبتها ذات ساق يستظل
بورقها خرقا للعادة فثبت وصح وحسن وجهه لان ورق القرع انفع شي لمن
ينسلخ جلده وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور رسالته هذه هي
الاولى التي ابق بعدها ذكرها اخرا لقصص تنبيها على رسالته ويدل عليه
فامنوا فمتعناهم وتمتيع تلك الامة هو الذي اغضب يونس عليه السلام حتى
ابق وقال ابن عباس وقتادة هي رسالة اخرى بعد ان نبذ نابا لعرا وهي
الى اهل نينوى من ناحية الموصل وقال الزمخشري المراد به ما سبق من
ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى اليه الى هو
الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا
هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا
وقرا الجمهور او وقال ابن عباس بمعنى بل وقيل بمعنى الواو وبالواو قرى جعفر
بن محمد وقيل للابهام على المخاطب وقال المبرد وكثير من البصريين المعنى على
نظر البشر وحزرهم اي من رآهم قال هم مائة الف او يزيدون وهذا القول
لم يذكر الزمخشري غيره قال او يزيدون في مراى الناظر اذا راها الراي
قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة والزيادة ثلثون الفا
قاله ابن عباس او سبعون الفا قاله ابن جبير او عشرون الفا رواه ابي عن
النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح بطل ما سواه فامنوا روي انهم خرجوا بالاطفال
والاولاد والبهائم وفرقوا بينها وبين الامهات وناحوا وضجوا واخلصوا

فرفع الله عنهم والتمتيع هنا هو بالحيوة والحين اجالهم السابقة في الازل
قال قتادة والسدي والضمير فاستفتهم وقال الزمخشري فاستفتهم معطوف
على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتا قريش
عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتايهم
عن وجه القسمة الضيزى انتهى ويبعد ما قاله من العطف واذا كانوا قد عدوا
الفصل بجملة مثل قولك كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل
كثيرة وقصص متباينة فالقول بالعطف لا يجوز والاستفتا هنا سوال على جهة
التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله حيث جعلوا لله الاناث في قولهم
الملايكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووادهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن
وارتكبوا ثلثة انواع من الكفر التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام وتفضيل
انفسهم حيث ارفع الجنسين لهم واوضعه لله تعالى واستهانتهم بمن هو مكرم عند
الله حيث انثوهم وهم الملايكة نداا ولا بتوبيخهم على تفضيل انفسهم بقوله
الربك البنات وعدل عن قوله الربكم لما في ترك الاضافة اليهم من تحسينهم وشرف
نبيه بالاضافة اليه وثنى بان نسبة الانوثة الى الملايكة تقتضي المشاهدة
فانكر عليهم بقوله ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون اي خلقناهم وهم لا يشهدون
شيا من حالهم كما قال في الاخرى اشهدوا خلقهم وكما قال ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم ثم اخبر عنهم ثالثا باعظم الكفر وهو ادعاؤهم
انه تعالى قد ولد فبلغ افكهم الى نسبة الولد ولما كان هذا افحش قال وانهم
لكاذبون واحتمل ان يخص هذه الجملة بقولهم ولد الله ويكون تاكيدا لقوله
من افكهم واحتمل ان يعم هذا القول ونسبة الانوثة للملايكة وكونهم
بنات الله اي وانهم لكاذبون وقال الزمخشري فان قلت لم قال وهم شاهدون
فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزا بهم وتجهيل كقوله اشهدوا خلقهم وذلك
انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا
باخبار صادق ولا بطريق استدلال ولا نظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون
ذلك كالقايل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا
خلقه وقرئ ولد الله اي الملايكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على
الواحد والجمع والمذكر والمونث تقول هذه ولدي وهم ولدي انتهى
وقرا الجمهور اصطفى بهمزة الاستفهام على طريقة الانكار والاستبعاد وقرا
نافع في رواية اسمعيل وابن جماز وجماعة واسمعيل عن ابي جعفر وشيبة بوصل
الالف وهو من كلام الكفار حكى تعالى شنيع قولهم وهو انهم ما كفاهم ان قالوا ولد
الله حتى جعلوا ذلك الولد بنات وانه تعالى اختارهم على البنين وقال
الزمخشري بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراة
وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة
من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات
فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين انتهى وليست دخيلة بين نسيبين بل لها مناسبة
ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله وانهم لكاذبون فهي جملة اعتراض بين
مقالتي الكفرة جات للتشديد والتاكيد في كون مقالتهم تلك هي من افكهم ما لكم كيف
تحكمون تقرير وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة وقرا طلحة بن مصرف
تذكرون بسكون الذال وضم الكاف ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السما
وخبر بان الملايكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم بذلك كقوله ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين
فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام

معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا
ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول
عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
الظاهر ان الجنة هم الشياطين وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة منها انه
تعالى صاهر سروات الجن فولد فيهم الملايكة وهم فرقة من بني مدلج وشافهه
بذلك بعض الكفار ابا بكر الصديق ولقد علمت الجنة اي الشياطين انها محضرة
امر الله من ثواب وعقاب قاله ابن عطية وقال الزمخشري اذا فسرت
الجنة بالشياطين فيجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين
عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركا في وجوب
الطاعة لما عذبهم وقيل الضمير في وجعلوا الفرقة من كفار قريش والعرب
والجنة الملايكة سموا بذلك لاجتنانهم وخفاهم وقال الزمخشري وانما
ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وانكانوا معظمين في انفسهم
ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته
الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصح ان يناسب من لا يجوز عليه
ذلك انتهى ولقد علمت الجنة اي الملايكة انهم اي الكفرة المدعين نسبة
بين الملايكة وبين الله تعالى لمحضرون النار معذبون بما يقولون واضيف ذلك
الى علم من نسبوا له ذلك مبالغة في تكذيب الناسبين ثم نزه تعالى نفسه
عن الوصف الذي لا يليق به الا عباد الله فانهم يصفونه بصفاته العلى واما
من لمحضرون اي الا عباد الله فانهم ناجون من العذاب وتكون جملة التنزيه
اعتراضا وعلى كلا القولين فالاستثنا منقطع والظاهر ان الواو في وما تعبدون
للعطف عطفت ما تعبدون على الضمير في انكم وان الضمير في عليه عايد على ما
والمعنى قل لهم يا محمد انكم وما تعبدون من الاصنام ما انتم وهم وغلب الخطاب
كما تقول انت وزيد تخرجان عليه اي على عبادة معبودكم بفاتنين اي بحاملين بالفتنة
على عبادته الا من قدر الله في سابق علمه انه من اهل النار فالضمير في عليه عايد على
ما على حذف مضاف كما قلنا اي على عبادته وضمن فاتنين على معنى حاملين بالفتنة
ومن مفعول بفاتنين فرغ له العامل اذ لم ياخذ بفاتنين مفعولا وقيل عليه بمعنى
به اي ما انتم بالذي تعبدون بفاتنين وبه متعلق بفاتنين المعنى ما انتم فاتنين
بذلك الذي عبدتموه الا من سبق عليه القدر انه يصلى النار وجعل الزمخشري
الضمير في عليه عايدا على الله قال فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت
يفسدونهم عليه باغوايهم واستهوايهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول
افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها
في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على
قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم
مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناوهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين
على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال منكم انتهى وكون الواو في وما تعبدون
واو مع غير متبادر الى الذهن وقطع ما انتم عليه بفاتنين عن انكم وما تعبدون
ليس بجيد لان اتصافه به هو السابق الى الفهم مع صحة المعنى فلا ينبغي العدول
عنه وقرا الحسن وابن ابي عبلة صالوا الجحيم بالواو وهاكذا في كتاب الكامل للهذلي
وفي كتاب ابن خالويه عنهما صال مكتوبا بغير واو وفي كتاب ابن عطية وقرا الحسن

صا لومكتوبا بوا و وفي كتاب اللوامح وكتاب الزمخشري عن الحسن صال مكتوبا
بغير واو فمن اثبت الواو فهو جمع سلامة سقطت النون للاضافة حملا اولا على
لفظ من فافرد ثم ثانيا على معناها فجمع كقوله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وماهم بمومنين حمل في يقول على لفظ من وفي وماهم على المعنى واحتمل الحمل على
اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول كقوله الا من كان هودا او نصارى
وقال الشاعر

وايقظ من كان منكم نياما

ومن لم يثبت الواو احتمل ان يكون جمعا وحذفت الواو خطا كما حذفت في حالة
الوصل لفظا لاجل التقاء الساكنين واحتمل ان يكون صال مفردا حذفت لامه
تخفيفا وجرى الاعراب في عينه كما حذف من قوله وجنى الجنتين دان وله الجوار
المنشات برفع النون والجوار وقالوا ما باليت به بالة اي بالية كما فية من
عافي فحذفت لام بالية وقالوا بالة وبال بحذف اللام فيهما وقال الزمخشري
وقد وجه نحوا من الوجهين السابقين وجعلهما اولا وثالثا فقال والثالث
ان يكون اصله صايل على القلب ثم يقال صال في صايل كقولهم شاك في شايك
انتهى وما منا اي احد الا له مقام معلوم اي مقام في العبادة والانتها الى امر الله
مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم ظهره وراكع لا يرفع راسه
وهذا قول الملايكة وهو يقوي قول من جعل الجنة هم الملايكة تبروا عما
نسب اليهم الكفرة من كونهم بنات الله واخبروا عن حال عبوديتهم وعلى اي
حالة هم فيها وفي الحديث ان السما ما فيها موضع الا وفيه ملك ساجد او واقف
يصلي وعن ابن مسعود موضع شبر الا وعليه جبهة ملك او قدماه وحذف
المبتدا مع من جيد فصيح كما مر في قوله وان من اهل الكتاب الا ليومنن اي
وان من اهل الكتاب احد وقالت العرب منا ظعن ومنا اقام يريد منا فريق
ظعن ومنا فريق اقام وقال الزمخشري وما منا احد الا له مقام معلوم حذف
الموصول واقام الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا يكفي كان من
ارمى البشر انتهى وليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان
احد المحذوف مبتدا والا له مقام معلوم خبره ولانه لا ينعقد كلام من قوله
وما منا احد فقوله الا له مقام معلوم هو محط الفايدة وان تخيل ان الا له
مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على ان الا لا تكون صفة اذا حذف
موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك لتمكن غير في الوصف وقلة
تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله انا ابن جلا اي انا ابن رجل جلا ويكفي كان اي يكفي
رجل كان وهذا عند النحويين من اقبح الضرايرحيث حذف الموصوف
واقام الجملة مقامه ولم يتقدمه من وانا لنحن الصافون اي اقدامنا في الصلاة
او اجنحتنا في الهوا وحول العرش داعين للمومنين وقالت الزهرا او ي
قيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية ولا يصطف
احد من الملل غير المسلمين وانا لنحن المسبحون اي المنزهون الله عما نسب
اليه الكفرة او المنزهوه بلفظ التسبيح او المصلون وينبغي ان يحمل قوله
سبحان الله عما يصفون من كلام الملايكة فتطرد الجمل وتتسق لقايل واحد
فكانه قيل فلقد علمت الملايكة ان ناسبي ذلك محضرون للعذاب وقالوا سبحان
الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا من اخلص من عباد الله وقالوا للكفرة
فانكم والهتكم الى اخره وكيف يكون منا نسبة ونحن عبيد بين يديه لكل منا مقام
من الطاعة الى ما وصفوا به انفسهم من رتبة العبودية وقيل وما منا الا
له مقام معلوم هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وما من المرسلين
احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك

ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم المصطفون في الصلوة المنزهون
الله عما يقول اهل الضلال والضمير في ليقولون لكفار قريش لو ان عندنا
ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا
العبادة لله ولم نكذب كما كذبوا فكفروا به اي فجاءهم الذكر الذي كانوا يتمنونه
وهو اشرف الاذكار لاعجازه من بين الكتب فسوف يعلمون عاقبة كفرهم
وما يحل بهم من الانتقام واكدوا قولهم بان المخففة وباللام لكونهم كانوا جادين
في ذلك ثم ظهر منهم التكذيب والنفور البليغ كقوله فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به ولقد سبقت كلمتنا قرا الجمهور بالافراد لما انتظمت في معنى واحد
عبر عنها بالافراد وقرا الضحاك بالجمع والمراد الموعد بعلوهم على
عدوهم في مقامات الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة
وقال الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها فتول عنهم اي اعرض عنهم
حتى حين اي الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى
يوم بدر ورجحه الطبري وقال قتادة الى موتهم وقال ابن زيد الى يوم
القيامة وابصرهم اي انظر الى عاقبة امرهم فسوف يبصرونها وما يحل بهم من
العذاب والاسر والقتل او سوف يبصرونك وما يتم لك من الظفر بهم والنصر
عليهم وامره بابصارهم اشارة الى الحالة المنتظرة الكاينة لا محالة وانها
قريبة كانها بين ناظريه بحيث هو يبصرها وفي ذلك تسلية وتنفيس
عنه عليه السلام افبعذابنا يستعجلون استفهام توبيخ فاذا نزل هو اي العذاب
مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه
وبعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبته ولا دبروا امرهم
تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنايهم فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة
مغازيهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت
اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي يحس بها ويروقك
موردها على نفسك وطبعك الا لمجيها على طريقة التمثيل قاله الزمخشري
وقرا الجمهور نزل مبنيا للفاعل وابن مسعود مبنيا للمفعول وبساحتهم
هو القايم مقام الفاعل ونزل بساحة فلان يستعمل فيما ورد على الانسان
من خير او شر وسوء الصباح يستعمل في حلول الغارات والرزايا ومثل قول
الصارخ يا صباحاه وحكم سا هنا حكم بيس وقرا عبد الله فبيس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فسا صباح المنذرين صباحهم وتول عنهم حتى حين
كرر الامر بالتولي تانيسا له عليه السلام وتسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد
ولم يقيد امره بالابصار كما قيده في الاول اما لاكتفايه به في الاول
فحذفه اختصارا واما لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به
الابصار منه من صنوف المسرات والابصار منهم من صنوف المساءات وقيل اريد
بالاول عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة وختم تعالى هذه السورة بتنزيهه
عن ما يصفه به المشركون واضاف الرب الى نبيه تشريفا له باضافته وخطابه
ثم الى العزة وهي العزة المخلوقة الكاينة للانبيا والمومنين وكذلك قال
الفقها من جهة انها مربوبة وقال محمد بن سحنون وغيره من حلف بعزة الله تعالى
يريد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة فليست بيمين
وقال الزمخشري اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق انتهى فعلى هذا تنعقد اليمين
بعزة الله لانها صفة من صفاته قال ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من
الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله وتعز من تشا وعن علي كرم الله
وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه

المفردات

اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الي اخر السورة لات هي لا الحقت
التا كما الحقت في ثم ورب فقالوا ثمت وربت وهي تعمل عمل ليس في مذهب سس
وعمل ان في مذهب الاخفش فان ارتفع ما بعدها فعلي الابتدا عنده ولها احكام
ذكرت في علم النحو ولا في شي منها هنا عند ذكرا لقراات التي فيها والمناص المنجا
والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته وقال الفرا النوص التاخر يقال ناص
عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وزاغ وانشد لامري القيس

امن ذكر سلمي ان نابتك تنوص

واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل

وقال الجوهري استناص تاخر وقال النحاس ناص ينوص الوتد معروف
وكسر التا اشهر من فتحها ويقال وتد واتد كما يقال شغل شاغل قاله الاصمعي
وانشد لاقت علي الماجذيلا واتدا ولم يكن يخلفها المواعدا
وقالوا ود فادغموا قال الشاعر

تخرج الود اذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تشتكر

وقالوا فيه ود فادغموا بابدال الدال تا وفيه قلب الثاني للاول وهو قليل

سوره ص

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن
فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وانطلق الملا منهم ان امشوا
واصبروا علي الهتكم ان هذا لشي يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا
اختلاق اونزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب
ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما
بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اوليك الاحزاب
ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ــــ هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها
انه لما ذكر عن الكفار انهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لا خلصوا
العبادة لله واخبر انهم اتاهم الذكر فكفروا به بدا في هذه السورة بالقسم بالقران
ذي الذكر الذي جاهم واخبر عنهم انهم كافرون به وانهم في تعزز ومشاقة للرسول
الذي جاهم به ثم ذكر من اهلك من القرون التي شاقت الرسول ليتعظوا وروي انه
لما مرض ابو طالب جات قريش رسول الله صلي
الله عليه وسلم وعند راس ابي طالب مجلس رجل فقام ابو جهل كي يمنعه وشكوه الي
ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم
بها العرب وتودي اليهم الجزية بها العجم قال وما الكلمة قال كلمة واحدة
قال وما هي قال لا اله الا الله قال فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا قال
فنزل فيهم القران ص والقران ذي الذكر حتي بلغ ان هذا الا اختلاق قرا
الجمهور صاد بسكون الدال وقرا ابي والحسن وابن ابي اسحق وابو السمال
وابن ابي عبلة ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال والظاهر انه كسر لالتقا الساكنين
وهو حرف من حروف المعجم نحو ق ون وقال الحسن هو امر من صادي اي عارض
ومنه الصدي وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الصلبة الخالية من الاجسام
اي عارض بعملك القران وعنه ايضا صاديت حادثت اي حادث وهو قريب
من القول الاول وقرا عيسي ومحبوب عن ابي عمرو وفرقة صاد بفتح الدال
وكذا قرا قاف ونون بفتح الفا والنون فقيل الفتح لالتقا الساكنين طلبا

للتخفيف وقيل انتصب علي انه مقسم به حذف منه حرف القسم نحو قوله الله لافعلن
وهو اسم للسورة وامتنع من الصرف للعلمية والتانيث وقد صرفها من قرا صاد
بالجر والتنوين علي تاويل الكتاب والتنزيل وهو ابن ابي اسحق في رواية وقرا
الحسن ايضا صاد بضم الدال فان كان اسما للسورة فخبر مبتدا محذوف اي هذه
صاد وهي قراة ابن السميفع وهرون الاعور وقرا قاف ونون بضم الفا والنون
وقيل هو حرف دال علي معني من فعل او من اسم فقال الضحاك معناه صدق الله
وقال محمد بن كعب مفتاح اسما الله صمد صانع الوعد صانع المصنوعات وقيل
معناه صدق محمد قال ابن عباس وابن جبير والسدي ذي الذكر ذي الشرف
الباقي المخلد وقال قتادة والضحاك ذي التذكرة للناس والهداية لهم وقيل
ذي الذكر للامم والقصص والغيوب والشرايع وجواب القسم قيل مذكور
فقال الكوفيون والزجاج هو قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال الفرا
لا نجده مستقيما في العربية لتاخره جدا عن قوله والقران وقال الاخفش
هو ان كل الا كذب الرسل وقال قوم كم اهلكنا وحذف اللام اي لكم لما طال الكلام
كما حذفت في والشمس ثم قال قد افلح حكاه الفرا وثعلب وهذه الاقوال
يجب اطراحها وقيل هو صاد اذ معناه صدق محمد او صدق الله وكان صاد جواب
القسم قاله الفرا وثعلب وهذا مبني علي تقديم جواب القسم واعتقاد ان
الصاد تدل علي ما ذكروه وقيل الجواب محذوف فقدره الحوفي لقد جاكم الحق ونحوه
والزمخشري انه لمعجز وابن عطية ما الامر كما تزعمون ونحو هذا من التقدير
ونقل ان قتادة والطبري قالا هو محذوف قبل بل قال وهو الصحيح وقدره ما ذكرنا
عنه وينبغي ان يقدر هنا ما اثبت جوابا للقران حين اقسم به وذلك في قوله تعالي
يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين فيكون التقدير هنا ص والقران ذي
الذكر انك لمن المرسلين ويقوي هذا التقدير ذكر النذارة هنا في قوله وعجبوا ان
جاهم منذر منهم وقال هناك لتنذر قوما فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة
وبل للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه الي حال تعزز الكفار ومشاقتهم
في قبول رسالتك وامتثال ما جيت به واعتراف بالحق وقرا حماد بن الزبرقان
وسورة عن الكساي وميمونة عن ابي جعفر والجحدري طريق العقيلي في غرة
بالغين المعجمة والرا اي في غفلة ومشاقة قبلهم اي قبل هولا ذوي المنعة الشد
والشقاق وهذا وعيد لهم فنادوا اي استغاثوا ونادوا بالتوبة قاله الحسن
او رفعوا اصواتهم يقال فلان اندي صوتا اي ارفع وذلك بعد معاينة العذاب
فلم يك وقت نفع وقرا الجمهور ولات حين بفتح التا ونصب النون فعلي قول
س عملت عمل ليس واسمها محذوف تقديره ولات الحين حين فوت ولا فرار
وعلي قول الاخفش يكون حين اسم لات عملت عمل ان نصبت الاسم ورفعت الخبر
والخبر محذوف تقديره ولات اري حين مناص وقرا ابو السمال ولات
حين بضم التا ورفع النون فعلي قول س حين مناص اسم لات والخبر محذوف
وعلي قول الاخفش مبتدا والخبر محذوف وقرا عيسي بن عمر ولات حين بكسر
التا وجر النون وهو بعد لات وتخريجه مشكل وقد تمحل الزمخشري في تخريج الخبر
في قوله

طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء

قال شبه اوان باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض
لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف
اليه قايم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه
من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف
ثم بني الحين لكونه مضافا الي غير متمكن انتهي هذا التمحل والذي ظهر لي في تخريج

هذه القراءة الشاذة والبيت النادر في جرما بعد لات ان الجر هو على اضمار
من كانه قال لات من حين مناص ولات من اوان صلح كما جروا بها في قولهم على
كم جذع بيتك اي من جذع في اصح القولين وكما قالوا الا رجل جزاه الله خيرا وهو
يريدون الا من رجل ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى
ليس كما تقول ليس من رجل قائما والخبر محذوف وهذا على قول س او على انه
مبتدا والخبر محذوف على قول الاخفش وقال بعضهم ومن العرب من يخفض
بلات وانشد الفراء ولتندمن ولات ساعة مندم وخرج الاخفش ولات
اوان على اضمار حين اي ولات حين اوان حذف حين وابقي اوان على جره وقال
ابو اسحق ولات اوان نحذف المضاف اليه فوجد ان لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين
وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحق الزجاج وانشده
المبرد ولات اوان بالرفع وروي عن عيسى ولات حين بالرفع مناص بالفتح
وقال صاحب اللوامح فان صح ذلك فلعله بنى حين على الضم فيكون في الكلام
تقديم وتاخير واجراه مجرى قبل وبعد في الغاية وبنى مناص على الفتح مع
لات على تقدير ولات مناص حين لكن لا انما تعمل في النكرات في اتصالها بهن دون
ان يفصل بينهما ظرف او غيره وقد يجوز ان يكون لذلك معنى لا اعرفه انتهى
وقرا عيسى ايضا ولات بكسر التاء وحين بنصب النون وتقدم تخريج نصب
حين ولات روي فيها فتح التاء وضمها وكسرها والوقف عليها بالتاء قول س
والفراء وابن كيسان والزجاج ووقف الكسائي والمبرد بالها وقوم على لا وزعموا
ان التاء زيدت في حين واختاره ابو عبيد وذكر انه راه في الامام مخلوطا تاوه
بحين وكيف يصنع بقوله ولات ساعة مندم ولات اوان وقال الكلبي كانوا
اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال القشيري فعلى
هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه اي ليس الوقت
وقت ندائكم به وفيه نوع تحكم اذ كل من هلك من القرون يقول مناص عند
الاضطرار انتهى وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجا ولا
فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما تقتضي الحال اذا جعل
ابتداء وخبرا مثل جاء زيد راكبا ثم تقول جاء زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله
فنادوا انتهى وكون اصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان حين ظرف
لقوله فنادوا دعوى اعجمية مخالفة لنظم القران والمعنى على نظمه
في غاية الوضوح والجملة في موضع الحال اي فنادوا وهم لات حين مناص
اي لهم ولما اخبر تعالى عن الكفار انهم في عزة وشقاق اردفه بما صدر عنهم
من كلماتهم الفاسدة من نسبتهم اليه التسحر والكذب ووضع الظاهر موضع
المضمر في قوله قال الكافرون اي وقالوا تنبيها على الصفة التي اوجبت
لهم العجب حتى نسبوا من جاء بالهدى والتوحيد الى السحر والكذب اجعل
الالهة الها واحدا قالوا كيف يكون اله واحد يرزق الجميع وينظر في كل
امورهم وجعل بمعنى صير القول والدعوى والزعم وذكر عجبهم مما لا يتعجب
منه والضمير في وعجبوا لهم اي استغربوا مجيء رسول من انفسهم وقرا
الجمهور عجاب وهو بناء مبالغة كرجل طوال وسراع في طويل وسريع وقرا
علي والسلمي وعيسى وابن مقسم بشد الجيم وقالوا رجل كرام وطعام
طياب وهذا ابلغ من فعال المخفف وقال مقاتل عجاب لغة ازد شنوءة هو
والذين قالوا اجعل الالهة الها واحدا قال ابن عباس صناديد قريش
وهم ستة وعشرون وانطلق الملا منهم الظاهر انطلاقهم عن مجلس ابي
طالب حين اجتمعوا هم والرسول عنده وشكوه على ما تقدم في سبب النزول

ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون ان امشوا وتكون ان مفسرة لذلك المحذوف
وامشوا امر بالمشي وهو نقل الاقدام عن ذلك المجلس وقال الزمخشري
وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول والامر بالمشي او بعضهم امر بعضا
وقيل امر الاشراف اتباعهم وعوامهم ويجوز ان تكون ان مصدرية اي وانطلقوا
بقولهم امشوا وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام وان مفسرة على
هذا والامر بالمشي لا يراد به نقل الخطا انما معناه سيروا على طريقتكم ودوموا
على سيرتكم وقيل امشوا دعا بكسب الماشية قيل وهو ضعيف لانه كان يلزم ان
تكون الالف مقطوعة لانه انما يقال امشى الرجل اذا صار صاحب ماشية
وايضا فهذا المعنى غير متمكن في الاية وقال الزمخشري ويجوز انهم قالوا
امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفول انتهى وامروا بالصبر على الالهة اي على عبادتها والتمسك بها والاشارة
بقوله ان هذا اي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة لشيء يراد اي
يراد منا الانقياد اليه او يريده الله ويحكم بامضائه فليس فيه الا الصبر او ان
هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد منا فلا انفكاك عنه او ان دينكم لشيء
يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه احتمالات اربعة وقال القفال
هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف المعنى انه ليس غرضه من هذا القول تقرير
الدين وانما غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا
بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب ومقاتل ملة النصارى
لان فيها التثليث ولا توحيد وقال مجاهد وقتادة ملة العرب قريش ونحلتها وقال
الفراء والزجاج ملة اليهودية والنصرانية اشركت اليهود بعزير وثلثت
النصارى وقيل في الملة الاخرة التي كنا نسمع انها تكون في اخر الزمان وذلك انه
قبل المبعث كان الناس يستشعرون خروج نبي وحدوث ملة ودين ويدل
على صحة هذا ما روي من اقوال الاحبار اولي الصوامع وما روي عن الكهان
انه يحدث في الملة الاخرة اي لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث
في الملة الاخرة توحيد الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب أأنزل عليه
الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب
من بينهم وهذا الانكار هو ناشي عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت
به السنتهم بل هم في شك من ذكري اي من القران الذي انزلته على رسولي
يرتابون فيه والاخبار بانهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب اي بعد فاذا ذاقوه عرفوا ان ما جاء به حق وزال عنهم الشك
ام عندهم خزاين رحمة ربك اي ليسوا متصرفين في خزاين الرحمة فيعطون
ما شاؤوا لمن شاؤوا ويمنعون من شاؤوا ما شاؤوا ويصطفون للرسالة من ارادوا
وانما يملكها ويتصرف فيها العزيز الذي لا يغالب الوهاب ما شاء لمن شاء لما
استفهم استفهام انكار في قوله ام عندهم خزاين رحمة ربك اي الانكار والتوبيخ
بانتفا ما هو اعم فقال ام لهم ملك السموات والارض اي ليس لهم شي من ذلك
فليرتقوا اي ان لهم شي من ذلك فليصعدوا في الاسباب الموصلة الى السما والمعارج
التي يتوصل بها الى تدبير العالم فيضعون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم
وحقرهم فاخبر بما يؤول اليه امرهم من الهزيمة والخيبة قيل وما زايدة ويجوز
ان يراد به التعظيم على سبيل الهزء بهم او التحقير لان ما الصفة تستعمل على هذين
المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر انه يشار به للمكان الذي
تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو
مكة فيكون ذلك اخبارا بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح فالمعنى انهم

يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح وقيل هنالك اشارة الى الارتقاء في الاسباب
اي هولاء القوم ان راموا ذلك جند مهزوم وقيل اشير بهنالك الى جملة الاصنام
وعضدها اي هم جند مهزوم في هذه السبيل وقال مجاهد وقتادة الاشارة
الى يوم بدر وكان غيبا الله اعلم به على لسان رسوله وقيل الاشارة الى حصر عام
الخندق بالمدينة وقال الزمخشري وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه
انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس
من اهله لست هنالك انتهى وهنالك يحتمل ان يكون في موضع الصفة لجند اي
كائن هنالك ويحتمل ان يكون متعلقا بمهزوم وجند خبر مبتدا محذوف
اي هم جند ومهزوم خبره وقال ابو البقا جند مبتدا وما زائدة وهنالك نعت
ومهزوم الخبر انتهى وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله ومعنى من الاحزاب
من جملة الاحزاب الذين تعصبوا في الباطل وكذبوا الرسل ولما ذكر تعالى
انه اهلك قبل قريش قرونا كثيرة لما كذبوا رسلهم شرد منهم هنا من قولهم
تعلق بعرفانه وذو الاوتاد اي صاحب الاوتاد واصله من ثبات البيت
المطنب باوتاده قال الافوه الاودي •

الافوه الاودي والبيت لا يبتني الا له عمد • ولا عماد اذا لم ترس اوتاد •

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود •

الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد •

قال الزمخشري واخذه من كلام غيره وقال ابن عباس وقتادة وعطا كانت
له اوتاد وخشب يلعب له بها وعليها وقال السدي كان يقتل الناس بالاوتاد
ويسمرهم في الارض بها وقال الضحاك اراد المباني العظيمة الثابتة هو
وقيل عبارة عن كثرة اخبيته وعظم عساكره وقيل كان يشبح المعذب بين اربع
سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت
ورووه معناه عن الحسن ومجاهد وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
عليه العقارب والحيات وقيل يشدهم باربعة اوتاد ثم يرفع صخرة فتلقى
عليه فتشدخه وقال ابن مسعود وابن عباس في رواية عطية الاوتاد الجنود
يشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي وقيل بنى منارا تذبح عليه الناس قاله
ابن جبير اوليك الاحزاب اي الذين تحزبوا على انبيائهم كما تحزبت قريش
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الاشارة باوليك الى اقرب مذكور
وهم قوم نوح ومن عطف عليهم وفيه تفخيم لشانهم واعلا لهم على من تحزب
على رسول الله اي هولاء العظما لما كذبوا عوقبوا فكذلك انتم ان كل الا كذب
الرسل فحق عقاب فوجب عقابهم كذبت قوم نوح نوحا فاغرقوا وقوم
هود فاهلكوا بالريح وفرعون فاغرق وثمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف
والايكة بعذاب الظلة ومعنى ان كل ما كان من قوم نوح فمن بعده فحق عقاب اي
وجب عقابهم فكذلك يحق عليكم انما المكذبون بالرسول وقال الزمخشري
اوليك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند
المهزوم منهم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة
الخبرية على وجه الابهام ثم جا بالجملة الاستثنائية من الوضع على وجه
التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد
العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم
انتهى **الفواق** بضم الفا وفتحها الزمان الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي
الراضع وفي الحديث العيادة قدر فواق الناقة وافاقت الناقة افاقة اجتمعت
الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والفيقة اللبن الذي يجتمع
بين الحلبتين ويجمع على افواق وافاويق جمع الجمع وقال ابو عبيدة والفرا

المفردات

ومورح

ومورح الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة **القط** قال الفرا الحظ والنصيب ومنه
قيل للصك القط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز قال الاعشى •

ولا الملك النعمان يوم لقيته • بنعمته يعطي القطوط ويافق •

ويروى بامته اي بنعمته ويافق يفضل وهو في الكتاب اكثر استعمالا قال امية بن
ابي الصلت •

قوم لهم ساحة ارض العراق وما • يجبى اليهم بها والقط والقلم •

ويجمع ايضا على قططة وفي القليل قط واقطاط **تسور** الحايط والسور وتسنمه
والبعير على اعلاه والسور حايط المدينة وهو غير مهموز **الشطط** مجاوزة الحد
وتخطي الحق وقال ابو عبيدة شططت على فلان واشططت جرت في الحكم **النسع** ربته
من العدد معروفة وكسر التا اشهر من الفتح **النعجة** الانثى من بقر الوحش ومن
الضان ويكنى بها عن المراة قال الشاعر •

هما نعجتان من نعاج تبالة • لدى جوذرين او كبعض دمى هكر •

وقال ابن عون •

انا ابوهن ثلاث هنه • رابعة في البيت صغراهنه •

ونعجتي خمسا توفيهنه • الا فتى سمح يغذ بهنه •

عزه غلبه يعزه عزا وفي المثل من عزبز اي من غلب سلب وقال الشاعر •

قطاة عزها شرك فباتت • تجاذبه وقد علق الجناح •

الصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله
وهي علامة الفراهة وانشد الزجاج •

الف الصفون فما يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا •

وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على طرف
السنبك فهو المتخيم وقال القتبي الصافن الواقف في الخيل وغيرها وفي الحديث
من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام حكاه
قطرب وانشد للنابغة •

لنا قبة مضروبة بفنائها • عتاق المهاري والجياد الصوافن •

وقال الفرا على هذا رايت العرب واشعارهم يدل على انه القيام خاصة **جاد**
الفرس صار رايضا يجوز جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد واجواد
واجاويد وقيل الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق اذ هي من صفات فراهتها
وقيل الجياد جمع جود كثوب وثياب **الرخا** اللينة مشتقة من الرخاوة وما ينظر
من الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وهل اتاك نبو الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع
منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا
الى سوا الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال
اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا
من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب وما ينظر اي ينتظر هولا اشارة الى الكفار قريش والاشارة
بهولا مقوية ان الاشارة باوليك هي للذين بلوتهما من قوم نوح وما عطف عليه
وقال الزمخشري ويجوز ان تكون اشارة الى جميع الاحزاب باستحضارهم بالذكر
او لانهم كالحضور عند الله انتهى وفيه بعد وهذا اخبار منه تعالى صدقه الوجود
والصيحة ما نالهم من قتل واسر وغلبة كما تقول صاح فيهم الدهر وقال

قتادة توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور وقيل بصيحة يهلكون بها
في الدنيا فالقول الاول فيه الانتظار من الرسول لشي معين فيهم وعلى هذين
القولين هم بمدرج عقوبة وتحت امر خطر ما ينتظرون فيه الا الهلكة وقرا
الجمهور من فواق بفتح الفا والسلمي وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي
وطلحة بضمها فقيل هما بمعني واحد كقصاص الشعر وقصاصه وقال ابن زيد
والسدي بالفتح افاقة من افاق واستراح كجواب من اجاب قال ابن عباس من
فواق من ترداد وقال مجاهد من رجوع عجل لنا قطنا نصيب من الجنة لنتنعم
به في الدنيا قاله الحسن وقتادة وابن جبير وقال قتادة ايضا ومجاهد نصيبا
من العذاب وقال ابو العالية والكلبي صحفنا بايماننا وقال السدي المعني
ارنا منازلنا من الجنة حتي نتابعك وعلى كل قول فانما قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف
والاستهزا ومعني قبل يوم الحساب اي الذي تزعمون انه واقع في العالم
اذ هم كفرة لا يؤمنون بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف
امر تعالى نبيه بالصبر على اذاهم وذكر قصصا للانبيا داود وسليمن وايوب
وغيرهم وما عرض لهم فصبروا حتي فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم احسن عاقبة
فكذلك انت تصبر ويوول امرك الي احسن مال وتبلغ ما تريد من اقامة دينك
واماتة الضلال وقيل اصبر على ما يقولون وعظم امر مخالفتهم لله في اعينهم وذكرهم
بقصة داود وما عرض له وهو قد اوتي النبوة والملك فما الظن بكم مع كفركم
وعصيانكم انتهي وهو ملتقط من كلام الزمخشري مع تغيير بعض الفاظ لا تناسب
منصب النبوة وقيل امره بالصبر وذكر قصص الانبيا ليكون برهانا على صحة نبوته
وقيل اصبر على ما يقولون وحافظ على ما كلفت به من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر
داود وكرامته على الله وما عرض له وما لقي من عتب الله ذا الايد اي ذا القوة
في الدين والشرع والصدع بامر الله والطاعة لله وكان مع ذلك قويا في بدنه
والاواب الرجاع الي طاعة الله قاله مجاهد وابن زيد وقال السدي المسبح
ووصفه بانه اواب يدل على ان ذا الايد معناه القوة في الدين ويقال رجل
ايد وايد ووئد والايد كل شي ما يتقوى به والاشراق وقت الاشراق قال
ثعلب شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وصفت وفي الحديث
انه عليه السلم صلي صلوة الضحي وقال يا ام هاني هذه صلوة الاشراق وفي هذين
الوقتين كانت صلوة بني اسرائيل وتقدم الكلام في تسبيح الجبال في قصة داود
في سورة الانبيا واتي بالمضارع لا باسم الفاعل دلالة على حدوث التسبيح شيا
بعد شي وحالا بعد حال فكان السامع محاضر تلك الجبال يسمعها تسبيح
ومثله قول الاعشي

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الي ضوء نار في يفاع تحرق

اي تحرق شيا فشيا ولو قال محرقة لم يدل على هذا المعني وقرا الجمهور والطير
محشورة بنصبهما عطفا على الجبال يسبحن عطف مفعول على مفعول وحال
على حال كقولك ضربت هندا مجردة ودعدا لابسة وقرا ابن ابي عبلة والجحدري
والطير محشورة برفعهما مبتدا وخبرا وجا محشورة باسم المفعول لانه لم يرد
انها تحشر شيا اذ حاشرها هو الله تعالى فحشرها جملة واحدة ادل على القدرة
والظاهر عود الضمير في له على داود اي كل واحد من الجبال والطير لاجل داود
اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت ترجع بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح
وقيل الضمير عايد على الله اي كل من داود والجبال والطير اواب اي مسبح
مرجع للتسبيح وقرا الجمهور وشددنا مخففا اي قوينا كقوله سنشد عضدك
باخيك والحسن وابن ابي عبلة بشد الدال وهي عبارة شاملة لما وهب الله
تعالى من قوة وجند ونعمة فالتخصيص ببعض الاشيا لا يظهر وقال السدي

بالجنود

بالجنود قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستليم يحرسونه وهذا بعيد
في العادة وقيل بهيبة قذفها الله له في قلوب قومه والحكمة هنا النبوة او الزبور
او الفهم في الدين او كل كلام وافق الحق اقوال وفصل الخطاب قال علي والشعبي
ايجاب اليمين على المدعي عليه والبينة على المدعي وقال ابن عباس ومجاهد والسدي
القضا بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي كلمة اما بعد لانه اول
من تكلم بها وفصل بين كلامين قال الزمخشري لانه يفتتح اذا تكلم في الامر
الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الي الغرض المسبوق اليه
فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جا في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نزر ولا هذر انتهي ولما كان تعالى قد كمل نفس نبيه داود بالحكمة اردفه ببيان
كمال خلقه في النطق والعبادة فقال وفصل الخطاب وهل اتاك نبا الخصم لما اثني
تعالى على داود عليه السلم بما اثني ذكر قصته هذه ليعلم ان مثل قصته لا يقدح
في الثنا عليه والتعظيم لقدره وان تضمنت استغفاره ربه وليس في الاستغفار
ما يشعر بارتكاب امر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار الانبيا المشهود
لهم بالعصمة ومجي مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة ما يجي معه من القصص
كقوله وهل اتاك حديث موسي فيتهيا المخاطب بهذا الاستفهام لما ياتي بعده
ويصغي لذلك وذكر المفسرون في هذه القصة اشيا لا تناسب مناصب الانبيا
ضربنا عن ذكرها صفحا وتكلمنا على الفاظ الاية والنبا الخبر والخصم اصله
مصدر فلذلك تصلح للمفرد والمذكر وفروعهما وهنا جا للجمع ولذلك قال

اذ تسوروا اذ دخلوا كما قال الشاعر

وخصم يعدون الدخول كانهم قروم غيارى كل ازهر مصعب

والظاهر انهم كانوا جماعة فلذلك اتي بضمير الجمع فان كان المتحاكمان اثنين
فيكون قد جا معهم غيرهم على جهة المعاضدة او المؤانسة ولا خلاف انهم كانوا ملايكة
كذا قال بعضهم وقيل كانا اخوين من بني اسرايل لاب وام والاول اشهر
وقيل الخصم هنا اثنان ويكون في العبادة فاخبر عنهما اخبار ما زاد على اثنين لان
معني الجمع في التثنية وقيل معني خصمان فريقان فيكون تسوروا ودخلوا عايدا
على الخصم الذي هو جميع الفريقين ويدل على ان خصمان بمعني فريقان قراة
من قرا بغي بعضهم على بعض وقال تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم اي
فريقان فاما ان هذا اخي وما روي انه بعث الله ملكان فالمعني ان التحاكم كان بين
اثنين ولا يمتنع ان يصحبهما غيرهما واطلق على الجميع خصم وعلى الفريقين
خصمان لان من جامع متخاصما لمعاضدة فهو في صورة خصم فلا يبعد ان يطلق عليه
التسمية والعامل عليه في الظرف وهو اذ اتاك قاله الحوفي ورد بان اتيان النبا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود وقال ابن عطية
وابو البقا العامل فيه نبا ورد بما رد به ما قبله ان النبا الواقع في عهد داود
داود عليه السلم لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت
بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره
وهل اتاك تحاكم الخصم قاله الزمخشري ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه
من معني الفعل واذ دخلوا بدل من اذ الاولى وقيل ينتصب بتسوروا وروي ان
الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه
في يوم عبادته فمنعهما فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان
قال ابن عباس جزا زمانه اربعة اجزا يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للاشتغال بخواص اموره ويوما لجميع بني اسرايل فيعظهم ويبكيهم فجاه في غير
يوم القضا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس

خوله لايتركون من يد خل عليه فخاف ان يوذوه وقيل كان ذلك ليلا ويحتمل ان يكون
فزعه من اجل ان اهل مملكته قد استهانوه حتي ترك بعضهم الاستيذان فيكون فزعه
علي فساد السيرة لامن الدخلين وقال ابو الاحوص فزع منهم لانهما دخلا عليه
وكل منهما اخذ براس صاحبه وقيل فزع منهم لما راي من تسورهم علي موضع
مرتفع جدا لايمكن ان يرتقي اليه بعد اشهر مع اعوان وكثرة عدد وقيل انهما
قالا لم نتوصل اليك الا بالتسور لمنع الحجاب وخفنا تفاقم الامر بيننا فقبل
داود عذرهم ولما ادركوا منه الفزع قالوا لا تخف اي لسنا ممن جا للاذي
التحاكم خصمان يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله لا تخف بادرا باختصار
ما جا اليه ويحتمل ان يكون سالهم ما امركم فقالوا خصمان اي نحن خصمان بغي
اي جار بعضنا علي بعض كما قال الشاعر •

• ولكن الفتي حمل بن بدر بغي والبغي مرتعه وخيم •

وقرا ابو يزيد الجراد عن الكسائي خصمان بكسر الخا ... ونسبهم بعض
فظاظة عن الحكام حمل علي ذلك ما هم فيه من التخاصم والتشاجر فاستدعوا
عدله من غير ارتياب بانه يحكم بالحق وقرا الجمهور ولا تشطط مفكوكا من اشطط
رباعيا وابو رجا وابن ابي عبلة وقتادة والحسن وابو حيوة تشطط من شطط
ثلاثيا وقرا قتادة ايضا تشط مدغما من اشط وقرا زر تشاطط بضم التا
وبالف علي وزن تفاعل مفكوكا وعن قتادة ايضا تشطط من شطط وسوا الصراط
وسط طريق الحق لاميل فيه من هنا ولا هنا ان هذا اخي هو قول المدعي منهما واخي
عطف بيان عند ابن عطية وبدل او خبر لان عند الزمخشري والاخوة هنا
مستعارة اذ هما ملكان لكنهما لما ظهرا في سورة انسانين تكلما بالاخوة ومجازها انها
اخوة في الدين والايمان او علي معني الصحبة والمرافقة او علي معني الشركة
والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطا وكل واحدة من هذه الاخوات تقتضي
منع الاعتداء والندب الي العدل وقرا الجمهور تسع وتسعون بكسر التا فيهما
وقرا الحسن وزيد بن علي بفتحها وقرا الجمهور نعجة بفتح النون والحسن
وابن هرمز بكسر النون وهي لغة لبعض بني تميم قيل وكني بالنعجة عن الزوجة
فقال اكفلنيها اي ردها في كفالتي وقال ابن كيسان اجعلها كفلي اي نصيبي
وقال ابن عباس اعطنيها وعنه وعن ابن مسعود تحول لي عنها وعن ابي العالية
ضمها الي حتي اكفلها وعزني في الخطاب قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني
وان حارب كان ابطش مني قال ابن عطية كان اوجه مني واقوى فاذا خاطب
كان كلامه اقوي من كلامي وقوته اعظم من قوتي وقال الزمخشري جاني
بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج
المجادل او اراد خطب المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة
فغلبني حيث زوجها دوني وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سالني لم استطع خلافه
قال الحافظ ابو بكر بن العربي كان ببلادنا امير يقال له سير بن ابي بكر
فكلمته في ان يسال لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان طلب السلطان للحاجة
غصب لها فقلت اما اذا كان عدلا فلا وقرا ابو حيوة وطلحة وعزني بتخفيف الزاي
قال ابو الفتح حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال ابو زبيد •

• احسن به فهن اليه شوس •

وروي كذلك عن عاصم وقرا عبد الله وابو وايل ومسروق والضحاك
والحسن وعبيد بن عمير وعازني بالف وتشديد الزاي اي وغالبني والظاهر
ابقا لفظ النعجة علي حقيقتها من كونها انثي الضان ولا يكني بها عن المراة ولا
ضرورة تدعو الي ذلك لان ذلك الاخبار كان صادرا من الملائكة علي سبيل التصوير
للمسالة والغرض لها من غير تلبس بشي منها فمثلوا بقصة رجل له نعجة ولخليطه

تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراد انتزاعها
منه وحاجه في ذلك محاجة حريص علي بلوغ مراده ويدل علي ذلك قوله وان كثيرا
من الخلطا وهذا التصوير والتمثيل ابلغ في المقصود وادل علي المراد قال
لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه ليس هذا ابتدا من داود عليه السلم اثر
نزاع لفظ المدعي ولا فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب فقيل ذلك علي تقدير
اي لين كان ما تقول لقد ظلمك وقيل ثم محذوف اي فاقر المدعي عليه فقال لقد
ظلمك ولكنه لم يحك في القران اعتراف المدعي عليه لانه معلوم من الشرايع كلها
ان لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة المدعي عليه فاما ما قاله الحليمي من انه راي في المدعي
مخايل الضعف والهضيمة فحمل امره علي انه مظلوم كما تقول فدعاه ذلك الي ان لا
يسال المدعي عليه فاستعجل بقوله لقد ظلمك فقول ضعيف لا يعول عليه وروي
ان داود عليه السلم لما سمع كلام الشاكي قال للاخر ما تقول فاقر فقال له لين لم
ترجع الي الحق لاكسرن الذي فيه عيناك وقال للثاني لقد ظلمك فتبسما عند
ذلك وذهبا ولم يرهما لحينه وروي انهما ذهبا نحو السما بمراي منه واضاف
المصدر الي المفعول وضمن السوال معني الاضافة اي باضافة نعجتك علي
سبيل السوال والطلب ولذلك عداه بالي وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم
علي بعض هذا من كلام داود ويدل علي ان زمانه كان فيه الظلم والاعتدا كثيرا
والخلطا الشركا الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط قصد داود بهذا الكلام
الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطا الصلحا الذين حكم لهم
بالقلة وان يكره اليهم الظلم وان يسلي المظلوم عن ما جري عليه من خليطه
وان له في اكثر الخلطا اسوة وقري ليبغي بفتح اليا علي تقدير حذف النون
الخفيفة واصله ليبغين كما قال •

• اضرب عنك الهموم طارقها •

يريد اضربن ويكون علي تقدير قسم محذوف ذلك القسم وجوابه خبر لان
وعلي قراة الجمهور يكون ليبغي خبر لان وقري ليبغ بحذف اليا كقوله محمد تفد
نفسك كل نفس اي تفدي علي احد القولين وقيل خبر مقدم وما زايدة وهم
تفيد معني التعظيم والتعجب وهم مبتدا وظن داود لما كان الظن الغالب
يقارب العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انا ابتليناه بمحاكمة الخصمين وانكر
ابن عطية مجي الظن بمعني اليقين وقال لسنا نجده في كلام العرب وانما هو توقيف
بين معتقدين غلب احدهما علي الاخر وتوقعه العرب علي العلم الذي ليس علي الحواس
ولا له اليقين التام ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون ظن بمعني ايقن وطول
ابن عطية في ذلك بما يوقف عليه في كتابه وقرا الجمهور فتناه وعمر بن الخطاب
وابو رجا والحسن بخلاف عنه بشد التا والنون مبالغة والضحاك افتناه
كقوله • لين فتنتني لهي بالامس افتنت •
وقتادة وابو عمرو في رواية بتخفيف التا والنون والالف ضمير الخصمين فاستغفر
ربه وخر راكعا حال والخرور الهوي الي الارض فاما انه عبر بالركوع عن
السجود واما انه ذكر اول احوال الخرور اي راكعا ليسجد وقال الحسن لانه لا يكون
ساجدا حتي يركع وقال الحسين بن الفضل خر من ركوعه اي سجد بعد ان كان راكعا
وقال قوم يقال خر لمن ركع وان لم ينته الي الارض والذي نذهب اليه ما دل عليه
ظاهر الاية من ان المتسورين المحراب كانوا من الانس دخلوا عليه من غير المدخل
وفي غير وقت جلوسه للحكم وانه فزع منهم ظانا انهم يغتالونه اذ كان منفردا في محرابه
لعبادة ربه فلما اتضح له انهم جاوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله
تعالي وان داود عليه السلم ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة ابتلا
من الله له ان يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث اخلف

ولم يكن لينتفع مظنونه وخر ساجدا ورجع الى الله وانه تعالى غفر له ذلك الظن ولذلك
اشار بقوله فغفرنا له ذلك ولم ينتقد مرسوى قوله وظن داود انما فتناه ويعلم قطعا ان
الانبيا عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شي منها ضرورة انا لو جوزنا
عليهم شيا من ذلك بطلت الشرايع ولم نثق بشي مما يذكرون انه اوحى الله به
اليهم فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما اراده تعالى وما حكى القصاص مما فيه
غض من منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر • • •

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة • اذا آثر الاخبار جلاس قصاص •

يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق
مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
فسخرنا له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب والشياطين كل بنا وغواص واخرين
مقرنين في الاصفاد هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى
وحسن ماب جعله تعالى داود خليفة في الارض يدل على مكانته عليه السلم عنده
واصطفاوه ويدفع في صدر من نسب اليه شيا مما لا يليق بمنصب النبوة واحتمال
لفظ خليفة ان يكون معناه تخلف من تقدمك من الانبيا ان يعلي قدرك بجعلك
ملكا نافذ الحكم ومنه قيل خلفا الله في ارضه واستدل من هذه الاية على احتياج
الارض الى خليفة من الله ولا يلزم ذلك من الاية بل لزومه من جهة الشرع
والاجماع قال ابن عطية ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفا فكل واحد
منهم خليفة الذي قبله وما يجي في الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك
تجوز كما قال قيس الرقيات • • •

خليفة الله في رعيته • جفت بذاك الاقلام والكتب •

وقالت الصحابة لابي بكر خليفة رسول الله وبذلك كان يدعى مدته فلما ولي عمر
قالوا خليفة خليفة رسول الله وطال الامر وراوا انه في المستقبل فدعوه امير المومنين
وقصر هذا الاسم على الخلفا انتهى فاحكم بين الناس بالحق امر بالديمومة وتنبيه
لغيره ممن ولي امور الناس وان لا فمن حيث هو معصوم لا يحكم الا بالحق امر لازم
بالحكم بالحق ونهى عن اتباع الهوى قد يعرض لغير المعصوم امرا بالاحتياط به وذكر نتيجة اتباعه
وهو الاضلال عن سبيل الله فيضلك جواب للنهي والفاعل في فيضلك ضمير الهوى
او ضمير المصدر المفهوم من ولا تتبع اي فيضلك اتباع الهوى ولما ذكر ما يترتب
على اتباع الهوى وهو الاضلال عن سبيل الله ذكر عقاب الضال وقرا الجمهور
يضلون بفتح اليا لانهم لما اضلهم اتباع الهوى صاروا ضالين وقرا ابن عباس
والحسن بخلاف عنهما وابو حيوة بضم اليا وهذه القراة اعم لانه لا يضل الا ضال
في نفسه وقراة الجمهور اوضح وبما نسوا متعلق بما تعلق به لهم ونسوا تركوا
ويوم يجوز ان يكون منصوبا بنسوا او بما تعلق به لهم ويكون النسيان عبارة
عن ضلالهم عن سبيل الله وانتصب باطلا على انه نعت لمصدر محذوف اي خلقا
باطلا او على الحال اي مبطلين او ذوي باطل او على انه مفعول من اجله ومعنى
باطلا عبثا ذلك اي كون خلقها باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم وهو لا
وان كانوا مقرين بان خالق السموات والارض هو الله تعالى فهم من حيث

انكروا المعاد والثواب والعقاب ظانون ان خلق ذلك ليس لحكمة وان خلق ذلك
انما هو عبث وكذلك قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
فنبه تعالى على المعاد والرجوع الى جزائه ثم ذكر تعالى ما بين المومن عامل الصالحات
والمفسد من التباين وانهما ليسا سيين وقابل الصلاح بالفساد والتقوى بالفجور
قال ابن عباس هي عامة في جميع المسلمين والكافرين وقيل في قوم من مشركي قريش
قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة اعظم مما نعطى في الدنيا فانزل الله هذه الاية وقيل في جماعة
من المومنين والكافرين معينين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث
رضي الله عنهم وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وصف كل بما ناسبه والاستفهام
بام في الموضعين استفهام انكار والمعنى انه لا يستوي عند الله من اصلح ومن
افسد ولا من اتقى ومن فجر وكيف تكون التسوية بين من اطاع ومن عصى
اذ كان يبطل الجزا والجزا لا محالة واقع فالتسوية منتفية ولما انتفت التسوية
بين ما تصلح به لمتبعه السعادة الابدية وهو كتاب الله قال كتاب انزلناه وارتفاعه
على اضمار مبتدا اي هذا كتاب وقرا الجمهور مبارك على الصفة وقرئ
مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه وقرا الجمهور ليدبروا وابو الغيلة
وشد الدال واصله ليتدبروا وقرا علي بهذا الاصل وقرا ابو جعفر بتا الخطاب
وتخفيف الدال وجا كذلك عن عاصم والكسائي بخلاف عنهما والاصل لتتدبروا
بتاين فحذفت احداهما على الخلاف الذي فيها اهي تا المضارعة ام التا التي تليها
واللام في ليدبروا لام كي واسند التدبر الى الجميع وهو التفكر في الايات
والتامل الذي يفضي بصاحبه الى النظر في عواقب الاشيا واسند التذكر الى
اولي العقول لان ذا العقل فيه ما يهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى ما يذكره
فيتذكر وذكر المخصوص بالمدح محذوف لتقدمه نعم العبد هو اي سليمن وقرئ
نعم على الاصل كما قال • • •

نعم الساعون في القوم الشطر •

اثنى عليه تعالى بكثرة رجوعه اليه وكثرة تسبيحه اذ عرض الناصب لاذ قيل
اواب وقيل اذكر على الاختلاف في تاويل هذه الاية قال الجمهور عرضت عليه الاف
من الخيل تركها ابوه له وقيل الف واحد فاجريت بين يديه عشا فتشاغل بحسنها
وجريها ومحبتها عن ذكر له فقال ردها فطفق يضرب اعناقها وعراقيبها
بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر فابدله الله اسرع منها الريح
وقال قوم منهم الثعلبي لان بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال فعقرها لتوكل
على سبيل القربة ونحو الهدي عندنا وفي هذه القصة الفاظ فيها غض
من منصب النبوة كنينا عنه والخير في قوله حب الخير في هذا القول يراد
الخيل والعرب تسمي الخيل الخير قاله قتادة والسدي والضحاك وابن جبير
الخير هنا المال وانتصب حب الخير قيل على المفعول به لتضمن احببت
معنى اثرت قاله الفرا وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي احببت الخيل
حب الخير اي حبا مثل حب الخير وقيل عدي بعن مضمنا معنى فعل يتعدى بها اي
انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح
الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله • •

مثل بعير السوء اذ احبا •

وقالت فرقة احببت سقطت الى الارض ماخوذ من احب البعير اذا اعيى وسقط
قال بعضهم احب البعير برك وفلان طال راسه وقال ابو زيد بعير محب وقد
احب احبابا اذا اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت قال
ثعلب يقال للبعير الحسير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربي وحب الخير على هذا
مفعول من اجله والظاهر ان الضمير في توارت عايد على الصافنات اي دخلت

اصطبلا نهاني الحجاب وقيل حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر وقيل
الضمير للشمس وان لم يجر لها ذكر لدلالة العشي عليها وقالت طائفة عرض على سليمن
الخيل وهو في الصلوة فاشار اليهم اني في صلوة فازالوها عنه حتى دخلت في الاصطبل
فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب الخير اي الذي عند الله في الآخرة بسبب
ذكر ربي كانه يقول فشغلني ذلك عن روية الخيل حتى ادخلت اصطبلاتها ردوها
علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها محبة لها وقال ابن عباس والزهري مسحه بالسوق
والاعناق لم يكن بالسيف بل بيديه تكريما لها ومحبة ورجحه الطبري وقيل بل
غسلا بالماء وقال الثعلبي ان هذا المسح كان وسما في السوق والاعناق بوسم
حبس في سبيل الله انتهى وهذا القول هو الذي يناسب مناصب الانبياء لا القول
المنسوب للجمهور فان في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للانبيا وحتى توارت
غاية فالفعل يكون قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فاحببت معناه دام ومنه المحبة
وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره
قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قايلا قال فماذا قال سليمن
لانه موضع مقتض للسوال اقتضا ظاهرا ثم ذكر الزمخشري لفظا فيه غض
من النبوة فتركته وما ذهب اليه من هذا الاضمار لا يحتاج اليه اذ الجملة مندرجة
تحت حكاية القول وهو فقال اني احببت فهذه الجملة وجملة ردوها علي
محكيتان بقال وطفق من افعال المقاربة للشروع في الفعل وحذف خبرها لدلالة
المصدر عليه اي فطفق يمسح مسحا وقرا الجمهور مسحا وزيد بن علي مساحا
على وزن قتال والباء في بالسوق زائدة كهي في قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم
وحكي مسحت براسه وراسه بمعنى واحد وتقدم الكلام على ذلك في المائدة
وقرا الجمهور بالسوق بغير همز على وزن فعل وهو جمع ساق على وزن فعل بفتح
العين كاسد واسد وابن كثير بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة لكن وجهها
في القياس ان الضمة لما كانت تلي الواو قدرانها عليها فهمزت كما يفعلون بالواو
المضمومة ووجه همز السوق مع السماع ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو
ساكنة قبلها ضمة وكان ينشد احب الموقدين الي موسى انتهى وليست ضعيفة
لان الساق فيه الهمز ووزنه فعل بسكون العين فجاءت هذه القراءة على هذه
اللغة وقرا ابن محيصن بهمزة بعدها الواو ورواها بكار عن قنبل وقرا
زيد بن علي بالساق مفردا اكتفي به عن الجمع لامن اللبس وهو غريب القول
ان الضمير في ردوها عايد على الشمس وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل على
اقوال متكاذبة سودوا الورق بذكرها ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه
جسدا نقل المفسرون في هذه الفتنة والقا الجسد اقوالا يجب براة الانبيا
منها يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها واما هي من اوضاع اليهود والزنادقة
ولم يبين الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذي القاه على كرسي سليمن واقرب
ما قيل فيه ان المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال فيه لاطوفن
الليلة على سبعين امراة كل واحدة ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا
الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة وجات بشق رجل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون فالمراد بقوله ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا هو هذا
والجسد الملقى هو المولود شق رجل وقال قوم مرض سليمن مرضا كالاغما
حتى صار على كرسيه جسدا هو هكذا لانه بلا روح ولما امر تعالى نبيه عليه السلم
بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم امره بان يذكر من ابتلي فصبر فذكر قصة
داود وقصة سليمن وقصة ايوب ليتاسي بهم وذكر ما لهم عنده من الزلفي
والمكانة فلم يكن ليذكر من يتاسي به ممن نسب المفسرون اليه ما يعظم ان

ينفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه كتمثيل الشياطين بصورة نبي حتى
يلتبس امره عند الناس ويعتقدون ان ذلك المتصور هو النبي ولو امكن وجود
هذا لم يوثق بارسال نبي وانما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية
نسال الله سلامة اذهاننا وعقولنا ثم اناب اي بعد امتحاننا اياه ودام الانابة
والرجوع قال رب اغفر لي هذا ادب الانبيا والصالحين من طلب المغفرة من
الله هضما للنفس واظهارا للذلة والخشوع وطلبا للترقي في المقامات
وفي الحديث اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة والاستغفار مقدمة
بين يدي ما يطلب المستغفر بطلب الامم في دينه فيترتب عليه امر دنياه كقول
نوح في ما حكي الله عنه فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا
الاية والظاهر ان طلبه الملك كان بعد هذه المحنة وذكر المفسرون انه اقام
في ملكه عشرين سنة قبل هذا الابتلا واقام بعدها عشرين سنة فيمكن انه كان
في ملك قبل المحنة ثم سال بعدها ملكا مقيدا بالوصف الذي بعده وهو كونه لا ينبغي
لاحد من بعده واختلفوا في هذا القيد فقال عطا ابن ابي رباح وقتادة اي مدة
حياتي لا اسلبه ويصير الى غيري وقال ابن عطية انما قصد بذلك قصدا جايزا
لان للانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوة
وانظر الى قوله لا ينبغي انما هي لفظة محتملة ليست تقطع في انه لا يعطي الله
نحو ذلك الملك لاحد انتهى وقال الزمخشري كان سليمن عليه السلم ناشيا في بيت
الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب
الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك
دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكن معجزة حتى تخرق العادات
فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله
احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي
ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين
وعلم انه لا يضطلع باعبايه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه
اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضطلع عليها الا هو
وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي
ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده انتهى
ولما بالغ في صفة هذا الملك الذي طلبه اتى في صفته تعالى باللفظ الدالة
على المبالغة فقال انك انت الوهاب اي الكثير الهبات لا يتعاظم عنده هو
هبة ولما طلب الهبة التي اختص بطلبها وهبه واعطاه ما ذكر تعالى من قوله
فسخرنا له الريح وقرا الجمهور بالافراد والحسن وابو رجا وقتادة وابو
جعفر الرياح بالجمع وهو اعم لعظم ملك سليمن وان كان المفرد بمعنى الجمع
لكونه اسم جنس تجري يحتمل ان تكون جملة حالية اي جارية وان تكون تفسيرية
لقوله فسخرنا له الريح بامره اي لا يمتنع عليه اذا اراد جريها رخا قال ابن
عباس والحسن والضحاك مطيعة وقال مجاهد طيبة حيث اصاب اي حيث
قصد واراد حكى الزجاج عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب
اي قصد وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه
الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ويقال اصابك الله
بك خيرا وانشد الثعلبي

اصاب الكلام فلم يستطع فاخطا الجواب لدى المفصل

وقال وهب حيث اصاب اي اراد وقيل ويجوز ان يكون اصاب دخلت فيه همزة

التعدية من صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وحكمهم يصوبون صوب السحاب
والمطر وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة بلغة هجر والشياطين معطوف
على الريح وكل بنا وغواص بدل وهي بنية المبالغة كما قال يعملون له ما يشا
من محاريب وتماثيل الاية وقال النابغة الاسلمي اذ قال الاله له قم
في البرية فاحددها عن الفند •

وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •

والمعطوف على العام عام فالتقدير وكل غواص اي في البحر يستخرجون له الحلية
وهو اول من استخرج الدر واخرين عطف على كل فهو داخل في البدل اذ هو بدل كل من
كل بدل التفصيل اي من الجن وهم المردة سخرهم له حتى قرنهم في الاصفاد لكفرهم
وقال النابغة في ذلك •

فمن اطاعك فانفعه بطاعته • كما اطاعك وادلله على الرشد •
ومن عصاك فعاقبه معاقبة • تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد •

وتقدم تفسير مقرنين في الاصفاد في اواخر سورة ابرهيم عليه السلم والاوصاف من
ملك سليمن في سورة النمل هذا عطاونا اشارة لما اعطاه الله تعالى من الملك الضخم
وتسخير الريح والانس والجن والطير وامره بان يمن على من يشا ويمسك عن من
يشا وفقه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيها بمشيته وهو تعالى قد
علم انه لا يتصرف الا بطاعة الله قاله الحسن وغيره وقال قتادة اشارة الى ما فعله
الجن اي فامنن على من شيت منهم واطلقه من وثاقه وسرحه من خدمته او امسك
امره كما تريد وقال ابن عباس اشارة الى ما وهبه من النسا واقدره عليهن من جماعهن
ولعله لا يصح عن ابن عباس لانه لم يجر هنا ذكر النسا ولا ما اوتي من القدرة على
ذلك وبغير حساب في موضع الحال من عطاونا اي هذا عطاونا جما كثيرا لا نكاد
تقدر على حصره ويجوز ان يكون بغير حساب من تمام فامنن او امسك اي لا حساب
عليك في اعطا من شيت او حرمانه وفي اطلاق من شيت من الشياطين او ايثاقه
وختم تعالى قصته بما ذكر في قصة والده وهو قوله وان له عندنا لزلفى وحسن
ماب • وقرا الجمهور وحسن ماب بالنصب عطفا على لزلفى وقرا الحسن وابن
ابي عبلة بالرفع ويقفان على لزلفى ويبتديان وحسن ماب وهو مبتدا خبره محذوف
تقديره وحسن ماب له **الضغث** حزمة صغيرة من حشيش او ريحان او قضبان
وقيل القبضة الكبيرة من القضبان ومنه قولهم ضغث على ابالة والابالة الحزمة
من الحطب والضغث القبضة عليها من الحطب ايضا ومنه قول الشاعر •

واسفل مني نهدة قد ربطتها • والقيت ضغثا من خلي متطيب •

الحنث فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله **الغساق** ما سال يقال
غسقت العين والجرح وعن ابي عبيدة ايضا انه البارد المنتن بلغة الترك وقال
الازهري الغاسق البارد ولهذا قيل ليل غاسق لانه ابرد من النهار **الاقتحام**
ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار
لما امر نبيه بالصبر وذكر ابتلا داود وسليمن واثنى عليهما ذكر من كان اشد ابتلا
منهما وانه كان في غاية الصبر بحيث اثنى الله عليه بذلك وايوب عطف بيان
او بدل قال الزمخشري واذ بدل اشتمال منه وقرا الجمهور اني بفتح الهمزة
وعيسى بكسرها وجا بضمير المتكلم حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال

انه مسه لانه غايب واسند المس الى الشيطان قال الزمخشري لما كانت وسوسته
اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه
اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعايه مع انه فاعله ولا يقدر
عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من
البلا فالتجا الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلا او بالتوفيق في دفعه ورده
بالصبر الجميل وذكر في سبب بلايه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت
مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله انتهى ولا
يناسب مناصب الانبيا ما ذكر الزمخشري من ان ايوب كانت منه طاعة للشيطان
فيما وسوس به وان ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب
ولا ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه ولا انه داهن كافرا ولا انه اعجب بكثرة
ماله وكذلك ما رووا من ان الشيطان سلطه الله عليه حتى اذهب اهله وماله
لا يمكن ان يصح ولا قدرة له على البشر الا بالقا الوساوس الفاسدة لغير المعصوم
والذي نقول انه تعالى ابتلى ايوب عليه السلم في جسده واهله وماله على ما روي
في الاخبار وروي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب بقي في محنته ثماني
عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ولم يصبر عليه الا امراته ولم يبين لنا
تعالى السبب المقتضي لعلته واما اسناده المس الى الشيطان فسبب ذلك انه
كان يعود ثلثة من المومنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان
ان الله لا يبتلي الانبيا والصالحين فحينيذ قال مسني الشيطان نزل تشفقته
على المومنين مس الشيطان ذلك المومن حتى ارتد مسا لنفسه لان الخير يتالم
برجوع الخير المومن الى الكفر ولذلك جا بعده اركض برجلك حتى يغتسل ويذهب
عنه البلا فلا يرتد احد من المومنين بسبب طول بلايه وتسويل الشيطان
انه تعالى لا يبتلي الانبيا وقيل اشار بقوله مسني الشيطان الى تعريضه لامراته
وطلبه ان يشرك بالله وكانه تشكى هذا الامر وكان عليه اشد من مرضه وقرا
الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد قيل جمع نصب كوثن ووثن وابو جعفر
وشيبة وابو عمارة عن حفص والجعفي عن ابي بكر وابو معاذ عن نافع بضمتين وزيد
بن علي والحسن والسدي وابن ابي عبلة ويعقوب والجحدري بفتحتين وابو
حيوة ويعقوب في رواية وهبيرة عن حفص بفتح النون وسكون الصاد وقال
الزمخشري النصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب
تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه
وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب انتهى وقال ابن عطية وقد ذكرت هذه القرات
وذلك كله بمعنى واحد معناه المشقة وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الاعيا وفرق
بين الناس بين هذه الالفاظ والصواب انها لغات بمعنى من قولهم انصبني الامر
اذا شق علي انتهى وقال السدي بنصب في الجسد وعذاب في المال وفي الكلام
حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا اركض برجلك فركض فنبعت عين فقلنا له هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك فاغتسل فبرا ووهبنا له ويدل على هذه المحذوفات
معنى الكلام وسياقه وتقدم الكلام في الركض في سورة الانبيا وعن قتادة
والحسن ومقاتل كان ذلك بارض الجابية من الشام ومعنى هذا مغتسل اي ما يغتسل
به وشراب اي ما تشربه فباغتسالك يبرا ظاهرك وبشربك يبرا باطنك والظاهر
ان المشار اليه كان واحدا وهو العين التي نبعت بضربه اغتسل منها وشرب وقيل
نبعت له عينان شرب من احداهما واغتسل في الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى
فنبعت عين حارة فاغتسل وباليسرى فنبعت باردة فشرب منها وهذا مخالف
لظاهر قوله مغتسل بارد فانه يدل على انه ما واحد وقيل امر بالركض بالرجل
لينبثق عنه كل دا بجسده وقال القتبي المغتسل الما الذي يغتسل به وقال مقاتل

هو الموضع الذي يغتسل فيه وقال الحسن ركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل
منها ثم مشي نحواً من اربعين ذراعاً ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها
وقيل والجمهور على انه ركض ركضتين فنبعت له عينان اغتسل من واحدة وشرب من
اخرى والجمهور على انه تعالى احيي له من مات من اهله وعافى المرضي وجمع عليه من
شتت منهم وقيل رزقه اولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ولم يرد اهله
الذين هلكوا باعيانهم وظاهر هذه الهبة انها في الدنيا وقيل ذلك وعد ويكون
تلك الهبة في الآخرة وقيل وهبه من كان حياً منهم وعافاه من الاسقام وارغد لهم
العيش فتناسلوا حتي يضاعف عددهم وصار مثلهم رحمة وذكري مفعولان
لهما اي الهبة كانت لرحمتنا اياه وليتذكر ارباب العقول ما يحصل للصابر
من الخير وما يؤول اليه من الاجر وفي الكلام حذف تقديره وكان حلف ليضربن
امراته مائة ضربة لسبب جرى منها وكانت محسنة له فجعلنا له خلاصاً من يمينه
بقولنا وخذ بيدك ضغثاً قال ابن عباس الضغث عثكال النخل وقال مجاهد الاثل
وهو نبت له شوك وقال الضحاك حزمة من الحشيش مختلفة وقال الاخفش
الشجر الرطب واختلفوا في السبب الذي اوجب حلفه ومحصول اقوال هو تمثيل
الشيطان لها في صورة ناصح او مُداو وعرض لها شفاء ايوب على يديه على شرط
لا يمكن وقوعه من مؤمن فذكرت ذلك له فعلم ان الذي عرض لها هو الشيطان
وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف وقيل غير ذلك من الاسباب وهي متعاقبة فحلل الله
يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وقد صح وقع مثل هذه
الرخصة في الاسلام اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخدج قد خبث بامة فقال
خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة وقال بذلك بعض اهل العلم
في الايمان قال ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها
قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب والجمهور على ترك القول
به في الحدود وان البر في الايمان لا يقع الا بتمام عدد الضربات ووصف الله
تعالي نبيه بالصبر وقد قال مسني الضر فدل على ان الشكوي الي الله تعالي
لا تنافي الوصف بالصبر وقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الي الله على ان
ايوب عليه السلام طلب الشفاء خيفة على قومه ان يوسوس اليهم الشيطان
انه لو كان نبيا لم يبتل وتالفا لقومه على الطاعة وبلغ امره في البلاء الي انه لم يبق
منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف
لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم
ولم ابت شبعان ولا كاسياً ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه وقرا ابن عباس
وابن كثير واهل مكة عبدنا على الافراد وابرهيم بدل منه او عطف بيان والجمهور
على الجمع وما بعده من الثلاثة بدل او عطف بيان وقرا الجمهور اولي الايدي
بالياء قال ابن عباس ومجاهد اي القوة في طاعة الله وقيل احسانهم في الدين
وتقدمهم عند الله على عمل صدق فهي كالايدي وهو قريب مما قبله وقيل النعم
التي اسداها الله اليهم من النبوة والمكانة وقيل الايدي الجوارح المتصرفة
في الخير والابصار الثاقبة فيه وقال الزمخشري لما كانت اكثر الاعمال
تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتي
فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله
عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون
اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون
في حكم الزمني الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين
لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين
في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منهما انتهي

وهو تكثير وقال ابو عبد الله الرازي اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر آلة
لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر والنفس
الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة فاولي الايدي والابصار اشارة الي هاتين الحالتين
وقرا عبد الله والحسن وعيسي والاعمش الايد بغير ياء فقيل يراد الايدي
حذفت الياء واجتزى بالكسرة عنها ولما كانت ال تعاقب التنوين حذفت الياء معها
كما حذفت مع التنوين وهذا تخريج لا يسوغ لان حذف هذه الياء مع وجود ال
ذكره س في الضرائر وقيل الايد القوة في طاعة الله والابصار عبارة عن البصائر
التي يبصرون بها الحقائق وينظرون بنور الله تعالي وقال الزمخشري وتفسيره
بالايد من التاييد قلق غير متمكن انتهي وانما كان قلقا عنده لعطف الابصار
عليه ولا ينبغي ان يقلق لانه فسر اولي الايدي والابصار بقوله يريد اولي الاعمال
والفكر وقرئ الايادي جمع الجمع كاوطف واواطف وقرا ابو جعفر وشيبة
والاعرج ونافع وهشام بخالصة بغير تنوين اضيفت الي ذكري وقرا باقي
السبعة بالتنوين وذكري بدل من بخالصة وقرا الاعمش وطلحة بخالصتهم
واخلصناهم جعلناهم لنا خالصين وخالصة يحتمل وهو الاظهر ان يكون اسم فاعل
عبر به عن مزية او رتبة او خصلة خالصة لا شوب فيها ويحتمل ان يكون مصدرا
كالعاقبة فيكون قد حذف منه الفاعل اي اخلصناهم بان اخلصوا ذكري الدار
فيكون ذكري مفعولا او بان اخلصنا لهم ذكري الدار او يكون الفاعل ذكري
اي بان خلصت لهم ذكري الدار والدار في كل وجه في موضع نصب بذكري وذكري
مصدر والدار دار الآخرة قال قتادة المعني بان خلص لهم التذكير بالدار
الآخرة ودعاء الناس اليها وحضهم عليها وقال مجاهد خلص لهم ذكرهم الدار
الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وقال ابن زيد وهبنا لهم افضل ما في
الدار الآخرة واخلصناهم به واعطيناهم اياه وقال ابن عطية ويحتمل
ان يريد بالدار دار الدنيا على معني ذكر الثناء والتعظيم من الناس والحمد الباقي
الذي هو الخالد المجازي فتجيء الآية في معني قوله لسان صدق وقوله وتركنا عليه
في الآخرين انتهي وحكي الزمخشري هذا الاحتمال قولا فقال وقيل ذكري الدار
الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق انتهي والباء في بخالصة بالسبب
اي بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها ويعضده قراءة بخالصتهم وانهم عندنا
لمن المصطفين اي المختارين من بين ابناء جنسهم الاخيار جمع خير وخير كميت
وميت واموات وتقدم الكلام في اليسع في سورة الانعام وذا الكفل في سورة
الانبياء وعندنا ظرف معمول لمحذوف دل عليه المصطفين اي وانهم مصطفون
عندنا او معمول للمصطفين وان كان بال لانهم يتسامحون في الظرف والمجرور
ما لا يتسامحون في غيرهما او على التبيين اي اعني عندنا ولا يجوز ان يكون عندنا
في موضع الخبر ويعني بالعندية المكانة ولمن المصطفين في موضع خبر ثان
لوجود اللام لا يجوز ان زيدا قائم لمنطلق وكل اي وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم
الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج
مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه
لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا
ما لنا لا نري رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار لما امره تعالي بالصبر على سفاهة

قومه وذكر جملة من الانبيا واحوالهم ذكر ما يوول اليه حال المومنين والكافرين من الجزا ومقر كل واحد من الفريقين ولما كان ما يذكره نوعا من انواع التنزيل قال هذا ذكر لانه فصل بين ما قبله وما بعده الا ترى انه لما ذكر اهل الجنة واعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقال ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبيا وقيل هذا ذكر اي شرف تذكرون به ابدا وقرا الجمهور جنات بالنصب وهو بدل فان كان عدن علما فبدل معرفة من نكرة وان كان نكرة فبدل نكرة من نكرة وقال الزمخشري جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن ماب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب لقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى ولا يتعين ان تكون جنات عدن معرفة بالدليل الذي استدل به وهو قوله جنات عدن التي لانه اعتقد ان التي صفة لجنات عدن ولا يتعين ما ذكره اذ يجوز ان تكون التي بدلا من جنات عدن الا ترى ان الذي والتي وجموعهما تستعمل استعمال الاسما فتلي العوامل فلا يلزم ان تكون صفة واما انتصابها على انها عطف بيان فلا يجوز لان النحويين في ذلك على مذهبين احدهما ان ذلك لا يكون الا في المعارف فلا يكون عطف البيان الا تابعا لمعرفة وهو مذهب البصريين والثاني انه يجوز ان يكون في النكرات فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما تكون المعرفة فيه تابعا لمعرفة وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي واما تخالفهما في التنكير والتعريف فلم يذهب اليه احد سوى هذا المصنف وقد اجاز ذلك في قوله مقام ابرهيم فاعربه عطف بيان تابعا لنكرة وهو ايات بينات ومقام ابرهيم معرفة وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في ال عمران واما قوله وفي مفتحة ضمير الجنات فجمهور النحويين اعربوا الابواب مفعولا لم يسم فاعله مرفوعا بمفتحة وجا ابو علي فقال اذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضمير يعود على جنات عدن من الحال اذا اعرب مفتحة حالا او من النعت ان اعرب نعتا لجنات عدن فقال في مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط الحال بصاحبها او النعت بمنعوته والابواب بدل وقال من اعرب الابواب مفعولا لم يسم فاعله العايد على الجنات محذوف تقديره الابواب منها والزم ابو علي ان البدل في مثل هذا لا بد فيه من الضمير اما ملفوظا به او مقدرا واذا كان الكلام محتاجا الى تقدير واحد كان اولى مما يحتاج الى تقديرين واما الكوفيون فالرابط عندهم هو ال لقيامه مقام الضمير فكانه قال مفتحة لهم ابوابها واما قوله وهو من بدل الاشتمال فان عني بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وانما هو بدل بعض من كل وان عني الابواب فقد يصح لان ابواب الجنات ليست بعضا من الجنات واما تشبيهه ما قدره من قوله مفتحة هي الابواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه ان الابواب بدل من ذلك الضمير المستكن كما ان اليد والرجل بدل من الظاهر الذي هو زيد وقال ابو اسحق وتبعه ابن عطية مفتحة نعت لجنات عدن وقال الحوفي مفتحة حال والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره يدخلونها وقرا زيد بن علي وعبد الله بن رفيع وابو حيوة جنات عدن مفتحة برفع التايين مبتدا وخبرا او كلاهما خبر مبتدا محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة والاتكا من هيئات اهل السعادة يدعون فيها يدل على ان عندهم من يستخدمونه فيما يستدعون كقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ولما كانت الفاكهة تتنوع وصفها بالكثرة وكثرتها باختلاف انواعها وكثرة كل نوع منها ولما كانت الشراب نوعا واحدا وهو الخمر افرد وعندهم قاصرات الطرف

قال قتادة معناه على ازواجهن اتراب اي امثال على سن واحدة واصله في بني ادم لكونهم مسوا اجسادهم التراب في وقت واحد والاقتران اثبت في التحاب والظاهر ان هذا الوصف هو بينهن وقيل بين ازواجهن اسنانهن كاسنانهم وقال ابن عباس يريد الادميات وقال صاحب الغنيان حور وقرا ابن كثير وابو عمرو هذا ما يوعدون بيا الغيبة اذ قبله وعندهم وباقي السبعة بتا الخطاب على الالتفات والمعنى هذا ما وقع به الوعد ليوم الجزا ان هذا اي ما ذكر للمتقين مما تقدم لرزقنا دايما لا نفاذ له هذا وان للطاغين لشر ماب قال الزجاج اي الامر هذا وقال ابو علي هذا للمومنين وقال ابو البقا مبتدا محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدا والطاغون هنا الكفار وقال الجبائي اصحاب الكباير كفارا كانوا او لم يكونوا وقال ابن عباس المعنى الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر ماب اي مرجع ومصير فبيس المهاد اي هي هذا في موضع رفع مبتدا خبره جهنم وغساق او خبر مبتدا اي العذاب هذا وحميم خبر مبتدا اي هو حميم او مبتدا محذوف الخبر اي منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى اذا ما اضا الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود

اي منه ملوي ومنه محصود وهذه الاعاريب مقولة منقولة وقيل هذا مبتدا وفليذوقوه الخبر وعلى هذا مذهب الاخفش في اجازته زيد فاضربه مستدلا بقول الشاعر

وقايلة خولان فانكح فتاتهم

والغساق عن ابن عباس الزمهرير وعنه ايضا وعن عطا وقتادة وابن زيد ما يجري من صديد اهل النار وعن كعب عين في جهنم تسيل اليها حمة كل ذي حمة من حية او عقرب او غيرهما ينغمس فيها فيتساقط الجلد واللحم عن العظم وعن السدي ما يسيل من دموعهم وعن ابن عمر القيح يسيل منهم فيسقونه وقرا ابن ابي اسحق وقتادة وابن وثاب وطلحة وحمزة والكساي وحفص والمفضل وابن سعدان وهرون عن ابي عمرو بتشديد السين فان كان صفة فليكون مما حذف موصوفها وان كان اسما ففعال قليل في الاسما جا منه الكلاء والجبان والفياد ذكر البوم والعقار والخطار وقرا باقي السبعة بتخفيف السين وقرا الجمهور واخر على الافراد فقيل مبتدا خبره محذوف تقديره ولهم عذاب اخر وقيل خبره في الجملة لان قوله ازواج مبتدا ومن شكله خبره والجملة خبر واخر وقيل خبره ازواج ومن شكله في موضع الصفة وجاز ان يخبر بالجمع عن الواحد من حيث هو درجات ورتب من العذاب او سمي كل جز من ذلك الاخر باسم الكل وقال الزمخشري واخر اي وعذاب آخر او مذوق آخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلثة وهي حميم وغساق واخر من شكله انتهى وهو اعراب اخذه من الفرا وقرا الحسن ومجاهد والجحدري وابن جبير وعيسى وابو عمرو واخر على الجمع وهو مبتدا ومن شكله في موضع الصفة وازواج خبره اي ومذوقات اخر من شكله هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرا مجاهد من شكله بكسر الشين والجمهور بفتحها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب واما اذا كان بمعنى الغنج فبكسر الشين لا غير وعن ابن مسعود واخر من شكله هو الزمهرير والظاهر ان قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسايهم بعضهم لبعض والفوج الجمع الكثير مقتحم معكم اي النار وهم الاتباع ثم دعوا عليهم بقولهم لا مرحبا بهم لان الرييس اذا راى الخسيس قد قرن معه في العذاب سااه ذلك حيث وقع التساوي في العذاب ولم يكن هو السالم من العذاب واتباعه في العذاب ومرحبا معناه اتت رحبا وسعة لا ضيقا وهو منصوب بفعل يجب اضماره ولا دعا وبهم بيان للمدعو عليهم وقيل هذا فوج من كلام الملايكة

خزنة النار وان الدعا على الفوج والتعليل بقوله انهم صالوا النار من كلامهم
وقيل هذا فوج مقتحم معكم من ملايكة الانبيا والدعا على الفوج والاخبار بانهم
صالوا النار من كلام الروسا المتبوعين قالوا اي الفوج لا مرحبا بكم رد على
الروسا ما دعوا به عليهم ثم ذكروا ان ما وقعوا فيه من العذاب وصلي النار انما
هو بما القيتم الينا وزينتموه من الكفر فكانكم قدمتم لنا العذاب او الصلي واذا هو
كان لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فلم يجي التركيب قالوا بل هم لا مرحبا بهم بل جا
بخطاب الاتباع للروسا ليكون المواجهة لمن كانوا لا يقدرون على مواجهتهم في الدنيا
بقبيح اشفي لصدورهم حيث تسببوا في كفرهم وانكى للروسا فبيس القرار اي النار
وهذه المرادة والدعا كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها ولم يكتف الاتباع برد
الدعا على روسايهم ولا بمواجهتهم بقوله انتم قدمتموه لنا حتى سالوا من الله ان
يزيد روساهم ضعفا من النار والمعنى من حملنا على عمل السو حتى صار جزانا النار
فزده عذابا ضعفا كما جا في قول الاتباع ربنا اتهم اي سادتهم ضعفين من العذاب
ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار فلما كان الروسا ضلالا في انفسهم واضلوا
اتباعهم ناسب ان يدعو عليهم بان يزيدهم ضعفا كما جا فعليه وزره ووزر من عمل بها
الى يوم القيامة فعلى هذا الضمير في قالوا للاتباع ومن قدم هم الروسا وقال
ابن السايب قالوا ربنا الى اخره فيقول جميع اهل النار وقال الضحاك من قدم
هو ابليس وقابيل وقال ابن مسعود الضعف حيات وعقارب وقالوا اي اشراف
الكفار ما لنا لا نرى رجالا وهم مستضعفوا المومنين الذين لا يوبه بهم كنا نعدهم
من الاشرار اي الارذال الذين لا خير فيهم وليسوا على ديننا كما قال وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا وروي ان القايلين من كفار عصر الرسول صلى الله
عليه وسلم هم ابو جهل وامية بن خلف واصحاب القليب والذين لم يروهم عمار
وصهيب وسلمان ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره قيل يسالون اين عمار اين
صهيب اين فلان يعدون ضعفا المسلمين فيقال لهم اوليك في الفردوس وقرا
النحويان وحمزة اتخذناهم وصلا فقال ابو حاتم والزمخشري وابن عطية صفة
لرجالا قال الزمخشري مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وقال ابن الانباري
حال اي وقد اتخذناهم وقرا ابو جعفر والاعرج والحسن وقتادة وباقي السبعة
بهمزة الاستفهام للتقرير انفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم
سخريا ولم يكونوا كذلك وقرا عبد الله واصحابه ومجاهد والضحاك وابو جعفر
وشيبة والاعرج ونافع وحمزة والكساي سخريا بضم السين ومعناها من السخرة
والاستخدام وقرا الحسن وابو رجا وعيسى وابن محيصن وباقي السبعة بكسر
السين ومعناها المشهور من السخر وهو الهزء قال الشاعر

اني اتاني لسان لا اسر بها ... من علو لا كذب فيها ولا سخر

وقيل بكسر السين من التسخير وام ان كان اتخذناهم استفهاما اما مصرحا بهمزته
كقراة من قرا كذلك او مووّلا بالاستفهام وحذفت الهمزة للدلالة فالظاهر
انها متصلة لتقدم الهمزة والمعنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراهم
وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم ويكون استفهاما على معنى الانكار
على انفسهم للاستسخار والزيغ جميعا وقال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم
سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم وان اتخذناهم ليس استفهاما فام منقطعة
ويجوز ان تكون منقطعة ايضا مع تقدم الاستفهام جمع عدد الاستفهام يكون
كقولك انها لابل ام شاة اي بل امي شاة وعلى الاستفهام يكون كقولك ازيد عندك
ام عندك عمرو استفهمت عن زيد ثم اضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو فالتقدير
بل ازاغت عنهم الابصار ويجوز ان يكون قولهم ام زاغت عنهم الابصار له تعلق بقوله
ما لنا لا نرى رجالا لان الاستفهام اولا دل على انتفا رويتهم اياهم وذلك دليل على

انهم ليسوا معهم ثم جوزوا ان يكونوا معهم ولكن ابصارهم لم ترهم ان ذلك اي التفاوض
الذي حكيناه عنهم لحق اي ثابت واقع لا بد ان يجري بينهم وقرا الجمهور تخاصم
بالرفع مضافا الى اهل فقال ابن عطية بدل من الحق وقال الزمخشري بين ما هو
فقال تخاصمٌ منونا اهلُ رفعا بالمصدر المنون ولا يجيز ذلك الفرا ويجيزه س
والبصريون وقرا ابن ابي عبلة تخاصمَ اهلِ بنصب الميم وجر اهل قال الزمخشري
على انه صفة لذلك لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس وفي كتاب اللوامح
ولو نصبت تخاصم اهل النار لجاز على البدل من ذلك وقرا ابن السميفع تخاصم
فعلا ماضيا اهل فاعلا وسمى تعالى تلك المفاوضة التي جرت بين روسا الكفار واتباعهم
تخاصما لان قولهم لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم هو من باب الخصومة
فسمي التقاوض كله تخاصما لاشتماله عليه قل يا محمد انما انا منذر اي منذر المشركين
عذاب وانه لا اله الا الله لا ند له ولا شريك وهو الواحد القهار لكل شي وانه
مالك العالم علوه وسفله العزيز الذي لا يغالب الغفار لذنوب من امن به واتبع
لدينه قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال
فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين
ولتعلمن نباه بعد حين الضمير في قوله قل هو نبا يعود الى ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من كونه رسولا منذرا داعيا الى الله وانه تعالى هو المتفرد بالالوهية المتصف
بتلك الاوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم وعزته وغفرانه وهو خبر
عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة وقال ابن عباس النبا العظيم
القران وقال الحسن يوم القيامة وقيل قصص ادم والانباء به من غير سماع من
واحد وقال صاحب التحرير سياق الاية وظاهرها انه يريد بقوله قل هو نبا عظيم
ما قصه الله تعالى من مناظرة اهل النار ومقاولة الاتباع مع السادات لانه من
احوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب وهم عن ذلك
معرضون وقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون احتجاج على قريش بان ما جا
به من عند الله لا من قبل نفسه فان من في الارض ما له علم بمن في السما الا باعلام الله
تعالى وعلم المغيبات لا يوصل اليه الا باعلام الله تعالى وعلمه باحوال اهل النار
وابتدا خلق ادم لم يكن عنده علم بذلك فاخباره بذلك هو باعلام الله والاستدلال
بقصة ادم لانه اول البشر خلقا وبينه وبين الرسول عليه السلام ازمان متقادمة
وقرون سالفة انتهى وفي اخره بعض اختصار ثم احتج بصحة نبوته بان ما ينبي
به عن الملا الاعلى واختصامهم امر لم يكن له به من علم قط ثم علمه من غير الطريق
الذي يسلكه المتعلمون بل ذلك مستفاد من الوحي وبالملا متعلق بعلم واذ منصوب
به وقال الزمخشري بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت
اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون انتهى والظاهر عود الضمير في يختصمون
على الملا الاعلى وهم الملايكة والابعد من قال انهم قريش واختصام الملايكة هو
في امر ادم وذريته في جعلهم في الارض وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قاله ابن
عباس وقال الحسن قالوا ان يخلق الله خلقا كنا اكرم منه واعلم وقيل في الكفارات
وغفر الذنوب فان العبد اذا عمل حسنة اختلفت الملايكة في قدر ثوابه في ذلك

حتى يقضي الله بما يشاء وفي الحديث قال له ربه في نومه عليه السلام فيم يختصمون
فقلت لا ادري فقال في الكفارات وفي اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الخطا
الى الجماعات وقال الزمخشري كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول
في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس
وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول وقيل الملأ الاعلى الملائكة واذ يختصمون
الضمير فيه للعرب الكافرين فبعضهم هي بنات الله وبعضهم آلهة تعبد وغير
ذلك من اقوالهم ان يوحى الي اي ما يوحى الي الا انما انا نذير اي لانما انا نذير
اي للانذار حذف اللام ووصف الفعل والمفعول الذي لم يسم فاعله يجوز ان يكون
ضميرا يدل عليه المعنى اي ان يوحى الي هو اي ما يوحى الا الانذار واقيم الى
مقامه ويجوز ان يكون انما هو المفعول الذي لم يسم فاعله اي ما يوحى الي الا الانذار
وقرا ابو جعفر الا انما بكسر همزة انما على الحكاية اي ما يوحى الي الا هذه الجملة
كانه قيل له انت نذير مبين فحكى هو المعنى وكذا كما يقول الانسان انا عالم
فيقال له قلت انك عالم فيحكي المعنى وقال الزمخشري وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا
اخر انتهى وفيه تخريجه تعارض لانه قال اي الا هذا القول فظاهره الجملة
التي هي انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل
هو ان اقول لكم واني وما بعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون
في موضع رفع فتعارضا وتقدم ان اذ قال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت
الخصومة في شان من يستخلف في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون منصوبا
باذكر ولما كانت قريش خالفوا الرسول عليه السلام بسبب الحسد والكبر ذكر
حال ابليس حيث خالف امر الله بسبب الحسد والكبر وما آل اليه من اللعنة والطرد
من رحمة الله ليزدجر عن ذلك من فيه شيء منهما وقال الزمخشري فان قلت
كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا من البشر ولا عهدوا به قبل
قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه
حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى والبشر هو آدم عليه السلام وذكر هنا انه خلقه
من طين وفي آل عمران خلقه من تراب وفي الحجر من صلصال من حما مسنون
وفي الانبياء من عجل ولا منافاة ذكر المادة البعيدة وهو التراب ثم ما يليه وهو الطين
ثم ما يليه وهو الحما المسنون ثم المادة الاخيرة تلي الحما وهو الصلصال واما من
عجل فمضى تفسيره فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس تقدم الكلام على هذا في الحجر وهنا استكبر
وكان من الكافرين وفي البقرة ابى واستكبر وكان من الكافرين وفي الاعراف
لم يكن من الساجدين وفي الحجر ابى ان يكون مع الساجدين وفي الاسرا قال
ااسجد لمن خلقت طينا وفي الكهف كان من الجن ففسق عن امر ربه والاستثنا
في جميع هذه الايات يدل على انه لم يسجد فتارة اكد بالنفي المحض وتارة ذكر
ابايته عن السجود وهو الانفة من ذلك وتارة نص على ان ذلك الامتناع كان
سببه الاستكبار والظاهر ان قوله وكان من الكافرين اريد به كفره ذلك الوقت
وان لم يكن قبله كافرا وعطف على استكبر فقوي ذلك لان الاستكبار عن السجود
انما حصل له وقت الامر ويحتمل ان يكون اخبارا عنه لسبق كفره في الازمنة
الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد وفي الاعراف ما منعك
ان لا تسجد فدل ذلك ان تسجد هنا على ان لا في ان لا تسجد زائدة والمعنى هو
ايضا يدل على ذلك لانه لا يستفهم الا عن المانع للسجود وهو استفهام تقرير
وتوبيخ وما في لما خلقت استدل بها من يجيز اطلاق ما على احاد من يعقل والاول بان
ما مصدرية والمصدر يراد به المخلوق لا حقيقة المصدر وقرا الجحدري

469

لما بفتح اللام وتشديد الميم خلقت بيدي على الافراد والجمهور على التثنية
وقرئ بيدي بكسر اليا كقراءة بمصرخي وقال تعالى مما عملت ايدينا بالجمع
وكلها عبارة عن القدرة والقوة وعبر باليد اذ كان عند البشر معتادا ان البطش
والقوة باليد وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان اليد صفة ذات
قال ابن عطية وهو قول مرغوب عنه وقرا الجمهور استكبرت بهمزة الاستفهام
فام متصلة عادلت الهمزة قال ابن عطية وذهب كثير من النحويين الى ان
ام لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا
على فعل واحد كقولك ازيد قام ام عمرو وقولك اقام زيد ام عمرو فاذا اختلف
الفعلان كهذه الاية فليست معادلة ومعنى الاية احدث لك الاستكبار الان
ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة
التوبيخ انتهى وهذا الذي ذكره عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح قال
س وتقول اضربت زيدا ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسال
عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسال عن موضع احدهما كانك قلت اي
ذلك كان انتهى فعادل بام الالف مع اختلاف الفعلين وقال الزمخشري من
العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل
استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير
انتهى وقرات فرقة منهم ابن كثير وغيره استكبرت بصلة الالف وهي قراءة اهل مكة
وليست في مشهور ابن كثير فاحتمل ان تكون همزة الاستفهام حذفت لدلالة ام عليها
كقوله بسبع رمين الجمار ام بثمان واحتمل ان يكون اخبارا خاطبه بذلك على سبيل
التقريع وام تكون منقطعة والمعنى بل انت من العالين عند نفسك استخفافا به
قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تقدم الكلام على ذلك
في الاعراف قال فاخرج منها الى قوله الى يوم الوقت المعلوم تقدم الكلام على
مثل ذلك في الحجر الا ان هنا لعنتي وهناك اللعنة واللعنة اعم الا ترى الى قوله
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون واما بالاضافة فالعموم في اللعنات انما هو
حصل من جهة ان من عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل لاعن هذا من جهة المعنى
واما اللفظ فيقتضي التخصيص قال فبعزتك لاغوينهم اقسم ابليس هنا بعزة
الله وقال في الاعراف فبما اغويتني لاقعدن وفي الحجر رب بما اغويتني لازينن
وتقدم الكلام عليهما في موضعيهما وان من المفسرين من قال ان الباء في بما
اغويتني وفي فبما اغويتني ليست باء القسم وان كانت باء القسم فيكون ذلك
في موطنين فهنا لاغوينهم وفي الاعراف لاقعدن وفي الحجر لازينن وقرا الجمهور
قال فالحق والحق بنصبهما اما الاول فمقسم به حذف منه الحرف كقوله امانة
الله لاقومن والمقسم عليه لاملان والحق اقول اعتراض بين القسم وجوابه
قال الزمخشري ومعناه ولا اقول الا الحق انتهى لان عنده تقدم المفعول
يفيد الحصر والحق المقسم به اما اسمه تعالى الذي في قوله ان الله هو الحق المبين
او الذي هو نقيض الباطل وقيل فالحق منصوب على الاغراء اي الزموا الحق ولاملان
جواب قسم محذوف وقال الفرا هو على معنى قولك حقا لا شك ووجود الالف
واللام وطرحهما سواء اي لاملان جهنم حقا انتهى وهذا المصدر الجائي توكيدا
لمضمون الجملة لا يجوز تقديمه عند جمهور النحاة وذلك مخصوص بالجملة التي
جزاها معرفتان جامدتان جمودا محضا وقال صاحب البسيط وقد يجوز ان يكون
الخبر نكرة قال والمبتدا يكون ضميرا نحو هو زيد معروفا وهو الحق بينا وانا الامير
مفتخرا ويكون ظاهرا كقولك زيد ابوك عطوفا واخوك زيد معروفا انتهى
وقالت العرب زيد قائم غير ذي شك فجات الحال بعد جملة والخبر نكرة وهي
حال موكدة لمضمون الجملة وكان الفرا لم يشترط هذا الذي ذكره اصحابنا

من كون المبتدا والخبر معرفتين جامدتين لانه لا فرق بين تاكيد مضمون الجملة
الابتدائية وبين تاكيد الجملة الفعلية وقيل التقدير فالحق احق اي افعله وقرا
ابن عباس ومجاهد والاعمش بالرفع فيهما فالاول مبتدا خبره محذوف قيل تقديره
فالحق انا وقيل فالحق مني وقيل تقديره فالحق قسمي وحذف كما حذف في لعمرك لاقومن
وفي يمين الله ابرح قاعدا اي لعمرك قسمي ويمين الله قسمي وهذه الجملة هي
جملة القسم وجوابه لاملان واما والحق اقول فمبتدا ايضا خبره الجملة وحذف
العايد كقراءة ابن عامر وكل وعد الله الحسني وقال ابن عطية اما الاول
فرفع على الابتدا وخبره في قوله لاملان لان المعني ان املا انتهي وهذا ليس بشي
لان لاملان جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا تنعقد بمفرد وايضا ليس مصدرا
مقدرا بحرف مصدري والفعل حتي ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الي
المبتدا حكم انه خبر عنه وقرا الحسن وعيسي وعبد الرحمن بن ابي حماد عن ابي
بكر بجرهما ويخرج على ان الاول مجرور بواو القسم محذوفة تقديره فوالحق
والحق معطوف عليه كما تقول والله والله لاقومن واقول اعتراض بين القسم
وجوابه وقال الزمخشري والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ
المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع
وهو وجه دقيق حسن انتهي وملخصه انه اعمل القول في لفظ المقسم به على
سبيل الحكاية ان نصبا او رفعا او جرا وقرا مجاهد والاعمش بخلاف عنهما وابان
بن تغلب وطلحة في رواية وحمزة وعاصم عن المفضل وخلف والعبسي برفع فالحق
ونصب والحق وتقدم اعرابهما والظاهر ان قوله اجمعين تاكيد للمحدث عنه
والمعطوف عليه وهو ضمير ابليس ومن عطف عليه اي منك وممن تابعك اجمعين
واجاز الزمخشري ان تكون اجمعين تاكيد الضمير الذي في منهم فقدر لاملان جهنم
من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد
وجود الاتباع منهم من اولاد الانبيا وغيرهم انتهي والضمير في عليه عايد على
القران قاله ابن عباس وقيل على الوحي وقيل على الدعا الي الله وما انا من المتكلفين
اي المتصنعين المتحلين بما ليسوا من اهله فانتحل النبوة واتقول على الله ان هو
اي القران الا ذكر اي من الله للعالمين الثقلين الانس والجن ولتعلمن
نباه اي عاقبة خبره وما ترتب عليه لمن امن به ومن اعرض عنه بعد حين قال
ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم القيامة وقال قتادة والفرا والزجاج
بعد الموت وكان الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقيل
المعني ليظهرن لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف
المسلمين وذلك يوم بدر اشار الي ذلك السدي التكوير اللف والي يقال

المفردات

كار العمامة على راسه وكورها خوله النعمة اعطاه ابتدا من غير مجازاة ولا يقال
في الجزا خول قال زهير

• هنالك ان يستخولوا المال يخولوا • ويروي يستخبلوا المال يخبلوا •

وقال ابو النجم •

• اعطي فلم يبخل ولم يبخل كوم الذري من خول المخول •

هاج الزرع ثار من منابته وقيل يبس الحطام الفتات بعد يبسه القشعريرة
تقبض الجلد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف
الشكاسة سوء الخلق وعسره ••

سورة تنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا

ليقربونا الى الله زلفي ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو
كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق ما يشا سبحانه هو الله الواحد
القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمي الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من
بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان
تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضي لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة
وزر اخري ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور
هذه السورة مكية وعن ابن عباس الا الله نزل احسن الحديث وقل يا عبادي الذين
اسرفوا وعن مقاتل الا يا عبادي الذين اسرفوا وقوله يا عباد الذين امنوا اتقوا
ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وعن بعض السلف الا يا عبادي الذين اسرفوا
الي قوله تشعرون ثلث ايات وعن بعضهم الا سبع ايات من قوله يا عبادي
الذين اسرفوا الي اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه ومناسبتها لاخر السورة قبلها
واضحة وهو ان هو الا ذكر للعالمين وبدا هنا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
وقال الفرا والزجاج تنزيل مبتدا ومن الله الخبر او خبر مبتدا محذوف
اي هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل واقول انه خبر والمبتدا هو يعود على
قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب
وقال الزمخشري او غير صلة يعني من الله كقولك هذا الكتاب من فلان الي فلان
وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله
او حال من التنزيل عمل فيها معني الاشارة انتهي ولا يجوز ان يكون حالا عمل فيها معني
الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك رد وا على ابي
العباس قوله في بيت الفرزدق واذ ما مثلهم بشر ان مثلهم منصوب بالخبر
المحذوف وهو مقدر واذ ما في الوجود في حال مماثلتهم بشر والكتاب هنا يظهر انه
القران وكرر في قوله انا انزلنا اليك الكتاب على جهة التفخيم والتعظيم
وكونه في جملة غير السابقة ملحوظا فيه اسناده الي ضمير العظمة وتشريف من انزل
اليه بالخطاب وتخصيصه بالحق وقرا ابن ابي عبلة وزيد بن علي وعيسي تنزيل
بالنصب اي اقرا والزم وقال ابن عطية قال المفسرون في تنزيل الكتاب
هو القران ويظهر لي انه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله من الكتب فكانه اخبر
اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعة انما تنزيلها من الله وجعل هذا الاخبار
تقدمة وتوطية لقوله انا انزلنا اليك الكتاب والعزيز في قدرته الحكيم في ابتداعه
والكتاب الثاني هو القران لا يحتمل غير ذلك وقال الزمخشري فان قلت ما المراد
بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى الثاني انه السورة انتهي
وبالحق في موضع الحال اي ملتبسا بالحق وهو الصدق الثابت فيما اودعناه من اثبات
التوحيد والنبوة والمعاد والتكاليف فهذا كله حق وصدق يجب اعتقاده والعمل به
او يكون بالحق بالدليل على انه من عند الله وهو عجز الفصحا عن معارضته وقال ابن
عطية اي متضمنا الحق فيه وفي احكامه وفي اخباره او بمعني الاستحقاق وشمول المنفعة
للعالم في هدايتهم ودعوتهم الي الله انتهي ملخصا ولما امتن تعالي على رسوله بانزال
الكتاب عليه بالحق وكان الحق اخلاص العبادة لله امره تعالي بعبادته فقال فاعبد
الله وكان هذا الامر ناشيا عن انزال الكتاب فالفا فيه للربط كما تقول احسن اليك
زيد فاشكره مخلصا اي ممحضا له الدين من الشرك والريا وساير ما يفسده وقرا
الجمهور الدين بالنصب وقرا ابن ابي عبلة بالرفع فاعلا بمخلصا والراجع لذي الحال
محذوف على راي البصريين اي الدين منك او يكون العوض من الضمير اي دينك وقال
الزمخشري وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله تعالي واخلصوا دينهم

لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والمخلص واحد الا ان يوصف الدين
بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من
العايد وله الدين مبتدا او خبر فقد جا باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين
الا لله الدين الخالص انتهى وقد قدمنا تخريجه على انه فاعل بمخلصا وقدرنا
ما يربط الحال بصاحبها وممن ذهب الى ان له الدين مستانف مبتدا او خبر
الفرا الا لله الدين الخالص اي من كل شايبة وكدر فهو الذي يجب ان تخلص له الطاعة
لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولخلوص نعمته على عباده من استجرار
منفعة منهم قال الحسن الدين الخالص الاسلام وقال قتادة شهادة ان لا اله الا
الله والذين اتخذوا مبتدا والظاهر انهم المشركون واحتمل ان يكون الخبر قالوا
المحذوف المحكي به قوله ما نعبدهم اي والمشركون المتخذون من دون الله اولياء
قالوا ما نعبد تلك الاولياء الا ليقربونا الى الله زلفى واحتمل ان يكون الخبر ان الله
يحكم بينهم وذلك القول المحذوف في موضع الحال اي اتخذ وهم قايلين ما نعبدهم
واجاز الزمخشري ان يكون الخبر ان الله يحكم وقالوا المحذوفة بدل من اتخذوا
صلة الذين فلا يكون له موضع من الاعراب وكانه من بدل الاشتمال وفي مصحف
عبد الله قالوا ما نعبدهم وبه قرا هو وابن عباس ومجاهد وابن جبير واجاز الزمخشري
ان يكون والذين اتخذوا بمعنى المتخذين وهم الملايكة وعيسى واللات والعزى
ونحوهم والضمير في اتخذوا عايد على المشركين وان لم يتقدم لهم ذكر لدلالة
سياق الكلام عليهم والعايد على الموصول محذوف تقديره والذين اتخذ وهم
المشركون اولياء واوليا مفعول ثان وهذا الذي اجازه خلاف الظاهر وهذه المقالة
شايعة في العرب فقال ذلك ناس منهم في الملايكة وناس في الاصنام والاوثان
قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود في عزيز وقوم من النصارى في المسيح
وقرئ ما نعبدهم بضم النون اتباعا لحركة البا ان الله يحكم بينهم اقتصر في الرد
على مجرد التهديد والظاهر ان الضمير في بينهم عايد على المتخذين والمتخذين
والحكم بينهم هو بادخال الملايكة وعيسى عليه السلام الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
والخشب التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها
حصب جهنم واختلافهم ان من عبدوه كالملايكة وعيسى كانوا متبريين منهم لاعنين
لهم موحدين لله وقيل الضمير في بينهم عايد على المشركين والمومنين اذ كانوا
يلومونهم على عبادة الاصنام فيقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والحكم
اذ ذاك هو في يوم القيامة بين الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب في دعواه
ان لله شريكا كفارا لنعم الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لا يهدي من حتم عليه
بالموافاة على الكفر فهو عام والمعنى على الخصوص فكم قد هدى من سبق منه الكذب
والكفر قال ابن عطية لا يهدي الكاذب الكفار في حال كذبه وكفره وقال الزمخشري
المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله هم
من الهالكين انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا انس بن مالك والجحدري
والحسن والاعرج وابن يعمر كذاب كفار وقرا زيد بن علي كذوب كفور ولما كان من
كذبهم دعوى بعضهم ان الملايكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله لو اراد الله
ان يتخذ ولدا تشريفا له وتبنيا اذ يستحيل ان يكون ذلك في حقه تعالى بالتولد
المعروف لاصطفى اي اختار من مخلوقاته ما يشا ولدا على سبيل التبني ولكنه
تعالى لم يشا ذلك لقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وهو عام في اتخاذ
النسل واتخاذ الاصطفا وبدل على ان الاتخاذ هو التبني والاصطفا قوله مما يخلق
اي من التي انشاها واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها فقال سبحانه ثم وصف
نفسه بالوحدانية وبالقهر ومما الصفتان الدالتان على انفراده بالالوهية
والقهر بجميع العالم وقال الزمخشري يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم

يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم
كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملايكة فافتتنتم به وغركم
اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقة المخالفة لحقايق
الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء
ما يشا من خلقه وهم الملايكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم
تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافترا
على الله وملايكته انتهى والذي يدل عليه تركيب لو وجوابها انه كان يترتب اصطفا
الولد مما يخلق على تقدير اتخاذه لكنه لم يتخذه فلا يصطفيه واما ما ذكره الزمخشري
من قوله يعني لو اراد الى اخره وقوله بعد كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد
على ما فعل من اصطفا ما يشا من خلقه وهم الملايكة فليس مفهوما من قوله لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا ولما نزه تعالى نفسه ووصف ذاته بالوحدة
والقهر ذكر ما دل على ذلك من اختراع العالم العلوي والسفلي بالحق وتكوير
الليل والنهار وتسخير النيرين وجريهما على نظام واحد واتساق امورهما على ما اراد
الى اجل مسمى وهو يوم القيامة حيث تخرب بنية هذا العالم فتزول حركتهما
او الى وقت مغيبهما كل يوم وليلة او وقت فواتهما كل شهر والتكوير تطويل كل منهما
على الاخر فكان الاخر صار عليه جزء منه قال ابن عباس يحمل الليل على النهار
وقال الضحاك يدخل الزيادة في احدهما بالنقصان من الاخر وقال ابو عبيدة
يدخل هذا على هذا وقال الزمخشري وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب
هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس
على اللابس ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه
بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا
فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض انتهى الا هو العزيز الذي
لا يغالب الغفار لمن تاب او الحليم الذي لا يعجل سمى الحلم غفرانا مجازا ولما ذكر
ما دل على وحدانيته وقهره ذكر الانسان وهو الذي كلف باعبا التكاليف فذكر انه
اوجدنا من نفس واحدة وهي ادم عليه السلم وذلك انه خلق حوا على ما روي خلقت من ادم
فقد صار خلقنا من نفس واحدة بوساطة حوا وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره
كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا فعلى هذا كان خلقنا من ادم بغير واسطة وجاءت ثم
على هذا القول على وضعها من المهلة في الزمان وعلى القول الاول يظهر ان حوا كان
بعد خلقنا وليس كذلك فثم جا لترتيب الاخبار كانه قيل ثم كان من امره
قبل ذلك ان جعل منها زوجها فليس الترتيب في زمان الجعل وقيل ثم معطوف على الصفة
التي هي واحدة اي من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل قال الزمخشري فان قلت
ما وجه قوله تعالى ثم جعل منها زوجها وما تعطيه من معنى التراخي قلت هما ايتان
من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفايت
للحصر من نفس ادم وخلق حوا من قصيراه الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة
والاخرى لم يجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل
في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على
مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي
في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود انتهى واما ثم جعل منها زوجها فقد تقدم
الكلام على هذا الجعل في اول سورة النساء ووصف الانعام بالانزال مجاز اما لانه
قضاياه توصف بالنزول من السما حيث كتب في اللوح كل كاين يكون واما لعيشها
بالنبات والنبات ناشي عن المطر والمطر نازل من السما فكانه تعالى انزلها فيكون
مثل قول الشاعر

اسنمة الابال في ربابه • اي في سحابه

وقال

صار الشريد في ردود سر لعبدان

وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها فعلي هذا يكون انزال اصولها حقيقة والانعام هم
الابل والبقر والضان والمعز ثمانية ازواج لان كل منها ذكرا وانثي والزوج
ما كان معه اخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال تعالي فجعل منه الزوجين
الذكر والانثي قال ابن زيد خلقا من بعد خلق اخر من ظهر ادم وظهور الاباء
وقال عكرمة ومجاهد والسدي رتبا خلقا من بعد خلق علي المضغة والعلقة
وغير ذلك واخذه الزمخشري فقال حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما
من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف انتهي وقرا عيسي
وطلحة يخلقكم بادغام القاف في الكاف والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة
وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اشارة الي المتصف بتلك الاوصاف السابقة
من خلق السموات وما بعد ذلك من الافعال فاني تصرفون اي كيف تعدلون
عن عبادته الي عبادة غيره ان تكفروا قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم
يرد الله ان يطهر قلوبهم وعباده هم المومنون ويويده قوله قبله فاني تصرفون
وهذا للكفار نحا ان تكفروا اخطابا لهم فان الله غني عنكم وعن عبادتكم اذ لا يرجع
اليه تعالي منفعة بكم ولا بعبادتكم اذ هو الغني المطلق قال ابن عطية ويحتمل ان
تكون مخاطبة لجميع الناس لانه تعالي غني عن جميعهم وهم فقرا اليه انتهي ولفظ
عباده عام فقيل المراد الخصوص وهم الملايكة ومومنوا الانس والجن والرضي
بمعني الارادة فعلي هذا هي صفة ذات وقيل المراد العموم كما دل عليه اللفظ
والرضي مغاير للارادة عبر به عن الشكر والاثابة اي لا يشكره لهم دنيا ولا هو
يثيبهم به خيرا فالرضي علي هذا صفة فعل بمعني القبول والاثابة قال ابن
عطية وتامل الارادة فان حقيقتها انما هي فيما لم يقع بعد والرضي حقيقته
انما هي فيما قد وقع واعتبر هذا في ايات القران تجده وان كانت العرب
قد تستعمل في اشعارها علي جهة التجوز هذا بدل هذا وقال الزمخشري ولقد
تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضي لعباده الكفر فقال
هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين لقوله عينا يشرب بها عباد
الله تعالي عما يقول الظالمون انتهي فسمي عبد الله بن عباس ترجمان القران
واعلام اهل السنة بعض الغواة واطلق عليهم اسم الظالمين وذلك من سفهه
وجراته كما قلت في قصيدتي التي ذكرت فيها ما ينقد عليه

ويشتم اعلام الايمة ضلة ولا سيما ان اولجوه المضايقا

وان تشكروا يرضه لكم قال ابن عباس يضاعف لكم وكانه يريد ثواب الشكر
وقيل يقبله منكم قال صاحب التحرير قوة الكلام تدل علي ان معني تشكروا تومنوا
حتي يصير بازا الكفر والله تعالي قد سمي الاعمال الصالحة والطاعات شكرا اه
في قوله اعملوا ال داود شكرا انتهي وتقدم الكلام علي هذه الاية في سبا وقرا
النحويان وابن كثير يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص بضمة فقط
وابو بكر بسكون الهاء قال ابو حاتم وهو غلط لا يجوز انتهي وليس بغلط بل ذلك لغة
لبني كلاب وبني عقيل ولا تزر الي بذات الصدور تقدم الكلام عليه واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل
وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عباد الذين
امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما

يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد
مخلصا له ديني فاعبدوا ما شيتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون الظاهر ان الانسان هنا جنس
الكافر وقيل معين كعتبة بن ربيعة ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم او اهل او
مال دعا ربه استجار به وناداه ولم يامل في كشف الضر سواه منيبا اليه اي راجعا
اليه وحده في ازالة ذلك ثم اذا خوله اناله واعطاه بعد كشف ذلك الضر عنه
وحقيقة خول ان يكون من قولهم هو خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام
عليه او من خال يخول اذا اختال وافتخر وتقول العرب ان الغني طويل
الذيل مياس نسي ما كان يدعوا اي ترك والظاهر ان ما بمعني الذي اي نسي الضر
الذي كان يدعو الله الي كشفه وقيل ما بمعني من اي نسي ربه الذي كان يتضرع
اليه ويبتهل في كشف ضره وقيل ما مصدرية اي نسي كونه يدعو وقيل تم الكلام
عند قوله نسي اي نسي ما كان فيه من الضر وما نافية نفي ان يكون دعا هذا الكافر
خالصا لله مقصودا من قبل اي من قبل الضر وعلي الاقوال السابقة من قبل
اي من قبل تخويل النعمة وهو زمان الضر وجعل لله اندادا اي امثالا يضاد بعضها
بعضا ويعارض قال قتادة اي من الرجال يطيعونهم في المعصية وقال غيره
اوثانا وهذا من سخف عقولهم حين مسهم الضر دعوا الله ولم يلتجيوا في كشفه
الا اليه وحين كشف ذلك وخول النعمة اشركوا به فاللام لام العلة وقيل لام العاقبة
وقرا الجمهور ليضل بضم اليا اي ما اكتفي بضلال نفسه حتي جعل غيره يضل وقرا
ابن كثير وابو عمرو وعيسي بفتحها ثم اتي بصيغة الامر فقال تمتع بكفرك اي
تلذذ واصنع ما شيت قليلا اي عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الانداد لله انك من
اصحاب النار اي من سكانها المخلدين فيها وقال الزمخشري وقوله تمتع بكفرك
من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان
والطاعة فمن حقك ان لا تومر به بعد ذلك وتومر بتركه مبالغة في خذلانه
وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث علي عكس ما امر
به ونظيره في المعني متاع قليل ثم ماواهم جهنم انتهي ولما شرح تعالي شيا من
احوال الضالين المشركين اردفه بشرح احوال المهتدين الموحدين فقال
امن هو قانت وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والاعمش وعيسي وشيبة
والحسن في رواية امن بتخفيف الميم والظاهر ان الهمزة لاستفهام التقرير
ومقابله محذوف لفهم المعني والتقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب
بقوله قل تمتع بكفرك ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون ومن حذف المقابل قول الشاعر

دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها

تقديره ام غي وقال الفرا الهمزة للندا كانه قيل يا من هو قانت ويكون قوله
قل خطابا له وهذا القول اجنبي مما قبله ومما بعده وضعف هذا القول ابو علي
الفارسي ولا التفات لتضعيف الاخفش وابي حاتم هذه القراة وقرا باقي السبعة
والحسن وقتادة والاعرج وابو جعفر امن بتشديد الميم وهي ام ادغمت ميمها
في ميم من فاحتملت ام ان تكون متصلة ومعادلها محذوف قبلها تقديره
اهذا الكافر خير ام من هو قانت قال معناه الاخفش ويحتاج مثل هذا التقدير
الي سماع من العرب وهو ان يحذف المعادل الاول واحتملت ام ان تكون
منقطعة تتقدر ببل والهمزة والتقدير بل امن هو قانت صفته كذا كمن
ليس كذلك وقال النحاس ام بمعني بل ومن بمعني الذي والتقدير بل الذي

هو قانت افضل ممن ذكر قبله انتهى ولا فضل لمن قبله حتى يحمل هذا افضل بل
يقدر الخير من اصحاب الجنة تدل عليه مقابله انك من اصحاب النار والقانت
المطيع قاله ابن عباس وتقدم الكلام في القنوت في البقرة وقرا الجمهور
ساجدا وقايما بالنصب على الحال والضحاك برفعهما اما على النعت لقانت واما على
انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة اى عذاب الاخرة هم
ويرجو رحمة ربه اي حصولها وقيل نعيم الجنة وهذا المتصف بالقنوت الى ساير
الاوصاف قال مقاتل عمار وصهيب وابن مسعود وابوذر وقال ابن عمر
عثمن وقال ابن عباس في رواية الضحاك ابوبكر وعمر وقال يحيى بن سلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه من اتصف بهذه الاوصاف
من غير تعيين وفى الاية دليل على فضل قيام الليل وانه ارجح من قيام النهار
ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لايعلمون فدل على ان كمال الانسان محصور في هذين المقصودين فكما لا يستوي
هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي والمراد بالعلم هنا ما ادي الى
معرفة الله ونجاة العبد من سخطه وقرئ يذكر بادغام تا يتذكر في الذال
قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم روي انها نزلت في جعفر بن ابى طالب
واصحابه حين عزموا على الهجرة الى ارض الحبشة وعدهم تعالى فقال
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة والظاهر تعلق في هذه باحسنوا ام
وان للمحسنين في الدنيا لهم في الاخرة حسنة اي حسنة عظيمة وهي الجنة
قاله مقاتل والصفة محذوفة وقد يدل عليها المعنى لان من احسن في الدنيا
لا يبعد ان يكون له في الاخرة مطلق حسنة وقال السدي في هذه من تمام
حسنة اي ولو تاخر لكان صفة اي الذين يحسنون لهم حسنة كاينة في الدنيا
فلما تقدم انتصب على الحال والحسنة التي لهم في الدنيا هي العاقبة
والظهور وولاية الله تعالى ثم حض على الهجرة فقال وارض الله واسعة
كقوله الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي لا عذر للمفرطين البتة حتى
اذا اعتلوا باوطانهم وانهم لا يتمكنون فيها من اعمال الطاعات قيل لهم ان بلاد
الله كثيرة واسعة فتحولوا الى الاماكن التي يمكنهم فيها الطاعات وقال
عطا وارض الله المدينة للهجرة قيل فعلى هذا يكون احسنوا هاجروا وحسنة
راحة من الاعدا وقال قوم ارض الله هنا الجنة قال ابن عطية وهذا القول
تحكم لا دليل عليه انتهى وقال ابو مسلم لا يمتنع ذلك لانه تعالى امر المومنين
بالتقوى ثم بين انه من اتقى له في الاخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم
بين ان ارض الله واسعة لقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا
وقوله وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ولما كانت رتبة الاحسان
منتهى الترتب كما جا ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه وكان الصبر على
ذلك من اشق الاشيا وخصوصا من فارق وطنه وعشيرته وصبر على بلا الغربة
ذكر ان الصابرين يوفون اجورهم بغير حساب اي لا يحاسبون في الاخرة
كما يحاسب غيرهم او يوفون ما لا يحصره حساب من الكثرة قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين امره تعالى ان يصدع الكفار بما امر به من عبادة الله
مخلصها من الشوايب وامرت اي امرت بما امرت لاكون اول من اسلم اي انقاد
لله تعالى ويعني من اهل عصره او من قومه لانه اول من خالفه عبادة هم
الاصنام او اول من دعوتهم الى الاسلام اسلاما او اول من دعي نفسه الى ما دعا
اليه غيره لاكون مقتدى بي قولا وفعلا لا كالملوك الذين يامرون بما لا يفعلون
او ان افعل ما استحق به الاوليه من اعمال السابقين دلالة على السبب
بالمسبب وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد

قلت

قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي
والامر به ليحرز به قصب السبق في الدين شي واذا اختلف وجها الشي وصفتاه
ينزل بذلك منزلة شيين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت
لان افعل لا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا
من ترك الاصل الذي هو مواطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام
في قوله وامرت ان اكون من المسلمين امرت ان اكون اول من اسلم انتهى
ويحتمل في ان اكون في ثلثة المواضع اصله لان اكون فيكون قد حذفت اللام
والمامور به محذوف وهو المصرح به هنا انى امرت ان اعبد الله قل انى
اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم تقدم الكلام على هذه الجملة معمول
القول في سورة يونس ولما امره اولا ان يخبر بانه امر بعبادة الله امر ثانيا
ان يخبر بانه يعبد الله وحده وتقديم الجلالة دال على الاهتمام بمن يعبد
وعند الزمخشري يدل على الاختصاص قال ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل
العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن
يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شيتم من دونه والمراد بهذا
الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية انتهى وقال غيره فاعبدوا
ما شيتم صيغة امر على جهة التهديد لقوله قل تمتع بكفرك قل ان الخاسرين اي
حقيقة الخسران الذين خسروا اي هم الذين خسروا انفسهم حيث صاروا من
اهل النار واهليهم الذين كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا معهم في النار فلم ينتفعوا
منهم بشي وان كانوا اهلوهم قد امنوا فخسروا انهم اياهم كونهم لا يجتمعون بهم ولا يرجعون
اليهم ابدا وقال قتادة كان الله قد اعد لهم اهلا في الجنة فخسروهم وقال معناه
ميمون بن مهران وقال الحسن هو الحور العين ثم ذكر ذلك الخسران وبالغ فيه بالتنبيه
عليه اولا والاشارة اليه وتاكيده بالفصل وتعريفه بال ووصفه بانه المبين اي
الواضح لمن تامله ادني تامل ولما ذكر خسرانهم انفسهم واهليهم ذكر ما لهم في جهنم
وانه من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل فيظهر ان النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم وسمي
ما تحتهم ظللا لمقابلته ما فوقهم كما قال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل هي ظلل للذين هم تحتهم
اذ النار طباق وقيل ان ما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شي حتى يكون ظلة فسمي
ظلة باعتبار ما ال اليه اخيرا ذلك اي ذلك العذاب يخوف الله به عباده ليعلموا
ما يخلصهم منه ثم نادهم وامرهم فقال يا عباد فاتقون اي اتقوا عذابي والذين
اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك الذين هداهم الله واوليك هم اولوا
الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف
الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السما ما فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به
زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي
الالباب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله اوليك في ضلال مبين قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت
في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمن وابي ذر وقال ابن اسحق الاشارة بها الى عبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم
ابوبكر سمعوا ذلك فجاوه وقالوا اسلمت قال نعم وذكرهم بالله فامنوا باجمعهم فنزلت
فيهم وهي محكمة في الناس الى يوم القيامة والطاغوت تقدم الكلام عليها في البقرة
وقرا الحسن الطواغيت جمعا ان يعبدوها اي عبادتها وهو بدل اشتمال
لهم البشرى اي من الله تعالى بالثواب فبشر عبادي هم المجتنبون الطاغوت

الى الله وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على انهم هم وليترتب على الظاهر الوصف
وهم الذين يستمعون القول وهو عام في جميع الاقوال فيتبعون احسنه ثناء
عليهم بنفوذ بصايرهم وتمييزهم الاحسن فاذا سمعوا قولا تبصروه وقيل واحسن
القول القران وما يرجع اليه وقيل القول القران واحسنه ما فيه من صفح هم
وعفو واحتمال ونحو ذلك وقال قتادة احسن القول طاعة الله وعن ابن عباس
هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن
ما سمع ويكف عن ما سواه والذين وصف لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدا
خبره اولئك وما بعده افمن حق عليه كلمة العذاب قيل نزلت في ابي جهل اي نفذ عليه
الوعيد بالعذاب والظاهر انها جملة مستقلة ومن موصولة مبتدا والخبر
محذوف فقيل تقديره تتاسف عليه وقيل تتخلص منه وقدره الزمخشري فانت
تخلصه قال حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدر الزمخشري بين الهمزة
والفا جملة حتى تقر الهمزة في مكانها والفا في مكانها فقال التقدير اانت مالك امرهم
فمن حق عليه كلمة العذاب وهو قول انفرد به فيما علمناه والذي تقوله النحاة
ان الفا للعطف وموضعها التقديم على الهمزة لكن الهمزة لما كان لها صدر الكلام
قدمت فالاصل عندهم فامن حق عليه وعلى القول انها جملة مستقلة يكون قوله
افانت تنقذ من في النار استفهام توقيف وقدم فيه الضمير اشعارا بانك لست
تقدر ان تنقذه من النار بل لا يقدر على ذلك احد الا الله وذهبت فرقة منهم
الحوفي والزمخشري الى ان من شرطية وجواب الشرط افانت فالفا فا الجواب
دخلت على جملة الجزا واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع
من في النار وهو ظاهر موضع المضمر اذ كان الاصل تنقذه وانما اظهر تشهيرا لحالهم
واظهار الخسة منازلهم قال الحوفي وجي بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا
ولولا طولها لم يجز الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان ياتي بالف الاستفهام
في الاسم والالف اخرى في الجزا ومعنى الكلام افانت تنقذه انتهى وعلى هذا القول
يكون قد اجتمع استفهام وشرط على قول الجماعة ان الهمزة قدمت من تاخير
فيجي الخلاف الذي بين س ويونس هل الجملة الاخيرة هي المستفهم عنها او هي
جواب الشرط وعلى تقدير الزمخشري لم تدخل الهمزة على اسم الشرط فلم يجتمع
استفهام وشرط لان الاستفهام عنده دخل على الجملة المحذوفة عنده وهو اانت
مالك امرهم وفمن معطوف على تلك الجملة المحذوفة عطفت جملة الشرط على
جملة الاستفهام ونزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار
ونزل اجتهاد الرسول عليه السلم في دعايهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار
ولما ذكر حال الكفار في النار وان الخاسرين لهم ظلل ذكر حال المومنين وناسب
الاستدراك هنا اذ هو واقع بين الكافرين والمومنين فقال لكن الذين اتقوا
ففي ذلك حض على التقوى لهم علالي مرتفعة فوقها علالي مبنية اي بنا المنازل
التي سويت على الارض والضمير في من تحتها عايد على الجمعين اي من تحت الغرف
السفلى والغرف العليا لا تفاوت بين اعلاها وبين اسفلها وانتصب وعد الله
على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اذ تضمنت معنى الوعد الم تر خطاب وتوقيف
للسامع على ما يعتبر به من افعال الله الدالة على افنا الدنيا واضمحلالها فسلكه
ينابيع اي ادخله مسالك وعيونا والظاهر ان ما العيون هو من ما المطر تحبسه
الارض ويخرج شيا شيا ثم يخرج به زرعا ذكر منته تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا
مختلفا الوانه من احمر واصفر وابيض وشمل لفظ الزرع جميع ما يزرع من مقتات
وغيره او مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يقارب التمام
فتراه مصفرا اي زالت خضرته ونضارته وقرا ابو بشر ثم يجعله بالنصب في اللام
قال صاحب الكامل وهو ضعيف انتهى ان في ذلك اي فيما ذكر من انزال المطر واخراج

الزرع به وتنقلاته الى حالة الحطامية لذكرى اي لتذكيرا وتنبيها على حكمة فاعل
ذلك وقدرته افمن شرح الله صدره للاسلام نزلت في حمزة وعلي ومن مبتدا او خبره
محذوف يدل عليه فويل للقاسية قلوبهم تقديره كالقاسي المعرض عن الاسلام وابو
لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة عن قبوله للايمان
والخير والنور والهداية وفي الحديث كيف انشراح الصدر فقال اذا دخل
النور القلب انشرح وانفسح قلنا وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل الموت فويل للقاسية قلوبهم من
ذكر الله اي من اجل ذكره اذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم وقال مالك بن دينار ما ضرب
عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب اولئك اي القاسية قلوبهم في ضلال مبين اي
في حيرة واضحة لا تخفى على من تاملها الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ذلك هدى الله يهدي به من يشا ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من
قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم
يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون عن ابن عباس
ان قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا باحاديث حسان وباخبار الدهر
فنزل الله نزل احسن الحديث وعن ابن مسعود ان الصحابة ملوا ملة
فقالوا له حدثنا فنزلت والابتدا باسم الله واسناد نزل لضميره مبنيا عليه
فيه تفخيم للمنزل ورفع منه كما تقول الملك اكرم فلانا هو افخم من اكرم الملك فلانا
وحكمة ذلك البداة بالاشرف ثم تذكر ما تسند اليه وهو كثير في القران لقوله الله
يصطفي من الملايكة رسلا وكتابا بدل من احسن الحديث وقال الزمخشري
ويحتمل ان تكون حالا منه انتهى وكانه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته
الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة
وقيل غير محضة ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فمعانيه متشابهة لا تناقض
فيها ولا تعارض والفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث اعجزت
الفصحا والبلغا وقرا الجمهور مثاني بفتح اليا وهشام لابن عامر وابو بشر بسكون
اليا فاحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف واحتمل ان يكون منصوبا وسكن اليا
على قول من يسكن اليا في كل الاحوال لانكسار ما قبلها استثقالا للحركة عليها ومثاني
يظهر انه جمع مثنى ومعناه موضع تثنية القصص والاحكام والعقايد والوعد
والوعيد وقيل يثنى في الصلوة بمعنى التكرير والاعادة انتهى ووصف المفرد بالجمع
لان فيه تفاصيل وتفاصيل الشي جملته الا ترى انك تقول القران سور وايات
فكذلك تقول احكام ومواعظ مكررات واصله كتابا متشابها فصولا مثاني حذفت
الموصوف واقمت صفته مقامه واجاز الزمخشري ان يكون من باب برمة
اعشار وثوب اخلاق وان يكون تمييزا عن متشابها فيكون منقولا من الفاعل
اي متشابها مثانيه كما تقول رايت رجلا حسنا شمايل وفايدة تثنيته وتكريره
رسوخه في النفوس اذ هي انفر شي عن سماع الوعظ والنصيحة والظاهر حمل القشعريرة
على الحقيقة اذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الانسان من نفسه وهو
حاصل من التاثر القلبي وقيل هو تمثيل تصويرا لافراط خشيتهم والمعنى انه حين
يسمعونه يتلى ما فيه من ايات الوعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم ثم اذا
ذكروا الله ورحمته لانت جلودهم اي زال عنها ذلك التقبض الناشي عن خشية

القلوب بزوال الخشية عنها وضمن بلين معنى تطمئن جلودهم لينة غير منقبضة
وقلوبهم راجية غير خاشية ولذلك عداه بالى وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة
دليل على تأثرها عند السماع فاكتفى بتقشعر الجلود عن ذكر خشية القلوب
لقيام المسبب مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما وفي ذكر اللين دليل على المحذوف
الذي هو رحمة الله كما كان في قوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم دليل بقوله وجلت
على ذكر المحذوف اي اذا ذكر وعيد الله وبطشه وقال العباس بن عبد المطلب
قال النبي عليه السلام من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه
كما يتحات عن اليابسة ورقها وقال ابن عمر وقد رأى ساقطا من سماع القرآن
فقال انا لنخشى الله وما نسقط هؤلاء يدخل الشيطان في جوف احدهم
وقالت اسما بنت ابي بكر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم
وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن قيل لها ان قوما اليوم اذا سمعوا القرآن
خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان وقال ابن سيرين
بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرآن ان يجعل احدهم على حائط
باسطا رجليه ثم يقرأ عليهم القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق والاشارة
بذلك الى الكتاب او الى ذينك الوصفين من الاقشعرار واللين اي اثر
هدى الله افمن يتقي ان يستقبل كما قال الشاعر

• سقط النصيف ولم ترد اسقاطه • فتناولته واتقتنا باليد •

اي استقبلتنا بيدها لتتقي بيدها وجهها ان يرى والظاهر حمل بوجهه على حقيقته
لما كان يلقى في النار مغلولة يداه الى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتقي به النار
الا وجهه قال مجاهد يجر على وجهه في النار ويجوز ان يعبر بالوجه عن الجملة
وقيل المعنى وصف كثرة ما نابهم من العذاب يتقيه او لا بجوارحه فتتزيد حتى
يتقيه بوجهه الذي هو اشرف جوارحه وفيه حواسه وهو غاية العذاب
قال ابن عطية وهذا المعنى عندي ابين بلاغة وفي هذا المنحى يجري
قول الشاعر

• يلقى السيوف بوجهه وبنحره • ويقيم هامته مقام المغفر •

لانه انما اراد عظم جراته عليها فهو يلقاها بكل مجن وبكل شيء منه حتى بوجهه
وبنحره انتهى وسوء العذاب اشده وخبر من محذوف قدره الزمخشري كمن
امن العذاب وابن عطية كالمنعمين في الجنة وقيل للظالمين اي قال ذلك
خزنة النار ذوقوا ما كنتم اي وبال ما كنتم تكسبون من الاعمال السيئة كذب
الذين من قبلهم تمثيل لقريش بالامم الماضية وما آل اليه امرهم من الهلاك
فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يشعرون ان العذاب
ياتيهم من قبلها ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها كانوا في امن وغبطة وسرور
فاذا هم معذبون مخزيون ذليلون في الدنيا من ممسوخ ومقتول وماسور
ومنفي ثم اخبر ان ما اعد لهم في الآخرة اعظم وانتصب قرآنا عربيا على
الحال وهي حال موكدة والحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطئة له وقيل انتصب
على المدح ونفى عنه العوج لانه مستقيم بري من الاختلاف والتناقض وقال
عثمن بن عفان غير مضطرب وقال ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير
ذي لبس وقال السدي غير مخلوق وقيل غير ذي لحن قال الزمخشري
فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فايدتان احدهما نفي
ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص
بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد

• وقد اتاك يقين غير ذي عوج • من الاله وقول غير مكذوب •

انتهى ولما ذكر تعالى انه ضرب في القرآن من كل مثل اي محتاج اليه ضرب هنا مثلا

لما بدا لهنة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل رجل مملوك اشترك فيه ملاك سيئوا
الاخلاق فهو لا يقدر ان يوفي كل واحد منهم مقصوده اذ لا ينتفي بعضهم لبعض لمشاحتهم
وطلب كل منهم ان يقضي حاجته على التمام فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم
ورجل اخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معني بشغله لا يشغله عنه شيء وما لكه
راض عنه اذ قد خلص لخدمته وبذل جهده في قضاء حوايجه فلا يلقى من سيده الا
احسانا وتقدم الكلام في نصب المثل وما بعده وقال الكسائي انتصب رجلا على
اسقاط الخافض اي مثلا لرجل او في رجل فيه اي في رقه شركاء وفيه صلة لشركاء
وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والزهري والحسن
بخلاف عنه والجحدري وابن كثير وابو عمرو سالما اسم فاعل من سلم اي خالصا له
من الشركة وقرأ الاعرج وابو جعفر وشيبة وابو رجاء وطلحة والحسن
بخلاف عنه وباقي السبعة سلما بفتح السين واللام وقرأ ابن جبير سلما بكسر
السين وسكون اللام وهما مصدران وصف بهما مبالغة في الخلوص من الشركة
وقرئ ورجل سالم برفعهما وقال الزمخشري اي وهناك رجل سالم لرجل انتهى
فجعل الخبر هناك ويجوز ان يكون ورجل مبتدأ الا انه موضع تفصيل اذ قد تقدم
ما يدل عليه فيكون كقول امرئ القيس

• اذا ما بكى من خلفها انحرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول •

وقال الزمخشري وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة
والصبي قد يغفلان عن ذلك وانتصب مثلا على التمييز المنقول من الفاعل
اذ التقدير هل يستوي مثلهما واقتصر في التمييز على الواحد لانه المقتصر عليه
اولا في قوله ضرب الله مثلا ولبيان الجنس وقرئ مثلين فطابق حالي الرجلين
وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين
لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية
كما تقول كفى بهما رجلين انتهى والظاهر انه يعود الضمير في يستويان الى الرجلين
واما اذا جعلته عايدا الى المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ورجل فان
التمييز اذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير هل
يستوي المثلان مثلين قل الحمد لله اي الثنا والمدح لله لا لغيره وهو
الذي ثبتت وحدانيته فهو الذي يجب ان يحمد بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره ولفظه الحمد لله تشعر بوقوع الهلاك بهم كقوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ولما لم يلتفتوا الى هذا الدلايل الباهرة
اخبر الجميع بانهم ميتون وصايرون اليه وان اختصامكم يكون بين يديه يوم
القيامة وهو الحكيم العدل فيتميز المحق من المبطل وهو عليه السلام واتباعه
المحقون الفايزون بالظفر والغلبة والكافرون هم المبطلون فالضمير
في وانك خطاب للرسول وتدخل معه امته في ذلك والظاهر عود الضمير
في وانهم على الكفار وغلب ضمير الخطاب في انك على ضمير الغيبة في انهم ولذلك
جاء تختصمون بالخطاب فتحتج انت عليهم بانك قد بلغت وكذبوا واجتهدت
في الدعوة ولجوا في العناد وقال ابو العالية هم اهل القبلة يختصمون بينهم
يوم القيامة في مظالمهم وابعد من ذهب الى ان هذا الخصام سببه ما كان
في قتل عثمن وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك رضي الله عنهم وقيل تختصم
الجميع فالكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمومنون
يبكتون الكافرين بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام وقرأ ابن الزبير
وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى واليماني وابن ابي غوث وابن ابي عبلة
انك مايت وانهم مايتون وهي تشعر بحدوث الصفة والجمهور ميت
وميتون وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي اشمار قال ابو زيد ذعر

المفردات

وقال غيره نقيض كراهة ونفورًا قال الشاعر •
• اذا عض الثقاف بها اشمازت • وولته عشوزنة زبونا •
المقاليد المفاتيح وقيل لا واحد لها من لفظها قاله التبريزي وقيل واحدها
مقليد وقيل مقلاد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية الزمر
جمع زمرة قال ابو عبيد والاخفش جماعات متفرقة بعضها اثر بعض
قال • حتى احزأل (الثت) زمر بعد زمر •
ويقال تزمروا الحفوف الاحداق بالشي قال الشاعر •
• تخفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد •
وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف وهو الجانب ومنه قول الشاعر •
• له لحظات عن حفافي سريرة اذا كرها فيها عقاب ونايل •

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين
والذي جا بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون لهم ما يشاون عند ربهم ذلك
جزا المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام
ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل
هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم فمن اظلم ممن كذب على الله تفسير وبيان للذين يكون بينهم الخصومة
وهذا يدل على ان الاختصام السابق يكون بين المومنين والكافرين والمعنى
لا احد من المكذبين اظلم ممن افترى على الله فنسب اليه الولد والصاحبة
والشريك وحرم وحلل من غير امر الله وكذب بالصدق وهو ما جا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي وقت مجيه فاجاه بالتكذيب من غير فكر ولا
ارتياء ولا نظر بل وقت مجيه كذب به ثم توعدهم توعدا فيه احتقارهم على جهة
التوقيف وللكافرين مما قام فيه الظاهر مقام المضمر اي مثوى لهم وفيه
تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر والذي جا بالصدق معادله
لقوله فمن اظلم وصدق به مقابل لقوله وكذب بالصدق والذي جنس كانه
قال والفريق الذي جا بالصدق ويدل عليه اوليك هم المتقون
فجمع كما ان المراد بقوله فمن اظلم يراد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين
وفي قراة عبد الله والذي جاوا بالصدق وصدقوا به وقيل ارادوا الذين
فحذفت النون وهذا ليس بصحيح اذ لو اريد الذين بلفظ الذي وحذفت
منه النون لكان الضمير مجموعا كقوله وان الذي حانت بفلج دماوهم الا ترى
انه اذا حذفت النون في المثنى كان الضمير مثنى كقوله ابني كليب ان عمي
اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا وقيل الذي جا بالصدق وصدق
به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جا بالصدق جبريل والذي
صدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال علي وابو العالية والكلبي وجماعة
الذي جا بالصدق هو الرسول والذي صدق به هو ابو بكر وقال ابو الاسود
ومجاهد وجماعة الذي صدق به هو علي بن ابي طالب وقال الزمخشري
والذي جا بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جا بالحق
وامن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد
اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ولذلك قال اوليك هم المتقون الا ان
هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي

جا بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جا بالصدق وصحابته الذين صدقوا
به انتهى وقوله واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه استعمل الضمير
المنفصل في غير موضعه وانما هو متصل فاصلاحه واراده به ومن تبعه كما اراده
بموسى وقومه وقوله لعلهم يهتدون الضمير في لعلهم لقوم موسى لا لموسى وقومه
اي لعل قومه يهتدون اذ موسى عليه السلم مهتد فالمترجى هداية قومه لا هدايته
اذ لا يترجى الا ما كان مفقودا لا موجودا وقوله ويجوز الى اخره فيه توزيع
الصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جا الفريق الذي شرف وشرف
والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى
وقرا الجمهور وصدق مشددا وابو صالح وعكرمة بن سليمن ومحمد بن جحاده
مخففا قال ابو صالح وعمل به وقيل استحق به اسم الصدق قال ابن عطية
فعلى هذا اسناد الافعال كلها الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان امته في ضمن
القول وهو الذي يحسن اوليك هم المتقون انتهى وقال الزمخشري اي صدق
به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف
وقيل معناه وصار صادقا به اي بسببه لان القران معجزة والمعجزة تصديق
من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز ان يصدق الا الصادق
فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرى وصدق به انتهى يعني مبنيا للمفعول
مشددا وقال صاحب اللوامح جا بالصدق من عند الله وصدق بقوله اي في قوله
او في مجيه فاجتمع له الصفات من الصدق من صدقه من عند الله وصدق
بنفسه وذلك مبالغة في المدح انتهى لهم ما يشاون عام في كل ما تشتهيه انفسهم
وتتعلق به ارادتهم وليكفر متعلق بالمحسنين اي الذين احسنوا ليكفر او بمحذوف
اي يسر ذلك لهم ليكفر لان التكفير لا يكون الا بعد التيسير للخير واسوا الذي عملوا
هو كفر اهل الجاهلية ومعاصي اهل الاسلام والتكفير يدل على سقوط العقاب
عنهم على اكمل الوجوه والجزا بالاحسن يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه
فقيل ذلك يكون اذا صدقوا الانبيا فيما اتوا به وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن
من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي وهذا قول المرجية تقولون لا يضر شي من
المعاصي مع الايمان واحتج بهذه الاية وقام الظاهر مقام المضمر في المحسنين
اي ذلك جزاوهم فنبه بالظاهر على العلة المقتضية لحصول الثواب
والظاهر ان اسوا افعل التفضيل وبه قرا الجمهور واذا كفروا اسوا اعمالهم
فتكفير ما هو دونه احرى وقيل افعل ليس للتفضيل وهو كقولك الاشج اعدل
بني مروان اي عادل فكذلك هذا اي سيي الذي عملوا ويدل على هذا التاويل
قراة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن ابن كثير ورواية عن البزي عن ابن كثير
اسواء هنا وفي حم السجدة بالف بين الواو والهمزة جمع سوء ولا تفضيل فيه
والظاهر ان باحسن افعل تفضيل فقيل ينظر الى احسن طاعاته فيجري الباقي
في الجزا على قياسه وان تخلف عنه بالتقصير وقيل باحسن ثواب اعمالهم وقيل
باحسن من عملهم وهو الجنة وهذا ينبو عنه باحسن الذي وقال الزمخشري
اما التفضيل فايذان بان السيي الذي يفرط منهم من الصغاير والزلات
المكفرة هو عندهم الاسوا لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه
هو عند الله الاحسن بحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيهم بالاسوا وحسنهم
بالاحسن انتهى وهو على راي المعتزلة ويكون قد استعمل اسوا في التفضيل على
معتقدهم واحسن في التفضيل على ما هو عند الله وذلك توزيع في افعل التفضيل
وهو خلاف الظاهر قالت قريش لين لم ينته محمد عن تعييب الهتنا وتعييبنا
لنسلطنها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء فانزل الله اليس الله بكاف
عبده اي شر من يريده بشر والهمزة الداخلة على النفي للتقرير اي هو كاف عبده

وفي اضافته اليه تشريف تعظيم لنبيه وقرا الجمهور عبده وهو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابو جعفر ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش
وحمزة والكسائي عباده بالجمع اي الانبيا والمطيعين من المومنين ويخوفونك
بالذين من دونه وهي الاصنام ولما بعث خالدا الى كسر العزي قال له سادنها
اني اخاف عليك منها فلها قوة لا يقوم لها شي فاخذ خالد الفاس فهشم به وجهها
ثم انصرف وفي قوله ويخوفونك تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا
ضر ونظير هذا التخويف قول قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسو وقري بكاف عباده على الاضافة ويكافي عباده مضارع كافي ونصب عبادة
فاحتمل ان يكون مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من
كفي لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى في القران
كقوله فسيكفيكهم الله ويحتمل ان تكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة اي
يجزيهم اجرهم ولما كان تعالى كافي عبده كان التخويف بغيره عبثا باطلا ولما
اشتملت الاية على مهتدين وضالين اخبر ان ذلك كله هو فاعله ثم قال
اليس الله بعزيز اي غالب منيع ذي انتقام وفيه وعيد لقريش ووعد للمومنين
ولما اقروا بالصانع وهو الله اخبرهم انه تعالى هو المتصرف في نبيه بما اراد
وان تلك الاصنام التي تدعونها الهة من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة
اي صحة وسعة في الرزق ونحو ذلك وارايتم هنا جارية على وضعها تعدت
الى مفعولها الاول وهو ما يدعون وجا المفعول الثاني جملة استفهامية
وفيها العايد على ما وهو لفظ هن وانث تحقيرا لها وتعجيزا وتضعيفا وكان
فيها من سمي تسمية الاناث كالعزي ومناة واللات واضاف ارادة الله
الضر الى نفسه والرحمة اليها لانهم خوفوه معرتها فاستسلف منهم الاقرار
بان الله خالق العالم هو الله ثم استخبرهم عن اصنامهم هل تدفع شرا او هو
تجلب خيرا وقرا الجمهور كاشفات وممسكات على الاضافة وشيبة والاعرج
وعمرو بن عبيد وعيسى بخلاف عنه وابو عمرو وابو بكر بتنوينهما ونصب
ما بعدهما ولما تقرر انه تعالى كافيه وان اصنامهم لا تضر ولا تنفع امره تعالى
ان يعلم انه تعالى هو حسبه اي كافيه والجواب في هذا الاستخبار محذوف
والتقدير فانهم سيقولون لا يقدر على شي من ذلك وقال مقاتل استخبرهم
فسكتوا قل يا قوم اعملوا الاية تقدم الكلام على نظيرها انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من
دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمازت
قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سو العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون ولما
كان عليه السلام يعظم عليه عدم ايمانهم ورجوعهم الى ما انزل الله تعالى
عليه سلاه تعالى عن ذلك واخبره انه انزل عليه الكتاب وهو القران
مصحوبا بالحق وهو دين الاسلام للناس اي لاجلهم اذ فيه تكاليفهم فمن اهتدى
فثواب هدايته انما هو له ومن ضل فعقاب ضلاله انما هو عليه وما انت
عليهم بوكيل اي تجبرهم على الايمان قال قتادة بوكيل بحفيظ وقال الزمخشري

للناس

للناس لاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار
الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد
نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار انتهى وهو على مذهب
المعتزلة ولما ذكر تعالى انه انزل الكتاب على رسوله بالحق للناس نبه على انه
من اياته الكبرى يدل على الوحدانية لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره فقال
الله يتوفى الانفس حين موتها والانفس هي الارواح وقيل النفس غير
الروح قاله ابن عباس فالروح لها تدبير عالم الحيوة والنفس لها تدبير
عالم الاحساس وفرقت فرقة بين نفس التمييز ونفس التخييل والذي
يدل عليه الحديث واللغة ان النفس والروح مترادفان وان فراق
ذلك من الجسد هو الموت ومعنى يتوفى الانفس يميتها والتي اي والانفس
التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنوم بالاموات ومنه وهو
الذي يتوفاكم بالليل فبين الميت والنايم قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان
ولا يتصرفان فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي ولا يردها في وقتها حية
ويرسل النايمة بجسدها الى اجل ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها
ويقبضها وهي الانفس التي يكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس
التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنايم
يتنفس وكون النفس تقبض والروح في الجسد حالة النوم بدليل انه يتقلب
ويتنفس هو قول الاكثرين ودال على التغاير وكونهما شيا واحدا هو قول
ابن جبير واحد قولي ابن عباس والخوض في هذا وطلب ادراك ذلك على جلية
عنا ولا يوصل الى ذلك ان في ذلك اي في توفي الانفس مايتة ونايمة وامساكها
وارسالها الى اجل لايات لعلامات دالة على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون
فيه افكارهم ويعتبرون وقرا الجمهور قضى مبنيا للفاعل الموت نصبا وابن
وثاب والاعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائي مبنيا للمفعول الموت
رفعا وام منقطعة تتقدر ببل والهمزة وهو تقرير وتوبيخ وكانوا يقولون
هولا شفعاونا عند الله والشفاعة انما هي لمن ارتضاه الله وباذنه تعالى
وهذا مفقود في الهتهم واولو معناه ايتخذونهم شفعا وهم بهذه المثابة
من كونهم لا يعقلون ولا يملكون شيا وذلك عام النقص فكيف يشفع هولاء
وتقدم لنا الكلام في اولو في سورة البقرة وقال ابن عطية متى دخلت
الف الاستفهام على واو العطف او فايه احدثت معنى التقرير انتهى واذا
كانوا لا يملكون شيا فكيف يملكون الشفاعة وقال الزمخشري اي ولو كانوا
على هذه الصفة لا يملكون شيا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم انتهى
فاتى بقوله قط بعد قوله لا يملكون وليس بفعل ماض وقط ظرف يستعمل مع
الماضي لا مع غيره وقد تكرر للزمخشري هذا الاستعمال وليس باستعمال
عربي قل لله الشفاعة جميعا فهو مالكها ياذن فيها لمن يشا ثم اتى بعام وهو له
ملك السموات والارض فاندرج فيه ملك الشفاعة ولما كانت الشفاعة من
غيره موقوفة على اذنه كانت الشفاعات كلها له ولما اخبر انه له ملك السموات
والارض هددهم بقوله ثم اليه ترجعون فيعلمون انهم لا يشفعون ويخيب
سعيكم في عبادتهم وقال الزمخشري معناه له ملك السموات والارض
اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له
فله ملك الدنيا والاخرة واذا ذكر الله وحده اي مفردا بالذكر ولم يذكر
معه الهتهم وقيل اذا قال لا اله الا الله واذا ذكر الذين من دونه وهي

الاصنام والاشمئزاز والاستبشار متقابلان غاية لان الاشمئزاز امتلاء
القلب غما وغيظا فيظهر اثره وهو الانقباض في الوجه والاستبشار امتلاؤه
سرورا فيظهر اثره وهو الانبساط والتهلل في الوجه وقال الزمخشري
فان قلت ما العامل في واذا ذكر قلت العامل في اذا الفجائية تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا الاستبشار وقال الحوفي اذا هم يستبشرون
اذا مضافة الى الابتدا والخبر واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه
والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم يستبشرون العامل
في اذا المعنى اذا كان ذلك استبشروا انتهى اما قول الزمخشري فلا اعلمه
من قول من ينتمي للنحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجؤا ثم اذا الاولى
ينتصب على الظرف والثانية على المفعول به واما قول الحوفي فبعيد جدا
عن الصواب اذ جعل اذا مضافة الى الابتدا او الخبر ثم قال واذا مكررة
للتوكيد وحذف ما تضاف اليه الى اخر كلامه واذا كانت اذا حذف ما تضاف
اليه فكيف تكون مضافة الى الابتدا او الخبر الذي هو هم يستبشرون
وهذا كله يوجبه عدم الاتقان لعلم النحو والتحذق فيه وقد تقدم قولنا
في مواضع ان اذا التي للمفاجاة جوابا لاذا الشرطية وقد قررنا في علم النحو
الذي كتبناه ان اذا الشرطية ليست مضافة الى الجملة التي تليها وان
كان مذهب الاكثرين وانها ليست بمعمولة للجواب وافنا الدليل على
ذلك بل هي معمولة للفعل الذي يليها كسائر اسما الشرط كالفا الظرفية واذا
الفجائية رابطة لجملة الجزا بجملة الشرط وهي معمولة لما بعدها ان قلنا
انها ظرف سوا كان زمانا ام مكانا ومن قال انها حرف فلا يعمل فيها شي فاذا الاولى
معمولة لذكر والثانية معمولة ليستبشرون ولما اخبر عن سخافة عقولهم
باشمئزازهم من ذكر الله واستبشارهم بذكر الاصنام امره ان يدعو باسما الله
العظمى من القدرة والعلم ونسبة الحكم اليه اذ غيره لا قدرة له ولا علم تام ولا
حكم وفي ذلك وصف كحالهم السي ووعيد لهم وتسلية للرسول عليه السلام وتقدم
الكلام في اللهم في سورة آل عمران ولو ان للذين ظلموا تقدم الكلام على شبهها
في العقود وبدا لهم من الله اي كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة حسب ظلالاتهم
وتخيلاتهم فيما يعتقدونه فاذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف
ما كانوا يظنون وما كان في حسابهم وقال سفين الثوري ويل لاهل الريا من هذه
الاية وحاق بهم ما كانوا اي جزا ما كانوا وما في كسبوا يحتمل ان تكون بمعنى الذي
اي سيات اعمالهم وان تكون مصدرية اي سيات كسبهم والسيات انواع العذاب
سميت سيات كما قال وجزا سيئة سيئة مثلها فاذا مس الانسان ضر دعانا
ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم
لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيات
ما كسبوا والذين ظلموا من هولا سيصيبهم سيات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم
يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان
ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان
ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون تقدم في غير آية كون الانسان
اذا مسه الضر التجا الى الله مع اعتقادهم الاوثان وعبادتها فاذا اصابتهم
شدة نبذوا وعادوا رب السموات والارض وهذا يدل على تناقض ارائهم وشدة
اضطرابها والانسان جنس وضر مطلق والنعمة عامة في جميع ما يسر ومن ذلك
ازالة الضر وقيل الانسان معين وهو حذيفة بن المغيرة والظاهر ان ما في انما

كافة مهيئة لدخولها على الجملة الفعلية وذكر الضمير في اوتيته وان كان
عايدا على النعمة لان معناها مذكر وهو الانعام او المال على قول من شرح النعمة
بالمال او المعنى شيا من النعمة او لانها تشتمل على مذكر وعلى مونث فغلب المذكر
وقيل ما موصولة والضمير عايد على ما اي قال ان الذي اوتيته على علم مني اي بوجه
المكاسب والمتاجر قاله قتادة وفيه اعجاب بالنفس وتعاط مفرط او على علم من
الله في واستحقاق جزته عند الله وفي هذا اغترار بالله وعجز وتمن على الله او على
علم مني باني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق بل هي فتنة اضراب عن دعواه انه
انما اوتي على علم بل تلك النعمة فتنة وابتلا وذكر اولا في اوتيته على المعنى
اذا كانت ما مهيئة ثم عاد الى اللفظ فانث في قوله بل هي او تكون هي عائدة على
الاتيانة اي بل اتيانته النعمة فتنة وكان العطف هنا بالفا في فاذا وبالواو
في اول السورة لانها وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله اي يشمئزون
عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من
ذكره دون من استبشر بذكره ومناسبة السببية انك تقول زيد مومن
فاذا مسه الضر التجا الى الله فالتسبيب هنا ظاهر وزيد كافر فاذا مسه
الضر التجا اليه يقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا للالتجا يحكي عكس ما فيه
الكافر يقصد بذلك الانكار والتعجيب من قوله المتناقض حيث كفر
بالله ثم التجا اليه في الشدايد واما الاية الاولى فلم تقع مسببة بل ناسبت
ما قبلها فعطفت عليه بالواو واذ كانت فاذا متصلة بقوله واذا ذكر الله
وحده كما قلنا فما بينهما من الاي اعتراض يوكد به ما بين المتصلين فدعا الرسول
به بامر منه وقوله انت تحكم وتعقيبه الوعيد تاكيد لاشمئزازهم واستبشارهم
ورجوعهم الى الله في الشدايد دون الهتهم وقوله ولو ان للذين ظلموا يتناول
لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنوا به انتهى وهو ملتقط
اكثره من كلام الزمخشري وهو متكلف في ربط هذه الاية بقوله واذا ذكر
الله وحده اشمازت مع بعد ما بينهما من الفواصل واذا كان ابو علي الفارسي
لا يجيز الاعتراض بجملتين فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة والذي يظهر
في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال
الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب
ما لم يكن في حسابهم اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا
الله فاذا احسن اليه لم ينسب ذلك اليه ثم انه يبدله من تلك النعمة
انها ابتلا وفتنة كما بدا له في الاخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم
يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ترتب الفتنة على
تلك النعمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ذلك استدراج وامتحان قد قالها
الذين من اي قال مثل مقالتهم انما اوتيته على علم والظاهر ان قايلي ذلك هم
جماعة من الامم الكافرة الماضية كقارون في قوله قال انما اوتيته على علم
عندي وقيل الذين من قبلهم هم قارون وقومه اذ رضوا بمقالته فنسب القول
اليهم جميعا وقرئ قد قاله اي قال القول او الكلام فما اغنى عنهم يجوز ان
يكون ما نافية وهو الظاهر وان تكون استفهامية فيها معنى النفي ما كانوا
يكسبون اي من الاموال والذين ظلموا من هولا اشارة الى مشركي قريش
سيصيبهم سيات ما كسبوا جا بالسين الاستقبال التي هي اقل تنفيسا في الزمان
من سوف وهو خبر غيب ابرزه الوجود في يوم بدر وغيره قتل رؤساهم وحبس
عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم
الم تعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله عطا وفي قوم امنوا عياش بن ربيعة والوليد

بن الوليد ونفر معهما نفتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا ان لا توبة لهم فكتب لهم
عمر بهذه الاية قاله عمر والسدي وقتادة وابن اسحق وقيل في قوم كفار من اهل
الجاهلية قالوا وما ينفعنا الاسلام وقد زنينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة
ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما اعد لهم من العذاب
وانهم لو كان لاحدهم ما في الارض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله
ذكر ما في احسانه من غفران الذنوب اذا امن العبد ورجع الى الله وكثيرا
تاتي ايات الرحمة مع ايات النقمة ليرجو العبد ويخاف وهذه الاية عامة
في كل كافر يتوب ومومن عاص يتوب تمحو الذنب توبته وقال عبد الله وعلي
وابن عمر هذه ارجى اية في كتاب الله وتقدم الخلاف في قراءة لا تقنطوا في
الحجر ان الله يغفر الذنوب جميعا عام يراد به ما سوى الشرك وهو مقيد
ايضا في المومن العاصي غير التائب بالمشية وفي قوله يا عبادي باضافتهم اليه
وندايهم اقبال وتشريف واسرفوا على انفسهم اي بالمعاصي والمعنى ان ضرر تلك
الذنوب انما هو عايد عليهم والنهي عن القنوط يقتضي الامر بالرجا واضافة
الرحمة الى الله التفات من ضمير المتكلم الى الاسم الغايب لان في اضافتها
اليه سعة للرحمة اذا اضيفت الى الله الذي هو اعظم الاسما لانه العلم
المحتوي على معاني جميع الاسما ثم اعاد الاسم الاعظم واكد الجملة بان مبالغة
في الوعد بالغفران ثم وصف نفسه بما سبق في الجملتين من الرحمة والغفران
بصفتي المبالغة واكد بلفظ هو المقتضي عند بعضهم الحصر وقال الزمخشري
ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في
القران فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القران في حكم
كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض انتهى وهو على طريقة المعتزلة في ان المومن
العاصي لا يغفر له الا بشرط التوبة ولما كانت هذه الاية فيها فسحة عظيمة
للمسرف اتبعها بان الانابة وهي الرجوع مطلوبة مامور بها ثم توعد من لم يتب
بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة والمتكل على الغفران دون
انابة وقال الزمخشري وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة ليلا يطمع طامع
في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه انتهى
وهو على طريقة الاعتزال واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وهو القران وليس المعنى ان بعضه
احسن من بعض بل كله حسن من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة اي فجاة وانتم
لا تشعرون اي وانتم غافلون عن حلوله بكم فيكون ذلك اشد في عذابكم ان
تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او
تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو
ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس
في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل له مقاليد السموات
والارض والذين كفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون روي انه كان
في بني اسرايل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم
تب فاطاعه وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال
يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت
ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره ان تقول مفعول من اجله
فقدره ابن عطية اي انيبوا من اجل ان تقول وقال الزمخشري كراهة ان
تقول والحوفي انذرناكم مخافة ان تقول ونكر نفس لانه اريد بها بعض الانفس

وهي نفس الكافر او اريد به التكثير كما قال الاعشي

ورب بقيع لو هتفت نحوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا او اريد نفس متميزة من
الانفس باللجاج الشديد في الكفر او بعذاب عظيم قال هذه المحتملات الزمخشري
والظاهر الاول وقرا الجمهور يا حسرتا بابدال يا المتكلم الفا وابو جعفر
يا حسرتي بيا الاضافة وعنه يا حسرتاي بالالف واليا جمعا بين العوض
والمعوض واليا مفتوحة او ساكنة وقال ابو الفضل الرازي في تصنيفه
كتاب اللوامح ولو ذهب ذاهب الى انه اراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك
لان معناهما لب بعد لب وسعد بعد سعد فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة
لكثرة حسراتهم يوميذ او اراد حسرتين فقط من فوت الجنة ومن دخول النار
لكان مذهبا ولكان الف التثنية في تقدير اليا على لغة بلحارث بن كعب انتهى
وقرا ابن كثير في الوقف يا حسرتاه بها السكت قال سيبويه ومعنى ندا
الحسرة والويل هذا وقتك فاحضري والجنب الجانب وهو مستحيل على الله الجارحة
فاضافة الجنب اليه مجاز قال مجاهد والسدي في امر الله وقال الضحاك
في ذكر الله يعني القران والعمل به وقيل في جهة طاعته والجنب والجانب الجهة

وقال الشاعر

افي جنب بكني قطعتني ملامة سليمى لقد كانت ملامتها ثنا

وقال الراجز

الناس جنب والامير جنب

ويقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا
فرط في جنبه يريدون حقه قال سابق البربري

اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته
فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن
الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وكذلك فعلت
كذا من جهتك وما في ما فرطت مصدرية اي على تفريطي في طاعة الله وان كنت
لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها وقال
الزمخشري ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي
فرطت في حال سخريتي انتهى ويظهر انه استيناف اخبار عن نفسه بما كان عليه
في الدنيا لا حال او تقول لو ان الله هداني اي خلق في الهداية وقال
الزمخشري الهداية بالالجا وهو خارج عن الحكمة او بالالطاف ولم يكن من
اهلها فيلطف به او بالوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي
وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل
باغواء الروسا والشياطين ونحوه لو هدانا الله لهديناكم انتهى وهو على طريقة
الاعتزال وانتصب فاكون على جواب التمني الدال عليه لو وعلى كرة اذ هو
مصدر فيكون مثل قوله

فما لك منها غير ذكرى وحسرة وتسال عن ركبانها اين يمموا

وقول الاخر

للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف

والفرق بينهما ان الفا اذا كانت في جواب التمني كانت ان واجبة الاضمار وكان
الكون مترتبا على حصول التمني لا متمنى واذا كانت للعطف على كرة جاز اظهار
ان واضمارها وكان الكون متمنى بلى حرف جواب لمنفي او لداخل عليه همزة التقرير
ولما كان قوله لو ان الله هداني نجوا به متضمنا نفي الهداية كانه قال ما هداني

الله فقيل له بلى قد جاءتك اياتي مرسلة لك فكذبت وقال الزمخشري
رد من الله عليه ومعناه بلى قد هديت بالوحي انتهى جريا على قواعد المعتزلة
وقال ابن عطية وحق بلى ان تجيء بعد نفي عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفي
مقدر كان النفس قالت فعمري في الدنيا لم يتسع للنظر او قالت فاني لم
يبين لي الامر في الدنيا ونحو هذا انتهى وليس حق بلى ما ذكر بل حقها ان تكون
جواب نفي ثم حمل التقرير على النفي ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب واجابه
بنعم ووقع ذلك ايضا في كلام سيبويه نفسه اجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض
العرب وقال الزمخشري فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له
وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية قلت لانه لا يخلو اما
ان تقدم على احدى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة
الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين
واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم
التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكي
قول النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب
انتهى وهو كلام حسن وقرا الجمهور قد جاءتك بفتح الكاف وفتح التاء ما بعدها خطابا
للكافر ذي النفس وقرا ابن يعمر والجحدري وابو حيوة والزعفراني وابن
مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسى في اختياره
وعن نصير والعبسي بكسر الكاف والتاء خطابا للنفس وهي قراءة ابي بكر
الصديق وابنته عائشة رضي الله عنهما ورويتها ام سلمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقرا الحسن والاعرج والاعمش جائتك بالهمز من غير مد
بوزن جعتك وهو مقلوب من جاءتك قدمت لام الكلمة واخرت العين فسقطت
الالف كما سقطت في رمت وعرت ولما ذكر مقالة الكافر ذكر ما يعرض له يوم
القيامة من الاندار بسوء منقلبه وفي ضمنه وعيد لمعاصريه عليه السلام
والرؤية هنا من رؤية البصر وكذبهم نسبتهم اليه تعالى البنات والصاحبة
والولد وشرعهم ما لم ياذن به الله والظاهر انه عام في الكاذبين على الله
وخصه بعضهم بمشركي العرب وبعضهم باهل الكتابين وقال الحسن هم
القدرية يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وقال القاضي يجب حمل
الاية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من وصف الله بما يليق به نفيا واثباتا
فاضاف اليه ما يجب تنزيهه عنه او نزهه عما يجب ان يضاف اليه فالكل
كذبوا على الله فتخصيص الاية بالمجبرة والمشبهة او اليهود والنصارى
لا يجوز وقال الزمخشري كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال
عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه
بفعل القبايح ويجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض وقوله لا لغرض ويظلمونه
بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون
له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم
معه قدماء انتهى وكلامه وكلام من قبله على طريقة المعتزلة والظاهر ان
الرؤية من رؤية البصر وان وجوههم مسودة جملة في موضع الحال وفيها
رد على الزمخشري اذ زعم ان حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة
على ضمير ذي الحال شاذ وتبع في ذلك الفرا وقد اعرب هو هذه الجملة حالا
فكانه رجع عن مذهبه ذلك واجاز ايضا ان يكون من رؤية القلب ووجوههم
مسودة في موضع المفعول الثاني وهو بعيد لان تعلق البصر برؤية الاجسام
والوانها اظهر من تعلق القلب وقرئ وجوههم مسودة بنصبهما فوجوههم

بدل بعض من كل وقرا ابي اجوههم بابدال الواو همزة والظاهر ان
الاسوداد حقيقة كما مر في قوله فاما الذين اسودت وجوههم وقال ابن عطية
ويحتمل ان يكون في العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم
وغالب همهم وظاهر كابتهم ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ذكر حال
المتقين اي الكذب على الله وغيره مما يؤول بصاحبه الى اسوداد وجهه وفي
ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى قال السدي
بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده وتفسير المفازة
قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم قيل لا يمسهم السوء
اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب
منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال
الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول
الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة لانه سببها فان قلت
لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول
فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال انتهى
وقرا الجمهور بمفازتهم على الافراد والسلمي والحسن والاعرج والاعمش
وحمزة والكسائي وابو بكر على الجمع من حيث النجاة انواع والاسباب مختلفة
قال ابو علي المصادر تجمع اذا اختلفت اجناسها لقوله وتظنون بالله الظنونا
وقال الفرا كلا القراءتين صواب تقول قد تبين امر الناس وامور الناس
ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فذكر انه خالق
كل شي فدل على اعمال العباد لاندراجها في عموم كل شي وانه على كل الاشيا
قايم بحفظها وتدبيرها له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس مفاتيح
وهذه استعارة كما تقول بيد فلان مفتاح هذا الامر وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المقاليد لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله و
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير وتاويله على هذا ان الله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها
من المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اوليك
هم الخاسرون وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت
بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض
بينهما بانه خالق الاشيا كلها وهو مهيمن عليها لا يخفى عليه شي من اعمال
المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزا وان له مقاليد السموات والارض
وقال ابو عبد الله الرازي وهذا عندي ضعيف من وجهين الاول
ان وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد والثاني ان
قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا جملة
اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز والاقرب
عندي ان يقال انه لما وصف بصفات الالهية والجلالة وهو كونه خالق الاشيا
كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض قال والذين كفروا بهذه الايات
الظاهرة الباهرة هم الخاسرون انتهى وليس بفاصل كثير وقوله وعطف
الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز كلام من لم يتامل لسان العرب ولا
نظر في ابواب الاشتغال واما قوله والاقرب عندي فهو ماخوذ من قول الزمخشري
وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شي في السموات والارض فالله خالقه وفاتح
بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اوليك هم الخاسرون

قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والي الذين من
قبلك لين اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحنه وتعالي عما يشركون ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخري فاذا هم
قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين
والشهدا وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم
بما يفعلون روي انه قال للرسول عليه السلم المشركون استلم بعض الهتنا
ونومن بالهك وغير منصوب باعبد قال الاخفش تامروني ملغاه وعنه ايضا
افغير نصبت بتامروني لا باعبد لان الصلة لا تعمل فيما قبلها اذ الموصول منه
حذف فرفع كما في قوله الا ايهاذا الزاجري احضر الوغي والصلة مع الموصول
في موضع النصب بدلا منه اي افغير الله تامروني عبادته والمعني
اتامروني بعبادة غير الله وقال الزمخشري او ينصب بما يدل عليه جملة
قوله تامروني اعبد لانه في معني تعبدونني وتقولون لي اعبده وافغير الله
تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تقولون لي ان اعبده وافغير الله تامرونني
ان اعبد والدليل علي صحة هذا الوجه قراة من قرا اعبد بالنصب يعني
بنصب الدال باضمار ان وقرا الجمهور تامروني بادغام نون الرفع في نون
الوقاية وسكون اليا وفتحها ابن كثير وقرا ابن عامر تامرونني بنونين علي
الاصل ونافع تامروني بنون واحدة مكسورة وفتح اليا قال ابن عطية وهذا
علي حذف النون الواحدة وهي الموطية ليا المتكلم ولا يجوز حذف النون الاولي
وهو لحن لانها علامة رفع الفعل انتهي وفي المسيلة خلاف ومنهم من يقول
المحذوفة نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لان التركيب
متفق عليه والخلاف جري في ايهما حذف ويختار انها نون الرفع ولما كان الامر
بعبادة غير الله لا تصدر الا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك
فقال ايها الجاهلون ولما كان الاشراك مستحيلا علي من عصمه الله ه
وجب تاويل قوله لين اشركت علي حمله علي ضمير السامع دون الموحي اليه
اي اوحي الي الرسول لين اشركت ايها السامع ومضي الخطاب علي هذا
التاويل ويدل علي هذا التاويل وانه ليس براجع الخطاب للرسول
افراد الخطاب في لين اشركت اذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لين اشركتم
فيشتمل ضميره وضمير الذين من قبله ويغلب الخطاب وقال الزمخشري
فان قلت الموحي اليهم جماعة فكيف قال لين اشركت علي التوحيد قلت
معناه لين اوحي اليك لين اشركت ليحبطن عملك والي الذين من قبلك مثله
او اوحي اليك والي كل واحد منهم لين اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل
واحد منا فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالي ان رسله لا يشركون
ولا يحبط اعمالهم قلت هو علي سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها
ثم ذكر كلاما يوقف عليه من كتابه ويستدل بهذه الاية علي حبوط عمل المرتد
من صلوة وغيرها واوحي مبني للمفعول ويظهر ان الموحي هو هذه الجمل من
قوله لين اشركت الي من الخاسرين وهذا لا يجوز علي مذهب البصريين
لان الجمل لا يكون فاعلة فلا يقوم مقام الفاعل وقال مقاتل اوحي اليك
بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لين اشركت ليحبطن عملك والخطاب
للنبي عليه السلم خاصة انتهي فيكون الذي اقيم مقام الفاعل هو الجار
والمجرور وهو اليك وبالتوحيد فضله يجوز حذفها لدلالة ما قبلها عليها
وقرا الجمهور ليحبطن مبنيا للفاعل عملك رفع به وقري ليحبطن باليا

من احبط عمله بالنصب اي ليحبطن الله عملك او الاشراك عملك وقري بالنون
اي لنحبطن عملك بالنصب والجلالة منصوبة بقوله فاعبد علي حد قولهم زيدا
فاضرب وله تقرير في النحو وكيف دخلت هذه الفا وقال الفرا ان شيت
نصبته بفعل مضمر قبله كانه يقدر اعبد الله فاعبده وقال الزمخشري بل الله
فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته
بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقدم المفعول عوضا منه
انتهي ولا يكون تقدم المفعول عوضا من الشرط لجواز ان يجي زيد فعمرا
اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع بينهما وكن من الشاكرين لانعمه التي اعظمها
الهداية لدين الله وقرا عيسي بل الله بالرفع والجمهور بالنصب وما قدروا
الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وما قدروه في انفسهم حق تقديره
اذ اشركوا معه غيره وساووا بينه وبين الحجر والخشب في العبادة وقرا
الاعمش حق قدره بفتح الدال وقرا الحسن وعيسي وابو نوفل وابو حيوة
وما قدروا بتشديد الدال حق قدره بفتح الدال اي ما عظموه حقيقة
تعظيمه والضمير في قدروا قال ابن عباس في كفار قريش كانت هذه الاية كلها
محاورة لهم ورد اعليهم وقيل نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله
وجلاله فالحدوا وجسموا وجاوا بكل تخليط وهذه الجملة مذكورة في الانعام
وفي الحج وهنا ولما اخبر انهم ما عرفوه حق معرفته نبههم علي عظمته وجلالة
شانه علي طريق التصوير والتخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه قال الزمخشري والغرض من هذا الكلام اذا ام
اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف علي كنه جلاله لا غير
من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الي جهة حقيقة او جهة مجاز انتهي ولو يعني
او جهة مجاز معين والا فباب التصوير والتخييل هو من المجاز وقال غيره
الاصل في الكلام حمله علي حقيقته فان قام دليل منفصل علي تعذر حمله عليها
تعين صرفه الي المجاز فلفظ القبضة واليمين حقيقته في الجارحة والدليل
العقلي قايم علي امتناع ثبوت الاعضا والجوارح لله تعالي فوجب الحمل
علي المجاز وذلك انه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره
ومنه او ما ملكت ايمانهم فالمراد كونه مملوكا لهم وهذه الدار في يد فلان
وقبض فلان كذا وصار في قبضته يريدون خلوص ملكه وهذا كله مجاز مستفيض
مستعمل وقال ابن عطية اليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة وما اختلج
في الصدور من غير ذلك باطل وما ذهب اليه القاضي يعني ابن الطيب
من انها صفات زايدة علي صفات الذات قول ضعيف وبحسب ما يختلج في النفوس
التي لم يحصها العلم قال عز وجل سبحنه وتعالي عما يشركون اي هو منزه عن
جميع الشبه التي لا يليق به انتهي وقال القفال هذا كقول القايل وما قدرني
حق قدري وانا الذي فعلت كذا وكذا اي لما عرفت ان حالي وصفتي هذا الذي
ذكرت وجب ان لا تخطي عن قدري ومنزلتي ونظيره كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذه صفته وحال ملكه فكذا هنا وما
قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركا وانه لا يقدر علي احيا الموتي
مع ان الارض والسموات في قبضة قدرته انتهي والارض اي والارضون
السبع ولذلك اكد بقوله جميعا وعطف عليه والسموات وهو جمع والموضع
موضع تفخيم فهو مقتض للمبالغة والقبضة المرة الواحدة من القبض
وبالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال في المقدار قبضة بالفتح تسمية له
بالمصدر فاحتمل هنا هذا المعني واحتمل ان يراد المصدر علي حذف مضاف
اي ذوات قبضته اي يقبضهن قبضة واحدة فالارضون مع سعتها وبسطتها

لا يبلغون الا قبضته كف وانتصب جميعا على الحال قال الحوفي والعامل في الحال
ما دل عليه قبضته انتهى ولا يجوز ان يعمل فيه قبضته سواء كان مصدرا ام اريد
به المقدار وقال الزمخشري ومع القصد الى الجميع يعني في الارض وانه
اريد بها الجمع قال وتاكيده بالجميع اتبع الجمع موكدة قبل مجيء ذلك الخبر
ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي
كلهن انتهى ولم يذكر العامل في الحال ويوم القيامة معمول لقبضته وقرا
الحسن قبضته بالنصب قال ابن خالويه بتقدير في قبضته هذا قول الكوفيين
واما اهل البصرة فلا يجيزون ذلك كما لا يقال زيد دارك انتهى وقال
الزمخشري جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم وقرا عيسى والجحدري
مطويات بالنصب على الحال وعطف والسموات على الارض فهي داخلة في حيز
والارض فالجميع قبضته وقد استدل بهذه القراءة الاخفش على جواز
زيد قائما في الدار اذا اعرب والسموات مبتدا وبيمينه الخبر وتقدمت
الحال على الجار والمجرور ولا حجة فيه اذ يكون والسموات معطوفا على
والارض كما قلنا وبيمينه متعلق بمطويات ومطويات من الطي الذي هو ضد
النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي
السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه
بقدرته قال الزمخشري وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم
ان يفنيها ثم اخذ ينحي على من تاول هذا التاويل بما يوقف عليه في كتابه ولما
قرر كمال عظمته بما سبق اردفه ايضا بما يناسب من ذلك اذ كان فيما تقدم
ذكر حال الارض والسموات يوم القيامة فقال ونفخ في الصور وتقدم
الكلام في النفخ في الصور وهل النفخ في الصور ثلث مرات او نفختان قول
الجمهور نفخة الفزع هي نفخة الصعق والصعق هنا الموت اي فمات
من في السموات ومن في الارض قال ابن عطية والصور هنا القرن ولا
يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله في نفخة
البعث وروي ان بين النفختين اربعين انتهى ولم يعين وقرا قتادة
وزيد بن علي هنا في الصور بفتح الواو جمع صورة يعكر على قول ابن عطية
انه لا يتصور هنا الا ان يكون القرن بل يكون هذا النفخ في الصور مجازا
عن مشارفة الموت وخروج الروح وقري فصعق بضم الصاد والظاهر
ان الاستثناء معناه الا من شاء الله فلم يصعق اي لم يمت والمستثنون
جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت او رضوان الجنة والحور ومالك
والزبانية او المستثنى الله اقوال اخرها للحسن وما قبله للضحاك وقيل
الاستثناء يرجع الى من مات قبل الصعقة الاولى اي يموت من في السموات
والارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وهذا نظير لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى ثم نفخ فيه اخرى واحتمل اخرى ان تكون
في موضع نصب والمقام مقام الفاعل الجار والمجرور كما افهم في الاول
وان تكون في موضع رفع مقاما مقام الفاعل كما صرح به في قوله فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة فاذا هم قيام ينظرون اي احياء قد اعيدت لهم الابدان
والارواح ينظرون اي ينتظرون ما يومرون او ينتظرون ماذا يفعل
بهم او يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب عظيم
والظاهر قيامهم الذي هو ضد القعود لاجل استيلاء الدهش عليهم وقرا
زيد بن علي بالنصب على الحال وخبر المبتدا الظرف الذي هو اذا الفجائية
وهي حال لا بد منها اذ هي محط الفائدة الا ان يقدر الخبر محذوفا اي
فاذا هم مبعوثون او موجودون قياما واذا انصبت قياما على الحال

فالعامل

فالعامل فيها ذلك الخبر المحذوف ان قلنا الخبر محذوف وان لا فالعامل هو
العامل في الظرف فان كان اذا ظرف مكان على ما يقتضيه ظاهر كلام س فتقديره
فبالحضرة هم قياما وان كان ظرف زمان كما ذهب اليه الرياشي فتقديره
ففي ذلك الزمان الذي نفخ فيه هم اي وجودهم واحتيج الى تقدير هذا
المضاف لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وان كانت اذ احرفا كما زعم
الكوفيون فلا بد من تقدير الخبر الا ان اعتقد ان ينظرون هو الخبر
ويكون ينظرون عاملا في الحال وقرا الجمهور واشرقت مبنيا للفاعل اي
اضاءت وابن عباس وعبيد بن عمير وابو الجوزاء مبنيا للمفعول من شرقت
بالضوء تشرق اذا امتلات به واغتصت واشرقها الله كما تقول
ملا الارض عدلا وطبقها عدلا قاله الزمخشري وقال ابن عطية هو
وهذا انما يترتب من فعل يتعدى فهذا على ان يقال اشرق البيت واشرقه
السراج فيكون الفعل مجاوزا وغير مجاوز كرجع ورجعته ووقف ووقفته
والارض في هذه الاية الارض المبدلة من الارض المعروفة ومعنى
اشرقت اضاءت وعظم نورها انتهى وقال صاحب اللوامح وجب ان يكون
الاشراق على هذه القراءة منقولا من شرقت الشمس اذا طلعت فيصير
متعديا بالفعل بمعنى اذهبت ظلمة الارض ولا يجوز ان تكون من اشرقت
اذا اضاءت فان ذلك لازم وهذا قد تعدى الى الارض لما لم يذكر الفاعل
واقيمت الارض مقامه وهذا معنى ما ذهب اليه بعض المتاخرين من
غير ان يعد في ذلك لان من الافعال ما يكون متعديا ولازما معا على مثال
واحد انتهى وفي الحديث الصحيح يحشر الناس على ارض بيضاء عفرا
كقرصة النقي ليس بها علم لاحد بنور ربها قيل ان يخلق الله نورا يوم
القيامة فيلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس هو
النور هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه فيضيء الارض
وروي ان الارض يومئذ من فضة والمعنى اشرقت بنور خلقه الله
تعالى اضافه اليه اضافة الملك الى المالك وقال الزمخشري
استعار الله النور للحق والقران والبرهان في مواضع من التنزيل
وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل
ويبسطه من القسط في الحسنات ووزن الحسنات والسيئات وينادي
عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه
الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين
قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها
منه ويقولون للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا
بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الاية باثبات العدل
ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب اي صحايف الاعمال ووحد لانه اسم
جنس وكل احد له كتاب على حدة وابعد من قال الكتاب هنا اللوح
المحفوظ وروي ذلك عن ابن عباس ولعله لا يصح وقد ضعف بان
الاية سيقت مقام التهديد في سياق الخبر وجيء بالنبيين ليشهدوا على اممهم
والشهداء قيل جمع شاهد وهم الذين يشهدون على الناس باعمالهم وقيل هم الرسل
من الانبياء وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون للرسل وقال عطاء ومقاتل
وابن زيد الحفظة وقال ابن زيد ايضا النبيون والملائكة وامة محمد عليه السلام
والجوارح وقال قتادة الشهداء جمع شهيد وليس فيه توعد وهو مقصود الاية
وقضي بينهم اي بين العالم ولذلك قسموا بعد الى قسمين اهل النار واهل الجنة

بالحق اي بالعدل و وفيت كل نفس اي جوزيت مكملا وهو اعلم بما يفعلون فلا يحتاج
الي كاتب ولا شاهد وفي ذلك وعيد وزيادة تهديد وسيق الذين كفروا الي جهنم
زمرا حتي اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين
وسيق الذين اتقوا ربهم الي الجنة زمرا حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين وترى
الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين ولما ذكر شيا من احوال يوم القيامة على سبيل الاجمال
بين بعد كيفية احوال الفريقين وما افضي اليه كل واحد منهما فقال وسيق
والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف وهو الغالب فيه وجواب اذا فتحت
ابوابها ودل ذلك على انه لا يفتح الا اذا جاءت كسائر ابواب السجون فانها لا تزال
مغلقة حتي تاتي اصحاب الجرايم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم
وتقدم ذكر قراءة التخفيف والتشديد في فتحت وابوابها سبعة كما ذكر
في سورة الحجر وقال لهم خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ الم ياتكم رسل
منكم اي من جنسكم تفهمون ما ينبونكم به ويسهل عليكم مراجعتهم وقرا ابن هرمز
ياتكم بتا التانيث والجمهور بالياء يتلون عليكم ايات ربكم اي الكتب المنزلة
للتبشير والنذارة وينذرونكم لقا يومكم هذا وهو يوم القيامة وما يلقى فيه
المسي من العذاب قالوا بلي اي قد جاءتنا وتلوا وانذروا وهذا اعتراف بقيام
الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب اي قوله تعالي لاملان جهنم على الكافرين
وضع الظاهر موضع المضمر اي علينا صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب
ولما فرغت محاورتهم مع الملايكة امروا بدخول النار وسيق الذين اتقوا ربهم
الي الجنة زمرا اعبر عن الاسراع بهم الي الجنة مكرمين بالسوق والمسوق
دوابهم لانهم لا يذهبون اليها الا راكبين ولمقابلة قسيمهم ساغ لفظ السوق
اذ لو لم يتقدم لفظ وسيق لعبر بغيره واذا شرطية وجوابها قال الكوفيون
وفتحت والواو زايدة وقال غيرهم محذوف قال الزمخشري وانما حذفت
لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شي لا يحيط به الوصف
وحق موقعه ما بعد خالدين انتهي وقدره المبرد بعد خالدين سعدوا وقيل
الجواب وقال لهم خزنتها على زيادة الواو وقيل حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها
ومن جعل الجواب محذوفا او جعله وقال لهم على زيادة الواو جعل قوله وفتحت
جملة حالية اي جاوها وقد فتحت ابوابها كقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب
وناسب كونها حالا لان ابواب الافراح تكون مفتحة لانتظار من يجي اليها
بخلاف ابواب السجون وقال لهم خزنتها سلام عليكم يحتمل ان تكون تحية
منهم عند ملاقاتهم وان يكون خبرا بمعني السلامة والامن طبتم اي اعمالا
ومعتقدا ومستقرا وجزا فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود وقالوا
اي الداخلون الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض اي ملكناها
نتصرف فيها كما نشا تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وقيل ورثوها
من اهل النار وهي ارض الجنة ويبعد قول من قال هي ارض الدنيا قاله قتادة
وابن زيد والسدي نتبوا منها حيث نشا اي نتخذ امكنة ومساكن والظاهر
ان قوله فنعم اجر العاملين اي بطاعة الله هذا الاجر من كلام الداخلين وقال
مقاتل هو من كلام الله تعالي وترى الملايكة الخطاب للرسول حافين قال
الاخفش واحدهم حاف وقال الفرا لا يفرد قيل لان الواحد لا يكون حافا اذ

الحوف

الحوف الاحداق بالشي من حول العرش قال الاخفش من زايدة اي حافين حول
العرش وقيل هي لابتدا الغاية والظاهر عود الضمير من بينهم على الملايكة اذ
ثوابهم وان كانوا معصومين يكون على حسب تفاضل اعمالهم فيختلف تفاضل
مراتبهم فذلك هو القضا بينهم بالحق وقيل الضمير يعود على العباد كلهم وان
مصير كل الي ما قدر له هو قضا بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين الظاهر ان قايل
ذلك هم من دارت بينهم المخاطبة من الداخلين الجنة ومن خزنتها ومن الملايكة
الحافين حول العرش اذ هم في نعيم سرمد منجاة من عذاب الله وقال الزمخشري
المقتضي بينهم اما جميع العباد واما الملايكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا
الحمد لله على قضايه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه وقال
ابن عطية وقيل الحمد لله رب العالمين حتم للامر وهو حزم عند فصل القضاء
اي ان هذا الحاكم العدل ينبغي ان يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضايه ومن
هذه الاية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس المجتمعات في العلم

المفردات

ازف الشي قرب قال الشاعر •
• ازف الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد •
التباب الخسران السلسلة معروفة السحب الجر سجرت التنور ملاته
نارا :.

سورة غافر :.

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا
يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت
كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف
كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار
سبع الحواميم مكيات قالوا باجماع وقيل في بعض ايات هذه السورة مدني
قال ابن عطية وهو ضعيف وفي الحديث ان الحواميم ديباج القران وفيه من
اراد ان يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرا الحواميم وفيه مثل الحواميم
في القران مثل الحبرات في الثياب وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر
وطرق الاخرة وهي قصار لا يلحق فيها سامة ومناسبة اول هذه السورة
لاخر الزمر انه تعالي لما ذكر ما يول اليه حال الكافر وحال المومن ذكر هنا انه
تعالي غافر الذنب وقابل التوب ليكون ذلك استدعا للكافر الي الايمان والي
الاقلاع عما هو فيه وان باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم
كلهم اليه ليرتدع عما هو فيه وان رجوعه الي ربه فيجازيه بما يعمله من خير او شر
وقري بفتح الحا وبالامالة محضة وبين اللفظين والجمهور باسكان الميم والزهري
برفعهما وهو اختيار ابي القسم بن جبارة الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراات
وابو السمال بكسرها على اصل التقا الساكنين وابن ابي اسحق وعيسى بفتحها
وخرج على انها حركة التقا الساكنين كانت فتحة طلبا للخفة كاين وحركة اعراب
على انتصابها بفعل مقدر تقديره اقرا حاميم وفي الحديث ان اعرابيا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو فقال اسما وفواتح سور وقال شريح
بن ابي اوفي العبسي •
• يذكرني حاميم والرمح شاجر • فهلا تلا حاميم قبل التقدم •
وقال الكميت •
• وجدنا لكم في ال حاميم اية • تاولها منا تقي ومعرب •
اعربا حاميم ومنعت الصرف للعلمية والتانيث او العلمية وشبه العجمة
لان فاعيل ليس من اوزان ابنية العرب وانما وجد ذلك في العجم نحو قابيل

دها بيل وتقدم فيما روي في الحديث جمع حاميم على الحواميم كما جمع طس على
الطواسين وحكي صاحب زاد المسافر عن شيخه ابي منصور اللغوي انه قال من
الخطا ان تقول قرات الحواميم وليس من كلام العرب والصواب ان تقول قرات
آل حميم وفي حديث ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم وقعت في روضات دمثات
انتهي فان صح من لفظ الرسول انه قال الحواميم كان حجة على من منع ذلك وان
كان نقل بالمعني امكن ان يكون من تحريف الاعاجم الا تري لفظ ابن مسعود اذا
وقعت في آل حاميم وقول الكميت وجدنا لكم في آل حاميم وتقدم الكلام على هذه
الحروف المقطعة في اول البقرة وقد زادوا في حاميم اقوالا هنا وهي مروية
عن السلف غنينا عن ذكرها لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شي منها فان
كانت حم اسما للسورة كانت في موضع رفع على الابتدا والا فتنزيل مبتدا او من
الله الخبر او خبر ابتدا اي هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل والعزيز العليم
صفتان دالتان على المبالغة في القدرة والغلبة والعلم وهما من صفات الذات
وقال الزجاج غافر وقابل صفتان وشديد بدل انتهي وانما جعل غافر وقابل
صفتين وان كانا اسمي فاعل لانه فهم من ذلك انه لا يراد بهما التجدد ولا التقييد
بزمان بل اريد بهما الاستمرار والثبوت فاضافتهما محضة فتعرف وصح
ان يوصف بهما المعرفة وانما اعرب شديد العقاب بدلا لانه من باب الصفة
المشبهة ولا يتعرف بالاضافة الي المعرفة وقد نص سيبويه على ان كلما اضافته
غير محضة اذا اضيف الي معرفة جاز ان ينوي باضافته التمحض فيتعرف
وينعت به المعرفة الا ما كان من باب الصفة المشبهة فانه لا يتعرف ابدا
وقد تظافرت النصوص على ان اضافة الصفة المشبهة لا تعرف وحكي صاحب
المقنع عن الكوفيين انهم اجازوا في حسن الوجه وما اشبهه ان يكون صفة
للمعرفة قال وذلك خطا عند البصريين لان حسن الوجه نكرة واذا اردت
تعريفه ادخلت فيه ال وقال ابو الحجاج الاعلم لا يبعد ان يقصد بحسن
الوجه التعريف لان الاضافة لا تمنع منه انتهي وهذا جنوح الي مذهب الكوفيين
وقد جعل بعضهم غافر الذنب وما بعده ابدالا اعتبارا بانهما لا يتعرفا بالاضافة
كانه لاحظ في غافر وقابل زمان الاستقبال وقيل غافر وقابل يراد بهما المضي
فهما يتعرفان بالاضافة ويكونا صفتين اي ان قضاه بالغفران وقبول التوب
هو في الدنيا وقال الزمخشري جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا
بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هذه المعارف
هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك
قصيدة جات تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان
وقع فيها جزء واحد على متفاعل كانت من الكامل ولا نبو في ذلك لان الجري على
القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت بان كلها ابدال
تركيب غير عربي لانه جعل فقد اذنت جوابا لما وليس من كلامهم لما قام زيد
فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرار الابدال اما بدل البدا عند من
اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل
اشتمال فلا نص عن احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها او منعه
الا ان في كلام بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يتكرر وذلك في قول الشاعر

فالي ابن ام اناس ارحل ناقتي عمرو فتبلغ حاجتي او تزحف
ملك اذا نزل الوفود ببابه عرفوا موارد مزبد لا ينزف

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا
من ابن ام اناس قلت لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة اخري
لانه قد طرح انتهي فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان

البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من البدل جايز وقوله
جات تفاعيلها مع جمع تفعال او تفعول او يفعول او تفعيل وليس شي من هذه
الاوزان ان يكون معدودا في اخر العروض بل اجزا وهي منحصرة ليس منها شي
من هذه الاوزان فصوابه ان تقول هي صفات وانما حذفت الالف واللام من
شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم من قوانينه
لاجل الازدواج حتي قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل
ما هو شفع علي ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما
يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه علي نية الالف واللام كما كان الجما الغفير علي
نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن اللبس وجهالة الموصوف انتهي
ولا ضرورة الي اعتقاد حذف الالف واللام من شديد العقاب وترك ما هو
اصل في النحو ويشبه بنادر مغير عن القوانين من تثنية الوتر للشفع وينزه
كتاب الله عن ذلك كله وقال الزمخشري ويجوز ان يقال قد يعمد تنكيره
وابهامه للدلالة علي فرط الشدة وعلي ما لا شي ادهي منه وامر لزيادة
الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الي اختيار البدل
علي الوصف اذا سلكت طريقة الابدال انتهي واجاز مكي في غافر وقابل البدل
حملا علي انهما نكرتان لاستقبالهما والوصف حملا علي انهما معرفتان لمضيهما
وقال ابو عبد الله الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كانا كذلك
لانهما يفيدان معني الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب تفيد ذلك
لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه
وهذا المعني حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن انتهي وهذا الكلام
من لم يقف علي علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون حكيم عليم من قوله من
لدن حكيم عليم ومليك مقتدر من قوله عند مليك مقتدر معارف لتنزيه
صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم يكن ويكون تعريف
صفاته بال وتنكيرها سوا وهذا لا يذهب اليه مبتدي في علم النحو بل من
صنف فيه واقدم علي تفسير كتاب الله وتلخص من هذا الكلام المطول ان
غافر الذنب وما عطف عليه وشديد العقاب اوصاف لان المعطوف علي الوصف
وصف والجميع معارف علي ما تقرر او ابدال لان المعطوف علي البدل بدل
لتنكير الجميع او غافر وقابل وصفان وشديد بدل لمعرفة ذينك وتنكير شديد
وقال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها
نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التايب بين رحمتين بين ان يقبل توبته
فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كانه لم يذنب
كانه قال جامع المغفرة والقبول انتهي وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته
والذي افاد ان الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو وقال صاحب
الغنيان وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر
وقطع شديد العقاب عنهما فلم يعطف لانفراده انتهي وهي نزعة اعتزالية
ومذهب اهل السنة جواز غفران الله للعاصي وان لم يتب الا الشرك
والتوب يحتمل ان يكون كالذنب اسم جنس واحتمل ان يكون جمع توبة كبسر
وبسرة وساع وساعة والظاهر من قوله وقابل التوب ان توبة العاصي
بغير الكفر كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقبولها وذكروا في القطع بقبول
توبة العاصي قولين لاهل السنة ولما ذكر تعالي شدة عقابه اردفه بما يطمع
في رحمته وهو قوله ذي الطول فجا ذلك وعيد اكتنفه وعدان قال ابن
عباس الطول السعة والغنا وقال قتادة النعم وقال ابن زيد القدرة وقيل
طوله تضعيف حسنات اوليايه وعفوه عن سياتهم ولما ذكر جملة من صفاته

العلي الذاتية والفعلية ذكر انه المنفرد بالالوهية المرجوع اليه في الحشر
ثم ذكر حال من جادل في الكتاب واتبع ذلك بذكر الطايعين من ملايكته وصالحي
عباده فقال ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وجدالهم فيها قولهم مرة
سحر ومرة شعر ومرة كهانة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر فهو
جدال بالباطل وقد دل على ذلك بقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وقال السدي ما يجادل اي ما يماري وقال ابن سلام هو محمد وقال ابو
العالية نزلت في الحارث بن قيس احد المستهزئين واما ما يقع بين اهل العلم
من النظر فيها واستيضاح معانيها واستنباط الاحكام والعقايد منها ومقارعة
اهل البدع بها فذلك فيه الثواب الجزيل ثم نهى السامع ان يغتر بتقلب
هولاء الكفار في البلاد وتصرفاتهم فيها بما امليت لهم من المساكن والمزارع
والممالك والتجارات والمكاسب وكانت قريش تتجر في الشام واليمن فان ذلك
وبال عليهم وسبب في اهلاكهم كما هلك من كان قبلهم من مكذبي الرسل وقرا
الجمهور فلا يغررك بالفك وهي لغة الحجاز وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا
يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي لغة تميم ولما كان جدال الكفار ناشيا عن
تكذيب ما جاء به الرسول عليه السلم من ايات الله ذكر من كذب قبلهم من الامم
السالفة وما صار اليه حالهم من حلول نقمات الله بهم ليرتدع بهم كفار من بعث
الرسول عليه السلم اليهم فبدا بقوم نوح اذ كان عليه السلم اول رسول
في الارض وعطف على قومه الاحزاب وهم الذين تحزبوا على الرسل ولم يقبلوا
ما جاوا به من عند الله ومنهم عاد وثمود وفرعون واتباعه وقدم الهم بالاخذ
على الجدال بالباطل لان الرسل لما عصمهم الله منهم ان يقتلوهم رجعوا الى
الجدال بالباطل وقرا الجمهور برسولهم وقرا عبد الله برسولها عاد الضمير
على لفظ امة ليأخذوه ليتمكنوا منه بحبس او تعذيب او قتل وقال ابن عباس
ليأخذوه ليملكوه وانشد قطرب

فاما تاخذوني تقتلوني ... فكم من اخذ يهوى خلودي

ويقال للقتيل والاسير اخيذ وقال قتادة ليأخذوه ليقتلوه عبر عن المسبب
بالسبب وجادلوا بالباطل اي بما هو مضمحل ذاهب لا ثبات له وقيل الباطل
الكفر وقيل الشيطان وقيل بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا ليدحضوا ليزلقوا
به الحق اي الثابت الصدق فأخذتهم فاهلكتهم فكيف كان عقاب اياهم استفهام
تعجيب من استيصالهم واستعظام لما حل بهم وليس استفهاما عن كيفية عقابهم
وكانوا يمرون على مساكنهم ويرون اثار نقمات الله فيهم واجتزا بالكسرة عن
يا الاضافة لانها فاصلة والاصل عقابي وكذلك حقت اي مثل ذلك الوجوب
من عقابهم وجبت على الكفرة كونهم من اصحاب النار من تقدم منهم ومن تاخر
وانهم بدل من كلمة ربك فهي في موضع رفع ويجوز ان يكون التقدير لانهم وحذف
لام العلة والمعنى كما وجب اهلاك اوليك الامم وجب اهلاك هولاء لان
الموجب لاهلاكهم وصف جامع لهم وهو كونهم من اصحاب النار وفي مصحف عبد
الله وكذلك سبقت وهو تفسير معنى لا قراءة وقرا ابن هرمز وشيبة
وابن القعقاع ونافع وابن عامر كلمات على الجمع وابو رجاء وقتادة وباقي
السبعة على الافراد الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز
الحكيم وقهم السيات ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز
العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون

الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السما
رزقا وما يتذكر الا من ينيب لما ذكر جدال الكفار في ايات الله وعصيانهم
ذكر طاعة هولاء المصطفين من خلقه وهم حملة العرش ومن حوله وهم
الحافون به من الملايكة وذكروا من وصف تلك الحملة وعظم خلقهم ووصف
العرش ومن اي شي خلق والحجب السبعينيات التي اختلفت اجناسها
قالوا احتجب الله بين العرش وبين حامليه ما الله اعلم به على ان قدرته
تعالى محتملة لكل ما ذكروه مما لا يقتضي تجسيما لكنه يحتاج الى نقل صحيح
وقرا الجمهور العرش بفتح العين وابن عباس وفرقة بضمها كانه جمع
عرش كسقف وسقف او يكون لغة في العرش يسبحون بحمد ربهم اي
ينزهونه عن جميع النقايص بحمد ربهم بالثنا عليه بانه المنعم على الاطلاق
والتسبيح اشارة الى الاجلال والتحميد اشارة الى الاكرام فهو قريب
من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ونظيره وترى الملايكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقولهم ونحن نسبح بحمدك
ويومنون به اي ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف به نفسه من صفاته
العلى وتسبيحهم اياه تعالى تتضمن الايمان قال الزمخشري فان قلت
ما فايدة قوله ويومنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من
الملايكة الذين يسبحون بحمده مومنون قلت فايدته اظهار شرف الايمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبيا في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك
وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان
وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة
العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف
بالايمان الغايب فلما وصفوا به على سبيل الثنا عليهم علم ان ايمانهم وايمان
من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سوا في ان ايمان الجميع بطريق
النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن
صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويومنون به ويستغفرون للذين
امنوا كانه قيل ويومنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه
تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شي الى النصيحة
وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن
فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جا جامع
الايمان جا معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول
العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض انتهى وهو
كلام حسن الا ان قوله ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير
فيه نظر وقوله ويستغفرون للذين امنوا تخصيص لعموم قوله ويستغفرون
لمن في الارض وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح العباد للعباد الملايكة
واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الاية انتهى وينبغي ان يقال
انصح العباد للعباد الانبيا والملايكة ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اي يقولون
ربنا واحتمل هذا المحذوف بيانا ليستغفرون فيكون في محل رفع وان يكون
حالا فيكون في موضع نصب وكثيرا ما جا الندا بلفظ ربنا رب وفيه استعطاف
العبد مولاه الذي رباه وقام بمصالحه من لدن نشاته الى وقت ندايه فهو
جدير بان لا يناديه الا بلفظ الرب وانتصب رحمة وعلما على التمييز والاصل
وسعت رحمتك وعلمك كل شي واسند الوسع الى صاحبهما مبالغة كان ذاته هي

الرحمة والعلم وقد وسعا كل شي وقدم الرحمة لانهم بها يستمطرون احسانه
ويتوسلون بها الي حصول مطلوبهم من سوال المغفرة ولما حكي تعالي
عنهم كيفية ثنايهم عليه واخبر باستغفارهم للمومنين حكي كيفية استغفارهم
وهو قولهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فطلب المغفرة نتيجة الرحمة
والذين تابوا يتضمن انك علمت توبتهم فهما راجعان الي قوله رحمة وعلما
واتبعوا سبيلك وهي سبيل الحق التي نهجتها لعبادك انك انت العزيز الذي
لا نغالب الحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها التي يليق بها ولما كان طلب الغفران
يتضمن اسقاط العذاب اردفوه بالتصريح بوقايتهم العذاب علي
سبيل المبالغة والتاكيد فقالوا وقهم عذاب الجحيم وطلب المغفرة ووقاية
العذاب للتايب الصالح وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة الشفاعة
في زيادة الثواب والكرامة ولما سالوا ازالة العقاب سالوا اتصال الثواب
وكرروا الدعا بربنا فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقرا الجمهور
جنات جمعا وزيد بن علي والاعمش جنات عدن بالافراد وكذا في مصحف
عبد الله وتقدم الكلام في اعراب التي في قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب في سورة مريم وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام يقال
صلح فهو صليح وصلح فهو صالح وقرا عيسي وذريتهم بالافراد والجمهور بالجمع
وعن ابن جبير في تفسير ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول
اين ابي اين امي اين ابني اين زوجي فيلحقون به لصلاحه ولتنبيهه عليهم
وطلبه اياهم وهذه دعوة الملايكة انتهي واذا كان الانسان في خير ومعه
عشيرته واهله كان ابهج عنده واسر لقلبه والظاهر عطف ومن علي الضمير
في وادخلهم اذ هم المحدث عنهم والمسوول لهم وقال الفرا والزجاج
نصبه من مكانين ان شيت علي الضمير في وادخلهم وان شيت علي الضمير في
وعدتهم وقهم السيات اي امنعهم من الوقوع فيها حتي لا يترتب عليها جزاوها
او وقهم جزا السيات التي اجترحوها فحذف المضاف ولا تكرار في هذا
وقوله وقهم عذاب الجحيم لعدم توافق المدعو لهم اذ الدعا الاول
للذين تابوا والثاني ظهر انه لهم ولمن صلح من المذكورين او لاختلاف
الدعايين اذا اريد بالسيات فذلك وقاية عذاب الجحيم وهذا وقاية الوقوع
في السيات والتنوين في يوميذ تنوين العوض والمحذوف جملة عوض منها
التنوين ولم يتقدم جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينيذ اي حين اذ بلغت الحلقوم فلا بد من تقدير جملة يدل
عليها معني الكلام وهي ومن تق السيات اي جزاوها يوم اذ يواخذ بها فقد رحمته
ولم يتعرض احد من المفسرين الذين وقفنا علي كلامهم في الاية للجملة
التي عوض منها التنوين في يوميذ وذلك اشارة الي الغفران ودخول الجنة
ووقاية العذاب هو الفوز الظفر العظيم الذي عظم خطره وجل صنعه ولما
ذكر شيا من احوال المومنين ذكر شيا من احوال الكافرين وما يجري لهم في الاخرة
من اعترافهم بذنوبهم واستحقاقهم العذاب وسوالهم الرجوع الي الدنيا
وندا وهم قال السدي في النار وقال قتادة يوم القيامة والمنادون
لهم الزبانية علي جهة التوبيخ والتقريع واللام في لمقت لام الابتدا
او لام القسم ومقت مصدر مضاف الي الفاعل التقدير لمقت الله اياكم
او لمقت الله انفسكم وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه في قوله اكبر من
مقتكم انفسكم والظاهر ان مقت الله اياهم هو في الدنيا ويضعف ان يكون
في الاخرة كما قال بعضهم لبقا اذ تدعون تفلتا من الكلام لكونه ليس له عامل
تقدم ولا مفسر لعامل فاذا كان المقت السابق في الدنيا امكن ان يضمر له

عامل تقديره مقتكم اذ تدعون وقال الزمخشري واذ تدعون منصوب بالمقت
الاول والمعني انه يقال لهم يوم القيامة ان الله مقت انفسكم الامارة بالسوء
والكفر حين كان الانبيا يدعونكم الي الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه
الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم
هواهن انتهي وفيه دسيسة الاعتزال واخطا في قوله واذ تدعون
منصوب بالمقت الاول لان المقت مصدر ومعموله من صلته ولا يجوز ان
يخبر عنه الا بعد استيفايه صلته وقد اخبر عنه بقوله اكبر من مقتكم
انفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفي علي المبتديين فضلا
عمن يدعي العجم انه في العربية شيخ العرب والعجم ولما كان الفصل بين
المصدر ومعموله بالخبر لا يجوز قدرنا العامل فيه مضمرا اي مقتكم اذ تدعون
ويشبهه قوله تعالي علي رجعه لقادر يوم تبلي السراير قدروا العامل يرجعه
يوم تبلي السراير للفصل بلقادر بين المصدر ويوم واختلاف زماني المقتين
الاول في الدنيا والاخر في الاخرة هو قول مجاهد وقتادة وابن زيد والاكثرين
وتقدم الثاني منهم من قال هو في الاخرة وهو قول الحسن قال الزمخشري
وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله
اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا واذ تعليل انتهي وكان قوله واذ تعليل من كلام الزمخشري وقال قوم
اذ تدعون معمول لاذكروا محذوفة ويتجه ذلك علي ان يكون مقت الله اياهم
في الاخرة علي قول الحسن قيل لهم ذلك توبيخا وتقريعا وتنبيها علي ما فاتهم
من الايمان وثوابه ويحتمل ان يكون قوله من مقتكم انفسكم ان كل واحد يمقت
نفسه او ان بعضكم يمقت بعضا كما قيل ان الاتباع يمقتون الروسا لما ورطوهم
فيه من الكفر والروسا يمقتون الاتباع وقيل يمقتون انفسهم حين قال
لهم الشيطان فلا تلوموني ولوموا انفسكم والمقت اشد البغض وهو مستحيل
في حق الله تعالي فمعناه الانكار والزجر قالوا ربنا امتنا اثنتين وجه اتصال
هذه بما قبلها انهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم انفسهم هذا الانكار
فلما مقتوا انفسهم وراوا احزانا طويلا رجعوا الي الاقرار بالبعث فاقروا
انه تعالي اماتهم اثنتين واحياهم اثنتين تعظيما لقدرته وتوسلا الي رضاه
ثم اطمعوا انفسهم بالاعتراف بالذنوب ان يردوا الي الدنيا اي ان رجعنا
الي الدنيا ودعينا الي الايمان بادرنا اليه وقال ابن عباس وقتادة والضحاك
وابو مالك موتتهم كونهم ما في الاصلاب ثم احياوهم في الدنيا ثم موتهم فيها
ثم احياوهم يوم القيامة وقال السدي احياوهم في الدنيا ثم اماتتهم فيها
ثم احياوهم في القبر لسوال الملكين ثم اماتتهم فيه ثم احياوهم في الحشر
وقال ابن زيد احياوهم نسما عند اخذ العهد عليهم من صلب ادم ثم اماتتهم
بعد ثم احياوهم في الدنيا ثم اماتتهم ثم احياوهم فعلي هذا والذي قبله تكون
ثلث احيات وهو خلاف القران وقال محمد بن كعب الكافر في الدنيا هو
حي الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان ثم اماتتهم حقيقة ثم احياوهم
في البعث وتقدم الكلام في اوايل البقرة علي الاماتتين والاحيايين في قوله
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية وكررنا ذلك هنا لبعد ما بين الموضعين
قال الزمخشري فان قلت كيف صح ان يسمي خلقهم امواتا اماتة قلت
كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار
ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الي صغر ولا من صغر
الي كبر ولا من ضيق الي سعة ولا من سعة الي ضيق وانما اردت الانشا علي تلك
الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جايزان معا علي المصنوع الواحد

من غير ترجح لاحد مما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجايزين
وهو متمكن منهما علي السوا فقد صرف المصنوع عن الجايز للاخر فجعل صرفه عنه
كنقله منه انتهي يعني ان خلقهم امواتا لانه نقل من الحيوة وهو الجايز الاخر وظاهر
فاعترفنا بذنوبنا انه متسبب عن قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
وثم محذوف اي فعرفنا قدرتك علي الاماتة والاحيا وزال انكارها للبعث
فاعترفنا بذنوبنا السابقة من انكار البعث وغيره فهل الي خروج اي سريع
او بطي من النار من سبيل وهذا سوال من ييس من الخروج ولكنه تعلل وتحير
ذلكم الظاهر ان الخطاب للكفار في الاخرة والاشارة الي العذاب الذي هم
فيه او الي مقتهم انفسهم او الي المنع من الخروج والزجر والاهانة احتمالات
مقولة وقيل الخطاب لمعاصري رسول الله صلي الله عليه وسلم والضمير في فانه
ضمير الشان اذا دعي الله وحده اي اذا افرد بالالهية ونفيت عن سواه
كفرتم وان يشرك به اي ذكرت اللات والعزى وامثالهما من الاصنام
صدقتم بالوهيتها وسكنت نفوسكم اليها فالحكم بعذابكم اليوم لله لا لتلك
الاصنام التي اشركتموها مع الله العلي عن الشرك الكبير العظيم الكبرياء
وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يكلمهم الله في الاربعة فاذا
كانت الخامسة سكتوا قالوا ربنا امتنا اثنتين هنا الاية وفي ابرهيم ربنا
اخرنا الاية وفي السجدة ربنا ابصرنا الاية وفي فاطر ربنا اخرجنا الاية وفي
المومنين ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية فراجعهم اخسوا فيها ولا تكلمون
قال فكان اخر كلامهم ذلك ولما ذكر تعالي ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين
اردفه بذكر ما يدل علي كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا علي انه لا يجوز
جعل الاحجار المنحوتة والخشب المعبودة شركا لله فقال هو الذي يريكم
اياته ايها الناس ويشمل ايات قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق
والصواعق ونحوها من الاثار العلوية وايات كتابه المشتمل علي علم الاولين
والاخرين وايات الاعجاز علي ايدي رسله وهذه الاية راجعة الي نور
العقل الداعي الي توحيد الله ثم قال وينزل لكم من السما رزقا وهو المطر
الذي هو سبب قوام بنية البدن فتلك الايات للاديان كهذا الرزق
للابدان وما يتذكر اي يتعظ ويعتبر وجعله تذكرا لانه مركوز في العقول
دلايل التوحيد ثم قد يعرض الاشتغال بعبادة غير الله فيمنع من تجلي نور
العقل فاذا اناب الي الله تعالي تذكر فادعوا الله مخلصين له الدين ولو
كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره علي من يشا
من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفي علي الله منهم شي لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله
سريع الحساب وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدي الحناجر كاظمين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي ان الله هو السميع البصير اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد
منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب الامر بقوله فادعوا الله للمنيبين المومنين اصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك علي كل حال
حتي في حال غيظ اعدايكم المتماليين عليكم وعلي استيصالكم ورفيع خبر مبتدا
محذوف وقال الزمخشري ثلثة اخبار مترتبة علي قوله الذي يريكم او اخبار
مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهي اما ترتبها علي قوله هو الذي

يريكم فبعيد لطول الفصل واما كونها اخبارا لمبتدي محذوف فمبني علي جواز تعدد
الاخبار اذا لم يكن في معني خبر واحد والمنع اختيار اصحابنا ورفيع رفيع بالنصب
علي المدح واحتمل ان يكون رفيع للمبالغة علي فعيل من رافع فيكون الدرجات
مفعولة اي رافع درجات المومنين ومنازلهم في الجنة وبه فسر ابن سلام او عبر
بالدرجات من السموات اي رفعها سما فوق سما والعرش فوقهن وبه فسر ابن
جبير واحتمل ان يكون رفيع فعيلا من رفع الشي علا فهو رفيع فيكون من باب الصفة
المشبهة والدرجات المصاعد للملايكة الي ان يبلغ العرش اضيفت اليه دلالة
علي عزه وسلطانه اي درجات ملايكته كما وصفه بقوله ذي المعارج او يكون
ذلك عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان قوله ذو العرش عبارة عن
ملكه ونحوه فسر ابن زيد قال عظيم الصفات والروح النبوة قاله قتادة
والسدي كما قال روحا من امرنا وعن قتادة ايضا الوحي وقال ابن عباس
القران وقال الضحاك جبريل يرسله لمن يشا وقيل الرحمة وقيل ارواح
العباد وهذان القولان ضعيفان والاولي الوحي استعار له الروح لحيوة
الاديان المرضية به كما قال او من كان ميتا فاحييناه وقال ابن عطية
ويحتمل ان يكون الفا الروح عاما لكل ما ينعم الله به علي عباده المهتدين
في تفهيم الايمان والمعقولات الشريفة انتهي وقال الزجاج الروح كل ما به
حيوة الناس وكل مهتد حي وكل ضال ميت انتهي وقال ابن عباس من امره
من قضايه وقال مقاتل بامره وحكي الثعلبي من قوله ويظهر ان من لابتدا الغاية
وقرا الجمهور لينذر مبنيا للفاعل يوم بالنصب والظاهر ان الفاعل يعود
علي الله لانه هو المحدث عنه واحتمل يوم ان يكون مفعولا علي السعة وان
يكون ظرفا والمنذر به محذوف وقرا ابي وجماعة كذلك الا انهم رفعوا يوم
علي الفاعلية مجازا وقيل الفاعل في القراة الاولي ضمير الروح وقيل ضمير
من وقرا اليماني فيما ذكر صاحب اللوامح لينذر مبنيا للمفعول يوم التلاق
برفع الميم وقرا الحسن واليماني فيما ذكر ابن خالويه لتنذر بالتا فقالوا
الفاعل ضمير الروح لانها تونث او فيه ضمير الخطاب للرسول وقري التلاق والتلاقي
بيا وبغير يا وسمي يوم التلاق لالتقا الخلايق فيه قاله ابن عباس وقال قتادة
ومقاتل تلتقي فيه الخالق والمخلوق وقال ميمون بن مهران يلتقي فيه الظالم
والمظلوم وحكي الثعلبي يلتقي المرء بعمله وقال السدي يلاقي اهل السما اهل الارض
وقيل يلتقي العابدون ومعبودهم يوم هم بارزون اي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم
شي من جبل او اكمة او بناء لان الارض اذ ذاك قاع صفصف ولا من ثياب لانهم
يحشرون عراة حفاة غرلا ويوم بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل
والظرف المستقبل عند س لا يجوز اضافته الي الجملة الاسمية لا يجوز اجيك
يوم زيد ذاهب اجرا له مجري اذا فكما لا يجوز ان تقول اجيك اذا زيد ذاهب
فكذلك لا يجوز هذا وذهب ابو الحسن الي جواز ذلك فيتخرج قوله يوم هم
بارزون علي هذا المذهب وقد اجاز ذلك بعض اصحابنا علي قلة والدلايل مذكورة
في علم النحو وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون انتصابه علي الظرف والعامل فيه
قوله لا يخفي وهي حركة اعراب لا حركة بنا لان الظرف لا يبني الا اذا اضيف
الي غير متمكن كيومئذ وقال الشاعر

علي حين عاتبت المشيب علي الصبي

وكقوله تعالي هذا يوم ينفع واما في هذه الاية فالجملة اسم متمكن كما تقول جيت
يوم زيد امير فلا يجوز البنا انتهي يعني ان ينتصب علي الظرف قوله يوم هم بارزون
واما قوله لا يبني الا اذا اضيف الي غير متمكن فالبنا ليس متحتما بل يجوز فيه البنا
والاعراب واما تمثيله بيوم ينفع فمذهب البصريين انه لا يجوز فيه الا الاعراب

ومذهب الكوفيين جواز البناء والاعراب فيه واما اذا اضيف الى جملة اسمية
كما مثل من قوله جيت يوم زيد امير فالنقل عن البصريين تحتم الاعراب كما ذكر
والنقل عن الكوفيين جواز الاعراب والبناء وذهب اليه بعض اصحابنا وهو الصحيح
لكثرة شواهد البناء على ذلك ووقع في بعض تصانيف بعض اصحابنا انه يتحتم فيه
البناء وهذا قول لم يذهب اليه احد فهو وهم لا يخفى على الله منهم شي اي من
سرايرهم وبواطنهم قال ابن عباس اذا هلك من في السموات ومن في الارض
فلم يبق الا الله قال لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيرد على نفسه لله الواحد
القهار وقال ابن مسعود يجمع الله الخلايق يوم القيامة في صعيد واحد بارض
بيضا كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد
لمن الملك اليوم فيجيبوا كلهم لله الواحد القهار وروي انه تعالى تقرر هذا
التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار
وقال الحسن هو السايل وهو المجيب وقيل ينادي بالتقرير ملك فيجيب الناس
وانما خص التقرير باليوم وان كان الملك له تعالى في ذلك اليوم وفي غيره لظهور
ذلك للكفرة والجهلة ووضوحه يوم القيامة واذا تامل من له مسكة عقل
تسخير اهل السموات والارض ونفوذ القضا فيهم تيقن ان لا ملك الا لله ومن
نتايج ملكه في ذلك اليوم جزا كل نفس بما كسبت وانتفا الظلم وسرعة الحساب
اذ حسابهم في وقت واحد لا يشغله حساب عن حساب قال ابن عطية وهذه
الاية نص في ان الثواب والعقاب معلق باكتساب العبد انتهى وهو على
طريقة الاشعرية وروي ان يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل المومنون
في الجنة والكافرون في النار ويوم الازفة هو يوم القيامة امر تعالى نبيه ان
ينذر العالم ويحذرهم منه ومن اهواله قاله مجاهد وابن زيد والازفة صفة
لمحذوف تقديره يوم الساعة الازفة او الطامة الازفة ونحو هذا او لما اعتقب
كل انذار نوعا من الشدة والخوف وغيره مما احسن التكرار والازفة القريبة
كما تقدم وهي مشارفتهم دخول النار فانه اذ ذاك تزيغ القلوب عن مقارها
من شدة الخوف وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل يدل عليه
انه بعد ما وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق ويوم بروزهم فوجب ان يكون
هذا اليوم غيره وهذه الصفة مخصوصة في ساير الايات يوم الموت بالقرب
اولى من وصف يوم القيامة بالقرب وايضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم
الازفة لايقة بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملايكة العذاب
لعظم خوفه يكاد قلبه يبلغ حنجرته من شدة الخوف ولا يكون له حميم ولا
شفيع يرفع عنه ما به من انواع الخوف اذ القلوب لدى الحناجر قيل يجوز ان
يكون ذلك يوم القيامة حقيقة ويبقون احيا مع ذلك بخلاف حالة الدنيا
فان من انتقل قلبه الى حنجرته مات ويجوز ان يكون ذلك كناية عن ما يبلغون
اليه من شدة الجزع كما تقول كادت نفسي ان تخرج وانتصب كاظمين على الحال
قال الزمخشري هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم
لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان تكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة
على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه
وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلا كما قال رايتهم لي ساجدين
وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراة من قرا كاظمون ويجوز
ان يكون حالا عن قوله اي وانذرهم مقدرين وقال ابن عطية كاظمين حال
مما ابدل منه قوله اذ القلوب او مما تضاف اليه القلوب لان المراد اذ قلوب
الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تعالى تشخص فيه الابصار مهطعين اراد
تشخص فيه ابصارهم وقال الحوفي القلوب رفع بالابتدا ولدى الحناجر الخبر

متعلق

متعلق بمعنى الاستقرار وقال ابو البقا كاظمين حال من القلوب لان المراد اصحابها
انتهى ما للظالمين من حميم اي محب مشفق ولا شفيع يطاع في موضع الصفة لشفيع
فاحتمل ان تكون في موضع خفض على اللفظ وفي موضع رفع على الموضع واحتمل
ان ينسحب النفي على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع اذ لا يقبل
شفاعته واحتمل ان ينسحب النفي على الموصوف وصفته اي لا شفيع فيطاع
وهذا هو المقصود في الاية لان الشفيع عند الله انما يكون من اوليايه تعالى
ولا تكون الشفاعة الا لمن ارتضاه الله وايضا فيكون في زيادة التفضل والثواب
ولا يمكن شي من هذا في حق الكافر وعن الحسن والله لا يكون لهم شفيع البتة
يعلم خاينة الاعين كقوله وان سقيت كرام الناس فاسقينا اي الناس الكرام
وجوزوا ان تكون خاينة مصدرا كالعاقبة والعافية اي يعلم خيانة الاعين
ولما كانت الافعال التي يقصد بها التكتم بدينه فاخفاها خاينة الاعين من
كسر جفن وغمز وتطريف يفهم معنى ويريد صاحبه معنى اخر وقلبية وهو ما تحتوي عليه
الضماير قسم ما يكتتم به الى هذين القسمين وذكر ان علمه متعلق بهما لتعلق التام
وقال الزمخشري ولا يحسن ان يراد الخاينة من الاعين لان قوله وما تخفي
الصدور لا يساعد عليه انتهى يعني انه لا يناسب ان يكون مقابل المعنى الا المعنى
وتقدم ان الظاهر ان يكون التقدير الاعين الخاينة والظاهر ان قوله يعلم
خاينة الاعين الاية متصل بما قبله لما امر بانذاره بيوم الازفة وما يعرض فيه من
شدة الكرب والغم وان الظالم لا يجد من يحميه من ذلك ولا من يشفع له ذكر
اطلاعه تعالى على جميع ما يصدر من العبد وانه مجازى بما عمل ليكون على حذر من
ذلك اليوم اذا علم الله مطلع على اعماله وقال ابن عطية يعلم خاينة الاعين
متصل بقوله سريع الحساب لان سرعة حسابه للخلق انما هي بعلمه الذي لا يحتاج
معه الى روية وفكرة ولا لشي مما يحتاجه المحاسبون وقالت فرقة يعلم متصل
بقوله لا يخفى على الله منهم شي وهذا قول حسن تقويه تناسب المعنيين
ويضعفه بعد الاية من الاية وكثرة الحايل انتهى وقال الزمخشري فان
قلت بم اتصل قوله يعلم خاينة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو
الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق
ثم استطرد لذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن
اخواته انتهى وفي بعض الكتب المنزلة انا مرصاد الهمم انا العالم بمجال الفكر وكسر
الجفون وقال مجاهد خاينة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يجوز ومثل المفسرون
خاينة الاعين بالنظر الثاني الى حرمة غير الناظر وما تخفي الصدور بالنظر الاول
الذي لا يمكن دفعه والله يقضي بالحق هذا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا
كان عالما بجميع الاحوال ولا يقضي الا بالحق فيما دق وجل غاية والذين
تدعون من دونه لا يقضون بشي هذا قدح في اصنامهم وتهكم بهم لان ما لا يوصف
بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي وقرا الجمهور يدعون بيا الغيبة للناس
الضماير الغايبة قبل وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنه وهشام تدعون
بتا الخطاب اي قل لهم يا محمد ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم
خاينة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر
ما يعملون وتعريض باصنامهم انها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم احال قريشا على الاعتبار بالسير
وجاز ان يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا وان تكون منصوبا على
جواب النفي كما قال

الم تسال فتخبرك الرسوم

وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة وحمل الزمخشري هم على ان يكون فصلا ولا

يتعين ان يكون ان يكون هم توكيدا لضمير كانوا وقرا الجمهور منهم بضمير الغيبة وابن عامر منكم بضمير الخطاب على سبيل الالتفات واثارا في الارض معطوف على قوة اي مبانيهم وحصونهم وعددهم كانت في غاية الشدة كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا وقال الزمخشري او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا انتهي اي ومتقلدا رمحا ولا حاجة الي ادعاء الحذف مع صحة المعني بدونه من واق اي وما كان لهم من عذاب الله من ساتر يمنعهم منه ذلك اي الاخذ وتقدم تفسير نظير ذلك ولقد ارسلنا موسي باياتنا وسلطان مبين الي فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسي وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقال موسي اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب وقال رجل مومن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما اري وما اهديكم الا سبيل الرشاد ابتدا الله قصة موسي عليه السلم مع فرعون تسلية للرسول عليه السلم ووعدا له وعيدا لقريش ان يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله ووعدا للمومنين بالظفر والنصر وحسن العاقبة وايات موسي عليه السلم كثيرة والذي تحدي به من المعجز العصا واليد وقرا عيسي وسلطان بضم اللام والسلطان المبين الحجة والبرهان الواضح والظاهر ان قارون هو الذي ذكره تعالي في قوله ان قارون كان من قوم موسي وهو من بني اسرايل وقبل هو غيره ونص علي هامان وقارون لمكانتهما في الكفر ولانهما اشهر اتباع فرعون فقالوا ساحر كذاب اي هذا ساحر لما ظهر علي يديه من قلب العصا حية وظهور النور الساطع علي يده كذاب لكونه ادعي انه رسول من رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بالمعجزات والنبوة والدعا الي الايمان بالله قالوا اي اولئك الثلثة اقتلوا قال ابن عباس اي اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا انتهي يريد ان هذا غير القتل الاول وانما امروا بقتل ابنا المومنين لئلا ينشوا علي دين موسي عليه السلم وباستحيا النسا للاستخدام والاسترقاق ولم يقع ما امروا به ولا تم لهم ولا اعانهم الله عليه وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في حيرة وتخبط لم يقع منه شي ولا انجح سعيهم وكانوا باشروا القتل اولا فنفذ قضا الله في اظهار من خافوه هلاكهم علي يديه وقيل كان فرعون قد كف عن قتل الابنا فلما بعث موسي واحس انه قد وقع ما كان يحذره اعاد القتل عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسي وما علم ان كيده ضايع في الكرتين معا وقال فرعون ذروني اقتل موسي وليدع ربه قال الزمخشري وبعضه من كلام الحسن كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاومه الا ساحر مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة علي الناس واعتقدوا انك عجزت عن مظاهرته بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به ايات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجبروت وكان قتالا سفاكا للدما في اهون شي فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق علي فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسي تمويها علي قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع وقال ابن عطية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرت ايات موسي انهد ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم

من

من يجاذبه الخلاف في امره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفي ذلك علي هذا دليلان احدهما قوله ذروني فليست هذه من الفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ اوامرهم والدليل الثاني مقالة المومن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون اكثر من مسايرته وحكمه بسوء مقالته اظهر من تقريبه في امره واما فرعون فانه نحا الي المخرقة والاضطراب والتعاطي ومن ذلك قوله ذروني اقتل موسي وليدع ربه اي اني لا ابالي من رب موسي ثم رجع الي قومه يريهم النصيحة والحياطة لهم فقال اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لين حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

انتهي وتبديل دينهم هو تغييره وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام كما قال ويذرك والهتك وان يظهر في الارض الفساد وذلك بالتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب ويهلك الناس قتلا وضياعا فاخاف فساد دينكم ودنياكم معا وبدا فرعون بخوفه تغيير دينهم علي تغيير دنياهم لان حبهم لاديانهم فوق حبهم لاموالهم وقيل ذروني يدل علي انهم كانوا يمنعونه من قتله اما لكون بعضهم كان مصدقا له فيتحيل في منع قتله واما لما روي عن الحسن مما ذكره الزمخشري واما لشغل قلب فرعون بموسي حتي لا يتفرغ لهم ويامنوا من شره كما يفعلون مع الملك اذا خرج عليه خارجي شغلوه به حتي يامنوا من شره وقرا الكوفيون او ان بترديد الخوف بين تبديل الدين او ظهور الفساد وقرا باقي السبعة وان بانضباب الخوف عليهما معا وقرا انس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وابو رجاء والحسن والجحدري ونافع وابو عمرو وحفص يظهر من اظهر مبنيا للفاعل الفساد نصبا وقرا باقي السبعة والاعرج والاعمش وابن وثاب وعيسي يظهر من ظهر مبنيا للفاعل الفساد رفعا وقرا مجاهد يظهر بشد الظا والها الفساد رفعا وقرا زيد بن علي يظهر بضم اليا وفتح الها مبنيا للمفعول الفساد رفعا ولما سمع موسي بمقالة فرعون استعاذ بالله من شر كل متكبر منكر للمعاد وقال ربكم بعثا علي الاقتدا به فيعوذوا بالله ويعتصموا به ومن كل متكبر يشمل فرعون وغيره من الجبابرة وكان ذلك علي طريق التعريض فكان ابلغ والتكبر تعاظم الانسان في نفسه مع حقارته لانه يفعل ولا يومن بيوم الحساب اي بالجزا فكان ذلك اكد في جراته اذ حصل له التعاظم في نفسه وعدم المبالاة بما ارتكب وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بالادغام وباقي السبعة بالاظهار وقال رجل مومن من ال فرعون يكتم ايمانه قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وكان يجري مجري ولي العهد ومجري صاحب الشرطة وقيل كان قبطيا ليس من قرابته وقيل قيل فيه من ال فرعون لانه كان في الظاهر علي دينه ودين اتباعه وقيل كان اسرائيليا وليس من ال فرعون وجعل من ال فرعون متعلقا بقوله يكتم ايمانه لا في موضع الصفة لرجل كما يدل عليه الظاهر وهذا فيه بعد اذ لم يكن لاحد من بني اسرايل ان يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل وقد رد قول من علق من ال فرعون بيكتم فانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت فلانا كذا قال تعالي ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا وهمين هما مستكنا وظاهرا

احاديث نفس تشتكي ما يريبها وورد هموم لن يجدن مصادرا

اي كتمتك احاديث نفس وهمين فقيل واسمه سمعان وقيل حبيب وقيل حزبيل وقرا الجمهور رجل بضم الجيم وقرا عيسي وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم عن ابي عمرو بسكونها وهي لغة تميم ونجد تقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت لهم لانه قال اترتكبون الفعلة الشنعا التي هي قتل نفس محرمة وما لكم عليه في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله

نبي الله مع انه قد جاكم بالبينات من ربكم اي من عند من نسب اليه الربوبية
ربكم لا ربه وحده وهذا استدراج الى الاعتراف وقال الزمخشري ولك ان تقدر
مضافا محذوفا اي وقت تقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول
من غير روية ولا فكر في امره انتهى وهذا الذي اجازه من تقدير المضاف المحذوف
الذي هو وقت لا يجوز تقول جيت صياح الديك اي وقت صياح الديك ولا يجوز
جيت ان صاح الديك ولا اجي ان يصيح الديك نص على ذلك النحاة فشرط ذلك
ان يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا وان يقول ليس مصدرا مصرحا به بالبينات
بالدلايل على التوحيد وهي التي ذكرها في طه وفي الشعرا حالة محاورته له في سواله عن
ربه تعالى ولما صرح بالانكار عليهم غالطهم بعد في ان قسم امره الى كذب وصدق وابدى
ذلك في صورة احتمال ونصيحة وبدا في التقسيم بقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه
مداراة منه وسلوكا لطريق الانصاف في القول وخوفا اذا انكر عليهم قبله انه ممن يعاضده
ويناصره فاوهمهم بهذا التقسيم والبداة بحالة الكذب حتى يسلم من شره ويكون
ذلك ادنى تسليمهم ومعنى فعليه كذبه اي لا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم وهو يعتقد انه نبي صادق قطعا لكنه اتى بلفظ بعض لالزام
الحجة بايسرها في الامر وليس فيه نفي ان يصيبهم كل ما يعدهم وقالت فرقة يصبكم
بعض العذاب الذي يذكر وذلك كاف في هلاككم ويكون المعنى يصبكم القسم الواحد
مما يعد به وذلك هو بعض مما يعد لانه عليه السلام وعدهم ان امنوا بالنعمة وان كفروا
بالنقمة وقالت فرقة بعض الذي يعدكم عذاب الدنيا لانه بعض عذاب الاخرة
ويصيرون بعد ذلك الى النار وقال ابو عبيدة وغيره بعض بمعنى كل وانشدوا
قول عمرو بن شييم القطامي قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل
الزلل وقال الزمخشري وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع
ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له فان قلت وعن
ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد وهو

تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسالة العلقى كان اجفى
من ان يفقه ما اقول له انتهى ويعني ان ابا عبيدة خطاه الناس في اعتقاده
ان بعضا تكون بمعنى كل وانشدوا ايضا في كون بعض بمعنى كل قول الشاعر

ان الامور اذا الاحداث دبرها • دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

اي اذا اي الاحداث ولذلك قال دبرها ولم يقل دبروها راعى المضاف المحذوف
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اشارة الى علو شان موسى عليه السلام
وان من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن ان يقع منه اسراف ولا كذب وفيه تعريض
بفرعون اذ هو في غاية الاسراف على نفسه بقتل ابنا المومنين وفي غاية الكذب
اذ ادعى الالهية والربوبية ومن هذا شانه لا يهديه الله وفي الحديث
الصديقون ثلثة حبيب النجار مومن ال يس ومومن ال فرعون وعلي بن ابي
طالب وفي الحديث انه عليه السلام طاف بالبيت فحين فرغ اخذ بمجامع ردايه
فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباونا فقال انا ذاك فقام ابو بكر
رضي الله عنه فالتزمه من ورايه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وقد جاكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه
وعن جعفر الصادق ان مومن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا
وقال السدي مسرف بالقتل وقال قتادة مسرف بالكفر وقال صاحب التحرير
والتحبير هذا نوع من انواع علم البيان تسميه علماونا استدراج المخاطب
وذلك انه لما راى فرعون قد عزم على قتل موسى والقوم على تكذيبه اراد الانتصار

له بطريق يخفى عليهم بها انه متعصب له وانه من اتباعه فجاهم من طريق النصح
والملاطفة فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ولم يذكر اسمه بل قال رجلا يوهم
انه لا يعرفه ولا يتعصب له ان يقول ربي الله ولم يقل رجلا مومنا بالله او هو نبي الله
اذ لو كان قال شيا من ذلك لعلموا انه متعصب ولم يقبلوا قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك
فقدم قوله وان يك كاذبا موافقة لرايهم فيه ثم تلاه بقوله وان يك صادقا ولم يقل
هو صادق وقال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم اذ لو قال هو صادق
وكل ما يعدكم علموا انه متعصب وانه يزعم انه نبي وانه يصدقه فان الانبيا لا تخل
بشي مما يقولونه ثم اتبعه بكلام يفهم منه انه ليس بمصدق له وهو قوله ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب انتهى ثم قال يا قوم يا قوم ندا استلطف في موعظتهم
لكم الملك اليوم ظاهرين اي غالبين عالين في الارض في ارض مصر قد غلبتم بني اسرايل
فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم وندامهم بالملك الذي هو اعظم مراتب الدنيا
واجلها وهو من جهة شهواتهم وانتصب ظاهرين على الحال والعامل فيها هو العامل
في الجار والمجرور وذو الحال هو ضمير لكم ثم حذرهم ان يفسدوا على انفسهم بانه ان
جاهم باس الله لم يجدوا ناصرا لهم ولا دافعا وادرج نفسه في قوله ينصرنا وجانا لانه
منهم في القرابة وليعلمهم ان الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه واقوال
هذا المومن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ولذلك استكان فرعون
وقال ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم الا بقتله ولا استصوب الا ذلك وهذا
قول من لا يحكم له واتى بما والا للحصر والتاكيد وما اهديكم الا سبيل الصواب
لا بما يقولونه من ترك قتله وقد كذب بل كان متخايفا وجلا وقد علم ان ما جا به موسى عليه
السلام حق ولكنه كان يتجلد ويرى ظاهره خلاف ما ابطن واورد الزمخشري وابن
عطية وابو القاسم الهذلي هنا ان معاذ بن جبل قرا الرشاد بشد الشين قال ابو
الفتح وهو اسم فاعل في بنية مبالغة من الفعل الثلاثي رشد فهو كعباد من عبد وقال
الزمخشري او من رشد كعلام من علم وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الفعل
الرباعي ورد عليه بانه لا يتعين ان يكون من الرباعي بل هو من الثلاثي على ان بعضهم
قد ذهب الى انه من الرباعي فبني فعالا من افعل كدراك من ادرك وسار من اسار
وجبار من اجبر وقصار من اقصر ولكنه ليس بقياس فلا يحمل عليه ما وجدت عنه
مندوحة وفعال من الثلاثي مقيس فحمل عليه وقال ابو حاتم كان معاذ بن جبل يفسرها
بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون
الا يدعي انه اله ويقلق بنا اللفظ على هذا التاويل انتهى وايراد الخلاف في هذا الحرف
الذي هو من قول فرعون خطا وتركيب قول معاذ عليه خطا والصواب ان الخلاف
فيه هو في قول المومن اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قال ابو الفضل الرازي
في كتاب اللوامح له في شواذ القراات ما نصه معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف
الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي اوضح لشرايعه
كذلك فسره معاذ بن جبل وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من
مجبر وقصار من مقصر عن الامر ولها نظاير معدودة فاما قصار الثوب فهو
من قصر الثوب قصارة وقال ابن خالويه بعد ان ذكر الخلاف في التناد وفي صد
عن السبيل ما نصه سبيل الرشاد بتشديد الشين معاذ بن جبل قال ابن خالويه
يعني بالرشاد الله تعالى انتهى فهذا ان لم يذكر الخلاف الا في قول المومن اهديكم سبيل
الرشاد فذكر الخلاف فيه في قول فرعون خطا ولم يفسر معاذ بن جبل الرشاد انه
الله تعالى الا في قول المومن لا في قول فرعون قال ابن عطية ذلك التاويل
في قول فرعون وهم وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل

الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى
اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ
الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال الذي امن يا قوم اتبعوني
اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار
من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاوليك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب الجمهور على ان هذا المومن
هو الرجل القايل اتقتلون رجلا نص الله اقاويله الى اخر الايات لما راى ما لحق
فرعون من الخور والخوف اتى بنوع اخر من التهديد وخوفهم ان يصيبهم ما اصاب
الامم السالفة من استيصال الهلاك حين كذبوا رسلهم وقويت نفسه حتى سرد
عليهم ما سرد ولم يهب فرعون وقالت فرقة بل كلام ذلك المومن قديم وانما اراد تعالى
بالذي اراد موسى عليه السلام واحتجوا بقوة كلامه وانه جلح معهم بالايمان وذكر
عذاب الاخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا بملاينة لهم وافرد اليوم اما لان
المعنى مثل يوم من ايام الاحزاب او اراد به الجمع اي مثل ايام الاحزاب لانه معلوم
ان كل حزب كان له يوم والاحزاب الذين تحزبوا على انبيا الله ومثل داب قال ابن
عطية بدل وقال الزمخشري عطف بيان وقال الزجاج مثل قوم حزب حزب
وداب عادتهم وديدنهم في الكفر والمعاصي وما الله يريد ظلما للعباد اي ان اهلاكه اياهم
كان عدلا منه وفيه مبالغة في نفي الظلم حيث علقه بالارادة فاذا انتفاه عن الارادة
كان نفيه عن الوقوع اولى واحرى ولما خوفهم ان يحل بهم في الدنيا ما حل بالاحزاب
خوفهم امر الاخرة فقال مستعطفا لهم بندايهم يا قوم اني اخاف عليكم يوم التنادي
وهو يوم الحشر والتنادي مصدر تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا قال
الشاعر

تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي

وسمي يوم التنادي اما لنداء بعضهم لبعض بالويل والثبور واما لتنادي اهل الجنة
واهل النار على ما ذكر في سورة الاعراف واما لان الخلق ينادون الى المحشر واما لنداء
المومن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر باليتني لم اوت كتابيه وقرات فرقة التناد
بسكون الدال في الوصل اجراء مجرى الوقف وقرا ابن عباس والضحاك وابو صالح
والكلبي والزعفراني وابن مقسم التناد بتشديد الدال من ند البعير اذا هرب
كما قال يفر المرء من اخيه الاية وقال ابن عباس وغيره في التنادي خفيفة الدال
هو التنادي الذي يكون بين الناس عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا
وانهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا وروى هذا
التاويل عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية ويحتمل ان
يكون التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة انتهى وقال
امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي

وفي الحديث ان للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون انهم يجدون مهربا ثم تلا
يوم تولون مدبرين قال مجاهد معناه فارين وقال السدي ما لكم من الله من عاصم
في فراركم حتى يعذبوا في النار وقال قتادة ما لكم في الانطلاق اليها من عاصم اي مانع
يمنعكم منها او ناصر ولما يئس المومن من قبولهم قال ومن يضلل الله فما له من هاد ثم
اخذ يوبخهم على تكذيب الرسل بان يوسف قد جاءهم بالبينات والظاهر انه يوسف
بن يعقوب وفرعونه هو فرعون موسى وروى اشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون

عمر اربع مائة سنة واربعين سنة وقيل بل الجائي اليهم هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف
بن يعقوب وان فرعون هو فرعون غير فرعون موسى وبالبينات بالمعجزات فلم تزالوا
شاكين في رسالته كافرين حتى اذا توفي قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا وليس هذا
تصديقا لرسالته وكيف وما زالوا في شك منه وانما المعنى لا رسول من عند الله
فيبعثه الى الخلق ففيه نفي الرسول ونفي بعثته وقرى الن يبعث بادخال
همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا على نفي البعث كذلك اي
مثل اضلال الله اياكم حين لم يقبلوا مما يوسف يضل الله من هو مسرف مرتاب
يعنيهم اذ هم المفترون المرتابون في رسالات الانبيا وجوزوا في الذين يجادلون ان
يكون صفة لمن وبدلا منه اذ معناه جمع ومبتدا على حذف مضاف اي جدال الذين
يجادلون حتى يكون الضمير في كبر عايدا على ذلك او لا على حذف مضاف والفاعل
بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من قوله يجادلون او ضمير يعود على من على لفظها
على ان يكون الذين صفة او بدلا اعادة او لا على لفظ من وقال الزمخشري ويحتمل
ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي
كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله
جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه انتهى وهو الذي اجازه لا يجوز
ان يكون مثله في كلام فصيح فكيف في كلام الله لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض
وارتكاب مذهب الصحيح خلافه اما تفكيك الكلام فالظاهر ان بغير سلطان متعلق
بيجادلون ولا يتعلق جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين
يجادلون في ايات الله كاينون او مستقرون بغير سلطان اي في غير سلطان لان
الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث وكذلك في قوله يطبع انه مستانف فيه تفكيك
الكلام لان ما جاء في القران من كذلك يطبع او ونطبع انما جاء مربوطا بعضه ببعض
فكذلك هذا واما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه فجعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك
لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش ولم يثبت في كلام العرب نثرها جائيا في
كزيد تريد مثل زيد فلم يثبت اسميتها فتكون فاعلة واما قوله ومن قال الى اخره
فان قايل ذلك هو الحوفي والظن به انه فسر المعنى ولم يرد الاعراب واما تفسير
الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون كما قالوا من كذب
كان شرا له اي كان هو اي الكذب المفهوم من كذب والاولى في اعراب هذا الكلام
ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادل ليكون
وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه ويكون الوعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم
الى الاسم الغايب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وابراز ذلك في صورة تذكرهم
ولا يجفوهم بالخطاب وفي قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم
والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكباير كذلك اي مثل ذلك الطبع على قلوب
المجادلين يطبع الله اي يختم بالضلال ويحجب عن الهدى وقرا ابو عمرو وابن
ذكوان والاعرج بخلاف عنه قلب بالتنوين وصف القلب بالتكبر والجبروت
لكونه مركزهما ومنبعهما كما يقولون راءت العين وكما قال فانه اثم قلبه والاثم الجملة
واجاز الزمخشري ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة
لصاحب القلب انتهى ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف وقرا باقي السبعة
قلب متكبر بالاضافة والمضاف فيه لعام عام فلزم عموم متكبر جبار وقال مقاتل
المتكبر المعاند في تعظيم امر الله والجبار المسلط على خلق الله وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا اقوال فرعون ذروني اقتل موسى ما اريكم الا ما ارى يا هامان
ابن لي صرحا حيدة عن محاجة موسى ورجوع الى اشيا لا تصح وذلك كله لما خامره
من الجزع والخوف وعدم المقاومة والتعرف ان هلاكه وهلاك قومه على يدي
موسى وان قدرته عجزت عن التاثير في موسى هذا على كثرة سفكه الدما وتقدم

الكلام في الشرح في سورة القصص فاغنى عن اعادته قال السدي الاسباب الطرق
وقال قتادة الابواب وقيل عني لعله يجد مع قربه من السما سببا يتعلق به وما اداه
الي شي فهو سبب وابهم اولا الاسباب ثم ابدل منها ما اوضحها والايضاح بعد الابهام
يفيد تفخيم الشي اذ في الابهام تشوق لمراده وتعجب من المقصود به ثم بالتوضيح
يحصل المقصود ويتعين وقرا الجمهور فاطلع رفعا عطفا علي ابلغ فكلاهما مترجي
وقرا الاعرج وابو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم وحفص فاطلع
بنصب العين قال ابو القسم بن جبارة وابن عطية علي جواب التمني وقال
الزمخشري علي جواب التمني تشبيها للترجي بالتمني انتهي وقد فرق النحاة بين
التمني والترجي فذكروا ان التمني يكون في الممكن والممتنع والترجي يكون في الممكن
وبلوغ اسباب السموات غير ممكن لكن فرعون ابرز ما لا يمكن في صورة الممكن
تمويها علي سامعيه واما النصب بعد الفا في جواب الترجي فشي اجازه الكوفيون
ومنعه البصريون واحتج الكوفيون بهذه القراة وبقراة عاصم فتنفعه الذكري
في سورة عبس اذ هو جواب الترجي في قوله لعله يزكي او يذكر فتنفعه الذكري
وقد تاولنا ذلك علي ان يكون عطفا علي التوهم لان خبر لعل كثيرا جا مقرونا بان
في النظم كثيرا وفي النثر قليلا فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا
كان منصوبا بان والعطف علي التوهم كثير وان كان لا ينقاس لكن ان وقع شي وامكن
تخريجه عليه خرج واما هنا فاطلع فقد جعله بعضهم جوابا للامر وهو قوله ابن لي
صرحا كما قال الشاعر

• يا ناق سيري عنقا فسيحا • الي سليمن فنستريحا •

ولما قال فاطلع الي اله موسي كان ذلك اقرارا باله موسي فاستدرك هذا الاقرار
بقوله واني لاظنه كاذبا اي في دعاء الاله كما قال في القصص لعلي اطلع الي اله موسي
واني لاظنه من الكاذبين وكذلك اي مثل ذلك التزيين في ابهام فرعون انه يطلع الي
اله موسي زين لفرعون سوء عمله وقرا الجمهور زين لفرعون مبنيا للمفعول
وقري زين مبنيا للفاعل وقرا الجمهور وصد مبنيا للفاعل اي وصد فرعون والكوفيون
بضم الصاد مناسبا لزين مبنيا للمفعول وابن وثاب بكسر الصاد اصله صدد
نقلت الحركة الي الصاد بعد توهم حذفها وابن ابي اسحق وعبد الرحمن بن ابي بكرة
بفتح الصاد وضم الدال منونة عطفا علي سوء عمله والتباب الخسران خسر ملكه
في الدنيا فيها بالغرق وفي الاخرة بدخوله في النار وتكرر وعظ المومن اشكالهم
فرعون بندايه قومه مرتين متصلا كل ندا بما فيه زجر واتعاظ لو وجد من يقبل
وهو هنا باتباعه لان يهدهم سبيل الرشاد وقرا معاذ بن جبل بشد الشين وتقدم
الكلام علي ذلك والرد علي من جعل هذه القراة في كلام فرعون واجمل اولا في قوله
سبيل الرشاد وهو سبيل الايمان بالله واتباع شرعه ثم فسر فافتتح بذم الدنيا
ويصغر شانها وانها متاع زايل هو دمن تمتع بها وان الاخرة هي دار الاستقرار
التي لا انفكاك منها اما الي جنة واما الي نار ولذلك قال من عمل سيئة فلا يجزي
الا مثلها وقرا ابو رجا وشيبة والاعمش والاخوان والصاحبان وحفص يدخلون
مبنيا للفاعل وباقي السبعة والاعرج والحسن وابو جعفر وعيسي مبنيا للمفعول
ويا قوم ما لي ادعوكم الي النجاة وتدعونني الي النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس
لي به علم وانا ادعوكم الي العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الي الله وان المسرفين هم اصحاب النار
فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الي الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله
سيات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار
فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من

النار

النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعا الكافرين انا لننصر رسلنا والذين امنوا
في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم
سوء الدار بدا المومن بذكر المتسبب عن دعوتهم وابدي التفاضل بينهما ولما ذكر
المتسببين ذكر سببهما وهو دعاوهم الي الكفر والشرك ودعاوه اياهم الي الايمان
والتوحيد واتي بصفة العزيز وهو الذي لا نظير له او الغالب الذي العالم
كلهم في قبضته يتصرف فيهم كما يشا الغفار للذنوب من رجع اليه وامن به واوصل
سبب دعاكم بسببه وهو الكفر والنار واخر سببه ليكون افتتاح كلامه
واختتامه بما يدعوا الي الخير وبدا اولا بجملة اسمية وهو الاستفهام المتضمن
التعجب من حالتهم وختم ايضا بجملة اسمية ليكون ابلغ في توكيد الاخبار وجا
في حقهم وتدعونني بالجملة الفعلية التي لا تقتضي توكيدا اذ دعوتهم باطلة هو
لا ثبوت لها فتتوكد وما ليس لي به من علم هي الاوثان اي لم يتعلق بها علمي اذ ليس
لها مدخل في الالوهية ولا لفرعون قال الزمخشري فان قلت لم جا بالواو في الندا
الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل في كلام هو بيان للمجمل وتفسير له
فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل علي كلام
ليس بتلك المثابة انتهي وتقدم الكلام علي لا جرم وقال الزمخشري هنا وروي
عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الرا بريد لا بد وفعل وفعل اخوان
كرشد ورشد وعدم وعدم انما اي ان الذي تدعونني اليه اي الي عبادته ليس له
دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعي اليه او ليس له دعوة الي نفسه لان الجماد لا يدعو
والمعبود بالحق يدعوا العباد الي طاعته ثم يدعوا العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وقال
الزجاج المعني ليس له استجابة دعوة توجب الالوهية في الدنيا ولا في الاخرة
او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت
الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه باسم الجزا في قوله كما تدين
تدان وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون اولا يدعو
الناس الي عبادة الاصنام ثم دعاهم الي عبادة البقر وكانت تعبد ما كانت شابة
فاذا هرمت امر بذبحها ودعا باخري لتعبد فلما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلي
ولما ذكر انتفا دعوة ما عبد من دون الله ذكر ان مرد الجميع الي الله اي الي جزايه
وان المسرفين وهم المشركون في قول قتادة والسفاكون للدما بغير حلها في قول
ابن مسعود ومجاهد وقيل من غلب شره خيره هو المسرف وقال عكرمة هم الجبارون
المتكبرون وختم المومن كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتهديد وهي قوله
فستذكرون ما اقول لكم اي اذا حل بكم عقاب الله وافوض امري الي قضا الله وقدره
لا اليكم ولا الي اصنامكم وكانوا قد توعدوه ثم ذكر ما يوجب التفويض وهو كونه
تعالي بصيرا باحوال العباد وبمقادير حاجاتهم قال مقاتل لما قال هذه الكلمات
قصدوا قتله فهرب هذا المومن الي الجبل فلم يقدروا عليه وقيل لما اظهر ايمانه
بعث فرعون في طلبه الف رجل فمنهم من ادركه فذبت السباع عنه واكلتهم ومنهم من مات
في الجبال عطشا ومنهم من رجع الي فرعون خايبا فاتهمه وقتله وصلبه وقيل نجا مع موسي
في البحر وقتل في جملة من قتل معه فوقاه الله سيات ما مكروا اي شدايد مكرهم وهو
التي يسوه وما هموا به من انواع العذاب لمن خالفهم وحاق بال فرعون سوء العذاب
قال ابن عباس هو ما حاق بالالف الذين بعثهم فرعون في طلب المومن من اكل
السباع والموت بالعطش والقتل والصلب كما تقدم وقيل سوء العذاب
هو الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا
محذوف كانه قيل ما سوء العذاب قيل النار او مبتدا خبره محذوف يعرضون ويقوي

هذا الوجه قراة من نصب اي يدخلون النار يعرضون عليها وقال الزمخشري
ويجوز ان ينتصب علي الاختصاص والظاهر ان عرضهم علي النار مخصوص بهذين
الوقتين ويجوز ان يراد بذكرا الطرفين الدوام في الدنيا والظاهر ان العرض
خلاف الاحراق وقال الزمخشري عرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام
الاساري علي السيف اذا قتلهم به انتهي والظاهر ان العرض هو في الدنيا وروي
ذلك عن الهذيل بن شرحبيل وعن ابن مسعود والسدي ان ارواحهم في اجواف
طير سود تروح بهم وتغدو الي النار وقال رجل للاوزاعي رايت طيورا بيضا تغدو
من البحر ثم تروح بالعشي سود امثالها فقال الاوزاعي تلك التي في حواصلها ارواح
ال فرعون يحرق رياشها ويسود بالعرض علي النار وقال محمد بن كعب وغيره ارادهم
يعرضون في الاخرة علي تقدير ما بين الغدو والعشي اذ لا غدو ولا عشي في الاخرة
وانما ذلك علي التقدير بايام الدنيا وعن ابن مسعود يعرض ارواح ال فرعون
ومن كان مثلهم من الكفار علي النار بالغداة والعشي يقال هذه داركم وفي صحيح البخاري
ومسلم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان
من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة
واستدل مجاهد ومحمد بن كعب وعكرمة ومقاتل بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
وان يوم القيامة معمول لمحذوف علي اضمار القول اي ويوم القيامة يقال لهم ادخلوا
وقيل ويوم معطوف علي وعشيا فالعامل فيه يعرضون وادخلوا علي اضمار الفعل وقيل
العامل في يوم ادخلوا وقرا الاعرج وابو جعفر وشيبة والاعمش وابن وثاب
وطلحة ونافع وحمزة والكساي وحفص ادخلوا امرا للخزنة من ادخل وعلي والحسن
وقتادة وابن كثير والعربيان وابو بكر امرا لال فرعون من دخل اشد العذاب
قيل وهو الهاوية قال الاوزاعي بلغنا انهم الفا الف وستماية الف واذ يتحاجون
في النار الظاهر ان الضمير عايد علي فرعون وقال ابن عطية والضمير في قوله يتحاجون
لجميع كفار الامم وهذا ابتدا قصص لا يختص بال فرعون والعامل في اذ فعل مضمر
تقديره واذكر وقال الطبري واذ هذه عطف علي قوله اذ القلوب لدي الحناجر
وهذا بعيد انتهي والمحاجة التحاور بالحجة والخصومة والضعفا اي في القدر والمنزلة
في الدنيا والذين استكبروا اي عن الايمان واتباع الرسل انا كنا لكم تبعا اي ذوي
تبع تبع مصدرا واسم جمع لتابع كاديم وادم وخادم وخدم وغايب وغيب فهل انتم
مغنون عنا اي حاملون عنا فاجابوهم انا كل فيها وان حكم الله قد نفذ فينا وفيكم انا
مستمرون في النار وقرا ابن السميفع وعيسى بن عمر انا كلا بنصب كل قال
الزمخشري وابن عطية علي التوكيد قال الزمخشري لاسم ان وهو معرفة والتنوين
عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهي وخبر ان هو فيها ومن رفع كلا فعلي
الابتدا وخبره فيها والجملة خبر ان وقال ابن مالك في تصنيفه تسهيل الفوايد
وقد تكلم علي كل ولا يستغني بنية اضافته خلافا للفرا والزمخشري انتهي وهذا
المذهب منقول عن الكوفيين وقد رد ابن مالك علي هذا المذهب بما قرره في شرحه
للتسهيل وقال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها
قلت لا لان الظرف لا يعمل والحال متقدمة كما يعمل في اللفظ متقدما يقول كل يوم
لك ثوب ولا يقول قايما في الدار انتهي وهذا الذي منعه اجازه الزمخشري هو
الاخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قايما في الدار وزيد قايما عندك والتمثيل
الذي ذكره ليس مطابقا لما في الاية لان الاية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو
اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله
ولا يقول قايما في الدار زيد فتاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع
في ذلك اجماع من النحاة وقال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراة هـ

المذكورة

المذكورة منصوب علي من الضمير المرفوع المنوي في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت الحال
عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراة من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي قول
النابغة الذبياني رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن جذار وقال
بعض الحايين.

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة لذيكم فكان النصر غير قريب.

انتهي وهذا التخريج هو علي مذهب الاخفش كما ذكرناه والذي اختاره في تخريج هذه
القراة ان كلا بدل من اسم ان لان كلا ينصرف فيها بالابتدا ونواسخه وغير ذلك فكانه
قال ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا حولا اكتعا ويوما اجمعا علي البدل مع انهما لا يليان
العوامل فان يدعي في كل البدل اولي وايضا فتنكير كل ونصبه حالا في غاية الشذوذ
والمشهور ان كلا معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكي مررت بكل قايما وببعض جالسا
في الفصيح الكثير في كلامهم وقد شذ نصب كل علي الحال في قولهم مررت بهم كلا اي جميعا
فان قلت كيف يجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز علي مذهب
جمهور البصريين قلت مذهب الاخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح علي ان هذا
ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز ان يبدل من ضمير
المتكلم وضمير المخاطب لانه خلافا في ذلك كقوله تعالي تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا
وكقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون لنا عيدا كلنا فاذا جاز
ذلك في ما هو بمعني الاحاطة فجوازه فيما دل علي الاحاطة وهو كل اولي ولا التفات لمنع
المبرد البدل فيه لانه بدل من ضمير المتكلم لانه لم يحقق مناط الخلاف ولما اجاب الضعفا
المستكبرون قالوا جميعا لخزنة جهنم وابرز ما اضيف اليه الخزنة ولم يات ضميرا
فكان يكون التركيب لخزنتها لما في ذكر جهنم من التهويل وفيها اطغي الكفار واعتاهم ولعل
الكفار توهموا ان ملايكة جهنم الموكلين بعذاب تلك الطغاة هم اقرب منزلة عند
الله من غيرهم من الملايكة الموكلين سفعه دركات النظر فرجوا ان يجيبوهم ويدعو
لهم بالتخفيف فواجهتهم الخزنة علي سبيل التوبيخ لهم والتقريع اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات فاجابوا بانهم اتتهم قالوا اي الخزنة فادعوا انتم علي معني الهزء بهم او
فادعوا انتم فانا لا نجتري علي ذلك والظاهر ان قوله وما دعا الكافرين الا في ضلال
من كلام الخزنة اي دعاكم لا ينفع ولا يجدي وقيل هو من كلام الله تعالي اخبار منه لمحمد
صلى الله عليه وسلم وجات هذه الاخبار معبرا عنها بلفظ الماضي الواقع لتيقن وقوعها
ثم ذكر تعالي انه ينصر رسله ويظفرهم باعدايهم كما فعل بموسي عليه السلم حيث اهلك
عدوه فرعون وقومه وفيه تبشير للرسول عليه السلم بنصره علي قومه في الحيوة الدنيا
اذ العاقبة الحسنة لهم ويوم يقوم الاشهاد وهو يوم القيامة قال ابن عباس ينصرهم
بالغلبة وفي الاخرة بالعذاب وقال السدي بالانتقام من اعدايهم وقال ابو العالية
بافلاج حجتهم وقال السدي ايضا ما قبل يوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق الا بعث
الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا انتهي الا تري الي قتلة الحسين
رضي الله عنه كيف سلط الله عليهم المختار بن ابي عبيد يتتبعهم واحدا واحدا
حتي قتلهم وبخت نصر تتبع اليهود حين قتلوا يحيي بن زكريا عليهما السلم وقيل
وان النصر خاص بمن اظهره الله تعالي علي امته كنوح وموسي ومحمد عليهم السلم لانا نجد من
الانبيا من قتله قومه كيحيي ومن لم ينصر عليهم وقال السدي الخبر عام وذلك ان نصرة
الرسل والانبيا واقعة ولا بد اما في حيوة الرسول المنصور كنوح وموسي عليهما
السلم واما بعد موته الا تري الي ما صنع الله تعالي ببني اسرايل بعد قتلهم يحيي عليه
السلم من تسليط بخت نصر عليهم حتي انتصر ليحيي عليه السلم وقرا الجمهور
يقوم بالياء وابن هرمز واسمعيل والمنقري عن ابي عمرو بالتاء لتانيث الجماعة والاشهاد
جمع شهيد كشريف واشراف او جمع شاهد كصاحب واصحاب كما قال تعالي فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وقال لتكونوا شهدا علي الناس ويكون الرسول عليكم

شهيدا والظاهر انه من الشهادة وقيل من المشاهدة بمعني الحضور يوم لا ينفع
بدل من يوم يقوم وقرئ تنفع بالتاء والياء وتقدم ذكر الخلاف في ذلك في اخر الروم
ويحتمل انهم يعتذرون ولا تقبل معذرتهم او انهم لا معذرة لهم فتقبل ولهم اللعنة
الابعاد من الله ولهم سوء الدار اي سوء عاقبة الدار ولقد اتينا موسي الهدي
واورثنا بني اسرايل الكتاب هدي وذكري لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع
البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما
يستوي الاعمي والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون
ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون وقال ربكم
ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل علي الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو فاني توفكون
كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا
والسما بنا وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك
الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب
العالمين ولما ذكر ما حل بال فرعون واستطرد من ذلك الي ذكر شي من احوال
الكفار في الاخرة عاد الي ذكر ما منح رسوله موسي عليه السلم فقال ولقد اتينا موسي
الهدي تانيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم وتذكيرا لما كانت العرب يعرفه من
قصة موسي عليه السلم والهدي يجوز ان يكون الدلايل التي اوردها علي فرعون
وقومه وان تكون النبوة وان تكون التوراة واورثنا بني اسرايل الكتاب
الظاهر انه التوراة توارثوها خلفا عن سلف ويجوز ان يكون الكتاب اريد به ما انزل
علي بني اسرايل من كتب انبيايهم كالتوراة والزبور والانجيل هدي وذكري دلالة علي
الشي المطلوب وذكري لما كان منسيا فذكر به تعالي في كتبه فانتصب هدي وذكري
علي انهما مفعول له او علي انهما مصدران في موضع الحال ثم امر تعالي نبيه بالصبر
فقال فاصبر ان وعد الله حق من قوله انا لننصر رسلنا فلا بد من نصرك علي اعدايك
وقال الكلبي نسخ هذا باية السيف واستغفر لذنبك قال ابن عطية يحتمل ان
تكون قبل اعلام الله تعالي اياه انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لان اية هذه
السورة مكية واية سورة الفتح مدنية متاخرة ويحتمل ان يكون الخطاب
في هذه الاية له والمراد امته اذا امر هو بهذا فغيره احري بامتثاله وقال ابو
عبد الله الرازي محمول علي التوبة من ترك الافضل والاولي المقصود منه
مختص بعيد كما في قوله تعالي ربنا واتنا ما وعدتنا علي رسلك فان ايتا ذلك الشي
واجب ثم انه امرنا بطلبه وقيل لذنبك لذنب امتك في حقك قيل فاضاف المصدر
للمفعول ثم امره بتنزيهه تعالي في هذين الوقتين اللذين الناس مشتغلون
فيهما بمصالحهم المهمة ويجوز ان يكون المراد ساير الاوقات وعبر بالطرفين
عن ذلك وقال ابن عباس اراد بذلك الصلوات الخمس وقال قتادة صلوة الغداة
وصلوة العصر وقال الحسن ركعتان قبل ان تفرض الصلوة وعنه ايضا صلوة العصر
وصلوة الصبح والظاهر ان المجادلين في ايات الله وهي دلايله التي نصبها علي توحيده
وكتبه المنزلة وما اظهر علي يدي انبيايه من الخوارق هم كفار قريش والعرب
بغير سلطان اي حجة وبرهان ان في صدورهم الا كبر اي تكبر وتعاظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وذلك هو الحامل علي جدالهم بالباطل ودفعهم ما يجب لك
من تقدمك عليهم لما منحك من النبوة وكلفك من اعباء الرسالة ما هم ببالغيه
اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه من رياستهم وتقدمهم وفي ذلك اشارة الي انهم

لايراسون

لايراسون ولا يحصل لهم ما يؤملون وقال الزجاج المعني ما يحملهم علي تكذيبك الا ما في
صدورهم من الكبر عليك وما هم ببالغي مقتضي ذلك الكبر لان الله اذلهم وقال ابن عطية
تقديره ببالغي ارادتهم فيه وقال مقاتل هي في اليهود قال مقاتل عظمت اليهود الدجال
وقالوا ان صاحبنا يبعث في اخر الزمان وله سلطان فقال تعالي ان الذين يجادلون
في ايات الله لان الدجال من اياته بغير سلطان اي حجة فاستعذ بالله من فتنة الدجال
والمراد بخلق الناس الدجال والي هذا ذهب ابو العالية والقول اصح وقال
الزمخشري وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود
يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات
الله فيرجع الينا الملك فسمي الله تمنيهم ذلك كبرا ونفي ان يبلغوا متمناهم انتهي
وكان رئيس اليهود في زمانه في مصر موسي بن ميمون الاندلسي القرطبي قد كتب
رسالة الي يهود اليمن ان صاحبهم يظهر في سنة كذا وخمسماية وكذب عدو الله
جاءت تلك السنة وسنون بعدها كثيرة ولم يظهر شي مما قاله لعنة الله وكان هذا
اليهودي قد اظهر الاسلام حتي استسلم اليهود بعض ملوك المغرب ورحل من
الاندلس فيذكر انه صلي بالناس التراويح وهم علي ظهر السفينة في رمضان اذ كان
يحفظ القران فلما قدم مصر وكان ذلك في دولة العبيديين وهم لا يتقيدون بشريعة
رجع الي اليهودية واخبر انه كان مكرها علي الاسلام فقبل منه ذلك وصنف لهم تصانيف
ومنها كتاب دلالة الحايرين وانما استفاد ما استفاد من مخالطة علما الاندلس
وتلمذة لهم والرياسة الي الان بمصر لليهود في ذرية من كان من ذريته فاستعذ بالله
اي التجي اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما
تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم ثم نبه تعالي علي انه لا ينبغي
ان يجادل في ايات الله ولا يتكبر الانسان بقوله لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس اي ان مخلوقاته اكبر واجل من خلق البشر فما لاحدهم يجادل ويتكبر
علي خالقه وقال الزمخشري مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة علي انكار البعث
وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين
بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شي قليل
مهين فمن قدر علي خلقها مع عظمها كان علي خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ
من الاستشهاد بخلق مثله انتهي وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الكلام في معني
البعث والاعادة فاعلم تعالي ان الذي خلق السموات والارض قوي قادر علي
خلق الناس تارة اخري فالخلق مصدر اضيف الي المفعول وقال النقاش المعني
مما يخلق الناس اذ هم في الحقيقة لا يملكون شيا فالخلق مضاف للفاعل ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اي لا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم ونفي العلم عن الاكثر وتخصيصه
به يدل علي ان القليل يعلم ولذلك ضرب مثلا للجاهل بالاعمي وللعالم بالبصير والانتفا
الاستوا بينهما هو من الجهة الدالة علي العمي وعلي البصر والا فهما مستويان
في غير ما شي ولما بعد قسيم الذين امنوا بطول صلة الموصول كرر لا توكيدا وقدم والذين
امنوا لمجاورته قوله والبصير وهما طريقان احدهما ان يجاور المناسب هكذا
والاخر ان يتقدم ما يقابل الاول ويوخر ما يقابل الاخر كقوله تعالي وما يستوي
الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقد يتاخر المتماثلان
كقوله تعالي مثل الفريقين كالاعمي والاصم والبصير والسميع وكل ذلك تفنن
في البلاغة واساليب الكلام ولما كان قد تقدم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فكان
ذلك صفة ذم ناسب ان يبدا في ذكر التساوي بصفة الذم فبدا بالاعمي وقرا
قتادة وطلحة وابو عبد الرحمن وعيسي والكوفيون تتذكرون بتا الخطاب
والجمهور والاعرج والحسن وابو جعفر وشيبة باليا علي الغيبة ثم اخبر بما يدل
علي البعث من اتيان الساعة وانه لا ريب في وقوعها وهو يوم القيامة حيث الحساب

وافتراق الجمع الى الجنة طايعهم والى النار كافرهم ومن اراد الله تعذيبه من العصاة
بغير الكفر والظاهر حمل الدعا والاستجابة على ظاهرهما الا ان الاستجابة مقيدة
بمشية الله قال السدي اسالوني اعطكم وقال الضحاك اطيعوني اثبكم وقالت فرقة
منهم مجاهد ادعوني اعبدوني واستجب لكم اثبكم على العبادة وكثيرا جا الدعا
في القران بمعنى العبادة ويقوي هذا التاويل قوله ان الذين يستكبرون عن
عبادتي وما روى النعمن بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعا
هو العبادة وقرا هذه الاية وقال ابن عباس وحدوني اغفر لكم وقيل للثوري
ادع الله تعالى فقال ان ترك الذنوب هو الدعا وقال الحسن وقد سيل عن هذه
الاية اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه
حاجته كلها حتى شسع نعله ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن دعاي وقرا
جمهور السبعة والحسن وشيبة سيدخلون مبنيا للفاعل وزيد بن علي وابن كثير
وابو جعفر مبنيا للمفعول واختلف عن عاصم وابي عمرو داخرين ذليلين الله
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تقدم الكلام على مثل هذه
الجملة في سورة يونس ولذو فضل ابلغ من لمفضل او لمتفضل كما قال لذو
علم لما علمناه لينفق ذو سعة من سعته والله ذو الفضل العظيم لما يودي اليه
من كونه صاحبه ومتمكنا منه بخلاف ان يوتي بالصفة فانه قد يدل في غير الله
بالاتصاف به في وقت ما لا دايما وذكر عموم فضله وسبوغه على الناس ثم قال
ولكن اكثر الناس فاتي به ظاهرا ولم يات التركيب ولكن اكثرهم قال الزمخشري
في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله
ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم
كفار انتهى ذلكم اي المخصوص بتلك الصفات المتميز بها من استجابته لدعايكم
ومن جعل الليل والنهار كما ذكر ومن تفضله عليكم الله ربكم الجامع لهذه الاوصاف
من الالهية والربوبية وانشا الاشيا والوحدانية فكيف تصرفون عن عبادة
من هذه اوصافه الى عبادة الاوثان وقرا زيد بن علي خالق بنصب القاف وطلحة
في رواية يوفكون بيا الغيبة والجمهور بضم القاف وتا الخطاب قال الزمخشري
خالق نصبا على الاختصاص كذلك اي مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب
الجاحدين بايات الله من الامم على طريق الهدى ولما ذكر تعالى ما امتن به من الليل
والنهار ذكر ايضا ما امتن به من جعل الارض مستقرا والسما بنا اي قبة ومنه
ابنية العرب لمضاربهم لان السما في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض
وقرا الجمهور صوركم بضم الصاد والاعمش وابو رزين بكسرها فرارا من
الضمة قبل الواو واستثقالا وجمع فعلة بضم الفا على فعل بكسرها شاذ وقالوا
قوة وقوى بكسر القاف على الشذوذ ايضا قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من
الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهايم كقوله في احسن تقويم وقرات فرقة
صوركم بضم الصاد واسكان الواو على نحو بسرة وبسر ورزقكم من الطيبات
امتن عليهم بما يقوم باود صورهم والطيبات المستلذات طعما ولباسا
ومكاسب وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين وقال نحوه سعيد بن جبير ثم قرا الاية قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى
الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به

رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم
في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل
لم نكن ندعو من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى
المتكبرين امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يخبرهم بانه نهي ان يعبد اصنامهم
لما جاته البينات من ربه فهذا نهي بالسمع وان كان منهيا بدلايل العقل
فتظافرت ادلة السمع وادلة العقل على النهي عن عبادة الاوثان فمن ادلة السمع
قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك وذكره انه نهي بالسمع
لا يدل على انه كان منهيا بادلة العقل فلما نهى عن عبادة الاوثان اخبر انه امر بالاستسلام
لله تعالى ثم بين امر الوحدانية والالوهية التي اصنامهم عارية عن شي منهما بالاعتبار
في تدريج ابن ادم بان ذكر مبداه الاول وهو من تراب ثم اشار الى التناسل بخلقه من
نطفة والطفل اسم جنس او يكون المعنى ثم يخرجكم اي كل واحد منكم طفلا وتقدم الكلام
في بلوغ الاشد ومن قبل قال مجاهد من قبل ان يكون شيخا قيل ويجوز ان يكون من قبل هذه
الاحوال اذا خرج سقطا وقيل عبارة يتردد في التدريج المذكور ولا يختص بما قبل
الشيخ بل منهم من يموت قبل ان يخرج طفلا واخر قبل الاشد واخر قبل الشيخ ولتبلغوا
متعلق بمحذوف اي يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذا ثم لتكونوا شيوخا ولتبلغوا اي يفعل
ذلك لتبلغوا اي ليبلغ كل واحد اجلا مسمى لا يتعداه قال مجاهد يعني موت الجميع
وقيل هو يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج اذا نظرتم في ذلك وتدبرتم
ولما ذكر رتب الايجاد ذكر انه المتصف بالاحيا والاماتة وانه متى تعلقت ارادته
بايجاد شي اوجده من غير تاخر وتقدم الكلام على مثل هذه الجمل ثم قال بعد ظهور هذه
الايات الا تتعجب الى المجادل في ايات الله كيف يصرف عن الجدال فيها ويصير الى الايمان
بها والظاهر انها في الكفار المجادلين في رسالة الرسول عليه السلام والكتاب
الذي جا به بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا ثم هددهم بقوله
فسوف يعلمون وهذا قول الجمهور وقال محمد بن سيرين وغيره هي اشارة الى اهل الاهوا
من الامة وروو في نحو هذا احاديث وقالوا هي في اهل القدر ومن جرى مجراهم ويلزم
قايلي هذه المقالة ان يجعل قوله الذين كذبوا كلاما مستانفا في الكفار ويكون الذين
كذبوا مبتدا وخبره فسوف يعلمون واما على الظاهر فالذين بدل من الذين او خبر مبتدا
محذوف او منصوبا على الذم واذ ظرف لما مضى فلا يستعمل فيه المستقبل كما لا يقول سا
قوم امس فقيل اذ يقع موقع اذا واذا موقعها على سبيل المجاز فيكون اذ هنا بمعنى اذا او
وحسن ذلك تيقن وقوع الامر فاخرج في صيغة الماضي وان كان المعنى على الاستقبال
قال النخعي لو ان غلاما من اغلال جهنم وضع على جبل لا دحضه حتى يبلغ الى الما الاسود
وقرا والسلاسل عطفا على الاغلال يسحبون مبنيا للمفعول وقرا ابن مسعود
وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب والمسيبي في اختياره والسلاسل بالنصب على
المفعول يسحبون مبنيا للفاعل وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية وقرات
فرقة منهم ابن عباس والسلاسل بجر اللام قال ابن عطية على تقدير اذ اعناقهم
في الاغلال والسلاسل فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه
فيه قلب وهو على حد قول العرب ادخلت القلنسوة في راسي وفي مصحف ابي وفي السلا
سل يسحبون وقال الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله
اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله
والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره قول الشاعر

مشايم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها

كانه قيل بمصلحين وقري وبالسلاسل انتهى وهذا يسمى العطف على التوهم لكن توهم
ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير تركيب الجملة باسرها والقراة من

تغيير تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك قول الشاعر

احدك لن تري بثعيلبات ولا بيدا ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل ببعض نواشغ الوادي حمولا

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قاله ابن عطية والزمخشري سبقهما اليه الفرا قال من جر السلاسل حمله على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال وقال الزجاج ومن قرا بخفض والسلاسل فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون وقال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جايز لو قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفرا وخرج القراة عليه ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان احدهما اذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الاخر انتهي وهذه المسالة لا تجوز عند البصريين وهي منقول جوازها عن محمد بن سعدان الكوفي قال لان كل واحد منهما فاعل مفعول وقري وبالسلاسل يسحبون ولعل هذه القراة حملت الزجاج على ان تاويل الخفض على اضمار حرف الجر وهو تاويل شذوذ وقال ابن عباس في قراة من نصب والسلاسل وفتح يا يسحبون اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم يكلفون ذلك وهم لا يطيقونه وقال مجاهد يسجرون يطرحون فيها فيكونون وقودا لها وقال السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع فيقال لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا فيقولون ضلوا عنا اي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون الي الكذب فيقولون بل لم نكن نعبد شيا وهذا من اشد الاختلاط في الذهن والنظر اولما تبين لهم انهم لم يكونوا شيا وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيا كما تقول حسبت ان فلانا شي فاذا هو ليس بشي اذا اختبرته فلم تر عنده خيرا وقولهم ضلوا عنا مع قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يحتمل ان يكون ذلك عند تقريعهم فلم يكونوا معهم اذ ذاك اولما لم ينفعوهم قالوا ضلوا عنا وان كانوا معهم كذلك اي مثل هذه الصفة وبهذا الترتيب يضل الله الكافرين وقال الزمخشري اي مثل هذه الصفة ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتي لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان وقال ابن عطية ذلكم العذاب الذي انتم فيه بما كنتم تفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر انتهي وتمرحون قال ابن عباس الفخر والخيلا وقال مجاهد الاشر والبطر انتهي فقال لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي وكثرة المال والاتباع والصحة وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وفي الحديث ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع وهو ان يكون الحرف فرقا بين الكلمتين ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها الظاهر انه قيل لهم ادخلوا بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا في النار ولكن هذا امر تقييد الخلود وهو الثوا الذي لا ينقطع فليس امرا بمطلق الدخول او بعد الدخول فيها امروا ان يدخلوا سبعة الابواب التي لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك امرا بالدخول بقيد التجزية لكل باب وقال ابن عطية وقوله تعالى ادخلوا معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة في اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الاغلال في اعناقهم وابواب جهنم هي السبعة المودية الي طبقاتها وادراكها السبعة انتهي وخالدين حال مقدرة ودلت على الثوا الدايم فجا التركيب فبيس مثوي المتكبرين ولم يجي التركيب فبيس مدخل المتكبرين لان نفس الدخول لا يدوم فلم يبالغ في ذمه بخلاف الثوا الدايم الذي لا ينقطع فانه بولغ في ذمه فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص

عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جا امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزون فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون امر تعالى نبيه بالصبر تانيسا له والانه عليه السلام في غاية الصبر واخبر بان ما وعده من النصر والظفر واعلا كلمته واظهار دينه حق قيل وجواب فاما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه اي فيقر عينك ولا يصح ان يكون فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الموعود في حياتك فالينا ترجعون ليس بظاهر وهو يصح ان يكون جواب او نتوفينك اي فالينا ترجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرطين وقال الزمخشري فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجزا نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام وقد تقدم للزمخشري نحو هذا البحث في سورة يونس في قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ورددنا عليه فيطالع هناك وقال الزمخشري ايضا فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معني الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك انتهي وما ذهب اليه من تلازم ما الزايدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية هو مذهب المبرد والزجاج وذهب س الي انك ان شيت اتيت بما دون النون وان شيت اتيت بالنون دون ما قال س في هذه المسالة وان شيت لم تقحم النون كما انك ان جيت لم تجي بما يعني لم تقحم النون مع مجيك بما ولم تجي بما مع مجيك بالنون وقرا الجمهور يرجعون بيا الغيبة مبنيا للمفعول وابو عبد الرحمن ويعقوب بفتح اليا وطلحة بن مصرف ويعقوب في رواية الوليد بن حسان بفتح تا الخطاب ثم رد تعالى على العرب في انكارهم بعثة الرسل وفي عدد الرسل اختلاف روي ثمانية الاف من بني اسرايل واربعة الاف من غيرهم وروي بعث الله اربعة الاف نبي منهم من قصصنا عليك اي من اخبرناك به اما في القران فثمانية عشر ومنهم من لم نقصص عليك وعن علي وابن عباس ان الله بعث نبيا اسود في الحبش فهو ممن لم يقصص عليه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي ليس ذلك راجعا اليهم لما اقترحوا على الرسل قال ليس ذلك الي لا ياتي اية الا ان شا الله فاذا جا امر الله رد ووعيد باثر اقتراحهم الايات وامر الله القيامة والمبطلون المعاندون مقترحو الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا او فاذا جا امر الله اي اراد ارسال رسول وبعثة نبي قضي ذلك وانفذه بالحق وخسر كل مبطل وحصل على فساد اخرته او فاذا جا امر الله وهو القتل ببدر ثم ذكر تعالى ايات اعتبار وتعداد نعم فقال الله الذي جعل لكم الانعام وهي ثمانية الازواج ويضعف قول من ادرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهايم وقول من خصها بالابل وهو الزجاج لتركبوا منها وهي الابل اذ لم يعهد ركوب غيرها ومنها تاكلون عام في ثمانية الازواج ومن الاولي للتبعيض وقال ابن عطية ومن الثانية لبيان الجنس لان الجمل منها يوكل انتهي ولا يظهر كونها لبيان الجنس ويجوز ان يكون فيه للتبعيض ولابتدا الغاية

ولما كان الركوب منها هو اعظم منفعة اذ فيه منفعة الاكل والركوب وذكر ايضا
ان في الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك اكد منفعة الركوب بقوله
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من بلوغ الاسفار الطويلة وحمل الاثقال الى البلاد
الشاسعة وقضا فريضة الحج والغزو وما اشبه ذلك من المنافع الدينية والدنياوية
ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتب عليه قد يتوصل به الى الانتقال لامر واجب
او مندوب كالحج وطلب العلم دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من
بلوغ الحاجات فجعل ذلك علة لجعل الانعام لنا ولما كان الاكل واصابة المنافع
من جنس المباحات لم يجعل ذلك علة في الجعل بل ذكر ان منها ناكل ولنا فيها منافع من
شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك كما ادخل لام التعليل في لتركبوها ولم يدخلها على
الزينة في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ولما ذكر ما امتن به
من منة الركوب للابل في البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب في البحر فقال
وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كان الفلك يصح ان يقال فيه حمل في الفلك كقوله
فاحمل فيها ويصح ان يقال فيه حمل على الفلك اختير لفظ على لمناسبة قوله وعليها واو
كان معنى في صحيحا ويريكم اياته اي حججه وادلته على وحدانيته فاي ايات الله
تنكرون اي انها كثيرة فايها ينكر اي لايمكن انكار شي منها في العقول واي ايات
الله منصوب بتنكرون قال الزمخشري فاي ايات جات على اللغة المستفيضة
وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما غير الصفات
نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه انتهي ومن قلة تانيث اي قوله

• باي كتاب ام باية سنة يرى حبهم عارا علي وتحسب •

وقوله وهي في اي اغرب ان عني ايا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في الندا
ان يونث ندا المونث كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها
فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب كتاب البديع في النحو وان عني غير المناداة فكلامه
صحيح فقل تانيثها في الاستفهام وموصولة ومرطية وما في قوله فما اغنى نافية او
استفهامية في معنى النفي وما فيما كانوا مصدرية او بمعنى الذي وهي في موضع رفع
والضمير في جاتهم عايد على الذين من قبلهم وجا قوله من العلم على جهة التهكم بهم
اي في الحقيقة لاعلم لهم وانما لهم خيالات واستبعادات لما جات به الرسل وكانوا
يدفعون ما جات به الرسل بنحو قولهم ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
او اعتقدوا ان عندهم علما يستغنون به من علم الانبيا كما تزعم الفلاسفة والدهريون
كانوا اذ سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبيا الى علمهم وما سمع سقراط
لعنة الله بموسى صلوات الله على نبينا وعليه قيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم
مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وعلى هذين القولين تكون الضماير متناسبة
عائدة على مدلول واحد وقيل الضمير في فرحوا وفي بما عندهم عايد على الرسل اي فرحت
الرسل بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه لما راوا جهل من ارسلوا اليهم واستهزاهم
بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وقيل الضمير في فرحوا عايد على الامم وفي بما عندهم عايد
على الرسل اي فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزا به وقال
الزمخشري ومنها اي من الوجوه التي في الاية في قوله فرحوا بما عندهم من العلم
ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى
الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم انتهي ولا يعبر بالجملة الظاهر
كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو قولهم شر اهر ذا ناب على خلاف
فيه ولما ال امره الى الاثبات المحصور جاز واما في الاية فينبغي ان لا يحمل على القليل
لان في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة فلا يوثق بشي منها وقال الزمخشري
ويجوز ان يريد فرحوا بما عندهم من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها
كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم

من العلم فلما جاتهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شي من علمهم لبعثها على رفض الدنيا
والطلب على الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزوا بها واعتقدوا
انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به انتهي وهو توجيه حسن لكن فيه
اكثار وتشقشقة باسنا اي عذابنا الشديد يحكي حال من امن بعد تلبس العذاب به وان
ذلك لم يك نافعا وفي ذلك حض على المبادرة الى الايمان وتخويف من التاني فاما قوم
يونس فانهم راوا العذاب لم يلتبس بهم وتقدمت قصتهم وايمانهم مرفوع بيك
اسما لها او فاعل بينفعهم وفي يك ضمير الشان على الخلاف الذي في كان يقوم زيد
ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع لانه يودي الى نفي الصحة اي لم يصح ولم
يستقم لقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد وترادف هذه الفات اما في فما اغنى فلانه
كان بنتيجه قوله كانوا اكثر منهم وفلما جاتهم رسلهم جار مجرى البيان والتفسير
لقوله فما اغنى عنهم وفلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاتهم كانه قال فكفروا به
فلما راوا باسنا امنوا وفلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله هو
وانتصب سنة على انه مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة اي ان ما فعل بهم
هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده من ارسال الرسل والاعذار بهم
وتعذيب من كذبهم واستيصالهم بالهلاك وعدم الانتفاع بالايمان حالة
تلبس العذاب بهم وهنالك ظرف مكان استعير للزمان اي وخسر في ذلك الوقت
الكافرون وقيل سنة منصوب على التحذير اي احذروا سنة الله يا اهل مكة في اعدا
الرسل

المفردات

الصرصر الريح الباردة المحرقة كما تحرق النار قاله الفرا والزجاج وتاتي
اقوال المفسرين فيه النحس المشووم نقيض السعد قال الشاعر •

• سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقي ام باسعد •

وانشد الفرا •

• ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم طيا وبهرا قوم نصرهم نحس •

التقييض تهيية الشي وتيسيره وهذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافيين في الثمن
وقايضني بهذا الثوب اي خذه واعطني به بدله والمقايضة المعارضة الاكمام
واحدها كم قاله الزمخشري بكسر الكاف وقال المبرد هو ما يغطي الثمرة هو
كجف الطلعة ومن قال في الجمع اكمة قال وحدكما الافاق النواحي واحدها افق
قال الشاعر •

• لو نال حي من الدنيا بمنزلة افق السما لنالت كفه الافقا •

∴ سورة فصلت ∴

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون
بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين
لا يوتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سوا للسايلين ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض
ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل
سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه قال في اخر ما قبلها افلم يسيروا
في الارض الى اخرها ففيهن وعيد او تهديد او تقريعا لقريش فاتبع ذلك
التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ اخر فذكر انه نزل كتابا مفصلا اياته بشيرا

لمن اتبعه ونذيرا لمن اعرض عنه وان اكثر قريش اعرضوا عنه ثم ذكر قدره
الاله على ايجاد العالم العلوي والسفلي ثم قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
فكان هذا كله مناسبا لاخر سورة المومن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس
بهم العذاب وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والاسر والنهب والسبي
واستيصال اعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استيصالهم
روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم امر مخالفته
لقومه وليقبح عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جا به فلما تكلم عتبة قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حم ومر في صدرها حتى انتهى الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ وقف شعره وامسك على فم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وناشده بالرحمن ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد
سمعت شيا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت ان صاعقة العذاب
على راسي تنزيل رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل عند الفرا او مبتدا
خبره كتاب فصلت عند الزجاج والحوفي وخبر حم اذا كانت اسما للسورة وكتاب
على قول الزجاج بدل من تنزيل قيل او خبر بعد خبر فصلت اياته قال السدي
بينت اياته اي فسرت معانيه ففصل بين حرامه وحلاله وزجره وامره ووعده
ووعيده وقيل فصلت في التنزيل اي لم ينزل جملة واحدة وقال الحسن بالوعد
والوعيد وقال سفين بالثواب والعقاب وقال ابن زيد بين محمد صلى الله عليه
وسلم ومن خالفه وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الاي ولم يكن يرجع الى
قافيه ولا نحوها كالشعر والسجع وقال ابو عبد الله الرازي ميزت اياته
وجعل تفاصيل معان مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه
والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه ورحمته وحكمته وعجايب احوال خلقه
السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها في احوال التكاليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح
وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات اهل الجنة
ودرجات اهل النار وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها في تهذيب الاخلاق
ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة فمن
انصف علم انه ليس في بدا الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة
مثل ما في القران انتهى وقري فصلت بفتح الفا والصاد مخففة اي فرقت بين
الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قوله فصلت العير اي
انفصلت وفصل من البلد اي انفصل منه وانتصب قرانا على انه حال بنفسه وهي
موكدة لانها لا تنتقل او توطية للحال بعده وهي عربيا او على المصدر اي يقروه
قرانا او على الاختصاص والمدح ومن جعله حالا فقيل ذو الحال اياته وقيل كتاب
لانه وصف بقوله فصلت اياته او على اضمار فعل تقديره فصلناه قرانا او مفعول
ثان لفصلت اقوال ستة اخرها للاخفش ولقوم متعلق بفصلت اي يعلمون الاشياء
ويعقلون الدلايل فكانه فصل لهولا اذ هم ينتفعون به فخصوا بالذكر تشريفا ومن
لم ينتفع بالتفصيل فكانه لم يفصل له ويبعد ان يتعلق بتنزيل لكونه وصف في احد
متعلقه ان كان من الرحمن في موضع الصفة او بدل منه كتاب او كان خبرا لتنزيل
فيكون في ذلك البدل من الموصول او الاخبار عنه قبل اخذه متعلقه وهو لا يجوز
وقيل لقوم في موضع الصفة لقوله عربيا اي كاينا لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون
انه لم يخرج عن نمط كلامهم وكانه رد على من زعم ان في القران ما ليس من كلام
العرب وانتصب بشيرا ونذيرا على النعت لقرانا عربيا وقيل حال من
اياته وقرا زيد بن علي بشير ونذير برفعهما على الصفة لكتاب او على خبر مبتدا
محذوف وبشارته بالجنة لمن امن ونذارته بالنار لمن كفر فاعرض اكثرهم اي

اكثر

اكثر اولئك القوم اي كانوا من اهل العلم ولكن لم ينظروا النظر التام بل اعرضوا فهم
لا يسمعون لاعراضهم عن ما احتوى عليه من الحجج والبراهين او لما لم ينتفع به ولم
يقبله جعل كانه لم يسمعه ثم اخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على امتناع قبولهم
فان ناس من رجوعهم اليه ومن سماعهم لما يتلوه وهو قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وتقدم الكلام على شبه ذلك في الانعام
وقرا طلحة وقر بكسر الواو وهذه تمثيلات لامتناع قبول الحق كان قلوبهم في غلف
كما قالوا وقالوا قلوبنا غلف وكانهم لحج اسماعهم كلام الله بما صمم والحجاب الستر
المانع من الاجابة وهو خلاف في الدين لانه يعبد الله وهم يعبدون الاصنام قال
معناه الفرا وغيره ويروى ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال يا محمد
بيننا وبينك حجاب استهزا منه وقيل تمثيل لعدم الاجابة وقيل عبارة عن العداوة
ومن في مما تدعونا اليه لابتدا الغاية وهذا في ومن بيننا فالمعنى ان الحجاب ابتدا
منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ
فيها ولو لم يات بمن لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة
بالتباين المفرط فلذلك جي بمن وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا
اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد
لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على
قلوبهم اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة
الا في المعاني انتهى وتقول انه ابلغ في هذا الموضع من على لانهم قصدوا افراط
عدم القبول لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتوا الظرف على المظروف
فلا يمكن ان يصل اليها شي كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه
لا يدل على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعا واما في قوله انا جعلنا فهو من اخبار الله
تعالى لا يحتاج الى مبالغة بخلاف قولهم وقول الزمخشري وترى المطابيع منهم يعني
من العرب وشعرايهم ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب ولم يستحسن بعضهم كثرة
صيغ البديع فيه قالوا واحسنه ما جا من غير تكلف فاعمل اننا عاملون قال الكلبي
في هلاكنا انا عاملون في هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك التي ارسلك فانا عاملون لالهتنا
التي نعبدها وقال الفرا اعمل على مقتضى دينك ونحن نعمل على مقتضى ديننا وذكر
الماوردي اعمل لاخرتك فانا نعمل لدنيانا ولما كان القلب محل المعرفة والسمع
والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا ان هذه الثلثة محجوبة عن ان يصل
اليها مما يلقيه الرسول شي واحتمل قولهم فاعمل اننا عاملون اي تكون متاركة محضة
وان يكون استخفافا قل انما يوحي الي قرا الجمهور قل على الامر وابن وثاب والاعمش
قال فعلا ماضيا وهذا صدع بالتوحيد والرسالة وقرا النخعي والاعمش
يوحي بكسر الحا والجمهور بفتحها واخبر انه بشر مثلهم لا ملك لكنه اوحي اليه دونهم
وقال الحسن علمه تعالى التواضع وان في ما اوحي اليه توحيد الله ورفض الهتكم
فاستقيموا اليه اي له بالتوحيد الذي هو راس الدين والعمل واستغفروه واسالوه
المغفرة اذ هي راس العمل الذي بحصوله تزول التبعات وضمن استقيموا
معنى التوجه فلذلك تعدى بالى اي وجهوا استقامتكم اليه ولما كان العقل
ناطقا بان السعادة مربوطة بامرين التعظيم لله والشفقة على خلقه ذكر ان الويل
والثبور والحزن للمشركين الذين لم يعظموا الله بتوحيده ونفي الشريك عنه ولم
يشفقوا على خلقه بايصال الخير اليهم واضافوا الى ذلك انكار البعث والظاهر
ان الزكوة على ظاهرها من زكوة الاموال قاله ابن السايب قال كانوا يحجون ويعتمرون
ولا يزكون وقاله الحسن وقتادة وقيل كانت قريش تطعم الحاج وتحرم من امن منهم
وقال الحسن وقتادة ايضا المعنى لا يومنون بالزكوة ولا يقرون بها وقال مجاهد
والربيع لا يزكون اعمالهم وقال ابن عباس والجمهور الزكوة هنا لا اله الا الله

التوحيد كما قال موسى عليه السلام لفرعون هل لك إلى أن تزكى ويرجح هذا التأويل
أن الآية من أول المكي وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة قاله ابن عطية وقال وإنما
هذه زكوة القلب والبدن أي تطهير من الشرك والمعاصي وقاله مجاهد والربيع
وقال الضحاك ومقاتل الزكوة هنا النفقة في الطاعة انتهى وإذا كانت الزكوة
المراد بها إخراج المال فإنما قرنت بالكفر لكونها شاقة بإخراج المال الذي هو
محبوب الطباع وشقيق الأرواح شاق عليها وقال بعض الأدباء

وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ به فأجبت المال خير من الروح
أرى حفظه يفضي بتحسين حالتي وتضييعه يفضي لتسآل مقبوح

إن الذين آمنوا قال السدي نزلت في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن إكمال
الطاعات كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون والممنون المنقوص قاله ابن عباس
رضي الله عنه وقال ذو الإصبع العدواني

إني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون

وقال مجاهد غير محسوب وقيل غير مقطوع قال الشاعر

فضل الجواد على الخيل البطا فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

وقيل لا يمن به لأن عطيات الله تشريف والمن إنما يدخل عطيات البشر وقيل لا يمن
به لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه نقله الزمخشري وفيه دسيسة
الاعتزال قل أئنكم لتكفرون استفهام توبيخ وتشنيع عليهم بكفرهم بمن أوجد العالم
سفليه وعلويه ووصف صورة خلق ذلك ومدته والحكمة في الخلق في مدة وهو قادر
على أن يوجد ذلك دفعة واحدة فذكر تعالى إيجاد ذلك مرتبا وتقدم الكلام في أول
ما ابتدئ فيه الخلق وما خلق مرتبا ومعنى في يومين في مقدار يومين وتجعلون له
أندادا أي أشباها وأمثالا من الملائكة والجن والأصنام تعبدونها دونه
وقال السدي أكفاء من الرجال يطيعونهم وتجعلون معطوف على لتكفرون فهو
داخل في حيز الاستفهام المقتضي للإنكار والتوبيخ ذلك أي موجد الأرض ومخترعها
رب العالمين من الأنداد التي جعلتم له وغيرهم وجعل فيها رواسي إخبار مستأنف
وليس من الصلة في شيء بل هو معطوف على قوله لتكفرون وبارك فيها أكثر فيها
خيرها وقدر فيها أقواتها أي أرزاق ساكنيها ومعايشهم وأضافها إلى الأرض
من حيث هي فيها وعنها برزت قاله السدي وقال قتادة أقواتها من الجبال
والأنهار والأشجار والصخور والمعادن والأشيا التي بها قوام الأرض ومصالحها
وقال مجاهد أقواتها من المطر والمياه وقال عكرمة والضحاك ومجاهد أيضا خصائصها
التي قسمها في البلاد مما خص به كل إقليم فيحتاج بعضها إلى بعض في التقوت من
الملابس والمطاعم والنبات في أربعة أيام أي في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين
قال الزمخشري في أربعة أيام فذلكة لمدة خلق الله وما فيها كأنه قال كل ذلك
في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان وقال الزجاج في تتمة أربعة
أيام يريد بالتتمة اليومين انتهى وهذا كما تقول بنيت جدار بيتي في يوم
وأكملت جميعه في يومين أي بالأول وقال أبو عبد الله الرازي ونقله من كلام
الزمخشري في أربعة أيام فائدة زائدة على قوله في يومين لأن في قوله في يومين
لا يقتضي الاستغراق لذلك العمل أما لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشيا ثم
قال في أربعة أيام سواء دل على أن هذه الأيام مستغرقة في تلك الأعمال
من غير زيادة ونقصان انتهى ولا فرق بين يومين وأربعة أيام بالنسبة إلى هذا
الاستغراق فإن كانت أربعة تقتضي الاستغراق وكذلك اليومان يقتضيانه
ومتى كان الظرف معدودا كان العمل في جميعه إما على سبيل التعميم نحو سرت
يومين أو التقسيط نحو أذنت يومين وقد يكون في بعض كل يوم منهما نحو تهجدت
ليلتين فاحتمل الاستغراق واحتمل إيقاعه في بعض كل واحدة من الليلتين وإذا

كان

كان كذلك احتمل أن يكون وقع الخلق للأرض في بعض كل واحد من اليومين واحتمل
أن يكون اليومان مستغرقين بخلقها وكذلك في أربعة أيام يحتمل الاستغراق وأن
يكون خلق الأرض والجبال والبركة وتقدير الأقوات وقع في بعض كل يوم من
الأربعة فما قاله أبو عبد الله الرازي لم تظهر به فائدة زائدة وقرأ الجمهور
سواء بالنصب على الحال وأبو جعفر بالرفع أي هو سواء وزيد بن علي والحسن وابن
أبي إسحق وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب بالخفض نعتا لأربعة أيام قال قتادة
والسدي معناه سواء لمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقته ووقوعه وأراد العبرة
منه فإنه يجده كما قال تعالى وقال ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيأ أمر هذه
المخلوقات ونفعها للمحتاجين إليها من البشر فعبر بالسائلين عن الطالبين لأنهم
من شأنهم ولا بد طلب ما ينتفعون به إذ هم بحال حاجة إليها وقال الزمخشري
فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من
سأل في كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدر أي وقدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها
المحتاجين المقتاتين انتهى وهو راجع لقولي المفسرين المتقدمين ولما شرح
تخليق الأرض وما فيها أتبعه بتخليق السماء فقال ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها
وتوجه دون إرادة تأثير في غيرها والمعنى إلى خلق السماء والظاهر أن المادة التي
خلقت منها السماء كانت دخانا وفي أول الكتاب الذي يزعم اليهود أنه التوراة أن عرشه
تعالى كان على الماء قبل خلق السموات والأرض فأحدث الله في ذلك سخونة فارتفع
زبد ودخان أما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الأرض
وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وفيه أيضا أنه خلق السماء من أجزاء
مظلمة انتهى وروي أنها كانت جسما رخوا كالدخان أو البخار وقال ابن عطية هنا
لفظ متروك يدل عليه الظاهر وتقديره فأوجدها وأتقنها وأكمل أمورها وحينئذ
قال لها وللأرض ائتيا انتهى فجعل ابن عطية هذه المحاورة بين الباري تعالى والأرض
والسماء بعد خلق الأرض والسماء ورجح قول من ذهب إلى أنهما نطقتا نطقا حقيقيا
وجعل الله لهما حيوة وإدراكا يقتضي نطقهما بعد أن ذكر أن من المفسرين من
ذهب إلى أن ذلك مجاز وأنه ظهر منهما من اختيار الطاعة والتذلل والخضوع
ما هو بمنزلة القول قال والقول الأول أحسن لأنه لا شيء يدفعه وأن العبرة فيه
أتم والقدرة فيه أظهر انتهى وقال الزمخشري ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان
وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك
كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل
ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال
لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير
أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب
ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني
ورائي الحجر الذي ورائي فإن قلت لم ذكر السماء مع الأرض وانتظمهما في الأمر بالإتيان
والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة
ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على
ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا
لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول
أتى عمله مرضيا مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان
الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون
السماء سقفا للأرض وينصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة
أي لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمري
ومشيئتي ولا تمتنعا فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته

فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما تقول الجبار لمن يجب بلو لتفعلن
هذا شيت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين
او مكرهتين فان قلت هلا قيل طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى لانها هو
سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل
طايعين في موضع طايعات نحو قوله ساجدين انتهى وقرا الجمهور ايتيا وايتيا
من الاتيان اي ايتيا امري وارادتي وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد اتيا
على وزن افعلا قالتا اتينا على وزن افعلنا من آتي يوتي كذا قال ابن عطية قال
وذلك بمعنى اعطنا من انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله
الى تسخيرها وما قدره الله من اعمالها انتهى وتقدم في كلام الزمخشري انه جعل
هذه القراة من المواتاة وهي الموافقة فيكون وزن اتيا فاعلا واتينا فاعلنا
وتقدمه الى ذلك ابو الفضل الرازي قال اتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة
ومعناه سارعنا على حذف المفعول منه ولا يجوز ان يكون من الاتيان الذي هو الاعطا
لبعد حذف مفعوله انتهى وقرا الاعمش وكرها بضم الكاف والاصح انه لغة
في الاكراه على الشي الموقوع للتخيير بينه وبين الطوعية والاكثر ان الكره
بالضم معناه المشقة قال ابن عطية وقوله قالتا اراد الفرقتين المذكورتين
جعل السموات سما والارضين ارضا وهذا نحو قول الشاعر

• الم يحزنك ان حبال قومي • وقومك قد تباينتا انقطاعا •

وعبر عنها بتباينتا انتهى وهذا ليس كما ذكر لانه انما تقدم ذكر الارض مفردة
والسما مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت من وضع الجمع موضع
التثنية كانه قال الم يحزنك ان حبلي قومي وقومك ولذلك ثني في قوله تباينتا
وانث على معنى الحبل لانه لا يريد به الحبل حقيقة انما عني به الذمم والمودة
التي كانت بين قومهما والظاهر من هذه الاية انه خلق الارض وجعل فيها الرواسي
وبارك فيها ثم اوجد السما من الدخان فسواها سبع سموات فيكون خلق الارض
متقدما على خلق السما ودحو الارض غير خلقها وقد تاخر عن خلق السما وقد اورد
على هذا ان جعل الرواسي فيها والبركة وتقدير الاقوات لا يمكن ادخالهما في الوجود
الا بعد ان صارت الارض موجودة وقوله وبارك فيها وقدر فيها اقواتها مفتقر
لخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها ولا يمكن ذلك الا بعد صيرورتها منبسطة
ثم قال بعد ثم استوى الى السما فاقتضى خلق السما بعد خلق الارض ودحوها
واورد ايضا ان قوله تعالى للسما والارض ايتيا طوعا او كرها كناية عن ايجادهما
فلو سبق ايجاد الارض على ايجاد السما لاقتضى ايجاد الموجود بامره للارض هو
بالايجاد وهو محال وقد انتهى هذا الايراد ونقل الواحدي في البسيط
عن مقاتل انه قال خلق الله السما قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السما
ثم كان قد استوى الى السما وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما قال
تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق انتهى وقال ابو
عبد الله الرازي مقدرا كان قد استوى جمع بين ضدين لان ثم تقتضي التاخر
وكان يقتضي التقدم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ضربت زيدا اليوم
ثم ضربت عمرا امس فكما ان هذا باطل فكذلك ما ذكر يعني من تاويل ثم كان قد
استوى قال والمختار عندي ان يقال خلق السما مقدم على خلق الارض وتاويل
الاية ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد ويدل عليه قوله ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لا يقال للشي
الذي وجد كن بل الخلق عبارة عن التقدير وهو في حقه تعالى حكمته ان سبوحه
وقضاوه بذلك فمعنى خلق الارض في يومين وقضاوه بانه سيحدث كذا في مدة كذا
لا يقتضي حدوث ذلك في الحال فلا يلزم تقديم احداث الارض على احداث

السما انتهى والذي نقوله ان الكفار وبخوا وقرعوا بكفرهم بمن صدرت عنه
هذه الاشيا جميعها من غير ترتيب زماني وان ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب
الزمان والمهلة كانه قال فالذي اخبركم انه خلق الارض وجعل فيها رواسي
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم اخبركم انه استوى الى السما فلا تعترض في الاية
لترتيب اي ذلك وقع الترتيب الزماني له ولما كان خلق السما ابدع في القدرة
من خلق الارض استوقف الاخبار فيه بثم فصار كقوله ثم كان من الذين آمنوا هو
بعد قوله فلا اقتحم العقبة ومن ترتيب الاخبار ثم اتينا موسى الكتاب بعد قوله
قل تعالوا اتل ويكون قوله تعالى فقال لها وللارض بعد اخباره بما اخبر به تصويرا
لخلقهما على وفق ارادته تعالى كقولك ارايت الذي اثنيت عليه فقلت له انك
عالم صالح فهذا تصوير لما اثنيت به وتفسير له فكذلك اخبر بانه خلق كيت وكيت
فوجد ذلك ايجادا لم يتخلف عن ارادته ويدل على ان المقصود الاخبار بوقوع هذه
الاشيا من غير ترتيب زماني قوله في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
الاية ثم قال بعد وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا الاية فظاهر
هذا رفع السموات ثم مد الارض وجعل الرواسي وظاهر الاية التي نحن فيها جعل
الرواسي وتقدير الاقوات قبل الاستوا الى السما وخلقها ولكن المقصود في الايتين
الاخبار بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زماني وما جاء من ذلك مقصورا
على يومين او اربعة او ستة انما المعنى في مقدار ذلك عندكم لا انه كان وقت ايجاد
ذلك زمان فقضاهن سبع سموات اي صنعهن واحدهن كقول ابي ذويب

• وعليهما مسرودتان قضاهما • داود وصنع السوابغ تبع •

وعلى هذا انتصب سبع على الحال وقال الحوفي مفعول ثان كانه ضمن فقضاهن معنى
صيرهن فعداه الى مفعولين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات على التمييز ويعني بقوله مبهما ليس عايدا على السما لا من حيث اللفظ
ولا من حيث المعنى بخلاف الحال او المفعول الثاني فانه عايد على السما على المعنى واوحى
في كل سما امرها قال مجاهد وقتادة واوحى الى سكانها وعمرتها من الملايكة والبهايمي
في نفسها ما شا تعالى من الامور التي هي قوامها وصلاحها وقال السدي وقتادة ومن
الامور التي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها واضاف الامر اليها من حيث
هو فيها وقال الزمخشري امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملايكة والنيرات
وغير ذلك وحفظا اي وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا
له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا انتهى ولا حاجة الى هذا هو
التقدير الثاني وتكلفه مع ظهور الاول وسهولته ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجده
بقدرته وعزه وعلمه فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل
ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون ويوم يحشر اعدا الله الى النار فهم يوزعون فان اعرضوا التفات خرج من
ضمير الخطاب في قوله قل اينكم لتكفرون الى ضمير الغيبة اعراضا عن خطابهم اذ كانوا
قد ذكروا بما يقتضي اقبالهم وايمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة
الباهرة فقل انذرتكم اي اعلمتكم صاعقة اي حلول صاعقة قال قتادة عذابا مثل
عذاب عاد وثمود وقال الزمخشري عذابا شديدا الوقع كانه صاعقة وقرا الجمهور
صاعقة مثل صاعقة وابن الزبير والسلمي والنخعي وابن محيصن بغير الف فيهما

وسكون العين وتقدم تفسيرها في اوايل البقرة والصعقة المرة يقال صعقته
الصاعقة فصعق وهو من باب فعلته بفتح العين ففعل بكسرها نحو جدعته فجدع
واذ معمول لصاعقة لان معناها العذاب من بين ايديهم ومن خلفهم قال ابن عباس
اي قبلهم وبعدهم اي قبل هود وصالح وبعدهما وقيل من ارسل الي اباهم ومن ارسل
اليهم فيكون من بين ايديهم معناه من قبلهم ومن خلفهم معناه الرسل الذين
بحضرتهم فالضمير في من خلفهم عايد على الرسل قاله الضحاك وتبعه الفرا وسياتي
عن الطبري نحو من هذا القول وقال ابن عطية من بين ايديهم اي تقدموا
في الزمن واتصلت نذاراتهم الي اعمار عاد وثمود وبهذا الاتصال قامت الحجة ومن
خلفهم اي جاهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجا من مجموع العبارة اقامت
الحجة عليهم في ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة انتهي وهو شرح كلام
ابن عباس وقال الزمخشري من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب
واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكي
الله عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم
اي لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وعن الحسن انذروهم من وقايع الله
فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ
من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم انتهي وقال الطبري الضمير في قوله ومن خلفهم عايد على الرسل وفي من بين
ايديهم عايد على الامم وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضماير وتعمية المعني
اذ يصير التقدير جاتهم الرسل من بين ايديهم وجاتهم من خلف الرسل اي من خلف
انفسهم وهذا معني لا يتعقل الا ان كان الضمير يعود في خلفهم على الرسل لفظا
وهو يعود على رسل اخرين معني فكانه قال جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلف
رسل اخرين فيكون كقولهم عندي درهم ونصفه اي ونصف درهم اخر وهذا فيه
بعد وخص بالذكر من الامم المهلكة عادا وثمود لعلم قريش بحالهما ولوقوفهم
على بلادهم في اليمن وفي الحجر وقال الافوه الاودي

اضحوا كقيل بن عنز في عشيرته اذ اهلكت بالذي سدى لها عاد
او بعده كقدار حين تابعه على الغواية اقوام فقد بادوا

ان لا تعبدوا يصح ان تكون ان تفسيرية لان مجي الرسل اليهم يتضمن معني القول
اي جاتهم مخاطبة وان تكون مخففة من الثقيلة اي بانه لا تعبدوا وان الناصبة
للمضارع ووصلت بالنهي كما توصل بالامر في نحو قوله ان طهرا وكتبت اليه بان قم
ولا في هذه الاوجه للنهي ويجوز على بعد ان يكون لا نافية وان ناصبة للفعل وقاله
الحوفي ولم يذكر غيره ومفعول شا محذوف وقدره الزمخشري لو شا ربنا ارسال
الرسل لانزل ملايكة انتهي وتتبعت ما جا في القران وكلام العرب من هذا
التركيب فوجدته لا يكون محذوفا الا من جنس الجواب نحو قوله تعالي ولو شا
لجمعهم على الهدي اي لو شا جمعهم على الهدي لجمعهم عليه وكذلك لو نشا لجعلناه
حطاما لو نشا جعلناه اجاجا ولو شا ربك لامن ولو شا ربك ما فعلوه ولو شا الله
ما عبدنا من دونه من شي وقال الشاعر

فلو شا ربي كنت قيس بن خالد ولو شا ربي لكنت عمرو بن مرثد

وقال الراجز

والله لو شا لكنت صخرا او جبلا اشم مشمخرا

فعلى هذا الذي تقرر لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري وانما التقدير
لو شا ربنا انزال ملايكة بالرسالة منه الي الانس لانزلهم بها اليهم وهذا ابلغ
في الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا ذلك بانزال الملايكة وهو لم يشا ذلك فكيف
يشا ذلك في البشر فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب لهود وصالح ومن دعا من الانبيا

الي الايمان وغلب الخطاب على الغيبة نحو قولك انت وزيد تقومان وما مصدرية اي
بارسالكم وبه توكيد لذلك المصدر ويجوز ان تكون ما بمعني الذي والضمير في به عايد عليه
واذا كفروا بما تضمنه الارسال كان كفرا بالارسال وليس قوله بما ارسلتم اقرارا
بالارسال بل هو على سبيل التهكم اي بما ارسلتم على زعمكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون ولما بين تعالي كفر عاد وثمود على الاجمال فصل بعد ذلك فذكر خاصية
كل واحدة من الطايفتين فقال فاما عاد فاستكبروا اي تعاظموا عن امتثال امر الله
وعن ما جاتهم به الرسل بغير الحق اي بغير ما يستحقون ولما ذكرهم هذا الذنب العظيم
وهو الاستكبار وكان فعلا قلبيا ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللساني المعبر عما في القلب
وقالوا من اشد منا قوة اي لا احد اشد منا وذلك لما اعطاهم الله من عظم الخلق وشدة
البطش فرد الله تعالي عليهم بان الذي اعطاهم ذلك هو اشد منهم قوة ومع علمهم بايات الله
كانوا يجحدونها ولا يعترفون بها كما يجحد المودع الوديعة من طالبها مع معرفته بها
ولفظة كان في كثير من الاستعمال تشعر بالمداومة وعبر بالقوة عن القدرة فكما
يقال الله اقدر منهم يقال الله اقوي منهم فالقدرتان بينهما قدر مشترك وان تباينت
القدرتان بما لكل منهما من الخاصية كما يوصف الله تعالي بالعلم ويوصف الانسان
بالعلم ثم ذكر تعالي ما اصاب به عادا فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في الحديث انه
تعالي امر خزنة الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت
الدنيا وروي انها كانت تحمل العير باوقارها فترميهم في البحر والصرصر قال مجاهد شديدة
السموم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي من الصر اي باردة وقال
السدي ايضا وابو عبيدة وابن قتيبة والطبري وجماعة مصوتة من صر يصر اذا
صوت وقال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت
امراته في صرة وصرصر نهر بالعراق وقرا الحرميان وابو عمرو والنخعي وعيسي
والاعرج نحسات بسكون الحا فاحتمل ان يكون مصدرا وصف به وتارة تضاف
اليه واحتمل ان يكون مخففا من فعل وقال الطبري نحس ونحس نعت وقال
الزمخشري مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر انتهي وتتبعت ما ذكره
التصريفيون مما جا صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين قالوا ياتي
على فعل كفرح فهو فرح وعلي افعل كحور فهو احور وعلي فعلان شبع فهو شبعان وقد يجي
على فاعل سلم فهو سالم وبلي فهو بال وقرا قتادة وابو رجا والجحدري وشيبة وابو
جعفر والاعمش وباقي السبعة بكسر الحا وهو القياس وفعله نحس على فعل بكسر العين
ونحسات صفة للايام جمع بالالف والتا لانه جمع صفة لما لا يعقل قال مجاهد وقتادة
والسدي مشايم من النحس المعروف وقال الضحاك شديدة البرد حتي كان البرد
عذابا لهم وانشد الاصمعي في النحس بمعني البرد

كان سلافة عرضت بنحس يخيل شقيقها الما الزلالا

وقيل سميت بذلك لانها ذات غبار ومنه قول الراجز

قد اغتدي قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس

يريد قليل الغبار وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعات كانت اخر شوال
من الاربعا الي الاربعا وقال السدي اولها غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس
يوم الجمعة وقال يحيي بن سلام يوم الاحد لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
وهو الهلاك وقري لتذيقهم بالتا وقال الزمخشري على ان التا للريح او للايام
النحسات واضاف العذاب الي الخزي اضافة الموصوف الي صفته كانه قال العذاب
الخزي ولذلك جا ولعذاب الاخرة اخزي فلو لم يكن من اضافة الموصوف الي صفته
لانه قال لم يات بلفظة اخزي التي تقتضي المشاركة والتفضيل خبرا عن قوله
ولعذاب الاخرة وهو اسناد مجازي او وصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به
الا تري تفاوت ما بين قولك هو شاعر وقولك له شعر شاعر وقابل استكبارهم بعذاب

الخزي وهو الذل والهوان وبدا بقصة عاد لانها اقدم زمانا ثم ذكر ثمود فقال واما ثمود وقرا الجمهور بالرفع ممنوع الصرف وابن وثاب والاعمش وبكر بن حبيب مصروفا وهي قراءة ابن وثاب والاعمش في ثمود بالتنوين في جميع القران الا قوله واتينا ثمود الناقة لانه في المصحف بغير الف وقرا ثمود بالنصب ممنوع الصرف الحسن وابن ابي اسحق وابن هرمز بخلاف عنه والمفضل قال ابن عطية والاعمش وعاصم قال وروي عن ابن عباس وابن ابي اسحق والاعمش ثمودا منونة منصوبة وروي المفضل عن عاصم الوجهين انتهى فهديناهم قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم قال ابن عطية وليس الهدى بمعنى الارشاد وقال الفرا وتبعه الزمخشري فهديناهم فدللناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال سفين دعوناهم وقال ابن زيد اعلمناهم الهدى من الضلال وقال ابن عطية فاستحبوا عبارة عن تكسبهم في العمى والا فهو بالاختراع لله وبذلك على انها اشارة الى تكسبهم قوله بما كانوا يكسبون انتهى والهون الهوان وصف العذاب بالمصدر او ابدل منه وقرا ابن مقسم عذاب الهوان بفتح الهاء والف بعد الواو وقال الزمخشري ولو لم يكن في القران حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة انتهى على عادته في سب اهل السنة ثم ذكر تنشا [?] بنجا من آمن واتقى قيل وكان من نجا من المومنين ممن استجاب هود وصالح مايه وعشرة انفس

ويوم يحشر اعدا الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ذلك جزا اعدا الله النار لهم فيها دار الخلد جزا بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين

لما بين تعالى كيفية عقوبة اوليك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبة الكفار اوليك وغيرهم وانتصب يوم باذكر وقرا الجمهور يحشر مبنيا للمفعول واعدا رفعا وزيد بن علي ونافع والاعرج واهل المدينة بالنون اعداء نصبا وكسر الشين الاعرج وتقدم معنى يوزعون في النمل وهي غاية ليحشر واعدا الله هم الكفار من الاولين والاخرين وما بعد اذا زايدة للتاكيد وقال الزمخشري ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به انتهى ولا ادري ان معنى زيادة ما بعد اذا للتوكيد ما ذكره ولا ان نحويا ذكر هذا الذي ذكره من معنى التوكيد فيها ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شك حصول الجواب عند حصول الشرط من غير تاخر لان اداة

الشرط

الشرط ظرف فالشهادة واقعة فيه لا محالة وفي الكلام حذف التقدير حتى اذا ما جاوها اي النار وسيلوا عما اجرموا فانكروا شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما اكتسبوا من الجرايم وكانوا حسبوا انه لا شاهد عليهم ففي الحديث ان اول ما ينطق من الانسان فخذه اليسرى ثم تنطق الجوارح فتقول تبا لك وعنك كنت اداقع ولما كانت الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس وكان الذوق مندرجا في اللمس اذ بمماسة جلدة اللسان والحنك للمذوق يحصل ادراك المذوق وكان حس الشم ليس فيه تكليف ولا امر ولا نهي وهو ضعيف اقتصر من الحواس على السمع والبصر واللمس اذ هذه هي التي جا فيها التكليف ولم يذكر حاسة الشم لانه لا تكليف فيها فهذه والله اعلم حكمة الاقتصار على هذه الثلاثة والظاهر ان الجلود هي المعروفة وقيل هي الجوارح كنى بها عنها وقيل كنى بها عن الفروج قيل وعليه اكثر المفسرين منهم ابن عباس كما كنى عن النكاح بالسر بما كانوا يعملون من الجرايم ثم سالوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم فلم تذكر سببا غير ان الله تعالى انطقها ولما صدر منها ما صدر من العقلا وهي الشهادة خاطبوها بقولهم لم شهدتم مخاطبة العقلا وقرا زيد بن علي لم شهدتن بضم المونثات وكل شي لا يراد به العموم بل المعنى كل ناطق مما ذلك له عادة او كان ذلك فيه خرق عادة وقال الزمخشري اراد بكل شي كل شي من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شي قدير من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشايكم وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزايه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وقال الزمخشري ايضا فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاوهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما انتهى وهذا الرجل مولع بمذهب الاعتزال يدخله في كل ما يقدر انه يدخل وانما اشار بقوله كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما الى ان الله تعالى لم يكلم موسى حقيقة وانما الشجرة هي التي سمع منها الكلام بان خلق الله فيها كلاما خاطبته به عن الله تعالى والظاهر ان قوله وما كنتم تستترون من كلام الجوارح قيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى توبيخا لهم او من كلام ملك بامره تعالى وان يشهد يحتمل ان يكون معناه خيفة ان تشهد او لاجل ان يشهد اذ كنتم غير عالمين بانها تشهد ولكن ظننتم ان الله لا يعلم فانهمكتم وجاهرتم والى هذا نحا مجاهد والستريا [?] في هذا المعنى كما قال الشاعر

والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

ويحتمل ان يكون معناه عن ان يشهد اي وما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفا عن اعضايكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم ولا تظنون انها تصل بكم الى هذا الحد من الشهادة عليكم والى هذا نحا السدي او وما كنتم تتوقعون بالاختفا والستر ان يشهد عليكم لان الجوارح لزيمة لكم وعبر قتادة عن تستترون بتظنون اي وما كنتم تظنون ان يشهد وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة اللفظ للفظ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا وهو الخفيات من اعمالكم وهذا الظن كفر وجهل بالله وسو معتقد يودي الى تكذيب الرسل والشك في علم الاله وذلكم اشارة الى ظنهم ان الله لا يعلم كثيرا من اعمالهم وهو مبتدا خبره ارداكم وظنكم بدل من ذلكم اي وظنكم بربكم ذلكم اهلككم وقال الزمخشري وظنكم وارداكم خبران وقال ابن عطية ارداكم يصلح ان يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح ان يكون ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بان ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدا وهو لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها وقال ابن عطية وجوز

الكوفيون ان يكون معنى ارداكم في موضع الحال والبصريون لا يجيزون وقوع الماضي
حالا الا اذا اقترن بقد وقد يجوز تقديرها عندهم ان لم يظهر انتهى وقد اجازه
الاخفش من البصريين وقوع الماضي حالا بغير تقدير قد وهو الصحيح اذ كثر ذلك
في لسان العرب كثرة توجب القياس ويبعد فيها التاويل وقد ذكرنا كثرة الشواهد
على ذلك في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل فان يصبروا خطاب
للنبي عليه السلام قيل وفي الكلام حذف تقديره او لا تصبروا كقوله اصبروا او لا تصبروا
سوا عليكم وذلك في يوم القيامة وقيل التقدير فان يصبروا على ترك دينك واتباع
اهوائهم فالنار مثوى لهم اي مكان اقامة وقرا الجمهور وان يستعتبوا مبنيا
للفاعل فما هم من المعتبين اسم مفعول قال الضحاك ان يعتذروا فما هم من المعذورين
وقيل وان طلبوا العتبى وهي الرضى فما هم ممن يعطاها ويستوجبها وقرا الحسن و
عمرو بن عبيد وموسى الاسواري وان يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين
اسم فاعل اي ان طلب منهم ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون ولا يكون ذلك لانهم قد فارقوا
الدنيا دار الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد الموت مستعتب وقال
ابو ذويب

امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ويحتمل ان تكون هذه القراءة بمعنى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما ذكر تعالى
الوعيد الشديد في الدنيا والاخرة على كفر اوليك الكفرة اردفه بذكر السبب الذي
اوقعهم في الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اي سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقيل سلطنا
ووكلنا عليهم وقيل قدرنا لهم وقرناء جمع قرين اي قرناء سوء من غواة الجن والانس
فزينوا لهم اي حسنوا وقرروا في انفسهم ما بين ايديهم قال ابن عباس من امر
الاخرة انه لا جنة ولا نار ولا بعث وما خلفهم قال من امر الدنيا من الضلالة
والكفر ولذات الدنيا وقال الكلبي ما بين ايديهم اعمالهم التي يشاهدونها وما
خلفهم ما هم عاملوه في المستقبل وقال ابن عطية ما بين ايديهم من معتقدات
السوء في الرسل والنبوات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الابا وما خلفهم ما ياتي
بعدهم من امر القيامة والمعاد انتهى ملخصا وهو شرح قول الحسن قال ما بين ايديهم
من امر الدنيا وما خلفهم من امر الاخرة وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يقيض
لهم القرنا من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم
التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرنا سوى الشياطين والدليل عليه ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض انتهى وهو على طريقة الاعتزال وحق عليهم القول اي
كلمة العذاب وهو القضا الحتم انهم معذبون في امم اي في جملة امم وهذا كقول
الشاعر

ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا

اي فانت في جملة اخرين او فانت في عداد اخرين لست في ذلك باوحد وقيل في بمعنى مع
ولا حاجة للتضمين مع صحة معنى في وموضع في امم نصب على الحال اي كاينين في جملة امم
وذو الحال الضمير في عليهم انهم كانوا خاسرين الضمير لهم وللامم وهذا تعليل لاستحقاقهم
العذاب وقال الذين كفروا لا تسمعوا اي لا تنصتوا لهذا القران والغوا فيه
اذا تلاه محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه وقال غيره كان الرسول
عليه السلام اذا قرا في المسجد اصغى اليه الناس من مومن وكافر فخشي الكفار استمالة
القلوب بذلك فقالوا متى قرا محمد صلى الله عليه وسلم فلنغلط نحن بالمكا والصفير
والصياح وانشاد الشعر والارجاز حتى يخفى صوته وهذا الفعل هو اللغو وقرا
الجمهور والغوا بفتح الغين مضارع لغي بكسرها وبكر بن حبيب السهمي كذا في كتاب
ابن عطية وفي كتاب اللوامح واما في كتاب ابن خالويه فعبد الله بن بكر السهمي وقتادة
وابو حيوة وابو السمال والزعفراني وابن ابي اسحق وعيسى بخلاف عنهما بضم

الغين مضارع لغي بفتحها وهما لغتان اي ادخلوا فيه اللغو وهو اختلاف القول بما لا
فايدة فيه وقال الاخفش يقال لغا يلغا بفتح الغين وقياسه الضم لكنه فتح لاجل حرف
الحلق فالقراءة الاولى من يلغا والثانية من يلغو وقال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون
الفتح من لغي بالشي يلغي به اذا رمى به فيكون فيه بمعنى به اي ارموا به وانبذوه لعلكم تغلبون
اي يطمسون امره ويميتون ذكره فلنذيقن الذين كفروا وعيد شديد لقريش والعذاب
الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها والاسوا يوم القيامة اقسم تعالى على الجملتين
ويشمل الذين كفروا القايلين والمخاطبين في قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا ذلك
اي جزاوهم في الاخرة والنار بدل او خبر مبتدا محذوف وجوزوا ان يكون ذلك خبر مبتدا
محذوف اي الامر ذلك وجزا مبتدا والنار خبره لهم فيها دار الخلد اي موضع البقا الدايم
الذي لا ينقطع والنار هي دار الخلد فكيف قيل فيها والمعنى انها دار الخلد كما قال تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والرسول نفسه هو الاسوة وقال
الشاعر

وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل والمعنى ان الله هو الحكم العدل

ومجاز ذلك انه قد يجعل الشي ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل المبالغة كان
ذلك المتعلق صار الشي مستقرا له وهو ابلغ من نسبة ذلك المتعلق اليه على سبيل الاخبار
به عنه جزا بما كانوا باياتنا يجحدون قال الزمخشري ان جزا بما كانوا يلغون فيها
فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو ولما راى الكفار وعظم ما حل بهم من عذاب النار
سالوا من الله تعالى ان يريهم من كان سبب اغوايهم واضلالهم والظاهر ان اللذين يراد
بهما الجنس اي كل مغو من هذين النوعين وعن علي وقتادة انهما ابليس وقابيل ابليس
سن الكفر وقابيل سن القتل بغير حق قيل وهل يصح هذا القول عن علي وقابيل مومن
عاص وانما طلبوا المضلين بالكفر المودي الى الخلود وقد اصلح هذا القول بان قال
طلب قابيل كل عاص من اهل الكباير وطلب ابليس كل كافر ولفظة الاية ينبو عن هذا
القول وعن اصلاحه وتقدم الخلاف في قراءة ارنا في قوله وارنا مناسكنا وقال الزمخشري
حكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطا معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتا في معنى الاعطا هو
واصله الاحضار انتهى نجعلهما تحت اقدامنا يريدون في اسفل طبقة من النار وهي
اشد عذابا وهي درك المنافقين وتشديد النون في اللذين واللتين وهاذين
وهاتين حالة كونها بالياء لا يجيزه البصريون والقراءة بذلك في السبعة حجة
عليهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة ان لا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم في الحيوة الدنيا وفي
الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة
ولا السيية ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ان الذي احياها
لمحيي الموتى انه على كل شي قدير قال ابن عباس نزلت في الصديق قال المشركون
ربنا الله والملايكة بناته وهولا شفعاونا عنده واليهود ربنا الله وعزير ابنه
ومحمد ليس بنبي فلم يستقيموا والصديق قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد
عبده ورسوله فاستقام ولما اطنب تعالى في وعيد الكفار اردفه بوعد المومنين
وليس المراد التلفظ بالقول فقط بل لا بد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني

وبدا اولا بالذي هو امكن في الاسلام وهو العلم بربوبية الله ثم اتبعه بالعمل
الصالح وهو الاستقامة وعن سفين بن عبد الله الثقفي قلت للنبي صلى الله عليه
وسلم اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت ما اخوف ما تخافه فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا وعن الصديق ثم استقاموا
على التوحيد لم يضطرب ايمانهم وعن عمر استقاموا لله بطاعته لم يروغوا روغان الثعالب
وعن عثمن اخلصوا العمل وعن علي ادوا الفرايض وقال ابو العالية والسدي
استقاموا على الاخلاص والعمل الى الموت وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال
الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقال الربيع اعرضوا عن ما سوى الله
تعالى وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعن الحسن وقتادة وجماعة استقاموا
بالطاعات واجتناب المعاصي قال الزمخشري وثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار
في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته
وعن الصديق رضي الله عنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال
الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان انتهى تتنزل عليهم
الملايكة قال مجاهد والسدي عند الموت وقال مقاتل عند البعث وقيل عند الموت
وفي القبر وعند البعث وان ناصبة للمضارع اي بان لا تخافوا وكم وحزنكم قال معناه
الحوفي وابو البقا وقال الزمخشري بمعنى اي او المخففة من الثقيلة واصله بانه
لا تخافوا والهاء ضمير الشان انتهي وعلى هذين التقديرين يكون الفعل مجزوما بلا
الناهية وهذه امنة عامة في كل هم مستانف وتسلية تامة عن كل فايت ماض ولذلك
قال مجاهد لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم وقال عطا بن
ابي رباح لا تخافوا رد ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وفي قراة
عبد الله لا تخافوا باسقاط ان اي تتنزل عليهم الملايكة قايلين لا تخافوا ولا تحزنوا
ولما كان الخوف مما يتوقع من المكروه اعظم من الحزن على الفايت قدمه ثم لما وقع الامن
لهم بشروا بما يوولون اليه من دخول الجنة فحصل لهم الامن التام والسرور العظيم
بما يستقبلونه من الخير نحن اولياوكم الظاهر انه من كلام الملايكة اي يقولون لهم
وفي قراة عبد الله يكون من جملة المقول قبل اي نحن كنا اولياوكم في الدنيا ونحن
اولياوكم في الاخرة لما كان اوليا الكفار قرناوهم من الشياطين كان اوليا المومنين
الملايكة وقال السدي نحن حفظتكم في الدنيا واولياوكم في الاخرة وقيل نحن
اولياوكم من كلام الله تعالى اي اولياوكم بالكفاية والهداية ولكم فيها الضمير عايد على
الاخرة قاله ابن عطية وقال الحوفي على الجنة ما تشتهي انفسكم من الملاذ ولكم
فيها ما تدعون قال مقاتل ما تتمنون وقيل ما تريدون وقال ابن عيسى ما تدعي انه
لك فهو لك بحكم ربك وقال ابن عطية ما تطلبون نزلا من غفور رحيم النزل الرزق
المعد للنزيل وهو الضيف قال معناه ابن عطا فيكون نزلا حالا اي تعطون ذلك
في حال كونه نزلا من الله وقال ابن عطية نزلا نصب على المصدر والمحفوظ ان مصدر
نزل نزولا لا نزلا وجعله بعضهم مصدرا للانزل وقيل نزل جمع نازل كشارف وشرف
فينتصب على الحال اي نازلين وذو الحال الضمير المرفوع في يدعون وقال الحسن
معنى نزلا منا وقيل ثوابا وقرا ابو حيوة نزلا باسكان الزاي ولما تقدم قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ذكر من دعا الى ذلك فقال ومن احسن قولا اي
لا احد احسن قولا ممن يدعو الى توحيد الله ويعمل العمل الصالح ويصرح انه من المسلمين
لامر الله المنقادين له والظاهر العموم في كل داع الى الله والى العموم ذهب الحسن
ومقاتل وجماعة وقيل بالخصوص فقال ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة وعنه ايضا هم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة وقيس بن ابي حازم وعكرمة ومجاهد

نزلت

نزلت في المودنين وينبغي ان يتاول قولهم على انهم داخلون في الاية والا فالسورة بكمالها
مكية بلا خلاف ولم يكن الاذان بمكة انما شرع بالمدينة والدعا الى الله يكون بالدعا
الى الاسلام وبجهاد الكفار وكف الظلمة وقال زيد بن علي دعا الى الله بالسيف
وهذا والله اعلم هو الذي حمله على الخروج بالسيف على بعض الظلمة من ملوك بني
امية وكان زيد هذا عالما بكتاب الله وقد وقفت على جملة من تفسيره كتاب الله
والقايه اياه على بعض النقلة عنه وهو في حبس هشام بن عبد الملك وفيه من العلم
والاستشهاد بكلام العرب حظ وافر ويقال انه كان اذا تناظر هو واخوه محمد الباقر
اجتمع الناس بالمحابر يكتبون ما يصدر عنهما من العلم رحمهما الله ورضي عنهما وقال
ابو امامة وعمل صالحا صلى بين الاذان والاقامة وقال عكرمة صلى وصام وقال الكلبي
ادى الفرايض وقال مجاهد هي عامة في كل من جمع بين هذه الثلث اذ يكون موحدا
معتقدا الدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين
من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله تعالى ويعني بذلك المعتزلة يسمون
انفسهم اهل العدل والتوحيد ويوجد ذلك في اشعارهم كما قال ابن ابي الحديد المعتزلي
صاحب كتاب الفلك الداير في الرد على كتاب المثل السايرة قال من كلمة انشدناها
عنه الامام الحافظ شرف الدين عبد المومن بن خلف الدمياطي رحمه الله

لولا ثلث لم اخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد
ان انصر التوحيد والعدل في كل مقام باذلا جهدي
وان اناجي الله مستمتعا بخلوة احلى من الشهد
وان اصول الدهر كبرا على كل لييم اصعر الخد
لذاك اهوى لا فتاة ولا خمر ولا ذي ميعة نهد

وقال انني من المسلمين يبين المعنى انه تكلم بهذا بل جعل الاسلام معتقده كما تقول
هذا قول الشافعي اي مذهبه وقرا ابن ابي عبلة وابرهيم بن نوح عن قتيبة الميال
وقال اني بنون مشددة واحدة والجمهور انني بها وبنون الوقاية وقال ابو بكر بن العربي
لم يشترط الا ان شا الله ففيه رد على من يقول انا مسلم ان شا الله ولما ذكر تعالى انه
لا احد احسن ممن دعا الى الله ذكر ما يترتب على ذلك من حسن الاخلاق وان الداعي
الى الله قد يجافيه المدعو فينبغي ان يرفق به ويتلطف في ايصال الخير اليه قيل ونزلت
في ابي سفين بن حرب وكان عدو الرسول صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وقال
وقال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيية الشرك وقال الكلبي الدعوتان
اليهما وقال الضحاك الحلم والفحش وعن علي حب الرسول واله وبغضهم وقيل الصبر
والنفور وقيل المدارة والغلظة وقيل العفو والانتصار وهذه امثلة للحسنة والسيية
لا على طريق الحصر ولما تفاوتت الحسنة والسيية امران يدفع السيية بالاحسن
وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيية لان من هان عليه الدفع بالاحسن هان
عليه الدفع بالحسن اي فاذا فعلت ذلك اذا الذي بينك وبينه عداوة صار لك كالولي
الصادق الخالص الصداقة ولا في قوله ولا السيية زايدة للتوكيد كهي في قوله ولا
الظل ولا الحرور لان استوي لا يكتفي بمفرد فان احدى الحسنة والسيية جنسا
لم يك زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا اذ يصير المعنى ولا تستوي الحسنات
اي هي متفاوتة في انفسها ولا السيات لتفاوتها ايضا قال ابن عطية دخلت
كان للتشبيه لان الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما وانما يحسن ظاهره فيشبه
بذلك الولي الحميم وعن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند
الجهل والعفو عند الاسااة وقال مجاهد وعطا السلم عند اللقا انتهى اي هو مبدا
الدفع بالاحسن لانه محصور فيه وعن مجاهد ايضا اعرض عن اذاهم وقال ابو
نواس الحمداني يجني علي واحنو صافحا ابدا لا شي احسن من حان على جان وما يلقاها
الضمير عايد على الفعلة والسجية التي هي الدفع بالاحسن وقرا طلحة بن مصرف

وابن كثير في رواية وما يلقاها من الملاقاة وقرا الجمهور من التلقي وكان هذه الخصلة
الشريفة غاية فما يصادفها ويلقيها الله الامن كان صابرا اعلي الطاعات عازفا عن
الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير قاله ابن عباس فيكون مدحا او ذو حظ عظيم
من ثواب الاخرة قاله قتادة فيكون وعدا وقيل الا ذو عقل وقيل ذو خلق حسن وكرر
وما يلقاها تاكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة وقيل الضمير في يلقاها عايد على
الجنة وحكي مكي وما يلقاها اى شهادة ان لا اله الا الله وفيه بعد ولما امر تعالى بدفع
السيئة بالاحسن كان قد يعرض للمسلم في بعض الاوقات مقابلة من اساء بالسيئة
فامره ان عرض له ذلك اي يستعيذ بالله فان ذلك من نزغ الشيطان وتقدم
تفسير نظير هذه الاية في اواخر الاعراف ولما بين تعالى ان احسن الاعمال
والاقوال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلايل العلوية والسفلية دعلى
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وحجته القاطعة فبدا بذكر الفلكيات بالليل والنهار
وقدم ذكر الليل قيل تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود وناسب ذكر الشمس بعد
النهار لانها سبب تنويره ويظهر للعالم فيه ولانها ابلغ في التنوير من القمر ولان القمر
فيما يقولون مستفاد نوره من نور الشمس ثم نهى تعالى عن السجود لهما وامر بالسجود
للخالق تعالى وكان ناس يعبدون الشمس كما جاء في قصة بلقيس وقومها والضمير
في خلقهن عايد على الليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري لان حكم جماعة
ما لا يعقل حكم الانثى اي الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن انتهى يريد ما لا يعقل
من المذكر وكان ينبغي ان يفرق بين جمع القلة من ذلك فان الافصح ان يكون كضمير
الواحدة تقول الاجذاع انكسرت على الافصح والجذوع انكسرن على الافصح والذي
تقدم في الاية ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد ولكنه ذكر اربعة متعاطفة فتنزلت
منزلة الجمع المعبر به عنها بلفظ واحد وقال الزمخشري او لما قال ومن اياته
كن في معنى الايات فقيل خلقهن انتهى يعني ان المقدر والليل والنهار والشمس والقمر
ايات من اياته فعاد الضمير على ايات الجمع المقدر في المجرور وقيل يعود على الايات
المتقدم ذكرها وقيل على الشمس والقمر والاثنان جمع وجمع ما لا يعقل يونث ومن
حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام والليالي ساغ ان يعود الضمير مجموعا ان
كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم موحدين غير مشركين والسجدة عند الشافعي عند قوله
تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة
عند قوله لا يسامون لانها تمام المعنى وفي التحرير كان على وابن مسعود يسجدان عند
تعبدون وقال ابن وهب والشافعي عند يسامون وبه قال ابو حنيفة ويسجد عندها
ابن عباس وابن عمر وابو وايل وبكر بن عبد الله وكذلك روي عن مسروق والسلمي والنخعي
وابي صالح وابن وثاب والحسن وابن سيرين انتهى ملخصا فان استكبروا اي تعاظموا
عن اجتناب ما نهيت عنه من السجود لهذين المحدثين المربوبين وامتثال ما امرت به من
السجود للخالق لهن فان الملايكة الذين هم عند الله بالمكانة والرتبة الشريفة ينزهونه
عن ما لا يليق بكبريايه وهم لا يسامون اي لا يملون ذلك وهم خير منكم مع انه تعالى غني عن
عبادتكم وعبادتهم ولما ذكر شيا من الدلايل العلوية ذكر شيا من الدلايل السفلية
فقال ومن اياته انك ترى الارض خاشعة اي غبرا دارسة كما قال ونوي كجذم الحوض
ابلم خاشع استعير الخشوع لها وهو التذلل لما ظهر بها من القحط وعدم النبات
وبو العين عنها بخلاف ان تكون معشبة واشجارها مزهرة ومثمرة فذلك هو حياتها
وقال السدي خاشعة ميتة يابسة وتقدم الكلام على قوله فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت تفسيرا وقراة في اوايل سورة الحج ان الذي احياها بالنبات
لمحيي الموتى برد الارواح الى الاجساد انه على كل شي قدير لا يعجزه شي تعلقت به
ارادته ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي
امنا يوم القيامة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم

وانه

وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو
جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته أاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى
وشفاء والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اوليك ينادون من مكان بعيد
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم
لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد لما
بين تعالى ان الدعا الى دين الله اعظم القربات وانه يحصل ذلك بذكر دلايل التوحيد
والعدل والبعث عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات ويجادل فقال ان الذين
يلحدون في اياتنا وتقدم الكلام على الالحاد في قوله وذروا الذين يلحدون في اسمايه
وذكر تعالى انهم لا يخفون عليه وفي ذلك تهديد لهم وقال قتادة هنا الالحاد التكذيب
ومجاهد المكا والصفير واللغو وقال ابن عباس وضع الكلام غير موضعه وقال ابو
مالك يميلون عن ادلتنا وقال السدي يعاندون رسلنا فيما جاوا فيه من البينات
والايات ثم استفهم تقريرا افمن يلقى في النار بالحاده في اياتنا خير ام من ياتي امنا ولا هو
اشتراك بعض لالقا في النار والاتيان امنا لكنه كما قلنا استفهام تقرير كما يقرر
المناظر خصمه على وجهين احدهما فاسد يرجو ان يقع في الفاسد فيتضح جهله وتنبه
بقوله يلقى في النار على مستقر الامن وهو الجنة وبقوله امنا على خوف الكافر وطول وجله
وهذه الاية قال ابن ابحر عامة في كل كافر ومومن وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وعثمن
بن عفان وقيل فيه وفي عمار بن ياسر وقيل فيه وفي عمر وقيل ابو جهل وحمزة بن عبد المطلب
وقال الكلبي ابو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم ولما تقدم ذكر الالحاد ناسب ان
يتصل به من التقرير من اتصف به ولم يكن التركيب افمن ياتي امنا يوم القيامة كمن
يلقى في النار كما تقدم ما يشبهه في قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن
هو اعمى وكما جا في سورة القتال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
اعملوا ما شيتم وعيد وتهديد بصيغة الامر ولذا جاء انه بما تعملون بصير فيجازيكم
باعمالكم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هم قريش ومن تابعهم من الكفار وغيرهم
والذكر القران هنا باجماع وخبر ان اختلفوا فيه امذكور هو او محذوف فقيل مذكور وهو
قوله اوليك ينادون من مكان بعيد وهو قول ابي عمرو بن العلا في حكاية جرت بينه
وبين بلال بن ابي بردة سيل بلال في مجلسه عن هذا فقال لم اجد لها نفاذا فقال له
ابو عمرو انه منك لقريب اوليك ينادون وقال له الحوفي ويرد على هذا القول كثرة الفصل
وانه ذكر هنالك من تكون الاشارة اليهم وهو قوله والذين في قلوبهم عمى اوليك ينادون
وقيل محذوف وخبر ان يحذف لفهم المعنى وسال عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك
فقال عمرو معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب
فقال عيسى اجدت يا ابا عثمن وقال قوم تقديره معاندون او هالكون وقال
الكساي قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله افمن يلقى في النار انتهى
كانه يريد دل عليه ما قبله فيمكن ان يقدر يخلدون في النار وقال الزمخشري
فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين
يلحدون في اياتنا انتهى ولم يتعرض بصريح الكلام في خبر ان امذكور هو او محذوف
لكن قد ينتزع من كلامه هذا انه تكلم فيه بطريق الاشارة اليه لانه ادعى ان قوله
ان الذين كفروا بالذكر بدل من قوله ان الذين يلحدون فالمحكوم به على المبدل منه
هو المحكوم به على البدل فيكون التقدير ان الذين يلحدون في اياتنا ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم لا يخفون علينا وقال ابن عطية والذي يحسن في هذا هو اضمار
الخبر بعد حكيم حميد وهو اشد اظهارا لكفار به وذلك لان قوله وانه لكتاب
عزيز داخل في صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفا وصفه
انتهي وهو كلام حسن والذي اذهب اليه ان الخبر مذكور لكنه حذف منه عايد يعود

على اسماات وذلك في قوله لا ياتيه باطلهم اي متى راموا فيه ان يكون ليس حقا ثابتا
من عند الله وابطالا له لم يصلوا اليه او تكون ال عوضا من الضمير على قول الكوفيين
اي لا ياتيه باطلهم او يكون الخبر قوله ما يقال لك اي في شانهم او فيهم الا ما قد قيل للرسل
من قبلك اي اوحي اليك في شان هولاء المكذبين لك ولما جيت به مثل ما اوحي الى من
قبلك من الرسل وهو انهم عاقبتهم سيئة في الدنيا بالهلاك وفي الاخرة بالعذاب الدايم
وغاية ما في هذين التوجيهين حذف الضمير العايد على اسم ان وهو موجود نحو قوله السمن
منوان بدرهم اي منوان منه والبر كر بدرهم اي كر منه وعن بعض نحاة الكوفيين
الجرني قوله وانه لكتاب عزيز وهذا لا يتعلق وانه لكتاب عزيز جملة حالية
كما تقول جا زيد وان يده على راسه اي كفروا به وهذه حاله وعزته كونه عديم النظير
لما احتوي عليه من الاعجاز التي لا توجد في غيره من الكتب او غالب ناسخ لسائر
الكتب والشرايع وقال ابن عباس عزيز كريم على الله تعالى وقال مقاتل ممتنع
من الشيطان وقال السدي غير مخلوق وقيل وصف بالعزة لانه لصحة معانيه ممتنع
الطعن فيه والازرا عليه وهو محفوظ من الله لا ياتيه الباطل من جمل خبر ان محذوفا
اوقوله اوليك ينادون كانت هذه الجملة في موضع الصفة وعلى ما اخترناه من احد
الوجهين تكون الجملة في موضع خبر ان والمعنى ان الباطل لا يتطرق اليه من بين
يديه ولا من خلفه تمثيل اي لا يجد الطعن سبيلا اليه من جهة من الجهات فيتعلق
به واما ما ظهر من بعض الحمقى من الطعن فيه على زعمهم ومن تاويل بعضهم له كالباطنية
فقد رد عليهم ذلك علما الاسلام واظهروا حماقاتهم وقال قتادة الباطل الشيطان
واللفظ لا يخص الشيطان وقال ابن جبير والضحاك من بين يديه اي من كتاب
من قبله فيبطله وما من بعده فيكون على هذا الباطل في معنى المبطل نحو ادرس النبات
فهو دارس اي مدرس او يكون الباطل بمعنى المبطل مصدرا فيكون كالعافية هو
وقيل من بين يديه اي قبل ان يتم نزوله ولا من خلفه من بعد نزوله وقيل عكس هذا
وقيل من بين يديه قبل ان ينزل لان الانبيا بشرت به فلم يقدر الشيطان ان يدحض
ذلك ولا من خلفه بعد ان انزل وقال الطبري من بين يديه لا يقدر ذو باطل
ان يكيده بتغيير ولا تبديل ولا من خلفه لا يستطيع ذو باطل ان يلحق فيه تنزيل
اي هو تنزيل من حكيم اي حاكم او محكم لمعانيه حميد محمود على ما اسدي لعباده من
تنزيل هذا الكتاب وغيره من النعم ما يقال لك يقال مبني للمفعول فاحتمل ان
يكون القايل الله تعالى كما تقدم تاويلها فيه اي ما يوحي اليك الله الا مثل ما اوحي هو
الى الرسل اي في شان الكفار كما تاولناه على احد الوجهين او في الشرايع وجوزوا
على ان القايل هو الله ان يكون ان ربك تفسيرا لقوله ما قد قيل فالمقول ان ربك
لذو مغفرة للطايعين وذو عقاب اليم للعاصين وهذا التاويل فيه بعد لانه حصر
ما اوحي الله اليه والى الرسل في قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم وهو تعالى قد
اوحي اليه واليهم اشيا كثيرة فاذا اخذناه على الشرايع او على عاقبة المكذبين
كان الحصر صحيحا وكان قوله تعالى ان ربك استينافا اخبارا عنه تعالى لا تفسيرا لما قد
قيل واحتمل ان يكون القايل الكفار اي ما تقول لك كفار قومك الا ما قد قال
لكفار الرسل لهم من الكلام الموذي والطعن فيما انزل الله عليهم من الكتب ثم اخبر
تعالى انه ذو مغفرة وذو عقاب اليم وفيه الترجية بالغفران والزجر بالعقاب
وهو وعظ وتهديد وقال قتادة عزى الله نبيه وسلاه بقوله ما يقال لك الاية
ومثله كذلك ما اتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ولما ذكر تعالى
الملحدين في اياته وانهم لا يخفون عليه والكافرين ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من
تكذيبهم وقولهم هلا نزل بلغة العجم فقال ولو جعلناه قرانا اعجميا اي لا يفصح
ولا تبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم او بلغة غير العرب لم يتركوا الاعتراض
والتعنت ولقالوا لولا فصلت اياته اي بينت لنا واوضحت حتى نفهمها وقرا

الجمهور

الجمهور اعجمي بهمزة الاستفهام بعدها مدة هي همزة اعجمي وقياسها في التخفيف
التسهيل بين بين وقرا الاخوان والاعمش وحفص بهمزتين اي قالوا منكرين
اقران اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه عربي وتاول ابن جبير ان معنى قوله اعجمي
ونحن عرب ما لنا وللعجمة وقال ابن عطية كانهم ينكرون ذلك فيقولون لولا بين
اعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن انتهى ولا يصح هذا التقسيم لانه بالنسبة
للقران وهم انما قالوا لو ما دل عليه قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا من اقتراحهم
ان يكون اعجميا ولم يقترحوا ان يكون القران اعجميا وعربيا وقرا الحسن
وابو الاسود والجحدري وسلام والضحاك وابن عباس وابن عامر بخلاف
عنهما اعجمي وعربي دون استفهام وبسكون العين فقيل معناه انهم قالوا عجمة
واعراب ان هذا الشاذ وقال ابن جبير معناه لولا فصل فصلين فكان بعضه اعجميا
يفهمه العجم وبعضه عربيا يفهمه العرب وقال صاحب اللوامح لانهم لما قالوا
لولا فصلت اياته اعاد القول ثانيا فقالوا اعجمي واضمروا المبتدا اي هو اعجمي
اي القران او الكلام او نحوها والذي اتي به او الرسول عربي كانهم كانوا ينكرون ذلك
وقرا عمرو بن ميمون اعجمي بهمزة الاستفهام وفتح العين والمعنى ان القران لو جا
على طريقة كاينة ما كانت تعنتوا لانهم لا يطلبون الحق وقال صاحب اللوامح والعجمي
المنسوب الى العجم واليا للنسب على الحقيقة واما اذا سكنت العين فهو الذي
لا يفصح والياء فيه بلفظ النسب دون معناه فهو بمنزلة يا كرسي وبختي والله اعلم
انتهى وليست كيا كرسي بنيت الكلمة عليها وياء اعجمي لم تبن الكلمة عليها تقول العرب
رجل اعجم ورجل اعجمي فاليا للنسبة الدالة على المبالغة في الصفة نحو احمري
ودواري مبالغة في احمر ودوار وقال الزمخشري فان قلت كيف يصح ان يراد
بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو
راى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك
لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة
فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول
وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت
واللابسة قصيرة جيت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس
وانوثته انما وقع في غرض وراهما انتهى وهو حسن الا ان فيه تكثيرا على عادته في حب
الشقشقة والتفيهق قل هو اي القران للذين امنوا هدى اي ارشاد الى الحق
وشفا اي لما في الصدور من الشك والظن والظاهر ان والذين لا يومنون مبتدا
وفي اذانهم وقر في موضع الخبر وقال الزمخشري هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا
لما اخبر انه هدى وشفا للمومنين اخبر انه وقر وصمم في اذان الكافرين ولا يضطر الى
اضمار هو فالكلام تام دونه اخبر انه في اذانهم صمما عن سماعهم ثم اخبر انه عليهم عمى
يمنعهم من ابصار حكمته والنظر في معانيه والتقرير لاياته وجا بلفظ عليهم الدالة على
استيلا العمي عليهم وجا في حق المومنين باللام الدالة على الاختصاص وكون والذين
في موضع جر عطفا على قوله للذين امنوا والتقدير وللذين لا يومنون وقر في اذانهم
اعراب متكلف وهو من العطف على عاملين وفيه مذاهب كثيرة في النحو والمشهور
منع ذلك وقرا الجمهور عمى بفتح الميم منونا مصدر عمي وقرا ابن عمر وابن عباس
وابن الزبير ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاصي وابن هرمز عم بكسر الميم وتنوين
وقال يعقوب القاري وابو حاتم لا ندري نونوا او فتحوا اليا على انه فعل ماض
وبغير تنوين رواها عمرو بن دينار وسليمن بن قتة عن ابن عباس والظاهر ان الضمير
في وهو عليهم عايد على القران وقيل يعود على الوقر اوليك اشارة الى الذين لا يومنون
ومن جعله خبرا لان الذين كفروا كانت الاشارة اليهم ينادون من مكان بعيد قيل هو
حقيقة قال الضحاك ينادون بكفرهم وقبح اعمالهم باقبح اسمايهم من بعد حتى يسمع

ذلك اهل الموقف لتعظيم الشهادة عليهم وجحد المصاب وقال علي ومجاهد استعارة لقلة
فهمهم شبههم بالرجل ينادي من بعد فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه
وحكى اهل اللغة انه يقال للذي لا يفهم انت تنادى من بعد اي كانه ينادى من موضع
بعيد فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وحكى النقاش كانما ينادون من السماء ولقد اتينا
موسى الكتاب تسلية للرسول في كون قومه اضطربوا فيما جاء به من الذكر
فذكر ان موسى عليه السلام اوتي الكتاب وهو التوراة فاختلف فيه وتقدم شرح هذه
الاية في اواخر سورة هود عليه السلام والكلام على نظير وما ربك بظلام للعبيد في قوله
في سورة الحج وان الله ليس بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من
اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاي قالوا اذناك ما منا
من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسام الانسان
من دعا الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته
ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبين
الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعا عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل
شي محيط لما ذكر تعالى من عمل صالحا الاية كان في ذلك دلالة على الجزا يوم القيامة
فكان سايلا قال ومتى ذلك فقيل لا يعلمها الا الله ومن سيل عنها فليس عنده علم بتعيين
وقتها وانما يرد ذلك الى الله ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا يعلمه الا هو تعالى
وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحسن بخلاف عنه وابن عامر ونافع
في غير رواية ابي جليد والمفضل وحفص وابن مقسم من ثمرات على الجمع وقرا باقي
السبعة والحسن في رواية وطلحة والاعمش بالافراد ولما كان ما يخرج من اكمال
الثمرة وما تحمل الاناث وتضعه هو ايجاد اشيا بعد العدم ناسب ان يذكر مع علم
الساعة اذ في ذلك دليل على البعث اذ هو اعادة بعد اعدام وناسب ذكر احوال
المشركين في ذلك اليوم وسوالهم سوال التوبيخ فقال ويوم يناديهم اين شركاي
اي الذين نسبتموهم الي وزعمتم انهم شركا لي وفي ذلك تهكم بهم وتقريع والضمير
في يناديهم عام في كل من عبد غير الله فيندرج فيه عباد الاوثان قالوا اذناك
اي اعلمناك قال الشاعر

اذنتنا ببينها اسماء • رب ثاو يمل منه الثوا •

وقال ابن عباس اسمعناك كانه استعمل الاعلام لله لان اهل القيمة يعلمون
ان الله يعلم الاشيا علما واجبا فالاعلام في حقه محال والظاهر ان الضمير في قالوا
عايد على المنادين لانهم المحدث معهم ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد
ان لك شريكا بل نحن موحدون لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم
الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل الضمير في قالوا عايد على الشركاء اي قالوا الشركا
ما منا من يشهد بما اضافوا الينا من الشرك واذناك معلق لانه بمعنى الاعلام والجملة
من قوله ما منا من شهيد في موضع المفعول وفي تعليق باب اعلم رايناه خلاف والصحيح
انه مسموع من كلام العرب والظاهر ان قولهم اذناك انشا كقولك اقسمت لاضربن
زيدا او ان كان اخبارا سابقا فتكون اعادة السوال توبيخا لهم وضل عنهم ما كانوا يدعون
من قبل اي نسوا ما كانوا يقولون في الدنيا ويدعون من الالهة او ضل عنهم اي تلفت
اصنامهم وتلاشت فلم يجدوا منها نصرا ولا شفاعة وظنوا اي ايقنوا قال السدي
ما لهم من محيص اي من حيلة وروغان عن العذاب والظاهر ان ظنوا معلقة والجملة
المنفية في موضع مفعولي ظنوا وقيل تم الكلام عند قوله وظنوا اي وترجح عندهم
ان قولهم ما منا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون به والجملة بعد ذلك مستانفة

اي يكون لهم منجى او موضع روغان لا يسام الانسان من دعا الخير هذه الايات نزلت في كفار
قيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عتبة بن ربيعة وكثير من المسلمين يتصفون
بوصف اولها من دعا الخير اي من طلب السعة والنعمة ودعا مصدر مضاف للمفعول
وقرا عبد الله من دعا بالخير بباء داخلة على الخير وفاعل المصدر محذوف تقديره
من دعاه الخير هو وان مسه الشر الفقر والضيقة فيؤس اي فهو يؤس قنوط
اتى بهما صفتي مبالغة واليأس من صفة القلب وهو ان يقطع رجاءه من الخير والقنوط
ان يظهر عليه اثار اليأس فيتضال وينكسر وبدا بصفة القلب لانها هي المؤثرة
فيما يظهر على الصورة من الانكسار ولين اذقناه رحمة منا سمى النعمة رحمة
اذ هي من اثار رحمة الله من بعد ضرا مسته اي ضر نفسه ليقولن هذا لي اي بسعيي
واجتهادي ولا اراها انها من الله او هذا لي لا يزول عني وما اظن الساعة قايمة اي
ظننا اننا لا نبعث وان ما جات به الرسل من ذلك ليس بواقع كما قال تعالى حكاية
عنهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولين رددت الى ربي ولين كان كما اخبرت
الرسل ان لي عنده اي عند الله للحسنى اي الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
كما انعم علي في الدنيا واكد ذلك باليمين وبتقديم لي وعنده على اسم ان وبدخول
لام التاكيد عليه ايضا وبصيغة الحسنى مونث الاحسن الذي هو افعل التفضيل
فلم يقولوا الا الحسنة اي الحالة الحسنة وقال الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم للكافر امنيتان اما في الدنيا فهذه ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة
فيا ليتني كنت ترابا فلننبين الذين كفروا بما عملوا من الافعال السيئة وذلك
كناية عن جزايهم باعمالهم السيئة ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة ان لي
عنده للحسنى وكنى بغلظ العذاب عن شدته واذا انعمنا تقدم الكلام على
نظير هذه الجملة في اواخر تلك كان يؤوسا واخر هذه فذو دعا عريض اي فهو
ذو دعا بازالة الشر عنه وكشف ضره والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة
يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعا اذا اكثر اي فذو تضرع واستغاثة
وذكر تعالى في هذه الاية نوعا من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته
النعمة واذا مسه الشر ابتهل الى الله وتضرع قل ارايتم ان كان اي القران
من عند الله ابرزه في صورة الاحتمال وهو من عند الله بلا شك ولكنه تنزل معهم
في الخطاب والضمير في ارايتم لكفار قريش وتقدم ان معنى ارايتم اخبروني عن
حالكم ان كان هذا القران من عند الله وكفرتم به وشاققتم في اتباعه من اضل
منكم اذ انتم المشاقون فيه والمعرضون عنه والمستهزون بايات الله وتقدم ان
ارايتم هذه تتعدى الى مفعول مذكور او محذوف والى ثان الغالب فيه ان تكون
جملة استفهامية فالمفعول الاول محذوف تقديره ارايتم انفسكم والثاني هو
جملة الاستفهام اذ معناه من اضل منكم ايها الكفار اذ ما لكم الى الهلاك في الدنيا
والاخرة ثم توعدهم بما هو كاين لا محالة فقال سنريهم اياتنا في الافاق قال ابو
المنهال والسدي وجماعة هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الاقطار
حول مكة وفي غير ذلك من الارض كخيبر وفي انفسهم اراد به فتح مكة وتضمن
وتضمن ذلك الاخبار بالغيب ووقع كما اخبر وقال الضحاك وقتادة في الافاق
ما اصاب الامم المكذبة في اقطار الارض قديما وفي انفسهم يوم بدر وقال
عطا وابن زيد في افاق السما واراد الايات في الشمس والقمر والرياح وغير ذلك
وفي انفسهم عبرة الانسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته وتدرجه في البطن
ونحو ذلك وينبو هذان القولان عن لفظ سنريهم لان هلاك الامم المكذبة
قديما وايات الشمس والقمر وغير ذلك قد كان ذلك كله مرييا لهم فالقول
الاول ارجح واخذ الزمخشري هذا القول وذيله فقال يعني ما يسر الله عز وجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفا من بعده ونصار دينه في افاق الدنيا وبلاد

المشرق والمغرب عموما في ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها
لاحد من خلفا الارض قبلهم ومن الاظهار علي الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم علي
كثيرهم وتسليط ضعافهم علي اقويايهم واجرايه علي ايديهم امرا خارجا من المعهود
خارقا للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها
والاستقرا يطلعك في التواريخ والكتب المدونه في مشاهد اهله وايامهم علي عجايب
لا ترى وقعة من وقايعهم الا علما من اعلام الله واية من اياته تقوى معها النفس
ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر
حسه مغالط نفسه انتهي ما كتبناه مقتصرا عليه حتي يتبين لهم انه اي ان القران
وما تضمنه من الشرع هو الحق اذ وقع وفق ما اخبر به من الغيب وبربك البا زايدة
التقدير اولم يكفك او يكفهم ربك وانه علي كل شي شهيد بدل من ربك اما حالة كونه مجرورا
بالبا فيكون بدلا علي اللفظ واما حاله مراعاة الموضع فيكون بدلا علي الموضع وقيل انه
علي اضمار الحرف اي اولم يكف ربك بشهادته فحذف الحرف وموضع ان علي الخلاف
امو في موضع نصب او في موضع جر وبعد قول من جعل بربك في موضع نصب وفاعل
كفي ان وما بعدها والتقدير عنده اولم يكف ربك شهادته وقري انه بكسر الهمزة
علي اضمار القول والاستفتاح تنبيه السامع علي ما يقال وقرا السلمي والحسن
في مرية بضم الميم واحاطته تعالى بالاشيا علمه بها جملة وتفصيلا فهو مجازيهم علي
علي كفرهم ومريتهم في لقا ربهم **ركد** الشي ثبت مكانه وقد قال الشاعر
وقد ركدت وسط السما نجومها ركود بوادي الربرب المتفرق

سورة شورى

بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق كذلك يوحي اليك والي الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملايكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا
من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرانا
عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق
في السعير ولو شا الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشا في رحمته والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اوليا فالله هو الولي وهو يحيي الموتى
وهو علي كل شي قدير وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الي الله ذلكم الله ربي عليه توكلت
واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام
ازواجا يذروكم فيه ليس كمثله شي وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه بكل شي عليم هذه السورة مكية في قول
الحسن وعطا وعكرمة وجابر وقال ابن عباس مكية الا اربع ايات من قوله قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربي الي اخر اربع الايات فانها نزلت بالمدينة وقال
مقاتل فيها مدني قوله ذلك الذي يبشر الله عباده الي الصدور ومناسبة اول
السورة لاخر ما قبلها انه قال قل ارايتم ان كان من عند الله الاية وكان في ذلك
الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك اي مثل الايحا السابق في القران
الذي كفروا به هو لا يوحي اليك اي ان وحيه تعالى اليك متصل غير منقطع يتعهدك
به وقتا بعد وقت وذكر المفسرون في حم عسق اقوالا مضطربة لا يصح منها شي كعادتهم
في هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا وقرا الجمهور يوحي مبنيا للفاعل وابو حيوة
والاعشى عن ابي بكر وابان نوحي العظمة ومجاهد وابن كثير وعباس ومحبوب كلاهما
عن ابي عمرو يوحي مبنيا للمفعول والله مرفوع بمضمر تقديره اوحاه او بالابتدا التقدير
الله العزيز الحكيم الموحي وعلي قراة نوحي بالنون يكون الله العزيز الحكيم
مبتدا وخبرا ويوحي اما في معني اوحي حتي ينتظم قوله والي الذين من قبلك او يقدر

علي موضعه وبمضمر عامل يتعلق به الي الذين تقديره واوحي الي الذين من قبلك
وتقدم الكلام علي تكاد السموات يتفطرن في سورة مريم قراة وتفسيرا وقال
الزمخشري وروي يونس عن ابي عمرو قراة غريبة تتفطرن بتايين مع النون
ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن انتهي والظاهر
ان هذا وهم من الزمخشري في النقل لان ابن خالويه ذكر في كتاب شواذ القراات
له ما نصه تتفطرن بالتا والنون يونس عن ابي عمرو وقال ابن خالويه هذا حرف
نادر لان العرب لا يجمع بين علامتي التانيث لا يقال النسا تقمن ولكن يقمن
والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وقد كان ابو عمر الزاهد روي في نوادر ابن
الاعرابي الابل تتشممن فانكرناه فقد قواه الان هذا انتهي كلام ابن خالويه فان
كانت نسخ الزمخشري متفقة علي قوله بتايين مع النون فهو وهم وان كان في بعضها
بتا مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتايين تحريفا من النساخ وكذلك
وكذلك كتبهم تتفطرن وتتشممن بتايين والظاهر عود الضمير في فوقهن علي السموات
قال ابن عطية من اعلاهن وقال الزمخشري ينفطرن من علو شان الله تعالى
وعظمته ويدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعايهم له ولدا كقوله تكاد
السموات يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات
وادلها علي الجلال والعظمة فوق السموات وذلك العرش والكرسي وصفوف
الملايكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله هو
من اثار ملكوته العظمي فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي الانفطار من جهتهن الفوقانية
وقال جماعة منهم الحوفي قال من فوقهن والها والنون كناية عن الارضين انتهي
ومن فوقهن متعلق بيتفطرن ويدل علي هذا القول ذكر الارض قبل وقال علي بن
سليمن الاخفش الضمير للكفار والمعني من فوق الفرق والجماعات الملحدة اي
من اجل اقوالها انتهي فهذه الاية كالتي في سورة مريم واستبعد مكي هذا القول
قال لا يجوز في الذكور من بني ادم يعني ضمير المونث ولاستشعار ما ذكره مكي
قال علي بن سليمن من فوق الفرق والجماعات وظاهر الملايكة العموم وقال مقاتل
حملة العرش والتسبيح قيل قولهم سبحان الله وقيل يصلون والظاهر في يستغفرون
طلب الغفران ولاهل الارض عام مخصوص بقوله ويستغفرون للذين امنوا قاله
السدي وقيل عام ومعني الاستغفار طلب الهداية المودية الي المغفرة كانهم يقولون
اللهم اهد اهل الارض واغفر لهم ويدل عليه وصفه بالغفران والرحمة والاستغفار
وقال الزمخشري ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار لهم طلب الحلم والغفران
في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الي ان قال انه كان حليما غفورا
وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم
بالانتقام فيكون عاما انتهي وتكلم ابو عبد الله الرازي في قوله تكاد السموات
كلاما خارجا عن مناحي مفهومات العرب منتزعا من كلام الفلاسفة ومن جري مجراهم
يوقف علي ذلك في كتابه والذين اتخذوا من دونه اوليا اي اصناما واوثانا الله حفيظ
عليهم اعمالهم ومجازيهم عليها وما انت عليهم بوكيل اي بمفوض اليك امرهم ولا قايم
ولا في هذا امن الموادعة منسوخ باية السيف وكذلك اي ومثل هذا الايحا والقضا
والظاهر ان قرانا مفعول اوحينا وقال الزمخشري الكاف مفعول به لاوحينا وقرانا
عربيا انك لست بوكيل عليهم اوحينا اليك قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه
اليك وهو قران عربي لا لبس فيه عليك اذ نزل بلسانك انتهي فاستعمل الكاف
اسما في الكلام وهو مذهب الاخفش لتنذر ام القرى اي سبب ايحاينا اليك
هو الانذار ولا تكلف غيره وام القرى مكة اي اهل ام القرى ولذلك عطف ومن
حولها والمفعول الثاني محذوف ومن حولها هم العرب وتنذر يوم الجمع والمفعول
الاول محذوف والثاني هو يوم الجمع اي اجتماع الخلايق والمنذر به هو ما يقع

في يوم الجمع من الجزاء انقسام الجمع الى الفريقين او اجتماع الازواج بالاجساد
او اهل الارض باهل السما او الناس باعمالهم اقوال اربعة وقرئ لينذر بيا الغيبة
اي لينذر القران لاريب فيه اي لاشك في وقوعه وقال الزمخشري لاريب
فيه اعتراض لامحل له انتهى ولا يظهر انه اعتراض اعني صناعيا لانه لم يقع بين طالب
وطالب وقرا الجمهور فريق بالرفع فيهما اي هم فريق او منهم فريق وقرا زيد بن علي
بنصبهما اي افترقوا فريقا في كذا وفريقا في كذا ويدل على الافتراق الاجتماع المفهوم
من يوم الجمع ولو شا الله لجعلهم امة واحدة يعني من ايمان او كفر قال معناه
الضحاك وهو قول اهل السنة وذلك تسلية للرسول كما كان يقاسيه من كفر
قومه وتوقيف على ان ذلك راجع الي مشيئته ولكن من سبقت له السعادة ادخله في رحمته
وقال الزمخشري لجعلهم امة واحدة اي مومنين كلهم على القسر والاكراه كقوله
ولو شينا لاتينا كل نفس هداها وقوله ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا
والدليل على ان المعنى هو الالجا الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
وذكر ما ظنه استدلالا على ذلك وهو على طريق المعتزلة وقال انس بن مالك في رحمته
في دين الاسلام ام اتخذوا من دونه اوليا ام بمعنى بل للانتقال من كلام الى كلام هو
والهمزة للانكار عليهم اتخاذ اوليا من دون الله وقيل ام بمعنى الهمزة فقط وتقدم
الكلام على مثل هذا حيث جاءت ام المنقطعة والمعنى اتخذوا اوليا دون الله
وليسوا باوليا حقيقة فالله هو الولي والذي يجب ان يتولى وحده لا من لا يضر
ولا ينفع من اوليايهم ولما اخبر انه الولي عطف عليه هذا الفعل الغريب الذي
لا يقدر عليه غيره وهو احيا الموتى ولما ذكر هذا الوصف ذكر قدرته على كل شي تتعلق
ارادته به وقال الزمخشري في قوله فالله هو الولي والفا في قوله فالله هو
الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله
هو الولي بالحق لا ولي سواه انتهى ولا حاجة الى اعتقاد شرط محذوف والكلام
يتم بدونه وما اختلفتم فيه من شي هذا حكاية لقول الرسول اي ما اختلفتم فيه
ايها الناس من تكذيب او تصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة
عليه ليس ذلك الا الى الله لا الي ولفظه من شي تدل على العموم وقيل من شي من
الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا توثروا على حكومته حكومة غيره
كقوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول وقيل من شي من تاويل اية
واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى اي المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله
وقيل ما وقع منكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح وقال الزمخشري اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل
الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه
مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المومنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعدا الدين واليه ارجع في كفاية شرهم انتهى
وقرا الجمهور فاطر بالرفع اي هو فاطر او خبر بعد خبر كقوله ذلكم وقرا زيد بن
علي فاطر بالجر صفة لقوله الى الله والجملة بعدها اعتراض بين الصفة والموصوف
خلق لكم من انفسكم اي من جنس انفسكم اي ادميات ازواجا اناثا او جعل الخلق هو
لابينا ادم من ضلعه حوا زوجا له خلقا لنا ومن الانعام ازواجا اي انواعا كثيرة
ذكورا او اناثا او ازواجا اناثا يذرؤكم فيه قال ابن عباس اي يجعل لكم فيه معيشة
يعيشون بها وقال ابن زيد يرزقكم فيه وهو قريب من القول قبله وقال مجاهد
يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن وقال القتبي يخلقكم في بطون الاناث
وقال ابن زيد ايضا يذروكم فيما خلق من السموات والارض وقال الزجاج يكثركم
به اي فيه اي يكثركم في خلقكم ازواجا وقال علي بن سليمن ينقلكم من حال الى حال
وقال ابن عطية الضمير في فيه للجعل اي يخلقكم ويكثركم في الجعل كما تقول كلمت زيدا

كلاما اكرمته فيه فال ولفظة ذرا تزيد على لفظة خلق معنى اخر ليس في خلق وهو توالي
الطبقات على مر الزمان وقال الزمخشري يذروكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم
وكثرهم والذر والذرو والذرا اخوات في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام
ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع
الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلا على الغيب مما لا يعقل وهي من
الاحكام ذات العلتين انتهى وقوله وهي من الاحكام ذات العلتين اصطلاح غريب
ويعني ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا فتقول انت وزيد تقومان والعاقل
يغلب على غير العاقل اذا اجتمعا فتقول الناس والحيوان غيرهم يسبحون خالقهم
قال الزمخشري فان قلت ما معنى يذروكم في هذا التدبير وهلا قيل يذروكم به
قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان
في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة انتهى ليس كمثله شي تقول
العرب مثلك لا يفعل كذا يريدون به المخاطب كانهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص
كان نفيا عن الشخص وهو من باب المبالغة ومثل الاية قول اوس بن حجر

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضايل

وقول الاخر

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

وقول الاخر

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم ما ان كمثلهم في الناس من احد

فجرت الاية في ذلك على نهج كلام العرب من اطلاق المثل على نفس الشي وما ذهب اليه
الطبري وغيره من ان مثلا زايدة للتوكيد كالكاف في قوله فصيروا مثل كعصف ماكول
وقوله وصاليات ككما يوثفين ليس بجيد لان مثلا اسم والاسما لا تزاد بخلاف الكاف
فانها حرف فتصلح للزيادة ونظير نسبة المثل الى من لا مثل له قولك فلان يده مبسوطة
تريد انه جواد ولا نظير له في الحقيقة الى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له كقوله
بل يداه مبسوطتان فكما جعلت ذلك كناية عن الجود في من لا يد له فكذلك جعلت المثل
كناية عن الذات في من لا مثل له ويحتمل ايضا ان يراد بالمثل الصفة وذلك سايغ يطلق
المثل بمعنى المثل وهو الصفة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شي من الصفات التي لغيره
وهذا محمل سهل والوجه الاول اغوص قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس
فتقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال لي هذا انتهى فقد صار ذلك كناية عن الذات
فلا فرق بين قولك ليس كالله شي او ليس كمثل الله شي وقد اجمع المفسرون على ان الكاف
والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من ان كلا منهما يراد به التشبيه وذلك محال
لان فيه اثبات مثل لله تعالى وهو محال وهو السميع لاقوال الخلق البصير لاعمالهم وتقدم
تفسير له مقاليد السموات والارض في سورة الزمر ويقدر اي ويضيق انه
بكل شي عليم لمن يشا ويضيق على من يشا وقال الزمخشري فاذا علم ان الغنى خير للعبد
اغناه والا افقره انتهى وفيه دسيسة الاعتزال شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى
لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل
بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه
المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم
غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة
قريب يستعجل بها الذين لا يومنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق

الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو
القوي العزيز من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ــــ لما عدد تعالى نعمه عليهم الخاصة اتبعه بذكر
نعمه العامة وهو ما شرع لهم من العقايد المتفق عليها من توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وبكتبه وباليوم الاخر والجزا فيه ولما كان اول الرسل نوحا عليه السلام واخرهم
محمدا صلى الله عليه وسلم قال ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم اتبع ذلك ما وصى
به ابرهيم اذ كان ابا العرب ففي ذلك هزلهم وتعب على اتباع طريقته موسى وعيسى
صلوات الله عليهم لانهما اللذان كان اتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والشرايع متفقة فيما ذكرنا من العقايد وفي كثير من الاحكام
كتحريم الزنا والقتل بغير حق والشرايع مشتملة على عقايد واحكام ويقال ان نوحا
اول من اتى بتحريم البنات والامهات وذوات المحارم وقال ابن عباس شرع اختار
ويحتمل ان تكون مفسرة لان قبلها ما هو بمعنى القول فلا موضع لها من الاعراب
وان تكون ان المصدرية فيكون في موضع نصب على البدل من ما وما عطف عليها او
في موضع رفع اي ذلك او هو اقامة الدين وهو توحيد الله وما يتبعه مما لا بد من اعتقاده
ثم نهى عن التفرقة فيه لان التفرق سبب للهلاك والاجتماع والالفة سبب
النجاة كبر على المشركين اي عظم وشق ما تدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة
الاصنام واقامة الدين الله يجتبي اي يجتلب ويجمع اليه من يشاء هدايته وهذا
تسلية للرسول وقيل يجتبي فيجعله رسولا الى عباده ويهدي اليه من ينيب
يرجع الى طاعته عن كفره وقال الزمخشري من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجدي
عليهم لطفه انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقال الحافظ ابو بكر بن العربي
لم يكن مع ادم عليه السلام الا بنوه ولم يفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم وانما
كان منبها على بعض الامور مقتصرا على ضرورات المعاش واستمر الى نوح فبعثه
الله بتحريم الامهات والبنات ووظف عليه الواجبات واوضح له الادب في الديانات
ولم يزل ذلك تتاكد بالرسل وتتناصر بالانبيا واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة
حتى ختمه الله بخير الملل على لسان اكرم الرسل فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا
دينا واحدا في الاصول التي لا تختلف فيها الشرايع وهي التوحيد والصلوة والزكوة
والصيام والحج والتقرب بصالح الاعمال والصدق والوفا بالعهد واداء الامانة
وصلة الرحم وتحريم الكبر والزنا والاذاية للخلق كيف ما تصرفت والاعتدا على
الحيوان واقتحام الدناآت وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا
وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبيا وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه قايما يريد دايما مستمرا محفوظا مستقرا من
غير خلاف فيه ولا اضطراب انتهى وقال مجاهد لم يبعث نبي الا امر باقامة الصلوة
وايتا الزكوة والاقرار بالله وطاعته فهو اقامة الدين وقال ابو العالية اقامة الدين
الاخلاص لله وعبادته ولا تتفرقوا فيه قال ابو العالية لا تتعادوا فيه وقال
مقاتل معناه لا تختلفوا فان كل نبي مصدق وقيل لا تتفرقوا فيه فتومنوا ببعض
الرسل وتكفروا ببعض وما تفرقوا قال ابن عباس يعني قريشا والعلم محمد عليه
السلام وكانوا يتمنون ان يبعث عليهم نبي كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لين
جاهم نذير يريدون نبيا وقيل الضمير يعود على امم الانبيا جاهم العلم فطال عليهم الامد
فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا عايد على اهل الكتاب والمشركين دليله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ــــ الا من بعد ما جاتهم البينة قال المشركون لم
خص بالنبوة واليهود والنصارى حسدوا ولولا كلمة اي عدة التاخر الى يوم
القيامة فحينيذ يقع الجزا القضي بينهم لجوزوا باعمالهم في الدنيا لكنه قضى ان
ذلك لا يكون الا في الاخرة وقال الزجاج الكلمة قوله بل الساعة موعدهم وان

الذين

الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم بقية اهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بعدهم اي من بعد اسلافهم او هم المشركون اورثوا القران من بعد
ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرا زيد بن علي ورثوا الكتاب مبنيا للمفعول
مشددا لواو لفي شك منه اي من كتابهم او من القران او ممن جا به محمد صلى الله
عليه وسلم او من الدين الذي وصى به نوحا لما تقدم شان الامر باقامة الدين وتفرق
الذين جاهم العلم واختلافهم وكونهم في شك احتمل قوله فلذلك ان يكون اشارة الى هو
اقامة الدين اي فادع لدين الله واقامته لا يحتاج الى تقدير اللام بمعنى لان دعا يتعدى
باللام قال الشاعر

دعوت لما نابني مسورا • فلبى فلبي يدي مسور

واحتمل ان تكون اللام للعلة اي فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية واستقم اي دم على
الاستقامة وتقدم الكلام على فاستقم كما امرت وكيفية هذا التشبيه في اواخر
هود ولا تتبع اهواهم المختلفة الباطلة وامره بان يصرح انه امن بكل كتاب انزله
الله لان الذين تفرقوا امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قيل ان المعنى
وامرت ان اعدل بينكم وقيل المعنى وامرت بما امرت به لاعدل بينكم في ايصال ما امرت
به اليكم لا اخص شخصا بشي دون شخص الشريعة واحدة والاحكام مشتركة
فيها وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي قد
وضحت الحجج وقامت البراهين وانتم محجوجون فلا حاجة الى اظهار حجة بعد ذلك الله
يجمع بيننا وبينكم اي يوم القيامة فيفصل بيننا وما يظهر في هذه الاية من الموادعة
منسوخ باية السيف والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دينه قال ابن عباس
ومجاهد نزلت في طايفة من بني اسرايل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم
ومحاجتهم بان قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فديننا افضل فنزلت الاية في ذلك
وقيل نزلت في قريش كانوا يجادلون في هذا المعنى ويطمعون في رد المومنين
الى الجاهلية واستجيب مبني للمفعول فقيل المعنى من بعد ما استجاب الناس لله
اي لدينه ودخلوا فيه وقيل من بعد ما استجاب الله له اي لرسوله ودينه بان
نصره يوم بدر واظهر دينه حجتهم داحضة اي باطلة لا ثبوت لها ولما ذكر من يحاج
في دين الاسلام صرح بانه تعالى هو الذي انزل الكتاب والكتاب جنس يراد به الكتب
الالهية والميزان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم هو العدل وعن ابن مجاهد
هو هنا الميزان الذي بايدي الناس وهذا مندرج في العدل وما يدريك ايها المخاطب
لعل الساعة قريب ذكر على معنى البعث او على حذف مضاف اي لعل مجي الساعة
ولعل الساعة في موضع معمول وما يدريك وتقدم الكلام على مثل هذا في قوله في اواخر
الانبيا وان ادري لعله فتنة لكم وتوافق هذه الجملة مع قوله الله الذي انزل
الكتاب بالحق والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه
قيل امركم الله بالعدل والتسوية قبل ان يفاجيكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم
يستعجل بها الذين لا يومنون بها بطلبه وتوقعها عاجلة لانهم ليسوا موقنين بوقوعها
ليس بعجز من يومن بها عندهم اي مما لا يقع عندهم الا انهم يمارون ويلحون في امر الساعة
لفي ضلال بعيد عن الحق لان البعث غير مستبعد من قدرته ودل عليه الكتاب المعجز
فوجب الايمان به الله لطيف بعباده اي بر بعباده المومنين ومن سبق له الخلود في الدنيا
وما يرى من النعم على الكافر فليس بلطف انما هو املا ولا لطف الا ما ال الى الرحمة
والوفاة على الاسلام وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا
وقال الزمخشري يوصل بره الى جميعهم يرزق من يشا اي يرزقه
شيا خاصا ويحرم من يشا من ذلك الشي الخاص وكل منهم مرزوق وان اختلف الرزق
وهو القوي اي البالغ القوة وهي القدرة العزيز الغالب الذي لا يغلب ولما ذكر تعالى

الرزق ذكره حديث الكشف ولما كان الحرث في الارض اصلا من اصول المكاسب استعير
لكل مكسب اريد به النما والفايدة اي من كان يريد عمل الاخرة ويسعي لها سعيها نزد له
في حرثه اي في جزا حرثه من تضعيف الحسنات ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها
اي العمل لها لا لاخرته نوته منها اي نعطه شيا منها وما له في الاخرة من نصيب لانه لم
يعمل شيا للاخرة والجملة الاولي وعد منجز والثانية مقيدة بمشيئته تعالي
فلا يناله الا رزقه الذي فرغ منه لا كل ما يريده هو واقتصر في عامل الاخرة علي ذكر حظه
فيها مع انه في الدنيا لا بد له من رزقه الذي قدر له لان ما ناله في الدنيا بالنسبة
الي حظه في الاخرة كانه غير معتبر فلا يناسب ذكره مع ما اعد الله له في الاخرة لمن
يشا ما يشا وجا فعل الشرط ماضيا والجواب مجزوم لقوله تعالي من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ولا نعلم خلافا في جواز الجزم وانه
فصيح مختارا لا ما ذكره صاحب كتاب الاعراب وهو ابو الحكم بن عذرة عن بعض
النحويين انه لا يجي في الكلام الفصيح وانما يجي مع كان لانها اصل الافعال
ولا يجي مع غيرها من الافعال ونص كلام س والجماعة انها لا تختص ذلك بكان بل
سايرا الافعال في ذلك مثلها وانشد سيبويه للفرزدق

دست رسولا بان القوم ان قدروا • عليك يشفوا صدورا ذات توغير

وقال ايضا

تعال فان عاهدتني لا تخونني • نكن مثل من يا ذيب يصطحبان

وقرا الجمهور نزد ونوته بالنون فيهما وابن مقسم والزعفراني ومحبوب والمنقري
كلاهما عن ابي عمرو بالياء فيهما وقرا سلام نوته منها برفع الها وهي لغة الحجاز ام لهم
شركاء شرعوا لهم ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين
لهم عذاب اليم تري الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربي ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور
ام يقولون افتري علي الله كذبا فان يشا الله يختم علي قلبك ويمح الله الباطل ويحق
الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيات ويعلم ما يفعلون ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشا انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث
من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن اياته خلق السموات والارض
وما بث فيهما من دابة وهو علي جمعهم اذا يشا قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير ام لهم شركا استفهام تقرير وتوبيخ لما ذكر تعالي انه شرع للناس ما وصي به
نوحا الاية اخذ ينكر ما شرع غيره تعالي والشركا هنا يحتمل ان يراد به شركاوهم
في الكفر كالشياطين والمغوين من الناس والضمير في شرعوا عايد علي الشركا والضمير
في لهم عايد علي الكفار المعاصرين للرسول ويحتمل ان يراد به الاصنام والاوثان
وكل من جعلوه شريكا لله واضيف الشركا اليهم لانهم متخذوها شركا لله فتارة
تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الي الله والضمير في شرعوا يحتمل ان يعود علي
الشركا ولهم عايد علي الكفار لما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة
لدين الكفر كما قال ابرهيم عليه السلم رب انهن اضللن كثيرا من الناس واحتمل
ان يعود علي الكفار ولهم عايد علي الشركا اي شرع الكفار لاصنامهم ومعبوداتهم
اي رسموا لهم عوايد واحكاما في المعتقدات كقولهم انهم الهة وان عبادتهم تقربهم
الي الله ومن الاحكام البحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك ولولا كلمة الفصل اي

العدة بان الفصل يكون في الاخرة اولولا القضا بذلك لقضي بين المومن والكافر
او بين المشركين وشركايهم وقرا الجمهور وان الظالمين بكسر الهمزة علي الاستيناف
والاخبار بما ينالهم في الدنيا من القتل والاسر والنهب وفي الاخرة النار وقرا
الاعرج ومسلم بن جندب وان بفتح الهمزة عطفا علي كلمة الفصل فهو في موضع رفع
اي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا
وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا كما فصل في قوله ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما واجل مسمي تري الظالمين اي تبصر الكافرين لمقابلته بالمومنين مشفقين
خايفين الخوف الشديد مما كسبوا من السيات وهو اي العذاب او يعود علي
كسبوا علي حذف اي ووبال ما كسبوا وجزاوه حال بهم وهو واقع بهم فاشفاقهم هو
في هذه الحال فليسوا كالمومنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة ولما
كانت الروضات احسن ما في الجنات وانزهها وفي اعلاها ذكرات المومنين فيها واللغة
الكثيرة تسكين الواو في روضات ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو واجرا المعتل مجرى
الصحيح نحو جفنات ولم يقرا احد مما علمناه بلغتهم وعند ظرف قال الحوفي معمول
ليشاون وقال الزمخشري منصوب بالظرف لا بيشاون انتهي وهو الصواب
ويعني بالظرف الجار والمجرور وهو لهم في الحقيقة غير معمول للعامل في لهم والمعني
ما يشاون من النعيم والثواب مستقر لهم عند ربهم والعندية عندية
المكانة والتشريف لا عندية المكان وقرا الجمهور يبشر بتشديد الشين هو
من بشر وعبد الله بن يعمر وابن ابي اسحق والجحدري والاعمش وطلحة
في رواية والكسائي وحمزة يبشر ثلاثيا ومجاهد وحميد بن قيس بضم اليا وتخفيف
الشين من ابشر وهو معدي بالهمزة من بشر اللازم المكسور الشين واما بشر
بفتحها فمتعد وبشر بالتشديد للتكثير لا للتعدية لان المتعدي الي واحد وهو
مخفف لا يعدي بالتضعيف اليه فالتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية ذلك اشارة
الي ما اعد لهم من الكرامة وهو مبتدا خبره الموصول والعايد عليه محذوف
اي يبشر الله به عباده انتهي ولا يظهر هذا الوجه اذ لم يتقدم في هذه السورة
لفظ البشري ولا ما يدل عليها من بشر او شبهه ومن النحويين من جعل الذي مصدرية
حكاه ابن مالك عن يونس وتاول عليه هذه الاية اي ذلك تبشير الله عباده
وليس بشي لانه اثبات للاشتراك بين مختلفي الحد بغير دليل وقد ثبتت اسمية
الذي فلا يعدل عن ذلك بشي لا يقوم به دليل بل ولا شبهة قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربي روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض
اترون محمدا يسال اجرا علي ما يتعاطاه فنزلت وروي ان الانصار اتوا رسول الله
صلي الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله هذا انا لله بك وانت ابن اختنا
وتعروك حقوق وما لك سعة فاستعن بهذا علي ما ينوبك فنزلت الاية فرده وقيل
الخطاب متوجه الي قريش حين جمعوا له مالا واردوا ان يرشوه عليهم علي ان يمسك
عن سب الهتهم فلم يفعل ونزلت فالمعني لا اسالكم مالا ولا رياسة ولكن اسالكم ان ترعوا
حق قرابتي وتصدقوني فيما جيتكم به وتمسكوا عن اذيتي واذية من تبعني قاله ابن
عباس وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس
علينا في هذه الاية فكتبنا الي ابن عباس رضي الله عنهما فكتب ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش ليس بطن من بطونهم الا قد ولده فقال
فقال الله تعالي له قل لا اسالكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي منكم فادعوا
ما بيني وبينكم فصدقوني وقال عكرمة وكانت قريش تصل ارحامها وقال الحسن
المعني الا ان تتوددوا الي الله بالتقرب اليه وقال عبد الله بن القسم الا ان
الا ان تتوددوا بعضكم الي بعض وتصلوا قراباتكم وروي ان شبابا من الانصار
فاخروا المهاجرين وصالوا بالقول فنزلت علي معني الا تودوني في قرابتي

ولا تخفظوني فيهم وقال بهذا المعني علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب واستشهد بالاية
حين سيق الي الشام اسيرا وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب وعلي هذا
التاويل قال ابن عباس قيل يا رسول الله من قرابتك الذين امرنا بمودتهم فقال
علي وفاطمة وابناهما وقيل هم ولد عبد المطلب والظاهر ان قوله الا المودة
استثنا منقطع لان المودة ليست اجرا وقال الزمخشري يجوز ان يكون استثناء
متصلا اي لا اسالكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا
اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة وقال
فان قلت هلا قيل الا مودة القربي او الا المودة للقربي قلت جعلوا مكانا
للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوي وحب شديد تريد احبهم
وهم مكان حبي ومحله وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربي
انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره
الا المودة ثابتة في القربي ومتمكنة فيها انتهي وهو حسن وفيه تكثير وقرا زيد
بن علي الا مودة والجمهور الا المودة ومن يقترف حسنة اي يكتسب والظاهر
عموم الحسنة عموم البدل فيندرج فيها المودة في القربي وغيرها وعن ابن عباس
والسدي انها المودة في ال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور نزد بالنون
وزيد بن علي وعبد الوارث عن ابي عمرو واحمد بن جبير عن الكسائي يزد بالياء اي
يزد الله والجمهور حسنا بالتنوين وعبد الوارث عن ابي عمرو واحمد بن جبير
عن الكسائي يزد بالياء وحسني بغير تنوين علي وزن رجعي وزيادة حسنها مضاعفة اجرها
ان الله غفور شكور تعوب عباده شكور مجاز علي الدقيقة لا يضيع عنده عمل العامل
وقال السدي غفور لذنوب آل محمد عليه السلام شكور لحسناتهم ام يقولون افتري
علي الله كذبا اضرب عن الكلام المتقدم من غير ابطال واستفهم استفهام انكار وتوبيخ
علي هذه المقالة اي مثله لا ينسب اليه الكذب علي الله مع اعترافكم له قبل بالصدق
والامانة فان يشا الله يختم علي قلبك قال مجاهد يربط علي قلبك بالصبر علي اذاهم
حتي لا يشق عليك قولهم انك مفتر وقال قتادة وجماعة يختم علي قلبك ينسيك
القران والمراد الرد علي مقالة الكفار وبيان ابطالها وذلك كانه يقول وكيف يصح
ان يكون مفتريا وانت من الله بمراي وسمع وهو قادر لو شا ان يختم علي قلبك فلا
تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراوك فمقصد اللفظ هذا المعني وحذف ما يدل
عليه الظاهر اختصارا واقتصارا انتهي هكذا اورد هذا التاويل عن قتادة بن
عطية وفي الفاظه فظاظة لا يليق ان ينسب للانبيا وقال الزمخشري
عن قتادة ينسك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افتري علي الله الكذب
لفعل به ذلك انتهي وقال الزمخشري ايضا فان يشا الله يجعلك من المختوم
علي قلوبهم حتي تفتري عليه الكذب فانه لا يجتري علي افترا الكذب علي الله الا من
كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافترا من مثله وانه في البعد
مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم علي قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامنا
فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمي قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمي القلب وانما
يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه علي انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن
عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضايه كقوله بل نقذف بالحق علي
الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف
بالحق علي باطله فدمغه انتهي وقيل المعني لو افتريت علي الله لطبع علي قلبك حتي لا تقدر
علي حفظ القران وقيل يختم علي قلبك بالصدق واليقين وقد فعل ذلك وذكر القشيري
ان المعني يختم علي قلوب الكفار وعلي السنتهم ويعاجلهم بالعذاب انتهي فيكون التفاتا من
الغيبة الي الخطاب ومن الجمع الي الافراد اي يختم علي قلبك ايها القايل انه
افتري علي الله كذبا ويمح الله الباطل استينافا فاخبارا اي يمحوه اما في الدنيا واما في الاخرة

بحسب

بحسب نازله نازله وكتب ويمح بغير واو ولما كتبوا سندع بغير واو اعتبارا بعدم ظهورها
لانه لا يوقف عليها وقف اختيار فلما سقطت من اللفظ سقطت من الخط وقال الزمخشري
ويجوز ان تكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت
والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقران وبقضايه الذي لا مرد له من نصرتك
عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر علي حسب ذلك انتهي وقيل
ويحق الاسلام بكلماته اي بما انزل من القران وتقدم الكلام في شرايط التوبة قال
قبلت منه الشي بمعني اخذته منه لقوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم اي يوخذ اي
جعلته مبدا قبولي ومنشاءه وقبلته عنه عزلته عنه وابنته فمعني عن عباده اي يزيل
الرجوع عن المعاصي ويعفو عن السيات قال الزمخشري عن السيات اذا تيب عنها وعن
الصغاير اذا اجتنب الكباير انتهي وهو علي طريقة الاعتزال ان الكباير لا يعفي عنها الا
بالتوبة ويعلم ما يفعلون فيثيب ويعاقب وقرا الجمهور ما يفعلون بيا الغيبة وعبد الله
وعلقمة والاخوان وحفص بتا الخطاب والظاهر ان الذين فاعل ويستجيب اي ويجيب
الذين امنوا لربهم كما قال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم فيكون يستجيب بمعني يجيب او يبقي عليه بابه من الطلب اي يستدعي الذين امنوا
الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة وقال سعيد بن جبير هذا من فعلهم اذا دعاهم وعن
ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله
يدعوا الي دار السلام ويستجيب الذين امنوا قال الزجاج الذين مفعول واجاب
واستجاب بمعني واحد فالمعني فيجيب الله الذين امنوا اي للذين كما قال فلم يستجبه
عند ذلك مجيب اي لم يجبه وروي هذا المعني عن معاذ بن جبل وابن عباس ويزيدهم
من فضله اي علي الثواب تفضلا وفي الحديث قبول الشفاعات في المومنين والرضوان
وقال خباب بن الارت نظرنا الي اموال بني قريظه والنضير وبني قينقاع فتمنيناها
فنزلت ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال عمرو بن حريث طلب قوم
من اهل الصفة من الرسول عليه السلام ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق
فنزلت اعلم ان الرزق لو جاعلي اقتراح البشر لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه تعالي
اعلم بالمصلحة فرب انسان لا يصلح ويكتفي شره الا بالفقر واخر بالغني وفي هذا المعني
والتقسيم حديث رواه انس وقال اللهم اني من عبادك الذين لا يصلحهم الا الغني فلا تفقرني
وبلغوا اما من البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض ففعلوا ما يتبع الكبر من العلو والفساد
واما من الظلم اي لظلم هذا ذاك وذاك هذا لان الاشر والبطر مع الغني الي تري الي حال
قارون وفي الحديث اخاف ما اخاف علي امتي زهرة الدنيا وقال الشاعر

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والفتن ولكن ينزل بقدر ما يشا يقال قدره قدرا والسكون
وبالفتح اي يقدر لهم ما هو اصلح لهم وقرا الجمهور قنطوا بفتح النون والاعمش وابن
وثاب بكسرها وينشر رحمته ما يظهر من اثار الغيث من المنافع والخصب والظاهر
ان رحمته نشرها اعم مما في الغيث وقال السدي رحمة الغيث وعدد النعمة معها
بلفظين وقيل الرحمة هنا ظهور الشمس لانه اذا دام المطر سيم فتجي الشمس بعده
عظيمة الموقع ذكره المهدوي وهو الولي الذي يتولي عباده الحميد المحمود علي ما اسدي
من نعمايه وما بث الظاهر انه مجرور عطفا علي السموات والارض ويجوز ان يكون مرفوعا
عطفا علي خلق علي حذف مضاف اي وخلق ما بث وفيهما يجوز ان يكون مما نسب فيه دابه الي
المجموع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو فلان صنعوا كذا وانما صنعه
واحد منهم ومنه يخرج منهما وانما يخرج من الملح او يكون من الملايكة بعض يمشي مع
الطيران فيوصف بالدبيب كما يوصف به الاناسي او يكون قد خلق في السموات حيوانا
يمشي مع مشي الاناسي علي الارض او يريد الحيوان الذي يكون في السحاب وقد يقع احيانا
كالضفادع والسحاب داخل في اسم السما وقال مجاهد وما بث فيهما من دابة هم الناس

والملايكة وقال ابوعلي هو على حذف مضاف اي وما بنه في احد هما وقرا الجمهور فبما
بالفا وكذا هي في معظم المصاحف واحتمل ما ان تكون شرطية وهو الاظهر وان تكون
موصولة والفا ندخل في خبر الموصول اذا اجري مجري الشرط بشرايط ذكرت في النحو
وهي هنا موجودة وقرا نافع وابن عامر وابوجعفر في رواية وشيبة بما بغير فا وهي
موصولة ولايجوز ان تكون شرطية وحذفت الفا لان ذلك مما تختص به بالشعر
واجاز ذلك الاخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على ارادة الفا وترتب ما اصاب من
المصايب على كسب الايدي موجود مع الفا ودونها هنا والمصيبة الرزايا والمصايب
في الدنيا وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه وانه تعالى يعفو عن كثير
فلا يجازي عليه بمصيبة وفي الحديث لايصيب ابن ادم خدش عود او عثرة قدم ولا
اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وسيل عمران بن حفص عن مرضه فقال لا
اذا احبه الي احبه الي الله وهذا مما كسبت يداي ورأي على كف شريح قرحة فقيل بما هذا
فقال بما كسبت يدي وقال الزمخشري الاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان
يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لاجرم له كالانبيا والاطفال
والمجانين فهولا اذا اصابتهم شي من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي هذه
ارجى اية للمومنين وقال الحسن من مصيبة اي حد من حدود الله وتلك مصايب تنزل
بتخصص الانسان ونفسه فانما هي بكسب ايديكم ويعفو الله عن كثير فستره على
العباد حتي لا يحد عليه وما انتم بمعجزين اي فايتين اي انتم في قبضة القدرة وتنزل
بكم المصايب من الاسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب وتنزل
لقوله تعالي اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ولا اشتراك للصالح والطالح فيهما بل
اكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون وفي الحديث خص بالبلا الانبيا ثم الامثل فالامثل
ولان الدنيا دار التكليف فلو حصل الجزا فيها لكانت دار الجزا وليس الامر كذلك
وهذا القول يوخره نصوص القران كقوله تعالي فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا
وما عند الله خير وابقي للذين امنوا وعلي ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
وامرهم شوري بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
وجزا سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره علي الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر
بعد ظلمه فاوليك ما عليهم من سبيل انما السبيل علي الذين يظلمون الناس ويبغون
في الارض بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وتري الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الي
مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي
لما ذكر تعالي من دلايل وحدانيته انواعا ذكر بعدها العالم الاكبر وهو السموات
والارض ثم العالم الاصغر وهو الحيوان ثم اتبعه بذكر المعاد اتبعه بذكر السفن
الجارية في البحر لما فيها من عظيم دلايل القدرة من جهة ان الما جسم لطيف شفاف
يغوص فيه الثقيل والسفن تشحن بالاجسام الكثيفة الثقيلة ومع ذلك جعل تعالي
للما قوة يحملها بها ويمنع من الغوص ثم جعل الرياح سببا لسيرها فاذا اراد ان ترسو
اسكن الريح فلا تبرح عن مكانها والجواري جمع جارية واصله السفن الجواري حذف
الموصوف وقامت صفته مقامه وحسن ذلك قوله في البحر فدل ذلك علي انها صفة للسفن
والا فهي صفة غير مختصة فكان القياس ان لا يحذف الموصوف ويقوم مقامه ويمكن
ان يقال انها صفة غالبة كالابطح فجاز ان تلي العوامل بغير ذكر الموصوف وقري
الجواري بالياء ودونها وسمع من العرب الاعراب في الرا وفي البحر متعلق بالجواري ص

وكالاعلام

وكالاعلام في موضع الحال والاعلام الجبال ومنه قول الخنسا اخت صخر ومعاوية

وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار

ومنه اذا قطعن علما بدا علم وقرا الجمهور الشبعة الريح افرادا ونافع جمعا وقرا الجمهور
فيظللن بفتح اللام وقرا قتادة بكسرها والقياس الفتح لان الماضي بكسر العين
والكسر في المضارع شاذ وقال الزمخشري من ظل يظل ويضل نحو ضل يضل ويضل
انتهي وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بكسرها
من ضللت بفتحها في الماضي وكلاهما مقيس لكل صبار على بلايه شكور لنعمايه او يوبقهن
يهلكهن اي الجواري وهو عطف على يسكن والضمير في كسبوا عايد على ركاب السفن اي
بذنوبهم وقرا الاعمش ويعفو بالواو وعن اهل المدينة بنصب الواو والجمهور
ويعف مجزوما عطفا على يوبقهن فاما قراة الاعمش فانه اخبر تعالي انه يعفو عن كثير
اي لا يواخذ بجميع ما اكتسب الانسان واما النصب فباضمار ان بعد الواو كالنصب
بعد الفا في قراة من قرا يحاسبكم به الله فيغفر وبعد الواو في قول الشاعر

فان يهلك ابوقابوس يهلك • ربيع الناس والشهر الحرام

ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام

روي بنصب ونأخذ ورفعه وجزمه وفي هذه القراة يكون العطف على مصدر متوهم
اي يقع ابياق وعفو عن كثير واما الجزم فانه داخل في حكم جواب الشرط اذ هو معطوف
عليه وهو راجع في المعني الي قراة النصب لكن هذا عطف فعل علي فعل وفي النصب
عطف مصدر مقدر علي مصدر متوهم وقال القشيري وقري ويعف بالجزم
وفيها اشكال لان المعني ان يشا يسكن الريح فتبقي تلك السفن رواكد او يهلكها بذنوب
اهلها فلا يحسن عطف ويعف علي هذا لان المعني يصير ان يشا يعف وليس المعني ذلك
بل المعني الاخبار عن العفو من غير شرط المشية فهو اذن عطف علي المجزوم من
حيث اللفظ لا من حيث المعني وقد قرا قوم ويعفو بالرفع وهي جيدة في المعني انتهي
وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعني انه تعالي ان يشا اهلك ناسا
وانجي ناسا علي طريق العفو عنهم وقال الزمخشري فان قلت علي م عطف يوبقهن قلت
علي يسكن لان المعني ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها انتهي
ولا يتعين ان يكون التقدير او يعصفها فيغرقن لان اهلاك السفن لا يتعين ان يكون
بعصف الريح بل قد يهلكها تعالي بسبب الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل او انكسار
اللوح يكون سببا لاهلاكها او يعرض عدو يهلك اهلها وقرا الاعرج وابوجعفر وشيبة
ونافع وابن عامر وزيد بن علي ويعلم بالرفع علي القطع وقرا الجمهور ويعلم بالنصب قال ابو
علي حسن النصب اذا كان قبله شرط وجزا وكل واحد منهما غير واجب وقال الزجاج هو
على اضمار ان لان قبلها جزا تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شيت واكرمك علي
وانا اكرمك وان شيت واكرمك جزما قال الزمخشري فيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه
قال واعلم ان النصب بالفا والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو
من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا لا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه
في الجزا صار اقوي قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول
فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا علي ضعفه قال
الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراة المستفيضة علي وجه ضعيف ليس بحد الكلام
ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلا سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من
الايات المشكلة انتهي وخرج الزمخشري النصب علي انه معطوف علي تعليل محذوف
قال تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف علي التعليل المحذوف
غير عزيز في القران ومنه قوله تعالي ولنجعله اية للناس وقوله خلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت انتهي ويبعد تقديره لينتقم منهم لانه
ترتب علي الشرط اهلاك قوم فلا يحسن لينتقم منهم واما الاتيان فيمكن ان تكون

اللام متعلقة بفعل محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك ولتجزي كل نفس بما كسبت
فعلنا ذلك وهو كثيرا يقدر هذا الفعل محذوفا قبل لام العلة اذا لم يكن فعل ظاهر يتعلق به
وذكر الزمخشري ان قوله تعالى ويعلم قرئ بالجزم فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم
قلت كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين
انتهى لان قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يتضمن تحذيرهم
من عقاب الله وما لهم من محيص في موضع نصب لان ويعلم معلقة كقولك علمت ما زيد
قايم وقال ابن عطية في قراة النصب وهذه الواو ونحوها التي تسميها الكوفيون
واو الصرف لان حقيقة واو الصرف التي تريد بها عطف فعل على اسم مقدر له
فيقدر ان لتكون مع الفعل بتاويل المصدر فيحسن عطفه على الاسم انتهى وليس قوله
لان تعليلا لقولهم واو الصرف انما هو تقرير لمذهب البصريين فان واو الصرف
ناصبة بنفسها لا باضمار ان بعدها وقال ابو عبيد على الصرف كالذي في ال عمران ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومعنى الصرف انه كان على جهة فصرف الى غيرها
فتغير الاعراب لاجل الصرف والعطف لا يبين الاقتران وكذلك واو الصرف يفيد معنى
الاقتران ويبين معنى الاجتماع ولذلك اجمع على النصب في قوله ويعلم الصابرين
اي ويعلم المجاهدين والصابرين معا عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه
مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت فما
اوتيتم من شي والظاهر انه خطاب للناس وقيل للمشركين وما شرطية مفعول ثان لاوتيتم
ومن شي تبيين لما والمعنى من شي من رياش الدنيا ومالها والسعة فيها والفا جواب الشرط
اي فهو متاع اي يستمتع به في الحيوة وما عند الله اي من ثوابه وما اعد لاوليايه خير وابقى
متاع وتيتم لانه لا انقطاع له وتقدم الكلام في الكباير في قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه في النسا وقرا الجمهور كباير جمعا هنا وفي النجم وحمزة والكساي بالافراد والذين
يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذلك ما بعده ووقع لابي البقا وهم في التلاوة اعتقد انها
الذين يجتنبون بغير واو وبنى عليه الاعراب فقال الذين يجتنبون في موضع جر بدلا
من الذين امنوا ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار اعني وفي موضع رفع على تقديرهم
انتهى والعامل في اذا يغفرون وهي جملة من مبتدا وخبر معطوفة على يجتنبون ويجوز ان
يكون هم توكيدا للفاعل في غضبوا وقال ابو البقا هم مبتدا ويغفرون الخبر والجملة جواب
اذا انتهى وهذا لا يجوز لان الجملة لو كانت جواب اذا لكانت بالفا تقول اذا جا زيد فعمرو
منطلق ولا يجوز حذف الفا الا ان ورد في شعر وقيل هم مرفوع بفعل محذوف يفسره يغفرون
ولما حذف انفصل الضمير وهذا القول فيه نظر وهو ان جواب اذا يفسر كما يفسر فعل
الشرط بعدها نحو اذا السما انشقت ولا يبعد جواز ذلك على مذهب س اذ اجاز ذلك
في اداة الشرط الجازمة نحو ان تنطلق زيد ينطلق فزيد عنده فاعل بفعل محذوف
يفسره الجواب اي ينطلق زيد ينطلق ومنع ذلك الكساي والفرا قال الزمخشري هم يغفرون
اي هم الاخصا بالغفران في حال الغضب لا تغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس
والمجي بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفايدة انتهى وفيه حض على
كسر الغضب وفي الحديث اوصني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب قال زدني قال
لا تغضب والذين استجابوا لربهم قيل نزلت في الانصار دعاهم الله للايمان به وطاعته فاستجابوا
له وكانوا قبل الاسلام وقيل تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا نابهم امر
تشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون بامر حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن [illegible]
ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم انتهى وفي الشورى اجتماع الكلمة والتحابب
والتعاضد على الخير وقد شاور الرسول عليه السلم فيما يتعلق بمصالح الحروب
والصحابة بعده في ذلك كمشاورة عمر للهرمزان وفي الاحكام كقتال اهل الردة وميراث
الجد وعدد حد الخمر وغير ذلك والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور وعلى حذف
مضاف اي وامرهم ذو شورى بينهم وهم ينتصرون صلة للذين واذا معمولة لينتصرون

ولا يجوز ان ينتصرون جوابا لاذا والجملة الشرطية وجوابها صلة لما ذكرناه من لزوم
الفا ويجوز هنا ان يكون هم فاعلا بفعل محذوف على ذلك القول الذي قيل في هم يغفرون
وقال الحوفي وان شيت جعلت هم توكيدا للها والميم يعني في اصابهم وهو ضمير رفع وفي
هذا نظر اذ فيه الفصل بين المؤكد والتوكيد بالفاعل وهو فصل والظاهر انه لا يمتنع
والانتصار ان يقتصر على ما حده الله له ولا يعتدي وقال النخعي كانوا يكرهون
ان يذلوا انفسهم فيجتري عليهم الفساق ومن انتصر غير متعد فهو مطيع محمود
وقال مقاتل وهشام بن عروة الاية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص وقال
ابن عباس بغى المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واخرجوهم
من مكة فاذن الله لهم بالخروج فمكن لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وقال
الكيا الطبري ظاهره ان الانتصار في هذا الموضع افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر
الاستجابة لله ولرسوله واقامة الصلوة فهذا على ما ذكره النخعي وهذا فيمن تعدى
واصر والمامور فيه بالعفو اذا كان الجاني نادما مقلعا وقد قال عقيب هذه
الاية ولمن انتصر بعد ظلمه الاية فيقتضي اباحة الانتصار وقد عقبه بقوله
ولمن صبر وغفر وهذا محمول على الغفران عن غير المصر فاما المصر على البغي
فالافضل الانتصار منه بدليل الاية قبلها وقال ابن بكر المعنى تناصروا عليه
فازالوه عنهم وقال ابو بكر بن العربي نحوا من قول الكيا وقال الجمهور اذا بغى مومن
على مومن فلا يجوز له ان ينتصر منه بنفسه بل يرفع ذلك الى الامام او نايبه وقالت
فرقة له ذلك وجزا سيية سيية مثلها هذا بيان للانتصار اي لا يتعدى فيما يجازي
به من بغى عليه قال ابن ابي نجيح والسدي اذا شيتم فله ان يرد مثل ما شيتم به دون
ان يتعدى وسمي القصاص سيية على سبيل المقابلة او لانها تسو من اقتص منه
كما سات المقتص وظاهر قوله مثلها المماثلة مطلقا في كل الاحوال الا فيما خصه
الدليل والفقها ادخلوا التخصيص في صور كثيرة بنا على القياس قال مجاهد والسدي
اذا قال له اخزاك الله فليقل له اخزاك الله واذا قذفه قذفا يوجب الحد بل الحد
الذي امره الله فمن عفا واصلح اي بينه وبين خصمه بالعفو فاجره على الله عدة
مبهمة لا يقاس عظمها اذ هي على الله انه لا يحب الظالمين اي الجانين واذا كان
لا يحبه وقد ندب الى العفو عنه فالعفو الذي يحبه الله اولى ان يعفى عنه او لا يحب
الظالمين من تجاوز واعتدى من المجني عليهم اذا اقتصوا وخصوصا في حالة الحرد
والتهاب الحمية فربما يظلم وهو لا يشعر وفي الحديث اذا كان يوم القيامة نادى مناد
من كان له اجر على الله فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن
عفونا عن من ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله واللام في ولمن انتصر لام توكيد
قال الحوفي وفيها معنى القسم وقال ابن عطية لام التقا القسم ويعني انها اللام
التي يتلقى بها القسم فالقسم قبلها محذوف ومن شرطية وحمل انتصر بعد ظلمه على لفظ
من وفا وليك على معنى من والفا جواب الشرط وظلمه مصدر مضاف الى المفعول
قال الزمخشري ويفسره قراة من قرا بعد ما ظلم ما عليهم من سبيل قال اي من طريق
الى الحرج وقيل من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعايب وهذه مبالغة في اباحة الانتصار
انما السبيل اي سبيل الاثم والحرج على الذين يظلمون اي يبتدئون بالظلم ويبغون
في الارض اي يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون وقيل يظلمون الناس اي يضعون الاشيا
غير مواضعها من القتل واخذ المال والاذى باليد واللسان والبغي بغير الحق هو نوع
من انواع الظلم خصه بالذكر تنبيها على شدته وسو حال صاحبه انتهى ولمن صبر اي على
الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر واللام في ولمن يجوز ان تكون اللام لام الابتدا ومن
موصولة مبتدا والجملة المؤكدة بان في موضع الخبر وقال الحوفي من رفع بالابتدا واضمر
الخبر وجواب الشرط ان وما تعلقت به على حذف الفا كما قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها

اي فانه يشكرها انتهي وهذا ليس بجيد لان حذف الفا المخصوص بالشمر عند س
ذا الاشارة بذلك الي ما يفهم من مصدر صبر وغفر والعايد علي الموصول المبتدا من الخبر
محذوف اي ان ذلك منه لدلالة المعني عليه لمن عزم الامور ان كان ذلك اشارة الي المصدر
المفهوم من قوله ولمن صبر وغفر لم يكن في عزم الامور حذف وان كان ذلك اشارة الي المبتدا
كان هو الرابط ولا يحتاج الي تقدير منه وكان في عزم الامور حذف اي انه لمن ذوي عزم
الامور وسب رجل اخر في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق
ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها الله وفهمها لما ضيعها الجاهلون والجملة من
قوله انما السبيل اعتراض بين قوله ولمن انتصر وقوله ولمن صبر ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده اي من ناصر يتولاه من بعده اي من بعد اضلاله وهذا تحقير لامر الكفرة
وتري الظالمين الخطاب للرسول والمعني وتري حالهم وما هم فيه من الحيرة لما راوا
العذاب يقولون هل الي مرد من سبيل اي هل سبيل الي الرد للدنيا وذلك من فظيع
ما اطلعوا عليه وسوء ما يحل بهم وتراهم يعرضون عليها اي علي النار دل عليها ذكر العذاب
خاشعين متضايلين صاغرين مما يلحقهم من الذل وقرا طلحة من الذل بكسر الذال
والجمهور بالضم والخشوع الاستكانة وهو محمود وانما اخرجه الي الذم اقترانه
بالذل وقيل من الذل متعلق بينظرون من طرف خفي قال ابن عباس ذليل انتهي
قيل ووصف بالخفا لان نظرهم ضعيف ولحظهم بمهابة قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير

وقيل يحشرون عميا ولما كان نظرهم بعيون قلوبهم جعله طرفا خفيا اي لا يبد ونظرهم
وهذا التاويل فيه تكلف وقال السدي وقتادة المعني يسارقون النظر لما كانوا فيه
من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون من بعضها
فيجوز علي هذا التاويل ان يكون الطرف مصدرا اي من نظر خفي وقال الزمخشري
من طرف خفي اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما تري المصبور
ينظر الي السيف وهكذا نظر الناظر الي المكاره ولا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا
عينيه منها كما يفعل في نظره الي المحاب وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من
اوليا ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم
حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا يهب لمن
يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما انه عليم
قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشا انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الي صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الي الله تصير الامور الظاهر
ان وقال ماض لفظا ومعني اي وقال الذين امنوا في الحيوة الدنيا ويكون يوم القيامة
معمولا لخسروا ويحتمل ان يكون معني وقال ويقول ويوم القيامة معمول لو يقول
اي ويقول في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار واهليهم الظاهر انهم الذين كانوا اهليهم
في الدنيا فان كانوا معهم في النار فقد خسروهم اذ لا ينتفعون بهم وان كانوا في الجنة
تكونهم كانوا مومنين كاسية امراة فرعون فهم لا ينتفعون بهم ايضا وقيل اهلوهم
ما كان اعد لهم من الحور لو كانوا امنوا والظاهر ان قوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم
من كلام المومنين وقيل استينافا اخبار من الله تعالي من قبل ان ياتي يوم قيل هو يوم
ورود الموت والظاهر انه يوم القيامة ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد
اي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه وقال الزمخشري من الله من صلة لا مرد

انتهي

انتهي وليس بجيد اذ لو كان من صلته لكان معمولا له فكان يكون اسم لا من قبيل المطول
فكان يكون معربا منونا وقيل من الله يتعلق بقوله ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر
احد علي رده ما لكم من ملجا يلجؤن اليه فيتخلصون من العذاب وما لكم من انكار شي من اعمالكم
التي توردكم النار والنكير مصدر انكر علي غير قياس قيل ويحتمل ان يكون اسم فاعل للمبالغة
وفيه بعد لان نكر معناه لم يميز فان اعرضوا الاية تسلية للرسول وتانيس له وازالة
لهمه بهم والانسان يراد به الجنس ولذلك جا وان تصبهم سيئة وجا جواب الشرط
فان الانسان دون ياتي فانه ولا فانهم ليدل علي ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال
ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود ولما ذكر انه يكفر النعم اتبع ذلك بانه
له ملك العالم العلوي والسفلي وانه يفعل ما يريد ونبه علي عظيم قدرته وان الكاينات
ناشية عن ارادته فذكر انه يهب لبعض اناثا ولبعض ذكورا ولبعض الصنفين
ويعقم بعضا فلا يولد له وقال اسحق بن بشر نزلت هذه الاية في الانبيا ثم عمت
فلوط ابو بنات لم يولد له ذكر وابرهيم ضده ومحمد صلي الله عليه وسلم وعليهما ولد له
الصنفان ويحيى عقيم انتهي وذكر ايضا مع لوط شعيب ومع يحيي عيسي وقدم تعالي
هبة البنات تانيسا بهن وتشريفا لهن لتهمم بصونهن والاحسان اليهن
وفي الحديث من ابتلي بشي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار
وقال واثلة بن الاسقع من يمن المراة تبكيرها بالانثي قبل الذكر لان الله تعالي
بدا بالاناث وقال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث علي الذكور مع تقدمهم
عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلا في اخر الاية
الاولي وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم ذكره بذكر ملكه ومشيته
وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاوه لا ما يشاه
الانسان فكان ذكر الاناث اللاي من جملة ما لا يشاوه الانسان اهم والاهم واجب
التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلا ذكر البلا واخر الذكور فلما
اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقا بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير
كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم
ثم اعطي بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن
لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضي اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من
ذكر وانثي فجعل منه الزوجين الذكر والانثي انتهي وقيل بدا بالانثي ثم ثني بالذكر
لتنقله من الغم الي الفرج وقيل ليعلم انه لا اعتراض علي الله فيرضي فاذا وهب
له الذكر علم انه زيادة وفضل من الله واحسان اليه وقيل قدمها تنبيها علي انه اذا كان
العجز والحاجة لهم كانت عناية الله اكثر وقال مجاهد والضحاك والحسن وابو مالك
وابو عبيدة اناثا لا ذكور معهن وذكورا لا اناث معهم وقال القتبي التزويج الجمع بين
البنين والبنات وقال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم تلد جارية وقال محمد
بن الحنفية ان تلد توما غلاما وجارية وقال ابو بكر بن العربي او يزوجهم ذكرانا
واناثا قال علماونا يعني ادم كانت حوا تلد له في كل بطن توامين ذكرا وانثي تزوج
ذكر هذا البطن انثي البطن الاخر انتهي ولما ذكر الهبة في الاناث والهبة في الذكور
اكتفي عن ذكرها في قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولما كان العقم ليس بمحمود
قال ويجعل من يشا عقيما وهو تقسيم لمن يولد له ولما كانت الخنثي مما تحزن بوجوده
لم يذكره تعالي قالوا وكانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثي الي ان وقع في الجاهلية
الاولي الخنثي فسيل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه فلم يدر
ما يقول وارجاهم فلما جن عليه الليل جعل يتقلب وتذهب به الافكار وانكرت
خادمه حاله فسالته فقال بهرت لامر لا ادري ما اقول فيه فقالت له ما هو فقال
شخص له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الامة ورثه من حيث
يبول فعقلها واصبح فعرضها عليهم فرضوا بها وجا الاسلام علي ذلك وقضي بذلك علي

كرم الله وجهه انه عليم بمصالح العباد قد يرعلي تكوين ما يشا لان من الكفار خوض في معني
تكليم الله موسي فذهبت قريش واليهود في ذلك الي التجسيم فنزلت وقيل قالت قريش
الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا صادقا كما كلمه موسي ونظر اليه فقال لهم الرسول
عليه السلم لم ينظر موسي الي الله فنزلت وما كان لبشر ان يكلمه الله بيانا لصورة
تكليم الله عباده اي ما ينبغي ولا يمكن الا يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام قال
مجاهد والنفث في القلب قال النقاش او وحي في المنام وقال النخعي كان في الانبيا
من يخط له في الارض او بان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا
كموسي عليه السلم وهذا معني من وراء حجاب اي من خفا عن المتكلم لا يحده ولا
يتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب في الشاهد او بان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحي
الله تعالي قاله ابن عطية وقال الزمخشري وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله
الا علي ثلثة اوجه اما علي طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب والمنام
كما اوحي الي ام موسي والي ابرهيم عليهما السلم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحي الله
الزبور الي داود عليه السلم في صدره قال عبيد بن الابرص

• واوحي الي الله ان قد تامروا • بابل ابي اوفي فقمت علي رجل •

اي الهمني وقذف في قلبي واما علي ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام
من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب
مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يري شخصه وذلك كما كلم موسي ويكلم الملايكة واما علي ان يرسل اليه رسولا من
الملايكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبيا غير موسي انتهي وهو علي طريق المعتزلة في استحالة
روية الله تعالي ونفي الكلام الحقيقي عن الله وكل هذه الاقسام الثلثة يصدق
عليها انها وحي وخص الاول باسم الوحي هنا لان ما يقع في القلب علي سبيل الالهام
يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولي وقيل وحيا كما اوحي الي الرسل
بواسطة الملايكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبيا علي السنتهم حكاه
الزمخشري وترك تفسيرا ومن وراء حجاب ومعناه في هذا القول كما كلم محمدا وموسي
صلي الله عليهما وقرا الجمهور حجاب مفردا وابن ابي عبلة حجب جمعا والجمهور او
يرسل رسولا فيوحي بنصب الفعلين عطف او يرسل علي المضمر الذي يتعلق به
من وراء حجاب تقديره او يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف علي وحيا
والمعني الا بوحي او سماع من وراء حجاب او ارسال رسول فيوحي ذلك الرسول
الي النبي الذي ارسل عنه باذن الله ما يشا ولا يجوز ان يعطف او يرسل علي ان يكلمه
الله لفساد المعني وقال الزمخشري ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع
الحال لان ان يرسل في معني ارسالا ومن وراء حجاب ظرفا واقع موقع الحال
ايضا كقوله وعلي جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء
حجاب او مرسلا انتهي اما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وانما قالته العرب
وكذلك لا يجوز جا زيد بكا يريد باكيا وقاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل نحو جا زيد
مشيا او سرعة ومنع ان يقع ان والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز
نحو جا زيد ان يضحك في معني ضحكا الواقع موقع حاكيا فجعله وحيا مصدرا في موضع
الحال مما لا ينقاس وان يرسل في معني ارسالا الواقع موقع مرسلا ممنوع بنص س
وقرا نافع واهل المدينة او يرسل رسولا فيوحي بالرفع فيهما فخرج علي اضمار هو يرسل
او علي ما يتعلق به من وراء اذ تقديره او يسمع من وراء حجاب ووحيا مصدر في موضع
الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير الا موحيا او مسمعا
من وراء حجاب او مرسلا واسناد التكلم الي الله بكونه ارسل رسولا مجاز كما تقول
نادي الملك في الناس بكذا وانما نادي البرح الذي في الاسواق نزل ما كان بواسطة
منزلة ما كان بغير واسطة قال ابن عطية وفي هذه الاية دليل علي ان الرسالة من انواع

التكليم وان الحالف المرسل حانث اذا حلف ان لا يكلم انسانا فارسل اليه وهو لم ينو المشافهة
وقت يمينه انتهي انه علي عن صفات المخلوقين حكيم تجري افعاله علي ما تقتضيه الحكمة
يكلم بواسطة وبغير واسطة وكذلك اوحينا اي مثل ذلك الايحا الفصل اوحينا اليك
اذ كان عليه السلم اجتمعت له الطرق الثلث النفث في الروع والمنام وتكليم الله له
حقيقة ليلة الاسرا وارسال رسول اليه وهو جبريل وقيل كما اوحينا الي الانبيا قبلك
اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس النبوة وقال السدي الوحي وقال قتادة
رحمة وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقيل القران وسمي ما اوحي اليه روحا لان
به الحيوة من الجهل وقال مالك بن دينار يا اهل القران ماذا زرع القران في قلوبكم فان
القران ربيع القلوب كما ان الغيث ربيع الارض ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان توقيف علي عظم المنة وهو صلي الله عليه وسلم اعلم الناس بها وعطف ولا الايمان
علي ما الكتاب وانما معناه الايمان الذي لا يدركه السمع لان لنا اشيا من الايمان لا يعلم
الا بالوحي اما توحيد الله وبراته من النقايص ومعرفة صفاته العلي فجميع الانبيا
عليهم السلم عالمون بذلك معصومون ان يقع منهم زلل في شي من ذلك سابق لهم علم ذلك
قبل ان يوحي اليهم وقد اطلق الايمان علي الصلوة في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
اذ هي بعض ما يتناوله الايمان ومن طالع سير الانبيا من نشاتهم الي مبعثهم تحقق عنده
انهم معصومون من كل نقيصة موحدون لله منذ نشوا قال الله تعالي في حق يحيي
عليه السلم واتيناه الحكم صبيا قال معمر كان ابن سنتين او ثلث وعن ابي العالية
ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الي الايمان وقال
القاضي ولا الايمان الفرايض والاحكام قال وكان قبل مومنا بتوحيد الله ثم نزلت
الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وقال القشيري يجوز اطلاق
الايمان علي تفاصيل الشرع وقال الحسين بن الفضل هو علي حذف مضاف اي ولا اهل
الايمان اي من الذي يومن ابو طالب او العباس او غيرهما وقال علي بن عيسي اذ كنت
في المهد وقيل ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك وقيل
اي كنت من قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان فتكون اخذت ما جيتهم به عن من
كان يعلم ذلك منهم ما الكتاب جملة استفهامية مبتدا وخبر وهي في موضع نصب بتدري
وهي معلقة ولكن جعلناه نورا احتمل ان يعود الي قوله روحا والي الكتاب والي الايمان
وهو اقرب مذكور وقال ابن عطية عايد علي الكتاب انتهي وقيل يعود الي الكتاب
والايمان معا لان مقصد هما واحد فهو نظير والله ورسوله احق ان يرضوه وقرا
الجمهور لتهدي مضارع هدي مبنيا للفاعل وحوشب مبنيا للمفعول فهو اجابة سواله عليه
السلم اهدنا الصراط المستقيم وقرا ابن السميفع لتهدي بضم التا وكسر الدال
وعن الجحدري مثلها ومثل قراة حوشب صراط مستقيم قال علي هو القران وقيل الاسلام
الا الي الله تصير الامور اخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع
اي من شانه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل اذ جميع الامور صايرة علي الدوام
اليه وقيل المراد به المستقبل اي ترد جميع امور الخلق اليه تعالي يوم القيامة فيقضي
بينهم بالعدل وخص ذلك بيوم القيامة لانه لا يمكن لاحد ان يدعي فيه لنفسه
شيا قال الفرا يعشو يعرض ويعشي يعمي وقال ابن قتيبة لم ار احدا حكي عشوت
عن الشي اعرضت عنه وانما يقول تعاشيت عن كذا وتعاميت اذا تغافلت عنه وتقول
عشوت الي النار اذا استدللت عليها ببصر ضعيف وقيل عشي يعشي اذا حصلت الافة
في بصره وعشا يعشو نظر نظر الشي ولا افة به كما قالوا عرج لمن به الافة وعرج
لمن مشي مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة

• متي تاته تعشو الي ضو ناره • تجد خير نار عندها خير موقد •

اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظيم الوقود ومنه قول حاتم

• اعشو اذا ما جارتي برزت • حتي تواري جارتي الخدر •

الصحفة قال الجوهري مي القصعة وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تسع العشرة ثم الصحفة تسع الخمسة ثم المكيلة تسع الرجلين والثلثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحايف **الكوب** قال قطرب الابريق هو لا عروة له وقال الاخفش الابريق لاخرطوم له وقيل كالابريق الا انه لا اذن له ولا مقبض قال ابو منصور الجواليقي انما كان بغير عروة ليشرب الشارب من اين شاء لان العروة ترد الشارب من بعض الجهات انتهي وقال عدي

متكيا تصفق ابوابه يسعي عليه العبد بالكوب

ابرم قال الفرا ابرم الامر بالغ في احكامه وابرم الفاتل اذا ارعم ومو الفتل الثاني والاول يقال له سحيل كما قال زهير

من سحيل ومبرم انتهي والابرام ان يجمع خيطين ثم يفتلهما فتلا متقنا والبريم خيط فيه لونان

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضي مثل الاولين ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السما ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا علي ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشوا في الحلية وهو في الخصام غير مبين هذه السورة مكية وقال مقاتل الا قوله وسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا وقال ابن عطية مكية باجماع من اهل العلم انا جعلناه اي صيرناه او سميناه وهو جواب القسم وهو من الاقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام

وثناياك انها اغريض

وقيل والكتاب اريد به الكتب المنزلة والضمير في جعلناه يعود علي القران وان لم يتقدم له صريح الذكر لدلالة المعني عليه وقال الزمخشري جعلناه بمعني صيرناه معدي الي مفعولين او بمعني خلقناه معدي الي واحد كقوله وجعل الظلمات والنور ولعل مستعار لمعني الارادة ليلاحظ معناها ومعني الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي اراده ان يعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته انتهي وهو علي طريقة الاعتزال في كون القران مخلوقا وام الكتاب اللوح المحفوظ لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب وهذا فيه تشريف للقران وترفيع بكونه لديه عليا علي جميع الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما اي حاكما علي ساير الكتب او محكما بكونه في غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعاني قال قتادة وعكرمة والسدي اللوح المحفوظ القران فيه باجمعه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وقيل ام الكتاب الايات المحكمات لقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الايات المحكمات التي هي الام وقرا الجمهور في ام بضم الهمزة والاخوان بكسرها وعزاها ابن عطية ليوسف بن عمر والي العراق ولم يعزها للاخوان غفلة منه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه اذا اعرض عنه والذكر قال الضحاك وابو صالح القران اي افنزيل

عنكم القران وقولهم ضرب الغرايب عن الحوض اذا ذادها ونحاها وقال الشاعر

اضرب عنك الهموم طارقها

وقيل الذكر الدعا الي الله والتخويف من عقابه قال الزمخشري والفا للعطف علي محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر علي خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرانا عربيا لتعقلوه وتعملوا بموجبه انتهي وتقدم الكلام معه في تقديره فعلا بين الهمزة والفا في نحو افلم يسيروا افلا تعقلون وبينها وبين الواو في نحو اولم يسيروا وكلما وان المذهب الصحيح قول س والنحويين ان الفا والواو منوي بهما التقديم لعطف ما بعدهما علي ما قبلهما وان الهمزة هو تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ولا خلاف بين الهمزة والحرف وقد رددنا عليه قوله وقال ابن عباس ومجاهد المعني افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وعفوا عن اجرامكم اذ كنتم او من اجل ان كنتم قوما مسرفين اي هذا لا يصلح ومجافاة دة الي ان المعني صفحا اي مفعولا عنه اي نتركه ثم لا تواخذون بقوله ولا بتدبيره ولا تنهون عليه وهذا المعني نظير قول الشاعر

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي ان يهب هبوبها

وقال كثير

صفوحا فما يلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وقال ابن عباس المعني افحسبتم ان نصفح عنكم ولم يفعلوا ما امرتم به وقال الكلبي اي نترككم هملا بلا امر ولا نهي وقال مجاهد ايضا ان لا نعاقبكم بالتكذيب وقيل ان نترك الانزال للقران من اجل تكذيبهم وقرا حسان بن عبد الرحمن الضبعي والسميط بن عمير وشبيل بن عزرة بضم الصاد والجمهور بفتحها وهما لغتان كالسد والسد وانتصاب صفحا علي انه مصدر من معني افنضرب لان معناه افنصفح او مصدر في موضع الحال اي صافحين قالهما الحوفي وتبعه ابو البقا وقال الزمخشري وصفحا علي وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب علي انه مفعول له علي معني افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعني الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه علي معني افننحيه عنكم جانبا فينتصب علي الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا ويعضده قراة من قرا صفحا بالضم وفي هذه القراة وجه اخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب علي الحال اي صافحين معرضين وقال ابن عطية صفحا انتصابه كانتصاب صنع الله انتهي يعني انه مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل فيه محذوفا ولا يظهر هذا الذي قاله فليس انتصابه انتصاب صنع الله وقرا نافع والاخوان ان بكسر الهمزة واسرافهم كان متحققا فكيف دخلت عليه ان الشرطية التي لا تدخل الا علي غير المتحقق او علي المتحقق الذي انبهم زمانه قال الزمخشري هو من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وقرا الجمهور ان بفتح الهمزة اي من اجل ان كنتم قال الشاعر

اتجزع ان بان الخليط المودع

وقرا زيد بن علي اذ كنتم بذال مكان النون لما ذكر خطابا لقريش افنضرب عنكم الذكر وكان هذا الانكار دليلا علي تكذيبهم للرسول وانكارا لما جاء به انسه تعالي بان عادة الامم السابقة من استهزايهم بالرسل وانه تعالي اهلك من كان اشد بطشا من قريش اي اكثر عددا وعددا وجلدا ومضي مثل الاولين اي فليحذر قريش ان يحل بهم مثل ما حل بالاولين مكذبي الرسل من العقوبة قال معناه قتادة وهي العقوبة التي سارت سير المثل وقيل مثل الاولين في الكفر والتكذيب وقريش سلكت مسلكهما وكان مقبلا عليهم بالخطاب في قوله افنضرب

عنكم فاعرض عنهم الي اخبار الغايب في قوله فاهلكنا اشد منهم بطشا ولين سالتهم احتجاج
علي قريش بما يوجب التناقض وهوا قرارهم بان موجد العالم العلوي والسفلي هو الله
ثم هم يتخذون اصناما من دون الله يعبدونهم ويعظمونهم قال ابن عطية ومقتضى
الجواب ان يقولوا خلقهن الله فلما ذكر تعالي المعنى جاءت العبارة عن الله تعالي بالعزيز
العليم ليكون ذلك توطية لما عدد بعد من اوصافه التي ابتدا الاخبار بها وقطعها من
الكلام الذي حكي معناه عن قريش انتهى وقال الزمخشري لينسبن خلقها الي الذي
هذه اوصافه ولنسندنه اليه انتهى والظاهر ان خلقهن العزيز العليم نفس المحكي
من كلامهم ولا يدل كونهم ذكروا في مكان خلقهن الله ان لا يقولوا في سوال اخر خلقهن العزيز
العليم والذي جعل لكم من كلام الله خطابا لهم بتذكير نعمه السابغة وكرر الفعل
في الجواب ـــــــ في قولهم خلقهن العزيز العليم مبالغة في التوكيد وفي غير ما سوال
اقتصروا علي ذكر اسم الله اذ هو العالم الجامع للصفات العلي وجا الجواب مطابقا
للسوال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من مبتدا فلو طابق في اللفظ كان
بالاسم مبتدا ولم يكن بالفعل لعلكم تهتدون اي الي مقاصدكم في السفر او تهتدون
بالنظر والاعتبار بقدر اي بقضا وحتم في الازل ـــــــ او بكفاية لا كثيرا فيفسد ولا هو
قليلا فلا يجدي فانشرنا احيينا به بلدة ميتا ذكر علي معنى القطر وبلدة اسم جنس
وقرا ابو جعفر وعيسى ميتا بالتشديد وقرا الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول
وابن وثاب وعبد الله بن جبير المصبح وعيسى وابن عامر والاخوان مبنيا للفاعل
والازواج الانواع من كل شي قيل وكل ما سوي الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين
وشمال ــ وقدام وخلف وماض ومستقبل وذوات وصفات وصيف وشتا وربيع وخريف
وكونها ازواجا تدل علي انها ممكنة الوجود ويدل علي ان محدثها فرد وهو الله المنزه
عن الضد والمقابل والمعارض انتهى والانعام المعهود انه لا يركب من الانعام
الا الابل وما موصولة والعايد محذوف اي ما تركبونه وركب بالنسبة للفلك ــــ
يتعدي بفي كقوله فاذا ركبوا في الفلك ويتعدي للابل بنفسه فغلبت المتعدي بنفسه
علي المتعدي بوساطة في اذ التقدير ما تركبونه واللام في لتستووا الظاهر انها لام
كي وقاله الحوفي ومن اثبت لام الصيرورة جاز له ان يقول به هنا وقال ابن عطية
لام الامر وفيه بعد من حيث استعمال امر المخاطب بنا الخطاب وهو من القلة بحيث
ينبغي ان لا يقاس عليه فالفصيح المستعمل اضرب وقيل لتضرب بل نص النحويون
علي انها لغة رديئة قليلة اذ لا تكاد تحفظ الا قراءة شاذة فبذلك فلتفرحوا بالتاء
للخطاب وما ثر المحدثون من قوله عليه السلم لتاخذوا مصافكم مع احتمال ان الراوي
روي بالمعنى وقول الشاعر •

• لتقم انت يا ابن خير قريش فتقضي حوايج المسلمينا •

وزعم الزجاجي انها لغة جيدة وذلك خلاف ما زعم النحويون والضمير في ظهوره
عايد علي ما كانه قال علي ظهور ما تركبون قاله ابو عبيدة فلذلك حسن الجمع لان
ما لها لفظ ومعنى فمن جمع فباعتبار المعنى ومن افرد فباعتبار اللفظ ويعني من الفلك
والانعام وقال الفرا نحوا منه قال اضاف الظهور الي واحد فيه معنى الجمع بمعنى
الجنس فلذلك جمع الظهور ثم تذكروا اي في قلوبكم نعمة ربكم معترفين بها مستعظمين
لها لا يريد الذكر باللسان بل بالقلب ولذلك قابله بقوله وتقولوا سبحان الذي سخر
لنا هذا اي تنزهوا الله بصريح القول وجا في الحديث انه عليه السلم كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوي علي الدابة قال الحمد لله علي كل حال
سبحان الذي سخر لنا هذا الي قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا وقالوا اذا
ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها الي رحيم ويقال عند النزول منها اللهم
انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين والمقرن الغالب الضابط المطيق للشي يقال
اقرن الشي اذا اطاقه وقال ابن هرمة •

• واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر •
وحقيقة اقرنه وجده قرينه وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقال
الشاعر •

• وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس •
والقرن الحبل الذي يقرن به وقال ابو عبيد فلان مقرن لفلان اي ضابط له والمعنى
انه ليس لنا من القوه ما يضبط به الدابة والفلك وانما الله هو الذي سخرها
وانشد قطرب لعمرو بن معدي كرب ـــــــ •

• لقد علم القبايل ما عقيل لنا في النايبات بمقرنينا •
وقري لمقترنين اسم فاعل من اقترن وانا الي ربنا لمنقلبون اي راجعون وهو اقرار
بالرجوع الي الله وبالبعث لان الراكب في مظنة الهلاك بالغرق اذا ركب الفلك وبعثور
الدابة اذ ركوبهما امر فيه خطر ولا تومن السلامة فيه فقوله هذا تذكير بانه مستشعر
الصيرورة الي الله ومستعد للقايه فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه وجعلوا له
اي وجعل كفار قريش والعرب له اي لله من عباده اي ممن هم عبيد الله جزا قال
مجاهد نصيبا وحظا وهو قول العرب الملايكة بنات الله وقال قتادة جزا اي ندا وذلك
الاصنام وفرعون ومن عبد من دون الله وقيل الجزء الاناث قاله بعض اللغويين
يقال اجزات المراة اذا ولدت انثي قال الشاعر •

• ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزي الحرة المذكار احيانا •
قيل هذا البيت مصنوع وكذا قوله زوجتها من بنات الاوس مجزية ولما تقدم انهم
معترفون بانه تعالي هو خالق العالم انكر عليهم جعلهم لله جزا وقد اعترفوا بانه هو
الخالق فكيف وصفوه بصفة المخلوق ان الانسان لكفور بنعمة خالقه مبين مظهر لجحوده
والمراد بالانسان من جعل لله جزا وغيرهم من الكفرة قال ابن عطية ومبين في هذا
الموضع غير متعد انتهى وليس بتعيين ما ذكر بل يجوز ان يكون معناه ظاهر الكفران
ومظهر لجحوده كما قلنا ام اتخذ مما يخلق بنات استفهام انكار وتوضيح لقلة عقولهم
كيف زعموا انه تعالي اتخذ لنفسه ما انتم تكرهونه حتي انتم تسود وجوهكم عند
التبشير بهن وبيد وبحصن واصفاكم جعل لكم صفوة ما هو محبوب وذلك البنون وقوله مما
يخلق تنبيه علي استحالة الولدية ذكرا كان او انثي ولو فرضنا اتخاذ الولد فكيف يختار
له الادني ويخصكم بالاعلي وقدم البنات لانه المنكر قبلهم نسبتهن الي الله وعرف
البنين دون البنات تشريفا لهم علي البنات واذا بشر احدهم تقدم تفسير نظيرها
في سورة النحل اومن ينشو في الحلية اي ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية وهو الحلي
الذي لا يليق الا بالاناث دون الفحول لتزينهن بذلك لازواجهن وهو ان خاصم لا يتين
لضعف العقل ونقص لتدبر والتامل اظهر بهذا الحقوقهن وشفوف البنين عليهن
وكان في ذلك اشارة الي ان الرجل لا يناسب له التزين كما للمراة وان يكون محشوشنا
والفحل من الرجال ياتي ان يكون متصفا بصفات النسا والظاهر انه اراد بمن ينشو
في الحلية النسا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ويدل عليه قوله
وهو في الخصام غير مبين اي لا يظهر حجة ولا يقيم دليلا ولا يكشف عن ما في نفسه
كشفا واضحا ويقال قلما تجد امراة الا تفسد الكلام وتخلط المعاني حتي ذكر بعض
الناس انه قال اذا دخلنا علي فلانه لا نخرج حتى نعلم ان عقلها عقل امراة وقال ابن
زيد المراد بمن ينشو في الحلية الاصنام وكانوا يتخذون كثيرا منها من الذهب
والفضة ويجعلون الحلي علي كثير منها ويبعد هذا القول قوله وهو في الخصام غير مبين
الا ان اريد بنفي الابانة نفي الخصام اي لا يكون منها خصام فابانه كقوله علي لا حب
لا يهتدي بمناره اي لا منار له فيهتدي به ومن في موضع نصب اي اوجعلوا من ينشا
ويجوز ان يكون في موضع رفع علي الابتدا اي اومن ينشا جعلوه لله وقرا الجمهور
ينشوا مبنيا للفاعل والجحدري في قول مبنيا للمفعول مخففا وابن عباس وزيد بن

علي والحسن ومجاهد والجحدري في رواية والاخوان وحفص والمفضل وابان
وابن مقسم وهرون عن ابي عمرو مبنيا للمفعول مشددا والحسن في رواية ينشوا
على وزن يفاعل مبنيا للمفعول والمناشاة بمعنى الانشا كالمغالاة بمعنى الاغلا وفي
الخصام متعلق بمحذوف يفسره غير مبين اي وهو لا يبين في الخصام ومن اجاز انا
زيدا غير ضارب باعمال المضاف اليه غير اجاز ان يتعلق بمبين اجري غيرا مجرى لا
وبتقديم معمول ما بعد لا مختلف فيه وقد ذكر ذلك في النحو وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شا الرحمن
ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به
مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا
على اثارهم مقتدون قل اولو جيتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه
وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية
في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هولا واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما
جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة
ربك خير مما يجمعون لم يكفهم ان جعلوا لله ولدا وجعلوه اناثا وجعلوهم من
الملائكة وهذا من جهلهم بالله وصفاته واستخفافهم بالملائكة حيث نسبوا اليهم
الانوثة وقرا عمر بن الخطاب والحسن وابو رجا وقتادة وابو جعفر وشيبة
والاعرج والابنان ونافع عند الرحمن ظرفا وهو ادل على رفع المنزلة وقرب
المكانة لقوله ان الذين عند ربك وقرا عبد الله وابن عباس وابن جبير وعلقمة
وباقي السبعة عباد الرحمن جمع عبد كقوله بل عباد مكرمون وقرا الاعمش
عباد الرحمن جمعا وبالنصب حكاها ابن خالويه قال وهي في مصحف ابن مسعود
كذلك والنصب على اضمار فعل اي الذين هم خلقوا عباد الرحمن او انشوا
عباد الرحمن وقال ابن عطية وفي مصحف ابن مسعود وجعلوا الملائكة هم
عباد الرحمن اناثا وقرا ابي عبد الرحمن مفردا ومعناه الجمع لانه اسم جنس
وقرا الجمهور اشهدوا بهمزة الاستفهام داخلة على شهدوا ماضيا مبنيا
للفاعل اي احضروا خلقهم وليس ذلك من شهادة تحمل المعاني التي تطلب
ان تودى وقيل سالهم الرسول عليه السلم ما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا ذلك
من اباينا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون
عنها اي في الاخرة وقرا نافع بهمزة داخلة على اشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول
بلا مد بين الهمزتين والمسيبي عنه بمدة بينهما وعلي بن ابي طالب وابن عباس
ومجاهد وفي رواية ابي عمرو ونافع بتسهيل الثانية بلا مد وجماعة كذلك بمدة
بينهما وعن علي والمفضل عن عاصم تحقيقهما بلا مد والزهري وناس اشهدوا بغير
استفهام مبنيا للمفعول رباعيا فقيل المعنى على الاستفهام حذفت الهمزة
لدلالة المعنى عليها وقيل الجملة صفة للاناث اي اناثا مشهدا منهم خلقهم وهم
لم يدعوا انهم شهدوا خلقهم لكن لما ادعوا لجراتهم انهم اناث صاروا كانهم ادعوا
ذلك واشهادهم خلقهم وقرا الجمهور اناثا وزيد بن علي انثا جمع جمع الجمع
قيل ومعنى وجعلوا سموا وقالوا والاحسن ان يكون المعنى وصيروا في اعتقادهم
الملائكة اناثا وهذا الاستفهام فيه تهكم بهم والمعنى اظهار فساد عقولهم وان
دعاويهم مجردة من الحجة وهذا نظير الاية الطاعنة على اهل التنجيم والطبايع
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقرا الجمهور ستكتب هو

بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع مفردا والزهري كذلك الا انه بالياء والحسن
كذلك الا انه بالتاء وجمع شهاداتهم وابن عباس وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة
وابن ابي عبلة والجحدري والاعرج بالنون مبنيا للفاعل شهادتهم على الافراد
وفرقة سيكتب بالياء مبنيا للفاعل اي الله شهادتهم بفتح التاء والمعنى انه سيكتب
شهادتهم على الملائكة بانوثتهم ويسالون وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
الضمير للملائكة قاله قتادة ومقاتل في اخرين وقال مجاهد الاوثان علقوا انتفا
العبادة على المشيئة لكن العبادة وجدت لما انتفت المشيئة فالمعنى انه شا العبادة
ووقع ما شا وقد جعلوا امهال الله لهم واحسانه اليهم وهم يعبدون غيره دليلا على
انه يرضى ذلك دينا وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في اواخر الانعام وفي الكلام حذف
اي فنحن لا نواخذ بذلك اذ هو وفق مشيئة الله ولهذا قال ما لهم بذلك من علم اي بما
ترتب على عبادتهم من العقاب ان هم الا يخرصون اي يكذبون وقيل الاشارة بذلك الى
ادعائهم ان الملائكة اناث وقال الزمخشري هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث
وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيته كما تقول اخوانهم
المجبرة انتهى جعل اهل السنة اخوان الكفرة عباد الملائكة ثم اورد سوالا وجوابا
جاريا على ما اختاره من مذهبه الاعتزالي يوقف على ذلك في كتابه ولما نفى عنهم علم
ترك عقابهم على عبادة غير الله اي ليس يدل على ذلك عقل نفي ايضا ان يدل على ذلك
سمع فقال ام اتيناهم كتابا من قبل نزول القران او من قبل انذار الرسول
يدل على تجويز عبادتهم غير الله وانه لا يترتب على ذلك عقاب اذ هو وفق المشية به
اي بذلك الكتاب مستمسكون في عبادة غير الله وانتفا الاثم على ذلك ثم اخبر تعالى
انهم في ذلك مقلدون لابائهم ولا دليل لهم من عقل ولا نقل ومعنى على امة اي طريقة
ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون في اتباع اثارهم ومنه قول
قيس بن الحطيم

كنا على امة ابائنا ويقتدي بالاول الاخر

وقرا الجمهور امة بضم الهمزة قال مجاهد وقطرب على ملة وقال الجوهري والامة
الطريقة والدين يقال فلان لا امة له اي لا دين ولا نحلة وقال الشاعر

وهل يستوي ذو امة وكفور

وتقدم الكلام في امة في قوله وادكر بعد امة وقرا عمر بن عبد العزيز ومجاهد
وقتادة والجحدري بكسر الهمزة وهي الطريقة الحسنة لغة في الامة بالضم
قاله الجوهري وقرا ابن عباس امة بفتح الهمزة اي على قصد وحال والخلاف
في الحرف الثاني كهو في الاول وحكى مقاتل ان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة
وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش اي كما قال متولوك
قال من قبلهم ايضا يسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والمترف المتنعم
ابطرتهم النعمة فاثروا الشهوات وكرهوا مشاق التكاليف وقرا الجمهور [?]
قل على الامر وابن عامر وحفص قال على الخبر وقرا الجمهور جيتكم بتا المتكلم وابي
وابو جعفر وشيبة وابن مقسم والزعفراني وابو شيخ الهنائي وخالد جيناكم بنون
المتكلمين والظاهر ان الضمير في قال او في قل للرسول اي قل يا محمد لقومك
اتتبعون اباكم ولو جيتكم بدين اهدى من الدين الذي وجدتم عليه اباكم وهذا
تجهيل لهم حيث يقلدون ولا ينظرون في الادلة قالوا انا بما ارسلتم اي انت
والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة فانتقمنا منهم بالقحط والقتل والسبي
والجلا فانظر كيف كان عاقبة من كذبك وقال ابن عطية في قال ضمير يعود على
النذير وباقي الاية تدل على ان قل في قراة من قراها ليست بامر لمحمد صلى الله
عليه وسلم وانما هي حكاية لما امر به النذير وقول في هذا الموضع كانها شرطية بمعنى
كان معنى الاية او ان جيتكم بابين واوضح مما كان عليه اباوكم تصحكم لجاجكم وتقليدكم

فاجاب الكفار حينئذ من الامم المكذبة بانبيائها كما كذبت بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولا يتعين ما قاله بل الظاهر هو ما قدمناه واذ قال ابرهيم لابيه وقومه وذكر
العرب بحال جدهم الاعلى ونهيه عن عبادة غير الله وافراده بالتوحيد والعبادة
هزا لهم ليكون لهم رجوع الى دين جدهم اذ كان اشرف ابائهم والمجمع على محبته
وانه صلى الله عليه وسلم لم يقلد اباه في عبادة الاصنام فينبغي ان يقتدوا به
في ترك تقليد ابائهم الاقربين ويرجعوا الى النظر واتباع الحق وقرا الجمهور
برا وهو مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما يقال نحن البرا منك
وهي لغة العالية وقرا الزعفراني والقورصي عن ابي جعفر وابن المناذري
عن نافع بضم البا والاعمش بري وهي لغة نجد ويثنى ويجمع ويونث
وهذا نحو طويل وطوال وكريم وكرام وقرا الاعمش اني بنون مشددة دون
نون الوقاية والجمهور انني بنونين الاولى مشددة والظاهر ان قوله الا الذي
فطرني استثنا منقطع اذ كانوا لا يعبدون الله مع اصنامهم وقيل كانوا يشركون
اصنامهم معه تعالى في العبادة فيكون استثنا متصلا وعلى الوجهين والذي في موضع
نصب واذا كان استثنا متصلا كانت ما شاملة من يعلم ومن لا يعلم واجاز الزمخشري
ان يكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني برا مما تعبدون
الا من الذي وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في مما تعبدون نكرة موصوفة
تقديره انني برا من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا انتهى ووجه البدل لا يجوز لانه انما يكون في غير الموجب من
النفي والنهي والاستفهام الا ترى انه يصلح ما بعد الا لتفريغ العامل له وانني
برا جملة موجبة فلا يصلح ان يفرغ العامل فيها للذي هو بري لما بعد الا واعتبر
الزمخشري كون بري فيه معنى الانتفا ومع ذلك فهو موجب لا يجوز ان يفرغ لما
بعد الا واما تقديره ما نكرة موصوفة فلم يبقها موصولة لاعتقاده ان الا لا تكون
صفة الا لنكرة وهذه المسالة فيها خلاف من النحويين من قال يوصف بها النكرة
والمعرفة فعلى هذا تبقى ما موصولة ويكون الا في موضع الصفة للمعرفة وجعله
فطرني في صلة الذي تنبيه على انه لا يعبد ولا يستحق العبادة الا الخالق للعابد
فانه سيهدين اي قديم هدايتي وفي مكان اخر الذي خلقني فهو يهدين فهو هاديه
في المستقبل والحال والضمير في جعلها المرفوع عايد على ابرهيم وقيل على الله والضمير
المنصوب عايد على كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني برا مما تعبدون
الا الذي فطرني وقال قتادة ومجاهد والسدي هي لا اله الا الله وان لم يجر
لها ذكر لان اللفظ يتضمنها وقال ابن زيد كلمة الاسلام لقوله ومن ذريتنا امة
مسلمة لك اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت هو سماكم المسلمين وقرا حميد بن قيس
كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرى في عقبه بسكون القاف اي في ذريته وقرى
في عاقبه اي من عقبه اي خلفه فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده
لعلهم اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعا من وحد منهم وقرا الجمهور بل متعت
بتا المتكلم والاشارة بهولا لقريش ومن كان من عقب ابرهيم عليه السلم من العرب
لما قال في عقبه قال تعالى لكن متعت هولا وانعمت عليهم على كفرهم فلسوا ممن
بقيت كلمة التوحيد فيهم وقرا قتادة والاعمش بل متعت بتا الخطاب
ورواها يعقوب عن نافع قال صاحب اللوامح وهي من مناجاة ابرهيم عليه السلام
ربه تعالى والظاهر انه من مناجاة محمد صلى الله عليه وسلم اي قال يا رب بل متعت
وقرا الاعمش متعنا بنون العظمة وهي تعضد قراة الجمهور حتى جاءهم الحق وهو
القران ورسول مبين هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري فان قلت
فما وجه من قرا بل متعت بفتح التا قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر

والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم
لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات
على التوحيد والايمان لا ان تشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل
اساة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك
وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسي لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجي الحق والرسول
غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم
ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن
التوحيد ومقتضياته فقال عز وجل بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول
مبين فخيل بهذه الغاية انهم ينبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضا التنبه ثم ابتدا
قصتهم عند مجي الحق فقال ولما جاءهم الحق جاوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها
وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف
بكتاب الله وشرايعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير
محمد صلى الله عليه وسلم من اهل زمانه بقوله لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة ابرهيم انتهى وهو حسن لكن فيه اسهاب
والضمير في وقالوا لقريش كانوا قد استبعدوا ان يرسل الله من البشر رسولا فاستفاض
عندهم امر ابرهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم فلم يكن لهم في ذلك
مدفع ناقضوا فيما يخص محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لو لم كان محمدا ولم يكن القران
ينزل على رجل من القريتين عظيم اشاروا الى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه
وكثرة المال وقري على رجل بسكون الجيم من القريتين اي من احدى القريتين وقيل
من رجلي القريتين وهما مكة والطايف قال ابن عباس والذي من مكة الوليد بن
المغيرة المخزومي ومن الطايف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وقال مجاهد عتبة بن
ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وقال قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود
الثقفي قال قتادة بلغنا انه لم يبق فخذ من قريش الا ادعاه وكان الوليد بن
المغيرة يسمى ريحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او على
ابي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى ابا مسعود اهم يقسمون رحمة ربك
فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم كانه قيل اعلى اختيارهم وارادتهم يقسم الفضايل
من النبوة وغيرها ثم في اضافته في قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه
وسلم وان هذه الرحمة التي حصلت لك ليست الا من ربك المصلح لحالك
والمربيك ثم اخبر تعالى انه هو الذي قسم المعيشة بينهم فلم يحصل لاحد الا
قسمه تعالى واذا كان تعالى هو الذي تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك في الامر
الفاني فكيف لا يتولى ذلك الامر الخطير وهو ارسال من يشا وسمى من يشا فليس
لكم ان تتخيروا من يصلح لذلك بل انتم عاجزون عن تدبير اموركم وقرا الجمهور
معيشتهم على الافراد وعبد الله والاعمش وابن عباس وسفيان معايشهم على
الجمع والجمهور سخريا بضم السين وعمرو بن ميمون وابن محيصن وابن ابي ليلى
وابو رجا والوليد بن مسلم لابن عامر بكسرها وهو من التسخير بمعنى الاستعباد
والاستخدام ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا الى منافعهم ولو تولى كل واحد جميع
اشغاله بنفسه ما اطاق ذلك وضاع وهلك ويبعد ان يكون سخريا هنا من الهزء
وقد قاله بعضهم اي يهزا الغني بالفقير وفي قوله نحن قسمنا تزهد في الاكباب
على طلب الدنيا وعون على التوكل على الله وقال مقاتل فاضلنا بينهم فمن رئيس
ومرؤوس قال قتادة تلقى ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط
له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه وقال الشافعي
رحمه الله

ومن الدليل على القضا وكونه ... بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق

ووجهة ربك قبل النبوة وقيل الهداية والايمان وقال قتادة والسدي
الجنة خير مما يجمع مولا من حطام الدنيا وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما
جمع فيها من متاعها ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك
للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جانا قال ياليت
بيني وبينك بعد المشرقين فبيس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال
مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط
مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون واسال من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون يبين تعالى ان
متاع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله اي لولا ان يرغب الناس في الكفر اذا هم
راوا الكافر في سعة ويصيروا امة واحدة في الكفر قاله ابن عباس والحسن وقتادة
والسدي لاعطيناهم من زينة الدنيا كذا وكذا ولكنه تعالى اقتضت حكمته ان يغني
ويفقر الكافر والمومن قال ابن عطية واللام في لمن يكفر لام الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص
كما تقول هذا الكسا لزيد لدابته اي هو لدابته حلس ولزيد ملك انتهى ولا يصح ما قال
لان لبيوتهم بدل اشتمال اعيد معه العامل فلا يمكن من حيث هو بدل ان يكون اللام
الثانية الا بمعنى اللام الاولى اما ان يختلف المدلول فلا واللام في كلاهما للتخصيص
وقال الزمخشري لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة
اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه انتهى ولا ادري ما اراد بقوله ويجوز الى
اخره وقرا الجمهور سقفا بضمتين وابو رجاء بضم وسكون لغة تميم ومما جمع سقف
كرهن ورهن وابن كثير وابو عمرو بفتح السين والسكون على الافراد هو
وقال الفرا جمع سقيفة وقري بفتحتين كانه لغة في سقف وقري وسقوفا جمعا على
فعول نحو كعب وكعوب وقرا الجمهور ومعارج جمع معرج وطلحة ومعاريج جمع معراج
وهي المصاعد الى العلالي عليها اي يعلون السطوح كما قال فما اسطاعوا ان يظهروه
وقرا الجمهور وسررا بضم الرا وقري بفتحها وهي لغة لبعض تميم وبعض كلب وذلك
في جمع فعيل المضعف اذا كان اسما باتفاق وصفة نحو ثوب جديد وثياب جدد باختلاف
بين النحاة وهذه الاسما معاطيف على قوله سقفا من فضة فلا يتعين ان يوصف المعاطيف
بكونها من فضة وقال الزمخشري سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة
انتهى كانه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه وزخرفا قال الزمخشري
وجعلنا لهم زخرفا فيجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة
وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة انتهى والزخرف الذهب هنا قاله
ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وفي الحديث اياكم والحمرة فانها من احب
الزينة الى الشيطان قال ابن عطية الحسن احمر والشهوات تتبعه انتهى وقال
بعض شعرايها

وصبغت ذرعك من دما كماتهم • لما رايت الحسن يلبس احمرا

وقال ابن زيد الزخرف اثاث البيت وما يتخذ له من السرر والنمارق وقال الحسن
النقوش وقيل التزاويق والنقش وقرا الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف الميم فهي
مخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين الايجاب والنفي وما زايدة ومتاع خبر كل
وقرا الحسن وطلحة والاعمش وعيسى وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم فان نافية
ولما بمعنى الا وقرا ابو رجاء وفي التحرير ابو حيوه لما بكسر اللام وخرجه على ان ما

موصولة والعايد محذوف تقديره للذي هو متاع كقوله تماما على الذي احسن
في قراة من رفع النون او على الذي هو احسن وان في هذا التخريج
هي المخففة من الثقيلة وكل مبتدا وخبره في المجرور اي وان كل ذلك لكاين او لمستقر
للذي هو متاع ومن حيث هي المخففة من الثقيلة لان لا اتيان باللام هو الوجه فكان
يكون التركيب للماتاع لكنه قد تحذف هذه اللام اذا دل المعنى على ان ان هي المخففة
من الثقيلة فلا تضطر الى ذلك اللام الفارقة ومن ذلك قول الشاعر

ونحن اباة الضيم من ال مالك • وان مالك كانت كرام المعادن

يريد لكانت ولكنه حذف لانه لا يتوهم في ان ان تكون نافية لان صدر البيت يدل على
المدح وتعين ان تكونها المخففة من الثقيلة والاخرة عند ربك للمتقين اي ونعيم الاخرة
وفيه تحريض على التقوى وقرا ومن يعش بضم الشين اي يتعام ويتجاهل عن ذكره وهو يعرف
الحق وقيل يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن والذكر هنا يجوز
ان يراد به القران واحتمل ان يكون مصدرا اضيف الى المفعول اي يعش عن ان يذكر
الرحمن وقال ابن عطية اي فيما ذكر عباده فالمصدر مضاف الى الفاعل انتهى كانه
يريد بالذكر التذكير وقرا يحيى بن سلام البصري ومن يعش بفتح الشين اي يعم
عن ذكر الرحمن وهو القران كقوله صم بكم عمي وقرا زيد بن علي يعشو بالواو وهو
قال الزمخشري على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القاري
ان يرفع نقيض انتهى ولا يتعين ما قاله اذ تتخرج هذه القراة على وجهين احدهما
ان تكون من شرطية ويعشو مجزوم بحذف الحركة تقديرا وقد ذكر الاخفش ان ذلك
لغة لبعض العرب لا يحذفون حروف العلة للجازم والمشهور عند النحاة ان ذلك
يكون في الشعر لا في الكلام والوجه الثاني ان تكون من موصولة والجزم بسببها هو
للموصول باسم الشرط واذا كان ذلك مسموعا في الذي وهو لم يكن اسم شرط قط
فالاولى ان تكون فيما استعمل موصولا وشرطا قال الشاعر

لا تحفرن بيرا تريد اخا بها • فانك فيها انت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما • يصبه على رغم عواقب ما صنع

انشدهما ابن الاعرابي وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو انه كما شبه الموصول
باسم الشرط فدخلت الفا في خبره فكذلك تشبه به فينجزم الخبر الا ان دخول الفا
منقاس اذا كان الخبر مسببا عن الصلة بشروطه المذكورة في علم النحو وهذا لا يقيسه
البصريون وقرا الجمهور نقيض بالنون وعلي والسلمي والاعمش ويعقوب وابو عمرو
بخلاف عنه وحماد عن عاصم وعصمة عن الاعمش وعن عاصم والعليمي عن ابي بكر بالياء
اي يقيض الرحمن وابن عباس نقيض مبنيا للمفعول له شيطان بالرفع اي ييسر ويعد
له وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح كما يقال ان الله يعاقب على المعصية بالتزيد
من السيات وقال الزمخشري نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا
لهم قرنا الم تر انا ارسلنا الشياطين انتهى وهو على طريقته الاعتزال والظاهر ان
ضمير النصب في وانهم ليصدونهم عايد على من على المعنى اعاد اولا على اللفظ في افراد
الضمير ثم اعاد على المعنى والضمير في يصدونهم عايد على شيطان وان كان مفردا
لانه مبهم في جنسه ولكل عاش شيطان قرين فجاز ان يعود الضمير مجموعا وقال
ابن عطية والضمير في قوله وانهم عايد على الشيطان وفي ليصدونهم عايد على الكفار
انتهى والاولى ما ذكرناه لتناسق الضماير في وانهم وفي ليصدونهم وفي ويحسبون
لمدلول واحد كان الكلام وان العشاة ليصدهم الشياطين عن السبيل اي سبيل
الهدى والفوز ويحسبون اي الكفار وقرا ابو جعفر وشيبة وقتادة والزهري
والجحدري وابو بكر والحرميان حتى اذا جاانا على التثنية اي العاشي والقرين
اعاد على لفظ من ولفظ الشياطين القرين وان كان من حيث المعنى صالحا للجمع
وقرا الاعمش والاعرج وعيسى وابن محيصن والاخوان وحفص جانا على الافراد

والضمير عايد على لفظ من اعادا ولا على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم افرد على اللفظ
ونظير ذلك ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قد احسن الله له رزقا افردا ولا ثم جمع في قوله خالدين ثم افرد في قوله
له رزقا روي انهما يجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان حتى يصيرهما الله
الى النار قال اي الكافر للشيطان ياليت بيني وبينك بعد المشرقين تمنى لو كان
ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله او تمنى ذلك في الاخرة وهو الظاهر لانه
جواب اذا التي للاستقبال اي مشرقي الشمس مشرقها في اقصر يوم من السنة
ومشرقها في اطول يوم قاله ابن السايب او بعد المشرق والمغرب غلب المشرق
فبناهما كما قالوا العمران في ابي بكر وعمر والقمران في الشمس والقمر والموصلان
في الجزيرة والموصل والزهدمان في زهدم وكردم والعجاجان في روبه والعجاج
والابوان في الاب والام وهذا اختيار الفرا والزجاج ولم يذكر الزمخشري
قال فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من
المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد
اليهما انتهى وقيل بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين وكانه
في هذا القول يريد مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما فبيس القرين انت
ولن ينفعكم اليوم حكاية حال يقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة
حرمتهم روح التاسي لانه وقفهم بها على انه لا ينفعهم التاسي لتعظم المصيبة وطول
العذاب واستمرار مدته اذ التاسي راحة كل مصاب في الدنيا في الاغلب الا ترى
الى قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي

فهذا التاسي قد كفاها مونة قتل النفس فنفى الله عنهم الانتفاع بالتاسي وفي ذلك
تعذيب لهم وياس من كل خير وهذا لا يكون الا على تقدير ان يكون الفاعل ينفعكم
انكم ومعمولاها اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب اي لن يخفف عنكم اشتراككم
في العذاب واذا كان الفاعل غير ان وهو ضمير يعود على ما يفهم من الكلام قبله اي
تمني مباعدة القرين والتبرو منه ويكون انكم تعليل اي لاشتراككم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وقال مقاتل المعنى ولن ينفعكم اليوم
الاعتذار والندم لانكم وقرناكم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفر في
الدنيا وعلى كون الفاعل غير ان وهي قراة الجمهور لا يتضمن الكلام نفي التاسي
وقري انكم بالكسر فدل على اضمار الفاعل ويقويه حمل انكم بالفتح على التعليل واليوم
واذ ظرفان فاليوم ظرف حال واذ ظرف ماض اما ظرف الحال فقد يعمل فيه المستقبل
لقربه منه او لتجوز في المستقبل كقوله فمن يستمع الان وقول الشاعر

ما سعى الان اذ بلغت اناها

واما اذ فماض لا يعمل فيه المستقبل فقال الزمخشري واذ بدل من اليوم انتهى
وحمل اذ ظلمتم على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين
ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لييمة اي تبين اني ولد كريمة انتهى ولا يجوز
فيه البدل على بقا اذ على موضوعها من كونها ظرفا لما مضى من الزمان فان
جعلت لمطلق الوقت جاز وتخريجها على البدل اخذه الزمخشري من ابن جني
قال في مسالته ابا علي راجعته فيها مرارا واخر ما حصل منه ان الدنيا والاخرة
متصلتان وهما سوا في حكم الله وعلمه فتكون اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلة
او كان اليوم ماض وقيل التقدير بعد اذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به وقيل اذ
للتعليل حرفا بمعنى ان وقال الحوفي اليوم ظرف متعلق بينفعكم ولا يجوز تعلق
اذ به لانهما ظرفا زمان يعني متغايران في المعنى تغايرا لا يمكن ان يجتمعا قال

فلا يصح ان يكون بدلا من الاخر يعني لذلك التغاير من كون هذا ظرف حال وهذا
ظرف مضي قال ولكن تكون اذ متعلقة بما دل عليه المعنى كانه قال ولن ينفعكم
اجتماعكم اذ ظلمتم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى فناقض اذ جعل اولا
فاعل ينفعكم اجتماعكم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك وقيل الفاعل محذوف
تقديره ظلمكم او جحدكم وهو العامل في اذ لا ضمير الفاعل لما ذكر تعالى حال الكفار
وما يقال لهم وكانت قريش تسمع ذلك فلا تزداد الا عتوا واعتراضا وكان هو صلى
الله عليه وسلم يجتهدون في تحصيل الايمان لهم خاطبه تعالى تسلية له باستفهام
تعجيب اي انهم صم فلا يمكن اسماعهم عمي حياري فلا يمكن ان تهديهم وانما
ذلك راجع اليه تعالى ولما كانت حواسهم لم ينتفعوا بها الانتفاع الذي يجدي
خلاصهم من عذاب الله جعلوا صما عميا حياري ويريد بهم قريشا فهم جامعوا الاوصاف
الثلثة ولذلك عاد الضمير عليهم في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
ولم يجر لهم ذكر الا في قوله افانت تسمع الصم الاية والمعنى ان قبضناك قبل
نصرك عليهم فانا منهم منتقمون في الاخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون
او نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم بدر فانا عليهم مقتدرون
اي هم في قبضتنا لا يفوتوننا وهذا قول الجمهور وقال الحسن وقتادة المتوعد
هم الامة اكرم الله تعالى نبيه عن ان ينتقم منهم في حياته كما انتقم من امم
الانبيا في حياتهم فوقعت النقمة منهم بعد موته عليه السلم في الفتن الحادثة في صدر
الاسلام مع الخوارج وغيرهم وقري نرينك بالنون الخفيفة ولما ردد تعالى بين
حياته وموته صلى الله عليه وسلم امره بان يستمسك بما اوحاه اليه وقرا الجمهور
اوحي مبنيا للمفعول وبعض قرا الشام باسكان اليا والضحاك مبنيا للفاعل
وانه اي وان ما اوحينا اليك لذكر لك ولقومك اي شرف حيث نزل عليهم وبلسانهم
وجعل ساير الناس تبعا لهم والقوم على هذا قريش ثم العرب قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد كان عليه السلم يعرض نفسه على القبايل
فاذا قالوا له لمن يكون الامر بعدك سكت حتى نزلت هذه الاية فكان اذا سيل
عن ذلك قال لقريش فكانت العرب لا تقبل حتى قبلته الانصار وقال الحسن
القوم هنا امته والمعنى وانه لتذكرة وموعظة قيل وهذه الاية تدل على ان الانسان
يرغب في الثنا الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن ذلك مرغوبا فيه ما امتن به تعالى
على رسوله فقال وانه لذكر لك ولقومك وقال ابرهيم عليه السلم واجعل لي لسان
صدق في الاخرين والذكر الجميل قايم مقام الحيوة بل هو افضل من الحيوة لان اثر
الحيوة لا يحصل الا في الحي واثر الذكر الجميل يحصل في كل مكان وفي كل زمان انتهى
وقال ابن دريد

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعي

وقال اخر

انما الدنيا محاسنها طيب ما يبقى من الخبر

وذكر ان هلاون ملك التتار سال اصحابه من الملك فقالوا له انت الذي دوخت
البلاد وملكت الارض وطاعت لك الملوك فقال لا الملك هذا وكان المؤذن اذ
ذاك يوذن هذا الذي له ازيد من ستماية سنة قد مات وهو يذكر على الماذن
في كل يوم خمس مرات يريد محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف تسالون
قال الحسن عن شكر هذه النعمة وقال مقاتل المراد من كذب به يسال سوال توبيخ
واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا قيل هو على ظاهره وان جبريل عليه السلم
قال له ليلة الاسرا حين ام بالانبيا واسال من ارسلنا فلم يسالهم اذ كان اثبت
يقينا ولم يكن في شك وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير والزهري وابن زيد
وفي الاثر ان ميكايل قال لجبريل هل سال محمد عن ذلك فقال هو اعظم يقينا واوثق

ايمانا من ان يسال ذلك وقال ابن عباس ايضا والحسن ومجاهد وقتادة والسدي
وعطا اراد واسال اتباع من ارسلنا وجملة شرايعهم اذ يستحيل سوال الرسل انفسهم
وليسوا مجتمعين في الدنيا قال الفرا هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم
فكانه سال الرسل والسوال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح الحقيقة كثير منه
مسايلة الشعرا الديار والاطلال ومنه سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك
وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا فالسوال هنا مجاز عن النظر
في اديانهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبيا والذي يظهر انه خطاب
للسامع الذي يريد ان يفحص عن الديانات فقيل له اسال ايها الناظر اتباع الرسل
اجاءت رسلهم بعبادة غير الله فانهم يخبرونك ان ذلك لم يقع ولا يمكن ان ياتوا به
وابعد من ذهب الى ان المعنى واسالني او اسالنا عن من ارسلنا وعلق واسال فارتفع
من وهو اسم استفهام على الابتدا وارسلنا خبره والجملة في موضع نصب باسال بعد
اسقاط الخافض كان سواله من ارسلت يا رب قبلي من رسلك اجعلت في رسالته الهة تعبد
ثم ساق السوال فحكى المعنى فرد الخطاب الى محمد في قوله من قبلك ولقد ارسلنا موسى
باياتنا الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها
يضحكون وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون
وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا
القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملايكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه
انهم كانوا قوما فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا
للاخرين مناسبة هذه الايات لما قبلها من وجهين احدهما انه لما تقدم طعن قريش
على الرسول واختيارهم ان ينزل القران على رجل من القريتين عظيم اي في الجاه والمال
ذكر ان مثل ذلك سبقهم اليه فرعون في قوله اليس لي ملك مصر الى اخر الاية انتهى
بالملك والمال ففرعون قدوتهم في ذلك ومع ذلك فصار فرعون مقهورا مع موسى
منتقما منه فكذلك قريش والوجه الثاني انه لما قال واسال من ارسلنا الاية ذكر
قصة موسى وعيسى وهما اكثر اتباعا ممن سبقهم من الانبيا وكل جا بالدعا الى الله
وافراده بالعبادة فلم يكن فيما جا به اباحة اتخاذ الهة من دون الله كما اتخذت
قريش فناسب ذكر قصتهما الاية التي قبلها وايات موسى هي المعجزات التي اتى بها
وخص الملا بالذكر وهم الاشراف لان غيرهم من الناس تبع لهم فلما جاءهم باياتنا
وهي انقلاب قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه الرسالة
من الله فلما جاءهم باياتنا وهي انقلاب العصا ثعبانا وعودها عصا واخراج اليد بيضا
نيرة وعودها الى لونها الاول اذا هم منها يضحكون اي فاجاهم الضحك بحيث لم يفكروا
ولم يتاملوا بل بنفس ما راوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزا كما كانت قريش تضحك
قال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل
المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت
ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من ان اذا الفجائية
تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب فيها ثلاثة مذهب انها حرف
فلا تحتاج الى عامل ومذهب انها ظرف مكان فان صرح بعد الاسم بعدها بخبر له
كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قايم فقايم ناصب لاذا كان التقدير
خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قايم ومذهب انها ظرف زمان والعامل
فيه الخبر ايضا كانه قال خرجت ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قايم وان لم يذكر بعد
الاسم خبرا وذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدا بان كان المبتدا جثة
وقلنا اذا ظرف مكان كان الامر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف اي ففي

الزمان بحضور زيد وما ادعاه الزمخشري من اضمار فعل المفاجاة لم ينطق به ولا هو
في موضع واحد ثم المفاجاة التي ادعاها لا يدل المعنى على انها تكون من الكلام السابق
بل المعنى يدل على ان المفاجاة تكون من الكلام الذي فيه اذا تقول خرجت فاذا الاسد
فالمعنى ففاجاني الاسد وليس المعنى ففاجات الاسد وما نريهم من اية الا هي اكبر من
اختها قال الزمخشري فان قلت اذا جاءتهم اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي
فضلت عليها في الكبر من بقية الايات قلت اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل
واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل التفصيل والاستقرا
واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل لقيته تريد تفضيله على امة الرجال
الذين رايتهم اذا قررتهم رجلا رجلا فان قلت فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية
من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة
في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن
فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب
اليسير ان تختلف ارا الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى
هذا بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت ارا
الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذلك ومنه بيت الحماسه

• من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم الذي يسري بها الساري •

ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا تدري اين
طرفاها انتهى وهو كلام طويل ملخصه ان الوصف بالاكبر هنا مجاز وان ذلك بالنسبة الى
الناظرين فيها وقال ابن عطية عبارة عن شدة موقعها في نفوسهم بحدة امرها وحدوثه
وذلك ان اية عرضها موسى هي موسى واليد وكانت اكبر اياته ثم كل اية بعد ذلك كانت
تقع فيعظم عندهم مجيئها وتكبر لانهم كانوا نسوا التي قبلها فهذا كما قال الشاعر

• على انها تعفو الكلوم وانما • نوكل بالادنى وان جل ما يمضي •

وذهب الطبري الى ان الايات هنا الحجج والبينات انتهى وقيل كانت اياته من كبار الايات
وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها فعلى هذا يكون ثم صفة محذوفة اي من اختها السابقة
عليها ولا يبقى في الكلام تعارض ولا يكون ذلك الحكم في الاية الاولى لانه لم يسبقها شي فتكون
اكبر منه وقيل الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما منضما الى علم الاولى فيزداد
الرجوع ومعنى اختها مناسبتها تقول هذه الذرة اخت هذه اي مناسبتها واخذناهم
بالعذاب بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم وذلك عقاب لهم وايات لموسى لعلهم يرجعون عن كفرهم قال الزمخشري
لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان
قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على
سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على اختيار المكلف وانما لم
يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه انتهى وهو على طريق الاعتزال
وقال ابن عطية لعلهم ترج بحسب معتقد البشر وظنهم وقالوا يا ايها الساحر
ادع لنا ربك اي في كشف العذاب قال الجمهور هو خطاب تعظيم لان السحر كان علم
زمانهم او لانهم استصحبوا له ما كانوا يدعونه به اولا ويكون قولهم بما عهد عندك
اننا لمهتدون اخبارا مطابقا مقصودا وقيل بل خطاب استهزا وانتقاص ويكون قولهم
بما عهد عندك اي على زعمك وقولك واننا لمهتدون اخبارا غير مطابق معلق على
شرط دعايه وكشف العذاب وعهد بعزمهم على نكثه الا ترى فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون وعلى القول الاول يكون قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
جاريا على عادة اكثر الناس اذا مسه الضر تضرع ودعا واذا كشف عنه رجع الى عادته
الاولى كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ثم اذا كشفنا عنه ضره مر كان لم

يدعونا الى ضرسته وقوله مما عهد عندك محتمل ان يكون من ان دعوتك مستجابة وفي
الكلام حذف اي فدعا موسى فكشفنا فلما كشفنا وقرا ابو حيوة ينكثون بكسر الكاف
ونادى فرعون في قومه جعل القوم محلا للنداء والظاهر انه نادى عظماء القبط في محله
الذي هو وهم مجتمعون فيه فرفع صوته فيما بينهم لينشر مقالته في جميع القبط ويجوز
ان يكون امر بالنداء فاسند اليه وسبب ندايه ذلك انه لما راى اجابة الله دعوة
موسى ورفع العذاب خاف ميل القوم اليه فنادى قال يا قوم اليس لي ملك مصر اراد
ان يبين فضله على موسى بملك مصر وهي من اسكندرية الى اسوان وهذه الانهار اي
الخلجان التي تخرج من النيل واعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
والواو في وهذه الانهار واو الحال وتجري خبر وهذه والانهار صفة او عطف بيان
ويجوز ان تكون الواو عاطفة على ملك مصر وتجري حال من تحتي اي من تحت قصري
وملكي وقال قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصره وقيل كان له سرير عظيم
وقطع من نيل مصر قطعة قسمها انهارا تجري من تحت ذلك السرير وابعد الضحاك
في تفسيره الانهار بالقواد والرؤسا الجبابرة يسيرون تحت لوايه ومن فسرها
بالاموال يفرقها من تحت يده ومن فسرها بالخيل فقال كما يسمى الفرس بحرا يسمى
نهرا وهذه الاقوال الثلاثة يقرب من تفاسير الباطنية افلا تبصرون عظمتي
وقدرتي وعجز موسى وقرا فهد بن الصقر يبصرون بيا الغيبة ذكره في الكامل للهذلي
والتاجي عن يعقوب ذكره ابن خالويه قال الزمخشري وليت شعري كيف
ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجبت الناس من مدى عظمته
وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير
ولا كبير حتى يتربع في صدور الدهما مقدار عزته وملكوته وكثيرون تبصرون وي
عيسى وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان
على وضوءه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره
قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل
عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير من هذا الذي هو مهين الظاهر انها ام
المنقطعة المقدرة ببل والهمزة اي بل انا خير وهو اذا استفهام هو خير من هو
ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك المتحكم فيهم قالوا بلا شك
انت خير وقال السدي وابو عبيدة ام بمعنى بل فيكون انتقل من ذلك الكلام الى
اخباره بانه خير ممن ذكر كقول الشاعر

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها ام انت في العين املح

وقال سيبويه ام هذه المعادلة اي ام تبصرون الامر الذي هو حقيق ان يبصر عنده
وهو انه خير من موسى وهذا القول بدأ به الزمخشري فقال ام هذه متصلة لان المعنى
افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا
قالوا انت خير فهم عنده بصرا وهذا من انزال السبب منزلة المسبب انتهى وهذا
القول متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان السابق جملة
فعلية كان المعادل جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله ادعوتموهم
ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام
انا خير ليس مقابلا لقوله افلا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما
او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله امخدج اليدين ام اتمت فاتمت معادل
للاسم فالتقدير ام متما وقيل حذف المعادل بعد ام لدلالة المعنى عليه اذ التقدير
ام تبصرون فحذف تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كان بعد ام لا نحو ايقوم زيد ام لا
تقديره ام لا يقوم وازيد عندك ام لا اي ام لا هو عندك فاما حذفه دون لا فهو
فليس من كلامهم وقد جا حذف ام والمعادل وهو قليل قال الشاعر

دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها

يريد

يريد ام غي وحكى الفراء انه قرأ اما انا خير دخلت الهمزة على ما النافية فافادت التقرير
ولا يكاد يبين الجمهور انه كان بلسانه بعض شي من اثر الجمرة ومن ذهب الى ان الله كان
اجابه في سواله واحلل عقدة من لساني فلم يبق لها اثر جعل انتفا الابانة بانه لا يبين
حجته الدالة على صدقه فيما يدعي لا انه لا قدرة له على ايضاح المعنى لاجل كلامه
وقيل عابه بما كان عليه موسى من الحبسة ايام كان عند فرعون فنسب الى ما عاهده مبالغة
في التعيير وقول فرعون ولا يكاد يبين كذب بحت الا ترى ما ناظره له ورده عليه وافحامه
بالحجة والانبيا عليهم السلم كلهم بلغا وقرا الباقر يبين بفتح اليا من بان اذا ظهر فلولا القي
عليه اساورة من ذهب قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق
من ذهب علامة لسودده فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اساورة من ذهب
ان كان صادقا فكان ذلك دليلا على القا مقاليد الملك اليه لما وصف نفسه بالعزة والملك
ووازنه ما بينه وبين موسى عليه السلم فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد فاعترض فقال
ان كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملايكة انصاره وقرا الضحاك فلولا القى
مبنيا للفاعل اي الله اساورة نصبا والجمهور اساورة وابي وعبد الله اساور والمفرد
اسوار بمعنى سوار والهاء عوض من اليا كهي في زنادقة هي عوض من يا زناديق المقابلة
لالف زناديق وهذه مقابلة لالف اسوار وقرا الحسن وقتادة وابو رجا والاعرج ومجاهد
وابو حيوة وحفص اسورة جمع سوار نحو خمار واخمرة وقرا الاعمش اساور وروت
عن ابي وعن ابي عمرو وجا معه الملايكة مقترنين اي يحمدونه ويقيمون حجته قال
ابن عباس يعينونه على من خالفه وقال السدي يقارن بعضهم بعضا وقال مجاهد يمشون
معه وقال قتادة متتابعين فاستخف قومه اي استجهلهم لخفة احلامهم قاله ابن الاعرابي
وقال غيره حملهم على ان يخفوا لما يريد منهم فاجابوه لفسقهم فلما اسفونا منقول بالهمزة هو
من اسف اذا غضب والمعنى فلما عملوا الاعمال الخبيثة الموجبة لان لا نحلم عنهم وعن
ابن عباس احزنوا اولياءنا المومنين نحو السحرة وبني اسرايل وعنه ايضا اغضبونا
وعن علي اسخطونا وقيل خالفونا وقال القشيري وغيره الغضب من الله اما ارادة
العقوبة فهو من صفات الذات او العقوبة فيكون من صفات الفعل وقرا الجمهور
سلفا قال ابن عباس وزيد بن اسلم وقتادة اي متقدمين الى النار وهو مصدر
سلف يسلف سلفا وسلف الرجل اباوه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقيل هو جمع
سالف كحارس وحرس وحقيقته انه اسم جمع لان فعلا ليس من ابنية الجموع المكسرة
وقال طفيل يرثي قومه

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال تقلب

قال الفراء والزجاج سلفا ليتعظ بهم الكفار المعاصرون للرسول وقرا ابو عبد
الله واصحابه وسعيد بن عياض والاعمش وطلحة والاعرج وحمزة والكسائي بضم
السين واللام جمع سليف وهو الفريق سمع القاسم بن معن العرب تقول مضى سليف
من الناس وقرا علي ومجاهد والاعرج ايضا وسلفا بضم السين وفتح اللام سلفة وهي
الامة والقطعة والسلف في غير هذا الولد القبح والجمع سلفان ومثلا للاخرين
اي حديثا عجيب الشان سايرا مسير المثل يحدث به الاخرون من الكفار يقال لهم مثلكم
مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا الهتنا خير ام
هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا
لبني اسرايل ولو نشا لجعلنا منكم ملايكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا
تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين
ولما جا عيسى بالبينات قال قد جيتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي

وسلفا

لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تاكلون لما ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلم ذكر قصة طرفا من قصة
عيسى عليه السلم وعن ابن عباس وغيره لما نزل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ونزل
كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما اراد محمد من ذكر عيسى الا ان نعبده كما عبدت
النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا وقيل ضرب المثل بعيسى هو ما جرى
بين الزبعري وبين الرسول عليه السلم في القصة المحكية في قوله انكم وما تعبدون
وقد ذكرت في سورة الانبيا في اخرها ان ابن الزبعري قال فاذا كان هولا اي عيسى وامه
وعزير في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم وقيل المثل هو ان الكفار لما سمعوا
ان النصارى تعبد عيسى قالوا الهتنا خير من عيسى قال ذلك منهم من كان يعبد الملايكة
وضرب مبني للمفعول فاحتمل ان يكون الفاعل ابن الزبعري ان صحت قصته وان
يكون الكفار وقرا ابو جعفر والاعرج والنخعي وابو رجاء وابن وثاب وابن عامر
ونافع والكسائي يصدون بضم الصاد اي يعرضون عن الحق من اجل ضرب المثل وقرا
ابن عباس وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها اي يضحكون ويرتفع لهم
جلبة فرحا بضرب المثل وروي ضم الصاد عن علي وانكرها ابن عباس ولا يكون انكاره
الا قبل بلوغه تواترها وقال الكسائي والفرا هما لغتان بمعنى واحد مثل يعرشون
ويعرشون وقالوا الهتنا خير ام هو حقق الكوفيون الهمزتين وسهل باقي السبعة
الثانية بين بين وقرا ورش في رواية ابي الازهر بهمزة واحدة على مثال الخبر فاحتمل
ان تكون همزة الاستفهام محذوفة لدلالة ام عليها واحتمل ان يكون خبرا محضا حكوا ان
الهتهم خير ثم عن لهم ان يستفهموا على سبيل التنزل من الخبر الى الاستفهام المقصود به
الافحام وهذا الاستفهام يتضمن ان الهتهم خير من عيسى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما مثلوا
هذا التمثيل الا لاجل الجدل والغلبة والمغالطة لا لتمييز الحق واتباعه وانتصب
جدلا على انه مفعول من اجله وقيل مصدر في موضع الحال وقرا ابن مقسم الا جدالا بكسر
الجيم والف خصمون شديد الخصومة واللجاج وفعل من ابنية المبالغة نحو حذر والظاهر
ان الضمير في ان هو لعيسى ليتناسق الضماير في قوله ان هو الا عبد وقال قتادة
يعود على النبي صلى الله عليه وسلم انعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة وجعلناه مثلا
اي عبرة عجيبة كالمثل لبني اسرايل اذ خلق من غير اب وجعل له من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص والاسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه وقيل المنعم عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم
ولو نشا لجعلنا منكم ملايكة في الارض قال بعض النحويين من تكون للبدل اي لجعلنا بدلكم
ملايكة وجعل من ذلكم قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي بدل الاخرة
وقول الشاعر

اخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للامير افالا

اي بدل الفصيل واصحابنا لا يثبتون لمن معنى البدلية ويتاولون ما ورد مما يوهم
ذلك قال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم وقال الزمخشري ولو نشا لقدرتنا على عجايب
الامور وبدايع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملايكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم
اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا
ان الملايكة اجسام لا يتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك انتهى وهو
تخريج حسن ونحو من هذا التخريج قول من قال لجعلنا من الانس ملايكة وان لم
تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف يخلفون قال السدي
يكونون خلفا منكم وقال قتادة يخلف بعضهم بعضا وقال مجاهد في عمارة الارض وقيل
في الرسالة بدلا من رسلكم والظاهر ان الضمير في وانه لعلم للساعة يعود على عيسى
اذ الظاهر في الضماير السابقة انها عايدة عليه وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة

والحسن

والحسن والسدي والضحاك وابن زيد اي وان خروجه لعلم للساعة يدل على قرب
قيامها اذ خروجه شرط من اشراطها وهو نزوله من السما في اخر الزمان وقالت
الحسن ايضا وقتادة ايضا وابن جبير يعود على القران على معنى انه يدل انزاله على
قرب الساعة او انه به تعلم الساعة واهوالها وقالت فرقة يعود على النبي صلى الله
عليه وسلم اذ هو اخر الانبيا تميزت الساعة به نوعا وقدرا من التمييز ونفي التحرير
التام الذي انفرد الله تعالى بعلمه وقرا الجمهور لعلم مصدر علم قال الزمخشري
اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي العلم شرطا لحصول العلم به وقرا ابن عباس
وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة ومجاهد والضحاك ومالك بن
دينار والاعمش والكلبي قال ابن عطية وابو نضرة لعلم بفتح العين واللام اي
لعلامة وقرا عكرمة قال ابن خالويه وابو نضرة للعلم معرفا بفتحتين فلا تمترن بها
اي لا تشكون فيها واتبعون اي هداي او شرعي وقيل اي قل لهم يا محمد واتبعون
هذا اي الذي ادعوكم له او هذا القران ان كان الضمير في وانه للقران ثم حذرهم
من اغوا الشيطان ونبه على عداوته بالبينات اي المعجزات او بايات الانجيل
الواضحات بالحكمة اي بما تقتضيه الحكمة الالهية من الشرايع قال السدي
بالحكمة النبوة وقال ايضا قضايا يحكم بها العقل وذكرا القشيري والماوردي
الانجيل وقال الضحاك الموعظة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو امر
الديانات لان اختلافهم يكون فيها وفي غيرها من الامور التي لا يتعلق بالديانات
فامور الديانات بعض ما تختلفون فيه وقيل ولابين لكم في الانجيل بعض الذي
تختلفون فيه وبين لهم في غيره ما احتاجوا اليه وقيل بعض ما يختلفون فيه من احكام
التوراة وقال ابو عبيدة بعض بمعنى كل ورده الناس عليه وقال مقاتل هو كقوله
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم احل في الانجيل لحم الابل والشحم من كل حيوان
وصيد السمك يوم السبت وقال مجاهد بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة
وقيل مما سالتم من احكام التوراة وقال قتادة ولابين لكم اختلاف الفرق الذين
تحزبوا في امر عيسى والضمير في من بينهم عايد على من خاطبهم عيسى في قوله قد جيتكم
بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم اي من تلقاءهم ومن انفسهم بان شرهم ولم يدخل عليهم
الاختلاف من غيرهم وتقدم الخلاف في اختلافهم في سورة مريم في قوله فاختلف
الاحزاب من بينهم هل ينظرون الضمير لقريش وان تاتيهم بدل من الساعة اي اتيانها
اياهم الاخلا يوميذ قيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط والتنوين في يوميذ
عوض من الجملة المحذوفة اي يوم اذ تاتيهم الساعة ويوميذ منصوب بعدو والمعنى
انه تنقطع كل خلة وتنقلب الا خلة المتقين فانها لا تزداد الا قوة وقيل الا المتقين
الا المجتنبين اخلا السو وذلك ان اخلا السو كل منهم يرى اذا الضرر دخل عليه من
خليله كما ان المتقين يرى كل منهم النفع دخل عليه من خليله وقري ياعبادي بالياء و
هو الاصل ويا عباد بحذفها وهو الاكثر وكلاهما في السبعة وعن المعتمر بن سليمن
سمع ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا يفزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف
عليكم الاية فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا الاية قال فاييس منها الكفار
وقرا الجمهور لا خوف مرفوع منون وابن محيصن بالرفع من غير تنوين والحسن
والزهري وابن ابي اسحق وعيسى وابن يعمر ويعقوب بفتحها من غير تنوين والذين
امنوا صفة يا عبادي تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم
كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة
المبالغة فيما وصف بجميل وامال ابو الحرث عن الكسائي بصحاف ذكره ابن خالويه
والضمير في وفيها عايد على الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين هذا حصر لانواع
النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون وقرا ابو جعفر وشيبة
ونافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه بالضمير العايد على ما والجمهور وباقي السبعة

محذوفها وفي مصحف عبد الله ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين بالهاء فيهما وتلك الجنة
مبتدا وخبر والتي اورثتموها صفة او الجنة صفة والتي اورثتموها او بما كنتم
تعملون الخبر وما قبله صفتان فاذا كان بما الخبر تعلق بمحذوف وعلى القولين الاولين
يتعلق باورثتموها وشبهت في بقايها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة ولما ذكر ما يتضمن
الاكل والشرب ذكر الفاكهة منها تاكلون من للتبعيض اذ لا تاكلون الا بعضها وما
يخلف الماكول باق في شجره كما جا في الحديث ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جيناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون
ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم
يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو
الذي في السما اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولين سالتهم من
خلقهم ليقولن الله فاني يوفكون وقيله يا رب ان هولا قوم لا يومنون فاصفح عنهم
وقل سلام فسوف يعلمون — لما ذكر تعالى حال اهل الجنة وما يقال لهم من لذيذ
البشارة اعقب ذلك بذكر حال الكفرة وما يجاوبون به عند سوالهم وقرا عبد الله
وهم فيها اي في جهنم والجمهور وهم فيه اي في العذاب وعن الضحاك يجعل المجرم
في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى لا يفتر عنهم اي لا يخفف
ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا ونقص حرها والمبلس الساكت
الياس من الخير وما ظلمناهم اي ما وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه ولكن كانوا
هم الظالمين اي الواضعين الكفر مكان الايمان فظلموا بذلك انفسهم وقرا
الجمهور الظالمين على ان هم فصل وقرا عبد الله وابو زيد النحويان الظالمون
بالرفع على انه خبر هم وهم مبتدا وذكر ابو عمر الجرمي ان لغة تميم جعل ما هو فصل
عند غيرهم مبتدا ويرفعون ما بعده على الخبر وقال ابو زيد سمعتهم يقرون تجدوه
عند الله هو خير واعظم اجرا يعني برفع خير واعظم وقال — قيس بن ذريح

نحن الى ليلى وانت تركتها ... وكنت عليها بالملا انت اقدر

وقال سيبويه بلغنا ان روبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع ونادوا
يا مالك تقدم انهم مبلسون اي ساكتون وهذه احوال لهم في ازمان متطاولة فلا
تعارض بين سكوتهم وندائهم وقرا الجمهور يا مالك وقرا عبد الله وعلي وابن وثاب
والاعمش يا مال بالترخيم على لغة من ينتظر الحرف وقرا ابو السرار الغنوي
يا مال بالبنا على الضم جعله اسما على حياله واللام في ليقض لام الطلب والرغبة
والمعنى ليميتنا مرة حتى لا يتكرر عذابنا كقوله فوكزه موسى فقضى عليه اي اماته
قال اي مالك انكم ماكثون اي مقيمون في النار لا تبرحون وقال ابن عباس يجيبهم
بعد مضي الف سنة وقال نوف بعد ماية وقيل ثمانين وقال عبد الله بن عمرو اربعين
لقد جيناكم بالحق يظهر انه من كلام الله تعالى وقيل من كلام بعض الملايكة كما تقول احد
خدم الرئيس اعلمناكم وفعلنا بكم قيل ويحتمل ان يكون لقد جيناكم من قول الله لقريش
يعقب حكاية امر الكفار مع مالك وفي هذا توعد وتخويف بمعنى انظروا كيف يكون
حالكم ام ابرموا الضمير لقريش اي بل احكموا امرا من كيدهم للرسول ومكرهم
فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم
المكيدون وكانوا يتناجون ويتسارون في امر الرسول فقال تعالى ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم وهو ما يحدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال ونجواهم

وهي ما تكلموا به فيما بينهم بلى اي نسمعها ورسلنا وهم الحفظة قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين قال قتادة والسدي والطبري المعنى قل لهم ان كان للرحمن ولد كما تقولون
فانا اول من يعبده على ذلك ولكن ليس له شي من ذلك واخذ الزمخشري هذا القول
وحسنه بفصاحته فقال ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح يوردونه
وحجة واضحة يدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد
له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم ابيه وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل
لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا
مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق
العبادة بكينونة الولد وهو محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة
اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال الزمخشري
ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ثم ذكر كلاما يستحق عليه التاديب بل السيف نزهت كتابي
عن ذكره ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت
والفوايد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم
فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن
ولد فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك
وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملايكة بنات الله
فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك
ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له انتهى اما
القول ان كان لله ولد في زعمكم فهو قول مجاهد واما القول فانا اول الانفين فهو قول
جماعة حكاه عنهم ابو حاتم ولم يسم احدا منهم ويدل عليه قراءة السلمي واليماني العبدين
وقراءة ذكرها الخليل بن احمد في كتاب العين العبدين بسكون البا تخفيف العبدين
بكسرها وذكر صاحب اللوامح انه جا عن ابن عباس في معنى العابدين انه الانفين
انتهى وقال ابن عرفة يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقران لا ياتي بالقليل
من اللغة ولا الشاذ ثم قال كقول مجاهد وقال الفرزدق

اوليك ابايي فجيني بمثلهم ... واعبد ان اهجو كليبا بدارم

اي انف واستنكف وقال اخر

متى ما يشا ذو الود يصرم خليله ... ويعبد عليه لا محالة ظالما

واما القول بان ان نافية فروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن زيد
وزهير بن محمد وقال مكي لا يجوز ان تكون ان بمعنى ما النافية لانه يوهم انك انما نفيت
عن الله الولد فيما مضى دون ما هو ات وهذا محال انتهى ولا يلزم منه محال لان قد تستعمل
فيما يدوم ولا يزول كقولك وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل فالمعنى ما كان وما يكون
وقال ابو حاتم العبد بكسر البا الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين
والعرب تقول عبدني حقي اي جحدني وقرا ولد بفتحتين وعبد الله وابن وثاب
وطلحة والاعمش بضم الواو وسكون اللام ثم قال سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون اي من نسبة الولد اليه والمعنى ان الاله العالم يجب ان يكون
واجب الوجود وما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي والولد عبارة عن ان ينفصل
عن الشي جزء من اجزايه فيتولد منه شي مثله ولا يكون الا فيما هو قابل ذاته للتجزي هو
وهذا محال في حقه تعالى فامتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال
فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم وظاهر هذين الامرين المهادنة والترك
وذلك مما نسخ باية السيف وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو جعفر وابن محيصن وعبيد
بن عقيل عن ابي عمرو يلقوا مضارع لقي يومهم الذي يوعدون يوم القيامة وقال
عكرمة وغيره يوم بدر واضاف اليوم اليهم لانه الذي فيه هلاكهم وعذابهم وقرا

الجمهور الاه فيهما وقرا عمر وعبد الله وابي وعلي والحكم بن ابي العالي وبلال بن ابي بردة
وابن يعمر وجابر وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وابو الشيخ الهناي وحميد وابن مقسم
وابن السميفع الله فيهما ومعنى اله معبود وبه يتعلق الجار والمجرور والمعنى انه هو
معبود في السما ومعبود في الارض والعايد على الموصول محذوف تقديره هو
اي كما حذف في قولهم ما انا بالذي قايل لك شيا وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن
في قايل لك شيا طوله بالمعمول ومن قرا الله ضمنه ايضا معنى المعبود كما ضمن العلم
في نحو قولهم هو حاتم في طيي اي جواد في طي ويجوز ان تكون الصلة الجار والمجرور
والمعنى انه فيهما بالالهية وربوبيته اذ يستحيل حمله على الاستقرار وفي قوله
وفي الارض نفي لالهتهم التي كانت تعبد في الارض وعنده علم الساعة اي علم تعيين
وقت قيامها وهو الذي استاثر به تعالى وقرا الجمهور ترجعون بتا الغيبة ونافع
وعاصم والعربيان بتا الخطاب وهو في كلتا القراتين مبني للمفعول وقري بفتح تا
الخطاب مبنيا للفاعل وقرا الجمهور يدعون بيا الغيبة والسلمي وابن وثاب
بتا الخطاب والاسود بن يزيد بيا الغيبة وشد الدال وعنه بتا الخطاب وشد الدال
والمعنى ولا يملك الهتهم التي يدعون الشفاعة عند الله قال قتادة استثنى ممن عبد
من دون الله عيسى وعزيرا والملايكة فانهم يملكون شفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن
شهد بالحق وهم المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هولا الملايكة وعزير وعيسى الا هو
فيمن شهد بالحق وهو يعلمه اي بالتوحيد قالوا فالاستثنا على منفصل كانه قال
لكن من شهد بالحق يشفع فيهم هولا وهذا التقرير الذي قدره ويجوز ان يكون فيه
الاستثنا متصلا لانه يكون المستثنى منه محذوفا كانه قال ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة في احد الا فيمن شهد بالحق فهو استثنا من المفعول المحذوف
كما قال الشاعر •

• نجا سالم والنفس منه بشدقه • ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا •

اي ولم ينج شي الا جفن سيف فهو استثنا من المشفوع فيهم الجايز فيه الحذف وهو
متصل فان جعلته مستثنى من الذين يدعون فيكون منفصلا والمعنى ولا يملك الهتهم
ويعني بهم الاصنام والاوثان الشفاعة كما زعموا انهم شفعاوهم عند الله ولكن من
شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به هو الذي يملك الشفاعة وان ادرجت
الملايكة في الذين يدعون كان استثنا متصلا وقرا الجمهور فاني يوفكون بيا الغيبة
مناسبا لقوله ولين سالتهم اي كيف يصرفون عن عبادة من اقروا انه موجد العالم
وعبد الوارث عن ابي عمرو بتا الخطاب وقرا الجمهور وقيله بالنصب فعن الاخفش
انه معطوف على سرهم ونجواهم وعنه ايضا على وقال قيله وعن الزجاج على محل الساعة
في قوله وعنده علم الساعة وقيل معطوف على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون اقوالهم
وافعالهم وقيله وقيل معطوف على مفعول يعلمون اي يعلمون الحق وقيله يا رب وهو قول
لا يكاد يعقل وقيل منصوب على اضمار فعل اي ويعلم قيله وقرا السلمي وابن وثاب
وعاصم والاعمش وحمزة وقيله بالخفض وخرج على انه عطف على الساعة او على
انها واو القسم والجواب محذوف اي لينصرن او لافعلن بهم ما اشاء وقرا الاعرج
وابو قلابة ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بن جندب وقيله بالرفع وخرج على انه
معطوف على علم الساعة على حذف مضاف اي وعلم قيله حذف واقيم المضاف اليه
مقامه روي هذا عن الكسائي وعلى الابتدا وخبره يا رب الى لا يومنون او على ان
الخبر محذوف تقديره مسموع او متقبل فجملة النداء وما بعده في موضع نصب بقيله
وقرا ابو قلابة يا رب بفتح البا اراد يا ربا كما تقول يا غلاما ويتخرج على جواز الاخفش
يا قوم بالفتحة وحذف الالف والاجتزا بالفتحة عنها وقال الزمخشري والذي
قالوه يعني من العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان

يكون

الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله
ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هولا قوم لا يومنون جواب القسم كانه قال واقسم
بقيله او وقيله يا رب قسمي انهم لا قوم لا يومنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم
لدعايه والتجايه اليه انتهى وهو مخالف لظاهر الكلام اذ يظهر ان قوله يا رب الى لا يومنون
متعلق بقيله ومن كلامه عليه السلم واذا كان ان هولا جواب القسم كان من اخبار الله
عنهم وكلامه والضمير في وقيله للرسول وهو المخاطب بقوله فاصفح عنهم اي اعرض
عنهم وتاركهم وقل سلام اي الامر سلام فسوف يعلمون وعيد لهم وتهديد وهو ادعة
وهي منسوخة باية السيف وقرا الجمهور يعلمون بيا الغيبة كما في فاصفح عنهم
وقرا ابو جعفر والحسن والاعرج ونافع وهشام بتا الخطاب وقال السدي وقل
سلام اي خيرا بدلا من شرهم وقال مقاتل اردد عليهم معروفا وحكى الماوردي قل ما تسلم
به من شرهم **الدخان** معروف وقال ابو عبيدة والدخان الجدب قال القتبي
يسمى دخانا ليبس الارض منه حتى يرتفع منها كالدخان وقياس جمعه في القلة ادخنة
وفي الكثرة دخنان نحو غراب واغربة وغربان وشذوا في جمعه على فواعل فقالوا
دواخن كانه جمع داخنة تقديرا كما شذوا في عثانا فقالوا عواثن **رهوا** البحر رهوا
ساكن يقال جات الخيل رهوا اي ساكنة قال الشاعر •

• والخيل تمزع رهوا في اعنتها • كالطير ينجو من الشوبوب ذي البرد •

ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وقال ابن الاعرابي رها في السير قال
القطامي في نعت الركاب •

• يمشون رهوا فلا الاعجاز خاذلة • ولا الصدور على الاعجاز تتكل •

وقال الليث عيش راه وادع خافض وقال غيره الرهو والرهوة المكان المرتفع
والمنخفض يجتمع فيه الما وهو من الاضداد والجمع رهاء والرهو المراة الواسعة
الهن حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب من الطير ويقال هو الكركي وقال
ابو عبيدة رها الرجل يرهو رهوا فتح بين رجليه **المهل** دردي الزيت وعكره
عتله ساقه بعنف ودفع واهانة والعتل الجافي الغليظ ••

•• سورة الدخان ••

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم
امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين
بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاهم رسول مبين ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفو العذاب قليلا انكم عايدون يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاهم رسول كريم ان ادوا الي
عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت
بربي وربكم ان ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون
فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين
فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين هذه السورة مكية قيل الا قوله
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون ومناسبة هذه السورة انه ذكر في اواخر
ما قبلها فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذكر يوما غير معين
ولا موصوف فبين في اوايل هذه السورة ذلك اليوم بوصفه وصفه فقال فارتقب
يوم تاتي السما بدخان مبين وان العذاب ياتيهم من قبلك ويحل بهم من الجدب والقحط
ويكون العذاب في الدنيا وان كان العذاب في الاخرة فيكون يومهم الذي يوعدون

يوم القيامة والظاهر ان الكتاب المبين هو القران اقسم به تعالى ويكون الضمير في انزلناه عائدا عليه قيل ويجوز ان يراد به الكتب الالهية المنزلة وان يراد به اللوح المحفوظ وجواب القسم قال الزمخشري وغيره قوله انا انزلناه على ان الكتاب هو القران ويكون قد عظمه تعالى بالاقسام به وقال ابن عطية لا يحسن وقوع القسم عليه اي على انا انزلناه وهو اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ويكون الذي وقع عليه القسم انا كنا منذرين انتهى قال قتادة وابن زيد والحسن الليلة المباركة ليلة القدر وقالوا كتب الله كلها انما نزلت في رمضان التوراة في اوله والانجيل في وسطه والزبور في نحو ذلك والقران في اخره في ليلة القدر ويعني ابتدا نزوله كان في ليلة القدر وقيل انزل جملة ليلة القدر الى البيت المعمور ومن هناك كان جبريل يتلقاه وقال عكرمة وغيره هي ليلة النصف من شعبان وقد اوردوا فيها احاديث وقال الحافظ ابو بكر بن العربي لا يصح فيها شي ولا في نسخ الاجال فيها انا كنا منذرين اي مخوفين قال الزمخشري فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الامور التي يتعلق منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفي به بركة انتهى وقرا الحسن والاعرج والاعمش يفرق بفتح اليا وضم الرا كل بالنصب اي يفرق الله وقرا زيد بن علي فيما ذكر الزمخشري عنه نفرق بالنون كل بالنصب وفيما ذكر ابو علي الاهوازي عنه بفتح اليا وكسر الرا ونصب كل ورفع حكيم على انه الفاعل بيفرق وقرا الحسن وزايدة عن الاعمش بالتشديد مبنيا للمفعول ومعنى يفرق يفصل من غيره ويخلص ووصف امر بحكيم اي امر ذي حكمة وقد ابهم تعالى هذا الامر وقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق والاجال وغير ذلك ويكتب ذلك الى مثلها من العام المقبل وقال هلال بن يساف كان يقال انتظروا القضا في رمضان وقال عكرمة يفصل الملايكة في ليلة النصف من شعبان وجوزوا في امرا ان تكون مفعولا به بمنذرين لقوله لينذر باسا شديدا وعلى الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة ونفسه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا لا يا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا كذا قال الزمخشري وقال وفي قراة زيد بن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص ومفعولا له والعامل انزلنا او منذرين او يفرق ومصدرا من معنى يفرق اي فرقا من عندنا او من امرنا محذوفا وحالا قيل من كل والذي تلقفناه من اشياخنا انه حال من امر لانه وصف بحكيم فحسنت الحال منه الا ان فيه الحال من المضاف اليه وهو ليس في موضع رفع ولا نصب فلا يجوز وقيل من ضمير الفاعل في انزلناه اي امرين وقيل من ضمير المفعول في انزلناه اي في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل والظاهر ان من عندنا صفة لامرا وقيل تتعلق بيفرق انا كنا مرسلين لما ذكر انزال القران ذكر المرسل اي مرسلين الانبيا بالكتب للعباد فالجملة الموكدة مستانفة وقيل يجوز ان يكون بدلا من انا كنا منذرين وجوزوا في رحمة ان يكون مصدرا اي رحمنا رحمة وان يكون مفعولا له لانزلناه او ليفرق او لامرا من عندنا وان يكون مفعولا بمرسلين والرحمة توصف بالارسال كما وصفت به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والمعنى على هذا انا نفصل في هذه الليلة كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وقرا زيد بن علي والحسن رحمة بالرفع اي تلك رحمة من ربك التفاتا من مضمر الى ظاهر

اذ لو روعي ما قبله لكان رحمة منا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وقرا ابن محيصن والاعمش وابو حيوة والكوفيون رب السموات بالخفض بدلا من ربك وباقي السبعة والاعرج وابن ابي اسحق وابو جعفر وشيبة بالرفع على القطع اي هو رب وقرا الجمهور ربكم ورب برفعهما وابن ابي اسحق وابن محيصن وابو حيوة والزعفراني وابن مقسم والحسن وابو موسى عيسى بن سليمن وصالح الناقط كلاهما عن الكسائي بالجر واحمد بن جبير الانطاكي ربكم ورب بالنصب على المدح وهم يخالفون بين الاعراب الرفع والنصب اذا طالت النعوت وقوله ان كنتم موقنين تحريك لهم بانكم تقرون بانه تعالى خالق العالم وانه انزل الكتب وارسل الرسل رحمة منه وان ذلك منكم عن غير علم وايقان ولذلك جا بل هم في شك يلعبون اي في شك لا يزالون فيه يلعبون فاقرارهم ليس عن حد ولا تيقن فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين قال علي بن ابي طالب وابن عمر وابن عباس وابو سعيد الخدري وزيد بن علي والحسن هو دخان يجي يوم القيامة يصيب المومن منه مثل الزكام وينضح رووس الكافرين والمنافقين حتى يكون كانها مصلية حنيذة وقال ابن مسعود وابو العالية والنخعي هو الدخان الذي راته قريش قيل لعبد الله ان قاصا عند ابواب كنده يقول انه دخان ياتي يوم القيامة فياخذ انفاس الناس فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم الا وسا حدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز والعلهز الصوف يقع فيه القراد فيشوي الصوف بدم القراد ويوكل وفيه ايضا حتى اكلوا العظام وكان الرجل يرى بين السما والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المحدث من الدخان فمشى اليه ابو سفين ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وفيه فرحمهم النبي صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم بصدقة ومال وفيه فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر وقال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم وقال عبد الرحمن الاعرج يوم تاتي السما هو يوم فتح مكة لما حجبت السما الغبرة وفي حديث حذيفة اول الايات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن وفيه قلت يا نبي الله وما الدخان قال هذه الاية فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين وذكر بقية الحديث واختصرناه بدخان مبين اي ظاهر لا شك انه دخان يغشى الناس يشملهم فان كان هو الذي راته قريش فالناس خاص بالكفار من اهل مكة وقد مضى كما قال ابن مسعود وان كان من اشراط الساعة او يوم القيامة فالناس عام فيمن ادركه وقت الاشراط وعام بالناس يوم القيامة هذا عذاب اليم في موضع نصب بفعل القول محذوفا وهو في موضع الحال اي يقولون ويجوز ان يكون اخبارا من الله كانه تعجب منه كما قال في قصة الذبيح ان هذا لهو البلا المبين انا مومنون وعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب والايمان واجب كشف العذاب او لم يكشف انى لهم الذكرى اي كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاهم ما هو اعظم وادخل في باب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عدّاسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون وقرا زر بن حبيش معلم بكسر اللام انا كاشف العذاب قليلا اخبار عن اقامة الحجة عليهم ومبالغة في الامهال لهم ثم اخبر انهم عايدون الى

الكفر فقال قتادة هو توعد بمعاد الاخرة واذا كان الخطاب لقريش حين جلبهم الجدب
كان ظاهرا وان كان الدخان قبل يوم القيامة فاذا اتت السما بالعذاب تضرعوا منافقوهم
وكافروهم وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فيكشفه عنهم قيل بعد اربعين يوما
فحين يكشفه عنهم يرتدون ويوم البطشة الكبرى على هذا هو يوم القيامة كقوله
فاذا جات الطامة الكبرى وكونه يوم القيامة هو قول ابن عباس والحسن وعكرمة
وقتادة وكونه يوم بدر هو قول عبد الله وابي وابن عباس ومجاهد وانتصب يوم
نبطش قيل باذكر وقيل بمنتقمون وقيل بمنتقم الدال عليه منتقمون وضعف بانه لا يفسر الا ما يعمل
وقيل بمنتقمون ورد بان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وقرا الجمهور نبطش بفتح النون
وكسر الطا والحسن وابو جعفر بضمها والحسن ايضا وابو رجا وطلحة بضم النون
وكسر الطا بمعنى نسلط عليهم من يبطش بهم والبطشة على هذه القراة ليس منصوبا
بنبطش بل بمقدر اي نبطشه ذلك المسلط البطشة او يكون البطشة في معنى الابطاشة
فينتصب بنبطش ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون هذا كالمثال لقريش ذكرت قصة من
ارسل اليهم موسى عليه السلم فكذبوه فاهلكهم الله وقرى فتنا بتشديد التا للمبالغة
في الفعل او لتكثير متعلقه وجاهم رسول كريم اي كريم عند الله وعند المومنين قاله
الفرا او كريم في نفسه لان الانبيا انما يبعثون من سروات الناس قاله ابو سليمن
او كريم حسن الخلق قاله مقاتل ان ادوا الي عباد الله يحتمل ان تكون ان تفسيرية
لانه تقدم ما يدل على معنى القول وهو رسول كريم وان تكون ان مخففة من الثقيلة
والناصبة للمضارع فانها توصل بالامر قال ابن عباس ادوا الي الطاعة يا عباد الله
اي اتبعوني على ما ادعوكم اليه من الايمان وقال مجاهد وقتادة وابن زيد طلب منهم
ان يودوا اليه بني اسرايل كما قال فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم فعلى قول ابن
عباس عباد الله منادى ومفعول ادوا محذوف وعلى قول مجاهد ومن ذكر معه عباد الله
مفعول ادوا اني لكم رسول امين اي غير متهم قد ايتمني الله على وحيه ورسالته وان
لا تعلوا على الله اي لا تستكبروا على عبادة الله قاله يحيى بن سلام وقال ابن
جريج لا تعظموا على الله قيل والفرق بينهما ان التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار
ترفع المحتقر ذكره الماوردي وان هنا كان السابقة في اوجهها الثلثة اني اتيكم بسلطان
مبين اي بحجة واضحة في نفسها وموضحة صدق دعواي وقرا الجمهور اني بكسر
الهمزة على سبيل الاخبار وقرات فرقة بفتح الهمزة والمعنى لا تعلوا على الله من اجل
اني اتيكم فهذا توبيخ لهم كما تقول اتغضب ان قيل لك الحق واني عذت اي استجرت
بربي وربكم ان ترجمون كانوا قد توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك وقرى عذت
بالادغام قال قتادة وغيره الرجم هنا بالحجارة وقال ابن عباس وابو صالح بالشتم وقول
قتادة اظهر لانه قد وقع منهم في حقه الفاظ لا تناسب وهذه المعاذة كانت قبل ان يخبره
تعالى بقوله فلا يصلون اليكما وان لم تومنوا لي اي تصدقوا فاعتزلون اي كونوا
بمعزل وهذه متاركة حسنة فدعا ربه اي فاصروا على الكفر وراى انهم لا يرعوون
فالتجا الى الله بالدعا وهي طريقة الانبيا كما قال فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ان هولا
لفظ تحقير لهم وقرا الجمهور ان هولا بفتح الهمزة اي بان هولا وقرا ابن ابي اسحق
وعيسى والحسن في رواية وزيد بن علي بكسرها فاسر بعبادي في الكلام حذف اي
فانتقم منهم فقال له الله اسر بعبادي وهم بنو اسرايل ومن امن به من القبط وقال
الزمخشري فيه وجهان اضمار القول بعد الفا فقال اسر بعبادي وان يكون جواب
شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي انتهى وكثيرا ما يجيز
هذا الرجل حذف الشرط وابقا جوابه وهو لا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر
وما اشبهه مما ذكر في النحو على خلاف في ذلك انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده
فينجون ويغرق المتبعون واترك البحر رهوا قال ابن عباس ساكنا كما جزته وقال
مجاهد وعكرمة يبسا من قوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقال الضحاك

دمثا لينا وقال عكرمة جددا وقال ابن زيد سهلا وقال مجاهد ايضا منفرجا قال
قتادة اراد موسى ان يضرب البحر بعصاه لما قطعه حتى يلتئم وخاف ان يتبعه فرعون
فقيل له هذا انهم جند مغرقون اي فيه لانهم اذا راوه ساكنا على حالته حين دخل فيه
موسى وبنو اسرايل او مفتوحا طريقا يبسا دخلوا فيه فطبقه الله عليهم كم تركوا اي كثيرا
تركوا من جنات وعيون تقدم تفسير مما في الشعرا وقرا الجمهور ومقام بفتح الميم
قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير اراد المنابر وقرا ابن هرمز وقتادة وابن السميفع و
نافع في رواية خارجة بضمها قال قتادة اراد المواضع الحسان من المجالس والمساكن
وغيرها ونعمة بفتح النون غضارة العيش ولذاذة الحيوة وقرا ابو رجا ونعمة بالنصب
عطفا على كم كانوا فيها فاكهين قرا الجمهور بالف اي طيبي الانفس واصحاب فاكهة
كلابن وتامر وابو رجا والحسن بغير الف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ
فكانهم كانوا مستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها وقال الجوهري فكه الرجل بالكسر
فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر وقال القشيري فاكهين لاهين كذلك
قال الزجاج المعنى الامر كذلك فيوقف على كذلك فالكاف في موضع رفع خبر مبتدا محذوف
وقيل الكاف في موضع نصب اي يفعل فعلا كذلك لمن نريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك
افعل بمن عصاني وقال الحوفي اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الزمخشري
الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما اخرين ليسوا
منهم وهم بنو اسرايل كانوا مستعبدين في يد القبط فاهلك الله القبط على يديهم واورثهم
ملكهم وقاله قتادة وقال الحسن ان بني اسرايل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وضعف قول قتادة بانه لم يرو في مشهور التواريخ ان بني اسرايل رجعوا الى مصر في شي
من ذلك الزمان ولا ملكوها قط الا ان يريد قتادة انهم ورثوا نوعها في بلاد الشام انتهى
ولا اعتبار بالتواريخ فالكذب فيها كثير وكلام الله صدق قال تعالى في سورة الشعرا
كذلك واورثناها بني اسرايل وقيل قوما اخرين من ملك مصر بعد القبط من غير بني
اسرايل فما بكت عليهم السما والارض استعارة لتحقير امرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم
شي ويقال في التعظيم بكت عليه السما والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس
وقال يزيد بن مفرغ

الريح تبكي شجوه ° والبرق يلمع في غمامه

وقال الفرزدق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة ° تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال النابغة

بكى حارث الجولان من فقد ربه ° وحوران منه خاشع متضائل

حارث الجولان وحوران بلدان وقال جرير

لما اتى خبر الزبير تواضعت ° سور المدينة والجبال الخشع

ويقال في التحقير مات فلان فما خشعت الجبال ونسبة هذه الاشيا لما لا يعقل ولا يتصور
ذلك منه حقيقة عبارة عن تاثر الناس له او عن عدمه وقيل هو على حذف مضاف اي فما
بكى عليهم اهل السما وهم الملايكة واهل الارض وهم المومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين
روي ذلك عن الحسن وما روي عن علي وابن عباس ومجاهد وابن جبير ان المومن اذا
مات بكى عليه موضع من الارض موضع عبادته اربعين صباحا وبكى عليه في السما موضع
صعود عمله قالوا فلم يك في قوم فرعون من هذه حالة تمثيل وما كانوا منظرين اي موخرين
عن العذاب لما جا وقت هلاكهم بل عجل الله لهم ذلك في الدنيا ولقد نجينا بني اسرايل
من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم
على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلا مبين ان هولا ليقولون ان هي الا موتتنا
الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا باباينا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من
قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما

الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولا عن مولا
شيا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الي سوا الجحيم ثم صبوا فوق
راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون
ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين
كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولي ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه
بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون لما ذكر تعالي اهلاك فرعون
وقومه ذكر احسانه لبني اسرايل فبدا بدفع الضر عنهم وهو نجاتهم مما كانوا فيه من العذاب
ثم ذكر اتصال النفع لهم من اختيارهم علي العالمين وايتايهم الايات والعذاب المهين
قتل ابنايهم واستخدامهم في الاعمال الشاقة وقرا عبد الله من العذاب المهين وهو
من اضافة الموصوف الي صفته كبقلة الحمقا ومن فرعون بدل من العذاب
علي حذف مضاف اي من عذاب فرعون او لا حذف جعل فرعون نفسه هو العذاب
مبالغة وقيل يتعلق بمحذوف اي كاينا وصادرا من فرعون وقرا ابن عباس من
فرعون من استفهام مبتدا وفرعون خبره لما وصف فرعون بالشدة والفضاعة قال
من فرعون علي معني هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله
انه كان عاليا من المسرفين اي مرتفعا علي العالم او متكبرا مسرفا من المسرفين هو
ولقد اخترناهم اي اصطفيناهم وشرفناهم علي علم علم مصدر لم يذكر فاعله فقيل علي علم
منهم وفضل فيهم فاخترناهم للنبوات والرسالات وقيل علي علم منا اي عالمين بمكان الخيرة
وبانهم احقا بان يختاروا وقيل علي علم منا بما يصدر من العدل والاحسان والعلم والايمان
وقيل علي علم منا بانهم يزيغون وتفرط منهم الهنات في بعض الاحوال وقيل اخترناهم
بهذا الانجا وهذه النعم علي سابق علم لنا فيهم وخصصناهم بذلك دون العالم علي العالمين
اي عالمي زمانهم لان امة محمد صلي الله عليه وسلم مفضلة عليهم وقيل علي العالمين عام
لكثرة الانبيا فيهم وهذا خاص بهم ليس لغيرهم فكان الاختيار من هذه الجهة مع ان
امة محمد افضل وعلي في قوله علي علم ليس معناها معني علي في قوله علي العالمين ولذلك
تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول ــــ كقوله •

• ويوما علي ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل •

فعلي علم حال اما من الفاعل او من المفعول وعلي ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل
في ذي الحال واتيناهم من الايات اي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون وما ابتلوا به
في بني اسرايل مما انعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوي وغير ذلك
مما لا يظهرها لغيرهم ما فيه بلا اي اختبار بالنعم ظاهر والابتلا بالنعم والابتلا بالنقم
كقوله ونبلوكم بالشر والخير ان هولا يعني قريشا وفي اسم الاشارة تحقير لهم ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولي اي ما الموتة الا محصورة في موتتنا الاولي وكان قد قال
تعالي وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فذكر موتتين اولي وثانية فانكروا
ان يكون لهم موتة ثانية والمعني ما اخر امرنا ومنتهي وجودنا الا عند موتتنا
فتضمن قولهم هذا انكار البعث ثم صرحوا بما تضمنه قولهم فقالوا وما نحن بمنشرين
اي بمبعوثين بحياة ثانية يقع فيها حساب وثواب وعقاب وكان قولهم ذلك في معني
قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فاتوا بابانا خطاب لرسول الله
صلي الله عليه وسلم وللمومنين الذين كانوا يعدونهم بالبعث اي ان صدقتم فيما تقولون
فاحيوا لنا من مات من ابايناب بسوالكم ربكم حتي يكون ذلك دليلا علي البعث في الاخرة
قيل طلبوا من الرسول ان يدعو الله فيحيي لهم قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة
النبوة والبعث ــــ اذ كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل اهم اي اقريش خير ام
قوم تبع الظاهر ان تبعا هو شخص معروف وقع التفاضل بين قومه وقوم الرسول

عليه

عليه السلم وان كان لفظ تبع يطلق علي كل من ملك العرب كما يطلق كسري لمن ملك الفرس
وقيصر لمن ملك الروم قيل واسمه اسعد الحميري وكني ابا كرب وذكر ابو حاتم الرياشي
انه امن بالنبي صلي الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبع ماية سنة وروي انه لما امن
بالمدينة كتب كتابا ونظم شعرا اما الشعر فهو •

• شهدت علي احمد انه • رسول من الله باري النسم •
• فلو مد عمري الي عمره • لكنت وزيرا له وابن عم •

واما الكتاب فروي ابن اسحق وغيره انه كان فيه اما بعد فاني امنت بك وبكتابك الذي
انزل عليك وانا علي دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شي وامنت بكل ما جا من ربك
من شرايع الاسلام فان ادركتك فيها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي ولا تنسني
يوم القيامة فاني من امتك الاولين وتابعتك قبل مجيك وانا علي ملتك وملة ابيك ابرهيم
عليه السلم ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الي
محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلي الله عليه
وسلم من تبع الاول ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي ايوب ــــ خالد بن زيد
فلم يزل عنده حتي بعث النبي صلي الله عليه وسلم وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر حتي
ادوه للنبي صلي الله عليه وسلم وعن ابن عباس كان تبع نبيا وعنه لما اقبل تبع من المشرق
بعد ان حير الحيرة وبني سمرقند قصد المدينة وقد كان خلف بها حين سافر ابنا فقتل
غيلة فاجمع علي خرابها واستيصال اهلها فجمع له الانصار وخرجوا لقتاله وكانوا
يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هولا لكرام اذ جاه كعب واسد
ابنا عم من قريظة حبران واخبراه انه يحال بينك وبين ما تريد فانها مهاجر نبي من
قريش اسمه محمد ومولده بمكة فثناه قولهما عما كان يريد ثم دعواه الي دينهما فاتبعهما
واكرمهما فانصرفوا عن المدينة ومعهم نفر من اليهود فقال له في الطريق نفر
من هذيل ندلك علي بيت فيه كنز من لولو وزبرجد وفضة بمكة وارادت هذيل
هلاكه لانهم عرفوا انه ما اراده احد بسو الا هلك فذكر ذلك للحبرين فقالوا ما نعلم
لله بيتا في الارض غير هذا فاتخذه مسجدا وانسك عنده واحلق راسك وما اراد
القوم الا هلاكك فاكرمه وكساه وهو اول من كسا البيت وقطع ايدي اوليك النفر
من هذيل وارجلهم وسمل اعينهم وصلبهم وقال قوم ليس المراد بتبع رجلا واحدا انما
المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون التبابعة والذي يظهر انه اراد واحدا من هولا
تعرفه العرب بهذا الاسم اكثر من معرفة غيره به وفي الحديث لا تسبوا تبعا
فانه كان مومنا فهذا يدل علي انه واحد بعينه قال الجوهري التبابعة ملوك اليمن
والتبع الظل والتبع ضرب من الطير وقال ابو القاسم السهيلي تبع اسم لكل ملك ملك
اليمن والشحر وحضرموت وملك اليمن وحده لا يسمي تبعا قاله المسعودي والخيرية
الواقعة فيها التفاضل وكلا الصنفين لا خير فيهم هي بالنسبة للقوة والمنعة كما
قال اكفاركم خير من اوليكم بعد ذكر ال فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام
قوم تبع واضافة قوم الي تبع دليل علي انه لم يكن علي مذهبهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين
اخبار بما فعل تعالي بهم وتنبيه علي ان علة الاهلاك هي الاجرام وفي ذلك وعيد
لقريش وتهديد ان يفعل بهم ما فعل بقوم تبع ومن قبلهم من مكذبي الرسل لاجرامهم
ثم ذكر الدليل القاطع علي صحة القول بالبعث وهو خلق العالم بالحق وقرا الجمهور
وما بينهما اي من الجنسين وعبيد بن عمير وما بينهن لاعبين قال مقاتل عابثين
ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل يجازي المحسن والمسي بما اراد تعالي من ثواب
وعقاب ولكن اكثرهم لا يعلمون انه تعالي خلق ذلك فهم لا يخافون عقابا ولا يرجون
ثوابا وقري ميقاتهم بالنصب علي انه اسم ان والخبر يوم الفصل اي ان في يوم
الفصل ميعادهم وجزاهم يوم لا يغني مولا عن مولا شيا يعني جميع الموالي من
القرابة والعتاقة والعصلة شيا من اغنا اي قليلا منه ولا هم ينصرون جمع لان

عن مولي في سياق النفي فيعم فما دعلي المعني لا علي اللفظ الا من رحم الله قال الكسائي من
رحم منصوب علي الاستثنا المنقطع اي لكن من رحمة الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الي
من يغنيهم من المخلوقين قيل ويجوز ان يكون الاستثنا متصلا اي لا يغني قريب عن قريب
الا المومنين فانه يوذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض وقال الحوفي ويجوز ان يكون بدلا
من مولي المرفوع ويكون يغني بمعني ينفع وقال الزمخشري من رحم الله في محل الرفع
علي البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله وقاله الحوفي
قبله انه هو العزيز الرحيم لا ينصر من عصاه الرحيم لمن اطاعه ومن عفا عنه ان
شجرة الزقوم قري بكسر الشين وتقدم الكلام فيها في سورة الصافات طعام الاثيم
الاثيم صفة مبالغة وهو الكثير الاثام ويقال الاثوم صفة مبالغة ايضا وفسر
بالمشرك وقال يحيي بن سلام المكتسب للاثم وعن ابن زيد ان الاثيم هنا هو ابو جهل
وقيل الوليد كالمهل هو دردي الزيت او مذاب الفضة او مذاب النحاس او عكر
القطران او الصديد اقوال اولها لابن عمر وابن عباس واخرها لابن عباس
وقرا الحسن كالمهل بفتح الميم لغة فيه وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا المهل ما اذيب
من ذهب او فضة او حديد او رصاص وقرا مجاهد وقتادة والحسن والابنان
وحفص يغلي بالياء اي الطعام وعمرو بن ميمون وابو رزين والاعرج وابو جعفر
وشيبة وابن محيصن وطلحة والحسن في رواية وباقي السبعة تغلي بالتاء اي الشجرة
كغلي الحميم وهو الما السخن الذي يتطاير من غليانه خذوه فاعتلوه يقال للزبانية
خذوه فاعتلوه اي سوقوه بعنف وجذب وقال الاعمش معني اعتلوه اقصفوه كما
يقصف الحطب الي سوا الجحيم قال ابن عباس وسطها وقال الحسن معظمها وقرا
الجمهور فاعتلوه بكسر التا وزيد بن علي والابنان ونافع بضمها والخلاف عن الحسن
وقتادة والاعرج وابي عمرو ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وفي الحج يصب
من فوق روسهم الحميم والمصبوب في الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة
وتارة اعتبرت الاستعارة لانه اذا صب الحميم فقد صب ما تولد عنه من الالام
والعذاب فعبر بالمسبب عن السبب لان العذاب هو المسبب عن الحميم ولفظه
العذاب اهول واهيب ذق اي العذاب انك انت العزيز الكريم وهذا علي سبيل
التهكم والهزء بمن كان يتعزز ويتكرم علي قومه وعن قتادة انه لما نزلت ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم قال ابو جهل يتهددني محمد وانا ما بين لابتيها اعز مني ولا اكرم
فنزلت هذه الاية وفي اخرها ذق انك انت العزيز الكريم اي علي قولك وهذا كما قال
جرير

• الم تكن في رسوم قد رسمت بها من كان موعظة يا زاهرة اليمن •

يقولها لشاعر سمي نفسه به في قوله •

• ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها اني الاعز واني زهرة اليمن •

فجابه جرير علي جهة الهزء وقرا انك بكسر الهمزة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب
علي المنبر والكسائي بفتحها ان هذا اي الامر او العذاب ما كنتم به تمترون اي
تشكون ولما ذكر حال الكفار اعقب بحال المومنين فقال ان المتقين في مقام امين
وقرا عبد الله بن عمر وزيد بن علي وابو جعفر وشيبة والاعرج والحسن وقتادة
ونافع وابن عامر في مقام بضم الميم وابو رجاء وعيسي ويحيي والاعمش وباقي
السبعة بفتحها ووصف المقام بالامين اي يومن فيه من الغير فكانه فعيل بمعني فا
مفعول اي مامون فيه قال ابن عطية وقال الزمخشري الامين من قولك امن
الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كان يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكاره انتهي وتقدم شرح السندس والاستبرق
وقرا ابن محيصن واستبرق جعله فعلا ماضيا منقولا بلس وصف لمجالس اهل الجنة
لا يستدبر بعضهم بعضا في المجالس كذلك اي الامر كذلك وقرا الجمهور وزوجناهم

وعكرمة بغير تنوين لان العين ينقسمن الي حور وغير حور فهولا من حور العين لا من
شهلهن مثلا يدعون فيها اي الخدم والمتصرفين عليهم بكل فاكهة ارادوا احضارها
لديهم امنين من الامراض والتخم لا يذوقون فيها الموت وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون
مبنيا للمفعول الا الموتة الاولي هذا استثنا منقطع اي لكن الموتة الاولي ذاقوها
في الدنيا وفي ذلك تنبيه علي ما انعم به عليهم من الخلود السرمدي وتذكيرهم بمفارقة
الدنيا الفانية الي هذه الدار الباقية وقال الزمخشري كيف استثنيت الموتة الاولي
المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت
البتة فوضع قوله الا الموتة الاولي موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل
كانهم يذوقونها فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولي يستقيم
ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقال ابن عطية قدر قوم الا بسوي وضعف ذلك
الطبري وقدرها ببعد وليس تضعيفه بصحيح بل يصح المعني بسوي ويتسق واما
معني الاية فتبين انه نفي عنهم ذوق الموت وانه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا
وقرا ابو حيوة ووقاهم مشدد القاف والضمير في يسرناه عايد علي القران وبلسانك
بلغتك وهي لغة العرب فارتقب النصر الذي وعدناك انهم مرتقبون فيما يظنون
الدوائر عليك وفيها وعد له عليه السلم ووعيد لهم ومتاركة منسوخة باية السيف

سورة الجاثيه

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي
خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من
السما من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك
ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون ويل لكل افاك اثيم
يسمع ايات الله تتلي عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم
من اياتنا شيا اتخذها هزوا اوليك لهم عذاب مهين من ورايهم جهنم ولا يغني عنهم
ما كسبوا شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا ولهم عذاب عظيم هذا هدي والذين
كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم الي ربكم ترجعون
ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
علي العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذه السورة مكية
قال ابن عطية بلا خلاف وذكر الماوردي الا قل للذين امنوا يغفروا الاية فمدنية
نزلت في عمر بن الخطاب قاله ابن عباس وقتادة وقال النحاس والمهدوي عن ابن
عباس نزلت في عمر شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فنزلت
ومناسبتها لما قبلها لاخر ما قبلها في غاية الوضوح قال فانما يسرناه بلسانك وقال حم
تنزيل الكتاب وتقدم الكلام علي تنزيل الله من الله العزيز الحكيم اول الزمر وقال
ابو عبد الله الرازي وقوله العزيز الحكيم يجوز جعله صفة لله فيكون ذلك حقيقة
وان جعلناه صفة للكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة اولي من المجاز مع ان زيادة
القرب توجب الرجحان انتهي وهذا الذي ردد في قوله وان جعلناه صفة للكتاب
لا يجوز لو كان صفة للكتاب لوليه فكان يكون التركيب تنزيل الكتاب العزيز
الحكيم من الله لان من الله اما ان يكون متعلقا بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدا
محذوف فلا يجوز الفصل به بين الصفة والموصوف لا يجوز اعجبني ضرب زيد
بسوط الفاضل او في موضع الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز الفصل بين الصفة

والموصوف ايضا لا يجوز نضرب زيد شديد الفاضل والتركيب الصحيح في نحو هذا ان يلي
الصفة موصوفها ان في السموات والارض احتمل ان يريد في خلق السموات كقوله وفي خلقكم
والظاهر انه لا يراد التخصيص بالخلق بل في السموات والارض على الاطلاق والعموم
اي في اي شي نظرت منهما من خلق وغيره من تسخير وتنوير وغير ذلك مما الايات لم يات بالايات
مفصلة بل اتى بها مجملة احاله على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع وجعلها
للمومنين اذ في ضمن الايمان العقل والتصديق وما يبث من دابة اي في غير جنسكم وهو
معطوف على وفي خلقكم ومن اجاز العطف على الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض
اجاز في وما يبث ان يكون معطوفا على الضمير في خلقكم فهو مذهب الكوفيين ويونس
والاخفش وهو الصحيح واختاره الاستاذ ابو علي الشلوبين وقال الزمخشري ه
يقبح العطف عليه وهذا تفريع على مذهب س وجمهور البصريين قال فكذلك ان اكدوه
كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد انتهى وهذا يجيزه الجرمي والزيادي في الكلام
وقال لقوم يوقنون ومنهم الذين لهم نظر يودي بهم الى اليقين واختلاف الليل والنهار
تقدم الكلام على نظيره في سورة البقرة وقرا الجمهور ايات جمعا بالرفع فيهما
والاعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما وزيد بن علي برفعهما
على التوحيد وقرا ابي وعبد الله لايات فيهما كالاولى فاما ايات لقوم يعقلون رفعا ونصبا
فاسند ابه وشبهه مما جا في كلام العرب الى الاخفش ومن اخذ بمذهبه على عطف معمولين
على معمولين عاملين بالواو وهي مسالة فيها اربعة مذاهب ذكرناها في كتاب التذييل
والتكميل لشرح التسهيل فاما ما يخص هذه الاية فمن نصب ايات بالواو وعطفت واختلاف
على المجرور قبله وهو في خلقكم وما يبث وعطفت ايات على ايات ومن رفع فكذلك
والعاملان اولاهما ان وفي وثانيهما الابتدا وفي وقال الزمخشري اقيمت الواو مقامهما
فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان ه
الابتدا وفي عملت الرفع في ايات والجر في واختلاف انتهى ونسبة عمل الجر والنصب
والجر والرفع للواو ليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان حرف العطف لا يعمل
ومن منع العطف على مذهب الاخفش اضمر حرف الجر فقدر وفي اختلاف فالعمل للحرف
مضمرا ونابت الواو مناب عامل واحد ويدل على ان في مقدره قراة عبد الله وفي اختلاف
مصرحا بفي وحسن حذف في تقدمها في قوله وفي خلقكم وخرج ايضا النصب في ايات على
التوكيد لايات المتقدمة ولاضمار حرف ايضا وقري واختلاف الليل والنهار اية بالرفع
في اختلاف وفي اية موحدة وكذلك وما يبث من دابة اية وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى
وتصريف الريح وقال الزمخشري والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات
والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا
فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهية الى هية وفي خلق ما على ظهر
الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا
في ساير الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة
الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم
علمهم وخلص يقينهم وقال ابو عبد الله الرازي ذكر في البقرة ثمانية دلايل وهنا ستة
لم يذكر الفلك والسحاب والسبب في ذلك ان مدار الحركة للفلك والسحاب على
الرياح المختلفة فذكر الرياح وهناك جعل مقطع الثمانية واحدا وهنا رتبها على مقاطع
ثلاثة يومنون يوقنون يعقلون قال واظن سبب هذا الترتيب ان كنتم مومنين
فافهموا هذه الدلايل وان لم تكونوا مومنين وانتم من طلاب الجزم واليقين فافهموا
هذه الدلايل وان لم تكونوا مومنين ولا موقنين فلا اقل ان تكونوا من العاقلين فاجتهدوا
وقال هنالك ان في خلق السموات وهنا في السموات فدل على ان الخلق غير المخلوق وهو الصحيح
عند اصحابنا ولا تفاوت بين ان يقال في السموات وفي خلق السموات انتهى وفيه تلخيص
وتقديم وتاخير تلك ايات الله اي تلك الايات وهي الدلايل المذكورة نتلوها اي نسردها

عليك ملتبسة بالحق ونتلوها في موضع الحال اي متلوة قال الزمخشري والعامل ما دل عليه
تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا انتهى وليس نحوه لان في وهذا حرف تنبيه ه
وقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه اي تنبه واما تلك فليس فيها حرف تنبيه
فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل في الحال فالمعنى
تنبه لزيد في حال شيخه او في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف
يدل عليه المعنى اي انظر اليه في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه
ان كان هناك وقال ابن عطية نتلوها فيه حذف مضاف اي نتلو شانها وشرح العبرة بها
ويحتمل ان يريد بايات الله القران المنزل في هذه المعاني فلا يكون في نتلوها حذف مضاف
انتهى ونتلوها معناه يامر الملك ان يتلوها وقري يتلوها بيا الغيبة عايدا على الله ه
وبالحق والصدق اذ صحتها معلومة بالدلايل العقلية فباي حديث الاية فيه تقريع
وتوبيخ وتهديد بعد الله اي بعد حديث الله وهو كتابه وكلامه كقوله الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها وقال فباي حديث بعده يومنون اي بعد
حديث الله وكلامه وقال الضحاك بعد توحيد الله وقال الزمخشري بعد الله واياته
اي بعد ايات الله كقولك اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد انتهى وهذا ليس
بشي لان فيه من حيث المعنى اقحام الاسما من غير ضرورة والعطف والمراد غير العطف
من اخراجه الى باب البدل لان تقدير كرم زيد انما يكون في اعجبني زيد كرمه بغير واو على
البدل وهذا قلب لحقايق النحو وانما المعنى في اعجبني زيد وكرمه ان ذات زيد اعجبته
واعجبه كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدم ه
وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحرميان وابو عمرو وعاصم في رواية يومنون
بالياء من تحت والاعمش وباقي السبعة بتا الخطاب وطلحة توقنون بالتاء من فوق والقاف
من الايقان ويل لكل افاك اثيم قيل نزلت في ابي جهل وقيل في النضر بن الحرث وما كان يشتري
من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة فيمن كان
مضارا لدين الله وافاك اثيم صفتا مبالغة والفاظ هذه الاية تقدم الكلام عليها
وقرا الجمهور علم وقتادة ومطر الوراق بضم العين وشد اللام مبنيا للمفعول اي عرف
وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القايل
يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رايها بنفسه ه
ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان
بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي يستبعد في العادات والطباع وكذلك ايات
الله الواضحة القاطعة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول
اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها اتخذها هزوا ولم يقل اتخذه
اشعارا بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله خاض في الاستهزا
بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزا بما بلغه وقال الزمخشري ويحتمل واذا علم
من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطريق والغميزة
افترصه واتخذ ايات الله هزوا كاعتراض ابن الزبعري قوله عز وعلا انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم ومغالطته وقوله خصمتك ويجوز ان يرفع الضمير الى شي لانه
في معنى الاية كقول ابي العتاهية

نفسي بشي من الدنيا معلقة ۞ الله والقايم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة انتهى وعتبة جارية كان ابو العتاهية يهواها وينسب بها والاشارة
باوليك الى كل افاك لشموله الافاكين حملا على لفظ كل فافرد ثم على المعنى فجمع
كقوله كل حزب بما لديهم فرحون من ورايهم جهنم اي من قدامهم والوراء ما يواري من
خلف وامام ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في متاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله
من الاوثان هذا اي القران هدى اي بالغ في الهدى اية كقولك هذا رجل اي كامل في الرجولية
وقرا طلحة وابن محيصن واهل مكة وابن كثير وحفص اليم بالرفع نعتا لعذاب

والحسن وابو جعفر وشيبة وعيسى والاعمش وباقي السبعة بالجر نعتا لرجز الله الذي
سخر الاية اية اعتبار في تسخير هذا المخلوق العظيم والسفن الجارية فيه لهذا المخلوق
الحقير وهو لا تسلك بامره اي بقدرته اناب الامر مناب القدرة كانه يامر السفن
ان تجري من فضله بالتجارة وبالغوص على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري
ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والهوا والاملاك
الموكلة بهذا كله وما في الارض من البهائم والمياه والجبال والنبات وقرا الجمهور
منه وابن عباس منة بكسر الميم وشد النون ونصب التا على المصدر قال ابو حاتم
سند هذه القراءة الى ابن عباس مظلم وحكاها ابو الفتح عن ابن عباس وعبد الله بن
عمرو والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وحكاها ايضا عن مولى الاربعة صاحب
النواح وحكاها ابن خالويه عن ابن عباس وعبيد بن عمير وقرا مسلمة بن محارب
كذلك الا انه ضم التا اي هو منة وعنه ايضا فتح الميم وشد النون وهاء الكناية عائدة
على الله وهو فاعل بسخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك
او هو منه والمعنى على قراءة الجمهور انه سخر هذه الاشيا كائنة منه وحاصلة من عنده
اذ هو موجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه وقال الزمخشري ويجوز ان
يكون يعني منه خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان تكون وما في الارض مبتدا
ومنه خبره انتهى ولا يجوز هذان الوجهان الا على قول الاخفش لان جميعا اذ ذاك
حالا والعامل فيها معنوي وهو الجار والمجرور فهو نظير زيد قائما في الدار ولا يجوز
على مذهب الجمهور قل للذين امنوا يغفروا نزلت في صدر الاسلام امر المومنين ه
ان يتجاوزوا عن الكفار وان لا يعاقبوهم بذنب بل يصبرون لهم قاله السدي ومحمد
بن كعب قيل وهي محكمة والاكثر على انها منسوخة باية السيف يغفروا في جزمه اوجه
للنحاة تقدمت في قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة في سورة ابرهيم لا يرجون
ايام الله اي وقايعه باعدايه ونقمته منهم قاله مجاهد وقيل ايام انعامه ونصره وتنعيمه
في الجنة وغير ذلك وقيل لا ياملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم
الفوز قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وتقدم قول ابن عباس انها نزلت
في عمر بن الخطاب قيل سبه رجل من غفار فهم ان يبطش به وقرا الجمهور ليجزي مبنيا
للفاعل اي ليجزي الله وزيد بن علي وابو عبد الرحمن والاعمش وابو خليد وابن
عامر وحمزة والكسائي بالنون وشيبة وابو جعفر بخلاف عنه بالياء مبنيا للمفعول
وقد روي ذلك عن عاصم وفيه حجة لمن اجاز بنا الفعل للمفعول على ان يقام المجرور
مقام الفاعل وينصب المفعول به الصريح وهو قوما ونظيره ضرب بسوط زيدا ولا يجيز
ذلك الجمهور وخرجت هذه القراءة على ان يكون بني الفعل للمصدر اي وليجزي الجزا
قوما وهذا ايضا لا يجوز عند الجمهور لكن يتاول على ان ينصب قوما بفعل محذوف
تقديره يجزي قوما فيكون جملتان احدهما ليجزي الجزا والاخرى يجزيه قوما وقوما
هنا يعني به الغافرون ونكره على معنى التعظيم لشانهم كانه قيل قوما اي قوم من شانهم
التجاوز عن السيات والصفح عن المؤذيات وتحمل الوحشة وقيل هم الذين لا يرجون
ايام الله بما كانوا يكسبون من الاثم كانه قيل لم تكافيهم انتم حتى نكافيهم نحن
من عمل صالحا كهولا لنا فريق ومن اسا كهولا الكفار لو اتى باللام في فلنفسه لان المحاب
والحظوظ تستعمل فيها اللام التي تستعمل للملك وبعلى في فعليها لان الامور الشاقة
تستعمل فيها على الدالة على العلو والقهر كما تقول الامور لزيد متاتية وعلى عمرو مستصعبة
والكتاب التوراة والحكم القضا وفصل الامور لان الملك كان فيهم وقيل والحكم الفقه
ويقال لم يتسع فقه الاحكام على نبي ما اتسع على لسان موسى من الطيبات المستلذات
الحلال وبذلك تتم النعمة وذلك المن والسلوى وطيبات الشام اذ هي الارض
المباركة بينات اي دلايل واضحة من الامر اي من الوحي الذي فصلت به الامور
وعن ابن عباس من الامر اي من امر النبي صلى الله عليه وسلم وانه يهاجر من تهامة الى

يثرب وقيل معجزات موسى فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم تقدم تفسيره
في الشورى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم اوليا بعض والله ولي المتقين
هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم سا ما يحكمون وخلق
الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من
اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابايا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم
يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما ذكر تعالى انعامه
على بني اسرايل واختلافهم بعد ذلك ذكر حال نبيه عليه السلام وما من به عليه من اصطفايه
فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر قال قتادة الشريعة الامر والنهي والحدود
والفرايض وقال مقاتل البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه كان يستن
بطريقة من قبله من الانبيا وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة والشريعة
في كلام العرب الموضع الذي يرد فيه الناس في الانهار والمياه ومنه قول الشاعر

وفي الشرايع من جيلان مقتنص ... رث الثياب خفي الشخص منسرب

فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس امر الله ورحمته والقرب منه من الامر
اي من الامور التي من دين الله الذي بثه في عباده في الزمان السالف او يكون مصدر امر اي
من الامر والنهي وسمي النهي امرا اهوا الذين لا يعلمون قيل جهال قريظة والنضير
وقيل رؤسا قريش حين قالوا ارجع الى دين ابايك هذا بصاير اي هذا القران جعل
ما فيه من معالم الدين بصاير للقلوب كما جعل روحا وحيوة وقري هذه اي هذه الايات
ام حسب ام منقطعة تتقدر ببل والهمزة وهو استفهام انكار قال الكلبي نزلت في علي
وحمزة وعبيدة بن الحرث وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمومنين والله
ما انتم على شي ولين كان ما تقولون حقا لحالنا افضل من حالكم في الاخرة كما هو افضل
في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيات هنا سيات الكفر ونجعلهم يصيرهم والمفعول
الثاني هو كالذين وبه تمام المعنى وقرا الجمهور سوا بالرفع ومماتهم بالرفع ايضا
واعربوا سوا مبتدا خبره ما بعده ولا مسوغ لجواز الابتدا به بل هو خبر مقدم وما بعده
المبتدا والجملة خبر مستانف واحتمل الضمير في محياهم ومماتهم ان يعود على الذين اجترحوا
اخبر ان حالهم في الزمانين سوا وان يعود على المجترحين والصالحين بمعنى ان محيا
المومنين ومماتهم سوا في الكرامة عند الله ومحيا المجترحين ومماتهم سوا في اهانتهم
عند الله وعدم كرامتهم عليه ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى وذهن السامع يفرقه
اذ قد تقدم ابعاد الله ان يجعل هولا كهولا وقال ابو الدردا يبعث الناس على ما ماتوا
عليه وقال مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا والكافر يموت كافرا وقال ابن
عطية مقتضى هذا الكلام ان لفظ الاية ويظهر لي ان قوله سوا محياهم ومماتهم داخل
في المحسنة المنكرة السيئة وهذا احتمال حسن والاول ايضا جيد انتهى ولم يبين كيفية
تشبث الجملة بما قبلها حتى يدخل في المحسنة وقال الزمخشري والجملة التي هي سوا
محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة يقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد
الا تراك لو قلت ان نجعلهم سوا محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه
منطلق انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من ابدال الجملة من المفرد قد اجازه
ابو الفتح واختاره ابن مالك واورد على ذلك شواهد على زعمه ولا يتعين فيها البدل
وقال بعض اصحابنا وهو الامام العالم ضيا الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاشبيلي
ويعرف بابن العلج وكان ممن اقام باليمن وصنف بها قال في كتابه البسيط في النحو لا يتعين

ان يكون جملة معمولة للاول في موضع البدل كما كان في النعت لانها يقدر بتقدير
المشتق تقدير الجامد فيكون بدلا فيجتمع فيه الجوازان ولان البدل يعمل فيه العامل
الاول فيصح ان يكون فاعلا والجملة لا تكون في موضع الفاعل بغير سائل لانها لا تضمر
فان كانت غير معمولة فجعل ان يكون جملة من جملة لا يبعد عندي جوازها كما يتبع في العطف
الجملة للجملة وتاكيد الجملة التاكيد اللفظي انتهى وتبين من كلام هذا الامام
انه لا يجوز ان تكون الجملة بدلا من المفرد واما تجويز الزمخشري ان يجعلهم
سوا محياهم ومماتهم فيظهر لي انه لا يجوز لانها بمعنى التصيير لا يجوز صيرت
زيدا ابوه قايم ولا صيرت زيدا غلامه منطلق لان التصيير انتقال من ذات الى
ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول
صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز والذي يظهر لي
انه اذا قلنا تتشبث الجملة بما قبلها ان تكون الجملة في موضع الحال والتقدير
ام حسب الكفار ان يصيرهم مثل المومنين في حال استوا محياهم ومماتهم ليسوا كذلك
بل هم مفترقون اي افتراق في الحالتين ويكون هذه الحال مبينة ما انبهم في المثلية
الدال عليها الكاف التي هي في موضع المفعول الثاني وقرا زيد بن علي وحمزة
والكسائي وحفص سوا بالنصب وما بعده مرفوع على الفاعلية اجرى سوا مجرى
مستويا كما قالوا مررت برجل سوا هو والعدم وجوز في انتصاب سوا وجهين
احدهما ان يكون منصوبا على الحال وكالذين المفعول الثاني والعكس وقرا الاعمش سوا
بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ايضا وخرج على ان يكون محياهم ومماتهم ظرفي زمان
والعامل اما ان يجعلهم واما سوا فانتصبا على البدل من مفعول يجعلهم والمفعول الثاني
سوا اي ان يجعل محياهم ومماتهم سوا وقال الزمخشري ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل
محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سوا في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان
يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احيا انتهى
وتمثيله بقوله وخفوق النجم ليس بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل فهو في الحقيقة
على حذف مضاف اي وقت خفوق النجم بخلاف محيا ومماة ومقدم فانها تستعمل بالوضع
مصدرا واسم زمان واسم مكان فاذا استعملت اسم مكان او اسم زمان لم يكن ذلك على
حذف مضاف قامت هذه مقامه لانها موضوعة للزمان والمكان كما وضعت للمصدر فهي
مشتركة بين هذه المدلولات الثلاثة بخلاف خفوق النجم فانه موضع للمصدر فقط
وقد خلط ابن عطية في نقل القراات وله بعض عذر فانه لم يكن معربا فقال وقرا طلحة
بن مصرف وعيسى بخلاف عنه سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي وحفص
والاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ووجه كلا من القراتين على ما يقتضيه
صنعة الاعراب وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير وهو ممذ ولانه ناسخ من كتاب الى
كتاب والصواب هو ما نبيناه من القراات لمن ذكرنا ويستنبط من هذه الاية تباين
حال المومن العاصي من حال الطايع وان كانت في الكفار وتسمى مبكاة العابدين وعن تميم
الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد
الى الصباح ساما يحكمون وعن الربيع بن خثيم انه كان يرددها ليلة اجمع وكذلك الفضيل
بن عياض كان يقول لنفسه ليت شعري من اي الفريقين انت وقال ابن عطية واما لفظها
فيعطي انه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة هي بالاجتراح
وعمل الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الخايفون ساما يحكمون هو كقوله
بيسما اشتروا وتقدم اعرابه في البقرة وقال ابن عطية هنا ما مصدرية والتقدير ساء
الحكم حكمهم بالحق بان خلقها حق واجب لما فيه من فيض الخيرات وليدل عليه دلالة الصنعة
على الصانع ولتجزي هي لام كي معطوفة على بالحق لان كلا من التاء واللام يكونان للتعليل فكان
الخلق معللا بالجزا وقال الزمخشري او على معلل محذوف تقديره ليدل بها على قدرته
ولتجزي كل نفس وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون لام الصيرورة اي فصار الامر منها من

حيث اهتدى بها قوم وضل عنها اخرون لان يجازي كل واحد بعمله وبما اكتسب من خير او
شر انتهى افرايت الاية قال مقاتل نزلت في الحرث بن قيس السهمي وافرايت هي بمعنى
اخبرني والمفعول الاول هو من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد الصلوة التي لمن
اي يهتدي يدل عليه قوله بعد فمن يهديه من بعد الله اي لا احد يهديه من بعد اضلال
الله اياه من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع لهوى نفسه يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده
كما يعبد الرجل الهه قال ابن جبير اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من
الحجارة وقال قتادة لا يهوى شيا الا ركبه لا يخاف الله فلهذا يقال الهوى اله معبود وقرا
الاعرج وابو جعفر الاهة تا التانيث بدل هاء الضمير وعن الاعرج انه قرا الهة على الجمع
قال ابن خالويه ومعناه ان احدهم كان يهوى الحجر فيعبده ثم يرى غيره فيهواه فيلقي الاول
فكذلك قوله الهة هواه وهذه الاية وان نزلت في هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس
الامارة قال ابن عباس ما ذكر الله هوى الا ذمه وقال وهب اذا شككت في خير امرين فانظر
ابعدهما من هواك فاته وقال سهل التستري هواك داوك فان خالفته فدواك وفي الحديث
والعاجز من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله ومن حكمة الشعر قول عنترة وهو جاهلي

اني امرو سمح الخليقة ماجد ... لا اتبع النفس اللجوج هواها

وقال ابو عمران موسى بن عمران الاشبيلي الزاهد رحمة الله عليه

فخالف هواها واعصها ان من يطع ... هوى نفسه ينزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع اي مصرع

واضله الله على علم اي من الله تعالى سابق او على علم من هذا الضال بان الحق هو الدين
ويعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال الزمخشري هو
صرفه عن الهداية واللطف وخذله عن علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف
له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة انتهى وهو
على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور غشاوة بكسر الغين وعبد الله والاعمش بفتحها
وهي لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله ايضا بضمها وهي لغة عكلية والاعمش
وطلحة وابو حنيفة ومسعود بن صالح وحمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون
الشين وابن مصرف والاعمش ايضا كذلك الا انهما كسرا الغين وتقدم تفسير الجملتين
في اول البقرة وقرا الجمهور تذكرون بشد الذال والجحدري بخفها والاعمش بتايين
وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حياتنا الدنيا هي مقالة بعض قريش انكارا للبعث والظاهر
ان قولهم نموت ونحيي حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتاخير اي تموت طايفة
وتحيي طايفة وان المراد بالموت مفارقة الروح للجسد وقيل في الكلام تقديم وتاخير
اي نحيي ونموت وقيل نموت عبارة عن كونهم نطفا ثم يحيون بالارواح وقيل نموت عبارة
عن كونهم لم يوجدوا ونحيي اي في وقت وجودنا وهذا قريب من الاول قبله ولا ذكر
للموت الذي هو مفارقة الروح في هذين القولين وقيل تموت الابا وتحيي الابنا وقرا
زيد بن علي ونحيي بضم النون وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان لان الافات تستوي
فيه كما لانها هذا اذ كان قايلوا هذا معترفين بالله فنسبوا الافات الى الدهر بجهلهم انها
مقدرة من عند الله وان كانوا لا يعرفون الله ولا يقرون به وهم الدهرية فنسبوا
ذلك الى الدهر وقرا عبد الله الا دهر وتاويله الا دهر يمر كانوا يضيفون كل حادثة الى
الدهر واشعارهم ناطقة بشكوى الدهر حتى يوجد ذلك في اشعار المسلمين قال
ابن دريد

يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد ... فان ارواد ك والعتبى سوا

وما كان حجتهم ليست حجة حقيقة اي حجتهم عندهم او لانهم ادلوا بها كما يدلي المحتج بحجته
وساقوها مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في نحو قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع اي ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة وقرا الجمهور
حجتهم بالنصب والحسن وعمرو بن عبيد وزيد بن علي وعبيد بن عمير وابن عامر فيما روي

عنه عبد الحميد وعاصم فيما روي هرون وحسين عن ابي بكر عنه حجتهم بالرفع
وجواب اذا ما كان حجتهم اي ما يكون حجتهم لان اذا للاستقبال وخالفت ادوات الشرط
بان جوابها اذا كان منفيا بما لم يدخل الفا بخلاف ادوات الشرط فلا بد من الفا تقول
ان تزرنا فما جفوتنا اي فما تجفونا وفي كون الجواب منفيا بما دليل على ما اخترناه من ان
جواب اذا لا يعمل فيها لان ما بعد ما النافيه لا يعمل فيما قبلها ايتوا يظهر انه خطاب
للرسول والمومنين اذ هم قايلون بمقالته او هو خطاب له ولمن جا بالبعث وهم الانبيا
وغلب الخطاب على الغيبة وقال ابن عطية ايتوا من حيث المخاطبة له والمراد هو
والاهه والملك الوسيط الذي ذكره هو لهم نجا من ذلك جملة قيل لها ايتوا وان كنتم انتهى
ولما اعترفوا بانهم ما يهلكهم الا الدهر وانهم استدلوا على انكار البعث بما لا دليل لهم فيه من
سوال احيا ابايهم رد الله تعالى بانه تعالى هو المحيي وهو المميت لا الدهر وضم الى
ذلك انه جامعهم للحساب يوم البعث وهذا واجب الاعتراف به ان انصفوا ومن قدر
على هذا اقدر على الاتيان باباهم ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم
تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا
افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة
لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا
وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين وله الكبريا في السموات والارض وهو العزيز الحكيم العامل في ويوم
تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم قاله الزمخشري وحكاه ابن عطية عن فرقة والتنوين
في يومئذ تنوين العوض من جملة ولم تتقدم جملة الا قوله ويوم تقوم الساعة فيصير
التقدير ويوم تقوم يوم اذ تقوم الساعة يخسر فلا مزيد فايده في قوله يوم اذ تقوم
الساعة لان ذلك مستفاد من ويوم تقوم الساعة فان كان بدلا توكيديا وهو قليل جاز
ذلك وان لا فلا يجوز ان يكون بدلا وقالت فرقة العامل في ويوم تقوم ما يدل عليه الملك
قالوا وذلك ان يوم القيامة حال ثالثة ليست بالسما ولا بالارض لان ذلك يتبدل
فكانه قال ولله ملك السموات والارض والملك يوم القيامة فحذفه لدلالة ما قبله عليه ويومئذ
منصوب بيخسر وهي جملة فيها استيناف وان كان لها تعلق بما قبلها من جهة تنوين العوض
والمبطلون الداخلون في الباطل جاثية باركة على الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب
الخايف وقرئ جاذية بالذال والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس
على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي
الجماعة يجمع على جثى قال الشاعر

ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفايح صم من صفيح منضد

وعن مورج السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش وعن عكرمة جاثية متميزة وقرا يعقوب
كل امة تدعى بنصب كل على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة والظاهر عموم كل
امة من مومن وكافر قال الضحاك وذلك عند الحساب وقال يحيى بن سلام ذلك خاص
بالكفار تدعى الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته او الذي كتبته
الحفظة وهو صحايف اعمالها او اللوح المحفوظ والمعنى الى ما سبق لها فيه او الى حسابها
اقوال وافرد كتابها اكتفا باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون اي يقال
لهم اليوم تجزون هذا كتابنا هو الذي دعيت اليه كل امة وصحت اضافته اليه تعالى
لانه مالكه والامر بكتبه واليهم لان اعمالهم مثبتة فيه والاضافة تكون بادنى ملابسة
فلذلك صحت اضافته اليهم واليه تعالى ينطق عليكم يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان

انا كنا نستنسخ اي الملايكة اي نجعلها تنسخ اي تكتب وحقيقة النسخ نقل خط من اصل ينظر
فيه فاعمال العباد كانها الاصل وقال الحسن هو كتب الحفظة على بني ادم وعن ابن عباس
يجعل الله الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يفعل العباد ثم يمسكونه عندهم فتاتي
افعال العباد على نحو ذلك فتتعبد ايضا فذلك هو الاستنساخ وكان يقول ابن عباس
الستم عربا وهل يكون الاستنساخ الا من اصل ثم باين حال المومن بانه يدخله في رحمته
وهو الثواب الذي اعد له وان ذلك هو الظفر بالبغية وبين الكافر بانه يوبخ ويقال له
افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن اتباعها والايمان بها وكنتم اصحاب جرايم والفا في افلم
ينوى بها التقديم وانما قدمت الهمزة لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير فيقال
لهم الم وقال الزمخشري والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليهم فحذف المعطوف
عليه انتهى وقد تقدم الكلام معه في زعمه ان بين الفا والواو اذا تقدمها همزة
الاستفهام معطوفا عليه محذوفا ورددنا عليه ذلك وقرا الاعرج وعمرو بن فايد
واذا قيل ان وعد الله بفتح الهمزة وذلك على لغة سليم والجمهور ان بكسرها وقرا
الجمهور والساعة بالرفع على الابتدا ومن زعم ان لاسم ان موضعا جوز العطف عليه
هنا او زعم ان لان واسمها موضعا جوز العطف عليه وبالعطف على الموضع لان واسمها
هنا قال ابو علي ذكره في الحجة وتبعه الزمخشري فقال وبالرفع عطفا على محل ان واسمها
والصحيح المنع وحمزة بالنصب عطفا على وعد الله وهي مروية عن الاعمش وابي عمرو
وعيسى وابو حيوة والعبسي والمفضل ان نظن الا ظنا تقول ضربت ضربا فان نفيت
لم يدخل الا اذ لا يفرغ العامل للمصدر المؤكد فلا تقول ما ضربت الا ضربا ولا ما قمت
الا قياما فاما الاية فتاول على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصا لا مؤكدا وتقديره
الا ظنا ضعيفا او على تضمين نظن معنى نعتقد ويكون ظنا مفعولا به وقد تاول ذلك
بعضهم على وضع الا غير موضعها وقال التقدير ان نحن الا نظن ظنا وحكى هذا عن المبرد
ونظيره ما حكاه ابو عمرو بن العلا وسيبويه من قول العرب ليس الطيب الا المسك
قال المبرد تقديره ليس الا الطيب المسك انتهى واحتاج الى هذا التقدير كون
المسك مرفوعا بعد الا وانت اذا قلت ما كان زيد الا فاضلا نصبت فلما وقع بعد الا
ما يظهر انه خبر ليس احتاج ان يزحزح الا عن موضعها ويجعل في ليس ضمير الشان
ويرفع الا الطيب المسك على الابتدا والخبر فيصير كالملفوظ به في نحو ما كان الا زيد
قايم ولم يعرف المبرد ان ليس في مثل هذا التركيب عاملتها بنو تميم معاملة ما فلم يعملوها
الا باقية مكانها وليس غير عاملة وليس في الارض حجازي الا وهو ينصب في نحو ليس
الطيب الا المسك ولا تميمي الا وهو يرفع وفي ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وابي
عمرو بن العلا ذكرناها فيما كتبناه من علم النحو ونظير ان نظن الا ظنا قول الاعشى

وحل به الشيب اثقاله ... وما اغتره الشيب الا اغترارا

اي اغترارا بينا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن
ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثنا ليفاد اثبات الظن
مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى
وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات
من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقدره بعضهم ان نظن الا
انكم تظنون ظنا قال وانما احتيج الى هذا التقدير لانه لا يجوز في الكلام ما ضربت الا
ضربا فاهتدى الى هذه القاعدة النحوية واخطا في التخريج لانه حذف ان واسمها
وخبرها وابقى المصدر وذلك لا يجوز وهذا التخريج محكي عن المبرد ولعله لا يصح
وقولهم ان نظن دليل على ان الكفار قد اخبروا بانهم ظنوا البعث واقعا ودل قولهم
قبل ان هي الا حياتنا الدنيا على انهم منكرون البعث فهم والله اعلم فرقتان او اضطربوا
فتارة انكروا وتارة ظنوا او قالوا ان نظن الا ظنا على سبيل الهزء وبدا لهم سيات
ما عملوا اي قبايح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيات واطلق على العقوبة سيئة كما

قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي احاط ولا يستعمل حاق الا في المكروه ننساكم نترككم
في العذاب او نجعلكم كالشي المنسي الملقى غير المبالي به كما نسيتم لقاء يومكم اي لقاء جزاء الله
على اعمالكم ولم تخطروه على بال بعد ما ذكرتم به وتقدم اليكم بوقوعه واضاف اللقاء لليوم توسعا
كقوله بل مكر الليل والنهار وقرا الجمهور لا يخرجون مبنيا للمفعول والحسن وابن وثاب
وحمزة والكسائي مبنيا للفاعل منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي تطلب منهم مراجعة
الى عمل صالح وتقدم الكلام في الاستعتاب وقرا الجمهور رب بالجر في الثلاثة على الصفة
وابن محيصن بالرفع فيهما على اضمار هو الحقف رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج وانحنا
ومنه احقوقف الشي اعوج وقال امرؤ القيس

• فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل •

عيي بالامر اذا لم يعرف جهته ويجوز فيه الادغام فتقول عي كما قلت في حيي حي قال
الشاعر

• عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة •

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق و
واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم
ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم
عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فلا تملكون لي من الله شيا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور
الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما
انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين هذه السورة مكية وعن
ابن عباس وقتادة ان قل ارايتم ان كان من عند الله وفاصبر كما صبر الايتين مدنيتان
ومناسبة اولها لما قبلها ان في اخر ما قبلها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وقلتم انه عليه
السلم اختلقها فقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وهاتان الصفتان
مما اخر تلك ومما اول هذه واجل مسمى اي موعد لفساد هذه البنية قال ابن عباس هو
القيامة وقال غيره اي اجل كل مخلوق عما انذروا يحتمل ان تكون ما مصدرية وان تكون
بمعنى الذي قل ارايتم ما تدعون معناه اخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي
الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض استفهام توبيخ ومفعول ارايتم الاول هو ما تدعون
وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها ارايتم لان مفعولها الثاني يكون استفهاما ويطلبها
اروني على سبيل التعليق فهذا من باب الاعمال اعمل الثاني وحذف مفعول ارايتم الثاني
ويمكن ان يكون اروني توكيدا لارايتم لان ارايتم بمعنى اخبروني واروني اخبروني
كانهما بمعنى واحد وقال ابن عطية يحتمل ارايتم وجهين احدهما ان تكون متعدية
وما مفعولة بها ويحتمل ان يكون ارايتم منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهاما على معنى
التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى وكون ارايتم لا تتعدى وانها منبهة شي قاله
الاخفش في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة والذي يظهر ان ما تدعون مفعول
ارايتم كما هو في قوله ارايتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير
هذه الجملة فيها وقد امعنا الكلام في ارايتم في سورة الانعام فيطالع هناك ومن الارض
تفسير للمبهم في ماذا خلقوا والظاهر انه يريد من اجزاء الارض اي خلق ذلك انما هو لله او
يكون على حذف مضاف اي من العالم على الارض اي على وجهها من حيوان او غيره ثم
وقفهم على غباوتهم فقال ام لهم اي بل الهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا

اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان هذا القران ناطق بالتوحيد وبابطال الشرك
وكل كتب الله المنزلة ناطقة بذلك فطلب منهم ان ياتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم
عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم اي بقية من علم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة
على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والاثارة تستعمل في بقية الشرف
يقال لبني فلان اثارة من شرف اذا كانت عندهم شواهد قديمة وفي غير ذلك قال
الراعي

• وذات اثارة اكلت علينا نباتا في اكمته فقفارا •

اي بقية من شحم وقرا الجمهور او اثارة وهو مصدر كالشجاعة والسماحة وهي البقية
من الشي كانها اثره وقال الحسن المعنى من علم استخرجتموه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى
هل من احد ياثر علما في ذلك قاله القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

• ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر •

اي وللمستدعين غيره ومنه قول عمر رضي الله عنه فما حلفت به ذاكرا ولا اثرا وقال ابو
سلمة بن عبد الرحمن وقتادة المعنى او خاصة من علم فاشتقاقها من الاثرة فكانها قد اثر
الله بها من هي عنده وقال ابن عباس المراد بالاثارة الخط في التراب وذلك شي كانت العرب
تفعله وتتكهن به وتزجر من تفسير الاثارة بالخط يقتضي تقوية امر الخط في التراب
وانه شي له وجه اذا وفق احد اليه وقيل ان صح تفسير ابن عباس الاثارة بالخط في التراب
كان ذلك من باب التهكم بهم وباقوالهم ودلائلهم وقرا علي وابن عباس بخلاف عنهما
وزيد بن علي وعكرمة وقتادة والحسن والسلمي والاعمش وعمرو بن ميمون او اثرة
بغير الف وهي واحدة جمعها اثر كقترة وقتر وعلي والسلمي وقتادة ايضا باسكان الثا
وهي الفعلة الواحدة مما يوثر اي قد قنعت لكم بخبر واحد او اثر واحد يشهد بصحة
قولكم وعن الكسائي ضم الهمزة واسكان الثا وقال ابن خالويه وقال الكسائي لغة اخرى
اثرة واثرة يعني بكسر الهمزة وضمها ومن اضل ممن يعبد الاصنام وهي جماد لا قدرة
لها على استجابة دعائهم ما دامت الدنيا اي لا يستجيبون لهم ابدا ولذلك غيا انتفا استجابتهم
بقوله الى يوم القيامة ومع ذلك لا شعور لهم بعبادتهم اياهم وهم في الاخرة اعداء لهم
فليس لهم في الدنيا بهم نفع وهم عليهم في الاخرة ضرر كما قال سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا وكنى من لا يستجيب لانهم يسندون اليهم ما يسند لاولي العلم من الاستجابة
والغفلة او لان من لا يستجيب يراد به من عبد من دون الله من انس وجن وغيرهما وغلب
من يعقل وحمل اولا على لفظ من لا يستجيب ثم على المعنى في وهم من ما بعده والظاهر عود
الضمير في وهم على معنى من في من لا يستجيب كما فسرناه وقيل يعود على معنى من في ومن
اضل اي والكفار عن ضلالهم بانهم يدعون من لا يستجيب غافلون لا يتاملون ما عليهم
في دعائهم من هذه صفته واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة الواضحة واللام
في للحق لام العلة اي لاجل الحق واتي بالظاهرين بدل المضمرين في قال الذين كفروا للحق
ولم يات التركيب قالوا لها تنبيها على الوصفين وصف المتلو عليهم بالكفر ووصف المتلو عليهم
بالحق ولو جا بهما مضمرين لم يكن في ذلك دليل على الوصفين من حيث اللفظ وان كان من
سمي الايات سحرا هو كافرا والايات في نفسها حق ففي ذكرهما ظاهرين يستحيل على القايلين
بالكفر وعلى المتلو بالحق وفي قوله لما جاءهم تنبيه على انهم لم يتاملوا ما يتلى عليهم بل بادروا
اول سماعه الى نسبته الى السحر عنادا وظلما ووصفوه بمبين اي ظاهر انه سحر لا شبهة فيه
ام يقولون افتراه اختلقه اي بل ايقولون اختلقه انتقلوا من قولهم هذا سحر الى هذه
المقالة الاخرى والضمير في افتراه عايد الى الحق والمراد به الايات قل ان افتريته
على سبيل الغرض فالله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافترا عليه ولا يمهلني فلا تملكون
لي من رد عقوبة الله لي شيا فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال لفلان لا يملك اذا غضب
ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ومن يرد
الله فتنته فلن تملك له من الله شيا ومنه قوله عليه السلم لا املك لكم من الله شيا ثم

استسلم الى الله واستنصر به فقال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من الباطل
ومرادة الحق وتسميته تارة سحرا وتارة فرية والضمير في فيه يحتمل ان يعود على ما وعلى
القران وبه في موضع الفاعل بكفى على اصح الاقوال شهيدا بيني وبينكم شهيدا اي بالتبليغ
والدعا اليه وشهيدا عليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم عدة لهم بالغفران والرحمة
ان رجعوا عن الكفر واشعار بحلمه تعالى عنهم اذ لم يعاجلهم بالعقاب اذ كان ما تقدم
تهديدا لهم في ان يعاجلهم على كفرهم قل ما كنت بدعا من الرسل اي جا قبلي غيري قاله
ابن عباس والحسن وقتادة والبدع والبديع من الاشيا ما لم ير مثله ومنه قول
عدي بن زيد انشده قطرب

فما انا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بؤسى واسعد

والبدع والبديع كالخف والخفيف والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا فابدع
الشاعر جا بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان يبدع في هذا الامر اي بديع ه
وقوم ابدا اي عن الاخفش وقرا عكرمة وابو حيوة وابن ابي عبلة بفتح الدال
جمع بدعة وهو على حذف مضاف اي ذا بدع وقال الزمخشري ويجوز ان تكون صفة
على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم انتهى وهذا الذي اجازه ان لم ينقل استعماله
عن العرب لم يجزه لان فعلا في الصفات لم يحفظ منه سيبويه الا عدى وقد استدرك
على سيبويه زيم بمعنى متفرق وهو استدراك صحيح واما قيم فاصله قيام وقيم مقصور
منه ولذلك اعتلت الواو فيه اذ لو لم يكن مقصورا لصحت كما صحت في حول وعوض واما
قول العرب مكان سوى وماء روى ورجل رضى وماء صرى وسبي طيبة فمتاول عند البصريين
لا يثبتون بها فعلا في الصفات وعن مجاهد وابي حيوة بدعا بفتح البا وكسر الدال كحذر
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي فيما يستقبل من الزمان اي لا علم لي بالغيب فالله
تعالى وما يقدره لي ولكم من قضايا لا اعلمها وعن الحسن وجماعة وما ادري ما يصير
اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه
وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى يكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك
بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخل وشجر وقال
ابن عباس وانس بن مالك وقتادة والحسن وعكرمة معناه في الاخرة وكان هذا في صدر
الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وان المومنين
لهم من الله فضل كبير وهو الجنة وبان الكافرين في نار جهنم وهذا القول ليس بظاهر
بل قد اعلم سبحانه من اول الرسالة بحال الكافر وحال المومن وقيل ما يفعل بي ولا بكم
من الاوامر والنواهي وما يلزم الشريعة وقيل نزلت في امر كان النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظره من الله في غير الثواب والعقاب ان اتبع الا ما يوحى الي استسلام وتبر من علم
المغيبات ووقوف مع النذارة من عذاب الله وقرا الجمهور ما يفعل بضم اليا مبنيا للمفعول
وزيد بن علي وابن ابي عبلة بفتحها والظاهر ان ما استفهامية وادري معلقة فجملة الاستفهام
في موضع المفعول وما مبتداه ويفعل الخبر وقال الزمخشري يجوز ان يكون موصولة منصوبة
انتهى والفصيح المشهور ان ادري يتعدى بالبا فلذلك حين عدي بهمزة النقل تعدى
بالبا نحو قوله ولا ادراكم به فجعل ما استفهامية هو الاولى والاجود وكثيرا ما علقت في القران
نحو وان ادري اقريب ويفعل مثبت غير منفي لكنه قد انسحب عليه النفي لاشتماله على ما
ويفعل فلذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار النفي لكان التركيب ما يفعل بي وبكم الا ترى
زيادة من في قوله ان ينزل عليكم من خير لانسحاب قوله ما يود الذين كفروا على يود
وهو ان ينزل فاذا انتفت ودادة التنزيل انتفى التنزيل وقرا ابن عمير ما يوحي بكسر
الحا اي الله عز وجل قل ارايتم مفعولا ارايتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما والتقدير
ارايتم حالكم ان كان كذا الستم ظالمين فالاول حالكم والثاني الستم ظالمين وجواب الشرط
محذوف اي فقد ظلمتم ولذلك جا فعل الشرط ماضيا وقال الزمخشري جواب الشرط محذوف
تقديره ان كان هذا القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف

قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين انتهى وجملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط
الا بالفا فان كانت الاداة الهمزة تقدمت الفا نحو ان تزرنا افما نحسن اليك وغيرها تقدمت
الفا نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا فقول الزمخشري الستم ظالمين بغير فا لا يجوز ان
يكون جواب الشرط وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة فهي لفظ موضوع
للسوال لا يقتضي مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة كان وما عملت فيه تسد مسد مفعوليها
انتهى وهذا خلاف ما قرره محققو النحاة في ارايتم وقيل جواب الشرط فامن واستكبرتم
اي فقد امن محمد به او الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وقال الحسن تقديره
فمن اضل منكم وقيل فمن المحق منا ومنكم ومن المبطل وقيل اتهلكون والضمير في به عايد
على ما عاد عليه اسم كان وهو القران وقال الشعبي يعود على الرسول والشاهد عبد
الله بن سلام قاله الجمهور ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن سيرين
والاية مدنية وعن عبد الله بن سلام نزلت في ايات من كتاب نزلت في وشاهد من بني
اسرايل على مثله فامن واستكبرتم وقال مسروق الشاهد موسى عليه السلام لا ابن سلام
لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية وقال سعد بن ابي وقاص ومجاهد وفرقة الاية مكية
والشاهد عبد الله بن سلام وهي من الايات التي تضمنت غيبا ابرزه الوجود واسلام
عبد الله بن سلام مذكور في الصحيح وفيه بهت اليهود له لعنهم الله ومن كذب اليهود
وجهلهم بالتاريخ ما يعتقدونه في عبد الله بن سلام انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى
الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها اجتمع باحبار اليهود وقص عليهم احلامه فعلموا انه
صاحب دولة زعموا فاصحبوه عبد الله بن سلام فقرا عليه علوم التوراة وفقهها مدة
زعموا وافرطوا في كذبهم الى ان نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القران الى تاليف عبد الله
بن سلام وعبد الله هذا لم يعلم له اقامة بمكة ولا تردد اليها فما اكذب اليهود وابهتهم
لعنهم الله وناهيك من طايفة ما ذم في القران طايفة مثلها وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى
اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اوليك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزا بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته
كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي
اني تبت اليك واني من المسلمين اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن
سياتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه اف
لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان
وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اوليك الذين حق عليهم القول في امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم
اعمالهم وهم لا يظلمون قال قتادة هي مقالة كفار قريش للذين امنوا اي لاجل الذين
امنوا واللام للتبليغ ثم انتقلوا الى الغيبة في قولهم ما سبقونا ولو لم ينتقلوا لكان
الكلام ما سبقتمونا اليه ولما سمعوا ان جماعة امنوا خاطبوا جماعة المومنين اي قالوا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقنا اليه اوليك الذين بلغنا ايمانهم يريدون عمارا وصهيبا
وبلالا ونحوهم ممن اسلم وامن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي والزجاج هي مقالة
كنانة وعامر وساير قبايل العرب المجاورة قالت ذلك حين اسلمت غفار ومزينة وجهينة
اي لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه الرعا وقال الثعلبي هي مقالة اليهود حين
اسلم وغيره منهم وقال ابو المتوكل اسلم ابو ذر ثم اسلمت غفار فقالت قريش ذلك وقيل
اسلمت امة لعمر فكان يضربها حتى يفتر ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فقال كفار قريش
لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة والظاهر ان اسم كان هو القران
وعليه يعود به ويؤيده ومن قبله كتاب موسى وقيل به عايد على الرسول والعامل في اذ

محذوف اي واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عن ذلك الجواب المحذوف
لان هذا القول هو ناشي عن العناد ويمتنع ان يعمل في اذ فسيقولون لحيلولة الفاء ولتعاند زمانه
اذ وزمان سيقولون افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقدمه بمرور الاعصار عليه ولما
طعنوا في صحة القران قيل لهم انه انزل الله من قبله التوراة على موسى وانتم لا تنازعون
في ذلك فلا تنازع في انزال القران اماما اي يقتدي به اذ فيه البشارة بمبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارساله فيلزم اتباعه والايمان به وانتصب اماما على الحال
والعامل فيه العامل في ومن قبله اي وكتاب موسى كائن من قبل القران في حال كونه اماما
وقرا الكلبي كتاب موسى نصب كتاب وفتح ميم من على انها موصولة تقديره واتينا الذي
قبله كتاب موسى وقيل انتصب اماما بمحذوف اي انزلناه اماما اي قدوة يؤتم به ورحمة
لمن عمل به وهذا اشارة الى القران كتاب مصدق له اي لكتاب موسى وهي التوراة التي
تضمنت خبره وخبر من جاء به وهو الرسول فجاء هو مصدقا لتلك الاخبار او مصدق للكتب
الالهية ولسانا حال من الضمير في مصدق والعامل فيه مصدق او من كتاب اذ قد وصف
والعامل فيه اسم الاشارة ولسانا موطئة والحال في الحقيقة هو عربيا او على حذف
اي ذا لسان عربي فيكون مفعولا بمصدق اي هذا القران مصدق من جاء به وهو الرسول
في ذلك باعجازه واحواله البارعة وقيل انتصب على اسقاط الخافض اي بلسان عربي
وقرا ابو رجاء وشيبة والاعرج وابو جعفر وابن عامر ونافع وابن كثير في رواية لتنذر
بتاء الخطاب للرسول والاعمش وابن كثير ايضا وباقي السبعة بياء الغيبة اي
لينذر القران والذين ظلموا الكفار عباد الاصنام حيث وضعوا العبادة في غير من
يستحقه وبشرى قيل معطوف على مصدق فهو في موضع رفع او على اضمار هو وقيل منصوب
بفعل محذوف معطوف على لينذر اي ويبشر بشرى وقيل منصوب على اسقاط الخافض
اي ولبشرى وقال الزمخشري وتبعه ابو البقاء وبشرى في محل النصب معطوف على محل
لينذر لانه مفعول له انتهى وهذا لا يجوز على الصحيح من مذهب النحويين لانهم يشترطون
في الحمل على المحل ان يكون المحل بحق الاصالة وان يكون الموضع محرزا والمحل هنا ليس بحق
الاصالة لان الاصل هو الجر في المفعول له وانما النصب ناشي عن اسقاط الخافض لكنه
لما كثر بالشروط المذكورة في النحو وصل اليه الفعل فنصبه ولما عبر عن الكفار بالذين
ظلموا عبر عن المومنين بالمحسنين ليقابل بلفظ الاحسان لفظ الظلم ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تقدم الكلام على نظير هذه الاية في سورة فصلت ولما ذكر جزا بما كانوا
يعملون قال ووصينا اذ كان بر الوالدين ثاني افضل الاعمال اذ في الصحيح اي الاعمال
افضل فقال الصلوة على ميقاتها قال ثم اي قال ثم بر الوالدين واذ كان عقوقهما ثاني
اكبر الكباير اذ قال عليه السلام الا انبيكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
والوارد في برهما كثير وقرا الجمهور حسنا بضم الحاء واسكان السين وعلي والسلمي
وعيسى بفتحهما وعن عيسى ضمهما والكوفيون احسانا فقيل ضمن ووصينا معنى الزمنا
فيتعدى لاثنين فانتصب حسنا واحسانا على المفعول الثاني لوصينا وقيل التقدير
ايصاء ذا حسن او ذا احسان ويجوز ان يكون حسنا بمعنى احسان فيكون مفعولا له
اي ووصيناه بهما لاحساننا اليهما فيكون الاحسان من الله تعالى وقيل النصب على المصدر
على تضمين ووصينا معنى احسنا بالوصية للانسان بوالديه احسانا وقال ابن عطية
ونصب هذا يعني احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والبا متعلقة
بوصينا او بقوله احسانا انتهى ولا يصح ان يتعلق باحسانا لانه مصدر مقدر بحرف
مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالبا انما يتعدى
باللام تقول احسنت لزيد ولا تقول احسنت بزيد على معنى ان الاحسان يصل اليه
وتقدم الكلام على ووصينا الانسان بوالديه حسنا في سورة العنكبوت وانجر هنا
بالكلام على ذلك مزيد فايدة حملته امه كرها ليس الكره في اول علوقها بل في ثاني استمرار
الحمل حتى يتوقع حوادثه قال ابن عطية ويحتمل ان يراد في وقت الحمل اذ لا تدبير لها

في حمله ولا تركه انتهى ولا يلحقها كره اذ ذاك فهذا احتمال بعيد وقال مجاهد والحسن
وقتادة المعنى حملته مشقة ووضعته مشقة وقرا الجمهور بضم الكاف وشيبة وابو
جعفر والاعرج والحرميان وابو عمرو بالفتح وبهما معا ابو رجاء ومجاهد وعيسى والضم
والفتح لغتان بمعنى واحد كالفقر والفقر وقالت فرقة بالضم المشقة وبالفتح الغلبة
والقهر وضعفوا قراءة الفتح وقال بعضهم لو كان بالفتح لرمت به عن نفسها اذ معناه
القهر والغلبة انتهى وهذا ليس بشي اذ قراءة الفتح في السبعة المتواترة
وقال ابو حاتم القراءة بفتح الكاف لا تحسن لان الكره بالفتح الغصب والغلبة انتهى
وكان ابو حاتم يطعن في بعض القراات بما لا علم له به جسارة منه عفا الله عنه وانتصابهما
على الحال من ضمير الفاعل اي حملته ذات كره او على انه نعت لمصدر محذوف اي حملا
ذا كره وحمله وفصاله ثلثون شهرا اي ومدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان يكون
احد الطرفين ناقصا اما بان تلد المراة لستة اشهر وترضع عامين واما ان تلد لتسعة
على العرف وترضع عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت مدة الرضاع وبالعكس
فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل مدة الرضاع عام وتسعة اشهر
واكمال العامين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقد كشفت التجربة ان اقل مدة الحمل ستة
اشهر كنص القران وقال جالينوس كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرايت
امراة ولدت لماية واربع وثمانين ليلة وزعم ابن سينا انه شاهد ذلك واما اكثر الحمل
فليس في القران ما يدل عليه قال ابن سينا في الشفا بلغني من جهة من اثق به كل الثقة
ان امراة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت اسنانه وحكي عن ارسطاطا
ليس انه قال ازمنة الحمل لكل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت لسبعة
اشهر ولثمانية وقلما يعيش الولد في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر انتهى وعبر
عن مدة الرضاع بالفصال لما كان الرضاع يلي الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم
سمي به وقرا الجمهور وفصاله وهو مصدر فاصل كانه من اثنين فاصل امه وفاصلته
وقرا ابو رجاء والحسن وقتادة والجحدري وفصله قيل والفصل والفصال مصدران
كالفطم والفطام وهنا لطيفة ذكر تعالى الام في اربعة مراتب في قوله بوالديه
وحمله ووضعه وارضاعه المعبر عنه بالفصال وذكر الوالد في واحدة في قوله
بوالديه فناسب ما قال الرسول من جعل ثلثة ارباع البر للام والربع للاب في قول
الرجل يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال
ثم من قال اباك حتى اذا بلغ اشده في الكلام حذف تكون حتى غاية له تقديره فعاش
بعد ذلك او استمرت حياته وتقدم الكلام في بلغ اشده في سورة يوسف والظاهر
ضعف قول من قال بلوغ الاشد اربعون لعطف وبلغ اربعين سنة والعطف يقتضي
التغاير الا ان ادعي ان ذلك توكيد لبلوغ الاشد فيمكن والتاسيس اولى من التاكيد
وبلوغ الاربعين اكتمال العقل وظهور الفلاح قيل ولم يبعث نبي الا بعد الاربعين
وفي الحديث ان الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب ويقول
باي وجه لا يفلح قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان
اعمل صالحا ترضاه تقدم الكلام على هذا في سورة النمل واصلح لي في ذريتي سال ان
يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه
فيهم او ضمن واصلح لي معنى والطف بي في ذريتي لان اصلح يتعدى بنفسه لقوله
واصلحنا له زوجه فلذلك احتيج قوله في ذريتي الى التاويل قيل نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه ويتناول من بعده وهو مشكل لانها نزلت بمكة وابوه اسلم عام الفتح
ولقوله اوليك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا فلم يقصد بذلك ابو بكر ولا
غيره والمراد بالانسان الجنس ولذلك اشار بقوله اوليك جمعا وقرا الجمهور
يتقبل مبنيا للمفعول احسن رفعا وكذا ويتجاوز وزيد بن علي وابن وثاب
وطلحة وابو جعفر والاعمش بخلاف عنه وحمزة والكسائي وحفص نتقبل

احسن نصبا ونتجاوز بالنون فيهما والحسن والاعمش وعيسى بالياء فيهما مفتوحة ونصب
احسن في اصحاب الجنة قيل في بمعنى مع وقيل هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه
يريد في جملة من اكرم منهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة وانتصب
وعد الصدق على انه مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين نتقبل
وعد منه تعالى بالتقبل والتجاوز لما ذكر الانسان البار بوالديه وما آل اليه من الخير ذكر
العاق لوالديه وما آل اليه من الشر والمراد بالذي الجنس ولذلك جاء الخبر مجموعا في قوله
اولئك الذين حق عليهم القول وقال الحسن هو الكافر العاق لوالديه المنكر للبعث
وقول مروان بن الحكم واتبعه قتادة انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قول
خطا ناشئ عن حور حين دعا مروان وهو امير المدينة الى بيعة يزيد فقال عبد الرحمن
جعلتموها هرقلية كلما مات هرقل ولي ابنه وكلما مات قيصر ولي ابنه فقال مروان خذوه
فدخل بيت اخته عايشة رضي الله عنها وقد انكرت ذلك عايشة وقالت وهي المصدوقة
لم ينزل في آل ابي بكر من القران غير براءتي وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته
وسبت مروان وقالت ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله
ويدل على فساد هذا القول انه قال تعالى اولئك الذين حق عليهم القول وهذه صفات
الكفار اهل النار وكان عبد الرحمن من افاضل الصحابة وسرواتهم وابطالهم وممن له
في الاسلام غناء يوم اليمامة وغيره اف لكما تقدم الكلام على اف مدلولا ولغات وقراءة
في سورة الاسراء واللام في لكما للبيان اي لكما اعني التافيف وقرا الجمهور اتعدانني
بنونين الاولى مكسورة والحسن وعاصم وابو عمرو في رواية وهشام بادغام نون الرفع
في نون الوقاية وقرا نافع في رواية وجماعة بنون واحدة وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر
بخلاف عنه وعبد الوارث عن ابي عمرو وهرون بن موسى عن الجحدري وسام عن
هشام بفتح النون الاولى كانهم فروا من الكسرتين والياء الى الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا
كما فر من ادغم ومن حذف وقال ابو حاتم فتح النون باطل غلط ان اخرج اي اخرج من قبري
بالبعث والحساب وقرا الجمهور ان اخرج مبنيا للمفعول والحسن وابن يعمر والاعمش
وابن مصرف والضحاك مبنيا للفاعل وقد خلت القرون من قبلي مكذبة بالبعث وهما
يستغيثان الله اي مضت ولم يخرج منهم احد ولا بعث وقال ابو سليمن الدمشقي وقد خلت
القرون من قبلي مكذبة بالبعث وهما يستغيثان الله يقال استغثت الله واستغثت بالله
والاستعمالان في لسان العرب وقد رددنا على ابن مالك انكاره تعديته بالباء وذكرنا شواهد
على ذلك في الانتقال اي يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك
دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك وقيل ويلك
دعاء لمن يحقر ويحرك لامر يستعجل اليه وقرا الاعرج وعمرو بن فايد ان وعد الله بفتح
الهمزة اي آمن بان وعد الله حق والجمهور بكسرها فيقول ما هذا اي ما هذا الذي
يقولان من الوعد بالبعث من القبور الا اشياء سطرها الاولون في كتبهم ولا حقيقة له
قال ابن عطية وظاهر الفاظ هذه الاية انها نزلت في مشار اليه قال وقيل له فنفى الله
اقواله تحذيرا من الوقوع في مثلها وقوله اولئك ظاهره انها اشارة الى جنس يتضمنه قوله
والذي قال ويحتمل ان تكون الاية في مشار اليه ويكون قوله اولئك بمعنى صنف هذا المذكور
وجنسه هم الذين حق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم في امم اي في جملة امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس تقتضي ان الجن يموتون قرنا بعد قرن كالانس وقال الحسن
في بعض مجالسه الجن لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الاية فسكت وقرا العباس
عن ابي عمرو انهم كانوا بفتح الهمزة والجمهور بالكسر ولكل اي من المحسن والمسيء درجات
غلب درجات اذ الجنة درجات والنار دركات والمعنى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا
من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما قال ابن زيد درجات المحسنين تذهب علوا
ودرجات المسيئين تذهب سفلا انتهى والمعلل محذوف تقديره وليوفيهم اعمالهم
قدر جزائهم فجعل الثواب درجات والعقاب درجات وقرا الجمهور وليوفيهم بالياء

الدرجات

اي الله تعالى والاعمش والاعرج وشيبة وابو جعفر والاخوان وابن ذكوان ونافع بخلاف
عنه بالنون والسلمي بالتاء من فوق اي ولتوفيهم الذي جاءت اسند التوفية اليها مجازا
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر
اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما
تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم
سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون ويوم يعرض اي يعذب بالنار كما يقال عرض على السيف اذا قتل به والعرض
المباشرة كما تقول عرضت العود على النار اي باشرت به النار وقال الزمخشري ويجوز
ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها
فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها انتهى ولا ينبغي حمل
القران على القلب اذ الصحيح في القلب انه مما يضطر اليه في الشعر واذا كان المعنى صحيحا
واضحا مع عدم القلب فاي ضرورة تدعو اليه وليس في قولهم عرضت الناقة على الحوض
ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب لان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على
الناقة كل منهما صحيح اذ العرض امر نسبي يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض
وقرا الجمهور اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم ولذلك حسنت الفاء في قوله فاليوم
تجزون وقرا قتادة ومجاهد وابن وثاب وابو جعفر والحسن والاعرج وابن كثير بهمزة
بعدها مدة مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير
في رواية وعن هشام الفصل بين المحققة والملينة بالف وهذا الاستفهام هو على معنى
التوبيخ والتقرير فهو خبر في المعنى فلذلك حسنت الفاء ولو كان استفهاما محضا لم تدخل
الفاء والطيبات هنا المستلذات من الماكل والمشارب والملابس والمفارش والمراكب
والمواطي وغير ذلك مما يتنعم به اهل الرفاهية وهذه الاية محرضة على التقلل من الدنيا
وترك التنعم فيها والاخذ بالتقشف وما يجتزي به رمق الحيوة وعن رسول الله في ذلك
ما يقتضي التاسي به وعن عمر في ذلك اخبار تدل على معرفته بانواع الملاذ وعزوف نفسه
الفاضلة عنها اتظنون انا لا نعرف خفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء
وصنابا وصلائق ولكني استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها والصلاء الشواء والصناب المتخذ من الخردل
والزبيب والصلائق الخبز الرقاق العريض قال ابن عباس وهذا من باب الزهد والا فالاية
نزلت في كفار قريش والمعنى انه كانت تكون لهم طيبات الاخرة لو آمنتم لكنكم لم تؤمنوا
فاستعجلتم طيباتكم في الحيوة الدنيا فهذه كناية عن عدم الايمان ولذلك ترتب عليه فاليوم
تجزون عذاب الهون ولو اريد الظاهر ولم يكن كناية عما ذكرنا لم يترتب عليه الجزاء بالعذاب
وقرى الهوان وهو والهون بمعنى واحد ثم بين تلك الكناية بقوله بما كنتم تستكبرون
اي ترتفعون عن الايمان وبما كنتم تفسقون اي بمعاصي الجوارح وقدم ذنب القلب وهو
الاستكبار على ذنب الجوارح اذ اعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب ولما كان اهل مكة
مستغرقين في لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء به الرسول ذكرهم بما جرى
للعرب الاولى وهم قوم عاد وكانوا اكثر اموالا واشد قوة واعظم جاها منهم فسلط عليهم
العذاب بسبب كفرهم وبضرب الامثال وقصص من تقدم تعرف بقبيح الشيء وتحسينه
فقال لرسوله واذكر لقومك اهل مكة هودا عليه السلام اذ انذر قومه عادا عذاب الله
بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال ابن اسحق من عمان الى حضرموت وقال

ابن زيد رمال مشرفة بالشحر من اليمن وقيل بين مهرة وعدن وقال قتادة هي بلاد
الشحر المواصلة للبحر اليماني وقال ابن عباس هي جبل بالشام وقال ابن عطية هو
والصحيح ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد وفي ذكر هذه القصة
اعتبار لقريش وتسلية للرسول اذ كذبه قومه كما كذبت عاد هودا عليه السلام والجملة
من قوله وقد خلت النذر وهو جمع نذير من بين يديه ومن خلفه يحتمل ان تكون حالا
من الفاعل في انذر من بين يديه وهم الرسل الذين تقدموا زمانه ومن خلفه الرسل
الذين كانوا في زمانه ويكون على هذا معنى ومن خلفه اي من بعد انذاره ويحتمل ان يكون
اعتراضا بين انذر قومه وان لا تعبدوا والمعنى وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن
تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيز له فيما انذره
اياهم من العذاب العظيم على ترك افراد الله بالعبادة لتافكنا لتصرفنا قال له
الضحاك او لتزيلنا عن الهتنا بالافك وهو الكذب اي عن عبادة الهتنا فاتنا بما تعدنا
استعجال منهم لحلول ما وعدهم به من العذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به
قال انما العلم عند الله اي علم وقت حلوله وليس تعيين وقته والي انما انا مبلغ ما ارسلني
به الله اليكم ولما تحقق عنادهم وعد الله وانه حال بهم وهم في غفلة من ذلك وتكذيب
قال ولكني اراكم قوما تجهلون اي عاقبة امركم لا شعور لكم بها وذلك واقع لا محالة
وكانت عاد قد حبس الله عنها المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم
من واد يقال له المغيث فاستبشروا والضمير في راوه الظاهر انه عائد على ما في قوله
بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال من المفعول وقال ابن عطية ويحتمل
ان يعود على الشي المرئي الطالع عليهم الذي فسره قوله عارضا وقال الزمخشري
فلما راوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله
عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح انتهى وهذا الذي ذكر
انه اعرب وافصح ليس جاريا على ما ذكره النحاة لان المبهم الذي يفسره ويوضحه
التمييز لا يكون الا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين
نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو واما ان الحال يوضح المبهم ويفسره فلا نعلم احدا
ذهب اليه وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول راي
اذا كان ضميرا ولا ان الحال يفسر الضمير ويوضحه والعارض المعترض في الجو من
السحاب الممطر ومنه قول الشاعر

يامن راي عارضا ارقت له ... بين ذراعي وجبهة الاسد

وقال الاعشى

يامن راي عارضا قد بت ارمقه ... كانما البرق في حافاته الشعل

مستقبل اوديتهم هو جمع واد وافعلة في جمع فاعل الاسم شاذ نحو ناد واندية
وجائز واجوزة والجائز الخشبة الممتدة في اعلى السقف واضافة مستقبل وممطر
اضافة لا تعرف فلذلك نعت بهما النكرة بل هو ما استعجلتم اي قال لهم هود ذلك اي
بل هو العذاب الذي استعجلتم به اضرب عن قولهم عارض ممطرنا واخبر بان العذاب
جاءهم ثم قال ريح اي هي ريح وقيل ريح بدل من هو وقرا قوم ما استعجلتم بضم التا وكسر
الجيم وتقدمت قصص في الريح فاغنى ذكرها هنا تدمر اي تهلك والدمار الهلاك وتقدم
ذكره وقرا زيد بن علي تدمر بفتح التا وسكون الدال وضم الميم وقرئ كذلك
الا انه بالياء ورفع كل اي يهلك كل شي وكل شي عام مخصوص اي من نفوسهم واموالهم
او من امرت بتدميره واضافة الرب الى الريح دلالة على انها وتصريفها مما يشهد
بامر قدرته تعالى لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر لكونها مامورة
من جهته تعالى وقرا الجمهور لا ترى بتا الخطاب الا مساكنهم بالنصب وعبد الله
ومجاهد وزيد بن علي وقتادة وابو حيوة وطلحة وعيسى والحسن وعمرو بن ميمون
بخلاف عنهما وعاصم وحمزة لا يرى باليا من تحت مضمومة الا مساكنهم بالرفع وابو رجاء

ومالك

ومالك بن دينار بخلاف عنهما والجحدري والاعمش وابن ابي اسحق والسلمي بالتا من فوق
مضمومة مساكنهم بالرفع وهذا لا يجيزه اصحابنا الا في الشعر وبعضهم يجيزه في الكلام
وقال ذو الرمة

كانه جملهم وما بقيت ... الا النحيزة والالواح والعصب

وقال اخر

فما بقيت الا الضلوع الجراشع

وقرا عيسى الهمداني لا يرى بضم اليا الا مسكنهم بالتوحيد وروي هذا عن الاعمش
ونصر بن عاصم وقرئ لا ترى بتا مفتوحة للخطاب الا مسكنهم مفردا منصوبا واجتزي
بالمفرد عن الجمع تصغيرا لشانهم وانهم لما هلكوا في وقت واحد فكانهم كانوا في مسكن واحد
ولما اخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم وان نافية
اي في الذي ما مكناكم فيه من القوة والغنى والبسط في الاجسام والاموال ولم يكن
النفي بلفظ ما كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى وقيل ان شرطية محذوفة الجواب
والتقدير ان مكناكم فيه طغيتم وقيل ان زائدة بعد ما الموصولة تشبيها بما النافية وما
التوقيتية فهي في الاية كهي في قوله يرجي المرء ما ان يراه ويعرض دون ادناه الخطوب
اي مكناهم في مثل الذي مكناكم فيه وكونها نافية هو الوجه لان القران يدل عليه في مواضع
كقوله كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وقوله هم احسن اثاثا ورئيا وهو ابلغ في التوبيخ
وادخل في الحث على الاعتبار ثم عدد نعمه عليهم وانها لم تغن عنهم شيا حيث لم يستعملوا
السمع والابصار والافئدة فيما يجب ان يستعمل وما وقيل ما استفهام بمعنى التقرير
وهو بعيد كقوله من شي اذ يصير التقدير اي شي مما ذكر اغنى عنهم من شي فيكون من زيدت
في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح والعامل في اذ اغنى ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت
اكرمت زيدا لاحسانه الي واذا احسن الي استويا في الوقت وفهم من اذ ما فهم من لام
التعليل وان اكرامك اياه في وقت احسانه اليك انما كان لوجود احسانه لك فيه ولقد
اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى
طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اوليا اوليك في ضلال
مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي
الموتى بلى انه على كل شي قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا
القوم الفاسقون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم
والذي حولهم من القرى مارب وحجر ثمود وسدوم ويريد من اهل القرى وصرفنا الايات
اي الحجج والدلايل والعظات لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر الى
الايمان فلم يرجعوا فلولا نصرهم اي فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك الذين اتخذوا
اي اتخذوهم من دون الله قربانا اي في حال التقرب وجعلهم شفعاء الهة وهو المفعول
الثاني لاتخذوا والضمير الاول الضمير المحذوف العايد على الموصول واجاز الحوفي
وابن عطية وابو البقا ان يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا والهة بدل منه لفساد
المعنى انتهى ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك
الاعراب واجاز الحوفي ايضا ان يكون قربانا مفعولا من اجله بل ضلوا عنهم اي غابوا
عن نصرتهم وقرا الجمهور افكهم بكسر الهمزة واسكان الفا وضم الكاف وابن عباس
في رواية بفتح الهمزة والافك والافك مصدران وقرا ابن عباس ايضا وابن الزبير

والصباح بن العلا الانصاري وابو عياض وعكرمة وحنظلة بن النعمن بن مرة ومجاهد
افكهم بثلث فتحات اي صرفهم وابن عياض وعكرمة ايضا كذلك الا انهما شددا الفا
للتكثير وابن الزبير ايضا وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه آفكهم بالمد فاحتمل ان يكون
فاعل فالهمزة اصلية وان يكون افعل والهمزة للتعدية اي جعلهم يافكون ويكون
افعل بمعني المجرد وعن الفرا انه قري افكهم بفتح الهمزة والفا وضم الكاف
وهي لغة في الافك وابن عباس فيما روي قطرب وابو الفضل الرازي آفكهم اسم
فاعل من افك اي صارفهم والاشارة بذلك علي من قرا افكهم مصدرا الي اتخاذ الاصنام
الهة اي ذلك كذبهم وافتراوهم وقال الزمخشري وذلك اشارة الي امتناع نصرة
الهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة
شركهم وافترائهم علي الله الكذب من كونه ذا شركا انتهي وعلي قراءة من جعله فعلا
معناه وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وكذلك قراءة اسم الفاعل اي صارفهم عن الحق
ويحتمل ان تكون ما مصدرية اي وافتراوهم وان يكون بمعني الذي والعايد محذوف
اي يفترونه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران ومناسبة هذه الاية
لما قبلها انه لما بين ان الانس مومن وكافر ذكر ان الجن فيهم مومن وكافر وكان ذلك باثر
قصة هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة والجن توصف ايضا بذلك كما قال
تعالي قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
وان ما اهلك به قوم هود هو الريح وهو من العالم الذي لا يشاهد وانما يحس بهبوبه
والجن ايضا من العالم الذي لا يشاهد وان هودا عليه السلم كان من العرب
ورسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب فهذه يجوز ان تكون مناسبة لهذه الاية
بما قبلها وفيها ايضا توبيخ لقريش وكفار العرب حيث انزل عليهم هذا الكتاب
المعجز فكفروا به وهم من اهل اللسان الذي نزل به القران ومن جنس الرسول
الذي ارسل اليهم وهولا الجن فليسوا من جنسه وقد اثر فيهم سماع القران
وامنوا به وبمن انزل عليه وعلموا انه من عند الله بخلاف قريش وامثالهم مصرون
علي الكفر به واذ صرفنا وجهنا اليك وقري صرفنا بتشديد الرا لانهم كانوا جماعة
فالتكثير بحسب الحال نفرا من الجن والنفر دون العشرة ويجمع انفارا قال
ابن عباس كانوا سبعة من اهل نصيبين وقال زر كانوا تسعة منهم زوبعة والذي
يجمع اختلاف الروايات ان قضية الجن كانت مرتين احدهما حين انصرف من الطايف
وكان خرج اليهم يستنصرهم في قصة ذكرها اصحاب السير فروي ان الجن كانت تسترق
السمع فلما بعث الرسول حرست السما ورمي الجن بالشهب قالوا ما هذا الا امر
حدث فطافوا الارض فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة وهو قايم
يصلي فاستمعوا القراته وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم والمرة الاخري ان الله
امره ان ينذر الجن ويقرا عليهم فقال اني امرت ان اقرا علي الجن فمن يتبعني قالها
ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره احد ليلة الجن غيري فانطلقنا
حتي اذا كنا في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتي اعود اليك ثم افتتح
القران وسمعت لغطا شديدا حتي خفت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتي ما اسمع صوته ثم انقطعوا تقطع السحاب
فقال لي هل رايت شيا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اوليك
جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك
وفي اخر هذا الحديث قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطا فقال انهم تدارؤا
في قتيل لهم فحكمت بالحق وقد روي عن ابن مسعود انه لم يحضر احد ليلة الجن
والله اعلم بصحة ذلك فلما حضروه اي القران اي كانوا بمسمع منه وقيل حضروا
الرسول وهو التفات من اليك الي الضمير الغايب قالوا انصتوا اي اسكتوا
للاستماع وفيه تادب مع العلم وكيف يتعلم وقرا الجمهور فلما قضي مبنيا للمفعول

وابو مجلز وخبيب بن عبد الله بن الزبير قضي مبنيا للفاعل اي قضي محمد ما قرا اي اتمه وفرغ
منه وقال ابن عمر وجابر بن عبد الله قرا عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي الا ربكما تكذبان
قالوا لا بشي من ايات ربنا نكذب ربنا لك الحمد ولوا الي قومهم منذرين تفرقوا علي البلاد
ينذرون الجن قال قتادة ما اسرع ما عقل القوم انتهي وعند ذلك وقعت قصة سواد
بن قارب وخنافر وامثالهما حين جاءهما رياهما من الجن فكان سبب اسلامهما من بعد موسي
اي من بعد كتاب موسي قال عطا كانوا علي ملة اليهود وعن ابن عباس لم تسمع الجن بامر
عيسي وهذا لا يصح عن ابن عباس كيف لا تسمع بامر عيسي وله امة عظيمة لا ينحصر علي
ملته فيبعد عن الجن كونهم لم يسمعوا به ويجوز ان يكونوا قالوا من بعد موسي تنبيها لقومهم
علي اتباع الرسول اذ كان عليه السلم قد بشر به موسي فقالوا ذلك من حيث ان هذا
الامر مذكور في التوراة مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل والكتب الالهية
اذ كانت كلها مشتملة علي التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير الاخلاق يهدي الي
الحق اي الي ما هو حق في نفسه صدق يعلم ذلك بصريح العقل والي صراط مستقيم عبر
بين اللفظين والمعني متقارب وربما استعمل احدهما في موضع لا يستعمل الاخر فيه فجمع
هنا بينهما وحسن التكرار اجيبوا داعي الله هو الرسول او الواسطة المبلغة عنه وامنوا
به يعود علي الله يغفر لكم من ذنوبكم من للتبعيض لانه لا يغفر بالايمان ذنوب المظالم
قال معناه الزمخشري وقيل من زايدة لان الاسلام يجب ما قبله فلا يبقي معه تبعة ويجركم
من عذاب اليم وهذا كله وظواهر القران تدل علي ان الجن مكلفون ولم ينص هنا علي ثوابهم
اذا اطاعوا وعمومات القران تدل علي الثواب وكذا قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم
عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون علي ابوابها وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار واليه
كان يذهب ابو حنيفة فليس بمعجز في الارض اي بفايت من عقابه اذ لا منجي منه ولا مهرب
كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وروي عن ابن عامر وليس لهم
بزيادة ميم وقرا الجمهور ولم يعي مضارع عيي علي وزن فعل بكسر العين والحسن ولم يعي
بكسر العين وسكون اليا ووجهه انه في الماضي فتح عين الكلمة كما قالوا في بقي بقا وهي
لغة لطي ولما بني الماضي علي فعل بفتح العين بني مضارعه فلم يفعل بكسر العين فجا يعيي
فلما دخل الجازم حذف اليا فبقي يعي بنقل حركة اليا الي العين فسكنت اليا وبقي يعي
وقرا الجمهور بقادر اسم فاعل والبا زايدة في خبر ان وحسن زيادتها كون ما قبلها في حيز النفي
وقد اجاز الزجاج ما ظننت ان احدا بقايم قياسا علي هذا والصحيح قصر ذلك علي السماع
فكانه في الاية اليس الله بقادر الا تري كيف جا بلي مقررا لاحيا الموتي لا لرويتهم
وقرا الجحدري وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعيسي والاعرج بخلاف عنه ويعقوب
يقدر مضارعا اليس هذا بالحق اي يقال لهم والاشارة بهذا الي العذاب اي كنتم تكذبون
بانكم تعذبون والمعني توبيخهم علي استهزايهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
قالوا بلي وربنا تصديق حيث لا ينفع وقال الحسن انهم ليعذبون في النار وهم راضون
بذلك لانفسهم يعترفون انه العدل فيقول لهم المجاوب من الملايكة عند ذلك فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الفا عاطفة هذه الجملة
علي الجملة من اخبار الكفار في الاخرة والمعني بينهما مرتبط اي هذه حالهم مع الله فلا تستعجل
انت واصبر ولا تخف الا الله واولوا العزم اي اولوا الجد من الرسل وهم من حفظ له
شدة مع قومه ومجاهدة فتكون من للتبعيض قيل ويجوز ان تكون للبيان اي الذين هم
الرسل ويكون الرسل كلهم اولي العزم واولوا العزم علي التبعيض يقتضي انهم رسل
وغير رسل وعلي البيان تقتضي انهم الرسل وكونها للتبعيض قول عطا الخراساني هو
والكلبي وللبيان قول ابن زيد وقال الحسين بن الفضل هم الثمانية عشر المذكورون
في سورة الانعام لانه قال بعقب ذكرهم فبهداهم اقتده وقال مقاتل هم ستة نوح صبر
علي اذي قومه طويلا وابرهيم صبر علي النار واسحق صبر نفسه علي الذبح ويعقوب
صبر علي الفقد لولده وعمي بصره وقال فصبر جميل ويوسف صبر علي السجن والبير وايوب

علي البلاذر وغيره وموسي قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكي
علي خطيته اربعين سنة وعيسي لم يضع لبنة علي لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها
ولا تستعجل لهم اي لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر
وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا كانهم لم يلبثوا فيها الا ساعة وقرا
ابي من النهار وقرا الجمهور من نهار وقرا الجمهور بلاغ بالرفع والظاهر رجوعه الي المدة
التي لبثوا فيها كانه قيل تلك الساعة بلاغهم كما قال متاع قليل فبلاغ خبر مبتدا محذوف
قيل ويحتمل ان يكون بلاغ يعني به القران والشرع اي هذا بلاغ اي تبليغ وانذار وقال
ابو مجلز بلاغ مبتدا وخبره لهم ويقف علي فلا تستعجل وهذا ليس بجيد لان فيه تفكيك
الكلام بعضه من بعض اذ ظاهر قوله انه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم وحيلولة الجملة
التشبيهية بين الخبر والمبتدا وقرا الحسن وزيد بن علي وعيسي بلاغا بالنصب
فاحتمل ان يراد بلاغا في القران اي بلغوا بلاغا او بلغنا بلاغا وقرا الحسن ايضا بلاغ بالجر
نعتا لنهار وقرا ابو مجلز وابو سراج الهذلي بلغ علي الامر للنبي صلي الله عليه وسلم
وهذا يويد حمل بلاغ رفعا ونصبا علي انه يعني به تبليغ القران والشرع وعن ابي مجلز
ايضا بلغ فعلا ماضيا وقرا الجمهور يهلك بضم اليا وفتح اللام وابن محيصن فيما حكي
عنه ابن خالويه بفتح اليا وكسر اللام وعنه ايضا بفتح اليا واللام وماضيه هلك بكسر
اللام وهي لغة وقال ابو الفتح هي مرغوب عنها وقرا زيد بن ثابت نهلك بضم النون
وكسر اللام القوم الفاسقون بالنصب وفي هذه الاية وعيد وانذار **البال**
الفكر تقول خطر في بالي كذا ولا يثني ولا يجمع وشذ قولهم بالات في جمعه **تعسا**
الرحل بفتح العين تعسا ضد انتعش واتعسه الله قال مجمع بن هلال
• تقول وقد افردتها من خليلها تعست كما اتعستني يا مجمع •
وقال قوم منهم شمر وابن شميل وابو الهيثم تعس بكسر العين وعن ابي عبيدة تعسه
الله واتعسه في باب فعلت وافعلت وقال ابن السكيت التعس ان يخر علي الوجه
والنكس ان يخر علي الراس وقال هو ايضا وثعلب التعس الهلاك وقال
الاعشي •
• بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادني لها من ان اقول لعا •
المآ تغير ريحه ياسن وياسن ذكره ثعلب في الفصيح والمصدر اسون واسن
بكسر السين ياسن بفتحها لغة اسنا قاله اليزيدي واسن الرجل بالكسر لا غير اذا دخل
البير فاصابته ريح منتنة من ريح البير فغشي عليه اودار راسه قال الشاعر
• قد اترك القرن مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المايح الاسن •
الاشراط العلامات واحدها شرط بسكون الرا وبفتحها قال ابو الاسود
• فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو •
واشرط الرجل نفسه الزمها امورا وقال اوس بن حجر
• فاشرط فيها نفسه وهو معصم فالقي باسباب له وتوكلا •
العسل معروف وعسل بن ذكوان رجل نحوي قديم **المعي** مقصور والفه منقلبة
عن يا يدل عليه تثنيته معيان بقلب الالف يا والمعي ما في البطن من الحوايا **القفل** معروف
واصله اليبس والصلابة والقفل والقفيل ما يبس من الشجر والقفيل ايضا نبت
والقفيل السوط واقفلة الصوم ايبسه قاله الجوهري **آنفا** وايفا هما اسما فاعل
ولم يستعمل فعلهما والذي استعمل ائتنف وهما بمعني مبتديا وتفسيرهما بالساعة تفسير
معني وقال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته فاولي لهم قال صاحب الصحاح
قول العرب اولي لك تهديد وتوعيد ومنه قول الشاعر
• فاولي ثم اولي ثم اولي وهل للدر يحلب من مرد •
انتهي واختلفوا اهو اسم او فعل فذهب الاصمعي الي انه بمعني قاربه ما يهلكه اي نزل
به وانشد • تعادي بين هادتين منها واولي ان تزيد علي الثلاث •

اي

اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم يقل احد في اولي احسن مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال لمن
هم بالعطب ثم افلت اولي لك اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولي لك ثم رمي صيدا
فقاربه ثم افلت منه وقال
• فلو كان اولي يطعم القوم صيدهم ولكن اولي يترك القوم جوعا •
والاكثرون علي انه اسم فقيل هو مشتق من الولي وهو القرب كما قال الشاعر
• تكلفني ليلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب •
وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل منه لكن فيه قلب **الضغن** والضغينة
الحقد قال عمرو بن كلثوم
• فان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا •
وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا الاحقاد وقد ضغن عليه واضطغنت
الصبي اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر كانه مضطغن صبيا وقال ابن مقبل
• وما اضطغنت سلاحي عند معركها • وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري
الا بالضرب واصل الكلمة من الضغن وهو الالتوا والاعوجاج في قوائم الدابة والقناة
وكل شي وقال بشر • كذات الضغن تمشي في الزقاق • وانشد الليث
• ان قناتي من صليبات القنا ما زادها التثقيف الا ضغنا •
والحقد في القلب تشبه به وقال قطرب والليث الضغن العداوة قال الشاعر
• قل لابن هند ما اردت بمنطق سا الصديق وشيد الاضغانا •
لحنت له بفتح الحا الحن لحنا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفي عن غيره ولحنه هو بالكسر
فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم وقال الشاعر
• منطق صايب ويلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا •
وقال القتال الكلابي
• ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب •
وقيل لحن القول الذهاب عن الصواب ماخوذ من اللحن في الاعراب **وتره** نقصه ماخوذ
من الدخل وقيل من الوتر وهو الفرد

سورة القتال

بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل علي محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فدا حتي تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين
امثالها ذلك بان الله مولي الذين امنوا وان الكافرين لا مولي لهم ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات هذه السورة مدنية عند الاكثرين وقال الضحاك وابن جبير والسدي
مكية وقال ابن عطية مدنية باجماع وليس كما قال وعن ابن عباس وقتادة انها مدنية
الا اية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر الي البيت وهي وكاين من قرية
الاية ومناسبة اولها لاخر ما قبلها واضحة جدا الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا
عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه وهم اهل مكة الذين اخرجوا رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال ابن عباس وهم المطعمون يوم بدر وقال مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل
الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب صدوا من اراد

منهم او من غيرهم ان يدخل في الاسلام وقال الضحاك عن سبيل الله عن بيت الله بمنع
قاصديه وهو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي اتلفها حيث لم ينشا عنها خير ولا نفع
بل ضرر محض وقيل نزلت هذه الاية ببدر وان الاشارة بقوله اضل اعمالهم الى الاتفاق
الذي اتفقوه في سفرهم الى بدر وقيل المراد بالاعمال اعمالهم البرة في الجاهلية من
صلة رحم وفك عان ونحو ذلك واللفظ يعم جميع ذلك والذين امنوا وعملوا الصالحات
هم الانصار وقال مقاتل ناس من قريش وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام ودعوى
تقدير خصوص السبب في القبيلتين فاللفظ عام يتناول كل كافر وكل مومن وامنوا بما
نزل على محمد تخصيصه من بين ما يجب الايمان به تعظيم لشان الرسول واعلام انه
لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي وهو الحق
من ربهم وقيل وهو الحق اي هو ناسخ لغيره ولا يرد عليه النسخ وقرا الجمهور نزل
مبنيا للمفعول وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل والاعمش انزل معدي
بالهمزة مبنيا للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم اي حالهم
قاله قتادة وشانهم قاله مجاهد وامرهم قاله ابن عباس وحقيقة لفظ البال انها بمعنى
الفكر والموضع الذي فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك فقد صلحت حاله
فكان اللفظ مشيرا الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع ذلك اشارة الى ما فعل
بالكفار من اضلال اعمالهم وبالمومنين من تكفير سيئاتهم واصلاح حالهم وذلك مبتدا
وما بعده الخبر اي كاين بسبب اتباع هولا الباطل وهولا الحق وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ذلك اي كما ذكر بهذا السبب
فيكون محل الجار والمجرور منصوبا انتهى ولا حاجة الى الاضمار مع صحة الوجه الاول
وعدم الاضمار والباطل ما لا ينتفع به وقال مجاهد الشيطان وكلما يامر به والحق
هو الرسول والشرع وهذا الكلام تسميه علما البيان التفسير كذلك يضرب
قال ابن عطية الاشارة الى اتباع المذكورين من الفريقين اي كما تبعوا على هذين
السبيلين كذلك يبين امر كل فرقة ويجعل لها ضربها من القول وصفها وضرب المثل
من الضرب الذي هو بمعنى النوع وقال الزمخشري كذلك اي مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال
قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المومنين او في ان
جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز المومنين فاذا لقيتم
الذين كفروا اي في اي زمان لقيتموهم فاقتلوهم وفي قوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم اي في اي مكان فعم في الزمان وفي المكان وقال الزمخشري لقيتم من اللقا
وهو الحرب انتهى فضرب الرقاب هذا من المصدر النايب مناب فعل الامر وهو مطرد
فيه وهو منصوب بفعل محذوف واختلف فيه اذا انتصب ما بعده فقيل هو منصوب
بالفعل الناصب للمصدر وقيل هو منصوب بنفس المصدر لنيابته عن العامل
فيه ومثاله ضربا زيدا كما قال الشاعر

على حين الهى الناس جل امورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

وهذا هو الصحيح ويدل على ذلك قوله فضرب الرقاب وهو اضافة المصدر للمفعول
ولو لم يكن معمولا له ما جازت اضافته اليه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولما كان
القتل للانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته عبر بذلك عن القتل ولا يراد خصوصية
الرقاب فانه لا يكاد يتاتى في حالة الحرب ان تضرب الرقاب وانما ياتي القتل في اي
موضع كان من الاعضاء ويقال ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وما فيه
عيناه اذا قتله كما عبر بقوله بما كسبت ايديكم عن ساير الافعال لما كان اكثر الكسب
منسوبا الى الايدي قال الزمخشري وفي هذه العبارة من الغلظة والشدة
ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة
العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه وقد زاد في هذه في قوله فوق

الاعناق واضربوا منهم كل بنان انتهى ولما في ذلك من تشجيع المومنين وانهم من
الكفار بحيث هم متمكنون منهم اذا امروا بضرب رقابهم حتى اذا اثخنتموهم اي
اكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان وتمكنوا من اخذ من لم
يقتل فشدوا وثاق الاسرى فاما منا بالاطلاق واما فدا حتى تضع الحرب اوزارها
اي اثقالها والا لحقها ومنه قول عمرو بن معدي كرب

واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

انشده ابن عطية لعمرو وهذا وانشده الزمخشري للاعشى وقيل الاوزار هنا
الاثام لان الحرب لا بد ان يكون فيها اثام في احد الجانبين وهذه الغاية قال مجاهد
حتى ينزل عيسى بن مريم وقال قتادة حتى يسلم الجميع وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم
وقال ابن عطية وظاهر اللفظ انها استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان
الحرب بين المومنين والكافرين لا يضع اوزارها فجاء هذا كما تقول انا افعل كذا وكذا
الى يوم القيامة فانما تريد انك تفعله دايما وقال الزمخشري وسميت يعني الات
الحرب من السلاح والكراع اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل
بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب
وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا والظاهر ان ضرب الرقاب وهو القتل
مغيا بشد الوثاق وقت حصول الاثخان وان قوله فاما منا بعد اي بعد الشد واما
فدا حالتان للماسور اما ان يمن عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاطلاق
ثمامة بن اثال الحنفي واما ان يفدي كما روي عنه عليه السلم انه فودي منه رجلان
من الكفار برجل مسلم وهذه الاية معارض ظاهرها لقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فذهب ابن عباس وقتادة وابن جريج والسدي والضحاك ومجاهد
الى انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الاية وان الاسر والمن والفدا مرتفع
فان وقع اسير قتل ولا بد الا ان يسلم وروي نحوه عن ابي بكر الصديق وذهب ابن
عمر وعمر بن عبد العزيز وعطا والحسن الى ان هذه مخصصة لعموم تلك والمن
والفدا ثابت وقال الحسن لا يقتل الاسير الا في الحرب يهيب بذلك على العدو وهو
وذهب اكثر العلما الى ان اهل الكتاب فيهم المن والفدا وعباد الاوثان ليس فيهم الا
القتل فخصصوا من المشركين اهل الكتاب وخصصوا من الكفار عبدة الاوثان صح
واما مذاهب الايمة اليوم فمذهب ابي حنيفة ان الامام مخير في القتل والاسترقاق
ومذهب الشافعي انه مخير في القتل والاسترقاق والفدا والمن ومذهب مالك انه مخير
في واحد من هذه الاربعة وفي ضرب الجزية والظاهر ان قوله واما فدا اجاز فداءه
بالمال وبمن اسر من المسلمين وقال الحسن لا يفدى بالمال وقرا السلمي فشدوا بكسر
الشين والجمهور بالضم والوثاق بفتح الواو وفيه لغة الوثاق وهو اسم لما يوثق
به وانتصب منا وفدا باضمار فعل يقدر من لفظهما اي فاما تمنون منا واما تفدون
فدا وهو فعل يجب اضماره لان المصدر جا تفصيل عاقبة فعامله مما يجب اضماره ونحوه
قول الشاعر

لاجهدن فاما درء واقعة ... تخشى واما بلوغ السول والامل

اي فاما ادرا درءا واقعة واما ابلغ بلوغ السول وقال ابو البقا ويجوز ان يكونا مفعولين
اي اولوهم منا واقبلوا فدا وليس اعرابا نحويا وقرا ابن كثير في رواية شبل واما فدى
بالقصر قال ابو حاتم لا يجوز قصره لانه مصدر فاديته وهذا ليس بشي فقد حكى الفرا
فيه اربع لغات فداء لك بالمد والاعراب وفداء لك بالكسر والبناء والتنوين وفدى لك
بالقصر وفدي لك والظاهر من قوله فاما منا المن بالاطلاق كما من الرسول عليه السلم
على ثمامة وعلى ابي عزة الجمحي وفي كتاب الزمخشري كما من على ابي عروة الحجبي واثال الحنفي
فغير الكنية والاسم ولعل ذلك من الناسخ لا في اصل التصنيف وقيل يجوز ان يراد بالمن
اي يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلو لقبولهم الجزية وكونهم من اهل

الوقت والظاهر ان قوله حتى تضع الحرب اوزارها غاية لقوله فشدوا الوثاق لانه
تدغيا نضرب الرقاب بشد الوثاق وقت الاثخان فلا يمكن ان يغيا بغاية اخرى لتدافع
الغايتين الا ان كانت الثانية مبنية للاولى ومؤكدة فيجوز لان شد الوثاق للاسرى
لا يكون الا حتى تضع الحرب اوزارها اذا فسرنا ذلك بانتفاء شوكة الكفار الملاقين اذ ذاك
ويكون الحرب المراد بها التي تكون وقت لقاء المومنين للكفار ويجوز ان يكون المغيا
محذوفا يدل عليه المعنى التقدير الحكم ذلك حتى تضع الحرب اوزارها اي لا يبقى شوكة
لهم او كما قال ابن عطية انه استعارة بمعنى الى يوم القيامة اي اصنعوا ذلك
دايما وقال الزمخشري فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان يتعلق بالضرب
والشد او بالمن والفدا فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون
على ذلك ابدا الى ان يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا
نزل عيسى بن مريم وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم
يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة
للمشركين واذا علق بالمن والفدا فالمعنى انهم يمن عليهم ويفادون حتى يضع
حرب بدر اوزارها الا ان يتناول المن والفدا فالمعنى انهم يمن عليهم يعني يتناول
المن بان يتركوا من القتل ويسترقوا او بالتخلية بضرب الجزية بكونهم من اهل الذمة
وبالفدا ان يفادى باسارى المشركين اسارى المسلمين وقد رواه الطحاوي مذهبا
لابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداهم لا بمال ولا غيره خيفة ان يعودوا حربا
للمسلمين ذلك اي الامر ذلك اذا فعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم اي لانتقم منهم
ببعض اسباب الهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موتة جارف ولكن ليبلو
اي ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم وهم المومنون اي يختبرهم ببعض وهم الكافرون
بان يجاهدوا ويصبروا والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض
ما وجب لهم من العذاب وقرا الجمهور قاتلوا والجحدري بخلاف عنه قتلوا بفتح
القاف والتاء بغير الف وقتادة والاعرج والاعمش وابو عمرو وحفص قتلوا
مبنيا للمفعول والتاء خفيفة وزيد بن ثابت والحسن وابو رجاء وعيسى والجحدري
ايضا كذلك وشدد التاء وقرا علي فلن يضل مبنيا للمفعول اعمالهم رفع وقري يضل
بفتح الياء من ضل اعمالهم رفع سيهديهم اي الى طريق الجنة وقال مجاهد يهتدي اهل
الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون
عليها وروى عياض عن ابي عمرو ويدخلهم ويوم يجمعكم ليوم الجمع وانما نطعمكم
يسكون لام الكلمة عرفها لهم عن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا
يمشي بين يديه فيعرفه كل شي اعطاه الله وقال ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة
معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفي الحديث لاحدكم بمنزله
في الجنة اعرف منه بمنزله في الدنيا وقيل سماها لهم ورسمها كل منزل بصاحبه وهذا
نحو من التعريف يقال عرف الدار وارفها اي حددها فالجنة كل احد مفرزة عن غيرها
والعرف والارف الحدود وقيل شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من الاعراف
التي هي الجبال وما اشبهها وقال مورج وغيره طيبها ماخوذ من العرف ومنه
طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل ان تنصروا الله
اي دينه ينصركم اي على اعدايكم بخلق القوة فيكم والجرأة وغير ذلك من المعارف
ويثبت اقدامكم اي في مواطن الحرب او على محجة الاسلام وقرا الجمهور ويثبت مشددا
والمفضل عن عاصم مخففا فتعسا لهم قال ابن عباس بعدا لهم وابن جريج والسدي
حزنا لهم والحسن شتما وابن زيد شقا والضحاك رغما وحكى النقاش قبحا والذين
كفروا مبتدا والفاء داخلة في خبر المبتدا وتقديره فتعسهم الله تعسا فتعسا منصوب
بفعل مضمر ولذلك عطف عليه الفعل في قوله واضل اعمالهم ويجوز ان يكون الذين
منصوبا على اضمار فعل يفسره قوله فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له وقال

الزمخشري فان قلت على م عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب
تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له انتهى
واضمار ما هو من لفظ المصدر اولى لان فيه دلالة على ما حذف وقال ابن عباس يريد
في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار انتهى وفي قوله فتعسا لهم ادعاء هلاكا
زيادة تقوية لقلوب المومنين اذ جعل لهم التثبيت وللكفار الهلاك والعثرة
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله يشمل ما انزل من القران في بيان التوحيد وذكر
البعث والفرايض والحدود وغير ذلك مما تضمنه القران فاحبط اعمالهم
اي جعلها من الاعمال التي لا تزكو ولا يعتد بها دمر الله عليهم اي افسد عليهم ما اختص بهم
من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها اي امثال تلك العاقبة
او التدميرة التي يدل عليها دمر او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله عز وعلا
سنة الله في الذين خلوا والوجه الاول هو الراجح لكون العاقبة منطوقا بها فعاد
الضمير على الملفوظ به وما بعده مقول منقول ذلك بان ابتدا او خبر والاشارة بذلك
الى النصر في اختيار جماعة والى الهلاك لما قال وللكافرين امثالها قال ذلك الهلاك
الذي حصل للكفار بايدي المومنين بسبب ان الله مولاهم اي ناصرهم ومويدهم وان
الكافرين لا ناصر لهم ان اتخذوا الهة لا تنفع ولا تضر وتركوا عبادة من ينفع ويضر
وهو الله تعالى قال قتادة نزلت هذه الاية يوم احد ومنها انتزع رسول الله صلى الله
عليه وسلم رده على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم حين قال
المشركون ان لنا عزى ولا عزى لكم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار
مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر
لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواهم مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اوليك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواهم
والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة فقد جا اشراطها فانى لهم اذا جاتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم يتمتعون اي ينتفعون
بمتاع الدنيا اياما قلايل وياكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها
ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والكاف في موضع نصب اما على الحال
من ضمير المصدر كما يقول س اي ياكلونه اي الاكل مشبها اكل الانعام واما على انه نعت
لمصدر محذوف كما تقول اكثر المعربين اي اكلا مثل ما ياكل الانعام والمعنى ان اكلهم
مجرد من الفكر والنظر كما تقول للجاهل تعيش كما تعيش البهيمة لا تريد التشبيه في مطلق
العيش ولكن في لازمه والنار مثوى لهم اي موضع اقامة ثم ضرب تعالى مثلا لمكة بالقرى
المهلكة على عظمها كقرية عاد وغيرهم والمراد اهلها ولذلك عاد الضمير على ذلك المراد
في قوله اهلكناهم ومعنى اخرجتك اي اهلكنا واسند الاخراج اليها مجازا والمعنى كانوا
سبب خروجك وذلك وقت هجرته عليه السلام الى المدينة وكما جا في حديث ورقة بن نوفل
ياليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم وقال ابن عطية ونسب الاخراج
الى القرية حملا على اللفظ وقال اهلكناهم حملا على المعنى انتهى وظاهر هذا الكلام لا يصح
لان الضمير في اهلكناهم ليس عايدا على المضاف الى القرية التي اسند اليها الاخراج بل
الى اهل القرية في قوله وكاين من قرية وهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على
المعنى اي ان يكون في مدلول واحد وكان يبقى كاين مهملا غير محدث عنه بشي الا ان يتحمل
ان اشد خبر عن كاين والظاهر انه في موضع الصفة وفلا ناصر لهم يعني وقت اهلاكهم

كانه قال فهم لاينصرون اذ ذاك وقال ابن عباس لما اخرج من مكة الى الغار التفت الى
مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله وانت احب بلاد الله الى فلوان المشركين لم يخرجوني
لم اخرج منك فاعدا الاعدا من عدا على الله في حرمه او قتل غير قاتله وقيل بدخول الجاهلية
قال فانزل الله تعالى وكاين من قرية الاية وقد تقدم اول السورة عن ابن عباس
خلاف هذا القول افمن كان على بينة من ربه استفهام توقيف وتقرير على كل شي متفق عليه
وهي معادلة بين هذين الفريقين قال قتادة والاشارة الى الرسول والى كفار قريش
انتهى واللفظ عام لاهل الصفتين ومعنى على بينة على حجة واضحة وهو القران المعجز
وسائر المعجزات كمن زين له سوء عمله وهو الشرك والكفر بالله وعبادة غيره واتبعوا
اهواءهم اي شهوات انفسهم ممن لايكون بينة فعبد واغير خالقهم والضمير في واتبعوا
عايد على معنى من وقري امن كان بغير فا مثل الجنة اي صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء
قال النضر بن سهيل كانه قال صفة الجنة وهو ما تسمعون انتهى فما تسمعون الخبر وفيها
انهار تفسير لتلك الصفة فهو استيناف اخبار عن تلك الصفة وقال س فيما يتلى عليكم
مثل الجنة فقدر الخبر المحذوف متقدما ثم فسر ذلك الذي يتلى وقال ابن عطية وفي الكلام
حذف يقتضيه الظاهر كانه قال مثل الجنة ظاهر في نفس من وعى هذه الاوصاف
وكان ابن عطية قد قال قبل هذا ويظهر ان القصد بالتمثيل هو الى الشي الذي يتخيله المرء
عند سماعه فيها كذا فانه يتصور عند ذلك بقاعا على هذه الصورة وذلك هو مثل الجنة
قال وعلى هذه التاويلات يعني قول النضر وقول سيبويه وما قاله هو يكون قبل قوله كمن هو
خالد في النار حذف تقديره اساكن او اهولا اشارة الى المتقين قيل ويحتمل عندي ان
يكون الحذف في صدر هذه الاية لانه قال امثل اهل الجنة وهي بهذه الاوصاف
كمن هو خالد ويكون مثل مستفهما عنه بغير الف الاستفهام فالمعنى امثل اهل الجنة وهي
بهذه الاوصاف كمن هو خالد في النار ويجي قوله فيها انهار في موضع الحال على هذا التاويل
انتهى ولم يذكر الزمخشري غير هذا التوجه قال ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان
وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد في النار وقوله فيها انهار في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى
الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف وهي فيها انهار كان قايلا
قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وقال
الزمخشري ايضا فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار وقال
كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي والانكار لانطوايه
تحت كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل
جزا من هو خالد في النار فان قلت لم عدي من حرف الانكار وما فايدة التعدية قلت
تعديته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة
والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها الانهار
وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القايل

افرح ان ارزا الكرام وان • اورث ذودا شصايصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعديه حرف الانكار لانطوايه تحت
حكم من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة
ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال نعم مثلي يفرح بمرزية الكرام وبان يستبدل منهم
ذودا يقل طايله وهو من التسليم الذي تحت كل انكار انتهى وتلخص من هذا ان تنافي
على اعراب مثل الجنة مبتدا واختلفوا في الخبر فقيل هو مذكور وهو كمن هو خالد في النار
وقيل محذوف فقيل مقدر قبله وهو قول س وقيل بعده وهو قول النضر وابن عطية هو
على اختلاف التقدير ولما بين الفرق بين الفريقين في الاهتدا والضلال بين الفرق
بينهما فيما يوول اليه وكما قدم من على بينة على من اتبع هواه قدم حاله على حاله
وقرا ابن كثير واهل مكة اسن على وزن فاعل من اسن بفتح السين وقري غير يسير بالياء

قال ابو علي وذلك على تخفيف الهمزة بتغييرها وقوله لذة للشاربين لذة تانيث لذ وهو اللذيذ او مصدر
نعت به فالجمهور بالجر على انه صفة لخمر وقري بالرفع صفة لانهار وبالنصب اي لاجل
لذة فهو مفعول له من عسل مصفى قال ابن عباس لم يخرج من بطون النحل فيخالطه
الشمع وغيره ووصفه بمصفى لان الغالب على العسل التذكير وهو مما يذكر ويونث
وعن كعب ان النيل ودجلة والفرات وسيحان وجيحان تكون هذه الانهار في الجنة واختلف
في تعيين كل منها ما ذا يكون منها والذي من هذه الانهار بالماء وهو الذي لايستغنى
عنه في المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعوم في كثير من اوقات العرب
وغيرهم ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعوم تشوقت النفس الى ما تلتذ به ثم
بالعسل لان فيه الشفا في الدنيا مما تعرض من المشروب والمطعوم فهو متاخر في الهيئة
ولهم فيها من كل الثمرات وقيل المبتدا محذوف اي انواع من كل الثمرات وقدره بعضهم
بقوله زوجان ومغفرة من ربهم لان المغفرة قبل دخول الجنة او على حذف اي ونعيم
مغفرة اذ المغفرة سبب التنعيم وسقوا عايد على معنى من وهو خالد على اللفظ
وكذا اخرجوا عاد على معنى من يستمع كان المنافقون يحضرون عند الرسول
ويستمعون كلامه وتلاوته فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم وهم السامعون
كلام الرسول حقيقة الواعون له ماذا قال انفا الساعة وذلك على سبيل الهزو
والاستخفاف اي لم نفهم ما يقول ولم ندري ما نفع ذلك وممن يسالونه ابن مسعود
وانفا حال اي مبتديا اي ما القول الذي ائتنفه قبل انفصالنا عنه وقرا الجمهور
انفا على وزن فاعل وابن كثير على وزن فعل وقال الزمخشري نصب على الظرف
انتهى وقال ذلك لانه فسره بقوله الساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون انفا
معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى والصحيح انه ليس
بظرف ولا نعلم احدا من النحاة عده في الظروف والضمير في زادهم عايد على الله كما
الظاهر في قوله طبع الله اي زادهم بطبعهم وكما هو في واتاهم والزيادة في هذا المعنى
تكون بزيادة التفهيم والادلة او بورود الشرع بالامر والنهي والاخبار فيزيد
المهتدي لزيادة علم بذلك كله والايمان به وقيل ويحتمل ان يعود على قول المنافقين
واضطرابهم لان ذلك مما يجب به المومن ويحمد الله على ايمانه ويزيد بصيرة
في دينه وقيل يعود على قول الرسول واتاهم تقواهم اي اعطاهم اي جعلهم متقين
له فتقواهم مصدر مضاف للفاعل ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة والضمير للمنافقين
اي الامر الواقع في نفسه انتظار الساعة كانوا هم في انفسهم ينتظرون وغير ذلك
لما في انفسهم غير مراعى لانه باطل وقرا ابو جعفر الرواسي عن اهل مكة ان تاتهم على
الشرط وجوابه فقد جا اشراطها وهو غير مشكوك فيه لانها لا محالة تكون فخوطبوا بما كانوا
عليه من الشك ومعناه ان شككتم في اتيانها فقد جا اعلامها فالشك راجع الى المخاطبين
الشاكين وقال الزمخشري فان قلت فما جزا الشرط قلت قوله فاني لهم ومعناه ان تاتهم
الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاتهم الساعة يعني لاتنفعهم الذكرى
حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جا
اشراطها على القراتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني
زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه وقرا الجمهور وهرون عن ابي عمرو بغتة بفتح الغين
وشد التا قال صاحب اللوامح وهي صفة وانتصابها على الحال لانظير لها في المصادر
ولا في الصفات بل في الاسما نحو الجربة ومواسم جماعة والسربة مكانا انتهى وكذا قال
ابو العباس ابن الحاج من اصحاب الاستاذ ابي علي الشلوبين في كتاب المصادر على ابي عمرو
ان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم انتهى
وهذا على عادته في تغليط الرواية فقد جا اشراطها اي علاماتها فينبغي الاستعداد لها
ومن اشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو خاتم الانبيا وروي
عنه انه قال انا من اشراط الساعة وقال بعثت انا والساعة كهاتين وكفرسي رهان

وقيل منها الدخان وانشقاق القمر وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور
وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم الظاهر ان المعنى
فكيف لهم الذكرى والعمل بها اذا جاءتهم الساعة اي قد فاتهم ذلك وقيل يحتمل ان يكون
المبتدا محذوفا اي فاني لهم الخلاص اذا جاءتهم الذكرى بما كانوا يخبرون به فيكذبون
به من مواصلة بالعذاب ثم اضرب عن ذلك المنافقين وقال فاعلم انه لا اله الا الله والمعنى
دم على علمك بتوحيد الله واحتج بهذا على قول من قال اول الواجبات العلم والنظر قبل القول
والاقرار وفي الاية ما يدل على التواضع وهضم النفس اذ امره بالاستغفار ومع غيره
بالاستغفار لهم متقلبكم يصرفكم في حياتكم الدنيا ومثواكم اقامتكم في قبوركم وفي اخرتكم
وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم اقامتكم في الارض وقال
الطبري وغيره متقلبكم تصرفكم في يقظتكم ومثواكم منامكم وقيل متقلبكم في معايشكم ومتاجركم
ومثواكم حيث تستقرون من منازلكم وقيل متقلبكم بالتا وابن عباس بالنون ويقول الذين
امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين
في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة
وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ان
الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم
واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر
والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم كان المومنون
حريصين على ظهور الاسلام وعلو كلمته وتمني قتال العدو وكانوا يستانسون
بالوحي ويستوحشون اذا ابطا والله تعالى قد جعل ذلك ناما ومفروضا لا
بتعدي فمدح تعالى المومنين بطلبهم انزال سورة والمعنى يتضمنوا امرا بمجا
هدة العدو ووضح امر المنافقين والظاهر انه ظاهر في ذلك مم خلص في ايمانهم
ولذلك قال بعد رايت الذين في قلوبهم مرض وقال الزمخشري
كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت
سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق
عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون انتهى وفيه تخويف لما يدل عليه لفظ القران ولولا بمعنى هلا وعن
ابي مالك لا زائدة والتقدير لو نزلت وهذا ليس بشي وقري فاذا نزلت وقرا
زيد بن علي سورة محكمة بنصبهما ومرفوع نزلت بضم وسورة نصب على الحال
وقراهو وابن عمير وذكر مبنيا للفاعل اي الله فيها القتال نصب والجمهور برفع
سورة محكمة على انه مفعول لم يسم فاعله وبنا وذكر للمفعول والقتال رفع به واحكامها
كونها لا تنسخ قال قتادة كل سورة فيها القتال فهي محكمة من القران لا بخصوصية
هذه الاية وذلك ان القتال نسخ ما كان من المهادنة والصلح وهو غير منسوخ
الى يوم القيامة وقيل محكمة بالحلال والحرام وقيل محكمة اريدت مدلولات
الفاظها على الحقيقة دون المتشابه الذي به المجاز كقوله على العرش استوى
في جنب الله فضرب الرقاب رايت الذين في قلوبهم مرض هو استعارة
لفساد المعتقد من مرض الاجسام ينظرون اليك اي تشخص ابصارهم جبنا
وهلعا نظر المغشي عليه من الموت اي نظرا كما ينظر من اصابته الغشية
من اجل حلول الموت وقيل يفعلون ذلك وهو شخوص البصر الى الرسول
من شدة العداوة وقيل من خشية الفضيحة فانهم ان تخلفوا عن القتال
افتضحوا وبان نفاقهم واولى لهم تقدم شرحه في المفردات وقال قتادة

لانه قال العقاب اولى لهم وقيل واسم المكروه واولى وزنها افعل او افلع على الاختلاف
الاشتقاق الذي ذكرناه في المفردات فعلى قول الجمهور انه اسم يكون مبتدا والخبر
لهم وقيل اولى مبتدا ولهم من صلته وطاعة خبر ولان اللام بمعنى البا كانه قيل
فاولى بهم طاعة ولم يتعرض الزمخشري لاعرابه وانما قال ومعناه الدعا عليهم
بان يليهم المكروه وعلى قول الاصمعي انه فعل يكون فاعله مضمرا يدل عليه المعنى واضمر
لكثرة الاستعمال كانه قال فقارب لهم هو اي الهلاك قال ابن عطية والمشهور من استعمال
العرب انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك
فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القوة فتقول على جهة الزجر والتوعد
اولى لك يا فلان وهذه الاية من هذا الباب ومنه قوله اولى لك فاولى وقول
الصديق للحسن رضي الله عنهما اولى لك انتهى والاكثرون على ان قوله وقول معروف
كلام مستقل محذوف منه احد الجزئين اما الخبر وتقديره امثل وهو قول مجاهد
ومذهب س والخليل واما المبتدا وتقديره الامر او امرنا طاعة اي الامر المرضي
لله طاعة وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة ويشهد له قراءة ابي يقولون
طاعة وقول معروف وقولهم هذا على سبيل الهزء والخديعة وقال قتادة الوقف
على فاولى ولهم طاعة ابتدا وخبر والمعنى ان ذلك منهم على جهة الخديعة وقيل
طاعة صفة لسورة اي ذات طاعة او مطاعة وهذا القول ليس بشي لحيلولة الفصل
الكثير بين الصفة والموصوف فاذا عزم الامر اي جد والعزم الجد وهو لاصحاب
الامر واستعير للامر كما قال تعالى لمن عزم الامور وقال الشاعر
• قد جدت بهم الحرب فجدوا • والظاهر ان جواب اذا قوله فلو صدقوا الله
كما تقول اذا كان الشتا فلو جئتني لكسوتك وقيل الجواب محذوف تقديره فاذا عزم
الامر هو او نحوه قاله قتادة ومن حمل طاعة وقول معروف على انهم يقولون ذلك
خديعة قدره فاذا عزم الامور ناقضوا وتعاصوا وقدره ابو البقاء فاصدق فلو صدقوا الله
فيما زعموا من حرصهم على الجهاد او في ايمانهم وواطات قلوبهم فيه السنتهم او في قلوبهم طاعة
وقول معروف فهل عسيتم التفات للذين في قلوبهم مرض اقبل بالخطاب عليهم على سبيل
التوبيخ وتوقيفهم على سوء مرتكبهم وعسى تقدم ذلك الخلاف في لغتها وفي القراءة فيها
اذا اتصل بها ضمير الخطاب في سورة البقرة واتصال الضمير بها لغة الحجاز وبنو تميم
لا يلحقون بها الضمير وقال ابو عبد الله الرازي وقد ذكروا ان عسى يتصل بها ضمير
الرفع وضمير النصب وانها لا يتصل بها ضمير ثم قال واما قول من قال عسى انت تقوم
وعسى انا اقوم فدون ما ذكرنا لك تطويل الذي فيه انتهى ولا اعلم احدا من نقلة العرب ذلك
انفصال الضمير بعد عسى وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو ان توليتم وقرا الجمهور
ان توليتم ومعناه ان اعرضتم عن القتال فتعودوا الى جاهليتكم او اعرضتم عن الاسلام
قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا
الارحام وعصوا الرحمن يشير الى ما جرى من الفترة بعد زمان الرسول وقال كعب ومحمد بن
كعب وابو العالية والكلبي ان توليتم اي امور الناس من الولاية ويشهد لها قراءة
توليتم مبنيا للمفعول وعلى هذا قيل نزلت في بني هاشم وبني امية وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان توليتم بضم التا والواو وكسر اللام وبها قرا علي واوس اي ان وليتكم
ولاة جور خرجتم الى دنياهم دون امام العدل وعلى معنى ان توليتم بالتعذيب
والتنكيل وافعال العرب في جاهليتها وسيرتها من الغارات والشنات فان كانت ثمرتها
الافساد في الارض وقطيعة الرحم وقيل معناه ان تولاكم الناس وكلكم الله اليهم والاظهر
ان ذلك خطاب للمنافقين في امر القتال وهو الذي سبقت الايات فيه اي ان اعرضتم
عن امتثال امر الله في القتال ان تفسدوا في الارض بعدم معونة اهل الاسلام فاذا لم
تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ويدل على ذلك اولئك الذين لعنهم الله
فالايات كلها في المنافقين وهذا التوقع الذي في عسى ليس منسوبا اليه تعالى لانه عالم

بما كان وما يكون او بما هو بالنسبة لمن عرف المنافقين كانه يقول لهم لنا علم من حيث ضياعهم هل
يتوقع منكم اذا اعرضتم عن القتال او يكون كذا وكذا وقرا الجمهور ان تقطعوا بالتشديد
على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام ويعقوب وابان وعصمة بالتخفيف مضارع قطع
والحسن وتقطعوا بفتح التا والقاف على اسقاط حرف الجر اي في ارحامكم لان تقطع لازم
اوليك اشارة الي المرضي للقلوب فاصمهم عن استماع الموعظة واعمي ابصارهم عن طريق
الهدي وقال الزمخشري لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتي
صموا انتهي وهو علي طريق الاعتزال وجا التركيب فاصمهم ولم يات فاصم اذانهم وجا واعمي
ابصارهم ولم يات واعماهم قيل لان الاذن لو اصيبت بقطع او قلع لسمع الكلام فلم يحتج الي
ذلك الاذن والبصر وهو العين لو اصيبت لا تسمع الابصار فالعين لها مدخل في الروية
والاذن لا مدخل لها في السمع انتهي ولهذا اجاو علي سمعهم وجعل لكم السمع ولم يات وعلي اذانهم
ولا يات وجعل لكم الاذان وحين ذكر الاذن نسب اليه الوقر وهو دون الصمم كما قال
وفي اذاننا وقرا فلا يتدبرون اي يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة
وهو استفهام توبيخي وتوقيفي علي مجازيهم ام علي قلوب اقفالها استعارة للذين منعهم
الايمان وام منقطعة بمعني بل والهمزة للتقرير ولا يستحيل عليهم بان قلوبهم مقفلة
لا يصل اليها ذكر ولم يحتج الي تعريف القلوب لانه معلوم انها قلوب من ذكر ولا حاجة الي
تقدير صفة محذوفة اي ام علي قلوب اقفالها قاسية واضاف الاقفال اليها اي الاقفال
المختصة وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقري اقفالها بكسر الهمزة وهو
مصدر واقفالها بالجمع علي افعل ان الذين ارتدوا علي ادبارهم من بعد ما تبين لهم
الهدي قال قتادة نزلت في قوم من اليهود وكانوا عرفوا امر الرسول من التوراة وتبين
لهم بهذا الوجه فلما باشروا امره حسدوه فارتدوا عن ذلك القدر من الهدي وقال
ابن عباس وغيره نزلت في منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والاية تتناول كل
من دخل في ضمن لفظها وتقدم الكلام علي سوال في سورة يوسف وقال الزمخشري هنا
سوال لهم ركوب العظايم من السول وهو الاسترخا وقد اشتقه من السول من لا علم له
بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهي وقال ابو علي الفارسي بمعني ولاهم من السول وهو الاسترخا والتدلي
وقال غيره رجاهم سولهم وقال ابن بحر اعطاهم سولهم وقال الزمخشري وقد اشتقه الي اخواي ليس يجيد
لانه توهم ان السوال اصله الهمزة واختلفت المادتان او عين سول واو وعين السول همزة والسول
لهما دنات احدهما الهمز من سال يسيل والثانية الواو من سال يسال فاذا كان هكذا فسول يجوز ان يكون
من ذوات الواو ولا من ذوات الهمز وقال صاحب اللوامح والتسويل اصله من الارخا ومنه فدلاهما بغرور
والسول استرخا البطن وقرا زيد بن علي سول لهم اي كيده سول لهم علي تقدير حذف مضاف وقرا الجمهور
واملي لهم مبنيا للفاعل والظاهر انه يعود علي الشيطان وقال الحسن وجعل وعده الكاذب بالبقا لا ابقا والابقا هو البقا
ملاوة من الدهر يمدلهم في الامال والاماني قيل ويحتمل ان يكون فاعل املي ضمير يعود علي الله قيل وهو الارجح لان
حقيقة الاملا انما هو من الله تعالي وقرا ابن سيرين والجحدري وشيبة وابو عمرو وعيسي واملي مبنيا للمفعول
اي امهلوا ومد وافي عمرهم وقرا مجاهد وابن هرمز والاعمش وسلام ويعقوب واملي بهمزة المتكلم مضارع املي اي وانا املي لهم
كقوله انما نملي لهم ويجوز ان يكون ماضيا سكنت منه اليا كما تقول في بقي بسكون اليا قال ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل
الله وروي ان قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في امر الرسول والخلاف عليه بنصره وهو ان زندوذلك
قوله سنطيعكم في بعض الامر وقيل الضمير في قالوا للمنافقين والذين كرهوا ما نزل الله هم قريظة والنضير وبعض الامر
التكذيب بالرسول او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول الفريقين اليهود والمنافقين للمشركين
سنطيعكم في التكاثر علي عداوة الرسول والقعود عن الجهاد معه وتعين في بعض الامر في بعض ما يامرون به او في بعض
الذي يهمكم وقرا الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وكانت اسرارهم كثيرة وابن وثاب وطلحة والاعمش وعيسي وحمزة والكساي
وحفص بكسرها وهو مصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم وافشاه الله عليهم وقال ابو عبد الله الرازي الاظهر ان يقال
والله يعلم اسرارهم ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا معاندين مكابرين وكانوا يعرفون رسول
الله صلي الله عليه وسلم كما يعرفون ابناهم فكيف اذا توفتهم الملايكة تقدم شرح الذين في قلوبهم مرض وبلغهم لاجل القتال
وتقدم قول المرتدين وما يلحقهم في ذلك من جزايهم علي طواعيتهم الكاذبين ما انزل الله وتقدم والله يعلم اسرارهم

فما هذا الاستفهام الذي معناه التوقيف عقيب هذه الاشيا فكيف اذا توفتهم الملايكة وقيل فكيف يكون حالهم مع الله
فيما ارتكبوه من ذلك القول وقرا الاعمش توفاهم بالف بدلا التا فاحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا حذفت منه التا والظاهر
ان وقت التوفي هو عند الموت وقال ابن عباس لا يتوفي احد علي معصية الا تضرب الملايكة في وجهه وفي دبره والملايكة
ملك الموت والمصرفون معه وقيل هو وقت القتال نصرة للرسول بضرب وجوههم ان يثبتوا وادبارهم ان هزموا
ذلك اي ذلك الضرب للوجوه والادبار بانهم اتبعوا ما اسخط الله وهو الكفر وكرهوا رضوانه وهو الايمان
بالله واتباع دينه ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشا لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم
في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدي لن يضروا الله شيا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم فلا تهنوا وتدعوا الي السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تومنوا
وتتقوا يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هولا تدعون لتنفقوا
في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقرا وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم
لا يكونوا امثالكم اخراج اضغانهم وهو حقودها ابرازها للرسول والمومنين والظاهر انها من روية البصر لعطف
العرفان عليه وهو معرفة القلب واتصل الضمير في اريناكهم وهو الافصح وان كان يجوز الانفصال وفي هاتين
الجملتين تقريب لشهرتهم لكنه لم يعينهم باسماعهم ابقا عليهم وعلي قراباتهم واكتفا منهم بما يتظاهرون به من اتباع
الشرع ولتعرفنهم في لحن القول كانوا يصطلحون فيما بينهم من الفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره حسن ويعنون
به القبيح وكانوا ايضا يصورون منهم الكلام يشعر بالاتباع وهم بخلاف ذلك كقولهم عند النصر انا كنا معكم وغير ذلك
كقولهم لين رجعنا الي المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة والظاهر الارادة والمعرفة بالسيما وجود المعرفة في المستقبل
بلحن القول واللام في فلتعرفنهم هي الداخلة علي جواب لو لان المعطوف علي الجواب جواب وفي ولتعرفنهم لام جواب
القسم المحذوف والله يعلم اعمالكم خطاب عام يشمل المومن والكافر وقيل خطاب للمومنين وقرا الجمهور ولنبلونكم
حتي نعلم المجاهدين منكم ونبلو بالنون وبالتا وابو بكر باليا فيهن ونبلو باسكان الواو وبالنون والاعمش باسكانها
وباليا وذلك علي القطع اعلاما بان ابتلاه دايم ومعني حتي نعلم المجاهدين اي نعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم
الي الوجود وبان مسكهم الذي يتعلق به ثوابهم ان الذين كفروا اناس من بني اسرايل وتبين هداهم معرفتهم
بالرسول من التوراة او منافقون كان الايمان قد داخل قلوبهم ثم نافقوا والمطعمون سفرة بدر وتبين الهدي
وجوده عند الداعي اليه او ساعة في كل كافر وتبين الهدي من حيث كان في نفسه اقوال وسيحبط اعمالهم
اي التي كانوا يرجون بها انتفاعا واعمالهم التي كانوا يكيدون الرسول ودين الاسلام يا ايها الذين امنوا
قيل نزلت في بني اسرايل اسلموا وقالوا لرسول الله قد اثرناك وجيناك بنفوسنا واهلنا كانهم منوا بذلك
فنزلت فيهم هذه وقوله تعالي يمنون عليك ان اسلموا فعلي هذا يكون ولا تبطلوا اعمالكم بالمن والاسلام
وعن ابن عباس بالريا والسمعة وعنه بالشرك والنفاق وعن حذيفة بالكباير وقيل بالعجب فانه ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وعن مقاتل بعصيانكم للرسول وقيل اعمالكم صدقاتكم بالمن والاذي وماتوا وهم كفار
عام في الموجب لانتفا الغفران ووفاتهم علي الكفر وقيل هم اهل القليب وقيل نزلت بسبب عدي بن حاتم رضي
الله عنه سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ابيه قال لانت له افعال بر فما حاله فقال في النار فبكي عدي
وولي فدعاه فقال له ابي وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن في النار ونزلت فلا تهنوا وتدعوا الي السلم
وهو الصلح وقرا الجمهور وتدعوا مضارع دعا والسلمي بتشديد الدال اي تفتروا والجمهور الي السلم
بفتح السين والحسن وابو رجا والاعمش وعيسي وطلحة وحمزة وابو بكر بكسرها وتقدم الكلام علي
السلم في البقرة في قوله ادخلوا في السلم كافة وقال الزمخشري وقري ولا تدعوا من ادعي القوم وتداعوا
اذا ادعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا انتهي والتلاوة بغير لا وكان يجب ان ياتي بلفظ التلاوة
فيقول وقري وتدعوا وتدعوا معطوف علي تهنوا فهو مجزوم ويجوز ان يكون مجزوما باضمار ان وانتم
الاعلون اي الاغلبون وهذه الجملة حالية وكذا والله معكم ويجوز ان يكون جملتي استيناف اخبرا انتم
الاعلون فهو اخبار بمغيب ابرزه الوجود ثم ارتقي الي رتبة اعلي من التي قبلها وهي كون الله تعالي معهم ولن
يتركم قال ابن عباس ولن يظلمكم وقيل لن يفردكم من ثواب اعمالكم وقيل ولن ينقصكم وقال الزمخشري
وقاله قبله ابو عبيد والمبرد ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم
او قريبة او ذهبت بماله قال وهو حقيقته افردته عن قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه

اضاعه عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوا تر ومو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ومو تحقير لامر الدنيا اي فلا تهنوا في الجهاد واخبر عنها بذلك باعتبار ما يختص بها من ذلك واما ما فيها من الطاعة وامر الاخرة فليس بذلك يوتكم اجوركم اي ثواب اعمالكم من الايمان والتقوى ولا يسألكم اموالكم قال سفيان بن عيينة اي كثيرا من اموالكم انما يسألكم ربع العشر فطيبوا انفسكم وقيل لحاجة اليها بل يرجع ثواب انفاقكم اليكم وقيل انما يسألكم امواله لانه هو المالك لها حقيقة وهو المنعم باعطائها وقيل الضمير في يسألكم للرسول اي لا يسألكم اجرا على تبليغ الرسالة كما قال قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان يسألكموها اي جميعها فيحفكم اي يبالغ في الالحاح وتبخلوا ويخرج اضغانكم اي تطعنون على الرسول وتضيق صدوركم كذلك ويخفون دينا يذهب باموالكم وقرا الجمهور ويخرج اضغانكم جزما على جواب الشرط والفعل مسندا الى الله او الى الرسول او الى البخل وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو ويخرج بالرفع على الاستيناف بمعنى ومو يخرج وحكاها ابو حاتم عن عيسى وفي اللوامح عن عبد الوارث عن ابي عمرو وتخرج بالتاء وفتحها وضم الراء والجيم اضغانكم بالرفع بمعنى ومو يخرج او سيخرج اضغانكم رفع بفعله وقرا ابن عباس ومجاهد وابن سيرين وابن محيصن وايوب بن المتوكل واليماني وتخرج بتاء التانيث مفتوحة اضغانكم رفع به ويعقوب ونخرج بالنون اضغانكم نصبا ومي مروية عن عيسى الا انه فتح الجيم باضمار ان قالوا او عاطفة على مصدر متوهم اي يكف بخلكم واخراج اضغانكم وهذا الذي خيف ان يعتري المومنين هو الذي تقرب به محمد بن مسلمة الى كعب بن الاشرف وتوصل به الى قتله حين قال له ان هذا الرجل قد اكثر علينا وطلب منا الاموال ها انتم هو لا كررها التشبيهة توكيدا وتقدم الكلام على مذهب التركيب في سورة ال عمران وقال الزمخشري هولا موصولا بمعنى الذي صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولا الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله انتهى وكون هولا موصولا الا اذا تقدمها ما الاستفهامية باتفاق او من الاستفهامية باختلاف في سبيل الله قيل الغزو وقيل الزكاة واللفظ اعم ومن يبخل اي بالصدقة وما اوجب الله عليه فانما يبخل عن نفسه اي لا يتعدى ضرره لغيره وبخل يتعدى بعلى وبعن يقال بخلت عليه وعنه وصليت عليه وعنه وكانهما اذا عديا بعن ضمنا معنى الامساك لانه قيل امسكت عنه بالبخل والله الغني وانتم الفقراء وقرا ان الغنى مطلقا اذ يستحيل عليه الحاجات وانتم الفقراء مطلقا لافتقاركم الى ما تحتاجون اليه في الدنيا والى الثواب في الاخرة وان تتولوا عطف وان تومنوا وتتقوا اي وان تتولوا اي عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم اي يخلق قوما غيركم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كما قال ويات بخلق جديد وتعيين اوليك القوم وانهم الانصار والتابعون او اهل اليمن او كندة والنخع او العجم او فارس والروم او الملايكة اقوال والخطاب لقريش ولاهل المدينة قولان وروي ابو هريرة انه عليه السلام سيل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وان صح هذا الحديث وجب المصير في تعيين ما انهم من قوله قوما غيركم الى تعيين الرسول ثم لا يكونوا امثالكم اي في الخلاف والتولي والبخل والله تعالى اعلم ظفر بالشي غلب عليه واظفره غلبه المعرة المكروه والمشقة الملاصقة ماخوذ من العر والعرة ومو الجرب الصعب اللازم الشطء الفراخ اشطا الزرع افرخ والشجرة اخرجت غصونها ازره ساوى طولا قال الشاعر

بمحنية قد ازر الضال نبتها • مجر جيوش غانمين وخيب •

اي ساوى نبتها الضال طولا ومو شجر ووزنه افعل كقوله

في المضارع يوزر

سورة الفتح وهي ... ايات

سورة الفتح مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا • هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما • ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما • ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دايرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا • ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما • انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا • ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيوتيه اجرا عظيما •

هذه السورة مدنية وعن ابن عباس انها نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزلت والصحيح انها نزلت بالطريق مصرفه صلى الله عليه وسلم من الحديبية سنة ست من الهجرة فهي تعد في المدني ومناسبتها لما قبلها انه تقدم وان تتولوا الاية وهي خطاب لكفار قريش اخبر رسوله بالفتح العظيم وانه عند الفتح حصل الاستبدال وامن كل من كان بها وصارت مكة دار ايمان ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية تكلم المنافقون وقالوا لو كان محمد نبيا ودينه حقا ما صد عن البيت ولكان فتح مكة فاكذبهم الله عز وجل تعالى واضاف عز وجل الفتح الى نفسه اشعارا بانه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد واكده بالمصدر ووصف بانه مبين مظهر لما تضمنه من النصر والتاييد والظهور ان هذا الفتح هو فتح مكة وقال الكلبي وجماعة وهو المناسب لاخر السورة التي قبل هذه لما قال ها انتم هولاء الاية بين انه فتح مكة لهم وغنموا وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم وايضا قال وانتم الاعلون والله معكم بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلين لما قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم كان فتح مكة حيث لم يلحقهم وهن ولا دعوا الى صلح بل اتى صناديد قريش مستامنين مستسلمين مسلمين وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي وان كان لم يقع لان اخباره تعالى بذلك لا بد من وقوعه وكون هذا الفتح هو فتح مكة بدا به الزمخشري وقال الجمهور هو فتح الحديبية وقاله الشعبي والزهري قال ابن عطية وهو الصحيح انتهى ولم يكن فيه قتال شديد ومن ترام من القوم بحجارة وسهام وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح قال الشعبي بلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس واطعموا نخل خيبر وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من فتح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام من قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال القرطبي فما مضت تلك السنون الا والمسلمون قد جاؤوا الى مكة في عشرة الاف وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم من الحديبية ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالونكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وراوا منكم ما كرهوا وكان في فتحها اية عظيمة وذلك انها نزح ماوها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماوها بعد وقال الزمخشري.

قلت فان **قلت** كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا انتهى وفي هذا الوقت اتفقت بيعة الرضوان وهو الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وبه استقبل فتح خيبر وامتلات ابدي المومنين خيرا ولم يفتحها الا اهل الحديبية ولم يشركهم احد فلما انصرفنا اذ الناس يهزون الاباعر فقيل ما بال الناس قال اوحي الله للنبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك

فتحا مبينا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت
خيبر على اهل الحديبية ولم يدخل فيها احد الا من شهد الحديبية وقال الضحاك الفتح حصول المقصود
بغير قتال وكان الصلح من الفتح وفتح مكة بغير قتال فتناول الفتحين الحديبية ومكة وقيل
فتح الله تعالى له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه وهو اعظم الفتوح كلها
اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان
تدخلها انت واصحابك من قابل ليطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة قال
الزمخشري **فان قلت** كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة **قلت** لم يجعل علة
للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين
واغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسببا للغفران
والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر فاذا ظفر
به وحصل في اليد فقد فتح انتهى وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك لكن يجعل ذلك علامة
لغفرانه لك فكانها لام صيرورة ولهذا قال عليه السلام لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي
من الدنيا انتهى وقال صاحب العنيان هي لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل تشبيها بلام
كي انتهى ورد بان لام القسم لا تكسر ولا تنصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد في معنى ليقومن زيد
انتهى اما الكسر فقد علل بانه شبهت تشبيها بلام كي واما النصب فله ان يقول ليس هذا نصبا لكنها
الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف وبعد هذا فهذا القول ليس بشي
اذ لا يحفظ من لسانهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا
ويتم نعمته عليك باظهارك على عدوك ورضاه عنك وبفتح مكة والطايف وخيبر نصرا عزيزا اي
بالظفر والتمكن من الاعداء بالغنيمة والاسر والقتل نصرا فيه عز ومنعة واسندت العزة اليه مجازا
والعزيز حقيقة هو المنصور صلى الله عليه وسلم واعيد لفظ الله في وينصرك الله لما بعد عن ما عطف
عليه اذ في الجملتين قبله ضمير يعود على الله وليكون المبدا مسندا الى الاسم والمنتهى كذلك ولما كان
الغفران واتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في اطلاقها الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره
بقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وقوله يهدي من يشاء وقوله وانهم لهم المنصورون ولان الفتح لم يبق لاحد الا للرسول صلى الله
عليه وسلم اسنده تعالى الى نون العظمة تفخيما لشانه واسند تلك الاشياء الاربعة الى الاسم الظاهر
واشركت الخمسة في الخطاب له عليه الصلاة والسلام تانيسا له وتعظيما لشانه ولم يات بالاسم الظاهر
لان في الاقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر وهو الذي انزل السكينة وهي الطمانينة والسكون
قيل بسبب الصلح والامن فيعرفون فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة بعد القتال
فيزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكينة اشارة الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرايع
ليزدادوا ايمانا بها الى ايمانهم وهو التوحيد روي معناه عن ابن عباس وقيل الوقار والعظمة به ولرسوله
وقيل الرحمة ليتراحموا وقال ابن عباس ولله جنود السموات والارض اشارة الى تسليم الاشياء اليه
تعالى ينصر من يشاء على اي وجه شاء ومن جنده السكينة ثبتت قلوب المومنين ليدخل هذه اللام
تتعلق قيل بانا فتحنا لك وقيل بقوله ليزدادوا فان قيل ويعذب عطف عليه والازدياد لا يكون سببا
لتعذيب الكفار **اجيب** عن هذا بانه ذكر لكونه مقصودا للمومن كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان
يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بايديكم في الدنيا وقيل بقوله وينصرك الله اي بالمومنين وهذه
الاقوال وفيها بعد وقال الزمخشري ولله جنود السموات والارض ليسلط بعضها على
بعض لا يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان صلح قلوب المومنين بصلح الحديبية وان وعدهم
ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المومنون نعمة الله ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب
الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه انتهى ولا يظهر من كلامه هذا ما تتعلق به اللام
والذي يظهر انها تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام وذلك انه قال ولله جنود السموات والارض
كان في ذلك دليل على انه تعالى يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من قضى له بالخير والشر من
قضى له بالشر ليدخل المومنين جنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق بيبتلي هذه وما تعلق بالابتلاء

من قبول

من قبول الايمان والكفر ويكفر معطوف على ليدخل وهو ترتيب في الذكر لا ترتيب في الوقوع وكان
التبشير بدخول الجنة اهم فبدا به ولما كان المنافقون اكثر ضررا على المسلمين من المشركين بدي
بذكرهم في التعذيب الظانين بالله ظن السوء الظاهر انه مصدر اضيف الى ما يسوء المومنين
وهو ان المشركين يستاصلونهم ولا ينصرون ويدل عليهم دايرة السوء وبل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمومنون الى اهليهم ابدا او قيل ظن السوء ما يسوء المشركين من ابطاء المهموم اليهم بسبب علو كلمته
وتسليط رسوله قتلا واسرا ونهبا ثم اخبر انهم يستعلي عليهم السوء ويحيط فاحتمل ان يكون خبرا حقيقة
واحتمل ان يكون هو وما بعده دعا عليهم وتقدم الكلام على هذه الجملة في سورة براءة وقيل ظن السوء
يشمل ظنونهم الفاسدة من الشرك كما قال ان يتبعون الا الظن ومن انتفاء رؤية الله تعالى الاشياء وعلمه
بها كما قال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا وبطلان خلق العالم كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء
هنا كناية عن الفاسدة كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء هنا كما تقول هذا فعل سوء وقرا الحسن
السوء فيهما بضم السين وكان الله عزيزا حكيما لما تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم ناسب ذكر
العزة ولما وعد تعالى بمغيبات ناسب ذكر العلم وفرق بالمغفرتين ذكر جنود السموات والارض فمنها
السكينة التي للمومنين والنقمة للمنافقين والمشركين ومن جنود الله الملايكة في السماء والغزاة
في سبيل الله في الارض **وقرا** الجمهور لتومنوا وما عطف عليه بتاء الخطاب وابو جعفر وابو حيوة
وابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة والجحدري بفتح التاء وضم الزاي خفيفة وهو ايضا وجعفر بن محمد
كذلك الا انهم كسروا الزاي وابن عباس واليماني بزايين من العزة وتقدم الكلام في وتعزروه في الاعراف
والظاهر ان الضماير عايدة على الله تعالى وتفريق الضمير بجعلها للرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها
لله تعالى خبث يليق قول الضحاك بكرة واصيلا قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ان الذين
يبايعونك هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش
حين ارجف بقتل عثمان بن عفان وقد بعثه الى قريش يعلمهم انه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل ان
ينصرف من الحديبية بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو والى اقصى الجهد ولذلك قال سلمة بن الاكوع
وغيره بايعنا على الموت وقال ابن عمر وجابر على ان لا نفر والمبايعة مفاعلة من البيع لان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبقي اسم البيعة بعد على معاهدة الخلفاء والملوك
انما يبايعون الله اي صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله عز وجل **وقرا** تمام بن عباس بن عبد
المطلب انما يبايعون الله اي لاجل الله ولوجهه والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لله يد الله فوق
ايديهم **قال** الجمهور اليد هنا النعمة اي نعمة الله في هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق
ايديهم التي مدوها لبيعتك وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك ونصرهم وقال الزمخشري لما قال
انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي تعلو يدي المبايعين يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما
المعنى تقدير ان عقد الميثاق مع الرسول عقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله ومن نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه انتهى وقرا
زيد بن علي ينكث بكسر الكاف وقال جابر بن عبد الله ما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا
اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم **وقرا** الجمهور عليه الله بضم الهاء وقرى
بما عاهد ثلاثيا **وقرا** الحميدي فسنوتيه بالياء والحرميان وابن عامر وزيد بن علي بالنون
اجرا عظيما هي الجنة وازفي لغة تهامة سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا
فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا
او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا • بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى
اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يومن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا • ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما • سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان
يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا • قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم

قوله عز وجل سيقول لك المخلفون

اويسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما • ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما • قال مجاهد وغيره ودخل كلام بعضهم في بعض المخلفون
من الاعراب هم جهينة ومزينة وغفار واشجع والديل واسلم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا وراى اولئك
الاعراب انه يستقبل عدوا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل والمجاورين من مكة وهم الاحابيش
ولم يكن الايمان تمكن من قلوبهم فقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا لن يرجع محمد
ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم عز وجل في هذه الاية واعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بقولهم
واعتذارهم قبل ان يصل اليهم فكان كذلك شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا وهذا اعتلال منهم
عن تخلفهم اي لم يكن لهم من يقوم بحفظ اموالهم واهليهم غيرهم وبدؤا بذكر الاموال لان بها
قوام العيش وعطفوا الاهل لانهم كانوا يحافظون على حفظ الاهل اكثر من حفظ المال وقرا
شغلتنا بتشديد الغين حكاه الكسائي وهي قراءة ابراهيم بن نوح بن باذان عن قتيبة ولما علموا
ان ذلك التخلف عن الرسول كان معصية سالوا ان يستغفر لهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
الظاهر انه راجع الى الجملتين المصولين من الطلب وطلبا للاستغفار حيث منهم واظهارا انهم
مومنون عاصون وقال الطبري هو راجع الى قولهم فاستغفر لنا يريد انهم قالوا ذلك من غير
توبة ولا ندم قل فمن يملك لكم اي من يمنعكم من قضاء الله ان اراد بكم ضرا من قتل او هزيمة او اراد بكم
نفعا من ظفر وغنيمة اي هو تعالى المتصرف فيكم وليس حفظكم اموالكم واهليكم بمانع من ضياعها
اذا اراد الله تعالى وقرا الجمهور ضرا بفتح الضاد والاخوان بضمها وهما لغتان ثم
بين لهم تعالى العلة في تخلفهم وهي ظنهم ان الرسول عليه السلام واصحابه لا يرجعون الى اهليهم
وتقدم الكلام على اهل وكيف جمع بالواو والنون في قوله ما تطعمون اهليكم وقرا
عبد الله الى اهلهم بغير ياء وزين قراءة الجمهور مبنيا للمفعول والفاعل هو الله تعالى وقيل غيره
ممن نسب اليه التزيين مجازا وقرئ وزين مبنيا للفاعل وظننتم ظن السوء احتمل ان يكون
هو الظن السابق وهو ظنهم ان لا ينقلبوا ويكون قد ساءهم ذلك الظن واحزنهم حيث اخفق ظنهم
واحتمل ان يكون غيره لاجل العطف اي ظننتم انه تعالى يخلف وعده في نصر دينه واعزاز رسوله
صلى الله عليه وسلم بورا هلكى والظاهر انه مصدر كالهلك ولذلك وصف به المفرد المذكر
كقول ابن الزبعرى يا رسول المليك ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور •
والمؤنث حكى ابو عبيدة امراة بور والمثنى والمجموع وقيل يجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول
هذا في المعتل وباذل وبذل في الصحيح وقوما بورا فاسدين هلكى وقال ابن بحر اشرارا واحتمل وكنتم
ان يكون المعنى وصرتم بذلك الظن وان يكون وكنتم على بابها اي وكنتم في الاصل قوما فاسدين
اي الهلاك لكم على ذلك الظن ولما اخبر تعالى انهم قوم بور ذكر ما يدل على انهم ليسوا مؤمنين ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر جزاؤه السعير ولما كانوا ليسوا جاهدين بالكفر ولذلك اعتذروا
وطلبوا الاستغفار مزج وعيدهم وتوبيخهم ببعض الامهال والترجية وقال الزمخشري ولله ملك
السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم مشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب
وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لرحمته حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر
بالتوبة انتهى وهو على مذهب الاعتزال سيقول لك المخلفون روي ان الله تعالى امر نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه ان المخلفين واعلمه ان المخلفين اذا راوا مسيره
الى خيبر وهو عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة في عرض الدنيا من الغنيمة وكان كذلك
يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وذلك انه وعدهم
ان يعوضهم من مغانم مكة خيبر اذا انقلبوا موادعين لا يصيبون منها شيئا قاله مجاهد وقتادة وعليه
عامة اهل التاويل وقال ابن زيد كلام الله قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا وهذا لا يصح لان هذه الاية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك في اخر عمره
وهذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت مزينة وجهينة بعد هذه المدة معه عليه

الصلاة والسلام وفضلهم بعد على تميم وغطفان وغيرهم من العرب وقرا الجمهور كلام الله بالف والاخوان
كلم الله جمع كلمة وامره تعالى ان يقول لهم لن تتبعونا واتى بصيغة لن للمبالغة في النفي اي لا ابتم كلما اذ
قد وعد تعالى ان ذلك لا يحضرها الا اهل الحديبية فقط كذلكم قال الله من قبل يريد وعده قبل وعده
اختصاصهم بها بل تحسدوننا اي يعز عليكم ان نصيب مغنما معكم وذلك على سبيل الحسد اي تقاسمكم
فيما تغنمون وقرا ابو حيوة بكسر السين ثم رد عليهم تعالى كلامهم هذا فقال بل كانوا لا
يفقهون الا قليلا من امور الدنيا وظاهرها ليس لهم فكر الا فيها كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
والاضراب الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة
الحسد الى المؤمنين الى ما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب امر تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ذلك ودل على انهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكن الامر كذلك
لم يكونوا اهلا لذلك الامر وابهم تعالى في قوله اولي باس شديد فقال عكرمة وابن جبير وقتادة هم
هوازن ومن حارب الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين وقال كعب الروم الذين خرج اليهم عام تبوك
والذين بعث اليهم في غزوة موتة وقال الزهري والكلبي اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وعن رافع بن
خديج انا كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة
فعلمنا انهم اريدوا بها وقال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وعطاء الخراساني وابن ابي ليلى
هما الفرس وقال الحسن فارس والروم وقال ابو هريرة قوم لم ياتوا بعد وظاهر الاية يرد هذا القول
والذي اقوله ان هذه الاقوال تمثيلات من قائليها الا ان المعنى بذلك هم ما ذكروا بل اخبر بذلك بهما
دلالة على قوة الاسلام وانتشار دعوته ولذا وقع حسن اسلام تلك الطوائف وقاتلوا اهل الردة زمان
ابي بكر وكانوا في فتوح البلاد ايام عمر وايام غيره من الخلفاء والظاهر ان هؤلاء القاتلين ليسوا ممن تؤخذ
منهم الجزية اذ لم يذكر هنا الا القتال او الاسلام ومذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه ان
الجزية لا تقبل من مشركي العرب ولا من المرتدين وليس الا الاسلام والقتل وتقبل ممن عداهم من
مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى لا تقبل الا من اهل الكتاب
والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقال الزمخشري وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته انتهى وهذا
ليس بصحيح فقد حضر كثير منهم مع جعفر في موتة وحضروا حرب هوازن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحضروا معه في سفرة تبوك ولا يتم قول الزمخشري الا على قول من عين انهم اهل الردة
وقرا الجمهور او يسلمون مرفوعا وابي وزيد بن علي بحذف النون منصوبا باضمار ان في قول
الجمهور من البصريين وعند الجرمي فعلى قول النصب باضمار ان هو عطف مصدر مقدر على مصدر
متوهم اي يكون قتال او اسلام اي احد هذين ومثله في النصب قول امرئ القيس

• فقلت له لا تبك عينك انما • نحاول ملكا او نموت فنعذرا •

والرفع على العطف على تقاتلونهم او على القطع اي او هم يسلمون دون قتال فان تطيعوا اي فيما تدعون اليه
كما توليتم من قبل اي في زمان الخروج من الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن الحديبية يعذبكم يحتمل ان
يكون في الدنيا وان يكون في الاخرة ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات
في التخلف عن الغزو ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف والاعرج احرى
بالصبر والا يفر وقد غزا ابن ام مكتوم وكان اعمى في بعض حروب القادسية وكان رضي الله عنه
يمسك الراية فلو حضر المسلمون فالفرض متوجه بحسب الوسع في الغزو وقرا الجمهور
يدخله ويعذبه بالياء والحسن وقتادة وابو جعفر والاعرج وشيبة وابن عامر ونافع بالنون •
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم
فتحا قريبا • ومغانم كثيرة ياخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين
ويهديكم صراطا مستقيما • واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا • سنة الله التي قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا • هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ
محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم
ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين

وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها

وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا

كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما ● لما ذكر حال من تخلف عن السفر مع رسول الله
ذكر حال المؤمنين الخلص الذين سافروا معه والاية دالة على رضي الله عنهم ولذا سميت بيعة الرضوان
وكانوا فيما روي الفا وخمس مائة وعشرين وقال ابن ابي اوفى وثلث مائة واصل هذه البيعة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة
وحمله على جمل له يقال له الثعلب يعلمهم انه جاء معتمرا لا يريد قتالا فلما اتاهم وكلمهم عقروا
جمله وارادوا قتله فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك الرسول فاراد بعث عمر فقال قد علمت فظاظتي
وهم يبغضوني وليس هناك من بني عدي من يحميني ولكن ادلك على رجل هو اعز مني واحب اليهم
عثمن بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكان ابان
ابن سعيد بن العاصي حين لقيه نزل عن دابته وحمله عليها واجاره فقالت له قريش ان شئت فطف
بالبيت واما دخولكم علينا فلا سبيل اليه فقال ما كنت لاطوف به حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على عشرة اميال فصرخ صارخ من العسكر قتل عثمن فحمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لا نبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم فنادى منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فبايعوا كلهم الا الجد بن
قيس المنافق وقال الشعبي اول من بايع ابو سنان بن وهب الاسدي والعامل في اذ رضي والرضي
على هذا بمعنى اظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان وتحت يحتمل ان
يكون معمولا ليبايعونك او حالا من المفعول لانه عليه السلام كان تحتها جالسا في اصلها قال
عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره
بايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم انتم اليوم خير اهل الارض وكانت الشجرة ثم قال
بكير بن الاشج فتح مكة وقال نافع كان الناس ياتون تلك الشجرة يصلون عندها فبلغ عمر فامر
بقطعها وكانت هذه البيعة سنة ست من الهجرة وفي الحديث عنه عليه السلام لا يدخل النار من
شهد بيعة الرضوان فعلم ما في قلوبهم قال قتادة وابن جريج من الرضى بالبيعة ان لا يفروا وقال
الفراء من الصدق والوفاء وقال الطبري ومنذر بن سعيد من الايمان وصحته والحب في الدين
والحرص عليه وقيل من الهم والانصراف عن المشركين والانفة في ذلك على نحو ما خاطب به عمر وغيره
وهذا قول حسن يترتب معه نزول السكينة والتقريض بالفتح القريب والسكينة هنا تقرير قلوبهم
وتذليلها لقبول امر الله وعلى الاقوال السابقة فلهذا القول لا يظهر احتياج الى انزال السكينة
الا ان يجازي بالسكينة والفتح القريب والمغانم وقال مقاتل فعلم ما في قلوبهم من كراهة البيعة
على ان يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة عليهم حتى بايعوا قال ابن عطية وهذا فيه مذمة
للصحابة انتهى واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة
وقال الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا وقيل فتح مكة والقرب امر نسبي لكن فتح
خيبر كان اقرب وقرا الحسن ونوح القارئ واتاهم اي اعطاهم والجمهور واثابهم من الثواب
ومغانم كثيرة اي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال تقسمها عليهم وقيل مغانم هجر وقيل
مغانم فارس والروم وقرا الجمهور ياخذونها بالياء على الغيبة في واثابهم وما قبله
من ضمير الغيبة وقرا الاعمش وطلحة ورويس عن يعقوب ودلبة عن يونس عن ورش وابو
دحية وسقلاب عن نافع والانطاكي عن ابي جعفر بالتاء على الخطاب كما جاء بعد وعدكم الله مغانم
كثيرة بالخطاب وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون الى يوم القيمة
قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين ولقد اتسع نطاق الاسلام وفتح المسلمون فتوحا
لا تحصى وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان
في عصرنا هذا وقدم علينا حاجا احد ملوك غانة من بلاد التكرور وذكر عنه انه استفتح ازيد من
خمسة وعشرين مملكة من بلاد السودان واسلموا وقدم علينا بعض ملوكهم يحج معه وقيل الخطاب
لاهل البيعة وانهم سيغنمون مغانم كثيرة وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة مغانم خيبر
فعجل لكم هذه الاشارة بهذه الى البيعة والتخلص من امر قريش بالصلح قاله ابن عباس وزيد
ابن اسلم وابنه وقال مجاهد مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي اهل مكة بالصلح وقال ابن عباس

عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهم اذ جاؤوا لينصروا اهل خيبر والرسول
محاصر لهم فجعل في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين وقال ابن عباس ايضا اسد وغطفان حلفاء
خيبر وقال الطبري كف اليهود عن المدينة بعد خروج الرسول الى الحديبية والى خيبر ولتكون اي
هذه الكفة آية للمؤمنين وعلامة يعرفون بها انهم من الله تعالى بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح
عليهم وقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء حق فتاخر ذلك الى
السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة فيكون الضمير في ولتكون عائدا على هذه
وهي مغانم خيبر والواو في ولتكون زائدة عند الكوفيين وعاطفة على محذوف عند غيرهم اي ليشكروه
ولتكون او وعد فعجل وكف لينفعكم بها ولتكون او ابتدء رما يعلق به متاخرا اي فعل ذلك ويهديكم
صراطا مستقيما اي طريق التوكل وتفويض الامور اليه وقيل بصيرة وايقانا واخرى لم تقدروا عليها
قال ابن عباس والحسن ومقاتل بلاد فارس والروم وما فتحه المسلمون وقال الضحاك وابن
زيد وابن اسحق خيبر وقال قتادة والحسن مكة وهذا القول يتسق معه المعنى ويتايد وفي قوله لم تقدروا
عليها دلالة على تقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة وقال الزمخشري هي
مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة وجوز الزمخشري في واخرى
ان تكون مجرورة باضمار رب وهذا فيه غرابة لان رب لم تات في القران جارة مع كثرة وجود ذلك
في كلام العرب فكيف يؤتى بها مضمرة وانما يظهر ان واخرى مرفوع بالابتداء وقد وصفت بالجملة بعدها
وقد احاط الله هو الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب بفعل مضمر يفسره معنى قد احاط الله بها اي وقضى
الله اخرى وقد ذكر الزمخشري هذين الوجهين ومعنى قد احاط الله بها بالقدرة والقهر لاهلها
اي قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها ولو قاتلكم الذين كفروا هذا ابتنى على الخلاف
في قوله وكف ايدي الناس عنكم اهم مشركو مكة او ناصروا اهل خيبر او اليهود لولوا الادبار راي لغلبوا
وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اي سن الله غلبة انبيايه سنة وهو
قوله لاغلبن انا ورسلي وهو الذي كف ايديهم اي قضى بينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر
عليهم والغلبة وروي في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل
وخرجوا يطلبون غرة في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما احس بهم المسلمون بعث صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد وسماه حينئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا امامهم حتى ادخلوهم
بيوت مكة واسروا منهم جملة وسيقوا الى الرسول فمن عليهم واطلقهم وقال قتادة كان ذلك بالحديبية
عند عسكره وهو بطن مكة وعن انس هبط ثمانون رجلا من اهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جبل التنعيم مسلحين يريدون غرته فاخذناهم فاستحياهم وفي حديث عبد الله بن مغفل ان الرسول
دعا عليهم فاخذ الله ابصارهم فقال لهم هل جئتم في عهد وهل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا
فخلى سبيلهم وقال الزمخشري كان يعني هذا الكف يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله
على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج
في خمسماية فبعث رسول الله من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت انتهى وقرا الجمهور بما تعملون على الخطاب وابو عمرو
بالياء وهو تهديد للكفار هم الذين كفروا يعني اهل مكة قال ابن خالويه يقال الهدي والهدي والهدا
ثلث لغات انتهى وقرا الجمهور والهدي بسكون الدال وهي لغة قريش وابن هرمز والحسن وعصمة
عن عاصم واللؤلؤي وخارجة عن ابي عمرو والهدي بكسر الدال وتشديد الياء وهما لغتان وهو معطوف
على الضمير في صدوكم ومعكوفا حال والمحبوس يقال عكفت الرجل عن حاجته حبسته عنها وانكر ابو علي تعدية
عكف وحكاه ابن سيدة والازهري وغيرهما وهذا الحبس يجوز ان يكون من جهة المشركين اي عن جهة
المسلمين لترددهم ونظرهم في امرهم وقرا الجعفي عن ابي عمرو والهدي بالجر عطفا على
المسجد الحرام اي وعن نحر الهدي وقرئ بالرفع على اضمار وصد الهدي وكان عليه
السلام معه ثمانية بدنة قاله مقاتل وقيل بسبعين وكان الناس سبع مائة رجل فكانت البدنة
عن عشرة قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان يبلغ محله قال الشافعي الحرم وبه استدل ابو حنيفة
ان محل هدي المحصر الحرم لا حيث احصر وقال الفراء حيث يحل نحره وان يبلغ يحتمل ان يتعلق
بالصد اي وصدوا الهدي وذلك على ان يكون بدل اشتمال اي وصدوا بلوغ الهدي محله او على

كراهة

انه مفعول من اجله اي كراهة ان يبلغ محله ويحتمل ان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا لاجل ان يبلغ محله
فيكون مفعولا من اجله ويكون الحبس من المسلمين او محبوسا على ان يبلغ محله فيكون الحبس من
المشركين وكان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين عنهم ولا معروفي الاماكن
فقال تعالى ولولا ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه ومشقة ما كففت ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه قال
الزمخشري ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون
لعذبنا هو الجواب انتهى وقوله لمرجعهما الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الاولى
غير ما تعلق به الثانية فالمعنى في الاولى ولولا وطء قوم مؤمنين والمعنى في الثانية لو تميزوا
من الكفار وهذا معنى مغاير لذلك مغايرة ظاهرة وان تطؤوهم بدل اشتمال من رجال وما بعده
وقيل بدل من الضمير في تعلموهم اي لم تعلموا وطأتهم اي انه وطء مؤمنين وهذا انبه بعد والوطء
الدرس وعبر به عن الاهلاك بالسيف وغيره قال الشاعر

ووطئتنا وطأ على حنق ٭ وطء المقيد نابت الهرم

وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر ولم تعلموهم صفة لرجال ونساء غلب فيها المذكر والمعنى
لم تعرفوا اعيانهم انهم مؤمنون وقال ابن زيد المعرة المأثم وقال ابن اسحق الدية وقال ابن عطية
وهذا ضعيف لانه لا اثم ولا دية في قتل مؤمن مستور الايمان بين اهل الحرب وقال الطبري هي
الكفارة وقال منذر بن سعيد المعرة ان تعنفهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقيل الملامة
وتألم النفس منه في باقي الزمن والمنقول للزمخشري من هذه الاقوال الجواب وسوء الاجي عادته في تلفيق
كلامه من اقوالهم وايهامه انها سوالات له فقال فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم
وهم لا يعلمون قلت تصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا
باهل دينهم ما فعلوا باعدائهم من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير انتهى بغير علم اخبار عن الصحابة
وعن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والامتناع من التعدي حتى انهم لو اصابوا من ذلك احدا
لكان من غير قصد كقول النملة عن جند سليمن وهم لا يشعرون وبغير علم متعلق بان تطؤوهم وقيل
متعلق بقوله فتصيبكم منهم معرة من الذين بعدكم ممن يعتب عليكم وقرأ الجمهور لو تزيلوا
وابن ابي عبلة وابن مقسم وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على وزن تفاعلوا وليدخل متعلق بمحذوف
دل عليه المعنى اي كان انتفاء التسليط على اهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله في رحمته
من يشاء وهذا المحذوف هو مفهوم من جواب لو ومعنى تزيلوا لو ذهبوا عن مكة اي لو تزيل المؤمنون
من الكفار وتفرق قوامهم ويجوز ان يكون الضمير للمؤمنين والكفار اي لو افترق بعضهم من بعض
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية اذ معمول لعذبنا او لو صدوكم او لاذكر مضمرة
والحمية الانفة يقال حميت عن كذا حمية اذا انفت منه وداخلك عار وانفة ان تفعله وقال المتلمس

الا انني منهم وعرضي عرضهم ٭ كذا الرأس يحمي انفه ان يهشما

وقال الزهري حميتهم انفتهم في الاقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح
ببسم الله الرحمن الرحيم والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم
لالهتهم والانفة ان يعبدوا غيرها وقيل قتلوا اباءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا
واللات والعزى لا يدخلها ابدا وكانت حمية جاهلية لانها بغير حجة وفي غير موضعها
وانما ذلك محض تعصب لانه عليه السلام انما جاء ذلك معظما للبيت لا يريد حربا لهم في ذلك كما
قال الشاعر في حمية الجاهلية

وهل انا الا من غزية ان غوت ٭ غويت وان ترشد غزية ارشد

وحمية بدل من الحمية والسكينة الوقار والاطمينان فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى لا اله الا الله
وروي ذلك عن النبي عليه السلام وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ميمون وقتادة ومجاهد
وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد وقال
عطا بن ابي رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير وقال علي بن ابي طالب وابن عمر ايضا لا اله الا الله والله اكبر وقال ابو هريرة وعطاء
الخراساني لا اله الا الله محمد رسول الله واضيفت الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها

وقيل

وقيل هو على حذف مضاف اي كلمة اهل التقوى وقال المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم كلمة التقوى
هنا هي بسم الله الرحمن الرحيم وهي التي اباها كفار قريش فالزمها الله المؤمنين وجعلهم
احق بها وقيل قولهم سمعنا واطعنا والظاهر ان الضمير في وكانوا عائد على المؤمنين والمفضل عليهم
محذوف اي احق بها من كفار مكة لان الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه وقيل من اليهود والنصارى
وهذه الاحقية هي في الدنيا وقيل احق بها في علم الله وقيل واهلها في الاخرة بالثواب وقيل الضمير
في وكانوا عائد على كفار مكة لانهم اهل حرم الله ومنهم رسوله او لانا سلموا من التوضيح وكان
الله بكل شيء عليما اشارة الى علمه بالمؤمنين ودفع الكفار عنهم والى علمه بالمصلحة في صلح الحديبية
اذ كان سببا لامتزاج العرب واسلام كثير منهم وعلو كلمة الاسلام وكانوا عام الحديبية الفا واربع
مائة وبعده بعامين ساروا الى مكة في عشرة الاف وقال ابو عبد الله الرازي في هذه الاية لطائف
معنوية وهو انه تعالى ابان غاية البون بين الكافر والمؤمن باين بين الفاعلين اذ فاعل جعل هو
الكفار وفاعل انزل هو الله وبين المفعولين اذ تلك حمية وهذه سكينة وبين الاضافتين اضاف الحمية
الى الجاهلية واضاف السكينة اليه تعالى وبين الفعل جعل وانزل فالحمية مجعولة في الحال في العرض
الذي لا يبقى والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فانزلها والحمية قبيحة مذمومة في نفسها وازدادت
قبحا بالاضافة الى الجاهلية والسكينة حسنة في نفسها وازدادت حسنا باضافتها الى الله تعالى والعطف
في فانزل بالفاء لا بالواو يدل على المقابلة تقول اكرمني زيد فاكرمته فدلت على المجازاة للمقابلة وكذلك
جعل فانزل ولما كان الرسول هو الذي اجاب اولا الى الصلح وكان المؤمنون عازمين على القتال
وان لا يرجعوا الى اهلهم الا بعد فتح مكة او النحر في المنحر وابوا الا ان يكتبوا محمد رسول الله
وباسم الله قال تعالى على رسوله ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون فقال
وعلى المؤمنين ولما كان المؤمنون عند الله الزموا تلك الكلمة قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وفيه تلخيص وهو كلام حسن لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ٭
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ٭ محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه
فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ٭ راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية

قوله عز وجل لقد صدق الله

وقال مجاهد كانت الرؤيا بالحديبية انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا راينا المسجد الحرام فنزلت وروي ان رؤياه كانت ان ملكا جاءه فقال له لتدخلن الاية ومعنى
صدق الله لم يكذبه والله تعالى منزه عن الكذب وعن كل قبيح وصدق يتعدى الى اثنين الثاني بنفسه
وبحرف الجر تقول صدقت زيدا الحديث وصدقته في الحديث وقد عدها بعضهم في اخوات استغفر وامر
وقال الزمخشري فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه انتهى فدل كلامه
على ان اصله حرف الجر وبالحق متعلق بمحذوف اي صدقا ملتبسا بالحق لتدخلن اللام جواب قسم محذوف
ويبعد قول من جعله جواب بالحق وبالحق قسم لا تعلق له بصدق وتعليقه على المشية قيل لانه حكاية
قول الملك للرسول قاله ابن كيسان وقيل هذا التعليق تأدب باداب الله وان كان الموعود به متحقق
الوقوع حيث قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقال ثعلب استثنى فيما
يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقال الحسين بن الفضل كان الله علم ان بعض الذين كانوا بالحديبية
يموت فوقع الاستثناء لهذا المعنى وقال ابو عبيدة وقوم ان بمعنى اذ كما قيل في قوله وانا ان شاء الله
بكم لاحقون وقيل هو تعليق في قوله امنين لا لاجل اعلامه بالدخول فالتعليق مقدم على موضعه
وهذا القول لا يخرج التعليق عن كونه معلقا على واجب لان الدخول والامن اخبر بهما تعالى ووقعت
الثقة بالامرين وهما الدخول والامن الذي هو قيد في الدخول وامنين حال مقارنة للدخول ومحلقين
ومقصرين حال مقدرة ولا تخافون بيان لكمال الامن بعد تمام الحج ولما نزلت هذه الاية علم المسلمون
انهم يدخلونها فيما يستانف واطمأنت قلوبهم ودخلوها معه عليه السلام في ذي القعدة سنة

سبع وذلك ثلاثة ايام هو واصحابه وصدقت رؤياه عليه السلام فعلم ما لم تعلموا اي ما قدره من ظهور
الاسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه وما كان ايضا بمكة من المومنين الذين دفع الله بهم قاله
ابن عطية وقال الزمخشري من الحكمة والصواب في تاخر فتح مكة الي العام القابل انتهي ولم
يكن فتح مكة في العام القابل انما كان بعد ذلك باكثر من عام لان الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان
خروجه من المدينة عام الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فجعل من دون ذلك اي من قبل ذلك
اي من زمان دون ذلك الزمان الذي وعدوا فيه بالدخول فتحا قريبا قال كثير من الصحابة هذا
الفتح القريب هو بيعة الرضوان وقال مجاهد وابن اسحق هو فتح الحديبية وقال ابن زيد خيبر وضعف
قول من قال انه فتح مكة لان فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول عليه السلام واصحابه مكة بل كان
بعد ذلك هو الذي ارسل رسوله فيه تاكيد لصدق رؤياه عليه السلام وتبشير بفتح مكة لقوله
ليظهره علي الدين كله وتقدم الكلام علي معظم هذه الاية وكفي بالله شهيدا علي ان ما وعده كاين
وعن الحسن شهيدا علي نفسه انه سيظهر دينك والظاهر ان محمد رسول الله مبتدا وخبر وقيل رسول
الله صفة وقال الزمخشري عطف بيان والذين معطوف والخبر عنه وعنهم اشداء واجاز الزمخشري
ان يكون محمد خبر مبتدا اي محذوف اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله وقرا ابن عامر
في رواية رسول الله بالنصب علي المدح والذين معه هم من شهد الحديبية قاله ابن عباس وقال
الجمهور جميع اصحابه اشدا جمع شديد كقوله اعزة علي الكافرين رحما بينهم كقوله اذلة علي المومنين
وكقوله واغلظ عليهم وقوله بالمومنين روف رحيم وقرا الحسن اشدا رحما بنصبهما
قيل علي المدح وقيل علي الحال والعامل فيهما العامل في معه ويكون الخبر عن المبتدا المتقدم تراهم
وقرا يحيي بن يعمر اشدا بالقصر وهي شاذة لان قصر الممدود انما يكون في الشعر نحو قوله
لا بد من صنعا • وان طال السفر • وفي قوله تراهم ركعا سجدا دليل علي كثرة ذلك منهم وقرا
عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراي وقري سيمياهم بزيادة يا والمد وهي لغة فصيحة
كثيرة في الشعر كما قال الشاعر •

• غلام رماه الله بالحسن يافعا له • سيمياء لا تشق علي البصر •

وهذه السيما قال مالك بن انس كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب وقال ابن عباس وخالد
الحنفي وعطية وعدهم بان يجعل لهم نورا يوم القيمة من اثر السجود وقال ابن عباس ايضا السمت الحسن
وخشوع يبدو علي الوجه وقال الحسن وشمر بن عطية بياض وصفرة وتهبيج تعتري الوجه من السهر
وقال عطا والربيع بن انس حسن يعتري وجوه المصلين وقال منصور سالت مجاهدا اهذه
السيما هي الاثر يكون بين عيني الرجل فقال لا وقد تكون مثل ركبة البعير وهو اقسي قلبا من الحجارة
وقال ابن جبير ذلك مما يتعلق بجباههم من الارض عند السجود وقال الزمخشري المراد بها السمة
التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي
يوثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي عبد الله بن عباس ابي الاملاك
يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير انتهي
وقرا ابن هرمز اثر بكسر الهمزة وكسر الثا وسكون الثا والجمهور بفتحهما وقرا
قتادة من اثار السجود بالجمع ذلك اي ذلك الوصف من كونهم اشدا رحما مبتغين سيماهم في
وجوههم صفتهم في التوراة وقال مجاهد وابو الفرا هو مثل واحد اي ذلك صفتهم في التوراة والانجيل
فيوقف علي الانجيل وقال ابن عباس هما مثلان فيوقف علي في التوراة وكزرع خبر مبتدا محذوف
اي مثلهم كزرع او هم كزرع وقال الضحاك المعني ثم ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة وتم
الكلام ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع وعلي هذا يكون كزرع خبر ومثلهم وقال قتادة مثل اصحاب
النبي صلي الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج من قوم محمد ينبتون نباتا كالزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله
كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء وقال ابن عطية وقوله كزرع
هو علي كلا الاقوال وفي اي كتاب انزل فرض مثل للنبي صلي الله عليه وسلم واصحابه في ان النبي
عليه السلام بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطا وهو فراخ
السنبلة التي تنبت حول الاصل انتهي وقال ابن زيد شطاه فراخه واولاده وقال الزجاج
نباته وقال قطرب شوك السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان قاله الفرا وقال

الكسائي

الكسائي والاخفش طرفه قال الشاعر

• اخرج الشطا علي وجه الثري • ومن الاشجار افنان الثمر •

وقرا الجمهور شطاه باسكان الطا والهمز وابن كثير وابن ذكوان بفتحهما وكذلك
وبالمد ابو حيوة وابن ابي عبلة وعيسي الكوفي وبالف بدل الهمزة زيد بن علي فاحتمل ان يكون
مقصورا وان يكون اصله الهمز فنقل الحركة وابدل الهمزة الفا كما قالوا في المراة والكماة المراة
والكماة وهو تخفيف مقيس عند الكوفيين وهو عند البصريين شاذ لا يقاس عليه وقرا
ابو جعفر شطه بحذف الهمزة والقا حركتها علي الطا ورويت عن شيبة ونافع والجحدري
وعن الجحدري ايضا شطوه باسكان الطا وواو بعدها وقال ابو الفتح هي لغة او بدل من الهمزة
ولا يكون الشط الا في البر والشعير وهذه كلها لغات وقال صاحب اللوامح شطا
الزرع واشطا اذا اخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير وغيرهما وقرا ابن ذكوان
فازره ثلاثيا وباقي السبعة فازره علي وزن افعله وقري فازره بشد الزاي وقول مجاهد
وغيره آزره فعله خطا لانه لم يسمع في مضارعه الا يوزر علي وزن يكرم والضمير المنصوب في آزره
عايد علي الزرع لان الزرع اول ما يطلع رقيق الاصل فاذا خرجت فراخه غلظ اصله وتقوي
وكذلك اصحاب الرسول كانوا اقلة ضعفا فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين وقال الحسن آزره
قواه وشد ازره وقال السدي صار مثل الاصل في الطول فاستغلظ صار من الرقة الي الغلظ
فاستوي اي تم نباته علي سوقه جمع ساق كناية عن اصوله وقرا ابن كثير علي سوقه بالهمز
قيل وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر
احب المؤقدين الي موسي • يعجب الزراع جملة في موضع الحال واذا اعجب الزراع فهو احري
ان يعجب غيرهم لانه لا عيب فيه اذ قد اعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم
وهنا تم المثل وليغيظ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه الصفة
ليغيظ بهم الكفار وقال الزمخشري فان قلت ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت
لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمايهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله
الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن
منهم للبيان كقوله تعالي فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال ابن عطية وقوله تعالي منهم لبيان
الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مدح الجميع وقال ابن جرير منهم يعني من الشطا الذي اخرجه الزرع
وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الي يوم القيمة فاعاد الضمير علي معني الشطا لا علي لفظه والاجر
العظيم الجنة وذكر عند مالك بن انس رجل ينتقص الصحابة فقرا مالك هذه الاية فقال من اصبح
من الناس في قلبه غيظ من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية
التنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب
لقب السوء اللقب هو ما يدعي به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته وهو قسمان قبيح وهو
ما يكره الشخص لكونه تقصيرا وذما وحسن وهو بخلاف ذلك كالصديق لابي بكر والفاروق لعمر واسد
الله لحمزة تجسس الامر تطلبه وبحث عن خفيته بفعل من الجس ومنه الجاسوس وهو الباحث عن
العورات ليعلم بها ويقال لمشاعر الانسان الحواس بالجيم وبالحاء الشعب الطبقة الاولي
من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصايل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبايل تشعبت منها وروي عن ابن عباس الشعوب
البطون وهذا غير ما تمالا عليه اهل اللغة وياتي خلاف في ذلك عند قوله وجعلناكم شعوبا
القبيلة دون الشعب شبهت بقبايل الراس لانها قطع تقابلت الت يالت بضم اللام
وكسرها التاولات بلت والات يليت رباعيا ثلاث لغي حكاها ابو عبيدة والمعني نقص
وقال روبة • وليلة ذات ندي سريت • ولم يلتني عن سراها ليت •
اي لم يمنعني ولم يحبسني وقال الحطيية •
• ابلغ سراه بني سعد مغلغلة • جهد الرسالة لا الته ولا كذبا •
سورة الحجرات

المفردات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله
سميع عليم • يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون • ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم • ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون • ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم • يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين • واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون • فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم •
هذه السورة مدنية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات فربما صدر من المومن عامل الصالحات بعض شي مما ينبغي
ان ينهى عنه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وكانت عادة العرب وهي
الى الان الاشتراك في الاراء وان يتكلم كل بما شاء ويفعل ما احب فجري من بعض من لم يتمرن على اداب
الشريعة بعض ذلك قال قتادة فربما قال قوم ينبغي ان يكون كذا لو نزل في كذا لو انزل في كذا وقال
الحسن ذبح قوم ضحايا قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل قوم في بعض غزواته شيا بارائهم
فنزلت هذه الاية ناهية عن جميع ذلك وقال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وتقول
العرب تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه اذا قلت فيه وقرا الجمهور لا تقدموا فاحتمل ان
يكون متعديا وحذف مفعوله ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم فلم يقصد لشي معين بل النهي
متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين كقولهم فلان يعطي ويمنع واحتمل ان يكون لازما
بمعنى تقدم كما تقول وجه بمعنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل اليه بحرف الجر اي لا تتقدموا
في شي ما من الاشيا او بما يحبون ويعضده هذا الوجه قراءة ابن عباس وابي حيوة والضحاك ويعقوب
وابن مقسم لا تقدموا بفتح التا والقاف والدال على اللزوم وحذفت التا تخفيفا اذ اصله
لا تتقدموا وقرا بعض المكيين تقدموا بشد التا ادغم تا المضارعة في التا بعدها
كقراة البزي وقري لا تقدموا مضارع قدم بكسر الدال من القدوم اي لا تقدموا الى امر
من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما والمكان المسامت وجه الرجل قريبا منه قيل فيه
قبل بين يدي المجلوس اليه توسعا لما جاور الجهتين من اليمين واليسار وهي في قوله بين يدي الله
مجاز من مجاز التمثيل وفايدة تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر دون
الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به وياذنان فيه
فتكونوا عاملين بالوحي المنزل او مقتدين برسول الله وعلى هذا مدار تفسير ابن عباس وقال
مجاهد لا تفتاتوا على الله شيا حتى يقصه على لسان رسوله وفي هذا النهي توطية لما ياتي بعد من
نهيهم عن رفع اصواتهم ولما نهى امر بالتقوى لان من التقوى اجتناب المنهي عنه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وافعالكم ثم ناداهم ثانيا تحريكا لما يلقيه اليهم واستبعادا لما يتجدد من الاحكام
وتطرية للانصات ونزلت بسبب عادة الاعراب من الجفا وعلو الصوت لا ترفعوا اصواتكم
اي اذا نطق ونطقتم ولا تجهروا له بالقول اي اذا كلمتموه لان رتبة النبوة والرسالة يجب ان
توقر وتجل ولا يكون الكلام مع الرسول كالكلام مع غيره ولما نزلت قال ابو بكر لا اكلمك يا رسول
الله الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه من خفا الصوت اذا كلم الرسول لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون
ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن الرفع والجهر الا ما كان في
طباعهم لا انه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلا لانه كان يكون فعلهم ذلك كفرا والمخاطبون
مومنون كجهر بعضكم لبعض اي في عدم المبالاة وقلة الاحترام فلم ينهوا الا عن جهر مخصوص وكره
العلما رفع الصوت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد وعن ابن
عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهير الصوت وحديثه في انقطاعه
في بيته اياما بسبب ذلك مشهور وانه قال يا رسول الله لما انزلت خفت ان يحبط عملي فقال له
رسول الله انك من اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك
ثم قتل باليمامة يوم مسيلمة ان تحبط اعمالكم ان كانت الاية معرضة بمن يجهر استخفافا فذلك كفر

يحبط

يحبط معه العمل حقيقة وان كانت للمومن الذي يفعل ذلك غفلة وجريا على عادته
فانما يحبط عمله البر في توقير النبي عليه السلام وغض الصوت عنده ان لو فعل ذلك
كانه قال مخافة ان تحبط الاعمال التي هي بعدة ان تعملوها فتوجروا عليها وان تحبط
معمول له والعامل فيه ولا تجهروا على مذهب البصريين في الاختيار ولا ترفعوا
على مذهب الكوفيين في الاختيار ومع ذلك فمن حيث المعنى حبوط العمل علة في كل من
الرفع والجهر وقرا عبد الله وزيد بن علي فتحبط بالفاء وهو مسبب عن ما قبله ان
الذين يغضون اصواتهم قيل نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربت ودربت للتقوى فهي مضطلعة
بها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقيق الشي باختياره اي عرف قلوبهم كاينة للتقوى
فالتقوى في موضع الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن لاجل التقوى اي ليثبت فيظهر
تقواها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من
خبثه وجاءت في هذه الاية ان موكدة لمضمون الجملة وجعل خبرها جملة من اسم الاشارة الدال
على التفخيم والمعرفة بعده جايا بعدها ذكر جزايهم على غض اصواتهم وكان هذا دليلا على ان
الارتفاع بما فعلوا من توقير رسول الله بغض اصواتهم وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب رافعوا
اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هولاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد
بني تميم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وغيرهم وفدوا ودخلوا المسجد
وقت الظهيرة والرسول راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج
فقال له الاقرع بن حابس يا محمد ان مدحي زين وذمي شين فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويلك ذلك الله تعالى فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نحن بنو تميم بخطيبنا
وشاعرنا نشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار
امرت ولكن هاتوا فقال الزبرقان لشاب منهم قم فاذكر فضل قومك فقال الحمد لله الذي
جعلنا خير خلقه واتانا اموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن من خير اهل الارض من اكثرهم
عددا ومالا وسلاحا فمن انكر علينا فلياءت بقول هو احسن من قولنا وفعل هو احسن
من فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيبه
قم فاجبه فقال الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم احلاما
فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصار دينه ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع نفسه واهله وماله ومن اباها قتلناه وكان
رغمه علينا هينا اقول قولي هذا واستغفر الله للمومنين والمومنات فقال الزبرقان
لشاب قم فقل ابياتا تذكر فيها فضل قومك فقام وقال

• نحن الكرام فلا حي يعادلنا • فينا الرءوس وفينا يقسم الربع •
• ونطعم الناس عند القحط كلهم • من السديف اذا لم يونس القزع •
• اذا ابينا فلا يابى لنا احد • انا كذلك عند الفخر نرتفع •

فامر النبي صلى الله عليه وسلم تدعى حسان فقال اعد لي قولك فاسمعه فاجابه فقال

• ان الذوايب من فهر واخوتهم • قد شرعوا سنة للناس تتبع •
• يرضى بها كل من كانت سريرته • تقوى الاله وكل الخير يصطنع •

ثم قال حسان

• نصرنا رسول الله والدين عنوة • على رغم غاب من معد وحاضر •
• بضرب كايزاع المخاض مشاشه • وطعن كافواه اللقاح المصادر •
• وسل احدا يوم استقلت جموعهم • بضرب لنا مثل الليوث الخوادر •
• السنا نخوض الموت في حومة الوغى • اذا طاب ورد الموت بين العساكر •
• ونضرب هام الدارعين وننتمي • الى حسب من جذم غسان زاهر •
• فلولا حياء الله قلنا تكرما • على الناس بالخيفين هل من منافر •
• فاحياونا من خير من وطي الحصا • وامواتنا من خير اهل المقابر •

قال فقاما لاقرع بن حابس فقال اني والله لقد جيت لامر وقد قلت شعرا فاسمعه **فقال**

• اتيناك كي ما تعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم •
• وانا رؤس الناس من كل معشر • وان ليس في ارض الحجاز كدارم •
• وان لنا المرباع في كل غارة • تكون بنجد او بارض التهائم •

فقال النبي صلي الله عليه وسلم لحسان قم فاجبه **فقال** •

• بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يصير وبالا عند ذكر المكارم •
• هبلتم علينا تفخرون وانتم لنا • خول من بين ظئر و خادم •

فقال النبي صلي الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا اخا دارم ان تذكر منك ما ظننت ان الناس قد نسوه فكان قوله عليه السلام اشد عليهم من جميع ما قال حسان ثم رجع حسان الي شعره **فقال**

• فان كنتم جيتم لحقن دمائكم • واموالكم ان يقسموا في المقاسم •
• فلا تجعلوا لله ندا واسلموا • ولا تفخروا عند النبي بدارم •
• وان لا ورب البيت قد مالت • القنا علي هامكم بالمرهفات الصوارم •

فقال الاقرع بن حابس والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا وكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم وكساهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهرة وذلك ان المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت واساءة الادب والله قد امرك بتوقير رسوله وتعظيمه والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان وقال الزمخشري **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما يثبت فيه وما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في كل احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع علي الجهة الواحدة ان يكون مبتدا ومنتهي لفعل واحد والذي نقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تقييد ولا اختصاص انتهي وقد اثبت اصحابنا في معاني من انها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وان الشي الواحد يكون محلا لهما وتاؤلوا ذلك علي **س** وقالوا من ذلك قولهم اخذت الدرهم من زيد فزيد محل لابتدا الاخذ منه وانتهائه معا قالوا فمن تكون في اكثر المواضع لابتدا الغاية فقط وفي بعض المواضع لابتدا الغاية وانتهائها معا وهذه المناداة التي انكرت ليس انكارها لكونها وقعت في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر ذلك لانهم نادوه من خارج منادات الاجلاف التي ليس فيها توقير كما ينادي بعضهم بعضا والحجرات منازل الرسول عليه السلام وكانت تسعة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمي حجرة وهي فعلة بمعني مفعوله كالغرفة والقبضة **وقرا** الجمهور الحجرات بضم الجيم اتباعا للضمة قبلها وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها وهي لغة تلث في كل فعلة بشرطها المذكور في علم النحو والظاهر ان من صدر منه النداء كانوا جماعة وذكر الاصم ان من ناداه كان الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فان صح ذلك كان الاسناد الي الجماعة لانهم راضون بذلك واذا كانوا جماعة احتمل ان يكونوا تفرقوا فنادي بعض من وراء هذه الحجرة وبعض من وراء هذه ونادوه مجتمعين من وراء حجرة حجرة او كانت الحجرة واحدة وهي التي كان فيها الرسول وجمعت اجلالا له عليه السلام وانتفاء العقل عن اكثرهم دليل علي ان فيهم عقلاء وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الي نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم انتهي وليس في الاية الحكم بقلة العقلاء منطوقا به فيحتمل النفي وانما هو مفهوم من قوله اكثرهم لا يعقلون والنفي المحض المستفاد انما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم فلا يحمل قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون النفي المحض للشكر لان النفي لم يستفد من صريح التقليل وهذه الاية سجلت علي الذين نادوه بالسفه والجهل وابتدي اول السورة بتقديم الامور التي تنتمي الي الله تعالي ورسوله علي الامور كلها ثم تلي بما هو نهي عنه من التقديم بالنهي عن رفع الصوت والجهر فكان الاول بساطا للثاني ثم تلي بما هو ثنا علي الذين امتحنوا من ذلك فغضوا اصواتهم دلالة علي عظم موقعه عند الله ثم جي علي عقب ذلك

بما هو افظع وهو الصياح بالرسول في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس لتنبيه علي فظاظة ما جسروا اغلبه لان من رفع الله قدره علي ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء معه من المنكر المتفاحش ومن هذا وامثاله تقتبس محاسن الاداب كما يحكي عن ابي عبيد ومحله من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفي انه قال ما دققت بابا علي عالم قط حتي يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا حتي تخرج اليهم قال الزمخشري انهم صبروا في موضع الرفع علي الفاعلية لان المعني ولو ثبت صبرهم انتهي وهذا ليس بمذهب **س** بل مذهب **س** ان ان وما بعدها بعد لو في موضع مبتداء لا في موضع فاعل ومذهب المبرد انها في موضع فاعل بفعل محذوف كما زعم الزمخشري واسم كان ضمير يعود علي المصدر المفهوم من صبروا اي لكان هو اي صبرهم خيرا لهم وقال الزمخشري في كان اما ضمير الفعل المضمر بعد لو انتهي لانه قدر ان وما بعدها فاعل بفعل مضمر فاعاد الضمير علي ذلك الفاعل وهو الصبر المنسبك من ان ومعموليها خيرا لهم في الثواب عند الله وفي انبساط نفس الرسول وقضائه لحوائجهم فقد قيل انهم جاؤا في اساري فلان فاعتق رسول الله صلي الله عليه وسلم النصف وفادي علي النصف ولو صبروا لاعتق الجميع بغير فداء وقيل لكان صبرهم احسن لادبهم والله غفور رحيم لن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنباء الاية حدث الحرث بن ضرار قال قدمت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فدعاني الي الاسلام فاسلمت والي الزكوة فاقررت بها فقلت ارجع الي قومي وادعوهم الي الاسلام واداء الزكاة فمن اجابني جمعت زكوته فترسل من ياتيك بما جمعت فلما جمع ممن استجاب له وبلغ الوقت الذي اراد الرسول ان يبعث اليه واحتبس عليه رسول الله قال لسروات قومه كان الرسول وقت لي وقتا الي من يقبض الزكاة وليس من رسول الله الخلف ولا اري حبس الرسول الا من سخطه فانطلقوا بها اليه وبعث الوليد الي الحرث ليفرق فرجع فقال منعني الحرث الزكوة واراد قتلي فضرب الرسول البعث الي الحرث فاستقبل الحرث البعث وقد فصل من المدينة فقالوا هذا الحرث فقال الي من بعثتم قالوا اليك قال ولم فقالوا بعث اليك الوليد فرجع وزعم انك منعته الزكوة واردت قتله قال لا والذي بعث محمدا بالحق ما رايته ولا اتاني فدخل علي الرسول فقال منعت الزكوة واردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رايت رسولك ولا اتاني وما اقبلت الا حين احتبس علي رسولك خشية ان يكون سخطه من الله ورسوله قال فنزلت هذه الاية وفاسق وبنباء مطلقان فيتناول اللفظ كل واحد علي جهة البدل وتقدم قراءة فتبينوا وفتثبتوا في سورة النساء وهو امر يقتضي ان لا يعتمد علي كلام الفاسق ولا يبني عليه حكم وجاء الشرط بحرف ان المقتضي للتعليق في الممكن لا بالحرف المقتضي للتحقيق وهو اذا لان مجي الرجل الفاسق للرسول واصحابه بالكذب انما كان علي سبيل الندرة وامروا بالتثبت عند مجيئه لئلا يطمع في قبول ما يلقيه اليهم وبنا ما يترتب علي كلامه فاذا كانوا بمثابة التبين والتثبت كف عن مجيهم بما يريد ان تصيبوا مفعول له اي كراهة ان تصيبوا او لئلا تصيبوا بجهالة حال اي جاهلين بحقيقة الامر معتمدين علي خبر الفاسق فتصبحوا فتصيروا علي ما فعلتم من اصابة القوم بعقوبة بناء علي خبر الفاسق نادمين مغتمين علي ما فرط منكم متمنين انه لم يقع ومفهوم ان جاءكم فاسق قبول كلام غير الفاسق وانه لا يتثبت عنده وقد يستدل به علي قبول خبر الواحد العدل وقال قتادة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلي الله عليه وسلم التثبت من الله والعجلة من الشيطان وقال مقاتل بن سعيد هذه الاية ترد علي من قال ان المسلمين كلهم عدول حتي تثبت الجرحة لان الله تعالي امر بالتبين قبل القبول انتهي وليس كما ذكر لانه ما امر بالتبين الا عند مجي الفاسق لا مجي المسلم بل بشرط الفسق والمجهول الحال يحتمل ان يكون فاسقا فالاحتياط لازم واعلموا ان فيكم رسول الله هذا توبيخ لمن يكذب للرسول ووعيد بالفضيحة ولا يصد رد ذلك الا من هو شاك في الرسالة لان الله تعالي لا يتركه بل يعتمد علي خبر الفاسق بل تبين له ذلك والظاهر ان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله كلام تام امرهم بان يعلموا ان الذي هو بين ظهرانيكم رسول الله فلا تخبروه بما لا يصح فانه رسول الله يطلعه

علي ذلك ثم اخبر تعالي ان رسوله لو اطاعهم في كثير من الامر الذي يودي اليه اجتهادكم وتقدمكم
بين يديه لعنتم اي لشق عليكم وقال مقاتل لاثمتم وقال الزمخشري الجملة المصدرة بلو لا
تكون كلاما مستانفا لادائه الي تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين
في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعني ان فيكم رسول الله
وانتم حالة يجب عليكم تغييرها وهو انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث علي مقتضي ما يعن
لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره والتابع له فيما يرتئيه المحتذي علي امثلته ولو
فعل ذلكم لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل علي ان بعض المومنين زينوا للرسول
الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظاير ذلك من الهيئات كانت تفرط
منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوي عن الجسارة علي ذلك وهم الذين
استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الي بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض
صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن
لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي انتهي وفيه تكثير
ولا يبعد ان تكون الجملة المصدرة بلو مستانفة لا حالا ولا تعلق لها بما قبلها من جهة الاعراب
وتقديم خبر ان علي اسمها قصد الي توبيخ بعض المومنين علي ما استهجن من استتباعهم راي
الرسول لارايهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه وقيل يطيعكم دون اطاعكم للدلالة علي
انه كان في ارادتهم استمرار عمله علي ما يستصوبون وانه كلما عن لهم راي في امر كان معمولا
عليه بدليل قوله في كثير من الامر وشريطة لكن مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها
من حيث اللفظ حاصله من حيث المعني لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم
صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك انتهي وهو ملتقط من كلام
الزمخشري وقال الزمخشري ايضا ومعني تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق
وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الي بصيرة وذهن لا يغبي عليه ان الرجل لا يمدح
بفعل غيره وحمل الاية علي ظاهرها يودي الي ان يثني عليهم بفعل الله وقد نفي الله هذا علي الذين
انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا انتهي وهو علي طريق الاعتزال وعن الحسن حبب الايمان
بما وصف من الثناء عليه وكره الثلاثة بما وصف من العقاب عليها انتهي اولئكم الراشدون
التفات من الخطاب الي الغيبة فضلا من الله ونعمة قال ابن عطية مصدر موكد لنفسه لان
ما قبله هو بمعناه اذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل وقال الحوفي فضلا نصب علي الحال
انتهي ولا يظهر هذا الذي قال وقال ابو البقاء مفعول له او مصدر في معني ما تقدم وقال
الزمخشري وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله **فان قلت** من اين جاز وقوعه
مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل **قلت**
لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الي اسمه تقدست اسماوه صار
الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند
الي اسم الله والجملة التي هي اولئكهم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جري ذلك
او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فانه يوضع موضع رشدا لان رشدهم
فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعني الافضال والانعام والله عليم
باحوال المومنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق علي
افاضلهم انتهي اما توجيهه كون فضلا مفعولا من اجله فهو علي طريق الاعتزال واما تقديره او
كان ذلك فضلا فليس من مواضع اضمار كان ولذلك شرط مذكور في النحو وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما علي الاخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفي
الي امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين • انما المومنون
اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون • يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسي ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسي ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا
تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون •
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا

قوله عز وجل وان طائفتان

ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم • وان طايفتان الاية
سبب نزولها ما جري بين الاوس والخزرج حين اساء الادب عبد الله بن ابي بن سلول علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهو متوجه الي زيارة سعد بن عبادة في مرضه وتعصب بعضهم لعبد الله
ورد عبد الله بن رواحة علي ابن ابي فتجالد الحيان قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال
والايدي فنزلت فقراها عليهم فاصطلحوا وقال السدي كان بالمدينة امراة من
الانصار يقال لها ام بدر وكان لها زوج من غيرهم فوقف بينهما شي اوجب ان يانف لها قومها
وله قومه فوقع قتال فنزلت الاية بسببه **وقرا** الجمهور اقتتلوا جمعا حملا علي
المعني لان الطايفتين في معني القوم والناس **وقرا** ابن ابي عبلة اقتتلتا علي لفظ
التثنية مراعي بالطايفتين الفريقان اقتتلوا وكل واحد من الطايفتين باغ فالواجب السعي
بينهما بالصلح فان لم تصطلحا واقامتا علي البغي قوتلتا او لشبهة دخلت عليهما وكل منهما
تعتقد انه الحق فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة فان لحا
فكالباغيتين قيل فان بغت احداهما فالواجب ان تقاتل حتي تكف عن البغي ولم تتعرض
الاية من احكام التي تبغي لشي الا لقتالها والي الاصلاح ان فاءت والبغي هنا طلب العلو
بغير الحق والامر في فاصلحوا وقاتلوا هو لمن له الامر من الملوك وولاتهم **وقرا** الجمهور
حتي تفي مضارع فاء بفتح الهمزة والزهري حتي تفي بغير همز وفتح الياء وهذا شاذ
كما قالوا في مضارع جاء يجي بغير همز فاذا ادخلوا الناصب فتحوا الياء اجروه مجري
يفي مضارع وفي شذوذا انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم اي اخوة في الدين وفي
الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله **وقرا** الجمهور بين اخويكم مثني لان
اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا كان الاصلاح لازما بين اثنين فهو الزم بين الاكثر
من اثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج **وقرا** زيد بن ثابت وابن مسعود
والحسن بخلاف عنه والجحدري وثابت البناني وحماد بن سلمة وابن سيرين بين اخوانكم جمعا
بالالف والنون والحسن ايضا وابن عامر في رواية وزيد بن علي ويعقوب بين اخوتكم جمعا علي
وزن غلمة وروي عبد الوارث عن ابي عمرو القراات الثلث ويغلب الاخوان في الصداقة
والاخوة في النسب وقد يستعمل كل منهما مكان الاخر ومنه انما المومنون اخوة وقوله
او بيوت اخوانكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم هذه الاية والتي بعدها تاديب
للامة لما كان عليه اهل الجاهلية من هذه الاوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها وقيل
نزلت بسبب عكرمة بن ابي جهل كان يمشي بالمدينة وقد اسلم فقال له قوم هذا ابن فرعون
هذه الامة فعز ذلك عليه وشكاهم فنزلت • والقوم مرادف رجال كما قال الرجال قوامون علي
النساء ولذلك قابله هنا بقوله ولا نساء من نساء **وفي قول زهير**

• وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم ال حصن ام نساء •

وقال الزمخشري وهو في الاصل جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير انتهي وليس
فعل من ابنية الجموع الا علي مذهب ابي الحسن في قوله ان ركبا جمع راكب وقال
ايضا الزمخشري واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ
القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن
انتهي وغيره يجعله من باب التغليب والنهي ليس مختصا بانضمام علي قوم ونساء بعيد
للجمعية من حيث المعني وان كان ظاهر اللفظ ذلك بل المعني لا يسخر احد من احد وانما ذكر
الجمع والمراد به كل فرد فرد مما يتناوله عموم البدل وكانه اذا سخر الواحد كان بمجلسه
ناس يضحكون علي قوله او بلغت سخريته ناسا فضحكوا فينقلب الحال الي جماعة عسي ان
يكون اي المسخور منهم خيرا منهم اي من الساخرين بهم وهذه الجملة مستانفة وردت مورد
جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه اي ربما يكون المسخور منه عند الله
خيرا من الساخر لان العلم بخفيات الامور انما هو لله وعن ابن مسعود لو سخرت من كلب خشيت
ان احول كلبا ولا نساء من نساء روي ان عايشة وحفصة رضي الله عنهما رايتا ام سلمة
ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفه خلفها فقالت عايشة لحفصة انظري الي ما
تجر خلفها كانه لسان كلب وعن عايشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية

وكانت قصيرة وعن انس كان نساء النبي صلي الله عليه وسلم يعيرن ام سلمة بالقصر وقالت صفية
لرسول الله صلي الله عليه وسلم يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت
ان ابي هرون وان عمي موسي وان زوجي محمد **وقراءة** عبد الله وابي عسوا ان يكونوا
وعسين ان يكن فعسي ناقصة والجمهور عسي فيهما تامة وهما لغتان الاضمار لغة تميم
وتركه لغة الحجاز ولا تلمزوا انفسكم ضم الميم في تلمزوا الحسن والاعرج وعبيد عن ابي عمرو
وقال عمرو هي عربية والجمهور بالكسر واللمز بالقول والاشارة ونحوه مما يفهمه اخر والهمز
لا يكون الا باللسان والمعني ولا يعب بعضكم بعضا كما قال فاقتلوا انفسكم كان المومنين
نفس واحدة اذ هم اخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد اذا اشتكي منه عضو تداعي
سايره بالسهر والحمي ومفهوم انفسكم ان له ان يعيب غيره ممن لا يدين بدينه ففي الحديث
اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وقيل المعني لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل
ما استحق اللمز به فقد لمز نفسه ولا تنابزوا بالالقاب اللقب ان دل علي ما يكرهه المدعو به
كان منهيا واما اذا كان حسنا فلا ينهي عنه وما زالت الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب
والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي ان بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم
الالقاب فنزلت الاية بسبب ذلك وفي الحديث كنوا اولادكم قال عطاء مخافة الالقاب
وعن عمر اشيعوا الكني فانها سنة انتهي ولا سيما اذا كانت الكنية غريبة لا يكاد يشترك
فيها احد مع من تكني بها في عصره فانه يطير بها ذكره في الافاق وتتهادي اخباره الرفاق
كما جري في كنيتي بابي حيان واسمي محمد فلو كانت كنيتي ابا عبد الله او ابا بكر مما يقع فيه الاشتراك
لم اشتهر تلك الشهرة واهل بلادنا جزيرة الاندلس كثيرا ما كانوا يلقبون الالقاب القبيحة
حتي قال فيهم ابو مروان الطبني

يا اهل اندلس ما عندكم ادب ، بالمشرق والادب النفاخ بالطيب
يدعي الشباب شيوخا في مجالسهم ، والشيخ عندكم يدعي بتلقيب

نحن علماء بلادنا وصالحيهم من يدعي بالتوزعي وباللص وبوجه نافخ وكل هذا محرم تعاطيه
قيل وليس من هذا قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعوا الضرورة
اليه وليس فيه قصد استخفاف ولا اذي قالوا وقد قال ابن مسعود لعلقمة وتقول انت ذلك
يا اعور وقال ابن زيد اي لا يقول احد لاحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو ذلك وتلاحي
ابن ابي حدرد وكعب بن مالك فقال له كعب يا اعرابي يريد ان يبعده من الهجرة فقال له الاخر
يا يهودي يريد المخالطة لليهود في يثرب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بيس اسم
تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالالقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم او بيس ما يقوله
الرجل لاخيه يا فاسق بعد ايمانه وقال الرماني هذه الاية تدل علي انه لا يجتمع الفسوق
والايمان انتهي وقال الزمخشري نحو قول الرماني قال استقباح الجمع بين الايمان والفسق الذي
ياباه الايمان وهذه نزعة اعتزالية وقال الزمخشري الاسم ها هنا بمعني الذكر من قولهم طار
اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناوه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع
بين الناس كانه قيل بيس الذكر المرتفع للمومنين بسبب ارتكاب هذه الجراير ان يذكروا
بالفسق ومن لم يتب اي عن هذه الاشياء فاولئك هم الظالمون تشديد وحكم بظلم من لم يتب
اجتنبوا كثيرا من اي لا تعملوا علي حسبه وامر تعالي باجتنابه لئلا يجتري احد علي ظن الا بعد
نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله والمامور باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه
بانه اثم وتمييز المجتنب من غيره انه لا تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كمن يتعاطي الريب
والمجاهرة بالخبايث كالدخول والخروج الي حانات الخمر وصحبة نساء المغاني وادمان النظر الي
المرد فمثل هذا لا يتنافي الظن فيه انه ليس من اهل الصلاح ولا اثم فيه وان كنا لا نراه يشرب
الخمر ولا يزني ولا يعبث بالشباب بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء فهذا هو المنهي عنه
ويجب ان يزيله وحكمه وتناول الخير والاثم هو الذي يستحق صاحبه العقاب وقال الزمخشري
والهمزة فيه بدل عن الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها بلحباطه انتهي وهذا ليس بشي لان تصريف
هذه الكلمة مستقل فيها الهمزة تقول اثم ياثم فهو اثم والاثم والاثام فالهمزة اصل وليست بدلا

عن واو

٤

عن واو واتا يثم وهو من مادة اخري وقيل الاثم متعلق بتكلم الظان اما اذا لم يتكلم فهو في فسحة
لانه لا يقدر علي دفع الخواطر التي يبيحها قول النبي عليه السلام الحزم سوء الظن **وقراءة**
الجمهور ولا تجسسوا بالجيم **وقراءة** الحسن وابو رجاء وابن سيرين بالحاء وهما متقاربان
نهي عن عورات تتبع المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عن ما ستروه وقيل لابن مسعود هل لك في
فلان تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شي اخذنا به وفي الحديث ان الامير
اذا ابتغي الريبة في الناس افسدهم وقد وقع عمر في حراسته علي من كان في ظاهره ريبة وكان
دخل عليه هجما فلما ذكر له نهي الله عن التجسس انصرف عمر ولا يغتب بعضكم بعضا يقال غابه
واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر الرجل بما يكره
مما هو فيه وفي الحديث سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر من المرء ما يكره
ما يكره ان يسمع فقال يا رسول الله وان كان حقا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قلت
باطلا فذلك البهتان وفي الصحيحين فقد بهته وقال ابن عباس الغيبة ادام كلاب
الناس وقالت عايشة عن امراة ما رايت اجمل منها الا انها قصيرة فقال لها النبي صلي الله
عليه وسلم اغتبتها نظرت الي اسوا ما فيها فذكرته وحكي الزهراوي عن جابر عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال الغيبة اشد من الزنا لان الزاني يتوب الله عليه والذي يغتاب فلا يتاب
حتي يستحل وعرض المسلم مثل دمه في التحريم وفي الحديث المستفيض فان الله حرم عليكم دماءكم
واموالكم واعراضكم ولا يباح من هذا المعني الا ما تدعوا الضرورة اليه من تجريح الشهود والرواة
والخطاب اذا استنصح من يخطب اليه من يعرفهم والعرب تشبه الغيبة باكل اللحم ومنه
وان اكلوا لحمي وفرت لحومهم ايحب احدكم قال الزمخشري تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب علي افظع وجه واحشه وفيه مبالغات شتي **ومنها** الاستفهام
الذي معناه التقرير **ومنها** جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة **ومنها**
اسناد الفعل الي احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك **ومنها** ان لم يقتصر
علي تمثيل الاغتياب بلحم الانسان حتي جعل الانسان اخا **ومنها** ان لم يقتصر علي لحم الاخ
حتي جعل ميتا انتهي وقال الرماني كراهية هذا اللحم يدعوا اليها الطبع وكراهية الغيبة
يدعوا اليها العقل وهو احق ان يجاب لانه بصير عالم والطبع اعمي جاهل انتهي وقال ابو زيد
السهيلي ضرب المثل لاخذه العرض باكل اللحم لان اللحم ستر علي العظم والشاتم لاخيه كانه
يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال تعالي ميتا لان الميت لا يحس وكذلك الغايب لا يسمع ما يقول
فيه المغتاب ثم هو في التحريم كاكل لحم الميت انتهي وروي في الحديث ما صام من اكل لحوم
الناس وقال ابو قلابة الرياشي سمعت ابا عاصم يقول ما اغتبت احدا مذ عرفت ما في الغيبة
وقيل لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتي رحمناك قال اياه فارحموا وقال رجل للحسن بلغني انك
تغتابني قال لم يبلغ قدرك عندي ان احكمك في حسناتي وانتصب ميتا علي الحال من لحم واجاز
الزمخشري ان ينتصب عن الاخ وهو ضعيف لان المجرور بالاضافة لا يجي الحال منه الا اذا كان
له موضع من الاعراب نحو اعجبني ركوب الفرس مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس في موضع نصب
وزيد في موضع رفع وقد اجاز بعض اصحابنا انه اذا كان الاول جزاءا او كالجزء انتصاب الحال من
الثاني وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه في علم النحو فكرهتموه قال الفراء اي فقد كرهتموه
فلا تفعلوه وقيل لما وقفهم علي التوبيخ بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا **فالجواب**
عن هذا لانهم في حكم من يقول لا فخوطبوا علي انهم قالوا لا فقيل لهم فكرهتموه وبعد هذا يقدر فلذلك
فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك وعلي هذا القدر يعطف قوله واتقوا الله قاله ابو علي الفارسي
وفيه عجرفة العجم وقال الزمخشري ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه
عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم بانكم لا تقدرون علي دفعه وانكاره
لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من
الغيبة والطعن في اعراض المسلمين انتهي وفيه ايضا عجرفة العجم والذي قدره الفراء اسهل واقل
تكلفا واجري علي قواعد العربية وقيل لفظه خبر ومعناه الامر تقديره فاكرهوه ولذلك عطف عليه
واتقوا الله ووضع الماضي موضع الامر في لسان العرب ومنه اتقي الله امرو وفعل خيرا يثب عليه اي ليتق
الله ولذلك انجزم يثب علي جواب الامر وما احسن ما جاء الترتيب في هذه الاية جاء الامر اولا

باجتناب الطريق التي لا تؤدي الي العلم وهو الظن ثم نهي ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير علما بقوله ولا تجسسوا ثم نهي ثالثا عن ذكر ذلك اذا علم فهذه امور ثلثة مترتبة ظن فعلم بالتجسس فاغتياب وضمير النصب في فكرهتموه الظاهر انه عايد علي الاكل وقيل علي اللحم وقيل علي الميتت

وقرا ابو سعيد الخدري والجحدري وابو حيوة فكرهتموه بضم الكاف وشد الراء ورواها الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم والجمهور بفتح الكاف وخف الراء وكره يتعدي الي واحد فقياسه اذا ضعف ان يتعدي الي اثنين كقراءة الخدري ومن معه اي جعلتم فكرهتموه فاما قوله وكره اليكم الكفر فعلي التضمين لمعني بغض وهو يتعدي لواحد وبالي الي اخر وبغض منقول بالتضعيف من بغض الشي الي زيد والظاهر عطف واتقوا الله علي ما قبله من الامر والنهي يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير • قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا ان الله غفور رحيم • انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون • قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم • يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين • ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون • قيل غضب الحرث بن هشام وعتاب بن اسيد حين اذن بلال يوم فتح مكة علي الكعبة فنزلت يا ايها الناس وعن ابن عباس سببها قول ثابت بن قيس لرجل لم يفسح له عند النبي صلي الله عليه وسلم يا ابن فلانة فوبخه النبي عليه السلام وقال له انك لا تفضل احدا الا في الدين والتقوي فنزلت ونزل الامر بالتفسح في ذلك ايضا من ذكر وانثي اي من ادم وحواء او كل واحد منكم من اب وام فكل واحد منكم مسا و للاخر في ذلك فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبا وقبايل وتقدم الكلام علي شي من ذلك في المفردات وقيل الشعوب في العجم والقبايل في العرب والاسباط في بني اسرايل وقيل الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبايل ربيعة ومضر وساير عدنان وقال قتادة ومجاهد والضحاك الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب

قال الشاعر

قبايل من شعوب ليس فيهم • كريم قد يعد ولا نجيب •

وقيل الشعوب الموالي والقبايل العرب وقال ابو روق الشعوب الذين ينتسبون الي المداين والقري والقبايل العرب الذين ينتسبون الي ابايهم انتهي وواحد الشعوب شعب بفتح الشين وشعب بطن من همدان ينسب اليه عامر الشعبي من سادات التابعين والنسب الي الشعوب شعوبية بفتح الشين قيل وهم الامم التي ليست بعرب وقيل هم الذين يفضلون العجم علي العرب وكان ابو عبيدة خارجيا شعوبيا وله كتاب في مثالب العرب ولابن غرسية رسالة فصيحة في تفضيل العجم علي العرب وقد رد عليه ذلك علماء الاندلس برسايل عديدة وقرا الجمهور لتعارفوا مضارع تعارف محذوف التاء والاعمش بتاءين ومجاهد وابن كثير في رواية وابن محيصن بادغام التاء في التاء وابن عباس وابان عن عاصم لتعرفوا مضارع عرف والمعني انما جعلكم ما ذكر كي يعرف بعضكم بعضا في النسب فلا ينتمي الي غير ابايه لا التفاخر بالاباء والاجداد ودعوي التفاضل وهي التقوي وفي خطبته عليه السلام يوم فتح مكة انما الناس رجلان مومن تقي كريم علي الله وفاجر شقي هين علي الله ثم قرا الاية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وما زال التفاخر بالانساب في الجاهلية والاسلام وبالبلاد وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنايع واكثرها بالانساب

قال الشاعر

• واعجب شي الي عاقل • فنوع عن المجد مستاخره •

• اذا اسيلوا ما لهم من علي • اشاروا الي اعظم ناخره •

ومن ذلك افتخار اولاد مشايخ الزوايا الصوفية بابايهم واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم وان كان الاولاد بخلاف الاباء في الدين والصلاح وقرا الجمهور ان بكسر الهمزة وابن عباس بفتحها وكان قراه لتعرفوا مضارع عرف فاحتمل ان تكون ان معمولة لتعرفوا وتكون اللام في لتعرفوا لام الامر وهو اجود من حيث المعني واما ان كانت لام كي فلا يظهر المعني ان جعلهم شعوبا وقبايل لان تعرفوا ان الاكرام هو الاتقي فان جعلت مفعول لتعرفوا محذوفا اي لتعرفوا الحق لان اكرمكم عند الله اتقاكم ساغ في لام لتعارفوا ان تكون لام كي قالت الاعراب امنا قال مجاهد نزلت في بني اسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة اظهروا الاسلام وقلوبهم دغلة انما يحبون المغانم وعرض الدنيا وقيل مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار قالوا امنا فاستحققنا الكرامة فرد الله عليهم بقوله قل لم تؤمنوا اكذبهم الله في دعوي

الايمان

الايمان ولم يصرح باكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء ايمانهم وهذا في اعراب مخصوصين وقد قال تعالي ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية ولكن قولوا اسلمنا وهو اللفظ الصادق من اقوالكم وهو الاستسلام والانقياد ظاهرا ولم يواطي اقوالكم ما في قلوبكم فلذلك قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم وجاء النفي بلما الدالة علي انتفاء الشي الي زمان الاخبار وتبين ان قوله لم تؤمنوا لا يراد به انتفاء الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمان الاخبار ايضا لانك اذا نفيت بلم جاز ان يكون النفي قد انقطع ولذلك يجوز ان تقول لم يقم زيد وقد قام وجاز ان يكون النفي متصلا بزمن الاخبار فاذا كان متصلا بزمن الاخبار لم يجز ان تقول وقد قام للتكاذب الخبرين واما لما فانها تدل علي نفي الشي متصلا بزمان الاخبار ولذلك امتنع لما يقم زيد وقد قام للتكاذب والظاهر ان قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم ليس له تعلق بما قبله من جهة الاعراب وقال الزمخشري فان قلت هو بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفايدة متجددة قلت ليس كذلك فان فايدة قوله قل لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله قولوا انتهي والذي يظهر انهم امروا ان يقولوا قولوا اسلمنا غير مقيد بحال وانه ولما يدخل الايمان اخبار غير قيد في قولهم وقال الزمخشري وما في لما من معني التوقع دال علي هولاء قد امنوا فيما بعد انتهي ولا ادري من اي وجه يكون ما نفي بلما يقع بعد ولما انما ينفي ما كان متصلا بزمان الاخبار ولا يدل علي ما ذكر وهو جواب لقد فعل وهب انه قد تدل علي توقع الفعل فاذا نفي ما دل علي التوقع فكيف يتوهم انه يقع بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالايمان والاعمال وهذا فتح لباب التوبة وقرا الجمهور لا يلتكم من لات يليت وهي لغة الحجاز والحسن والاعرج وابو عمرو لا يالتكم من الت وهي لغة غطفان واسد ثم لم يرتابوا ثم تقتضي التراخي وانتفاء الريبة يجب ان يقارن الايمان فقيل من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان اي ثم اقول لم يرتابوا وقيل قد يخلص الايمان ثم يعترضه ما يثلم اخلاصه فنفي ذلك فحصل التراخي او اريد انتفا الريبة في الازمان المتراخية المتطاولة فحاله في ذلك كحاله في الزمان الاول الذي امن فيه اولئك هم الصادقون اي في قولهم امنا حيث طابقت السنتهم عقايدهم وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال وفي سبيل الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية وليبينوا كاعراب بني اسد في قولهم امنا وهم كاذبون في ذلك قل اتعلمون الله بدينكم هي منقولة من علمت به اي شعرت به ولذلك تعدت الي واحد بنفسها والي الاخر بحرف الجر لما نقلت بالتضعيف وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا ان ذلك يخفي علي الله تعالي ثم ذكر احاطة علمه بما في السموات والارض ويقال من عليه بيد اسداها اليه اي انعم عليه والمنة النعمة التي لا يطلب لها ثواب ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما اي يعتدون عليك ان اسلموا فان اسلموا في موضع المفعول ولذلك تعدي اليه في قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم ويجوز ان يكون ان اسلموا مفعولا من اجله اي يتفضلون عليك باسلامهم ان هداكم للايمان بزعمكم وتعليق المن بهدايتهم بشرط الصدق يدل علي انهم ليسوا مومنين اذ قد بين تعالي كذبهم في توهم امنا بقوله قل لم تؤمنوا وقرا عبد الله وزيد بن علي اذ هداكم جعلا اذ مكان ان وكلاهما تعليل وجواب الشرط محذوف اي كنتم صادقين فهو المان عليكم وقرا ابن كثير وابان عن عاصم يعملون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب بسقت النخلة بسوقا طالت

قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم • ولكن من نتاج الباسقات •

كرام في السماء ذهبن طولا • وفات ثمارها ايدي الجنات •

وبسق فلان علي اصحابه اي علاهم ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

• يا ابن الذين بمجدهم • بسقت علي قيس فزاره •

ويقال بسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج فهو مبسق ونوق مباسيق حاد عن الشي مال عنه حيودا وحيدة وحيودة الوريد عرق كبير في العنق يقال انهما وريدان عن يمين وشمال وقال الفراء هو ما بين الحلقوم والعلياوين وقال الاثرم هو نهر الجسد هو في القلب المتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا

قوله عز وجل يا ايها الناس

المفردات

وفي الخنصر الاسلم وقال الزمخشري والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه سمي وريدا لان الروح ترده قال وكان وريده رشاء صلب

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد • بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب • ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد • قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ • بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج • افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج • والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد • والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد • واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج • كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد • هذه السورة مكية قال ابن عطية باجماع من المتاولين وفي التحرير قال ابن عباس وقتادة مكية الا اية وهي قوله ولقد خلقنا الانسان السموات والارض الاية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه تعالى اخبر ان اولئك الذين قالوا امنا لم يكن ايمانهم حقا وانتفاء ايمانهم دليل على انكار نبوة الرسول فقال بل عجبوا ان جاءهم منذر وعدم الايمان ايضا يدل على انكار البعث فلذلك اعقبه به في حرف قاف وهجاءه وقد اختلف المفسرون في مدلوله على احد عشر قولا متعارضة لا دليل على صحة شيء منها فاطرحت نقلها في كتابي والقران مقسم به والمجيد صفته وهو الشريف على غيره من الكتب والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره انك جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا وقيل ما ردوا امرك بحجة وقال الاخفش والمبرد والزجاج تقديره لتبعثن وقيل الجواب مذكور فعن الاخفش قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعن ابن كيسان والاخفش ما يلفظ من قول وعن نحاة الكوفة بل عجبوا والمعنى لقد عجبوا وقيل ان في ذلك لذكرى وهو اختيار محمد بن علي الترمذي وقيل ما يبدل القول لدي وهذه كلها اقوال ضعيفة **وقرا** الجمهور قاف بسكون الفاء وبفتحها عيسى وبكسرها الحسن وابن ابي اسحق وابو السمال وبالضم هرون وابن السميفع وبالفتح الحسن ايضا فيما نقل ابن خالويه والاصل في حروف المعجم اذا لم تركب مع عامل ان تكون موقوفة فمن فتح فعدل الى اخف الحركات ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فكما ضم قط ومنذ وحيث بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا صدقه وامانته ونصحه فكان المناسب ان لا يعجبوا وهذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى فاي بعد في ان يبعث من يخوف وينذر بما يكون في المال من البعث والجزاء والضمير في بل عجبوا عائد على الكفار ويكون قوله فقال الكافرون تنبيها على العلة الموجبة للعجب وهو انهم قد جبلوا على الكفر فلذلك عجبوا وقيل الضمير عائد على الناس قبل لان كل مفطور يعجب من بعثة بشر رسولا من الله لكن من وفق نظر فاهتدى وامن ومن خذل ضل وكفر وحاج بذلك العجب والاشارة بقولهم هذا شيء عجيب الظاهر انها الى مجيء منذر من البشر وقيل الى ما تضمنه الانذار وهو الاخبار بالبعث **وقال** الزمخشري وهذا اشارة الى المرجع انتهى وفيه بعد **وقرا** الجمهور ائذا بالاستفهام وهم على اصولهم في تحقيق الثانية وتسهيلها والفصل بينهما **وقرا** الاعرج وشيبة وابو جعفر وابن وثاب والاعمش وابن عتبة عن ابن عامر اذا بهمزة واحدة على صورة الخبر فجاز ان يكون استفهاما حذفت منه الهمزة وجاز ان يكونوا عدلوا الى الخبر واضمر جواب اذا اي اذا متنا وكنا ترابا رجعنا واجاز صاحب اللوامح ان يكون الجواب ذلك رجع بعيد على تقدير حذف الفاء وقد اجاز بعضهم ذلك في جواب الشرط اذا كان جملة اسمية وقصره اصحابنا على الشعر في الضرورة واما في قراءة الاستفهام فالظرف منصوب بمضمر اي انبعث اذا متنا والبعث الاشارة بقوله ذلك الى البعث رجع بعيد اي مستبعد في الاوهام والفكر **وقال** الزمخشري واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع انتهى واخذه من قول ابن جني قال ابن جني ويحتمل ان يكون المعنى ائذا متنا بعد رجعنا فدل رجع بعيد على هذا الفعل ويحل محل الجواب لقولهم ائذا

متنا وقال

وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم وهو ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن **فان قلت** فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع **قلت** ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى وكون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع وانه من كلام الله لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراكه فهم العرب قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي من لحومهم وعظامهم واشعارهم قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور وهذا فيه رد لاستبعادهم الرجع لان من كان عالما بذلك كان قادرا على رجعهم وقال السدي اي ما يحصل في بطن الارض من موتاهم وهذا يتضمن الوعيد وعندنا كتاب حفيظ اي حافظ لما فيه جامع لا يفوت منه شيء او محفوظ من البلى والتغير وقيل هو عبارة عن العلم والاحصاء وفي الخبر الثابت ان الارض تاكل ابن ادم الا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة فيه يركب ابن ادم بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقد روا قبل هذا الاضراب جملة يكون مضروبا عنها اي ما اجادوا النظر بل كذبوا وقيل لم يكذب المنذر بل كذبوا والغالب ان الاضراب يكون بعد جملة منفية وقال الزمخشري بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات انتهى وكان هذا الاضراب الثاني بدل بداء من الاول وكلاهما بعد ذلك الجواب الذي قدرناه جوابا للقسم فلا يكون قبل بل الثانية ما قدروه من قولهم ما اجادوا النظر بل كذبوا بالحق والحق القران او البعث او الرسول او الاسلام اقوال **وقرا** الجمهور لما جاءهم اي لم يفكروا فيه بل باول ما جاءهم كذبوا **وقرا** الجحدري لما بكسر اللام وتخفيف الميم وما مصدرية واللام لام الجر كهي في قولهم كتبته لخمس خلون اي عند مجيئهم اياه فهم في امر مريج **قال** الضحاك وابن زيد مختلط مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقال ابو هريرة فاسد ومرجت امانات الناس فسدت ومرج الدين اختلط **قال ابو واقد**

• ومرج الدين فاعددت له • مشرف الحارك محبوك الكتد •

وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وعنه ايضا مختلط **وقال الشاعر**

• فجالت والتمست له حشاها • فخر كانه خوط مريج •

والاصل فيه الاضطراب والقلق مرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال ويجوز ان يكون الامر المريج باعتبار انتقال افكارهم فيما جاء به المنذر فاولا عدم قبولهم اول انذاره اياهم ثم العجب منهم ثم استبعاد البعث الذي انذر به ثم التكذيب لما جاء به اولم ينظروا حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول الى اثار قدرة الله في العالم العلوي والسفلي كيف بنيناها مرتفعة من غير عمد وزيناها بالنيرين وبالنجوم وما لها من فروج اي من فتوق وشقوق بل هي سليمة من كل خلل والارض مددناها بسطناها رواسي اي جبالا ثوابت تمنعها من التكفؤ من كل زوج اي نوع بهيج اي حسن المنظر يبهج اي يسر من نظر اليه **وقرا** الجمهور تبصرة وذكرى بالنصب وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما اي بصر وذكر وقيل مفعول من اجله **وقرا** زيد بن علي تبصرة بالرفع وذكر معطوف عليه اي ذلك الخلق على ذلك الوصف تبصرة والمعنى يتبصر بذلك ويتذكر كل عبد منيب اي راجع الى ربه مفكر في بدايع صنعه ماء مباركا اي كثير المنفعة وحب الحصيد اي الحب الحصيد فهو من اضافة الموصوف الى صفته كما يقوله الكوفيون والحصيد او حب الزرع الحصيد فهو من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما يقوله البصريون والحصيد كل ما يحصد مما له حب كالبر والشعير باسقات اي طوالا في العلو وهو منصوب على الحال وهي حال مقدرة لانها حالة الانبات لم يكن طوالا وباسقات جمع والنخل اسم جنس فيجوز ان يذكر نحو قوله نخل منقعر وان يؤنث نحو قوله نخل خاوية وان يجمع باعتبار افراده ومنه باسقات وقوله ويبشئ السحاب الثقال والجمهور باسقات بالسين وروى قطبة بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قرا باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون من السين صادا اذا وليتها او فصل بحرف او حرفين خاء او عين او قاف او طاء لها طلع نضيد تقدم شرحه في ومن طلعها قنوان دانية نضيد اي منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة

قوله عز وجل افعيينا

مافيه من الثمر واول ظهور الثمر في الكفري هو ابيض منضّد كحب الرمان فما دام ملتصقاً بعضه
ببعض فهو نضيد فاذا خرج من الكفري تفرق فليس بنضيد ورزقا نصب على المصدر لان معنى
وانبتنا رزقنا او على انه مفعول له وقراء الجمهور ميتا بالتخفيف وابو جعفر وخالد
بالتثقيل والاشارة في كذلك الى الاحياء اي الخروج من الارض احياء بعد موتكم مثل ذلك
الحيوة للبلدة الميت وهذه كلها امثلة وادلة على البعث وذكر تعالى في السماء ثلثة
البناء والتزيين ونفي الفروج وفي الارض ثلثة المد والقا الرواسي والانبات قابل المد بالبنا
لان المد وضع والبنا رفع والقا الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما
والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما
يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة او سنتين ويقتطف كل سنة وعلى ما اختلط من
جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت ولما ذكر قوله
بل كذبوا بالحق لما جاءهم ذكر من كذب الانبياء تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم
الكلام على مفردات هذه الاية وقصص من ذكر فيها وقراء ابو جعفر وشيبة وطلحة
ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة كل كذب الرسل اي كلهم اي جميعهم كذب وحمل
على لفظ كل فافرد الضمير في كذب وقال الزمخشري يجوز ان يراد به كل واحد منهم انتهى
والتنوين في كل تنوين عوض من المضاف اليه المحذوف واجاز محمد بن الوليد وهو من قدماء نحاة
مصر ان يحذف التنوين من كل جعله غاية ويبنى على الضم كما يبنى قبل وبعد فاجاز كل منطلق
بضم اللام دون تنوين ورد ذلك عليه الاخفش الصغير وهو علي بن سليمان فحق وعيد اي وجب
تعذيب الامم المكذبة واهلاكهم وفي ذلك تسلية للرسول وتهديد لقريش ومن كذب الرسول
افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد • ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد • اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد • وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد • ونفخ في الصور ذلك
يوم الوعيد • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • افعيينا بالخلق الاول وهو انشاء الانسان من نطفة
على التدريج وتقدم تفسير عيي في قوله ولم يعي بخلقهن وقراء الجمهور افعيينا بياء مكسورة
بعدها ياء ساكنة ماضي عيي كرضي وقراء ابن ابي عبلة والوليد بن مسلم والقورصي عن ابي
جعفر والسمسار عن شيبة وابو بحر عن نافع بتشديد الياء من غير اشباع في الثانية هكذا
قال ابو القسم الهذلي في كتاب الكامل وقال ابو خالويه في كتاب شواذ القراآت له افعينا بتشديد
الياء ابن ابي عبلة وفكرت في توجيه هذه القراءة اذ لم يذكر احد توجيهها فخرجتها على لغة
من ادغم الياء في الياء في الماضي فقال عيّ في عيي وحيّ في حيي فلما ادغم الحقه ضمير
المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام فقال عيّنا وهي لغة لبعض بكر بن وايل يقولون في
رددت ورددنا ردّت وردّنا فلا يفكون وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة
فلو كان الضمير نصب فاجمعت العرب على الادغام نحو ردّنا زيد وقال الحسن الخلق الاول
ادم والمعنى اعجزنا عن الخلق الاول فنعجز عن الخلق الثاني وهذا توقيف للكفار وتوبيخ
واقامة الحجة الواضحة عليهم بل هم في لبس اي خلط وشبهة وحيرة ومنه قول علي يا جار انه
لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله من خلق جديد اي من البعث من القبور ولقد خلقنا الانسا
هذه ايات فيها اقامة حجج على الكفار في انكارهم البعث والانسان اسم جنس وقيل ادم
ونحن اقرب قرب علم به وباحواله لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبا منه كما يقال
الله في كل مكان اي بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقول العرب
هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد •
والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافته الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية اي يراد
حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد والعامل في
اذ اقرب وقيل اذكر قيل ويحسن تقدير اذكر لانه اخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطرات الانفس
والقرب بالقدرة والملك فلما تم الاخبار اخبر بذكر الاحوال التي تصدق هذا الخبر وتعين
وروده عند السامع فمنها اذ يتلقى المتلقيان ومنها مجيء سكرة الموت ومنها النفخ في الصور

ومنها

قوله عز وجل لقد كنت في غفلة

ومنها مجيء كل نفس معها سائق وشهيد والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين
يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات وقال الحسن الحفظة اربعة اثنان بالنهار
واثنان بالليل وقعيد مفرد فاحتمل ان يكون معناه مقاعد كما تقول جليس وخليط اي
مجالس ومخالط وان يكون عدل من فاعل الى فعيل للمبالغة كعليم قال الكوفيون مفرد اقيم
مقام اثنين والاجود ان يكون حذف من الاول لدلالة الثاني عليه اي عن اليمين قعيد كما
قال الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريّا ومن اجل الطوي رماني
على احسن الوجهين فيه اي كنت منه بريّا ووالدي بريّا ومذهب المبرد ان التقدير عن اليمين
قعيد وعن الشمال فاخر قعيد عن موضعه ومذهب الفراء ان لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع
فلا يحتاج الى تقدير وقراء الجمهور ما يلفظ بكسر الفاء ومحمد بن ابي معدان بفتحها
وظاهر ما يلفظ من قول العموم قال مجاهد وابو الحوراء يكتب عليه كل شيء حتى انينه في مرضه
وقال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك
وقيل هو مخصوص اي من قول خير او شر وقال عكرمة معناه وما خرج عن هذا لا يكتب واختلفوا
في تعيين محل قعود الملكين ولا يصح فيه شيء رقيب ملك يرقب عتيد حاضر واذا كان على اللفظ
رقيب عتيد فاجري على العمل وقال الحسن فاذا مات طويت صحيفته وقيل له يوم القيمة
اقرأ كتابك وجاءت سكرة الموت هو معطوف على اذ يتلقى وسكرة الموت ما يعتري الانسان
عند نزاعه والباء في بالحق للتعدية اي اجاءت سكرة الموت الحق وهو الامر الذي نطق الله به
كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت او شقاوته او للحال ملتبسة بالحق وقراء
ابن مسعود سكرات جمعا ذلك ما كنت منه تحيد اي تميل تقول اعيش كذا واعيش كذا فمتى
فكر في قرب الموت حاد بذهنه عنه وامله الى مسافة بعيدة من الزمن ومن الحيد الحذر من الموت
وظاهر تحيد انه خطاب للانسان الذي جاءته سكرة الموت وقال الزمخشري الخطاب للفاجر
تحيد تنفر وتهرب ذلك يوم الوعيد هو على حذف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر
نفخ واضاف اليوم الى الوعيد وان كان يوم الوعد والوعيد معا على سبيل التخويف وقراء
الجمهور معها وطلحة بالحاء مثقلة ادغم العين في الهاء فانقلبتا حاء كما قالوا ذهب محم يريد
معهم سائق جاث على السير وشهيد يشهد عليه قال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره ملكان
موكلان بكل انسان يسوقه والاخر من حفظه يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك والشهيد
النبي وقيل الشهيد الكتاب الذي يلقاه منشورا والظاهر ان قوله سائق وشهيد اسما جنس
فالسائق ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من يشهد وقال ابن عباس والضحاك
السائق ملك والشهيد جوارح الانسان قال ابن عطية وهذا بعيد على ابن عباس لان الجوارح انما تشهد
بالمعاصي وقوله كل نفس يعم الصالحين فانما معناه وشهيد بخيره وشره ويقوى في شهيد اسم
الجنس فيشهد بالخير الملائكة والبقاع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن
انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة وقال ابو هريرة السائق ملك والشهيد العمل وقال
ابن مسلم السائق شيطان وهو قول ضعيف وقال الزمخشري ملكان احدهما يسوقه الى المحشر
والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه
ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة انتهى ولا
ضرورة تدعو الى الحال بل الجملة في موضع الصفة ان اعربت معها سائق وشهيد مبتدا وخبرا
والا فسائق فاعل بالظرف قبله لانه قد اعتمد فالظرف في موضع الصفة واما قوله لتعرفه
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة فكلام ساقط لا يصدر عن مبتدي في النحو لانه لو نعت كل نفس
ما نعت الا بالنكرة وهو نكرة على كل حال فلا يمكن ان يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد • وقال قرينه هذا ما لدي عتيد •
القيا في جهنم كل كفار عنيد • مناع للخير معتد مريب • الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه
في العذاب الشديد • قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد • قال لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد • ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد • يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد • وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد • هذا ما توعدون

لكل اواب حفيظ • من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب • ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود • لهم
ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد • قرأ الجمهور لقد كنت في غفلة بفتح التاء والجحدري
بكسرها على مخاطبة النفس وقرأ الجمهور عنك غطاءك فبصرك بفتح التاء والكاف
حملا على لفظ كل شيء من التذكير والجحدري وطلحة بن مصرف بكسر الكاف في الثلثة على مخاطبة
النفس وثانيها لتقدم ذكرها وللعائد عليها في قوله معها وقرأ الجحدري وطلحة بكسرها
ولم ينقل الكسر في الكاف صاحب اللوامح الا عن طلحة وحده قال صاحب اللوامح ولم اجد عنه
في لقد كنت الكسر فان كسر فات الجمع سرع واحد وان فتح لقد كنت يحمل على كل انه مذكر ويجوز
تانيث كل في هذا الباب لاضافته الى نفس وهي مؤنث وان كان كذلك فانه حمل بعضه على اللفظ
وبعضه على المعنى مثل قوله فله اجره ثم قال ولا خوف عليهم انتهى قال ابن عباس وصالح
ابن كيسان والضحاك يقال للكافر الغافل من ذوي النفس التي معها السائق والشهيد اذا حصل
بين يدي الرحمن وعاين الحقائق التي لا يصدق بها في الدنيا ويتغافل عن النظر فيها لقد كنت
في غفلة من هذا اي من عاقبة الكفر فلما كشف الغطاء عنك احتد بصرك اي بصيرتك وهذا كما
تقول فلان حديد الذهن وقال مجاهد هو بصر العين اي احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك
من اهوال القيمة وعن زيد بن اسلم قول في هذه الاية يجب نقله وهو في كتاب ابن عطية وكني
بالغطاء عن الغفلة كانها غطت جميعه او عينيه فهو لا يبصر فاذا كان في القيامة زالت عنه
الغفلة فابصر ما كان لم يبصره من الحق وقال قرينه اي من زبانية جهنم هذا العذاب الذي
لدي لهذا الانسان الكافر عتيد حاضر ويحسن هذا القول اطلاق ما على ما لا يعقل وقال
قتادة وابن زيد قرينه الملك الموكل بسوقه اي هذا الكافر الذي اسوقه لدي حاضر وقال
الزهراوي وقيل قرينه شيطانه وهذا ضعيف وانما وقع فيه ان القرين في قوله ربنا ما اطغيته
هو شيطانه في الدنيا ومغويه بلا خلاف ولفظ القرين اسم جنس فسابقه قرين وصاحبه من الزبانية
قرين ومماشي الانسان في طريقه قرين وقيل قرينه هنا عمله قلبا وجوارح وقال الزمخشري وقال
قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال
قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا
يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي
انتهى وهذا قول مجاهد وقال الحسن وقتادة ايضا الملك الشهيد عليه وقال الحسن ايضا هو كاتب
سيئاته وما نكرة موصوفة بالظرف وبعتيد او موصولة والظرف صلتها وعتيد قال الزمخشري
بدل او خبر او خبر مبتدإ محذوف انتهى وقرأ الجمهور عتيد بالرفع وعبد الله بالنصب
على الحال والاولى اذ ذاك ان تكون ما موصولة القيا في جهنم الخطاب من الله للملكين السائق
والشهيد وقيل للملكين من ملائكة العذاب وقيل هذا للاقصير الاثنين وقال مجاهد وجماعة
هو قول اما للسائق واما للذي هو من الزبانية وعلى انه خطاب للواحد وقال المبرد معناه
الق الق فثني وقال الفراء هو من خطاب الواحد بخطاب الاثنين وقيل الالف بدل من النون
الخفيفة اجري الوصل مجرى الوقف وهذه اقوال مرغوب عنها ولا ضرورة تدعو الى الخروج عن
ظاهر اللفظ لقول مجاهد وقرأ الحسن القين بنون التوكيد الخفيفة وهي شاذة
مخالفة لنقل التواتر بالالف كل كفار مبالغ اي بكفر النعمة والمنعم عنيد قال قتادة منحرف
عن الطاعة وقال الحسن جاحد متمرد وقال السدي المشاق من العند وهو عظم يعرض في الحلق
وقال ابن بحر المعجب بما فيه مناع للخير قال قتادة ومجاهد وعكرمة يعني الزكوة وقيل بخيل
وقيل مانع بني اخيه من الايمان كالوليد بن المغيرة كان يقول لهم من دخل منكم فيه لم انفعه
بشيء ما عشت والاحسن عموم الخير في المال وغيره مريب قال الحسن شاك في الله او في البعث
وقيل متهم الذي جوزوا فيه ان يكون منصوبا بدلا من كل كفار وان يكون مجرورا بدلا من كفار
وان يكون مرفوعا بالابتداء مضمنا معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره وهو فالقياه
والظاهر تعلقه بما قبله على جهة البدل ويكون فالقياه توكيدا او قال ابن عطية ويحتمل ان تكون
صفة من حيث يختص كفار بالاوصاف المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة انتهى وهذا ليس بشيء
لو وصفت النكرة باوصاف كثيرة لم يجز ان توصف بالمعرفة قال قرينه لم تات هذه الجملة بالواو

بخلاف

بخلاف وقال قرينه قبله لان هذه استونفت كما تستانف الجمل في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى
وفرعون فجرت مقاولة بين الكافر وقرينه ربنا ما اطغيته واما وقال قرينه فعطف
للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقال
قرينه ما قال له ومعنى ما اطغيته تبرية لنفسه من انه اثر فيه ولكن كان في ضلال بعيد اي
من نفسه لا مني فهو الذي استحب العمى على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي وكذب القرين اذ اطغاه بوسوسته وتزيينه قال لا تختصموا لدي استيناف
ايضا مثل قال قرينه كان قائلا قال فما قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي اي في دار الجزاء
وموقف الحساب وقد قدمت اليكم بالوعيد لمن عصاني فلم اترك لكم حجة ما يبدل القول لدي
اي عندي فما امضيته لا يمكن تبديله وقال الفراء ما يكذب لدي لعلمي بجميع الامور وقدمت
يجوز ان تكون بمعنى تقدمت اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد او يكون قدم المعدية والباء في
هو المفعول والباء زائدة والتقديم كان في الدنيا ونهيهم عن الاختصام في الاخرة فاختلف
الزمانان فلا تكون الجملة من قوله وقد قدمت حالا الا على تاويل اي وقد صح عندكم اني قدمت
وصحة ذلك في الاخرة فاتفق زمان النهي عن الاختصام وصحة التقديم بالحال على هذا التاويل
مقاربة وما انا بظلام للعبيد تقدم شرح مثله في اواخر آل عمران والمعنى لا اعذب من لا يستحق
العذاب وقرئ يوم يقول بياء الغيبة الاعرج وشيبة ونافع وابو بكر والحسن وابو رجاء
وابو جعفر والاعمش وباقي السبعة بالنون وعبد الله والحسن والاعمش ايضا يقال مبنيا للمفعول
وانتصاب يوم بظلام او باذكر مضمرة او بانذر كذلك قال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه
قيل ونفخ في الصور يوم نقول وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول انتهى وهذا بعيد جدا قد فصل
على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة فلا يناسب هذا القول فصاحة القران وبلاغته
وهل امتلأت تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة لانه تعالى عالم باحوال جهنم وقيل وهذا
السؤال والجواب منها حقيقة وقيل هو على حذف مضاف اي نقول لخزنة جهنم قاله الرماني
وقيل السؤال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى اي حالها حال من لو نطق بالجواب
لسائله لقال كذا وهذا القول يظهر انها اذ ذاك لم تكن ملأى فتقول هل من مزيد سؤال
ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها وقال الحسن وعمرو وواصل كانت
ملأى وفيه السؤال فلا يزاد على امتلائها كما جاء في الحديث وهل ترك لنا عقيل من دار اي ما
ترك ومزيد يحتمل ان يكون مصدرا واسم مفعول غير بعيد مكانا غير بعيد وهو تاكيد لازلفت
رفع مجاز القرب بالوعد والاخبار فانتصاب غير على الظرف صفة قامت مقام مكان فاعربت
باعرابه واجاز الزمخشري ان ينتصب غير بعيد على الحال من الجنة قال وتذكيره يعني بعيد لانه
على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث انتهى
وكونه على وزن المصدر لا يسوغ ان يكون المذكر صفة للمؤنث وقال الزمخشري ايضا او على حذف
الموصوف اي شيئا غير بعيد انتهى وكانه يعني الا ما غير بعيد هذا اشارة للثواب وقرأ
الجمهور ما توعدون خطاب للمؤمنين وابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة اي هذا القول هو
الذي وقع الوعد به وهي جملة اعتراضية بين المبدل منه والبدل ولكل اواب هو البدل من
للمتقين من خشي بدل تابع لكل قاله الزمخشري وانما جعله تابعا لكل لا بدلا من للمتقين لانه
لا يتكرر الابدال والمبدل منه واحد قال ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ انتهى
فنريد ان يكون التقدير لكل شخص اواب حفيظ قال ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان
من لا يوصف به ولا يوصف من بين سائر الموصولات الا بالذي انتهى يعني بقوله في حكم اواب
ان يجعل من صفته وهذا حكم صحيح واما قوله ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي فالحصر
فيه ليس بصحيح قد وصفت العرب بما فيه ال وهو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو
الطائية وذات في المؤنث ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به
يريد بالفضل الذي فضلكم والكرامة التي اكرمكم ولا يريد الزمخشري خصوصية الذي بل فرعه
من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك وجوزوا ان تكون من موصولة مبتدأ خبره
القول المحذوف تقديره يقال لهم ادخلوها لان معناه الجمع وان تكون شرطية والجواب الفعل

المحذوف اي فيقال وان يكون منادي من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء وقال ابن
عطية يحتمل ان تكون من نعتا انتهي وهذا لا يجوز لان من لا ينعت بها وبالغيب حال من المفعول
اي وهو غائب عنه وانما ادركه بالعلم الضروري اذ كل مصنوع لا بد له من صانع واجيز ان يكون
صفة لمصدر خشي اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب
الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فيكون حالا من الفاعل
وقرن بالخشية الرحمن ثناء علي الخاشي حيث علم انه واسع الرحمة وهو مع ذلك يخشاه ادخلوها
بسلام اي سالمين من العذاب او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير
الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود وهو معادل لقوله في امر الكفار ذلك
يوم الوعيد لهم ما يشاؤن فيها اي ما تعلقت به مشيآتهم من انواع الملاذ والكرامات كقوله
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولدينا مزيد زيادة او شي مزيد علي ما يشاؤن ونحوه فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وكما جاء في الحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر علي قلب بشر ما اطلعتهم عليه ومزيد مبهم فقيل مضاعفة الحسنة بعشر امثالها
وقيل ازواج من حور الجنة وقيل تجلي الله تعالي لهم حتي يرونه وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد
منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص • ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب او القي السمع
وهو شهيد • ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب • فاصبر
علي ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه وادبار السجود
واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب • يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج • انا نحن
نحيي ونميت والينا المصير • يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير • نحن اعلم بما يقولون
وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد • اي كثيرا اهلكنا قبلهم اي قبل قريش هم اشد
منهم بطشا لكثرة قوتهم واموالهم وقرا الجمهور فنقبوا بفتح القاف مشددة والظاهر
ان الضمير في فنقبوا عائد علي كم اي دخلوا البلاد من انقابها والمعني طوفوا في البلاد وقيل
نقروا وبحثوا والتنقيب التنقير والبحث قال امرؤ القيس في معني التطواف

وقد نقبت في الافاق حتي • رضيت من الغنيمة بالاياب •

وروي وقد طوفت وقال الحرث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر الموت • وجالوا في الارض كل مجال •

وفنقبوا متسبب عن شدة بطشهم فهي التي اقدرتهم علي التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يعود
الضمير في فنقبوا علي قريش اي فنقبوا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا محيصا حتي يؤملوه
لانفسهم ويدل علي عود الضمير علي اهل مكة قراة ابن عباس وابن يعمر وابي العالية ونصر بن سيار
وابي حيوة والاصمعي عن ابي عمرو بكسر القاف مشددة علي الامر لاهل مكة اي فسيحوا في البلاد
وابحثوا وقرا ابن عباس ايضا وعبيد عن ابي عمرو بفتح القاف مخففة وهي كالمشددة وقري
بكسر القاف خفيفة اي نقبت اقدامهم واخفاف ابلهم او حفيت لكثرة تطوافهم في البلاد من
نقب خف البعير اذا انتقب ودمي ويحتمل ان يكون هل من محيص علي اضمار القول اي يقولون
هل من محيص من الهلاك واحتمل ان لا يكون ثم قول اي لا محيص من الموت فيكون توقيفا وتقريرا
ان في ذلك اي في اهلاك تلك القرون لذكري لتذكرة واتعاظا لمن كان له قلب اي واع والمعني لمن
كان له عقل وعبر عنه بمحله ومن له قلب لا يعي كمن لا قلب له وقرا الجمهور او القي السمع
مبنيا للفاعل والسمع نصب به اي او اصغي سمعه لهذه الانباء الواعظة وهو شهيد اي حاضر الذهن
متفطن لما اصغي اليه سمعه مفكر فيه فشهيد من المشاهدة وهو الحضور وقال قتادة لمن كان له
قلب من اهل الكتاب فيعتبر ويشهد بصحتها لعلمه بذلك من التوراة فشهيد من الشهادة وقرا
السلمي وطلحة والسدي وابو البرهسم او القي مبنيا للمفعول السمع رفع به اي السمع منه
اومن الذي له قلب وقيل المعني او لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه ولم يحضر ذهنه
اي المنبه والفاتح والملقي له والمفتوح اذنه حاضر الذهن متفطن وذكر لعاصم انها قراءة
السدي فيه وقال ليس يقول يلقون السمع ولقد خلقنا السموات والارض نزلت في
اليهود تكذيبا لهم في قولهم انه تعالي استراح من خلق السموات والارض في ستة ايام يوم السبت

واستلقي

قوله عز وجل وكم اهلكنا

واستلقي علي العرش وقيل التشبيه الذي وقع في هذه الامة انما اخذوه من اليهود وما مسنا من لغوب
احتمل ان تكون جملة حالية واحتمل ان تكون استئنافا واللغوب الاعياء وقرا الجمهور
بضم اللام وعلي والسلمي وطلحة ويعقوب بفتحها وهما مصدران الاول مقيس وهو الضم واما
الفتح فغير مقيس كالقبول والولوع وينبغي ان يضاف الي تلك الخمسة التي ذكرها س وزاد
الكسائي الوزوع فتصير سبعة فاصبر قيل منسوخ باية السيف علي ما يقولون اي اليهود وغيرهم
من الكفار قريش وغيرهم وسبح بحمد ربك اي صل قبل طلوع الشمس هي صلوة الصبح وقبل الغروب
هي صلوة العصر قاله قتادة وابن زيد والجمهور وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر
ومن الليل صلوة العشائين وقبل الغروب ركعتان قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس ما معناه
ان الصحابة كانوا يصلونهما قبل المغرب وقال قتادة ما ادركت احدا يصليهما الا انسا وابا
برزة الاسلمي وقال بعض التابعين كان الصحابة يهبون اليهما كما يهبون الي المكتوبة وقال ابن
زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلوة الليل وادبار السجود قال ابو الاحوص هو التسبيح
في ادبار الصلوات وقال عمر وعلي وابو هريرة والحسن والشعبي وابراهيم ومجاهد والاوزاعي
هما ركعتان بعد المغرب وقال ابن عباس هو الوتر بعد العشاء وقال ابن عباس ومجاهد ايضا
وابن زيد النوافل بعد الفرائض وقال مقاتل ركعتان بعد العشاء يقرا في الاولي قل
يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد وقرا ابن عباس وابو جعفر وشيبة وعيسي
والاعمش وطلحة وشبل وحمزة والحرميان وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول ادبرت الصلوة
انقضت وتمت وقال الزمخشري وغيره ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم اتيتك خفوق
النجم وقرا الحسن والاعرج وباقي السبعة بفتحها جمع دبر كطنب واطناب اي وفي
ادبار السجود اي اعقابه وقال اوس بن حجر •

علي دبر الشهر الحرام فارضنا • وما حولها جدب سنون تلمع •

واستمع امر بالاستماع والظاهر انه اريد به حقيقة الاستماع والمستمع له محذوف تقديره واستمع
لما اخبر به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به كما قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اي ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل مفعول استمع محذوف تقديره
نداء المنادي وقيل تقديره نداء الكافر بالويل والثبور وقيل لا يحتاج الي مفعول اذ حذف
اقتصارا والمعني كن مستمعا ولا تكن غافلا معرضا وقيل معني واستمع وانتظر والخطاب
لكل سامع وقيل للرسول اي ارتقبه فان فيه تبين صحة ما قلته كما تقول لمن تعده بورود فتح
استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا فيوم منتصب علي انه مفعول به وقرا
ابن كثير المنادي بالياء وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو بحذف الياء وقفا وعيسي وطلحة
والاعمش وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا اتباعا لخط المصحف ومن اثبتها فعلي الاصل
ومن حذفها وقفا فلان الوقف محل تغيير يبدل فيه التنوين الفا نصبا والتاء هاء ويشدد
المخفف ويحذف الحرف في القوافي والمنادي في الحديث ان ملكا ينادي من السماء ايتها الاجسام
الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلم الي الحشر الوقوف بين يدي الله من مكان
قريب وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق قيل والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور
وينادي وقيل المنادي جبريل وقال كعب وقتادة وغيرهما المكان صخرة بيت المقدس
قال كعب قربها من السماء بثمانية عشر ميلا كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب الزمخشري
باثني عشر ميلا وهي وسط الارض انتهي ولا يصح ذلك الا بوحي يوم يسمعون بدل من يوم
ينادي والصيحة صيحة المنادي قيل يسمعون من تحت اقدامهم وقيل من تحت شعورهم
وهي النفخة الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر ذلك اي يوم النداء
والسماع يوم الخروج من القبور وقيل الاشارة بذلك الي النداء اي ذلك النداء والسماع
في الظرف فجعل خبرا عن المصدر او يكون علي حذف اي ذلكم النداء نداء يوم الخروج او وقت
النداء يوم الخروج وقرا نافع وابن عامر تشقق بشد الشين وباقي السبعة بخفها
وقري تشقق بضم التاء مضارع شققت علي البناء للمفعول وتنشق مضارع انشقت

وقراءة زيد بن علي تشقق بفك الادغام ذكره ابو علي الاهوازي في قراءة زيد بن علي من تاليفه
ويوم بدل من يوم الثاني وقيل منصوب بالمصدر وهو الخروج وقيل المصير وانتصب سراعا
على الحال من الضمير في عنهم والعامل تشقق وقيل محذوف تقديره يخرجون وهو حال من الواو
في يخرجون قاله الحوفي ويجوز ان يكون هذا المقدر عاملا في يوم تشقق ذلك حشر علينا يسير
فصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو علينا اي يسير علينا وحسن ذلك لاجل كون
الصفة فاصلة وقال الزمخشري علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر
مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة انتهى وهو على طريقته في تقديم المفعول وما اشبهه من دلالة ذلك على
الاختصاص وقد بحثنا معه في ذلك في سورة الفاتحة في اياك نعبد نحن اعلم بما يقولون هذا وعيد
محض للكفار وتهديد لهم وتسلية للرسول وما انت عليهم بجبار بمتسلط حتى تجبرهم على الايمان
قاله الطبري وقيل التحلم عنهم وترك الغيظة عليهم فذكر بالقران من يخاف وعيد لانه لا ينفع الا من
يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يذكر اذ لا تنفع فيه الذكرى كما قال وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وختمت بقوله فذكر بالقران كما افتتحت بق والقران **الحبك** الطرايق
مثل حبك الرمل والماء القايم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسره

المفردات

قال الشاعر مكلل باصول النجم ينسجه • ريح خريق لضاحي مايه حبك •

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرايق وواحدها حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال
ومثل **قال الراجز** كانما جللها الحواك • طنفسة في وشيها حباك •
ويقال حباك للظفيرة التي يشد بها حظار القصب بكرة وهي مستطيلة تصنع في ترحيب الغراسات
المصطفة وقال ابن الاعرابي حبكت الشيء احكمته واحسنت عمله قال الفراء الحبك تكسر كل شيء
وقال غيره المحبوك الشديد الخلق من فرس وغيره **قال امرؤ القيس**

• قد غدا يحملني في انفه • لاحق الاطلين محبوك ممر •

الهجوع النوم **السمن** معروف وهو امتلاء الجسد بالشحم واللحم يقال سمن سمنا فهو سمين شذوا
في المصدر واسم الفاعل والقياس سمن وسمن وقالوا سامن اذا حدث له السمن **الذنوب**
الدلو العظيم **قال الراجز** انا اذا نازلنا غريب • له ذنوب ولنا ذنوب •
وان ابيتم فلنا القليب وانشده الزمخشري لنا ذنوب ويطلق ويراد به الحظ والنصيب
قال علقمة بن عبدة وفي كل حي قد خبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب •
ونسبه الزمخشري لعمرو بن شاس وهو وهم وهو في ديوان علقمة وكان الحرث بن ابي شمر الغساني
اسر شاسا اخا علقمة ومدحه بالقصيدة التي فيها هذا البيت فلما وصل الى هذا البيت
في الانشاد قال الحرث نعم واذنبة **وقال حسان**

• لا تبعدن ربيعة بن مكدم • وسقى الغوادي قبره بذنوب •

وقال اخر لعمرك والمنايا طارقات • لكل بني اب منها ذنوب •

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا • فالحاملات وقرا • فالجاريات يسرا • فالمقسمات امرا • انما توعدون لصادق • وان الدين لواقع • والسماء ذات الحبك • انكم لفي قول مختلف • يؤفك عنه من افك • قتل الخراصون • الذين هم في غمرة ساهون • يسالون ايان يوم الدين • يوم هم على النار يفتنون • ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون • ان المتقين في جنات وعيون • اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالاسحار هم يستغفرون • وفي اموالهم حق للسايل والمحروم • وفي الارض ايات للموقنين • وفي انفسكم افلا تبصرون • وفي السماء رزقكم وما توعدون • فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون •

هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه قال فذكر بالقران
من يخاف وعيد وقال اول هذه بعد القسم انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والذاريات
الرياح فالحاملات السحاب فالجاريات الفلك فالمقسمات الملايكة هذا تفسير علي على المنبر وقد

ساله

ساله ابن الكواء قاله ابن عباس وقال ابن عباس ايضا فالحاملات هي السفن الموقرة بالناس وامتاعهم
وقيل الحوامل من جميع الحيوان وقيل الجاريات السحاب بالرياح وقيل الجواري من الكواكب وادغم ابو عمرو
وحمزة والذاريات في دال ذروا وذروها تفريقها للمطر او للتراب **وقرئ** وقرا بفتح الواو
تسمية للمحمول بالمصدر ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي سهولة فيسرا مصدر وصف به على تقدير محذوف
فهو على راي **س** في موضع الحال امرا تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها فامرا مفعول
به وقيل مصدر منصوب على الحال اي مامورة ومفعول المقسمات محذوف **وقال** مجاهد
يتولى امر العباد جبريل للغلظة وميكايل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ
وجاء في الملايكة فالمقسمات على معنى الجماعات وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها
تنشي السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب انتهى
فان كان المدلول متغايرا فيكون اقساما متعاقبة وان كان غير متغاير فهو قسم واحد وهو من
عطف الصفات اي ذرت اول هبوبها التراب والحصبا فاقلت السحاب فجرت في الجو باسطة
للسحاب فقسمت المطر فهو كقوله • يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالايب •
اي الذي صبح العدو فغنم منهم فاب الى قومه سالما غانما والجملة المقسم عليها وهي جواب القسم
هي انما توعدون وما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف اي توعدونه ويحتمل ان تكون مصدرية
اي ان وعدكم او وعيدكم اذ يحتمل توعدون الامرين ان تكون مضارع وعد ومضارع اوعد
ويناسب ان تكون مضارع اوعد لقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد ولان المقصود التخويف
والتهويل ومعنى صدقه تحقق وقوعه والمتصف بالصدق حقيقة هو المخبر **وقال** تعالى
ذلك وعد غير مكذوب اي مصدوق فيه وقيل لصادق وضع اسم الفاعل موضع المصدر
ولا حاجة الى هذا التقرير **وقال** مجاهد الاظهر ان الاية في الكفار وانه وعيد محض
وان الدين اي الجزا الواقع اي صاير حقيقة على المكلفين من الانس والجن والظاهر في والسماء
انه جنس اريد به جميع السموات **وقال** عبد الله بن عمرو بن العاص هي السماء السابعة
وقيل السحاب الذي يظل الارض ذات الحبك اي ذات الخلق المستوي الجيد قاله ابن عباس
وعكرمة وقتادة ومجاهد والربيع **وقال** الحسن وسعيد بن جبير ذات الحبك اي الزينة
بالنجوم **وقال** الضحاك ذات الطرايق يعني من المجرة التي في السماء وقال ابن زيد
ذات الشدة لقوله سبعا شدادا وقيل ذات الصفاقة **وقرا** الجمهور الحبك
بضمتين وابن عباس والحسن بخلاف عنه وابو مالك الغفاري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو
السمال ونعيم عن ابي عمرو باسكان البا وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف وابو
مالك الغفاري والحسن بخلاف عنه بكسر الحا والبا وابو مالك الغفاري والحسن ايضا
وابو حيوة بكسر الحا واسكان البا وهو تخفيف فعل المكسورهما وهو اسم مفرد لا جمع لان
فعلا ليس من ابنية الجموع فينبغي ان يعد مع ابل فيما جا من الاسماء على فعل بكسر الفا
والعين وابن عباس ايضا وابو مالك بفتحهما قال ابو الفضل الرازي فهو جمع حبكة
مثل عقبة وعقب انتهى والحسن ايضا الحبك بكسر الحا وفتح البا **وقرا** ايضا كالجمهور
فصارت قراته خمسا الحبك الحبك الحبك الحبك الحبك **وقرا** ابو مالك ايضا الحبك
بكسر الحا وضم البا وذكرها ابن عطية عن الحسن فتصير له ست قراات وقال صاحب اللوامح
وهو عديم النظير في العربية في ابنيتها واوزانها ولا ادري ما رواه انتهى وقال ابن عطية
هي قراة شاذة غير متوجهة وكانه اراد كسرها ثم توهم الحبك قراة الضم بعد ان كسر الحا
وضم البا وهذا على تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البنا انتهى وعلى هذا تاول
النحاة هذه القراة والاحسن عندي ان تكون مما اتبع فيه حركة الحا لحركة تاء ذات في الكسر
ولم يعتد باللام الساكنة لان الساكن حاجز غير حصين وجواب القسم انكم لفي قول مختلف
والظاهر انه خطاب عام للمسلم والكافر كما ان جواب القسم السابق يشملهما واختلافهم كونهم
مومنا بالرسول وكتابه وكافرا **وقال** ابن زيد خطاب للكفرة فيقولون ساحر شاعر
كاهن مجنون وقال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما يكون متناقضا مختلفا وقيل اختلافهم
في الحشر منهم من ينفيه ومنهم من يشك فيه وقيل اختلافهم اقرارهم بان الله اوجدهم وعبادتهم

غيره والاقوال التي يقولونها في آلهتهم يؤفك اي يصرف عنه عن القران او الرسول قاله الحسن
وقتادة من افك اي من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم لقوله لا يهلك على الله
الا هالك وقيل من صرف في سابق علم الله انه ماءفوك عن الحق لا يرعوي وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم
شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو الماءفوك وقيل الماءفوك عنه
محذوف وعن هنا للسبب والضمير عايد على قول مختلف اي يصرف بسببه من اراد الاسلام
بان يقول هو سحر هو كهانة حكاه الزهراوي والزمخشري واورده على عادته في ابداء ما هو
يحكى عن غيره انه مخترعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يعود على قول مختلف والمعنى يصرف
عنه بتوفيق الله الى الاسلام من غلبت سعادته وهذا على ان يكون في قول مختلف للكفار الا
ان عرف الاستعمال في افك الصرف من خير الى شر فلذلك لا تجده الا في المذمومين انتهى وفيه
بعض تلخيص وقرا ابن جبير وقتادة من افك مبنيا للفاعل اي من افك الناس عنه
وهم قريش وقرا زيد بن علي يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو ماءفوك
في نفسه وعنه ايضا ياءفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ
يؤفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه عنه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل
الخراصون دعاء عليهم وهم اصحاب القول المختلف يكذبوا الرسول عليه السلام وقرئ
قتل الخراصين اي قتل الله الخراصين وهم المقدرون ما لا يصح في غمرة في جهل يغمرهم ساهون
غافلون عن ما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقت الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء وتقدمت
قراءة من كسر الهمزة في قوله ايان مرساها وايان يوم الدين فيكون الظرف محلا للمصدر وانتصب
يوم هم بمضمر تقديره هو كاين اي الجزاء قاله الزجاج وجوزوا ان يكون خبر مبتداء محذوف
اي هو يوم هم والفتحة فتحة بناء لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة الاسمية ويؤيده
قراءة ابن ابي عبلة والزعفراني يومُهم بالرفع واذا كان ظرفا جاز ان تكون الفتحة فيه
حركة اعراب وحركة بناء وتقدم الكلام على اضافة الظرف المستقبل الى الجملة الاسمية
في غافر في قوله يوم هم بارزون وقال بعض النحاة يومهم بدل من يوم الدين
فيكون هنا حكاية من كلامهم على المعنى ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء ولو حكي لفظ قولهم
لكان التركيب يوم نحن على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا هذا الذي
وخبر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب انتهى وفيه
بعد والاستقلال خير من البدل ومعنى تفتنون تعذبون في النار قاله ابن عباس ومجاهد
وعكرمة والناس واستعجالهم قولهم ايان يوم الدين ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين
وانتصب آخذين على الحال اي قابليه راضين به وذلك في الجنة وقال ابن عباس آخذين اي في
دنياهم ما آتاهم ربهم من اوامره ونواهيه وشرعه فالحال محكية لتقدمها في الزمان على
كونهم في الجنة والظاهر ان قليلا ظرف وهو في الاصل صفة اي كانوا في قليل من الليل وجوزوا
ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا وما زايدة في كلا الاعرابين
وفسر انس بن مالك ذلك فقال كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء ولا يدل لفظ الاية على
الاقتصار على هذا التفسير وقال الربيع بن خثيم كانوا يصيبون من الليل حظا وقال
مطرف بن عبد الله ومجاهد وابن ابي نجيح قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها وقال الحسن كابدوا
قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا وقال الضحاك كانوا قليلا اي في عددهم وتم خبر
كان ثم ابتدا من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وهذا القول فيه تفكيك
للكلام وتقدم معمول العامل المنفي بما على عامله وذلك لا يجوز عند البصريين ولو كان
ظرفا او مجرورا وقد اجاز ذلك بعضهم وجاء في الشعر قوله اذا هي قامت حاسرا مشمعلة •
نخيب الفواد راسها ما تقنع • فقدم راسها على ما تقنع وهو منفي بما وجوزوا ان تكون ما
مصدرية موصولة في موضع رفع بقليلا اي كانوا قليلا هجوعهم وهو اعراب سهل حسن
وان تكون ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل من الوقت
الذي يهجعون فيه وفيه تكلف ومن الليل يدل على انهم مشتغلون بالعبادة في اوقات الراحات

وسكون

وسكون الانفس من مشاق النهار وبالاسحار هم يستغفرون فيه ظهور على ان تهجدهم يتصل
بالاسحار فياخذون في الاستغفار مما يمكن ان يقع فيه تقصير وكانهم احرموا في تلك
الليالي والاسحار مظنة الاستغفار وقال ابن عمر والضحاك يستغفرون يصلون
وقال الحسن يدعون في طلب المغفرة والظاهر ان قيام الليل وهذا الحق في المال هو
من المندوبات واكثر ما تقع زيادة الثواب بفعل المندوب وقال منذر بن سعيد هذا الحق
هو الزكوة المفروضة وضعف بان السورة مكية وفرض الزكوة بالمدينة وقيل كان فرضا
ثم نسخ وضعف بانه تعالى لم يشرع بمكة قبل الهجرة شيا من اخذ الاموال والسايل الذي
يستعطي والمحروم لغة الممنوع من الشي قال علقمة •

• ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه • اني توجه والمحروم محروم •

واما في الاية فالذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وقيل الذي يبعد منه ممكنات
الرزق بعد قربها منه فينال له الحرمان وقال ابن عباس المحارب الذي ليس له في
الاسلام سهم مال وقال زيد بن اسلم هو الذي اجيحت ثمرته وقيل ماتت ماشيته وقال
عمر بن عبد العزيز هو الكلب وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب
وقيل غير ذلك وكل هذه الاقوال على سبيل التمثيل لا التعيين ويجمعها انه الذي لا مال له
لحرمان اصابه وفي الارض ايات تدل على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما
فوقها وفيها الفجاج للسلاك وهي متجزية من سهل ووعر ووعر وقطع متجاورات من صلبة
ورخوة ومنبتة وسبخة وتلقح بانواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب المنبثة
في برها وبحرها المختلفة الاشكال وقرا قتادة اية على الافراد للموقنين وهم الذين
نظروا النظر الصحيح واداهم ذلك الى ايقان ما جاءت به الرسل فايقنوا لم يدخلهم ريب
وفي انفسكم في حال ابتدايها وانتقالها من حال الى حال وما اودع من في شكل الانسان من
لطايف الحواس وما ترتب على العقل الذي اوتيه من بدايع العلوم وغرايب الصنايع
وغير ذلك مما لا ينحصر وفي السماء رزقكم قال الضحاك ومجاهد وابن جبير المطر والثلج
لانه سبب الاقوات وكل عين دايمة من الثلج وقال مجاهد ايضا وواصل الاحدب اراد
القضاء والقدر اي الرزق عند الله ياتي به كيف شاء وما توعدون الجنة او هي والنار
او امر الساعة او من خير وشر او من ثواب وعقاب اقوال المراد بها التمثيل لا التعيين
وقرا ابن محيصن ارزاقكم على الجمع والضمير في انه عايد على القران او الى الدين الذي
في قوله وان الدين لواقع او الى اليوم المذكور في قوله ايان يوم الدين او الى الرزق او الى الله
او الى النبي عليه السلام اقوال منقولة والذي يظهر انه عايد على الاخبار السابق من الله تعالى
فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء وكونهم في قول مختلف وقتل الخراصين
وكينونة المتقين في الجنة على ما وصف وذكر اوصافهم وما ذكر بعد ذلك ولذلك شبه في الحقيقة
بما يصدر من نطق الانسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام وقرا حمزة والكسايي
وابو بكر والحسن وابن ابي اسحق والاعمش بخلاف عن ثلاثتهم مثل بالرفع صفة لقوله لحق وباقي
السبعة والجمهور بالنصب فقيل هي فتحة بناء وهو نعت كحاله في قراءة من رفع ولما اضيف الى
غير متمكن بني وما على هذا الاعراب زايدة للتوكيد والاضافة هي الى انكم تنطقون وقال
المازني بني مثل لانه ركب مع ما فصار شيا واحدا ومثله ويحما وهيما وايما قال حميد
ابن ثور • الا هيما مما لقيت وهيما • وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما •
قال فلولا البناء لكان منونا وقال الشاعر • فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنما
انتهى هذا التخريج وابنما ليس ابنا بني مع ما بل هذا من باب زيادة الميم فيه واتباع ما في الاخر
للاخر اذ جعل في الحكم الاعراب تقول هذا ابنم ورايت ابنما ومررت بابنم وليست ما في الثلث
في ابنما مركبة مع ما كما قال بل الفتحة في ابنما حركة اعراب وهو منصوب على التمييز وانشد •
النحويون في بناء الاسم مع الحرف قول الشاعر

• اثورا ما اصيدكم ام ثورين • ام هذه الجماء ذات القرنين •

وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره انه لحق حقا مثل ما انكم تحركته حركة اعراب وقيل انتصب

قوله عزوجل هل اتيك حديث ضيف

على انه حال من الضمير المستكن في لحق وقيل حال من لحق وان كان نكرة فقد اجاز ذلك الجرمي
وس في مواضع من كتابه والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والاصوات في ترتيب
المعاني ويقول الناس هذا احق كما انك هاهنا وهذا حق كما انك ترى وتسمع وهذا كما في الاية
وما زايدة بنص الخليل ولا يحفظ حذفها فتقول هذا حق كانك هاهنا والكوفيون يجعلون
مثلا محلا فينصبونه على الظرف ويجيزون زيد مثلك بالنصب فعلى مذهبهم يجوز ان يكون
مثل فيها منصوبا على الظرف واستدلالهم والرد عليهم مذكور في النحو ومن كلام بعض العرب
من ذا الذي اغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجووه الى اليمين هل اتيك
حديث ضيف ابرهيم المكرمين • اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون •
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين • فقربه اليهم قال الا تاكلون • فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم • فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم • قالوا كذلك
قال ربك انه هو الحكيم العليم • قال فما خطبكم ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين •
لنرسل عليهم حجارة من طين • مسومة عند ربك للمسرفين • فاخرجنا من كان فيها من المومنين •
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم • وفي موسى
اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين • فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون • فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم • وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم • ما تذر من شيء اتت عليه
الا جعلته كالرميم • وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة
وهم ينظرون • فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين • وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما
فاسقين • هل اتيك تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدا المرء اذا اردت ان تحدثه بعجيب فتقرره
هل سمع ذلك ام لا وكانك تقتضي ان تقول لا ويستطعمك الحديث وفيه تفخيم للحديث وتنبيه
على انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي وضيف الواحد والجماعة فيه سواء وبدا بقصة
ابراهيم وان كانت متاخرة عن قصة عاد هزوا للعرب اذ كان اباهم الاعلى ولكون الرسل
الذين وفدوا عليه جاؤوا باهلاك قوم لوط اذ كذبوه ففيه وعيد للعرب وتهديدوا تعاظ
وتسلية للرسول عن ما يجري عليه من قومه ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله كقوله في
الملايكة بل عباد مكرمون قاله الحسن فهي صفة سابقة فيهم او لاكرام ابراهيم اياهم اذ خدمهم
بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرى وقيل لكونه رفع مجالسهم فهي صفة حادثة وقراه
عكرمة المكرمين بالتشديد واطلق عليهم ضيف لكونهم في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم
او لحسبانه كذلك وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمولة للمكرمين اذا كانت صفة حادثة
بفعل ابراهيم والا فيما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر وهذه اقوال المنقولة وقراه
الجمهور قالوا سلاما بالنصب على المصدر الساد مسد فعله المستغني به عنه قال سلام بالرفع
وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره عليكم سلام فقصد ان يجيبهم باحسن مما حيوه اخذا بادب الله
اذ سلاما دعا وجوزوا ان يكون خبر مبتداء محذوف اي امري سلام وسلام جملة خبرية فقد تحصل
مضمونها وقال ابن عطية ويتجه ان يعمل في سلاما قالوا على ان يجعل سلاما في معنى قولا
ويكون المعنى حينيذ انهم قالوا تحية وقولا معناه سلاما وهذا قول مجاهد وقراه
ابن وثاب والنخعي وابن جبير وطلحة قال سلم بكسر السين واسكان اللام والمعنى نحن سلم او انتم
سلم وقريا مرفوعين وقرئ سلاما قالوا سلما بنصبهما وكسر سين الثاني وسكون لامه
قوم منكرون قال ابو عالية انكر سلامهم في تلك الارض وذلك الزمان وقيل لا نعرفهم
ولا عهد لنا بهم وقيل كان هذا اسوالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم وقوم خبر
مبتداء محذوف قدره انتم والذي يناسب حال ابراهيم عليه السلام انه لا يخاطبهم بذلك اذ فيه
من عدم الانس ما لا يخفى بل يظهر انه يكون التقدير هولاء قوم منكرون وقال ذلك مع نفسه ولمن
كان معه من اتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الاضياف فراغ الى اهله اي مضى اثناء حديثه
مخفيا مضيه مستعجلا فجاء بعجل سمين ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من
غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يمنعه ان يجي بالضيافة وكونه عطف فجاء على فراغ يدل
على سرعة مجيه بالقرى وانه كان معدا عنده لمن يرد عليه وقال في سورة هود فما لبث ان جاء

بعجل

بعجل حنيذ وهذا يدل ايضا على انه كان العجل سابقا تهيئته قبل مجيهم وقال قتادة كان غالب ماله
البقر وفيه دليل على انه يحضر للضيف اكثر مما ياكل وكان عليه السلام مضيافا وحسبك انه
وقف للضيافة اوقافا تقضيها الامم على اختلاف اديانها واجناسها فقربه اليهم فيه ادب المضيف
من تقريب القرى لمن ياكل وفيه العرض على الاكل فان ذلك تانيسا للاكل بخلاف من قدم
طعاما ولم يحث على اكله فان الحاضر قد يتوهم انه قدمه على سبيل التجمل عسى ان يمتنع الحاضر
من الاكل وهذا موجود في بعض طباع الناس حتى ان بعضهم اذا الح الحاضر وتمادى في الاكل
اخذ من احسن ما احضر واحسنه فيعطيه لغلامه برسم رفعه لوقت اخر يختص هو باكله وقيل
الهمزة في الا للانكار وكانه ثم محذوف تقديره فامتنعوا من الاكل فانكر عليهم ترك الاكل
فقال الا تاكلون وفي الحديث انهم قالوا انا لا ناكل الا ما ادينا ثمنه فقال اني لا ابيحه لكم الا
بثمن قالوا وما هو قال ان تسموا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الاكل فقال
بعضهم لبعض اتخذه الله خليلا فاوجس منهم خيفة اي فلما استمروا على الامتناع من الاكل
اوجس منهم خيفة وذلك ان اكل الضيف امنة ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام
والامتناع منه وحشة فخشي ابراهيم ان امتناعهم من اكل طعامه انما هو لشر يريدونه
فقالوا لا تخف وعرفوه انهم ملايكة وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملايكة ارسلوا
للعذاب وعلمهم بما اضمر في نفسه من الخوف انما يكون باطلاع الله ملايكته على ما في نفسه
او بظهور امارته في الوجه فاستدلوا بذلك على الباطن وعن يحيى بن شداد مسح جبريل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي سيكون عليما وفيه تبشير بحياته
حتى يكون من العلماء وعن الحسن عليم نبي والجمهور على ان المبشر به هو اسحق بن سارة وقال
مجاهد هو اسماعيل وقيل علم انهم ملايكة من حيث بشروه بغيب ووقعت البشارة بعد التا
والجلوس وكانت البشارة بذكر لانه اسر للنفس وابهج ووصفه بعليم لانها الصفة التي يختص
بها الانسان الكامل لا بالصورة الجميلة والقوة فاقبلت امراته في صرة اي الى بيتها وكانت
في زاوية تنظر اليهم وتسمع كلامهم وقيل فاقبلت اي شرعت في الصياح قيل وجدت حرارة
الدم فلطمت وجهها من الحياء والصرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفين
الصيحة قال الشاعر فالحقنا بالهاديات ودونه • جواحرها في صرة لم تزيل • وقال
قتادة وعكرمة الرنة قالت اوه بصياح وتعجب وقال ابن بحر الجماعة اي من نسوة تبادروا نظرا
الى الملايكة وقال الجوهري الصرة الصيحة والجماعة والشدة فصكت وجهها اي لطمته
قاله ابن عباس وذلك كما يفعله من يرد عليه امر يستهوله ويتعجب منه وهو فعل النساء اذا
تعجبن من شيء وقال السدي وسفين ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الان
وقالت عجوز عقيم اي انا قد اجتمع فيها انها عجوز وذلك مانع من الولادة وانها عقيم وهي
التي لم تلد قط فكيف الد تعجبت من ذلك قالوا كذلك اي مثل القول الذي اخبرناك به
قال ربك وهو القادر على ايجاد ما يستبعد وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك
فنظرت فاذا جذوعه وغصنه مورقة مثمرة انه هو الحكيم اي ذو الحكمة العليم بالمصالح ولما علم
ابراهيم انهم ملايكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا قال فما خطبكم الى قوم مجرمين اي
ذوي جرايم وهي كبار المعاصي من كفر وغيره لنرسل عليهم اي لنهلكهم بها حجارة من طين وهو
السجيل طين يطبخ كما يطبخ الاجر حتى يصير في صلابة الحجارة مسومة معلمة على كل واحد منها
اسم صاحبه وقيل معلمة انها من حجارة العذاب معلمه وقيل انها ليست من حجارة الدنيا
للمسرفين وهم المجاوزون الحد في الكفر فاخرجنا من كان فيها في القرية التي حل العذاب
باهلها غير بيت هو بيت لوط عليه السلام وهو لوط وابنتاه فقط وقيل ثلثة عشر نفسا
وقال الرماني الاية تدل على ان الايمان هو الاسلام وكذا قال الزمخشري وهما معتزليان
وتركنا فيها اي في القرية اية علامة قال ابن جريج حجرا كبيرا جدا منضودا وقيل ما اسود
منتن ويجوز ان يكون فيها عايدا على الاهلاكة التي اهلكوها فانها من اعاجيب الاهلاك
بجعل اعالي القرية اسافل وامطار الحجارة والظاهر ان قوله وفي موسى معطوف على وتركنا
فيها اي في قصة موسى وقال الزمخشري وابن عطية يكون عطفا على وفي الارض ايات

للموقنين وفي موسي وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله وقال الزمخشري ايضا او على قوله وتركنا فيها
اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا • انتهى ولا حاجة الى اضمار
وتركنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا فتولى بركنه اي ازور واعرض كما
قال وناى بجانبه وقيل بقوته وسلطانه وقال ابن زيد بركنه بجموعه وقال قتادة بقومه وقال
ساحر او مجنون ظن احدهما او تعمد الكذب وقد علم انه رسول الله حقا وقال ابو عبيدة او بمعنى
الواو ويدل على ذلك انه قد قالهما قال ان هذا الساحر عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون واستشهد ابو عبيدة **بقول جرير**

• اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا •

ولا ضرورة تدعوا الى جعل او بمعنى الواو اذ يكون قالهما وابهم على السامع فاو للابهام وهو
مليم اي اتى من المعاصي ما يلام عليه العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وفي
الصحيح نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فقول من ذهب الى انها الصبا او الجنوب او النكبا
وهو نكبا بين ريحين نكبت عن سمت القبلة فسميت نكبا ليس بصحيح لمعارضته للنص الثابت
عن الرسول انها الدبور ما تذر من شيء اتت عليه هو عام مخصوص كقوله تدمر كل شيء اي تدميره
واهلاكه من ناس او دبار او شجر او نبات لا انها لم يرد الله بها اهلاك الجبال والاكام والصخور
ولا العالم الذي لم يكن من قوم عاد الا جعلته كالرميم جملة حالية والرميم تقدم تفسيره في يس
وهنا قال السدي التراب وقتادة الهشيم ومجاهد البالي وقطرب الرماد وابن عيسى المنسحق
الذي لا يرم جعل الهمزة في ارم للسلب وروي ان الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من قوم
عاد فتنتزعه من بينهم وتهلكه تمتعوا حتى حين قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم صالح امروا
بالايمان بما جاء به والتمتع الى ان ياتي اجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولذلك جاء العطف
بالفاء المقتضية تاخر العتو عما امروا به وهو مطابق لفظا ووجودا وقال الفراء هذا الامر
بالتمتع كان بعد عقرا الناقة وهي ثلاثة الايام التي اوعدوا في تمامها بالعذاب فالعتو كان
قد تقدم قبل ان يقال لهم تمتعوا اي فكان من امرهم ان عتوا قبل ان قيل لهم تمتعوا ولا ضرورة
تدعوا الى قول الفراء اذ هو غير مرتب في الوجود **وقرا** الجمهور الصاعقة وعمر وعثمان
رضي الله عنهما والكسائي الصعقة وهي الصيحة هنا **وقرا** الحسن الصاعقة وزيد بن
علي كقراءة الكسائي وهم ينظرون اي فجاة وهم ينظرون بعيونهم قاله الطبري وكانت نهارا
وقال مجاهد وهم ينظرون ينتظرون ذلك في تلك الايام الثلثة التي اعلموا فيها ورأوا علاماته
في قلوبهم وانتظارا لعذاب اشد من العذاب فما استطاعوا من قيام لقوله فاصبحوا في دارهم
جاثمين ونفي الاستطاعة ابلغ من نفي القدرة وما كانوا منتصرين ابلغ من نفي الانتصار اي فما
قدروا على الهرب ولا كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به وقيل من قيام هو من قولهم ما يقوم
به اذا عجز عن دفعه فليس المعنى انتصاب القامة قاله قتادة **وقرا** ابو عمرو وحمزة والكسائي
وقوم بالجر عطفا على ما تقدم اي وفي قوم نوح وهي قراءة عبد الله **وقرا** باقي السبعة وابو
عمرو في رواية بالنصب قيل عطفا على الضمير في فاخذتهم وقيل عطفا على فنبذناهم لان معنى كل
منهما فاهلكناهم وقيل منصوب باضمار فعل تقديره واهلكنا قوم نوح لدلالة معنى الكلام عليه
وقيل باذكر مضمرة وروى عبد الوارث ومحبوب والاصمعي عن ابي عمرو وابو السماك وابن مقسم
وقوم نوح بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اي اهلكناهم • والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون •
والارض فرشناها فنعم الماهدون • ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون • ففروا الى الله
اني لكم منه نذير مبين • ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين • كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون • اتواصوا به بل هم قوم طاغون • فتول عنهم فما انت
بملوم • وذكر فان الذكرى تنفع المومنين • وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين • فان للذين ظلموا
ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون • فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون •
اي وبنينا السما فهو من باب الاشتغال وكذا وفرشنا الارض **وقرا** ابو السماك ومجاهد وابن
مقسم برفع السما ورفع الارض على الابتدا بايد اي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو

قوله عز وجل والسما بنيناها

كقوله

كقوله داود ذا الايد وانا لموسعون اي بناءها فالجملة حالية اي بنيناها موسعوها
كقوله جاء زيد وانه لمسرع اي مسرعا فهي بحيث ان الارض وما يحيط بها من الماء والهواء
كالنقطة وسط الدايرة وقال ابن زيد قريبا من هذا او هو ان الوسع راجع الى
السما وقيل لموسعون قوة وقدرة اي لقادرون من الوسع وهو الطاقة وقال
الحسن اوسع الرزق بالمطر والماء فنعم الماهدون اي نحن خلقنا زوجين قال مجاهد
اشارة الى المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والشقوة والسعادة والهدى والضلال
والسما والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان ونحو ذلك
ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التي توجد الضدين بخلاف ما يفعل بطبعه
فعلا واحدا كالتسخين والتبريد ومثل الحسن باشيا مما تقدم وقال كل اثنين
منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له وقال ابن زيد وغيره من كل شيء اي من الحيوان
خلقنا زوجين اي ذكرا وانثى وقيل المراد بالشيء الجنس وما يكون تحت الجنس نوعان فمن
كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثل النامي والجامد ومن النامي المدرك والنبات
ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على انه فرد لا كثرة فيه لعلكم تذكرون
اي بانى السماء وفارش الارض وخالق الزوجين تعالى ان يكون له زوج او تذكرون انه لا يعجزه
حشر الاجساد وجمع الازواج **وقرا** ابي تتذكرون بتاءين وتخفيف الذال وقيل ارادة
ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله امر بالدخول في الايمان وطاعة الله
وجعل الامر بذلك بلفظ الفرار لينبه على ان وراء الناس عقاب وعذاب وامر حقه ان يفر منه
فجمعت لفظة ففروا بين التحذير والاستدعا وينظر الى هذا المعنى قول النبي عليه السلام
لا ملجا ولا منجا منك الا اليك قاله ابن عطية وهو تفسير حسن وقال الزمخشري الى طاعته
وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيا وكرر اني لكم منه نذير مبين عند الامر
بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان
وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله انتهى وهو على طريق الاعتزال
وقد رددنا عليه في تفسير لا ينفع نفسا ايمانها في موضع هذه الاية كذلك اي امر الامم السابقة
عند مجي الرسل اليهم مثل الامر من الكفار الذين بعثت اليهم وهو التكذيب ساحرا او مجنون
او للتفصيل اي قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض كلاهما الا ترى ان قوم نوح
لم يقولوا عنه انه ساحر بل قالوا به جنة فجمعوا في الضمير ودلت او على التفصيل اتواصوا به اي
بذلك القول وهو توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الانبياء مع افتراق ازمانهم
بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يكونوا في زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة وهي كونهم
طغاة فهم مستغلون في الارض يفسدون فيها عاتون فتول عنهم اي اعرض عن الذين كررت
عليهم الدعوة فلم يجيبوا فما انت بملوم اذ قد بلغت ونصحت وذكر فقط تنفع المومنين توتر بهم
ونهى نعذرا لله ان يومن وما دل عليه الظاهر من الموادعة منسوخ باية السيف وعن علي لما
نزل فتول عنهم حزن المسلمون وظنوا ان امر بالتولي عن الجميع وان الوحي قد انقطع حتى نزلت وذكر
فان الذكرى تنفع المومنين فسروا بذلك الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الطايعين
قاله زيد بن اسلم وسفيان ويويده رواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما خلقت الجن والانس من المومنين وقال علي وابن عباس الا ليعبدون الا لامرهم
بعبادتي وليقروا الي بالعبادة فعبر بلفظ له ليعبدون اذ العبادة هي مضمن الامر فعلى
هذا الجن والانس عام وقيل يحتمل ان يكون المعنى الامعدين ليعبدون وكان الاية تعديد
نعمه اي خلقت لهم حواس وعقولا واجساما منقادة نحو العبادة كما تقول هذا مخلوق لكذا
وان لم يصدر منه الذي خلق له كما تقول القلم بري لان يكتب به وهو قد يكتب به وقد لا يكتب
وقال الزمخشري الا لاجل العبادة ولم اراد من جميعهم الا اياها **فان قلت** لو كان مريدا للعبادة
منهم لكانوا كلهم عبادا **قلت** انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين
اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على
القسر والالجا لوجدت في جميعهم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال مجاهد الا ليعبدون

ليعرفون وقال ابن زيد لاجبلهم في العبادة على الشقاوة والسعادة وقال الربيع بن انس الا للعبادة
قال وهو ظاهر اللفظ وقيل الا ليذلوا لقضائي وقال الكلبي الا ليوحدون فالمؤمن يوحده
في الشدة والرخاء والكافر في الشدة وقال عكرمة ليطيعون فاثيب العابد واعاقب الجاحد
وقال مجاهد ايضا الا للامر والنهي ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم
وما اريد ان يطعمون اي ان يطعموا خلقي فهو على حذف مضاف فالاضافة الى الضمير تجوز قاله
ابن عباس وقيل ان يطعمون ان ينفعون فذكر جزءا من المنافع وجعله دالا على الجميع وقال
الزمخشري يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم لان ملاك العبيد انما
يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا او مرتب
في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ
او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق
فاما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في
تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم
ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي انتهى وفيه تكثير وخطابه **وقرا**
ابن محيصن الرازق كما قرا وفي السماء ارزاقكم اسم فاعل وهي قراءة حميد **وقرا**
الاعمش وابن وثاب المتين بالجر صفة للقوة على معنى الاقتدار قاله الزمخشري او كانه
قال ذو الايد واجاز ابو الفتح ان تكون صفة لذو وخفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب
فان للذين ظلموا هم اهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول ذنوبا اي حظا ونصيبا
مثل ذنوب اصحابهم من الامم السابقة التي كذبت الرسل في الاهلاك والعذاب وعن قتادة سجلا
من عذاب الله مثل سجل اصحابهم وقال الجوهري الذنوب الدلو الملآى ماء ولا يقال لها ذنوب
وهي فارغة وجمعها في ادنى العدد اذنبة وفي الكثير ذنائب والذنوب الفرس الطويل الذنب
والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن وقال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي طويل الشر
لا ينقضي فويل للذين كفروا من يومهم قيل يوم بدر وقيل يوم القيمة الذي يوعدون اي به
اي يوعدونه **الرق** بالفتح والكسر جلد رقيق والرق بالكسر يكتب فيه وجمعه رقوق
والرق بالكسر المملوك **مار** الشيء ذهب وجاء وقال الاخفش وابو عبيدة تكفا **وانشد
للاعشى**
كان مشيتها من بيت جارتها ۞ مر السحابة لا ريث ولا عجل ۞
ويروى مر السحابة **الدع** الدفع في الضيق بشدة واهانة **السموم** الريح الحارة
التي تدخل المسام وسيأتي اسم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم وقال ثعلب السموم
شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور
بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر
المنون الدهر وريبه حوادثه وقيل اسم للموت **المسيطر** المتسلط وحكى
ابو عبيدة سطرت علي اذا اتخذتني خولا ولم يات في كلام العرب اسم على مفيعل الا خمسة
مهيمن ومجيمر ومبيطر ومسيطر ومبيقر فالمجيمر جبل والبواقي اسما فاعلين

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم والطور ۞ وكتاب مسطور ۞ في رق منشور ۞ والبيت المعمور ۞
والسقف المرفوع ۞ والبحر المسجور ۞ ان عذاب ربك لواقع ۞ ما له من دافع ۞ يوم تمور السماء
مورا ۞ وتسير الجبال سيرا ۞ فويل يومئذ للمكذبين ۞ الذين هم في خوض يلعبون ۞ يوم يدعون
الى نار جهنم دعا ۞ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ۞ افسحر هذا ام انتم لا تبصرون ۞ اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ۞ ان المتقين في جنات ونعيم ۞ فاكهين
بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ۞ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ۞ متكئين على
سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ۞ والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ۞ وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ۞

المفردات

يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ۞ ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون ۞ واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون ۞ قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ۞ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ۞ انا كنا
من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ۞ هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة اذ في اخرها فان
للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم وقال هنا ان عذاب ربك لواقع الطور الجبل والظاهر انه
اسم جنس لا جبل معين وفي الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف البكالي انه
الذي اقسم الله به لفضله على الجبال قيل وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام والكتاب
المسطور القران او المنتسخ من اللوح المحفوظ او التوراة او هي والانجيل والزبور او الكتاب
الذي فيه اعمال الخلق او الصحف التي تعطى يوم القيمة بالايمان والشمائل اقوال اخرها للفراء
ولا ينبغي ان يحمل شيء منها على التعيين انما تورد على الاحتمال **وقرا** ابو السمال في رق بكسر
الراء منشور اي مبسوط وقيل مفتوح لا ختم عليه وقيل منشور لائح وعن ابن عباس منشور مفتوح
ما بين المشرق والمغرب والبيت المعمور قال علي وابن عباس وعكرمة هو بيت في السماء مسامت
الكعبة يقال له الضراح والضريح ايضا وهو الذي ذكر في حديث الاسراء قال جبريل هذا
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون الى اخر ما عليهم وقال مجاهد وقتادة
وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل ارض كذلك وسال ابن الكواء عليا عنه فقال بيت فوق سبع
سموات تحت العرش يقال له الضراح وقال الحسن البيت المعمور الكعبة يعمره الله كل سنة بست
مائة الف فان عجز من الناس اتمه الله بالملائكة والسقف المرفوع السماء وقال ابن عباس
هو العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور الموقد نارا وروي ان البحر هو جهنم وقال قتادة البحر
المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك ولا ينافي ما قاله
مجاهد لان سجرت التنور معناه ملاته بما يحترق وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه
وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ
قيل وليس لذي الرمة حديث الا هذا فيكون من الاضداد ويروى ان البحار يذهب ماؤها
يوم القيامة وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود
او حديد تمسكه ولولا ان البحر يمسك لفاض على الارض وقال الربيع المسجور المختلط العذب
بالمالح وقيل المفجور ويدل عليه واذا البحار فجرت والجمهور على ان البحر المقسم به هو بحر الدنيا
ويؤيده واذا البحار سجرت وعن علي وابن عمر انه في السماء تحت العرش فيه ماء غليظ يقال
له بحر الحيوة يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقال
منبه بن سعيد هو جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما جاء في الفرس وانا وجدناه لبحرا اقيل
ويحتمل ان تكون القسمة الحكمة في القسم بالطور والبيت والبحر لكونها اماكن خلوة مع الله تعالى
خاطب منها بهم رسله فالطور قال فيه موسى رب ارني انظر اليك والبيت المعمور لمحمد صلى الله
عليه وسلم والبحر المسجور ليونس قال لا اله الا انت سبحانك فشرفت هذه الاماكن بهذه الاسباب
والقسم بكتاب مسطور لان الانبياء كان لهم مع الله في هذه الاماكن كلام واقترانه بالطور
دل على ذلك والقسم بالسقف المرفوع لبيان رفعة البيت المعمور انتهى ونكر وكتاب لانه شامل
لكل كتاب انزله الله شمول البدل ويحتمل ان يكون شمول العموم كقوله علمت نفس ما احضرت
اي كل نفس وكونه في رق يدل على ثبوته وانه لا يتخطى الرؤوس ووصف بمنشور يدل على وضوحه
فليس كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه والمنشور يعلم ما فيه ولا يمنع من مطالعة
ما تضمنه والواو الاولى واو القسم وما بعدها واو العطف والجملة المقسم عليها هي قوله
ان عذاب ربك لواقع وفي اضافة العذاب لقوله ربك لطيفة اذ هو المالك والناظر في مصلحة
العبد فبالاضافة الى الرب واضافته لكاف الخطاب امان له صلى الله عليه وسلم وان العذاب
الواقع هو بمن كذبه ولواقع على الشدة وهو ادل عليها من لكائن الا ترى الى قوله اذا وقعت
الواقعة وقوله وهو واقع بهم كانه مهيا في مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اساري بدر فوافيته يقرا في صلاة
المغرب والطور الى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول
العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب **وقرا** زيد بن علي واقع بغير لام

قال قتادة ويريد عذاب الاخرة للكفار اي لواقع بالكفار ومن غريب ما يحكي ان شخصا راي في منامه في كفه مكتوبا خمس واوات فعبّر له بخير فسال ابن سيرين فقال تهيّا لما لا يسر فقال من اين اخذت هذا فقال من قوله تعالي والطور الي ان عذاب ربك لواقع فما مضي يومين او ثلثة حتي احيط بذلك الشخص وانتصب يوم بدافع قاله الحوفي وقال مكي لا يعمل فيه واقع ولم يذكر دليل المنع وقيل هو منصوب بقوله لواقع وينبغي ان يكون قوله ما له من دافع علي هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول قال ابن عباس تمور تضطرب وقال ايضا تشقق وقال الضحاك يموج بعضها في بعض وقال مجاهد تدور وتسير الجبال سيرا هذا في اول الامر ثم تنسف حتي تصير اخرا كالعهن المنفوش وقيل عطف جملة علي جملة تتضمن ربط المعني وتاكيده والخوض التخبط في الباطل وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل يوم يدعون وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الي اعناقهم ويجمعون نواصيهم الي اقدامهم ويدفعونهم الي النار دفعا علي وجوههم وزجا في اقفيتهم **وقرا** علي والسلمي وابو رجاء وزيد بن علي يدعون بسكون الدال وفتح العين من الدعا اي يقال لهم هلموا الي النار وادخلوها دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار لما قيل لهم ذلك وقفوا بعد ذلك علي الجهتين اللتين يمكن منها دخول الشك في انها النار وهي اما ان تكون ثم سحر يلبس ذات المرئي واما ان يكون في نظر الناظر اختلال فامرهم بصليها علي جهة التقريع ثم قيل لهم علي قطع رجائهم فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم عذابكم حتم فسواء صبركم وجزعكم لا بد من جزاء اعمالكم قاله ابن عطية وقال الزمخشري افسحر هذا كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعني ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم **فان قلت** لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون **قلت** لان الصبر انما يكون له مزية علي الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر علي العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له علي الجزع انتهي وسوا خبر مقدم وهذا مبتداء وسواء مبتداء والخبر محذوف اي الصبر والجزع وقال ابو البقاء خبر مبتداء محذوف اي صبركم وتركه سوا ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين ليقع الترهيب والترغيب وهو اخبار عن ما يوول اليه حال المومنين اخبر بذلك ويجوز ان يكون من جملة المقول للكفار اذ ذاك زيادة في غمهم وتنكيدا لهم والاول اظهر **وقراء** الجمهور فاكهين نصبا علي الحال والخبر في جنات ونعيم **وقراء** خالد بالرفع علي انه خبر ان وفي جنات متعلق به ومن اجاز تعداد الخبر اجاز ان يكونا خبرين ووقاهم معطوف علي في جنات اذ المعني استقروا في جنات او علي اتاهم وما مصدرية اي فكهين باتيانهم ربهم النعيم ووقايتهم عذاب الجحيم وجوزوا ان تكون الواو في ووقاهم واو الحال ومن شرط قد في الماضي قال هي هنا مضمرة اي وقد وقاهم **وقراء** ابو حيوة ووقاهم بتشديد القاف كلوا فاشربوا علي اضمار القول اي يقال لهم هنيئا قال الزمخشري اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر القايم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معني هنيئا هنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم بما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفي بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذ جعلت الفاعل الاكل والشرب انتهي وتقدم لنا الكلام علي هنيئا مشبعا في سورة النساء واما تجويزه زيادة الباء فليست زيادتها مقيسة في الفاعل الا في فاعل كفي علي خلاف فيها فتجويز زيادتها في الفاعل هنا لا يسوغ واما قوله ان الباء تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا علي الاعمال فهي تتعلق باحدهما وانتصب متكئين علي الحال قال ابو البقاء من الضمير في كلوا او من الضمير في ووقاهم او من الضمير في اتاهم او من الضمير في فكهين او من الضمير في الظرف انتهي والظاهر انه حال من الظرف وهو قوله في جنات **وقراء** ابو السماك علي سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فرارا من توالي ضمتين مع التضعيف **وقراء** عكرمة بحور عين علي الاضافة والظاهر ان قوله والذين امنوا مبتدا وخبره الحقنا واجاز ابو البقاء ان يكون والذين في موضع نصب علي تقدير واكرمنا الذين امنوا وفي

الاية قال الجمهور ابن عباس وابن جبير وغيرهما المعني ان المومنين الذين تبعتهم ذريتهم في الايمان يكونون في مراتب ابائهم وان لم يكونوا في التقوي والاعمال مثلهم كرامة لابائهم فبايمان متعلق بقوله واتبعتهم وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المومن معه في درجته وان كان لم يبلغها بعمله لتقر بها عينه ثم قرا الاية وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالي يلحق الابناء الصغار وان لم يبلغوا الايمان باحكام الاباء المومنين انتهي فيكون بايمان متعلقا بالحقنا اي الحقنا بسبب ايمان الاباء بهم ذرياتهم وهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع ابائهم وان كان ابناء الكفار الذين لم يبلغوا حد التكليف في الجنة كما ثبت في صحيح البخاري فاحري اولاد المومنين وقال الحسن الاية في الكبار من الذرية لا في الصغار وقال منذر بن سعيد هي في الصغار لا في الكبار وعن ابن عباس ايضا الذين امنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون وعنه ايضا ان كان الاباء ارفع درجة رفع الله الابناء اليهم فالاباء داخلون في اسم الذرية وقال النخعي المعني اعطيناهم اجورهم من غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك وقال الزمخشري والذين امنوا معطوف علي حور عين اي قرناهم بالحور والذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا علي سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان المومنين واتبعناهم ذرياتهم ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلي ابائهم لنتم سرورهم ويكمل نعيمهم **فان قلت** ما معني تنكير الايمان **قلت** معناه الدلالة علي انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشي من الايمان لا يوهلهم لدرجة الاباء الحقنا بهم انتهي ولا تخيل احدان والذين امنوا معطوف علي بحور عين هذا الرجل وهو تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي الفح لابن عباس وغيره والاحسن من هذه الاقوال قول ابن عباس وبعضده الحديث الذي رواه لان الايات كلها في صفة احسان الله تعالي الي اهل الجنة وذكر من جملة احسانه انه يرعي المحسن في المسي ولفظة الحقنا تقتضي ان للملحق بعض التقصير في الاعمال **وقرا** ابو عمرو واتبعناهم وباقي السبعة واتبعتهم وابو عمرو ذرياتهم جمعا نصبا وابن عامر جمعا رفعا وباقي السبعة مفردا رفعا بهم ذرياتهم جمعا ابو عمرو ونافع وابن عامر وباقي السبعة مفردا وابن جبير واتبعتهم ذريتهم بالمد والهمز **وقراء** الجمهور التناهم بفتح اللام من لات يليت اومن الت والحسن وابن كثير بكسرها وابن هرمز التناهم بالمد من التي علي وزن افعل وابن مسعود وابي لتناهم من لات وهي قراة طلحة والاعمش وروي عن شبل وابن كثير وعن طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز بفتح اللام من غير الف بحال وانكر ايضا التناهم بالمد وقال لا يروي عن احد ولا يدل عليها تفسير ولا عربية وليس كما ذكر بل قد نقل اهل اللغة الت بالمد كما قراه ابن هرمز **وقري** وما ولتناهم ذكره هارون قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت والت يالت والت ولات يليت وايلت وكلها بمعني نقص ويقال الت بمعني غلظ وقام رجل الي عمر رضي الله عنه فوعظه فقال رجل لا تالت امير المومنين اي تغلظ عليه والظاهر ان الضمير في التناهم عايد علي المومنين والمعني انهم تعالي يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من اجره شيا وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير والجمهور وقال ابن زيد الضمير عايد علي الابنا من عملهم اي الحسن والقبيح ويحسن هذا الاحتمال قوله كل امري بما كسب رهين اي مرتهن وفيه وامددناهم اي سرناهم شيا فشيا حتي يكثر ولا ينقطع بينا زعون فيها اي يتعاطون **وقال الاخطل** نازعته طيب الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة الساري • **وقرا** او يتنازعون يتجاذبون تجاذب ملاعبة اذ اهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة وقرا الجمهور لا لغو فيها ولا تاثيم برفعهما وابن كثير وابو عمرو بفتحهما واللغو السقط من الكلام كما يجري بين شراب الخمر في الدنيا علمان لهم اي مماليك يكونون اي في الصدف لم تنله الايدي

قاله ابن جبير وهو اذ ذاك رطب وهو احسن واصفى ويجوز ان يراد مكنون مخزون لانه لا يخزن
الا الغالي الثمن والظاهر ان التساؤل هو في الجنة اذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض
اي يتساءلون عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وبم نال عليه فمن الله علينا اي بهذا النعيم
الذي نحن فيه وعن ابن عباس تساؤلهم اذا بعثوا في النفخة الثانية حكاه الطبري عنه مشفقين
رقيقي القلوب خاشعين لله وقراءة ابو حيوة ووقانا بتشديد القاف والسموم هنا
النار وقال الحسن اسم من اسماء جهنم من قبل اي من قبل لقاء الله والمصير اليه ندعوه نعبده ونساله
الوقاية من عذابه انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب
او ندعوه من الدعاء وقراءة الحسن وابو جعفر ونافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي
لانه وباقي السبعة انه بكسر الهمزة وهي قراءة الاعرج وجماعة وفيهما معنى التعليل فذكر فما
انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون • قل تربصوا فاني
معكم من المتربصين • ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون • ام يقولون تقوله بل لا
يومنون • فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين • ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون •
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون • ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون • ام لهم
سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين • ام له البنات ولكم البنون • ام تسالهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون • ام عندهم الغيب فهم يكتبون • ام يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون • ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون • وان يروا كسفا من السماء ساقطا
يقولوا سحاب مركوم • فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون • يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا ولا هم ينصرون • وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون • فاصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم • لما تقدم
اقسام الله تعالى على وقوع العذاب وذكر اشياء من احوال المعذبين والناجين امره بالتذكير
انذارا للكافر وتبشيرا للمومن ودعاء الى الله بشريعته ثم نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه
اليه من الكهانة والجنون اذ كانا طريقين الى الاخبار ببعض المغيبات وكان للجن بهما ملابسة
للانس ومما كان ينسبه الى الكهانة شيبة بن ربيعة وممن كان ينسبه الى الجنون عقبة بن ابي معيط
وقال الزمخشري فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون
ولا تبال به فانه قول باطل متناقض فان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون
مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين انتهى
وقال الحوفي بنعمة ربك متعلق بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير
ما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن وقال ابو البقاء الباء في موضع الحال والعامل
فيه بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك انتهى وتكون حالا
لازمة لا منتقلة لانه عليه السلام ما زال ملتبسا بنعمة ربه وقيل بنعمة ربك مقسم بها كانه
قيل ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر كما تقول ما زيد
والله بقائم ولما نفى عنه الكهانة والجنون اللذين كان بعض الكفار ينسبونهما اليه ذكر نوعا
اخر مما كانوا يقولونه روي ان قريشا اجتمعت في دار الندوة وكثرت اراؤهم فيه عليه السلام
حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك تربصوا به ريب المنون فانه شاعر سيهلك
كما هلك زهير والنابغة والاعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الاية في ذلك وقول من
قال ذلك هو من نقص الفطرة بحيث لا يدرك الشعر وهو الكلام الموزون على طريقة معروفة
من النثر الذي ليس هو على ذلك المضمار ولا شك ان بعضهم كان يدرك ذلك اذ كان فيهم شعراء
ولكنهم عتوا عتوا لوامع اولئك الناقصي الفطرة على قولهم هو شاعر جحد الايات الله بعد استيقانها
وقراءة زيد بن علي يتربص بالياء مبنيا للمفعول به ريب مرفوع وريب المنون حوادث
الدهر فانها لا تدوم على حال قال الشاعر

• تربص بها ريب المنون لعلها • تطلق يوما او يموت حليلها •

وقال الاخر

امن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع •

قل تربصوا هو امر تهدد من المتربصين هلاكهم كما يتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم

بهذا

قوله عز وجل فذكر فما انت

بهذا اي تقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش تدعى اهل الاحلام والنهى
وقيل لعمرو بن العاصي رحمه الله ما بال قومك لم يومنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال
تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها التوفيق تامرهم قيل ام بمعنى الهمزة اي اتامرهم وقدرها
مجاهد ببل والصحيح انها تتقدر ببل والهمزة ام هم قوم طاغون اي مجاوزون الحد في العناد
مع ظهور الحق لهم وقراءة مجاهد بل هم مكان ام هم وكون الاحلام امرة مجاز لما ادت
الى ذلك جعلت امرة كقوله اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وحكى الثعلبي عن الخليل
انه قال كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف تقوله اختلقه من قبل نفسه كما قال
ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال ابن عطية تقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهو
عبارة عن كذب مخصوص انتهى بل لا يومنون اي لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله فلياتوا
بحديث مثله اي مماثل للقران في نظمه ورصفه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني
والاخبار بقصص الامم السالفة والمغيبات والحكم ان كانوا صادقين في انه تقوله فليتقولوا
هم مثله اذ هو واحد منهم فان كانوا صادقين فليكونوا مثله في التقول وقراءة
الجحدري وابو السمال بحديث مثله على الاضافة اي بحديث رجل مثل الرسول في كونه اميا
لم يصحب اهل العلم ولا رحل عن بلده او مثله في كونه واحدا منهم فلا يعوز ان يكون في
العرب مثله في الفصاحة فلياتت بما ياتي به ولن يقدر على ذلك ابدا ام خلقوا من غير
شيء اي من غير شيء حي كالجماد فهم لا يومرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه قاله الطبري
وقيل من غير شيء اي من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون
وهذا كما تقول فعلت كذا وكذا من غير علة اي لغير علة فمن للسبب وفي القول الاول
لابتداء الغاية وقال الزمخشري ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه
فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون
اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون
ام خلقوا من غير رب ولا خالق اي ام احدثوا وبرزوا الى الوجود من غير اله يبرزهم وينشيهم ام هم
الخالقون لانفسهم فلا يعبدون الله ولا ياتمرون باوامره ولا ينتهون عن مناهيه والقسمان باطلان
وهم يعترفون بذلك فدل على بطلانهم وقال ابن عطية ثم وقفهم على جهة التوبيخ على انفسهم
اهم الذين خلقوا الاشياء فهم الذين يتكبرون ثم خصص من تلك الاشياء السموات والارض لعظمها
وشرفها في المخلوقات ثم حكم عليهم بانهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يوديهم الى اليقين ام عندهم
خزائن ربك قال الزمخشري خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او اعندهم خزائن
علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا
امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم وقال ابن عطية ام عندهم الاستغناء عن الله تعالى
في جميع الامور لان المال والصحة والقوة وغير ذلك من الاشياء كلها من خزائن الله تعالى
وقال الزهراوي وقيل يريد بالخزائن العلم وهذا القول حسن اذا تومل وبسط وقال الرماني
خزائنه تعالى مقدوراته انتهى والمسيطر قال ابن عباس المسلط القاهر وقراءة الجمهور
المصيطرون بالصاد وهشام وقنبل وحفص بخلاف عنه بالسين وهو الاصل ومن ابدلها صادا
فلاجل حرف الاستعلاء وهو الطاء واشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف عنه الزاي ام لهم
سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه اي عليه او منه اذ حروف الجر تتناوب بعضها مسد
بعض وقدره الزمخشري صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف تقديره الخبر لصحة ما
يدعونه وقدره الزمخشري ما يوحى الى الملايكة من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين من
تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين اي بحجة
واضحة بصدق استماع مستمعهم ام تسالهم اجرا على الايمان بالله وتوحيده واتباع شرعه فهم
من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم في اتباعك ام عندهم الغيب اي
اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لا نعذب قاله الزمخشري
وقال ابن عطية ام عندهم علم الغيب فهم يكتبون اي يثبتون ذلك للناس شرعا وذلك
عبادة الاوثان وتسييب السوايب وغير ذلك من سيرهم وقيل المعنى فهم لا يعلمون متى يموت محمد

الذي يتربصون به ويكتبون بمعنى يحكمون وقال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه ويخبرون ام يريدون كيدا اي بك وبشرعك وهو كيدهم به في دار الندوة فالذين كفروا اي
فهم وابرز الظاهر تنبيها على العلة او الذين كفروا عام فيندرجون فيه هم المكيدون اي الذين
يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر وسمي غلبتهم كيدا اذ كانت
عقوبة الكيد ام لهم اله غير الله يعصمهم ويدفع في صدر اهلاكهم ثم نزه تعالى عما يشركون
به من الاصنام والاوثان وان يروا كسفا كانت قريش قد اقترحت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما اقترحت قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فاخبر تعالى انهم لو راوا ذلك
عيانا حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم ان يغالطوا انفسهم فيما عاينوه وقالوا هو سحاب
تراكم بعضه على بعض ممطرنا وليس بكسف ساقط للعذاب فذرهم امر موادعة منسوخ باية السيف
وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو حيوة حتى يلقوا مضارع لقي يومهم يوم موتهم واحدا واحدا
والصعق العذاب او يوم بدر لانهم عذبوا فيه او يوم القيامة اقوال ثالثها قول الجمهور لان صعقته
تعم جميع الخلايق **وقرا** الجمهور يصعقون بفتح اليا **وقرا** عاصم وابن عامر وزيد بن
علي واهل مكة في قول شبل بن عباد وفتحها اهل مكة كالجمهور في قول اسماعيل **وقرا** السلمي
بضم اليا وكسر العين من اصعق رباعيا وان للذين ظلموا اي لهو لا الظلمة عذابا دون ذلك
اي دون يوم القيامة وقبله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن عباس وغيره وقال البرا ابن عازب
ايضا هو عذاب القبر وقال الحسن وابن زيد مصايبهم في الدنيا وقال مجاهد هو الجوع والقحط
سبع سنين فانك باعيننا عبارة عن الحفظ والكلاء وجمع لانه اضيف الى ضمير الجماعة وحين كان
الضمير مفردا افرد العين قال تعالى ولتصنع على عيني **وقرا** ابو السماك باعينا
بنون واحدة مشددة وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص عوف بن مالك هو التسبيح المعروف
وهو قول سبحان الله عند كل قيام وقال عطا حين تقوم من كل مجلس وهو قول ابن جبير ومجاهد
وقال ابن عباس حين تقوم من منامك فقيل هو صلوة التطوع وقيل الفريضة وقال الضحاك
حين تقوم الى الصلاة تقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
وقال زيد بن اسلم حين تقوم من القايلة والتسبيح اذ ذاك هو صلوة الظهر وقال ابن السايب
اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك الى ان تدخل في الصلوة ومن الليل فسبح قيل صلاة
المغرب والعشا وادبار النجوم صلوة الصبح وعن عمر وعلي وابو هريرة والحسن انها النوافل
وادبار النجوم ركعتا الفجر **وقرا** سالم بن ابي الجعد والمنهال بن عمرو ويعقوب وادبار
بفتح الهمزة بمعنى واعقاب النجوم **المرة** القوة من امررت الحبل اذا احكمت فتله وقال قطرب
تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل انه لذو مرة **قال الشاعر**

• واني لذو مرة مرة اذا • ركبت حالة حالها •

تدلى العذق تدليا امتد من علو الى جهة السفل فيستعمل في القرب من العلو قاله
الفرا وابن الاعرابي **وقال اسامة الهذلي**

• تدلى علينا وهو زرق حمامه • اذا طحلب في منتهى القيظ هامد •

القاب والقيب القاد والقيد المقدار **القوس** معروف وهو الة لرمي السهام وتختلف
اشكاله **السدرة** شجرة النبق **الضيزى** الجايرة من ضازه بضيزه اذا ضامه **قال الشاعر**

• ضازت بنو اسد بحكمهم • اذ يجعلون الراس كالذنب •

واصلها ضوزى على وزن فعلى نحو حبلى وانثى وربى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم اليا
ولا يوجد فعلى بكسر الفا في الصفات كذا قال **س** وحكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى
وحكى غيره امراة عزهى وامراة سعلى والمعروف عزهاة وسعلاة وقال الكسائي يقال ضاز
يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزى وضاز يضاز ضازا **اللمم** ما قل وصغر ومنه
اللمم المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام قل اكله منه وقال المبرد اصل
اللمم ان يلم بالشي من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذ قاربه ولم يخالطه وقال الازهري
العرب تستعمل الالمام في المقاربة والدنو يقال الم يفعل كذا بمعنى كاد يفعل **وقال جرير** •

• بنفسي من تجنبه عزيز علي • ومن زيارته لمام •

المفردات

وقال الاخر

وقال اخر لقا الاخلا الصفا لمام **الاجنة** جمع جنين وهو الولد في البطن سمي بذلك
لاستتاره والاجتنان الاستتار **اكدى** اصله من الكدية يقال لمن حفر بيرا ثم وصل الى حجر
لا يتهيا له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيا فلم يبلغ
اخره **وقال الحطيئة** فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه • ومن يبذل المعروف في الناس يحمد •
وقال الكسائي وغيره اكدى الحافر واجبل اذا بلغ كدية او جبلا ولا يمكنه ان يحفر وحفر فاكدى
بلغ الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا اكلت من الحفر وكدى النبت قل ريعه وقال ابو زيد
اكدى الرجل قل خيره **اقنى** قال الجوهري قني يقنى قنى كغني يغنى غنا ويعدى بتغيير
الحركة فتقول قنيت المال اي كسبته نحو شترت عين الرجل وشترها الله ثم تعدى بعد ذلك
بالهمزة او التضعيف فتقول اقناه الله مالا وقناه الله مالا **وقال الشاعر**

• كم من غني اصاب الدهر ثروته • ومن فقير يقني بعد اقلاك •

اي يقتني المال ويقال اقناه الله ارضاه من القنية قال ابو زيد تقول العرب لمن اعطي مايتين من
المعز اعطي القنا ومن اعطي مية من الضان اعطي الغنا ومن اعطي مية من الابل اعطي المنى
الشعرى الكوكب المضي الذي يطلع بعد الجوزا وطلوعه في شدة الحر ويقال له مرزم الجوزا
وهما الشعريان العبور التي في الجوزا والشعرى الغميصا التي في الذراع وتزعم العرب انها
اخت سهيل قال الزمخشري وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصا والعبور ومن كذب العرب
ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا
فاتبعه الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا لانها اخفى من الاخرى
ازف قرب **قال كعب بن زهير**

• بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا • ولا ارى لشباب بائن خلفا •

وقال النابغة الذبياني

• ازف الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد •

ويروى افد الترحل **سمد** لها ولعب **قال الشاعر**

• الا ايها الانسان انك سامد • كانك لا تفنى ولا انت هالك •

وقال اخر قيل قم فانظر اليهم • ثم دع عنك السمودا • وقال ابو عبيدة السمود الغنا
بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني لنا **سورة النجم**

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن
الهوى • ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالافق الاعلى • ثم دنا
فتدلى • فكان قاب قوسين او ادنى • فاوحى الى عبده ما اوحى • ما كذب الفواد ما راى • افتمارونه
على ما يرى • ولقد راه نزلة اخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة الماوى • اذ يغشى السدرة
ما يغشى • ما زاغ البصر وما طغى • لقد راى من ايات ربه الكبرى • افرايتم اللات والعزى •
ومناة الثالثة الاخرى • الكم الذكر وله الانثى • تلك اذا قسمة ضيزى • ان هي الا اسماء سميتموها
انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان • ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى • ام للانسان ما تمنى • فلله الاخرة والاولى • هذه السورة مكية ومناسبتها
لاخر ما قبلها ظاهرة لانه قال ام يقولون تقوله اي اختلق القران ونسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن
هو مجنون فاقسم تعالى انه عليه السلام ما ضل وان ما ياتي به هو وحي من الله وهي اول سورة
اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراتها في الحرم والمشركون يسمعون وفيها سجد وسجد معه
المومنون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي
هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق القران واقسم تعالى بالنجم فقال ابن عباس
ومجاهد والفرا ومنذر بن سعيد هو الجملة من القران اذا انزلت وقد نزل منجما في عشرين سنة
وقال الحسن ومعمر بن المثنى هو هنا اسم جنس والمراد النجم اذا هوت اي غربت **قال
الشاعر** • فباتت تعد النجم في مستحره • سريع بايدي الاكلين جمودها •
اي تعد النجوم وقال الحسن وابو حمزة الثمالي النجوم اذا انتثرت في القيامة وقال ابن عباس ايضا

هوي انقض في اثر الشياطين وهذا تساعده اللغة وقال الاخفش والنجم النبت اذا طلع وهويه
سقوطه علي الارض وقال ابن جبير الصادق هو النبي صلي الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة
المعراج وقيل النجم معين فقال مجاهد وسفين هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم
عليها بالغلبة ولا تقول العرب النجم مطلقا الا للثريا ومنه قول العرب

طلع النجم عشاء ۞ فابتغي الراعي كساء ۞
طلع النجم غدية ۞ فابتغي الراعي كسية ۞

وقيل الشعري واليها الاشارة بقوله وانه هو رب الشعري والكهان والمنجمون يتكلمون علي
المغيبات عند طلوعها وقيل الزهرة وكانت تعبد وقيل والنجم هم الصحابة وقيل العلماء مفرد
اريد به الجمع وهوي الفتحزق الهوا ومقصده السفل اذ مصيره اليه وان لم يقصد اليه
وقال الشاعر هوي الدلو اسلمها الرشا ۞ ومنه هو العقاب صاحبكم هو رسول الله صلي الله
عليه وسلم والخطاب لقريش اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الي الضلال
والغي وما ينطق اي الرسول عن الهوي اي عن هوي نفسه ورايه ان هو الا وحي من عند الله
يوحي اليه وقيل وما ينطق اي القران عن هوي وشهوة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
ان هواي الذي ينطق به او ان هو اي القران علمه الضمير عايد علي الرسول فالضمير الثاني محذوف
اي علمه الوحي او علي القران فالمفعول الاول محذوف اي علمه الرسول شديد القوي هو
جبريل وهو مناسب للاوصاف التي بعده وقاله ابن عباس وقتادة والربيع وقال
الحسن شديد القوي هو الله تعالي وهو بعيد ذو مرة ذو قوة ومنه لا تحل الصدقة لغني ولا
لذي مرة سوي وقيل ذو هيبة حسنة وقيل هو جسم طويل حسن ولا يناسب هذان القولان
الا اذا كان شديد القوي هو جبريل فاستوي الضمير لله في قول الحسن وكذا وهو بالافق الاعلي
لله تعالي علي معني العظمة والقدرة والسلطان وعلي قول الجمهور فاستوي اي جبريل في الجو
وهو بالافق الاعلي ان راه الرسول بحراء فسد الافق له ست مائة جناح وحينئذ دنا من محمد
حتي كان قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة الاخري ست مائة جناح عند السدرة قاله
الربيع والزجاج وقال الطبري والفراء المعني فاستوي جبريل وقوله وهو يعني محمدا
صلي الله عليه وسلم وفي هذا التاويل العطف علي الضمير المرفوع من غير فصل وهو مذهب
الكوفيين وقد يقال الضمير في استوي للرسول وهو جبريل والاعلي لعمه الراس وما جري
معه وقال الحسن وقتادة هو افق مشرق الشمس وقال الزمخشري فاستوي فاستقام علي
صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط الوحي وكان ينزل
في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم احب ان يراه في صورة التي جبل عليها
فاستوي له بالافق الاعلي وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبيا في
صورته الحقيقة غير محمد صلي الله عليه وسلم مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله
صلي الله عليه وسلم فتدلي فتعلق عليه في الهواء وكان مقدار مسافة قربه مثل قاب
قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله ۞ وقد جعلتني من خزيمة اصبعا ۞
اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادني علي تقديركم كقوله او يزيدون الي عبده اي الي عبد الله
وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله علي ظهرها ما اوحي تفخيم للوحي الذي اوحي
اليه قيل انتهي وقال ابن عطية ثم دنا قال الجمهور اي جبريل الي محمد عليه السلام عند حراء وقال
ابن عباس وانس في حديث الاسراء ما يقتضي ان الدنو يستند الي الله تعالي فقيل كان الدنو
الي جبريل وقيل الي الرسول اي دنا وحيه وسلطانه وقدرته والصحيح ان جميع ما في هذه
الايات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد راه نزلة اخري فانه يقتضي نزلة متقدمة وما
روي ان الرسول راي ربه قبل ليلة الاسراء ودنا اعم من تدلي فبين هيئة الدنو كيف كانت
قاب قدر قال قتادة وغيره معناه من طرف العود الي طرفه الاخر وقال الحسن ومجاهد من
الوتر الي العود في وسط القوس عند المقبض وقال ابو رزين ليست بهذه القوس ولكن قدر
الذراعين وعن ابن عباس ان القوس هنا ذراع يقاس به الاطوال وذكر الثعلبي انه من لغة

الحجاز فاوحي اي الله الي عبده اي الرسول قاله ابن عباس وقيل الي عبده جبريل ما اوحي ابهام علي
جهة التعظيم والتفخيم والذي عرف من ذلك فرض الصلاة وقال الحسن فاوحي جبريل
الي عبد الله محمد ما اوحي كالاول في الابهام وقال ابن زيد فاوحي جبريل الي عبد الله محمد ما
اوحاه الله الي جبريل وقال الزمخشري ما اوحي اوحي اليه ان الجنة محرمة علي الانبياء حتي
تدخلها وعلي الامم حتي تدخل امتك ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره من صورة جبريل اي
ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق
انتهي وقرا الجمهور ما كذب مخففا علي معني لم يكذب قلب محمد الشي الذي راي بل
صدقه وتحققه نظرا وكذب يتعدي وقال ابن عباس وابو صالح راي محمد الله تعالي بفؤاده
وقيل ما راي بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه ويحتمل ان يكون التقدير فيما راي
وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الاحبار ان محمدا راي ربه بعيني راسه وابت ذلك عايشة وقالت
انا سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الايات فقال لي هو جبريل فيها كلها وقال
الحسن ما راي من مقدورات الله وملكوته وسال ابو ذر رسول الله صلي الله عليه وسلم هل رايت
ربك فقال نور اني اراه وحديث عايشة قاطع بكل تاويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو
منتزع من الفاظ القران وليست نصا في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره وقرا ابو رجاء
وابو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن الياس وهشام عن ابن عامر ما كذب مشددا وقال
كعب الاحبار ان الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسي عليه السلام فكلم موسي مرتين
وراه محمد مرتين وقالت عايشة لقد قف شعري من سماع هذا وقرات لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وذهبت هي وابن مسعود وقتادة والجمهور الي ان المرئي مرتين
هو جبريل مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهي وقرا الجمهور افتمارونه اي اتجادلونه
علي شي راه وابصره وعدي بعلي لما في الجدال من المغالبة وجاء يري بصيغة المضارع وان كانت
الرؤية قد مضت اشارة الي ما يمكن حدوثه بعد وقرا علي وعبد الله وابن عباس
والجحدري ويعقوب وابن سعدان وحمزة والكسائي بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت
اي جحدت يقال مريته حقه اذا جحدته قال الشاعر

لئن سخرت اخا صدق ومكرمة ۞ لقد مريت اخا ما كان يمريكا ۞

وعدي بعلي علي معني التضمين وكانت قريش حين اخبرهم عليه السلام بامره في الاسراء كذبوا
واستخفوا حتي وصف لهم بيت المقدس وامر عيرهم وغير ذلك مما هو مستقصي في حديث
الاسراء وقرا عبد الله فيما حكي ابن خالويه والشعبي فيما ذكر شعبة بضم التاء وسكون
الميم مضارع امريت قال ابو حاتم وهو غلط ولقد راه الضمير المنصوب عايد علي جبريل قاله
ابن مسعود وعايشة ومجاهد والربيع نزلة اخري اي مرة اي نزل عليه جبريل مرة اخري في صورة
نفسه فراه عليها وذلك ليلة المعراج واخري تقتضي نزلة سابقة وهي المفهومة من قوله ثم
دنا فتدلي ثم دنا جبريل فتدلي وهو الهبوط والنزول من علو وقال ابن عباس وكعب الاحبار
الضمير عايد علي الله علي ما سبق من قولهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي ربه مرتين وانتصب
نزلة قال الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل وقال الحوفي
وابن عطية مصدر في موضع الحال وقال ابو البقا مصدر اي مرة اخري او رؤية اخري عند سدرة المنتهي
هل هي شجرة نبق في السماء السابعة وقيل في السادسة ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة ينبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهي
موضع الانتهاء كانه ينتهي اليها علم كل عالم ولا يعلم ما وراها الا الله او ينتهي اليها كل من
مات علي الايمان من كل جيل او ينتهي اليها ما نزل من امر الله ولا يتجاوزها ملايكة العلو وما
صعد من الارض ولا يتجاوزها ملايكة السفل او ينتهي اليها ارواح الشهداء وكانها في منتهي
الجنة واخرها او ينتهي اليها الانبياء والملايكة ويقفون عندها او ينتهي اليها علم الانبيا ويغرب
علمهم عن ما وراها او ينتهي اليها الاعمال او لانتهاء من رفع اليها في الكرامة اقوال تسعة عندها
جنة الماوي اي عند السدرة قيل ويحتمل عند النزلة قال الحسن هي الجنة التي وعدها الله المومنين

وقال ابن عباس بخلاف عنه وقتادة هي جنة تاوي ارواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون
جنة النعيم وقيل جنة ماوي الملايكة **وقرا** علي وابو الدرداء وابو هريرة وابن الزبير
وانس وزر ومحمد بن كعب وقتادة جنه بهاء الضمير وجن فعل ماض والهاء ضمير النبي اي
عندها ستره ابوا الله تعالي وجنه صفه به وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل جنه
بظلاله ودخل فيه وردت عايشة وصحابة معها هذه القراءة وقالوا اجن الله من قراها
واذا كانت قراءة قراها اكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لاحد ردها
وقيل ان عايشة اجازتها **وقراءة** الجمهور جنة الماوي لقوله في اخرى اولئك لهم
جنات الماوي نزلا اذ يغشى السدرة ما يغشى فيه ابهام الموصول وصلته تعظيم وتكثير
للغاشي الذي يغشاها اذ ذاك اشياء لا يعلم وصفها الا الله وقيل يغشاها الجم الغفير من الملايكة
يعبدون الله عندها وقيل ما يغشى من قدرة الله وانواع الصفات التي يخترعها لها وقال
ابن مسعود وانس ومسروق ومجاهد وابراهيم ذلك جراد من ذهب كان يغشاها وقال
مجاهد ذلك تبدل اغصانها درا وياقوتا وروي في الحديث رايت على كل ورقة من ورقها
ملكا قايما يسبح الله وايضا يغشاها رفرف من طير اخضر وايضا يغشاها الوان لا ادري
ماهي وعن ابي هريرة يغشاها نور الخلاق وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت وعن
ابن عباس غشيها رب العزة اي امره كما في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي
ونظير هذا الابهام للتعظيم فاوحى الى عبده ما اوحى والموتفكة اهوى فغشاها ما غشي
ما زاغ البصر قال ابن عباس ما حاك هكذا ولا هكذا وقال الزمخشري اي اثبت ما راه اثباتا
مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه اذ ما عدل عن روية العجايب التي امر
بروية بينها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر بروية انتهى وقال غيره ما طغى ولا تجاوز المرئي
الى غيره بل وقع عليه وقوعا صحيحا وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه لقد راى من ايات
ربه الكبرى قيل الكبرى مفعول راى اي راى الايات الكبرى والعظمى التي هي بعض ايات
ربه اي حين رقي به الى السماء راى عجايب الملكوت وتلك بعض ايات الله وقيل من ايات هو
في موضع المفعول والكبرى صفة لايات ربه ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن
ذلك هنا كونها فاصلة كما في قوله لنريك من اياتنا الكبرى عند من جعلها صفة لاياتنا وقال
ابن عباس وابن مسعود راى رفرفا اخضر من الجنة قد سد الافق وقال ابن زيد راى جبريل
في الصورة التي هو بها في السماء افرايتم خطاب لقريش ولما قرر الرسالة اولا وانبعه
من ذكر عظمة الله وقدرته الباهرة بدا بذكر التوحيد والمنع عن الاشراك بالله فوقفهم على
حقارة معبوداتهم وهي الاوثان وانها ليست لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه قال
قتادة كان بالطايف وقال ابو عبيدة وغيره كان في الكعبة وقال ابن زيد كان بنخلة عند سوق
عكاظ قال ابن عطية وقول قتادة ارجح ويويده **قول الشاعر**

وفرت ثقيف الى لاتها • بمنقلب الخايب الخاسر •

ويمكن الجمع بان تكون اصناما سميت باسم اللات فاخبر كل عن صنم بمكانه والتاء في اللات
قيل اصلية لام الكلمة كالباء من باب والفه منقلبة فيما يظهر من ياء لان مادة لي ت
موجودة فان وجد ثمادة من ل و ت جاز ان تكون منقلبة من واو وقيل التاء للتانيث
ووزنها فعلة من لوي قيل لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلوون عليها
اي يطوفون حذفت لامها **وقرا** الجمهور اللات خفيفة التاء وابن عباس ومجاهد
ومنصور بن المعتمر وابو صالح وطلحة وابو الجوزاء ويعقوب وابن كثير في رواية بشدها
قال ابن عباس كان هذا رجلا بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة وقيل كان ذلك
الرجل من بهز يلت السويق للحجاج على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده اجلالا لذلك
الرجل وسموه باسمه وقيل سمي رجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد
كان رجل يلت السويق بالطايف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا وفي التحرير انه
كان صنما تعظمه العرب وقيل حجر ذلك اللات وسموه باسمه وعن ابن جبير صخرة بيضاء كانت

العرب

العرب تعبدها وتعظمها وعن مجاهد شجيرات تعبد بلادها انتقل امرها الى الصخرة انتهى
ملخصا وتلخص في اللات اهو صنم او حجر يلت عليه او صخرة يلت عندها او قبر اللات او
شجيرات ثم صخرة او اللات نفسه اقوال والعزى صنم وقيل سمرة كانت لغطفان يعبدونها
تاء نيث الاعز بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وخرجت منها
شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها
وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال ابو عبيدة كانت العزى ومناة
بالكعبة انتهى ويدل على هذا قول ابي سفين في بعض الحروب للمسلمين لنا العزى ولا عزى لكم
وقال ابن زيد كانت العزى بالطايف وقال قتادة كانت بنخلة ويمكن الجمع بين هذه الاماكن
بانه كان في كل مكان منها صنم يسمى العزى كما قلنا في اللات فاخبر كل واحد عن ذلك الصنم
المسمى بمكانه ومناة قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقيل بالمشلل من
قديد بين مكة والمدينة وكانت اعظم هذه الاوثان قدرا واكثرها عابدا وكانت الاوس والخزرج
تهل لها وهذا الاضطراب كثير في هذه الاوثان ومواضعها والذي يظهر انها كانت ثلاثتها
في الكعبة لان المخاطب بذلك في قوله افرايتم هم قريش **وقرا** الجمهور ومناة مقصورا
فقيل وزنها فعلة سميت مناة لان دماء النسايك كانت تمنى عندها اي تراق **وقرا**
ابن كثير ومناءة بالمد والهمز وقيل وزنها مفعلة فالالف منقلبة عن واو نحو مقالة والهمزة
اصل مشتقة من النوء كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والقصر اشهر **قال جرير**

• ازيد مناة توعدنا ابن تيم • تامل اين تاه بك الوعيد •

وقال اخر في المد والهمز الا هل اتى تيم بن عبد مناءة • على النأي فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله افرايتم وهي بمعنى اخبرني والمفعول الثاني الذي لها
هو قوله الكم الذكر وله الانثى على حد ما تقرر في متعلق ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني ولم يعد
ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لان قوله وله الانثى هو في معنى وله
هذه الاناث فاغنى عن الضمير وكانوا يقولون في هذه الاصنام هي بنات الله فالمعنى الكم
النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم وله النوع المذموم بزعمكم وهو المستقل وحسن ابراز
الانثى كونه نصا في اعتقادهم انهن اناث وانهن بنات الله وان كان في لحاق تاء التانيث
في اللات وفي مناة والف التانيث في العزى ما يشعر بالتانيث لكنه قد يسمى المذكر بالمونث
فكان في قوله الانثى نص على اعتقاد التانيث فيها وحسن ذلك ايضا كونه جاء فاصلة اذ لو
اتى ضميرا فكان التركيب الكم الذكر وله هن لم تقع فاصلة وقال الزجاج وجه تلفيق
هذه الاية ما قبلها فيقول اخبروني عن الهتكم هل لها شي من القدرة والعظمة التي وصف
بها رب العزة في الاي السالفة انتهى فجعل المفعول الثاني لارايتم جملة الاستفهام التي قدرها
وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها وعلى تقديره يبقى قوله الكم الذكر وله الانثى متعلقا
بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب كما قلناه نحن ولا يعجبني قول الزجاج وجه تلفيق
هذه الاية مع ما قبلها ولو قال وجه اتصال هذه او وجه انتظام هذه مع ما قبلها لكان
الجيد في الادب وان كان يعني هذه المعنى وقال ابن عطية افرايتم خطاب لقريش وهي
من روية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفتاء لم تتعد انتهى
ويعني بالاجرام اللات والعزى ومتى ولا ابت التي هي استفتاء تقع على الاجرام نحو ارايت
زيدا ما صنع وقوله ولو كانت ارايت استفتاء يعني التي تقول النحاة فيه انها بمعنى اخبرني
لم تتعد والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى الى اثنين احدهما منصوب والاخر في الغالب
جملة استفهامية وقد تكرر الكلام في ذلك واوله في سورة الانعام ودل كلام ابن عطية على
انه لم يطالع ما قاله الناس في ارايت اذا كانت استفتاء على اصطلاحه وهي التي بمعنى اخبرني
والظاهر ان الثالثة الاخرى صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد قيل ولما كانت مناة
هي اعظم هذه الاوثان اكدت بهذين الوصفين كما تقول رايت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا اجل
منهما فتقول وفلانا الاخر الذي من امره وشانه ولفظة اخر واخرى يوصف به الثالث من

المعدودات وذلك نص في الآية ومنه **قول ربيعة بن مكدم**

ولقد شفعتهما باخر ثالث ه انتهي وقول ربيعة مخالف للآية لان ثالثا جاء بعد اخرين على
قول هذا القايل ان مناة هي اعظم هذه الاوثان بكون التاكيد لاجل عظمها الاخري الي قوله
ثم يذكر ثالثا اجل منهما وقال الزمخشري والاخري ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله
وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسايهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم
عندهم للات والعزي انتهي ولفظ اخر ومونثه اخري لم يوضعا للذم ولا للمدح انما يدلان
على معني غير الا ان من شرطهما ان تكون من جنس ما قبله لو قلت مررت برجل وآخر لم
تدل الا على معني غير لا على ذم ولا مدح وقال ابو البقاء والاخري توكيد لان الثالثة لا تكون
الا الاخري انتهي وقيل الاخري صفة للعزي لانها ثانية اللات والثانية يقال لها الاخري
واخرت لموافقة رؤوس الآي وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير تقديره والعزي
الاخري ومناة الثالثة وقال ابو عبد الله الرازي الاخري صفة ذم كانك تقول ومناة
الثالثة الذليلة وذلك لان اللات كان وثنا على صورة آدمي والعزي صورة نبات ومناة
صورة صخرة فالآدمي اشرف من النبات والنبات اشرف من الجماد فالجماد متاخر ومناة جماد
فهي في اخريات المراتب والاشارة بتلك الي قسمتهم وتقريرهم ان لهم الذكران ولله البنات
وكانوا يقولون ان هذه الاصنام والملايكة بنات الله قال ابن عباس وقتادة ضيزي جايرة
وسفيان منقوصة وابن زيد مخالفة ومجاهد ومقاتل عوجاء والحسن غير معتدلة
وابن سيرين غير مستوية وكلها اقوال متقاربة في المعني **وقراءة** الجمهور ضيزي من غير
همز والظاهر انه صفة على وزن فعلي بضم الفاء كسرت لتصح الياء ويجوز ان يكون مصدرا
على وزن فعلي كذكري ووصف به **وقرا** ابن كثير ضئزي بالهمز فوجهه على انه مصدر
كذكري وصف به **وقرا** زيد بن علي ضيزي بفتح الضاد وبالياء ووجهه على انه مصدر
كدعوي وصف به او وصف كسكري وناقة حرمي ويقال ضوزي بالواو وبالهمز وتقدم في
المفردات حكاية لغة الهمز عن الكسائي **وانشد الاخفش**

فان تنأ عنها تنتقصك وان تغب ● فسهمك مضؤوز وانفك راغم ●

ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها في سورة هود
في سورة الاعراف **وقراءة** الجمهور ان يتبعون بياء الغيبة وعبد الله وابن عباس وابن وثاب
وطلحة والاعمش وعيسي بن عمر بتاء الخطاب الا الظن ميل النفس الي احد معتقدين من غير حجة
وما تهوي الانفس اي تميل اليه بلذة وانما تهوي ابدا ما هو غير الافضل لانها مجبولة على حب الملاذ
وانما يسوقها الي حسن العاقبة العقل ولقد جاءهم من ربهم الهدي توبيخ لهم والذي هم
عليه باطل واعتراض بين الجملتين اي يفعلون هذه القبايح والهدي قد جاءهم فكان اولي بهم
ويترك عبادة من لا يجدي عبادته ام للانسان ما تمني هو متصل بقوله وما تهوي الانفس
اي بل للانسان والمراد به الجنس ما تمني اي ما تعلقت به اماليه اي ليست الاشياء والشهوات
تحصل بالاماني بل لله الامر وقوله ان الهتكم تشفع وتقرب زلفي ليس لكم ذلك وقيل امنيتهم قولهم
ولئن رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني وقيل قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل
تمني بعضهم ان يكون النبي فلله الاخرة والاولي اي هو مالكهما فيعطي منهما من يشاء ويمنع
من يشاء وليس لاحد ان يبلغ منهما الا ما شاء الله وقدم الاخرة على الاولي لتاخرها في ذلك ولكونها
فاصلة فلم يراع الترتيب الوجودي كقوله وان لنا للاخرة والاولي وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضي ● ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
ليسمون الملايكة تسمية الانثي وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من
الحق شيا فاعرض عمن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدي ● ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسني ● الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا
اللمم ان ربك واسع المغفرة ● هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقي ● وكم هي خبرية ومعناها هنا التكثير وهي في موضع رفع بالابتداء

قوله عز وجل وكم من ملك

والخبر لا يغني والغناء جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذي يكون فيه الغناء وكم لفظها مفرد
ومعناها جمع **وقراءة** الجمهور شفاعتهم بافراد الشفاعة وجمع الضمير وزيد بن علي
شفاعته بافراد الشفاعة والضمير وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل ابي
القسم الهذلي وافردت الشفاعة في قراءة الجمهور لانها مصدر ولانهم لو شفع جميعهم لواحد
لن تغني شفاعتهم عنه شيا فاذا كانت الملايكة المقربون لا تغني شفاعتهم الا بعد اذن الله
ورضاه اي يرضاه اهلا للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لمن يعبدها ومعني تسمية الانثي كونهم
يقولون انهم بنات الله والذين لا يؤمنون بالاخرة هم العرب منكروا البعث وان الظن لا يغني
من الحق شيا اي ما يدركه العلم لا ينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم واليقين قيل ويحتمل ان
يكون المراد بالحق هنا هو الله تعالي اي لا اوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون ويدل عليه
ذلك بان الله هو الحق فاعرض عن من تولي عن ذكرنا موادعة منسوخة باية السيف ولم يرد الا الحياة
الدنيا اي لم تتعلق ارادته بغيرها فليس له فكر في سواها كالنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة
والذكر هنا القران او الايمان او الرسول اقوال ومن تولي عن ذكرنا هو سبب الاعراض لا نعرف لا
يصغي الي قول كيف يفهم معناه فامر عليه السلام بالاعراض عن من هذه حاله ثم ذكر سبب التولي
عن الذكر وهو حصر ارادتهم في الحيوة الدنيا فالتولي عن الذكر سبب للاعراض عنهم وايثار الدنيا
سبب التولي عن الذكر ذلك اشارة الي تعلقهم بالدنيا وتحصيلها مبلغهم غايتهم ومنتهاهم من العلم
وهو ما تعلقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنايع كقوله تعالي يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا ولما ذكر ما هم عليه اخبر تعالي انه عالم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما وقال
الزمخشري وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهي وكانه يقول هو اعتراض بين فاعرض وبين
ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض وقيل ذلك اشارة الي جعلهم الملايكة بنات الله
وقال الفراء صغروا رايهم وسفه احلامهم اي غاية عقولهم ونهاية علومهم ان اثروا الدنيا على الاخرة
وقيل ذلك اشارة الي الظن اي غاية ما يفعلون ان ياخذوا بالظن وقوله ان ربك هو اعلم في معرض
التسلية اذ كان من خلقه عليه السلام الحرص على ايمانهم وفي ذلك وعيد للكفار ووعد للمومنين
ولله ما في السموات وما في الارض اخبار ان من في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه له تعالي
يتصرف فيهما بما يشاء واللام في ليجزي متعلقة بما دل عليه معني الملك اي يضل ويهدي
ليجزي وقيل بقوله بمن ضل وبمن اهتدي واللام للصيرورة والمعني ان عاقبة امرهم جميعا
للجزاء بما عملوا اي بعقاب ما عملوا والحسني الجنة وقيل التقدير بالاعمال الحسني وحين ذكر جزاء
المسيء قال بما عملوا وحين ذكر جزاء المحسن اتي بالصفة التي تقتضي التفضيل وتدل على الكرم
والزيادة للمحسن كقوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون والاحسن تانيثه الحسني **وقرا**
زيد بن علي لنجزي ونجزي بالنون فيهما وتقدم الكلام في الكباير في قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه في سورة النساء والذنوب تنقسم الي كباير وصغاير والفواحش معطوف على كباير وهي مما
تحتوي من الكباير افردها بالذكر لتدل على عظم مرتكبها وقال الزمخشري والكباير الذنوب
التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة انتهي وهو على طريقة الاعتزال الا اللمم استثناء منقطع لانه
لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب او صفة اي كباير الاثم غير اللمم كقوله لو كان فيهما
الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وقيل يصح ان يكون استثناء متصلا وهذا يظهر عند تفسير اللمم
ما هو وقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا فقال الخدري هو النظرة والغمزة والقبلة وقال
السدي الخطرة من الذنب وقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي والكلبي كل ذنب لم يذكر
الله عليه حدا ولا عذابا وقال ابن عباس ايضا وابن زيد ما الموا من الشرك والمعاصي
في الجاهلية قبل الاسلام وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابنه ان سبب الاية قول الكفار
للمسلمين قد كنتم بالامس تعملون اعمالنا فنزلت وهي مثل قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف وقيل نزلت في نبهان التمار وحديثه مشهور وقال ابن عباس وغيره العلقة والسقطة
دون دوام ثم يتوب منه وقال الحسن والزنا والسرقة والخمر ثم لا يعود وقال ابن المسيب ما خطر
على القلب وقال نفطويه ما ليس بمعتاد وقال الرماني الهم بالذنب وحديث النفس دون ان يواقع
وقيل نظير الغفلة ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغاير باجتناب الكباير وقال الزمخشري والكباير

بالنبوة انتهى وفيه نزعة الاعتزال هو اعلم بكم قيل نزلت في قوم من اليهود عظموا انفسهم واذا مات
طفل لهم قالوا هذا صديق عند الله وقيل في قوم من المؤمنين فخروا باعمالهم والظاهر انه خطاب
عام واعلم على بابها من التفضيل وقال مكي بمعنى عالم بكم ولا ضرورة الى اخراجها عن اصل موضوعها
وكانه مكي راعى عمل اعلم في الظرف الذي هو اذ انشأكم وتعلق علمه به في ذلك الوقت لا مشاركة
لاحد معه فيه على انه قد يتعلق علم من اطلعه الله من الملائكة عليه وقيل الناصب لاذ محذوف
تقديره اذكروا اذ انشأكم من الارض والظاهر ان المراد بانشأكم انشاء اصلكم وهو ادم ويجوز
ان يراد من فضلة الاغذية التي منشؤها من الارض فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاء
العمل والطهارة عن المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم المزكي والتقي
قبل اخراجكم من صلب ادم وقيل اخراجكم من بطون امهاتكم وكثير ما ترى من المتصلحين اذا حدثوا
يقولون كان وردنا البارحة كذا وفاتنا من وردنا البارحة او فاتنا وردنا يوهمون الناس انهم
يقومون بالليل وترى لبعضهم في جبينه سوادا يوهم انه من كثرة السجود ولبعضهم احضار
النية حالة الاحرام فيحرك يديه مرارا ويصعق حتى ينزعج من هو بجانبه وكانه يختطف شيئا
بيديه وقت التحريكة الاخيرة يوهم انه محافظ على تحقيق النية وبعضهم يقول في حلفه وحق
البيت الذي زرت يعلم انه حاج واذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الاسد على الفريسة ولا يلحقه
شيء من الوسواس ولا من احضار النية في اخذه وتراه يحب الثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي
هو عار منها وقيل المعنى لا يزكي بعضكم بعضا تزكية السمعة او المدح للدنيا او تزكية القطع واما
التزكية لاثبات الحقوق فهي جائزة للضرورة والجنين ما كان في البطن فاذا خرج سمي ولدا او سقطا
وقوله في بطون امهاتكم تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم حاله
وهو مجن لا يخفى عليه حاله وهو ظاهر بمن اتقى قيل الشرك وقال علي عمل حسنة وارعوى عن معصية

قوله عز وجل افرايت الذي

افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى • اعنده علم الغيب فهو يرى • ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابراهيم الذي وفى • الا تزر وازرة وزر اخرى • وان ليس للانسان الا ما سعى • وان
سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الاوفى • وان الى ربك المنتهى • وانه هو اضحك وابكى • وانه
هو امات واحيى • وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى • وان عليه النشاة
الاخرى • وانه هو اغنى واقنى • وانه هو رب الشعرى • وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما
ابقى • وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى • والمؤتفكة اهوى • فغشاها ما غشى • فباي
الاء ربك تتمارى • هذا نذير من النذر الاولى • ازفت الازفة • ليس لها من دون الله كاشفة
افمن هذا الحديث تعجبون • وتضحكون ولا تبكون • وانتم سامدون • فاسجدوا لله واعبدوا •

افرايت الاية قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اتترك ملة ابائك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك
بكل شيء تخافه في الاخرة لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما
هم به من الاسلام وضل ضلالا بعيدا واعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح وقال
الضحاك هو النضر بن الحرث اعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له
ان يحمل عنه مأثم رجوعه وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي كان ربما يوافق النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب في ابي جهل بن هشام وقال
والله ما يامر محمد الا بمكارم الاخلاق وروي عن ابن عباس والسدي انها نزلت في عثمن بن عفان
رضي الله عنه كان يتصدق فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح نحوا من كلام
القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به وذكر القصة بتمامها الزمخشري ولم يذكر في سبب النزول
غيرها قال ابن عطية وذلك كله عندي باطل وعثمن رضي الله عنه منزه عن مثله انتهى وافرايت هنا
بمعنى اخبرني ومفعولها الاول الموصول والثاني الجملة الاستفهامية وهي اعنده علم الغيب وتولى
اي اعرض عن الاسلام وقال الزمخشري تولى ترك المركز يوم احد انتهى لما جعل الاية نزلت في عثمن
فسر التولي بهذا واذا ذكر التولي غير مقيد في القرآن فاكثر استعماله انه استعارة عن عدم الدخول
في الايمان واعطى قليلا واكدى قال ابن عباس اطاع قليلا ثم عصى وقال مجاهد اعطى قليلا من نفسه

بالاستماع ثم اكدى بالانقطاع وقال الضحاك اعطى قليلا من ماله ثم منع وقال مقاتل اعطى
قليلا من الخير بلسانه ثم قطع اعنده اي اعلم من الغيب ان من تحمل ذنوب اخر فان المتحمل
عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة ام هو جاهل وقال الزمخشري
فهو يرى فهو يعلم ان ما قاله اخوه من احتمال اوزاره حق وقيل يعلم حاله في الاخرة وقال
الزجاج يرى رفع ماثمه في الاخرة وقيل فهو يرى ان ما سمعه من القران باطل وقال الكلبي
انزل عليه قرآن فراى ما صنعه حقا وقيل فهو يرى ان الاجزاء واحتمل يرى ان تكون بصرية
اي فهو يبصر ما خفي عن غيره مما هو غيب واحتمل ان تكون بمعنى يعلم اي فهو يعلم الغيب
مثل الشهادة ام لم ينبأ اي بل الم يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم اي وفي صحف
ابراهيم التي نزلت عليه وخص هذين النبيين صلى الله عليهما قيل لانه ما بين نوح وابراهيم
كانوا ياخذون الرجل بابنه واخيه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم
ابراهيم ومن شريعة ابراهيم الى شريعة موسى كانوا لا ياخذون الرجل بجريرة غيره الذي
وفى قراءة الجمهور وفى بتشديد الفاء وقرأ ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابو
مالك الغفاري وابن السميفع وزيد بن علي بتخفيفها ولم يذكر متعلق وفى ليتناول كل ما يصلح ان
يكون متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال باعباء الرسالة والصبر على ذبح ولده وعلى فراق
اسماعيل وامه وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وكان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء
ابن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا وقال ابن عباس والربيع وفى طاعة الله في امر ذبح ابنه وقال
الحسن وقتادة وفى بتبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله وقال عكرمة وفى هذه العشر
الايات ان لا تزر وما بعدها وقال ابن عباس ايضا وقتادة وفى ما افترض عليه من الطاعة
على وجهها وكملت له شعب الايمان والاسلام فاعطاه الله براءته من النار وقال ابن عباس ايضا
وفى شرائع الاسلام ثلاثين سهما يعني عشرة التائبون وعشرة في قد افلح وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين وقال ابو امامة ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفى اربع صلوات في كل يوم وقال
ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين
فطالبه بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا انتهى وللمفسرين اقوال
غير هذه وينبغي ان تكون هذه الاقوال امثلة لما وفى لا على سبيل التعيين وان هي المخففة
من الثقيلة وهي بدل من ما في قوله بما في صحف او في موضع رفع كانه قائل قال ما في صحفهما
فقيل الا تزر اي هو ان لا تزر وتقدم شرح لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما
سعى الظاهر ان الانسان يشمل المؤمن والكافر وان الحصر في السعي فليس له سعي غيره
وقال عكرمة كان الحكم في قوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلها سعي غيرها يدل عليه حديث
سعد بن عبادة هل لامي ان تطوعت عنها قال نعم وقال الربيع الانسان هنا الكافر واما
المؤمن فله ما سعى وما سعي له غيره وسال والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه
الاية مع قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس له بالعدل الا ما سعى وله بالفضل ما
شاء الله فقبل عبد الله راس الحسين وما روي عن ابن عباس انها منسوخة لا يصح لانه خبر
لم يتضمن تكليفا وعند الجمهور انها محكمة قال ابن عطية والتحرير عندي في هذه الاية ان ملاك
المعنى هو اللام من قوله للانسان فاذا حققت الشيء الذي حق الانسان ان يقول فيه لي
كذا لم يجده الا سعيه وما تم بعد من رحمة بشفاعة او رعاية اب صالح او ابن صالح او تضعيف
حسنات او تغمد بفضل ورحمة دون هذا كله فليس هو للانسان ولا يسعه ان يقول لي
كذا وكذا الا على تجوز والحاق بما هو حقيقة واحتج بهذه الاية من يرى انه لا يعمل احد عن
احد بعد موته ببدن او مال وفرق بعض العلماء بين البدن والمال انتهى وان سعيه سوف يرى
ويرى مبنيا للمفعول اي سوف يراه حاضرا والقيامة وفي عرض الاعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء
والضمير المرفوع في يجزاه عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعي والجزاء مصدر قال
الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء او ابدل عنه كقوله واسروا
النجوى الذين ظلموا انتهى وقوله ثم فسره بقوله الجزاء وان كان تفسيرا للمصدر المنصوب

في جزاه فعلى ماذا انتصابه واما ان كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي يفسره
الظاهر وهي مسالة خلاف والصحيح المنع **وقرأ** الجمهور وان الى ربك وما بعدها
من وان بفتح الهمزة عطفا على ما قبلها **وقرأ** ابو السمال بالكسر فيهن وفي قوله
الاوفى وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ومنتهى الشي غايته وما يصل اليه اي الى حساب
ربك والحشر لاجله كما قال والى الله المصير اي الى جزائه وحسابه او الى ثوابه من الجنة
وعقابه من النار وهذا التفسير المناسب لما قبله في الاية وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب وروي انس عنه عليه السلام
اذا ذكر الرب فانتهوا وانه هو اضحك وابكى والظاهر حقيقة الضحك والبكى قال مجاهد
اضحك اهل الجنة وابكى اهل النار وقيل كنى بالضحك عن السرور وبالبكاء عن الحزن وقيل اضحك
الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل احيى بالايمان وابكى بالكفر وقال الزمخشري
اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء انتهى وفيه دسيسة الاعتزال اذ افعال العبد من
الضحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد عندهم لا لله تعالى فلذلك قال قوتي الضحك والبكا
وانه خلق الزوجين المصطحبين من رجل وامراة وغيرهما من الحيوان من نطفة اذا تمنى اي
اذا تدفق وهو المني يقال امنى الرجل ومنى قال الاخفش اذا تمنى اي تخلق وتقدر
من منى الماني اي قدر المقدر وان عليه النشاة الاخرى اي اعادة الاجسام الى الحشر
بعد البلى وجاء بلفظ عليه المشعرة بالتحتم لوجود الشي لما كانت هذه النشاة ينكرها الكفار
بولغ بقوله عليه بوجودها لا محالة وكانه تعالى اوجب ذلك على نفسه وتقدم الخلاف
في قراءة النشاة في سورة العنكبوت وقال الزمخشري وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة
ليجازي على الاحسان والاساءة انتهى وهو على طريق الاعتزال وانه هو اغنى واقنى اي اكسب
القنية يقال قنيت المال اي كسبته واقنيته اياه اي اكسبته اياه ولم يذكر متعلق اغنى واقنى
لان المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى وقد تكلم المفسرون على ذلك وقالوا اثني عشر قولا
كقولهم اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وكل قول منها لا دليل على تعيينه فينبغي ان تحمل امثلة
والشعرى التي عبدت هي العبور قال السدي كانت تعبدها حمير وخزاعة وقال غيره اول
من عبدها ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وكان اسمه عبد الشعرى
ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام ابن ابي كبشة ومن كلام ذلك كلام ابي سفين
لقد امر امر ابن ابي كبشة ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها ويعتقد تاثيرها في
العالم وانها من الكواكب الناطقة يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها
وهي تقطع السماء طولا والنجوم كلها تقطعها عرضا وقال مجاهد وابن زيد هو مرزم الجوزاء
وانه اهلك عادا الاولى جاء بين ان وخبرها لفظ هو وذلك في قوله وانه هو اضحك وانه
هو امات وانه هو اغنى وانه هو رب الشعرى في الثلثة الاول لما كان قد يدعي ذلك بعض
الناس كقول نمروذ انا احيي واميت احتيج الى تاكيد في ان ذلك انما هو الله لا لغيره فهو الذي
يضحك ويبكي وهو المميت المحيي والمغني والمقني حقيقة وان ادعى ذلك احد فلا حقيقة له
وانه هو رب الشعرى فلانها لما عبدت من دون الله نص على انه تعالى هو ربها وموجدها
ولما كان خلق الزوجين والانشاء الاخر واهلاك عاد ومن ذكر لا يمكن ان يدعي ذلك احد لم يحتج
الى تاكيده ولا تنصيص انه تعالى هو فاعل ذلك والاولى هم قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل
الاولى القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل الاولى المتقدمون في الدنيا الاشراف
قاله الزمخشري وقال ابن زيد والجمهور لانها في وجه الدهر وقديمه فهي اولى بالاضافة الى
الامم المتاخرة **وقال** الطبري وصفت بالاولى لان عادا الاخرة قبيلة كانت بمكة مع العماليق
وهو بنو لقيم بن هزال وقال المبرد عاد الاخرة هي ثمود والدليل عليه **قول زهير**
كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم • ذكره الزهراوي وقيل عاد الاخرة الجبارون وقيل قيل الاولى
لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل ثمود من قبل عاد وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم بن عوص بن سام
ابن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى **وقرأ** الجمهور عادا الاولى بتنوين عاد
وكسره لالتقائه ساكنا مع سكون لام الاولى وتحقيق الهمزة بعد اللام **وقرأ** قوم كذلك

غير

كذلك غير انهم نقلوا حركة الهمزة الى اللام وحذفوا الهمزة **وقرا** نافع وابو عمرو بادغام
التنوين في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة وعاب هذه القراءة المازني والمبرد
وقالت العرب في الابتداء بعد النقل لحمر ولحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر فلا عيب فيها
وهمز قالون عين الواو الاولى بدل الواو الساكنة ولما لم يكن بين الضمة والواو حايل تخيل ان
الضمة على الواو فهمزها **كما قال الشاعر** احب المؤقدين الى موسى • وكما قرا بعضهم على
سؤقه وهو توجيه شذوذ وفي حرف ابي عاد غير مصروف جعله اسم قبيلة فمنعه الصرف للتانيث
والعلمية والدليل على التانيث وصفه بالاولى **وقرأ** الجمهور وثمودا مصروفا **وقرا**
غير مصروف الحسن وعاصم وعصمة فما ابقى الظاهر ان متعلق ابقى يرجع الى عاد وثمود معا
اي فما ابقى عليهم اي اخذهم بذنوبهم وقيل فما ابقى يرجع الى عاد وثمود معا اي فما ابقى عليهم
اي اخذهم بذنوبهم وقيل فما ابقى اي فما ابقى منهم عينا تطرف **وقال** لذلك الحجاج بن يوسف
حين قيل ان ثقيفا من نسل ثمود فقال قال الله وثمودا فما ابقى وهو لا يقولون بقيت منهم
بقية والظاهر القول الاول لان ثمودا كان قد امن منهم جماعة بصالح عليه السلام فما اهلكهم
الله مع الذين كفروا به وقوم نوح من قبل عاد وثمود وكانوا اول امة كذبت من اهل الارض ونوح
اول الرسل والظاهر ان الضمير في انهم عايد على قوم نوح وجعلهم اظلم واطغى لانهم كانوا في
غاية العتو والايذاء لنوح يضربونه حتى لا يكاد يتحرك ويسمونه ولا يتأثرون لشي مما يدعوهم
اليه **قال** قتادة دعاهم الف سنة الا خمسين عاما كلما هلك قرن نشأ قرن حتى كان الرجل
ياخذ بيد ابنه يمشي به اليه يحذره منه ويقول يا بني ان ابي مشى بي الى هذا وانا مثلك يومئذ
فاياك ان تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه وقيل الضمير في
انهم عايد على من تقدم عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من قريش واطغى وفي ذلك تسلية
للرسول عليه السلام وهم يجوز ان يكون تاكيدا للضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا
لانه واقع بين معرفة وافعل التفضيل وحذف المفضول بعد الواقع خبرا لكان لانه جار
مجرى خبر المبتدا وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان والمؤتفكة اهوى هي مداين قوم لوط
باجماع من المفسرين وسميت بذلك لانها انقلبت ومنه الافك لانه قلب الحق كذبا افكت
فانتفكت قيل ويحتمل ان يراد بالمؤتفكة كل ما انقلبت مساكنه ودثرت اماكنه اهوى
اي خسف بهم بعد رفعهم الى السماء رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها
تهوي **وقرأ** الحسن والمؤتفكات جمعا والظاهر ان اهوى ناصب للمؤتفكة واخر
العامل لكونه فاصلة ويجوز ان تكون والمؤتفكة معطوفا على ما قبله واهوى جملة في موضع
الحال توضح كيفية اهلاكهم اي واهلك المؤتفكة مهويا لها فغشاها ما غشى فيه تهويل للعذاب
الذي حل بهم لما قلبها جبريل اتبعت حجارة غشيتهم واحتمل ان يكون التضعيف في غشاها
للتعدية فتكون ما مفعولة والفاعل ضمير يعود على الله تعالى واحتمل ان يكون فعل المشدد بمعنى
المجرد فتعدى الى واحد فيكون الفاعل ما كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم فباي الاء ربك
تتمارى الباء ظرفية والخطاب للسامع وتتمارى تتشكك وهو استفهام في معنى الانكار
اي الاوه وهي النعم لا يتشكك فيها سامع وقد سبق ذكر نعم ونقم واطلق عليها كلها الاء
لما في النقم من الزجر والوعظ لمن اعتبر **وقرأ** يعقوب وابن محيصن ربك تمارى
بتاء واحدة مشددة **وقال** ابو مالك الغفاري ان قوله الا تزر الى قوله تتمارى هو في
صحف ابراهيم وموسى هذا نذير قال قتادة ومحمد بن كعب وابو جعفر الاشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم افتتح اول السورة به واختتم اخرها به وقيل الاشارة الى القران
وقال ابو مالك الى ما سلف من الاخبار عن الامم اي هذا الانذار من النذارات السابقة والنذير
يكون مصدرا او اسم فاعل وكلاهما من انذر ولا ينقاسان بل القياس في المصدر انذار وفي
اسم الفاعل منذر والنذر اما جمع للمصدر او جمع لاسم الفاعل فان كان اسم فاعل فوصف
النذر بالاولى على معنى الجماعة ولما ذكر اهلاك من تقدم ذكره وذكر قوله هذا نذير ذكرت
الذي انذر به قرب الوقوع فقال ازفت الازفة اي قربت الموصوفة بالقرب في قوله
اقتربت الساعة وهي القيامة ليس لها من دون الله كاشفة اي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه

قاله الطبري والزجاج وقال منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعه اي ليس لها من يكشف
خطبها وهولها انتهي ويجوز ان تكون الهاء في كاشفة للمبالغة وقال الرماني وجماعة
ويحتمل ان تكون مصدرا كالعاقبة وخائنة الاعين اي ليس لها كشف من دون الله وقيل يحتمل
ان يكون التقدير حال كاشفة افمن هذا الحديث وهو القران تعجبون فتنكرون وتضحكون مستهزئين
ولا تبكون جزعا من وعيده وانتم سامدون قال مجاهد معرضون وقال عكرمة لاهون وقال
قتادة غافلون وقال السدي مستكبرون وقال ابن عباس ساهون وقال المبرد جامدون وكانوا
اذا سمعوا القران غنوا تشاغلا عنه وروي انه عليه السلام لم ير ضاحكا بعد نزولها فاسجدوا لله
اي صلوا له واعبدوا وافردوه بالعبادة ولا تعبدون اللات والعزي ومناة والشعري وغيرها
من الاصنام وخرج البغوي باسناد متصل الي عبد الله قال اول سورة نزل فيها السجدة النجم
سجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد
عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا والرجل امية بن خلف وروي ان المشركين سجدوا مع رسول الله
صلي الله عليه وسلم وفي حرف ابي وعبد الله يضحكون بغير واو **وقراءة** الحسن تعجبون
تضحكون بغير واو وبضم التاء وكسر الجيم والحاء في قوله ولا تبكون حض علي البكاء عند سماع القران
والسجود هنا عند كثير من اهل العلم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووردت به احاديث
صحاح وليس براها مالك هنا وعن زيد بن ثابت انه قراها عند رسول الله صلي الله عليه وسلم
فلم يسجد **الجدث** القبر وتبدل ثاؤه فاء فيقال جدف كما ابدلوا في ثم فقالوا فم **انهمر**

المفردات

الماء نزل بقوة غزيرا **قال الشاعر**

راح تمريه الصبا ثم انتحي فيه • شؤبوب جنوب منهمر •

الدسر المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار نحو كتاب وكتب ويقال دسرت
السفينة اذا شددتها بالمسامير وقال **الليث** وصاحب الصحاح الدسر خيوط تشد بها
الواح السفينة **الصرصر** الشديدة الصوت او البرد اما من صر الباب وهو تصويته
او من الصر الذي هو البرد وهو بناء متاصل علي وزن فعلل عند الجمهور **العجز** مؤخر
الشيء **المنقعر** المنقلع من اصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من اصلها فانقعرت
والبئر نزلت حتي انتهت الي قعرها والاناء شربت ما فيه حتي انتهي الي قعره واقعرت البئر جعلت
لها قعرا **الاشر** البطر وقد اشر بالكسر ياشر اشرا فهو اشر واشر واشران وقيل اشاري مثل
سكوان وسكاري **سقر** علم لجهنم مشتق من سقرته النار بالسين وصقرته بالصاد اذا
لوحته **قال ذو الرمة** اذا ذابت الشمس اتقي صقراتها • بافنان مربوع الصريمة معبل
وامتنعت سقر من الصرف للعلمية والتانيث نزلت حركته وسطه فنزل الحرف الرابع في زينب

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر • وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر •
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر • ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما
تغني النذر • فتول عنهم يوم يدع الداع الي شيء نكر • خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر • مهطعين الي الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر • كذبت قبلهم
قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر • فدعا ربه اني مغلوب فانتصر •
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الارض عيونا • فالتقي الماء علي امر قد قدر •
وحملناه علي ذات الواح ودسر • تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر • ولقد تركناها آية
فهل من مدكر • فكيف كان عذابي ونذر • ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر •
هذه السورة مكية في قول الجمهور وقيل الا سيهزم الجمع الاية نزل يوم بدر وقال مقاتل مكية الا ثلاث
آيات اولها ام يقولون نحن واخرها ادهي وامر وسبب نزولها ان مشركي قريش قالوا
للرسول ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل وكانت ليلة
بدر فسال ربه فانشق القمر نصف علي الصفا ونصف علي قعيقعان فقال اهل مكة آية سماوية
لا يعمل فيها السحر فقال ابو جهل اصبروا حتي تاتينا اهل البوادي فان اخبروا بانشقاقه

فهو صحيح وان لا فقد سحر محمد اعيننا فجاءوا فاخبروا بانشقاق القمر فاعرض ابو جهل وقال سحر مستمر
وعن ابن عباس شق القمر باسمين شطر علي السويداء وشطر علي الحديبية وعنه انشق القمر بمكة
مرتين وعنه انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت ومناسبة اول السورة لاخر ما قبلها
ظاهرة قال ازفت الازفة وقال اقتربت الساعة وممن عاين انشقاق القمر ابن مسعود وجبير
ابن مطعم واخبره ابن عمر وانس وحذيفة وابن عباس وحين اري الله الناس انشقاق القمر قال
الرسول اشهدوا وقال المشركون اذ ذاك سحرنا محمد وقال بعضهم سحر القمر والامة مجمعة
علي خلاف من زعم ان قوله وانشق القمر معناه انه ينشق يوم القيامة ويرده من الاية قوله وان
يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فلا يناسب هذا الكلام ان ياتي الا بعد ظهور ما سالوه معينا
من انشقاق القمر وقيل سالوه آية في الجملة فاراهم الله هذه الاية السماوية وهي من اعظم الايات
وذلك التاثير في العالم العلوي **وقراءة** حذيفة وقد انشق القمر اقتربت وتقدم بين
آيات اقترابها انشقاق القمر كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وخطب حذيفة بالمداين
ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر علي عهد نبيكم ولا التفات الي قول الحسن ان المعني
اذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية ولا الي قول من قال ان المعني ظهر الامر وان
العرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح ولا الي قول من قال ان انشقاقه عبارة عن انشقاق الظلمة
عند طلوعه في اثنائها كما يسمي الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق

قال النابغة فلما ادبروا ولهم دوي دعانا • عند شق الصبح داع •

وهذه اقوال فاسدة ولولا ان المفسرين ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا وان يروا آية يعرضوا
وقري وان يروا مبنيا للمفعول اي من شانهم وحالتهم انهم متي راوا آية دالة علي صدق الرسول
من الايات الباهرة اعرضوا عن الايمان به وبتلك الاية وجاءت الجملة شرطية لتدل علي انهم في الاستقبال
علي مثل حالهم في الماضي ويقولوا سحر مستمر اي دائم **قول الشاعر**

• الا انما الدنيا ليال واعصر • وليس علي شيء قويم بمستمر •

اي بدائم لما راوا الايات متوالية لا تنقطع قالوا ذلك وقال ابو العالية والضحاك والاخفش
مستمر مشدود موثق من مرائر الحبل اي سحر قد احكم ومنه **قول الشاعر**

• حتي استمرت علي شزر مريرته • صدق العزيمة لا رثا ولا ضرعا •

وقال انس ويمان ومجاهد والكسائي والفراء واختاره النحاس مستمر مار ذاهب زائل عن قريب
عللوا بذلك انفسهم وقيل مستمر مشتد المرارة اي مستبشع عندنا مر يقال مر الشيء وامر اذا صار
مرا وامر غيره ومره يكون لازما ومتعديا وقيل مستمر يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله علي
هذا الوجه من التخييلات وقيل مستمر مار من الارض الي السماء اي بلغ من سحره انه سحر القمر وكذبوا
اي بالايات ومن جاء بها اي قالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد واتبعوا اهواءهم اي شهوات انفسهم وما
يهوون وكل امر مستقر **قراءة** الجمهور مستقر بكسر القاف وضم الراء مبتدا وخبر فقال
مقاتل اي لكل امر غاية ينتهي اليها وقال الكلبي مستقر له حقيقة فما كان في الدنيا فسيظهر وما كان في
الاخرة فسيعرف وقال قتادة معناه ان الخير مستقر باهل الخير والشر باهل الشر وقيل يستقر
الحق ظاهرا ثابتا والباطل زاهقا ذاهبا وقيل وكل امر من امرهم وامره يستقر علي خذلان او نصر
في الدنيا وسعادة او شقاوة في الاخرة **وقراءة** شيبة مستقر بفتح القاف وروي عن نافع
وقال ابو حاتم لا وجه لفتح القاف انتهي وخرجت علي وجه مضاف اي ذو استقرار وزمان استقرار
وقراءة ابو جعفر وزيد بن علي مستقر بكسر القاف والراء معا صفة لامر وخرجه الزمخشري
علي ان يكون وكل عطفا علي الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين
حاله وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب
نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجي زيد اكرمه ورحل الي بني فلان ولحما فيكون ولحما عطفا علي خبزا
بل لا يوجد مثله في كلام العرب وخرجه صاحب اللوامح علي انه خبر لكل فهو مرفوع في الاصل لكنه
جر للمجاورة وهذا ليس بجيد لان الخفض علي الجوار في غاية الشذوذ ولانه لم يعهد في خبر المبتدا
انما عهد في الصفة علي اختلاف النحاة في وجوده والاسهل ان يكون الخبر مضمرا لدلالة المعني
عليه والتقدير وكل امر مستقر بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي وكل امر مستقر لهم

في القدر من خير او شر بالغته هم وقيل الخبر حكمة بالغة اي وكل امر مستقر حكمة بالغة ويكون ولقد
جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر اعتراض بين المبتدا وخبرها **قال الشاعر**
ولقد جاءهم من الانباء اي من الاخبار الواردة في القران
في اهلاك من كذب الانبياء وما يؤولون اليه في الاخرة ما فيه مزدجر اي ازدجار وردع لهم عن ما
هم فيه او موضع لازدجار وارتداع اي ذلك موضع ازدجار او مظنة له **وقرئ** مزجر بابدال
تاء الافتعال زايا وادغاما الزاي فيها **وقرأ** زيد بن علي مزجرا اسم فاعل من ازجر اي صار
ذا زجر كاعشب اي صار ذا عشب **وقرأ** الجمهور حكمة بالغة برفعهما وجوزوا ان تكون حكمة
بدلا من مزدجر او من ما او خبر مبتدا محذوف وتقدم قول من جعله خبرا عن كل في قراءة من خفض
مستقر بالجر **وقرأ** اليماني حكمة بالغة بالنصب فيهما حالا من ما سواء كانت ما موصولة ام موصوفة
تخصصت بالصفة ووصفت الحكمة بالغة لانها تبلغ غيرها فما تغني النذر مع هؤلاء الكفرة
ثم سلى رسوله فقال فتول عنهم اي اعرض عنهم فان الانذار لا يجدي فيهم ثم ذكر شيئا من احوال
الاخرة وما يؤولون اليه اذ ذاك متعلق باقتراب الساعة فقال يوم يدع الداع والناصب ليوم
اذكر مضمرة قاله الرماني او يخرجون وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وهذا ضعيف من
جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما من جهة اللفظ فحذف الى واما من جهة المعنى فان توليه عنهم
ليس مغيا بيوم يدع الداع وجوز ان يكون منصوبا بقوله فما تغن ويكون فتول عنهم اعتراضا
وان يكون منصوبا بقوله يقول الكافرون ومنصوبا على اضمار انتظر ومنصوبا بقوله فتول وهذا
ضعيف جدا ومنصوبا بمستقر وهو بعيد ايضا وحذفت الواو من يدع في الرسم اتباعا للنطق والياء من
الداع تخفيفا اجريت الياء مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما يحذف معه حذفت معها والداع هو اسرافيل
او جبريل او ملك غيرهما موكل بذلك اقوال **وقرأ** الجمهور نكر بضم الكاف وهو صفة على فعل
وهو قليل في الصفات ومنه رجل شلل اي خفيف في الحاجة وناقة اجد ومشية سجح وروضة انف
وقرأ الحسن وابن كثير وشبل باسكان الكاف كما قالوا شغل وشغل وعسر وعسر **وقرأ**
مجاهد وابو قلابة والجحدري وزيد بن علي نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول اي جهل فنكر **قال** الخليل
النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية اي تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو يوم القيامة

قال مالك بن عوف النصري

اقدم محاج انه يوم نكر ● مثلي على مثلك يحمي ويكر

وقرأ قتادة وابو جعفر والحسن وشيبة والاعرج والجمهور خشعا جمع تكسير وابن عباس وابن
جبير ومجاهد والجحدري وابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا بالافراد **وقرأ** ابي وابن مسعود
خاشعة وجمع التكسير اكثر في كلام العرب وقال الفراء وابو عبيدة كله جائز انتهى **ومثال**
جمع التكسير **قوله** بمطرد لدن صحاح كعوبه ● وذي رونق عضب يقد القوانسا
ومثال الافراد قوله ورجال حسن اوجههم ● من اياد بن نزار بن معد
وقال اخر ترمي الفجاج به الركبان معترضا ● اعناق بزلها مرخى لها الجدل
وانتصب خشعا وخاشعا وخاشعة على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون لانه فعل متصرف
وفي هذا دليل على بطلان مذهب الجرمي انه لا يجوز تقدم الحال على الفعل وان كان متصرفا وقد
قالت العرب شتى تؤوب الحلبة فشتى حال وقد تقدمت على عاملها وهو تؤوب لانه فعل متصرف
وقال الشاعر سريعا يهون الصعب عند اولي النهى ● اذا برجاء صادق قابلوا البأسا
فسريعا حال وقد تقدمت على عاملها وهو يهون وقيل هو حال من الضمير المجرور في عنهم من قوله فتول
عنهم وقيل هو مفعول بيدع اي قوما خشعا او فريقا خشعا وفيه بعد ومن افرد خاشعا وذكر فعلى تقدير
تخشع ومن قرأ خشعا جمع تكسير فلان الجمع موافق لما بعده وهو ابصارهم وموافق للضمير الذي هو
صاحب الحال في يخرجون وهو نظير قولهم مررت برجال كريم اباؤهم وقال الزمخشري وخشعا على
يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طيء انتهى ولا يجري جمع التكسير
مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وقد نص **س** على ان جمع التكسير
اكثر في كلام العرب فكيف يكون اكثر ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء
حين ذكر الافراد مذكرا ومؤنثا وجمع التكسير اكثر في كلام العرب فكيف يكون اكثر ويكون على

تلك

تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد مذكرا ومؤنثا وجمع التكسير قال
لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان اشبه انتهى
وانما يخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون نحو مررت بقوم كريمين اباؤهم
والزمخشري قاس جمع التكسير على هذا الجمع المسلم وهو قياس فاسد ويرده النقل عن العرب ان جمع
التكسير اجود من الافراد كما ذكرناه عن **س** وكما دل عليه كلام الفراء وجوزوا ان يكون في خشعا ضمير
وابصارهم بدل منه **وقرئ** خشع ابصارهم وهي جملة في موضع الحال وخشع خبر مقدم
وخشوع الابصار كناية عن الذلة وهي في العيون اظهر منها في سائر الجوارح وكذلك افعال النفس
من ذلة وعزة وحياء وصلف وخوف وغير ذلك كانهم جراد منتشر جملة حالية ايضا شبههم بالجراد
في الكثرة والتموج ويقال جاؤوا كالجراد في الجيش الكثير المتموج ويقال كالدبا وجاء تشبيههم ايضا
بالفراش المبثوث وكل من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شبه منهما وقيل يكونون اولا كالفراش
حين يموجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون لان الفراش لا جهة له يقصدها ثم كالجراد المنتشر
اذا توجهوا الى المحشر والداعي فهما تشبيهان باعتبار وقتين قال معناه مكي بن ابي طالب مهطعين
قال ابو عبيدة مسرعين ومنه بدجلة دارهم ولقد اراهم ● بدجلة مهطعين الى السماع ●
زاد غيره مادي اعناقهم وزاد غيره مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع ونحوه
وقال قتادة عامدين **وقال** الضحاك مقبلين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت وقال
ابن عباس ناظرين ومنه **قوله** تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ● ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
وقيل خافضين ما بين اعينهم وقال سفيان خاشعة ابصارهم الى السماء يوم عسر لما يشاهدون من
مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه كذبت قبلهم اي قبل قريش قوم نوح وفيه وعيد
لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف اي كذبت الرسل فكذبوا نوحا لما كانوا
مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل ويجوز ان يكون المحذوف
نوحا اول مجيئه اليهم فكذبوه تكذيبا يعقبه تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب
وفي لفظ عبدنا تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان سبحان
الذي اسرى بعبده وقالوا مجنون اي هو مجنون لما راوا الايات الدالة على صدقه قالوا هو
مصاب الجن لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون اي يقول ما لا يقبله عاقل وذلك مبالغة في
تكذيبهم وازدجر فدعا ربه اني مغلوب الظاهر ان قوله وازدجر من اخبار الله تعالى اي انتهر
وزجروه بالسب والجد والتخويف قاله ابن زيد **وقرأ** لئن لم تنته يا نوح لتكونن من
المرجومين وقيل والمعنى انهم فعلوا به ما يوجب الازدجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم الى الايمان وعدل
الى الدعاء عليهم وقال مجاهد وازدجر من تمام قولهم اي قالوا وازدجر اي استطير جنونا اي ازدجرته الجن
وذهبت بلبه وتخبطته **وقرأ** ابن ابي اسحق وعيسى والاعمش وزيد بن علي ورويت عن عاصم
اني بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين او على اجراء الدعاء مجرى القول على مذهب
الكوفيين **وقرأ** الجمهور بفتحها اي باني مغلوب اي غلبني قومي فلم يسمعوا مني ويئست
من اجابتهم لي فانتصر اي فانتقم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بعد ما يئس منهم
وتفاقم امرهم وكان الواحد من قومه يخنقه الى ان يخر مغشيا عليه وكان يقول اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون ومتعلق فانتصر محذوف فقيل التقدير فانتصر لي منهم بان تهلكهم وقيل فانتصر
لنفسك اذ كذبوا رسولك توقفت الاجابة وللمتصوفة قول في مغلوب فانتصر حكاه ابن عطية
يوقف عليه في كتابه ففتحنا بيان ان الله انتصر منهم وانتقم قيل ومن العجب انهم كانوا يطلبون
المطر سنين فاهلكهم بمطلوبهم ابواب السماء بماء جعل الماء كانه الة يفتح بها كما تقول فتحت
الباب بالمفتاح وكان الماء جاء وفتح الابواب فجعل المقصود وهو الماء بعد ما كان في الوجود على
فتح الباب المغلق ويجوز ان تكون الباء للحال اي ملتبسة بماء منهمر **وقرأ** ابن عامر
وابو جعفر والاعرج ويعقوب ففتحنا مشددا والجمهور مخففا ابواب السماء هذا عند الجمهور
مجاز وتشبيه لان المطر كثر كانه نازل من ابواب كما تقول فتحت افواه القرب وجرت مزاريب
السماء وقال علي وتبعه النقاش يعني بالابواب المجرة وهي شرج السماء كشرج العيبة وذهب
قوم الى انها حقيقة فتحت في السماء ابواب جرى منها الماء ومثله مروي عن ابن عباس

قال ابواب السماء من غير سحاب لم تقلع اربعين يومًا قال السدي منهمر اي كثير قال الشاعر

اعيني جودا بالدموع الهوامر • على خير باد من معد وحاضر •

وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم وعبد الله واصحابه وابو حيوة والمفضل عن عاصم بالتخفيف والمشهور ان العين لفظ مشترك قيل والظاهر انها حقيقة في العين الباصرة مجاز في غيرها وهو في عين الماء مجاز مشهور غالب وانتصب عيونا على التمييز جعلت الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من وفجرنا عيون الارض ومن منع مجيء التمييز من المفعول اعربه حالا ويكون حالا مقدرة واعربه بعضهم مفعولا ثانيا كانه ضمن وفجرنا صيرنا بالتفجر الارض عيونا قيل وتفجرت اربعين يومًا وقرأ الجمهور فالتقى الماء وهو اسم جنس والمعنى ماء السما وماء الارض وقرأ علي والحسن ومحمد بن كعب والجحدري الماءان وقرأ الحسن ايضا الماوان وقال الزمخشري وقرأ الحسن ماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان انتهي شبه الهمزة التي هي بدل من هاء في الماء بهمزة الالحاق في علباء وعن الحسن ايضا المايان بقلب الهمزة ياء وفي كلتا القراءتين شذوذ على امر قد قدر اي على حالة ورتبة قد قضيت في الازل وقيل على مقادير قد رتبت وقت التقائه فروي ان ماء الارض كان على سبعة عشر ذراعا ونزل ماء السماء على تكملة اربعين ذراعا وقيل كان ماء الارض اكثر وقيل كانا متساويين نزل من السماء قدر ما خرج من الارض وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وهذا هو الراجح لان كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر الله هلاك مكذبي الرسل فيها فيكون هذا كناية عن هلاك قوم نوح ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله وحملناه على ذات الواح ودسر وقرأ ابو حيوة وابن مقسم قد ربشد الدال والجمهور بتخفيفها وذات الالواح والدسر هي السفينة التي انشاها نوح ويفهم من هذين الوصفين انها السفينة فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه ونحوه قميصي مسرودة من حديد اي درع وهذا من فصيح الكلام وبديعه ولو جمعت بين الصفة والموصوف فيه لم يكن بالفصيح والدسر المسامير قاله الجمهور وقال ابن عباس والحسن مقاديم السفينة لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر الدفع وقال مجاهد وغيره نطق السفينة وعنه ايضا عوارض السفينة وعنه ايضا اضلاع السفينة تجري في ذلك الماء المتلقي بحفظنا وكلاءة بحيث نجي من كان فيها وغرق غيرهم وقال مقاتل بن سليمان باعيننا بوحينا وقيل بامرنا وقيل باوليائنا يقال مات عين من عيون الله اي ولي من اوليائه وقيل باعين الماء التي انبعناها وقيل من حفظها من الملائكة سماهم اعينا وقرأ زيد بن علي وابو السمال باعينا بالادغام والجمهور بالفك جزاء اي مجازاة لمن كان كفر اي لنوح عليه السلام اذ كان نعمة اهداها الله الي قومه لان نوحا نعمة فكفروها والمعنى ان حمله في السفينة ومن امن معه كان جزاء له على صبره على قومه المتمين من السنين ومن كناية عن نوح قال يعني لمن كفر لمن جحدت نبوته وقال ابن عباس ومجاهد من يراد به الله تعالى كانه قال غضبا وانتصارا لله تعالى اي انتصر لنفسه فاغرق الكافرين وانجي المومنين وهذان التاء وبلال في من على قراءة الجماعة كفر مبنيا للمفعول وقرأ مسلمة بن محارب باسكان الفاء خفف فعل كما قال الشاعر لو عصر منه البان والمسك انعصر • يريد عصر وقرأ يزيد بن رومان وقتادة وعيسى كفر مبنيا للفاعل فمن يراد قوم نوح اي انما نشاعن تفتيح ابواب السماء بالماء وتفجر عيون الارض والتقاء الماءين من غرق قوم نوح كان جزاء لهم على كفرهم وكفر خبر لكان ففي ذلك دليل على وقوع الماضي بغير قد خبرا لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم تقول لابد من قد ظاهرة او مقدرة على انه يجوز ان كان هنا زائدة لمن كفر والضمير في تركناها عايد على الفعلة والقصة وقال قتادة والنقاش وغيرهما عايد على السفينة وانه تعالى ابقى خشبها حتى راه بعض اوائل هذه الامة قال قتادة وكم من سفينة كانت بعدها صارت رمادا او قرأ الجمهور مذكر بادغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل ابن عطية بالذال ادغم بعد قلب الثاني الي الاول وقال صاحب كتاب اللوامح قتادة فهل من مذكر فاعل من التذكير اي من يذكر نفسه وغيره بما مضي من القصص انتهي وقري مذكر على الاصل فكيف كان عذابي ونذر

تهويل

تهويل لما حل بقوم نوح من العذاب واعظام له اذ قد استاصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسل منهم احد اي وكيف كان عاقبة انذاري والنذر جمع نذير وهو الانذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين امثالهم وكان ان كانت ناقصة كانت كيف في موضع خبر كان وان كانت تامة كانت في موضع نصب على الحال والاستفهام هنا لا يراد به حقيقته بل المعنى على التذكر بما حل بهم ولقد يسرنا اي سهلنا القران للذكر اي للاذكار والاتعاظ لما تضمنه من المواعظ والوعد والوعيد فهل من مدكر قال ابن زيد اي من متعظ وقال قتادة فهل من طالب خير وقال محمد بن كعب فهل من منزجر عن المعاصي وقيل للذكر للحفظ اي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وعروه عن الحوشي وشرف المعاني وصحتها فله تعلق بالقلوب فهل من مدكر اي من طالب لحفظه ليعان عليه ويكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس وقال ابن جبير لم يستظهر شيء من الكتب الالهية غير القران وقيل يسرنا هيانا القران للذكر كقولهم يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال الشاعر •

• وقمت اليه باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع •

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر • انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر • تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر • فكيف كان عذابي ونذر • ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر • كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر • االقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر • سيعلمون غدا من الكذاب الاشر • انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر • انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر • تقدمت قصة عاد مطولة ومتوسطة وهنا ذكرها تعالى موجزة كما ذكر قصة نوح موجزة ولما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكر قوم نوح ولما كانت عاد علما لقوم هود ذكر العلم لانه ابلغ في الذكر من التعريف بالاضافة وتكرر التهويل بالاستفهام قبل ذكر ما حل بهم وبعد ذكره لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفرادهم بهذا التوبيخ من العذاب ولان الاختصار داعية الاعتبار والتدبر والصرصر الباردة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وقيل المصوتة والجمهور على اضافة يوم الي نحس وسكون الحاء وقرأ الحسن بتنوين يوم وكسر الحاء جعله صفة لليوم كقوله في ايام نحسات مستمر قال قتادة استمر بهم حتى بلغهم جهنم وعن الحسن والضحاك كان مرا عليهم وروي انه كان يوم الاربعاء والذي يظهر انه ليس يوما معينا بل اريد به الزمان والوقت كانه قيل في وقت نحس ويدل على ذلك انه قال في سورة فصلت فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات وقال في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما الا ان يكون ابتدا الريح في يوم الاربعاء فعبر بوقت الابتداء وهو يوم الاربعاء فيمكن تنزع الناس يجوز ان تكون صفة للريح وان تكون حالا منها لانها وصفت فقربت من المعرفة ويحتمل ان يكون تنزع مستانفا وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم واناثهم اذ لو عاد بضمير المذكرين لتوهم انه خاص بهم اي تقلعهم من اماكنهم قال مجاهد تلقي الرجل على راسه فتفتت راسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه وقيل كانوا يصطفون اخذي بعضهم بايدي بعض ويدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم والجملة التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة وقال الطبري في الكلام حذف تقديره فتتركهم كانهم اعجاز فالكاف في موضع نصب بالمحذوف شبههم باعجاز النخل المنقعر اذ تساقطوا على الارض امواتا وهم جثث عظام طوال والاعجاز الاصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها وقيل كانت الريح تقطع رووسهم فتبقي اجسادا بلا رووس فاشبهت اعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها وقرأ ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع والنخل اسم جنس يذكر ويونث وانما ذكر هنا لمناسبة الفواصل وانث في قوله اعجاز نخل خاوية في الحاقة لمناسبة الفواصل ايضا وقرأ الجمهور ابشرا منا واحدا

قوله عز وجل كذبت عاد

بنصب بشر على الاشتغال ونصب واحد صفة له **وقراء** ابو السماك فيما ذكر الهذلي في كتابه
الكامل وابو عمرو الداني برفعهما فابشر مبتدا وواحد صفته والخبر نتبعه ونقل ابن خالويه
وصاحب اللوامح وابن عطية رفع ابشر ونصب واحدا عن ابي السماك قال صاحب اللوامح
فاما رفع ابشر فباضمار الخبر بتقدير ابشر منا يبعث الينا او يرسل او نحوهما واما انتصاب
واحدا فعلى الحال اما مما قبله بتقدير ابشر كاين منا في الحال توحده واما مما بعده بمعنى نتبعه
في توحده او في حال انفراده وقال ابن عطية ورفعه اما على اضمار فعل مبني للمفعول التقدير
اينبا بشر واما على الابتداء والخبر في قوله نتبعه وواحدا على هذه القراءة حال اما من الضمير
في نتبعه واما من المقدر معنا كانه يقول ابشر كاين منا واحدا وفي هذا النظر وقولهم ذلك
حسد منهم واستبعاد ان يكون نوع البشر يفضل بعضه بعضا هذا الفضل فقالوا انكون جمعا
ونتبع واحدا ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه
انتهى وقال الزمخشري **فان قلت** كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا **قلت**
قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر
وهم الملايكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع
الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنايهم ليس باشرفهم ولا افضلهم ويدل عليه قولهم
االقي عليه الذكر من بيننا او انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار
للنبوة انتهى وهو حسن على ان فيه تحميلا للفظ ما لا يحتمله انا اذا اي ان اتبعناه فنحن في ضلال
اي بعد عن الصواب وحيرة وقال الضحاك في تيه وقال وهب بعد عن الحق وسعر اي عذاب
قاله ابن عباس وعنه وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت تفرط في سيرها كانها مجنونة
وقال الشاعر كان بها سعرا اذا العيس هزها • ذميل وارخا من الستر متعب •
وقال قتادة وسعر عناء وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار اي في خطر كمن هو في النار
انتهى وروي انه كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران فعكسوا
عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول ثم زادوا في الاستنكار والاستبعاد فقالوا االقي اي
االزل قيل وكانه يتضمن العجلة في الفعل والعرب تستعمل هذا الفعل ومنه والقيت عليك
محبة مني انا سنلقي عليك قولا ثقيلا والذكر هنا الوحي والرسالة وما جاءهم من الحكمة والموعظة
ثم قالوا بل هو كذاب اشر اي بطر يريد العلو علينا وان يتقادنا ويتملك طاعتنا
وقراء قتادة وابو قلابة بل هو الكذاب الاشر بلام التعريف فيهما وبفتح الشين
وشد الراء وكذا الاشر الحرف الثاني **وقراء** الحرف الثاني مجاهد فيما ذكر صاحب
اللوامح وابو قيس الاودي الاشر بثلاث ضمات وتخفيف الراء ويقال اشر واشر كحذر وحذر
فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع لضمة الشين وحكى الكسائي عن مجاهد ضم الشين **وقرا**
ابو حيوة هذا الحرف الاخر الاشر افعل تفضيل واتما نادر وشر في افعل التفضيل قليل وحكى
ابن الانباري ان العرب تقول هو اخير وهو اشر **وقال الراجز** •
بلال خير الناس وابن الاخير • وقال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاخير والاشر الا في
ضرورة الشعر وانشد قول روبة بلال البيت **وقراء** علي والجمهور سيعلمون بياء الغيبة
وهو من اعلام الله لصالح عليه السلام وابن عامر وحمزة وطلحة وابن وثاب والاعمش بتاء
الخطاب اي قل لهم يا صالح وغدا يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم
فاحتمل ان يكون يوم العذاب الحال بهم في الدنيا وان يكون يوم القيامة **وقال الطرماح**
• الا عللاني قبل نوح النوايح • وقبل اضطراب النفس بين الجوانح •
• وقبل غد يا لهف نفسي على غد • اذا راح اصحابي ولست برايح •
اراد وقت الموت ولم يرد وقتا بعينه وفي قوله سيعلمون غدا تهديد ووعيد ببيان انكشاف
الامر والمعني انهم هم الكذابون الاشرون واورد ذلك مورد الابهام والاحتمال وان كانوا هم
المعنيون بقوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه السلام فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب **وقول الشاعر** فلئن لقيتك خاليين لتعلمن ايي • واتك فارس الاحزاب •

وانما عني

وانما عني انه فارس الاحزاب لا الذي خاطبه انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي ابتلاء واختبارا وانس
بذلك صالحا ولما هددهم بقوله سيعلمون غدا او كانوا قد ادعوا انه كاذب قالوا ما الدليل على
صدقك قال الله تعالى انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوها فارتقبهم
اي فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتي امر الله ونبيهم
ان الماء اي ماء البير التي لهم قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة غلب ثمود فالضمير
في بينهم لهم وللناقة اي لهم شرب يوم وللناقة شرب يوم **وقرا** الجمهور قسمة
بكسر القاف ومعاذ عن ابي عمرو بفتحها كل شرب محتضر اي محضور لهم وللناقة وتقدمت
قصة الناقة مستوفاة فاغنى عن اعادتها وهنا محذوف اي فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة
الماء فملوا ذلك وعزموا على عقر الناقة فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف فتعاطى هو مطاوع
عاطى وكان هذه الفعلة تداولها الناس وعاطاها بعضهم بعضا فتعاطاها قدار وتناول
العقر بيده ولما كانوا راضين نسب اليهم ذلك في قوله فعقروا الناقة وفي قوله فكذبوه
فعقروها والصيحة التي ارسلت عليهم يروى ان جبريل صاح في طرف منازلهم فتفتتوا
وهمدوا وصاروا كهشيم المحتظر وهو ما تفتت وتهشم من الشجر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة
فانه يتفتت منه حالة العمل ويتساقط اجزاء مما يعمل به او يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول
الزمان بطوته البهايم فيتهشم **وقراء** الجمهور بكسر الظاء والحسن وابو حيوة
وابو السماك وابو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها وهو موضع الاحتظار وقيل هو مصدر اي
كهشيم الاحتظار وهو ما يتفتت حالة الاحتظار والحظيرة تصنعها العرب واهل البوادي
للمواشي والسكنى من الاغصان والشجر المورق والقصب والحظر المنع وعن ابن عباس وقتادة
ان المحتظر هو المحترق قال قتادة كهشيم محترق وعن ابن جبير هو التراب الذي يسقط من الحيط
البالي وقيل المحتظر بفتح الظاء هو الهشيم نفسه فيكون من اضافة الموصوف الى صفته كمسجد الجامع
على من تاوله كذلك وكان هنا بمعنى صار كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
الا ال لوط نجيناهم بسحر • نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر • ولقد انذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر • ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر • ولقد
صبحهم بكرة عذاب مستقر • فذوقوا عذابي ونذر • ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر •
ولقد جاء ال فرعون النذر • كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر • اكفاركم
خير من اوليكم ام لكم براءة في الزبر • ام يقولون نحن جميع منتصر • سيهزم الجمع ويولون
الدبر • بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر • ان المجرمين في ضلال وسعر • يوم يسحبون
في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر • انا كل شيء خلقناه بقدر • وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر • ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر • وكل شيء فعلوه في الزبر • وكل صغير
وكبير مستطر • ان المتقين في جنات ونهر • في مقعد صدق عند مليك مقتدر • تقدمت قصة
لوط عليه السلام وقومه والحاصب من الحصباء وهو المعني بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
الا ال لوط قيل اله ابنتاه وبسحر هو بكرة فلذا انصرف وانتصب نعمة على انه مفعول من اجله
اي نجيناهم لانعامنا عليهم او على المصدر لان المعنى انعمنا بالتنجية انعاما كذلك نجزي
اي مثل ذلك الانعام والتنجية نجزي من شكر انعامنا وامن واطاع ولقد انذرهم بطشتنا
اي اخذتنا لهم بالعذاب فتماروا اي تشككوا وتقاطوا ذلك بالنذر اي بالانذار او يكون جمع نذير
فطمسنا قال قتادة الطمس حقيقة جر جبريل جناحه على اعينهم فاستوت مع وجوههم وقال
ابو عبيدة مطموسة بجلد كالوجه قيل لما صفقهم جبريل بجناحه تركهم يترددون لا يهتدون
الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام وقال ابن عباس والضحاك هذه استعارة
وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيا فجعل ذلك كالطمس **وقراء** الجمهور
فطمسنا بتخفيف الميم وابن مقسم بتشديدها فذوقوا اي فقلت لهم على السنة الملايكة ذوقوا
ولقد صبحهم بكرة اي اول النهار وباكره لقوله مشرقين ومصبحين **وقرا** الجمهور بكرة
بالتنوين اراد بكرة من البكر فصرف **وقراء** زيد بن علي بغير تنوين غير مصروفة قصد
بها بكرة يوم معينة عذاب مستقر اي لم يكشفه عنهم كاشف بل اتصل بموتهم ثم بما بعد ذلك

قوله عز وجل كذبت قوم لوط

من عذاب القبر ثم عذاب جهنم فذوقوا عذابي ونذر توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس وهذا عند
تصبيح العذاب قيل وفايدة تكرار هذا وتكرار ولقد يسرنا القرآن عند استماع كل نبأ من انباء
الاولين للايقاظ واستيناف التيقظ اذا اسمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة
وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله
ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير القصص في انفسها
لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مذكورة في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر هم موسى
وهارون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون ويكون جمع نذير المصدر
بمعنى الانذار كذبوا باياتنا هي التسع والتوكيد هنا كهو في قوله ولقد اريناه اياتنا كلها والظاهر
ان الضمير في كذبوا وفي فاخذناهم عايد على آل فرعون وقيل هو عايد على جميع من تقدم من الامم
ذكره وتم الكلام عند قوله النذر فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم
خطاب لاهل مكة خير من اوليكم الاشارة الى قوم نوح وهود وصالح ولوط والى فرعون والمعنى
اهم خير في القوة والات الحروب والمكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا فلاجل كونهم خيرا
لا يعاقبون على الكفر بالله وتكذيب الرسول وقفهم على توبيخهم اي ليس كفاركم خيرا من اوليك
بل هم مثلهم او شر منهم وقد علمتم ما لحق اوليكم من الهلاك المستاصل لما كذبوا الرسل ام لكم
براءة في الزبر اي الكتب في الكتب الالهية براءة من عذاب الله قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد
ام يقولون نحن جميع اي واثقون بجماعتنا منتصر بقوتنا على يقولون ذلك على سبيل الاعجاب
بانفسكم وقرا الجمهور ام يقولون بياء الغيبة التفاتا وكذا ما بعده للغايب
وقرا ابو حيوة وموسى الاسواري وابو البرهسم بتاء الخطاب للكفار اتباعا لما تقدم
من خطابهم وقرى واسيهزم الجمع بفتح التاء وكسر الزاي وفتح العين خطابا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو حيوة ايضا ويعقوب بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين
والجمهور بالياء مبنيا للمفعول وضم العين وعن ابي حيوة وابن ابي عبلة ايضا بفتح الياء مبنيا
للفاعل ونصب العين اي سيهزم الله الجمع والجمهور يولون بياء الغيبة وابو حيوة وداود
ابن ابي سالم عن ابي عمرو بتاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس وجاء في موضع اخر ليولن
الادبار وهو الاصل وحسن اسم الجنس هنا كونه فاصلة وقال الزمخشري اي الادبار كما قال
كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرى الادبار انتهى وليس مثل بطنكم لان مجي الدبر مفردا
له محسن ولا محسن لافراد بطنكم وفي قوله سيهزم الجمع عدة من الله تعالى لرسوله بهزيمة
جمع قريش والجمهور على انها مكية وتلاها رسول الله مستشهدا بها وقيل نزلت يوم بدر
بل الساعة موعدهم انتقل من تلك الاقوال الى امر الساعة التي عذابها اشد عليهم من كل
هزيمة وقتال والساعة ادهى اي اقطع واشد والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدي لدفعه
وهي الرزية العظمى تحل بالشخص وامر من المرارة استعارة لصعوبة الشي على النفس ان المجرمين
في ضلال اي في حيرة وتخبط في الدنيا وسعر اي احتراق في الاخرة جعلوا فيه من حيث مصيرهم
اليه وقال ابن عباس في خسران وجنون والسعر الجنون وتقدم مثله في قصة صالح عليه
السلام يوم يسحبون يجرون في النار وفي قراءة عبد الله الى النار على وجوههم ذوقوا اي
تقول لهم ذوقوا مس سقر وقراء محبوب عن ابي عمرو مسقر بادغام السين في السين
قال ابن مجاهد ادغامه خطا لانه مشدد انتهى والظن بابي عمرو انه لم يدغم حتى حذف
احدى السينين لاجتماع الامثال ثم ادغم انا كل شي خلقناه بقدر وقراءة الجمهور
كل شي بالنصب وقراءة ابو السماك قال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع
قال ابو الفتح هو الوجه في العربية وقراتنا بالنصب مع الجماعة وقال قوم اذا كان الفعل
يتوهم فيه الوصف وان بعده ما يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير
النصب في الاسم الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان في قراءة
الرفع تخيل ان الفعل وصف وان الخبر بقدر وقد تنازع اهل السنة والقدرية الاستدلال
بهذه الاية فاهل السنة يقولون كل شي فهو مخلوق لله بقدر ودليله قراءة النصب

لانه

لانه لا يفسر في مثل هذا التركيب الا ما يصح ان يكون خبرا لو وقع الاول على الابتداء وقالت
القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل اي امرنا او شاننا كل شي خلقناه
فهو بقدر او بمقدار وعلى حد ما في هيئته وزمنه وغير ذلك وقال الزمخشري كل شي منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرى كل شي بالرفع والقدر والقدر التقدير
وقرى بهما اي خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا
مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى قيل والقدر فيه وجوه
احدها ان يكون بمعنى المقدار في ذاته وفي صفاته والثاني التقدير قال فقدرنا فنعم
القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر اي ما هو مقدور
والثالث القدر الذي يقال مع القضاء يقال كان ذلك بقضاء الله وقدره والمعنى
ان القضاء ما في العلم والقدر ما في الارادة فالمعنى في الاية خلقناه بقدر اي بقدرة مع
ارادة انتهى وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة وهي كن كلمح بالبصر تشبيه بافعل
ما يحس وفي اشياء امر الله تعالى اوحى من ذلك والمعنى اذا اراد تكوين شي لم يتاخر عن
ارادته ولقد اهلكنا اشياعكم اي الفرق المتشايعة في مذهب ودين وكل شي فعلوه
اي فعلته الامم المكذبة محفوظ عليهم الى يوم القيامة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة
وابن زيد ومعنى في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو
كاين مستطر اي مسطور في اللوح يقال سطرت واستطرت بمعنى وقراء الاعمش
وعمران بن حدير وعصمة عن ابي بكر عن عاصم بتشديد راء مستطر قال صاحب اللوامح يجوز ان
تكون من طر النبات والشارب اذا ظهر ونبت بمعنى كل شي ظاهر في اللوح مثبت فيه
ويجوز ان يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول جعفر ويفعل
بالتشديد وقفا انتهى ووزنه على التوجيه الاول استفعل وعلى الثاني افتعل وقراء
الجمهور ونهر على الافراد والهاء مفتوحة والاعرج ومجاهد وحميد وابو السماك والفياض
ابن غزوان بسكونها والمراد به الجنس ان اريد به الانهار او يكون معنى ونهر وسعة في الارزاق
والمنازل ومنه قول قيس بن الخطيم

ملكت بها كفي فانهرت فتقها • يرى قايم من دونها ما وراءها •

اي اوسعت فتقها وقراء زهير الفرقبي والاعمش وابو نهيك وابو مجلز واليماني
بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن او نهر كاسد واسد وهو مناسب لجمع جنات وقيل
نهر جمع نهار ولا ليل في الجنة وهو بعيد في مقعد صدق يجوز ان يكون صدق الكذب اي
في المقعد الذي صدقوا في الخبر به وان يكون من قولك رجل صدق اي خير وجوده وصلاح
وقرا الجمهور في مقعد على الافراد يراد به اسم الجنس وعثمان البتي في مقاعد على
الجمع وعند تدل على قرب المكانة من الله تعالى النجم النبات الذي لا ساق له
من نجم اي ظهر وطلع الانام الحيوان العصف ورق الزرع الريحان كل مشموم طيب
الريح من النبات المرجان الخرز الاحمر وقيل صغار الدر واللؤلؤ كباره واللؤلؤ
بناء غريب قيل لا يحفظ منه في كلام العرب اكثر من خمسة اللؤلؤ والجوجو والدودو والبوبو
طاير والبوبو النفوذ الخروج من الشي بسرعة الشواظ اللهب الخالص بغير دخان

وقال حسان هجوتك فاختضعت لها بذل • بقافية تاجج كالشواظ •

وقال رؤبة ونار حرب تسعر الشواظا • ونضم شينه وتكسر النحاس قال الخليل
والنحاس هو الدخان الذي لا لهب له وهو معروف في كلام العرب قال نابغة

بني جعدة تضي كضوء سراج السليط • لم يجعل الله فيه نحاسا •

وقال الكسائي النحاس هو النار الذي له ريح شديد وقيل الصفر المذاب وتضم نونه وتكسر
الوردة الشديدة الحمرة يقال فرس ورد وجرة وردة الدهان الجلد الاحمر انشد سعد بن

تبغن الدهان الحمر كل عشية • بموسم بدر او بسوق عكاظ •

الناصية مقدم الراس آن متناهية في الحر الافنان جمع فنن وهو الغصن او جمع فن
وهو النوع وقال الشاعر ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر

المفردات

وقال نابغة بني ذبيان

بكاء حمامة تدعو هديلا • مفجعة على فنن تغني •

الجنى ما يقطف من الثمرة وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض **قاصرات**
الطرف قصرت الحاظهن على ازواجهن **قال الشاعر**

من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا •

الطمث دم الحيض ودم الاقتضاض **الياقوت** حجر معروف قيل لا تؤثر فيه النار **وقال**
الشاعر وطالما اصلي الياقوت جمر غضى • ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت •
الادهيمام السواد **النضخ** فوران الماء **المقصورة** المحبوسة ويقال قصيرة وقصورة
اي مخدرة **وقال كثير** وانت التي حببت كل قصيرة الي • ولم تشعر بذاك القصاير •
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد • قصار الخطا شر النسا البحاتر •
الخيمة معروفة وهي بيت المرتحل من خشب وثمام وسائر الحشيش واذا كان من
شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة ويجمع على خيام وخيم **وقال جرير**

متى كان الخيام بذي طلوح • سقيت الغيث ايتها الخيام •

الرفرف ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب **وقال** الجوهري ثياب خضر تتخذ منها
المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطاير لتحريك جناحيه
وارتفاعه في الهواء ويسمى الطاير رفرافا ورفرف بجناحيه حركهما ليقع على الشي ورفرف
السحاب هيدبه **العبقري** منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه
كل شي عجيب **قال زهير** بخيل عليها جنة عبقرية • جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا
وقال امرؤ القيس كان صليل المروحين بشده • صليل زيوف ينتقدن بعبقرا •
وقال ذو الرمة حتى كان رياض القف البسها • من وشي عبقر تجليل وتنجيد •
وقال الخليل العبقري كل جليل نفيس من الرجال والنساء وغيرهم **الجلال** العظمة
خبرنا جاء نا مستعمل تجل • حتى دق فيه الاجل •

سورة الرحمن عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران • خلق الانسان • علمه البيان •
الشمس والقمر بحسبان • والنجم والشجر يسجدان • والسماء رفعها ووضع الميزان • الا
تطغوا في الميزان • واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان • والارض وضعها للانام •
فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام • والحب ذو العصف والريحان • فباي الاء ربكما تكذبان •
خلق الانسان من صلصال كالفخار • وخلق الجان من مارج من نار • فباي الاء ربكما تكذبان •
رب المشرقين ورب المغربين • فباي الاء ربكما تكذبان • مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ
لا يبغيان • فباي الاء ربكما تكذبان • وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام • فباي الاء ربكما
تكذبان • كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • فباي الاء ربكما تكذبان •
يساله من في السموات والارض كل يوم هو في شان • فباي الاء ربكما تكذبان • **هذه السورة**
مكية في قول الجمهور مدنية في قول ابن مسعود وعن ابن عباس القولان وعنه سوى اية هي مدنية
وهي يساله من في السموات والارض الاية وسبب نزولها فيما قال مقاتل انه لما نزل واذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية فقالوا وما الرحمن فنزلت الرحمن علم القران وقيل لما قالوا
انما يعلمه بشر اكذبهم الله وقال الرحمن علم القران نزلت في اباية سهيل بن عمرو وغيره ان يكتب
في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر مقر المتقين في
جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر شيا من آيات الملك وآثار القدرة ثم ذكر مقر الفريقين
على جهة الاسهاب اذ كان في اخر السورة ذكره على جهة الاختصار والايجاز ولما ذكر قوله عند
مليك مقتدر فابرز هاتين الصفتين بصورة التنكير فكانه قيل من المتصف بذلك فقال
الرحمن علم القران فذكر ما نشا عن صفة الرحمة وهو تعليم القران الذي هو شفاء للقلوب
والظاهر ان الرحمن مرفوع على الابتداء وعلم القران خبره وقيل الرحمن اية بمضمر اي الله الرحمن
او الرحمن ربنا وذلك اية وعلم القران استيناف اخبار ولما عدد نعمه تعالى بدا من نعمه بما هو

اعلى رتبها وهو تعليم القران اذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به ولما ذكر تعليم القران ولم
يذكر المعلم ذكره بعد في قوله خلق الانسان ليعلم انه هو المقصود بالتعليم ولما كان خلقه
من اجل الدين وتعليمه القران كان كالسبب في خلقه تقدم على خلقه ثم ذكر تعالى الوصف
الذي يتميز به الانسان من المنطق المفصح عن الضمير والذي به يتمكن قبول التعليم وهو
البيان الا ترى ان الاخرس لا يمكن ان يتعلم شيا مما يدرك بالنطق وعلم متعدية
الى اثنين حذف اولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل او محمد صلى الله عليه وسلم او الانسان
اقوال وتوهم ابو عبد الله الرازي ان المحذوف هو المفعول الثاني **فان قيل**
لم ترك المفعول الثاني **واجاب** بان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون
شخص كما يقال فلان يطعم الطعام اشارة الى كرمه ولا تبين من يطعمه انتهى والمفعول
الاول هو الذي كان فاعلا قبل النقل بالتضعيف او الهمزة في علم واطعم وابعد من ذهب
الى ان معنى علم القران جعله علامة وآية يعتبر بها وهذه جمل مترادفة اخبار كلها عن
الرحمن جعلت مستقلة لم تعطف اذ هي تعداد لنعمه تعالى كما تقول زيد احسن اليك
خولك اشاد بذكرك والانسان اسم الجنس وقال قتادة الانسان ادم عليه السلام وقال
ابن كيسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد والجمهور البيان المنطق والفهم والابانة
وهو الذي فضل الانسان من ساير الحيوان وقال قتادة هو بيان الحلال والشرايع
وهذا جزء من البيان العام وقال محمد بن كعب ما يقول وما يقال له وقال الضحاك الخير والشر
وقال ابن جريج الهدى وقال يمان الكتابة ومن قال الانسان آدم فالبيان اسماء كل شي او
التكلم بلغات كثيرة افضلها العربية او الكلام بعد ان خلقه او علم الدنيا والاخرة او الاسم
الاعظم الذي علم به كل شي اقوال اخرها لجعفر الصادق ولما ذكر تعالى ما انعم به على الانسان
من تعليم البيان ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للانسان
اذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما ومنازلهما والحسبان مصدر كالغفران
وهما بمعنى الحساب قاله قتادة **وقال** الضحاك وابو عبيدة جمع حساب كشهاب وشهبان
قال ابن عباس وابو مالك وقتادة لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك
حسبانات شتى وقال ابن زيد لولا الليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيا يريد من
مقادير الزمان وقال مجاهد الحسبان الفلك المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة
وارتفع الشمس على الابتداء وخبره بحسبان فاما على حذف اي جري الشمس والقمر كاين بحسبان
وقيل الخبر محذوف اي يجريان بحسبان وبحسبان متعلق بيجريان وعلى قول مجاهد تكون الباء
في بحسبان ظرفية لان الحسبان عنده الفلك ولما ذكر تعالى ما انعم به من منفعة الشمس والقمر
وكان ذلك من الاثار العلوية ذكر في مقابلتهما من الاثار السفلية النجم والشجر اذ كانا رزقا
للانسان واخبر انهما جاريان على ما اراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتهما على ما اقتضته حكمته
تعالى ولما ذكر ما به حيوة الارواح من تعليم القران ذكر ما به حيوة الاشباح من النبات
الذي له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له لانه اصل القوت والذي له ساق ثمره
يتفكه به غالبا والظاهر ان النجم هو الذي شرحناه ويدل عليه اقترانه بالشجر وقال مجاهد
وقتادة والحسن النجم اسم الجنس من نجوم السماء وسجودهما قال مجاهد والحسن ذلك في النجم
بالغروب ونحوه وفي الشجر بالظل واستدارته وقال مجاهد ايضا والسجود تجوز وهو عبارة
عن الخضوع والتذلل والجملة الاولى فيها ضمير يربطها بالمبتدا واما في هاتين الجملتين فاكتفى
بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي اذ معلوم ان الحسبان هو حسبانه وان السجود له لا لغيره
فكانه قيل بحسبانه ويسجدان له ولما اوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام
الى العطف في وصل ما يناسب وصله والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر لان
الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة حيث
جعلها مصدر قضاياه ومسكن ملايكته الذين ينزلون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك
على عظم شانه وملكه **وقرا** الجمهور والسماء بالنصب على الاشتغال روعي
مشاكلة الجملة التي تليه وهي يسجدان **وقرا** ابو السمال والسماء بالرفع

راعي مشاكلة الجملة الابتدائية وقراء الجمهور ووضع الميزان فعلا ماضيا ناصبا
الميزان اي اقره واثبته وقرا ابراهيم ووضع باسكان الضاد الميزان بالخفض
والظاهر انه كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها وان اختلفت الالات قال
معناه ابن عباس والحسن وقتادة جعله تعالى حاكما بالتسوية في الاخذ والاعطاء وقال
مجاهد والطبري والاكثرون الميزان العدل وتكون الالات من بعض ما يندرج في العدل
بدا اولا بالعلم فذكر ما فيه اشرف انواع العلوم وهو القران ثم ذكر ما به التعديل في الامور
وهو الميزان كقوله وانزل معهم الكتاب والميزان ليعلموا الكتاب ويفعلوا ما يامرهم
به الكتاب الا تطغوا في الميزان اي لان لا تطغوا فتطغوا منصوب بان وقال الزمخشري
او هي ان المفسرة وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون ان مفسرة فيكون تطغوا جزما بالنهي
انتهى ولا يجوز ما قالاه من ان ان مفسرة لانه فات احد شرطيها وهو ان يكون ما قبلها جملة فيها
معنى القول ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول والطغيان في الميزان هو ان يكون
بالتعمد واما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه ولما كانت التسوية مطلوبة
جدا امر تعالى فقال واقيموا الوزن وقراء الجمهور ولا تخسروا من اخسر اي افسد
ونقص كقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي ينقصون وبلال بن ابي بردة وزيد بن علي
تخسروا بفتح التاء يقال خسر يخسر واخسر يخسر بمعنى واحد كجبر واجبر وحكى ابن جني وصاحب
اللوامح عن بلال فتح التاء والسين مضارع خسر بكسر السين وخرجها الزمخشري على ان يكون
التقدير في الميزان فحذف الجار ونصب ولا يحتاج الى هذا التخريج الا ترى ان خسر جاء متعديا
كقوله تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والاخرة وقراء ايضا تخسروا بفتح التاء
وضم السين لما منع من الزيادة وهي الطغيان نهى عن الخسران الذي هو نقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ولما ذكر السماء ذكر مقابلتها فقال
والارض وضعها للانام اي خفضها مدحوة على الماء لينتفع بها وقرا الجمهور والارض
بالنصب وابو السماك بالرفع والانام قال ابن عباس بنو ادم فقط وقال ايضا هو وقتادة وابن
زيد والشعبي الحيوان كله وقال الحسن الثقلان الجن والانس فيها فاكهة ضروب مما يتفكه
وبداء بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتداء بالادنى والترقي الى الاعلى ونكر لفظها لان الانتفاع
بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ثم ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر ثمرتها وهو التمر لكثرة
الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار وثمر ثم اتى ثالثا بالحب الذي هو قوام
عيش الانسان في اكثر الاقاليم وهو البر والشعير وكل ما له سنبل واوراق متشعبة على ساقه
ووصفه بقوله ذو العصف تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب ويقوت بهائمهم
من ورقه الذي هو التبن وبداء بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به
يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرايحة الطيبة وذكر النخل باسمها والفاكهة
دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة
فنص على ما به يعظم الانتفاع من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرتها وقرا الجمهور
والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاثة عطفا على المرفوع قبله وابن عامر وابو حيوة
وابن ابي عبلة بنصب الثلاثة اي وخلق الحب وجوزوا ان يكون والريحان حالة الرفع وحالة
النصب على حذف مضاف اي وذو الريحان او وذا الريحان حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وحمزة والكسائي والاصمعي عن ابي عمرو والريحان بالجر والمعنى والحب ذو العصف
الذي هو علف البهائم والريحان الذي هو مطعم الناس ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر
وريحان من ذوات الواو واجاز ابو علي ان يكون اسما ووضع موضع المصدر وان يكون مصدرا
على وزن فعلان كاللبان وابدلت الواو ياء كما ابدلوا الياء واوا في اشاوى او مصدرا شاذا في
المعتل كما شذ كينونة وبينونة فاصله ريوحان قلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار
ريحان ثم حذفت عين الكلمة كما قالوا ميت وهين ولما عدد تعالى نعمه خاطب الثقلين
بقوله فباي الاء ربكما تكذبان اي نعمه كثيرة لا تحصى فبايها تكذبان اي من هذه نعمه لا يمكن ان
يكذب بشي منها وكان هذا الخطاب للثقلين لانهما داخلان في الانام على اصح الاقوال ولقوله

خلق الانسان وخلق الجان ولقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقد ابعد من ذهب الى انه خطاب
للذكر والانثى من بني ادم وابعد من هذا قول من قال انه خطاب على حد القيا في جهنم
ويا حرسي اضربا عنقه يعني انه خطاب للواحد بصورة الاثنين وقري فباي منونا
في جميع السورة كانه حذف منه المضاف اليه وابدل منه الاء ربكما بدل معرفة من نكرة والاء
تقدم في الاعراف انها النعم واحدها الى والى والى والى خلق الانسان لما ذكر العالم الاكبر
من السماء والارض وما اوجد فيهما من النعم ذكر مبدا من خلقت له هذه النعم والانسان
هو ادم وهو قول الجمهور وقيل للجنس وساغ ذلك لان اباهم مخلوق من الصلصال
واذا اريد بالانسان ادم فقد جاءت ايات له مختلفة وذلك بتنقل اصله فكان اولا ترابا ثم
طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فناسب ان ينسب خلقه لكل واحد منها والجان هو ابو الجن
وهو ابليس قاله الحسن وقال مجاهد هو ابو الجن وليس بابليس وقيل الجان اسم جنس والمارج
ما اختلط من اصفر واحمر واخضر او اللهب او الخالص او الحمرة في طرف النار او المختلط بسواد
او المضطرب بلا دخان اقوال ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية في من نار للتبعيض وقيل
للبيان والتكرار في هذه الفواصل للتاكيد والتنبيه والتحريك وهي موجودة في مواضع من
القران وذهب قوم منهم ابن قتيبة الى ان هذا التكرار انما هو لاختلاف النعم فكرر التوقيف
مع كل واحدة منها وقراء الجمهور رب ورب بالرفع اي هو رب وابو حيوة وابن ابي
عبلة بالخفض بدلا من ربكما وثنى المضاف اليه لانهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما قاله
مجاهد وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وعن ابن عباس للشمس مشرق في الصيف مصعد
ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل فيهما مصعدة ومنحدرة انتهى فالمشرقان والمغربان للشمس وقيل
المشرقان مطلع الفجر ومطلع الشمس والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ولسهل التستري
كلام في المشرقين والمغربين شبيه بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله ضربنا عن ذكره صفحا
وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينتسبون للصوفية لانا لا نستحل نقل شي منه
وقد اولع صاحب كتاب التحرير والتحبير بحشد ما قاله هولاء الغلاة في كل اية وتسمى
ذلك الحقايق وارباب القلوب وما ادعوا فهمه في القران فاعلوا فيه لم يفهمه عربي قط ولا
اراده الله تعالى بتلك الالفاظ نعوذ بالله من ذلك مرج البحرين تقدم الكلام على ذلك في
الفرقان قال ابن عطية وذكر الثعلبي في مرج البحرين الغازا واقوالا باطنة لا يلتفت
الى شي منها انتهى والظاهر التقاوهما اي يتجاوران فلا فصل بين الماءين في رؤية العين
وقيل يلتقيان في كل سنة مرة وقيل معدان للالتقاء فحقهما ان يلتقيا لولا البرزخ بينهما
برزخ اي حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حدهما ولا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة
وقيل البرزخ اجرام الارض قاله قتادة وقيل لا يبغيان اي على الناس والعمران وعلى هذا
والذي قبله يكون من البغي وقيل هو من بغى اي طلب فالمعنى لا يبغيان حالا غير الحال
التي خلقا عليها وسخرا لها وقيل ماء الانهار لا يختلط بالماء الملح بل هو بذاته باق فيه
قال ابن عطية والعيان لا يقتضيه انتهى يعني انه يشاهد الماء العذب يختلط بالملح فيبقى
كله ملحا وقد يقال انه بالاختلاط يصغر جدا اجرام العذب حتى لا يظهر فاذا ذاق الانسان
من الملح المنبث تلك الاجزاء الدقيقة لم يحس الا الملوحة والمعقول يشهد بذلك لان تداخل
الاجسام غير ممكن لكن التفرق والالتقاء ممكن وانشد منذر بن سعيد البلوطي

• وممزوجة الامواه لا العذب غالب • على الملح طيبا لا ولا الملح يعذب •

وقراء الجمهور يخرج مبنيا للفاعل ونافع وابو عمرو واهل المدينة مبنيا للمفعول والجعفي
عن ابي عمرو بالياء مضمومة وكسر الراء اي الله وعنه وعن ابي عمرو وعن ابن مقسم بالنون واللولو
والمرجان نصب في هاتين القراءتين والظاهر في منهما ان ذلك يخرج من الملح والعذب وقال
بذلك قوم حكاه الاخفش ورد الناس هذا القول قالوا والحس يخالفه اذ لا يخرج الا من الملح
وعابوا قول الشاعر فجاء بها ما شئت من لطمية • على وجهها ماء الفرات يموج •
وقال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب
اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه

في البحر بنزول المطر لان الصدف وغيرها يفتح افواهها المطر فلذلك قال منهما وقال
ابو عبيدة انما يخرج من الملح لكنه قال منهما تجوزا وقال الرماني العذب فيهما كاللقاح
للملح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى وقال ابن عطية وتبع الزجاج من حيث هما
نوع واحد فخروج هذه الاشياء انما هي منهما وان كانت تختص عند التفصيل المبالغ باحدهما
كما قال تعالى سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في احداهن وهي الدنيا الى الارض
وقال الزمخشري نحوا من قول ابن عطية قال **فان قلت** لم قال منهما وانما يخرجان
من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما
يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما
خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
انتهى وقال ابو علي الفارسي هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من احدهما كقوله
تعالى على رجل من القريتين عظيم اي من احدى القريتين وقيل هما بحران يخرج من احدهما اللؤلؤ
ومن الاخر المرجان وقال ابو عبد الله الرازي كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس
ومن علم ان اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب ان الغواصين ما اخرجوه الا من المالح ولكن
لم قلتم ان الصدف لا يخرج بامر الله من الماء العذب الى الماء المالح وكيف يمكن الجزم به
والامور الارضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف
لا يخفى امر ما في البحر عليهم واللؤلؤ قال ابن عباس والضحاك وقتادة كبار الجوهر والمرجان
صغاره وعن ابن عباس ايضا وعلي ومرة الهمداني عكس هذا وقال ابو عبد الله وابو مالك المرجان
الحجر الاحمر وقال الزجاج حجر شديد البياض وحكى القاضي ابو يعلى انه ضرب من اللؤلؤ كالقضبان
والمرجان اسم اعجمي اعربي معرب قال ابن دريد لم اسمع فيه بفعل متصرف **وقال الاعشى**
من كل مرجانة في البحر احرزها • تيارها ووقاها طيبها الصدف
قيل اراد اللؤلؤة الكبيرة **وقرأ** طلحة اللؤلؤ بكسر اللام الثالثة وهي لغة
وعند اللولي تنقلب الهمزة المتطرفة ياء ساكنة بعد كسرة ما قبلها وهي لغة قاله ابو الفضل
الفضل الرازي وله الجواري خص تعالى الجواري بانها له وهو تعالى له ملك السموات والارض
وما فيهن لانهم لما كانوا هم منشئيها اسندها تعالى اليه اذ كان تمام منفعتها انما هو منه تعالى
فهو في الحقيقة مالكها والجواري السفن **وقرأ** عبد الله والحسن وعبد الوارث عن ابي عمرو
بضم الراء كما قالوا في شاك شاك **وقرأ** الجمهور المنشآت بفتح الشين اسم مفعول
اي انشاها الله او الناس او المرفوعات الشرع وقال مجاهد ما له شراع فهو من المنشآت
وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت والشراع القلع والاعمش وحمزة وزيد بن علي وطلحة
وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن او التي
تنشئ السفر اقبالا وادبارا وشدد الشين ابن ابي عبلة والحسن المنشات وحد الصفة ودل
على الجمع الموصوف كقوله ازواج مطهرة وقلب الهمزة الفا على حد **قوله**
ان السباع لتهدا في مرابضها • يريد لتهدأ والتاء لتأنيث الصفة كتبت تاء على لفظها
في الوصل كالاعلام اي كالجبال والآكام وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها بالجبال وان
كان المنشآت تنطلق على السفينة الكبيرة والصغيرة وعبر بمن في قوله كل من عليها تغليبا
لمن يعقل والضمير عليها قيل عائد على الارض وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب
انتهى وقد تقدم ذكر الارض في قوله والارض وضعها للانام فعاد الضمير عليها وان كان
بعد لفظها والفناء عبارة عن اعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره والوجه يعبر به عن
حقيقة الشيء والجارحة منفية عن الله تعالى ونحوه كل شيء هالك الا وجهه وتقول صعاليك
ابن وجه عربي كريم يجود على **وقرأ** الجمهور ذو بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله
ذي بالياء صفة للرب والظاهر ان الخطاب في قوله وجه ربك للرسول وفيه تشريف عظيم
له عليه السلام وقيل الخطاب لكل سامع ومعنى ذو الجلال الذي يجله الموحدون عن التشبيه
بخلقه وعن افعالهم او الذي يتعجب من جلاله او الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده
يساله من في السموات والارض اي حوائجهم وهو ما يتعلق بمن في السموات من امر الدين وما

استعبدوا

583

قوله عز وجل سنفرغ لكم

استعبدوا به ومن في الارض من امر دينهم ودنياهم وقال ابو صالح من في السموات الرحمة ومن
في الارض المغفرة والرزق وقال ابن جريج الملائكة الرزق لاهل الارض والمغفرة واهل الارض
يسالونهما جميعا والظاهر ان قوله يساله استئناف اخبار وقيل حال من الوجه والعامل فيه يبقى اي
هو دائم في هذه الحالة انتهى وفيه بعد ومن لا يبدل فحالة تقتضي السؤال فصح اسناد السؤال
الى الجميع باعتبار القدر المشترك وهو الافتقار اليه تعالى كل يوم اي كل ساعة ولحظة وذكر
اليوم لان الساعات واللحظات في ضمنه هو في شان قال ابن عباس في شان يمضيه من الخلق
والرزق والاحياء والاماتة وقال عبيد بن عمير يجيب داعيا ويفك عانيا ويتوب على قوم ويغفر
لقوم وقال سويد بن غفلة يعتق رقابا ويعطي رغابا ويقحم عقابا وقال ابن عيينة الدهر
عند الله يومان اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والثاني
الذي هو يوم القيامة فشانه فيه الجزاء والحساب وعن مقاتل نزلت في اليهود قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيئا وقال الحسين بن الفضل وقد ساله عبد الله بن طاهر عن قوله كل
يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة فقال شؤون يبديها
لا شؤون يبتديها وقال ابن بحر هو في يوم الدنيا في الابتلاء وفي يوم القيمة في الجزاء
وانتصب كل يوم على الظرف والعامل فيه العامل في قوله في شان وهو مستقر المحذوف نحو
يوم الجمعة زيد قائم سنفرغ لكم ايها الثقلان • فباي الاء ربكما تكذبان • يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان • فباي
الاء ربكما تكذبان • يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران • فباي الاء ربكما تكذبان •
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان • فباي الاء ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام • فباي الاء ربكما تكذبان • هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين
حميم آن • فباي الاء ربكما تكذبان • لما ذكر تعالى ما انعم به من تعليم العلم وخلق الانسان
والسماء والارض وما اودع فيها وفناء ما على الارض ذكر ما يتعلق باحوال الآخرة والجزاء فقال
سنفرغ لكم اي ننظر في اموركم يوم القيامة لا انه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه وجرى هذا
على كلام العرب في ان المعنى سنقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ
لك اي ساتجرد للايقاع بك من كل ما شغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوعد على
الانتقام منه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون التوعد بعذاب في الدنيا والاول ابين انتهى ويحتمل
ان يكون ذلك يوم القيمة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون منتهى الدنيا ويبلغ آخرها وينتهي
اذ ذاك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم
فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل انتهى والذي عليه ائمة اللغة ان فرغ تستعمل عند انقضاء
الشغل الذي كان الانسان مشتغلا به فلذلك احتاج قوله سنفرغ الى التاويل على انه قد
قيل ان فرغ تكون بمعنى قصد واهتم واستدل على ذلك بما انشده ابن الانباري **لجرير**
الان وقد فرغت الى نمير • فهذا حين كنت لهم عذابا •
اي قصدت وانشد النحاس فرغت الى العبد المقيد في الحجل وفي الحديث فرغ ربك من اربع وفيه
لافرغن لك يا خبيث خاطب به صلى الله عليه وسلم ازب العقبة يوم بيعتها اي لاقصدن لابطال
امرك نقل هذا عن الخليل والكسائي والفراء **وقرأ** الجمهور سنفرغ بنون العظمة وضم
الراء من فرغ بفتح الراء وهي لغة الحجاز وحمزة والكسائي وابو حيوة وزيد بن علي بياء الغيبة
وقتادة والاعرج بالنون وفتح الراء مضارع فرغ بكسرها وهي تميمية وابو السمال وعيسى
بكسر النون وفتح الراء قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة بخلاف عنهما وابن
ابي عبلة والزعفراني بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح النون وكسر
الراء والاعرج ايضا بفتح الياء والراء وهي رواية يونس والجعفي وعبد الوارث عن ابي عمرو
الثقلان الانس والجن سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الارض او لكونهما مثقلين بالذنوب
او الثقل الانس وسمي الجن ثقلا لمجاورة الانس والثقل الامر العظيم وفي الحديث اني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سميا بذلك لعظمهما وشرفهما والظاهر ان قوله يا معشر الاية

من خطاب الله اياهم يوم القيمة يوم التناد وقيل يقال لهم ذلك قال الضحاك يفرون في
اقطار الارض لما يرون من الهول فيجدون الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث
جاؤا فحينئذ يقال لهم ذلك وقيل هو خطاب في الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت
وقال ابن عباس ان استطعتم باذهانكم وفكركم ان تنفذوا فتعلموا علم اقطار اي جهات السموات
والارض وقال الزمخشري يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم
ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السماء انتهى وفانفذوا امر تعجيز وقال قتادة السلطان هنا الملك وليس لهم ملك
وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فتهرب
الجن والانس فتحدق بهم الملائكة **وقرأ** زيد بن علي ان استطعتما على خطاب الثقلين
ومراعاة الجن والانس والجمهور على خطاب الجماعة ان استطعتم لان كلا منهما تحته افراد كثيرة كقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يرسل عليكما شواظ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم
ساقهم شواظ الى المحشر والشواظ لهب النار وقال مجاهد اللهب الاحمر المنقطع وقال الضحاك
الدخان الذي يخرج من اللهب **وقرأ** الجمهور شواظ بضم الشين وعيسى وابن كثير
وشبل بكسرها والجمهور ونحاس بالرفع وابن ابي اسحق والنخعي وابن كثير وابو عمرو بالجر والكلبي
وطلحة ومجاهد بكسر نون نحاس والسين **وقرأ** ابن جبير ونحس كما تقول يوم نحس
وقرأ عبد الرحمن بن ابي بكرة وابن ابي اسحق ايضا ونحس مضارعا وماضيه حسه اي قتله
اي ونحس بالعذاب وعن ابن ابي اسحق ايضا ونحس بالحركات الثلث في الحاء على التخيير
وحنظلة بن نعمان ونحس بفتح النون وكسر السين والحسن واسمعيل ونحس بضمتين والكسر **وقرأ**
زيد بن علي نرسل بالنون عليكما شواظا بالنصب من نار ونحاسا بالنصب عطفا على شواظا قال
ابن عباس وابن جبير النحاس الدخان وعن ابن ايضا ومجاهد هو الصفر المعروف والمعنى يعجز الجن
والانس اي انتما بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه فاذا انشقت السماء
جواب اذا محذوف اي فما اعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيمة فكانت وردة اي محمرة
كالوردة قال ابن عباس وابو صالح هي من لون الفرس الورد فانث لكون السماء مؤنثة وقال
قتادة هي اليوم زرقاء ويومئذ يغلب عليها الحمرة كلون الوردة وهو النوار المعروف قال الزجاج
ويريد كلون الورد **وقال الشاعر** فلو كنت وردا لونه لعشقتني • ولكن ربي شانني بسواديا •
وقال ابو الجوزاء وردة صفراء وقال اما سمعت العرب تسمي الخيل الورد قال الفراء اراد لون
الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون
السماء بتلون الوردة من الخيل وهذا قول الكلبي كالدهان قال ابن عباس الاديم الاحمر ومنه
قول الاعشى واجرد من كرام الخيل طرف • كان على شواكله دهانا •
وقال الحسن كالدهان المختلفة لانها تتلون الوانا وقال الضحاك كالدهان خالصة جمع دهن
كقرط وقراط وقيل تصير حمراء من حرارة جهنم ومثل الدهن لذوبها ودورانها وقيل شبهت
بالدهان في لمعانها وقال الزمخشري كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت
وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام **قال الشاعر**
• كانهما مزادتا متعجل • فريان لما تسلقا بدهان •
وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد
كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة • تحوي الغنائم او يموت كريم • انتهى فيومئذ التنوين
فيه للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذ انشقت السماء والناصب ليومئذ لا
يسأل وهذا على انتفاء السؤال وتقدم انهم مسؤلون وغيره من الايات على وقوع السؤال
فقال عكرمة وقتادة هي مواطن يسأل في بعضها وقال ابن عباس حيث ذكر السؤال فهو
سؤال توبيخ وتقرير وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب والله تعالى اعلم بكل شيء وقال
قتادة ايضا قد كانت مسألة ثم ختم على الافواه وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يعملون
وقال ابو العالية وقتادة ايضا لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم **وقرأ** الحسن وعمرو بن عبيد

قوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان

ولا جأن بالهمز فرارا من التقاء الساكنين وان كان التقاؤهما على حده **وقرأ** حماد
ابن ابي سليمن بسيمائهم والجمهور بسيماهم وسيما المجرمين سواد الوجوه وزرقة الاعين قاله
الحسن ويجوز ان يكون غير هذا من التشويهات كالعمى والبكم والصمم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام قال ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك
في النار وقال الضحاك يجمع بينهما في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ
النواصي وتارة بالاقدام وقيل بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم ويؤخذ متعد
الى مفعول بنفسه وحذف هذا الفاعل والمفعول واقيم الجار والمجرور مقام الفاعل مضمنا
معنى ما يعدى بالباء اي فيسحب بالنواصي والاقدام وال فيهما على مذهب الكوفيين عوض
من الضمير اي بنواصيهم واقدامهم وعلى مذهب البصريين الضمير محذوف اي بالنواصي
والاقدام منهم هذه جهنم اي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع يطوفون بينها اي
يترددون بين نارها وبين ما غلي فيها من مايع عذابها وقال قتادة الحميم يغلي منذ خلق الله
جهنم وآن اي منتهى الحر والنضج فيعاقب بينهم بين تصليتهم النار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم الحميم وقيل يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فتنخلع
اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا **وقرأ** علي والسلمي يطافون
والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة **وقرئ**
يطوفون اي يتطوفون والجمهور يطوفون مضارع طاف ولمن خاف مقام ربه جنتان • فباي الاء
ربكما تكذبان • ذواتا افنان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهما عينان تجريان • فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان • فباي الاء ربكما تكذبان • متكئين على فرش بطائنها من استبرق
وجنى الجنتين دان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان • فباي الاء ربكما تكذبان • كانهن الياقوت والمرجان • فباي الاء ربكما تكذبان • هل جزاء
الاحسان الا الاحسان • فباي الاء ربكما تكذبان • ومن دونهما جنتان • فباي الاء ربكما تكذبان •
مدهامتان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهما عينان نضاختان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهما
فاكهة ونخل ورمان • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهن خيرات حسان • فباي الاء ربكما تكذبان •
حور مقصورات في الخيام • فباي الاء ربكما تكذبان • لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • فباي الاء
ربكما تكذبان • متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان • فباي الاء ربكما تكذبان • تبارك اسم ربك
ذي الجلال والاكرام • ولمن خاف مقام ربه قال ابن الزبير نزلت في ابي بكر مقام ربه مقام مصدر فاحتمل
ان يكون مضافا الى الفاعل اي قيام ربه عليه وهو مروي عن مجاهد قال من قوله افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت اي حافظ مهيمن فالعبد يراقب ذلك فلا يجسر على المعصية وقيل الاضافة تكون
بادنى ملابسة فالمعنى انه يخاف مقامه الذي يقف فيه العباد للحساب من قوله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين وفي هذه الاضافة تنبيه على صعوبة الموقف وقيل مقام مقحم والمعنى
ولمن خاف ربه كما تقول اخاف جانب فلان يعني فلانا والظاهر ان لكل فرد فرد من الخائفين
جنتان قيل احداهما منزله والاخرى لازواجه وخدمه وقال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم
وقيل بستان ينتقل من احدهما الى الاخر ليتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته وقيل هما
للخائفين والخطاب للثقلين فجنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني وقال ابو موسى الاشعري
جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين وقال الزمخشري ويجوز ان يقال
جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها
واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الافنان بالذكر جمع فنن وهو الغصن
التي تتشعب عن فروع الشجر لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجنى الثمار
وقيل الافنان جمع فن وهي الوان النعم وانواعها وهو قول ابن عباس والاول قاله
منه مجاهد وعكرمة وهو اولى لان افعالا في فعل اكثر منه في فعل بسكون العين وفن يجمع
على فنون فيهما عينان تجريان قال ابن عباس هما عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة وقال
تجريان بالزيادة والكرامة على اهل الجنة وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم
والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية
احداهما من ماء والاخرى من خمر وقيل تجريان في الاعالي والاسافل من جبل من مسك زوجان

قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل الا انه حلو
انتهى ومعنى زوجان قيل رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذاك في الطيب واللذة وقيل صنفان
صنف معروف وصنف غريب وجاء الفصل بين قوله ذواتا افنان وبين قوله فيهما من كل
فاكهة بقوله فيهما عينان تجريان والافنان عليها الفواكه لان الداخل الى البستان لعدم
التفرج بلذة ما فيه بالنظر الى خضرة الشجر وجري الانهار ثم بعد يأخذ في اجتناء الثمار
للاكل وانتصب متكئين على الحال من قوله ولمن خاف وحمل معنى على جمعا على معنى من وقيل
العامل محذوف اي يتنعمون متكئين وقال الزمخشري اي نصب على المدح والاتكاء من صفات
المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى متكئين في منازلهم على فرش وقراء
الجمهور فرش بضمتين وابو حيوة بسكون الراء وفي الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه البطائن من استبرق كيف الظهائر قال هي من نور يتلالا ولو صح هذا لم يجز ان يفسر
بغيره وقيل من سندس قال الحسن والفراء البطائن هي الظهائر وروي عن قتادة وقال
الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كلا منهما يكون وجها والعرب تقول
هذا ظهر السماء وهذا بطن الارض وجنى الجنتين دان قال ابن عباس يجتنيه قائما وقاعدا ومضطجعا
لا يرد يده بعد ولا شوك وقراء عيسى بفتح الجيم وكسر النون كانه امال النون وان كانت
الالف قد حذفت في اللفظ كما امال ابو عمرو حتى نرى الله وقرئ وجنى بكسر الجيم
والضمير في فيهن عائد على الجنات الدال عليهن جنتان اذ كل فرد فرد له جنتان فصح انها جنان
كثيرة وان كان الجنتان اريد بهما حقيقة التثنية وان لكل جنس من الجن والانس جنة واحدة فالضمير
يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل وقيل يعود على الفرش اي فيهن
معدات للاستماع وهذا قول حسن قريب الماخذ وقال الزمخشري فيهن في هذه الالاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى انتهى وفيه بعد وقال الفراء كل موضع
من الجنة جنة فلذلك قال فيهن والطرف اصله مصدر فلذلك وحد والظاهر انهن اللواتي
يقصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى
في الجنة احسن منك وقيل الطرف طرف غيرهن اي قصرت عيني من ينظر اليهن عن النظر الى
غيرهن لم يطمثهن قال ابن عباس اي لم يقتضهن قبل ازواجهن وقيل لم يطأهن على اي وجه كان
الوطء من اقتضاض او غيره وهو قول عكرمة والضمير في قبلهم عائد على من عاد عليه الضمير
في متكئين وقراء الجمهور بكسر ميم يطمثهن في الموضعين وطلحة وعيسى واصحاب عبد الله وعلي
بالفتح وقراء اناس بضم الاول وكسر الثاني وناس بالعكس وناس بالتخيير والجحدري بفتح
الميم فيهما ونفى وطيهن على الانس ظاهر واما عن الجن فقال مجاهد والحسن قد تجامع نساء البشر
مع ازواجهن اذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى فنفى هنا جميع المجامعين وقال ضمرة بن حبيب الجن في
الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم فنفى الاقتضاض عن البشريات والجنيات قال قتادة
كانهن على صفاء الياقوت وحمرة المرجان لو ادخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت اليه لرايته من
ورائه انتهى وفي الترمذي ان المراة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حرير
مخها وقال ابن عطية الياقوت والمرجان من الاشياء التي برع حسنها فشبه بهما فيما يحسن
التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال منظره وبهذا النحو من
النظر سمت العرب النساء بذلك كدرة بنت ابي لهب ومرجانة ام سعيد انتهى هل جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب وقيل هل جزاء التوحيد الا الجنة وقراء ابن ابي اسحق الا الحان
يعني بالحسان الحور العين ومن دونهما اي ومن دون تانك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان
لاصحاب اليمين والاوليان هما للسابقين قاله ابن زيد والاكثرون وقال الحسن الاوليان للسابقين
قاله ابن زيد والاخريان للتابعين وقال ابن عباس ومن دونهما في القرب للمنعمين والمؤخرتا
الذكر افضل من الاولتين يدل على ذلك انه وصف عيني هاتين بالنضخ وتينك بالجري فقط
وهاتين بالدهمة من شدة النعمة وتينك بالافنان وكل جنة ذات افنان ورجح الزمخشري هذا
القول فقال مدهامتان من دونهم من اصحاب اليمين ادهامتا من شدة الخضرة ورجح غيره
القول الاول بذكر جري العينين والنضخ دون الجري وبقوله فيهما من كل فاكهة وفي المتاخرتين
فيهما فاكهة وبالاتكاء على ما بطائنه من ديباج وهو الفرش وفي المتاخرتين الاتكاء على الرفرف

وهو

وهو كسر الخباء والفرش المعدة للاتكاء افضل والعبقري الوشي والديباج اعلى منه والمشبه
بالياقوت والمرجان افضل في الوصف من خيرات حسان والظاهر النضخ بالماء وقال
ابن جبير بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وعنه ايضا
بانواع الفواكه والماء ونخل ورمان عطف على فاكهة فاقتضى العطف ان لا يندرجا في
الفاكهة قاله بعضهم وقال يونس بن حبيب وغيرهما كررهما وهما من افضل الفاكهة
تشريفا لهما واشادة بهما كما قال تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقيل لان النخل
ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه فيهن خيرات جمع خيرة وصف
بني على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شرة وقيل مخفف من خيرة وبه قرا بكر بن حبيب
وابو عثمان النهدي وابن مقسم اي بشد الياء وروي عن ابي عمرو بفتح الياء كانه جمع خايرة
جمع على فعلة وفسر الرسول لام سلمة ذلك فقال خيرات الاخلاق حسان الوجوه حور
مقصورات اي قصرن في اماكنهن والنساء تمدح بذلك اذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن
كما قال قيس بن الاسلت • وتكسل عن جاراتها فيزرنها • وتغفل عن ابياتهن فتعذر •
قال الحسن لسن بطوافات في الطرق وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ وقال عمر بن الخطاب هي در
مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطمثهن انس قبلهم اي قبل اصحاب الجنتين
ودل عليهم ذكر الجنتين متكئين قال الزمخشري نصب على الاختصاص على رفرف قال ابن عباس
وغيره فضول المحابس والبسط وقال ابن جبير رياض الجنة من رف النبت نعم وحسن وقال ابن
عيينة الزرابي وقال الحسن وابن كيسان المرافق وقال الفراء وابن قتيبة المجالس وعبقري
قال الحسن بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر وقال ابن عباس الزرابي وقال
مجاهد الديباج الغليظ وقال ابن زيد الطنافس قال الفراء الثخان منها وقراء الجمهور
على رفرف ووصف بالجمع لانه اسم جنس الواحد منه رفرفة واسم الجنس يجوز فيه ان يفرد نعته
وان يجمع كقوله والنخل باسقات وحسن جمعه هنا مقابلته بحسان الذي هو فاصلة وقال
صاحب اللوامح وقراء عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن
محيصن وزهير الفرقبي وغيرهم رفارف جمع لا ينصرف خضر بسكون الضاد وعباقري بكسر القاف
وفتح الياء مشددة وعنهم ايضا ضم الضاد وعنهم ايضا فتح القاف قال فاما منع الصرف
من عباقري وهي الثياب المنسوبة الى عبقر وهو موضع يجلب منه الثياب على قديم الازمان
فان لم يكن لمجاورتها والا فلا يكون بمنع الصرف من ياي النسب وجه الا في ضرورة الشعر انتهى
وقال ابن خالويه على رفارف خضر وعباقري النبي صلى الله عليه وسلم والجحدري وابن
محيصن وقد روي عمن ذكرنا على رفارف خضر وعباقري بالصرف وكذلك روي عن مالك بن
دينار وقراء ابو محمد المروزي وكان نحويا على رفارف خضار بعني على وزن فعال
وقال صاحب الكامل رفارف جمع عن ابن مصرف وابن مقسم وابن محيصن واختاره شبل وابو حيوة
والجحدري والزعفراني وهو الاختيار لقوله خضر وعباقري بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين
ابن مقسم وابن محيصن وروي عنهما التنوين وقال ابن عطية وقراء زهير الفرقبي رفارف
بالجمع وترك الصرف وابو طعمة المدني وعاصم فيما روي عنه رفارف بالصرف وعثمن كذلك وعباقري
بالجمع والصرف وعنه وعباقري بفتح القاف والياء على ان اسم الموضع عباقر بفتح القاف والصحيح
في اسم الموضع عبقر انتهى وقال الزمخشري وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف
وهذا لا وجه لصحته انتهى وقد يقال لما منع صرف رفارف شاكله في عباقري كما قد ينون ما لا
ينصرف للمشاكلة بمنع الصرف للمشاكلة وقراء ابن هرمز خضر بضم الضاد قال صاحب اللوامح
وهي لغة قليلة انتهى ومنه قول طرفة • ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر •
وقول الاخر • وما انتميت الى خور ولا كشف • ولا لئام غداة الروع اوزاع • فشقر
جمع اشقر وكشف جمع اكشف وقراء الجمهور ذي الجلال صفة لربك وابن عامر واهل الشام
ذو صفة للاسم وفي مصحف عبد الله وابي ذي الجلال كقراءتهما في الموضع الاول والمراد هنا بالاسم
هنا المسمى وقيل اسم مقحم كالوجه في ويبقى وجه ربك ويدل عليه اسناد تبارك لغير الاسم في مواضع
كقوله فتبارك الله احسن الخالقين تبارك الذي ان شاء تبارك الذي بيده الملك وقد يصح الاسناد

المفردات

الي الاسم لانه بمعني العلو فاذا علي الاسم فما ظنك بالمسمي ولما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الاخرة بقوله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام وناسب هنالك
ذكر البقاء والديمومة له تعالى اذ ذكر فناء العالم وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو
والزيادة اذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين وما اتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته
وديمومته وياذا الجلال والاكرام من الصفات التي جاء في الحديث ان يدعى الله بها قال
عليه السلام الظوا بياذا الجلال والاكرام **رجت** الارض زلزلت وحركت تحريكا شديدا
بحيث تنهدم الابنية وتخر الجبال **بست** الجبال فتت وقيل سيرت من قولهم بس الغنم ساقها
ويقال رجت الارض وبست الجبال لا رمي **المشأمة** من الشؤم او من اليد الشومي
وهي الشمال **الثلة** الجماعة كثرت او قلت وقال الزمخشري الامة من الناس الكثيرة
وقال الشاعر وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش • كتيار من الارض السيل مزبد •
الموضونة المنسوجة بتركيب بعض اجزائها على بعض كحلق الدرع **قال الاعشي**
• ومن نسج داود موضونة • تسير مع الحي عيرا فعيرا •
ومنه وضين الناقة وهو حزامها لانه موضون اي مفتول **وقال الراجز**
اليك تغدو قلقا وضينها • معترضا في بطنها جنينها • مخالفا دين النصاري دينها •
الابريق افعيل من البريق وهو اناء للشرب له خرطوم قيل واذن وهو من اواني الخمر عند العرب
قال الشاعر كان ابريقهم ظبي على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم •
وقال عدي بن زيد
• وتداعوا الي الصبوح فقامت • قينة في يمينها ابريق •
صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع في رؤوسهم منها وقيل صدعوا فرقوا **السدر** تقدم
شرحه في سورة سبأ **المخضود** المقطوع شوكه **قال امية بن ابي الصلت**
• ان الحدائق في الجنان ظليلة • فيها الكواعب سدرها مخضود •
الطلح شجر الموز وقيل شجر من العضاه كثير الشوك **المسكوب** المصبوب **العروب**
المتحببة الي زوجها **الترب** اللدة وهو من يولد هو واخر في وقت واحد سميا بذلك
لمسهما التراب في وقت واحد

• سورة الواقعة •

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة • اذا رجت
الارض رجا • وبست الجبال بسا • فكانت هباء منبثا • وكنتم ازواجا ثلاثة • فاصحاب الميمنة •
ما اصحاب الميمنة • واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة • والسابقون السابقون • اولئك المقربون
في جنات النعيم • ثلة من الاولين وقليل من الاخرين • على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف
عليهم ولدان مخلدون • باكواب واباريق وكاس من معين • لا يصدعون عنها ولا ينزفون • وفاكهة مما
يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون • وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون • جزاء بما كانوا يعملون
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما • واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين • في سدر مخضود
وطلح ممدود • وظل ممدود • وماء مسكوب • وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة • وفرش مرفوعة •
انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا • عربا اترابا لاصحاب اليمين • ثلة من الاولين وثلة من الاخرين

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ان ما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين وفاضل
بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض بقوله ومن دونهما جنتان فانقسم العالم بذلك الي كافر ومؤمن
مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم اصحاب ميمنة واصحاب مشامة
وسباق وهم المقربون واصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم اخر هذه السورة وقال ابن عباس
الواقعة من اسماء القيامة كالصاخة والطامة والازفة وهذه الاسماء تقتضي عظم شانها ومعني
وقعت الواقعة اي وقعت التي لا بد من وقوعها كما تقول حدثت الحادثة وكانت الكائنة ووقوع
الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله وقال الضحاك
الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيمة

والعامل

والعامل في اذا الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو فهي في موضع نصب بوقعت كسائر
اسماء الشرط ومن ذهب الي ان الجملة بعدها في موضع خفض باضافة اذا اليها احتاج الي
تقدير عامل اذ الظاهر انه ليس ثم جواب ملفوظ به يعمل فيها فقال الزمخشري **فان قلت**
بم انتصب اذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني
اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر انتهي اما نصبها بليس فلا يذهب نحوي او من شدا
شيئا من صناعة الاعراب الي مثل هذا لان ليس في النفي كما وما لا تعمل فكذلك ليس وذلك ان ليس
مسلوبة الدلالة على الحدث والزمن والقول بانها فعل هو على سبيل المجاز لان حد الفعل
لا ينطبق عليها والعامل في الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة اقوم
فالقيام واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عامل في الظرف والمثال الذي
شبه به وهو يوم الجمعة ليس لي شغل لا يدل على ان يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب
بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني
على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من لسان العرب قائما ليس
زيد وليس انما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كما لكنه لما اتصلت بها
ضمائر الرفع جعلها ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية ويظهر من تمثيل الزمخشري
اذا بقوله يوم الجمعة انه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان
الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفاء الا ان حذفت في شعر ان ورد ذلك فنقول اذا احسن
اليك زيد فلست تترك مكافاته ولا يجوز لست بغير فاء الا ان اضطر الي ذلك واما تقديره اذا
وقعت كان كيت وكيت فيدل على ان اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها واما
قوله او باضمار اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبة باذكر وكاذبة ظاهره انه
اسم فاعل من كذب وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب
على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة واكثر النفوس اليوم كواذب
مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لا يؤمنون به حتي يروا العذاب الاليم
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتي تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت
لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكذبي كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لم
تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له
انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال على معني انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا
نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ
اضعف من ذلك واذل الا تري الي قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف انتهي
وهو تكثير واسهاب وقدره ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل الكلام على هذا معنيين احدهما كاذبة
اي مكذوب فيما اخبرت عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب فيها والثاني
حال كاذبة اي لا يمضي وقوعها كما تقول فلان اذا حمل لم يكذب وقال قتادة والحسن المعني ليس لها
تكذيب ولا رد ولا مثنوية وكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الاعين والجملة
من قوله ليس لوقعتها كاذبة على ما قدره الزمخشري من ان اذا معمولة لليس يكون ابتداء السورة
الا ان اعتقد انها جواب لاذا ومنصوبة باذكر فلا يكون ابتداء كلام وقال ابن عطية في
موضع الحال والذي يظهر لي انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه **وقرا الجمهور** خافضة
رافعة برفعهما على تقدير هي وزيد بن علي والحسن وعيسى وابو حيوة وابن ابي عبلة وابن مقسم والزعفراني
واليزيدي في اختياره بنصبهما قال ابن خالويه قال الكسائي لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات
به ونصبهما على الحال قال ابن عطية بعد الحال التي هي ليس لوقعتها كاذبة ولك ان تتابع الاحوال
كما لك ان تتابع اخبار المبتدأ والقراءة الاولي اشهر وابرع معني وذلك ان موقع الحال من الكلام
موقع ما لو لم يذكر لاستغني عنه وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يتهمم به انتهي وهذا
الذي قاله سبقه اليه ابو الفضل الرازي قال في كتاب اللوامح وذو الحال الواقعة والعامل
وقعت ويجوز ان تكون ليس لوقعتها كاذبة حالا اخرى من الواقعة بتقدير اذا وقعت
صادقة الواقعة فهذه ثلاث احوال من ذي حال وجازت احوال مختلفة عن واحد كما جازت

عنه نعوت متضادة واخبار كثيرة عن مبتداء واحد واذا جعلت هذه كلها احوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوي بتقدير يحاسبون ونحوه انتهي وبتعديد الاحوال والاخبار فيه خلاف وتفصيل ذكر في النحو فليس ذلك مما اجمع عليه النحاة قال الجمهور القيامة تنفطر السماء والارض والجبال وانهدام هذه البنية برفع طايفة من الاجرام ويخفض اخري فكانها عبارة عن شدة الهول والاضطراب وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك الصيحة تخفض قوتها لتسمع الادني وترفعها لتسمع الاقصي وقال قتادة وعثمن بن عبد الله بن سراقة القيامة تخفض اقواما الي النار وترفع اقواما الي الجنة واخذ الزمخشري هذه الاقوال على عادته وكساها بعض الفاظ رايعة فقال ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الي مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقيا يحطون الي الدركات والسعدا يرفعون الي الدرجات واما انها تزلزل الاشيا عن مقارها لتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السما كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب انتهي اذا رجت قال ابن عباس زلزلت وحركت بجهد وقال ايضا هو وعكرمة ومجاهد بست فتت وقيل سيرت وقرا زيد بن علي رجت وبست مبنيا للفاعل واذا رجت بدل من اذا وقعت وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله فاصحاب الميمنة والمعنى اذا كان كذا وكذا فاصحاب الميمنة ما اسعدهم وما اعظم ما يجازون به اي سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهي ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع موثران على موثر واحد وقال ابن جني وابو الفضل الرازي اذا رجت في موضع رفع على انه خبر المبتداء الذي هو اذا وقعت وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت وما بعد اذا احوال ثلثة والمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة قوم رافعة اخرين وقت رج الارض وهكذا ادعي ابن مالك ان اذا تكون مبتداء واستدل بهذا وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما ينتفي به اذا على مدلولها من الشرط وتقدم شرح الهبا في سورة الفرقان منبثا منتشرا وقرا النخعي منبتا بتا مثناة مستقطتين بدل الثاء المثلثة قراة الجمهور اي منقطعا وكنتم خطابا للعالم ازواجا ثلثة اصنافا ثلثة وهذه رتب الناس يوم القيمة فاصحاب الميمنة قال الحسن والربيع هم الميامين على انفسهم وقيل الذين يوتون صحايفهم بايمانهم وقيل اصحاب المنزلة السنية كما تقول هو مني باليمين وقيل الماخوذ بهم ذات اليمين او ميمنة آدم المذكورة في حديث الاسرا في الاسودة واصحاب المشامة هم من قابل اصحاب اليمين في هذه الاقوال فاصحاب مبتدا وما مبتدا ثان استفهام في معنى التعظيم واصحاب الميمنة خبر عن ما وما بعده خبر عن اصحاب وربط الجملة هنا بالمبتداء تكرار المبتدا بلفظه واكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم وما تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شي هم والسابقون السابقون جوزوا ان يكون مبتداء وخبرا نحو قولهم انت انت وقوله انا ابو النجم وشعري شعري اي الذين انتهوا في السبق اي الطاعات وبرعوا فيها وعرفت حالهم وان يكون السابقون مبتداء والخبر فيما بعده وتقف على قوله والسابقون وان يكون متعلق السبق الاول تاكيدا لفظيا والخبر فيما بعد ذلك وان يكون السابقون مبتدا والخبر فيما بعده ويقف على قوله والسابقون وان يكون متعلق السبق الاول مخالفا للسبق الثاني والسابقون الي الايمان السابقون الي الجنة وعلى هذا جوزوا ان يكون السابقون خبرا لقوله والسابقون وان يكون صفة والخبر فيما بعده والوجه القول الاول قال ابن عطية ومذهب س يعني السابقون خبر الابتداء يعني خبر والسابقون وهذا كما تقول الناس الناس وانت انت وهذا على تفخيم الامر وتعظيمه انتهي ويرجح هذا القول انه ذكر اصحاب الميمنة متعجبا منهم في سعادتهم واصحاب المشيمة متعجبا منهم في شقاوتهم فناسب ان يذكر السابقون مثبتا حالهم معظما وذلك بالاخبار انهم نهاية في العظمة والسعادة والسابقون عموم في السبق الي اعمال الطاعات والي ترك المعاصي وقال عثمن بن ابي سودة هم السابقون الي المساجد وقال ابن

سيرين

سيرين هم الذين صلوا القبلتين وقال كعب هم اهل القران وفي الحديث سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم اوليك اشارة الي السابقين المقربون الذين علت منازلهم وقربت درجاتهم في الجنة من العرش وقراء الجمهور في جنات جمعا وطلحة في جنة مفردا وقسم السابقين المقربين الي ثلة من الاولين وقليل من الاخرين فقال الحسن السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة وقالت عايشة الفرقتان في امة كل نبي في صدرها ثلة وفي اخرها قليل وقيل هما الانبياء كانوا في صدر الدنيا اكثر وفي اخرها اقل وفي الحديث الفرقتان في امتي فسابق في اول الامة ثلة وسابق سايرها الي يوم القيمة قليل وارتفع ثلة على اضمارهم وقرا الجمهور على سرر بضم الراء وزيد ابو علي وابو السماك بفتحها وهي لغة لبعض تميم وكلب يفتحون عين فعل جمع فعيل المضعف نحو سرير وتقدم ذلك في والصافات موضونة قال ابن عباس مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت متكئين عليها اي على السرر ومتكئين حال من الضمير المستكن في على سرر متقابلين ينظر بعضهم الي بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء بواطنهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا يطوف عليهم ولدان صغار الخدم مخلدون وصفوا بالخلد وان كان ما في الجنة مخلدا ليدل على انهم يبقون دايما في سن الولدان لا يكبرون ولا يتحولون عن شكل الوصافة وقال مجاهد لا يموتون وقال مجاهد مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الاقراط وكاس من معين قال ابن عباس من خمر سايلة جارية معينة لا يصدعون عنها قال الاكثرون لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا وقرات على استاذنا العلامة ابي جعفر بن الزبير رحمه الله قول علقمة في صفة الخمر

تشفي الصداع ولا يوذيك صالبها • ولا يخالطها في الراس تدويم

فقال هذه صفة خمر الجنة وقيل لا يفرقون عنها بمعنى لا تنقطع عنهم لذتهم بسبب من الاسباب كما يفرق اهل الخمر بانواع من التفريق كما جاء فتصدع السحاب عن المدينة اي فتفرق وقرا مجاهد لا يصدعون بفتح الياء وشد الصاد اصله يتصدعون ادغم التاء في الصاد اي لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون والجمهور بضم الياء وخف الصاد والجمهور بجر وفاكهة ولحم وزيد بن علي برفعهما اي ولهم والجمهور ولا ينزفون مبنيا للمفعول قال مجاهد وقتادة وجبير والضحاك لا يذهب عقولهم سكرا وابن ابي اسحق بفتح الياء وكسر الزاي نزف البير استقى ماءها فالمعنى لا تفرغ خمرهم وابن ابي اسحق ايضا وعبد الله والسلمي والجحدري والاعمش وطلحة وعيسى بضم الياء وكسر الزاي اي لا يفني لهم شراب مما يتخيرون ياخذون خيره وافضله مما يشتهون اي يتمنون وقرا الجمهور وحور عين برفعهما على ان يكون معطوفا على ولدان او على الضمير المستكن في متكئين او على مبتداء محذوف هو وخبره تقديره لهم هذا كله وحور عين او على حذف خبر فقط اي ولهم حور او فيهما حور وقراء السلمي والحسن وعمرو بن عبيد وابو جعفر وشيبة والاعمش وطلحة والمفضل وابان وعصمة عن عاصم وحمزة والكسائي بجرهما والنخعي وحير عين بقلب الواو ياء وجرهما والجر عطفا على المجرور اي يطوف عليهم ولدان بكذا وكذا وحور عين وقيل هو على معني وينعمون بهذا كله وبحور عين وقال الزمخشري عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور انتهي وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي وقراء ابي وعبد الله وحورا عينا بنصبهما قالوا على معني ويعطون هذا كله وحورا عينا وقراء قتادة وحور بالرفع مضافا الي عين وابن مقسم بالنصب مضافا الي عين وعكرمة وحوراء عيناء على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما فاحتمل ان يكون مجرورا عطفا على المجرور السابق واحتمل ان يكون منصوبا كقراءة ابي وعبد الله وحورا عينا ووصف اللؤلؤ بالمكنون لانه اصفي وابعد من التغير وفي الحديث صفاؤه كصفاء الدر الذي لا تمسه الايدي وقال تعالى كانهن بيض مكنون وقال الشاعر يصف امراة بالصون وعدم الابتذال تشبيهها بالدرة المكنونة في صدفتها فقال

وقيل هذا البيت

او درة صدفية غواصها بهج • متى يرها يهل ويسجد

فامت تراءى بين سجفي كلة • كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

جزاء بما كانوا يعملون روي ان المنازل والقسم في الجنة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو برحمة الله تعالى

وتفضله لايعمل عامل وفيه النصح الصحيح الصريح لايدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يارسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة **لغوا** سقط القول وفحشه ولا تاثيما ما يؤثم
احدا او الظاهر ان قيلا الا سلاما سلاما استثناء منقطع لانه لم يندرج في اللغو ولا التاثيم
ويبعد قول من قال استثناء متصل وسلاما قال الزجاج هو مصدر نصبه قيلا اي يقول
بعضهم لبعض سلاما سلاما وقيل نصب بفعل محذوف وهو معمول قيلا اي قيلا اسلموا سلاما
وقيل سلاما بدل من قيلا وقيل نعت لقيلا بالمصدر كانه قيل الا قيلا سالما من هذه العيوب
في سدر في الجنة شجر على خلقته له ثمر كقلال هجر طيب الطعم والريح مخضود عار من الشوك
وقال مجاهد المخضود الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه
وقرا الجمهور وطلح بالحاء وعلي وجعفر بن محمد وعبد الله بالعين قراها علي المنبر وقال
علي وابن عباس وعطاء ومجاهد الطلح الموز وقال الحسن ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب
وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرايحة وقال السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر
احلى من العسل والمنضود الذي نضد من اسفله الى اعلاه فليست له ساق يظهر وظل ممدود
اي منبسط لايتقلص ولا ينسخه شي قال مجاهد هذا الظل من سدرها وطلحها وماء مسكوب
قال سفين وغيره جار في غير اخاديد وقيل منساب لايتعب فيه بسانية ولا رشاء لا مقطوعة اي
هي دايمة لاتنقطع في بعض الاوقات كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة اي لايمتنع من تناولها بوجه
ولا يحظر عليها كالتي في الدنيا **وقرئ** وفاكهة كثيرة برفعهما اي وهناك فاكهة
وفرش جمع فراش **وقرا** الجمهور بضم الراء وابو حيوة بسكونها مرفوعة نضدت حتى
ارتفعت او رفعت على الاسرة والظاهر ان الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم وقال
ابو عبيدة وغيره المراد بالفراش النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش ورفعهن في الاقدار والمنازل
والضمير في انشاناهن عايد على الفرش في قول ابي عبيدة اذ هن النساء عنده وعلى ما دل عليه
الفرش اذا كان المراد بالفرش ظاهره وهو ما يدل عليه من الملابس التي تفرش ويضطجع عليها
اي ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة والظاهر ان الانشاء هو الاختراع الذي لم يسبق
بخلق ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتي لسن من نسل ادم ويحتمل ان يريد انشاء الاعادة فيكون
ذلك لبنات ادم فجعلناهن ابكارا والعرب قال ابن عباس المتحببة الى زوجها وقاله الحسن
وعن ابن عباس ايضا عنهن بالعواشق ومنه **قول لبيد**

وفي الحدوج عروب غير فاحشة • ريا الروادف يغشى دونها البصر •

وقال ابن زيد العروب المحسنة للكلام **وقرا** حمزة وناس منهم شجاع وعباس والاصمعي
عن ابي عمرو وناس منهم خارجة وكردم وابو خليد عن نافع وناس منهم ابو بكر وحماد وابان عن عاصم
بسكون الراء وهي لغة تميم وباقي السبعة بضمها اترابا في الشكل والقد والبعد من ذهب الى ان
الضمير في انشاناهن عايد على الحور العين المذكورة قبل لان تلك قصة قد انقضت وهي قصة السابقين
وهذه قصة اصحاب اليمين واللام في لاصحاب اليمين متعلقة بانشاناهن ثلة من الاولين اي
من الامم الماضية وثلة من الاخرين اي من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنافي بين قوله وثلة من
الاخرين وقوله قبل وقليل من الاخرين لان قوله من الاخرين هو في السابقين وقوله وثلة من الاخرين
هو في اصحاب اليمين **اليحموم** الاسود البهيم **الحنث** قال الخطابي هو في كلام العرب العدل
الثقيل شبه الاثم به **الهيم** جمع اهيم وهيماء والهيام داء معطش يصيب الابل فتشرب حتى تموت
او تسقم سقما شديدا **قال الشاعر**

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها • ولا يقضي عليها هيامها •

والهيم جمع هيام وهو الرمل بفتح الهاء وهو المشهور وقال ثعلب بضمها **قال** وهو الرمل الذي
لايتماسك فبالفتح كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع اهيم من قلب ضمته كسرة لتصح الياء
وبالضم يكون قد جمع على فعل كقراد وقرد ثم سكنت ضمة الراء فصار فعلا ثم فعل به ما فعل
ببيض **امنى** الرجل النطفة ومناها قذفها من احليله **المزن** السحاب **قال الشاعر**

فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها •

اوريت النار من الزناد قدحتها وورى الزند نفسه والزناد من حجر بي او من حجر وحديدة ومن
شجر لاسيما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ والعرب تقدح بعودين تحك احدهما بالاخر ويسمون

المزنات

الاعلى

قوله عز وجل واصحاب الشمال

الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة **اقوى** الرجل دخل في الارض
القواء وهي القفر كاصحر دخل في الصحراء واقوى من ايام لم ياكل شيا واقوت الدار صارت
قفرا **قال الشاعر** يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت • وطال عليها سالف الابد •
ادهن لاين وهاود فيما لايحمل عند المدهن **وقال الشاعر** الحزم والقوة خير من الادهان
والوهنة والهاع • **الحلقوم** مجرى الطعام **الروح** الاستراحة **والريحان** تقدم ذكره في سورة
الرحمن • واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم • وظل من يحموم • لابارد ولا كريم
انهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون ايذا متنا
وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون او اباؤنا الاولون • قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم • ثم انكم ايها الضالون المكذبون • لاكلون من شجر من زقوم • فمالئون
منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • هذا نزلهم يوم الدين • نحن خلقناكم
فلولا تصدقون • افرايتم ما تمنون • ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون • نحن قدرنا بينكم الموت
وما نحن بمسبوقين • على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون • ولقد علمتم النشاة
الاولى فلولا تذكرون • افرايتم ما تحرثون • ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون • لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون • انا لمغرمون بل نحن محرومون • افرايتم الماء الذي تشربون
ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون • لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون • افرايتم
النار التي تورون • ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون • نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين • فسبح باسم ربك العظيم • لما ذكر حال السابقين واتبعهم باصحاب اليمين ذكر حال
اصحاب المشامة فقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وتقدم اعراب نظير هذه الجملة
وفي هذا الاستفهام تعظيم مصابهم في سموم في اشد حر وحميم ماء شديد السخونة وظل
من يحموم **قال** ابن عباس ومجاهد وابو مالك وابن زيد والجمهور دخان وقال ابن عباس ايضا
هو سرادق النار المحيط باهلها يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقال ابن كيسان اليحموم من
اسماء جهنم وقال ابن زيد ايضا وابن بريدة هو جبل في النار اسود يفزع اهل النار الى ذراه
فيجدونه اشد شي وامر لابارد ولا كريم صفتان للظل نفيتا سمي ظلا وان كان ليس كالظلال
ونفى عنه برد الظل ونفعه لمن ياوي اليه ولا كريم تتميم لنفي صفة المدح فيه وتمحيق لما
يتوهم في الظل من الاسترواح اليه عند شدة الحر او نفي لكرامة من يستروح اليه ونسب
اليه مجازا والمراد هم اي يستظلون اليه وهم مهانون وقد يحتمل المجلس الردي لنيل
الكرامة وبدى اولا بالوصف الاصلي الذي هو الظل وهو كونه من يحموم فهو بعض اليحموم
ثم نفى عنه الوصف الذي يبغى له الظل وهو كونه لابارد ولا كريما وقد يجوز ان يكون
لابارد ولا كريم صفة ليحموم ويلزم منه ان يكون الظل موصوفا بذلك **وقرا** الجمهور
لابارد ولا كريم بجرهما وابن ابي عبلة برفعهما اي لا هو بارد ولا كريم على حد **قوله**
فابيت لاحرج ولا محروم • اي لا انا حرج انهم كانوا قبل ذلك مترفين فيه ذم الترف والتنعم
في الدنيا والترف طريق الى البطالة وترك التفكر في العواقب وكانوا يصرون اي يداومون
ويواظبون على الحنث العظيم **قال** قتادة والضحاك وابن زيد الشرك وهو الظاهر
وقيل ما تضمنه قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية من التكذيب بالبعث وبعده وكانوا
يقولون فانه معطوف على ما قبله ويقتضي التغاير فالحنث العظيم الشرك وقولهم ايذا متنا
انكار البعث وابعد الشعبي في ان هذا الحنث هو اليمين الغموس ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اانا لمبعوثون او اباؤنا الاولون تقدم الكلام عليه في والصافات وكرر الزمخشري
هنا وهمه **فقال فان قلت** كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون
من غير تاكيد بنحن **قلت** حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله
ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي انتهى ورددنا عليه هناك وقد رجع هنا
وهناك الى مذهب الجماعة في انهم لايقدرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فعلا في نحو
اولم يسيروا ولاسيما في نحو اباؤنا بل الواو والفا لعطف ما بعدهما على ما قبلهما والهمزة في

النفي بمتاخرة عن حرف العطف لكنه لما كان الاستفهام له صدر الكلام قدمت ولما
ذكر تعالى استبعادهم عن البعث على طريق الاستبعاد والانكار امر نبيه عليه السلام ان
يخبرهم ببعث العالم اولهم وآخرهم للحساب وما يصل اليه المكذبون للبعث من العذاب
والميقات ما وقت به الشيء اي حد اي ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة
بمعنى من كخاتم حديد ثم انكم خطاب لكفار قريش ايها الضالون عن الهدى المكذبون
للبعث وخطاب ايضا لمن جرى مجراهم في ذلك لآكلون من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية او للتبعيض والثانية ان كان من زقوم بدلا فمن تحتمل الوجهين وان لم
تكن بدلا فهي لبيان الجنس اي من شجر الذي هو زقوم وقرأ الجمهور من شجر وعبد الله
من شجرة فمالئون منها الضمير في منها عائد على شجر اذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر وعلى قراءة
عبد الله فهو واضح فشاربون عليه قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما انث على المعنى
في منها قال ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل
الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه وقال ابن عطية والضمير في عليه عائد على المأكول
او على الاكل انتهى فلم يجعله عائدا على شجر وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين
وهو مصدر وقيل اسم لما يشرب ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها وهو بمعنى المشروب
اسم لا مصدر كالطحن والرعي والاعرج وابن المسيب وشعيب بن الحبحاب ومالك بن دينار
وابن جريج وباقي السبعة بفتحها وهو مصدر مقيس والهيم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والضحاك جمع اهيم وهو الجمل الذي اصابه الهيام وقد ذكرناه في المفردات وقيل جمع هيماء
وقيل جمع هائم وهائمة وجمع فاعل على فعل شاذ كبازل وبزل وعائذ وعوذ والهائم الذاهب على
الاثر لانه اذا اصابه ذلك هام على وجهه وذهب وقال ابن عباس وسفيان الهيم
الرمال التي لا تروى من الماء وتقدم الخلاف في مفرده اهو هيام بفتح الهاء ام بالضم واللغتين
الله يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي كالمهل فاذا ملؤوا منه البطون
سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم
قاله الزمخشري وقال ايضا **فان قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين
وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت**
ليستا متفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء
امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى
والفاء تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا انه يسكن
عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع به ري ابدا وهو مثل شرب الهيم
فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمقصود الصفة والمشروب
منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه شرب الهيم **وقرأ**
الجمهور نزلهم بضم الزاي وابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وابو زيد
وهرون وعصمة وعباس كلهم عن ابي عمرو بالسكون وهو اول ما ياكله الضيف وفيه تهكم
بالكفار **وقال الشاعر** وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
يوم الدين اي يوم الجزاء نحن خلقناكم فلولا تصدقون حض على التصديق اما بالخلق او بالنشأة الاولى
وهي خلقهم ثم قال فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما اقررتم بالنشأة الاولى
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله او فلولا تصدقون بالخلق وذلك انهم لما اتخذوا
من دون الله آلهة جعلوا كانهم غير معترفين بالخلق فحض على التصديق به ثم حض
على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق وكان كافرا فقال ولقد
نقيل له افرايت كذا افرايت كذا [illegible] **قال افرايتم**
ما تمنون وهو المني الذي يخرج من الانسان اذ ليس له في خلقه عمل ولا ارادة ولا قدرة
وقال الزمخشري تخلقونه تقدرونه وتصورونه انتهى فحمل الخلق على التقدير والتصوير
لا على الانشاء ويجوز في انتم ان يكون مبتدأ وخبره تخلقونه والاولى ان يكون فاعلا

بفعل

بفعل محذوف كانه قال اتخلقون فلما حذف الفعل انفصل الضمير وجاء افرايتم هنا معلقا
مفعولها الاول ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها اذا
كانت بمعنى اخبرني وجاء بعد ام جملة فعلية اعني ام نحن الخالقون وام هنا متصلة وانت المعادلة للهمزة وذلك
في اربعة المواضع هنا فيكون ذلك على استفهامين فجواب الاول لا والجواب الثاني نعم فتنعقد
ام على هذا [illegible] نحن الخالقون فجوابه نعم وقال قوم من النحاة ام هنا ليست معادلة للهمزة وكان
[illegible] الخالقون [illegible] على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لوقع الاكتفاء به دون ذكر
الخبر ونظير ذلك جواب من قال من في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر في الجواب على زيد
لاكتفي به **وقرأ** الجمهور تمنون بضم التاء وابن عباس وابو السمال بفتحها والجمهور
قدرنا بشد الدال وابن كثير بخففها اي قضينا واثبتنا او رتبنا في التقدم والتأخر فليس موت
العالم دفعة واحدة بل بترتيب لا يتعدى وقال سبقته على الشيء اعجزته عنه وغلبته عليه ولم
تمكنه منه والمعنى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي نحن قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه
ان اردنا ذلك وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم اي نميت طائفة
ونبدلها بطائفة هكذا قرنا بعد قرن انتهى فجعل على ان نبدل متعلقا بقوله نحن قدرنا وعلى القول
الاول متعلق بمسبوقين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولقد علمتم النشأة الاولى [illegible]
[illegible] فلولا تذكرون [illegible]
[illegible] **وقرأ** الجمهور تذكرون بتشديد
الذال وطلحة بتخفيفها وضم الكاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وقرأ** الجمهور [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقرأ** [illegible]
وقرأ الجحدري [illegible] **وقرأ** الجمهور [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقرأ** الجمهور [illegible]
معذبون من الغرام وهو اشد العذاب **قال الشاعر**

ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لامتناع الانسانية بشر قال ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لامحالهم وادخلت
في اية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وبان
الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا
قدمت اية المطعوم على اية المشروب والظاهر ان قوله شجرتها المراد منه الشجر الذي
تقدح منه النار وقيل المراد بالشجرة نفس النار كانه يقول نوعها او جنسها فاستعار
الشجرة لذلك وهذا اقول متكلف نحن جعلناها تذكرة اي لنار جهنم ومتاعا للمقوين اي
النازلين الارض القواء وهي القفر وقيل للمسافرين وهو قريب مما قبله وقول ابن زيد
الجايعين ضعيف جدا وقدم من فوايد النار ما هو اهم واكد من تذكيرها بنار جهنم ثم اتبعه
بفوايدها في الدنيا وهذه الاربعة التي ذكرها تعالى ووقفهم عليها من امر خلقهم وما به قوام
عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من اعظم الدلايل على البعث وفيها انتقال من شي الى
شي واحداث شي من شي ولذلك امر في اخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون ووصف
تعالى نفسه بالعظيم اذ من هذه افعاله يدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والانشاء

فلا اقسم بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم • في كتاب مكنون • لا يمسه
الا المطهرون • تنزيل من رب العالمين • افبهذا الحديث انتم مدهنون • وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون • فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ تنظرون • ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين • فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم • واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين • واما ان كان من
المكذبين الضالين • فنزل من حميم وتصلية جحيم • ان هذا لهو حق اليقين • فسبح باسم ربك العظيم

قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم

قرا الجمهور فلا اقسم فقيل لا زايدة موكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فاقسم
وقيل المنفي محذوف اي فلا صحة لما يقول الكفار ثم ابتدا اقسم قاله سعيد بن جبير وبعض النحاة
ولا يجوز لان ذلك حذف اسم لا وخبرها وليس جوابا لسايل سال فيحتمل ذلك نحو قوله لا لمن قال هل
من رجل في الدار وقيل توكيد مبالغة ما وهي كاستفتاح كلام مشبهة في القسم الا في سايغ الكلام
الشعر وغيره ومنه فلا وابي اعدايها لا اخونها • والا وولي عندي ابهالام اشبعت فتحتها فتولد
منها الف **كقوله** اعوذ بالله من العقراب • وهذا وان كان قليلا فقد جاء نظيره
في قوله فاجعل افيدة من الناس بيا بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام فالمعنى فلا اقسم كقراءة
الحسن وعيسى وخرج قراءة الحسن ابو الفتح على تقدير مبتدا محذوف اي فلانا اقسم وتبعه على
ذلك الزمخشري وانما ذهبا الى ذلك لانه فعل حال وفي القسم عليه خلاف فالذي اختاره
ابن عصفور وغيره ان فعل الحال لا يجوز ان يقسم عليه فاحتاجوا الى ان تصوروا المضارع خبر المبتدا
محذوف فتصير الجملة اسمية فيقسم عليها وذهب بعض النحويين الى جواز القسم على فعل الحال
وهذا الذي اختاره فتقول والله ليخرج زيد وعليه **قول الشاعر** ليعلم ربي ان بيتي واسع
وقال الزمخشري في قراءة الحسن ولا يصح ان تكون اللام لام قسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن
بها النون الموكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال
وفعل القسم يجب ان يكون للحال انتهى اما الامر الاول ففيه خلاف فالذي قاله قول البصريين
واما الكوفيون فيختارون ذلك ولكن يجيزون تعاقبهما فيجيزون لاضربن زيدا واضرب عمرا
واما الثاني فصحيح لكنه هو الذي رجح عندنا ان تكون اللام في لاقسم لام القسم واقسم فعل حال
والقسم فيكون جوابا للقسم كما قال تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فاللام في وليحلفن جواب
قسم وهو قسم لكنه لما لم يكن خلفهم حالا بل مستقبلا لزمت النون وهي مخلصة المضارع للاستقبال
وقرا الجمهور بمواقع جمعا وعمر وعبد الله وابن عباس واهل المدينة وحمزة والكسائي
بموقع مفردا مرادا به الجمع **قال** ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم هي نجوم القران التي
انزلت على الرسول ويؤيد هذا القول قوله انه لقران فعاد الضمير على ما يفهم من قوله
بمواقع النجوم اي نجوم القران وقيل النجوم الكواكب ومواقعها قال مجاهد وابو عبيدة عند طلوعها
وغروبها وقال قتادة مواقعها مواضعها من السماء وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة

وقيل

وقيل عند الانقضاض اثر العفاريت ومن تاول النجوم على انها الكواكب جعل الضمير في انه يفسره
سياق الكلام كقوله حتى توارت بالحجاب وفي اقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم ذلك
لا نعلمه نحن وقد اعظم ذلك تعالى فقال وانه لقسم لو تعلمون عظيم والجملة المقسم عليها قوله
انه لقران كريم وفصل بين القسم وجوابه فالظاهر انه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة
والموصوف بقوله لو تعلمون وقال ابن عطية وانه لقسم تاكيد للامر وتنبيه من المقسم به وليس
هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون انتهى
وكريم وصف مدح ينفي عنه ما لا يليق به **وقال** الزمخشري كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب
او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون اي مصون قال ابن عباس ومجاهد الكتاب الذي
في السماء وقال عكرمة التوراة والانجيل كانه قال ذكره في كتاب مكنون كرمه وشرفه فالمعنى
على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة وقيل في كتاب مكنون اي في مصاحف للمسلمين مصونة من
التبديل والتغيير ولم تكن اذ ذاك مصاحف فهو اخبار بغيب والظاهر ان قوله لا يمسه الا المطهرون
وصف لقران كريم فالمطهرون هم الملايكة وقيل لا يمسه صفة لكتاب مكنون فان كان الكتاب
هو الذي في السماء فالمطهرون هم الملايكة ايضا اي لا يطلع عليه من سواهم وكذا على قول
عكرمة هم الملايكة وان اريد بكتاب مكنون المصحف فالمعنى انه لا ينبغي ان يمسه الا من هو على
طهارة من الناس واذا كان المطهرون هم الملايكة فلا يمسه نفي ويؤيد **ويؤيده** المنفي قراءة عبد الله
ما يمسه واذا عني بهم المطهرون من الكفر والجنابة فاحتمل ان يكون نفيا محضا ويكون حكمه
انه لا يمسه الا المطهرون وان كان يمسه غير المطهر كما جاء لا يعضد شجرها اي الحكم هذا وان كان
قد يقع العضد واحتمل ان يكون نفيا اريد به النهي فالضمة في السين اعراب واحتمل ان يكون
نهيا فلو فك ظهر الجزم ولكنه لما ادغم كان مجزوما في التقدير والضمة فيه لاجل ضمة الهاء
كما جاء في الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وهو مجزوم ولم يحفظ **سيبويه** في نحو هذا من
المجزوم المدغم المتصل بالهاء ضمير المذكر الا الضم قال ابن عطية والقول بان لا يمسه نهي قول
فيه ضعف وذلك انه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلنا
نهيا جاء معناه اجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف
ابن مسعود ما يمسه وهذا يقوي ما رجحته من الخبر الذي معناه حقه وقدره ان لا يمسه الا طاهر
انتهى ولا يتعين ان يكون تنزيل صفة بل يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف فيحسن اذ ذاك ان يكون
لا يمسه نهيا وذكروا هنا حكم مس المصحف وذلك مذكور في الفقه وليس فيه دليل على منع ذلك
وقرا الجمهور المطهرون اسم مفعول من طهر مشددا وعيسى كذلك مخففا من اطهر وروت
عن نافع وابي عمرو **وقرا** سلمان الفارسي المطهرون بخف الطاء وشد الهاء وكسرها
اسم فاعل من طهر اي المطهرين انفسهم وعنه ايضا المطهرون بشدهما اصله المتطهرون فادغم التاء
في الطاء وروت عن الحسن وعبد الله بن عون **وقرئ** المتطهرون **وقرئ** تنزيلا
بالنصب اي نزل تنزيلا والاشارة في افبهذا للقران وانتم خطاب للكفار مدهنون **قال**
ابن عباس مهاودون فيما لا يحل وقال ايضا مكذبون وتجعلون رزقكم اي شكر ما رزقكم الله من انزال
القران عليكم تكذيبكم به اي تضعون مكان الشكر التكذيب ومن هذا المعنى **قول الراجز**
• وكان شكر القوم عند المنن • كي الصحيحات وفقء الاعين •
وقرا علي وابن عباس وتجعلون شكركم وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد وحكى
الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان فلانا بمعنى ما شكره وقيل نزلت في الانواء ونسبة
السقيا اليها والرزق المطر فالمعنى ما يرزقكم الله من الغيث وقال ابن عطية اجمع المفسرون
على ان الاية توبيخ للقايلين في المطر هذا بنوء كذا وكذا وهذا بنجم الاسد وهذا بنوء الجوزاء
وغير ذلك **وقرا** الجمهور تكذبون من التكذيب وعلي والمفضل عن عاصم من الكذب فالمعنى
من التكذيب انه ليس من عند الله اي القران او المطر حيث ينسبون ذلك الى النجوم ومن الكذب
قولهم في القران سحر وافتراء وفي المطر من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ
تنظرون **قال** الزمخشري ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير

مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وقال ابن عطية توقيف
على موضع عجز يقتضي النظر فيه ان الله مالك كل شيء وانتم اشارة الى جميع البشر حينئذ حين
اذ بلغت الحلقوم تنظرون اي الى المنازع في الموت **وقرأ** عيسى حينئذ بكسر النون
اتباعا لحركة الهمزة في اذ ونحن اقرب اليه منكم بالعلم والقدرة ولكن لا تبصرون من البصيرة
بالقلب او اقرب اي ملائكتنا ورسلنا ولكن لا تبصرون من البصيرة بالقلب لعين ثم
عاد التوقيف والتقرير ثانيه بلفظ التحضيض والمدين المملوك **وقال الاخطل**
ربت وربا في حجرها ابن مدينة ه قيل ابن مملوكه يصف عبدا ابن امة واخر البيت تراه على ه
مسحاته يتوكل والمعنى فلولا ترجعون النفس البالغة الى الحلقوم ان كنتم غير مملوكين غير
مقهورين ان كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد اذ كانوا فيما
ذهبوا اليه من ان القران سحر وافتراء وان ما نزل من المطر هو بنوء كذا تعطيل للصانع
وتعجيز له وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها
التحضيضات واذا من قوله فلولا اذا وان المكررة وحمل بعض القول بعضا ايجازا واقتصارا
انتهى ونقول اذا ليست شرطية فتسد ترجعونها مسد جوابها بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها
المحذوف بعد فلولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الاول مقيدا
بوقت بلوغ الحلقوم وجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون
على رجوعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم فاما ان كان اي المتوفى
من المقربين وهم السابقون **وقرأ** الجمهور فروح بفتح الراء وعايشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وابن عباس والحسن وقتادة ونوح القاري والضحاك والاشهب وشعيب بن الحبحاب
وسليمان التيمي والربيع بن خثيم ومحمد بن علي وابو عمران الجوني والكلبي وفياض وعبيد
وعبد الوارث عن ابي عمرو ويعقوب بن حسان وزيد ورويس عنه بضمها قال الحسن الروح الرحمة
لانها كالحياة للمرحوم وقال ايضا روحه تخرج في ريحان وقيل الروح البقاء اي فهذان له معا
وهو الخلود مع الرزق وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الاستراحة وقال
ابو العالية وقتادة والحسن ايضا الريحان هذا الشجر المعروف في الدنيا يلقى المقرب ريحانا
من الجنة وقال الخليل هو طرف كل بقلة طيبة فيها اوائل النور وقال عليه السلام في الحسن
والحسين هما ريحانتاي من الدنيا وقال ابن عطية الريحان مما تنبسط اليه النفوس فروح
فسلام فترد الفاء جواب اما تقدم اما وهي في تقدير الشرط وان كان من المقربين وان كان
من اصحاب اليمين وان كان من المكذبين الضالين شرط واذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق
منهما وجواب الثاني محذوف ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ او مصحوبا بلم واغنى عنه
جواب اما هذا مذهب **سى** وذهب ابو علي الفارسي الى ان الفاء جواب ان وجواب اما محذوف
وله قول موافق لمذهب **سى** وذهب الاخفش الى ان الفاء جواب لاما والشرط معا وقد
ابطلنا هذين المذهبين في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل والخطاب في
لك للرسول عليه السلام اي لا ترى فيهم يا محمد الا السلامة من العذاب ثم لكل معتبر من امة عليه
السلام قيل لمن يخاطبه من اصحاب اليمين فقال الطبري المعنى فسلام لك انت من اصحاب اليمين
وقال قوم المعنى فيقال لهم مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام لك يا صاحب اليمين
من اجل انك من اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما والمكذبون الضالون
هم اصحاب المشامة اصحاب الشمال **وقرأ** الجمهور فتصلية رفعا عطفا على
فنزل واحمد بن موسى والمنقري واللؤلؤي عن ابي عمرو وتصلية بالجر عطفا على من حميم
ولما انقضى الاخبار بتقسيم احوالهم وما آل اليه كل قسم منهم اكد ذلك بقوله ان هذا اي
ان هذا الخبر المذكور في هذه السورة هو حق اليقين فقيل هو من اضافة المرادفين
على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية في ذلك
فهما بمعنى واحد على سبيل المبالغة وقيل هو من اضافة الموصوف الى صفته جعل الحق مباينا
لليقين فكانه قال لهو الحق اليقين اي الثابت المتيقن ولما تقدم ذكر الاقسام الثلاثة

مسهبا الكلام فيهم امره تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات ولما اعاد التقسيم موخرا
الكلام فيه امره ايضا بتنزيهه وتسبيحه والاقبال على عبادة ربه والاعراض عن اقوال الكفرة
المنكرين للبعث والحساب والجزاء ويظهر ان سبح يتعدى بنفسه تارة لقوله سبح اسم ربك الاعلى
ويسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسبح باسم ربك العظيم يجوز ان تكون صفة لاسم ويجوز ان تكون
صفة لربك

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم • له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير • هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم • هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون
بصير • له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور • يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وهو عليم بذات الصدور • قال النقاش وغيره هذه السورة مدنية باجماع من المفسرين
وقال غيره كالزمخشري مكية وقال ابن عطية لا خلاف ان فيها قرانا مدنيا لكن صدرها ان يكون
مكيا ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة لانه تعالى امر بالتسبيح ثم اخبر ان
التسبيح المامور به قد فعله والتزمه كل من في السموات والارض واتى سبح بلفظ الماضي
ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة والاستمرار وان ذلك ديدن من في السموات
والارض والتسبيح هنا عند الاكثرين بمعنى التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله فقيل هو
حقيقة في الجميع ومن فيهن يمكن التسبيح منهم وقيل مجاز بمعنى ان اثر الصنعة فيها تنبه
الرائي على التسبيح وقيل التسبيح هنا الصلاة ففي الجماد بعد وفي الكافر سجود ظله صلوته
وفي المؤمن ذلك سائغ واللام في لله اما ان تكون بمنزلة اللام في نصحت لزيد يقال سبح الله
كما يقال نصحت زيدا فجيء باللام لتقوية وصول الفعل الى المفعول واما ان تكون لام التعليل
اي احدث التسبيح لاجل الله اي لوجهه خالصا يحيي ويميت جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب
كقوله له ملك السموات والارض لما اخبر بان له الملك اخبر عن ذاته بهذين الوصفين
العظيمين اللذين بهما تمام التصرف في الملك وهو ايجاد ما شاء واعدام ما شاء ولذلك اعقب
بالقدرة التي بها الاحياء والاماتة ويجوز ان يكون خبر مبتدا اي هو يحيي ويميت وان يكون
حالا وذو الحال الضمير في له والعامل فيها العامل في الجار والمجرور هو الاول اي الذي ليس
لوجوده بداية مفتتحة والاخر اي الدائم الذي ليس له نهاية منقضية وقيل الاول الذي
كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة ونظر العقول في صنعته
والباطن لكونه غير مدرك بالحواس وقال ابو بكر الوراق الاول بالازلية والاخر بالابدية
وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن
كل شيء اي علم باطنه وقال الزمخشري **فان قلت** فما معنى الواو **قلت**
الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثانية
على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين
الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة
على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة انتهى وفيه دسيسة الاعتزال يعلم ما يلج في الارض
من المطر والاموات وغير ذلك وما يخرج منها من النبات والمعادن وغيرها وما ينزل من السما
من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره وما يعرج فيها من الملائكة وصالح الاعمال وسيئها
وهو معكم اينما كنتم اي بالقدرة والعلم قال الثوري المعنى علمه معكم وهذه اية اجمعت الامة
على هذا التاويل فيها وانها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهي حجة على من منع التاويل
في غيرها مما يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهره وقال بعض العلماء فمن يمتنع من تاويل
ما لا يمكن حمله على ظاهره وقد تاول هذه الاية وتاول الحجر الاسود يمين الله في الارض لو اتسع

قوله عز وجل آمنوا بالله ورسوله

عقله لشأنه ولا غير هذا مما هو في معناه **وقرأ** الجمهور ترجع مبنيًا للمفعول والحسن وابن ابي
اسحق والاعرج مبنيًا للفاعل والامور عام في جميع الموجودات اعراضها وجواهرها وتقدم
شرح ما قبل هذا وما بعده فاغنى عن اعادته آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين • هو الذي ينزل على عبده آيات بينات
ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم • وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله
ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير • من ذا
الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له وله اجر كريم • لما ذكر تعالى انه يسبح العالم له وما
احتوى عليه من الملك والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات العلى وختمها بالعلم
بخفيات الصدور امر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الايمان وادامته والنفقة في
سبيل الله قال الضحاك نزلت في غزوة تبوك مستخلفين فيه اي ليست لكم بالحقيقة وانما
انتقلت اليكم من غيركم وكما وصلت اليكم تتركونها لغيركم وفيها تزهيد وفيه فيما بيد الانسان
ومصيره الى غيره وليس له منه الا ما جاء في الحديث يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقيل لاعرابي لمن هذه الابل
فقال هي لله عندي او يكون المعنى انه تعالى انشأ هذه الاموال فمتعكم بها وجعلكم خلفاء
في التصرف فيها فانتم فيها بمنزلة الوكلاء فانفقوا منها في حقوق الله ثم ذكر تعالى ما للمؤمن
المنفق من الاجر ووصفه بالكريم ليجمعه في انواع الثواب قيل وفيه اشارة الى عثمان بن عفان
حيث بذل تلك النفقة العظيمة في جيش العسرة ثم قال وما لكم لا تؤمنون بالله وهو استفهام
على سبيل التأنيب والانكار اي كيف لا تثبتون على الايمان ودواعي ذلك موجودة وذلك
ركزه فيكم من دلائل العقل وموجب ذلك من السمع في قوله والرسول يدعوكم لهذا الوصف
الجليل وقد تقدم اخذ الميثاق عليكم بالايمان فدواعي الايمان موجودة واسبابه حاصلة
فلا مانع منه ولا عذر في تركه ولا تؤمنون حال كما تقول ما لك لا تقوم تنكر عليه انتفاء قيامه
والرسول الواو واو الحال فالجملة بعد حال وقد اخذ حال ثالثة وهذا الميثاق قيل هو
الذي اخذ عليهم حين الاخراج من ظهر آدم عليه السلام وقيل ما نصب من الادلة وركز في
العقول من النظر فيها ان كنتم مؤمنين شرط وجوابه محذوف اي ان كنتم مؤمنين لموجب
ما فهذا هو الموجب لايمانكم او ان كنتم ممن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالة هذه وهي دعاء
الرسول واخذ الميثاق وقال الطبري ان كنتم مؤمنين في حال من الاحوال فالآن **وقرأ**
الجمهور وقد اخذ مبنيًا للفاعل ميثاقكم نصبًا وابو عمرو مبنيًا للمفعول ميثاقكم رفعًا وقال
ابن عطية في قوله ان كنتم مؤمنين وانما المعنى ان قوله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين تقتضي ان يقدر بأثره فانتم في رتب شريفة واقدار رفيعة
ان كنتم مؤمنين اي ان دمتم على ما بدأتم به ولما ذكر توطئة ما يوجب الايمان وذكر دعاء الرسول
اياهم للايمان ذكر انه تعالى هو المنزل على رسوله ما دعا به الى الايمان وذلك الآيات البينات
المعجزات ليخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اي الله تعالى اذ هو المخبر عنه او الرسول
لانه اقرب **وقرئ** في السبعة ينزل مضارعًا فبعض ثقل وبعض خفف **وقرأه**
الحسن بالوجهين وزيد بن علي والاعمش انزل ماضيًا ووصف تعالى نفسه بالرأفة والرحمة
تأنيسًا لهم ولما كان قد امرهم بالايمان والانفاق ثم ذكر تأنيبهم على ترك الايمان مع حصول
موجبه انبهم على ترك الانفاق في سبيل الله مع قيام الداعي لذلك وهو انهم يموتون فيخلفونه
ونبه على ذلك الموجب بقوله ولله ميراث السموات والارض وهذا من ابلغ البعث على الانفاق
وان لا تنفقوا تقديره في ان لا تنفقوا فموضعه جر او نصب على الخلاف وان ليست زائدة بل
مصدرية وقال الاخفش في قوله وما لنا الا نقاتل انها زائدة عاملة تقديره عنده وما
لنا لا نقاتل فكذلك على مذهبه في تلك هنا تكون ان زائدة وتقديره وما لكم لا تنفقون وقد رد
مذهبه في كتب النحو لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل قيل نزلت في ابي بكر

اذ كان

592

اذ كان اول من اسلم وهاجر وانفق وكذا من تابعه في السبق في ذلك ولذلك قال اولئك اعظم درجة
وقيل نزلت بسبب ان ناسًا من الصحابة انفقوا نفقات جليلة حتى قيل ان هؤلاء اعظم اجرًا
من كل من انفق وهذه الجملة تضمنت تباين ما بين المنفقين **وقرأ** الجمهور من قبل الفتح
وزيد بن علي قبل بغير من والفتح فتح مكة وهو المشهور وقول قتادة وزيد بن اسلم ومجاهد
وقال ابو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقد تقدم في سورة الفتح كونه فتحًا ورفعه
ابو سعيد الى النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية والظاهر ان من فاعل
لا يستوي وحذف مقابله وهو ومن انفق من بعد الفتح وقاتل لوضوح المعنى اولئك اي
الذين انفقوا قبل الفتح وقيل انتشار الاسلام وفشوه واستيلاء المسلمين على ام القرى وهم
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين جاء في حقهم قوله عليه السلام لو انفق احدكم
مثل احد ذهبًا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وابعد من ذهب الى ان الفاعل بلا يستوي ضمير
يعود على الانفاق اي لا يستوي هو اي الانفاق اي جنسه اذ منه ما هو قبل الفتح وبعده
ومن انفق مبتدأ واولئك مبتدأ آخر خبره ما بعده والجملة في موضع خبر من وهذا فيه
تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر لغير موجب وحذف المعطوف لدلالة المقابلة كثير فاش
لا سيما المعطوف الذي يقتضيه وضع الفعل وهو يستوي **وقرأ** الجمهور وكلا بالنصب
وهو المفعول الاول لوعد **وقرأ** ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادرائي وكل بالرفع
والظاهر انه مبتدأ والجملة بعده في موضع الجر وقد اجاز ذلك الفراء وهشام ورد في السبعة
يوجب قبوله وان كان غيرهما من النحاة قد خص حذف الضمير الذي حذف من مثل وعد بالضرورة
وقال الشاعر وخالد يحمد ساداتنا • بالحق لا يحمد بالباطل • يريد يحمده ساداتنا وقد
بعضهم من جعل وعد خبرًا فقال كل خبر مبتدأ تقديره واولئك كل ووعد صفة وحذف الضمير
المنصوب من الجملة الواقعة صفة اكثر من حذفه منها اذا كانت خبرًا نحو قوله
وما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا •
يريد اصابوه فاصابوه صفة لمال وقد حذف الضمير العائد على الموصوف والحسنى تأنيث
الاحسن وفسره مجاهد وقتادة بالجنة والوعد يتضمن ذلك في الآخرة والنصر والغنيمة
في الدنيا والله بما تعملون خبير فيه وعد ووعيد وتقدم الكلام على مثل قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له اعرابًا وقراءة وتفسيرًا في سورة البقرة وقال ابن عطية
هنا الرفع يعني في يضاعفه على العطف او على القطع والاستئناف **وقرأ** عاصم
فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال ابو علي يعني الفارسي
لان السؤال لم يقع على القرض وانما وقع السؤال عن فاعل القرض وانما تنصب الفاء فعلا
مردودًا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة يعني من القراء حملت ذلك على المعنى كان
قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة ان لو قال ايقرض الله احد فيضاعفه انتهى وهذا الذي
ذهب اليه ابو علي من انه انما تنصب الفاء فعلا مردودًا على فعل مستفهم عنه ليس بصحيح بل يجوز
اذا كان الاستفهام بادواته الاسمية نحو من يدعوني فاستجيب له واين بيتك فازورك ومتى
تسير فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام هنا واقع عن ذات الداعي وعن ظرف المكان
وظرف الزمان والحال لا عن الفعل وحكى ابن كيسان عن العرب ابن ذهب زيد فنتبعه
وكذلك كم مالك فنعرفه ومن ابوك فنكرمه بالنصب بعد الفاء وقراءة فيضاعفه بالنصب قراءة
متواترة والفعل وقع صلة للذي والذي صفة لذا وذا خبر لمن واذا جاز النصب في نحو هذا
فجوازه في المثل السابقة احرى مع ان سماع ابن كيسان ذلك محكيًا عن العرب يؤيد ذلك
والظاهر ان قوله وله اجر كريم هو زيادة على التضعيف المترتب على القرض اي وله مع المضعف

قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين

اجر كريم • يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم

قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير
العامل في يوم ما عمل لهم التقدير ومستقر له اجر كريم يوم ترى او اذكر يوم ترى اعطانا الله ذلك
اليوم والرؤية هنا رؤية عين والنور حقيقة وهو قول الجمهور وروي في ذلك عن ابن عباس
وغيره آثار وان كل مظهر للايمان له نور فيطفأ نور المنافق ويبقى نور المؤمنين وهم متفاوتون
في النور منهم من يضيء كما بين مكة وصنعاء ومن نوره كالنخلة السحوق ومن يضيء ما قرب
من قدميه ومن يهم بالانطفاء مرة ويبين مرة وذلك على قدر الاعمال وقال الضحاك النور استعارة
عن الهدى والرضوان الذي هم فيه والظاهر ان النور يتقدم لهم بين ايديهم ويكون ايضا بايمانهم
فيظهر انهما نوران نور ساع بين ايديهم ونور بايمانهم فذلك يضيء الجهة التي يؤمونها وهذا يضيء
ما حواليهم من الجهات وقال الجمهور النور اصله بايمانهم والذي بين ايديهم هو الضوء المنبسط
من ذلك النور وقيل الباء بمعنى عن اي عن ايمانهم والمعنى في جميع جهاتهم وعبر عن ذلك بالايمان
تشريفا لها وقال الزمخشري وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم
من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم وقرا الجمهور وبايمانهم
جمع يمين وسهل بن شعيب السهمي وابو حيوة بكسر الهمزة وعطف هذا المصدر على الظرف لان
الظرف متعلق بمحذوف اي كائنا بين ايديهم وكائنا بسبب ايمانهم بشراكم اليوم جنات جملة معمولة
لقول محذوف اي تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم جنات اي دخول جنات قال ابن عطية
خالدين فيها الى آخر الآية مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولا مخاطبة هنا بل هذا من باب
الالتفات من ضمير الخطاب في بشراكم الى ضمير الغيبة في خالدين ولو جرى على الخطاب لكان التركيب
خالدا انتم فيها والالتفات من فنون البيان يوم يقول بدل من يوم ترى وقيل معمول لاذكر
قال ابن عطية ويظهر لي ان العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ويجيء معنى الفوز افخم كانه يقول
ان المؤمنين يفوزون يوم يعتري المنافقين كذا وكذا لان ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده
ابدع وافخم انتهى فظاهر كلامه وتقديره ان يوم منصوب بالفوز وهو لا يجوز لانه مصدر قد وصف
قبل اخذ متعلقاته فلا يجوز اعماله فلو اعمل وصفه وهو العظيم لجاز اي الفوز الذي عظم اي
قدره يوم يقول انظرونا اي انتظرونا لانهم لما سبقوكم الى المرور على الصراط وقد طفئت انوارهم
قالوا ذلك وقال الزمخشري انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا انظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
والنور بين ايديهم فيستضيئون به انتهى فجعل انظرونا بمعنى انظروا الينا ولا يتعدى النظر هذا
في لسان العرب الا بالى لا بنفسه وانما وجد متعديا بنفسه في الشعر وقرا زيد بن علي وابن وثاب
والاعمش وطلحة وحمزة انظرونا من انظر رباعيا اي اخرونا اي اجعلونا في آخركم ولا تسبقونا
بحيث تفوتونا ولا نلحق بكم نقتبس من نوركم اي نصب منه حتى نستضيء به يقال اقتبس الرجل
واستقبس اخذ من نار غيره قبسا قيل ارجعوا وراءكم القائل المؤمنون او الملائكة والظاهر ان
وراءكم معمول لارجعوا وقيل لا محل له من الاعراب لانه بمعنى ارجعوا فكانه قيل ارجعوا ارجعوا
كقولهم وراءك اوسع لك اي ارجع تجد مكانا اوسع لك وارجعوا امر توبيخ وطرد اي ارجعوا الى الموقف
حيث اعطينا النور فالتمسوه هناك او ارجعوا الى الدنيا والتمسوا نورا اي بتحصيل سببه وهو الايمان
او تنحوا عنا فالتمسوا نورا غير هذا فلا سبيل لكم الى الاقتباس منه وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو
هو اقناط لهم فضرب بينهم اي بين المؤمنين والمنافقين بسور بحاجز قال ابن زيد هو الاعراف
وقيل حاجز غيره وقرا الجمهور فضرب مبنيا للمفعول وزيد بن علي وعبيد بن عمير مبنيا
للفاعل اي الله ويبعد قول من قال ان هذا السور هو الجدار الشرقي من مسجد بيت المقدس
وهو مروي عن عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وكعب الاحبار ولعله لا يصح عنهم
والسور هو الحاجز الدائر على المدينة للحفظ من عدو والظاهر في باطنه انه يعود الضمير منه
على الباب لقربه وقيل على السور وباطنه الشق الذي لاهل الجنة وظاهره ما يدانيه من قبله من
جهة العذاب ينادونهم استئناف اخبار اي ينادون المنافقون المؤمنين الم نكن معكم اي في

الظاهرة

قوله عز وجل الم يان للذين آمنوا

الظاهرة قالوا بلى ولكنكم فتنتم اي عرضتم انفسكم للفتنة بنفاقكم وتربصتم اي بايمانكم
حتى واقمتم على الكفر او تربصتم بالمؤمنين الدوائر قاله قتادة وارتبتم شككتم
في امر الدين وغرتكم الاماني وهي الاطماع مثل قولهم سيهلك محمد هذا العام
سيهزمه قبيلته قريش ستأخذه الاحزاب الى غير ذلك او طول الآمال في امتداد
الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت على النفاق والغرور الشيطان باجماع
وقرا سماك بن حرب الغرور وتقدم ذلك فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
ايها المنافقون والناصب لليوم الفعل المنفي بلا وفيه حجة على منع ذلك
ولا من الذين كفروا في الحديث ان الله تعالى يقرر الكافر فيقول له ارايتك لو كان
لك اضعاف الدنيا اكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار فيقول نعم يا رب
فيقول الله تبارك وتعالى قد سألتك ما هو ايسر من ذلك وانت في ظهر ابيك آدم ان لا
تشرك بي فابيت الا الشرك وقرا الجمهور لا يؤخذ بالياء وابو جعفر والحسن
وابن ابي اسحق والاعرج وابن عامر وهارون عن ابي عمرو بالتاء لتانيث الفدية هي
مولاكم قيل اولى بكم وهذا تفسير معنى وكانت مولاهم من حيث انها تضمهم وتباشرهم وهي
تكون لكم مكان المولى ونحوه قول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع وقال
الزمخشري ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه
قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم
كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون ٥ اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ٥ ان
المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم ٥ والذين آمنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ٥ اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم
يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ٥ ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور عن عبد الله مكثت الصحابة مكة فنزلت الم يان وعن ابن عباس عوتبوا بعد ثلاث عشرة
سنة وقيل كثر المزاح في بعض شباب الصحابة فنزلت وقرا الجمهور الم والحسن وابو السمال
الما والجمهور يان مضارع انى حان والحسن يئن مضارع آن حان ايضا والمعنى قرب ووقت الشيء
ان تخشع تطمئن وتخبت وهو من عمل القلب ويظهر في الجوارح وفي الحديث اول ما يرفع
من الناس الخشوع لذكر الله اي لاجل ذكر الله كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قيل او لتذكير
الله اياهم وقرا الجمهور وما نزل مشددا ونافع وحفص مخففا والجحدري وابو جعفر
والاعمش وابو عمرو في رواية يونس وعباس عنه مبنيا للمفعول مشددا وعبد الله انزل
بهمزة النقل مبنيا للفاعل والجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة عطفا على ان تخشع وابو
حيوة وابن ابي عبلة واسمعيل عن ابي جعفر وعن شيبة ويعقوب وحمزة في رواية عن سليم عنه
ولا تكونوا على سبيل الالتفات اما نهيا واما عطفا على ان تخشع كالذين اوتوا الكتاب من قبل
وهم معاصرو موسى عليه السلام من بني اسرائيل حذر المؤمنون ان يكونوا مثلهم في قساوة القلوب
اذ كانوا اذا سمعوا التوراة رقوا وخشعوا فطال عليهم الامد اي انتظار الفتح او انتظار القيامة
وقيل امد الحيوة وقرا الجمهور الامد مخفف الدال وهي الغاية من الزمن وابن كثير
بشدها وهو الزمان بعينه الاطول فقست قلوبهم صلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة
يحيي الارض بعد موتها يظهر انه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتاثير ذكر الله فيها
كما يؤثر الغيث في الارض فتعود بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة
يظهر فيها اثر الطاعات والخشوع وقرا الجمهور المصدقين والمصدقات بشد صادهما
وابن كثير وابو بكر والمفضل وابان وابو عمرو في رواية هارون بخفهما وابي بتاء قبل الصاد
فيهما مهذه وقراءة الجمهور من الصدقة واحتمل من التصديق صدقوا رسول الله فيما بلغ عن الله

قال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل
من المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا
واقرضوا انتهى واتبع في ذلك ابا علي الفارسي ولا يصح ان يكون معطوفا على المصدقين لان
المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما بمعطوف وهو قوله والمصدقات ولا يصح ايضا
ان يكون معطوفا على صلة ال في المصدقات لاختلاف الضماير اذ ضمير المصدقات مونث
وضمير واقرضوا مذكر فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه كانه قيل
والذين اقرضوا فيكون مثل قول الشاعر

• فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •

يريد ومن يمدحه وصديق من ابنية المبالغة قال الزجاج ولا يكون فيما احفظ الا من ثلاثي
وقيل يجي من غير الثلاثي كمسيك وليس بشي لانه يقال مسك وامسك فمسيك من مسك والشهدا
الظاهر انه مبتدا خبره ما بعده فيقف على الصديقون وابتدئ [?] وهو من عطف الجمل
وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحاك ان الكلام تام في قوله الصديقون وابتدئ [?] وهو
من عطف الجمل وهذا قول ابن عباس ومسروق واختلف هولاء فبعض قال الشهدا هم
الانبياء يشهدون للمومنين بالصديقية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية
وبعض قال هم الشهداء في سبيل الله استانف الخبر عنهم فكانه جعلهم صنفا مذكورا وحده
لعظم اجرهم وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة والشهدا معطوف على الصديقون والكلام
متصل يعنون من عطف المفردات فبعض قال جعل الله كل مومن صديقا وشهيدا قاله مجاهد
وفي الحديث من رواية البراء مومنو امتي شهدا وانما ذكر الشهداء السبعة تشريفا لهم
لانهم في اعلى رتب الشهادة كما خص المقتول في سبيل الله من السبعة بتشريف ينفرد به وبعض
قال وصفهم بالصديقية والشهادة من قوله لتكونوا شهداء على الناس لهم اجرهم خبر عن
الشهداء فقط او عن من جمع بين الوصفين على اختلاف القولين والظاهر في نورهم انه
حقيقة وقال مجاهد وغيره عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
اخبر بغالب امرها من اشتمالها على اشياء لا تدوم ولا تجدي واما ما كان من الطاعات وضروري
ما يقوم به الاود فليس مندرجا في هذه الآية لعب ولهو كحالة المترفين من الملوك وزينة
تحسين لما هو خارج عن ذات الشي وتفاخر بينكم • وقرأ الجمهور بالتنوين ونصب بينكم
والسلمي بالاضافة وتكاثر بالعدد والعدد على عادة الجاهلية وهذه كلها محقرات بخلاف امر
الاخرة وانها مشتملة على امور حقيقية عظام قال الزمخشري وشبه تعالى حال الدنيا
وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم
كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين انتهى وقال ابن عطية كمثل في موضع رفع صفة لما
تقدم وصورة هذا المثال ان الانسان ينشا في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى
ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم ياخذ بعد ذلك في انحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم
وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتغير رسومه
فامره مثل مطر اصاب ارضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر
ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل انتهى وقيل الكفار الزراع من كفر الحب اي ستره في الارض
وخصوا بالذكر لانهم اهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم الا المعجب حقيقة وقيل من
الكفر بالله لانهم اشد تعظيما للدنيا واعجابا بمحاسنها وحطاما بناء مبالغة كعجاب وقرئ
مصفارا ولما ذكر ما يوول اليه امر الدنيا من الفناء ذكر ما هو ثابت دائم من امر الاخرة من
العذاب الشديد ومن رضاه الذي هو سبب النعيم سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم • ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبراها ان ذلك على الله يسير • لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب
كل مختال فخور • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد

رزقهم صح

قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم

لقد

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد
فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز •
لما ذكر تعالى ما في الاخرة من المغفرة امر بالسابقة اليها والمعنى سابقوا الى سبب مغفرة وهو
الايمان وعمل الطاعات وقد مثل بعضهم المسابقة في انواع فقال عبد الله كونوا في اول الصف
في القتال وقال انس اشهدوا تكبيرة الاحرام مع الامام وقال علي كن اول داخل المسجد وآخر
خارج واستدل بهذا السبق على ان اول اوقات الصلوة افضل وجاء لفظ سابقوا كانهم في
مضمار يجرون الى غاية مسابقين اليها عرضها اي مساحتها في السعة كما قال فذو دعاء عريض
او العرض خلاف الطول فاذا عرف العرض بالبسطة عرف ان الطول ابسط وامد اعدت
يدل على انها مخلوقة وتكرر ذلك في القران تقوي ذلك والسنة ناصة على ذلك وذلك يرد على
المعتزلة في قولهم انها الان غير مخلوقة وستخلق ذلك اي الموعود من المغفرة والجنة
فضل الله عطاوه يعطيه من يشاء وهم المومنون ما اصاب من مصيبة اي مصيبة وذكر
فعلها وهو جائز التذكير والتانيث ومن التانيث ما تسبق من امة اجلها ولفظ مصيبة
يدل على الشر لان عرفها ذلك قال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف المصيبة وهو استعمالها
في الشر وخصها بالذكر لانها اهم على البشر والمصيبة في الارض مثل القحط والزلزلة
وعاهة الزرع وفي الانفس الاسقام والموت وقيل المراد بالمصيبة الحوادث كلها من خير
وشر الا في كتاب هو اللوح المحفوظ اي مكتوبة فيه من قبل ان نبراها اي نخلقها وبرا خلق
والضمير في نبراها الظاهر انه يعود على المصيبة لانها هي المحدث عنها وذكر الارض والانفس
وهو على سبيل ذكر محل المصيبة وقيل يعود على الارض وقيل على الانفس قاله ابن عباس وقتادة
وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر قال ابن عطية وهي كلها معان صحاح
لان الكتاب السابق ازلي قبل هذه كلها انتهى ان ذلك اي تحصيل كل ما ذكر في كتاب وتقديره
على الله يسير اي سهل وان كان عسيرا على العباد ثم بين تعالى الحكمة في اعلامنا بذلك الذي
فعله من تقدير ذلك وسبق قضائه به فقال لكيلا تاسوا اي تحزنوا على ما فاتكم لان العبد
اذا علم ذلك سلم وعلم ان ما فاته لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطيه فلذلك لا يحزن
على فائت لانه ليس بصدد ان يناله ولا يفرح بات لانه ليس بصدد ان يفوته فهون عليه
امر حوادث الدنيا بذلك اذ قد وطن نفسه على هذه العقيدة ويظهر ان المراد بقوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ان يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير فيحدث عنه التسخط وعدم الرضى
بالمقدور ولا تفرحوا بما اتاكم ان يفرح الفرح المودي به الى البطر المنهي عنه في قوله لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين فان الحزن قد ينشا عنه البطر ولذلك ختم بقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور
فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس فمثل
هذا هو المنهي عنه واما الحزن على ما فات من طاعة الله والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع
فهو مندوب اليه وقال ابن عباس ليس احد الا يحزن ويفرح ولكن من اصابته مصيبة فجعلها
صبرا ومن اصاب خيرا فجعلها شكرا انتهى يعني هو المحمود وقال الزمخشري فان قلت
فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور
بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس به انتهى وقرأ الجمهور بما اتاكم اي اعطاكم
وعبد الله اوتيتم مبنيا للمفعول اي اعطيتم وابو عمرو اتاكم اي جاءكم الذين يبخلون اي
هم الذين يبخلون او يكون الذين مبتدا محذوف الخبر على جهة الابهام تقديره مذمومون او
موعودون بالعذاب او مستغنى عنهم او على اضمار اعني فهو في موضع النصب صفة لكل مختال
وان كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة قال ابن عطية هذا مذهب
الاخفش انتهى عظمت الدنيا في اعينهم فبخلوا ان يودوا منها حقوق الله وما كفاهم ذلك حتى امروا
الناس بالبخل ورغبوهم في الامساك والظاهر انهم امروا الناس حقيقة وقيل كانوا قدوة فيه

فكانوا يأمرون به ومن يتولّ عمّا امر الله به وقراءة الجمهور فان الله هو وقرأ نافع وابن عامر باسقاط هو وكذا في مصاحف المدينة والشام وكلتا القراءتين متواترة فمن اثبت هو فقال ابو علي الفارسي يحسن ان يكون فصلًا قال ولا يحسن ان يكون ابتداء لان حذف الابتداء غير سائغ يعني انه في القراءة الاخري حذف ولو كان مبتداء لم يجز حذفه لانك اذا قلت ان زيدا هو الفاضل فاعربت هو مبتدا لم يجز حذفه لان ما بعده من قولك الفاضل صالح ان يكون خبرًا لان فلا يبقي دليل علي حذف هو الرابط ونظيره الذين هم يراءون لا يجوز حذف هم لان ما بعده يصلح ان يكون صلة فلا يبقي دليل علي المحذوف وما ذهب اليه ابو علي ليس بشيء لانه بني ذلك علي توافق القراءتين وتركيب احداهما علي الاخري وليس كذلك الا تري انه يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الاخر كقراءة من قرأ والله اعلم بما وضعتُ بضم التاء والقراءة الاخري بما وضعتْ بتاء التأنيث فضم التاء يقتضي ان الجملة من كلام ام مريم وتاء التأنيث يقتضي انها من كلام الله تعالي وهذا كثير في القراءات المتواترة فكذلك هذا يجوز ان يكون هو مبتداء في قراءة من اثبته وان كان لم يرد في القراءة الاخري ولكل من التركيبين في الاعراب حكم يخصه لقد ارسلنا رسلنا بالبينات الظاهرات الرسل هنا هم من بني ادم والبينات الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب الكتاب اسم جنس ومعهم حال مقدرة اي وانزلنا الكتاب صائرًا معهم اي مقدرًا صحبته لهم لان الرسل منزلين هم والكتاب ولما اشكل لفظ معهم علي الزمخشري فسّر الرسل بغير ما فسرناه فقال لقد ارسلنا رسلنا يعني الملايكة الي الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الي نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي انزل اربع بركات من السماء الي الارض انزل الحديد والنار والماء والملح انتهي واكثر المتاولين علي ان المراد بالميزان العدل وقال ابن زيد وغيره اراد الموازين المصرفة بين الناس وهذا جزء من العدل ليقوم الناس بالقسط الظاهر انه علة لانزال الميزان فقط ويجوز ان يكون علة لانزال الكتاب والميزان معًا لان القسط هو العدل في جميع الاشياء من اسباب التكاليف فانه لا جور في شيء منها ولذلك جاء شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قائمًا بالقسط وانزلنا الحديد عبر عن ايجاده بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام وايضا فان الامر يكون لاشيا لما تلقي من السماء جعل الكل نزولًا منها قاله ابن عطية وقال الجمهور اراد بالحديد جنسه من المعادن وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه السندان والكلبتان والميقعة فيه باس شديد اي السلاح الذي يباشر به القتال ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها وليعلم الله علة لانزال الكتاب والميزان والحديد من ينصره ورسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتب المنزلة وباقامة العدل وبما يعمل من آلة الحرب للجهاد في سبيل الله قال ابن عطية اي ليعلمه موجودًا فالتغير ليس في علم الله بل في هذا الحدث الذي خرج من العدم الي الوجود وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغايبة عنه فامن بها لقيام الادلة عليها ولما قال تعالي من ينصره ورسله وذكر تعالي انه غني عن نصرته بقدرته وعزته وانه انما كلفهم الجهاد لمنفعة انفسهم وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب وقال ابن عطية ويترتب معني الاية بان الله تعالي اخبر بانه ارسل رسله وانزل كتبا وعدة مشروعا وسلاحًا يحارب بها من عاند ولم يهتد بهدي الله فلم يبق عذر في الاية علي هذا التاويل.

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

ولقد ارسلنا نوحًا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا علي آثارهم برسلنا وقفينا بعيسي بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه

رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم • لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون علي شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۞ لما ذكر تعالي ارسال الرسل جملة افرد منهم في هذه الاية نوحًا وابراهيم تشريفًا لهما بالذكر اما نوح فلانه اول الرسل الي من في الارض واما ابراهيم فلانه انتسب اليه اكثر الانبياء وهو معظم في كل الشرايع ثم ذكر اشرف ما حصل لذريتهما وذلك النبوة وهي التي بها هدي الناس من الضلال والكتاب وهي الكتب الالهية الاربعة التوراة والزبور والانجيل والقران وهي جميعها في ذرية ابراهيم عليه السلام وابراهيم من ذرية نوح فصدق انها في ذريتهما وفي مصحف عبد الله والنبية مكتوبة بالياء عوض الواو وقال ابن عباس والكتاب الخط بالقلم والظاهر ان الضمير في فمنهم عايد علي الذرية وقيل يعود الي المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال والمرسلين عليهم ومع ارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العلل بذلك انقسموا الي مهتد وفاسق واخبر بالفسق عن الكثير منهم ثم قفينا اي اتبعنا وجعلناهم يقفون من تقدم علي آثارهم اي آثار الذرية برسلنا وهم الرسل الذين جاءوا بعد الذرية وقفينا بعيسي ذكره تشريفا له ولانتشار امته ونسبه لامه علي العادة في الاخبار عنه وتقدم قراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة في اول سورة آل عمران قال ابو الفتح وهو مثال لا نظير له انتهي وهي لفظة اعجمية فلا يلزم فيها ان تكون علي ابنية كلام العرب وقال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل يعني انه بفتح الباء وكانه عربي واما الانجيل فاعجمي وقرئ رآفة علي وزن فعالة وجعلنا يحتمل ان يكون المعني وخلقنا كقوله وجعل الظلمات والنور ويحتمل ان تكون بمعني صيرنا فتكون في قلوب في موضع المفعول الثاني لجعلنا ورهبانية معطوف علي ما قبله فهي داخلة في الجعل ابتدعوها جملة في موضع الصفة لرهبانية وخصت الرهبانية بالابتداع لان الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع للتكسب قال قتادة الرأفة والرحمة من الله والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن واتخاذ الصوامع وجعل ابو علي الفارسي ورهبانية مقتطعة من العطف علي ما قبلها من رأفة ورحمة فانتصب عنده رهبانية علي اضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب الاشتغال اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه الزمخشري فقال وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها انتهي وهذا اعراب المعتزلة وكان ابو علي معتزليًا وهم يقولون ما كان مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداع الانسان فهي مخلوقة له وهذا الاعراب الذي ليس لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية لان مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ورهبانية لانها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة وروي في ابتداعهم الرهبانية انهم افترقوا ثلاث فرق ففرقة قاتلت الملوك علي الدين فغلبت وقتلت وفرقة قعدت في المدن يدعون الي الدين ويبينونه ولم تقاتل فاخذها الملوك ينشرونهم بالمناشير وقتلوا وفرقة خرجت الي الفيافي وبنت الصوامع والديارات وطلبت ان تسلم علي ان تعتزل فتركت والرهبانية معناها الفعلة المنسوبة الي الرهبان وهو الخايف بني فعلان من رهب كالخشيان

من خشي وقرئ ورهبانية بالضم قال الزمخشري كانها نسبة الي الرهبان
وهو جمع راهب كراكب وركبان انتهي والاولي ان يكون منسوبا الي رهبان وغير بضم
الراء لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الي رهبان الجمع لرد الي مفرده فكان يقال
راهبية الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه علي لفظه كالانصار والظاهر
ان الا ابتغاء رضوان الله استثنا منفصل من ما هو مفعول من اجله وصار المعني انه
تعالي كتبها عليهم ابتغاء مرضاته وهذا قول مجاهد ويكون كتب بمعني قضي وقال
قتادة وجماعة المعني لم يفرضها عليهم ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله فالاستثنا
علي هذا منقطع اي لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان الله والظاهر ان الضمير في رعوها
عايد علي ما عاد عليه في ابتدعوها وهو ضمير الذين ابتدعوا اي لم يرعوها كما يجب علي
الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه وقال نحوه ابن زيد قال لم يديموا علي
ذلك ولا وفوه حقه بل غيروا وبدلوا وعلي تقدير ان فيهم من رعي يكون المعني كما رعوها
باجمعهم وقال ابن عباس وغيره الضمير للملوك الذين حاربوهم واجلوهم وقال
الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين جاوا بعد المبتدعين لها فاتينا الذين امنوا
وهم اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا عيسي عليه السلام وكثير منهم فاسقون
وهم الذين لم يحافظوا علي نذورهم او فاتينا المومنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم
وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين امنوا الظاهر انه نداء لمن
امن من امة محمد صلي الله عليه وسلم فمعني امنوا دوموا واثبتوا وهكذا المعني في كلام
يكون المامور متلبسا بما امر به يوتكم كفلين قال ابو موسي الاشعري كفلين
ضعفين بلسان الحبشة انتهي والمعني انه يوتكم مثل ما وعد من امن من اهل الكتاب
من الكفلين في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين اذ انتم مثلهم في الايمانين لا تفرقون
بين احد من رسله وروي ان مومني اهل الكتاب افتخروا علي غيرهم من المومنين بانهم
يوتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل النداء متوجه لمن امن من
اهل الكتاب فالمعني يا ايها الذين امنوا بموسي وعيسي امنوا بمحمد يوتكم الله كفلين اي
نصيبين من رحمته وذلك لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله من الرسل ويجعل لكم نورا
تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعي نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر
والمعاصي ويويد هذا المعني ما ثبت في الصحيح ثلثة يوتيهم الله اجرهم مرتين
رجل من اهل الكتاب امن بنبيه فامن بي الحديث لئلا يعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا
انهم لم ينالوا شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله
فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط واذا كان النداء لمومني هذه الامة
فالامر لهم فروي انه لما نزل هذا الوعد لهم حسدهم اهل الكتاب وكانت اليهود تعظم دينها
وانفسها وتزعم انهم احباء الله واهل رضوانه فنزلت هذه الاية معلمة ان الله تعالي فعل ذلك
واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون وقرا الجمهور لئلا يعلم ولا زايدة كهي في قوله ما منعك
ان لا تسجد وفي قوله انهم لا يرجعون في بعض التاويلات وقرا خطاب بن عبد الله لان لا يعلم وعبد الله
وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة علي اختلاف ليعلم والجحدري ليعلم اصله لان يعلم
قلب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وادغم النون في الياء بغير غنة كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة وروي
ابن مجاهد عن الحسن ليلا مثل ليلي اسم المراة يعلم برفع الميم اصله لان لا بفتح لام الجر وهي لغة
فحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمعت الامثال وثقل النطق بها فابدلوا
من الساكنة ياء فصار ليلا ورفع الميم لان ان هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع اذ الاصل
انه لا يعلم وقطرب عن الحسن ايضا ليلا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله الا انه كسر اللام علي اللغة الشهيرة
في لام الجر وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله وابن جبير وعكرمة لكي يعلم
وقراءة الجمهور ان لا يقدرون بالنون فان هي المخففة من الثقيلة وعبد الله بحذفها فان الناصبة للمضارع

المفردات ٢
تسع في المجلس
وتسع لغيره

سورة المجادلة

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الي الله والله
يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير • الذين يظهرون منكم من نسايهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا
اللاي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور • والذين يظهرون
من نسايهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله
بما تعملون خبير • فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا ذلك لتومنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم • ان الذين
يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين
عذاب مهين • يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله علي كل شي
شهيد • الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوي ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادني من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبيهم بما عملوا
يوم القيامة ان الله بكل شي عليم • ٥ هذه السورة مدنية قال الكلبي الا قوله ما يكون
من نجوي ثلثة الا هو رابعهم وعن عطاء العشر الاول منها مدني وباقيها مكي قرا
الجمهور قد سمع بالبيان وابو عمرو وحمزة والكسايي وابن محيصن بالادغام قال خلف بن
هشام البزار سمعت الكسايي وابن محيصن بالادغام قال خلف بن هشام البزار سمعت الكسايي
يقول من قرا قد سمع فبين الدال عند السين فلسانه اعجمي ليس بعربي ولا يلتفت الي هذا
القول فالجمهور علي البيان والتي تجادل خولة بنت ثعلبة ويقال بالتصغير وخولة بنت
خويلد او خولة بنت حكيم او خولة بنت دليج او جميلة او خولة بنت الصامت اقوال
للسلف واكثر الرواة علي ان الزوج في هذه النازلة اوس بن الصامت اخو عبادة وقيل
سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته اوس قالت زوجته يا رسول الله اكل اوس شبابي
ونثرت له بطني فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال لها ما اراك الا قد حرمت عليه
فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته
فهذا هو جدالها وكانت في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه
ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاوها الي الله فنزل الوحي عند جدالها قالت
عايشة سبحان من وسع سمعه الاصوات كان بعض كلام خولة يخفي وسمع الله جدالها
فبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم الي اوس وعرض عليه كفارة الظهار العتق
فقال ما املك والصوم فقال ما اقدر والاطعام فقال لا اجد الا ان تعينني
فاعانه عليه السلام بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام وامسك اهله وكان عمر
يكرم خولة اذا دخلت عليه ويقول قد سمع الله لها قال الزمخشري معني قد التوقع
لانه عليه السلام والمجادلة كانا متوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل
في ذلك ما يفرج عنها انتهي وقرا الحرميان وابو عمرو يظهرون بشد الظاء والهاء
وابن عامر يظاهرون مضارع اظاهر والحسن وابو جعفر وقتادة وعاصم وزيد بن علي
يظاهرون مضارع ظاهر وابي يتظاهرون مضارع تظاهر وعنه يتظهرون مضارع تظهر
والمراد به كله الظهار وهو قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يريد في التحريم كانه
اشارة الي الركوب اذ عرفه في ظهور الحيوان والمعني انه لا يعلوها كما لا يعلو امه ولذلك
تقول العرب في مقابلة ذلك نزلت عن امراتي اي طلقتها وقوله منكم اشارة الي توبيخ
العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون ساير
الامم وقرا الجمهور امهاتهم بالنصب علي لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع علي
لغة تميم وابن مسعود بامهاتهم بزيادة الباء قال الزمخشري في لغة من ينصب انتهي
يعني انه لا تزاد الباء في لغة تميم وهذا ليس بشي وقد رد ذلك علي الزمخشري وزيادة
الباء في مثل ما زيد بقايم كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك ابا علي الفارسي ولما
كان معني كظهر امي كامي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر الذي هو الجسد جاء النفي بقوله

٦

٢
من صح

ماهن امهاتهم ثم اكد ذلك بقوله ان امهاتهم اي حقيقة الا اللائي ولدنهم والحق بهن في التحريم
امهات الرضاع وامهات المؤمنين ازواج الرسول عليه السلام والزوجات ليس بامهات حقيقة ولا
ملحقات بهن فقول المظاهر منكم من القول تنكره الحقيقة وينكره الشرع وزور كذب باطل منحرف
عن الحق وهو يحرم تحريم المكروهات جدا واذا وقع لزم وقد رجي تعالي بعده بقوله بانه عفو غفور
مع الكفارة وقال الزمخشري وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تاب عنه ولم يعد اليه
انتهى وهي نزعة اعتزالية والظاهر ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها فلو قال انت علي كظهر اختي
او ابنتي لم يكن ظهارا وهو قول قتادة والشعبي وداود ورواية ابي ثور عن الشافعي وقال الجمهور هو
الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وابو حنيفة ومالك والشافعي في قول هو ظهار
والظاهر ان الذمي لا يلزمه ظهار لقوله منكم اي المؤمنين وبه قال ابو حنيفة وقالت
الشافعي يصح ظهاره والظاهر ان قوله من نسائهم يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات
لا من ظاهر من امة قبل عقد نكاحها وبه قال ابو حنيفة والشافعي لكونها ليست من نسائه وقال
مالك يلزم ظهاره اذا نكحها ويصح من المطلقة الرجعية وقال المزني لا يصح وقال بعض العلماء
لا يصح ظهار غير المدخول بها ولو ظاهر من امته التي يجوز له وطيها لزمه عند مالك وقال
ابو حنيفة والشافعي لا يلزم وسبب الخلاف هو هل تندرج في نسائهم ام لا والظاهر صحة ظهار
العبد لدخوله في يظاهرون منكم لانه من جملة المسلمين وان تعذر منه العتق والاطعام وهو قادر على
الصوم وحكى الثعلبي عن مالك انه لا يصح ظهاره وليست المراة مندرجة في الذين يظاهرون
فلو ظاهرت من زوجها لم يكن شيئا وقال الحسن بن زياد تكون مظاهرة وقال الاوزاعي وعطاء
واسحق وابو يوسف اذا قالت لزوجها انت علي كظهر فلانة فهي يمين تكفرها وقال الزهري
اري ان تكفر كفارة ظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين زوجها ان يصيبها والظاهر ان قوله
ثم يعودون لما قالوا ان يعود للفظ الذي سبق منه وهو قول الرجل ثانيا انت مني كظهر امي
فلا تلزم الكفارة بالقول الاول وانما تلزم بالثاني وهو مذهب اهل الظاهر وروي ايضا عن
بكير بن عبد الله بن الاشج وابي العالية وابي حنيفة وهو قول الفراء وقال طاوس وقتادة
والزهري والحسن ومالك وجماعة لما قالوا اي للوطء والمعنى لما قالوا انهم لا يعودون [illegible]
فاذا ظاهر ووطئ فحينئذ تلزمه الكفارة وان طلق او ماتت وقال ابو حنيفة ومالك ايضا والشافعي
وجماعة معناه يعودون لما قالوا بالعزم على الامساك والوطء فمتى عزم على ذلك طلق او ماتت
قال الشافعي العود الموجب للكفارة ان يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده زمان
يمكن ان يطلقها فيه فلا يطلق وقال قوم المعنى والذين يظاهرون من نسائهم في الجاهلية اي
كان الظهار عادتهم ثم يعودون الي ذلك في الاسلام وقاله القتبي وقال الاخفش
فيه تقديم وتاخير والتقدير فتحرير رقبة لما قالوا وهذا قول ليس بشيء لانه يفسد نظم
الاية فتحرير رقبة اي فعليهم تحرير رقبة والظاهر انه يجزي مطلق رقبة فتجزي الكفارة
وقال مالك والشافعي شرطها الاسلام كالرقبة في كفارة القتل والظاهر اجزاء المكاتب
لانه عبد ما بقي عليه درهم وبه قال ابو حنيفة واصحابه وان عتق نصفي عبدين لا يجزي وقال
الشافعي يجزي من قبل ان يتماسا لا يجوز للمظاهر ان يطأ حتى يكفر فان فعل عصى ولا يسقط
عنه التكفير وقال مجاهد يلزمه كفارة اخرى وقيل يسقط الكفارة الواجبة عليه ولا يلزمه
شيء وحديث اوس بن الصامت يرد على هذا القول وسواء كانت الكفارة بالعتق او الصوم
او الاطعام وقال ابو حنيفة اذا كانت بالاطعام جاز له ان يطأ ثم يطعم وهو ظاهر قوله
فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا اذ لم يقل فيه من قبل ان يتماسا وقيد ذلك في العتق والصوم
والظاهر في التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما قبلة او مضاجعة او غير ذلك من وجوه الاستمتاع
وهو قول مالك واحد قولي الشافعي وقال الاكثرون هو الوطء فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير
وقاله الحسن والثوري وهو الصحيح من مذهب الشافعي والضمير في يتماسا عائد على ما دل عليه
الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلكم توعظون به اشارة الى التحرير اي فعل عظة لكم لتنتهوا عن
الظهار فمن لم يجد اي الرقبة ولا ثمنها او وجدها او ثمنها وكان محتاجا الي ذلك فقال ابو حنيفة

يلزمه

يلزمه العتق ولو كان محتاجا الي ذلك ولا ينتقل الي الصوم وهو الظاهر وقال الشافعي ينتقل
الي الصوم والشهران بالاهلة وان جاء احدهما ناقصا او بالعدد لا بالاهلة فيصوم الي الهلال
ثم شهرا بالهلال ثم يتم الاول بالعدد والظاهر وجوب التتابع فان افطر بغير عذر استانف
او بعذر من سفر ونحوه فقال ابن المسيب والحسن وعطاء ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي
ومالك والشافعي في احد قوليه يبني وقال النخعي وابن جبير والحكم بن عتيبة والثوري واصحاب
الراي والشافعي في احد قوليه والظاهر ان وجدان الرقبة بعد ان شرع في الصوم انه يصوم
ويجزيه وهو مذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه يلزمه العتق ولو وطئ في
خلال الصوم بطل التتابع ويستانف وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي يبطل ان
جامع نهارا لا ليلا فمن لم يستطع اي الصوم لزمانة به او كونه يضعف به ضعفا شديدا كما
في حديث اوس لما قال له فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله اني
اذا لم اكل في اليوم والليلة ثلث مرات كل بصري وخشيت ان يعشو عيني والظاهر مطلق
الاطعام وتخصيصه ما كانت العادة في الاطعام وقت النزول وهو ما يشبع من غير تحديد
عدد ومذهب مالك انه مد وثلث بالمد النبوي وروي عنه ابن منبه مدين بالمد النبوي
وقيل مد وثلثا مد وقيل مد بالمد النبوي ويجب استيعاب العدد ستين عند مالك والشافعي
وهو الظاهر وقال ابو حنيفة واصحابه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل
العدد اجزاه ذلك لتؤمنوا قال ابن عطية اشارة الي الرجعة والتسهيل في النقل من التحرير
الي الصوم والاطعام ثم شدد تعالي بقوله وتلك حدود الله اي فالزموها وقفوا عندها
ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي وقال الزمخشري ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه
عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم
عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون
عليها عذاب اليم انتهى ان الذين يحادون الله ورسوله نزلت في مشركي قريش اخزوا يوم الخندق
بالهزيمة كما كبت من قاتل الرسل من قبلهم ولما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر
المحادين المخالفين لها والمحادة المعادلة والمخالفة في الحدود كبتوا قال قتادة اخزوا
وقال السدي لعنوا وقيل وهي لغة مذحج وقال ابن زيد وابو روق ردوا مخذولين وقال
الفراء غيظوا يوم الخندق كما كبت الذين من قبلهم اي من قاتل الانبياء وقيل يوم بدر وقال ابو عبيدة
والاخفش اهلكوا وعن ابي عبيدة التاء بدل من الدال اي كبدوا اصابهم داء في اكبادهم قيل
والذين من قبلهم منافقوا الامم قبل وكبت بمعنى سيكبتون وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبر
بالماضي لتحقق وقوعه وتقدم الكلام في مادة كبت في آل عمران وقد انزلنا آيات بينات
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين اي الذين يحادونه عذاب مهين
اي يهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين او مهين او اذكر او يكون على انه جواب
لمن سال متى يكون عذاب هؤلاء فقيل له يوم يبعثهم اي يكون يوم يبعثهم الله وانتصب جميعا على
الحال اي مجتمعين في صعيد واحد او معناه كلهم اذ جميع يحتمل ذينك المعنيين فينبئهم بما عملوا
تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه بجميع تفاصيله من كميته وكيفيته وزمانه ومكانه ونسوه لاستحقارهم
اياه واعتقادهم انه لا يقع عليه حساب شهيد لا يخفى عليه شيء وقرا الجمهور ما يكون بالياء
وابو جعفر وابو حيوة وشيبة بالتاء لتانيث النجوى قال صاحب اللوامح وان شغلت بالجار
فهي بمنزلة ما جاءتني من امراة الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة يعني
القراءة العامة قال لانه مسند الى نجوى وهو يقتضي الجنس وذلك مذكر انتهى وليس الاكثر
في هذا الباب التذكير لان من زائدة فالفعل مسند الى مؤنث فالاكثر التانيث وهو القياس
قال تعالى وما تاتيهم من آية من آيات ربهم ما تسبق من امة اجلها وتكون هنا تامة
ونجوى يحتمل ان تكون مصدرا مضافا الى ثلثة اي من تناجي ثلثة او مصدرا على حذف مضاف
اي من ذوي نجوى او مصدرا اطلق على الجماعة المتناجين فثلثة على هذين التقديرين قال ابن
عطية بدل او صفة وقال الزمخشري صفة وقرا ابن ابي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب

على الحال والعامل يتناجون مضمرة تدل عليه نجوى وقال الزمخشري او على تاويل نجوى بمتناجين
ونصبهما من المستكن فيه وقال ابن عيسى كل سرار نجوى وقال ابن سراقة السرار ما كان بين اثنين
والنجوى ما كان بين اكثر قيل نزلت في المنافقين واخص الثلثة والخمسة لان المنافقين كانوا
يتناجون على هذين العددين مغايظة لاهل الايمان والجملة بعد الا في المواضع الثلاثة في
موضع الحال وكونه تعالى رابعهم وسادسهم ومعهم هو بالعلم وادراك ما يتناجون به وقال
ابن عباس نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية تحدثوا فقال احدهم اترى الله يعلم
ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا فقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه
كله ولا ادنى من ذلك اشارة الى الثلاثة والخمسة والادنى من الثلثة الاثنين ومن الخمسة
الاربعة ولا اكثر يدل على ما يلي الستة فصاعدا وقرأ الجمهور ولا اكثر عطفا على لفظ
المخفوض والحسن وابن ابي اسحق والاعمش وابو حيوة وسلام ويعقوب بالرفع عطفا على موضع
نجوى ان اريد به المتناجون ومن جعله مصدرا محضا كان على حذف مضاف اي ولا نجوى ادنى
ثم حذف واقيم المضاف اليه مقامه فاعرب باعرابه ويجوز ان يكون ولا ادنى مبتدا والخبر
الا هو معهم فهو من عطف الجمل وقرأ الحسن ايضا ومجاهد والخليل بن احمد ويعقوب ايضا
ولا اكبر بالباء بواحدة والرفع واحتمل الاعرابين العطف على الموضع والرفع بالابتداء وقرئ
ينبئهم بالتخفيف والهمز وزيد بن علي بالتخفيف وترك الهمز وكسر الهاء والجمهور بالتشديد والهمز
وضم الهاء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ۝ يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون ۝
انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ۝ يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا
قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون
خبير ۝ يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر
فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ۝ ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ۝
نزلت الم تر في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون اليهم ويتغامزون
باعينهم عليهم موهمين المؤمنين عن اقربائهم انهم اصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى تقدم اقرباؤهم
فلما كثر ذلك منهم شكى المؤمنون الى الرسول فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فنزلت
قاله ابن عباس وقال مجاهد نزلت في اليهود وقال ابن السايب في المنافقين وقرأ
الجمهور ويتناجون وحمزة وطلحة والاعمش ويحيى بن وثاب ورويس وينتجون مضارع انتجى
بما لم يحيك به الله كانوا يقولون السام عليك وهو الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لانبيائه
وسلام على عباده الذين اصطفى لولا يعذبنا الله بما نقول اي ان كان نبيا فما له لا يدعو علينا حتى
نعذب بما نقول فقال تعالى حسبهم جهنم ثم نهى المؤمنين ان يكون تناجيهم مثل تناجي الكفار
وبدا بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في النفوس اذ هي ظلامات العباد ثم ترقى الى ما هو
اعظم وهو معصية الرسول وفي هذا طعن على المنافقين اذ كان تناجيهم في ذلك وقرأ
الجمهور فلا تتناجوا وادغم ابن محيصن التاء في التاء وقرأ الكوفيون والاعمش وابو حيوة
ورويس فلا تنتجوا مضارع انتجى والجمهور بضم عين العدوان وابو حيوة بكسرها حيث وقع
والضحاك ومعصيات الرسول على الجمع والجمهور على الافراد وقرأ عبد الله اذا انتجيتم
فلا تنتجوا وال في انما النجوى للعهد في نجوى الكفار بالاثم والعدوان وكونها من الشيطان
لانه هو الذي يزينها لهم فكانها منه ليحزن الذين امنوا كانوا يوهمون المؤمنين ان غزاتهم غلبوا
وان اقاربهم قتلوا وليس اي التناجي او الشيطان او الحزن بضارهم اي المؤمنين الا باذن الله
اي بمشيئته فيقضي بالقتل او الغلبة وقال ابن زيد هي نجوى قوم من المسلمين يقصدون مناجاة

قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا

الرسول

الرسول وليس لهم حاجة ولا ضرورة يريدون التبجح بذلك فيظن المسلمون ان ذلك في اخبار بعدو
قاصد نحوهم وقال عطية العوفي نزلت في المناجات التي يراها المؤمن في النوم تسوءه فكانه
نجوى يناجي بها انتهى ولا يناسب هذا القول ما قبل الاية ولا ما بعدها وتقدمت القراتان
في يحزن ليحزن وقرئ بفتح الياء والزاي فيكون الذين فاعلا وفي القراتين مفعولا ولما
نهى تعالى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر امرهم بما هو سبب للتواد والتقارب
فقال يا ايها الذين امنوا الاية قال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون في مجلس
الرسول فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد مجالس القتال اذا اصطفوا
للحرب وقال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان الصحابة يتشاحون على الصف الاول فلا يوسع
بعضهم لبعض رغبة في الشهادة فنزلت وقرأ الجمهور تفسحوا والحسن وداود بن
ابي هند وقتادة وعيسى تفاسحوا والجمهور في المجلس وعاصم وقتادة وعيسى في المجالس
وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه والظاهر
ان الحكم مطرد في المجالس التي للطاعات وان كان السبب مجلس الرسول وكذا مجالس العلم ۝
ويؤيده قراءة من قرا في المجالس وقيل الاية مخصوصة بمجلس الرسول ويتاول الجمع
على ان لكل احد مجلسا في بيت الرسول وانجزم يفسح الله على جواب الامر اي في رحمته او
في منازلكم في الجنة او في قبوركم او في قلوبكم او في الدنيا والاخرة اقوال واذا قيل انشزوا
اي انهضوا في المجلس للتفسح لان مريد التوسعة على الوارد يرتفع الى فوق فيتسع الموضع
امروا اولا بالتفسح ثم ثانيا بامتثال الامر فيه اذا امروا وقال الحسن وقتادة والضحاك
معناه اذا دعوا الى قتال وصلوة او طاعة نهضوا وقيل اذا دعوا الى القيام عن مجلس الرسول
نهضوا اذ كان عليه السلام احيانا يؤثر الانفراد في امر الاسلام وقرأ ابو جعفر وشيبة
والاعرج وابن عامر ونافع وحفص بضم الشين في اللفظين والحسن والاعمش وطلحة وباقي
السبعة بكسرها والظاهر ان قوله والذين اوتوا العلم معطوف على الذين امنوا والعطف
مشعر بالتغاير وهو من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين العلماء درجات
فالوصفان لذات واحدة وقال ابن مسعود وغيره تم الكلام عند قوله منكم وانتصب
والذين اوتوا العلم بفعل مضمر تقديره ويخص الذين اوتوا العلم درجات فللمؤمنين رفع
وللعلماء درجات بين يدي نجواكم استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن عباس وقتادة ان قوما
من المؤمنين واعيانا لهم كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام في غير حاجة الا لتظهر منزلتهم
وكان عليه السلام سمحا لا يرد احدا فنزلت متشددة عليهم امر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ قبل
العمل به وقال قتادة عمل به ساعة من نهار وقال مقاتل عشرة ايام وقال علي ما عمل به احد
غيري اردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار اتصدق في كل
مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة وقرئ
صدقات بالجمع وقال ابن عباس هي منسوخة بالاية بعدها وقيل باية الزكوة ءاشفقتم
اخفتم من ذهاب المال في الصدقة او من العجز عن وجود ما تتصدقون به فاذ لم تفعلوا
ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم عذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في
الصلوة والزكوة وافعال الطاعات وقرأ عياش عن ابي عمرو وحبيبا بالياء
من بما يعملون بالياء من تحت والجمهور بالتاء الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم
ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ۝ اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء
ما كانوا يعملون ۝ اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ۝ لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ يوم يبعثهم
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون ۝ استحوذ
عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله
قوي عزيز ۝ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه

قوله عز وجل الم تر الى الذين

الله

ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون • الذين تولوا هم المنافقون والمغضوب عليهم هم اليهود
عن السدي ومقاتل انه عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل عبد الله بن سلول وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال
عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت والضمير في ما هم عايد على الذين تولوا وهم المنافقون اي
ليسوا منكم ايها المؤمنون ولا منهم اي ليسوا من الذين تولوهم وهم اليهود وما هم استيناف
اخبار بانهم مذبذبون لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال عليه السلام مثل المنافق
مثل الشاة العايرة بين الغنمين لانه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه وقال ابن عطية
يحتمل تاويلا اخر وهو ان يكون قوله ما هم يريد به اليهود وقوله ولا منهم يريد به المنافقين
فيجي فعل المنافقين على هذا التاويل احسن لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من انفسهم
فيلزمهم ذمامهم ولا من القوم المحقين فتكون الموالاة صوابا انتهى والظاهر التاويل الاول
لان الذين تولوا هم المحدث عنهم والضمير في ويحلفون عايد عليهم فتتناسق الضماير لهم ولا
تختلف وعلى هذا التاويل تكون ما هم استينافا وجاز ان تكون حالا من ضمير تولوا وعلى
احتمال ابن عطية تكون ما هم صفة لقوم ويحلفون على الكذب اي انهم ما سبوا كما روي
في سبب النزول او على انهم مسلمون والكذب هو ما ادعوه من الاسلام وهم يعلمون جملة حالية
تفتح فعلهم اذ حلفوا على خلاف ما ابطنوا فالمعنى وهم عالمون متعمدون له والعذاب الشديد
المعد لهم هو في الاخرة **وقراءة** الجمهور ايمانهم جمع يمين والحسن ايمانهم بكسر الهمزة
اي ما يظهرون من الايمان جنة اي ما يستترون به ويتقون المحذور وهو الترس فصدوا اي اعرضوا
او صدوا الناس عن الاسلام اذ كانوا يثبطون من لقوا عن الاسلام ويضعفون امر الايمان واهله
او صدوا المسلمين عن قتلهم باظهار الايمان وقتلهم هو سبيل الله فيهم لكن بما اظهروه من الاسلام
صدوا به المسلمين عن ذلك لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا تقدم الكلام على هذه
الجملة في اوايل ال عمران فيحلفون له اي لله تعالى الا ترى الى قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين كما يحلفون لكم انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين والعجب منهم كيف يعتقدون ان كفرهم
يخفى على عالم الغيب والشهادة ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعه على كفرهم ونفاقهم
والمقصود انهم مقيمون على الكذب قد تعودوه حتى كان على السنتهم في الاخرة كما كان في الاخرة
ويحسبون انهم على شي اي شي نافع لهم استحوذ عليهم الشيطان اي احاط بهم من كل جهة وغلب
على نفوسهم واستولى عليها وتقدمت هذه المادة في قوله الم نستحوذ عليكم في سورة النساء
وانها من شاذ الجاري العلة اذ اساقها وجمعها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده **وقراءة**
عمر استحاذ اخرجه على الاصل والقياس واستحوذ شاذ في القياس فصيح في الاستعمال
فانساهم ذكر الله فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بالسنتهم وحزب الشيطان جنده قاله
ابو عبيدة اولئك في الاذلين هي افعل التفضيل اي في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل
منهم وعن مقاتل لما فتح الله مكة للمؤمنين والطايف وخيبر وما حولها قالوا نرجوا ان يظهرنا الله
على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها
والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لاغلبن انا ورسلي
كتب اي في اللوح المحفوظ او قضى وقال قتادة بمعنى قال ورسلي اي من بعث منهم بالحرب ومن بعث
منهم بالحجة ان الله قوي ينصر حزبه عزيز يمنعه من ان يذل لا تجد قوما قال الزمخشري من باب
التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والغرض منه انه لا
ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته
والتصلب في مجانبة اعداء الله وزاد ذلك تاكيدا بقوله ولو كانوا اباهم انتهى وبدا بالاباء
لان الواجب على الابناء طاعتهم فنهاهم عن موادتهم وقال تعالى وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب
ثم اتى ثالثا بالاخوان لانهم بهم التعاضد كما قال الشاعر •

اخاك

المفردات

• اخاك اخاك ان من لا اخا له • كساع الى الهيجا بغير سلاح •
ثم رابعا بالعشيرة لان بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع الى ما دعوا اليه كما
قال الشاعر لا يسالون اخاهم حين يندبهم • في النايبات على ما قال برهانا •
وقراءة الجمهور كتب مبنيا للفاعل في قلوبهم الايمان نصبا اي كتب الله وابو حيوة
والمفضل عن عاصم كتب مبنيا للمفعول والايمان رفع والجمهور او عشيرتهم على الافراد وابو
رجاء على الجمع والمعنى اثبت الايمان في قلوبهم وايدهم بروح منه اي منه تعالى وهو الهدى
والنور واللطف وقيل الروح القران وقيل جبريل يوم بدر وقيل الضمير في منه عايد على
الايمان والايمان في نفسه روح يحيى بها المؤمن والاشارة باولئك كتب الى الذين لا يوادون
من حاد الله ورسوله قيل والاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وقيل الظاهر انها متصلة
بالاي التي في المنافقين الموالين لليهود وقيل نزلت في ابي وابو بكر الصديق كان منه سب
للرسول فصكه ابو بكر صكة سقط منها فقال له الرسول او فعلته قال نعم قال لا تعد قال
والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن
الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن
عمير يوم احد وقال ابن شوذب يوم بدر وفي عمر قتل خاله العاصي بن هشام يوم بدر وفي
علي وحمزة وعبيد بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وقال
الواقدي في قصة ابي عبيدة انه قتل اباه قال كذلك تقول اهل الشام وقد سالت رجالا من
بني فهر فقالوا توفي ابوه قبل الاسلام انتهى يعنون في الجاهلية قبل ظهور الاسلام وقد رتب
المفسرون ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم على قصة ابي عبيدة وابي بكر
ومصعب وعمر وعلي وحمزة وعبيد مع اقربائهم **اللينة** قال الاخفش كانه لون من
النخيل اي ضرب منه واصلها لونة قلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها **وانشد**
• قد شجاني الاصحاب حين تغنوا • بفراق الاحباب من فوق لينه •
انتهى وجمعها لين كتمرة وتمر وقد كسروه على ليان وتكسير ما بينه وبين واحده هاء التانيث
فشاذ كرطبة ورطب شذ وا فيه فقالوا ارطاب **وقال الشاعر**
• وسالفة كسحوق الليان • اضرم فيها الغوي السعر •
وقال ابو الحجاج الاعلم الليان جمع لينة وهي النخلة انتهى وتاتي اقوال المفسرين في اللينة
اوجف البعير حمله على الوجيف وهو السير السريع يقول وجف البعير يجف
وجفا ووجيفا ووجفانا **قال العجاج** ناج طواه الاين مما وجفا **وقال**
نصيب • الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك • ولولا انت لم يوجف الركب •
وهو مثل الايضاع ودون التقريب •

• سورة الحشر مدنية •

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار • ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب النار • ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب • ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على
من يشاء والله على كل شي قدير • ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب • هذه السورة مدنية
وقيل نزلت في بني النضير وبنو النضير تعدمن المدينة لتدانيهما ونزلت في بني النضير
وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر

قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الي مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فاخبر جبريل
الرسول بذلك فامر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان اخاه من الرضاعة وكان
عليه السلام قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية
الضمري منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح الحجر على الرسول فعصمه الله فلما قتل كعب
امر الرسول بالمسير الي بني النضير وكانوا بقرية يقال لها الزهرة فسار وهو عليه السلام
على حمار مخطوم بليف فوجدهم ينوحون على كعب وقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك فقال
اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب لنا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا عشرة
ايام ليتجهزوا الي الخروج ودس المنافقون عبد الله بن ابي ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم ولننصرنكم وان اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم اجمعوا
على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخرج في ثلثين من اصحابك ويخرج منا ثلثون
ليسمعوا منك فان صدقوك امنا كلنا ففعل فقالوا كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلثة ونخرج
اليك ثلثة من علمائنا ففعل فاشتملوا على الخناجر وارادوا الفتك فارسلت امرأة منهم ناصحة
الي اخيها وكان مسلما فاخبرته بما ارادوا فاسرع الي الرسول فساره بخبرهم قبل ان يصل الرسول
اليهم فلما كان من الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم
الرعب وايسوا من نصر المنافقين فطلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات
على بعير ما شاؤا من المتاع فجلوا الي الشام الي اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق
وآل حيي بن اخطب فلحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا
وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا وكان ابن ابي قد قال لهم معي الفان من قومي وغيرهم
وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلتهم قريظة
وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال المنافقين واليهود
وتولي بعضهم بعضا ذكر ايضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم وامكان الله رسوله
ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول واظهر العداوة بحلفهم مع قريش تقدم الكلام
في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه بما من اهل الكتاب هم قريظة
وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة بني قريظة ويقال لهما الكاهنان لانهما
من ولد الكاهن بن هرون نزلوا قريبا من المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا للنبي صلى الله
عليه وسلم فكان من امرهم ما قصه الله في كتابه من ديارهم يتعلق باخرج ومن اهل الكتاب
يتعلق بمحذوف اي كائنين من اهل الكتاب وصحت الاضافة اليهم لانهم كانوا نزلوا برية لا
عمران فيها فبنوا فيها وانشؤا واللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله
لدلوك الشمس والمعنى عند اول الحشر والحشر الجمع للتوجيه الي ناحية ما والجمهور على ان
هؤلاء الذين اخرجوهم بنو النضير وقال الحسن هم بنو قريظة ورد عليهم بان بني قريظة ما حشروا
ولا جلوا وانما قتلوا وهذا الحشر هو بالنسبة لاخراج بني النضير وقيل الحشر هو حشر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتائب لقتالهم وهو اول حشر منه لهم واول قتال قاتلهم واول
يقتضي ثانيا فقيل الاول حشرهم للجلاء والثاني حشر عمر لاهل خيبر وجلاؤهم وقد اخبر عليه
السلام بجلاء اهل خيبر بقوله عليه السلام لا يبقين دينان في جزيرة العرب وقال
الحسن اراد حشر القيمة اي هذا اوله والقيام من القبور آخره وقال عكرمة والزهري
المعنى لاول موضع الحشر وهو الشام وفي الحديث انه عليه السلام قال لبني النضير اخرجوا
قالوا الي اين قال الي ارض المحشر وقيل الثاني نار تخرج تحشر الناس من المشرق الي المغرب
وهذا الجلاء كان في ابتداء الاسلام واما الان فقد نسخ ولا بد من القتل او السبي او ضرب
الجزية ما ظننتم ان يخرجوا لعظم امرهم ومنعتهم وقوتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم
وعددهم وظنوا انهم تمنعهم حصونهم من حرب الله وباسه ولما كان ظن المؤمنين منفيا
هنا اجري مجري نفي الرجاء والطمع فتسلط على ان الناصبة للفعل كما تسلط الرجاء
والطمع ولما كان ظن اليهود قويا جدا يكاد ان يلحق بالعلم تسلط على ان المشددة وهي

التي يصحبها غالبا فعل التحقيق كعلمت وتحققت وايقنت وحصونهم الوطيح والمنصاة والسلاليم
والكتيبة وقال الزمخشري **فان قلت** اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم
تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه **قلت** تقديم الخبر على المبتداء
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل
على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم
وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنع انتهى يعني ان حصونهم هو المبتدا ومانعتهم الخبر
ولا يتعين هذا بل الراجح ان يكون حصونهم فاعلة بمانعتهم لان في توجيهه تقديما وتاخيرا
وفي اجازة مثله من نحو قائم زيد على الابتداء والخبر خلاف ومذهب اهل الكوفة منعه فاتاهم
الله باسه اي من حيث لم يحتسبوا اي لم يكن في حسابهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف قاله
السدي وابو صالح وابن جريج وذلك مما اضعف قوتهم وقذف في قلوبهم الرعب فسلب
قلوبهم الامن والطمانينة حتى نزلوا على حكم الرسول يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين قال قتادة خرب المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل ونحوه
قال الضحاك والزجاج وغيرهما كانوا كلما خرب المسلمون من حصونهم هدموا هم
من البيوت وجروا الحصن وقال الزهري وغيره كانوا لما ابيح لهم ما استقلت به الابل لا يدعون
خشبة حسنة ولا سارية الا قلعوها وخربوا البيوت عنها فيكون قوله وايدي المؤمنين
اسناد التخريب اليها من حيث كان المؤمنون محاصرتهم اياهم داعية الي ذلك وقيل سخوا
على ابقائها سليمة فخربوها افسادا **وقرأ** قتادة والجحدري ومجاهد وابو حيوة
وعيسى وابو عمرو يخربون مشددا وباقي السبعة مخففا والقراتان بمعنى واحد عدى خرب
اللازم بالتضعيف وبالهمزة وقال صاحب الكامل في القراات التشديد الاختيار على التكثير
وقال ابو عمرو بن العلاء خرب بمعنى هدم وافسد واخرب ترك الموضع خرابا وذهب
عنه فاعتبروا واتعظوا بما دبر الله من اخراجهم بتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال وقيل
وعد رسول الله المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا اي لولا انه تعالى قضى انه سيجليهم عن
ديارهم ويبقون مدة يؤمن بعضهم ويولد لبعضهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا بالقتل
والسبي كما فعل باخوانهم بني قريظة وكانوا ان بنو النضير من الجيش الذي عصي موسى في سبي الكنا
في كونهم لم يقتلوا الغلام ابن ملك العماليق تركوه لجماله وعقله وكان موسى عليه السلام
لا يستحيي احدا فلما رجعوا الي بني اسرائيل بالشام وجدوا موسى قد مات فقال لهم
بنو اسرائيل انتم عصاة والله لا دخلتم علينا بلادنا فانصرفوا الي الحجاز فكانوا فيه فلم يجر
عليهم الجلاء الذي اجلاه بخت نصر على اهل الشام وكان الله قد كتب على بني اسرائيل
جلاءة فنالهم هذا الجلاء على يد محمد صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا
بالسيف والقتل كاهل بدر وغيرهم ويقال جلا القوم عن منازلهم واجلاهم غيرهم قيل
والفرق بين الجلاء والاخراج ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء
الاهل والولد وقال الماوردي الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج قد يكون لواحد ولجماعة
وقرأ الجمهور الجلاء ممدودا والحسن بن صالح واخوه علي بن صالح مقصورا وطلحة
مهموزا من غير الف كالنباء ولهم في الاخرة عذاب النار اي ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
في الاخرة **وقرأ** طلحة ومن يشاقق بالاظهار كالمتفق عليه في الانفال والجمهور
بالادغام كان بعض الصحابة قد شرع في بعض نخل بني النضير يقطع ويحرق وذلك في
صدر الحرب فقالوا ما هذا الا افساد يا محمد وانت تنهى عن الافساد فكفوا عن ذلك
ونزل ما قطعتم من لينة الاية ردا على بني النضير واخبارا ان ذلك بتسويغ الله
وتمكينه ليخزيكم به ويذلكم واللينة والنخلة اسمان بمعنى واحد قاله الحسن ومجاهد
وابن زيد وعمرو بن ميمون **وقال الشاعر**
كان قتودي فوقها عش طاير ۰ على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وقال الاخر طراق الخوافي واقع فوق لينة • ندي ليله في ريشه يترقرق • وقال
ابن عباس وجماعة من اهل اللغة هي النخلة ما لم تكن عجوة وقال الثوري الكريمة من النخل
وقال ابو عبيدة وسفين ما تمرها لون وهو نوع من التمر يقال له اللون قال سفين هو شديد
الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج وقال ايضا ابو عبيدة اللين الوان النخلة المختلطة
التي ليس فيها عجوة ولا برني وقال جعفر بن محمد هي العجوة وقيل هي السيلان وانشد فيه •
عن سواليه بجري معين • ثم جفا النخيل بالاجام •
وقيل هي اغصان الاشجار للينها فعلى هذا لا يكون اصل الياء الواو وقيل هي النخلة القصيرة
وقال الاصمعي هي الدقل وما شرطية منصوبة بقطعتم ومن لينة تبيين لابهام ما وجواب
الشرط فباذن الله اي فقطعها او تركها باذن الله وقرأ الجمهور قايمة انث قايمة والضمير
في تركتموها على معنى ما وقرأ عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن فعل
كضرب جمع قايم وقرى قايما اسم فاعل مذكر على لفظ ما وانث في على اصولها
وقرى اصلها بغير واو ولما جلا بنو النضير عن اوطانهم وتركوا رباعهم واموالهم
طلب المسلمون تخميسها كغنايم بدر فنزل ما افاء الله على رسوله بين ان اموالهم في لم يوجف
عليها خيل ولا ركاب ولا قطعت مسافة انما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشيا ولم يركب
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب كانت اموال بني النضير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق منها على اهله نفقة سنته ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع
عدة في سبيل الله وقال الضحاك كانت له عليه السلام خاصة فاثر بها المهاجرين وقسمها
عليهم ولم يعط الانصار منها شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة اعطاهم
لفقرهم وما في قوله وما افاء الله شرطية او موصولة وافاء بمعنى يفي ولا يكون ماضيا في اللفظ
والمعنى وكذلك صلة ما الموصولة اذا كانت الفاء في خبرها لانها اذ ذاك شبهت باسم الشرط
ان كانت الاية نزلت قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب فوقع كما اخبرت وان كانت نزلت بعد حصول
اموالهم للرسول كان ذلك بيانا لما يستقبل وحكم الماضي المتقدم حكمه ومن في من خيل زائدة
في المفعول يدل على الاستغراق والركاب الابل سلط الله رسوله عليهم وعلى ما في ايديهم
كما كان يسلط رسله على من يشاء من اعدائهم وقال بعض العلماء كل ما فتح على الايمة
مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة ما افاء الله على رسوله من اهل القرى قال الزمخشري لم
يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنايم
مقسوما على الاقسام الخمسة انتهى وقال ابن عطية اهل القرى المذكورون في هذه الاية هم
اهل الصفراء وينبع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عرينة وحكمها
مخالف لبني النضير ولم يحبس من هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا بل امضاها
لغيره وذلك انها في ذلك الوقت فتحت انتهى وقيل ان الاية الاولى خاصة في بني النضير وهذه
الاية عامة وقرأ الجمهور كيلا يكون بالياء وعبد الله وابو جعفر وهشام بالتاء
والجمهور دولة بضم الدال ونصب التاء وابو جعفر وابو حيوة وهشام بضمهما وعلي والسلمي
بفتحهما قال عيسى بن عمر هما بمعنى واحد وقال الكسائي وحذاق البصرة الفتح في الملك
وضم الميم لانها الفعلة في الدهر والضم في الملك بكسر الميم والضمير في يكون بالتاء تانيث
عايد على معنى ما اذ المراد به الاموال والمغانم وذلك الضمير هو اسم يكون وكذلك من قرأ
بالياء اعاد الضمير على لفظ ما اي يكون الفي وانتصب دولة على الخبر ومن رفع دولة
فتكون تامة ودولة فاعل وكيلا يكون تعليل لقوله فلله وللرسول اي فالفي وحكمه
لله وللرسول يقسمه على ما امره الله كيلا يكون الفي الذي حقه ان يعطى للفقرا بلغة
يعيشون بها متداولا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما
كان رؤساؤهم يستاثرون بالغنايم ويقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون اخذه غلبة
واثره جاهلية وروي ان قوما من الانصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها

سهمنا

سهمنا فنزل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن الكلبي ان رؤسا من المسلمين قالوا له
يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية فنزل وما اتاكم
الرسول فخذوه الاية وهذا عام يدخل فيه قسمة ما افاء الله والغنايم حتى انه قد استدل بهذا
العموم على تحريم الخمر وحكم الواشمة والمستوشمة وتحريم المخيط للمحرم ومن غريب الحكايات
في الاستنباط ان الشافعي قال سلوني عما شئتم اخبركم به من كتاب الله وسنة النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له عبد الله بن محمد بن هرون ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير
عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من
بعدي ابي بكر وعمر وحدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب
عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور انتهى يعني في الاحرام بين انه يقتدى بعمر وان الرسول
امر بالاقتداء به وان الله امر بقبول ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم
الصادقون • والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم • الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله
يشهد انهم لكاذبون • لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون • لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون • لا يقاتلونكم
جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك
بانهم قوم لا يعقلون • للفقراء قال الزمخشري بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي
منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج
رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن
التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا انتهى
وانما جعله الزمخشري بدلا من قوله ولذي القربى لانه مذهب ابي حنيفة لا يستحق ذو القربى
المعنى انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقر شرط فيه على مذهب ابي حنيفة ففسره الزمخشري على
مذهبه واما الشافعي فيرى ان سبب الاستحقاق هو القرابة فياخذ ذو القربى الغني لقرابته وقال
ابن عطية للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى
مجرورة باللام لتبين ان البدل انما هو منها انتهى وقيل يتعلق اللام بما دل عليه قوله كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم اي ولكن تكون للفقراء انتهى ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم
ويوجب الاشفاق عليهم اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم وجهادهم قولا وفعلا والظاهر ان قوله
والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الاموال
وقيل هو مستانف مرفوع بالابتداء والخبر يحبون اثنى تعالى بهذه الخصال الجليلة كما اثنى على المهاجرين
بقوله يبتغون فضلا الى اخره والايمان معطوف على الدار وهي المدينة ليس مكانا فيتبوأ فقيل
هو من عطف الجمل اي واعتقدوا الايمان واخلصوا فيه قاله ابو علي فيكون كقوله فعلفتها تبنا وماء
باردا او يكون ضمن تبوءوا معنى لزموا واللزوم قدر مشترك في الدار والايمان فيصح العطف او لما كان
الايمان قد شملهم صار كالمكان الذي يقيمون فيه لكن يكون ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز قال
الزمخشري او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف
المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
بالايمان وقال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار مع الايمان معا وبهذا الاقتران يصح معنى قوله
من قبلهم فتامله انتهى ومعنى من قبلهم من قبل هجرتهم حاجة هنا اي حسدا مما اوتوا اي
مما اعطي المهاجرون ونعم الحاجة جميع ما فعله الرسول في اعطاء المهاجرين من اموال بني النضير

قوله عز وجل للفقراء المهاجرين

رهم

والقوي ويؤثرون على انفسهم من ذلك قصة الانصاري مع ضيف الرسول حيث لم يكن لهم الا ما يكل الصبية فاوهمه ان ياكل حتي اكل الضيف فقال له الرسول عجب الله من فعلكما البارحة والاية مشيرة الي ذلك وروي غير ذلك في ايثارهم والخصاصة الفاقة ماخوذ من خصاص البيت وهو ما يبقي بين عيدانه من الفرج والفتوح فكان حالة الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج **وقرا** ابو حيوة وابن ابي عبلة ومن يوق بفتح الواو وشد القاف وابن عمرو وابن ابي عبلة شح بكسر الشين والجمهور باسكان الواو وتخفيف القاف وضم الشين والشح اللوم وهو كزازة النفس علي ما عندها والحرص علي المنع **قال الشاعر**

يمارس نفسا بين جنبيه كزة • اذا هم بالمعروف قالت له مهلا •

واضيف الشح الي النفس لانه غريزة فيها وقال تعالى واحضرت الانفس الشح وفي الحديث من ادي الزكوة المفروضة وقري الضيف واعطي في النايبة فقد بري من الشح والذين جاءوا من بعدهم الظاهر انه معطوف علي ما قبله من المعطوف علي المهاجرين فقال الفراء هم الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من امن او كبر في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور اراد من يجي من التابعين فعلي القول الاول يكون معني من بعدهم اي من بعد المهاجرين والانصار السابقين بالايمان وهولاء تاخر ايمانهم او سبق ايمانه وتاخرت وفاته حتي انقرض معظم المهاجرين والانصار وعلي القول الثاني يكون معني من بعدهم اي من بعد ممات الصحابة مهاجريهم وانصارهم واذا كان والذين معطوفا علي المجرور قبله فالظاهر انهم مشاركون من تقدم في حكم الفي وقال مالك ابن اوس قرا عمر انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهولاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم الاية فقال هذه لهولاء ثم قرا ما افاء الله علي رسوله حتي بلغ للفقراء والمهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم ثم قال لين عشت ليوتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها وعنه ايضا انه استشار المهاجرين والانصار فيما فتح الله عليه من ذلك في كلام كثير اخره انه تلا ما افاء الله علي رسوله الاية فلما بلغ اوليكهم الصادقون قال هي لهولاء فقط وتلا والذين جاءو من بعدهم الاية الي قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك وقال عمر لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقيل والذين جاءو من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات فاعرابه والذين مبتدا ندبوا بالدعاء للاولين والثنا عليهم وهم من يجي بعد الصحابة الي يوم القيمة والخبر يقولون اخبر تعالي بانهم لايمانهم ومحبة اسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا وعلي القول الاول يكون يقولون استينافا اخبارا قيل وحال المر الي الذين نافقوا الاية نزلت في عبد الله بن ابي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الانصار وكانوا بعثوا الي بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله يقولون واللام في لاخوانهم للتبليغ والاخوة بينهم اخوة الكفر وموالاتهم ولا نطيع فيكم احدا اي في قتالكم احدا من الرسول والمومنين او لا نطيع فيكم اي في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة ولننصرنكم جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية وجواب ان محذوف والكثير في كلام العرب اثبات اللام الموذنة بالقسم قبل اداة الشرط ومن حذفها قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين التقدير ولين لم ينتهوا الكاذبون اي في مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل علي صحة النبوة لانه اخبار بالغيب ولذلك لم يخرجوا حين اخرج بنو النضير بل اقاموا في ديارهم وهذا اذا كان قوله لاخوانهم انهم بنو النضير وقيل هم يهود المدينة والضماير علي هذين القولين وقيل فيها اختلاف اي لين اخرج اليهود لا يخرج المنافقون ولين قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ولين نصرا اليهود المنافقين ليولن اليهود الادبار وكان صاحب هذا القول نظر الي قوله ولين قوتلوا لا ينصرونهم فقد اخبر انهم لا ينصرونهم فكيف ياتي ولين نصروهم فاخرجه في حيز الامكان وقد اخبر انهم لا ينصرونهم فلا يمكن نصرهم اياهم بعد اخباره تعالي انه لا يقع واذا كانت الضماير متفقة فقال الزمخشري معناه ولين نصروهم علي الفرض والتقدير كقوله لين اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون لو كان كيف يكون وقال ابن عطية معناه ولين خالوا ذلك فانهم ينهزمون انتهي والظاهر ان الضمير في ليولن الادبار وفي لا ينصرونهم عايد علي المفروض انهم ينصرونهم اي ولين نصرهم

المنافقون

المنافقون ليولين المنافقون الادبار ثم لا ينصر المنافقون وقيل الضمير في التولي عايد علي اليهود وكذا في لا ينصرون قال ابن عطية وجاءت الافعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة علي حكم القسم لا علي حكم الشرط وفي هذا نظر انتهي واي نظر في هذا وهذا جاء علي القاعدة المتفق عليها من انه اذا تقدم القسم علي الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان فعله بصيغة المضي او مجزوما بلم وله شرط وهو انه لا يتقدمه طالب خبر واللام في لانتم موذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له وقد اجاز الفراء ان يجاب الشرط وان يقدم القسم ورده عليه البصريون ثم خاطب المومنين بان هولاء يخافونكم اشد من خشية الله لانهم يتوقعون عاجل شركم ولعدم ايمانهم لا يتوقعون اجل عذاب الله وذلك لقلة فهمهم ورهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه اشد مرهوبية فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين والمخاطبون مرهوبون وهذا كما قال الشاعر

فلهو اخوف عندي اذ اكلمه • وقيل انك ماسور ومقتول •

من ضيغم بثراء الارض مخدره • ببطن عثر غيل دونه غيل •

فالمخبر عنه مخوف لا خايف والضمير في صدورهم قيل لليهود وقيل للمنافقين وقيل للفريقين وجعل الصدور مقرا للرهبة دليل علي تمكنها منهم بحيث صارت الصدور مقرا لها والمعني رهبتهم منكم اشد من رهبتهم من الله لا يقاتلونكم اي بنو النضير وجميع اليهود وقيل اليهود والمنافقون جميعا اي مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضا الا في قري محصنة لا في الصحراء لخوفهم منكم وتحصينها بالدروب والخنادق او من وراء جدار يتسترون به من ان تصيبوهم **وقرا** الجمهور جدر بضمتين جمع جدار وابو رجاء والحسن وابن وثاب باسكان الدال تخفيفا وروي عن ابن كثير وعاصم والاعمش **وقرا** ابو عمرو وابن كثير وكثير من المكيين جدار بالالف وكسر الجيم وقرا كثير من المكيين وهارون عن ابن كثير جدر بفتح الجيم وسكون الدال **قال** صاحب اللوامح وهو واحد بلغة اليمن **وقال** ابن عطية ومعناه اصل بنيان كالسور ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخل اي من وراء نخلهم اذ هي مما يتقي به عند المصافة باسهم بينهم شديد اي اذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان باسهم شديدا اما اذا قاتلوكم فلا يبقي لهم باس لان من حارب اولياء الله خذل تحسبهم جميعا اي مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتي اي والهواهم متفرقة وكذا حال المخذولين لا تستقر احوالهم علي شي واحد وموجب ذلك الشتات هو انتفاء عقولهم فهم كالبهايم لا تتفق علي حالة وقرا الجمهور شتي بالف التانيث ومبشر بن عبيد منونا جعلها الف الالحاق وعبد الله وقلوبهم اشت اي اشد تفرقا ومن كلام العرب شتي توب الحلبة **قال الشاعر**

الي الله اشكو نية شقت العصا • هي اليوم شتي وهي امس جميع •

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اوليك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفايزون لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسني يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم • كمثل خبر مبتدا محذوف اي مثلهم اي بني النضير كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو قينقاع اجلاهم الرسول من المدينة قبل بني النضير فكانوا مثلا لهم قاله ابن عباس او اهل بدر الكفار فانه عليه السلام قتلهم وهلكهم اي ان غلبوا وقهروا وقيل الضمير في من قبلهم للمنافقين والذين من قبلهم منافقوا الامم الماضية غلبوا وذلوا علي وجه الدهر فهولاء مثلهم ويبعد هذا التاويل لفظة قريبا ان جعلته متعلقا بما قبله وقريبا ظرف زمان وان جعلته معمولا لذاقوا اي ذاقوا وبال امرهم قريبا من عصيانهم اي لم تتاخر عقوبتهم في الدنيا كما لم تتاخر عقوبة هولاء ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان مثلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالانسان والجمهور علي ان الشيطان والانسان اسما جنس يورطه في المعصية ثم يفر منه كذلك اغوي المنافقون بني النضير وحرضوهم

قوله عز وجل كمثل الذين من قبلهم

على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير خذلهم المنافقون وتركوهم في اسواء حال
وقيل المراد استغواء الشيطان قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم الي قوله اني بريء منكم وقيل التمثيل بشيطان مخصوص مع عابد مخصوص استودع امراة
فوقع عليها فحملت فخشي الفضيحة فقتلها ودفنها سول له الشيطان ذلك ثم شهره فاستخرجت
فوجدت مقتولة وكان قال انها ماتت ودفنتها فعلموا لذلك فتعرض له وقال اكفر واسجد لي
وانجيك ففعل وتركه عند ذلك وقال انا بريء منك وقول الشيطان اني اخاف الله رياء ولا يمنعه
الخوف عن سوء يورط فيه ابن آدم وقراء الجمهور عاقبتهما بنصب التاء والحسن وعمرو بن عبيد
وسليم بن ارقم برفعهما والجمهور خالدين بالياء حالا وفي النار خبران وعبد الله وزيد بن علي والاعمش
وابن ابي عبلة بالالف فجاز ان يكون خبران والظرف ملغي وان كان قد اكد بقوله فيها وذلك
جائز على مذهب س ومنع ذلك اهل الكوفة لانه اذا اكد عندهم لا يلغي ويجوز ان يكون في النار
خبرا لان وخالدان خبرا ثانيا فلا يكون فيه حجة على مذهب س ولما انقضى في هذه السورة
وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين لان الموعظة بعد ذكر المصيبة لها موقع في النفس
لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب وكرر الامر بالتقوى على سبيل التوكيد او لاختلاف
متعلق التقوى فالاولى في اداء الفرايض لانه مقترن بالعمل والثانية في ترك المعاصي
لانه مقترن بالتهدد والوعيد وقراء الجمهور ولتنظر امرا واللام ساكنة وابو حيوة
ويحيى بن الحرث بكسرها وروي ذلك عن حفص عن عاصم والحسن بكسرها وفتح الراء جعلها لام كي
ولما كان امر القيمة كاينا لا محالة عبر عنه بالغد وهو اليوم الذي يلي يومك على سبيل التقريب
وقال الحسن وقتادة لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه كان لم تغن بالامس يريد تقريب
الزمان الماضي وقيل عبر بالاخرة عن الغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد قال ابن عطية
ويحتمل ان يريد بقوله لغد ليوم الموت لان لكل انسان كغده وقال مجاهد وابن زيد الامس الدنيا
وغد الاخرة وقال الزمخشري اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة
كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد
لا يعرف كنهه لعظمه انتهى وقراء الجمهور لا تكونوا بتاء الخطاب وابو حيوة بياء الغيبة على
سبيل الالتفات وقال ابن عطية كناية عن نفس التي هي اسم الجنس كالذين نسوا هم الكفار وتركوا
عبادة الله وامتثال ما امر واجتناب ما نهي وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم فانساهم
انفسهم حيث لم يسعوا لها في الخلاص من العذاب وهذا من المجازاة على الذنب بالذنب عوقبوا
على نسيان جهة الله بان انساهم انفسهم قال سفين المعنى حظ انفسهم ثم ذكر مباينة
للفريقين اصحاب النار في الجحيم واصحاب الجنة في النعيم كما قال افمن كان مومنا كمن كان
فاسقا لا يستوون وقال ام نجعل المتقين كالفجار لو انزلنا هذا القران هذا من باب التخييل
والتمثيل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ودل على ذلك وتلك الامثال نضربها للناس
والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تاثره لهذا الذي لو انزل على الجبل لتخشع
وتصدع واذا كان الجبل على عظمه وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع فابن آدم كان اولى بذلك
لكنه على حقارته وضعفه لا يتاثر وقراء طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد وابو السمال
وابو دينار الاعرابي القدوس بفتح القاف والجمهور على الفك والضم وقراء الجمهور المومن
بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى امن وقال ثعلب المصدق المومنين في انهم امنوا وقال النحاس
او في شهادتهم على الناس يوم القيامة وقيل المصدق نفسه في اقواله الازلية وقراء
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابو جعفر المدني المومن بفتح الميم قال ابو حاتم لا يجوز ذلك لانه
لو كان كذلك لكان المومن به وكان جائزا لكن المومن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا
فامن وقال الزمخشري بمعنى المومن به على حذف حرف الجر كما تقول في قوم موسى من قوله
واختار موسى قومه المختارون المهيمن تقدم شرحه الجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد وقيل
الجبار الذي لا يدانيه شيء ولا يلحق ومنه نخلة جبارة اذا لم تلحق وقال الشاعر

سوابق جبارا اثيث فروعه ۞ وعالين قنوانا من البسر احمرا

وقال ابن عباس هو العظيم وجبروته عظمته وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح جبرت العظم اصلحته

بعد

بعد الكسر وقال الفراء من اجبره على الامر قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك
انتهى وسمع اسار من اسار المتكبر المبالغ في الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده
الخالق المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل
وقراء علي وحاطب بن ابي بلتعة والحسن وابن السميفع المصور بفتح الواو والراء
وانتصب مفعولا بالباري واراد به جنس المصور وعن علي فتح الواو وكسر الراء على اضافة اسم
الفاعل الي المفعول نحو الضارب الغلام

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل • ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون • لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة
يفصل بينكم والله بما تعملون بصير • قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير • ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا
انك انت العزيز الحكيم • لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد • عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير
والله غفور رحيم • لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين • انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون • هذه السورة مدنية
ونزلت بسبب حاطب بن ابي بلتعة كان قد وجه كتابا مع امراة الى اهل مكة تخبرهم بان رسول الله
متوجه اليهم لغزوهم فاطلع الله رسوله على ذلك ووجه الى المراة من اخذ الكتاب منها والقصة
مشهورة في كتب الحديث والتفسير ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر فيما قبلها حال
المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد اليهم واضاف في قوله عدو
تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقاب الله بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع واولياء مفعول
ثان لتتخذوا تلقون بيان لموالاتهم فلا موضع له من الاعراب او استيناف اخبار وقال الحوفي والزمخشري
حال من الضمير في لا تتخذوا او صفة لاولياء وهذا تقدمه اليه الفراء قال تلقون اليهم بالمودة
من صلة اولياء انتهى وعندهم ان النكرة توصل وعند البصريين لا توصل بل توصف والحال والصفة
قيد وهم قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا والتقييد يدل على انه يجوز ان يتخذوا اولياء اذا لم يكونوا
في حال القاء المودة او اذا لم يكن الاولياء متصفين بهذا الوصف وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فدل على انه لا تتقيد تلك الحال ولا ذلك الوصف والالقاء
عبارة عن الافضاء بالمودة ومفعول تلقون محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره والباء
في بالمودة للسبب اي بسبب المودة التي بينهم وقال الكوفيون الباء زائدة كما قيل في ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة اي ايديكم قال الحوفي وقال البصريون هي متعلقة بالمصدر الذي دل عليه
الفعل وكذلك قوله بالحاد بظلم اي ارادته بالحادا انتهى فعلى هذا يكون بالمودة متعلقا بالمصدر
اي القاوهم بالمودة وهذا ليس بجيد لان فيه حذف المصدر وهو موصول وحذف الخبر اذ القاوهم
مبتدا وبما يتعلق به وقد كفروا جملة حالية وذو الحال الضمير في تلقون اي توادونهم وهذه
حالهم وهي الكفر بالله ولا يناسب الكافر بالله ان يود واجاز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل
لا تتخذوا وقراء الجمهور بما جاءكم والجحدري والمعلى عن عاصم لما باللام مكان الباء اي لاجل
ما جاءكم يخرجون الرسول استيناف كالتفسير لكفرهم او حال من ضمير كفروا واياكم معطوف على
الرسول وقدم على اياكم الرسول لشرفه ولانه الاصل للمومنين به ولو تقدم الضمير لكان جائزا
في العربية خلافا لمن خص ذلك بالضرورة قال لانك قادر على ان تاتي به متصلا فلا تنفصل الا

في الضرورة وهو محجوج بهذه الآية وبقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وتقدم الموصول هنا على المخاطبين للتشريف في الزمان وبغير ذلك من كلام
العرب وان تؤمنوا مفعول من اجله اي يخرجون لايمانكم او كراهة ايمانكم ان كنتم خرجتم
شرط جوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله لا تتخذوا عدوي ونصب جهادا وابتغاء
على المصدر في موضع الحال اي مجاهدين ومبتغين او على انه مفعول من اجله تسرون استئناف
اي تسرون وقد علمتم اني اعلم الاخفاء والاعلان واطلع الرسول على ذلك فلا طائل في فعلكم
هذا وقال ابن عطية تسرون بدل من تلقون انتهى وهو شبيه ببدل الاشتمال لان الالقاء
يكون سرا وجهرا فهو ينقسم الى هذين النوعين واجاز ايضا ان يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره انتم تسرون والظاهر ان اعلم افعل تفضيل ولذلك عداه بالباء واجاز ابن عطية
ان يكون مضارعا عدي بالباء قال لانك تقول علمت بكذا وانا اعلم جملة حالية والضمير
في ومن يفعله الظاهر انه الى اقرب مذكور اي ومن يفعل الاسرار وقال ابن عطية يعود
على الاتخاذ وانتصب سواء على المفعول به على تقدير تعدي ضل او على الظرف او على تقدير
اللزوم والسواء الوسط ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء وشرح ما به الولاية
من القاء بالمودة بينهم وذكر ما صنع الكفار بهم اولا من اخراج الرسول والمؤمنين ذكر
صنيعهم اخرا لو قدروا عليه من انه ان يتمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم ويبسطوا ايديهم
بالقتل والتعذيب والسنتهم بالسب وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو احب الاشياء
اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم قال الزمخشري **فان قلت** كيف اورد جواب
الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي **قلت** الماضي وان كان
يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل
كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والاخرة جميعا انتهى
وكان الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط فجعل ذلك سؤالا وجوابا
والذي يظهر ان قوله وودوا ليس معطوفا على جواب الشرط لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة
على الظفر بهم والتسليط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم او لم
يظفروا وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء اخبر تعالى بخبرين احدهما انثناء عداوتهم
والبسط اليهم ما ذكر على تقدير الظفر بهم والاخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم ولما
كان حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب الى اهلها بما كتب ليرعوه في قرابته قال تعالى
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم ويوم معمول لتنفعكم او ليفصل **وقرا** الجمهور يفصل بالياء مخففا مبنيا
للمفعول **وقرا** الاعرج وعيسى وابن عامر كذلك الا انه مشدد والمرفوع اما بينكم وهو
مبني على الفتح لاضافته الى مبني واما ضمير المصدر المفهوم من يفصل اي يفصل هو اي الفصل
وقرا عاصم والحسن والاعمش يفصل بالياء مخففا مبنيا للفاعل وحمزة والكسائي وابن
وثاب مبنيا للفاعل وبالياء مضمومة مشددا وابو حيوة وابن ابي عبلة كذلك الا انه خفف
والنخعي وطلحة كذلك الا انه بالنون مشددا وهما ايضا وزيد بن علي بالنون مفتوحة مخففا
مبنيا للفاعل وابو حيوة ايضا بالنون مضمومة فهذه ثماني قراءات ولما نهى عن موالاة الكفار
ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وان من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتاسوا
وقراءة الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها وهما لغتان والذين معه قيل من آمن به
وقال الطبري وغيره الانبياء معاصروه او كانوا قريبا من عصره لانه لم يرو انه كان له اتباع
مؤمنون في مكافحته لهم ونمروذ الا تراه قال لسارة حين رحل الى الشام مهاجرا من بلد نمروذ ما
على الارض من يعبد الله غيري وغيرك والتاسي بابراهيم عليه السلام هو في التبرؤ من الشرك
وهو في كل ملة ولرسولنا عليه السلام على الاطلاق في العقائد واحكام الشرع **وقراءة**
الجمهور برءاء جمع بريء كظريف وظرفاء وعيسى براء جمع بريء ايضا كظريف وظراف وابو جعفر
بضم الباء كتؤام وظؤار وهو اسم جمع الواحد بريء وتوام وظئر وروي عن عيسى قال ابو حاتم

زعموا

زعموا ان عيسى الهمداني وعنه براء على فعال كالذي في قوله انني براء مما تعبدون
في الزخرف وهو مصدر على فعال يوصف به المفرد والجمع وقال الزمخشري وبراء على
ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب انتهى فالضمة في ذلك ليست بدلا من كسرة بل هي ضمة
اصلية وهو قرئ من اوزان اسماء الجموع وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلا من الكسرة
الا قول ابراهيم استثناء من قوله اسوة حسنة قاله قتادة والزمخشري قال مجاهد وقتادة
وعطاء الخراساني وغيرهم المعنى ان الاسوة لكم في هذا الوجه لا في الوجه الاخر لانه
كان لعلة ليست في نازلتكم وقال الزمخشري **فان قلت** فان كان قوله لاستغفرن
لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو
غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله فمن يملك من الله شيئا **قلت** اراد
استثناء قوله جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له
كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار انتهى وقال الزمخشري ايضا
بعد ان ذكر ان الاستثناء هو من قوله اسوة حسنة قال لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم
الذي حق عليهم بان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها انتهى والذي يظهر انه مستثنى
من مضاف لابراهيم تقديره اسوة حسنة في مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك فليس فيه اسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلا واما ان يكون
قول ابراهيم مندرجا في اسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتداء والتاسي فالقول
ليس مندرجا تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم وقال ابن عطية ويحتمل
ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت لم تبق جملة الا كذا انتهى وقيل
هو استثناء منقطع المعنى لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تاتسوا به فيه
فتستغفروا وتفدوا لابائكم الكفار بالاستغفار ربنا عليك توكلنا وما بعده الظاهر
انه من تمام قول ابراهيم متصلا بما قبل الاستثناء وهو من جملة ما يتاسى به فيه
وفصل بينهما بالاستثناء اعتناء بالاستثناء ولقربه من المستثنى منه ويجوز ان يكون
امرا من الله للمؤمنين اي قولوا ربنا عليك توكلنا علمهم بذلك قطع العلائق التي بينهم
وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة قال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيسبونا ويعذبونا
وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم اي بعذاب من عندك فيظنوا انهم محقون وانا مبطلون
فيفتتنوا لذلك وقال قريبا منه قتادة وابو مجلز وقول ابن عباس ارجح لان دعاء الانسان
على قول غيره دعاء للكفار والضمير في فيهم عائد على ابراهيم والذين معه وكررت
الاسوة توكيدا او اكد ذلك القسم ايضا ولمن يرجو بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل
وروي انه لما نزلت هذه الايات عزم المسلمون على اظهار عداوات اقربائهم الكفرة ولحقهم
لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادوا فنزل عسى الله الاية مؤنسة وموجبة فاسلم الجميع عام الفتح
وصاروا اخوانا ومن ذكر ان هذه المودة هي تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
بنت ابي سفيان وانها كانت بعد الفتح فقد اخطا لان تزويجها كان وقت هجرة الحبشة
وهذه الايات سنة ست من الهجرة ولا يصح ذلك عن ابن عباس الا ان يسوقه مثالا وان
كان متقدما لهذه الاية لانه استمر بعد الفتح كاستمرار ما نشا من المودات قاله ابن
عطية وعسى من الله واجبة الوقوع والله قدير على تقلب القلوب وتيسير العسير
والله غفور لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله الاية قال مجاهد نزلت في قوم بمكة امنوا
ولم يهاجروا فكانوا في رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة وقيل في مؤمنين من اهل مكة وغيرها
تركوا الهجرة وقال الحسن وابو صالح في خزاعة وبني الحارث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل
من العرب كانوا مظاهرين للرسول محبين فيه وفي ظهوره وقيل فيمن لم يقاتل ولا اخرج
ولا اظهر سوءا من كفار قريش وقال مرة الهمداني وعطية العوفي في قوم من بني
هاشم منهم العباس وقال عبد الله بن الزبير في النساء والصبيان من الكفرة وقال النحاس
والثعلبي اراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة وقيل قدمت على
اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن

لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن
اليها قال ابن عطية وكانت المراة خالتها فيما روي فسمتها اما وفي التحرير ان ابا بكر الصديق
طلق امراة تسمى قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت ابي بكر فقدمت في المدة التي فيها الهدنة
واهدت الى اسماء قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها فنزلت الاية وان تبروهم وان تولوهم
بدلا مما قبلهما بدل اشتمال يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر
واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم • وان فاتكم
شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا
الله الذي انتم به مومنون • يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله
شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم • يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور •
يا ايها الذين امنوا كان صلح الحديبية قد تضمن ان من اتى اهل مكة من المسلمين لم يرد اليهم ومن
اتى المسلمين من اهل مكة رد اليهم فجاءت ام كلثوم وهي بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول امراة
هاجرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فخرج في اثرها اخواها عمارة
والوليد فقالا يا محمد اوف لنا بشرطنا فقالت يا رسول الله حال النساء الى الضعف كما قد
علمت فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنقض الله العهد في النساء وانزل فيهن
الاية وحكم بحكم رضوه كلهم وقيل سبب نزولها سبيعة بنت الحرث الاسلمية جاءت الحديبية
مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وطينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا ان الشرط
انما كان في الرجال دون النساء وذكر ابو نعيم الاصبهاني ان سبب نزولها اميمة بنت بشر
ابن عمرو بن عوف امراة حسان بن الدحداحة وسماهن تعالى مومنات قبل ان يمتحن وذلك
لنطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان
وقري مهاجرات بالرفع على البدل من المومنات وامتحانهن قالت عائشة
باية المبايعة وقيل بان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ابن عباس بالحلف
انها ما خرجت الا حبا لله ورسوله ورغبة في دين الاسلام وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة
وعكرمة كانت تستحلف انها ما هاجرت لبغض في زوجها ولا لجريرة جرتها ولا لسبب من
اغراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الاخرة الله اعلم بايمانهن لانه تعالى هو المطلع
على اسرار القلوب ومخبات العقائد فان علمتموهن مومنات اطلق العلم على الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات بالخروج من الوطن والحلول في قوم ليسوا من قومها وبين علة انتفاء
رجعهن الى الكفار ازواجهن وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر وقرا طلحة
لا هن يحللن لهم وانعقد التحريم بهذه الجملة وجاء قوله ولا هم يحلون لهن على سبيل التاكيد
وتشديد الحرمة لانه اذا لم تحل المومنة للكافر علم انه لا حل بينهما البتة وقيل افاد قوله
ولا هم يحلون لهن استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا على الاشراك وهن
على الايمان واتوهم ما انفقوا امر ان يعطى الزوج الكافر ما انفق على زوجته اذا اسلمت
فلا تجمع عليه خسران الزوجية والمالية قال ابن عباس اعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد امتحانها زوجها الكافر بعد ما انفق عليها فتزوجها عمر وكان اذا امتحنهن
اعطى ازواجهن مهورهن وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما كان في نساء اهل العهد
فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليه الصداق والامر كما قال قتادة ثم نفى الحرج
في نكاح المومنين اياهن اذا اتوهن مهورهن ثم امر تعالى المومنين بفراق نسائهم الكوافر
عوابد الاوثان وقراء الجمهور تمسكوا مضارع امسك كاكرم وابو عمرو ومجاهد بخلاف
عنه وابن جبير والحسن والاعرج مضارع مسك مشددا والحسن ايضا وابن ابي ليلى وابن عامر

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

في رواية

في رواية عبد الحميد وابو عمرو في رواية معاذ تمسكوا بفتح الثلاثة مضارع تمسك محذوف
التاء اي يتمسكوا والحسن ايضا تمسكوا بكسر السين مضارع مسك ثلاثيا وقال الكرخي الكوافر
يشمل الرجال والنساء فقال له الفارسي النحويون لا يرون هذا الا في النساء جمع كافرة •
فقال اليس يقال طايفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي فبهت وقلت هذا تاييد
انتهى والكرخي هذا معتزلي فقيه وابو علي معتزلي فاعجبه هذا التخريج وليس بشيء لانه
لا يقال كافرة في وصف الرجال الا تابعا لموصوفها او يكون محذوفا مرادا اما بغير ذلك
فلا يجمع فاعلة على فواعل الا ويكون للمونث والعصم جمع عصمة وهي سبب البقاء في الزوجية
واسالوا ما انفقتم اي واسالوا الكافرين ما انفقتم على ازواجكم اذا فروا اليهم وليسالوا
اي الكفار ما انفقوا على ازواجهم اذا فروا الى المومنين ولما تقرر هذا الحكم قالت قريش
فيما روي لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الاخرى
وان فاتكم فامر تعالى المومنين ان يدفعوا من فرت زوجته من المسلمين ففاتت بنفسها الى الكفار
وانقلبت من الاسلام ما كان امهرها قاله الحسن فان قلت هل لايقاع شيء في هذا
الموضع فايدة قلت نعم الفايدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل
وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه انتهى واللاتي ارتددن من نساء المهاجرين
ولحقن بالكفار ام الحكم بنت ابي سفين زوج عياض بن شداد الفهري واخت ام سلمة فاطمة
بنت ابي امية زوج عمر بن الخطاب وعبدة بنت عبد العزى زوج هشام بن العاصي وام كلثوم
بنت جرول زوج عمر ايضا وذكر الزمخشري انهن ست فذكر ام الحكم وفاطمة وعبدة وذكر
ان زوجها عمرو بن عبد ود وكلثوم وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وهند بنت ابي جهل
كانت تحت هشام بن العاصي اعطى ازواجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهورهن من الغنيمة
وقراء الجمهور فعاقبتم بالف ومجاهد والزهري والاعرج وعكرمة وحميد وابو حيوة
والزعفراني بشد القاف والنخعي والاعرج ايضا وابو حيوة ايضا والزهري ايضا وابن وثاب
بخلاف عنه بخف القاف مفتوحة ومسروق والنخعي ايضا والزهري ايضا بكسرها ومجاهد
ايضا فاعقبتم على وزن افعل ويقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جاء فعل كل واحد منهما
بعقب فعل الاخر ويقال اعقب قال الشاعر

• وحاردت النكد الجلاد ولم يكن • لعقبة قدر المستعيرين معقب •

وعقب اصاب عقبى والتعقيب غزو اثر غزو وعقب بفتح القاف وكسرها مخففا وقال الزمخشري
فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور
نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها
من مهر المهاجرة ولا توتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم
ومعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين
يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى وقال الزجاج فعاقبتم
فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي
كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والكفار من قوله الى الكفار ظاهره العموم في جميع الكفار
قاله قتادة ومجاهد قال قتادة ثم نسخ هذا الحكم وقال ابن عباس يعطى من الغنيمة قبل
ان يخمس وقال الزهري من مال الفيء وعنه من صداق من لحق بنا وقيل الكفار مخصوص باهل
العهد وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال الثوري لا يعمل به اليوم وقال
مقاتل كان في عهد الرسول فنسخ وقال ابن عطية هذه الاية كلها قد ارتفع حكمها وقال
الحافظ ابو بكر بن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة
باجماع الامة وقال القشيري قال قوم هو ثابت الحكم الى الان يا ايها النبي اذا جاءك
المومنات يبايعنك كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة
الرجال وهو على الصفا وعمر اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وما مست يده عليه
السلام يد امراة قط وقالت اسماء بنت يزيد بن السكن كنت في النسوة المبايعات فقلت

يارسول الله ابسط يدك نبايعك فقال لي عليه السلام اني لا اصافح النساء لكن اخذ عليهن ما اخذ الله
عليهن وكانت هند بنت عتبة في النساء فقراء عليهن الاية فلما قررهن علي ان لا يشركن بالله شيئا
قالت هند وكيف نطمع ان يقبل منا ما لم يقبله من الرجال تعني ان هذا بين لزومه فلما وقف
علي السرقة قالت والله اني لا اصيب الهبة من مال ابي سفين لا ادري اجل لي ذلك فقال ابو سفين
ما اصبت من شيء فيما مضي وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم
وعرفها وقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك
فقال ولا يزنين فقال اوتزني الحرة قال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم
كبارا وكان ابنها حنظلة بن ابي سفين قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتي استلقي وتبسم رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح ولا يامر الله
الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا
وفي انفسنا ان نعصيك في شيء ومعني قول هند اوتزني الحرة انه كان في قريش في الاماء غالبا والا
فا لبغايا ذوات الرايات قد كن حراير **وقراء** علي والحسن والسلمي ولا يقتلن مشددا
وقتلهن من اجل الفقر والفاقة وكانت العرب تفعل ذلك والبهتان قال الاكثرون ان تنسب
الي زوجها ولدا لغير منه وكانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك بين
ايديهن لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين وروي
الضحاك البهتان العضة لانها اذا قذفت المراة غيرها فقد بهتت ما بين يدي المقذوف وقيل بين ايديهن
اذ نفت عنها ولدا قد ولدته او الحقت بها ولدا لم تلده وقيل البهتان السحر وقيل بين ايديهن
السنتهن بالنميمة وارجلهن فروجهن وقيل بين ايديهن قبلة او جسة وارجلهن الجماع ومن البهتان
الفرية بالقول علي احد من الناس والكذب فيما اوتمن عليه من حمل وحيض والمعروف الذي
نهي عن العصيان فيه قال ابن عباس وانس وزيد بن اسلم هو النوح وشق الجيوب ووشم
الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من اوامر الشريعة فرضها وندبها وروي ان قوما من فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم وعلي
انهم اليهود فسرهم الحسن وابن زيد ومنذر بن سعيد لان غضب الله قد صار عرفا لهم وقال ابن
عباس كفار قريش لان كل كافر عليه غضب من الله وقيل اليهود والنصاري قد يئسوا من الاخرة
قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر ان من في من اصحاب القبور لابتداء الغاية اي من
لقاء اصحاب القبور فمن الثانية كالاولي في من الاخرة فالمعني انهم لا يلقونهم في دار الدنيا
بعد موتهم وقال ابن عرفة هم الذين قالوا ما يهلكنا الا الدهر انتهي والكفار علي هذا كفار مكة
لانهم اذا مات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد به لن نبعث ابدا وهذا تاويل ابن عباس وقتادة
والحسن وقيل من لبيان الجنس اي الكفار الذين هم اصحاب القبور والماء يوس منه محذوف
اي كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله لانه اذا كان حيا لم يقبر كان يرجي له ان لا ييأس من رحمة
الله اذ هو متوقع ايمانه وهذا تاويل مجاهد وابن جبير وابن زيد وقال ابن عطية وبيان الجنس
اظهر انتهي وقد ذكرنا ان الظاهر كون من لابتداء الغاية اذ لا يحتاج الكلام الي تقدير محذوف
وقرا ابن ابي الزناد كما يئس الكفار علي الافراد والجمهور علي الجمع ولما افتتح هذه السورة
بالنهي عن اتخاذ الكفار اولياء ختمها بمثل ذلك تاكيدا لترك موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عن توليهم
والقاء المودة اليهم **المرصوص** قال الفراء ومنذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص وقال
المبرد رصصت البناء لاءمت بين اجزائه وقاربته حتي يصير كقطعة واحدة **قال الراجز**

ما لقي البيض من الحرقوص ٭ يفتح باب المغلق المرصوص ٭

الحرقوص دويبة تولع بالنساء الابكار وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان ٭

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ٭ يا ايها الذين امنوا
لم تقولون ما لا تفعلون ٭ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ٭ ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ٭ واذ قال موسي لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني

رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ٭ واذ قال عيسي بن
مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ٭ ومن اظلم ممن افتري علي الله
الكذب وهو يدعي الي الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ٭ يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون ٭ هو الذي ارسل رسوله بالهدي ليظهره علي الدين كله
ولو كره المشركون ٭ يا ايها الذين امنوا هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٭
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم ٭ واخري تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ٭ يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسي بن مريم للحواريين من انصاري الي الله قال
الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا
علي عدوهم فاصبحوا ظاهرين ٭ هذه السورة مدنية في قول الجمهور ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة وقتادة وقال ابن يسار مكية وروي ذلك ايضا عن ابن عباس ومجاهد وسبب نزولها
قول المنافقين للمؤمنين نحن منكم ومعكم ثم يظهر من افعالهم خلاف ذلك او قول شباب من
المسلمين فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا او قول ناس وددنا ان نعرف احب الاعمال الي ربنا
حتي نفعل فيه ففرض الجهاد واعلم الله يحب المجاهدين فتكرهه قوم وفر بعضهم يوم احد
نزلت اقوال الاول لابن زيد والثاني لقتادة والضحاك والثالث لابن عباس وابي صالح
ومناسبتها لاخر السورة قبلها ان في الاخر يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
فاقتضي ذلك اثبات العداوة بينهم فحض تعالي علي الثبات اذا لقي المؤمنون في الحرب
اعداءهم والنداء بيا ايها الذين امنوا ان كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به
التلطف في العتب وان كان للمنافقين فالمعني يا ايها الذين امنوا اي بالسنتهم والاستفهام
يراد به الانكار والتوبيخ والتهكم بهم في اسناد الايمان اليهم ولم يتعلق بالفعل بعده واذا
وقف عليه فبالهاء او بسكون الميم ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجري الوقف والظاهر
انتصاب مقتا علي التمييز وفاعل كبر ان تقولوا وهو من التمييز المنقول من الفاعل والتقدير
كبر مقت قولكم ما لا تفعلون ويجوز ان يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم
مفسر بالتمييز وان تقولوا هو المخصوص بالذم اي بئس مقتا قولكم كذا والخلاف الجاري
في المرفوع في بئس رجلا زيد جار في ان تقولوا هنا ويجوز ان يكون في كبر ضمير يعود علي
المصدر المفهوم من قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا بدل من المضمر
او خبر ابتداء مضمر وقيل هو من ابنية التعجب اي ما اكبره مقتا ومثله كبرت كلمة اي ما
اكبرها كلمة وقال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها
ومعني التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج
عن نظائره واشكاله واسند الي ان تقولوا ونصب مقتا علي تفسيره دلالة علي ان قولهم ما لا
تفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد
البغض ولم يقتصر علي ان جعل البغض كبيرا حتي جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من
ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته انتهي وقال ابن عطية والمقت
البغض من اجل ذنب او ريبة او دناءة يصنعها الممقوت انتهي وقال المبرد رجل ممقوت
ومقيت اذا كان يبغضه كل احد انتهي **وقراء** زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء
وقرئ يقتلون وانتصب صفا علي الحال اي صافين انفسهم او مصفوفين كانهم
في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الي بعض والظاهر تشبيه الذوات
في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص وقيل المراد استواء نياتهم في الثبات حتي
يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص قيل وفيه دليل علي فضل القتال راجلا
لان الفرسان لا يصطفون علي هذه الصفة وصفا وكانهم قال الزمخشري حالان
متداخلان وقال الحوفي كانهم في موضع النعت لصفا انتهي ويجوز ان يكونا حالين من

هم

ضميريقاتلون ولماكان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل وهو راجع الي الكذب فان ذلك في معني
الاذاية للرسول اذ كان في اتباعه من عاني الكذب فناسب ذكر قصة موسي وقوله لقومه
لم تؤذونني واذايتهم له كان بانتقاصه في نفسه وجحود ايات الله واقتراحاتهم عليه
ما ليس لهم اقتراحه وقد تعلمون جملة حالية تقتضي تعظيمه وتكريمه فرتبوا علي علمهم
انه رسول الله ما لا يناسب العلم وهو الاذاية وقد تدل علي التحقيق في الماضي والتوقع
في المضارع والمضارع هنا معناه المضي اي وقد علمتم كقوله قد يعلم ما انتم عليه اي قد
علم قد نري تقلب وعبر عنه بالمضارع ليدل علي استصحاب الفعل فلما زاغوا عن الحق
ازاغ الله قلوبهم قال الزمخشري بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف وقال غيره اسند الزيغ اليهم ثم قال ازاغ الله لقوله
تعالي نسوا الله فانساهم انفسهم وهو من العقوبة علي الذنب بالذنب بخلاف قوله ثم تاب
عليهم ليتوبوا ولما ذكر شيا من قصة موسي مع بني اسرايل ذكر ايضا شيا من قصة عيسي
عليهما السلام وهناك قال يا قوم لانه من بني اسرايل وهنا قال عيسي يا بني اسرايل من حيث
لم يكن له فيهم اب وان كانت امه منهم ومصدقا ومبشرا حالان والعامل رسول اي مرسل
ويأتي واسمه جملتان في موضع الصفة لرسول اخبر انه مصدق لما تقدم من كتب الله
الالهية ولمن تاخر من النبي المذكور لان التبشير بانه رسول تصديق برسالته وروي ان
الحواريين قالوا يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء
كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير بالرزق ويرضي الله منهم بالقليل من العمل
واحمد علم منقول من المضارع للمتكلم او من احمد افعل التفضيل **وقال حسان**

• صلي الاله ومن يحف بعرشه • والطيبون علي المبارك احمد •

وقال القشيري بشر كل نبي قومه بنبينا صلي الله عليه وسلم والله افرد عيسي بالذكر في هذا الموضع
لانه اخر نبي قبل نبينا صلي الله عليه وسلم فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد
واحد حتي انتهت الي عيسي عليه السلام والظاهر ان الضمير المرفوع في جاءهم يعود علي عيسي
لانه المحدث عنه وقيل يعود علي احمد لما فرغ من كلام عيسي تطرق الي الاخبار عن احمد عليه
السلام وذلك علي سبيل الاخبار للمؤمنين اي فلما جاء هؤلاء الكفار بالمعجزات الواضحة
قالوا هذا سحر مبين **وقرا** الجمهور سحر اي ما جاء به من البينات **وقرا** عبد الله
وطلحة والاعمش وابن وثاب ساحر اي هذا الجائي ساحر **وقرا** الجمهور يدعي مبنيا للمفعول
وطلحة يدعي مضارع ادعي مبنيا للفاعل وادعي يتعدي بنفسه الي المفعول به لكنه لما ضمن معني
الانتماء والانتساب عدي بالي وقال الزمخشري يدعي بمعني يدعو نحو لمسه والتمسه والضمير عنده
عايد علي الله اي وهو يدعو الي الاسلام وقال الزمخشري ايضا **وقرا** طلحة بن مصرف
وهو يدعي بشد الدال بمعني يدعي دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه يريدون لا تمته تقدم تفسير
نظيرها في سورة التوبة وقال الزمخشري اصله يريدون ان يطفيوا كما جاء في سورة براءة وكان
هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معني الارادة في قولك جيتك لاكرامك
كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعني الاضافة في لا اباك انتهي وقال نحوه ابن عطية قال
واللام في قوله ليطفيوا لام موكدة دخلت علي المفعول لان التقدير يريدون ان يطفيوا واكثر
ما يلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرويتك قصدت انتهي وما ذكره
ابن عطية من ان هذه اللام اكثر ما تلزم المفعول اذا تقدم ليس باكثر بل الاكثر زيدا ضربت
واما قولهما ان اللام للتاكيد وان التقدير ان يطفيوا فالاطفاء مفعول يريدون فليس بمذهب

ب

وقال ابن عباس وابن زيد هنا يريدون ابطال القران وتكذيبه بالقول وقال السدي يريدون دفع
الاسلام بالكلام وقال الضحاك هلاك الرسول صلي الله عليه وسلم بالاراجيف وقال ابن بحر ابطال
حجج الله بتكذيبهم وعن ابن عباس سبب نزولها ان الوحي ابطا اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف
يا معشر يهود ابشروا اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم نوره فحزن الرسول

607

واتصل الوحي **وقرا** العربيان ونافع وابو بكر والحسن وطلحة والاعرج وابن محيصن متم بالتنوين
نوره بالنصب وباقي السبعة والاعمش بالاضافة **وقرا** الجمهور تنجيكم مخففا والحسن
وابن ابي اسحق والاعرج وابن عامر مشددا والجمهور تؤمنون وتجاهدون وعبد الله امنوا بالله
ورسوله وجاهدوا امرين وزيد بن علي بالتاء فيهما محذوف النون فيهما فاما توجيه قراءة الجمهور
فقال المبرد هو بمعني امنوا علي الامر ولذلك جاء يغفر مجزوما انتهي وصورته صورة الخبر ومعناه
الامر ويدل عليه قراءة عبد الله ونظيره قولهم اتقي الله امرؤ وفعل خيرا يثب عليه اي ليتق الله
وجيء به علي صورة الخبر قال الزمخشري للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان
وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء
كانها كانت ووجدت انتهي **وقال** الاخفش هو عطف بيان علي تجارة وهذا لا يتخيل الا علي تقدير
ان يكون الاصل ان تؤمنوا حتي يتقدر بمصدر ثم حذف ان فارتفع الفعل **كقوله**

الا ايهاذا الزاجري احضر الوغي • يريد ان احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل فكان تقدير الاية
هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم ايمان بالله ورسوله وجهاد وقال ابن عطية تؤمنون
فعل مرفوع تقديره ذلك انه تؤمنون انتهي وهذا ليس بشي لان فيه حذف المبتدا وحذف
انه وابقاء الخبر وذلك لا يجوز وقال الزمخشري وتؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل
فقال تؤمنون ثم اتبع المبرد فقال هو خبر في معني الامر وهذا اجيب بقوله يغفر لكم انتهي
واما قراءة عبد الله فظاهره المعني وجواب الامر يغفر واما قراءة زيد فيتوجه علي حذف
لام الامر والتقدير لتؤمنوا **كقوله**

• قلت لبواب علي بابها • تيذن لنا اني من احمايها •

يريد لتيذن ويغفر مجزوم علي جواب الامر في قراءة عبد الله وقراءة زيد وعلي تقدير المبرد وقال
الفراء هو مجزوم علي جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم واستبعد هذا التخريج **قال**
الزجاج ليسوا اذا دلهم علي ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقال المهدوي
انما يصح حملا علي المعني وهو ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان علي قوله هل ادلكم كان
التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعني فكانه قال هل تؤمنون وتجاهدون
قال فان لم تقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول
والايمان لا بالدلالة وقال الزمخشري نحوه قال وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة
مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم انتهي وتقدم شرح بقية
الاية ولما ذكر تعالي ما يمنحهم من الثواب في الاخرة ذكر ما يسرهم في العاجلة وهي ما يفتح
عليهم من البلاد واخري صفة لمحذوف اي ولكم مثوبة اخري او نعمة اخري عاجلة الي هذه
النعمة الاجلة فاخري مبتدا وخبره المقدر لكم وهو قول الفراء ويرجحه البدل منه بقوله
نصر من الله وتحبونها صفة اي محبوبة لكم وقال قوم واخري في موضع نصب باضمار فعل اي
ويمنحكم اخري ونصر خبر مبتدا اي ذلك وهو نصر **وقال** الاخفش واخري في موضع
جر عطفا علي تجارة وضعف هذا القول لان هذه الاخري ليست مما دل عليه انما هي من
الثواب الذي يعطيهم الله علي الايمان والجهاد بالنفس والمال **وقرا** الجمهور نصر
بالرفع وكذا وفتح قريب وابن ابي عبلة بالنصب فيها ثلاثتها ووصف اخري بتحبونها
لان النفوس قد وكلت بحب العاجل وفي ذلك تحريض علي ما يحصل ذلك وهو الايمان والجهاد
وقال الزمخشري وفي تحبونها شي من التوبيخ علي محبة العاجل قال **فان قلت**
لم نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا **قلت** يجوز ان ينصب علي الاختصاص
او علي ينصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او علي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخري نصرا وفتحا
فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين **قلت** علي تؤمنون
لانه في معني الامر كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين
بذلك انتهي كونوا انصار الله ندب المؤمنين الي النصرة ووضع لهم هذا الاسم وان كان قد
صار عرفا للاوس والخزرج وسماهم الله به **وقرا** الاعرج وعيسي وابو عمرو والحرميان
انصارا لله بالتنوين والحسن والجحدري وباقي السبعة بالاضافة الي الله والظاهر انه كما في موضع

نصب على اضمار اي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى وقال مكي نعت لمصدر محذوف والتقدير كونوا كونا
وقيل نعت لانصارًا اي كونوا انصارًا مثل انصار عيسى وقال الزمخشري التشبيه محمول على
المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من
انصاري الى الله انتهى والحواريون اثنا عشر رجلًا وهم اول من آمن بعيسى بثهم عيسى في الافاق
بعث بطرس وبولس الى رومية واندارس ومتى الى الارض التي ياكل اهلها الناس ويوقاس
الى ارض بابل وفلس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى اقسوس قرية اصحاب الكهف
ويعقوبين الى بيت المقدس وابن تلمين الى ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر وما حولها
وفي بعض اسمايهم اشكال من جهة الضبط فليلتمس ذلك من مظانه فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم وهم الذين كفروا بعيسى فاصبحوا ظاهرين اي قاهرين لهم مستولين عليهم
وقال زيد بن علي وقتادة ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان وقيل ايدنا المسلمين على الفرقتين
الضالتين **السفر** الكتاب المجتمع الاوراق منضدة ٥

المفردات

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
هو الذي بعث في الاميين رسولًا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يوتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم • مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارًا
بيس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدي القوم الظالمين • قل يا ايها الذين هادوا ان
زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • ولا يتمنونه ابدًا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين • قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون • يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون • واذا راوا تجارة او لهوًا
انفضوا اليها وتركوك قايمًا قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين •
هذه السورة مدنية وقيل مكية وهو خطا لان امر اليهود وانفضاض الناس في الجمعة لم يكن الا بالمدينة
ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر تاييد من آمن على اعدايهم اتبعه بذكر التنزيه لله وسعة ملكه
وتقديسه وذكر ما انعم به على محمد امته صلى الله عليه وسلم من بعثته عليه السلام اليهم وتلاوته
عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت امته غالبة ساير الامم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة
الحواريين في زمانهم **وقرا** الجمهور الملك جرًا وجرما بعده وابو وايل ومسلمة بن محارب
ورويه وابو الدينار الاعرابي بالرفع على اضمار هو وحسنه الفصل الذي فيه طول بين الموصوف
والصفة وجا كذلك عن يعقوب **وقرا** ابو الدينار وزيد بن علي القدوس بفتح
القاف والجمهور بالضم هو الذي بعث الاية تقدم الكلام في نظيرها في آل عمران وفي نسبة الامي
وآخرين الظاهر انه معطوف على في الاميين اي وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وقيل وآخرين منصوب عطفًا على الضمير في ويعلمهم اسند تعليم الآخرين اليه عليه السلام مجازًا
لما يتناسق التعليم الى آخر الزمان وتلا بعضه بعضًا وكانه عليه السلام وجد منه وقال ابو هريرة
وغيره وآخرين هم فارس وجا نصا عنه السلام في صحيح البخاري ومسلم ولو فهم منه الحصر في
فارس لم يجز ان تفسر الاية ولكن فهم المفسرون منه انه تمثيل فقال مجاهد وابن جبير الروم والعجم
وقال مجاهد ايضًا وعكرمة ومقاتل التابعين من ابناء العرب لقوله منهم اي في النسب وقال
مجاهد ايضًا والضحاك وابن حبان طوايف الناس وقال ابن عمر اهل اليمن وعن مجاهد ايضًا ابنا الاعاجم
وعن ابن زيد ايضًا هم التابعون وعن الضحاك ايضًا العجم وعن ابي روق الصغار بعد الكبار وينبغي
ان تحمل هذه الاقوال على التمثيل كما حملوا قول الرسول في فارس وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلًا
اميًا من ذلك الامر العظيم وتاييده واختياره من ساير البشر ذلك فضل الله اي ايتاء النبوة وجعله
خير خلقه واسطة بينه وبين خلقه مثل الذين حملوا التوراة هم اليهود المعاصرون للرسول كلفوا

القيام

القيام باوامرها ونواهيها ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول وهي ناطقة بنبوته **وقرا**
الجمهور حملوا مشددًا مبنيًا للمفعول ويحيى بن يعمر وزيد بن علي مخففًا مبنيًا للفاعل شبه صفتهم
بصفة الحمار الذي يحمل كتبًا فهو لا يدري ما عليه اكتب هي ام صخر وغير ذلك وانما يدرك من ذلك
ما يلحقه من التعب لحملها **وقال الشاعر** في نحو ذلك •

• زوامل للاسفار لا علم عندهم • بجيدها الا العلم الا باعر •
• لعمرك ما يدري البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغراير •

وقرا عبد الله حمار منكرًا والمامون بن هرون يحمل بشد الميم مبنيًا للمفعول والجمهور الحمار
معرفًا ويحمل مخففًا مبنيًا للفاعل ويحمل في موضع نصب على الحال قال الزمخشري او الجر على الوصف
لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني انتهى وهذا الذي قاله قد ذهب اليه بعض
النحويين وهو ان مثل هذا من المعارف يوصف بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
وهذا وامثاله عند المحققين في موضع الحال لا في موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذي اللام دليل
على تعريفه مع ما في ذلك المذهب ما ذكره المتقدمون من ان المعرفة لا تنعت الا بالمعرفة والجمل
نكرات بيس مثل القوم قال الزمخشري بيس مثلًا قال الزمخشري بيس مثلًا مثل القوم انتهى فخرجه
على ان يكون التمييز محذوفًا وفي بيس ضمير يفسره مثلًا الذي ادعى حذفه وقد نص **سـ** على
ان التمييز الذي يفسر الضمير المستكن في نعم وبيس وما اجري مجراهما لا يجوز حذفه وقال ابن
عطية والتقدير بيس المثل مثل القوم انتهى وهذا ليس بشي لان فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز
والظاهر ان مثل القوم فاعل بيس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل
الذين كذبوا بايات الله وهم اليهود او يكون الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود صفة للقوم
والمخصوص بالذم محذوف التقدير بيس مثل القوم المكذبين مثلهم اي مثل هو لا الذين حملوا
التوراة روي انه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر ان اتبعتموه
اطعناكم وان خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن ابنا خليل الرحمن ومنا عزير بن الله والانبياء ومتى
كانت النبوة في العرب نحن احق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت قل يا ايها الذين هادوا وكانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباوه اي ان كان قولكم حقًا فتمنوا ان تنقلوا سريعًا الى دار كرامته ٥
المعدة لاوليايه وتقدم تفسير نظير بقية الاية في سورة البقرة **وقرا** الجمهور فتمنوا الموت
بضم الواو وابن يعمر وابن ابي اسحق وابن السميفع بكسرها وعن ابن السميفع ايضًا فتحها وحكى
الكساي عن بعض الاعراب انه قرا بالهمز مضمومة بدل الواو وهذا كقراة من قرا يلوون
بالهمز بدل الواو وقال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا
ان في لن تاكيدًا وتشديدًا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا
يتمنونه وهذا منه رجوع عن مذهبه في ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة في
انها لا تقتضيه واما قوله الا ان في لن تاكيدًا وتشديدًا ليس في لا فيحتاج ذلك الى نقل عن
مستقري اللسان **وقرا** الجمهور فانه والفا دخلت في خبر ان اذا اجري الموصوف مجرى
صفته فكان ان باشرت الذي وفي الذي معنى الشرط فدخلت الفا في الخبر وقد منع هذا قوم
منهم الفرا وجعلوا الفا زايدة **وقرا** زيد بن علي انه بغير فا وخرجه الزمخشري على
الاستيناف وخبر ان هو الذي كانه قال قل ان الموت هو الشي الذي تفرون منه انتهى ويحتمل ان
يكون خبر ان هو قوله انه ملاقيكم فالجملة خبر ان ويحتمل ان يكون انه تاكيدًا لان الموت وملاقيكم
خبر ان لما طال الكلام اكد الحرف مصحوبًا بضمير الاسم الذي لان اذا نودي اي اذن وكان الاذان
عند قعود الامام على المنبر وكذا كان في زمن الرسول كان اذا صعد على المنبر اذن على باب المسجد
فاذا نزل بعد الخطبة اقيمت الصلاة وكذا كان في عهد ابي بكر وعمر الى زمان عثمان كثر الناس
وتباعدت المنازل فزاد موذنًا اخر على باب داره التي تسمى زورا فاذا جلس على المنبر اذن
الثاني فاذا نزل من المنبر اقيمت الصلاة ولم يعب احد ذلك على عثمن رضي الله عنه **وقال**
الزمخشري **فان قلت** من في قوله من يوم الجمعة ما هي **قلت** هي بيان
لاذا وتفسير له انتهى **وقرا** الجمهور الجمعة بضم الميم وابن الزبير وابو حيوة وابن ابي عبلة
ورواية عن ابي عمرو وزيد بن علي والاعمش بسكونها وهي لغة تميم ولغة بفتحها لم يقرا بها وكان

هذا اليوم يسمي عروبة ويقال العروبة قيل واول من سماه الجمعة كعب بن لوي واول جمعة صليت
جمعة سعد بن زرارة صلي بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية
الجمعة فهي اول جمعة جمعت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلي الله عليه وسلم
فانه لما قدم المدينة نزل بقبا علي بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا
والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم
ابن عوف في بطن وادلهم فخطب وصلي الجمعة والظاهر وجوب السعي لقوله فاسعوا الي ذكر الله
وانه يكون في المشي خفة وبدار وقال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم انما يوتي الصلاة بالسكينة
والسعي هو بالنية والارادة والعمل قيل وليس الاسراع في المشي كالسعي بين الصفا والمروة وانما
هو بمعني قوله وان ليس للانسان الا ما سعي فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي والظاهر
ان الخطاب بالامر بالسعي للمومنين عموما وانها فرض علي الاعيان وعن بعض الشافعية انها فرض
كفاية وعن مالك رواية شاذة انها سنة وقال الحافظ ابو بكر بن العربي ثبت عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم انه قال الرواح الي الجمعة واجب علي كل مسلم وقالوا المامور بالسعي المومن الصحيح
الحر الذكر المقيم فلو حضروا اجزاتهم انتهي والمسافة التي يسعي منها الي مسافة الجمعة صلاة لم
تتعرض الاية لها واختلف الفقها في ذلك فقال ابن عمر وابو هريرة وانس والزهري ستة اميال
وقيل خمسة وقال ربيعة اربعة وروي ذلك عن الزهري وابن المنكدر وقال مالك والليث ثلثة
وقال ابو حنيفة واصحابه علي من في المصر سمع النداء او لم يسمع لا علي من هو خارج المصر وان سمع
النداء وعن ابن عمر وابن المسيب والزهري واحمد واسحق علي من سمع النداء وعن ربيعة علي من اذا سمع
النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلوة **وقرا** كبراء من الصحابة والتابعين فامضوا بدل
فاسعوا وينبغي ان يحمل علي التفسير من حيث انه لا يراد بالسعي هنا الاسراع في المشي ففسروه بالمضي
ولا يكون قرانا لمخالفته سواد ما اجمع المسلمون عليه وذكر الله هنا هو الخطبة قاله ابن المسيب وهي شرط
في انعقاد الجمعة عند الجمهور وقال الحسن هي مستحبة والظاهر انه يجزي من ذكر الله ما يسمي ذكرا
قال ابو حنيفة لو قال الحمد لله او سبحان الله واقتصر عليه جاز وقال غيره لا بد من كلام يسمي خطبة
وهو قول الشافعي وابي يوسف ومحمد بن الحسن والظاهر تحريم البيع وانه لا يصح وقال ابن العربي
يفسخ وهو الصحيح وقال الشافعي ينعقد ولا يفسخ وكل ما يشغل من العقود كلها فهو حرام شرعا
مفسوخ ردعا انتهي وانما ذكر البيع من بين سائر المحرمات لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق
اذ يكثر الوافدون الامصار من القري ويجتمعون للتجارة اذا تعالي النهار فامروا بالبدار الي تجارة
الاخرة ونهوا عن تجارة الدنيا ووقت التحريم من الزوال الي الفراغ من الصلوة قاله الضحاك
والحسن وعطا وقال ناس غيرهم من وقت اذان الخطبة الي الفراغ والاشارة بذلكم الي السعي وترك
البيع والامر بالانتشار والابتغا امر اباحة وفضل الله هو ما يبتغيه من حالة حسنة كعيادة المريض
وصلة صديق واتباع جنازة واخذ في بيع وشراء ومتصرفات دينية ودنيوية وامر مع ذلك بالاكثار
ذكر الله وقال مكحول والحسن وابن المسيب الفضل المامور بابتغائه وهو العلم وقال
جعفر الصادق ينبغي ان يكون بحزن صبح يوم السبت وينبغي ان يكون بغبطة يوم الجمعة في عبادة
وروي انه كان اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بعير تحمل ميرة قال مجاهد وكان
من عرفهم ان يدخل بالطبل والمعازف والصياح من دراها فدخلت بذلك فانفضوا الي رويته ذلك وسماعه
وتركوه عليه السلام قايما علي المنبر في اثني عشر رجلا قال جابر انا احدهم قال ابو بكر غالب بن عطية
هم العشرة المشهود لهم بالجنة والحادي عشر قيل عمار وقيل ثمانية قالوا نزلت واذا راوا **وقراة**
الجمهور اليها بضمير التجارة وابن ابي عبلة اليه بضمير اللهو وكلاهما جايز نص عليه الاخفش عن العرب
وقال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها
وتامل ان قدمت التجارة علي اللهو في الروية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا
علي الابين انتهي وفي قوله قايما دلالة علي مشروعية القيام في الخطبة واول من استراح في الخطبة عثمن
واول من خطب جالسا معاوية **وقري** اليهما بالتثنية للضمير كقوله وان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولي بهما وتخريجه علي ان يتجوز باو فيكون بمعني الواو وقد تقدم غير هذا التخريج في قوله فالله
اولي بهما في موضعه في سورة النسا وناسب ختمها بقوله خير الرازقين لانهم كانوا قد مسهم شي من

غلاء

المفردات

غلاء الاسعار كما تقدم في سبب النزول وقد ملا المفسرون كثيرا من اوراقهم باحكام وخلاف في
مسايل الجمعة مما لا تعلق لها بلفظ القران **الجسم والخشب** معروفان **اسندت**
ظهري الي الحيط املته واضفته اليه وتساندا القوم اصطفوا وتقابلوا للقتال

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا
يعملون • ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون • واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله
اني يوفكون • واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم
مستكبرون • سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين • هم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتي ينفضوا ولله خزاين السموات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون • يقولون لين رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون • يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يوخر الله
نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون • هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق كانت من
عبد الله بن ابي سلول واتباعه فيها اقوال فنزلت وسبب نزولها مذكور في قصة طويلة مضمونها
ان اثنين من الصحابة ازدحما علي ماء وذلك في غزوة بني المصطلق فشج احدهما الاخر فدعا المشجوج
يا للانصار والشاج يا للمهاجرين فقال عبد الله بن سلول ما حكي الله عنه من قوله لا تنفقوا علي من
عند رسول الله حتي ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وعني بالاعز نفسه وكلاما قبيحا فسمعه
زيد بن ارقم ونقل ذلك الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فلام رسول الله صلي الله عليه وسلم عبد الله
فحلف ما قال شيا من ذلك فاتهم زيد فانزل الله اذا جاءك المنافقون الي قوله لا يعلمون تصديقا
لزيد وتكذيبا لعبد الله بن ابي سلول ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما كان سبب الانفضاض
عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس كثير من المومنين في ذلك وذلك لسرورهم
بالعير التي قدمت بالميرة اذ كان وقت مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة الايمان واتبعه
بقبايح افعالهم وقولهم لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتي ينفضوا اذ كانوا اصحاب اموال
والمهاجرون فقراء قد تركوا اموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله قالوا نشهد يجري مجري اليمين ولذلك
يتلقي بما يتلقي به القسم وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجري القسم بقوله انك لرسول الله واصل
الشهادة ان يواطي اللسان القلب هذا بالنطق وذلك بالاعتقاد فاكذبهم الله وفضحهم بقوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لم يواطي قلوبهم السنتهم علي تصديقك واعتقادهم انك غير رسول
فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم او كاذبون عند انفسهم اذ كانوا يعتقدون ان قولهم انك
لرسول الله كذب وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله والله يعلم انك لرسوله ايذانا ان الامر كما لفظوا
به من كونه رسول الله حقا ولولم تات هذه الجملة لتوهم ان قولهم هو كذاب فوسطت الجملة بينهما
ليزول ذلك التوهم اتخذوا ايمانهم سمي شهادتهم تلك ايمانا **وقراة** الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة
جمع يمين والحسن بكسرها مصدر امن ولما ذكر انهم كاذبون اتبعه بموجب كفرهم وهو اتخاذ ايمانهم
جنة يستترون بها ويذبون بها عن انفسهم واموالهم كما قال بعض الشعراء

وما انتسبوا الي الاسلام الا • لصون دمايهم ان لا تسالا •

ومن ايمانهم ايمان عبد الله ومن حلف معه من قومه انه ما قال ما نقله زيد بن ارقم الي الرسول جعلوا
تلك الايمان جنة تقي من القتل **وقال اعشي همدان** اذا انت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار
الذم كل مسير • وقال الضحاك اتخذوا احلفهم بالله انهم لمنكم وقال قتادة كلما ظهر علي شي منهم توجب
مواخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لاموالهم ودمايهم وقال السدي جنة من ترك الصلوة عليهم
اذا ماتوا فصدوا اي اعرضوا او صدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام ذلك اي ذلك الحلف
الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب ايمانهم ثم كفرهم وقال ابن عطية ذلك اشارة الي فعل الله

بهم في فضيحتهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة الي سوء ما عملوا فالمعني ساء عملهم بان كفروا
وقال الزمخشري ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او
الي ما وصف من حالهم من النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم
كفروا **وقرا** الجمهور فطبع مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل اي فطبع الله وكذا قرا
الاعمش وزيد في رواية مصرحا بالله ويحتمل علي قراءة زيد الاولي ان يكون الفاعل ضميرا يعود علي
المصدر المفهوم من ما قبله اي فطبع هواي بلعبهم بالدين ومعني امنوا نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا
كما يفعل المسلمون ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد من قولهم لئن كان ما يقوله محمد حقا
فنحن شر من الحمير وقولهم ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسري وقيصر هيهات او نطقوا
بالايمان عند المؤمنين وبالكفر عند شياطينهم او ذلك فيمن آمن ثم ارتد واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
الخطاب للرسول او للسامع اي لحسنها ونضارتها وجهارة اصواتهم فكان منظرهم يروق ومنطقهم
يحلب **وقرا** الجمهور تسمع بتاء الخطاب وعكرمة وعطية العوفي بالياء مبنيا للمفعول ولقولهم
الجار والمجرور وهو المفعول الذي لم يسم فاعله وليست اللام زائدة بل ضمن يسمع معني يصغ ويميل
تعدي باللام وليست زائدة فيكون قولهم هو المسموع وشبهوا بالخشب لعزوب افهامهم وفراغ قلوبهم
من الايمان ولم يكتف حتي جعلها مسندة الي الحايط لا انتفاع بها لانها اذا كانت في سقف او مكان ينتفع
بها واما اذا كانت غير منتفع بها فانها تكون مهملة مسندة الي الحيطان او مسندة ملقاة علي الارض
قد صففت او شبهوا بالخشب التي هي الاصنام وقد اسندت الي الحيطان او شبهوا في اصطفافهم في الاندية
بالخشب المصطفة الي الحيطان والجملة التشبيهية مستانفة اي علي اضمارهم **وقرا** الجمهور
خشب بضم الخاء والشين والبراء بن عازب والنحويان وابن كثير باسكان الشين تخفيف خشب
وقيل جمع خشباء كحمر جمع حمراء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في فساد بواطنهم **وقرا**
ابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين اسم جنس الواحد خشبة وانث وصفه كقوله اعجاز نخل خاوية
اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وذكر من كان ذا بهاء وفصاحة عبد الله بن ابي والجد بن قيس
ومعتب بن قشير **وقال الشاعر** في مثل هولاء

لا يخدعنك اللحي ولا الصور ۔ تسعة اعشار من تري بقر
تراهم كالسحاب منتشرا ۔ وليس فيها لطالب مطر
في شجر السرو منهم ۔ شبه له رواء وما له ثمر

وقيل الجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور ويدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم في موضع المفعول
الثاني ليحسبون اي واقعة عليهم وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب قال مقاتل كانوا متي سمعوا
نشد ان ضالا او صياحا باي وجه كان او اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتي يسكن ذلك ويكون
في غير شانهم وكانوا يخافون ان ينزل الله فيهم ما تباح به دماؤهم واموالهم ونحوه **قول الشاعر**

يروعه السرار بكل ارض ۔ مخافة ان يكون به السراره

وقال جرير ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ۔ خيلا تكر عليهم ورجالا

انشده ابن عطية لجرير ونسب هذا البيت الزمخشري للاخطل قال ويجوز ان يكون هم العدو المفعول
الثاني كما لو طرحت الضمير **فان قلت** فحقه ان يقول هي العدو **قلت**
منظور فيه الي الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف علي يحسبون اهل كل صيحة انتهي
وتخريج هم العدو علي انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة بل المتبادر الي
الذهن السليم ان يكون هم العدو اخبارا منه تعالي بانهم وان اظهروا الاسلام واتباعهم هم المبالغون
في عداوتك ولذلك جاء بعده امره تعالي اياهم بحذرهم فقال فاحذرهم فالامر بالحذر متسبب
عن اخباره بانهم هم العدو وقاتلهم الله دعاء يتضمن ابعادهم وعني انشراحه وان يدعو عليهم
المؤمنون بذلك اني يؤفكون كيف يصرفون عن الحق وفيه تعجب من ضلالهم وجهلهم ولما اخبره
تعالي بعداوتهم امره بحذرهم فلا تثق باظهار مودتهم ولا بلين كلامهم وقاتله الله كلمة ذم وتوبيخ
وقالت العرب قاتله الله ما اشعره يضعونه موضع التعجب ومن قاتله الله فهو مغلوب
لانه تعالي هو القاهر لكل معاند وكيف استفهام اي كيف يصرفون عن الحق ولا يرون رشدا لنفسهم
قال ابن عطية ويحتمل ان تكون اني ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا او صرفوا

فلا يكون في القول استفهام علي هذا انتهي ولا يصح ان يكون اني لمجرد الظرف بل لا بد ان يكون ظرفا استفهاما اما
بمعني اين او بمعني متي او بمعني كيف او شرطا بمعني اين وعلي هذه التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا تتجرد
لمطلق الظرفية بحال من غير اعتبار ما ذكرناه فالقول بذلك باطل ولما صدق الله زيد بن ارقم فيما اخبر
به عن ابن سلول مقت الناس ابن سلول ولامه المؤمنون من قومه وقال بعضهم لبعض امض الي رسول الله
واعترف بذنبك يستغفر لك فلوي راسه انكارا لهذا الراي وقال لهم لقد اشرتم علي بالايمان فآمنت
واشرتم علي بان اعطي زكوة مالي ففعلت ولم يبق لكم الا ان تامروني بالسجود لمحمد ويستغفر مجزوم
علي جواب الامر ورسول الله يطلب عاملان احدهما يستغفر والاخر تعالوا فاعمل الثاني علي
المختار عند اهل البصرة ولو اعمل الاول لكان التركيب يستغفر لكم الي رسول الله **وقرا**
مجاهد ونافع واهل المدينة وابو حيوة وابن ابي عبلة والمفضل وابان عن عاصم والحسن ويعقوب
بخلاف عنهما لووا بتخفيف الواو وابو جعفر والاعمش وطلحة وعيسي وابو رجاء والاعرج
وباقي السبعة بشدها للتكثير ولووا رؤوسهم هو علي سبيل الاستهزاء واستغفار الرسول لهم
هو استتابتهم من النفاق فيستغفر لهم اذ كان استغفاره متسبب عن استتابتهم فيتوبون
وهم يصدون عن المجيء واستغفار الرسول **وقري** يصدون ويصدون جملة حالية واتت
بالمضارع لتدل علي استمرارهم مستكبرون جملة حالية ايضا ولما سبق في علمه تعالي انهم لا يؤمنون
البتة سوي بين استغفاره لهم وعدمه وحكي مكي انه عليه السلام كان استغفر لهم لانهم اظهروا
له الاسلام **وقال** ابن عباس نزلت هذه بعد قوله في براءة ان تستغفر لهم سبعين مرة وقوله
عليه السلام سوف استغفر لهم زيادة علي السبعين فنزلت هذه الاية فلم يبق لهم للاستغفار
وجه **وقرا** الجمهور استغفرت بهمزة التسوية التي اصلها همزة الاستفهام وطرح الف
الوصل وابو جعفر بمدة علي الهمزة فقيل هي عوض من همزة الوصل وهي مثل المدة في قوله تعالي
قل آلذكرين حرم لكن هذه المدة في الاسم لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولا يحتاج ذلك في الفعل لان
همزة الوصل فيه مكسورة وعن ابي جعفر ايضا ضم ميم عليهم اذ اصلها الضم ووصل الهمزة وروي
معاذ بن معاذ العنبري عن ابي عمرو كسر الميم علي اصل التقاء الساكنين ووصل الهمزة فتسقط
في القراءتين واللفظ خبر والمعني علي الاستفهام والمراد التسوية وجاز حذف الهمزة لدلالة ام عليها
كما دلت علي حذفها في قوله بسبع رمين الجمر ام بثمان ۞ يريد ابسبع وقال الزمخشري **وقرا**
ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر
وآلله وقال ابن عطية **وقرا** ابو جعفر بن القعقاع آستغفرت بمدة علي الهمزة وهي الف
التسوية **وقرا** ايضا بوصل الالف دون همز علي الخبر وفي هذا كله ضعف لانه في الاولي
اثبت همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو
يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر هم الذين يقولون الي ابن سلول ومن وافقه من قومه
سفه احلامهم في انهم ظنوا ان رزق المهاجرين بايديهم وما علموا ان ذلك بيد الله لا تنفقوا
علي من عند رسول الله ان كان تعالي حكي نص كلامهم فقولهم علي من عند رسول الله هو علي سبيل
الهزء لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون او لكونه جري عندهم مجري اللقب اي
هو معروف باطلاق هذا اللفظ عليه اذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر منهم ما صدر فالظاهر
انهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ ولكنه عبر تعالي بذلك عن رسوله اكراما له واجلالا **وقرا**
الجمهور ينفضوا اي يتفرقوا عن الرسول والفضل بن عيسي الرقاشي ينفضوا من انفض القوم فني
طعامهم ونفض الرجل وعاءه والفعل من باب ما يعدي بغير الهمزة وبالهمزة لا يتعدي قال
الزمخشري وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم **وقرا** الجمهور ليخرجن الاعز منها الاذل
فالاعز فاعل والاذل مفعول وهو من كلام ابن سلول كما تقدم ويعني بالاعز نفسه واصحابه وبالاذل
المؤمنين والحسن وابن ابي عبلة والسبيعي في اختياره لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل
فالاعز مفعول والاذل حال **وقرا** الحسن فيما ذكر ابو عمرو الداني لنخرجن بنون الجماعة
مفتوحة وضم الراء ونصب الاعز علي الاختصاص كما قال نحن العرب اقري الناس للضيف ونصب
الاذل علي الحال وحكي هذه القراءة ابو حاتم وحكي الكسائي والفراء ان قوما قروا ليخرجن بالياء
مفتوحة وضم الراء فالفاعل الاعز ونصب الاذل علي الحال **وقري** ليخرجن مبنيا للمفعول

وبالياء الاعز مرفوع به الاذل نصبا على الحال ومجي الحال بصورة المعرفة متاول عند البصريين لما
كان منها بال نعلي زيادتها لا انها معرفة ولما سمع عبد الله ولد عبد الله بن ابي هذه الاية جاء الي
ابيه فقال انت والله يا ابت الذليل ورسول الله العزيز وكان فيما قال له ورائك لا تدخلها حتى
تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى اذن له الرسول بتخليته وفي هذا
الحديث انه قال لئن لم تقر لله ورسوله بالعزة لاضربن عنقك قال افاعل انت قال نعم قال فاشهد
ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وقيل للحسن بن علي زعم الناس ان فيك تيها فقال ليس بتيه
ولكنه عزة وتلا هذه الاية لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم بالسعي في نمائها والتلذذ بجمعها ولا اولادكم
بسروركم بهم وبالنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم عن ذكر الله هو عام في الصلوة والثناء
على الله بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعا قال بنحو منه الحسن وجماعة وقال الضحاك وعطاء
الذي هنا الصلوة المكتوبة وقال الحسن ايضا جميع الفرايض وقال الكلبي الجهاد مع الرسول
وقيل القران ومن يفعل ذلك اي الشغل عن ذكر الله بالمال والولد فاولئك هم الخاسرون حيث
اثروا العاجل على الاجل والفاني على الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال الجمهور المراد الزكوة وقيل
عام في معروض ومندوب وعن ابن عباس نزلت في مانعي الزكوة والله لو راى خيرا ما سال الرجعة
فقيل له اما تتقي الله تسال المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرا عليكم به قرانا يعني انها نزلت في
المؤمنين وهم المخاطبون بها لولا اخرتني اي هلا اخرت موتي الي زمان قليل وقراء
الجمهور فاصدق وهو منصوب على جواب الرغبة وابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق على الاصل
وقراء جمهور السبعة واكن مجزوما قال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل
ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان تؤخرني اصدق
واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي فاما ما حكاه س عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم واكن
على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على
الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن قرا بالجزم عطف
على موضع فلا هادي له لانه لو وقع هنالك فعل كان مجزوما انتهي والفرق بين العطف على الموضع
والعطف على التوهم ان العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثره والعامل في العطف
على التوهم مفقود واثره موجود وقرا الحسن وابن جبير وابو رجاء وابن ابي اسحاق ومالك
ابن دينار والاعمش وابن محيصن وعبد الله بن الحسن العنبري وابو عمرو واكون بالنصب
عطفا على فاصدق وكذا في مصحف عبد الله وابي وقرا عبيد بن عمير واكون برفع
النون على الاستيناف اي وانا اكون وهو وعد بالصلاح ولن يؤخر الله فيه تحريض على المبادرة
باعمال الطاعات حذرا ان يجي الاجل وقد فرط ولم يستعد للقاء الله وقرا الجمهور
تعملون بتاء الخطاب للناس كلهم وابو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم التغابن
تفاعل من الغبن وليس من اثنين بل هو من واحد كتواضع وتحامل والغبن اخذ الشي بدون
قيمته او بيعه كذلك وقيل الغبن الاخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه ويقال غبنت الثوب
وخبنته اذا اخذت ما طال منه عن مقدارك فمعناه النقص

المفردات

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير • خلق السموات والارض بالحق
وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير • يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور • الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم • ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغني
الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلي وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم
وذلك على الله يسير • فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير • يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم • والذين كفروا وكذبوا

بآياتنا

من الغنم في الوجيز كانت للذين اسروه وجاء اباه فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايطيب له
فقال نعم فنزلت الاية وقال الضحاك ويرزقه من حيث لا يحتسب امراة اخرى وقيل ومن يتق
الحرام يجعل له مخرجا الي الحلال وقيل مخرجا من الشدة الي الرخاء وقيل من النار الي الجنة وقيل
من العقوبة ويرزقه من حيث لا يحتسب من الثواب وقال الكلبي ومن يتق الله عند المصيبة
يجعل له مخرجا الي الجنة ومن يتوكل على الله اي يفوض امره اليه فهو حسبه اي كافيه ان الله
بالغ امره قال مسروق اي لا بد من نفوذ امر الله توكلت ام لم تتوكل وقراء الجمهور
بالغ بالتنوين امره بالنصب وحفص والمفضل وابان وجبلة وابن ابي عبلة وجماعة عن ابي
عمرو ويعقوب وابن مصرف وزيد بن علي بالاضافة وابن ابي عبلة ايضا وداود بن هند
وعصمة عن ابي عمرو بالغ منونا امره بالرفع اي نافذ امره والمفضل ايضا بالغا بالنصب
امره بالرفع تخريجه الزمخشري على ان بالغا حال وخبر ان هو قوله قد جعل الله ويجوز ان تخرج
هذه القراءة على قول من ينصب بان الجزئين كقوله

• اذا اسود جنح الليل فلتات ولتكن • خطاك خفافا ان حراسنا اسدا •

ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره بالغ امره ما شاء قد جعل الله لكل شي قدرا
اي تقديرا وميقاتا لا يتعداه وهذه الجملة تحض على التوكل وقراء جناح بن حبيش قدرا
بفتح الدال والجمهور باسكانها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة
اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن • ومن يتق الله يجعل له من
امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا • اسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى • لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله
لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا • روي ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمن لما سمعوا قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر
او كبر فنزلت هذه الاية فقال قائل فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال وقراء
الجمهور يئسن فعلا ماضيا وقرئ بياءين مضارعا ومعنى ان ارتبتم في انها يئست
ام لا لاجل مكان ظهور الحمل وان كان انقطع دمها وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس
اهو دم حيض او استحاضة واذا كانت هذه عدة المرتاب بها اولى بذلك وقدر بعضهم مبلغ الياس
بستين سنة وبعضهم بخمسين وخمسين وقيل غالب سن ياس عشيرة المراة وقيل اقصى عادة امراة في
العالم وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة اطبق بها الدم لا تدري اهو دم حيض او دم علة وقيل
ان ارتبتم شككتم في حالهن وحكمهن فما تدرون ما حكمهن فالحكم ان عدتهن ثلثة اشهر واختار الطبري
ان معنى ان ارتبتم شككتم فما تدرون ما الحكم وقيل ان ارتبتم اي تيقنتم اياسهن وهو من الاضداد
وقال الزجاج المعنى ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الدم وكانت ممن يحيض مثلها وقال
مجاهد ايضا ان ارتبتم هو للمخاطبين اي ان لم تعلموا عدة الايسة واللائي لم يحضن فالعدة هذه
فتلخص في قوله ان ارتبتم قولان احدهما انه على ظاهر مفهوم اللغة فيه وهو حصول الشك
والاخر ان معناه التيقن للاياس والقول الاول معناه ان ارتبتم في دمها اهو دم حيض او دم
علة وان ارتبتم في علوق بحمل ام لا او ان ارتبتم اي جهلتم عدتهن اقوال والظاهر ان قوله
واللائي لم يحضن يشمل من لم يحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة وهو موجود في النساء
وهو انها تعيش الي ان تموت ولا تحيض ومن اتى عليها زمان الحيض وما بلغت به ما لم تحض
وقيل هذه تعتد سنة واللائي لم يحضن معطوف على واللائي يئسن فاعرابه مبتدا كاعراب
واللائي يئسن وقدروا خبره جملة من جنس خبر الاول اي عدتهن ثلثة اشهر واللائي ان تقدر
مثل اولئك او كذلك فيكون المقدر مفردا لا جملة واولات الاحمال عام في المطلقة والمتوفي
عنها زوجها وهو قول ابن عمر وابن مسعود وابي مسعود البدري وابي هريرة وفقها الامصار
وقال علي وابن عباس واولات الاحمال في المطلقات واما المتوفي عنها فعدتها اقصى

قوله عز وجل واللائي يئسن

الاجلين فلو وضعت قبل اربعة اشهر وعشر صبرت الي اخرها والحجة عليهما حديث سبيعة وقال
ابن مسعود من شاء لاعنته ما نزلت واولات الاحمال الا بعد آية المتوفى عنها زوجها **وقرا**
الجمهور وحملهن مفردا والضحاك احمالهن جمعا ذلك امر الله يريد ما علم من حكم المعتدات **وقرا**
الجمهور ويعظم بالياء مضارع اعظم والاعمش بالنون خروجا من الغيبة للتكلم وابن مقسم بالياء
والتشديد مضارع عظم مشددا ولما كان الكلام في امر المطلقات واحكامهن من العدد وغيرها
وكن لا يطلقن ازواجا الا عن بغضهن وكراهة جاء عقيب بعض الجمل الامر بالتقوي من حيث
المعني مبرزا في صورة شرط وجزاء في قوله ومن يتق الله اذ كان الزوج المطلق قد ينسب الي المطلقة
بعض ما يشينها به وينفر الخطاب عنها ويوهم انه انما فارقها لامر ظهر له فلذلك تكرر قوله
ومن يتق الله في العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ علي الحقوق الواجبة عليه من ترك
الضرار والنفقة علي المعتدات وغير ذلك مما يلزمه ترتب له تكفير السيئات واعظام الاجر من
في من حيث سكنتم للتبعيض اي بعض مكان سكناكم وقال قتادة ان لم يكن له الا بيت واحد
اسكنها في بعض جوانبه قاله الزمخشري **وقال** الحوفي من لابتداء الغاية وكذا قال ابو البقاء
ومن وجدكم قال الزمخشري فقوله من وجدكم **فان قلت** **قلت** هو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد
الوسع والطاقة انتهي ولا يعرف عطف بيان يعاد فيه العامل انما هذا طريقة البدل مع حرف الجر
ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من قوله من حيث سكنتم **وقرا** الجمهور من وجدكم بضم الواو
والحسن والاعرج وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب
بكسرها وذكرها المهدوي عن الاعرج وهي لغي ثلث بمعني الوسع والوجد بالفتح يستعمل في الحزن
والغضب والحب ويقال وجدت في المال ووجدت علي الرجل وجدا وموجدة ووجدت الضالة
وجدانا والوجد بالضم الغني والقدرة يقال افتقر الرجل بعد وجد وامر تعالي باسكان المطلقات
ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت واما المبتوتة فقال ابن المسيب وسليمن بن يسار وعطاء والشعبي
والحسن ومالك والاوزاعي وابن ابي ليلي والشافعي وابو عبيد لها السكني ولا نفقة لها **وقال**
الثوري وابو حنيفة لها السكني والنفقة وقال الحسن وحماد واحمد واسحق وابو ثور لا سكني لها ولا
نفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال
من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتي تضطروهن الي الخروج وقيل هذه المضارة مراجعتها
اذا بقي من عدتها قليل ثم يطلقها فيطول حبسها في عدة الثانية وقيل الجاؤها الي ان تفتدي منه
وان كن اولات حمل لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت ام لم تبت فان كان متوفي عنها فاكثر
العلماء علي انها لا نفقة لها وعن علي وابن مسعود تجب نفقتها في التركة فان ارضعن لكم اي اولادكم
وارضعن المولود وجب لها النفقة وهي الاجر والكسوة وسائر المؤن علي ما قرر في كتب الفقه
ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وفي
تعميم المطلقات بالسكني وتخصيص اولات الاحمال بالنفقة دليل علي ان غيرها من المطلقات لا يشاركها
في النفقة ويشاركهن في السكني وائتمروا افتعلوا من الامر يقال ائتمر القوم وتأمروا اذا امر
بعضهم بعضا والخطاب للاباء والامهات اي وليأمر بعضكم بعضا بمعروف اي في الاجرة والارضاع
والمعروف الجميل بان تسامح الام ولم يماكس الاب لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب
الاشفاق عليه وقال الكسائي وائتمروا وتشاوروا ومنه قوله تعالي ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
وقول امرئ القيس ويعدو علي المرء ما يأتمر وقيل المعروف الكسوة والدثار
وان تعاسرتم اي تضايقتم وتشاكستم فلم ترض الام بما ترضي به الاجنبية وابي الزوج الزيادة او ان ابي الزوج
الارضاع الا مجانا وابت هي الا بعوض فسترضع له اخري اي فستاجر غيرها وليس له اكراهها
فان لم يقبل الا ثدي امه اجبرت علي الارضاع باجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب اجرة الرضاع
بالمطلقة بل المنكوحة في معناها وقيل فسترضع خبر في معني الامر اي فلترضع له اخري وفي قوله
فسترضع له اخري يسير معاتبة للام اذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها
غيرك تريد لن تبقي غير مقضية وانت ملوم والضمير في له عائد علي الاب كما تعدي في قوله فان ارضعن

كم

لكم اي للازواج لينفق الموسر والمقدور عليه ما بلغه وسعه اي علي المطلقات والمرضعات ولا
يكلف ما لا يطيقه والظاهر ان المأمور بالانفاق الازواج وهذا اصل في وجوب نفقة الولد
علي الوالد دون الوالدة الام وقال محمد بن المواز انها علي الابوين علي قدر الميراث وفي الحديث
يقول لك ابنك انفق علي الي من تكلني ذكره في صحيح البخاري **وقرا** الجمهور لينفق بلام
الامر وحكي ابو معاذ لينفق بلام كي ونصب القاف وتتعلق بمحذوف تقديره شرعنا ذلك لينفق
وقرا الجمهور قدر مخففا وابن ابي عبلة مشددا الدال سيجعل الله وعد لمن قدر عليه رزقه
بفتح له ابواب الرزق ولا يختص هذا الوعد بفقراء ذلك الوقت ولا بفقراء الازواج مطلقا
بل من انفق ما قدر عليه ولم يقصر ولو عجز عن نفقة امراته فقال ابو هريرة والحسن وابن المسيب
ومالك والشافعي واحمد واسحق يفرق بينهما وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة لا يفرق بينهما

قوله عز وجل وكاين من قرية

وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت
وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الي النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله علي كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما تقدم الكلام علي كاين في آل عمران
وعلي نكرا في الكهف عتت اعرضت عن امر ربها علي سبيل العناد والتكبر والظاهر في فحاسبناها
الجمل الاربعة ان ذلك في الدنيا لقوله بعدها اعد الله لهم عذابا شديدا وظاهره ان المعد عذاب
الاخرة والحساب الشديد هو الاستقصاء والمناقشة فلم يغتفر لهم زلة بل اخذوا من الدقايق
من الذنوب وقيل الجمل الاربعة من الحساب والعذاب والذوق والخسر في الاخرة وجيء به علي لفظ
الماضي كقوله ونادي اصحاب الجنة ويكون قوله اعد الله لهم تكريرا للوعيد وبيانا لكونه مترقبا
كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب **وقال** الكلبي الحساب في الاخرة والعذاب النكر في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف ولما ذكر ما حل بهذه القرية العاتية امر المؤمنين بتقوي الله تحذيرا من
عقابه ونبه ما يحض علي التقوي وهو انزال الذكر والظاهر ان الذكر هو القران وان الرسول
هو محمد صلي الله عليه وسلم فاما ان يجعل نفس الذكر مجازا لكثرة ما يتذكر به الذكر فكانه هو الذكر
ويكون بدلا علي حذف مضاف اي ذكر رسول وقيل رسولا نعت علي حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول
وقيل المضاف محذوف من الاول اي ذا ذكر رسولا فيكون رسولا نعتا لذلك المحذوف او بدلا وقيل
رسول بمعني رسالة فيكون بدلا من ذكرا ويبعده قوله بعده يتلو عليكم والرسالة لا تسند التلاوة
اليها الا بمجاز وقيل الذكر اسم من اسماء النبي صلي الله عليه وسلم وقيل الذكر الشرف كقوله وانه
لذكر لك ولقومك فيكون رسولا بدلا منه وبيانا له **وقال** الكلبي الرسول هنا جبريل وتبعه الزمخشري
فقال رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في
معني انزال الذكر فصح ابداله منه انتهي ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل
بعض ولا بدل اشتمال وهذه الاعاريب علي ان يكون ذكرا ورسولا لشيء واحد وقيل رسولا منصوب با
فعل محذوف اي بعث رسولا او ارسل رسولا وحذف لدلالة انزل عليه ونحا الي هذا السدي
واختاره ابن عطية وقال الزجاج وابو علي الفارسي يجوز ان يكون رسولا معمولا للمصدر الذي
هو الذكر انتهي فيكون المصدر منونا عاملا والفعل تقديره ان ذكر رسولا وعمل منونا كما عمل او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما وكما **قال الشاعر**

بضرب بالسيوف رؤوس قوم ... ازلنا هامهن عن المقيل

وقرئ رسول بالرفع علي اضمار هو ليخرج يصح ان يتعلق بيتلو وبانزل الذين آمنوا اي الذين
قضي وقدر وارادوا ايمانهم او اطلق عليهم آمنوا باعتبار ما آل امرهم اليه **وقال** الزمخشري ليحصل
لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا
بعد الانزال والتبليغ انتهي والضمير في ليخرج عائد علي الله او علي الرسول او علي الذكر ومن يؤمن
راعي اللفظ اولا في من الشرطية فافرد الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله ثم راعي المعني في خالدين
فجمع ثم راعي اللفظ في قد احسن الله له فافرد واستدل النحويون بهذه الاية علي مراعاة اللفظ اولا
ثم مراعاة المعني ثم مراعاة اللفظ ورد بعضهم ان هذا ليس كما ذكروا لان الضمير في خالدين

بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير هذه السورة مدنية في قول الأكثرين
وقال ابن عباس وغيره مكية الا آيات من آخرها يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم الى آخرها نزلت
بالمدينة وقال الكلبي مدنية ومكية ومناسبة هذه السورة لما قبلها ان ما قبلها مشتمل
على حال المنافقين وفي آخرها خطاب للمؤمنين فاتبعه بما يناسبه من قوله هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن وهذا التقسيم في الايمان والكفر بالنظر الى الاكتساب عند جماعة من المتأولين
لقوله كل مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقيل ذلك في
اصل الخلقة بدليل ما في حديث النطفة من قول الملك اشقي ام سعيد والغلام الذي قتله الخضر
انه طبع يوم طبع كافرا وما روي عن ابن مسعود انه عليه السلام قال خلق الله فرعون في
البطن كافرا وخلق يحيى بن زكريا مؤمنا وعن عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب
ومؤمن بالله كافر بالكوكب وقدم الكافر لكثرته الا ترى في قوله وقليل من عبادي الشكور وحين
ذكر الصالحين قال وقليل ما هم وقال الزمخشري فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له
كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله
والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل
النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا
شاكرين انتهى وهو على طريق الاعتزال وقال ايضا وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية
ومنكم مؤمن به وعن الحسن في الكلام حذف دل عليه تقديره ومنكم فاسق وكانه من كذب المعتزلة عن
الحسن وتقدم الجار والمجرور في قوله له الملك وله الحمد قال الزمخشري ليدل بتقديمهما على
معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه
والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لانه اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه
واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وزيد بن علي وابو
رزين بكسرها وهو قياس الضم وهذا التعديد للنعمة في حسن الخلقة لان اعضاء بني آدم متصرفة بجميع
ما تتصرف به اعضاء الحيوان وبزيادات كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه وجمال الجوارح كما
قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل النعمة هنا انما هي صورة الانسان من حيث
هو انسان مدرك عاقل فهذا هو الذي حسن له حتى لحقته كمالات كثيرة وتكاد العرب لا تعرف الصورة الا
الشكل لا المعنى القائم بالصورة ونبه تعالى بعلمه بما في السموات والارض ثم بعلمه بما يسر العباد وما
يعلنونه ثم بعلمه بما اكنته الصدور على انه تعالى لا يغيب عن علمه شيء لا من الكليات ولا من الجزئيات
فابتدأ بالعلم الشامل بالعلم كله ثم بخاص العباد من سرهم واعلانهم ثم ما خص منه وهو ما تنطوي عليه
صدورهم من خفي الاشياء وكامنه وهذا كله في معنى الوعيد اذ هو تعالى المجازي على جميع ذلك بالثواب
والعقاب وقرأ الجمهور ما تسرون وما تعلنون بتاء الخطاب وعبيد عن ابي عمرو وابان عن عاصم
بالياء والخطاب لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وغيرهم ممن صرح بذكرهم
في القرآن وغيرها وقد سمعت قريش اخبارهم فذاقوا وبال امرهم اي مكروهه وما يسوؤهم منه ذلك
اي الوبال بانه اي بان الشان والحديث استبعدوا ان يبعث الله من البشر رسولا كما استبعدت قريش
فقالوا على سبيل الاستغراب ابشر يهدوننا وذلك انهم يقولون نحن متساوون في البشرية فانى يكون
هؤلاء لنا هداة بحيث يصيرون هداة لنا وارتفع ابشر عند الحوفي وابن عطية على الابتداء والخبر
يهدوننا والاحسن ان يكون مرفوعا على الفاعلية لان همزة الاستفهام تطلب الفعل فالمسألة
من باب الاشتغال فكفروا العطف بالفاء يدل على تعقيب كفرهم مجيء الرسل بالبينات اي لم ينظروا
في تلك البينات ولا تأملوها بل عقبوا مجيئها بالكفر واستغنى الله استفعل بمعنى الفعل المجرد وغناه
تعالى ازلي فالمعنى انه ظهر تعالى غناه عنهم اذ اهلكهم وليست استفعل هنا للطلب وقال الزمخشري
معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك انتهى
وفيه دسيسة الاعتزال والزعم تقدم تفسيره والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات لما بعد حرف النفي
وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله ورسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
والنور الذي انزلنا وهو القرآن وانتصب يوم يجمعكم بقوله لتنبؤن او بخبير بما فيه من معنى
الوعيد والجزاء او باذكر مضمرة قاله الزمخشري والاول عن النحاس والثاني عن الحوفي وقرأ

ليس عائدا على من بخلاف الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله وانما هو عائد على مفعول يدخله وخالدين حال
منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط الله الذي خلق سبع سموات لا خلاف ان السموات سبع
بنص القرآن والاحاديث كما جاء في حديث الاسراء ولقوله عليه السلام لسعد حكمت بحكم الملك
من فوق سبعة ارقعة وغيره من نصوص الشريعة وقرأ الجمهور مثلهن بالنصب والمفضل
عن عاصم وعصمة عن ابي بكر مثلهن بالرفع فالنصب قال الزمخشري عطفا على سبع سموات انتهى
وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو الواو والمعطوف وهو مختص بالضرورة
عند ابي علي الفارسي واضمر بعضهم العامل بعد الواو لدلالة ما قبله عليه اي وخلق من الارض
مثلهن فمثلهن مفعول للفعل المضمر لا معطوف وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتداء
ومن الارض الخبر والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الاوصاف فقال الجمهور المثلية في العدد اي
مثلهن في كونها سبع ارضين وفي الحديث طوقه من سبع ارضين ورب الارضين السبع وما اقللن
فقيل سبع طباق من غير فتوق وقيل بين كل طبقة وطبقة مسافة قيل وفيها سكان من خلق الله قيل
ملائكة وجن وعن ابن عباس من رواية الواقدي الكذاب قال في كل ارض آدم كآدم ونوح كنوح
ونبي كنبيكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى وهذا حديث لا شك في وضعه وقال ابو صالح
الهاشمي ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء يتنزل
الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال مقاتل وغيره
الامر هو الوحي فبينهن اشارة الى بين هذه الارض التي هي ادناها وبين السماء السابعة وقال
الاكثرون الامر القضاء والقدر فبينهن اشارة الى بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء
السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة وموت وغنى وفقر وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجيب تدبيره وقرأ الجمهور يتنزل مضارع تنزل وقرأ عيسى وابو عمرو في
رواية ينزل مضارع نزل مشددا الامر بالنصب والجمهور لتعلموا بتاء الخطاب وقرئ
بياء الغيبة

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله
غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك
هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا يا أيها الذين آمنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون
هذه السورة مدنية وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير آياتها والمناسبة بينها وبين السورة
قبلها انه لما ذكر جملة من احكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي نداء اقبال وتنبيه وتشريف بالصفة على عصمته مما يقع فيه
من ليس بمعصوم لم تحرم سؤال تلطيف ولذلك قدم قبله يا أيها النبي كما جاء في قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم ومعنى تحرم تمتنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله وانما هو امتناع لتطييب
خاطر بعض من يحسن معه العشرة وما احل الله هو مباشرة مارية جاريته وكان الم بها في بيت بعض
نسائه فعلمت بذلك صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه منها واكتمها ذلك فافشته الى
بعض نسائه وقيل هو عسل كان يشربه عند بعض نسائه فكان يتناوب لذلك فغار بعضهن من دخوله
بيت التي عندها العسل وتواصين على ان يذكرن له ان رائحة ذلك العسل ليس بطيب فقال
لا اشربه وللزمخشري فيه هنا كلام ضربت عنه صفحا كما ضربت عن كلامه في قوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم وكلامه هذا ونحوه يحقق قولي فيه ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا فلو حرم
الانسان على نفسه شيئا احله الله لم يحرم كشرب عسل او وطء سرية واختلفوا اذا قال لزوجته
انت علي حرام والحلال علي حرام ولا يستثني زوجته فقال جماعة منهم الشعبي ومسروق وربيعة
وابو سلمة واصبغ هو كتحريم الماء والطعام فلا يلزمه شيء وقال تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم

الاعرج وشيبة وابو جعفر وطلحة ونافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وزيد بن علي والحسن بخلاف عنه • نكفر وندخله بالنون فيهما والاعمش وعيسى والحسن وباقي السبعة فيهما • ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم • واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين • الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون • يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم • انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون • ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم • عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم • الظاهر اطلاق المصيبة على الرزية وما يسوء العبد في نفس او مال او ولد او قول او فعل وخصت بالذكر وان كان جميع الحوادث لا تصيب الا باذن الله قيل ويحتمل ان يريد بالمصيبة الحادثة من خير وشر اذ الحكم في كونهما باذن الله وما نافية ومفعول اصاب محذوف اي ما اصاب احدا والفاعل من مصيبة ومن زائدة ولم تلحق التاء اصاب وان كان الفاعل مؤنثا وهو فصيح والتانيث اكثر لقوله ما تسبق من امة اجلها وقوله وما تاتيهم من اية الا باذن الله اي بارادته وعلمه وتمكينه ومن يومن بالله اي يصدق بوجوده ويعلم ان كل حادثة بقضائه وقدره يهد قلبه يهد له على طريق الخير والهداية **وقرا** الجمهور يهد بالياء مضارعا لهدى مجزوما على جواب الشرط **وقرا** ابن جبير وطلحة وابن هرمز والازرق عن حمزة بالنون والسلمي والضحاك وابو جعفر يهد مبنيا للمفعول قلبه رفع وعكرمة وعمرو بن دينار ومالك بن دينار يهدا بهمزة ساكنة قلبه بالرفع والمعنى يطمئن قلبه ويسكن بايمانه ولا يكون فيه اضطراب وعمرو بن فايد يهدا بالف بدلا من الهمزة الساكنة وعكرمة ومالك بن دينار ايضا يهد بحذف الالف بعد ابدالها من الهمزة الساكنة وابدال الهمزة الفا في مثل يهدا ويقرا ليس بقياس خلافا لمن اجاز ذلك قياسا وبنى عليه جواز حذف تلك الالف للجازم وخرج عليه **قول زهير بن ابي سلمى**

• جري متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم •

اصله يبدا ثم ابدل من الهمزة الفا ثم حذفها للجازم تشبيها بالف يخشى اذ دخل الجازم ولما قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ثم امر بطاعة الله وطاعة رسوله حذر مما يلحق الرجل من امراته وولده بسبب ما يصدر من بعضهم من العداوة وعلى اعدى على الرجل من زوجته وولده اذ كانا عدوين وذلك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فباذهاب ماله وعرضه واما في الاخرة فيما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما وبما يكتسبانه منه بسبب جاهه وكم من امراة قتلت زوجها وجذمته وافسدت عقله وكم من ولد قتل اباه وفي التواريخ وفيما شاهدناه من ذلك كثير وعن عطاء بن ابي رباح ان عوف بن مالك الاشجعي اراد الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع اهله واولاده فثبطوه وتشكوا اليه فراقه فرق ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية وقيل امن قوم بالله وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة ولم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه في الدين فندموا واسفوا وهموا بمعاقبة ازواجهم واولادهم فنزلت وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون اولادكم بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ومن في من ازواجكم واولادكم للتبعيض فقد توجد زوجة تسر زوجها وتعينه على مقاصده في دنياه ودينه وكذلك الولد **وقال الشعب العبسي** يمدح ولده رباطا

• اذا كان اولاد الرجال حزازة • فانت الحلال الحلو والبارد العذب •

• لنا جانب منه دميث وجانب • اذا رامه الاعداء مركبه صعب •

• وتاخذه عند المكارم هزة • كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب •

وقال فرعان بن الاعرف في ابنه منازل وكان عاقا له قصيدة فيها بعض طول منها •

• وربيته حتى اذا ما تركته • اخا القوم واستغنى عن المسح شاربه •

• فلما راني احسب الشخص شخصا • بعيدا وذا الشخص البعيد اقاربه •

• تعمد حقي ظالما ولوى يدي • لوى يده الله الذي هو غالبه •

انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما وفي

باب العداوة جاء بمن التي تقتضي التبعيض وفي الفتنة حكم بها على الاموال والاولاد لا على بعضهما وذلك لغلبة الفتنة بهما وكفى بالمال فتنة قصة ثعلبة بن حاطب احد من نزل فيه ومنهم من عاهد الله الاية وقد شغلنا من ذكر انه يشغله الكسب والتجارة في امواله حتى يصلي كثيرا من الصلوات الخمس فائتة وقد شاهدنا من كان موصوفا عند الناس بالديانة والورع فحين لاح له منصب وتولاه استناب من يلوذ به من اولاده واقاربه وان كان بعض من استنابه صغيرا لسن قليل العلم سيئ الطريقة ونعوذ بالله من الفتن وقدمت الاموال على الاولاد لانها اعظم فتنة كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى شغلتنا اموالنا واهلونا والله عنده اجر عظيم تزهيد في الدنيا وترغيب في الاخرة والاجر العظيم الجنة فاتقوا الله ما استطعتم قال ابو العالية جهدكم وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما امرتم به ونهيتم عنه وانفقوا فيما وجب عليكم وخيرا منصوب بفعل محذوف تقديره واتوا خيرا او على اضمار يكن فيكون خبرا او على انه نعت لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او على انه حال او على انه مفعول بانفقوا خيرا اي مالا اقوال الاول عن س ولما امر بالانفاق اكده بقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا ورتب على تضعيف القرض وغفران الذنب وفي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء وفي لفظ المضاعفة تاكيد للبذل لوجه الله ثم اتبع جوابي الشرط بوصفين احدهما عائد على المضاعفة اذ شكره تعالى مقابل للمضاعفة وحلمه مقابل للغفران قيل وهذا الحض هو في الزكوة المفروضة وقيل هو في المندوب اليه وتقدم الخلاف في القراءة في يوق وفي شح وفي يضاعفه

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا • فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر • ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب • ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا • هذه السورة مدنية قيل وسبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة قاله قتادة عن انس وقال السدي طلاق عبد الله بن عمر وقال الحافظ ابو بكر ابن العربي وهذا وان لم يصح فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر الفتنة بالمال والولد اشار الى الفتنة بالنساء وانهن قد يعرضن للرجال الفتنة حتى لا يجد مخلصا منها الا بالطلاق فذكر انه ينفصل منهن بالوجه الجميل بان لا يكون بينهن اتصال لا بطلاب ولد ولا حمل يا ايها النبي نداء للنبي وخطاب على سبيل التكريم والتنبيه اذا طلقتم خطاب له عليه السلام مخاطبة الجمع على سبيل التعظيم او لامته على سبيل تلوين الخطاب اقبل عليه السلام اولا ثم رجع اليهم بالخطاب او على اضمار القول اي قل لامتك اذا طلقتم او له ولامته وكانه ثم محذوف تقديره يا ايها النبي اذا طلقتم فالخطاب له ولهم اي انت وامتك اقوال وقال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وساد مسد جميعهم انتهى وهو كلام حسن ومعنى اذا طلقتم اذا اردتم تطليقهن والنساء يعني المدخول بهن فطلقوهن اي اوقعوا الطلاق لعدتهن هو على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا وتقدير الزمخشري هنا حالا محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور اي مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لانه قدر عاملا خاصا ولا يحذف العامل في الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت زيد عندك او في الدار تريد ضاحكا عندك او ضاحكا في الدار لم يجز فتعلق اللام بقوله فطلقوهن ويجعل على حذف مضاف هو الصحيح وما روي عن جماعة من الصحابة والتابعين من انهم قروا فطلقوهن في قبل عدتهن وعن عبد الله لقبل طهرهن هو على سبيل التفسير لا على انه قرانه لخلافه سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون شرقا وغربا وهل تغير

قوله عز وجل ما اصاب من مصيبة الا باذن الله

هن

العدة بالنسبة الى الاطهار او الحيض تقدم ذلك في البقرة في قوله ثلثة قروء والمراد ان يطلقن
في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن فان شاء ردها وان شاء اعرض عنها لتكون مهياة
للزوج وهذا الطلاق ادخل في السنة وقال مالك لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكره
الثلث مجموعة او مفرقة وابو حنيفة كره ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار
فلا وقال الشافعي لا باس بارسال الثلث ولا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح
راعى في السنة الوقت فقط وابو حنيفة التفريق والوقت ومالك الواحدة والوقت وقوله فطلقوهن
مطلق لا تعرض فيه لعدد ولا لوصف من تفريق او جمع والجمهور على انه لو طلق لغير السنة وقع
وعن ابن المسيب وجماعة من التابعين انه لو طلق في حيض او ثلث لم يقع والظاهر ان الخطاب
في واحصوا العدة للازواج اي اضبطوا بالحفظ وفي الاحصاء فوايد مراعاة الرجعة وزمان النفقة
والسكنى وتوزيع الطلاق على الاقراء واذا اراد ان يطلق ثلاثا والعلم بانها قد بانت فيتزوج
باختها وبا ربع سواها ونهى تعالى عن اخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدة ونهاهن ايضا عن خروجهن
واضاف البيوت اليهن لما كان سكناهن فيها ونهيهن عن الخروج لا نتيجة اذن الازواج اذ لا اثر
لاذنهم والاسكان على الزوج فان كان ملكه او بكراء فذاك او ملكها فلها عليه اجرته وسواء في
ذلك الرجعية والمبتوتة وسنة ذلك ان لا تبيت عن بيتها ولا تخرج عنه نهارا الا لضرورة وذلك
لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي الزنا عند قتادة ومجاهد والحسن
والشعبي وزيد بن اسلم والضحاك وعكرمة وحماد والليث ورواه مجاهد عن ابن عباس وعند ابن عباس
البذاء على الاحماء فتخرج ويسقط حقها من السكنى وتلزم الاقامة في مسكن يتخذه حفظا للنسب
وعنده ايضا جميع المعاصي من سرقة او قذف او زنا او غير ذلك واختاره الطبري فيسقط حقها
في السكنى وعند ابن عمر والسدي وابن السايب هي خروجها من بيتها خروج انتقال فيسقط حقها في
السكنى وعند قتادة ايضا نشوزها عن الزوج فتطلق بسبب ذلك فلا يكون عليه سكنى اذا سقط حقها
من السكنى انت العدة لا تدري اي ايها السامع لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال المفسرون والامر
هنا الرغبة في ارتجاعها والميل اليها بعد انحرافه عنها اي ظهور حمل فراجعها من اجله ونصب لا تدري
على جملة الترجي فلا تدري معلقة عن العمل وقد تقدم لنا الكلام على قوله وان ادري لعله فتنة
لكم وذكرنا انه ينبغي ان يزاد في المعلقات لعل فالجملة المترجاة في موضع نصب بلا تدري فاذا بلغن
اجلهن اي اشرفن على انقضاء العدة فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف اي لغير ضرار او فارقوهن بمعروف
اي سرحوهن باحسان والمعنى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن **وقرا** الجمهور
اجلهن على الافراد والضحاك وابن سيرين اجالهن على الجمع والامساك بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة
على الزوج والمفارقة بمعروف هو اداء المهر والتمتيع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط واشهدوا
الظاهر وجوب الاشهاد على ما يقع من الامساك وهو الرجعة او المفارقة وهو الطلاق وهذا الاشهاد مندوب
اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعية واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة
وقيل واشهدوا يريد على الرجعة فقط والاشهاد شرط في صحتها فلها منعه من نفسها حتى يشهد وقال
ابن عباس الاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق يرفع عن النوازل اشكالا كثيرة ويفسد تاريخ الاشهاد من الاشهاد
قيل وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي
ثبوت الزوجية ليرث انتهى وذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وقال قتادة من الاحرار واقيموا الشهادة
لله هذا امر للشهود اي لوجه الله خالصا لا للمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة
الحق ذلكم اشارة الى اقامة الشهادة اذ نوازل الاشياء يدور عليها وما يتميز المبطل من المحق ومن
يتق الله قال علي بن ابي طالب وجماعة هي في معنى الطلاق اي ومن لا يتعدى طلاق السنة الى طلاق
الثلث وغير ذلك يجعل الله له مخرجا ان ندم بالرجعة ويرزقه ما يطعم اهله انتهى ومفهوم الشرط
انه اذا لم يتق الله فبت الطلاق وندم لم يكن له مخرج وزال عنه رزق زوجته وقال ابن عباس
للمطلق ثلثا انك لم تتق الله بانت منك امراتك ولا ارى لك مخرجا وقال يجعل له مخرجا يخلصه
من كرب الدنيا والاخرة والظاهر ان قوله ومن يتق الله متعلق بامر ما سبق من احكام الطلاق
وروي انها في غير هذا المعنى كان اسير ابن يسمى سالما لعوف بن مالك الاشجعي فشكا ذلك للرسول
فامره بالتقوى فقبل ثم لم يلبث ان تفلت ولده واستاق مائة من الابل كذا في الكشاف وقطيعا

من الطيبات ومما احله الله وقال ابو بكر وعمر وزيد وابن مسعود وابن عباس وعايشة وابن المسيب
وعطاء وطاووس وسليمن بن يسار وابن جبير وقتادة والحسن والاوزاعي وابو ثور وجماعة
هو يمين يكفرها وقال ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي في احد قوليه
فيه تكفير يمين وليس بيمين وقال ابو حنيفة وسفين والكوفيون هو ما اراد من الطلاق
فان لم يرد طلاقا فليس بشيء وقال اخرون كذلك فان لم يرد فهو يمين وفي التحرير قال ابو
حنيفة واصحابه ان نوى الطلاق بواحدة باينة او اثنتين فواحدة او ثلثا فثلث او لم ينو شيئا
فيمين وهو مول او الظهار فظهار وقال ابن عشيم لا ينفعه نية الظهار ويكون طلاقا وقال
يحيى بن عمر يكون فان ارتجعها فلا يجوز له وطيها حتى يكفر كفارة الظهار فما زاد من اعداده فان
نوى واحدة فرجعية وهو قول الشافعي وقال الاوزاعي وسفين وابو ثور اي شيء نوى به من الطلاق
وقع وان لم ينو شيئا فقال سفين لا شيء عليه وقال الاوزاعي وابو ثور تقع واحدة وقال الزهري
له نيته ولا يكون اقل من واحدة فان لم ينو فلا شيء وقال ابن جبير عليه عتق رقبة وان لم يكن ظهارا
وقال ابو قلابة وعثمن واحمد واسحق التحريم ظهار ففيه كفارته وقال الشافعي ان نوى انها
محرمة كظهر امه فظهار او تحريم عينها بغير طلاق او لم ينوه فكفارة يمين وقال مالك هي ثلث
في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فهو ما اراد من واحدة او ثنتين او ثلث وقال علي
وزيد وابو هريرة وقيل في المدخول بها ثلث قاله علي ايضا وزيد بن اسلم والحكم وقال ابن ابي ليلى
وعبد الملك بن الماجشون هي ثلث في الوجهين ولا ينوي في شيء وروى ابن خويزمنداد عن مالك
وقاله زيد وحماد بن ابي سليمن انها واحدة باينة في المدخول بها وغير المدخول بها وقال الزهري
وعبد العزيز بن الماجشون هي واحدة رجعية وقال ابو مصعب ومحمد بن عبد الحكم هي في التي
لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلث وفي الكشاف لا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في
الكفارة وفي النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي وعن عمر اذا نوى الطلاق فهو رجعي
وعن علي ثلث وعن زيد واحدة باينة وعن عثمن ظهار انتهى وقال ايضا ولم يثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه
وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين
يعني اقبل على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها انتهى
وتبتغي في موضع الحال وقال الزمخشري تفسير لتحرم او استيناف مرضات رضى ازواجك اي بالامتناع
مما احل الله لك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم الظاهر انه كان حلف على انه يمتنع من وطء مارية
او من شرب من ذلك العسل على الخلاف من ذلك السبب وفرض احالة على اية العقود ولكن يواخذكم
بما عقدتم الايمان الاية وتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم وليس مصدرا منقاسا والمقيس التحليل
والتكريم لان قياس فعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل واصل هذا تحللة فادغم وعن مقاتل
اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن لم يكفر انتهى فيدل على انه لم يكن ثم يمين وبعض ازواجه حفصة
والحديث هو بسبب مارية فلما نبات به اي اخبرت عايشة وقيل الحديث هو انما شربت عسلا وقال
ميمون بن مهران هو اسراره الى حفصة ان ابا بكر وعمر يملكان امر امتي من بعدي خلافة **وقرا**
الجمهور فلما نبات به وطلحة انبات والعامل في اذا اذكر وذكر ذلك على سبيل التانيب والعتب
لمن اسر له فافشاه ونبا وانبا الاصل ان يتعديا الى واحد بانفسهما والى ثان بحرف الجر ويجوز حذفه فقوله
نبات به المفعول الاول محذوف اي غيرها ومن انباك هذا اي بهذا قال نباني اي نباني به او نبانيه
فاذا ضمنت معنى اعلم تعدت الى ثلثة مفاعيل نحو **قول الشاعر**
نبيت زرعة والسفاهة كاسمها ٭ يهدي الي غرايب الاشعار ٭
واظهره الله اي اطلعه عليه اي على افشايه وكان قد تكوتم فيه وذلك باخبار جبريل عليه السلام وجاءت
الكناية هنا عن المفشى والحذف للمفشى اليها بالستر حياطة وصونا عن التصريح بالاسم اذ لا يتعلق
بالتصريح بالاسم غرض **وقرا** الجمهور عرف بشد الراء والمعنى اعلم به وانب عليه **وقرا**
السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وابو عمرو في رواية هارون عنه بخف الراء اي جازى
بالعتب واللوم كما تقول لمن يوذيك لاعرفن لك ذلك اي لاجازينك وقيل انه طلق حفصة وامره
الله بمراجعتها وقيل عاتبها ولم يطلقها **وقرا** ابن المسيب وعكرمة عراف بالف بعد الراء

وهي اشباع وقال ابن خالويه وبقال انها لغة يمانيه ومثال بالالف **قوله**

اعوذ بالله من العقراب • الشايلات عقد الاذناب •

يريد من العقرب واعرض عن بعض اي تكرمًا وحياءً وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفين ما زال التغافل من فعل الكرام ومفعول عرف المشدد محذوف اي عرفها بعضه اي اعلم ببعض الحديث وقيل المعرف حديث خلافة الشيخين والذي اعرض عنه حديث مارية ولما افشت حفصة الحديث لعايشة واكتتمها اياه ونباها الرسول به ظنت عايشة ان حفصة فضحتها فقالت من انباك هذا على سبيل التثبت فاخبرها ان الله هو الذي نباه به فسكتت وسلمت ان تتوبا الى الله انتقال من غيبة الى خطاب ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعايشة فقد صغت مالت عن الصواب وفي حرف عبد الله زاغت واتى بالجمع في قوله قلوبكما وحسن ذلك اضافته الى مثنى وهو ضميرهما والجمع في مثل هذا اكثر استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع كما **قال الشاعر**

فتخالسا نفسيهما بنوافذ • كنوافذ العبط التي لا ترقع

وهذا كان القياس وذلك ان يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا الى الجمع لان التثنية جمع في المعنى والافراد لا يجوز عند اصحابنا الا في الشعر كقوله حمامة بطن الواديين ترنمي يريد بطني وغلط ابن مالك فقال في كتاب التسهيل ونختار لفظ الافراد على لفظ التثنية **وقرا** الجمهور تظاهرا بشد الظاء واصله تتظاهرا وادغمت التاء في الظاء وبالاصل قراءة عكرمة وبتخفيف الظاء قرا ابو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية وبشد الظاء والهاء دون الف **قرا** ابو عمرو في رواية والمعنى وان لا يتعاونا عليه اي في افشاء سره والافراط في الغيرة فان الله هو مولاه اي مظاهره ومعينه والاحسن الوقف على قوله مولاه ويكون وجبريل مبتداء وما بعده معطوف عليه والخبر ظهير فيكون ابتداء الجملة لجبريل وهو امين وحي الله واختتامه بالملايكة وبدى بجبريل وافرد بالذكر تعظيمًا له واظهارًا لمكانته عند الله ويكون قد ذكر مرتين مرة بالنص ومرة في العموم واكتنف صالح المومنين جبريل والملايكة تشريفًا لهم واعتناءً بهم اذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل في الظهير لا في الولاية ويختص الرسول بان الله هو مولاه وجوزوا ان يكون وجبريل وصالح المومنين عطفًا على اسم الله فيدخلان في الولاية ويكون والملايكة مبتداء والخبر ظهير فيكون جبريل داخلا في الولاية بالنص وفي الظهراء بالعموم والمظاهر عموم وصالح المومنين يشمل كل صالح **وقال** قتادة والعلا بن زيد هم الانبياء وتكون مظاهرتهم له كونهم قدوة فهم ظهراء بهذا المعنى وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد المراد ابو بكر وعمر وزاد مجاهد وعلي بن ابي طالب وقيل الصحابة وقيل الخلفاء وعن ابن جبير من برئ من النفاق وصالح يحتمل ان يراد به الجمع وان كان مفردًا فيكون كالسامر في قوله مستكبرين به سامرا اي سمارًا ويحتمل ان يكون جمعًا حذفت منه الواو خطا كحذفها لفظا كقوله سندع الزبانية وافرد ظهيرا لان المراد فوج ظهير وجمع ظهير كثيرا ما يأتي بفعيل نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد كانهم في المظاهرة يد واحدة على من يعاديه فما قدر تظاهرا من على من هو لا ظهراوه وذلك اشارة الى تظاهرهما او الى الولاية وفي الحديث ان عمر قال يا رسول الله لا تكترث بامر نسايك والله معك وجبريل معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت وروى انه قال لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن الاية فنزلت **وقراء** الجمهور طلقكن بفتح القاف وابو عمرو في رواية عباس بادغامها في الكاف وتقدم ذكر الخلاف في ان يبدله في سورة الكهف والمتبدبه محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره ان يبدله يكن خيرا امكن لانهن اذا طلقهن كان طلاقهن لسوء عشرتهن واللواتي يبدلهن بهذه الاوصاف يكن خيرا منهن وبدا في وصفهن بالاسلام وهو الانقياد ثم بالايمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية ثم بالتوبة وهو الاقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وفيها التذلل ثم بالسياحة وهي كناية عن الصيام قاله ابو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وقيل انما الرسول عليه السلام فسر بذلك قاله ابنا الحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن قال الفراء والقتبي سمى الصايم سايحًا لان السايح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام **وقال** زيد بن اسلم ويمان مهاجرات **وقال** ابن زيد ليس في الاسلام سياحة الا الهجرة وقيل ذاهبات في طاعة الله **وقرا** الجمهور سايحات وعمرو بن فايد سيحات وهذه الصفات تجتمع واما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان فلذلك عطف احدهما على الاخر ولو لم ياتى الواو لاختل المعنى وذكر الجنسين لان في ازواجه عليه السلام من تزوجها ثيبًا ومن تزوجها بكرًا والثيب الراجع بعد زوال البكارة العذرة

يقال ثابت تثوب ثوبًا ووزنه فيعل كسيد ولما وعظ ازواج الرسول موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة المومنين واهليهم وعطف واهليكم على انفسكم لان رب المنزل راع وهو مسؤول عن اهله ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته والزامهم اداء ما فرض عليهم قال عمر يا رسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا قال تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتامرونهن بما امركم الله فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الاولاد في واهليكم وقيل دخلوا في وانفسكم لان الولد بعض من ابيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي **وقري** واهلوكم بالواو وهو معطوف على الضمير في قوا وحسن العطف للفصل بالمفعول **وقال** الزمخشري **فان قلت** اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهليكم انفسهم **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب انتهى وتقدم الخلاف في فتح الواو في قوله وقودها وضمها في البقرة وتفسير وقودها الناس والحجارة فيها عليها ملايكة هي الزبانية التسعة عشر واعوانهم ووصفهم بالغلظ اما لشدة اجسامهم وقوتها واما لغلاظتهم كقوله ولو كنت فظا غليظ القلب اي ليس فيهم رقة ولا حنو على العصاة وانتصب ما امرهم على البدل اي لا يعصون امره لقوله افعصيت امري او على اسقاط حرف الجر اي فيما امرهم ويفعلون ما يومرون قيل كرر المعنى توكيدا **وقال** الزمخشري **فان قلت** اليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يودون ما يومرون لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه لا تعتذروا خطاب لهم عند دخولهم النار اي لانه لا ينفعكم الاعتذار فلا فايدة فيه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير • يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير • ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين • وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين • ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين • ذكروا في التوبة النصوح اربعة وعشرين قولا وروي عن عمر وعبد الله وابو معاذ انها التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم **وقرا** الجمهور نصوحا بفتح النون وصفا للتوبة وهو من امثلة المبالغة كضروب وقتول **وقرا** الحسن والاعرج وعيسى وابو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع بضمها وهو مصدر وصف به ووصفها بالنصح على سبيل المجاز اذ النصح صفة التايب وهو ان ينصح نفسه بالتوبة فياتي بها على طريقها وهي خلوصها من جميع الشوايب المفسدة لها من قولهم عسل ناصح اي خالص من الشمع او من النصاحة وهي الخياطة اي قد احكمها واوثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه وسمع علي اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه انتهى ونصوحا من نصح فاحتمل وهو الظاهر ان تكون التوبة تنصح نفسا للتايب واحتمل ان يكون متعلق النصح الناس اي يدعوهم الى مثلها لظهور امرها على صاحبها **وقرا** زيد بن علي توبا بغير تاء ومن قرا بالضم جاز ان يكون مصدرا وصفًا كما قدمنا وجاز ان يكون مفعولا له اي توبوا للنصح انفسكم **وقرا** الجمهور ويدخلكم عطفا على ان يكفر **وقال** الزمخشري

قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا

عطفًا علي يحل عسي ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم انتهي والاولي ان يكون حذف
الحكاية تخفيفا وتشبيها لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة تقول في قمع قمع ونطع نطع بوزن معه
يخزي منصوب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والنبي هو الرسول محمد
صلي الله عليه وسلم وفي الحديث انه عليه السلام تضرع في امر امته فاوحي الله تعالي اليه ان شئت جعلت
حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال تعالي اذن لا اخزيك فيهم وجاز ان يكون والذين
معطوفا علي النبي فيدخلون في انتفاء الخزي وجاز ان يكون مبتدا والخبر نورهم يسعي فيكون
النبي مخصوصا بانه لا يخزي بالنص عليه وتقدم في الحديد نورهم يسعي بين ايديهم وبايمانهم وقراه
سهل بن شعيب السهمي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الهمزة وتقدم في الحديث يقولون ربنا اتمم لنا نورنا قال
ابن عباس والحسن يقولون ذلك اذا طفي نور المنافقين وقال الحسن ايضا يدعونه تقربا اليه كقوله
واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل تقوله من يمر علي الصراط زحفا وحبوا وقيل يقوله من يعطي
من النور مقدار ما يبصر به موضع قدمه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين تقدم نظير هذه
الاية في التوبة ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب تعالي المثل بامراة نوح وامراة لوط في انهم لا ينفعهم
مع كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ الكفر قاطع العلايق بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن في
اقصي درجات الصلاح الا تري الي قوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح كالم ينفع تينك المراتين
مع كونهما زوجتي نبيين وجاءت الكناية عن اسميهما العلمين بقوله عبدين من عبادنا لما في ذلك من التشريف
بالاضافة اليه تعالي ولم يات التركيب بالضمير عنهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله
صالحين لان الصلاح هو الوصف الذي يمتاز به من اصطفاه تعالي كقوله في حق ابراهيم عليه السلام
وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي قول يوسف عليه السلام والحقني بالصالحين وقول سليمان عليه
السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فخانتاهما وذلك بكفرهما وقول امراة نوح هو مجنون
ونميمة امراة لوط بمن ورد عليه من الاضياف قاله ابن عباس وقال لم تزن امراة نبي قط ولا ابتلي في نسائه
بالزنا قال في التحرير وهذا اجماع من المفسرين وفي كتاب ابن عطية وقال الحسن في كتاب النقاش
خانتاهما بالكفر والزنا وغيره وقال الزمخشري ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع
نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وقال الضحاك
خانتاهما بالنميمة كان اذا اوحي اليه بشي افشتاه للمشركين وقيل خانتاهما بنفاقهما وقال مقاتل اسم
امراة نوح والهة واسم امراة لوط والعة فلم يغنيا بياء الغيبة والالف ضمير نوح ولوط اي علي
قربهما منهما ادرق بينهما الخيانة وقيل ادخلا النار اي وقت موتهما او يوم القيامة مع الداخلين
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع من دخلها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط وقراه
مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء والالف ضمير المراتين ومعني عنهما عن انفسهما ولابد من هذا المضاف
الا ان يجعل عن اسما كهي في دع عنك لانها ان كانت حرفا كان في ذلك تعدية الفعل الرافع للضمير
المتصل الي ضميره المجرور وهو يجري مجري المنصوب المتصل وذلك لا يجوز وضرب الله مثلا للذين
امنوا امراة فرعون مثل تعالي حال المؤمنين في ان وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال
امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله والمدعي الالهية
بل نجاها ايمانها وبحال مريم اذ اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء علي نساء العالمين
مع ان قومها كانوا كفارا اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة هذا يدل علي ايمانها وتصديقها
بالبعث قيل كانت عمة موسي عليه السلام وامنت حين سمعت بتلقف عصاه ما افك السحرة طلبت من
ربها القرب من رحمته وكان ذلك اهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك بيتا ثم بينت مكان
القرب فقالت في الجنة وقال بعض الظرفاء وقد سئل اين في القران مثل قولهم الجار قبل الدار قال
قوله تعالي ابن لي عندك بيتا في الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا في الجنة هو الدار وقد تقدم عند
علي قوله بيتا ونجني من فرعون قيل دعت بهذه الدعوات حين امر فرعون بتعذيبها لما عرف ايمانها
بموسي وذكر المفسرون انواعا مضطربة في تعذيبها وليس في القران انها عذبت وقال الحسن
لما دعت بالنجاة نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الي الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم وقيل لما قالت
ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبني وعمله قيل كفره وقيل عذابه وظلمه وشماتته
وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر وقال مقاتل القبط وفي هذا دليل

علي الالتجاء

علي الالتجاء الي الله عند المحن وسؤال الخلاص منها وان ذلك من سنن الصالحين والانبياء ومريم معطوف
علي امراة فرعون ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا تقدم تفسير نظير هذه في
سورة الانبياء وقرا الجمهور ابنة عمران بفتح التاء وايوب السختياني ابنه بسكون الهاء
وصلا اجراء مجري الوقف وقرا الجمهور فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها كما في
سورة الانبياء اي في الجملة وجمع تعالي في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل
وتطبيبا لانفسهن وقرا الجمهور وصدقت بشد الدال ويعقوب وابو مجلز وقتادة وعصمة
عن عاصم بخفها اي كانت صادقة بما اخبرت به من امر عيسي وما اظهر الله لها من الكرامات وقرا
الجمهور وكلمات ربها جمعا فاحتمل ان تكون الصحف المنزلة علي ادريس عليه السلام وغيره وسماها كلمات
لقصرها ويكون المراد بكتبه الكتب الاربعة واحتمل ان تكون الكلمات ما كلم الله به ملايكته وغيرهم
وبكتبه جميع ما يكتب في اللوح وغيره واحتمل ان تكون الكلمات ما صدر في امر عيسي وقرا
الحسن ومجاهد والجحدري بكلمة علي التوحيد فاحتمل ان يكون اسم جنس واحتمل ان يكون كناية
عن عيسي لانه قد اطلق عليه انه كلمة الله القاها الي مريم وقرا ابو عمرو وحفص وكتبه
جمعا ورواه كذلك خارجة عن نافع وقرا باقي السبعة وكتابه علي الافراد فاحتمل ان يراد
به الجنس وان يراد به الانجيل لا سيما ان فسرت الكلمة بعيسي وقرا ابو رجاء وكتبه قال ابن
عطية بسكون التاء وكتبه وذلك كله مراد به التوراة والانجيل وقال صاحب اللوامح وابو رجاء
وكتبه بفتح الكاف وهو مصدر اقيم مقام الاسم قال سهل وكتبه اجمع من كتابه لان فيه وضع المضاف
موضع الجنس فالكتب عام والكتاب هو الانجيل فقط انتهي وكانت من القانتين غلب الذكورية
علي التانيث والقانتين شامل للذكور والاناث ومن للتبعيض وقال الزمخشري ويجوز ان
تكون لابتداء الغاية علي انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسي صلوات الله عليهما
وقال يحيي بن سلام مثل ضربه الله يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات
علي الدين انتهي واخذ الزمخشري كلام ابن سلام هذا وحسنه وزمكه بفصاحته فقال وفي طي هذين
التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر علي رسول الله
بما كرهه وتحذير لهما علي اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الي ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه
كمثل هاتين المؤمنتين وان لا يتكلا علي انهما زوجا رسول الله صلي الله عليه وسلم فان ذلك الفضل
لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت
حفصة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف
والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره انتهي وقال ابن عطية وقال بعض
الناس ان في المثلين عبرة لزوجات النبي صلي الله عليه وسلم حين تقدم عتابهن وفي هذا بعد
لان النص انه للكفار يبعد هذا

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شي قدير ● الذي خلق الموت
والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ● الذي خلق سبع سموات طباقا ما تري في خلق
الرحمن فارجع البصر هل تري من فطور ● ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو
حسير ● ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ●
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ● اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ●
تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير ● قالوا بلي قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير ● وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير ● فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ● ان الذين يخشون ربهم بالغيب
لهم مغفرة واجر كبير ● واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ● الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير ● هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ●

من تفاوت

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ضرب للكفار بتينك المراتين المحتوم لهما بالشقاوة

وان كانتا تحت نبيين ومثلا للمؤمنين باسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وان كان قوما
هما كافرين كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق قضاؤه فتبارك اي تعالى وتعاظم الذي
بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر وكثيرا ما جاء نسبة اليد اليه تعالى كقوله فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون بيدك الخير وذكر في حقه تعالى استعارة لتحقيق
الملك اذ كانت في عرف الادميين آلة للتملك والملك هنا هو على الاطلاق لا يبيد ولا يختل وعن
ابن عباس ملك الملوك كقوله قل اللهم مالك الملك وناسب الملك ذكر وصف القدرة والحيوة ما يصح
بوجوده الاحساس ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى موتكم وحياتكم
ايها المكلفون وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر وفي الحديث
انه فسر ايكم احسن عملا ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم في امره ونهيه نظرا وان كانوا اقلكم
تطوعا وعن ابن عباس والحسن والثوري ازهدكم في الدنيا وقيل كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع
فيها وعن الاخرة بالحياة من حيث لا موت فيها فكانه قال هو الذي خلق الدنيا والاخرة وصفهما
بالمصدرين وقدم الموت لانه اهيب في النفوس وليبلوكم متعلق بخلق وايكم احسن عملا مبتدا
وخبر فقدر الحوفي قبلها فعلا تكون الجملة في موضع معموله وهو معلق عنها تقديره فينظر وقدر
ابن عطية فينظر او فيعلم وقال الزمخشري **فان قلت** من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا
بفعل البلوى **قلت** من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قال ليعلمكم ايكم
احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه
كما تقول علمته هو احسن عملا **فان قلت** اتسمي هذا تعليقا **قلت** لا انما
التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق
الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير
مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا
انتهى واصحابنا يسمون ما منعه الزمخشري تعليقا فيقولون في الفعل اذا عدي الى اثنين ونصب
الاول وجاءت بعده جملة استفهامية او بلام الابتداء او بحرف نفي كانت الجملة معلقا عنها الفعل
وكانت في موضع نصب كما لو وقعت في موضع المفعولين وفيهما ما يعلق الفعل عن العمل وقد تقدم
الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله لنبلوهم ايهم احسن عملا وانتصب طباقا على الوصف
لسبع فاما ان يكون مصدر طابق مطابقة وطباقا لقولهم طابق النعل خصفها طبقا على طبق وصف
به على سبيل المبالغة او على حذف مضاف اي ذات طباق واما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة
كرحبة ورحاب والمعنى بعضها فوق بعض وما ذكر من مواد هذه السموات فالاولى من موج
مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة
والسادسة من ذهب والسابعة من زمردة بيضاء يحتاج الى نقل صحيح وقد كان بعض من ينتمي
الى الصلاح وكان اعمى لا يبصر موضع قدمه يخبر انه يشاهد السموات على بعض اوصاف مما ذكرنا من تفاوت
قال ابن عباس من تفرق وقال السدي من عيب وقال عطاء بن يسار من عدم استواء وقال ثعلب
اصله من الفوت وهو ان يفوت شيء شيئا مع الخلل وقيل من اضطراب وقيل من اعوجاج وقيل من تناقض
وقيل من اختلاف وقيل عدم التناسب والتفاوت تجاوز الحد الذي يجب له زيادة او نقصا
وقال بعض الادباء تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى ◦ بهن اختلافا بل اتين على قدر ◦
وقرأ الجمهور من تفاوت بالف مصدر تفاوت وعبد الله وعلقمة والاسود وابن جبير وطلحة
والاعمش بشد الواو مصدر تفوت وحكى ابو زيد عن العرب تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها
والفتح والكسر شاذان والظاهر عموم خلق الرحمن من الافلاك وغيرها فانه لا تفوت فيه ولا
فطور بل كل جار على الاتقان وقيل المراد في خلق الرحمن السموات فقط والظاهر ان قوله ما ترى
استئناف انه لا يدرك في خلقه تعالى تفاوت وجعل الزمخشري هذه الجملة صفة متابعة لقوله
طباقا اصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها
على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك
الخلق المناسب انتهى والخطاب في ترى لكل مخاطب او للرسول عليه السلام ولما اخبر تعالى انه لا
تفاوت في خلقه امر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال فارجع ففي الفاء معنى التسبيب والمعنى

ان العيان

618

ان العيان يطابق الخبر والفطور قال مجاهد الشقوق فطر ناب البعير شق اللحم وظهر **قال الشاعر**

بني لكم بلا عمد سماء ◦ وسواها فما فيها فطور ◦

وقال ابو عبيدة صدوع وانشد **قوله** عبيد بن عتبة بن مسعود ◦

شققت القلب ثم ذررت فيه ◦ هواك فليط فالتأم الفطور ◦

وقال السدي خروق وقال قتادة خلل ومنه التفطر والانفطار وقال ابن عباس وهن وهذه
تفاسير متقاربة والجملة من قوله هل ترى من فطور في موضع نصب بفعل معلق محذوف اي
فانظر هل ترى او ضمن فارجع البصر معنى فانظر ببصرك هل ترى فيكون معلقا ثم ارجع البصر
اي رده كرتين هي تثنية لا تشفع الواحد بل يراد بها التكرار كانه قال كرة بعد كرة اي كرات
كثيرة كقولهم لبيك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض واريد بالتثنية التكثير كما اريد بما
هو اصلها التكثير وهو مفرد عطف على مفرد نحو **قوله** ◦

لو عد قبر وقبر كان اكرمهم بيتا ◦ وابعدهم عن منزل الذام ◦

يريد لو عدت قبور كثيرة وقال ابن عطية وغيره كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر وقيل امره
برجع البصر الى السماء مرتين اذ يمكن غلط في الاولى فيستدرك بالثانية وقيل الاولى ليرى
حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها **وقرأ** الجمهور ينقلب
جزما على جواب الامر والخوارزمي عن الكسائي برفع الباء اي فينقلب على حذف الفاء او على انه
موضع حال مقدرة اي ان رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطورا شقوقا او خللا او عيبا
رجع اليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها وهو كال من كثرة النظر وكلاله يدل على ان المراد
بالكرتين ليس شفع الواحد لانه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين والحسير الكال **قال الشاعر**

لهن الوجي لم كن عونا على النوى ◦ ولا زال منها ظالع وحسير ◦

يقال حسر بعيره يحسر حسورا اي كل وانقطع فهو حسير ومحسور **قال الشاعر يصف ناقة**
وشطرها نظر العينين محسورة اي وبحوها وقد جمع حسير بمعنى اعيي وكل **قال الشاعر**

◦ بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض ◦

السماء الدنيا هي التي نشاهدها والدنو امر نسبي والا فليست قريبة بمصابيح اي بنجوم مضيئة كالمصا
ومصابيح مطلق الاعلام ولا يدل على ان سماء الدنيا ليست فيها مصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
اي جعلنا منها لان سماء ذاتها ليست الرجوم هذا ان عاد الضمير في قوله وجعلناها على السماء
والظاهر عوده على مصابيح ونسب الرجم اليها لان الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها
والكوكب قار في فلكه على حاله فالشهاب كقبس يؤخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر
ان الشياطين هم مسترقو السمع وان الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب كما تقدم في سورة الحجر وسورة
والصافات وقيل معنى رجوما ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون ينسبون الى النجوم اشياء على
جهة الظن من جهالهم والتمويه والاختلاق من اذكيائهم ولهم في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات
يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ويعملون موالد يحكمون فيها باشياء لا يصح منها شيء وقد
وقفنا على اشياء من كذبهم في تلك الموالد وما يحكونه عن ابي معشر وغيره من شيوخ السوء كذب يغرون
به الناس الجهال **وقال** قتادة خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء ورجوما للشياطين
وليهتدى بها في البر والبحر فمن قال غير هذه الخصال الثلث فقد تكلف واذهب حظه من الاخرة
والضمير في لهم عائد على الشياطين **وقرأ** الجمهور عذاب جهنم برفع الباء والضحاك والاعرج
واسيد بن اسيد المزني والحسن في رواية هارون عنه بالنصب عطفا على عذاب السعير اي واعتدنا
للذين كفروا عذاب جهنم اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به
ومثله حصب جهنم سمعوا لها اي لجهنم شهيقا اي صوتا منكرا كصوت الحمار تصوت مثل ذلك لشدة
توقدها وغليانها ويحتمل ان يكون على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها كما قال تعالى لهم فيها زفير
وشهيق وهي تفور تغلي بهم غلي المرجل تكاد تميز اي ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها ويقال
فلان يتميز من الغيظ اذا وصفوه بالافراط بالغضب **وقرأ** الجمهور تميز بتاء واحدة
خفيفة والبزي بشدها وطلحة بتاءين وابو عمرو بادغام الدال في التاء والضحاك تمايز على وزن
تفاعل واصله تتمايز بتاءين وزيد بن علي وابن ابي عبلة تميز من ماز من الغيظ على الكفرة جعلت

كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ومثل هذا في التجوز قوله في كلب يشتد في جريته يكاد ان يخرج
عن اهابه وقولهم غضب فلان فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا افرط في الغضب
ويجوز ان يراد من غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج اي فريق من الكفار سالهم خزنتها سؤال
توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابا الى عذابهم وخزنتها مالك واعوانه الم ياتكم نذير ينذركم
بهذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذر اليهم قال الزمخشري اعتراف منهم بعدل الله واقرار
بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم فيما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما
تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده
انتهى وهو على طريق المعتزلة والظاهر ان قوله ان انتم الا في ضلال كبير من قول الكفار للرسل
الذين جاؤا نذرا اليهم انكروا اولا ان الله نزل شيئا واستجهلوا ثانيا من اخبر بانه تعالى ارسل
اليهم الرسل وان قائل ذلك في حيرة عظيمة ويجوز ان يكون من قول الخزنة للكفار اخبارا لهم
وتقريعا بما كانوا عليه في الدنيا ارادوا بالضلال الهلاك الذي هم فيه او سموا عقاب الاخرة
ضلالا لما كان ناشيا عن الضلال وقال الزمخشري او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا
لنا هذا فلم نقبله انتهى فان كان الخطاب في ان انتم للرسل فنذير اريد به الجنس ولذلك جاء الخطاب
بالجمع وقالوا اي للخزنة حين حاوروهم لو كنا نسمع سماع طالب للحق او نعقل عقل متامل له لم
نستوجب الخلود في النار فاعترفوا حين لم ينتفعوا بالاعتراف بذنبهم اي بتكذيب الرسل فسحقا اي فبعدا
لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصابه على المصدر اي سحقهم الله سحقا قال الشاعر

يجول باطراف البلاد مغربا ✿ وتسحقه ريح الصبا كل مسحق ✿

والفعل منه ثلاثي وقال الزجاج اي اسحقهم الله سحقا اي باعدهم بعدا وقال ابو علي الفارسي القياس
اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل وان اهلك فذلك كان قدري ✿
اي تقديري انتهى ولا يحتاج الى ادعاء الحذف في المصدر لان فعله قد جاء ثلاثيا كما انشدنا وتسحقه ريح
الصبا كل مسحق وقراءة الجمهور بسكون الحاء وعلي وابو جعفر والكسائي بخلاف عن ابي الحارث عنه
بضمها قال ابن عطية فسحقا نصبا على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث
هذا القول فيهم مستقرا ولا وجوده لم يقع ولا يقع الا في الاخرة فكانه لذلك في حيز المتوقع الذي
يدعى فيه كما تقول سحقا لزيد وبعدا والنصب في هذا كله باضمار فعل واما ما وقع وثبت فالوجه فيه
الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة انتهى يخشون ربهم بالغيب
اي الذي اخبروا به من امر المعاد واحواله او غايبين عن اعين الناس اي في خلواتهم كقوله ورجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه واسروا قولكم خطاب لجميع الخلق قال ابن عباس وشبيبة ان بعض المشركين
قال لبعض اسروا لا يسمعكم اله محمد الا يعلم من خلق الهمزة للاستفهام ولا للنفي والظاهر ان من
مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه ودق واحاط بخفيات الامور وجليها واجاز
بعض النحاة ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام
معناه الانكار اي كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الاشياء واوجدها من العدم الصرف وحاله انه
اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن هو الذي جعل لكم الارض ذلولا منة منه تعالى
بذلك والذلول فعول للمبالغة من ذال تقول دابة ذلول بينة الذل ورجل ذليل بين الذلة
وقال ابن عطية والذلول فعول بمعنى مفعول اي مذلولة فهي كركوب وحلوب انتهى وليس بمعنى
مفعول لان فعله قاصر وانما يعدى بالهمزة كقوله وتذل من تشاء واما بالتضعيف كقوله وذللناها
لهم وقوله اي مذلولة يظهر انه خطا فامشوا في مناكبها امر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها
قال ابن عباس وقتادة وبشر بن كعب اطرافها وهي الجبال وقال الفراء والكلبي ومنذر بن سعيد
جوانبها ومنكب الرجل جانباه وقال الحسن والسدي طرقها وفجاجها قال الزمخشري والمشي في مناكبها
مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه
عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك انتهى
وقال الزجاج سهل لكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل واليه النشور اي البعث فيسالكم عن شكر
هذه النعمة عليكم ✿ ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ✿ ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ✿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ✿ اولم يروا

قوله عز وجل ءامنتم من في السماء

الى

الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير ✿ امن هذا الذي هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور ✿ امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا
في عتو ونفور ✿ افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم ✿ قل هو الذي
انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ✿ قل هو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون ✿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ✿ قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين ✿ فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ✿ قل ارايتم
ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ✿ قل هو الرحمن امنا به وعليه
توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين ✿ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ✿
قرا نافع وابو عمرو والبزي امنتم بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخل ابو عمرو وقالون
بينهما الفا وقنبل بابدال الاولى واوا لضمة ما قبلها وعنه وعن ورش اوجه غير هذه والكوفيون وابن
عامر بتحقيقهما من في السماء هذا مجاز وقد قام البرهان العقلي على انه تعالى ليس بمتحيز في جهة
ومجازه انه ملكوته في السماء لان في السماء هو صلة من ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه
وهو استقر اي من في السماء هو اي ملكوته فهو على حذف مضاف وملكوته في كل شيء لكن خص
السماء بالذكر لانها مسكن ملايكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه
وامره ونهيه او جاء هذا على طريق اعتقادهم اذ كانوا مشبهة فيكون المعنى اامنتم من تزعمون
انه في السماء وهو المتعالي على المكان وقيل من على حذف مضاف اي خالق من في السماء وقيل
من هم الملايكة وقيل جبريل وهو الملك الموكل بالخسف وغيره وقيل في بمعنى على ويراد العلو
بالقهر والقدرة لا بالمكان وفي التحرير الاجماع منعقد على انه تعالى ليس في السماء بمعنى الاستقرار
لان من قال من المشبهة والمجسمة انه على العرش لا يقول انه في السماء ان يخسف بكم الارض وهو
ذهابها سفلا فاذا هي تمور اي تذهب وتتموج كما يذهب التراب في الريح وقد تقدم شرح الحاصب
في سورة الاسراء والنذير والنكير مصدران بمعنى الانذار والانكار وقال حسان

فانذر رسلها نصحا قريشا ✿ من الرحمن ان قبلت نذيري ✿

واثبت ورش ياء نذيري ونكيري وحذفها باقي السبعة ولما حذره ما يمكن احلاله بهم من الخسف
وارسال الحاصب نبههم على الاعتبار بالطير وما احكم من خلقتها وعلى عجز الهتهم عن شيء من ذلك
وناسب ذكر الاعتبار بالطير اذ قد تقدمه الحاصب وقد اهلك الله اصحاب الفيل بالطير والحاصب
الذي رمتهم به ففيه اذكار قريش بهذه القصة وانه تعالى لو شاء لاهلكهم بحاصب يرمي به الطير
كما فعل باصحاب الفيل صافات باسطة اجنحتها صافة لها حتى كانها ساكنة ويقبضن يضممن الاجنحة
الى جوانبهن وهاتان حالتان للطاير يستريح من احداهما الى الاخرى وعطف الفعل على الاسم
لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وعكسه
ايضا جايز الا عند السهيلي فانه قبيح نحو قوله ✿ بات يعشيها بعضب باتر ✿ يقصد في اسوقها وجاير
اي قاصد في اسوقها وجاير وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بهن جنوبهن فان قلت
لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى وملخصه ان الغالب هو البسط فكانه هو الثابت
فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر عنه بالفعل ما يمسكهن الا الرحمن اي بقدرته قال الزمخشري
وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصايص قد تاتى منها الجري في الجو انه
بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجايب انتهى وفيه نزوع الى قول اهل الطبيعة ونحن
نقول ان اثقل الاشياء اذا اراد امساكها في الهواء واستعلاءها الى العرش كان ذلك واذا اراد
انزال ما هو اخف سفلا الى منتهى ما ينزل كان وليس ذلك معذوقا بشكل لا من ثقل ولا خفة وقرا
الجمهور امن بادغام ميم ام في ميم من
الجمهور وما يمسكهن الجمهور مخففا والزهري مشددا

اذا الاصل ام من وام هنا بمعني بل خاصة لان الذي بعدها هو اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء
وهذا خبر والمعني من هو ناصركم ان ابتلاكم بعذابه وكذلك من هو رازقكم ان امسك رزقه والمعني
لا احد ينصركم ولا يرزقكم **وقراءة** طلحة امن بتخفيف الميم ونقلها الى الثانية كالجماعة قال
صاحب اللوامح ومعناه اهذا الذي هو جند لكم ينصركم ام الذي يرزقكم فلفظه لفظ الاستفهام
ومعناه التقريع والتوبيخ انتهي بل لجوا تمادوا في عتو في تكبر وعناد ونفور شرادا عن الحق لثقله
عليهم وقيل هذه الاشارة الى اصنامهم افمن يمشي مكبا على وجهه قال قتادة نزلت مخبرة عن حال
القيمة وان الكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة وقيل للنبي صلى الله
عليه وسلم كيف يمشي الكافر على وجهه فقال ان الذي امشاه في الدنيا على رجليه قادر ان يمشيه
في الاخرة على وجهه فالمشي على قول قتادة حقيقة وقيل هو مجاز ضرب مثلا للكافر والمؤمن في
الدنيا فقيل عام وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك نزلت فيهما وقال ابن عباس ايضا
نزلت في ابي جهل وحمزة والرسول وقيل في ابي جهل وحمزة والمعني ان الكافر في اضطرابه
وتعسفه في عقيدته وتشابه الامر عليه كالماشي في انخفاض وارتفاع كالاعمي يتعثر كل ساعة
فيخر لوجهه واما المؤمن فانه لطمانينة قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح
البصر مستويا لا يخاف على طريق واضح الاستقامة لا حزون فيها فالة نظره صحيحة ومسلكه لا صعوبة فيه
ومكبا حال من اكب وهو لا يتعدي وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه
للدخول في الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كبته فانكب وقال الزمخشري ولا
شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حمله كتاب س انتهي وهذا الرجل كثير التبجح
بكتاب س وكم من نص في كتاب س عمي بصره وبصيرته عنه حتي ان الامام ابا
الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب
س واهدي افعل تفضيل من الهدي في الظاهر وهو نظير العسل احلي ام الخل وهذا الاستفهام
لا يراد حقيقته بل المراد منه ان كل سامع يجيب بان الماشي سويا على صراط مستقيم اهدي وانتصب
قليلا على انه نعت لمصدر محذوف وما زائدة وتشكرون مستانف او حال مقدرة اي تشكرون
شكرا قليلا وقال ابن عطية ظاهره انهم يشكرون قليلا وما عسي ان يكون للكافرين شكر
وهو قليل غير نافع واما ان يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة كما تقول العرب هذه ارض قلما
تنبت كذا وهي لا تنبته البتة انتهي وتقدم نظير قوله والرد عليه فيه ذراكم بثكم والحشر البعث
والوعد المشار اليه هو وعد يوم القيمة اي متي انجاز هذا الوعد فلما راوه زلفة اي راوا العذاب
وهو الموعود به زلفة اي قريبا اي ذا قرب وقال الحسن عيانا وقال ابن زيد حاضرا وقيل التقدير
مكانا ذا زلفة فانتصب على الظرف سيئت اي ساءت رؤيته وجوههم وظهر فيها السوء والكابة
وغشيها السواد كمن يساق الى القتل واخلص الجمهور كسرة السين واشمها الضم ابو جعفر والحسن
وابو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي وقيل لهم اي تقول لهم الزبانية
ومن يوبخهم **وقراءة** الجمهور تدعون بشد الدال مفتوحة فقيل من الدعوي قال الحسن
تدعون انه لا جنة ولا نار وقيل تطلبون وتستعجلون وهو من الدعاء ويقوي هذا القول قراءة
ابي رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار وعبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب يدعون بسكون
الدال وهي قراءة ابن ابي عبلة وابن زيد وعصمة عن ابي بكر والاصمعي عن نافع روي ان الكفار
كانوا يدعون على الرسول واصحابه بالهلاك وقيل كانوا يتوامرون بينهم بان يهلكوهم بالقتل
ونحوه فامر ان يقول ان اهلكنا الله كما تريدون او رحمنا بالنصر عليكم فمن يجيركم من العذاب
الذي سببه كفركم ولما قال او رحمنا قال هو الرحمن ثم ذكر ما به النجاة وهو الايمان والتفويض
الى الله **وقراءة** الجمهور فستعلمون بتاء الخطاب والكسائي بياء الغيبة نظرا الى قوله فمن
يجير الكافرين ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر فقد ما به حيوة الانفس وهو الماء وهو عذاب
مخصوص والغور مشروح في الكهف والمعين في قد افلح وجواب ان اهلكني فمن يجير وجواب
ان اصبح فمن ياتيكم وتليت هذه الاية عند بعض المستهزئين فقال تجيء به الفووس والمعاول
فذهب ماء عينيه **المهين** قال الرماني الوضيع لاكثاره من القبيح من المهانة وهي القلة
الهمز اصله في اللغة الضرب طعنا باليد او بالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه

المفردات

قال المنذر

قال المنذر بن سعيد ويعينه واشارته **النميم والنميمة** مصدران وهو نقل ما يسمع مما يسوء
ويحرش النفوس وقيل النميم جمع نميمة يريدون به اسم الجنس **العتل** قال الكلبي والفراء
الشديد الخصومة بالباطل وقال معمر هو الفاحش اللئيم **قال الشاعر**

بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم

وقيل الذي يعتل الناس اي يجرهم الى حبس او عذاب ومنه خذوه فاعتلوه قال ابن السكيت
عتلته وعتنته باللام والنون **الزنيم** الدعي **قال حسان**

زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع
وانت زنيم نيط في آل هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلي معلقة في حلقها سمي الدعي بذلك لانه
زيادة معلقة بغير اهله **وسمه** جعل له سمة وهي العلامة تدل على شيء **قال جرير**

لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

الخرطوم الانف والخرطوم من صفات الخمر **قال الشاعر**

قد اشهد الشرب فيهم مزهر زنم • والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

قال الشنتري اول خروجها من الدن ويقال لها الانف ايضا وذلك اصفى لها وارق وقال
النضر بن شميل الخرطوم الخمر **وانشد** تظل يومك في لهو وفي لعب وانت بالليل شراب الخراطيم
الصرام جداد النخل **الحرد** المنع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها وحاردت
السنة قل مطرها وخيرها قاله ابو عبيد والقتبي والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب
الاصمعي وهو مخفف **وانشد** اذا جياد الخيل جاءت تردي • مملوءة من غضب وحرد

وقال الاشهب بن رميلة

اسود شرى لاقت اسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود

وقال ابن السكيت وقد يحرك يقول حرد بالكسر حردا فهو حردان وقيل اسد حارد وليوث
حوارد والحرد الانفراد حرد يحرد حرودا اتنحي عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وكوكب حرود
معتزل عن الكواكب وقال الاصمعي المتحرد المنفرد في لغة هذيل انتهي والحرد القصد حرد يحرد
بالكسر قصدت ومنه حردت حردك اي قصدت قصدك **ومنه قول الشاعر**

اقبل سيل جاء من عند الله • يحرد حرد الجنة المغلة

سورة ن والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون • ما انت بنعمة ربك بمجنون • وان لك لاجرا غير ممنون
وانك لعلى خلق عظيم • فستبصر ويبصرون • بايكم المفتون • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين • فلا تطع المكذبين • ودوا لو تدهن فيدهنون • ولا تطع كل حلاف مهين • هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد اثيم • عتل بعد ذلك زنيم • ان كان ذا مال وبنين • اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين •
سنسمه على الخرطوم • انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين • ولا يستثنون •
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون • فاصبحت كالصريم • فتنادوا مصبحين • ان اغدوا على حرثكم
ان كنتم صارمين • فانطلقوا وهم يتخافتون • ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين • وغدوا على حرد قادرين •
فلما راوها قالوا انا لضالون • بل نحن محرومون • قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون • قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين • فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين • عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون • كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون • هذه السورة مكية

قال ابن عطية ولا خلاف فيها بين احد من اهل التاويل انتهي ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وابي جهل
ومناسبتها لما قبلها انه في ما قبلها ذكر اشياء من احوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه
الواسع وانه تعالى لو شاء لخسف بهم او لارسل عليهم حاصبا وكان ما اخبر تعالى به هو مما تلقفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وكان الكفار ينسبونه مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى
الجنون فبدا تعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم اجره على صبره
على اذاهم وبالثناء على خلقه ن حرف من حروف المعجم نحو ص وق وهو غير معرب كبعض الحروف

التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالاعراب يخرص وعن ابن عباس ايضا والحسن وقتادة
والضحاك انه اسم الدواة وعن معاوية بن قرة يرفعه انه لوح من نور وعن ابن عباس ايضا انه اخر حرف
من حروف الرحمن وعن جعفر الصادق انه نهر من انهار الجنة لعله لا يصح شيء من ذلك وقال
ابو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره نّ حرف من حروف المعجم فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب
القلم فهو اذن حرف هجاء كما في ساير مفاتيح السور انتهى ومن قال انه اسم الدواة او الحوت وزعم
انه مقسم به كالقلم فان كان علما فينبغي ان يجر فان كان مونثا منع الصرف او مذكرا صرف
وان كان جنسا اعرب ونون وليس فيه شيء من ذلك فضعف القول به وقال ابن عطية اذا كان اسما
للدواة فاما ان يكون لغة لبعض العرب او لفظة اعجمية عربت **قال الشاعر**

• اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجون •

فمن جعله الحوت جعل القلم هو الذي خلقه الله وامره بكتب الكائنات وجعل الضمير في يسطرون
للملائكة ومن قال هو اسم للدواة جعل القلم المتعارف بايدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل
الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا المجموع امر الكتاب الذي هو قوام للعلوم ولامور الدنيا
والاخرة فان القلم اخو اللسان ونعمة من الله عامة انتهى **وقرأ** الجمهور نّ بسكون النون
وادغامها في واو والقلم بغنة وقوم بغير غنة واظهرها حمزة وابو عمرو وابن كثير وقالون وحفص
وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحق والحسن وابو السمال بكسر النون لالتقاء الساكنين وسعيد بن جبير
وعيسى بخلاف عنه بفتحها فاحتمل ان تكون حركة اعراب وهو اسم للسورة اقسم به وحذف حرف الجر فانتصب
ومنع الصرف للعلمية والتانيث ويكون والقلم معطوفا عليه واحتمل ان يكون لالتقاء الساكنين واوثر
الفتح تخفيفا كاين وما يحتمل ان تكون موصولة ومصدرية والضمير في يسطرون عايد على الكتاب لدلالة
القلم عليهم فاما ان يراد بهم الحفظة واما ان يراد كل كاتب قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم
اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وتسطيرهم انتهى فيكون كقوله
كظلمات في بحر لجي اي وكذي ظلمات ولهذا اعاد عليه الضمير في قوله يغشاه موج وجواب القسم ما انت
بنعمة ربك بمجنون ويظهر ان بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد
والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما يقول الانسان
انت بحمد الله فاضل انتهى ولم يبين ما تتعلق به الباء في بنعمة وقال الزمخشري تتعلق بمجنون منفيا كما
تتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب
زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قيل ما انت بمجنون منعما
عليك بذلك ولم تمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان
تنسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها
التاهيل للنبوة بمعزل انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من ان بنعمة ربك متعلق بمجنون وانه في موضع
الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم به وذلك له معمول ففي ذلك طريقان احدهما
ان النفي يتسلط على ذلك المعمول فقط والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه
بيان ذلك تقول ما زيد قايم مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير
مسرع والوجه الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى
معه قول الزمخشري بوجه بل يؤدي الى ما لا يجوز ان ينطق به في حق المعصوم عليه السلام وقيل معناه
ما انت بمجنون والنعمة لربك لقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله ومنه **قول لبيد**

• وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي • وفارقني جار باربد نافع •

اي وهو اربد انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وفي المنتخب ما ملخصه المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة
ربك اي بحصول الصفة المحمودة وزوال الصفة المذمومة بواسطة انعام ربك ثم قرر بهذه الدعوى
ما هو كالدليل القاطع على صحتها لان نعمه كانت ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيرة
المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين في كونهم
كاذبين في قولهم انه مجنون وان لك لاجرا في احتمال طعنهم وفي دعاء الخلق الى الله فلا يمنعك ما قالوا
عن الدعاء الى الله وانك لعلى خلق عظيم هذا كالتفسير لما تقدم من قوله بنعمة ربك وتعريف لمن رماه
بالجنون انه كذب واخطا وان من كان بتلك الاخلاق المرضية لا يضاف الجنون اليه ولفظه يدل على

الاستعلاء

الاستعلاء والاستيلاء انتهى وان لك لاجرا اي على ما تحملت من اثقال النبوة ومن اذاهم مما ينسبون
اليك مما انت لا تلتبس به من المعايب غير ممنون اي غير مقطوع مننت الحبل قطعته •
وقال الشاعر عبسا كواسب لا يمن طعامها • اي لا يقطع **وقال** مجاهد غير محسوب
وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك بغير عمل وقيل غير مقدر وهو معنى قول مجاهد وقال
الزمخشري او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل
لا الاجور على الاعمال انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد دين
عظيم ليس دين احب الى الله منه وقالت عايشة ان خلقه كان القرآن وقال علي هو ادب القرآن وقال
قتادة ما كان ياتمر به من امر الله وقيل سمي عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه من كرم السجية ونزاهة
القريحة والملكة الجميلة وجودة الضرايب ما دعاه احد الا قال لبيك وقال ان الله بعثني لاتمم
مكارم الاخلاق ووصى ابا ذر فقال وخالق الناس بخلق حسن وعنه عليه السلام ما من شيء يوضع في الميزان
اثقل من خلق حسن وقال احبكم الى الله تعالى احسنكم خلقا اخلاقا والظاهر تعلق بايكم المفتون بما قبله
وقال ابو عثمن المازني تم الكلام في قوله ويبصرون ثم استانف قوله بايكم المفتون انتهى فيكون
قوله بايكم المفتون استفهاما يراد به الترداد بين امرين ومعلوم نفي الحكم عن احدهما ويعينه الوجود
وهو المؤمن ليس بمفتون ولا به فتون واذا كان متعلقا بما قبله وهو قول الجمهور فقال قتادة
وابو عبيدة معمر الباء زايدة والمعنى ايكم المفتون وزيدت الباء في المبتدا كما زيدت فيه في قولهم
بحسبك درهم اي حسبك وقال الحسن والضحاك والاخفش الباء ليست بزايدة والمفتون بمعنى الفتنة
اي بايكم هي الفتنة والفساد الذي سموه جنونا وقال الاخفش ايضا بايكم فتن المفتون حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه ففي قوله الاول جعل المفتون مصدرا وهنا ابقاه اسم مفعول وتاوله
على حذف مضاف وقال مجاهد والفراء الباء بمعنى في اي في اي فريق منكم النوع المفتون انتهى فالباء
ظرفية نحو زيد بالبصرة اي في البصرة فيظهر من هذا القول قبله ليست ظرفية بل هي سببية وقال
الزمخشري المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن
وهم الفتان للفتاك منهم انتهى **وقرأ** ابن ابي عبلة في ايكم المفتون ان ربك هو اعلم
وعيد للضلال وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقول لم ينتفعوا بها ولا استعملوها
في اتباع ما كانت جاءت به الرسل ويكون اعلم كناية عن جزاء الفريقين فلا تطع المكذبين اي الذين
كذبوا بما انزل الله عليك من الوحي وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء مما دعوه اليه من تعظيم الهتهم ودوا
لو تدهن لو هنا على بعض راي النحويين مصدرية بمعنى اي ودوا ادهانكم وتقدم الكلام في ذلك
في قوله يود احدهم لو يعمر الف سنة ومذهب الجمهور ان مفعول ود محذوف اي ودوا ادهانك
وحذف لدلالة ما بعده عليه ولو باقية على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابها
محذوف تقديره لسروا بذلك وقال ابن عباس والضحاك وعطية والسدي لو تدهن لو تكفر فيتمادون
على كفرهم وعن ابن عباس ايضا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون
معك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعوك في دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي
فينافقونك ويراؤونك وقال الربيع بن انس لو تكذب فيكذبون وقال ابو جعفر لو تضعف فيضعفون
وقال الكلبي والفراء لو تلين فيلينون وقال ابان بن ثعلب لو تحابي فيحابون وقالوا غير هذه
الاقوال وقال الفراء الادهان التليين وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل اهل
اللغة وما قالوه لا يخرج عن ذلك لان ما خالف ذلك هو تفسير باللازم وفيدهنون عطف على تدهن
وقال الزمخشري عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن
يؤمن بربه فلا يخاف بمعنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون
لطمعهم في ادهانك انتهى وجمهور المصاحف على اثبات النون وقال هارون انه في بعض المصاحف فيدهنوا
ولنصبه وجهان احدهما انه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت والثاني انه على توهم انه نطق بان اي
ودوا ان تدهن فيدهنوا فيكون عطفا على التوهم ولا يجيء هذا الوجه الا على قول من جعل لو مصدرية
بمعنى ان ولا تطع كل حلاف مهين تقدم تفسير مهين وما بعده في المفردات وجاءت هذه الصفات صفات
مبالغة ونوسب فيها فجاء حلاف وبعده مهين لان النون فيهما مع الميم تواخ ثم جاء هماز مشاء بنميم
بصفتي المبالغة ثم جاء مناع للخير معتد اثيم فمناع واثيم صفتا مبالغة والظاهر ان الخير هنا يراد به العموم

منها يطلق عليه خير وقيل الخير هنا المال يريد مناع للمال عتل به عن الشح معناه متجاوز الحد في الظلم وفي
حديث شداد بن اوس قلت يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما العتل الزنيم قال الرحيب
الجوف الوتير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم **وقرا** الحسن عتل برفع اللام والجمهور
بجرها بعد ذلك قال الزمخشري جعل جفاءه ودعوته اشد معانيه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا
قلبه واجترى على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها وبعد ذلك نظير
في قوله ثم كان من الذين امنوا **وقرا** الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه
بعد ذلك انتهى وقال ابن عطية بعد ذلك اي بعد ما وصفناه به فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف
لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه انتهى والزنيم
الملصق في القوم وليس منهم قاله ابن عباس وغيره وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال وعن ابن عباس ايضا
الزنيم الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة وما كنا نعرف المشار اليه حتى نزلت فعرفناه بزنمته
انتهى وروي ان الاخنس بن شريق كان بهذه الصفة كان له زنمة وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم
هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بالزنمة وعنه ايضا انه المعروف بالابنة وعنه ايضا انه الظلوم
وعن عكرمة هو اللئيم وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب انه ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان
الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة من مولده وقال مجاهد كانت له ستة
اصابع في يده في كل ابهام اصبع زائدة والذي يظهر ان هذه الاوصاف ليست لمعين الا ترى
الى قوله كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع النهي عن طواعية من هو بهذه الصفات قال ابن عطية
ما ملخصه **وقرا** النحويان والحرميان وحفص واهل المدينة ان كان على الخبر وباقي السبعة والحسن
وابن ابي اسحق وابو جعفر على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقيهم فاما على الخبر فقال ابو علي
الفارسي يجوز ان يعمل فيها عتل وان كان قد وصف انتهى وهذا قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين
وقيل زنيم لاستماعه على قول من فسره بالقبيح الافعال **وقال** الزمخشري متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا
تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على
معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين ثم اعتد كذب اياتنا دلت عليه الجملة من معنى التكذيب انتهى
واما على الاستفهام فيحتمل ان يعتبر عامل يدل عليه ما قبله اي ايكون طواعية لان كان وقدره الزمخشري
اتطيعه لان كان او عامل يدل عليه ما بعده اي اكذب او جحد لان كان **وقرا** نافع في رواية الزبيري
عنه ان كان بكسر الهمزة قال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا
اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي اليه في قوله
لعله يتذكر انتهى واقول ان كان شرط واذا تتلى شرط فهو مما اجتمع فيه شرطان وليسا من الشروط المترتبة
الوقوع فالمتاخر لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني فهو **كقوله**

فان عثرت بعدها ان وألت نفسي من هاتا فقولا لا لعا

لان الحامل على تكذيب ايات الله كونه ذا مال وبنين فهو مشغول القلب فذلك غافل عن النظر والفكر قد استولت
عليه الدنيا وابطرته **وقرا** الحسن ائذا على الاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله القرآن
اساطير الاولين لما تتلى ايات الله ولما ذكر قبائح افعاله واقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال
سنسمه على الخرطوم والسمة العلامة ولما كان الوجه اشرف ما في الانسان والانف اكرم ما في الوجه
لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا حمي الانف شامخ العرنين وقالوا
في الذليل جدع انفه ورغم انفه وكان ايضا مما تظهر السمات فيه لعلوه قال سنسمه على الخرطوم وهو غاية
الاذلال والاهانة والاستيلاء اذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الانف واذا كان الوسم في الوجه
شينا فكيف به على اكرم عضو فيه وقد قيل الجمال في الانف **وقال بعض الادباء**

وحسن الفتى في الانف والانف عاطل ... فكيف اذا ما الخال كان له حليا

وسنسمه فعل مستقبل لم يتعين زمانه فقال ابن عباس هو الضرب بالسيف اي يضرب به في وجهه وعلى انفه
فيجي ذلك كالوسم على الانف وحل به ذلك يوم بدر وقال المبرد ذلك في عذاب الاخرة في جهنم وهو تعذيب
بنار على انوفهم وقال اخرون ذلك يوم القيامة اي يوسم على انفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره
وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به في الدنيا من الذم والمقت والاشهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به
فيكون ذلك كالوسم على الانف ثابتا بينا كما تقول ساطوقك طوق الحمامة اي اثبت لك الامر بينا فيك ونحو

ابهام

هذا

هذا اراد جرير بقوله لما وضعت على الفرزدق ميسمي وفي الوسم على الانف تشويه فجاءت استعارته
في المذمات بليغة جدا قال ابن عطية واذا تاملت حال ابي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا
من سوء الاحدوثة رايت انهم قد وسموا على الخراطيم انتهى وقال ابو العالية ومقاتل واختاره الفراء
المراد تسود وجهه قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه لان بعض الوجه يؤدي عن بعض
وقال ابو عبد الله الرازي انما بالغ الكافر في عداوة الرسول بسبب الانفة والحمية فلما كان
منشا هذا الكافر هو الانفة والحمية عبر عن هذا الاختصاص بقوله سنسمه على الخرطوم انتهى وفي استعارة
الخرطوم مكان الانف استهانة واستخفاف لان حقيقة الخرطوم هو للسباع وتلخص من هذا ان قوله
سنسمه على الخرطوم اهو حقيقة ام مجاز واذا كان حقيقة فهل ذلك في الدنيا او في الاخرة وابعد
النضر بن شميل في تفسيره الخرطوم بالخمر وان معناه سنحده على شربها ولما ذكر المتصف بتلك الاوصاف
الذميمة وهم كفار قريش اخبر تعالى بما حل بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث كما بلونا
اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم كانت بارض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان
يؤدي حق الله منها فمات فصارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فاهلكها
الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها وقيل كانت بصوران على فراسخ من صنعاء للناس بعد رفع
عيسى عليه السلام وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه
القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شي كثير فلما
مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها
مصبحين في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم والكاف في كما بلونا في موضع نصب
وما مصدرية [illegible] بمعنى الذي واذ معمول لبلوناهم ليصرمنها جواب القسم لا على منطوقهم اذ لو
كان على منطوقهم لكان لنصرمنها بنون المتكلمين والمعنى ليجدن ثمرها اذا دخلوا في الصباح قبل
خروج المساكين الى عادتهم مع ابيهم ولا يستثنون اي ولا ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين
وقال مجاهد معناه لا يقولون ان شاء الله بل عزموا على ذلك عزم من يملك امره وقال
الزمخشري متبعا لقول مجاهد ولا يقولون ان شاء الله **فان قلت** لم سمي استثناء وانما
هو شرط **قلت** لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله
ولا اخرج الا ان شاء الله واحد انتهى فطاف عليها طائف **وقرا** النخعي طيف قال الفراء
والطائف الامر الذي ياتي بالليل ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان فلم يتخصص
بالليل وطائف مبهم فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم وضعها
حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر
والاعناب غيرها **وقال** ابن عباس طائف من ربك وقال قتادة عذاب من ربك وقال ابن جريج
عنق من نار خرج من وادي جهنم فاصبحت كالصريم قال ابن عباس كالرماد الاسود والصريم الرماد
الاسود بلغة خزيمة وعنه ايضا الصريم رملة باليمن معروفة لا تنبت فشبه جنتهم بها **وقال**
الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم بمعنى مصروم وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت كالزرع
المحصود وقال مورخ كالرملة انصرمت من معظم الرمل والرملة لا تنبت شيئا ينفع وقال الاخفش
كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد كالنهار فلا شي فيها وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار اي
ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقال الفراء وجماعة الصريم الليل من حيث اسودت
جنتهم فتنادوا دعا بعضهم بعضا الى المضي الى ميعادهم ان اغدوا على حرثكم **قال** الزمخشري
فان قلت هلا اغدوا الى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان الغدو اليه
ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال
كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين انتهى واستسلف الزمخشري ان غدا
يتعدى بالى ويحتاج ذلك الى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير اصلا فيه وتاويلا لما خالفه والذي في
حفظي انه معدى بعلى **كقول الشاعر**

وقد اغدوا على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاء

وكذا اعدي مرادفه **قال الشاعر**

بكرت عليه غدوة فرايته ... قعودا لديه بالصريم عواذله

ان كنتم صارمين الظاهر انه من صرام النخل وقيل ويحتمل ان يريد ان كنتم اهل عزم واقدام على رايكم

٧

من قولك سيف صارم يتخافتون يخفون كلامهم خوفا من ان تشعر بهم المساكين ان لا يدخلنها اي
يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها وان مصدرية ويجوز ان تكون تفسيرية **وقرا**
عبد الله وابن ابي عبلة لا يدخلنها باسقاط ان على اضمار يقولون او على اجراء يتخافتون مجرى القول
اذ معناه يسارّون القول والنهي عن الدخول نهي عن التمكين منه اي لا يمكنوهم من الدخول
فيدخلوا وغدوا على حرد قادرين اي على قصد وقدرة في انفسهم يظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال
معناه ابن عباس اي قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقال عبيد والقتبي
على حرد على منع اي قادرين في انفسهم على منع المساكين من خيرها فجازاهم الله بان منعهم خيرها
وقال الحسن على حرد اي حاجة وفاقة وقال السدي وسفين على حرد على غضب اي لم يقدروا الا
على حنق وغضب بعضهم على بعض وقيل على حرد على انفراد اي انفردوا دون المساكين وقال الازهري
حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم
او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام قيل ويحتمل ان يكون من التقدير بمعنى التضييق لقوله
ومن قدر عليه رزقه اي مضيقين على المساكين اذ حرموهم ما كان ابوهم ينيلهم منها فلما راوها
اي على غير الحالة التي كانوا عهدوها عليها من هلاكها وذهاب ما فيها من الخير قالوا انا لضالون
اي عن الطريق اليها قاله قتادة وذلك في اول وصولهم انكروا انها هي واعتقدوا انهم اخطاوا
الطريق اليها ثم وضح لهم انها هي وانه اصابها من عذاب الله ما ذهب خيرها وقيل لضالون عن
الصواب في غدونا على نية منع المساكين فقالوا بل نحن محرومون خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم
اي افضلهم وارجحهم عقلا الم اقل لكم لولا تسبحون انبهم ووبخهم على تركهم ما حضهم عليه من تسبيح الله
اي ذكره وتنزيهه عن السوء ولو ذكروا الله واحسانه اليهم امتثلوا ما امر به من مواساة المساكين
واقتفوا سنة ابيهم في ذلك فلما غفلوا عن ذكر الله وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وهذا
يدل على ان اوسطهم كان قد تقدم اليهم وحرضهم على ذكر الله تعالى وقال مجاهد وابو صالح كان
استثناؤهم سبحان الله قال النحاس جعل مجاهد التسبيح موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان
يكون شيء الا بمشيئته وقال الزمخشري لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه
والتنزيه تسبيح له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم انتهى وقيل لولا تسبحون تستغفرون
ولما انبهم رجعوا الى ذكر الله تعالى واعترفوا على انفسهم بالظلم وبادروا الى تسبيح الله فقالوا
سبحان ربنا قال ابن عباس اي نستغفر الله من ذنبنا ولما اقروا بظلمهم لام بعضهم بعضا وجعل اللوم
في حيز غيره اذ كان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف ومنهم من عصى الامر ومنهم
من سكت على رضى منه ثم اعترفوا بانهم طغوا وترجوا انتظار الفرج في ان يبدل لهم خيرا من تلك الجنة
عسى ربنا ان يبدلنا اي بهذه الجنة خيرا منها وتقدم في الكهف الخلاف في تخفيف يبدلنا وتثقيلها
منسوبا للقراء انا الى ربنا راغبون اي طالبون ايصال الخير الينا منه والظاهر ان اصحاب هذه
الجنة كانوا مومنين اصابوا معصية وتابوا وقيل وكانوا من اهل الكتاب وقال عبد الله بن مسعود
بلغني ان القوم دعوا الله واخلصوا وعلم منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها العنقود وقال ابو خالد اليماني رايت الجنة وكل عنقود منها كالرجل
الاسود القائم وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها **وقال** القشيري المعظم يقولون انهم تابوا
واخلصوا انتهى وتوقف الحسن في كونهم مومنين وقال اكان قولهم انا الى الله راغبون ايمانا او على حد
ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة كذلك العذاب هذا خطاب للرسول في امر قريش **قال**
ابن عطية والاشارة بذلك الى العذاب الذي نزل بالجنة اي كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة
ثم عذاب الاخرة بعد ذلك اشد عليهم من عذاب الدنيا وقال كثير من المفسرين العذاب النازل
بقريش المماثل لامر الجنة هو الجدب الذي اصابهم سبع سنين حتى راوا الدخان واكلوا الجلود انتهى
وقال الزمخشري مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الاخرة اشد واعظم منه انتهى وتشبيه بلاء قريش ببلاء اصحاب الجنة هو ان اصحاب الجنة عزموا
على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فقلب الله عليهم وحرمهم وان قريشا حين خرجوا الى بدر حلفوا
على قتل الرسول وصحبه فاذا فعلوا ذلك رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور فقلب الله
عليهم بان قتلوا واسروا ولما عذبهم بذلك في الدنيا قال ولعذاب الاخرة اكبر ان للمتقين عند ربهم جنات

قوله عز وجل ان للمتقين عند ربهم

النعيم **افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه
لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم
شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم
من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين** لما ذكر تعالى انه بلا كفار قريش وشبه بلاءهم ببلاء اصحاب
الجنة اخبر بحال اضدادهم وهم المتقون فقال ان للمتقين اي الكفر جنات النعيم اضافها الى النعيم
لان النعيم لا يفارقها اذ لا ليس فيها الا هو ولا يشوبه كدر كما يشوب جنات النعيم الدنيا وروي انه لما نزلت
هذه الاية قالت قريش ان كان ثم جنة فلنا فيها اكثر الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين وقال
مقاتل قالوا لو فضلنا الله عليكم في الدنيا فهو يفضلنا عليكم في الاخرة وان لا فالمشاركة فاجاب تعالى
افنجعل اي لا يتساوى المطيع والعاصي وهو استفهام فيه توقيف على خطاء ما قالوا وتوبيخ ثم التفت
اليهم فقال ما لكم اي اي شيء لكم فيما تزعمون وهو استفهام انكار عليهم ثم قال كيف تحكمون وهو استفهام
ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهم عن هيئة حكمهم ففي قوله ما لكم استفهام عن كينونة مبهمة وفي
كيف تحكمون استفهام عن هيئة حكمهم ثم اضرب عن هذا اضراب انتقال لشيء اخر لا ابطال لما قبله فقال
ام لكم اي بل الكم كتاب اي من عند الله تدرسون اي ما تختارونه لكم يكون لكم **وقرا** الجمهور ان
لكم بكسر الهمزة فقيل هو استئناف قول على معنى ان لكم كتاب فلكم فيه متخير وقيل ان معمولة لتدرسون
اي تدرسون في الكتاب ان لكم لما تخيرون اي تختارون من النعيم وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام
في الخبر وهي بمعنى ان بفتح الهمزة وقاله الزمخشري وبدا به وقال ويجوز ان يكون حكاية للمدروس
كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح انتهى **وقرا** طلحة والضحاك ان لكم بفتح
الهمزة واللام في لما زائدة كهي في قراءة من قرا الا انهم لياكلون بفتح همزة انتهى **وقرا**
الاعرج ان لكم على الاستفهام ام لكم ايمان اي اقسام علينا بالغة اي متناهية في التوكيد يقال لفلان
علي يمين اذا حلفت له على الوفاء بما حلفت عليه والى يوم القيامة متعلق بما تعلق به الخبر وهو
لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة او ببالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه **وقرا** الجمهور
بالغة بالرفع على الصفة والحسن وزيد بن علي بالنصب على الحال من الضمير المستكن في علينا وقال
ابن عطية حال من نكرة لانها مخصصة تغليبا ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان
علينا ام قسمنا لكم قاله الزمخشري **وقرا** الاعرج ان لكم كالتي قبلها على الاستفهام سلهم
ايهم بذلك زعيم اي ضامن بما يقولونه ويدعون صحته وسل معلقة عن مطلوبها الثاني لما كان السؤال
سببا لحصول العلم جاز تعليقه كالعلم ومطلوبها الثاني اصله ان يعدى بعن او بالباء كما قال
تعالى يسالونك عن الشهر الحرام **وقال الشاعر**

فان تسالوني بالنساء فانني ... بصير بادواء النساء طبيب

ولو كان غير اسم استفهام لتعدى اليه بعن او بالباء كما تقول سل زيدا عن من ينظر في كذا ولكنه
علق سلهم فالجملة في موضع نصب **وقرا** الجمهور ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم وعبد الله وابن
ابي عبلة فلياتوا بشركهم وقيل والمراد في القراءتين الاصنام او ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم
فيه اي لا احد يقول بقولهم كما انه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فلياتوا بشركائهم
هذا استدعاء وتوقيف قيل في الدنيا اي ليحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل
في الاخرة على ان يوم يكشف عن ساق وعلى هذا القول الناصب ليوم فلياتوا وقيل
اذكر وقيل التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت وحذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث
والظاهر وقول الجمهور ان هذا اليوم هو يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا اليوم هو في الدنيا
لانه قال ويدعون الى السجود ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في
دنياه لقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يرى الناس يدعون الى الصلوة اذا حضرت اوقاتها

فلا يستطيع الصلاة لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها واما حال المريض والهرم والمعجزة
وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون الي السجود وهم سالمون مما بهم الان فذكرانا لشدة النازلة
بهم من هول ما عاينوا عند الموت واما من العجز والهرم واجيب بان الدعاة الي السجود ليس على
سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل وعند ما يدعون الي السجود سلبوا القدرة عليه
وحيل بينهم وبين الاستطاعة حتي يزداد حزنهم وندامتهم علي ما فرطوا فيه حين دعوا اليه
وهم سالموا الاطراف والمفاصل **وقراءة** الجمهور يكشف بالياء مبنيا للمفعول **وقراءة**
عبد الله وابن ابي عبلة بفتح الياء مبنيا للفاعل وابن عباس وابن مسعود ايضا وابن هرمز بالنون
وابن عباس ايضا يكشف بفتح الياء مبنيا للفاعل وعنه ايضا بالياء مضمومة مبنيا للمفعول
وقري يكشف بالياء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف
الرجل انقلبت شفته العليا وكشف الساق كناية عن شدة الامر وتفاقمه قال مجاهد هي اول
ساعة من يوم القيامة وهي افظعها وما جاء في الحديث من قوله فيكشف لهم عن ساق محمول ايضا
علي الشدة في ذلك اليوم وهو مجاز شايع مشهور في لسان العرب **قال حاتم**

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الخيل عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقال الراجز

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
صبرا امام انه شر باق * وقامت الحرب بنا علي ساق

وقال الشاعر

كشفت لهم عن ساقها * وبدا من الشر الصراح

وقال ابن عباس يوم يكشف عن شدة وقال ابو عبيدة هذه كلمة تستعمل في الشدة يقال كشف عن ساقه اذا
شمر قال ومن هذا تقول العرب لسنة الجدب كشفت عن ساقها وتنكير ساق للدلالة علي انه امر
مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الي شي نكر فكانه قيل يوم يقع امر
فظيع هايل ويدعون الي السجود فلا يستطيعون ظاهره انهم يدعون وتقدم ان ذلك على سبيل التوبيخ
لا على سبيل التكليف وقيل للداعي ما يرونه من سجود المؤمنين فيريدون وهم السجود فلا يستطيعونه
كما ورد في الحديث الذي جاوزهم فيه الله تعالي انهم يقولون انت ربنا ويخرون للسجود فيسجد
كل مومن وتصير اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا
انتهي ونفي الاستطاعة للسجود في الاخرة لا يدل علي ان لهم استطاعة في الدنيا كما ذهب اليه الجبائي
وخاشعة حال وذو الحال الضمير في يدعون وخص الابصار بالخشوع وان كانت الجوارح كلها
خاشعة لانه فيه ابين منه في كل جارحة ترهقهم تغشاهم ذلة وقد كانوا يدعون الي السجود قيل
هو عبارة عن جميع الطاعات وخص بالذكر من حيث هو اعظم الطاعات ومن حيث امتحنوا به في الاخرة
وقال النخعي والشعبي اراد بالسجود الصلوات المكتوبة وقال ابن جبير كانوا يسمعون النداء
للصلاة وحي علي الفلاح فلا يجيبون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث المعني خل بيني وبينه فاني
سا جازيه وليس ثم مانع منه وهذا وعيد وتشديد لمن يكذب بما جاء به الرسول من امر الاخرة
وغيره وكانه تعالى قد قدم اشياء من احوال السعداء والاشقياء ومن في موضع نصب اما عطفا
على الضمير في ذرني واما على انه مفعول معه سنستدرجهم الي متين تكلم عليه في الاعراف ام تسألهم
اجرا الي يكتبون تكلم عليه في الطور وروي انه عليه السلام اراد ان يدعو على الذين انهزموا باحد
حين اشتد بالمسلمين الامر وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف فنزلت فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير
نصرك عليهم وامض لما امرت به من التبليغ واحتمال الاذي ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس عليه السلام
اذ نادي اي في بطن الحوت وهو قوله ان لا اله الا انت سبحانك وليس النهي منصبا علي الذهاب
انما المعني لا يكن حاله مثل حاله اذ نادي فالعامل في اذ هو المحذوف المضاف اي كحال او كقصة
صاحب الحوت اذ نادي وهو مكظوم مملو غيظا علي قومه اذ لم يومنوا لما دعاهم الي الايمان واحوجوه

الي استعجال

الي استعجال مفارقته اياهم **وقال ذو الرمة**

وانت من حب مي مضمر حزنا * عاني الفواد قريح القلب مكظوم

وتقدمت مادة كظم في قوله والكاظمين الغيظ **وقرا** الجمهور تداركه ماضيا ولم تلحقه
التاء تانيث لمجاز التانيث ولتحسين الفصل **وقرا** عبد الله وابن عباس تداركته بتاء التانيث
وابن هرمز والحسن والاعمش بشد الدال قال ابو حاتم ولا يجوز ذلك والاصل في ذلك تتداركه
لانه مستقبل انتصب بان الخفيفة قبله وقال بعض المتاخرين هذا لا يجوز على حكاية الحال الماضية
المقتضية اي لولا ان كان يقال تداركه ومعناه لولا هذه الحال الموجودة كانت له من نعم الله
لنبذ بالعراء ونحو قوله فوجد فيها رجلين يقتتلان وجواب لولا قوله لنبذ بالعراء وهو مذموم
اي لكنه نبذ وهو غير مذموم كما قال فنبذناه بالعراء والمعتمد فيه علي الحال لا علي النبذ مطلقا
بل بقيد الحال وقيل لنبذ بعراء القيامة مذموما ويدل عليه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الي يوم يبعثون ثم اخبر تعالي انه اجتباه اي اصطفاه وجعله من الصالحين اي الانبياء وعن ابن عباس
رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ولما امره تعالي بالصبر لما اراده تعالي ونهاه عن ما
نهاه اخبره بشدة عداوتهم لتتلقي ذلك بالصبر فقال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك اي ليزلقون
قدمك بنظرهم الحاد الدال علي العداوة المفرطة او ليهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني
ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع والاكل لفعله **وقال الشاعر**

يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزيل مواطئ الاقدام

وقال الكلبي ليزلقونك ليصرفونك **وقرا** الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق ونافع بفتحها
من زلقت الرجل عدي بالفتحة من زلق الرجل بالكسر نحو شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح
وقرا عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسي ليزهقونك بالهاء بدل اللام وقيل معني
ليزلقونك بابصارهم ليأخذونك بالعين وذكر ان العين كان في بني اسد قال ابن الكلبي
كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاثة لا ياكل ثم يرفع جانب خبايه فيقول لم ار كاليوم ابلا
ولا غنما احسن من هذه فما يذهب الا قريبا ثم يسقط طايفة او عدة قال الكفار لهذا الرجل
ان يصيب رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجابهم **وانشد**

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معيون

اي مصاب بالعين فعصم الله نبيه صلي الله عليه وسلم وانزل عليه هذه الاية قال قتادة نزلت لدفع
العين حين ارادوا ان يعينوه عليه السلام وقال الحسن دواء من اصابه العين ان نقرا هذه
الاية وقال القشيري الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان لا مع الكراهة والبغض وقال
ويقولون انه لمجنون وقال القرطبي ولا تمنع كراهة الشي من ان يصاب بالعين عداوة حتي يهلكه انتهي
وقد يكون في المعين وان كان مبغضا عند العاين صفة يستحسنها العاين فيعينه من حيث تلك الصفة
لاسيما من تكون فيه صفات كمال ولما سمعوا علي قول من يقول لما ظرف يكون العامل فيه ليزلقونك
وان كان حرف وجوب لوجوب وهو الصحيح كان الجواب محذوفا لدلالة ما قبله عليه اي لما سمعوا الذكر
كادوا يزلقونك والذكر القران ويقولون انه لمجنون تنفيرا عنه وقد علموا انه عليه السلام اتمهم
فضلا وارجحهم عقلا وما هو اي القران الا ذكر عظة وعبرة للعالمين اي للجن والانس فكيف
ينسبون الي الجن من جاء به **الحسوم** قال الفراء اتباع من حسم الداء اي تابع بالمكواة عليه
قال الشاعر

ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه اعوام حسوم

وقال المبرد حسمت الشي فصلته عن غيره ومنه الحسام **قال الشاعر**

فارسلت ريحا دبورا عقيما * فدارت عليهم فكانت حسوما

وقال الليث الحسوم الشوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقال في الصحاح **صرعي**
هلكي الواحد صريع **وهي** الشي ضعف وتداعي للسقوط قال ابن شجرة من قولهم وهي السقاء اذا تخرق
ومن امثالهم **قول الراجز** خل سبيل من وهي سقاوه * ومن هريق بالفلاة ماوه
الارجا الجوانب واحدها رجا اي جانب من حايط او بير او نحوه وهو من ذوات الواو ولذلك
برزت في التثنية **قال الشاعر**

كان لم تري قبلي اسيرا مقيدا * ولا رجلا يرمي به الرجوان

وقال الاخر

فلا يرمي بي الرجوان اني * اقل القوم من يغني مكاني

هاء بمعني خذ فيها لغات ذكرناها في تسهيل شرح التسهيل وقال الكسائي وابن السكيت العرب

المفردات

تقول هَا يا رجل وللاثنين رجلين او امراتين هآؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاءِ بهمزة مكسورة
من غير ياءٍ وللنساء هاؤُنَّ قيل ومعني هآؤم خذوا ومنه الخبر في الربا الا هاءَ وهاءَ اي يقول
كلٌّ واحد لصاحبه خذ وقيل تعالوا وزعم القتبي ان الهمزة بدل من الكاف وهذا ضعيف الا ان
كان عني انها تحل محلها في لغة من قال هاكَ وهاكِ وهاكما وهاكم وهاكنَّ فيمكن لا انه بدل صناعي
لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها وقيل هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح
والنشاط وفي الحديث انه عليه السلام ناداه اعرابي بصوت عالٍ فجاوبه عليه السلام هاؤم بصولة
صوته وزعم قوم انها مركبة في الاصل والاصل هاءُ اموا ثم نقلة التخفيف والاستعمال وزعم
قوم ان هذه الميم ضمير جماعة الذكور **القطوف** جمع قطف وهو ما يجتني من الثمر ويقطف
السلسلة معروفة وهي حلق يدخل في حلق علي سبيل الطول **الذراع** مؤنث وهو معروف

• ارمي عليها وهي فرع اجمع • وهي ثلث اذرع واصبع •

حض علي الشي حمل عليه فعله بتوكيد **الغسلين** قال اللغويون ما يجري من الجراح اذا
غسلت **الوتين** عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال الكلبي عرق بين العلباء والحلقوم
عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ومنه قول الشماخ

• اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة • فاشرقي بدم الوتين •

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة • فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية • واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية • سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما • فتري القوم فيها صرعي كانهم اعجاز نخل خاوية • فهل تري لهم من باقية • وجاء فرعون
ومن قبله والموتفكات بالخاطئة • فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية • انا لما طغي الماء
حملناكم في الجارية • لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية • فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة •
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة • فيومئذ وقعت الواقعة • وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية • والملك علي ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية • يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية •

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر شيئا من احوال السعداء والاشقياء وقال
ذرني ومن يكذب بهذا الحديث ذكر حديث القيامة وما اعد الله تعالي فيها لاهل السعادة واهل
الشقاوة وادرج بينهما شيئا من احوال الذين كذبوا الرسل كعادٍ وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم
وما جري عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانت العرب عالمة بهلاك
عادٍ وثمود وفرعون فنص عليهم لذلك الحاقة المراد بها القيامة والبعث قاله ابن عباس وغيره
لانها حقت لكل عامل عمله وقال ابن عباس وغيره لانها تبدي حقائق الاشياء وقيل سميت بذلك لان الامر
يحق فيها فهي من باب ليل نائم والحاقة اسم فاعل من حق الشي اذا ثبت ولم يشك في صحته وقال الازهري
حاققته فحققته احقه اي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل
اي كل مخاصم فتغلبه وقيل الحاقة مصدر كالعاقبة والعافية والحاقة مبتدا وما مبتدا ثانٍ
والحاقة خبره والجملة خبر عن الحاقة والرابط تكرار المبتدا بلفظه نحو زيد ما زيد وما استفهام
لا يراد به حقيقته بل التعظيم واكثر ما يربط بتكرار المبتدا بها اذا اريد معني التعظيم والتهويل
وما ادراك ما الحاقة مبالغة في التهويل والمعني ان فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف من امورها
الشاقة وتفصيل اوصافها وما استفهام ايضا مبتدا وادراك الخبر والعائد علي ما ضمير الرفع في ادراك
وما مبتدا والحاقة خبر والجملة في موضع نصب بادراك وادراك معلقة واصل دري ان يعدي بالباء
وقد يحذف علي قلة فاذا دخلت همزة النقل تعدي الي واحد بنفسه والي الاخر بحرف الجر فقوله
ما الحاقة بعد ادراك في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر والقارعة من اسماء القيامة لانها
تقرع القلوب بصدمتها وقال الزمخشري تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضع الضمير ليدل
علي معني القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من
كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم انتهي **وقرأ**

الجمهور

الجمهور فاهلكوا رباعيا مبنيا للمفعول وزيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل قال قتادة بالطاغية
بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة وقال مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها
وقال ابن عباس وابن زيد ايضا وابو عبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة فكانه قال
بطغيانهم ويدل عليه كذبت ثمود بطغواها وقيل الطاغية عاقر الناقة والهاء فيه للمبالغة
كرجل راوية واهلكوا كلهم لرضاهم بفعله وقيل بسبب الفئة الطاغية واختار الطبري وغيره
ان الطاغية هي الصيحة وترجيح ذلك مقابلته سبب الهلاك في ثمود بسبب الهلاك في عادٍ وهو قوله
بريح صرصر وتقدم القول في صرصر في سورة القمر عاتية عتت علي خزانها فخرجت بغير مقدار
او علي عادٍ فما قدروا علي ان يستتروا منها او وصفت بذلك استعارة لشدة عصفها والتسخير
هو استعمال الشي باقتدار عليه فمعني سخرها عليهم اي اقامها وادامها سبع ليال بدت عليهم
صبح الاربعاء لثمانٍ بقين من شوال الي اخر الاربعاء تمام الشهر حسوما قال ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة وابو عبيدة تباعا لم يتخللها انقطاع وقال الخليل شوما ونحسا وقال ابن زيد
حسوما جمع حاسم اي تلك الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل والحسام وقال الزمخشري وان كان
مصدرا فاما ان ينتصب بفعل مضمر اي تحسم حسوما بمعني تستاصل استيصالا او تكون صفة كقولك
ذات حسوم او تكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال **وقرأ** السدي حسوما بالفتح
حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر
والوبر والآمر والموتمر والمعلل والمطفي الجمر وقيل مكفي الظعن فتري القوم فيها
اي في الليالي والايام او في ديارهم او في مهاب الريح احتمالات اظهرها الاول لانه اقرب ويصرح به
وقرأ ابو نهيك اعجز علي وزن افعل كضبع واضبع وحكي الاخفش انه **قرئ** نخيل
بالياء خاوية خلت اعجازها بلي وفسادا وقال ابن شجرة كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم
من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيي بن سلام خلت ابدانهم من ارواحهم قال ابن
جريج كانوا في سبعة الايام في عذاب ثم في الثامن ماتوا والقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل
تري لهم من باقية وقال ابن الانباري من باقية اي من باقٍ والهاء للمبالغة وقال ايضا من فئة باقية
وقيل من باقية من بقاء مصدر جاء علي فاعلة كالعاقبة **وقرأ** ابو رجاء وطلحة والجحدري والحسن
بخلاف عنه وعاصم في رواية ابان والنحويان وابان ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء اي اجناده
واهل طاعته وتقول زيد قبلك اي فيما يليك من المكان وكثر استعمال قبله حتي صار بمنزلة عندك
وفي جهتك وما يليك اي في جهتي **وقرأ** باقي السبعة وابو جعفر وشيبة والسلمي ومن قبله
ظرف زمان اي الامم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح وقد اشار الي شي من حديثه بعد هذا والموتفكات
قري قوم لوط **وقرأ** الحسن هنا والموتفكة علي الافراد بالخاطئة اي بالفعلة او الفعلات
الخاطئة قاله مجاهد او بالخطاء فيكون مصدرا جاء علي فاعلة كالعاقبة قاله الجرجاني فعصوا رسول
ربهم رسول جنس وهو ما جاءهم من عند الله كموسي ولوط عليهما السلام وقيل لوط عليه السلام
اعاده علي اقرب مذكور وهو رسول الموتفكات وقال الكلبي موسي عليه السلام اعاده علي الاسبق
وهو رسول فرعون وقيل رسول بمعني رسالة رابية اي نامية قال مجاهد شديدة يريد انها زادت علي غيرها
من الاخذات وهي الغرق وقيل المدائن انا لما طغي الماء اي زاد وعلا علي اعلي جبل في الدنيا خمس عشرة
ذراعا قال ابن جبير طغي علي الخزان كما طغت الريح علي خزانها حملناكم اي في اصلاب ابائكم وحملنا اباءكم
في الجارية هي سفينة نوح وكثر استعمال الجارية في السفينة ومنه قوله تعالي ومن اياته الجوار في البحر
كالاعلام وقال يشعون جارية في بطن جارية وقال المهدوي المعني في السفن الجارية يعني ان ذلك هو
علي سبيل الامتنان والمحمولون هم المخاطبون لنجعلها اي سفينة نوح لكم تذكرة عا جري لقومه الهالكين
وقومه الناجين فيها وعظة قال قتادة ادركها اوائل هذه الامة وقال ابن جريج كانت
الواحها علي الجودي وقيل لنجعل تلك الحملة في سفينة نوح لكم عظة تذكرون بها نجاة ابائكم واغراق مكذبي
نوح عليه السلام وتعيها اي تحفظ قصتها اذن من شانها ان تعي المواعظ وتعيه بها يقال وعيت
لما حفظ في النفس واوعيت لما حفظ في غير النفس من الاوعية وقال قتادة الواعية التي عقلت
عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله وفي الحديث انه عليه السلام قال لعلي اني دعوت الله
تعالي ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته **وقرأ** وتعيها بكسر العين
وابن مصرف وابو عمرو في رواية هارون وخارجة عنه وقنبل بخلاف عنه باسكانها وحمزة باخفاء الحركة

ووجه الاسكان التشبيه بالفعل بما كان على وزن فعل في الاسم والفعل نحو كبد وعلم ونعي لبس
على وزن فعل بل هو مضارع وعى مضارعا الى يفعل واصله يفعل حذفت واوه وروي عن عاصم
عصمة وحمزة الازرق وتعيها بتشديد الياء قيل وهو خطأ وينبغي ان يتاول على انه اريد به
شدة بيان الياء احترازا ممن سكنها لا ادغام حرف في حرف ولا ينبغي ان يجعل ذلك من باب
التضعيف في الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب الى ذلك بعضهم وروي
عن حمزة وعن موسى بن عبد الله العبسي وتعيها باسكان الياء فاحتمل الاستيناف وهو الظاهر
واحتمل ان يكون مثل قراءة من اوسط ما تطعمون اهاليكم بسكون الياء وقال الزمخشري
فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت
للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة
اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملوا
ما بين الخافقين انتهى وفيه تكثير ولما ذكر تعالى ما فعل بمكذبي الرسل من العذاب في الدنيا ذكر ما
الاخرة وما يعرض لاهل السعادة واهل الشقاوة وبدا باعلام يوم القيامة فقال فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة وهذه النفخة هي نفخة الفزع قال ابن عباس وهي النفخة الاولى التي يحصل عنها خراب
العالم وبعد ذلك قوله وحملت الارض والجبال وقال ابن المسيب ومقاتل هي النفخة الاخرة
وعلى هذا لا يكون الدك بعد النفخ والواو لا ترتب وروي ذلك عن ابن عباس ولما كانت النفخة مرة اكدت
بقوله واحدة وقرا الجمهور نفخة واحدة برفعهما ولم تلحق التاء نفخ لان تانيث النفخة مجازي
ووقع الفصل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لصح لان نفخة مصدر محدود ونعته
ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد وقرا ابو السمال بنصبهما اقام الجار والمجرور مقام الفاعل
وقرا الجمهور وحملت بتخفيف الميم وابن ابي عبلة وابن مقسم والاعمش وابن عامر في رواية يحيى بتشديدها
فالتخفيف على ان تكون الارض والجبال حملتها الريح العاصف او الملائكة او القدرة من غير واسطة
مخلوق ويبعد قول من قال انها الزلزلة لان الزلزلة ليس فيها حمل انما هي اضطراب والتشديد
يجي يكون للتكثير او يكون التضعيف للنقل يجاز ان تكون الارض والجبال المفعول الاول اقيم مقام
الفاعل والثاني محذوف اي ريحا تفتها او ملائكة او قدرة وجاز ان يكون الثاني اقيم مقام الفاعل والاول
محذوف وهو واحد من الثلاثة المتقدمة وثني الضمير في فدكتا وان كان قد تقدمه ما يعود عليه ضمير الجمع
لان المراد جملة الارض وجملة الجبال اي ضرب بعضها ببعض حتى تفتتت وترجع كما قال تعالى كثيبا
مهيلا والدك فيه تفرق الاجزاء كقوله هباء والدق فيه اختلاف الاجزاء وقيل تبسط فتصير ارضا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا وهوس قوله بعير ادك وناقة دكا اذا ضعفا فلم يرتفع لهما سنامهما واستوت حدبتهما
مع ظهريهما فيومئذ تو معطوف على فاذا نفخ في الصور وهو منصوب بوقعت كما ان اذا منصوب بنفخ
على ما اخترناه وقررناه واستدللنا له في ان العامل في اذا هو الفعل الذي يليها لا الجواب وان كان
مخالفا لقول الجمهور والتنوين في اذ للعوض من الجملة المحذوفة وهي في التقدير فيوم اذ نفخ في الصور
وجرى كيت وكيت والواقعة هي القيامة وقد تقدم في اذا وقعت الواقعة ان بعضهم قال هي صخرة بيت
المقدس وانشقت السماء اي تفطرت وتميز بعضها من بعض فهي يومئذ انشقت واهية ضعيفة
لتشققها بعد ان كانت شديدة ء انتم اشد خلقا ام السماء او متخرقة كما يقال وهي السقاء انخرق وقيل
انشقاقها لنزول الملائكة وقال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل انشقاقها
لهول يوم القيمة والملك على ارجائها قال ابن عباس على حافاتها حين تنشق والظاهر ان الضمير في ارجائها
عائد على السماء وقال ابن جبير والضحاك على حافات الارض ينزلون اليها يحفظون اطرافها وان لم يجر
لها ذكر قريب كما روي ان الله يامر ملائكة السماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم ملائكة
الثانية فيصفون حولهم ثم ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن والانس وجد الارض احيط بها والملك
اسم جنس يراد به الملائكة وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قولك والملك وبين ان
يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو
شاهد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام
الجنسية فضل اراه ان يراد به الجمع المحلى بهما ولذلك صح الاستثناء منه فقصارى ان يكون كالجمع المحلى
بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الخ فليس دليلا على دعواه لان من ملك نكرة مفردة في
سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد

فيه

فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فتعم في كل جمع جمع من الملائكة
ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز ان يكون فيها
واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الاية
ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون اعم من جمع دخلت عليه من وانما جيء به مفردا لانه اخف
ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت
واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها
في اوقات وقال الزمخشري يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فيفيئون الى اطرافها وما حولها
من حافاتها انتهى والضمير في فوقهم عائد على الملك ضمير جمع على المعنى لانه يراد به الجنس قاله
الزمخشري وقيل يعود على الملائكة الحاملين اي فوق رؤوسهم وقيل على العالم كلهم والظاهر
ان التمييز المحذوف في قوله ثمانية املاك اي ثمانية اشخاص من الملائكة وعن الضحاك
ثمانية صفوف وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية
اشكالا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا يومئذ اي يوم اذ كان ما ذكر تعرضون اي للحساب
وتعرضون هو جواب قوله فاذا نفخ فان كانت النفخة هي الاولى فجاز ذلك لانه اتسع في اليوم فجعل
ظرفا للنفخ ووقوع الواقعة وجميع الكاينات بعدها وان كانت النفخة هي الثانية فلا يحتاج
الى اتساع لان قوله فيومئذ معطوف على فاذا ويومئذ تعرضون بدل من فيومئذ وما بعد هذه
الظروف واقع في يوم القيامة والخطاب في تعرضون لجميع العالم المحاسبين وعن عبد الله رأى
موسى في القيامة عرضتان فيهما معاذير وتوقيف وخصومات وثالثة تتطاير فيها الصحف
للايمان والشمايل وقرا الجمهور لا تخفى بتاء التانيث وعلي وابن وثاب وطلحة والاعمش
وحمزة والكسائي وابن مقسم عن عاصم وابن سعدان بالياء خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا
فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه • اني ظننت اني ملاق حسابيه • فهو في عيشة
راضية • في جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية • واما من
اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه • ولم ادر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية •
ما اغنى عني ماليه • هلك عني سلطانيه • خذوه فغلوه • ثم الجحيم صلوه • ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه • انه كان لا يؤمن بالله العظيم • ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم
ها هنا حميم • ولا طعام الا من غسلين • لا ياكله الا الخاطئون • اما حرف تفصيل فصل بها ما وقع في يوم
العرض يا آخذ كتابه بيمينه مع الناجين من النار ويكون ذلك باثر مدة العذاب وقيل باخذه حتى يخرج
من النار وايمانه ابتسه مدة العذاب قيل وهذا اظهر لان من يسارع به الى النار كيف يقول هاؤم
اقرؤا كتابيه وهل هذا الا استبشار وسرور ولا يناسب دخول النار وهاؤم ان كان مدلولها خذ فهي
متسلطة على كتابيه بغير واسطة وان كان مدلولها تعالوا فهي متعدية اليه بواسطة الى وكتابيه
يطلبه هاؤم واقرؤا فالبصريون يعملون اقرؤا والكوفيون يعملون هاؤم وفي ذلك دليل على جواز التنازع
بين اسم الفعل والفعل وقرا الجمهور كتابيه وحسابيه في موضعيهما وماليه وسلطانيه وفي القارعة
ما هيه بثبات هاء السكت وقفا ووصلا لمراعاة خط المصحف وقرا ابن محيصن بحذفها
وصلا ووقفا واسكان الياء وذلك كتابي وحسابي ومالي وسلطاني ولم ينقل ذلك فيما وقفت عليه
في ماهيه في القارعة وابن ابي اسحق والاعمش بطرح الهاء فيهن في الوصل لا في الوقف وطرحها حمزة
في مالي وسلطاني وماهي في الوصل لا في الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوي من ان اثبات
الهاء في الوصل لحن لا يجوز عند احد علمته ليس كما قال بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب قبوله
اني ظننت اي ايقنت ولو كان ظنا فيه تجويز لكان كفرا فهو في عيشة راضية ذات رضى وقال
ابو عبيدة والفراء راضية مرضية كقوله من ماء دافق اي مدفوق في جنة عالية اي مكانا وقدرا
قطوفها اي ما يجنى منها دانية قريبة المتناول يدركها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرها
كلوا واشربوا اي يقال هنيئا تقدم الكلام عليه في اول النساء وقال الزمخشري هنا هنيئا اي اكلا
وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر انتهى فقوله اكلا وشربا هنيئا يظهر منه جعل هنيئا صفة للمصدر
ولا يجوز ذلك الا على معتقد الاضمار عند مجيز ذلك اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا بما اسلفتم اي قدمتم من العمل
الصالح في الايام الخالية يعني ايام الدنيا وقال مجاهد وابن جبير ووكيع وعبد العزيز بن رفيع ايام
الصوم اي بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله والظاهر العموم في قوله بما اسلفتم اي

قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه

من الاعمال الصالحة يا ليتني لم اوت كتابيه لما راي فيه قبايح افعاله وما يصير امره اليه تمني انه لم يعطه
وتمني انه لم يدر حسابيه فانه انجلي عنه حسابه عن ما يسوءه فيه اذ كان عليه لا له يا ليتها اي الموتة
التي متها في الدنيا كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث ولم اعذب او يا ليت الحالة التي
انتهيت اليها الان كانت الموتة التي متها في الدنيا حيث راي ان حالته التي هو فيها امر مما ذاقه
من الموتة وكيف لا وليس آل الي عذاب لا ينقطع ما اغني عني ماليه يجوز ان يكون نفيا محضا
اخبر بذلك متاسفا علي ماله حيث لم ينفعه ويجوز ان يكون استفهاما وبخ به نفسه وقررها عليه
هلك عني سلطانيه اي حجتي قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدي وقال ابن زيد يقول
ذلك ملوك الدنيا وكان عضد الدولة بن بويه لما تسمي ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح وجن فكان
لا ينطلق لسانه الا بقوله تعالي هلك عني سلطانيه خذوه اي يقال للزبانية خذوه فغلوه ثم اي اجعلوا
في عنقه غلا ثم الجحيم صلوه قال الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمي لانه كان
سلطانا يتعظم علي الناس يقال صلي النار وصلاه النار انتهي وانما اراد به لا تصلوه الا النار لانه زعم
ان تقديم المفعول يدل علي الحصر وتكلمنا معه في نحو ذلك في اياك نعبد وليس ما قاله مذهب
لسر ولا الحذاق النحاة واما قوله لانه كان سلطانا يتعظم علي الناس فهذا قول ابن زيد وهو مرجوح
والراجح قول ابن عباس ومن ذكر معه ان السلطان هنا هو الحجة التي كان يحتج بها في الدنيا لان من اوتي
كتابه بشماله ليس مختصا بالملوك بل هو عام في جميع اهل الشقاوة في سلسلة ذرعها اي قياسها ومقدار
طولها سبعون ذراعا يجوز ان يراد ظاهره من العدد ويجوز ان يراد المبالغة في طولها وان لم تبلغ هذا
العدد قال ابن عباس وابن جريج ومحمد بن المنكدر بذراع الملك وقال ابن نوف البكالي وغيره الذراع سبعون
باعا في كل باع كما بين مكة والكوفة وهذا يحتاج الي نقل صحيح وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هي وقيل
بالذراع المعروف وانما خاطبنا تعالي بما نعرفه ونحصله وقال ابن عباس لو وضع منها حلقة علي جبل لذاب
كالرصاص فاسلكوه اي ادخلوه لقوله فسلكه ينابيع والظاهر انه يدخل في السلسلة ولطولها تلتوي
عليه من جميع جهاته فيبقي داخلا فيها مضغوطا حتي تعمه وقيل في الكلام قلب والسلسلة تدخل
من فيه وتخرج من دبره فهي في الحقيقة التي تسلك فيه ولا ضرورة تدعو الي اخراج الكلام عن ظاهره
الا ان دل الدليل الصحيح علي خلافه وقال الزمخشري والمعني في تقديم السلسلة علي السلك مثله في
تقديم الجحيم علي التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها اقطع من سائر مواضع الارهاق
ومعني ثم الدلالة علي تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا
علي تراخي المدة انتهي وتقدم ان من مذهبه الحصر من تقديم المعمول واما ثم فيمكن بقاؤها علي موضوعها
من المهلة وانه اولا يوخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة ثم جاء بصليه الجحيم فكان ذلك
ابلغ في عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه قليلا ثم جاءه سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا في
النار لكنه كان له انتقال من مكان الي مكان فيجد بذلك بعض تنفس فلما سلك في السلسلة كان ذلك
اشد ما عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وانه يضيق عليه غاية فهذا ابلغ فيه ان يكون
ثم علي موضوعها من المهلة الزمانية انه كان لا يومن بدا باقوي اسباب تعذيبه وهو كفره بالله وانه
تعليل مستانف كان قايلا قال لم يعذب هذا العذاب البليغ فقيل انه كان لا يومن وعطف ولا يحض
علي لا يومن داخل في العلة وذلك يدل علي عظم ذنب من لا يحض علي اطعام المسكين اذ جعل قرين
الكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف يكون ترك الاطعام والتقدير علي اطعام طعام المسكين واضاف
الطعام الي المسكين من حيث له نسبة اليه اذ يستحق المسكين حقا في مال الغني الموسر ولو بادني يسار
وللعرب في مكارمهم وآثارهم آثار عجيبة غريبة بحيث لا توجد في غيرهم وما احسن ما قال القايل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم • وعند المقلين السماحة والبذل •

وكان ابو الدرداء يحض امراته علي تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان
افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه يعني انه اذا انتفي الحض انتفي
الاطعام بجهة الاولي كما صرح به في قوله قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فليس له اليوم هاهنا
حميم اي صديق ملاطف واد الاخلاء بعضهم لبعض عدو وقيل قريب يدفع عنه ولا طعام الا من غسلين
قال ابن عباس هو صديد اهل النار وقال قتادة وابن زيد هو والزقوم اخبث شي واشنعه وقال
الضحاك والربيع هو شجر ياكله اهل النار وقيل هو شي يجري من صديد اهل النار يدل علي هذا قوله

في

627

في الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع فهما شي واحد ومتداخلين قيل ويجوز ان يكونا متباينين واخبر
بكل واحد منهما عن طايفة غير الطايفة التي الاخر هو طعامها وليس خبر ليس وقال المهدوي ولا يصح
ان يكون هاهنا ولم يبين ما المانع من ذلك وتبعه القرطبي في ذلك وقال لان المعني يصير ليس له
هاهنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره وهاهنا متعلق بما في له من معني الفعل
انتهي واذا كان ثم غيره من الطعام وكان الاكل غير كل اخرج الحصر بالنسبة الي اختلاف الاكلين
واما ان كان الضريع هو الغسلين كما قال بعضهم فلا تناقض اذ المحصور في الايتين هو شي واحد
وانما يمتنع ذلك من وجه غير ما ذكر وهو انه اذا جعلنا هاهنا الخبر كان له واليوم متعلقان بما
تعلق به الخبر وهو العامل في هاهنا وهو عامل معنوي فلا يتقدم معموله عليه فلو كان العامل
لفظيا جاز كقوله تعالي ولم يكن له كفوا احد فله يتعلق بكفوا وهو خبر ليكن وقرا
الجمهور الخاطيون بالهمز اسم فاعل من خطي وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطي الذي
يفعله غير متعمد وقرا الحسن والزهري والعتكي وطلحة في نقل بياء مضمومة بدلا من الهمزة
وقرا ابو جعفر وطلحة وشيبة ونافع بخلاف عنه بضم الطاء دون همز فالظاهر اسم فاعل
من خطي كقراءة من همز وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الي الباطل ويتعدون
حدود الله انتهي فيكون اسم فاعل من خطا يخطو كقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان خطا الي المعاصي فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • انه لقول رسول كريم •
وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون • ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون • تنزيل من رب العالمين •
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد
عنه حاجزين • وانه لتذكرة للمتقين • وانا لنعلم ان منكم مكذبين • وانه لحسرة علي الكافرين • وانه
لحق اليقين • فسبح باسم ربك العظيم • تقدم الكلام في لا قبل القسم في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وقرا الحسن لاقسم بجعلها لاما دخلت علي اقسم وقيل لا هنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الي قسم
لوضوح الحق في ذلك وعلي هذا فجوابه جواب القسم قال مقاتل سبب ذلك ان الوليد قال ان محمدا ساحر
وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله عليهم بقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون •
قال قتادة عام في جميع مخلوقاته وقال عطاء ما تبصرون من اثار القدرة وما لا تبصرون من اسرار
القدرة وقيل وما لا تبصرون الملايكة وقيل الاجساد والارواح انه اي ان القران لقول رسول كريم
هو محمد صلي الله عليه وسلم في قول الاكثرين ويدل عليه قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ونسب
القول اليه لانه هو مبلغه والعامل به وقال ابن السايب ومقاتل وابن قتيبة هو جبريل عليه السلام
اذ هو الرسول عن الله ونفي تعالي ان يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر ولا قول كاهن لانه
ورد بسب الشياطين وانتصب قليلا علي انه صفة لمصدر محذوف او لزمان محذوف اي تومنون
ايمانا قليلا او زمانا قليلا وكذا التقدير في قليلا ما تذكرون والقلة هو اقرارهم اذا سيلوا من
خلقهم قالوا الله وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون
نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم
قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي
كان يامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم هو حق صواب انتهي اما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر
يدل عليه تومنون فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تومنون اما ان تكون ما نافية او
مصدرية كما ذهب اليه فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تومنون المنفي بما يكون
منفيا فيكون التقدير ما تومنون قليلا ما تومنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا
يجوز زيدا ما اضربه علي تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع
علي الفاعلية بقليلا اي قليلا ايمانكم ويبقي قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتي يعمل ولا ناصب له
واما في موضع رفع علي الابتداء فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب لا مرفوع وقال
الزمخشري والقلة في معني العدم اي لا تومنون ولا تذكرون البتة والمعني ما اكفركم وما اغفلكم
انتهي ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك الا
زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد تستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ما

قوله عز وجل فلا اقسم بما تبصرون

جوزوا في قول الشاعر قليلها الاصوات الا بغامها • اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرة فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثير واما في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فتحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء • وقراءة ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بخلاف عنهما والحسن والجحدري يؤمنون يذكرون بالياء فيهما وباقي السبعة بتاء الخطاب وابي بتاء ين وقراءة الجمهور تنزيل بالرفع وابو السماك تنزيلا بالنصب وقراءة الجمهور ولو تقول والتقول ان يقول الانسان عن اخر انه قال شيئا لم يقله وقرا ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال وهذه القراءة معرضة بما صرحت به قراءة الجمهور وقرئ ولو تقول مبنيا للمفعول وحذف الفاعل وقام المفعول مقامه وهو بعض ان كان قرئ مرفوعا وان كان قرئ منصوبا بعلينا قام مقام الفاعل والمعنى ولو تقول علينا متقول ولا يكون الضمير في تقول عائدا على الرسول لاستحالة وقوع ذلك منه فنحن نمنع ان يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه السلام والاقاويل جمع الجمع وهو اقوال كبيت وابيات واباييت قال الزمخشري وسمى الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والظاهر ان قوله باليمين المراد به الجارحة فقال الحسن المعنى قطعناه عوضا ونكالا والباء على هذا زائدة وقيل الاخذ على ظاهره قال الزمخشري والمعنى ولو ادعى مدع علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما تفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يلحقه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه انتهى وهو قول للمتقدمين حسنه الزمخشري بتكثير الفاظه ونصاعتها قالوا المعنى لاخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الاذلال كما تقول السلطان اذا اراد عقوبة رجل يا غلام خذ بيديه وافعل كذا قاله او قريبا منه الطبري وقيل اليمين هنا مجاز فقال ابن عباس باليمين بالقوة ومعناه لنلنا منه عقابه بقوة منا وقال مجاهد بالقدرة وقال السدي عاقبناه بالحق ومن على هذا صلة وقال نفطويه لقبضنا بيمينه عن التصرف وقيل لنزعنا منه قوته وقيل لاذللناه واعجزناه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس هو نياط القلب وقال مجاهد حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع والموتون الذي قطع وتينه والمعنى لو تقول لاذهبناه باته معجلا والضمير في عنه الظاهر انه يعود على الذي يقول ويجوز ان يعود على القتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه والخطاب في منكم للناس والظاهر في حاجزين ان يكون خبرا لما على لغة الحجاز لان حاجزين هو محط الفائدة ويكون منكم لو تاخر لكان صفة لاحد فلما تقدم صار حالا وفي جواز هذا نظر او يكون للبيان او يتعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيد راغبا ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبرها وقال الحوفي والزمخشري حاجزين نعت لاحد على اللفظ وجمع على المعنى لانه في معنى الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجميع والمذكر والمؤنث ومنه لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء مثل بهما الزمخشري وقد تكلمنا على ذلك في موضعيهما وفي الحديث لم تحل لاحد سود الرؤوس قبلكم واذا كان حاجزين نعتا فمن احد مبتداء والخبر منكم ويضعف هذا القول لان النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم فلا يتسلط على الحجز واذا كان حاجزين خبرا تسلط النفي عليه وصار المعنى ما احد منكم يحجزه عما يريد به من ذلك وانه لتذكرة اي وان القران او الرسول وانا لنعلم ان منكم مكذبين وعيد مكذبين بالقران او بالرسول وانه لحسرة اي القران من حيث كفروا به ويرون من امن به ينعم وهم يعذبون وقال مقاتل وان تكذيبهم بالقران لحسرة عليهم عاد الضمير على المصدر المفهوم من قوله مكذبين كقوله اذا نهي السفيه جرى اليه • اي للسفه وانه اي وان القران لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وسبق الكلام على اضافة حق الى اليقين في اخر الواقعة ه

العهن الصوف دون تقييد او الاحمر او المصبوغ او المصبوغ الوانا اقوال الفصيلة قال ثعلب الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقيل عشيرته الاقربون لظى اسم لجهنم او للدركة الثانية من دركاتها وهو علم منقول من اللظى وهو اللهب ومنع الصرف للعلمية والتانيث

المفردات

الشوي

628

الشوي جمع شواة وهي جلدة الراس وقال الاعشى

• قالت قتيلة ماله • قد حللت شيبا شواته •

والشوي جلد الانسان والشوي قوايم الحيوان والشوي كل عضو ليس بمقتل ومنه رمى فاشوى اذا لم يصب المقتل والشوي رذال المال والشوي الشي الهين اليسير الهلع الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وقال ابو عبيدة الهلع في اللغة اشد الحرص واسو الجزع الجزع الخوف قال الشاعر جزعت ولم اجزع من البين مجزعا عزين جمع عزة قال ابو عبيدة جماعات في تفرقة وقيل الجمع اليسير كثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وقال الاصمعي في الدار عزون اي اصناف من الناس قال عنترة

• وقرن قد تركت لدي ولي • عليه الطير كالعصب العزين •

وقال الراعي • اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسى سوامهم عزين فلولا •

وقال الكميت • ونحن وجندل باغ تركنا • كتائب جندل شتى عزينا •

وقال اخر • ترانا عنده والليل داج • على ابوابه حلقا عزينا •

وقال اخر • فلما ان اتين على اضاخ • ضرحن حصاه اشتاتا عزينا •

وعزة مما حذفت لامه فقيل هي واو واصله عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون ويقال عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره وقيل لامها هاء والاصل عزهة وجمعت عزة بالواو والنون كما جمعت سنة واخواتها بذلك وتكسر العين في الجمع وتضم وقالوا عزى على فعل ولم يقولوا عزات

سورة المعارج ه

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة • والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا • يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن • ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه • كلا انها لظى نزاعة للشوى • تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى • ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • اولئك في جنات مكرمون • هذه السورة مكية قال الجمهور ونزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال الربيع بن انس في ابي جهل وقيل في جماعة من قريش قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وقيل السائل نوح سال العذاب على الكافرين وقيل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم سال الله ان يشدد وطاته على مضر الحديث فاستجاب الله دعوته ومناسبة هذه لما قبلها انه لما ذكر وانا لنعلم ان منكم مكذبين اخبر عن ما صدر عن بعض المكذبين بنعم الله وان كان السائل نوحا او الرسول فناسب تكذيب المكذبين ان دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاءهم به وقراءة الجمهور سال بالهمز اي دعا داع من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه فالباء على اصلها وقيل المعنى بحث باحث واستفهم قيل فالباء بمعنى عن وقراءة نافع وابن عامر سال بالف فيجوز ان تكون قد ابدلت همزته الفا وهو بدل على غير قياس وانما قياس هذا بين بين ويجوز ان يكون على لغة من قال سلت اسال حكاها س وقال الزمخشري هي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان انتهى وينبغي ان يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جاء في القران من باب السؤال هو مهموز او اصله الهمز كقراءة من قرا وسلوا الله اذ لا يجوز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسالوا الله مثل خافوا الامر فيبعد ان يجيء ذلك كله على لغة قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم جاء في كلام الزمخشري وهما يتسايلان بالياء واظنه من الناسخ وانما هو يتساولان بالواو فان توافقت النسخ بالياء فيكون التحريف

من الزمخشري وعلى تقديره انه من السؤال فسايل اسم فاعل منه وتقدم ذكر الخلاف في السايل من هو وقيل
سال من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل وقال زيد بن ثابت في جهنم واد يسمى سايلا
واخبر هنا عنه قال ابن عطية ويحتمل ان لم يصح امر الوادي ان يكون الاخبار عن نفوذ القدر بذلك
العذاب قد استعير له السيل لما عهد من السيل وتصميمه وقال الزمخشري والسيل مصدر في معنى
السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم انتهى واذا
كان السايل هم الكفار فسؤالهم انما كان على انه كذب عندهم فاخبر تعالى انه واقع وعيدا لهم **وقرا**
ابي وعبد الله سال سايل مثل مال بالقاف صورة الهمزة وهي الياء من الخط تخفيفا قيل والمراد سايل
انتهى ولم يحك هل قرا بالهمزة او باسقاطها البتة فان قراه بالهمز فظاهر وان قرا بحذفها فهو مثل شاك
في شايك حذفت عينه واللام جرى فيها الاعراب والظاهر تعلق بعذاب بسال وقال ابو عبد الله الرازي
تتعلق بمصدر دل عليه فعله كانه قيل ما سؤاله فقيل سؤاله بعذاب والظاهر اتصال الكافرين
بواقع فيكون متعلقا به واللام للعلة اي نازل بهم لاجلهم اي لاجل كفرهم او على ان اللام بمعنى على
قاله بعض النحاة ويؤيده قراءة ابي على الكافرين او على انه في موضع اي واقع كاين للكافرين وقال
قتادة والحسن المعنى كان قايلا قال لمن هذا العذاب الواقع فقيل للكافرين انتهى وقال الزمخشري
او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر من توجيهه في الكافرين قال هو كلام
مبتدا جواب للسايل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال
دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى
فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين
هذا لا يصح اخذ قول قتادة والحسن وافسده والاجود ان يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له دافع
جملة اعتراض بين العامل والمعمول وقيل يتعلق بدافع اي من جهته اذا جاء وقته ذي المعارج المعارج لغة
الدرج وهنا استعارة قال ابن عباس وقتادة في الرتب والفواضل والصفات الحميدة وقال ابن عباس ايضا
المعارج السموات تعرج فيها الملايكة من سماء الى سماء وقال الحسن هي المراقي الى السماء وقيل المعارج الغرف
اي جعلها لاوليايه في الجنة تعرج قراءة الجمهور بالتاء على التانيث وعبد الله والكسايي وابن مقسم
وزايدة عن الاعمش بالياء والروح قال الجمهور هو جبريل خص بالذكر تشريفا واخره هنا بعد الملايكة
وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا وقال مجاهد ملايكة حفظة للملايكة الحافظين
لبني ادم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظتنا وقيل ملك غير جبريل عظيم الخلقة وقال ابو صالح خلق
كهيئة الناس وليسوا بالناس وقال قبيصة بن ذويب روح الميت حين يقبض اليه الضمير عايد على الله
تعالى اي الى عرشه وحيث يهبط منه امره تعالى وقيل اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء لانها
محل بره وكرامته والظاهر ان المعنى انها تعرج في يوم من ايامكم هذه ومقدار المسافة ان لو عرجها
ادمي خمسون الف سنة قاله ابن عباس وابن اسحق وجماعة من الحذاق منهم منذر بن سعيد فان كان العارج
ملكا فقال مجاهد المسافة هي من قعر الارض السابعة الى العرش ومن جعل الروح جنسا لنوع الحيوان
قال وهب المسافة من وجه الارض الى منتهى العرش وقال عكرمة والحكم اراد مدة الدنيا فانها خمسون
الف سنة لا يدري احد ما مضى منها وما بقي اي تعرج في مدة الدنيا وبقا هذه البنية وقال ابن عباس ايضا
هو يوم القيمة فقيل له ذلك العدد وهو ظاهر ما جاء في الحديث في مانع الزكوة فانه قال في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة وقال ابو عباس وابو سعيد الخدري قدره في رزاياه وهوله وشدته للكفار ذلك
العدد وفي الحديث يخف على المومن حتى يكون عليه اخف من صلوة مكتوبة وقال عكرمة مقدار ما ينقضي
فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل في خمسين الف سنة من ايام الدنيا وقال الحسن نحو وقيل لا يراد حقيقة
العدد انما اريد به طول الموقف يوم القيمة وما فيه من الشدايد والعرب تصف ايام الشدة بالطول
وايام الفرح بالقصر **قال الشاعر** يصف ايام الفرح والسرور

ويوم كظل الرمح قصر طوله ۝ دم الزق عنا واصطفاق المزاهر ۝

والظاهر ان قوله في يوم متعلق بتعرج وقيل بدافع والجملة من قوله تعرج اعتراض ولما كانوا قد سالوا
استعجال العذاب وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وعدوا به امره تعالى بالصبر
ومن جعله من السيلان فالمعنى انه اشرف على الوقوع والضمير في يرونه عايد على العذاب او على اليوم
اذا اريد به يوم القيامة وهذا الاستبعاد على سبيل الاحالة منهم ونراه قريبا اي هينا في قدرتنا
غير بعيد علينا ولا متعذر وكل ما هو ات قريب والبعد والقرب في الامكان لا في المسافة يوم تكون

منصوب باضمار فعل اي يقع يوم تكون او يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او نراه قريبا او بدل من
ضمير نراه اذا كان عايدا على يوم القيامة وقال الزمخشري او هو بدل من يوم في من علقه بواقع
انتهى ولا يجوز هذا لان في يوم وان كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس من المواضع
التي تراعى في التوابع لان حرف الجر فيها ليس بزايد ولا محكوم له بحكم الزايد كرب وانما يجوز مراعاة
المواضع في حرف الجر الزايد **كقوله** يا بني لبينى لستما بيد الا يدا ليست لها عضد
ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على مراعاة موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد
وجعفرا ولا او لا مررت بعمرو واخاك على مراعاة الموضع **فان قلت** الحركة في يوم تكون حركة
بناء لا حركة اعراب فهو مجرور مثله في يوم **قلت** لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين
لانه اضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم
ان كان استحضره وقصده كالمهل تقدم الكلام عليه في سورة الدخان وتكون الجبال كالعهن يعني
المنفوش كما في القارعة لما نسفت طارت في الجو كالصوف المنفوش اذا طيرته الريح قال الحسن
تسير الجبال مع الرياح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء **وقرا** الجمهور ولا يسال
مبنيا للفاعل اي لا يساله نصره ولا منفعة لعلمه انه لا يجد ذلك عنده وقال قتادة لا يساله عن حاله
لانها ظاهرة وقيل لا يساله ان يحمل من اوزاره شيا ليايسه عن ذلك وقيل شفاعة وقيل حميما منصوب
على اسقاط عن اي عن حميم لشغله بما هو فيه **وقرا** ابو حيوة وشيبة وابو جعفر والبزي
بخلاف عن ثلاثتهم مبنيا للمفعول اي لا يسال احضاره كل من المومن والكافر له سيما يعرف بها وقيل
عن ذنوب حميمه ليوخذ بها يبصرونهم استيناف كلام قال ابن عباس في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم
يفر عنه لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم في النار وقيل يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى وحميم حميما نكرتان في سياق
النفي فيعمان ولذلك جمع الضمير **وقرا** قتادة يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد اي يبصر المومن
الكافر في النار قاله مجاهد وقال ابن زيد يبصر الكافر من اضله في النار عبرة وانتقاما وحزنا
يود المجرم اي الكافر وقد يندرج فيه المومن العاصي الذي يعذب **وقرا** الجمهور
من عذاب مضافا وابو حيوة منونا والجمهور بكسرها والاعرج وابو حيوة بفتحها وصاحبته زوجته
وفصيلته اقرباؤه الادنون تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوايب ثم ينجيه عطف
على يفتدي اي ينجيه الافتداء او من تقدم ذكرهم **وقرا** الزهري تؤويه وينجيه بضم الهاء
كلا ردع لودادتهم الافتداء وتنبيه على انه لا ينفع انها الضمير للقصة ولظى نزاعة تفسير لها او
للنار الدال عليها عذاب يومئذ ولظى بدل من الضمير ونزاعة خبر انه او خبر مبتدا ولظى خبر ان
اي هي نزاعة او بدل من لظى او خبر بعد خبر كل هذا ذكروه وذلك على قراءة الجمهور برفع نزاعة وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى ولا ادري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه
الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا او ضمير القصة
لحملت كلامه عليه **وقرا** ابن ابي عبلة وابو حيوة والزعفراني وابن مقسم وحفص واليزيدي
في اختياره نزاعة بالنصب فتعين ان تكون لظى خبرا لان والضمير في انها عايد على النار الدال عليها
عذاب وانتصب نزاعة على الحال المؤكدة او المبينة والعامل فيها لظى وان كان علما لما فيه
من معنى التلظي كاعمال العلم في الظرف في قوله انا ابو المنهال بعض الاحيان اي المشهور بعض الاحيان
او على الاختصاص للتهويل قاله الزمخشري وكانه يعني القطع فالنصب فيها كالرفع فيها اذا اضمرت
هو فيضمر هنا اعني تدعو اي حقيقة يخلق الله فيها الكلام كما يخلقه في الاعضاء قاله ابن عباس
وغيره تدعوهم باسمايهم واسماء ابايهم قال الزمخشري وكما خلقه في الشجرة انتهى فلم يترك مذهب الاعتزال
وقال الخليل مجاز عن استدنايها منهم وما توقعه بهم من عذابها وقال ثعلب يهلك يقول العرب
دعاك الله اي اهلكك وحكاه الخليل عن العرب **وقال الشاعر**

ليالي يدعوني الهوى فاجيبه ۝ واعين من اهوى الي رواني ۝

وقال اخر ترفع للعينان وكل فج ۝ طباه الرعي منه والخلاء ۝

طباه اي دعاه بوصف ظلمها والهوى والرعي لا يدعوان حقيقة ولكنه لما كان فيهما ما يجذب صارا
داعيين مجازا وقيل تدعو اي خزنتها جهنم اضيف دعاؤهم اليها من ادبر عن الحق وتولى وجمع فاوعى

اي وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد حق الله فيه وهذه اشارة الي كفار اغنياء وقال الحكيم
كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعي ان الانسان جنس ولذلك
استثني منه الا المصلين وقيل الاشارة الي الكفار وقال ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر
ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسيرا ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة
الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس انتهي ولما كان شدة المنع الجزع والمنع متمكنة في الانسان
جعل كانه خلق مجبولا عليهما كقوله خلق الانسان من عجل والخير المال الا المصلين استثناء كما قلنا
من الانسان ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر علي المكاره والصفات الجميلة التي حازوها
وقرأ الجمهور علي صلاتهم بالافراد والحسن جمعا ودبومتها قال الجمهور المواظبة عليها وقال
ابن مسعود صلاتها لوقتها وقال عقبة بن عامر يقرون فيها ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا ومنه الماء الدايم
وقال الزمخشري دوامهم عليها ان يواظبوا علي اداييها ولا يشتغلون عنها بشي ومحافظتهم عليها
ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها واداابها ويحفظوها
من الاحباط باقتران الماثم والدوام يرجع الي انفس الصلوات والمحافظة الي احوالها انتهي وهو جوابه
لسواله **فان قلت** كيف قال علي صلاتهم دايمون ثم قال علي صلاتهم يحافظون **واقول**
ان الديمومة علي الشي والمحافظة عليه شي واحد لكنه لما كانت الصلوة هي عمود الاسلام بولغ
في التوكيد فيها فذكرت اول خصال الاسلام المذكورة في هذه السورة واخرها ليعلم مرتبتها في
الاركان التي بني الاسلام عليها والصفات التي بعد هذه تقدم تفسيرها ومعظمها في سورة قد افلح
وقرأ الجمهور بشهادتهم علي الافراد والسلمي وابو عمرو وحفص علي الجمع • فما ل الذين كفروا قبلك
مهطعين • عن اليمين وعن الشمال عزين • ايطمع كل امري منهم ان يدخل جنة نعيم • كلا انا خلقناهم
مما يعلمون • فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون • علي ان نبدل خيرا منهم وما نحن
بمسبوقين • فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتي يلاقوا يومهم الذي يوعدون • يوم يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الي نصب يوفضون • خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون •
كان عليه السلام يصلي عند الكعبة ويقرا القران فكانوا يحتفون به حلقا حلقا يسمعون ويستهزيون بكلامه
ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت وتقدم شرح مهطعين في سورة ابراهيم
عليه السلام ومعني قبلك اي في الجهة التي تليك عن اليمين وعن الشمال اي عن يمينك وعن شمالك وقيل
نزلت في المستهزيين الخمسة **وقرأ** الجمهور ان يدخل مبنيا للمفعول وابن يعمر والحسن وابو رجا وزيد بن علي وطلحة
والمفضل عن عاصم مبنيا للفاعل كلا رد وردع لطماعيتهم اذ اظهروا ذلك وان كانوا لا يعتقدون صحة البعث ولا ان
ثم جنة ولا نار انا خلقناهم مما يعلمون اي انشاناهم من نطفة مذرة فنحن قادرون علي اعادتهم وبعثهم يوم القيمة
وعلي الاستبدال بهم خيرا منهم قيل فليس بنفس الخلق ومنته عليهم بذلك يعطي الجنة بل بالايمان والصالح وقال
قتادة في تفسيرها انما خلقت من قذر يا ابن ادم وقال انس كان ابو بكر اذا خطبنا ذكر مناتن ابن ادم ومروره في
مجري البول مرتين وكذلك نطفة في الرحم ثم علقة ثم مضغة الي ان يخرج فيتلوث في نجاسته طفلا فلا يقلع ابو بكر
حتي يقذر احدنا نفسه فكانه قيل اذا كان خلقكم من نطفة مذرة فمن اين تتشرفون وتدعون دخول الجنة قبل المومنين
وابهم في قوله مما يعلمون وان كان قد صرح به في عدة مواضع احالة علي تلك المواضع وراي مطرف بن عبد الله بن الشخير المهلب بن
ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم
اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل عذرة فمضي المهلب وترك مشيته **وقرأ** الجمهور فلا اقسم برب المشارق
والمغارب جمعهما وقال بلام دون الف وعبد الله بن مسلم وابن محيصن والجحدري المشرق والمغرب مفردين اقسم تعالي
بمخلوقاته علي ايجاب قدرته علي ان يبدل خيرا منهم وانه لا يسبقه شي الي ما يريد فذرهم يخوضوا ويلعبوا وعيد وما فيه من معني
المهادنة منسوخ باية السيف وقرا ابو جعفر وابن محيصن يلقوا مضارع لقي والجمهور يلاقوا مضارع لاقي والجمهور يخرجون مبنيا
للمفعول قال ابن عطية وروي ابو بكر عن عاصم مبنيا للمفعول ويوم بدل من يومهم وقرا الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وابو
الجوزاء ومجاهد بفتحتهما وابن عامر وحفص بضمهما والحسن وقتادة بضم النون وسكون الصاد والنصب ما نصب للانسان فهو يقصد
مسرعا اليه من علم او بناء او صنم وغلب في الاصنام حتي قيل الانصاب وقال ابو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها مخافة
ان ينفلت الصيد منها وقال مجاهد نصب علم ومن قرا بضمها قال ابن زيد اي اصنام منصوبة كانوا يعبدونها وقال الاخفش هو جمع نصب كرهن
ورهن والانصاب جمع الجمع يوفضون يسرعون وقال ابو العالية يستبقون الي غايات **الاطوار** الاحوال المختلفة **قال الشاعر**
فان فاق فقد طارت عمايته • والمرء يخلق طورا بعد اطوار • ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا اسماء الالهة قوم نوح عليه السلام

قوله عز وجل فما ل الذين كفروا

سورة نوح عليه السلام

630

سورة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الي قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم
عذاب اليم • قال يا قوم اني لكم نذير مبين • ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون • يغفر لكم من ذنوبكم
ويوخركم الي اجل مسمي ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون • قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا • واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا • ثم اني دعوتهم جهارا • ثم اني اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا • فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا • ما لكم لا ترجون لله وقارا • وقد خلقكم اطوارا •
هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه تعالي لما اقسم علي ان يبدل خيرا منهم وكانوا قد
سخروا من المومنين وكذبوا بما وعدوا به من العذاب ذكر قصة نوح وقومه معه وكانوا اشد
تمردا من المشركين فاخذهم الله اخذا استيصال حتي انه لم يبق لهم نسلا علي وجه الارض
وكانوا عباد اصنام كمشركي مكة فحذر تعالي قريشا ان يصيبهم عذاب يستاصلهم ان لم يومنوا
نوح عليه السلام اول نبي ارسل ويقال له شيخ المرسلين وادم الثاني وهو نوح بن لامك
ابن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم
عليه السلام ان انذر قومك يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون تفسيرية عذاب اليم
قال ابن عباس عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي ما حل بهم من الطوفان من ذنوبكم من
للتبعيض لان الايمان انما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده وقيل لابتداء الغاية
وقيل من زايدة وهو مذهب نحو قال ابن عطية كوفي واقول اخفشي لا كوفي لانهم يشترطون
ان تكون بعد من نكرة ولا يبالون بما قبلها من واجب وغيره والاخفش يجيز مع الواجب وغيره
وقيل لبيان الجنس ورد بانه ليس قبلها ما تبينه **قال** الزمخشري
فان قلت كيف قال ويوخركم مع اخباره بامتناع تاخر الاجل وهل هذا الا تناقض **قلت**
قضي الله مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا علي كفرهم اهلكهم علي راس تسعماية
فقيل لهم امنوا يوخركم الي اجل مسمي اي الي وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه
لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا
يوخر كما يوخر هذا الوقت ولم يكن لهم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخر
انتهي **وقال** ابن عطية ويوخركم الي اجل مسمي مما تعلقت المعتزلة به في قولهم ان للانسان اجلين
قالوا لو كان واحدا محدودا لما صح التاخير ان كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة ان كان لم يبلغ وليس
لهم في الاية تعلق لان المعني ان نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يوخر او ممن يعاجل ولا
قال لهم انكم توخرون عن اجل قد حان لكم لكن قد سبق في الازل انهم اما ممن قضي له بالايمان
والتاخير واما ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة ثم تشدد هذا المعني ولاح بقوله ان اجل الله
اذا جاء لا يوخر وجواب لو محذوف تقديره لو كنتم تعلمون واذوه شكي الي ربه شكوي من يعلم
ان الله عالم بحاله مع قومه لما امر بالانذار فلم يجد فيهم قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
اي جميع الاوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت ولما ازدادوا اعراضا ونفارا عن الحق
جعل الدعاء هو الذي زادهم اذ كان سبب الزيادة ومثله فزادتهم رجسا الي رجسهم واني
كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليتوبوا فتغفر لهم ذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح
في اعراضهم عنه جعلوا اصابعهم في اذانهم الظاهر انه حقيقة سدوا مسامعهم حتي لا يسمعوا
ما دعاهم اليه وتغطوا بثيابهم حتي لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح
ويجوز ان يكون ذلك كناية عن المبالغة في اعراضهم عما دعاهم اليه فهم بمنزلة من سد
سمعه ومنع بصره ثم كرر صفة دعايه بيانا وتوكيدا لما ذكر دعاه عموم الاوقات ذكر عموم
حالات الدعاء وكلما دعوتهم بدل علي تكرار الدعوات فلم يبين حالة دعايه اولا وظاهره

ان يكون دعاءه اسرارًا لانه الطف بهم ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح في السر فانه
جدير بان يقبل منه فلما لم يجد له الاسرار انتقل الى ما اشد منه وهو دعاؤهم جهارًا صلتًا
بالدعاء الى الله لا يحاشي احدًا فلم يجده عاد الى الاعلان والى الاسرار قال الزمخشري
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين
اغلظ من افراد احدهما انتهى وكثيرًا كرر الزمخشري ان ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره
وانتصب جهارًا بدعوتهم وهو احد نوعي الدعاء ويجي فيه من الخلاف ما جاء في نصب هو يمشي
الخوزلى قال الزمخشري او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا
اي دعاء جهارًا اي مجاهرًا به او مصدرًا في موضع الحال اي مجاهرًا ثم اخبر انه امرهم بالاستغفار
وانهم اذا استغفروا در لهم الرزق في الدنيا فقدم لهم ما يسرهم وما هو احب اليهم اذ النفس
متشوقة الى الحصول على العاجل كما قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل الاية وان لو استقاموا على الطريقة الاية قال قتادة كانوا اهل حب للدنيا فاستدعاهم
الى الاخرة من الطريق التي يحبونها وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعاء ومدرارًا من الدر
وهو صفة يستوي فيها المذكر والمونث ومفعال لا تلحقه التاء الا نادرًا فيشترك فيه
المذكر والمونث تقول رجل مجذامة ومطرابة وامراة مجذامة ومطرابة والسماء المظلة
قيل لان المطر ينزل منها الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب والمطر كقوله ۞
اذا نزل السماء بارض قوم ۞ الرجاء بمعنى الخوف وبمعنى الامل فقال ابو عبيدة وغيره لا ترجون
لا تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالكلام على هذا وعيد وتخويف
وقيل لا تاملون له توقيرًا اي تعظيمًا قال الزمخشري والمعنى لا تكونون على حال تاملون
فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة اوقر لا تخافون لله
حلمًا وترك معاجلة بالعقاب فتومنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون
لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت
واستقر انتهى وقيل ما لكم لا تجعلون رجاكم لله وتلقاءه وقارًا ويكون على هذا منهم كانه يقول
تؤدة منكم وتمكنًا في النظر لان الكفر مظنة الخفة والطيش وركوب الراس انتهى وفي التحرير
والتحبير قال سعيد بن جبير ما لكم لا ترجون لله ثوابًا ولا تخافون عقابًا وقاله ابن جبير عن ابن عباس
وقال العوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة
قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابال انتهى لا ترجون حال وقد
خلقكم اطوارًا جملة حالية تحمل على الايمان بالله وافراده بالعبادة اذ في هذه الجملة الحالية
التنبيه على تدريج الانسان في اطوار لا يمكن ان تكون الا من خلقه تعالى قال ابن عباس ومجاهد
من النطفة والعلقة والمضغة وقيل في اختلاف الوان الناس وخلقهم وملتهم وقيل صبيانا
ثم شبابًا ثم شيوخًا وضعفًا ثم اقويا وقيل معنى اطوارًا انواعًا صحاحًا وسقيمًا وبصيرًا وضريرًا
وغنيًا وفقيرًا الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا
والله انبتكم من الارض نباتًا ۞ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجًا ۞ والله جعل لكم الارض بساطًا
لتسلكوا منها سبلًا فجاجًا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارًا ۞
ومكروا مكرًا كبارًا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ۞ ولا يغوث ويعوق ونسرًا
وقد اضلوا كثيرًا ولا تزد الظالمين الا ضلالًا مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارًا ۞ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا ۞ انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرًا كفارًا ۞ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنًا وللمومنين
والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارًا ۞ لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في انفسهم
وكيف انتقلوا من حال الى حال وكانت الانفس اقرب ما يفكرون فيه منهم ارشدهم
الى الفكر في العالم علوه وسفله وما اودع تعالى في العالم العلوي من هذين النيرين
اللذين بهما قوام الوجود وتقدم شرح طباقًا في سورة الملك والضمير في فيهن
عائد على السموات ويقال القمر هو في السماء الدنيا وصح كون

قوله عز وجل الم تروا كيف خلق الله

السموات

السموات ظرفًا للقمر لانه لا يلزم من الظرف ان يملاه المظروف تقول زيد في المدينة وهو في جزء منها ولم تقيد
الشمس بظرف فيقال هي في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة
وهذا شي لا يوقف على معرفته الا من علم الهيئة وتذكر اصحاب هذا العلم انه تقوم عندهم البراهين ۞
القاطعة على صحة ما يزعمونه وان في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمة الله وقدرته وباهر مصنوعاته
سراجًا يستضي به اهل الدنيا كما يستضي الناس بالسراج في بيوتهم ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الاضاءة ۞
ولذلك جا هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا والضيا اقوى من النور والانبات استعارة في الانشا
انشي ادم من الارض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم الى انهم انبتوا منها وانتصب نباتًا
بانبتكم مصدرًا على حذف الزوائد اي انباتًا او على اضمار فعل اي فنبتم نباتًا وقال الزمخشري المعنى
انبتكم فنبتم او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم انتهى ولا اعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي
ذكره ثم يعيدكم فيها اي يصيركم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجًا يوم القيامة واكده بالمصدر
اي ذلك واقع لا محالة بساطًا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وظاهره ان الارض
ليست كروية بل هي مبسوطة سبلًا طرقًا فجاجًا متسعة وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج ولما اصروا
على العصيان وعاملوه باقبح الاقوال والافعال قال نوح رب انهم عصوني الضمير للجميع وكان قد قال
لهم والمنفون وكان هذا قام فيهم ما نص تعالى عليه الف سنة الا خمسين عامًا وكان قد وسع عليهم
في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين واتبعوا اي عامتهم وسفلتهم اذ لا يجمعون على الجميع
في عبادة الاصنام من لم يزده اي روساهم وكبراهم وهم الذين كان لهم ما يتلونه من المال وما تكثروا
به من الولد سببًا في خسارهم في الاخرة وكان سبب هلاكهم في الدنيا وقراه ابن الزبير والحسن والنخعي
والاعرج ومجاهد والاخوان وابن كثير وابو عمرو ونافع في رواية خارجة عنه وولده بضم الواو وسكون
اللام وابن [illegible] الحسن ايضًا وابو رجاء وابن وثاب وابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر
بفتحهما وهما لغتان كبخل وبخل والحسن ايضًا والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن ابي اسحق وابو عمرو
في رواية بكسر الواو وسكون اللام وقال ابو حاتم يمكن ان يكون الولد بالضم جمع الولد كخشب وخشب
وقد قال حسان بن ثابت يا بكر امنة المبارك بكرها من ولد محصنة بسعد الاسعد ومكروا
الظاهر انه معطوف على صلة من وجمع الضمير في ومكروا وقالوا على المعنى ومكرهم احتيالهم في الدين
وتحريش الناس على نوح وقراه الجمهور كبارًا بتشديد الباء وهو بناء فيه مبالغة كثيرة قال عيسى بن عمر
هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضا
وقول الاخر بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء وبنا رحسان
وطوال وجمال وقراه عيسى وابن محيصن وابو السمال بتخفيف الباء وهو بناء مبالغة ايضًا وقراه
زيد بن علي وابن محيصن فيما روي عنه ابو الاخريط وهب بن واضح كبارًا بكسر الكاف وفتح
الباء وقال ابن الانباري هو جمع كبير كانه جعل مكرًا مكان ذنوب او افاعيل انتهى فلذلك وصفه
بالجمع وقالوا لا تذرن الهتكم اي لا تتركوا الهتكم اي
اصنامكم وهو عام في جميع اصنامهم ثم خصوا بعد ذلك اكابر اصنامهم وهو ود ومن عطف عليه وروي انها
اسما رجال صالحين كانوا في صدر الزمان فلما عبروا ابنا الزبير كانوا بين ادم ونوح ثم [illegible] صورهم اشكالًا
لهم ليتذكروا فعالهم الصالحة ثم هلك من صورهم وخلف من يعظمها ثم كذلك حتى عبدت ثم
انتقلت تلك الاصنام باعيانها وقيل بل الاسما فقط الى قبائل من العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل
وسواع لهذيل وقيل لهمدان ويغوث لمراد وقيل لمذحج ويعوق لهمدان وقيل لمراد ونسر لحمير وقيل
لذي الكلاع من حمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وما وقع من هذا الخلاف في سواع
ويغوث ويعوق يمكن ان يكون لكل منهما صنم يسمى بهذا الاسم اذ يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام فانما
بقيت الاسما فسموا اصنامهم بها قال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل اجرد
يسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل
فينزلون حوله ويضربون عليه بناء انتهى وقال الثعلبي كان يغوث لكهلان من سبا فتوارثوه حتى
صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري ۞ ولا يبري يعوق ولا يريش

وقال الماوردي ود اول صنم معبود سمي ودًا لودهم له انتهى وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة

امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهذا مناف لما تقدم من
أنهم صوروا صور ناس صالحين **وقرأ** نافع وأبو جعفر وشيبة بخلاف عنهم وُدًّا بضم الواو
والحسن والأعمش وطلحة والباقون بفتحها **وقال الشاعر**

حياك ود فإنا لا يحل لنا • لهو النساء وإن الدين قد عزما •

وقال آخر فحياك ود من هداك لفتية • وخوص بأعلى ذي فضالة هجد •

قيل أراد ذلك الصنم **وقرأ** الجمهور ولا يغوث ويعوق بغير تنوين فإن كانا عربيين فمنع الصرف
للعلمية ووزن الفعل وإن كانا أعجميين فللعجمة والعلمية والأشهب ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما
قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فأما في العامة فإنهما صفتان من الغوث والعوق
يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الثقلين اللذين هما التعريف ومشابهة الفعل
المستقبل انتهى وهذا تخبيط أما أولا فلا يمكن أن يكونا فعولا لأن مادة يغث مفقودة وكذلك
يعق وأما ثانيا فليسا بصفتين من الغوث والعوق لأن يفعلا لم يجئ اسما ولا صفة وإنما امتنعا
من الصرف لما ذكرناه قال ابن عطية **وقرأ** الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وذلك وهم لأن
التعريف لازم ووزن الفعل انتهى وليس ذلك بوهم ولم ينفرد الأعمش بذلك بل قرأ معه الأشهب
العقيلي ووجه ذلك وتخريجه على أمر وجهين أحدهما أنه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف
عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني أنه صرف لمناسبة ما قبله
وما بعده من المنون إذ قبله ودا ولا سواعا وبعده ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقواريرا
قواريرا لمناسبة ذلك للمناسبة وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين
أو أعجميين ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات
ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى والزمخشري
لم يدر أن ثم لغة لبعض العرب تصرف كل ما لا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلها وقد أضلوا
أي الرؤساء المتبوعون كثيرا من أتباعهم وعامتهم وهذا إخبار من نوح عليه السلام عنهم
بما جرى على أيديهم من الضلال وقال الحسن وقد أضلوا أي الأصنام عاد الضمير عليها كما يعود
على العقلاء كقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس وحسنه عوده على أقرب مذكور ولكن
عوده على الرؤساء أظهر إذ هم المحدث عنهم والمعنى فيهم أمكن ولما أخبر أنهم قد أضلوا كثيرا دعا
عليهم بالضلال فقال ولا تزد وهي معطوفة على وقد أضلوا إذ تقديره وقال قد أضلوا كثيرا
فهي معمولة لقال المضمرة المحكي بها قوله وقد أضلوا ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل
يعطف جملة الإنشاء على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعي التناسب وقال الزمخشري ما
ملخصه عطف ولا تزد على رب إنهم عصوني أي قال هذين القولين الإضلال قال الزمخشري
فإن قلت أي كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال أن
يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك حسن جميل
يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه انتهى وذلك على مذهبه الاعتزالي قال ويجوز أن يراد
بالضلال الضياع والهلاك كما قال ولا تزد الظالمين إلا تبارا وقال ابن بحر إلا ضلالا إلا عذابا
قال كقوله إن المجرمين في ضلال وسعر وقيل إلا خسرانا وقيل إلا ضلالا في أمر دنياهم وترويج مكرهم
وحيلهم **وقرأ** الجمهور مما خطاياهم جمعا بالألف والتاء مهموزا وأبو رجاء كذلك إلا أنه أبدل
الهمزة ياء وأدغم فيها ياء المد والجحدري وعبيد عن أبي عمرو على الإفراد مهموزا والحسن
وعيسى والأعرج بخلاف عنهم وأبو عمرو خطاياهم جمع تكسير وهذا إخبار من الله تعالى للرسول
عليه السلام بما آل إليه أمر قوم نوح عليه السلام بعد دعوته عليهم وتأكيده ومن قال ابن
عطية لابتداء الغاية ولا يظهر أنها للسبب **وقرأ** عبد الله من خطيئاتهم ما أغرقوا بزيادة
ما بين أغرقوا وخطيئاتهم **وقرأ** الجمهور أغرقوا بالهمزة وزيد بن علي غرقوا بالتشديد
وكلاهما للنقل وخطاياهم الشرك وما انخرط معه من الكبائر فأدخلوا نارا أي جهنم وعبر
عن المستقبل بالماضي لتحققه وعطف بالفاء على إرادة الحكم أو عبر بالدخول عن عرضهم
على النار غدوا وعشيا كما قال النار يعرضون عليها قاله الزمخشري أي أراد عذاب القبر
انتهى وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب فلم يجدوا لهم

من دون الله أنصارا تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم على نصرهم ودعا نوح عليه السلام عليهم بعد أن
أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قاله قتادة وعنه أيضا ما دعا عليهم إلا بعد أن
أخرج الله كل مؤمن من الأصلاب وأعقم أرحام نسائهم وهذا لا يظهر لأنه قال إنك إن تذرهم
إلى آخره فقوله ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم وقاله أيضا محمد بن
كعب والربيع وابن زيد ولا يظهر كما قلنا وقد كان قبل ذلك طامعا في إيمانهم عاطفا عليهم
وفي الحديث أنه ربما ضربه ناس منهم أحيانا حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اغفر لقومي فإنهم
لا يعلمون ودیارا من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما أشبهه ووزنه فيعال وأصله ديوار
اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت وقيل أصله دوار ووزنه فعال وكان
من الدور كما قالوا قيام وقوام والمعنى معنى أحد وعن السدي من سكن دارا وقال الزمخشري وهو
فيعال من الدور أو من الدار انتهى والدار أيضا هي من الدور ولفظها مشتقة من فاعل ولا يلدوا
إلا فاجرا كفارا وصفهم وهو حالة الولادة بما يصيرون إليه من الفجور والكفر ولما دعا على الكفار
استغفر للمؤمنين فبدأ بنفسه ثم بمن وجب بره عليه ثم للمؤمنين فكان هو والداه اندرجوا
في المؤمنين والمؤمنات **وقرأ** الجمهور ولوالدي والظاهر أنهما أبوه لملك بن متوشلخ وأمه شمخا
بنت أنوش وقيل هما آدم وحواء **وقرأ** ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال فاحتمل أن يكون خص
أباه الأقرب أو أراد جميع من ولدوه إلى آدم وقال ابن عباس لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم عليه
السلام **وقرأ** الحسين بن علي ويحيى بن يعمر والنخعي والزهري وزيد بن علي ولولدي تثنية ولد
يعني ساما وحاما ولمن دخل بيتي قال ابن عباس والجمهور مسجدي وعن ابن عباس أيضا شريعتي
استعار لها بيتا كما قالوا قبة الإسلام وفسطاط الدين وقيل سفينته وقيل داره وللمؤمنين
والمؤمنات دعا لكل مؤمن ومؤمنة في كل أمة والتبار الهلاك • **الجد** لغة العظمة والجلال
وجد في عيني عظم وجل وقال أبو عبيدة والأخفش الملك والسلطان والجد الحظ والجد أب
الأب **الحرس** اسم جمع الواحد حارس كغيب واحده غائب وقد جمع على أحراس **قال الشاعر**

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر • لشاهد وأشهاد والحارس الحافظ الرقيب **القدد** •
السير المختلفة الواحد قدة **قال الشاعر**

القابض الباسط الهادي بطاعته • في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد •

وقال الكميت جمعت بالرأي منهم كل رافضة • إذ هم طرائق في أهوائهم قدد

تحرى الشيء طلبه باجتهاد وتوخاه وقصده **الغدق** الكثير **اللبد** جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه
على بعض ومنه لبدة الأسد وقيل للجراد الكثير المتراكم لبد ومنه اللبد الذي يفرش لتلبد صوفه
ودخل بعضه في بعض

سورة الجن بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا
سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن
على الله كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأنهم ظنوا
كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا
وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد
بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وأنا
ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه
لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان أول رسول إلى الأرض كما أن
محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى الأرض والعرب الذين هو منهم عليه السلام كانوا
عباد أصنام كقوم نوح حتى إنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك في الأسماء وكان ما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديا إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان
به أكثرهم أنزل الله سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن

الايمان اذ كانت الجن خيرا منهم واقبل الايمان هذا مع من عن جنس الرسول عليه السلام ومع
ذلك فبعضهم لما سمعوا المثلات استعظموه وامنوا به للوقت وعرفوا انه ليس من نمط كلام
الناس بخلاف العرب فانه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا وهم مع ذلك مكذبون له ولمن
جاء به حسدا وبغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. **قراءة** الجمهور قل اوحي الي
رباعيا وابن ابي عبلة والعتكي عن ابي عمرو وابو اسرح وابن عباس الاسدي وحى ثلاثيا
يقال وحى واوحى بمعنى واحد **قال العجاج** وحى لها القرار فاستقرت **وقراءة**
زيد بن علي وجونة فيما روى عنه الكسائي وابن ابي عبلة ايضا أُحي بابدال الواو همزة كما قالوا
في وعد أُعد قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة انتهى وليس
كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد تكون اولا وحشوا واخرا ولكل
منها احكام وفي بعضها خلاف وتفصيل هو مذكور في النحو قال الزمخشري وقد اطلقه
المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه انتهى وهذا تكثير وتبجح وكان
يذكر هذا في وعاء اخيه في سورة يوسف عليه السلام وعن المازني في ذلك قولان احدهما
القياس كما قال والاخر قصر ذلك على السماع فنقل وانه استمع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله
اي استماع نفر من الجن والمشهور ان هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف في قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وهي قصة واحدة وقيل قصتان والجن
الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها
قال عكرمة اقرا باسم ربك وقيل سورة الرحمن ولم تتعرض الاية لا هنا ولا في سورة الاحقاف
الى انه راهم وكلمهم عليه السلام ويظهر من الحديث ان ذلك كان مرتين احداهما
في مبداء مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوقت الذي اخبر فيه عبد الله بن
مسعود انه لم يكن معهم ليلة الجن وقد كانوا فقدوه عليه السلام فالتمسوه في الاودية
والشعاب فلم يجدوه فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حراء وفيه اتاني داعي الجن فذهبت
معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا واراناثارهم واثار نيرانهم والمرة الاخرى كان معه
ابن مسعود وقد استندب الرسول من يقوم معه الى ان يتلو القران على الجن فلم يقم احد
غير عبد الله فذهب معه الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر
عليه عليه السلام امثال الحجل يجرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع
النسوة في دفوفهن حتى غشوه فلا اراه فقام الي بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل صوته
يرتفع واختفوا بالارض حتى ما اراهم الحديث وقيل لعلي انهما اختلافهم في العدد فقيل سبعة
وقيل تسعة وعن زر كانوا ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير
القرية التي بالعراق وعن عكرمة كانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل وابن مسعود من اثني
عشر الفا فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا اي قالوا لقومهم لما رجعوا اليهم ووصفوا قرانا
بقولهم عجبا وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة اي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن
ودقة معانيه وغرابة اسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مباينا لسائر الكتب والعجب
ما خرج عن حد اشكاله ونظايره يهدي الى الرشد اي يدعوا الى الصواب وقيل الى التوحيد
والايمان **وقراءة** الجمهور الرشد بضم الراء وسكون الشين وعيسى بضمهما وعنه ايضا فتحهما
فامنا به اي بالقران ولما كان الايمان به متضمنا الايمان بالله وبوحدانيته وبراءته من الشرك
قالوا ولن نشرك بربنا احدا **وقراءة** الحرميان والابوان بفتح الهمزة من قوله وانه تعالى
وما بعده وهي ثنتي عشرة اية اخرها وانا منا المسلمون وباقي السبعة بالكسر فاما
الكسر فواضح لانها معطوفات على قوله انا سمعنا فهي داخلة في معمول القول واما الفتح
فقال ابو حاتم هو على اوحي فهو كله في موضع رفع على ما لم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح لان
من المعطوف ما لا يصح دخوله تحت اوحي وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع / لا ترى انه لا يلائم اوحي الي انا كنا نقعد منها مقاعد وكذلك
باقيها وخرجت قراءة الفتح على ان تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور في به من قوله
فامنا به اي وبانه وكذلك باقيها وهذا جاز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح وقد

تقدم

تقدم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله وكفر به والمسجد الحرام وقال مكي هو اجود في ان منه في غيرها
لكثرة حذف حرف الجر مع ان وقال الزجاج وجهه ان يكون محمولا على امنا به لان معناه
صدقناه وعلمناه فيكون المعنى فامنا انه تعالى جد ربنا وسبقه الى نحوه الفراء قال
فتحت ان لوقوع الايمان عليها وانت تجد الايمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنعك
ذلك من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب فتح ان نحو صدقنا وشهدنا واشار
الفراء الى ان بعض ما فتح لا يناسب تسليط امنا عليه نحو قوله وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا وتبعهما الزمخشري فقال ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في امنا
به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي ولم
يتفطن لما تفطن له الفراء من ان بعضها لا يحسن ان يعمل فيه امنا **وقراءة** الجمهور جد ربنا
بفتح الجيم ورفع الدال مضافا الى ربنا اي عظمته قاله الجمهور وقال انس والحسن غناه
وقال مجاهد ذكره وقال ابن عباس قدرته وامره **وقراءة** عكرمة جدٌ منونا ربنا مرفوع الباء
كانه قال عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد في اللغة العظيم **وقراءة** حميد بن قيس جد بضم
الجيم مضافا ومعناه العظيم حكاه **سيبويه** وهو من اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى
تعالى ربنا العظيم **وقراءة** عكرمة ايضا جدا ربنا بفتح الجيم والدال منونا ورفع ربنا
وانتصب جدا على التمييز المنقول من الفاعل اصله تعالى جد ربنا **وقراءة** قتادة وعكرمة
ايضا جدا بكسر الجيم والتنوين نصبا ربنا رفع قال ابن عطية نصب جدا على الحال ومعناه
تعالى حقيقة ومتمكنا وقال غيره هو صفة لمصدر محذوف تقديره تعاليا جدا وربنا
مرفوع بتعالى **وقراءة** ابن السميفع جدى ربنا اي جدواه ونفعه وقال الجمهور يقول
سفيهنا هو ابليس وقيل هو اسم جنس لكل سفيه وابليس مقدم السفهاء والشطط
التعدي ومجاوزة الحد

قال الاعشى

اتنتهون ولن ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ويقال اشط في السوم اذا ابعد فيه اي قولا هو في نفسه شطط وهو نسبة الصاحبة
والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول اي كنا احسنا الظن بالانس والجن واعتقدنا
ان احدا لا يجترئ على ان يكذب على الله فينسب اليه الصاحبة والولد فاعتقدنا صحة
ما اغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القران فتبينا كذبهم **وقراءة** الجمهور ان لن
تقول مضارع قال والحسن والجحدري وعبد الرحمن بن ابي بكرة ويعقوب وابن
مقسم تقوّل مضارع تقوّل حذفت احدى التاءين وانتصب كذبا في قراءة الجمهور بتقول
لان الكذب نوع من القول او على انه صفة لمصدر محذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا
فيه وفي قراءة الشاذ على انه مصدر لتقول لانه هو الكذب فصار كقعدت جلوسا وانه
كان رجال روى الجمهور ان الرجل اذا اراد المبيت والحلول في وادٍ نادى باعلى صوته يا عزيز
هذا الوادي اني اعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك فيعتقد بذلك ان الجني الذي
بالوادي يمنعه ويحميه فروي ان الجن كانت تقول عند ذلك لا نملك لكم ولا لانفسنا
من الله شيئا قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا
ذلك في العرب والظاهر ان الضمير المرفوع في فزادوهم عائد على رجال من الانس اذ هم
المحدث عنهم وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير فزادوهم اي الانس رهقا اي جراة
وانتخاء وطغيانا وغشيان المحارم واعجابا بحيث قالوا سدنا الانس والجن وفسر قوم
الرهق بالاثم وانشد الطبري في ذلك

بيت الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها • لا يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

قال معناه ما لم يغش محرما والمعنى زادت الانس الجن مأثما لانهم عظموهم فزادوهم
استحلالا لمحارم الله وقال قتادة وابو العالية والربيع وابن زيد فزادوهم اي الجن
زادت الانس مخافة يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويغوونهم لما راوا من خفة احلامهم
فازدادوا وهم واحتقروهم وقال ابن جبير رهقا كفرا وقيل لا يطلق لفظ الرجال على

الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل
يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي وهذا قول غريب وانهم اي كفار
الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن تخاطب به بعضهم بعضا وظنوا وظننتم كل منهما طلب
ان لن يبعث فالمسألة من باب الاعمال وان هي المخففة من الثقيلة وقيل الضمير
في وانهم يعود على الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذه والتي قبلها هما من الموحى به
لا من كلام الجن ان لن يبعث الله احدا الظاهر انه بعثه الرسالة الى الخلق وهو انسب
لما تقدم من الآي ولما تاخر وقيل بعث القيامة وانا لمسنا السماء اصل اللمس المس ثم
استعير للتطلب والمعنى طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت
الظاهر ان وجد هنا بمعنى صادف واصاب وتعدت الى واحد والجملة من ملئت في موضع الحال
واجيز ان تكون تعدت الى اثنين فملئت في موضع المفعول الثاني **وقرأ** الاعرج ملئت
بالياء دون همز والجمهور بالهمز وشديد صفة للحرس على اللفظ لانه اسم جمع كما
قال اخشى رجيلا او ركيبا غاديا ولو لحظ المعنى لقال شدادا بالجمع والظاهر
ان المراد بالحرس الملائكة اي حافظين من ان تقربها الشياطين وشهبا جمع شهاب وهو
ما يرجم به الشيطان اذا استمع وقيل ويحتمل ان يكون الشهب هو الحرس وكرر المعنى
لما اختلف اللفظ نحو وهند اتى من دونها النأي والبعد وقوله فوجدناها ملئت
يدل على انها كانت قبل ذلك يطرقون السماء ولا يجدونها قد ملئت منا مقاعد جمع مقعد وقد
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن انهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى
احترق الاعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان ويزيدون
معها ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة فمن يستمع الان ظرف زمان للحال ويستمع
يستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما **قال** سأسعى الان اذ بلغت
اناها فالمعنى فمن يقع منه استماع في الزمان الاتي يجد له شهابا رصدا اي يرصده
فيحرقه هذا لمن استمع واما السمع فقد انقطع كما قال تعالى انهم عن السمع لمعزولون
والرجم كان في الجاهلية وذلك مذكور في شعر اهل الجاهلية ويدل عليه الحديث حين راى
عليه السلام نجما قد رمي به قال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم **وقال اوس بن حجر**

وانقض كالدري يتبعه نقع ... يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون انفه ... او الثور كالدري يتبعه الدم

وقال بشر بن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

قال التبريزي وهؤلاء الشعراء كلهم جاهليون ليس فيهم مخضرم وقال معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الجاحظ
القول بالرمي اصح لقوله فوجدناها ملئت وهذا اخبار عن الجن بزيد في حرس السماء حتى
امتلات ولما روى ابن عباس وذكر الحديث السابق وقال الزمخشري ناقلا الجاحظ
وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة فكذلك نقعد منها مقاعد اي كنا
نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها انتهى وهذا
كله يبطل قول من قال ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
احدى اياته والظاهر ان رصدا على معنى راصد وقال الزمخشري والرصد مثل الحرس
اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم
بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ولما راوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشر ام اراد بهم
ربهم رشدا فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الى الله تعالى وحين

ذكروا الرشد اسندوه اليه تعالى وانا منا الصالحون اخبروا بما هم عليه من صلاح وغيره ومنا دون
ذلك اي دون الصالحين ويقع دون في مواضع موقع غير فكانه قال ومنا غير صالحين ويجوز
ان يريد ومنا دون ذلك في الصلاح اي فيهم ابرار وفيهم من هو غير كامل في الصلاح فدون
في موضع الصفة لمحذوف اي ومنا قوم دون ذلك ويجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل
بمن حتى في الجمل قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام والجملة
من قوله كنا طرائق قددا تفسير للقسمة المتقدمة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة اهواء مختلفة
وقيل فرقا مختلفة وقال الزمخشري اي كنا ذوي مذاهب مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق
المختلفة او كنا في طرائق مختلفة **كقوله** كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق
قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهى وفي
تقديريه الاولين حذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه اذ حذف ذوي ومثل
واما التقدير الثالث وهو ان ينتصب على اسقاط في فلا يجوز ذلك الا في الضرورة وقد نص
س علماء ان عسل الطريق شاذ فلا يخرج القرآن عليه وانا ظننا ان لن نعجز الله اي تيقنا في الارض
اي كائنين في الارض ولن نعجزه هربا اي من الارض الى السماء او في الارض هربا حالا اي فارين
او هاربين وانا لما سمعنا الهدى وهو القرآن امنا به اي بالقرآن فمن يؤمن بربه فلا يخاف
اي فهو لا يخاف **وقرأ** ابن وثاب والاعمش والجمهور فلا يخاف وخرجت قراءتهما على النفي وقيل
الفاء زائدة ولا نافية للنفي وكان الجواب بالفاء اجود من المجيء بالفعل مجزوما دون الفاء ولانه
اذا كان بالفاء كان على اضمار مبتدأ فهو لا يخاف والجملة الاسمية ادل واكد من الفعلية على تحقق
مضمون الجملة بخسا قال ابن عباس نقصا من حسناته ولا رهقا قال زيادة في السيئات وقيل
ولا رهقا تحميلا ما لا يطاق وقال الزمخشري اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق
ظلم احد فلا يخاف جزاءهما ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه
ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة انتهى **وقرأ** الجمهور بخسا بسكون الخاء وابن وثاب
بفتحها ومنا القاسطون اي الكافرون الجائرون عن الحق قاله مجاهد وقتادة والناس
القاسط الظالم ومنه **قول الشاعر**

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ... عمرا وهم قسطوا على النعمان

ثم حكاه هذا التقسيم وان كان قد تقدم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة
ويرغب من يدخل في الاسلام والظاهر ان فمن اسلم الى اخره من كلام الجن وقال ابن
عطية الوجه ان تكون فمن اسلم مخاطبة من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما بعده من
الايات **وقرأ** الاعرج رشدا بضم الراء وسكون الشين والجمهور بفتحهما وقال الزمخشري
وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعيدا
اي فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا
يثيب الراشد انتهى وفيه دسيسة الاعتزال في قوله وموجبه وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما
ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد
ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قل ان
ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا
من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا وان لو استقاموا هذا من جملة الموحى المندرج
تحت اوحي الي وان مخففة من الثقيلة والضمير في استقاموا قال الضحاك والربيع بن
انس وزيد بن اسلم وابو مجلز هو عائد على قوله فمن اسلم والطريقة طريقة الكفر اي
لو كفر من اسلم من الناس لاسقيناهم ماء غدقا املاء لهم واستدراجا واستعارة الاستقامة
للكفر قلقة لا تناسب وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير وهو عائد على القاسطين

والمعنى على طريقة الإسلام والحق لأنعمنا عليهم نحو قوله ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا الآية
وقيل الضمير في استقاموا عائد على الخلق كلهم وأن هي المخففة من الثقيلة لأسقيناهم
ماء غدقا كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش وقال بعضهم المال حيث الماء وقرأ
الجمهور غدقا بفتح الدال وعاصم في رواية الأعمش بكسرها ويقال غدقت العين تغدق غدقا
فهي غدقة إذا كثر ماؤها لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به أو لنمتحنهم
ونستدرجهم وذلك على الخلاف فيمن يعود عليه الضمير في استقاموا وقرأ الأعمش وابن
وثاب بضم واو ولو والجمهور بكسرها وقرأ الكوفيون يسلكه بالياء وباقي السبعة بالنون وابن
جندب بالنون من أسلك وبعض التابعين بالياء من أسلك أيضا وهما لغتان سلك وأسلك
قال الشاعر حتى إذا أسلكوهم في قتائدة وقرأ الجمهور صعدا بفتحتين وهو مصدر
صعد وصف به العذاب أي يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد من
أمره أي في مشقة وقال عمر ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح أي ما شق علي
وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس صعد جبل في النار قال الخدري كلما وضعوا أيديهم
عليه ذابت وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى إلى
أعلاها حدر إلى جهنم فعلى هذا يجوز أن يكون بدلا من عذاب على حذف مضاف أي عذاب
صعد ويجوز أن يكون صعدا مفعول يسلكه وعذابا مفعول من أجله وقرأ قوم
صعدا بضمتين وابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين قال الحسن معناه
لا راحة فيه وقرأ الجمهور وأن المساجد بفتح الهمزة عطفا على أنه استمع فهي
من جملة الموحى وقال الخليل معنى الآية ولأن المساجد لله فلا تدعوا أي لهذا السبب
وكذلك عنده لإيلاف قريش فليعبدوا وكذلك وأن هذه أمتكم أي ولأن هذه
وقرأ ابن هرمز وطلحة وإن المساجد بكسرها على الاستئناف وعلى تقدير الخليل
فالمعنى فلا تدعوا مع الله أحدا في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته والظاهر أن
المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة وقال الحسن كل موضع سجد
سجد فيه كان مخصوصا لذلك أو لم يكن إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة وعن ابن عطاء
في قوله إنها الآراب التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي الجبهة والأنف
واليدان والركبتان والقدمان عد الجبهة والأنف واحدا وأبعد بعضهم من قال المراد المسجد
الحرام لأنه قبلة المساجد وقال إنه جمع مسجد وهو السجود وروي أنها نزلت حين تغلبت
قريش على الكعبة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت
وقال ابن جبير نزلت لأن الجن قالت يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك
فنزلت الآية ليخاطبهم على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة وعن قتادة كان اليهود والنصارى
إذا دخلوا كنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقرأ الجمهور
وأنه لما قام بفتح الهمزة عطفا على قراءتهم وأن المساجد بالفتح وقرأ ابن هرمز وطلحة
ونافع وأبو بكر بكسرها على الاستئناف وعبد الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه أي يدعو الله كادوا أي كاد الجن قال ابن عباس والضحاك ينقضون عليه لاستماع
القرآن وقال الحسن وقتادة الضمير في كادوا لكفار قريش والعرب في اجتماعهم على رد أمره
وقال ابن جبير المعنى أنه قول الجن لقومهم يحكون والضمير في كادوا لأصحابه الذين يطوعون
له ويقتدون به في الصلاة قال الزمخشري فإن قلت هلا قيل رسول الله أو النبي
قلت لأن تقديره وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله فلما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله
لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه
قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا
يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه
قياما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم
يسمعوا بنظيره انتهى وهو قول متقدم كرره الزمخشري بخطابته وقرأ الجمهور لبدا بكسر

اللام وفتح الباء جمع لبدة نحو كسرة وكسر وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض
ومنه قول عبد مناف بن ربع

صافوا بستة أبيات وأربعة حتى كأن عليهم جابيا لبدا

وقال ابن عباس أعوانا وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه بضم اللام جمع لبدة
كزبرة وزبر وعن ابن محيصن أيضا تسكين الباء وضم اللام لبدا وقرأ الحسن والجحدري
وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن أو جمع لبود كصبور وصبر
وقرأ الحسن والجحدري بخلاف عنهما لبدا بضم اللام وتشديد الباء جمع لابد وأبو رجاء
بكسر وشد الباء المفتوحة قال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام الرسول للدعوة تلبدت الإنس
والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره انتهى وأبعد من قال عبد الله هنا
نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم قاله الحسن وأبعد منه قول من
قال إنه عبد الله بن سلام وقرأ الجمهور قال إنما أدعو ربي أي أعبده أي قال للمتظاهرين عليه
إنما أدعو ربي أي لم آتكم بأمر ينكر إنما أعبد ربي وحده وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على عداوتي
أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادة الله بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يعبد
غيره أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله مترتب على
الخلاف في عود الضمير في كادوا وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بخلاف عنه قل أي قل يا محمد لهؤلاء
المزدحمين عليك وهم إما الجن وإما المشركون على اختلاف القولين في ضمير كادوا ثم أمره تعالى
أن يقول لهم ما يدل على تبريه من القدرة على إيصال خير أو شر إليهم وجعل الضر مقابلا للرشد
تعبيرا به عن الغي إذ الغي ثمرته الضر ويمكن أن يكون المعنى ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف
من كل ما يدل مقابله عليه وقرأ الأعرج رشدا بضمتين ولما تبرأ عليه السلام من قدرته على
نفعهم وضرهم أمر بأن يخبرهم أنه مربوب لله يفعل فيه ربه ما يريد وأنه لا يمكن أن يجيره منه
أحد ولا يجد من دونه ملتجأ يركن إليه قال ابن عباس ملجأ وقال قتادة نصيرا ومولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي
مدخلا في الأرض وقيل ناصرا وقيل مذهبا ومسلكا ومنه قول الشاعر

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية عني وما من قضاء الله ملتحد

وقيل في الكلام حذف وهو قالوا له اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك فقيل له قل لن يجيرني وقيل هو
جواب لقول وردان سيد الجن وقد ازدحموا عليه قال وردان أنا أرحلهم عنك فقال إني لن يجيرني
من الله أحد ذكره الماوردي إلا بلاغا قال الحسن هو استثناء منقطع أي لن يجيرني أحد لكن إن
بلغت رحمني بذلك والإجارة للبلاغ مستعارة إذ هو سبب إجارة الله ورحمته وقيل على هذا المعنى
هو استثناء متصل والمعنى لن أجد شيئا أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجيرني الله فيجوز
نصبه على الاستثناء من ملتحدا أو على البدل وهو الوجه لأن قبله نفيا وعلى البدل خرجه
الزجاج وقال أبو عبد الله الرازي هذا الاستثناء منقطع لأنه لم يقل ولن أجد ملتحدا بل قال
من دونه والبلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله من دونه ملتحدا لأنه لا يكون من دون الله
بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه وقال قتادة التقدير لا أملك إلا بلاغا إليكم فأما الإيمان
والكفر فلا أملك انتهى وفيه بعد لطول الفصل بينهما وقيل إلا في تقدير إن الشرطية تفصل لا
النافية وحذف الفعل قبلها لدلالة المصدر عليه والتقدير إن لم أبلغ بلاغا من الله
ورسالاته وهذا كما تقول إن لا قياما فقعودا أي إن لم تقم قياما فاقعد قعودا وحذف
هذا الفعل قد يكون لدلالة عليه بعده أو قبله كما حذف في قوله

فطلقها فلست لها بكفء وإلا يعل مفرقك الحسام

التقدير وإن لا تطلقها يعل فحذف تطلقها لدلالة عليه ومن لابتداء الغاية وقال الزمخشري إلا بلاغا
أي لا أملك إلا بلاغا من الله وقل إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة
عن نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره
منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه انتهى ورسالاته قيل عطفا على بلاغا أي إلا أن
أبلغ عن الله أو أبلغ رسالاته وقيل عطف على الله أي إلا أن أبلغ عن الله وعن
رسالاته ومن يعص الله ورسوله أي بالشرك والكفر ويدل عليه قوله خالدين فيها أبدا

الجمهور فإن له بكسر الهمزة **وقرأ** طلحة بفتحها والتقدير فجزاؤه أن له قال ابن خالويه وسمعت
ابن مجاهد يقول ما قرأ به أحد وهو لحن لأنه بعد فاء الشرط وسمعت ابن الأنباري يقول
هو صواب ومعناه فجزاؤه أن له نار جهنم انتهى وكان ابن مجاهد إماماً في القراءات ولم يكن
متسع النقل فيها كابن شنبوذ وكان ضعيفاً في النحو وكيف يقول ما قرأ به أحد وهذا طلحة
ابن مصرف قرأ به وكيف يقول وهو لحن والنحويون قد نصوا على أن أن بعد فاء الشرط يجوز
فيها الفتح والكسر وجمع خالدين حملاً على معنى من وذلك بعد الحمل على لفظ من في قوله
يعص فإن له حتى إذا رأوا وحتى هنا حرف ابتداء أي يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر
ومع ذلك فيها معنى الغاية قال الزمخشري **فإن قلت** بم تعلق حتى وجعل ما بعده
غاية له **قلت** بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون
أنصاره ويستقلون عدده حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من
يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصراً وأقل عدداً ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت
عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا
رأوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكاراً له فقيل قل إنه كائن لا ريب
فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فلا أدري متى يكون لأن
الله لم يبينه لما رأى في إخفائه وقته من المصلحة انتهى وقوله بم يتعلق إن عنى تعلق حرف الجر
فليس بصحيح لأنها حرف ابتداء فما بعدها ليس في موضع جر خلافاً للزجاج وابن درستويه
فإنهما زعما أنها إذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وإن عنى بالتعلق
اتصال ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح وأما تقديره أنها تتعلق
بقوله يكونون عليه لبدا فهو بعيد جداً لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقال التبريزي
حتى جاز أن تكون غاية لمحذوف ولم يبين ما المحذوف وقيل المعنى دعهم حتى إذا رأوا ما
يوعدون من الساعة فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً هم أم أهل الإيمان
والذي يظهر لي أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كأنه قيل
إن العاصي يحكم له بكينونة النار له والحكم بذلك هو وعيد حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته
لهم فسيعلمون فقوله فإن له نار جهنم هو وعيد لهم بالنار ومن أضعف مبتدأ وخبر في
موضع نصب لما قبله وهو معلق عنه لأن من استفهامية ويجوز أن تكون من موصولة في موضع
نصب بيستعملون وأضعف خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة لمن وتقديره هو أضعف
وحسن حذفه طول الصلة بالمعمول وهو ناصراً قال مكحول لم يزل هذا الذي في الجن أسلم منهم
من وقف وكفر من حذر كالإنس قال وبلغ من بايع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن سبعين
ألفاً وفرغوا عند انشقاق الفجر ثم أمره تعالى أن يقول لهم إنه لا يدري وقت حلول ما وعدوا
به أهو قريب أم بعيد قال الزمخشري **فإن قلت** ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمداً والأمد
يكون قريباً وبعيداً ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً **قلت**
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل
ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى
يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا
إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد
خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن
أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط انتهى وقال ابن عباس عالم الغيب هو
وقال الحسن ما غاب عن خلقه وقيل الساعة وقال ابن عباس الأمعني لكن يجعله استثناء
منقطعاً وقيل المعنى ولا أي ولا من ارتضى من رسول وعالم خبر مبتدأ محذوف أي هو
عالم أو بدل من ربي **وقرأ** عالم بالنصب على المدح **وقرأ** السدي علم الغيب فعلاً ماضياً
ناصباً الغيب والجمهور عالم اسم فاعل مرفوعاً **وقرأ** الجمهور فلا يظهر من أظهر والحسن
يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر إلا من ارتضى من رسول استثناء من أحداً أي فإنه يظهره
على ما شاء من ذلك فإنه يسلك الله من بين يدي ذلك الرسول ومن خلفه رصداً أي حفظة

يحفظونه

يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط ما يلقيه تعالى إلى ذلك الرسول من علم الغيب ده وعن الضحاك
ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك وقال القرطبي
قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم
الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم
وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم ثم ذكر استدلالاً على بطلان ما يقوله المنجم
ثم قال باستحلال دم المنجم وقال الواحدي في هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدل على ما
يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن قال أبو عبد الله الرازي والواحدي
يجوز الكرامات وأن الله يطلع أولياءه وقوع الوقائع في المستقبل ونسبة الآية إلى الصور
واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فليجعلها دالة على الكرامات على ما قال
صاحب الكشاف فيجعلها دالة على المنع من الأحكام النجومية ولا تدل على الإلهامات بمجرد التشهي
وعندي أن الآية لا تدل على شيء مما قالوه لأن قوله على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل
بمقتضاه أنه لا يظهر خلقه تعالى على غيب واحد من غيوبه ونحمله على وقت قيام القيامة
فلا يبقى دليل في الآية على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد ويؤكده أنه ذكر هذه الآية عقيب
قوله إن أدري أقريب ما توعدون الآية أي لا أدري وقته ووقوع القيامة إذ هي من الغيب
الذي لا يظهره الله لأحد وإلا من ارتضى استثناء منقطع كأنه قال فلا يظهر على غيبه ده
المخصوص أحداً لكن من ارتضى من رسول فله حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن ثم
قال أبو عبد الله الرازي واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يطلع أحد
على شيء من المغيبات إلا الرسل والذي يدل عليه وجوه **أحدها** أنه ثبت بالأخبار القريبة من
التواتر أن شقاً وسطيحاً كانا كاهنين يخبران بظهور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع إليهما كسرى في تعرف
أخبار رسولنا عليه السلام **وثانيها** إطباق الأمم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر عما يأتي
في المستقبل ويكون صادقاً وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر
ابن ملكشاه من بغداد إلى خراسان سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على
وفق كلامها وقد رأيت أناساً محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن
الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في
شرح حالها في كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها
كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً موافقاً **ورابعها** أنا نشاهد أصحاب الإلهامات
الصادقة وليس هذا مختصاً بالأولياء فقد يوجد في السحرة وفي الأحكام النجومية ما يوافق
الصدق وإن كان الكذب يقع منهم كثيراً وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن
القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح
ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسألة لننظر فيما
ذكر من تلك الوجوه أما قصة شق وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه مما يخبره
به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث إنهم يسمعون الكلمة ويكذبون
ويلقون إلى الكهنة ويزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب إذ تكلمت
به الملائكة وتلقفها الجني وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب ده وأما تعبير
المنامات فالمعبر غير المعصوم لا يعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر هو
والتخمين فقد يقع ما يعبره وقد لا يقع ده وأما الكاهنة البغدادية وما حكي عنها فنحسبه
عقلاً أن يتنزل بأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز
أنه لبس عليه هذا وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق وهو الذي سكت في دلائل
الفلاسفة وشامهم الخسف وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام
وهو منتحل طريقة الفلاسفة وأما مشاهدته وشامهم الخسف وأما حكايته عن
صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام وهو منتحل طريقة الفلاسفة وأما
مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثلث وسبعين سنة

اصحاب العلم وانزه دالحي من يبتغي الي الصلاح فمن ارتضى احدا منهم صاحب المنام صادق
واما الكرامات فاني لا اشك في صدق ورشي منها لكن ذلك على سبيل الندرة وذلك
فيمن سلف من صلحاء هذه الامة وربما قد يكون في اعصارنا من تصدر منه الكرامة
والله ان يخصه من يشاء بما شاء **وقرا** الجمهور ليعلم مبنيا للفاعل فقال قتادة ان
ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد بلغوا
رسالات ربهم وقال مجاهد ليعلم من اشرك وكذب ان الرسل قد بلغت وعلى هذا القول
لا ينفع لهم هذا العلم الا في الاخرة وقيل ليعلم الله رسله مبلغة خارجة الى الوجود
لان علمه بكل شيء قد سبق واختار الزمخشري هذا القول الاخير فقال ليعلم الله ان
قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحدا ولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن
خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي
محروسة من الزيادة والنقصان وذكر اهل كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين انتهى
وقيل ليعلم اي ليعلم رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد
بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واشراف اصحابه وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة
بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل ومن معه اليه رسالات ربه وقيل
ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع **وقرا**
ابن عباس وزيد بن علي ليعلم بضم الياء مبنيا للمفعول والزهري وابن ابي عبلة بضم
الياء وكسر اللام اي ليعلم الله اي من يشاء ان يعلمه ان الرسل قد ابلغوا رسالاته
وقرا الجمهور رسالات على الجمع وابو حيوة رسالة على الافراد **وقرا** الجمهور واحاط
بما لديهم واحاط مبنيا للفاعل اي الله واحصى مبنيا للفاعل اي الله كل شيء وابن ابي
عبلة واحيط واحصى مبنيا للمفعول كل رفعا ولما كان ليعلم مضمنا معنى علم صار
المعنى قد علم ذلك فعطف واحاط على هذا المضمر والمعنى بما عند الرسل من الحكم
والشرائع لا يفوته منها شيء واحصى كل شيء عددا اي معدودا محصورا وانتصابه على
الحال من كل شيء وان كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم ويجوز ان ينتصب نصب المصدر
لاحصى لانه في معنى احصاء وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون تمييزا انتهى فيكون
منقولا من المفعول اذ اصله واحصى عدد كل شيء وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف
تزمل في ثوبه التف وزمل لف **قال امرؤ القيس**

وكاين تخطت ناقتي من مفازة ومن نايم عن ليلها متزمل

تبتل الى كذا انقطع اليه ومنه هبة بتلة وطلقة بتلة والبتول وبتل الحبل قال
الليث التبتل تمييز الشيء من الشيء والبتول المراة المنقطعة عن الرجال لا شهوة لها ولا
حاجة لها فيهم والتبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه **قول امرئ القيس**

يضيء الظلام بالعشاء كانها منارة ممسى راهب متبتل

ومنه النهي عن التبتل اي الانقطاع عن التزويج ومنه قيل للراهب متبتل لانقطاعه
عن الناس وانفراده للعبادة **الغصة** الشجى وهو ما ينشب بالحلق من عظم وغيره
وجمعها غصص والفعل غصصت فانا غاص وغصان **قال** كنت كالغصان
بالماء اعتصاري ه **الكثيب** الرمل المجتمع وجمعه كثب وكثبان في الكثرة واكثبة في
القلة **قال ذو الرمة**

فقلت لها لا ان اهلي جيرة لاكثبة الدهنا جميعا ومالبا

المهيل الذي يمر تحته الرجل وهلت عليه التراب صببته وقال الكلبي المهيل الذي اذا وطئته
القدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال واهلت لغة في هلت **الشيب**
اشيب ه

سورة المزمل صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه
قليلا او زد عليه ورتل القران ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة
الليل هي اشد وطا واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل

اليه

اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا
اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا
هذه السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية
منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الجمهور هي مكية الا قوله تعالى
ان ربك يعلم الى اخرها فانه نزل بالمدينة وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور انه عليه السلام لما جاء
الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره رجع الى خديجة فقال زملوني زملوني فنزلت يا ايها المدثر
وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل قالت عائشة والنخعي وجماعة نودي بذلك لانه كان في وقت
نزول الاية متزملا بكساء وقال قتادة كان تزمل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على
معنى يا ايها المستعد للعبادة وقال عكرمة معناه يا ايها المزمل للنبوة واعبائها اي المتشمر
المجد فعلى هذا يكون المتزمل مجازا وعلى ما سبق يكون حقيقة وما رووا ان عائشة سئلت
ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه
الى اخر الرواية كذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة في اوائل مبعثه وتزويجه عائشة كان
بالمدينة ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه في اخر ما قبلها عالم الغيب الايات فاتبعه
بقوله يا ايها المزمل اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص
وكفاه شر اعدائه **وقرا** الجمهور المزمل بشد الزاي وكسر الميم اصله المتزمل فادغمت
التاء في الزاي **وقرا** ابي المتزمل على الاصل وعكرمة بتخفيف الزاي اي المزمل جسمه او
نفسه **وقرا** بعض السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم اي الذي لف وللزمخشري في تبعية
نداء الله له بهذا كلام ضربت عن ذكره صفحا فكرا اذكره في كتابي وقال السهيلي ليس المزمل
باسم من اسمائه عليه السلام يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة
الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من
حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام ولصق
بجنبه التراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس
وملاطفة **وقرا** الجمهور قم الليل بكسر الميم على اصل التقاء الساكنين وابو السمال
بضمها اتباعا لحركة القاف **وقرا** بفتحها طلبا للتخفيف قال ابن جني الغرض بالحركة
الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة تحرك الحرف حصل الغرض وقم طلب فقال
الجمهور هو على جهة الندب وقيل كان فرضا على الرسول خاصة وقيل عليه وعلى الجميع
قال قتادة ودام عاما او عامين وقالت عائشة ثمانية اشهر ثم رحمهم الله فنزلت
ان ربك يعلم الايات فخفف عنهم قم الليل الا قليلا يعني الاستثناء ان القيام المامور به
يستغرق جميع الليل ولذلك صح الاستثناء منه اذ لو كان غير مستغرق لم يصح الا
استثناء منه واستغراق جميعه بالقيام على الدوام غير ممكن فلذلك استثني منه
القليل لراحة الجسد وهذا عند البصريين منصوب على الظرف واذا استغرقه الفعل
وهو عند الكوفيين مفعول به في قوله الا قليلا دليل على ان المستثنى قد يكون مبهم
المقدار كقوله ما فعلوه الا قليل منهم في قراءة من نصب ثم توليتم الا قليلا منكم
قال وهب ابن منبه القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث
الثلث وقيل ما دون النصف وجوزوا في نصفه ان يكون بدلا من الليل ومن قليلا فاذا
كان بدلا من الليل كان الاستثناء منه وكان المامور بقيامه نصف الليل الا قليلا
منه والضمير في منه وعليه عائد على النصف فيصير المعنى قم نصف الليل الا قليلا
من نصفه او انقص من نصف الليل قليلا او زد على نصف الليل فيكون قوله او انقص
من نصف الليل وذلك تركيب غير فصيح تنزه القران عنه قال الزمخشري في نصفه
بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل
والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من

نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول لانه على تقديره قم اقل من
نصف الليل كان قوله او انقص من نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله
الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل منه او على المستثنى منه وهو الليل
لا جائز ان يعود على المبدل منه لانه يصير استثناء مجهول من مجهول اذ التقدير الا
قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلا فائدة
في الاستثناء من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس ان يكون التركيب قم
الليل نصفه وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثناء من البدل وهو نصفه وان
التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى ان نصفه
بدل من الا قليلا والضمير في نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم
ايضا ان يصير التقدير الا نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه او زد على
النصف الذي لا تقمه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الاية قطعا وقال الزمخشري وان
شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا فكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف من الليل قم اقل من نصف الليل
رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم
انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين
الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو
الربع قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع
كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث
فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى وما اوسع خيال هذا الرجل فانه
يجوز ما يقرب وما يبعد والقران لا ينبغي بل لا يجوز ان يحمل الا على احسن الوجوه التي تاتي في
كلام العرب كما ذكرناه في خطبة هذا الكتاب ومن نص على جواز ان يكون نصفه بدلا من
الليل او من قليلا الزمخشري كما ذكرنا وابن عطية اورده مورد الاحتمال وابو البقاء وقال
اشبه بظاهر الاية ان يكون بدلا من قليلا او زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثناء
من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل المستثنى
غير مقدر فالنقصان منه لا يتحصل انتهى واما الحوفي فاجاز ان يكون بدلا من الليل ولم
يذكر غيره وقال ابن عطية وقد يحتمل عندي قوله الا قليلا ان استثناء من القيام
فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الليالي التي تخل بقيامها عند العذر البين
ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب انتهى وهذا خلاف الظاهر وقيل المعنى
او نصفه كما تقول اعطه درهما درهمين ثلاثة تريد درهما او درهمين او ثلاثة
انتهى وفيه حذف حروف العطف من غير دليل عليه قال التبريزي الامر بالقيام
والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر الليل لان الثلث الاول وقت
العتمة والاستثناء وارد على المامور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا ثم جعل
نصفه بدلا من قليلا فصار القليل مفسرا بالنصف من الثلثين وهو قليل من اكمل
فقوله او انقص اي من المامور به وهو قيام الثلث قليلا اي ما دون نصفه او
زد عليه اي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين
قال ابو عبد الله الرازي قد اكثر الناس في تفسير هذه الاية وعندي فيه وجهان
ملخصان وذكر كلاما طويلا ملفقا يوقف عليه من كتابه رحمه الله وتقدم تفسير
الترتيل في اخر الاسراء قولا ثقيلا هو القران وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف
الشاقة كالجهاد ومداومة الاعمال الصالحة قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل
ثقيل وقال ابو العالية والقرطبي ثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعيده
وقيل ثقله ما كان يحل بجسمه عليه السلام حالة تلقيه الوحي حتى كانت ناقته
تبرك به ذلك الوقت وحتى كادت فخذه ان ترض فخذ زيد بن ثابت وقيل كلام

له وزن ورجحان ليس بالسفساف قال ابن عباس كلاما عظيما وقيل ثقيل في الميزان يوم
القيامة وهو اشارة الى العمل به وقيل كناية عن بقائه على وجه الدهر لان الثقيل من شانه
ان يبقى في مكانه ان ناشئة الليل قال ابن عمر وانس بن مالك وعلي بن الحسين هي ما
بين المغرب والعشاء وقالت عائشة ومجاهد هي القيام بعد النوم ومن قام اول الليل
قبل النوم فلم يقم ناشئة وقال ابن جبير وابن زيد هي لفظة حبشية نشا الرجل قام من
الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم وقال ابن جبير وابن زيد ايضا وجماعة ناشئة
الليل ساعاته لانها تنشا شيئا بعد شيء وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وابو مجلز
ما كان بعد العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة قال ابن عباس كانت صلاتهم
اول الليل وقال ابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة وقال الكسائي ناشئة
الليل اوله وقال الزمخشري ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشا من مضجعها
الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحاب اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز
اذا نهض وارتفع **قال الشاعر**

نشانا الى خوص برى نيها السرى ... والصق منها مشرفات القماحد

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة انتهى **وقرا**
الجمهور وطئا بفتح الواو وسكون الطاء وابن عباس وابن الزبير ومجاهد والفرسان بكسر
الواو وفتح الطاء ممدودا **وقرا** قتادة وشبل عن اهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء
والهمزة مقصورة **وقرا** ابن محيصن بفتح الواو ممدودا والمعنى انها اشد مواطاة اي يواطئ
القلب فيها اللسان او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ومن قرا وطئا اي اشد
ثبات قدم في العبد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار كما جاء اللهم اشدد
وطاتك على مضر وقال الاخفش قياما وقال الفراء اثبت قراءة وقياما وقال الكلبي اشد
نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته وقيل اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة
والليل وقت فراغ فالعبادة تدوم واقوم قيلا اي اشد استقامة على الصواب لان الاصوات
هادئة فلا يضطرب على المصلي ما يقروه قال قتادة ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول
لانه زمان التفهم وقال عكرمة اشد نشاطا واخلاصا وبركة وحكى ابن شجرة اعجل
اجابة للدعاء وقال زيد بن اسلم اجدر ان يتفقه فيها القارئ **وقرا** الجمهور سبحا
اي تصرفا وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء **وقال الشاعر**

اباحوا لكم شرق البلاد وغربها ... ففيها لكم يا صاح سبح من السبح

وقيل سبحا سبحة اي نافلة **وقرا** ابن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخاء المنقوطة
ومعناه خفة من التكاليف والتسبيخ التخفيف وهو استعارة من سبخ الصوف اذا
نفشه ونشر اجزاءه فمعناه انتشار الهمم وتفرق الخاطر بالشواغل وقيل فراغا وسعة
لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل المعنى ان فاتك حزب الليل بنوم او عذر فليخلف بالنهار
فان فيه سبحا طويلا قال صاحب اللوامح وفسر ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة وقال
معناه نوما اي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد تحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى
لكنهما فسراها فلا تجاوز عنه انتهى وفي الحديث لا تسبخي بدعائك اي لا تخففي **وقال
الشاعر**

فسبخ عليك الهم واعلم بانه ... اذا قدر الرحمن شيئا فكائن

وقال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك
اي مديه ويقال لقطع القطن سبائخ الواحدة سبيخة ومنه **ومنه قول الاخطل يصف
قناصا وكلابا**

فارسلوهن يذرين التراب كما ... يذري سبائخ قطن ندف اوتار

واذكر اسم ربك اي دم على ذكره وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما وانتصب تبتيلا
على انه مصدر على غير المصدر وحسن ذلك كونه فاصلة **وقرا** الاخوان وابن عامر وابو
بكر ويعقوب رب بالخفض على البدل من ربك وباقي السبعة بالرفع وزيد بن علي بالنصب
والجمهور المشرق والمغرب موحدين وعبد الله واصحابه وابن عباس بجمعهما وقال الزمخشري

ومن ابن عباس على القسم لعني خفض رب قال باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله
الا هو كما تقول لا احد في الدار الا زيد انتهى ولعل هذا الترجيح لا يصح عن ابن عباس اذ فيه
اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة الله ولا قياس عليه ولان الجملة
المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فلا تنفى الا بما وحدها ولا تنفى بلا الا الجملة
المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو **قول الشاعر**

ردوا فوالله لا ذدناكم ابدا ۞ ما دام في مائنا ورد لوراد

والزمخشري وردت على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما نحو

لعمرك ما سعد بخلة آثم ۞ ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر

قوله فاتخذه وكيلا لانه من انفرد بالالوهية لم يتخذ وكيلا الا هو واصبر واهجرهم قيل منسوخ
بآية السيف ذرني والمكذبين قيل نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل في المطعمين
يوم بدر وتقدم معناها في سورة الانفال وتقدم شرح مثل هذا في ذرني والمكذبين
ومن يكذب بهذا الحديث اولي النعمة اي غضارة العيش وكثرة المال والولد والنعمة بالفتح
التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين ومهلهم قليلا ومهد
لهم بسرعة الانتقام منهم والقليل موافاة آجالهم وقيل وقعة بدر ان لدينا انكالا اي ما
... في ارجلهم قال الشعبي لم يجعل في ارجلهم خوفا من هربهم ولكن اذا
ارادوا ان يرتفعوا استثقلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه
قول الخنساء

دعاك فقطعت انكاله ۞ وقد كن قبلك لا تقطع

وجحيما نارا شديدة الاتقاد وطعاما ذا غصة قال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم
لا يخرج ولا ينزل وقال مجاهد وغيره شجرة الزقوم وقيل الضريع وشجرة الزقوم يوم
منصوب بالعامل في لدينا وقيل بذرني وقيل بزرني ترجف تضطرب **وقرأ** الجمهور ترجف بفتح التاء مبنيا
للفاعل وزيد بن علي بضمها مبنيا للمفعول كثيبا اي رملا مجتمعا مهيلا اي رخوا لينا
وبنائه لمهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون الاتمام في ذوات الياء لغة لتميم
والحذف لاكثر العرب ولما هدد المكذبين باهوال القيامة ذكرهم بحال فرعون وكيف اخذه
الله لما كذب موسى عليه السلام وانه تعالى ان دام تكذيبهم اهلكهم الله تعالى فقال انا
ارسلنا اليكم والخطاب عام للاسود والاحمر وقيل لاهل مكة رسولا شاهدا عليكم كما قال
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وشبه ارساله الى اهل مكة بارسال موسى الى فرعون مع التعيين
لانكلا منهما قومه واستحقروا بهما وكان عندهم علم بما جرى من غرق فرعون فناسب
ان ... الارسال بالارسال وقيل الرسول بلام التعريف لانه تقدم ذكره فاحيل عليه
كما تقول لقيت رجلا فضربت الرجل فلا تفهم منه الا انه المعرف هو الملقى والوبيل الردي
المعقب ... وبيل اي وخيم لا تستمرأ لثقله اي لا تترك في المرئ فكيف تتقون ان
كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة
من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر
من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يوما منصوب بتتقون نصب المفعول به على
المجاز كيف تتقون هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا والضمير في يجعل
لليوم واسناد الجعل اليه لما كان واقعا فيه من سبيل المجاز وقال الزمخشري يوما مفعول
به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا
... اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به فاتقى يتعدى الى واحد
ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري تتقون

انفسكم

انفسكم يوم القيامة ... ليس تتقون بمعنى تقون فلا تتعدى تعديته ودس في قوله ولم تؤمنوا وتعملوا
صالحا الاعتزال قال ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا
قال ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم
يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه انتهى **وقرأ** الجمهور يوما منونا يجعل بالياء
والجملة من قوله يجعل صفة ليوم فان كان الضمير في يجعل عائدا على اليوم فواضح وهو الظاهر
وان عاد على الله كما قال بعضهم فلا بد من حذف ضمير يعود الى اليوم اي يجعل فيه كقوله يوما لا تجزي
نفس **وقرأ** زيد بن علي يوم نجعل بغير تنوين نجعل بالنون فالظرف مضاف الى الجملة والشيب مفعول
ثان ليجعل اي يصير الصبيان شيوخا وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم الشديد يؤثر بتشبيب
الاطفال والمثل فيه اذا الهموم اذا تفاقمت اسرعت بالشيب **قال المتنبي**

والهم يخترم الجسيم نحافة ۞ ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقال قوم ذلك حقيقة تشيب رؤوسهم من شدة الهول كما قد نرى الشيب في الدنيا من الهم
المفرط كهول البحر ونحوه وقال الزمخشري ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون
فيه اوان الشيخوخة وقال السدي الولدان هنا اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والظاهر
العموم اي يشيب الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار وقيل
هذا وقت الفزع وقيل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق السماء منفطر به قال الفراء فلو رفع
السماء يعني المظلة تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير ومنه **قال الشاعر**

فلو رفع السماء اليه قوما ۞ لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى القول بالتأنيث فقال ابو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل
منقعر انتهى يعني انها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده تاء التأنيث وان مفرده سماة
واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث فجاء منفطر على التذكير وقال ابو عمرو بن العلاء وابو
عبيدة والكسائي وتبعهم منذر بن سعيد مجازها السقف فجاء عليه منفطر ولم يقل منفطرة
وقال ابو علي ايضا التقدير ذات انفطار لقولهم امرأة مرضع اي ذات رضاع فجرى على طريق
النسب وقال الزمخشري او السماء شيء منفطر فجعل منفطر صفة لخبر محذوف مقدر بمذكر
وهو شيء والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به الظاهر انه يعود على اليوم والباء
للسبب اي بسبب شدة ذلك اليوم او ظرفية اي فيه وقال مجاهد يعود على الله اي بامره
وسلطانه والظاهر ان الضمير في وعده عائد على اليوم فهو من اضافة المصدر الى المفعول
اي انه تعالى وعد عباده هذا اليوم وهو يوم القيامة فلا بد من انجازه ويجوز ان يكون عائدا
على الله تعالى فيكون من اضافة المصدر الى الفاعل وان لم يجر له ذكر قريب لانه معلوم ان الذي
هذه مواعيده هو الله تعالى ان هذه اي هذه الآيات السورة او الانكال وما عطف عليه والاخذ الوبيل او
آيات القرآن المتضمنة شدة يوم القيامة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي
بالتقرب اليه بالطاعة ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط لان من شرطية اي فمن شاء ان
يتخذ سبيلا اتخذه الى ربه وليست المشيئة هنا على معنى الاباحة تتضمن معنى الوعد والوعيد ان
ربك يعلم انك تقوم اي تصلي كقوله قم الليل لما كان اكثر احوال الصلاة القيام عبر به عنها وهذه
الآية نزلت تخفيفا لما كان استمر استعماله من امر قيام الليل اما على الوجوب واما على الندب
على الخلاف الذي سبق ادنى من ثلث الليل اي زمانا هو اقل من ثلثي الليل واستعير
الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز
واذا بعدت كثر ذلك **وقرأ** الجمهور من ثلثي بضم اللام والحسن وشيبة وابو
حيوة وابن السميفع وهشام وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل باسكانها
وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح **وقرأ** العربيان ونافع ونصفه
وثلثه بجرهما عطفا على ثلثي الليل وباقي السبعة وزيد بن علي بالنصب نسقا
على ادنى ... التقسيم الذي في اول السورة لانه اذا قام الليل الا قليلا صدق عليه ادنى من ثلثي الليل
لان الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين فيصدق عليه قوله
الا قليلا واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله او انقص منه قليلا واما وثلثه فان قوله

نها

او انقص منه قليلا فقد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلث الليل ﴿ ﴾ واما قوله او زد
فانه اذا زاد على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله ادنى
من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه
قوله قم الليل الا قليلا ﴿ ﴾ وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جبير معنى تحصوه تطيقوه
اي لتقدير تعالى ايهم تقدير ذلك الزمان على ما مر في اول السورة فلم تطيقوا قيامه لكثرته
وشدته فخفف تعالى عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات
واما قراءة الجر فالمعنى انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة
ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان
حقيقة انما هو لله والبشر لا يحصون ذلك اي لا يحفظون مقادير ذلك فتاب عليهم اي
رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقيام ما تيسر وعلى القرائتين يكون علمه تعالى بذلك
على حسب الوقوع منهم لانهم قاموا تلك المقادير في اوقات مختلفة فقاموا ادنى من
الثلثين ونصفا وثلثا وقاموا ادنى من النصف وادنى من الثلث فلا تنافي بين القرائتين
وقرا الجمهور وثلثه بضم اللام وابن كثير في رواية شبل باسكانها وطائفة معطوف
على الضمير المستكن في تقوم وحسنه الفصل بينهما وقوله وطائفة من الذين معك دليل
على انه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا عليهم لكان التركيب والذين معك الا ان اعتقد
انهم كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فيمكن اذ ذاك الفرضية في حق الجميع
والله يقدر الليل اي هو وحده تعالى العالم بمقادير الساعات قال الزمخشري وتقديم
اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير انتهى وهذا
مذهبه وانما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدا لو قلت زيد
يحفظ القران او يتفقه في كتاب **س** لم يدل تقديم المبتدا على الاختصاص وان مخففة
من الثقيلة والضمير في تحصوه الظاهر انه عائد على المصدر المفهوم من يقدر اي انه لن
تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار ولا تحيطوا بها على الحقيقة وقيل الضمير يعود على
القيام المفهوم من قوله قم فتاب عليكم فيه دليل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به
وقيل رجع بكم من ثقل الى خف ومن عسر الى يسر ورخص لكم في ترك القيام المقدر فاقرؤا
ما تيسر من القران عبر بالقراءة عن الصلاة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام
والركوع والسجود اي فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل قيل وهذا ناسخ للاول
ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وهذا الامر بقوله فاقرؤا قال الجمهور امر اباحة
وقال ابن جبير وجماعة هو فرض لا بد منه ولو خمسين اية وقال الحسن وابن سيرين قيام
الليل فرض ولو قدر حلب شاة وقيل هو امر بقراءة القران بعينها لا كناية عن الصلاة
واذا كان المراد فاقرؤا في الصلاة ما تيسر فالظاهر انه لا يتعين ما يقرا بل اذا قرا ما تيسر
له وسهل عليه اجزاه وقدره ابو حنيفة باية حكاه عنه الماوردي وبثلث حكاه ابن العربي
وعين ما تيسر الشافعي فالا وهو فاتحة الكتاب لا يعدل عنها ولا يقتصر على بعضها
علم ان سيكون منكم مرضى بيان لحكمة النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين
في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه كرر ذلك على سبيل التوكيد
ثم امر بمجودي الاسلام البدني والمالي ثم قال واقرضوا الله قرضا حسنا العطف يشعر
بالتغاير فقوله واتوا الزكاة امر باداء الواجب واقرضوا الله امر بالصدقات التي يتطوع
بها **وقرا** الجمهور هو خيرا واعظم بنصبهما واحتمل هو ان يكون فصلا وان يكون تاكيدا
لضمير النصب في تجدوه ولم يذكر الحوفي والزمخشري وابن عطية في اعراب هو الا الفصل
وقال ابو البقاء هو فصل او بدل او توكيد فقوله او بدل وهم لو كان بدلا لطابق في النصب
فكان يكون اياه **وقرا** ابو السمال وابن السميفع هو خير واعظم بالرفع على الابتداء
والخبر قال ابو زيد هي لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون كان زيد هو
العاقل بالرفع وهذا البيت لقيس بن ذريح

تحن الى ليلى وانت تركتها ۝ وكنت عليها بالملا انت اقدر

قال

قال ابو عمرو الجرمي انشد **س** هذا البيت شاهدا للرفع والقوافي مرفوعة ويروى اقدر وقال
الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف
التعريف المعرفة انتهى وليس ما ذكر متفقا عليه ومنهم من اجازه وللنحو فصل من احكام
الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثيرة جدا وقد جمعنا منه كتابا سميناه بالفصل في
احكام الفصل واودعنا معظمه شرح التسهيل من تاليفنا **تدثر** لبس الدثار وهو الثوب
الذي فوق الشعار والشعار الثوب الذي على الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار **النقر** الصوت **قال الشاعر**

اخفضه بالنقر لما علوته ۝ ويرفع طرفا غير جاف غضيض

وقال انا ابن ماوية اذ جد النقر ۝ يريد النقر بنقل الحركة والناقور فاعول منه
كالجاسوس ماخوذ من التجسس **عبس** يعبس عبسا وعبوسا قطب والعبس ما يتعلق باذناب
الابل من ابعارها وابوالها **قال ابو النجم**

كان في اذنابهن الشول ۝ من عبس الصيف قرون الايل

بسر قبض ما بين عينيه واربد وجهه **قال الشاعر**

صبحنا تميما غداة الجفار ۝ بشهباء ملمومة باسرة

واهل اليمن يقولون بسر المركب وابسر اذا وقف وقد ابسرنا ويقولون البسر وجه باسر
بين البسور اذا تغير واسود **لاحه** الشيء غير خلقته **قال**

تقول ما لاحك يا مسافر ۝ يا ابنة عمي لاحني الهواجر

وقال اخر

وتعجب هند ان راتني شاحبا ۝ تقول لشيء لوحته السمائم

وقال الاخفش اللوح شدة العطش لاحه العطش ولوحه غيره **قال الشاعر**

سقتني على لوح من الماء شربة ۝ سقاها به الله الرهام الغواديا

ويقال للتاح اي عطش **القسورة** الرماة والصيادون قاله ابن كيسان وقيل الاسد
قاله جماعة من اللغويين **قال**

مضمر تحذره الابطال ۝ كانه القسورة الرئبال

او الرجال الشداد **قال لبيد**

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا ۝ اتانا الرجال العائدون القساور

او ظلمة اول الليل لا ظلمة اخره قاله ابن الاعرابي وثعلب

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على
الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا
ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا ساره قه صعودا انه
فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال
ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي
ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا ﴿ ﴾ هذه السورة مكية قال ابن عطية باجماع وفي التحرير
قال مقاتل الا اية وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة ومناسبتها لما قبلها ان في مقابلتها
ذرني والمكذبين وفيه ان هذه تذكرة فمن شاء يا ايها المدثر قم فانذر وناسب
ذكر يوم القيامة بعد وذكر بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا قال الجمهور
لما فرغ من رؤية جبريل على كرسي بين السماء والارض فرعب منه ورجع الى خديجة فقال
زملوني زملوني نزلت يا ايها المدثر قال النخعي وقتادة وعائشة نودي وهو في حال تدثر

عدي بجاد من احواله وروي انه كان يتدثر في قطيفة قبيل وكان سمع من قريش ما كرهه فاغتم
وتغطى بثوبه مفكرا فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقال عكرمة معناه
يا ايها المدثر للنبوة واثقالها كما قال في المزمل وقرا الجمهور المدثر بشد الدال واصله
المتدثر فادغم وكذا هو في حرف ابي على الاصل وقراءة عكرمة بتخفيف الدال كما قرا بتخفيف
الزاي في المزمل اي دثر نفسه وعن عكرمة ايضا فتح الثاء اسم مفعول وقال دثرت
هذا الامر وعصب بك ثم قم فانذر اي قم من مضجعك او قم بمعنى الاخذ في الشيء كما تقول
قام زيد يضرب عمرا اي اخذ وكما قال على ما قام يشتمني لئيم ه اي اخذ والمعنى قم فاهتم
بتفهيم وجد فانذر اي حذر عذاب الله ووقائعه والانذار عام لجميع الناس وبعثته
الى الخلق وربك فكبر اي فعظم كبرياءه وقال الزمخشري واختص ربك بالتكبير وهو
الوصف بالكبرياء وان تقال الله اكبر انتهى وهذا على مذهبه من ان تقديم المفعول على
الفعل يدل على الاختصاص وقد قدمنا ذلك قلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا
يدع تكبيره انتهى وهو قريب مما قرره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره
تنبه فاضرب زيدا فالفاء هي جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما
الشرط بعده محذوف على الخلاف الذي فيه عند النحاة وثيابك فطهر الظاهر انه امر
بتطهير الثياب من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح ان تكون
ثياب المؤمن نجسة والقول بانها الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد
والشافعي ومن هذه الاية ذهب الشافعي الى وجوب غسل النجاسة من ثياب
المصلي وقيل تطهيرها تقصيرها ومما لقيت العرب في تطويل الثياب وجرهم الذيول
على سبيل الفخر والتكبر قال الشاعر

ثم راحوا عبق المسك بهم • يلحفون هداب الازر

ولا يؤمن من اصابة
النجاسة وفي الحديث ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار وذهب الجمهور ان الثياب هنا مجاز
فقال ابن عباس وابن جبير ايضا كنى بالثياب عن القلب كما قال الشاعر
وهو امرؤ القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

اي قلبي من قلبك وعلى الطهارة من الغدر انشد قول غيلان بن سلمة الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع •

وقيل كناية عن طهارة العمل المعنى وعملك ناصح قاله مجاهد وابن زيد وقال ابن زيد اذا
كان الرجل خبيث العمل قالوا فلان خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا فلان
طاهر الثياب ونحو هذا عن السدي ومنه قول الشاعر

لا هم ان عامر بن جهم • اوذم حجا في ثياب دسم

اي دنسة بالمعاصي وقيل كنى عن النفس بالثياب قاله ابن عباس قال الشاعر

فشككت بالرمح الطويل ثيابه •

وقال الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غران •

اي انفسهم وقيل كنى بها عن الجسم قالت ليلى وقد ذكرت ابلا

رموها باثواب خفاف فلا ترى • لها شبها الا النعام المنفرا •

اي ركبوها فرموها بانفسهم وقيل كناية عن الاهل قال تعالى هن لباس لكم والتطهر
فيهن اختيار المؤمنات العفائف وقيل وطئهن في القبل لا في الدبر في الطهر
لا في الحيض حكاه ابن بحر وقيل كناية عن الخلق وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي
ومنه قول الشاعر

ويحيى ما يلام بسوء خلق • ويحيى طاهر الاثواب حر •

اي حسن الاخلاق وقرا الجمهور والرجز بكسر الراء وهي لغة قريش والحسن ومجاهد
والسلمي وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وابن وثاب وقتادة والنخعي وابن ابي
اسحق والاعرج وحفص بضمها فقيل هما بمعنى فاهجر يراد بهما الاصنام والاوثان وقيل

الكسر للبنين والضم للصنمين اساف ونائلة وقال عكرمة ومجاهد والزهري
للاصنام عموما وقال ابن عباس الرجز السخط اي الهجر ما يؤدي اليه وقال الحسن الرجز
كل معصية والمعنى في الامر اثبت على هجره ودم لانه عليه السلام كان بريئا منه وقال
النخعي الرجز الاثم وقال القتبي الرجز العذاب اي اهجر ما يؤدي الى العذاب وقرا الجمهور ولا تمنن
بفك الضعيف والحسن وابو السمال باشمام النون قال ابن عباس وغيره لا تعط عطاء
لتعطى اكثر منه كانه من قولهم من اذا اعطى قال الضحاك هذا خاص به عليه السلام ومباح
ذلك لامته لكنه لا اجر لهم وعن ابن عباس لا تقل دعوت فلم اجب وعن قتادة لا تدل بعملك
وعن ابن زيد لا تمنن بنبوتك تستكثر باجر او كسب تطلبه منهم وقال الحسن لا تمنن على
الله بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب وهذه الاقوال كلها من المن تعداد اليد
وذكرها وقال مجاهد ولا تمنن لا تضعف تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة
او تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اي ضعيف وقيل ولا تعط مستكثرا رائيا لما
تعطيه وقرا الجمهور تستكثر برفع الراء والجملة حالية اي مستكثرا قال الزمخشري
ويجوز في الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع انتهى وهذا لا يجوز
ان يحمل القران عليه لانه لا يجوز ذلك الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال
اي مستكثرا وقرا الحسن وابن ابي عبلة بجزم الراء ووجهه انه بدل من تمنن اي لا
تستكثر كقوله يضاعف لهم العذاب في قراءة من جزم بدلا من قوله يلق وكقوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لان من شان المنان
ان يستكثر ما يعطي اي يراه كثيرا ويعتد به واجاز الزمخشري فيه وجهين احدهما ان
يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا والثاني ان يعتبر حال الوقف يعني فيجري الوصل
مجرى الوقف وهذان لا يجوز ان يحمل القران عليهما مع وجود ما هو راجح عليهما وهو
البدل وقرا الحسن ايضا والاعمش تستكثر بنصب الراء على اضمار ان كقولهم مره يحفرها
بنصب الراء اي ان يحفرها وقرا ابن مسعود ان تستكثر باظهار ان ولربك فاصبر اي
لوجه ربك امره بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف النبوة وعلى اداء طاعات الله وعلى اذى
الكفار وقال ابن زيد على حرب الاحمر والاسود فكل مصبور عليه ومصبور عنه يندرج
في الصبر وقال الزمخشري والفاء في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قيل فاصبر على اذاهم
فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه وقال
الزمخشري والفاء في فذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان
يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا
نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان
المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور
ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم
النقر يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت
لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير وعسير مغن عنه قلت
لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون
على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين
وتسليتهم ويجوز ان يراد به عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من
امور الدنيا انتهى وقال الحوفي فاذا اذا متعلقة بانذر اي فانذرهم اذا نقر في الناقور
وقال ابو البقاء يجري على قول الاخفش ان تكون اذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء
زائدة فاما يومئذ فظرف لذلك واجاز ابو البقاء ان تتعلق على الكافرين بيسير
اي غير يسير اي سهل على الكافرين وينبغي ان لا يجوز لان فيه تقديم معمول العامل المضاف
اليه غير على العامل فهو ممنوع على الصحيح وقد اجازه بعضهم فيقول انا بزيد غير راض
ذرني ومن خلقت وحيدا الاخلاف انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي روي

انه كان يلقب بالوحيد اي لانه لا نظير له في ماله وشرفه في بيته والظاهر انتصاب وحيدا
على الحال من الضمير المحذوف العائد على من اي خلقته منفردا ذليلا قليلا لا مال له ولا
ولد فاتاه الله المال والولد فكفر بنعمته واشرك به واستهزأ بدينه وقيل حال من ضمير
النصب في ذرني قاله مجاهد اي ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه
او حال من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه
لا احتاج الى ناصر في اهلاكه وقيل وحيدا لا يتبين ابوه وكان الوليد معروفا بانه
دعي كما تقدم في قوله عتل بعد ذلك زنيم واذا كان بمعنى وحيدا فقيل لا يجوز ان
ينتصب على الذم لانه لا يجوز ان يصدق الله في انه وحيد لا نظير له ورد ذلك بانه لما لقب
بذلك صار علما والعلم لا يعتبر في المسمى صفته وايضا فمن حمله على انه وحيد في الكفر والخبث
والدناءة وجعلت له مالا ممدودا قال ابن عباس كان له بين مكة والطائف ابل وحمير
ونعم وجنان وعبيد وجوار وقيل كان صاحب زرع وضرع وتجارة وقال النعمان ابن بشير
المال الممدود هو الارض لانها مدت وقال عمر بن الخطاب هو الريع المستغل مشاهرة
فهو مد في الزمان لا ينقطع وقيل مقدار معين واضطربوا في تعيينه فما قيل الف دينار
وقيل الف الف دينار وكل هذا تحكم وبنين شهودا اي حضورا معه بمكة لا يظعنون
عنه لغناهم فهو مستانس بهم او شهودا اي رجالا يستشهدون في مجامع المحافل
او يسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه واختلف في عددهم فذكر منهم خالد وهشام وعمارة
وقد اسلموا والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس قال مقاتل فما زال الوليد بعد نزول
هذه الاية في نقص من ماله وولده حتى هلك ومهدت له تمهيدا اي وطأت وهيأت
وبسطت له بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا يرجع الى رأيه وقال ابن عباس وسعت له
ما بين اليمن الى الشام وقال مجاهد ومهدت له المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش
ثم يطمع ان ازيد اي على ما اعطيته من المال والولد كلا اي ليس يكون كذلك مع كفره بالنعم
وقال الحسن وغيره ثم يطمع ان ادخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت
الجنة الا لي ثم يطمع قال الزمخشري استبعاد لطمعه واستنكار اي لا مزيد على ما
اوتي كثرة وسعة قطع لرجائه وردع انتهى وطمعه في الزيادة دليل على جشعه وحبه
للدنيا انه كان لاياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قائلا قال لم لا يزاد
فقال انه عاند ايات المنعم وكفى بذلك مانعا والكافر لا يستحق المزيد وانما جعلت الايات
بالنسبة الى الانعام لمناسبة قوله وجعلت له مالا ممدودا الى اخر ما اتاه الله والا
حسن ان تحمل على ايات القران لحديثه في القران وزعمه انه سحر سارهقه اي سا
كلفه واغشيه بمشقة وعسر صعودا عقبة في جهنم كلما وضع عليها شيء من الانسان
ذاب ثم يعود والصعود في اللغة العقبة الشاقة وتقدم شرح عنيد في سورة
ابراهيم عليه السلام انه فكر وقدر روي ان الوليد حاج ابا جهل وجماعة من قريش في امر
القران فقال ان له لحلاوة وان اصله لمغدق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته
وانه ليعلو وما يعلى ونحو هذا من الكلام فخالفوه فقالوا له هو شعر فقال والله ما
هو بشعر قد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد
راينا الكهان قالوا هو مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد راينا المجنون وخنقه قالوا
هو سحر قال اما هذا فيشبه انه سحر ويقول اقوال نفيسة وروي هذا بالفاظ غير هذه
تقرب من حيث المعنى وفيه وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا
في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل
فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه وروي ان الوليد سمع من
القران ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام ودخل
الى ابي بكر الصديق مرارا فجاءه ابو جهل فقال يا وليد اشعرت ان قريشا قد ذمتك بدخولك
الى ابن ابي قحافة وزعمت انك انما تقصد ان تاكل طعامه وقد ابغضتك لمقاربتك

امر

امر محمد وما تخلصك عندهم الا ان تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم ففتنه ابو جهل فافتتن
وقال افعل انه فكر تعليل للوعيد في قوله سارهقه صعودا قيل ويجوز ان يكون انه فكر بدلا
من قوله انه كان لاياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده وفكر اي في القران ومن اتى به وقدر اي في
نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر قيل قتل لعن وقيل غلب وقهر وذلك من **قوله**
بسهميك في اعشار قلب مقتل قيل للمقهور بالحب فلعن دعاء عليه بالطرد والابعاد
وغلب وذلك اخبار بقهره وذلته وكيف قدر معناه كيف قدر ما لا يصح تقديره وما لا يسوغ
ان يقدره عاقل وقيل دعاء مقتضاه الاستحسان والتعجيب فقيل ذلك لمنزعه الاول
في مدحه القران وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه فيجري مجرى قول عبد الملك
ابن مروان قاتل الله كثيرا كانه رآنا حين قال كذا وقيل ذلك لاصابته ما طلبت قريش
منه وقيل ذلك ثناء عليه على جهة الاستهزاء به وقيل ذلك حكاية لما كرروه من قولهم
قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله وهذا فيه بعد وقولهم
قاتله الله مشهور في كلام العرب انه يقال عند استعظام الامر والتعجب منه ومعناه
انه قد بلغ المبلغ الذي يحسد عليه ويدعى عليه من حساده والاستفهام في كيف
قدر في معنى ما احسن تقديره وما اعز به كقولهم اي رجل زيد اي ما اعظمه
وجاء التكرار بثم ليؤذن على ان الثانية ابلغ من الاولى للتراخي الذي بينهما كانه
دعي عليه اولا ورجى ان يقلع عما كان يروم فلم يفعل فدعي عليه ثانيا ثم نظر اي
فكر ثانيا وقيل نظر الى وجوه الناس ثم عبس وبسر اي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل
ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر اي ذهب
مدبرا وقيل ادبر عن الحق واستكبر قيل تشاوس مستكبرا وقيل استكبر عن الحق
وصفه بالهيئات التي تشكل بها حين اراد ان يقول ما قال كل ذلك على سبيل الاستهزاء
وانما يقول كذبا وافتراء اذ لو كان ممكنا لكان له هيئات غير هذه من فرح القلب
وظهور السرور والجذل والبشر في وجهه ولو كان حقا لم يحتج الى هذا الفكر لان الحق
ابلج يتضح لكل ذي نفس من غير اكداد فكر ولا ابطاء تامل الا ترى الى ذلك الرجل وقوله
حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت ان وجهه ليس بوجه كذاب واسلم من
فوره وقيل ثم نظر فيما يحتج به للقران فراى ما فيه من الاعجاز والاعلام برتبة الرسول
ودام نظره في ذلك ثم عبس وبسر لذلك وكان العطف بثم في قوله ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر
دلالة على تانيه وتمهله في تامله اذ بين ذلك تراخ وتباعد وكان العطف في وبسر وفي واستكبر لان البسور
قريب من العبوس فهو كانه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر انه سبق بالادبار اذ الاستكبار معنى في القلب
والادبار حقيقة فعل الجسم فهما سبب ومسبب فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لانه الظاهر للعين
وناسب العطف للواو وكان العطف في فقال بالفاء دلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول
بعد تطلبه لم يتمالك ان نطق به من غير تمهل ومعنى يؤثر اي يروى وينقل **قال**
الشاعر لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني يد المسند
وقيل يؤثر اي يختار ويرجح على غيره من السحر فيكون من الايثار ومعنى السحر اي شبيه بالسحر
ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله اي ملتقط من اقوال الناس ولظهر ان كفر الوليد
انما هو عناد الا ترى ثناءه على القران ونفيه عنه جميع ما نسبوا اليه من الشعر والكهانة
والجنون وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرا عليه السلام اول فصلت وقرا
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وكيف ناشده بالله والرحم
ساصليه سقر قال الزمخشري بدل من سارهقه صعودا انتهى والظاهر انهما جملتان اعتقبتا
كل واحدة منهما على سبيل الوعد العصيان الذي قبل كل واحدة منهما فتوعد على كونه عنيدا
لايات الله بارهاق صعود وعلى قوله بان القران سحر يؤثر باصلاء سقر وتقدم الكلام
على سقر في اواخر سورة القمر وما ادراك ما سقر تعظيم لهولها وشدتها لا تبقي ولا تذر
اي لا تبقي على من القي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه لواحة للبشر قال ابن
عباس ومجاهد وابو رزين والجمهور معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها

والبشر جمع بشرة وتقول العرب لاحت النار الشيء اذا احرقته وسودته وقال الحسن وابن كيسان
لواحة بناء مبالغة من لاح اذا ظهر والمعنى اذا ظهرت والمعنى انها تظهر للناس وهم البشر من
مسيرة خمسمائة عام وذلك لعظمها وهولها وزجرها كقوله لترون الجحيم وقوله وبرزت
الجحيم لمن يرى وقرأ الجمهور لواحة بالرفع اي هي لواحة وعطية العوفي وزيد بن علي والحسن
وابن ابي عبلة لواحة بالنصب على الحال المؤكدة لان النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون الا مغيرة
للابشار وقال الزمخشري نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر التمييز محذوف
والمتبادر الى الذهن انه ملك الا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه ان المراد ملك حين
سمعوا ذلك فقال ابو جهل لعرب قريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة
النار تسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن
اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله
تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وانزل الله
في ابي جهل اولى لك فاولى وقيل التمييز المحذوف صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا
ومعنى عليها اي يتولون امرها واليهم جماع زبانيتها فالذي يظهر من العدد ومن الآية بعد
ذلك ومن الحديث ان هؤلاء هم النقباء الا ترى قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقوله عليه
السلام يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
وقد ذكر المفسرون من نعوت هؤلاء الملائكة وخلقهم وقوتهم وما اقدرهم الله عليه من
الافعال ما الله اعلم بصحته وكذلك ذكر ابو عبد الله الرازي حكما على زعمه في كون هؤلاء هم
الملائكة على هذا العدد المخصوص يوقف عليها في تفسيره وقرأ الجمهور تسعة عشر مبنيين على
الفتح مشهورا للغة في هذا العدد وقرأ ابو جعفر وطلحة بن سليمان باسكان العين كراهة
توالي الحركات وقرأ انس بن مالك وابن عباس وابن قطيب وابراهيم بن قنة بضم التاء
وهي حركة بناء عدل اليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولا يتوهم انها حركة اعراب لانها
لو كانت حركة اعراب لاعرب عشر وقرأ انس ايضا تسعة اعشر بالضم اعشر بالفتح قال
صاحب اللوامح فيجوز انه جمع العشرة على اعشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وعنه ايضا
تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة من اعشر واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة
ضمة بناء لانها بمعاقبة للفتحة فرارا من الجمع بين خمس حركات على جهة واحدة وعن سليمان
ابن قتة وهو اخو ابراهيم انه قرأ تسعة اعشر بضم التاء اعراب واضافته الى اعشر واعشر
مجرور منون وذلك على فك التركيب قال صاحب اللوامح ويجيء على هذه القراءة وهي قراءة من
قرأ اعشر مبنيا او معربا من حيث هو جمع ان الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا انتهى
وفيه بعض تلخيص وقال الزمخشري وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن انتهى وسليمان
ابن قتة هذا هو الذي مدح اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل

مررت على ابيات آل محمد ... فلم ار امثالها يوم حلت
وكانوا ثمالا ثم عادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من الناس بهم وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي سبب فتنة ففتنة مفعول ثان لجعلنا اي جعلنا تلك
العدة وهي تسعة عشر سببا لفتنة الكفار وليس فتنة مفعولا من اجله وفتنتهم
هي كونهم اظهروا استقلالهم في مغالبتهم وذلك على سبيل الاستهزاء فانهم مكذبون بالبعث
وبالنار وبخزنتها ليستيقن هذا مفعول من اجله وهو متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست
الفتنة معلولة للاستيقان بل المعلول جعل العدة سبب فتنة الذين اوتوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى ان هذا القرآن هو من عند الله اذ هم يجدون هذه العدة في كتبهم
المنزلة ويعلمون ان الرسول لم يقرأها ولا قرأها عليه احد ولكن كتابه يصدق كتب الانبياء
اذ كل ذلك حق يتعاضد من عند الله قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد ويورود الحقائق
من عند الله يزداد كل ذي ايمان ايمانا ويزول الريب عن المصدقين من اهل الكتاب

ومن

ومن المؤمنين وقيل انما صار جعلها فتنة لانهم يستهزئون ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما
المقتضي لتخصيص هذا العدد بالوجود ويقولون هذا العدد القليل كيف يقوون بتعذيب اكثر
العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام الساعة وقال الزمخشري فان قلت
قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان
المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم
بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا
موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها
من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه
الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين
وحيرة الكافرين انتهى وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله اذ زعم ان معنى الا فتنة
للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكاء وكفى ردا عليه
تحريف كتاب الله ووضع الفاظ مخالفة لالفاظه ومعنى مخالف لمعناه وقيل ليستيقن متعلق
بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن ولا يرتاب توكيد لقوله ليستيقن اذ اثبات اليقين
ونفي الارتياب ابلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام والذين في قلوبهم مرض قال
الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في الآية الاضطراب وضعف
الايمان وقيل هو اخبار بالغيب اي وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة
بعد الهجرة ماذا اراد الله بهذا مثلا لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا فاستفهم بعضهم
بعضا عن ذلك استبعادا ان يكون هذا من عند الله وسموه مثلا استعارة من المثل المضروب
استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب ومرادهم انكار اصله
وانه ليس من عند الله وتقدم اعراب مثل هذه الجملة في اوائل البقرة كذلك يضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل
اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في
سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب
بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون
الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة
الكاف في محل نصب وذلك اشارة لما تقدم من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور
من الاضلال والهدى يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ويهدي المؤمنين
فيزيدهم ايمانا وما يعلم جنود ربك الا هو اعلاما بان الامر فوق ما يتوهمون وان الخزنة انما
هو عدد لبعض القدرة لا عن كلها والسماء عامرة بانواع من الملائكة وفي الحديث اطت السماء وحق
لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا وما هي اي النار قاله مجاهد
والمخاطبة والنذارة او نار الدنيا او الآيات التي ذكرت او العدة التسعة عشر او الجنود اقوال
ارجحها الاول وهي سقر ذكرى للبشر ليخافوا ويطيعوا وقد جرى ذكر النار ايضا في قوله
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة الا ذكرى للبشر اي للذين اهلوا للتذكر والاعتبار كلا قال
الزمخشري كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون انتهى ولا يسوغ
هذا في حق الله تعالى ان يخبر انها ذكرى للبشر ثم ينكر ان يكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر
عام مخصوص وقال الزمخشري او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع
لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل ردع عن الاستهزاء
بالعدة المخصوصة وقال الفراء هي صلة للقسم وقدرها بعضهم حقا وبعضهم بألا الا
ستفتاحية وقد تقدم الكلام عليها في آخر سورة مريم عليها السلام والقمر والليل اذ ادبر

اي ولى ويقال دبر وادبر بمعنى واحد اقسم تعالى بهذه الاشيا تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها
وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بايجادها **وقراء** ابن عباس وابن الزبير ومجاهد
وعطا وابن يعمر وابو جعفر وشيبة وابو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة
والنحويان والابنان وابو بكر اذا ظرف زمان مستقبل دبر بفتح الدال وابن جبير والسلمي و
والحسن بخلاف عنهم وابن سيرين والاعرج وزيد بن علي وابو شيخ وابن محيصن ونافع وحمزة
وحفص اذ ظرف زمان ماض ادبر رباعيا والحسن ايضا وابو رزين وابو رجا وابن يعمر
ايضا والسلمي ايضا وطلحة ايضا والاعمش ويونس بن عبيد ومطر اذا بالالف ادبر بالهمز
وكذا هو في مصحف عبد الله وابي وهو مناسب لقوله اذا اسفر ويقال كامس وامس المدبر
بمعنى واحد وقال يونس ابن حبيب دبر انقضى وادبر تولى وقال قتادة دبر الليل ولى
وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه
وقراء الجمهور اسفر رباعيا وابن السميفع وعيسى بن الفضل سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة
عن وجهه انها لاحدى الكبر الظاهر ان الضمير في انها عائد على النار وقيل ويحتمل ان يكون
للنذارة وامر الاخرة فهو للحال والقصة وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر في الظاهر
ان الضمير في انها عائد على النار وقيل ويحتمل ان يعاد الضمير على غير مذكور ومعنى احدى الكبر الدواهي
الكبر اي لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء والكبر العظائم من العقوبات
قال **قال الراجز**

يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر ... داهية الدهر وصماء الغير

والكبر جمع الكبرى طرحت الف التانيث في الجمع كما طرحت همزة في قاصعا فقالوا قواصع وفي كتاب
ابن عطية والكبر جمع كبيرة ولعله من وهم الناسخ **وقراء** لاحدى بالهمز وهي المستقلة عن واو
اصله لوحدى وهو بدل لازم **وقراء** نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب ابن جرير عن ابن
كثير بحذف الهمزة وهو حذف لا ينقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة ان يجعل بين بين
والظاهر ان هذه الجملة جواب للقسم وقال الزمخشري او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
انتهى **وقراء** الجمهور نذيرا واحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فيكون
تمييزا اي لاحدى الكبر انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا كما ضمن احدى معنى اعظم
جاء عنه التمييز وقال الفراء هو مصدر نصب باضمار فعل اي انذر انذارا واحتمل ان يكون اسم
فاعل بمعنى منذر فقال الزجاج حال من الضمير في انها وقيل حال من الضمير في احدى وقيل
حال من قوله قم في اول السورة او بقم نذيرا في اول السورة وحال من الكبر او حال من
ضمير الكبر فهو مميز له عن الصواب قال ابو البقاء والمختار ان يكون حالا مما دلت عليه الجملة
تقديره عظمت نذيرا انتهى وهو قول لا باس به قال النحاس وحذفت الهاء من نذير وان كان
للنار على معنى النسب يعني ذات الانذار وقال علي بن سليمان اعني نذيرا وقال الحسن لا ند
ادهى من النار قال ابن عطية وهذا القول يقتضي ان نذيرا حال من الضمير في انها او من قوله
لاحدى وقال ابو رزين نذيرا هنا هو الله تعالى فهو منصوب باضمار فعل اي ادعوا نذيرا
وقال ابن زيد نذيرا هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب بفعل مضمر اي ناد او صاح او
اعلن **وقراء** ابي وابن ابي عبلة نذير بالرفع فان كان من وصف النار جاز ان يكون خبرا
او خبر مبتدا محذوف واي هي نذير وان كان من وصف الله او الرسول فهو على اضمار
هو والظاهر ان لمن بدل من للبشر باعادة الجار وان يتقدم منصوب بشاء ضمير يعود على
من وقيل الفاعل ضمير يعود على الله تعالى اي لمن شاء هو اي الله تعالى وقال الحسن هو وعيد
نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قال ابن عطية هو بيان في النذارة واعلام
بان كل احد يسلك طريق الهدى والحق اذا حقق النظر اذ هو بعينه يتاخر عن هذه
الرتبة بغفلته وسوء نظره ثم قوى هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة وقال
الزمخشري ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقوله لمن توضي
ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم

والتاخر

والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انتهى وهو معنى
لا يتبادر الى الذهن وفيه حذف وقيل والتقدم الايمان والتاخر الكفر وقال السدي ان يتقدم
الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة وقال الزجاج ان يتقدم الى المامورات او
يتاخر عن المنهيات والظاهر العموم في كل نفس وقال الضحاك كل نفس حقت عليها العذاب
ولا يرتهن تعالى احدا من اهل الجنة ورهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست
بمعنى مفعول لانها بغير تاء للمذكر والمؤنث نحو رجل قتيل وامراة قتيل فالمعنى كل نفس
بما كسبت رهن ومنه قول عبد الله الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
اي رمس رهن والمعنى ان كل نفس رهن عند الله غير مفكوك وقيل الهاء في رهينة للمبالغة وقيل
وقيل على تانيث اللفظ لا على الانسان والذي اختاره انها مما دخلت فيه التاء وان كان بمعنى مفعول
في الاصل كالنطيحة ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغيرها قال تعالى كل امرئ
بما كسب رهين فانت ترى حيث كان خبرا عن المذكر اتى بغير تاء وحيث كان خبرا عن المؤنث
اتى بالتاء كما في هذه الاية فاما في البيت فانث على معنى النفس الا اصحاب اليمين قال ابن
عباس هم الملائكة وقال علي هم اطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعا
اي لكن اصحاب اليمين في جنات وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليس مرتهنين
لانهم ادوا ما كان عليهم وهذا كقول الضحاك الذي تقدم وقال الزمخشري والا اصحاب اليمين
فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق انتهى فظاهر
هذا انه استثناء متصل في جنات اي هم في جنات يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا او يكون
يتساءل بمعنى يسال اي يسالون عنهم غيرهم كما يقال دعوته وتداعيته بمعناه وعلى
هذين التقديرين كيف جاء ما سلككم في سقر بالخطاب للمجرمين وفي الكلام حذف المعنى ان
اصحاب اليمين يتساءل بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن من غاب من معارفهم فاذا عرفوا
انهم مجرمون في النار قالوا لهم او قالت لهم الملائكة هكذا قدره بعضهم والاقرب ان يكون التقدير
يتساءلون عن المجرمين فيقولون لهم بعد التساؤل ما سلككم في سقر وقال الزمخشري **فان**
قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو
سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم **قلت**
ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين
يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل
في غرابة نظمه انتهى وفيه تعسف والاظهر ان السائلين هم المتساءلون وما سلككم
على اضمار القول كما ذكرنا وسؤالهم ما سلككم سؤال توبيخ لهم وتحقير والا فهم عالمون
ما الذي ادخلهم النار وفي الجواب انهم لم يكونوا متصفين بخصائل الاسلام من اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة ثم ارتقوا من ذلك الى الاعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء لقوله
فلا اقتحم العقبة ثم قال ثم كان من الذين امنوا واليقين اي يقينا على انكار يوم الجزاء
الى وقت الموت وقال ابن عطية واليقين عندي صحة ما كانوا يكذبون من الرجوع الى
الله تعالى والدار الاخرة وقال المفسرون اليقين الموت وذلك عندي هنا متعقب
لان نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي فانما اليقين الذي عنوا في هذه الاية الشي الذي
كانوا يكذبون به وهم احياء في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت وانما يتفسر اليقين بالموت في
قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس المعنى
انهم يشفع لهم فلا تنفع شفاعة من يشفع لهم وانما المعنى نفي الشفاعة لهم فانتفى النفع
اي لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم من باب على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار له
يهتدى به وتخصيصهم بانتفاع شفاعة الشافعين يدل على انه قد تكون شفاعات
وينتفع بها وورد في ذلك احاديث في صحيح فما لهم عن التذكرة معرضين وهي مواعظ
القران التي تذكر الاخرة معرضين اي في الحال المنتظرة هذه الموصوفة ثم شبههم
بالحمر المستنفرة في شدة اعراضهم ونفارهم عن الايمان واياته **وقراء** الجمهور حمر

بضم الميم والاعمش باسكانها قال ابن عباس المراد الحمر الوحشية شبههم تعالى بالحمر مذمة
وتهجينا لحالهم **وقراء** نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفاء والمعنى
استنفرها غيرها من القسورة وباقي السبعة بكسرها اي نافرة يقال نفر واستنفر
بمعنى نحو عجب واستعجب وسخر واستسخر ومنه **قول الشاعر**

امسك حمارك انه مستنفر ● في اثر احمرة عمدن لمغرب

وبنا سبب الكسر قوله فرت لان وقال محمد بن سلام سألت ابا سوار الغنوي وكان اعرابيا
فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت من
قسورة قال افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن قال ابن عباس وابو موسى الاشعري
وقتادة وعكرمة القسورة الرماة وقال ابن عباس ايضا وابو هريرة وجمهور من اللغويين
الاسد وقال ابن جبير رجال القنص وهو قريب من القول الاول وقال ابن عباس
ايضا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء اشد نفارا
من حمر الوحش ولذلك شبهت بها العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها بل يريد كل امرئ
منهم اي من المعرضين عن عظات الله واياته ان يؤتى صحفا منشرة اي منشورة غير مطوية
قرا كالكتب التي تتكاتب بها او كتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم
تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تؤتى كل واحد
بكتب من السما عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ويقولون نؤمن
لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وروي ان بعضهم قال ان كان يكتب في صحف ما يعمل
كل انسان فليعرض تلك الصحف علينا فنزلت هذه الاية **وقراء** الجمهور صحفا بضم الحاء
والحاء منشرة مشددا وابن جبير باسكانها منشرة مخففا ونشر والنشر مثل نزل
وانزل شبهه نشرت الصحيفة بانشر الله الموتى فعبر عنه بمنشرة من انشرت والمحفوظ
في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثيا ويقال في الميت انشره الله ونشره ويقال النشر
الله فنشر هو اي احياه فحيي كلا ردع عن ارادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح الايات بل لا
يخافون الاخرة ولذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف **وقراء** الجمهور يخافون
بتاء الغيبة وابو حيوة بتاء الخطاب التفاتا كلا ردع عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة
فمن شاء ذكره ذكر في انه وفي ذكره لان التذكرة ذكر **وقراء** نافع وسلام ويعقوب تذكرون بتاء
الخطاب ساكنة الذال وباقي السبعة وابو جعفر والاعمش وطلحة وعيسى والاعرج بالياء
وروي عن ابي حيوة يذكرون بياء الغيبة وشد الذال منه وروي عن ابي جعفر يذكرون بالتاء
وادغام التاء في الذال هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى ويخاف واهل ان يغفر وروي
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الاية فقال يقول لكم ربكم جلت
قدرته وعظمته انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله غيري ومن اتقى ان يجعل معي الها غيري
فانا اغفر له وقال الزمخشري في قوله تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله الا في تفسيرهم
على الذكر وتلجيهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا **برق** بالكسر
فزع ودهش واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ومنه **قول**
ذي الرمة ولو ان لقمان الحكيم تعرضت ● لعينيه مي سافرا كاد يبرق
وقال وكنت ارى في وجه مية لمحة ● فابرق مغشيا علي مكانيا
وبرق بفتح الراء شق بصره وهو من البريق اي لمع بصره من شدة شخوصه **الوزر**
ما يلجأ اليه من حصن او جبل او غيرهما **قال الشاعر**

لعمرك ما للفتى من وزر ● من الموت يدركه والكبر

الفقرة النحو وجاء البشرة وطرا ونا **الفاقرة** الداهية التي تقصم فقار الظهر والفقر
الحز في التاثير **قال الشاعر**

ابى لي قبر لا يزال مقابلي ● وضربة فاس فوق راسي فاقره

اي مؤثرة **التراقي** جمع ترقوة وهي عظام الصدر ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرج
قال دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنهم ● وقد بلغت نفوسهم التراقي

دفي

دفي برقي من الرقية وهي ما يستشفى به للمريض من الكلام المعد لذلك **تمطى** تبختر في مشيته واصله
من المطا وهو الظهر اي يلوي مطاه تبخترا وقيل اصله يتمطط اي يتمدد في مشيته ومد منكبيه
قلبت الطاء فيه حرف علة كراهة اجتماع الامثال كما قالوا تظنى من الظن واصله تظنن
والمطيطاء التبختر ومد اليدين في المشي والمطيط الماء الخاثر في اسفل الحوض لانه يتمطط
فيه اي يمتد وعلى هذا الاشتقاق لا يكون اصله من المطا لاختلاف المادتين اذ مادة المطا
م ط و ومادة يتمطط م ط ط **سدى** مهملة يقال ابل سدى اي مهملة ترعى حيث شاءت
بلا راع واسديت الشيء اهملته واسديت حاجتي ضيعتها **قال الشاعر**

فاقسم بالله جهدا اليمين ● ما خلق الله شيئا سدى

وقال ابو بكر بن دريد في المقصورة

لم ار كالمزن سواما بهلا ● تحسبها مرعية وهي سدى

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة
ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه
يسال ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان
يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الا
نسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه باسرة
تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق
بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى هذه مكية ومناسبتها لما قبلها انه ذكر فيما قبلها قوله كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه
تذكرة وفيها كثير من احوال القيامة فذكر هنا يوم القيامة وجملا من احوالها وتقدم الكلام
في لا اقسم والخلاف وفي قراءة لا او بلام فقط في وا ذا الواقعة اقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه
وهوله ولا اقسم قيل لا نافية لنفي ان يقسم بالنفس اللوامة واقسم بيوم القيامة نص على هذا
الحسن والجمهور على ان الله اقسم بالامرين فاللوامة قال الحسن هي التي تلوم صاحبها في ترك
الطاعة ونحوها فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وروي نحوه عن ابن عباس وعن
مجاهد وقال مجاهد تلوم على ما فات وتندم على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لم تستكثر
منه وقيل النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى
وقال ابن عباس ايضا وقتادة هي الفاجرة الجشعة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي
الدنيا واعراضها فهي على هذا ذميمة وحسن نفي القسم بها والنفس اللوامة اسم جنس
بهذا الوصف وقيل هي نفس معينة وهي نفس ادم عليه السلام لم تزل لا تميل على فعله
الذي اخرجه من الجنة قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولا امارة بالسوء
فانها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمانت
خلصت وصفت انتهى والمناسبة بين القسمين من حيث احوال النفس من سعادتها وشقاوتها
وظهور ذلك في يوم القيامة وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده
من قوله ايحسب الاية وتقديره لتبعثن وقال الزمخشري **فان قلت** قوله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي وكان قد انشد قول
امرئ القيس

لا وابيك ابنة العامري ● لا يدعي القوم اني افر

وقول غوية بن سلمى

الا ناديت امامة باحتمال ● لتحزنني فلا بك ما ابالي

قال فهلا زعمت ان لا التي للقسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف
ههنا منفيا نحو قولك لا اقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى **قلت** لو قصر الامر
على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد
بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم ثم قال
الزمخشري وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن
وما روي عن الحسن ان الجواب بلى قادرين وما قيل ان لا في القسمين لنفيهما اي لا اقسم عليكم وان التقدير
اسألك ايحسب الانسان اقوال لا تصلح ان يرد بها بل تطرح ولا تسود بها الورق ولولا انهم سردوها
في الكتب لم انبه عليها والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث روي ان عدي بن ربيعة قال للرسول
صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى تكون امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله هذه العظام فنزلت ه
وقيل نزلت في ابي جهل كان يقول يزعم محمد ان يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها فيعيدها
خلقا جديدا **وقراء** الجمهور نجمع بنون عظامه نصبا وقتادة بالتاء مبنيا للمفعول عظامه رفعا
والمعنى بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وتطيير الرياح اياها في اقاصي الارض وقوله ايحسب
استفهام تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله على اعادة المعدوم وبلى جواب للاستفهام المنسحب
على النفي اي بلى نجمعها وذكر العظام وان كان المعنى اعادة الانسان وجمع اجزائه المتفرقة لان العظام
هي قالب الخلق **وقراء** الجمهور قادرين بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدر وهو
نجمعها وابن ابي عبلة وابن السميفع قادرون اي نحن قادرون على ان نسوي بنانه وهي الاصابع
اكثر العظام تفرقا وادقها اجزاء وهي العظام التي في الانامل ومفاصلها وهذا عند البعث
وقال ابن عباس والجمهور المعنى نجعلها في حياته هذه بضعة وعظما واحدا كخف البعير لا تفاريق
فيه اي في الدنيا فتقل منفعته بها وهذا القول فيه توعد والمعنى الاول هو الظاهر المقصود
من رصف الكلام وذكر الزمخشري هذين القولين بالفاظ متمقنة على عادته في حكاية اقوال
المتقدمين وقيل قادرين منصوب على خبر كان اي بلى كنا قادرين في الابتداء بل يريد الانسان
بل اضراب وهو انتقال من كلام الى كلام من غير ابطال والظاهر ان يريد اخبار عما يريده الانسان
وقال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان
يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب انتهى وهذه التقادير
الثلاثة لا تظهر وهي متكلفة بل المعنى الاخبار عن الانسان من غير ابطال لمضمون الجملة السابقة
وهي نجمعها قادرين لتبيين ما هو عليه الانسان من عدم الفكر في الاخرة وانه معني بشهواته
ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في ليفجر فقال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك
والسدي معنى الاية ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا قدما راكبا راسه
ومطيعا امله ومسوفا بتوبته وقال السدي ايضا ليظلم على قدر طاقته وعلى هذا الضمير في
امامه عائد على الانسان وهو الظاهر وعن ابن عباس ما يقتضي ان الضمير عائد على يوم القيامة
اذ الانسان في زمن وجوده امام يوم القيامة وبين يديه ويوم القيامة خلفه فهو يريد شهواته
ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة وهو لا يعرف قدر الضرر الذي هو
فيه والامام ظرف مكان استعير هنا للزمان اي ليفجر فيما بين يديه ويستقبله من زمان
يسأل ايان يوم القيامة سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت **وقراء** الجمهور برق بكسر الراء
وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم وعبد الله بن ابي اسحق وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني
وابن مقسم ونافع وزيد بن علي وابان عن عاصم وهرون ومحبوب كلاهما عن ابي عمرو والحسن ه
والجحدري بخلاف عنهما بفتحها قال ابو عبيدة برق بالفتح شق وقال ابن اسحق خفت عند
الموت قال مجاهد هذا عند الموت وقال الحسن هو يوم القيامة **وقراء** ابو السماك بلق ه
باللام عوضا من الراء اي انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته فتحته هذا قول اهل اللغة
الا الفراء فانه يقول بلقه وابلقه اذا اغلقه وقال ثعلب اخطأ الفراء في ذلك انما هو بلق
الباب وابلقته اذا فتحته انتهى ويمكن ان تكون اللام بدلا عن الراء فهما لغتان في معنى الكلم
نحو قولهم نثره ونثله ووجر ووجل **وقراء** الجمهور وخسف مبنيا للفاعل وابو حيوة وابن ابي

وابلقته صح

عبلة

عبلة ويزيد بن قطيب وزيد بن علي مبنيا للمفعول يقال خسف القمر وخسفه الله وكذلك الشمس قال
ابو عبيدة وجماعة من اهل اللغة الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف ذهاب
بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة التانيث لان تانيث
الشمس مجاز اولتغليب التذكير على التانيث وقال الكسائي حمل على المعنى والتقدير جمع النوران
او الضياءان ومعنى الجمع بينهما قال عطاء بن يسار يجمعان فيلقيان في النار وعنه يجمعان
يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل تجمع بينهما في الطلوع من المغرب
فيطلعان اسودين مكورين وقال علي وابن عباس يجعلان في نور الحجب وقيل يجتمعان ولا يفترقان
ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فكان المعنى يجمع حرهما وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء
فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار **وقراء** الجمهور المفر بفتح الميم والفاء مصدرا اي اين الفرار
وقراء الحسن بن علي بن ابي طالب والحسن بن زيد وابن عباس والحسن وعكرمة وايوب السختياني
وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وابو رجاء وعيسى وابن ابي اسحق وابن حيوة وابن
ابي عبلة والزهري بكسر الفاء وهو موضع الفرار **وقراء** الحسن بكسر الميم وفتح الفاء ونسبها ابن
عطية للزهري اي الجيد الفرار واكثر ما يستعمل هذا الوزن في الالات وفي صفات الخيل نحو
قوله مكر مفر مقبل مدبر معا والظاهر ان قوله كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر
من تمام قول الانسان وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الانسان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر
لا ملجأ وعبر المفسرون عنه بالجبل قال مطرف بن الشخير هو كان وزر فرار العرب في بلادهم
فلذلك استعمل والحقيقة انه الملجأ من جبل او حصن او سلاح او رجل او غيره الى ربك يومئذ اي
الى حكمه يومئذ اذ يقول اين المفر المستقر اي الاستقرار او موضع استقرار من جنة او نار الى
مشيئته تعالى يدخل من شاء الجنة ويدخل من شاء النار بما قدم واخر قال عبد الله وابن عباس بما
قدم في حياته واخر من سنة يعمل بها بعده وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعاصي واخر من
الطاعات وقال زيد بن اسلم بما قدم من ماله لنفسه وبما اخر منه للوارث وقال النخعي ومجاهد
باول عمله واخره وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض والظاهر حمله على العموم اي يخبره
بكل ما قدم وكل ما اخر مما ذكره المفسرون ومما لم يذكروه بصيرة خبر عن الانسان اي شاهد
قاله قتادة والهاء للمبالغة وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل انث لانه اراد
به جوارحه اي جوارحه على نفسه بصيرة وقيل بصيرة مبتدأ محذوف الموصوف اي عين بصيرة
وعلى نفسه الخبر والجملة في موضع خبر عن الانسان والتقدير عين بصيرة واليه ذهب الفراء
وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة * بمقعده او منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وعلى هذا يجتاز ان يكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الانسان الا ترى انه قد
اعتمد بوقوعه خبرا عن الانسان وفي هذا القول التاء للتانيث وتاول ابن عباس البصيرة بالجوارح
او الملائكة الحفظة والمعاذير عند الجمهور الاعذار فالمعنى ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها
عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها قيل والمعاذير جمع معذرة وقال
الزمخشري قياسه معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير
في المنكر انتهى وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جمع التكسير فهو
كمذاكير وملامح والمفرد منها لمحة وذكر ولم يذهب احد الى انهما من اسماء الجموع بل قيل هما جمع
للمحة وذكر على غير قياس او هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة وقال السدي والضحاك
المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وهو يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة
الذنب ه وقال الزجاج اي ولو القى ستوره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه
وانشدوا في ان المعاذير الستور **قول الشاعر**

ولكنها ضنت بمنزل ساعة * علينا واطت فوقها بالمعاذر

وقيل البصيرة الكاتبان يكتبان ما يكون منه من خير او شر اي وان تستر بالستور واذا كانت
من العذر فمعنى ولو القى اي لو نطق بمعاذيره قاله الحسن وقيل ولو رمى باعذاره واستسلم وقال
السدي ولو ادلى بحجة وعذر وقيل ولو احال بعضهم على بعض كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ه

والعذرة والعذرى المعذورة **قال الشاعر** ها ان ذي عذرة ان لاتكن نفعت وقال
ولا عذر لمحدود لاتحرك به لسانك الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب النزول انه خطاب للرسول عليه السلام
على ما سنذكره ان شاء الله وقال القفال هو خطاب للانسان المذكور في قوله ينبؤا الانسان وذلك حال
تنبيهه بقبائح افعاله يعرض عليه كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة
تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد
او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا اقراناه عليك فاتبع قرانه بالاقرار بانك فعلت
تلك الافعال ثم ان علينا بيانه ان بيان امره وشرح عقوبته وحاصل هذا القول انه تعالى يعرف الكافر
على جميع اعماله على التفصيل وفيه اشد الوعيد في الدنيا واشد التهويل في الاخرة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس
انه عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان ربما يحرك شفتيه مخافة ان يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت
وقال الضحاك السبب انه عليه السلام كان يخاف ان ينسى القران فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشق
فنزلت وقال الشعبي كان يحرص عليه السلام على اداء الرسالة والاجتهاد في ذات الله ربما اراد النطق
ببعض ما اوحي اليه قبل كمال ايراد الوحي فامر ان لا يعجل بالقران من قبل ان يقضى اليه وحيه وجاءت
هذه الاية في هذا المعنى والضمير في به للقران دل عليه مساق الاية ان علينا جمعه اي في صدرك وقرانه
اي قراءتك اياه والقران مصدر كالقراءة **قال الشاعر**

• ضحوا باشمط عنوان السجود به • يقطع الليل تسبيحا وقرانا •

وقيل وقرانه وتاليفه في صدرك فهو مصدر من قرأت اي جمعت ومنه قولهم للمراة التي لم تلد ما قرأت سلا قط

وقال الشاعر

• ذراعي بكرة ادماء بكر • هجان اللون لم تقرأ جنينا •

فاذا اقرأناه اي الملك المبلغ عنا فاتبع اي بذهنك وفكرك اي فاستمع قراءته قاله ابن عباس وقال
ايضا هو وقتادة والضحاك فاتبع في الاوامر والنواهي وفي كتاب ابن عطية **وقرأ** ابو العالية
قرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف في الثلاثة ولم يتكلم على توجيه
هذه القراءة الشاذة ووجه اللفظ الاول انه مصدر اي ان علينا جمعه وقراءته فنقل حركة الهمزة الى الراء
الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى واما الباقي فانه فعل ماض اصله فاذا قراته اي اردت قراءته فسكن
الهمزة فصار قرأته ثم حذف الالف على جهة الشذوذ كما حذفت في قول العرب ولو ترما الصبيان يريدون
ولو ترى ما الصبيان وما زائدة واما اللفظ الثالث فتوجيهه توجيه اللفظ الاول اي فاذا قراته
اي اردت قراءته فاتبع قراءته بالدرس او بالعمل ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة ان نبينه لك ونحفظكه
وقيل ان تبينه انت وقال قتادة ايضا ان نبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره وفي التحرير والتحبير
قال ابن عباس ان علينا جمعه اي حفظه في حياتك وقراءته تاليفه على لسانك وقال الضحاك نثبته في قلبك
بعد جمعه لك وقيل جمعه باعادة جبريل عليك مرة اخرى الى ان يثبت في صدرك فاذا اقرأناه قال ابن عباس
انزلناه اليك فاستمع قراءته وعنه ايضا فاذا ابتلي عليك فاتبع ما فيه وقال قتادة فاتبع حلاله واجتنب
حرامه وتنمق الزمخشري بحسن ايراده تفسير هذه الاية فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن
الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر ان
يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك
لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة
بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا اقرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقران القراءة
فاتبع قراءته فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا
كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه انتهى وذكر
ابو عبد الله الرازي في تفسيره ان جماعة من قدماء الروافض زعموا ان القران قد غير وبدل وزيد فيه
ونقص منه واحتجوا بانه لا مناسبة بين هذه الاية وما قبلها ولو كان التركيب من الله تعالى ما كان
الامر كذلك ثم ذكر الرازي مناسبات على زعمه توقف عليها في كتابه ويظهر ان المناسبة بين هذه الاية
وما قبلها انه تعالى لما ذكر منكرا القيامة والبعث معرضا عن ايات الله تعالى ومعجزاته
وانه قاصر شهوته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يثابر على تعلم ايات

الله

الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله اياها فظهر بذلك تباين من يرغب
في تحصيل ايات الله ومن يرغب عنها وبضدها تتبين الاشياء ولما كان عليه السلام لمثابرته على
ذلك كان يبادر للتحفظ وتحريك لسانه اخبره تعالى انه يجمعه له ويوضحه كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة لما فرغ من خطابه عليه السلام رجع الى حال الانسان السابق ذكره المنكر البعث
وان همه انما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الاخرة اذ هو منكر لذلك **وقرا** الجمهور
بل تحبون وتذرون بتاء الخطاب للكفار توبيخا للمنكرين البعث وللرد عليهم وعلى اقوالهم اي ليس
كما زعمتم وانما انتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الاخرة والنظر في امرها
قاله الزمخشري وكلام ابي حيان لك في كتابه ما نوقف عليه فيه **وقراء** مجاهد والحسن وقتادة
والجحدري وابن كثير وابو عمرو بيا الغيبة فيهما والمراد بهم يحبون العاجلة ويتركون الاهتمام بالاخرة ثم تخلص الى
شيء من احوال الاخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة وعبر بالوجه عن الجملة **وقراء** الجمهور ناضرة بالف وزيد
ابن علي نضرة بغير الف قال ابن عطية وجوه رفع بالابتداء وابتدا بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ
وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها ناظرة جملة هي في موضع خبر بعد خبر انتهى وليس يومئذ تخصيصا
للنكرة فيسوغ الابتداء بها لانه ظرف زمان لا يكون صفة للجثث وانما يكون يومئذ معمول
لناضرة ومسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل وناضرة الخبر وناظرة صفة وقيل
ناضرة نعت لوجوه والى ربها ناظرة الخبر وهو قول سائغ ومسالة النظر ورؤية الله مذكورة في علم
اصول الدين ولا يدل العقل بين اهل السنة واهل الاعتزال فلا نطول بذكر ذلك هنا ولما كان الزمخشري
من المعتزلة ومذهبه ان تقديم المفعول يدل على الاختصاص قال هنا ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط
بها الحصر في محشر يجمع الله فيه الخلائق فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب
حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر
ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه **قول القائل**

واذا نظرت اليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين تغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول
عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا
لا يخشون ولا يرجون الا اياه انتهى قال ابن عطية ذهبت المعتزلة الى ان المعنى الى رحمة
ربها ناظرة او الى ثوابه او ملكه فقدروا مضافا محذوفا وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول
فلان ناظر اليك في كذا اي الى صنعك في كذا انتهى والظاهر ان الى في قوله الى ربها حرف جر متعلق
بناظرة وقال بعض المعتزلة الى هنا واحد الالاء وهي النعم وهي مفعول به معمول لناظرة بمعنى منتظرة
ووجوه يومئذ باسرة يجوز ان يكون وجوه مبتدا خبره باسرة وتظن خبر بعد خبر وان تكون
باسرة صفة وتظن الخبر والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر وتظن بمعنى توقن او يغلب
على اعتقادها وتتوقع ان يفعل بها فاقرة تفعل هو في شدة داهية بفقم وقال ابو عبيدة
فاقرة من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار كلا ردع لهم عن ايثار الدنيا على الاخرة وتذكير
بما يؤولون اليه من الموت الذي تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الاجلة والضمير في
بلغت عائد على النفس الدال عليها سياق الكلام **كقول حاتم** يعني النفس عن الفتى اذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يقولون السماء
وذكرهم تعالى بصعوبة الموت واهوال مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل
مبني للمفعول فاحتمل ان يكون القائل حاضرو المريض طلبوا له من يرقي ويطلب ولشفي وغير ذلك مما
يتمناه له اهله قاله ابن عباس والضحاك وابو قلابة وقتادة وهو استفهام حقيقة وقيل هو
استفهام استبعاد وانكار اي قد بلغ مبلغا لا احد يرقيه كما عند الياس من ذا الذي يقدر ان
يرقي هذا المشرف على الموت قاله عكرمة وابن زيد واحتمل ان يكون القائل الملائكة اي من يرقى
بروحه الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب قاله ابن عباس ايضا وسليمان التيمي
وقيل انما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل عليه قوله
بعد فلا صدق ولا صلى الاية ووصف حفص على من وابتدا راق وادغم الجمهور قال ابو علي لا ادري
ما وجه قراءته وكذلك **وقرا** بل ران انتهى وكان حفصا قصد ان لا يتوهم انها كلمة واحدة فسكت

سكتا لطيفا ليشعر انهما كلمتان وقال آخرون ان النون تدغم في الراء وذلك نحو من راشد والادغام بغنة
وبغير غنة ولم يذكر البيان ولعل ذلك لانه نقل عنده من الكوفيين وعاصم شيخ حفص يذكر انه
كان عالما بالنحو والقابل ذلك فقد ذكر ان اللام البيان فيهما والادغام مع الراء حسنان فلما
افرط في بيان البيان في بل ران صار كالوقف القليل وظن انه المرض انه اي ما نزل به الفراق
فراق الدنيا التي هي محبوبته والظن هنا على بابه وقيل فراق الروح الجسد والتفت الساق
بالساق قال ابن عباس والحسن والربيع ابن انس واسمعيل بن ابي خالد استعارة لشدة كرب
الدنيا في اخر يوم منها وشدة كرب الاخرة في اول يوم منها لانه بين الحالين فقد اختلطا به
كما تقول شمرت الحرب عن ساق استعارة لشدتها وقال ابن المسيب والحسن هي حقيقة والمراد
ساقا الميت عند ما لفا في الكفن وقال الشعبي وقتادة وابو مالك التفافهما لشدة المرض
لانه يقبض ويبسط ويركب هذه على هذه وقال الضحاك اسوق حاضر به من الانس والملائكة هؤلاء
يجهزونه الى القبر وهؤلاء يجهزون روحه الى السماء وقيل التفافهما موتهما اولا اذ هما اول ما
يخرج الروح منهما فتبردان قبل سائر الاعضاء وجواب اذا محذوف تقديره وجد ما عمله في الدنيا
من خير وشر الى ربك يومئذ المساق اي موعود ربك المساق المرجع والمصير والمساق مفعل من
السوق فهو اسم مصدر اما الى الجنة واما الى النار فلا صدق ولا صلى الجمهور انها نزلت في ابي جهل
وكادت ان تصرح به في قوله يتمطى فانها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم وكان يكثر
منها وتقدم ايضا انه قيل في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه انه نزلت في ابي جهل
وقال الزمخشري يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله
ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيامة اي لا يؤمن
بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه
انتهى وكون فلا صدق معطوفا على قوله يسأل فيه بعد ولا هنا نفت الماضي اي لم يصدق ولم يصل
وفي هذا دليل على ان لا يدخل على الماضي مقتضيه ومثله قول الشاعر

وأي خميس لا افأنا نهابه ... واسيافنا يقطرن من كبشه دما قال الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألمّا

وصدق معناه برسالة الله وقال قوم هو من الصدقة وهذا الوجه يظهر نفي عنه الزكاة والصلاة
واثبت له التكذيب لقوله قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين وحمل فلا صدق على نفي التصديق بالرسالة فيقتضي ان يكون ولكن كذب
تكرارا ولزم ان يكون لكن استدراكا بعد ولا صلى لا بعد فلا صدق لانه كان يتبين ... الحكم في
فلا صدق في كذب ولا يجوز ذلك اذ لا يمتنع لكن بعد منفيين وتولى اعرض عن رسول الله
وكذب بما جاء به ثم ذهب الى اهله اي قومه يتمطى يتبختر في مشيته روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبب ابا جهل يوما في البطحاء فقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل القرآن
على نحوها وقالت الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم ... فاولى لنفسي اولى لها

والتقدير الكلام على اولى شرحا واعرابا في قوله فاولى لهم في سورة القتال وتكراره هنا مرارا
مبالغة في التهديد والوعيد ولما ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرر له احواله
في بدايته ليتأملها فلا ينكر معها جواز البعث من القبور وقرأ الجمهور ايحسب بياء الغيبة
والحسن بتاء الخطاب على سبيل الالتفات وقرأ الجمهور يمنى اي النطفة بمنيها الرجل
وابن محيصن والجحدري وسلام ويعقوب وحفص وابو عمرو بخلاف عنه بالياء اي يمنى
هو اي المني فخلق اي الله منه بشرا مركبا من اشياء مختلفة فسوى اي سواه شخصا
مستقلا فجعل منه الزوجين اي النوعين او المزدوجين من البشر وفي قراءة زيد بن علي الزوجان
بالالف وكانه على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنى بالالف في جميع
اعرابه وقرأ ايضا يقدر مضارعا والجمهور بقادر اسم فاعل مجرور بالباء الزائدة أليس
ذلك اي الخالق المسوي بقادر وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث وقرأ طلحة بن سليمان
والفيض بن غزوان بسكون الياء من قوله ان يحيي وهي حركة اعراب لا تنحذف الا في الوقف

وقد جاء في الشعر حذفها وقرأ الجمهور بفتحها وقد جاء عن بعضهم يحيي بنقل حركة الياء الى الحاء وادغام
الياء قال ابن خالويه لا يجيزها اهل البصرة سيبويه واصحابه ادغامها يحيى قالوا لسكون الياء الثانية
ولا يعتدون بالفتحة في الياء لانها حركة اعراب غير لازمة واما الفراء فاحتج بهذا البيت يمشي
تمشي بسده بيتها فتعيي ... يريد فتعيا الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج
كعدل او مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي

رؤبة: يطرحن كل معجل نباج ... لم يكس جلدا من دم امشاج

وقال الهذلي: كان الريش والفوقين منها ... خلاف النصل سيط به مشيج

وقال الشماخ: طوت احشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج خليط وممشوج كمخلوط مزج الشيء بالشيء خلطه قال

كأن سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء

استطار الشيء انتشر وتقول العرب استطار الصدع في القارورة وشبهها واستطال ومنه
قول الشاعر

فبانت وقد اسارت في الفؤاد صدعا ... على نأيها مستطيرا

وقال الفراء مستطير مستطيل ... يقال يوم قمطرير وقماطر واقمطر فهو مقمطر اذا كان صعبا
شديدا وقال الراجز

بكرت العقرب تزبير ... تكشو استها لحما وتقمطر

قال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ... ولج بها اليوم الشديد القماطر

وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة وقال
اسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح

واختلف في هذا الوزن واكثر النحاة لا يثبت افمعل في اوزان الافعال الزمهرير اشد البرد
وقال ثعلب هو القمر بلغة طي وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

القارورة اناء رقيق صاف توضع فيه الاشربة قيل ويكون من الزجاج الزنجبيل وقال
الدينوري نبت في ارض عمان عروق تسري في الارض وليس بشجرة ... رطبا واجوده ما يحمل
من بلاد الصين كانت العرب تحبه لانه يوجب لذعا في اللسان اذا مزج بالشراب فيتلذذون
به قال الشاعر

كان جنيا من الزنجبيل ... بات بفيها واريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل اذ ذقته ... وسلافة الخمر

السلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة قاله الزجاج وقال ابن
الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القرآن ثم ظرف مكان للبعد

سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان ... لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا
عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ... هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال

مجاهد وقتادة مدنية وقال الحسن وعكرمة مدنية الا آية واحدة فانها مكية وهي ولا تطع منهم آثما او
كفورا وقيل مدنية الا آية واحدة فانها مكية وهي ولا تطع منهم آثما او كفورا وقيل مدنية الا من
قوله فاصبر لحكم ربك الى آخرها فانه مكي حكاه الماوردي ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا لا تحتاج
الى شرح هل حرف استفهام فان دخل على الجملة الاسمية لم يتمكن ان يليه بعد لان قد من خواص الفعل
فان دخلت على الفعل فالاكثر ان تأتي للاستفهام المحض وقال ابن عباس وقتادة هي هنا
بمعنى قد لان الاصل اهل فكان الهمزة حذفت واجتزئ بها في الاستفهام ويدل على ذلك قوله

سائل فوارس يربوع بشدتنا ... اهل رأونا بوادي القف ذي الاكم

فالمعنى اقرأ على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
وقيل هل للاستفهام المحض اي هو ممن يسأل عنه لغرابته اتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه
يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحالة المذكورة ولما تليت عند ابي بكر وقيل عند عمر رضي الله عنهما
قال ليتها تمت اي ليت تلك الحالة تمت وهو كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف والانسان هنا جنس
بني آدم والحين الذي مر عليه اما حين عدمه واما حين كونه نطفة وانتقاله من رتبة الى رتبة حتى
حين امكان خطابه فانه في تلك المدة لا ذكر له وسمي انسانا باعتبار ما صار اليه وقيل آدم عليه السلام
والحين الذي مر عليه المدة التي بقي فيها الى ان نفخ فيه الروح وعن ابن عباس بقي طينا اربعين سنة
ثم صلصالا اربعين ثم حمأ مسنونا اربعين فتم خلقه في مائة وعشرين سنة وسمي انسانا باعتبار
ما آل اليه والجملة من لم يكن في موضع الحال من الانسان كانه قيل غير مذكور وهو الظاهر او في موضع
الصفة لحين فيكون العائد على الموصوف محذوفا اي لم يكن فيه انا خلقنا الانسان هو جنس بني آدم
لان آدم لم يخلق من نطفة امشاج اخلاط وهو وصف للنطفة فقال ابن مسعود واسامة ابن زيد عن
ابيه هي العروق التي في النطفة وقال ابن عباس ومجاهد والربيع هو ماء الرجل وماء المرأة اذا اختلطا
في الرحم فخلق الانسان منهما وقال الحسن اختلاط النطفة بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض
وقال ابن عباس ايضا وعكرمة وقتادة امشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير
ذلك الى انشائه انسانا وقال ابن عباس ايضا والكلبي هي الوان النطفة وقيل اخلاط الدم والبلغم
والصفراء والسوداء والنطفة اريد بها الجنس فلذلك وصفت بالجمع كقوله على رفرف خضر او لتنزيل كل جزء
من النطفة نطفة وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفرد غير
جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشيج ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا
له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى وقوله مخالف لنص سيبويه وليس في الكلام افعال
الا ان يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف المفرد بافعال تأولوه نبتليه اي نختبره بالتكليف
في الدنيا وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة فعلى هذا هي حال مصاحبة وعلى ان المعنى
نختبره بالتكليف فهي حال مقدرة لانه تعالى حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليا له بالتكليف
في ذلك الوقت وقال الزمخشري ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على
طريق الاستعارة انتهى وهذا معنى قول ابن عباس وقيل نبتليه بالايجاد والكون في الدنيا فهي
حال مقارنة وقيل الكلام تقديم وتأخير والاصل فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي فجعله سميعا
بصيرا هو للابتلاء ولا حاجة الى ادعاء التقديم والتأخير والمعنى يصح بدونه وامتن تعالى عليه
بجعله بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم اذ آلتهما سبب لذلك وهما اشرف الحواس
تدرك بهما اعظم المدركات ولما جعله بهذه المثابة اخبر تعالى انه هداه الى السبيل اي ارشده
الى الطريق وعرفناه مآل طريق النجاة ومآل طريق الهلاك اذ ارشدناه طريق الهدى وقال
مجاهد سبيل الشقاوة والسعادة وقال السدي سبيل الخروج من الرحم وقال الزمخشري
اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا فاذا دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما
منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرأ الجمهور اما بكسر
الهمزة فيهما وابو السمال وابو العاج وهو كثير بن عبد الله السلمي شامي ولي البصرة لهشام بن
عبد الملك بفتحها فيهما وهي لغة حكاها ابو زيد عن العرب وهي التي عدها بعض الناس في
حروف العطف وانشدوا

تلمها اما شمال عرية ... واما صبا جنح العشي هبوب

وقال

وقال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انتهى فجعلها
اما التفصيلية المتضمنة معنى الشرط ولذلك تلقاها بفاء الجواب فصار كقول العرب اما صديقا
فصديق وانتصب شاكرا وكفورا على الحال من ضمير النصب في هديناه وقال الزمخشري ويجوز ان يكونا
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجازا انتهى ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثر من
يتصف به ويكثر وقوعه من الانسان بخلاف الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة ولما ذكر الفريقين
اتبعهما الوعيد والوعد وقرأ طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وابو عمرو وحمزة سلاسل ممنوع
الصرف وقفا ووصلا وقيل عن حمزة وابي عمرو الوقف بالالف وقرأ حفص وابن ذكوان بمنع الصرف
واختلف عنهم في الوقف وكذا عن البزي وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلا وبالالف المبدلة منه
وقفا وهي قراءة الاعمش قيل وهذا على ما حكاه الاخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف الا افعل من
وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم وعلل ذلك بان هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا صواحبات
يوسف ونواكسي الابصار اشبه المفرد فجرى فيه الصرف وقال بعض الرجاز

والصرف في الجمع اتى كثيرا ... حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف ابي وعبد الله وكذا قواريرا
وروى هشام عن ابن عامر سلاسل في الوصل وسلاسلا بالف دون تنوين في الوقف وروي ان من
العرب من يقول رأيت عمرا بالالف في الوقف من كاس من لابتداء الغاية كان مزاجها كافورا قال
قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل هو على التشبيه اي طيب رائحة وبرد كالكافور
وقال الكلبي كافورا اسم عين في الجنة وصرفت لتوافق الآي وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل
من الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم عربي قح وكح وعينا بدل من كافورا او مفعولا
بيشربون اي ماء عين او بدل من محل من كاس على حذف مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب
على الاختصاص ولما كانت مبتدأ شربهم الكاس وفي يشرب بها اي ممزوج شرابهم بها اتى بالباء الدالة
على الالصاق والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل او ضمن يشرب معنى يروى
فعدي بالباء وقيل الباء زائدة والمعنى يشربها قال الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج

قيل اي شربن ماء البحر وقرأ ابن ابي عبلة يشربها وعباد الله هنا هم المؤمنون يفجرونها يثقبونها
بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا فهي تجري عند كل احد منهم هكذا ورد في الاثر وقيل هي عين في
دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفجر الى دور الانبياء والمؤمنين يوفون بالنذر قال الفراء التقدير
كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول
ما لهم يرزقون ذلك انتهى فاستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز والتي بعد عسى بالمضارع مقرون
بان وهو قليل او في شعر والظاهر ان المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة انه نذر قال الاصم
وتبعه الزمخشري هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو
على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى وقيل النذر هنا عام لما اوجبه الله وما اوجبه العبد فيدخل
فيه الايمان وجميع الطاعات على حبه اي على حب الطعام اذ هو محبوب للفاقة والحاجة قاله
ابن عباس ومجاهد او على حب الله اي لوجهه وابتغاء مرضاته قاله الفضيل بن عياض وابو سليمان
الداراني والاول امدح لان فيه الايثار على النفس واما الثاني فيفعله الاغنياء اكثر وقال
الحسن بن الفضل على حب الاطعام اي محبين في فعلهم ذلك لا رياء فيه ولا تكلف مسكينا وهو
الطواف المنكشف في السؤال ويتيما هو الصبي الذي لا اب له واسيرا والاسير معروف وهو من
الكفار قاله قتادة وقيل من المسلمين تركوا في بلاد الكفار رهائن وخرجوا لطلب الفداء
وقال ابن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وقيل اسيرا استعارة وتشبيه فقال مجاهد
وابن جبير وعطاء هو المسجون وقال ابو حمزة الثمالي هي الزوجة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله هو على اضمار القول
ويجوز ان يكونوا صرحوا به خطابا للمذكورين منعا منهم على المجازاة بمثله او الشكر لان احسانهم
مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وهذا هو الظاهر وقال مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن

الله تعالى عليه منهم فاثنى عليهم به لا نريد منكم جزاء اي بالافعال ولا شكورا اي ثناء بالاقوال وهذه الاية
قيل نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة الاختلاق
وفيها اشعار للمسكين واليتيم والاسير يخاطبون بها بيت النبوة واشعار لفاطمة عليها السلام تخاطب
كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفساف الفاظها وكسر ابياتها وسقاطة معانيها انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
نسبة العبوس الى اليوم مجاز قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من عينيه عرق
كالقطران وقرأ الجمهور فوقاهم مخفف القاف وابو جعفر بتشديدها ولقاهم نضرة بدل عبوس الكافر
وسرورا فرحا بدل حزنه ولا يكاد تكون النضرة الا مع فرح النفس وقرة العين وقرأ الجمهور
وجزاهم وعلي وجازاهم على وزن فاعل جنة وحريرا اي بستانا فيه كل مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي
وناسب ذكر الحرير مع الجنة لانهم اوثروا على صبرهم على الجوع والعري لا يرون فيها اي في الجنة شمسا
اي حر شمس ولا شدة برد اي لا شمس فيها فتؤذي بحرها ولا زمهريرا يؤذي بشدته اي هي هواء
معتدلة الهواء وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل لا يرون فيها شمسا ولا قمرا
والزمهرير في لغة طيء القمر وقرأ الجمهور ودانية قال الزجاج هو حال عطفا على متكئين وكذا دانيا
ويجوز ان تكون صفة للجنة فالمعنى وجزاهم جنة دانية وقال الزمخشري ما معناه انها حال
معطوفة على حال وهي لا يرون اي غير رائين ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم
كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرأ ابو حيوة
ودانية بالرفع واستدل به الاخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير اعتماد نحو قولك قائم الزيدون
ولا حجة فيه لان الاظهر ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبر له وقرأ الاعمش ودانيا عليهم
وهو كقوله خاشعا ابصارهم وقرأ ابي ودان مرفوع فهذا يمكن ان يستدل به الاخفش
وذللت قطوفها قال قتادة ومجاهد وسفيان ان كان الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة
وان كان قاعدا او مضطجعا فكذلك تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك فاما على قراءة الجمهور
ودانية بالنصب كان وذللت معطوفا على دانية لانها في تقدير المفرد اي ومذللة وعلى قراءة
الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية ويجوز ان يكون في موضع الحال وقد ذللت رفعت
دانية او نصبت ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة
قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا
كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم
آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء
الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما لما وصف
تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم وقدم ذكر الآنية التي يسقون منها
والآنية جمع اناء وتقدم شرح الاكواب وقرأ نافع والكسائي وابو بكر قواريرا بتنوينهما
وصلا وابدله الفا وقفا وابن عامر وحمزة وابو عمرو وحفص بمنع صرفهما وابن
كثير بصرف الاول ومنع الصرف في الثاني وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق
لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول انتهى وكذا قال في قراءة من قرأ سلاسلا بالتنوين
انه بدل من حرف الاطلاق فاجرى الفواصل مجرى ابيات الشعر فكما انه يدخل التنوين في القوافي
المطلقة اشعارا بترك الترنم كما قال الشاعر
• يا صاح ما هاج الدموع الذرفن • فهذه النون بدل من الالف اذ لو لم يترنم لوقف
بالف الاطلاق من فضة اي مخلوقة من فضة ومعنى كانت انه اوجدها تعالى في قوله
كن فتكون تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها
وشفيف القوارير وصفائها ومن ذلك قوله كان مزاجها كافورا وقرأ الاعمش قوارير
من فضة بالرفع اي هي قوارير وقرأ الجمهور قدروها مبنيا للفاعل والضمير للملائكة او

للطواف عليهم او المنعمين والتقدير على قدر الاكف قاله الربيع او على قدر الري قاله مجاهد وقال الزمخشري
قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم على مقادير واشكال
على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروها وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم
على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض انتهى وقرأ علي وابن عباس والسلمي وابن ابزى وقتادة وزيد
ابن علي والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وابو حيوة وعباس عن ابان والاصمعي عن ابي عمرو
وابن عبد الخالق عن يعقوب قدروها مبنيا للمفعول قال ابو علي كان اللفظ قدروا عليها وفي
المعنى قلب لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولي القوة ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزاء القى العود على الحرباء وقال الزمخشري ووجهه
ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له
ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى وقال
ابو حاتم قدرت الاواني على قدر ريهم ففسر بعضهم قول ابي حاتم هذا قال فيه حذف
وهو انه كان قدر على قدر ريهم اياها ثم حذف على فصار قدر ريهم ما لم يسم فاعله ثم
حذف قدر فصار ريهم ما لم يسم فاعله فحذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف
المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير
النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى اقيمت مقام الفاعل انتهى والاقرب
في تخريج هذه القراءة الشاذة ان يكون الاصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو
الري واقيم الضمير مقامه فصار التقدير قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من ووصل
الفعل الى الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في المجرور
والظاهر ان الكأس ممزوج بالزنجبيل والعرب تستلذه وتذكره في وصف رضاب افواه النساء
كما انشدناه في الكلام على المفردات وقال الزمخشري تسمى العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل
فيها انتهى وقال قتادة الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج لسائر
اهل الجنة وقال الكلبي يسقى بجامين الاول مزاجه الكافور والثاني مزاجه الزنجبيل وعينا
بدل من كأس على حذف اي كأس عين او من زنجبيل على قول قتادة وقيل منصوبة على الاختصاص
والظاهر ان هذه العين تسمى سلسبيلا بمعنى توصف بانها سلسة في الاتساغ سهلة في
المذاق ولا يحمل سلسبيل على انه اسم حقيقة لانه اذ ذاك كان ممنوع الصرف للتانيث والعلمية
وقد روي عن طلحة انه قرأه بغير الف جعله علما فان كان علما فوجه قراءة الجمهور
بالتنوين المناسبة للفواصل كما قال في سلاسلا وقواريرا ويحسن ذلك انه
لغة لبعض العرب اعني صرف ما لا ينصرفه اكثر العرب وقال الزمخشري وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية وكان قد ذكر فقال شراب سلسل وسلسال
وسلسبيل فان كان عنى انه زيد حقيقة فليس بجيد لان الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو
وان عنى انها حرف جاء في سنخ الكلمة وليس في سلسل ولا في سلسال فيصح وتكون مما اتفق معناه وكان مختلفا
في المادة وقال بعض المعربين سل سبيلا امر للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسؤال السبيل اليها وقد
نسبوا هذا القول الى علي كرم الله وجهه ويجب طرحه من كتب التفسير واعجب من ذلك توجيه الزمخشري
له واشتغاله بحكايته ويذكر نسبته الى علي رضي الله عنه وقال قتادة هي عين تنبع من تحت العرش من جنة
عدن الى الجنان وقال عكرمة عين سلس ماؤها وقال مجاهد عين جديدة الجرية سلسة سهلة المساغ
وقال مقاتل عين تتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤا وتقدم شرح مخلدون ولتشبيه الولدان
باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء الوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة اهل الجنة يجيئون ويذهبون
وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه فانه احسن في العين وابهج للنفس وجواب اذا رأيت
محذوف ومفعول فعل الشرط محذوف اقتصارا والمعنى واذا رميت ببصرك هناك وثم ظرف
العامل فيه رأيت وقيل التقدير واذا رأيت ما ثم فحذف ما كما حذف في قوله لقد تقطع بينكم
وقال الزجاج وتبعه الزمخشري فقال ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة
لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة انتهى وليس بخطأ مجمع عليه بل قد اجاز ذلك

الموصوف وليس من شواهد من لسان العرب كقول الشاعر

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اي ومن يمدحه فحذف الموصول
وابقى صلته وقال ابن عطية وثم ظرف العامل فيه رأيت او معناه التقدير رأيت ما ثم فحذف
ما انتهى وهذا فاسد لانه من حيث جعله معمولا لرأيت لا يكون صلة لما لان العامل فيه اذا
محذوف اي ما استقر ثم وقرأ الجمهور ثم بفتح الثاء وحميد الاعرج بضم الثاء حرف
عطف وجواب اذا على هذا محذوف اي فاذا رميت ببصرك رأيت نعيما والملك الكبير قيل النظر
الى الله تعالى وقال السدي استئذان الملائكة عليهم وقال اكثر المفسرين الملك الكبير
اتساع مواضعهم وقال الكلبي كبيرا عريضا يبصر ادناهم منزلته في الجنة مثل مسيرة الفي
عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل له عبد الله بن عمر وقال ان ادنى اهل الجنة من احد الا يسعى
عليه الف غلام كلهم مختلف شغله من شغل اصحابه وقال الترمذي واظنه الترمذي الحكيم
لا ابا عيسى المحدث صاحب الجامع هو ملك التكوين والمشيئة اذا ارادوا شيئا كان لقوله تعالى
لهم ما يشاؤن فيها وقيل غير هذه الاقوال وقرأ عمر وابن عباس والحسن ومجاهد والجحدري
واهل مكة وجمهور السبعة عاليهم بفتح الياء وابن عباس بخلاف عنه والاعرج وابو جعفر
وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة بسكونها وهي رواية ابان عن عاصم وقرأ ابن مسعود والاعمش
وطلحة وزيد بن علي بالتاء مضمومة وعن الاعمش ايضا وابان عن عاصم بفتح التاء وقرأ عليهم
حرف جر ابن سيرين ومجاهد وقتادة وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني وابان ايضا وقرأ
عاليتهم فعلى قراءة التاء تبعت فعلا ماضيا فثياب فاعل ومن قرأ بالياء ساكنة او بالتاء
مضمومة فمبتدأ خبره ثياب ومن قرأ عليهم حرف جر فثياب مبتدأ ومن فتح الياء او التاء
فعلى الحال وهو حال من المجرور في ويطوف عليهم فذو الحال المطوف عليهم والعامل
يطوف وقال الزمخشري وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او حسبتهم
اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان
يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب انتهى اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه
لا يعني الا ضمير المفعول وهو عائد على ولدان ولذلك قدر عاليا لهم بقوله عاليا لهم اي للولدان
وهذا لا يصح لان الضمائر الاتية تقيد ذلك بدل على انها للمطوف عليهم من قوله وحلوا
لا يصح لان الضمائر الاتية لعين ذلك بدل على انها وحلوا وسقاهم وان هذا كان جزاء لكم
وفك الضمائر يجعل هذا لذا وهذا لذا مع عدم الاحتياج والاضطرار الى ذلك لا يجوز
واما جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة
الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف وثياب مرفوع على الفاعلية بالحال
وقال ابن عطية ويجوز في النصب ان يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم انتهى
وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج في اثبات كونهما ظرفين الى ان يكون منقولا من كلام العرب
عاليك او عاليتك ثوب وقرأ الجمهور ثياب بغير تنوين على الاضافة الى سندس وقرأ
ابن ابي عبلة وابو حيوة عليهم ثياب سندس خضر واستبرق برفع الثلاثة برفع سندس
بالصفة لانه جنس كما تقول ثوب حرير برفع حرير ورفع خضر بالصفة ايضا لان
الخضرة لونها ورفع استبرق بالعطف عليها وهو صفة اقيمت مقام الموصوف تقديره
وثياب استبرق اي من استبرق وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص خضر برفعهما
وقرأ العربيان ونافع في رواية خضر بالرفع صفة لثياب واستبرق جر عطفا على سندس
وقرأ ابن كثير وابو بكر بجر خضر صفة لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب وقرأ الاعمش
وطلحة والحسن وابو عمرو بخلاف عنهما وحمزة والكسائي بجرهما ووصف اسم الجنس الذي
بينه وبين واحده تاء التانيث بالجمع جائز فصيح كقوله تعالى وينشئ السحاب الثقال
وقالوا النخل باسقات نخل الا جمعا واذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس
بينه وبين واحده تاء التانيث المحكي بال كقولهم اهلك الناس الدينار الصفر
والدرهم البيض فلان يجمعوا صفته هذا اولى وقول ابن عطية وفي هذا قبح يشير الى
الدينار الصفر والدرهم البيض حيث جمع وصفهما ليس بشيء بل هو فصيح يزاوده هو

كـ
اعمش
بالجمع صح

النحاة مورد الجواز بلا قبح وقرأ ابن محيصن واستبرق وقد تقدم ذلك والكلام عليه في الكهف وقال
هنا الزمخشري وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة
يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب
وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه
معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره انتهى ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد
وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح ان قراءة ابن محيصن هو بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول
عنه في كتب القراءات انه قرأ بوصل الالف وفتح القاف فقط وقال ابو حاتم لا يجوز والصواب
انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراؤه
على قراءة الجماعة انتهى ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن اكابر
العلماء ويتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب
واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون
فيها لشدتها دهمة وغبش اخبر ان في ذلك اللون بريقا وحسنا يزيل غبشته فاستبرق فعل ماض
والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضرار الدال عليه قوله خضر وهذا التخريج اولى من
تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة واساور من فضة وفي موضع اخر من ذهب اي يحلون
منهما على التعاقب وعلى الجمع بينهما كما يقع للنساء في الدنيا قال الزمخشري وما احسن بالمعصم
ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من ذهب انتهى فقوله بالمعصم اما ان يكون مفعول
احسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون مفعول احسن وقد فصل بينهما بالحال والمجرور فان
كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في مفعول افعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد
تريد ما احسن زيدا وان كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف والمنقول عن س انه لا يجوز والمولد
منا اذا تكلم ينبغي ان يتحرز في كلامه مما فيه الخلاف وسقاهم ربهم شرابا طهورا صفة مبالغة
في الطهارة وهي من فعل لازم وطهارتها بكونها لم يؤمر باجتنابها وليست كخمر الدنيا التي هي في الشرع
رجس او لكونها لم تدس بارجل دنسة ولم تمس بيد وضرة ولم توضع في اناء لم يعن بتنظيفه ذكره
باسقط من هذا الزمخشري ثم قال او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح
كريح المسك انتهى وهذا الاخر قاله ابو قلابة والنخعي وابراهيم التيمي قالوا لا ينقلب الى البول
بل يكون رشحا من الابدان اطيب من المسك ان هذا اي النعيم السرمدي كان لكم جزاء اي لاعمالكم
الصالحة وكان سعيكم مشكورا اي مقبولا مثابا قال قتادة لقد شكر الله سعيا قليلا وهذا على
اضمار يقال لهم وهذا القول لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم بضد ما يقال للمعاقب
ان هذا بعملك الردي فيزداد غما وحزنا ولما ذكر اولا حال الانسان وقسمته الى العاصي والطائع
واسهب فيما اعده للطائع ذكر ما شرف به نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال انا نحن
الاية وامره بالصبر لحكمه وجاء التوكيد بان لمضمون الخبر ومدلول المخبر عنه واكد الفعل هو
بالمصدر ولا تطع منهم اثما او كفورا قال قتادة نزلت في ابي جهل قال اذا رأيت محمدا يصلي لاطأن
على عنقه فانزل الله ولا تطع الاية والنهي عن طاعة كل واحد منهما ابلغ من النهي عن طاعتهما لانه
يستلزم النهي عن احدهما النهي عن طاعتهما لان في طاعتهما طاعة احدهما ولو قال لا تضرب
هذين وجمع الجائز ان يكون نهيا عن ضربهما جميعا لا عن ضرب احدهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو
والكفور وان كان اثما فان فيه مبالغة في الكفر ولما كان يوصف الكفور مباينا للموصوف بمجرد
الاثم صلح التغاير فحسن العطف وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان
ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في
العتو واذكر اسم ربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا الظهر والعصر ومن الليل المغرب
والعشاء وقال ابن زيد وغيره كان ذلك فرضا ونسخ فلا فرض الا الخمس ه وقال
قوم هو محكم على وجه الندب ان هؤلاء اشارة الى الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على
الاخرة ويذرون وراءهم اي امامهم وهو ما يستقبلون من الزمان يوما ثقيلا استعير
الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب حامله وتقدم شرح الاسر
في سورة القتال واذا شئنا اي تبديل امثالهم باهلاكهم بدلنا امثالهم ممن يطيع وقال

الزمخشري وحقه ان يجي باذ لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم انتهى
يعني انهم قالوا ان اذا للمحقق وان للممكن وهو تعالى لم يشا لكنه قد يوضع اذا موضع ان وان موضع
الشرطية اذا كقوله افان مت فهم الخالدون ان هذه اي السورة او ايات القران او جملة الشريعة ليس
على جهة التخيير بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله وقال الزمخشري بلمن شاء ممن اختار
الخير لنفسه والعاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما
يشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله يقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث
خلقهم مع علمه بهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال **وقرى** العربيان وابن كثير وما يشاؤن بياء
الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب ومذهب اهل السنة انه لفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد
المعاني في انفسهم ولا يرد هذا وجودها لهم من الاكتساب وقال الزمخشري **فان قلت** ما محل
ان يشاء الله **قلت** النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قرا ابن مسعود الا ما يشا
الله لان ما مع الفعل كان انتهى ونصوا على انه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر المصرح به كقولك اجيئك
صياح الديك ولا يجوزون اجيئك ان يصيح الديك ولا ما يصيح الديك فعلى هذا لا يجوز ما قاله
الزمخشري يدخل من يشاء في رحمته وهم المؤمنون **وقرا** الجمهور والظالمين نصبا باضمار فعل
تفسيره قوله اعد لهم وتقديره ويعذب الظالمين وهو من باب الاشتغال عطف جملة فعلية
على فعلية **وقرا** ابن الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة والظالمون عطف جملة اسمية على فعلية
وهو جائز حسن **وقرا** عبد الله وللظالمين بلام الجر وهو متعلق باعد لهم توكيد ولا يجوز ان
يكون من باب الاشتغال ويقدر فعل يفسره الفعل الذي بعده فيكون التقدير واعد للظالمين
اعد لهم وهذا مذهب الجمهور وفيه خلاف ضعيف مذكور في النحو فيقول بزيد مررت ويكون
التقدير مررت بزيد مررت به ويكون من باب الاشتغال والمحفوظ المعروف عن العرب نصب
الاسم وتقدير مررت المتاخر وما اشبهه من جهة المعنى فعلا ناصبا **فرجت** الشي تحتمه فاذا عرج
قال الشاعر الفارجي باب الامير المبهم **لفت** ضم وجمع ومنه قوله عليه السلام واكفتوا
صبيانكم ومنه قيل لبقيع الغرقد كفتة وكفتة والكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال
هذا الباب جامع الابواب **وقال الصمصامة الطرماح**

فانت اليوم فوق الارض حي وانت غدا تضمك في كفات

وقال ابو عبيدة الكفات الوعاء **شمخ** ارتفع **الشرر** ما تطاير من النار متبددا في كل جهة واحدة
شررة ولغة تميم شرار بالالف واحده شرارة **القصر** الدار الكبيرة المشيدة والقصر قطع من
خشب قدر الذراع وفوقه ودونه يستعد به للشتاء واحده قصرة والقصر بفتح الصاد اعناق الابل
والنخل والناس واحده قصرة وبكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة كحلقة من الحديد وحلق

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست
واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما
ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك
نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر
معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين هذه السورة
مكية وحكى عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها مدنية اية وهي واذا قيل لهم اركعوا لا
يركعون ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه ذكر انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين
فهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع ولما كان المقسم
به موصوفات قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات
فقال ابن مسعود وابو هريرة وابو صالح ومقاتل والفراء والمرسلات الملائكة ارسلت

بالعرف

652

بالعرف ضد النكر وهو الوحي وبالتعاقب على العباد طرفي النهار وقال ابن عباس وجماعة الانبياء ومعنى
عرفا افضالا من الله على عباده ومنه قول الشاعر

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف او متتابعة تشبيها بعرف الفرس
في تتابع شعره واعراف الخيل وتقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه متتابعين
وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وانتصابه على الحال وقال ابن مسعود ايضا وابن عباس ايضا
ومجاهد وقتادة الرياح وقال الحسن السحاب **وقرا** الجمهور عرفا بسكون الراء وعيسى بضمها
فالعاصفات قال ابن مسعود الشديدات الهبوب وقيل الملائكة تعصف بارواح الكفار
اي تزعجها بشدة او تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا في امتثال امره وقيل هي الايات
المهلكة كالزلازل والصواعق والخسوف والناشرات قال السدي وابو صالح ومقاتل الملائكة
تنشر صحف العباد بالاعمال الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ
للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ
للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل
يومئذ للمكذبين هذه السورة مكية وحكى عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها مدنية اية وهي واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه ذكر انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين
فهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع ولما كان المقسم به موصوفات
قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات فقال ابن مسعود وابو هريرة
وابو صالح ومقاتل والفراء والمرسلات الملائكة ارسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحي وبالتعاقب
على العباد طرفي النهار وقال ابن عباس وجماعة الانبياء ومعنى عرفا افضالا من الله على عباده ومنه **قول
الشاعر**

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف او متتابعة تشبيها بعرف الفرس في
تتابع شعره واعراف الخيل وتقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه متتابعين وهم
عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وانتصابه على الحال وقال ابن مسعود ايضا وابن عباس ايضا ومجاهد
وقتادة الرياح وقال الحسن السحاب **وقرا** الجمهور عرفا بسكون الراء وعيسى بضمها فالعاصفات
قال ابن مسعود الشديدات الهبوب وقيل الملائكة تعصف بارواح الكفار اي تزعجها بشدة
او تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا في امتثال امره وقيل هي الايات المهلكة كالزلازل
والصواعق والخسوف والناشرات قال السدي وابو صالح ومقاتل الملائكة تنشر صحف العباد
بالاعمال وقال الربيع الملائكة تنشر الناس من قبورهم وقال ابن مسعود والحسن ومجاهد
وقتادة الرياح تنشر السحاب وقال ابن مسعود ايضا رحمة الله ومطره وقال ابو صالح الامطار
تحيي الارض بالنبات وقال الضحاك الصحف تنشر على الله باعمال العباد فعلى هذا تكون الناشرات على معنى
النسب اي ذات النشر فالفارقات قال ابن عباس وابن مسعود وابو صالح ومجاهد والضحاك هي
الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال قتادة والحسن وابن كيسان ايات القران
فرقت بين الحلال والحرام وقال مجاهد ايضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وقيل الرسل حكاه
الزجاج وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفاروق وهي الحامل التي تخرج حين تنتج وقيل
العقول تفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد فالملقيات ذكرا قال ابن عباس وقتادة والجمهور
الملائكة تلقي ما حملت من الوحي الى الانبياء وقال قطرب الرسل تلقي ما انزل عليها الى الامم وقال
الربيع ايات القران القيت على النبي صلى الله عليه وسلم واختار الزمخشري من الاقوال ان تكون المرسلات
الى اخر الاوصاف اسماء الملائكة واما الرياح فللملائكة تكون عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين وللرياح
يكون المعنى فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة
الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون عن الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء
وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت قاله
الزمخشري والذي اراه ان المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف
بالواو يشعر بالتغاير بل هو موضوعه في لسان العرب واما العطف بالفاء اذا كان في الصفات

فتدل على انها راجعة لموصوف واحد كقوله والعاديات فالموريات فالمغيرات فانها راجعة الى العاديات وهي الخيل **وكقوله** يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فهذه راجعة لموصوف واحد وهو الحارث واذا تقرر هذا فالظاهر انه اقسم بالرياح فهي مرسلاته تعالى ويدل عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا وان العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن والقسم الثاني فيه ترق الى اشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون فالفارقات من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات والقاؤهم الذكر وهو ما انزل الله يصح اسناده اليهم **وقرأ** الجمهور فالملقيات اسم فاعل خفيف تطرقه اليهم وابن عباس بشد القاف من التلقية وهي ايصال الكلام الى المخاطب يقال لقيته الذكر فتلقاه **وقرأ** ابن عباس ايضا فيما ذكره المهدوي بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول اي تلقته من قبل الله تعالى **وقرأ** ابراهيم التيمي والنحويان وحفص عذرا او نذرا بسكون الذالين وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وابو جعفر وابو حيوة وعيسى والحسن بخلاف والاعشى عن ابي بكر بضمهما وابو جعفر ايضا وشيبة وزيد بن علي والحرميان وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا فالسكون على انهما مصدران مفردان او مصدران جمعان فعذر جمع عذير بمعنى المعذرة ونذر جمع نذير بمعنى الانذار وانتصابهما على البدل من ذكرا كانه قيل فالملقيات عذرا ونذرا او على المفعول من اجله او على انهما مصدران في موضع الحال اي عاذرين او منذرين ويجوز مع الاسكان ان يكونا جمعين على ما قررناه وقيل يصح انتصاب عذرا او نذرا على المفعول به بالمصدر الذي هو ذكرا اي فالملقيات اي فذكر عذرا وفيه بعد لان المصدر هنا لا يراد به العمل انما يراد به الحقيقة كقوله اؤلقي عليه الذكر والاعذار هو بقيام الحجة على الخلق والانذار هو بالعذاب والنقمة انما توعدون اي من الجزاء بالثواب والعقاب لواقع وما موصولة وان كانت قد كتبت متصلة بان وهذه الجملة هي المقسم عليها **وقرأ** الجمهور ونذرا والتخفيف وابراهيم التيمي ونذرا بواو العطف فاذا النجوم طمست اي اذهب نورها فاستوت مع جرم السماء او عبر عن الخفة بالطمس وهو استتارها وانكدارها او اذهب نورها ثم انتثرت بمحق نورها واذا السماء فرجت اي صار فيها فروج بانفطارها **وقرأ** عمرو بن ميمون طمست فرجت بشد الميم والراء والجمهور بخفهما واذا الجبال نسفت اي فرقتها الرياح وذلك بعد التسيير وقبل كونها هباء **وقرأ** الجمهور اقتت بالهمزة وشد القاف وتخفيف القاف والهمزة النخعي والحسن وعيسى وخالد **وقرأ** ابو الاشهب وعمرو بن عبيد وعيسى ايضا وابو عمرو بالواو وشد القاف قال عيسى وهي لغة سفلى مضر وعبد الله والحسن وابو جعفر بواو واحدة وخفة القاف والحسن ايضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت والمعنى جعل لها وقت منتظر فحان وجاء او بلغت ميقاتها التي كانت تنتظره وهو يوم القيامة والواو في هذا كله اصل والهمزة بدل وقال الزمخشري ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وجواب اذا محذوف لدلالة ما قبله عليه وتقديره اذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون لاي يوم اجلت تعظيم لذلك اليوم وتعجيب مما يقع فيه من الهول والشدة والتأجيل من الاجل اي ليوم عظيم اخرت ليوم الفصل اي بين الخلائق وهو بدل من لاي يوم وما ادراك ما يوم الفصل اي بين الخلائق مبالغة في عظم ذلك اليوم على الخلائق وويل تقدم الكلام فيه في اول ثاني حزب من سورة البقرة يومئذ يوم اذ طمست النجوم وكان ما بعدها **وقرأ** الجمهور نهلك بضم النون وقتادة بفتحها قال الزمخشري من هلكه بمعنى اهلكه **وقال العجاج**

ومهمه هالك من تعرجا

انتهى وخرج بعضهم هالك من تعرجا على ان هالكا هو من اللازم ومن موصول فاستدل به على ان الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا **وقرأ** الجمهور نتبعهم بضم العين على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة ويقوي الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين الاستقبال والاعرج والعباس عن ابي عمرو باسكانها فاحتمل ان يكون سكن تخفيفا كما سكن وما يشعركم فهو استئناف فعلى الاستئناف يكون الاولين الامم التي تقدمت قريشا اجمعها ويكون الاخرين من تأخر من قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون الاولين قوم نوح وابراهيم عليهما السلام ومن كان معهم والاخرين قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة الرسول عليه السلام والاهلاك هنا اهلاك عذاب ونكال ولذلك جاء كذلك

نفعل

نفعل بالمجرمين فاتى بالصفة المقتضية لاهلاك العذاب وهي الاجرام ولما ذكر افناء الاولين والاخرين ذكر ووقف على اصل الخلقة التي تقتضي النظر فيها تجويز البعث من ماء مهين اي ضعيف وهو مني الرجل والمرأة في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي عند الله وهو وقت الولادة **وقرأ** علي ابن ابي طالب فقدرنا بشد الدال من التقدير كما قال من نطفة خلقه فقدره وباقي السبعة بخفها من القدرة وانتصب احياء وامواتا بفعل يدل عليه ما قبله اي تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها واستدل بهذا من قال ان النباش يقطع لان بطن الارض حرز للكفن فاذا نبش واخذ منه فهو سارق وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى نكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس انتهى رواسي جبالا ثابتات شامخات مرتفعات ومنه شمخ بانفه ارتفع شبه المعنى بالجرم واسقيناكم جعلناه سقيا لمزارعكم ومنافعكم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون يقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي من العذاب انطلقوا الى ظل امر وقرأه الجمهور تكرارا وبيانا للمنطلق اليه **وقرأ** رويس عن يعقوب بفتح اللام على معنى الخبر كانهم لما امروا امتثلوا فانطلقوا اذ لا يمكنهم التأخر اذ صاروا مضطرين الى الانطلاق ذي ثلاث شعب قال عطاء هو دخان جهنم وروي انه يعلو من ثلث مواضع يظن الكفار انه مغن من النار فيهرعون اليه فيجدونه على اسوء وصف وقال ابن عباس يقال ذلك لعبدة الصليب فالمؤمنون في ظل الله وهم في ظل معبودهم وهو الصليب له ثلث شعب والشعب ما تفرق من جسم واحد لا ظليل نفي لمحاسن الظل ولا يغني اي ولا يغني عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي الضمير في انها لجهنم **وقرأ** الجمهور بشرر وعيسى بشرار بالف بين الراءين وابن عباس وابن مقسم كذلك الا انه كسر الشين فاحتمل ان يكون جمع شرر اي بشرار من العذاب وان تكون صفة اقيمت مقام موصوفها اي بشرار من الخلق كما تقول قوم شرار جمع شر غير افعل التفضيل وقوم خيار جمع خير غير افعل التفضيل ويؤنث هذا بالتاء للمؤنث شرة وخيرة بخلافهما اذا كانا للتفضيل فلهما احكام مذكورة في النحو **وقرأ** الجمهور كالقصر وابن جبير والحسن بخلاف عنه وابن مقسم بفتح القاف والصاد وابن جبير ايضا والحسن ايضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد وبعض القراء بفتح القاف وكسر الصاد وابن مسعود بضمهما كانه مقصور من القصور كما قصروا النجم والنمر من النجوم والنمور **وقرأ** الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب جمالات بكسر الجيم وبالالف والتاء جمع جمال الجمع وهي الابل كقولهم رجالات قريش وابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وابو رجاء بخلاف عنهم كذلك الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن الواحد منها جملة لكونه جملة من الطاقات والقوى ثم جمع على جمل وجمال ثم جمع جمال ثانيا جمع صحة فقالوا جمالات وقيل الجمالات قلوس الجسور **وقرأ** حمزة والكسائي وحفص وابو عمرو في رواية الاصمعي وهارون عنه جمالة بكسر الجيم لحقت جمالا التاء لتأنيث الجمع كحجر وحجارة **وقرأ** ابن عباس والسلمي والاعمش وابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة ورويس كذلك الا انهم ضموا الجيم قال ابن عباس وابن جبير الجمالات قلوس السفن وهي حبال العظام اذا اجتمعت مستديرة بعضها الى بعض جاء منها اجرام عظام وقال ابن عباس ايضا الجمالات قطع النحاس الكبار وكان اشتقاق هذه من اسم الجملة **وقرأ** الحسن صفر بضم الفاء والجمهور باسكانها شبه الشرر اولا بالقصر وهو الحصن من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وثانيا بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان وهي القصور كما **قال الشاعر**

فوقفت فيها ناقتي وكانها فدن لاقضي حاجة المتلوم

ومن قرأ بضم الجيم فالتشبيه من جهة العظم والطول والصفرة الفاقعة اشبه

بلون السرر قاله الجمهور وقيل صفر سود وقيل سود تضرب الى الصفرة **وقال عمران بن حطان الرقاشي**

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقرأ الاعمش والاعرج وزيد بن علي وعيسى وابو حيوة وعاصم في رواية هذا يوم لا ينطقون والجمهور رفعها قال ابن عطية لما اضاف الى غير متمكن بناه فهي فتحة بناء وهي في موضع رفع وقال صاحب اللوامح قال عيسى هي لغة سفلى مضر يعني بناءهم يوم مع لا على الفتح لانهم جعلوا يوم مع لا كالاسم الواحد فهي في موضع رفع لانه خبر المبتدا انتهى والجملة المصدرة بمضارع مثبت او منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف اليها البناء بوجه وانما هذا مذهب كوفي قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون نصبا صحيحا على الظرف فيصير هذا اشارة الى ما تقدمه من الكلام دون اشارة الى يوم ويكون العامل في نصب يوم انطلقوا الى ما بين صنعت جهنم ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون فيكون يومئذ كلام معترض لا يمنع من تفريغ العامل للمعمول كما كانت فباي الاء ربكما تكذبان لذلك من حيث انها لم يمنع اتباع الصفة للموصوف في ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انتهى وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون ظرفا وتكون الاشارة بهذا الى رميها بشرر انتهى وقال الزمخشري ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ وهنا نفي نطقهم وقد اخبر الله عنهم انهم نطقوا في مواضع من هذا اليوم وذلك باعتبار طول اليوم فيصح ان ينفي فيه في وقت ويثبت في وقت او نفي نطقهم بحجة تنفع وجعل نطقهم بما لا ينفع كلا نطق **وقرأ** القراء كلهم فيما اعلم ولا يؤذن مبنيا للمفعول وحكى ابو علي الاهوازي ان زيد بن علي قرا ولا ياذن مبنيا للفاعل اي الله تعالى فيعتذرون عطف على ولا يؤذن لهم داخل حيز نفي الاذن اي فلا اذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار متسببا عن الاذن فينصب وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الاي والوجهان جائزان انتهى فجعل امتناع النصب هو تشابه رؤوس الاي وقال والوجهان جائزان فظهر من كلامه استواء الرفع والنصب وان معناهما واحد وليس كذلك لان الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا بل صرح عطف والنصب يكون فيه متسببا فافترقا وذهب ابو الحجاج الاعلم الى انه قد يرفع الفعل ويكون معناه معنى المنصوب بعد الفاء وذلك قليل وانما جعل النحويون معنى الرفع غير معنى النصب رعيا للاكثر في كلام العرب وجعل دليله ذلك وهذه الاية بلحظ اهرابن عطية وقد رد ذلك عليه ابن عصفور وغيره هذا يوم الفصل جمعناكم خطاب للكفار والاولين قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين اي جمعناكم للفصل بين السعداء والاشقياء فان كان لكم كيد اي في هذا اليوم كما كان لكم في الدنيا ما تكيدون به دين الله واولياءه فكيدون وهذا تعجيز لهم وتوبيخ ولما كان في سورة الانسان ذكر نزر من احوال الكفار في الاخرة واطنب في احوال المؤمنين فيها جاء في هذه السورة الاطناب في وصف الكفار والايجاز في وصف المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين **وقرأ** الجمهور في ظلال جمع ظل والاعمش في ظلل جمع ظلة كلوا واشربوا خطاب لهم في الاخرة على اضمار القول ويدل عليه بما كنتم تعملون كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا اي زمانا قليلا اذ قصارى اكلكم وتمتعكم الموت وهو خطاب تهديد لمن اجرم من قريش وغيرهم واذا قيل لهم اركعوا من قال انها مكية قال هي في قريش ومن قال ان هذه الاية مدنية قال هي في المنافقين وقال مقاتل نزلت في ثقيف قالوا للرسول عليه السلام حط عنا الصلاة فانا لا ننحني انها مسبة فابى وقال لا خير في دين لا صلاة فيه ومعنى اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه وقيل الركوع هنا عبارة عن الصلاة وخص من افعالها الركوع لان العرب كانوا يانفون من الركوع والسجود وجاء في هذه السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لان كل جملة منها فيها اخبار الله تعالى عن اشياء من احوال الاخرة وتقريرات من احوال الدنيا فناسب ان يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الاخرة والضمير في بعده عائد على القران والمعنى انه قد تضمن من الاعجاز والبلاغة والاخبار بالمغيبات وغير ذلك مما احتوى عليه ما لم يتضمنه كتاب الهي فاذا كانوا مكذبين به فباي حديث بعده يصدقون به اي لا يمكن تصديقهم بحديث بعد ان كذبوا بهذا

وصف

الحديث الذي هو القران **وقرأ** الجمهور يؤمنون بياء الغيبة ويعقوب وابن عامر في رواية بتاء الخطاب **السبات** قال ابن قتيبة السبات اصله القطع والمد فالنوم قطع الاشغال الشاقة ومن المد **قال الشاعر**

وان سبتته مال جثلا كانه سدى واهلات من نواسج خثعما

اي ان مدت شعرها مال والتف كالتفاف السدى بايدي نساء ناسجات **الوهاج** المتوقد المتلالي **المعصرات** قال الفراء السحاب الذي يتحلب المطر ولما يجتمع مثل الجارية المعصر قد كادت تحيض ولما تحض وقال نحوه ابن قتيبة **وقال ابو النجم العجلي**

تمشي الهوينا مائلا خمارها قد اعصرت او قد دنا اعصارها

الثج قال ثعلب اصله شدة الانصباب وقال الزهري مطر ثجاج شديد الانصباب ثج الماء يثج ثجوجا يكون لازما بمعنى الانصباب وواقعا بمعنى الصب **قال الشاعر في وصف الغيث**

اذا رجفت فيها رحى مرجحنة تبعج ثجاجا غزير الحوافل

الالفاف جمع لف بكسر اللام قاله جمهور اهل اللغة قالوا اللف الجنة الملتفة بالاغصان وقال الكسائي جمع لفيف **وقال الشاعر**

احابيش الفاف تباين فرعهم وجذلهم عن نسبة المتقرب

وقال ابن قتيبة هو جمع الجمع جمع لفاء على لف ثم جمع لف على الفاف **الكواعب** جمع كاعب وهي التي برز نهدها ومنه كعب الرجل لبروزه ومنه الكعبة **وقال قيس بن عاصم المنقري**

وكم من حصان قد حوينا كريمة ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر

الدهاق الملاى ماخوذ من الدهق وهو ضغط الشيء وشده باليد كانه لامتلائه انضغط وقيل الدهاق المتتابعة **قال الشاعر**

اتانا عامر يبغي قرانا فاترعنا له كاسا دهاقا

وقال الآخر لانت الى الفؤاد احب قربا من الصادي الى كاس دهاق

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا هذه السورة مكية وروي انه عليه السلام لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي اتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد الحديث الذي هو القران وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون **وقرأ** الجمهور وعبد الله وابي وعكرمة وعيسى عما بالالف وهو اصل عم والاكثر حذف الالف من ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف الجر واضيف اليها ومن اثبات الالف **قوله**

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

وقرأ الضحاك وابن كثير في رواية عمه بهاء السكت اجرى الوصل مجرى الوقف لان الاكثر في الوقف على ما الاستفهامية هو بالحاق هاء السكت الا اذا اضيفت اليها فلا بد من الهاء في الوقف نحو مجيء مه والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب كما تقول اي رجل زيد وزيد ما زيد كانه لما كان عديم النظير او قليله خفي عليه جنسه فاخذت تستفهم عنه ثم جرد العبارة عن تفخيم الشيء فجاء في القران والضمير في يتساءلون لاهل مكة ثم اخبر تعالى انهم يتساءلون عن النبإ العظيم وهو امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القران وقيل الضمير لجميع العالم فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر وقيل التساؤل فيه البعث والاختلاف فيه فعم متعلق بيتساءلون ومن قرا عمه بالهاء في الوصل فقد ذكرنا انه يكون اجرى الوقف وعن النبإ متعلق بمحذوف اي يتساءلون عن النبإ واجاز الزمخشري ان يكون وقف على عمه ثم ابتدا يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر لعم يتساءلون وحذفت لدلالة ما بعدها عليه كشيء مبهم ثم يفسر وقال ابن عطية

كان اكثر النحاة قوله عن النبإ العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كانه قال لم يتساءلون عن النبإ
العظيم وقال الزجاج الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول
يتساءلون عن النبإ فاقتضى ايجاز القرآن وبلاغته ان يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال
والمجاورة اقتصارا للحجة واسراعا الى موضع قطعهم وقرأ عبد الله وابن جبير يتساءلون بغير
ياء وشدد السين واصله يتساءلون بتاء الخطاب فادغم التاء الثانية في السين كلا ردع للمتسائلين
وقرأ الجمهور بياء الغيبة فيهما ومالك بن دينار والحسن وابن عامر بخلاف عنهما وابن مقسم
بتاء الخطاب فيهما وعن الضحاك الاول بالتاء على الخطاب والثاني بالياء على الغيبة وهذا التكرار
توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل اي سيعلمون ما يحل بهم ثم قررهم
تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف وان النظر في
ذلك يفضي الى الايمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء فقال الم نجعل الارض مهادا فبدأ
بما هم دائما يباشرونه والمهاد الفراش الموطأ وقرأ الجمهور مهادا ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين
مهدا بفتح الميم وسكون الهاء ولم ينسب ابن عطية عيسى في هذه القراءة وقال ابن خالويه مهدا
على التوحيد مجاهد وعيسى الهمداني وهو الكوفي فاحتمل ان يكون قول ابن عطية وبعض الكوفيين
كناية عن عيسى هذا الهمداني واذا اطلقوا عيسى وقالوا عيسى البصرة فهو عيسى بن عمر الثقفي تقدم
الكلام في المهاد في سورة البقرة في اول حزب واذكروا الله والجبال اوتادا اي ثبتنا الارض بالجبال
كما ثبت البيت بالاوتاد كما قال الافوه الاودي

والبيت لا يبتنى الا له عمد ، ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

ازواجا اي انواعا في اللون والصورة واللسان وقال الزجاج وغيره مزدوجين ذكرا وانثى سباتا
سكونا وراحة سبت الرجل استراح وترك الشغل والسبات علة معروفة يفرط على الانسان السكون
حتى يصير صاحبها قتيلا والنوم شبيه به الا في الضرر وقال قتادة النائم مسبوت لا يعقل كانه
ميت لباسا اي يسترون به عن العيون فيما لا يحبون ان يظهر عليه وجعلنا النهار معاشا اي بدا اليوم
بالنهار اذ فيه التيقظ معاشا وقت عيش وهو الحياة يتصرفون فيه في حوائجهم سبعا اي سموات
شدادا محكمة الخلق وثيقة لا تتأثر بمرور الاعصار الا اذا اراد الله وقال الشاعر

فلما جئته اعلى محلي ، واجلسني على السبع الشداد

سراجا هو الشمس وهاجا حارا مضطرما لاتقادا وقال عبد الله بن عمرو الشمس في السماء الرابعة
الينا ظهرها ولهيبها يضطرم علوا من المعصرات قال ابي والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وقتادة
ومقاتل هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة ماخوذ
من العصر لان السحاب ينعصر فيخرج منه الماء وقيل السحاب التي فيها الماء ولم تمطر وقال ابن
كيسان سميت بذلك من حيث تغيث فهي من العصرة ومنه وفيه يعصرون والعاصر المغيث
فهو ثلاثي وجاء هنا من اعصر اي دخلت في حين العصر فجاز لها ان تعصر وافعل للدخول في الشيء وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة الرياح لانها تعصر السحاب جعل الانزال منها لما كانت سببا
فيه وقرأ ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس اخوه وعبد الله بن يزيد وعكرمة وقتادة
بالمعصرات بالباء بدل من قال ابن عطية فهذا يقوي انه اراد الرياح وقال الزمخشري فيه وجهان
ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها
فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده درهما ثجاجا منصبا بكثرة ومنه وفضل الحج العج
والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرأ الاعرج ثجاحا بالحاء اخرا ومثاجح الماء
مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا بدأ بالحب لانه الذي يتقوت به كالحنطة والشعير وثنى
بالنبات فشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش ودخل فيه الحب الفافا ملتفة قال الزمخشري
ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن
علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ، وندامى كلهم بيض زهر

ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ولا حاجة الى هذا القول
ولا الى توجيهه فقد ذكر في المفردات ان مفرده لف بكسر اللام وانه قول جمهور اهل اللغة
ان يوم الفصل يوم القيامة سمي بذلك لانه يفصل فيه بين الحق والباطل كان ميقاتا اي في تقدير الله وحكمه

حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم
الفصل قال الزمخشري او عطف بيان وتقدم الكلام في الصور وقرأ ابو عياض بفتح الواو
جمع صورة اي يرد الله الارواح الى الابدان والجمهور بسكون الواو فتأتون من القبور الى الموقف
امما كل امة بامامها وقيل جماعات مختلفة وذكر الزمخشري حديثا في كيفيات
تبيحه لعشرة اصناف يحلفون عليها وسبب خلقه من خلق على تلك الكيفية والله اعلم
بصحته وقرأ الكوفيون وفتحت خفيفا والجمهور بالتشديد وكانت ابوابا اي تنشق حتى
يكون فيها فتوح كالابواب في الجدرات وقيل ينقطع قطعا صغارا حتى تكون كالواح الابواب
المعهودة وقال الزمخشري فتحت فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها لنزول الملائكة كانها ليست الا
ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك
اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا اي تصير شيئا كلا شيء لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها انتهى وقال ابن عطية عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباء
منبثا ولم يرد ان الجبال تشبه الماء على بعد من الناظر اليها وقال الواحدي على حذف مضاف
اي ذات ابواب ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء
احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا
وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا مرصادا مفعالا من الرصد ترصد من
حقت عليه كلمة العذاب وقال مقاتل محبسا للاعداء وممرا للاولياء ومفعال للمذكر والمؤنث
بغير تاء وفيه معنى النسب اي ذات رصد وكل ما جاء من الاخبار والصفات على معنى النسب فيه
التكسير واللزوم وقال الازهري المرصاد [illegible] ومن لم يجيء جواز احتبس وقرأ ابو
عمرو والمنقري وابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها مآبا مرجعا وقرأ عبد الله
وعلقمة وزيد بن علي وابن وثاب وعمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل وابن جبير وطلحة والاعمش
وحمزة وقتيبة وسورة وروح لبثين بغير الف بعد اللام والجمهور بالف بعدها وفاعل يدل على
من وجد منه الفعل وفعل على من شانه ذلك كحاذر وحذر احقابا تقدم الكلام على ذلك في الكهف في قوله او امضي حقبا
والمعنى هنا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب الا حيث يراد تتابع الازمنة
كقول ابي تمام

لقد اخذت من دار ماوية الحقب ، انحل المغاني للبلى هي ام نهب

ويجوز ان يتعلق للطاغين بمرصادا ويجوز ان يتعلق بمآبا ولابثين حال من الطاغين واحقابا نصب على الظرف وقال
الزمخشري وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه
الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر
النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا انتهى وكان قد قدم قبل هذا الوجه
ما نصه ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون
بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب انتهى وهذا الذي قاله هو قول المتقدمين
حكاه ابن عطية قال وقال آخرون انما المعنى لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا فهذه
الحال يلبثون احقابا ثم يبقى العذاب سرمدا وهم يشربون اشربة جهنم والذي يظهر ان قوله
لا يذوقون كلام مستانف وليس في موضع الحال والا حميما استثناء متصل من قوله ولا شرابا وان احقابا
منصوب على الظرف حملا على المشهور من لغة العرب لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست
مشهورة وقول من قال ان الموصوفين باللبث احقابا هم عصاة المؤمنين او [illegible]
وقول مقاتل ان ذلك منسوخ بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا والظاهر وهو قول الجمهور
ان البرد هو مس الهواء القر اي لا يمسهم منه ما يستلذ ويكسر شدة الحر وقال ابو عبيدة والكسائي والفضل
ابن خالد ومعاذ النحوي البرد هنا النوم والعرب تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش ومن كلامهم

منع البرد البرد قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم وفي كتاب اللغات في القرآن ان البرد هو النوم بلغة هذيل المتولين مجاز وقال ابن عباس البرد الشراب البارد قول حسان بن ثابت المستلذ ومنه

يسقون من ورد البريص عليهم بردا يصفق بالرحيق السلسل

ومنه قول الآخر

اماني من سعدى حسان كانما سقتك بها سعدى على ظما بردا

والدرق على هذا حقيقة والنحويون ينشدون بيت حسان بردى بفتح الراء والدال بعدها الف التانيث وهو نهر في دمشق وتقدم شرح الحميم والغساق وخلف القراء في شد الشين وخفها وفاقا اي لاعمالهم وكفرهم وصف الجزاء بالمصدر لموافقه او على حذف مضاف اي ذا وفاق وقال الفراء هو جمع وفق الجمهور بخف القاف وابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة بشدها من وفقه كذا لا يرجون لا يخافون او لا يؤملون والرجاء الامل متعين فان والمعنى هنا لا يصدقون بالحساب فهم لا يؤملون ولا يخافون وقرأ الجمهور كذابا بشد الذال مصدر كذب وهي لغة لبعض العرب يمانية يقولون في مصدر فعل فعالا وغيرهم يجعل مصدره على تفعيل نحو تكذيب ومن تلك اللغة قول الشاعر

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

ومن كلام احدهم وهو يستفتي الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير يعني في الحج وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ علي وعوف الاعرابي وابو رجاء والاعمش وعيسى بخلاف عنه بخف الذال قال صاحب اللوامح علي وعيسى البصرة وعوف الاعرابي كذابا كلاهما بالتخفيف وذلك لغة اليمن بان يجعلوا كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتبت كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل اعطيته عطاء انتهى قال الاعشى

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقال الزمخشري هو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا او ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده انتهى والاظهر الاعراب الاول وما سواه تتكلف وفي كتاب ابن عطية وكتاب اللوامح وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وفي كتاب ابن خالويه عمر بن عبد العزيز والماجشون ثم اتفقوا هو كذابا بضم الكاف وشد الذال فيخرج على انه جمع كاذب وانتصب على الحال المؤكدة وعلى انه مفرد صفة لمصدر اي تكذيبا كذابا اي مفرطا في التكذيب وقرأ الجمهور وكل شيء بالنصب وابو السمال بالرفع وانتصب كتابا على انه مصدر من معنى احصيناه اي احصاء او تكون احصيناه في معنى كتبناه فالتجوز اما في المصدر واما في الفعل وذلك لالتقائهما في معنى الضبط او على انه مصدر في موضع الحال اي مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة وكل شيء عام مخصوص اي كل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب وهي جملة معترضة وفذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وقال عبد الله بن عمرو ما نزلت في اهل النار اية اشد من هذه ورواه ابو برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي خطابهم بذلك على طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم ولما ذكر شيئا من حال اهل النار ذكر ما لاهل الجنة فقال ان للمتقين مفازا اي موضع فوز وظفر حيث زحزحوا عن النار وادخلوا الجنة وحدائق بدل من مفازا او فوزا فيكون ابدل الجرم من المعنى على حذف اي فوز حدائق اي بها وقال الجمهور مترعة وقال مجاهد وابن جبير متتابعة وقرأ ولا كذابا بالتشديد اي لا يكذب بعضهم بعضا وقرأ الكسائي بالتخفيف كالمفظ الاول في قوله وكذبوا باياتنا كذابا والحكاية انه مصدر كذب المخفف في لغة اليمن والمعنى لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكاذبه لان كذابا مصدر كذب ومصدر كاذب قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز واعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء انتهى وهذا لا يجوز لانه جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين مفازا والمصدر المؤكد لا يعمل لانه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا وقرأ الجمهور حسابا وهو صفة لعطاء اي كافيا

من قولهم احسبني الشيء اي كفاني وقال مجاهد معنى حسابا هنا بتقسيط على الاعمال لان دخول الجنة برحمة الله والدرجات فيها على قدر الاعمال وقرأ ابن قطيب حسابا بفتح الحاء وشد السين قال ابن جني بني فعالا من افعل كدراك من ادرك انتهى فمعناه محسبا اي كافيا وقرأ شريح بن يزيد الحمصي وابو البرهسم بكسر الحاء وشد السين وهو مصدر مثل كذاب اقيم مقام الصفة اي عطاء محسبا اي كافيا وقرأ ابن عباس وسراج حسنا بالنون من الحسن وحكى عنه المهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء نحو قولك حسبك كذا اي كافيك وقرأ عبد الله وابن ابي اسحاق والاعمش وابن محيصن وابن عامر وعاصم رب الرحمن بالجر والاعرج وابو جعفر وشيبة وابو عمرو والحرميان برفعهما والاخوان بالجر الرحمن بالرفع وهي قراءة الحسن وابن وثاب والاعمش وابن محيصن بخلاف عنهما فالجر على البدل من ربك والرحمن صفة او بدل من رب او عطف بيان وهل يكون بدلا من ربك فيه نظر لان البدل الظاهر انه لا يتكرر فيكون كالصفات والرفع على اضمار هو رب او على الابتداء وخبره لا يملكون والرحمن صفة او هما خبران على البدل ورفع الرحمن على اضمار هو او على الابتداء وخبره لا يملكون والضمير في لا يملكون عائد على المشركين قاله عطاء عن ابن عباس اي لا يخاطب المشركون اما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم وقيل عائد على المؤمنين اي لا يملكون ان يخاطبوه في امر من الامور لعلمهم ان ما يفعله عدل منه وقيل عائد على اهل السموات والارض والضمير في منه عائد عليه تعالى والمعنى انهم لا يملكون من الله ان يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب وخطابا عام لانه في سياق النفي وقال الزمخشري اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون او ينقصون منه والعامل في يوم اما لا يملكون واما لا يتكلمون وقد تقدم الخلاف في الروح اهو جبريل ام ملك اكبر الملائكة خلقة او خلق على صورة بني آدم او خلق حفظة على الملائكة او ارواح بني آدم او القرآن وقيامه مجاز يعني به ظهور آثاره الكائنة عن تصديقه او تكذيبه والظاهر عود الضمير في لا يتكلمون على الروح والملائكة وقال ابن عباس عائد على الناس فلا يتكلم الا باذن منه تعالى ونطق بالصواب وقال عكرمة الصواب لا اله الا الله اي قالها في الدنيا وقال الزمخشري هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا لهم في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى فلا يشفعون الا لمن ارتضى انتهى ذلك اليوم الحق اي كيانه ووجوده فمن شاء وعيد وتهديد والخطاب في انذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم واندرج فيه من يأتي بعدهم عذابا هو عذاب الآخرة قريبا لتحقق وقوعه وكل آت قريب يوم ينظر المرء عام في المؤمن والكافر ما قدمت يداه من خير او شر لقيام الحجة له وعليه وقال الزمخشري وقاله قبله عطاء المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع المضمر لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وقال ابن عباس وقتادة والحسن المرء هنا المؤمن كانه ينظر الى ما يناله في قوله ويقول الكافر وقرأ الجمهور المرء بفتح الميم وابن ابي اسحاق بضمها وضعفها ابو حاتم ولا ينبغي ان تضعف لانها لغة يتبعون حركة الميم بحركة الهمزة فيقولون مرء ومرا ومري على حسب الاعراب وما منصوب بينظر ومعناه ينتظر ما قدمت يداه فما موصول ويجوز ان تكون ينظر من النظر وعلق عن الجملة فهو في موضع نصب على تقدير اسقاط الخافض وما استفهامية منصوبة بقدمت وتمنيه ذلك اي ترابا في الدنيا ولم يخلق او في ذلك اليوم وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص من بعضها لبعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى مثله وقيل الكافر هنا ابليس اذا راى ما حصل للمومنين من الثواب قال يا ليتني كنت ترابا كآدم الذي خلق من تراب واحتقره هو اولا وقيل كنت ترابا اي متواضعا لطاعة الله لا جبارا ولا متكبرا أغرق في الشيء بالغ فيه وانهاه واغرق النازع في القوس بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل والاستغراق الاستيعاب والغرق قشرة البيضة نشط البعير والانسان ربطه وانشطه حله ومنه كانما انشط من عقال ونشط ذهب من قطر الى قطر ولذلك قيل لبقر الوحش النواشط لانهن يذهبن بسرعة من مكان الى مكان ومنه قول الشاعر

ارى همومي تنشط المناشطا الشام بي طورا وطورا واسطا

وكان هذه اللفظة ماخوذة من النشاط وقال ابو زيد نشطت الحبل انشطه نشطا عقدته انشوطة وانشطته حللته وانتشطت الحبل مددته وقال الليث انشطته بانشوطة اي وثقته وانتشطت المقال مددته انشوطته فانحلت ونقال نشط بمعنى انشط والانشوطة عقدة ينسهل انحلالها اذا جذبت كعقدة التكة وجف القلب وجيبا اضطرب من شدة الفزع وكذلك وجب وجيبا وفي كتاب لغات القرآن المروي عن ابن عباس واجفة خائفة بلغة همدان الحافرة يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا وتوقفها العرب على اول امر يرجع اليه من آخره ومنه قول الشاعر

احافرة على اصلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

اي أرجع الى الصبا بعد الصلع والشيب **الناخرة** المصوبة بالريح المجوفة والنخرة بمعناها كطامع وطمع وحاذر وحذر قال الفراء وابو عبيد وابو حاتم وجماعة وقيل النخرة البالية المتفتتة المصابرة رميمًا نخر العود والعظم بلي وتفتت فمعناه مقابر الناخرة وهو قول الاكثرين وقال ابو عمرو والعلاء الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة التي قد بليت **وقال الزاجر لفرسه يوم ذي قار**

اقدم نجاح انها الاساورة • ولا يهولنك رجل نادره
فانما قصرك ترب الساهرة • ثم تعود بعدها في الحافرة
من بعد ما كنت عظامًا ناخرة •

وقال الشاعر

واخليتها من مخها فكانها قوارير في اجوافها الريح تنخر

ويروي تصفر ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضًا مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته **الساهرة** وجه الارض والفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر للخوف **وقال امية بن ابي الصلت** وفيها لحم ساهره وبحر وما فاهوا به ابدا مقيم

وقال ابو كبير الهذلي

يرتدن ساهرة كان جميمها وعميمها اسداف ليل مظلم والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف **وقال امية ابن ابي الصلت** قمر وساهور يسل ويغمد **وقال اخر في وصف امرأة** او شقة اخرجت من بطن ساهور يريد شقة القمر وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب تجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة **وقال الاشعث بن قيس** وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما **سمكها** الشي رفعته في الهوا وسمك هو سموكا ارتفع وقيل كل شي حمل شيا من البنا وغيره فهو سمك وبنا مسموك وسنام تامك سامك اي عال ويقال اسمك في الدرجة اي اصعد **غطش** اظلم وهو لازم غطش الليل ومتعد بالهمزة اي اغطشه الله **وقال الاعشى** عقرت لهم ناقتي موهنا فليلهم مدلهم غطش وغطش فهو ليل اغطش وليلة غطشا وفي كتاب اللغات في القران واغطش ليلها اظلم بلغة انمار واشعر **دحا** يدحو دحوا ودحي يدحي دحيا بسط ويقال لعش النعامة ادحي وادحو لانه مبسوط على وجه الارض **وقال امية ابن ابي الصلت** وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم قطانها حتى التنادي • وقيل دحاها سواها **قال زيد بن عمرو** واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا دحا فلما استوت شدها بايد وارسى عليها الجبالا **الطامة** الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري ويقال طم السيل الركية اذا دفنها والطم الدفن والعلو **سورة النازعات**

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى هذه السورة مكية ولما ذكر في اخر ما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة اقسم في هذه على البعث يوم القيمة ولما كانت الموصوفات المقسم بها محذوفات واقيمت صفاتها مقامها وكان لهذه الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها فقال عبد الله وابن عباس النازعات الملائكة تنزع نفوس بني ادم وغرقا اغراقا وهو المبالغة في الفعل وغرقا في جهنم يعني نفوس الكفار قاله علي وابن عباس وقال الحسن وقتادة وابو عبيدة وابن كيسان والاخفش هي النجوم تنزع من افق الى افق وقال السدي وجماعة النفوس تنزع بالموت الى ربها وغرقا اغراقا في الصدر وقال السدي ايضا النفوس تحن الى اوطانها وتنزع الى مذاهبها ولها نزع عند الموت وقال عطا وعكرمة القسي انفسها تنزع بالسهام وقال عطا ايضا الجماعات النازعات بالقسي وغيرها اغراقا وقال مجاهد المنايا تنزع النفوس وقيل النازعات الوحش تنزع الى الكلا حكاه يحيى بن سلام وقيل خيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب قاله في الكشاف والناشطات قال ابن عباس ومجاهد الملائكة تنشط النفوس عند الموت اي تحلها وتنشط

بامر الله الى حيث كان وقال ابن عباس ايضًا وقتادة والحسن والاخفش النجوم تنشط من افق الى افق تذهب وتسير بسرعة وقال مجاهد ايضا المنايا وقال عطا البقر الوحشية وما جرى مجراها من الحيوان الذي ينشط من قطر الى قطر وقال ابن عباس ايضا النفوس المومنة تنشط عند الموت للخروج وقيل التي تنشط الارهاق والسابحات قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف في الافاق بامر الله تجي وتذهب وقال قتادة والحسن النجوم تسبح في الفلك وقال ابو روق الشمس والقمر والليل والنهار وقال عطا وجماعة الخيل يقال للفرس سابح وقيل السحاب لانها كالعائمة في الهوا وقيل الحيتان دواب البحر فما دونها وذلك من عظم المخلوقات فيروي انه تعالى بث في الدنيا من الحيوان نوع منها اربعمائة في البر وستمائة في البحر وقال عطا ايضا السفن وقال مجاهد ايضا المنايا تسبح في نفوس الحيوان فالسابقات قال مجاهد الملائكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقال ابو روق وقال ابن مسعود انفس المومنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله وقال عطا الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الامال فالمدبرات قال ابن عطيه لا احفظ خلافا انها الملائكة ومعناها انها التي تدبر الامور التي سخرها الله لها وصرفها فيه كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات انتهى وقيل الملائكة الموكلون بالاحوال جبريل للوحي وميكائيل للمطر واسرافيل للنفخ في الصور وعزرائيل لقبض الارواح وقيل تدبيرها نزولها بالحلال والحرام وقيل معاذ هي الكواكب السبعة واضافة التدبير اليها مجاز اي يظهر تقلب الاحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك ولفق الزمخشري من هذه الاقوال اقوالا اختار اولا ان ما على ثلاثة الملائكة او الخيل او النجوم ورتب جميع الاوصاف على كل واحد من الثلاثة فقال اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي هي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها واقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها الى اخرها نقلناه عنه ثم قال من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط من اقصى المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الارهاق انتهى والذي يظهر ان ما عطف بالفاء هو من وصف المقسم به قبل الفاء وان المعطوف بالواو وهو مغاير لما قبله كما قررناه في والمرسلات على انه يحتمل ان يكون المعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والمختار في جواب القسم ان يكون محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفراء وقال محمد بن علي الترمذي الجواب ان في ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى فيما اقتصصت من ذكر يوم القيمة وذكر موسى وفرعون قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال وقيل اللام التي يلتقي بها القسم محذوفة من قوله يوم ترجف الراجفة اي ليوم كذا تتبعها الرادفة فالمقسم عليه هو تتبعها الرادفة ولم يدخل نون التوكيد لانه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وقول ابي حاتم هو على التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الانباري خطا لان الفا لا يفتتح بها الكلام وقيل التقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات على التقديم والتاخير ايضا وليس بشي وقيل الجواب هل اتاك حديث موسى لانه في تقدير قد اتاك وليس بشي وهذا كله اعراب من لم يحكم العربية وحذف الجواب هو الوجه وتقرب القول بحذف اللام من يوم ترجف قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد هما الصيحتان اي النفختان الاولى يميت كل شي وفي الثانية يحيي وقال مجاهد ايضا الراجفة الزلزلة والرادفة الصيحة وقال ابن زيد الارض والرادفة الساعة والعامل في يوم اذكر مضمرة او لتبعثن المحذوف واليوم متسع يقع فيه النفختان وهم مبعوثون في بعض ذلك اليوم المتسع وتتبعها حال قيل او مستانف واجفة مضطربة ووجيف القلب يكون من الفزع ويكون من الاشفاق ومنه **قول قيس بن الحطيم**

ان بني جحجبا واسرتهم اكبادنا من وراءهم تجف

قلوب مبتدا واجفة صفة يعمل في يومئذ ابصارها اي ابصار اصحاب القلوب خاشعة مبتدا وخبر في موضع خبر قلوب وقال ابن عطيه رفع قلوب بالابتدا وجاز ذلك وهي نكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ لا تتخصص الاجرام بظروف الزمان وانما تخصصت بقوله واجفة يقولون حكاية حال لهم في الدنيا والمعنى هم الذين يقولون والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعوله وقيل على النسب اي ذات حفر والمراد القبور اي لمردودون احياء في قبورنا وقال زيد بن اسلم الحافرة النار وقيل جمع حافرة بمعنى القدم اي احياء نمشي على اقدامنا ونطا بها الارض وقال ابن عباس الحافرة الحياة الثانية هي اول الامر وتقول

التجار النقد في الحافرة اي في ابتدا السوم **فقال الشاعر**

اليت لا انساكم فاعلموا حتى يرد الناس في الحافرة

وقرا ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة في الحفرة بغير الف والجمهور بالالف فقيل هما بمعنى واحد وقيل هي الارض المنتنة المتغيرة باجساد موتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا تاكلت وتغيرت **وقراء** عمرو وابي وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والاخوان وابو بكر ناخرة بالالف وابو رجاء والحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة والسلمي وابن جبير والنخعي وقتادة وابن وثاب وايوب واهل مكة وشبل وباقي السبعة بغير الف قالوا تلك اي الرده الي الحافرة اذا اي ان رددنا كرة خاسرة اي قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث اي لو كان هذا حقا لكانت ردتنا خاسرة اذ هي الي النار وقال الحسن خاسرة كاذبة اي ليست بكاينة وهذا القول منهم استهزا وروي ان بعض صناديد قريش قال ذلك فانما هي زجرة واحدة لما تقدم قولهم ابنا لمردودون تضمن قولهم استبعاد النشاة الثانية واستصعاف امرها لما قوله فانما اي لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة اي الارض قال ابن عباس الساهرة ارض من فضة يخلقها الله تعالى وقال وهب بن منبه جبل بالقدس يحشر الناس يوم القيامة وقال ابو العالية وسفيان ارض قريبة من بيت المقدس وقال ابن عباس ارض مكة وقال قتادة جهنم لانه لا نوم لمن فيها اي ان الصما يرقدها انما هي للكفار يفسرها بجهنم وقيل الارض السابعة يابى بها الله يحاسب عليها الخلايق ولما انكروا البعث وتمردوا واشتد ذلك علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه تعالى قصة موسى وتمرد فرعون علي الله حتى ادعى الربوبية وما ال اليه حال موسى من النجاه وحال فرعون الي الهلاك فكان ذلك مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشيرا بهلاك من يكذبه ونجاته هو من اذاهم فقال هل اتاك توقيفا له علي جمع النفس لما يلقيه اليه وتقدم الكلام في الوادي المقدس والخلاف في القرآة في طوى اذهب الي فرعون تفسير للنداء او علي اضمار القول فقل هل لك الي ان تزكى لطف في الاستدعا لان كل عاقل يحب مثل هذا السوال يتم وتزكى تتحلى بالفضايل وتتطهر من الرذايل والزكوة هنا يندرج فيها الاسلام وتوحيد الله تعالى **وقراء** الحرميان وابو عمرو بخلاف عنه تزكى وتصدى بشد الزاي والصاد وباقي السبعة بخفهما وتقول العرب هل لك كذا وهل لك الي كذا فيجدف القيد الذي تتعلق به الي اي هل لك رغبة او حاجة الي كذا او سبيل الي كذا

وقال الشاعر

فهل لكم فيها الي فانني بصير بما اعيى النطاسي حذيما

واهديك الي ربك فتخشى هذا تفسير للتزكية وهي الهداية الي توحيد الله ومعرفته فتخشى اي تخافه لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة انما يخشى الله من عباده العلما وذكر الخشية لانها ملاك الامر وفي الكلام حذف اي فذهب وقال له ما امره به ربه واتبع ذلك بالمعجزة الدالة علي صدقه فاراه الاية الكبرى وهي العصا واليد جعلهما واحدة لان اليد كانها من جملة العصا لكونها تابعة لها او العصا وحدها لانها كانت المتقدمة والاصل واليد تبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك فكذب اي موسى وما اتى به من المعجز وجعل ذلك من باب السحر وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة ما اتى به موسى وانما اوهم انه سحر ثم ادبر يسعى قيل ادبر حقيقة اي قام من مكانه فارا بنفسه وقال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان يسعى يجتهد في مكايدة موسى فحشر اي جمع السحرة وارباب دولته فنادى اي قام فيهم خطيبا او قنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه فقال انا ربكم الاعلى قال ابن عطية نهاية في المخرقة ونحوها باق في ملوك مصر واتباعهم انتهى انما قال ذلك ابن عطية لان ملك مصر كان اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون فيه الاهية ملوكهم وكان اول من ملكها منهم المعز بن المنصور القايم ابن المهدي عبيد الله واخرهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا فاخذه الله نكال الاخرة والاولى قال ابن عباس الاخرة قوله ما علمت لكم من اله غيري والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقيل العكس وكان بين قولتيه اربعون سنة وقال الحسن وابن زيد نكال الاخرة بالحرق والاولى يعني الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب اخره حياته واولاها وقال ابو رزين الاولى كفره وعصيانه والاخرة قوله انا ربكم الاعلى وقال مجاهد عبارة عن اول معاصيه واخرها اي نكل بالجميع وانتصب نكال علي المصدر والعامل فيه فاخذه لانه في معناه وعلي راي المبرد باضمار فعل من لفظه اي نكل نكال والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وقال الزمخشري هو مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى انتهى والمصدر الموكد لمضمون الجملة الثانية يقدر له عامل من معنى الجمل ان في ذلك اي فيما جرى لفرعون واخذه تلك الاخذة لعبرة لعظة لمن

يخشى اي لمن يخاف عقوبة الله يوم القيامة في الدنيا انتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسالونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الي ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها **الخطاب** الظاهر انه عام والمقصود الكفار منكرو البعث وقفهم علي قدرة الله تعالى اشد خلقا اي اصعب انشا ام السما فالمسول عن هذا يجيب ولا بد السما لما يرى من ديمومة بقايها وعدم تاثرها ثم بين تعالى كيفية خلقها فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسماية عام والسمك الارتفاع الذي بين سطح السما التي تلينا وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها فسواها اي جعلها ملسا مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض او تممها واتقن انشاها بحيث انها محكمة الصنعة واغطش اي اظلم ليلها واخرج ابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس واضيف الليل والضحى الي السما لان الليل ظلها والضحى هو نور سراجها والارض بعد ذلك اي بعد خلق السما وما فعل فيها دحاها اي بسطها لخلق الارض ثم السما ثم دحا الارض **وقرا** الجمهور والارض والجبال بنصبهما والحسن وابو حيوة وعمرو بن عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال برفعهما وعيسى برفع والارض واضيف الماء والمرعى الي الارض لانهما يظهران منها والجمهور متاعا بالنصب اي فعل ذلك تمتيعا لكم وابن ابي عبلة بالرفع اي ذلك متاع وقال الزمخشري **فان قلت** فهلا ادخل حرف العطف علي اخرج **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب وان كان القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاوكم حصرت صدورهم انتهى واضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين والاخفش ان الماضي يقع حالا ولا يحتاج الي اضمار قد وهو الصحيح ففي كلام العرب وقع كثيرا انتهى ومرعاها مفعل من الرعي فيكون مكانا وزمانا ومصدرا وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول كانه قيل ومرعيها اي النبات الذي يرعى وقدم الماء علي المرعى لانه سبب في وجود المرعى وشمل ومرعاها ما يتقوت به الادمي والحيوان غيره فهو في حق الادمي استعارة ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى علي عامة ما يرتفق به ويتمتع حتى الملح لانه من الماء فاذا جاءت الطامة قال ابن عباس والضحاك القيامة وقال ابن عباس ايضا والحسن النفخة الثانية وقال القشيري وقت سوق اهل الجنة اليها واهل النار اليها وهو معنى قول مجاهد يوم يتذكر الانسان ما سعى اي عمله الذي سعى فيه **وقراء** الجمهور وبرزت مبنيا للمفعول مشدد الراء لمن يرى بياء الغيبة اي لكل احد فيشكر المومن نعمة الله وقيل لمن يرى هو الكافر وعايشة وزيد بن علي وعكرمة ومالك ابن دينار مبنيا للفاعل مخففا وبتاء يجوز ان تكون خطابا للرسول اي لمن ترى من اهلها وان تكون اخبارا عن الجحيم قال تعالى اذا راتهم من مكان بعيد **وقراء** ابن نهيك وابو السمال وهرون عن ابي عمرو وبرزت مبنيا مخففا ويوم يتذكر بدل من فاذا وجواب اذا قال الزمخشري فان الامر كذلك وقيل عاينوا وعلموا ويحتمل ان يكون التقدير انقسم الراوون قسمين والاولى ان يكون الجواب فاما وما بعده كما تقول اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاهنه واما الطايع فاكرمه من طغى تجاوز الحد في عصيانه واثر الحياة الدنيا علي الاخرة وهي مبتدا او فصل والعايد علي من من الخبر محذوف علي راي البصريين اي الماوى له وحسن حذفه وقوع الماوى فاصلة واما الكوفيون فمذهبهم ان ال عوض من الضمير وقال الزمخشري والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخل حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان انتهى وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد علي المبتدا اذ قرر انه مذهب الكوفيين ولم يقدر ضمير محذوف كما قدره البصريون فرام حصول الرابط بلا رابط واما من خاف مقام ربه اي مقاما بين يدي ربه يوم القيامة للجزاء وفي اضافة المقام الي الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما قال ابن عباس خافه عند ما هم بالمعصية فانتهى عنها ونهى النفس عن الهوى عن شهوات النفس واكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود قال سهل لا يسلم من الهوى الا الانبيا وبعض الصديقين وقال

بعض الحكماء اذا اردت الصواب فانظر هواك فخالفه وقال ابو عمران المرتلي

يخالف هواها واعصها ان من يطع هوى نفسه تنزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع اي مصرع

وقال الفضيل افضل الاعمال خلاف الهوى وهذا التفصيل هو عام في اهل النار واهل الجنة وعن ابن عباس نزلت في ابي جهل ومصعب بن عمير العبدري وعنه ايضا فاما من طغى نزلت في اخ لمصعب بن عمير اسر فلم يشدوا وثاقه واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعبا فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه وسائر حال متقاربه لمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب قيل واسم اخيه عامر وفي الكشاف وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه انتهى يسالونك اي قريش وكانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة اذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك فنزلت هذه الآية ايان مرساها متى اقامتها اي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت من ذكراها قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى والمعنى في اي شي انت من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذلك في شي انما انت منذر الى ربك منتهاها اي انتهاء علم وقتها لم يوت علم ذلك احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا به في الخشية منها انتهى وهذا القول حكاه الزمخشري وزينه بكثرة الفاظه وهو تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المتبادر الى الفهم ولم يخل من دسيسة الاعتزال وقرا الجمهور منذر بالاضافة وقرا عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وشيبة وخالد الحذاء وابن هرمز وعيسى وطلحة وابن محيصن وابو عمرو في رواية وابن مقسم منذر بالتنوين وقال الزمخشري وقرى منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس انتهى ما قوله وهو الاصل يعني التنوين فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب وفيما كتبناه في هذا ان الاصل الاضافة لان العمل انما هو بالشبه والاضافة هي اصل في الاسماء واما قوله فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة فهذا فيه تفصيل وخلاف مذكور في علم النحو وخص من يخشاها لانه هو المنتفع بالانذار كانهم يوم يرونها تقريب وتقرير لقصر مقامهم في الدنيا لم يلبثوا اي لم يقيموا في الدنيا الا عشية يوم او بكرة واضاف الضحى الى عشية لكونهما طرفي النهار وبدا بذكر احدهما فاضاف الاخر اليه تجوزا واتساعا وحسن الاضافة كون الكلمة فاصلة تصدى تعرض قال الراعي

تصدى لوضاح كان جبينه سراج الدجى يحنى اليه الاساور

واصله تتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد داره اي قبالتها وقيل من الصدى وهو الصوت الذي يسمعه اذا تكلمت من بعد وخلاء كالجبل والمصاداة المعارضة السفرة الكتبة الواحد سافر وسفرت المراة كشفت النقاب وسفرت بين القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم قاله الفراء الواحد سفير والجمع سفراء وقال الشاعر

فما ادع السفارة بين قومي وما امشي بغش ان مشيت

القضب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وتقرا بالسين فاذا يبست فهي القت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسي الغلب جمع غلباء يقال حديقة غلباء ملتفة الشجر ملتفة واغلولب العشب بلغ والتف بعضه ببعض ورجل اغلب اي غليظ الرقبة والاصل في هذا الوصف استعماله في الرقاب ومنه قول عمرو بن معدي كرب ٥

يسمى

يسمى بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا

الاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال الشاعر

جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع

وقيل ما ياكله الادميون من النبات يسمى الحصيد وما اكله غيره يسمى الاب ومنه قول بعض الصحابة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيدة والابا

الصاخة قال الخليل صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها لشدة وقعتها وقيل ماخوذ من صخه بالحجر اذا صكه وقال الزمخشري اصاخ يحدثه مثل اصاخ له الغبرة الغبار القترة سواد كالدخان وقال ابو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة وقال الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

سورة عبس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ٥ هذه السورة مكية وسبب نزولها مجي ابن ام مكتوم اليه عليه السلام وقد ذكرها اهل الحديث واهل التفسير قصته ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انما انت منذر من يخشاها ذكر في هذه من ينفعه الانذار وهم الذين كان الرسول يناجيهم في امر الاسلام عتبة وربيعة وابو جهل وابي وامية ويدعوهم اليه ان جاءه مفعول من اجله اي لان جاءه ويتعلق بتولى على مختار البصريين في الاعمال وبعبس على مختار اهل الكوفة وقرا الجمهور عبس مخففا ان بهمزة واحدة وزيد بن علي بشد الباء وهو والحسن وابو عمران الجوني وعيسى بالهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققتين والهمزة في هاتين القراءتين للاستفهام وفيها يقف على تولى والمعنى الان جاءه كان كذا وجاء بضمير الغائب في عبس وتولى اجلالا له عليه السلام ولطفا به ان يخاطبه لما في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى وجاء لفظ الاعمى اشعارا بما يناسب من الرفق به والصغو لما يقصده ولابن عطية هنا كلام ولابي عبد الله الرازي كلام كثير رغبت عن ذكره يطالع في كتابيهما وكذا للزمخشري كلام اضربت عنه صفحا والضمير في لعله عائد على الاعمى اي يتطهر بما يتلقى من العلم او يذكر اي يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك والظاهر نصب يدريك على جملة الترجي فالمعنى لا تدري ما هو مترجى منه من تزكى او تذكر وقيل المعنى وما يطلعك على امره وعقبى حاله ثم ابتدا القول لعله يزكى اي تنمو بركته ويتطهر لله وقال الزمخشري وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان تزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن انتهى وهذا قول تنزه عنه حملة القران عليه وقرا الجمهور او يذكر بشد الذال والكاف واصله يتذكر فادغم والاعرج وعاصم في رواية او يذكر بسكون الذال وضم الكاف وقرا الجمهور فتنفعه برفع العين عطفا على او يذكر وعاصم في المشهور والاعرج وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني بنصبها قال ابن عطية في جواب التمني لان قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا انما هو ترج وفرق بين التمني لان قوله او يذكر في حكم قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا انما هو ترج وفرق بين التمني والترجي وقال الزمخشري بالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى انتهى والترجي عند البصريين لا جواب له فينصب باضمار ان بعد الفاء واما الكوفيون فيقولون ينصب في جواب الترجي وقد تقرر دلنا الكلام على ذلك في قوله فاطلع الى اله موسى في قراءة حفص ووجهنا مذهب البصريين في نصب المضارع اما من استغنى ظاهره من كان ذا ثروة وغنى وقال الكلبي عن الله وقيل عن الايمان بالله قبل وكونه

النبوة لا يليق بمنصب النبوة ويرد على ذلك انه لو كان من المروءة لكان المقابل وأما من جاءك
تصدى احقرا **وقراء** الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السبعة
تصدى بتخفيف الصاد وأصله تتصدى بتاءين فحذف والحرميان بتشديد الصاد أدغم التاء في الصاد وأبو جعفر
تُصدى بضم التاء وتخفيف الصاد أي يصديك حرصك على إسلامه يقال تصدى الرجل وصديته
وهذا المستغني هو الوليد أو العباس وأمية أو عتبة وشيبة أو أمية أو جميع المذكورين فيه خمسة
النزول أقوال خمسة قال القرطبي وهذا كله غلط من المفسرين لأن أمية والوليد كانا بمكة
وابن أم مكتوم بالمدينة ما حضر معهما وماتا كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد
قط أمية المدينة ولا حضر معه مفرد ولا مع آخر انتهى والغلط من القرطبي كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم
معهما وهو وهم كلهم من قريش وكان ابن أم مكتوم بها والسورة كلها مكية بالإجماع وكيف يقول وابن
أم مكتوم بالمدينة كان أولا بمكة ثم هاجر إلى المدينة وكان جميعهم بمكة حين نزول هذه السورة
وابن أم مكتوم هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وأم مكتوم
أم أبيه عاتكة وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وما عليك ألا يزكى تحقير لأمر الكافر وحض
على الإعراض عنه وترك الاهتمام به أي وأي شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر وأما من
جاءك يسعى أي يمشي بسرعة في أمر دينه وهو يخشى أي يخاف الله أو يخاف الكفار وأذاهم أو يخاف العثار
والسقوط لكونه أعمى وقد جاء بلا قائد يقوده تلهى تتشاغل يقال لهى عن الشيء يلهى إذا اشتغل
عنه قيل وليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو انتهى ويمكن أن يكون منه لأن ما يبنى على فعل
من ذوات الواو تنقلب واوه ياء لكسرة ما قبلها نحو شقي يشقى فإن كان مصدره جاء بالياء فيكون
من مادة غير مادة اللهو **وقراء** الجمهور تلهى والبزي عن ابن كثير عنه تلهى بإدغام تاء المضارعة
في تاء تفعل وأبو جعفر تُلهى مبنيا للمفعول أي يشغلك دعاء الكافر للإسلام وطلحة تتلهى
بتاءين وعنه بتاء واحدة وسكون اللام كلا إنها أي سورة القرآن والآيات تذكرة عظة ينتفع بها فمن شاء
ذكره أي فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره أتى بالضمير مذكرا لأن التذكرة هي الذكر وهي جملة معترضة
تتضمن الوعد والوعيد كقوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا واعترضت بين تذكرة وبين صفتها
أي تذكرة كائنة في صحف قيل اللوح المحفوظ وقيل صحف الأنبياء المنزلة وقيل صحف
المسلمين فيكون إخبارا بمغيب إذ لم يكتب القرآن في صحف زمان كونه عليه السلام بمكة ينزل
عليه القرآن مكرمة عند الله مرفوعة في السماء السابعة قاله يحيى بن سلام أو مرفوعة عن
الشبه والتناقض أو مرفوعة المقدار مطهرة أي منزهة عن كل دنس قاله الحسن وقال الحسن أيضا
مطهرة من أن تنزل على المشركين وقال الزمخشري منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي
ملائكة مطهرة سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح انتهى بأيدي سفرة قال ابن عباس هم الملائكة
لأنهم كتبة وقال أيضا لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه وقال قتادة هم القراء وواحد السفرة
سافر وقال وهب هم الصحابة لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والتعلم قتل الإنسان
ما أكفره قيل نزلت في عتبة بن أبي لهب غاضب أباه فأسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه
إلى الشام فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر برب النجم إذا هوى وروي أنه عليه السلام قال
اللهم ابعث عليه كلبك حتى يأكله فلما انتهى إلى الغاضرة ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار إن أصبح
حيا فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله فأقبل الأسد إلى الرجال ووثب فإذا هو فوقه فمزقه
فكان أبوه يندبه ويبكي عليه وقال ما قال محمد شيئا قط إلا كان والآية وإن نزلت في مخصوص فالإنسان
يراد به الكافر وقتل دعاء عليه والقتل أعظم شدائد الدنيا ما أكفره الظاهر أنه تعجب من إفراط
كفره والتعجب بالنسبة للمخلوقين مستحيل في حق الله تعالى أي هو ممن يقال فيه ما أكفره وقيل ما
استفهام توقيف أي أي شيء أكفره أي جعله كافرا بمعنى لا شيء يسوغ له أن يكفر من أي شيء خلقه استفهام
على معنى التقرير على حقارة ما خلق منه ثم بين ذلك الشيء الذي خلق منه فقال من نطفة خلقه
فقدره أي هيأه لما يصلح له وقال ابن عباس أي في بطن أمه وعنه قدر أعضاءه وحسنا وذميما
وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل من حال إلى حال نطفة ثم علقة إلى أن تم خلقه ثم السبيل
يسره أي ثم يسر السبيل أي سهل قال ابن عباس وقتادة وأبو صالح والسدي النظر القويم
المؤدي إلى الإيمان والتيسير له هو هبة العقل وقال مجاهد والحسن وعطاء وابن عباس في رواية

أبي صالح عنه السبيل عام في اسم الجنس في هدى وضلال أي سهل تهيئا للعبد لقوله إنا هديناه السبيل
الآية وقوله وهديناه النجدين وعن ابن عباس يسره للخروج من بطن أمه ثم أماته فأقبره أي جعل له
قبرا صيانة لجسده أن تأكله الطير والسباع قبره دفنه وأقبره صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا
والقابر الدافن بيده **وقال الأعشى**

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر

ثم إذا شاء أنشره أي إذا أراد إنشاره أنشره والمعنى إذا بلغ الوقت الذي قد شاءه الله وهو يوم
القيامة وفي كتاب اللوامح شعيب بن الحبحاب شاء نشره بغير همز قبل النون وهما لغتان في الإحياء
وفي كتاب ابن عطية **وقراء** شعيب بن أبي حمزة شاء نشره كلا ردع للإنسان عما هو فيه
من الكفر والطغيان لما يقض لم يقض من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره ما أمره به الله تعالى فالضمير في
يقض للإنسان وقال ابن فورك لله تعالى أي لم يقض لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان بل أمره بما لم
يقض له ولما عدد تعالى نعمه في نفس الإنسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وأمره بالنظر إلى طعامه
وكيفيات الأحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يطعم والظاهر أن الطعام هو المطعوم
وكيف يسره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة من صب الماء وشق الأرض والإنبات وهذا قول الجمهور
وقال أبي وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم إلى طعامه الذي إذا صار رجيعا تأمل عاقبة الدنيا
على أي شيء يتفانى أهلها **وقراء** الجمهور إنا بكسر الهمزة والأعرج وابن وثاب والأعمش والكوفيون
ورويس أنا بفتح الهمزة والحسين بن علي رضي الله عنهما أنى بفتح الهمزة ممالا فالكسر على الاستئناف
في ذكر تعداد الوصول إلى الطعام والفتح قالوا على البدل ورده قوم لأن الثاني ليس الأول قيل وليس
كما ردوا لأن المعنى فلينظر الإنسان إلى إنعامنا في طعامه فترتب البدل وصح انتهى وكأنهم جعلوه بدل
كل من كل والذي يظهر أنه من بدل الاشتمال وقراءة أنى بمعنى كيف فلينظر الإنسان كيف صببنا
وأسند تعالى الصب والشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب وصب الماء هو المطر والظاهر
أن الشق كناية عن شق الفلاح بما جرت العادة أن يشق به وقيل شق الأرض هو بالنبات حبا
يشمل ما يسمى حبا من حنطة وشعير وذرة وسلت وعدس وغير ذلك وقضبا قال الحسن القت
وأهل مكة يسمون القت القضب وقيل الفصفصة وضعف لأنه داخل في الأب وقيل كل ما
يقضب ليأكله ابن آدم غضا من النبات كالبقول والهليون وقال ابن عباس هو الرطب لأنه يقضب
من النخل ولأنه ذكر العنب قبله غلبا قال ابن عباس غلاظا وعنه طوالا وعن قتادة وابن زيد كراما
وفاكهة ما يأكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين وأبا ما تأكله البهائم من العشب وقال الضحاك
التين خاصة وقال الكلبي كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطبها والأب يابسها الصاخة
اسم من أسماء القيامة يصم نبأها الآذان وتقول العرب صختهم الصاخة وباتتهم النائبة أي
الداهية وقال الحافظ أبو بكر ابن العربي الصاخة هي التي تورث الصمم وإنها لمسمعة وهذا من
بديع الفصاحة **كقوله**

أصمهم سرهم أيام فرقتهم ... فهل سمعتم بسر يورث الصمما

وقول الآخر

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا

ولعمر الله إن صيحة القيامة لمسمعة
تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة انتهى يوم يفر بدل من إذا وجواب إذا محذوف تقديره
اشتغل كل إنسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وفراره من شدة
الهول يوم القيامة كما جاء من قول الرسل نفسي نفسي وقيل حذرا من التبعات لأن الملابسة
تقتضي المطالبة يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت
وصنعت والبنون لم تعلمنا وترشدنا **وقراء** الجمهور يغنيه أي عن النظر في شأن الآخر من الإغناء
والزهري وابن محيصن وابن أبي عبلة وحميد وابن السميفع يعنيه بفتح الياء والعين المهملة
من قولهم عناني الأمر قصدني مسفرة مضيئة من أسفر الصبح أضاء ترهقها تغشاها قترة
أي غبار والأولى ما يغشاه من العبوس عند الهم والثانية من غبار الأرض وقيل غبرة أي من تراب
الأرض وقترة سواد كالدخان وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت إلى الأرض والقترة ما ارتفع
إلى السماء **وقراء** الجمهور قترة بفتح التاء وابن أبي عبلة بإسكانها **انكدرت** النجوم انتثرت
وقال أبو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب إذا انكدرت **قال العجاج يصف صقرا**

أبصر خربان فلاة فانكدر ... تقضي البازي إذا البازي كسر

العشار جمع عشراء وهي الناقة التي مر لحملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة التعطيل التفريغ والاهمال الوحش حيوان البر الذي ليس في طبعه التانس ببني ادم الموودة البنت التي تدفن حية واصله من الثقل كانها تثقل بالتراب حتى تموت ومنه يتوادى تو تو فر واثقل ولا تخف الكشط التقشير كشطت جلد الشاة سلخته عنها الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاختفاء تقول خنس بين القوم وانخنس الكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو المكان الذي تاوي اليه الظباء والخنس باخر الانف عن الشفة مع ارتفاع قليل من الارنبة عسعس قال الفراء عسعس الليل وسعسع الليل اقبل وادبر وقال المبرد هو من الاضداد وقال علقمة بن قرط

حتى اذا الصبح لها تنفس • وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال رؤبة

يا هند ما اسرع ما تسعسعا • من بعد ما كان فتى ترعرعا

التنفس خروج النسيم من الجوف واستعير للصبح ومعناه امتداده حتى يصير نهارا واضحا الظنين المتهم فعيل بمعنى مفعول ظننت الرجل اتهمته والظنين البخيل قال الشاعر

اجود بمكنون الحديث وانني • بسرك عمن سالني لضنين

سورة التكوير مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموودة سئلت باي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السما كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور تكوير الشمس قال ابن عباس ادخالها في العرش وقال مجاهد وقتادة والحسن ذهاب ضوءها وقال الربيع بن خثيم رمى بها ومنه كورته فتكور وقال ابو صالح نكست وعن ابن عباس ايضا اظلمت وعن مجاهد اضمحلت وقيل عورت وقيل يلف بعضها ببعض ويرمى بها في البحر وقال ابو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة وقال القرطبي من كار العمامة على راسه يكورها اي لاثها وجمعها فهي تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها وقال الزمخشري فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر تفسيره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انتهى ومن طريقته انه يسمي المفعول الذي لم يسم فاعله فاعلا ولا مشاحة في الاصطلاح وليس ما ذكره من الاعراب مجمعا على حتمه عند النحاة بل يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الاخفش والكوفيين لانهم يجيزون ان تجي الجملة الاسمية بعد اذا نحو اذا زيد مكرمك فاكرمه انكدرت عن ابن عباس تساقطت وعنه ايضا تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها من قولهم ماء اكدر اي متغير وتسيير الجبال اي عن وجه الارض او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب وهذا تشبيها وذلك في اول هول يوم القيامة والعشار انفس ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها مسيبة مهملة او عن الحلب لاشتغالهم بانفسهم او عن ان يحمل عليها الفحول واطلق عليها عشار باعتبار ما سبق لها ذلك قال القرطبي وهذا على وجه المثل لانه في القيامة لا يكون عشرا والمعنى انه لو كان عشر لعطلها اهلها واشتغلوا بانفسهم وقيل اذا قاموا من القبور وشاهدوا الوحوش والدواب محشورة وعشارهم فيها التي كانت كرايم اموالهم لم يعبوا لشغلهم بانفسهم وقيل العشار السحاب وتعطيلها من الما فلا تمطر والعرب تسمي السحاب بالحامل وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل العشار الارض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع وقرا الجمهور عطلت بتشديد الطاء ومضر عن اليزيدي بتخفيفها وكذا في كتاب ابن خالويه وفي كتاب اللوامح عن ابن كثير قال في اللوامح فقيل هو وهم انما هو عطلت

بفتحتين

بفتحتين بمعنى تعطلت لان التشديد فيه التعدي تقا[ل] منه عطلت الشي واعطلته فعطل بنفسه وعطلت المراة فهي عاطل اذا لم يكن عليها الحلي فلعل هذه القراءة عن ابن كثير لغة استوى فيها فعلت وافعلت والله اعلم وقال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش • اذا هي نصته ولا بمعطل

حشرت اي جمعت من كل ناحية فقال ابن عباس جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر في القيامة غير الثقلين وعنه وعن قتادة وجماعة يحشر كل شي حتى الذباب وعنه تحشر الوحوش حتى يقتص لبعضها من بعض ثم يقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وقيل اذا قضي بينهما ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقال ابي في الدنيا في اول الهول تفر في الارض وتجتمع الى بني ادم تانسا بهم وقرا الجمهور حشرت بخف الشين والحسن وعمرو بن ميمون بشدها واذا البحار سجرت تقدم اقوال العلماء في سجر البحر في قوله في الطور والبحر المسجور وفي كتاب لغات القران سجرت جمعت بلغة خثعم وقال هنا ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا يخرج على الارض من الهول فتكون اللفظة ماخوذة من ساجور الكلب وقرا ابن كثير وابو عمرو بخف الجيم وباقي السبعة بشدها قال ابن عطية وذهب قوم الى ان هذه الاشيا المذكورة استعارة في كل ابن ادم واحوال له عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه وهذا قول ذاهب الى اثبات الرموز في كتاب الله تعالى انتهى وهذا مذهب الباطنية ومذهب من ينتمي الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد اشرنا اليهم في خطبة هذا الكتاب وانما هولاء زنادقة تستروا بالانتماء الى ملة الاسلام وكتاب الله جا بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا ايماء لشي مما تنتحله الفلاسفة ولا اهل الطبايع ولقد ضمن تفسيره ابو عبد الله الرازي المعروف بابن خطيب الري اشياء مما قاله الحكماء عنده واصحاب النجوم واصحاب الهيئة وذكر ذلك بمعزل عن تفسير كتاب الله تعالى وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في اخر ما يفسر من الايات من كلام من ينتمي الى الصوف وبسببها الغرائب وفيها ما لا يحل كتابته فضلا عن ان يعتقد نسال الله السلامة في ادياننا وعقايدنا وما به قوام ديننا ودنيانا واذا النفوس زوجت اي المومن مع المومن والكافر مع الكافر لقوله وكنتم ازواجا ثلاثة قاله عمر وابن عباس او نفوس المومنين بازواجهم من الحور وغيرهن قاله مقاتل بن سليمان او الازواج الاجساد قاله عكرمة والضحاك والشعبي وقرا عاصم في رواية زووجت على فوعلت والمفاعلة تكون بين اثنين والجمهور بواو مشددة وقال الزمخشري واد يئد مقلوب من اد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يوده حفظهما لانها تثقل بالتراب انتهى ولا يدعى في وأد انه مقلوب من أد لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شي من مسوغات ادعاء القلب والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة والاخر ليس كذلك او كونه مجردا من حروف الزيادة والاخر فيه مزيد او كونه اكثر تصرفا والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرروا حكم علم التصرف والاول كيئس وايس والثاني طامن واطمان والثالث كشواع وشوايع والرابع كالعمري ورعملي وقرا الجمهور الموودة بهمزة بين الواوين اسم مفعول وقرا البزي في رواية الموودة بهمزة مضمومة على الواو فاحتمل ان يكون الاصل الموودة كقراءة الجمهور ثم نقل حركة الهمزة الى الواو بعد حذف الهمزة ثم همز الواو المنقول اليها الحركة واحتمل ان يكون اسم مفعول من اد فالاصل ماوودة فحذف احد الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف واو المد او الواو التي هي عين نحو مقول حيث قالوا مقول وقرئ الموودة بضم الواو الاولى ونسبيل الهمزة اعني التسهيل بالحذف ونقل حركتها الى الواو وقرا الاعمش الموده بسكون الواو على وزن الفعلة وكذا وقف لحمزة ابن مجاهد وعلة ذلك

وقرئ سيلت مبنيا للمفعول باي ذنب قتلت لذلك وخف اليا وبنا التانيث فيهما وهذا السوال هو لتوبيخ الفاعلين للواد لان سوالها يؤول الى سوال الفاعلين وجا قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سيلت لقيل قتلت

الحسن

والاعرج سئلت بكسر الشين وذلك على لغة من قال سال بغير همز وقرأ ابو جعفر بشد الياء لان
الموؤدة اسم جنس فناسبه التكثير باعتبار الاشخاص وقرأ ابي وابن مسعود وعلي وابن عباس وجابر
ابن زيد وابو الضحى ومجاهد سألت مبنيا للفاعل قتلت بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها
حين سالت وعن ابي وابن مسعود ايضا والربيع بن خثيم وابن يعمر سألت مبنيا للفاعل بأي ذنب
قتلت مبنيا للمفعول بتاء التانيث فيهما اخبارا عنها ولو حكى كلامها لكان قتلت بضم التاء وكان
العرب اذا ولد لاحدهم بنت واستحياها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم واذا
اراد قتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى
احمائها وقد حفر حفرة او بئرا في الصحراء فيذهب بها اليها ويقول لها انظري فيها ثم يدفعها من
خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة
فتمخضت على راسها فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة واذا ولدت ابنا حبسته وقد افتخر
الفرزدق وهو ابو فراس همام بن غالب بن صعصعة اذ كان منع واد البنات فقال
ومنا الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد ولم يوأد وفي الكامل لابي العباس المبرد

والصحف منشورة صحف الاعمال كانت مطوية على الاعمال فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل انسان
كتابه وقيل الصحف التي تتطاير بالايمان والشمائل بالجزاء وهي صحيف غير صحف الاعمال وقرأ
ابو رجاء وقتادة والحسن والاعرج وشيبة وابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم نشرت بخف
الشين وباقي السبعة بشدها وكشط السماء طيها كطي السجل وقيل ازيلت كما يكشط الجلد عن
الذبيحة وقرأ عبد الله قشطت بالقاف وهما كثيرا ما يتعاقبان كقولهم عربي قح وكح وتقدمت
قراءة قافورا اي كافورا وقرأ نافع وابن عامر وحفص سعرت بشد العين وباقي السبعة
بخفها وهي قراءة علي قال قتادة سعرها غضب الله تعالى وذنوب بني ادم وجواب اذا وما عطف
عليه علمت نفس ما احضرت ونفس نكرة لتفهم في الاثبات من حيث المعنى ما احضرت من خير تدخل
به الجنة او من شر تدخل به النار وقال ابن عطية ووقع الافراد لينبه الذهن على حقارة المرء الواحد
وقلة دفاعه عن نفسه انتهى وقرئت هذه السورة عند عبد الله فلما بلغ القاري علمت نفس ما
احضرت قال عبد الله واانقطاع ظهراه بالخنس قال الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد
والمريخ والزهرة والمشتري وقال علي الخمسة دون الشمس والقمر تجري الخمسة مع الشمس والقمر
وترجع حتى تخفى مع ضوء الشمس قال الزمخشري تخنسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء
الشمس قاله الزمخشري وقال ابن عطية تخنس في جريها التي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار في
السماء وهي تكنس في ابراجها اي تستتر وقال علي ايضا والحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس هو
تخنس بالنهار حين تختفي وقال الزمخشري هي تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس
بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها انتهى وقال عبد الله والنخعي وجابر بن زيد وجماعة
المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال في كناسها وقال ابن عباس وابن
جبير والضحاك هي الظباء والخنس من صفتها لا انوف لانها يلزمها الخنس وكذا بقر الوحش
عسعس [illegible] وقال الحسن اقبل ظلامه ويرجحه مقابلته بقوله والصبح اذا تنفس تنفسها
حالتان وقال المبرد اقسم باقباله وادباره وتنفسه كونه يجي معه روح ونسيم فكان نفس له
على المجاز انه اي القرآن لقول رسول كريم الجمهور على انه جبريل عليه
السلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها واثبات صفات المدح اللا
يقة ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين مكانته اللائقة من شرف المنزلة وعظيم المكانة
وقيل عند ذي العرش متعلق بمكين مطاع ثم اشارة الى عند ذي العرش اي انه مطاع في
ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره وقرأ ابو جعفر وابو حيوة وابو البرهسم وابن مقسم
ثم بضم الثاء حرف عطف والجمهور ثم بفتحها ظرف مكان للبعيد وقال الزمخشري وقرئ ثم
تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة انتهى وقال صاحب اللوامح بمعنى مطاع
وامين اما صار ثم معني لوا وللعداد مواضعها للمهلة والتراخي عطفا وذلك لان جبريل عليه

السلام

السلام كان بالصفتين في حالة واحدة فلو ذهب ذاهب الى الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى
مطاع في الملاء الاعلى ثم امين عند انفصاله عنهم حال وحيه على الانبياء لجاز اذ الورود به اثر انتهى
امين مقبول القول يصدق فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من وحي وامتثال امر وما صاحبكم
بمجنون هذا نفي عنه ما كانوا ينسبون اليه ويبهتونه به من الجنون ولقد راه اي راى الرسول جبريل
وهذه الرؤية بعد امر غار حراء حين راه على كرسي بين السماء والارض في صورته له ستمائة
جناح وقيل الرؤية التي راه فيها عند سدرة المنتهى وسمي ذلك الموضع افقا مجازا وقد كانت له
عليه السلام رؤية ثانية بالمدينة وليست هذه ووصف الافق بالمبين لانه روي انه كان في الشرق
من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وسفيان والضحاك فكل افق فهو في غاية البيان وقيل في افق السماء
الغربي حكاه ابن شجرة وقال مجاهد هو نحو اجياد وهو مشرق مكة وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد
ابن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب
ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير بظنين بالظاء بمتهم وهذا نظير الوصف السابق
بامين وقيل معناه بضعيف القوة على التبليغ من قولهم بئر ظنون اذا كانت قليلة الماء وكذا
هو بالظاء في مصحف عبد الله وقرأ عثمان وابن عباس ايضا والحسن وابو رجاء والاعرج وابو جعفر
وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة بالضاد بمعنى ببخيل يشح به ولا يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل
الكاهن حتى يعطى حلوانه قال الطبري وبالضاد خطوط المصاحف كلها وما هو بقول شيطان رجيم
اي الذي يتراءى له انما هو ملك لا مثل الذي يتراءى للكهان فاين تذهبون استضلال لهم حيث هم
ينسبونه مرة الى الجنون ومرة الى الكهانة ومرة الى غير ذلك مما هو بريء منه قال الزمخشري كما يقال
لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق
وعدولهم عنه الى الباطل انتهى ان هو الا ذكر وعظة لمن شاء بدل من العالمين ثم علق مشيئة العبد
بمشيئة الله قال ابن عطية ثم خصص تعالى من شاء الاستقامة بالذكر تشريفا وتنبيها وذكرا
لتكسبهم افعال الاستقامة ثم بين تعالى ان تكسب على العموم في استقامة وغيرها انما يكون
مع خلق الله تعالى واختراعه الايمان في صدر المرء انتهى وقال الزمخشري وانما ابدلوا منهم لان الذين
شاءوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا
موعوظين جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤونها
انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه انتهى ففسر كل من ابن عطية والزمخشري المشيئة
على مذهبه وقال الحسن ما شاءت العرب الاسلام حتى شاءه الله لها انتهى بعثرت المتاع قلبته
ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته هدمته وجعلت اعلاه اسفله

سورة الانفطار مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار
فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها
يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله هذه السورة مكية وانفطارها تقدم فيه
وانتثار الكواكب سقوطها من مواضعها كالنظام وقرأ الجمهور فجرت بتشديد الجيم
ومجاهد والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري بخفها وتفجيرها من امتلائها فتفجر من
اعلاها وتفيض على ما يليها او من اسفلها فيذهب الله ماءها حيث اراد وعن مجاهد فجرت مبنيا
للفاعل مخففا بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور
متقابلان بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدي اثيرت لبعث الاموات وقال الفراء
اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وقال الزمخشري بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث
والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت
اسرار المنافقين انتهى فظاهر قوله انهما مركبان ان مادتهما ما ذكر وان الراء ضمت الى هذه

المادة والامر لبيني كما يقتضيه كلامه لان الراء ليست من حروف الزيادة بل هما مادتان مختلفتان
وان اتفقتا من حيث المعنى اما ان احداهما مركبة من كذا فلا ونظيره قولهم دمث ودمثر وسبط
وسبطر وقد مضت واخرت تقدم الكلام على شبهه في سورة القيامة **وقرأ** الجمهور ما غرك فما
استفهامية **وقرأ** ابن جبير والاعمش ما اغرك بهمزة فاحتمل ان يكون تعجبا واحتمل ان يكون
ما استفهامية واغرك بمعنى ادخلك في الغرة وقال الزمخشري من قولك غر الرجل فهو غار اذا
غفل عن قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا انتهى وروي انه عليه السلام
قرأ ما غرك بربك الكريم فقال جهله وقاله عمر وقرأ انه كان ظلوما جهولا وهذا يترتب في
الكافر والعاصي وقال قتادة عدوه المسلط عليه وقيل ستر الله عليه وقيل كرم الله ولطفه الكريم
يلقن هذا الجواب فهذا لطف بالعاصي المؤمن وقيل عفوه عنه ان لم يعاقبه اول مرة وقال
الفضيل ستره المرخى **وقال ابن السماك**

يا كاتم الذنب اما تستحي ... والله في الخلوة رائيكما
غرك من ربك امهاله ... وستره طول مساويكما

وقال الزمخشري في جواب الفضيل وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار
كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته
ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم انتهى على عادته في الطعن على اهل السنة فسواك
جعلك سويا في اعضائك فعدلك صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت **وقرأ** الحسن
وعمرو بن عبيد وطلحة والاعمش وعيسى وابو جعفر والكوفيون بخف الدال وباقي السبعة بشدها
وقراءة التخفيف اما ان تكون كقراءة التشديد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت واما
ان يكون معناه فصرفك يقال عدله عن الطريق اي عدلك عن خلقة غيرك الى خلقة حسنة مفارقة
لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات والظاهر ان قوله في اي صورة يتعلق بركبك
اي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الاقارب او مقابل
ذلك وما زائدة وشاء في موضع الصفة لصورة ولم يعطف ركبك بالفاء كالذي قبله لانه بيان لعدلك
وكون في اي صورة متعلقا بركبك هو قول الجمهور وقيل يتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في
بعض الصور وقال بعض المتأولين انه يتعلق بقوله فعدلك اي فعدلك في صورة اي صورة
واي تقتضي التعجب والتعظيم فلم يجعلك في صورة خنزير او حمار وعلى هذا تكون ما منصوبة
بشاء كأنه قال اي تركيب حسن شاء ركبك والتركيب التأليف وجمع شيء الى شيء وادغم خارجة
عن نافع ركبك والتركيب التأليف وجمع شيء الى شيء كلا كالي عمرو في ادغامه الكبير وكلا ردع وزجر
لما دل عليه ما قبله من اغترارهم بالله او لما دل عليه ما بعد كلا من تكذيبهم بيوم الجزاء والدين الجزاء
او شريعة الاسلام **وقرأ** الجمهور بل تكذبون بالتاء خطابا للكفار والحسن وابو جعفر وشيبة
وابو بشر بياء الغيبة وان عليكم لحافظين استئناف اخبار اي عليكم من يحفظ اعمالكم ويضبطها
ويظهر انها جملة حالية والواو واو الحال اي تكذبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة
يضبطون اعمالكم لان تجازوا عليها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء **وقرأ**
الجمهور يصلونها مضارع صلي مخففا وابن مقسم مشددا مبنيا للمفعول يعلمون ما تفعلون
فيكتبون ما تعلق به الجزاء قال الحسن يعلمون ما ظهر دون حديث النفس وقال سفيان اذا هم
العبد بالسيئة وجد الكاتبان ريحها وقال الحسين بن الفضل حيث قال يعلمون ولم يقل
يكتبون دل على انه لا يكتب الجميع فيخرج عنه السهو والخطأ وما لا تبعة فيه وما هم عنها بغائبين
اي عن الجحيم اي لا يمكنهم الغيبة كقوله وما هم بخارجين من النار وقيل انهم مشاهدوها في
البرزخ لما اخبر عن صليهم يوم القيامة اخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصلي اي
يرون مقاعدهم من النار وما ادراك تعظيم لهول ذلك اليوم **وقرأ** ابن ابي اسحق وعيسى
وابن جندب وابن كثير وابو عمرو يوم لا تملك برفع الميم اي هو يوم واجاز الزمخشري فيه
ان يكون بدلا مما قبله **وقرأ** محبوب عن ابي عمرو يوم لا تملك على التنكير منونا مرفوعا
فكه عن الاضافة وارتفاعه على هو يوم ولا تملك جملة في موضع الصفة والعائد محذوف
اي لا تملك فيه **وقرأ** زيد بن علي والحسن وابو جعفر وشيبة والاعرج وباقي السبعة يوم

بالفتح

بالفتح على الظرف فعند البصريين هي حركة اعراب وعند الكوفيين يجوز ان تكون حركة بناء وهو على التقدير
في موضع رفع خبر المحذوف تقديره الجزاء يوم لا تملك او في موضع نصب على الظرف يدينون
يوم لا تملك او على انه مفعول به اي اذكر يوم لا تملك ويجوز على رأي من يجيز بناءه ان يكون
في موضع رفع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا عام كقوله
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وقال مقاتل لنفس كافرة شيئا من المنفعة
والامر يومئذ لله قال قتادة وكذلك هو اليوم لكنه هناك لا يدعي احد منازعة ولا يمكن
هو احدا ما كان يملكه في الدنيا **التطفيف** النقصان واصله من الطفيف وهو النزر والمطفف
الآخذ في وزن او كيل طفيفا اي شيئا خفيا حقيرا **الرين** غطاء وغشي كالصدأ يغشي السيف

قال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر ... فتاب من الذنب الذي ران فانجلى
واصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها وران الغشي على عقل المريض

قال ابو زبيد

ثم لما رآه رانت به الخمر وان لا يرينه باتقاء

وقال ابو زيد يقال رين بالرجل يران رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج **الرحيق** قال الخليل
اجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الشراب الذي لا غش فيه **وقال حسان**

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

تنافس في الشيء رغب فيه ونفست عليه بالشيء انفس نفاسة اذا بخلت به
عليه ولم تحب ان يصير اليه **التسنيم** اصله الارتفاع ومنه تسنيم القبر وسنام البعير وتسنمته
علوت سنامه **الغمز** الاشارة بالعين والحاجب

سورة المطففين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ
للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال
اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون هذه السورة مكية في قول ابن مسعود
والضحاك ومقاتل مدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل ايضا وقال ابن عباس وقتادة مدنية
الا من ان الذين اجرموا الى آخرها فهو مكي ثمان آيات وقال السدي كان بالمدينة رجل يكنى
ابا جهينة له مكيالان يأخذ بالاوفى ويعطي بالانقص فنزلت وقيل انها اول سورة نزلت بالمدينة
وقال ابن عباس نزلت بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة لانهم كانوا اشد الناس فسادا
في هذا المعنى فاصلحهم الله بهذه السورة وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى امرهم
قبل ورود رسوله عليه السلام والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر السعداء والاشقياء
ويوم الجزاء وعظم شأن يومه ذكر ما اعد لبعض العصاة وذكرهم باخس ما يقع من المعصية وهي
التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته اذا اكتالوا على الناس قبضوا لهم
واذا كالوهم او وزنوهم اقبضوهم قال الفراء من وعلى يعتقبان هنا اكتلت على الناس واكتلت
من الناس فاذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك واذا قال اكتلت عليك فكأنه قال
اخذت ما عليك والظاهر ان على متعلق باكتالوا كما قدرناه وقال الزمخشري لما كان اكتيالهم من الناس
اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها انتهى وكال ووزن مما يتعدى بحرف
الجر فتقول كلت لك ووزنت لك ويجوز حذف اللام كقولك نصحت لك ونصحتك وشكرت لك وشكرتك
والضمير ضمير نصب اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف
وهو المكيل والموزون وعن عيسى وحمزة المكيل له والموزون له محذوف وهم ضمير مرفوع تأكيد للضمير

المرفوع الذي هو الواو وقال الزمخشري ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام
يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان
جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او
الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر انتهى
ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين ان يؤكد الضمير وان لا يؤكد والحديث واقع في الفعل غاية ما في
هذا ان متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف للعلم
به لانه معلوم انهم لا يخسرون الكيل والميزان اذا كان لانفسهم انما يخسرون ذلك لغيرهم
وقال الزمخشري **فان قلت** هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففين كانوا
لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة
لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا
يخسرون ينقصون انتهى ويخسرون معدى بالهمزة يقال خسر الرجل واخسره غيره الا يظن
توقيف على امر القيامة وانكار عليهم في فعلهم ذلك اي ليوم عظيم وهو يوم القيامة ويوم
ظرف العامل فيه مقدر اي يبعثون يوم يقوم الناس ويجوز ان يعمل فيه مبعوثون ويكون
ليوم اي لحساب يوم وقال الفراء هو بدل من يوم عظيم لكنه بني **وقرئ** يوم يقوم بالجر وهو
بدل من ليوم حكاه ابو معاذ **وقراء** زيد بن علي يوم بالرفع اي ذلك يوم [illegible] بمعنى يوقفون
او هو على وضعه من الترجيح وفي هذا الانكار والتعجيب ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس لله
خاضعين ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف كلا
ردع لما كانوا عليه من التطفيف وهذا القيام تختلف الناس فيه بحسب احوالهم وفي هذا القيام
الجام العرق للناس واحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث والفجار الكفار وكتابهم هو الذي
فيه تحصيل اعمالهم وسجين قال الجمهور فعيل من السجن كسكير اي في موضع ساجن فجاء بناء مبالغة
فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف **وقال ابن مقبل**

ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الابطال سجينا

وقال الزمخشري **فان قلت** ما سجين اصفة هو ام اسم **قلت** بل هو اسم
علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف انتهى وكان قد
قدم انه كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان انتهى واختلفوا في سجين اذا كان [illegible]
مضطرب يا حذفنا ذكره والظاهر ان سجينا هو كتاب ولذلك ابدل منه كتاب مرقوم
سجين عبارة عن الخسار والهوان كما تقول بلغ فلان الحضيض اذا صار في غاية الخمول وقال
بعض اللغويين سجين نونه بدل من لام وهو من السجيل فتلخص من اقوالهم ان سجين نونه
اصلية او بدل من لام واذا كانت اصلية فاشتقاقه من السجن وقيل هو مكان فيكون كتاب
مرقوم خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وعني بالضمير عوده على كتاب الفجار وعلى سجين
على حذف اي هو محل كتاب مرقوم او كتاب جامع لديوان الشر فيه اعمال الشقيين
وكتاب مرقوم تفسير له على جهة البدل او خبر مبتدا والضمير المقدر الذي هو عائد على سجين
او كناية عن الخسار والهوان وهل هو صفة او علم وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما
كنت تعلم مرقوم اي مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى قال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا
ينقص منهم احد وقال ابن عباس والضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة
ومنه **قول الشاعر**

سارقم في الماء القراح اليكم على بعدكم ان كان للماء راقم

وتبين من الاعراب السابق ان كتاب مرقوم بدلا وخبر مبتدا محذوف وكان ابن عطية قد قال
ان سجينا موضع ساجن على قول الجمهور وعبارة عن الخسار على قول عكرمة ثم قال كتاب
مرقوم من قال بالقول الاول في سجين فكتاب مرتفع عنده على خبر ان والظرف الذي هو لفي
سجين ملغى ومن قال في سجين بالقول الثاني فكتاب مرفوع على خبر ابتداء مضمر التقدير هو

كتاب مرقوم ويكون هذا الكلام مفسرا لسجين ما هو انتهى فقوله والظرف الذي هو لفي سجين
ملغى قول لا يصح لان اللام التي في لفي سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة على الخبر فلا
الغاء في الجار والمجرور بل هو الخبر ولا جائز ان يكون هذه اللام دخلت في لفي سجين على فضلة
هي معمولة للخبر او لصفة الخبر فيكون الجار والمجرور ملغى لا خبرا لان كتاب موصوف بمرقوم
فلا يعمل ولان مرقوما الذي هو صفة لكتاب لا يجوز ان تدخل اللام في معموله على الموصوف
تعين بهذا ان قوله لفي سجين ان الذين يكذبون صفة ذم كل معتد متجاوز الحد اثيم صفة
مبالغة **وقراء** الجمهور اذا والحسن ايذا بهمزة الاستفهام والجمهور تتلى بالتاء نبت وابو
حيوة وابن مقسم بالياء قيل ونزلت في النضر بن الحرث بل ران قرئ بادغام اللام في الراء بل
وبالاظهار ووقف حفص على بل وقفا خفيفا يسيرا لتبيين الاظهار وقال ابو جعفر بن الباذش
واجمعوا يعني القراء على ادغام اللام في الراء الا ما كان من سكت حفص على بل ثم يقول ران
وهذا الذي ذكره ليس كما ذكر من الاجماع ففي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام
عند الراء نحو قوله تعالى بل رفعه الله اليه بل ربكم وفي كتاب ابن عطية **وقراء** نافع بل ران
غير مدغم وفيه ايضا **وقراء** نافع ايضا بالادغام والامالة وقال **ش** اللام مع الراء نحو اشغل رحمه
البيان والادغام حسنان وقال الزمخشري **وقرئ** بادغام اللام في الراء وبالاظهار
والادغام اجود واميلت الالف وفخمت انتهى وقال **ش** فاذا كانت يعني اللام غير لام المعرفة نحو
لام هل وبل فان الادغام في بعضها احسن وذلك هل رايت فان لم تدغم فقلت هل رايت فهي
لغة لاهل الحجاز وهي عربية جائزة انتهى وقال الحسن والسدي هو الذنب على الذنب قال
الحسن حتى يموت قلبه وقال السدي حتى يسود القلب لك وفي الحديث نحو من هذا وقال الكلبي
طبع على قلوبهم وقال ابن سلام غطى ما كانوا يكسبون قال ابن عطية وعلق اللوم بهم فيما كسبوه وان
ذلك يخلق منه تعالى واختراع لان الثواب والعقاب متعلقان بكسب العبد والضمير في قوله
انهم للكفار ومن قال بالرؤية وهو قول اهل السنة قال ان هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون
عنه واحتج بهذه الاية مالك على مسالة الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لما
اغنى هذا التخصيص وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ومن قال
بان لا رؤية وهو قول المعتزلة قال انهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه انتهى وقال انس بن مالك
لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الراين
على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا
للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم **قال الشاعر**

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس ما بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته انتهى وعن
مجاهد المعنى محجوبون عن كرامته وعن ربهم متعلق بمحجوبون وهو العامل في يومئذ والتنوين فيه
تنوين العوض من الجملة المحذوفة ولم يتقدم جملة قريبة يكون عوضا منها لكنه تقدم يوم يقوم
الناس لرب العالمين فهو عوض من هذه الجملة كانه قيل يومئذ يقوم الناس مع الحجاب عن الله ثم انهم لصالوا
النار وهذه ثمرة الحجاب ثم يقال اي يقول لهم خزنة النار هذا اي العذاب وصلي النار وهذا اليوم
الذي كنتم به تكذبون قال ابن عطية هذا الذي يعني الجملة مفعول لم يسم فاعله لانه قول بني له الفعل
الذي هو يقال انتهى وتقدم الكلام على نحو هذا في اول البقرة في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي
نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا
راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون لما ذكر تعالى امر كتاب الفجار عقبه
بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق عليون جمع واحده علي مشتق من العلو وهو المبالغة قاله يونس
وابن جني وقال ابو الفتح وسبيله ان يقال علية كما قالوا للغرفة علية فلما حذفت التاء عوضوا

منها الجمع بالواو والنون وقيل هو وصف للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون وقال الفراء هو اسم
موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعاً
ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية قالوا في المذكر والمؤنث بالواو والنون وقال الزجاج اعرب هذا
الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرون ورأيت قنسرين وعليون الملائكة او المواضع العلية
او علم لديوان الخير الذي دون فيه كلما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين او علو في علو مضاعفاً كأنه
لا نهاية له قاله الزمخشري ه وقال مسلم كتاب الابرار لكتابة اعمالهم لفي عليين ثم وصف عليين بانه
كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الابرار واذا كان مكاناً فاختلفوا في تعيينه اختلافاً مضطرباً
رغبنا عن ذكره واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم كاعراب لفي سجين وكتاب مرقوم وقال ابن عطية
وكتاب مرقوم في هذه الاية خبر ان والظرف ملغى انتهى كما قال في لفي سجين وقد رددنا عليه ذلك وهذا
مثله والمقربون هنا قال ابن عباس وغيره هم الملائكة اهل كل سماء ينظرون قال ابن عباس
وعكرمة ومجاهد الى ما اعد لهم من الكرامات وقال مقاتل الى اهل النار وقيل ينظر بعضهم الى بعض
وقراء الجمهور تعرف بالبناء والخطاب للرسول عليه السلام او للناظر نضرة النعيم نصباً وقراء
ابو جعفر وابن ابي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنياً للمفعول نضرة رفعاً
وزيد بن علي كذلك الا انه يعرف بالياء اذ تانيث نضرة مجازي والنضرة تقدم تفسيرها في قوله نضرة وسروراً
مختوم الطاهر اذ الرحيق ختم عليه تتميماً وتنظيفاً بالرائحة المسكية كما فسره ما بعده وقيل تختم
اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقراء الجمهور ختامه اي خلطه ومزاجه قال
عبد الله وعلقمة وقال ابن عباس وابن جبير والحسن معناه خاتمته اي يجد الرائحة عند خاتمة الشرب
رائحة المسك وقال ابو علي وقال ابو علي اي لذاذة المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعم وقيل يمزج
بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وفي الصحاح الختام الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد
ختم اناؤه بالمسك بدل الطين وقال الشاعر

كان مشعشعاً من خمر بصرى • نمته البخت مشدود الختام •

وقراء علي والنخعي والضحاك
وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة والكسائي خاتمه بالف بعد الخاء وفتح التاء وقدم بينه
المعنى انه يراد بها الطبع على الرحيق وعن الضحاك وعيسى واحمد وابن جبير الانطاكي عن الكسائي كسر
التاء اي اخره مثل وخاتم النبيين ومنه حذف اي خاتم رائحته المسك او خاتمه الذي يختم
به ويقطع من تسنيم قال عبد الله وابن عباس هو اشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة وقال
الزمخشري تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه وعينا
منصب على المدح وقال الزجاج على الحال انتهى وقال الاخفش يسقون عيناً يشرب بها او منها او ضمن
يشرب معنى يروى بها اقوال المقربون قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وابو صالح يشربها
المقربون صرفاً ويمزج للابرار ومذهب الجمهور ان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون
وقال قوم الابرار والمقربون في هذه الاية بمعنى واحد يقع لكل من نعم في الجنة وروي ان علياً وجمعاً
معه من المؤمنين مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثاً فنزلت ان الذين اجرموا
قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة هولاء قيل ابو جهل والوليد بن المغيرة
والعاصي بن وائل والمؤمنون عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين والظاهر ان
الضمير في مروا عائد على الذين اجرموا اذ في ذلك تناسق الضمائر لواحد وقيل للمؤمنين اي واذا مر
المؤمنون بالكافرين يتغامزون اي يشيرون باعينهم فاكهين اي متلذذين بذكرهم
وبالضحك منهم وقراء الجمهور فاكهين بالالف اصحاب فكاهة ومزح وسرور باستخفافهم
باهل الايمان وابو رجاء والحسن وعكرمة وابو جعفر وحفص بغير الف والضمير المرفوع في راوهم عائد
على المجرمين اي اذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وهم محقون في نسبتهم اليه وما ارسلوا
على الكفار رقيباً قطعي نفي لاشارتهم اليهم بانهم ضالون اثارة للكلام بينهم وكان في الاية بعض مواعدة
ايهان الموسين لم يرسلوا حافظين على الكفار وهذا على هذا القول منسوخ باية السيف ه وقال
الزمخشري وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكاراً لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام
وجدهم في ذلك ولما تقدم ذكر يوم القيامة قيل فاليوم الذين امنوا واليوم منصوب بيضحكون
ايدان كان قد ضحك الكفار من المؤمنين في وقت ما في الدنيا فالمؤمنون يضحكون منهم في الاخرة

وينظرون حال من الضمير في يضحكون ناظرين اليهم الى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزة والنعم
وقال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى اهل النار وقيل جسر شفاف بينهم يرون منه حالهم
هل ثوب اي هل جوزي يقال ثوبه واثابه اذا جازاه ومنه قول الشاعر

سأجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي •

وهو استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين اي جوزوا بافعالهم السيئة اي قد جوزوا بها وقيل هل ثوب
متعلق بالجملة في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر الذي هو الى وقراء الجمهور هل ثوب باظهار
اللام والنحويان وحمزة وابن محيصن بادغامها في الثاء وفي قوله ما كانوا حذف تقديره جزاء وعقاب
ما كانوا يفعلون الكدح جهد النفس في العمل حتى تؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه

قال ابن مقبل

وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •

وقال اخر

ومضت بشاشة كل عيش صالح • وبقيت اكدح للحياة وانصب •

حار رجع قال الشاعر

وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رماداً بعد اذ هو ساطع •

الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس حين يأتي صلوة العشاء الاخرة قيل اصله من رقة الشيء يقال شيء
شفق اي لا يتماسك لرقته ومنه اشفق عليه رق قلبه والشفقة الاسم من الاشفاق وكذلك
الشفق قال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقاً • والموت اكرم نزال على الحرم •

وسق ضم وجمع ومنه الوسق الاصواع المجموعة وهي ستون صاعاً وطعام موسوق اي مجموع وابل
مستوسقة قال الشاعر

ان لنا قلائصاً حقائقاً • مستوسقات لو يجدن سائقاً •

اتسق قال الفراء اتساق القمر امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق
الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق ويقال امر فلان متسق اي مجتمع على الصلاح منتظم
طبقاً عن طبق حالاً بعد حال والطبق ما طابق غيره واطباق الثرى ما تطابق منه ومنه قيل
للغطاء الطبق وقال الاقرع بن حابس

اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبق منه الى طبق •

وقال امرؤ القيس

ديمة هطلاء فيها وطف • طبق الارض تحرى وتدر •

سورة الانشقاق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض
مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً
فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الى اهله مسروراً
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً انه كان في اهله مسروراً
انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيراً فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا
اتسق لتركبن طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون بل الذين
كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون ه هذه السورة مكية وانتصالها بما قبلها ظاهر قال ابن عباس انشقت
اي تتصدع بالغمام وقاله الفراء والزجاج وقيل تنشق لهول يوم القيامة لقوله وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية وقراء الجمهور يسكنون تاء انشقت وما بعدها وصلاً ووقفاً
عبيد بن عقيل عن ابي عمرو باشمام الكسر وقفاً بعد ما لم يختلف في الوصل اسكاناً قال صاحب
اللوامح فهذا من التغيرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاشمام بيان ان هذه التاء
من علامة ترتيب الفعل للاناث وليست مما تنقلب في الاسماء فصار ذلك فارقاً بين

الاسم والفعل فمن وقف على ما في الاشعار بالتاء وذلك لغة طي وقد حمل في المصاحف بعض اللغات على
ذلك انتهى وقال ابو عبيد الله بن خالويه اذا السماء انشقت بكسر التاء عبيد عن ابي عمرو هي
وقال ابن عطية وقرأ ابو عمرو انشقت تقف على التاء كانه يشمها شيا من الجر وكذلك في اخواتها
قال ابو حاتم سمعت اعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات وهي لغة انتهى وذلك
ان الفواصل قد تجري مجرى القوافي فكما ان هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال
كسر هاء القوافي قول كثير عزة

وما انا بالداعي لعزة بالردى ولا شامت ان نعل عزة زلت

ولذلك باب في القصيدة واجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا
والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف ايضا موجود في الفواصل واذنت اي
استمعت وسمعت امره ونهيه وفي الحديث ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرآن

وقال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال قعنب ابن ام صاحب

ان يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا ... وما هم اذنوا من صالح دفنوا

وقال الجحاف بن حكيم

اذنت لكم لما سمعت هريركم

واذنها انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطيع اذا ورد عليه امر
المطاع انصت وانقاد كقوله قالتا اتينا طائعين وحقت قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وحق لها ان تسمع
وقال الضحاك اطاعت وحق لها ان تطيع وقال قتادة وحق لها ان تفعل ذلك وهذا الفعل مبني للمفعول
والفاعل هو الله اي وحق الله عليها الاستماع ويقال فلان محقوق بكذا وحقيق بكذا والمعنى انه لم يكن في جرم السماء
ما يمنع من تاثير القدرة في انشقاقه وتفريق اجزائه واعدامه قيل ويحتمل ان يريد وحق لها ان تنشق لشدة
الهول وخوف الله تعالى وقال الزمخشري وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر بالذات
يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك انتهى وفي قوله القادر بالذات دسيسة الاعتزال وما اولى هذا الرجل
بمذهب الاعتزال يدس منه ما امكنه في كل ما يتكلم به واذا الارض مدت قال مجاهد سويت وقال الضحاك بسطت باندكاك
جبالها ومنه الحديث تمد الارض مد الاديم العكاظي حتى لا يكون للبشر من الناس الا موضع قدميه وذلك ان الاديم اذا مد
زال ما فيه من تثن وانبسط فتصير الارض اذ ذاك كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والقت
ما فيها وتخلت قال ابن جبير والجمهور القت ما فيها من الاموات وتخلت ممن على ظهرها من الاحياء وقيل تخلت مما على
ظهرها من جبالها وبحارها وقال الزجاج ومن الكنوز وضعف هذا بان ذلك يكون وقت خروج الدجال وانما يلقي يوم
القيامة الموتى وتخلت تخلت عن ما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء وجاء تخلت اي تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما تقول
تكرم الكريم بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه ونسبة ذلك الى الارض نسبة مجازية والله تعالى هو الذي اخرج
تلك الاشياء من باطنها وجواب اذا محذوف فاما ان يقدر الذي خرج به في سورة التكوير والانفطار واما ما يدل عليه انك كادح
اي لاقى كل انسان كدحه وقال الاخفش والمبرد هو فملاقيه اي اذا انشقت السماء فانت ملاقيه وقيل يا ايها الانسان على حذف
الفاء تقديره فيا ايها الانسان وقيل واذنت على زيادة الواو وعن الاخفش ايضا اذا السماء مبتدا خبره واذا الارض على زيادة
الواو والعامل فيها على قول الاكثرين الجواب اما المحذوف الذي قدروه واما الظاهر الذي قيل انه جواب قال ابن عطية
وقال بعض النحاة العامل انشقت وابى ذلك كثير من ائمتهم لان اذا مضافة الى انشقت
ومن يجيز ذلك تضعف عنده الاضافة ويقوى معنى الجزاء انتهى وهذا القول نحن نختاره وقد استدللنا على صحته
فيما كتبناه والتقدير وقت انشقاق السماء وقت مد الارض وقيل لا جواب لها اذ هي قد نصبت باذكر نصب المفعول به
فليست شرطا واذنت لربها اي في القائها في بطنها وتخليها والانسان يراد به الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه وقال
مقاتل المراد به الاسود بن عبد الاسد بن هلال المخزومي جادل اخاه ابا سلمة في امر البعث فقال ابو سلمة اي والذي خلقك
لتركبن الطبقة ولتوافين العقبة فقال الاسود فاين الارض والسماء وما حال الناس انتهى وكان مقاتلا يريد انها نزلت
في الاسود وهي تعم الجنس وقيل المراد ابي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا وايذاء الرسول والاصرار على الكفر وابعد من ذهب
الى انه الرسول عليه السلام والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله وارشاد عباده واحتمال الضيم من الكفار فابشر
فانك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضائع عنده انك كادح اي جاهد عملك من خير وشر الى ربك اي طول حياتك الى لقاء ربك
وهو اجل موتك فملاقيه اي جزاء كدحك اي جزاءه من ثواب وعقاب قال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي

قبلها

قبلها والتقدير فانت ملاقيه ولا يتعين ما قاله بل يصح ان يكون معطوفا على كادح عطف المفردات ثم وقال
الجمهور الضمير في ملاقيه عائد على ربك اي ملاق جزاءه فاسم الفاعل معطوف على اسم الفاعل حسابا
يسيرا قالت عائشة هو ان تعرض ذنوبه ثم يتجاوز عنه وقال الحسن يجازى بالحسنة ويتجاوز عن السيئة
وفي الحديث من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة الم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال عليه
السلام انما ذلك العرض واما من نوقش فيهلك وينقلب الى اهله اي الذين اعد الله له في الجنة من نساء
المؤمنين ومن الحور العين او الى عشيرته المؤمنين فيخبرهم بخلاصه وسلامته او الى المؤمنين
اذ هم كلهم اهل الايمان وقرأ زيد بن علي ويقلب مضارع قلب مبنيا للمفعول وراء ظهره روي ان
شماله تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها قال ابن عطية واما من ينفذ عليه الوعيد
من عصاة المؤمنين فانه يعطى كتابه عند خروجه من النار وقد جوز قوم ان يعطاه
اول دخوله النار وهذه الآية ترد على هذا القول انتهى والظاهر من الآية ان الانسان انقسم
الى هذين القسمين ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار فسوف يدعو ثبورا يقول واثبوراه والثبور
الهلاك وهو جامع لانواع المكاره وقرأ قتادة وابو جعفر وعيسى وطلحة والاعمش وعاصم وابو
عمرو وحمزة ويصلى بفتح الياء مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وابو الشعثاء
والحسن والاعرج بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة وابو الاشهب وخارجة عن نافع وابان عن
عاصم وعيسى ايضا والعتكي وجماعة عن ابي عمرو بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام مبني للمفعول
من المتعدي بالهمزة كما بني ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي بالتضعيف انه كان في اهله في الدنيا
مسرورا اي فرحا بطرا مترفا لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبته لقوله ولا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
بخلاف المؤمن فانه حزين مكتئب يتفكر في الآخرة ثم انه ظن ان لن يحور اي ان لن يرجع الى الله وهذا
تكذيب بالبعث بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور وتحاوره فلا اقسم بالشفق اقسم تعالى بمخلوقاته
تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق تقدم شرحه وقال ابو هريرة وعمر بن عبد العزيز
وابو حنيفة هو البياض الذي يتلو الحمرة وروى اسد بن عمرو ان ابا حنيفة رجع عن قوله هذا الى قول
الجمهور وقال مجاهد والضحاك وابن ابي نجيح ان الشفق هنا النهار كانه لما عطف عليه الليل قال
ذلك قال ابن عطية وهذا قول ضعيف انتهى وعن مجاهد هو الشمس وعن عكرمة ما بقي من النهار
وما وسق ما ضم من الحيوان وغيره اذ جميع ذلك ينضم ويسكن في ظلمة الليل وقال ابن عباس وما وسق
اي ما غطى عليه من الظلمة وقال مجاهد وما ضم من خير وشر وقال ابن جبير وما ساق وحمل وقال ابن بحر
وما عمل فيه ومنه قول الشاعر

فيوما ترانا صالحين وتارة ... تقوم بنا كالواسق المتلبب

وقال ابو الفضل لف كل احد الى اهله اي سكن الخلق اليه ورجع كل الى ماواه لقوله لتسكنوا فيه
وقرأ عمر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد والاسود وابن جبير ومسروق والشعبي وابو العالية وابن
وثاب وطلحة وعيسى والاخوان وابن كثير بتاء الخطاب وفتح الباء فقيل خطاب للرسول اي حالا
بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء في الاسراء وقيل عدة بالنصر اي لتركبن
امر العرب قبيلا بعد قبيل وفتحا بعد فتح كما كان ووجد بعد ذلك وقال الزمخشري وقرأ لتركبن
على خطاب الانسان في يا ايها الانسان وقال ابن مسعود المعنى لتركبن السماء هو الانفتاح منه هو
حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق فالتاء للتانيث وهو اخبار عن السماء بما
يحدث لها والضمير الفاعل عائد على السماء وقرأ عمر وابن عباس ايضا بالياء من اسفل وفتح الباء
على ذكر الغائب قال ابن عباس يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير الغائب يعود على القمر
لانه يتغير احوالا من سرار واستهلال وابدار وقال الزمخشري ليركبن الانسان وقرأ عمر وابن
عباس وابو جعفر والحسن وابن جبير وقتادة والاعمش وباقي السبعة بتاء الخطاب وضم
الباء اي لتركبن ايها الناس وقال الزمخشري ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس
فالمعنى لتركبن الشدائد الموت والبعث والحساب حالا بعد حال وتكون الاحوال من النطفة
الى الهرم كما تقول طبقة بعد طبقة قال نحوه عكرمة وقيل وعن بمعنى بعد وقيل المعنى لتركبن
هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق

تنتقل من صالب الى رحم ٭ اذا مضى عالم بدا طبق ٭ وقال مكحول وابو عبيدة المعنى لتركبن
سنن من قبلكم وقال ابن زيد المعنى لتركبن الآخرة بعد الاولى وقرأ عمر ايضا ليركبن بياء الغيبة
وضم الباء وقيل اراد به الكفار لا انهم يتوبخهم بعده اي يركبون حالا بعد اخرى من المذلة والهوان
في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود وابن عباس لتركبن بكسر التاء وهي لغة تميم قبيل والخطاب للرسول
وقرئ بالياء وكسر الباء على خطاب النفس وطبق الشيء مطابقة لانه كل حال مطابقة للاخرى في الشدة
ويجوز ان يكون اسم جنس واحده طبقة وهي المرتبة من قولهم هم على طبقات وعن طبق في موضع
الصفة لقوله طبقا او في موضع الحال من الضمير في لتركبن وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا
لم تكونوا عليه فما لهم لا يؤمنون تعجب من انتفاء ايمانهم وقد وضحت الدلائل لا يسجدون لا يتواضعون
ويخضعون قاله قتادة وقال عكرمة لا يباشرون بجباههم المصلى وقال محمد بن كعب لا يصلون
وقرأ الجمهور يكذبون مشددا والضحاك وابن ابي عبلة مخففا وبفتح الياء بما يوعون بما يجمعون
من الكفر والتكذيب كانهم يجعلونه في اوعية وعيت العلم واوعيت المتاع قال نحوه ابن زيد وقال
ابن عباس بما يضمرون من عداوة الرسول والمؤمنين وقال مجاهد بما يكتمون من افعالهم وقرأ ابو
رجاء بما يعون من وعى يعي الا الذين امنوا ان سبق لهم في علمه انهم يؤمنون اي سبق لهم في علمه انهم يؤمنون
غير ممنون غير مقطوع وقال ابن عباس ممنون معدد عليهم محسوب منغص بالمن وتقدم الكلام على
ذلك في فصلت الاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه
فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان

سورة البروج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود
قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما
نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والارض والله على كل شيء شهيد
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك
لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث
الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انه تعالى اعلم بما يجمعون للرسول وللمؤمنين
من المكر والخداع واذاية من اسلم بانواع من الاذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس واحماء
الصخر ووضع اجسام من يريدون ان يفتنوه عليه ذكر ان هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الامم
يعذبون بالنار وان اولئك الذين عرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان ما منعهم ان
يرجعوا عن دينهم ان يحرقوا وان اولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذلك الذين عذبوا
المؤمنين من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب ذات
البروج قال ابن عباس والجمهور المنازل التي عرفتها العرب هي اثنا عشر على ما قسمته وهي التي
تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوما وقال عكرمة والحسن ومجاهد
هي القصور وقال الحسن ومجاهد ايضا هي النجوم وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
وقيل ابواب السماء وقد تقدم ذكر البروج في سورة الحجر واليوم الموعود هو يوم القيامة اي
الموعود به وشاهد ومشهود هذان منكران وينبغي حملهما على العموم كقوله علمت نفس ما احضرت
وان كان اللفظ لا يقتضيه لكن المعنى يقتضيه اذ لا يقسم بنكرة لا يدرى من هي فاذا لوحظ
فيها معنى العموم اندرج فيها المعرفة فحسن القسم وكذا ينبغي ان يحمل ما جاء من هذا النوع
نكرة كقوله والطور وكتاب مسطور ولا اذا احمل وكتاب مسطور على العموم دخل فيه معينا
الكتب الالهية كالتوراة والانجيل والقرآن فيحسن اذ ذاك القسم به ولما ذكروا اليوم
الموعود وهو يوم القيامة باتفاق وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ناسب ان يكون المقسم
به من يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه ان كان ذلك من الشهادة وان كان من الحضور فالشا

الخلائق

الخلائق الحاضرون للحساب والمشهود اليوم كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
كان موعودا به صار مشهودا وقد اختلفت اقوال المفسرين في تعيينهما فعن ابن عباس الشاهد الله
تعالى وعنه وعن الحسن بن علي وعكرمة الرسول عليه السلام وعن مجاهد وعكرمة وعطاء ابن يسار
آدم عليه السلام وذريته وعن ابن عباس ايضا والحسن الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة وفي كل قول
منها المشهود يوم القيامة وعن علي وابن عباس وابي هريرة والحسن وابن المسيب وقتادة وشاهد
يوم الجمعة وعن ابن المسيب يوم التروية وعن علي ايضا يوم القيامة وعن النخعي يوم الاضحى
ومشهود يوم النحر وعن جابر يوم الجمعة ومشهود الناس وعن محمد بن كعب ابن ادم ومشهود الله
تعالى وعن ابن جبير عكس هذا وعن ابي مالك عيسى ومشهود امته وعن علي يوم عرفة ومشهود
يوم النحر وعن الترمذي الحفظة ومشهود عليهم الناس وعن عبد العزيز بن يحيى محمد عليه السلام
ومشهود عليه امته وعنه الانبياء ومشهود اممهم وعن ابن جبير الجوارح يوم القيامة ومشهود
اصحابها وقيل هما يوم الاثنين ويوم الجمعة وقيل الملائكة المتعاقبون وقرآن الفجر وقيل
النجم والليل والنهار وقيل الله والملائكة واولو العلم ومشهود به الوحدانية وان الدين عند الله
الاسلام وقيل مخلوقاته تعالى ومشهود به وحدانيته وقيل هما الحجر الاسود والحجيج وقيل الليالي
والايام وبنو ادم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام وهذه اقوال سبعة وعشرون لكل منهما
متمسك وللمتصوفة اقوال غير هذه والظاهر ما قلناه اولا وجواب القسم قيل محذوف فقيل
لتبعثن ونحوه وقال الزمخشري يدل عليه قتل اصحاب الاخدود وقيل الجواب مذكور فقيل
ان الذين فتنوا قاله المبرد ان بطش ربك لشديد وقيل قتل وهذا نختاره وحذفت اللام اي
لقتل وحسن حذفها كما حسن في قوله والشمس وضحاها ثم قال قد افلح من زكاها اي لقد
افلح من زكاها ويكون الجواب دليلا على لعنة من فعل ذلك وطرده من رحمة الله وتنبيها
لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على انهم ملعونون بجامع ما اشتركا
فيه من تعذيب المؤمنين واذا كان قتل جوابا للقسم فهي جملة خبرية وقيل دعاء فيكون الجواب
غيرها وقرأ الحسن وابن مقسم بالتشديد والجمهور بالتخفيف وذكر المفسرون في اصحاب الاخدود
اقوالا فوق العشرة ولكل قول منها قصة طويلة كسلنا عن كتابتها في كتابنا هذا ومضمنها ان
ناسا من الكفار خدوا اخدودا في الارض وسجروه نارا وعرضوا المؤمنين عليها فمن رجع عن
دينه تركوه ومن اصر على الايمان احرقوه واصحاب الاخدود هم المحرقون للمؤمنين وقال الربيع
وابو العالية وابن اسحق بعث الله على المؤمنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت
الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود وعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن وتكون خبرا
عن ما فعله الله بالكفار الذين ارادوا ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم وقول هؤلاء مخالف لقول
الجمهور ولما دل عليه القصص الذي ذكروه وقرأ الجمهور النار بالجر وهو بدل اشتمال او بدل كل من
كل على تقدير محذوف اي اخدود النار وقرأ قوم النار بالرفع قيل على معنى قتلتهم ويكون اصحاب
الاخدود اذ ذاك المؤمنين وقتل على حقيقته وقرأ الحسن وابو رجاء وابو حيوة وعيسى الوقود
بضم الواو وهو مصدر والجمهور بفتحها وهو ما يوقد به وقد حكى سيبويه انه بالفتح ايضا مصدر كالضم
والظاهر ان الضمير في اذ هم عائد على الذين يحرقون المؤمنين وكذلك في وهم وعلى قول الربيع يعود على
الكافرين ويكون وهم ايضا عائدا عليهم ويكون معنى على ما يفعلون ما يريدون من فعلهم بالمؤمنين
وقتل اصحاب الاخدود محرف ذاله حرف من بني تميم الماء وتم الكلام عند قوله ذات الوقود
ويكون المراد بقوله وهم قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات واذ العامل فيه قتل
اي لعنوا او قعدوا على النار او على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما قال الاعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ٭ وبات على النار الندى والمحلق ٭

شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك انه لم يفرط فيما امر به او شهود يوم القيامة على ما فعلوا
بالمؤمنين يوم تشهد عليهم جوارحهم باعمالهم وقرأ الجمهور نقموا بفتح القاف وزيد بن
علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها اي ما عابوا ولا انكروا الايمان كقوله هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله وكقول ابن الرقيات ٭

ما نقموا من بني امية الا ٭ انهم يحلمون ان غضبوا ٭

خبلوا ما هو في غاية الحسن تبيجا حتى تعموا عليه كما قال الشاعر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذا العتاق الطير شكلا عيونها

وفي المنتخب انما قال الا ان يؤمنوا الا اذا لتعذيب انما كان واقعا في الايمان في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قال الا ان يدوموا على ايمانهم انتهى وذكر الاوصاف التي يستحق بها تعالى ان يؤمنوا به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته له ملك السموات والارض وكل من فيها يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا المبطل منهمك في الغي والله على كل شيء شهيد وعيد لهم اي انه علم ما فعلوا فهو مجازيهم والظاهر ان الذين فتنوا عام في كل من ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب او اذى وان لهم عذابين عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم وقال الزمخشري يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى تتسع كما يتسع الحريق او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم انتهى وينبغي ان لا يجوز هذا الذي جوزه لان في الاية ثم لم يتوبوا واولئك المحرقون لم ينقل لنا ان احدا منهم تاب بل الظاهر انهم لم يلعنوا الا وهم قد اقروا على الكفر وقال ابن عطية ثم لم يتوبوا يقوي ان الايات في قريش لان هذا اللفظ في قريش احكم منه في اولئك الذين قد علموا انهم ماتوا على كفرهم واما قريش فكان فيهم وقت نزول الاية من تاب واسلم انتهى وكذلك قوله ان الذين امنوا المراد به العموم لا المطروحون في النار والبطش الاخذ بقوة يبدئ ويعيد قال ابن زيد والضحاك يبدئ الخلق بالانشاء ويعيده بالحشر وقال ابن عباس عام في جميع الاشياء اي كل ما يبدؤ وكل ما يعاد وقال الطبري يبدئ العذاب ويعيده على الكفار ونحوه عن ابن عباس قال ان نار جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا وقراء يبدئ من بدا ثلاثيا حكاه ابو زيد ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفورا ساترا لذنوب عباده ودودا لطيفا بهم محسنا اليهم وهاتان صفتا فعل والظاهر ان الودود مبالغة في الواد وعن ابن عباس المتودد الى عباده بالمغفرة وحكى المبرد عن القاضي اسمعيل بن اسحق ان الودود هو الذي لا ولد له وانشد

واركب في الروع عريانة ذلول الجناح لقاحا ودودا

اي لا ولد لها تحن اليه وقيل الودود فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون ذو العرش خص العرش باضافة نفسه تشريفا للعرش وتنبيها على انه اعظم المخلوقات وقراء الجمهور ذو بالواو وابن عامر في رواية ذي بالياء صفة لربك وقال القفال ذو العرش ذو الملك والسلطان ويجوز ان يراد بالعرش السرير العالي ويكون خلق سريرا في سماء في غاية العظمة بحيث لا يعرف عظمته الا هو ومن يطلعه عليه انتهى وقراء الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والاعمش والمفضل عن عاصم والاخوان المجيد بخفض الدال صفة للعرش ومجادته عظمته علوه ومقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام صورة وتركيبا ومن قرا ذي العرش بالياء جاز ان يكون المجيد بالخفض صفة لذي والاحسن جعل هذه المرفوعات اخبارا عن هو فيكون فعال خبرا ويجوز ان يكون الودود ذو العرش صفتين للغفور وفعال خبر مبتدا والتي بصيغة فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والمعنى انه كلما تعلقت به ارادته فعله لا معترض عليه هل اتاك حديث الجنود تقرير لحال الكفرة اي قد اتاك حديثهم وما جرى لهم مع انبيائهم وما حل بهم من العقوبات لسبب تكذيبهم فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم والجنود الجموع المعدة للقتال فرعون وثمود بدل من الجنود وكانه على حذف مضاف اي جنود فرعون واختصر ما جرى لهم اذ هو مذكور في غير ما سورة من القرآن وذكر ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدمة وذكر فرعون لشهرة قصته عند اهل الكتاب وعند العرب الجاهلية ايضا الا ترى الى زهير بن الجاهلية وقوله

الم تر ان الله اهلك تبعا واهلك لقمان بن عاد وعاديا

واهلك ذا القرنين من قبل ما نوى وفرعون جبارا طغى والنجاشيا

وكان فرعون من المتاخرين في الهلاك فدل بقصته وقصة ثمود على امثالهما من قصص الامم

المكذبين

المكذبين وهلاكهم بل الذين كفروا اي من قومك في تكذيب حسدا لك لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا انبياءهم والله من ورائهم محيط اي هو قادر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون وثمود ومن كان هو محاط به فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم ولما ذكر انهم في تكذيب وان التكذيب عمهم حتى صار كالوعاء لهم وكان عليه السلام قد كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن اخبر تعالى عن الذي جاء به فكذبوا به فقال بل هو قرآن اي بل الذي كذبوا به قرآن مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في نظمه وصحة معانيه واخباره بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه وقراء الجمهور قرآن مجيد موصوف وصفه وقراء ابن السميفع قرآن مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن الانباري يقول معناه بل هو قرآن رب مجيد كما قال الشاعر

ولكن الغنى رب غفور معناه ولكن الغنى غنى رب غفور انتهى وعلى هذا خرجه الزمخشري وقال ابن عطية وقراء اليماني قرآن مجيد على الاضافة وان يكون الله تعالى هو المجيد انتهى ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا وهذا اولى لتوافق القراءتين وقراء الجمهور في لوح بفتح اللام محفوظ بالخفض صفة للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الاشياء وقراء ابن يعمر وابن السميفع بضم اللام قال ابن خالويه اللوح الهواء وقال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه انتهى وقراء الاعرج وزيد بن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع صفة لقرآن كما قال تعالى وانا له لحافظون اي هو محفوظ في القلوب لا يلحقه خطا ولا تبديل طرق يطرق طروقا اي ليلا قال امرؤ القيس

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا

واصله الضرب لان الطارق يطرق الباب ومنه المطرقة وهي المنقعة واتسع فيه فكل ما جاء بليل يسمى طارقا وقال الطرق فلان امسك عن الكلام واطرق بعينيه رمى بهما نحو الارض دفق الماء يدفقه دفقا صبه وماء دافق على النسب وبناء دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت الترائب موضع القلادة من الصدر قال امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

جمعها بما حولها فقال ترائبها وقال الشاعر

والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر

وقال ابو عبيدة وجمع تريبة ترب قال المثقب العبدي

ومن ذهب يشن على ترب كلون العاج ليس بذي غضون

الهزل ضد الجد وقال الكميت

تجد بنا في كل يوم وتهزل

امهلت الرجل انظرته والمهل والمهلة السكينة ومهلته ايضا تمهيلا وتمهل في امره اتاد واستمهلته انتظرته ويقال امهلا اي رفقا وسكونا رويدا مصدرا رود برود مصغر تصغير الترخيم واصله ارواد وقيل هو تصغير رود من قوله تمشي على رود اي مهل وتستعمل مصدرا نحو رويد عمرو بالاضافة اي امهال عمرو كقوله فضرب الرقاب ونعتا لمصدر نحو ساروا سيرا رويدا وحالا نحو سار القوم رويدا ويكون اسم فعل وهذا كله موضع في علم النحو

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه هنا على حقارة الانسان ثم استطرد منه الى ان هذا القرآن قول فصل جد لا هزل فيه ولا باطل يأتيه ثم امر نبيه بامهال اولئك الكفرة المكذبين وهي ابه مواعدة منسوخة باية السيف والسماء هي المعروفة قاله الجمهور وقيل السماء هنا المطر والطارق هو الاتي ليلا اي يظهر بالليل وقيل لانه يطرق الجني اي يصكه من طرقت الباب اذا ضربته ليفتح لك اتي بالطارق مقسما به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب اظهارا لفخامة ما اقسم به لما علم فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وتنبيها على ذلك كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقال ابن عطية معنى الاية والسماء وجميع ما يطرق فيه من الامور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك على جهة التنبيه الطارقات قدرا وهو النجم الثاقب وكانه قال وما ادراك ما الطارق حق الطارق انتهى فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعضا مما دل عليه والطارق اذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق وعلى قول غيره يراد به واحد فقيل بالنجم الثاقب عن ابن عباس

الجدي وعند ابن زيد زحل وقال هو ايضا وغيره الثريا وهو الذي يطلق عليه العرب اسم النجم وقال علي نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وقال الحسن هو اسم جنس لانها كلها ثواقب اي ظاهرة الضوء وقيل المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم والثاقب قيل المضيء يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضاء اي يثقب الظلام بضوئه وقيل المرتفع العالي ولذلك قيل هو زحل لانه ارفعها مكانا وقال الفراء ثقب الطائر ارتفع وعلا **وقراء** الجمهور ان خفيفة كل رفعا لما خفيفة فهي عند البصريين مخففة من الثقيلة وكل وكل مبتدا واللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدا وعليها متعلق به وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدا وخبروا الترجيح بين المذهبين مذكور في علم النحو الحسن والاعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة وابو عمرو ونافع بخلاف عنهما لما مشددة وهي بمعنى الا لغة مشهورة في هذيل وغيرهم تقول العرب اقسمت عليك لما فعلت كذا اي الا فعلت قاله الاخفش فعلى هذه القراءة يتعين ان تكون نافية اي ما كل نفس الا عليها حافظ وحكى هارون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب فاللام هي الداخلة في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه ان سواء كانت المخففة او المشددة او النافية لان كلا منها يتلقى به القسم فيتلقيه بالمشددة مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما وقيل جواب القسم انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض والظاهر عموم كل نفس وقال ابن سيرين وقتادة وغيرهما ان كل نفس مكلفة عليها حافظ يحصي اعمالها ويعد عليها الجزاء عليها فتكون في الاية وعيد وزاجر وما بعد ذلك يدل عليه وقيل حفظة من الله يذبون عنها ولو وكل المرء الى نفسه لاختطفته الغير والشياطين وقال الكلبي والفراء حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير وقيل الحافظ العقل يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقيل حافظ مهيمن ورقيب عليه وهو الله تعالى ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر في اول نشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق هو استفهام ومن متعلقة بخلق والجملة في موضع نصب بفلينظر وهي معلقة وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق من ماء دافق وهو مني الرجل والمراة لما امتزجا في الرحم واتحدا وعند الخليل **وس** هو على النسب كلابن وتامر اي ذي دفق وعن ابن عباس بمعنى دافق لزج وكانه اطلق عليه وصفه لانه موضوع في اللغة لذلك والدفق الصب فعله متعد وقال ابن عطية والدفق دفع الماء بعضه ببعض تدفق الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى وركب قوله هذا على تدفق وتدفق لازم دفقته فيدفق نحو كسرته فيكسر ودفق لليس في اللغة معناه ما فسر من قوله والدفق دفع الماء بعضه ببعض بل المحفوظ انه الصب **وقراء** الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من بين الصلب بضم الصاد وسكون اللام وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وهما واهل مكة وعيسى بضم الصاد واللام واليماني بفتحهما

قال العجاج في صلب مثل العنان المودم

وتقدمت اللغات في الصلب في سورة النساء والترائب واحدها ترائب كما قال ينتقل من صالب الى رحم قال قتادة والحسن معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمراة وترائبه وقال سفيان وقتادة ايضا من بين صلب الرجل وترائب المراة وتقدم شرح الترائب في المفردات وقال ابن عباس موضع القلادة وعن ابن جبير هي اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وقيل ما بين المنكبين والصدر وقيل هي التراقي وعن معمر عصارة القلب ومنه يكون الولد ونقل مكي عن ابن عباس ان الترائب اطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة انتهى انه الضمير يعود على الخالق اذ يدل عليه خلق على رجعه قال ابن عباس وقتادة الضمير في رجعه عائد على الانسان اي على رده من الكبر الى الشباب وقال عكرمة ومجاهد الضمير عائد على الماء اي على رد الماء في الاحليل او في الصلب وعلى هذا القول وقول الضحاك يكون العامل في يوم تبلى مضمرا تقديره اذكر وعلى قول ابن عباس وهو الاظهر فقال بعض النحاة العامل ناصر من قوله ولا ناصر وهذا فاسد لان

ما بعد

ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وكذلك ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها على المشهور المنصور وقال آخرون ومنهم الزمخشري العامل رجعه ورد بانه فصل بين الموصول ومتعلقه وهو من تمام الصلة ولا يجوز وقال الحذاق والنحاة العامل فيه مضمر يدل عليه المصدر تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لان ذلك يظهر منه تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر وذلك انه قال انه على رجعه لقادر على الاطلاق اولا وآخرا وفي كل وقت ثم ذكر تعالى وخصص من الاوقات الوقت الاهم على الكفار لانه وقت الجزاء والوصول الى العذاب ليجتمع الناس الى حذره والخوف منه انتهى تبلى قيل تختبر وقيل تعرف وتتصفح وتميز صالحها من فاسدها والسرائر ما اكنته القلوب من العقائد والنيات وما اخفته الجوارح من الاعمال والظاهر عموم السرائر وفي الحديث انها التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وكان المذكور في الحديث هو عظم السرائر وسمع الحسن من ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في السماء والطارق والبيت للاحوص ولما كان الامتناع في الدنيا اما بقوة في الانسان واما بناصر خارج عن نفسه نفى عنه تعالى ما يمتنع به واتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر والسماء اقسم ثانيا بالسماء وهي المظلة قيل ويحتمل ان يكون السحاب ذات الرجع قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر وقال الحسن ترجع بالرزق كل عام وقال ابن زيد الرجع مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزلة الى منزلة تذهب وترجع وقيل الرجع المطر ومنه **قول الهذلي**

ابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في محتفل يختلي

يصف سيفا شبهه بالمطر في بياضه وصفائه وسمي رجعا كما سمي اوبا

قال الشاعر

ربا شمّاء لا يأوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل

تسميته بمصدر آب ورجع تزعم العرب ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اذا ارادوا التفاؤل وسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا

قالت الخنساء

كالرجع في المدجنة السارية

وقيل الرجع الملائكة سموا بذلك لرجوعهم باعمال العباد وقيل السحاب والمشهور عند اهل اللغة وقول الجمهور ان الرجع هو المطر والصدع مما يتصدع عنه الارض من النبات ويناسب قول من قال الرجع المطر وقال ابن زيد ذات الانشقاق بالنبات وقال ايضا ذات الحرث وقال مجاهد الصدع ما في الارض من شقاق ولصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره وهي امور فيها معتبرة وعنه ايضا ذات الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور والضمير في انه قالوا عائد على القرآن فصل اي فاصل بين الحق والباطل لا يقبل له فرقان **وقول** ويجوز ان يعود الضمير في انه على الكلام الذي اخبر فيه ببعث الانسان يوم القيامة وابتلاء سرائره اي ان ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه ويكون الضمير قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الاخبار عن البعث وليس من الاخبار التي فيها هزل بل هو جد كله انهم اي الكافرون يكيدون اي في ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد اي اجازيهم على كيدهم فسمى الجزاء كيدا على سبيل المقابلة نحو قوله ومكروا ومكر الله انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ثم امر رسوله فقال فمهل الكافرين اي انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك ثم اكد امره فقال امهلهم رويدا اي امهالا لا لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين على ان الاول مطلق وهذا الثاني مقيد بقوله رويدا **وقرا** ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الامر الاول **الغثاء** مخفف الثاء ومشددها ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش

قال الشاعر

كان طمية المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل

ورواه الفراء والاغثاء على الجمع وهو غريب من حيث جمع فعال على افعال **الحوة** سواد يضرب الى الخضرة

قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب

وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبي الذي في ظهره خطان من سواد وبياض **قال الشاعر**

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وفي الصحاح الحوة سمرة وقال الاعلم لون يضرب الى السواد وقال ابن السكيت الخضرة التي تضرب الى السواد

سورة سبح

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى

سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى هي مكية ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الانسان مم خلق كان قائلا قال من خلقه على هذا المثال فقيل سبح اسم ربك وأيضا لما قال انه لقول فصل قيل هو سنقرئك اي ذلك القول الفصل سبح نزه عن النقائص اسم ربك الظاهر ان التنزيه يقع على الاسم اي نزهه عن ان يسمى به صنم او وثن فيقال لذرب او اله واذا كان قد امر بتنزيه اللفظ ان يطلق على غيره فهو ابلغ وتنزيه الذات احرى وقيل الاسم هنا بمعنى المسمى وقيل معناه نزه اسم الله عن ان تذكره الا وانت خاشع وقال ابن عباس المعنى صل باسم ربك الاعلى كما تقول ابدا باسم الله وحذف حرف الجر وقيل لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت قالوا الاعلى ان يكون صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبا وهذا الوجه لا يصح على ان يعرب الذي خلق صفة لربك فيكون في موضع جر لانه قد حال بينه وبين الموصوف صفة لغيره لو قلت رايت غلام هند العاقل الحسنة لم يجز بل لا بد ان تاتي بصفة هند ثم تاتي بصفة الغلام فتقول رايت غلام هند الحسنة العاقل فان لم يجعل الذي صفة لربك بل يرفعه على انه خبر مبتدا محذوف او تنصبه على المدح جاز ان يكون الاعلى صفة لاسم الذي خلق اي كل شيء فسوى. اي لم يات متفاوتا بل متناسبا على احكام واتقان دلالة على انه صادر عن عالم حكيم **وقراءة** الجمهور قدر بشد الدال فاحتمل ان يكون من القدر والقضاء واحتمل ان يكون من التقدير والموازنة بين الاشيا وقال الزمخشري قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به انتهى **وقراءة** الكسائي قدر بخف الدال من القدرة او من التقدير والموازنة وهدى عام بجميع الهدايات وقال الفرا فهدى واصل اكتفى بالواحدة عن الاخرى وقال الكلبي ومقاتل هدى الحيوان الى وطء الذكور للاناث وقال مجاهد هدى الانسان للخير والشر والبهايم للمراتع وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص الثدي وهذه الاقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص والظاهر ان احوى صفة لغثا قال ابن عباس المعنى فجعله غثا احوى اي اسود لان الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار احوى وقيل احوى حال من المرعى اي اخرج المرعى احوى اي للسواد من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريه وحسن تاخير احوى لاجل الفواصل

قال الشاعر

وغيث من الوسمي حو تلاعه ... بتنطته بتبنطم صلتان

سنقرئك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك هذا في معنى لا تحرك به لسانك وعده الله ان يقرئه واخبره انه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكرا فكان يحرك شفتيه مبادرة خوفا من ان ينسى وهذه اية للرسول في انه امي وحفظ الله عليه الوحي وامنه من نسيانه وقيل هذا وعد باقرا السور وامران لا ينسى على معنى التثبيت والتاكيد وقد علم ان النسيان ليس في قدرته فهو نهي عن اغفال التعاهد واثبتت الالف في فلا تنسى وان كان مجزوما بلا التي للنهي لتعديل رؤوس الاي الا ما شاء الله الظاهر انه استثناء مقصود قال الحسن وقتادة وغيرهما معناه مما قضى الله نسخه وان ترتفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شاء الله ان ينسيك لتسن به على نحو قوله عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن وقيل الا ما شاء الله ان يغلبك النسيان عليه ثم يذكرك به بعد كما قال عليه السلام حين سمع قراءة عباد بن بشير لقد ذكرني كذا وكذا اية في سورة كذا وكذا وقيل فلا تنسى اي فلا تترك العمل به الا ما شاء الله ان تتركه بنسخه اياه فهذا في نسخ العمل وقال الفرا وجماعة هذا استثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء وليس ثم شيء ابيح استثناؤه واخذ الزمخشري هذا القول فقال او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي انتهى وقول الفرا والزمخشري يجعل الاستثناء كلا استثناء وهذا لا ينبغي ان يكون في كلام الله بل ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان لا في فلا تنسى للنهي والالف ثابتة لاجل الفاصلة هو قول ضعيف ومفهوم الاية في غاية الظهور وقد تعسفوا في فهمها والمعنى انه تعالى اخبر انه سيقرئه وانه لا ينسى الا ما شاء الله فانه ينساه اما النسخ واما ان يسن واما على ان يتذكر وهو عليه السلام معصوم من النسيان فيما امر بتبليغه فان وقع نسيان فيكون على وجه من هذه الوجوه الثلاثة ونيسرك سنقرئك لما قبله انه لما امره تعالى بالتسبيح وكان التسبيح لا يتم الا بقراءة ما انزل عليه من القران وكان يتذكر في نفسه مخافة ان ينسى فازال عنه ذلك وبشره بانه تعالى يقرئه وانه لا ينسى استثنى ما شاء ان ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه انه يعلم الجهر اي جهرك بالقران وما يخفى اي في نفسك من خوف التفلت وقد كفاك ذلك بكونه يكفيك باقرائك اياه واخباره انك لا تنسى الا ما استثناه وتضمن ذلك احاطة علمه بالاشياء ونيسرك معطوف على سنقرئك وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض اي نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني في حفظ الوحي وقيل للشريعة الحنيفية السهلة وقيل يذهب بك الى الامور الحسنة في امور دنياك واخرتك من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة ولما اخبره انه يقرئه وييسره امره بالتذكير اذ ثمرة الاقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من ارسل

اليهم والظاهر ان الامر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى وهذا الشرط انما جيء به توبيخا لقريش اي ان نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى فهو كما **قال الشاعر**

لقد اسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

كما تقول قل لفلان واعد له ان سمعك انما هو توبيخ واعلام انه لن يسمع وقال الفرا والنحاس والزهراوي والجرجاني معناه وان لم ينفع فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني وقيل ان بمعنى اذ كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم لانه لم يخبر بكونهم الاعلون الا بعد ايمانهم سيذكر من يخشى اي لا يتذكر بذكراك الا من يخاف فان الخوف حامل على النظر في الذي يخشيه مما يخاف فاذا انظر قاده النظر والتذكر الى الحق وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون كل على قدر ما وفق له ويتجنبها اي الذكرى الاشقى اي البالغ في الشقاوة لان الكافر بالرسول عليه السلام هو اشقى الكفار كما ان المؤمن به وبما جاء به هو افضل ممن امن برسول قبله ثم وصفه بما يؤول اليه حاله في الآخرة وهو صلى النار ووصفها بالكبرى قال الحسن النار الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا وقال الفرا الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل نار الآخرة تتفاضل ففيها شيء اكبر من شيء ثم لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة هنية وجيء بثم المقتضية للتراخي ايذانا بتفاوت مراتب الشدة لان التردد بين الحياة والموت اشد وافظع من الصلي بالنار قد افلح اي فاز وظفر بالبغية من تزكى من تطهر قال ابن عباس من الشرك وقال لا اله الا الله وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال ابو الاحوص وقتادة وجماعة من رضخ من ماله وزكاه وذكر اسم ربه اي وحده لم يقرنه بشيء من الانداد فصلى اي الصلوات المفروضة وما امكنه من النوافل والمعنى انه لما تذكر امن بالله ثم اخبر عنه تعالى انه افلح من اتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكوة واحتج بقوله وذكر اسم ربه على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انه جائز بكل اسم من اسمائه تعالى واحتج بها انها ليست من الصلوات لان الصلاة معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة الافتتاح وهو احتجاج ضعيف وقال ابن عباس وذكر اسم ربه اي معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له **وقراءة** الجمهور بل تؤثرون بتاء الخطاب وقيل خطاب للبر والفاجر يؤثرها البر لاقتناء الثواب والفاجر لرغبته فيها **وقراءة** عبد الله وابو رجاء والحسن والجحدري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو عمرو والزعفراني وابن مقسم بياء الغيبة ان هذا اي الاخبار بافلاح من تزكى وايثار الناس للدنيا قاله ابن زيد وابن جرير ورجح لقرب المشار اليه بهذا وقال ابن عباس وعكرمة والسدي الى معاني السورة وقال الضحاك الى القران وقال قتادة الى قوله والاخرة خير وابقى لفي صحف الاولى ولم يتسخ افلاح من تزكى والاخرة خير وابقى في شرع من الشرائع فهو في الاولى وفي اخر الشرائع **وقراءة** الجمهور الصحف بضم الحاء في الحرفين والاعمش وهرون وعصمة كلاهما عن ابي عمرو بسكونها وفي كتاب اللوامح العقيلي عن ابي عمرو والصحف صحف باسكان الحاء فيهما لغة تميم **وقراءة** الجمهور ابراهيم بالف وياء والهاء مكسورة وابو رجاء بحذفهما والهاء مفتوحة مكسورة معا وابو موسى الاشعري وابن الزبير ابراهام بالفين في كل القران ومالك ابن دينار ابراهم بالف وفتح الهاء وبغير ياء وعبد الرحمن بن ابي بكرة ابراهم بكسر الهاء وبغير ياء في جميع القران قال ابن خالويه وقد جاء ابراهم يعني بالف وضم الهاء وتقدم في والنجم الكلام في صحف ابراهيم وموسى **الضريع** قال ابو حنيفة واظنه مما الثانية الضريع الشبرق وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحما ولا لحما ومنه

ومنه قول ابن عزارة الهذلي

وحبس في هزم الضريع فكلها ... حرباء دامية اليدين جرود

وقال ابو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ... وصار ضريعا بان عنه النحايص

وقال بعض اللغويين الضريع يبيس العرفج اذا تحطم وقال الزجاج هو نبت كالعوسج وقال الخليل نبت اخضر منتن الريح يرمي به البحر **النمارق** الوسائد واحدها نمرقة بضم النون والراء وبكسرهما **وقال زهير**

كهولا وشبانا احسانا وجوههم ... على سرر مصفوفة ونمارق

الزرابي بسط عراض فاخرة وقال الفرا هي الطنافس المخملة وواحدها زربية بكسر الزاي وبفتحها **سطحت** الارض بسطت ووطئت

سورة الغاشية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا يسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم هنا ولما ذكر فيما قبلها فذكر وذكر النار والاخرة وقال هل اتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني القيامة قاله سفين والجمهور وقال ابن جبير ومحمد بن كعب النار وقال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال ومن فوقهم غواش فهي تغشى سكانها وهذا الاستفهام توقيف فائدته تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر وقيل المعنى هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك وفي هذا تعديد النعمة وقيل هل بمعنى قد وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت والتنوين عوض من الجملة ولم تتقدم جملة يصلح ان يكون التنوين عوضا منها لكن تقدم لفظ الغاشية والموصولة باسم الفاعل فيتحلل للتي غشيت اي الداهية التي غشيت فالتنوين عوض من هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية اليها والى الموصول الذي هو التي خاشعة ذليلة عاملة ناصبة قال ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة في النار ناصبة تعبة فيها لانها تكبرت عن العمل في الدنيا قيل وعملها في النار جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود نار وهبوطها في حدور منها وقال ابن عباس ايضا وزيد بن اسلم وابن جبير عاملة في الدنيا ناصبة فيها لانها على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار والاية في القسيسين وعباد الاوثان وكل مجتهد في كفر وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا ناصبة يوم القيامة **وقراء** ابن كثير في رواية شبل وحميد وابن محيصن عاملة في الدنيا ناصبة يوم القيامة بالنصب على الذم والجمهور برفعهما **وقراء** تصلى بفتح التاء وابو رجاء وابن محيصن والابوان بضمها وخارجة بضم التاء وفتح الصاد وابو رجاء وابن محيصن والابوان بضمها وخارجة بضم التاء وفتح الصاد مشددا للام وتقدم ها ابو عمرو بن العلاء حامية مستعرة آنية قد انتهى حرها كقوله وبين حميم آن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقال ابن زيد حاضرة لهم من قولهم اني الشي حضر والضريع قال ابن عباس شجر من نار وقال الحسن وجماعة الزقوم وقال ابن جبير حجارة في النار وقال ابن عباس ايضا وقتادة وعكرمة ومجاهد شبرق النار وقيل الشبرق ونبت العرفج وتقدم ما قيل فيه في المفردات وقيل واد في جهنم والضريع ان كان الغسلين والزقوم فظاهر ولا ينافي الحصر في الا من غسلين والا من ضريع وان كانت اغيارا مختلفة والجمع بان الزقوم لطائفة والغسلين لطائفة والضريع لطائفة وقال الزمخشري لا يسمن مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شي ليس من طعام الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعة الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن انتهى فقوله مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع اما جره على وصفه لضريع فيصح لانه مثبت نفي عنه السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام منفي ولا يسمن منفي فلا يصح تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ولو قيل الجملة في موضع رفع للمجموع وفي المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كاين من ضريع اذ الاطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد انتهى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا اذ لم يندرج الكاين من الضريع تحت لفظة طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله ولا طعام الا من غسلين لان الطعام هو ما يتطعمه الانسان وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه وما لا يستلذ ولا يستكره وجوه يومئذ ناعمة صح الابتداء هنا وفي قوله وجوه يومئذ خاشعة بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة بحسنها ونضارتها او متنعمة

لسعيها راضية اي لعملها في الدنيا بالطاعة راضية اذ كان ذلك العمل جزاؤه الجنة في جنة عالية اي مكانا وكانه **وقراء** الاعرج واهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وابو عمرو بخلاف عنهم لا تسمع بتاء التانيث مبنيا للمفعول لاغية رفع اي كلمة لاغية او جماعة لاغية او لغو فيكون مصدرا كالعافية ثلاثة اقوال الثالث لابي عبيدة وابن محيصن وعيسى وابن كثير وابو عمرو وكذلك الا انهم قروا بالياء لمجاز التانيث والفضل والجحدري كذلك الا انه نصب لاغية على معنى لا يسمع فيها اي احد من قولك اسمعت زيدا والحسن وابو رجاء وابو جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وابو عمرو بخلاف عنه وباقي السبعة لا تسمع بتاء الخطاب عموما او للرسول او الفاعل الوجوه لاغية بالنصب فيها عين جارية عين اسم جنس اي عيون او مخصوصة ذكرت لتشريفها فيها سرر مرفوعة من رفعة المنزلة او رفعة المكان ليرى ما خوله ربه من الملك والنعيم او مخبوءة من رفعت لك هذا اي خبأته واكواب موضوعة اي باشربتها معدة لا تحتاج لا تحتاج الى ملي او موضوعة بين ايديهم او موضوعة على حافات العيون ونمارق مصفوفة اي وسائد صف بعضها الى جنب بعض للاستناد اليها والاتكاء عليها وزرابي مبثوثة متفرقة هنا وهنا في المجالس ولما ذكر تعالى امر القيامة وانقسام اهلها الى اشقياء وسعداء وعلم انه لا سبيل الى اثبات ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم اتبع ذلك بذكر هذه الدلائل وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائما فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وهي الجمال فانه اجتمع فيها ما تفرق من المنافع في غيرها من اكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد الشاسعة وعيشها باي نبات اكلته وصبرها على العطش حتى ان فيها ما يرد الماء الى عشر وطواعيتها لمن يقودها ونهضتها وهي باركة بالاحمال الثقال وكثرة حنينها وعسرها بالصوت الحسن على غلظ اكبادها وهي لا شي من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها وقد ابان تعالى امتنانه عليهم بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الاية ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها دية القتل ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن ارادوا اكرامه وذكرها الشعراء في مدح من وهبها كما **قال**

اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية

وقال

الواهب المائة الهجان بعبدها

وناسب التنبيه بالنظر اليها والى ما حوت من عجايب الصفات ما ذكر معها من السما والجبال والارض لانتظام هذه الاشيا في نظر العرب في اوديتهم وبواديهم وليدل على الاستدلال على اثبات الصانع ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام في كل موجوداته كما قال وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وقال ابو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتي ارسالا كالابل وتزجي كما تزجي الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل والنعام ومنه **قول الشاعر**

كان السحاب دون السماء نعام تعلق بالارجل

قال الزمخشري ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز انتهى **وقراء** الجمهور الابل بكسر الباء وتخفيف اللام والاصمعي عن ابي عمرو باسكان الباء وعلي وابن عباس بشد اللام ورويت عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من اهل اللغة وقال الحسن خص الابل بالذكر لانها تاكل النوى والقت وتخرج اللبن وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والابل لا واحد له من لفظه وهو مؤنث ولذلك اذا صغر دخلته التاء فقالوا ابيلة وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا ابل الرجل وتعجبوا من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما آبل زيدا وابل اسم جاء على فعل ولم يحفظ **ش** مما جاء على هذا الوزن غيره وكيف خلقت جملة استفهامية في موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى والى كيف خلقت على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على اصح الاقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف فحكي انهم قالوا انظر الى كيف تصنع وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت واذا علق الفعل عن ما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقد بينا ذلك في كتابنا المسمى بالتذكرة وفي غيره **وقراء** الجمهور خلقت رفعت نصبت سطحت بتاء التانيث مبنيا للمفعول وعلي وابو حيوة وابن ابي عبلة بتاء المتكلم

مبنيا للفاعل والمفعول محذوف اي خلقها رفعها نصبها سطحها رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها وقرأ الجمهور سطحت خفيفة الطاء والحسن وهارون الرشيد بشدها ولما حضهم على النظر امر رسوله بتذكيرهم فقال فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقرأ الجمهور بالصاد وكسر الطاء وابن عامر في رواية ونظيف عن قنبل وزرعان عن حفص بالسين وحمزة في رواية باشمام الزاي وهارون بفتح الطاء وهي لغة تميم وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهي تسيطر وليس في الكلام على هذا الوزن الا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر وهي اسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر وبيقر وجاء مجيمر اسم واد ومديبر ويمكن ان يكون اصلهما مدبر ومجمر فصغرا وقرأ الجمهور الا حرف استثناء فقيل متصل اي فانت مسيطر عليه وقيل منفصل من فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فيستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقيل منقطع وهي اية موادعة نسخت بالسيف وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة وزيد بن اسلم الا حرف تنبيه واستفتاح والعذاب الاكبر هو عذاب جهنم وقرأ الجمهور ايابهم بتخفيف الياء مصدر آب وابو جعفر وشيبة بشدها مصدر الفيعل من آب على وزن فيعالا او مصدر الفوعل كحوقل على وزن فيعالا اصله كحيقالا او مصدرا لفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فاصله اوواب فقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البناء والبناء قبله واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغم ولم يمنع الادغام من القلب لان الواو والياء ليستا عينين من الفعل بل الياء في فيعل والواو في فعول زائدتان وقال صاحب اللوامح وتبعه الزمخشري يكون اصله اوابا مصدر اوب نحو كذب كذابا ثم قيل ايوابا قلبت الواو الاولى ياء لانكسار ما قبلها قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بسيد يعني انه اجتمع ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء واما كونه مصدر اوب فانه لا يجوز لانهم نصوا على ان الواو الاولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تنقلب الواو الاولى لاجل الكسرة ومثلوا باخرواط مصدر اخروط ومثلوا ايضا بمصدر اوب نحو اوب اوابا فهذه وضعت على الادغام فحصنها من الابدال ولم يتاثر للكسرة واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه الياء واو وايضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره وقال ابن عطية ويصح ان يكون من اوب فيجيء ايوابا سهلت الهمزة وكان اللازم في الادغام يردها اوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس انتهى وقوله وكان اللازم في الادغام يردها اوابا ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل وواو وهي عين الكلمة واحداهما ساكنة فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير ايابا ولما كان من مذهب الزمخشري ان تقديم المعمول يفيد الحصر قال ومعناه ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة **الحجر** العقل قال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه حافظا لها كانه من حجرت **ارم** امة قديمة وقيل اسم ابي عاد كلها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل مدينة وقيل انه اسم قبيلة

قال زهير

واخرين ترى الماذي عدتهم ... من نسج داود او ما اورثت ارما

وقال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه اوله ... ادرك عادا وقبله ارما

جابوا خرق وقطع تقول جبت البلاد اجوبها اذا قطعتها وجبتها **قال الشاعر**

ولا رأيت قلوصا قبلها حملت ... ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

السوط آلة للضرب معروفة قال بعض اللغويين وهو مصدر من ساط يسوط اذا خلط وقال الليث ساطه اذا خلطه بالسوط وحسنه

احارث انا لو تساط دماؤنا ... تزايلن حتى لا يمس دم دما

وقال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة **اللم** الجمع واللف قال ابو عبيدة لممت ما على الخوان اذا اكلت جميع ما عليه باسره

وقال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ... فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

ومنه لم الشعث

قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه ... على شعث اي الرجال المهذب

الجم الكثير

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال علي بن ابي طلحة مدنية ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة اتبعه بذكر الطوائف المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة واشار الى الصنف الاخر الذين وجوههم ناعمة بقوله يا ايتها النفس المطمئنة وايضا لما قال الا من تولى وكفر قال هنا ان ربك لبالمرصاد تهديدا لمن كفر وتولى **وقرأ** ابو الدينار الاعرابي والفجر والوتر ويسر بالتنوين في الثلاثة قال ابن خالويه هذا كما روي عن بعض العرب انه وقف على اواخر القوافي بالتنوين وان كان فعلا وان كان فيه الف ولام **قال الشاعر**

اقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي ان اصبت لقد اصابا

انتهى وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة اذا لم يترنم الشاعر وهو احد الوجهين اللذين للعرب اذا انشدوا اذا لم يترنموا والوجه الاخر الوقف فيقولون العتاب واصاب لما لهم اذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر وهذا الاعرابي اجرى الفواصل مجرى القوافي الجمهور وليال عشر بالتنوين وابن عباس بالاضافة فضبطه بعضهم وليال عشر بلام دون ياء وبعضهم وليالي عشر بالياء ويريد وليالي ايام عشر ولما حذف الموصوف المعدود وهو مذكر جاء في عدده حذف التاء من عشر وقرأ الجمهور والوتر بفتح الواو وسكون التاء وهي لغة قريش والاغر عن ابن عباس وابو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة والاعمش والحسن بخلاف عنه والاخوان بكسر الواو وهي لغة تميم واللغتان في الفرد فاما في الذحل فالكسر لا غير وحكى الاصمعي فيه اللغتين ويونس عن ابي عمرو بفتح الواو وكسر التاء والجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا وابن كثير باثباتها فيهما ونافع وابو عمرو بخلاف عنه بياء في الوصل وبحذفها في الوقف والظاهر وقول الجمهور منهم علي وابن عباس وابن الزبير ان الفجر هو المشهور اقسم به كما اقسم بالصبح ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص وقال ابن عباس ومجاهد فجر يوم النحر وعكرمة فجر يوم الجمعة والضحاك فجر ذي الحجة ومقاتل فجر ليلة جمع وابن عباس وقتادة فجر اول يوم من المحرم وعن ابن عباس ايضا الفجر النهار كله وعنه ايضا وعن زيد بن اسلم الفجر هو صلاة الصبح وقراءتها هو قرآن الفجر وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها وقال ابن الزبير والكلبي وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وعطية العوفي هي عشر ذي الحجة وابن عباس والضحاك العشر الاواخر من رمضان وقال ابن جريج الاول منه ويمان وجماعة الاول من المحرم وفيه يوم عاشوراء ومسروق ومجاهد وعشر موسى التي اتمها الله له قبل والاظهر قول ابن عباس للحديث المتفق على صحته قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله قال التبريزي اتفقوا على انه العشر الاواخر يعني من رمضان لم يخالف فيه احد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم وقال الزمخشري واراد بالليالي العشر ذي الحجة **فان قلت** فما بالها منكرة من بين ما اقسم به **قلت** لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها **فان قلت** فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة **قلت** لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية انتهى اما السؤال الاول فظاهر واما الجواب عنهما فلفظ ملفق لا يعقل منه معنى فيقبل او يرد والشفع والوتر ذكر في كتاب التحرير والتحبير فيهما ستة وثلاثين قولا ضجرنا من قراءتها فضلا عن كتابتها في كتابنا هذا وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلوات

منها الشفع ومنها الوتر وروى ابو ايوب عنه عليه السلام الشفع يوم عرفة ويوم الاضحى والوتر ليلة النحر
وروى جابر عنه عليه السلام الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وفي الحديث تفسيره عليه السلام الفجر بالصبح والليالي العشر
بعشر النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين صوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وذكر ابن عطية في
الشفع والوتر اربعة عشر قولا والزمخشري ثلاثة اقوال ثم قال وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون
اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه والليل اذا يسري قسم لجنس الليل ويسري يذهب وينقرض
كقوله والليل اذ ادبر وقال الاخفش وابن قتيبة يسرى فيه فيكون من باب ليلك نايم وقال مجاهد وعكرمة والكلبي المراد
به ليلة جمع لانه يسرى فيها وجواب القسم محذوف قال الزمخشري وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم
ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري الجواب قوله ان ربك لبالمرصاد والذي يظهر ان الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من اخر
سورة الغاشية وهو قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا وقول مقاتل هل هنا في موضع
ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم قول لم يصدر عن تامل لان المقسم عليه على تقدير ان يكون
التركيب ان في ذلك قسما لذي حجر لا يصلح ان يكون لم يذكر فيبقى قسم بلا مقسم عليه لان الذي قدر من ان في ذلك قسما لذي حجر
لا يصلح ان يكون مقسما عليه هل في ذلك تقرير على عظم هذه الاقسام اي هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في ايات
الله ثم وقف المخاطب على مصارع الامم الكافرة الماضية مقصودا بذلك توعد قريش ونصب المثل لها وعاد هو عاد بن عوص
واطلق ذلك على عقبه ثم قيل للاولى عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة وقال مجاهد
وقتادة هي قبيلة بعينها وقال ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن
وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية وقال ابن المسيب والمقبري هي دمشق وقال مجاهد ايضا ارم معناه القديمة **وقرأ**
الجمهور بعاد مصروفا ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوع الصرف للتانيث والعلمية لانه اسم للقبيلة وعاد وان كان
اسم القبيلة فقد يلحظ فيه معنى الحي فيصرف او لا يلحظ فجاء على لغة من صرف هندا وارم عطف بيان او بدل **وقرأ** الحسن
بعاد غير مصروف مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا وجدا ومدينة والضحاك بعاد ارم بفتح الدال وما بعدها
ممنوعي الصرف **وقرأ** ابن الزبير بعاد بالاضافة ارم بفتح الهمزة وكسر الراء وهي لغة في المدينة والضحاك بعاد مصروفا
وبعاد غير مصروف ايضا ارم بفتح الهمزة وسكون الراء تخفيف ارم بكسر الراء وابن عباس والضحاك ارم فعلا ماضيا
اي بلاهن الزم المعظم وارم هو بمعنى بلي وارمه غيره معدى بالهمزة من رم الثلاثي وذات على هذه القراءة مكسورة التاء وابن
عباس ايضا ارم فعلا ماضيا ذات بنصب التاء على المفعول به وذات بالكسر صفة لارم وسواء كانت اسم قبيلة ام مدينة
وان كان يترجح كونها مدينة بقوله لم يخلق مثلها في البلاد فاذا كانت قبيلة صح اضافة عاد اليها وفكها منها بدلا
او عطف بيان واذا كانت مدينة فالاضافة اليها ظاهرة والفك فيها يكون على حذف مضاف اي بعاد واهل ارم
ذات العماد **وقرأ** ارم ذات باضافة ارم الى ذات والارم العلم يعني بعاد اعلام ذات العماد ومن قرأ ارم فعلا ماضيا
ذات بالنصب اي جعل الله ذات العماد رميما ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيينا لفعل واذا كانت ذات العماد صفة
للقبيلة فقال ابن عباس هي كناية عن طول ابدانهم ومنه قيل رفيع العماد وشبهت قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد
وعمدان اي طويل وقال عكرمة ومقاتل اعمدة بيوتهم التي كانوا يرحلون بها لانهم كانوا اهل عمود وقال ابن زيد
اعمدة بنيانهم واذا كانت صفة للمدينة فاعمدة الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور العالية والابراج يقال لها
عماد وحكي عن مجاهد ارم مصدر ارم يارم اذا هلك والمعنى كهلاك ذات العماد كان معنى كيف فعل ربك بعاد
كيف اهلك عادا كهلاك ذات العماد وهذا قول غريب وذكر المفسرون ان ذات العماد مدينة ابتناها شداد
ابن عاد لما سمع بذكر الجنة على اوصاف بعيد او مستحيل عادة ان يبنى في الارض مثلها وانه تعالى بعث عليه وعلى
اهله صيحة قبل ان يدخلها هلكوا جميعا ويوقف على قصتهم في كتاب التحبير وشيء منها في الكشاف **وقرأ** الجمهور
مبنيا للمفعول مثلها رفع وابن الزبير مبنيا للفاعل مثلها نصبا وعنه نخلق بالنون والضمير في مثلها عائد على
المدينة التي هي ذات العماد في البلاد اي في بلاد الدنيا او عائد على القبيلة اي في عظم اجسام وقوة **وقرأ** ابن وثاب
وثمود بالتنوين والجمهور بمنع الصرف جابوا الصخر خرقوه ونحتوه فاتخذوا في الحجارة منها بيوتا كما قال تعالى وتنحتون
من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بالواد وادي
القرى وقيل جابوا واديهم وجلبوا ماءهم في صخر شقوه فعل ذوي القوة والامال ذي الاوتاد تقدم الكلام عليه في
سورة ص الذين صفة لعاد وثمود وفرعون او منصوب على الذم او مرفوع على اضمارهم فصب عليهم ربك سوط
عذاب ابهم هنا واوضح في الحاقة وفي غيرها وبيانا صب عليهم السوط وغشاه وقنعهم واستعمل الصب في السوط
لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب **وقال الشاعر**

فصب

فصب عليهم محصدات كانها ... شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

يريد المجدودين في قصة الافك وقال بعض المتاخرين في صفة الخيل

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها ايد سراع وارجل

وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال
الزمخشري وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في
الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به والمرصاد والمرصد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال
من رصده وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المرصاد
في الاية اسم فاعل كانه قال لبالراصد فعبر ببناء المبالغة انتهى ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لانها ليست في
مكان دخولها لا زائدة ولا غير زائدة فاما الانسان ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدل به على
اكرام الله تعالى واهانته لعبده فيرون المكرم من عنده الثروة والاولاد والمهان ضده ولما كان هذا
غالبا عليهم وبخوا بذلك والانسان جنس ويوجد هذا في كثير من اهل الاسلام وقال الزمخشري **فان قلت**
بم اتصل قوله فاما الانسان **قلت** بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان
الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة
وما يلذه وينعمه فيها انتهى وفيه التصريح بمذهب الاعتزال في قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة
والفاء العامل فيه فيقول والنية فيه التاخير اي فيقول كذا وقت الابتلاء وهذه الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها
فيما قبلها وان كانت فاء دخلت في خبر المبتدا لاجل اما التي فيها معنى الشرط وعلى هذا فالنية تقديم
وثم التوازن بين الجملتين تقديره فاما هو اذا ما ابتلاه فيقول خبر عن ذلك المبتدا المضمر وابتلاه
معناه اختبره الشكر ام يكفر اذا بسط له والصبر ام يجزع اذا ضيق عليه لقوله تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وقابل ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه ولم يقابل فاكرمه بلفظ فاهانه لانه ليس من ضيق
عليه الرزق كان ذلك اهانة له الا ترى الى ما ترى من اهل الصلاح مضيقا عليهم الرزق كحال ابي
سليمان داود بن علي الاصبهاني وغيره وذم الله تعالى العبد في حالتيه فاتى اهانه قوله فيقول ربي
اكرمني فلانه رجا رسته على انه يستحق الكرامة ويستوجبها واما قوله اهانني فلانه سمى ترك التفضل
اهانة وليس باهانة او يكون اذا تفضل عليه اقر باحسان الله واذا لم يتفضل عليه سمى ترك تفضل
الله اهانة لا الى الاعتراف بقوله اكرمني **وقرأ** ابن كثير اكرمني واهانني بالياء فيهما ونافع بالياء وصلا
وحذفها وقفا وخير في الوجهين ابو عمرو وحذفها باقي السبعة فيهما وصلا ووقفا ومن حذفها وقفا
سكن النون فيه **وقرأ** الجمهور فقدر بتخفيف الدال وابو جعفر وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه وابن
عامر بشدها قال الجمهور هما بمعنى واحد بمعنى ضيق والتضعيف فيه للمبالغة لا للتعدي ولا يقتضي ذلك
قول الانسان اهانني لان اعطاء ما يكفيه لا اهانة فيه كلا ردع على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام
الله وتقديره الرزق سببه ما ذكرتم بل اكرامه العبد تيسيره لتقواه واهانته له تيسيره للمعصية
ثم اخبر بما هم عليه من اعمالهم السيئة وقال الزمخشري كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هنا شر
من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون فيه ما يلزمهم من اكرام اليتيم بالتفقد
والمبرة وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكلا لما ويحبونه فيشحون به انتهى وفي الحديث احب
البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم **وقرأ** الحسن ومجاهد وابو رجاء وقتادة والجحدري
وابو عمرو يكرمون ولا يحضون وياكلون ويحبون بياء الغيبة فيها وباقي السبعة بتاء الخطاب وابو جعفر
وشيبة والكوفيون وابن مقسم تحاضون بفتح التاء والالف اصله تتحاضون وهي قراءة الاعمش اي
يحض بعضكم بعضا وعبد الله وعلقمة وزيد بن علي وعبد الله بن المبارك والشيزري عن الكسائي كذلك
الا انهم ضموا التاء اي تحاضون انفسكم بعضكم بعضا وتفاعل وفاعل ياتي بمعنى فعل الضيا على طعام
يجوز ان يكون بمعنى اطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء والاولى ان يكون على حذف مضاف اي على بذل طعام
وياكلون التراث كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الاولاد فياكلون نصيبهم ويقولون لا ياخذ
الميراث الا من يقاتل ويحمي الحوزة والتراث تاؤه بدل من واو كالتكلة والتخمة من توكلت ووخمت
وقيل كانوا ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهم عالمون بذلك يجمعون بين الحلال والحرام او يسرفون
في انفاق ما ورثوه لانهم ما تعبوا في تحصيله كما شاهدنا الوراث البطالين كلا ردع لهم عن
ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه في دار الدنيا كالحالة كقوله

بانا بانا اي مكررا عليهم الدك وجاء ربك وقال منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك ليس مجي نقلة وكذلك مجي الطامة
والصاخة وقيل وجاء قدرته وسلطانه وقال الزمخشري هو تمثيل لظهور ايات اقتداره وتبيين اثار قدرته وسلطانه مثلت
حاله في ذلك بحال الملك اذا احضر بنفسه ظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها
ووزرائه وخواصه انتهى والملك اسم جنس يشمل الملائكة وروي انه ملائكة كل سماء يكونون صفا حول الارض في يوم القيامة قال
الزمخشري صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس انتهى وجيء يومئذ بجهنم كقوله
وبرزت الجحيم لمن يرى يومئذ يتذكر الانسان يومئذ بدل من اذا قال الزمخشري وعامل النصب فيهما يتذكر انتهى ظاهر
كلامه ان العامل في البدل هو العامل نفسه في المبدل منه وهو قول قد نسب الي شيء والمشهور خلافه وهو ان البدل على نية تكرار
العامل اي يتذكر ما فرط فيه واني له الذكرى اي منفعة الذكرى لانه وقت لا ينفع فيه التذكر لو اتعظ في الدنيا لنفعه ذلك في الاخرة
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير لحياتي الهنية وهي حياة الاخرة قاله الجمهور قال الزمخشري وغيره او وقت حياتي
في الدنيا كما تقول جئت لطلوع الشمس ولتاريخ كذا وكذا وقال قوم لحياتي في قبري عند بعثي الذي كنت اكذب به قال الزمخشري وهذا
ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي
كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور لا يعذب ولا يوثق مبنيين
للفاعل والضمير في عذابه ووثاقه عائد على الله تعالى اي لا يكل عذابه ولا وثاقه الي احد لان الامر لله وحده في ذلك او هو
من الشدة في حيز لم يعذب قط احد في الدنيا مثله والاول اوضح لقوله لا يعذب ولا يوثق ولا يطلق على الماضي الا بمجاز بعيد
بل موضوع لا اذا دخلت على المضارع ان يكون مستقبلا ويجوز ان يكون الضمير فيهما عائدا على الكافر اي لا يعذب احد من
الزبانية مثل ما يعذبونه وقيل الي الله اي لا يعذب احد في الدنيا عذاب الله للكافر ويضعف هذا لما مثل لا يعذب في يومئذ وهو ظرف
مستقبل وقرا ابن سيرين وابن ابي اسحاق وسوار القاضي وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو بحرية وسلام والكسائي
ويعقوب وسهل وخارجة عن ابي عمرو بفتح الذال والثاء مبنيين للمفعول فيجوز ان يكون الضمير فيهما مضافا للمفعول وهو الظاهر
اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه اولا يحمل احد عذاب الانسان لقوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى وعذاب وضع موضع تعذيب وفي اقتياس مثل هذا خلاف وهو ان يعمل ما وضع لغير المصدر كالعطاء والثواب والعذاب
والكلام فالبصريون لا يجيزونه وان جاء منه شيء تاولوه على اضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ والكوفيون يجيزونه ويقيسونه
وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم وثاقه بكسر الواو والجمهور بفتحها والمعذب هو الكافر على العموم وقيل هو
امية بن خلف وقيل ابي بن خلف وقيل المراد به ابليس وقام الدليل على انه اشد من الناس عذابا ولا يدفع هذا العموم قوله يومئذ
يتذكر الانسان والضمائر كلها مسوقة له ولما ذكر تعالى شيئا من احوال من يعذب ذكر شيئا من احوال المومن فقال يا ايتها النفس
وهذا النداء الظاهر انه على لسان ملك وقرا الجمهور يا ايتها بالتانيث وقرا زيد بن علي يا ايها بغير تاء ولا اعلم احدا ذكر انها تذكر
وان كان المنادي مؤنثا الا صاحب البديع وهذه القراءة شاهدة بذلك ولذلك وجه من القياس وذلك انه كما لم يثن ولم يجمع في
نداء المثنى والمجموع فكذلك لم يؤنث في نداء المؤنث المطمئنة الامنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن او التي كانت مطمئنة الي الحق لم يخالطها
شك قاله ابن زيد فيقال لها ذلك عند الموت وخروجها من جسد المومن في الدنيا وقيل عند البعث وقيل عند دخول الجنة الي ربك اي
الي موعد ربك وقيل الي ربها الانسان دون النفس اي ادخلي في الاجساد والنفس اسم جنس وعلى هذا النداء هو الان للمؤمنين
لما ذكر حال الكفار قال يا مومنوا دوموا وجدوا حتى ترجعوا راضين مرضيين راضية بما اوتيته مرضية عند الله فادخلي في عبادي
اي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح والمعنى فادخلي في اجساد عبادي وقرا الجمهور في عبادي
جمعا وابن عباس وعكرمة والضحاك ومجاهد وابو جعفر وابو صالح والكلبي وابو شيخ الهنائي واليماني في عبدي على الافراد
والاظهر انه اريد به اسم الجنس فمدلوله ومدلول الجمع واحد وقيل هو على حذف مضاف اي النفس معروفة فقال فادخلي في عبدي
اي في جسد عبدي وتعدى فادخلي اولا بفي وثانيا بغير في وذلك انه اذا كان المدخول فيه غير ظرف حقيقي تعدت اليه بفي
تقول دخلت في الامر ودخلت في غمار الناس ومنه فادخلي في عبادي واذا كان المدخول فيه ظرفا حقيقيا تعدت اليه في الغالب
بغير وساطة في قيل ونزلت في عثمان بن عفان وقيل في حمزة وقيل في خبيب بن عدي الكبد الشدة والمشقة واصله
من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعه كبده واتسعت فاستعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة

وقال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

وقال ابو الاصبع

لو ابن عم لوان الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني

الشفة معروفة واصلها شفهة حذفت منها الهاء ويدل على ذلك شفيهة وشفاه وشافهت وهي مما لا يجوز جمعه بالالف
والتاء وان كان فيها التانيث النجد العنق وجمعه نجود وبه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة والنجد الطريق

العالي

العالي

وقال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

الفك تخليص الشيء من الشيء

قال الشاعر

فيا رب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني

السغب الجوع العام وقد يقال سغب الرجل اذا جاع ترب الرجل افتقر ولصق بالتراب واترب اذا استغنى
وصار ذا مال كالتراب وكذلك اثرى اوصدت الباب واصدته اذا اغلقته واطبقته

قال الشاعر

تحن الي اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب
المشئمة عليهم نار موصدة هذه السورة مكية في قول الجمهور وقيل مدنية ولما ذكر تعالى ابتلاءه للانسان بحالة التنعيم وحالة التقدير
وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما ال اليه حاله وحال المومن اتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما ال اليه في
الاخرة والاشارة بهذا البلد الي مكة وانت حل جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به اي فانت مقيم به وهذا هو الظاهر
وقال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة قال ابن عطية
وهذا يتركب على قول من قال لا نافية اي ان هذا البلد لا يقسم الله به وقد جاء اهله باعمال توجب احلال حرمته وقال
شرحبيل بن سعد يعني وانت حل بهذا البلد جعلوك حلا لا مستحل الاذى والقتل والاخراج وهذا القول بدا به الزمخشري
وقال بعث على احتمال ما كان يكابده من اهل مكة وتعجب من حالهم في عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان
الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال
وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر ثم قال الزمخشري بعد كلام طويل فان قلت اين نظير
وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون واسع في كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام
والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا
على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح
انتهى وحمله على ان الجملة اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا اولا انها جملة حالية وبينا حسن موقعها اوهي حال مقارنة
لا مقدرة ولا محكية فليست من الاخبار بالمستقبل واما سواله والجواب فهذا لا يسأله من له ادني تعلق بالنحو لان
الاخبار قد يكون بالمستقبلات وان اسم الفاعل وما يجري مجراه حاله اسناده او الوصف به لا يتعين حمله على الحال
بل يكون للماضي تارة وللحال اخري وللمستقبل اخري وهذا من مبادي علم النحو واما قوله وكفاك دليلا قاطعا
الي اخره فليس يعني لا يلائم يحمل وانت حل على انه يحل لك ما تصنع في مكة من الاسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا
بل حملناه على انه تعالى اقسم بها حاضرة وهو وقت النزول كان مقيما بها ضرورة وايضا فما حكاه من الاتفاق على انها
نزلت بمكة فليس بصحيح وقد حكى الخلاف فيها عن قوم ابن عطية ولا بد فوله وانت حل بهذا البلد على ما ذكروه من ان
المعنى يستحل اذ ذاك ولا على انك تستحل فيه اشياء بل الظاهر ما ذكرناه اولا من انه تعالى اقسم بها لما جمعت من
الشرفين شرفها باضافتها الي الله تعالى وشرفها بحضور رسول الله واقامته فيها فصارت اهلا ان يقسم بها والظاهر
ان قوله ووالد وما ولد لا يراد به معين بل ينطلق على كل والد وقال ابن عباس ذلك فقال هو على العموم يدخل فيه
جميع الحيوان وقال مجاهد هو ادم وجميع ولده وقيل والصالحين من ذريته وقيل نوح وذريته وقال ابو عمران الجوني
ابراهيم وجميع ولده وقيل والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ولد ابراهيم عليه السلام وقال الطبري والماوردي
يحتمل ان يكون الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد
ولقراءة عبد الله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فاقسم تعالى به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في شرفه
عليه السلام وقال الزمخشري فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسماعيل وبمن ولده وبه فان
قلت لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت
فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان انتهى وقال الفراء

وصح ما للناس كقوله ما طاب لكم وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى انتهى وقال ابن عباس وعكرمة
وابن جبير المراد بالوالد الذي يولد له وبما ولد العاقر الذي لا يولد له جعلوا ما نافية فيحتاج الى تقدير موصول
يصح به هذا المعنى كانه قال ووالد والذي ما ولد واضمار الموصول لا يجوز عند البصريين لقد خلقنا الانسان في كبد
هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على ان الانسان اسم جنس وفي كبد يكابد مشاق الدنيا والاخرة ومشاقه لا تكاد تنحصر
من اول قطع سرته الى ان يستقر قراره اما في جنة فتزول عنه المشقات جميعها واما في نار فتتضاعف مشقاته
وشدائده وقال ابن عباس وعبد الله بن شداد وابو صالح والضحاك ومجاهد في كبد معناه منتصبا القامة واقفا
ولم يخلق منكبا على وجهه وهذا امتنان عليه وقال ابن كيسان منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن له في الخروج قلب
راسه الى قدمي امه وعن ابن عمر يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء وقال ابن زيد الانسان ادم في كبد في السما
سماها كبدا وهذه الاقوال ضعيفة والاول هو الظاهر والظاهر ان الضمير في ايحسب عايد على الانسان اي هو
لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب انه لا يغلبه احد ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعدده يتقوى على سبيل الفخر
اهلكت مالا لبدا اي في المكارم وما يحصل به الثناء ايحسب ان اعماله تخفى وانه لا يراه احد ولا يطلع عليه في انفاقه
ومقصده بما ينفقه مما ليس لوجه الله منه شي بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه من عمل في حياته
ويحصونه الى يوم الجزاء وقيل الضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش فقيل هو ابو الاشد اسيد بن كلدة الجمحي وقيل
عمرو بن عبد ود وكل من هاذين له باس وشدة يحكى ان ابا الاشد كان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه
ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة وقيل الحارث
ابن عامر بن نوفل كان اذا اذنب استفتى الرسول عليه السلام فيامره بالكفارة فقال لقد اهلكت مالا لبدا في
الكفارات والتبعات منذ تبعت محمدا **وقرا** الجمهور لبدا بضم اللام وفتح البا وابو جعفر بشد البا وعنه وعن زيد
ابن علي لبدا بسكون البا ومجاهد وابن ابي الزناد بضمهما ثم عدد تعالى على الانسان نعمه فقال الم نجعل له عينين
يبصر بهما ولسانا يفصح عن ما في باطنه وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على الاكل والشرب والنفخ وغير
ذلك وهديناه النجدين قال ابن مسعود وابن عباس والجمهور طريق الخير والشر وقال ابن عباس ايضا
وعلي وابن المسيب والضحاك الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فلا اقتحم العقبة اي لم يشكر تلك النعم
السابغة والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال يشبه بعقبة الجبل وهو ما صعب
منه وكان صعودا فانه يلحقه مشقة في سلوكها واقتحامها دخلها بسرعة وضغط وشدة والقحمة الشدة والسنة
الشديدة ويقال تقحم في الامر تقحما اذا رمى بنفسه فيه من غير روية والظاهر ان لا للنفي وهو قول ابي عبيدة والفراء والزجاج
كانه قال وهبنا له الجوارح ودللناه على السبيل فما فعل خيرا اي فلم يقتحم قال الفراء والزجاج ذكره مرة واحدة والعرب
لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد كقوله فلا صدق ولا صلى وانما افردها لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان
يكون قوله ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعا
كقولك لا نجا ولا سلم دعا عليه ان لا يفعل خيرا وقيل هو تحضيض بمعنى الا ولا نعرف ان لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها
الهمزة وقيل العقبة جهنم لا ينجي منها الا هذه الاعمال قاله الحسن وقال ابن عباس ومجاهد وكعب جبل في جهنم وقال
الزمخشري بعد ان نقل مقالة الفرا والزجاج هي يعني لا متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم
مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى ولا يتم له هذا الا على قراة من قرا فك فعلا ماضيا **وقرا**
ابن كثير والنحويان فك فعلا ماضيا رقبة نصب او اطعم فعلا ماضيا وباقي السبعة فك مرفوعا رقبة مجرورا
واطعام مصدر منون معطوف على فك **وقرا** علي وابو رجاء كقراة ابن كثير الا انهما قرا ذا مسغبة بالالف
وقرا الحسن وابو رجاء ايضا او اطعام في يوم ذا بالالف ونصب ذا على المفعول اي انسانا ذا مسغبة
ويتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة **وقرا** بعض التابعين فك رقبة بالاضافة او اطعم فعلا ماضيا ومن قرا فك
بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة ومن قرا فك فعلا ماضيا فلا يحتاج الى تقدير مضاف ليكون
التعظيم للعقبة نفسها ويجي فك بدلا من اقتحم قاله ابن عطية وفك الرقبة تخليصها من الاسر
والرق ذا مقربة ليجمع صدقة وصلة واو هنا للتنويع ووصف يوم بذي مسغبة اي الاتساع
ذا متربة قال هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس
هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب وجهه اليه مستيقنا انه ليس فيه الا التراب ثم كان من الذين
امنوا هذا معطوف على قوله فلا اقتحم ودخلت ثم لتراخي الايمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي
في الزمان لانه لا بد ان يسبق تلك الاعمال الحسنة الايمان اذ هو شرط في صحتها ووقوعها من الطايع
او يكون المعنى ثم كان عاقبة امره من الذين امنوا واتى الموت على الايمان اذ الموافاة عليه شرط في

الانتفاع

الانتفاع بالطاعات ويكون التراخي في الذكر كانه قيل ثم اذكر انه كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر
اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي وتواصوا بالمرحمة اي بالتعاطف
والتراحم وبما يودي الى رحمة الله والميمنة والمشامة تقدم القول فيهما في الواقعة **وقرا** ابو عمرو وحمزة
وحفص موصدة بالهمز هنا وفي الهمزة فيظهر انه من اصدت قيل ويجوز ان يكون من
اوصدت وهمز على حد من قرا بالسوق مهموزا **وقرا** باقي السبعة بغير همز فيظهر انه من اوصدت
وقيل يجوز ان يكون من اصدت وسهل الهمزة

قال الشاعر

قوما يعالج قملا ابناؤهم وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

المفردات

طحا ودحا بمعنى واحد بسط ووطا وباب طحا يعني ذهب
قال علقمة طحا بك قلب في الحسان طروب ويقال ما ادري اين طحا اي ذهب قاله ابو عمرو
وذي ايمان لا والقمر الطاحي اي المشرف المرتفع ويقال طحا يطحو طحوا ويطحى طحيا المدسية المخفاة
واصله دسسها فابدل من باء الثالث المضاعف حرف علة كما قالوا في تقضض تقضى وقال
الشاعر وانت الذي دسست عمروا فاصبحت حلائله منه اراملا ضيعا
وينشد هنا نقاد سست عمرا في التراب دمدم عليه القبر اطبقه وقال مورج الدمدمة هي
الاهلاك باستيصال وقال في الصحاح دمدمت الشي الزقته بالارض وطحطحته

سورة الشمس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها
والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها مكية ولما تقدم القسم
ببعض المواضع الشريفة وما بعدها اقسم هنا بشي من العالم العلوي والعالم السفلي وبما هو الة التفكر في ذلك وهو
النفس وكان اخر ما قبلها مختتما بشي من احوال الكفار في الاخرة فاختتم اخر هذه بشي من احوالهم في الدنيا وفي
ذلك مالهم في الاخرة الى النار وفي الدنيا الى الهلاك المستاصل وتقدم الكلام على ضحى في سورة طه في قوله وان يحشر
الناس ضحى وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله وقال مقاتل حرها كقوله ولا تضحى وقال قتادة هو النهار
كله وهذا ليس بجيد لانه قد اقسم بالنهار والمعروف في اللغة ان الضحى هو بعيد طلوع الشمس قليلا فاذا
زاد فهو الضحاء بالمد وفتح الضاد الى الزوال وقول مقاتل تفسير باللازم وما نقل عن المبرد من ان الضحى مشتق
من الضح وهو نور الشمس والالف منقلبة من الحاء الثانية وكذلك الواو في ضحوة منقلبة عن الحاء الثانية لعله
مختلق عليه لان المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى
والقمر اذا تلاها قال الحسن والفراء تلاها معناه تبعها دابا في كل وقت لانه يستضي منها فهو يتلوها لذلك
وقال ابن زيد يتلوها في الشهر كله يتلوها في النصف الاول من الشهر بالطلوع وفي الاخر بالغروب وقال
ابن سلام النصف الاول من الشهر وذلك لانه ياخذ موضعها ويسير خلفها اذا غابت يتبعها القمر طالعا وقال قتادة انما ذلك
البدر تغيب هي فيطلع هو وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلا واستدار وكان لها تابعا للمنزلة من الضيا والقدر
لانه ليس في الكواكب شي يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر وقيل من اول الشهر الى نصفه في الغروب تغرب هي ثم يغرب
هو وفي النصف الاخر يتحاوران وهو ان تغرب هي فيطلع هو وقال الزمخشري تلاها طالعا عند غروبها اخذا من
نورها وذلك في النصف الاول من الشهر والنهار اذا جلاها الظاهر ان مفعول جلاها هو الضمير عايد على
الشمس لانه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلا وقيل يعود على الظلمة وقيل على الارض
وقيل على الدنيا والذي يجلي الظلمة هو الشمس او النهار فانه وان لم تطلع الشمس لا تبقى الظلمة والفاعل بجلاها
ضمير النهار وقيل ويحتمل ان يكون عايدا على الله تعالى كانه قال والنهار اذا جلى الله الشمس فاقسم بالنهار في اكمل
حالاته والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس فيدخلها فتغيب وتظلم الافاق ونسبة ذلك الى الليل مجاز
وقيل الضمير عايد على الارض والذي تقتضيه الفصاحة ان الضماير كلها الى يغشاها عايدة على الشمس وكما
ان النهار جلاها كان الليل هو الذي يغشاها ولما كانت الفواصل ترتبت على الف وها المونث اتى والليل
اذا يغشاها بالمضارع لانه الذي ترتب فيه ولو اتى بالماضي كالذي قبله وبعدها كان يكون التركيب اذا

غشيها سميت الفاصلة وهي مقصودة وقال القفال لما صحت هذه الاقسام بالشمس في الحقيقة بحسب اوصاف
اربعة ضوءها عند ارتفاع النهار ووقت انتشار الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر لها باخذه الضوء وتكامل طلو
وبروزها وغيبوبتها بمجي الليل وما في دحاياها وما طحاها وما سواها بمعنى الذي قال الحسن ومجاهد وابو
عبيدة واختاره الطبري قالوا لان ما يقع على اولي العلم وغيرهم وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج
وهذا قول من ذهب الى ان ما لا يقع على احاد اولي العلم وقال الزمخشري جعلت مصدرية وليس بالوجه
لقوله فالهمها وما يودي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والسما والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما
سخركن لنا انتهى اما قوله وليس بالوجه لقوله فالهمها يعني من عود الضمير في فالهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكو
وهو ما المراد به الذي ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على الله اي وبانيها هو اي الله كما اذا رايت
زيدا قد ضرب عمرا فقلت عجبت مما ضرب عمرا التقدير من ضرب عمرو هو كان حسنا فصيحا وعود الضمير على ما يفهم من سياق
الكلام كثير وقوله وما يودي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يودي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما اوثرت الى اخره
لا يراد بما ولا بمن الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما بخلاف الذي فاشتراكهما في انهما لا يوديان معنى الوصفية
موجود فيهما فلا تنفرد به ما دون من وقوله وفي كلامهم الى اخره تاوله اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية
ظرفية وقال الزمخشري **فان قلت** الامر في نصب اذا معضل لانك اما ان تجعل الواوات
عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما
ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل و**س** على استكراهه **قلت** الجواب فيه ان واو القسم
مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر
فكانت الواو قايمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العاطفة نوايب عن هذه فحققن ان يكن
عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب
الذي هو عاملهما انتهى اما قوله في واوات العطف فتنصب بها وتجر فليس هذا بالمختار اعني ان يكون حرف
العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا الانشا
في ذلك وقوله فتقع في العطف على عاملين ليس ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب
عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين
وذلك نحو قولك امرر بزيد قايما وعمرو جالسا وقد انشد **س** في كتابه

قال الشاعر

فليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة مذاهب وقد نسب
الجواز الى **س** وقوله وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية
بل وزان ما في الاية مررت بزيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر
بل كلام الخليل يدل على المنع قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى الواوان الاخرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان يضمان الاسما الى الاسما في
قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء انتهى واما قوله ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل
اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل قد اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فيقول
اقسم او احلف والله لزيد قايم واما قوله والواوات العاطفات نوايب عن هذه الى اخره فمبني على ان
حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار والذي نقوله ان المعضل هو تقرير العا
في اذا بعد الاقسام كقوله والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها والليل
اذا يغشى وما اشبهه فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف
لانه فعل انشاي فهو في الحال ينافي ان يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول
ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه
معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان المعمول زمان
العامل ولا جايز ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما
ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال

وتقديره

وتقديره والنجم كاينا اذا هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان يكون منصوبا بالعامل ولا يصح
ان يكون معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون
احوالا عن الجثث كما لا تكون اخبارا ونفس وما سواها ونفس اسم جنس ويدل على ذلك ما بعده من قوله
فالهمها وما بعده وتنوينها كما علقها وتطرها ولذلك ارتبط به فالهمها لان الفا تقتضي الترتيب
على ما قبلها من التسوية التي هي لا تكون الا بالعقل وقال الزمخشري **فان قلت**
لم نكرت النفس **قلت** فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من النفوس وهي نفس ادم كانه
قال وواحدة من النفوس انتهى وهذا فيه بعد للاوصاف المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس
الا ترى الى قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها كيف تقتضي التغاير في المزكي وفي المدسي
فالهمها قال ابن جبير الزمها وقال ابن عباس عرفها وقال ابن زيد بين لها وقال الزجاج وفقها للتقوى
والهمها فجورها اي خذلها وقيل عرفها وجعل لها قوة يصح اكتساب الفجور واكتساب التقوى
وقال الزمخشري ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح
وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل
التزكية والتدسية ومتوليا لهما والتزكية الانماء والتدسية النقص والاخفا بالفجور انتهى وفيه
دسيسة الاعتزال له قد افلح من زكاها قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت اللام لطول الكلام
والتقدير لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن وقال الزمخشري تقديره ليدمدمن الله
عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما
قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب
القسم في شي انتهى ومن زكاها طهرها ونماها بالعمل الصالح ودساها اخفاها وحقرها بعمل المعاصي
والظاهر ان فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من وقال الحسن وغيره ويجوز ان يكون ضمير الله تعالى
قاله ابن عباس وغيره كانه قال قد افلحت الفرقة التي زكاها الله وعاد الضمير مونثا باعتبار المعنى
من مراعاة التانيث وفي الحديث ما يشهد لهذا التاويل كان عليه السلام اذا قرا هذه الاية قال
اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها وقال الزمخشري واما قول
من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس
القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بري منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها
اليه انتهى على عادته في سب اهل السنة وهذا دفاعه ذلك هو حجر لعلم عبد الله بن عباس والرسول
عليه السلام بقوله وزكها انت خير من زكاها وقال ثعلب دساها اي اهل الخير بالرياء وليس
منهم وحسن قال وتقواها اعقبه بقوله قد افلح من زكاها ولما قال وقد خاب من دساها اعقبه
باهل الجنة ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم بطغواها
الباء عند الجمهور سببية اي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب
كذبوا به حتى نزل بهم لقوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الجمهور بطغواها بفتح الطاء
وهو مصدر وهو من الطغيان قلبت فيه الياء واوا فصلا بين الاسم وبين الصفة قالوا فيها خزيا
وحذيا وقالوا في الاسم تقوى وشروى الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة بضم الطاء وهو
مصدر كالرجعى وكان قياسها الطغيا بالياء كالسقيا لكنهم شذوا فيه اذ انبعث اي خرج لعقر
الناقة بنشاط وحرص والناصب لاذ كذبت واشقاها هو قدار بن سالف وقد يراد به الجماعة
لان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز افراده وان عني به جمع وقال الزمخشري ويجوز
ان يكون جماعة لتسوية في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمونث وكان
يجوز ان يقال اشقوها انتهى فاطلق الاضافة وكان ينبغي ان يقول الى معرفة لانه اذا اضيف الى
نكرة لا يجوز فيه اذ ذاك الا ان يكون مفردا مذكرا الحاله اذا كان بمن والظاهر ان الضمير في لهم
عايد على اقرب مذكور وهو اشقاها اذا اريد به الجماعة ويجوز ان يعود على ثمود ورسول الله
هو صالح عليه السلام الجمهور ناقة الله بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب
اضمار عامله لانه قد عطف عليه فصار حكمه بالعطف حكم المكرر كقولك الاسد الاسد اي احذروا
ناقة الله اي عقرها وعاقبة امرها او ذروا عقرها وسقياها فلا تمنعوها من السقيا
زيد بن علي ناقة الله بضم التاء اي هذه ناقة الله وسقياها فلا تغفلوا ذلك فكذبوه
على انهم كانوا كافرين وروي انهم كانوا قد اسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحا مدة ثم كذبوا وعقروا

فاسندوا العقر للجماعة لكونهم راضين به ومتمالئين عليه وقراء الجمهور فدمدم بميم بعد الدال وابن
الزبير فدهدم بها بينهما اي اطبق عليهم العذاب مكررا ذلك عليهم بذنبهم فيه تخويف من
عاقبة الذنوب فسواها فسوى القبيلة في الهلاك عاد عليها بالتانيث كما عاد في ثمودها وقيل
سوى الدمدمة اي سواها بينهم فلم يفلت منهم صغيرا ولا كبيرا وقراء ابي والاعرج ونافع وابن عامر
فلا يخاف بالفاء وباقي السبعة ولا بالواو والضمير في يخاف الظاهر عوده على اقرب مذكور
وهو ربهم لا درك عليه تعالى في فعله بهم لا يسأل عما يفعل قاله ابن عباس والحسن اخبارهم
ونقمته لاثارهم وقيل يحتمل ان يعود على صالح اي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم
وحذرهم ومن قرا ولا فيحتمل الضمير الوجهين وقال السدي وغيره والزجاج وابو علي الواو واو
الحال والضمير في يخاف عائد على اشقاها اي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه
والعقبى خاتمة الشيء وما يجيء من الامور بعقبه وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها

سورة الليل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى
ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى
فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى مكية وقال علي بن ابي طلحة مدنية
وقيل فيها مدني ولما ذكر فيما قبلها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ذكر هنا من الاوصاف ما يحصل به
الفلاح وما يحصل به الخيبة ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن يتجنبها ومفعول يغشى محذوف
فاحتمل ان يكون النهار كقوله يغشي الليل النهار وان يكون الشمس كقوله والليل اذا يغشاها وقيل
الارض وجميع ما فيها بظلامه وتجلى انكشف وظهر اما بزوال ظلمة الليل واما بنور الشمس اقسم بالليل
الذي فيه كل حيوان ياوي الى ماواه وبالنهار الذي ينتشر فيه

وقال الشاعر

تجلى السرى من وجهه عن صفيحة • على السير مشراق كثير شحومها

وقرا الجمهور تجلى فعلا ماضيا فاعله ضمير النهار وقراء عبد الله بن عبيد بن عمير تتجلى بتاءين يعني
الشمس وقرى بضم التاء وسكون الجيم اي الشمس وما خلق ما مصدرية او بمعنى الذي والظاهر عموم
الذكر والانثى وقيل من بني ادم فقط لاختصاصهم بولاية الله وطاعته وقال ابن عباس والكلبي والحسن و
هما ادم وحواء والثابت في مصاحف الامصار والمتواتر وما خلق الذكر والانثى وما ثبت في الحديث
من قراءة والذكر والانثى نقل احاد مخالف للسواد فلا يعد قرانا وذكر ثعلب ان من السلف من قرا وما
خلق الذكر بجر الذكر وذكرها الزمخشري عن الكسائي وخرجوه على البدل من ما على تقدير
والذي خلق الله وقد يخرج على توهم المصدر اي وخلق الذكر والانثى كما

قال الشاعر

تطوف العفاة بابوابه • كما طاف بالبيعة [illegible]

ان سعيكم اي مساعيكم لشتى لمتفرقة مختلفة ثم فصل هذا السعي فاما من اعطى الاية روي انها
نزلت في ابي بكر الصديق كان يعتق ضعفة العبيد الذين اسلموا وينفق في رضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماله وكان الكفار بضده قال عبد الله ابن ابي اوفى نزلت هذه السورة في ابي بكر الصديق
وابي سفيان بن حرب وقال السدي نزلت في ابي الدحداح الانصاري بسبب ما كان يعلق في المسجد
صدقة وبسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بحائط له وكان الرسول ساوم المنافق
في شرائها بنخلة في الجنة وذلك بسبب الايتام الذين كانت النخلة تشرف على بيتهم فيسقط
منها الشيء فياخذه الايتام فيمنعهم المنافق فابى عليه المنافق فجاء ابو الدحداح وقال يا رسول الله
انا اشتري النخلة التي في الجنة بهذه وحذف مفعولي اعطى اذ المقصود الثناء على المعطي دون تعرض
للمعطى والمعطى وظاهره بذل المال في واجب ومندوب ومكرمة وقال قتادة اعطى حق الله وقال
ابن زيد انفاق ماله في سبيل الله واتقى قال ابن عباس اتقى الله وقال مجاهد اتقى البخل واتقى ما نهي
عنه وصدق بالحسنى صفة تانيث الاحسن فقال ابن عباس وعكرمة وجماعة من الخلف في الدنيا

الوارد به وعد الله وقال مجاهد والحسن وجماعة الجنة وقال جماعة الثواب وقال السلمي وغيره لا اله
الا الله فسنيسره لليسرى اي نهيئه للحالة التي هي ايسر عليه واهون وذلك في الدنيا والاخرة
وقابل اعطى ببخل واتقى باستغنى لانه زهد فيما عند الله بقوله واستغنى للعسرى وهي الحالة
السيئة في الدنيا والاخرة وقال الزمخشري فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى يكون الطاعة
اعسر شيء عليه واشد كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء اذ سمى طريقة الخير
باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي
الجنة والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين انتهى وفي اول كلامه دسيسة الاعتزال وجاء
فسنيسره للعسرى على سبيل المقابلة لقوله فسنيسره لليسرى والعسرى لا تيسير فيها
وقد يراد بالتيسير التهيئة وذلك يكون في اليسرى والعسرى وما يغني يجوز ان تكون ما
نافية واستفهاما منه اي واي شيء يغني عنه ماله اذا تردى تفعل من الردى اي هلك قاله مجاهد
وقال قتادة وابو صالح تردى في جهنم اي سقط من حافاتها وقال قوم تردى باكفانه من الردا

قال مالك بن الريب

وخطا باطراف الاسنة مضجعي • وردوا على عيني فضل ردائيا

وقال الاخر

نصيبك مما تجمع الدهر كله • رداءان تلوى فيهما وحنوط

ان علينا للهدى التعريف بالسبل ومنحهم الادراك كما قال وعلى الله قصد السبيل وقال
الزمخشري ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للاخرة
والاولى اي ثواب الدارين كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقراء ابن الزبير
وزيد بن علي وطلحة وسفيان بن عيينة وعبيد بن عمير تتلظى بتاءين والبزي بتاء مشددة و
والجمهور بتاء واحدة وقال الزمخشري الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين
وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي
كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة فكان الجنة لم تخلق الا له وقيل
هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله
زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة انتهى وقراء الجمهور يتزكى مضارع تزكى
وقراء الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بادغام التاء في الزاي ويتزكى في موضع الحال فموضعه
نصب واجاز الزمخشري ان لا يكون له موضع من الاعراب لانه جعله بدلا من صلة الذي وهو يؤتي
ماله وهو اعراب متكلف وجاء تجزى مبنيا للمفعول لكونه فاصلة وكان اصله تجزيه اياها
او يجزيه اياه وقراء الجمهور الا ابتغاء بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لانه ليس داخلا
في من نعمة وقراء ابن وثاب بالرفع على البدل من موضع نعمة لانه رفع وهي لغة تميم وانشدوا
بالوجهين قول بشر بن ابي خازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها • الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول الاخر في الرفع

وبلدة ليس بها انيس • الا اليعافير والا العيس

وقرا ابن ابي عبلة الا ابتغاء مقصورا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ابتغاء وجه الله مفعولا
له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة انتهى وهذا اخذه
من قول الفراء قال الفراء ونصب على تاويل ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله
ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضاه وقراء الجمهور يرضى بفتح الياء وقرى بضمها يرضى
فعله يرضاه الله تعالى ويجازيه عليه سجى الليل ادبر وقيل اقبل ومنه

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج

وبحر ساج ساكن

قال الاعشى

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

وطرف ساج ساكن غير مضطرب بالنظر وقال الفراء سجى الليل اظلم وركد وقال ابن الاعرابي

سورة الضحى

اشتد ظلامه بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث مكية ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الأتقى وكان سيد الأتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هنا نعمه تعالى عليه **وقرأ** الجمهور ما ودعك بتشديد الدال وعروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيوة وابن أبي عبلة بتخفيفها أي ما تركك وقد استغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع ووذر وعن اسم فاعلهما بتارك وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وقد سمع ودع ووذر **وقال ابو الاسود**

ليت شعري عن خليلي ما الذي • غاله في الحب حتى ودعه •

وقول الآخر

وثم ودعنا آل عمرو وعامر • فرائس أطراف المثقفة السمر •

والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وما قلى أي ما أبغضك واللغة الشهيرة في مضارع قلى يقلي وطيء تقول يقلى بفتح العين وحذف المفعول اختصارا في قلى وفي فآوى وفي فهدى وفي فأغنى إذ يعلم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول عليه السلام قال ابن عباس وغيره أبطأ الوحي مرة وهو بمكة حتى شق ذلك عليه فقالت أم جميل امرأة أبي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك فنزلت وقال زيد بن أسلم إنما احتبس عنه جبريل لجرو كلب كان في بيته وللآخرة خير لك من الأولى يريد الدارين قاله ابن إسحاق وغيره ويحتمل أن يريد حالتيه قبل نزول السورة وبعدها وعده تعالى بالنصر والظفر قاله ابن عطية احتمالا وقال الزمخشري **فإن قلت** كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى بما قبله **قلت** لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الجمهور ذلك في الآخرة وقال ابن عباس رضي الله عنه إذ لا يدخل أحد من أهل بيته النار وقال الجبار رضاه الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل في الدنيا بفتح مكة وغيره والأولى أن هذا موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الظفر ولما ادخره من الثواب واللام في وللآخرة لام ابتداء وكذلك مضمون الجملة وكذا في ولسوف على إضمار مبتدأ ولأنت سوف يعطيك ولما وعده هذا الموعود الجليل ذكره نعمه عليه في نشأته ألم يجدك يتيما توفي أبوه عليه السلام وهو جنين أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه عليه السلام وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وأحسن تربيته وقيل لجعفر الصادق لم أيتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق قال الزمخشري ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى لم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك انتهى **وقرأ** الجمهور فآوى رباعيا وأبو الأشهب العقيلي فأوى ثلاثيا بمعنى رحم تقول أويت لفلان رحمته ومنه

قول الشاعر

أراني ولا كفران لله أيه لنفسي •

ووجدك ضالا لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى لأن الأنبياء معصومون من ذلك قال ابن عباس هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة ثم رده الله إلى جده عبد المطلب وقيل ضلاله من حليمة مرضعته وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب ولبعض المفسرين أقوال فيها بعض لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ولقد رأيت في النوم أني أفكر في هذه الجملة فأقول على الفور ووجدك أي وجد رهطك ضالا فهداه بك ثم أقول على حذف مضاف نحو واسأل القرية **وقرأ** الجمهور عائلا أي فقيرا **وقال جرير**

الله نزل في الكتاب فريضة • لابن السبيل وللفقير العائل •

كرر لاختلاف اللفظ واليماني عيلا كسيد بشد الياء المكسورة ومنه **قول الشاعر وهو أحيحة بن الجلاح**

وما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل •

عال افتقر وأعال كثر عياله فأغنى قال مقاتل فأغناك رضاك بما أعطاك من الرزق وقيل أغناك بالقناعة والصبر وقيل بالكفاف ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث كأنها مقابلها فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقره وقال ابن سلام لا تستذله وقال سفيان لا تظلمه بتضييع ماله وقال الفراء لا تمنعه حقه والقهر هو التسليط بما يؤذي **وقراء** الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي بالكاف بدل القاف وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور وأما السائل ظاهره المستعطي فلا تنهر أي تزجره لكن أعطه أو رده ردا جميلا وقال قتادة لا تغلظ عليه وهذه في مقابلة ووجدك عائلا فأغنى فالسائل كما قلنا المستعطي وقاله الفراء وجماعة وقال أبو الدرداء والحسن وغيرهما السائل هنا السائل عن العلم والدين لا سائل المال فيكون بإزاء ووجدك ضالا فهدى وأما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد والكلبي معناه بث القرآن وبلغ ما أرسلت به وقال محمد بن إسحاق هي النبوة وقال آخرون هي عموم في جميع النعم وقال الزمخشري التحدث بالنعم شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك انتهى ويظهر أنه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة أمره بثلاثة تذكر اليتيم أولا وهي البداية ثم ثانيا وهو العائل وكان أشرف ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة وإنما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لأنه بعد اليتيم هو زمان التكليف وهو عليه السلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله في القول والفعل والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتيم وحالة التكليف وفي الآخر يرقى إلى الأشرف فهما مقصدان في الخطاب

سورة الم نشرح مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة والشرح تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه قاله الجمهور والأولى العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله وحده واحتمال المكاره من أذية الكفار وقال ابن عباس وجماعة إشارة إلى شق جبريل صدره في وقت صباه دخلت همزة الاستفهام على النفي فأفاد التقرير على هذه النعمة وصار المعنى قد شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه الماضي وهو ووضعنا وهذا نظير قوله تعالى ألم نربك فينا وليدا ولبثت **وقرأ** الجمهور نشرح بجزم الحاء لدخول الجازم **وقرأ** أبو جعفر المنصور بفتحها وخرجه ابن عطية في كتابه على أنه ألم نشرحن فأبدل من النون ألفا ثم حذفها تخفيفا فتكون مثل ما أنشده أبو زيد في نوادره

من أي يومي من الموت أفر • أيوم لم يقدر أم يوم قدر •

وقال آخر

اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس •

وقال هذه القراءة مرذولة وقال الزمخشري وقد ذكرها عن المنصور وقال لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها انتهى ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله وهو أنه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وأنشد قول عائشة بنت الأعجم تمدح المختار بن أبي عبيد هو القائم بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه • حتى أتيح له المختار فانعمدا •

في كل ما هم أمضى رأيه قدما • ولم يشاور في إقدامه أحدا •

بنصب يشاور وهذا محتمل للتخريج ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل

دفعت عنك مشقة الزيادة فلم يصدر منه زيادة على طريق المبالغة في انتفاء المدابرة منه له وقال اهل
اللغة النقض الحمل الظهر الناقة اذا سمعت له صرير من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل اي صريره •

وقال عباس بن مرداس

وانقض ظهري ما تطويت منهم • وكنت عليهم مشفقا متحننا •

وقال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله • وهمت بواني زوره ان تحطما •

والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ه ورفعنا لك ذكرك هو ان قرنه بذكره تعالى في كلمة
الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسميته رسول الله
ونبي الله وذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به **وقال حسان**

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهود يلوح ويشهد •
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد •

ونقدم هذه النعم عليه صلى الله عليه وسلم تقتضي انه تعالى كما احسن اليه بهذه المراتب فانه يحسن
اليه بظفره على اعدائه وينصره عليهم وكان الكفار ايضا يعيرون المؤمنين بالفقر فذكره هذه
وقوى رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا اي ان مع الضيق فرجا ثم كرر ذلك مبالغة في حصول اليسر
ولما كان اليسر يعقب العسر من غير تطاول ازمان جعل كانه معه وفي ذلك تبشير الرسول
بحصول اليسر عاجلا والظاهر ان التكرار للتوكيد كما قلنا وقيل تكرر اليسر باعتبار المحل فيسر
في الدنيا ويسر في الآخرة وقيل مع كل عسر يسران من حيث العسر معروف بالعهد واليسر
منكر فالاول غير الثاني وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين وضم سين العسر واليسر ابن
وثاب وابو جعفر وعيسى وسكنها الجمهور ولما عدد نعمه السابقة ووعده عليه السلام
من تيسير ما عسر امره بان يدأب في العبادة اذا فرغ من شغلها ولا يفتر وقال ابن مسعود فاذا
فرغت من فرائضك فانصب في التنفل عبادة لربك وقال ايضا فانصب في قيام الليل وقال مجاهد
فاذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك وقال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت
من الصلاة فانصب في الدعاء وقال الحسن فاذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة ويعترض
قوله بان الجهاد فرض بالمدينة وقرأ الجمهور فرغت بفتح الراء وابو السمال بكسرها وهي لغة
وقال الزمخشري ليست بفصيحة وقرأ الجمهور فانصب بسكون الباء خفيفة وقوم بشدها
مفتوحة من الانصاب وقرأ آخرون من الامامية فانصب بكسر الصاد بمعنى اذا فرغت من النبوة
فانصب خليفة قال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم انتهى وقرأ
الجمهور فارغب امر من رغب ثلاثيا اي اصرف وجه الرغبات اليه لا الى سواه وقرأ زيد بن علي وابن
ابي عبلة فرغب امر من رغب مشددا التين هو الفاكهة المعروفة واسم جبل ويأتي اقوال
المفسرين فيه

سورة التين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة مدنية ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خلقا وخلقا
وفضله على سائر العالم ذكر هنا حالة من يعاديه وانه يرده اسفل سافلين في الدنيا والآخرة
واقسم تعالى بما اقسم به انه خلقه مهيأ لقبول الحق ثم نقله كما اراد الى الحالة السافلة
والظاهر ان التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم وفي الحديث مدح التين وانها
تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء قاله ابن عباس
والحسن وعكرمة والنخعي وعطاء بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وقال كعب وعكرمة
اقسم تعالى بمنابتهما فان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا فاقسم بالارضين
وقال قتادة هما جبلان بالشام على احدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس انتهى وفي شعر النابغة

ذكر

ذكر التين وسرح على التين جبل مستطيل **قال النابغة**

صهب الظلال اتين التين عن عرض • يزجين غيما قليلا ماؤه شبما •

وقيل هما مسجدان وقيل اضطربوا في موضعهما اضطرابا كثيرا ضربنا عن ذكره لكل صفحا ولم
يختلف في طور سيناء انه جبل بالشام وهو الذي كلم الله موسى عليه ومعنى سينين والشجر
وقال عكرمة حسن مبارك وقرأ سينين وابن ابي اسحق وعمرو بن ميمون وابو رجاء بفتح السين
وهي لغة بكر وتميم قال الزمخشري ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار
على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب انتهى وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن
سيناء بكسر السين والمد وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد وهو لفظ سرياني اختلفت بها
لغات العرب وقال الاخفش سينين شجر واحده سينينة وهذا البلد الامين هو مكة وامين للمبالغة
اي امن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان او من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته
حفظه من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون
الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرفها وما
ظهر فيها من الخير بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى
ومنشأه والطور المكان الذي نودي عليه موسى ومكة مكان مولد الرسول عليه السلام ومبعثه
ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين في احسن تقويم قال النخعي ومجاهد وقتادة حسن صورته
وحواسه وقيل انتصاب قامته وقال ابو بكر بن طاهر عقله وادراكه زيناه بالتمييز وقال
عكرمة شبابه وقوته والاولى العموم في كل ما هو احسن والانسان هنا اسم جنس والاحسن صفة
لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال عكرمة وقتادة والضحاك
والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبرة حتى يصير لا يعلم شيئا اما المؤمن فمرفوع عنه القلم
والاستثناء على هذا منقطع وليس المعنى ان كل انسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك
وقال الحسن ومجاهد وابو العالية وابن زيد وقتادة ايضا اسفل سافلين في النار على كفره ثم
استثنى استثناء متصلا وقرأ الجمهور سافلين منكرا وعبد الله السافلين معرفا بالالف
واللام وقال الزمخشري اتوا السلف وحسنها ببلاغته وانتفا الطائف فقال في احسن
تعديل لشكله وصورته وتسويته لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه
خلقه وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين
اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض
شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه
فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف انتهى وفيه تكثير وعلى ان ذلك
الرد هو الى الهرم فالمعنى ولكن الصالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم
وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وفي الحديث اذا بلغ مائة ولم يعمل شيئا كتب له مثل ما كان
يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفيه ايضا ان المؤمن اذا رد لارذل العمر كتب له خير ما كان يعمل
في قوته وذلك اجر غير ممنون وممنوع مقطوع او محسوب يمن به عليهم والخطاب في فما يكذبك
للانسان الكافر قاله الجمهور اي فما الذي يجعلك مكذبا بالدين تجعل لله اندادا وتزعم ان لا بعث
تقريعا وتوبيخا وقال قتادة والاخفش والفراء قال الله لرسوله فاذا الذي يكذبك فيما
تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت
اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار واخبار بعدله تعالى **السفع** قال المبرد الجذب لشدة
وسفع بناصيته جذب **قال عمرو بن معدي كرب**

قوم اذا كثر الضياح رايتهم • من بين ملجم او سافع •

وقال مورخ معناه لنأخذن بلغة قريش **النادي** والندي المجلس ومنه قول الاعرابية سيد
ناديه وثمال عافيه **وقول زهير**

وفيهم مقامات حسان وجوههم • واندية ينتابها القول والفعل •

الزبانية ملائكة العذاب قيل جمع لا واحد له من لفظه كعبابيد وقيل واحدهم زبنية على وزن

لغة

المفردات

جزويه وعزعزيه قاله ابو عبيدة وقال الكسائي زبني وكانه نسب الي الزبن ثم غير للنسب كقولهم
انسي واصله زباني قال عيسى بن عمرو الاخفش واحدهم زابن والعرب تطلق هذا الاسم
علي من اشتد بطشه ومنه قول الشاعر

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى زبانية غلب حلومها والزبن الدفع

قال الشاعر

ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال عتبة ابن ابي سفين وقد زبنتنا الحرب وزبناها

سورة العلق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب مكية وصدرها اول ما نزل من القران وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقول جابر اول ما نزل المدثر وقول ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل اول ما نزل الفاتحة لا يصح وقال الزمخشري عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم انتهى ولما ذكر فيما قبلها خلق الانسان في احسن تقويم ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك ذكره هنا منبها على شي من اطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول اليه حاله في الاخرة وقرا الجمهور اقرا بهمزة ساكنة والاعشى عن ابي بكر عن عاصم بحذفها كانه على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول اقرا يقرا كسعى يسعى فلما امر منه قيل اقر بحذف الالف كما تقول اسع والظاهر تعلق الباء باقرا وتكون للاستعانة ومفعول اقرا محذوف اي اقرا ما يوحى اليك وقيل باسم ربك هو المفعول وهو المامور بقراته كما تقول اقرا الحمد لله وقيل المعنى اقرا في اول كل سورة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرا على اسم الله كما قال في قوله وقال اركبوا فيها اي عليها اسم الله وقيل المعنى اقرا القران مبتدئا باسم ربك وقال الزمخشري محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرا انتهى وهذا قاله قتادة قال قتادة اقرا ما انزل من القران مفتتحا باسم ربك وقال ابو عبيدة الباء صلة والمعنى اذكر ربك وقال ايضا الاسم صلة والمعنى اقرا بعون ربك وتوفيقه وجا باسم ربك ولم يات بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى الذي رباك ونظر في مصلحتك وجا الخطاب ليدل على الاختصاص والتانيس اي ليس لك رب غيره ثم جاء بصفة وهو المنشي للعالم لما كانت العرب تسمي الاصنام اربابا اتى بالصفة التي لا يمكن شركة الاصنام فيها ولم يذكر متعلق الخلق اولا فالمعنى انه قصد الى استبداده بالخلق فاقتصر وحذف اذ معناه خلق كل شي ثم ذكر خلق الانسان وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل اليه وهو اشرف قال الزمخشري اشرف ما على الارض وفيه دسيسة ان الملك اشرف وقال ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقال الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته انتهى والانسان هنا اسم جنس والعلق جمع علقة فلذلك جاء من علق وانما ذكر من خلق من علق لانهم مقرون به ولم يذكر اصلهم ادم لانه ليس متقررا عند الكفار فسبق الفرع وترك اصل الخلقة تقريبا لافهامهم ثم جاء الامر ثانيا تانيسا له كانه قيل امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم الذي لا يلحقه نقص والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم التي لا تحصى ويحلم عن الجاني ويقبل التوبة ويتجاوز عن السيئة وليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة

التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطا نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى من كلام الزمخشري ومن غريب ما رويناه تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر ويدعوه بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيالها مخزية على من يدعوهم بها يجدون عقباها يوم عرض الاقوال والافعال ومفعولا علم محذوف اذ المقصود اسناد التعليم الى الله وقدر بعضهم الذي علم الخط بالقلم وهي قراءة تعزى لابن الزبير وهي عندي على سبيل التفسير لا على انها قران لمخالفتها سواد المصحف والظاهر ان المعلم بالقلم كل من كتب بالقلم وقال الضحاك ادريس وقيل ادم لانه اول من كتب والانسان في قوله علم الانسان الظاهر انه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها وقيل الرسول عليه السلام كلا ان الانسان ليطغى نزلت بعد مدة في ابي جهل ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلوة في المسجد فروي انه قال لئن رايت محمدا يسجد عند الكعبة لاطان على عنقه فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده فقال ابو جهل ايتوعدني محمد والله ما بالوادي اعظم ناديا مني ويروى انه هم ان يمنعه من الصلاة فكفي عنه ... ذكر لمن كفر نعمة الله عليه بطغيانه وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى اي يجاوز الحد ان راه استغنى الفاعل ضمير الانسان وضمير المفعول عائد عليه ايضا وراى هنا من رؤية القلب يجوز ان يتحد فيها الضميران متصلين فيقول رايتني ... بخلاف غيرها فلا يجوز زيد ضربه ... ضميرا زيد وقرا الجمهور ان راه بالف بعد الهمزة وهي لام الفعل وقنبل بخلاف عنه بحذف الالف وهي رواية ابن مجاهد عنه قال وهو غلط لا يجوز وينبغي ان لا يغلطه بل يتطلب له وجها وقد حذفت الالف في نحو من هذا قال وصاني العجاج فيما وصني يريد وصاني فحذف الالف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع راي في قولهم اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة وهو حذف لا ينقاس لكن اذا صحت الرواية به وجب قبوله والقراات جات على لغة العرب قياسها وشاذها ان الى ربك الرجعى اي الرجوع مصدر على وزن فعلى الالف فيه للتانيث وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه حيث ماله الى البعث والحساب والجزاء على طغيانه ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم انه ابو جهل قال ابن عطية ولم يختلف احد من المفسرين ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وفي الكشاف وقال الحسن هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وقال التبريزي المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر قيل هي اول جماعة اقيمت في الاسلام كان معه ابو بكر وعلي وجماعة السابقين فمر به ابو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا وانشا يقول

ان عليا وجعفرا ثقتي عند ملم الزمان والكرب
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من يكون من حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لامي من بينهم وابي

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والخطاب في ارايت الظاهر انه للرسول وكذا ارايت الثاني والثالث والتناسق في الضماير هو الذي يقتضيه النظم وقيل ارايت خطاب للكافر التفت الى الكافر فقال ارايت يا كافر ان كانت صلاته هدى ودعاء الى الله وامرا بالتقوى اتنهاه مع ذلك والضمير في ان كان وفي ان كذب عائد على الناهي قال الزمخشري ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد انتهى وقال ابن عطية ان كان يعني العبد المصلي وقوله ان كذب

ونزلت يعني الماشان الذي ينهي انتهى ويحتمل ابن عطية الضمير في ان كان على الهدى عائدا على المصلي
وقاله الفراء وغيره قال الفراء المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى وامر
بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر اي فما اعجب هذا الم يعلم ابو جهل بان الله يراه ويعلم فعله
فهذا التقرير وتوبيخ انتهى وقال من جعل الضمير في ان كان عائدا على المصلي انما ضم الى الصلاة
الامر بالتقوى لان ابا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امران الصلاة والدعا
والدعاء الى الله تعالى ولانه كان عليه السلام لا يوجد الا في امرين اصلاح نفسه لفعل الصلاة
واصلاح غيره بالامر بالتقوى وقال ابن عطية الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب
التوقيفات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها بجاء بها في نسق ثم جاء بالوعيد الكافي جميعها اختصارا
واقتضابا ومع كل تقرير تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها والم يعلم دال عليها مغن وقال
الزمخشري. **فان قلت** ما متعلق ارايت **قلت** الذي ينهى عبدا مع الجملة الشرطية وهما
في موضع المفعولين **فان قلت** فاين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره ان كان
على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني
فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك
ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه **فان قلت** فما ارايت الثانية
وتوسطها بين مفعولي ارايت **قلت** هي زائدة مكررة للتوكيد انتهى وقد تكلمنا على احكام
ارايت بمعنى اخبرني في غير موضع منها التي في سورة الانعام واشبعنا الكلام عليها في شرح
التسهيل وما قرره الزمخشري هنا ليس بجار على ما قررناه فمن ذلك انه ادعى ان جملة
الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الاخر وعندنا ان المفعول الثاني لا يكون
الا جملة استفهامية كقوله افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه وهو كثير في القران فتخرج هذه الاية على ذلك التقانون وتجعل مفعول
ارايت الاول هو الموصول وجاء بعده ارايت وهي تطلب مفعولين وارايت الثانية
كذلك فمفعول ارايت الثانية والثالثة محذوف يعود على الذي ينهى فيهما او على عبدا وفي الثانية
وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير والجملة الاستفهامية توالجملها
ثلث طوالب فنقول حذف المفعول الثاني لارايت وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام
المتاخر لدلالته عليه وحذف مفعول ارايت الاخير لدلالة مفعول ارايت الاول عليه وحذفا معا لارايت الثانية لدلالة الاول على مفعولها
الاول ولدلالة الاخر لارايت الثالثة على مفعولها الاخر وهو لا الطوالب ليس طلبها على طريق
التنازع لان الجمل لا يصح اضمارها فاما ذلك من باب الحذف من غير التنازع واما تجويز الزمخشري
وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء فلا اعلم احدا اجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى
طلبا بوجه ما ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة شعر كلا ردع لابي جهل ومن في طبقته عن نهي
عباد الله لئن لم ينته عن ما هو فيه وعيد شديد لنسفعا اي لناخذن بناصيته وعبر بها عن جميع
الشخص اي سحبا على النار كقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام واكتفى بتعريف العهد عن الاضافة
اذ علم انها ناصية الناهي **وقرا** الجمهور بالنون الخفيفة وكتبت بالالف باعتبار الوقف
اذ الوقف عليها بابدالها الفا وكثر ذلك حتى صارت رويا فكتبت الفا **كقوله**
ومهمى تشا منه فزارة تمنعا وقال يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخا على كرسيه معمما
كلاها عن ابي عمرو بالنون الشديدة وقيل هو ماخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت
وجهه الى الحال السواد وقال التبريزي فقيل اراد لنسودن وجهه من السفعة وهي السواد
وكفى من الوجه لانها في مقدمه **وقرا** الجمهور ناصية كاذبة خاطئة بجر الثلاثة على ان ناصية
بدل نكرة من معرفة قال الزمخشري لانها وصفت فاستقلت بفائدة انتهى وليس شرطا
في ابدال النكرة من المعرفة ان توصف عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ولا
ان يكون من لفظ الاول ايضا خلافا لزاعمه **وقرا** ابو حيوة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب
الثلاثة على الشتم والكسائي في رواية برفعها اي هي ناصية كاذبة خاطئة ووصفها بالكذب
والخطا مجازا والحقيقة صاحبها وذلك احرى من ان يضاف فيقال ناصية كاذب

خاطئ لانها هي المحدث عنها في قوله لنسفعا بالناصية فليدع ناديه اشارة الى قول ابي جهل وما بالوادي
اكبر ناديا مني والمراد اهل النادي **قال جرير**
لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها
اي اهل مجلس ولذلك وصف بقوله صهب السبال اذلة وهو
امر تعجيز اي لا يقدر ان يدعو ذلك لو دعا ناديه لاخذته الملائكة عيانا **وقرا** الجمهور سندع بالنون
مبنيا للفاعل وكتب بغير واو لانها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين **وقرا** ابن ابي عبلة سيدعى مبنيا
للمفعول الزبانية رفع كلا ردع لابي جهل ورد عليه في لا تطعه اي لا يلتفت الى نهيه وكلامه واسجد
امره بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر عن الصلاة بافضل الاوصاف التي تكون للعبد فيها
اقرب الى الله واقترب وتقرب الى ربك وثبت في الصحيحين سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهي من العزائم عند علي بن ابي طالب وكان مالك يسجد
فيها في خاصة نفسه

سورة القدر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام
هي حتى مطلع الفجر هذه مدنية في قول الاكثر وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي انها اول سورة نزلت
بالمدينة وفي الحديث ان اربعة عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين ايوب وذكريا
وحزقيل ويوشع فعجب الصحابة من ذلك فقال جبريل عجبت امتك من ذلك فقد انزل
عليك خيرا من ذلك فقرا انا انزلناه السورة فسر بذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة
لما قال اقرا باسم ربك فكانه قال اقرا ما انزلناه عليك من كلامنا انا انزلناه في
ليلة القدر والضمير عائد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القران قال ابن عباس وغيره
انزله الله تعالى ليلة القدر الى السماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في
عشرين سنة وقال الشعبي وغيره انا ابتدانا انزال هذا القران اليك في ليلة القدر
وروي ان نزول الملك في حراء كان في العشر الاواخر من رمضان وقيل المعنى انا
انزلنا هذه السورة في شان ليلة القدر وفضلها ولما كانت السورة من القران جاء الضمير
للقران تفخيما وتحسينا فليست ليلة القدر ظرفا للنزول بل على نحو قول عمر لقد خشيت
ان ينزل في قران وقول عائشة لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قران وقال الزمخشري
عظم القران من اسناد انزاله اليه مختصا به ومن مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر شهادة
له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه وبالرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه انتهى
وفيه دسيسة الاعتزال وسميت ليلة القدر لانه يقدر فيها الاجال والارزاق وحوادث العالم
كلها وتدفع الى الملائكة لتمتثله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وقال الزهري معناه ليلة
القدر العظيم والشرف وعظم الشان من قولك رجل له قدر وقال ابو بكر الوراق سميت
بذلك لتكسبها من احياها قدرا عظيما لم يكن له قبل وترده عظيما عند الله وقيل سميت بذلك
لان كل العمل فيها قدر وخطر وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر لامة ذات
قدر وقيل لانه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر وقيل لانه قدر فيها الرحمة على المؤمنين
وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقد
اختلف السلف والخلف في تعيين وقتها اختلافا متعارضا جدا وبعضهم قال رفعت
والذي يدل عليه الحديث انها لم ترفع وان العشر الاخير تكون فيه وانها في اوتاره كما قال
عليه السلام التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وفي
الصحيح من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما ادراك
ما ليلة القدر تفخيم لشانها اي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين ذلك قال
سفين ابن عيينة ما كان في القران وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه
لم يعلمه قيل واخفاها الله عز وجل ليجدوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها ويقصروا
في غيرها والظاهر ان الف شهر يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة
اعوام والعمل في ليلة القدر افضل من العمل في هذه الشهور والمراد خير من الف شهر

عارف في ليلة القدر وعلى هذا أكثر المفسرين وقال أبو العالية ليلة القدر خير من ألف شهر رمضان ه
لا يكون فيها ليلة القدر وقيل المعنى خير من الدهر كله لأن العرب تذكر الألف في غاية
الأشياء كلها قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني جميع الدهر وعوتب الحسن بن علي
في تسليمه الأمر لمعاوية فقال إن الله أرى في المنام نبيه عليه السلام بني أمية ينزون
على منبره نزو القردة فاهتم لذلك فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وهي خير من مدة ه
ملوك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون هذا القدر من الزمان قال القسم بن الفضل الحراني
فعددنا ذلك فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما وخرج قريبا من معناه
الترمذي وقال حديث غريب انتهى قيل آخر ملوكهم مروان الجعدي في آخر هذا القدر
من الزمان ولا يعارض هذا ملك بني أمية في جزيرة الأندلس مدة غير هذه لأنهم
إنما كانوا في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب بحيث كان في إقليم العرب إذ ذاك ملوك
كثيرون غيرهم وذكر أيضا في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك ه
وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى
ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة القدر إن أحيوها كانوا أحق
بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقال أبو بكر الوراق ملك كل من سليمان وذي القرنين
خمسمائة سنة فصارا ألف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من
ملكهما ه تنزل الملائكة والروح تقدم الخلاف في الروح أهو جبريل أم رحمة ينزل بها
أم ملك غيره أم أشراف الملائكة أم جند من غيرهم أم حفظة على غيرهم من الملائكة ه
والتنزل إما إلى الأرض وإما إلى سماء الدنيا بإذن ربهم متعلق بتنزل من كل أمر متعلق
بتنزل ومن للسبب أي تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وسلام
مستأنف خبر للمبتدأ الذي هو هي أي هي سلام إلى أول يومها قاله أبو العالية ونافع
المقرئ والفراء وهذا على قول من قال إن تنزلهم لتقدير الأمور لهم وقال أبو حاتم
من بمعنى الباء أي بكل أمر وقرأ الجمهور من كل أمر وقرأ ابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ
أي من أجل كل إنسان ه وقيل يراد بكل امرئ الملائكة أي من كل ملك تحية على المؤمنين
القائمين بالعبادة وأنكر هذا القول أبو حاتم ثم سلام هي أي هي سلام جعلها سلاما لكثرة
السلام فيها قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة وقال منصور
والشعبي سلام هي أي من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم منه هي سلام وقال مجاهد لا يصيب
أحدا فيها داء وقال صاحب اللوامح وقيل معناه هي سلام من كل امرئ أو أمر أي سالمة
أو مسلمة ولا يجوز أن يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما
قبله لامتناع تقدم معمول المصدر كما أن الصلة كذلك لا يجوز تقدمها على الموصول انتهى
وعن ابن عباس تم الكلام عند قوله سلام ولفظة هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين
من الشهر إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة انتهى ولا يصح
مثل هذا عن ابن عباس وإنما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله الجمهور مطلع
بفتح اللام وأبو رجاء والأعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وأبو عمرو
بخلاف عنه بكسرها فقيل هما مصدران في لغة بني تميم وقيل المصدر بالفتح وموضع
الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز

سورة البينة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

إن

إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأ
نهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه هذه مكية في قول الجمهور ه
وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية قاله ابن عطية في قول الجمهور وحكى لا ابن الزبير وعطا
وفي كتاب التحرير مدنية وهو قول الجمهور وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية واختاره
يحيى بن سلام ولما ذكر إنزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكر
هنا أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما أنزل
عليه من الصحف المطهرة التي أمر بقراءتها وقسم الكافرين هنا إلى أهل كتاب وأهل إشراك وقرأ بعض
القراء والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا والجمهور بالجر عطفا على أهل الكتاب وأهل الكتاب
اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان من العرب وقال ابن عباس أهل الكتاب اليهود
الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها
قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة وقال الفراء وغيره
لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لأمره حتى جاءتهم البينة
فتفرقوا عند ذلك وقال الزمخشري كان الكفار من الفريقين يقولون قبل المبعث لا ننفك
مما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد صلى
الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه وقال ابن عطية ويتجه في معنى الآية قول ثالث
بارع المعنى وذلك أنه يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره
لهم حتى يبعث الله إليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن النعمة فكأنه قال
ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى انتهى وقيل لم يكونوا منفكين عن
حياتهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة والظاهر أن المعنى لم يكونوا منفكين أي منفصلا
بعضهم من بعض بل كان كل منهم مقيما على ما هو عليه مما اختاره لنفسه هذا من اعتقاده
في شريعته وهذا من اعتقاده في أصنامه والمعنى أنه اتصلت مودتهم واجتمعت كلمتهم
إلى أن أتتهم البينة وقيل معنى منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المرأة عند الولادة ه
وهو أن ينفصل فلا يلتئم والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم
بإرسال الرسل وإنزال الكتب انتهى ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي التامة وليست
الداخلة على المبتدأ والخبر وقال بعض النحاة هي الناقصة ويقدر منفكين عارفين
أمر محمد أو نحو هذا وخبر كان وأخواتها لا يجوز حذفه لا اقتصارا ولا اختصارا نص
على ذلك أصحابنا ولهم علة في منع ذلك ذكروها في علم النحو وتأولوا قوله حين ليس
مجير أي في الدنيا فحذف الخبر أنه ضرورة والبينة الحجة الجلية وقرأ الجمهور رسول
بالرفع بدلا من البينة وأبي وعبد الله بالنصب حالا من البينة يتلو صحفا أي قراطيس
مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب أي من المشركين والفصل بعضهم فقال كل ما يدل عنده على صحة قوله
إلا من بعد ما جاءتهم البينة وكان يقتضي مجيء البينة أن يجتمعوا على اتباعها وقال الزمخشري
وكانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن
الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول انتهى وقال أيضا أفرد أهل الكتاب يعني في
قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب بعد جمعهم والمشركين قبل لأنهم كانوا على علم
به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف
والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال
ليس به ومنهم من عرف وعاند وقال ابن عطية ذكر تعالى مذمة من لم يؤمن من أهل
الكتاب من أنهم لم يتفرقوا في أمر محمد عليه السلام إلا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة
صحته وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته فلما جاء من العرب حسدوه
انتهى الجمهور مخلصين بكسر اللام والدين منصوب به والحسن بفتحها
أي يخلصون هم أنفسهم في نياتهم وانتصب الدين إما المصدر من ليعبدوا أي ليدينوا

الله بالعبادة الدين واما على اسقاط في ايه في الدين والمعنى وما امروا اي في كتابهم بما
امروا به الا ليعبدوا حنفاء مستقيمي الطريقة مائلين عن طريق الضلال الى
طريق الهداية وذلك دين القيمة اي الامة المستقيمة وقال محمد بن الاشعث الطالقاني
القيمة هنا الكتب التي جرى ذكرها كانه لما تقدم لفظ قيمة نكرة كانت الالف واللام في
القيمة للعهد كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقراء عبد الله
وذلك الدين القيمة فالهاء فيه في هذه القراءة للمبالغة او انث على ان عنى بالدين الملة كقوله
ما هذه الصوت يريد ما هذه الصيحة وذكر تعالى مقر الاشقياء وجزاء السعداء والبرية
جميع الخلق وقراء الاعرج وابن عامر ونافع البريئة بالهمز من برا بمعنى خلق والجمهور بالتشديد
الياء فاحتمل ان يكون اصله الهمز ثم سهل بالابدال وادغم واحتمل ان يكون من البرا وهو
التراب قال ابن عطية وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطاء وهو اشتقاق غير مرضي
انتهى لا يجعله خطاء بل قراءة الهمز مشتقة من برا والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق
نحو ننساها او ننسها فهو اشتقاق مرضي وحكم على الكفار من الفريقين بامرين
بالخلود في النار وبكونهم شر البرية وبدا باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم
اعظم لانهم انكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم وقيل شر البرية الذين
عاصروا الرسول اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة
صالح عليه السلام وقراء الجمهور خير البرية مقابل شر البرية وحميد وعامر بن عبد الواحد
خيار البرية جمع خير كجيد وجياد وتقدمت السورة واضحة وتقدم شرح ذلك افرادا وتركيبا
الذره نملة صغيرة حمراء رقيقة ويقال انها تجري اذا مضى لها حول وقال امرؤ
القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء

سورة الزلزلة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت
الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره هذه في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء مدنية وفي قول قتادة ومقاتل لان اخرها
نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار وجزاء
المومنين فكان قائلا قال متى ذلك فقال اذا زلزلت الارض زلزالها فقال العامل
فيها مضمر يدل عليه مضمون الجمل الاتية تقديره تحشرون وقيل اذكر وقال الزمخشري
تحدث انتهى واضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها
وعظمها ولو لم تضف لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والفرق بين اكرمت زيدا كراما
وكراما منه واضح وقراء الجمهور زلزالها بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها قال ابن
عطية وهو مصدر كالوسواس وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح اسم وليس
في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف انتهى اما قوله والمفتوح اسم فجعله غيره مصدرا جاء
على فعلال بالفتح ثم قيل قد يجي بمعنى اسم الفاعل فيقول فضفاض في معنى مفضفض
وصلصال في معنى مصلصل واما قوله وليس في الابنية الى قوله فقد وجد فيها فعلال
بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بفتح الخا وليس بمضاعف اثقالها واخرجت
الارض اثقالها جعل ما في بطنها اثقالا لها وقال النقاش والزجاج ومنذر ابن سعيد
اثقالها كنوزها وموتاها ورد بان الكنوز انما تخرج وقت الدجال لا يوم القيامة
وقائل ذلك يقول هذا الزلزال يكون في الدنيا وهو من اشراط الساعة وزلزال
يوم القيامة كقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فلا يرد عليه بذلك اذ

فذا احوال الزلزال اعما ما باختيار دفنيه فهي الاول اخرجت كنوزها وفي الثاني اخرجت موتاها
وصدق انها زلزلت زلزالها واخرجت اثقالها وقيل اثقالها كنوزها ومنه تلقي الارض
افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة وقال ابن عباس موتاها وهو اشارة
الى البعث وذلك عند النفخة الثانية فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو
من الاشراط وقال الانسان ما لها على معنى التعجب لما يرى من الهول والظاهر عموم الانسان
تقال ذلك الكافر لانه يرى ما لم يقع في ظنه قط ولا صدقه والمؤمن وان كان مؤمنا به
بالبعث فانه استهول المرائي في الحديث ليس الخبر كالعيان وقال الجمهور الانسان هو
الكافر يرى ما لم يظن يومئذ اي يوم اذ زلزلت واخرجت تحدث ويومئذ بدل من اذا فيعمل
فيه لفظ العامل في المبدل منه او المكرر على الخلاف في العامل في البدل تحدث اخبارها
الظاهر انه تحديث وكلام حقيقة بان يخلق فيها حياة وادراكا فتشهد بما عمل عليها من
صالح او فاسد وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له ما جاء في الحديث فانه
لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر الا شهد له يوم القيامة وما جاء في
الترمذي عنه عليه السلام انه قرا هذه الاية ثم قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال ان اخبارها ان تشهد كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا
قال فهذه اخبارها هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الطبري وقوم التحديث مجاز
عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها
الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه
ويحذرون منه وقال يحيى بن سلام تحدث بما اخرجت من اثقالها وهذا هو قول من زعم
ان الزلزلة التي من اشراط الساعة وفي سنن ابن ماجه حديث في اخره تقول الارض يوم
القيامة يا رب هذا ما استودعتني وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان
ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم
وتحدث هنا تتعدى الى اثنين والاول محذوف اي تحدث الناس والثاني بمعنى اعلم المنقول
من علم المتعدية الى اثنين فتتعدى الى ثلثة بان ربك اوحى لها اي بسبب ايحاء الله فالباء
متعلقة بتحدث قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك
اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني
كل نصيحة بان نصحتني في الدين انتهى وهو كلام فيه عفش ينزه القران عنه وقال ايضا
ويجوز ان يكون بان ربك اوحى لها لانه تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى فاذا كان الفعل
تارة يتعدى بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزايد فلا يجوز في تابعه
الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم
نحو رأيك لجواز انك تقول من الذنب ولا اخترت زيدا الرجال الكرام بنصب الرجال وخفض الكرام
وكذلك لا يجوز ان تقول استغفرت من الذنب العظيم بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في
اخترت فلو كان حرف الجر زايدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو
تقول ما رايت من رجل عاقلا لان من زايدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب
رجل وجر عاقل على مراعاة جواز دخول من وان ورد شي من ذلك فبابه
الشعر وعدى اوحى باللام لا بالى وان كان المشهور تعديتها بالى لمراعاة الفواصل
وقال العجاج يصف الارض

اوحى لها القرار فاستقرت ... وشدها بالراسيات الثبت

تقدا انها باللام وقيل الموحى اليه محذوف اي اوحى الى ملائكته المصرفين ان يفعل في
الارض تلك الافعال واللام في لها للسبب اي من اجلها ومن حيث الافعال فيها واذا كان
الايحاء اليها احتمل ان يكون وحي الهام واحتمل ان يكون برسول من الملائكة يومئذ يصدر
الناس ينقلبون يومئذ يصدر والصدر يكون عن ورد فقال الجمهور هو كونهم في الارض
مدفونين والصدر قيامهم للبعث واشتاتا جمع شتيت اي فرقا مؤمن وكافر ومؤمن وعاصي
سايرون الى العرض ليروا اعمالهم وقال النقاش الصدر قوم الى الجنة وقوم الى النار وورد هم

هو وورد المحشر فعلى الاول المعنى ليرى عمله ويقف عليه وعلى قول النقاش ليرى جزاء عمله وهو
الجنة والنار والظاهر تعلق ليروا بقوله يصدر وقيل باوحى لها وما بينهما اعتراض وقال
ابن عباس اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقال
الزمخشري اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين انتهى ويحتمل ان يكون ه
اشتاتا بعد كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاصد كقوله ولقد جئتمونا فرادى **وقرا الجمهور**
ليروا بضم الياء والحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وابو حيوة وعيسى
ونافع في رواية بفتحها والظاهر تخصيص العامل اي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من السعداء
لان الكافر لا يرى خيرا في الاخرة وتعميم ومن يعمل مثقال ذرة شرا من الفريقين لانه تقسيم
جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وقال ابن عباس قال هذه الاعمال في الاخرة
فيرى الخير كله من كان مؤمنا والكافر لا يرى في الاخرة خيرا لان خيره قد عجل له في دنياه والمؤمن
تعجل له سيئاته الصغاير في دنياه في المصائب والامراض ونحوها وما عمل من شر او خير رآه
ونبه بقوله مثقال ذرة على ان ما فوق الذرة يراه قليلا كان او كثيرا وهذا يسمى مفهوم
الخطاب وهو ان يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم واحد بل يكون المسكوت عنه بالاولى
في ذلك الحكم كقوله ولا تقل لهما اف والظاهر انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال
ذرة مقدار وقيل بدل من مثقال **وقرا الجمهور** يره بفتح الياء اي يرى جزاءه من ثواب
وعقاب **وقرا** الحسين بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وابو
حيوة وخليد بن نشيط وابان عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه بضمها وهشام
وابو بكر بسكون الهاء فيهما وابو عمرو بضمهما مشبعتين وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون
الثانية والاسكان في الوصل لغة حكاها الاخفش ولم يحكها **ثم** وحكاها الكسائي ايضا
عن بني كلاب وبني عقيل وهذه الرؤية رؤية بصر وقال النقاش ليست برؤية بصر وانما
المعنى يصيبه وينال له **وقرا** عكرمة بالالف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة
المقدرة في حروف العلة حكاها الاخفش او على توهم انه موصولة لا شرطية كما قيل في انه
من يتقي ويصبر في قراءة من اثبت ياء يتقي وجزم يصبر توهم ان من شرطية لا موصولة فجزم
ويصبر عطفا على التوهم **العاديات** الجاريات بسرعة وهو وصف ولا يأتي في التفسير
الخلاف في الموصوف **الضبح** تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا
نباح بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير
الخيل والكلاب ولا يصح عن ابن عباس لان العرب تضبح والاسود من الحيات والبوم والصدى
والارنب والثعلب والقوس كلها اسماء العرب لها الضبح انشد ابو حنيفة
في صفة قوس

حنانة من نشم او تالب • تضبح في الكف ضباح الثعلب

وقال اهل اللغة اصله للثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا غيرت لونه
ولم تبالغ فيه وانضبح لونه تغير الى سواد قليلا وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو
الشديد وكذا قال المبرد الضبح من اضباعها في السير **القدح** الصك وقيل الاستخراج
ومنه قدحت العين اخرجت منها الماء الفاسد والقداح والقداحة والمقدحة ما تورى به
النار **اغار** على العدو وقصده لنهب او قتل او اسر **النقع** الغبار **قال الشاعر**

يخرجن من مستطار النقع دامية • كان آذانها اطراف اقلام

وقال ابن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من كنفي كداء

وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت ومنه **قول لبيد**

فمتى ينقع صراخ صادق • يحلبوها ذات جرس وزجل

الكنود الكفور للنعمة **قال الشاعر**

كنود لنعماء الرجال ومن يكن • كنودا لنعماء الرجال يبعد

وعن ابن عباس الكنود بلسان كندة وحضرموت وبني مالك الكفور للنعمة كنودا

وقال ابو زبيد في البخيل ان يتنو فلم اطلب عنك نفعا غير انني بهر كنود ه
حصل التجمع وقيل ميز ما في الصدور وقيل اظهر ما في الصدور وقيل اخرج وجمع وحصل ولا طهروا امتنان

سورة العاديات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات
صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه
لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ
لخبير مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس وانس
وقتادة لما ذكر في تفسيرها انها نفقتي بهذا بدا وذو عيينة وفي رواية الغنيا هذا قبح ذلك من ضعيف عليه لا
يستغرب لتعيين الهيئة ومن ابي الضمير نبأ وه على التفسير في الجمهور من ابيات التفسير واللغة عليها اذ العاديات
هنا الخيل تعدو في سبيل الله وتضبح حالة عدوها **وقال عنترة**

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وقال ابو عبد الله وعلي وابراهيم والسدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير العاديات الابل التي تقتسم
بها حين تغدو من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع الحاج وبالاعراض ناشزة بدر لم يكن فيها غير
فرسين فرس للزبير وفرس للمقداد وعن عبد الله بن عباس رجع عن قوله اذا رجع ابن عباس الى
قول علي رضي الله عنه **وقالت صفية بنت عبد المطلب**

فلا والعاديات غداة جمع • بايديها اذا سطع الغبار

وانتصب ضبحا على اضمار فعل اي يضبحن ضبحا او على انه في موضع الحال اي ضابحات او على
المصدر على تضمين العاديات معنى العدو والشدة وقيل منصوب بالعاديات وقال
الزمخشري او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو وانتهى
واذا كان الضبح مع العدو ولا يكون معنى العاديات معنى الضابحات فلا ينبغي
ان ينتصب به فالموريات قدحا اي الموريات اخراج النار اي تقدح بحوافرها الحجارة فتطاير
منها النار لصك بعضها ببعض ويقال قدح فاورى وقدح فاصلد وتسمى تلك
النار التي تقدحها الحوافر من الخيل والابل نار الحباحب **قال الشاعر**

تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وقيل فالموريات قدحا واستعارة في الخيل تشعل الحرب قاله قتادة وقال تعالى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويقال حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وقال
ابن عباس ومجاهد وزيد بن اسلم الموريات الجماعة التي تمكر في الحرب والعرب
تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا
الجماعة ينتدبون لحاجتهم وطعامهم وعنه الجماعة الغزاة تكثر
النار اذا رهابا وقال عكرمة السنة الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر
من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل فالمغيرات صبحا اي تغير على العدو في
الصبح ومن قال هي الابل قال العرب تقول اغار اذا عدا جريا اي من مزدلفة الى
منى او في بدر وهذا دليل على ان هذه الاوصاف لذات واحدة لعطفها بالفاء التي
تقتضي التعقيب والظاهر انها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار ولا يستشهد
على انها الابل بوقعة بدر وان لم يكن فيها الا فرسان لانه لم يذكر ان سبب نزول هذه
السورة هو وقعة بدر ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد ان الابل جوهد عليها في سبيل الله بل
المعلوم ان الجهاد في سبيل الله لا على الخيل في شرق البلاد وغربها فاثرن معطوف
على اسم الفاعل الذي هو صلة ال لانه في معنى الفعل اذ تقديره فاللاتي عدون فاغرن
فاثرن وقال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه
انتهى ويتبغى لهما بها وهو معطوف على الاسم لانه في معنى الفعل **وقرا الجمهور** فاثرن
فوسطن بتخفيف الثاء والسين وابو حيوة وابن ابي عبلة بشدها وعلي وزيد

ابن علي وقتادة وابن ابي ليلى ابو بشر الشني وقال الزمخشري **وقراء** ابو حيوة بالتشديد
بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب
الواو همزة **وقراء** فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله
واتوا به وهي مبالغة في وسطن انتهى اما قوله او قلب فتحمل بارد واما ان التشديد
للتعدية فقد نقلوا ان وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وانهما لغتان والضمير في
به عائد في الاول على الصبح اي فهيجن في ذلك الوقت غبارا او مي به المبالي على الصبح وقيل
او على النقع اي وسطن النقع الجمع فيكون الباء للتعدية او يكون بدئ موضع الحال
اي وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من الاعداء او يكون وسطه بمعنى توسطه وقال
ابو عبد الله فوسطن به جمعا اي الابل وجمعا اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس
وقال بشر بن ابي خازم فوسطن جمعهم وافلت حاجب تحت العجاجة
في الغبار والاثم وقيل الضمير في به مما يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وان لم
يجر له ذكر لدلالة والعاديات وما بعدها عليه وقيل يعود على العدو والدال عليه
والعاديات ايضا وقيل المراد بالنقع هنا الصياح والظاهر ان المقسم به هو خيل
العاديات ايضا وليست الالف واللام للعهد والمقسم عليه ان الانسان لربه لكنود وفي الحديث
الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال ابن عباس والحسن هو الجحود
لنعم الله وعن الحسن ايضا هو اللائم لربه يعد السيئات وينسى الحسنات وقال الفضيل
هو الذي تنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة ويعامل الله على عقد عوض وقال عطا هو الذي
لا يعطي في النائبات مع قومه وقيل البخيل وقال ابن قتيبة ارض كنود لا تنبت شيئا
والظاهر عود الضمير في وانه على ذلك لشهيد اي يشهد على كنوده ولا يقدر ان يجحده
لظهور امره وقاله الحسن ومحمد كعب وقال ابن عباس وقتادة هو عائد على الله تعالى اي وربه
شاهد عليه وهو على سبيل الوعيد وقال التبريزي هو الاصح لان الضمير يجب عوده الى
اقرب المذكورين ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي انتهى ولا يترجح بالقرب الا اذا
تساويا من حيث المعنى والانسان هنا هو المحدث عنه والمسند اليه الكنود وايضا
فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى اولى من جعلها لمختلفين ولاسيما اذا توسط الضمير
بين ضميرين عائدين على واحد له وانه اي وان الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي قوي
في حبه وقيل لبخيل بالمال ضابط له ويقال للبخيل شديد ومتشدد **وقال**
طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقال عكرمة الخير
حيث وقع في القران هو المال قال ابن عطية ويحتمل ان يراد هذا الخير الدنيا من مال وصحة
وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك فاما المحب في خير الاخرة
فممدوح مرجو له الفوز وقال الفراء نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم
الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله تعالى
في يوم عاصف والعصوف للريح لا للايام كانه قال في يوم عاصف والعصوف للريح لا للايام
الريح انتهى وقال غيره ما معناه انه ليس اصله ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة اي
وانه لاجل حب المال لبخيل او وانه لحب المال وايثاره قوي مطيق وهو لحب عبادة الله
وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له
ضابطا قال الزمخشري او اراد وانه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم توقيف
على ما يؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف اي افلا يعلم
ماله اذا بعثر وقال الحوفي اذا ظرف مضاف الى بعثر والعامل فيه يعلم انتهى وليس بمتضح
لان المعنى افلا يعلم الان **وقراء** الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول **وقراء** عبد الله بالحاء
وقراء بحث الاسود بن زيد **وقراء** نصر بن عاصم بحثر على بنائه للفاعل **وقراء** ابن يعمر
ونصر بن عاصم ومحمد بن ابي معدان وحصل مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول
ابن يعمر ايضا ونصر بن عاصم ايضا وحصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد والمعنى جمع ما في
الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز وكشف ليقع الجزاء عليه **وقراء** الجمهور ان ربهم

بالهمزة

بالهمزة لخبير باللام وهو استيناف اخبار والعامل في بهم وفي يومئذ لخبير وهو تعالى خبير
دائما لكنه ضمن خبير معنى مجاز لهم في ذلك اليوم **وقراء** ابو السمال والحجاج بفتح
الهمزة واسقاط اللام ويظهر في هذه القراءة تسلط يعلم على ان لكنه لا يمكن ان يعمل
عامل فيقدر من معنى الكلام كانه قال يجزيهم اذا بعثر وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون يعلم معلقة
على العمل في قراءة الجمهور وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها اللام ظاهرا وهي في موضع
نصب بيعلم وان العامل فيهما من معنى مضمون الجملة تقديره كما قلنا يجزيهم اذا بعثر

المفردات

الفراش قال الفراء هو الهمج الطائر من البعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة
وقال الشاعر وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل
وقال فراشة الحلم **نفشت** الصوف والقطن فرقت ما كان ملبدا من اجزائه

سورة القارعة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادراك
ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما
ادراك ما هيه نار حامية هذه مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لانه ذكر وقت بعثرة
القبور وذلك هو وقت الساعة وقال الجمهور القارعة القيامة نفسها لانها تقرع القلوب
بهولها وقيل صيحة النفخة في الصور لانها تقرع الاسماع وفي ضمن ذلك القلوب
وقال الضحاك هي النار ذات التغيظ والزفير **وقراء** الجمهور القارعة ما القارعة
بالرفع فما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب وتقدم في واصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة وقال الزجاج هو تحذير والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب
وقال الشاعر
اخو النجدة السلاح السلاح
وقراء
وقراء عيسى بالنصب وتخريجه على انه منصوب باضمار فعل اي اذكروا القارعة وما زائدة
للتوكيد والقارعة تاكيد لفظي للاولى **وقراء** الجمهور يوم بالنصب وهو ظرف العامل
فيه قال ابن عطية القارعة فان كان يعني القارعة اللفظ الاول فلا يجوز للفصل بين العامل
وهو في صلة ال والمعمول بالخبر وهو لا يجوز ولذلك لو صار القارعة علما للقيامة لا يجوز
ايضا وان كان عنى اللفظ الثاني او الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وقال الزمخشري
الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس وقال الحوفي تاتي يوم
يكون وقيل اذكر يوم **وقراء** زيد بن علي يوم يكون برفع الميم اي وقتها يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث قال قتادة هو الطير الذي يتساقط في النار وقال الفراء غوغاء الجراد وهو صغيره الذي
ينتشر في الارض يركب بعضه بعضا من الهول وقيل الفراش طير دقيق يقصد النار ولا يزال
يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء
والذهاب على غير نظام والتطاير الى الداعي من كل جهة حين يدعوهم الى ناحية المحشر كالفراش
المتطاير الى النار **قال جرير**
ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي
وقرن بين الناس والجبال تنبيها على تاثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعهن
المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها
في الاعراف وعيشة راضية في الحاقة فامه هاوية دركة من دركات النار
وامه معناه ماواه كما قيل للارض ام الناس لانها تؤويهم وكما قال عتبة ابن ابي سفيان
في الحرب فنحن بنوها وهي امنا وقال قتادة وابو صالح وغيره فام راسه هاوية في قعر جهنم
لانه يطرح فيها منكوسا وقيل هو تفاؤل بشر واذا دعوا بالهلكة قالوا هوت امه
لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا **قال الشاعر**
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب

وقرأ الجمهور فأمه بضم الهمزة وطلحة بكسرها قال ابن خالويه وحكى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة إلا أن يتقدمها كسرة أو ياء انتهى وما أدراك ما هيه هي ضمير يعود على هاوية إن كانت كما قيل دركة من دركات النار معروفة بهذا الاسم وإن كانت تغييرة لمن تم فيل فيها فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه هاوية والهاء في ماهيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن أبي إسحق والأعمش وحمزة وأثبتها الجمهور نار خبر مبتدأ محذوف أي هي نار

سورة التكاثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم هذه مكية في قول جميع المفسرين وقال البخاري مدنية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وسبب نزولها فيما روى الكلبي ومقاتل أنه كان بين بني سهم وبين بني عبد مناف تحاور فتعادوا الأشراف الأحياء أيهم أكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا الأموات فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان وقال ابن زيد نزلت في بطن من الأنصار ألهاكم شغلكم فعلى ما روى الكلبي ومقاتل يكون المعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وهذا معنى ينبو عنه لفظ زرتم فقيل حتى زرتم أي متم وزرتم بأجسادكم مقابرها أي قطعتم بالتكاثر والمفاخرة بالأموال والأولاد والعدد أعماركم حتى متم وسمع بعض الأعراب حتى زرتم فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة فإن الزائر منصرف لا مقيم وعن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الأعرابي وقيل هذا تأنيب على الإكثار من زيارة القبور تكثرا بمن سلف وإشادة بذكره وكان عليه السلام نهى عن زيارة القبور ثم قال فزوروها أمر إباحة للاتعاظ بها لا لمعنى المباهاة والتفاخر قال ابن عطية كما يصنع الناس في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة والرخام وتلوينها شرفا وبنيان النواويس عليها وابن عطية لم ير إلا تسنيم أهل الأندلس فكيف لو رأى ما يتباهى به أهل مصر في مدافنهم بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى وباب النصر وغير ذلك وما يضيع فيها من الأموال لتعجب من ذلك ولرأى ما لم يخطر بباله وأما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين إلى الصوف لبنى لهم شغل إلا زيارة القبور زرت قبر فلان بكذا وقبر فلان بكذا والشيخ فلانا بكذا والشيخ فلانا بكذا فيذكرون أقاليم طافوها على قدم التجريد وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور وأولئك المشايخ بحيث لو كتبت لجاءت أسفارا وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك وعوام الناس في تحسين الظن بهم وبذل أموالهم لهم وأما من شذ منهم لأن يتكلم للعامة فيأتي بعجائب يقولون هذا فتح هذا من العلم اللدني علم الخضر حتى أن من ينتمي إلى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه وتقبيل اليد ونحن نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته وقرأ الجمهور ألهاكم على الخبر وابن عباس وعائشة ومعاوية وأبو عمران الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة بالمد على الاستفهام وقد روي كذلك عن الكلبي ويعقوب وعن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية وابن أبي عبلة والكسائي في رواية أألهاكم بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على قبيح فعلهم والجمهور على أن التكرير توكيد قال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وقال علي ابن أبي طالب كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث غاير بينهما بحسب التعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان وقال الضحاك الزجر الأول

ووعيد للكافرين والثاني للمؤمنين كلا لو تعلمون أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه علم اليقين أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لعلم اليقين فأضاف الموصوف إلى صفته وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ألهاكم التكاثر وقيل اليقين هنا الموت قاله قتادة وعنه أيضا البعث لأنه إذا جاء زال الشك ثم قال لترون الجحيم والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود كما قال وإن منكم إلا واردها والرؤية عند الدخول فيكون الخطاب للكافرين قاله ابن عباس ثم قال بعد ذلك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ثم لترونها عين اليقين تأكيد للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله عين اليقين نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى وعن ابن عباس هو خطاب للمشركين فالرؤية رؤية دخول وقرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وباقي السبعة بالفتح وعلي وابن كثير في رواية وعاصم في رواية بفتحها في لترون وضمها في لترونها ومجاهد والأشهب وابن أبي عبلة بضمها وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همزا الواوين استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت وكان القياس ترك الهمز لأنها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو اشتروا الضلالة فهمز هذه أولى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف والكافر سؤال توبيخ وتقريع وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد هو الأمن والصحة وعن ابن عباس البدن والحواس فيما استعملها وعن ابن جبير كل ما يتلذذ به وفي الحديث بيت يكنك وخرقة تواري عورتك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم

سورة العصر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر مكية في قول ابن عباس وابن الزبير والجمهور ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل لما قال فيما قبلها ألهاكم التكاثر ووقع التهديد بتكراره كلا سوف تعلمون بين حال المؤمن والكافر قال ابن عباس هو الدهر أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب وقال قتادة العصر العشي أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة وقيل العصر اليوم والليلة ومنه قول حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقيل العصر بكرة والعصر عشية وهما الأبردان فعلى هذا القول فقيل يكون القسم بواحد منهما غير معين وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطى أقسم بها وبهذا القول بدأ الزمخشري قال لفضلها بدليل قوله والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم انتهى وقرأ سلام والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز إلا في الوقف على نقل الحركة وروي عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء إشماما وهذا أيضا لا يكون إلا في الوقف انتهى وفي الكامل للهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن أبي عمرو والباقون بالإسكان كالجماعة انتهى وقال ابن خالويه وتواصوا بالصبر بنقل الحركة عن أبي عمرو وقال صاحب اللوامح عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الراء إلى الباء لئلا يحتاج إلى أن يأتي ببعض الحركة في الوقف ولا إلى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الإعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأدية حق الموقوف عليه من السكون انتهى وقد أنشدنا في الدلالة على هذا في شرح التسهيل عدة أبيات كقول الشاعر

أنا جرير كنيتي أبو عمرو أضرب بالسيف وسعد في العصر

يريد أبو عمرو وفي العصر وإن الإنسان اسم جنس نعم ولذلك صح الاستثناء منه وفي الخسر الخسران كالكفر في الكفران وأي خسران أعظم من خسر الدنيا والآخرة وقرأ ابن هرمز وزيد بن علي وهرون عن أبي بكر عن عاصم خسر بضم السين والجمهور بالسكون ومن باع آخرته بدنياه فهو في غاية الخسران بخلاف المؤمن فإنه اشترى الآخرة بالدنيا فربح وسعد وتواصوا بالحق أي بالأمر الثابت من الذين عملوا به وتواصوا به وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي الحطمة أصله الوصف من قولهم رجل حطمة أي أكول قال الشاعر

قد لفها الليل بسواق حطم

وقال آخر

إنا حطمنا بالقضيب مصعبا يوم كسرنا أنفه ليغضبا

سورة الهمزة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة لما ذكر فيما قبلها أن الإنسان لفي خسر بين حال الخاسر فقال ويل لكل همزة لمزة ونزلت في الأخنس بن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف أقوال ويمكن أن نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الأوصاف وقال السهيلي هو أمية بن خلف الجمحي كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبه ذكره ابن إسحق وإنما ذكرته وإن كان اللفظ عاما لأن الله سبحانه تابع في أوصافه والخبر عنه حتى فهم أنه يشير إلى شخص بعينه وكذلك قوله في نون ولا تطع كل حلاف مهين تابع في الصفات حتى علم أنه يريد إنسانا بعينه وتقدم الكلام في الهمز في نون والقلم وفي اللمز في سورة براءة وفعلة من أبنية المبالغة كنومة وعيبة وسخرة وضحكة وقال زياد بن الأعجم

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة

وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما والباقر بسكونها وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ويهمز ويلمز الذي بدل أو نصب على الذم وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والأخوان جمع مشددة الميم وباقي السبعة بالتخفيف والجمهور وعدده بشد الدال الأولى أي أحصاه وحافظ عليه وقيل جعله عدة لطوارق الدهر والحسن والكلبي بتخفيفها أي جمع المال وضبط عدده وقيل وعدده أي عشيرته وقيل وعده على أنه فك الإدغام كقوله

إني أجود لأقوام وإن ضننوا

أخلده أي أبقاه حيا إذ به قوام حياته وحفظه مدة عمره قال الزمخشري أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت قيل وكان للأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار كلا ردع له عن حسبانه وقرأ الجمهور لينبذن بضمير الواحد وعلي والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد وهرون عن أبي عمرو لينبذان بألف ضمير اثنين الهمزة وماله وعن الحسن لينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره وعن أبي عمرو لينبذنه وقرأ الجمهور في الحطمة وما أدراك ما الحطمة وزيد بن علي في الحاطمة وما أدراك ما الحاطمة وهي النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها قال الضحاك الحطمة الدرك الرابع من النار وقال الكلبي الطبقة السادسة من جهنم وحكى عنه القشيري أنها الدركة الثانية وعنه أيضا الباب الثاني وقال الواحدي باب من أبواب جهنم انتهى نار الله الموقدة أي هي أي الحطمة التي تطلع على الأفئدة ذكرت الأفئدة لأنها ألطف ما في البدن وأشده تألما بأدنى شيء من الأذى واطلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم لكن نبه على الأشرف لأنه مقر العقائد وقرأ الأخوان وأبو بكر في عمد بضمتين جمع عمود وهرون عن أبي عمرو بضم العين وسكون الميم وباقي السبعة بفتحتهما وهو اسم جمع الواحد عمود وقال الفراء جمع عمود كما قالوا أديم وأدم

وقال

وقال أبو عبيدة جمع عماد قال ابن زيد في عمد حديد مغلولين بها وقال أبو صالح هذه النار هي في قبورهم والظاهر أنها نار الآخرة إذ يئسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدد العمد كل ذلك إيذانا بالخلود إلى غير نهاية وقال قتادة كنا نحدث أنها عمد يعذبون بها في النار وقال أبو صالح هي القيود الفيل أكبر ما رأيناه من وحوش البر يجلب إلى ملك مصر ولم نره بالأندلس بلادنا ويجمع في القلة على أفيال وفي الكثرة على فيول وفيلة الأبابيل الجماعات تجيء شيئا بعد شيء قال الشاعر

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

وقال الأعشى

طريق وجبار رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

قال أبو عبيدة والفراء لا واحد له من لفظه فيكون مثل عباديد وشماطيط وقيل واحده إبول مثل عجول وقيل إبيل مثل سكين وقيل إبال وذكر الرقاشي وكان ثقة أنه سمع في واحده إبالة وحكى الفراء إبالة مخففا

سورة الفيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر أن الخطاب للرسول يذكره نعمته عليه إذ كان صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه السلام وإرهاصا بنبوته إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين يدي الأنبياء ومعنى ألم تر ألم تعلم قدره على وجود علمه بذلك إذ هو أمر منقول نقل التواتر فكأنه قيل قد علمت فعل الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أن تقتل وقصة الفيل ذكرها أهل السير والتفسير مطولة ومختصرة وتطالع في كتبهم وأصحاب الفيل أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر أنه فيل واحد وهو قول الأكثرين وقال الضحاك ثمانية فيلة وقيل اثنا عشر فيلا وقيل ألف فيل وهذه أقوال متكاذبة وكان العسكر ستين ألفا لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم في شرذمة قليلة فلما أخبروا بما رأوا هلكوا فلما أخبروا بما رأوا هلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك ويوجهونه نحو اليمن والشام فيهرول وقال الواقدي أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ السلمي ألم تر بسكون الراء وهو جزم بعد جزم ونقل عنه صاحب اللوامح ترء بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الأصل وهي لغة لتيم اللات وتر معلقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب به وكيف معمول لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه بقوله فعل ربك تشريف له عليه السلام وإشارة من ذكره كأنه قال ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنامهم فرليش إساف ونائلة وغيرهما ألم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وإبطال يقال أضل كيده إذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أي ضيعه وتضليل كيدهم هو بأن أحرق الله البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حج العرب إليه وبأن أهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة بأن أرسل عليهم طيرا جاءت من جهة البحر ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سودا وقيل خضرا على قدر الخطاف وقرأ الجمهور ترميهم بالتاء والطير اسم جمع كهذه القراءة وقوله كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد [illegible] كقراءة أبي حنيفة وابن يعمر وعيسى وقرأ وطلحة في رواية السمال عنه يرميهم بالياء وقيل الضمير عائد على ربك بحجارة كان كل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه ينزل على رأسه ويخرج من دبره ومرض أبرهة فتقطع أنملة أنملة وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت أبو يكسوم وزيره وطائر يتبعه حتى وصل إلى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم فرماه الطائر بحجره فمات بين يدي الملك وتقدم شرح

سجيل في سورة هود والعصف في سورة الرحمن شبهوا بالعصف ورق الزرع الذي اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود والتبن الذي اكلته الدواب وراثته وجا على اداب القرآن نحو قوله كانا ياكلان الطعام او الذي اكل حبه فبقي فارغا فنسبته انه اكل مجازا اذا الماكول حبه لا هو **وقراء** الجمهور ماكول بسكون الهمزة وهو الاصل لانه صيغة مفعول من فعل وقرا ابو الدرداء فيما نقل ابن خالويه بفتح الهمزة اتباعا لحركة الميم وهو شاذ وهذا كما اتبعوا في قولهم محموم بفتح الحاء لحركة الميم قال ابن اسحق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقيل هو اجابة لدعاء الخليل عليه السلام **قريش** علم اسم قبيلة وهم بنو النضر بن كنانة فمن كان من بني النضر فهو من قريش دون بني كنانة وقيل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي قال القرطبي والقول الاول اصح واثبت وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والالتئام ومنه **قول قال الشاعر**

اخوة قرشوا الذنوب علينا ... في حديث من دهرهم وقديم

كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا ومنه **قول الشاعر**

ابونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقال الفراء التقرش التكسب وتقرش يتقرش قرشا اذا اكتسب وجمع ومنه سميت قريش وقيل كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها والقرش التفتيش ومنه قول **الشاعر**

ايها الشامت المقرش عنا ... عند عمرو وهل له ابقاء

وسال معوية ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر اقوى دوابه يقال لها القرش تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى ومنه **قول تبع**

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

تاكل الغث والسمين ولا تترك ... فيها لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش ... ياكلون البلاد اكلا كميشا

ولهم اخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

وفي الكشاف لعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فان كان قريش من مزيد فهو تصغير ترخيم وان كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على اصل التصغير **الشتاء والصيف** فصلان معروفان من فصول السنة الاربعة وهمزة الشتاء مبدلة من واو وقالوا شتا يشتو وقالوا شتوة والشتاء مفرد وليس بجمع شتوة

سورة لايلاف قريش

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك وابن السايب ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما ان جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم وهو قول الاخفش وباضمار فعلنا ذلك اهلاك قريش وهو مروي عن الاخفش حتى يطمئن في بلدها فذكر ذلك للامتنان عليهم اذ لو سلط عليهم اصحاب الفيل لتشتتوا في الافاق ولم يجتمع لهم كلمة قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انا اهلكنا اهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم انتهى قال الحوفي ورد هذا القول جماعة وقالوا لو كان كذا لكان

لايلاف بعض سورة الم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال يعني الاخفش والكسائي والفراء يتعلق باعجبوا مضمرة اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بالعبادة بعد واعلمهم ان الله هو الذي اطعمهم وامنهم لا سفرهم اي فليعبدوا الذي اطعمهم بدعوة ابيهم حيث قال وارزقهم من الثمرات وامنهم بدعوته حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا ولا تشتغلوا بالاسفار التي انما هي طلب كسب وعرض دنيا وقال الخليل عليه السلام متعلق بقوله فليعبدوا والمعنى لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم لهذه النعمة فليعبدوا وامرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلة قال الزمخشري **فان قلت** فلم دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة انتهى **وقرا** الجمهور لايلاف قريش مصدر الف رباعيا وابن عامر لالاف على وزن فعال مصدر الف ثلاثيا يقال الف الرجل الامر الفا والافا والفه غيره اياه ايلافا وقد يا تي الف متعديا لواحد كالف **قال الشاعر**

من المولفات الرمل ادماء حرة ... شعاع الضحى في جيدها يتوضح

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة ايلافهم مصدرا للرباعي وروي عن ابي بكر عن عاصم انه قرا بهمزتين فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وان كان الاصل ابدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين ولم يبدلوا في نحو يولف على جهة اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمونى عن الاعشى عن ابي بكر وروى محمد بن داود النقار عن عاصم ايلافهم بهمزتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما اشبع كسرتها والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية وانه قرا كالجماعة **وقراء** وقرا ابو جعفر فيما حكى الزمخشري لالف قريش **وقرا** فيما حكى ابن عطية الفهم **قال الشاعر**

زعمتم ان اخوتكم قريش ... لهم الف وليس لكم الاف

جمع بين مصدري الف الثلاثي وعن ابي جعفر وابن عامر الافهم على وزن فعال وعن ابي جعفر وابن كثير الفهم على وزن فعل وبذلك قرا عكرمة وعن ابي جعفر ايضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام اتبع لما ابدل الثانية ياء حذف الاولى على غير قياس وعن عكرمة لتالف قريش وعنه ايضا لتالف على الامر وعنه وعن هلال بن فتان بفتح لام الامر واجمعوا هنا على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتانيث والعلمية **قال الشاعر**

وكفى قريش المعضلات وسادها

فان جعلته اسما للقبيلة وقال **سيبويه** في نحو معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحياء اكثر وان جعلتها اسما للقبايل فجائز حسن **وقراء** الجمهور رحلة بكسر الراء وابو السمال بضمها فبالكسر مصدر وبالضم الجهة التي يرحل اليها والجمهور على ان رحلتان فرحلة الى الشام في التجارة ونيل الارباح ومنه **قول الشاعر**

سفرين بينهما له ولغيره ... سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وقال ابن عباس رحلة الى اليمن ورحلة الى بصرى وقال ابو صالح يرحلون في الصيف الى الطايف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى مكة للتجارة وساير اغراضهم وقال الزمخشري واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس **كقوله** كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص انتهى وهذا عند **سيبويه** لا يجوز الا في الضرورة **ومثله**

حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد بطني الواديين انشده اصحابنا على الضرورة وقال النقاش كانت لهم اربع رحلات قال ابن عطية وهذا قول مردود ولا ينبغي ان يرد فان اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كان يولف ملك الشام اخذ منه حبلا فاشر به في تجارته الى الشام وعبد شمس يولف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس فكان هولاء يسمون المجبرين فيختلف

تخبر قريش الى الامتصار ويحمل هولاء الاخوة الاخوة فلا يفرض لهم قال الازهري الايلاف
شبه الاجارة بالخفارة فاذا كان كذلك جاز ان تكون لهم رحلا ربيعا وشتاء ر
هذه الاماكن التي كانت التجار في خفارة هولاء الاخوة فيها وفيهم يقول
الشاعر يمدحهم ٥ يا ايها الرجل المحول رحله هلا نزلت بال عبد مناف

الاخذون العهد من افاقها والراحلون الرحلة الايلاف
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكاف

فيكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد وللاكثر وايلافهم بدل من لايلاف قريش
اطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول به وهو رحلة لان الموار رحلتي تقيما لامر الا
يلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه رب هذا البيت هو الكعبة ويمكن هنا هذا اللفظ
لتقدم حمايته في السورة التي قبلها او من هنا للتعليل اي لاجل الجوع كانوا قطانا
ببلد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله بهم وذلك بدعوة ابراهيم قال
تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وامنهم من خوف فضلهم على العرب بكونهم يامنون حيث
ما حلوا فيقال هولاء قطان بيت الله فلا يتعرض لهم احد وغيرهم خائفون وقال ابن عباس
والضحاك وامنهم من خوف معناه من الجذام فلا نرى بمكة مجذوما قال الزمخشري ٥
والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما
وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم
وقرا الجمهور من خوف باظهار النون عند الخاء والمسيبي عن نافع باخفائها وكذلك
مع العين نحو من على وهي لغة حكاها سيبويه ٥ وقال ابن الاسلت يخاطب قريشا

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق غداة ابو يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب الى اهله ملحبش غير عصائب

سها عن كذا يسهو سهوا لها عنه وتركه عن غفلة الماعون فاعول من المعن وهو الشيء
القليل تقول العرب ما له سعنة ولا معنة اي شيء قليل وقاله قطرب وقيل اصله معونة والالف
عوض من الهاء فوزنه مفعل في الاصل على وزن مكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد
زيادة الالف عوضا مافعل وقيل هو اسم مفعول من اعان يعين جاء على زنة مفعول
قلب فصار معين مكان الفاء فصار موعون ثم قلبت الواو الفا كما قالوا في نوب
نابت فصار ماعون فوزنه على هذا امفعول وقال ابو عبيدة والزجاج والمبرد الماعون
في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداحة وكل ما فيه منفعة
من قليل او كثير وانشدوا بيت الاعشى

باجود منه بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم

وقالوا المراد به في الاسلام الطاعة ويأتي اقوال اهل التفسير فيه ان شاء الله تعالى ٥

سورة الماعون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين ٥
فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون مكية في قول الجمهور ومدنية في قول ابن
عباس وقتادة قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاصي بن وائل ونصفها
بالمدينة في عبد الله بن ابي المنافق ولما عدد نعمه تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون
بالبعث والجزاء اتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه ونزلت
في ابي جهل او الوليد بن المغيرة او العاصي بن وائل او عمرو بن عائذ او رجل من المنافقين

او ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورا فاتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا
اقوال اخرها لابن جريج والظاهر ان ارايت هي التي بمعنى اخبرني فتتعدى لاثنين احدهما
الذي والاخر محذوف فقدره الحوفي اليس مستحقا عذاب الله وقدره الزمخشري من
هو ويدل على انها بمعنى اخبرني قراءة عبد الله ارايتك بكاف الخطاب لان كاف الخطاب
لا تلحق البصرية قال الحوفي ويجوز ان تكون من رؤية العين فلا يكون في الكلام حذف وهمزة
الاستفهام تدل على التقرير والتنبيه ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة والدين
الجزاء بالثواب والعقاب ٥ وقال الزمخشري والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء
الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ولا يحض اي يبعث اهله على بذل
طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف انتهى
وقرا الجمهور يدع بضم الدال وشد العين وعلي والحسن وابو رجاء واليماني بفتح الدال وخف
العين اي يتركه بمعنى لا يحسن اليه ويجفوه وقرا الجمهور ولا يحض مضارع حض وزيد بن علي
يحاض مضارع حاضض وقال ابن عباس بالدين بحكم الله وقال مجاهد بالحساب وقيل
بالجزاء وقيل بالقران وقال ابراهيم بن عرفة يدع اليتيم يدفعه عن حقه وقال مجاهد
يدفعه ولا يطعمه وفي قوله ولا يحض اشارة الى انه هو لا يطعم اذا قدر وهذا من باب الاولى
لانه اذا لم يحض غيره بخلا فلان يترك هو ذلك فعلا اولى وفي اضافة طعام الى المسكين
دليل على انه يستحقه ولما ذكر اولا عمود الكفر وهو التكذيب بالدين ذكر ما يترتب على
التكذيب من الايذاء والمنع من النفع وذلك مما يتعلق بالمخلوق ثم ذكر ما يترتب عليه
مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال فويل للمصلين والظاهر ان المصلين
هم غير المذكورين قبل هو داع اليتيم غير الحاض وان كان كل من الاوصاف الذميمة ناشئا عن
التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله اعلم هم المنافقون اثبت لهم الصلوات وهي الهيئات
التي يفعلونها ثم قال الذين هم عن صلاتهم ساهون نظرا الى انهم لا يوقعونها كما يوقعها
المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها الى الله تعالى وفي الحديث عن صلاتهم ساهون يؤخرون
عن اوقاتها تهاونا بها قال مجاهد تأخير ترك واهمال وقال ابراهيم هو الذي اذا سجد
قال براسه هكذا ملتفتا وقال قتادة هو التارك لها او هم الغافلون الذين لا يبالي
احدهم اصلى ام لم يصل وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله وقال ابن عباس المنافقون
يتركون الصلاة سرا ويفعلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية ويدل
على انها في المنافقين قوله تعالى الذين يراؤون وقال ابن وهب عن مالك قال ابن عباس
ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين وقال عطاء الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم
يقل في صلاتهم وقال الزمخشري بعد ان قدم فيما نقلناه من كلامه ما يدل على ان فذلك
الذي يدع في موضع رفع قال وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب
اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا وقال لدلالة ما بعده
عليه كانه قال اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين
انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم
الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف لهم ساهين عن
الصلاة مرائين غير مزكين فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير
الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس انتهى فجعل فذلك في موضع نصب
عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا
فالمتبادر الى الذهن ان فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقديره النصب يكون التقدير اكرمت
الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن
ما هو فصيح اذ لا حاجة الى ان يشار الى الذي يزورنا بل الفصيح اكرمت الذي يزورنا فالذي
يحسن الينا او اكرمت يزورنا فيحسن الينا واما قوله اما عطف ذات على ذات فلا يصح
لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بقوله فذلك هو واحد
واما قوله ويكون جواب ارايت محذوفا فلا يسمى جوابا بل هو في موضع المفعول الثاني

لا رائب والمافعذ بره الغم ما يصنع بهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بيس لانهما انشا
والاستفهام لا يدخل الا على الخبر واما وصفه المصلين موضع الضمير فان المصلين جمع لان
ضمير الذي كذب مفرد معناه الجمع فتتكلف واضح ولا ينبغي ان يحمل القران الا على ما اقتضاه
ظاهره التركيب وفصيحه وهكذا عادة هذا الرجل يتكلف اشياء في فهم القران ليست
بواضحة وتقدم الكلام في الرياء في سورة البقرة **وقراء** الجمهور يراؤون مضارع راءى على
وزن فاعل وابن ابي اسحق والاشهب مهموزة مقصورة مشددة الهمزة وعن ابن ابي
اسحق بغير شدة الهمزة فتوجيه الاولى انه ضعف الهمزة تعدية كما عدوا بالهمزة فقالوا
في راى ارى فقالوا اراى فجاء المضارع يرئى كيصلي وجاء الجمع يرؤن كيصلون وتوجيه
الثانية انه استثقل التضعيف في الهمزة فخففها وحذف الالف من يراؤن حذفا لا
لسبب ويمنعون الماعون قال ابن المسيب وابن شهاب الماعون بلغة قريش المال وقال
الفراء عن بعض العرب الماعون الماء وقال ابن مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن
والضحاك وابن زيد ما يتعاطاه الناس بينهم كالفاس والدلو والانية والمقص وفي الحديث
سئل عليه السلام عن الشيء الذي لا يحل منعه فقال الماء والملح والنار وفي بعض الطرق الابرة
والخميرة وقال علي وابن عمر وابن عباس ايضا الماعون الزكوة ومنه **قول الراعي**

اخليفة الرحمن انا معشر ۞ حنفاء نسجد بكرة واصيلا
عرب نرى لله من اموالنا ۞ حق الزكاة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ۞ ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني بالماعون الزكوة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب من ان اصله من المعن وهو الشيء
القليل فسميت الزكوة ماعونا لانها قليل من كثير وكذلك الصدقة غيرها وقال ابن عباس
هو المعادية وقال محمد بن كعب والكلبي هو المعروف كله وقال عبد الله بن عمر منع الحق وقيل
الماء والكلا انحر امر من النحر وهو ضرب النحر للابل بما تفيت الروح من محدده **الابتر** الذي لا عقب
له والبتر القطع بترت الشيء قطعته وبتر بالكسر فهو ابتر انقطع ذنبه وخطب زياد خطبته
البتراء لانه لم يحمد فيها الله ولا صلى على رسوله ورجل باتر بضم الهمزة الذي يقطع رحمه ومنه
قول الشاعر لئيم بدت في انفه حنزوانة ۞ على قطع ذي القربى اجذ اباتر ه
والبترية ... ينسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر

سورة الكوثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر مكية في المشهور وقول الجمهور مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة ولما ذكر
فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة قابل في هذه
السورة البخل بانا اعطيناك الكوثر والسهو عن الصلاة بقوله فصل والرياء بقوله
لربك ومنع الزكوة بقوله وانحر اراد به التصدق بلحم الاضاحي فقابل اربعا باربع ونزلت
في العاصي بن وائل كان يسمي الرسول عليه السلام بالابتر وكان يقول دعوه انما هو رجل
ابتر لا عقب له واذا هلك انقطع ذكره واسترحنا منه **وقراء** الجمهور اعطيناك بالعين
والحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني انطيناك بالنون وهي قراءة مروية عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال التبريزي هي لغة للعرب العاربة من اولي قريش ومن كلامه
عليه السلام اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة ومن كلامه ايضا عليه السلام
وانطوا الثبجة **وقال الاعشى**

جيادك خير جياد الملوك ۞ تصان الجلال وتنطى الشعيرا

قال ابو الفضل الرازي وابو زكريا التبريزي ابدل من العين نونا فان عنيا النون في هذه
اللغة مكان العين في غيرها فحسن وان عنيا البدل الصناعي فليس كذلك بل كل واحدة
من اللغتين اصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا نقول الاصل العين
ثم ابدلت النون منها وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح هو

ما فسره

ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على
الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج قال
الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم واقتطعنا منه قال اتدرون
ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه
امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم انتهى قال ذلك عليه السلام عندما نزلت هذه
السورة وقراها وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير وقيل لابن جبير ان ناسا
يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقال الحسن الكوثر القران وقال
ابو بكر بن عياش ويمان بن رئاب كثرة الاصحاب والاتباع وقال هلال بن يساف
هو التوحيد وقال جعفر الصادق نور قلبه دله على الله وقطعه عما سواه وقال عكرمة النبوة
وقال الحسين بن الفضل تيسير القران وتخفيف الشرائع وقال ابن كيسان الايثار وينبغي
حمل هذه الاقوال على التمثيل لان الكوثر لا يختص في واحد منها والكوثر فوعل من الكثرة
وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر ه

وقال الشاعر

وانت كثير يا ابن مروان طيب ۞ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

فصل لربك وانحر الظاهر ان فصل امر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل والنحر
نحر الهدي والنسك والضحايا قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فامر بهذين
قال انس كان ينحر يوم الاضحى قبل الصلاة فامر ان يصلي وينحر وقاله قتادة وقال
ابن جبير نزلت وقت صلح الحديبية قيل له صل وانحر الهدي فعلى هذا الاية من المدني
وفي قوله لربك تنديد بالكفار حيث صلاتهم مكاء وتصدية ونحرهم للاصنام وعن علي صل
لربك وضع يمينك على شمالك عند نحرك في الصلاة وقيل ارفع يديك في استفتاح صلاتك
عند نحرك وعن عطية وعكرمة هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقال الضحاك استو
بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحرك وقال ابو الاحوص استقبل القبلة بنحرك ان شانئك
اي مبغضك تقدم انه العاصي بن وائل وقيل ابو جهل قال ابن عباس لما مات ابراهيم بن رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله ان شانئك هو الابتر
وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقال قتادة الابتر هنا يراد به الحقير الذليل
وقراء الجمهور شانئك بالالف وابن عباس شنئك بغير الف فقيل مقصور من شاني كما قالوا
برد وبر في بارد وبار ويجوز ان يكون بناء على فعل وهو مضاف للمفعول ان كان بمعنى الحال
او الاستقبال وان كان بمعنى الماضي فتكون اضافته لا من نصب على مذهب البصريين وقد
قالوا حذر امورا ومزقون عرضي فلا يستوحش من كونه مضافا للمفعول وهو مبتدا
والاحسن الاعرب في المعنى ان يكون فصلا اي هو المنفرد بالبتر المخصوص به لا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنبه بهذا الوصف هو لشانئه المنسي ذكره وان ذكر فباللعنة واما رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجميع المؤمنين اولاده وذكره مرفوع على المنابر والمنار ومسرود
على لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثني بذكره وله في الاخرة ما لا يدخل
تحت الوصف

سورة الكافرون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم
ولي دين هذه مكية في قول الجمهور وروي عن قتادة انها مدنية وذكروا في اسباب نزولها
انهم قالوا له عليه السلام دع ما انت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا
ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد الهتنا ونحن نعبد الهك حتى نشترك فحيث كان
الخير نلناه جميعا ولما كان اكثر شانيه قريشا وطلبوا منه ان يعبد الهتهم سنة ويعبد
الهه سنة انزل الله هذه السورة تبريا منهم واخبارا لا شك فيه ان ذلك لا يكون وفي
قوله قل دليل على انه مامور بذلك من عند الله وخطابه لهم بيا ايها الكافرون في ناديهم

ون

ومكان بسطه ايديهم مع ما في الوصف من الارذال بهم دليل على انه محروس من عند الله لا يبالي بهم
والكافرون ناس مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقالة الوليد بن المغيرة والعاصي
ابن وائل والاسود بن المطلب وامية وابي ابنا خلف وابو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم
ممن لم يسلم ووافى على الكفر تصديقا للاخبار في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد وللمفسرين
في هذه الجمل اقوال احدها انها للتوكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم توكيد لقوله لا
اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد اولا والتوكيد في لسان العرب كثير جدا وحكوا من ذلك نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر
وفائدة هذا التوكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون
ابدا والثاني انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الاخفش المعنى لا اعبد الساعة ما تعبدون
ولا انتم عابدون السنة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا انتم عابدون
في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة بزمان مغاير وقال ابو مسلم
ما في الاوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخريين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
المبنية على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين
وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الان ويبقى المستانف منتظرا ما يكون
فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يؤمنون به ابدا كالذي كشف الغيب فهذا كما قيل لنوح
عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الا ان هذا في معينين وقوم نوح عموا بذلك
فهذا معنى الترديد الذي في السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما
ذكرته انتهى وقال الزمخشري لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على
مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في
المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي
ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني عبادة
صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت
ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا
يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت انتهى اما حصره في
قوله لان لا لا تدخل وقوله ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر
النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال
وذلك مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يورد س ذلك باداة الحصر انما قال
لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال واما ما فهي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال
الفعل فذكر الغالب فيهما واما قوله في قوله ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابد اسم فاعل قد عمل في ما عبدتم فلا يفسر
بالماضي انما يفسر بالحال او الاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي
وهشام من جواز اعماله ماضيا واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في
وقت ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله في ما اعبد فلا يفسر بالماضي واما قوله وهو
لم يكن الى اخره فسوء ادب منه على منصب النبوة وغير صحيح لانه عليه السلام لم يزل
موحدا لله منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله مجتنبا لاصنامهم يحج بيت الله ويقف بمشاعر
ابراهيم عليه السلام وهذه عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله ونبذ اصنامهم والمعرفة
بالله من اعظم العبادات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون
معناه ليعرفون فسمى الله تعالى المعرفة به عبادة والذي اختاره في هذه الجمل انه اولا نفى
عبادته في المستقبل لان لا الغالب انها تنفي المستقبل ثم عطف عليه ولا انتم عابدون
ما اعبد نفيا في المستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال
لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون
ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه عليه السلام لا يعبد ما تعبدون

لا حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ قد حتم الله موافاتهم على الكفر ولما قال لا اعبد ما تعبدون
فاطلق ما على الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كانت يراد بها الله تعالى لان المقابلة
يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا يقع على احاد من يعلم اما
من جوز ذلك وهو منسوب الى س فلا يحتاج الى استعذار بالتقابل وقيل ما مصدرية في
قوله ما اعبد وقيل فيهما جميعا وقال الزمخشري المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا
تعبدون الحق لكم دينكم ولي دين اي لكم شرككم ولي توحيدي وهذا غاية في التبرؤ ولما
كان الاهم انتفاءه عليه السلام من دينهم بدا بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب اليه
ولما تحقق النفي رجع الى خطابهم في قوله لكم دينكم على سبيل المهادنة وهي منسوخة باية السيف
وقرا سلام ويعقوب ديني بياء وصلا ووقفا وحذفها القراء السبعة

سورة النصر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا هذه مدنية نزلت منصرفه عليه
السلام من غزوة خيبر وعاش بعد نزولها سنتين وقال ابن عمر نزلت في اوسط ايام التشريق
بمنى في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها صلى الله عليه وسلم ولما كان في قوله
لكم دينكم موادعة جاء في هذه بما يدل على تخويفهم وتهديدهم وانه اتى نصر الله وفتح مكة
واضمحلال ملة الاصنام واظهار دين الله قال الزمخشري اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل
والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة انتهى وكذا قال الحوفي ولا يصح اعمال فسبح في اذا لاجل
الفاء لان الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل
العامل في اذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية وقد استدللنا على ذلك
في شرح التسهيل وغيره وان كان المشهور غيره والنصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح
فتح البلاد ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه نصر رسول الله والمؤمنين على اعدائهم
وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن وقيل نصره عليه السلام على
قريش وفتح مكة وكان فتحها لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومعه عليه السلام عشرة
الاف من المهاجرين والانصار وقرا الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا
للمفعول في دين الله في ملة الاسلام الذي لا دين له يضاف غيرها افواجا اي جماعات كثيرة
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين قال الحسن
لما فتح عليه السلام مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما الظفر باهل الحرم فليس
به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وقال ابو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم
وافده قال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان واما نصارى بني تغلب
فما اراهم اسلموا قط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن اعطوا الجزية وقال عكرمة ومقاتل
المراد بالناس اهل اليمن وفد منهم سبعمائة رجل وقال الجمهور وفود العرب وكان دخولهم
بين فتح مكة وموته عليه السلام وافواجا جمع فوج قال الحوفي وقياس جمعه افوج ولكن
استثقلت الضمة على الواو فعدل الى افواج كانه يعني انه كان ينبغي ان يكون معتل العين كالصحيح
فكما ان قياس فعل صحيحها ان يجمع على افعل لا على افعال فكذلك هذا والامر في هذا المعتل
جاء بالعكس فالقياس فيه افعال كحوض واحواض وشذ فيه افعل كثوب واثوب وافواجا حال
او مفعول ثان ان كانت رايت بمعنى علمت المتعدية لاثنين وقال الزمخشري [illegible] اما
على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت انتهى ولا نعلم رايت جاءت بمعنى عرفت فيحتاج في
ذلك الى استثبات فسبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على هذه النعم التي خولكها من نصرك
على الاعداء وفتحك البلاد واسلام الناس واي نعمة اعظم من هذه اذ كل حسنة يعملها المسلمون
فهي في ميزانه وعن عائشة كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك قال الزمخشري والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل

للامر بماهو فوقه ام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته
لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انتهى وقد علم هو عليه السلام
من هذه السورة دنو اجله وحين قرأها عليه السلام استبشر الصحابة وبكى العباس
فقال له ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين
انه كان توابا فيه ترجية عظيمة للمستغفرين **الحطب** معروف ويقال فلان يحطب على
فلان اذا وشى عليه **الجيد** العنق **المسد** حبل مفتول من ليف وقال ابو الفتح ليف المقل
وقال ابن يزيد تجوزا اليمن يسمى المسد انتهى وقد يكون من جلود الابل ومن اوبارها **قال**
الزاجر ه ومسد امر من ايانق ه ورجل ممسود الخلق اي مجدول لشدة بنيته ه

سورة المسد مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما
كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ه مكية
ولما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله اتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر ولم يدخل فيما
دخل فيه اهل مكة من الايمان وتقدم التباب في سورة غافر وهنا قال ابن عباس خابت
وقتادة خسرت وابن جبير هلكت وعطاء ضلت ويمان بن رئاب صفرت من كل خير
وهذه الاقوال متقاربة في المعنى وقالوا فيما حكى شابة تبت ام تابت اي هالكة من الهرم
والتعجيز واسند الهلاك الى اليدين لان العمل اكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس
كقوله ذلك بما قدمت يداك وقيل اخذ بيديه حجرا ليرمي به الرسول فاسند التب اليهما
والظاهر ان التب دعا وتب اخبار بحصول ذلك كما **قال الشاعر**

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ه

ويدل عليه قراءة عبد الله وقد تب روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال يا صفية
بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا اغني لكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما
ثم صعد الصفا فنادى بطون قريش يا بني فلان يا بني فلان وروي انه صاح باعلى صوته
يا صباحاه فاجتمعوا اليه من كل وجه فقال لهم ارأيتم لو قلت لكم اني انذركم خيلا بسفح
هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال
ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة وابو
لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقرا** ابن محيصن
وابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وفتحها باقي السبعة ولم يختلفوا في ذات لهب انها
فاصلة والسكون يزيلها عن حسن الفاصلة قال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقولهم
شمس بن مالك بالضم يعني سكون الهاء في لهب وضم الشين في شمس ويعني في **قول**
الشاعر

اني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي وهو شمس بن مالك ه

فاما في ابي لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء واما شمس بن مالك فلا يتعين ان يكون
من تغيير الاعلام بل يمكن ان يكون مسمى بشمس المنقول من شمس الجمع كما جاء اذناب خيل
شمس فتلا وكنى بابي لهب لحسنه واشراق وجهه ولم يذكره تعالى باسمه فقيل لان اسمه
عبد العزى فعدل عنه الى الكنية او لان الكنية كانت اغلب عليه من الاسم او لان
ماله الى النار فوافقت حالته كنيته كما تفاءل للشرير بابي الشر وللخير بابي الخير
او لان الاسم اشرف من الكنية فعدل الى الانقص ولذلك ذكر الله الانبياء باسمائهم ولم
يكن احدا منهم والظاهر ان ما في ما اغنى عنه نافية اي لم يغن عنه ماله الموروث عن
ابائه وما كسب هو بنفسه او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها او وما كسب
من ارباح ماله الذي يتجر به ويجوز ان تكون ما استفهاما في موضع نصب اي اي شيء يغني
عنه ماله على وجه التقرير والانكار والمعنى اين الغنا الذي لماله ولكسبه والظاهر ان

ما في قوله وما كسب موصولة واجيز ان تكون مصدرية واذا كانت ما في ما يغني استفهاما فيحتمل
ان تكون ما في وما كسب استفهاما ايضا اي واي شيء كسب اي لم يكسب شيئا وعن ابن عباس وما كسب
ولده وفي الحديث ولد الرجل من كسبه وعن الضحاك وما كسب هو عمله الخبيث في عداوة الرسول
وعن قتادة وعمله الذي ظن انه منه على شيء وروي عنه انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي
حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **وقرا** عبد الله وما اكتسب تبا الافتعال
وقرا ابو حيوة وابن مقسم وعباس في اختيار وهو ايضا سيصلى بضم الياء وفتح الصاد
وشد اللام ومريئته وعند ايضا ومريئته على التصغير فيهما بالهمز وبابدال الهمزة ياء
وادغام ياء التصغير فيها **وقرا** ايضا حمالة للحطب بالتنوين في حمالة وبلام الجر
في الحطب **وقرا** الحسن وابن ابي اسحق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد وابو قلابة حاملة
الحطب على وزن فاعلة مضافا واختلس حركة الهاء في وامراته ابو عمرو في رواية والحسن
وزيد بن علي والاعرج وابو حيوة وابن ابي عبلة وابن محيصن وعاصم حمالة بالنصب **وقرا**
الجمهور سيصلى بفتح الياء وسكون الصاد وامراته على التكبير حمالة على وزن فعالة
للمبالغة مضافا الى الحطب مرفوعا والسين للاستقبال وان تراخى الزمان وهو وعيد
كائن انجازه لا محالة وارتفع وامراته عطفا على الضمير المستكن في سيصلى وحسنه
وجود الفصل بالمفعول وصفته وحمالة في قراءة الجمهور خبر مبتدا محذوف او صفة
لامراته لانه مثال لما مضى فيتعرف بالاضافة وفعال احد الامثلة الستة وحكمها
كاسم الفاعل وفي قراءة النصب انتصب على الذم واجاز في قراءة الرفع ان تكون وامراته
مبتدا وحمالة الحطب خبر وفي جيدها خبر ثان او في موضع الحال من الضمير المستكن
في حمالة واسمها ام جميل بنت حرب اخت ابي سفين وكانت عوراء والظاهر انها كانت
تحمل الحطب اي ما فيه شوك لتؤذي بالقائه في طريق الرسول عليه السلام واصحابه
لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حمالة الحطب قاله ابن عباس فحمالة معرفة فان
كان مثالا لما مضى جاز فيه حالة الرفع ان يكون عطف بيان وان يكون بدلا فقيل وكانت
تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة
ويقال للمشاء بها يحمل الحطب بين الناس اي يوقد بينهم النار ويورث الشر ه
قال الشاعر

من البيض لم يصطد على ظهر لامة ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ه **وقال الراجز**

ان بني الادرم حمالوا الحطب هم الوشاة في الرضى وفي الغضب ه

وقال ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره قال تعالى
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس تحمل الجناة
على الجنايات والظاهر ان الحبل من مسد قال عروة بن الزبير ومجاهد وسفين ه
استعارة والمراد سلسلة من حديد في جهنم وقال قتادة قلادة من ودع وقال ابن
المسيب قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها على عداوة محمد
قال ابن عطية فانما عبر عن قلادتها بحبل من مسد على جهة التفاؤل لها وذكر تبرجها
في هذا السعي الخبيث انتهى وقال الحسن انما كانت خرزا وقال الزمخشري ه
والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتر
بطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا بحالها وتحقيرا لها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما
في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل
ابن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب **فقال**

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد سامية كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت
تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او الضريع
وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حالته في جرمه
انتهى ولما سمعت ام جميل هذه السورة اتت ابا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت بلغني ان صاحبك هجاني ولافعلن وافعلن
واعمى الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروي ان ابا بكر قال لها هل ترين
معي احدا فقالت اتهزأ بي لا ارى غيرك وان كان شاعرا فانا مثله اقول مذمما
ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فسكت ابو بكر ومضت هي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرها وذكروا انها ماتت
مخنوقة بحبلها وابو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال **الصمد**
فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج ويستقل
بها **قال**

الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال اخر

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد

التطهير

سورة الاخلاص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة مدنية
في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وابي العالية والضحاك ولما تقدم فيما قبلها عداوة
اقرب الناس الى الرسول وهو عمه ابو لهب وما كان يقاسي من عباد الاصنام الذين
اتخذوا مع الله الهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاوثان
والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد
عن ابن عباس ان اليهود قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت وعن ابي العالية
قال قتادة الاحزاب انسب لنا ربك فنزلت فان صح هذا السبب كان هو ضميرا
عائدا على الذي قالوا هو ... اي ربي الله ويكون مبتدأ واحد خبرا واحد ثان وقال
الزمخشري وهذا يدل على ... الله او على هو احد انتهى وان لم يصح السبب فهو
ضمير الامر والشأن مبتدأ والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر هو واحد بمعنى
واحد اي فرد من جميع جهات الوحدة لا يتجزأ في ذاته وفي صفاته لا يتجزأ وهمزة احد
هذا بدل من واو وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل من ذلك امرأة اناة
يريدون وناة لانه من الونى وهو الفتور كما ان احدا من الوحدة وقال ثعلب بين واحد
فرق الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله تقول الله احد ولا تقول
زيد احد لان الله خصوصية له الاحد وزيد تكون منه حالات انتهى وما ذكر من
ان احدا لا يدخله ما ذكر منقوض بالعدد المعطوف تقول احد وعشرون واثنان
وعشرون وثلاثة وعشرون فقد دخله العدد **وقرأ** ابان بن عثمان وزيد بن علي
ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن ابي اسحاق وابو السمال وابو عمرو في رواية
يونس ومحبوب والاصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه احد الله بحذف التنوين
لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب واكثر ما يوجد في الشعر
نحو قوله ولا ذاكر الله الا قليلا ونحو قوله عمرو الذي هشم الثريد لقومه الصمد
مبتدأ وخبر والافصح ان تكون هذه جملا مستقلة بالاخبار على سبيل الاستئناف
كما تقول زيد العالم زيد الشجاع وقيل الصمد صفة والخبر في الجملة بعده وتقدم
شرح الصمد في المفردات وقال الشعبي ويمان بن رئاب هو الذي لا ياكل ولا يشرب

وقال ابي بن كعب يفسره ما بعده وهو قوله لم يلد ولم يولد وقال الحسن الصمد المصمت
الذي لا جوف له ومنه **قول الشاعر**

شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا

وفي كتاب التحرير اقوال عشرة لا يساعد عليها اللغة وقال ابن الانباري لا خلاف بين
اهل اللغة ان الصمد هو السيد الذي ليس فوقه احد الذي يصمد اليه الناس في امورهم
وحوائجهم قال الزمخشري لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل
على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم
وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز
ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة انتهى ولم يكن له كفوا احد نفيا له كفوا بضم
الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء وبضم الكاف مع ضم الفاء وقرأ حمزة وحفص
بضم الكاف واسكان الفاء وهمز حمزة وابدلها حفص واوا وباقي السبعة بضمهما والهمز
وسهل الهمزة الاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية عن نافع ايضا كفا من غير همز
نقل حركة الهمزة الى الفاء وحذف الهمزة **وقرأ** سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس
كفاء بكسر الكاف وفتح الفاء والمد كما **قال النابغة** لا تقذفني بركن
لا كفاء له حتى قال لا علم لا كفاء له لا مثل له وقال مكي **ش** يختار ان يكون الظرف خبرا اذا قدمه
وقد خطأ المبرد بهذه الاية لانه قدم الظرف ولم يجعله خبرا والجواب ان **ش** لم يمنع الغاء
الظرف اذا تقدم انما اجاز ان يكون خبرا وان لا يكون خبرا ويجوز ان يكون حالا من
النكرة وهي احد لما تقدم نعتها عليها نصب على الحال فيكون له الخبر على مذهب **ش**
واختاره ولا يكون للمبرد حجة على هذا القول انتهى وخرجه ابن عطية ايضا على الحال وقال
الزمخشري **فان قلت** الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو
غير مستقر ولا يقدم وقد نص **ش** على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى
مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم
واحراه انتهى وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله ولم يكن له كفوا احد
ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبرا لكان بل هو متعلق
بكفوا وقدم عليه فالتقدير ولم يكن كفوا له اي مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق
بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان
كان الاصل التأخر لان تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه
يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص لا يصلح ان يكون
خبرا وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وقوله و**ش** انما تكلم في هذا الظرف الذي
يصلح ان يكون خبرا ويصلح ان يكون غير خبر قال **ش** وتقول ما كان فيها احد
خير منك وما كان احد مثلك فيها وليس احد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا
ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم اجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيد
قائم نصبت تقول ما كان فيها احد خيرا منك وما كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا
اردت الالغاء فكلما اخرت الملغى كان احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته
كان احسن والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن
له كفوا احد **وقال الشاعر** ما دام فيهن فصيل حيا فقد دجا الليل فهيا هيا انتهى ما نقلناه
ملخصا وهو بالفاظ **ش** فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح ان يكون
خبرا ومعنى قوله مستقرا اي خبرا للمبتدأ ولكان **فان قلت** فقد مثل بالاية
الكريمة **قلت** هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد
ان الظرف التام وهو في قوله ما دام فيهن فصيل حيا اجري فضلة لا خبرا
كما ان له في الاية اجري فضلة فجعل الظرف القابل ان يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه
لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من قوله ولم يكن له احد بل لو تأخر

وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينفرد منه كلام بل انت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا وله متعلق به والمعنى ولم يكن احد كفوا له وقد جاء في فضل هذه السورة احاديث كثيرة ومنها انها تعدل ثلث القرآن وقد تكلم العلماء على ذلك وليس هذا موضعه الفلق فعل بمعنى مفعول وبابه ان افردها للتفسير فيه ان شاء الله وقب الليل اظلم والشمس غابت والعذاب حل قال الشاعر

وقب العذاب عليهم فكأنهم لحقتهم نار السموم فاحصدوا

النفث شبه النفخ دون تفل بريق قاله ابن عطية وقيل نفخ بريق معه قاله الزمخشري وقال صاحب اللوامح شبه النفخ من الفم في الرقية ولا ريق معه فاذا كان بريق فهو التفل قال الشاعر

فان يبرأ فلم انفث عليه وان يفقد فحق له الفقود

سورة الفلق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدنية في قول ابن عباس في رواية ابي صالح وقتادة وجماعة قيل وهو الصحيح وسبب نزول المعوذتين قصة سحر لبيد بن الاعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اخرج ما سحر به وهو جف والجف قشر الطلع فيه مشاطة راسه عليه السلام وبعض اسنان مشطه ووتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروز بالابر فنزل عليه المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام في نفسه خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فقام كأنما نشط من عقال ولما شرح امر الالهية في السورة قبلها شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته والفلق الصبح قاله ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جبير والقرطبي وابن زيد وفي المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح وقال الشاعر

يا ليلة لم انمها بت مرتقبا ارعى النجوم الى ان قدر الفلق

وقال الشاعر يصف الثور الوحشي

حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق هاديه في اخريات الليل منتصب

وقيل الفلق كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقال ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة والتابعين الفلق جب في جهنم ورواه ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لما اطمأن من الارض الفلق وجمعه فلقان وقيل واد في جهنم وقال بعض الصحابة بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وقرأ الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الى ما وما عام يدخل فيه جميع المخلوقات من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالاحراق بالنار والاغراق بالبحر والقتل بالسم وقرأ عمرو بن فائد من شر بالتنوين وقال ابن عطية وقرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شيء انتهى ولهذه القراءة وجه غير النفي فلا ينبغي ان ترد وهو ان تكون ما خلق بدلا من شر على تقدير محذوف اي من شر شر ما خلق فحذف لدلالة شر الاول عليه اطلق اولا ثم عمم ثانيا والغاسق الليل اذا اظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وغيره وقال الزمخشري على عادته في نقل كلامه غاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء انتهى وقال الزجاج هو الليل لانه ابرد من النهار والغاسق البارد استعيذ من شره لانه فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات واهل الفتك قال الشاعر

يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

وقال محمد

وقال محمد النهار دخل في الليل انتهى وقال ابن شهاب المراد بالغاسق الشمس اذا غربت وقال القتبي وغيره هو القمر اذا دخل في ساهوره فخسف وفي الحديث نظر عليه السلام الى القمر فقال يا عائشة تعوذي بالله من هذا فان هذا الغاسق اذا وقب وعنه عليه السلام الغاسق النجم وقال ابن زيد عن العرب الغاسق الثريا اذا سقطت وكانت الاسقام والطاعون يهيج عند ذلك وقيل الحية اذا لدغت والغاسق سم نابها لانه يسيل منه والنفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين وقرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وابن عمر والحسن ايضا وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية النافثات والحسن ايضا وابو الربيع النفثات بغير الف نحو الحذرات والمستعاذ من شرهن هو ما يصيب الله به من الشر عند فعلهن ذلك وسبب نزول هاتين المعوذتين ينفي ما تأوله الزمخشري من قوله ويجوز ان يراد بهن النساء ذوات الكياد من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك انتهى وقال ابن عطية وهذا النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذى بذلك وهذا الشأن في زماننا موجود شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة انه رأى عند بعضهم خيطا احمر قد عقد فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه في الحين فرضع انتهى وقيل الغاسق والحاسد بالظرف لانه اذا لم يدخل الليل لا يكون منسوبا اليه وكذا كل ما فسر به الغاسق وكذلك الحاسد لا يؤثر حسده الا اذا اظهره بان يحتال للمحسود فيما يؤذيه اما اذا لم يظهر الحسد فانما يتأذى به هو لا المحسود لاغتمامه بنعمة غيره قال الزمخشري ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره انتهى وعم اولا فقال من شر ما خلق ثم خص هذه لخفاء شرها اذ يجيء من حيث لا يعلم وقالوا شر العداة المداجي بكيدك من حيث لا تشعر ونكر غاسق وحاسد وعرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة وكل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه لا حسد الا في اثنتين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال آخر ان العلا حسن في مثلها الحسد وقول المنظور اليه للحاسد اذا نظر الخمس على عينيك يعني به هذه السورة لانها خمس آيات وعين الحاسد في الغالب لا تؤثر نعوذ بالله من شرها

سورة الناس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس تقدم انها نزلت مع ما قبلها والخلاف فيهما مدنيتان ام مكيتان واضيف الرب الى الناس لان الاستعاذة من شر الوسواس في صدورهم استعاذوا بربهم مالكهم والههم كما يستعيذ العبد بمولاه اذا دهمه امر والظاهر ان ملك الناس اله الناس صفتان لله وقال الزمخشري هما عطفا بيان بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كما قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان انتهى وعطف البيان المشهور انه يكون بالجوامد وظاهر قوله انهما عطفا بيان لواحد ولا نعلم عن النحاة شيئا في عطف البيان هل يجوز ان يتكرر لمعطوف عليه واحد ام لا يجوز وقال الزمخشري فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار انتهى والوسواس قالوا اسم من اسماء الشيطان والوسواس ايضا ما يوسوس به شهوات النفس وهو الهوى المنهي عنه والخناس الراجع على عقبه المستتر احيانا وذلك في الشيطان متمكن اذا ذكر العبد الله تأخر واما الشهوات فيختنس بالايمان وبلمة الملك وبالحياء فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس ويكون معنى من الجنة والناس من الشياطين ونفوس الناس او يكون الوسواس اريد به الشيطان والمزين من قرنائه السوء فيكون من الجنة والناس تبيينا لذلك الوسواس وقال تعالى عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال قتادة ان من الانس شياطين ومن الجن شياطين فنعوذ بالله منهم وقال ابو ذر لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس انتهى وقال الزمخشري الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس وقد تكلمنا معه في دعواه ان الزلزال بالفتح اسم وبالكسر المصدر في اذا زلزلت

ويجوز في الذي الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ومن في من الجنة والناس للتبعيض اي كائنا
من الجنة والناس فهي في موضع الحال اي ذلك الموسوس وهو بعض الجنة وبعض الناس وقال الزمخشري
ويجوز ان تكون من تتعلق بيوسوس ومعناه ابتدا الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة
ومن جهة الناس انتهى ولما كانت مضرة الدين وهي آفة الوسوسة اعظم من مضرة الدنيا وان عظمت
جاء الثنا في الاستعاذة منها بصفات ثلاث الرب والملك والاله وان اتحد المطلوب وفي الاستعاذة
من ثلاث الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب وان تكثر الذي يستعاذ منه كان
عليه السلام اذا اوى الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ثم مسح بهما
ما استطاع من جسده يبدا براسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا صلى الله
عليه وسلم تم السفر الحادي عشر من البحر المحيط من تفسير القران العظيم وبتمامه
تم جميع الكتاب ولله الحمد والمنة وذلك في خامس شهر صفر المعظم من عام
عام اربع واربعين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام تم الكتاب بحمد الله ذي الجود رب العباد وبري
المائي في الوجود يا قاري الخط قل بالله مجتهدا اغفر
لكاتبه يا خير معبود كاتبه العبد الفقير الى
ربه الغني به عن من سواه عبد الهادي
ابن محمد الشوالي الشافعي مذهبا
غفر الله له ولوالديه
والمسلمين والمسلمات
الاحيا منهم والاموات
انك قريب
مجيب الدعوات
رب العا
لمين
م

يكونى
دوقده
٦٧٤